عدد ممتاز

العربي

ربيع الأول ١٤٠٤هـ - يناير «كانون ثان» ١٩٨٤م

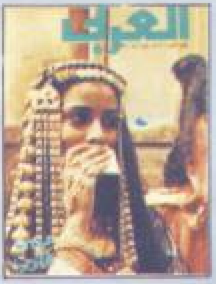

٢٥ عاما في خدمة الثقافة العربية

العربي الصغير بالمجان

مع العدد هدية

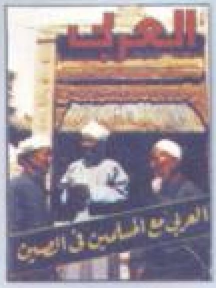

١٠ أسباب جعلتني أصر على ڤيديو فيشر لمنزلي.

١،٢،٣،٤ ان عملي يأخذني الى مختلف أنحاء العالم. أحتاج الى مسجل ڤيديو يسجل ويعيد البث في أي بلد تقريباً. فيشر ٤ أنظمة باستطاعته ذلك.

٥ لقد اخترع فيشر الهاي فاي في أمريكا عام ١٩٣٧، ولقد كان رائداً في حقل التكنولوجيا منذ ذلك.

٦ ان فيشر مشهورة بجودتها التي لا تضاهى.

• پال/ميسكام/ان ڤي اس سي ٤٫٤٣/ان ڤي اس سي ٣٫٥٨

٧ مرونة استعمال فيشر مثل تراوح الفولتاج من ١١٠ لغاية ٢٤٠ ڤولت للعمل في اي مكان تقريباً.

٨ عملية تشغيل سهلة مع جميع المميزات القياسية للبحث عن الصورة خلال حركة بطيئة او سريعة.

٩ عندما أكون خارج المنزل فهنالك إمكانية البرمجة الاوتوماتيكية الجيدة مع مؤقت لبرمجة ٨ أيام/ برنامج واحد.

١٠ إسم فيشر. لقد نال ثقتي لسنوات عديدة وهو موضع ثقتي الآن.

فيشر
FISHER

العربي

مجلة ثقافية عربية مصورة

رئيس التحرير

د. محمّد الرميحي

تصدر شهرياً عن وزارة الإعلام
بدولة الكويت للوطن العربي
ولكل قارئ للعربية في العالم
المجلة غير ملتزمة بإعادة أي مادة تتلقاها
للنشر والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

المراسلات

باسم رئيس التحرير

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة
قسم الإعلانات

الاشتراكات

ترسل الطلبات إلى : قسم الإشتراكات
المكتب الفني ـ وزارة الإعلام
ص.ب ١٩٣ الكويت

على طالب الإشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية ، أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الإعلام طبقاً لما يلي :

الوطن العربي ٤ د.ك ـ باقي دول العالم ٦ د.ك

ثمن العدد

الكويت	٢٥٠	فلساً	السعودية	٥	ريالات
العراق	٢٥٠	فلساً	اليمن الشمالي	٣	ريالات
الأردن	٢٠٠	فلس	قطر	٥	ريالات
البحرين	٣٠٠	فلس	لبنان	٣	ليرات
اليمن الجنوبي	٢٥٠	فلساً	سوريا	٣	ليرات
مصر	٢٥٠	مليماً	الامارات	٥	دراهم
السودان	٢٠٠	مليم	المغرب	٤	دراهم
تونس	٤٠٠	مليم	ليبيا	٣٥٠	درهماً
الجزائر	٤	دنانير	سلطنة عمان		ربع ريال
بريطانيا		جنيه استرليني	أوروبا دولاران أو جنيه استرليني		
فرنسا	١٥	فرنكاً	أمريكا		دولاران

العدد ٣٠٢
يناير ١٩٨٤

عنوان المجلة بالكويت
ص.ب ٧٤٨ صفاة
ت : ٤٢٧١٤١ ـ ٢٩٨٣٤٢ ٤٦٨
برقياً : « العربي » الكويت

AL-ARABI
Issue No. 302. Jan. 1984

A Cultural Monthly
Arabic Magazine
in Colour
Published by :
MINISTRY OF
INFORMATION
STATE OF KUWAIT.

عزيزي القارئ

بهذا العدد الذي بين يديك يكون قد انقضى على صدور مجلة العربي - مجلة العرب الأولى - ربع قرن ، عاشت فيه أحداثا جساما مرت على الأمة .

والعربي في الفترة السابقة ما فتئت تحمل مشعل الثقافة العربية الخالصة تقدمها للقارىء العربي في كل مكان . ولو نظرنا لكل هذه السنوات في المسيرة الطويلة ، لشاهدنا صفا من المفكرين والكتاب والرسامين والقصاصين والشعراء العرب ، ساهموا بجهد ثقافي عميق وواسع من أجل أن تظل هذه الشعلة منيرة . ولو حاولت أسرة العربي أن تشكر كل فرد منهم - أمواتا في رحاب الله ،وأحياء يواصلون حياتهم الفكرية الجليلة بكل اخلاص وتواضع - لاحتاجت الى مجلدات،فلهم جميعا في هذه الوقفة التاريخية كل العرفان بالفضل والشكر .

وما زالت العربي على العهد الأول تأمل أن تقدم المزيد في خدمة الثقافة العربية . ومن خططها الجديدة اصدار كتاب العربي . الذي سيتوفر في الأسواق بداية من منتصف شهر يناير الحالي - على أن يكون فصليا - حتى تنتقل العربي الى المطابع الجديدة فيتحول الى شهري باذن الله . ثم ان العربي الآن أصبحت مسجلة على ميكروفلم ، ومتوفرة للقراء بهذا الشكل الحديث ، حيث أن من غير المستطاع عمليا اعادة طبع ما نفد منها ، فكانت فكرة الكتاب - المختار من العربي - وفكرة الميكروفلم تكمل كلتاهما الأخرى . كما أن العربي تعد لندوة العربي الثقافية التي ستعقد في الكويت بين ١٧ - ١٩ مارس القادم . وقد دعى اليها نخبة من الكتاب والمفكرين العرب ، وستكون نتائجها ودراستها في متناول القارىء العربي في كل مكان .

أما التحسينات الجديدة والتطوير في الأبواب فاننا لن نتحدث عنها تاركين لك أيها القارىء الكريم أن تنظر وتحكم لنا أو علينا ، ولا بد في هذه المناسبة أن نحيّ جميع العاملين في انتاج هذه المطبوعة التي أثبتت أصالتها ، ولولا توفيق الله واستقلال العربي الثقافي بتعضيد من المسؤولين في الكويت لم يكن لهذا العمل أن ينضج بمثل ما هو عليه الآن . ومن أجل ذلك فليعمل العاملون .

المحرر

في هذا العدد

◆ قصة العربي ◆

● في هذا العدد الذي تبدأ به العربي عامها السادس والعشرين يروي بدر خالد البدر وأحمد السقاف ذكرياتهما عن المجلة التي عاصرا مسيرتها عندما كانت مجرد فكرة ، ثم بعد صدورها . . انها رحلة طويلة حافلة فقد كان للرجلين دور هام في تحقيق هذا الانجاز الذي تمثل في ظهور وانتشار هذه المجلة التي يعتز بها كل عربي (اقرأ ص ١٦ ، ص ٢٣) .

◆ الأمن الغذائي والثورة الزراعية ◆

● قضية الأمن الغذائي تشغل العالم كله والوطن العربي بصفة خاصة ، ان الغذاء هو صيحة العصر . . والأرقام تؤكد اننا مقبلون على أزمة في الغذاء اذا مضت الامور تسير على ما هي عليه . .

وقد خصصت العربي جانبا من صفحاتها للمشتغلين بالأمن الغذائي والاقتصاد الغذائي . . انهم يرسمون صورة مقلقة لما سيكون عليه الغد ، اذا لم تبدأ في العمل الجاد من أجل تأمين غذائنا . (اقرأ الصفحات من ٣٩ ـ ٥٣)

◆ على طريق الاسلام والأركان والبنيان ◆

● المسلمون اليوم يقفون على أعتاب صحوة جديدة ، ترصد بشائرها ، وترى بعض علاماتها ، ولكنها تولد في مرحلة من مراحل التطور الانساني بالغة التعقيد (اقرأ ص ٣٠) .

● البنيان الاسلامي يدرك أمره كل من عرف معرفة ايجابية لا سلبية ولا نظرية ، أن الاسلام دين شامل وان شموله يسع الحياة كلها . (اقرأ ص ٥٤)

◆ رحلة كنوز الخليج وأرض النار والنور ◆

●الدكتور جاسم محمد الحسن قام بتنظيم رحلة علمية لمسح أعماق الخليج وتصوير ثرواته . . لقد استغرقت الرحلة عامين وكان لها ثمار تنفرد العربي بنقل بعضها (اقرأ ص ٦٨)

● وكان للعربي وقفة في جمهورية اذربيجان ، ضمن جولة واسعة بدأت من موسكو ثم لينتجراد وباكو وانتهت الى عالم اوزبكستان الحافل ، انها رحلة الى عالم مغاير تماما (اقرأ الاستطلاع ص ١٣٢)

محتويات العدد

قضايا عامة

■ حديث الشهر : تحرير العقل العربي .
ـ د. محمد الرميحي ٨

■ رسالة الشيخ صباح الأحمد الى مجلة العربي في يوبيلها الفضي ١٤

■ مجلة العربي ..
فكرة اصدارها وكيف ولدت ؟
ـ بدر خالد البدر ١٦

■ قصة العربي :
ـ أحمد السقاف ٢٣

عروبة واسلام

■ خمس علامات على طريق الاسلام
ـ د. أحمد كمال أبو المجد ٣٠

■ ثقافتنا المعاصرة بين التعريب والتغريب
ـ د. فؤاد زكريا ٣٥

■ الأركان والبنيـان
ـ د. حسان حتحوت ٥٤

■ هردر منصف العرب
ـ د. عبد الرحمن بدوي ٥٨

■ العربي من ربع قرن :
حال العرب منذ ٢٥ سنة ١٠٠

■ المواجهة بين الثقافة العربية والثقافة الاسرائيلية
ـ د. حسام الخطيب ١١٢

■ من التراث : وسائل الانذار المبكر عند المسلمين
ـ د. احسان صدقي العمد ١٧١

الغذاء « جزء خاص »

■ الغذاء الغذاء ..
صيحة العصر ٣٩

■ نحن ننفق ٢٣ بليون دولار سنوياً ثمناً لغذائنا المستورد .
ـ عبد العزيز الصقر ٤٠

■ أرقام : صلاة من أجل الخبز
ـ محمود المراغي ٤٢

■ الأمن الغذائي العربي ..
هل أصبح اسطورة ؟
ـ د. خالد تحسين علي ٤٤

■ الثورة الزراعية المطلوبة .
ـ د. حازم الببلاوي ٥٠

منتدى العربي

■ الاستعمار والتعليم .
ـ د. شوقي السكري ١١٨

■ الدرجات العلمية في الطب
هل أدت هدفها ؟
ـ د. نبيل سليم ١٢٢

■ حول استقلال الجامعات .
ـ د. عدنان الظاهر ١٢٥

طب وعلـــوم

■ نحن معرضون للاصابة بالصمم لماذا ؟ ٨٨

■ الجديد في العلم والطب
ـ اعداد يوسف زعبلاوي ١٢٦
■ الطاقة لماذا أصبحت مأزقاً ؟
ـ د. سعود عياش ١٧٠
■ طبيب الأسرة ١٨٠

آداب وفنـــون

■ النزوية « قصيدة »
ـ خالد سعود الزيد ٨٦
■ المغرور ببقاء السور
ـ د. محمد المنسي قنديل ٩٣
■ أطباء ولكنهم أدباء
ـ د. أنيس فهمي ١٠٢
■ من أين لي ؟ (قصيدة)
ـ د. اسامة عبد الرحمن ١١٦
■ صفحة لغة : نبدأ حفظ القرآن
بأواخر جزئه الثلاثين .
ـ محمد خليفة التونسي ١٢٩
■ عندما كان الرجل غائباً (قصة)
ـ يوسف القعيد ١٨٢
■ كتاب الشهر :
ديناميكية الأزمة العالمية .
ـ د. عبد الرحمن الحبيب ١٨٩

تاريخ واشخاص

■ ريمون آرون المتفرج الملتزم .
ـ د. أحمد أبو زيد ١٠٦
■ بين ابن وأبيه :
سلطان العقل عند أحمد أمين
ـ د. جلال أمين ١٦٥

استطلاعات مصورة

■ رحلة كنوز الخليج .
ـ د. جاسم محمد الحسن ٦٨
■ اذربيجان .. أرض النار والنور .
ـ مصطفى نبيل ١٣٢

اجتمـــاع

■ ركن المرأة والأسرة : وعادت الى
احلامها .. من أجل غد بلا دموع .
ـ منير نصيف ٦٣
■ الألوان والناس .
ـ د. عمر الدقاق ١٥٦

أبواب ثابتـــة

■ عزيزي القاريء ٤
■ حل مسابقة العدد (٢٩٩) ٦٧
■ من مكتبة العربي ١٩٧
■ حوار القراء ١٩٩
■ المسابقة الثقافية ٢٠٢
■ الشطرنج « معركة بلا سلاح » ٢٠٤

حديث الشهر

تحرير العقل العربي

في خريف القرن العشرين يعيش العربي عصراً يكتنفه القلق العميق على واقع الأمة العربية ، فلم يحدث من قبل ان عشنا - نحن العرب - في مثل هذا الواقع المر ، على الرغم مما حققناه من تقدم في اكثر من صعيد . فلم يعد هناك استعمار سياسي مباشر ومعركة الاستقلال الاقتصادي تدور رحاها في أكثر من موقع عربي ، ولقد تزايدت أعداد العرب الذين يجيدون القراءة والكتابة ويدخلون الجامعات ، الى جانب الاقبال المتزايد على استخدام التكنولوجيا الحديثة . وبرغم ذلك كله مازلنا نعيش ازمة هي في اساسها ، « أزمة العقل العربي » .

من مظاهر هذه الأزمة ما يمكن تسميته بالمرض العربي ، وبعض اعراض ذلك ، النقد العميق والجارح في بعض الاحيان للذات - ذاتنا العربية - حتى خيل للبعض منا أننا لم نعد راضين عن انفسنا وعن سلوكنا .

مظاهر الأزمة هذه ليست مقصورة على العرب وحدهم ، وعلى اوضاعهم ، فقد مرت بها شعوب اخرى في أوقات الهزائم والنكسات أو قل النكبات . فتارة كان « المرض الروسي » عندما كان مثقفو روسيا قبل الثورة البلشفية يصفون مجتمعهم بالكسل والثرثرة ، وكيف انه لم يعد يصلح لشيء ! وكذلك كان هذا المرض « مرضا فرنسيا » وبخاصة بعد هزيمة فرنسا امام جيوش الغزو الهتلرية في مطلع الحرب العالمية الثانية - فكان الأدب الفرنسي يعج بالنقد الجارح والعميق لكل مظاهر الحياة الفرنسية ، واستمر ذلك الى سنوات ما بعد التحرير .

ومن اعراض « المرض العربي » كما يجمع الكثير من الكتاب والنقاد العرب اليوم ، قبول العلاقات غير المتكافئة ، وتقديس الذات او احتقارها ، والشك والفردية ، والقبلية او الولاء للطائفة والعشيرة ، والعداوة المفرطة او الولاء بلا حدود ، والتنافس غير المقنن ، والتسلط والعزوف عن البحث عن المجهول ، وأخيرا تلك الهوة التي تفصل بين النظرية والتطبيق .

هذه العلل ليست جديدة فقد كانت سائدة لدى الكتاب والنقاد في أمم غيرنا مرت بمحن عميقة ، لهذا فان مظاهر الأزمة ليست فريدة ، واعراض المرض العربي ايضا ليست جديدة .

بقلم : الدكتور محمد الرميحي

ونجد أنفسنا في حيرة ، من أين نبدأ ؟ هل الأولى بنا البحث في اسباب هذا المرض العربي الذي ألم بنا ـ نحن العرب ـ فنتساءل هل هي مظاهر عارضة تزول بزوال اسبابها ، أم هي اعراض مقيمة باقية لافكاك منها ؟

العقل العربي مازال مقيدا

في تقدير البعض ان التحليل العلمي الرصين يوصلنا الى ان الأزمة التي يمر بها العقل العربي في وقتنا الحاضر لا يمكن ان تكون دائمة مقيمة ، لأن ذلك ضد طبيعة الأشياء ، ولكن في نفس الوقت يجب ألا نتوقع زوالها بمرور الوقت فقط ، او بالتمني ، فبعد معرفة الاسباب لابد من العمل .

واذا نظرنا لأسباب تقييد العقل العربي ، عرفناها وفهمناها . فالعرب لم يتحرروا من الاستعمار العسكري المباشر الا منذ فترة قصيرة من الزمن ، وقد خاضوا ومازال بعضهم يخوضون معركة التحرر الاقتصادي ، اما معركة استقلال العقل فلما تبدأ بعد .

والدعوة الحقيقية التي يجب ان تطرح اليوم على مجمل ساحة الوطن العربي هي « العمل على استقلال العقل العربي » . وفي هذا نحن لسنا وحدنا ، فالعالم الثالث الذي ذاق الاستعمار الحديث بعد الثورة الصناعية والتكنولوجية في اوروبا ، مر بما نمر نحن به الآن . ومن مظاهر هذا أن يأتي على العقل القومي حين من الدهر يتشرب فيه ثقافة المستعمر الذي يعتقد فيها التابع انها يجب ان تسود ، وانه لابد له ان يأخذ بها ومنها . لذلك تتبنى النخبة في العالم الثالث ثقافة هذا المستعمر وتعتقد انها هي الأعلى والأقوى . ولا ينطبق ذلك على نظام الحكم والادارة والشئون العامة فحسب ، ولكن يتجاوزه الى التقليد ايضا في المأكل والملبس والعادات ، وفي القيم العامة . حتى لنراها تصل في النهاية الى تغيير في اللغة والدين . ثم ما يلبث ان يستيقظ شيء من الضمير الثقافي القومي فيرتد الى الجذور الثقافية التقليدية مثل احياء بعض اللغات والقوانين القديمة في بعض اقطار افريقيا . ثم يأتي الدور الثالث الذي هو محصلة لتزاوج ثقافة

العقل الانساني الحديث مع الولاء للجذور الثقافية التقليدية . هذه المرحلة الأخيرة هي ما يسميه البعض بالمرحلة السّوية . وهي ليست اندماجا وفقدانا للهوية مع المستعمر القديم ، كما حدث لبعض الشعوب والأقوام ، وليست بعداً عن الحاضر والعيش في قوقعة معزولة في الوقت الذي يتحول فيه العالم اكثر واكثر الى قرية كبيرة ! انها مرحلة سوية متوازنة عقلانية فأين نحن العرب من كل ذلك ؟ . .

الفترة الحرجة

يخيل اليّ أن العقل العربي اليوم يعيش في الفترة الحرجة ، ومن هنا يأتي قولنا ان العقل العربي مازال مقيداً ، فنحن جزئيا لم نتخلص كعرب ، وكثقافة عربية شاملة ، من المرحلة الأولى . فمازال البعض يعتقد مثلا ان الكتابة بلغة اجنبية هي الطريق الى العالمية والانتشار . ليس في الدراسات العلمية والاقتصادية فحسب ، ولكن ايضا في الدراسات الفكرية والابداع الشعري او الروائي او القصصي .

وهناك قائمة طويلة من الكتاب العرب يمكن وضعهم في هذه الاطار . الا ان القول الآخر ايضا صحيح ، فهناك اغلبية تكتب بالعربية ولكن سقف ابداعها هو النموذج الغربي ايضا .

يعيش كذلك الكثيرون منا في المرحلة الثانية ، اي الرجوع الى الجذور الثقافية التقليدية الأولى ، وهي مرحلة صحية ومقبولة في فترة ما ، ولكنها اذا استمرت في قطيعتها للحاضر والابتعاد عن معظم خصائص المظاهر الحضارية ، والمتمثلة في الحيوية والتغيير ، تكون قد عزلت نفسها عن تيار الحضارة العالمية وهدّدت بأن تتيبس على عروشها .

أما المرحلة الثالثة ، فهي لما تبدأ بعد ، ولا يبدو منها الا بصيص نور بعيد يثقلنا عن الوصول اليه التشتت بين المرحلتين الأولى والثانية ، ويوقعنا في اغتراب ثقافي تجاوزته بعض الأمم في العالم الثالث ، واستطاعت ان تنهض نهوضا جديدا في العقود الثلاثة او الأربعة الماضية .

مظاهر الفترة الحرجة

الواقع المعاش للعقل العربي الذي وصفناه سابقا يكاد يجمع عليه الكثير من الكتاب العرب ، ولكن بكلمات وتعابير اخرى ، ولو أنها تصل في النهاية الى نفس المحصلة (البنية التقليدية الموروثة تأبى ان تموت ، والبنية المتوخاة والتي نحن مقبلون عليها تأبى ان تظهر) ، مما يجعلنا نتعثر باستمرار في طريقنا الى المستقبل .

انتا نكاد نشعر بهذا الاتجاه لدى كتابنا في صدر ما اتفق على تسميته بعصر النهضة

العربية الحديثة فيما يسبق البداية كتاب من امثال رفاعة الطهطاوي ، خير الدين التونسي ، جمال الدين الافغاني ، عبدالرحمن الكواكبي ، زكي نجيب محمود ، طه حسين ، العقاد ، عبدالله العروي وفؤاد زكريا ، على سبيل المثال لا الحصر . . وهناك كثيرون ، ولكن يأبى عقلنا العربي السائد اليوم ان يقبل التآلف والتناغم ، الحيوية والتغيير ، وهما من ضرورات التقدم الذي دعا اليه جمهرة من المثقفين العرب ، وحتى الآن لم يجد صداه العريض لدى الجمهور العربي ، او هو لم يتمكن بعد من العقل العربي المعاصر . بل يذهب البعض في رفض تلك الحقيقة العلمية ، فكرة التآلف ، لتسميتها بازدراء « توفيقية مقيتة » . . هذا الوصف يحمل في طياته رفض الفكرة من أساسها .

الآفات الثلاثة

لذلك نجد ان المكوّنات السائدة في العقل العربي المعاصر ثلاث ، القَطْعِيَّة ضد النسبية ، الاحادية ضد التعددية ، والانتقائية ضد المحصلة والتآلف .

والقَطْعِيَّة هي احد مظاهر الفترة الحرجة التي يمر بها العقل العربي اليوم ، وهي قطعية تظهر في الاقتصاد والاجتماع وشئون اخرى في الحياة ، كما تظهر في السياسة . ولو اخذنا مظهرا واحداً من مظاهر العمل السياسي على سبيل المثال ، وقلنا « الوحدة العربية » لوجدنا ان القطعية تتمثل في الخطاب السياسي في هذا المجال افضل تمثيل ، فالوحدة تعني الوحدة الشاملة الفورية في كل المجالات ، اما ما عداها فهو تفكك . وعلى الرغم من الأصوات التي تنادي بالتدرج ، الا ان الخطاب العربي السياسي لهذا الموضوع مازال عند موقفه من اعتبار امكانية الوحدة العربية الفورية ، امكانية قائمة . والواقع المعاش يقول لنا شيئا آخر تماما على عكس ذلك الخطاب . واذا ضربنا مثلا آخر قلنا « الاجتهادات الاقتصادية » المطروحة على الساحة العربية . فهناك قول بالاشتراكية وقول آخر بالاجتهاد الرأسمالي في اطار الخيارات الاقتصادية . ولكن لا هذا يحقق الحد الأدنى ولا ذاك .

وفي الوقت الذي تسقط في العالم خيارات من هذا النوع ، فلا الرأسماليون توقفوا عن احتضان افكار مثل تأميم وسائل الانتاج وتوفير الخدمات العامة من علاج وتعليم ، ولا الاشتراكيون غفلوا عن الحافز الشخصي والملكية الخاصة - نجد ان العقل العربي حتى الآن ينظر بقطعية تقليدية حادة ، فاما هذا واما ذاك .

ومن مظاهر الفترة الحرجة التي يمر بها العقل العربي ، الآحادية ضد التعددية ، فهناك في الثقافة اقتباس أو ابداع . ولكن الواقع المعاش يقول لنا شيئا آخر ، فليس هناك ابداع مطلق كما انه ليس هناك اقتباس مطلق . ثقافة اثرية وثقافة جديدة ، والاثرية تعني هنا الرجوع الى الماضي واحيائه ، والجديدة تعني تجاوز القديم

واعدامه . والواقع المعاش ايضا يقول لنا ان الحاضر هو جزء من الماضي ، وكذلك المستقبل جزء من الحاضر ، ونصل الى قمة الثنائية عندما نفصل بين « الماورائيات والماديات » . وكأن لنا نحن البشر خياراً قطعياً في ذلك ، فنحاول ان نفصل بين العلم البحت وبين الانسانيات ، ولا نلتفت الى ما حدث في عصر النهضة في اوروبا ، فقد اخذت مظاهر هذا الصراع صورة حادة تمثلت في اقتفاء الكنيسة الكاثوليكية لأصحاب الفكر العلمي واعدامهم في اكثر الاحيان . الا أن التاريخ قد اثبت لنا ان اصحاب العلم البحت قد اثبتوا وجودهم ، وغيرت نتائج ابحاثهم من تصور الانسان لنفسه ولمحيطه وبيئته .

واهمية ذلك تنحصر في ان حياة الانسان لا تستقيم حين يتشبث بالماديات ويفقد المعاني الروحية ، والعكس ايضا صحيح . والتزاوج بين العلم البحت الذي يُنمّي شخصية الانسان ويمهد له طريق التقدم وبين المعاني الروحية التي تحفظ للانسان انسانيته هو الذي يحقق التوافق الثقافي. اما تبني نظرية واحدة دون اخرى فهو الفصام الثقافي بعينه .

ومن مظاهر الفترة الحرجة التي يمر بها العقل العربي ايضا ، مظهر الانتقائية ، فلقد زحفت آثار الموجة الصناعية الثالثة على الوطن العربي ووصفت بأنها أعظم تحول نوعي عرفه التاريخ البشري جلبت معها تقدماً هائلا في التكنولوجيا . فانبرى البعض منا الى القول بانه يمكن ان نحصل على نتائج التكنولوجيا دون ان نغير من قيمنا الاجتماعية . وكانت الانتقائية عندنا هي في امكان الحصول واستخدام نتاج التكنولوجيا الحديثة في المواصلات والاتصالات والتعليم والحرب دون ان نغير ما بأنفسنا عن طريق هضم هذه التكنولوجيا ، والاستعداد للتغيير وفقا لمتطلباتها . فالتكنولوجيا ليست انتاج ماكينات وادوات تستخدم ، ولكنها قبل ذلك وبعده ، استخدام للعقل واحترام للوقت وتقدير للعلم والتطور ، وتغير قيم اجتماعية وطرق جديدة في ادارة المجتمع . . . لا يمكن والأمر كذلك ان نقف منها موقف الانتقائي .

تجاوز الفترة الحرجة

تجاوز الفترة الحرجة التي وصفنا بعض مظاهرها ، ومظاهر أخرى لا يتسع المقام لذكرها ، أمر ممكن ، ولكن هذا التجاوز يصبح غير ممكن على ساحة التمني فقط ، حيث ان العمل الواقعي والمدروس هو الطريق الصحيح لهذا التجاوز .

ذلك ان اسباب ازدواج الثقافة او الانفصال الثقافي ظاهرة ليست عربية فقط ، ولكنها تكاد تكون ظاهرة شاملة في العالم الثالث في عصرنا هذا ، واسبابها كثيرة وعميقة ومعقدة تتصل بالتاريخ الاجتماعي للشعوب . واذا كان القول المشهور ان معركة

« واترلو » قد ربحت على ملاعب مدارس ايتن ETON* ، فان مدخلنا لتجاوز الفترة الحرجة التي يمر بها العقل العربي ، هو العمل على تحرير هذا العقل عن طريق التربية والتثقيف ، وفي اطار عمل ذلك لابد من دراسة مُكَوِّنات الشخصية الثقافية العربية . ومكونات الشخصية ـ أية شخصية ـ ليست فطرية ، تولد مع الانسان وتموت معه ، وانما هي مكونات مكتسبة من خلال عملية تنشئة تشترك فيها المدرسة ، مع البيت ، مع البيئة الاجتماعية ، مع وسائل الثقافة العامة . لذلك فان الاهتمام بنمط النشأة الاجتماعية ومؤسساتها ومكوناتها هي التي تقدم المفاتيح الحقيقية لتجاوز هذه الفترة الحرجة .

والمداخل كثيرة ومتعددة وهي العلم والثقافة الجادة والحرية النسبية في التعبير الفكري والعمل الاجتماعي .

***

وعندما نحتفل نحن في العربي مع قراء العربي بصدور هذا العدد بمناسبة خاصة ، هي مضى ربع قرن على بدء صدور هذه المجلة الثقافية العربية ، فاننا نكرس في هذه المناسبة اهمية طرح مقولة تحرير العقل العربي واطلاق طاقته كي يعمل لتجاوز امراض الأمة التي نشكو جميعا منها منذ زمن غير قصير !

هذه الأمراض ليست خاصة بنا وحدنا ، بل ويشاركنا فيها العالم الثالث ، فقد دعت اليونسكو منذ زمن طويل (عام ١٩٥٢) الى مؤتمر دولي للمفكرين لبحث المشكلات التي يواجهها المشتغلون بالثقافة ، وظهر من خلال المناقشات ان ابرز المعوقات التي تقف في طريق الفكر الحر وانتشاره هي عجز التشريعات عن حماية المفكرين ، والضغوط الاقتصادية التي يعانون منها وتدخل السلطات العامة وامعانها في هذا التدخل في شؤونهم .

وقتها ، كما هو الآن ، كانت هناك دعوة لتحرير العقل . . ونحن من جديد في هذا المكان نعود الى طرح الموضوع . . ومجلتنا « العربي » التي خدمت الثقافة العربية في خلال ربع قرن مضى تعد مساحة ثقافية تضيف الى ما هو قائم وتساند وتعضد المشتغلين بالفكر العربي الحديث من أجل عصر يسود فيه العقل والفكر الحر في خدمة الثقافة العربية .

● من أقدم المدارس الخاصة المشهورة في بريطانيا ، والمعنى ان التربية الانجليزية هي التي مكنت للجيش الانكليزي بقيادة ولنجتون (ومعه حلفاؤه) ان يهزم الجيش الفرنسي بقيادة نابليون في موقعة « واترلو » .

رسالة الشيخ صباح الأحمد

بوحي من انتماء الكويت للأمة العربية وتأصيلا لسياسة البلاد في اشاعة الفكر والثقافة العربية . . صدرت مجلة العربي منذ خمسة وعشرين عاما ، والذي يتابع المجلة عن كثب سيجد انها تجسد - بتوجهها الفكرى العربي - قومية الثقافة بحيث تكون المجلة في متناول القارىء العربي من المحيط الى الخليج .

ولعله من المفيد ان اذكر هنا - بهذه المناسبة الطيبة - انني لمست خلال جولاتي العديدة في شتى أنحاء العالم ، مدى النجاح الطيب الذي حققته المجلة . . الامر الذي يؤكد بأن الكويت لا تصدر النفط فحسب ، بل انها تسعى الى توظيف عائداتها توظيفا تنمويا يتجاوز حدود بلادنا . ومجلة العربي هي نموذج لهذا التوظيف التنموي الثقافي ، الذي تسعى حكومة الكويت الى اشاعته في شتى المجالات الثقافية .

ان سياسة الكويت نابعة من هذه الحقيقة . . حيث كان التعليم والثقافة من أهم المرتكزات التي تتكىء عليها هذه السياسة بعامة .

ولعلها مناسبة خيرة ، أدعو من خلالها الكفاءات العربية القادرة في أرجاء وطننا الكبير ، الى المساهمة بقدراتها ومجالات تخصصها ، اثراء لمادة « العربي » ومدها بمزيد من الزخم الثقافي والعلمي ، وصولا الى تحقيق المستوى الافضل دائما ، فهي مجلة « العربي » في كل ارض عربية . كما أنتهزها فرصة ، لأقدم لأسرة تحرير المجلة ، ولكل من عمل وساهم في اصدارها طيلة هذه السنين التهنئة والتقدير ، متمنيا لهم المزيد من النجاح لكي تواصل المجلة مسيرتها ، خدمة للثقافة العربية الخالصة ، في شتى ربوع وطننا العربي الكبير .

والله الموفق.

إلى مجلة العربي في يوبيلها الفضي

سمو الأمير الشيخ جابر الأحمد خلال زيارة لمطابع مجلة العربي ، وفي استقباله الشيخ صباح الأحمد نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية ووزير الاعلام عندما كان رئيسا لدائرة المطبوعات والنشر .
وفي الصورة الدكتور أحمد زكي . صورة من الأرشيف التقطت عام ١٩٦٠

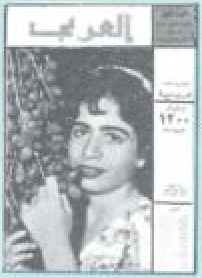

مجلة العربي

فكرة إصدارها .. وكيف ولدت ؟

بقلم : بدر خالد البدر

☐ إن الصحف التي نراها اليوم في المكتبات والاكشاك في جميع انحاء العالم لم تظهر بتلك الصورة الا بعد فترات طويلة من الاعداد والتحضير والعمل الشاق ، ساهم فيه كثيرون. البعض برزت اسماؤهم والبعض عملوا من وراء الستار ولم يعرف عنهم أحد شيئا .

ومجلة العربي التي استغرق الاعداد لها قرابة اربع سنوات لم تشذ عن هذه القاعدة . وهذه قصة ولادتها من ألفها الى يائها ، فقد كنت بحكم عملي مع الذين ساهموا في إخراجها الى حيز الوجود .

وعند الحديث عن مجلة العربي لابد من المرور بسرعة الى اصدار الجريدة الرسمية (الكويت اليوم) في عام ١٩٥٤ فهي التي أوحت بفكرة اصدار مجلة العربي . بهذه المناسبة أجد نفسي مدفوعا إلى الحديث عن دوري في هذا المجال فبغير التطرق الى هذا الدور ستظل الصورة ناقصة وبعض المعلومات خافية على الكثيرين من القراء في ايامنا هذه ممن لم يدركوا تلك الفترة أو ادركوها في طفولتهم أو مقتبل شبابهم .

في منتصف تلك السنة أو في النصف الثاني منها بدأت في الكويت قفزة ادارية ضخمة وذلك بقصد وضع الأسس الحديثة للدولة التي ساعدها دخلها الوفير من النفط على التفكير في توسيع المرافق وفقا للاسس والمفاهيم الحديثة بقدر الامكان . وعلى هذا الاساس اصدر المغفور له الشيخ عبد الله السالم الصباح امير الكويت مرسوما بتشكيل لجنة عليا تحت اشرافه تسمى « اللجنة التنفيذية العليا » مؤلفة من الشيخ جابر

في نفس الشهر الذي صدر فيه العدد الأول من مجلة العربي (ديسمبر ١٩٥٨) كان مؤتمر الأدباء العرب منعقدا في الكويت ، وكانت فرصة للقاء ، ويرى في الصورة الدكتور أحمد زكي ، وكامل الشناوي ، والدكتورة بنت الشاطىء وبدر خالد البدر ، والدكتور منصور فهمي والباجي التونسي ومحمد الفوزان .

العلي الصباح ، والشيخ صباح الاحمد الصباح ، والشيخ خالد العبدالله الصباح والسيد أحمد عبداللطيف مدير المالية والسيد عبداللطيف ابراهيم النصف ـ مدير مكتب سمو الأمير ، والسيد عزت جعفر . وكان يقوم بأعمال السكرتارية كل من أحمد السيد عمر وحامد يوسف العيسى كما كان يحضر الاجتماعات أحد الخبراء في وزارة المالية ، المستر ستروفر*.

وفي خلال هذه الفترة كنت موظفا في دائرة المعارف (وزارة التربية) حاليا حيث كنت اقوم بأعمال السكرتارية في مكتب المدير الاداري والمالي المرحوم سليمان العدساني ، أما الدائرة الفنية فكان مديرها الاستاذ عبدالعزيز حسين وفي ذلك الوقت جرى انتخاب مجلس جديد للمعارف وكان من بين اعضائه السيد خالد عبداللطيف مسلم فتقرر تعيينه مكان سليمان العدساني الذي انتهت مدة خدماته .

الجريدة الرسمية

وحل شهر سبتمبر (أيلول) من ذلك العام وبدأت المراجعات تتكاثر على دائرة المعارف بقسميها الاداري والفني ومعظم المراجعين يطلبون معلومات عن اشياء معينة تتعلق بشئون المدارس واحتياجاتها وكانت الاسئلة كثيرة ومتعددة من المراجعين هذا يسأل عن مناقصة السيارات لنقل الطلاب وذلك عن تزويد المدارس لقرطاسيات وآخر عن الملابس وهكذا . وفي غمرة تلك الزحمة وارهاق العمل تناولت ورقة وحررت رسالة مؤرخة في ١٩٥٤/٩/١١ موجهة الى مدير الادارة المالية اقترح فيها اصدار جريدة رسمية ورجوته ان يرفع اقتراحي هذا الى اللجنة التنفيذية العليا . وبعد ان اطلع السيد خالد مسلم على الفكرة ◄

* بهذه المناسبة أود أن أناشد الاخ أحمد السيد عمر بأن يكتب بحثا عنها نظرا لعمله مع اعضائها واطلاعه على كافة انجازاتها . كما أرجو ان تكون سجلاتها وملفاتها محفوظة في اماكن امينة بالنظر لاهميتها .

الشيخ صباح الأحمد يستمع ، والدكتور أحمد زكي يتحدث والموضوع « المولود الجديد » .

رحب بها وحرر رسالة بتاريخ ١٢/ ٩/ ١٩٥٤ موجهة إلى اللجنة التنفيذية المشار اليها مرفقا بها رسالتي التي تتضمن الاقتراح .

وفي اليوم الثاني أي ١٣/ ٩/ ١٩٥٤ ارسلت اللجنة التنفيذية خطابا موجها الى مدير ادارة ومالية المعارف مذيلا بتوقيع الشيخ صباح الاحمد عن اللجنة ، وهذا نص الخطاب : « تعرب اللجنة عن جزيل شكرها للسيد بدر خالد البدر لاقتراحه الموجه اليها بواسطتكم حسب كتابكم رقم م/د/ ٧ المؤرخ ١٢/ ٩/ ١٩٥٤ حول اصدار جريدة حكومية رسمية وتؤكد له انها ستولي اقتراحه الوجيه بالغ العناية والاهتمام في أقرب فرصة مناسبة » .

« التوقيع عن / اللجنة التنفيذية العليا
صباح الاحمد الصباح »

وبعد ايام قليلة من الموافقة على الاقتراح وجهت اللجنة التنفيذية عدة رسائل الى دوائر الحكومة تخبرهم فيها بقرب اصدار الجريدة الرسمية وتقترح تعيين مندوب عن كل دائرة وذلك لبحث المواضيع المتعلقة باصدار الجريدة الرسمية . والأسماء مع الادارات كالآتي كما نشرت فيما بعد في العدد الاول من الجريدة الرسمية .

أحمد السيد عمر « عن ادارة المالية » ، بدر خالد البدر « ادارة المعارف » ، سعود الفوزان « الاشغال العامة » ، طلعت الغصيني « مجلس الانشاء » ، جاسم القطامي « الشرطة العامة » ، عبدالله النوري « المحاكم » ، أحمد زين السقاف « ادارة الأوقاف العامة » ، جاسم العنجري « ادارة الميناء » ، عبد العزيز الدوسري « الجمارك » ، سعيد يعقوب « البلدية » ، خالد النصرالله « الصحة العامة » ، يوسف مشاري الحسن « الكهرباء والماء » .

أمير الكويت الشيخ جابر الأحمد عندما كان مديرا لدائرة المالية والنفط والشيخ صباح الأحمد ، وبدر خالد البدر ، والدكتور أحمد زكي وأحمد السقاف وبعض العاملين في المطبعة « الجديدة »

أسرة التحرير

وقد عقد الجماعة أول اجتماع لهم بتاريخ ٢٦/ ١٠/ ١٩٥٤ ثم عقد الاجتماع الثاني في ٣٠/ ١٠/ ١٩٥٤ وجرى انتخاب أسرة التحرير وهم يوسف مشاري الحسن ، طلعت الغصين ، بدر خالد البدر . وفي نفس الاجتماع جرى الاقتراع على تسمية الجريدة « الكويت اليوم » كما تقرر بالاجتماع ضم السيد أحمد السيد عمر الى أسرة التحرير كما تقرر نقلي من ادارة المعارف لأتولى ادارة الجريدة ونقل السيد فاضل خلف ليتولى أعمال السكرتارية . وقد وافقت اللجنة التنفيذية العليا على كل ما جاء اعلاه . وبالفعل تم نقلي الى ادارة الجريدة الرسمية اعتبارا من ٢/ ١١/ ١٩٥٤ .

واستمرت اسرة التحرير تواصل اجتماعاتها من اجل اصدار العدد الاول من الجريدة الرسمية وذلك بجمع المعلومات والبيانات التي زودتنا بها دوائر الحكومة كما اتفقنا مع احدى المطابع التجارية الثلاث التي كانت موجودة في الكويت آنذاك على طبع الجريدة . وكل ما استطعنا جمعه من معلومات وبيانات لم يتجاوز الست عشرة صفحة ، وبناء عليه فقد اضطررنا لملء الفراغ بين الصفحات ببعض المقطوعات الادبية ! وصدر العدد الاول في اليوم السادس عشر من ربيع الثاني ١٣٧٤ هـ الموافق الحادي عشر من شهر ديسمبر ١٩٥٤ . وفي الاعداد التي تلت ذلك أضفنا بابا جديدا في الجريدة أسميناه (الكويت في صحف العالم) ، كنا ننشر فيه اهم الموضوعات التي يأتي ذكر الكويت فيها وكان اكثرها يدور حول النفط .

وتدور الايام واذا بي أرى احد اعداد الجريدة الرسمية بحجم دليل التليفون وعدد صفحاته (١٠٤٠) صفحة وهو العدد رقم (١٣٤٥) !

كانت ادارة الجريدة واسرة التحرير تجتمع في بناية مجلس الشورى وهو مقر مجلس الانشاء واللجنة التنفيذية العليا ثم استأجرنا شقة في الشارع الجديد مؤلفة من ثلاث غرف ثم استأجرنا شقة ثانية ملاصقة لها واشترينا حروف طباعة وبدأنا نصف الحروف عندنا وترسل الصفحات المصفوفة الى المطبعة لطبعها ووضعنا اثنين من الشباب العرب لهذه الغاية هما محمد الكالوتي وضياء الامام .

مولد فكرة اصدار مجلة ادبية

وفي الجلسة التي عقدتها أسرة التحرير بتاريخ ١٣/ ١٢/ ١٩٥٤ تم بحث موضوع اصدار ملحق أدبي يكون تابعا لادارة الجريدة الرسمية وفكرة الملحق الادبي هذه ظلت تتفاعل على مرور الايام وتتطور الى أن كان صدور العدد الاول من مجلة العربي في ديسمبر (كانون الاول) في عام ١٩٥٨ . فاتني ان اذكر ان السيد فاضل خلف الذي أشرت الى نقل خدماته من دائرة المعارف الى ادارة الجريدة الرسمية كان يحضر جلسات هيئة التحرير وأسرة التحرير ويسجل ماكان يدور فيها من أمور وكان حاضرا في هذه الجلسة التاريخية .

كذلك أود ان اشير الى حادثة اخرى مهمة وقعت في تلك الايام وذلك في يوم ١٢/ ١٢/ ١٩٥٤ أي ثاني يوم صدور الجريدة الرسمية اذ ارسل الشيخ جابر العلي الى وعند مقابلتي له ابدى سروره لصدور العدد الأول من الجريدة الرسمية فانتهزت الفرصة وشرحت له المتاعب التي لاقيناها ونلاقيها في طباعة الجريدة وخلال الحديث وعد الشيخ جابر باثارة هذا الموضوع في الاجتماع القادم للجنة التنفيذية العليا وفعلا صدر في اليوم التالي (القرار رقم ت ٦٢/ ٤٠ تاريخ ١٣/ ١٢/ ١٩٥٤ بانشاء دائرة حكومية تسمى (دائرة المطبوعات) تتولى طبع الجريدة وجميع المطبوعات الحكومية على ان تزود بمطبعة حديثة تجلب بطريق المناقصة) .

اعود الى موضوع المجلة الادبية أو مجلة العربي فيما بعد فأقول بأن الفكرة المطروحة ظلت تتفاعل ببطء عند المسئولين وعندما صدر قرار اللجنة التنفيذية العليا بتاريخ ٥/ ٢/ ١٩٥٥ بانشاء دائرة المطبوعات والنشر وتعييني مديرا عاما لها كان الشغل الشاغل للدائرة هو انشاء مطبعة الحكومة . وطرحت المناقصات اللازمة لجلب الآلات اللازمة ، ولم يكن ذلك بالامر الهين لعدم توفر الخبرة الفنية عندنا ولكننا تغلبنا على هذه المشكلة بالاستعانة بالخبرات الاجنبية والعربية ، ولن انسى ذلك اليوم الذي دخل علي فيه وكيل اجنبي لإحدى الشركات المختصة بصنع مكائن الطباعة واخذ يعرض علي انواع المكائن والمعدات فقلت له اني لا أعرف شيئا عما تعرضه علي من هذه الآلات فرد علي قائلا ما معناه « لا خوف عليك اذا حسنت الادارة أما الخبرات الفنية فعليك ان تستأجرها ! وفعلا استأجرنا الخبرات الفنية وتم افتتاح المطبعة في شهر اكتوبر ١٩٥٦ وفي تلك السنة جرى نقل خدمات السيد أحمد السقاف من دائرة الأوقاف الى دائرة المطبوعات والنشر بصفته نائبا للمدير ومن المهمات التي عهدت اليه الإشراف على المطبعة وكنا قد ارسلنا بعثة كويتية الى المطبعة الأميرية بالقاهرة في صيف ذلك العام للتدرب على فنون الطباعة هناك .

اعرف بلدك أيها العربي

وبعد افتتاح المطبعة وتخصيص قسم منها لطباعة الالوان سهلت أمامنا الامور لزيادة

لقاء وحوار حول مستقبل العرب بين الدكتور عبد الرزاق السنهوري وعبد الخالق حسونة الأمين الأسبق للجامعة العربية والمستشار محسن عبد الحافظ والدكتور أحمد زكي

البحث في موضوع المجلة الادبية وبدأنا بالاستشارات واخذ رأي من كان يزورنا من صحافيين وادباء وناشرين وموزعي صحف ، بعد ان اوضحنا لهم الهدف من اصدار مثل هذه المجلة وهو لتلافي النقص الظاهر في الصحافة العربية لمثل ذلك النوع من المجلات بعد ان اختفت من الميدان مجلات كان لها وزنها الادبي والعلمي مثل المقتطف والرسالة والثقافة وغيرها وقد كان أهم سبب لتوقف تلك الصحف عن الصدور هو الناحية المالية أي تكلفة الطبع وما الى ذلك . ولهذا رأت حكومة الكويت ان تساهم في ملء هذا الفراغ متبعة في ذلك اسلوبا يختلف عما اتبعته بعض الحكومات والمؤسسات بقصد الدعاية في غالب الاحيان . وهذا مانصحنا به الكثير ممن استشرناهم في هذا المجال فقد قالوا لنا اذا كنتم حقيقة تريدون خدمة القارىء العربي وتعويضه عن الصحف التي فقدها في الماضي فعليكم بالابتعاد عن الاسلوب الذي اتبعته صحف بعض الشركات التي تلقى مصيرها عادة في سلات المهملات !

ولذلك رأينا الابتعاد عن ذلك الاسلوب وبدأنا نبحث عما يهم القارىء العربي من مواضيع في شتى مجالات الثقافة والمعرفة وكان اهتمامنا مركزا بصورة خاصة على الاستطلاعات في مختلف البلاد العربية وذلك تحت عنوان « اعرف بلدك ايها العربي »

الدكتور احمد زكي

وفي أواخر عام ١٩٥٧ بدأنا نفكر بالمختصين لادارة المجلة وعلى رأسهم رئيس التحرير فتقرر ان يسافر السيد أحمد السقاف في جولة في البلاد العربية للبحث عن الشخص المناسب الذي تتوفر فيه الشروط اللازمة لمثل هذا المشروع الادبي الكبير .

وعاد الاستاذ السقاف بعد جولة قام بها في بعض البلاد العربية واطلع المسئولين عن الاتصالات التي قام بها مع نخبة من الادباء والكتاب ومن ابرز الجماعة الذين قابلهم وابدوا الاستعداد للعمل في المجلة العالم والأديب الكبير الدكتور أحمد زكي ، ولم ننتظر طويلا للموافقة حيث تم عرض الامر على رئيس الدائرة الشيخ صباح الاحمد الذي ابدى موافقته حالا وكلفني بالكتابة للدكتور احمد زكي أعرض عليه وظيفة رئاسة التحرير . فوجهت اليه رسالة بتاريخ ١/٢/١٩٥٨ وقد جاء الرد منه بالموافقة برسالة خاصة احتفظ بها مؤرخة في ١٢/٢/١٩٥٨ ثم فوضناه بعد ذلك باختيار مساعديه فاختار السيد سليم زبال مخرجا والسيد اوسكار مصورا والسيد عبد الوارث كبير سكرتيرا للتحرير ، والمخرج محمد حسني زكي ثم الرسام احمد الوردجي ، كما عين بعد ذلك المصور عبد الناصر شقره .

وعلى ذكر المخرج محمد حسني فانه هو الذي صمم لنا شعار الدولة الحالي بعد ان زودناه بالفكرة التي عمل على اثرها عدة نماذج ارسلناها في وقتها الى المجلس الاعلى الذي كان يقوم مقام الوزارة في ذلك الوقت حيث تم اختيار الشعار الحالي والموافقة عليه .

وكذلك أود ان اذكر المرحوم عبد الحفيظ يونس الذي كان يعمل عندنا كاتبا للطابعة كان يقوم بنفس الوقت بطبع ماتحتاجه ادارة المجلة حتى جرى نقله فيما بعد لجهاز المجلة بعد ان زادت اعمالها .

اختيار اسم المجلة

اما فيما يتعلق باسم المجلة فقد اجرينا مسابقة لانسب الاسماء ففاز بالجائزة النقدية مقترح الاسم (العربي) وقد اكتمل الاستعداد لاصدارها في أواخر عام ١٩٥٨ حيث صدر العدد الاول منها في شهر ديسمبر (كانون الاول) الموافق لشهر جمادي الاولى ١٣٧٨ هـ . ومن حسن الصدف ان وافق ذلك الوقت انعقاد مؤتمر الادباء العرب في الكويت والذي كان له صداه المدوي لوفرة عدد المشاركين فيه من كبار الادباء والشعراء من كافة الاقطار العربية .

وقد طبع من العدد الاول حوالى ثلاثين الف نسخة وزعت على مختلف البلاد العربية ونفذت جميعها منذ الايام الاولى من التوزيع وتوالت البرقيات على ادارة المجلة تطالب بالمزيد وبرقيات اخرى تعرب عن الاعجاب بالمجلة وتهنىء القائمين عليها . وكان للاستطلاعات التي قامت بها المجلة اهمية خاصة بالنسبة للقارىء العربي ولاتزال كذلك . ومن الامور المميزة للمجلة الابتعاد عن المسائل المثيرة وكان هذا المبدأ بمثابة دستور غير مكتوب للمجلة جعلها في مأمن من اجهزة الرقابة في بعض الدول العربية .

وقبل الانتهاء من هذا الحديث لابد من الاشادة ولو بكلمة موجزة عن دور الدكتور احمد زكي رئيس التحرير في رفع مستوى المجلة بحسن ادارته لها وما أسبغ عليها من وفرة علمه وسعة اطلاعه حتى اصبحت بحق المجلة الاولى في دنيا العالم العربي بالاضافة الى ذلك فقد كان رحمه الله مثالا للتواضع مكرسا معظم وقته لخدمة المجلة بمنتهى التجرد والاخلاص . كذلك اود ان أذكر بالخير الدكتور محمود السمره الذي عمل فترة من الوقت مساعدا للدكتور أحمد زكي حيث كان اثناء قيامه بعمله مثالا للنزاهة والاخلاص وقد ساهم كثيرا في رفع مستوى المجلة خلال فترة عمله معنا . وهنا أود الاشارة الى ان صلتي الرسمية بالمجلة انتهت بعد تقديم استقالتي كوكيل لوزارة الارشاد والانباء (الاعلام) حاليا وذلك في صيف ١٩٦٢ . وفي ختام هذا المقال اتمنى لمجلة العربي المزيد من الازدهار والانتشار ، ولجميع القائمين عليها كل التوفيق والنجاح والله ولي التوفيق .

قصة العربي

بقلم أحمد السقاف

☐ هذه هي القصة التي سبقت صدور مجلة العربي .. انها ذكريات يرويها الرجل الذي حمل عبء المهمة الكبرى التي كلف بها .. مهمة اصدار مجلة عربية ثقافية تكون هدية الكويت للوطن العربي .. القصة كاملة مازالت تعيش في مذكرات صاحبها . إنه الأديب الصحفي والشاعر المعروف الأستاذ احمد السقاف الذي يشغل حاليا منصب العضو المنتدب للهيئة العامة للجنوب والخليج العربي . وهي هيئة تقدم العون الأخوي من الكويت لبعض الاقطار العربية الشقيقة .

توجهت صباح يوم الاثنين السادس عشر من نوفمبر « تشرين الثاني » عام ١٩٥٦ الى دائرة المطبوعات والنشر ملبيا رغبة رئيس الدائرة الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح في انتقالي اليها نائبا للمدير ، ولقد وجدت أن الدائرة تفكر في اصدار مجلة ثقافية . وقد استكتبت بعض الكتاب والأدباء وتجمعت في الاضبارة عشرات المقالات ، وكانت دوائر الحكومة في ذلك الحين تتسابق في اصدار المجلات فدائرة المعارف لها مجلة ودائرة الشئون الاجتماعية لها مجلة ، ودائرة الشرطة لها مجلة ، ودائرة الصحة لها مجلة وهلم جرا ، وكانت تلك المجلات تعنى بالاشادة

بنشاطات تلك الدوائر ـ وقد تحولت الدوائر الى وزارات بعد استقلال البلاد عام ١٩٦١ ـ وفي الأشهر الأولى من عملي في دائرة المطبوعات والنشر قمت بمراجعة شاملة لحال العاملين في هذه الدائرة الناشئة وتقدمت بتقرير شامل في أوائل صيف ١٩٥٧ الى رئيس الدائرة فحظي بالموافقة السريعة ، ثم بدأت افكر في ثلاثة امور هامة اولها : تقوية المطبعة ببعض الخبراء في الطباعة وثانيها : رفع مستوى مصنع الزنكوغراف الى درجة تؤهله لانتاج الصور الملونة ، وثالثها : اصدار المجلة على نحو يختلف شكلا ومضمونا عن المجلات التي صدرت في الكويت ، فلا تكفي المقالات التي وردت من بعض البلدان العربية لاصدار مجلة يجب ان تؤدي رسالة العلم والأدب وفنون الثقافة العامة بشكل مثير جذاب الى كل جزء من اجزاء الوطن العربي الكبير ، وانما يجب ان نحسن اختيار من يعهد اليهم النهوض بأعباء مثل هذه المجلة المتميزة .

حوار مع سليم اللوزي

وشاءت المصادفات أن يزور الكويت الصحفي اللبناني المعروف المرحوم سليم اللوزي ويحل ضيفا على رئيس دائرة المطبوعات والنشر في شهر نوفمبر عام ١٩٥٧ وحين علم بمشروع المجلة زار مدير المطبعة وطلب منه ان يصمم له « الماكيت » الذي تخيله للمجلة ثم زار الرئيس في مكتبه وأبدى استعداده للتعاون معي في اصدار العدد الأول على أن أتولى بعد ذلك الاشراف عليها ، ولم يشأ الرئيس أن يعارض رأي ضيفه ، فطلب حضوري الى مكتبه في دائرة الشئون الاجتماعية ـ فهو رئيس لدائرتين ـ ودخلت المكتب فوجدت لديه صاحب الاقتراح والمرحوم نصف اليوسف النصف ودار جدل طويل بيني وبين اللوزي ـ رحمه الله ـ ومما قاله سليم اللوزي في ذلك الاجتماع « ضع يدك في يدي ، وسنخرج العدد الأول معا ثم تتولى انت الاشراف عليها يساعدك من تراه مناسبا للعمل معك ، فلقد كلفت مدير المطبعة ان يعمل لي « الماكيت » اللازم للمجلة وستراه معي بعد قليل » . وكان من واجبي ان ارفض الاقتراح رفضا قاطعا وان اؤكد للرئيس ان مجلة ثقافية ضخمة كالمجلة التي افكر فيها يجب ان نجلب لها رجالها المتخصصين من خارج الكويت ، فاما ان تكون مجلة تتحدث بذكرها الأجيال او لا تكون ، وقد كان الاقتناع واضحا على قسمات وجه الشيخ صباح الأحمد غير ان مجاملة الضيف من اخلاق العرب ، وقد وجد في بعض كلمات نطق بها المرحوم نصف يوسف النصف ـ وهو من رجال الكويت المعدودين ـ منفذا لايقاف الجدل المحتدم بيني وبين اللوزي فقد قال نصف اليوسف رحمه الله « اني يا أبا ناصر أميل الى رأي السقاف » فقال الشيخ صباح قم يا أحمد أنت وسليم واتفقا على رأي ثم عودا الى غدا في مكتبي بدائرة المطبوعات .

وخرجت بصحبة اللوزي الى سيارتي ، وانطلقت به على غير هدى خارج سور الكويت ، وبقي اللوزي مصغيا لما اقول عن مشروع المجلة وبعد ان انتهيت قال هذا طموح صعب التحقيق ، فكيف تستطيع ان تجلب الى الكويت من ذكرت من الاسماء الكبيرة ، ان العيش في الكويت ما زال شاقا على هؤلاء ، ومثلهم لا يغريهم الراتب . وقلت للوزي لم لا أعطى الفرصة ؟ اني استطيع ان احمل مسئولية التعاقد مع القادرين على إنجاح هذا المشروع ، ولا اطلب منك غير التخلي عن المشاركة في مجلة لن تضيف فيها شيئا الى ما هو موجود من مجلات ، انك تحب ان تقرن اسمك بصدور العدد الأول من المجلة ولكنك ستؤدي للمشروع خدمة جليلة حين تتخلى عن هذه الرغبة ولن تخسر شيئا وكن واثقا مما اقول .

في مكتب رئيس تحرير مجلة العربي المرحوم الدكتور أحمد زكي - ديسمبر ١٩٥٨ ويرى المرحوم أحمد زكي واقفاً خلف الأستاذ أحمد السقاف وعن يمين الأستاذ السقاف الأستاذ عبدالهادي التازي سفير المغرب ببغداد في ذلك الحين وعن يساره فضيلة العلامة الفاضل بن عاشور مفتي تونس وفي أقصى اليسار من الخلف الأستاذ محمد المزالي رئيس وزراء تونس اليوم وامام الأستاذ المزالي محمود شوقي الأيوبي والى يسار الأيوبي الدكتور محمود السمرة مساعد رئيس تحرير العربي والفرحة على الوجوه بالمولود الجديد « العربي »

بداية رحلة التحدي

وفي اليوم التالي غير اللوزي رأيه واقترح على الرئيس ان يحملني مسئولية اختيار موظفي المجلة ، وقد كان الرئيس مقتنعا بالرأي الذي دافعت عنه في دائرة الشئون الاجتماعية بحضور المرحوم نصف اليوسف ، ومتحمسا لاصدار مجلة تختلف عن بقية المجلات ، فوافق على سفري الى بعض العواصم العربية لتحقيق هذه الغاية ، وفي الساعة الحادية عشرة من صباح السبت ١٤/١٢/١٩٥٧ غادرت الكويت الى بغداد وكان معي في هذه الرحلة زوجتي وولدي اسامة وفي صباح الأحد ١٥/١٢/١٩٥٧ زرت الأديب الكبير الأستاذ محمد بهجة الأثري ، كبير مفتشي اللغة العربية في مكتبه بوزارة المعارف

وقد بارك مشروع المجلة ووعد بالكتابة لها والاستكتاب من اجلها ثم قصدت جريدة الحرية فاستقبلني الاستاذ فيصل حسون وتحمس للمشروع وكتب عنه في اليوم التالي وفي يوم ١٩٥٧/١٢/١٦ زرت كلية الآداب وعقدت اجتماعا مع الدكتور يوسف عز الدين وزملائه في الكلية وفي المساء عقدت اجتماعا في فندق السندباد حضره نخبة من أساتذة الجامعة على رأسهم الدكتور عبد العزيز الدوري والدكتور يوسف عزالدين وبعده حضرت مأدبة عشاء بمنزل القاضي فالح القصاب حضرها بعض كرام القوم ومن بينهم الأديب المعروف حارث طه الراوي ودار الحديث حول مشروع المجلة وقد سئلت عن الاسم المقترح للمجلة فذكرت ثلاثة اسماء كانت في الذهن هي الخليج العربي ، والشاطيء العربي ، والعربي.وقد تذكر الأديب حارث طه الراوي ذلك المساء فكتب في الورود اللبنانية في العدد الصادر في شهري نوفمبر وديسمبر عام ١٩٨٢ يقول بالحرف الواحد: « وعلمت من ابي اسامة خلال اللقاء ان في نية المسئولين في الكويت اصدار مجلة راقية باسم « الخليج العربي » او « العربي » وهم يبحثون لها عن رئيس تحرير ، وقد طرح ابو اسامة على المسئولين هناك اسمين لاختيار احدهما لهذه المهمة الأدبية العلمية الثقافية الكبرى . هما : العلامة فؤاد صروف والعلامة احمد زكي ، فهنأته على حسن اختياره وأخبرته بأن المفاضلة بين هذين العالمين الكبيرين ليست باليسيرة » .

لقاءات في بيروت

وفي صباح الثلاثاء ١٩٥٧/١٢/١٧ طرنا الى بيروت وكانت لي لقاءات واجتماعات مع السادة الأفاضل بهيج عثمان ومنير بعلبكي والدكتور نقولا زيادة والدكتور محمد يوسف نجم والدكتور جبرائيل جبور والاستاذ فؤاد صروف والدكتور نبيه امين فارس والدكتور امين فريحه والدكتور سهيل ادريس والدكتور حسن صعب ، وقد شرح لي الاستاذ صروف ظروف عمله في الجامعة الامريكية وأثنى على الدكتور احمد زكي ، اما الدكتور سهيل ادريس فقد امتدح مشروع المجلة وابدى استعداده للعمل فيها ان كان التحرير والطبع سينفذان في بيروت، فرفضت الفكرة. وفي مساء الثلاثاء ١٩٥٧/١٢/٢٤ غادرنا بيروت الى دمشق وفيها اتصلت بالسادة الافاضل : الاستاذ علي الطنطاوي في محكمة التميز العليا والاستاذ شفيق جبري عميد كلية الآداب بجامعة دمشق والدكتور امجد الطرابلسي والاستاذ سعيد الافغاني وغيرهم كثير ، ولقد اقترح الاستاذ سعيد الافغاني الاستعانة بالدكتور صلاح الدين المنجد مدير معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية في اختيار ما يمكن طبعه من المخطوطات ، فهو مثله متخصص في

الدكتور محمد الرميحي يرأس اجتماعات مجلس تحرير مجلة العربي .

في الخمسينات كانت البساطة طابع الحياة في الكويت ، ولم يكن التحديث قد زحف بعد ، وكان كل شيء يتم بلا رسميات ، وفوق بساط المحبة والأخوة صنعت أطباق الطعام وجلس المدعوون حولها يفطرون بعد آذان المغرب في رمضان .... الشيخ صباح الأحمد والدكتور أحمد زكي والأستاذ السقاف وبقية المدعوين .

المخطوطات ، وكان ثناء الجميع عاطرا على التفكير الجاد في مشروع مجلة ثقافية ضخمة متميزة ، ووعدوا بتزويدها بمقالاتهم ، وفي مساء الاربعاء ١٩٥٧/١٢/٢٥ عدنا من دمشق وفي اليوم التالي زرت دار الكشاف للطباعة والنشر- وجماعة الدار اصدقائي- ثم دار العلم للملايين ، فاجتمعت بالاستاذ منير والأستاذ محمد توفيق حسين الأستاذ بالجامعة الأمريكية فرشحا لرئاسة تحرير المجلة الاستاذ المرحوم رئيف خوري فوعدت بالنظر في هذا الترشيح بعد زيارة القاهرة .

في بيت الدكتور احمد زكي

وفي صباح الاحد ١٩٥٧/١٢/٢٩ غادرنا بيروت الى القاهرة وفي صباح الاثنين ١٩٥٧/١٢/٣٠ اتصلت هاتفيا بالدكتور احمد زكي وطلبت مقابلته فعين الساعة الرابعة من مساء اليوم التالي موعدا للمقابلة ثم توجهت لزيارة معهد المخطوطات وقابلت الدكتور المنجد وكان في زيارته الدكتور محمد يوسف نجم فتحدثنا في موضوع نشر الجيد من المخطوطات فأثنى على الفكرة وفي المساء زارني الدكتور المنجد فاتفقنا على البدء في اختيار ما يجب ان يتقدم على غيره في النشر وفي مساء الثلاثاء ١٩٥٧/١٢/٣١ زرت الدكتور احمد زكي ومعي زوجتي وولدي اسامة في منزله بالمعادي وبقيت في حوار معه حول مشروع المجلة اكثر من ساعة ونصف الساعة وكان متهيبا من ترك القاهرة والاستقرار في الكويت والحقيقة ان الحياة في الكويت في ذلك الحين كانت صعبة على المترفين من ابناء المدن الكبيرة والدكتور كان يعرف الكويت فقد زارها للمشاركة في الموسم الثقافي في مارس من عام ١٩٥٥ وقد طلب مني اسبوعا للبت في العرض وفي مساء الخميس

٢/١/١٩٥٨ قصدت الدكتور احمد زكي وشرحت له المشروع اكثر واكثر، فوافق على ان يكون له الحق في الاعتذار خلال اسبوع فأعطيته الحق في الاعتذار في اي وقت يشاء، وخرجت من منزله جذلا مطمئنا، وكنت في الايام التي مضت قد زرت المطبعة الاميرية بكافة اقسامها ومطبعة المساحة وهي مختصة بطبع الاشياء الثمينة الدقيقة كالطوابع البريدية والنقود والخرائط وكان معي الاستاذان الكردي همام وعبد الفتاح الكليسلي مراقب الانتاج بالمطبعة الاميرية وزرت مطبعة ديكنسون وهي فرع لمطبعة ديكنسون بلندن كانت موضوعة تحت الحراسة ويشرف عليها مصريون وزرت مطابع اخبار اليوم وفي يوم السبت ٤/١/١٩٥٨ زرت دار الهلال وبحثت مسألة شراء «ارشيف» منها وطاف بي الاستاذ رمزي سعد على جميع أقسام المطبعة ووافقوا على تزويدنا «بالارشيف» المطلوب بثمن معتدل وفي التاسعة مساء ابرقت للرئيس وللمدير برقية بموافقة الدكتور احمد زكي هذا نصها: «صاحب السعادة رئيس دائرة المطبوعات والنشر، السيد مدير المطبوعات، الكويت، تم الاتفاق مع الدكتور احمد زكي، البقية سيتم اختيارهم قريبا، مشروع المخطوطات انجزناه، التفاصيل في كتاب مؤرخ ٤ منه، السقاف».

وقد اتفقت مع الدكتور احمد زكي على ان يكون راتبه اربعة الاف روبية او ثلاثمائة جنيه استرليني عدا الضرائب والامتيازات الاخرى ومن المطابع التي زرتها مطبعة الجمهورية واهم ما فيها مصنع الزنكوغراف و«مكنة المان» الكبيرة التي تطبع اربعة كتب او اربع جرائد دفعة واحدة وسرعتها مائتا الف نسخة في الساعة وثمنها مائة وعشرون الف جنيه استرليني اما مطبعة بنك مصر فقد كان التجليد بالبلاستيك والتجليد بالسلك اللولبي اهم ما فيها، ولقد شاركني الدكتور احمد زكي منذ الاثنين ٦/١/١٩٥٨، في الزيارات والمقابلات فزرنا معا دار الهلال واتفقنا مع المسئولين فيها على شراء اربعة الاف صورة بألف جنيه وفي اليوم التالي اجتمعنا باحمد الوردجي الذي رشحته المطبعة الاميرية لي رساما للمجلة فوافق عليه الدكتور احمد زكي وزرنا بعد ذلك مسبك

أول مطابع وصلت الى أرض الكويت كانت من أجل مجلة العربي، ثم أصبحت تستخدم في طباعة كل ما تصدره الكويت من مطبوعات ونشرات

الشرق لصناعة الحروف ومصنع زنكوغراف طوروس للوقوف على اسباب تأخر وصول « كليشيهات » المصحف الشريف وقد قصدت مساء يوم ١٢/ ١/ ١٩٥٨ الاستاذ احسان عبد القدوس وشرحت له موضوع المجلة فأعجب بالمشروع واثنى على الدكتور احمد زكي كما زرت طاهر الطناحي رئيس تحرير الهلال من قبل .

العودة الى الكويت

وفي يوم الاربعاء ١٥/ ١/ ١٩٥٨ زرت جريدة القاهرة فرحب بي الاستاذ حافظ محمود رئيس التحرير وكان لديه عبد الوارث كبير ، سكرتير التحرير وزرت مصطفى امين في دار اخبار اليوم وكان قد علم برغبتي في التعاقد مع المصور اوسكار متري والمخرج الفني سليم زبال فعاتبني برقة وكان ردي ان مصر تستطيع ان تجد البديل بسهولة وفي يوم الخميس ١٦/ ١/ ١٩٥٨ زارني في الفندق الاستاذ محمد البشلاوي كبير مصححي جريدة الشعب ومعه الاساتذة فوزي ابو الحسن وحسين وصيف ومحمد علي ابو كبشة للعمل مصححين لتجارب الطبع وكلهم يعملون في جريدة الشعب فاتفقت معهم ومازال الاستاذ وصيف رئيسا لقسم التصحيح . وفي صباح الجمعة ١٧/ ١/ ١٩٥٨ زارني الاستاذ جميل عارف من مجلة آخر ساعة ومعه الاستاذ سليم زبال وقد تم الاتفاق مع سليم زبال واوسكار متري بصورة نهائية وقد غادرنا القاهرة صباح الاحد ١٩/ ١/ ١٩٥٨ الى بيروت وفي صباح الاثنين ٢٠/ ١/ ١٩٥٨ قصدت دار العلم للملايين فاتصل الاستاذ بهيج عثمان بالاستاذ قدري قلعجي وقد تحدث معي بشأنه في القاهرة الاساتذة احمد محمد نعمان وعبدالله القصيمي وحمد الجاسر ومحمد محمود الزبيري فأثنيت على الرجل ـ وقد حضر الاستاذ قدري قلعجي ووافق على ان يكون سكرتيرا لتحرير المجلة وفي فجر الاربعاء ٢٢/ ١/ ١٩٥٨ غادرنا بيروت الى الكويت وقدمت تقريرا رفعته لسعادة الشيخ صباح الاحمد الجابر الصباح عن المهمة الشاقة الموفقة وقد وافق على ما جاء فيه وذيله بعبارات كريمة .

العربي ماضية في رسالتها

وحين وصل من تعاقدت معهم وعلى رأسهم الدكتور احمد زكي وبدأوا يستعدون لتجارب خاصة للمجلة تخلف عن الحضور قدري قلعجي فقصدت القاهرة للاستجمام واتفقت مع الاستاذ عبد الوارث كبير ليكون سكرتيرا لتحرير المجلة فحضر الى الكويت وعمل مع المجموعة ليل نهار ، وقد رأيت بالاتفاق مع مدير الدائرة السيد بدر خالد البدر ان افاتح الدكتور محمود السمرة في الانتقال من التدريس في ثانوية الشويخ الى مجلة العربي نائبا لرئيس التحرير فوافق وانتقل الى المجلة ونشرت الصحف اعلانا لدائرة المطبوعات عن مسابقة لاسم المجلة فوقع اختيارنا على العربي وصدر العدد الأول كما تخيلته قبل القيام بالمهمة الصعبة وحمدت الله على ذلك التوفيق ، ولم تكن الزهور والورود مفروشة امام مجلة العربي ، فلقد هبت بعض الاقلام الساذجة تثير الغبار حولها وزعم الكارهون لرسالتها الكريمة انها غير مربحة ، فلقد نظروا اليها كما ينظرون الى دكان من الدكاكين غير ان وقوف وزير المالية حينئذ الشيخ جابر الاحمد الى جانبها قد خيب آمال تلك الاقلام ، وبعد الاستقلال تحولت دائرة المطبوعات والنشر الى وزارة الارشاد والأنباء ـ وزارة الاعلام ـ وصدر مرسوم بتعييني وكيلا للوزارة فازداد اهتمامي بهذه المجلة ، وكل ما ارجو ان تعلم العربي انها ليست وحدها في الميدان اليوم ، فليبذل القائمون عليها المزيد من السهر والتعب والله لا يضيع اجر من أحسن عملا . □□

خمس علامات على

طريق الاسلام

بقلم : الدكتور أحمد كمال أبو المجد

□ المفارقة بين « حقيقة الاسلام » و « واقع المسلمين » حقيقة حية لاتحتاج الى بيان ، كما لا يحتاج المسلمون معها الى اعتذار . . . فالاسلام وان يكن حقا خالصا ودينا نزل به الوحي من السماء . . . فانه يظل « دعوة » الى الهدى والخير يتلقاها الناس ، على امتداد العصور يقبلها بعضهم ويعرض عنها آخرون . . . . ولا تتغير بسببها أحوالهم الا بقدر ما يغيرون من أعمالهم وما يستقيمون عليه من معالمها ومبادئها . .

والمسلمون اليوم يقفون على أعتاب « صحوة جديدة » ترصد بشائرها . . وترى بعض علاماتها . . ولكنها تولد في مرحلة من مراحل التطور الانساني بالغة التعقيد .

وفي رحاب هذه « الصحوة » والتعبير عنها تمتلىء سوق الفكر والثقافة بالآف من الكتب والنشرات التي تحمل شعارات الاسلام وتنسب نفسها الى البعث الاسلامي الجديد بروافده وتياراته المختلفة . . . . ولكن أكثر هذه الكتب والنشرات تقدم لقرائها خليطا هائلا من الرؤى والأفكار تكاد تزيغ معه الأبصار والبصائر بين دعوات صوفية . . . . ودعوات سلفية . . . وحركات سياسية ونداءات للتجديد والثورة على القديم . . . حتى صرنا نخاف أن يشيح كثير من الناس بوجوههم عن تلك الثقافة الاسلامية كلها مهما حملت من أوصاف الصحوة ، والبعث ، والاحياء . . باحثين عن شيء واضح يسير المأخذ ، محدد المعالم ، يقيمون عليه حياتهم الفكرية والنفسية ، ويخوضون في ظلاله تجربة الحياة ، في عصر يضج على كواهل أهله أحمالا من القلق والحيرة . . . . لا تحتمل أن

تضيف اليها « الدعوة الى الاسلام » أحمالا جديدة . .

من أجل ذلك لن نتوقف أبدا عن الدعوة الى بذل جهد منظم متواصل الحلقات ، تحدد فيه للجيل كله ، وللشباب خاصة ، معالم الاسلام الرئيسية ، تحديدا يميز بين الأصول والفروع ، وبين الثوابت التي لا تقبل التبديل والمتغيرات التي يقتلها الجمود والتثبيت . .

ان الرؤوس التي تزاحمت عليها الشعارات المتناقضة ، والنفوس التي أرهقها الشد والجذب بألوان شتى من ألوان الغمز والـلمز والـلوم والاتهام قد آن لها أن تسمع من جديد ، بعيدا عن ضوضاء الاعلام الصاخب وشحناء المبارزات الكلامية المتشنجة اجابات واضحة عن أسئلة لاتزال تلح على العقول والنفوس . .

السؤال الأول . . . هذا الاسلام ، ما هو ، وماذا يريد من الانسان؟ وكيف تصور مبادئه وقيمه وتعاليمه مهمة الانسان على هذه الأرض ؟

السؤال الثاني . . . . هذا الكم الهائل الذي تركته لنا الأجيال السابقة من الأجداد والأسلاف من انجازات وعلوم الحضارة الاسلامية مما نسميه اليوم « التراث » . . . . ما هو؟ وبأي أجزائه نلتزم ؟ . . . . ومن أي أجزائه نتحرر ؟

السؤال الثالث . . هل الاسلام حقيقة كيان « متميز تماما » ، ومنفصل عن كل ما عداه بحيث ينبغي على الجيل المعاصر أن يربط نفسه فكريا ونفسيا بالمسلمين وحدهم ، وأن يمتنع عن التفاعل مع كل تجربة انسانية تمت أو تتم خارج الاسلام « المكاني » و « الزماني » ؟ أم أن الاسلام في جوهره دعوة للرشد يوجهها خالق الناس للناس ، ثم يظل الناس قبلها ومعها « كلهم عيال الله » كما يقول الحديث الشريف ، بحيث يعتبر المسلم تراث الانسانية تراثا له ، يختار منه ـ في حرية وعلى بصيرة ـ ما ينفع الناس ، ما دام لا يعارض مبدأ من مبادىء الاسلام أو حكما ثابتا من أحكامه ؟

السؤال الرابع . . . . هذه الخصومة التي ورثناها عن عصور قديمة بين العقل والمنطق والتجربة الانسانية من ناحية ، وبين « النصوص » أو « النقل » كما يقول علماؤنا من ناحية أخرى . . . . هل يمكن أن تكون خصومة حقيقية . . . علينا في ظلها أن نختار بين طرفيها ؟وهل من الضروري أن تصحبنا هذه الخصومة في حاضرنا لتنقسم جميعا حتى في ظلال الاسلام وتحت رايته الى دعاة « عقل » ودعاة نقل . . . . أو الى مجددين وسلفيين ؟ أم أن هذا كله اجترار خاطىء لمواقف تاريخية لا تلزم المعاصرين ؟؟

السؤال الخامس . . . . كيف يدعو المسلم الى الاسلام في هذا الزمان ؟

هل يصدع بما يراه الحق في « جرعة واحدة كبيرة » يطلقها على الناس ولا عليه بعد ذلك كيف تقع على عقولهم ونفوسهم وسط عالم يموج بالأفكار والرؤى والمذاهب . . . . وتخيم فيه على الناس طبقات بعضها فوق بعض من العادات والمألوفات وأنماط السلوك التي صنعها الألف والعرف والاعتياد ، وقد امتزج فيها الحق بالباطل والصحيح بالسقيم ؟؟

وهل يملك المسلم اليوم أن يتدرج في عرضه للاسلام وأن يرتب قائمة أولوياته قبل أن يخرج بها الى الناس ؟ أم أن هذا يدخل به في متاهات المداهنة ، وتجزئة الاسلام ، والاستدراك على الله ؟؟

هذه وأمثالها هي الأسئلة التي تلح على عقول الشباب وتصرخ فى أعصاب الجيل كله تطلب الجواب . . . . جوابا واضحا صريحا بعيدا عن تعقيدات المتخصصين وحماسات الدعاة ، وحماقات بعض المتشنجين .

فلنجمع اذن أطراف شجاعتنا ، ولنتحرر ـ مرة واحدة ـ من الخضوع لابتزاز المزايدين ، ولنصدع بالحق في محاولة جادة مخلصة لتقديم الجواب . . . .

الأتقياء العقلاء

نعم .... ان الاجابة المقنعة الكاملة لايمكن أن يتسع لها مقال واحد أو كتاب .... وانما ينبغي - فيما نرى - أن تكون موضوعا لجهاد جماعي موصول الحلقات ، تندب نفسها له جماعات من الاتقياء العقلاء .. يتحررون من السجن الرهيب الذي حبس فيه كثير من دعاة الاسلام أنفسهم .... سجن أقوال الرجال ومتون أصحاب المتون .... كما يتحررون من نقمة المبارزات الكلامية العقيمة ، حول قضايا مقطوعة الصلة بالمشاكل الحقيقية الكبرى لجماهير المسلمين ، وانتظارا لهذا الجهد العلمي الذي لم يعد يحتمل التأخير ، نسوق هذه الاجابات المختصرة ، إعلانا لموقف ، وأذانا ببدء حوار ، حول أمور نعتبرها شروط النهضة ومقومات الانبعاث الصحيح ، وبغيرها لا نرى لهذه الأمة رجاء في حاضر ولا أملا في مستقبل .

١ - ما هو الاسلام ؟ وماذا يريد من الانسان ؟؟

الاسلام دين الله المنزل على أنبيائه ورسله ، دعوة الى الايمان بالله وحده والتصديق برسله واليوم الآخر ، واقامة الحق والعدل بين عباد الله ... وهي دعوة توجتها بعثة محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وجمع القرآن الكريم أصولها ومبادئها .... عقيدة توحيد خالص ، وشريعة عدل ومساواة وتكافل ، وأخلاق بر وتواصل رحمة ، وشعائر يتميز بها المسلمون ، تحفظ عليهم رباطهم بعقيدتهم ودينهم .... وتجعل منهم « أمة واحدة » لها معالمها ..

والانسان في نظر الاسلام مخلوق مفضل مكرم ، اصطفاه الله من بين خلقه ، فنفخ فيه من روحه ، وعلمه الأسماء كلها ، وجعله خليفة في أرضه .... وحمله أمانة تعمير الكون بسلطان العقل وقوة العمل ، وأمانة هداية الدنيا باقامة أمرها على قيم الاسلام ومبادئه .... وليس وراء هذين الأمرين مهمة لبشر ، وليس من دونهما فضل لأحد على أحد ....

ولا يحتاج المسلم - حتى يصبح مسلما - الى شهادة أحد أو وساطة أحد .... وانما يصبح المسلم مسلما اذا آمن بالله وصدق برسوله وشهد بذلك كله بلسانه ، وحسابه بعد ذلك على الله .

ولا يكفر مسلم بمعصية اذ كل بني آدم خطاؤون والله لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ..

٢ - أما تراث الأقدمين ... فلا يخلو أن يكون نصا جاء به الوحي ونقل الينا بدليل يفيد القطع .... أو نصا جاءنا بدليل ظني .... أو اجماعا لأصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) أو اجتهادا في أمور الدين والدنيا لرجال يصيبون ويخطئون .... أو عملا لعامة المسلمين وخاصتهم .... فيه الخطأ وفيه الصواب ... وبعضه ينفع وبعضه تجاوزته الأيام ، والرضا بالنصوص الثابتة والاذعان لها هو علامة التصديق ودليل الايمان .... ولكن الرواية مع ذلك لا تغني عن « الدراية » ... وتطبيق النص على الوقائع المتجددة لا تحسمه قضية « الورود القطعي » وحدها ، وانما يظل المجال واسعا ومفتوحا للنظر في دلالات النصوص ووجوه تفسيرها .... وما اذا كان حكمها تشريعا عاما دائما ، أو حكما موقوتا يتغير بتغير الأزمنة والأمكنة .. أما اجتهاد القدماء من السلف فانه يظل تجربة غير ملزمة ... لا يكفي القدم وحده مسوغا للالتزام بها .... ولا يكفي - مع ذلك - لاستبعادها والاصرار على نبذها .

وتاريخ المسلمين منذ عهد الصحابة الى يومنا هذا تاريخ أمة من البشر عامر بالخير وبالشر معا .... فالى جوار أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، عاش أبو جهل وأبو لهب وأمية بن

خلف .... والى جانب العدل الذي قام عليه الحكم في أيام الخلافة الراشدة .... وجدنا من يصف الحاكم بأنه ظل الله في الأرض .... وسمعنا مقالة الذي يقول لرعيته : لآخذن البرىء منكم بالمذنب والصحيح بالسقيم ، والقاعد بالقائم .... فاذا قيل له ان الله علمنا غير هذا حيث قال : « وابراهيم الذي وفى ، ألا تزر وازرة وزر أخرى » أجاب قائلا : ولكنا لن نبلغ الحق فيك وفي أصحابك حتى نخوض اليكم الباطل خوضا ....

وكما كان أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) « اشداء على الكفار رحماء بينهم » « أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين » .... خلف من بعدهم خلف رجعوا كفارا يضرب بعضهم رقاب بعض ... وصار بأسهم بينهم أشد من بأسهم على عدوهم ، وكما استطاعت أجيال من المسلمين أن ترتاد آفاق العلم والمعرفة وتثري التجربة الانسانية في اشاعة العدل والرخاء ، فان أجيالا أخرى من المسلمين قد ركنت الى التواكل والقعود واشتغلت بالخرافة ومارست البطالة .

تلك اذن أمم قد خلت .... لها ما كسبت ، ولنا ـ اليوم ـ ما تكسب ، والتراث تجارب ، واجتهاد السلف « سوابق » .... والحاضر لا يصلح له الا اجتهاد « جديد» .... ولا تصلح له أبدا بطالة يريد أصحابها أن يتدثروا بجهد غيرهم أو يلوذوا باجتهاد تم في غير عصورهم .

٣ ـ والاسلام ليس منفصلا عن تاريخ الانسانية وتجاربها .... وانما يتميز الاسلام بالنقاء المطلق لعقيدة التوحيد فيه ... كما يتميز بشعائر هي رموزه وعلاماته المميزة ، وشرائع تجسد رعاية مصالح الناس في اطار ما جاءت به ، ولكنها تفتح الباب للأخذ بمزيد من تلك المصالح فيما يحدث للناس ـ بعد انقطاع الوحي ـ من أحوال جديدة ، وعلاقات مستحدثة ، وهموم لم تعرفها الأجيال السابقة . .

والذين يسرفون في الالحاح على تميز الاسلام والمسلمين تميزا شاملا مطلقا .... محجوجون بنصوص القرآن الكريم التي تصف أنبياء الله قبل نبينا(صلى الله عليه وسلم) بوصف الاسلام ... « ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما » .

وهم محجوجون كذلك بحقيقة وحدة الانسانية ووحدة مصدر الأديان السماوية ... وبأن العهد الذي أخذ بحمل الامانة انما أخذ على آدم ابي البشرية وعلى بنيه ، مسلمين وغير مسلمين « واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم .... قالوا : بلى » .

والذين يلحون هذا الالحاح الشديد على اختلاف الاسلام عن كل ما عداه ، يمنحون فرصة نادرة للذين يصورون المسلمين كما لو كانوا غرباء على حضارة العصر كلها .... وييسرون مهمة « الاعلام الصهيوني » الذي ملأ الدنيا صياحا بما سماه « الميراث اليهودي المسيحي » ليوهم العالم المسيحي كله ان المسلمين « غرباء » على هذا الميراث .... وأن اليهودية والمسيحية يجمعهما ـ وحدهما ـ ميراث مشترك ...

العقل والنقل

٤ ـ أما الخصومة بين « العقل والنقل » فانها تحتاج الى حديث مفصل يصفي هذه المأساة التي لا تزال موضوعا مفضلا لأبطال المبارزات الكلامية ، منذ صدر الاسلام الى يومنا هذا ، ولقد آن أن تسكت الأصوات المنكرة التي تدفع المسلمين دفعا الى خيار ظالم بين تمسك بالنقل وحده ،تدفن معه حضارتهم ، أو تحال الى رفوف المتاحف .... أو تمسك بالعقل وحده ، تختفي معه ذاتية المسلمين ، وتتآكل في ظله فرص الهداية والرشد التي تحملها نصوص الاسلام ومبادئه للبشرية كلها .

وقولنا الذي نردده في ذلك ان النقل رواية عن واهب العقل .... وان العقل نعمة مهداة من صاحب النقل .... وان صريح المعقول لايمكن أن يناقض صحيح المنقول .... اذ لا يمكن لليقين أن يصادم اليقين ... « والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا » ..

واذا كانت آفة الدنيا من حولنا أن الأرض قد أخذت زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها ، وتصوروا أن « العقل » يستطيع ـ بغير النقل ـ أن يهدي الى الرشد فان آفتنا نحن المسلمين أننا عطلنا العقول ، وركنت عامتنا وخاصتنا الى المنقول ... فتوقف كثيرون عن السعي ، واختلط التوكل بالتواكل ، وامتزجت القناعة بالخمول ، كما اختلطت العفة بالعجز .... فتقدم الناس وتأخرنا .... وتحركت الدنيا وتجمدنا .... وأنزل العقل عن « عرشه » في حياتنا كلها ...

ولا أمل اليوم في صحوة ، ولا رجاء في بعث ... ولا جدوى من حديث عن تقدم أو تنمية الا اذا تحركت العقول في الرؤوس .... والا اذا ثاب المسلمون الى منهج العلم الذي بسلطانه يتمايز الناس وتتفاوت حظوظهم من الريادة والسبق ..

٥ ـ أما الدعوة الى الاسلام في هذا الزمان .... فانها هي الأخرى تحتاج الى حديث مفصل مستقل .... ولكن موقفنا الذي نعلنه على رؤوس الأشهاد قبل أن تبدأ جولات الحوار هو أن الدعوة قد صارت علما له أصوله ومناهجه . وان كلمة الحق لا تجاوز الأسماع الى القلوب الا اذا توجهت الى تلك القلوب بحكمة وموعظة حسنة .... وان دعاة الاسلام مطالبون اليوم بأمور ثلاثة :

○ بأن يرتبوا أولوياتهم في ضوء أولويات المبادىء والأحكام في التصور الاسلامي ... فالعقائد تسبق التكاليف .... وأساسيات الأخلاق والسلوك تسبق الآداب والكمالات ، وما يتصل بجماهير الناس وعامتهم يقدم على مايتصل بخاصتهم وصفوتهم .... والهموم الحادة العاجلة تقدم ـ عند العلاج ـ على القضايا النظرية والنادرة ..

○ والدعاة مطالبون بعد ذلك بأن يتقنوا علوم الاتصال وفنونه ... وأن يسخروا ذلك كله لتقريب الحق من النفوس حتى تستقبله راضية مرضية مقبلة غير مدبرة .... وحرام أن نرى رجال الاعلان والاعلام وأساتذة التحريض والتلقين السياسي يستعينون بهذه العلوم كلها لترويج سلعهم وأفكارهم ومذاهبهم واتجاهاتهم ، ويظل الدعاة المسلمون يكتفون بتلاوة النصوص ، وترديد أقوال الأقدمين .... والناس شاردون عنهم بعقولهم وقلوبهم ..

○ ان يسعى الدعاة ، من خلال حكوماتهم ومؤسساتهم الى حيازة أكثر التقنيات تقدما وأشدها فاعلية ، للوصول بالكلمة والصورة والفكرة والخبر والرأي الى ملايين الناس .... والا ضاع صوت الوعاظ وخطباء المساجد وهم يشقون حناجرهم فوق المنابر الخشبية التي تتصدر بيوت الله ... الى جانب صور وأصوات تقتحم على الناس بيوتهم ومدارسهم ومنتدياتهم في أسلوب بالغ التشويق عظيم التأثير ..

هذه مواقف لا بد من اعلانها في وضوح .... وجسارة .... حتى نعود بها الى دائرة حوار واسع يلتقي عليه أصحاب الرجاء ، في مستقبل أكثر اشراقا للاسلام والمسلمين . وجدير بنا أن نتعاون ـ بهذا الحوار ـ على البر والخير ، وأن نوسع مساحة الاتفاق والالتقاء ، بدلا من أن نفني أعمارنا ـ وهي قصيرة ـ في تراشق بالنصوص وتقاذف ـ غير كريم ـ للاتهامات .... فتسقط كلها على الأمة كل الأمة كأنها حجارة من سجيل . □□

ثقافتنا المعاصرة بين التعريب و التغريب

بقلم :
الدكتور : فؤاد زكريا

□ لم يعد التعريب ، في حياتنا المعاصرة ، مجرد هدف ثقافي ، وانما أصبح هدفاً حضارياً شاملاً ، ينطوي علي جوانب سياسية وقومية لا تقل أهمية عن جوانبه الثقافية .

فى الأقطار العربية التي بدأت نهضتها منذ القرن التاسع عشر ، والتي مرت بتجربة الاستقلال الوطني منذ وقت أطول نسبياً ، يعد التعريب عنصراً لا غناء عنه من عناصر النهضة ، ومظهراً من مظاهر النضج والقدرة على التحرر من المؤثرات الخارجية الوافدة . وفي الأقطار التي لم تتحرر من الاستعمار الا حديثاً ، أصبح التعريب أعلى مظاهر استرداد الهوية التي سعى الاستعمار طويلاً الى طمس معالمها ، واصطبغت معركة التعريب بطابع فريد تمتزج فيه العناصر السياسية والثقافية والتاريخية والتراثية والمستقبلية امتزاجاً لا نظير له ، وتجتمع فيه متناقضات التراث والمعاصرة بلا أدنى تعارض .

لقد أصبح التعريب في بلادنا موقفاً كاملاً من تراثنا التاريخي ، ومن العالم الخارجي ، ومن محاولات الاستيعاب والسيطرة الفكرية التي تقوم بها قوى استغلالية عاتية . وفي كل مرحلة يبدو

فيها مشروع النهضة في حياتنا أملاً عريضاً ، يبرز التعريب بوصفه أول عناصر هذا المشروع وأكثر وسائله فعالية . هكذا كان منذ القرن الثاني الهجري ، حين اقترن الامتداد الهائل للحضارة العربية الوليدة بحركة تعريب فريدة تمكنت فيها لغة كانت حتى عهد قريب انعكاساً لحياة بدوية شديدة البساطة ، من التعبير عن أرقى ما وصلت اليه ثقافة اليونان والفرس والهنود في ميادين العلم والفلسفة والآداب والعقائد . وهكذا أصبح منذ القرن التاسع عشر ، حين كانت أبرز معالم تلك المحاولة الدائبة التي بذلناها من أجل استرداد هويتنا واستعادة كياننا ، حركة تعريب واسعة كان روادها هم أيضاً رواد الفكر السياسي والنهضة الثقافة ، ولم يكن الذى جمعهم بين هذه الصفات كلها مصادفة على الاطلاق

التعريب قديما وحديثا

هكذا يشعر المرء باغراء شديد يدفعه الى تشبيه حركة التعريب المعاصرة بنظيرتها التي بدأت في العصر الذهبي للحضارة العربية الاسلامية ، منذ القرن الثاني للهجرة . وبالفعل يتجه كثير من الباحثين ، في العديد من الندوات والمؤتمرات التي تعالج موضوع التعريب ، الى الربط بين حركتي التعريب القديمة والحديثة ، وتبرير الثانية على اساس النجاح الهائل الذي احرزته الأولى . ولكن حقيقة الأمر هي أن حركة التعريب المعاصرة لها سماتها الخاصة التي تميزها تميزاً قاطعاً عن نظيرتها القديمة ، بحيث يكون من المشكوك فيه الى حد بعيد ، في ضوء الظروف التي تسود حياتنا المعاصرة ، ان تؤدي حركة التعريب في الوقت الراهن دوراً مماثلا ، او حتى مشابهاً ، لذلك الذي أدته في العصر الزاهي للحضارة العربية .

وأول ما ينبغي ملاحظته ، في صدد المقارنة بين الحركتين القديمة والحديثة ، ان الأولى كانت تعريباً لنتاج ثقافي ينتمي الى حضارة كانت قد توقفت عن العطاء في الوقت الذي اهتدت فيه الثقافة العربية اليها . ويتمثل ذلك بوجه خاص في تلك المؤلفات اليونانية التي كانت تنتمي الى الفترة الواقعة بين القرن الرابع قبل الميلاد والقرن الأول او الثاني بعده ـ اعني ان اقرب هذه المؤلفات عهداً كان قد مضى عليه حوالي خمسة قرون عندما بدأ العرب في نقله ، على حين ان معظمها كان يفصله عن عصر الترجمة العربية حوالي الف عام .

هذه حقيقة على أعظم جانب من الأهمية : اذ ان التراث اليوناني كان قد توقف عن العطاء قبل وقت طويل من اتصال العرب به ، ومن ثم فقد كان تراثاً ساكناً محدد المعالم ، غير قابل للتجدد ، يواجه ثقافة فتية متوثبة توسعت ، كماً وكيفاً ، توسعاً خاطفاً بجميع المقاييس . ولا جدال في ان المشكلات التي ترتبت على هذه المواجهة كانت هائلة ، ومع ذلك فان التراث المنقول كان كمّاً محدّداً اوله معروف وآخره معروف ، وكان تعبيراً عن أرقى ما وصل اليه الفكر البشري في مرحلة « ماضية » من تطوره .

حضارة دائمة التغير

أما اتصالنا المعاصر بالحضارة الغربية وسعينا الى تعريب نواتجها ، فهو اتصال بحضارة دائمة التغير ، تتخذ في كل يوم موقعاً جديداً ، وتفاجئنا دائماً بتحولات وثورات غير متوقعة في ميادين العلم والفكر والأدب . وهكذا انقلبت الأدوار اليوم ، فأصبحنا نحن أصحاب التراث الثابت ، المحدد ، الذي توقف منذ وقت طويل عن التجدد والعطاء ، وأصبحوا هم أصحاب الثقافة المتوثبة الطموح ، التي لا تغفل لحظة

واحدة في موقع ثابت .

ويترتب على هذا اختلاف آخر أساسي بين الحالتين : فقد حدثت حركة التعريب القديمة في اطار تفوق عربي شامل ، كانت فيه الشعوب التي نقلنا ثقافتها قد تدهورت ، ولم يكن واحد منها نداً للأمة العربية التي كانت صاحبة الكلمة العليا في تلك المرحلة من تاريخها . ولا جدال في ان حركة التعريب التي تتم في ظل السيادة والتفوق ، تختلف كل الاختلاف عن تلك التي تتم في ظروف التراجع والانهزام ، وهي الظروف التي تميز موقفنا الراهن ازاء الحضارة الغربية .

هذه الأوضاع تشكل فوارق هامة ينبغي أن نعمل حسابها قبل أن نتسرع بتشبيه حركة التعريب في أيامنا هذه بنظيرتها في عهد الخليفة المأمون . ففي عصرنا الراهن يُصنع التقدم العلمي والفكري عندهم ، لا عندنا ، وتظهر الكتابات والأبحاث التي تقف في الصف الأول من انتاج العقل البشري في بلادهم ، لا في بلادنا ، وتظهر بلغاتهم ، لا بلغتنا . وهذه الحقيقة البسيطة ، والأليمة في الوقت ذاته تضفي على حركة التعريب في عصرنا الراهن سمات ينبغي أن نواجهها بصراحة وشجاعة .

ذلك لأنها تفرض على التعريب حدوداً لا يستطيع أن يتعداها . فاذا كان التعريب على مستوى التعليم العام ، وربما على مستوى التعليم الجامعي أيضاً ،ضرورة قومية ، فانه لا يستطيع أن يمتد الى المستويات العليا من البحث العلمي المتخصص ، وذلك لأن من المستحيل ، عملياً ، تعريب ذلك الفيض الهائل من الأبحاث التي تنتجها الدول المتقدمة علمياً بمعدل متزايد ، ومن ثم يتعين على من يريد متابعة أعلى صور التقدم في ميدان تخصصه أن يقرأ ما يكتب بلغة أخرى غير العربية . وفضلاً عن ذلك فان الفجوة بيننا وبينهم ، في ظل أوضاعنا المتردية الراهنة ، تزداد اتساعاً على الدوام . وفي كل عام يتدفق كم هائل من التعبيرات والمصطلحات الجديدة ، وتطرق ميادين لم تكن معروفة من قبل ، وتتراكم خبرات لم نكتسبها وتجارب لم نعشها . كل ذلك يضع أمام حركة التعريب صعوبات عملية ونظرية يكاد يكون من المستحيل التغلب عليها .

إخفاق السياسة التعليمية

واذا كان هذا هو الموقف على المستويات العليا للبحث العلمي ، فان الصورة تبدو مختلفة كل الاختلاف على مستوى الثقافة العامة التي لا تتسم بالتخصص الشديد . هنا يبدو التعريب ضرورة لا غناء عنها ، وخاصة بعد أن أصبحت لدينا أجيال كاملة عاجزة عن فهم أية لغة أجنبية . ولنؤكد في هذا الصدد أن العجز في هذه الحالة ليس ناتجاً عن الاعتزاز باللغة القومية ، وانما هو نتيجة اخفاق طويل الأمد في السياسة التعليمية . هذه الأجيال لن تستطيع ان تكتسب من الثقافة العالمية الا ما ينقل اليها معرّباً ، أي ان التعريب هو نافذتها الوحيدة للاطلال على العالم .

وفي ظل التدهور الحالي للغات الأجنبية في مختلف مراحل تعليمنا ، وضمنها المرحلة الجامعية ذاتها ، يبدو أننا قد عدنا مرة أخرى الى العهد الذي أصبحت فيه الترجمة صنعة يتقنها القلائل ، ولا تدري عنها الأغلبية المتعلمة شيئاً ، بحيث لا تستطيع هذه الأغلبية أن تنفتح ثقافياً على العالم الخارجي الا بتوسط عملية التعريب .

والأهم من ذلك أن التعريب لا يصبح في هذه الحالة دليلا على الاستقلال الثقافي ، بل يغدو مظهراً من مظاهر التبعية والاعتماد على الغير .

بل ان هذه الأوضاع المتردية قد انعكست ، في كثير من الأحيان ، على عملية التأليف ذاتها .

ففي ظل الجهل باللغات الأجنبية لدى الغالبية العظمى من أفراد الأجيال الحالية ، أصبح قدر لا يستهان به من التأليف أقرب الى النقل المباشر ، أو التلخيص ، أو حتى انتقاء الأسهل من المصادر الأجنبية . لقد أصبحت القلة القادرة على فهم اللغة الأجنبية تستغل هذه القدرة من أجل اعفاء نفسها من عناء البحث والتفكير المستقل ، وهي واثقة من أن أحداً لن يكتشف ما نقلته عن الغير ، حتى أصبح أقصى ما نتوقعه من المؤلف هو أن يكون قد أجاد « هضم » الأصول التي نقل عنها وأحسن فهمها ، وأشار الى المصادر التي نقل عنها ضمن مراجعه .

هؤلاء « المؤلفون »

وهنا نجد أنفسنا ازاء سؤال محير : هل أصبح التعريب بحق وسيلة لتحريرنا من سيطرة الثقافة الغربية ، أم أنه يزيدنا اعتماداً عليها ؟

ان أعداداً متزايدة من كتابنا تستغل قدرتها على فهم اللغات الأجنبية لكي تلخص كتب الغربيين وتقدمها كما لو كانت نتاجها الخاص . ولو كان نظام التعليم قد نجح في تكوين قاعدة عريضة من قراء اللغات الأجنبية لما استطاع هؤلاء « المؤلفون » أن يواصلوا السير في طريق الاتكال على الغير ، ولبذلوا الجهد اللازم للاسهام في خلق ثقافة قومية أصيلة .

وهكذا أصبحنا الآن نعيش في ظل أوضاع ثقافية تحتم علينا أن ندقق ونعيد النظر في المفاهيم التي اعتدنا أن نتداولها على ألسنتنا ، وأعني بها أن التعريب هو في كل الأحوال طريقنا الى خلق ثقافة قومية متميزة . ذلك لأن أموراً كثيرة تتوقف على الجو العقلي والثقافي الذي يتم فيه التعريب . ففي كثير من الأحيان قد يؤدي التعريب ، اذا ما حدث في اطار من التدهور الثقافي ، الى مزيد من الاعتماد على الثقافات الأجنبية . وأياً كان الأمر ، فليس من الحكمة ان نسارع الى تشبيه حركة التعريب في عصرنا الراهن بما حدث في فترة ازدهار الحضارة العربية ، وانما ينبغي علينا أن نضع حركة التعريب المعاصرة في اطارها الخاص ، ونتنبه الى الظروف المميزة التي تتسم بها هذه الحركة ، والتي تضع عقبات كأداء أمام تحقق الهدف المنشود للتعريف ، وأعنى به خلق ثقافة قومية أصيلة . □□

وصف الكتاب

* هذا بعض ما قاله الجاحظ في وصف الكتاب :

« ولا أعلم جارا أبر ، ولا خليطا أنصف ، ولا رفيقا أطوع ، ولا معلما أخضع ، ولا صاحبا أظهر كفاية ، ولا أقل جناية ، ولا أقل املالا وابراما ، ولا أجل أخلاقا ، ولا أقل خلافا واجراما ، ولا أقل غيبة . . . . من كتاب .

ولا أعلم نتاجا في حداثة سنه ، وقرب ميلاده ، ورخص ثمنه ، وامكان وجوده ، يجمع من التدابير العجيبة ، والعلوم الغريبة ، ومن آثار العقول الصحيحة ، ومحمود الأذهان اللطيفة ، ومن الحكم الرفيعة ، والمذاهب القديمة ، والتجارب الحكيمة ، ومن الأخبار عن القرون الماضية والبلاد المتنازحة ، والأمثال السائرة والأمم البائدة ما يجمع لك الكتاب » .

الغذاء الغذاء ..
صيحة العصر

● العالم ينفق ٧٠٠ مليار دولار سنويا على التسلح وعشرات الملايين من البشر يموتون من الجوع .

● الوطن العربي ينفق ٢٣ بليون دولار ثمنا للمواد الغذائية التي يستوردها من الدول الغنية .

● بعد خمسة عشر عاما لن يكون لدى العرب من المال ما يكفى لتأمين احتياجاتهم من الغذاء المستورد .

● التبعية الغذائية للعالم الخارجي تحمل في طياتها مخاطر التبعية السياسية .

● نحن نتساءل : هل يمكن لشعب جائع أن تكون له ارادة سياسية ؟!

● الحقائق تؤكد ان في العالم العربي كل الامكانيات لتحقيق أمنه الغذائى ، ما عدا الارادة الجادة والعمل الدؤوب .

● الدول النامية ما زالت بعيدة عن تحقيق ثورتها الزراعية ، وما زالت مشاكل الزراعة والغذاء تخيم بظلالها عليها وعلى العالم كله من ورائها .

● الثورة الزراعية هى العقبة التى لابد من تخطيها قبل الانتقال الى المجتمعات الصناعية وما بعدها .

● لم تعد قضية الزراعة والغذاء قضية فنية فقط ولكنها اصبحت ايضا قضية متعلقة بمستقبل العلاقات الاقتصادية والاستقرار السياسي العالمى .

نحن ننفق
٢٣ بليون
دولار سنوياً
ثمناً لغذائنا
المستورد

عبد العزيز الصقر

الغذاء ، الغذاء صيحة كل يوم ، وفي الكثير من عواصم العالم .... العالم المتقدم والعالم النامي على السواء ، تعقد الندوات والمؤتمرات لبحث أزمة الغذاء التي تهدد الملايين من البشر .... وهنا عندنا تهتم الأقطار العربية بدورها لبحث الأزمة التي تتفاقم عاما بعد عام ..

وفي الكويت عقدت عدة مؤتمرات في مقدمتها ، مؤتمر الغذاء العالمي ، ومؤتمر الغذاء الفنلندي ـ الكويتي ، ومؤتمر الأمن الغذائي في شهري أكتوبر ونوفمبر من العام الماضي .

وفي المؤتمر الثاني ألقى السيد / عبد العزيز الصقر رئيس غرفة تجارة وصناعة الكويت هذه الكلمة التي تنقل لنا صورة قاتمة لما نحن فيه ولما سنكون عليه :

في مطلع السبعينات كان ميزان تجارة السلع الزراعية للعالم العربي ككل متوازنا تقريبا ، إذ بلغت حصيلة الصادرات العربية الزراعية ٩٠ بالمائة ، من تكلفة المستوردات الزراعية التي لم تتجاوز آنذاك ١,٨ بليون دولار ، مخلفة عجزا لا يتجاوز ٢٠٠ مليون دولار .

في عام ١٩٨١ ، وخلال اثني عشر عاما فقط ، ارتفعت قيمة المستوردات الغذائية للعالم العربي الى حوالي ٢٣ بليون دولار أي اثني عشر مرة ، بينما لم تتضاعف قيمة الصادرات الزراعية العربية الا مرة واحدة فقط ، تاركة عجزا في ميزان تجارة السلع الزراعية للعالم العربي يزيد عن ١٩ بليون دولار .

ولاعطاء صورة بالغة التعبير وبالغة الاختصار عن أزمة الغذاء في العالم العربي يكفي أن أقول أن جميع التوقعات تؤكد انه في عام ٢٠٠٠ لن يكون لدى العرب من المال ما يكفي لتأمين احتياجاتهم الغذائية من المصادر الخارجية ، ولن يكون لدى هذه المصادر الكميات الكافية لتموين هذه الاحتياجات حتى لو توفرت القدرة المالية .

هذا المؤشرات وحدها ودون أي تعليق ، تبين لنا من وجهة النظر الاقتصادية البحتة ، مدى الخطر الذي تتعرض له الأمة العربية بسبب عجزها عن تنمية مواردها الزراعية ، رغم أن هذه الأمة ، قادرة ـ لو أحسنت التعاون والتدبير ـ ليس فقط على تلافي هذا العجز ، بل على المساهمة أيضا في حل مشكلة الغذاء العالمية التي يموت بسببها ثلث أطفال العالم قبل بلوغ الخامسة من أعمارهم .

ان مشكلة الأمن الغذائي ، مثلها مثل كل المشاكل التي تواجهها الأمة العربية ، لا يمكن التغلب عليها إلا بالتعاون والتكامل العربيين .

وإن تنمية الموارد الزراعية العربية في هذه الحقبة من تاريخنا هي ـ بالتأكيد ـ أفضل مجالات التعاون العربي في مجهودات مشتركة مبتكرة ، تعبر عن وحدة المصلحة والهدف بين الدول العربية ذات الموارد المالية وشقيقاتها ذات الامكانات الزراعية لتحقيق تنمية زراعية شاملة عن طريق التوسع الأفقي والتوسع الرأسي في آن واحد .

ومن هذه الحقيقة بالذات تنبثق أهمية ندوتكم هذه ، وأهمية مشاركة الخبرة الفنلندية فيها ، فاكتساب المعرفة والتعرف على التطورات العلمية من أول شروط التنمية الزراعية ، والتعاون الدولي في هذا المجال أمر بالغ الأهمية في تسريع الخطى لسد الفجوة الغذائية ليس على المستوى الاقليمي فحسب ، بل وعلى المستوى الدولي أيضا ، ولعل « يوم الغذاء العالمي » الذي احتفلنا به قبل أيام قليلة أكبر تجسيد لهذا الواقع .

صلاة من أجل الخبز

بقلم : محمود المراغي

ربما كان البحث عن الطعام هو الوظيفة الأولى التي مارسها الانسان في هذا العالم .

وربما احتاج الأمر آلاف السنين ، للانتقال من عصر التقاط الثمرات والمزروعات وما يقيم الأود ، الى عصر الزراعة المستقرة التي تقدم للانسان - بجهد متعمد - غذاء منتظما .

وفي تقرير أخير للجنة برانت عن الشمال والجنوب ، يقرر الخبراء عمر الزراعة المستقرة بعشرة آلاف سنة ، ويقولون انه في ذلك الوقت وحين بدأ هذا النوع من النشاط الانساني ، كان تعداد العالم خمسة عشر مليون نسمة . . بينما يبلغ الامر هذه الايام وفي بلد واحد هو الهند ان تكون الزيادة السنوية هي نفس الرقم : خمسة عشر مليونا !

وربما كان سباق الانسان والغذاء هو الدافع لأن يلتفت العالم للوراء ويعيد النظر في مسيرته ويقول : ليس بالمستحدث والجديد والمخترع يعيش الانسان . لقد قطعت الانسانية شوطا واسعا في الوفاء بالحاجات ، فأصبحت الكلمة تنقل عبر الأثير ، والآلة تقوم بعمل سيدة المنزل ومديري المشروعات في وقت واحد ، والعيون تجوب الكواكب الأخرى بحثا عن جديد ، والفضاء يجري تقسيمه والتنازع عليه بين الدول الكبرى ! . .

ورغم كل ذلك فالانسان يجد نفسه حيث وجد أجداده أنفسهم حين كان يجف المطر ، أو يبتعد النهر والسقى ، ويجف الزرع فلا يجد المرء ما يأكله !

الارقام تكشف الامر بصورة أوضح فتقول - كما جاء في تقرير برانت - ان هناك (٨٠٠) مليون نسمة من سكان العالم الثالث لا يجدون طعاما كافيا . صحيح ان انتاج الغذاء - على المستوى العالمي - قد زاد خلال الربع الثالث من هذا القرن بمعدل ٢,٥ ٪ سنويا . . لكن الصحيح أيضا ان السكان كانوا يزيدون بنسبة ٣٪ وان استيراد الحبوب في الدول النامية قد ارتفع بمقدار أربعة أضعاف خلال نفس الفترة .

عدالة التوزيع في الانتاج والثروة جزء من المشكلة ، لكن الامر في المستقبل سوف يكون أسوأ ، حين يواجه (٦٥) بلدا ناميا عجزا عن تدبير الغذاء . . وهو ما يتوقعه صندوق الامم المتحدة للأنشطة السكانية بعد دراسة عن أحوال التربة والزراعة في (١١٧) بلدا ناميا ، وبالنظر الى عام قريب هو عام : (٢٠٠٠) .

ويلخص أحد الخبراء مشكلة الغذاء في المستقبل فيقول : انها قضية التوازن بين احتياجات الانسان من الغذاء وتوافر هذا الغذاء . . وهو توازن سوف يحدث في كل الاحوال . . واما بزيادة الغذاء . . أو بموت الانسان جوعا ! » . . .

وفي تقرير المنظمات الدولية المختلفة فان أسوأ الاحتمالات تواجه منطقتين : في افريقيا . . جنوب الصحراء ، وجنوب غرب آسيا حيث تواجه ١٢ دولة من ١٦ دولة - هي كل دول المنطقة - عجزا في الغذاء . .

و . . . هنا تنتقل التقديرات للمنطقة العربية التي استوردت في السبعينيات نصف استهلاكها من القمح كما زاد استيرادها من السكر والزيوت النباتية واللحوم ومنتجات الألبان .

وربما يكون اعطاء أولوية للزراعة ، واعطاء أولوية للغذاء في المجال الزراعي وتحسين اساليب الانتاج - هي وسائل مواجهة عربية مناسبة . . لكن الأكيد أن هذه الوسائل سوف تنجح أكثر اذا تمت في اطار تكامل عربي تتجمع فيه عناصر الانتاج : الارض والمياه والمال والبشر ، واذا كانت بعض الدول تحتاج الى المال ، فان الدول العربية المصدرة للأموال تحتاج الى الغذاء وتحتاج الى سوق لتصريف منتجاتها من السماد وبعض مستلزمات الزراعة .

إن المشكلة العربية وحلها يحتاجان إلى قرار سياسي وحماس سياسي . والقرار والحماس ينبعان من ادراك حجم الخطر ، فمشكلة المستقبل قد لا تكون ندرة الاموال اللازمة لاستيراد القمح (وهو قلب المسألة الغذائية) . . لكن المشكلة على الأرجح سوف تكون ندرة الامدادات ، فأغنياء العالم يزرعون ويرغبون في تقليل الزراعة حفاظا على الأسعار . والسؤال : هل يغير الاهتمام الدولي بمشكلة الغذاء من سياسة هذه الدول الغنية والمحتكرة والتي يمكن ان تعيش على فائضها ؟ . . لقد أنشأت منظمة الاغذية والزراعة نظاما عالميا للاعلام والانذار المبكر للتنبؤ ورصد مشكلة الغذاء . . وكونت ٩٧ دولة لجنة للأمن الغذائي ، وأنشأ صندوق النقد الدولي نظاما للتسهيلات ، لتمويل عجز الغذاء وتحقق عام ١٩٨١ ما طلبته الدورة الاستثنائية للامم المتحدة عام ١٩٧٥ ، من تكوين مخزون طوارىء من الحبوب .

. . كل ذلك قد تحقق ، بل بلغ عدد الدول التي تحتفل بيوم الغذاء العالمي (١٤٠) دولة . . وأخذ الاحتفال مظاهر خاصة في بعض البلدان ، فأعلنت كندا الصيام لمدة يوم لجمع الأموال لمكافحة الجوع . . بينما اقامت جامبيا الصلوات الخاصة في المساجد والكنائس لكي يرحم الله هذا العالم . . ويوفر له لقمة عيش . .

كل ذلك قد حدث ، لكن التنبؤات العلمية تقول : الأزمة تتزايد ، وفي قلب الازمة يأتي العالم العربي ، وفي قلب العالم العربي دول جنوب غربي آسيا حيث يحل النفط مكان الزرع . . ويحل المال مكان ارادة التغيير .

ومع ذلك فان اجماع الخبراء يقول : لا بد من ثورة زراعية ليأمن انسان الوطن العربي . واذا كانت هناك كلمة مأثورة تقول : « ليس بالخبز وحده يحيا الانسان » فان الكلمة المأثورة للسنوات القادمة سوف تكون : « وبدون الخبز لا يحيا الانسان » . □□

ووفقاً لتقديرات البنك الدولي فقد تدهور نصيب الفرد من الانتاج الغذائي العربي خلال السبعينيات ، حتى ان الثمانينيات قد بدأت وهناك دول عربية كثيرة قد تراجع انتاجها بالنسبة للسكان . . وبينما حدثت استثناءات محدودة زاد فيها نصيب الفرد من الانتاج المحلي للغذاء (سوريا وتونس واليمن الجنوبية والسودان وليبيا) فان معظم الدول العربية قد تراجع انتاجها ، واصبح نصيب الفرد من الغذاء المحلي في الجزائر ٨١٪ مما كان عليه في أول السبعينيات بينما بلغ الرقم ٧٤٪ في الأردن ، و ٩٠٪ في مصر و ٨١٪ في المغرب ، ٨٩٪ في العراق .

نصيب الفرد العربي من الانتاج الغذائي يتراجع اذن ومعه تزداد الحاجة للاستيراد حتى أصبح الغذاء يمثل نسبا تصل الى ثلث مجموع الواردات في بعض البلدان (حالة مصر .

هل هناك تفسير لهذا الامر ؟

المنظمة العربية للتنمية الزراعية تضع العديد من الاسباب . أولها : ضيق الرقعة الزراعية بالنسبة للسكان ، واعتماد ٧٨٪ من هذه الرقعة على مياه الأمطار التي لا توفر استقرارا أو إنتاجية عالية . في نفس الوقت فان هناك التخلف في أساليب الانتاج الزراعي وانماط التنظيم الاجتماعي والاقتصادي .

الخطر اذن قائم على المستوى العربي ، وهو ليس خطرا اقتصاديا فقط لكنه خطر سياسي أيضا حيث يحتكر معظم الفائض من الانتاج ثلاث دول في العالم هي كندا والولايات المتحدة واستراليا مما يجعل فرصة التحكم واردة .

الأمن الغذائي العربي ..
هل أصبح أسطورة ؟

بقلم الدكتور : خالد تحسين على

☐ ربما لم تستحوذ أية قضية اقتصادية تواجه العالم العربي في وقتنا الحاضر على الاهتمام الذي استحوذت عليه قضية أمنه الغذائي . الا أن هذا الاهتمام ، على الاقل بالنسبة للعمل العربي المشترك ، مازال أغلبه ، للاسف البالغ ، على مستوى الكلام . وربما كغيره من أنواع « الامن » الاخرى التي التزمت الاقطار العربية بالتعاون الكامل فيما بينها بهدف تحقيقها (والتي نصت عليها وثيقة استراتيجية العمل الاقتصادي العربي المشترك التي أقرها مؤتمر القمة العربي الثامن في عمان عام ١٩٨٠)

● أصبح الامن الغذائي اليوم أبعد عن التحقيق مما كان عليه عند اقرار تلك الالتزامات .

وأود أن اذكر بهذه المناسبة أن أول بوادر هذا الاهتمام بدأ في عام ١٩٧٧ عندما أخذت الجامعة العربية على عاتقها اعداد استراتيجية للعمل الاقتصادي العربي المشترك بما فيه قضية الامن الغذائي . كانت الفجوة بين الواردات والصادرات الزراعية العربية آنذاك (احصاءات ١٩٧٦) بحدود ٦ بليون دولار (لصالح الواردات) . فماذا تمخضت عنه هذه « المنجزات » خلال السنوات الست الماضية ؟ . ازدادت هذه الفجوة حتى بلغت ٢٠ بليون دولار في عام ١٩٨٢ .

يتضح من ذلك أن قضية الامن الغذائي العربي في حالة من التراجع المستمر والسريع ، اذ يتفاقم الانكشاف الغذائي ، وتتأصل جذور التبعية الغذائية للعالم الخارجي عاما بعد عام . واخذت هذه التبعية تقترب من مستويات تحمل في طياتها مخاطر بالغة ، خاصة بالنسبة لعدد كبير من سلع الغذاء الاساسية .

عنوان هذا المقال يسأل ان كان الامن الغذائي العربي قد أصبح فعلا في عداد الاساطير . ويحاول بذلك ان يقول للقارىء انه سيصبح كذلك ، على وجه التاكيد ، اذا كانت جهودنا الموجهة نحو هذه القضية ذات الاهمية الحيوية للاغنياء منا والفقراء ، سواء بسواء تبقى مستوياتها الحالية المخية للامال . ان التبعية

كاتب المقال .

● الدكتور خالد محيين علي يعمل حاليا مستشارا زراعيا للصندوق العربي للانماء الاقتصادي والاجتماعي
● حصل على بكالوريوس في الزراعة من جامعة القاهرة ، وماجستير في الانتاج الحيواني من جامعة كاليفورنيا ، ودكتوراه في علوم الوراثة الزراعية من جامعة منسوتا الامريكية
● تدرج بعمله في العراق من وظيفة باحث الى مدير عام ثم وكيل وزارة الزراعة ورئيسا للمؤسسة العامة للتنمية الزراعية
● عمل منذ ١٩٦٨ بوظيفة مدير في منظمة الاغذية والزراعة للامم المتحدة ، ثم في الصندوق العربي منذ عام ١٩٧٤

الغذائية اضافة الى استنزافها المستمر والمتصاعد للموارد الاقتصادية ـ تحمل لاشك في طياتها مخاطر التبعية السياسية .

نحن نسأل هل يمكن ان يكون لشعب جائع ارادة ذاتية ؟ . . أي ارادة سياسية أم غير سياسية . وهل هنالك سلاح أكثر مضاء من سلاح التجويع ؟ هذا السلاح الذي لوحوا به مرارا ايام أزمة النفط في منتصف العقد الماضي .

كل ما فعلته الاقطار المصدرة للنفط آنذاك انها قامت بتصحيح أسعار هذه السلعة الناضبة ، المستباحة التي كانت ومازال الطاقة المحركة لاقتصاديات العالم الصناعي ، ورافدا أساسيا من روافد تقدمه وغناه على حساب الملايين من أصحابه الشرعيين . لكن هذا التصحيح كان درسا بليغا لهم . ففي حقبة سنوات قليلة بدأت اجراءاتهم في تقليل الاعتماد على النفط المستورد تأتي ثمارها ، سواء بالتوسع في استكشاف المصادر النفطية في بلادهم أو بترشيد استخداماته أو عن طريق تطوير المصادر البديلة كالطاقة النووية والشمسية . . . . الخ .

النفط والغذاء

ولقد قابل تصحيح أسعار النفط « تصحيح » أسعار الصادرات الغذائية من قبل الاقطار الصناعية وهي مصدر معظم فوائض الغذاء العالمية . فقفزت أسعار معظمها عدة أضعاف خلال سنوات قليلة في النصف الثاني من عقد السبعينات . ولو أن الامانة هنا تقتضي الاشارة الى أن هذه الزيادات في أسعار المنتجات الغذائية لم تكن رد فعل مباشر لتصحيح أسعار النفط ، كما أنها لم تكن السبب الوحيد لهذه الزيادات . فماذا كانت النتيجة على أي حال ؟ النتيجة هي أن الاقطار الصناعية المستوردة للنفط هي الآن بالتأكيد في طريقها نحو التحرر من التبعية النفطية ، وبالمقارنة كانت استجابتنا لهذه التطورات . نحن في العالم العربي بالذات ، على العكس من ذلك تماما . اخذنا نحث الخطى نحو المزيد من التبعية الغذائية . والمفارقة هنا أن حالة « الرخاء » المادي الجديد ، التي لم تقتصر على الاقطار المصدرة للنفط ، بل امتدت بصورة غير مباشرة الى اقطار عربية عديدة أخرى ، اصبحت اليوم عاملا اساسيا من عوامل تفاقم التبعية الغذائية لا التحرر منها ، وذلك بسبب التزايد السريع في الطلب على المنتجات الغذائية ٠ وازدياد الدخول الفردية ٠ وما يترتب عليها من زيادة سريعة في الانفاق على الغذاء ، كما ونوعا ، اضافة الى معدلات النمو السكاني العالية . وفي المقابل عجزت محاولات زيادة الانتاج عن اللحاق بتزايد الطلب على منتجاته .

الحقائق والاوضاع

وبما أن الارقام دائما أكثر بلاغة من الكلمات في التعبير نورد هنا بعضا منها في محاولة لاعطاء القارىء صورة كمية لاوضاع الزراعة والغذاء

الحالية :

● حقق الانتاج الزراعي في العالم العربي ككل - منذ أول عقد السبعينات وحتى الآن (١٩٧٠ - ١٩٨٢) - متوسط نمو سنوي بحدود ٢٪ - ٢و٢٪ في المقابل حقق الطلب على هذه المنتجات متوسط نمو بحدود ٥و٥٪ . سبب هذا الفارق الكبير بينهما نموا في كلفة واردات السلع الزراعية بمتوسط تجاوز ال ٢٠٪ سنويا ، بسبب الزيادة في كل من المقادير المستوردة والأسعار . وبالمقارنة نمت حصيلة الصادرات الزراعية العربية بمستويات واطئة للغاية نسبيا بلغت ٦٪ خلال عقد السبعينات ، وتدنت الى أقل من ٢٪ سنويا خلال السنوات الماضية من هذا العقد .

● في اوائل عقد السبعينات كانت ستة من الأقطار العربية تتمتع بميزان موجب في تجارة السلع الزراعية ، أي أن حصيلة صادراتها فاقت كلفة وارداتها منها ، وهي موريتانيا والمغرب ومصر والسودان والصومال وسوريا . وفي خلال العقد نفسه اختل هذا الميزان في صالح الواردات ، الى أن أصبحت كافة الاقطار العربية ، عدا قطر واحد هو السودان ، ذات ميزان تجاري سالب .

● في أول العقد الماضي كانت هنالك حالة تقرب من التوازن بين حصيلة الصادرات وكلف الواردات الزراعية على مستوى العالم العربي ككل ، اذ كانت الاولى تمثل نسبة ٩٠٪ من الثانية في عام ١٩٦٩ ، انخفضت الى ٨٠٪ في عام ١٩٧٠ ثم استمرت بالانخفاض سنة بعد أخرى حتى وصلت الى ١٤٪ في عام ١٩٨٢ .

في هذه الفترة ازدادت كلفة الواردات من ٢ر٠ الى ٢٤ بليون دولار ، أي انها تضاعفت ١٢ مرة ، بينما ازدادت حصيلة الصادرات خلال هذه الفترة من ٧ر١ الى ٤ر٣ بليون دولار أي انها تضاعفت مرة واحدة فقط . وكانت هذه الزيادة المتواضعة بسبب تحسن الاسعار وحدها ، اذ أن مقادير الصادرات الزراعية انخفضت بصورة كبيرة لأغلب سلع الصادرات الرئيسية وهي القطن ومحاصيل الزيوت النباتية والفواكه والخضر التي تمثل حوالي ثلثي اجمالي حصيلة الصادرات الزراعية العربية .

● انخفضت مستويات الاكتفاء الذاتي تبعا لذلك ، في انتاج كافة السلع الزراعية الرئيسية دون استثناء . حيث اصبحنا نستورد الآن نصف ما نستهلكه من الحبوب (بحدود ٢٦ مليون طن واردات) وثلثي استهلاكنا من القمح ، سلعة الغذاء الاولى ذات الاهمية الاستراتيجية (١٨ مليون طن واردات) ، وثلاثة ارباع حاجتنا من السكر (٥ر٣ مليون طن واردات) ، وأكثر من ٣ر١ مليون طن من اللحوم (ثلث الاستهلاك) و ٦ر٧ مليون طن من الألبان (ما يقرب من نصف الاستهلاك) وهلم جرا . ولم يبق لدينا فائض من أي من السلع الزراعية الرئيسية عدا سلعة واحدة هي القطن .

● في غمرة هذه التطورات أصبحت الواردات الزراعية أعباء مالية باهظة على عدد كبير من الأقطار ، فهي ، على سبيل المثال ، أصبحت تستنزف كافة حصيلة مصر من صادراتها السلعية ، الزراعية وغير الزراعية (٩٩٪ منها عام ١٩٨١) وتجاوزت ال ١٠٠٪ في اليمن الشمالي وجيبوتي ، وتراوحت بين ٤٥ الى ٩٠٪ في كل من الأردن والمغرب والصومال والسودان ولبنان .

● ومما تجدر الاشارة اليه أن مستوى الاكتفاء الذاتي الغذائي في العالم العربي حاليا اقل مما هو عليه في أي من مناطق العالم الرئيسية الاخرى دون استثناء . اذ انها لا تتجاوز ال٥٥٪ من اجمالي الطلب ، أي اننا نستورد الآن ٤٥٪ من اجمالي الغذاء الذي نستهلكه (مقاسا بالقيمة) . وفي منطقة أقطار مجلس التعاون الخليجي الستة (الكويت ، السعودية ، الامارات العربية ، قطر ، البحرين ، عمان) مثلت وارداتها الزراعية ٧٨٪ من اجمالي الاستهلاك . وبالمقابل لا يتجاوز متوسط الواردات الزراعية في اقطار العالم النامي ككل ٩٪ من اجمالي الطلب عليه .

مؤتمر الأمن الغذائي الذى عقد في الكويت .

* وعلى الرغم من أن هذه الأرقام بمجملها واضحة الدلالة على أوضاعنا الزراعية والغذائية والمتفاقمة نجد أن الارقام الخاصة بالواردات الزراعية للفرد الواحد من السكان ، مقارنة بمناطق العالم الاخرى ، تحكي هذه القصة ببلاغة أكثر . اذ بلغت هذه الواردات (لعام ١٩٨١) ١٠٧ دولارات في العالم العربي ككل (٥٥٠ دولارا لأقطار مجلس التعاون الخليجي الستة) ، بينما لم تتجاوز ١٦ و ١٠ دولارات فقط في قارتي آسيا وأفريقيا على التوالي .

لماذا هذه الاوضاع

لا يسمح المجال في هذا العرض الموجز بالبحث بأى درجة من التفصيل في الاسباب الكثيرة والمعقدة التى تكمن وراء هذه الاوضاع المقلقة ، مما يضطرنا الى الاكتفاء باشارة سريعة الى أهمها :

* أولا ان التنمية الزراعية تعتبر شديدة البطء بالمقارنة مع قطاعات الاقتصاد الاخرى الانتاجية والخدمية . اذ انها تتطلب سلسلة من المداخلات ، منها استنباط وتطوير تكنولوجيا زراعية محلية تتلاءم مع البيئة السائدة ، الطبيعية منها والاقتصادية والاجتماعية ، وهى ، على عكس معظم قطاعات الاقتصاد الاخرى لا يمكنها أن تستخدم تكنولوجيات مستوردة . وتتطلب هذه الخصوصية قدرات علمية وتنظيمية عالية تفتقدها معظم الاقطار العربية . كما أن الزراعة كذلك أكثر القطاعات الاقتصادية حاجة الى البنيات التحتية الارتكازية ، وتتضمن هذه البنيات سلسلة طويلة من الاعمال ، منها ، شبكات الرى والصرف وخزانات المياه ، وتوفير البنيات الاساسية للمجتمعات الريفية ، ووسائل التخزين والنقل والصناعات الزراعية . . الخ . وهي مستلزمات باهظة الكلفة بطيئة التنفيذ . ومن أهم معوقات التنمية الزراعية العنصر الإجتماعي ، اذ أن تطبيق التكنولوجيا المتطورة الحديثة ، وهي المرتكز الاساسي لها ، يتطلب بالضرورة مستويات عالية من المعرفة والادراك والحوافز لدى المنتج الزراعي نفسه ، وهي عملية تنمية بطيئة لابد وأن تخضع لقانون التطور التدريجي . هذا من ناحية الانتاج أما من الناحية الاخرى فنجد أن الطلب الاستهلاكي سريع الاستجابة للمتغيرات المؤثرة عليه ، بالاضافة الى أن هنالك القليل مما يمكن عمله للحد من تأثير هذه المتغيرات وأهمها الزيادة السكانية ، وزيادة الدخل الفردي وقدرته على زيادة انفاقه الاستهلاكي والذي تتجه نسبة عالية منه ، في مستويات الدخول المنخفضة ، نحو زيادة استهلاك الغذاء كما وتطوره كيفا ، باتجاه المنتجات غالية الثمن

حالة الانفصام !

الا انه بالرغم من هذه المعوقات الهامة للتنمية

الزراعية ولتحقيق التوازن بين نمو العرض ونمو الطلب يوجد الاشكال الرئيسي في العالم العربي بالذات ، يتأتى من عامل آخر . ويتمثل هذا العامل في طبيعة توزيع موارد التنمية الزراعية ، المالية والطبيعية ، غير المتكافيء بين اقطاره المختلفة ، وهي حالة تقرب من الانفصام شبه الكامل بين هذه الموارد . وتكاد تقتصر هذه الظاهرة على العالم العربي ، على الاقل من حيث مدى هذا الانفصام ، مقارنة بمناطق العالم الاخرى ، وبالقطاع الزراعي بالذات مقارنة بقطاعاته الاقتصادية الاخرى .

ويكفي لايضاح هذه الحقيقة الجوهرية النظر الى المؤشرات التالية :

ا - يوجد اكثر من ٧٥٪ من الرقعة الزراعية العربية ومياه الري وسكان الارياف في الاقطار الأربعة عشر ذات الدخل المنخفض والمتوسط (١) ، فيما يمثل اجمالي الناتج المحلي لهذه الاقطار ٢٤٪ فقط من الناتج المحلي العربي ، وفي هذه الاقطار تبلغ حصة الفرد من هذا الناتج ٧١٠ دولار (لعام ١٩٨٠) .

ب - وفي الاقطار الستة منها ذات الدخل المنخفض يوجد ٢٥٪ من الموارد الزراعية العربية المستغلة ، ونسبة أعلى من ذلك لامكانات الانتاج الزراعي المستقبلية (الاراضي الصالحة المطرية ومياه الري) ، بينما لايتجاوز اجمالي ناتجها المحلي نسبة ٤٪ فقط من الاجمالي العربي ، وتبلغ حصة الفرد من هذا الناتج ٤٠٠ دولار .

جـ - في المقابل يوجد ربع الموارد الزراعية العربية في الاقطار الستة الباقية (٢) وهي الاقطار النفطية الرئيسة ، الا أنها تمتلك ٧٥٪ من اجمالي الناتج المحلي العربي ، وفي هذه الاقطار تبلغ حصة الفرد من هذا الناتج ٦٣٠٠ دولار . واذا استثنينا العراق والجزائر من هذه المجموعة لانها ذات موارد زراعية جيدة يمكنها أن تستوعب نسبة عالية من مدخراتها نجد أن الاقطار الخمسة الباقية تمتلك ٦٪ فقط من الموارد الزراعية العربية و٥٧٪ من اجمالي الناتج المحلي العربي .

د - هذه الحالة من الانفصام في توزيع الموارد تنعكس بصورة جلية في الموارد المالية التي خصصتها هذه المجموعات القطرية للتنمية الزراعية في خطط التنمية الحالية (١٩٨١ - ١٩٨٥) . اذ يتضح من دراسة هذه الخطط أن حصة الفرد الواحد من السكان الزراعيين من هذه الموارد في الاقطار الستة ذات الدخل المنخفض هي ١٣٥ دولارا ، وفي الاقطار الثمانية ذات الدخل المتوسط ٣٢٠ دولارا ، فيما يقفز في الاقطار الخمسة ذات الدخل العالي الى ٣٣٠٠ دولار . أي أن حصة الفرد في الاقطار الفقيرة من هذه الموارد لايتجاوز ٤٪ من حصة زميله في الاقطار الغنية . وعلى المستوى القطري يتراوح المدى الكامل لهذا التباين بين حد أعلى يبلغ ١٧٠٠٠ دولار (في ليبيا) ثم ينخفض الى رقم يصعب تصديقه اذ لايتجاوز ٧٠ دولارا في واحد من أهم الاقطار الزراعية العربية ومن اغناها في الموارد الزراعية غير المستغلة وهو السودان ، الذي كثيرا ما وصفه المتفائلون بسلة غذاء العالم العربي المستقبلية (أي سلة هذه في مثل هذه الاوضاع ؟) .

ماهو السبيل ؟

في اعتقادي أن هذه الحقائق الاساسية التي تتسم بها أوضاع الزراعة والغذاء في الوطن العربي تكفي للوصول الى الاقتناع التام بأن

---

(١) ذات الدخل المنخفض : موريتانيا ، الصومال ، السودان ، جيبوتي ، اليمن الشمالي ، اليمن الجنوبي . وذات الدخل المتوسط : البحرين ، عمان ، الاردن ، سوريا ، لبنان ، مصر ، تونس ، المغرب ، وليبيا .
(٢) هي : السعودية ، الكويت ، الامارات العربية ، قطر ، العراق ، الجزائر .

الأمن الغذائي العربي سيبقى أملا بعيد التحقيق ، ان لم يكن مستحيلا ، وسيصبح فعلا في عداد الاساطير ، ان لم نستطع أن نحقق مستويات من التفاعل والتكامل بين مواردنا الزراعية والمالية تتجاوز بكثير ما أمكن تحقيقه حتى الآن . وببساطة تامة يجب الاقرار بأن الاموال وحدها لايمكن أن تتحول الى غذاء ، كما أن الموارد الزراعية المعطلة وحدها بدون المال لايمكنها كذلك أن تتحول الى غذاء .

الا أن ذلك ليس ، بأية حال ، دعوة لتدفق فوائض الاموال العربية نحو التنمية الزراعية في خارج الاقطار التي تمتلكها دون ضوابط أو حدود ، أو حتى بأساليب المعونة التقليدية المستندة على تقديم المنح والقروض الميسّرة الشروط . اذ أن لهذه الانواع من العون الانمائي حدوده الضيقة بمقياس مستلزمات الامن الغذائي الكبيرة ، وهي حدود لايمكن تجاوزها كثيرا اذ أن ذلك يمثل عبئا ليس على الاقطار المانحة فحسب ، وكلها أقطار نامية بحاجة الى معظم مواردها لاستثمارها في التنمية الاقتصادية والاجتماعية فيها ، وانما كذلك على الاقطار المستفيدة اذ أن من شأن زيادة القروض فوق مستوى معين أن يؤدي الى ارتفاع أعباء خدمتها مما قد يضع أعباء لاقبل لها بها ، خاصة اذا كانت عوائد الاستثمارات المستخدمة فيها ذات طبيعة اجتماعية أو أن عوائدها الاقتصادية بطيئة . . .

يقود حديثنا السابق بمجمله الى استنتاجات اساسية ، نعتقد أنها يمكن أن تكون حجر الزاوية في مسيرة جديدة وجادة نحو الأمن الغذائي العربي . أهم هذه الاستنتاجات :

أ ـ ان تحقيق الامن الغذائي العربي يحتاج بداية الى القرار السياسي المخلص والمستند على اقتناع كاف ، فيفتح ابواب التعاون بين الاقطار العربية في هذا المجال على مصراعيه بهدف تحقيق التكامل بين موارده الزراعية والمالية الغزيرة .

ب ـ ان اتخاذ مثل هذا القرار سيبقى كما كان حتى الآن بعيد المنال اذا استمر فشل الفنيين (التكنوقراطيين) في استنباط صيغ مستحدثة مصممة خصيصا لمثل هذا التعاون ، تتجاوز بالتأكيد وسائله التقليدية ، بالشكل الذي يتيح للاطراف المتعاونة منافع مشتركة ملموسة

جـ ـ الا أن هذه الصيغ ستبقى بدورها عديمة الجدوى ، أو محدودة الأثر اذا لم يدرك اصحاب القرار بدورهم أن هذه الصيغ ، التي تستند في الاساس على فتح آفاق الاستثمار في الانتاج الزراعي والغذائي وغيرها من فرص الاستثمار الكثيرة المرتبطة بها والمكملة لها ، لايمكن أن تؤتي ثمارها الا بعد مرحلة حضانة طويلة نسبيا وباهظة التكاليف . يتم خلالها انشاء القاعدة المادية والمؤسسية والتكنولوجية التي ترتكز عليها الزراعة الحديثة . وفي العالم العربي ـ خاصة في اقطاره الزراعية الرئيسية ـ ثغرات كبرى في هذه القاعدة الارتكازية وقفت حتى الان حائلا امام تطوير الزراعة بانماطها المختلفة ، ومنها مشاريع الاستثمار الحديث . ومتى ما تحقق ذلك فان من شأن القطاع الزراعي أن يتيح آفاقا غاية في الاتساع لاستقطاب وتوطين الاموال العربية في اصول ثابتة متنامية القيمة والعائد . وبعكس ذلك ستبقى محاولات الاستثمار الزراعي الحديث محدودة في مداها ومقتصرة على شريط ضيق من النشاطات كانتاج الدواجن وما أشبه .

د ـ وبايجاز تام نرى أن المطلوب اسلوب عملي رفيع في استطاعته أن يحقق الترابط العضوي بين مصادر التمويل الانمائي والتمويل الاستثماري العربي في اطار من البرامج التنموية الاستثمارية المتكاملة . وعلى الرغم من وضوح الحاجة الى هذا الاسلوب فان اصحاب القرار في مجالات التعاون العربي المشترك لم يجدوا حتى الآن سبيلهم الى ذلك .

ان الحقائق الشاخصة للعيان تؤكد أن في العالم العربي كل ما يلزم لتحقيق امنه الغذائي ، ربما عدا الارادة الجادة والعمل الدوءوب المخلص . فهل سيستمر انزلاقنا السريع نحو هوة التبعية الغذائية الخانقة أم ماذا ؟؟؟ . □□

الثورة الزراعية المطلوبة

بقلم: الدكتور حازم الببلاوي

في محاضرة ألقاها الاقتصادي آرثر لويس في جامعة برنستون عام ١٩٧٧ ، تساءل عن أسباب انقسام العالم الى دول متقدمة ودول نامية . وكانت اجابته على ذلك هي أن الأولى قد نجحت في تحقيق ثورتها الزراعية وزيادة الانتاجية فيها قبل أن تنتقل الى الصناعة ، في حين أن الثانية فشلت في تحقيق هذه الثورة الزراعية . وأهمية آرثر لويس لا تعود فقط الى حصوله على جائزة نوبل في الاقتصاد لأبحاثه في قضايا التنمية والعلاقات الاقتصادية الدولية ، بل لأنه نفسه هو أحد أبناء المستعمرات الفقيرة (جامايكا) ، ومن ثم فهو تجسيد حي لقضية الفقراء .

وما يقال عن الثورة الصناعية في انجلترا ودورها في تحقيق التقدم الذي نشاهد آثاره الآن ليس سوى جزء من الحقيقة ، أما الجزء الآخر والذي لا نذكره عادة فهو تلك الثورة الزراعية التي عرفتها انجلترا والتي ترتب عليها زيادة الانتاجية الزراعية بشكل كبير . فانجلترا عرفت في الواقع سلسلة من الثورات الصناعية منذ القرن الثالث عشر . وعندما تحقق لها النجاح في الزراعة منذ القرن السادس عشر مع الحقول المفتوحة ، فقد بدأت الثورات الصناعية تؤتي ثمارها . وجاء القرن التاسع عشر مع تطبيقات الثورة العلمية في الزراعة خاصة في المانيا - مع نمو الصناعات الكيماوية والتوسع في استخدام المخصبات مما ساعد على تعميق آثار الثورة الصناعية في باقي الدول الاوروبية وفي أمريكا الشمالية . وفي القرن العشرين أخذت التطبيقات العلمية في الزراعة اتجاهات جديدة في علوم الأجنة وانتخاب البذور وتهجين السلالات الجديدة والتقدم في مقاومة الآفات الزراعية فضلا عن تحسين وسائل الري والصرف وظروف التربة . ولذلك فقد استمرت الانتاجية الزراعية في الارتفاع بشكل مستمر فتضاعفت انتاجية المحاصيل الزراعية خلال الاربعين سنة الاخيرة ، وجاوز ذلك الثلاثة أضعاف في بعض الحالات (القمح ، الأرز ، والذرة) . وعلى عكس الانطباع السائد ، فان أكثر القطاعات زيادة في الانتاجية في الولايات المتحدة الأمريكية خلال النصف الأول من القرن العشرين ، كان قطاع الزراعة بحيث كان التقدم الصناعي الهائل نتيجة لما تم من انجاز في انتاجية الزراعة .

فالزراعة هي الجندي المجهول الذي سهل تحقيق انجازاتنا الصناعية .

الثورة الزراعية أولا

ولكن كل ذلك ظل وقفا على الدول الصناعية المتقدمة ، أما الدول النامية أو الفقيرة فانها لا زالت بعيدة عن تحقيق ثورتها الزراعية ولا زالت مشاكل الزراعة والغذاء تخيم بظلالها عليها وعلى العالم أجمع من ورائها . ووجه الغرابة هو أن الدول الفقيرة لا زالت دولا زراعية في الأغلب لفشلها في تحقيق ثورتها الزراعية ، في حين أن الدول الغنية انتقلت الى مرحلة الصناعة أو ما بعد الصناعة لأنها نجحت في ثورتها الزراعية . وهكذا فان نجاح الثورة الزراعية هو العقبة التي لا بد من تخطيها قبل الانتقال الى المجتمعات الصناعية وما بعد الصناعية .

واذا كان القس الانجليزي توماس مالتس قد حذرنا في فجر القرن التاسع عشر بأن العالم يواجه سباقا محموما بين الزراعة والسكان ، وأن خطر الزيادة السكانية ـ أو بالاحرى نقص المواد الزراعية ـ يكاد يهدد حياة البشر ، فاننا نجد أنفسنا ونحن في غروب القرن العشرين نواجه نفس الخطر . فاذا كانت الثورة الصناعية ـ ومن قبلها الثورة الزراعية ـ قد مكنت أوروبا من تجاوز مخاوف وتوقعات مالتس طوال القرن التاسع عشر ، فان نفس منجزات هذه الثورة الصناعية وخاصة في مجال حماية الصحة والمواصلات ، قد أطلقت عنان السكان في الدول النامية ، ومن ثم أعادت الينا من جديد شياطين مالتس . وقد بلغ سكان العالم حوالي بليوني نسمة في عام ١٩٣٠ ليصلوا الى حوالي ثلاثة بلايين في عام ١٩٦٠ وأربعة بلايين في عام ١٩٧٥ ثم لن ينقضي هذا القرن حتى يجاوزوا الستة بلايين والثمانية بلايين في نهاية العقد الاول من القرن القادم . وازاء هذا الضغط السكاني الهائل فان هناك ضرورة الى تضاعف انتاج الغذاء خلال الثلاثين سنة القادمة لمجرد الاحتفاظ بالمستوى الحالي للتغذية دون زيادة أو تحسين .

مواجهة التحدي

ومن هنا فان التساؤل الذي يطرح نفسه على العالم ، هو هل مثل هذه الزيادة أمر ممكن أم أن العالم يواجه عقبة يصعب تجاوزها ؟ ولكن وضع السؤال بهذا الشكل لا يساعد على معرفة الحقيقة كلها . ذلك أنه قد لا يكون من الصعب على العالم في مجموعه مواجهة هذا التحدي وزيادة الانتاج الزراعي والغذائي بصفة خاصة بما يتفق مع الاحتياجات . ولكن هذه الامكانية النظرية قد لا تساعد كثيرا من الناحية العملية نتيجة للاختلال في أوضاع البلدان . فامكانيات الزيادة في الدول الصناعية المتقدمة تبدو أكبر في حين أنها في الدول النامية لا تبدو كذلك في ظل الأوضاع القائمة . ولكن الدول الأولى قد حققت توازنا في بعض الأحوال وفائضا في معظم الأحوال مما يجعلها اقل اهتماما بالعمل على زيادة الانتاج الزراعي ، وعلى العكس فان الدول النامية والتي تحتاج أكثر من غيرها للزيادة في

انتاجية الزراعة فانها تبدو أقل قدرة على تحقيق هذه الزيادة المطلوبة . وهكذا فان القول بقدرة العالم في مجموعه على زيادة الانتاج الزراعي والغذائي بصفة خاصة قد لا تحول دون امكانيات قيام اختلالات واضطرابات نتيجة لعدم التوافق بين الحاجة الى الغذاء ، والقدرة على زيادة الانتاج الزراعي . فحتى قيام الحرب العالمية الثانية ، كانت مناطق العالم الاساسية ـ وباستثناء أوروبا الغربية ـ مصدرة للحبوب وتحقق اكتفاء ذاتيا في المواد الغذائية الأساسية . والآن فان أفريقيا وآسيا والاتحاد السوفيتي وأجزاء كبيرة من أمريكا اللاتينية تحولت الى مستوردة للحبوب . وأصبحت الولايات المتحدة الأمريكية وكندا والارجنتين واستراليا هي المصدر الأساسي للحبوب الغذائية . ووجه الغرابة والخطورة هو أن نفس هذه الدول هي التي تملك أكثر من غيرها ـ في ظل الأوضاع القائمة ـ أكثر امكانيات التوسع في الانتاج الزراعي والغذائي .

قضية الدول النامية

وهكذا لم تعد قضية الزراعة والغذاء قضية فنية فقط ولكنها أصبحت أيضا قضية متعلقة بمستقبل العلاقات الاقتصادية والاستقرار السياسي العالمي . فقضية الزراعة والغذاء هي قضية الدول النامية بالدرجة الأولى ، وقد أصبحت مشكلة عالمية بالقدر الذي تفرض فيه مشاكل الدول النامية نفسها على استقرار العالم وتقدمه فبالنسبة لهذه الدول ازدادت فيها حصة الفرد من الانتاج الغذائي بشكل طفيف في الخمسينات والستينات ولكنها تراجعت في السبعينات مما أدى الى تزايد الواردات الغذائية بشكل كبير . فارتفعت واردات الحبوب من حوالي ٣٠ مليون طن في ٧٢/ ١٩٧٣ الى ٨٥ مليون طن في ٧٩/ ١٩٨٠ بلغت تكلفتها أكثر من ١٧ بليون دولار في ١٩٧٩ . وقد انعكس كل ذلك على مديونيات الدول النامية التي زادت من ٧٠ بليون دولار في ١٩٧٠ الى حوالي ٧٠٠ بليون دولار في ١٩٨٣ . واذا كانت العادة قد استقرت على اطلاق اسم « أزمة الطاقة والنفط » على عقد السبعينات ، فان ذلك لا يعدو أن يكون تعبيرا آخر عن الاهتمام بقضايا ومشاكل الدول المتقدمة . أما الدول النامية فانها عرفت في السبعينات « أزمة الغذاء » ، وهي لا زالت تعاني منها . واذا ترجمنا هذه الأرقام الى تقدير لحجم الآلام الانسانية نتيجة لنقص المواد الغذائية المتاحة للدول النامية ، فاننا نجد أن مصادر الأمم المتحدة تشير الى وجود حوالي ٥٠٠ مليون نسمة يعانون من نقص التغذية و ٥٠٠ مليون أخرى يعانون من سوء التغذية . وهكذا فان واحدا من كل أربعة تقريبا على هذه الأرض يواجه مشاكل الغذاء ، وهم كلهم يعيشون فيما يسمى بالدول النامية .

ان الحاجة الى ثورة زراعية جديدة في دول العالم الثالث لم تكن أكثر الحاحا مما هي عليه الآن . وبغير زيادة انتاجية الزراعة بشكل كبير ومستمر في هذه الدول . فان استقلالها في المستقبل سيكون أمرا مستحيلا هذا اذا كان وجودها المادي أمرا متحققا . وليس الأمر متعلقا بزيادة الانتاج الزراعي فحسب ، بل ولا بد وأن يأتي ذلك من زيادة انتاجية الارض وهو ما يتطلب تطويرا في وسائل الانتاج وفي العلاقات الاجتماعية . فأكثر من ثلثي الزيادة المطلوبة في الانتاج الزراعي والغذائي لن يمكن تحقيقها الا من خلال زيادة الانتاجية في الارض المزروعة فعلا وليس من أراض جديدة مستصلحة .

عملية متكاملة

وينبغي أن يكون واضحا ان ثورة زراعية جديدة لا يمكن أن تقتصر على مجرد تطوير أساليب جديدة للانتاج ،وانما هي فوق ذلك وقبل ذلك عملية متكاملة تتطلب في نفس الوقت تعديلا في العلاقات الاجتماعية والسياسات

الاقتصادية . الثورة الزراعية ليست مجرد عملية فنية باحلال أساليب جديدة محل أساليب قديمة ولكنها تتضمن في نفس الوقت أسلوبا جديدا للحياة . فقد لوحظ على سبيل المثال ان منطقة شمال غرب المكسيك ـ وهي موطن قيام ما يسمى بالثورة الخضراء في الخمسينات ـ أدت فيها زيادة الانتاجية الزراعية الى اتساع حجم المزارع من ٢٠٠ الى ٢٠٠٠ فدان في المتوسط مما حرم أكثر من ثلاثة أرباع اليد العاملة في نفس المنطقة من أراضيهم ومن ثم مصادر أرزاقهم . وهكذا أدت الزيادة في الانتاجية الزراعية الى مزيد من عدد الفقراء نتيجة لما ارتبط بالأساليب الانتاجية الجديدة من سوء في توزيع "الثروة . وهكذا فان الثورة الزراعية تتضمن تعديلا كاملا في العلاقات وفي السياسات وليست مجرد تغيير في أساليب الانتاج .

كذلك فان الثورة الزراعية المطلوبة وهي تتطلب في الدرجة الأولى سياسات تنموية جادة وجديدة في الدول النامية ، الا أنها تقتضي في نفس الوقت تغييرا في نمط العلاقات الدولية . فالثورة الزراعية المطلوبة تقتضي أن تعيد الدول النامية النظر في سلم أولوياتها بمزيد من الاهتمام باشباع الحاجات الأساسية والاعتماد الذاتي والتركيز على تطوير الزراعة ومزيد من الاهتمام بعلاقات الانتاج وتوزيع الثروة وادخال أساليب الانتاج الحديثة والاهتمام بالبحوث والارشاد الزراعي . الا أن كل ذلك لا ينفي اننا نبدأ من ظروف غير مناسبة حيث ان الدول النامية لازالت ضعيفة كل على حدة وأغلبها في ظروف تابعة . ومن ثم فان تطوير علاقات أكثر تضامنا فيما بينها ووضع اطار لاستقرار أسعار الحاصلات الزراعية ونقل التكنولوجيا وزيادة موارد التمويل الخارجي يعتبر أمرا لازما لتحقيق مثل هذه الثورة الزراعية المطلوبة . وهكذا فان قضية التنمية الزراعية ورغم انها تتطلب في الأساس جهدا محليا في الدول النامية ، الا أنها تحتاج أيضا الى ظروف دولية مناسبة . وهذا مايوضح الى أي حد تمثل هذه القضية تحديا أساسيا لدول العالم الثالث وللعالم أجمع .

السودان وكندا

واذا نظرنا الى عالمنا العربي لوجدناأن مشكلة الزراعة والغذاء تبدو أكثر اختلالا وخطورة . فعجز المنطقة العربية في الغذاء يتزايد ولا يتناقص . فالعالم العربي في مجموعه ـ وكان يصدر من الحاصلات الزراعية ما يعادل ما يستورده من غذاء حتى ١٩٧٠ ـ قد عرف اختلالا متزايدا بعد ذلك . وفي نفس الوقت فان امكانيات المنطقة العربية من الموارد الطبيعية تجعلها مؤهلة للقيام بدور ملحوظ في المستقبل . فالى جانب الموارد الزراعية الهائلة في السودان ، هناك المغرب وسوريا والعراق . وقد غلبت في بداية السبعينات مقولات عن دور السودان في مستقبل الانتاج الزراعي في العالم واعتباره مع كندا الاحتياطي الاستراتيجي للغذاء العالمي في القرن الحادي والعشرين . ولكن تجربة التنمية الزراعية الهزيلة في السبعينات قد ألقت ظلالا من الشكوك حول هذه القضية . وأخيرا فان المنطقة العربية والتي تحتاج أكثر من غيرها لثورة زراعية والتي تملك بين ربوعها موارد طبيعية من المياه والاراضي القابلة للزراعة ، هي نفسها المنطقة التي عرفت سيلا من تدفق الاموال السائلة مع ثورة النفط على نحو لم يسبق له مثيل . ومع ذلك فقد انقضى عقد السبعينات والزراعة العربية على ما هي عليه ان لم تكن قد تدهورت ، وموارد السودان الطبيعية لم تزل كما كانت من قبل وان فقد معها التفاؤل والأمل . وأموال النفط تناقصت وبدأت الفوائض في الزوال ، وأصبح تخلف الدول عن الوفاء بديونها أكثر من مجرد احتمال بعد أن أصبح واقعا يوميا . فهل ننتبه لما ينتظرنا ونفيد من الفسحة الباقية بعد أن ضاعت أكثر الفرص الممنوحة لنا . هذا هو السؤال ، وهو أيضا التحدي .

□□

الأركان .. والبنيان

للدكتور : حسان حتحوت

□ قد يعلم كل المسلمين أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال « بني الاسلام على خمس .. شهادة لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، والحج لمن استطاع اليه سبيلا » .. فهذه أركان الاسلام التي يرتكن عليها ، ودعمائه التي تحمل بنيانه ، والعمد التي يقوم عليها صرحه كما يقوم البيت على عمده .

ولكن الخطأ الذي يقع فيه الكثير من المسلمين هو أن تصورهم لهندسة البناء الاسلامي والخرائط التصميمية والرسوم له قد وقف للأسف الشديد عند هذه الأركان .. أفقهم الاسلامي يلفها ولكنه لم يجاوزها .. أشبه شيء برجل أراد أن يبني بيتا فلما ارتفعت الأعمدة الخرسانية اذا به يقف عند هذا الحد وكأنه لايدرك أن هذه الأعمدة وحدها ليست خاتمة المطاف وأنها وحدها لاتفي بالغرض الأساسي من مشروع البيت أو العمارة وهو أن يأوي اليه سكانه فيجدوا فيه السكن والسكينة . وكما يأسف من يسير في بعض عواصمنا العربية فيجد مئات العمارات التي ارتفعت أعمدتها ووقف أصحابها عن تمام بنائها ، يأسف كذلك من ينظر في أحوال المسلمين فيرى أنهم في الغالب الأعم قد وقفوا بالاسلام عند الأركان دون البنيان .

وما نتهم بذلك الناس في حسن نواياهم الاسلامية .. مانقول انهم يصدرون عن قلة حب للاسلام بل نجد في حالات كثيرة أن العكس هو الصحيح .. فالمسلم تأنس نفسه بالصلاة فيصلي أكثر ، وبالصيام فيصوم أكثر ، وبالحج فيحج أكثر ، وكل ذلك حسن وجميل لو عدل الناس بين الاهتمام بالأركان والاهتمام بالبنيان .. أما أن أنوى بناء بيت فأقيم الأعمدة ثم أقيم مزيدا من الأعمدة ثم مزيدا من الأعمدة فمعنى ذلك أنني سأبقي ساكنا في العراء وأنا أحسب أنني أحسن صنعا .

فماذا عن البنيان . .

والبنيان الاسلامي يدرك أمره كل من عرف ـ معرفة ايجابية لاسلبية ولانظرية ـ أن الاسلام دين شامل وأن شموله يسع الحياة كلها . فالعبادات فيه باب من أبواب وكما يحرم تعطيلها يحرم تعطيل غيرها . . في الاسلام مكارم الاخلاق وفيه كذلك شريعة الحكومة والمحكمة . . مركز الدائرة في الاسلام خصوصية مابين الفرد وربه ولكن الدائرة تشمل مابين الفرد والناس ومابين الأمة والحاكم ومابين الدولة والعالم . . ان الذين يريدون أن يخلو الاسلام من السياسة اما أنهم لايعرفون الاسلام وينظرون الى قصة الغرب فيحسبونها قصة الاسلام ، واما أنهم يعرفون الاسلام فيخشون منه قيدا على سلطتهم وتهديدا لهيمنتهم وكسرا لاحتكارهم . ان الحكم في الاسلام بيعة وتكليف،وطبيعي أن الذي أعطى البيعة وأصدر التكليف يملك أن يسحبها ان وجد الصالح في ذلك . وكان ينبغي أن تتعلم الأمة الاسلامية من زمان بعيد ايجاد صيغة تكفل هذا التغيير بغير عنف ولا دم ولامرارة ولاخصومة . . بل كان ينبغي أن يكون المسلمون روادا في ذلك . . وفي زمننا الذي تعلمت فيه دول العالم التي أفلحت أن تسليم دفة القيادة من يد ليد وبأمر الأمة أمر بالغ اليسر ، يظل العالم الاسلامي على ترامي اطرافه طرازا آخر . . بل أن شبه القارة الهندية تشهد تقسيمين منذ الحرب العالمية الثانية ، فاذا الهند وحدها هي التي تجلس أنديرا غاندي على مقعد الحكم ثم تنتزعها من فوقه ثم تجلسها عليه من جديد عن طريق الانتخابات الحقيقية وحدها وبدون اغتيال أو انقلاب أو حكم عسكري أو لجوء للانتخابات المظهرية أو غير الحقيقية .

وواضح أن البنيان الاسلامي على هذه الصورة أمر لايتأتى الا بمشقة بالغة والمسلم الجيد الذي رتب حياته على نصيب سخي من صلاة النوافل وصيام التطوع وانتظار الحج الى الحج والعمرة الى العمرة ونسج من ذلك رحلة حياته واستثمار دنياه لآخرته ، يصيبه الهول والذعر ان حاولت أن تقنعه أن يهجر هذا النمط الدافىء الوثير من الحياة الصالحة وأن يقتحم بحر الحياة العامة المتلاطم وأجواءها العاصفة . . انه يعزي نفسه بأنه فرد وأن هذا التغيير ليس مهمة فرد . . ثم يحاول أن يتعامى عن أن فردا وفردا وفردا وغيرهم وغيرهم هم الذين يشكلون بمجموعهم الأمة التي ان صحت سادت والرأي العام الذي ان وعي فلن يغرر به أو يقمعه أحد. ان على المسلم العابد القانت أن يمد ذراعيه يمنة ويسرة ويفرد أصابعه متحسسا ليتعرف على اخوته المؤمنين . . لا لتكوين جمعية سرية ولاللتآمر على قلب نظام الحكم ولا لتخزين الأسلحة والذخائر ، ولكن لتحقيق معنى الجماعة ولتصديق عنصر الاخاء وللتعبير عن فكرة الأمة . . آنذاك يكون الأفراد شبكة والخيوط نسيجا واللبنات بناء والخرزات مسبحة . . آنذاك يتكون في المجتمع تيار اسلامي غير هادر ولكنه مؤثر . . ليست العبرة عنده بالمظهرية في الزي ولا الجهارة في الصوت ولا الضراوة في الحكم على الناس بالكفر أو الاثم ومع ذلك فهو كالنهر يشق مجراه من منبع المصب ويتجه

بالمجتمع معه الى التعامل بالقيم الاسلامية في المعاملات المدنية اليومية أولا ثم من بعد ذلك بالضرورة في النواحي الاجتماعية والسياسية والاقتصادية .

وقد يبدو أن هذا الترتيب تغلب عليه البساطة التي تقارب السذاجة .. ولكن ليصدقني القارىء ان قلت أنه السبيل الوحيد . لقد امتلأت الساحة بالمتحمسين ولكن حتى المتحمسون للاسلام كثير منهم لايتعاملون به ، ولو تصورنا ولو من باب الخيال أن مقاليد الحكم أصبحت في أيديهم غدا لما شهدنا الا دكتاتورية غاشمة دموية قاهرة قد تهدر أنبل القيم الاسلامية وان رفعت شعار الاسلام .

ومن الأمانة أن نذكر أن هذا الاقتراح السلمي البسيط الذي أوردناه لايعني اذن أن طريق الموكب الاسلامي سيكون مفروشا بالورود .. بل ان أعداء الاسلام لاشد منه قلقا وأعظم فرقا .. انهم أكثر ترحيبا بالاسلاميين الذين يكفرون الناس ويعتدون على الممتلكات ويطلقون الرصاص .. فهؤلاء يمهدون العذر واضحا لمحاربتهم واستئصال شأفتهم .. أما أن يكون الاسلام تيارا عاما وتحولا اجتماعيا ودعوة يحبها الناس فيقبلوا عليها ولايتبرموا به ، فهذا هو الخطر .. ولابد من وضع العراقيل في سبيله ولو افتعلت هذه العراقيل ، وقد شهدنا ذلك في التاريخ البعيد والقريب ، ولكن تبقى المعركة بعد ذلك معركة ذكاء بقدر ما هي معركة اخلاص فالاخلاص بلا ذكاء قطعا يضر ولاينفع .. والأمر من قبل ومن بعد بيد الله ، والله من ورائهم محيط .

.. وحديث عن الأساس

وأعود فأزيد الصورة قتامة .. تحدثت عن الأركان وعن البنيان ولكن الاثنين - ولست أدري أأقول للأسف الشديد أم لا - محتاجان لأساس يحملهما معا وبغيره يكون قيامهما أمرا بالغ الصعوبة .. هذا الأساس الضروري هو قسط معلوم من الحرية .. لايمكن أن تزدهر شجرة الاسلام وتثمر في غياب الحرية .. وفي مجتمع القهر والجبروت ، في مكة جاهد النبي ثلاث عشرة سنة كان مردودها عددا محدودا من المؤمنين .. فلما انتقل بالدعوة الى مناخ الحرية بالمدينة استطاع أن يحقق الاسلام أي أن يقيم دولته ويطبق شريعته ويتسع به من عقيدة ضمير الى سياسة مجتمع . ومن بعدها اتخذ الاسلام مساره ليبني خير حضارة عالمية . لم تكن الهجرة اذن هروب رجل على حياته ولكن نقلة للدعوة من جو قهر الى جو حرية !! وفي غير اطالة ندعو القارىء أن يبسط أمامه خريطة العالم الاسلامي ليرى في أي بقاعها يستطيع الداعية المسلم أن يمارس حرية الدعوة مطمئنا الى حماية القانون والعرف والحكم ، وفي اي بقاعها ينظر اليه بريبة وتوجس وتربص وخوف ولاتتعامل معه الا أجهزة الامن لا أجهزة الأمان .. ولن نستطرد في الاجابة على هذا السؤال فلا نريد لهذا العدد من المجلة أن يصادر في هذا القطر أو ذاك !!

من سنوات سمعت من يطرح فكرة شراء جزيرة تكون مهجرا لأمة مسلمة تضم من الكفاءات مايتيح قيام مجتمع بلغ الذروة في علوم العصر وتقنيته ولكنه يتعامل بالاسلام من أول

الأخلاق الشخصية لغاية السياسة الداخلية والخارجية ، والوشيجة الكبرى فيه الحب في الله وأخوة الاسلام ولتتعدد بعد ذلك وجهات النظر ولتكن هناك صيغة تسع اختلاف الرأي ، فلقد كان من حول الرسول أبو بكر وعمر وعلي يختلفون في الرأي ولكن بغير فساد ذات بين . . وبين الجمع المحدود الذي سمع الفكرة ابتسم ناس حلوها محمل الفكاهة ، وبين ناس أنها مستحيلة التحقيق ، على حين هاجمها ناس لأسباب مختلفة لعل أطرفها قول من قال انها دعوة الى صهيونية اسلامية !

ومن قبل نصح رجل يكتم ايمانه لفرعون أن يتخلص من هذه الفئة المتدينة المتعبة بأن ينفيها الى سيناء ويستريح منها ومما تثيره من بلبلة ، وكان من ضمن حججه أنها ان اتخذت سيناء سكنا فستكون حاجزا منيعا أمام أي هجوم على مصر من الشرق . . ولكن فرعون ابتسم وقال « فماذا لو استعدوا وتحولوا الى الغرب وداهمونا في مصر ؟ » على أنه يبدو لنا وقد أدركنا أنه لابد من استنبات زرعة الاسلام في جو من الحرية أن الظلام ليس على ماتصورنا من دمس . . والظاهر أن الله في كرمه ما أغلق بابا الا فتح بابا فلقد كان من بركات جو القهر والبطش والتنكيل الذي تعرضت له الدعوة الاسلامية في العقود الأخيرة أن قامت هجرات اسلامية لا الى الحبشة ولا إلى المدينة ولكن على الأقل الى بلاد فيها من الحرية هذا القدر الذي نفتقده عندنا فلا نجده أصبح هؤلاء المسلمون في تلك البلاد مواطنين يحمي القانون حقوقهم في التعبير عن الرأي والمجاهرة بما يعتقدون . من تراثنا أن امرأة ردت رئيس الدولة وهو عمر بن الخطاب فلم يكن الرد سجنا أو تعذيبا أو رفع حصانة بل كان « أصابت امرأة وأخطأ عمر » . . ولو أردنا أن نستروح مثل ذلك في زمننا الحاضر لما وجدناه لدينا للأسف الشديد . . ولوجدناه هناك بعيدا في الغرب . . حيث فقد رئيس أكبر دولة منصبه لأن من رجاله من تجسس على الحزب الآخر في الانتخابات . . وحيث من المشاهد المألوفة أن يقف رئيس الدولة أمام رجال الصحافة ـ ناهيك بأعضاء البرلمان ـ يعتصرونه وكأنه تلميذ أمام ممتحنين . . وحيث شاءت حكمة الله أن تشتل نبتة اسلامية صغيرة .

في أحشاء الغرب جنين اسلامي صغير . . وهناك جو الحرية الذي لابد منه . . فهل هي نقطة تحول ؟ نعلم أن من بين الاسلاميين هناك من يرى جهاده الاسلامي في الأكل على الأرض وتغطية وجوه السيدات . . ولكن نعلم كذلك أن منهم الأذكياء الفطناء الذين صح فهمهم للاسلام وأتقنوا أصول التعامل مع المجتمع الذي هم فيه باللغة التي يفهمها والأسلوب الذي يتأثر به . هل يجد الاسلام اذن فرصة كالتي وجدتها اليهودية فاستغلتها ؟

وهل يكون للاسلام دور في هذه البلاد وفيها رغم ذروة المدنية من الأدواء والعلل ما يكمن علاجه والوقاية منه في تعاليم الاسلام ؟

وهل يأتي يوم تتحمس فيه أمريكا لحقوق الانسان في الشرق الأوسط تحمسها لحقوق الانسان في روسيا ، وكما تحاول انصاف بولندا من روسيا تحاول انصافنا من اسرائيل ؟ أسئلة يحمل اجاباتها المستقبل . وكل آت قريب . □□

هردر منصف العرب في القرن الثامن عشر

بقلم : الدكتور عبد الرحمن بدوي

☐ كان من أهم ثمار « نزعة التنوير » في أوروبا في القرن الثامن عشر إنصاف الشعوب غير الاوروبية وحضاراتها وآدابها وفنونها وعلومها .

وعلى رأس من أنصفوا العرب والاسلام والحضارة العربية بعامة : يوهان جوتفريد فون هردر Johann Gottfred von Herdier ١٧٤٤ - ١٨٠٣ الفيلسوف والشاعر ومؤرخ الحضارة الالماني - وذلك في كتابه الرئيسي : « أفكار في فلسفة تاريخ الانسانية » الذي كتبه بين سنة ١٧٨٤ وسنة ١٧٩١ .

اتسم هذا الكتاب بنزعة عالمية تحارب الاحكام السابقة القومية والعرقية ، وخصوصا الاستكبار الاوروبي تجاه سائر الشعوب . وهو ينعي على الاوروبيين مواقفهم المزرية تجاه السود (الكتاب السادس ، الفصل الرابع) ويدين الرق ادانة دامغة (الكتاب السابع فصل ٢) ، ويدين الغزو الدامي لامريكا الجنوبية على أيدي الاسبان والبرتغاليين ثم سائر الاوربيين ، مدافعا عن الحمر ضد البيض . ويصيح مخاطبا الامريكيين : « ليس الاورانج اوتانج ولا النسناس أخاك ، بل الامريكي الزنجي . فلا ينبغي لك أن تضطهده ، أو تقتله او تسرقه ، لانه انسان مثلما انت تماما » (الكتاب السابع ، فصل ١ ، نشرة Suphan ص ٢٥٢) .

ويفيدنا هنا أن نقصر الحديث على موقفه من العروبة والاسلام ، وقد خصهما بالفصلين الرابع والخامس من الكتاب التاسع عشر من كتابه هذا .

محمد (ﷺ) والجزيرة العربية

ويبدأ الفصل الرابع بالكلام عن خصوصية شبه الجزيرة العربية الجرداء القاسية على أهلها ، وكيف أن « الشجيرة العطرة للمجد العربي الناشىء في تربة شديدة الجفاف » كانت معجزة طبيعية جدا ، لما أن ظهر الرجل الذي استطاع ان يجعلها تزهر - ويعني به النبي محمدا الذي كان « مزاجا فريدا من كل ماتستطيع أمته وقبيلته وزمانه وبلاده أن تعطي : لقد كان تاجرا ، ونبيا ، وخطيبا ، وبطلا ، ومشرعا وكل هذا على الطريقة العربية . ثم وصف ماتجلى من فضائل النبي قبل بعثته ، وذكر كراهيته الشديدة للوثنية بين قومه ، وأبدى حماسة نبيلة « لتوحيد الله الواحد الاحد ، وبين أن قوام رسالته كان عبادة الله الواحد والتقوى والقيام بالاعمال الصالحة .

ثم عرض لتاريخ الفتوح الاسلامية في عهد الخلفاء الراشدين والامويين والعباسيين ، وأفضى من ذلك الى بيان أسباب انحلال الامبراطورية الاسلامية المترامية الاطراف ، فقال ان دمارها يرجع الى تركيبها السياسي . وفصل ذلك على النحو التالي :

أسباب انحلال الامبراطورية الاسلامية

● ان فضائل الحماسة هي التي أوجدت القوة العربية ، وما كان يمكن لهذه القوة أن تبقى الا بفضل هذه الفضائل عينها . فلو كان الخلفاء بقوا في مكة أو الكوفة ، أو المدينة ، عائشين عيشة الخلفاء الراشدين الاربعة ، وه عيشة تجلد وتقشف ، ولو كانوا قد فرضوا على ولاتهم وعمالهم وقوادهم نفس اللون من الحياة ، فأية قوة كانت تستطيع اذن ان تنال من هذا الشعب ؟ لكن لما كان فتح بلاد غنية جميلة مصحوبا بالتجارة ، قد أوجد الثراء والترف والرفاهية ، ووراثة العرش بين الخلفاء في دمشق ثم في بغداد ، فقد نجم عن ذلك مايشبه قصة من قصص « ألف ليلة وليلة » ، وتكرر المنظر الذي تمثل آلاف المرات على الارض ، مفاده أن الفخفخة تؤدي الى الرخاوة ، وأن الرقيق لايلبث أن ينهار أمام الخشن . يضاف الى ذلك استخدام الخلفاء لشعوب حربية خشنة مثل الترك والمغول والبربر والاكراد ، ومعظمهم كانوا ساهرين كالوحوش تترصد الفرصة للانقضاض على السيطرة العربية التي فرضت عليهم . « وهكذا حدث هنا ماحدث للامبراطورية الرومانية : فالوزراء والجنود المحترفون صاروا هم الحكام والطغاة » .

● اما كون الثورة قد حدثت بين العرب بأسرع ماحدثت بين الرومان ، فمرد ذلك الى التركيب السياسي للامبراطورية العربية . لقد كانت الخلافة تحكم . والخلافة مستبدة الى أعلى درجة : اذ اجتمع البابا والامبراطور في شخص الخليفة . فكم كان سهلا إذن ، خصوصا في الولايات البعيدة ، انتقال الاستبداد الذي يتم باسم أحداها الى السلطان المطلق الذي تم بصفة شخصية ، ولهذا صار حكام الولايات النائية حكاما مستقلين : كل بولايته .

● وكان حكم الامبراطورية العربية مرتبطا بأسرة واحدة ، هي قبيلة قريش ، ولما كان « التوريث الشرعي » - على حد هردر - وهو الامام علي - قد أبعد منذ البداية عن الحكم ، فقد حدث الشقاق بين أنصار بيته ، وبين الاخرين مما أدى الى نزاع لايزال مستمرا حتى عصر هردر (القرن الثامن عشر) بين الترك والفرس . وفي بعض الاصقاع النائية ظهر أدعياء فرضوا انفسهم على الشعوب بدعوى أنهم من آل بيت النبي ، مستعينين اما بمظهر التقوى ، أو بالسيف في أيديهم .

تأثير الدول العربية

وينتقل هردر الى بيان ماكان للدول العربية من تأثير في العالم ، وهو تأثير يرجع ليس فقط الى موقع البلاد العربية بين بلاد العالم ، بل ويرجع أيضا الى طابعها القومي ، وقد بقي هذا التأثير بعد زوال ملك العرب ، ولايزال باقيا حتى يوم الناس هذا . ويتناول هردر دراسة هذا التأثير في مختلف الميادين :

أ - اولا في الدين واللغة : فقد كان للعرب تأثير ضخم في شعوب القارات الثلاث : أسيا ، وافريقية ، وأوروبا . فأما من حيث الدين « فلا سبيل الى انكار ان الدين الاسلامي ارتفع بمستوى الشعوب الوثنية التي اعتنقت الاسلام الى مافوق الوثنية الغليظة التي تعبد كائنات الطبيعة ، والكواكب السماوية والناس الأرضيين ، وجعل الاسلام من هذه الشعوب عبادا غيورين لله الواحد الاحد ، الخالق ، الحاكم القاضي بين الناس ، وهم يتعبدونه بصلوات يومية ، وأعمال احسان ، ونظافة بدنية ، واستسلام لارادته . وبتحريمه الخمر ، أراد منع العربدة والمنازعات ، وبتحريمه الأطعمة النجسة ، اراد تقويم الصحة ونشر الاعتدال . كذلك حرم الربا والميسر والكثير من الخرافات ، ورفع كثيرا من الشعوب من حالة الخشونة او الفساد الى درجة وسطى من الحضارة . . . والاسلام يشيع في الناس طمأنينة النفس ، ووحدة الخلق ، اللتين ، وان كان من الممكن ان تكون لهما من الفائدة بقدر مافيهما من الخطر ، فانهما في ذاتيهما جديرتان بالتقدير والاحترام » .

● اما فيما يتعلق باللغة ، فيقول هردر : « لو كان عند الغزاة الجرمانيين في اوربا كتاب كلاسيكي بلغتهم مثل القرآن عند العرب ، لما كانت اللغة اللاتينية قد سادت ابدا ، ولما كان الكثير من قبائلهم قد ضل ضلالا شاملا . لكن لم يحدث لهذه الشعوب الجرمانية ان يصير عندها او لفيلاس Ulfilas ولا « كدمون » Kadon ولا « اوتفريد » Ottfried (الاول ترجم الكتاب المقدس الى اللغة القومية ، وتوفي حوالى سنة ٣٨٣ ، والثاني هو اقدم شاعر انجليزي معروف الاسم حوالى سنة ٦٨٠ - ما صار اليه القرآن عند كل المسلمين ، أعني : ضمانا للغة الفصحى التي تمكنهم من الرجوع الى أقدم آثارهم ، مع البقاء على الارض في نفس الوقت . لقد كان العرب يعتقدون أن لغتهم هي أنبل تراث لهم ، ولاتزال حتى اليوم تربط لهجات عربية برباط التبادل بين الناس وبين السلع التجارية على نحو لم تقدر عليه اية لغة أخرى حتى اليوم » .

● وبهذه اللغة الفنية الجميلة كتبت علوم ، دعا اليها الخليفة المنصور وهارون الرشيد والمأمون ، فبدأت من بغداد ، عاصمة العباسيين ، واتجهت صوب الشمال والشرق وخصوصا صوب الغرب فازهرت زمانا طويلا في امبراطورية العرب الشاسعة .

وصارت سلسلة من المدن : البصرة ، الكوفة ، سمرقند ، رشيد ، القاهرة ، تونس ، فاس ، مراكش ، قرطبة . . مدارس مشهورة امتدت علومها الى الفرس والهنود ، وبعض بلاد التتار ، بل والصين ، وحتى بلاد الملايو ، وكانت الوسائل لجعل آسيا وافريقية تبلغ حضارة جديدة » .

الشعر ابن الحرية

● وكان الشعر تراث العرب القديم ، وهو ابن الحرية ، وليس ابنا لرعاية الخلفاء . وقد ازدهر قبل النبي محمد ﷺ بفترة طويلة ، لان روح الامة كانت روحا شعرية ، ولأن الامور ايقظت هذه الروح فبلادهم وطريقهم في الحياة وحجهم الى مكة ، والمسابقات الشعرية في عكاظ ، وماكان يلقاه الشعراء الناشئة من تمجيد قبائلهم ، وافتخار هذه الامة بلغتها وأساطيرها ، وولوعها بالمغامرات ، والحب والمجد ، بل ووحدتها ، ونزعتها الى الانتقام وحياتها الشاردة ، كل هذا شجعها على الشعر ، وعبقريتها الشعرية تميزت بصورة رائعة وعواطف سامية تياهة ، وآداب نفاذة ، ومبالغة في المدح والهجاء للاشياء التي تتغنى بها . وطرائقها في الشعور تشبه صخورا منفصلة نحو السماء . ان العربي الصامت يتكلم بشعلة الكلمة ، كما يتكلم بلمعان السيف ، وذلك بلمحات روحية نفاذة تفوق طلعات سهامه وقوسه . وجواده النبيل هو الشعر ، ولربما بدا ضئيل المظهر لكنه ذكي ، مخلص ، لايكل . وعلى عكس ذلك نجد الشعر الفارسي مع أنه مأخوذ ، مثل الفارسية ، من العربية ، فانه على غرار بلاده وطباع امته : مأخوذ بالشكل الاكثر شهوانية ، وهو أكثر رقة وبهجة ، وصار ابنا للفردوس الأرضي . . ولايمكن لشعب من الشعوب أن يزهى بأن لديه من مشجعي الشعر المتحمسين مثلما كان للعرب في أيامهم الزاهرة ، لقد نشروا هذه الحماسة حتى عند امراء ونبلاء التتار في آسيا ، والنصارى في أسبانيا لقد فرض عليهم « العلم السرور » ، الذي تغنى به شعراء « ليموج » أو البيروفانص ، وقد فرضه عليهم أشعار اعدائهم ، أعني العرب المجاورين وهكذا تدريجيا ، ولكن على نحو خشن جدا وبطء ، استردت أوربا أذنا حساسة للشعر الحي المهذب الرقيق » .

الاقصوصة الخيالية

ويرى هردر أن العنصر المتميز في الشعر الشرقي - وليس العربي بخاصة - هو الاقصوصة الخيالية . اذ أن الاسطورة القديمة غير المكتوبة مع الزمان اقصوصة خيالية . واذا كان خيال الشعب الذي يرويها مولعا بالمبالغة وباللامفهوم وبما هو سام ورائع ، فانه حتى الامور العادية

تصبح امورا عجيبة ، والمجهول يصير امرا خارقا للعادة يستهوى الشرقي المتبطل في خيمته او في نادي قومه .

وولع الفرس بما هو فخم رائع وهب - مع مرور الزمان - اساطيرهم العتيقة شكلا بطوليا رومانتيكيا خاصا بهم ، تجتحه مخلوقات خيالية مستمدة في الغالب من حيوانات الجبال المجاورة . وعلى هذا النحو ظهرت بلاد الجنيات ، وممالك البيرى والنيرى Peri Und Neri التي لم يعرف لها العرب اسما ، والتي شاع ذكرها كثيرا في قصص العصور الوسطى الاوربية . « والعرب هم اللذين جمعوا هذه القصص الخيالية في وقت متأخر جدا ، لان مسرح الاحداث هو بخاصة أيام حكم الخليفة هارون الرشيد بأبهة وفخفخة . « وهذا الشكل قد صار لأوربا نموذجا جديدا لفن ستر الحقيقة الرقيقة وراء الثياب الخيالية لاحداث غير معقولة » ، وفن التعبير عن أرق تعاليم الحكمة بلهجة التسلية البسيطة » .

وهكذا يمجد هردر قصص « ألف ليلة وليلة » التي كان انطوان جارن (١٦٤٦ - ١٧١٥) قد ترجمها الى الفرنسية ترجمة وإن لم تكن حرفية تماما ، فقد كانت من الاناقة بحيث ضمنت لها أوسع انتشار في أوربا ، وصارت مستند فخار الأدب العربي عند الاوروبيين ، وهي لا شك اعظم أثر عربي مكن للادب العربي من النفوذ الواسع والتأثير الخصب في أوروبا .

● وأما الفلسفة الاسلامية فيرى هردر انها « انما تكونت حقا حول القرآن ، ولم تتخذ شكلا علميا الا بفضل مؤلفات ارسطو المترجمة الى العربية . ثم يأتي برأى طريف فيما يتصل بلم الكلام والفلسفة الاسلامية وهو أنه « وجد عند العرب مذاهب وفرقا مارست في مجادلاتها نقدا دقيقا للعقل المحض ، بل ولم تدع لفلاسفة العصور الوسطى الاوروبيين غير مهمة التدقيق في الأفكار والمعاني التي تركوها ، التدقيق فيها وفقا للعقائد المسيحية الاوروبية وكان التلاميذ الاوائل لهذه الميتافيزيقا اللاهوتيه هم اليهود . وبعد ذلك انتقلت الى الجامعات المسيحية التي أنشئت حديثا ، وفيها ظهر ارسطو وفقا للنظرة العربية ، لا للنظرة اليونانية . وقد أسهمت بدور هائل في تدقيق الفكر والجدل واللغة الاسكلائية وشحذها . واذن فان محمدا الامي قد شارك اعلم المفكرين اليونان (أرسطو) في اعطاء كل ميتافيزيقا العصور الحديثة اتجاهها ، وكما ان كثيرا من الفلاسفة العرب كانوا في الوقت نفسه شعراء ، فان لدى المسيحية في العصور الوسطى كان التصوف يسير دائما جنبا الى جنب مع « الاسكولاستيك » ، لان حدودهما مشتركة » .

ثورة في تاريخ الفلسفة

وقول هردر هنا عن قيام الفلاسفة المسلمين ، من متكلمين وفلاسفة خلص ، بنقد العقل المحض يعد ذا اهمية خاصة اذا لاحظنا ان هردر كتب هذا الكلام في نفس الوقت الذى كان فيه امانويل كنت Kant أعظم فلاسفة العصر الحديث - قد أصدر كتابيه : « نقد العقل المحض » (سنة ١٨٨١) » ونقد العقل العلمى » (سنة ١٨٨٨) اللذين احدثا في تاريخ الفلسفة ثورة هائلة . ومن هنا يمكن ان تعد هردر اول من اشاد بأصالة الفلسفة الاسلامية ومجد دورها في شحذ التفكير الفلسفي في أوروبا في العصر الوسيط وما تلاه . وكذلك قوله أن النبي محمدا - وهو النبي الامى - قد شارك أرسطو في شرف توجيه الميتافيزيقا في أوربا في العصر الحديث - هو قول جدير بالتأمل والفخار ، ولم نجد لغير هردر من بين سائر المفكرين والمؤرخين الاوروبيين تمجيدا للنبي محمد في ميدان الفكر الفلسفي من نوع هذا التمجيد .

● ثم أشاد هردر بعناية العرب بالنحو بوصفه مجدا للمتمصر العربي ، وجعلوا من مهارة لغتهم وجمالها مصدرا لفخارهم . فعددوا كلماتها وصيغها ، الى حد أن أحد علماء اللغة حمل القواميس على ستين جملا [1] . وهو يشير هنا الى ماروى في سيرة ابي على القالي .

ثم يؤكد ان اليهود كانوا في النحو التلاميذ الاوائل للعرب . « فسعوا الى وضع نحو للغتهم العتيقة ، بطريقة مصطنعة ، على غرار النحو العربي ، وبقى هذا النحو مستعملا عند المسيحيين حتى أحدث الأزمنة ، وفي أيامنا هذه اتخذت اللغة العربية نموذجا حيا يمكن من فهم الشعر العبرى بطريقة طبيعية ، ومن اعتبار ما هو مجاز مجازا ، والقضاء على آلاف من أوثان النظام الفاسد للتفسير العبرى » .

ولتقدير رأى هردر هنا ينبغي أن نلاحظ ان هردر - وهو عالم باللاهوت في المقام الاول - كان متبحرا في اللغة العبرية بوصفها لغة العهد القديم من الكتاب المقدس . وهو ، ها هنا يؤكد هذه الحقيقة المقدرة عند علماء اللغات السامية الا وهي أن اليهود لم يضعوا نحوا للغتهم الا بفضل النحو العربي وعلى نموذج النحو العربي . يقول جزنيوس Gesenius أكبر عالم بنحو اللغة العبرية (١٧٨٦ -

(١) ينسب هذا الى الصاحب بن عباد

١٨٤٢) وصاحب اوسع وأدق « نحو عبري » : (سنة ١٨١٣) « ومعجم للغتين العبرية والكلدانية » (سنة ١٨١٠ - ١٨١٢) : « لم يبدأ اليهود في وضع كتب في نحو اللغة العبرية الا عند مستهل القرن العاشر الميلادى ، وهم في ذلك قد اقتدوا بالعرب » (جزنيوس : « النحو العبري » ص ١٩ ، ترجمة انجليزية ، اكسفورد سنة ١٩١٠) . وأوائل الكتب في نحو اللغة العبرية قد كتب باللغة العربية ، ونذكر منها : كتاب نحو اللغة العبرية لربي يهودا حيوج (ويسمى ايضا ، أبو زكريا يحيى ، وتوفي حوالى سنة ١٠٠٠ م) وأبو الوليد مروان بن جناح (توفي حوالى سنة ١٠٣٠م) .

والى جانب فضل العرب في ايجاد نحو اللغة العبرية ، اشاد هردر بفضل اللغة العربية في فهم الشعر العبرى والنصوص العبرية المقدسة فهما صحيحا بطرح التفسير المفتعل الزائف الذى كان أحبار اليهود يقومون به حتى القرن الثامن عشر ، هم ومن تبعهم من مفسرى أسفار العهد القديم من بين اللاهوتيين المسيحيين .

المؤرخون العرب

● اما في كتابة التاريخ فان هردر ينعى على المؤرخين العرب أنهم لم يفلحوا ابدا مثلما افلح المؤرخون اليونان والرومان « لانه كانت تعوزهم الدول الحرة ، وتبعا لذلك أعوزتهم ممارسة التحليل الموضوعي للوقائع والحوادث العامة .

ان المؤرخين العرب لم يستطيعوا ان يكتبوا الا اخبارا قصيرة جافة ، أو اسرفوا في المدح الشعرى لابطالهم حين كتبوا سيرهم او اسرفوا في ذم غير عادل لاعدائهم . ان الاسلوب التاريخي المعتدل لم يتكون ابدا عندهم ، وتواريخهم هى من الشعر ، أو محشوة بالشعر . وفي مقابل ذلك فان كتبهم في الأخبار والاوصاف الجغرافية للبلاد التى استطاعوا أن يعرفوها والتى لا نعرفها نحن حتى الآن ، مثل افريقيا الوسطى ، لا تزال مفيدة حتى الآن » .

وهردر محق في هذا التقدير لكتب التاريخ العربية ، ويكفى المرء ان يقارن تاريخ الطبرى أو تاريخ ابن الأثير « بتاريخ الحروب البلوبونيزية » لثيوكيديدس أو « تواريخ » تاسيتوس - ليدرك الفارق الهائل بين الطريقتين في كتابة التاريخ .

● ويختم هردر هذين الفصلين بابراز افضال العرب العظيمة على الرياضيات والكيمياء والطب ، وهى علوم « أخذوها بامدادات اصيلة شخصية ، وفيها صاروا اساتذة اوربا » . ويذكر شواهد لذلك : قياس درجة قوس الارض في عهد الخليفة المأمون ، وما وضعه الفلكيون العرب من زيجات وجداول فلكية وخرائط للسماء ، وما اخترعوه من الات او حسنوه من أجل الرصد . كذلك يذكر كيف طبق العرب الفلك على الجغرافية ، وكيف رسموا خرائط للارض ، وجمعوا احصاءات عن كثير من البلاد « قبل أن يفكر احد في اوروبا في ذلك . وبفضل الفلك حددوا الزمان ، واستخدموا معرفة مسار النجوم من أجل الملاحة ، وكثير « من مصطلحات هذا العلم عربية ، واسم هذا الشعب (العربي) منقوش بين النجوم بحروف اقدر على البقاء مما هو ممكن على سطح الارض وكتبهم في الرياضيات وخصوصا في الفلك لا تعد ولا تحصى ، وأغلبها لا يزال مجهولا أو لم يستفد منه ، وكمية هائلة منها قد دمرتها الحروب أو الحرائق او الاهمال والتوحش . وقد تغذت في بلاد التتار والمغول ، بل وفي الصين المغلقة انبل علوم الروح الانسانية بفضل العرب . وفي سمرقند وضعت زيجات وحددت ازمنة لا تزال تفيدنا حتى الوقت الحاضر . وعلامات فن الحساب عندنا ، اعنى الارقام ، نحن قد تلقيناها من العرب ، والجبر والكيمياء استمدا اسميهما من العربية . وهم آباء ذلك العلم الذى أعطى للجنس البشرى مفتاحا جديدا لفتح أسرار الطبيعة ، ليس فقط في الطب بل وأيضا في كل أجزاء الفيزياء ، وذلك لعدة قرون . ولما كانت عنايتهم بعلم النبات أقل - ولمصلحته - ولم يكن ينبغى لهم أن يمارسوا التشريح بحسب شريعتهم فانهم تفننوا بقوة في تركيب الأدوية بوسائل الكيمياء ، وفي تشخيص الامراض والامزجة بواسطة الملاحظة شبه الخرافية لاعراضها وسماتها » .

● وفي بعض الفنون ، مثل المعمار ، « فان كثيرا من عناصر ما نسميه الذوق القوطى هى في الحقيقة ذوق عربي كونه العرب بطريقتهم الخاصة ، على غرار المبانى التى وجدها هؤلاء الغزاة الجفاة في المناطق اليونانية التى فتحوها ، ونقلوا هذا الذوق العربي الى أسبانيا ومن هناك انتشر الى بلاد ابعد » .

تلك هى آراء هردر في العرب والاسلام والحضارة العربية والاسلامية ، وهى تكشف عن تقديره العظيم لها ، مما يبض وجه المفكر العربي والاسلامي عند الاوربيين ، وكان له تأثير كبير في كبار الشعراء والمفكرين الاوربيين ، وعلى رأسهم جيته الذى كان شديد الاعجاب بهردر منذ أن التقى به ، حتى أنه كتب اليه يقول : « كيانى قد اهتز كله . . هردر ! هردر ! كن لى دائما كما انت الان . ولئن قدر لى أن أكون كوكبا يدور حولك ، فأنا اريد بكل قواى ان اكونه ، وأن أكونه في سرور وباخلاص . . وداعا ايها الرجل العزيز لدى ، الأثير عندى ! لن أغادرك عوض ، لا ، لن أغادرك » □□

.. وعادت إلى أحلامها من أجل غدٍ بلا دموع !

بقلم : منير نصيف

☐ انها لن تدعه يمر مثل أي يوم آخر . . هكذا كانت تحدث نفسها وهي تضع جسمها النحيل في الفستان الجديد الذي اشتراه له زوجها بالأمس ، بمناسبة بدء السنة الجديدة !

اليوم عندما ينتصف الليل سيودع العالم عاما ويستقبل عاما جديدا . . ولكن الوقت مازال مبكرا . . طفلتها الصغيرة لم تذهب الى المدرسة هذا الصباح . . انها في عطلة اليوم . . وهي تستعد من الآن لاستقبال العام الجديد ، وما سيحمله لها معه من هدايا . . هي ايضا كانت مشغولة في غرفتها بارتداء ملابسها الجديدة . . لقد كبرت . . انها ستكمل عامها السابع بعد بضعة شهور . . « أنا الآن سيدة صغيرة يا أمي . . أليس كذلك ؟»
ووقفت الأم ترقب طفلتها وهي تجلس أمام مرآتها الصغيرة تصفف شعرها وتتأمل وجهها الجميل البريء ، ثم تقف فجأة وتتجه الى أمها وتلقي بنفسها بين ذراعيها وتضمها الأم الى صدرها ! انها لحظات سعيدة لا يحس بها الا من كانت أما مثلها . . لقد شعرت وهي تلف ذراعيها حول صغيرتها انها تملك العالم كله . . والتقت الشفاه في قبلة تحمل كل معاني هذا الحب الكبير الذي يمتلىء به قلب الأم !

ولكنها في غمرة سعادتها ، لم تستطع ان تحبس الدمعة الحائرة التي بقيت تخفيها منذ طلوع شمس هذا اليوم . . ثمة شيء كان يدفعها الى ترك فراشها في الفجر ، وقامت في هدوء حتى لا توقظ زوجها ، وذهبت الى حيث تنام طفلتها في فراشها الصغير ، ومالت برأسها لكي تتمكن من ان تلتقي بجبينها وتلمسه بشفتيها ، ثم ما لبثت الأم ان عادت الى فراشها مرة اخرى ، ولكن لا لتغمض عينيها وتنام ، فقد كانت قد بدأت رحلة طويلة مع الذكريات . . ذكرياتها هي مع

طفولتها .. لقد وجدت نفسها فجأة تعيش الماضي ، وترى نفسها مع امها هي في مثل هذا اليوم من كل عام .. هي ايضا كانت طفلة وكانت تستعد لهذا اليوم مع شقيقاتها قبل موعده بأسابيع وشهور عديدة ..
ما أسرع ما يمر الزمن .. ولكن أي زمن ..؟

بالامس كان الاطفال ـ مثل طفلتها ـ يرونها في الهدايا الصغيرة التي يحملها اليهم الأباء والاقارب والاصدقاء .. ولكنهم كانوا يرونها ايضا في الابتسامات والضحكات السعيدة التي يستقبل بها الناس السنة الجديدة .. رغم الحروب التي لم تهدأ ، والتي عاشت أحلى سني عمرها تحت سمائها التي امتلأت بسحب الدخان ، لقد عاشت ويلات هذه الحرب القريبة والبعيدة ، وكانت تقرأ عنها عندما بدأت تعي حقائق الحياة ، بعد ان عاشتها وهي طفلة تحبو وكانت تعود دائما الى والدها وتسأل ولاتستريح الا بعد ان يجيبها على كل ما كانت تريد أن تعرفه ..

اما اليوم فقد اختفت الابتسامات .. عندما أصبح القتال فى كل بيت بين ابناء الشعب الواحد .

حقيقة لم تطل فترة هذا الهدوء الذي عاشه العالم بعد الحرب الثانية ، فقد قامت حروب اخرى صغيرة وكبيرة ، ولكنها كانت بعيدة عنها .. لم تكن تعرف منها اكثر مما كانت تسمعه من ابيها او تقرأ عنه في الصحف عندما كبرت وتعلمت ، اما اليوم فقد اختفت الابتسامات .. لم تعد الشفاه تعرف الضحك !

* * *

وحاولت ان تخرج من هذه الرحلة الطويلة التي نقلتها الى طفولتها ، فقامت من سريرها ، واتجهت مرة اخرى الى حيث تنام طفلتها ، فوجدتها قد تركت فراشها ايضا وبدأت تستعد لاستقبال اليوم الجديد بما سيحمله لها ..

وشغلت الأم نفسها باعداد طعام الافطار .. ولكنها لم تستطع ان تطرد هذا الخاطر الذي كان يلح عليها منذ ان فتحت عينيها في الصباح .. ماالذي يمكن ان تقدمه لطفلتها في هذا اليوم الذي ظلت تنتظره منذ ان تعطلت الدراسة في المدارس بمناسبة قدوم العام الجديد .. الهدايا التي اشتراها لها والدها ؟ الفستان الجديد الذي ستلبسه في السنة الجديدة ؟ كل هذه الاشياء الصغيرة قد تسعد قلبها الصغير ، وسوف تدفعها الى مشاركة طفلتها سعادتها للحظات عندما ترى السعادة في عينيها الجميلتين .. ولكنها لن تلبث ان تعود الى هذا الاحساس بالألم الذي يعتصر قلبها ، وهي ترى وتسمع كل يوم عن مئات الاطفال الأبرياء الذين سالت دماؤهم في تراب الأرض التي لم تعرف السلام يوما والتي تحولت الى لغم ينفجر في وجه كل من يمشي عليها او يقترب منها . في هذه الحرب التي دارت وتدور بين ابناء الوطن الواحد والبلد الواحد .. لقد اصابهم مس من جنون !

وحاولت ان تنفض عن رأسها وتنزع من قلبها هذه الصورة المخيفة المؤلمة .. ولكنها فشلت .. فقد ارادت ان تقدم لطفلتها شيئا في هذا اليوم مع فستانها الجديد الذي كانت ترفل فيه سعيدة به ، ولكنها لم تستطع .! لقد غلبتها الدموع ، عندما أحست بذراعيها الصغيرتين تلتفان حولها ، وانسابت من عينيها دمعة لم تنجح في اخفائها عنها .!

ولكنها لن تستسلم .. هكذا قالت .. لابد ان يبقى الأمل حيا .. فالحياة بلا امل هي الموت بعينه .. قالت وهي تمد اليها يدها : « والآن يا حبيبتي .. سوف نبدأ رحلتنا معا في هذا الجو الجميل .. ما رأيك .. من أين نبدأ ؟»

- كما تشائين يا امي

ونزلا الى الشارع .. ان الرغبة في الحياة واستمرارها اقوى من الاستسلام لليأس .. لابد ان تبحث عن افق جديد نحلق فيه - طفلتي الصغيرة وانا - حتى يجين المساء ..

وذهبا الى سوق المدينة .. ودخلا محلا لبيع ملابس الاطفال ولعبهم .. وراحت الأم تشتري ملابس جميلة للأطفال من احجام مختلفة .. ولعبا كثيرة ، امتلأت بها ثلاثة صناديق كبيرة . كانت الأم وحدها تعرف ماذا هي فاعلة .. اما الطفلة فقد كانت تقف في دهشة ، وتسأل نفسها عمن يكون اصحاب هذه الهدايا ، كلما وقع اختيار الأم على لعبة او فستان او بدلة جديدة .. وكانت تجد نفسها تمد يدها الصغيرة احيانا لتساعد امها في انتقاء مشترياتها .. حتى اذا ما احست ان الأم قد اكتفت بما جمعت من ثياب وهدايا ، قالت : « الا ترين يا أمي انني لست في حاجة الى كل هذه الملابس ثم ان بعضها لا يناسبني ! »

- اعلم يا عزيزتي .. انها لاخوتك وليست لك !

وسكتت الطفلة .. فقد كان كل همها في تلك اللحظة ان تعرف من هم اخوتها الذين تشتري لهم امها كل هذه الهدايا .. وكيف فاتها ان تعرفهم قبل اليوم !

وجاء من يحمل الصناديق .. ومشت الأم وطفلتها امامه وعبرا الطريق .. ودخلا بيتا .. وهناك عرفت الطفلة الاجابة على السؤال الذي كان يحيرها .. لقد التقت لأول مرة وجها لوجه باخوتها الصغار الذين حدثتها عنهم امها .. الأطفال اليتامى في الملجأ الذي افتتحه اهل الخير لايوائهم بعد ان دفنت الحرب المجنونة آباءهم تحت الانقاض ..

***

ولكن الرحلة لم تنته بعد .. قالت الطفلة تحدث امها : « لماذا لا نذهب الى اي مكان خارج المدينة يا أمي .. ما رأيك في المزارع الواقعة عند سفح التل .. هل تذكرينها ؟ ان الوقت مازال مبكرا ، ونستطيع ان ندعو « اخوتي الصغار » ونمضي بضع ساعات وسط البساتين في هذا الجو الجميل !

وراقت الفكرة للأم ، فنقلتها فورا الى مديرة الملجأ ، وتحركت سيارة تقل الاسرة الكبيرة ، الام واطفالها الى البساتين عند سفح التل ..

وانطلق الصغار يجرون ويلعبون .. وامتلأ المكان الهادىء بصدى ضحكاتهم البريئة السعيدة

وهم يتنقلون بين اشجار الفاكهة .. لقد بدت الاشجار وكأنها تحنو عليهم عندما جلسوا تحتها يأكلون ثمارها التي تساقطت من أغصانها ، كما لو كانت تقدمها لهم « هدية » منها بمناسبة العام الجديد !

***

وفجأة تذكرت الأم شيئا .. قالت لطفلتها : لقد نسينا « العمة العجوز » التي تعيش في بيتها مع الوحدة التي لم يستطع احد ان يخرجها منها .. لقد كانت آخر مرة زرناها فيها منذ ثلاثة اسابيع بعد ان انتقلنا الى بيتنا الجديد .. ما رأيك ؟ »

وهزت الطفلة رأسها مؤيدة .. وذهبا .. وطرقا الباب وفتحته لهما .. وما كادت تلقاهما حتى اجهشت بالبكاء .. ومدت السيدة العجوز ذراعيها الضعيفتين تحتضن بهما الأم وطفلتها ، وقالت في صوت رقيق حزين :

« لقد طالت غيبتكما عني يا اعزائي الصغار ! »

وقدما اليها الهدية الصغيرة بعد ان دعتهما الى الدخول وذهبت لتعد لهما قدحين من الشاي .. وعلى المائدة الصغيرة امام المقعد الذي تجلس عليه دائما ، كانت صورهم هناك .. صور الأبناء الثلاثة الذين فقدتهم الأم في القتال الدموي الذي لاتعرف حتى هذه اللحظة مع من كان يدور ؟ وضد من كانوا يقاتلون !

مسكينة العمة العجوز ؟ .. انها تبكي ابناءها ليل نهار وهي تسأل : « أليس بينكم من يستطيع ان يقول لي مع اي جيش كان ابنائي يقاتلون ومن الذي قتلهم ؟! »

ودمعت عينا الأم وهي تلثم « يدي العمة » بشفتيها وتتمنى لها حياة هادئة في وحدتها مع ذكرياتها التي لن تموت ابدا !

واقترب موعد العشاء .. وعلى المائدة الصغيرة ، جلست الأسرة - الأب والأم والطفلة - يتناولون الطعام في المطعم الذي احبوه دائما .. ثم بدأت رحلة العودة الى البيت .. وذهبت الصغيرة الى فراشها لتنام : « لقد كان يوما جميلا يا أمي .. وانت يا أبي لا تنسَ ان تضع لي هديتي بجوار فراشي .. اريد ان التقي بها عندما افتح عيني في الصباح ! »

وفي بيت صديق الأسرة وزوجته .. نفس البيت الذي امضيا فيه رأس السنة التي توشك ان تنقضي بعد ساعات .. ذهب الزوجان للاحتفال مع بقية اصدقائهم بانقضاء عام وبداية عام جديد .. لقد كان العام الذي اوشك على الانتهاء مليئا بالأحداث التي ادمت القلوب في كل مكان .. وكان احتفالهم صلاة صامتة من اجل مجيء سنة جديدة تحمل الخير للبشر في كل مكان ..

***

وفي ركن من القاعة الصغيرة التي امتلأت بالناس جلست الأم وحدها تفكر .. لقد احتواها في تلك اللحظة شعور غريب بالخوف والارتياح في الوقت نفسه .. الخوف من المستقبل المجهول الذي يزداد ظلاما يوما من بعد يوم .. ترى كيف سيكون الغد ؟ ماذا سيحمل المستقبل لاطفال هذا الجيل والاجيال القادمة ؟ وما هو شكل الحياة التي تنتظرهم ؟

وسرحت ببصرها طويلا في وجوه الناس امامها .. انها تعرفهم جميعا .. وأحست انها ليست وحدها .. واحتواها شعور بالارتياح بعض الشيء ، فقد كانت سعيدة برحلتها في النهار مع المبلغ الصغير الذي ادخرته لهذا اليوم واستطاعت بفضله ان تحول بعض الدموع الى ابتسامات على الشفاه .. وتاهت مع هذه الرحلة لتصحو فجأة على دقات الساعة معلنة الثانية عشرة عند منتصف الليل .. وتعانق عقربا الساعة .. وأحست بأصابع يد زوجها تلمس يدها النحيلة وصوته يتمنى لها سنة سعيدة وشفتاه تلثمان رأسها المتعب .. وعادت الى احلامها وآمالها من اجل غد بلا ألم وبلا دموع .

حل مسابقة العدد ٢٩٩

١ ـ الوثيقة العمرية حملت تواقيع أربعة شهود وهم :

خالد بن الوليد ، عمرو بن العاص ، عبد الرحمن بن عوف ، معاوية بن أبي سفيان . وذلك بالاضافة الى توقيع عمر بن الخطاب .

٢ ـ الأشعة السينية (أو أشعة اكس) هي الأشعة التي تفحص بواسطتها حقائب المسافرين في المطارات وذلك بقصد الكشف عما قد تحتويه من أسلحة وما الى ذلك .

٣ ـ أرخميدس هو الذي قضى على الأسطول الروماني بواسطة أشعة الشمس .

٤ ـ مركاتور هو أول من أطلق اسم أطلس على مجموعة الخرائط الجغرافية وهو هولندي واسمه الأصل هو جيرهارد كريمر وقد امتدت حياته أكثر من ٨٠ سنة (١٥١٢ ـ ١٥٩٤) .

٥ ـ الكتاب الذي يروي لنا تفاصيل رحلات ابن بطوطة هو « تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار . . » ومما يذكر أن اسم ابن بطوطة هو شرف الدين أبو عبدالله محمد بن عبدالله الطنجي .

٦ ـ جائزة أوسكار لا تعود على الفائزين بها بمكافآت مالية مباشرة . . .

٧ ـ كلتا العبارتين تفيد معنى « لمع البرق . . . » ذلك أن كلا اللفظين (خفا) و (خفي) يعني في اللغة لمع وظهر . . . وفي الحديث « أنه كان يخفي صوته بآمين » أي يظهر صوته .

أما معنى التوارى والاستتار فتفيده الألفاظ التالية (خفى ـ خفوة) و خفي ـ خفاء وخُفية وخِفية فهو خاف وهي خافية والجمع خفايا . . وكذلك اختفى وتخفى واستخفى . . .

٨ ـ المخترعان الألمانيان اللذان اخترعا السيارة هما : جوتليب ديملر **Daimler** وكارل بنز **Benz** ويذكر هنا أن الاسم الكامل لشركة سيارات مرسيدس هو مرسيدس ـ بنز .

٩ ـ كوستو ـ عالم الأحياء المائية الفرنسي الشهير ـ هو مخترع الرئة المائية .

١٠ ـ صح . . دانلوب هو الذي اخترع اطارات المطاط المنفوخة بالهواء .

١١ ـ مدينة بيت المقدس هى التى عرفت باسم ايلياء أيام السلف الصالح

١٢ ـ بريل مخترع طريقة بريل لقراءة المكفوفين ، فقد احدى عينيه في حادث ثم ما لبث أن فقد الثانية . .

الفائزون بجوائز مسابقة العدد ٢٩٩

الجوائز الثلاث الأولى

١ ـ محمد مروان ضيف الله مراد ـ ثانوية الراية للبنين ـ الكويت .

٢ ـ غازى جميل الكحلوني ـ كلية الحقوق ـ جامعة دمشق ـ سوريا .

٣ ـ زاهد طاهر سعيد ـ الحى الجمهورى ـ قضاء المحاويل ـ بابل ـ العراق .

الجوائز الثماني التشجيعية

١ ـ لحلاح نور الدين ـ ص . ب ٢٣٩ ـ عنابة ـ الجزائر .

٢ ـ راغب مصطفى السمرى ـ ٢٠ شارع السمرى ـ أجا ـ دقهلية ـ ج.م.ع

٣ ـ الشرقي محمد ـ نيابة وزارة التربية ـ الرشيدية ـ المملكة المغربية .

٤ ـ أحمد محمد السوادحة ـ كلية الاقتصاد والعلوم الادارية ـ الجامعة الاردنية ـ عمان

٥ ـ سالم محمد عبدالله مسعود ـ ص. ب ١٠٠٣٢ ـ صنعاء ـ اليمن

٦ ـ هبة رشدى عبد الغنى المصرى ـ الدوحة ـ قطر

٧ ـ مروان سعيد معروف ـ ص. ب ٢١٢٠ ـ الدمام ـ المملكة العربية السعودية

٨ ـ منى محمد مروان ـ الكويت

١

رحلة كنوز الخليج

يقلم : الدكتور جاسم محمد الحسن

١ سمك السنجاب الأحمر يستوطن الشعاب المرجانية .

٢ سمك البيق أو السمك ذو شفاة المطاط . يقطن الصخور المرجانية .

٣

٣ حديقة مرجانية جميلة في قاع الخليج . اذ ان الشعاب المرجانية تضفي على الخليج الجمال والحياة ، وتساهم في تزويده بالمخلوقات الحية المختلفة .

٢

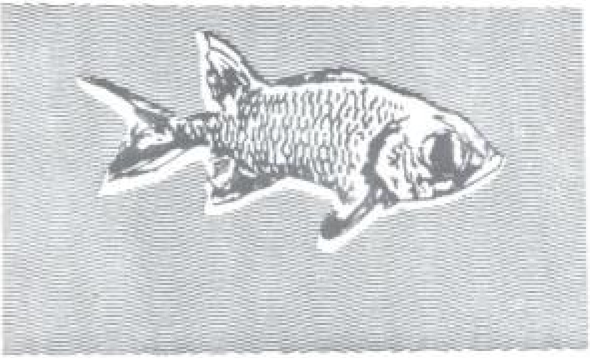

□ علماء ومصورون يغوصون الى أعماق مياه الخليج ويكشفون ما خفي من أحيائه وكنوزه

لا ريب أن الخليج اقليم فريد بين اقاليم البحار في العالم . فهو ضحل يصل في أغلبه الى عمق حوالي ٤٠ مترا كما أن أعمق مياهه لا تزيد على ١٠٠ متر عمقا ، الا عند مضيق هرمز ، أو جنوبا في خليج عمان ، حيث يصل العمق الى اكثر من ذلك بكثير .

وبسبب الصحارى الجافة والحارة التي تحيط به فان نسبة تبخر الماء فيه نسبة عالية . ويشكل مضيق هرمز همزة الوصل بين الخليج وبين المحيط الهندي . ويشكل كل من شط العرب ونهر كارون المصدر الرئيسي للمياه العذبة التي تصب في الخليج . الا ان هناك انهارا صغيرة وينابيع تقذف بالماء العذب في مياه الخليج ، ويوجد اهمها على الساحل الايراني . أضف الى ذلك الينابيع البحرية على ساحل المملكة العربية السعودية ، بالقرب من القطيف وتاروت والدمام ، وكذلك ينابيع البحرين البحرية وجداول الماء العذب العمانية التي تأتي من الينابيع القرية من الساحل « الفلج » . فهذه كلها تضاف الى ماء الخليج ، ولو ان تأثيرها في تخفيف ملوحته لا يستحق الذكر .

والخليج يتكون من بيئات بحرية مختلفة . . . ويحوي بالتالي صنوفا كثيرة ومختلفة من الأسماك والمرجان والربيان ، وسائر المخلوقات المختلفة . . . ولا يخفى ان كل بيئة من بيئات الخليج تنفرد بأنواع أسماكها وحيواناتها . الا ان البيئة المرجانية تتميز على ما سواها . . . فهي تكاد تجتذب جميع انواع الاسماك اليها . . . كالاسماك الموسمية المهاجرة والأسماك القاعية والأسماك التي تعوم على سطح الماء . وهي موطن اسماك الشعاب المرجانية بالذات . . وهذه الاسماك هي بلا ريب اجمل اسماك العالم الوانا واشكالا واروعها تناسقا . . بخلاف اسماك مياه المسطحات الطينية . . . اذ يغلب على هذه الأسماك اللون الفضي . ولما كان هذا هو لون العوالق الطينية ، كان بالتالي وسيلة تلك الاسماك للاختفاء والحفاظ على حياتها .

على أن الأسماك ليست الثروة الوحيدة التي تزخر بها اعماق الخليج . . . فقد اثبتت

الأبحاث الأخيرة[1] أن الخليج غني بمواد كيماوية مختلفة ذات قيمة علاجية كبيرة . . . وتساعد على الشفاء من بعض الأمراض المستعصية .

وتجدر الاشارة هنا الى الجهود التي يبذلها العلماء في الدول المتقدمة بحثا عن المواد الطبية في البحار ، وذلك لعلاج السرطان والأورام وعلاج الجروح فضلا عن فصل مركبات عضوية دوائية وعضوية كيماوية وذلك بقصد الافادة منها في الابحاث العلمية وللاستعمال اقتصاديا .

لا عجب اذن ان كان الخليج ذا اهمية كبيرة لا بالنسبة الى سكانه فحسب وانما بالنسبة الى غيرهم ايضا . . فهو النعمة الكبرى التي اتاه الله بها على شعوبه منذ آلاف السنين . . وهو الثروة التي تستوجب منهم كل حماية وعناية . . من هنا كان العمل على تدمير هذه النعمة سواء على نحو مباشر او غير مباشر ، جناية لا تغتفر . . فهو يعني ضياعها وفقدانها الى الأبد . . ولا يخفى ان تلويث مياه الخليج ، ببقعة زيت تندلع فيها . . او مواد كيماوية صناعية او قاذورات ونفايات تقذف اليها . . . فهذه وتلك كفيلة بتدمير بيئة الخليج والقضاء على ثرواته . .

بيئات الخليج : خصائصها وأحياؤها

تعتمد حياة الكائنات الحية في الخليج على تعدد بيئاته واختلافها وتكمل كل بيئة منها الأخرى في مد الخليج بالأسماك والقواقع والربيان والقنافذ البحرية والسرطان البحري وغير ذلك من المخلوقات الكثيرة التي غلب ما خفي منها على ما ظهر . وهذه البيئات هي : -

- بيئة منطقة المد والجزر : هذه المنطقة تقع بين اعلى حد للمد وأدنى مستوى للجزر . والمخلوقات التي تعيش فيها تكون عادة من

(١) العربي . . كاتب المقال هو الذي قام بهذه الأبحاث .

اكتشاف علمي تردد ذكره في بعض المجلات العلمية العالمية . . نذكر منها اللانست (The Lancet) وجنرال فارماكولوجي (General Pharma-cology) ومارين بيولوجي (Marine Biology) .

أما الاكتشاف فمتصل بالفرازات بعض أسماك الخليج ، بل قل المزايا الفريدة التي تتصف بها تلك الافرازات . . . فقد ثبت أنها ذات فاعلية كبيرة وتساعد على سرعة التئام الجروح . . . وهذه خاصية هامة ، ان لم تقل خطيرة ، وقد تعتمد عليها حياة الكثيرين ممن تجري لهم عمليات جراحية . . . وخاصة الذين يعانون من مرض السكر .

على أن اهتمامنا بصاحب الاكتشاف فاق اهتمامنا بالاكتشاف نفسه . . فهو عربي كويتي . . . انه الدكتور جاسم محمد الحسن (٤١ سنة) ، الحائز على الدكتوراة في الكيمياء الحيوية ، من جامعة (ويلز في بريطانيا) سنة (١٩٧٢) والأستاذ المساعد في الكيمياء الحيوية في جامعة الكويت . . .

وتضاعف اهتمامنا بالدكتور جاسم حين عرفنا ما بذله من جهود في سبيل تنظيم الرحلة العلمية التي قامت مؤخرا بمسح اعماق الخليج وتصوير ثرواته ، واستغرقت حوالي سنتين ، والتي تطلبت من الذين قاموا بها - ومن بينهم الدكتور جاسم . . . القيام بأعمال الغوص والتصوير تحت الماء . . . حتى كانت الثمار الطيبة التي جادت بها تلك الرحلة ، رحلة كنوز الخليج ، كما سميت .

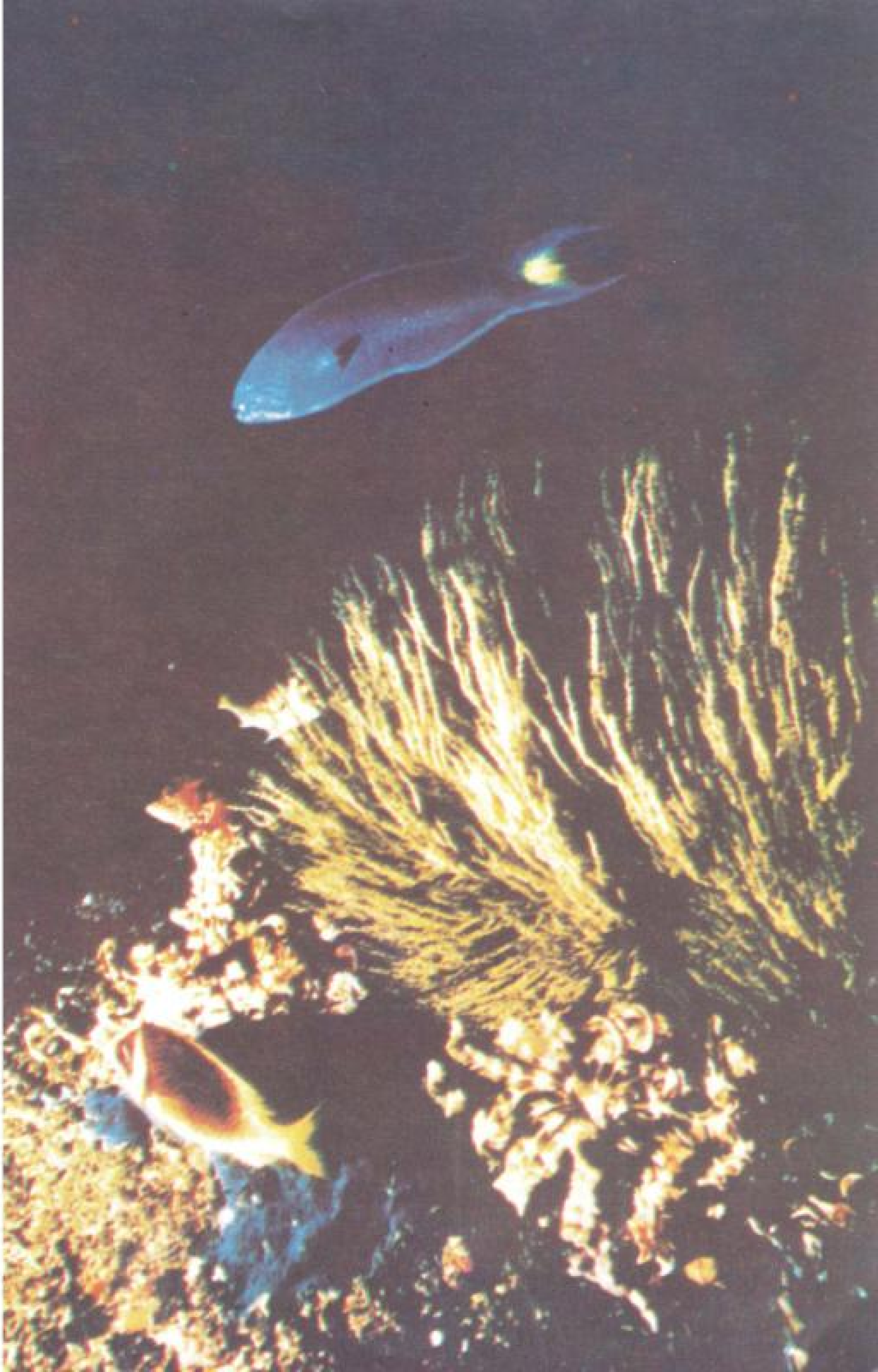

١ مرجان الزينة الأسود ، تغطيه براعم بيضاء على قاع المحيط ، ويعلوه سمك الراس ذو الذيل الهلالي الأصفر .

٢

٢ سمك الحمام يحوم حول احدى هياكل آبار النفط بكثافة .

٣ احدى مناطق شجر القرم في سلطنة عمان .

٣

٤ سمك الصلور (ويسمى محليا الجمه) ويوجد ثلاثة أنواع منه في الخليج .

٤

٥ جذور شجر القرم الهوائية وجذوعها تثبت التربة ، وتكسر الأمواج ، وهي مأوى للمخلوقات البحرية ، ودار تربية وغذاء ، وحضانة لكثير من الأسماك والسراطين والربيان ومحار اللؤلؤ .

٥

٦ سمك الطبيب الجراح . أحد سكان الشعاب المرجانية في الخليج .

٦

النوع الرحال الذي يأتي لكي يتغذى مع المد ويرحل عند اقتراب الجزر . كما ان اغلب مخلوقاتها من النوع الذي يجيد الهروب والاختفاء بسرعة كالسرطان الذي يدفن نفسه في الرمل او يختبيء تحت الصخور .

- بيئة المسطحات الطينية : وتوجد هذه البيئة في شمال الخليج وبسبب سعة رقعتها تعتبر مهمة جدا . فهي منطقة غذاء وتفريخ وحضانة لكثير من الاسماك الخليجية ، وكذلك الربيان والسراطين وكثير من المخلوقات الأخرى . وتوجد مناطق شاسعة من هذه البيئة ضمن منطقة المد والجزر .

- بيئة الشعاب المرجانية : وتوجد هذه الشعاب حول الجزر الخليجية ابتداء من جزيرة «كُبَّر» في المياه الكويتية شمالا حتى جزر السبب في خليج عمان جنوبا . كما انه توجد الكثير من الشعاب المرجانية القريبة من الساحل الغربي للخليج . وهناك كثير من الشعاب المرجانية بعيدا عن السواحل والجزر بعضها مغمور بمياه ضحلة وبعضها مغمور بمياه عميقة . وتعتبر هذه البيئة اجمل بيئات الخليج قاطبة ، كما انها مركز تجمع للأسماك ومأوى لها ومكان وغذاء لكثير من المخلوقات المختلفة . وبسبب كثرة الشعاب وتعدد رؤوسها والفجوات فيما بينها فهي ايضا مكان تزاوج وتفريخ وسكن آمن للصغار . . وهذه البيئة لها مخلوقاتها المستوطنة التي لا تستطيع العيش الا في المناطق المرجانية . حتى لو ان التلف اصاب المرجان فانها اما ان تهاجر الى اماكن مرجانية اخرى او انها تفنى وهي في مكانها .

- بيئة شجر القرم : وهذه بيئة غريبة على الخليج ، حيث يوجد شجر القرم عادة في المستنقعات التي لا تزول عنها المياه . اما في الخليج فيوجد شجر القرم على بعض شواطيء كل من المملكة العربية السعودية ودولة البحرين والامارات العربية المتحدة وسلطنة عمان

سمك الفراش الاصفر . يقطن الشعاب المرجانية ، ويتغذى على الطحالب .

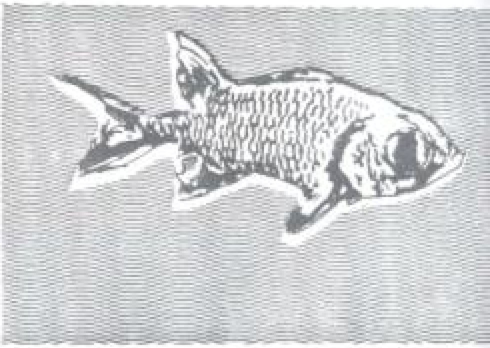

وايران . وتنبت هذه الاشجار على حافة الساحل وفي منطقة المد والجزر ، حيث تقوم على ارض جافة اثناء الجزر ، كما ان مياه المد تغطي جذورها التي تمتص الهواء .وكذلك جذوعها الى ان تغمر جزءا كبيرا من الأوراق والغصون السفلى من الشجرة ، فتبدو للناظر اليها وكأنها شجرة شديدة الاخضرار ، وقد استقرت في بحر واسع من المياه ، حيث لا يظهر منها الا الاوراق والاغصان العلوية . وهذه الاشجار لها اهميتها في تغذية الحياة في الخليج ، فعلى جذورها الهوائية وجذوعها واغصانها السفلى يلتصق ويعيش كثير من يرقات الاسماك والربيان والمحار الصغار . كما ان الطير يلجأ اليها للغذاء والمأوى . وتجد كثيرا من الأسماك الكبيرة واليافعة تأتي اليها للتزاوج وترك البيض لكي يفقس في مأمن في شجر القرم . وكان قدماء سكان الخليج يستعملون جذوع شجر القرم في بناء سفنهم . أما الآن فلم يبق من هذه الاشجار الا القليل .

- بيئة الخيران الخليجية وخليج سلوى : وهذه بيئة فريدة من نوعها في العالم . فبسبب ضيق مساحة مائها ، وضحالتها ونظرا لاحاطة الصحارى الجافة او الحارة بها ، فان مياهها تحتوي على اكبر تركيز للأملاح يوجد في أي بحر من بحار العالم (باستثناء البحار الداخلية والبحيرات) . وبالرغم من ذلك فهي مليئة بالكائنات الحية الحيوانية منها والنباتية . وقد تطور كل مخلوق فيها بحيث يقاوم شدة الملوحة وكذلك الحرارة العالية جدا في الصيف والحرارة المنخفضة في الشتاء ، واعطاه الباري عز وجل القدرة على العيش في هذه البيئة التي يعتبرها العلماء اصعب البيئات البحرية للعيش والتكاثر . فأصبحت هذه البيئة ليست فقط بيئة ذات املاح مركزة فحسب بل بيئة فريدة ، واسماكها تغير تركيبها الفسيولوجي لكي تقاوم وتعيش في هذه الدرجة العالية من الملوحة التي تصل الى ٧٠ جزءا من المليون او تزيد بينما تصل ملوحة عامة البحار الى ٣٠ جزءا من المليون .

- بيئة الجبال الساحلية : وهذه توجد في بعض سواحل دولة الامارات العربية المتحدة وسلطنة عمان وايران ، وتتصف بعمق المياه المجاورة لها وتعرضها للرياح والأمواج العاتية . وفيها الكثير من المخلوقات الحية والأسماك التي تلتصق بجدران الجبال وصخورها المغمورة بالماء . كما ان الخلجان الجبلية تعتبر مهمة جدا كملجأ للأسماك ومأوى للغذاء والراحة .

هذا عن بيئات الخليج ، فماذا عن اعماقه ؟

سمكة الصَّلُّور
وافرازاتها الكيماوية الطبية

استأثرت هذه السمكة باهتمامنا وبحثنا منذ ان تبين لنا اثرها وفاعليتها الكيماوية الحيوية ، وثبتت لنا امكانية الافادة منها لاغراض طبية وعلاجية مختلفة . . وذلك منذ نحو ست سنوات . . . ولنا اسوة حسنة في مسلك العلماء في الدول المتقدمة وقد انصبت جهودهم في الفترة الاخيرة على ابحاث البحار ، وذلك بقصد العثور على مواد كيماوية عضوية وحيوية ذات قيمة طبية وعلاجية ، وقد تفتح آفاقا صناعية . . وليس هنا مجال الحديث عن هذه المواد . . فهي كثيرة وفوائد بعضها خطيرة .

ويمكن ايجاز ما توصلت اليه ابحاثنا بأن سمكة الصَّلُّور الخليجية **Gulf Catfish**

١ حيوان شقائق النعمان . توجد منه أنواع كثيرة في الخليج .

٢ مجموعة من سمك القرش بالقرب من أحد شواطىء سلطنة عمان .

٣ مرجان المروحة بلونه الأحمر الجميل . يوجد على قاع الخليج الصخري ، وبالقرب من الصخور المرجانية .

٤ سمكة اللخمة الكهربية . بامكانها اصدار شحنة كهربية قوتها ٣٢٠ فولت للدفاع عن نفسها أو لشل حركة فريستها .

٥ مرجان السوط .

٦ نجم البحر ذو التاج الشوكي . يتغذى على لحم المرجان فيحيل المرجان الجميل الى مناطق خربة .

٢

١

٤

٣

٦

أو ، ان ششت الاسم العلمي ، (Arius Thallasinius) وهي التي تفرز مواد ضارة بل سامة ، كما يعرف البحارة والصيادون ، وتفرز ايضا مواد نافعة .. وهي تفرزها من خلاياها الجلدية Epidermal حين تتعرض لتهديد او تصاب بالأذى ... ولكن افرازاتها هذه التي تدافع بها عن نفسها ذات فوائد طبية لبني الانسان (وكثير من الحيوانات الاخرى) ..

أما مادتها فبروتينية .. بعضها قابل للذوبان في الماء وبعضها غير قابل ... والمحتويات القابلة للذوبان هي التي تخثّر دم الانسان ، وذلك بصرف النظر عن فصيلة دمه .. وتبين لنا انها ذات فاعلية عالية .. وهذه قيمة طبية يقدرها حق قدرها الجراحون .. وخاصة اذا كان مرضاهم من المصابين بمرض السكر ..

وكشفت الابحاث عن ان بعض محتوى المادة بروتين متخصص في تجلط الدم .. وبعضها متخصص في انقباض الجلد والعضلات على نحو يقرب طرفي الجرح احدهما من الآخر .. ثم لايلبث هذان الطرفان ان يلتحما بواسطة مادة لاصقة تكفل التحام اطراف الجرح بطريقة كيماوية وسريعة جدا .

والغريب ان هذه المواد تتداخل فيما بينها وتنسق وظائفها وتتعاون وكأنها واعية هادفة وتتعمد الوصول الى نتيجة واحدة بالذات هي : سرعة التئام الجروح ... وقد ثبت لنا ان الجروح التي يحتاج التئامها الى عشرة أيام يمكن التئامها في غضون ايام اربعة ، لو عولجت بتلك المادة ..

وتجري البحوث حاليا في هذه المادة لتقصّي كيفية ادائها والاعراض الجانبية التي يمكن ان تتركها .. هذا بالرغم من ان ابحاث السنوات الست الماضية لم تدل على ان لتلك المادة اية اعراض جانبية .

رحلة كنوز الخليج

ظهرت على الخليج خلال السنوات الست الماضية ظواهر غريبة تبعث على القلق بقدر ما تشير الى ان مياه الخليج تمر في منعطف خطر .. فقد بدأت في الاختفاء انواع كثيرة من الاسماك .. وتعرضت للاختلال حركة هجرة الاسماك المهاجرة ... لاحظنا ذلك وشعرنا ان ابسط ما يجب عمله قبل فوات الأوان هو القيام بمسح ما هو موجود في اعماق الخليج وتسجيله على شكل افلام علمية وثائقية .

واتفق ان كان الدكتور ريتشارد كريدل R.S.Criddle ، وهو من هواة البيئة البحرية والغوص في الأعماق ، موجودا في جامعة الكويت ، ويعمل استاذا زائرا في قسم الكيمياء الحيوية فيها . ولما كان الدكتور كريدل ذا خبرة وكفاءة في مثل الاعمال التي كنا بصددها ، كان لوجوده في الكويت وموافقته على المساهمة في مشروعنا العلمي الوثائقي قوة دفع كبيرة للمشروع ..

ثم كانت الخطوة الثانية .. خطوة تمويل المشروع .. وتنظيمه والعمل على تنفيذه .. فعرضنا فكرة المشروع على مؤسسة الانتاج البرامجي المشترك لدول الخليج العربي ، وبخاصة على مديرها السيد ابراهيم اليوسف ، فكانت الموافقة المقترنة بالحماس والتأييد والاستعداد للتمويل .. وقبل مثل ذلك في جامعة الكويت ومكتب التربية العربي في الرياض ومؤسسة الكويت للتقدم العلمي .. على ان مسئولية الانتاج واخراج الافلام العلمية

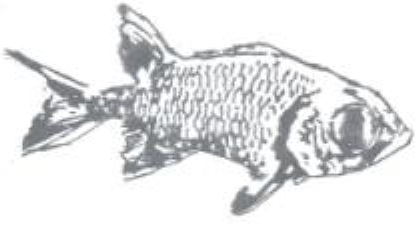

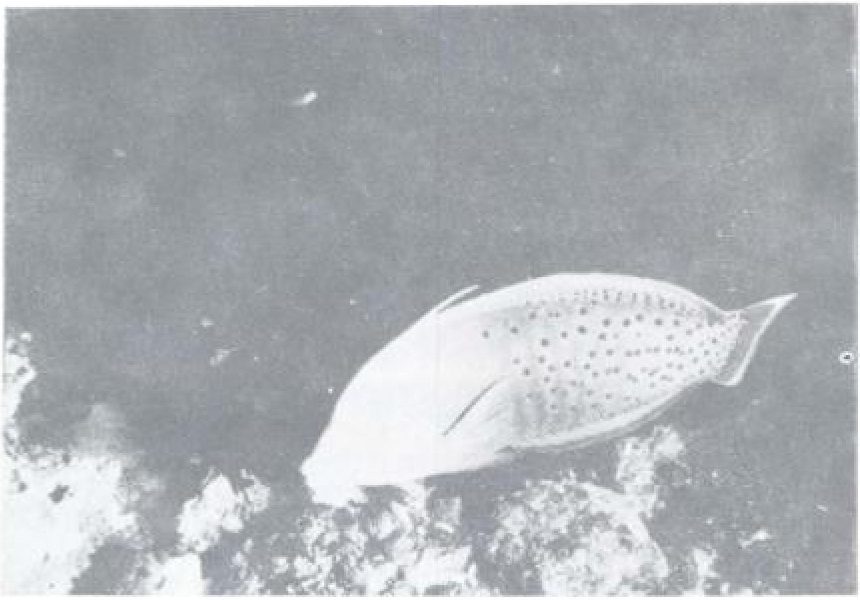

سمك الراس يقطن الشعاب المرجانية في الخليج ويتغذى على قنافذ البحر والقشريات .

وكذلك مسئولية تنظيم عملية النفقات .. انيطت بمؤسسة الانتاج البرامجي ..

وشاءت الاقدار ان تبدأ البعثة رحلتها في الوقت المناسب .. قبل تلوث مياه الخليج بالنفط بنحو سنة ونصف ... ، الامر الذي اتاح للبعثة فرصة نادرة .. فرصة مسح بيئة الخليج وهي سليمة نظيفة ، وتصوير معالمها واحيائها ، قبل ان يلحق بها تلف التلوث ... من هنا كانت حصيلة رحلة الكنوز ذات قيمة كبيرة .. قيمة علمية فنية وقيمة تاريخية ايضا .

وقد شملت رحلة كنوز الخليج مناطق شاسعة ممتدة من منطقة الاهوار شمالاً في العراق الى رأس (الحِدّ) جنوبي خليج عمان . وتم الغوص في اماكن مختلفة من الجزء الغربي من الخليج ... وقام الفريق الفني بالتصوير السينمائي .. فضلا عن تصوير الشرائح الملونة ... حتى اصبح لدى مؤسسة الانتاج البرامجي كنز وفير لمادة علمية نادرة تكشف عن اعماق الخليج وتصور شتى الوان الحياة فيه .

حصيلة الرحلة ومكتشفاتها

وهكذا تمكنت البعثة من رؤية اعماق الخليج وهي تعج بشتى الوان الحياة .. فوجدت الاسماك الكثيرة الاصناف المتنوعة الاشكال واكتشفت انواع من السمك نادرة جدا ... ووجدت الاسماك المرجانية التي تفوق كل ما سواها بجمالها وروعة الوانها واشكالها فضلا عن كثرة انواعها ... ووجدت البعثة ايضا صنوفا عديدة من المرجان نفسه ... منها الشعاب المرجانية الصخرية ومنها الانواع الناعمة الملساء ذات الألوان الزاهية ...

وتبين للبعثة ايضا ان مرجان الخليج قد طور قدرته على الحياة فأخذ يعيش ويتكاثر في بيئات

١

١ سمك الراس ذو ذيل المكنسة يقطن الشعاب المرجانية في الخليج ويتغذى على قنافذ البحر والقشريات .

٢ سمك الملاك الامبراطور من الأسماك الجميلة التي تستوطن الشعاب المرجانية في الخليج .

٣ سمك الدويلمي أو الجد (براكودا) يعوم عادة في مجموعات كبيرة .

٤ مرجان السوط . التف حوله نجم البحر الهش ، ويوجد هذا النوع من المرجان بشكل مكثف في مناطق عديدة من الخليج .

٤

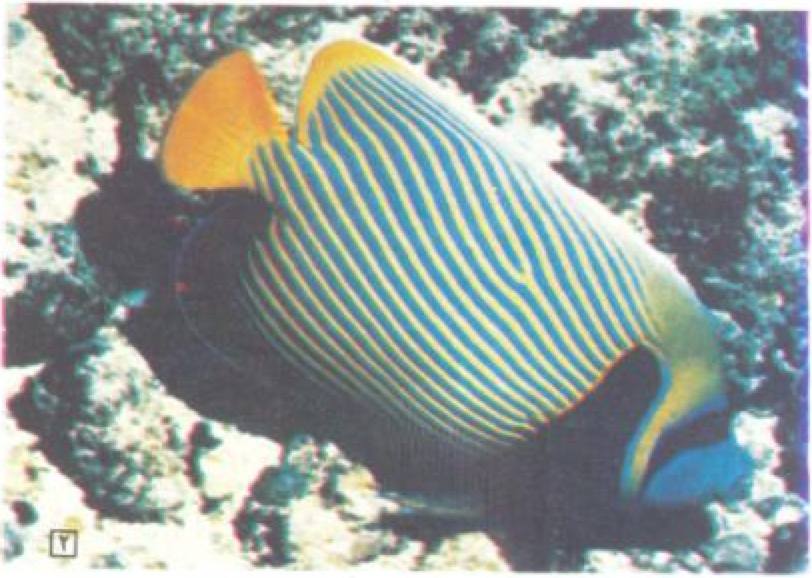

٢

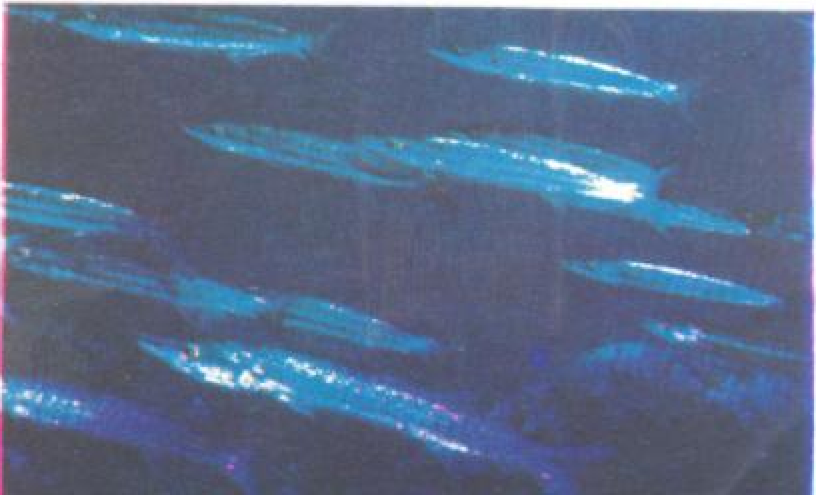

٣

طالما اعتبرت غير صالحة لنموه، كالمناطق الحارة البالغة الحرارة او المناطق الباردة الممعنة في البرودة ... او تلك التي تملأ مياهها العوالق فتحجب عنها اشعة الشمس .. ولا يخفى ان هذه الاشعة ضرورية ولا غنى عنها للطحالب الوحيدة الخلية التي تتعايش مع المرجان وتتبادل معه المنفعة ..

ومما يذكر في هذا الصدد ان مرجان الخليج تمكن من النمو على الاجزاء المغمورة من هياكل آبار النفط البحرية .. وقد فوجئنا ببعض هذه الهياكل وقد تحولت الى جزر مرجانية اصطنعها المرجان بيئة جديدة له .. فنما عليها هو كما نمت عليها الطحالب، وبات مأوى ومصدر غذاء لمختلف الاسماك والمخلوقات ... وهكذا اضاف المرجان الى الخليج بيئة جديدة الى جانب بيئاته .. ولونا جديدا من الوان الحياة تزيده غنى وثراء ..

ولكن البعثة وجدت ايضا ان الكثير من المرجان قد مات ... ونخص بالذكر المرجان الذي يحيط بجزر البحرين والمرجان الذي يوجد شرقي قطر ... لقد اصابه التلوث ففقد الحياة وتلفت بيئته فهجرتها اسماكها .. وهجرتها ايضا شتى المخلوقات التي تعيش فيها .. ولاعجب .. فقد احدث التلوث اختلالا في توازن الحياة الدقيقة في الخليج .. والحق التلف الكامل بالكثير من بيئاته التي ما لبثت ان اخذت سبيلها الى الفناء ... بكامل بنيتها وكافة الاحياء التي تستوطنها .. ولاحظت البعثة ان المناطق المرجانية الميتة انما تقع في مجرى التيارات البحرية القوية الآتية من المناطق الصناعية في الخليج ..

اما مياه الخليج الواقعة جنوب مضيق هرمز، حيث الاسماك وفيرة وانواعها مختلفة كثيرة .. ويساعد على هذه الكثرة عمق المياه واتصالها بالمحيط، وبالتالي وفرة الغذاء فيها .. اضف الى ذلك ان حكومة سلطنة عمان تقوم بالاشراف على اعمال الصيد هناك وتقدم الارشادات الوافية لشتى الصيادين .. وتطبق فوق هذا وذلك قانونا دقيقا لحماية البيئة .

ومع ذلك فان الثروة السمكية في خليج عمان معرضة للمخاطر .. فسفن الصيد الضخمة التي تحصد الثروة السمكية حصدا تشكل خطرا مؤكدا على هذه الثروة ..

وتجدر الاشارة هنا الى ان البعثة اكتشفت وجود نجم البحر في تلك المنطقة . وهذا مخلوق ذو تاج شوكي يتغذى على المرجان ولا يلبث ان يتركه جثة هامدة بلا حياة .. ولم يعرف عنه سابقا انه يعيش في تلك المناطق ويعيث فيها فسادا . واعدت البعثة فيلما يوضح هذا المخلوق ويكشف عن خطره على الثروة البحرية في المياه العمانية .. وتقدمت بذلك الفيلم الى الجهات المسؤولة في عمان .. وتقدمت ايضا بتوصيات حول كيفية مكافحته ..

وأولت السلطات المعنية في السلطنة موضوع نجم البحر اهتمامها ... وقامت بحملة تطهير للأماكن الموبوءة بهذا المخلوق .. وبذلك تسنى لها انقاذ جزء هام من ثروتها البحرية ..

ووجدت البعثة ايضا حيوانا ضخم الجسم يسمى بقر البحر ... ويوجد هذا الحيوان فيما بين جزر البحرين والساحل القطري على وجه التحديد . وقد تعرض هذا البقر الى الانقراض مؤخرا واصبح عدده لا يزيد على ٥٠ رأسا بالرغم من انه بلغ حوالي ٧٠٠ رأس قبل حوالي

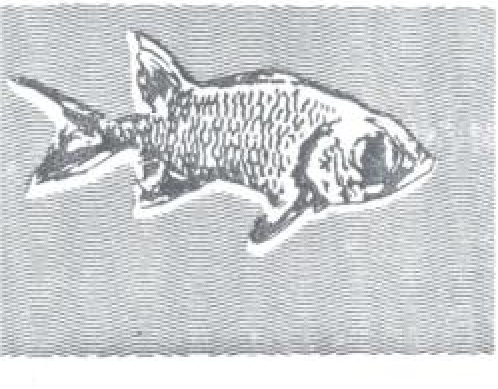

١٥ سنة . هذا بالرغم من ان السكان المحليين لا يأكلون لحم هذا الحيوان . . ولكن سفن الصيد الكبيرة التي تأتي الى الخليج من شرق آسيا هي التي تصيد بقر البحر بكثرة . . وذلك لتصديره الى اقطار جنوب شرق آسيا . . ومما يذكر عن هذا الحيوان انه يتنفس الهواء كالحيتان ويعيش على الاعشاب البحرية . . ولعل من المؤكد ان التلوث النفطي الآخذ بالتفاقم في الخليج سيقضي على البقية الباقية من بقر البحر . .

وهكذا تمخضت رحلة كنوز الخليج عن كنز آخر من المعلومات القيمة والأفلام والشرائح الملونة التي تروي قصة بيئة الخليج بتفصيل ، والتي تكشف عن المخاطر المحدقة بهذه البيئة وتبين التلف والاضرار التي حلت بها ومازالت تحل . .

ضرورة انقاذ الخليج

نخلص من هذا كله الى التأكيد على ضرورة العمل لانقاذ ما يمكن انقاذه من الخليج ، قبل فوات الأوان . . . انقاذه من التلوث الحضاري والصناعي والتلوث البترولي بخاصة . . وانقاذه ايضا من الصيد الصناعي العشوائي الذي يحصد الاسماك حصدا والذي قضى بالفعل على بيئات بكاملها وفتك بأنواع كثيرة من السمك نظرا للاختلال الذي حل باقليم الخليج ككل . .

ولا تفوتنا الاشارة ، في هذا الصدد ، الى الجهود التي يبذلها معهد الكويت للابحاث العلمية . . فقد تولت ادارة استزراع الاحياء المائية في هذا المعهد دراسة تحركات الربيان واماكن تكاثره . وقامت بتربية عدة اصناف من الاسماك التي تحظى بتفضيل السكان . . وراحت تراقب عن كثب الثروة السمكية في المياه الكويتية . . . فهذه جهود طيبة ولا ريب وقد تسهم آخر الامر في اعادة التوازن البيئي الى اقليم الخليج . . .

ولا يفوتنا ايضا التنويه بالاهتمام الكبير الذي يلقاه الخليج من مختلف دوله . . . دول مجلس التعاون على وجه التحديد . . ولو ذكرنا مدى اعتماد هذه الدول على مياه الخليج ، لا من اجل الصناعة والطاقة فحسب ، ولا من اجل الغذاء فقط . . . وانما من اجل تحلية تلك المياه وشربها ايضا . . . لو ذكرنا ذلك لما عجبنا لعناية تلك الدول ببيئة الخليج ومياهه وثرواته . ولما عجبنا كذلك لقيام المنظمة الاقليمية لحماية بيئة الخليج البحرية . . . ففي ذلك دليل على تفهم تلك الدول ما حل ببيئة الخليج من تلف ودمار . . . وفيه دليل آخر على عزم دول الخليج على بذل الجهود الجادة في سبيل الحفاظ على الخليج حيا جيلا ومعطاء .

الا ان مهمة انقاذ بيئة الخليج وحمايتها مهمة ضخمة وخطيرة ، وتتطلب بذل قصارى الجهد والتضحية على كافة المستويات . . . ذلك ان صالح الخليج البيئي يتخطى المصالح القومية الآنية جميعا . . . ويتجاوز الحدود السياسية دون استثناء .

□□

١ المرجان اللين من نوع السيناريان ذي الألوان الزاهية .

٢ ثعبان البحر السام يبحث عن غذائه في قاع الخليج .

٣ سمك العاقي وسمك العنفوز المخطط . يوجد أنواع عديدة منه في المناطق الصخرية والمرجانية .

٤ سمك الهامور الشهير

٥ مرجان غرة ,زي ، ويستوطن القاع الصخري بالقرب من الشعاب المرجانية .

٦ مرجان لين تشاهد براعمه متفتحة أثناء التغذية .

٢

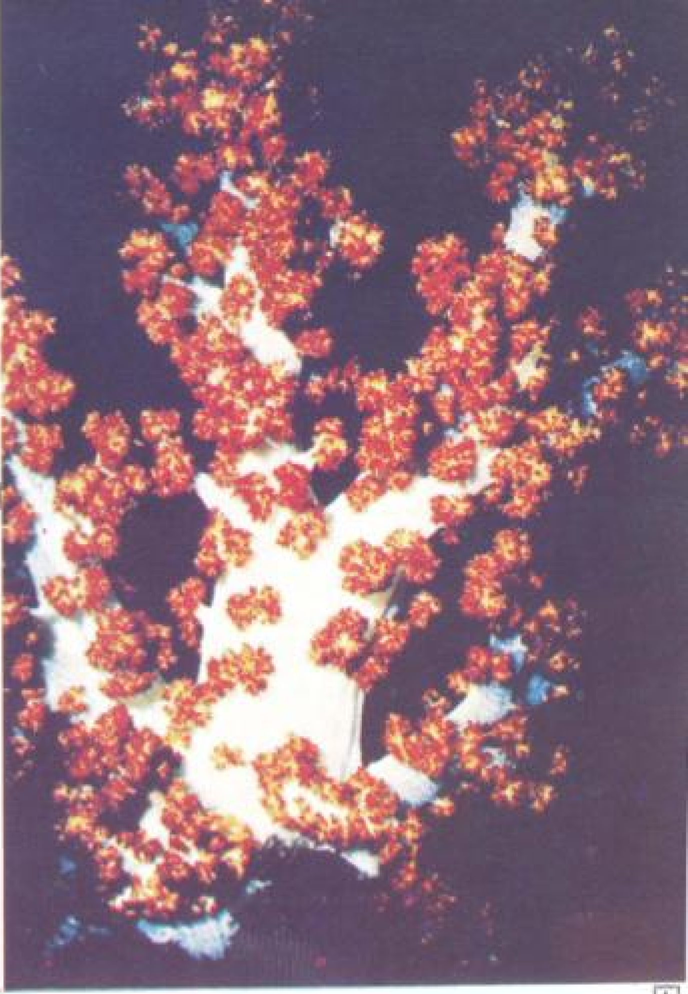

١

٤

٣

٦

٥

النزوية

من وحي زيارة نزوى عاصمة التاريخ العماني يوم الثلاثاء
١٨ محرم ١٤٠٤ هجرية الموافق ٢٥ / اكتوبر / ١٩٨٣

للشاعر :

خالد سعود الزيد

نَـزْوىَ ايـا ارض البطـو   لاتِ الـقـديمـة إذ تَبدَّى
هـل تـعـرفيـن مُشرَّداً   قطـعَ الفـلا صَـدْراً ووِردا !؟
قـد جـاء لمَّـا لـم يجـد   مـاوىً سـواكِ اتـاكِ فـردا
هيمـان ينـهبُـه الـهـوى   خـدّاً فيلثـم منـكِ خـدّا
انـا يـا عمـانُ ابـنُ الجـزيـرةِ والخليـج ابـاً وجـدّا
مـا كنـتُ غيـرك فـي تـلا   ويـنِ الثيـابِ دمـاً وجِلْـدا
مـا كنـت غيـرَك فـي الجنـوحِ وفـي الـعـلا جَـزْراً ومَـدّا
إنّـي انـا الصلـتُ بنُ مـالـك ، والـعظيمُ ابنُ الجُلَنْـدَى
والمـاضيـاتُ القـائمـاتُ ومـا يُكِنُّ القلـبُ وَجْـدَا
ضُمّـي فتـاك فلسـتُ غيـر الـعـاشـق المشـدودِ شَـدّا
هـا قـد اتيـتُ وللمنـى   قلـبٌ يكـادُ يسيـلُ وُدّا
مـن ارضِ كـاظمـةِ الجـذُو   رِ الضـاربـاتِ نـدىً وصَلْـدا
ضُمّـي فتـاكِ فلسـتُ يـا   نَـزْوى سواكِ (غداةَ يُغْدَى)
إنـي انـا قيـسٌ فيـا   ليـلايَ مُـدّي الحبـلَ مـدّا
قـد غـادرَ الليـلُ البـهيـمُ فـلا تُـغَـذّي الحـبَّ عـدّا
هـاتي ثنـايـاكِ الـعطـا   شَ فقـد ظَمِئْـتُ وكـدتُ اُرْدَى
هـاتي شَـذَا التـاريـخِ يـا   نـزوى كفَـى صـدّاً وبُـعْـدا
مـا نحـنُ إلاّ عـاشقـا   نِ وقـد كسـانـا الحـبُّ بُـرْدا
حـرفـانِ قـد حَفَـرا بمـا   ءِ الطُّـهْـرِ اشـعـاراً ومجـدا
قـدِمـاً مـع التـاريـخِ لـــ   ـلانسـانِ إصـداراً ووِردَا
لـم يُنْـعِـنا عَبَثـاً ولا   خُلقـا لمـن قـد عـاش عَبْـدا
فليـاخـذِ العشّـاقُ مِـن   هـذيـن مـا شـاءا وِرْدَا
قَبَسٌ مـن التـاريـخِ نحـن الصـانـعـونَ إذا تَبَـدّى
فلـكِ التحيـةُ والسّـلا   م إليـكِ (نَـزْوَى) حين يُهْـدَى

نحن معرّضون للإصابة بالصمم لماذا؟

الضوضاء..
الصخب..
الضجيج سمة
هذا العصر،
إنها آفة تهددنا
بالصمم..

□ « الانسان في عصرنا هذا قد عرض نفسه عمدا لمصادر الضجيج والازعاج ، وفي الاقطار الصناعية الكبرى في العالم يصعب على الانسان ان يجد مكانا لايصل اليه الضجيج الذي أصبح مصدر خطر ومشكلة عامة للسكان ، فأخذت بلدان كثيرة تصدر القوانين للحد من مصادر الضجيج . ترى كيف ينبغي لانسان هذا العصر ان يقاوم الضجيج ؟

قال جراح العيون بعد ان أجرى عملية جراحية دقيقة ، أعاد فيها نعمة البصر الى أحد المرضى : ان الضجيج ألد أعداء الجراح فهو ليس مصدر ازعاج فقط . بل انه قديصرف انتباهه عن العملية الجراحية ويعرض حياة المريض لأفدح الأخطار . ولذلك فهو يحرص على الهدوء التام ونراه قبل ان يشرع في العملية يبعد عنه كل مصدر من مصادر الضجة .

والحقيقة هي أنه ما من شيء يصرف الجراح عن مجال جراحته مثل الصوت ، حتى ولو كان لحنا موسيقيا ، فالعقل البشري يستطيع أن يركز اهتمامه في شيء واحد فقط ، فاذا دخل الضجيج فجأة العقل الواعي للجراح كان رد الفعل الفوري الخوف والتوتر . ان الزلل والحكم الخاطيء يعقب الضجيج المفاجيء بطبيعة الحال .

وفي عصرنا الحالي يصعب على الانسان أن يجد مكانا لايصل اليه الضجيج .. في الشوارع والقطارات والطائرات والفنادق والمكاتب والمصانع وفي كل مكان ... يكون الانسان معرضا معظم الوقت للضجيج الهادىء او الصاخب ، ولقد اصبح الضجيج مشكلة عامة واخذت دول كثيرة تصدر القوانين للحد من الضجيج بقدر الامكان .

ان من واجب الانسان في هذا العصر ان يقاوم الضجيج مقاومته لتلوث الهواء والماء . اذ لم يحدث قط في تاريخ البشرية ان استقبلت شعيرات السمع من ألوان الضجيج المختلفة في تعدادها مثل ما تستقبله في هذا العصر . ان هذه الشعيرات تتأثر بأدق الأصوات وأعنفها ... من الهمس الخفيف الى زئير المحركات النفاثة ، وبين هذين النقيضين انواع وانواع من الأصوات التي تصدر عن دوران العجلات ونباح الكلاب وزئير الكلاكسات وأصوات المناشير الكهربائية ، فضلا عما يصدر عن اجهزة الراديو والتلفزيون وغير ذلك .. مئات من مصادر الضجيج .

ان نتيجة هذه البطاريات الرهيبة من مصادر الأصوات ليست فقط الاصابة بالعصبية والتوتر والأعراض النفسية ، وانما قد ينشأ عنها تلف في الأذن وربما صمم . وهنالك من الثقات في أمور الطب من يعزو أمراض القلب وارتفاع ضغط الدم وقرحة المعدة بل والضعف الجنسي الى الضجيج الزائد .

كيف يقاس الضجيج ؟

ولماذا يكون الضجيج الشديد خطرا فعليا على الانسان ؟ ... ان الديسبل » هو وحدة قياس الضجيج ، و« الديسبل » هو أدنى فرق بين صوت وآخر تستطيع الأذن البشرية ان تحسه وفيما يلي بعض معايير الاصوات المألوفة :

صوت التنفس الطبيعي = ١٠ ديسبل ـ خشخشة اوراق الشجر اذا مر عليها النسيم = ٥٠ ديسبلا
صوت المطعم الهادىء = ٥٠ ديسبلا
حركة المرور الشديدة = ٧٠ ديسبلا
الشلال المائي الضخم = ٩٠ ديسبلا
صوت المدفع الرشاش القريب = ١٣٠ديسبلا
الطائرة النفاثة عند الاقلاع = ١٤٠ديسبلا
صاروخ الفضاء عند الانطلاق = ١٧٥ ديسبلا

والاسم المناسب للضجيج هو الصوت غير المرغوب فيه ، وهناك خطر بأن يسبب الضجيج الصمم كما قدمت . وهذه الآفة قد يصاب بها الانسان بصورة تدريجية بحيث أنه لايفطن الى احتمال اصابته بالصمم .

ان الأذن البشرية آلة متناهية في الدقة ، والأصوات الخفيفة الناعمة تحرك طبلةالأذن مسافة لاتتجاوز عشر مسافة عرض ذرة الهيدروجين . أما زئير الطائرة النفاثة فيساوي مليون بليون ضعف هذا الصوت الخفيف . ان الزئير المرتفع بهذا الشكل يسبب الألم العقلي . والانسان الذي يتعرض له بصورة مستمرة لابد أن يصاب بالصمم الدائم بعد مدة من الزمن . وفي العالم عشرات الملايين من الناس المصابين بالصمم التام او الجزئي .

ان الأذن البشرية تستطيع ان تتحمل ضجيج ٩٠ ديسبلا بدون ضرر ، فاذا تجاوز الضجيج هذا الحد كان لابد من حماية الأذن بالوسائل الصناعية كحشو الاذن بالسدادات . والموسيقا الصاخبة اذا رفعت الى الحد الاقصى في الراديو أو أجهزة التسجيل قد تنتج ١٣٥ ديسبلا ومعنى ذلك انها اذا استمرت مدة طويلة من الزمن فانها تلحق الأذى بالاذن . وكل صوت يحدث طنينا في الأذن قد يسبب الاصابة بالصمم .

وكثير من الأصوات التي تنتجها مدنية العصر الحاضر ، تتسبب في الحاق ضرر كبير بالانسان ، فالأحاديث المرتفعة عند الجيران ، وصوت التليفزيون المنبعث من الغرفة المجاورة وصوت الراديو القادم من المطبخ ونقر الآلة الكاتبة في الردهة ، والموسيقا التي تعلو فجأة ،

ونحن نحاول تركيز الذهن . كل هذه الاصوات تؤدي الى حدوث توتر عصبي . ان الضجيج آفة تصيب التفكير المبدع الأصيل .

هل حاولت مرة ان تجمع شتات ذهنك وسط هذا الضجيج ؟ لابد أنك فعلت وفشلت ! لاعجب اذن اذا كان موضع التفكير المبدع المنتج بعيدا عن ضجيج المدن . . . في منتجعات جبلية . فهناك يستطيع الانسان ان يبتكر المخترعات العظيمة ويكتب ويرسم اللوحات الجميلة ، ويجدد ماتصدع من ذهنه .

واذا كانت الأصوات العالية تزعج الأعصاب فان الهدوء يدغدغها . ان الهدوء يحمي الأذن ، ويقول الدكتور موبيرجان والدكتور روزين وهما أستاذان في مركز الكلام والسمع بكلية هنتر أن هناك قبائل بدائية في جنوب السودان لاتعرف الضجيج ولاتقرع الطبول . ولدى فحص افراد هذه القبائل تبين أنهم يتمتعون بسمع حاد لايعرفه غيرهم من الناس .

العقل والبذرة

وضجيج المدينة كما هو معلوم يحرم الكثير من نعمة النوم الهادىء ويجعلهم فريسة الأرق . والانسان قد يستطيع أن يزاول اعماله العادية في الجو المشبع بالضوضاء ولكنه يحتاج الى بذل الجهد في سبيل التركيز ، والارهاق الذي يصيبه في مثل هذه الحالة يجعل العضلات متوترة مما يزيد من مقدار الاكسجين الذي يحتاج الى استهلاكه ، وهكذا فانه عند انتهاء النهار يكون منهوك القوى . وقد دلت الاختبارات على أن الانسان يحتاج الى زيادة مقدارها ١٩ بالمائة في الطاقة التي يبذلها من أجل أداء عمل ما ، اذا كان هذا الاداء في جو من الضجيج . فأخطاء الطباعة مثلا يزداد عددها بمقدار ١٩ بالمائة في المحيط الصاخب عنها في الجو الهادىء . ولقد خفض الضجيج في احدى التجارب بمقدار ٤٠٪ فتبين ان الأخطاء انخفضت الى الثلث تقريبا .

ولقد كتب الدكتور « و . جروف » في مجلة الجمعية الطبية الأمريكية عن ضجيج المدن والمصانع فقال : « ان الجملة العصبية لم تخلق لكي تتحمل هذا النوع من الضجيج ولذلك يصبح الانسان شديد التذمر والتوتر تحت تأثير الضجة المستمرة . والاضطراب العصبي الذي يحدث للانسان في مثل هذه الحالة قريب الشبه لما يحدث له في المعارك الجانبية » . وجود ضجة ما في مكان ينام فيه أحد الناس يؤدي الى انقباض عضلاته ، وتظل على هذه الحالة لمدة نصف ساعة ، فلا عجب والحالة هذه ان نرى سكان المدن الصاخبة يستيقظون من نومهم وهم يشعرون بالتعب .

ان الناس جميعا في حاجة الى وحدة هادئة . فالوحدة من الشروط الأساسية لراحة العقل اذا كان مطلوبا منه أن يفكر . وكما أن البذرة الصغيرة تنمو في التربة الخصبة التي تدفئها الشمس ، العقل يحتاج الى الهدوء لا الى الضوضاء لكي يتغذى وينتج الافكار . وعليك اذا كنت في حاجة الى حرية التفكير ان تنشد مكانا هادئا بعيدا عن الضجيج والصخب وعندئذ استغرق في التأمل . ان عقلك في حاجة الى هذا الدواء المقوي وكذلك جسمك .

بين ديوجين والاسكندر

هناك قصة تروى عن الفليسوف الاغريقي ديوجين المشهور بقنديله الذي اشعله ظهرا وخرج يبحث عن رجل لأن الرجال قليلون : لقد كان ديوجين ينعم بحمام شمس ذات يوم غير مبال بالاخطار الجسمية على حياته بسبب احتلال جيوش الاسكندر لمدينته ، وكانت جيوش الاسكندر قد احتلت مدن الاغريق كلها واسرت سكانها . وقد عجب الاسكندر لهذا الفليسوف الذي لايهاب الموت بل ظل مقيما في مدينته .

ووقف الاسكندر عند رأس الفليسوف المتمدد على الأرض وقال له : « اني معجب

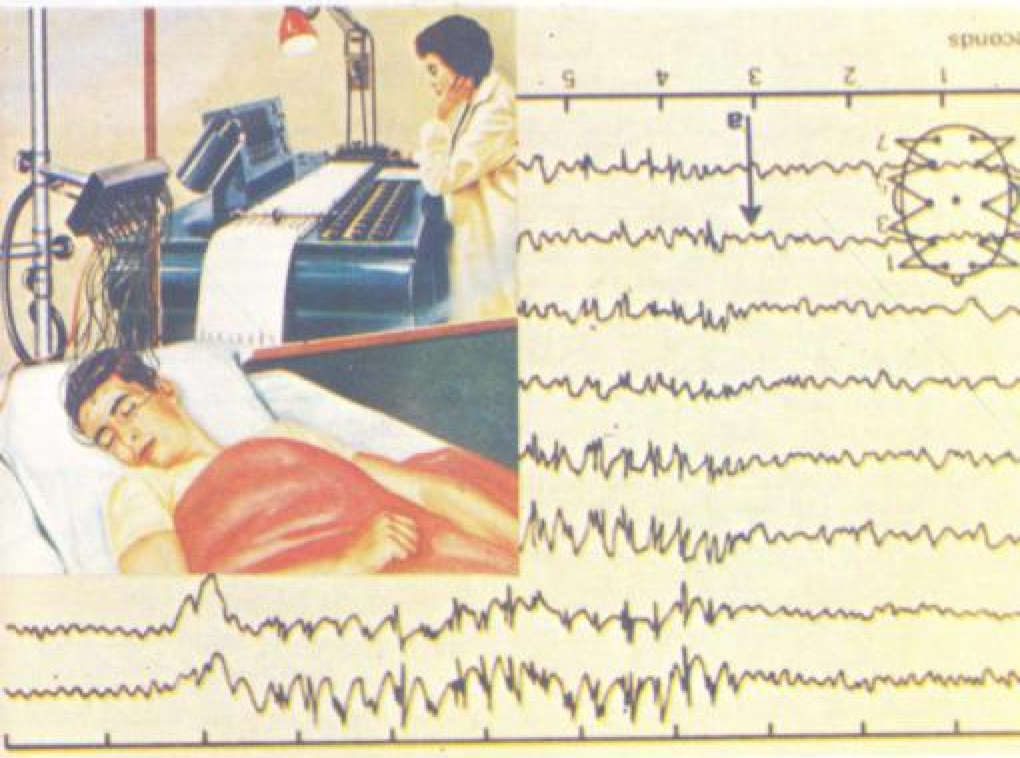

بشجاعتك وأريد ان أساعدك ، هل هناك طريقة ما أستطيع أن اساعدك بها ؟ »

فقال ديوجين : « نعم . انني أنعم بحمام شمس ، فهل لك ان تنحرف عني قليلا ؟ ان ظلك يسقط على جسمي . »

وعندئذ ظهر الغضب على وجه الاسكندر وصاح قائلا : « الأ تعلم انني قد اخذت بلاد الاغريق كلها ؟ فسأله ديوجين : « وماذا عساك أن تفعل بعد ذلك ؟ »

« سآخذ ايطاليا واحتل روما . »

« ثم ماذا ؟ »

« سأحتل بلاد الفرنجة والهند . »

« وبعد ذلك ؟ »

« بعد ذلك سأعود الى وطني وأخلد الى الراحة وأنصرف الى التأمل في حديقة منزلي . »

وهنا قال ديوجين « ان هذا هو عين ما أفعله الآن . »

ومات الاسكندر الأكبر في الثالثة والثلاثين من عمره دون أن تتاح له فرصة التأمل الهادىء في حديقة منزله . ربما كان من الخير للكثير منا ان يتحلى بحكمة ديوجين في تخليه عن متاع الدنيا والتكالب على متاعها الرخيص والتنعم بالحياة الهادئة . ان التأمل شيء مريح لروح الانسان المتعبة . انه يجدد روح الانسان العصري ويهيء له الأفكار العظيمة .

ابتعد عن الضجيج ، وفكر وأعمل وتأمل وأنعم بالحياة . □□

المغرور ببقاء النسور

تعلق لقمان بن عاد بأستار الكعبة وتمنى . كانت أمنيته صعبة المنال وابتهالاته بالغة الحرارة . .

- اللهم يارب البحار الخضر
والارض ذات النبت بعد القطر
امنحنى عمرا فوق كل عمر . .

بقلم : الدكتور محمد المنسي قنديل

كان لقمان قد جاء من اليمن عبر الصحراء . ورأى الجبال باقية والانسان راحلا . فتمنى بقاء كبقاء الجبال . وظل يردد هذه الابتهالات حتى بكى . ثم نام مؤرقا واستيقظ مفزوعا وأصوات غريبة تملأ الفضاء من حوله . تنبعث من خلال السحب ورؤس الجبال :

- يا لقمان بن عاد . أما الخلود فلا سبيل اليه . ولكن لك طول البقاء اختر عمرك . اما بقاء سبع بقرات عفر في جبل وعر . واما بقاء سبع نوايات تمر مستودعات في صخر لا يمسهن ندى ولا قطر . . واما بقاء سبعة نسور كلما هلك نسر أعقبه نسر . .

وولبث لقمان حائرا . بقر وتمور ونسور . فأين للبقر الحياة والمرعى في الجبال الوعرة وكيف ينبت النوى من الصخر . لم تبق اذن الا النسور حرة طليقة تملك الفضاء الرحب وتملك أيضا سنوات عمره . . هتف لقمان في حرارة :

- قد اخترت النسور . . قد أخذت أعماري . .

الموت . . . مصادفة تعيسة . .

عندما خاطبته الاصوات مرة أخرى أحس بها تسرى في عروقه قبل ان يسمعها بأذنيه :

يالقمان بن عاد . المغرور ببقاء النسور . ها هو عمرك الاول قد بدأ فاصعد الجبل . .

اسرع ملهوفا يتسلق الصخور الصعبة . ومنذ الآن لن يكف عن التسلق . لقد ربط عمره بالقمم الصعبة حيث تعيش النسور . كلما أضناه عمر جديد تاقت روحه الى سنوات أخرى اضافية .

كان عش النسور الشاهق فيه بيضتان . لم يفقسا الا في هذه اللحظة . كأنها في انتظاره يطل منها فرخان صغيران . الاكبر رأسا منهما هو الذكر وهو الاقوى والاطول عمرا . مد يده وأمسكه في قبضة يده كأنما يمسك قدره وهتف به :

- أنت المصون . الباقي بعد الحصون . من غدر الدهر الخؤون . .

وعقد في رجله رباطا ليعرفه به ثم بدأ رحلة العودة الى اليمن . .

كان لقمان قويا . فيه شيء من صلادة الجبال ووعورة الصخور . وعندما بدأ الزمان يتراجع أمامه تحول الى كائن اسطوري . كان واحدا من القلائل الذين نجوا من قوم « عاد » ولكن السماء لم تعط أحدا كما أعطته . . وسوف تدين له اليمن بالطاعة من أجل ذلك . .

لم يكن النسر يفارقه . كان يطير حول رأسه . أو يرتاح على كتفه ! ولا يأكل الا من يديه . وكان استقبال قبيلته من « حمير » حافلا . فالاخبار تتنقل من الصحراء مع هبوب العواصف . . وأعطوه الولاء الذي يستحقه والسيادة التي يطمح اليها . . وغدا النسر . . واستطال ريشه . . وأصبح يغيب في السموات البعيدة . . . ولكنه كان يدرك بشكل أو بآخر انه مرتبط بهذا الرجل . . كان يعود اليه دائما ليأكل من يديه . . أو لينام على جدران بيته . .

وفي يوم موعود تجمعت القبائل اليمنية بين يدى لقمان . كانوا قد قرروا ان يعترفوا به ملكا عليهم جميعا . . وعرضوا عليه تاج « تبع » ملك ملوك اليمن . ولكنه رفض ان يغطي رأسه . . اراد ان يبقى ملكا عاري الرأس . وتوقف رجال القبائل مبهورين وهم يرونه يمد يده بقطع اللحم النيء . والنسر يهبط من السماء ليبتلعها ولكنه هذه المرة بدلا من أن يبتلع قطعة واحدة ابتلع قطعتين . واختنق وجهه فجأة . . وفي نوبة من الفزع طار في الفضاء ودار عدة دورات سريعة وهو يهز رأسه بعنف . وصرخ لقمان يأمره بالنزول . . ولكن النسر صرخ في صوت متحشرج ثم هوى مرة واحدة . وأسرع لقمان إليه متأخرا . . اختلج جسد النسر لثوان ثم سكن وتراخت اجنحته . .

انسحبت وفود القبائل . وحل صمت الجبال المطبق . وهبت ريح عنيفة فأطاحت بالتاج الذي لم يتوج به من فوق الصخرة . وأخذت أصابع لقمان تغوص في الرمال تحفر قبرا لأول النسور الموتى . . ولأول السنوات الضائعة . .

وفي نفس الليلة . . أحس بالاصوات تسرى في عروقه :

ـ يا لقمان بن عاد المغرور ببقاء النسور . . دونك البدل . . فوق رأس الجبل . .

انها مرحلة الصعود الثانية . ولكن القلب أصبح مثقلا بالمخاوف . من المحزن ان تأكل المصادفات غير المتوقعة اعمارنا بلا ثمن . كان العش في انتظاره . والفرخ قد قفز خارج بيضته . كان يبدو ضائعا مثله . أمسكه . وعقد في رجليه الرباط وانتظر حتى الصباح دون نوم . واخذ يتمتم كأنه يتلو تعويذة :

ـ أنت العوض المبرأ من تلف المرض . أنت العوض . . .

واستيقظت اليمن في الصباح على لقمان وهو يحمل نسره الجديد .

وعندما بدأ النسر ينمو أحس لقمان أن هذا تجسيد لقوته . لم يعد يسمح له بالطيران بعيدا . كان يقص ريشه باستمرار . . ورغم نمو النسر المتواصل فلم تكن مقدرته على الطيران تتجاوز الشجرة الصغيرة التي كان لقمان يجلس تحتها ليمارس حكمه . والنسر يرقب الفضاء الواسع في عجز . ويتأمل لقمان في خضوع .

كان وجه لقمان خاليا تقريبا من التجاعيد . تركها كلها ترتسم على أجساد النسور . وعندما صاح به قومه . . هيا بنا الى الغزو يالقمان . قادهم بتهور . غير آبه بطعنات السيوف ولا وخز الرماح . أصبح رفاق شبابه شيوخا . رحل منهم من رحل واصاب العجز من بقي واحتل مكانهم جيل جديد ليست لهم خبرته ولا جسارته فأضاف هذا مزيدا من الرهبة عليه .

وفي إحدى المرات التي كان جالسا يمارس حكمه تحت الشجرة . كان النسر في أعلى وقد بلغت به حالة العجز عن الطيران حد الكآبة . لم يدر لقمان كيف فات عليه ميعاد اطعام النسر . وحين مد يده اليه . أقبل النسر ملهوفا فلم يفطن الى الغصن الضعيف الذي يقف عليه . وفي لحظة انكسر الغصن . وسقط النسر على الأرض في صوت مكتوم . . وحين هرع لقمان اليه . . وجده قد فارق الحياة فصرخ في ألم .

ـ يا للمصادفات التعيسه . .

ولم يكن يدري ان معظم انواع الموت هي مصادفات تعيسه .

في عكاظ . . لمسة من الشعر . . ومن الموت . .

صعودا . صعودا في الليل حيث تتوالد الاعمار من رحم الظلمة . العمر الواحد قد يعني الأمل الواحد . ولكن هذه الاعمار المتعددة هي أيضا خيبات أمل متعددة . . صعودا لاهثا الى أعلى القمم . وهذا الفرخ الصغير في انتظاره . . بأي مصادفة سوف تموت أنت هذه المرة ؟

ولكن لقمان حين أمسكه وعقد الرباط في رجله أحس برعشة . فلم يدر أهي برودة الجبال أم دبيب السنوات الجديدة وهي تسري في عروقه ؟ . . كان الفرخ دافئا . ناعم الزغب . . لن يطير . . ولن يبتعد . . ولن يتعرض للمخاطرة أو للمصادفات التعيسة سوف يصنع له بيتا آمنا لا يمنع عنه الهواء ولا الضوء . .

في صباح اليوم التالي أخذ لقمان يشذب غصون الشجر . ويشد الغصن الى الغصن حتى صنع منها قفصا محكما . أحاط بالفرخ المذعور تقبضه اليد . . وخرج لقمان الى الناس وهو يحمل رمز عمره الجديد . . وبدأ يغير هذا القفص كل عام كلما نما الطائر صنع له قفصا أكبر .

كانت هذه هي أكثر فترات حياته احساسا بالامان . ماتت امرأته العجوز فتزوج من أخرى اكثر شبابا كانت تتطلع نحوه بانبهار . ولكن النسر كان يتطلع نحوه بكراهية مكبوتة . يتطلع الى الجبال بحسرة وألم ويظل يلطم القفص بأجنحته طوال الليل حتى يدميها . . ثم يبقى عاجزا عن الحركة لأيام . ولكن لقمان كان ينتصر في كل المعارك التي يخوضها . ويؤكد لحمير ولقبائل العرب ان الموت أبعد من أن يمد اظافره نحوه . ومات آخر الاصدقاء . وآخر الخلان . وكان الاصدقاء الجدد أقل عمرا وأقل خبرة . وكان هذا يعطيه احساسا غريبا بالتفرد أحيانا . . وبالوحدة في احايين اخرى . ولكن الذي ملأه زهوا هو انتشار صيته في كل قبائل العرب واصبحت

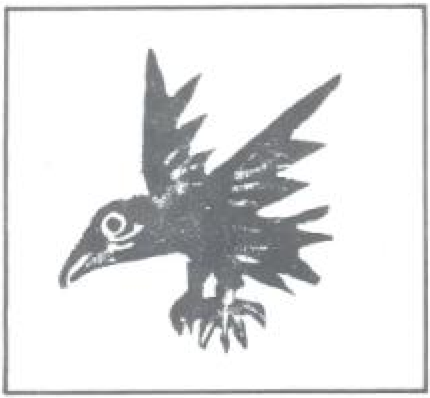

قصائد الشعراء لا تكف عن الاستشهاد بهذا الذي انتصر على الزمن وتتمنى انتصارا كانتصاره .

وعندما كان موعد موسم عكاظ وجد نفسه يحمل القفص على ظهر ناقته .. ويسير به الى مكة .. وكان وصوله حدثا كبيرا . خلت الاسواق فجأة من البائعين والشارين واللصوص . وتجمعت كل الوفود من حوله .. ووقف هو يحكي لرؤساء القبائل وفطاحل الشعراء تجربته المتجددة مع الزمن . ولم يحس بالحلقة وهي تضيق بالناس . كل واحد يريد ان يرى النسر عن قرب . أو يلمس ريشه . والنسر ينظر اليهم في غضب وكراهية . وظلت الحلقة تضيق حتى أحس لقمان فجأة بالهواء يمتنع . والاصوات تعلو في هدير متصل والايدي تمتد كالرماح .. صرخ ..

ـ ابتعدوا . انتم تخنقوننا .. تمنعون عنا الهواء ..

ولكن دائرتهم الضخمة لم تتزحزح . حجبت الضوء ايضا . صرخ الطائر . حرك أجنحته فأمسكوها .. ونزعت كل يد منها ريشة للتذكار . ودار لقمان كالمجنون يدفعهم بعيدا . وتكسرت غصون القفص .. ولكن النسر كان عاجزا . يبحث عبثا عن نسمة من الهواء .. يبحث عن مخبأ بعيدا عن الاصابع التي تندس في لحمه .

ثم هدأت الضجة فجأة .. مثلما تهدأ دائما بعد كل كارثة . ولم يعد بدوى في عكاظ غير ريح الصحراء .. وغير صياح لقمان بن عاد وهو يقول في حسرة :

ـ قتلتم نسرى .. اضعتم عمرى .

كان يتهمهم ولكنه كان يعرف في قرارة نفسه .. انه هو الذي سعى به اليهم .

كانت سوداء العينين .. متألقة ..

بدأت حياته مع النسر الرابع بداية عادية . كان يدرك انه لن يستطيع الحصول على كل شيء . وان الحزن المتكرر هو شيخوخة مبكرة . كان قد عرف حكمة الايام . وباح له الدهر بسره . وسعت كل القبائل اليه من أجل المعرفة . ولكن كان مازال عليه ان يتعلم الكثير من يهود بني « كركر » ..

كانوا قبيلة غريبة تسكن في شمال اليمن . تسرى في عروقها دماء فيها مزيج من الغضب والفتنة والشقاق . حاربوا كل ما حولهم من القبائل . وحاربوا انفسهم وبغوا وخانوا . ونقضوا العهود كأن هناك حشرات غريبة تسرى في خيامهم تمنعهم من الراحة والاحساس بالحياة في أمن .

كانوا أشبه بكتلة كابوسية سوداء رابضة فوق الرمل الاصفر متأهبة دوما لحرب ما .. أو لفتنة ما ..

ولأنه لم يكن من الممكن السكوت عليهم فقد تألبت القبائل كلها عليهم .. كان الحل الوحيد هو ان يبيدوهم ويتخلصوا منهم . وأحس بنو كركر بالفزع .. حاولوا كل طرقهم الملتوية للايقاع بين القبائل ولكنهم فشلوا .. ارسلوا نساءهم الفاتنات ولكن هذا الحل أيضا لم يجد شيئا . وأخيرا ذهبوا الى حكيمهم « يهودا » الذي كان عائدا لتوه من سوق عكاظ .. قال لهم :

استجيروا بلقمان بن عاد .. فان أجاركم .. أجارتكم قبائل حمير كلها ..

وليس هناك من يقدر على حمير ..

كان هذا هو أملهم الوحيد . أن يعلنوا توبتهم بين يديه .. وأن يبدوا التدم على كل ما فعلوه .. وهكذا هدموا خيامهم . وشدوا رحالهم ، وساقوا قطعانهم .. وساروا اليه في طوفان صارخ .

ـ أجرنا يا لقمان ..

كان يطعم نسره الرابع وهم يشكون هوان أمرهم والاخطار التي تحيق بهم . كانت وجوههم متشابهة . نفس السحنة اليهودية التي تشوبها صفرة الفزع . ولكنه خلال هذه الوجوه الكئيبة .. رأي عينين تتطلعان اليه . تومضان في داخله .. كانت امرأة وكانت جميلة . وبقدر الزمن الذي عاشه فلم ير مثل تلك الفتنة التي تشع من هذا الوجه . ولم يعلم أنه يوجد على جبال اليمن نجوم بهذا التألق . وكان شيوخ حمير يحذرونه من بني كركر :

ـ لاتجرهم فهم أهل فتنة وشقاق ..

ولكنه لم يستمع اليهم . أجارهم . وحدد المكان الذي سينزلون به . والأرض التي سيستخدمونها للرعي . وبينما هو يخط حدودهم بطرف رمحه وجد المرأة أمامه فهمس لها .. أتتزوجينني .. قالت هذا ما جئت إليك من أجله ..

كان اسمها « سوداء » أخذها وصعد بها الى كهف في أعلى الجبل . أقرب ما تكون الى نسره والى النجوم التي تتألق في عينيها . لم يكن صغيرا في العمر ولكنه أحس بالغيرة . وكانت هي تتطلع الى هذا العمر الذي يتراكم على كاهله دون شيخوخة .. ولم تملك الا أن قالت في حسرة ..

ـ سوف اتحول أنا الى عجوز .. وتبقى أنت كما أنت لتتزوج من امرأة أخرى كان يحبها حتى اعتقد أنه سوف يقاسمها أعمار النسور ..

ـ بل سوف تمتزج روحانا ويستطيل عمرنا معا . ولكنهما كانا بعيدين . كل منهما ينتمي لعالم آخر . وزمن آخر ..

لقمان بن عاد المغرور
حاكم

كانت تحلم بالسنوات القليلة الماضية . لكنه كان يهذي بحكمة القرون الطويلة .

ولابد أن جمال « سوداء » قد ازداد بعد الزواج . فقد رآها « الهميسع » ابن سيد بني كركر . . لعله لم يفطن الى وجودها بين نساء القبيلة الا بعد أن اختارها لقمان . . ولكنه عندما رآها ذات مرة وقد هبطت من كهفها العالي لتزور أهلها صمم على أن ينالها . .

جمع شيوخ القبيلة ودهاتها وقال لهم بصراحة :

ـ أريد امرأة لقمان . . صاحوا في فزع . . ماذا . . انه سيدنا . . وحامينا . . هو الذي أنقذنا من شر الابادة قال في تصميم :

ـ اذا لم تساعدوني قتلته وجعلت حمير هي التي تبيدكم من على وجه الأرض هذه المرة .

كانوا يعرفونه جيدا . أكثرهم شرا والأمهم نفسا . . كانوا يعرفون أيضا مدى اضطرام رغباتهم عندما يقفون الى أشياء لا يستطيعون امتلاكها . كأن تهديد « الهميسع » قد أزاح التراب عن كل الفتن التي حسبوا أنها ماتت فاذا بها تتلظى بداخلهم كالجمر . ورغم أنهم انصرفوا من المجلس مترددين الا أنهم حين عاودوا الاجتماع مرة أخرى كان كل واحد فيهم يحمل في داخله فكرة ما . .

اعترض بعضهم . ذكرهم بفضل لقمان عليهم . لكن معظمهم لم يبالي . نزعوا ثوب الخمول واستيقظت داخل كل منهم روح اليهودي القديم الذي يمكن أن يدمر المعبد فوق رأسه .

وعندما وضعوا ملامح المؤامرة تقافزوا في نشوة . . ثم أسرعوا الى لقمان وهم يبكون :

ـ انقذنا يا لقمان لقد حميتنا من شر الآخرين فاحمنا من شر أنفسنا . . نظر اليهم في دهشة . قالوا انهم عندما كانوا يحاربون الآخرين كانوا قوة واحدة ولكنهم الآن مهددون بالحرب فيما بينهم . وهتف شيخ كبير منهم . .

ـ لقد جمعنا رماحنا وسيوفنا وجعلناها حزمة واحدة . احملها الى بيتك واحفظها بعيدا حتى نكون دائما عزلا لا نقوى على القتال . .وكان هذا الاقتراح ادعى لزيادة اطمئنان لقمان . . واطمئنان معارضيه من حمير.

من يصدق ان بنى كركر في هذه المدة الوجيزة قد نبذوا القتال ؟

كانت حزمة الرماح كبيرة ولم يكن هناك مكان آمن الا مغارته في أعلى الجبل ورفعوها معه حتى أوصلوها الى باب المغارة . وكانت سوداء تتأمل هذا الحمل الثقيل في دهشة . وأدهشتها أكثر تلك الابتسامة الخبيئة التي رأتها على وجوه قومها وهم يؤكدون عليها أن تعتني بهذه الكومة من الاسلحة .

وغاب لقمان عن كهفه عدة ليال . . ثم عاد ذات مساء . . كان يحمل نسره فوق يده . وعندما وقف على باب الكهف رآهما معا على فراشه . كانت النار خابية . وحزمه السلاح مفكوكة . والخيانة مريرة . ودون أن يدري كان يضغط بيده . .شيء حي ينتفض لحمه . . أم لحمها . . حدقت المرأة في رعب . وقفز الهميسع وكان النسر قد سكن في يده . . لم يكن لهما مهرب فقد كان لقمان يسد بجسده فتحة الكهف . . وصرخت المرأة فرفعها والقاها على جدران الكهف الصخري وأمسك الرجل واعاده الى حيث جاء الى حزمة الاسلحة وربطها بأحكام ثم رفعها والقاها بأقصى قوته من أعلى مكان في الجبل . . ولكنه كان قد فقد الكثير . .

لم يعد الغضب كافيا ولا الانتقام من بني كركر . . كانوا يرتعدون كعادة اليهود . . في لحظة الضعف . بكوا . . لم نكن نعلم . . لقد خدعنا . . كانوا يكذبون . . ولكن لقمان لم يكن يريد المزيد من الدماء المسفوكة . طلب منهم أن يرحلوا أن يحلوا خيامهم ولا يبقوا خلفهم أي أثر يذكره بتلك التجربة المريرة .

وعندما نظر الى صفحة الماء رأى علامات الشيخوخة للمرة الأولى كأن وجهه جبل صلد قد تشققت صخوره . فكر . . انني ما أزال على منتصف عمري الموعود باق من النسور ثلاثة . . ولكنه كان يدرك أن كل نسر من النسور الأربعة الماضية أخذ أمام سنواته شيئا من هدوء نفسه واستقرار روحه .

ما أصعب البداية للمرة الخامسة . .

دفن النسر وتركهم يدفنون المرأة . هجر الكهف وعاد الى قومه من أهل حمير وظل ساهرا للفجر حتى جاءته الأصوات :

ـ يالقمان المغرور ببقاء النسور . . لك في الجبل الأيسر . بين منبت الشث والعرعر . فأخرجه واستبشر فبطاعتك قد أمر . . والى الموت يسير البشر . . الموت . . الى متى يظل في ملاحقته . صعد الجبل الأيسر . . زادت الصعوبة وأصبح لهاثه ثقيلا . . الفرخ الصغير يطل عليه . . لم تعد هناك براءة في الاكتشاف . . أنت النسر الباقي . . بقاء الدهر . . أمنيات . . وكم خدعته الأمنيات وهبط الى حمير وهو يحمل عمره الجديد على يديه . .

للمرة الخامسة يبدأ من جديد . . أقنع نفسه أنه مازال قويا فقاد قومه الى غزوات جديدة . ضد قبائل ضعيفة .

وتزوج امرأة غير جميلة . وبنى بيتا عاليا في مكان عال . ولم يدخل فيه رمحا واحدا .

وسقطت على اليمن أمطار كثيرة . . شربتها الأرض . . أو تحولت الى سيول في أحيان أخرى . وغابت في القبور وجوه كثيرة . وخرج من الأرحام خلق جديد وكلهم عاشوا في ظل اسطورته . والنسر الذي لا يكف عن الحومان فوق رؤوسهم كان يكبر دون أن يعكر صفوه أي حادث . . ربما لأن لقمان هذه المرة لم يأخذ أي حيطة من أي نوع . . ولأول مرة يرى لقمان نسره وقد أصابه الهرم . . وقد تساقط ريشه وأصبح عاجزا عن الطيران . . وبدأ الزمان يمر ببطء قاتل . . كان يصبح حتى يأتي لقمان ويصعد به الى احدى القمم العالية . . ويجلسان سويا تحت السماء ساكتين . . يربان العصافير والطيور الصغيرة وهي تجوب في كل مكان .

وفي ذات مرة تحرك النسر من تلقاء نفسه . واعتقد لقمان ساخرا انه سوف يحاول الطيران مرة أخرى . . ولكن النسر كان يمضي الى حافة الجبل . حاول لقمان أن يلحق به ولكن النسر كان أسرع منه . ألقى بنفسه من فوق الحافة العالية . وصرخ لقمان . وهبط مسرعا . . ولكن الصخور الحادة كانت قد مزقت جسده . .

لم يأت أحد لتعزيته . ولم يأبه أحد بمصابه . سواء كان النسر قد مات أو انتحر فالسنوات الطويلة . والأجيال التي جاءت لم تعد تدهشها هذه الخوارق غير المبررة . ما جدوى أن يعيش فرد واحد كل هذه السنوات مهما كانت قيمة حياته . ولكن لقمان كان ما يزال يسعى . وعندما صعد ليجد نسره السادس كان ما زال قادرا على الحركة . ولكن لم يكن يعرف ان كانت اليمن تدين له بالولاء أم لا . . لم يعد أحد يسمع حكاياته القديمة . . أو يأبه بدرر حكمه . وعندما صحبهم للغزو ظل في المؤخرة . . لم تعد يده تقوى على مسك سيف أو حمل رمح . .

وعاش النسر السادس طويلا . . تساقط ريشه وتغضن بدنه . وانزوى في كهف بعيد . وظل لقمان يبحث عنه حتى وجده ميتا وقد قارب على التعفن . وظلت الاصوات تلح عليه لكي يصعد الى نسره السابع . ولكن سمعه قد أصبح ثقيلا فلم يعرف أين يوجد الفرخ الجديد بالضبط حتى الحت الأصوات عليه من جديد وصعد الجبل في مدة أطول بكثير مما كان يصعد في السابق . ووجد فرخا كبير الرأس مستدير العينين فهتف به . . أنت لبد الباقي المخلد الى الأبد . . وهبط به . وجوه غريبة لا تعرفه . . ولا تأبه به . . أصبحت القبائل غير القبائل . واليمن غير اليمن حاول الزواج مرة أخرى . ولكن امرأة واحدة لم توافق عليه . كانوا جميعا قد هجروا سكن الكهوف وبنوا البيوت والمدن . . وأصبح هو وحيدا مثل طلل قديم . . لا أحد يشاركه طعامه . . ولا أحاديثه ولا أحلامه . والنسر يطير فوق رأسه . . يخبره دوما انه يملك عمرا لم يعد في حاجة اليه . . وعندما هبط الى السوق ذات يوم ورأى موكبا ضخما في وسطه شاب على رأسه تاج من الذهب الخالص . . تساءل من هذا فقال له احدهم . . هذا ملك اليمن . . وصاح لقمان في استنكار . . ولكن . . أنا ملك اليمن . . فانفجر الموجودون جميعا بالضحك . . وضعوا على كتفيه عباءة قديمة . وعلى رأسه قشرة بطيخ . . وأخذوا يشيرون اليه في سخرية . . هذا هو ملك اليمن . . وأسرع لقمان يغادر السوق ويصعد الى الجبل . لعله يختفي . . ينسى . .

وظل جالسا وحيدا حتى اليوم التالي . وجاء النسر وربض بجانبه . أخذا يطلان سويا على المدينة البعيدة والاقوام العديدين . . انقطع حبل التواصل واصبح الزمان غير الزمان . . تحسس ريش النسر الذي يوشك على التساقط . . كما أصبح عليلا متعبا مثله . . كيف تحمل كل هذه السنوات والتجارب . . كل تجعيدة هي حفرة من ألم . . ونبش من تجربة . . الى متى يمتد هذا العصر بلا فائدة . . الى متى ؟ كانت اصابعه تلتف حول عنق النسر . . والنسر مستكين . . مستسلم كالراضى ، الشمس تغرب كأنها تختنق أيضا . . الوداع ايتها الشمس الغريبة . . ضغط . . الوداع ايتها البيوت الحجرية التي أنكرته . . ضغط . . كل شيء قد تغير . . ولا يوجد من يأخذ اكثر من قدره . . لم يصرخ النسر . . كان راضيا . . وظل هو يواصل الضغط .

□□

العربي

من ربع قرن

حال العرب منذ ٢٥ سنة

العدد الثاني يناير ١٩٥٩

وحده من وحدة الله

والعربي اسم
والعربي لفظ
وهو ككل لفظ له معناه بل معانيه .

ومن معانيه الأولى وحدة لكل من تسمى به من أهل الارض .

لقد وحدنا الله ، فكان التوحيد أكبر الايمان . والوحدة العربية يجب ان تنزل من قلوب العرب ، أينما كانوا ، منزل وحدة الله من قلوب قوم مؤمنين .

لقد مضت على العرب قرون وهم أذلة ، أذلهم من بني الناس أقوام اجتمع فيهم الجشع والقوة ، والطمع والأنانية ، وقسوا فكانوا أقسى من ذئاب ، ومكروا فكانوا أخبث من ثعالب ، وتخضوا حلب العيش ، فأما الزبد فلهم ، وأما اللبن المخيض فللعرب .

وفلسطين لن تنسى أبدا

ومن « جزاء سنمار » وعدهم أن يجعلوا فلسطين لليهود وطنا .... وقصة فلسطين قصة حية ، وستظل حية الى آباد ، وستظل حية تلك الصور الشنيعة التي أخرج عليها نساء لنا ورجال وأطفال . أخرجوا من بيوتهم ، وحتى عن ملابسهم وملابسهن ، من مدن كاملة ، تنزع عن صدورهن القلائد ، ومن معاصمهن الأساور ، ويساقون جميعا ، كالبهم تماما ، ويقال لهم ، كما قيل لأخوة لهم من قبل : « الى الصحراء .... الى موطنكم الأول ، وهذا الجمل دابتكم ، سفينة الصحراء » !!

صور من الغدر الرفيع لا تنسى أبدا .... صور فضحت المدنية الحاضرة ، وفضحت رجالها ، بأنهم ليس لهم قلوب ، ولا لها .... صور من الغدر جعلت الناس تؤمن في كل بقاع الأرض ، انه ليس لما قد يأتيه الانسان من ظلم - على قذارة وعلى خسة - حد ، وسمعنا بظلامات القرون فتضاءلت الى جانب ما رأيناه من ظلامة هذا القرن ظلامات القرون ، وفي مأساة فلسطين ، عرفنا لأول مرة ، وأبشع مرة ، معنى الأذناب ، تكون لاستعمار ومستعمرين .

« الدكتور أحمد زكي »

متى يبلغ العالم رشده ؟

ان العالم الآن في دور الطفولة ، على الرغم من أنه يغزو الفضاء يحاول أن يصل الى القمر ، ويوم يحكم العقل العالم ، فيعيش الناس فيه سواسية كأسنان المشط في حب واخاء ومساواة ، يومها يبلغ العالم سن الرشد . ولكن متى ؟

« أحمد لطفي السيد »

كفاح أربع سنوات

أربع سنوات مرت منذ ابتداء الثورة الجزائرية ، وهي سنوات عصيبة في تاريخ الشعبين الجزائري والفرنسي على السواء .... واذا كان أحد الشعبين يكافح في سبيل المثل العليا : في سبيل شرف الجزائر وحريتها واستقلالها ، وكرامتها ، فان الشعب الآخر يساق الى الكفاح في سبيل القضاء على هذه المثل ، وفي سبيل تدعيم النزوات الفردية والعنصرية وفي سبيل استعباد الشعوب والقضاء على مقوماتها .

« نقلا عن جريدة العلم المغربية »

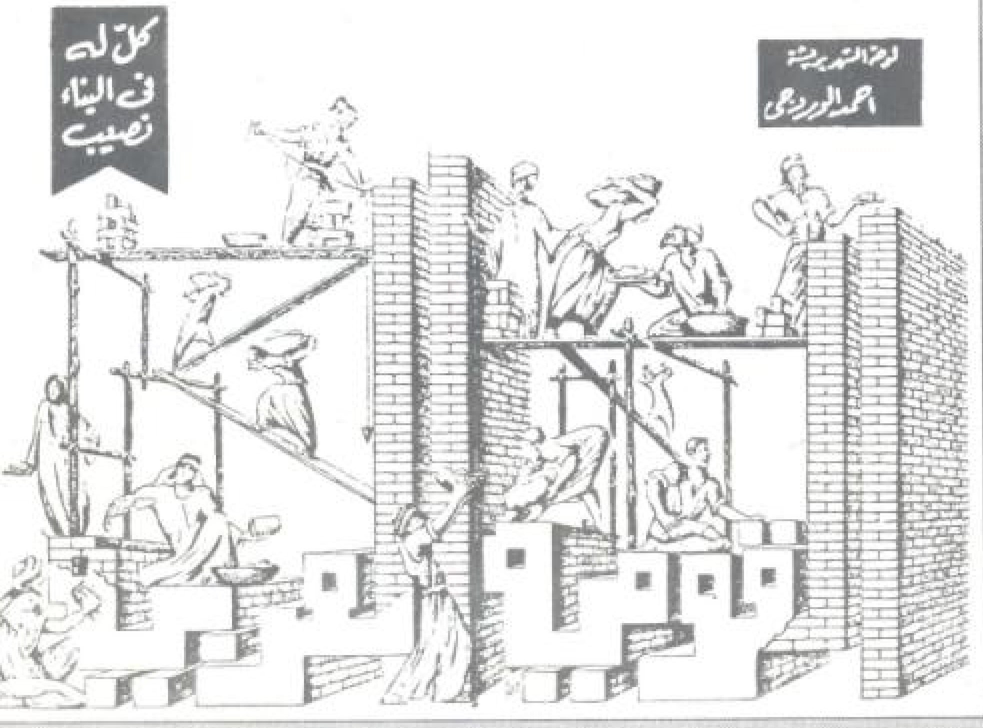

الوحدة العربية .... ولكن !

ماذا ينفع العروبة أن تتحرر من الاستعمار الأجنبي دون الاستعمار الداخلي ؟ ماذا تنفع العربي عروبته وبيته من خراب ؟ هذه النقمة العارمة على الاستعمار في دنيا العرب ، من ذا لا يباركها ؟ وأي الناس - الا الزنيم مثهم والخسيس - لا ينقم على « ضيف » يغتصب بيته ، ويروح يتصرف فيه تصرف المالك الحر في ملكه ، ويعامل من فيه معاملة الأصيل للدخيل ، والسيد المطلق للعبد الذليل ؟

ولكن .. ولا بد من هذه الـ « لكن » ، ماذا ينفع العربي اذا هو استرد بيته ، وبيته يكاد يكون خربا ؟

ألا مرحى وألف مرحى للوحدة العربية الشاملة .... ولكننا اذا شئنا لها الحياة ، فعلينا منذ الآن أن نتعهد العناصر التي ستكون منها بالصقل والنحت والتشذيب كيما يجيء البناء متجانسا متماسكا ، لائقا بالحياة ..

فأين المهندسون ؟

وأين البناءون ؟

« ميخائيل نعيمة »

انطون تشيخوف

برتولت بريشت

سومرست موم

أطباء .. ولكنهم أدباء

بقلم : الدكتور أنيس فهمي

☐ ما كادت الستائر أن تسدل على خاتمة المسرحية « اللصوص » التى مثلت في ألمانيا في عام ١٧٨١ حتى أصدر دوق فرتنبرج أمره باعتقال مؤلف المسرحية وايداعه السجن ومنعه من كتابة أى شيء الا ماكان متعلقا بالموضوعات الطبية . ولم يكن ذلك المؤلف سوى الطبيب يوهان كريستوف فريد ريسن فون شيلر الذى كان يعمل وقتئذ جراحا بالجيش الألماني ، ولم يكن قد تجاوز الثالثة والعشرين من عمره ، وكانت هذه المسرحية أولى تجاربه في ميدان الأدب . وقد رد شيلر على أمر دوق فرتنبرج بأن هجر الطب نهائيا وكرس باقي حياته للأدب التمثيلي حتى وصل الى مكانه رفيعة بين كتاب المسرحية العالميين .

يوسف ادريس

ابراهيم ناجى

سعيد عبده

وقد حذا حذو شيلر عدد ليس بقليل من الأطباء الذين سطع نجمهم في عالم الأدب وتلألأ حتى طغت شهرتهم في هذا الميدان على اسمهم في عالم الطب .

وعلى رأس قائمة أولئك الأطباء يتصدر اسم انطون تشيخوف الكاتب الروسي الكبير والذى يعتبر من أعظم كتاب القصة القصيرة في العالم أجمع ومن كتاب المسرح المبرزين . وتتميز كتاباته عموما بانعكاس ثقافته الطبية عليها كما تتميز أيضا بالتعمق في تحليل الجانب النفسي لشخوص مسرحياته وأنماط قصصه .

ومن الأطباء الألمان الذين مارسوا الكتابة للمسرح جورج بوشنز ، والكاتب الكبير برتولت بريشت الذى أرسى المسرح الملحمي ويعتبر أحد رواد المسرح الأوروبي الحديث .

كتاب القصة

ومن بين كتاب القصة العالميين تبرز أسماء الأطباء أوليفر جولد سميث ، وشارلى ليفر الانجليزيين ، والثانى منهما كان معاصرا لشارلز ديكنز ونالت مؤلفاته القصصية شهرة واسعة . ولا يقل عنهما في هذا المضمار وير ميتشيل الذى كان يعمل طبيبا للأمراض العصبية في فيلادلفيا . أما الطبيب الألمانى الجنسية الفريد دوبلن الذى اختص بطب الأطفال وطب الأمراض العقلية والأمراض الباطنية واهتم اهتماما كبيرا بالبحوث الطبية في المعمل فيعتبر من كبار الأدباء الذين ظهروا في فترة ما بين الحربين العالميتين . وقد اهتم هذا الطبيب اهتماما خاصا بأدب القصة والمسرحية والرحلات وركز دراساته الأدبية حول الانسان لا بصفته كفرد ولكن باعتباره ظاهرة اجتماعية .

اذا انتقلنا الى ميدان الشعر وجدنا جون كيتس ، وأوليفر جولد وسميث وشيلر وروبرت بريدجز ، وابراهام كولز الذى أصاب شهرة كبيرة في كتابة الأناشيد .

أما توبياس سمولت وفرانسوا رابليه فقد اشتهر كلاهما بالسخرية اللاذعة في كتاباتهما الأدبية . وقد امتازت المقالات التى كتبها كل من جون براون ، وأوليفر وندل هولمز بدقة الملاحظة والعقل المتحرر .

من المؤلفين الأطباء الذين تعتز بانتاجهم المكتبات آرثر كونان دويل رائد القصة الغامضة المليئة بالأسرار وخالق الشخصية البوليسية التى تحمل اسم « شرلوك هولمز » ، وكذلك الكاتب الأمريكي جيمس ماك كوين الذى كتب ثمانية

كتب عن الجريمة بالاسم المستعار جيمس ادواردز .

الكتاب الروائيون :

من أهم الأطباء الذين برزوا في ميدان الرواية سومرست موم وأ . ج . كرونين وفرانك جيل سلوتر ، وهؤلاء اعتزلوا الطب تماما وتفرغوا للأدب . أما جوستاف اكستايين فكان يخصص أربعة شهور في العام لشغل كرسي استاذية علم وظائف الأعضاء في كلية الطب بجامعة سنسناتي ، أما باقي العام فكان يقضيه في كتابة مؤلفات عن حياة الحشرات والحيوانات والانسان . ولا يفوتنا أن نضيف الى قائمة الأطباء الأدباء اكسيل مونته ، ذلك الطبيب السويدي الذي بعد أن فقد بصره وهو في السبعين من عمره أملى كتابا بعنوان « قصة سان ميشيل » الذي قوبل بضجة كبيرة في جميع أرجاء الدنيا حتى أنه ترجم الى خمس وعشرين لغة في مدى عامين فقط من ظهوره .

كما لا يفوتنا أيضا أن نذكر البرت شفايتزر ، ذلك الفيلسوف الديني الألماني الذي هاجر الى مجاهل أفريقيا حيث مارس الطب والكتابة في شئون الدين والفلسفة والموسيقى . .

الأطباء الأدباء الفرنسيون

اذا حاولنا حصر الأطباء الفرنسيين الذين مارسوا الأدب فان القائمة ستتضخم تضخما كبيرا ، ولذلك سنكتفي بذكر أشهر الأسماء في القرنين الأخيرين ، وعلى رأس هؤلاء نجد جورج ديها ميل ، ذلك الكاتب العملاق الذي أمد المكتبة الفرنسية بثمانين كتابا ، كما نجد أيضا اميل ليتريه الفيلسوف المؤرخ وأعظم كتاب قواميس اللغة الفرنسية ، وقد ترك لنا قاموسا طبيا قام بتصنيفه بالاشتراك مع روبين فلوبير الذي درس الطب أيضا قبل أن يتفرغ للأدب .

ومن الأطباء الفرنسيين المشهورين الذين اكتسبوا أيضا اسما لامعا في ميدان الأدب كلود برنار عالم الفسيولوجيا الشهير ، وربنيه لبريش جراح الأوعية الدموية ، اللذان آثرا الكتابة فيما يختص بفلسفة الطب وممارسته . ولا يقل عنهما باستير فاليري رادو الذي اهتم بنشر مجلة عن ذكريات الحرب بالاضافة الى المقالات الأدبية المتعددة والأعمال التي خصصها لترجمة حياة جده العظيم لويس باستير .

وقد يظن البعض أن مهنة الجراحة - تلك المهنة الشاقة التي تتطلب عملا مستمرا - لا تترك لصاحبها وقتا للكتابة . وهذا صحيح الى حد كبير ، الا أن هنري مونرور الجراح الذي لا يباري قد وجد من وقته بعض الفراغ لينتج بعض الأعمال الأدبية الرائعة . وقد انتخب هنري مونرور وباستير فاليري رادو عضوين بالأكاديمية الفرنسية بعد الحرب العالمية الثانية .

الأطباء الأدباء من العرب :

من أشهر هؤلاء الأطباء المرحوم أحمد زكي أبو شادي الذي كان وكيلا لكلية الطب بجامعة الاسكندرية وكان أديبا وشاعرا وفنانا وهو الذي أسس « جماعة أبولو » ، والمرحوم ابراهيم ناجي الذي نبغ في الشعر والأدب وكتابة المذكرات ، ولا ننسى قصيدته الأطلال التي شدت بها أم كلثوم ، والمرحوم محمد كامل حسين اخصائي جراحة العظام والمدير السابق لجامعة عين شمس بالقاهرة وصاحب المؤلفات الأدبية الرائعة ، وما زالت روايته « قرية ظالمة » التي ترجمت الى لغات أجنبية كثيرة تتصدر قائمة الأعمال الخالدة ، وقد كرمته الدولة المصرية بمنحه جائزة الدولة التقديرية .

ومن الأطباء المعاصرين لا يفوتنا أن نسجل أسماء الدكتور حسين فوزي صاحب

« السندباديات » ومن كتاب المقال البارزين ، والدكتور سعيد عبده الذى برز في ميادين الزجل والقصة والصحافة العلمية ، بالاضافة طبعا الى الطبيبين يوسف ادريس ومصطفى محمود وانجازاتها في مجال المسرح والقصة والمقال والكتابات السياسية والدينية معروفة للجميع .

وأخيرا وليس آخرا لا يمكننا أن نغفل اسم امحوبت العظيم اله الطب عند قدماء المصريين والذى كان في الوقت نفسه كاهنا ووزيرا ومهندسا وكيميائيا وأديبا وموسيقيا وعاش في القرن الثلاثين قبل الميلاد .

ما الذى يدفع الطبيب الى ممارسة الأدب ؟

يقول جورج ديها ميل ان اشتغال الأطباء بالأدب ظاهرة تلتمس أسبابها من طبيعة المهنة الطبية نفسها التى تتيح الفرصة للمشتغلين بها أن يشاهدوا عن قرب عددا كبيرا من النماذج البشرية وهى تعانى آلام المرض أو سكرات الموت .

ان مهنة الطب عندما تهيء للأطباء أن يروا الطبيعة الانسانية في حالات المرض وهى عارية من كل الأقنعة التى يكسوها بها الشباب أو المال أو الصحة أو السلطة ، انما تمدهم بذخيرة ثمينة من التجارب والاكتشافات التي لا يتيسر لسواهم أن يعرفوها . وهكذا يجد الطبيب نفسه ، في داخل الحدود التى يفرضها عليه سر المهنة ، مدفوعا الى نقل جزء من خبراته وتجاربه الكثيرة الى أولئك الذين قد يجدون فيها بعض المتعة أو الفائدة أو العظة والعبرة .

ولما كان الأطباء الى جانب خبرتهم بالنفوس والأجسام البشرية ، يحصلون على ثقافة عالية من خلال دراساتهم الكثيرة اللازمة لمهنتهم ، تلك الثقافة التى تفرض عليهم التعود على الكلام أو البحث في مشكلة معينة أو موضوع معين ، لذلك لم يكن من المستغرب أن تمدنا مهنة الطب بقائمة طويلة من الأدباء الناجحين .

ومصداقا لهذا القول يقول سومرست موم في كتابه« تلخيص حياتى » : : « لست أعرف مرانا للكاتب أفضل من أن يقضى بضع سنوات في مهنة الطب . . انك قد تعرف الكثير عن الطبيعة الانسانية في مكتب المحامي ولكنك تلتقى هناك بأناس كاملي السيطرة على أنفسهم . أما الطبيب فيستطيع أن يدرس طبيعة الانسان عارية مجردة ، اذ أن المرض يزيل كل تظاهر وكل تكلف . والى جانب ما أمدنى به تعلم الطب من معرفة بطبيعة الانسان فانه زودنى بالمعرفة بأصول العلم وأسلوب البحث في ميدانه » .

وبالرغم من أن مهنة الطب أمدت الأدب بالكثير من الأدباء الساخرين الا أن الغالبية العظمى منهم لم يجرؤوا على السخرية من مهنتهم الأصلية ، اذ أن كل الأطباء يحملون احتراما عميقا لمهنة الطب ، ويستوى في ذلك الذين تفرغوا للأدب كلية والذين أعطوا الأدب جزءا من نشاطهم . وليس أدل على ذلك من كلمة كتبها جورج ديها ميل ننقلها الى القارىء في السطور التالية :ـ

« عندما أقف يوما ما ، وقد يكون ذلك قريبا ، أمام أبواب الآخرة سيسألوننى عن جواز سفرى وأوراق تحقيق شخصيتي ومؤهلاتى ، وسيسألنى ملاك عطوف عن مهنتى خلال اقامتى على وجهه الأرض ، وأنا واثق كل الثقة من أننى سأجيبه في الحال : « طبيب » صحيح أننى بذلت جل حياتى في تأليف ما يقرب من ثمانين كتابا ، والناس جميعا يعتبروننى أديبا ، الا أن الطب هو الذي نما في ظله شبابي ، والطب هو الذى فتح عيني على الدنيا ، والى الطب يرجع أفضل ما تعلمته في حياتى ، ثم لا ننسى أن والدى كان طبيبا . وأننى أيضا طبيب واثنان من أولادى وثلاثة من اولاد اخوتى يمارسون الطب . ان « أبو قراط » هو استاذى ، وسأظل أعتبره كذلك وأحييه على هذا الأساس الى أن ألفظ النفس الأخير . » □□

ريمون آرون.. المتفرج الملتزم

بقلم الدكتور : أحمد أبو زيد

☐ كان يقول عن نفسه إنه ينتمي الى ذلك (الصنف) من الناس الذين لا يكفون عن اثارة التساؤلات حول أمور العالم وما يجرى فيه من أحداث . وكان ديجول يصفه بأنه الصحفي الذي يعمل في الكوليج دى فرانس والاستاذ الذى يعمل فى جريدة الفيجارو .

وفي هاتين العبارتين تتلخص كل حياة ريمون آرون واسهاماته ورسالته ونظرته الى نفسه والى الآخرين ، ونظرة الآخرين اليه وموقفه من الحياة ذاتها . فقد أفنى عمره كله باحثا مدققا عن حقيقة الروابط الانسانية ، وجوهر العلاقات السياسية والاجتماعية ، وطبيعة الصلة بين النظرية والفعل ، والفرق بين الميول والاتجاهات العامة التى تسود المجتمعات الانسانية ، والامور العرضية الطارئة فى حياة البشر .

وهذه كلها مسائل صعبة وشائكة ولكنه كان يناقشها فى جدية وعمق مع تلاميذه في الكوليج دى فرانس وفي الجامعة والمعاهد الأخرى التى اشتغل بالتدريس فيها ، كما كان يعرضها بنفس الجدية والعمق فى مقالاته الصحفية الكثيرة ، وفي (عموده) نصف الاسبوعى الذى ظل يحرره طيلة ثلاثين عاما ، بين ١٩٤٧ ، ١٩٧٧ في جريدة الفيجارو ، وقبل ان ينتقل للكتابة في جريدة إكسبرس I,Express ، وكان خلال هذا كله شديد التمسك بالقيم الأكاديمية المتحفظة الصارمة ، سواء في اسلوب البحث والدراسة ، أو فى سلوكه العام وعلاقاته مع الناس ، أو فى احكامه وتقويمه لغيره من المثقفين والمفكرين والفلاسفة والكتاب . فلم تكن كتاباته (الصحفية) تنزل - رغم سهولة اسلوبه وتدفق افكاره - عن المستوى الاكاديمى الراقى الذى ارتضاه لنفسه ، والذى يجب ان يتمسك به استاذ الجامعة الذى يحترم نفسه وعلمه ومهنته .

وقد تمكن آرون من أن يحافظ بذلك على

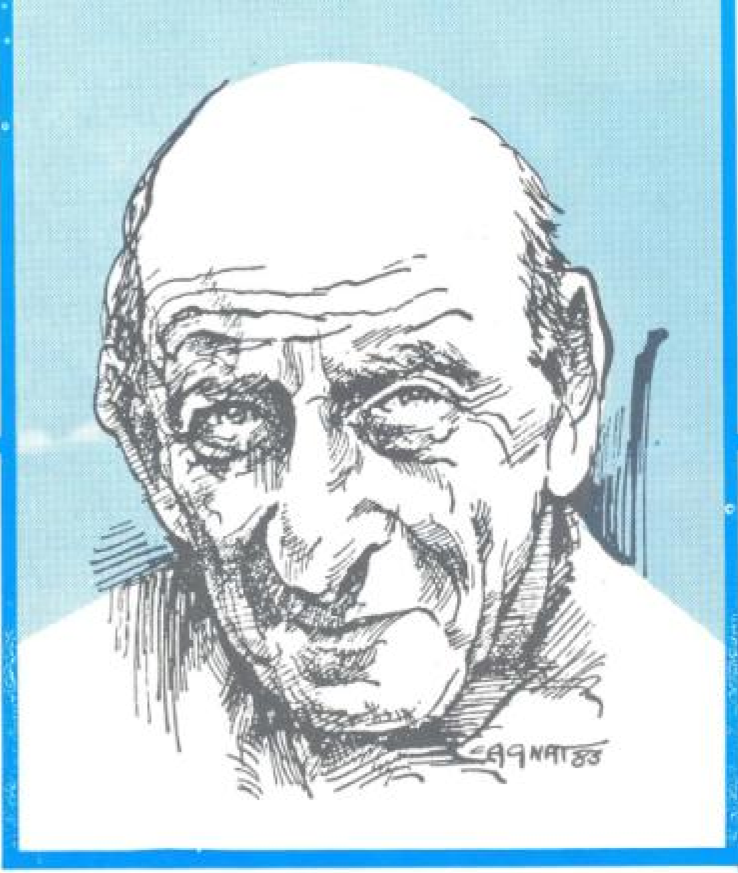

ريمون آرون بريشة كاتيا « عن الموند »

نظرته المحايدة الموضوعية وسط ذلك الجو الفكرى المشحون بالايديولوجيا الماركسية ، ووسط الاتهامات التى كانت توجه الى الفكر المحافظ وتصفه بأنه فكر رجعى ومتخلف ، وذلك قبل ان تبدأ موجة المد الماركسى فى الانحسار ، وينصرف كثير من المفكرين الفرنسيين عن الماركسية فى السنوات الأخيرة .

وقد اسهمت كتابات آرون وهجومه العنيف المتصل على الماركسية والمفكرين والكتاب الماركسيين فى الكشف عن بعض نواحى الضعف والقصور فى الايديولوجية الماركسية ، وبالتالى فى انحسار الفكر الماركسى ، بحيث نجد الكاتب الفرنسى الشهير آلان بيزانسون يقول : انك لن تجد الآن كاتبا فرنسيا محترما يصف نفسه بأنه ماركسى .

المفكر المنشق . !

وعلى الرغم من أن ريمون آرون كان يوصف أحيانا بأنه « المفكر المنشق » على الفكر الفرنسى المعاصر نظرا لخروجه وانفصاله عن ذلك التيار الماركسى ، فانه كان يحظى دائما بالاحترام بل والرهبة ، وكان يحتل مكانة رفيعة سواء فى فرنسا أو فى خارجها وبالذات فى أمريكا . وقد وصل ذلك « المفكر المحافظ » الى قمة مجده وذروة الاعتراف به وبمكانته قبل موته بشهر واحد وذلك حين أصدر كتابه « مذكرات » . . . خمسون عاما من التأمل السياسى» . فقد لقى

الكتاب رواجا كاسحا لم يحظ بمثله في الأغلب كتاب آخر لأي كاتب آخر في فرنسا خلال هذا القرن ، اذ باع منه ثلاثمائة ألف نسخة خلال ثلاثة اسابيع فقط ، كما أشادت به كل الصحف والمجلات الكبرى في جميع انحاء العالم المتحضر .

ثم مات آرون فجأة وعلى غير توقع في اليوم السابع عشر من اكتوبر الماضي (١٩٨٣) اثر ازمة قلبية عنيفة مفاجئة وهو في الثامنة والسبعين . وكان لموته وقع الصدمة التى أصابت المثقفين بالذهول . وتثير وفاته الآن كثيرا من التساؤلات حول الوضع الثقافي في فرنسا ، بعد ان مات في السنوات القليلة الأخيرة كل ذلك العدد من كبار الكتاب والمفكرين ، ابتداء من « رولان بارت » الى « سارتر » الى « جاك لاكان » ثم « أراجون » بحيث لم يبق من جيل المفكرين العظام سوى « كلود ليفي ستروس » .

ومن الطريف ان آرون كانت له في أواخر حياته بعض التعليقات الساخرة التي لا تخلو مع ذلك من الصدق والعمق عن الحياة الفكرية في فرنسا وعن مكانة ودور المثقفين الفرنسيين الذين لم يسلم معظمهم - بما فيهم سارتر نفسه - من هجومه ونقده .

فحين لاحظ احد الكتاب الانجليز ان الفكر يلعب في حياة فرنسا دورا لا يقل عن دور الحب والطعام ، أردف آرون قائلا : ان ثمة فارقا أساسيا بين الانجلو سكسون والفرنسيين ، فالانجلو سكسون يهتمون في المحل الاول بوضع وابتكار النظم الاجتماعية والسياسية التى تفيدهم في حياتهم العملية الواقعية . أما الفرنسيون فانهم يعملون على ترجمة هذه النظم الى افكار خالدة .

ومع ذلك فان المثقفين الفرنسيين يعيشون في الوقت ذاته - وحسب تعبيره - في حالة تمزق شديد بين طموحهم وتطلعهم الى العالمية ونزعتهم للاهتمام بالاوضاع المحلية والموقف الداخلي في فرنسا ذاتها ، وبين تعلقهم بالأفكار والآراء الديمقراطية ، وولعهم بالقيم الارستقراطية ، وبين حبهم للحرية وتمردهم على سطوة الحضارة الامريكية وتفوقها ، وبين تمسكهم بالمبادىء الأخلاقية وسخريتهم المريرة من كل شيء .

ونتيجة لكل هذه الصراعات والتناقضات كان المفكرون - في رأيه - شيئا أكبر من حقيقتهم .

مفكر البرجوازية !

ويوصف ريمون آرون في الدعاية السوفيتية بأنه « المفكر الايديولوجي الرئيسي للبرجوازية الفرنسية » . ولكن الواقع الأكثر انصافا - كما يقول بيير مانان **Pierre manent** هو أن نصفه بأنه مفكر يهتم بالوصول الى فهم أكثر عمقا واتساقا للمجتمعات الحديثة ، شيوعية كانت أو ليبرالية ، وانه اذا كان قد تعرض بالهجوم العنيف في الخمسينات على الستالينية ، وهاجم ثورة الطلاب عام ١٩٦٨ وانتقد بعنف وحدة في كتابه « الثورة المراوغة **La revolution Introuvable** » موقف زملائه من الأساتذة الجامعيين الذين آزروا هذه الحركة ، فانه كان في الوقت ذاته يعارض الاستعمار الغربي ويندد به ويساند الثورة الجزائرية ، بل كثيرا ما كان يعارض سياسة ديجول الخارجية .

ومهما يكن من شيء فان الرأى الغالب عن ريمون آرون هو أنه مفكر ليبرالي واقعي يميل الى محاولة التوفيق والمصالحة والتمسك بالقيم التقليدية الراقية .

ومن هنا كان الرأى بأنه يمثل مدرسة أخذت تطفو على السطح في السبعينات ، وتنادى بأن كل ما يعانيه النظام الديمقراطي من خلل أو اضطرابات لا يمثل عوائق تعطل من سير الحياة أو تبرر نبذ الديمقراطية ككل ، بقدر ما يمثل جزءا أساسيا وجوهريا بل ومرغوبا فيه بالنسبة لعملية الحياة ذاتها .

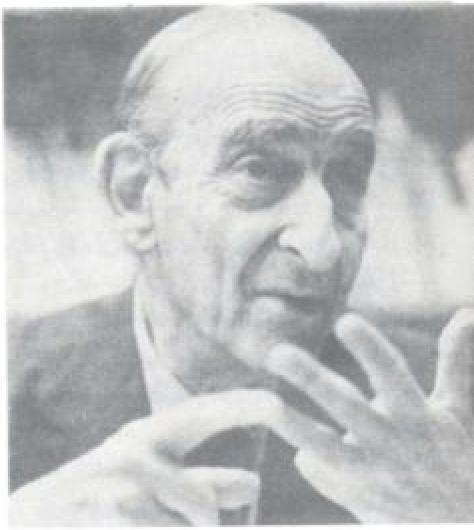
ريمون آرون

حياة ريمون كلود فرديناند آرون - وهذا هو اسمه بالكامل - لا تكاد تختلف عن حياة الكثير من المفكرين والكتاب والفلاسفة الفرنسيين الذين أفلحوا فى فرض اسمائهم وافكارهم على الحياة الثقافية فى فرنسا وخارجها بعد الحرب العالمية الثانية . فقد تلقى تعليمه فى الايكول نورمال سوبيريور (مدرسة المعلمين العليا) بباريس حيث تخرج عام ١٩٢٨ . وكانت ميوله واتجاهاته المبكرة نحو الميتافيزيقا ، ثم اتجه تحت تأثير استاذه العظيم ليون برنشفيج لدراسة العلوم البيولوجية ، ولكنه لم يلبث ان أدرك - كما يقول هو نفسه - ان من الصعب على غير علماء البيولوجيا ان يبتكروا نظريات بيولوجية ، بينما يمكن للفيلسوف ان يفكر ويتأمل ويبتكر فى أي موضوع يروق له ، سواء كان ذلك فى مجال الدراسات الطبيعية أو الاخلاقية أو التاريخية . وقد اختار ريمون آرون لنفسه السير فى درب العلوم التاريخية .

آرون وسارتر

فى الايكول نورمال التقى آرون مع « جان بول سارتر » ، وقامت بينهما صداقة قوية ، واتجه الاثنان نحو الفكر الالماني ، ولكن بينما اكتشف سارتر اعمال « هوسرل » و« هايدجر » اهتم آرون بأعمال وكتابات علماء الاجتماع وفلاسفة التاريخ الالمان ، من أمثال « ماركس فيبر » و « فيلهلم ديلتاى » و « هاينريسن ريكرت » و « جيورج زيمل » . واتيحت له فرصة التعبير عن ذلك الاعجاب بهم فى رسالته للدكتورية التى نشرها فيما بعد عام ١٩٣٨ بعنوان « مقدمة فى فلسفة التاريخ » ، وفيها أمكنه عن طريق التحليل التفصيلي الشامل للوضع التاريخي للانسان أن يصل الى نقد مقنع لفلسفات التاريخ الحتمية .

وقد ظل في كتاباته كلها يركز على تبيين وابراز التفاعل بين التجربة التاريخية والارادة السياسية ، ويبتعد تماما عن كل انواع وصور الحتمية التاريخية ، ايمانا منه بأن التاريخ له « نهاية مقترحة » حسب تعبير « ميريام برهايم كونانت » في مقالها عن آرون فى الموسوعة الدولية للعلوم الاجتماعية .

ولكن رغم تأثره بكل هؤلاء الكتاب الاجتماعيين الالمان ، فان اعماله اتخذت منحى جديدا مختلفا ، اذ بدأت تناقش وتخاطب مشكلات القرن العشرين الواقعية والملحة .

والواقع انه بدأ يهتم بتشنجات ومشكلات وارهاصات هذا القرن ، منذ ان كان يعمل مدرسا للفلسفة فى المانيا ، وشاهد قيام الهتلرية ، وظهور الاشتراكية الوطنية ، وماصاحبها من احداث أثارت التشاؤم فى نفسه حول الوضع الانسانى . وهو تشاؤم ظل ملازما له طيلة حياته ، وجعله يكفر بالحزب الاشتراكى الذى كان قد انضم اليه لفترة قصيرة ، كما كفر

بالأخلاقية اللاتاريخية التى قد اعتنقها أيام الجامعة .

وقد تولى آرون التدريس بجامعة كولونيا بالمانيا الغربية ، عام ١٩٣٠ - ١٩٣١ ، ثم بالمعهد الاكاديمى الفرنسي ببرلين (١٩٣١ - ١٩٣٣) ، وذلك قبل ان يعود الى فرنسا ويتولى منصب التدريس فى عدد من الجامعات والمعاهد العليا ، ابتداء من « ليسيه الهافر » (١٩٣٣ - ١٩٣٤) الى مدرسة المعلمين فى سان كلو (١٩٣٥ - ١٩٣٩) الى جامعة تولوز (١٩٣٩) .

وحين قامت الحرب العالمية الثانية التحق بسلاح الطيران الفرنسي ، ولكن بعد سقوط فرنسا ، عمل مع قوات فرنسا الحرة بقيادة « ديجول » فى لندن ، وتولى تحرير صحيفة « فرنسا الحرة **France Libre**» ثم عاد بعد الحرب الى الحياة الأكاديمية والى التدريس ، واخيرا شغل كرسى الاستاذية ، بالكوليج دى فرانس اعتبارا من عام ١٩٧٠ .

ولم يتوقف خلال هذا كله عن الكتابة للصحافة ، وقد بدأ عام ١٩٤٦ يكتب فى جريدة **Combat** اليسارية ، ولكن ذكرى معسكرات النازى ، وقسوة الستالينية ، ثم دراسته المتعمقة للاقتصاد ، جعلته يبتعد عن الاشتراكية ، ويتحول بالتالي الى العمل فى جريدة « الفيجارو » المحافظة ، ويتخذ منها منبرا لتعليقاته السياسية ، ومهاجمة النزعة التاريخية التى كانت تسيطر على تفكير وكتابات المفكرين الماركسيين .

ثم انتقل كما ذكرنا من قبل الى جريدة « الاكسبريس » التقدمية وارتبط بها حتى وفاته . وخلال كل هذه السنوات الطويلة لم ينصرف عن العمل فى الجامعة وان كان عمل لفترة قصيرة مساعدا « لأندريه مالرو » فى وزارة ديجول الاولى ، ولكنه سرعان ما انفصل عنه لكي يحافظ على مكانته وعلى موقفه كمراقب ، أو « متفرج » ملتزم .

ولقد درج معظم الذين كتبوا عن آرون على عقد المقارنات بينه وبين فيلسوف فرنسا الكبير « جان بول سارتر » لابراز أوجه الأختلاف بينهما ، وعلى الاخص تعارض وجهات نظرهما ومواقفهما من النظام السوفيتى ، وهو التعارض الذى أدى الى انقسام خطير فى الحياة الفكرية فى فرنسا .

والمعروف أن آرون قطع علاقاته - بسبب هذا التعارض - مع سارتر منذ أواخر الأربعينيات ، وانه بدأ ينتقد مواقفه وآراءه السياسية التى كان يعتبرها فجة وساذجة ، وانه تعرض لهذه الآراء فى اتزان وتحفظ فى كتابه « أفيون المثقفين » الذى صدر عام ١٩٥٥ ، والذى يعتبر أشهر كتبه على الاطلاق .

ولم يكن الهدف الأساسى من هذا الكتاب هو الهجوم على الشيوعية أو على المفكرين الذين سمحوا لعقولهم بأن تتحجر وتتجمد داخل قوالب حديدية جامدة ، بقدر ما كان موجها ضد « التقدميين » الذين كانوا ينقبون ويفتشون عما يعتقدون انه من مثالب ومساوىء وعيوب الديمقراطية الغربية ، ويعملون على تضخيمها فى الوقت الذى يغضون فيه الطرف عن (جرائم الدولة الماركسية) ويتناسون المثل العليا التى يؤمن بها اليسار ، والتي يؤمن هو نفسه بها .

وعدد كبير من كتبه الأخرى يصدر عن نفس هذه النظرة النقدية لموقف المفكرين والكتاب (التقدميين) وتشيعهم للنظم الشمولية كما هو الحال فى كتابه (الديمقراطية والشمولية) الذى صدر عام ١٩٦٥ ، وكتاب (الثورة المراوغة) ، ثم كتابه الذى يهاجم فيه الفيلسوف الماركسى البنائى « التوسير » والذى صدر عام ١٩٦٩ بعنوان (من عائلة مقدسة الى عائلة أخرى) وليس أدلّ على مدى عدائه للنظلم الشمولية وللماركسية من استقالته من وظيفته بالسوربون عام ١٩٦٨ ، احتجاجا على عجز الأساتذة من اتخاذ موقف صارم وحاسم من حركة الطلاب .

الى أن خصومته لصديقه القديم سارتر كانت

من نوع آخر ، وقد استمرت حتى نهاية العمر . ومع انهما افترقا تماما منذ أواخر الاربعينات ولم يلتقيا سوى مرة واحدة فى لقاء عابر وسريع عام ١٩٧٩ ، أي قبل موت سارتر بسنة واحدة ـ فان خصومتهما الفكرية ، اتخذت شكل الجدل والحوار العنيف المتبادل من خلال المقالات والمحاضرات والكتب ، بحيث يمكن القول انه على الرغم من اختلافهما الايديولوجي ، فان كلا منهما كان يلعب دورا هاما فى حياة الآخر . وآرون نفسه يقول فى ذلك : ان الخصومة والخلاف هي شكل من اشكال « الوجود معا » وعلى أية حال فاذا كان سارتر يبدأ من الافتراض الوجودى ، بأنه يتعين على كل شخص أن يحدد قانونه الاخلاقى الخاص به ، ووصل الأمر به الى حد المناداة بالالتزام بقضية الماركسية الثورية ، فان آرون كان ينادى بنوع من التعددية الليبرالية ، ويرفض ان ينساق وراء الدعاوى النظرية الجارفة التى كان يتحمس لها المثقفون فى فرنسا بعد الحرب ، وكان أشد ميلا الى الارتباط بالواقع التجريبي ، وبذلك كان يبدو (غريبا) عن المناخ الفكرى العام السائد فى فرنسا ، مما كان يدفعه بالتالي الى ان يعيش فى عالمه الخاص ، وان كان ذلك لم يمنعه قط من أن يكون مؤثرا وفعالا فى حركة الفكرة ، واختلاف نظرة المثقفين الفرنسيين الى سارتر وآرون والتغيرات التى طرأت على هذه النظرة تعطى فكرة واضحة عن قصة التاريخ الفكرى والثقافي فى فرنسا على ما يقول « سكوت سوليفان » . فقد كان الغموض والتألق والحماس المشبوب فى التفكير أكثر قبولا لدى الرأى العام المثقف فى فرنسا من التحليل المنطقى المنهجى المتزن الرزين ، وكانت قبضة الماركسية قوية وشديدة الوطأة على الفكر الفرنسي ، لدرجة أن أى خروج عليها كان كفيلا بأن يؤدى الى (النبذ) أو الطرد من مجتمع الانتلجنتسيا ، ثم أخذ الوضع يتغير بسرعة فى السبعينات نتيجة هروب عدد من العلماء والمفكرين السوفييت من الاتحاد السوفيتى ، اعتبارا من الستينات ، ثم مراجعة المفكرين والمثقفين الفرنسيين لأنفسهم وإعادة النظر فى مواقفهم فى ضوء هذه الاحداث .

والظاهر ان هذا هو ما كان آرون يتوقعه وهو يكتب (أفيون المثقفين) الذى يشير فيه الى انتهاء عصر الايديولوجيات ، والى قرب زوال الماركسية كآخر نسق ومع ذلك فانه كان يخشى أن يؤدى انحسار الماركسية الى قيام نزاعات وتيارات يمينية متطرفة تعادى الفكر الحر ، وتلحق به من الضرر والأذى أكثر مما سببته الماركسية ، وقد أخفق اليمين على أية حال حتى الآن فى ان يجد بديلا يحل محل اليسار بطريقة مرضية ومقنعة ، ومن هنا كان تشاؤمه ومناداته بضرورة الالتجاء الى حكم العقل والاعتدال بعد أن انحرف العالم وسار طويلا في طريق اللاعقلانية والتطرف .

ويكفينا من هذا كله ان نتذكر أن فلسفة آرون تقوم اساسا على الايمان بأهمية الحرية وقيمتها فى الحياة ، وفاعلية العقل الانساني وأثره فى التاريخ ، لو كان هذا الأثر محدودا للغاية . ولقد كانت مشكلته الرئيسية خلال حياته وفي علاقاته هى مشكلة الليبرالية ذاتها ، التى تطالب بالالتزام بالمبادىء المطلقة من ناحية ، والتوفيق القائم على التعقل وحسن الفهم وسلامة الادراك من الناحية الأخرى .

ومهما اختلفت الآراء حول ريمون آرون فانه يعتبر ـ بحق ـ شاهدا على عصره ودارسا لهذا العصر . والرأى السائد الآن هو أن آرون مفكر عالمى بكل معاني الكلمة . وانه لم يكن يتجه فى كتاباته الى الجماعة أو الدولة أو السلالة العنصرية أو الطبقة الاجتماعية التى ينتمى اليها وانما كان يخاطب الانسانية ككل . واذا كانت بعض الاوساط الثقافية فى فرنسا وقفت منه موقفا عدائيا نظرا لمعاداته السافرة للماركسية ، فان نفس هذه الاوساط تعتبره الآن أحد الصروح الضخمة فى الفكر الفرنسي . وفي هذا الاعتراف نوع من رد الاعتبار اليه ، حتى بعد أن مات . □□

المواجهة

بين الثقافة العربية والثقافة الإسرائيلية

بقلم : الدكتور حسام الخطيب

☐ يقدم الدكتور حسام الخطيب إجابة على السؤال الهام : ماذا أثمرت المواجهة بين الثقافتين العربية والاسرائيلية ؟ ويتابع مخططات اسرائيل في العمل على تجريد الأرض المحتلة من هويتها القومية ، كما يبرز معالم سياسة القمع الثقافية . .

ولكن ماذا كانت النتيجة حتى الآن ؟ !

١ - مع اشتداد حملة القمع الصهيونية يزداد اصرار مثقفي الأرض المحتلة على اثبات وجودهم بشتى السبل ، فهم مثلا يحاولون العمل من خلال الروابط والتجمعات الأدبية ، ويؤثرون العمل الجماعي على العمل الفردي لأنه يمثل حماية لهم ، وتظهر في بعض الأحيان أعمال ابداعية مشتركة (مجموعات قصصية) مثلا . وقد شهدت الثمانينات تطورات مهمة في هذا المجال منها انعقاد المهرجان الوطني الأول للادب الفلسطيني في شهر آب من عام ١٩٨١ والاتفاق على عقده سنويا في القدس كل عام . وفعلا انعقد في هذا العام (١٩٨٢) المهرجان الثاني وكان تظاهرة أدبية وطنية صارخة ، وتنظم هذا المؤتمر اللجنة الادارية لدائرة الكتاب في جمعية الملتقى الفكري العربي في القدس . وقد تم طبع وقائع المؤتمر في كتاب توثيقي . ويلاحظ الأستاذ انطوان شلحت وجود ملامح ايجابية أو سمات خاصة للحركة الثقافية الفلسطينية أبرزها التعلق بالقضية الوطنية الكبرى وتفضيل طريقة العمل الجماعي وأخيرا الحرص على وحدة المنبر الثقافي الفلسطيني بحيث ينشر الأديب انتاجه في مختلف المجلات والصحف مثل (الكاتب) و (الفجر) و (البيادر) و (التراث) و (المجتمع) وغيرها ، أي أن المجلات الفلسطينية مفتوحة لجميع الكتاب ، ولا تختص بكاتب أو بمجموعة كتاب . ويستغرب المرء بالفعل مقدرة هذه المجلات على الاستمرار والتزايد في وجه التدابير الصهيونية وليست هذه المجلات أدبية على وجه الحصر فهي تتسع لمعالجة مختلف القضايا الوطنية لأنه يصعب في الأرض المحتلة فصل النضال الوطني عن القضية السياسية ، وعلى سبيل المثال أعلن في تشرين الثاني ١٩٨٢ عن صدور العدد الأول من مجلة (العودة) الأسبوعية التي تصدر في القدس الشرقية المحتلة ، وأعلن رئيس تحريرها ابراهيم كريم انها ستوزع في جميع الأراضي المحتلة وانها

ستنتشر معلومات حول مشكلات الفلسطينيين والأراضي المحتلة ، وأنها تعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية على أنها الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني .

ان النشاط الفكري والأدبي في الأرض المحتلة دائب متعدد الوجوه ، ويبرز في المجال الادبي بوجه خاص الشاعر المجد علي الخليلي وكذلك الشاعران أسعد الأسعد وخليل توما ، والقصاصون جمال بنورة وأكرم هنية وابراهيم العلم ومحمد البطراوي وغيرهم . ومن الشعراء الناشئين الذين يبشرون بدور خاص للجيل الجديد تبرز أسماء مثل عبد الناصر صالح وماجد الدجاني وسميح فرج ومحمد شريم .

رغم حِراب الاحتلال

٢ ـ على الرغم من سنوات الظلام الدامس التي أعقبت نكبة ١٩٤٨ فقد ظلت الثقافة العربية حية في نفوس الأقلية التي بقيت في الوطن المحتل .

ومع بزوغ الثورة الفلسطينية وعودة الروح الى الشعب المشرد عادت الروح الثقافة الى أهل النكبة الأولى وبرز عرب عام ١٩٤٨ يقدمون للوطن العربي وللعالم أدبا جديدا مؤثرا يشكو ويتألم ويناضل ولكنه لا يكشف عن عقد مرضية ولا يسقط في قوالب الأسلوبية ولا يبدد طاقته من خلال الخطابية (ربما باستثناء البدايات كما هو منتظر) انه الأدب الرائد في مرحلتنا العربية المعاصرة . ويكفي أن يذكر المرء محمود درويش وسميح القاسم وتوفيق زياد واميل حبيبي وكثيرين غيرهم . وصحيح أن هناك مجموعة من عرب الأرض المحتلة كادت بسبب محنة الحياة هناك ، تبتعد عن ثقافتها ولغتها ولكن موجة الوعي الوطني تبدو الآن أقوى من أي تخاذل .

بل تبدو الآن حركة الثقافة لدى هؤلاء متجهة الى ما يمكن أن يكون نشاطا تعويضيا عما مضى .

٣ ـ استطاعت الثقافة الفلسطينية في الضفة الغربية والقطاع أن تتطور رغم حراب الاحتلال ، باتجاه العمق والأصالة والوطنية . وأن تعوض عما كان ينبغي أن تفعله في مراحل سابقة ، وتمثل قصص سحر خليفة ما وصلته القصة الفلسطينية من تطور فكري فني مرموق . وان كانت هذه الظاهرة غير مطردة . كما خرجت الثقافة الفلسطينية عن نطاق الشعر والنثر مع الاعتراف بما حققه الأدب من تطور ، وتفتحت فيها نشاطات مسرحية وتشكيلية وفولكلورية ، وتم تركيز الأضواء على الثقافة الشعبية والتراث الشعبي والمسرح .

وعلى الرغم من ظروف القمع الصعبة دخل المسرح الفلسطيني في السبعينات مرحلة تطور جديدة ، وتتعدد الفرق المسرحية في الأرض المحتلة وتركز نشاطاتها على تغذية روح المقاومة وفضح خطط العدو الصهيوني لابتلاع الأرض واستلاب النفوس ، ويخدم التعدد قضية استمرار المسرح الفلسطيني ، اذ تصدر باستمرار أوامر الحاكم العسكري الصهيوني بوقف نشاط هذه الفرقة أو تلك أو منع هذه المسرحية أو تلك فتقوم الفرق الأخرى بالتعويض ولهذا التعدد تفسير آخر ايجابي هو انتشار النشاط المسرحي على مستوى القرى والأحياء والمدارس والجامعات . وقد توجت نهضة المسرح الفلسطيني في شهر آب عام ١٩٨٢ باقامة أول مهرجان مسرحي عربي شاركت فيه خمس فرق نشيطة وتم تكوين لجنة تحكيم مؤلفة من مسرحيين وممثلين وكتاب مهتمين بالمسرح لاختيار أفضل ثلاث مسرحيات توزع عليها جوائز المهرجان .

وبالطبع تعتبر مسرحية (لكع بن لكع) لأميل حبيبي من أبرز النصوص المسرحية الفلسطينية المتوفرة بين أيدينا . وهي تحمل شاهدا جديدا على مدى فعالية النشاط المسرحي في مقاومة الغزو الثقافي والحفاظ على الشخصية الثقافية الوطنية .

أدب القضية

٤ - يزداد تمسك الأرض المحتلة بالثقافة الفلسطينية يوما بعد يوم ويشكل تحديا عنيدا للسياسة الثقافية الصهيونية القائمة على تحقيق عزل ثقافي داخل الأرض المحتلة ، ويتصيد الناس ما يصلهم من قطرات الثقافة العربية بشوق وظمأ ويحمل انتاجهم طابعا ثقافيا عربيا قويا وامتدادا شديدا بأصالتهم وتراثهم ، ولا يسمحون بتداخل هذا الموقف مع ظاهرة المرارة النفسية السائدة في الأرض المحتلة بسبب وجود شعور عام بإمعان العرب في التخلي عن نصرة أهلها المعذبين . كما تكشف الثقافة العربية الفلسطينية هناك عن حرص شديد على الاحتفاظ بجسر متين من الاتصال مع ثقافة الشتات .

ويتم ذلك عن وعي وتركيز كما تكشف الاجابة التالية للكاتب انطوان شلحت عن سؤال بهذا الخصوص ، مع العلم أن الكاتب نفسه مثل جيد لهذا الموقف اذ أصدر كتابين توثيقين يعبران عن قوة تلاحم الثقافة الفلسطينية العربية في الداخل والخارج وهما :

- كنفاني - الرجل تحت الشمس
- أبو سلمى - الرمز والقصيدة .

ولا بأس من أن نثبت هنا اجابة انطوان شلحت على سؤال حول صلة أدب الأرض المحتلة بأدب المقاومة الفلسطينية اذ أن هذه الاجابة تلخص موقفا واعيا وعينيا . يقول شلحت :

بالاضافة الى التلاحم الثقافي بين حركتنا الفلسطينية التقدمية وبين الحركة الثقافية في الأرض المحتلة هناك تلاحم بين الحركتين من جهة وبين الحركة الثقافية الفلسطينية في المنافي .

نحن نعتز بهذه الحركة ونتشر باستمرار نتاجاتها الجيدة والاخبار حول حركتها التصاعدية .

وعبر اطلاعنا على الملفات الثقافية التي تتضمنها المجلات الفلسطينية المختلفة وعلى عدد من المجموعات الادبية التي تيسر لنا الاطلاع عليها يمكن القول : ان أدب المقاومة الفلسطينية في المنافي هو أدب قضية ولم يعد أدب بكائيات ، انما يرتفع باستمرار الى حجم المواجهة المباشرة مع التحديات السياسية والاجتماعية والحضارية . » .

ويضيف أنطوان شلحت أن « البطل » الفلسطيني لم يعد ذلك اللاجىء المشرد من مدن الموت والغربة انما ذلك المناضل المتسلح بفكر واع يرى الأمور بمنظار شامل .

ويقول بعد ذلك مبينا نوع الأدب المنتشر في الأرض المحتلة : « في ثلاث مجموعات أدبية فلسطينية هي آخر ما اطلعت عليه مؤخرا لمست ظاهرة تبدو لي جديدة وتكمن في معايشة عمق الظاهرة الفلسطينية سياسيا واجتماعيا وحضاريا ، في الشارع والمكتب في المخيم والمدرسة في ساحة القتال . واحدة كانت مجموعة قصصية لمحمود الخطيب بعنوان : « عندما سقطت الفراشة » ، والمجموعتان الأخريان روايتان هما « تفاح المجانين » ليحيى يخلف و « طريق الى البحر » لفاروق وادي .

٥ - لا تظهر في الانتاج الثقافي الفلسطيني المعاصر أية تأثيرات صهيونية أو هجينة . بل على العكس من ذلك تتجه الثقافة الفلسطينية بجمعها لمقاومة الثقافة الصهيونية وتسخر من مرضيتها وانغلاقيتها ولا انسانيتها ، واذا كان صحيحا أن الوطن العربي بثقافته القديمة والمعاصرة هو المعين الذي تنهل منه الثقافة العربية الفلسطينية في الأرض المحتلة ، فانه يبقى صحيحا أن الثقافة الفلسطينية ، ولا سيما في جانبيها الأدبي والفولكلوري . ترد الجميل مضاعفا وتغني الثقافة الابداعية العربية (لا التأليفية) بأصوات وطنية وانسانية رائعة ، فيها من الاحساس الصادق والكشف الثاقب والجمال الأنيس غير المصطنع ما كان يحتاجه الأدب العربي الحديث منذ زمن .

على أن هذا الحكم ينطبق طبعا على زهرة الانتاج الأدبي الفلسطيني ، وهناك - كما هو متوقع - انتاج كثير غث وسطحي ومرتبط بالمناسبات اليومية ارتباطا تبعيا ، كما ان الاتقان اللغوي يعاني كثيرا في الأرض المحتلة نظرا لانخفاض مستوى تدريس اللغة العربية وانحدار انتشار المطبوعات العربية ، وتبدو في المختارات الشعرية والنثرية لأدب الأرض المحتلة التي أصدرتها في الثمانينات منظمة التحرير الفلسطينية ثغرات فنية ولغوية واضحة الى جانب البشائر الواعدة التي لا تخفى على المتذوق .

وهكذا تفيد الحالة الخاصة للثقافة العربية في الارض المحتلة ان الصهيونية ليس عندها ماتقدمه سوى التخريب والتشويه والقمع والانغلاقية والمرضية ، وانها لا يمكن أن تنهض بأية حال في وجه الثقافة العربية بوجهيها التراثي والمعاصر . ولكن هذا الحكم بالطبع لا يسري الى الأبد والصراع الثقافي قائم ومستمر ، وليس من الحكمة أن نبدد أوراقنا مثلما فعلنا في مجالات أخرى كثيرة ، وأن نستكين الى المعطيات الثابتة دون أن نحسب حسابا للمتغيرات ، ولنتذكر في هذا الصدد أن ما قالته الكاتبة التشيلية فولوديا تايتليوم بشأن الامبريالية ينطبق تماما على الصهيونية :

« كل ما تفعله الامبريالية متوحش ، ولكنها دائما قادرة على أن تكون أكثر وحشية »

اشعاع متواصل

والخلاصة أن الصمود الثقافي العربي في الأرض المحتلة يشكل حالة خاصة جدا ان كانت تدل على شيء أو شيئين فانها من جهة تحمل تأكيدا جديدا لما أثبته وضع مصر ولبنان من أن الثقافة الصهيونية ليس لديها ما تعطيه للآخرين ، ومن جهة ثانية تحمل نفحة ثقة بالنفس أمام كل الناعين والنادبين والمشفقين على الثقافة العربية .

في الأصل حسبها - بل أرادها - اسرائيل زانغويل « أرضا بلا شعب » . وحين زارها الصهيوني الآخر تشرشل بعد ذلك بثلث قرن (١٩٣٣) تقريبا عجب لوجود شعب فيها ، - في الأرض التي اصطلحت عليها علتا العصر : الصهيونية والاستعمار - وعجب لوجود مقاومة ، وحين قسمتها الأمم المتحدة بين المدعي والمدعي عليه عام ١٩٤٧ فوجئت أكثر الأمم أنهم موجودون ومقاتلون ورافضون - أولئك الذين ليسوا أولاد عيشة لأنهم لا يتعقلون ، وتنادي بعض مندوبيها في هيئة الأمم للعودة عن التقسيم نتيجة للتجربة مع أنه لم يكن اختبارا على طريقة الملك العادل الذي قضى بقسمة الطفل المختلف عليه الى شقين ليختبر الأم الحقيقية من الأم الزائفة .

وفهموا القصة ، ولربما أنهم أعادوا قراءتها في البروتوكولات وملاحقها ، فعملوا على الغاء الوجود الروحي . وسرعان ما اصطدموا بعقبة الثقافة التي رحل أهلها ولكنها ظلت مع أهل (الديرة) الذين ما عليهم لوم ولا تقريع .

وسرعان ما أعملوا معاولهم يهدمون بها الآثار ، ومقصاتهم يغيرون بها على الأزياء الشعبية ، وبنادقهم يمنعون بها ورود الكتب ومجاهرهم يسلطونها على ما هو موجود من الكتب هناك ولا سيما بين أيدي الناشئة ، وسمومهم يشوبها حتى من خلال التزوير والحذف في آي الذكر الحكيم .

وهكذا تستمر الثقافة الفلسطينية في الداخل والخارج وتشع ، ولا تأتي بالمعجزات ولا تبهر العيون أحيانا ، ولكن تظل معجزتها وآيتها أنها هناك عربية انسانية صامدة وليس من فوقها غطاء جوي يحميها ، وليس من تحتها خندق تأوي اليه من قذائف الجو والبر والبحر فهي ضاحية المحيا للهجير وللقنا مثل فارس أبي تمام بل مثل شعبها المعاني . . . . . ولكن الى متى ؟ ! □□

من أين لي ؟

لا تسأليني .. أين راح صلاح ..   والمجد أين ربيعه .. الفواح
والسيف في أي الشواطيء قابع ..   وبأي ليل مدلج .. يرتاح
والفكر في أي الدياجي راسف ..   وعَلاَمَ .. لم يطلع عليه صباح
من أين لي .. غزو العواصف .. ان عدّت   يوما .. وان طوّت الصروح .. رياح
من أين لي .. زرع النجوم على الدجى..   والليل يحرث نجمه .. سفّاح
من أين لي .. والنهر أجدب نبعه ..   وتحطّمت في سفحه .. الاقداح
من أين لي .. والعاديات حوالك ..   ولها من الليل البهيم .. وشاح
من أين لي .. والروض طلّقه الندى ..   ما عاد فيه البلبل .. الصّدّاح
من أين لي .. والبحر أطلق موجه ..   فارتدّ دون عبوره .. السبّاح
من أين لي .. والعبقرية طلّقت ..   عمرا .. فضاع ذكاؤه .. اللماح
من أين لي .. والسيف رهن قرابه ..   والثأر مازفّت اليه .. رماح
من أين لي .. ومواطني محتلة ..   تجتاح كل رحابها .. الأتراح
من أين لي .. وجوانحي مقهورة ..   غصص تجوب ربوعها .. وجراح
من أين لي .. والغصن بين دموعه ..   ذاب الشذى .. وتفطر التفاح
من أين لي .. والطير جندله الأسى ..   فهوى مهيضا ما عليه جناح
من أين لي .. والمجد .. كل سطوره   قد أظلمت .. وانهارت الألواح

شعر الدكتور : أسامة عبدالرحمن

من أين لي .. والشمس ما مدّت سناً   للمدلجين .. جبينه وضاح
من أين لي .. والبدر بين ضلوعنا   قد بال فوق جبينه السوّاح
من أين لي .. والزرع يحصده الردى ..   ويموت في أعقابه الفلاّح
من أين لي .. والموج بين هديره ..   وهديره يتعذّب الملاّح
من أين لي .. وجميع ما ملكت يدي ..   للموبقات الحاكمات .. مباح
من أين لي .. والذل ينخر أضلعي ..   وعلى فمي كالثاكلات نوّاح
من أين لي .. لا الجرح هبّ إباؤه ..   كلا ولا عند الأباة سلاح ..
من أين لي .. ودجى الضلالة موغل ..   لم ينفلق في وجهه الاصباح
من أين لي .. والموبقات جحافل ..   ما ردّهنّ عن الضلال صلاح
من أين لي .. لا الروض روض يانع ..   كلا ولا أدواحه .. أدواح
من أين لي .. والحزن فوق شواطىء ..   ما أومضت في أفْقه الأفراح
من أين لي .. والحرف في زنزانة ..   والسوط فوق سطوره يجتاح

• • •

لا تسأليني .. انني في غيهب ..   ما فيه الا القهر .. والاشباح
كل المشاعر قد هوت مذعورة ..   وتضرجت بدمائها الارواح
هل يملك العربيّ حتى برعما ..   وله من الماضي العريق لقاح

الاستعمار والتعليم

بقلم الدكتور : شوقي السكري

□ أثار الدكتور عمر السيافي قضية التعليم الاجنبي في البلاد العربية وفي مصر على وجه الخصوص ، وخلص من استعراضه لما تم في مصر الى أن الهدف الذي كان الاستعماريون يسعون اليه ، في هذا الصدد لم يكن مجرد نشر الدين المسيحي أو الثقافة الغربية بل تعداه الى تغيير الانتماء القومي ضمانا للتبعية الدائمة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ، وفي هذا المقال ينقل الدكتور شوقي السكري لنا رأيه في هذه القضية .

رأيت استكمالا للفائدة أن أتطرق الى محاولة الاستعمار سواء أكان انجليزيا أو فرنسيا أو غير ذلك من الهويات القومية في اوروبا والولايات المتحدة نحو تشكيل السياسة التعليمية في البلاد المستعمرة .

ولنبدأ القصة من أولها بتحديد معنى الاستعمار ومضمونه . ولابد هنا أن نميز بين نوعين من الاستعمار : الاستعمار القديم الذي يتمثل في الاستيلاء على الاراضي بقوة السلاح والاحتفاظ بجيش يضمن المصالح الاستعمارية ، وهذا هو الذي سنصطلح على تسميته بالاستعمار الكلاسيكي .

والاستعمار الحديث الذي نعايشه الآن والذي يتمثل في السيطرة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية التي تمارسها الدول العظمى في البلاد التي استقلت حديثا وأصبح لها علمها الخاص ونشيدها القومي ومؤسساتها المتميزة ولكنها في حقيقة الأمر مازالت تعتمد في وجودها على الدول التي كانت تستعمرها وتحتل أراضيها من قبل .

الفرق بين الاستعمارين

هناك فروق بين الاستعمار الكلاسيكي

القديم والاستعمار الحديث في نظرتها الى قضية التعليم ، ففي ظل الاستعمار القديم كانت المدارس تحمل طابع المستعمر الاجنبي المتسلط وتسد حاجاته هو لا حاجات الشعوب التي ابتليت به . فالمستعمرون لم يكن يهمهم ان يتعلم الشعب الذي يستعمرونه ، وأن تتاح فرص التعليم للجميع ، وانما كان يهمهم ان يقتصر التعليم على فئة قليلة العدد تصلح للقيام بالاعمال الكتابية أو تشتغل فيما يسمى بالخدمة المدنية أو تقوم بالاعمال التي يأنف المستعمرون من القيام بها ، وهؤلاء عادة يشغلون أسفل درجات السلم الوظيفي .

وعندما كان يسأل المشرفون على التعليم من بين المستعمرين عن نوع الفلسفة أو النظرة التي ينظرون بها الى عملية التعليم ومداه وفائدته والغاية من ورائه ، كانت اجاباتهم ان تعليم ابناء المستعمرات امر غير مستحب وأنه محفوف بالاخطار ، وان لم يكن هناك بد من التعليم فالواجب ان يكون بقدر بسيط بحيث لا يثير ملكة التفكير المستقل الخلاق عند المتعلم .

الدعاية التبشيرية

وقد كانت البعثات التبشيرية صاحبة السلطة في تحديد نطاق التعليم والتحكم في نوعيته واتجاهه ، وان كانت مرتبطة تمام الارتباط بالطبقة التي تدير شئون المستعمرات ، أي ان المبشرين والاداريين في المستعمرات كانوا يتقاسمون النفوذ فيما بينهم ، غير أن نظرة كل من هذين الفريقين الى عملية التعليم لم تكن متطابقة تماما ، بل كانت هناك فروق واضحة يمكن التعرف عليها ، منها ، أن المبشرين كانت تهمهم الدعاية الدينية واشعار التلاميذ الصغار بأن انتماءهم الديني يؤثر على حياتهم في الدنيا والآخرة بينما كان اهتمام الاداريين في المستعمرات مُنصبا على تعليم هؤلاء الصغار مهنة بسيطة أو حرفة يدوية ، وهكذا ترى أن التربية الاخلاقية هي الشعار الذي كان يتشدق به المبشرون الذين كانوا يسعون لاعداد كوادر وطنية لاحتلال المناصب الدينية الصغيرة في الكنائس ، بينما كان الاداريون يبذلون غاية وسعهم في سبيل الاعداد المهني والتدريب الحرفي .

ومع وجود هذه الفروق فلابد من التأكيد على أن هناك أرضية مشتركة بين المبشرين والاداريين ، كلاهما كان ينظر الى التربية المدرسية باعتبارها وسيلة لتحقيق أغراضه ، وكلاهما كان يتجاهل شعوب المستعمرات ولا يعتد برأيها فيما يتعلق بنوعية التعليم ونطاقه والمواد التي تدرس فيه ، اذ كانت الشعوب مغلوبة على أمرها لا يؤخذ برأيها ولا يؤبه لرضاها أو سخطها وحتى اقتراحاتها لم تكن تؤخذ في الاعتبار .

المدرسة والمجتمع

ولكن دعونا نسأل هذا السؤال : هل كانت هناك فروق بين مدارس المستعمرات والمدارس المماثلة في البلاد المستعمرة ؟ فلنتناول مثلا العلاقة بين المدرسة والمجتمع وطبيعة النظام الاداري للمدارس والمواد التي تدرس في تلك المدارس وجدوى التعليم هناك .

لم يكن التعليم في البلاد الاستعمارية كبريطانيا في القرن الماضي وأوائل القرن الحالي

مفتوحا لجميع أفراد الشعب البريطاني بل كان قاصرا على فئة معينة هي التي كانت تتمتع بثمرات التعليم . ففي الفترة السابقة على انتشار الصناعة في بريطانيا كانت الطبقة الارستقراطية الحاكمة ترسل ابناءها الى المدارس كي تعدهم لأداء دورهم المرسوم في جهاز الدولة ، وكان المفروض ان يتخرج من تلك المدارس أشخاص يفخرون بسلوكهم المهذب ويحسنون الاستفادة من وقت الفراغ ، أما بعد انتشار الصناعة فقد نشأت طبقات جديدة غير الطبقة الارستقراطية القديمة يهمها أن يتعلم التلاميذ شيئا له فائدته العملية التطبيقية في دنيا التجارة والصناعة .

اذا قارنا هذا الوضع بما كان قائما في البلاد المستعمرة لوجدنا أن المدارس الموجودة في المستعمرات كانت مقطوعة الصلة بالأهالي المحليين مهما كانت طبقتهم فلغة التعليم هي لغة المستعمرين والقيم التي تثبتها العملية التعليمية هي القيم التي يريدها المستعمرون .

ومن ثم نجد أن المدارس الاستعمارية في بلاد المستعمرات كانت بديلا لا مكملا للتعليم الوطنى الذى كان سائدا قبل الاستعمار ، ولم يكن هدف التعليم هو التكامل مع الثقافة السائدة فى الشعوب المستعمرة بل كان الهدف فصل التلاميذ عن بيئتهم الطبيعية واعدادهم لأدوار معينة فى مجتمع تسيطر عليه الطبقة المتسلطة المستعمرة . .

مجتمع مصطنع

وهذه الطبقة كانت تعمد الى فصل التلاميذ عن والديهم والاحتفاظ بهم بعيدا عنهم فى (داخلية) المدارس حيث يعيشون فى مجتمع مصطنع يوفر لهم كل ما يلزمهم بعيدا عن المجتمع الطبيعي الذي ينتمون اليه بالوراثة والمعايشة وكثيرا ما كانت هذه (الداخليات) بعيدة تماما عن أماكن المجتمع المعتادة أو فى اماكن تخضع لاشراف الاداريين المستعمرين بشكل مباشر .

وهكذا كان الشأن فى شرق أفريقية حيث كان التلاميذ الذين ينتمون لقبائل الباتتو ، يعيشون أثناء الدراسة بعيدا عن مقار أهليهم الذين لم يكن لهم شأن قط فى تحديد مواد الدراسة أو مجرد الاقتراح بالالمام بتقاليد الباتتو وثقافتهم . لقد كانت المدرسة الاستعمارية كيانا دخيلا لا صلة له بالمجتمع المحيط أو الثقافة السائدة بشكل مباشر أو غير مباشر بينما نجد المدارس داخل البلاد الاستعمارية تعمد الى تقوية الروابط الاجتماعية والثقافية القائمة بين الطلاب وبين مجتمعهم الذي يعيشون فيه .

كانت فرنسا الاستعمارية تسعى لتوطيد نظام تعليمي فى المستعمرات يختلف عن نظام التعليم فى فرنسا ، وقد طبقته فى الهند الصينية حيث كان الهدف هو تخريج عمال فيتناميين لهم خبرات مهنية وحرفية معينة يستطيع الاداريون الفرنسيون أن يستفيدوا منها .

وحتى عندما كانت المدارس الفرنسية فى الهند الصينية تقدم الثقافة القومية كانت النظرة الى هذه الثقافة هى النظرة الفرنسية المتعالية .

التنظيم الادارى للمدارس

لقد كان الهيكل الادارى للمدارس الأوربية

فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر مرتبطا بالفوارق الطبقية . هناك تعليم ابتدائي فى أسفل السلم تسبقه فى العادة امتحانات أو اختبارات بهدف استبعاد أكثر المتقدمين وتوجيه العناية لقلة من التلاميذ هى التى تنتمى للطبقات الاقدر والاغنى .

فلم يكن التعليم الابتدائى متاحا للجميع على قدم المساواة ، بل نشأت مدارس خاصة تقدم نوعا معينا من التعليم لا يصلح الا للطبقات الغنية القادرة على دفع مصروفات باهظة . .

ففى فرنسا مثلا كانت توجد مدارس ابتدائية مدتها خمس سنوات تمولها الحكومة ، أما الاغنياء فكانوا يرسلون ابناءهم الى المدارس ذات المصروفات العالية ويتلقى فيها التلاميذ الدراسات اليونانية واللاتينية القديمة . وبعد المرحلة الابتدائية ، هناك المرحلة الثانوية المتاحة لابناء الطبقات العليا وحدها والتى يخير فيها الطلاب بين دراسة العلوم الطبيعية التجريبية أو العلوم الانسانية كالدين والفلسفة والأدب والتاريخ والموسيقا . وبعد المرحلة الثانوية يتوجه الخريجون الى الجامعات حيث تقدم لهم المواد التى تناسب وضعهم الطبقى الممتاز وباختصار لم يكن نظام التعليم يسمح للفقراء الذين توفر لديهم الاستعداد والموهبة أن يتلقوا نفس التعليم الذى يتلقاه أبناء الاغنياء .

ولكن كانت هناك مدارس خاصة انشأها الاستعمار البريطاني والفرنسي فى كينيا وفيتنام والجزائر لاتخدم أساسا الا أبناء المستعمرين بحيث تعدهم لدورهم القيادى فى المستعمرات وبعد ذلك يذهبون لاستكمال تعليمهم الثانوى أو العالى فى بريطانيا أو فرنسا على حساب شعوب المستعمرات بالطبع .

ونادرا ما كان يسمح للطلاب المحليين من شعوب المستعمرات أن يلتحقوا بتلك المدارس الاوروبية الخاصة ، اذ كان هناك نظام صارم للقبول يستبعد معظمهم منذ البداية . وكانت هناك مصاريف دراسية يستعصي على المواطنين الأفارقة والآسيويين أن يدفعوها . لقد كانت مصاريف الدراسة فى المدارس الفرنسية الخاصة فى فيتنام ـ على سبيل المثال ـ تعادل مرتب مدير مدرسة فيتنامي لعام كامل .

الاستعمار الاستيطانى

ولا بد ونحن نختم هذه الكلمة أن نشير الى نوع من الاستعمار لم يلتفت اليه الكثيرون ، وهو الاستعمار الاستيطانى الذى يعمل فى داخل البلاد بصفة دائمة والذى يصر على تعليم التلاميذ الذين ينتمون للأقليات العرقية والدينية تعليما معينا ، تمحى فيه شخصيتهم المتميزة ولغتهم وعاداتهم وتقاليدهم . ومن ذلك تعليم الهنود الحمر والزنوج والمنحدرين من أصل مكسيكي فى الولايات المتحدة أو تعليم القبائل التى كانت تقطن استراليا قبل مجىء الرجل الأبيض .

ومن ذلك أيضا ما نراه فى فلسطين المحتلة من فرض مقررات معينة فى المدارس العربية تخدم قضية الصهاينة بصورة أو بأخرى .

ان موضوع صهر الأقليات فى بوتقة واحدة يناسب أطماع الفئة الاستعمارية المتسلطة ، ويعجل فى محو شخصية هذه الأقليات والقضاء على كيانها ، بينما كانت هذه الأقليات فى السابق هى صاحبة الارض والموارد الطبيعية والموجهة لحاضر بلادها ومستقبلها .

الدرجات العلمية في الطب
هل أدت هدفها ؟

بقلم : الدكتور نبيل سليم

في وسط هذا الخضم الهائل من المشاكل الملحة ، ابتداء من طعام الفرد إلى الصراع من أجل الوجود ، نجد من يرفع صوته طالباً بحياة علمية وأكاديمية أفضل . .

تابعت باعتزاز شديد على صفحات « العربي » ما كتبه الدكتور صفاء خلوصي (في العدد ٢٩٧ سبتمبر ١٩٨٣) عن « عضو هيئة التدريس في الجامعات العربيه . . مكانته ومستقبله » وذلك في سبيل ايجاد « هيئة للدفاع عن حقوق الاساتذة الجامعيين . . ويجب ان اذكر واؤكد أهمية وجود مثل هذه الهيئه ، ولكنني كنت ارجو قبل الحديث العام عن أعضاء هيئات التدريس في الجامعات ان تأخذ كل شريحه على حده . . ونلقي الضوء عليها كأن ندرس مثلا مشاكل ومكانة ومستقبل عضو هيئة التدريس بكليات الهندسه . . او الصيدلة او التجارة او الآداب . . الخ . . لان لكل منها ظروفها الخاصه والمختلفه . . ويهمني ان أؤكد ايضا ان مقال الدكتور صفاء اضاف الكثير وتعرض لمحسوسات وملموسات جد خطيرة . لذا فاني ساحاول هنا التعرض لقضايا عضو هيئة التدريس والطالب في الكليات الطبيه ونظمها . . فنحن نعلم ان من وهبوا العلم والحضارة في الازمان السالفه هم الآن الذين يستجدون العلم والتكنولوجيا في العصر الحديث ولا عيب في ذلك فابن سينا العربي ظل كتابه في الطب يدرس في اوربا لعدة قرون . والآن احفاد ابن سينا ما زالت عيونهم مفتوحه واذهانهم متقدة والدليل على ذلك نبوغهم حينما يتزحون ، وشهرتهم عندما يرحلون .

فمنهم من ساهم في انزال الانسان على سطح القمر ، ومنهم من ذاع صيته وشهرته عبر الآفاق والاعتراف بالحق فضيلة والرجوع اليه ايضا فضيلة . وجامعاتنا الآن عددها اكثر من الماضي بكثير ، وخريجوها يعدون بالآلاف المؤلفه . . وعندنا من الكوادر الممتازة القادرة على تعليم الأجيال القادمه الكثير . . ولكن يجب ان نعترف اننا دول ناميه وقدراتها محدوده . . مثقلة بأعباء كثيرة ، ومشاكلها الطافيه على السطح كثيرة . وفي وسط هذا الخضم الهائل من المشاكل الملحة ابتداء من طعام الفرد العادي الى الصراع من اجل الوجود نجد من يرفع صوته طالبا المستحيل . . هذا المستحيل يتمثل فيما يسمى رسالة الدكتوراة - مثل منح درجة الدكتوراة في الطب - وهذا هو موضوع حديثنا اليوم .

لا . . للدكتوراة محلياً

الطب في الوطن العربي بخير وعافيه ، ولكن يجب ان

نعترف ان العلم الآن عندنا . . مستورد ! ـ مستورد من أوربا وامريكا ـ مستورد على هيئة الابحاث المنشورة في المجلات والدوريات العلميه الهامه ـ هذه الابحاث ممكن ان تمارسها الدول النامية ـ والأبحاث انواع ـ نوع يعتمد اساسا على العمل والتجربه والملاحظه ، ونوع يعتمد على المشاهده وتأثير العقاقير على الامراض المتعدده ـ هذا النوع الاخير من الابحاث ممكن ان تمارسه الدول النامية ولكن ابحاث النوع الاول وهي في هذه البلاد كما نعلم وصلت الى ما يدور داخل الخليه ـ هذا النوع من الابحاث لا طاقه لنا به . ويجب الا نمارسه لان امكانياتنا لا تسمح به ، واذا كلفنا احد الدارسين بعمل مثل هذه الابحاث مع عدم وجود الامكانيات فاننا بذلك نرهقه علاوة على اننا نشجعه على التسامح في النتائج التي يحصل عليها وتعليل ذلك بضعف الامكانيات !! وهذا التسامح قد يفسد قيمة البحث ويجعله غير ذي جدوى . واني اتساءل كم بحث دكتوراة في الوطن العربي في العشرين سنة الماضية أفادنا ؟ وكم من هذه الابحاث ساهم فعلا في تقدم العلوم الطبيه الاكلينيكيه ؟ . . يجب ان نعترف وان نعود الى الحق وهو ان تقتصر جامعاتنا على منح درجة الماجستير . . اما الدكتوراة فيجب ان تتم في الخارج حيث الامكانيات الحقه للبحث الجاد متاحة ومتوفره .

فرسالة الدكتوراه عباره عن إعداد شخصي معين على طرق البحث واستقراء النتائج حتى يكون فيما بعد قادرا على اجراء البحوث ـ وحل المشاكل التي تمس بلاده ومواطنيه .

اما بالنسبه لدرجة الماجستير وهو نظام بدأ تطبيقه منذ عدة سنوات ـ ليست بالكثيرة ولا بالقليله ـ في الجامعات العربيه ـ حيث يتم تأهيل طلبة الدراسات العليا للتخصص والحصول على الدرجه العلمية التي تؤهل الاطباء لكي يصبحوا اخصائيين . وكان النظام المتبع قبل ذلك هو نظام الدبلوم ، حيث كان الطبيب يقضي فترة عامين كطبيب مقيم ثم يتفرغ لمدة عام للحصول على دبلوم التخصص . وقد كثر الكلام حول عيوب هذا النظام بدعوى ان طالب الدراسات العليا يجب ان يمضي فترة اطول للدراسه الاكاديميه في الجزء الاول ثم يمضي فترة اخرى في الدراسة العمليه في الجزء الثاني حتى يكون اخصائيا على مستوى عال من الدراسة والتدريب ، وكما هو معمول به الآن في الحصول على درجة الماجستير .

نظام الماجستير افضل

ولا شك ان نظام الماجستير حاليا افضل من نظام الدبلوم لعدة اسباب :

أولا ، لانه يتطلب من الدارس تحديث معلوماته في العلوم الطبيه الاساسيه في الجزء الاول من النظام وهي القاعده لاي تقدم علمي متعارف عليه خاصه مع التطور الساري في هذه المجالات العلميه .

ثانيا : ان هذا النظام يهدف الى تفريغ الدروس في العام الثاني للدراسات الاكلينيكيه حتى يستطيع ان يحصل على المعلومات والمهارات المطلوبه في تخصصه .

ان المشكلة ليست في نظام الماجستير ولكنها في تطبيقه نتيجة زيادة الاعداد المتخرجه في كليات الطب ورغبتها في الاستزاده من الدراسات العليا . واصبح من الصعب استيعابها في المستشفيات الجامعيه وبالتالي لا تتاح الفرصه الكافية لها للتدريب العملي واكتساب المهارات المطلوبه .

اما مشكلة الرسالة المصاحبه للماجستير فبعض الاقسام في الكليات الجامعية تتطلب بحثا اكاديميا طويلا لا يتفق مع تخريج مهنيين على درجة عاليه من الكفاءة واذا كان القانون يحتم ان تكون درجة الماجستير مصحوبه برسالة فمن الممكن التصرف بأن تكون هذه الرسالة عبارة عن تحليل لبعض الحالات او مراجعة لموضوع معين عمليا ، او ان يكون هناك مقال يكتب بدلا منها ، ويكون كتابته في جدول الامتحان التحريري اوقع ، وتظهر كفاءة الطالب وقدرته على تحضير الموضوع بالكامل في جلسة واحده ، ولقد كان هذا النظام متبعا في امتحان الماجستير قديما . لقد اصبحت الرساله فعلا مكرره بطريقه مملة بل وقد يسرق احد الطلبة رسالة من جامعة أخرى ولا يدري المشرف عن ذلك شيئا .

ويهمني ان اؤكد ان دراسة الماجستير دراسه جاده لانها تراجع المعلومات الاساسية والتي يكون معظمها قد تبخر ، ولا ننسى اهميتها القصوى لرفع المستوى العلمي بحيث يمكن متابعة الجديد في الطب في كل النواحي المتصله بفرع التخصص .

رسالة الطب

ومن اجل تحسين المستوى العلمي والعملي للاطباء

حديثي التخرج يجب ان يكون الطبيب نفسه جادا في ممارسته للمهنه واضعا في اعتباره اولا وثانيا وثالثا ان الطب مهنه رفيعه وليس الهدف منها هو الكسب السريع وان الطبيب القنوع الماهر هو المطلوب وليس الطبيب الجشع الذي يبحث عن المال سريعا بمستوى طبي متوسط أو ضعيف ويجب عليه ان يحب عمله ، بمعنى آخر ان تكون سعادته في شفاء اكبر عدد من المرضى بما اعطاه الله من علم ، وهذه السعادة هي ما تمسح عنه جهده وعرقه ومعاناته وعليه ايضا ان يكون دائم الاتصال بالعلم وتطوراته وذلك بحضور المحاضرات وبخاصه للاطباء الاجانب الزائرين وبالقراءة المستمره للمجلات الطبيه الرفيعة المستوى ومحاولة حضور المؤتمرات الداخلية والخارجية حتى يكون دائم المعرفه وعلى اطلاع بآخر تطورات الطب ، فهو يتطور بسرعه مذهله وحتى لا يشعر الطبيب انه يتقهقر امام تقدم زملائه . وعليه أخيرا ان يتمسك بالخلق وهذا مهم جدا ، ويجب ان يكون حسن المعامله مع زملائه وأقرانه وان يحترم اساتذته ويتذكر القول « من علمني حرفا صرت له عبدا » .

ولا شك ان الطبيب العربي وريث حضارة طبيه ماهره سبقت كل البشريه في هذا المجال ، وهذا ما يدعونا لاعلان اعتزازنا وحبنا الشديد لهذه المهنة ، رغم ما يعانيه الاطباء من الاحساس بالغربه .. ففي وسط الصراع المحتدم بيننا وبين لقمة العيش ، والبحث عن مستوى معقول يعيش فيه الاطباء جميعا تتباعد بينهم كزملاء الشقه ، فمهنتنا مهنة اليوم الطويل والعمر القصير ، والسعي والكد ليلا ونهارا بلا راحة لأجسادنا التي هدها طول الدراسه واستمرارها ضد عدو شرس لا تنتهي حربنا معه بهدنه أو فض اشتباك او تطبيع الا وهو المرض .

اما عن عضو هيئة التدريس في الجامعه والمستوى العلمي فلا شك ان الدرجات التي يحصل عليها الطالب الآن اكثر مما كانت عليه ، وهذا يرجع الى عدة عوامل اهمها التساهل الشديد من عدد كبير من الممتحنين في اعطاء الدرجات ، ثم تنافس الجامعات ، حيث كان عددها في الماضي كما كان في مصر مثلا ثلاثه « القاهرة - عين شمس - الاسكندريه » اما الآن فعددها حوالي احدى عشرة كلية ، لذلك يحاول الاساتذه اظهار مستوى طلبتهم في مستوى افضل او ارفع من غيرهم فيكيلون لهم الدرجات وهذا ليس في الصالح العام اذ يعطي فكرة خاطئة وتقديرا اكثر من الحقيقه ولا يدل على ارتفاع المستوى وهو ليس واقعيا .

اما من الجهة الاخلاقيه فلا شك ان هناك انحداراً واضحا ، فنحن كنا وما زلنا نقدس أساتذتنا ، وكان لهم احترام ومكانه خاصه وواضحه ، اما الآن فلا الاحظ هذا الا من القله القليله ، ولقد تأثر الوسط الجامعي بالرياء والنفاق بكل اسف !! .

ومما زاد الطين بلة - كما يقولون - وجود عدد لا بأس به من الجامعات الاقليميه أو الجديده - وانا لست ضد هذه الجامعات ، وأؤكد ان وجودها هو منارات للعلم ولكن ما يحدث ان معظم اساتذتها من الدفعات الحديثه وفي بعض الاحيان يكون رئيس القسم استاذا مساعدا وليس استاذا ؟ : .. وهؤلاء الاساتذه المساعدون - مع عظيم احترامي لهم ، تخولهم الكليه رغم صغر سنهم - منح درجات الماجستير والدكتوراة فاذا كانت امكانيات الجامعات القديمه العريقه غير كافيه للحصول على هذه الدرجات فكيف تسمح امكانيات هذه الجامعات الجديده ؟ !! .

ان عدد الاساتذه الآن كثير والحمد لله ، وليست هناك عوامل ملحه لتخريج اعداد أكثر من حاملي هذه الشهادات العاليه جدا ، فلماذا تجعل المنح والمنع في يد استاذ مساعد لم يتجاوز الاربعين من عمره ؟ ! . هناك نقطه أخرى .. في انجلترا مثلا فان لجنة الممتحنين تكون كلها غريبه على الطالب واذا تعرف احد الاساتذه على أحد الطلبه اي كان تلميذا عنده او عمل معه امتيازا أو نائبا . فان الاستاذ الممتحن يتنحى عن الامتحان فورا .

ونحن هنا في الوطن العربي نمتحن نوابنا ومعيدينا وهم بالنسبة لنا كالابناء أو الاخوة ، وما يتبع ذلك من اغداق الدرجات عليهم !! .

فلماذا لا نعمل على انشاء هيئة عربية للممتحنين ؟ .

انني ادعو كل الهيئات الجامعية العلميه والطبيه في الوطن العربي الى تكوين « مجلس عربي اعلى للجامعات » تكون مهمته وضع القيود والضوابط ، وقصر الجامعات التي تمنح الدكتوراه على اعداد معينة منها وان يضع بندا يقول ان رؤساء الاقسام الذين يخولهم سلطة منح الدكتوراه يجب ان يكونوا قد مر خمس او عشر سنوات على حصولهم على الاستاذيه ؟ ومن ثم يعمل هذا المجلس على انشاء هيئه عربيه للممتحنين ، حتى نضمن الحياد ونعطي القدوة الصالحه .

حول استقلال الجامعات

بقلم : الدكتور عدنان الظاهر*

لقيت المقالة التي نشرها الأستاذ الفاضل الدكتور صفاء خلوصي تقديرا كبيرا من الأساتذة الذين اطلعوا على مجلة العربي - العدد ٢٩٨ ، وجدير بالذكر أن بعضا من هؤلاء الأساتذة كانوا طلبة للأستاذ خلوصي حينما كان أستاذا في دار المعلمين العالية في بغداد .

تعلموا منه روح المثابرة والجد والجرأة في قول الحق ، فضلا عن النزعة الأدبية والتنوع في الاهتمامات .

يقترح صاحب هذا الصوت الجليل تشكيل هيئة تدافع عن حقوق الأستاذ العربي المغترب طورا والمحارب في رزقه أو في علمه طورا آخر . لقد تصدت جهات ومؤسسات شتى لما يسمى بظاهرة « هجرة الأدمغة العربية » وسمعنا الكثير من المقترحات الرامية الى وقف هذا النزيف الحضاري الخطر لكننا وأسفاه ما زلنا نسمع الكثير عما يتعرض له الأستاذ الجامعي العربي في وطنه وفي عقر داره ، حيث يكون نصيب البعض أن يجوب الآفاق سعيا وراء عمل في حين يشغل مكانه في الجامعة استاذ أجنبي من بلد صديق قريب أو بعيد .

أجل . لقد آن الأوان لقيام مؤسسة أو هيئة تتكفل رعاية شؤون الأستاذ العربي وتدافع عن حقوقه وتضمن له فضلا عن حريته الفكرية - الحصانة الأكاديمية التي يقترحها الدكتور صفاء خلوصي . ولا يسمح المجال للخوض في تفاصيل أو مواصفات مثل هذه الهيئة التي قد تكون فرعا من فروع جامعة الدول العربية أو لجنة حقوق الانسان أو هيئة الأمم المتحدة . . . الخ ، انما قصدت أن أضم صوتي لصوت هذا الأستاذ الذي عاش وخبر ظروفها وملابساتها

ان أغلب المقترحات الواردة في مقالة الدكتور خلوصي على درجة كبيرة من الأهمية والوضوح ، الا أن لدينا ملاحظات حول المقترحين الثالث والرابع يمكن اجمالها بما يأتي :

١ - ليس هناك في العالم اتفاق شامل حول كيفية اختيار أو انتخاب رئيس أو انتخاب رئيس القسم أو العميد أو رئيس الجامعة . فالدول المختلفة - بل وحتى الجامعات المختلفة في البلد الواحد - لها أسلوبها الخاص ولها تقاليدها الخاصة في هذا المضمار . ففي أغلب جامعات الولايات المتحدة الأمريكية تكون رئاسة القسم مسؤولية دورية بالنسبة لكافة أعضاء القسم بصرف النظر عن الدرجة واللقب العلميين للأستاذ .

٢ - لا يعتمد الكثير من جامعات العالم على سمعة رئيس القسم أو عميد الكلية العلمية ، بل يؤخذ بالاعتبار الأول سمعة القسم أو الكلية بشكل عام ولا سيما مجمل النشاط العلمي من أبحاث منشورة أو تنظيم مؤتمرات علمية

٣ - درجت معظم الجامعات العالمية الشهيرة على اختيار رؤساء لها من بين أشهر العلماء لسبب بسيط هو أن الرئيس لا يمارس في الواقع أعمالا ادارية بحتة تستنزف جهده ووقته ، بل يترك هذا الأمر لأجهزة عالية التخصص .

٤ - سلم التدرج المعمول به حاليا في كل من بريطانيا والاتحاد السوفيتي هو صورة ما من صور سلم الضبط العسكري وهو سلم وظيفي أكثر منه سلما علميا . فكم من محاضر شاب يفوق في علمه وأبحاثه أصالة وتجديدا الأساتذة الشيوخ من شاغلي كراسي الأستاذية ؟

٥ - نتفق مع الأستاذ الدكتور خلوصي على أهمية البحث العلمي في الحياة الجامعية ، من حيث كونه يعمق ويحسن مستوى المحاضرة والمحاضر معا الأمر الذي سينعكس لاحقا على مستوى الطالب والقسم والبلد في نهاية الامر .

٦ - وأخيرا يمكن اضافة مقترح آخر يتعلق بحق الأستاذ في التفرغ العلمي الكامل لمدة سنة دراسية أو أكثر لكل خمس سنوات خدمة مثلا . وهذا الأسلوب متبع في أغلب جامعات العالم حيث يتمكن الأستاذ المتفرغ من اجراء أبحاث خاصة في جامعة أخرى أو في بلد آخر للافادة من الأجهزة المتطورة أو المصادر التي لا تتوفر في جامعته . مع التأكيد على ضرورة اتباع أسلوب تبادل الأساتذة العرب الزائرين لفترات يتم الاتفاق بشأنها لتبادل ونقل الخبرة

ملاحظات سريعة وعجلى وددت أن أساهم بها في « منتدى العربي » . □□

---

* الأستاذ بجامعة الفاتح (طرابلس)

النطق والكلام .. ليس وقفا على بني الانسان

● هل من المعقول أن يتكلم الشجر .. ويخاطب بعضه بعضا .. من حيث لا تدري ؟

قد يستجيب بعض الشجر للموسيقا ، كثيرا أو قليلا .. وقد يصدر عن بعض النباتات ردود فعل معروفة كعباد الشمس الذي تدور أزهاره بحيث تظل متجهة نحو الشمس دوما ...

أما ان تتكلم الشجرة وتخطر قريناتها القريبة والبعيدة بالخطر الذي داهمها بحيث تستعد له تلك القرينات مسبقا وتتقي شره .. فهذا ما لم يخطر ببال العلماء الا مؤخرا ..

انه اكتشاف جديد توصل اليه في الصيف الماضي علماء أمريكيون يعملون في جامعة واشنطن .. وقد اختاروا لتجاربهم شجرة من شجر الصفصاف ، واختاروا لغزوها بعض العناكب ويرقات الفراشات ، وهذه الأخيرة مشهورة بنهمها وقدرتها على أكل كميات كبيرة من ورق الشجر .

وعمدت شجرة الصفصاف لدى شعورها بوجود اليرقات والعناكب ، الى افراز مواد كيماوية من شأنها أن تجعل اوراقها منفرة للأعداء المهاجمين ... فهي تفقد تلك الاوراق - لا سيما الجديدة - طعمها المستطاب ، وتسلبها الكثير من عناصرها المغذية .. على أن هذه معلومات معروفة في علم البيولوجيا ولا فضل لعلماء واشنطن فيها ..

غير أن هؤلاء العلماء اكتشفوا ان شجرة الصفصاف تلك اطلقت مادة كيماوية أخرى ولكنها غازية يسهل انتشارها في الجو .. وما لبثت تلك المادة ان وصلت الى جاراتها من شجر الصفصاف القريب منها والبعيد ، الذي يبعد نحو (٧٠) مترا ... وما أسرع ما أفرزت تلك الشجرات مثل المواد الكيماوية التي أفرزتها شجرة الصفصاف الأولى .. فحمت نفسها واستعدت للخطر قبل وقوعه .

أما المادة الكيماوية الغازية التي ادت مهمة صفارة الانذار فهي غاز الأيثيلين ، كما يرجح أولئك العلماء - وقد نجحوا في عزلها - ولكن نجاحهم لم يكن كاملا ..

اذن فالشجر يتكلم ويخاطب بعضه بعضا ولكن بلغته الخاصة .. اللغة الكيماوية ..

العلبة السوداء تجهز بها كل الطائرات بلا استثناء

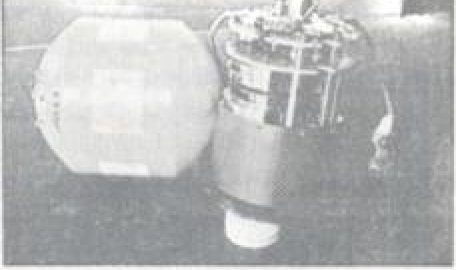

● هذه هي العلبة التي يجدون في البحث عنها عقب الكوارث التي قد تتعرض لها الطائرات فتؤدي الى هلاكها .. انها العلبة السوداء ـ كما يسمونها ـ وهي في الغالب برتقالية اللون .. لا سوداء .. و لهم وصفوها بالسواد نظرا لكثرة اقتران ذكرها بالكوارث ..

ولعل أهم ما يذكر عن العلبة حساسية أجهزتها المرهفة ، وقوة احتمالها البالغة .. فهي تحتوي على أسلاك ومسجلات وأشرطة ، وتسجل شتى المعلومات الحيوية عن أداء الطائرة .

لذا كانت العلبة السوداء المرجع الأهم ، ان لم تكن الوحيد ، للمحققين الذين يكلفون بتحري أسباب الكوارث التي تحل بالطائرات ..

الدم الاصطناعي البديل

● نجح فريق من علماء اليابان في تطوير دم اصطناعي بديل .

اطلقوا عليه اسم فلوزول ـ دا (Fluosol-DA) لونه أبيض كالحليب ويشر بفاعلية تفوق فاعلية الهيموجلوبين الطبيعي في نقل الاوكسجين الى شتى اجزاء الجسم .. ومما يذكر ان بعض المرضى يلاقون حتفهم لتعذر حصولهم على ما يحتاجون اليه من الدم الطبيعي ، بالفصيلة المناسبة وفي الوقت المناسب ..

أضف الى ذلك ما يتميز به هذا الدم البديل .. فهو لا ينتمي الى فصيلة معينة من فصائل الدم بل يصلح لها جميعا بلا استثناء .. ثم انه نظيف ١٠٠٪ .. واحتمال نقله للامراض بالعدوى غير وارد على الاطلاق .. فلا خوف على من يعطى الدم الاصطناعي من العدوى بأي مرض .. كمرض الكباد أو الايدز (AIDS) أو غيرها ..

بقي أن نذكر ان حفظ الدم الاصطناعي وخزنه في المستودعات ونقله من مكان الى مكان ـ أمور في غاية السهولة .. فهو يعمر طويلا .. حوالي سنتين ويمكن حفظه بدرجة حرارة الغرفة العادية دون حاجة الى تبريد أو تجميد .

العربي - العدد ٣٠٢ - يناير ١٩٨٤

الجديد في العلم والطب

الهواء عوضا عن الكهرباء

● نجح العلماء مؤخرا في استغلال الهواء وتسخيره لحمل ما يريدون حمله من أشياء ، مهما بلغ وزنها .. والمبدأ سليم ولا ريب .. فسفن الهوفركرافت تعتمد على الهواء في انطلاقها .. فهي لا تمخر عباب البحر بقدر ما تطير فوق وسادة في الهواء .. لماذا ، اذن ، لا تكون الوسادة الهوائية هي وسيلتنا في حمل ما نريد حمله ، ونقل ما نريد نقله من بضائع وآلات ثقيلة فوق اليابسة ؟ لماذا لا تدع هذه الأشياء في الهواء فوق الأرض على نحو ماتطير سفن الهوفركرافت فوق سطح البحر .. فيهل علينا حملها ونقلها ..

هذا هو السؤال الذي استأثر باهتمام بعض العلماء السويديين وجهودهم ، حتى تمكنوا من اختراع العربة البسيطة التي ترى في الصورة .. والتي تستطيع حمل ما يبلغ زنة طنين دون عناء ! ذلك ان هذه العربة مزودة بهواء مضغوط وبخاخات تدفع هذا الهواء بقوة الى أسفل ، فترتفع العربة الى أعلى مسافة ... بوصة ونصف بوصة . وعندئذ تفقد العربة معظم وزنها ووزن حمولتها ، ويصبح عملها أشبه بالسباحة في الفضاء فلا تكلف العامل القائم عليها أي جهد يذكر .

وغني عن البيان أن هذه العربة كفيلة بالحلول محل العربات الكهربائية في شتى المستودعات .. مستودعات المصانع والجمارك وغيرها .

مروحة هواء جديدة !

● كثرت مراوح الهواء المنزلية الجديدة في المدة الأخيرة ..

ولكن الانباء العلمية الأخيرة حملت الينا خبر اختراع مروحة هواء متطورة كالتي ترى في الصورة . إنها تحرك الهواء وتدفعه كسائر المراوح التقليدية . ولكنها تدفعه بأقوى مما تفعل المراوح المألوفة .. والأهم من ذلك انها تنظف الهواء من الشوائب وتفعل ذلك بواسطة جهاز ترشيح خاص كفيل بتنقية الهواء من الغبار ودخان السجائر ، وحتى من غبار الطلع الذي يخرج من الشجر ويملأ الجو ويسبب آفات الحساسية للكثيرين . ثم ان المروحة الجديدة تشفط الروائح الكريهة من هواء الغرفة .

أضف الى ذلك كله أن المروحة الجديدة - على صغر حجمها - مجهزة بجهاز تدفئة بقوة ٥٠٠ شمعة من شأنه أن يشيع الدفء في الغرفة ايام البرد .

نبدأ حفظ القرآن بأواخر جزئه الثلاثين

بقلم : محمد خليفة التونسي

يجمع الاسم المفرد جمع مذكر سالما فيعرب جمعه بالواو رفعا مثل « قد أفلح المؤمنون » ، وبالياء نصبا وجرا مثل ، « ان الله لا يحب الفرحين » ومثل « من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه » .

ولكي يجمع الاسم المفرد هذا الجمع تلزمه شروط لا يعنينا هنا ذكرها

وقد لاحظ النحاة ان هناك اسماء تعرب اعراب جمع المذكر السالم ، وليست منه ، فجعلوها « ملحقة به » .

وهذه الأسماء الملحقة نوعان :-

١ - جموع لها مفردات ، ولكن مفرد كل منها لم يستكمل الشروط اللازمة ، مثل سنين ، عالمين ، عليين ، أرضين ، بنين ، أهلين ، مئين .

العقود العددية ودلالتها على الافراد والجموع

٢ - العقود العددية ، مثل عشرين ، ثلاثين . . الى تسعين ، وهي تشبه الجموع شكلا ولكنها ليست جموعا اذ ليس لها مفردات ، بل كل منها مفرد ، يدل على عدد معين ، وكل عدد من هذه العقود يدل على كمية موصوفه ، فهو يدل على جمع ، اذا وصف به جمع ، مثل « حفظ الصبي أجزاء القرآن الثلاثين » ، فعدد « الثلاثين » هنا دل على جمع ، لأن موصوفه : أجزاء ، جمع ، ولكن اذا قلنا : « يبدأ صبياننا حفظ القرآن بجزئه الثلاثين » ، فان كلمة الثلاثين تدل على مفرد كموصوفها (جزء) .

ومن هنا يظهر انه لاحاجة بنا الى التشكك في صواب استعمال هذه العقود للدلالة على الافراد ، كدلالتها على الجموع . ولا حاجة بنا الى شاهد مأثور بعيد ، فحسبنا النظر في صفحات المصاحف القرآنية ، فان كل صفحة منذ قرون - تتوج برقم الجزء الذي منه سورتها ، . . .

وذلك على النحو الآتي : الجزء الاول ، الجزء الثاني ، . . الجزء العاشر ، الجزء الثامن عشر ، الجزء العشرون ، الجزء التاسع والعشرون ، الجزء الثلاثون ، وكفى بهذا دليلا على صواب هذا الاستعمال الذي لا نعرف ان احدا أنكره أو تشكك فيه .

ومن علمائنا السابقين من كانوا يسيرون على هذه الطريقة في ترقيم أبواب كتبهم ، أو مجالسهم ، فيقول مثلا ، المجلس العشرون و . . المجلس السبعون ، والمجلس الثمانون[1] .

للوصف بالاعداد دلالتان

ولكل من العقود العددية ، وسائر الاعداد دلالتان ينبغي الالتفات الى الفرق بينهما ، وما أجدر ان يكون نحاتنا قد التفتوا الى هذا الفرق ، وان لم يكونوا قد بينوا ذلك بيانا حاسما فيما اطلعنا عليه من كتبهم حتى المطولة ،

(١) انظر : أمالي ابن الشجري ، والمؤلف (ت ٥٤٢ هـ) كان اماما في الأدب واللغة والنحو وهذه الامالي في أربعة وثمانين مجلسا جرى ترقيمها هكذا « المجلس الاول . . المجلس الرابع والثمانون » .

صفحة لغة

ونحاة بعض اللغات الاخرى قد التفتوا الى هذا الفرق، اذ قرروا ان الاعداد قد تدل على كمية المعدود، فتسمى الاعداد الاصلية Cardinal Numbers، وقد تدل على رتبة المعدود بين أمثاله، وتسمى الاعداد الترتيبية Ordinal Numbers فاذا قلنا: طبعت المطبعة النسخ الاربعين أو الخمسين أو المائة أو الالف أو المليون، دلت هذه الاعداد على كمية المعدود، واذا قلنا: وقفت المطبعة عند النسخة العشرين أو الثمانين أو المئة أو الالف أو المليون دل كل عدد على نسخة واحدة ورتبتها. ويظهر الفرق أوضح بين النوعين عندنا في الاعداد العشرة الاولى، فيقال في الاعداد الترتيبية: النسخة الاولى، أو الثانية... أو العاشرة، والكتاب الاول... أو العاشر، كما يظهر الفرق أيضا في رقم الآحاد من كل عدد بعد العشرة، سواء كان مركبا أو معطوفا، مثل النسخة الحادية عشرة والتاسعة عشرة، والثانية والعشرين والتاسعة والتسعين والكتاب الثاني عشر والثامن والثلاثين.

ومن هنا يظهر لنا أن العدد الترتيبي يدل على واحد، ولكن العدد الاصلي مع الكمية يدل على المئات، بل الالوف، بل الملايين فصاعدا بلا انتهاء.

تثنية العقود وجمعها والنسبة اليها

كل من العقود العددية مفرد يمكن تثنيته وجمعه، فكما نقول: مئتين ومئات وألفين والوفا، ومليونين وملايين، نقول أيضا: عشرتين وعشرات، وعشرينين وعشرينات[٢] وخمسين وخمسينات، وتسعينين وتسعينات، وهذا ما سار عليه المعاصرون في ترجمة الكلمات الاجنبية فقالوا مثلا في السنوات: عشرينات، خمسينات، ستينات، سبعينات، تسعينات، وهم لا يريدون من ذلك ان يجمعوا هذه العقود، بل السنوات التسع التي تلي كل عقد، فاذا قالوا مثلا «الخمسينات» فهم يريدون السنوات من الحادية والخمسين حتى التاسعة والخمسين وهو ما يقابل «العقد السادس»، فالمعنى مختلف عند المعاصرين، ولكن هكذا جرى استعمال هذه الأعداد وشاع حتى صارت مصطلحات.

واذا نسبنا الى احد العقود العددية زدنا ياء النسب هكذا عشري، وعشريني وثلاثيني وتسعيني، فنقول مثلا اننا اليوم نسير في الحساب على النظام العشري وكان الكلدانيون قبل اربعة الاف سنة يسيرون على النظام الستيني ومن بقاياه في حضارتنا حساب الساعة ستين دقيقة، والدقيقة ستين ثانية، وكان الفراعنة في تقويمهم الشمسي يسيرون في حساب الشهور على النظام الثلاثيني اي يجعلون كل شهر ثلاثين يوما، ويضيفون الى شهور السنة الاثنى عشر خمسة ايام، ويجعلونها ستة كل اربع سنوات هي ايام النسيء (اي التأخير) وهذا التقويم يسمى «القبطي». وعلى وفقه يحدد اهل الريف في مصر مواسمهم الزراعية حتى الان.

وقد جمع بعض علمائنا بين النسبة الى العقود، ثم جمعها منسوبة، فقيل العشرينات والعشرينيات، ولدينا العلامة المغربي السبتي مالك بن المرحل[٣] (٦٠٤ - ٦٩٩ هـ) وكان في عصره من مشاهير الادباء والشعراء واللغويين وعلماء القراءات، قد نظم قصيدة مطولة سماها «الوسيلة الكبرى» وهي في الزهد وفي مدح النبي صلى الله عليه وسلم، وقد ذكرها اسماعيل البغدادي باشا في كتابيه «ايضاح المكنون» و«هدية العارفين» فسماها «العشرينيات» المحمدية، ولابن المرحل غير ذلك «العشريات الزهدية» (وله أيضا المعشرات النبوية).

العشرينات لا العشرونات

ونحن ننسب الى العقود من عشرين الى تسعين فنبقيها على أصلها، لانها - كما قلنا - مفردات، وليست جموعا، فمن الخطأ النسبة اليها بعد حذف الواو والنون، أو الياء والنون. ونحن ننسب اليها أو نجمعها - كما هي - ولا نذكرها بالواو والنون فلا نقول: عشرونات وتسعونات، بل نلزمها الياء والنون، فنقول:

(٢) من عجيب الاعداد أن الفرنسيين يقولون Quatre Vingts أي ثمانين، «أربعة عشرينات».
(٣) انظر ترجمته ومؤلفاته للاستاذ هلال ناجي: مجلة المورد العراقية المجلد ٣ العدد ٤ ص ١٤٦

وعشرينات ثلاثينات .. تسعينات » ونقول : عشريني ، وأربعيني وسبعيني ، ونقول : « عشرينيات وخمسينيات .. وتسعينيات » ومن ذلك مثلا « الحرب السبعينية (١٨٧٠ م) بين المانيا وفرنسا ، واحتفلت مجلة المقتطف بعيدها الخمسيني (٥٠ سنة) في حياة مؤسسها ، والترجمة السبعينية للتوراة تمت في مصر . وشهور التقويم القبطي ثلاثينية ومن علمائنا اللغويين النحاة « ابن الثمانيني »(٤) (ت ٤٤٢ هـ) .

بعض العرب ، ومنهم قبائل أسد وتميم وعامر يلزمون جمع المذكر السالم وملحقاته الياء قبل النون باطراد(٥) مثل الكلمات : سكين ، مسكين ، تنين ، يقطين ، ويعربونها بالحركات الظاهرة على النون : الضمة رفعا ، والفتحة نصبا ، والكسرة جرا ، ومن شواهد ذلك قول الشاعر :

رُبَّ حيٍّ عَرَنْدَسٍ ذي طَلالٍ
لا يزالونَ ضاربينَ القِبابِ(٦)

ومثل قول جرير يمدح قوما ويهجو اخوتهم :

عرفنا جعفرا وبني أبيه
وانكرنا زعانفَ آخرينِ(٧)

وقبل ذلك قول الحكيم الجاهلي ذي الاصبع العدواني في الاباء :

اني أبيٌّ أبيٌّ ذو محافظة
وابن أبيٍّ أبيٍّ من أبيينِ
لا يُخرج القسر مني غيرَ مأبية
ولا ألينُ لمن لا يبتغي لِيني

ومن شواهد ملحقات جمع المذكر السالم التي اعربت بالحركات الظاهرة على النون كلمة « سنين» في قول جرير ، لامرأة عنفته على تصابيه ، من قصيدة في هجاء الفرزدق :

رأت مرَّ السنينَ أخذنَ مني
كما أخذَ السِّرارُ من الهلالِ(٨)

وقول الصمة بن عبد الله القشيري (شاعر أموى) في الشيب :

دعانيَ من نجد ، فان سنينه
لعبن بنا شيبًا ، وشيبننا مردا

ولا يقال : ان اعراب سنين بالحركات الظاهرة على النون هنا ، من الضرورات الشعرية اذ وردت كذلك في حديث نبوي « اللهم اجعلها عليهم سنينا كسنين يوسف » وفي لسان العرب : « بعض العرب يقول : هذه سنينٌ .. ورأيت سنينا ، فيعرب النون » وفيه أيضا « ومنهم من يقول : سنين على كل حال في النصب والرفع والجر ، ويجعل الاعراب على النون »

ومن اطراد هذه الظاهرة في العقود العددية كلمة « الاربعين » في قول سحيم بن وثيل الرياحي (شاعر حبشى بليغ في العصر الاموى) يمدح نفسه في مواجهة بعض خصومه :

وماذا يبتغي الشعراء مني
وقد جاوزت حد الاربعينِ
أخو خمسين ، مجتمع أشدى
ونجذني مداورة الشئون(٩) ، (١٠)

ويلاحظ هنا أن الشاعر يشير الى أنه بعد تمام الاربعين دخل في الخمسين ، أو عشرة العقد الخامس ، فهل في ذلك ايناس لاستعمال المحدثين كلمة الاربعينات للدلالة على سنوات العقد الخامس .؟ □□

---

(٤) نسبة الى "ثمانين" قرية في جزيرة ابن عمر .

(٥) اشار ابن مالك في الفيته الى هذا القول فقال : « وهو عند قوم يطرد » ، وليت هذا الاعراب بالحركات في جمع المذكر السالم وملحقاته غلب في لغتنا بدلاً من اعرابها بالحروف ليطرد الاعراب بالحركات .

(٦) ضاربين منصوبة بفتحة النون ، وهي مضافة ، ومع ذلك لم تحذف النون . والحي : القبيلة ، والعرندس : الشديد ، والطلال : كسحاب : الحالة الحسنة .

(٧) الزعانف : زوائد السمك والمراد هنا : الرعاع

(٨) السرار : كسحاب وكتاب : آخر ليلة من الشهر القمري .

(٩) نجذني : علمتني تجارب الحياة وممارسة حيلها .

(١٠) انظر « منهج السالك » للاشموني : تحقيق محيي الدين ١ / ٥١ - ٥٨ ، وهمع الهوامع شرح جمع الجوامع ، تحقيق الدكتور عبد العال سالم ١ / ١٥٦ - ١٦١ ، والدرر اللوامع للشنقيطي ١ / ١٠ - ٢٢ .

أذربيجان

استطلاع : مصطفى نبيل

تصوير : أوسكار متري

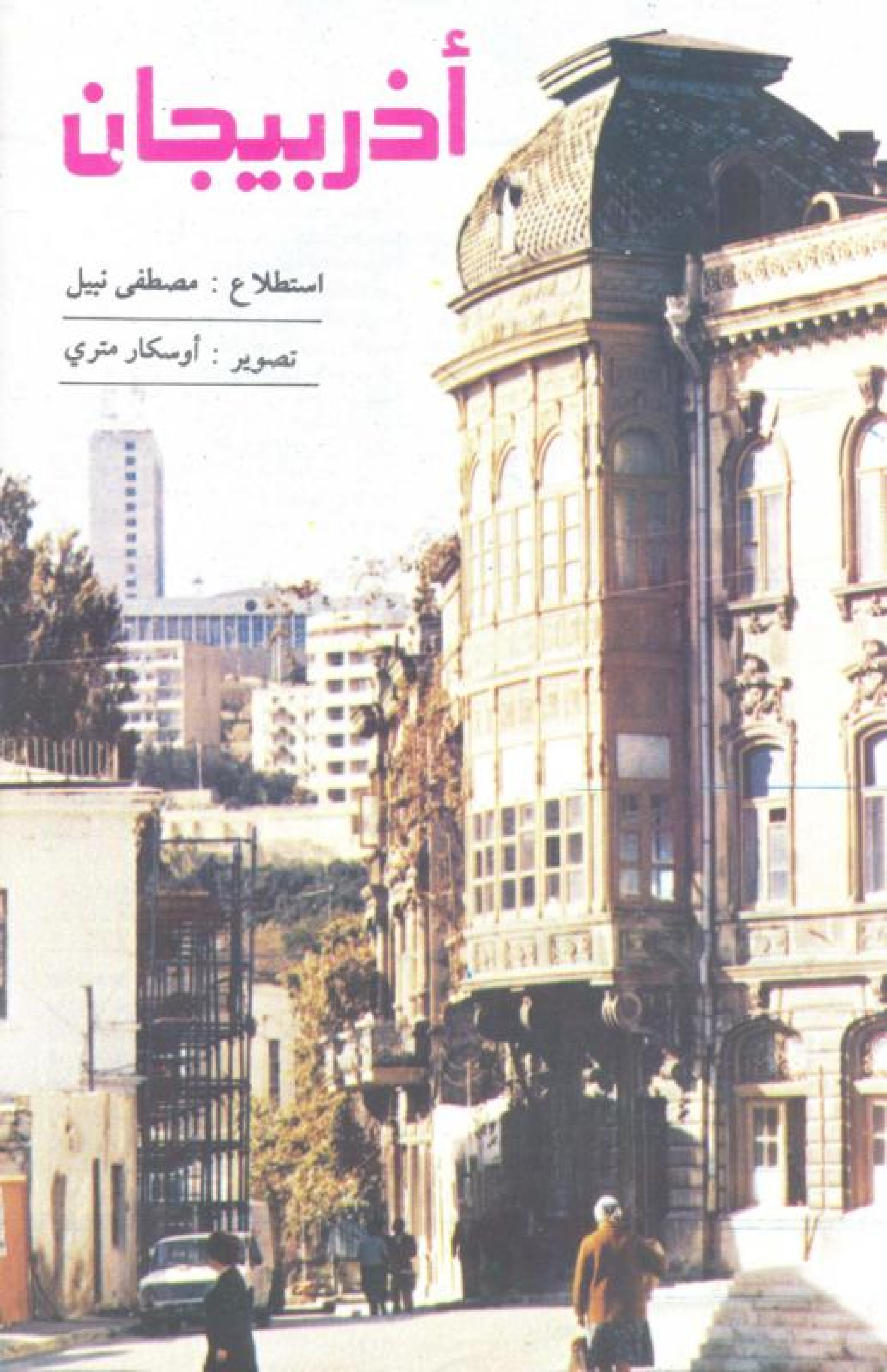

أرض النار .. و النور

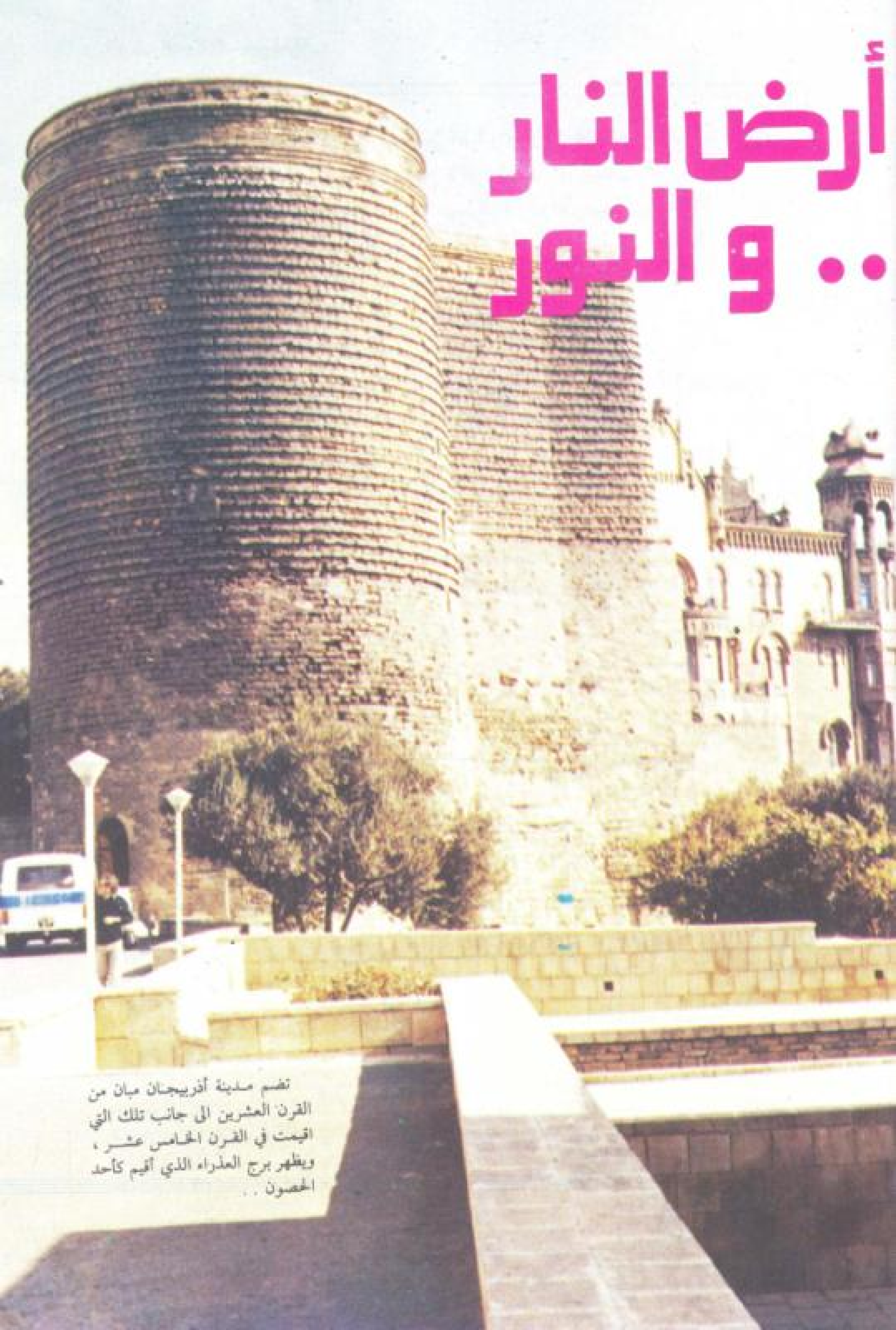

تضم مدينة أذربيجان مبان من القرن العشرين الى جانب تلك التي اقيمت في القرن الخامس عشر ، ويظهر برج العذراء الذي أقيم كأحد الحصون ..

□ نطل على أحد المعابر التاريخية بين آسيا وأوروبا ، من احدى الجمهوريات الآسيوية في الاتحاد السوفييتي ، من باكو عاصمة أذربيجان . .

عرفت بأرض الزلازل ، ضربتها الزلازل الأرضية ومستها الزلازل الفكرية ، وعاشت الصراع بين حضارتي الشرق والغرب ، وما زالت تضم مزيجا مدهشا من آثار العرب والفرس والترك في تناغم لم يستطع ان يمحوه الزمن ، وما زال الكثير من أبنائها يؤرقه الحنين الى كل ما يرمز اليه الشرق . .

ان الرحلة اليها ليست مجرد انتقال من مكان الى آخر بل قفزة حقيقية الى عالم مغاير تماما ، الى مسرح كامل لتاريخ حي تتداخل فيه الصور ، مع حركة بناء شاملة في مجتمع عصري . .

وكان لنا في أذربيجان وقفة ضمن جولة واسعة ، بدأت من موسكو ، ثم لينتجراد ، ثم باكو ، والما - آتا عاصمة قازاخستان ، وانتهت الى عالم اوزبكستان الحافل ، فمثلت أذربيجان موقعا متوسطاً في رحلتنا وفي اهتماماتنا ، تلمس فيها الفروق بين الجانب الاوروبي والجانب الآسيوي من الاتحاد السوفييتي ، بين معالم الحياة الاوروبية في الشمال ومعالم التقشف والجدية في الجنوب ، بين عظمة اوروبا القرن التاسع عشر التي تراها في قصر بطرس الاكبر والقصر الصيفي والشتوي في لينتجراد ، وتراها في عظمة الشرق فيما بقي من آثار ، قصر آل شروان شاه وبرج العذراء والقلعة والسور ومساجد القرن الخامس عشر . .

وهي من جانب آخر نقطة وسط بين لينتجراد وبين سمرقند ، فاذا كانت أوزبكستان قد تمنعت طويلا وتحصنت خلف ماضيها في مواجهة الافكار الجديدة بعد الثورة الروسية ، فقد كانت مقاومة اذربيجان أقل ، وخطاها أسرع ، وبدأت البناء الجديد منذ ابريل عام ١٩٢٠ . .

وعندما ترى وجوه أهل باكو ، أو تسمع موسيقاها الشرقية ، أو تشاهد عمارتها القديمة ، يخيل اليك انك في أحد شوارع اسطنبول ، أو مقاهي بغداد او القاهرة ، فعاصمة أذربيجان هي أقرب مدن آسيا السوفيتية الى الوطن العربي ، وأول بلد في آسيا السوفيتية يدخله الاسلام في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، وهي تقع على حدود ايران ، ويتكلم اهلها لغة هي مزيج من التركية والفارسية ، وهي أول بلد ينتج النفط في الاتحاد السوفييتي ، وانتقلت نقلة واسعة في بناء الصناعة وميكنة الزراعة ، رغم أنها لا تختلف عن بقية الاقطار الآسيوية والعربية ، وبالتالي تستحق تجربتها التسجيل ، بعد أن تم انتزاعها من التخوم الاسلامية وأصبحت تدور في فلك الكرملين . . وما أحوجنا لنتعرف على حياة أهلها ، وأن نستعيد موقعهم من الذاكرة العربية ، فأمامنا مساحة مشتركة بين عالم الشرق وتجربة الغرب ، بين الماضي والحاضر ، وهي مرصد نطل منه على عالم الاتحاد السوفييتي ، وعلى جزء من تاريخنا بحلوه ومره . !

حاولت امام تجربتها ان اعطي عقلي للحاضر وقلبي للماضي ، أو على الاقل ، لأرى الحاضر من خلال سحابة الماضي ، ولا أرى الماضي من خلال سحابة الحاضر ، من أجل رؤية أكثر وضوحا وأكثر انصافا للماضي والحاضر معا . .

وهي مثل كافة الجمهوريات الآسيوية ، لها امتدادات خارج الاتحاد السوفييتي وشعبها جزء من كل ، قوميا ودينيا ، ويصعب اليوم التعرف على الكثير من المعالم القديمة ، فأسماء الكثير من المدن تغيرت أو محيت . .

أطلق عليها أرض النار عندما ضربت أرض أبشيرون الملتهبة (باكو الآن) واشتعلت ألسنة اللهب من الارض ، وظلت مشتعلة ليل نهار ، انها جزء من آسيا القبائل والصراع والفروسية التي اختلطت فيها الحقيقة بالاسطورة والحلم بالواقع على مر العصور . .

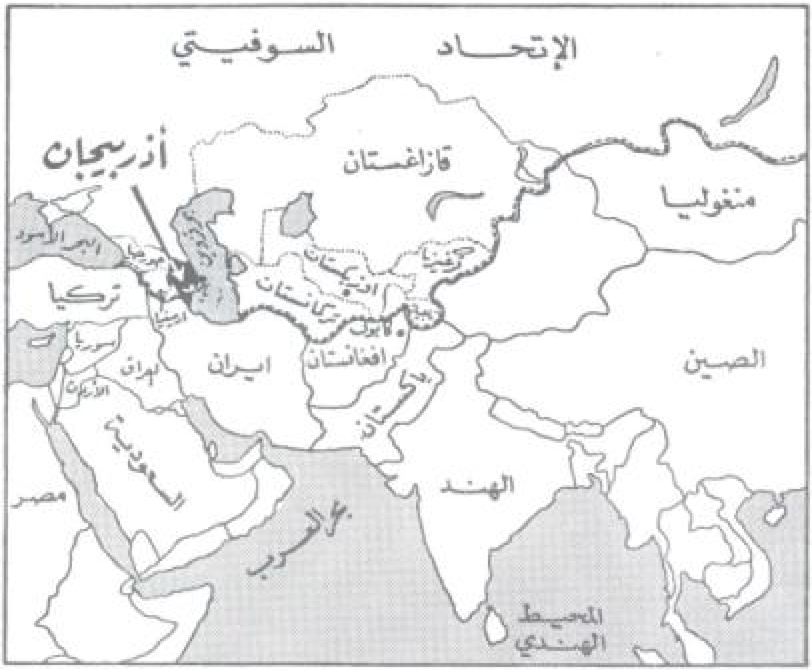

موقع أذربيجان من الاتحاد السوفييتي ، ويظهر قربها من البلاد العربية وتركيا وايران .

كانت يوما قلعة الاسلام ، وفيها اختلط الدم والحلم ، وتتابعت عليها العهود وتقوضت عروش وتقلبت أذربيجان بين المجد والذل ، ومواكب الغزاة تتوافد عليها .. ودفع أهلها غاليا ثمن موقعهم ..

وعزلت عن عالم الاسلام بعد ما يزيد عن ١٢ قرنا من الاتصال ، ووقع ذلك في درس تاريخي هام ، فعندما تحول المسلمون من دعاة الى أصحاب سلطان ، ودبت بينهم الفتنة واشتعل الاقتتال ، هزموا أنفسهم فهزمهم غيرهم ، وهو الدرس الذي طالما تكرر ، وللاسف لا يريد أن يستوعبه أحد . !

وقد وضع وصول القوات الروسية القيصرية نهاية حقبة طويلة من الاقتتال ، بعد أن عاشت تحت النفوذ الديني والثقافي للشرق ، ثم استولت عليها عام ١٩١٨ القوات البريطانية والتركية ، بعد معركة دبلوماسية حادة بين بريطانيا وروسيا القيصرية ، وساعدت الثورة السوفيتية الانتفاضة التي قام بها قباباني عام ١٩١٩ ..

وصلنا باكو بالطائرة ، حركة الطيران الداخلي بين المدن السوفيتية ضخمة ، البرودة تنعشك ولا تلسعك ، مناظر المدينة ذات طابع فريد تتميز بها المدن الجبلية ، شوارعها واسعة بصورة لا يمكن أن تشعر معها بالزحام ، ينتشر فيها اللون الاخضر ، ويقول مرافقي بلغة عربية مكسرة : « ان الخضرة هي مصنع الأوكسجين ، فهي التي تنقي الهواء الذي تتنفسه ، لذلك أتيم حزام أخضر حول باكو » ..

الفندق يطل على ساحة واسعة هي الساحة الحمراء ، التي تشهد تدريبات متصلة للجيش الأحمر استعدادا لاحتفالات اكتوبر ، الفندق والساحة يطلان على بحر قزوين وتقتصر المباني الفخمة على الفنادق والادارات الحكومية والمتاحف ومباني الخدمات العامة ، ومن أبدعها محطات مترو الانفاق .

كنا على موعد للقيام بجولة في المدينة ، بدأت بصعودنا فوق ربوة عالية ، تشرف على باكو العاصمة ، ترى العاصمة متمددة تحتك بمبانيها ومداخن مصانعها ومنارات جوامعها ومبانيها التاريخية ، وخلفها الميناء بأرصفته ومعداته ، وقد تحولت الربوة الى حديقة خضراء ، أقيمت عليها التماثيل والشعارات ، ونصب شهداء الثورة ، والشعلة المقدسة ..

وجوه من أذربيجان للاطفال والمعمرين ، وأحدى المهندسات العاملات في النفط ، ومنظر عام لمدينة باكو .

تظهر باكو وهي تضارع بعض المدن الأوروبية وتتفوق على الكثير من المدن الآسيوية . .

الرياح العاتية

واذا كان معنى أذربيجان هو أرض النار فمعنى باكو مدينة الرياح العاتية ، وبالفعل تهب عليها الرياح الدافئة من الجنوب ، وتعصف بها الرياح الباردة من الشمال ، وقد تنتقل دفعة واحدة من الدفء الى الصقيع !

انها خامسة مدن الاتحاد السوفيتي من حيث تعداد السكان ، فهم يبلغون حوالى ١,٦ مليون نسمة ، من عدد سكان أذربيجان الذين يبلغون ٦ ملايين و ٢٠٠ ألف نسمة ، ٨٠٪ منهم أذربيجانيون والباقي قوميات مختلفة . . وتبلغ مساحتها ٨٦ ألفا و ٦٠٠ كيلو متر مربع أي نفس مساحة سويسرا أو بلجيكا . .

ترى في حدائقها المعمرين والاطفال ، ويجلس المعمرون يستمتعون بالشمس او يلعبون النرد والشطرنج ، ففي أذربيجان اكبر عدد من المعمرين ، ويبلغ عدد الذين تخطت أعمارهم مائة عام ، ٤٩ من الالف من السكان ، وما زال لدى المعمرين الكثير من الحكايات عن أيام أذربيجان وتاريخها الذي لا تعثر عليه في الكتب . .

ويولع السوفييت بالارقام ، وهذه لوحة أذربيجان كما ترسمها الارقام . . ازداد انتاج اذربيجان منذ الثورة ١٦٥ مرة ، شملت مائة فرع من الصناعة . . وقضى في

أذربيجان على الأمية منذ الثلاثينيات وقد كانت تصل الى ٩٠٪، وفيها اليوم ١٨ معهدا أكاديميا ، ووصل عدد الأكاديميين الى ما يزيد عن أي دولة شرقية وعن الكثير من الدول الغربية ، وتنفذ أذربيجان الخطة الخمسية الحادية عشرة ١٩٨١ - ١٩٨٥ ، وقد وصلت الخدمات بما فيها الكهرباء والغاز الى كافة أرجاء أذربيجان ، وحتى القرى في أعالي الجبال ، وتتوزع السلطات بين أيدي الحكومة المحلية والحكومة المركزية ، وتضع موسكو مشروعات السنوات الخمس لكافة جمهوريات الاتحاد ، وتشرف على الدفاع والعلاقات الخارجية ، والسكان ينتخبون ممثليهم لدى مجلس السوفييت الاعلى بنسبة واحد لكل ثلاثمائة ألف ، أما مجلس القوميات فيضم ٣٢ نائبا من كل جمهورية ، و ١١ نائباً من كل أقليم يتمتع بالحكم الذاتي ، ورئيس وزراء أذربيجان عضو في مجلس الوزراء المركزي . .

قيمة الانسان

وتعتز أذربيجان بأنها قدمت أحد القادة في الاتحاد السوفييتي ، انه حيدر عليف (علي) الذي يتولى منصب نائب رئيس مجلس الوزراة وعضو المكتب السياسي ، والذي كان أمينا عاما للجنة المركزية في باكو ، مما يعني أن المناصب مفتوحة أمام ابناء آسيا . .

لدينا برنامج حافل ووقت قصير ، وحان موعدنا للقاء احد الوزراء ، الدكتور محمد غازي وزير الشئون الاجتماعية ، وأحد ابناء مدينة كيروف آباد ثانية مدن أذربيجان وقد عمل طبيبا في موسكو وحصل على وسام ، وأصيب خلال الحرب العالمية الثانية ، ثم تخلى عن الطب وانضم الى العمل النقابي ، ومنه انتقل الى المنصب الوزاري ، ذكر في حديثه مدى ما يتمتع به أهل أذربيجان من رفاهية تمثلت في حقوقهم في معاشات التقاعد والشيخوخة واصابات العمل ، ليعود اليهم نتاج عملهم ، بعد أن تحولت أذربيجان الى حديقة الاتحاد السوفييتي تمده بالفواكه والخضروات ، وبعد أن تعددت مجالات التعدين والصناعة بها . .

يقول : ولا يوجد فرد في أذربيجان لا يتمتع بالتأمين والضمان الاجتماعي الكامل ، الذي أصبح أحد حقوق الشعب السوفييتي التي يضمنها الدستور ، والذي يتناول كل أنواع الضمانات الا الضمان ضد البطالة ، التي لا تعرفها بلادنا ، وتغطي الحكومة المركزية الضمان الاجتماعي (٧٢٪ محليا و ٢٨٪ مركزيا) ، وخلال السنوات العشر الاخيرة ، ارتفعت ميزانية التأمينات الاجتماعية الى ثلاثة أضعاف لتصل الى نصف مليون روبل ، وما نوفره للعاملين أعلى مما تطالب به منظمة العمل الدولية ، ويضاف اليه تقديم مساعدات للاسرة مع كل طفل جديد ، من أجل العمل على زيادة الانجاب ، وعندما يصل الابناء في أحدى الاسر الى عشرة تحصل الام على وسام رفيع ، واذا كان المجتمع السوفييتي بدون طبقات فلدينا طبقة مميزة تتمثل في الاطفال ، انهم الملوك والملكات غير المتوجين في مجتمعنا . .

ويقوم الضمان الاجتماعي ببناء المساكن للمعمرين والعجزة ، ولدينا ٨٢٢ ألف متقاعد ، وهناك أكبر عدد من المعمرين في كل جمهوريات الاتحاد السوفييتي ، ووصلت معدلات المواليد الى أعلى نسبة وهي ٢٥,٧٪ ، ولدينا أقل معدل للوفيات ٦ من الالف ، مما يعني أن قوة العمل تتزايد دائما ، فالانسان هو الثروة الاساسية لدينا » . .

ويهدف الاتحاد السوفييتي الى زيادة حركة التصنيع في المناطق الاسيوية حتى تكون بمنأى عن أي هجوم محتمل ، بعد تجربته خلال الحرب العالمية الثانية عندما نقل العديد من مصانعه الى تلك المناطق . .

كما أن التصنيع هو مرتكز القيم التي يروج لها ، وتضمن برنامجنا زيارة أحد المصانع لاجهزة التكييف المنزلية ، والذي كان ضمن الخطة الخمسية التاسعة ١٩٧٠ - ١٩٧٥ وتكلف مليون روبل ، وينتج ٤٠٠ ألف جهاز سنويا ، ويعمل به ٦٥٠٠ عامل ، النظافة تحيط بك

وزير الشؤون الاجتماعية في أذربيجان
الدكتور محمد غازي

احدى محطات مترو الأنفاق في باكو . . فن العمارة انتقل من القصور الى تلك المحطات

داخل ورش المصنع ، لا ترى شحما ولا زيوتا ، يستخدم المصنع أحدث انواع التقنية وتلاحظ ارتفاع نسبة العاملات اللاتي يعملن حتى في الاعمال الشاقة ، ويقوم المصنع بتدبير السكن للعاملين ، ويتولى علاجهم واقامة دور الحضانة للاطفال ، ويصل الفرق بين أعلى مرتب وأقل مرتب في المصنع الى أقل من ثلاثة أضعاف ، فأعلى مرتب ٣٠٠ روبل وأقل مرتب ١٣٠ روبل شهريا . .

المدينة السوداء

تأخذنا السيارة الى ما بعد باكو ، ونشاهد بعض القرى الجبلية عند قمم الجبال ، نحن في طريقنا الى مواقع انتاج النفط ، حيث تقوم معدات مصانع استخراج وتكرير النفط عند نهاية ميناء باكو ، في منطقة ما زالت تحمل اسمها القديم « المدينة السوداء » ، والتي جاء وصفها في أحد اعمال الاديب مكسيم جوركي والذي قال عنها « صورة رائعة لجهنم الكئيبة . . » ، ووصفها أحد الشعراء بأن « الخضرة فيها لا تتعدى ورقتين أو ثلاثا . . ! »

وأخذ مرافقي يحكي قصة النفط في أذربيجان ، منذ أن أطلق عليها أرض النار نتيجة تشبع أراضيها بالنفط الذي تم اكتشافه بالصدفة ، عندما قدم الى أذربيجان أحد الاخوة نوبل (أصحاب الجائزة الشهيرة) يبحث عن نوع خاص من الاخشاب لصناعة أعقاب البنادق ، وعندما أدرك وجود النفط استحوذت عليه فكرة تأسيس شركة للنفط كان أحد مؤسسيها روتشيلد ، وكانت الشركة تحمل الى باكو المياه والتربة والمعدات بالبواخر على طول نهر الفولجا ، وقطعت صناعة النفط رحلة طويلة ، وانتقل من فلك السيطرة الاجنبية الى صناعة وطنية واسعة تساهم فيها العديد من المؤسسات العلمية . .

أخيرا وصلنا الى الموقع رقم ٤ ، في جزيرة داخل بحر قزوين ، والتقينا بأحد المهندسين من خبراء النفط ، وهو « أناتولي خاتشيان » الذي يشرف على العمل في المنطقة برمتها . . والذي بدأ حديثه قائلا : « تم استخراج اول برميل للنفط عام ١٨٧٣ ، وفي عام ١٩٢٠ انتقلت صناعة النفط للسلطة السوفيتية وبدأت مرحلة جديدة ، وتم ردم اجزاء من البحر لاستخراج النفط ، ثم تطورت

أحد المشاهد التي تتكرر ، استخدام العداد الذي ينتشر في المحلات التجارية . .

احدى الرقصات من الفن الشعبي الاذربيجاني .

المعلمة والأطفال متشابكون ، كثيراً ما تصادفه في حدائق بكو .

أحد محلات البيروسكا ، التي تنتشر في كل المدن السوفيتية ، والتي تبيع الهدايا بالنقد النادر .

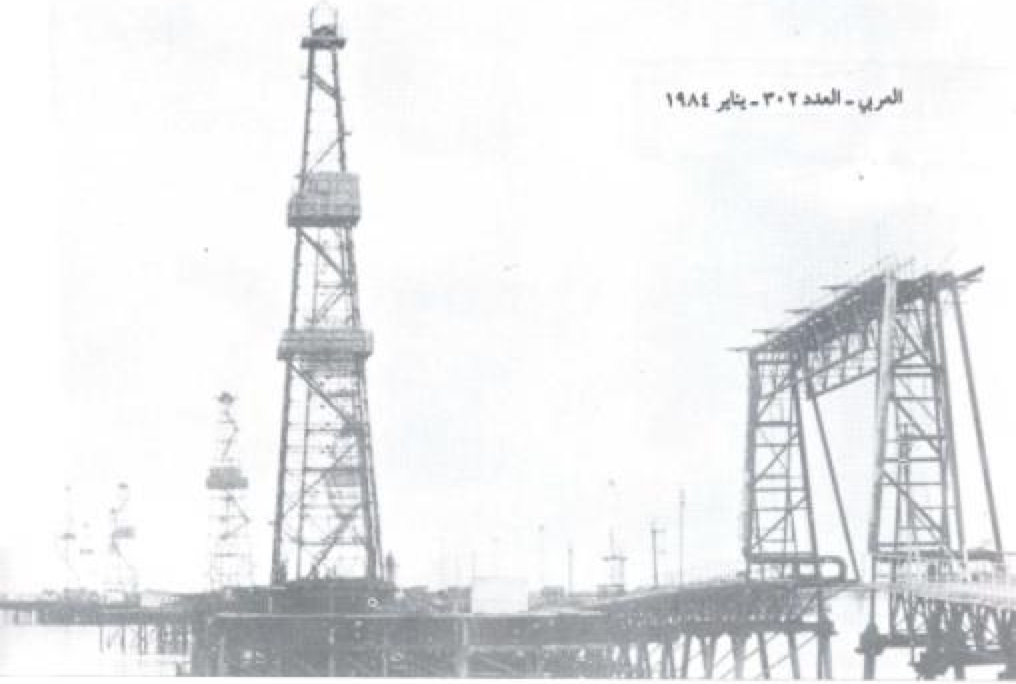

المنشآت النفطية فوق بحر قزوين

الاساليب ، أول حفار يعمل تحت الماء ، جزيرة صناعية لاستخراج النفط وسط المياه ، ووصل عدد الآبار عام ١٩٥٢ الى مائتي بئر ، واليوم تصل الآبار الى ٢١ طبقة أرضية والى عمق يتراوح بين ٢٠٠٠ متر و ٤٠٠٠ متر ..

وسألته : هل هناك اختلافات بين الأساليب المستخدمة لديكم وتلك المستخدمة في مناطق اخرى من العالم ، مثل بحر الشمال في بريطانيا .. ؟

- « اذا كانت هناك فروق فهي ترجع الى الظروف المتباينة لكل حقل ، ومدى تطور الصناعة في كل بلد ، وأحيانا نتيجة الاختلاف في النظام الاجتماعي ، فمثلا تقوم بالعمل شركات متخصصة في بحر الشمال ، أما لدينا فالذي يقوم بالعمل مؤسسة تابعة للدولة ..

وقد بدأنا التعامل مع بعض هذه الشركات المتخصصة ، وتعاقدنا مع الشركة الامريكية كيمكو ، وشركة رومانية اخرى ، كما تختلف أيضا الاساليب باختلاف نوع النفط المستخرج وطبيعة المنطقة ، ويبلغ أعمق بئر في الاتحاد السوفييتي ستة آلاف و ٣٠٠ متر ، ولدينا أعمق بئر في العالم يوجد في شبه جزيرة كوسلكي ، ويصل عمقه الى ١١ كيلومترا .. ؟

● ماهو مقدار النفط المستخرج من حقول أذربيجان ، ونسبته الى انتاج النفط السوفييتي .. ؟

- « بدأت أذربيجان وهي تمثل المصدر الرئيسي للنفط في الاتحاد السوفييتي ، بل وكانت حصتها في أوائل هذا القرن تعادل نصف النفط في العالم ، وبعد الحرب الثانية تزايدت الاكتشافات ، عند مصب نهر الفولجا ، وفي تتاريا وبشكيريا ، وأصبحت الحقول الجديدة تنتج ١٥ ضعف ما كانت تنتجه باكو ، وتتابعت الاكتشافات في القوقاز وحول مدينة جروزني ، وفي غرب أوكرانيا وعلى سفوح جبال الاورال ، وفي الجزء الاوروبي من الاتحاد السوفييتي ، وفي سيبيريا وفي قازاخستان وفي تركمانيا وفي جزيرة سخالين ، وكانت آخر الاكتشافات في السبعينات في بيلوروسيا (روسيا البيضاء) وتحت مياه البحر الاسود ومياه بحر البلطيق ، وقد ساهمت التقنية الحديثة في زيادة الحقول بنسبة ٥٦٪ ، كما ساهمت مراكز البحث والدراسات والتصميمات والتي تبلغ ١٧٠ مركزا في تزايد الاكتشافات .. »

● اذن فكم يبلغ انتاج النفط ، وما هو الاحتياطي المقدر له في الاتحاد السوفييتي ؟

- « يكفي أن أقول ، ان لدينا من النفط ما يكفي للقرن الواحد والعشرين ، في منطقة واسعة تمتد من بحر قزوين حتى جزيرة سخالين ، كما أؤكد لك أن المأزق النفطي الذي وقع في السبعينات ، لم يكن سوى مأزق سياسي ، فالنفط يكفي لتغطية احتياجات العالم ، وامتلأت الخزانات في دول الغرب بكميات كبيرة من النفط ، مما ساعد على تنشيط البحث عن مصادر بديلة للطاقة ، وارتفع دور الغاز الذي كان يذهب هدرا ، ونشطت بعض

البلدان للاستفادة من الطاقة الشمسية ومن الطاقة المائية ، ومن الطاقة المتولدة من حركة الرياح ، وأخيرا من الطاقة النووية ..

ولقد تقرر ان يتوقف انتاجنا من النفط في الاتحاد السوفييتي عند ٦٠٠ مليون طن سنويا حتى نهاية هذا القرن ، لكي نستخدم اشكال الطاقة الاخرى ..

وأننا على ثقة من ذكاء الانسان ، وقدرته الفائقة على استثمار موارد الطبيعة .. »

الحفاظ على البيئة

ولا يسعك سوى أن تلمس تلك الجهود المبذولة لحماية البيئة من التلوث ، ولعل الحفاظ عليها يشكل فاصلا دقيقا بين الدول المتقدمة وتلك التي ما زالت ترزح في أغلال التخلف ، والتجربة هنا فيها العديد من الدروس ، التي بدأت بتصوير كل ما تهدده الحضارة الحديثة من حيوانات وطيور نادرة وأنواع النباتات المختلفة ، وضمها متحف خاص وصدرت صورها في كتاب ، ولم يعد الحفاظ على البيئة لديهم مسألة يعكف عليها الخبراء وحدهم بل لا بد أن تكون محل اهتمام كل المواطنين ، انها مثل حاجة الجميع للالمام بقواعد وأصول اللغة برغم وجود لغويين متخصصين ، وتم تخصيص ١٠٨ مليون روبل لهذا الهدف والتي ما يزيد عن ألف محاضرة في القرى والمدارس والتجمعات المختلفة ، وكانت أصعب المهام تلك التي تتعلق بالاثار الجانبية لاستخراج النفط في بحر قزوين ، والعمل على الحفاظ على ثروته السمكية النادرة ..

أناتولي خانتشيان ، أحد خبراء النفط

وكان لهذه الحملة أثر حاسم على وقف تآكل البيئة والحفاظ عليها ..

عندما يأتي المساء

البرنامج مزدحم لا يترك فرصة للتأمل إلا في المساء ، وسريعا ما يتبين الذي يزور الاتحاد السوفييتي - أحد قطبي العالم - أنه يدخل الى عالم مغاير لم يألفه ، له نظامه ومنطقه الخاص الذي يستغرق وقتا حتى يألفه ويتمكن من التعامل معه ، بما في ذلك من تفاصيل صغيرة ومسائل كبيرة ..

فمثلا ، لا يمكن أن تعرف رقم الهاتف في غرفتك بالفندق إلا عن طريق مكتب الاستعلامات في الطابق الذي تنزل فيه ، وهناك اجراءات لا بد من اتباعها لكي تتمكن من التعرف على رقم هاتف احد معارفك في المدينة ، وليس بمجرد النظر في دليل الهاتف فقط . وربما كان ذلك جزءا من نظام المعلومات الخاص في الاتحاد السوفييتي ..

اما اذا فاتك أن تأخذ معك بطاقة الفندق فيمكن أن تقضي ليلتك هائما على وجهك عندما لا يسمح لك بالدخول ، واذا جاءك زائر فعليه أن يملأ طلبا خاصا وتوقعه لكي يسمح له بالدخول ، ولعل ارتفاع مستوى الدخول في السنوات الاخيرة جعل الفنادق الكبرى معرضة لضغط شديد مما جعل وضع القيود على دخولها ضروريا ..

ثم .. ما هو سر العداد الذي تستخدمه البائعات في حساباتها بطريقة خاصة رغم توفر الحاسبات الآلية ؟ ! وهو ذات العداد الذي تلمحه في الكثير من الدول الآسيوية ..

وأخيرا .. ما هو سر تذكرة الطائرة في الطيران الداخلي ، والتي تجدها مقسمة الى آحاد وعشرات ومئات ، تحدد طريقة قطعها ، انها تكنولوجيا لم نعهدها .

وبعد مرور عشر سنوات على زيارتي الاولى ، لاحظت العديد من التغيرات ، مثل الزيادة الكبيرة في عدد السياح الاجانب والترتيبات الدقيقة المتعلقة باستقبالهم ، كما تلمس الزيادة في الدخول من خلال تنوع السلع الاستهلاكية التي تعرضها المحلات التجارية وارتقاء أذواقها واساليب عرضها ، ومع هذا يولع المواطن السوفييتي بالسلع الاجنبية ، ويدفع أي ثمن في قداحة الكترونية او مسجل صغير ، وتساءلت : هل هذه الظاهرة جزء من توق الانسان الى ما وراء الابواب الموصدة كما تروي إحدى القصص الرمزية ، أم أنها رمز للتفاحة التي أخرجت آدم من الجنة .. ؟ !

وعلى أية حال تقوم حملة واسعة ضد انماط الاستهلاك والعادات الغربية ، وتصل الى موسيقا الجاز التي انتشرت في المراقص . !

أحد المساجد التي تحولت الى متحف للسجاد . (الى اليمين)

مسرح الشاعر نظامي للفنون والآداب . (الى اليسار)

تدر صناعة السجاد اليدوي على أذربيجان زيادة في دخلها . (الى اسفل)

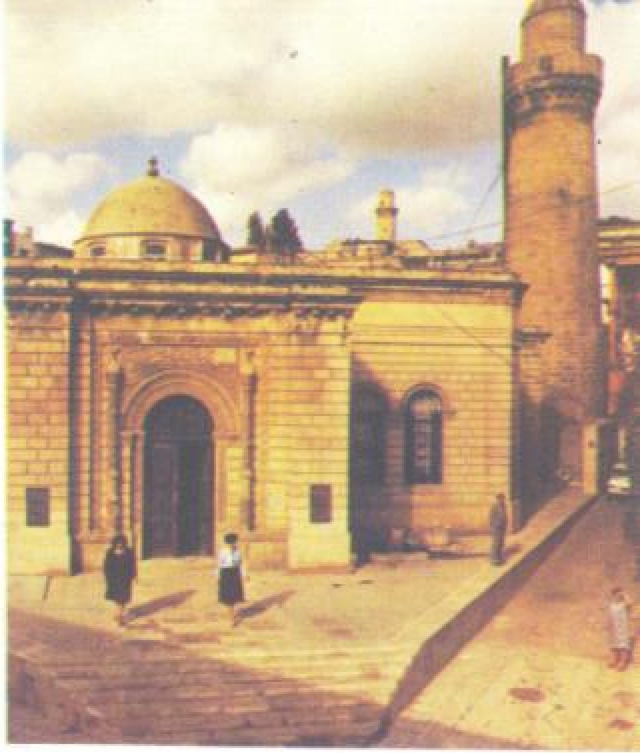

سجادة أذربيجانية بأنغامها الشرقية .

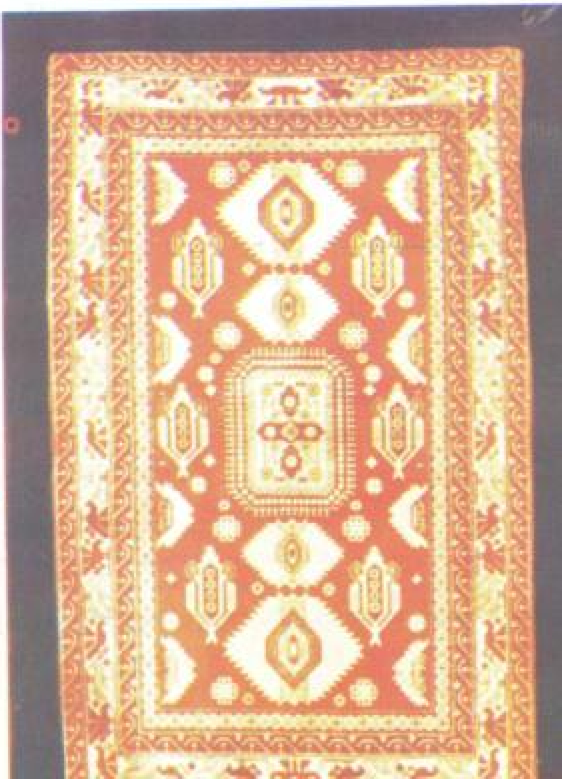

إحدى التحف ضمن مقتنيات « الارميتاج » في ليننجراد .

كما تزدحم الفنادق الكبرى التي تنقلنا بينها بالمواطنين السوفييت ، الذين يحصلون على تخفيضات تصل الى ٩٠٪ في تلك الفنادق ، كمكافآت وجزء من نظام الحوافز الذي اتسع ، وقد وصلت ظاهرة ارتفاع الدخول حدا مقلقا للمخطط السوفييتي ، خاصة بعد ظهور فئة اجتماعية كبيرة ، لكل واحد من أفرادها بيت ريفي أو صيفي علاوة على سكنه ، وبعد أن أصبح لكل أسرة في المزرعة الجماعية الحق في تملك وتربية عدد من الحيوانات والطيور ، ونسبة تصل الى ١٣٠٠ متر من الارض ، يباع انتاجها في السوق مما يتيح زيادة الدخول ، وفي بعض الاحيان لا تحقق المزرعة المستهدف من الخطة ، وتحقق تلك الشرائح الصغيرة من الارض انتاجا وافرا . !

ليس بالخبز وحده

ولا يمكن لزائر الاتحاد السوفييتي إلا الاشادة بالاهتمام الكبير بالفنون والثقافة ، وتوفر الاسطوانات والكتب بأسعار رمزية ، وتنتشر المتاحف والمسارح ، مثل متحف الشاعر نظامي ، ومتحف لينين ، والمسرح الدرامي الاذربيجاني ، وكل منها يقدم بأسلوب جذاب جزءاً من الفن والمعرفة الانسانية ، وفي كل جمهورية اهتمام خاص بالفلكلور ولديها فرقة خاصة للباليه وأخرى للموسيقا وثالثة للمسرح ، وتتمتع راقصة الباليه او ممثلة المسرح باحترام عميق في المجتمع ، وكل ليلة تمتلىء المسارح بالمشاهدين ، ولا تجد مقعدا شاغرا في أي منها . .

ويعتبرون أن الفن بأشكاله المختلفة هو الغذاء الروحي للشعب ، فعندهم أنه ليس بالخبز وحده يحيا الانسان ، ولكن هل يكفي الفن وحده غذاء للوجدان . ؟ !

ويلاحظ على الاعمال الفنية انها تشمل تاريخ وثقافة اهل أذربيجان في انتقاء دقيق من ثقافة البلاد القديمة ، وانتقاء آخر من صفحات أدبها وتاريخها . .

وكنت آمل أن أحصل على بعض أشرطة الفيديو المسجل عليها بعض أعمال « باليه البولشوي الشهير » ، وعلمت أن الاتحاد السوفييتي لا يعرف « الفيديو » بعد ، ولعل غياب الفيديو ساهم في استمرار مستوى العروض المسرحية والحفاظ على مكانتها ، والتي ما زالت تتميز بمتعة المشاركة والذهاب الجماعي الى المسرح ،

ويقول مرافقي : « ان بدء صناعة الفيديو معناه خلق حاجة استهلاكية جديدة ، فسريعا ما ينتشر ويصبح عبئا على الانتاج القومي ، فلم يحن وقته بعد ، في جدول الاولويات في الاتحاد السوفييتي . . »

وتذكرت أن ما يصل الى ربع انتاج اجهزة الفيديو في العالم يستهلك في منطقة الخليج وحدها . !

النفطلان

ونمضي في جولتنا نبحث عن الجديد وتوقفنا طويلا عند طرق العلاج القديم في مجتمع المعمرين ، والذي توجد به مادة فريدة تسمى النفطلان ، لا توجد إلا في أذربيجان وهو سائل يشبه النفط ويستخدم في علاج عدد من الامراض توصل اليه قديما اهل أذربيجان وسجله الشاعر نظامي في احدى قصائده ، أقيمت في مكان استخراجه مدينة كاملة تضم مصحة ومركزا علاجيا ، وقد توصل العلماء الى استخراج مجموعة من العقاقير من هذه المادة تعالج أمراض المفاصل والحروق . .

و في أحدى حدائق باكو زرت أحد المصحات التي تعالج الكثير من الامراض بطريقة فريدة عن طريق استنشاق رحيق انواع خاصة من النباتات ، وتتكون المصحة من وحدة صغيرة من الزجاج ، يأتي اليها المرضى ، ويتحلقون حول نبات له رائحة نفاذة ، ويقضون مدة محددة كل يوم ، وقالت المشرفة على هذا النوع من العلاج : « ان النبات الذي يستخدم في العلاج ، يعالج ببعض الادوية مثل الاسبرين والجلوكوز والمياه المعدنية ، لتخلصه من الضار ويبقى المفيد ويصبح مناسبا للعلاج ، أما الرائحة التي يستنشقها المريض فهي تؤثر في مراكز بعض خلايا مخ الانسان مما يؤدي الى شفائه ، وقد ثبت نجاح هذا العلاج في أمراض اضطرابات القلب وانسداد الشرايين والربو وأمراض القصبة الهوائية وبعض الامراض العصبية . . »

وسألتها : ● وما هو الاصل العلمي لهذا العلاج ؟

ـ تخرجت من المعهد العلمي ، وكان استاذي البروفسور شكر جزانوف ، الذي عمل خمسة عشر عاما في تجارب عميقة حول الاعشاب ، ومنذ ما يزيد عن عشرين عاما أعمل في هذا النوع من العلاج ، الذي أثبت فعالية كبيرة ، ورغم هذا فالادارة المحلية لا تساعدنا ، وليس لدينا سوى هذه المصحة الصغيرة ، رغم تزايد الاقبال علينا ، والكثير من شهادات المرضى الذين أعياهم مرضهم ولم يجدوا الشفاء الا لدينا . . »

وتساءلت في نهاية جولتي أليس هذا النوع من العلاج امتداداً لطب ابن سينا ، ثم ألا تذكرنا هذه الوحدة العلاجية بمدرسة الطب التي أقيمت في شماخة بأذربيجان في القرن الثاني عشر ، والتي أقامها كافي الدين عمر بن عثمان ، والذي درس الخواص العلاجية للنبات ، ووضع دراسات تصف وتحدد الاستخدامات العلاجية للاعشاب وتواصلت هذه المحاولات حتى القرن الرابع عشر في جامعة دار الشفاء التي كان يتلقى العلم فيها بضع مئات من

مصنع المكيفات المنزلية

الطلاب ، والتي خلفت مكتبة تضم ما يزيد عن ٦٠ ألف مخطوط لم يكشف عن كل أسرارها بعد . .

وليس ما أراه غريبا فقد أمدت منطقة آسيا الوسطى عالم الاسلام على مدى التاريخ بأهم مفكريه وفلاسفتة وعلمائه ومؤرخيه . .

صهيل الخيول

حان الوقت لزيارة اهم جزء في رحلتنا والتجول في المدينة القديمة ، وفيها تخرج اضطرارا من العصر الذي تعيشه ، وتدخل في مشاهد وصور الماضي ، حتى تكاد تسمع صهيل الخيول وقعقعة السيوف ، تحمل المدينة القديمة بصمات عاصمة الرشيد عندما يطالعك المسجد والقلعة والأسوار والمدرسة والحمامات التي أقامها الشاه اسماعيل ، يرجع تاريخ ما تبقى من آثارها الى القرن الخامس عشر ، عندما انتقلت العاصمة الى شيروان (باكو الحالية) ، وترى منارات المساجد وقصر آل شروان شاه ، وبرج العذراء ، وخان القوافل ، وخان الديوان ، وتشاهد الازقة الضيقة العتيقة التي يستطيع سكانها أن يصافحوا جيرانهم بالايدي من الشرفات المزينة بالمشربيات الشرقية .

وينطق برج العذراء الشامخ بفن العمارة ، ويأتي صوت مرافقي مخترقا الماضي ويقول : « اقام احد الحكام هذا البرج على شاطيء البحر لحبيبته التي لم تر فيه سوى قيد على حريتها ، فألقت بنفسها من فوق البرج الى أحضان البحر . . » وهكذا تختلط الحقيقة بالاسطورة ، فعلماء الاثار لهم رأي آخر ، ان تسمية برج العذراء دلالة منعة البرج وصعوبة اختراقه ، ولكن القصة الرومانسية هي التي يستوحي منها الفنانون المعاصرون ، الكثير من أعمالهم . .

أما خان الديوان الذي كان مقرا للحكومة ، فهو كشف أثري لم تعرف كل أسراره بعد ، وما زال البحث واعادة الترميم قائما ، ويشمل المحكمة التي يصدر منها القاضي احكامه ، ويضم ضريح عالم الرياضيات والفلك الشهير سعيد يحيى باكوفي ، والذي كان معلم الشاه ، مما يعكس القدر الكبير الذي كان يتمتع به علماء ذلك الزمان ثم هناك حمام تركي للنساء كان مطمورا تحت الارض وتم اكتشافه عام ١٩٣٨ ، كما عثر مؤخرا تحت مياه بحر قزوين على مجموعة حجرية وعليها كتابات عربية لم يستكمل الاثريون قراءتها بعد ، وما زال الاثريون يبحثون عن سر فخامة السجن القائم تحت سدنة المحكمة ، وينقلك المشهد بمنارته وقبته وعمارته الى لوحة مثيرة تتزاحم فيها جحافل الفاتحين وقوافل البنائين وحلقات الفقهاء والعلماء . .

ولاحت بقايا سور المدينة ، ومن فوقه مبان قديمة ، وتلمح آثار الشيخوخة على السور الذي انهارت اكثر أجزائه ، ولم يفلت من عبث الصغار الذين يتقافزون فوقه

يتم الزواج المدني في كل مدينة في الاتحاد السوفيتي في قصر خاص ، يطلق عليه قصر العرائس .

يستكمل المسلمون عقد قرانهم بالذهاب الى المسجد ليتولى الشيخ عقد القران من جديد . .

اعلى نسبة من المعمرين توجد في أذربيجان .

احد المصحات الفريدة ، التي يعالج فيها المرضى عن طريق استنشاق رحيق أنواع خاصة من النبات .

قصر آل شروان شاه وبعض الكتابات العربية التي ما زالت تبحث عن الذي يكشف اسرارها . (الى اليمين)

احدى القرى الاذربيجانية فوق قمم الجبال . (الى اليسار)

غير مدركين انهم فوق جزء من التاريخ . .

وتناولنا طعامنا في « قرمان شاه » احد المطاعم والذي كان خانا للقوافل ، والذي يقدم « الكباب » الاذربيجاني ، ويتكون من غرف وبواك تركت على حالها ، وتسمع فيه الموسيقا الشرقية ، وتتذكر اغاني ام كلثوم المعروفة هنا على نطاق واسع ، وألحان ناظم الغزالي ، وتتذوق معاني الأغاني الأذربيجانية رغم عدم إدراك لكلماتها ، ويصدق المثل الاذربيجاني . . « تتكشف روح الشعب من الاغنية . . . »

وضمن جولتنا في المدينه القديمه نزور متحفا للسجاد الاذربيجاني ، وأفاجأ أن المتحف كان واحدا من اجمل المساجد ، وهو ضمن المساجد التي تحولت الى متاحف ، وقد استخدمت فيه كل أدوات الفن من زخارف نباتية وهندسية وحروف عربية وآيات من القرآن الكريم ، ويتسمر السياح الاجانب أمامها مذهولين . .

وطراز المسجد هو ذات طراز المدرسة المستنصرية في بغداد ومسجد السلطان حسن في القاهرة ، ويتكون من جدران حجرية ملساء حتى قاعدة السقف ، تنعقد عليها الحواشى الافقية المتدلية ، والنوافذ التي تقوم في المحاريب ، وتقف مشدوها امام منظر باب أو نافذة ، وتغطي المساحة التي أمامك تكوينات رقيقة شبيهة بتكوينات الارابيسك التي نحتت في الحجر ، في لوحات صامته تسجل عظمة الحضارة التي أبدعتها ، والفن العظيم بالضرورة نتاج طبيعي لحضارة عظيمة يشكل هذا الفن إحدى عرباتها . .

لقد نقل هذا الطراز من العراق ليحتفظ به في اذربيجان في الشمال ، ونقل الى مصر في الجنوب والقائم في جامع السلطان حسن . .

أما السجاد المعروض فان الوانه الحان شرقية بديعة ، ويكشف بوضوح وجدان الاهالي في أذربيجان ، وتلمس فيه مرة أخرى التأثيرات العربية والفارسية والتركية ، وتسجل رسوم السجاد ذات الالوان ، القصائد الخمس للشاعر نظامي الذي ظهر في القرن الثاني عشر والتي من بينها مجنون ليلى . .

وتشهد اذربيجان عملية احياء واسعة لهذه المنطقة الفنية بآثار العصور الوسطى ، وتقرر ترميم كل مبانيها وتحويلها

الى منطقة الرية ، ولعله قد حان الوقت لادخال حضارتها القديمة الى متحف التاريخ . !

الرسم بالكلمات

كانت محطتنا التالية في عالم المخطوطات ، عند زيارتنا لمعهد المخطوطات في باكو ، وتجولنا بين ما يزيد عن ١٥ ألف مخطوط من أهم ما خلفته الحضارة الاسلامية ، معظم هذه المخطوطات باللغتين العربية والفارسية وكتبت عندما كانت العربية والفارسية لغتين للعلوم والثقافة .

ولا تملك سوى الدهشة من الجهد الخارق والصبر الذي كان يتحلى به الوراقون الذين نسخوا هذه الكنوز العلمية والفنية المحلاة بالرسوم والالوان ، وببديع الخط العربي ، والتقينا بعدد من الباحثين والعلماء الذين يجيدون اللغات العربية والفارسية والعاكفين على تحقيق هذه المخطوطات ودراستها ، بعد أن شهدت هذه المناطق الاسيوية انتعاش معاهد الاستشراق ، مع العمل على تحقيق ونشر القيم من هذه المخطوطات ، ويعطون الاهمية الاولى لتلك المخطوطات العلمية في الفلك والرياضة والطب ، وبعدها تلك الكتابات التي تتناول الجانب الأدبي والقومي لتلك المناطق ، ولا يعطون نفس الاهتمام لما يحفل به معهد المخطوطات من مؤلفات تتناول الجوانب الفقهية والصوفيه الاسلامية ..

وتعامل المخطوطات بعناية فائقة ، لا تلقاها في العديد من الاقطار العربية ، وتم نشر العديد منها ، كما تم نشر العديد من مخطوطات الفارابي بمناسبة الاحتفال بالذكرى المائة بعد الألف لميلاده ، وعدد من مؤلفات البيروني وابن سينا بمناسبة الذكرى الالف لميلادهما ، وبعض مؤلفات الخوارزمي بمناسبة ذكرى ميلاده المائتين بعد الالف ، وبعض الاعمال التي تم نشرها ترجمت الى اللغتين الروسية والمحلية ، وقليل منها نشر باللغة العربية ، وتلمس في أسلوب انتقاء بعض المخطوطات العمل على اشعال جذوة الروح القومية المحلية ، ويمكن ملاحظة ذلك من تقسيم تركستان الى خمس جمهوريات من عائلات مختلفة للترك ، ويعملون على جعل تاريخ قومي خاص لكل منها ، يتغنى الشعب بأبطاله ، يصاحب ذلك احياء الفلكلور الشعبي لكل جمهورية ، وان كانوا في آسيا الوسطى يتعاملون مع الظاهرة القومية ، تجدهم يتبعون منهجاً مختلفاً مع منهج اليهود الذين يتمتعون دون سواهم باقليم للحكم الذاتي على أساس ديني ، لا قومي ، بمنطقة بيروبيجان في الشمال . !

أما اللغة المحلية في أذربيجان فهي تنتمي الى عائلة اللغات التركية ، ويتم التدريس بها في المدارس والجامعات الى جانب اللغة الروسية التي توحد البلاد الواسعة الارجاء ، وكانت اللغة الاذربيجانية تكتب في الاصل بالحروف العربية ، ثم تحولت في عام ١٩٢٧ الى الحروف اللاتينية ، وأصبحت منذ عام ١٩٣٧ تكتب بذات الحروف التي تكتب بها اللغة الروسية أي بالحروف الكريكية ..

وا .. اسلاماه ..

واذا كانت أذربيجان قد حققت كما رأينا تقدما ملموسا في العديد من جوانب الحياة ، وأعطت اهتماما واسعا للفنون المختلفة ، باعتبار الفنون غذاء الروح ، فها هي اليوم وبعد نحو ٦٥ سنه ثورة تتوق الى الايمان ..

وكان طوافي في الجزء الاخير من رحلتنا في المساجد ، أتعرف على حياة المسلمين وهمومهم ، وقد كان الاسلام هو دين البلاد المقهورة والارثوذكسية هي المذهب السائد في روسيا القيصرية .

بقايا السور والأبراج في باكو .

بعض الآثار التي لم يكشف عن أسرارها بعد .

سبيل قديم أمام خان قرمان شاه .

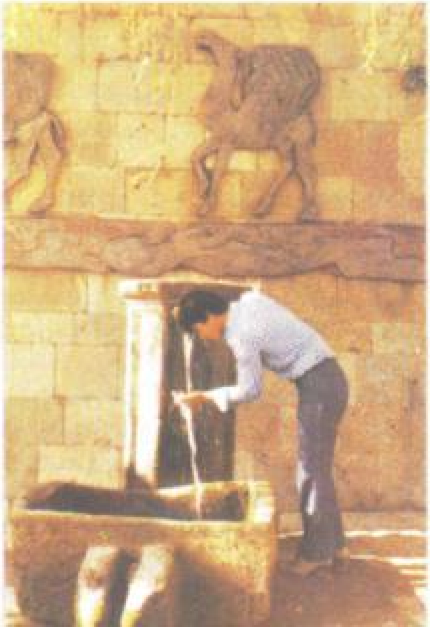

شيخ الاسلام حاج الله شكر بابا زاده .

مسجد طازه بير أكبر مساجد أذربيجان ومقر الادارة الدينية .

الصلاة في أحد مساجد الاتحاد السوفيتي .

وبعد الثورة تغير الكثير من مناحي الحياة ، ومن بينها موقف السلطة الجديدة من الاسلام ، ورغبتها في أيامها الاولى في كسب المناطق الآسيوية ، وصدر في هذا الوقت مرسوم سوفييتي يقول : « يا مسلمي روسيا ، من الآن فصاعدا ، تعلن أن معتقداتكم ومؤسساتكم الوطنية والثقافية ، حرة لا يمكن أن تمس ، رتبوا حياتكم الوطنية ، واعلموا أن حقوقكم شأنها شأن حقوق كل الشعب تحميها كل قوة الثورة وأجهزتها .. » .

كانت هذه هي البداية ، وبعدها كم من الأحداث جرفتها المياه ، وتداخلت معارك وتضاربت أهداف ، وكان هناك تصور ، أن الغاء الاستغلال وبدء حركة التصنيع والاصلاح الزراعي والمزارع الجماعية كفيل وحده بحل كل المشكلات القومية والدينية ، وخفت الى حين صيحات تأكيد الهوية ، والتمايز بين الشرق والغرب ليحل محلها أهداف مثل القضاء على مراكز الاستغلال ، ومرت فترات عصيبة ، وتغيرت الظروف وتشققت الثوابت ، واستقر الأمر على ما يمكن تسميته نظرية المربعات ، فمربع للدولة وآخر للدين ينفصل كل منهما عن الآخر ، ولا تفرق الدولة بين المواطنين بسبب دينهم ، ولا يجوز ان يسجل دين المواطن في أي من الوثائق الرسمية مثل شهادات الميلاد أو جوازات السفر ، وليس لأحد أن يسأل عن عقيدة من يطلب عملا ، فالديانة مسألة شخصية تعود للفرد وترجع الى ضميره ، وبينما كانت هذه الاجراءات تأخذ طريقها الى التطبيق ، أعلنت تركيا أهم دولة اسلامية في هذا الوقت أيام اتاتورك فصل الدين عن الدولة ، أما بقية الدول الاسلامية فكانت جميعها تكاد تكون خاضعة للاستعمار !

وبلور الدستور السوفييتي هذا الموقف في مادته ٥٢ بقوله : « تضمن لمواطني الاتحاد السوفييتي حرية العقيدة ، أي الحق في اعتناق أي دين ، وأداء الشعائر الدينية أو القيام بالدعاية الالحادية ، وتمنع اثارة العداوات والأحقاد بسبب المعتقدات الدينية .. » .

والدين في الاتحاد السوفييتي مفصول عن الدولة والمدرسة مفصولة عن الدين .. » .

وأصبح المسلمون وغيرهم يتمتعون بحرية ممارسة شعائرهم ضمن هذا الاطار .

ولعل التجربة السوفيتية بما تتيحه من حرية العقيدة وحق ممارسة الشعائر ، وهي تكرار لتجربة فريدة من نوعها في التاريخ ، هي تجربة الدولة الاسلامية - رغم الخلاف في جوهر كل منها - التي كانت أول دولة تقدم هذا الحق لأصحاب العقائد المختلفة ، فرغم أن الاتحاد السوفييتي تحكمه عقيدته الخاصة ، نجده يسمح لأصحاب العقائد الأخرى بالوجود وممارسة شعائر دينهم ..

شيخ الاسلام ..

وها هو « شيخ الاسلام » في أذربيجان يكمل الصورة ..

التقيت بحاج الله شكر بابا زاده في مسجد « طازه بير » أكبر مساجد باكو ، ومقر الادارة الدينية لمسلمي ماوراء القفقاس ، انه شاب في مقتبل العمر ، درس في مدرسة مير عرب في بخارى وأكملها في معهد الامام البخاري في طشقند ، ويرأس مجلسا دينيا يضم السنة والشيعة الذين يتكون منهم المسلمون في أذربيجان ، ويتولى رئاستها شيعي يحمل لقب « شيخ الاسلام » ونائبه « سني » يحمل لقب « مفتي الاسلام » .

يقول « شيخ الاسلام » : يبلغ عدد المساجد في أذربيجان ٣٠ مسجدا عامرا ، وهناك العديد من المساجد الصغيرة في الأحياء ، وتقوم الادارة الدينية باعداد واختيار الأئمة ، وتعمل على تطبيق الشريعة الاسلامية ، وتصدر الكتب الاسلامية والنشرات الدورية ، وأشار الى وجود بعض المساجد التي تفلت من هذا الاشراف ، ويتولاها أئمة غير مؤهلين .. ! » .

● سألته : هل هناك مساجد جديدة تقام ؟

- « هناك مسجد سلماني الذي افتتح في باكو العام الماضي .. » .

● كيف اخترت طريقك كأحد رجال الدين ، وهل لعائلتك دور في هذا الاختيار ؟

- « ان أسرتي تضم أحد عشر ابنا ، أنا الوحيد الذي تلقيت التعليم الديني ، فأخي يعمل مهندسا ، وأخواتي يعملن في مهن مختلفة ، طبيبات واخصائيات زراعيات ومعلمات وعاملات ، وقد شعرت أن الاسلام رسالتي منذ كنت طفلا وبعد اطلاعي على الكتب الاسلامية في المسجد ، قررت أن أدرس الاسلام .. » .

● ماهي مصادر الدخل للانفاق على المساجد ، بعد الغاء الأوقاف الاسلامية ؟

- « تعتمد على تبرعات المسلمين ، التي تزايدت مؤخرا ، ولعل زيادتها تعود الى زيادة عدد المتبرعين ، أو الى ارتفاع مستوى المعيشة في البلاد ، أو للسببين معا .. » .

● هل تقبلون التبرعات من أي هيئة اسلامية خارجية .. ؟

- « لا .. فنحن نكتفي بالتبرعات التي يقدمها المسلمون في أذربيجان ، وهي تكفي للانفاق على المساجد ، ودفع رواتب الأئمة وخدام المساجد .. » .

● هل تطالبون بأن تعود المساجد التي أصبحت متاحف الى الادارة الدينية ؟

بعض أنواع الكروم التي تشتهر بها أذربيجان

ـ « ميزانيتنا لا تسمح بالحفاظ عليها وترميمها ، ووزارة الثقافة تشرف على الآثار وتتولى عمليات الترميم هذه ، وأحيانا نساهم في بعض نفقات الترميم . . »

● هل يوفد بعض الدارسين للدراسة في الأزهر أو الزيتونة أو النجف الاشرف مثلا ؟

ـ « لدينا الكثير من خريجي الازهر ، ولدينا بعثة سنوية تذهب الى الحج كل عام لأداء الفريضة . . »

● لماذا لا تطلبون من السلطات تغيير دوريات العمل يوم الجمعة ليتمكن من يرغب منهم في اقامة صلاة الجمعة ؟

ـ « العمل أولا ثم تأتي العبادة »

● هل ينقسم الشيعة الى سلم هرمي على رأسه آية الله وفي قاعدته الملا . . وهل تحصلون على العشر من أموال المسلمين . . ؟

ـ « النظام لدينا مختلف ، والعشر يجمع اختياريا »

● كيف تم اختيارك كشيخ للاسلام . . ؟

ـ « عن طريق الانتخاب من خلال مؤتمر اسلامي »

● كيف تتعرف الاجيال الجديدة على تعاليم دينهم . . ؟

ـ « هذا الواجب يقع على الأسرة ، فمثلا في اسرتنا جميع أخوتي درسوا القرآن الكريم ، وبعضهم يعرف اللغة العربية »

● هل تقدمت بمطالب الى السلطات المحلية ، لم يتم الاستجابة اليها ؟

ـ « انهم يستجيبون الى كل مطالبنا . .

وتخصص لنا الاراضي لبناء المساجد ، والمطابع لطبع الكتب والمجلات الاسلامية ، كما تساعدنا في عقد المؤتمرات الاسلامية والاتصال بالمسلمين في كل مكان . . »

هذا ما يردده « شيخ الاسلام » ، ويبقى السؤال قائما ، فبعد أن عرفنا أن للمسلمين حقا دستوريا في ممارسة شعائرهم ، يبقى السؤال قائما حول أحوالهم وكيف يمارسون حقوقهم ؟

بعد أن تستمع الى ايحاءات التاريخ يمكن أن تلمس بعض المؤشرات عن الاسلام الصامت ، فمثلا يلاحظ أن الاسماء ما زالت كلها أسماء اسلامية تنطق باللهجات المحلية ، وترى حرص المتزوجين حديثا ـ بعد انتهاء العقد المدني ـ على اتمام عقد القران في المسجد ، كما يتم الاحتفال والاحتفاء بكل الأعياد والمناسبات الدينية ، ويجد المسلمون في ممارسة الشعائر وفي هذه الاحتفالات طريقا للتعبير عن تمسكهم بالدين ، وتلمس هذه الظواهر اوضح ما تكون اذا خرجت من المدن الكبيرة ، وبقيت الشعائر آخر الحصون المنيعة ، واذا كانت الجوامع تمتلىء يوم الجمعة بالعجائز ، الا أن الرجال في أعمالهم والطلبة في مدارسهم . .

وأصبح هناك ما يمكن ان تطلق عليه ثقافة تحتية ، يتناقلها الناس تختلط فيها الدين بالتاريخ بالهوية ، فما زال الكثيرون قابضين على الجمر ، وسنتناول هذا بتفصيل أكبر في استطلاع قادم نستكمل فيه رحلتنا الى قازاغستان وأوزبكستان . .

وأخيرا . .

ليس الحاضر في النهاية سوى سطر في صنع المستقبل ، وليس سهلا تقديم تجربة بهذا الحجم في هذه الصفحات القليلة ، وليس في هذا الاستطلاع سوى القاء بعض الضوء على الحياة في أحد أركان الاتحاد السوفيتي . □□

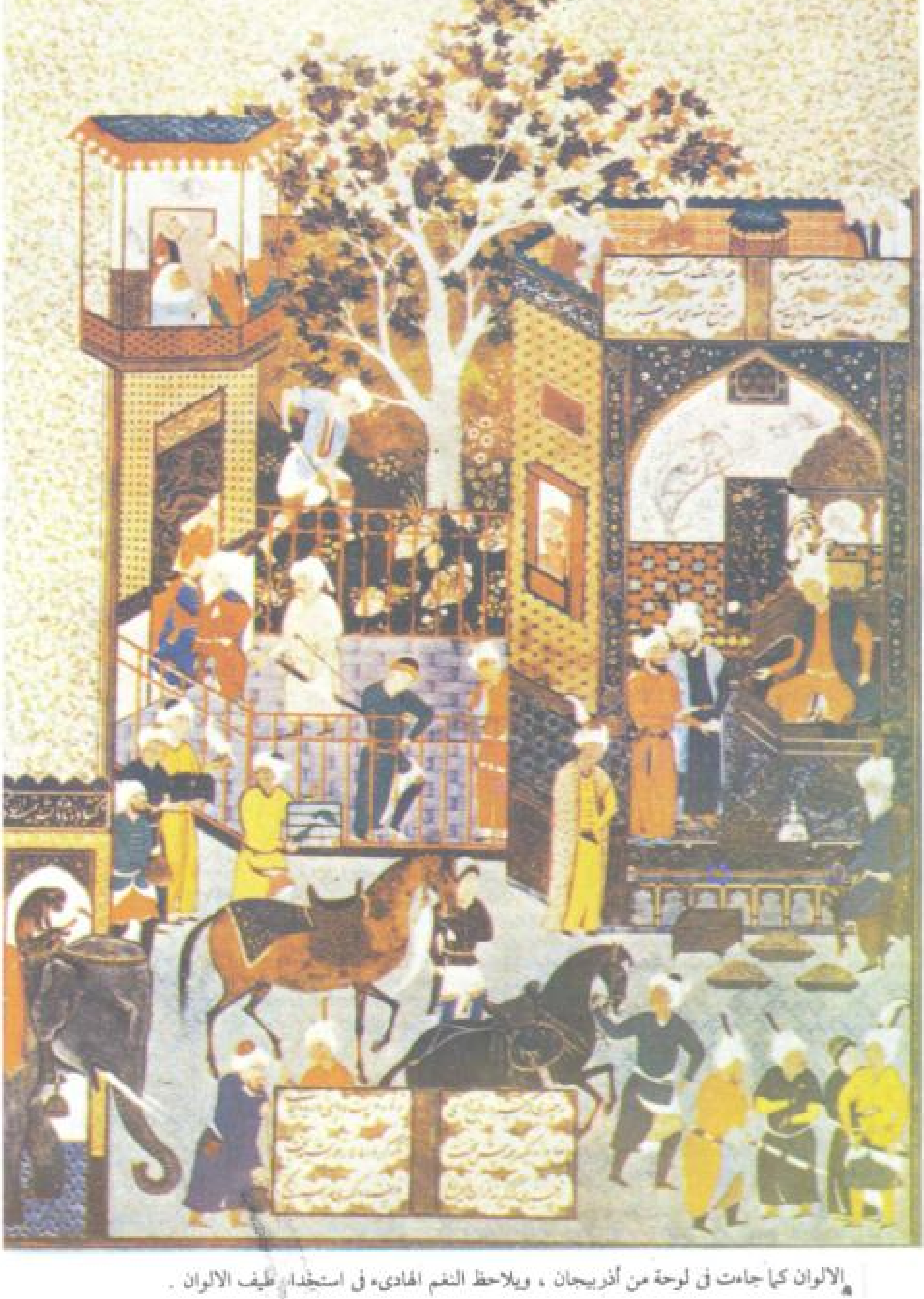

الالوان كما جاءت فى لوحة من أذربيجان ، ويلاحظ النغم الهادىء فى استخدام طيف الالوان .

الألوان والناس

بقلم : الدكتور عمر الدقاق

تدور الالوان وتدور خيرات الشعوب حول هذه الالوان .

منذ خلق الكون ، وبدء الحياة والوجود . . كانت الألوان . وكما تميزت الكائنات في الدنيا بماهيتها وهيئتها ، وبشكلها وحجمها ، تميزت أيضا بلونها . وهكذا اتسم التراب بالحمرة ، والسماء بالزرقة والحقول بالخضرة ، وعاشت الألوان مع الانسان ، أسماء وصفات وسلوكا في الحياة .

الطبيعة أغزر منبع للألوان ، سواء في عناصرها الجامدة او كائناتها الحية وثمة الوان كثيرة في الصخور والحجارة والاتربة والرمال ، واكثر منها في النباتات والثمار والازهار ، وقد تبلغ اعدادا غير متناهية تستعصي على الحصر في عالمي الطيور والاسماك .

وفي فجر الانسانية فتن المرء بتنوع الألوان ، فاستهواه جمالها ، وراقه لمعانها . وكان ان دخلت الألوان في صميم حياة الانسان ، وغدت لها آثار بعيدة في حياته الدينية والاجتماعية ، وايضا في حياته النفسية والعاطفية .

ويغلب على الظن ان قوس قزح ، بألوانه الزاهية وهيئته البهيجة اثار اهتمام الانسان القديم وانتزع اعجابه ، وذلك على غرار ما كانت تفعله في نفسه سائر ظواهر الكون ، من شروق وغروب ، وكسوف وخسوف وبرق ورعد ، ومطر وقحط . . غير ان قوس قزح بما ينطوي عليه من جمال وبهاء ، الى جانب كونه ظاهرة متألقة في الكون ، جدير بأن يولد في اعماق المرء شعورا خاصا وان يبعث في نفسه أضواء الأمل ، وأنوار التفاؤل . حتى لقد ساد الاعتقاد لدى بعض الاقوام ، بأن ظهور قوس قزح ما هو الا اشارة صادرة من رب السموات الى خلقه على وجه البسيطة ، ينبئهم فيها ان الارض لن تكون معرضة مرة اخرى للطوفان !

لقد كان للألوان منذ الأزل شأن كبير في حياة البشر ، اذ ارتبطت اوثق ارتباط بوسائل عيشهم وبأفكارهم وتقاليدهم وعاداتهم ومفاهيمهم . . وطبيعي ان يتميز كل شعب بجانب من الألوان ، تبعا لمحيطه وبيئته . فمن الملاحظ مثلا ان اللون الأسمر كثير الشيوع في ربوع العرب بسبب سطوع شمسهم ، والسمرة تتردد على السنة شعرائهم حين ينعتون الرماح بأنها سمر ، وفي غزلهم حين يصفون الحبيبات بأنهن ايضا سمراوات . .

ثياب الاحرام

وفي الاسلام كان البياض لون رداء الاحرام ، لأداء مناسك الحج ، والطواف حول الكعبة ، والوقوف على جبل عرفات . وهذا الرداء الابيض البسيط ، غير المخيط ينم على هالة من الطهر والنقاء ، وخلوص النفس وهي في رحاب خالقها ، من ادران الدنيا وذنوبها ، ومفاسد الحياة ومعاصيها . .

اما لون السواد فهو رمز الحزن عند اكثر الشعوب ، وفي جملتهم العرب . وهو ما يرتديه اقارب الفقيد وذووه من ثياب سود الى اجل محدود . وقد يكتفي بعضهم في العصر الحديث بارتداء ربطة عنق سوداء ، او بوضع شارة سوداء او نحوها على طرف الصدر .

على انه من الغريب أن يكون البياض ، وليس السواد ، هو رمز الحزن لدى بعض الأمم ، ومنها أمة الصين . وهذا يعني ان الافهام قد تتعارض ، وان الاذواق قد تتباين . وقد ذكر ابن بطوطة خلال رحلاته انه شاهد اهل الصين يتخذون البياض لونا لملابس الحداد . وما زال الصينيون الى اليوم على هذه العادة وما لنا نذهب بعيدا وعرب الاندلس انفسهم اتخذوا الثياب البيض دلالة على الحداد ، وما زال المسلمون في اقطار المغرب على ما كان عليه جدودهم في هذه الاحوال .

وقد بين احمد تيمور - وهو في صدد جمعه للنبذ التاريخية - ان السواد لم يكن دائما لون الحداد ، فمثله كانت الوان البياض والخضرة والصفرة والزرقة . . فمن عادة الفاطميين ان ولي العهد كان يرتدي حلة خضراء اثر موت الخليفة ، وهي لباس الحداد ، ثم يخلعها ويبدلها عند مبايعة الرعية له ، ويرتدي ثوب الخلافة . وقد ذكر الديري في اوراقه ان علامة الحزن لدى بعضهم كانت وضع مئزر اصفر على الرأس . وأورد ابن الخطيب ان لباس الحزن في غرناطة بالاندلس كان ازرق اللون .

الجنة الخضراء

وكان ان اكتسبت الألوان على مر العصور معاني ودلالات في حياة الامم ما لبث ان استقرت في الفاظها وتجلت في عباراتها ، وغدت بعدئذ بمثابة رموز فكرية ، او ايحاءات شعورية ، تنطوي على سمات محددة وخصائص مميزة .. فاللون الاحمر ، وهو أصلا لون الدم ، بات يرتبط بالحرب والثورة والعنف والبطش ... واللون الاخضر يوحي بالخصب والرخاء والنعيم وجنة الفردوس .. واللون الاسود يشير الى الظلام والعبودية والظلم واليأس .. واللون الابيض يرمز للنقاء والطهر والأمل والسلام .

وقد توسعت الانسانية في استخدام الالوان عن طريق القفز من الحقيقة الى المجاز ، نظرا لما تنطوي عليه الموصوفات نفسها في الاصل من صلة دلالية بالوان معينة . ولهذا وصف العيش بانه اخضر ، واليوم العصيب بانه اسود ، والقلب الطيب بأنه أبيض ، والعدو اللئيم بأنه أزرق .

الرايات والعمائم

وعلى هذا الغرار مضى الانسان المتحضر يتعامل مع الالوان المتنوعة في اطار الرمز ، سعيا وراء دلالات جديدة تزيد آفاقه غنى ، فاتخذ الحمامة البيضاء شعارا للسلام ، والراية البيضاء علامة للاستسلام او التوقف عن اطلاق النار والكف عن سفك الدماء . وقد جرت امم كثيرة واقوام سالفة عبر التاريخ على اتخاذ رايات ذات الوان بعينها لتكون بمثابة رمز لها ، وشعار لمقاتليها . وكثيرا ما كانت الراية ذات لون واحد ، وقد تنسج من الحرير أو الديباج ، او ترصع باللآليء والجواهر .

وفي العصور الحديثة ، غدا من الطبيعي ان تحرص كل دولة على ان يكون لها علم متميز تؤلفه وفق ما يتصل بتاريخها وبيئتها وعقيدتها . فالعرب في طور انبعاثهم ومرحلة نهوضهم ، حرصوا منذ تحررهم واستقلالهم ، على ان يتخذوا لأنفسهم اعلاما تؤكد حقيقتهم ، وتنم على شخصيتهم . وكان من البديهي ان يستوحي العرب المعاصرون من ماضيهم المجيد ما يؤكد انتماءهم الى اولئك الجدود الاماثل الذين كانت لهم مشاركة كبرى في دفع موكب الحضارة الانسانية الى الامام عبر العصور .

وهكذا اتخذت الثورة العربية الكبرى التي هبت منذ التسلط التركي ابان الحرب العالمية الأولى ، علما رباعي الألوان شعارا لها يتألف من اللون الاسود فالأبيض فالاخضر ، وهي الالوان الثلاثة التي ترمز لدول العباسيين والأمويين والفاطميين عبر العهود العربية الاسلامية . وقد احتوى الالوان الثلاثة مثلث جانبي احمر ، أضيف اليها ليكون رمزا لنزعة العرب التحررية . ومن اروع ما حدث ، ان الثورة الفلسطينية التي ما لبثت ان شبت بعد حين في سبيل استخلاص وطنها وتحقيق سيادة شعبها ، سرعان ما تلقفت الراية نفسها من تلك الأيدي الرائدة والنفوس المجاهدة ، وكأن فحوى ذلك ان الثورة العربية ماضية ابدا في طريق الفداء . بل ان هذا العلم نفسه ، علم الثورة العربية الكبرى آل علما لحزب البعث العربي منذ تأسيسه ، متوسما من خلال الوانه بعث امة العرب في اطار دولتهم الواحدة . ثم اشتقت دول عربية اخرى من هذا العلم اعلامها الجديدة منذ قيض لها ان تتحرر من الاحتلال ، وتنعم بالاستقلال ، فاتخذت سورية والعراق والاردن الالوان الرباعية نفسها ، مع تعديل ارتأته كل منها في الشكل او الترتيب ..

كذلك بقيت دول عربية اخرى ضمن هذا الاطار السلفي للالوان ، فاقتصرت على اللون الاخضر في اختيار علمها مثل المملكة العربية السعودية او جعلت مع الاخضر لونا ابيض مثل

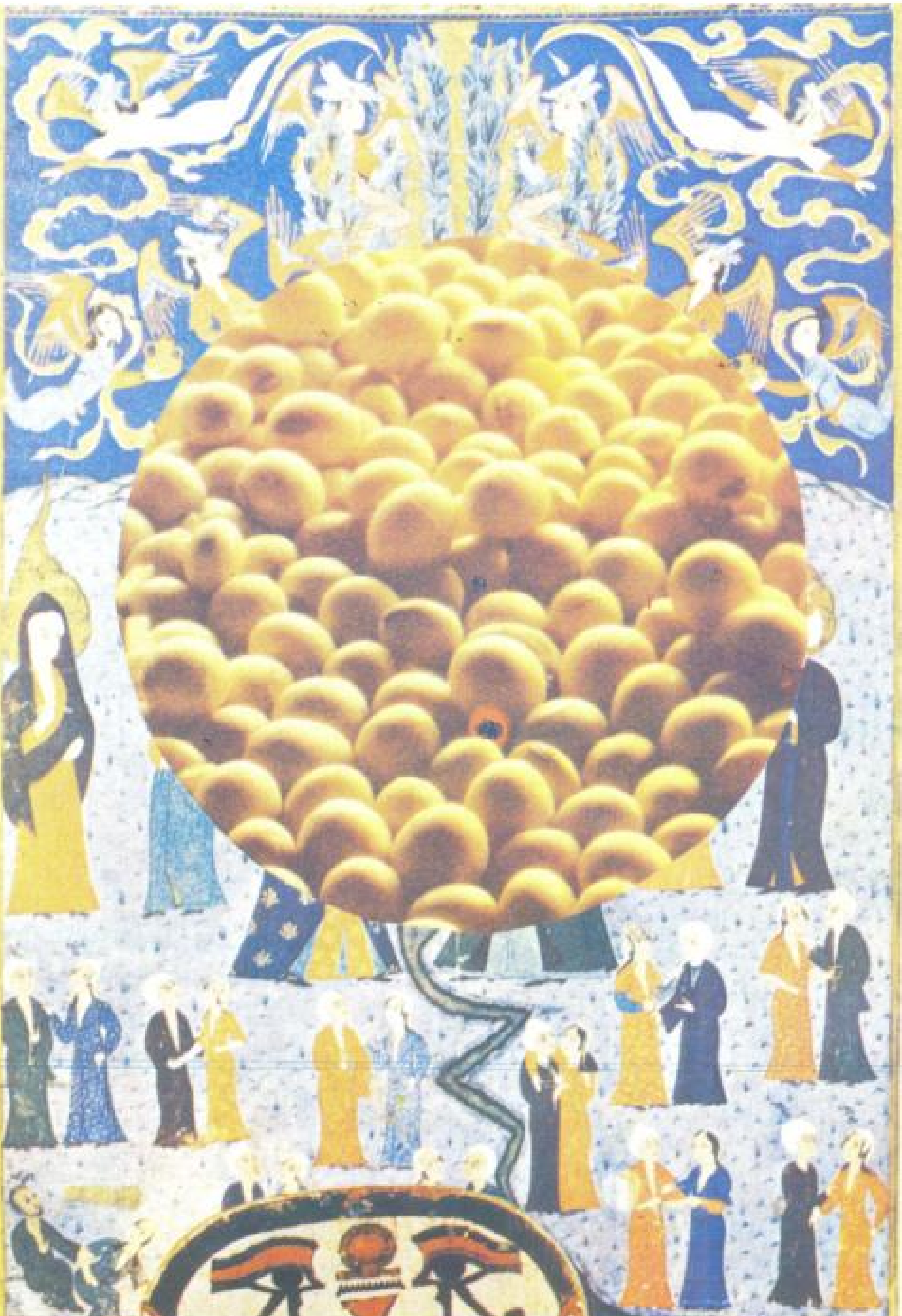

القديم والحديث فى لوحة واحدة ، ويظهر فى كل منها أسلوب خاص لاستخدام الألوان .

رسوم على معابد الفراعنة ، وأزياء شعوب متعددة ، وتظهر فيها جميعا عمق الخبرة البشرية بالطبيعة وألوانها . .

مصر ، او جعلت مع هذين لونا ثالثا احر مثل الجزائر . . وغالبية الأعلام المعاصرة للعرب باقية بالاجمال داخل اطار هذه الألوان ودلالاتها العريقة .

على أن اللون الأخضر هو اللون الأثير في الشرق ، وهو أكثر الألوان شيوعا في أعلام الدول العربية والدول الاسلامية . انه باد في أستار كعبتها ، وعلى أضرحة أوليائها ، وفي قباب عدد من مساجدها ، وعمائم فئات من مشايخها . . فهذا اللون ينطوي على هالة محببة في نفوس المسلمين تكونت حوله على مر العصور ، وهو في الوقت نفسه بمثابة رمز للجنة التي وصفت بهذا اللون في القرآن الكريم ووعد الله بها عباده المتقين .

وعلى صعيد آخر من هذا العالم ، برز اللون الاحمر على الصعيد السياسي في القرن العشرين ، حين اتخذت الحركة الشيوعية العالمية الراية الحمراء شعارا لها ورمزا لثورتها الدموية المنشودة .

ثم غدت لقطاعات الجيوش الحديثة الوان ترمز اليها وتعرف بها ، فاللون الابيض لباس سلاح البحرية ، والازرق لسلاح الطيران ، واللون الاخضر في بعض الجيوش علامة لسلاح المشاة . .

السلاح الابيض

وعلى هذا الغرار في صدد الحروب يقال : جرت المعركة بالسلاح الابيض ، اي حدث التحام بين الجيشين فلم تفتح النار من بعيد وانما تم القتال عن كثب بالسيوف والخناجر والمدى ، وما الى ذلك ، مما يعني ضراوة القتال .

وشبيه بذلك ما يصدر بين الحين والحين عن

بعض الدول أو الزعامات من نشرات او كتيبات يطيب لاصحابها ان ينعتوها بالوان معينة ذات صلة ما بمحتواها ، فكثيرا ما نسمع بصدور كتاب اسود او كتاب احمر او كتاب اخضر . .

ومن تمام الابهة لدى استقبال الملوك والرؤساء مد بساط طويل احمر اعظاما لشأن الضيف الكبير حين تطأ اقدامه ارض البلاد . ويبدو ان ذلك العرف كان معهودا في القديم على نحو ما ، وقد اشار اليه المتنبي في وصف دخول موفد بيزنطة على سيف الدولة في قصره بحلب .

واذا مضينا على الصعيد الجغرافي في هذا السبيل بدت لنا تسميات كثيرة لمناطق ومدن وبحار وانهار ، مستمدة من اسماء الالوان ، وذلك بقصد التمييز ايضا شأن كل اسماء الاعلام . ومن اشهر هذه التسميات ما يعرف بالقارة السوداء اي افريقية لأن غالبية سكانها من السود او السمر ومن اشهرها ايضا البحر الابيض المتوسط الذي يتوسط القارات الثلاث وهناك البحر الاحمر الذي يفصل البر الآسيوي عن البر الافريقي ، والبحر الاسود الذي يقع بين تركيا وروسيا . .

النيل الازرق والنهر الاصفر

ومن هذا القبيل اطلاق اسم الشاطىء اللازوردي على الساحل الجميل في جنوب فرنسا واللازورد لون بين الخضرة والزرقة لنوع من الاحجار الكريمة تدل عليه في الاصل الكلمة الفارسية (لاجورد) . . ويقال ان نهر النيل سمي بذلك لان مياهه قريبة من لون الكحل او صبغة النيلة وهي الزرقة القاتمة . اما رافداه فيحملان ايضا اسمين من اسماء الالوان هما النيل الابيض والنيل الازرق ويلتقيان في عاصمة السودان عند قرنة الخرطوم او المقرن وهما ليسا في الواقع بأبيض ولا ازرق . . ومن اعظم الانهار في آسيا النهر الاصفر ، ويقع جنوبي الصين ويمر بالقرب من شانغهاي . كذلك ثمة نهر كبير في امريكا الجنوبية اسمه النهر الأسود ، وهو واحد من انهار البرازيل ، وقد حملت اسمه ايضا مدينة النهر الأسود بولاية بارانا .

وفي ربوع الوطن العربي عدد من الاماكن تحمل اسم الجبل الاخضر ، منها منطقة الجبل الاخضر في ليبيا التي عرفت مقاومة الاحتلال الايطالي من قبل الثوار المسلمين والمجاهدين السنوسيين بزعامة البطل الشهيد عمر المختار . وثمة مدن عربية عديدة تحمل اسم البيضاء ، اشهرها ايضا في ليبيا ، وشبيه باسمها ايضا مدينة الدار البيضاء المغربية على المحيط الاطلسي . ومدينة الزرقاء معروفة في الدولة الأردنية ، وكذلك بلدة البلقاء . ومدينة حلب العريقة تعرف ايضا بلقبها (الشهباء) بسبب غلبة لون الشهبة القريب من البياض على أُبنيتها الحجرية الفريدة ، وقيل : بل الشهباء لون البقرة التي كان نبي الله ابراهيم الخليل يحلبها كل مساء في سفح قلعة حلب ويتصدق بها على المساكين الذين كانوا يتنادون لدى رؤيته صائحين : لقد حلب الشهباء . .

الحجر الأسود

ومن أُعرق التسميات في هذا الصدد في تراث الاسلام ومقدساته الحجر الاسود ، الذي جاء في السيرة ان الرسول (ﷺ) ابدى رأيه السديد في كيفية اعادته الى مكانه ـ وكان يافعا آنئذ ـ بأن يوضع في ردنه ويحمله جميع من كانوا في الكعبة المشرفة . وهو حجر صلد أملس لامع شديد السواد محفوظ في تجويف داخل البيت العتيق ، وتقبيله من قريب او بعيد جزء من مناسك الحج الى بيت الله الحرام في مكة المكرمة .

وكانت أسرة بني الأحمر التي حكمت آخر دويلات الاندلس ـ وهي باسمها أيضا ، آخر حبة في عقد الوجود العربي في ذلك الفردوس المفقود ، وقد تركت دولة بني الاحمر واحدا من اروع المنشآت العمرانية في غرناطة ، اطلق عليه

ايضا اسم قصر الحمراء ، وهو آية في فن العمارة الاسلامية .

وقديما كان قصر كسرى في فارس يعرف باسم القصر الابيض ، وهو مشهور باسم الايوان ، وبقاياه ماثلة في بلدة المدائن بالعراق . وهذه التسمية تذكرنا في هذا العصر الحاضر بالبيت الابيض ، وهو مقر رئيس الجمهورية في العاصمة الاميركية ويبدو ان الناس اطلقوا عليه هذا الاسم اول الامر لبياض لونه ، ثم شاعت التسمية حتى غلبت عليه .

الليالي البيض

ومن غرائب الطبيعة في بعض أطراف الارض ما يسمى بالليالي البيض في المناطق الشمالية من اوروبا القريبة من القطب ، ففي اجزاء من روسيا وكذلك في فنلندا والنرويج .. تكاد تبقى الشمس معظم اليوم في السماء دون ان تغيب وراء الأفق الا ساعات قليلة ، وهي حتى في هذه الحال لا تغوص كثيرا في جهة الغرب ، فيبقى شعاعها متناثرا في الجو مما يحول دون حلول ظلام دامس ويحدث ذلك مرة في بداية كل صيف خلال الاسبوع الثالث من شهر حزيران (يونيو) حين يبلغ النهار اقصاه (حوالي عشرين ساعة) والليل ادناه .. ومن هنا غلب على هذه الليالي البياض او شبهه فعرفت بالليالي البيض .

وبفعل التداعي يرد الى الاذهان اسم الليالي الحمراء ، وهي تعني لدى الناس السهر الماجن وما ينطوي عليه من شراب وفسق ... اما الليلة السوداء فهي الممتلئة بالهموم والآلام . على حين ان الليلة البيضاء هي التي تحفل بالسعادة والهناء . ومثلها في التعبير الأدبي ايام غراء ، اي مشرقة حافلة بالامجاد .

الورد الاحمر

ومع التقدم الحضاري اخذت اهمية الألوان تتنامى في حياة المجتمعات المعاصرة ، وغدا كثير منها ينطوي على دلالات وايحاءات . ففي مناسبات الفرح بات من الاعراف المستحبة اهداء الورد الأبيض دلالة على الصفاء والطهر ، وايضا اهداء الورد الاحمر تعبيرا عن الهيام والحب .

كذلك اصبح من التقاليد الاجتماعية البهيجة ان ترتدي العروس الحلة البيضاء ليلة زفافها ، على حين يحسن بالزوج ان يظهر في بزة قاتمة او سوداء .

وعلى هذا الصعيد التنظيمي في ادارة حركة السير اصطلحت المؤسسات في هذا العصر على مجموعة من الاشارات المعتمدة على الالوان لتنظيم مرور وسائل المواصلات ، من سفن وطائرات وقطارات وسيارات ، بالاضافة الى اعتمادها ايضا في مداخل العمارات والمراثب والمتاحف والسلالم ... اذ يعني اللون الاحمر منع المرور دفعا للخطر نتيجة دهس او تصادم ... كما يفيد اللون البرتقالي التحذير اما الاخضر فيشير الى ان الطريق سالك والسير آمن . ومن متممات ذلك التنظيم الدقيق في ديار الغرب ان يحمل مكفوف البصر عصا بيضاء تميزه خلال سيره ، بقصد لفت انتباه الآخرين اليه ـ راجلين وراكبين ـ فيعطي افضلية اجتياز الطريق ويمر بيسر وسلام .

الكذب الأبيض

ان الألوان لم تدخل حياة الانسان من الخارج فحسب بل توغلت في فكره ونفسه ، وظهر اثرها جليا في ألفاظه وعباراته ، فاكتسبت هذه مدلولات جديدة ، قد لا تبدو معانيها في ظاهر الفاظها ، لولا القرينة او الاحاطة السابقة بأسرار اللغة وخصوصية الاسلوب .

فلون البياض يعني بوجه عام الطهر والنقاء والخير والسلام ، فهذا امرؤ أبيض القلب ، اي طيب العنصر ، نقي السريرة ، خال من الحقد واللؤم . والعرب تقول ايضا : أبيض الكبد ،

لاعتقادهم أن الكبد هو موطن الضغائن والأحقاد . وقولهم : (بيّض الله وجهك) دعاء لك بالفلاح لتغدو مرفوع الرأس وتحظى بتقدير الناس . و (له علينا يد بيضاء) اي فضله علينا لا يجحد ، ونعمته مشكورة . ومن هذا القبيل ان يوصف المرء بأن (صفحته بيضاء) أي ماضيه نظيف ، وسجله خال مما يشين ويعيب . وحظه ابيض اي أتته النعمة واصابه الخير من حيث لا يحتسب . والكذبة البيضاء ، هي الممازحة التي لا تورث اذى ولا تلحق ضرا ، وقد تثير بهجة وتنقذ من حرج . والانقلاب الابيض ، هو قلب نظام الحكم السائد في بلد دون حاجة الى عنف او اراقة دم .

غير ان البياض قد يخرج عن دلالته المعهودة . فيعني في النادر ، صفة غير مستحبة مثل : ابيضت عيناه حزنا ، اي علتها غشاوة فكلّ بصره من فرط البكاء .. وشبيه بذلك : ابيض شعر رأسه ، اي ادركه المشيب ورحل عنه الشباب ، وفي الشعر العربي روائع من المعاني والصور في هذا الموضوع .

الابتسامة الصفراء

أما السواد ، وهو ضد البياض ، فيشير بالاجمال الى دلالات مضادة ، اذ يقال انه اسود القلب ، اي قاس حقود لئيم .. واسود الوجه ، اي خاسر منبوذ بعد انكشاف طويته وافتضاح امره . وحظه اسود ، اي يفوته الخير والنجاح برغم دأبه وسعيه . واسودت الدنيا في عيونه ، اي ضاقت عليه السبل ومنافذ العمل وفرص السعي ، حتى كأنه في ظلام ، فتلب عليه اليأس . ومثل ذلك ان يقال راودته افكار سوداء ، اي غلبه التشاؤم والغم واخذ يهم بسلوك الدروب الوعرة ويتوهم امورا سيئة .

ولسائر الألوان في فن التعبير حيز اقل مثل اللون الاحمر ، اذ يقال احمرت عينه ، اي بدا فيها الشر والتمع الشرر وبات يخشى اذاه وبطشه . واحمر وجهه ، أي عراه الخجل والحياء ..

واقل من ذلك استعمالا بين الألوان الزرقة والخضرة والصفرة ، وما اليها ، كأن يقال : ان عظمه ازرق ، أي بالغ الحقد شديد التعصب . او يقال : يا لها من ابتسامة صفراء اي تنطوي على المكر والخبث وسوء الطوية . وقد ينعت الوباء بأنه الاصفر ، ويشار به الى استفحال الكوليرا ، كما يقال الوباء الأسود للطاعون الذي يحمل الموت الزؤام ... والكتب الصفراء تعبير خاص باللغة العربية ، وهو اصطلاح مستحدث يراد به كتب التراث القديم .

وثمة عبارات اخرى معتمدة ايضا على الالوان شاع امرها بين الناس ، ولا سيما في مجال المال والاقتصاد ،من اهمها : السوق السوداء اي تعامل الناس سرا في مضمار السلع والعملات خلافا للانظمة السائدة ، وكأنهم يجوسون في الظلام بطرق غير شرعية . ومن هذا القبيل ذيوع عبارات مستحدثة ، خرجت من الحقيقة الى المجاز ، لتضفي مزيدا من الاهمية على معانيها الاصلية ، مثل : الذهب الاسود ، اي الفحم الحجري قبل حين ، والنفط في هذه الايام . والذهب الابيض اي القطن بأهميته الاقتصادية في العالم ..

واذا استعمل اللون صفة لشيء او حالة ، فقد يراد به التأكيد على المعنى المراد وابراز اهميته وشدته ، كقولنا : موت احمر ، وجهنم الحمراء ، وفتنة سوداء ، وكذبة بلقاء ، وحقد اسود ، وفقر اسود ..

ان الانسان الحديث راح يلح في اثراء عيشه وامتاع بصره بسحر تلك الألوان وذلك من خلال الالبسة والازياء واصناف الطعام والشراب وشاشات السينما والتلفزيون وأجهزة التصوير والسيارات وجدران الغرف واثاث المنازل ... وغير ذلك مما لا ينضب له معين في هذا العالم الذي لا تسبر ابعاده ، ولا تحد آفاقه .

بين ابن وأبيه . .

سلطان العقل عند أحمد أمين

بقلم : الدكتور جلال أمين

☐ جانب واحد من جوانب الأستاذ احمد أمين ، الأديب والمؤرخ والمفكر والناقد الاجتماعي ، أود أن أسلط عليه مزيدا من الضوء ، اذ قد يكون هذا الجانب قادرا على تفسير اكبر قدر ممكن من جوانب شخصيته وانتاجه .

هذا الجانب هو ما يمكن ان يطلق عليه « غلبة سلطان العقل » أو « ضعف الهوى » عند احمد امين . وحينما اقول ان احمد امين كان يتميز تميزا واضحا بقوة سلطان العقل فان هذا القول ليس من قبيل تحصيل الحاصل ، الذي يصدق بالضرورة عليه باعتباره عالما ومفكرا ، كما انه ليس من باب اطراء الابن لوالده .

فهو ليس من قبيل تحصيل الحاصل لأن الذي اعنيه لا ينطبق بالضرورة على كثرة من أبناء جيله وزملائه من الكتاب والمفكرين ، اذ اريد ان ازعم ان هذه الصفة لا تتوفر بنفس الدرجة عند ادباء وكتاب عظام من جيله كطه حسين او العقاد او الحكيم او المازني ، وهو ما سأحاول ان أبينه فيما بعد . . . كذلك فان هذا القول ليس قولا يصدر لمجرد الاطراء ، اذ ان ما يمكن ان يسمى « بضعف الهوى » عند احمد امين قد يعتبره البعض سببا لتفوق طه حسين او المازني او الحكيم عليه كأديب وان كان أيضا سببا لتفوقه عليهم كعالم ومؤرخ .

أحمد أمين رجل معتدل اشد الاعتدال في احكامه الشخصية والعامة ، قادر على اخضاع عواطفه للمنطق ، ويأبى ان يترك لها العنان . وهو من اكثر الناس استعدادا للاعتراف بالخطأ وترحيبا بالنقد العاقل . يجب ان يقلب الامر على كافة جوانبه فيرى في كل شيء محاسنه ومساوئه . وهو من اكثر الناس نفورا من النفاق وسأما منه ، اذ ان عقله اليقظ دائما لا يكف عن تنبيهه الى عدم المبالغة في تقدير نفسه .

ذهب بعض اصدقائه الى تفسير هذا الاعتدال عند احمد امين بانه كان في مطلع حياته دارسا للشريعة وقاضيا ، فقالوا انه كان يكتب ايضا كقاض ، ولكني ارفض هذا التفسير . فصفة متأصلة الى هذه الدرجة في نفسه وتصرفاته ، يستبعد في رأيي ان تنتج عن مجرد توليه وظيفة من الوظائف او عن نوع معين من الدراسة ، وليس

الاستاذ أحمد أمين معمماً ، وقد خلع العمامة بعد أن كانت عقبة في طريقه .

كل من درس القانون او تولى القضاء معتدلا بالضرورة في احكامه وسلوكه ، بل قد يكون الاقرب الى الحقيقة انه درس الشريعة وتولى القضاء لأن هذا او ذاك صادف ميلا قويا لديه ، والأرجح انها صفة ولدت معه او انها من نتاج تربيته الأولى .

ما مظاهر هذا الاعتدال وضعف الهوى عند احمد امين ، في سلوكه الفردي والعام وفي انتاجه الفكري ؟

أحمد امين عندما يتزوج لا يتزوج عن حب ، وانما عن تقدير هادىء لمحاسن العروس وأوجه القصور المحتملة فيها ، ومحاسن الأسرة التي يتزوج منها واوجه ضعفها ، واذ تتغلب الأولى على الثانية يقرر الزواج على بركة الله .

وهو بعد الزواج يقرر بعد تفكير طويل ان افضل الاشياء للاسرة والأمة الا يزيد عدد الأولاد عن اثنين او ثلاثة على الاكثر ، وهو يقرر ايضا بعد قراءة مستفيضة لكتب التربية انه اذا احسن تربية الأول قلده بقية الابناء ، فالمهم اذن

ان يوجه كل رب اسرة عنايته لحسن تربية أكبر اولاده . ولكنه لم ينجح في تنفيذ قراره الأول ، ولا يبدو انه كان على صواب تام في الثاني . فقد تغلبت عليه مخاوف الزوجة وطموحها الى ان يكون لها عدد غفير من الأولاد عملا بنصيحة دأبت على سماعها بأن عليها « ان تقص جناحي زوجها لكيلا يطير » وليس افضل من كثرة الأولاد اثرا في منع الزوج من الطيران بل ومن الحركة . كما اظن انه كان مبالغا في تقدير اهمية سلوك الولد الاكبر في التأثير على بقية الأولاد ، فلا اظن أني ، وانا أصغر الأولاد ، قد تأثرت كثيرا بسلوك اخي الاكبر . واظن ان ابي قد بالغ هنا ، كما بالغ كثيرون من ابناء جيله ربما بتأثير الفكر الغربي السائد في ذلك الوقت ، في الأهمية التي كان يوليها لأثر البيئة على حساب عوامل الوراثة .

وحياة احمد امين العائلية حياة هادئة ومستقرة ، لم يعكرها زواج اخر او طلاق او نزوات طارئة . وهو عادل ايضا في معاملته لأولاده ، فلا اذكر قط انه أبدى ايثارا لواحد منا على الآخرين . وهو يريدنا ان نحكم العقل ايضا ونحن في أشد الاعمار طيشا ، فكل المطالب تحتمل التأجيل او الالغاء عدا المطالب المتعلقة بالدراسة او الصحة . واكثر الاشياء في نظره كمالي ، من الثلاجة الكهربائية والغسالة الاوتوماتيكية الى اي مظهر من مظاهر التأنق في الملبس او الاثاث . .

سلطان العقل

وغلبة سلطان العقل عند احمد امين تظهر ايضا في حياته العامة فهو بعد ان يصبح استاذا للأدب العربي في كلية الآداب ، وهو لا يزال يرتدي العمامة والقفطان ، يتساءل عما اذا كان هذا الزي الذي كان يناسبه وهو قاض شرعي قد اصبح يناسب الان منصبا مدنيا بحتا ، ويطيل التفكير في الأمر ويستشير اصحابه . فنفسه لم تتعلق بشدة بهذا الزي او ذاك ، وهو لا يرتدي هذا الزي او غيره تقليدا او خيلاء او رغبة في الظهور ، وانما يريد فقط ان يرتدي الزي المتفق مع عمله .

وهو لا ينضم الى اي حزب من الاحزاب ، اذ لا يستهويه واحد منها دون غيره ، وقد رأى السياسيين تحكمهم الأهواء وتغرهم المناصب ويفرحون بما لا يفرح به ويأسون على ما لا يأسى له . واذا كان قد عده البعض من رجال الحزب السعدي فان الامر لا يزيد في الواقع عن تقديره الفائق لشخصية النقراشي باشا ونزاهته وليس اعجابا بسياسة الحزب وتفضيلا له على غيره . فهو لم ير فارقا يستحق الذكر بين « مبادىء » هذا الحزب وبين « مبادىء » غيره . وعندما يظن النقراشي ان المودة المتبادلة بينهما قد تغري احمد امين بان يقبل رئاسة تحرير جريدة الحزب اليومية (الأساس) . . . يعرضها عليه ، وكان قد ترك لتوه عمله بالجامعة بوصوله الى سن المعاش ، فيعود احمد امين الى داره يفكر في الامر ويذكر لنا «مزاياه» ومساوئه ، وهو يشعر في قرارة نفسه منذ البداية انه لابد رافض العرض ، ثم يرفضه بالفعل رغم ما فيه من وعد بالجاه والسلطان والمرتب المجزي . لا عجب اذن انه اذ يرشح اسمه للباشوية يرفض الملك الانعام بها عليه (اذ ماذا قال احمد امين في الثناء عليه ؟) واذ يرشحه كبار السعديين وزيرا للمعارف يحتج شباب الحزب (اذ اين ولاء احمد امين للحزب ؟) واذكر انه قرب نهاية الأربعينيات اتصلت به مؤسسة فرانكلين الامريكية تطلب منه ان يشرف على اصدار كتاب يشترك فيه عشرة ادباء من المصريين وعشرة من الامريكيين بحيث يكتب كل منهم فصلا بعنوان « علمتني الحياة » يذكر فيه دروس حياته وما حظى به من تجاربه . فاذا بأحمد امين يرى جاذبية الفكرة من الناحية الثقافية البحتة ، ولكنه لا يرتاح لأنها ممولة من اجنبي ، فيطيل ايضا التفكير في الامر ويستشير اصدقاءه

ويتحول الامر لديه الى معركة فكرية او مشكلة اخلاقية ، الى ان يطمئن الى رأي لطفي السيد : « اني اتعاون مع الشيطان لنشر العلم » .

واحمد امين يظل الصديق الصدوق لعبدالرزاق السنهوري الى اخر ايامه ، ولكن يجمع ايضا بينه وبين طه حسين احترام متبادل تعلوه جفوة سطحية . ويشتد العداء بين السنهوري وطه حسين ، وهما رجلان لا يقلل من شأن ايهما حدة المشاعر وجموح العاطفة ، فيظل احمد امين على علاقة طيبة بكليهما ، وكأن كلا منهما يرى فى أحمد أمين ضميره هو ، والحق الذي ترفض العاطفة الاعتراف به ، فاذا مات احمد امين رثاه هذا وذاك بأجمل عبارة واصدق احساس .

وترى مثل ذلك في مناسبة اخرى استرعت الانتباه ولفتت الانظار . فاذ يقع على احمد امين ظلم وهو استاذ في كلية الاداب اذ يرفض مجلس الكلية منحه الدكتوراة على كتبه الشهيرة في التاريخ الاسلامي ، لسبب لا صلة بينه وبين استحقاق احمد امين للدرجة ، تنظم له مجموعة من أصدقائه حفلا غير معهود يدعى اليه رجال مصر من رؤساء الاحزاب ورؤساء الوزارة والوزراء الحاليين والسابقين ، فيجلس هؤلاء جميعا ليحتفلوا باحمد امين - وهم الذين لا يطيق واحد منهم الآخر - ويشتركوا جميعا في القاء خطب الثناء عليه ، قبل ان ينفضوا من خلافاتهم ومشاجراتهم .

أكبر من عميد

ويصل احمد امين الى عمادة كلية الآداب ، ثم يستقيل منها احتجاجا على نقل استاذ منها دون استئذانه . فيسأله صحفي عن شعوره لدى تركه العمادة فيقول كلمته الحادثة العاقلة « انا أكبر من عميد واصغر من استاذ » ، فالسلطة لم تستهوه ولم تنسه لحظة واحدة معنى الاستاذية ومعنى العمادة .

الاستاذ أحمد أمين عندما كان رئيساً لتحرير مجلة الثقافة .

لم يكن من الممكن اذن ألا تظهر غلبة سلطان العقل عند احمد امين في فكره وكتاباته . فهو يتفق مع طه حسين وعبد الحميد العبادي أستاذ التاريخ بجامعة الاسكندرية ، على الاشتراك في عمل ضخم يؤرخ للاسلام ، على ان يتناول طه حسين التاريخ الأدبي والعبادي التاريخ السياسي واحمد امين تاريخ الحركات الدينية والفلسفية والحياة العقلية بوجه عام . ويتوجه احمد امين بكل نشاطه لفترة تزيد على ثلاثين عاما لاتمام مهمته ، فينتج سلسلة فجر الاسلام وضحاه وظهره ، ويختمها بكتاب « يوم الاسلام » وكلها تتميز برصانة التحليل والبعد عن الهوى والدقة في البحث عن الاسباب والمسببات ، بينما يتجه طه حسين الى التأريخ للاسلام تاريخا اقرب الى الادب منه الى التاريخ والتحليل ، فينتج « على هامش السيرة » ، ويظل هذا هو الفارق الاساسي بين انتاج الرجلين .

فاذ يكتب طه حسين « ويكتب احمد امين « حياتي » ، يقدم لنا طه حسين تحفة فنية

ويقدم لنا احمد امين صورة صادقة كل الصدق ، ليس فقط لحياته بل لحياة مجتمعه في عصره ، فيصف الحياة الاجتماعية في الحارة والكتّاب والجامعة ويحلل المجتمعات الاوروبية والشرقية التي اتيحت له زيارتها ، وكأنه لا يريد الامتاع بقدر ما يريد « التنوير » فتأتي عباراته مباشرة مقتضبة لا تزيد كلمة واحدة عما يفي بالغرض . وقد يحار قارىء طه حسين فيما يرده الى الواقع وما يرده الى خيال الكاتب ، ولا تصيبه مثل هذه الحيرة وهو يقرأ لأحمد أمين .

واحمد امين يخضع نفسه لنفس هذه النزعة العادلة في الحكم على الاشياء والاشخاص . فهو وإن كان يعرف قدر نفسه ولا يغمطها حقها ، فانه لا يكاد ابدا يشعر بالغرور ، وإنه لو كان لا يعرف لنفسه قدرها ما كان قد اقدم ابدا على كتابة تاريخ حياته ، ولكنه مع ذلك يقدم على هذا العمل بوجل شديد وبتواضع جم ، واذا به يجد نفسه مضطرا لأن يبدأ كتاب حياته بالاجابة على السؤال البديهي « من أنا حتى اكتب تاريخ حياتي ؟» فيكتب في المقدمة « ما للناس بحياتي » لست بالسياسي العظيم ولا بذي المنصب الخطير . . الخ » ولكنه يستمر في الكتابة لانه يعرف ان لديه بالفعل ما يستحق ان يقال .

في نفس الكتاب يروي قصة شيقة عن نفسه تحكيك فيه بما تنطوي عليه من تواضع جذاب قد يصل الى درجة غمط النفس حقها . فهو يدعى الى القاء محاضرة في مدرسة القضاء الشرعي وهو ما يزال طالبا فيها . والذي يطلب منه ذلك هو ناظر المدرسة نفسه ، الرجل المهيب الفاضل « عاطف بركات » . وكانت العادة ان تعرض المحاضرة على الناظر ليقرأها ويقرها او لا يقرها . ويرسل احمد امين بالمحاضرة الى الناظر فيردها الناظر اليه مع رسول دون ان يكتب عليها شيئا . ويبحث احمد امين عن ملاحظات الناظر فلا يجدها فيقول لنفسه « طبعا ، وكيف تعجبه مثل هذه المحاضرة ؟ فهذه الفكرة قديمة ، وتلك الفقرة أسأت فيها التعبير ، والمحاضرة كلها ليس فيها ما يستحق ان يقال » . واذا بالناظر يقابله صباح يوم المحاضرة فيسأله متعجبا « لماذا لم تعلن عن المحاضرة ؟» فيجيبه احمد امين « لأنها لم تعجبك ، اذ لم اجد عليها ما يدل على موافقتك » فيقول الناظر مستنكرا « ابدا انما وجدتها كاملة ليس فيها ما يعلق عليه » فيعيد احمد امين قراءة المحاضرة ويقول لنفسه : « ان مع الناظر الحق . فهذا المعنى جديد لم يسبق اليه ، وهذه الفقرة بديعة سلسة » . ويلقي المحاضرة فيستحسنها الناس فيعتبرها حسنة .

ان هذا الذي نسميه بضعف الهوى او غلبة العقل عند احمد امين قد يكون هو المسئول عن كونه عالما ومؤرخا اكثر من كونه فنانا او اديبا بالمعنى الضيق للأدب . فليس لدى احمد امين عنف طه حسين وقوة عاطفته ، وليس لديه بوهيمية المازني ولا قوة خيال توفيق الحكيم . ولكن هذه الصفة نفسها هي التي حمت احمد امين من الارتماء في احضان السياسة والانفعال بتياراتها . وهي نفسها التي حمته من عبودية المنصب وتملق الكبراء ، وأسبغت عليه نوعا نادرا من الشجاعة ما كان ليحظى به لو ارتبط بحزب ارتباط غيره به .

كان يمثل كلية الآداب في مجلس جامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة الآن) واراد الملك فؤاد لسبب ما ان يمنح مجلس الجامعة الدكتوراة الفخرية لواحد من المستشرقين ويؤيد معظم اعضاء المجلس مطلب الملك ، فيقف احمد امين ويده ترتعش يعارض هذا القرار ، انفعالا للحق ، وكأن شخص المستشرق ومؤيده قد غاب تماما عن وعيه ، ولا يرى في الامر كله الا مسألة الاستحقاق او عدم الاستحقاق . ويحل عيد جلوس الملك فيتسابق الكتاب في مديحه والثناء عليه ويطلب من احمد امين ان يكتب مقالا في هذه المناسبة فيرفض ثم يلحون في الطلب فيجرب ، فاذا اعاد قراءة المقال مزقه لانه لا

يحتوي على غير الكذب ولا اعرف لأحد امين مقالا كتب للوصول الى منصب او كتابا الفه ليتملق الجمهور . وهو في نهاية عمره يلقي بنظرة شاملة على حياته كلها فلا يندم الا على ما تولاه من مناصب منحته في بعض الاحيان من الكتابة .

الأصالة والمعاصرة

هل يمكن ان نفسر بهذه النزعة ايضا ، غلبة سلطان العقل في موقف احمد امين من قضية الاصالة والمعاصرة ؟ ذلك اني اعتقد ان هذه القضية لم تكن محسومة لديه بنفس الدرجة التي بلغتها عند طه حسين مثلا ، الذي كان اكثر تعاطفا بكثير مع حركة التغريب ، او عند رشيد رضا الذي حسم القضية لصالح التراث . فالقضية عند احمد امين معقدة وبالغة الصعوبة . لقد كان في عنفوان شبابه اكثر اعجابا بالحضارة الغربية منه في نهاية حياته ، وان كان لم يفقد في يوم من الايام اعجابه الشديد بالتقدم التكنولوجي لدى الغرب، وما توفره رفاهية الغربمن احترام لآدمية الانسان واذكر ان هذا الاعجاب قد اثار دهشة بل وقدرا من السخط لدى الكاتب الهندي الكبير ابي الحسن الندوي عندما جاء الى القاهرة وقابل احمد امين مدفوعا باعجابه الشديد باسلامياته ، اذ رأى عند احمد امين افتتانا ببعض مسالك الغرب لم يكن هو ليرضى عنها . على ان احمد امين مع تقدم العمر به قويت شكوكه في الحضارة الغربية ، وكتب ينتقد المستشرقين بعنف ، وعبر عن هذا الشك بقوة في كتاب « يوم الاسلام » . وبالجملة فاني اعتقد ان احمد امين لم يعثر في هذه القضية على الحل الكامل الذي ترتاح اليه نفسه . ولهذا السبب كتب العقاد في رثائه مقالا بعنوان « المدرسة الوسطى » (نشرت بجريدة اخبار اليوم بعد ايام قليلة من وفاة احمد امين في ٣٠ مايو ١٩٥٤) وكان العقاد يقصد بذلك ان احمد امين لا ينتمي الى المدرسة التي ترفض التغريب برمته ولا الى المدرسة التي تتنكر للتراث .

كلمة واحدة يمكن ان تلخص حياة احمد امين واعماله الفكرية على السواء وهي « الصدق » . فاذا سمحت لنفسي بان اتكلم كواحد من اولاده فاني اقول اني لا اذكر له مرة واحدة كذب فيها علينا ولو تعلق الأمر بأتفه الامور ، كشراء هدية او الخروج في نزهة ، والنفاق والرياء في السياسة مكروهان لديه لما ينطويان عليه من كذب . والامانة العلمية في الكتابة مطلوبة لما تنطوي عليه من صدق . والمبالغة في تزويق الكلام وفي العناية باللفظ دون المعنى مكروهة ايضا لما فيها من كذب . ولاسمح لنفسي هنا ايضا بان اقول انه لهذا السبب كان من اكثر الناس تعرضا للخداع في البيع والشراء اذ لم يكن يتصور ان يكون المشتري منه او البائع له قادرين على الافراط في الكذب . ولهذا السبب ايضا لم يكن ليستطيع ان يفهم قط لماذا يمكن ان يحتجب الناس عنه فجأة ويكفون عن زيارته لمجرد انه قد ترك منصبا خطيرا ، بينما كانوا لا يكفون عن التودد اليه والتردد على مكتبه ومنزله حينما كان في يده ان يعيّن شخصا او يفصله .

ومع ذلك فقد كان موفقا توفيقا غريبا في حياته الخاصة والعامة على السواء فلم يحرمه صدقه من التمتع بحياة هنيئة في اجمالها ، ولا عرضه لشظف العيش . وهو اذ ينظر الى حياته باكملها يسترعي انتباهه هذا التوفيق ، ويندهش له ، ويحاول ايضا ان يفسره بالعقل ، فيقول في نهاية كتاب « حياتي » ان هذه الظاهرة . « يصعب تعليلها العقلي او تفسيرها بالتحليل الاجتماعي او النفسي ، فكم رأيت من اناس كانوا اذكى وامتن خلقا واقوى عزيمة ، وكانت كل الدلائل تدل على انهم سينجحون في اعمالهم اذا مارسوها ، ثم باءوا بالخيبة ومنوا بالاخفاق ، ولا تعليل لها الا ان (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) .

□□

وسائل الإنذار المبكر عند المسلمين

بقلم : الدكتور احسان صدقي العمد

تسعى الدول والشعوب على تعاقب العصور الى ابتكار وتطوير الوسائل الخاصة بالانذار المبكر ، حتى لا يبغتها أعداؤها بهجوم مفاجيء لا تقدر على صده .

ترى كيف كان اجدادنا العرب يرصدون تحركات اعدائهم ؟

اذا كانت الدول المتقدمة في الشرق والغرب قد قطعت شوطا بعيدا في ابتكار هذه الوسائل وتطويرها لتأمين أمنها القومي ، واستخدمت من أجل ذلك التقنية الحديثة في مجال الموجات الأثيرية وشبكات الرادار المتطورة وطائرات الاستكشاف وأقمار التجسس الفضائية ، فان مجتمعات العصور الوسطى عرفت هي الأخرى نماذج مختلفة من وسائل الانذار المبكر تتفق ومرحلة تطورها في ذلك الوقت ، وأدت بالتالي الى تحقيق نفس الهدف والغاية .

فقد اتخذ المسلمون بدورهم في العصور الوسطى أجهزة ووسائل مختلفة لرصد تحركات أعدائهم وافشال هجماتهم على الديار الاسلامية ، وهو أمر يدخل في صميم واجبات الدولة والجماعة المتعلقة بمجاهدة الأعداء والتأهب الدائم لمواجهتهم . ومن بين هذه الوسائل البريد العاجل ، والحمام الزاجل ، والمناور أو المناورات والمناظر التي كانت ترسل الاشارات الضوئية المتفق عليها للانذار والتحذير . ويمكن القول ان هذه الوسائل لم

من التراث

تكن وقفا على المسلمين وحدهم ، اذ كانت معروفة عند العرب قبل الاسلام وعند غيرهم من الأمم والشعوب ، وان كان المسلمون قد طوروا هذه الوسائل وأفادوا منها على نطاق واسع بحكم خبرتهم واتساع رقعة دولتهم وكثرة الميادين التي جاهدوا فيها أعداءهم في الداخل والخارج .

البريد العاجل :

وتحدثنا المصادر عن قدم استخدام الخيول السريعة في نقل الأخبار الهامة عند الفرس والروم ، ووجود نظام معين للقائمين على هذه المهمة الخطيرة . كما عرف العرب قبل الاسلام شيئا عن هذا النظام ، وأشار اليه امرؤ القيس في قوله :

على كل مقصوص الذنابي معاود
بريد السرى بالليل من خيل بربرا

وهو هنا ينوه بخيل البريد التى كانت تقص اذنابها لتعرف مهمتها ، بل ان بعض اللغويين مثل الجوهرى يذهب الى ان البريد قد يطلق ايضا على الرسول حامل الرسالة او الخبر الهام .

وتزودنا كتب الفتوح الاسلامية ومن بينها كتاب الفتوح لأبي أعثم الكوفي بمعلومات وافية وكثيرة عن تبادل الكتب والرسائل العاجلة بين الخلفاء والقادة ، وبخاصة في المواقف الحاسمة والخطيرة التي تتطلب المشورة والتماس الرأي الأصوب . وقام أولئك الرسل أو الفيوج الذين يسعون بالكتب على الخيول السريعة بدور حيوي وكبير في هذا المجال . غير أن التنظيم الحقيقي للبريد العاجل عند المسلمين بدأ كما يقول أبو هلال العسكري في عهد معاوية بن أبي سفيان ، وأحكم تنظيمه عبد الملك بن مروان الذي كان لا يحجب عنه البريد متى جاء في ليل أو نهار . يقول : « ربما أفسد على القوم سنة حبسهم البريد ساعة » ، وعلى خيل البريد السريعة هذه أرسل عبد الملك طلائع نجداته الى الحجاج بن يوسف الثقفي لمواجهة فتنة عبد الرحمن بن محمد الأشعث التي استشرى خطرها وكادت تقضي على كل نفوذ أموي في العراق والمشرق ، ان لم تهدد بقاء الدولة الأموية نفسها . واستخدم الحجاج بن يوسف أيضا هذه الوسيلة بفعالية وكفاءة في الوقوف أولا بأول على أخبار الحملات العسكرية التي وجهها الى السند وما وراء النهر .

واتبعت الدولة العباسية نفس الأسس التي اعتمدها بنو أمية في تنظيم البريد ، وبخاصة في أثناء تتبع حملاتهم ضد الروم البيزنطيين . فقد رتب المهدي بردا بينه وبين معسكر ابنه هارون الرشيد حين غزاه الروم ، فكانت البرد أي خيل البريد السريعة « تأتيه بأخباره وتريه متجددات أيامه » ، على حد تعبير القلقشندي . واستمرت العناية بالبريد العاجل على هذا المنوال في عهد الرشيد والمأمون وغيرهما من خلفاء بني العباس الأول .

البريد والأزمات :

ويلاحظ بصفة عامة أن الاهتمام بتنظيم البريد كوسيلة من وسائل الاتصال السريع ، كان يرتبط بالأزمات والأخطار التي كانت تهدد الدولة الاسلامية من الداخل أو الخارج وتجلى ذلك بشكل واضح إبان تعرض ديار المسلمين لهجمات الصليبيين والتتار ، اذ اهتمت الدولة الزنكية والأيوبية وسلطنة المماليك بترتيب أمور البريد وتنظيم شؤونه ، حتى بلغ شأوا كبيرا في عهد السلطان الظاهر بيبرس الذي كان يوصي كاتبه بمواصلة امداده بالأخبار وما يتجدد من أمور التتار والفرنج ويقول له : « إن قدرت ألا تبيتني الا على خبر فافعل » . وكان للبريد مراكز ومحطات معلومة تتوقف فيها خيل البريد لتغيير الخيل البريدية فيها فرسا بعد فرس وفقا لترتيبات وعلامات معروفة يتميز بها صاحب البريد وفرسه . ويدخل في هذا المجال أيضا المهمات الفدائية التي كان يقوم بها بعض المسلمين لتبليغ رسائل وتحذيرات لاخوانهم خلال حصر العدو لهم .

البريد الجوي !

أما الحمام الزاجل فقد لعب دورا أهم وأسرع في التبليغ والتحذير وتبادل المعلومات الخطيرة وبخاصة إبان الفتن والحروب والأزمات ، وهو ما يمكن أن يسمى تجاوزا « البريد الجوي » ، على اعتبار أن الحمام الزاجل كان ينقل بالفعل بطريق الجو رسائل من هذا النوع ، هي أشبه ما تكون بالأوامر والتعليمات الصادرة عن القيادات السياسية والحربية والتقارير السرية الموجزة التي لا تتضمن غير لب الكلام وزبدته على حد قول القاضي محيي الدين ابن عبد الظاهر صاحب تمائم الحمائم . ومن هنا جرى الاصطلاح اللغوي ، « على جناح طائر » ، و « على جناح السرعة » في استعجال الخبر أو صاحبه .

وأشار الدكتور ابراهيم العدوي في بحثه عن الحمام الزاجل إلى قدم استخدام الحمام الزاجل في المراسلات السريعة الهامة ، اذ استخدمه الفرس واليونان والرومان والعرب المسلمون الذين نقلوا طريقة استخدامه الى الصين .

وقد شاع استخدام المسلمين للحمام الزاجل على نطاق واسع في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) . ويروي المسعودي ان هذه الوسيلة استخدمت في تطيير خبر القبض على بابك الخرمي الى الخليفة العباسي المعتصم بعد أن ظل بابك يتهدد الدولة العباسية ويعيث فسادا فيها زهاء العشرين عاما . كما استخدم كل من القرامطة في جنوب العراق والخليفة العباسي في بغداد هذه الطريقة في رصد تحركات بعضهما بعضا . وكان الخبر كما يقول الثعالبي يصل الى بغداد من شمال العراق وجنوبه في يوم واحد . ويشير الجاحظ في كتابه الحيوان الى استعمال الحمام الزاجل في الوقوف على أحوال الثغور الاسلامية المتاخمة لبلاد الروم . ويشير الدكتور العدوي الى استخدام الحمام الزاجل أيضا من قبل طلائع أو دوريات البحرية الفاطمية في تحذير الثغور البحرية من أخطار الهجمات النورماندية على الشواطىء الاسلامية ، اضافة الى استخدامه في تنظيم نقل الأخبار بين أجزاء دولتهم في المشرق والمغرب . واستمر الحال على ذلك أيضا في عهد السلطان نور الدين ومن بعده سلاطين بني أيوب والمماليك نتيجة لتفاقم

من التراث

الخطرين الصليبي والمغولي على الدولة الاسلامية .

وقد أفاض القلقشندي في صبح الأعشى في ذكر محطات الحمام الزاجل وأبراجه ومساراته ومطاراته . كما نوه الدكتور نبيل عبد العزيز في بحثه عن الحمام الزاجل بأهميته في عصر المماليك ، وأشار الى جملة وقائع وأحداث أفاد منها سلاطين المماليك من هذه الوسيلة في الوقوف السريع على أخبار الفتن والثورات الداخلية وأحوال الثغور ورصد نشاط الصليبيين ، من بينها الفتن التي وقعت في جبلة ودمشق والاسكندرية وغزو الفرنج للمنصورة .

الاتصال اللاسلكي !

وأما المناور أو المناورات التي كانت ترفع فيها النار في الليل ويتصاعد منها الدخان في النهار ، فكانت أسرع وسائل الانذار والتحذير المبكر التي استخدمها المسلمون في العصور الوسطى . وهي تشبه في سرعتها وسائل الاتصال اللاسلكية الحديثة ، من حيث فعاليتها في سرعة نقل اشارات الاعلام والتنبيه . ولا بد من الاشارة الى أن استخدام النار لهذه الغاية يرجع الى عهود موغلة في القدم . فقد ذكر القلقشندي أن المناور مأخوذة عن ملوك الهند ، وانه قرأ في بعض الكتب أن ببلادهم مناور على جبال مرتفعة . وهناك اشارات تاريخية وأدبية كثيرة تفيد باستخدام العرب قبل الاسلام لهذه الوسيلة ويقول جواد علي : « إن العرب كانوا اذا أرادوا حربا وتوقعوا جيشا عظيما ، أوقدوا نارا على جبل أو على أي مرتفع من الأرض ليبلغ الخبر أصحابهم . وان جدوا في جمع عشائرهم اليهم أوقدوا نارين . وقد عرفت هذه النار عندهم بنار الحرب » .

وقد أتقن المسلمون بدورهم استخدام المناور منذ موجة الفتوح الأولى . اذ يروى البلاذري في فتوح البلدان أن عمر بن الخطاب كتب الى معاوية بن أبي سفيان في اقامة الحرس على مناظر بلاد الشام واتخاذ المواقيد لها . وشاع استخدام هذه الوسيلة السريعة الناجحة في التحذير والانذار ابان العهد الأموي لتتبع أخبار الفتن الكبرى والفتوح الكثيرة ، ورصد تحرك أعداء الدولة على الحدود . ويروي ياقوت الحموي في معجم البلدان أن الحجاج بن يوسف الثقفي « اتخذ المناظر بينه وبين قزوين ، وكان اذا دخن أهل قزوين دخنت المناظر إن كان نهارا ، وان كان ليلا أشعلوا نيرانا فتجرد الخيل اليهم ، فكانت المناظر متصلة بين قزوين وواسط . اذ كانت قزوين ثغرا حينئذ » . ويذكر ياقوت أيضا في حديثه عن باب الأبواب الواقعة على بحر قزوين ، « انها كانت ثغرا يجمع في رأس جبل قريب منها في كل عام حطب كثير ليشعلوا فيه النار ان احتاجوا اليه ، ينذرون أهل أذربيجان ، وأران وارمينية بالعدو إن دهمهم » . ويحدثنا ابن أعثم الكوفي ان القائد

الأموي المعروف سعيد بن عمرو الحرشي استخدم النيران في ابلاغ الحامية الاسلامية المحاصرة في مدينة ورثان بارمينية بقرب وصول نجدته اليها ، حتى يعزز صمود المسلمين ويوقع الرعب في قلوب أعدائهم الخزر ، وهو ما حدث بالفعل ، اذ ارتفع دخان النيران « فعلم أهل ورثان انه قادم اليهم ، ونظرت الخزر الى ذلك الدخان فارتحلوا عن باب ورثان » .

ضد الصليبيين والمغول

ويقول الكتاني والمقريزي والمراكشي ان المناورات استخدمت استخداما حسنا في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي على طول سواحل الشمال الافريقي ، « وان القوافل والتجار كانت تسير في الطرق وهي آمنة لكثرة الحصون والمحارس على ساحل البحر ، حتى كانت توقد النار من مدينة سبتة الى الاسكندرية فيصل الخبر منها الى الاسكندرية في ليلة واحدة » . ومن طرابلس الى الاسكندرية في ثلاث ساعات الى أربع . وقد أحرزت منارة الاسكندرية شهرة تاريخية واسعة في هذا الشأن ، حتى قيل : « حدث عن منارة الاسكندرية ولا حرج » . ويقول المقريزي في خططه انه « كان في منارة الاسكندرية قوم مرتبون لوقود النار طول الليل ، فيقصد ركاب السفن تلك النار على بعد . فاذا رأى أهل المنار ما يريبهم أشعلوا النار من جهة المدينة . فاذا رآها الحرس ضربوا الأبواق والأجراس فيتحرك عند ذلك الناس لمحاربة العدو . » ويشير حسن حسني عبد الوهاب في هذا المجال في كتابه ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية الى المناورات التي كانت قائمة في سوسة والمنستير وغيرهما من الثغور التونسية لحماية تلك الثغور من الهجمات البحرية المفاجئة .

واستخدمت المناور والمناظر على نطاق واسع كذلك ابان الحروب التي خاضها المسلمون ضد الصليبيين والمغول على حد سواء . واختار المسلمون في بلاد الشام المواقع الاستراتيجية لهذه المناور والمناظر ، وساعدهم على ذلك طبيعة البلاد وكثرة الجبال فيها ، فكانت مناورات الثغور والرباطات على طول سواحل بلاد الشام متصلة بمنارات في الداخل تنتهي عند القصبة أو المدينة المسئولة عن الدفاع عن ذلك الثغر .

دلالات هذه الوسائل :

ولئن دلت وسائل الانذار المبكر سالفة الذكر على شيء ، فانما تدل في المقام الأول على يقظة المسلمين وادراكهم للأخطار المحدقة بهم . وبذلهم غاية الجهد على طول تاريخهم للدفاع عن ديارهم ، ووقوفهم دائما على أهبة الاستعداد لصد هجمات أعدائهم والطامعين في بلادهم . كما تؤكد من ناحية أخرى أن بلاد العرب والمسلمين تظل بحكم موقعها الجغرافي معرضة لأخطار خارجية من أعدائها والمتربصين بها . وهذا الأمر الماثل في الواقع التاريخي والجغرافي يحتم على العرب والمسلمين واجبا لا خيار لهم فيه ولا مفر لهم من القيام به ، وهو الاستعداد الدائم للتضحية والاستشهاد في سبيل الحفاظ على ديارهم ومقدساتهم وشعوبهم وهويتهم العربية الاسلامية . وذلك - لعمري - قدرهم ورسالتهم ، وهي كما ورد في الأخبار رباط وجهاد الى يوم القيامة .

الطاقة لماذا أصبحت مأزقاً ؟

بقلم : الدكتور سعود عياش

□ تلعب الطاقة دوراً شديد الاهمية في حياة المجتمعات البشرية،من أجل هذا كان توفير مصادر الطاقة مسألة حيوية للعالم اجمع ، حتى اصبح من النادر أن تطالع صحيفة يومية أو مجلة دورية،دون ان تجد فيها حديثا او اشارة الى بعض جوانب الطاقة وسبل تنويع مصادرها .

على امتداد التاريخ البشري الطويل كان استخدام الطاقة أمرا ملازما لحياة الانسان وعاملا فعالا في بناء حضاراته . والواقع أنه يمكن القول أن أحد جوانب تميز الانسان عن سواه من الكائنات الحية يكمن في استخدامه الفعال للطاقة ، بمعنى تطوير الوسائل والأدوات التي تمكنه من تطويع مصادر الطاقة المختلفة لتلبية احتياجاته العديدة .

وقبل أن يكتشف الانسان مكامن الطاقة المخزونة في الطبيعة كالفحم والنفط والغاز اعتمد أساسا على ما توفره الطبيعة من موارد على سطحها ، سواء تمثل ذلك بالظواهر الطبيعية كالاشعاع الشمسي وحركة الرياح ومجاري المياه ومساقطها في الأنهار أو سواء كان ذلك بفضل استخدام اخشاب الأشجار ، التي هي نتاج عملية التمثيل الضوئي في النباتات . ومن المعروف أن عملية التمثيل الضوئي تحصل أساسا بتأثير الاشعاع الشمسي .

ولم يكن أمام المجتمعات البشرية في الماضي من خيار في مجال الطاقة سوى أن تقبل بالمصادر المتوفرة وأن تتعامل معها على أساس أنها المصادر الوحيدة المتاحة أمامها . وعلى ذلك فقد استنبطت المجتمعات المختلفة أساليب ووسائل وتكنولوجيات تلائم طبيعة مصادر الطاقة المتوفرة ضمن حدودها الجغرافية ، فكان أن طورت الحضارة المصرية القديمة استخدام الأشرعة في تحريك السفن في الأنهار بينما جرى تطوير الطواحين الهوائية في فارس لضخ المياه ، في حين تذكر الروايات التاريخية أن الأغريق برعوا في استخدام المرايا والعدسات لتركيز أشعة الشمس . وإضافة الى ذلك دجن الانسان العديد من الحيوانات التي استخدمها كمصادر لتزويده بالطاقة كالخيول والأبقار والجواميس وغيرها .

تقنين الطاقة

بالطبع ، لم تقتصر جهود الانسان في الماضي على جوانب الحصول على الطاقة فقط بل أنه أبدع في الجانب الآخر المتمثل في استخدام الطاقة . ففي ظل الاعتماد على المصادر الطبيعية وغياب الوسائل التكنولوجية المتطورة لم يكن هناك من سبيل سوى تقنين الطاقة وقصر استعمالها على الأمور الضرورية

أساسا . وقد تجسدت إبداعات الانسان تلك في محاولاته الدؤوبة للتناغم مع المعطيات البيئية المتوفرة في مناطق تواجده وعيشه . برزت هذه الابداعات في مجال العمارة وتخطيط المدن واختيار الملابس وتبني أنماط من السلوك والممارسات كانت جميعا تعني تمكين الانسان من تطوير مستواه المعيشي والحضاري باستخدام كميات قليلة من الطاقة . وعلى ذلك فقد تميزت أساليب العمارة في المدن الشرق أوسطية عموما باستخدام الجدران السميكة والقباب والسراديب والأبراج الهوائية ، كما أن البنايات كانت متلاصقة أو قريبة من بعضها البعض لتقليل مساحة الأسطح المعرضة للشمس ، بينما جرت العادة أن تكون الأسواق مسقوفة وفيها فتحات للتهوية . وبنفس المفهوم فقد عملت الحضارات المختلفة على تطوير أنماطها وأساليبها الخاصة في فنون العمارة وتخطيط المدن للتأقلم مع محيطها البيئي . وفي هذا المجال يمكن الاشارة الى خيمة البدوي والكوخ الافريقي وبيت الاسكيمو باعتبارها نماذج للابداع البشري .

ان التناغم بين طرفي العلاقة المتمثلة بالحصول على الطاقة من جانب واستخدامها من جانب آخر هو دون شك أحدى سمات ماضي الطاقة . ولو أردنا صياغة مفهوم التناغم في مجال الطاقة باستخدام المصطلحات الحديثة لقلنا ان تبني سياسات عقلانية (على الأقل مقارنة بالواقع المعاصر) في مجال الطاقة هو إحدى سمات الماضي . ولا شك أن خصائص مصادر الطاقة المتوفرة آنذاك وضعف البنية التقنية كانت من العوامل المساعدة على تطوير السياسات العقلانية وتشكيل حالة التناغم ، غير أن إستجابة الانسان الايجابية لتلك المعطيات كان لها الدور الأساسي في الحفاظ على حالة التناغم واستمرارها . وتتضح أهمية هذا الجانب من النقاش حين تأخذ في الاعتبار حقيقة أن التطورات اللاحقة في مجال الطاقة شهدت تراجعا مستمرا لحالة التناغم أوصلها الى درجة الانهيار ، برغم التطورات الجذرية والقفزات الواسعة التي حصلت في البنية التقنية للمجتمعات البشرية . ولا أخاله من قبيل المغالاة القول بأن التطور التكنولوجي قد استخدم لخلخلة حالة التناغم في مجال الطاقة وغيرها من المجالات الأخرى .

أهمية العصر الصناعي

يعتبر العصر الصناعي منعطفا جذريا وأساسيا في تاريخ الانسان . وقد تجسدت افرازات هذا العصر على كافة الأصعدة الحياتية للمجتمعات البشرية ، بما فيها الطاقة . فهذا العصر يتميز بصفة أساسية باحلال الآلة محل الانسان ، بمعنى أن طاقة القوى العضلية للانسان أو الحيوان ، يتم الاستعاضة عنها بأشكال أخرى من الطاقة ، وتحديدا الطاقة الميكانيكية .

من الجدير بالملاحظة أن الطاقة الميكانيكية نادرة الوجود في الطبيعة ذلك أنه من مجمل طاقة الاشعاع الشمسي التي تسقط على الأرض يتحول أقل من ١٪ منها الى طاقة ميكانيكية بشكل رياح وأمواج بحار وجريان مياه . فالطاقة الشمسية التي تسقط على سطح الغلاف الغازي للأرض ينعكس حوالي ٣٠٪ منها قبل وصولها الأرض ، ويتحول حوالي ٤٧٪ منها الى طاقة حرارية بينما يقوم الجزء المتبقي (٢٣٪) بتبخير المياه من المحيطات والبحار . وبسبب ندرة الطاقة الميكانيكية في الطبيعة إضطر الانسان إلى استخدام عضلاته وعضلات الحيوانات . وقد تعمق مأزق ندرة الطاقة الميكانيكية في الطبيعة مع دخول الانسان العصر الصناعي حين ازداد الطلب عليها مما أدى بالانسان إلى ضرورة البحث عن الوسائل والأساليب التقنية التي تمكن من توفيرها . ومع أن بدايات العصر الصناعي شهدت مزيدا من التوجه نحو إستغلال المصادر الطبيعية المتجددة لتوفير الطاقة الميكانيكية إلا أن المراحل اللاحقة شهدت تراجعا في هذا المجال ، خاصة مع اكتشاف مكامن الطاقة المخزونة ، أو ما يعرف عموما باسم الطاقة الاحفورية (فحم ، نفط ، غاز) .

ان آثار احلال الآلة محل القوى العضلية للانسان لم يقتصر على ابدال كمية محددة من الطاقة الميكانيكية

بكمية بديلة بل انها قد تعدت ذلك الى آفاق أرحب وأوسع شمولا وأكثر خطورة . فعلى سبيل المثال تتميز قوى الانسان العضلية بمحدودية مقدارها واقتصار صلاحيتها على مجالات محددة . فالانسان في العادة لا يمكنه بذل أكثر من ١٠٠ ـ ١٥٠ واط ولعدد محدود من الساعات . وكما الانسان كذلك الحيوان الذي لا يمكنه الاستمرار في العمل الى ما لا نهاية ولا يتمكن مثلا من حمل سوى أثقال محددة . أما الآلة فانها تختلف عن ذلك بصورة جذرية فهي لا تعقل ولا تحس ، لا تكل ولا تمل من العمل ، انها باختصار قوة عمياء تستمر في العمل والانتاج ما دامت الشروط الملائمة لذلك متوفرة ، وهي شروط تقنية بالأساس .

شكل هذا الفارق النوعي بين الآلة والانسان مصدر خلخلة لكل حالات وأشكال التناغم التي كانت سائدة قبل العصر الصناعي وأحدث انقلابات جذرية في المفاهيم والنظرة الى الحياة . فالانسان الذي كان يعيش حالة توازن حرج مع الطبيعة في المراحل الأولى من تاريخه والتي يتورع فيها عن أكل لحم مثيله الانسان من أجل البقاء انتقل الى حالة من البحبوحة النسبية حين انتقل الى العصر الزراعي . لكن ما ان دخل الانسان العصر الصناعي حتى أبدى نهما وجشعا يكاد أن يودي به الى هاوية شبه محققة . ويقينا ، فان غياب الأطر الفكرية الملائمة يعتبر من الأسباب الأساسية لعدم تورع الانسان في الدخول في حرب ضروس مع الطبيعة ، بكل التجسدات السلبية لهذه الحرب .

دور الآلة البخارية

جاء اكتشاف الآلة البخارية ليشكل المنعطف الأكثر جذرية في تاريخ العصر الصناعي . ويبرز هذا الاكتشاف باعتباره واحدا من الانجازات التقنية الأساسية في تاريخ الانسان . وتكمن أهمية هذا الانجاز من وجهة نظر الطاقة في أنه قد جعل من الممكن تحويل الطاقة الحرارية الى طاقة ميكانيكية تستخدم في تشغيل الآلة . ففي مرحلة سابقة من تاريخه تعلم الانسان ، أو اكتشف ، تحويل الطاقة الكيماوية الى طاقة حرارية وذلك حين تعلم اشعال النار . واستخدامها . ومع اختراع الآلة البخارية اكتملت سلسلة التحويلات وأصبح في الامكان الدخول في عملية تحويل الطاقة من طاقة كيماوية الى طاقة حرارية ثم الى طاقة ميكانيكية .

تتوفر الطاقة الكيماوية في الطبيعة بشكل نباتات وأشجار . وهذه الطاقة كما رأينا تشكل الحلقة الأولى المطلوبة لاحداث سلسلة التحويل انتهاء بالطاقة الميكانيكية . فكان أن أخذ الانسان يقطع أخشاب الغابات لاستخدامها مادة أولية لاشباع نهمه المتزايد للطاقة الميكانيكية . وقد أدى الأمر الى أن مساحات واسعة من الأرض الأوروبية ، وتحديدا بريطانيا ، فقدت غاباتها خلال فترة قصيرة . وكان يمكن لهذا التقييد الطبيعي أن يلعب دورا أساسيا في الحد من نهم الانسان للطاقة باعتبار أن ما يمكن للطبيعة أن تقدم من أخشاب خلال الدورة السنوية هي كمية محدودة . غير أن هذا التقييد الطبيعي لم يصمد طويلا اذ سرعان ما اكتشف الانسان مكامن الطاقة الكيماوية المخزونة في باطن الأرض بشكل فحم ، وبعدها بشكل نفط وغاز ، ومع هذا الاكتشاف تم ارساء الأسس المادية لخروج الانسان عن طور العقلانية وانهارت التقييدات التقنية الطبيعية التي طالما كبحت جماحه .

خصائص الواقع الجديد

ان اكتشاف واستخدام مصادر الطاقة الاحفورية المخزونة في الطبيعة كان يعني بكل بساطة أن الانسان قد وصل الى مرحلة أصبح فيها بامكانه أن يفصم علاقته المباشرة بالطبيعة وأن يتنحى جانبا تاركا مهمات العمل والانتاج للآلة . وكان يعني من جانب آخر أنه قد استطاع أن يستخدم معطيات الطبيعة لاخضاعها وتسخيرها لتلبية سلسلة لا متناهية من احتياجاته الضرورية وغير الضرورية . وإن الانسان بذلك قد أصبح السيد المطلق الذي نسي في ساعة أنه جزء متمم لهذا الوجود الطبيعي . وفي

الواقع ، فان ما حصل على مدى القرنين الماضيين هو أن الانسان قد أخذ بادخال الآلة في كافة المجالات الحياتية وأخذ يعيش على حساب مخزون الطاقة في الطبيعة .

الواقع الجديد المتميز بتفجير قدرات خارقة للانسان وتوفر قوى جبارة تحت تصرفه أفرز تغيرات جذرية في مفاهيم الانسان ونظرته الى الوجود وفهمه للسعادة والرفاهية . ومن المؤسف أن القسم الأكبر من هذه المفاهيم كان نتاجا عفويا وسلبيا في ذات الوقت للقوى الجبارة المتاحة تحت تصرف الانسان . فقد أصبحت زيادة الاستهلاك من كل شيء ، ودونما توفر هدف محدد لذلك ، سمة رئيسية للمرحلة الصناعية ، وأصبحت زيادة الانتاج ومراكمة أشكال وأنواع السلع المختلفة هدفا أساسيا يسعى له الجميع دون وقفة تساؤل واحدة عن الغاية من كل هذا ودون حساب المخاطر المترتبة على هذا السلوك . وأصبح تحقيق الربح هدفا أسمى ومقياسا لا يضارع ولا يناقش لكل فعالية مهما كان نوعها . وبتعبير آخر ، لم يتطور البنيان الفكري الملائم ، والقادر في ذات الوقت على الحد من الافرازات السلبية لتطور قدرات الانسان في مجال الانتاج والاستهلاك ، وكان أن طغى الانسان (كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى) قرآن كريم .

جذور المأزق

ان غياب الاطار الفكري الملائم للعصر الصناعي أخذ يعني أن المجال بات مفتوحا لقوى أخرى كي تتحكم في سلوك الانسان على الأصعدة الحياتية المختلفة . وقد تميزت قوتان رئيسيتان في هذا المجال ساعدتا على تكثيف النزف المستمر لمخزون الطاقة في الطبيعة وإشاعة الكثير من الممارسات الخاطئة في التعامل معها ، وهاتان القوتان هما التكنولوجيا والاقتصاد . وكي تتوضح المسألة نقول ان المقصود بذلك هو التجسدات والافرازات الاجتماعية لهاتين القوتين وطبيعة القوى التي تحركها والاطار الفكري الذي تعملان خلاله . فعلى الصعيد الاقتصادي مثلا أخذت مفاهيم السوق والانتاج السلعي والتنافس وتحقيق الربح تدفع باتجاه النزف المريب لعناصر الطبيعة ومواردها ، وقد قامت التكنولوجيا بتسهيل مهمات هذه المفاهيم من خلال تسهيل امكانات الانتاج اللامحدود عبر سلسلة طويلة من التطويرات والاختراعات التقنية . ويقينا فان الأمر سيزداد سوءا مع تطوير العمال الآليين (الروبوت) واحلالهم محل ما تبقى من مساهمة بشرية تبقى في النهاية محدودة بحدود امكانات البشر وتخضع لمشاعرهم وأحاسيسهم .

على أية حال ، ترافق مع صعود قوى التكنولوجيا والاقتصاد انتشار ممارسات سلبية في مجال الطاقة . ففي ظل توفر مواردها الأحفورية سادت القناعة بامكانية التغلب على كافة أشكال المصاعب والعقبات ، وأصبح بالامكان الدخول في مواجهة مع الطبيعة وتحدى تقييداتها . وعلى ذلك أخذت الممارسات التقليدية الموروثة من الماضي والمتميزة بعقلانية التعامل مع الطبيعة تختفي رويدا . فقد اختفى التراث المعماري المتناغم مع البيئة وتراجعت مفاهيمه وقيمه الجمالية ليحل محلها مفاهيم وقيم غريبة ومغتربة عن البيئة . وأخذت الجوانب التقنية الديناصورية تحل محل جمالية التعامل الايجابي مع البيئة . وأخذت المدن تتحول الى غابات اسمنتية تنتشر في كافة الاتجاهات دونما هدف أو غاية ، وأصبح العيش فيها غير ممكن الا بالاعتماد الكامل على الطاقة . ولم يعد بذى اعتبار أن تكون مواد البناء عازلة للحرارة أو موصلة لها فالطاقة متوفرة ولا بأس من استنزافها وتلويث البيئة !!

نود القول مما تقدم أن الطاقة ليست مسألة تقنية فقط بل أنها أرحب أفقا وأوسع مجالا من ذلك . انها جزء من واقع اجتماعي لا يمكن أن يكون الا شمولي الطابع ، وتقصر المعالجات الجزئية والنظرات أحادية الجانب عن فهمه أو ادراكه ، وتعجز أيضا عن تحديد مساراته المأمونة . ان المأزق الراهن في مجال الطاقة ليس في النهاية سوى أحد جوانب مأزق أكبر ، ذلكم هو مأزق العصر الصناعي وحضارته وأطره الفكرية . □□

طبيب الأسرة

عرق النسا Sciatica
أو آلام العصب الوركي الكبير

● منذ ثلاث سنوات اصبت بألم في منطقة الفخذ الايمن ولكني لم أعره اهتماما شديدا مما أدى بالحال الى التفاقم ودفعني الى مراجعة الاطباء الذين أفادوا بأنه التهاب في العصب الوركي الكبير .

أرجو افادتي عن هذا الامر وهل له علاج ؟

ع . س

اللاذقية ـ سورية

من أخطاء الناس الشائعة تسميتهم لآلام العصب الوركي الكبير باسم عرق النساء (بكسر النون) وهو الم يداهم البعض بداية من اسفل الظهر ومرورا بالفخذ فالساق ويمتد حتى القدم .

والواقع ان الاسم الصواب ـ العلمي العربي ـ لهذا العصب هو عرق النسا (بفتح النون ودون همزة) وهو أطول أعصاب الجسم وأكبرها اذ علاوة على سمكه الذي يقارب سنتيمترين فانه يمتد من أسفل العمود الفقري حتى أخمص القدم ، لا بل لو وضعنا في الحسبان ان الخلايا العصبية للاعصاب تبدأ جميعها في نسيج المخ وبعدها تسير عبر النخاع الشوكي فعندها يمكن القول ان عرق النسا طوله يساوي قامة الانسان .

ان التوهم ان الام عرق النسا تداهم النساء دون الرجال هو الذي ادى الى خطأ التسمية وهذا لا مكان له من الحقيقة .

فآلام هذا العصب تداهم الجنسين دون تمييز وخاصة من هم في سن البلوغ وهو يداهم صاحبه فجأة دون مقدمات عقب مجهود غير عادي أو حادثة طارئة أو ربما حركة غير طبيعية واحيانا عند حمل اثقال زائدة عن الطاقة .

والآلام عند مختلف الناس متفاوتة في الشدة وفي التوزيع اعتمادا على مسبباته ، فالاسباب العامة يمكن ان نوجزها على النحو التالي :ـ

أولا : وجود ورم ضاغط على الاعصاب في العمود الفقري أو النخاع الشوكي .

ثانيا : التهاب العظام وفقرات العمود الفقري حول العصب او احد جذوره .

ثالثا : ورم في اعضاء الحوض يضغط على مسار العصب او خارجه .

رابعا : كسر في عظام الفقرات او تآكل فيها بحيث تضغط على جذور العصب عند خروجه من بينها .

خامسا : انقباض العضلات وضغطها على العصب الذي يجري عبرها .

سادسا : (وهذا هو اهم الاسباب واكثرها شيوعا) وهو الانزلاق الغضروفي الذي يعني انزلاق المخدة الغضروفية اللينة بين الفقرات لتضغط بشدة على العصب او احد جذوره .

العلاج : يعتمد العلاج كما نرى على ازالة السبب اولا ثم الاعتماد على الراحة التامة في السرير مع استعمال سرير غير لين ربما صلح معه وضع لوح خشبي تحت المرتبة .

ان استعمال المسكنات ضرورة يصفها الطبيب ، ولكن العملية الجراحية لا يلجأ لها الجراح الا في نهاية المطاف عند الضرورة لازالة الغضروف المنزلق .

الصابون الطبي

● في كل مكان من السوق اجد انواعا شتى من الصابون تحمل اسم « صابون طبي » واحتوائها على مادة تدعى هكساكلوروفين فهل حقا لها فوائد معينة وما هي ؟

ص . م . خ
الدوحة ـ قطر

ـ أنواع شتى من الصابون الذي يحمل على غلافه اسم الصابون الطبي او الصابون المعقم اعتمادا على احتوائه على مادة تدعى هكساكلوروفين **Hexachlorophene** بنسبة مئوية قد تتراوح ما بين ٠,٧٪ الى ٣٪ .

والواقع ان مادة الهكساكلوروفين تعتبر مطهرا فعالا قويا ضد الميكروبات والجراثيم وخاصة تلك الانواع التي يعرفها المختصون باسم ايجابية الجرام **Gram Positive** مثل المكورات العنقودية التي تسبب القروح والدمامل وهي الاكثر انتشارا على الجلد مما يفيد في علاجها هذه المادة المطهرة .

وقد تميزت مادة الهكساكلوروفين بفعاليتها وثباتها في محاليل الصابون بينما تقل الفعالية في وجود الدم **Blood** أو المصل **Serum** [1] وهذا ما دفع بشركات الصابون الى ابتكار انواع الصابون الطبي او الصابون المطهر الذي يعتمد على الهكساكلوروفين هذا ، غير ان عيبا وجدوه في خصائص هذه المادة وهي خاصية التراكم ، بمعنى انها تمتص من الجلد او الانسجة ولا تزول مع زوال الصابون انما تتراكم مع دوام استعمالها ، ويزيد هذا الامتصاص والتراكم من الانسجة المخاطية او الجلد المسلوخ او عند الحروق ، وقد اكتشف ان تراكم مادة الهكساكلوروفين ، يؤدي الى ظهور اعراض تسممية منها ما هو موضعي يتأثر بها الجلد مثل الحساسية بصفة عامة بأشكالها المختلفة او الحساسية للضوء بصفة خاصة .

أما اخطر مضاعفات اعراض التسمم فهو تأثيرها على الجهاز العصبي كما وجدوا لها مؤخرا تأثيرات سرطانية على الجلد .

وحيث ان الاطفال اكثر استعدادا لامتصاص مادة الهكساكلوروفين من جلدوهم فان الحذر كل الحذر من الافراط في استعمال هذا النوع من الصابون للاطفال الرضع وخاصة من كان منهم يعاني من مرض جلدي أو كان ناقص النمو والا أثر على سلامة جهازه العصبي وعلى سلامة جلده .

---

(١) المصل : هو الجزء السائل الذي يتبقى بعد فصل كرات الدم وخلاياه والصفائح الدموية التي تسبب تجلط الدم .

العربي - العدد ٣٠٢ - يناير ١٩٨٤

قصة

عندما كان الرجل غائباً

بقلم : يوسف القعيد

☐ وقت الغسق الشاحب ، بدأ الاحتفال ، في الخارج نزلت قطرات الليل على الحي الهادىء . وفي الداخل أطفأوا كل الانوار . وسبحت الشقة الواسعة في ذلك الجو ، الباهت الاضواء . والذي يقترب كثيرا من جو الاحلام المحببة الى النفس . وكل دقيقة تمر كانت تجعل الظلام أمرا مؤكدا .

قالت واحدة :

- كيف نبقى في هذا الجو المعتم ؟

ردت أخرى :

- الضوء القادم من الخارج يكفي

طلبت ثالثة :

- لم لا تكون هناك شمعة صغيرة في كل ركن من اركان الشقة ؟

وشرحت الاخت الكبيرة . الضوء القادم من الداخل أهم من كل أنوار هذا العالم . وقالت ان الاضاءة القادمة من الخارج هي انعكاس لاعلانات عن بضائع ومحلات . واشياء تباع وأشياء تشترى .

كن مشغولات بلحظات سابقة على لحظة بدء الاحتفال .

في الزمان الجميل ، الذي مضى ، ولن يعود ، كان الاب يقف ، في هذا الوقت في غرفته . صوته كان يأتي من الداخل ، يسأل : أي البدل يرتدي وأي القمصان وأي ربطات العنق . حتى نوع العطر الذي نثره في جو الغرفة كان يسأل عنه .

والسؤال لم يكن موجها لزوجته بقدر ما كان يبحث عن اجابة لدى كل أفراد الاسرة . ومن يتطوع بالاجابة أولا ينفذ الاب مايقوله .

في الزمان الجميل كان الاب يقف في حجرته . يرتدي ملابس الخروج الكاملة وكأنه ذاهب لمقابلة أهم شخص يقابله في حياته .

المساء قادم والام طالت وقفتها أمام المرآة . لم تحاول اخفاء غابة التجاعيد التي زحفت على الوجه . أبرزت خصلة الشعر التي غسلها اللون الابيض . مدت يدها في « دولاب » ملابسها . بحثت عن فستان العرس أخرجته . شمت رائحه الزمان فيه . قررت الا تقترب من غرفة الاب . وقررت البنات الثلاث - دونما كلمات - ان يبتعدن عن بابها الذي سيظل مغلقا . ادركن جيما ، أن الصوت الذي رافق سنوات عمرهن لن يتسلل من باب الغرفة سائلا عن أي شيء . ولن يسمعن من وراء الباب سوى الصمت المنبعث من الهواء الراكد المحبوس في هذه الغرفة . التي لم تدخلها احداهن منذ رحيل الغالي .

أكثر من ربع قرن يفصلها عن هذه الايام . لا تذكر متى ارتدت هذا الفستان آخر مرة . تاهت

الذكرى . في الزمان الذي كانوا يحتفلون فيه بعيد زواجها كانت ترتديه . ومنذ أن توقفوا عن هذا الاحتفال لم تعرف يدها الطريق الى الفستان .

حاولت الابتعاد بتفكيرها عن الاحساس الذي يثيره فيها ارتداء مثل هذا الفستان . منذ متى بدأت تخلع الملابس السوداء . تحول اللون الاسود الى ألوان هي درجات اخرى منه ، الرمادي والازرق . منذ رحيل زوجها ويدها لم تقترب من أي لون يوحي بالفرح ابدا . وحتى عندما جلست في الصالة . بعد ارتداء الوان غير الاسود . شعرت بالخجل من نفسها . والخجل من بناتها الثلاث . وان كن قد فعلن مثلها في الايام التالية مباشرة .

أما في هذا المساء فلا تعرف كيف سيقابلن تصرفها الذي أقدمت عليه عندما أخرجت فستان الفرح من الدولاب وارتدته .

بدت كما لو كان الفستان يحاول شدها الى زمان مضى . كان ضيقا ومنه برزت الترهلات الجديدة . التي حملتها الحياة العائلية الهادئة الى جسمها .

لم يضايقها كونه اصبح ضيقا . وحاولت عبور الاحساس بالغربة بداخله .

كان معنى الكلمات في ذهنها حاضرا . ولكنه كان كلاما مكسورا ولم يكن ملحنا حتى تستطيع أن تغنيه . كان المعنى الذي يدور في الذهن يقول :

- ليتنا قصصنا جناحيه في الوقت المناسب . عندما نبتنا له والا ما كان قد طار .

بدت الكلمات بعيدة عن بهجة المناسبة . كلما تتحدث عن الذي مضى . تبدأ بكلمتي « ليتنا ولو » . ستحاول العثور على كلمات أخرى أجمل :

- متى يحط الغائب على أرضنا مرة أخرى ؟ الم يتعب من هذا الطيران المستمر ؟

في حجرات الشقة الاخرى ، الشقيقات الثلاث كن مشغولات . الاخت الكبرى ، تضع لمسات زينة - هادئة على وجهها - وتستدير أمام المرآة اكثر من مرة حتى تشاهد نفسها من كل الزوايا . والوسطى في الحمام فكرت في الغناء ولكن النغمة التي طال اشتياقها للانطلاق من داخلها احتبست في صدرها ولم تخرج . والصغرى كانت تعمل بين الصالة والمطبخ . تضع اللمسات الاخيرة التي تبدو أهم من كل ما قامت به طول اليوم .

نقلت مستلزمات الاحتفال الضخم من المطبخ . وضعت كل شيء في مكانه على السفرة الطويلة . وحولها رصت ستة مقاعد . مقعدين بالطول واربعة مقاعد بالعرض . مقعدان في مواجهة مقعدين . كانت تعرف سلفا نظام الجلوس . على رأس المائدة يتركن مقعد الاب خاليا .

والكرسي الذي في مواجهته تجلس عليه الام . نسوا اسمها ويقولون عنها نينا . تاه الاسم الاصلي وأصبحت صفة الامومة هي الاساس . على الجانبين تجلس البنت الصغرى . مسمار البيت كما تقول الام . نجوى التي جمعت في ملامحها كل جمال خمسة اجيال من عائلة الاب والام معا . والتي استقر في قلبها نشاط كل من مروا في هذا العالم . من آبائها وجدودها وجدود جدودها . وفي عقلها استقرت حكمة حكماء الدنيا . كان والدها يقول عنها : انها تحتكر العقل والحكمة . في مواجهتها مقعد خال . المفروض انه مقعد أحمد . الغائب الحاضر . تجلس على يمين نجوى الشقيقة الكبرى . الام الثانية بحكم سنوات العمر ، نور . وفي مواجهتها الشقيقة الوسطى . دلوعة البيت وينبوع دموعه التي لا تجف ابدا . ومطربته ايضا . كائن آدمي معجون من العواطف تبدو مثل النسمة في يوم صيفي ، هشة ، عاطفية . صوتها مثل صوت الكروان . وعواطفها على يديها في حالة حضور دائم تضحك بدون انقطاع . ولكر كرة ضحكها صوت تردد في رحابة الشقة فكانت أمها تطلب دائما أن يستم

زمان الضحك ولكن الضحكات جفت . والكركرة تاهت . ولم يبق سوى ينبوع الدموع . حتى الغناء أصبح صعبا في هذه الايام .

منذ أن غاب الغائب الاول ومنذ أن غاب الغائب الثاني ومآقيها لا تعرف الجفاف ابدا . انها سلوى .

رتبت نجوى السفرة . وضعت ستة « اطباق » امام كل مقعد « طبق » . حتى الغائبان الحاضران . الغائب دائما أبدا . والغائب بصورة مؤقتة . وقد يحضر من الغياب ذات يوم . وضعت لكل منهما « الطبق » الخاص به . والشوكة والسكينة والملعقة . وضعت أمام كل كرسي كوبا للماء . وكوبا للشاي وكوبا للمرطبات . وعلى كل مقعد وضعت فوطة نظيفة تماما .

اتجهت الى حجرتها لكي ترتدي ملابسها لم يكن يعنيها امر نفسها ولا ملابسها كانت اخر من دخل لارتداء الملابس وكانت اول من خرج . وعندما اكتشفت ان كل واحدة في حجرتها وقفت في منتصف الصالة . صفقت بيديها وهتفت :

ـ ايها السيدات والانسات والـــ

تحشرجت الكلمة ولم تخرج توقفت في منتصف المسافة لا يوجد في البيت رجل واحد . فكيف تنطق بالكلمة التي ستحرك ديدان الجرح الغائر . تحرك الباب الأول باب الست الكبيرة . شريط من النور تسرب الى جو الشقة . فغيرت نجوى الحديث صاحت وهي تحاول ان تغطي على الهم القديم الجديد . الذي يحاول الاستيقاظ في هذه اللحظة :

ـ الان يبدأ الاحتفال الكبير .

اجتمع شمل العائلة او من تبقى من العائلة حول المائدة . لم يكن هناك مدعو واحد ولهذا لم يجلس حول المنضدة الطويلة سوى الشقيقات الثلاث والام فقط . جلسوا وسحر احتفالهم بعيد ميلاد الغائب يطفح بداخلهم . تحدثوا ولم يكن الحديث شيئا سعيدا . ولكن الاصغاء لاصواتهن وهن يتحدثن عنه كان امرا له طعمه الخاص .

حتى التي كانت تتكلم كانت تجد سعادة خاصة وهي تسمع صوتها ونبرات كلماتها وهي تتكلم عنه .

جلست الام على يمينها علبة الكبريت موضوعة في طبق صيني ، امتدت يدها . اخذت علبة الكبريت فتحتها ببطء اخرجت عود الكبريت اشعلته « واتجهت الى التورتة » كان الحفل عيد ميلاد من نوع غريب . لم يكن احتفالا بالاب الذي رحل منذ اكثر من عام . من يحتفل بميلاد الاموات في هذا الجزء من العالم . ما ان يموت الانسان حتى يصبح الاحتفال المطلوب هو احتفال بذكرى وفاته . انه نوع غريب من الاحتفاء بالموت وليس بالميلاد .

الاحتفال كان بعيد ميلاد الابن الوحيد للاسرة . رحل منذ ثلاثة اعوام الى ديار العرب لكي يعمل . انتقل من بلد الى آخر وفي آخر خطاب له لمح الى انه يفكر في السفر الى اوروبا . ثم انقطعت رسائله . سافر وهو يخفي في اعماق قلبه كثيرا من الاشياء الجميلة التي لا يعرفن حتى مكانها . كثيرا ما قال والده عنه انه رجل العائلة ليس من بعده ولكن في حياته ايضا . ومن يوم سفره وهم يحتفلون بعيد ميلاده .

قامت الام من مكانها اقتربت من « التورتة » اشعلت كل مجموعة من الشموع مع بعضها . هذا العام لم تحدث مشكلة بسبب عدد سنوات عمره . يمكن القسمة على ثلاث بسهولة . اشترت كل واحدة من الشقيقات الثلاث سبع شمعات . في السنوات التي مضت كانت القسمة صعبة وكانت تحدث بعض المشاكل . وصاحب فكرة توزيع عدد الشموع على الشقيقات الثلاث كان الوالد .

في الصباح لم تنظر واحدة منهن الى « الاجندة » المعلقة على الحائط . فالتاريخ محفور في حبات القلوب . اليوم هو المركز الذي تدور حوله ايام العام كلها . ايام العام اما انها تؤدي الى

هـذا اليوم او انها تـأتي بعـده . واشهـر العـام وفصول العام تتحدد اهميتها حسب موقع عيـد الميلاد . والذي يأتي مع ايام الخريف الأولى .

في ذلـك الصباح ، الـذي انتظرتـه العـائلة طـويلا . وزعت الام العمـل بـالعـدل . كـل واحـدة تشتري سبـع شمعات والـوان الشمـع كالتالي :

سبع لونها ابيض وسبع لونها سماوي وسبع لونها اخضر والالوان من اختيار الاب .

الام والبنـات الثـلاث تجنبن منـذ اسبـوع الحديث عن الغائب الكبير الغائب القريب الذي

يعرفن مكانه . والحديث عن الغائب الصغير . الغائب البعيد الذي لا يعرفن له مكانا . في العالم البعيد .

نور عليها شراء ما تحتاجه نجوى والذي ستكتبه في ورقة لها حسبا لاي خلاف قد يحدث في الليل . ونجوى عليها كل عمل البيت هي الوحيدة التي يمكن الاعتماد عليها في العمل الشاق . اما سلوى فستذهب الى حلواني قديم . ليصنع للاسرة « تورتـه » من نوع خاص كان يصنعها للجد والاب . ويعرف طلب الاسرة و « التورتة » التي يصنعها على شكل قلب والام تساعد نجوى في أي عمل طول النهار .

نجوى كانت سعيدة . العمل الشاق والصخب والعمل اليومي . سيعفيها من التفكير في المفاجأة التي حدثت لها بالامس . وصلها على عنوان عملها خطاب بالامس . ظرف سميك . شكله الخارجي يقول انه لا يوجد ورق بداخله . فتحته فوجدت فيه شريطا . على الظرف الخارجي اسمها وعنوان عملها ، دقة خاطفة ورجفة اصابت جسمها . وقبل أن تفكر في سماع الشريط كانت تعرف انه منه ـ من احد .

في العمل ، وقبل العودة الى البيت استمعت الى جزء من الشريط كلمات احد الرجل الوحيد الباقي في هذا العالم . الجزء الذي استمعت له كانت مساحات الصمت فيه اكثر من الكلام . وكانت الشهقات اكثر من احرف الكلمات المعروفة . وبين الكلمة والأخرى . كانت تسح الدموع دافئة . وحتى الكلمات كانت خليطا من الرسائل لهن . ووصف حالته والرغبة في العودة .

احتارت نجوى ، ماذا تفعل بهذا الشريط . اختلجت في قلبها مشاعر تعجز الكلمات عن وصفها . كانت منفعلة . ومن شدة الانفعال لم تستطع ان تفكر في الامر جيدا . جاء الشريط والجراح طرية . وديدان الجرح الغائر تستعد للحركة والاستيقاظ مرة واحدة كل سنة . هل تعتبر الامر سرها الخاص ام تجعله جزءا من احتفال الغد . فزعت من الفكرة ، الدموع في البيت يمكن أن يعرف الانسان القطرة الاولى منها فقط . ولكن بحر الدموع لا تكون له نهاية ابدا .

أخذت نجوى الشريط معها الى البيت . خبأته في ركن لها من « دولاب » جماعي تشترك فيه مع شقيقتيها وأجلت التفكير فيما ستفعله به الى ما بعد . كان الامر صعبا وكان يدق حياتها بعنف لم تعرفه من قبل . فكرت وتعبت من التفكير ولم تشأ أن تفاتح احدا في البيت بالامر . سيبقى الشريط سرها الخاص .

اقتربت اربعة افواه فيها فم واحد تحول الى دائرة من التجاعيد . تفخن مرة واحدة . وعلى آخر ضوء قبل أن تنطفىء واحد وعشرون شمعة . اتجهت العيون الستة الى مكانين في وقت واحد . الى المقعدين الخاليين « والطبقين » والفوطتين والشوك والملاعق والسكاكين التي لم تقترب منها أية أيد .

أتى الظلام سريعا ليغيب بداخله المشهد كله .

انطفأت شموع الميلاد لتضيء نجوى شموعا اخرى وضعتها في أرجاء الصالة الاربع .

قالت انه من الافضل عدم اشعال أي ضوء في الصالة حتى الغد . يجب أن تحتفظ الصالة بعبق هذا الجو طوال الليلة . تحولت الصالة الواسعة الى مسرح من الاضواء الباهتة والظلام المتداخلة .

الاضواء تتحرك ببطء واشباح الظلال تملأ الجدران والارض والسقف . ورغم الابتسامات التي بدت كما لو أنها قد الصقت على الشفاه جيدا .

الا انهن كن يعانين من وجع البعاد . بدا سقف البيت منخفضا بدا وكأنه يكبس على انفاسهن وكأن الجدران غير قادرة على حمله .

بدأت الام في توزيع اجزاء « التورتة » قسمتها على ستة اجزاء . اعطت كل واحدة

الجزء الخاص بها . وصبت نجوى الشاي الذي أعدته وداخلها يرتجف من الرهبة . وفي اللحظة التي كانت الام تضع فيها جزءا من التورتة في طبق الاب وكانت نجوى تصب الشاي في كوب الاخ توقف الزمان عند هذه اللحظة . لم تنطق اية واحدة بكلمة . ولكن الاختين الكبرى والوسطى توقفتا عن اكمال مضغ ما في فميهما من أجزاء « التورتة » .

حاولت نجوى الخروج من اللحظة التي توقفت الليلة عندها .

سألت :

ـ ما رأيكن في صنع يدي ؟

ردت الاختان واثنت الام على عمل نجوى الشاي جيد والمنضدة متسعة بصورة لم تحدث من قبل . وقالت الاختان ان مهارة نجوى اخذتها عن امها وقالت الام ان ما تفعله نجوى لا تستطيع هي القيام به . وطلبت نجوى من أمها ان تقلل من المجاملات .

تناوب صوت رشفات الشاي مع رنات السكاكين والشوك واحتكاكها مع « الاطباق » . وصوت حركة الافواه . لكن الصمت أتى أخيرا كل واحدة انتهت من شرب شايها وأكلت الجزء الخاص بها من « التورتة » وبقي كوبان « وطبقان » وسكينتان وشوكتان تخص الغائبين لم تمتد اليها يد .

تساءلت الام :

ـ ألا تردن سماع شيء ؟

ارتجفت نجوى ارتعش صوتها وهي تقول إن الصمت افضل .

قامت الام من مكانها اتجهت الى الغرفة المغلقة وهن يعرفن ما ستقوم به . كان في مشيتها اضطراب جديد . وكانت غابة التجاعيد التي في وجهها تختلج بصورة واضحة ستحضر اشياء احمد ، أوراقه وكراسات دراسته التي لم ينته منها ، سافر قبل الحصول على شهادته . ترك الاوراق والملابس والمناديل والاحذية ، وكانت نجوى قد وضعت اشياء احمد في حجرة الاب .

فزعت البنات الثلاث . حاولن منع الام ولكنها رفضت . قالت . انها لن تستريح الان ما لم تدخل الحجرة وتشاهد من جديد أوراق الغالي . شهقت سلوى عندما لامست كلمة الغالي طبلتي اذنيها . كاد الموقف ان ينفجر . فتصرفت نجوى بسرعة لا تدري الان كيف فعلت ذلك ؟ كيف فكرت في الشريط ؟ كيف اصلحت خطأ بخطأ آخر .

قالت لهن :

ـ لدي مفاجأة

استدارت الام ونظرت لها الاختان :

ـ مفاجأة ؟ !

طلبت منهن الجلوس اولا . حتى تحضر مفاجأتها التي لا يمكن أن يتصورها أحد . وأكدت عليهن ضرورة عدم محاولة معرفة نوع المفاجأة . لان ذلك مستحيل ومهما حدث فإنها لن تبوح به .

جلست كل واحدة في مكانها . دخلت نجوى واحضرت اولا جهاز التسجيل واحضرت كرسيا ووضعته في الصالة . ووضعت الجهاز فوقه واوصلته بالتيار الكهربائي .

دخلت لكي تحضر الشريط . وهي في طريقها ، فكرت في التراجع . فكرت في أن تقول انها ضحكت عليهن وانه لا مفاجأة هناك ولاغيرها . اكتشفت ان ذلك مستحيل . من يصدقها إن قالت ذلك ؟ حتى وان تظاهرن بالتصديق فستبقى مساحة بداخل كل واحدة منهن ترفض أن تصدق . فات آوان التراجع . عضت شفتيها وهي تبحث عن الشريط وتمنت الا تجده . ولكن يدها اصطدمت به . وجدته بين ملابسها . اخذته وخرجت به من الغرفة . اتجهت الى الجهاز ورغم ان الضوء لم يكن واضحا في الصالة الا انها شاهدت الشريط واضحا في يدها . كن قد توقعن ذلك منذ ان احضرت جهاز التسجيل .

وضعت الشريط في الجهاز . وقالت قبل ان تدير الجهاز :

- والآن يتحدث لكن صاحب الحفل لكي يشكركن على الحفل وأدارت الجهاز .

لم يكن يعرف أحد في بحار الغربة التي يسبح فيها أن اباه قد مات .

فبدأ بالحديث له . وكانت الضوضاء تحاصر صوته من كل جانب ويبدو أنه سجل الشريط في مكان عام . كان يتكلم من بلد لم يشر اليه بكلمة واحدة . ولم يستطعن تحديد المكان الذي تم التسجيل فيه .

- صوت احمد . . . . انه صوته فعلا . .

قالت الام وهي تتجه نحو الجهاز . تحاول وضعه في تجويف صدرها . ومع كلمات أحمد كان يبدأ ليل البكاء . ومن يعرف متى ينتهي هذا الليل ؟ ومع كلماته تبعثرت حالة الصالة . وتحول النظام الى نوع من الفوضى الجميلة جلست الام على الارض بجوار الكرسي الموضوع جهاز التسجيل فوقه . ونور وقفت خلف الكرسي وأسندت صدرها للجهاز . وسلوى وقفت في الناحية الاخرى . بذلت اكبر جهد استطاعت بذله في حياتها كلها حتى لا يبدأ نهر البكاء بداخلها في التدفق . وشعرت بكبت لم تشعر به من قبل . وهي تحاول السيطرة على نفسها . انتقلت الى اقرب مكان لدورة المياه كي تدخلها في حالة عجزها عن المقاومة . ونجوى تحت وطأة الاحساس الحاد بأنها أخطأت . دخلت الى غرفتها . ستعود الى الخطاب الذي أرسله لها أحمد تأخذ منه العنوان وتعود الى الصالة تقترح عليهن ان يبدأن جميعا في كتابة أربع رسائل لاحمد ترسل له في الصباح . وأن تدور الرسائل الاربع حول هذا الاحتفال . كل واحدة تصفه من وجهة نظرها . وتحكي له الجهد الذي قامت به . وتصف حتى التفاصيل الصغيرة . ولا يعترفن في هذه الرسائل الاولى بخبر وفاة والده . قد تكون هناك اشارة فقط الى مرضه الشديد . لدرجة انه لم يستطع كتابه رسالة له معهن . ولم يشارك في هذا الاحتفال . لانه لا يستطيع التحرك من السرير . وبذلك يكون أحسن تمهيد لخبر الوفاة . الذي سيقال له في رسائل قادمة وبعد التمهيد الكافي .

أحضرت الخطاب قلبته اكثر من مرة بحثت فيه عن الاسم والعنوان . فلم تجد فيه سوى الاسم . كان الخطاب قادما من الخارج قلبت الظرف من جديد . لم تجد كلمة واحدة عن عنوان احمد . خرجت مسرعة وطلبت منهن ادارة الشريط من أوله قالت ان الخطاب الذي جاء الشريط فيه لا يحمل كلمة واحدة عن عنوان احمد وانه لابد من معرفة كل شيء من الشريط . لا بد من التقاط اية كلمة توفر لهم جميعا طريقة للاتصال بأحمد . اعادت الشريط الى بدايته لان الذهول امتص كل قدرة لديهن على العمل .

وابتلعت كل واحدة منهن آلاف الاسئلة بداخلها مما كانت تود طرحها على نجوى . عن الشريط وكيفية وصوله اليها ومتى ؟ . جلست نجوى تستمع للشريط بانفعال .

قال الصوت القادم من ديار الغربة :

- وحشني والدي بشكل خاص .

ومن حولها كان ليل البكاء قد بدأ فعلا .

كان قد انبعث في قلوبهن جميعا نبع الحب الصافي الملتهب بصورته العفوية الاولى الذي لا تقدر عليه سوى قلوب الاطفال في سنوات العمر الاولى .

وعندما اجهشن بالبكاء . أحست كل واحدة بصدق مرارة الاخرى .

وقالت نجوى لنفسها وهي تشارك في ليل البكاء القادم لأول مرة :

- أنا السبب في كل ما جرى .

من النادر أن تبكي نجوى . قدرتها في السيطرة على نفسها تفوق أي تصور . وقدرتها في السيطرة على الآخرين وقيادتهم بالصورة التي تراها لا تتناسب مع سنوات عمرها أبدا . .

ومع هذا قالت :

- أنا السبب

وجاءت الدفعة الاولى كطوفان جارف .

لقد بلغت قلوبهن الحناجر . □□

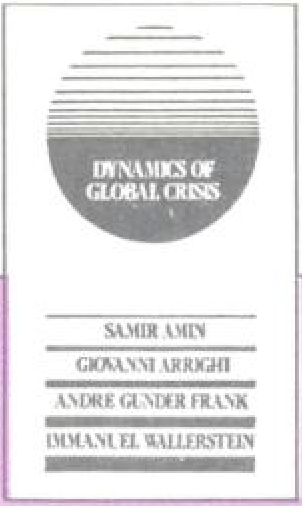

ديناميكية الأزمة العالمية

عرض وتلخيص :

الدكتور عبد الرحمن الحبيب

□ يقدم لنا هذا الكتاب منظورا مستقلا للتطورات الاقتصادية او السياسية العالمية ويجسد المنظور التزاما بالاهداف التاريخية للحركة الاشتراكية العالمية : الديمقراطية والمساواة . ان الناس يتحدثون اليوم عن الأزمة . . ولكن أية أزمة تلك التي نعيشها ؟ هذا ما يجيب عليه الكتاب الأربعة في كتابهم الجديد عن الأزمة العالمية .

يحوى الكتاب أربعة أقسام رئيسية تتخللها بعض الفقرات اضافة الى مقدمة (فروض عامة) وخلاصة (مناظرة دافئة) ويضم بين دفتيه ٢٤٨ صفحة من القطع الوسط . يعالج القسم الاول الأزمة العالمية كظاهرة انتقالية ، ويتناول القسم الثاني أزمة السلطة . ويناقش القسم الثالث أزمة المفهومات ومفهومات الأزمة . ويدرس الرابع الازمة والقومية والاشتراكية . وفي القسم الاخير يلخص مؤلفو الكتاب الاربعة حصيلة آرائهم ومواقفهم المختلفة مبينين اتفاقهم وأوجه اختلافهم الجزئية والكلية .

أصبحت الازمة معروفة في السبعينيات أولا بالمناقشات المبهمة بين المثقفين ومن ثم بين الصحافة الواسعة وأخيرا بالمناظرات السياسية في كثير من الاقطار .

فكثير من الناس يعيش في حالة سيئة ويخشون أن يجلب عليهم مستقبلهم القريب المباشر ما هو أسوأ . والايام السوداء عادة تعقب الايام الحلوة . ولكن غالبية من يعيش الآن ولد بعد ١٩٤٥ وقليل من عنده ذكريات أطول .

من سبب هذا التغير ؟ هناك ملومون حسب مناقشات الجماهير . ويغلب عليهم ان المشكلة هي « أزمة نفط » ويحملون « الاوبك » المسئولية . فقد تصرفت دول الاوبك على شكل « كارتل » ورفعت اثمانها بشدة مسببة تضخما عم العالم ، وبطالة وانخفاض مستويات العيش . ولكن الكتاب الاربعة يرفضون هذا التحليل ، ونحن نؤيدهم .

ان بداية أكثر مصاعب العالم ومتاعبه الجارية سبقت ارتفاع اسعار النفط .

وعلى الرغم من ارتفاع اثمان النفط المطرد في السبعينيات فلا تزال اثمانه (قبل الصدمة النفطية الاخيرة) دون المستوى الذي يعطى النفط الخام قيمة عادلة تجعل نسب تبادله التجارية ملائمة .

والملوم الثاني الذي توجه نحوه اصابع الاتهام في العالم الغربي على الاقل ، هو الاتحاد السوفيتي ـ التوسعي وغير المؤتمن والمتسلط ـ ولا ينكر الكتاب النمو المطرد في قوة السوفييت العسكرية ولكنهم لا يعتقدون أن أعمال الاتحاد السوفيتي مسئولة عن سوء الوضع العالمي الحاضر .

والملوم الثالث هو حكومات الدول الصناعية (دول المركز) . فقد نمت وأصبحت ضخمة جدا واتبعت سياسات تنم عن الغباء وخاصة السياسات الاقتصادية . ويقول البعض انها كانت متضخمة جدا ويقول البعض الآخر انها انكماشية جدا . ويرى آخرون انها كانت مقيدة ومبددة جدا ويدعى غيرهم انها لم تكن حسنة التوجيه .

العلاقة بين الاحياء والبيئة

وهناك من يرى ان المسؤول عن هدر الثروة الطبيعية ملوم كبير . وان المشكلة هي مشكلة العلاقة بين الاحياء والبيئة . وقد تزايدت هذه المشكلة في السنوات الاخيرة بتبديد الموارد الطبيعية . ولاشك أن الهدر حقيقي ولكن هناك شك فيما اذا كانت الحلول المفترضة (زيادة التكنولوجيا الطبيعية كاستخدام القوة الشمسية بديلا للقوة النووية ـ أو ما يدعى بالتكنولوجيات المناسبة كأسلوب للتنمية الاقتصادية) يمكن أن تلعب أكثر من أدوار ثانوية .

ويعزى آخرون المشكلة المعاصرة الى انحطاط الاخلاق الشامل الذي قد يعدل بل يزيد على المشكلة الاقتصادية . وقد يكون رصد العلل في هذا المجال تشويها للصورة الحقيقية .

ويرفض المؤلفون كل هذه الشروح للازمة على انها تعالج متغيرات متداخلة وأنها لاتؤول الى تفسيرات مترابطة أو متماسكة للازمة أو مولداتها ، ويتفقون على افتراضات هامة :

المؤلفون

هم أربعة من كبار الكتاب العالميين وقد درس انتاجهم بكل اللغات الحديثة ودرسوا هم وحاضروا في بقاع العالم المختلفة . وفي الوقت الحاضر ، يعمل السيد سمير أمين مع الأمم المتحدة « مدير مشروع بحث » في استراتيجيات المستقبل في أفريقيا ومقره داكار بالسنغال ، وجيوفاني أريغي استاذ علم الاجتماع في بنجامتون بنيويورك واندريه جندر فرانك استاذ اقتصاد في أمستردام ، وايمانويل وولرشتين مدير مركز فرناند برودل في بنجامتون بولاية نيويورك

وجود كيان اجتماعي قد يسمى اقتصادا دوليا رأسماليا ولد في القرن السادس عشر ، وتوسع مع الزمن من أصله الاوربي ليغطي الكرة الارضية في أواخر القرن التاسع عشر . وقد يوسم بالرأسمالي لأن قوة زخمه تعمل بفضل تراكم لا نهائي . وكذلك فان استحواذ البرجوازية العالمية على فائض القيمة الذي هو نتاج العمال المنتجين المباشرين أدى الى الاغتصاب في السوق والى تبادل غير عادل انتهى الى تحويل الفائض من الاطراف الى المراكز .

أهمية ربط النشاطات المحلية في الدول المختلفة بشبكة تقسيم العمل الدولي ولكن ليس من الميسور أن يتم تحليل متماسك يفرز المتغيرات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية .

نمو تنظيمات على امتداد تاريخ الاقتصاد الرأسمالي العالمي بين مجموعات مظلومة ضمن النظام الدولي ، معارضة بشدة استمراره .

وأصبح العالم الرأسمالي أمام تحديات عاصفة لم يشهدها من قبل . وعلى الرغم من القوة السياسية للطبقات العاملة وأقطار الاطراف ، فان نظريات الحركات الاشتراكية وتطبيقاتها في وضع متعب ومزعج .

أصبحت الولايات المتحدة الاميركية بعد الحرب العالمية الثانية القوة المسيطرة ذات النفوذ الآمر والمهيمن في الحلبات الاقتصادية والسياسية والعسكرية وقادرة على فرض أوامرها نسبيا على النظام الدولي في الوقت الذي شهد فيه العالم توسعا اقتصاديا لم يشهده من قبل . وهذا التسلط الاميركي في انحسار غير قابل للنكوص (على رغم بطئه) لأسباب موضوعية منها زيادة منافسة منتجات أوربا الغربية واليابان ، وتفتت أنظمة تحالفات الحرب الباردة وبروز محور واشنطن - طوكيو - بكين والحروب بين دول الاطراف ومن بينها دول تحكمها أحزاب اشتراكية .

لا يمكننا تصور النزاعات بين القوى الرأسمالية والاشتراكية بأنها نزاعات بين الولايات المتحدة الاميركية والاتحاد السوفيتي رغم تأكيد الاجهزة الدعائية لذلك . وليس بقدرتنا تحديد الازمة فقط في دول المركز على رغم نشوئها هناك . وما يجري في الاتحاد السوفيتي وأوروبا الشرقية والصين وغيرها ، ليس أمرا خارجيا ، أو متعارضا مع ما يجري في باقي أصقاع العالم . فالازمة عالمية ومتداخلة .

الكتاب الاربعة يعتقدون أنه لا بد من قيام عالم ديمقراطي ، سياسيا ، تسوده المساواة اجتماعيا واقتصاديا وفي الامكان الحصول على مثل هذا العالم الديمقراطي . ولا يعتقدون أن الاقتصاد الرأسمالي قد فعل كثيرا في هذه المجالات . لكنهم يؤكدون ان الرأسمالية - كنظام تاريخي - ستبلغ نهايتها ويختلفون نسبيا فيما بينهم في طبيعة النظام الذي سيخلفها ولكنهم ملتزمون بالاهداف التاريخية لعالم اشتراكي تسوده الديمقراطية والمساواة .

الأزمة ظاهرة انتقالية

يكرس الكتاب ٤٣ صفحة لمناقشة « الازمة

ظاهرة انتقالية » . وقد بدأت بالفعل منذ ١٩١٤ / ١٩١٧ وستستمر الى نهاية القرن الواحد والعشرين . وستزول الرأسمالية ويخلفها نظام عالمي اشتراكي . ويدلل الكتاب على ذلك بما يأتي :

ان قوة النظام الرأسمالي ، وقدرته على استعادة العافية ، وعلى انعاش قدرة التوسع الاقتصادي خلقت الأزمة الهيكلية وعمقتها . لذلك فان النظام الذي عمل وازدهر مدة خمسمائة عام ، سيتحلل في اللحظة التي يكون فيها في أشد قوته وأقصى كفايته . انه نظام يرتكز على عدم توافر منطق فريد ، يجعل التراكم نهاية بذاتها . ولا يتم هذا التراكم الا بسحق القوى العاملة ، وبخلق امتيازات حكرية فوق الآخذين بنظام التراكم وبحماية الدولة .

والناس مجموعات مختلفة يرغبون في الاستهلاك والمتعة وليس في التراكم لذاته ، لأن التراكم لذاته يخلق سوء توزيع في الاستهلاك وسوء توزيع في الملكيات . وقد أضافت التطورات التكنولوجية سلاحا جديدا الى ترسانة مؤيدي التراكم وأدخلت العالم في فترة احلال الطاقة الميكانيكية محل الطاقة البشرية . ونجم عن ذلك اطار جديد يتجسد بوجود مراكز وأطراف بورجوازية وطبقة عاملة ، ودول وشعوب في الاقتصاد الرأسمالي في القرن السادس عشر ، شمل فقط جزءا من العالم . والنظام الرأسمالي كأي نظام آخر فيه تناقضات .

والانتاج لا يخلق الطلب ، اذ أن الطلب ليس دالة الانتاج بل دالة اسلوب توزيع عوائد المنشآت الذي هو العامل المتدخل في تحديد الطلب .

وقد حدث مع التقدم العلمي :

١ ـ الاستقطاب الموقعي لتقسيم العمل ، المراكز والاطراف في اقتصاد رأسمالي متكامل .

٢ ـ خلق هيكل ذي طبقتين (يفصل المركمين أو البرجوازية عن العمال المنتجين) وخلق التقدم العلمي ـ بالتبعية هيكلا استهلاكيا موائما لضمان اعادة بناء هيكل طبقي .

٣ ـ خلق دول تعمل في اطار نظام دول غير متكافئة في القوة متسقة مع هرمية الموقع في الاقتصاد (وبالتبعية خلق ايضا بشرا ـ أمما ، مجموعات عرقية ـ في علاقات متوترة مع الدول) .

يبقى الطلب العالمي ، حصيلة المؤشرات السياسية ، ثابتا في المدى الوسط ، ولكن العرض يتجه نحو فائض فيه . وبعد مرور خمسة وعشرين عاما تقريبا يصبح الطلب غير كاف لاستيعاب العرض الاضافي فيواجه الرأسماليون اختناقات في عملية التركيم . ويشهد العالم الرأسمالي أحدث اختناق منذ ١٩٦٧ . وعندما يصبح الاقتصاد العالمي في حالة يفوق فيها العرض الطلب التجاري ، تتكرر مشقة الناس . فيندفع المنتجون الى الحصول على اسواق جديدة وانتاج سلع جديدة أو اتباع اساليب جديدة لخفض كلفة الانتاج (للحفاظ على مستويات ارباحهم المطلقة أو في الاقل أرباحهم الجارية) . وعلى جانب الطلب ، نجد ان الذين تنخفض قوتهم الشرائية يسعون الى اعادة المفاوضة لتغيير شروط عقود التوزيع مع كل من المنشآت والدولة .

ونتيجة للمحاولات المختلفة للخلاص من المتاعب تحدث تكيفات هيكلية في الاقتصاديات المختلفة . فتظهر ثلاث مناطق اقتصادية واجتماعية :

.. وتضيق السفينة بمن فيها ..

وتتخذ عملية التكييف السبل الآتية . الصناعات القائدة هي التي تتعرض الى صعوبات في تسويق نتاجاتها لزيادة المنتجين والانتاج فيها

نظرا لارتفاع نسب أرباحها . وعندما يتدافع المنظمون على الاستثمارات في ايام الربح ينتهي الامر بالزحام في ميادين الانتاج والتسويق ، فتضيق السفينة بمن فيها ، وأحد الحلول لتخفيف العدد ، هو افلاس بعضهم مما يمركز الملكية الدولية وفي الوقت ذاته يقلل النتاج العالمي . والحل الثاني هو تكثيف رأس المال في الانتاج مما يخفض قائمة الاجور . وقد يكون هذا الحل غير ممكن التنفيذ لقوة التنظيمات العمالية ودورها الفعال . والحل الثالث هو تغيير مواقع الانتاج الى مناطق ذات مستويات أجر أدنى ، عادة من المراكز الى شبه الاطراف ، أو (في حالات أقل) من شبه الاطراف الى الاطراف . وهناك حل رابع وهو انتهاج استخدام الابتداعات التكنولوجية في الصناعات القائدة في المراكز . وقد يكون هذا الحل غير مجد كثيرا لعملية التراكم ولكنه قد يؤول الى اعادة توزيع الانتاج جغرافيا وتوزيع السلطة دوليا دون حل مشكلة الطلب الدولي .

وقد يتوسع الطلب الدولي بتوسع الانتاج الدولي (النظرية القديمة ان الانتاج يخلق الطلب) وهذا يتطلب مرونة دولية في اقتسام الطلب الدولي .

وفي حالة اقتصاد يعاني من ركود متكرر يكمن الحل الحقيقي لتوسعة الطلب الدولي في توزيع الفائض . ويقف في وجه هذا الاسلوب تناقض آخر في النظام الرأسمالي ذاته . ولما كانت غاية النشاطات الاقتصادية التراكم فان اعادة توزيع الفائض تتطلب خفض التراكم الدولي لأنه يخفض الربح . ومع هذا فانه من الضروري السماح بتوسعة جديدة في الانتاج العالمي لأنه الاسلوب الوحيد الذي يحقق تعهدا بزيادة في الارباح .

وتكون النتيجة فترة نزاع سياسي شديد على التوزيع . وقد يتخذ هذا النزاع عدة اشكال : يتجسد في المصانع بوقف العمل أو الاستيلاء على الممتلكات وفي السوق بأخذ اسلوب مقاطعة شراء مواد الغذاء أو مظاهرات عنف ، وعلى مستوى الدولة فقد يتخذ شكل المظاهرات والانتفاضات أو عصيانا جماعيا وثورات . وقد يتجسد في شكل نزاعات بين الدول تمتد من استخدام وسائل تجارية الى اندلاع النزاعات المحلية ، الى شن حروب عالمية .

وتخلق هذه الحروب الطلب الفعال في الوقت الذي تقلل فيه العرض بتحطيم الانتاج ووقف عملية الانتاج في الأمد القصير . وهكذا يستعيد الاقتصاد الدولي نشاطه وازدهاره ، عندما يكون هناك مشترون راغبون في الاستهلاك وقادرون عليه وتصبح احتمالات التراكم كثيرة . وتتم اعادة التوزيع على حساب البورجوازيين . وهكذا تسير الأمور عكس هدف التراكم الدائم .ولا يعوض ذلك توسع الانتاج ، حتى لو كانت نسبة الأرباح أقل عالميا ، فان المستوى المطلق قد يبقى مستقرا أو ينمو .

أجور العمال . . !

وهناك وسيلة أخرى لاستعادة نسبة الربح العالميةوهي دمج المناطق الجديدة بالاقتصاد الدولي ، مما يوفر المواد الخام ، الامر الذي يتطلب خلق قوة عمل مناسبة تستطيع العمل ليس فقط في المشروعات الجديدة التي تنتج للتصدير بل في المشروعات التي تنتج الغذاء اللازم لاطعام من يعمل في انتاج المحاصيل النقدية أو في المناجم ومناطق انتاج الغذاء الاساسي .

ويخلق دمج المناطق الجديدة مراكز طلب جديدة ومراكز عرض رخيص مما يؤدي الى زيادة نسبة الارباح الدولية ، مع أن الأجور الحقيقية في صناعات التصدير يلزم أن تكون أدنى كثيرا من بقاع العالم الاخرى . وهذا الامر يخلق نمطا جديدا وهو توسعة العائلة العاملة مما يتيح للمنتج المصدر دفع أجور أقل في الحد الادنى الكافي لبقاء

هذه العائلات على قيد الحياة ويجسد استغلالا فظيعا لهؤلاء العمال .

وغالبا ماتكون حدود الدولة تحكمية وغير مستقرة ، نتيجة سياسة « اعط وخذ » العالمية . وكي تقوم الدولة ، يلزم وجود القومية ، لانها المادة التي تمسك اجزاءها . وكما ان حدود الدولة قانونية وطبيعية فان حدود الامم اجتماعية - نفسية يمكن رسمها كما يشاء ، وتركيب الناس عملية ذات جانبين تلائم الرغبة الشخصية في صورة الناس ذوي العلاقة مع تصور الناس الاخرين . وتركيب السكان أصعب من تأسيس الدولة ، وكما توضع الدول في تدرج قوة يوضع الناس في نظام طبقات متفوقة ودنيا .

وقد افرزت العنصرية ردود فعل تتجسد بخضوع الطبقات السفلى وبسعيها للتشبه بقيم ومعتقدات ومواقف الطبقات المتفوقة أو بمعارضتها ومحاربتها .

أسهمت تناقضات الاقتصاد الرأسمالي في بدء الأزمة . ومنها الرغبة في خفض تكاليف الانتاج الى أقصى حد ممكن ، مما يؤدي الى تجميع العمال (المنتجين الفعليين) في مواقع العمل (المصانع والمزارع والمناجم) وفي المجمعات السكنية الحضرية . وأدى التقدم التكنولوجي الى نمو المبادلات الاجتماعية - السياسية والاقتصادية البحتة - وتعارض هذه التنظيمات التي يفرزها النظام الرأسمالي النظام ذاته .

والتناقض الثاني هو تطور الوحدات السياسية الى دول ترتبط بالنظام الدولي والتي تعمل مع أخواتها ضد عدم المساواة الموروث في النظام الدولي .

أهم سمات الأزمة

وبعد مناقشة أسباب الأزمة والتي تركز على نجاح النظام الرأسمالي والتناقضات المتأصلة فيه والملازمة له يتبين أن أهم سمات هذه الازمة هي : -

١ - الاضطرابات السياسية في القرن العشرين هي التعبير الرئيسي للأزمة لا يقصد الكتاب بالاضطرابات السياسية الحرب العالمية ١٩١٤ - ١٩٤٥[١] . ولكنهم أبانوا أن ذلك تجسد في سلسلة الثورات الاشتراكية أو القومية التي نجحت في الأطراف وشبه الاطراف . ويضم اليها روسيا والصين وفيتنام ويوغسلافيا والمكسيك وكوبا وايران . ويضيفون الى هذه الثورات انماط الرفض السياسية الثقافية الفعلية كالبعث الحضاري والحركات القومية الواسعة وتوكيد مطالب وطموح الاقليات والحركات النسوية . وهذه حركات أضاح مقهورة ، نجم عنها تعبئة الجهود المضادة والحشود المتتالية . ولم يوقف سقوط الحكومات بتأثير قوى مضادة فقط . بل بفعل انجازات قوة الدولة ذاتها .

٢ - ويتعرض الكتاب الى سمات أخرى مثل الانتعاش والتفاؤل (١٩٤٥ - ١٩٦٧) وقيام منظمات تربط الدول ببعضها (مؤتمر باندونج ومجموعة السبع وسبعين ومنظمة الاقطار المصدرة للنفط (أوبك) ، والحركات بين القارات (مؤتمرات القارات الثلاث ومنظمة تعاون شعوب آسيا وأفريقيا) ، والركود بعد ١٩٦٧ الذي سلط أضواء ساطعة على الازمة ليبينها للجميع ، وفائض الانتاج (العدد الالكترونية والصلب والسيارات والحنطة) .

٣ - انحسار قوة وضعف مركز الولايات المتحدة الاقتصادي وظهور قوى اقتصادية منافسة كأوروبا الغربية واليابان وقيام النزاع بينهم . النزاع للسيطرة على الصناعات الجديدة التي ستقوم بعد الانتعاش (بعد ١٩٩٠) . ومن هذه الصناعات المجهريات والتكنولوجيا الحيوية ومصادر طاقة جديدة .

(١) اعتبر الكتاب الحربين العالميتين حربا واحدة مستمرة في الفترة ١٩١٤ - ١٩٤٥ .

ويعتقد الكتاب أن نمط النجاح السياسي الظاهر المرافق للكارثة الاقتصادية في البلدان غير العملاقة سيستمر في الثمانينيات وربما في التسعينيات ويعزى ذلك الى أن النجاح السياسي هو حصيلة النمو المستمر في قوة شبكة الحركات العالمية المضادة للنظام العالمي الرأسمالي .

وستتعاون أوروبا الغربية مع الاتحاد السوفيتي :

١ ـ لضمان درجة من الأمن الاجتماعي في الثمانينيات والتسعينيات . وسيعينها هذا التعاون على مقاومة العاصفة الاقتصادية في الثمانينيات وجني ثمار الازدهار في التسعينيات .

٢ ـ لاستيعاب الحركات المضادة الرئيسية مثل الأحزاب الشيوعية الاوروبية .

٣ ـ ولأبطال مفعول الأوضاع المتفجرة في شرق أوروبا (بتحرر نسبي) وللأسباب ذاتها لايتوقع حدوث نزاعات اجتماعية حديثة في اليابان . أما الصين فتختلف حيث وجدت فيها نزاعات منذ الستينيات . ومهما كانت المنافع من التعامل الدولي فليس متوقعا ترويض كل مصادر السخط والاستياء ، وسيكون الاعتراف العالمي بمركز الصين موحدا لها ويسمح لها بالعيش بهدوء محلي نسبي في العقدين القابلين . وستعاني كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي من مشكلات داخلية حادة . وستفقد الولايات المتحدة سيطرتها الدولية وستعاني اقتصاديا من تقادم وعدم كفاية مصانعها ويزداد عبؤها العسكري ولن تقدر على منافسة الاستثمارات النامية في أوروبا الغربية واليابان . وازدياد دخول الأيدي العاملة الرخيصة سيقوى مركز السود والامريكيين اللاتينيين مما يسبب نزاعا اجتماعيا حادا قد يؤدي الى اندلاع حرب أهلية .

انحسار النفوذ الرأسمالي

وسيشهد العالم تحولا الى الاشتراكية في ثلاث نواح : باعلان ذاتي ، وبتملك الدولة وسائل الانتاج الأساسي أو وحدات التسويق بالتركة الأيديولوجية للحركات الرائدة ضد النظام . وسيعتمد استمرار النظام الرأسمالي العالمي في الثمانينيات والتسعينيات ـ بدرجة أقل ـ على طبيعة انهيار عدد هياكل الدول قديمة الطراز ـ وبدرجة أكبر ـ على حقيقة الهياكل الجديدة .

ويؤكد الكتاب كلهم انحسار قوة الولايات المتحدة وضعف مركزها الاقتصادي والمالي والسياسي والعسكري . وفي الوقت نفسه يتوقعون قيام محورين دوليين جديدين يضم الأول : أوروبا الغربية (ربما بدون بريطانيا) والاتحاد السوفيتي وأوروبا الشرقية ، ويضم المحور الثاني : الولايات المتحدة والصين واليابان . ويكتفون بذكر ذلك دون مناقشة النتائج والمنافع والاضرار التي تترتب على قيام هذين المحورين . والمؤشرات والاتجاهات السائدة حاليا لاتسند هذا الرأي فلا يزال الاتحاد السوفيتي بعيدا عن قبول مباديء اقامة علاقات ودية مع الغرب . فكيف يمكن القفز الى احتمال دخوله في موالفات وتحالفات (ناهيك عن المحاور) مع الغرب . هذا الرأي مجرد افتراض ذهني . ويصح القول نفسه على احتمال انتظام الولايات المتحدة والصين واليابان في تحالف واحد .

كما ويعزون ضعف الولايات المتحدة الى العوامل الآتية : ـ

ان اضمحلال مركزها ليس من صنع يديها ، بل هو نتيجة سرعة بروز منافسيها . تعاني الولايات المتحدة من ضخامة كياناتها وأجهزتها ، مما يجعلها أقل مرونة ويجعل اجراء أي تعديل أو تكييف صعبا وأكثر كلفة ، وخاصة في معالجة البيروقراطية الطفيلية . فالولايات المتحدة لاتستطيع المنافسة في تخفيض التكاليف تجاه اليابان والمانيا الدولتين اللتين تمكنتا من تحقيق الكثير في هذا الميدان .

أصبحت ثروة الولايات المتحدة عقبة في قدرتها على المنافسة في اقتصاد عالمي متوسع .

اذ تزيد المصالح المثبتة من تكلفتها وعرقلة السياسات الاصلاحية وخاصة تلكم التي تمس منافع هذه المصالح .

تقلل كثرة دول أوروبا الغربية من قوة الحركات السياسية والوطنية ومن آثارها بينها تجد أن النظام قد أصابه الشلل بقدرة الحركات السياسية أو الوطنية أو العرقية في الولايات المتحدة .

ظهور اليابان وأوروبا وضعف الولايات المتحدة ليس حصيلة التقدم التكنولوجي الرائد .

اذ أن المهم هو خلق قدرة اجتماعية لاستخدام أمثل وسلمي للتكنولوجيا .

العالم الثالث

أما بالنسبة للعالم الثالث فلا يزال جزءا مهما من الاقتصاد الرأسمالي العالمي . وهذه السمة جعلت (الأزمات) في المراكز تنتقل الى العالم الثالث خالقة صعوبات شديدة في موازين المدفوعات . فعندما ينخفض في الاقطار الصناعية أو يتباطأ تميل اثمان المواد الأولية (غير النفط) المصدرة اليها الى الانخفاض [٢] . وبتأثير التضخم المطرد تتدنى نسب التبادل التجاري للبلدان النامية وتعاني من مشكلات في موازين مدفوعاتها ومن أتعاب مديونيتها المتراكمة باطراد . واكثر أعباء زيادات أثمان البترول في الماضي تحملتها دول العالم الثالث . والأموال النفطية تدور وتقرض الى الدول النامية بتكاليف عالية وشروط مجحفة . ولصعوبة (بل استحالة) تسديد الفوائد والاقساط وبضغط من صندوق النقد الدولي ، تصبح هذه الدول تحت رحمة الدول الدائنة وضغوط الصندوق المذلة في أكثر الأحوال .

وقد اعتمد الكتاب مراجع يعول عليها حديثة رغم انها تمثل اتجاها فكريا واحدا . ويظهر من الاطلاع على المراجع الواردة في صفحات الملاحظات أن ما جاء في صفحات الكتاب (٢٤٨) هو اعادة كتابة (صياغة) ما جاء في المراجع . أي أن الكتاب يحوي اعمالا سبق نشرها . فلم يضف الكتاب جديدا .

ويعاني القارىء من قراءة الكتاب ومحاولة استيعاب ما ورد فيه أو ما يقصد الكتاب ايصاله اليه . فلغته واسلوبه ليست سلسة ويتسم ما جاء فيه بالتكرار واعادة الصياغة وتتماثل فيه آراء وحجج ومواقف الكتاب الاربعة .

ولا شك أن القارىء ليتوقع من الكتاب الافاضل انتهاج اسلوب ابداء الرأي الشخصي وذكر الآراء المؤيدة والمخالفة واستخدام منطق الحوار والرد على الحجة بحجة وترك الاستنتاج النهائي للقارىء الفطن .

ويتجلى لمن يقرأ هذا الكتاب القيم العالية التي عالج فيها الكتاب الموضوعات التي أسهموا بها والمستوى الرفيع الذي بلغوه في صياغة افكارهم ومحاولة اقناع القارىء لاستيعاب ما يرغبون في ايصاله اليه . فقد افترضوا ابتداء ، موت الرأسمالية ثم أماتوها . ولكنهم اختلفوا في جسد وعقل وروح ولون من سيخلفها . وسيكشف الزمن عن طبيعة وهوية الوارث ولكن بعد حين .

هذا ما استطعنا سبر غوره ولمن يرغب في التوسع والنزول الى الاعماق أن يقرأ الكتاب وأملنا أنه سيحصل على الكثير . □□

---

(٢) وحتى اثمان النفط الخام انخفضت اخيرا من ٣٤ دولارا الى ٢٩ دولارا للطن نتيجة الصدمة الاخيرة في سوق النفط العالمي .

من مكتبة العربي

خيار التصنيع

المؤلف : د . محسون جلال .
الناشر : ـ الدار السعودية للنشر ـ جدة .
سنة النشر : ـ ١٩٨٣ .

● ما زالت الأبحاث تنشر ، وحلقات النقاش تعقد لمناقشة الكيفية التي يمكن الخروج فيها من واقعنا المتخلف .

ومن الأسئلة المهمة المطروحة : لو لجأنا الى خيار التصنيع ، فما الذي يضمن لنا عدم وقوعنا تحت رحمة الجهات التي ستبيعنا آلات التصنيع وقطع غيارها ؟

النقاش ما زال مستمرا . . والكتاب الذي نعرض له يحاول الاجتهاد في هذا المجال مركزا على خيار التصنيع في المملكة العربية السعودية . وقد لخص أهداف ذلك الخيار بالتالي :

١ ـ نقل التقنية الصناعية المتقدمة خاصة في مجال الصناعات التحويلية في البتروكيماويات والصناعات الهندسية والميكانيكية .

٢ ـ المساهمة في توسيع القاعدة التصديرية .

٣ ـ المساهمة في تنويع مصادر الدخل .

٤ ـ تحقيق درجة أعلى من الاكتفاء الذاتي والمساهمة في رفع درجة الاستقلالية الاقتصادية .

٥ ـ تخفيض درجة الاعتماد على قطاع الاستيراد . .

٦ ـ تقوية التعاون الصناعي والتقني بين الأقطار العربية .

٧ ـ تحقيق أقصى العائدات على المواد الاقتصادية التي يتم استثمارها .

دراسة حول واقع الأسرة البحرينية

اصدار : ـ جمعية الاجتماعيين البحرينية ـ المنامة .
تأليف : ـ فاروق أمين .
سنة الاصدار : ـ ١٩٨٣ .

○ قليلة هي الدراسات التي تتناول جوانب معينة في مجتمعاتنا العربية .

وبالرغم من أهمية الدور الذي تلعبه الأسرة في المجتمع فانها لم تعط ذلك الاهتمام الذي يبرز دورها بالشكل الذي هو عليه ، كما يقول المؤلف .

والدراسة التي بين أيدينا درست واقع الأسرة في البحرين دراسة تاريخية تحليلية ووقفت على أهم عوامل التغير فيها ونتائج ذلك التغير . على أساس أنها جزء من البناء الاجتماعي العام . الذي تطلب من الباحث دراسة الأوضاع الاقتصادية والسياسية للمجتمع البحريني .

وقد توقف الباحث عند مرحلتين اساسيتين في حياة الاسرة البحرينية : الأولى وضعها قبل بروز وتأثير الثروة النفطية ، الثانية : بعد بروز تأثيراتها . . . وعقد مقارنة بين الوضعين ، ودعم اجتهاداته بالأرقام والاحصاءات التي تتعلق بجوانب معينة من موضوع دراسته .

من مكتبة العربي

بحث في الاقتصاد السياسي

للتخلف والتقدم والنظام الاقتصادى العالمى

المؤلف : ـ د . عارف دليلة .

دار النشر : ـ دار الطليعة ـ بيروت .

سنة النشر : ـ ديسمبر ١٩٨٢ .

○ لقد أصبح شائعا بين الكثير من الجهات أن علم الاقتصاد رغم امكانياته المتطورة ووسائله التحليلية المتشعبة ـ لم يعد قادرا على تحليل المشكلات القائمة ، وايجاد الحلول المناسبة لها .

فهل في هذا القول ما يطابق الواقع فعلا ؟

يحاول المؤلف تفنيد تلك الأقوال ويبين عدم واقعيتها أو علميتها ، ويتطرق الى ثلاثة محاور : ـ

ـ المحور الأول يتعلق بمقومات علم الاقتصاد نفسه ، كعلم يبحث في مسائل التخلف والتنمية والتقدم .

ـ المحور الثاني يتعلق بالمواقف الشخصية من العلم مع ما يستتبع ذلك من اسقاطات ضعيفة ومتحيزة .

ـ المحور الثالث يتعلق بحتمية ارتباط العوامل الداخلية والخارجية في التطور الاقتصادي والاجتماعي واستحالة فصلها بعضها عن بعض . وتطبيقا لهذا المنهج يمتحن المؤلف بعض المفاهيم الشائعة في علم الاقتصاد الجامعي للبلدان النامية ويدرس أزمة التنمية على ضوء الفكر التنموي الجديد .

النشاط الصهيونى بتونس بين ١٨٩٧ ـ ١٩٤٨

المؤلف : الهادى التيمومي

سنة النشر : ١٩٨٢ .

○ بالرغم من كون الحركة الصهيونية في تونس لا تمثل ـ ولم تمثل ـ ثقلا مهما في مسار الحركة الصهيونية نجد أن القاء الأضواء على دورها في قطر من الأقطار العربية يفيدنا في الاطلاع على جوانب خافية في مسيرة تاريخنا الحديث . ويراكم لنا خبرات ووثائق وملامح واحداثا كنا لا نعيرها اهتماما كافيا .

وقد اختار مؤلف الكتاب سنتين من أهم السنوات في تاريخ الحركة الصهيونية ـ الأولى سنة ١٨٩٧ وهي السنة التي انعقد فيها المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بال بسويسرا ، والثانية سنة ١٩٤٨ وهي السنة التي أعلن فيها عن قيام دولة « اسرائيل » على أرض الفلسطينيين العرب .

وبين هذين الحدثين المهمين رصد المؤلف النشاط الصهيوني في تونس وتتبع أهم تياراته وطروحاته وأكد أن الاحتلال النازي لتونس وما نجم عنه من اضطهاد لليهود فيها ثم قيام دولة « اسرائيل » في فلسطين ، كانا من أهم العوامل التي أثرت على وضع اليهود في تونس ، وجعلت الكثيرين منهم يرتبطون بالحركة الصهيونية .

ويسجل محمود درويش في مقدمته للكتاب ملاحظة مهمة .... فيقول :

ولا يبدو لي أن قيمة الدراسة التي يقدمها الأستاذ التيمومي تنحصر في ملاحقة تطور الحركة الصهيونية في تونس وأوضاع اليهود فيها ، بل تتجاوزها الى دراسة الوضع الاجتماعي والسياسي في تونس أثناء الفترة المدروسة .

حوار القراء

اعداد
يوسف الشهاب

واقع المجتمع الغربي

● لدى بعض الملاحظات حول موضوع « البطاقة الأخيرة » الذي جاء في باب « المرأة والاسرة » المنشور في العدد (٢٩٩) اكتوبر ١٩٨٣ م وهي : -

أولا .. ان هذا الموضوع مأخوذ من واقع المجتمع الغربي ويحمل جملة من الافكار ومن أنماط السلوك الغربية عن عادات مجتمعنا العربي الاسلامي ، ومن هذه الافكار شرب الخمر ... الرقص ... وغيرها ..

ثانيا .. أود أن اتساءل ، أليس من الأفضل الاستعانة بموضوعات تنبع من واقعنا الشرقي العربي الاسلامي وهو زاخر بها دون شك ؟ واذا كان لابد من سياقة موضوعات كهذه فالافضل أن تتضمن الاشارة الى أوجه الاختلاف بين أخلاقهم واخلاقنا والتعليق عليها ، خشية وقوع بعض السطحيين في تقليدها ، مثل تقليد الأزياء والافلام والمسلسلات التلفزيونية - ويمكن أيضا الاشارة الى محور القصة ، وهو التفكك الاسرى في المجتمع الغربي .

محمد عبد الجليل ناصر - الدقهلية/مصر العربية

الأرض لا تدور

● أسعدني وأثلج صدري ما قرأته في موسوعة العربي (صفحة ١١٦ من عدد يونية رقم ٢٩٥) بعنوان : « أمريكيون ينكرون كروية الارض » .

وكنت قد نشرت نظريتي « الأرض لا تدور » الجزء الاول ، في أغسطس ١٩٧٦ .. ثم الجزء الثاني (المرفقة نسخته) في أول مايو ١٩٧٨ ، وفيه نقضت نظريات الغرب القائلة بكروية الارض ودورانها .. مستمدا أصول هذه النظرية من الآيات الكونية في القرآن الكريم .. واستشهدت كذلك باكتشافات رواد الفضاء الذين تراءت لهم صورة الارض ، حيث أثبتوا ان الارض على شكل بيضاوي ..

فهل تتفضلون بموافاتي بالعنوان الكامل لجمعية الارض المنبسطة .. ؟

وتفضلوا بقبول الشكر ..

عبد الستار محمد الحواري - القاهرة/جمهورية مصر العربية .

العربي : عنوان الجمعية الذي في حوزتنا هو التالي : -

International Flat Earth Society
Lancaster, California, U. S. A. وهو عنوان غير كامل كما ترى .. ولعلك تستطيع الحصول على العنوان الكامل بالكتابة الى دار النشر التالية

Messrs. Readers Digest Association, Inc.,
P. O. Box 235,
Pleasantville,
New York 10570
U. S. A.

ذلك أن دار النشر هذه - وهي التي تصدر مجلة الريدرز دايجست المعروفة - هي التي نشرت سنة ١٩٧٥ الكتاب التالي ، وهو المرجع الذي اعتمدناه في كتابة ماكتبناه عن جمعية الارض المنبسطة (ص ٣١٤ ، ٣١٥ منه بالتحديد) .

Strange Stories and Amazing Facts

حوار القراء

وتجدر الاشارة الى أن هذا الكتاب ضخم نسبيا ، ويجمع بين الطرافة والدقة العلمية . . . وقد تناول واضعوه ! جمعية الأرض المنبسطة ، لا بقصد الدعوة لها . وانما بدافع التندر بآرائها الطريفة ، وامتاع القراء بمعتقداتها الغريبة . .

اذ أن كروية الأرض ودورانها حول الشمس لم تعد تلك النظرية العلمية التى تحتاج الى الأدلة العلمية المقنعة لاثباتها . . بل إنها أصبحت حقيقة ثابتة مؤكدة ، ان لم نقل بديهية ، وقد تجلت بما لايقبل أى شك فى آلاف الصور الفوتوغرافية التى التقطت للارض من الفضاء .

وحسبك أن الكنيسة الكاثوليكية التى طالما أنكرت تلك الحقيقة ، وأكدت أن الارض منبسطة وثابتة فى مكانها . . قد تراجعت عن موقفها هذا مؤخرا وأعلنت انها كانت مخطئة فيه ، وانها ظلمت العالم الايطالى الشهير جاليليو الذى أدانته لأخذه بتلك الحقيقة ، وحكمت عليه سنة ١٦٣٣ بقضاء السنوات الأخيرة من حياته سجينا فى بيته . . لا لسبب الا لأنه أقام الأدلة المقنعة التى أثبتت تلك الحقيقة .

وقد جاء تراجع الكنيسة هذا على لسان البابا نفسه ، وذلك فى الندوة العلمية التى أقيمت فى روما فى مطلع شهر مايو - أيار الماضى (سنة ١٩٨٣) وذلك بمناسبة مرور ٣٥٠ عاما على صدور كتاب جاليليو الشهير ، (حوار حول كروية الأرض وانبساطها)

ومن طريف ما يذكر ان جاليليو عبر فى هذا الكتاب عن كلتا النظريتين بكل أمانة ونزاهة . . وان الحجج التى أوردها لاثبات انبساط الارض وسكونها لم تكن أقل قوة من الحجج التى ساقها لاثبات كروية الأرض ودورانها .

وبالرغم من هذه الامانة . . أو لعله بسببها، انتهى الذين قرأوا ذلك الكتاب ، - أكثرهم ان لم نقل كلهم - الى التسليم بحقيقة كروية الأرض ودورانها .

البصير . . وأثر المتنبى

● قرأت ما كتبه الاستاذ عبد الرزاق البصير ، فى العدد (٢٩٩) حول كتاب عبد العزيز التويجرى « فى أثر المتنبى بين اليمامة والدهناء » وكم وددت أن يكون هذا الكتاب موجودا فى مكتباتنا فى العراق ، اذ اننى بحثت عنه كثيرا فلم اجده فى أى مكتبة من مكتبات بغداد .

الشيء الآخر الذى أوده منكم هو اعطائى عنوان الاستاذ عبد الرزاق البصير ، حتى أستطيع مراسلته حول ما كتبه فى العربي ، عن كتاب عبد العزيز التويجرى . .

فاطمة ابريعي - بغداد/الجمهورية العراقية

العربي

عنوان الأستاذ عبد الرزاق البصير :
الكويت - وزارة الاعلام .

الأزهر .. الجانب الآخر

● حول ما جاء في استطلاع الازهر المنشور في العدد (٢٩٥) رأيت ان هناك نقصا في بعض المعلومات أود توضيحها لكل قارىء - فالجامع الازهر من اكبر الجوامع اذ تبلغ مساحته ١٢,٠٠٠م٢ ، ولقد شرع في بنائه عام ٣٥٩ هـ.وأكمل في عام ٣٦١ وعمره الآن أكثر من ألف سنة .

وحينما جاء نابليون ارض مصر عام ١٧٩٨ ، لم يلبث أن تبين أن علماء الازهر هم قادة الشعب ، وأنه لا يستقيم له أمر الا اذا استطاع ان يرضيهم ، فراح يتودد اليهم بمختلف الطرق ، حتى انه زعم انه اعتنق الاسلام ، ووسط الزوابع السياسية التي تلت عصر نابليون وسبقت ولاية محمد علي ، لعب الأزهر دوره بمهارة أيدت هذه المكانة وتلك السلطة .

ولقد مرت بالازهر أطوار مختلفة من الصحة والمرض والتقدم والتأخر والنهوض والتقاعد والانتاج والعقم ، حتى لقد اجتاز فترة من الزمن تجمعت عليه فيها علل ماض طويل واخذت تعمل عملها في غفلة عن التفكير والانتاج وعن كل نافع من العلوم العقلية والكونية ، ولكنه تخلص من علله أخيرا ، وأسهم في مجالات الثقافة الحديثة . كما لعب الأزهر دوره في كل من الثورتين ، العرابية ، وثورة ١٩١٩ ، وهما تمثلان التطلع الى التحرر من الاستعمار وسيطرة الحكم التي عاشتها مصر .

أنور ناظر - حلب - سوريا

العربي .. والكويت

● أعطت مجلة العربي ، ولا تزال تعطي ، الكثير من المواضيع الهامة والشاملة الممتعة عن الكويت شعبا وحكومة ، وقد عرفت من خلال صفحات مجلتنا ، الكثير عن حياة الشعب الكويتي .. اساليبه في العمل وعن عاداته وتقاليده ، هذا بالاضافة الى ما تحويه « العربي » من مواضيع اقتصادية وثقافية واجتماعية تساهم في تنمية ثقافة القارىء العربي واطلاعه على نمط الحياة في الكويت .

لقد وجدت في مجلتكم كل ما يروق لي ، واعجبت كثيرا بشكلها الخارجي وما تتضمنه من أبواب هي أنيسة القارىء في وحدته ، هذا الى جانب ما تعطيه للقارىء من معلومات قيمة مفيدة .

البكراوي السملالي يعقوب - الدار البيضاء - المملكة المغربية .

العربي

الدور الذي تقدمه العربي للقارىء عن الكويت ، هو جزء من رسالتها العربية التي وجدت العربي من أجلها وشكرا لابن المغرب ..

طرائف عربية .. وأنت تسأل

● يسأل الكثير من القراء عن غياب باب « طرائف عربية » وكذلك باب « انت تسأل .. ونحن نجيب » ، ويطالبون باعادة هذه الابواب الى صفحات المجلة نظرا لفائدتها الكثيرة للقارىء ..

ولما كانت هذه الابواب قد الغيت في فترة سابقة ، ونظرا لشعورنا بعد ذلك بضرورة اعادتها ، فقد بدأنا منذ اكثر من اربعة اشهر باعادة هذه الابواب مع تغيير في اسم باب « انت تسأل » حيث ان الاسم الجديد له هو « موسوعة العربي » اما طرائف عربية فانه لم يتغير وهو ثابت بين صفحات العربي - وشكرا ..

« العربي »

المسابقة الثقافية

رقم ٢٠٢

يعيش العربي هذه الأيام مناسبة يوبيله الفضي ، وهذه مناسبة فريدة وجديرة بالاهتمام . . من هنا كان الحرص على أن تكون مسابقة العربي في هذا العدد الممتاز نابعة من تلك المناسبة التي تحتفل بها مع قرائه في كل مكان من الوطن العربي .

ومن هنا أيضا كانت الوجوه المشرقة وأنماط البناء البديعة التي ترى في صور هذه المسابقة الاثنتي عشرة ، والتي أطلّت عليك من خلال استطلاعات العربي المصورة عبر ربع القرن الذي انقضى . .

ولو أنك دققت النظر في هذه الصور لوجدت في ملامح وجوهها وأزيائها أو أنماط البناء فيها ما يميزها ويدلك على هويتها . .

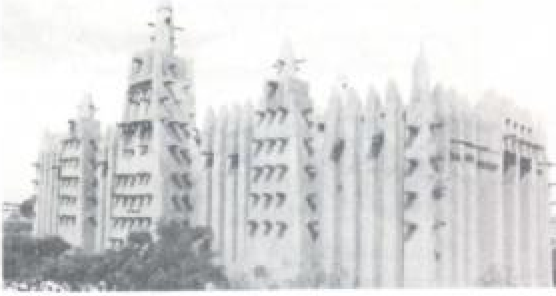

فهل بامكانك التعرف على عشر منها فقط فتذكر اسم البلد الذى تنتمى اليه كل واحدة منها .

وتبقى شروط هذه المسابقة كشروط المسابقات الثقافية السابقة . . مع فارق هام . . خاص بقيمة الجوائز التى توزع على الفائزين فيها وفى كافة مسابقات العربى الثقافية التى ستعقبها . . فقد تقرر أن تبلغ قيمة هذه الجوائز بمجموعها ـ/ ١٨٠ دينارا كويتيا وأن توزع على الوجه التالى :

الجائزة الأولى ـ/ ٥٠ دينارا

الجائزة الثانية ـ/ ٣٠ دينارا

الجائزة الثالثة ـ/ ٢٠ دينارا

يضاف الى ذلك ثمانى جوائز تشجيعية قيمة كل منها ـ/ ١٠ دنانير

جوائز العربى قيمتها أكثر من ألفى دينار سنوياً .

معركة بلا سلاح

كتابة الأدوار بالطريقة الجبرية

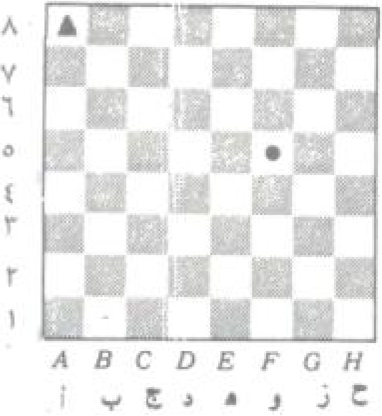

درجنا في أعدادنا السابقة على كتابة الأدوار والمسائل الشطرنجية بالطريقة الوصفية حيث تنسب أعمدة الرقعة الى القطع التي تحتل أعلاها وقد شرحنا هذه الطريقة بالتفصيل في عددي يناير وفبراير من العام الماضي وقد رأينا الابتداء بها لأن معظم الكتب والمجلات العربية والافرنجية التي تعني بالشطرنج تكتب بهذه الطريقة . أما الطريقة الثانية والتي تعرف بالطريقة الجبرية وتنسب الى لاعب سوري ظهر في القرن الماضي اسمه ستاما الحلبي فهي أبسط وأكثر سهولة ودقة من الطريقة الوصفية مما حدا بالاتحاد الدولي للشطرنج الى تبنيها وإقرارها لكتابة الأدوار والمسائل الشطرنجية منذ عام ١٩٨٢ .

ويرمز للقطع في الطريقة الجبرية بالحرف الأول من اسمها كما هو الحال في الطريقة الوصفية عدا البيدق الذي يأخذ اسم المربع الذي يحتله ، أما الأعمدة فتسمى بحروف أبجدية من اليسار الى اليمين كما يظهر في الشكل أدناه .

وقد رأينا أن نأخذ في العربية أيضاً بنفس الاتجاه تسهيلاً على القراء الذين اعتادوا الرجوع الى المصادر الأجنبية التي تأخذ جميعها بهذا الاتجاه .

ونجد في الشكل أعلاه الأعمدة مكتوبة بالأبجدية الافرنجية وتحتها بالأبجدية العربية المقابلة لها أما الصفوف فقد رُتبت من ١ إلى ٨ ابتداءً من حاشية الأبيض . وهكذا يُرمز للمربع الذي تحتله الدائرة : و٥ والمربع الذى يحتله المثلث : أ٨ . . . . . ولا تتغير تسمية المربعات بتغير لون القطعة التي تحتلها كما هو الحال في الطريقة الوصفية بل تبقى هي نفسها للأبيض والأسود على حد سواء .

مسألة شطرنجية

يبدو لأول وهلة أن الموقف سينتهي بالتعادل لا محالة ، فملك الأسود يستطيع ان يظل يتحرك في المربعين « ح ١ » و « ف ٢ » إلى ما لا نهاية أو ينتهي الدور بالتعادل بالتجميد اذا تقدم ملك الأبيض إلى « م ٦ » . ولكن الأبيض يستطيع أن يكسب الدور في أربع نقلات ونحن بانتظار ردك أيها القارىء حتى منتصف الشهر القادم .

مدرسة المنهل العالمية

عمّان

ترحب بأبنائكم كل صيف في :

دورة هوازن العربية

* تقام في عمان حيث الطقس المنعش والطبيعة الخلابة، وتقدم
* الدروس الانجليزية والفرنسية للعرب والعربية للأجانب
* الأنشطة الرياضية والاجتماعية والثقافية
* زيارة المعالم السياحية في الأردن بالتعاون مع وزارة السياحة والآثار الأردنية

للاستفسار : مدرسة المنهل العالمية ص . ب :- ١٣٠٨٩ - عمّان - المملكة الأردنية الهاشمية .

« تنتهج مدرسة المنهل العالمية تعاونا شاملا مع الانترناشونال كولج بيروت »

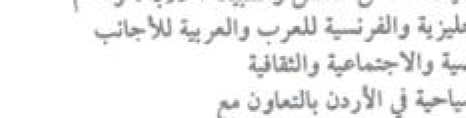

من المسرح العالمى

سلسلة ثقافية

تصدرها فى مطلع كل شهر

وزارة الإعلام فى الكويت

أول يناير ١٩٨٤

١٧٢

الآلة الحاسبة

تأليف : إلمر ل. رايس

ترجمة وتقديم : د. طه محمود طه

مراجعة : د. على الراعي

المجلة العربية للعلوم الإنسانية

مجلة فصلية محكمة ، تقدم البحوث الاصيلة والدراسات الميدانية والتطبيقية في شتى فروع العلوم الانسانية والاجتماعية باللغتين العربية والانجليزية .

تصدر عن جامعة الكويت

صدر العدد الأول في يناير ١٩٨١

رئيس التحرير **د. عبدالله العتيبي**

مدير التحرير **عبدالعزيز السيد**

- تتناول المجلة الجوانب المختلفة للعلوم الانسانية والاجتماعية بما يخدم القارىء والمثقف والمتخصص .
- تعالج موضوعات المجلة الميادين التالية :

  اللغويات النظرية والتطبيقية – الآداب والآداب المقارنة – الدراسات الفلسفية الدراسات النفسية – الدراسات الاجتماعية المتصلة بالعلوم الانسانية – الدراسات التاريخية – الدراسات الجغرافية – الدراسات التربوية – الدراسات حول الفنون (الموسيقى – التراث الشعبي – الفنون التشكيلية – النحت ... الخ) – الدراسات الاثارية (الاركيولوجية) .
- تقدم المجلة معالجاتها من خلال نشر :

  البحوث والدراسات – مراجعات الكتب – التقارير العلمية – المناقشات الفكرية .
- مواعيد صدور المجلة : كانون ثاني – نيسان – تموز – تشرين أول .
- تنشر المجلة ملخصات للبحوث العربية بالانجليزية ، وملخصات بالعربية للبحوث الانجليزية .

ثمن العدد : للأفراد ٤٠٠ فلس

للطلاب ٢٠٠ فلس

الاشتراكات السنوية

	داخل الكويت	في الخارج
– للمؤسسات	١٠ د.ك.	٤٠ دولاراً أمريكيا
– للأفراد	٢ د.ك.	١٥ دولاراً أمريكيا
– للاساتذة والطلاب	١ د.ك.	١٠ دولارات أمريكية

- تقبل الاشتراكات في المجلة لمدة سنة أو عدة سنوات .
- قواعد النشر تطلب من رئيس التحرير .
- جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير :–

ص.ب : ٢٦٥٨٥ (الصفاة)

الكويت – الشويخ – ت : ٨٢١٦٣٩ – ٨١٧٦٨٩ – ٨١٥٤٥٣

عالم المعرفة
سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت
يناير ١٩٨٤ م

التخطيط للتقدم الاقتصادي والاجتماعي

الدكتور مجيد مسعود

٥٠٠ فلس
الكتاب الثالث والسبعون

المراسلات :
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

مجلة العلوم الاجتماعية

تصدر عن جامعة الكويت

فصلية اكاديمية علمية مختصة بالشؤون النظرية والتطبيقية في مختلف حقول العلوم الاجتماعية

رئيس التحرير د. أسعد عبد الرحمن

سكرتير التحرير عبد الرحمن فايز

يحوي العدد حوالي ٢٠٠ صفحة تشتمل على :

- ابحاث بالعربية تعالج مختلف حقول العلوم الاجتماعية.
- مراجعات لكتب حديثة تبحث الموضوعات التي تعالجها المجلة.
- ملخصات.
- ابواب ثابتة : تقارير علمية. دليل الجامعات والمؤسسات التعليمية العليا.
- ندوة العدد.

الاشتراكات :

للمؤسسات والدوائر الحكومية : في الكويت ١٢ دينارا ، في الخارج ٤٥ دولار أو ما يعادلها.

للأفراد : في الكويت ديناران كويتيان ، دينار للطلاب.

في الوطن العربي : ديناران ونصف كويتيان أو ما يعادلها ، ديناران للطلاب.

في الدول الاخرى : ١٥ دولارا أمريكيا أو ما يعادلها.

توجه جميع المراسلات والابحاث باسم رئيس التحرير على العنوان التالي :
مجلة العلوم الاجتماعية - جامعة الكويت - ص.ب : ٥٤٨٦ الكويت
هاتف : ٥١٠١٨٨ / ٣٧٢ / ٢٥٠

مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية

تصدر عن جامعة الكويت

رئيس التحرير
الدكتور عبدالله الغنيم

صدر العدد الأول في كانون ثاني (يناير) ١٩٧٥

تصل أعدادها الى أيدي نحو ١٢٥,٠٠٠ قارئ

يحتوي كل عدد على حوالى ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير تشتمل على : -

- مجموعة من الأبحاث تعالج الشئون المختلفة للمنطقة بأقلام عدد من كبار الكتاب المتخصصين في هذه الشئون .
- عدد من المراجعات لطائفة من أهم الكتب التي تبحث في المناحي المختلفة للمنطقة .
- أبواب ثابتة : تقارير - وثائق - يوميات - ببليوجرافيا .
- ملخصات للأبحاث باللغة الانجليزية .

ثمن العدد : ٥٠٠ فلس كويتي أو ما يعادلها في الخارج .

الاشتراكات : للأفراد سنويا ديناران كويتيان في الكويت ، ١٥ دولارا أمريكيا في الخارج (بالبريد الجوي) .

للشركات والمؤسسات والدوائر الرسمية : ١٢ دينارا كويتيا في الكويت ، ٤٠ دولارا أمريكيا في الخارج (بالبريد الجوي) ؛

منشورات المجلة :

تصدر المجلة أيضا دراسات مستقلة متعلقة بشئون المنطقة صدر منها

١- كتاب التكامل الاقتصادي في الخليج العربي (د . محمد هشام خواجكية) ، ١٩٧٩ .
٢- كتاب آفاق التنمية الصناعية في دول الخليج العربي (د . عبد الاله أبو عياش) ، ١٩٧٩ .
٣- كتاب حقوق الطفل في دولة الكويت (د . بدرية العوضي) ، ١٩٧٩ .
٤- كتاب الاحصاءات الاقتصادية في المملكة العربية السعودية (بدوي خليل) ١٩٨٠ .
٥- دور جريدة فتاة الجزيرة في أحداث عام ١٩٤٨ بصنعاء (سلطان ناجي) ١٩٨٠ .

سلسلة وثائق الخليج والجزيرة العربية لعام صدر منها :

الكتاب الأول : وثائق الخليج والجزيرة العربية لعام ١٩٧٧ ، ١٩٧٩ .

العنوان : جامعة الكويت - كلية الآداب والتربية - الشويخ - دولة الكويت .
ص . ب : ١٧٠٧٣ - الخالدية
الهاتف : ٨١٦٨٠٧ - ٨١٦٧٩٩ - ٨١٦٨٢

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير .

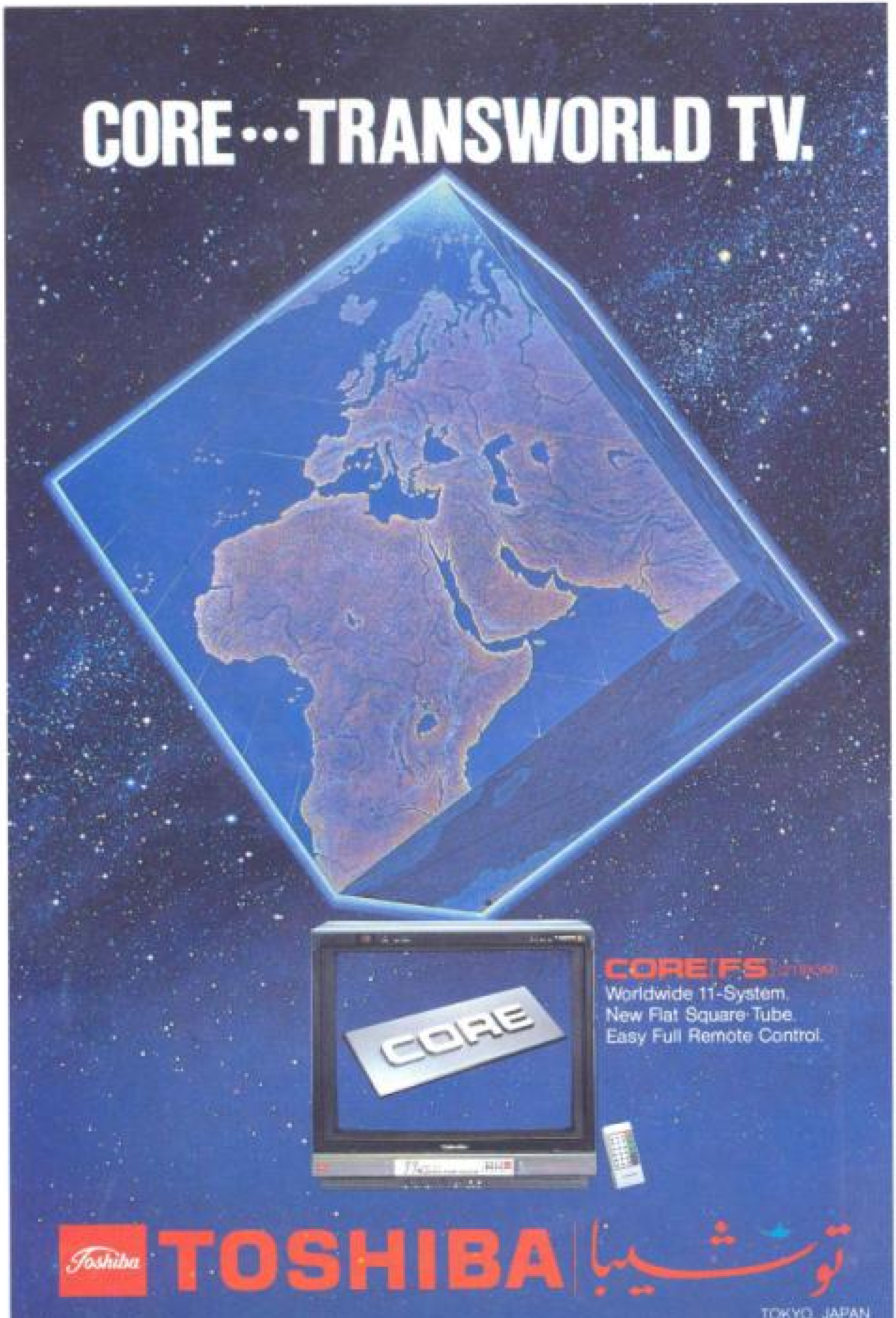
CORE···TRANSWORLD TV.
CORE
CORE FS
Worldwide 11-System.
New Flat Square Tube.
Easy Full Remote Control.
TOSHIBA
توشيبا
TOKYO, JAPAN

اليوبيل الفضي

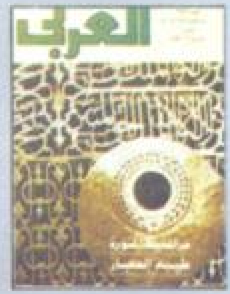

أسعار
العدد
بالداخل

العربي

ربيع الثاني ١٤٠٤هـ - فبراير (شباط) ١٩٨٤م

أطباء من الكويت لِكُلّ العرب

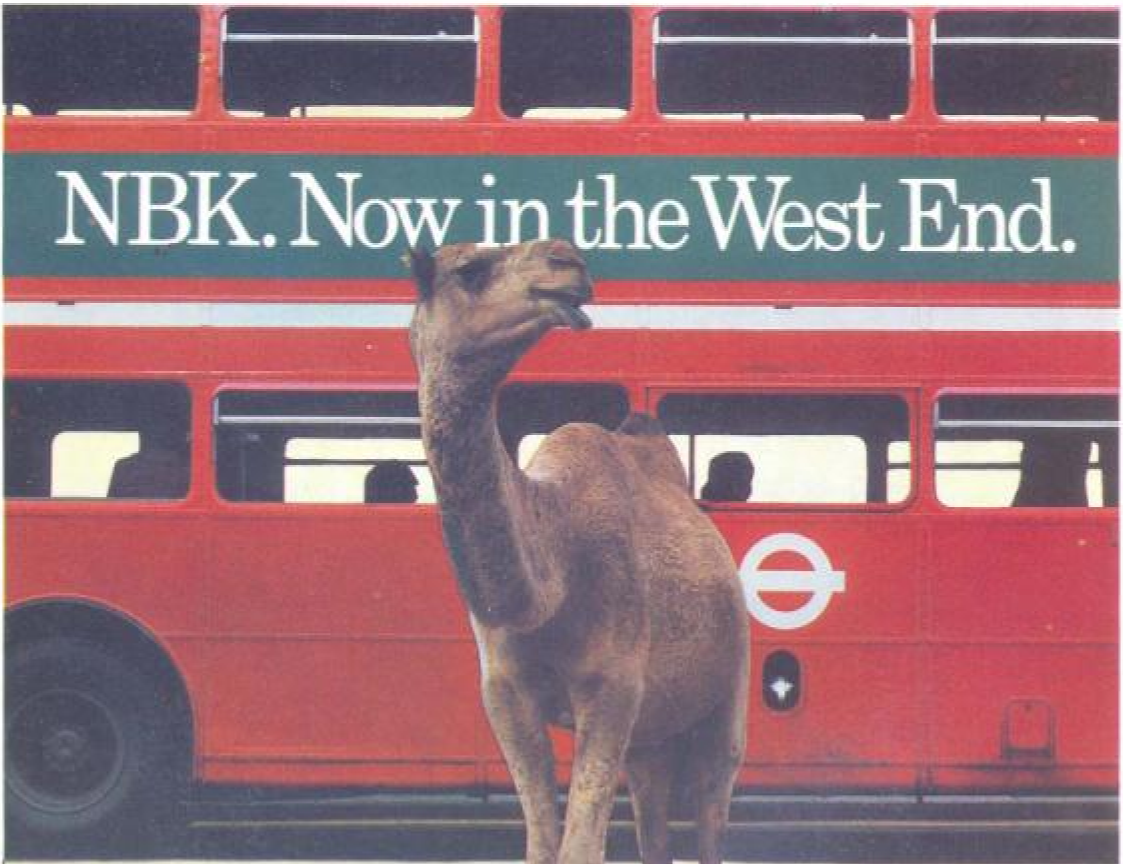

كافة الخدمات المصرفية يقدمها لك
بنك الكويت الوطني عند زيارتك القادمة للندن

بنك الكويت الوطني، اقدم واكبر بنك في الكويت، افتتح فرعه الثاني في قلب الوست اند من لندن. هذا الفرع الجديد الذي يقع بمحاذاة شارع اوكسفورد على مقربة من ماربل آرش فتح خصيصا لمساعدة الزائرين الكويتيين ويجعل اقامتهم في لندن كمرة، وذلك بتقديم النصح لهم وتوفير مجموعة شاملة من الخدمات المصرفية الشخصية.

اوقات الدوام كالآتي: من الاثنين الى الجمعة ٩٫٣٠ الى ٣٫٣٠ بعد الظهر، يوم السبت من ٩٫٣٠ حتى ١٢٫٣٠ بعد الظهر.

- فرع وست اند: ١٨ اورشارد ستريت، لندن W1، مقابل محلات سيلفردجز تلفون ٦٨١١ ٩٣٥ (٠١)
- لندن - فرع السيتي: ٩٩ بيشوبس جايت، لندن EC2، تلفون ٢٦٢ ١٩٢٠ (٠١)، تلكس ٨٩٢٣٤٨

بنك الكويت الوطني ش.م.ك
The National Bank of Kuwait SAK
بنك تعرفه وتثق به.

مكتب الكويت الرئيسي: ص.ب ٩٥ الصفاة، الكويت، تلفون ... تلكس ... غرفة تداول العملات: تلفون ... تلكس ...

العربي

مجلة ثقافية عربية مصورة

رئيس التحرير

د. محمد الرميحي

تصدر شهرياً عن وزارة الإعلام
بدولة الكويت للوطن العربي
ولكل قارئ للعربية في العالم
المجلة غير ملتزمة بإعادة أي مادة تتلقاها
للنشر والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

المراسلات

باسم رئيس التحرير

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة
قسم الإعلانات

الاشتراكات

ترسل الطلبات إلى : قسم الاشتراكات
للمكتب الفني - وزارة الإعلام
ص.ب ١٩٣ الكويت

على طالب الاشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية، أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الإعلام طبقاً لما يلي :
الوطن العربي ٤ د.ك - باقي دول العالم ٦ د.ك

ثمن العدد

الكويت	٢٥٠ فلساً	السعودية	٥ ريالات
العراق	٢٥٠ فلساً	اليمن الشمالي	٣ ريالات
الأردن	٢٠٠ فلس	قطر	٥ ريالات
البحرين	٣٠٠ فلس	لبنان	٣ ليرات
اليمن الجنوبي	٢٥٠ فلساً	سوريا	٣ ليرات
مصر	٢٥٠ مليماً	الامارات	٥ دراهم
السودان	٢٠٠ مليم	المغرب	٣ دراهم
تونس	٤٠٠ مليم	ليبيا	٢٥٠ درهماً
الجزائر	٤ دنانير	سلطنة عمان	ربع ريال
بريطانيا	جنيه استرليني	أوربا وإيران	أو جنيه استرليني
فرنسا	١٥ فرنكاً	أمريكا	دولارات

العدد ٣٠٣
فبراير ١٩٨٤

عنوان المجلة بالكويت
ص.ب ٧٤٨ صفاة
ت : ٤٢٧١٤١ - ٤٦٨٢٤٢٩٢
برقياً : « العربي » الكويت

AL-ARABI
Issue - No. 303. Feb. 1984

A Cultural Monthly
Arabic Magazine
in Colour
Published by :
MINISTRY OF
INFORMATICN
STATE OF KUWAIT.

عزيزي القارئ

نستميحك عذرا . . عندما لا نكتب هـذه المرة حـول شؤون « البيت الصغير » . . شؤون مجلتك « العربي » ـ وهموم العمل ومشكلات الصحافة ، فقد أخذتنا هموم الوطن « الكويت » بعيدا عن هموم الصحافة .

ففي يوم الاثنين الموافق ١٢ ديسمبر الماضي . ـ وكنا قد فرغنا من طبع العدد الممتاز ـ روعت الكويت أهلها وسكانها بجرائم ارتكبتهـا أيد آثمـة ، أرادت قلب السكون إلى عاصفة ، والسلام إلى اضطراب .

والكويت التى هزها هذا الحدث الأليم ، اهتزت معها كل قلوب العرب ، من المحيط الى الخليج ، التى استنكرت هذا الفعل .

هذا البلد الآمن الذى اتبع سياسات متوازنة في الداخل والخارج ، اراد به البعض شرا .

ففي كل مجال من مجالات الحياة ، تجد أن للكويت باعا ايجابيا منذ أن نالت استقلالها في مطلع الستينيات .

فكويت الخير . . نجدها في مشاريع الصندوق الكويتي للتنمية ، وفي المساعدات الاقتصادية التي قامت الكويت وما زالت تقوم بها كواجب عليها تجاه الاشقاء واخوة الدين والأصدقاء في العالم الثالث .

وكويت الديمقراطية . . كان اسمها على كل لسان ، عندما عقد المفكرون العرب اجتماعهم التاريخي في ليماسول بجزيرة قبرص في نهاية شهر نوفمبر الماضى ، وكـانت تجربتها في المشاركة السياسية يشار اليها بالبنان .

وكويت الحرية التى ضربت المثل في التعامل في اطار حقوق الانسان ، والبلد الذى لم يجد مناصرو الحرية والحقوق الا الشكر لسياساته العامة ـ الداخلية والخارجية .

كويت الثقافة العربية . . التى تشع من خلالها منابر للثقافة العربية الأصيلة ، إلى كل أرض العرب ، مساهمة منها في تطوير ونشر الثقافة العربية بين شعوب الوطن العربي ، من أقصاه الى اقصاه .

هذه الكويت تشكر للعرب جميعا مواقفهم من يوم الاثنين الأسود ، وهى ماضية في طريقها باذن الله ، بفضل قلوب كل العرب التى التفت هلعة واجفة خوفا عليها في عيدها الوطنى الثالث والعشرين الذى نستقبله مع نسمات الأمل في المستقبل ، ومع هذا العدد الذى بين يديك ، تكون الكويت بأهلها وساكنيها قد تجاوزت المحنة العابرة ، وهى سائرة على الدرب . . درب العروبة والتقدم .

المحرر

في هذا العدد

◆ أطباء من الكويت لكل العرب ◆

احتفلت الكويت بتخريج أول دفعة من الأطباء على أرضها . . لقد كان عيدا قوميا ولم تكن مصادفة أن يجيء هذا اليوم في الوقت الذي احتفلت فيه البلاد مع أشقائها العرب بعيدها الوطني . . عيد استقلال الكويت ـ الثالث والعشرين .

(اقرأ ص ٦٨)

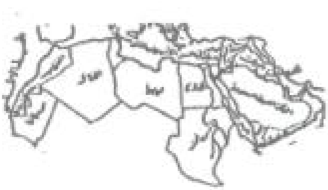

◆ التكامل الاقتصادي العربي ◆

التكامل الاقتصادي الخليجي يمثل تجربة فريدة في العالم الثالث . انه قد يصبح نواة للتكامل الاقتصادي العربي الشامل . ان أية وحدة في أي مجال من مجالات التعاون هي أمنية كل العرب في الوطن العربي من أقصاه الى أقصاه .

(اقرأ ص ٣٦)

◆ الصحافة بين الحرية والتقييد ◆

كيف تكون حرية الصحافة مشكلة ؟ نحن نعرف أن تقييد حرية الصحافة هو المشكلة . . على هذا التساؤل يجيب صحفي ودبلوماسي قديم عاصر الصحافة العربية لأكثر من نصف قرن من الزمان .

(اقرأ ص ٥٦)

◆ طفلي لا يأكل ◆

تميل الأم الى المبالغة في كل ما يتصل بصحة طفلها نتيجة حبها له وتعلقها به . ومن بين المشاكل التي تعيشها الأم وتضطرب لها ، عزوف الطفل عن تناول غذائه ، لماذا لا يأكل الأطفال وما هي طبيعة الأسباب ؟

(اقرأ ص ٩٠)

محتويات العدد

قضايا عامة

■ حديث الشهر : الشفاء من المرض كم فيه من دواء . وكم فيه من ارادة ؟ ـ د. محمد الرميحي ٨

■ مخاطر استثمار أموال البترول العربي .
ـ د. يوسف سليمان الفاضل ١٥

■ التكامل الاقتصادي الخليجي ، نواة للتكامل الاقتصادي العربي الشامل .
ـ محمد ابا الخيل ٣٦

■ الصحافة : حريتها مشكلة وتقييدها مشكلة أكبر .
ـ عبد الحميد الكاتب ٥٦

عروبة واسلام

■ الدين والعلم والشباب
ـ د. عبد العزيز كامل ١٩

■ من التراث : الفراسة والكشف عن باطن الأرض .
ـ د. محمد عيسى صالحية ٤٠

■ العربي من ربع قرن : ـ التعصب للتاريخ .. تعصب ضد الحياة .
ـ عبد الله القصيمي ١٠٨

ـ الديمقراطية والحكم في الاسلام .
ـ حسن صعب ١٠٩

■ حول مقال ثقافتنا المعاصرة بين التعريب والتغريب : كيف نخرج من المأزق الثقافي ؟
ـ عثمان سعدي ١١٠

■ كتاب الشهر : العلاقة بين الاسلام والمجتمع .
ـ ابراهيم محمد أبوربيع ١٧٨

طب وعلوم

■ الحياة في نهاية هذا القرن .
ـ د. صفاء خلوصي ٣٠

■ طفلي لا يأكل .
ـ د. عماد شمسي باشا ٩٠

■ الجديد في العلم والطب .
ـ إعداد : يوسف زعبلاوي ١٠٠

■ لماذا تسقط الأقمار الصناعية ؟
ـ م. سعد شعبان ١٠٣

■ طبيب الأسرة ١٢٩

■ تكنولوجيا الحشرات سبقت الانسان بملايين السنين .
ـ د. عبد المحسن صالح ١٦٩

منتدى العربي

■ كتابة التاريخ .
ـ د. سيار الجميل ١١٥

■ الظاهرة اليابانية ومعجزة الاسلام .
ـ د. إحسان حقي ١١٩

آداب وفنون

■ المخبر العصري « قصيدة » .
ـ د. عبده بدوي ٤٤

■ حديث الذكريات بين شاعر وقصاص .
ـ خالد سعود الزيد ٦٢
■ الوردة البيضاء « قصيدة » .
ـ فاضل خلف ١٢٢
■ العم اسماعيل « قصة » .
ـ د. محمد حسن عبد الله ٩٦
■ صفحة لغة : اذا اجتمع الشرط والقسم فلأيهما يكون الجواب ؟
ـ محمد خليفة التونسي ٤٦
■ تعال نسمع موسيقا وننسى آلامنا .
ـ سناء محمود ديب ١٥٥

تاريخ واشخاص

■ أفارقة عرب : تيوتب : الرصاص والرمح وجهاً لوجه !
ـ جمال محمد أحمد ١٢٣
■ لحظات من الزمن العربي : الجارية ولسع السياط !
ـ د. محمد المنسي قنديل ١٦٠

اجتمــــاع

■ حياة الانسان قيمة أم ثمن ؟
ـ د. حسان حتحوت ٢٦
■ ارقام : تيارات من البشر تعبر الحدود ـ محمود المراغي ٣٤

■ من سجلات المحاكم : وقضى الطبيب الشرعي .
ـ علي منصور ٤٨
■ سيكولوجية الاكتئاب .
ـ د. عبد الرحمن العيسوي ١٥٢

استطلاعات مصورة

■ أطباء من الكويت لكل العرب .. عيد قومي جديد .
ـ منير نصيف ـ ريم الكيلاني ٦٨
■ مهرجان قرطاج المسرحي الأول .. وعي متقدم في التنظير وخيبة وأزمة في العروض .
ـ سليمان الشيخ ١٣٢

أبواب ثابتــة

■ عزيزي القارىء ٤
■ حل مسابقة العدد (٣٠٠) ١٥٨
■ حوار القراء ١٧٥
■ من مكتبة العربي ١٨٣
■ المسابقة الثقافية ١٨٦
■ الشطرنج « معركة بلا سلاح » ... ١٨٨

الشفاء من المرض..

□ الخوف من المرض ، خوف قديم قدم تاريخ الانسان نفسه ، وقد حاول الانسان على مر العصور أن يبتكر أساليب وطرقاً لدرء المرض عنه أو شفائه منه أو ـ على الأقل ـ التخفيف من آلامه ، واختلفت هذه الأساليب وتلك الطرق على مر التاريخ ، كل عصر كانت له أساليبه ، فمن التمائم والتعاويذ الى استخدام المستخرجات الحيوانية ، حتى الانسانية ، الى الاستعانة بالنباتات المختلفة وعلم الدواء الحديث في تطوراته الثورية . . كل هذه التدابير لم تمنع وجود المرض ، وسيبقى المرض ما بقي الانسان على الارض ، كل ما يتغير هو طرق علاجه التي تختلف باختلاف الأزمان .

واذا كان للانسان تعريفات كثيرة ومتعددة تميزه من الكائنات الحية الأخرى ، فأحد تعريفاته الهامة هو أنه المخلوق الذي يتميز من غيره برغبته الذاتية في تناول الدواء ! أو كما قال اندريه مالرو : « انه المخلوق الوحيد الذي يعرف أنه سيموت ! »

فهو اذن يتناول الدواء من أجل درء المرض كسبب مباشر ، ومن أجل اطالة عمره ، كسبب غير مباشر ، يسعى اليه كل انسان سوي .

ويحدثنا التاريخ كثيرا عن محاولات اطالة العمر ، والبقاء على قيد الحياة أطول مدة ممكنة . فقد ترعرع التطبيب في قصور الملوك والقادة والفاتحين ، ولازم المشعوذون أو الأطباء حاشية الأمراء ، وصرف الأخيرون أموالا طائلة من أجل البحث عن دواء ناجع لمرض ألم بهم ، أو ألم بأحد أخصائهم ، كما استخدموا النتائج السلبية لبعض الأدوية والعقاقير في الاطاحة بمنافسيهم .

ولعل من بين ما عرفناه أخيرا المحاولات الطبية الكبيرة التي سخرت لاطالة عمر

كم فيه من دواء وكم فيه من إرادة ؟

بقلم : الدكتور محمد الرميحي

جوزيف ستالين في الاتحاد السوفيتي ، أو لعلاج أدولف هتلر في ألمانيا النازية ، ونظرا لاهتمام الانسان العادي اليوم باضافة سنوات الى عمره ، نرى شغف القراء بكل ما تطالعنا به الصحف من قصص المعمرين ، وأسرار حياتهم اليومية ، وطريقة معيشتهم ونظام أكلهم ورياضتهم ، وكذلك ما تلاقيه الكتب والمجلات التي تهتم بهذا النوع من الأخبار والمعلومات من رواج لدى جميع الشعوب ، أو لدى من يستطيع القراءة منها على الأقل .

ولا تكاد تخلو صحيفة اليوم في بقاع الدنيا الفقيرة أو الغنية من شرح مفصل لنظام الحمية ـ الرجيم ـ وطرق التريض ، بل تشاهد في عواصم كثيرة ، حتى في العالم الثالث ، طوابير الجري الصباحي أو المسائي كوسيلة من وسائل الحفاظ على الصحة والرشاقة واطالة العمر .

بين نظريتين

والشفاء من المرض اليوم يخضع لنظريتين ـ تقليدية يتعلمها الأطباء في كليات الطب وهي تعتمد على افتراض قدرة العلم الحديث على تشخيص الأمراض واكتشافها ، وبالتالي تقديم العلاج الدوائي لها . وأخرى اجتماعية نفسية دعى لها في كتب أثارت ضجة ، ومازال من بينها كتابان هامان : أحدهما لتوماس هاري بعنوان : « أنا بصحة جيدة . . . هل أنت كذلك » ؟ وآخر لنورمان كازنز بعنوان : « تشريح مَرَض » .

واذا كان بعض المتطرفين ممن يعتمدون على النظرية الأولى - وهي المطبقة في كثير من كليات الطب والمستشفيات - ينظرون الى النظرية الثانية وكأنها (رجل أعمى في حجرة مظلمة يبحث عن قطة سوداء ليست موجودة !!) . بمعنى استحالة الاعتماد على الشفاء الذاتي والاجتماعي النفسي ، فان هذه النظرية الثانية ذاتها تعتمد على « القدرة الطبيعية على الشفاء » ولا تتجاهل هذه المدرسة الرعاية الطبية الجيدة ، أو الغذاء الجيد ، أو حتى أنواعا من العلاج الدوائي المحدود ، ولكنها في الأساس تعتمد على « حشد قدرات المريض لمقاومة المرض » .

تفترض هذه النظرية أن معظم المرضى الذين يطلبون المساعدات الطبية من أطباء أو مؤسسات طبية يعانون من اضطرابات هي في حقيقتها تدخل ضمن نطاق قدرة الجسم على الشفاء . فقدرة جسم الانسان على الاحتمال كبيرة ، واذا ما توفرت للانسان العزيمة الصادقة فانه يستطيع أن يتغلب على شكواه من داخل جسمه ، لأن الجسم البشري هو أفضل صيدلي ، وأفضل الوصفات الطبية هي تلك التي يصرفها جسم الانسان نفسه من خلال التخلص بوعي من المؤثرات الاجتماعية والنفسية المحيطة به ، والتي كانت سببا لهذه الاضطرابات في بداية الأمر .

عدة أشخاص يدخلون عليك المكتب أو يقابلونك في الشارع ، وكل منهم على حدة ، يقول لك مثلا : « لونك مخطوف ووجهك مشوب بالاصفرار ، وان هناك خطوطا سوداء حول عينيك . . . » فماذا أنت فاعل ؟!

كثير من الناس ممن يصادفون هذه التجربة يضطربون ، وقد يلازمون الفراش في أول لحظة تسنح لهم ، وقد يحدث تغيير حقيقي في التركيب الكيميائي لأجسامهم نتيجة لتلك الملاحظات .

أعرف أحد كبار الصحفيين العرب كانت حالته الصحية تسوء دون سبب عضوي ظاهر عندما يتدهور الموقف العربي .

في هذه الحياة أينما كنا ومهما فعلنا ، لا يمكن لنا تجنب التعرض للعديد من العوامل الفسيو كيمائية ، والبيولجية او الاجتماعية المسببة للمرض ، ولكننا نعيش لأننا في نفس الوقت نملك أجهزة بيولجية ونفسية تتيح لنا الاستجابة والتكيف مع العديد من التحديات المختلفة ، وكلما زادت قدرتنا على التكيف ، ازددنا قدرة على درء المرض .

ولكن السؤال : كيف لنا أن نتحكم بوعي في حشد طاقات الجسم للتغلب على المرض ؟

اقرءوا معي هذه القصة . .

قصة مريض

نورمان كازنز - الذي أشرت اليه سابقا - انتشر كتابه وعرف في جميع الأوساط لأنه كتب فيه قصته مع المرض ، والقصة باختصار هي : أن الكاتب أصابه مرض خطير هو مرض « الكولاجين » . يصيب الأنسجة الضامة بالجسم - وتندرج كافة أمراض التهاب المفاصل والروماتيزم تحت تصنيف هذا المرض ، وأبلغه الاطباء أن الفرصة المتاحة أمامه للشفاء لا تزيد عن النصف في الألف . . . . فماذا فعل ؟

الكاتب صحفي ، وله المام طيب بالمعلومات الطبية ، فقام في البداية بتحليل أسباب مرضه ، وأدرك أن الشعور بالألم الذي ينتابه عندما يقوم بتحريك أصابعه أو رقبته هو مقدمة لمرض خطير ، يصفه هو بعد ذلك بقوله : « لقد كنت أشعر على نحو ما بأنني مخلخل غير ثابت ، فلقد كنت أعاني من صعوبة بالغة في تحريك أطرافي ، أو حتى عند التحرك في سريري ، وظهرت بثور (على شكل عقد تحت الجلد) على جسمي » .

لقد كان مرضي هو تصلب الفقرات ، نتيجة لنقص مادة « الكولاجين » وهي المادة البروتينية الليفية الموجودة في النسيج والتي تربط الخلايا بعضها ببعض . . يصف الكاتب ألمه في مرضه بقوله : « لقد كنت أشعر وكأن عظام عمودي الفقري قد مرت عليها شاحنة ضخمة . . وفي أسوأ حالاتي المرضية كان فكاي مغلقين تماما » .

ويكمل الكاتب قصته القريبة من الخيال فيقول بعد تفاصيل كثيرة انه كان قد قرأ في أحدى المجلات الطبية أن فيتامين « ج » يساعد على تزويد الجسم بالاوكسجين ، واذا كان نقص الاوكسجين يعد عاملا قويا في تحلل الأنسجة الضامة فهل يمكن أن يكون ذلك علاجا ؟ هكذا يتساءل المريض . . . بجانب فيتامين « ج » قرر المريض أن يثير في نفسه الانفعالات الايجابية : انفعالات مثل الحب ، والأمل ، والايمان ، والثقة بالنفس ، وارادة الحياة ، والضحك ، وجرب خطة العلاج الجديدة . . ابتعد عن

الادوية كل الادوية التي وصفها الطبيب عدا فيتامين ج .. وبدأ في محاولته استثارة الانفعالات الايجابية . ثم يقول : « كان من السهل أن يشعر الانسان بالأمل والحب والايمان ، ولكن ماذا عن الضحك ؟ ليس هناك شيء يثير الضحك عندما تستلقي على فراش المرض وعظامك ومفاصلك تؤلمك .. ولكن كان لابد من الضحك فاتجه الى مشاهدة الافلام السينمائية المثيرة للضحك في حجرته .. الى درجة أنه بعد ذلك قرر أن ينتقل من المستشفى الى أحد الفنادق حتى لا يثير الضوضاء الناتجة عن ضحكه والمقلقة لبقية المرضى .. ويقول : اكتشفت أن عشر دقائق من الضحك كان لها تأثير مسكن منحني الفرصة للنوم لمدة ساعتين ، ولم أكن قبلها أعرف النوم .

وفي نهاية الأمر يصل الكاتب بعد تفاصيل أخرى الى الشفاء التام من مرض كان الأمل في شفائه منه لا يتجاوز النصف في الألف .

الايمان الشافي

التجربة التى رواها نورمان كازنز لم تمر دون تمحيص من المتخصصين ، فقد نشرها في بلاده ـ الولايات المتحدة ـ وقامت حولها ردود فعل كثيرة ـ بعضها مصدق لما رواه وبعضها مشكك في قصته ـ ولكن الشواهد تأتينا أكثر وأكثر على قدرة العقل البشرى غير المحدودة في مساعدة الانسان على الشفاء عندما يتوفر الايمان . بعض ردود الفعل على قصة كازنز فسرت التجربة كلها على أنها تخضع لنظرية « الدواء المموه » وملخصها أن المريض عندما يعتقد في علاج ما بأنه الشافي ـ فانه يستجيب له . والعلاج المموه ليس جديدا في تاريخ الطب فقد عرف منذ القدم ، وبعضه ما زال عالقا في ممارسة مهنة الطب اليوم . ويقول البعض : إن المريض عندما يتوجه اليوم الى طبيب فانه يحتاج أول ما يحتاج الى وصفة طبية يعتقد الكثيرون من المرضى أنها شهادة بضمان الشفاء ، هذه القصاصة من الورق التى تحتوى على علامات غامضة بالنسبة للمريض ، تفعل فعل السحر في نفسه وهى قنطرته الى الشفاء . والدواء المموه يعني من منظور ايجابي تأكيد قدرة عقل الانسان في التأثير على جسمه ، وأن الجسم البشرى يمكنه شفاء نفسه نتيجة قدرة العقل الغامضة في اصدار الأمر لحدوث تغيرات كيمائية عضوية تعدّ ضرورية للتغلب على المرض .

وفي الحياة اليومية ومن مشاهداتنا جميعا نستطيع أن نصل الى النتيجة نفسها- أى قدرة العقل على التأثير في الجسم - فالأشخاص ذوو العاهات ممن يفقدون أطرافا معينة ، أو يصابون بالعمى أو الصمم ، يميلون عادة الى تنمية مهارات تعوضهم عن هذا النقص ، ومن ثم تتحول الى جزء لا يتجزأ من شخصياتهم ، وتكون في الوقت نفسه عاملا من عوامل الاتزان النفسي لديهم . ونتيجة لثورة الاتصالات في عالمنا اليوم ، لم تعد هذه التجربة مقصورة على من نعرفهم في مجتمعاتنا الصغيرة ، فالتلفاز ووسائل نقل المعلومات الاخرى تتحفنا كل يوم تقريبا بفاقد رجليه يصبح بطلا في رفع الاثقال ، وبآخر يتسلق جبلا شاهقا ! وبرجل بلغ التسعين يسير عشرات الاميال في سباق . . .

والأمثلة كثيرة . . .

وكلهم أناس عاديون ، اجتازوا محنا مرضية نتيجة تصميمهم ومثابرتهم وايمانهم بالشفاء .

فالدواء المموه دليل على أنه لا يوجد أى فاصل بين العقل والجسم ، فالمرض - كما هو معروف - هو دائما تفاعل بين الاثنين ، اذا انه من الممكن أن يبدأ المرض في العقل ثم يمتد الى الجسم لأن كلا منهما : العقل والجسم يتم تغذيته بالدم نفسه .

الدواء واطالة العمر

اذا كانت عوامل اطالة العمر التقليدية معروفة وهى تتلخص في ممارسة الحياة بشكل أكثر حكمة مثل الاقلاع عن التدخين والتحكم في الغذاء وممارسة الرياضة البدنية وغير ذلك من الوسائل المعروفة ، فان عوامل جديدة تزودنا بها التجارب منها العلاقة بين الابداع وطول العمر ، فالانسان المبدع الذى يقوم بعمل دائم ومستمر في بيئة جغرافية واجتماعية ونفسية مواتية تكون فرص بقائه على قيد الحياة أكبر . ولقد عرف من دراسات كثيرة أن العديد من الناس تنتكس أحوالهم الصحية من حياة ايجابية في ظروف جيدة ومتوازنة الى حالة صحية سيئة ومعتلة بمجرد احالتهم الى المعاش وانتفاء مساهمتهم في الانتاج والعطاء ، بدافع من الشعور بأن وجودهم لم يعد مرغوبا فيه ، لذلك فان الكثيرين في الدول المتقدمة يعدون حياتهم في وقت مبكر لمرحلة ما بعد التقاعد بايجاد سبل جديدة لاستمرار مشاركتهم في المجتمع . والمبدعون عادة يتغلبون على مشاكلهم

الصحية أو عاهاتهم الانسانية من خلال الاستمرار في ممارستهم لذلك الابداع ، وهم في ذلك يشعرون بأن بقاءهم مازال مرغوبا من المجتمع الذى يعيشون فيه .

الا أن الدواء بالنسبة للانسان العادى يبقى احدى الوسائل الشائعة لـدرء المرض واستمرار الصحة واطالة العمر ، والدليل واضح حيث تغرقنا الاعلانات في التلفاز والاذاعة وفي الصحف الاسبوعية واليومية بارشادات للتخلص من الزكام والبرد ووجع الرأس والحمى القشية وارتفاع درجة الحرارة حتى ألم البواسير باستخدام أنواع معينة من الادوية والمسكنات ، كل ذلك على اعتبار أن الألم شر مطلق يجب التخلص منه في الحال ، في الوقت الذى يتسع فيه ـ بشكل متزايد ـ الرأي القائل ان الدواء قد يخفف الألم مؤقتا ، الا أنه في نفس الوقت يمنع الانسان من اكتشاف مرضه الحقيقي في مرحلة يمكن علاجه منها وفي الوقت المناسب .

كما أن هناك عددا كبيرا من الآلام تنجم بصورة طبيعية نتيجة التوتر الذى هو معدّل التلف الذى يصيب الجسم البشري نتيجة لعوامل نفسية واضطرابات عاطفية لا يفيد فيها العلاج التقليدي مهما كثر وتنوع .

المخرج الحقيقي

تكثر الآن الدراسات التي تتساءل : وكيف استطاع الأطباء أن يحافظوا على مراتب كبيرة في المجتمع عبر التاريخ الانساني ؟ وهم في الحقيقة يصفون أدوية لمرضاهم بعضها لافائدة منه ، والبعض الآخر في حقيقة الأمر مضر ، وتاريخ الطب مليء بالادوية وطرق العلاج التى جرى استخدامها سنوات طويلة قبل أن يتم اكتشاف ضررها ، وكلما زادت معرفة الجمهور بأخطار تلك الادوية ، زاد الاعتماد على العنصر الانساني في العلاج ، وأي علاج اليوم لا يأخذ بهذا العامل الانساني يعتبر علاجا ناقصا لا يحقق الغرض منه . والمخرج الحقيقي والمساعد للشفاء من المرض هو نشاط العقل البشرى عن طريق تآزر العوامل البيئية والنفسية، وعلى رأسها الانفعالات الايجابية .
فهل تمكننا الحياة العصرية من ذلك ؟ □□

فهد الربيعي

مخاطر استثمار أموال البترول العربي

بقلم: الدكتور يوسف سليمان الفاضل

□ كيف تستثمر الدول النفطية فائض أموالها . كيف تحميها من المخاطر المحدقة بها . وما هي هذه المخاطر التي تتهدد رؤوس الأموال العربية المدخرة في الخارج ؟

العالم العربي فيه ثروات كثيرة ومتنوعة ، فهناك البترول والغاز ومشتقاتهما التي تكون عصب الصناعة الحديثة في العالم . كذلك يحظى عالمنا العربي بموارد طبيعية أخرى كالحديد والنحاس واليورانيوم . ولا تقل أهمية ثرواته الانسانية المتمثلة بقوة العمل وكثرتها عن أهمية ثرواته البترولية والموارد الطبيعية الاخرى .

ولكن ـ مع الأسف الشديد ، لصغر السوق العربية وتفككها وكثرة عددها كأسواق صغيرة محمية بالقوانين الجمركية التي تعكس واقع العالم العربي اقتصاديا وسياسيا ـ لم يتمكن العالم العربي من انشاء صناعات حديثة تكون قادرة على دفعه بقوة الى الامام في ركب الحضارة العالمية . كذلك عدم توافر حرية تحرك رؤوس الأموال العربية والأيدي العاملة من دولة لاخرى وكثرة تشككها في الأوضاع السياسية والاجتماعية ، كل هذا جعل من الصعب أن تكون هناك سياسة اقتصادية وفلسفة سياسية يكونان اطارا صالحا للتنمية الاقتصادية الحقيقية في العالم العربي .

وبالرغم من ذلك فان ارتفاع أسعار النفط في أوائل السبعينات قد جعل بعض الدول العربية المصدرة للبترول قادرة على تمويل خططها الاقتصادية المتعددة كما أتاح لها أن تجمع فائضا ماليا كبيرا قد تراكم في البنوك الأجنبية . ولكن بعد مرور ما يقارب ربع قرن من التمويل الدائم والسهل .

هل تمت تنمية اقتصادية فعلية ؟ وهل تمت الموارد المالية المتراكمة في خارج العالم العربي بالطريقة المطلوبة ؟

أما بالنسبة للتنمية الاقتصادية فان البناء السياسي الداخلي في بعض الدول العربية لم يكن قادرا على مواجهة متطلبات النمو الأقتصادى والاجتماعى السريع ولكن كان من مميزات تلك الدول قدرتها على الانفاق لبناء الرأسمال الاجتماعي العالي كالمدارس والمستشفيات والطرق والجسور وغيرها . كما أتاح لها تراكم رأس المال أيضا مزيدا من المرونة للتحرك الاقتصادي لكي تحقق أهدافا سياسية واجتماعية

معينة . غير أن تبديد تلك الدول لمصادر ثروتها الوحيدة - النفط والغاز - كان كبيرا . كما ادى انتاجها البترولي الضخم الى زيادة تراكم عائدات مالية أكثر بكثير من احتياجاتها المتمثلة في ميزانياتها .

رأس المال العربي

أما بالنسبة لتراكم رأس المال العربي المدخر في الخارج فقد ازداد من ٢٠ بليون دولار في سنة ١٩٧٣ الى أكثر من ١٦٠ بليون دولار عام ١٩٨٢ ، كما ازدادت الارصدة العربية في الدول الأجنبية من ٢٣ بليون دولار في سنة ١٩٧٣ الى أن وصلت الى ما يقارب ٣٠٠ بليون دولار في أواخر عام ١٩٨٢ مستثمرة في سندات حكومية خاصة وأذونات خزانة .

وزيادة على الودائع المصرفية المتعارف عليها كان هناك زيادة ملحوظة في استثمار رؤوس الأموال العربية في شراء أسهم وسندات الشركات الخاصة في أوروبا وأميركا واليابان ، أضف الى ذلك الاستثمار العقاري .

أما بالنسبة للاستثمارات العربية الخارجية الخاصة فقد كانت قليلة جدا خلال الستينيات لكنها زادت كثيرا في السبعينيات حتى وصلت في أوائل الثمانينيات الى ما يقارب ٥٠ بليون دولار أميركي ، ومعظم تلك الاستثمارات كانت في صورة ايداعات بالدولار الأوروبي وعلى هيئة استثمارات عقارية ، ومن المتوقع أن يزداد حجمها بدرجة ملحوظة بسبب تخوف رجال الأعمال المتزايد في منطقة الخليج العربي من القلاقل السياسية والاقتصادية في المنطقة .

تلك السياسة الاستثمارية الحكومية والخاصة للدول العربية صاحبة الفائض المالي قد واجهت ولا تزال تواجه نقدا شديدا من قبل بعض المثقفين ورجال الاعمال والاقتصاديين العرب . وكثيرا ما تبرر تلك السياسات الاستثمارية بالقول بأن الدول العربية لا يمكنها استيعاب رؤوس أموال بهذه الكمية الكبيرة المتوفرة لدى الدول النفطية ، لكن هذا التبرير مردود عليه أكاديميا وعمليا . ذلك أن تلك الاموال لو قدر لها أن تستغل لبناء الهيكل التنموي لبعض الدول العربية ، فان الفائض المالي الحالي المتراكم في الخارج لن يكون قادرا على أن يسد حتى ربع احتياجات الدول العربية ، لكن المشكلة الحقيقية تكمن في عدم وجود خطط اقتصادية وتنسيقية وتنظيمية وتدريبية خاصة وعامة بين الدول العربية بسبب غياب الحكم الديمقراطي في العالم العربي وكثرة الانقلابات وسيطرة الحكومات العسكرية والتقليدية في عدة دول عربية مما حرم الفرد العربي الادلاء برأيه وازدياد عدم الثقة وكثرة العراقيل أمام تحرك رأس المال

العربي والعمالة بين الدول العربية بحرية ومرونة .

ولن تبقى ذريعة عدم استطاعة الدول العربية استيعاب رؤوس الأموال العربية حجة واهية فحسب ، بل أصبحت الأساس المتين للمصارف الأجنبية في سعيها لاجتذاب رؤوس الأموال العربية أيضا .

أما هذه المصارف فهي الآن تكتوى بسبب الأزمة المالية الدولية التي كانت هي أحد أسبابها ، وسيطرة نظام نقدى عالمي واه ضعيف غير قادر على حل الأزمة المالية العالمية .

مخاطر الأزمة المالية

ان الأموال العربية في مصارف الدول الغربية واليابان تواجه الآن مخاطر أزمة مالية نقدية لم يسبق لها مثيل في تاريخ البشرية . فقد انخفضت القيمة الحقيقية للودائع العربية كما هبطت عوائدها . ويمثل هذا الهبوط بداية فقط لهبوط حقيقي قادر على ازالة القيمة الحقيقية للودائع العربية في العالم الغربي واليابان ازالة تامة . ولا يمثل هذا القول توقعات تنبئية فقط بل أصبح حقيقة واقعة ، اذ يحدث هذا الهبوط للقيمة الشرائية للودائع العربية بشكل تدريجي مستمر . .

وقد لا يكون أيضا فقدان الدول العربية المصدرة للبترول لأموالها في الخارج ناتجا عن الهبوط التدريجي فقط وانما قد يحدث ذلك فجأة وبدفعة واحدة بسبب عجز الدول الغربية التي تقترض أموالا ضخمة مثل البرازيل والأرجنتين والمكسيك وغيرها من الايفاء بديونها مما يؤدي الى افلاس البنوك التي أقرضتها وهي البنوك الكبرى في العالم الغربي واليابان ، ومن المتوقع أن يحدث هذا في القريب العاجل فضلا عن المستقبل البعيد ، وذلك أن كثيرا من المصارف العالمية قد توسعت في عمليات الاقراض بأكثر من ٤٠٪ من رؤوس أموالها واحتياطاتها وودائعها لدول تواجه

كاتب المقال

- ماجستير في الاقتصاد عام ١٩٦٦ .
- ماجستير في القانون عام ١٩٦٨ .
- دكتوراه في اقتصاديات علوم الطاقة من جامعة هارفارد سنة ١٩٧٠ .
- شغل مناصب عديدة من بينها منصب كبير الاقتصاديين في منظمة الاوابك سنة ١٩٧٠ بعد حصوله على الدكتوراه مباشرة .
- تولى مناصب استشارية عديدة ، واستعان مجلس الأمة بخبرته في القضايا الخاصة بالنفط واستخدامات الغاز الطبيعي ، ثم أصبح أستاذا للطاقة في معهد الادارة العالمي التابع لجامعة جنيف .
- يشغل الآن منصب أستاذ الطاقة بجامعة الكويت ورئيس معهد الشرق الأوسط لشئون الطاقة .

عجزا في كل من أميركا اللاتينية وافريقيا وآسيا . كما أن اعادة جدولة الديون لكل من شيلي والأرجنتين والمكسيك والبرازيل وبولندا وغيرها من الدول ليس من شأنه أن يحل الأزمة ، بل ربما أدى فقط لتأجيل الانهيار الاقتصادي للمقرضين وبينهم العرب . فاذا لم تستطع المصارف الأجنبية حماية مصالحها النقدية ، فما الذي يجعلها ترعى المصالح العربية الاقتصادية بأفضل مما ترعى مصالحها بنفسها ؟ .

عمق الركود الاقتصادي

ان مثل هذه الأسئلة لا شك تهم المثقفين العرب لأنهم يعنون بمواردهم المالية الوطنية ، غير أن طرح مثل هذه التساؤلات لا يعني أننا نحن العرب نريد أن نعيش بمعزل عن العالم الآخر فالعكس هو الصحيح ، فنحن نود التعامل مع العالم الخارجي من أجل تنميتنا

الوطنية وعلى قدم المساواة ، ولكن لا يعني ذلك أن نترك المحافظة على حماية ثرواتنا القومية للآخرين يفعلون بها كما يشاؤون .

وفي اعتقادي أن المشكلة الحقيقية التي يواجهها العالم الغربي واليابان تكمن في عمق الركود الاقتصادي السائد بالاضافة الى السياسات المالية والنقدية المتناقضة التي تطبقها حكوماته . كما أن ارجاع أسباب عمق الركود الاقتصادي واستمراره من جانب الحكومات الغربية وبعض الاقتصاديين الغربيين ، الى ارتفاع أسعار النفط انما هي أسباب واهية فالسبب الحقيقي هو غياب المخترعات التكنولوجية وسبل التحديث في القطاعين الصناعي والزراعي .

فمنذ عام ١٥٠٠ وحتى الوقت الحاضر ارتبط التطور الاقتصادي دائما بظهور سلسلة من المخترعات التقنية ، وكان القطاع الصناعي في الماضي عند الدول المتقدمة يعطي عائدا مجزيا لرأس المال ولكننا لا نجد الآن مثل ذلك العائد ، على ذلك فان رؤوس الاموال العربية يجب أن تبحث لها عن متنفس في قطاعات بديلة ، واذا لم يتسن لها ذلك فمن الأفضل أن تترك نفطها تحت أرضها حتى يأتي الوقت الذي تكون فيه قطاعات صناعية وزراعية جديدة قادرة على قيادة النمو الاقتصادي المستقبلي العالمي باعطائها عائداً مالياً عاليا .

البدائل الثلاثة

وعلى أي حال فان ذلك يحتاج الى وقت طويل ولم يبق أمام الدول العربية ـ وعلى الأخص تلك التي تحظى بفائض مالي ـ الا الاختيار بين ثلاثة خيارات :

أولها تخفيض انتاجها من النفط لحدوده الدنيا أي بأقل مما تتطلبه ميزانياتها ثم تقوم بسد العجز الناتج عن تخفيض انتاجها البترولي بالسحب من رؤوس أموالها الفائضة بالخارج واتباع مثل هذه السياسة سوف يؤدي الى ازالة الفائض المتراكم في المصارف الأجنبية ، وسوف تزول معه متاعب بعض المفكرين العرب الذين ما زال يقلقهم التفكير في كيفية واستراتيجية حماية الثروة المالية العربية في الخارج .

أما البديل الثاني فهو اذا ما اختارت الدول العربية النفطية أن تستثمر أموالها في الخارج فعليها بالاستثمار في الدول العربية التي هي بأمس الحاجة الى رأس المال وخاصة تلك الدول العربية التي تمتلك موارد طبيعية متنوعة بالاضافة الى القوة العاملة الفنية المدربة . لكن يجب أن تتوفر المؤسسات الأقتصادية والسياسية التي تضمن تلك الاستثمارات لكي تحقق ثمارها في المدى الطويل للدول المضيفة والمستثمرة على السواء .

البديل الثالث : اذا ما فضلت الدول صاحبة الفائض المالي الاستثمار في غير الدول العربية فعليها أن تستثمر في بعض الشركات الأجنبية ذات التقنية العالمية والتي يمكن أن تنقل تلك التكنولوجيا الى الدول العربية ولكن ذلك لا يتم الا بالسيطرة التامة على تلك الشركات الأجنبية صاحبة التكنولوجيا وهنا تظهر مشكلة كبيرة وهي ادارة تلك الشركات التي ترغب الدول المستثمرة في ملكيتها . فالكادر الاداري لدى الدول النفطية غير قادر أن يدير المؤسسات الوطنية الداخلية فكيف يكون باستطاعته ادارة المؤسسات التجارية والشركات الكبرى ذات التكنولوجيا العالمية في الغرب واليابان . هذه المشكلة الادارية سوف تكون أكثر تعقيدا اذا ما أضفنا اليها الأبعاد السياسية والاقتصادية لدى الدول المالكة لها .

وقد تكون خاتمة السياسة المثلى للدول النفطية بالنسبة لاستثمار فائضها المالي هو الأخذ بشيء من جميع تلك الأختيارات الثلاثة لكي تكون لها مرونة عظمى في ادارة أموالها وحمايتها من أجل مستقبل أجيالها . □□

الدين والعلم والشباب

بقلم الدكتور : عبد العزيز كامل

☐ جاءتني دعوة لحضور ندوة عن مستقبل العالم العربي . الداعي صديق عزيز جاد . ومجال الندوة واسع خصب شائك .

تذكرت ندوات حضرتها ، وامضيت ليالي في اعداد بحوثها ، وليالي وأياما في مناقشاتها ، وفي بعض الحفلات التي أصبحت من توابع الندوات ، وما فيها من تحيات متكلفة ، وابتسامات مرسومة على الوجوه ، وانتقال سريع من صديق الى صديق ، ومن حديث الى حديث . .

وفكرت في الاعتذار قائلا لنفسي : ماذا ؟ أوراق فوق أوراق . . وما أكثر أوراقنا !! هي في كثير من الأحيان لا تزيد عن نفثة ألم تندفع من الصدر أو الفكر الى الفضاء العريض ، أو جلسة اعتراف في محفل علمي أمام كهنة الدراسات .

صناعة جديدة أتقنتها منظمات عالمية ، وسارت فيها منظمات اقليمية ، ومن ورائها منظمات محلية :

اذا لم تستطع أن تعمل ، فقل . واذا لم تستطع تحريك السلاح في ميدان قتال ، أو القيام بتنمية

حقيقية فتكلم وتكلم . .

دارت هذه الافكار في نفسي ، عندما قابلت الصديق في وطنه ، وفي المؤسسة العلمية التي يتولى أمرها . وحدثته بها ، واستمع لكل ما قلت . . ثم عقب عليه بقوله :

ـ هذا بعض ما بقي لنا : أن نلتقي وأن نتحدث . والا يفقد بعضنا بعضا في زحام الحياة . أحيانا أحس في هذه اللقاءات بعض عبرة الحج : أن يلتقي المؤمنون في صعيد واحد ، وقد جاءوا من كل فج عميق . وفي الحج يحس المؤمن ـ مهما يكن غريبا في وطنه ـ انه في وطن عقيدته : في البيت الحرام وشعائر الله ، وعند وقوفه بعرفات وافاضته منها . . في كل هذا يحس نفسه فردا من هذه الأمة المؤمنة . فردا مندمجا . شعاعا من حزمة ضوئية قوية . قطرة من هذا النهر المؤمن النابع من دعوة أبينا ابراهيم عليه السلام ، وروافده تجري في مشارق الأرض ومغاربها في تجدد واستمرار حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

ان المؤمن في الحج يستمد الثقة من رؤية غيره . ويستمد غيره الثقة من رؤيته . وهم جميعا يعبدون ربا واحدا ويؤمنون بنبي واحد دعاهم الى التصديق بجميع الأنبياء والمرسلين .

الفكر نبض العقل

ويعود الحاج وهو يحمل روح الجماعة في ذاته ، يطرح شعوره بالعزلة والوحدة . والمثقفون بطبيعتهم غرباء . والغربة موقف فكري أولا . المثقف يقرأ كثيرا ويلاقي كثيرين ويفكر كثيرا . حركة فكره مستمرة مادامت حركة قلبه مستمرة . . الفكر نبض عقله . فهل

نحرم أنفسنا حتى من اللقاء ؟ فلنتقابل . وليحاور بعضنا بعضا . وليعرض كل منا ما عنده على عقل أخيه . ثم ننطلق ، كل في طريق . وبين الجوانح ذكريات هذه اللقاءات ، التي نرجو أن تكون حافزا على مقابلة السير ، والتذكر الدائم لقضايانا ، ومراجعة واخصاب انجازاتنا .

وسكت الصديق : وساد الحجرة صمت . ودارت عيني بين المراجع المصفوفة عن يمين وشمال : روائع كتب التراث . قواميسنا العربية : لسان العرب ، القاموس المحيط ، الصحاح . . كتب التاريخ : الطبري . الكامل لابن الأثير . تاريخ ابن خلدون ومقدمته العملاقة وشروحها . رواد من شعرائنا : أصحاب المعلقات . المتنبي . البحتري . ابو تمام . الشريف الرضى . احمد شوقي . ابو القاسم الشابي . محمود حسن اسماعيل . . . اجيال بعد اجيال . أولئك الاساتذة والاصدقاء الصامتون باللسان ، الناطقون بالقلم . علماء ومفكرون وادباء عاشوا في وسط آسيا . في الهند . في بلاد الأفغان . في ايران . في المشرق العربي . في المغرب . في قلب افريقيا . . العالم الاسلامي في امتداده الزماني والمكاني تضمه حجرة . . وفي الجهة المقابلة أرفف عليها كتب المستشرقين . بعض ما حققوه من التراث ، وما كتبوه عن العالم الاسلامي والعربي ، ومجموعة مما اصدرته هيئة اليونسكو في توجهها الحديث نحو العناية بالتراث العربي والاسلامي ، ضمن توازن فكري علمي عالمي أخذت نفسها به : قرارات ومشروعات وتنفيذات . .

وعلى ارض الحجرة قطعة من السجاد ، متواضعة كمائدة الاجتماعات الصغيرة ، ومن حولها مقاعد عمل لا تدعو الى الاسترخاء .

وعدت أنظر الى الصديق بجسمه النحيل ، ومنظاره السميك ، وابتسامته الودود ، وهدوء صوته . . وأتصور الكتب حولي صحائف منشورة . الآف الصحائف ، ومئات الآلاف من السطور ، وملايين الكلمات وساعات العمل . . هذا طريق الصديق ، وطريق كل باحث وهو يعمل في بناء مستقبل امته وعقيدته واخوته في الانسانية .

لم يدخل اليأس نفسه ، وان خالطه الألم . يرى النور مع تكاثف الظلمة من حوله . يضع قدميه على الطريق رغم الصخر والشوك ، ورنين صوته في أذني .

ـ هذا ما بقي لنا ، ان نلتقي ، وان نتحدث ، والا يفقد بعضنا بعضا في زحام الحياة . واستأذنت في الخروج قائلا :

ـ سنلتقي ان شاء الله ، ونتحدث ، ولن يفقد بعضنا بعضا في زحام الحياة . .

وفي الأمل حياة

وأنتقل الى مشهد آخر من حياة عالم جليل هو الاستاذ باولو دي بدرو كارنيرو ، الرئيس السابق للجنة العالمية لتاريخ الانسانية العلمي والثقافي في اليونسكو ، كانت ولادته عام ١٩٠١ ووفاته عام ١٩٨٢ .

كان هذا اللقاء في مكتبه في نوفمبر ١٩٨١ بعد محاضرة عن الثقافة والدين دعتني هيئة اليونسكو الى القائها ضمن أحد مواسمها الثقافية ، حضر المحاضرة ـ مع تقدم السن ـ وشارك في التعقيب والحوار بكلمات كريمة ، وأحسست عند الجلوس اليه اننا قد تعارفنا من وقت بعيد . اتصالي بنشاطه العلمي يرجع الى ما قبل اللقاء بسنوات ، ويتصل بالعمل الكبير الذي اشرف عليه منذ منتصف القرن العشرين واثمر « تاريخ الانسانية » في ستة مجلدات ضخمة ، عنيت بالجوانب العلمية والثقافية والنظرة العالمية ، وما كادت تتكامل اجزاء الكتاب عام ١٩٧٦ : حتى بدأ النظر في مراجعة الطبعة الأولى ، وتلقى

الاستاذ كارنيرو النقد كله بقبول حسن . فهذا من حق الاجيال المتابعة والشعوب ، واسندت اليه هيئة اليونسكو رئاسة اللجنة الجديدة التي تشرف على الطبعة الثانية ، وتوثقت بيننا الصلة مع عضويتي فيها . . قلت له :

- لقد استغرق هذا العمل من عمرك ربع قرن سبقها تمهيد من سنوات خمس . وانت الآن على ابواب الثمانين . فما شعورك وانت تبدأ هذا العمل العلمي الجديد ؟

في الحجرة التي يدير منها كارنيرو العمل ثلاثة مكاتب : احدها له ، والثاني للامينة العلمية للمشروع ، والثالث للمسئولة عن الطباعة على الآلة الكاتبة وحفظ الملفات . . هذه كل ادارة المشروع . وقد اضيف اليهم اخيرا امين عام من موريتانيا ، هو الاستاذ الوين تراوري .

ولم يكن مكتب كارنيرو يختلف عن المكتبين الآخرين . حجرة واحدة تكفي الثلاثة . المهم الفكر والتنظيم .

واعود الى الرجل الكبير وهو يقول :

- من اول الدروس التي ينبغي ان يعيها العالم ، ان يفصل بين عمره وبين عمر المشروع الذي يعمل فيه . انا متأكد انني لن ارى اكتمال هذا العمل . انني اعرف ظروفي الصحية جيدا (قد علمت فيما بعد انه كان يعاني من مرض خطير وان احتمالات العمر عنده قصيرة) ولكني اؤدي حق الحياة .

وامسك بيده القلم وهو يقول :

- ما دامت يدي قادرة على ان تمسك بالقلم . ومادام عقلي قادرا على التفكير ، ولساني قادرا على التعبير ، فسأظل اتابع عملي من هذا المكتب . كل اوراقي هنا . الملفات . البحوث . الاتصالات . كلها منتظمة ويعرفها من معي . فاذا سقط القلم من يدي ، وتوقف عقلي عن التفكير ، ولساني عن التعبير ، سيأتي في غد من يجلس على هذا المقعد ويتابع العمل دون ان ينقطع العمل يوما .

ثم اردف قائلا :

- لا علاقة بين عمري وعملي .

قال هذا فسبق الى ذهني قول الرسول عليه الصلاة والسلام .

- « ان القيامة اذا قامت على احدكم وفي يده فسيلة (شتلة) ، فان استطاع ان يغرسها في الارض فليغرسها » .

هذه قداسة العمل التي يلتقي عندها العلم والدين والتقدم .

وقلت له : يكفيني في هذه الرحلة ان القاك وان اسمع هذا منك في جلال السن ، لا يحول هذا دون حضورك المحاضرة والمشاركة في الحوار ، ولا ان تحمل مسئولية عمل طويل متشعب ، انت تقول انك تحضر بدايته ، ولن ترى ثمرته . تقول هذا وعلى وجهك هذه البسمة ، وفي صوتك الهدوء والاستقرار .

ثم اشار الى الطبعة الأولى من تاريخ الانسانية بمجلداتها الستة واقسامها الثلاثة عشر . وقال :

- من الخير ان تقرأها جيما حتى تستطيع ان تتابع العمل معنا . مشكلتكم في المشرق أنكم تتركوننا نعمل ، ثم تنتقدون العمل بعد هذا . هذه المرة شاركوا في مراحل هذا العمل جيما . تحملوا معنا مسئولية الاعداد والتنظيم والحوار والمراجعة . هذا واجبكم وحقكم . كل حضارة ينبغي ان يكتبها ابناؤها اولا . هم اكثر احساسا بها وأقدر على التعبير عنها . جوانب نقد متعددة جاءت عن الطبعة الأولى . وهذه طبيعة الحياة والتطور . وهذه الطبعة الثانية ستتعرض بدورها للنقد بعد عشر سنوات او عشرين سنة . المناهج تتغير . كشوفات جديدة تظهر . حفريات ووثائق يعثر عليها الباحثون .

وهذه أيضا مجموعة « مجلة تاريخ العالم » هي ثمرة من ثمار عمل اللجنة . . . هي مائدة الحوار المتصل حول التاريخ العالمي وقضاياه . راجعها أيضا . وزملاؤك في الحجرة المجاورة

مسئولون عن تاريخ أفريقيا . أصدروا منه مجلدين . وشارك فيه زملاء كثيرون من أفريقيا . وهذه بادرة طيبة . راجعه أيضا . مادام الانسان حيا ، فعليه أن يعمل وأن يتعلم .

ولا مجال في الحياة للباحث المعتزل . نحن الآن في عصر الفريق المتكامل والفرق المتعاونة ، خصوصا بعد أن تيسرت سبل الاتصال واللقاء بين الباحثين .

ظلت كلمات كارنيرو حية في نفسي . وعدت الى الكويت . . وبعد قليل جاءنا خبر نعيه ورحيله عن دنيانا . والعمل من بعده يسير .

حوار بين العلم والدين

من الخير لشبابنا ولعلمائنا أن يعلموا ما في دوائر التفكير والعلم العالمية الآن من اتجاهات . .

وبين يدي كتاب أصدرته اليونسكو عنوانه « العلم وعوامل التباين » : دروس من الماضي وآمال في المستقبل ، وقد صدر عام ١٩٧٩ .

أشرف على الكتاب المؤرخ الفرنسي الاستاذ شارل مورازيه وكتب مقدمته وقسمه الأول عن اتساع وانتشار العلم الحديث ، كما كتب خاتمته . وشارك فيه باحثون من الوطن العربي والشرق الاقصى وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ، والاستاذ مورازيه هو الذي أسندت اليه هيئة اليونسكو رئاسة اللجنة العالمية للتاريخ العلمي والثقافي للانسانية بعد وفاة الاستاذ كارنيرو .

شاركت في الدراسة أيد من حضارات متعددة ، ولكني أقف عند بعض المعاني التي وردت في الفصل الختامي وعنوانه « العلم : ذلك المجهول » . .

يشير في مطلع الخاتمة الى يقظة الروح الدينية وتأثيرها السياسي في الوقت الحاضر . وهذا عنده غير مستغرب : ذلك لان نصف البشر يعانون من الفقر المادي الذي وصل الى أبعاد قاتلة وحرم الانسان من الدواء الضروري والغذاء ، وأصبح يعاني أيضا من الفقر المعنوي .

ان العلم لا يزوده بوسائل الحياة التي تعصمه من خطر الفناء . وحتى ممارسة الزهد أصبحت غير ممكنة ، فان كثيرا من البشر يعيشون دون مستوى الزهد . . هؤلاء يجدون في الدين تعويضا . انه يمنحهم الاحترام المفقود ، ويدفعهم الى روح نضالية دينية .

ان الاستاذ مورازيه يضع هنا التقدم العلمي بديلا كافيا . . ويضع الروح الدينية تعويضا ، عن تقدم مفقود . .

وهو يربط في موضع آخر بين الاستعمار وكيف حال دون التقدم في البحث العلمي ، في الاقطار التي وقعت تحت سيطرته ، لأن همّ الدول الاستعمارية كان الاستيلاء على مصادر المواد الأولية وفتح اسواق لانتاجها الصناعي . . ذلك الانتاج النمطي القائم على قدر أقل من الابتكار ، وأكبر في التوزيع . وهو يختلف عن

الانتاج المعاصر الذي أصبح فيه البحث العلمي عنصرا أساسيا وحاسما .

من أجل ذلك لم ترحب هذه الدول بأي رغبة في التطوير أو فكرة علمية تنبث في المستعمرات . مع أن هذه المستعمرات شهدت حضارات أصيلة كحضارات العالم العربي والهند والصين . وكان من الممكن أن « تشارك » في الحركة العلمية دون أن يقتصر دورها على تصريف الانتاج و« تقبل » ما يقدمه اليها الغرب من نتاج علمي .

صراع بين العلم والدين

في عالمنا الاسلامي . وفي أكثر من حضارة في الشرق الاقصى لم يحدث هذا التضاد بين التقدم العلمي والنهضة الدينية . كمثال : حدث في اليابان تزواج بين النهضة الحديثة والبوذية كمصدر ودافع . وفي الوطن الاسلامي من قديم : لم يحدث أي تضاد بين العلم والدين . . فأول أمر نزل به الروح الأمين على قلب المصطفى عليه الصلاة والسلام كان « اقرأ » ، وأول أداة أقسم بها الحق تبارك وتعالى هي القلم في قوله « ن . والقلم وما يسطرون »وهي أول أداة ذكرها الله في أول القرآن نزولا« اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم »

الانحراف عن الدين والانحراف به

ولكن القضية التي ينبغي أن نوليها مزيدا من العناية وأن تدير فيها الحوار مع أبنائنا هي « مناهج العلم » و « مناهج الدين »

مناهج العلم تتصف بكثير من الثبات والاستقرار ويرجع هذا الى أسباب أربعة رئيسية :

١ ـ شعور الزمالة بين العاملين في الحقل العلمي . فكل منهم يكمل الآخر . والفريق متعاون . والكل يشارك في نظام عالمي يقوم على المنطق والاحكام القائمة على التجربة .

٢ ـ إنه يميل الى تحقيق قدر من المساواة في استخدامات الابداع العلمي : وسائل النقل العالمية . الأدوية . وسائل حفظ الطعام . وسائل الاتصالات السلكية واللاسلكية .

٣ ـ وبهذا يبدو دور العلم في نشر الديموقراطية فكريا وعمليا ، وان كان نمو العلم وتقدمه ليس متوازنا في العالم الآن ، ولا متعادلا بين المجتمعات ، وانما هو مركز في مناطق جذب وتأثير .

٤ ـ ان البحث العلمي له جدواه ولذته ونموه . انه تقدم وسعادة واقتراب من أسرار الوجود وجماله وخالقه جل وعلا . .

هذا العلم الذى يجمع بين عالمية المنهج وتجريبية الدليل وروح الفريق هو الذي نود أن يسود بين شبابنا . .

وان التحديات التي يقابلها المجتمع في نموه ، والموازنة بين الأوضاع العلمية في عالمنا العربي والاسلامي من ناحية ، والعالم المتقدم من ناحية أخرى ، تفرض علينا أن نوجه طاقة شبابنا الى التعاون وفي تحقيق صورة أفضل للمستقبل .

لا بديل عن العلم ، ولا بديل عن الايمان . ومن الخير أن تنبعث النهضة من أصولنا وجذورنا ، وأن تتخذ من الدين دافعا قويا ، ومن المنهجية العلمية أسلوبا ، ومن التغلب على عقبات التخلف هدفا ، ومن التعاون العلمي العالمي وسيلة تجعلنا على صلة بكل ابداع الانسان .

بهذا تتكون عندنا قاعدة علمية جديدة مؤمنة ، تستطيع أن تستقطب الكثير من طاقات الشباب الى ما هو أجدى ،دون أن تنحرف بالدين أو تنحرف عنه ، ويكون لشبابنا هذا الصبر الطويل على العمل والتواصل الحميد بين الاجيال ، والتعاون الذي يختصر الطريق ويقترب به الهدف البعيد . □□

حياة الإنسان قيمة أم ثمن ؟

بقلم : الدكتور حسان حتحوت

تنزلق الانسانية بمرور الزمن الى ألوان من السلوك ومحدثات من القيم قد تبدو قبل وقوعها أو عند أوائلها بعيدة الاحتمال عصية على التصديق حتى ينكر أكثر الناس أنها ستكون في المستقبل القريب أو البعيد ، ثم لا يمضي وقت حتى تقبل اجتماعيا وتعتبر هي الأمر الطبيعي وما عداها شاذا أو متخلفا ، والا فمن كان يظن أن الاباحة الجنسية قبل الزواج وبعده أو أن الشذوذ الجنسي بين أفراد الجنس الواحد تصبح حقوقا انسانية وأنماطا طبيعية في رقعة واسعة من الغرب المسيحي بل تؤيدها الأعراف والقوانين ؟ !

ومن بين القيم الموروثة التي تتعرض الآن لمراجعة جذرية وهادفة قيمة الحياة الانسانية ذاتها . . . تلك التي قدستها الأديان لغاية عصرنا الحاضر الذي شهد تراخي قبضة الأديان عن قطاعات واسعة من البشر في الشرق والغرب . . . فحياة الانسان فيما أرقب وأستقريء مهددة بأن تفقد مركزها كقيمة مطلقة ذات حرمة بذاتها ولذاتها . . ولا يحفزني على هذا الرأي شيوع القتل والاغتيال والمظالم والمذابح والابادات التي تورطت فيها دول ما زالت تلوك ألسنتها عبارات الحضارة والعدالة والحرية والقانون والتقدم حتى لكأني بعالمنا وليس فيه الا « قوابيل » و « هوابيل » . . وانما أنظر بزاوية أوسع وعلى مدى أطول فأشفق على حياة الانسان من الهجوم الذي انصب على خطوط دفاعها الثلاثة .

خط الدفاع الأول

وقد انهار هذا الخط في أغلب دول العالم . . . كان الهجوم يهدف الى اهدار الحياة الانسانية في طرفها الأول وما زال الانسان جنينا في بطن أمه . . وقد تتبعت هذا الهجوم بحكم مهنتي منذ كان يطرق الأسماع حذرا وعلى استحياء بعبارات مبهمة عن حرية المرأة في جسمها وحريتها ألا تحمل جنينا لا ترغبه ، وما زال يشتد حتى اكتسح المعارضة وتغيرت القوانين فأباحت الاجهاض في دولة اثر دولة حتى عم وفاض . وكان ولا يزال يطرق أبواب بلادنا بشدة وكثير من أطبائنا وعلمائنا الاجتماعيين وقيادات

الحركات النسائية عندنا من مؤيديه والداعين له . ولا يمنع خط الدفاع هذا من الانهيار في بلادنا الا تمسكنا بديننا في هذا الشأن وأرجو أن يستمر ذلك ولا يزول . . . فشريعة الاسلام صريحة الدلالة على حق الجنين في الحياة . . . ان المرأة ان حكم عليها بالاعدام لجريمة اقترفتها وتبين أنها حامل ـ مهما كانت مدة الحمل ـ تأجل تنفيذ الحكم فيها حتى تلد ، وقيل حتى ترضع ولو كان الحمل من سفاح ، فلهذا الجنين أيضا حق الحياة كما فعل النبي عليه الصلاة والسلام بالغامدية . . . وان الرجل ان مات وزوجته حامل لم تقسم تركته حتى يحجز للجنين نصيب ولد أو بنت أيهما أكثر فان وضعت أكثر من جنين أدى باقي الورثة نصيب التوأم . . . . وان الجنين اذا أسقط في أي مرحلة من الحمل فظهرت عليه أية علامة من علامات الحياة ثم مات كان له أن يرث أيا من مورثيه الشرعيين ولو مات منذ بداية الحمل ، ثم اذا مات الجنين ورثه ورثته الشرعيون . . . . هذا وتفرض الشريعة عقوبة مالية على المتسبب في الاجهاض (في غير ابطال لغيرها من التعازير) يدفعها من تسبب فيه الى ورثة الجنين الشرعيين واسمها الغرة وهي نصف عشر دية البالغ . .

ان من له هذه الحقوق له حق الحياة ووددت لو وعى ذلك المسلمون فقد شهدت مرة بين أطبائنا من يحاول تبرير الاجهاض مستخدما الآية الكريمة « لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده » !!

خط الدفاع الثاني

وينمثل هذا فيما أطلقوا عليه بادىء الأمر عبارة « القتل بدافع الشفقة » على غرار « رصاصة الرحمة » التي يقتلون بها الحيوان العاجز أو المعجوز ، في محاولة ساذجة أو خبيثة « لبيطرة » الحياة الانسانية . لقد بدأت على شكل حالات فردية صدرت بموجبها أحكام قضائية كانت خفيفة وهي الآن أخف وأخف . وتطورت الآن من حالات فردية الى حركة ناشطة ، وكثير من أقطابها كانوا من أقطاب حركة الاجهاض في زماننا . . . . أصبحت

مذهبا له صيحته وصولته . . . وها هي ذي مجلة الجمعية الطبية الهولندية في عددها الصادر في ٢٨ مايو ١٩٨٣ تحوي احدى عشرة مقالة منها ست عن « انهاء الحياة للراغبين » . . . أفاضت في بيان « حق الانسان في انهاء حياته » ، والبر الذي ينطوي عليه « تخليص المريض الميؤوس منه من آلامه » وحقه في « موتة كريمة » . . . . وحق المريض على طبيبه في تنفيذ رغبته في « الخروج من الحياة » بل تصف بعض التركيبات الدوائية التي يمكن استعمالها لهذا القصد ، وتزين المنطق الذي يعين الطبيب على تخطي الحاجز النفسي وهو ينتقل - لأول مرة في التاريخ - من جندي للحياة الى جندي للموت كذلك ، ومن راع وأمين على المريض الى منفذ لرغباته ولو في الانتحار . يقول محرر تلك المجلة (عدد ١٢٧ رقم ٢٢ ص ٩٤٥ عام ١٩٨٣) « ان الزمن يتغير . . وكذلك نحن » . . . . وقد صدق فقد أصبح الانسان في عصرنا يعبد عقله ويعبد منطقه ويعبد علمه ويعبد هواه أي يعبد نفسه من دون الله . .

واضح أن ذلك منطقُ الحادي ولكن الالحاد يتقدم للأسف الشديد على جميع الجبهات . ان قرابة نصف البشر (العالم الشيوعي) ينكرون الله . . . . وقرابة نصف العالم (العالم الغربي الرأسمالي) يعترفون بالله ولكن يأبون عليه أن يطاع في شؤون الحياة من أخلاق واجتماع واقتصاد وتشريع وقيم فردية أو جماعية . . . وكما يكون الغرس يكون الثمر . . . وفي المجال الذي نتحدث عنه تختفي قيم الصبر على البلاء وحسن المكافأة على هذا الصبر في الدنيا وفي الآخرة . . . . بل ان التقدم العلمي نفسه يصاب بنكسة فادحة فلماذا البحث المضني وراء علاج جديد للسرطان مثلا ما دام في الميسور أن نريح المريض بابرة تجلب له النوم الهادىء الذي لا يصحو بعده أبدا ؟ ! . . . ونحتم بأن نقذف بالحق على الباطل فيدمغه بايراد حديثين للنبي عليه الصلاة والسلام . . . الأول « ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه الا حط الله به سيئاته كما تحط الشجرة ورقها (صحيح مسلم) . . . والثاني « كان فيمن قبلكم رجل به جرح فجزع ، فأخذ سكينا فحز بها يده فما رقأ الدم حتى مات . فقال الله تعالى : بادرني عبدي بنفسه . . . حرمت عليه الجنة » (البخاري ومسلم) .

خط الدفاع الثالث

ويبدو أن اقتحام خط الدفاع الثالث هو بيت القصيد وأن قهر الخطين الأول والثاني رحلتان اليه . . . . فاهدار شأن الحياة الانسانية في الجنين الذي لم يولد ثم في المريض الذي لا يشفى أشبه بمضغ اللقمة حتى يسهل ابتلاعها ، فما يهاجم الخط الثالث الا وقد فقدت الحياة الانسانية أكثر حصانتها سواء وهي تزهق عن طريق الاجهاض أو بدافع الشفقة والرحمة . . . ومن ثم لا يعود مذهلا ولا مزلزلا أن يسفر الجانب السياسي عن وجهه في تجسيم قيمة الحياة الانسانية والتعامل معها « كشيء » وليس كقيمة . . . . وهنا أخشى أن يتهمني بعض قومي باتباع الهواجس أو الخيال العلمي المتشائم ، فانني أذكر أنه نشرت في « العربي » عن أطفال أنابيب الاختبار قبل نجاح التجربة إتهمني أخوة فضلاء بأنني أفترض مالا يكون على غرار طائفة « الأرأيتيين » الذين يقولون « أرأيت لو حدث كذا وكذا » لاثارة الجدل حول خيال لا حقيقة !

وأود أن أؤكد لهم أنني لا أحلم ولا أتخيل . . ويكفي أن أنقل اليهم عبارات رجل جاد قالها في غير هزل ولا هذر ، وله في بلده فرنسا مكانه المرموق فهو مستشار للرئيس ميتران رئيس الجمهورية ، اسمه المسيو جاك أتالي ، كتب يقول : « انني أعتقد أن اطالة العمر لم تعد هدفا مرغوبا في منطق مجتمعنا الصناعي » . . . . ويدلل على هذا بأن الماكينة الانسانية ما دامت

تنتج فهي تستحق البقاء والصيانة . . . . فاذا تجاوزت عمرها الانتاجي كانت تكاليف صيانتها خسارة اقتصادية ، وان التخلص منها ، لا بتركها تتآكل ، فهذا مكلف ، ولكن باعدامها مرة واحدة . . . . والانسان الذي بلغ الستين أو الخامسة والستين وتوقف عن الانتاج يصبح استمراره في الحياة عبئا أنانيا على طائفة المنتجين وتفضيلا للمصلحة الخاصة على المصلحة العامة . .

وفي زمان تحديد النسل هذا ستكون طائفة الشباب المنتجين أقل عددا فيا ينبغي أن تحمل كواهلها هذه الشريحة العالة غير المنتجة . . ويرى أن الوقت قادم ولا بد ولا فكاك ، كي تتولى فيه « ماكينات قتل مريحة » التخلص من الحياة البشرية حين يصبح بقاؤها فوق الاحتمال أو باهظ الكلفة . . .

وهو يرى أن مبادئه الاشتراكية تقدس الحريات وفي مقدمتها حرية الانتحار . . . ومن منطلق الحرية أو من منطلق التكلفة فان « أخذ الحياة » قادم ولا ريب .

(Jacques Atali, «La medecine en Accusation»-in Michel Solomon 'L'avenir de la vie', Coll. Les visages de l'avenir. Ed. Seghers, Paris, 1981, p 273-275) هذه ارهاصات وراءها ناس يخططون ويثابرون ويجدون بينا الأغلبية الكسول تتثاءب وتتمطى وتنظر وكأنها تشهد تمثيلية على مسرح أو تطالع أخبار كوكب آخر . وما لم ينشط المثقفون للتصدي لهذه الدعاوي بالهجوم المضاد الناشط ، ! ومن الآن فستصبح واقع الغد أو بعد الغد . . . . وهي امتداد منطقي لما كان بالأمس وقبل الأمس . . ومنذ ظهرت حركة الاجهاض في الخمسينات خطبت وكتبت متوقعا ما يجيء من بعدها فهذا منطق الأشياء .

أول ما باح هرتزل بالحلم الصهيوني لم يحسب أحد - خاصة من المعنيين - أن حلمه يدخل حوزة الامكان ، ولكن حتى الأحلام الغريبة ان وجدت من يدفعها ولم تجد من يقاومها في بداياتها وصلت الى غايتها .

انه لما يملؤني ألما بين حين وآخر أن يأتي الشاب المقتدر الى المستشفى بأمه العجوز ، فاذا جاء وقت اخراجها من المستشفى ضاق بها نفسا والحف في الرجاء أن تبقى لأنه لا يدري ما يصنع بها ، وأن حياته الأسرية انتظمت بحيث لم يعد فيها مكان لأمه . . . . وهوان الأمومة على البنوة ربما كان خطوة أولى نحو القبول بالتفريط في حياتها بدافع الراحة لها ولغيرها . . . . لأن الناس لا تحيى على القيم ولكن على الرفاهية .

وبالمقابل فان الجيل الجديد من طفولة اليوم ، الذي يعلم أن الجيل الذي أنجبه قد رضي واستباح ازهاق حياة ولده الجنين ان كان غير مرغوب فيه ، لا يستغرب منه كذلك - صاعا بصاع - أن يقبل ازهاق حياة والديه ان هرما أو مرضا فأصبحا غير مرغوب فيهما . بل ان في الغرب قضايا رفعتها الأم على الطبيب لأنها قصدته للاجهاض فحاول ، ولكن فشل الاجهاض واستمر الحمل وولد المولود . . . . هذا المولود ان كبر وعرف أن أمه رفعت قضية على الطبيب لأنه تسبب في حياته ماذا يكون شعوره نحو أمه خاصة ان أصبحت عبئا في شيخوختها أو مرضها ؟

ان العالم يتخبط - وتأتي فتن كأنها قطع الليل المظلم . . . . وبين قراء هذه السطور علماء مخلصون وقادة قادرون وعقلاء فاهمون . . . . فهل تكون القراءة ترفا سلبيا لديهم أو يتحركون وينهضون ويجاهدون ؟

ويظل العالم في حاجة لمن يهديه . . . . ويظل خير الهدى قول الحكيم الخبير الذي أنزل « من أجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا . ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا » . (المائدة ٣٢) .

□□

الحياة في نهاية هذا القرن

اعداد وتقديم :

دكتور : صفاء خلوصي

□ كيف تبدو الحياة في نهاية هذا القرن . كيف ستكون صورة المستقبل . هل تصبح الحياة آلة . . . ؟ إن روبرت هيد يتحدث عن بعض ما ينتظر البشرية من مفاجآت في نهاية القرن العشرين .

لقد كثرت التكهنات حول ما سيئول اليه أمر العالم في نهاية القرن العشرين أو مستهل القرن الحادي والعشرين ، وعلى الأخص من الناحية العلمية والتكنولوجية ، وقد خرج علينا روبرت هيد ببعض هذه التكهنات التي نسوقها في هذا العرض السريع ولم يبق بيننا وبين التحقق من صحتها سوى سبعة عشر عاما .

قبل كل شيء ستسيطر الحاسبات الالكترونية وشاشة الفيديو على المنزل وسيكونان موضع تقدير وترحيب ، وستستغرق عملية الطبخ بضع ثوان بفضل طباخ المايكرو ـ ويف MICROWAVE الذي سيكون جزءا من جهاز مركب منه ومن ثلاجة ومجمدة ، فتجد وجبة طعامك المفضلة معدة حال عودتك الى البيت ، وسواء كنت في المنزل أو خارجه فان الرقائق الدقيقة MICROCHIPS ستكون رقيبة على اللصوص والحريق وانفجار الأنابيب أو سقوط الجدة العجوز من كرسيها المدرج بهيئة سلالم .

وسيكون لمنازل المستقبل جدران يمكنك أن تحركها بسهولة لتجعل الغرف أكبر أو أصغر حسبما تشتهي تبعا لزيادة عدد القاطنين فيها أو رحيلهم عنها ، وسيكون الحمام مركزا مصغرا للمرح والتسلية مزودا برشاش الاستحمام والصونا SAUNA (أو أشعة الشمس الاصطناعية) ومكائن التمارين الرياضية وآلاتها لتشعر بالقوة فضلا عن مجرد النظافة .

وستكون ثمة هواتف أو تلفونات في مختلف أنحاء المنزل الا اذا كنت تفضل ساعة هاتفية تشد على رسغك لتخبرك بالمكالمة الهاتفية عندما تكون في أقصى زاوية من حديقة المنزل أو في المرآب (الكراج) GARAGE .

الانسان الآلي

وبوسعك أن تتعلم كل شيء في بيتك . . . من الطبخ الى لعبة الشطرنج .

في الوقت الحاضر تمتلك أكثر من نصف الأسر البريطانية مثلا منازل خاصة بها ، ولكن النسبة سترتفع سنة ٢٠٠٠ الى سبع عوائل من كل عشر عوائل ، ويزداد عدد الأسر الممتلكة لبيتين أو ثلاثة بيوت في أقطار وأماكن مختلفة .

وبامكانك أن تطوف في أرجاء أي منزل تريد استئجاره أو شراءه وتطلع عليه على الشاشة في منزلك وتوافق على مبالغ الرهونات وأنت في كرسي صالتك ، ولكن بطبيعة الحال لا بد لك من أن تزور المنزل شخصيا قبل أن تعطي قرارك النهائي .

الا أنه حالما تعقد الصفقة تقوم الحاسبات الالكترونية بالمستلزمات الحاسبية والمتطلبات الورقية بصورة أسرع وأقل كلفة مما يطالبك به المختصون باجراء مثل هذه العمليات .

وسيقوم الروبوت ROBOT أو الانسان الآلي والرقائق الدقيقة MICROCHIPS برفع أعباء العمل عن كواهلنا فيقل عملنا في الدوائر والمعامل وستوفر مزيدا من الوقت لأداء واجباتنا في البيت .

وسيودع الملايين ممن يسافرون يوميا بين مدينة وأخرى لأداء مهام وظائفهم هذه المشقة الى الأبد [1] ويقومون بأعمالهم في البيت ، اذ ما الداعي لقضاء ساعات في القطار والحافلة والانتظار الممل أثناء الازدحام ومضايقات المرور عندما تستطيع أن تكلم شخصا أو شخصين أو حتى عدة أشخاص في وقت واحد على شاشة الفيديو . . . وقد يكونون جميعا في أماكن مختلفة متباعدة أميالا بعضهم عن بعض ؟

أسبوع عمل قصير !

وستسمح هذه الحرية الجديدة للملايين بأن يستبدلوا بصورة أسرع وظائفهم وأعمالهم ، ويتمتعوا بمزيد من الاستقلال للقيام بأعمالهم أو الاشتغال في بيوتهم أو في دوائر في أقمار اصطناعية .

وسيتقلص معدل أسبوع العمل الى خمس وثلاثين ساعة أو حتى ثلاثين ساعة وأنت الذي تختار ساعات العمل ، « فالروبوت » والحاسبات الالكترونية تحتاج الى من يغذيها بالمعلومات على مدار الساعة .

والى ذلك أقول : دعك من عطلات الأربعة والستة أسابيع فسيكون بمقدورك أن تتمتع باجازة ثلاثة أشهر كل عام ، ومع ذلك تستطيع أن تكسب ما يكفيك لمعيشة مرفهة ، غير أن اتساع أوقات الفراغ لا يعني قضاء أسابيع أو أشهر دون عمل ، فقد يتنهز بعضهم الفرصة للتفكير بآراء ومبتدعات ومخترعات جديدة وتصميم خدمات ومنتجات أفضل للاستعمال والاستهلاك البشري ، ومع أن عدد العاملين سيهبط كثيرا فيما يتعلق بالانتاج فان الحاجة ستبقى ماسة لتسيير واصلاح الأدوات والآلات الالكترونية الجديدة ، فضلا عن نصبها واقامتها بالشكل المناسب .

وسيعتمد الحفاظ على الواجبات والمهام المناطة بالشخص على براعته وقدرته ونشاطه ، فاذا انعدمت هذه العناصر أو ضعفت فان رنين جرس هاتفه الذي يطلب خدماته سيتلاشى .

عالم الأزرار !

سيكون بوسعك أن تبتاع ما تريد وأنت في بيتك بمجرد الضغط على أزرار معينة في جهاز الفيديو ليريك نماذج من الأثاث والملابس وكل ما تحتاج اليه وذلك بمقارنة نوعيتها وأسعارها ودفع الأثمان بالضغط على زر خاص ، وسيكون في كل مخزن شاشة للعرض لتكون على صلة بك وأنت تحتسي فنجان قهوة مستريحا في صالتك .

وسيلغى نظام الوجبات الثلاث اذ بمجرد استعمال صفارة معينة تقوم المجمدات والمبردات والأفران باعداد ما تشتهي في الحال دون بذل أي جهد عن طريق حاسبات الكترونية وسيكون الطعام مركزا وصحيا للغاية وفي حدود سعرات حرارية لا تتجاوز المقدار الذي يحتاج اليه الجسم مع التأكيد على المواد السللوزية المفيدة للأمعاء ، وكذلك الأغذية البعيدة عن احداث الحساسية للجسم ، وستجد الأطعمة النفيسة الغالية ولا

(١) يعرف هؤلاء بالـ COMMUTERS واقترح ترجمتها « بالموظفين المكوكيين » .

قوائم الغاز والكهرباء والهاتف والماء ورسوم البلدية بالضغط على أزرار في لوحة خاصة تقوم بتدقيق مثل هذه القوائم قبل دفعها ، وسيبدأ قضاء الاجازات في الفضاء الخارجي بدلاً من أمريكا والريفيرا واليابان ، وستصبح السيارات أكثر أماناً رغم أنها ستكون مصنوعة من اللدائن فتكون ٧٠٪ أخف وزناً من مثيلاتها في الوقت الحاضر ولكنها أقوى منها بمعدل عشرة أضعاف قوة الفولاذ ، وسيكون بمستطاعك الاتصال بأي شخص في العالم بطريق آلة تحملها معك أو ساعة في معصمك كما ذكرنا وستكون الساعة في الوقت ذاته تلفزيوناً مصغراً .

وسيشيع استعمال السيارات الكهربائية للمسافات القصيرة وستكون أمامك شاشة تمثل مختلف الشوارع والأماكن التي تقصدها في أي مدينة تذهب اليها مع مؤشر يبين الموضع الذي وصلت اليه ، وستكون السيارات ناطقة تخبرك في الحال عن الأخطار مسبقاً من نحو عبور شيخ عجوز يجتاح الشارع على حين غفلة أو طفل يلعب في الطريق ، وتقف السيارة من تلقاء ذاتها تحاشياً لما لا تحمد عقباه ! . .

سيما الأسماك البحرية طريقها الى موائد أغلبية البشر .

وستختفي العملة لتحل محلها ومضات من أشعة ليزر تمثل مقدار ما يمتلكه كل فرد وذلك عن طريق الأقمار الاصطناعية ، وسيخبرك الفيديو عن البنوك والمصارف وأفضل الأرباح والفوائد التي تقدمها لك ، وسيكون بمقدورك أن تنقل حساباتك من مصرف الى مصرف بأقل من لمح البصر .

رحلات الفضاء

وسيتغير نظام الضرائب وتكون المرأة مسؤولة عن ضرائب الدخل بمعزل عن الرجل وستدفع

السيارة تتحرك بأمرك !

وبمستطاعك أن تتحدث الى السيارة فتأمرها بفتح الباب أو تشغيل المؤشرات أو فرشاة تنظيف الزجاجة الأمامية أو الخلفية .

وستختفي مفاتيح فتح اسيارة وتشغيلها لتحل محلها أرقام خاصة بمالك السيارة وحده .

وسيتقدم الطب فتطول الأعمار مع الاحتفاظ بنضارة الشباب وطراوته ، وتتحسن نوعية الحياة ومستوى المعيشة حتى بالنسبة للفقراء والعاطلين عن العمل ، ولكن الفجوة بين المهرة وعديمي المهارة ، والمحظوظين وسيئي الحظ ستتسع ، ومن المحتمل أن يؤدي ذلك الى العنف والاجرام . □□

أرقام!

تيارات من البشر تعبر الحدود

بقلم : محمود المراغي

الشيء المألـوف أن يعيش الانسـان في وطنـه . . . يتعلم . . . يتدرب . . . يعمل . . . يكسب . . . يعيش حياة دائمة وسط مجتمع تربطه به كل الوشائج .

وغير المألوف أن ينزع الانسان جذوره ، وينسلخ عن أهله وعشيرته ويحط الرحال في بلد آخر يصبح لـه المقر والمستقر والوطن البديل .

وقديما ، كان يحدث غير المألوف لبعض الوقت طلبا للعلم . . أو طلبا للرزق عبر تجارة يبيع فيها المرء ويشتري ثم يعود أدراجه . . فلما جاء العصر الحديث عرف العالم الجديد الهجرات الكبرى التي استبدل فيها اناس كثيرون بلدا ببلد وجنسية بجنسية ، وأصبح فيها الكثير من ابناء القارات المختلفة مواطنين في امريكا واستراليا (على سبيل المثال) .

لكن ذلك كله شيء وما يحدث الآن في عالم شيء آخر .

لقد اصبح الشاذ وغير المألوف . . مألوفا في كثير من الحالات . وأصبح الانتقال عبر الحدود من أجل عمل يستمر بضع سنوات ظاهرة عالمية وليس ظاهرة اقليمية أو مجموعة تصرفات فردية .

تيارات من البشر تعبر الحدود كل عام . تستخدم الشرعي وغير الشرعي من الوسائل . تخرق القواعد بعض الأحيان ، حتى انها ـ ووفقا لتقرير أخير للجنة الامم المتحدة للنشاطات السكانية ـ تنتقل عبر الحدود مشيا على الاقدام في بعض الحالات . . وسباحة في الماء في أحيان أخرى ، كما هو الحال في القادمين من المكسيك وامريكا الوسطى وجزر بحر الكاريبي متجهين الى امريكا الشمالية .

لذا ، ورغم الاعتراف بأن الانتقال للعمل قد اصبح ظاهرة دولية ، فان أي احصاء لعدد المهاجرين هجرة مؤقتة بغرض العمل هو احصاء غير دقيق وان كان ضروريا .

في تقدير التقرير السابق أن عدد العمال المهاجرين يبلغ عشرين مليونا يضاف لهم المهاجرون للعمل بشكل غير شرعي ويضاف لهم اللاجئون ايضا . . و . . هما يقتربان في الصدد ، وفقا لتقريرات صندوق الامم المتحدة للنشاطات السكانية ايضا من نفس الرقم حيث تتراوح العمالة غير المسجلة بين (٨,٥) و (١١) مليونا . .

كما يبلغ عدد اللاجئين (١٤) مليونا .

وفي التفاصيل تكاد الولايات المتحدة الامريكية تحصل على نصف عدد المهاجرين للعمل بشكل غير شرعي ، وتكاد افريقيا تحصل على (٤٠٪) من عدد اللاجئين في العالم .

انه النزوح عبر الحدود بطريقة شرعية أو غير شرعية طلبا لفرصة عمل مؤمنة . . أو فرصة عمل غير مؤمنة . . فاذا استبعدنا الفئة الثانية التي تنطوي على أسباب عديدة للجوء . . فأن الفئة الاولى تكاد تنحصر دوافعها في العامل الاقتصادي ، كما تكاد نقاط الجذب لها تنحصر في ثلاث مناطق :

أميركا الشمالية وأوروبا والشرق الاوسط . كل هذه المناطق قد جذبت العمالة الأجنبية لفترة من الوقت وقدمت

اغراء الحياة الافضل أو الاجر الأعلى للمهاجرين الجدد .. وحدثت تلك الفائدة المزدوجة لبلاد طاردة تحصل على عوائد عمل تساهم في تحسين ميزان مدفوعاتها وبلاد مستقبلة تحصل على قوة عمل لازمة لنشاطها الاقتصادي بل نشاطها العام في تقديم الخدمات الاساسية .

في بعض البلدان أصبحت العمالة الأجنبية عنصر ازعاج وعنصر منافسة للعمالة المحلية (حالة أوروبا) .. وفي بعض البلدان كانت العمالة الاجنبية عنصر خطر حيث زادت نسبتها عن العمالة الوطنية بل تغير تركيب السكان نتيجة لوجودها المكثف الذي فاق - عددا - وجود الوطنيين (حالة بعض بلدان الخليج) .

وفي الحالتين (حالة أوربا أو الشرق الاوسط) كانت هناك متغيرات أساسية خلال العقد الماضي .

فقد تحولت الهجرة من جهد فردي غير منظم الى تيار بشري تتولاه منظمات وشركات ومكاتب للاستخدام ، بل تدخلت فيه الحكومات ايضا ، وبينما كانت كوريا الجنوبية - على سبيل المثال ووفقا لبحوث مؤتمر العمالة الأجنبية في الخليج الذي عقد في الكويت في بداية ١٩٨٣ - تملك شركة واحدة لتنظيم العمل في الخارج عام ١٩٧٣ .. أصبحت تملك ثمانين شركة عام ١٩٨١ . وبينما كانت الحكومات بعيدة عن تنظيم هذا النشاط وقوانين السوق وحدها تحكم كل شيء ، بدأت حكومات الهند والفلبين وكوريا الجنوبية تتدخل في تنظيم انتقال العمالة وضمان حقوق العاملين .. وتدخلت حكومة الجزائر بالنسبة لعمالها في فرنسا .. وبدأت الصين طبقا لأنباء صحفية - في انشاء شركتين في هونج كونج لنفس الغرض .

المتغير الثاني هو انتقال النشاط من نشاط محل الترحيب من كل الأطراف ووفقا لقاعدة المنافع المتبادلة الى نشاط محل شك وقلق من كل الاطراف .. وفي مقدمتها الدول المصدرة للعمالة والتي باتت تشكو من نقص الكوادر واستنزاف الخبرات .

ووفقا لدراسة أجرتها الحكومة الكندية عن فترة تمتد بين عامي (٦٧ - ١٩٧٣) فان تكلفة الاحلال لرأس المال البشري الذي تم تصديره من دول نامية الى كندا خلال تلك الفترة قد بلغت (٢,٤) مليار دولار كندي دفعتها الدول الفقيرة .. و .. طبقا لدراسة أخرى أجرتها « الانكتاد » عن فترة زمنية تمتد بين عامي (٦١ - ١٩٧٢) فقد كسبت كندا وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية ٤٤ مليار دولار .. نفقات تعليم وتدريب لمهاجرين جاءوا من العالم الثالث .

وهكذا ، ورغم الحديث عن تحويلات العاملين وأثرها في التوازن الاقتصادي لبعض الدول حتى باتت تصبح المصدر الاول للدخل من النقد الأجنبي في اليمن الشمالية والاردن ، رغم الحديث عن ذلك .. فان الحديث عن الخسائر وهجرة الأدمغة ونقص الفنيين والتأثيرات الاجتماعية للهجرة قد بات حديثا شائعا ومحل بحث ودراسة .

صاحب ذلك متغيرثان هو دخول المنظمات الدولية طرفا في العلاقة .. و .. تحت البحث الآن : ميثاق دولي ينظم حقوق المهاجرين للعمل ، وتحت الاعداد مؤتمر دعت له منظمات الأمم المتحدة المتخصصة لبحث الأمر . وهناك أيضا مشروع عربي للنهوض بالاستخدام تدخل ضمن اطاره حقوق العمالة المهاجرة .

يبقى ان نقول أن التوقعات الدولية حول هذه العمالة « الى انكماش » .. وان فترة الرواج التي صاحبت انتعاشا في اوروبا وأمريكا وصاحبت زيادة عوائد النفط في الخليج العربي . هذه الفترة انحسرت بركود يشهده العالم ، وتراجع في اسعار النفط خلال الفترة الاخيرة .. والأهم أن الخليج - وهو منطقة رئيسية للهجرة - قد اقترب من نقطة التشبع وانحسر كثير من الانشطة التي تحتاج عمالة مكثفة (كبناء المرافق) .. بينما يأتي المستقبل لأنشطة اقتصادية أخرى .. اكثر تقدما .. واقل حاجة للعمالة العادية والكثيفة .

على أي حال فالمستقبل غير الماضي ، وان كانت الظاهرة لن تتوقف . سيبقى انسياب البشر عبر الحدود كانسياب الأموال والسلع والأنهار .. شيئا لا يتوقف وان دخل عليه شيء من التنظيم .

☐ كل وحدة تقوم بين قطرين عربيين أو أكثر ، كانت و ما تزال أمنية كل العرب من المحيط الى الخليج . وما الوحدة التى قامت بين دول مجلس التعاون الخليجي الا نموذج للتعاون والتضامن البناء بين أقطار تربطها هوية واحدة ومصلحة واحدة ومستقبل واحد ومصير واحد . لعلها تكون نواة الوحدة العربية الشاملة التى تحقق آمالنا .

التكامل الاقتصادي الخليجي

نواة للتكامل العربي الشامل

بقلم : محمد أبا الخيل

التكامل الاقتصادى الخليجي يمثل تجربة فريدة من تجارب التكامل الاقتصادي الاقليمي بوجه عام ، وفي العالم الثالث بوجه خاص .

إننا مهتمون في حديثنا اليوم بابراز الدور الايجابي للجامعة في المجتمع العربي الخليجي ، في التصدى لقضايا التنمية والتطور ، والمشاركة الفعالة في بلورة الصيغ التطبيقية ، وفي ايجاد حلول للمشكلات التي قد تعترض مسيرة التقدم .

وقد يكون لهذا الحديث أيضا أهمية خاصة ، حيث أنه يجد أمامه تجربة ما زالت في مراحلها المبكرة من الناحية الزمنية اذ لم يمض أكثر من عشرة أشهر على بدء الخطوات الفعلية لتطبيق الاتفاقية الاقتصادية الموحدة بين دول مجلس التعاون الخليجي ، وهذا يتيح لنا تقييم التجربة من بداياتها الأولى واستشراف آفاق المستقبل امامها . وفي نفس الوقت نجد أمامنا ايضا حجما من الانجاز الذى تحقق خلال هذه الفترة القصيرة ، يتجاوز في عمقه وآثاره ، البعد الزمنى الذى تم فيه ، ويقدم أساسا عمليا للبحث واستقصاء الايجابيات والسلبيات ، مما يسمح لنا باتخاذ اسلوب واقعي في التحليل ، ينأى بنا عن الطابع النظرى البحت في المناقشات

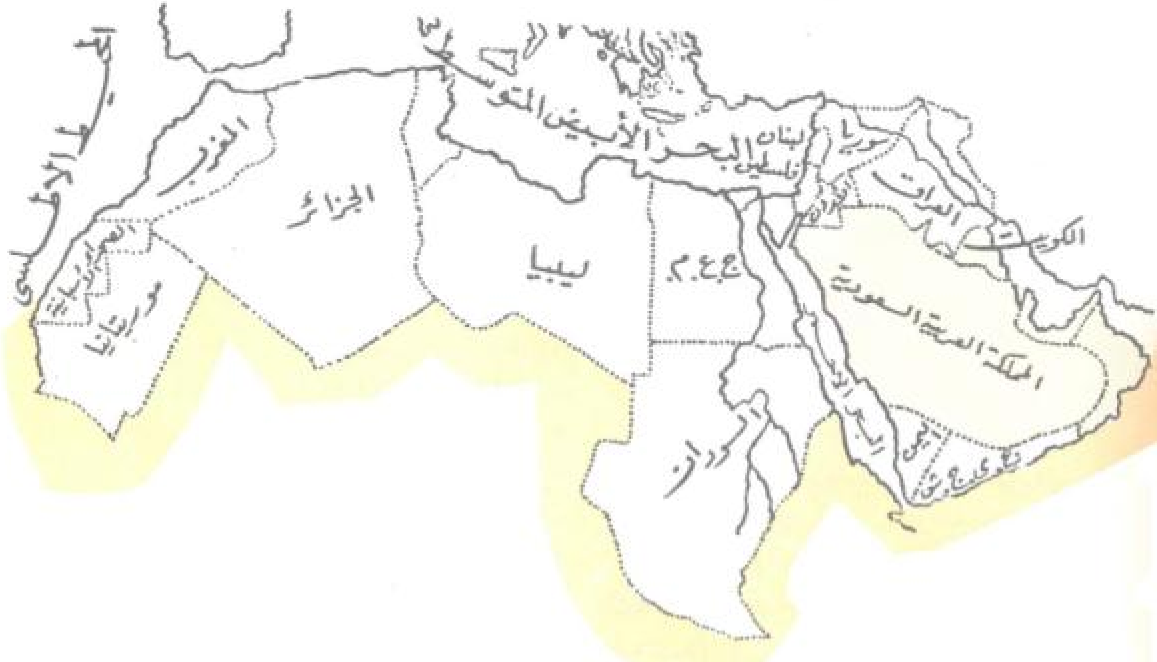

ويساعدنا على استخلاص النتائج .

والواقع انه لا يمكن قياس تجربة التكامل الاقتصادي الخليجي ، استنادا الى البعد الزمني المحدود لها منذ بدء اخضاعها لهيكل قانوني تنظيمي واحد ، ممثلا في الاتفاقية الاقتصادية الموحدة ، سواء كان ذلك بدءا بتاريخ وضع تلك الاتفاقية في الرياض في الثامن من يونيو ١٩٨١ م ، أو تاريخ اقرارها من جانب المجلس الاعلى لمجلس التعاون في دورته الثانية بالرياض في الحادى عشر من نوفمبر ١٩٨١ م ، أو تاريخ بدء تطبيقها في الاول من مارس ١٩٨٣ م . لأن تجربة التكامل الاقتصادي الخليجي في اطار المجلس ، لم تبدأ من فراغ ، انما جاءت هذه الخطوة تعبيرا عمليا عما يربط بين دول المجلس من وشائج راسخة ، وامتدادا لما هو قائم بينها من تعاون على كل صعيد . وكانت آخر مرحلة وصل اليها هذا التعاون ، قبل قيام المجلس ، هى محاولة تنظيمية بين الحكومات ، من خلال شبكة من الاتفاقيات الاقتصادية الثنائية ، واللجان المشتركة المنبثقة عنها . هذا الى جانب بعض المؤسسات الخليجية المتخصصة ، العاملة في المجال الاقتصادي وفي الكثير من المجالات الأخرى ، وعدد من المشروعات المشتركة .

مظلة مجلس التعاون

ثم تطورت هذا الصيغ الثنائية أو الجماعية المتفرقة من التعاون ، الى صيغة واحدة متعددة الاطراف ، تحت مظلة (مجلس التعاون) تهدف الى تحقيق اقصى درجات الترابط والتنسيق والتكامل فيما بين الدول الست الاعضاء ، في كافة المجالات .

وبالنسبة للمملكة العربية السعوظية فقد كانت قبل قيام الاتفاقية الموحدة ترتبط فعلا باتفاقيات اقتصادية ثنائية مع ثلاث من دول مجلس التعاون ، وكانت تتفاوض مع الدولتين الاخرين على اتفاقية ثنائية مماثلة لذلك ، وكانت نصوص الاتفاقيات الثنائية هذه متشابهة الى حد كبير مع نصوص الاتفاقية الموحدة ، وقد ساعد ذلك على تسهيل تطبيق تلك الاتفاقية الموحدة .

يتضح من ذلك انه لم يكن من قبيل المصادفة ، ان يقرر مجلس التعاون بدء المسيرة العربية الخليجية الجديدة بالحقل الاقتصادي ، اذ كان ما أملى ذلك الاختيار ، ليس فقط لانه الحقل الاكثر اهمية وحيوية ، بل ايضا لانه الحقل الاكثر استعدادا ونضوجا للاستهلال به ، لما هو قائم فيه بالفعل من ارضية جاهزة للعمل المباشر ، تمثل نقطة انطلاق صحيحة وتمهد طرق العمل الخليجي ، للسير عليها نحو انجازات اخرى جديدة .

ان بالامكان القول ، من الوجهة الموضوعية البحتة ، بان فرص النجاح امام مشروع التكامل الاقتصادي الخليجي ، هي أوسع منها في كافة التجارب الاقليمية الاخرى ، ويرجع ذلك الى عدد من السمات والخصائص المميزة ، التي يمكن ابراز اهمها فيما يلي :

● التشابه الكبير في البنية الاقتصادية والاجتماعية ، وفي عوامل الندرة والوفرة للموارد الطبيعية فيها على السواء ، وبالتالي تشابه مشاكل وتحديات التنمية التي تواجهها في الحاضر والمستقبل ، وتقارب الحلول التي تعتمدها لمواجهة تلك التحديات .

● التقارب في الهياكل والانظمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، والسياسات الموضوعة لتنظيم هذه المجالات .

● وحدة العقيدة واللغة ، والتماثل في القيم والتقاليد والعادات والتراث الثقافي وتشابه اساليب الحياة ، ووجود روابط اجتماعية وثيقة ، تبحث عن المصاهرات وارتباط المصالح وعن حركة البشر داخل المنطقة بلا قيود عبر آجال طويلة ، وعن التفاعلات التاريخية المشتركة التي صهرت مجتمعات المنطقة في بوتقة واحدة تقريبا .

● إن دول المجلس تمتد على ارض منبسطة ، لا يوجد بينها حواجز طبيعية تقريبا ، كما انها تطل على سواحل بحرية ، تمتد من الخليج الى بحر العرب الى البحر الاحمر ، مما يسمح بسهولة الاتصال البري والبحري فيما بينها ، ومن ثم نمو حركة الاشخاص والسلع .

بين الخليج والبحر الأحمر

ونحن جميعا نعرف ان حركة النقل الساحلي كانت دائما نشطة بين سواحل الخليج والبحر الاحمر التي كانت موانيها عبارة عن محطات متتابعة لنفس المجموعات من البحارة والتجار ، كذلك كانت القوافل البرية تتخذ مسارات ثابتة بين نقاط على البحر الاحمر واخرى على الخليج لتكمل بعضها عمل الأخرى في النقل من الغرب للشرق وبالعكس .

● يتوافر رأس المال في معظم الدول الاعضاء ، مما يزيل عقبة التمويل للتنمية والاستثمار فيها ، ويسمح بظهور سوق مالية ، ذات ابعاد اقليمية وعالمية .

● تطبق الدول الاعضاء جميعا اسلوب التخطيط الاقتصادي بدرجات متشابهة ، وتطبق

اساليب متقاربة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية وتبنى نماذج وأولويات متشابهة في مجالات الصناعة والزراعة والخدمات .

● تتشابه انماط التجارة الخارجية في دول المجلس ، من حيث اعتمادها على تصدير النفط الخام ، كمصدر رئيسي للدخل القومي ، واعتمادها على الاستيراد للوفاء بمعظم احتياجاتها ، وسعيها الى تغيير هذا الواقع ، من خلال تنويع قاعدة الاقتصاد الوطني .

● تتميز معظم الدول الاعضاء بضيق السوق المحلي لكل منها ، امام الصناعات ذات الحجم الكبير ، والحاجة الى ضم اسواقها ، وإزالة أي نوع من الحواجز فيا بينها لتحويلها الى سوق واحدة تتسع لانتاج الصناعات الجديدة . التي تقام على مستوى المنطقة .

● زيادة القوة الاستيعابية في كافة الدول الأعضاء ، مع خطوات التنمية المكثفة فيها وإقامة معظم تجهيزاتها الاساسية خلال السنوات العشر الاخيرة ، مما اتاح لها رفع معدلات التنمية واقامة المشروعات الكبرى في الصناعات والزراعة والخدمات ، وجذب الاستثمارات الخارجية معها مقترنة بجلب التكنولوجيا المتطورة والادارة الحديثة .

● تشابه السياسات الخارجية للدول الأعضاء وتماثل ارتباطاتها الدولية في إطار التعاون العربي والاسلامي وحركة عدم الانحياز ، وكذلك تطابق الادوار التي تقوم بها على الصعيد الاقتصادي الدولي والاقليمي وفي العالم الثالث .

تحديد الأهداف

ولقد جاءت الاتفاقية الاقتصادية الموحدة ، بمثابة (اتفاقية اطار) أو (دليل عمل) تحدد الاهداف الكبرى والخطوط العريضة للعمل الاقتصادي الخليجي المشترك ، في كل مجال من مجالاته ، وصولا الى غايته النهائية وهي الوحدة الاقتصادية الكاملة .

وتركت الاتفاقية للاجهزة المشتركة ، ان تتخذ تباعا التدابير والاجراءات التي تحقق الاهداف المطلوبة ، بصورة متدرجة وفعالة .

أما الاسس الرئيسية التي حددتها الاتفاقية الاقتصادية الموحدة ، لتحقيق التكامل الاقتصادي والخليجي ، فيمكن توضيحها فيا يلي :

- تحرير حركة الموارد الاقتصادية بين الدول الاعضاء ، بازالة كافة القيود على حركة الاشخاص والسلع ورؤوس الأموال .
- توحيد التعريفة الجمركية ، وايجاد درجة من الحماية الجمركية المشتركة تجاه العالم الخارجي .
- تنسيق الخطط الانمائية والسياسات النفطية (الداخلية والخارجية) والتشريعات والانظمة الصناعية .
- التعاون في مجال نقل وتوطين المعرفة والتكنولوجيا ، وفي تنمية الموارد البشرية .
- ربط ودعم التجهيزات الأساسية ، كشبكات المواصلات والنقل والاتصالات ومصادر الطاقة والمياه .
- تنسيق السياسات والأنظمة المالية والنقدية ، والتجارية فيا بينها ، وتنسيق التعامل مع العالم الخارجي في هذه المجالات .
- تحقيق (المواطنة الاقتصادية) بالوصول الى حرية ممارسة النشاط الاقتصادي والتملك عن طريق التسوية في المعاملة بين المواطن المحلي ومواطني الدول الاعضاء الاخرى ، من اشخاص طبيعيّين أو اعتباريين .
- دعم دور القطاع الخاص في الدول الاعضاء ، في تحقيق التكامل الاقتصادي الخليجي .
- الاهتمام بالمشروعات الخليجية المشتركة .
- تنسيق التعاون مع العالم الخارجي في مجال الاستطلاع وتقديم المعونات الفنية التقليدية للتنمية .

عناصر القوة الاقتصادية

ان هذه الاهداف الطموحة للتكامل الاقتصادي الخليجي التي حددتها الاتفاقية الاقتصادية الموحدة هي اهداف واقعية ، ولقد كان من الحكمة الاستفادة من تجارب الآخرين ، لذلك فان الاتفاقية تجنبت ان تعكس نفسها داخل ادراج جدول زمني محدد الأفق أو تحت اطار مراحل نظرية التكامل الاقتصادي ، ولقد اختارت دول مجلس التعاون اسلوبا للتكامل الاقتصادي يقوم على أساس انتقائي عملي ، من أجل ذلك فقد تشكلت لجان وزارية عديدة تقوم على تحضير اتفاقية ينبثق عنها ما يقوم بدوره لجان فرعية ومجموعات عمل ولجان متخصصة على المستوى الفني أو الوظيفي . إن المهام الكبرى للتكامل الخليجي لا يساندها فقط تطلعات مجتمعات المنطقة وأمانيها وسماتها المشتركة ومظاهر التكتل والاندماج الاقتصادي في عصر الكيانات الاقتصادية الكبرى وانما يؤازرها ايضا ثقل اقتصادي قائم ويمتد على المدى المتوسط والبعيد يمكن أن تبرز عناصر القوة الاقتصادية فيما يلي :

ـ ارتفاع حجم اجمالي الناتج المحلي للدول الست الاعضاء بما يعادل ١٨٧ بليون دولار وهو بذلك يمثل قاعدة تمكن الارتقاء بالنمو المرتفع على المعدل المرتفع لنمو الدخل القومي في السنوات القادمة .

ـ قوة مركز الاحتياطات النقدية للدول الاعضاء وبالتالي المركز المالي الخارجي ، وانعكاسه على المعاملات التجارية والنقدية الدولية للدول الاعضاء .

ـ متانة المركز المالي الداخلي ، ومن أدلة ذلك ان موجودات البنوك التجارية في الدول الاعضاء

وصل مجموعها عام ١٩٨٢م الى ما يعادل ٩٥ بليون دولار .

- ضخامة حجم التجارة الخارجية للدول الاعضاء مجتمعة ، الذي وصل مثلا عام ١٩٨١م الى ٢٠١ بليون دولار منها ١٤٨ بليونا للصادرات ، ٥٣ بليونا للواردات ، وهذا يعكس طاقة استيعابية كبيرة ، وتنمية مستمرة .

- يبلغ اجمالي عدد سكان الدول الاعضاء حوالي ١٤ مليون نسمة ، يمثلون في مجموعهم كما وحجما ملائما لطلب اجمالي في سوق واحدة .

- تمتلك دول المجلس احتياطات بترولية تقدر حتى الآن بـ (٢٧٤) بليون برميل ، تمثل حوالي ٥٢٪ من اجمالي الاحتياطي العالمي .

- يبلغ اجمالي عدد المصانع القائمة في دول الخليج الست (٤٧٠٧) مصنع ، منها (٩٦٨) مصنع يسهم فيها رأسمال اجنبي .

- تمتلك دول المجلس الآن مجمعات ضخمة للصناعات البتروكيماوية ، التي بدأ بعضها في الانتاج ، وستدخل جميعا في مرحلة الانتاج والتصدير عام ١٩٨٥م . وتنتج هذه المصانع حوالي ٢٠ منتجا بتروكيماويا يصل مجموعها إلى حوالي (١٢) مليون طن سنويا قابلة للتصدير ، كما تمتلك طاقة كبيرة في مجال تكرير النفط .

أهم الانجازات

واذا انتقلنا الى القاء نظرة على حجم الانجاز الذي تحقق حتى الآن ، على طريق التكامل الاقتصادي الخليجي ، منذ بدء تطبيق الاتفاقية الاقتصادية الموحدة ، فانه يتبين لنا ان ما تحقق يبشر بالخير ، ويقدم صورة ايجابية تماما لحاضر ومستقبل هذا التكامل . . وهذه أهم الانجازات التي تحققت :

● في مجال تحرير التجارة : اعتبارا من أول

مارس ١٩٨٣م . تم تطبيق الاعفاء الكامل من الرسوم الجمركية والقيود الادارية ، على كافة الواردات من المنتجات الوطنية ، وتطبيق اجراءات موحدة لتيسير تجارة العبور (الترانزيت) .

● في مجال النقل البري والبحري : اعتبارا من أول مارس ١٩٨٣م . بدأ تطبيق معاملة وسائط النقل الوطنية ، على قدم المساواة مع النقل العائدة للدول الاعضاء أو مواطنيها ، كما بدىء في تطبيق نفس المعاملة على السفن والبواخر والقوارب .

● في مجال ممارسة النشاط الاقتصادي : اعتبارا من أول مارس ١٩٨٣م . بدىء في منح حرية ممارسة النشاط الاقتصادي لمواطني الدول الأعضاء الاخرى ، وذلك في المجالات التالية : الصناعة والزراعة والثروة الحيوانية والسمكية والمقاولات ، وكذلك حرية ممارسة المهن لمواطني الدول الاعضاء في مجالات الطب ، المحاماة ، المحاسبة ، الهندسة (بما في ذلك المكاتب الهندسية) ، الاستشارات الادارية والاقتصادية والفنية والزراعية والسمكية والصناعات . وقد اضيفت الى هذه المجالات فيما بعد ، في اجتماع الدورة الرابعة للمجلس الاعلى مجالات عديدة هي : الفندقة واعمال الصيانة والصيدلة والحرف بجميع انواعها .

● مؤسسة الخليج للاستثمار : بدأت مؤسسة الخليج للاستثمار اعمالها في ٣٠ نوفمبر ١٩٨٣م . من مقرها بالكويت . وهي تضم الدول الست اعضاء المجلس ، ويبلغ رأسمالها ٢١٠٠ مليون دولار ، مقسمة بالتساوي بين الدول الست الاعضاء ، وتمثل هذه المؤسسة احدى الحلقات الهامة للتكامل الاقتصادي الخليجي ، وتهدف الى تنمية استثمارات الدول الاعضاء ، ودعم مواردها ، والقيام بأنشطة انتاجية وخدمية في كافة المجالات .

● ايجاد تعريفة جمركية موحدة : تم الاتفاق على اسس مرحلية لتوحيد التعريفة الجمركية الخارجية للدول الاعضاء ، تبدأ بتحديد الحدين الادنى والأعلى للرسوم في الدول الاعضاء ، بين نسبة ٤٪ ونسبة ٢٠٪ وقد بدأ تطبيق ذلك اعتبارا من أول سبتمبر ١٩٨٣م . مع السماح للدول الاعضاء بتطبيق اعفاءات مؤقتة ، والاتفاق على فرض حماية جمركية يتفق على نسبتها وعلى السلع الخاضعة لها وفقا لدراسات تجري حاليا في اطار لجنة التعاون الصناعي .

● توحيد اسعار الخدمات ورسوم المرافق : وافق المجلس الأعلى لمجلس التعاون في دورته الرابعة على توحيد اسعار الخدمات ورسوم المرافق ، على أن يكون التوحيد في اتجاه تحديد الحد الادنى لهذه الاسعار والرسوم ، وتكليف لجنة التعاون المالي والاقتصادي بوضع برنامج زمني للتوحيد . ويشمل ذلك الكهرباء والغاز والماء والتليفونات والمنتجات الكهربائية .

نحو التكامل الاقتصادي العربي الشامل

وقد اخذت بواكير الثمار الأولى لخطوات التكامل الاقتصادي الخليجي في الظهور ، رغم قصر المدة التي مضت على بدايتها ، وعلى سبيل المثال ، صدرت في المملكة تراخيص متعددة طبقا للاجراءات المذكورة ، لمواطنين وشركات من دول المجلس ، لممارسة العديد من الانشطة الاقتصادية والمهن الحرة ، وزادت قيمة واردات المملكة من دول المجلس خلال تسعة الشهور الاولى من عام ١٩٨٣م . الى ١٣٥٦ مليون ريال ، كما بلغت قيمة صادراتها الى تلك الدول حوالي ٣٨٦٢ مليون ريال خلال نفس السنة .

أود أن أقول هنا أيضا ان التكامل الاقتصادي الخليجي هو احدى حلقات التكامل الاقتصادي العربي الشامل وان دول المجلس تضطلع بدور نشط وايجابي في العمل الاقتصادي العربي المشترك وهي منضمة الى كافة الاتفاقيات الاقتصادية العربية القائمة في مجالات التجارة ،

وتشارك بدور رئيسي في تمويل التنمية والاستثمار في جميع الاقطار العربية سواء بواسطة قطاعها الحكومي أو الاهلي ، وسواء من خلال مؤسسات التمويل العربي المشتركة أو من خلال القنوات الثنائية ، ومن المؤكد ان هذا الدور النشط سيستمر بل انه سيتعاظم مع زيادة حجم المؤسسات الاقتصادية القائمة في دول مجلس التعاون نتيجة قيام الاتفاقية الاقتصادية الموحدة بينها .

وبالنسبة للمملكة العربية السعودية فقد كان سعيها النشط في سبيل اقامة الاتفاقية الاقتصادية الموحدة ، بين دول مجلس التعاون ليس بأكثر من سعيها الفعال الذي بذلته في سبيل عقد الاتفاقية العربية الجديدة للتبادل التجاري ، والاتفاقية العربية الجديدة لضمان الاستثمارات وتسهيلها . وقد كان للمملكة دور أخذ زمام المبادرة في تقديم اقتراح بعقدهـا للمجلس الاقتصادي العربي ثم اعداد الدراسات الأولية لها ، ثم استضافت في الرياض اجتماعات متتالية للخبراء العرب الذين تعاونوا في اعداد مشروع كل اتفاقية منها ، وبعد ذلك قامت بمتابعة مناقشاتها حتى تم اقرارها في المجلس الاقتصادي العربي ثم المصادقة عليها من قبل مجلس القمة العربية ، ويعكس هذا السعي النشط في كلا النطاقين قناعة تامة لدى المملكة العربية السعودية بضرورة ايجاد الاطارات المناسبة لايجاد تعاون اقتصادي عربي لتحقيق التنمية الشاملة لكافة ارجاء الوطن العربي ، وقناعة اخرى بأن التعاون الخليجي هو حلقة في اطار اشمل للتكامل الاقتصادي العربي .

لكي نمضي في مسيرتنا

وبعد فان السعي لزيادة فعالية الاتفاقية الاقتصادية الموحدة في الوصول الى اهداف التنمية الشاملة لدول مجلس التعاون يجعل من الضروري ملاحظة جوانب هامة قد يؤدي عدم اخذها في الاعتبار الى تعريض هذه التجربة لمخاطر وهزات قد تعرقل مسيرتها ، ولذلك فان القاء الضوء عليها ومناقشتها قد يساعد على تجنب هذه المخاطر .

من جهة أخرى فان الاوضاع المالية العالمية في الوقت الحاضر تمر بمرحلة ركود وغموض ، وما نراه امامنا من مشاكل مالية مستعصية في انحاء مختلفة من العالم بالاضافة الى الاوضاع السياسية غير المستقرة التي تسود المنطقة التي نعيش فيها ، كل ذلك يتطلب حذرا وحكمة في ادارة الموارد المالية للمنطقة ، ومؤسسات مالية ذات مقدرة فنية جيدة واداء مهني رفيع تعمل في ظل اطارات تنظيمية محكمة ذلك لان حشد المدخرات المحلية وتشجيعها على الاستثمار في مصادر الانتاج المتاحة للسلع والخدمات التى تحتاجها التنمية وتقوم عليها لا يمكن أن يتم في ظل ظروف مثل تلك التى ذكرتها الا بوجود مؤسسات مالية قادرة وموثوق بها تستطيع اكتساب الثقة وتعرف كيف تحافظ عليها .

وهناك امر آخر هو اننا يجب ان ننظر للتعاون مع الخارج سواء كان على شكل افراد ومؤسسات باذهان مفتوحة وبثقة كافية في النفس ، وادراك باننا مجتمعات نامية تحتاج لاكتساب الخبرة والمعرفة ، وان ادراك المنافع المشتركة هو المعيار الاساسي للحكم على هذه العلاقات .

واخيرا فان العالم مقبل على صيغ جديدة للتجارة الخارجية بعد ان تزايدت اهميتها في كل دول العالم وعلى رأسها الدول الصناعية المتقدمة ، واصبحت تمثل نسبة متزايدة في تكوين الدخل الوطني ومع قوة الدفع التي يتمتع بها مبدأ التجارة الحرة ووجود الكثير من المدافعين عنه الا اننا سنرى سلسلة من الحلول الوسط التي سيكون للتعاون الاقليمي دور رئيسي في الوصول اليها وسيكون بامكان مجموعة دول مجلس التعاون ان تجد لنفسها مكانا مناسبا فيها .

□□

المخبر العصري

شعر الدكتور عبده بدوى

في مقهى عصرى يستلقى مثل الهر على ليل ناعم
ويضىء بعينيه الخضراوين العالم
أحسست بأنى نقيت الدنيا فى نفسى
وغدوت خيوط النور الصادحة الأولى
وصفاء حلوا مأمولا !

***

قد حركنى هذا المشهد
فهتفت لنفسى : فليخلد
فلأرسمه نورا يبقى
فلأطلق فيه أزمانا تبقى
فلأحشد فى جنبيه البرقا
لكنى لما ان أشرعت أحاسيس الشاعر
أبصرت عيونا ترمقنى ، تهوى بى فى جب فاغر !
.. لكنى لما حركت اللون الوارف
أبصرت الدنيا من حولي مثل الانسان الخائف
واذا ألوانى ذابلة ، واذا وجه مملوء بالاعين
يتحدث عنى في الهاتف
ويقول ـ لمن فى اقصى الخط ـ سألقيه خلف الشمس
ويمشى فى خطو العارف !

***

كانت أمسية
لما حركت بها « قطع السكر »
أبصرت كأن الدنيا من حولى تتكسر !
.. لما قربت فمى
أبصرت دمى !
.. لما ان قلت لجارى : ما اسمك ؟
قال : الحجاج !
.. لما حاولت المخرج
لم ألق سراج !
.. لما أمسكت ولم أنبس
أحسست يدا تهوى ، ومسدس !

إذا اجتمع الشر والقسم فلأيهما يكون الجواب ؟

بقلم : محمد خليفة التونسي

كل جملة شرطية يحتاج شرطها الى الجواب ، مثل « ان تقم بحقي أقم بحقك » فالشرط هنا « تقم بحقي » وجوابه « أقم بحقك » والفعلان في الشرط والجواب مضارعان مجزومان ، والأداة « ان »

وكذلك جملة القسم ، لابد لقسمها من جواب مثل « والله لأقومن بحقك » فالقسم هنا « والله » وجوابه « لأقومن بحقك » وبغير الجواب يكون الكلام لغوا [١]

وقد يذكر القسم كما في المثال السابق ، أو يحذف فيدل عليه حرف اللام كما في قول الشاعر :

لأستسهلن الصعب أو أدرك المنى
فما انقادت الآمال الا لصابر

من هنا سمى النحاة هذه اللام « لام القسم »

وقد يجتمع شرط وقسم كما في قول الشاعر :

لئن كان ماحدثته اليوم صادقا
أصم في نهار القيظ للشمس باديا

فلأيهما يكون الجواب اذا اجتمعا ؟ وما دلالة أن الجواب للشرط أو للقسم ؟

وقبل الاجابة نشير الى أنه لايعنينا هنا من أدوات الشرط الا « ان » [٢] فأكثر ماتدخل لام القسم انما تدخل عليها ، [٣] ولاتدخل على غيرها الا قليلا ، كما لايعنينا الا القسم الذي يكون جوابه خبرا كما في البيتين السابقين [٤] .

والشائع بين نحاتنا أنه اذا اجتمع قسم وشرط فالجواب للسابق منهما ، فاذا سبق الشرط كان الجواب له ، مثل : ان تجتهد والله تنل مطلبك ، والدليل على أن الجواب للشرط هو أن الفعل « تنل » مجزوم بان . واذا تقدم القسم كان الجواب له ، مثل « والله لئن اجتهدت لتنالن مطلبك » ، والدليل على أن الجواب للقسم دخول اللام على الجواب وتأكيده بالنون وعدم جزم الفعل « تنال » .

ولا يجوز عندهم مع تقدم القسم أن يكون الجواب الا له ، فهم يرون أن « لام القسم » اذا دخلت على « إن » الشرطية أبطلت عملها فكان الجواب مرفوعاً لا

(١) بهذه المناسبة نذكر النكتة التالية لشاعرنا حافظ ابراهيم ضد صديقه القاضي الشرعي الشيخ الأديب عبد العزيز البشري ، وكانا ـ رحمهما الله ـ أميري النكتة المصرية في عهدهما ، وكان حافظ يأخذ على صديقه كثرة أيمانه بسبب وبغير سبب فكان يقول فيه « انه يقسم : والله والله .. ولا يزال يكررها حتى ينسى ما أراد أن يقسم عليه »

(٢) قد تأتي « إن » بمعنى « قد » كما في قول الشاعر الاسلامي علفة بن عقيل المري :

« لعمري لئن كانت سلافة بُدِّلَتْ
من الرملة العذراء قفلا تزاوله »

« وكانت » هنا بمعنى صارت ، أي : « لعمري لقد تبدلت سلافة من الرملة ... »

وكما في قوله تعالى « وان كنت لمن الساخرين » فلا شرط هنا ، يراجع كتاب طبقات فحول الشعراء لابن سلام (تحقيق محمود شاكر) ٧١١/٢ .

(٣) مغنى اللبيب لابن هشام (تحقيق الشيخ محيي الدين) ٢٣٥/١ .

(٤) هناك قسم آخر هو القسم الوجداني الذي يراد به استثارة الوجدان ، مثل « بربك هل أكرمت اليتيم » و« بالله عليك لا تدخن بجواري » ، وجواب القسم المراد توكيده هنا جملة انشائية ، وليس خبراً .

مجزوماً [5] وعلى هذا الرأي كل الشواهد القرآنية ، ومنها : « لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ، ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ، ولئن نصروهم ليولُنّ الأدبار » .

والآية : « ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولُنّ : يا ويلنا » والآية : « لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين » والآية « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولُنّ : الله » .

وشواهده من الشعر القديم كثيرة ، منها قول لبيد في الرثاء :

لعمري لئِن كان المخَبِّر صادقاً
لقد رُزِئَتْ في حادث الدهر جعفرُ

وقول النابغة في الاعتذار الى النعمان :

لئن كنت قد بُلِّغتَ عني وشاية
لمبلغك الواشي أغش وأكذب

وقول عروة بن حزام في الحب :

لئن كان برد الماء هيمان صادياً
اليَّ حبيباً انها لحبيب .

وقول المتنبي ينذر سيف الدولة بفراقه :

لئن تركت ضميراً عن ميامننا
ليحدثن لمن ودعتهم ألم

وقد يجيء الجواب ـ ظاهراً ـ للشرط مع أنه متأخر ، ومن ذلك قول تأبط شرا في مرثيته المشهورة (من ديوان الحماسة) .

فلئن فلَّت هذيل شباه
فبما كان هذيلاً يفل [6]

وقول أحد شعراء الحماسة أيضاً :

لئن حسنت فيك المراثي وذكرها
فقد حسنت من قبل فيك المدائح

وقول آخر :

لعمري لئن رمت الخروج عليهم
فقيس على قيس ، وسعد على سعد

وقد ورد الأمران في قول أعشى قيس :

لئن قتلتم عميداً لم يكن صددا
لنقتلن مثله منكم فنمتثل
لئن منيت بنا في غب معركة
لا تلفنا عن دماء القوم ننتفل [7]

فالجواب في أول البيتين للقسم ، وفي ثانيهما للشرط ولهذا كان مجزوماً . مع ان القسم هو السابق في البيتين .

وبعض النحاة يرى أن الجواب حين يكون للشرط ظاهراً ، فان جواب القسم في هذه الحالة هو جملة الشرط كلها ، ففي قول عمر بن أبي ربيعة مثلاً :

لئِن كان ما حدثت حقاً فما أرى
كَمثل الألى أطريت في الناس أربعا

يكون البيت كله جملة للقسم وجواب القسم هو كل الجملة الشرطية ، أي أداة الشرط وفعل الشرط وجوابه (ان كان ما حدثت حقاً فما أرى كمثل الألى . .)

ومهما يكن تخريج هذه الجمل التي يجتمع فيها القسم والشرط ، ويتقدم الجواب فانه يجوز أن يكون الجواب للشرط ، ولو لم يتقدم عليهما ما يطلب خبراً كما في الأمثلة السابقة ، أو تقدم عليهما ما يحتاج الى خبر كقولنا « أنت والله إن تقرأ تستفد ، فالكلمة أنت مبتدأ ، وجملة القسم كلها بعده خبر له ، والجملة الشرطية كلها « إن تقرأ تستفد » جواب للقسم .

والخلاصة أنه اذا اجتمع شرط وقسم جاز أن يكون الجواب للشرط ، سواء تقدم القسم أو تأخر ، وسواء كان قبلهما أو لم يكن ما يحتاج الى خبر . □□

---

(٥) انظر كتاب « اللامات » لابن فارس (تحقيق الدكتور شاكر الفحام) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق م ٤٨ حـ ٤ ص/٧٧٦ وهذا هو الرأي الشائع بين نحاتنا لأنه رأي البصريين ، وقد تعصب لهم معظم نحاتنا طوال تاريخهم حتى اليوم ، وفي نحوهم ضعف كثير .

(٦) اذا كانت قبيلة هذيل قد كسرت حده فهذا جزاء ماكسر من حدها قبل

(٧) اذا كنتم قتلتم رئيسا بغير ثأر فسنقتل مثله منكم فنتساوى ، واذا حاربناكم فلن نترك سفك دمائكم .

من سجلات المحاكم

.. وقضى الطبيب الشرعي

بقلم علي منصور

☐ فرغت النيابة العامة من التحقيق ، وقيدت الواقعة جناية بالمادة ٢٣٠ من قانون العقوبات (المصري) . التي تعاقب بالاعدام كل من قتل نفسا عمدا مع سبق الاصرار على ذلك أو الترصد .

وأردفت النيابة قرار الاتهام بقائمة أدلة الاثبات ، وبعد أن عددت الشهود ولخصت وجه الاستدلال بما أجملت من حاصل أقوال كل شاهد على ثبوت التهمة ضد المتهمة ، قدمت في مجال تأكيد الدليل ملاحظات جمعتها من ثنايا التحقيق وكان اقواها . . . « واعترفت المتهمة بقتل المجني عليه بأن كتمت أنفاسه حتى فارق الحياة ، وبأنها قد أزمعت ذلك وأصرت عليه انتقاما من والدي القتيل » .

كيف وقعت احداث هذه الجريمة ، وما هي ظروفها ودوافعها ؟!

لم يكن « غريب » وحيد والديه فحسب ، وانما كان كذلك بالنسبة لجده لوالده ، الذي وان يكن كذلك جدا لأولاد ابنه الثاني ، - عم غريب وزوج المتهمة - . غير أنه كان كلما بشر بمولود لابنه هذا ظل وجهه مسودا وهو كظيم . يكاد يتوارى من الناس من سوء ما بشر به ، فقد كان كل هؤلاء بنات ، ، وكان الجد من جيل جاهلي يبغض البنات ويؤثر البنين .

لذلك فان « غريبا » لم يكن يقيم دائما - شأن الصغار - ضمن اخوته وبين والديه ، وانما كان يتردد في معيشته بين دار أبويه ودار جده ، ولم يكن الغلام شأن أمثاله في بيته ممن تحكمهم مواعيد الدراسة . فالتعليم آخر ما يتزودون به ومن ثم يلتفون اليه .

وبين داري الأبوين والجد كانت مسافة بضعة كيلومترات ، يقطعها المرء في قرابة الساعة يضرب ما بين الحقول والقنوات .

غادر « غريب » دار والديه كما اعتاد ولكن أوبته طال انتظارها ، فقصد الوالد دار أبيه (الجد) يسأل عن الغلام . بينما توجه الجد الى دار ولده ليعتب أن انقضى ما لم يعتده دون أن يزوره حفيده . . . وتبادل الجميع التساؤل « أين ذهب قرة العين . . . ؟ » .

وبذل الوالد والجد وكل من حولهما الجهد بحثا عن الولد المفقود ، فطافوا بالقرى وطرقوا النجوع . . . وجاسوا بالكفور ، وعاثوا بين الزراعات وفي السواقي بل وفي مجاري المياه فلربما سقط فيها فغرق ، وباءت جميع الجهود بالفشل ، فكل جماعة كانت تسلخ النهار طوافا وبحثا ، ومع المساء يرجعون صفر اليدين .

ولما انقضى على البحث يوم سبقه يومان على آخر لحظة رأى فيها « غريبا » آله ، نفر هؤلاء الى عمدة البلدة وطلبوا اليه أن يبلغ الجهات المختصة

بفقدهم « غريبهم » وبغيابه منذ صباح الأربعاء ١٤ من أغسطس سنة ١٩٥٨ .

وقبل أن يطير العمدة البلاغ الى مركز الشرطة المختص ، أعلن عن تقريره تفتيش منازل القرية وان بدأ بمنزل واحد وانتهى به بعد أن أعلن العثور على جثة الغلام المفقود .

وكان المنزل الوحيد هذا منزلا لأم « فتحية » المتهمة يحده منزل المتهمة ذاتها من ناحية ومنزل « أرملة طروب » من الناحية الأخرى والطريق العمومي والحقول الممتدة من الناحيتين الأخريين ، وهو منزل شبه مهجور اذ إن صاحبته تركت القرية لتساكن ابنا لها بالمدينة لما ارتحل اليها بحكم عمله .

ولما وجد العمدة جثة الغلام المفقود كما قال . وبعد أن برم أطراف شاربه بين أصبعي يمينه الابهام والسبابة وجه الى « نعيمة » في يقين المتحدي تهمة القتل . . . وأنه وهو « ظل الحكومة » في القرية فقوله الفصل ، وبالتالي فان اتهامه لها لا يرد .

وعندما أبلغ العمدة مأمور المركز أخبره بابلاغ والد غريب عن غيابه وأنه اتهم « نعيمة » زوجة عمه « سلطان » بقتله ، وانه وجد جثة الغلام في المنزل المجاور لمنزل المتهمة وهو مملوك لأمها ، ولا سبيل اليه إلا من منزلها ، وانه لما واجه المتهمة بذلك وواجهها بالقتل اعترفت باقترافها الجريمة .

وانتقل المأمور الى حيث الجثة ، وحرص العمدة على أن يدلف اليها من موقع قريب من منزل المتهمة . ثم أرشده الى غرفة بها أجولة مكومة على الأرض ، وبينها جوال لم يتمكن المأمور من تبين ما بداخله إلا أن شقه بمطواه . فظهرت الجثة وملأت أرجاء المكان الرائحة الكريهة التي انبعثت منها فزكمت كل الأنوف .

وفي جهة من المكان كان والد الفقيد وجده وكان عمه زوج المتهمة ـ يقفون وقد ملأهم الشر بعد أن شبعوا فى المتهمة توبيخا وفيها ينتظرها من شماتة . وكانت المتهمة منزوية فى ناحية اخرى لا تملك لنفسها من أمرها رشدا .

وبعد ظهور الجثة المتعفنة المتآكلة ملامحها ، واجه المأمور المتهمة بقتلها الغلام فلم يسعفها لسانها برد . فلما زجرها زوجها بعنف أومأت برأسها ، فلما أعاد عليها المأمور المواجهة بالقتل ردت بالايجاب .

ونقلت المتهمة الى دار الشرطة ، وانتقل معها العمدة ووالد الغلام وجده وعمه حيث جاء وكيل النيابة بعد أن عاين الجثة في مكان وجودها ثم بدأ التحقيق .

وواجه المحقق المتهمة بالتهمة فلم يسعفها النطق ، وأومأت برأسها فأمرت باثبات الايماء وأنه يعني الايجاب . . ثم سأل والد الغلام وجده ، فصالا وجالا في بيان الغل الذي يملأ صدر المتهمة وكيف كانت تصرفاتها وكان شرودها وقت أن جمعتهم معيشة واحدة . . . وكيف وكيف . . .

وقال زوج نعيمة في صوت كليل انه لا يستبعد عن زوجته الجريمة . .

ولم يستطع الجميع القطع بأن الجثة لفقيدهم . وكان من إجابة الأم . . . ابني كان مثل القمر . . . . ولكن ربنا يوريني في مقطوعة اليد نعيمة أم لبيبة . . . يا بيه . . . إيه تنتظره من أم البنات لديك البرابر !! »

* * *

وواجه وكيل النيابة المتهمة بكل هذا فسكتت فأثبت سكوتها وعدم اجابتها . ولما واجهها برأي زوجها نفسه ، وكان العمدة قد أطلق « نحنحة » مجلجلة ، رفعت المتهمة نظرها الى زوجها كمن يستنجد به ، فلما أشاح عنها اعترفت باقترافها الجريمة وروت . .

« يوم الأربعاء ١٤ في الشهر كنت في صحن الدار لما دخل علي غريب يجري وهو يقول « خبيني يا عمي . . . الحكومة في البلد عمالة تمسك الأولاد للدكتور يحقنهم » .

ولما رأيته أمامي . . . كل تصرفات أمه وافتراتها عليّ لعب أمام عيني . . . وركبني الشر فتقدمت الى غريب فاتحة قبضتي لأختقه فجرى الى السلم ولكنه سقط . . . قلبت فيه ولا أعرف هل كان يتنفس أم قطع النفس فوضعت يدي على وجهه « أنفه وفمه » . . . . وبعدين وضعته في الجوال . . . . ووضعت الجوال في بيت أمي تحت الأجولة . .

وأثبت وكيل النيابة ذلك الاعتراف والاستجواب الذي أداره في حدوده ، ثم أثبت ما رأى من اجراءات . وختم تحقيقه بحبس المتهمة « نعيمة » أربعة ايام على ذمة القضية ، ويراعى لها التجديد في الميعاد « ويندب السيد الطبيب الشرعي لتشريح الجثة لمعرفة ما بها من اصابات وسببها والآلة المستعملة في احداثها . وعما اذا كانت قد حدثت وفق اعتراف المتهمة من عدمه ، ويصرح بدفن الجثة بعد ذلك » .

* * *

وبعد انتهاء الأيام الأربعة عرض أمر حبس المتهمة على « قاضي التجديد » وأمامه أنكرت المتهمة وأقسمت أغلظ الأيمان المحفوظ منها وما ألهمها به ثائر عواطفها على أنها بريئة ، فلما واجهها القاضي باعترافها في المراحل المتعددة عادت الى أيمانها علها تقنع ببراءتها ، ومد القاضي الحبس لخمسة وأربعين يوما .

وقدمت الشرطة للنيابة ما قدمه لها العمدة ووالد غريب وعمة الطفلتين « لبيبة » و « تفيدة » ابنتي المتهمة والقادرتين بين بناتها على بعض الكلام اذ بلغتا السابعة والسادسة .

وفي بيان متعثر قالت الصغيرتان انها يوم أن « كانت الحكومة تطعم الأولاد » جاء ابن عمهم في طريقه الى بيت جده . وبينما الثلاثة يتبادلون أطراف الحديث جاء الخفير المعاون للطبيب فعدا الصغير الى دارهم حيث كانت أمهم التي أغلقت الباب فور دخوله ولم ترياه بعد هذا . . . ولما رأيا أمهما كانت شاردة مهمومة .

وقدم الطبيب الشرعي تقريره وكان سبب الوفاة اسفكسيا الخنق بكتم النفس .

وقدمت النيابة القضية الى محكمة الجنايات .

وأمام المحكمة أصرت المتهمة على أنها بريئة .

وترافع ممثل النيابة وكان جل دليله تكرار اعتراف المتهمة واقرارها بجريمتها في أكثر من مرحلة من مراحل التحقيق . . . أمام العمدة ، وأمام الشرطة ، وأمام النيابة ، ولما جنحت الى الانكار لم تستطع أن تثبت أن اكراها وقع عليها .

* * *

وترافع محامي المتهمة . . . وكان مما قال . .

ان أقسى القضايا على ضمير القاضي تلك التي دليلها الاعتراف ، فالاعتراف ـ دليلا في الاثبات ، فسيد الأدلة ـ يوم كان تحققه شرطا للادانة في بعض الجرائم التي أسميت وتسمى بالجرائم الكبرى ، لأن المعتدى عليه فيها هو سلطان الأباطرة أو سلطان رجال الدين ، ولما كان الاتهام بارتكاب احدى هذه الجرائم في ظل السلطات حقيقة لا ينقصها سوى اقامة الدليل وهو الاعتراف ، فقد شرع التعذيب للوصول اليه وتدرجت مراحله وصوره وقنن هو والمراحل والصور .

كان ذلك وكانت السيادة . . .

ولكن عندما زالت مشروعية التعذيب بل وأصبح اللجوء الى التعذيب جريمة في ذاتها ، انحسرت عن الاعتراف سيادته ، وتقهقر موقعه

بين الأدلة ، واستمر تقهقره مع تفتح نظرة الفقه وتطور أحكام القضاء حتى أصبح صحيح الرأي وراجح الاتجاه النفور من الاعتراف دليلا ، وغدا ثقيلا على ضمير القاضي لأنه وكما يقول الدكتور محمود مصطفى : « انه دليل غير محسوس فلا يقطع بالادانة وهو يدعو لأول وهلة الى الشك والريبة في حقيقته ، إذ يتطوع المتهم ليقدم دليل إدانته » .

حضرات المستشارين . .

المتهم . . . كل متهم وان ارتكب جريمته فانه يفر بنفسه من دليلها ، وحتى ما تحتزب به الأدلة يحاول أن يتنصل منها بالمجادلة التنفيذ الذي يصل أحيانا حد القطع .

ولقد علمنا العمل أن المتهم وهو يخطط لجريمته يرسم وسيلة الفرار ويرتب وسائل رد الدليل . . . فهل يقبل أو يعقل ـ مع هذا ـ أن يتقدم المتهم معترفا أو على حد دقيق تعبير أستاذنا . . . « أن يتطوع المتهم ليقدم دليل ادانته .

وعلمنا ذلك كذلك اجتهاد الفقه وأحكام القضاء . .

فذهبت محكمة النقض الفرنسي الى « ان الاعتراف وحده لا يكفي في تسبيب الحكم بالادانة » .

وفي نفس المعنى كان قرار المؤتمر الدولي للعلوم الجنائية عام ١٩٠٢ .

ومن مقررات المؤتمر السادس لقانون العقوبات عام ١٩٥٣ « ان للمتهم الحق دائما في العدول عن اعترافه . واذا ما عدل عنه فانه يتعين عندئذ اطراحه من عداد الاثبات في الدعوى » .

ومع أن التشريع المصري لم يأخذ بعد بهذه الاتجاهات . وأطلق نص المادة ٢٧١ اجراءات في شأن الاعتراف فقضت ـ بعد أن تحدثت عن اجراءات التحقيق في الجلسة ، بأن يسأل المتهم عما اذا كان معترفا بارتكاب الفعل المسند اليه ، فان اعترف جاز للمحكمة الاكتفاء باعترافه والحكم عليه بغير سماع الشهود » .

مع هذا الذي جاء به النص في شأن الاعتراف . . فان روح التشريع ومذهب الفقه واتجاه القضاء في مصر لم يخل عن ملامح الاتجاه الجديد ، فأرسوا للاعتراف الذي يعتمد عليه في الادانة بعد الاطمئنان اليه من الشرائط والقيود ما أوجب التحرز عندما يكون الاعتراف هو الدليل .

وكان من أظهر ما وضع القضاء في هذا المعرض . . . لفظ الاعتراف اذا شاب اصداره أية شائبة ، والالتزام بتحقيق كل نعي ينعى به على سلامة الاعتراف أو سلامة الظروف التي صدر فيها ، وأن الاعتراف لا يصلح سندا ولو كان يمثل حقيقة مادام صدوره لم يكن طواعية واختيارا . . . ومما ننقله نصا للمحكمة الموقرة من قضاء محكمة النقض .

« من المقرر أن الاعتراف الذي يعول عليه ، يجب أن يكون صادرا عن رضا واختيار ، وهو لا يكون كذلك اذا كان وليد اكراه كائنا ما كان قدره ، فلا يجوز عندئذ التعويل عليه ، ولو كان صادقا » .

واذا كان هذا شأن الاعتراف في بعض حديث القانون فما هو شأنه في واقع الدعوى المطروحة ؟

واستميح أن أقاطع مقتضى الاستطراد . . . فأسبق الحديث في أمر الاعتراف بالحديث أولا عن الأدلة الأخرى . . . أو بعبارة أدق منثور القرائن الأخرى التي استعرضتها النيابة في حديثها المسطور بقائمة الاثبات . وعرضتها في حديثها المسموع . . . في مرافعة اليوم .

• • •

قدمت النيابة أقوال الشهود الذين سمعوا اعترافها وخاصة شهادة عمدة البلدة . . . الرجل الذي يعد، الجميع الأب الروحي أو في عداد ذلك ، وشهادة زوجها ، والطبيعي أنه لا يساير الهوى ولا يسير معه ، ثم مكان وجود

الجثة وكونه دار والدة المتهمة . وأن المنفذ الأقرب اليها كما قرر العمدة وأوصل المأمور هو دار المتهمة ، وأخيرا حديث الصغيرتين « لبيبة وتفيدة » .

أما عن شهادة الشهود فيكفي في عموم رد الدليل المستفاد منها أنها شهادة نقلية عن المتهمة . . . عن اعترافها الذي سنتناوله في موضعه . . . ولكنا حتى لا نكرر مقاطعة الاستطراد نعرض لهذه الشهادة فيما ركزت عليه النيابة ، فنقول أن مواضع التركيز دليل تستاند اليه فيما ستثير من الاعتراف وبهتانه أو بطلانه .

فالثابت من الأوراق . . . في محضر الضبط . . أن مأمور المركز عندما واجه المتهمة بأنها القاتلة لم تجب،فلما زجرها زوجها ردت بالايجاب ، وقبل ذلك أنه لما واجه العمدة المتهمة بالجثة اعترفت بارتكاب الجريمة ، بينما الجثة لم تكشف إلا بعدأن جاء المأمور وشق الجوال فكيف وبماذا واجهها العمدة ؟ .

والثابت من الأوراق كذلك . . . في تحقيقات النيابة أن المحقق واجه المتهمة بأنها القاتلة فأومأت وترجمت الايماءة بأنها ايجاب ، وأنه بعد سؤال الشهود عاد إلى مواجهتها فسكتت . . . ولما واجهها برأي زوجها نفسه وكان العمدة قد أطلق « نحنحة » مجلجلة ، رفعت المتهمة نظرها الى زوجها كمن يستنجد به ، فلما أشاح عنها اعترفت باقترافها الجريمة ورددت ما رددت . .

وهنا أستعير ـ صادقا ـ صادق تعبير الزميل الكريم ممثل النيابة من أن عمدة البلدة هو الرجل الذي يعده الجميع الأب الروحي أو في عداد ذلك ، وأن الزوج من الطبيعي ألايساير الهوى ولا يسير معه . .

* * *

وهنا أكثر من وقفة . .

تلك التي تتنكر . . . ثم تتهاوى إلى الاعتراف . . إلى التبرع بعنقها للمشنقة ، أيتصور ذلك تبرعا واحتسابا أم أنها تداعب فانساقت مكرهة ومحمولة .

أمامكم هذه الريفية الممعنة في فطرتها . . . وفي خبرتكم تقدير أثر الأب الروحي ووقع نظرة الزوج وأثر حديثه حتى إن جاء في صوت كليل « وحتى إن لم يكن نصا في الاتهام وكان مجرد رد الأمور الى الاحتمال أو حتى الى الترجيح » .

ودون أن نصادر على مطلوب نقول في اطمئنان إن وجود المتهمة في إسار ما التجأ اليه « الأب الروحي » وما تداعى اليه الزوج . . . عن حرج واضح مبعثه تمزقه بين مختلف العواطف والمواقف التي تتنازعه . . . وجودها في اسار ذلك يؤثر على ارادتها ان لم يفقدها إياها . . . وفي الحالين يكون اصدارها اصدارا غير صحيح ولا يعبر عن صدق .

تلك هي أقوال الشهود .

أما مكان وجود الجثة فليس الاستدلال بأنه وان كان شبه مهجور مملوك لوالدة المتهمة . وإنما الاستدلال كما جاء في التحقيق أن المنفذ الأقرب اليه منزل المتهمة . . . ولكن مهلا ، أرجو الرجوع الى معاينة النيابة والى الرسم الكروكي الملحق بها ليبين أن هناك منفذا مباشرا الى الحجرة التي وجدت بها الجثة موصولا بدار الجارة المعروفة بالأرملة الطروب ، وأن الحواجز في اتجاه هذا المنفذ شبه منهارة . . . وهنا نلفت ولا نطيل في تفلسف . . . لماذا حرص العمدة على أن يكون وصوله بمأمور المركز الى مكان وجود الجثة عن طريق المنفذ اقرب لمنزل المتهمة وليس عن طريق ذلك المنفذ المتصل بدار الأرملة الطروب .

ويسوق الحديث عن مكان وجود الجثة ، الى ان العمدة ابلغ انه وجد الجثة عند تفتيش الدار ، بينما الجثة كما اثبت المأمور لم تظهر ولم تفح رائحتها الا بعد ان شق الجوال .

أفلا يدل ذلك . . . أو ألا يشير في الأقل الى هوى الأب الروحي فيما قال به أو أرشد عنه . . . واذا كان الأمر كذلك ألا يثير أن السيد العمدة . . . الأب الروحي . . هو القابلة التي ولد على يديها الدليل . . . وانه قابلة لم تقتصر

على أن تتلقى المولود ، ولكنها تدخلت كذلك في تسميته وفي تنسيبه وربما الحمل فيه . . .

وبحاجة استطالة الحديث في شهادة الصغيرتين « لبيبة » و « نفيدة » . . . . . لا تقل في واقعها أو عندما نلجأ اليها . . عن سخف الاستهداء بأقوالها . . . تلك الأقوال التي تصرخ عباراتها بأنها صنعت . . . وأنها وضعت في آذانهم لترددها أفواههم .

* * *

أين كانت الصغيرتان يوم وجه الاتهام لأمها . .

أين كانتا حتى جاء بها أبوهما شاهدتين في ركاب العمدة . . . الأب الروحي للجميع أو هو في عداد ذلك . .

ثم ماذا فعلتا لما أغلقت أمها دونها الباب . . أفلم تقرعانه وهما الصغيرتان فتلفتان بذلك الأنظار . . . أفلا تصرخان . . . أفلا تسألان عن ابن عمهما . . . ثم قبل كل هذا أفليستا ـ وهما بنات ـ أن تلوذان بالفرار من « التطعيم » وإلى أين . . . الى دارهما . . . الى أحنّ صدر . . . الى أحضان أمها ؟

ذلك هو شأن ما تناثر من أدلة . . . ذلك هو شأن الحواشي . ويبقى الاعتراف . . . يبقى عصب الدليل أيها السادة المستشارون .

ولكننا مرة أخرى وقبل أن نواجهه نستأذن أن نبرىء الذمة بلفتتين . . .

اللفتة الأولى . . . أن الجثة التي عثر عليها بلغت حدا من التعفن ضاعت معه معالمها ، ولذا لم يستطع واحد من القائلين أو المتقولين أن يقول إنها للغلام المفقود . . « لغريب » .

صحيح انه لا يشترط كلية وجود جثة القتيل لثبوت تهمة القتل ، ولكن في واقعة الدعوى والتعرف عليها ، أو بعبارة أكثر تحديدا القطع بمن هو صاحبها ، وهل هو غريب أم سواه ، يقطع في سلامة ما أسندته المتهمة الى نفسها أو كذب هذا الذي أسندت .

واللفتة الثانية . . . أن المتهمة ام لصغار وانها عاشت عمرا شبه أم لغريب . . . فحتى إن نزعنا عنها أنها في وضع أمه فلا يمكن أن ننزع منها أنها أم ، وأن للأمومة ثورتها ، وعندما تثور تتمثل عطفا على كل ولد مما يباعد بينها وبين الاعتداء على أي ولد .

وعندما ننتقل الى صلب الدليل وعصبه . . . الى اعتراف المتهمة ، ذلك الاعتراف الذي عدلت عنه منذ اللحظة التي وقفت فيها أمام قاضيها ، عندما ننتقل الى ذلك . . . يحين الحديث عن تقرير الصفة التشريحية « عن التقرير الطبي الشرعي » .

ونبادر الى القول أن الربط بين الاعتراف وبين حديث التقرير أنه مما يحكم في سلامة الاعتراف ما حمل التقرير من تأييد له أو من تكذيب ، هذا الى أن مقتضى تسبيب الحكم في الدعوى المطروحة لا بد أن يرجع الى الدليلين معا . . . ما جاء عليه الاعتراف وما جاء به التقرير ، ولا بد لزوما ألا يقوم بينهما التناقض . . . صحيح إنه لا يتحتم أن يتطابقا ولكن يجب أن يتحقق بينهما مالا يستعصى على المواءمة كما تقول محكمة النقض .

والأمر لا يحتمل طويل حديث . .

فالتقرير أرجع الوفاة الى اسفكسيا الخنق بكتم النفس ، وذلك بعد أن وصف الجثة وما بها ، وليس فيما جاء بالوصف ما يفيد أو يدل على وجود اصابات كان يتحتم وجودها لو صدقت اعترافات المتهمة حيث قالت: بأن المجني عليه سقط من أعلى السلم ، ومثل هذا السقوط لا بد أن يخلف كسورا أو في الأقل جروحا رضية . . .

وما دامت الجثة قد خلت من ذلك فالمتهمة كاذبة فيما روت ، واعترافها اعتراف غير صادق . . .

على أنه اذا كان وجوب إحداث السقوط الموصوف لاصابات رضية على الأقل ان لم يكن لما يجاوزها من الكسور ، فان الدفاع يتمسك بالرجوع في ذلك الى الطبيب الشرعي .

وتقرير الصفة التشريحية وفي ضوئه التقرير الطبي الشرعي إثر الكشف على الجثة صباح ١٧ من أغسطس . . . وصف الجثة بأنها . . . « في دور التعفن الرمي المتقدم الظاهر على هيئة انتفاخ عام .

والذي يعنينا أن نقف عنده مما جاء بالتقرير أمر الديدان الرمية في عددها وفي الحجم الذي بلغته ، فهي منتشرة بكثرة في جميع أجزاء الجثة ، وحجمها يتراوح ما بين السنتيمتر الواحد وبين نصفه .

والقائم بإجماع رأي العلم . . . أن هذه الديدان تبدأ بمظهر النشارة الخشبية بعد ما بين ٣٦ ، ٤٨ ساعة من الوفاة ، يعقبها فقس اليرقات في ثلاثة أيام الى أربعة ، ويكبر حجم اليرقات الى الحجم الكامل وأقصاه سنتيمتر واحد في مدة أقلها خمسة أيام ، وقد تصل الى سبعة ، حيث تتم الشرنقة في اليوم العاشر .

ومن ذلك نقف عند ثلاث حقائق . .

أولا : أن حجم الديدان في الجثة يدل على أنها بلغت ما بين نصف وسنتيمتر كامل .

ثانيا : أن هذا الحجم لا يكتمل إلا بعد مدة أقلها خمسة أيام من الوفاة .

ثالثا : أن الاعتراف على أن القتل كان يوم ١٤ أغسطس أي قبل التشريح بثلاثة أيام .

إذن فالوفاة تحققت قبل يوم الاعتراف ، ويكون الاعتراف حتى لو لم تعدل عنه صاحبته غير مطابق للحقيقة ، وتكون الدعوى قد تجردت من دليلها .

ومرة ثانية إن لم تقنع المحكمة تتمسك بالرجوع الى كبير الأطباء الشرعيين .

* * *

وقضت المحكمة بالادانة . .

وسلمت في أسباب حكمها بما ساق الدفاع عن حديث العلم وعمر الديدان منسوبا لحجمها يوم غياب الطفل ، ولكنها قالت ان « ذلك الرأي يتحقق في الظروف العادية ، ولكنه لم يدخل في الاعتبار اثر العوامل الجوية المختلفة ، وطريقة وضع الجثة في جوال مدسوس بين أجولة وفي غرفة مغلقة ، وكل هذه العوامل مما يساعد على السير قدما بالتغيرات الرمية التي تطرأ على الجثة فلا تحتاج وهي في مكمنها للوقت الذي تحتاجه الجثة في غير هذه الظروف » . .

وطعنت المتهمة في الحكم بطريق النقض . .

ونقضت محكمة النقض الحكم لأن المحكمة وإن كانت الخبير الأعلى غير أنها أقحمت نفسها في مسألة لا تستطيع أن تشق فيها طريقها الا بالاستعانة برأي أهل الفن ، فقطعت دون الاستعانة برأي هؤلاء فيما لا يحسمه غيرهم من تأثر التغيرات الرمية بالعوامل الجوية ، ومبلغ هذا التأثر في الواقعة المطروحة .

وأعيدت المحاكمة . .

وجاء كبير الأطباء الشرعيين وأقر الدفاع فيما ذهب اليه ، وأكد أن التغيرات التي طرأت على الجثة وفي الظروف التي وجدت فيها تقطع أن الوفاة حدثت قبل اليوم الذي كان فيه « التطعيم » والذي حددته المتهمة لاقترافها جريمتها .

وقضى الطبيب الشرعي على سلامة الاعتراف . . . فقضى في الدعوى .

* * *

وبعد حكم البراءة وعودة المتهمة الى بيتها . . . جاء الأب الروحي للجميع « العمدة » يهنئها ، ومر بدار الأرملة الطروب ، ولكنها لم تعد أرملة إذ تزوجت لما غاب الذي كان يحول بينها وبين الزواج . . . غلام لا أصل له كانت تربيه . وكم تعللت للعمدة لما رغب في إضافتها الى زوجاته أنها منقطعة لتربية الغلام .

والتفت العمدة وهو في طريقه الى منزل نعيمة وطريقه من منزلها الى شرفة دار الطروب التي لم تعد أرملة وقد جلست فيها وزوجها الجديد . . . وكأنه يأسف ويتوعد . . . وصورة غلامها الذي اختفى ولم تبلغ عنه تخايله . . . وتطارده . □□

الصحافة : حريتها مشكلة وتقييدها مشكلة أكبر

بقلم : عبد الحميد الكاتب

□ الصحافة ما زالت مشكلة كبرى يحاولون علاجها ، وإن اختلف الأطباء المعالجون فيما بينهم في تشخيص الداء .. وفي وصف الدواء . !

أفتى جمال الدين الأفغاني بأنه يجوز للمسلم أن « يتعاطى » الصحافة .. وكلمة « يتعاطى » تحمل معنى الادمان أو الممارسة !

وكان هذا رداً على سؤال جاءه من أحد المسلمين البسطاء يسأله عما اذا كان من الجائز والمباح للمسلم أن يعمل صحفياً أو ان يكتب في الصحف أو لعله لم يكن مسلماً بسيطاً وانما أراد بسؤاله ان يؤاخذ الأفغاني على اشتغاله بالصحافة ، وان يقول له كيف يضع نفسه بين علماء الدين ، بينما هو يمارس عملاً لا يليق بعالم الدين الذي يحدث الناس عن الاسلام ومبادئه وشريعته ، ويقف بينهم موقف المفتي ، ويقف امام صفوفهم موقف الأمام ؟

ولم يكن سؤال ذلك المسلم الا ترديداً لما كان عليه رأي أكثر المسلمين في ذلك الوقت بعد أن انتصف القرن التاسع عشر .. وكان هذا على الأخص رأي الشيوخ المشتغلين بأمور الدين ونظرتهم الى الصحافة نظرة فيها ازدراء وتحقير ..

حدث ذات مرة ان كان الأفغاني يحاور عالماً من علماء الشام اسمه الشيخ حسين الجسر ، وكان هذا الشيخ يكتب في جريدة اسمها « طرابلس » .. وكان يكتب متخفياً فلا يوقع مقالاته . وعلا صوت الأفغاني وهو يجادل الشيخ فيما كتب ، فطلب اليه الرجل ان يخفض صوته خشية أن يعرف الناس انه يكتب في الصحف فتنزل مكانته عندهم .. وصاح الأفغاني : لماذا تتخوف ولماذا تتخفى ؟ .. انني أكتب في الصحف .. وجميع الناس ، حكاماً وغير

حكام ، يعرفون انني أصدرت صحفاً في مصر . . وكتبت فيها المقالات العديدة . . واصدرت في باريس «العروة الوثقى» التي كان يقرؤها المسلمون في كل مكان . .

ولكن الأفغاني ـ على كل ما تميز به من جرأة ـ كان يتخفى احياناً فيما يكتب في الصحف فيوقعه باسم «مظهر بن وضاح» !

فهل كان سؤال ذلك المسلم البسيط عن جواز العمل بالصحافة ، وتخوف ذلك الشيخ العالم في الشام من أن يعرف عنه ويشاع انه يكتب في إحدى الصحف ، دلالة على تخلف المسلمين في ذلك الوقت حين كانوا ينظرون الى الصحافة نظرة فيها على الأقل الشك في انها عمل شريف ، نظيف ، ولائق بالأفاضل الشرفاء من الناس ؟ . .

الباشوية للصحف

وهل كان من دلالات التخلف في ذلك الوقت انشغل الرأي العام المصري بجميع طوائفه وطبقاته عندما تزوج الشيخ علي يوسف ، صاحب ومحرر جريدة «المؤيد» ، بابنة السيد البكري شيخ مشايخ الطرق الصوفية في مصر . . فرفع ابوها قضية أمام المحاكم يطالب بفسخ هذا الزواج لأن شخصاً يعمل في الصحافة لا يعد كفؤاً لابنة السيد الحسيب النسيب . . وقد حكمت المحكمة الشرعية وقاضيها الشيخ أبو خطوة بالتفرقة بين الزوج وزوجته وقالت في حكمها ان من يعمل في الصحافة ليس كفؤاً لمصاهرة الأشراف . .

ولم تحل المشكلة التي شغلت الناس في مصر فترة من الوقت الا بأن « ينعم » الخديوي على الشيخ الصحفي بلقب الباشوية « فارتفع بهذا الى مرتبة تؤهله للزواج من بنت الأشراف » . .

وظل يعمل بالصحافة ولكن اسمه الشائع اضيف اليه اللقب الرفيع . . وصار معروفاً باسم الشيخ علي باشا يوسف . .

ربما كانت تلك النظرة الى الصحافة ، وذلك الموقف من الصحفيين ، دلالة تخلف فكري واجتماعي . . ومن الناحية الأخرى فربما كان الناس يشعرون شعوراً فطرياً بأن هناك شيئاً ما في العمل الصحفي يعرض صاحبه احياناً الى الاقتراب من حافة الاثم والخطيئة . . أو حتى الى الغوص في أغوار الاثم والخطيئة !

ان هذه الكلمات الفجة ، الخشنة ، تبدو منطوية على الاسراف والمبالغة . . ولكن واقع الأمر أن العالم « المتمدين » جدا ما زال يدور في ذهنه ، وفيما يكتب ويقال حول مشكلة الصحافة ومشكلة الاعلام بوجه عام ، شيء من الخواطر التي كانت تساور عامة الناس وفقهاء الدين أيام الأفغاني وأيام الشيخ أبي خطوة ! ولكن بفارق واحد ، هو أنهم في الماضي كانوا يلقون اللوم على الصحفي ويحيطونه بالريبة والتخوف ، أما الآن فانهم يلقون باللوم وبالمسئولية على الصحافة وغيرها من وسائل الاعلام .

فأما الصحفي فقد صار رجلاً محترماً أو سيدة محترمة ، له ولها في نظر الناس من العامة والخاصة على السواء قدر من الاحترام لا يظفر بمثله الا من يمارسون اعمالاً يجمع الناس على نفعها وخيرها وضرورتها ، ويولون القائمين بها قدراً كبيراً من الاحترام والتقدير ، مثل الأستاذ والمدرس والطبيب . والعالم والأديب ومن اليهم . . أما الصحافة ، فما زالت مشكلة كبرى يحاولون علاجها ، وان اختلف الأطباء المعالجون فيما بينهم في تشخيص المرض ، وفي وصف الدواء .

هل كل ما يعرف يقال ؟

وتوضيح ذلك أن الصحافة تقوم على أمرين : الخبر والرأي .

وكل ما تنشره الصحف لا يخرج عن أخبار سياسية واجتماعية وادارية وغيرها . . وعن آراء في شؤون السياسة الداخلية والخارجية وفي أمور المجتمع وشؤون الحياة .

وحتى ما يبدو أنه خارج نطاق الأخبار ، فهو أخبار . . مثل صفحة الوفيات أو نشرة الطقس أو مواقيت الصلاة ، أو برامج الاذاعة والتليفزيون الخ . . وكذلك ما يبدو أنه خارج نطاق الآراء ، فهو آراء . . مثل مقال في الأدب أو الفن أو الدين . . وقد يثير مقال من هذا القبيل اهتماماً وجدلاً أكثر مما تثيره مقالات في أهم شؤون السياسة ، ومثل هذا ما أثارته في الأيام الأخيرة مقالات عن جمال الدين الأفغاني ، وعن طه حسين .

والصور في الصحف هي جزء من الأخبار ، والرسم الكاريكاتوري يدخل في نطاق الآراء . . والاستطلاع الصحفي الجيد يجمع بين الخبر وما فيه من معلومات وبين الرأي بما يتضمنه من تعليقات ولا يبقى في الصحيفة بعد الخبر وبعد الرأي الا شيء بدأ منذ عهد قريب ، ويسمونه « الخدمة الصحفية » مثل شكاوي القراء ومطالبهم واستفساراتهم . . أما الاعلانات الصحفية فهي أمر آخر ، وهذه مشكلة أخرى ، فهي وان كانت خارج نطاق التحرير الصحفي الا أن لها تأثيرها ، وربما كانت لها سطوتها ، على التحرير خبراً ورأياً . .

ومشكلة الصحافة منذ بدأت حتى الآن تدور حول هذه النقطة : هل كل خبر ، وهل كل رأي ، يجوز نشرهما في الصحف ؟

هل كل خبر عن أمر واقع داخل بيت من بيوت الناس ، أو في مكتب من مكاتب الحكم والسياسة ، أو وقع في دائرة محصورة تضم عددا

محدوداً من الأفراد ، يجوز أن ينشر في الصحيفة التي يقرؤها آلاف الناس ، ويقرؤها في بعض البلاد ومنها ـ مصر ـ مليون أو عدة ملايين من الناس ، فيصير هذا الخبر حديثاً يخوضون فيه ، ويتناقلونه فيما بينهم ، ويفسره كل منهم ويؤوله كما يريد . . فلا تبقى لذلك البيت حرمة ، ولا لتلك الحكومة سر يذاع ، ولا لتلك الدائرة المحصورة من الأفراد حقها أو حريتها في أن يتفقوا أو يختلفوا على أمورهم ومصالحهم ؟

هذا عن الخبر بوجه عام ، وكذلك الأمر عن الرأي . فهل كل رأي يتبادر الى ذهن الكاتب الصحفي أو يجول بخاطره ، يحق ويصح ان يبديه على صفحة الجريدة أو المجلة الزائفة حتى لو صدم وآذى مشاعر الغالبية الكبرى من الناس ، سواء كانت مشاعرهم الدينية أو القومية أو الاجتماعية . . ؟ وحتى لو أراد أن يؤلب به الناس ويثيرهم على وضع من الأوضاع القائمة مثل نظام الدولة وقواعد المجتمع أو حتى لو أساء بما يكتبه الى شعب آخر وحكومة أجنبية فأثار بينها وبين حكومته وشعبه الخلاف والكراهية والعداء . . أو حتى لو تناول شخصية عامة بالتجريح ، والتشهير ، وقد تكون هذه الشخصية مكممة الفم معقودة اللسان بحكم وضعها السياسي ، أو بحكم الموت والصمت الأبدي .

الا ترى أن حرية الصحافة في نشر الخبر ، وفي نشر الرأي ، أياً كان هذا وذاك دون قيود وبلا ضغوط . . مشكلة كبرى ؟

قيود الصحافة

وفي الوقت ذاته فإن تقييد الصحافة بقيود تفرضها الدولة ، ويفرضها انتماء الصحيفة انتماء سياسياً أو مذهبياً أو طائفياً ونحو هذا . . كل هذه القيود تخلق مشكلة أخرى أثبت التاريخ الحديث والمعاصر ، في الدول « المتمدنة » جدا وفي الدول المتخلفة أو النامية على وجه خاص ، انها مشكلة أكبر وأخطر من مشكلة حرية الصحافة . .

والقيود الماثلة أمام الناس هي القيود التي تفرضها الدولة بقوانين مسنونة معروفة ، أو بأساليب ادارية ملتوية تجعل المشرفين على الصحافة أشبه بموظفين في الحكومة يمتثلون لأوامرها ، ويضاف الى هذا أوامر يومية تصدر للصحف وتحدد لها ما ينشر من أخبار وآراء . . وقد يكون للحكومة رقيب أو رقباء لهم مكاتبهم وسط مكاتب المحررين والكتاب ، فيقرون ويرفضون ، ويحذفون ويضيفون ، فلا يخرج في الصحيفة خبر ولا مقال الا على الخط الذي ترسمه الحكومة .

والحكومات التي تقيد الصحافة لها فلسفتها ، قد لخصها هتلر في عبارات واضحة حين قال فيما قال : ان الصحيفة ليست الا وسيلة يتعلم بها الشعب بطريقة تلقائية افكار الزعيم الذي برأس الدولة . . وكذلك قال وزيره للاعلام والتوجيه والرقابة ، دكتور جوبيلز : « ان مهمة الصحافة لا يمكن ان تؤدى الا من خلال ادراك الصحافة والصحفيين ادراكاً واعياً وعميقاً لمبدأ زعامة الدولة ، والاعتراف بهذه الزعامة دون قيود أو شروط ، ومن ثم يكون العمل الصحفي هو تهيئة المناخ ، وافساح المدى ، لارادة الزعيم ولسياسة الدولة ، كي تستقر في عقول الشعب ومشاعره ، وتؤتي ثمارها ونتائجها » .

ولكن هذه الثمار والنتائج كثيراً ما تكون كارثة على الشعب ، وعلى الدولة ، وعلى الزعيم . . وما جرى لألمانيا النازية نفسها هو الدليل الواضح على ذلك . . وكذلك ما جرى ويجري في معظم الدول الصغيرة والنامية ، ومنها ما حدث ويحدث في شتى بلادنا العربية ، من أحداث ماثلة أمام اعيننا ، أو قريبة من أذهاننا . . وكانت الصحافة المقيدة بقيود الحكم المطلق ، والزعامة التي لا تناقش ، مسؤولة أعظم مسؤولية عما حدث ويحدث للأمة ، وللزعامة المطلقة نفسها . .

ولا تنحصر مشكلة الصحافة وحريتها ، ومشكلة الصحافة وتقييدها داخل نطاق الدولة . . بل تمتد الى الساحة الدولية بقدر ما لكل دولة من علاقات وتأثير ونفوذ في المجال الدولي . . فالصحافة المقيدة ، مثلها مثل الصحافة المتحررة ، تستطيع أن تفسد العلاقات بين الدول ، وبين الشعوب ، وان تجري في عقول الناس ومشاعرهم تيارات من الشك والخوف ، ومن الكراهية والعداء ، فيضطرب الأمن الدولي ويتعرض سلام العالم أو سلام اقاليم منه الى أخطار الحرب وويلاتها . .

والحروب ، كما يقول دستور اليونسكو ، تولد في عقول الناس قبل أن تنشب في ميادين القتال . . ولا يصنع عقول الناس في العصر الحديث أكثر مما تصنعها وسائل الاعلام من صحافة واذاعة مسموعة ومرئية . . وكلها صارت جزءاً لا يتجزأ من حياة كل فرد وكل جماعة ، وصارت عادة يومية من العسير جداً أن يقلع الانسان عنها ، بل تحولت العادة الى شعور بأن هذا الاعلام اليومي ، صباحاً ومساءً ، ضرورة من ضرورات الحياة مثله مثل الطعام !

خطورة الصحافة والاعلام في ميدان العلاقات بين الدول والشعوب ، حملت الأمم المتحدة على أن تفكر في بداية عهدها وأيام فتوتها ، في أن تعالج مشكلة الاعلام فكان أول مؤتمر عقدته الأمم المتحدة مؤتمر « حرية الاعلام » الذي اجتمع في جنيف في ربيع سنة ١٩٤٨ وحضرته جميع الدول الأعضاء على اختلاف مذاهبها وأوضاعها السياسية والاجتماعية والحضارية .

وكان الهدف من المؤتمر وضع اتفاقية دولية خاصة بحرية الاعلام . . تكفل حريتها من ناحية وتحدد مسؤليتها من ناحية . . وأخفق المؤتمر طبعاً في الوصول الى هدفه . فهذان خطان لا يلتقيان . . أو على الأقل فان الشقة واسعة جداً بين بلاد ترى ان هذه الحرية يجب أن تكون مطلقة من كل قيد يمنع نشر واذاعة أي خبر وأي رأي ، وبين بلاد ترى تقييد هذه الحرية فيما يتعلق بأمور عديدة داخل الدولة ، وفيما يتعلق بالعلاقات الخارجية للدولة .

لماذا أخفقت في الاتفاق ؟

كان في المؤتمر جانبان على طرفي نقيض جانب تتصدره أمريكا ودول أوروبا الغربية تطالب بوضع اتفاقية تفرض على جميع الدول أن تفتح ابوابها للصحفيين والاعلاميين من الدول الأخرى لكي يروا ويسمعوا كل ما يريدون ، وان يجمعوا من الأخبار كل ما يستطيعون ، ولهم ان ينشروا ويعقبوا على كل شيء كما يريدون وبأي أسلوب يختارونه ، هذا جانب يقابله جانب يتكون من الاتحاد السوفيتي ودول أوروبا الشرقية يطالب بأن تحرم الاتفاقية الدولية على وسائل الاعلام التشهير بالدول والشعوب الأخرى ، وتحرم عليها الدعاية الى الحرب وما يؤدي الى الحرب ، وان تلتزم الدول باخضاع وسائل الاعلام فيها لشروط وقيود ملزمة . .

أما الدول الأخرى من آسيا وافريقيا والعالم العربي ، وكان عددها قليلا وصوتها غير مسموع وسط الاصوات الجهيرة للدول الكبرى ، فكانت تريد أن تحترم وسائل الاعلام في الدول الكبيرة مشاعر الناس في الدول الصغيرة سواء كانت مشاعر دينية أو قومية أو اجتماعية ، وان تكون وسائل الاعلام مفتوحة للحديث عن مطالب الشعوب الصغيرة التي كان اكثرها في بداية عهده بالاستقلال أو مازال يسعى الى هذا الاستقلال ، والتي كانت تستشرف آمالا وأماني في التقدم الاقتصادي والاجتماعي . . . وطبعا ضاع صوت هذه الدول الصغيرة وسط الدخان المتصاعد في قاعة المؤتمر ، وان بقي منه صدى يتردد في السنوات الاخيرة عندما يتحدثون في

الامم المتحدة وفي اليونسكو عن شيء اسمه « النظام العالمي الاعلامي الجديد » .

النظام العالمي الاعلامي الجديد

وانتهى المؤتمر الكبير الى اشياء قليلة منها وضع « سطر » من الكلمات يمكن إدخالها في الاعلان العالمي لحقوق الانسان الذي أصدرته الامم المتحدة في تلك السنة . . ١٩٤٨ في العاشر من شهر ديسمبر .

وكانت الكلمات المقترحة عامة ومطاطة ، تقبل التفسير والتأويل على أي وجه من الوجوه ، فكانت المادة التاسعة عشرة من الاعلان التي نصت على ان : « لكل شخص الحق في حرية الرأي والتعبير ، ويشمل هذا الحق حرية اعتناق الآراء دون أي تدخل ، واستقاء الانباء والافكار وتلقيها واذاعتها بأية وسيلة كانت دون تقيد بالحدود الجغرافية » .

وحتى هذه الكلمات العامة وردت عليها قيود وشروط اخرى عندما تحول الاعلان العالمي لحقوق الانسان ـ وهو مايتضمن مباديء واهدافا لاتلتزم بها الدول وانما تهتدي بها وتسترشد الى اتفاقية دولية للحقوق السياسية المدنية التي صدرت في سنة ١٩٦٥ فنصت في مادتها التاسعة عشرة والعشرين على ان : « ممارسة حق حرية التعبير تحمل في ثناياها التزامات ومسؤوليات خاصة ، ويجوز لهذا السبب أن تتعرض لبعض القيود ، التي يجب ان تكون بنص القانون ، وبالقدر الضروري فقط

(أ) من أجل احترام حقوق الاخرين وسمعتهم

(ب) ومن اجل حماية الامن القومي أو النظام أو الصحة العامة أو الاخلاق العامة . .

أما المادة العشرون من تلك الاتفاقية الدولية فربما كانت أكثر وضوحا وتحديدا فنصت على أن : « أية دعاية للحرب تحظر بمقتضى القانون » وأن « أي تشجيع للحزازات القومية أو العنصرية أو الدينية من شأنه أن يشكل تحريضا على التمييز أو الاعمال العدائية أو العنف ، يحظر بمقتضى القانون » . .

وكذلك انتهى المؤتمر الى وضع اتفاقية جانبية اسمها « اتفاقية حق التصحيح الدولي »فاذا رأت الدولة ان رسالة اخبارية تسيء الى هيبتها وكرامتها القومية » أو تسيء الى علاقاتها بدول أخرى ، وان تكون هذه الرسالة قد نقلت من بلد الى آخر عن طريق المراسلين أو وكالات الأنباء ، وانها عارية عن الصحة أو مشوهة ، فانه يجوز للدول أن تصدر بيانا أو تصحيحا وترسله الى الدول الاخرى . . فتلتزم هذه بابلاغ البيان أو التصحيح الى الصحيفة أو وكالة الانباء المسؤولة . . ولكن هذه غير ملزمة بنشر التصحيح !

ثم ماذا ؟

وحاولت الامم المتحدة بعد هذا وعلى مدى سنين طويلة ان تضع اتفاقية دولية تكفل حرية الصحافة ، وتحدد مسؤوليتها الدولية . . وألفت لجانا واختارت مقررين ووضعت دراسات . . ولم تنته الى نتيجة ما ، فانتهت أخيرا الى صرف جهودها الى شيء آخر هو محاولة اقامة نظام اعلامي عالمي جديد يقوم أساسا على كسر احتكار استقاء الأنباء ونشرها على وسائل الاعلام الكبرى ، في ثلاث أو اربع دول كبرى هي علىّ وجه التحديد الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا والاتحاد السوفيتي . . ويطالب الدعاة الى هذا النظام الجديد بأن يكون للدول النامية مكان ونصيب في استقاء الانباء ونشرها في العالم ، كما يطالبون بأن ترعى الدول الكبرى والمتقدمة مشاعر ومصالح شعوب البلاد النامية .

وهكذا بقيت الصحافة والاذاعة والتلفزيون تتأرجح بين الحرية والمسؤولية . . وبقيت الصحافة والاعلام مشكلة ، وبقي تقييد الصحافة والاعلام مشكلة أكبر . □□

حديث الذكريات بين شاعر .. و قصّاص

بقلم : خالد سعود الزيد

الشاعر ... خالد سعود الزيد

☐ أما الشاعر فهو خالد سعود الزيد ، وأما القصاص فهو فهد الدويري ... ترى كيف كان اللقاء وكيف سار الحوار بين الأديبين الكويتيين .

هو فهد بن يوسف المنيس [1] (دون تشديد) . ولقد عاش والده يتيما في كنف أخواله (آل الدويرج) فنسب اليهم . و (الدويرج) عائلة كويتية معروفة ، قدم أسلافها من (نجد) .

وينطلق الكويتيون (الجيم) (ياء) كما هي عادتهم فيقولون : (الدويري) . ولقد ظل والده يلقب نفسه في رسائله باسم (المنيس) الى أن مات ، ولكن غلب عليه اسم أخواله وغلب على بنيه . فلقد نسي فهد اسم أسرته وتلقب باسم أخواله ، واشتهر بذلك بين الناس .

وحدثني : أنه حين كان يعمل مع المرحوم الشيخ عبدالله السالم الصباح قال له ذات مرة : أنت (ابن المنيس) فلماذا تلقب نفسك باسم أخوالك فأجابه فهد :

وهل أنا إلا من غزية ان غوت
غويت وان ترشد غزية أرشد

فضحك كثيرا رحمه الله لهذا الجواب .

واعود الى مولده ونشأته ، ولد عام وفاة حاكم الكويت المرحوم الشيخ سالم المبارك الصباح [2]

---

(١) المنيس : بتشديد الياء أسرة أخرى معروفة

(٢) حكم الكويت بعد وفاة والده عام ١٩١٤ وتوفي ١٩٢١ م رحمه الله

القصاص . . . فهد الدويري

فهد الدويري

* من أوائل الكتاب الذين كتبوا القصة القصيرة في الكويت .
* يعتبره بعض النقاد أنه « أول من حرر القصة في الكويت من لغة السرد والحكاية ، وأسبغ عليها ثوب المعاصرة » .
* لم يصدر قصصه في كتاب خاص حتى الان ، الا أن الاديب خالد سعود الزيد جمع له ١٤ قصة منشورة منذ سنة ١٩٤٨ حتى سنة ١٩٥٢م في صحف ومجلات الكويت ونشرها في كتاب « أدباء الكويت في قرنين - الجزء الثاني » الصادر سنة ١٩٨١م .
* توقف عن كتابة القصة لزمن طويل ، الا أنه عاود كتابتها في هذه السنين الاخيرة القليلة ، وجاءت قصصه المنشورة مواكبة لما استجد على كتابة القصة من تطورات فنية وموضوعية .
* عضو في المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في الكويت منذ سنة تأسيسه ١٩٧٣م
* عضو المجلس الاعلى الاستشاري للاعلام في الكويت الذي تأسس عام ١٩٨٣م .

وفي نفس الشهر في فبراير من عام ١٩٢١ م . ولقد كانت تربط والده بالشيخ سالم علاقة قوية ، فكان أحد أصفيائه وخلصائه المقربين . وكان الشيخ سالم متدينا شديد التقوى فبالرغم مما مارسه الانجليز عليه من تضييق ليعادى الأتراك العثمانيين في الحرب العالمية الأولى إلا أنه ما كان يرى في معاداتهم الا خروجا عن الملة والدين . وكان (يوسف الدويري) واحدا من مؤيدي سياسته فكان يشد عضده ويؤيده في منحاه .

ويقال إن جماعة ممن يعادون سياسة تركيا في المنطقة كتبوا رسالة الى المقيم البريطاني في الكويت يقولون فيها : انه ما دام (يوسف الدويري) لصيقا بسالم فلن تستقيم لهم سياسة في الكويت . واقتنع المقيم البريطاني بما كتبوا فبعث الى نائب الملك في الهند يستشيره في الأمر ، ويطلب منه الرأى فما كان من نائب الملك الا أن أمر بترحيله إلى الهند وتسييره اليه .

ونفي (يوسف الدويري) الى الهند وظل في (الاقامة الجبرية) وبقي هناك سنتين وبضعة أشهر .

لقد نفي على شكل متعسف لم يعط فيه خيارا ولا فرصة لتدبير شؤونه فهو تاجر ثري واسع الثراء . وجاءه الأمر بغتة لم يجد فيه متسعا . فأوكل أمر تجارته الى المرحوم (أحمد العبد الجليل) . وحين عاد من منفاه وجد أن السيد (أحمد العبد الجليل) قد أفلس تماما والقدر أحيانا لا يرحم . ومما زاد الأمر سوءا ، والطين بلة أن تتزامن هذه الأحداث مع حرب

(الجهراء) .

وعلم الشيخ سالم بما آل اليه حال صاحبه ، فوعد خيرا بعد أن تستتب الأمور وتتهيأ الفرص .
لقد وعد أن يعيد كل الذي خسره ولكن القدر كان بالمرصاد فتوفي سالم وولد صاحبنا (فهد) بعد وفاته أو قبلها بأيام فكان شؤما على والده - كما يقول - ورحل والده الى البصرة ليرفع دعوى ضد (كوكس) الحاكم البريطاني للعراق .

قال لي فهد !

وقال لي (فهد) : إن أبي ذهب الى العراق لكي (يؤذن في مالطة) كما يقول المثل المعروف .

واستقر والده في البصرة الى أن توفي عام ١٣٦٠ هـ - ورحل اليه فهد بعد أن أكمل دراسته في المدرسة (المباركية) ، ودرس هناك في البصرة في مدرسة تسمى المدرسة (الرحمانية) كما يدرس فيها أساتذة أجلاء من مدن العراق كافة وهي مدرسة دينية .

درس (فهد) فيها الفقه على المذهب الحنبلي فكان يتوضأ كلما أكل لحم جزور ولا يرى الاستنجاء بالعظم الرميم .

ومن ذكريات (فهد) في هذه المرحلة أن والده كان يباهي به أصحابه ويفتخر بذكائه وفطنته . فأراد (فهد) أن يزيده اعجابا فقد سمع والده وهو يتحدث في مجلسه عن اللغة وكان مطلعا ويقرأ كثيرا ، فقال فهد : ان الناس يكتبون كلمة (ثوم) بالثاء وهي في القرآن (بالفاء) كما جاءت فيه على لسان بني اسرائيل ثم استشهد بالآية (فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها) ، ولا تسألوا عما حدث بعد ذلك ، فلقد أفاضوا في مدح (فهد) وأكثروا . وأطنب والده في مدحه وسحب ذيل الفخار .

عاد الى الكويت وبقي زمنا فيها ثم سافر (فهد الدويري) الى البصرة عام ١٩٣٧ م ، وأقام بها ثلاث سنوات تقريبا ، ثم عاد الى الكويت ، وعمل في الجمرك البري (وموقعه ملاصق لبوابة نايف مقابل مبنى وزارة (الاعلام) الجديد حاليا) .

ومما يتذكره وهو في هذه المرحلة من عمره أنه كان هو وجماعة من الشباب يجلسون في ديوانية واحدة[3] وفي عام ٤٣ - ١٩٤٤ م حاولت البعثة المصرية للتعليم أن تغير في مناهج التعليم وكان على رأس البعثة الأستاذ (علي هيكل) وكان يتولى بنفسه عملية تنسيق المنهج وتنظيمه ليتفق مع روح البيئة في الكويت وفي نفس الوقت يبقى متناسقا ومتفقا مع المنهج المصري لتقبل بعثات الكويت في مدارس القاهرة وجامعاتها .

ويبدو أن الأستاذ (علي هيكل) قد مس مطامع الشباب فيما يتعلق باللغة الأجنبية التي كان الشباب يتوقون لتقويتها لديهم لأنه قلل من حصصها ، واختصر بعض مواد المنهج . فكثر اللغط واتهم بما ليس به جديرا .

وكان للأستاذ (هيكل) رأي بسطه وتبناه سنطرحه في غير هذا الموضع . فثار الشباب ونقموا عليه

قومة رجل واحد

ويقول (فهد) : قمنا قومة رجل واحد وكتبنا المناشير باليد في الديوانية ، وأخذنا نوزعها ليلا ، كل في طريقه الى بيته يسقط في الشوارع بعضها وينثر بعضها الآخر . فأصبح الناس وقرأوها وقامت بلبلة في البلد . وما كانت

(٣) الديوانية عند أهل الكويت تشبه المنتدى يتجمع فيه رجال الحي من شيب وشباب . تجمع على دواوين أو ديوانيات . بعض هذه الديوانيات يفتح بعد صلاة الفجر وبعضها بعد شروق الشمس وبعضها ظهرا وبعضها بعد العصر وبعد الغروب وبعد صلاة العشاء لكل وقت منتداه ولكل منتدى جماعة على شاكلة واحدة .

هذه الفعلة في الكويت شيئا معهودا على هذه الصورة التي أفزعت الأمن وقام رجاله يتحرون عن مسببيها .

وألقي القبض أخيرا على الشباب وكانوا ستة أشخاص ، فسجنوا وضرب بعضهم وعزر .

وبعد هذه الحادثة انتقل الى مجلس الشورى وكان المجلس في ذلك الحين مجرد لجنة تموينية لأن العالم في حالة حرب عالمية ثانية . وكان الشيخ عبدالله السالم الصباح رحمه الله يشرف على عملية التموين ويترأس اللجنة فعمل سكرتيرا له . وظل في عمله هذا الى أن أصيب ببوادر مرض رئوي سافر بسببه للعلاج الى لبنان حيث أقام سنتين متصلتين عاد بعدها الى عمله . وانتمى حين عاد الى (نادي المعلمين) . وكان النادي يقبل في عضويته شبابا من غير (سلكه) .

مع الصحافة

لقد جاءه (حمد الرجيب) و (أحمد العدواني) وطلبا منه مشاركتهما في اصدار مجلة شهرية تصدر عن اللجنة الثقافية في النادي . واستجاب لهما وعرض عليهما بعد أيام قائمة بأسماء المجلة الموعودة فاختارا (الرائد)اسما للمجلة الموعودة وصدرت الرائد في أول مارس من عام ١٩٥٢ واستمرت في الصدور سبعة عشر شهرا توقفت بعدها عن الصدور حين أغلقت النوادي والجمعيات في عام ١٩٥٤ .

كانت (الرائد) تصدر شهريا وتطبع في (بيروت) . فما كان بمقدور أصحابها ومؤسسيها متابعة الأحداث التي كانوا يودون عرضها على المواطن في (الكويت) فأصدر النادي مجلة أسبوعية أطلق عليها اسم (الرائد الأسبوعي) واستمرت مع (الرائد) الأم حتى سدت النوادي .

مع القلم

لقد عاش (فهد) حياة فكرية خصبة . قرأ كثيرا في الشعر والنثر ، وما زال يقرأ لا يمل القراءة في الشعر والنثر . لذلك أعطى عطاء موفورا يحمد عليه ويشكر .

لقد كتب في بداياته قطعا صغيرة يعاقب عليها القانون الكويتي ، لذا نشرها في جريدة (السجل) البصرية لصاحبها (طه العاني) ثم كتب في جريدة (الثغر) البصرية أيضا عدة مقالات .

وكتب عن (فلسطين) منذ بداية عام ١٩٤٨ في جريدة (البلاد) و (الزمان) العراقيتين البغداديتين . ومعظم هذه المقالات كانت سياسية من بنات الوقت .

لقد عالج كتابة القصة قبل عام ١٩٤٨ لكنه لم ينشرها حيث لم يستقم له من أمرها شيء يرضاه .

محاولاته مع القصة

وذكر لي عن محاولته الأولى في القصة كيف تم أمر بدايتها معه ، وكيف توافد عليه موضوعها .

قال : كنت قاعدا على دكة قرب جامع يقع على سيف البحر ، وكان بقربي جالسا بدوي حار ، أعرفه كل المعرفة . أخذ يقص على حكاياته مع (الاخوان) وكيف انتسب اليهم وهو غير مؤمن بدعوتهم . فحكي أنه انفرد يوما برجل في الصحراء فقتله ، ولما مد يده إلى جيوب القتيل لم يجد لديه إلا ريالا واحدا فندم . . . . ثم تاب الى الله واستقر في الكويت .

واستهوت الحكاية (فهدا) فراح يرسمها بقلمه وكانت تلك أولى محاولاته في كتابة القصة .

لقد كتب هذه الحكاية لكنه لم ينشرها وضاعت منه ولم يعد اليها .

وفي شهر يوليو من عام ١٩٤٨ م صدر العدد الأول من مجلة (كاظمة) لصاحبها ومؤسسها الأستاذ (عبد الحميد الصانع) رحمه الله . وولي

رئاسة تحريرها الأستاذ (أحمد السقاف) ، يعاونه مجموعة من الشباب منهم صاحبنا (فهد) .

وكتب (فهد) أولى قصصه في العدد الأول من مجلة (كاظمة) بعنوان (من الواقع) ، وقد جاءت قصته (من الواقع) مشفوعة بمقدمة وخاتمة ، حاول أن يرسم منهجه من خلالها ونظرته فهو يقول في (مقدمتها) على لسان صاحبه :

قال لي صديقي وهو يحاورني في موضوع القصص الخيالي والواقعي : إني أصر على أنه ينبغي لكتاب القصة أن يدركوا أن في الواقع ما يفوق الخيال ، ومن ثم فإن عليهم أن يكتبوا الواقع الذي يسجل التاريخ النفسي للمجتمع ليدرسوا في قصصهم ما انطوت عليه النفس الانسانية من مشاعر وأحاسيس عوضا عن أن يخلقوا أشخاصا لا يعيشون إلا في قصصهم وحدها . ذلك أن القصص الخيالي إنما يعكس الناحية النفسية للمؤلف أما أحداث الواقع فانها تعرض صور المجتمع على حقيقتها .

قلت : أنا معك . . . ولكن قصص الواقع يا صديقي ضئيلة جدا ، وقليل ما تصلح للعرض الفني .

قصة واقعية

قال : سأقص عليك الليلة قصة عاصرت أحداثها وسأقنعك بوجهة نظري عندما أسرد عليك من وقائع الحياة ما أعرفه أنا وحدي .

ويروي الدويري فيها قصة أحد أمراء البحرين ساس الناس بالعدل والرحمة ، وحل في عهده الرخاء والأمن ، فحمده الناس مما أثار حقد أعدائه عليه . وذات ليلة دخل الأمير مغسله آمنا مطمئنا وما أن رفع فتيل السراج حتى فاجأه رجل شاهر سيفه يريد قتله فتقهقر للوراء ولكن عناية الله ألهمت المجرم مغبة جريمته وسوء فعلته ، فسقط من يده السيف فأقبل إليه الأمير ولاطفه وهدأ من روعه ، ونادى أحد الخدام قائلا : (لقد وجدت هذا المسكين يتمشى في القصر . . . . فائتنا بطعام له .) وبعد أن أطعمه ألبسه كسوة وقال له : (اسمع يا هذا لن أحاول منك معرفة من دفعك . . . إني أريد أن أعرف كم أعطوك من المال . . .

ـ سآتيك به . . . . انه ألف روبية . . . .

فنادى الأمير : إئتونا بخمسة آلاف روبية . . . . . .) و (دفعها الى المجرم وهو يقول : أريد أن تعاهدني على أن لا تهدف للشر بعد الآن . . أتعاهدني ؟) .

وفي خاتمة القصة يقول الدويري على لسان صاحبه : (هذه يا صديقي قصة من الحياة فيها خصائص انسانية سامية وفيها عظة . . . . حاول أن تسبكها كما يفعل القصاصون وسأقص عليك غدا قصة أخرى لأريك أن في الحوادث الحقيقية قصصا كثيرة ، حرية بالتسجيل . . . .)

ومن هذا التعقيب والمقدمة نستشف منهج الدويري وخطه القصصي . فهو يستفيد من هذه الحكايات الشعبية والقصص التي يرويها الناس فيطرحها باطار قصصي فني معاصر وقد يسقط عليها من مشاكل الحياة ما يبعث فيها روحا حركية لتدل على المعاصرة والواقع المعاش . كما فعل في قصة (الشيخ والعصفور) التي نشرها في مجلة الرائد) عام ١٩٥٢ م . ويقول عنها الدكتور سليمان الشطي [٤] (هذه القصة تمت عن وجود كاتب موهوب قادر متمكن من فن القصة ، وكان يمكن أن يعطي الشيء الكثير . فقصته متماسكة مقنعة للقارىء وعلى الرغم من

(٤) (الصوت الخافت) مجموعة قصصية لسليمان الشطي نشرها عام ١٩٧٠ وقدم لها بتمهيد عن القصة في الكويت .

أنه نص على أن القصة من صميم الواقع الا أنه لم يكن عبدا لهذا الواقع ، فقد تصرف وعمق اللحظة الفنية ، وإن كانت قدرته قد تخلفت في بعض المواضع قليلا) (٥) .

الصريح . . والقصاص

لقد كان (فهد) واحدا من مؤسسي مجلة (الرائد) التي أصدرها نادي المعلمين ، وكان واحدا من محرريها حتى توقفت عام ١٩٥٤ . ولقد كان له نشاط معروف في تحرير مجلة (كاظمة) عند صدورها عام ١٩٤٨ وقد توقفت بعد ثمانية أعداد . . . . وكان ينشر في مجلة (البعثة) قصصا ومقالات في مواضيع شتى .

لكن موهبته كقصاص لم تتشكل حقا الا على صفحات مجلة (الرائد) . لقد نشر في (الرائد) قصصه مذيلة باسمه الصريح أحيانا وبكلمة (قصاص) أحيانا أخرى . . ونشر مجموعة قصصية وعظية قصيرة ، استمدها من التراث ، وأسقط عليها اسقاطات معاصرة . فهي تعالج بصورة رمزية مشاكل العصر من سياسية واجتماعية بلغة أدبية عالية . وقد ذيلها بلفظ (عجوز) كأنما هو قد أراد أن يوحي لقارئه بأنها قصص من تجارب (عجوز) مجرب ، عركته الحياة ، وعرك الحياة . فكان من حصيلة هذه المعاركة هذه الشذرات التي سبكها على لسان (عجوز) .

ولعل في نشر واحدة منها هنا ما يرشد القارىء الى منحاه فيها وغرضه منها . لقد نشرت الرائد هذه المجموعة تحت عنوان (قصص عتيقة) . ولكل قصة عنوانها .

كتب فهد تحت عنوان (متى يدافع الشعب ؟) قال :

(دعا بعض أمراء أوربا وزيره ذات ليلة وقال له : لقد علم قلم المخابرات من مصادر وثيقة ، أن العدو مقبل لغزونا ، فاذهب وأعلن التعبئة العامة وجند كل فرد قادر على حمل السلاح . فتلكأ الوزير الجرىء فقال له الأمير : مالي أراك واجما ؟ أفصح . فقال له الوزير الجرىء : يا مولاي لو علم الشعب أن العدو مقبل لهلل وكبر . فقال له الأمير : وكيف ، تتهم الشعب بفقدان الحماس الوطني ؟ قال الوزير الجرىء : إسمح لي أن أصارحك بالحقيقة المرة وهي أن الشعب لا يرى فارقا كبيرا بينك وبين العدو المهاجم ، لقد صادرت حريات الشعب وحرمت عليه أبسط الحقوق المدنية واستوليت على أراضيه ووزعتها على ندمائك وسمارك ، فكيف أدعو الشعب للدفاع عن أمير لا يجد في حكمه شيئا من الاطمئنان والحرية والعدل ، أو للجهاد في سبيل بلد لا يملك الشعب شبرا من أراضيه ؟!

فأطرق الأمير برهة ثم قال لوزيره : إذهب فورا وأعلن الدستور ووزع الأراضي على الفقراء والمحتاجين ، ففعل الوزير .

وبعد أيام أقبل العدو المهاجم فأعلن الوزير التعبئة العامة ، فاحتشد الشعب صغارا وكبارا ، رجالا ونساء وخرجوا إلى العدو وأفنوا جنوده عن آخرهم وهزموه شر هزيمة .)

هذه واحدة من قصصه (العتيقة) التي ذيلها بكلمة (عجوز) . وقد كتبت بلغة سهلة مصقولة وحرف عربي مبين .

ولقد توقف (فهد) عن الكتابة بعد هذه القصة القصيرة وذلك لتوقف مجلة (الرائد) عن الصدور حتى طال توقفه . لقد حبس قلمه عن الناس حتى كاد ينساه الناس ، وحتى ظنه بعضهم (عنقاء مغرب) ، ثم خرج علينا يكتب في القصة من جديد بعد ثمانية وعشرين عاما . فكتب على صفحات مجلة (العربي) ومجلة (البيان) التي تصدرها رابطة الأدباء في الكويت .

وتوحي هذه العودة أنه لم يتوقف عجزا بل لأمور سنشرحها فيا بعد إذا أذن الله . □□

(٥) طالع القصة في كتاب أدباء الكويت ـ الجزء الثاني ، صفحة ٥٢٠

أطباء من الكويت لكل العرب

على درجات السلم في المدخل الرئيسي لمبنى كلية الطب ، وقف الخريجون الأطباء بعد الانتهاء من مراسم الاحتفال بتخريج أول دفعة منهم على أرض الكويت . . فرحة النجاح على الوجوه .

الأب والأبناء .. أمير الكويت حرص على أن يكون في مقدمة اللذين شهدا هذا اليوم التاريخي وشارك فيه .. الأمير يصافح إحدى الخريجات مهنئا بعد أن سلمها شهادة التخرج .

☐ العلم أعظم أثرا من أي سلاح ، فنحن نبني وعدونا من حولنا يدمر . . إن كل مدرسة وكل جامعة في وطننا العربي ، مدفع موجه الى قلب هذا العدو .

أقسم بالله العظيم .
● أن أراقب الله في مهنتي . .
● وأن أصون حياة الانسان في كافة أدوارها . في كل الظروف والأحوال باذلا وسعي في استنقاذها من الهلاك والمرض والألم والقلق .
● وأن أحفظ للناس كرامتهم . وأستر عورتهم . وأكتم سرهم .
● وأن أكون على الدوام من وسائل رحمة الله ، باذلا رعايتي الطبية للقريب والبعيد ، والصالح والخاطىء ، والصديق والعدو .
● وأن أثابر على طلب العلم ، أسخره لنفع الانسان . . . لا لأذاه .
● وأن أوقر من علمني ، وأعلم من يصغرني ، وأكون أخا لكل زميل في المهنة الطبية متعاونين على البر والتقوى . .
● وأن تكون حياتي مصداق ايماني في سري وعلانيتي ، نقية مما يشينها تجاه الله ورسوله والمؤمنين .
والله على ما أقول شهيد

لأول مرة يتردد هذا القسم على أرض الكويت وتحت سمائها عندما احتفلت كلية الطب بجامعة الكويت وشاركها احتفالها الشعب الكويتي ، وأبى الوالد الكبير ـ أمير دولة الكويت ـ الا أن يكون هناك بين أبنائه الأطباء الذين يمثلون أول دفعة تتخرج في الكلية التي مضى على الاعداد لها عشر سنوات . ففي الستينيات ولدت الفكرة ، وفي عام ١٩٧٣ بدأ تنفيذ اقامة كلية للطب تابعة للجامعة التي كانت أول صرح علمي كبير في منطقة الخليج .

وجاء الأمير ليحتفل مع أبنائه بهذا « العيد القومي » العلمي الذي اخترنا أن ننقل جانبا من احتفالاته في عيد الكويت الكبير . . عيد استقلالها . . وعلى المنصة وقف الأمير يحيي أبناءه الأطباء من الشبان والفتيات الذين اصطفوا أمامه حاملين شعلة أنبل وأعظم رسالة ، ثم سلمهم شهادات التخرج . . . . لقد تحققت الأمنية التي سعوا من أجلها على مدى سبع سنوات كاملة من الدرس والتحصيل . . وتحققت الأمنية مرة أخرى عندما اتجهت الأبصار كلها الى هؤلاء الرواد الذين دخلوا تاريخ الطب في الكويت . لقد كان يوما مشهودا ، أو كما قال الدكتور

الدكتور عبداللطيف البدر عميد كلية الطب المساعد للشئون الاكاديمية يتلو القسم في حفل التخرج .
ويردده الخريجون وراءه .. قال : « الطلبة في الكلية على مستوى عال » .

يعقوب الغنيم ، وزير التربية والرئيس الأعلى للجامعة ، إن هذا اليوم كان بالنسبة له أشبه بالحلم عندما شارك مع زملائه قبل خمسة عشر عاما في التخطيط لانشاء كلية الطب بالكويت ... ثم قال إن خريجي كلية الطب الكويتية أثبتوا مستواهم الجيد في الدراسة بالكلية من أول يوم لعملهم بوزارة الصحة .

« إن باكورة الانتاج هي صفوة ممتازة من الخريجين » .

عيد قومي

وربما نجد في كلمات الدكتور عبد الرحمن العوضي وزير الصحة المعنى الذي ذهبنا اليه في بداية هذا الحديث ، فقد قال : « إنه عيد قومي ، وعرس تتلألأ فيه هذه البراعم الشابة من أبناء الكويت البررة » . ولم ينس الوزير أن يتقدم بالشكر لعميد كلية الطب والأساتذة لحرصهم على توفير الامكانات ومواكبة التطور للخروج بهذا المستوى .

وأكد الدكتور عبد الرزاق العدواني مدير جامعة الكويت ما ذهب اليه وزير الصحة في حديثه عن هذا اليوم التاريخي في حياة أبناء الكويت عندما قال : « إن انشاء كلية الطب في الكويت قد حقق أحلامنا » ، ثم شرح معنى الحلم الذي تحقق عندما قال : « إننا لا نستطيع أن نستمر في استيراد الأطباء من الخارج خاصة وأن جميع الدول تسعى الى تطوير خدماتها الصحية والتوسع فيها ، ولا شك أن وجود كلية طب وطنية في الكويت سوف يساهم في رفع مستوى الخدمات الصحية وتقدم البحث الطبي » .

كانوا تسعة وثلاثين خريجا من بينهم ٢١ طبيبا وطبيبة من أبناء الكويت .. نجحوا جميعا بتقدير جيد وجيد جدا وامتياز مع مرتبة الشرف ، وكانت أولى الدفعة سناء صبحي ناصر التي حصلت على الامتياز في مختلف فروع الطب .

لقد كانت « العربي » هناك تسجل بالكلمة والصورة احداث هذا « العيد القومي » الذي أضافت به الجامعة عيدا جديدا يحتفل به هذا القطر العربي والوطن العربي كله ، فهذا الانجاز العلمي هو الهدف الذي قال عنه بعض الذين شاركوا في الاحتفال :

الدكتور يعقوب الغنيم وزير التربية والرئيس الأعلى للجامعة قال في كلمته : « ان باكورة الانتاج هي صفوة ممتازة من الخريجين .. هذا اليوم كان حلما » .

الدكتور عبد الرحمن العوضي وزير الصحة : « انه عيد قومي ، وعرس تتلألأ فيه هذه البراعم الشابة من أبناء الكويت البررة »

الدكتور عبد الرزاق العدواني مدير جامعة الكويت : « لا شك ان وجود كلية طب وطنية في الكويت سوف يساهم في رفع مستوى الخدمات الصحية وتقدم البحث الطبي »

الطبيب موسى خداده ممثل الخريجين .. ألقى كلمة عبرت عما يحمله في صدره هو وزملاؤه من مشاعر في هذا اليوم الذي حملوا فيه الرسالة

الطبيبة سناء صبحي ، بعد أن تسلمت شهادة التخرج . . . لقد صفقوا لها طويلا لنجاحها بامتياز مع مرتبة الشرف (الى اليسار فوق)

الدكتور موسى خداده الذي اختير لالقاء كلمة الخريجين . . . هو ايضا من الناجحين بتفوق (الى اليسار تحت)

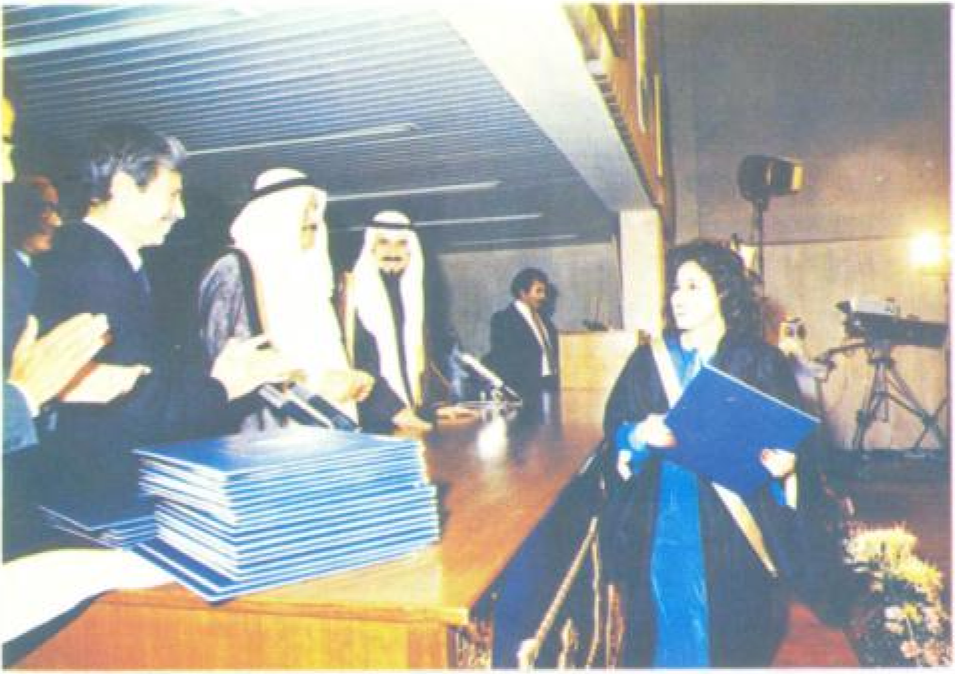

« انه أكبر أثرا من أي سلاح من أسلحة الدمار . . . فنحن نبني بينما عدونا من حولنا يهدم . . إن كل مدرسة وكل جامعة تقوم في قلب الوطن العربي ، هي مدفع موجه الى قلب هذا العدو ! » .

رحلة مع الأساتذة

بدأنا رحلتنا داخل الجامعة مع بعض المسؤولين والأساتذة . . .

وكان لقاؤنا الأول مع الدكتور عبد اللطيف البدر العميد المساعد للشؤون الأكاديمية بكلية الطب . قلنا نسأله : « ماذا بعد التخرج . . . بعد حصول الطبيب على البكالوريوس ؟ » .

قال : في أية كلية طب في العالم يدرس الطالب كل الفروع ويتخرج كطبيب عام وليس اخصائيا ، ومن ثم فان الطالب يمر في دراسته الاكلينيكية على كل التخصصات ويأتي التخصص دائما بعد نيل البكالوريوس . فحين يتخرج الطالب يقضي أول سنة في التنقل بين مختلف التخصصات حتى نعطي فرصة أكبر للطالب لتحديد تخصصه . فاذا اعتزم الطالب التخصص في الجراحة مثلا يتقدم لدراستها ، وتستمر فترة الدراسة أربع سنوات يكون رئيسه خلالها متتبعا لخطواته ، وبعد هذه الفترة يشهد القسم أن الطبيب تخرج وأنه تخصص في الجراحة العامة إن نجح في امتحان الشهادة العليا ، واذا أراد التخصص في جراحة معينة كجراحة القلب مثلا فهو يحتاج لثلاث سنوات أخرى ، هذا النوع من الدراسات لما يتوفر في الكويت بعد ، ولكنه قادم باذن الله .

ويقول الدكتور البدر : « والطلبة في الكلية على مستوى عال جدا ابتداء من المرحلة بعد الاعدادية ، فالطالب في المرحلة الاعدادية يتم قبوله على أساس المعدل في الشهادة الثانوية ، ويحدث أحيانا أن يخطيء البعض في تحديد اتجاههم وهؤلاء غالبا ما ينسحبون بطبيعة الحال ، ولذا فنحن نناشد الطلبة أن يختاروا الكلية التي تتناسب وميولهم حتى لا يتعرضوا للترك أو التحويل .

ولكي نزيد من حماس الطالب ونرفع مستواه العلمي فاننا نتشدد في المقررات والمواد التي تدرس له حتى نضمن وصول الطالب للمرحلة قبل السريرية ، وهو على مستوى عال من الكفاءة .

وهناك مستوى تحدده الكلية للطالب في المرحلة الاعدادية يسمح له على أساسه بدخول المرحلة السريرية ، ومن لا يحالفه النجاح يفصل من الكلية ، على أساس أنه غير قادر على الاستمرار في الدراسة . وقد قمنا بتمديد المرحلة قبل السريرية الى سنة ونصف حتى نعطي للطالب فرصة أكبر لاستيعاب المادة فقد يكون ضعفهم ناتجا عن ضعف لغتهم .

ويمضي الدكتور البدر في حديثه : يقوم رؤساء الأقسام في شهر مايو من كل عام بالاجتماع مع مساعد العميد للنظر في أمر الطلبة الذين يكثرون من الغياب حيث يرفع أمر الطلبة الذين يزيد غيابهم عن الحد المقبول لمجلس الكلية لحرمانهم من الامتحان النهائي واعادة السنة ، أما الطالب القادر على ايفاء أيام غيابه خلال فترة الصيف عن طريق المواظبة على الحضور في المستشفى والتدريب تحت أيدي الأطباء هناك ، فنسمح له بالتقدم للامتحان شريطة تقرير يقدمه الطبيب المدرب يفيد فيه عن نشاطه خلال فترة التدريب فاذا اجتاز الامتحان بنجاح ينقل للسنة التالية .

ان أساتذتنا في الكلية من الأساتذة القدامى المشهورين في الجامعات العالمية وبعضهم من حديثي التخرج من جامعات عريقة ، وتلك النخبة من الأساتذة هي التي تحدد المستوى الذي يجب أن يتوفر في طلبة الكلية .

وفي امتحان نهاية كل فصل دراسي هناك ممتحن خارجي من جامعات أمريكية وأوروبية يسهم مع الممتحنين من الكلية في كتابة التقارير عن مستوى الطلبة للعميد ، واجمالا ، فالجميع يقر بأن طلبة الكلية على مستوى عال ومساو للطلبة في الجامعات العالمية الأخرى .

عميد جامعة ساوثمبتون البريطانية ، كان ممتحنا خارجيا للطلبة في الطب الباطني وقد أدهشه المستوى الذي وصلت اليه الكلية وطلبتها ، وقال انه بالرغم من أن عمر كليتنا مساو لعمر الكلية في الكويت الا أنكم تعديتم مستوانا بمراحل . طلبة الكلية يلمون أيضا بالنواحي النظرية مما يؤهلهم للتحكم في الناحية العلمية .

ويقول الدكتور البدر : نحن في حاجة للطبيب الملم بالتدريس الحديث والمدرب على مستوى عالمي لأنه سيكون عضوا فعالا في أي مستشفى لأن الاعتماد الكلي يكون على مجهوداته وبحوثه ، فهو يناقش الطبيب القديم في الحديث في الطب ، والجديد في طرق العلاج مما يساعد على التطور .

مع رئيس قسم أمراض النساء

وحدثنا الدكتور حسان حتحوت أحد أقدم أعمدة الطب والعلم والمعرفة في الوطن العربي عامة وفي الكويت خاصة ، ورئيس قسم أمراض النساء والولادة في كلية الطب بجامعة الكويت عن الكلية التي أحبها وأعطاها من علمه وبحوثه الكثير . . قال :

المستوى فائق فقد كان اختيار الطلبة بادىء ذي بدء على أساس تفوقهم فى الدراسة الثانوية بدون اعتبارات أخرى ، فهم خلاصة الخلاصة من ناجحي الثانوية العامة . . وقد لاحظنا على مدى السنين بعضا من الانسحابات في آخر السنة الدراسية الأولى ممن آنسوا أنهم ليسوا على

الاستاذ الدكتور حسان حتحوت : « شهادات الممتحنين الخارجيين القادمين من الشرق والغرب ، تضع كلية الطب الكويتية في طليعة الكليات » .

مستوى مشقة الدراسة ولا يبقى بعدهم الا المكافحون الأقوياء حقا . . . ويأتي بعد ذلك دور التأنق في الاعداد نظرا لحرص الكلية على أن تستقبل فقط العدد من الطلاب الذي لا يزيد عن الامكانيات فتتجنب بذلك مشاكل الازدحام الطلابي بأثره السلبي على التعليم . . . ثم هناك هيئة تدريس متفرغة ومنتقاة ، وكذلك صلة وثيقة بين الطالب والأستاذ وكل هذه ركائز النجاح في التعليم .

ومن الصعب طبعا أن أعقد مقارنة بيننا وبين الكليات الأخرى حتى لا أقع في الحرج ولا في تهمة الغرور ، ولكن شهادات الممتحنين الخارجيين القادمين من الشرق والغرب تضع كليتنا في طليعة الكليات .

ويضيف الدكتور حسان :

الدفعة الأولى ما زالت في تدريبها العام بعد ، ولا يبدأ دور التخصص الا بعده . . . ولكنني بصفة عامة لاحظت ميلا من الطبيبات الحديثات الى الانصراف عن التخصص في أمراض النساء والولادة بسبب مشقة العمل في الليل والنهار مما

أمير الكويت وولي العهد والوزراء وأعضاء مجلس الأمة والشيوخ في قاعة الاحتفالات قبل البدء بتسليم شهادات التخرج . . . لقد كانت الكويت كلها هناك

في المكان المخصص لجلوس الخريجين كان الأطباء ينتظرون دورهم لتلقي الشهادات من الوالد الكبير أمير الكويت . . . وكانوا يتجهون الى المنصة لتسلم شهاداتهم كلما نودي على أسمائهم . . . إنهم يحملون اليوم أنبل رسالة . . رسالة الطب ، وقد كان للعربي معهم لقاء عبروا فيه عن طبيعة الطبيب الانسان الذي يهب حياته من اجل انقاذ حياة الآخرين

يزعج مطالب البيت والزوجية والأمومة .. وأنا أدعو الطبيات الى الاقبال على هذا الفرع لأن الحاجة اليهن فيه متزايدة ، ولأن أساس الخدمة الطبية العطاء قبل الراحة . والعالم العربي يحتاج للطبيب فما زالت لدينا مشاكل صحية ... وما زلنا تحت المستوى المطلوب خاصة في النواحي الوقائية .... وبعض بلادنا خسارتها من الطفيليات أفدح من خسارتها في الحروب المتعاقبة . ولكننا في حاجة للطبيب الماهر المتأنق في اعداده لأن طبيبا ماهرا واحدا أنفع من مائة طبيب بمستوى منخفض . ينبغي أن يكون لبكالوريوس الطب من الغطاء العلمي مثلما للدينار أو الجنيه من الغطاء الذهبي والا انخفضت قيمته وأصبح لايسمن ولا يغني من جوع . ان الاطباء هم الجيش الذي يحارب المرض وكأي جيش ان لم يكن اعداده على مستوى رفيع كانت الهزيمة .

أما فيما يتعلق بالدرجات العليا فهي أمر آت لا ريب فيه وهي خطوة على الطريق ولكن السلم يرتقى درجة ولا يقفز قفزا خشية الزلل أو الوقوع . ولكل شيء أوان . ويصل الدكتور حسان الى نهاية حديثه فيقول :

« ان فرصة الطالب هنا سواء في الدراسة الاولى أو الدراسة السريرية فرصة ممتازة ويغبطه عليها غيره . . ومن الأساسيات التي تركز عليها هنا احترام المريض أيا كان والتلطف في معاملته مما يساعد على تعاون المرضى أيضا في أداء دورهم التعليمي للطلاب . »

مع الدكتور خالد جمعة

أما الدكتور خالد جمعة رئيس قسم الكيمياء الطبية بالكلية فيبدي رأيه في الكلية والطلبة فيقول : ان كلية الطب في جامعة الكويت تعتبر من أرقى كليات الطب في العالم الثالث ، فدولة

الدكتور خالد جمعة رئيس قسم الكيمياء الطبية بالكلية : « مستوى الطالبة يفوق مستوى الطالب نظرا للتكوين الاجتماعي في الكويت الذي يعطي الشبان استقلالية ذاتية لا تتمتع بها الفتاة في مجتمعنا المحافظ » .

الدكتور سليمان العلي العميد المساعد للشئون الادارية بكلية الطب .

احصائية بعدد طلبة كلية الطب لعام ١٩٨٣ ـ ١٩٨٤ ـ جامعة الكويت

السنة	مجموع عدد الطلبة	الكويتيون	غير الكويتيين	الكويتيون		غير الكويتيين	
				اناث	ذكور	اناث	ذكور
الاولى	٧٩	٦٥	١٤	٣٢	٣٣	٩	٥
الثانية	٧٣	٥٨	١٥	٢٥	٣٣	٩	٦
الثالثة	٦٠	٤٣	١٧	٢٧	١٦	٨	٩
الرابعة	٥٦	٣٩	١٧	٢٦	١٣	٨	٩
الخامسة	٥١	٣٢	١٩	٢٣	٩	١٠	٩
السادسة	٣٢	٢٢	١٠	١٩	٣	٦	٤
السابعة	٤٥	٣٠	٢٥	١٩	١١	٩	٦

الكويت قد أنفقت الكثير من أجل تأسيس الكلية واخراجها بالشكل اللائق وهذا يعني أن الكلية استطاعت أن تبني نفسها على أسس مضبوطة وأثبتت رقي مستواها واحترامها الذاتي بين الجامعات الأخرى وهذا بالطبع يعود لنوعية الطلبة المتخرجين منها وللأبحاث العلمية الطبية التي تقوم بها الكلية الى جانب الخدمة الاكلينيكية التي تقدمها الكلية لطلبتها .

وأما عن مستوى الطلبة فيعلق قائلا : ان الاتجاه القائل بأن الطالبات يتفوقن على زملائهن في الدراسة يتبلور في كلية الطب ، وهذه ظاهرة ملحوظة اذ أن جميع الدفعات يزيد فيها عدد الطالبات المتفوقات عن عدد الطلبة بنسبة ٢ الى ١ تقريبا وحيث ان عدد الطالبات اللاتي يقبلن على دراسة الطب في الكلية مساو لعدد الطلبة فان نسبة التفوق ترتفع حتى ٤ الى ١ . وهذا يعود في اعتقادي الى التكوين الاجتماعي للأسرة في الكويت حيث مجال الاستقلالية الذاتية للشبان متاحة بعكس الشابات ، ومن ثم لا تجد الفتاة الا الانكباب على الاستذكار لملء الفراغ أو ربما لاثبات وجودها بالتفوق العلمي . واذا أردنا أن نجري مقارنة بين طالب الطب في الكويت وغيره في الجامعات العربية فسنجد أن طالب الطب في الكويت كما في الجامعات العربية الاخرى يعتمد الى أقصى الحدود على استذكار دروسه من المذكرات التي يكتبها أثناء المحاضرات ، والقليل منهم فقط يرجع الى الكتب الدراسية والمراجع العلمية ليروى ظمأه العلمي . وجه الاختلاف بين الطلبة في الجامعات العربية والأجنبية يكمن في اعتماد الطالب في الجامعات الأجنبية على ذاته للحصول على المعلومات ، وهذه ظاهرة عامة وليست مقتصرة على كليات الطب وحدها وهذا بالطبع يعود الى أن أسلوب التعليم المتبع منذ الصغر يبعد كل البعد عن حفظ المواد والاعتماد الكلي على المدرس كمصدر أساسي للمعلومات . وهذا السلوك يستمر حتى في شتى انواع الدراسة الجامعية ولذلك فان أي خريج يفتقد الاعتماد على الذات نجده قد عجز عن اتمام دراسته العليا .

وحيث اننا نتبع في الكلية نظام الدراسة

« والد وما ولد » الآباء فخورون بالأبناء .. انها لحظة من تلك اللحظات التي ينتظرها الآباء عندما يستقبلون أبناءهم وقد حملوا اليهم ثمرة الجهد والعرق الذي بذله الآباء م أجل مستقبل أبنائهم .. انه الشعور الذي يملأ صدر كل أب عندما يحس أنه قد أكمل رسالته في الحياة

هي نفسها لا تدري لماذا اختارت هذا المكان لتقف أمام عدسة مصور العربي وهي تحتضن شهادتها .. ولكن ربما كان التشابه بينها وبين الشجرة الوارفة من ورائها هو الذي دفعها الى الظهور معها .. أليست هي أيضا شجرة يافعة بدأت تؤتي ثمارها .. الطبيبة سناء صبحي اولى دفعتها (الى اليسار)

الانجليزى فلا توجد هناك فرصة للاختيار ، اذ أن جميع المواد الزامية .

ثمرة من ثمار الجامعة

ان كلية الطب التى احتفلت بتخريج الدفعة الأولى من طلابها وطالباتها وشاركها احتفالها أمير الكويت وشعبها كانت احدى ثمار الجامعة التي قامت عام ١٩٦٦ وكانت أول جامعة في منطقة الخليج .

وللجامعة الكويتية قصة بدأت بعد خمس سنوات من حصول دولة الكويت على استقلالها .

فقد شعرت الدولة بالحاجة الى قيام جامعة وطنية لرفع مستوى التعليم وامدادها بالقوى العاملة الوطنية المدربة علميا وعمليا لرفع كفاءتها الانتاجية والاقتصادية .

وقد وضعت النواة الأولى وتم افتتاح الجامعة في اكتوبر (تشرين الأول)١٩٦٦ ، بعد خمسة أعوام من تحقيق السيادة الكاملة لدولة الكويت ، وذلك بتأسيس كلية العلوم والآداب والتربية وكلية البنات الجامعية . وقد كان قوام الجامعة الناشئة ٤١٨ طالبا و ٣١ عضوا هم هيئة التدريس . الا أنها نمت بصورة هائلة بفضل الجهود المبذولة في سبيل نهضتها ، حتى أصبحت تضم ١٢,٠٨٥ طالبا بعد سبعة عشر عاما فقط ، أي أن عدد الطلبة قد تضاعف نحو ٢٩ مرة خلال هذه الفترة ، كما زاد عدد أعضاء هيئة التدريس خلال الفترة نفسها الى ٧٣٥ عضوا ، أي أنه تضاعف نحو ٢٣ مرة . وكان طبيعيا أن تزداد ميزانية الجامعة . فقد ارتفعت من ١,٣٣٤,٦٢٤ دينارا كويتيا في بداية الفترة الى ٤٧,٣٠٨,٥٠٠ دينار كويتي بعد سبعة عشر عاما ، أي أنها تضاعفت نحو ٤٤ مرة مما يدل على

الطلبة والطالبات اثناء احدى المحاضرات النظرية في كلية الطب .

مبنى كلية الطب الجديد الذي افتتحه أمير الكويت .

حرص الدولة على توفير كل وسائل التعليم الحديثة .

وقد توسعت الجامعة في انشاء المزيد من الكليات الجامعية . فقد صدر مرسوم أميرى في أول أبريل (نيسان) ١٩٦٧ بانشاء كليتين هما : كلية الحقوق والشريعة ، وكلية التجارة والاقتصاد والعلوم السياسية . ثم صدر مرسوم أميري في ٢٠ أكتوبر (تشرين الأول) بفصل كلية العلوم عن كلية الآداب والتربية . كما صدر مرسوم أميري في ٤ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٧٤ بانشاء كلية الهندسة والبترول .

وكان قد صدر مرسوم أميري في ٣ يوليو (تموز) ١٩٧٣ بانشاء كلية الطب التي بدأت الدراسة فيها عام ١٩٧٦/ ١٩٧٧ . ثم أنشئت كلية الدراسات العليا سنة ١٩٧٧ . وفي ١٧ مايو (آيار) ١٩٨٠ صدر مرسوم أميري بانشاء كلية التربية ونقل اليها قسم التربية من كلية الآداب في ٤ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٠ ، وبدأت الدراسة فيها في الفصل الدراسي الأول ١٩٨١/ ١٩٨٢ .

وفي ١٣ أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨١ صدر مرسوم أميري بانشاء كلية الشريعة والدراسات الاسلامية التي بدأت الدراسة فيها في الفصل الدراسي الاول ١٩٨٢/ ١٩٨٣ .

ثم صدر أخيرا ، في ٢٢ يونيو (حزيران) ١٩٨٢ ، مرسوم أميري بانشاء كلية العلوم الطبية المساعدة والتمريض ، وبذلك فصلت برامج العلوم الطبية المساعدة عن برامج كلية الطب .

ولما كانت الجامعة بمعاهدها العلمية والاكاديمية تعتبر النافذة التي يطل شبابنا منها على كنوز الدنيا من ثقافات وعلوم ، ونظرا الى ما لديها من امكانات علمية وفنية واسعة تتمثل في استقطاب صفوة من الاساتذة والباحثين في شتى

(فوق) في مكتبة كلية الطب ... طالبتان مع المراجع والكتب (تحت) المجهر الالكتروني
الماسح ... وهو من أحدث الأجهزة التي تستخدمها كلية الطب

أمير الكويت في جولة بين أقسام كلية الطب... الصورة العليا في المتحف، وفي الصورة الثانية (السفلى) يستمع لشرح من عميد كلية الطب الدكتور عبد المحسن عبد الرزاق.. عن أحد المجاهر الالكترونية الحديثة

مجموعة من الطلبة والطالبات في قسم الباثولوجي أو « علم الامراض » بالكلية وقد وقفوا يستمعون باهتمام الى شرح استاذهم .

مجالات المعرفة .. فانها تقدم البحوث العلمية الرفيعة المستوى التي تعمل لتطوير النظريات العلمية وتكييفها بما يتلاءم وحاجات مجتمعنا العصري واطراد تقدمه . وبذلك تعمل الجامعة كبوتقة تتفاعل داخلها العلوم والفنون الأجنبية والعربية والاسلامية ، لتخرج لنا نموذجا يلائم ظروفنا المحلية والعربية ، كما تعمل على اعداد الكفاءات المتخصصة من الشباب المثقف الذي يستطيع النهوض بوطنه في كل المجالات .

وحرصا من المسؤولين في جامعة الكويت على أن تتحمل الجامعة مسئوليتها كاملة تجاه الوطن ، فقد أقر مجلس الجامعة في جلسته المنعقدة في ٢٤/ ٥/ ١٩٨٠ الاطار العام الذي حدد رسالة الجامعة واهدافها وفلسفتها وسياستها ، وكلها تدور حول تحقيق هدف الانسان ومعاونته على استكشاف أسرار الكون بالتعاون المثمر مع بني جنسه .

ويتلخص الاطار العام فيما يلي :

رسالة الجامعة

وهي رسالة كل جامعة قامت وتقوم في أرض الوطن العربي أو خارجه ، وهي تتلخص في الاستفاده من ثمار المعرفة ، والتراث العلمي الحضاري ، والانتاج الفكري ، وتنمية الثروة البشرية ورفع كفاءتها الانتاجية ومستواها الحضاري والاجتماعي ، والمساهمة في خدمة المجتمع وتنميته من خلال الحفاظ على المعرفة وتنميتها ، والعمل على نشرها على المستويين القومي والانساني . ونشر العلم واعداد الكفاءات المتخصصة بفروع العلم المختلفة ، وحفظ التراث العلمي من خلال التعليم والتدريب ، والنهوض بالشباب فكريا وروحيا وخلقيا ورياضيا ، والمساهمة في تنمية المجتمع اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا .

وأخيرا ، توثيق الروابط الثقافية والعلمية بينها

وبين من يشترك معها من مؤسسات في الرسالة والهدف ، محليا وعربيا واسلاميا وعالميا .

ومن أهداف الجامعة

كذلك إعداد القيادات وتوفيرها في كل المجالات ، واعداد الشباب الواعي لتقاليد مجتمعه وقيمه السائدة بحيث يستطيع فهم مشكلاته والقيام بعمل فعال لأداء التغيير المطلوب .

ومتابعة التقدم العلمي والمساهمة في تقدمه عن طريق البحوث العلمية لحل مشكلات المجتمع وتنميته اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا .

والعناية ، بصورة خاصة ، بدراسات الحضارة العربية والاسلامية وشبه الجزيرة العربية والخليج العربي .

●●●●

ثم ماذا ؟ ونصل الى نهاية رحلتنا السريعة مع حاملي شعلة العلم على ضفاف مياه الخليج الدافئة .. لقد كان لأطباء المستقبل رأي في كليتهم وفي طبيعة دراستهم وهم الذين كبروا معها كجزء لا يتجزأ منها .. وقضوا فيها سنين طويلة لم يتركوا خلالها بابا الا طرقوه .. كانت رحلتهم معها من أمتع الرحلات وأغناها .. هكذا قالوا لنا في كلمات قصيرة ولكنها كانت تعبر عما يعتمل في صدورهم من انفعالات .

وكان لقاء شيقا مع هؤلاء الاطباء الجدد الذين لم تثنهم صعوبة الدراسة وطول سنى التحصيل عن اكتساب المعرفة والانسانية ، ليس في التعامل مع المريض فحسب بل ومع كل الناس .. فما أعظم ما تعلموه وما أجمل ما اكتسبوه من مهارات علمية وعملية خلال رحلتهم الدراسية الطويلة الشاقة .. الطبيب انسان غير عادي انسان وهب حياته من أجل انقاذ حياة الآخرين . □□

(القسم الجديد)

للقسم الذي ردده الأطباء الخريجون الجدد فى كلية الطب الكويتية فى حفل التخرج هذا العام . قصة بدأت فى المؤتمر العالمى الأول للطب الأسلامى الذي عقد بالكويت عام ١٩٨١ ، ففى المؤتمر نبتت فكرة صياغة قسم للأطباء غير قسم أبقراط العتيد الذي كانت بدايته قبل تعديلها (أقسم بأبللو الطبيب واسقولاب وكل الآلهة والإلاهات) مما لم يكن مستغربا فى زمن أبقراط الذى عاش من ٤٦٠ الى ٣٧٧ قبل ميلاد المسيح .

وروعي في القسم الجديد أن يكون مشتملا على أمهات الفضائل الطبية التي تعرض لها « الدستور الاسلامي للمهنة الطبية » الذي قدم للمؤتمر كذلك ، فتبناه المؤتمر ، ورفعه لوزراء الصحة العرب الذين وافقوا على تبنيه في البلاد العربية و الإسلامية .

وحبذا لو قامت جهود على تقديم هذا القسم على نطاق أوسع ، فهو وان كان يستقي من التوجيهات الأخلاقية الاسلامية فانه يلتقي مع مثاليات الاديان السماوية جميعاً ولا يصادر شيئا منها .

إعداد : منير نصيف
ريم الكيلاني

تصوير : طالب الحسيني
أوسكار متري

محاضرات عملية .. الصورة العليا (الى اليمين) مع الأستاذ الدكتور حسان حتحوت بين طلبته في مستشفى الولادة والصورة الى اليسار فوق وتحت الى اليمين للطلبة مع اساتذتهم في المتحف ثم الصورة الى اليسار (تحت) لاحدى الطالبات في السنة النهائية تفحص طفلا مريضا في قسم علاج الأطفال

طفلي... لا يأكل !

بقلم : الدكتور عماد شمسي باشا

□ يندر ان يمر يوم على طبيب، دون ان يسمع هذه العبارة من أم قلقة أو أب مشفق ، بل كثيراً ما تكون تلك الشكوى هي الوحيدة التي تحمل الأم على أصطحاب طفلها الى الطبيب . لماذا لا يأكل الأطفال ؟

قبل أن نوضح حقيقة شكوى الآباء وابعادها ، يحسن بنا ان نحدد معاني بعض الكلمات التي يكثر الخلط بينها كما يكثر اللبس فيها . فالجوع والشبع والشهية مصطلحات ثلاثة لها معانيها الخاصة المحددة ، فالجوع هو الرغبة في تناول الطعام والشعور الملح بالحاجة اليه ، وعكسه الشبع الذي يمكن تعريفه بانه الشعور بالاكتفاء من الطعام .. ولكل من الجوع والشبع مركزه المنظم في الدماغ ، فاذا تنبهت منطقة الجوع في هذا الدماغ أحس الانسان بالرغبة في تناول الطعام ، واذا تناول كفايته منه تنبهت منطقة أخرى من الدماغ تسمى منطقة الشبع ، وهي بدورها تدفع الانسان الى التوقف عن تناول الطعام . وهذا يعني ان الاحساس بالجوع أو الشبع انما يتم عبر منعكسات عصبية تحكمها مراكز دماغية معينة في تناسق وتآلف بديعين ، يؤمنان للانسان حاجته الضرورية من الغذاء ، مما يكفل له الصحة والعافية ، ويجعله قادراً على تلبية متطلبات الحركة والنمو .

والآن .. ما هو دور الشهية في ذلك النظام المحكم ؟ ان الشهية هي التي تحدد للانسان ما يأكل ، وهي التي توجهه للاختيار بين حلو الطعام ومالحه ، وهي التي تعمل - دون وعي منا - على جعلنا نميل الى هذا النوع من الطعام او ذاك ... واذا كان هذا هو مفهوم الشهية وتعريفها ، فان الجوع هو الذي ينبه عندنا الحاجة الى الطعام في حين ان الشبع هو الذي يحدد لنا متى نكتفي ومتى نتوقف ، فالجوع والشبع والشهية كلمات لها مدلولاتها المحددة ، وفهمنا لهذه المدلولات له أهمية بالغة في وضع المشكلة في إطارها السليم ، وفي تلمس العلاج العلمي المحدد لها ..

ولنعد الى الشهية من جديد .. ان الشهية تتأثر الى درجة كبيرة بالعوامل المحيطة بالانسان ، وبحالته النفسية والمزاجية ، ولا شك ان كلاً منا يدرك أهمية منظر الطعام او رائحته في جعله مشهياً ، كما يدرك أهمية الوضع النفسي للانسان في جعله يقبل على الطعام او يعزف عنه ، ومن الضروري بمكان أن نميز بين ضعف الشهية أو فقدانها وبين الخوف من الطعام .. هذا الخوف الذي يشاهد في بعض

الأمراض الهضمية حيث يحدث تناول الطعام ألماً وضيقاً يجعل المرء ينصرف عنه ويفضل معاناة الجوع عليه .

الطفل والطعام . . .

من الحقائق الهامة في مجال تغذية الطفل حقيقتان اثنتان أود الاشارة اليها ، لكثرة ما شابها من مفاهيم خاطئة تركت أثرها السيء على سلوك الكثير من الأمهات تجاه أطفالهن .

الحقيقة الأولى : هي انه لا وجود ـ علمياً ـ لما يسمى بفقد الشهية الفيزيولوجي او الطبيعي ، فقد انتشرت فيما مضى مقولة تزعم ان الطفل يمر خلال انتقاله من الطفولة الأولى الى الطفولة المتأخرة بمرحلة من تباطؤ النمو يصحبها نقص « طبيعي » في الشهية لا يدعو للقلق أو الخوف . . ولكن العلم الحديث أثبت بما لا يدع مكاناً للشك انه لا وجود لمثل هذا الفقدان الطبيعي للشهية ، وان حاجة الانسان ـ صغيراً أو كبيراً ـ للطعام حاجة مستمرة لا تتوقف . . بل ان أطفال اليوم بالمقارنة مع أطفال القرن الماضي هم أطفال أكثر وزناً وأكثر طولا من اقرانهم القدامى ، وهذا التسارع في النمو يتطلب حاجات غذائية زائدة ومستمرة .

أما الحقيقة الثانية : والتي كثيراً ما تغيب عن الأمهات ، أما جهلا بها ، أو تجاهلا لها ، فهي ان الطفل الذي يأكل أكثر ليس بالضرورة أكثر صحة . ومع أن الطفل سيء التغذية أو ناقص الوزن طفل أكثر عرضة من غيره للاصابة بالعدوى الجرثومية لضعف مقاومته ، الا ان الطفل البدين او المفرط في التغذية ليس دائماً

طفلاً ممتلئاً صحة وعافية ، بل ان تلك البدانة قد تترك بصماتها عليه حتى عند الكبر ، ولا أظن أن أحداً في وقتنا الحاضر يجهل ما تحمله البدانة من مخاطر كبيرة على صحة الانسان وعلى سلامته .

نقص الشهية عند الطفل :

تميل الأم بطبعها الى المبالغة في الأمور المتعلقة بصحة طفلها انسياقاً منها وراء حب زائد له وخوف مسرف عليه . وفي البداية لا اعتراض على هذا الاهتمام ، ولا نكران له ، ما بقي في حدود المعقول والمقبول . . بل قد يكون ـ بهذه الحدود ـ ظاهرة صحية مرغوباً فيها . . . ولكن هذا الاهتمام يصبح ظاهرة مرضية عندما يخرج عن حدود الاعتدال ، ولا سيما في موضوع تغذية الطفل ، حيث يصبح رفضه لصنف محدد من الطعام رفضاً لكل أنواع الطعام ، وحيث يصبح عزوفه عن وجبة من الوجبات فقداناً للشهية يستوجب المعالجة وزيارة الطبيب .

ونحن لا ننكر على الأم حقها الفطري في هذه العناية ، بل اننا لنذكر ان ملاحظة الأم لطفلها قد تكون أكثر دقة ووعياً من ملاحظة الآخرين له ، كما اننا لا ننكر عليها قلقها وهي تحمل طفلها الى الطبيب تلتمس عنده النصح والمشورة . . وللطبيب ذاته دوره الرئيسي في هذا الموضوع فهو مطالب بالتدقيق في كل شكوى تقدمها الأم ، كما هو مطالب بتقديرها ووضعها في بعدها الحقيقي ، اذ كثيرا ما تكون شكوى الأم شكوى حقيقية ، ويكون تجاهلها او الاقلال من خطرها سبباً في الحاق الضرر بالطفل ، وبداية الطريق في التعامل مع هذه الشكوى يكون في البحث عن أي سبب عضوي يحدث مثل هذه الشكوى ، واجراء الفحوص اللازمة لنفي أية أسباب كامنة وراءها . . اذ ان نقص الشهية او العزوف عن الطعام قد ينجم عن أسباب مرضية عضوية كما ان العلة قد تكون كامنة في زاوية اخرى من حياة الطفل . . ولا بد في الحالتين من تناول الأمر بعناية حتى يتم تقدير المشكلة بقدرها الحقيقي

أسباب عضوية لنقص الشهية :

ان الاستماع الدقيق والمتأني لشكوى الأم من قلة أكل طفلها ، ومعرفة تاريخ تلك الشكوى ، وما اذا كان الأمر مقتصراً على نوع خاص من الطعام ، أم أنه يتعلق بكافة أنواع الطعام . . ثم الاستفسار عن أية أعراض مرضية أخرى مرافقة كارتفاع الحرارة ، او القيء ، او الاسهال ، أو ضيق النفس او السعال ، مع القيام بالفحص السريري المتأني ، والاستعانة ببعض الفحوص المخبرية كفحوص الدم والبول وغيرها كثيرا ما تكشف السبب الكامن وراء نقص الشهية ـ فقد يكون نقص الشهية عرضاً من جملة اعراض أخرى لمرض محدد ، ولكن اهتمام الأم لم ينصب الا على نقص الشهية دون سواه ، واهملت باقي الأعراض أو قللت من أهميتها لعدم وعيها لحجم الشكوى . ومن الأسباب العضوية لنقص الشهية تذكر الانتان (**infection**) البولي المزمن ، او المرحلة الأولى من مراحل التهاب الكبد ، وقد يكون السبب الأول لأحجام الطفل عن الطعام قصور القلب الشديد الناجم عن تشوه خلقي أو غيره . . ومثل قصور القلب هناك القصور التنفسي الشديد الذي يعوق الطفل حتى عن تناول طعامه . ومن هذه الأسباب أيضا ارتفاع نسبة البولينا في الدم (**Urenia**) وبعض الامراض الغذية والاستقلابية (**metabolic**) التي لا يتسع المجال لذكرها . وهكذا فان من المهم جدا ان يفكر الطبيب بهذه الأمراض كأسباب رئيسية لنقص الشهية الذي يشكو منه الطفل والذي يقلق له ذووه . وفي معرض الحديث عن الأسباب العضوية أود التأكيد على حالات ثلاث كثيرة المشاهدة والانتشار في بلادنا من بينها

الحديد ، فالحديد عنصر هام لأجسامنا ، ويدخل في تركيب أعضاء وأجزاء حيوية من خلايانا ويعتبر نقص هذا العنصر من العوامل الهامة لنقص الشهية ، ويكفي إعطاء مركبات الحديد ، لتعويض النقص واستعادة الشهية . وكذلك العوز الفيتاميني **(hypovitamino-sis)** حيث تلعب الفيتامينات ، وهي مركبات كيماوية توجد في الغذاء الذي نتناوله ، ادواراً هامة في تفاعلات الجسم الكيماوية الحيوية ويؤدي نقصها وخاصة فيتامينات (C-D-A) الى اعراض مختلفة من جملتها نقص الشهية . وقد يكون نقص الشهية عرضاً سابقاً لغيره من الأعراض الصريحة والواضحة لحالة النقص الفيتاميني تلك . ولعل الاستجابة السريعة

للعلاج بهذه الفيتامينات هو ما اعطى مركبات الفيتامينات شعبيتها بين الناس ، ودعا الأمهات لمطالبة الأطباء في كل مناسبة بوصف الفيتامينات لأطفالهن لامدادهم بالصحة والعافية .

ثم هناك الطفيليات المعوية وهي كثيرة الانتشار في بلادنا ، لانخفاض المستوى الصحي وقلة الوعي والثقافة بوسائل الوقاية من الاصابة بتلك الطفيليات المعوية . وكثيراً ما يكون الاستفسار من جانب الطبيب عن بعض الأعراض الأخرى أو إجراء بعض الفحوص المخبرية للتحري عن وجود تلك الطفيليات هو الكاشف عن سبب نقص الشهية . وأشير هنا لنوعين من تلك الطفيليات أولها الحرقص (-ox yuriasis) وهو المسبب للحكة الشرجية الليلية عند الأطفال الصغار ، وثانيهما ما يسمى بالجارديا (Giardia) وهذه قد تحدث الى جانب نقص الشهية الم البطن او تطبله أو الاسهالات المتكررة . ومن حسن الحظ ان العلاج الناجع لهذه الطفيليات متوفر وميسور .

وعلى الرغم من كثرة الأسباب العضوية التي قد تحدث نقصاً في الشهية ، فان حالات عديدة من فقدان الشهية لا تعزى لأي منها وتبقى هنالك أسباب أخرى أكثر أهمية ـ فما هي هذه الأسباب ؟

أسباب أخرى . .

كثيراً ما نسمع عن فقدان شهية صادر عن منشأ عصبي أو نفسي ، فما المقصود بذلك ؟ وهل للأطفال الصغار ـ كما للكبار ـ مشاكلهم أو معاناتهم النفسية حتى يؤثر ذلك على شهيتهم ؟ نعم . . فان للصغار بناءهم النفسي الخاص ، وهو بناء ضعيف المقاومة سهل التأثر وقد يقف الطبيب عاجزاً عن معرفة سبب نقص الشهية عند الطفل ، برغم كل الفحوص والاختبارات ، لأنه لم يعط الجانب النفسي القدر اللازم من الاهتمام والبحث ، وفيه وحده قد تكمن العلة ، ولأهمية السبب النفسي أو العصبي في تشخيص حالة فقد الشهية عند الطفل يتطلب الأمر تعاوناً كافياً بين الأهل والطبيب وتفهماً وصبراً كاملين من الجانبين ، فهناك أطفال ذوو بنية نفسية خاصة تسمى البنية العصابية (neurotic)، وأصحاب هذه البنية النفسية يتصفون بعدم الاستقرار أو بنقص التوازن العصبي ، وكثيراً ما نجد هؤلاء الأطفال العصابيين ينحدرون من أسر عصابية ، فيما يمكن عزوه الى استعداد عائلي . فالطفل العصابي طفل عنيد ، كثير الطلبات ، اناني ، محب لذاته ، ويتصف رد فعله لما يجري في محيطه بالعنف والتطرف ، ولا تسلم العادات الغذائية عند الطفل من هذا التطرف الذي يتظاهر عادة برفض عنيد لتناول الطعام كجواب على ما يدور حوله من أمور . . .

اسرة الطفل مسئولة ايضا

الى جانب البنية العصابية التي اشرت اليها ، هنالك اسباب خارجية اخرى لها اهميتها البالغة في عادات الطفل الغذائية . . فان اهتمام الاسرة الزائد بطفلها الصغير وجعله محور الاهتمام الأول والاخير ، ظاهرة كثيرة الانتشار وخاصة بالنسبة للطفل الأول للاسرة .

ومن مظاهر هذا الاهتمام الانتباه الزائد لمطعمه ومشربه . . فاذا جلس الطفل على المائدة اصبح طعامه محور اهتمام الجميع ، واذا ابدى رغبته في طعام بعينه كان ذلك مصدر بهجة للجميع . . ولا يقتصر هذا الاهتمام على الوالدين وحدهما وانما يتعداهما الى الجد او العم والخال ، الجميع يتسابق للفوز بلقمة يقدمها للصغير العزيز وتصبح لقمة الطفل مصدر سرور واطراء وابتهاج من جميع افراد الاسرة . مثل هذا الانشغال الزائد بأكل الطفل يدفعه لانقاص طعامه اراديا في سبيل ان يحظى بالمزيد

من الاهتمام والعناية ، وسرعان ما ينتقل الامر الى ما يشبه المزايدة ، فكلما افرط الاهل في انتباههم لاكله زاد تمنع الطفل وتعددت طلباته حتى ينتهي الامر « بالعزيز الصغير » الى املاء الشروط . . فهو لن يأكل الا من صحن معين ولن يشرب الا من كوب خاص ، ولن يتناول الا من يد فلان . . وهو تارة يرضى عن صنف من الطعام وتارة يرفضه ، والاهل لا يجدون بدا من الرضا والاذعان . . والى هنا والمشكلة ما تزال في متناول الحل ، ولكن البلية تتفاقم وتتعاظم حينما يصبح الاكل عند الطفل عقابا له ، فهو لا يأكل دون عقاب او تهديد بعقاب ، وتدريجيا يصبح الطعام عند الطفل مصدر قلق دائم له ، والقلق وحده كفيل بان يزيل كل شهية متبقية لديه . وبدلا من ان ننتهي مع الطفل الى حل نجد انفسنا نغرق معه في مشكلة اكثر سوءا وتعقيدا . . .

ولادة طفل جديد

ان ولادة طفل جديد في الاسرة يشكل حدثا بالغ الاهمية والحساسية بالنسبة للطفل ، وهذا الحدث يؤثر تأثيرا واضحا على سلوك الطفل وانفعاليته ، ومن جملة هذه التأثيرات تبدل عاداته الغذائية فقد يكون (الحدث السعيد) في الاسرة سببا في ان يقبل الطفل على مزيد من الطعام ، وتتحسن تلقائيا مشكلة نقص الشهية عنده ، وقد يحدث العكس فيزداد عزوفا عن الطعام وانصرافا عنه ، في محاولة منه لاستعادة مكانته المهددة بقدوم طفل جديد يقاسمه اهتمام الوالدين وحبهما .

الخلافات الاسرية لها دورها

ان الجو الذي يعيشه الطفل ضمن اسرته ، والعلاقات التي تربطه مع افراد هذه الاسرة قد يكون له انعكاسه الخطير والمهم على عاداته وسلوكه كله . فالخلافات والمنازعات الدائمة بين الطفل واشقائه ، واهمال الام لطفلها او خلاف الزوجين الدائم من الاسباب التي تشحن جو الاسرة بالقلق والتوتر الدائمين ، تؤدي بالطفل آخر الامر الى رفض الطعام . . ولعل اشد هذه الحوادث تأثيرا على الطفل ان يقع الطلاق بين الوالدين ويتشتت شمل الاسرة ، وعندئذ تبرز مشكلة العزوف عن الطعام بابعادها الحادة والخطرة ، ويصبح العلاج النفسي مطلبا رئيسيا لا غنى عنه .

ثم ماذا ؟

بعد هذا العرض السريع لحقيقة الشكوى التي تحملها كثير من الامهات الى الاطباء ، لا اجد بدا من التوجه الى الامهات اللواتي يعانين من مشكلة رفض اطفالهن للطعام ببعض النصائح العامة لحل هذه المشكلة . فأؤكد اولا على ضرورة الامتناع عن تقديم المديح والاطراء او الزجر والتأنيب للطفل على المائدة ، واعطائه قدرا من الحرية في تناول الطعام الذي يحبه ويميل اليه . . ويفضل الاقلال قدر الامكان من المشروبات السكرية او الحلويات الاخرى في طعام الطفل لانها تحقق له الاكتفاء ، وتصرفه عن تناول الطعام الرئيسي ، ويجب ان تحرص الام على تنظيم وجبات طفلها ، وان تقتصد كثيرا في تقديم ما يلتهمه بمناسبة وبغير مناسبة ، لأن ذلك سيعطل عنده الاحساس بالجوع ، وسيحرمه بالتالي من الاقبال على طعامه بشهية وشوق . . وقد يكون من المفيد جدا تشجيع الطفل على اللعب والرياضة في اوقات محددة ، لأن ذلك سيساعده على صرف الطاقة المتوفرة لديه وسيجعله يشعر بالجوع ، والجوع في ذاته دافع صحي للطعام ، وحافز طبيعي اليه . ولابد من التذكير اخيرا بان هنالك وسائل اخرى متعددة غير الطعام للتعبير عن الحب والحنان . .

□□

العم اسماعيل*

بقلم : الدكتور محمد حسن عبد الله

□

مثل أعواد الريحان المنتشرة في البريّة حول القرية . . . كذلك كان . وكما كانت هذه الأعواد تمتزج على أوراقها الصغيرة ألوان الخضرة والغبرة والجفاف ، فتألفها عين العابرين حتى لا تراها ، وان كانت تنتعش برائحتها الطيبة ذهاباً واياباً . . . فكذلك كان اسماعيل أفندي .

ظهر في قريتنا ، لا نعرف متى . تفتحت عيوننا ونحن نراه ، تعوّدناه مثل مئذنة الجامع ، ورائحة البرسيم في الربيع ، وصوت وأبور الطحين في أطراف القرية ، لم يسأل أحد متى بدأ ذلك ؟ ولكنه رغم تطاول الزمن ظلت لهجته وطريقته في الكلام تدلّان على أنه لم يرضع لغته من حارات قريتنا وحقولها ، غير أنه ينتمي الى مكان ليس بالبعيد .

هو في أوراق الحكومة : كاتب في مكتب وزارة الصحة بالقرية يسجّل أسماء المواليد ، ويستخرج تصاريح الدفن . وفي الحالات الطارئة يقوم بالابلاغ عن المشتبه في اصابتهم بالوباء ، ويقود فرق التعفير والتبخير الى مساكنهم . هذه الصورة « الرسمية » ظل اسماعيل أفندي يقوم بها دهراً ، دون أن يفطن اليها أحد ، حتى لكأن أسماء المواليد تأخذ مكانها في الدفتر من تلقاء نفسها ، وتستقر شهادات الميلاد في أكفّ الآباء والأمهات بطريقة طبيعية . . كأنها قطرات العرق تنبثق في هذه

---

* اسماعيل . . في اللهجة المصرية (اسماعين)

الأكف حين تشتد القبضة على يد الفأس أو المنجل . وكانت بقية العمليات تتم بنفس الطريقة .

أما صورة اسماعيل أفندي في حياة الناس فكانت تختلف كثيراً . كان في مواجهته : اسماعين أفندي . ولم يخطيء أحد ، مع ترادف الأجيال ، واتساع مساحة القرية ، وتعدد الأفندية فيها ، في أنه المقصود دون غيره ـ باسماعين أفندي ، مع أن أحداً لم يسمع اسم والده مرة واحدة ، ولم يسأل أحد عنه ، والتوقيع في ذيل شهادات الميلاد أو تصاريح الدفن لم يدل عليه . في غير المواجهة كان أهل القرية يختصرونه الى : « اسماعين بتاع الصحة » ، أو ـ وهو الأكثر انتشاراً ـ « اسماعين الصحة » ! ! ولعلي حين فطنت الى هذه المفارقة حاولت اكتشاف تعليل لها ، وأيقنت أن ذلك يحدث لأن الرجل لا يضع الطربوش على رأسه ، لقد كان يعتمر طاقية ذات أذنين طويلتين في الشتاء ، أما في الصيف فانه كان يسير عاري الرأس ، كاشفاً عن شعر بني ناعم مسترسل في هيئة لا تألفها القرية ، ولعل هذا سرّ انعامها عليه بلقب « الأفندي » في حال المواجهة ، رغم غياب السمة الأساسية لطائفة الأفندية ، وهي الطربوش .

كان « اسماعين الصحة » قصيراً ، نحيفاً ، يلبس جلباباً من البوبلين الأزرق السادة ، فوقه البالطو الكاكي ، الذي تصرفه وزارة الصحة لموظفيها ، وينتعل الشبشب الأحمر ـ ماركة الغزالة ـ ويضع قلم كوبياً تغطيه لَبِّيسه لامعة ، في جيبه الخارجي . وحين غلبني الفضول فاقتربت منه لأراه عن قرب لفت انتباهي فيه شيئان : أنه يضع كوفية حريرية حمراء غامقة حول عنقه ، لا تكاد تظهر من ياقة معطفه ، وأنه حين يبتسم تتحول شفته العليا الى شفتين مستطيلتين متراكبتين ! ! لقد بدت ابتسامة غريبة ، بذلت جهداً في أن استرد نظرتي المندهشة خوفاً من أن تضبطني عيناه أو عيون الواقفين . . لم استطع . ظللت مدة طويلة أراقبه ، وانتظر حديثه المتدفق أن ينتهي الى لحظة الابتسامة لأرى كيف تتحول الشفة الواحدة العادية الى شفتين متفرتين ! ! لكن الأمر لم يلبث أن صار مألوفاً بتكراره ، وأظن أن ملامح وجهه الأبيض الطيب ، كانت ذات تأثير في أن يكون كل شيء فيه مقبولاً .

كان مكتب الصحة قريباً من المسجد ، ولعل هذا كان بداية قيام اسماعيل أفندي برفع أذان الظهر كل يوم . تستطيع أن تراه يغادر المكتب متعجلا ، يقفز سلماته الحجرية قفزاً ، ثم تمضي دقيقة حتى يكون فوق سقف المسجد ، يأخذ مكانه في زاوية من زواياه ، ويده حائرة بين جيبه وعينه تسحب الساعة من سلسلتها الفضية الطويلة ، حتى اذا تأكد من الميقات انطلق صوته بالنداء « الله أكبر » .

لم يكن صوت « اسماعين الصحة » جميلاً ، كان مرتعشاً مقطوع النفس ، غير متجانس الطبقة ، ولولا أنه كان ينادي للصلاة لسمع من تهكم أهل قريتنا ، وألسنتهم الطويلة ما يملأ القفف والمشنات ، لكن هذا لم يحدث الا همساً ، أو في جلسات ضيقة لم تصل الى الرجل ، لأنه ظل يؤذن ، ويؤذن ، حتى صار ذلك شيئاً من طبيعة وجوده ، وتخطى العلاقة المكانية بين المكتب والمسجد ، فقد كان بيته بعيداً ، ومع هذا كنت تراه قرب كل صلاة يتدحرج في براحة البلد بخطواته المتقاربة ، وشبشبه النظيف يرسل صفقاته المتعاقبة وكأنه عدّاد . بعد هذا المشهد بدقائق تسمع صوته بنغماته الغريبة التي صارت مألوفة لا تثير غير الشفقة . لقد ظل حريصاً على وظيفته هذه التي ألزم بها نفسه ، حتى في رمضان ، وحين كان الصيام في لهيب الصيف ، كان الفلاحون يلوذون بظل المسجد وهوائه المنعش ما بين الظهر والعصر ، وتجد الزحام حول « الدّش » اليتيم على أشدّه ، فاذا اقترب المغرب لا تكاد تجد منهم أحداً . لقد أخذوا أماكنهم في مواقع أخرى ، اذ تحلقوا حول

الصواني والطبالي أمام الدور أو في مداخلها ، وقد أشرعوا آذانهم ، حتى يأتيهم الفرج من صوت « اسماعين الصحة » الذي لا يكتفي برفع الأذان ، بل يتبعه بالتسبيح ، والتغني بجمال الرسول ﷺ ، وبعد أن يؤدي صلاته ، وحين يغادر المسجد الى بيته ، ونسمع طرقعات شبشبه عائداً ، يكون بعضنا قد غسل يديه ، وبدأ يتجشأ ! !

حين اكتسح وباء الكوليرا الريف ، بدأت فرق المكافحة تنتشر ، وتمارس عملها : تحرق ثياب المصابين وأدواتهم ، وتحقن كل من يصادفها ، وتعفّر بالبودرة أشياء ، وتدهس وتدمر أشياء أخرى . . . كان « اسماعين الصحة » رفيقاً دائماً لكل مراحل المكافحة ، أميناً في أداء عمله بشكل مثير : يرشد الى البيوت التي ظهرت فيها إصابة ، مهما كانت منزلة هذه البيوت في القرية ، ومع هذا يترفق في ممارسة حق العزل والحرق والتدمير ، بالنسبة لوجهاء القرية وصعاليكها على السواء . أما الذين دهمهم الوباء وفارقوا الحياة ، واستولى الجزع على أقرب الخلان فلم يشاركوا في وداعهم الوداع الأخير ، فان « اسماعين الصحة » ، مع اثنين من عمال المكافحة ، كان يقوم بهذا الدور ، في مثابرة صامتة ، لا تكاد تجد لها أثراً في حركاته أو كلماته . . هكذا كان « اسماعين الصحة » علامة بارزة لم يفطن اليها أحد ، في السراء أو الضراء ، ظل يؤدي عمله الرسمي والتطوعي وكأنه لا يعمل شيئاً . لكن لم يحدث طوال عصره الا ما هو حقيقي ، وفي موضعه ، فالأطفال الذين يستخرج لهم شهادات الميلاد هم الذين ولدوا بالفعل ، في تاريخ تسجيلهم ، وتصاريح الدفن أثبتت سبب الوفاة الحقيقي ، وصوته يصعد بالأذان من الفجر الى العشاء ، ما بين هجير بؤونة ، وصقيع طوبة ، وزوابع أمشير . لقد خيل الينا أن الزمن توقف ، ليس « باسماعين الصحة » وحده ، بل بكل شيء من حوله . . . نوع من الاطمئنان الجميل ، أن كل شيء على ما يرام .

وغبت عن القرية سنوات ، ثم عدت ، وقد ترامت أطرافها ، وصار كل شيء أكثر بريقاً وارتفاعاً . . . وحدث أن احتجت الى وثيقة من مكتب الصحة ، ذهبت وأنا أتوقع أن أجد اسماعيل أفندي في مكانه ، بالجلباب البوبلين الأزرق السادة ، والبالطو الكاكي ، والكوفية الحمراء . لكني صحوت على صورة أخرى تؤكد أن زمناً قد انقضى وأقبل غيره . كان الجالس على المكتب شاباً شاحباً أجعد الشعر بفعل الصابون ، يلبس بنطلون « استرتش » وجاكيت بلاستيك شديد البريق . لم يكن وجهي معروفاً لديه ، ومع هذا فقد أظهر همة مشكورة في انجاز الوثيقة التي احتاج ، فأخذتها منه شاكراً ، مطرياً نشاطه باقتناع حقيقي ، واذا بالهمة المشكورة في حقيقتها همة مأجورة ! ! لقد بدأ يعزف اللحن الرديء : « أية خدمة يا بيه . . كلك نظر ، الموظف هو المسكين الوحيد في هذا البلد ، ماذا يفعل مثلي ليحصل حتى على سجائره ؟ ! » .

احتدم الغيظ في نفسي ، وقررت أن أتصامم عن كلماته الممجوجة ، ولأكثر من هدف سألته عن « اسماعين الصحة » .

قال دون مبالاة : تعيش انت . . . من زمان .

قلت بحزن حقيقي : متى حدث ذلك ؟

قال : بنفس النغمة اللامبالية ، بل لعله أراد أن يضمّن إجابته شيئاً يعبّر عن ضيقه بي ، ورغبته في اهانتي : ـ

ـ مات يوم تسلمت العمل في المحروق .

قلت بذعر حقيقي : المحروق ؟ !

ـ قصدي المكتب . . .

طويت الوثيقة في جيبي ، ألقيت نظرة على جوانب الغرفة ، تخيلت « اسماعين الصحة » جالساً في صدرها ، وابتسامته الغريبة تثير الدهشة ، وكلماته الطيبة تمتص القلق . .

خرجت ، وأنا أقول في نفسي :

ـ فعلاً كان لا بد أن يموت ! ! □□

هل حان الوقت لسحب حبوب منع الحمل من الأسواق ؟

عمّت الأوساط الطبية في شهر نوفمبر الماضي ضجة كبيرة حول حبوب منع الحمل ، وحول الأضرار البالغة التي يمكن أن تسببها للنساء اللاتي يتعاطينها .. وبخاصة من كن دون الخامسة والعشرين من العمر .. فقد نشرت مجلة لانست Lancet الطبّية البريطانية المعروفة بحثين خطيرين للغاية .. ربط أحدهما بين تلك الحبوب وبين سرطان الثدي .. وربط الآخر بينها وبين سرطان عنق الرحم Cervical . وتوجه العلماء الذين نشروا هذين البحثين كما توجه سواهم ، الى وكالة الغذاء والدواء في واشنطن .F.D.A يطالبونها باتخاذ الاجراءات الكفيلة بالمحافظة على سلامة النساء الامريكيات .. أما اللجنة الحكومية المعنية بسلامة العقاقير في بريطانيا .. وهي نظيرة الوكالة الامريكية .. فقد انصرفت الى دراسة البحثين دراسة مكثفة استغرقت أربعة ايام متتالية .. وكانت نتيجة تلك الدراسة المركزة أن حثت اللجنة كافة النساء الانجليزيات على التزام الحيطة والحذر بصدد مايتناولن من حبوب منع الحمل .. ونصحتهن باختيار الحبوب التي تحتوي على أقل قدر من هرمون البروجستوجن Progestogen فضلا عن هرمون الاستروجن .

أما البحثان اللذان نشرتهما مجلة لانست فقد استندا الى تجارب علمية وميدانية عديدة ، والا لما كانت الضجة التي أحدثاها في الاوساط الطبية العالمية ..

ونكتفي هنا بالاشارة الى التجارب التي تمخض عنها البحث الاول والأهم .. وهو الذي يربط بين حبوب منع الحمل وسرطان الثدي .. وقد أجرى تلك التجارب ووضع نتائجها في البحث السالف الذكر فريق من علماء واطباء كلية الطب في جامعة كاليفورنيا الجنوبية (في لوس انجلوس) برئاسة الدكتور بايك Dr.M.C.Pike

اختار هؤلاء العلماء والاطباء لتجاربهم بضع مئات من النساء اللواتي يتعاطين حبوب منع الحمل ، (٦٢٨) منهن بالتحديد . وما أسرع ما أثبتت الفحوص ان سرطان الثدي أصاب نصفهن قبل بلوغ السابعة والثلاثين .. علما بأن المصابات لم يعانين في الماضي من أي من الأورام السرطانية .. أما النتائج التي تمخضت عنها تلك التجارب والدراسات التي اقترنت بها .. فقد دلت على أن احتمالات الاصابة بسرطان الثدي تزداد في ثلاث حالات :

* حالة الاقدام على مباشرة تناول حبوب منع الحمل قبل بلوغ سن الخامسة والعشرين .
* حالة كون تلك الحبوب من الاصناف التي تحتوي على مزيد من هرمون البروجستوجن السالف الذكر .. خمس وحدات منه أو تزيد .
* حالة اطالة أمد تعاطي هذه الحبوب .

وتبين للعلماء الباحثين أن تلك الاحتمالات .. احتمالات الاصابة بسرطان الثدي تتضاعف ٤,١ أضعاف اذا طال أمد تناول تلك الحبوب ٤ - ٦ سنوات ... و ٢,٤ أضعاف اذا طالت مدة استعمالها ٢٥ - ٤٨ شهرا .. والمقارنة في كلتا الحالتين قائمة مع

اعداد :
يوسف زعبلاوي

النساء اللاتي لا يتناولن حبوب منع الحمل اطلاقا . .

وتبين للعلماء بالاضافة الى ذلك أن احتمالات الاصابة بسرطان الثدي نقصت بنقصان ما تحتويه تلك الحبوب من هرمون البروجستوجن .

وتجدر الاشارة الى أن المرة الاولى التي تعرضت لها حبوب منع الحمل جاءت في سنة ١٩٧٧ وفي التقرير الخطير الذي نشرته آنذاك الكلية الملكية (البريطانية) للأطباء العموميين . . وقد ركز ذلك التقرير على الهرمون الذي تحتويه حبوب منع الحمل . . هرمون الاوستروجن **Oestrogen** وكشف ما يسببه هذا الهرمون من اضرار وامراض وما يترتب عليه من مخاطر . . فهو يجمل الدم على التجلط السريع . . ويعرض المرأة للنوبات القلبية ، ولم يشر ذلك التقرير الى الهرمون الآخر في حبوب منع الحمل . . من قريب ولا من بعيد . .

ومما يذكر في هذا الصدد أن حبوب منع الحمل التي تحتوي على مزيد من هرمون البروجستوجن تستأثر بنحو نصف المبيعات (بالتحديد ٤٧٪) مما يباع من شتى حبوب منع الحمل بصفة عامة .

حمارة لا تلد حمارا . . .
وانما حمار وحش

هذه تجربة علمية لطيفة أجراها علماء حديقة الحيوان في لندن . . فقد نجحوا في نقل جنين حمار وحش الى رحم حمارة عادية . . وذلك وفق مشروع علمي دقيق بدأوه قبل نحو سنتين . وهذه هي المرة الاولى التي يتم فيها زرع جنين حي لحيوان كبير !

واقدم الفريق نفسه على نقل أجنة حية من خيول بريزيفالسكي وهي الخيول البرية الوحيدة في العالم . . وزرعها في خيول من ويلز .

ولا يخفى ما يترتب على نجاح هذه التجارب من نتائج . . من ذلك أنها قد تضمن انقاذ فصائل من الحيوانات مهددة بالانقراض . . ومن ذلك أيضا احتمال شحن الاجنة المطلوبة من مكان الى مكان ، بدلا من شحن الحيوانات نفسها ، سعيا وراء تزاوجها وتكاثرها . . وتوفير النفقات الباهظة وحماية الحيوانات التي قد تكون نادرة (الباندا مثلا) في رحلات تزاوج كثيرا مامنيت بالفشل .

وتجدر الاشارة الى أن جنين حمار الوحش انتزع من رحم امه بعد سبعة ايام من حملها به . . حين كان قوامه ١٦ خلية فقط . . وقد تم تنظيف الجنين وحقن أمه الجديدة بالهرمونات المناسبة لتمكينها من الحمل الاصطناعي . . وذلك قبل زرعه في رحمها . . جراحيا . . وتكررت التجربة وفشلت مرات عديدة . . الا أن فريق العلماء الذين قاموا بتلك التجارب ، برئاسة الدكتور فيليب سمرز **Summers**، أصاب النجاح آخر الامر . .

ويتطلع هؤلاء العلماء الى التجارب الجديدة التي ينوون القيام بها ، لدى قيام الحمارة بالسلامة . . الحمارة التي توشك ان تضع حمار وحش . . والتي سيزرعون فيها أجنة من حيوانات مختلفة غير متجانسة .

الجديد في العلم والطب

الكهرباء تسير السيارات بدلا من البنزين

مازالت مصانع السيارات في العالم تحاول صنع السيارة الكهربائية المثالية .. مثالية لأنها لا تلوث الجو أبدا .. ومازالت تلك المحاولات تتمخض عن نماذج تعرض في المعارض دون أن يعقب عرضها انتاج تجاري وبيع في الاسواق ..

ولكن أحد مصانع السيارات الدانمركية شذ عن القاعدة المألوفة .. وقد أعد العدة لصنع سيارته الكهربائية الجديدة (انظر الصورة) على نطاق واسع اعتبارا من مطلع هذه السنة (١٩٨٤) .

وتبلغ سرعة السيارة الجديدة في أقصاها (٥٠) ميلا في الساعة وتكفي طاقتها الكهربائية للتجوال مسافة ٦٠ ميلا .. أما البطاريات التي تمد السيارة بهذه الطاقة فعددها ١٢ بطارية من نوع بطاريات الرصاص ـ الأسيد الشائع حاليا في الاسواق .. غير أن بطاريات السيارة الجديدة قابلة للشحن أثناء الليل .. ولا ندري ان كانت بحاجة الى أجهزة شحن خاصة أم أن في الامكان شحنها من كهرباء المنزل ..

هذا ولا تزيد نفقات تسيير السيارة الدانمركية على سنتين من الدولار الامريكي لقطع ميل كامل .. ويقابل هذا الرخص غلاء في قيمة السيارة .. وقد حددها المصنع بمبلغ ٦٠٠٠ دولار ..

ويحضرنا في هذه المناسبة خبر السيارات ، بل الباصات ، التي طوروها في بريطانيا والتي أقدمت مدينة مانشستر على شراء عشرين منها ... ومباشرة استعمالها بالفعل في شهر نوفمبر الماضي ١٩٨٣ . وتتميز هذه السيارات البريطانية بأنها لا تعمل بالكهرباء فحسب .. ولا بالطريقة التقليدية .. طريقة البنزين ومحركات الاحتراق الداخلي فقط .. وانما بالاسلوبين معا وحسبما تشاء .. فهي سيارات تستطيع السير بمحرك عادي وتستطيع السير بالكهرباء .. وتستمد طاقتها الكهربائية من بطاريات يتم شحنها من فائض طاقة المحرك .. وتستطيع هذه السيارات السير كهربائيا داخل المدن وذلك حفاظا على البيئة وتحاشيا للتلوث ..

وفي تلك الحال لا تزيد سرعتها في أقصاها على سرعة السيارة الدانمركية (٥٠ ميلا في الساعة) ولا تستطيع التجوال مسافة تزيد على ٦٠ ميلا تماما كالسيارة الدانمركية . ولكنها لا تتوقف عن السير اذا فرغت بطارياتها .. بل يتوقف أداؤها بالبطاريات ويتحول الى المحرك فتتمكن من مواصلة السير وتتمكن في الوقت نفسه ، من شحن بطارياتها بفائض الطاقة من محركها ...

لماذا تسقط الأقمار الصناعية ؟

بقلم المهندس سعد شعبان

□ أثار سقوط القمر الصناعي السوفييتي « كوزموس ـ ١٤٠٢ » في يناير ١٩٨٣ عاصفة من الذعر في كثير من الدول ، أعقبتها بعض الاستعدادات والتأهب في بعض الدول تحسبا لسقوطه فوق أراضيها . ومرجع ذلك الخوف أن القمر كان يحمل على متنه محركا يعمل باليورانيوم المخصب يمده بالطاقة . أن سقوط هذه المادة المشعة يمكن أن يتولد عنها كثير من المتاعب الصحية للانسان والحيوان .

صاروخ واحد يحمل ثمانية أقمار صناعية

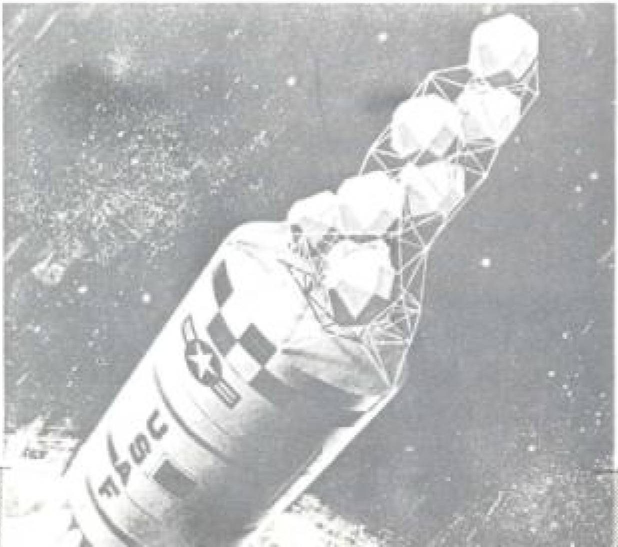

لقد شهدت البشرية اطلاق أول قمر صناعي سوفييتي « سبوتنيك ـ ١ » في ٤ أكتوبر ١٩٥٧ وأول قمر صناعي أمريكي « اكسلبورر ـ ١ » في ٣١ يناير ١٩٥٨ ، ومنذ ذلك الحين وحتى الآن أصبح عدد الأقمار الصناعية لا يقل عن ٦٠٠٠ قمر تتبارى في اطلاقها الدولتان الكبيرتان وعدد قليل من الدول الأخرى منها بعض الدول النامية كالهند . وقريبا في عام ١٩٨٤ سيصبح لجامعة الدول العربية قمران صناعيان يستخدمان للاتصالات .

وتتفاوت الأغراض من اطلاق الأقمار الصناعية ، فبعضها يطلق لأغراض البحث العلمي والقياسات المجردة ، وبعضها الآخر يطلق لأغراض تطبيقية بدءا من الاتصالات اللاسلكية والتنبؤات الجوية والاستشعار من بعد ، وانتهاء بأغراض الانذار المبكر الذي هو في حقيقته لفظ مهذب لأغراض التجسس العسكري والعلمي .

وكما تتفاوت الأقمار الصناعية في أغراضها وأجهزتها وأحجامها فانها تتفاوت أيضا في أعمارها . فبعضها يظل يتحرك على مداره مدة محدودة قد لا تعدو بضع ساعات ، وبعضها الآخر يقدر له أن يظل سابحا في الفضاء عدة سنوات قد تطول حتى ألف أو ألفي سنة . ويتوقف هذا على مقدار ما يغوصه مدار القمر االصناعي في الفضاء السحيق . ومدارات كل الأقمار الصناعية بيضاوية الشكل أي على شكل (اهليلج) ،وتقع الأرض في إحدى بؤرتي هذا الشكل البيضاوي ، وعندما يكون القمر أقرب ما يمكن من سطح الأرض يسمى بعده عنها (الحضيض) ، وعندما يبلغ أقصى بعد عن الأرض يسمى هذا البعد (الأوج) . ولذلك قد يتم القمر الصناعي دورته على مداره خلال بضع ساعات أو خلال بضعة أيام أو بضع سنوات ، حسب بعد « الأوج » و « الحضيض » عن الكرة الأرضية .

وعندما تتوقف أجهزة أي قمر صناعي لنفاد عمرها أو لعطل يصيبها ، يتحول القمر الى جسم معدني لافائدة منه اللهم الا كونه عائقا قد يصطدم يوما ما بجسم آخر . والجيل الأول من الأقمار الصناعية ، كان يستمد الطاقة المحركة لأجهزته من الخلايا الشمسية التي ترصع على سطحه الخارجي أو على زعانف جانبية له . ولكن أغلب الأقمار الصناعية التي تطلق لأغراض يقدر لها أن تستمر سنين طويلة وخاصة الأقمار التي تخدم أغراضا عسكرية ، فانها تستمد الطاقة اللازمة لتشغيل أجهزتها من شحنة ذرية أو نووية . وعادة ما توضع داخل وعاء معدني سميك كنوع من أنواع الاحتياط عند سقوط القمر .

حركة الأقمار الصناعية

لكي يستوى القمر الصناعي على مداره لا بد أن يحمله صاروخ دفع يطلق من الأرض حتى يجعله قادرا على الافلات من قوى الجاذبية الأرضية التي تشده الى الأرض ويرتفع به حتى مستوى المدار . وبعدما يتحرر من كل القوى الخارجية تصبح حركة القمر الصناعي « حركة منتظمة » لا يعوقها شيء ، لأن الفضاء خلو من كل المكونات سواء ذرات الهواء أو الغبار . ومن ثم لا تؤثر على الحركة المنتظمة للقمر الصناعي أي قوى خارجية ، ولذلك تظل حركته المنتظمة مستمرة . ولكن اذا اقترب مسار القمر الصناعي من الغلاف الجوي للأرض ، فعندئذ يحدث الاحتكاك . لأن الغلاف يحوى ذرات من الهواء والغبار . ولتفادى ذلك فان مدارات الأقمار الصناعية تصمم بحيث تبتعد عن الغلاف الجوي فتظل محتفظة بحركتها المنتظمة ويمتد بها العمر لتؤدي مهامها في الفضاء مددا طويلة ، وتظل محطات المتابعة الأرضية مشرعة هوائياتها لمتابعة

حركتها في الفضاء ، والتقاط قياساتها التي يمكن منها استنتاج ما تريد الأقمار تحقيقه من أهداف .

ولكن اذا اختلت حركة احد الأقمار الصناعية على مداره لسبب أو لآخر فانه قد يفلت من مداره ،أو يتهاوى من مداره الى الأرض بالتدريج ، فيصبح حضيض هذا المدار أقرب الى الأرض من ذى قبل ، وعندما يصبح جزءا من مداره مارا بطبقات الغلاف الجوي ، تعمل عملية الاحتكاك بذرات الهواء على رفع درجة حرارة سطحه الخارجي ، واذا بلغت درجة حرارة عالية فان الغلاف الخارجي للقمر يبدأ في الاحتراق ولذلك يخف وزنه فتزداد حركته اضطرابا بعيدا عن المدار الأصلي ، وعندئذ تنتهي حركته المنتظمة ويصبح خاضعا لقوانين حركة الأجسام الخاضعة لنواميس الحركة على الأرض وأهمها القوى الطاردة المركزية نتيجة لحركة الدوران أو قوى التثاقل بالجذب نحو مركز الكرة الأرضية . وقد تنتهي عملية تعرض السطح الخارجي للقمر الصناعي لدرجات الحرارة العالية بعد عدة دورات الى تفتت هذا السطح وتهاوى أجزاء من القمر الى الأرض .

ولا يحكم تحديد مكان السقوط شيء لأن عملية الاحتكاك بالهواء ليست محكومة بعناصر يمكن حسابها . غير أنه من البديهي انه اذا كان القمر الصناعي صغير الحجم ، وتدنى مداره بالغوص في طبقات الغلاف الجوي فان الاحتراق قد يكون كاملا فتتساقط أجزاؤه كلها ككتل صغيرة أو على هيئة ذرات . ولكن اذا كان القمر كبير الحجم فان عملية الاحتراق قد تكون جزئية ويبقى جزء من القمر يواصل الدوران والاحتكاك والاحتراق تدريجيا . وليس في هذا أية غرابة لأن الأجرام السماوية الصناعية ، تخضع لنفس القوانين التي تخضع لها الأجرام السماوية الطبيعية كما خلقها الله ، وهي ما تعارف أهل الأرض على تسميتها بالشهب والنيازك .

تساقط الشهب والنيازك

تظهر الشهب مضيئة في السماء في حركة خاطفة ونراها نحن من الأرض كأنها سهام لامعة يجر كل منها خلفه ذيلا طويلا لامعا هو أثر حركته السريعة على صفحة السماء الداكنة .

والشهب في حقيقتها أحجار كونية تسبح في الفضاء الشاسع بين الكواكب ، وتخضع لقوانين الجاذبية التي تخضع لها سائر كواكب المجموعة الشمسية من حيث خضوعها للدوران حول الشمس في مدارات اهليلجية .

وهذه الأحجار الكونية لا تحصى عددا فقد تبلغ عدة ملايين أو عدة بلايين حجر ، ولكنها تتفاوت حجما فبعضها لا يزيد عن حجم رأس الدبوس ، وبعضها الآخر أحجار متفاوتة الكبر . وسبب وميضها في السماء هو احتكاك بعضها بالغلاف الجوي للأرض ، الأمر الذي يرفع درجة حرارتها الى حد الاحتراق والاضاءة في الظلام ، ولذلك نراها تجر وراءها ذيلا طويلا . وغالبا ما ينتهي هذا الاحتراق بالتفتت أو الفناء الكامل والتحول الى ذرات صغيرة أو غبار . ولكن اذا كانت الشهب كبيرة الحجم ، فلا يكتمل احتراقها في الغلاف الجوي ، بل يحترق الجزء الخارجي منها ، أو الأجزاء الهشة منها ويسقط الجزء المتبقى الى الأرض بفعل الجاذبية وعندئذ تسمى « نيزكا » ، وعادة يكون من المعادن الصلبة التي لم تصل الى درجة الاحتراق .

والنيازك هي الأجرام الكونية التي تصلنا من الفضاء الخارجي . ولقد شهد التاريخ البشري حالات عديدة لسقوط نيازك متفاوتة الأحجام ، وبلغ وزن بعضها عدة أطنان ، ولذلك فان سقوطها الى الأرض يصاحبه كوارث كتحطم المباني ، أو الاطاحة بالاشجار العالية في الغابات أو احداث هوة غائرة في التربة . ومن أشهر

النيازك ذات الحجم الكبير نيزك « ويلاميت » الذي بلغ وزنه ١٥ طنا وسقط فوق أمريكا الشمالية ، ونيزك « هوبا » الذي كان يزن ٦٠ طنا وسقط فوق جنوب غرب أفريقيا وما زال في موضعه الى اليوم ، ونيزك « أهنجيو » الذي سقط فوق جرينلاند وكان وزنه ٣٦ طنا ، ونيزك « سيبيريا » الذي سقط عام ١٩٠٨ وسط الغابات الروسية وأحدث هوة متوسط نصف قطرها يزيد عن ٣٠ كيلومترا .

تساقط الأجرام الصناعية

تعددت مرات سقوط الأجرام الصناعية من أقمار وصواريخ فوق سطح الأرض ، وكانت أول مرة يعلن فيها مع شيء من الخوف عن سقوط جرم صناعي في عام ١٩٧٠ عندما سقطت أجزاء من القمر الصناعي السوفييتي « كوزموس ـ ٣١٦ » فوق احدى الولايات الأمريكية في منطقة غير آهلة بالسكان . لقد كان وزن القمر ٢٠٠ كيلو جرام ولكنه عندما تهاوى الى الأرض كان قد تفتت في الغلاف الجوي الى أجزاء صغيرة . ولذلك لم تنجم عنه حوادث ، كما لم يثر ضجة لأنه لم يكن يحوي مواد مشعة .

وفي مايو ١٩٧٣ بعد رحلة « معمل السماء الأمريكي ـ سكاي لاب » فقد أعلنت وكالة أبحاث الفضاء الأمريكية « الناسا » عن احتمالات سقوط المرحلة الثانية من صاروخ الدفع « ساترين » الذي حمل المعمل الى مداره ، ولكن كان الأمر محتملا لأن الصاروخ لم يكن الا جسما معدنيا فارغا ، وطمأنت الوكالة الناس الى أنه سيتفتت الى أجزاء صغيرة أثناء احتراقه في طبقات الغلاف الجوي . وهذا ما حدث فعلا ، وشاءت عناية الله أن يسقط الجزء الأكبر من الصاروخ في مياه المحيط الأطلسي شرقي افريقيا قرب سواحل موزمبيق .

وفي يناير عام ١٩٧٨ تعرضت الأرض لأول سقوط لقمر صناعي يحوى مواد مشعة ، فقد تهاوى القمر السوفييتي « كوزموس ـ ٩٥٤ » ، بعد أن تفتت أجزاؤه الى قطع صغيرة وتناثرت فوق رقعة شاسعة شمالي كندا كان تغطيها طبقات من الجليد ويسودها الظلام لأنها قرب المناطق القطبية الشمالية ، وثارت أزمة بين الدولتين لأن القمر كان يحوى مواد نووية مشعة يستمد منها الطاقة ، وكان وزن هذه المواد ٤٩ كيلوجراما من اليورانيوم ـ ٢٣٥ المشع ، وهو قدر كاف لامداد القمر بالطاقة مدة ألف سنة لو قدر له أن يستمر على مداره . ولقد تعقدت عمليات البحث عن الأجزاء المتناثرة من المادة المشعة لكثرة الأجزاء التي بلغت ٣٠٠٠ قطعة ولتعقد الظروف الجوية وحلول الظلام واتساع رقعة البحث فوق ١٥٠٠٠ ميل مربع . واستمرت عملية البحث عدة شهور بواسطة طائرات أمريكية وسوفيتية تحوى أجهزة حساسة للمواد المشعة ، حتى تم التقاط الجزء الأكبر مما تساقط من أجزاء القمر ، وتكلفت عمليات المسح ٦ ملايين دولار .

وفي عام ١٩٧٩ بدأ « معمل الفضاء الأمريكي ـ سكاي لاب » يفقد توازنه في الفضاء بعد أن مضى على اطلاقه ما يزيد على ست سنوات . وبعد أن تعاقبت عليه ثلاث عمليات التحام لسفن أبوللو خلال عام ١٩٧٣ وكانت مدد التحامها على التوالي ٢٨ يوما ثم ٥٦ يوما ثم ٨٤ يوما ثم ظل المعمل بعد ذلك يدور في الفضاء فارغا . لكن القلق بدأ يصيب المراقبين ، لأن المعمل كان ومازال أكبر جرم صناعي أطلق الى الفضاء فهو من حيث الحجم يعادل منزلا مكونا من خمس غرف ومن حيث الوزن يبلغ (٨٨) طنا . وكان متوسط ارتفاع مداره عن سطح الأرض (٤٣٥) كيلومترا ، ولا شك أن سقوط مثل هذه الكتلة الضخمة على الأرض كان يمكن أن يشكل كارثة لو أنه وقع فوق منطقة آهلة بالسكان . ولذلك أفلح الأمريكيون في تحويل

الأنظار عن الكارثة المرتقبة برصد جائزة ضخمة لمن يحصل على جزء من حطام سكاي لاب الذي لم يكن يضم أي مواد مشعة ، ولكنه يتكون بلا شك من كتلة ضخمة من المعادن لا يمكن أن تحترق بكاملها في الفضاء ولا يمكن أن تتفتت . ولقد رصد القدر لفلاح استرالي صغير السن ، أن يكون أول شخص على الأرض استطاع التقاط جزء من حطام المعمل الذي تهاوى فوق شريط من الماء واليابسة في منطقة غير مأهولة بالسكان في غرب استراليا . وهكذا حولت وسائل الاعلام الأنظار عن عملية سقوط هذا الجسم الضخم الى عملية الاحتفاء بهذا الفلاح الاسترالي وتكريمه .

وربما توالت حوادث سقوط بعض أقمار صناعية لم يعلن عنها ، ولم تثر حولها ضجة لأنها أقمار أطلقت لأغراض عسكرية ، ولا شك أنه كان بها محركات نووية . فمعروف أن أحد الأقمار الأمريكية سقط قبالة شواطىء كاليفورنيا عام ١٩٦٨ وكذلك سقط قمر أمريكي آخر في حفرة تعرف باسم حفرة تونجا بالولايات المتحدة الأمريكية في ابريل ١٩٧٠ .

وفي يناير ١٩٨٣ أعلن عن قرب سقوط القمر السوفيتي « كوزموس -١٤٠٢ » الذي أطلق منذ ٣٠ أغسطس عام ١٩٨٢ وحدثت ضجة اعلامية سياسية لأن القمر كانت على متنه شحنة من اليورانيوم -٢٣٥ المخصب . وقد سقط الجسم الرئيسي للقمر يوم ٢٤ يناير ١٩٨٣ في مكان غير مأهول من المحيط الهندي . وقد قامت قطع من الأسطول الأمريكي بمسح المنطقة بحثا عن التأثيرات الاشعاعية للقمر . وبعد ذلك بأسبوعين وفي ٧ فبراير ١٩٨٣ دخل المحرك النووي « لكوزموس - ١٤٠٢ » والذي كان يضم (١١٠) كيلوجرامات من اليورانيوم في الغلاف الجوي واحترق فوق منطقة بين غرب أفريقيا وأمريكا الجنوبية ، وقيل ان الاحتراق كان تاما .

أين تشريعات الفضاء ! ؟

وهكذا يثير سقوط « كوزموس - ١٤٠٢ » أمامنا قضية على جانب من الأهمية ، اذ ماذا كان يمكن أن يحدث لو سقط القمر فوق منطقة آهلة بالسكان . وهل لنا أن نتصور المصائب التي ستحيق بالأرض لو لم يحترق المحرك النووي.

اننا أمام قضية قانونية يقف أمامها القانون الدولي مكتوف اليدين ، وكل ما تمخضت عنه المادة رقم (٧) من معاهدة تنظيم استخدامات الفضاء المعقودة عام ١٩٧٧ نص يعتبر الدولة التي تقوم باطلاق أي قمر صناعي مسئولة عن الخسائر التي يتسبب عنها سقوطه . وهذا أقصى ما يمكن أن يتفق عليه بين أطراف تتبارى فوق حلبة لا يقوى على خوض غمار اللعب فيها غير طرفين قويين ويقف الباقي موقف المشاهدين .

لقد كثر الحديث في الآونة الأخيرة عن امكان استعادة الأقمار الصناعية التي تحيد عن مسارها بواسطة « بوليس نجدة فضائي » بواسطة مكوك الفضاء .

ان القلق الذي يصيب بعض الرؤوس ويدعو كثيرا من الأوساط العلمية للتأهب أمر لن يصل الى ارتطام الأقمار الصناعية المختلفة عن مساراتها برؤوس الناس ولكنه أمر قد يضع البشرية يوما ما أمام مسئوليات جسيمة ، لو قدر لأحد هذه الأقمار أن يسبب للبيئة تلوثا جسيما لم تعهده من قبل لأن التلوث في هذه الحالة لن يكون قاصرا على دولة دون أخرى ، فان مدى الاشعاع النووي الضار الذي يصيب السحب ومياه المحيطات والثروة السمكية والغبار الذري الذي يمكن أن يسقط فوق رؤوس عباد الله الآمنين ، أمر لا يقدر مدى ضرره الا الله .

وهكذا تفنن العلم في تلويث البيئة من كل جوانبها حتى الفضاء الذي يحيط بالأرض ، فقد أصبح مصدرا لهذا التلوث أيضا . □□

التعصب للتاريخ
تعصب ضد الحياة

انسان الشعوب التي صنعت الحضارة قد أصبح انسانا جديدا ، ومع هذا فما أشد نضاله مع نفسه ليكون جديدا أكثر من قبل . . انه يخشى ان يتخلف عن عصره فيعجز عن التكافؤ مع المشاكل والظروف التي يخلقها جيرانه وخصومه حوله . . ومع هذا فقد لاحظ الانسان بفزع مقدار الفرق في البطء والسرعة بين نمو الانسان في مواهبه كذات ، وبين نموه في عمله كآلة . فالفرق بين الانسان والانسان في مدى الأعوام الثلاثمائة الاخيرة ليس متناسبا بتاتا مع الفرق بين الاعمال والاعمال في هذه المدة من التاريخ .

وهذا هو الذي جعل الانسان ـ مع تطوره العظيم ـ اضعف من حضارته واعماله ، وجعل مشاكله ومتاعبه أقوى منه . . .

والعرب . . . ماذا ينبغي أن يصنعوا لكي يواجهوا هذا العصر بكل احتمالاته وتبعاته ؟ انهم يشبهون كائنا بعضه حي وبعضه ميت ، نصفه متحرك والنصف الآخر ساكن . . يريدون أن يجمعوا في أنفسهم بين الانسان القديم بخصائصه القديمة ، وبين الظفر بهذه الحياة التي صنعها الانسان الجديد بخصائصه الجديدة ـ يريدون أن يكونوا حياة و موتا ، وأن يبقوا في الظل ، وفي الشمس . . !

لقد كان وضع العرب عجيبا محرجا . فهم لا يقدرون على الانفصال من الماضي أو التنكر له ، ولا يقدرون كذلك على أن ينفصلوا من الحياة ، والحياة والماضي لايجتمعان في وعي الزمن . فظلوا معلقين في الجسر المعلق بينهما .

واذا كانت قوانين الجاذبية هي التي تعوق حركاتنا عن الصعود والانفلات من الارض ، فان جاذبية التاريخ هي التي تعوق هممنا ومواهبنا عن الصعود الى قمم الحياة . . !

انه من أجل المضي الى الاهداف الامامية لا بد لنا من وضع افكارنا واهوائنا أمامنا ، فالذين ينقسمون على أنفسهم لا يمكن أن يوحدوا طاقاتهم في ضربة واحدة ، والذين يضعون شهواتهم واحتياجاتهم في جانب ، ويضعون تقاليدهم الفكرية والاعتقادية في جانب آخر مضاد . . . كيف يمكن أن يكونوا ؟

نحن نحترم الموت أكثر مما نحترم الحياة ، اننا قد نتسامح كثيرا مع من ينقدون حياتنا ، ولكننا نرفض التسامح مع من ينقدون تاريخنا ، وقد ننقد نحن حياتنا وأنفسنا وأساليبنا كلها ثم نصر على تنزيه تاريخنا ـ على تنزيه موتنا من النقائص والعيوب . وهذا لاننا نحترم الموت أكثر مما نحترم الحياة . . ان احلامنا دائما وراءنا . . والحياة تجربة ، والتجربة حاضر ومستقبل ، ولا يمكن أن نحيا كما لا يمكن أن نجرب في الماضي . ونحن دائما نحاول أن نجري تجاربنا فيما قد كان ، ونزرع أنفسنا في الفراغ .

وثقافة أي شعب تعد مقياسا صحيحا لنوع تفكيره وحياته . فماذا نجد في ثقافتنا اذا اختبرناها ؟ وماهي موضوعاتها ؟ سنجد موضوعاتها تاريخية ، وسنجدها هي طريقا طويلا يصلنا بالموتى . . . انها تعلمنا كيف كنا ، ولا تعلمنا كيف ينبغي أن نكون !

ما أكثر الذين كتبوا ويكتبون عن موتانا وموتنا ، وما أقل من كتبوا ويكتبون عن حياتنا ومستقبلنا !

نحن قوم يعبدون الموت . . لا نريد أن نتغير . . كل شيء فينا يراد له أن يجيء موتا متكررا ، طبق موت قد مضى . . فالتفكير والشعور والحياة وكل شيء يجب الا يتغير . . . فأعداؤنا بالأمس هم اعداء اليوم واعداء الابد . . وحقدنا يجب أن يوزع كما كانت أحقادنا في التاريخ توزع !

ان مُثلنا مُثلٌ ميتة . . . ما أطول هذا الطريق الطويل الموحش المرصوص بجثث الكتب والآراء التي يمر من فوقها جميع الرائدين . . لقد كان طريقا واحدا مرّ فوقه جميع الكتاب . وكانوا جثثا تمر فوق جثث !

اننا لو جمعنا بين طرق ثقافتنا ، بين ثقافتنا منذ ألف عام ، وبين ثقافتنا اليوم بعد ألف عام ، وبين نهجنا في التفكير والتعبير في هذين الزمانين ، لروعنا التشابه التام بين البداية والنهاية . . انه الموت لا يتفاوت ، اما الحياة فما أعظم ما فيها من تفاوت !

عبد الله القصيمي

الديموقراطية والحكم في الاسلام

نحن نعلم أنه أعقبت الغاء الخلافة في تركيا محاولة لاحيائها في مصر ، وأن هذه المحاولة أثارت تساؤل الأستاذ (علي عبد الرازق) المدوّي ، عما اذا كان للاسلام شكل ما للحكم أو نظام معين له .

ونعرف أن جواب الأستاذ في كتابه « الاسلام وأصول الحكم » كان بالنفي القطعي ، وبأن « . . الدين الاسلامي بريء من تلك الخلافة التي يتعارفها المسلمون ، وبريء من كل ما هيئوا حولها من رغبة ورهبة ، ومن عز وقوة . والخلافة ليست في شيء من الخطط الدينية . . . ولا شيء في الدين يمنع المسلمين أن يسابقوا الأمم الأخرى ، في علوم الاجتماع ، والسياسة كلها ، وأن يهدموا ذلك النظام العتيق الذي ذلوا واستكانوا اليه ، وأن يبنوا قواعد ملكهم ونظام حكومتهم على أحدث ما أنتجت العقول البشرية ، وأمتن مادلت تجارب الأمم على أنه خير أصول الحكم .

فحكم الاسلام هو اذن ـ عند علي عبد الرازق ـ حكم العقل . . . فاذا ما قضى العقل مثلا ، ودل الاختبار ، على أن الديمقراطية هي أفضل حكم ، كانت هي الحكم الواجب للمسلمين .

وقد يكون هذا هو حكم الدين الاسلامي كما تصوره واجتهد فيه الأستاذ علي عبد الرازق ، ولكنه ليس حكم التاريخ الاسلامي ، ولا حكم فقهاء الاسلام الذين سبقوه الى هذا البحث ، أوالذين عارضوه بعد ظهور كتابه .

فمن استقرائنا للتاريخ الاسلامي ، نجد الأشكال الاسلامية التالية للحكم :

الشكل النبوي في عهد الرسول (ص) .

الشكل الخلافي في عهد الخلفاء الراشدين .

الشكل الملكي في عهود الخلفاء من بعدهم .

الشكل السلطاني والاماري اللذين انبثقا عن العهد الملكي .

والاجماع منعقد بين الفقهاء على أن الحكم واجب شرعا . والاجماع منعقد أيضا على أن الامامة أو الحكم موضوع ، كما يقول الماوردي كبير الفقهاء الدستوريين المسلمين : « لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا . » فالخليفة أو الحاكم المسلم أيا كان هو القيم على تنفيذ الشرع الالهي في الأمرين معا .

ولذلك كان الحكم الاسلامي بأشكاله الخمسة التي ذكرناها من حيث المبدأ حكما ثيوقراطيا ، أي الحكم القائم لتنفيذ شرع الهي ، فهو أداة أو وظيفة لا غاية . وقد تولى هذه الأداة في العهد النبوي الرسول صلى الله عليه وسلم ، فكان الحكم ـ بمقياس المفاهيم اليونانية مع الفارق بين الوضعين اليوناني والعربي ـ حكما ملكيا ، أي الحكم الشرعي الدستوري الفردي . وخلف الرسول أبو بكر منتخبا من قبل أهل الحل والعقد من الصحابة وهم خاصة الأمة ، ولكنهم الأقلية لا الأكثرية ، فبات الحكم معه ـ بالمقياس اليوناني ـ ارستقراطيا . .

والفقهاء المتأثرون بسابقة أبي بكر ، وما أعقبها من سوابق الخلفاء الراشدين ، الذين يعتبرون حكمهم حكم الاسلام المثالي ، يختلفون في عدد من تنعقد بهم الخلافة من أهل الحل والعقد ، ومتراوحو الرأي بين واحد منهم وجمهورهم ، وبين ما يعرف بالبيعة الخاصة والبيعة العامة .

فلو أضفنا لهذا أنهم يجيزون ولاية العهد بالوصية من خليفة لآخر ـ كما حصل من أبي بكر لعمر ـ لتبين لنا من الوقائع التاريخية للعهد النبوي ولعهد الخلفاء الراشدين ومن أحكام الفقهاء المستمدة منها ، أن الثيوقراطية الاسلامية قابلة ـ بالمقياس الرياضي الصرف ـ لأن تكون ملكية أو ارستقراطية أو ديمقراطية .

نقول هذا ، ونحن نعلم أن الأشكال الثلاثة تستلزم في المفهوم اليوناني أن يكون حق التشريع ـ بالاضافة الى حقوق الحكم الأخرى ـ انسانيا لا الهيا .

ونقوله ونحن نقتصر الحديث على العهد النبوي وعهد الخلفاء الراشدين ، لأن الشرع أي القانون ، ما لبث في العهود التي تلت ذلك أن نزل الى خدمة الحكم أو الدولة بدل أن تكون هي في خدمته ، فاستحال الحكم الا في القليل النادر ، من حكم قوانين الى حكم أشخاص ، أي أنه انحدر من حكم دستوري الى حكم استبدادي لا يربطه بالديمقراطية ـ جوهرا أو شكلا ـ أي سبب !

الدكتور حسن صعب

حول مقال ثقافتنا المعاصرة بين التعريب والتغريب

كيف نخرج من المأزق الثقافي ؟

بقلم عثمان سعدي *

☐

قرأت في عدد (٣٠٢ يناير ١٩٨٣) من مجلة العربي الغراء مقالا ، بعنوان « ثقافتنا المعاصرة بين التعريب والتغريب » . للكاتب الفاضل الدكتور فؤاد زكريا . ونظرا لخطورة القضايا التي أثارها الباحث المحترم ، فانني رأيت أن أحاوره .

قال الدكتور فؤاد زكريا في مقاله :

أولا : ان العرب تعاملوا في عهد المأمون بالتعريب مع حضارات أو ثقافات عصرهم التي كانت في أفول ، وهم المنتمون الى حضارة فتية متطورة على مسار تقدم مطرد . ولهذا فمن الطبيعي أن يتعاملوا معها بالتعريب الشامل .

ثانيا : أما العرب في عصرنا هذا ، فهم يتعاملون مع ثقافة الغرب ، الراقية والتي هي في تقدم مطرد ، من موقع ثقافي متخلف . ولهذا لا بد أن يكون تعاملهم معها بالتعريب الحذر والجزئي ، الذي ينبغي أن يكون مقتصرا على العلوم الانسانية ، والتعليم العام ، « وربما على مستوى التعليم الجامعي » . وباختصار « على مستوى الثقافة العامة التي لا تحتاج الى التخصص الشديد » .

ثالثا : لكي نؤسس نهضة علمية جادة ، لا بد من أن نتعلم اللغات الغربية ، التي يتم بها تطور وتقدم العلم والتقنية ، والبحث العلمي ، في عالمنا المعاصر .

اكتساب العلم الحديث :

ان اكتساب علم العصر أى عصر ، من طرف أمة ما ، يرتكز على أسس ثابتة ، صالحة لكل زمان ومكان . وينبغي أن نفرق بين اسلوبين في اكتساب علم العصر . أسلوب النقل الفوتوغرافي وبلغات الغرب ، وكما يردنا

* عضو مجلس إدارة الصندوق العربي للتنمية ، وعضو اللجنة المركزية لجبهة التحرير الجزائرية ، والسفير الجزائري السابق في دمشق ثم بغداد .

من الغرب . وهو أسلوب يجعلنا نبقى أمة مستهلكة لمنتوجات العلم الغربي وللتكنولوجية الغربية ، وهو المتبع بكل أسف بالأقطار العربية منذ ما يقرب من قرن . وأسلوب الانفتاح على هذا العلم ، واكتسابه اكتساب تمثل ، بحيث نفرزه بعد تمثله في شكل صناعات واختراعات عربية . وهذا الاسلوب في رأيي هو الأمثل ، الصالح لنا كأمة ، اذا أردنا أن نوقف هذه التبعية الرهيبة للغرب التي نعاني منها .

ان هذا التمثل لعلم العصر وتقنيته لا يتم ولن يتم الا من خلال اللغة العربية . ولم يحدثنا التاريخ أبدا ، عن أمة حققت تنمية قومية شاملة : اقتصادية ، واجتماعية ، وعلمية ، وتكنولوجية ، وثقافية ، بلغة أجنبية .

وسأعرض مع الباحث المحترم ، والقراء الكرام ، تجارب بعض الأمم الاسيوية ، التي تمثلت علم الغرب وتكنولوجية الغرب .

التجربة اليابانية :[١]

عندما انفتح اليابانيون على الغرب ، ماذا فعلوا ؟ أسسوا هيئات متعددة ، أهمها تلك التي تتعلق بتطوير اللغة اليابانية وتطويعها للمصطلح العصري . وأوفدوا البعثات الطلابية الى جامعات الغرب التي عادت بهذا العلم لتعمل على نشره عبر الاكاديميات العلمية والجامعات ، باللغة اليابانية .

ان اليابان وهي تتعامل مع علم الغرب لم تتخل عن شخصيتها وأصالتها . بل بقيت محافظة على سائر مقومات شخصيتها القومية : من فنون بسائر أشكالها ، الى طريقة الاكل والملبس ، حتى فن العمارة ، الى التنظيم الاجتماعي . واهم عنصر حافظت عليه هو اللغة اليابانية التي تعتبر المقوم الاساسي لشخصيتها القومية . كانت اللغة اليابانية آنذاك تعاني من تخلف كبير لا يقارن أبدا بوضع لغتنا العربية . يكفي أن يعلم الباحث ، أن عدد حروف اللغة اليابانية يصل الى عشرة آلاف حرف . وأن الجريدة اليومية اليابانية ، لكي تقرأ لا بد أن يكون قارئها يعرف أكثر من ثلاثة آلاف وخمسمائة حرف . وانه ليس لليابانية آلة كاتبة ديوانية . فالسفير الياباني بالكويت مثلا اذا أراد رفع تقرير لوزارته ، يكتبه بخطه السريع ويسلمه لنساخ السفارة ، الذي ينسخه بخط مقروء . وقد علمت أن اليابانيين بصدد اختراع آلة كاتبة بالاستعانة بالاعلام الآلي .

وبالرغم من هذه الصعوبات والتعقيدات ، فقد رفض اليابانيون التخلي عن لغتهم ، واستبدال حروفها بالحروف اللاتينية . لقد كون اليابانيون تعليما على غرار التعليم بالغرب ـ أسلوبا فحسب ـ لكن سائر المواد تدرس باليابانية وفي سائر مراحل التعليم . علموا اللغات الغربية ، كلغات تمكنهم من نقل العلم المعاصر الى لغتهم . أسسوا أكاديمية علمية لغوية مهمتها مزدوجة : « يَبْنَنَةَ »[٢] المصطلحات العلمية الغربية ، وترجمة أمهات المراجع ، والابحاث العلمية ونشرها من خلال دوريات وكتب ، ووضعها بين أيدي العلماء والباحثين باللغة اليابانية . ولم تكد تمر عقود قليلة حتى تجاوز اليابانيون عملية النقل لعلوم الغرب ، الى عملية هضمها فتمثلها . وهم الآن سادة العلم والتكنولوجية العصرية ، بزّوا أساتذتهم السابقين من الغربيين . كل ذلك قد تم بفضل أمر واحد وهو سيادة اللغة اليابانية على سائر مرافق الحياة اليابانية ، بما فيها ميدان العلوم والتقنية . ومن غير شك فان الدكتور فؤاد يتفق معي ، بأن اليابانيين كانوا وهم يتفتحون على العلم الغربي ، اكثر تخلفا منا نحن العرب قبل قرن .

(١) راجع كتاب « قضية التعريب بالجزائر » للمؤلف ـ ط . دار الطليعة ببيروت ، والدار القومية للنشر بالقاهرة .

التجربة الصينية :

كان الصينيون يعتمدون على اللغة الانجليزية التي كانت لغة العلم ، بل لغة تفاهم ايضا بين الصينيين الذين كانت تفرقهم عشرات اللغات . وما أن تسلم ماوتسي تونغ الحكم عام ١٩٤٩ ، حتى اختار اللغة الخانية ، وهي لغة منطقة بيكين ، وجعل منها اللغة الرسمية للبلاد ، وحول اللغة الانجليزية الى لغة تعلم ، مثلها مثل سائر اللغات الحية ، كروافد لتوريد الابحاث العلمية من الغرب والشرق على السواء .

كانت اللغة الصينية (الخانية) تعاني من تخلف ومن تعقيد وخاصة في كتابتها ، اذ يبلغ عدد حرفها عشرات الآلاف ، ويقول المتخصصون فيها بأن عدد حروفها رقم يتكون من خمس أربعات : (٤٤٤٤٤) حرفا . عمل ماوتسي تونغ نفسه ـ وهو العالم اللغوى أيضا ـ على تخفيض عدد حروفها ، التي رفض استبدال الحروف اللاتينية بها . بذل الصينيون جهدا فاخترعوا آلة كاتبة ديوانية ، تتكون من ألفين ومائتي حرف ، شاهدتها عام ١٩٦٥ في سفارة الصين بالجزائر .

وبرغم هذه الصعوبات والتعقيدات ، التي تعاني منها اللغة الصينية ـ رفض الصينيون التخلي عنها وعن حروفها . ولا يمكن لمتصف أن يتهم الصين بأنها تخلفت عندما « صَيْنَنَتْ »(٣) المعرفة لقد استطاعت خلال ثلاثين سنة أن تؤسس تنمية اقتصادية واجتماعية وعلمية فريدة من نوعها ، حلت بموجبها الكثير من مشاكل المجتمع الصيني ، وقضت نهائيا على الثالوث العدو للأمة الصينية ، والمتمثل في المرض ، والجوع ، والانواء الطبيعية . وفجرت القنبلة الذرية والهيدروجينية ، وأرسلت قمرا صناعيا من صنعها يدور حول كوكبنا ، وصنعت الصواريخ العابرة للقارات . وباختصار دخلت عصر الفضاء . كما صار القاسم المشترك الاعظم بين الصينيين اللغة الصينية ، وليست اللغة الانجليزية ، كما هو الحال في جارتها الهند ، التي عجزت حتى الآن عن ايجاد تنمية شاملة هندية ، تخرج الأمة الهندية من التخلف ، وتقضى على الثالوث العدو لها . لأن نسيج خيوطها الرئيسية للتنمية هو اللغة القومية ، التي هي غائبة في الهند ، مع انها سبقت الصين بقرون ، بل اليابان ايضا ، في دخول التعليم الغربي ، والعلم الغربي لها .

التجربة الكورية

عانت كورية من الاستعمار الياباني الشرس لمدة ستين سنة ، فرض عليها خلالها سيطرة

(٢ ، ٣ ، ٤) اشتق الكاتب هنا فعلا على وزن « فعلن » من الكلمات الأعجمية « يابان » و « صين » و « كوريا » للدلالة على صيرورة الشيء يابانيا ، وصينيا ، وكوريا ، وهذه طريقة في الاشتقاق تقبلها لغتنا السمحة (العربي)

لغوية وثقافية كاملة ومنعها من تدريس اللغة الكورية .

استقلت كورية سنة ١٩٤٦ فوجدت نفسها في وضع تسيطر فيه اللغة اليابانية سيطرة كاملة على الحياة الكورية . فأصدر قادتها قرارهم التاريخي بالكورنة الفورية الشاملة . بحثوا عن الذين يعرفون اللغة الكورية فلم يجدوهم الا بين شيوخ عجزة بالريف ، أحضروهم للمدن وكلفوهم بتعليم مبادىء اللغة الكورية للمثقفين من معلمين ، وأطباء ، ومهندسين ، واداريين ، وغيرهم ، ودامت هذه الحملة بضعة أشهر قليلة . ثم فتحت المدارس وسارت الادارات بالكورية وحدها مع شطب كامل للغة اليابانية من الحياة الكورية .

وفي خلال عشرين سنة تحولت هذه اللغة التي كانت شبه بدائية ، الى لغة الصناعة والعلم . ولا يستطيع أي منصف ، اتهام كورية بأنها تأخرت عندما كورنت المعرفة . بل بالعكس فهي قمة التقدم بشمالها وجنوبها .

كورية الديمقراطية التي يبلغ عدد سكانها خمسة عشر مليون نسمة ، تنتج الآن عشرين مليون طن من الصلب والحديد سنويا ، وتصنع كل شيء حتى الصاروخ والطائرة النفاثة . وتعتبر أرقى دولة شيوعية آسيوية . ولها جيش قوامه - بشهادة الرئيس الامريكي ريغن - خمسون فرقة ، وسبعمائة وخمسون طائرة حربية .

كورية الجنوبية الرأسمالية هي ايضا في قمة التقدم . يسميها الغربيون واحدة من عمالقة الصناعة الجدد بآسيا . يكفي أن يعلم الدكتور فؤاد أن هذه الدولة تحصد من العالم الغربي كل سنة خمسة عشر مليار دولار ، من الصادرات والمقاولات ، التي استطاعت - من خلالها - شركاتها المنتمية للقطاع العام ، الكوري ان تهزم شركات القطاع الخاص العربي في عقر داره . وهو دخل كما ترى يفوق دخل أي بلد عربي نفطي ، باستثناء السعودية . ان الفضل للمعجزة الكورية بجنوبها وشمالها يعود الى الكورنة الكاملة الشاملة .

وقد يسأل احدنا لماذا لم تحصد مصر هذا المبلغ الخيالي من العالم العربي ، الذي تحصده كورية الجنوبية ، والجواب ، هو أن مصر فشلت في انجاح خطة تنموية شاملة ، رغم انفتاحها على العلم الغربي قبل اليابان وقبل كورية . وسبب فشلها راجع الى غياب التعريب الشامل والكامل . (٥)

ولماذا نذهب بعيدا وكيان اسرائيل مغروز في جسد وطننا . أن أول شيء أسسه اليهود باسرائيل هو الجامعة العبرية بهداسا ، التي اعدت فيها وباللغة العبرية ، مخططات قيام دولة اسرائيل بسائر مؤسساتها ، وقبل بروزها الى الواقع . لقد حولت اللغة العبرية في ربع قرن ، من لغة مقابر كما كانت تسمى - لانها لم تكن موجودة الا في كتابات قبور موق الجاليات اليهودية بالعالم - ، الى لغة علم وتكنولوجية تأخذ عنها اللغات الغربية الآن . يكفي أن نعلم

(٥) حاول محمد علي تأسيس التنمية . الشاملة الصناعية والعلمية بمصر ، تعتمد على الذات بالدرجة الاولى ، فيما يشبه التجربة اليابانية الى حد ما . وذلك عندما وضع البلاد في اطار احتكار الدولة ، أي أغلق السوق المصرية أمام البضائع الغربية ، لاتاحة الفرصة لنمو الصناعة الوطنية (١٨١٨ - ١٨٤٠) . لكن الدول العظمى الخمس وضعت حدا لهذه التجربة فأجهضتها ، عندما اجبرت محمد علي - تحت تهديد مدافع الاسطول البريطاني - على الغاء احتكار الدولة وفتح السوق المصرية امام البضائع الغربية ورجال الاعمال الغربيين وبلا قيود ، والكف عن الطموحات الوحدوية العربية ، وذلك عام ١٨٤٠ . ومن ذلك التاريخ اخذت مصر مسارا تنمويا خاطئا يعتمد على الانفتاح المطبوع بالتبعية . وحاول عبدالناصر بعث تجربة محمد علي (١٩٥٤ - ١٩٦٧) . لكن الغرب تآمر عليه وعلى مصر مرة ثانية ، وبأسلوب جديد فأجهض التجربة بنكسة ١٩٦٧ ثم جاء عهد فتح كل لابواب انفتاحا مجنونا .

أن كل الكليات والمعاهد بالجامعات الاسرائيلية تدرس بالعبرية بما فيها علوم الذرة بمعهد وايزمان . في نفس الوقت الذي نجد فيه ارض الكنانة مصر ، ذات الخمسة والاربعين مليون نسمة ، وذات اللغة العريقة ، لازال الطب فيها يدرس من الفه الى يائه باللغة الانجليزية . أليس هذا هو سبب هزائمنا وانتصاراتهم ؟ .

مراحل اكتساب العلم

ان اكتساب العلم الحديث أو التكنولوجية الحديثة المستوردة يمر ـ مثل عملية الهضم في أجسامنا ـ عبر ثلاث مراحل : المضغ . والهضم . والتمثل . يمكن لأمة أن تمضغ العلوم بلغة أجنبية . ويمكن أن تهضمها الى حد ما بلغة اجنبية . لكن لا يمكن لها أن تتمثل هذه العلوم المستوردة الا بلغتها القومية . يمكننا نحن العرب ـ اذا استمرت اللغة الانجليزية بالمشرق ، والفرنسية بالمغرب ـ تسيطران على الساحة العلمية والتكنولوجية ، أن نتحول ـ وبمعجزة ـ من مستهلكي المواد المصنعة الغربية كما هو الحال الآن ، الى مستهلكي براءات الاختراع الغربية المستوردة ، لكن سنبقى في جميع الحالات مستهلكين ، نعيش عالة على غيرنا .

ان المطلوب ، لخروجنا من المأزق الحضاري والعلمي والتنموي ، الذي تعاني منه أمتنا ، ليس هو في ابقاء معاهدنا وكلياتنا العلمية تحت سيطرة لغات الغرب ، وانما المطلوب تطبيق التعريب الشامل والكامل ، المنفتح على سائر اللغات الحية العصرية ، وليس على لغة واحدة كما هو الآن . المطلوب اقامة اكاديمية علمية لغوية قومية ، تقوم بترجمة المراجع ، وتعريب المصطلحات وتتابع حركة البحث العلمي بالعالم ، فتعرب اي بحث جديد من أية لغة حية غربية أو شرقية ، وتضعه بين ايدي علمائنا وباحثينا . من خلال دوريات علمية .

ان التجربة الثقافية التي تطالبون ـ الابقاء عليها وتكريسها ـ يا دكتور فؤاد ـ قد أثبتت فشلها ، لأنها تجربة مرقعة وليست منسجمة ، هجينة وليست أصيلة . وقمة فشلها تكمن في عدم نجاحها حتى في ميدان العلوم الانسانية .

اننا حتى الآن لا نملك كعرب معجما لغويا حديثا تجدد طبعته سنويا بالاضافات اللازمة لها ، مثل قاموس لاروس الفرنسي مثلا . لدينا تجربة فردية كتجربة (المنجد) . وتجربة مصرية جيدة هي (المعجم الوسيط) الذي لم تجدد طبعته منذ اكثر من خمس عشرة سنة . وهما غير كافيتين .

انني مع تدريس اللغات الحية : غربية وشرقية ، بشرط أن نتعلمها لنستعملها كرافد نثري عن طريقها لغتنا القومية ، وثقافتنا القومية وعلمنا وتقنيتنا ، لا أن نستعملها كلغات بديلة للغتنا .

ان امتنا منذ نصف قرن تنزف من عدة جروح : الجرح الاقتصادي من خلال اهدار الثروة . والجرح الاخلاقي ، من خلال مسخ الشخصية الذي تعاني منه أجيالنا الشابة ، بسبب انفتاحها اللغوي الشكلي السطحي على الغرب ، وهذا هو الذي يفسر تبلد الحس الذي نعاني منه كعرب ، ازاء امتهان كرامتنا في العشرية الاخيرة . والجرح الثقافي ، الذي يتمثل في هجرة عشرات الآلاف من خريجي كلياتنا العلمية للعالم الغربي .

صدقني يا دكتور فؤاد ، أن سبب كل ذلك راجع الى أمر واحد ، وهو غياب التعريب الشامل والكامل في نهضتنا الثقافية والعلمية .

وخير ما اختم به هذا المقال ، قول الكاتب الفرنسي ، عضو الاكاديمية الفرنسية جيلبر كونت : « كل انفتاح على العالم يفرض أولا وقبل كل شيء ثقة في النفس راسخة ووطيدة . ان اللغة هي الجنسية نفسها ، هي الوطن حيا ، ومنفيا ، في ذات كل واحد منا . » □□

كتابة التاريخ

□

علم التاريخ هو العلم الذي يقدم للأجيال الجديدة تجارب الماضي ودروسه ، وهو يقف على رأس العلوم الاجتماعية ، واذا كان الرواد الأوائل من شيوخ المؤرخين العرب ، قد خطوا خطوات هامة على طريق اعادة كتابة التاريخ العربي ، الا أن الطريق يكاد يضيع بين الجيل الجديد من المؤرخين .

وهذه محاولة للتشخيص من أجل الوصول الى منهج تاريخي للأكاديميين العرب .

بقلم الدكتور سيار الجميل

ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية العديد من المناهج الأكاديمية العربية المعاصرة في دراسة التاريخ العربي والاسلامي . لقد اشتهرت هذه المناهج في كل من لبنان ومصر والعراق ثم سورية والأردن ، فهذا منهج العراقيين الذي يقف على رأسه كل من الدكتور عبد العزيز الدوري والدكتور صالح أحمد العلي ... وهذا منهج المؤرخين المصريين الذي وقف على رأسه كل من المؤرخ المرحوم محمد شفيق غربال والدكتور حسن ابراهيم حسن والدكتور زكي حسن وغيرهم .... وذاك منهج اللبنانيين والذي اعتمده كل من المؤرخ الدكتور أسد رستم والدكتور فيليب (الذي غادر لبنان الى أمريكا) ، ثم الدكتور نقولا زيادة والدكتور نبيه أمين فارس وغيرهم . أما في الأردن فقد اختص الدكتور عبد الكريم غرايبة بمنهج له في قراءة تاريخ العرب الحديث .

ان جميع المناهج الأكاديمية التي مثلها أصحابها من الأساتذة والمؤرخين المذكورين أعلاه قد جمعت لها طرائق واحدة مشتركة في المنهجية ، وقد اتخذت لها قالب الميثودولوجيا الأوربية أساسا لها في التعامل مع علم التاريخ ، وذلك بحكم دراسة أغلب هؤلاء الشيوخ الذين ذكرناهم في جامعات أوربية .

من ناحية أخرى فقد كتب في العربية أكثر من كتاب وكراس ومقالة في أصول البحث التاريخي ، ومناهج دراسته ... اذ صلتنا بحوث عديدة ، كان في مقدمتها كتاب الدكتور أسد رستم (مصطلح التاريخ) ، وكتاب

الدكتور أحمد شلبي (كيف تكتب بحثا أو رسالة) ، ومقالة الدكتور زكي حسن (دراسات في مناهج البحث في التاريخ الاسلامي) .... ثم أعقبتها كتابات أخرى ، مثل كراس الدكتورة سيدة اسماعيل كاشف (مصادر التاريخ الاسلامي ومنهج البحث فيه) ، وكتاب الدكتور حسن عثمان (منهج البحث التاريخي) ... وترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوي لكتاب لانكلو وسينوبوس (النقد التاريخي) ... اضافة الى ذلك ، فقد ظهرت اصدارات عديدة حول موضوع تفسير التاريخ ، وما تضمنته من أفكار وآراء ومقترحات ... منها كتاب الدكتور قسطنطين زريق (نحن والتاريخ) ، وأنور الجندي في كتابه (حركة التاريخ) ، والدكتور عبد العزيز الدوري وجماعته في كراسهم (تفسير التاريخ) ، وغيرهم . بالاضافة الى العديد من الأعمال التي تم ترجمتها الى اللغة العربية .

لقد اتبع المؤرخون العرب المحدثون في الأكاديمية العربية أصول الميثودولوجيا الغربية باعتبارها هي الاصول الاساسية في دراسة التاريخ وكتابته ... ورغم اهمية تلك الاصول وفائدتها ، الا ان مناهجنا وقعت كتابع مقلد ليست له كفاءته للاكاديمية الغربية في دراسة تاريخنا وحضارتنا . ولم تنجح عندنا الا بعض اعمال اولئك الاساتذة الشيوخ الاوائل الذين ارسوا هذه القواعد ، والبعض القليل من المؤرخين الاكاديميين العرب الذين استوعبوا على نحو بارع تلك الميثودولوجيا ، وجانسوا بينها وبين مواضيعهم في تطبيقاتهم لها .... في حين بدت تطبيقات تلاميذهم من الباحثين غير موفية لأغراض ما تتطلبه تلك المناهج من قواعد وأسس وأصول ... هذا أولا . أما ثانيا ، فان الأكاديمية العربية لم تلتفت الى الأصول والأساليب العلمية التي يحفل بها تراثنا الكلاسيكي العربي والاسلامي . تلك الأصول والأساليب التي كان الغربيون أنفسهم قد استفادوا منها في بناء علم الميثودولوجيا والفهرسة والنقد الظاهر والباطن ... يذكر الدكتور أسد رستم في كتابه (مصطلح التاريخ) قائلا « والواقع أن الميثودولوجيا الغربية التي تظهر اليوم لأول مرة بثوب غربي ليست غريبة عن علم مصطلح الحديث بل تمت اليه بصلة قوية .... » وأستطيع أن أضيف على ما ذكره الدكتور رستم ، بأن الغرب استطاع أن يأخذ اضافة الى مصطلح الحديث الكثير من آراء ابن خلدون الفلسفية ، وأفكار المؤرخ أبي الفداء ، وملاحظات الناقد المسلم عبد القاهر الجرجاني ، وأصول أبناء الأثير في الكتابة ، وشروحات الفارابي في تصنيفه للعلوم ، وأمانة المعلومات التاريخية عند الطبري ، وفهرسة ياقوت الحموي لمواضيعه .... وغيرهم كنزعات علمية أصيلة استفادوا منها في بناء ميثودولوجيتهم التي أشار اليها الدكتور رستم .

أساليب البحث

ان الباحث الأكاديمي العربي في حقول دراسة التاريخ لم يلاحق الزمن ، ويتعرف على ما جد في علم التاريخ ومناهجه وفلسفته ... وما آلت اليه حركة العلم من الأبعاد الواسعة : اجابة تساؤلات التاريخ .... الكتابة المركزة ... الأساليب الاستقرائية في الفحص والمقارنة .. استعمال الموسوعية في العمل .. استعمال الخارطة التاريخية والخارطة الجغرافية .. استعمال المختصرات .... الاهتمام بالملاحظات النقدية والمعلوماتية .. التوضيحات الرقمية بجداول .... استعمال الكومبيوتر في الجدولة وحسابات التواريخ الاقتصادية والجغرافية والفهرسة ... اضافة الى استعمال الميكنة في الوثائق والمخطوطات ..

كما أن المؤرخ الأكاديمي العربي لم يسع الى التجديد والابتداع ، وظل أسير قوقعته التقليدية في جمع النصوص التاريخية ورصها كالأحجار .... يدور في حلقة مفرغة ، اذ لا يتعامل مع الأحداث والشخوص تعاملا دقيقا ، وبقي يميل لتكرار ما فعله من سبقه من المؤرخين الذين كتبوا في مواضيع متشابهة ... لقد بقي الباحث الأكاديمي مستسلما لعملية سهلة طيعة في جمعه وتدوينه لمادته ، بخلاف ما في الابداع من مهام صعبة المنال ، أهمها ثقافة واسعة يستعملها كأداة علمية لاستدعاء البراهين والأمثلة والأدلة للمقارنة والتعليل ... كما انه لا يزال بعيدا عن تحليل النص تحليلا علميا .!

ان ملاحظتي على أغلب الباحثين الجدد في التاريخ ، تحوره ضمن هذا السياق العام للمنهجية الاكاديمية ،

فانتاجهم لا يعدو أن يكون مجرد تدوين للاحداث والنصوص لا غير . . . . وتذييل كل ذلك بأرقام وهوامش متكاثرة في أسفل الصفحة ، وفي بعض الأحيان ، تغلب تلك الهوامش على المتن فتدحضه .

انظروا رسائلهم وكتبهم وبحوثهم ومقالاتهم . . . . سوف ترون وبكل بساطة انها عملية تدوين جافة ورتيبة ، لا تحتاج لأكثر من استقدام مادة تاريخية من بطون كتب قديمة ، أو مراجع حديثة ، ونسخ نصوصها ، ثم تذييلها بالهوامش .

الخوف والتاريخ !

هكذا نرى بأن السلبيات المنهجية قد سببت خللا فادحا على مستوى الموضوع ، وبقت سائبة دونما معالجة أو تعليل ، هناك انعدام واضح أو شبهه لشخصية الباحث في كتابته لموضوعه ومادته التاريخية . . . فانك ان قرأت ما كتبه فسوف تجد أنه يعيش في عزلة تامة عما قدمه اليك . . . لا تشعر بوجوده على نطاق الموضوع أو النتائج ، ولا تجد له رأيا صارما ، ولا تظفر به ناقدا محللا ، أو فاحصا مدققا . . . ولا تراه ناظرا مقارنا ، أو مستنبطا لحقائق مجهولة . . . . وهذه جميعها من قيم وصلب التفسير العلمي في دراسة التاريخ ، بل تعتبر ضرورة ماسة من ضروراته سواء في التعامل مع الاحداث أو الابطال أو الارضية ، أو المصادر والمراجع . وأعتقد بأنه رغم فقدانه لثقافة واسعة في التاريخ والفلسفة والادب والعلوم ، فانه كباحث أكاديمي يقع في بدايات تجربته العلمية تحت وطأة الخوف ، فيحشر نفسه وفكره وموضوعه في نطاق الحدود التي يرسمها له أستاذه المشرف . . ولا يخرج من هذه الحدود أبدا للقيام بمقتضيات ما هو متعارف عليه في المنهج التاريخي ، وما يتطلبه موضوعه ، اضافة الى ضعف الاشراف عليه من قبل استاذه . . كلها عوامل أساسية تبقيه متشرنقا في جمع مادة موضوعة ونسخها ، اذ يكتفي بالسرد . . . ولا يزال معظم الأكاديميين من المؤرخين المحدثين ، على حالهم بعد نيلهم لشهاداتهم العليا ، دونما الدخول فيما يقرره كل من المنهج والتفسير ، أو أن يتحرروا من قوالبهم الثابتة التي جعلتهم فريسة للتشويش الفكري . . . والعجز الموضوعي شفويا وتحريريا .

اختيار الموضوع

ان ما يلاحظ على المدارس الأكاديمية المتطورة في دراسة العلوم التاريخية ، هو فرضها على طلبة الماجستير اختيار مواضيع محددة ، يراعى في كتابتها التركيز في المعلومات وتحديد المحتوى ، باعتبارها تجربة أكاديمية أولى لصاحبها في البحث . . . . كما ويراعى فيها اختيار مواضيع محددة سواء كانت الدراسة لفجوة زمنية صغيرة ، أو حدث تاريخي عظيم ، أو شخصية تاريخية أو بطولية أو حضارية مؤثرة . . . . ويكبر العمل في أبحاث الدكتوراه سواء في دراسة عهد تاريخي ، أو فترة تاريخية - تراكمية تزدحم فيها الأحداث أمدها النصف قرن ، أو دراسة نقدية وتحقيق علمي لمخطوط هام ووثائق نادرة . . . . أو دراسة نظم ادارية في عهد ما ، أو علاقات سياسية أو اقتصادية بين دول خلال فترة تاريخية محددة .

عندما تطبق مثل هذه الاعتبارات الأكاديمية في دراسة التاريخ على مجمل الرسائل والاطروحات التاريخية في الأكاديمية العربية حديثا ، لم نجد أي وجه للتطابق والانسجام ، فأغلب رسائل الماجستير - مثلا - قد اختصت بدراسة فترات زمنية مطولة ، وغياب التفرد بدراسة مواضيع محددة كالأحداث الكبرى أو الشخصيات التاريخية التي كان لها تأثيرها وأثرها في حقبات متباينة من تاريخنا . . . . فهي جميعا مواضيع أولى بالدراسة والتدقيق والربط والبحث عن مخفياتها التاريخية من دراسة عهود طويلة ، ليس للباحث من عمل في الأخيرة الا جمع أكبر قدر ممكن من المعلومات المتوفرة ، ويقتنها أو يختزل مواضيعها الهامة . . . . والاجدر من الناحية العلمية ، أن تناط مثل هذه الأعمال الكبيرة للرجال المتفرغين الذين سنحت لهم السنوات الأكاديمية الطويلة ، والتجارب المكتبية ، والسفرات والمؤتمرات . . . . واكتسابهم قدرا أكبر من المعلومات لكي يؤلفوا في فترات عهود طويلة . . . . في حين من المفروض على الأساتذة أن يلزموا طلابهم من الشباب الباحثين الاقتصار في تجاربهم العلمية الأولى للبحث والتقصي في مواضيع محددة غنية بالفعل وردود الفعل . . . . والاحاطة التاريخية في دراسة مختلف الأسباب المباشرة وغير المباشرة للأحداث ، واستخلاص النتائج المفيدة .

صياغة التاريخ

هناك عجز واضح في أسلوب الكتابة التاريخية .... فعلى المؤرخ أن يجمع بين البساطة والدقة وروح الفن .... وأن يكون صاحب احساس وذوق وعاطفة وتسامح وخيال خصب .. فإن ما يفيد حياة التاريخ هو كتابته بأسلوب خلاب، يقوم بحكمة في التناسب والقصد ، والترتيب والعلائق المشتركة بين السبب والنتيجة ، أو بين الطريقة والغاية ... ليخرج الباحث المؤرخ بعد ذلك بأسلوب تاريخي علمي تمتزج فيه عناصر فنية . ولعل معرفة علم الفيلولوجيا **Philoiogy** كأداة من أدوات التعبير ... مع عناصر الفن الادبي وقراءات عديدة في الطبيعة والنقد الأدبي والشعر والرواية التاريخية **Historical Novel** مما يقدم أكبر فائدة للمؤرخ .

المصادر والمراجع

أما من ناحية معاملة الباحث الأكاديمي للمصادر والمراجع .... فلا يزال الخلط والمزج قائما لوظيفة كليهما ، فكثيرا ما نلحظ استقدام مادة أساسية قديمة غائرة في أعماق الزمن من مرجع حديث العهد .... بالوقت الذي تنحشر هذه المادة بين طيات مصدر أساسي يكون في متناول اليد ، ولكن الباحث لا يكلف نفسه عناء قراءته أو فحصه والاعتماد عليه . ان هذه المعاملة هي من أسوأ التطبيقات العلمية .... وانعدام كامل لروح الأمانة والدقة والموضوعية ، اذ لا يتحتم حدوث مثل هذا النزوع الا عندما تندر المادة الأساسية الى حد قصي كأن تحتويها مخطوطات أو وثائق أو كتب نادرة الحصول في طبعاتها القديمة ، أو آثار ومسكوكات . وتتباين وظيفة المراجع الحديثة عن وظيفة المصادر .... فمهام المراجع عديدة ، فهي مطمح في الرجوع للأخذ برأي ، أو عرض استشهاد ، أو استكمال وصف ، أو دحض ميول ، أو توسيع دائرة ، أو اثارة تعليق ، أو اشعار وجود ، أو نقد أخطاء ، أو توضيح أفكار ، أو ملاحظة نتائج ..

لقد أردت من نقداتي هذه توضيح السلبيات الأساسية في تطبيق علوم المنهجية التاريخية في الحقول الأكاديمية العربية المعاصرة ، والالتفات الى قضاياها في تفسير الموضوع التاريخي .... والالتفات أيضا لابعاد ما قد تفاقم من أصول وأساليب جديدة في البحث ، والتي تعتبر ـ اليوم ـ أكبر من كونها مجسدة للاعراض والجواهر لكل ما يحتويه علم التاريخ من أحداث وصور وشخوص والوان وحضارة وتراث .... تحيا جميعها عن طريق الميثودولوجيا . فما بالنا اذا كان الباحثون من المؤرخين العرب المحدثين لم يدركوا بعد طبيعة العمل بها نفسها ، وبأساليبها المقننة والتكنيكية البسيطة .... ومع كل هذا ، فهم يلقون كل تأهيل وترحاب من أساتذتهم ومعلميهم فيما يألون اليه ، ويحشون فيه ، بل ومن المؤسف حقا ، ان اطروحاتهم ورسائلهم تنشر للناس على عواهنها وأخطائهادون تصحيح ، بعد أن تكون قد منحت درجة امتياز أو درجة الشرف الأولى .

ان العجز الذي يعتور مضامين وأساليب علم التاريخ في مؤسساتنا الفكرية والأكاديمية .... وتنزوع أصحابه سواء كانوا قد تخرجوا في جامعات عربية أم جامعات غربية الى الجفاف والسطحية ، وقياسه كظواهر مجردة من الحياة والروح والحاضر .... جعله يفقد يوما بعد آخر أهميته وقضيته ووظيفته . انه بحاجة ماسة الى العقلية الحادة ، والذهنية المتوقدة ، وانه بحاجة أيضا لكي تعاد له منهجيته وأساليب دراسته وتطويرها ، من أجل اغنائه بتجارب أكاديمية جديدة .... تخدم وظائفها الأهداف الأساسية التي قام من أجلها هذا العلم .... وأن تكون الجدية والصرامة في التقييم ، والعقلية البنائية في العمل . وعدا ذلك كله فسوف تضيع الغاية ، ويموت الهدف ، وتنتهي الحياة العلمية للباحثين .. اذ أنهم سيكتبون للفراغ أو الرفوف من أجل شهادة عليا ، أو نفع مادي .... لا يحفل بهم قارىء ، ولا يهتم لهم مسؤول ، ولا تتواصل عنهم أجيال ، ولا تستبصرهم حركة العلم والفكر في المستقبل . □□

الظاهرة اليابانية ومعجزة الإسلام

بقلم : الدكتور احسان حقي

كتب الاستاذ الدكتور محمد الرميحي رئيس تحرير مجلة العربي في عددها رقم ٢٩٩ افتتاحية تحت عنوان : الظاهرة اليابانية ، ذكر فيها ادوار النهضة اليابانية التي قفزت باليابان ، في اقل من قرن ، من حالة بدائية الى ميدان نهضة عامة شاملة فاقت كثيرا من البلاد المتقدمة صناعة وتجارة وعلما وسياسة ، وذكر الأسباب التي ادت الى هذه النهضة وختم مقاله القيم بكلمة جاء فيها :

« الكتابة عن اليابان خاصة من وجهة نظرنا نحن العرب لا تخلو من الرومانسية فكثير من معالم التجربة اليابانية يمكن ان نجد لها سندا تاريخيا في مسيرة تطورنا ، ولكن السؤال ما زال يبحث عن اجابة علمية مقنعة : لماذا تقدم اليابانيون (الشرقيون) وتخلف العرب الشرقيون ايضا ؟ وماذا يمكن ان نستفيد من تلك التجربة الفذة ؟ » وقد رأيت ان اعلق على هذه الكلمة الطيبة لأنها جاءت من صميم حياتنا وهي كلمة تدور على كل شفة ولسان والكل يسأل ولكن احدا لم يجب ولم يعرض علينا برنامجا او علاجا لننهض كما نهضت اليابان . ويبدو ان هذه الفكرة راودت من قبل كثيرا من الناس في الشرق والغرب ، وذلك حينما يرى اصحاب الحس النبيل والشعور الاصيل اناسا يسبقونهم في كل ميدان وهم ليسوا دونهم ، ولعل اول من تنبه الى هذا الواقع وحاز قصب السبق في هذا الميدان الاديب الافرنسي ادمون ديمولان الذي كتب سنة ١٨٩٧ كتابا بعنوان : (سر تقدم الانكليز السكسونيين) ، وما كاد هذا الكتاب يظهر في الاسواق حتى نفدت طبعته الأولى في بضعة ايام وترجم الى عدد من اللغات الاوروبية وترجمه الى اللغة العربية احمد فتحي زغلول باشا ونشره في السنة الثانية من ظهوره في فرنسا .

وقد أولت الصحافة الفرنسية والعالمية والهيئات العلمية والادبية والتعليمية والتربوية في فرنسا وفي غيرها من بلاد العالم هذا الكتاب اهتماما منقطع النظير وقرظته تقريظا لم يقرظ كتاب مثله من قبل ولا من بعد ، وعلى الرغم من انه كان انتقادا مرا لفرنسا والفرنسيين ولطرق تربيتهم وتعليمهم وحياتهم الاجتماعية والسياسية فقد اقبل عليه الشعب الفرنسي افرادا وجماعات اقبالا عظيما لأنهم رأوا فيه انتقادا بناء وصف الداء ووصف له الدواء ولذلك كان انتقادا مقبولا .

وفي العشرينيات من هذا القرن سأل سائل الامير شكيب ارسلان عن اسباب تقدم الانكليز ، وكان الناس منذ بداية القرن الثامن عشر ينظرون الى انكلترا على انها اعظم دولة في العالم صناعة وتجارة وسياسة واستعمارا وقوة ، وقد كانت في الواقع كذلك حتى قيض الله لها تشرشل فهدمها ، اقول سأل سائل صديقي المرحوم الأمير

شكيب عن اسباب تقدم الانكليز ، فاجابه الامير برسالة طالت حتى غدت كراسا صغيرا طبعت تحت عنوان : لماذا تقدم الانكليز وتأخر غيرهم .

وعلى الرغم من ان كراس الامير كان صغيرا ولم يعالج الامور معالجة علمية ومتفرعة كما عالجها كتاب السيد ديمولان الا انه لم يكن يخلو من فائدة وقد ترجم هذا الكراس في الثلاثينيات الى اللغة الاردية وطبع في الهند باعداد كبيرة .

أمة تتفتح

فالموضوع ، اذن ، هو موضوع كل أمة تتفتح فيها اذهان وعقول بعض ابنائها وتدرك سوء حالها بالنسبة الى غيرها من الأمم وتتساءل عن سبب تأخرها ، فالسؤال او التساؤل موجود ، اذن في كل الازمان وما مجيء الانبياء والمصلحين في العالم الا استجابة لهذه الحاجة ، واذا كان شعور الانسان - مهما كان بدائيا - بتأخره عن غيره امرا ملموسا فان الذين يوفقهم الله لوصف الدواء لهذا التأخر هم قليل والذين يوفقهم الله لمعالجة هذا التأخر هم - ويا للاسف أقل .

وتعليقي على مقال الدكتور الرميحي هو ان سؤاله او تساؤله هو من قبيل تساؤل العارف لأنه ذكر كل الأسباب التي ادت الى النهضتين المصرية واليابانية فالداء اذن معروف والدواء معروف ولكن الطبيب المعالج غير موجود .

وأذكر بهذه المناسبة انه حينما دعتني حكومة باكستان سنة ١٩٧٣ لزيارة الباكستان وكتابة كتاب عنها لتعريفها الى ابناء العربية ان احتفى بي رئيس وزراء مقاطعة البنجاب ، التي عاصمتها مدينة لاهور ، فأقام لي حفلة شاي دعا اليها ثلاثين شخصية علمية ، وكانت احاديثنا متشعبة النواحي كما تكون في مثل هذه الاجتماعات ، فقال لي رئيس الوزراء في اثناء حديثه : اريد يا دكتور ان اسألك سؤالا واريد جوابا صريحا عليه . قلت : تفضل واسأل وسأجيبك بما اعلم .

قال : لقد كنا نحن - اي باكستان وهندوستان - مستعمرة انكليزية ونلنا استقلالنا في يوم واحد . . . فلماذا تقدمت هندوستان ولم نتقدم نحن بنسبة تقدمها ؟

قلت : ارجوك ان تعفيني من الرد على هذا السؤال .

قال : ولماذا ؟ قلت : لأني لست باكستانيا واخشى ان يكون جوابي مؤلما . قال : اذا كنت تظن نفسك غير باكستاني فنحن نعتبرك باكستانيا يجمعنا الدين واللغة والهدف ، فانت مسلم وعملت استاذا في جامعة عليكره ، وتتكلم لغتنا مثلنا وانت الوحيد من بين ادباء العرب الذي تطوع لخدمة باكستان وكتبت بضعة كتب عنها فانت - اذن - واحد منا بشعورك واخلاصك لا بل انت اكثر باكستانية من كثير من الباكستانيين ، ولذا فان جوابك - مهما كان مؤلما - نتقبله كما نتقبل جرعة الدواء المر .

قلت : مادام الامر كذلك فاني اقول لك بكل صراحة ان هناك اسبابا كثيرة لعدم تقدمكم بنسبة تقدم هندوستان ، ولكن اهم كل الاسباب انه لم يوجد في باكستان زعيم مثل كاندهي ونهرو ، فقال لي بكل الم : ان حقا ما تقول .

الذين يعلمون غير الذين يعملون . .

فنحن ، ايها الأخ الدكتور ، نعرف لماذا تقدمت مصر زمن محمد علي الكبير ، ونعرف لماذا وكيف تقدمت اليابان ؟ وقد ذكرتم كل اولئك في كلمتكم ولكن الذين يعلمون غير الذين يعملون .

ان لدينا كثيرا من الامثلة على نهوض امم كانت في الحضيض فغدت في القمة ، فالولايات المتحدة الامريكية وأوروبا الشمالية لا بل وفرنسا ذاتها ومثلها ايطاليا لم تكن شيئا مذكورا قبل قرنين فاصبحت بنهضتها ورقيها مضرب المثل ، واذا اردنا ان نأخذ المثل الحي الدائم على النهضة السريعة العجيبة فان لنا في نهضة العرب بعد اسلامهم اصدق دليل ، والاسباب التي نهض بها المسلمون الأولون معلومة لدينا والبرنامج واضح ، ونحن اليوم بحاجة الى السير على ذاك البرنامج والى رأس يقود .

يوجد اليوم في العالم نحو اربعين دولة بين اسلامية وعربية ، وكلها وبلا استثناء - في حالة من حالات التأخر مع وجود كل أسباب ووسائل النهوض لديها ، فلدينا من الاموال ما لا يملكه غيرنا ولدينا عقول جبارة وعلماء افذاذ وامكانات طبيعية مادية ومعنوية لا حصر لها ، لكن الذي ينقصنا هو تنفيذ البرنامج الذي بين ايدينا والرأس الذي

يقود . ولست اعني بالرأس فردا من الناس له اية صفة من الصفات بل اعني هيئة عليا لها الامر على جميع الناس ، ولنقل اننا بحاجة الى برلمان اسلامي عالمي يضم علماء منتخبين عن كل بلد من البلاد الاسلامية ، على ان يجمع هؤلاء الاعضاء الى العلم التقوى والنزاهة والتجرد ، ويكون حكمهم نافذا في كل بلد .

ان الرجوع بالمسلمين الى دولة تشبه الدولة الاموية او العباسية او العثمانية امر غير معقول وغير مستطاع ، لأن لكل زمان حكمه ، وان فكرة الوحدة العربية : من المحيط الى المحيط ، التي يتاجر بها بعض الناس ويروجون لها انما هي فكرة خيالية لا يمكن تحقيقها الا في نطاق مجموعات مستقلة ومتفاهمة على برنامج عمل واحد .

ماذا يضر العرب والمسلمين لو ظلوا كما هم اليوم مفترقين الى قوميات ، ولكن لغتهم واحدة ودستورهم واحد وعملتهم واحدة ونظام تعليمهم واحد ومصطلحاتهم العلمية واحدة وغير ذلك من الروابط اذا لم يكونوا كلهم دولة واحدة ؟ ان خير نظام لنا ـ في ايامنا هذه ـ هو الوحدة في الكثرة ، اي لا يضرنا ان تكون لنا اسماء كثيرة مثل سوري ومصري وعراقي وجزائري اذا كانت غايتنا واحدة وبرنامج عملنا واحدا ، وكلنا ندور حول فكرة واحدة ونرمي الى هدف واحد ، بقدر ما يضرنا ان يكون لنا اسم واحد وقلوبنا شتى .

اننا بحاجة الى اصلاح جذري ينظم كل فرع من فروع حياتنا وكل ناحية من نواحي تفكيرنا ، بحاجة الى انقلاب شبيه بالانقلاب الاسلامي . انظروا الى عمر بن الخطاب والى خالد بن الوليد والى عكرمة بن ابي جهل قبل اسلامهم وكيف اصبحوا بعد اسلامهم . اننا بحاجة الى مثل هذا الانقلاب في النفوس والعقول .

والسؤال الذي يخطر في البال هو : هل بالامكان ان نخضع لهذا النوع من الانقلاب ؟ او هل نحن قابلون لذلك ؟ والجواب هو : مادام العرب الأوائل وعلى ما يصفهم لنا التاريخ من سوء حال قد استجابوا لهذا الانقلاب فلماذا لا نستجيب نحن لذلك ؟

ثم ان امامنا اقواما غيرنا كانوا في حالة بدائية جدا يوم كنا نحن امة راقية وها هم اليوم في الاوج رقيا ، ومدنية فلماذا لا نكون نحن مثلهم ؟

ان ما نحن فيه يجب الا يفت من عضدنا ولا ان يقعدنا عن الاقدام ، لأن لكل الشعوب فترات هبوط وفترات ارتفاع ، ولكل من الحالين اسبابه وعوامله ، فاذا كنا نريد العزة والكرامة ومجاراة الامم الراقية ، فالطريق امامنا واضحة ومعبدة ، فما علينا الا ان نسلكها مقتدين بغيرنا من الأمم ، وبذلك نستطيع ان نبدل حالنا باحسن مما هو عليه ، فالمرء يظل في مكانه او يرجع الى الوراء اذا لم يتقدم ، وما على من اراد التقدم الا ان يخطو الخطوة الأولى في الطريق الصحيح ليصل الى الغاية المطلوبة .

اما ان نظل نتغنى بالماضي ونبكي على الحاضر ونحلم بالمستقبل الزاهر فاننا لن نتقدم خطوة ، بل نظل حيث نحن ، ومن بقي في مكانه كان متراجعا ، لأن العالم يسبقه كثيرا ، فالى الامام حتى نقول في المستقبل : معجزة الظاهرة الاسلامية ولا نقول الظاهرة اليابانية ، وما ذلك على من سعى بعزيز . □□

كتاب العربي ★ مرآة العقل العربي ★

العدد الثاني يصدر
في ابريل ١٩٨٤م

د . عبد الحليم منتصر

العلم في حياة الإنسان

الوردة البيضاء

للشاعر :
فاضل خلف

وردتُكِ البيضاءُ للمستهامْ
أهاجَتِ الحبَّ وذكرى الغَرامْ

موضِعُها من صَدرِك المُزدَهِي
يُوحي لشعري بِألذِّ الكَلامْ

ولستُ أدري مَنْ سَبَى مُهجتي
أنتِ أمِ الوردةُ في الابتِسامْ

أنتِ الهوىَ وفيكِ كلُّ المُنَى
والوردُ فانٍ مالهُ من دَوامْ

الوردُ في الروضِ قصيرُ المَدَى
وورد خَدَّيكِ طويلُ المقامْ

غَدا سيبقى الصَّدرُ مستضحكاً
في عُنْفُوانِ الحسنِ والانسجامْ

بغَيْرِ وردٍ وبِلاَ زِينَةٍ
كما بَراهُ الله ربُّ الأنامْ

وردتُكَ البيضاءُ في حُسْنِها
لَيْسَتْ بأوْلَى مِنْكِ بالاهتمامْ

عِشْتِ وعَاشَتْ ذِكرياتُ الهَوىَ
في أوجِها لِلعاشِقِ المُسْتَهامْ

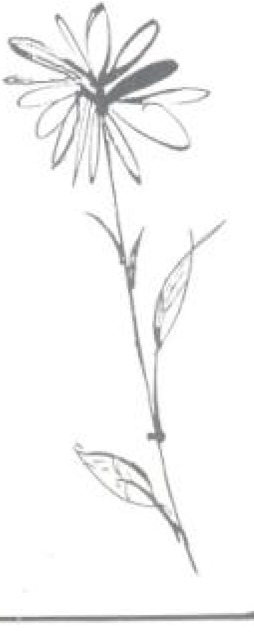

أفارقة عرب

تبوتب

الرصاص والرمح وجهاً لوجه !

« تبوتب »

بقلم جمال محمد أحمد

الحديث عن حامد المرجبي « تبوتب » ، حديث طويل لا يمل الكاتب . . . أي كاتب من الخوض فيه . . . في هذا المقال ينقل جمال محمد أحمد جانبا آخر من حياة هذا الرجل الذي نسيه التاريخ . الرجل الذي مشى رحلة العذاب من أجل مثله ومبادئه .

التقى الرجلان حامد وستانلي أول ما التقيا في دار حامد على نهر لوالايا غرب بحيرة تنقانيكا (تنجنيقا) شتاء سنة ١٨٧٦ وما كان صاحبي قد عدا العشرين من عمره بكثير ، ولد سنة ١٨٣٥ . قص عليه الرحالة الجسور قصته العنود في وجه المتاعب واشار في حديثه لرغبته في ان يعينه حامد على اكتشاف نهر الكنغو . وكان قد عرف عن حياته في ذلك الاقليم منذ اقتحم الداخل من الساحل سنة ١٨٦٥ . كان قد وصل في طوافه اعالي الكنغو سنتين قبل هذا اللقاء . كان مشهدا من مشاهد اللقاء العربي لأوروبا . جاء الجسور العنود ستانلي يلقى الرجل الاسطورة وجعل اعوانه من العرب يصفون له وعورة الطريق انه « حائط اشجار » تحول دون أن يسير الانسان على قدميه ، ودون الحيوان أن يحمل متاع صاحبه ، ما هاله كثيرا الامر كان قد جاء ذلك الشطر من القارة من قبل ، عرف مشقة الترحل والوحشة المخوفة هذه في الليل ، وتلك في النهار . بعث به الذين فتنوا بالقس لفنقستون الذي نزع القداسة عنه ، املا في ان تصلح الكنيسة على يديه فصار بعد تجاربه مع الكنيسة وتجار البرتغال والعرب ، داعية حرب على تقاليد القبائل الافريقية وحرب على الذين اتخذوا

تعاليم ربهم عكازة لشهوة السلطة كلها في الذي رأى وخبر ، صخرة في طريق الافريقي للحضارة العليا وأضحى داعية حرب على الأوروبيين ،لو جنحوا لتجارة تنفعهم وتنفع الافريقيين لكانت تجارة نافعة ، لكنهم لايرون الافريقي غير سلعة من السلع ، تحمل الاثقال ، وتجمع الحصاد ، وتباع من حين لحين . كان لفنقستون بدعا من المبشرين وبدعا في الذي رأى من علاقة ينبغي أن تكون بين حضارة أوروبا وانسان أفريقيا .

الرجل الساحر

ماشغل ستانلي بالذي قال أصحاب واتباع تبوتب . كان في خاطره وهو يستمع للأهوال التي سيلقى ، امجاد لفنقستون وبرازا ، ولن يقل شأوا عنهما ، والرجل الذي جاءه يطلب عونه على رؤاه نفسه ، ليس رجلا من عامة الرجال . اكثر . رآه حين رآه ، رجلا طويلا ، عريض اللحية على ذقن قوي ، سوادهما كسائر السواد فيه شبيه الابنوس . ذكي ، وجهه يأخذ عينيك . حلو في عينيه طرفة ، ساهي طرفة الحياء . بياض اسنانه ناصع ، وهي دقيقة التركيب عليها طلاوة لاتخطئها اعشى العيون . تقوم على حراسته وخدمته من شباب العرب اشباهه . يرنون اليه مزدهين به زعيما لهم وراعيا اياهم ، عرفت من بعد ان رهطا من قبيلة وانقوانا وجارتها قبيلة وانيامويزي ، اتوا يحملون متاعه ويقومون على أمته عبر آلاف من الاميال يقطعها ، رأيت آثار جهده على وجهه رغم فتوته حين دخل الدار ، مستقيم القامة ، سريع الخطو والحركة صورة لحيوية الشباب وقوة عمره الأخضر اليانع .

« جاء لدى مدخل معسكره ، يرحب بي بآداب العرب الكبار أهل النفوذ ، يخطو خطو الملوك والأمراء . ان خدمه يحملون الوسائد والحصر يضعونها حيث ينبغي ان نجلس وهم حولنا وقوف ، يرعون قيامه وقعوده وخطوه ، اذ دهاهم اسلوبه . ورعيته أنا عن قرب ، الطفت النظر دقائق ، عرفت اني امام عربي لايرام ما وراء ظهره ، اكثر العرب الذين لقيت شكيمة ، وقد لقيت من قبل قادة كثيرين في الاقاليم ، بعضهم عرب خلص ، وبعضهم هجين افارقة عرب . حين تقدم بنا الحديث خلع عنه طربوشه الاحمر حمرة الكبد ، وحزامه المرصع بالأحجار المزركشة الوانها كلها مصقولة ، وخلع مع حزامه هذا خنجره المدلى منه ، مقبضه من الفضة وغمده من الذهب .

وجدتني اجلس قبالة ذاك النموذج المثال قرأت صورته في ذهني مما قرأت من اساطير واشعار من قبل عن العرب . »

لا أحتاج أن أقول لك بعد هذا ان ستانلي الذي عمل للخلاص من صاحبي حامد خمسة عشر عاما بعد هذا اللقاء فتن فتنة به ، أول رؤيته اياه ، فهذه العبارات في مفكرته اوصاف رجل ساحر ، واحب لك ان تذكر وانت تقرأ هذه الصورة التي انقل لك من كتابه « عبر قارة الظلمات » ان ستانلي وان كان عسرا لايدرع في الذي خبره كل من اتوا طريقه في العمل ، كان صحفيا بارعا ، قلما من اقلام الهرالد تربيون اول عهد امريكا بها واوربا ، صحيفة بارعة لليوم .

قال وقد عاد ذهنه من طوافه وهو يستمع لاعوان تبوتب ولا يعني كثيرا بالذي يقولون :

« هذا الذي اسمع مروع . أتجيء معي تعينني وانت الاعرف من صحابك باهوال الطريق ؟ »

قال حامد « بالذي اعرف انا وبندقيتك انت لن يؤذينا أحد » وسعد ستانلي وراح يزهو قال :

« هذه البندقية في يدي تقذف خمس عشرة رصاصة واحدة اثر اختها لا تقف »

وسأل حامد :

ـ وكلها خلال هذه الفوهة ؟

ستانلي

نعم . جميعها خلال الفوهة ، هاكها ، انظر .
ـ ما رأيت ولا سمعت عن بندقية كهذه .
ـ هاكها ، قلبها يمنة ويسرة ، ارني الذي خفي علي ، كيف تستعمل هذه البندقية الجديدة .
ـ ما هي بالجديدة تلك الجدة التي . . . .
ـ أرني كيف تفعل فعلتها ، ارني .
ـ أعتذر . ما عندي ذخيرة تكفي . لا استطيع ان اريك .

عشرون سهما

امسك تبوتب بالبندقية ، يديرها براحتيه حول ذراعيه وحين فرغ من عجبه . شرع يحدث ستانلي عن قوسه . انه يحمل عشرين سهما ، يقذفها جميعها مرة واحدة ، ان هو رمى . كان يود ليريه كيف يقذف قوسه سهامه العشرين لكنه لن يفعل . استرجع ستانلي وقد اخذته العزة بالاثم ، شق عليه ان يقول له العربي ، وهو الذي يعيش الاف الاميال بعيدا عن حضارته صانعة البنادق وغير البنادق من أدوات الحياة والموت . ان قوسه ورمحه كفاء بندقيته ورصاص بندقيته . اطلق أثنى عشرة طلقة منها ، واتبعها بطلقة من مسدسه . عجب حامد وبدت علائم الرضا على ستانلي ، وكان حقا ان يرضى ، اذهل الرجل الذي حسب ان شيئا لا يذهله ، رخي البال ، موقور العيش ، قريب لنفس اتباعه ، قريب للقائمين على امر زنجبار من اهله . ثم ذكر عرب عُمان الذين أتوا الجزيرة وحامد صبي في العاشرة من عمره ، سنة ١٨٤٠ ، اتخذوا جزيرة القرنفل مقعدا آخر يعززون به مسقط وعُمان وقد بدت تواجذ اوروبا التي اقتطعت لنفسها عدن سنة ١٨٣٠ وما هناك ما يقف دون قوتها القاهرة وحيلها القادرة ان تجيء تفترس سلطتها ، قوية في البحر والبر بسلاحها كثيرة الحيل ، ويدفعها ايمان بنفسها ودينها وحضارتها تهون معها عندهم اديان وحضارات غيرها من الشعوب . كان على الامارة سلطانها وسلطان الساحل برغاش (ت ١٨٨٨) وكان جديرا بابيه سعيد (١٨٠٩ ـ ١٨٥٦) . وكان سعيد يؤثر حامدا ويصطفيه ، يغبطه سلطانه في قلوب الافارقة ويحاذر لكن لا يهاب . ما عرف عن حامد شهوة للسلطان . هواه التجارة ، وذاك لا يقلقه . هواه هو الامارة والذود عنها ، وشقيت الامارة اخريات عمره ، أتت مراكب أوروبا ذات البخار في جوفها والنار في سطحها تريد السلطان والتجارة في الساحل والداخل .

لكنها كانت أيام سعد العرب في زنجبار ، تلكم التي لقي فيها صاحبي حامد الرحالة الكاتب ستانلي ، عقدا العقود بينها وكتبا العهود لرحلة العذاب . عاد ستانلي لاهله توا بعد لقائها وكتب رسالة لتبوتب كان يحملها معه في طريقه لمحكمة القنصل البريطاني في بلدة ـ اي عدوان ؟ وضعها بين يدي صديقه القس ، وكان ذاهلا عنه برؤيته عرب عمان وسلطانهم سعيد ومكان حامد بين الذين أتوا بعده . استيقظ من حلم النهار ليجد يد حامد ممدودة بالرسالة وقرأ :

« حين أعود لاوروبا سأذكر بالخير العميم اياديك على بعثتي ، على اني ادرك أن أي شيء

أفعله من أجلك يقصر عن ثواب عوارفك لا علي وحدي بل على الذين سبقوني من الاوروبيين . سأضع بين يدي أوروبا كل الذي رأيت وخبرت في رحلتي . سأغدو من بعد رجلا ذا ثراء ونفوذ لدى الحكومات الاوروبية . انا الآن مصدر من مصادر المعرفة والرأي . لن تقدم حكومة من الحكومات على عمل في الاقليم قبل ان تسألني لأشير عليها . سأكون نافذ الأمر » .

اطفال البشرية

وهنا وقف القس بلطف النظر لحامد ، يريد ليقول حديث أغرار ، هذا الذي قرأ وما قال انه حديث اغرار لكن صاحبه فهم عنه ، أشار الى رسائل اخرى حيث كانت الرسالة التي يقرأ . احمر حياء وجه القس وتبوتب ، يوجز له ما كان يبعث به اليه ستانلي ، يتودد اليه ايام حاجته اياه ، يقول له انه طوعه ، لن يأتي او يدع امرا الا ان رآه حامد خير الامور ، انه يسعى لاسعاد أهل الاقليم من عرب وأفارقة وعرب افارقة . يحلم بان يربط اقليم نهر الكنغو (الكنغو) بتجارة اوروبا وعلومها ومهاراتها وصناعاتها لحامد ، الأمر كله والجزاء المادي الاوفى لعونه اياه وعون اوروبا لذلك .

قال القس لصاحبه وكان قد هدأ خاطره وهو يقص عليه أخبار الوعود والعهود من ستانلي ، انه يحزن لاهله الذين يضلون السذج في اوروبا يجيئون القارة باموالهم يعطونها لهم بسخاء ، يعشون بها لهم حين يروحون بيوت العبادة يخطبون عن القارة السوداء وظلامها الذي يخيم على القبائل ، يقولون انهم بشر . على أوروبا أن تأخذ بيدهم لحضارتها ، تقود خطاهم ، انهم اطفال البشرية . ضحك أول مرة حامد ، وكان طول لقائهما هذا جهم الوجه مكدود الفؤاد ،

وتساءل سوان عن سر جذله ، قال حامد انه وهو يستمع اليه يترجم له رسالة ستانلي ، ذكر رسالة وهدية اتته منه ، من ستانلي بعد عودته اوروبا تدلان على صدق الذي يقول القس عن « اطفال البشرية » لقد استقر ستانلي بين معجبيه وحسب حامد الذي تغنى بأمجاده طفلا من اطفال البشرية ، كانت هديته التي بعث بها له كل الطريق من بريطانيا كلب أي كلب ؟ »

شاكر رغمه

« اتعس كلب رأيته . كان ذليلا يقعي الوقت كله ، ضامرا يضنيه النباح ، اعطيته هدية لحسن ، مع صديقي القس ، الان ذكرت اخس الجوانب في الرجل كاد ينسيني اياه الغضب . ما غضبت من قبل . جوانحي لا تستطيع أن تحتويه . حين مات حسن هذا هوى بقلمه عليه ، وكان من كبار اعوانه واصدقائه ، انت يا اخي لا تسب الراحلين ، لكنه رماه بكل قبيحة

واشهد انه كان رجلا طيب السريرة . الاوغاد يسبون الاحياء لانهم يخشونهم . أمعن منهم ان في النذالة هم الذين يسبون الذين ذهبوا ما عادوا معنا » .

اخاف ان تحسب ان حياة صاحبي بدأت وانتهت مع ستانلي . ذاك ابعد ما يكون . سقت هذا الشطر من ودهما وخصامهما اريد لادلل لك على انا نعالج حياة رجل ما فارقته عزته ولا حسه بقوة ذاته حتى وهو في بدء شيخوخته ، ولا فارقته عزته الباصرة وهو في محنة سعت سعيا اليه . سأعود لهذا الحديث بينه وبين القس حين انتقل الحوار لجدال غير رقيق عن فلسفات المسيحية والاسلام ، ارجئه لاني أرى من حياة صاحبي التي اعرف الان انه ما كان معنيا بحوار الديانات عناية القس . دنياه كانت هذه التي أمامه يعالج شئونها بالذي اوتي من مواهب في قيادة الرجال وادارة المال والذي اوتي من قلب سليم جعل المنافسة من العرب أكثر ايمانا من اتباعه وذويه . امور حملت القس وقد قارعه حجة بحجة في شئون الدين ان يضيف لمآثر الرجل مآثر اخرى ، لا اعرف كيف فاتت جميعها على ذلك الناشر الذي انكر عليه العظمة ، ظلم يقول ان أمجاده قامت على جثث الرقيق .

أفضى القس لمفكرته وهو يتملى هذا الجدال مع حامد بقولة قالها قبله كثيرون تفصح في وضوح عن ذاته المسيحية وقد التقت بذات مسلمة . كان الاوروبيون يعرفونه درعا منافحا عن عقيدته التي تقف قواعدها من اهله في طفولته ومن صحابه في صباه ، ما عرف باب مدرسة . قال سوان والحوار ندي طري في ذهنه ساعات معدودة بعد الحوار : سحرني هذا اللقاء وجها لوجه مع الرجل العظيم ، وكنت وأنا اديره عاصفا كما وصفت بعيدا ابعد عن داري وحماية أهلي ، بيني وبينها ثمانمائة ميل وأكثر ، لكني آمن ، انا في حماه ؟ كان طوع يديه تلكم اللحظة الاف الرجال والاف البنادق ، لكنه ما لجأ اليها ساعة محنته تلك ، غاديا ليقف منها أمام قضاة القنصل يمثلون رجالا يدهم عليه سابغة ، ارادوا له الحرج والهوان ليرعوي غيره من الناس ، عامة كانوا ام امراء . كان عقله النشط الحي يجول دونه وحمى القوة . يعرف ان الذي يملك منها كبير في معناه صغير في قدرته . القوة والقوى التي تحيط به كانت السحابة ذات الرعود والبرق والمطر الجارف » . آثر أن يذهب ، اهله ووطنه الاول ، وكان شكورا عارفا باياديه عليه وعلى غيره من الاوروبيين ذاك القس الطيب ، الفرد سوان ، واخالك مثلي اول عهدي بصاحبي حامد ، تسائل ما هذه السماحة للاوروبيين؟ ومعك الحق ان تساءلت . هذه سماحة لا يؤتاها غير ذي قلب سليم وعقل فطن . أنى له ؟

الجواب لن يشق عليك ان ذكرت حادثة الرمح والبندقية التي رويت لك . عرف حامد بأس النار لقاء قوسه ورمحه وما كان مكابرا كما رأيت . عرف مكان القوس والرمح من البندقية والرصاص وهفت نفسه ليعلم الذي ما اتيح له ان يعلم . كانت هذه تجربته الاولى مع الاوروبي . عززتها تجارب عدة أخر ، لكن واحدة منها تلح علي لاني احسبها كانت النافذة التي اطل منها صاحبي على الجانب الألى من حضارة اوروبا ، التجربة اسوقها الان هي التي استقر بعدها على ان يحيا في وئام مع رسل هذه الحضارة يتعلمها اهله منهم ، يبنون القواعد من حياتهم على قدراتها ومهاراتها وهذا ما عجز كثير من عرب الساحل والداخل عن رؤيته وهم يدعون في ريبة أنهم قرباء من الاوروبي وعونه . لا احسبهم اسرفوا على انفسهم ، حين اخذوا عليه نهجه فقد كان العنصر الديني اطغى العناصر عندهم ، بعض الاحايين لا عنصر غيره في تكييف علائقهم البشرية .

ما عني كتاب سيرة صاحبي بالعلائق بينه وبين العرب ، أكثرهم اوروبي يعنيهم في البدء والختام علائقه مع اهليهم هم لا علائقه مع

العرب والمسلمين ، ولا أعرف عربيا أو مسلما من غير العرب تصدى لهذه الحياة الأسرة . . حسبت يوما من الايام ان صديقي العالم محمود الغول ربما وجد المزاج والفراغ ليكتب عنه على ايامه في جامعة أدنبرة ، فقد كان أول من لقيت من اخوتي بادلني الحديث عن رجل - كما قلت - ما كنت اعرف عنه غير القليل وانا أكتب مقدمتي لكتاب بازل دافدسن « أضواء جديدة على افريقيا » بعد أن عربته ، واذكر ان محمودا كان معنيا به ، هو الذي هداني لكتاب ارك برود عنه ، وهو في اكبر الظن اقدم المراجع ، خرج على الناس سنة ١٩٠٢ ثلاث سنوات قبل وفاة صاحبي حامد صيف سنة ١٩٠٥ ، وهي سيرته كما أملاها باللغة السواحلية على صديقه برود .

عالمان !

وقعت التجربة التي أشير اليها بعيدا من حيث كان مقر نشاطه حول بحيرة تنقانيكا (تنجانيقا) وفي الكنغو (الكنغو) ، وقعت في مدينة الكاب في جنوب افريقيا . كانت رحلته اليها في ربيع ١٨٨٧ ، وكانت - في كما أعرف الآن - زروة حماسة في صنع امجاهه ، كانت تجربة غلبت كل تجاربه وكان لها أبعد الأثر في تجاربه من بعد . ماكان صبيا كما كان على أيام بندقية الاوروبي ورمح العربي ، كان قد اربي على الخمسين وقف مع صديقه الذي كان يشرف على زيارته ، يرعى الميناء على رأس الرجاء الصالح ، شده وهو يرى البواخر تجيء وتمضي والآلات تعمل ما لا يعمله مئات الرجال في عام ، اوحى بنظراته المذهولة وقلبه المشفوف وسؤاله الملهوف عن دقائق ما ترى عينه وصفا بارعا جرى على قلم السيدة كاتبة سيرته الوثقى ، قالت :

« بدأ كمن صعق ، وهو يحدق النظر في الالات تصخب في الميناء ، وفي الذين يحركونها يجرون كل صوب ، مرة لظهور مئات البواخر الراسية في الميناء ومرات لمئات المخازن حول الميناء ، يملئونها تارة يفرغونها تارة . راعه ما يرى من اناس كثيرين ومن الات وما يعملون وما تعمل . وقف حائرا . الناس يهرعون كالجن ، يروحون بانواع من السلع للمخازن المتراصة على البحر حول الميناء ، ويطيل النظر في هذه السلع ، بعضها واضح النفع ، بعضها يخفى عليه نفعها . مثل الافارقة والاوروبيين يمرون حيث يقف ولا يلقون بالا اليه هم في شغل عنه بالذي يفرغون من بطون السفن وعلى ظهورها يشحنون . ارض الميناء مليئة بالصناديق والجوالات (الشوالات) . قضى يومه هناك وفي الغداة خرج يمشي في المدينة وراء المرفأ الكبير ، رأى المدارس والمستشفيات وسمع من الأصوات الزاعقة ما جعله يقابلها بالذي يسمع في زنجبار . انها زاعقة هنا خافتة هناك والقوم هم القوم : الانجليز . انهم هنا غير الذي الف هناك . الانجليز في زنجبار لا يتكلمون الا همسا ولا يراهم الناس في الطرقات الا لماما ، انهم قبيل غير هذا الذي يرى . يمشون هناك على مهل ان مشوا ، وتصدر عنهم أقوال وأعمال ساذجة غبية بلهاء . هؤلاء الذين يرى في العاب احياء اقوياء » .

ستذكر وانت تقرأ هذا خاطرات الجبرتي وهو يصف الشيخ حسن العطار (١٧٦٦ - ١٨٣٥) يغدو ويروح على معامل ومجالس العلماء الذين صحبهم معه نابليون في غزواه مصر . كان العلماء يعجبون للازهري الشاب يسأل وكان العطار يلحف . يريد ليرى تأويل ما كان يخفى عليه . ليس هناك مقابلة بين حامد والعطار غير هذا الذهول الذي استحال رغبة في الانتفاع بعلوم وقدرات اوروبا ، فما اختلف حامد لمدرسة ولا جلس لعالم او فقيه يسمع عنه . كانت شيعته أقواها لا تصلهم بالعلم واصلة كالتي تربط عامتهم بالتجارة وخاصتهم بالسياسة . □□

طبيب الأسرة

ضمور العضلات

Muscular Dystrophy

● أصبت بمرض وراثي يدعونه ـ حسب ما علمت ـ مرض ضمور العضلات وبدأت مأساتي معه منذ ١٣ عاما . لقد توقف سير المرض والحمد لله ولكني أرغب في معرفة سبب هذا المرض وتطوره وعلاجه وخاصة أن لي اكثر من أخ وأخت أصيبوا بمثل ما أصبت به ، وختاما لكم شكري .

م . ا . ا .

الاسكندرية ج . م . ع .

هو مرض من أمراض العضلات وان كان يظن خطأ أنه من أمراض الاعصاب ، يدعونه في اللغة العربية بالشطل أو الخشل . انه ليس شائعا الى حد كبير ، وان كان يعتبر من الأمراض الموروثة التي تنتقل عبر الأمهات لهذا لاغرابة أن نجد أكثر من فرد واحد مصاب في الأسرة ومع هذا ربما يصاب أحدهم دون وجود مصاب آخر يمت له بصلة القرابة .

وعلى الرغم من الأبحاث الجارية لتقصي العيب الكافي في الجسم وراء هذا المرض لم يصل العلماء الى سبب محدد . وكل ما كشفت عنه الدراسات التشريحية على بعض المرضي بعد الوفاة ، هو وجود أنسجة دهنية وليفية حلت محل الالياف العضلية مما أدى الى ضمور العضلات المصابة مع سلامة الجهاز العصبي المتحكم في عمل هذه العضلات .

لقد اكتشف الاطباء ثلاثة أشكال من هذا المرض : ـ

أولا : ـ النوع الأول والأكثر شيوعا يطلقون عليه اسم اعتلال العضلات التضخمي الكاذب **Pseudo Hypertrophic Muscular Dystrophy** وربما سمي بهذا الاسم نظرا لما يسبقه أحيانا من تضخم مؤقت في العضلات ولكن دون قوة أو عزم ، يعقبه انحلال وضمور يؤثر في عضلات الجزء الأعلى من الساقين يقابله تضخم في عضلات الفخذ والعجز والبطن .

ان هذا النوع من ضمور العضلات يشيع بين الأطفال الذين يعانون معه من الترهل وضعف الساقين لدرجة قد يعجز معها الطفل المصاب عن الوقوف اذا ما وقع أرضا .

ثانيا : النوع الثاني يشيع في الأعمار المتأخرة من الطفولة أو في مطلع مرحلة المراهقة ويصيب الضعف فيه عضلات الذراعين ، ثم يمتد الضعف الى عضلات الظهر وربما بلغ عضلات الأطراف السفلى ، وهذا النوع أقل شيوعا وانتشارا من سابقه .

ثالثا : النوع الثالث وهو الذي يصيب عضلات الوجه وربما بعض عضلات الاكتاف ويمتد أعلى الى عضلات الذراعين .

ونظرا لجهل الاطباء بالسبب الكافي للمرض فان العلاج يعتمد أساسا على وقاية المريض من المضاعفات ، واستعمال العلاج الطبيعي الذي يعتمد على التمارين الرياضية والتدليك والكهرباء .

. فالغدة السعترية أو التيموسية تولد مع الطفل ثم تكبر معه حتى سن الثانية لتثبت في حجمها حتى سن السابعة ، اذ تنشط عند هذه السن وتنمو مرة أخرى حتى سن الحادية عشرة أو الثانية عشرة فتبدأ في الضمور حتى لا يبقى منها في سن الخامسة والعشرين غير ثلث حجمها الأصلي ، أما عند كبار السن فقد لا تجد لها أثرا .

هذه الظاهرة أثارت جدلا حول وظيفتها في الجسم وطبيعة تركيبها . . . هل هي تنتسب الى الغدد الصم الاخرى كالغدة الدرقية والغدة النخامية أم هي أحد أركان الجهاز اللمفاوي الذي تنتمي اليه اللوزتان والعقد اللمفاوية .

ربما كانت تقوم بالوظيفتين معا كما يوحي به تركيبها الخلوي وكما لوحظ من أنها تتضخم مع اضطراب الغدد الصم الأخرى هذا الى أنها أيضا تتضخم مع تضخم الجهاز اللمفاوي .

ومن هنا جاء الاجتهاد في تعليل وظيفة الغدة السعترية بأنها أحد أركان جهاز المناعة الذى يحمي الانسان في مرحلة الطفولة .

رأي آخر يقول بأنها تنظم انتقال الاشارات العصبية في العضلات ، ولها افراز يثبط مفعول مادة الاسيتايل كولين **acetyl choline** وهي ما يفرز عند نهايات الاعصاب في العضلة ويعمل على انقباضها ، لهذا يعتبر

الغدة السعترية
Thymus gland

● قرأت فيما أهوى قراءته من أمور الطب عن غدة يدعونها الغدة السعترية ، وحيث اني لم آلف هذا الاسم الجديد فلم أتبين أي عضو من جسم الانسان يشمل هذه الغدة ولا ما هي وظيفتها ؟ فهل لي أن أحظى منكم ببعض التفصيل .

خ . ي . حلب سوريا

هذه الغدة اكتسبت اسمها من شكلها الذي يشبه حزمة من زهور السعتر ، هكذا تصورها الطبيب اليوناني القديم جالينوس في القرن الثاني للميلاد فأطلق عليها اسم **Thymus** أو الغدة السعترية وقد لفظها باسم الغدة التيموسية كما هو أصلها الأجنبي وبعضهم سماها بالغدة التوتية لشبهها أيضا بحبات التوت .

انها غدة تقع في أسفل الرقبة وأعلى الصدر ذات فصين متصلين وكأنها لوزتان ، لهذا يحلو للبعض أن يسميها لوز الصدر .

من أغرب ما تتميز به هذه الغدة من سواها من الغدد انها تصاحب مرحلة الطفولة وتترعرع معها ، ثم تذبل وتضمحل عند البلوغ لدرجة قد تتلاشى تماما عند الأعمار المتقدمة

استئصال هذه الغدة أحد أشكال العلاج في مرض وهن العضلات Myasthenia gravis

أما احدى النظريات في وظيفة الغدد التيموسية فهي انها تعمل على نمو الجسم ونضوجه الجنسي .

الآخرين ، ولا يستقر على حال ، أو يستمر في عمل ، بل دائم الهروب من البيئة التي حوله بعقله وجسمه ، ليبني لنفسه مجتمعا ينسجه خياله ، لهذا نجده يتحدث بأسلوب خاص لا يستقيم مع المنطق .

ان السبب في الفصام لم يتحدد على وجه الدقة ، فالبعض يعزوه الى عامل الوراثة ، وتنادي البعض بنظرية الاختلال الكيماوي لتركيب الخلايا العصبية في المخ ، كما طلع فريق من العلماء مؤخرا بادعاء بعزو الفصام الى العدوى بفيروسات خاصة لم تتضح هويتها بعد ؟

يقولون أن الفصام يصيب شخصيات معينة منها الشاب المجهول أو الحساس ، ومنها الحذر أو المتعالي أو متصنع الوقار دون مبرر ، لهذا نجده يحب الانفراد عن الناس في عزلة دون عمل ، ويبدو دائما متكاسلا متباطئا غير قادر على بناء الصداقات .

ان علاج الفصام متوفر على أشكال شتى يمارسها أطباء الأمراض النفسية حسب تقديرهم لحال المريض ، منها الصدمة الكهربائية ، ومنها الصدمة بحقنة الانسولين ومنها العقاقير أو ربما لجأوا الى أسلوب التأهيل المهني ، غير أنه على الرغم من هذه العلاجات التي قد تنجح ، تبقى شخصية الشاب هشة قابلة للكسر اذا ما تعرض لظروف أقوى مما تحتمل أعصابه .

الفصام
Schizophrenia

● انني في سن الشباب أعاني من اضطراب نفسي شديد أعيش معه في فراغ ، مما قد يفقدني عقلي ، أو تظهر عليّ أعراض من مرض الفصام ، بحيث يتركني مفكك الشخصية مشتت الذهن .

فهل لكم أن تدلوني على قصة هذا المرض وعلى درب العلاج منه ؟

د . م .
الدار البيضاء ـ المغرب

الفصام قد يكون أشهر الأمراض « الذهانية » أو أمراض اضطراب العقل ، وأكثرها شيوعا ، اذ قيل ان سعة انتشاره بين البشر قد تصل الى نسبة ١٪ وأغلب ضحاياه من الشباب وصغار السن ، وخاصة ممن هم حول العشرين من العمر ، لهذا كان يعرف قديما باسم العته الباسر أو العته المبكر .

والفصام ـ على ما يبدو ـ مرض شائع بين البشر منذ قديم الزمان ، فالتاريخ حافل بالشخصيات التي تميزت بسلوك فصامي أثر في مجرى الأحداث التاريخية ، منهم : نيرون القيصر الروماني الذي أحرق روما ، ومنهم الفنان فان جوخ الرسام الهولندي الذي قطع احدى أذنيه وقدمها رمز حبه لاحدى عشيقاته ثم انتحر بعدها . ومنهم الكاتب الروسي تشيكوف والشاعر العربي ديك الجن الحمصي .

بعض الناس قد يطلق اسم ازدواج الشخصية أو ربما سموه انقسام الشخصية ، اقتناعا منهم أن المصاب يحمل في ذاته شخصيتين متناقضتين ، وهو فهم خاطىء علميا ، أما الحقيقة فهي ان المريض يعبر عن عواطفه بصورة لا تتلاءم مع واقع الحال ، فتجده مثلا شخصا مشوش التفكير يتميز ببرود عاطفي تجاه من حوله ، والمريض لا يقيم روابط طبيعية مع

مهرجان قرطاج المسرحي الأول

وعي متقدم في التنظير وخيبة وأزمة في العروض !

استطلاع : سليمان الشيخ   تصوير : سليمان حيدر

الكابيتول .. دار عرض وجمهور (الى أعلى) .. ولقطة .. من معرض الصور الخاصة بتاريخ المسرح في تونس . (الى اليسار)

GODOTRA VÁRVA

هل حقق مهرجان قرطاج المسرحي الأول الذي اقيم في مدينة تونس الاهداف التي كانت مرسومة له ؟ والغايات المؤملة منه ؟
كيف كانت حال العروض من الناحية الفنية والموضوعية ؟ وماذا قال المسرحيون انفسهم عن العروض التي شاهدوها ؟
ما هي التنظيرات التي طرحوها في ندوتهم ؟
عن هذه الاسئلة وغيرها ... يجيب تحقيقنا هذا .

اجماعان توفرا اثناء وبعد حضور العروض المسرحية ومشاهدتها في مهرجان قرطاج المسرحي الأول الذي اقيم في مدينة تونس من ٧ حتى ١٥/١١/١٩٨٣ .

● الاجماع الأول : حمل صفة ايجابية ، وأكد على أهمية اقامة المهرجانات المسرحية وضرورتها ، فهي توفر زادا للمعرفة والتعارف والاطلاع ، وتوثيق الصلات وتبادل الاراء والخبرات ، خاصة اذا ما كانت التجارب والعروض المشتركة متنوعة ، ومن عدة اقطار ودول .

ان كل الذين قابلناهم وحاورناهم واستمعنا وقرأنا لهم مباشرة او غير مباشرة اكدوا هذه النقطة ، وجعلوا من اقامة المهرجان والاستمرار في اغنائه والاستفادة من الاخطاء والسلبيات ، وسد النواقص ، ضرورة يجب اخذها بعين الاعتبار . لكن يجب اساسا تكرار التجربة والاستمرار فيها .

● الاجماع الثاني : حمل صفة سلبية ، وأثبت رداءة بعض العروض وضعفها وفقدانها للاهمية والاهلية التي تجعل منها اختيارا يشارك في مهرجان .

وبالرغم من وجود اجماع في هذه النقطة . الا ان الاجتهادات اختلفت في تبيان مسببها .

● اجتهاد قال بأن العروض ـ او على الاصح الكثير منها ـ ما هي الا شهادة حقيقية على ازمة عصر ومرحلة من حياة الامة .

وانها عكست الازمة العامة الموزعة في شتى النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية وهي بالضرورة تنعكس على النواحي الثقافية .

● واتجاه اخر اعاد اسباب تدني العروض الى عدم تدقيق اللجنة المشرفة على المهرجان في العروض قبل اعتمادها ثم عرضها .

ويستشهدون في توكيد ذلك بالعرض التونسي « امرؤ القيس في باريس » الذي شاركت به تونس في المسابقة . مع انه كان اضعف العروض التونسية الستة التي عرضت في المهرجان ، ومن اضعف عروض المهرجان الاخرى .

وعندما سئلت الجهات المعنية عن السبب في اعتماد هذا العرض بالذات ، قيل : ـ لقد اطلعنا على ـ مسودة ـ العمل ولم نشاهده ! وقيل ايضا : لقد تم ترشيحه من جهة لم تملك القدرة على رفض ما ارادت !!

● وهناك اتجاه ثالث اعاد اسباب تدني العروض الى الاعتماد على ما رشحته الجهات الرسمية التي اشتركت في المهرجان الا ان الفنان المنصف السويسي مدير المهرجان ، ومدير المسرح الوطني التونسي نفى ذلك . واكد على ان لجنة الاختيار لم تعتمد على الترشيحات الرسمية فقط ، بل اتصلت بفرق خاصة ونقابات مسرحية مستقلة رشحت بعض الاعمال وتم اعتماد بعضها وعرضت فعلا .

وبالرغم من صحة كلام الفنان السويسي من واقع ما رأينا وشاهدنا ، الا ان بعض العروض التي جاءت من خارج نطاق الترشيح الرسمي لم تختلف كثيرا عن العروض التي تم اعتمادها رسميا ، لا في الاتجاه او الفكر او في مدى النضج الفني ، بل جاءت اسوأ من بعض العروض الرسمية .

وهذا يؤكد ان الازمة اي ازمة الواقع المسرحي لا تكمن في قطاع معين ، بل هي ازمة شاملة .. ماعدا بعض النبضات الحية والروح المقاومة التي كانت حاضرة تمارس وجودها وتذكر بأن الظلام ليس هو القدر المستمر ، وليس هو المساحة الكاملة التي تحتل فضاء الحياة والعقول والأجهزة . وكانت هي الدليل على قدرة الاختراق المدهشة التي جددت الامل وحركت سواكن الهمم ، واشارت الى منهاج قابل للاحتذاء والتطوير والتعديل !

العروض والنتائج

اشترك في المسابقة الرسمية لايام قرطاج المسرحية الأولى عشرة عروض و١١ عرضا موازيا عرضت خارج المسابقة الرسمية .

قسم من اعضاء لجنة التحكيم

النتائج

● وقد جاءت النتائج على الشكل التالي :

- جائزة افضل عرض متكامل تم منحها لفرقة الحكواتي اللبنانية عن عرض « ايام الخيام » وتضمنت الجائزة ميدالية خاصة مع حافز مالي . وقد تكرر هذا المنح للاعمال والشخصيات الفائزة مع اختلاف في النوع والكم .

- جائزة افضل نص . . حجبت وخصص المبلغ المرصود لها لتنظيم مسابقة في التأليف المسرحي .

- جائزة افضل اخراج مسرحي منحت لفرقة المسرح الوطني الجزائري عن مسرحيتها « قالوا العرب قالوا » من اخراج الزياني شريف عياد .

- جائزة افضل تقنية مسرحية منحت للمسرح الوطني الفلسطيني عن مسرحية « كوميديا العائلة توت » .

- جائزة افضل اداء جماعي منحت لفرقة المسرح الوطني في مالي .

- جائزة افضل تمثيل نسائي منحت للممثلة ندى حمصي عن دورها في مسرحية « كوميديا العائلة توت » التي قدمها المسرح الوطني الفلسطيني واخرجها جواد الاسدي .

● ونوهت لجنة التحكيم الرسمية بجهد التأليف في مسرحية « هالشكل يازعفران » التي قدمتها فرقة مسرح الشارقة الوطني وهي من تأليف عبدالرحمن المناعي واخراج فؤاد الشطي .

- ونوهت ايضا بجهد التأليف في مسرحية « لعبة اسمها الشحاذون » التي قدمتها فرقة المسرح الاردني وهي من تأليف واخراج جميل عواد .

- واشادت اللجنة بالاداء المتميز للفنان المغربي عبد الحق الزروالي في مسرحية « جنائزية الاعراس » وأشادت ايضا بحرفية اداء الممثل زيناتي قدسية عن دوره في مسرحية « كوميديا العائلة توت » .

وهذا عرض سريع للعروض .

أيام الخيام . . ومجد الذاكرة

● « أيام الخيام » لمسرح الحكواتي اللبناني ، تأليف جماعي ، اخراج روجيه عساف . عمل كغيره من اعمال هذه الفرقة اعتمد على اثارة ذاكرة مجموعة من المهجرين من جنوب لبنان اثر الهجوم الاسرائيلي سنة ١٩٧٨ ، واحتلاله للشريط الحدودي ، وتهجيره لكامل سكان بلدة الخيام اللبنانية المتاخمة للحدود الفلسطينية المحتلة .

واثارة الذاكرة هنا لا يقصد بها اجترار الماضي ، بل ربط الحاضر به وتوضيح النتائج المترتبة على احداثه ، وكشف طبيعة العلاقات التي كانت قائمة داخل البلدة ، وطبيعة العلاقات التي افرزها الواقع الجديد .

صحيح ان اعادة الاعتبار للذاكرة ونبش تفصيلات الحياة قد اتجها اتجاها فيه التسجيل والدراسة الميدانية الموثقة ، وتم الاستماع والتسجيل المباشر لناس حقيقيين كانوا مادة الاحداث والايام ووقودها وضحاياها .

مع ذلك تم التوجه ضمن جو الفرجة والاحتفال واعادة مسرحة الحياة ، واعادة الاعتبار لوسائل التعبير الغائبة في الذاكرة ، فكانت كالموج يرتفع هديرها فتحتل فضاء القاعة وتتغلغل في دخائل الجمهور ، وكانت كالطيور

عبد الله غيث أحد رجال المسرح الذين تم تكريمهم .. مع المنصف السويسي وجمهور من تونس .

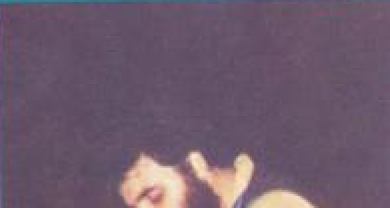

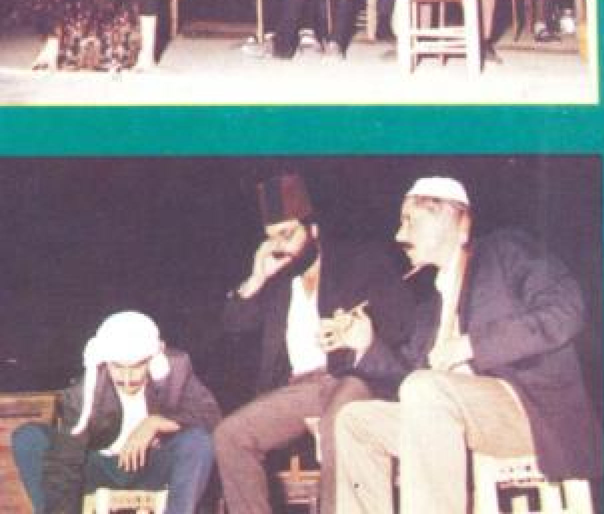

« أيام الخيام » لمسرح الحكواتي
في ثلاث لقطات .

جمهور احدى المسرحيات ويظهر في الصف الاول امية رزق ونضال أشقر وكرم مطاوع وعبداللطيف الحمروني

عائلة توت ومظاهر الرعب من الجنرال الغازي في مسرحية « كوميديا العائلة توت » لفرقة المسرح الوطني الفلسطيني.

تحلق في سماء الصالة وتتفرد مفاصل الوجع والهموم المشتركة فتثير التجاوب والتوحد .

وقد استعمل المخرج في المسرحية وسائل بسيطة ، متقشفة سواء في الديكور او الاضاءة والملابس « والاكسسوارات » الا انها كانت موحية ومعبرة وموظفة توظيفا مناسبا .

لهجة العمل كانت جنوبية لبنانية قد يستغلق بعضها على الجمهور التونسي ، مع ذلك فان التوحد بين الصالة والخشبة كان حاصلا وقائما ، والحشد الجماهيري لم يجد مقاعد كافية للجلوس فرضي بالبقاء واقفا .

كوميديا العائلة توت

يمكن اعتبار المسرحية من تراث المسرح العالمي وهي من تأليف اسطيفان اوكريني (كاتب مجري) ـ ترجمة سعد الله ونوس ، اخراج جواد الاسدي (مخرج عراقي) .

وهي تسجل لجنرال عرض عليه احد جنوده قضاء اجازته الخاصة ـ بعد ان توترت اعصابه ـ في بيته وعند عائلته في قريتهم الهادئة البعيدة عن خطوط القتال .

يصل الجنرال ويأخذ في فرض اساليبه العسكرية على كل من في البيت . ورب العائلة وزوجته وابنته يقدمون التنازل تلو الآخر ، حسبهم ان يبقى الجنرال راضيا ، لأجل ان يبعد ابنهم عن خطوط جبهة القتال .

الا ان قدرة التحمل تصل الى حدها عند رب العائلة فيثور بعد ان اوصله الوضع الى الجنون ، ويصمم على قتل الجنرال بعد ان احال البيت الى جحيم لا يطاق ، وفعلا فانه يشرع في ذلك ، الا اننا نفاجأ في النهاية بأن عدة جنرالات قد وصلوا الى البيت وعلى رأسهم الجنرال الاول ، او شبيهه ليتأكد الدرس بعدها بكون الفاشية والقمع واساليب السيطرة لها عدة رؤوس ، وان المهم عدم اتاحة الفرص امامها كي تنمو وتنتشر .

مهمة المخرج والممثلين كانت دقيقة وحساسة ، حيث ان الايقاع الخارجي للحدث كان يفترض ان يوازيه تعبير نفسي داخلي .

وهذا هو العبء الذي القى على كاهل الممثلين ، وقد حاول الاب والبنت التلوين وتجسيد الانفعالات المتناقضة ، الا ان الام ابقت على وتيرة انفعالاتها ضمن نسق واحد . .

اجمالا . . . كان ـ الاسقاط ـ جانبا مهما في العمل ، والبعض اعجبه هذا الاسقاط والبعض الاخر تساءل عن سبب غياب ـ الهم ـ الفلسطيني بشكل مباشر ؟!!

قالوا . . العرب قالوا

قدمتها فرقة المسرح الوطني الجزائري ، من اقتباس واخراج زياني شريف عياد ، عن نص للكاتب السوري « محمد الماغوط » بعنوان « المهرج » . الذي كان قد كتبه اثر هزيمة سنة ١٩٦٧م . وقدمته منذ ذلك الحين كثير من فرق المسرح العربية . ومنها فرقة المسرح الشعبي في الكويت .

وتعتمد المسرحية على ـ فانتازيا ـ استدعاء الفاتح العربي صقر قريش ليرى احوال الامة العربية ويسعى لتخليصها من مشاكلها وازماتها .

الا ان سدود الامة وحدودها وخلافاتها وتناقضاتها تعوقه عن اداء مهمته ، بل تحيله الى ضحية من ضحاياها ، فتتم مقايضته ببضعة قناطير من البصل الاسباني ، ويسلم الى السلطات الاسبانية كي تحاكمه بتهمة بجرم حرب قام بفتح الاندلس !

ميزة العرض الجزائري انه حاول الخروج من اطار العرض المشهدي المتأثر بالتجربة المسرحية الاوروبية ، وحاول جزئيا ابتداع اسلوب نابع من البيئة لذلك فان المخرج استعان باسلوب الراوي ـ المهرج ـ ورفده بأجواء فولكلورية محلية ، وساعده النص ـ اساسا ـ في ذلك من خلال التوكيد على مشاهد المسرح داخل المسرح .

مع ذلك فان العرض لم يتجاوز كثيرا النص الاصلي ، ولم يضف اليه الكثير ، وبقي عند حدود التهكم المباشر والسخرية السياسية المسطحة .

حيرة ريفية

عرض فرقة المسرح الوطني المالي ـ الحيرة الريفية ـ اقترب من الاجراءات والمواصفات نفسها التي اعتمدها مسرح الحكواتي في لبنان .

كتب العرض مجموعة من الممثلين والفنيين واخرجه موسى سايقا ، واعتمدوا على الاستفادة من تراث الاشكال المسرحية البدائية الموجودة في الارياف ، ثم قاموا بغربلتها وتشذيبها وتهذيبها ، وبعثوا فيها حياة المسرحة واطلقوا على التجربة اسم « الكوتيبا » والكلمة تعني الحلزون الكبير باللغة البومبارية المالية .

وهكذا فان العرض بدأ برقصة على انغام « التام التام » الافريقية جاءت بطيئة حلزونية ثم تسارعت وترافقت مع الايماء والحركات التعبيرية الاخرى .

والمسرحية تكشف وتعري اساليب الاستغلال التي يلجأ لها الموظفون وزيادتهم للضرائب والزيارات التي يقومون بها للارياف مما يترك حيرة وارتباكا في حياة الناس الفقراء

محدودي الانتاج ومحدودي المردود المادي .

وقد تميز الممثلون في المسرحية بقدرتهم الفائقة على التشكيل الحركي المرن المتنوع والفني في التعبير .

ها الشكل يا زعفران

مسرحية « ها الشكل يا زعفران » تأليف عبدالرحمن المناعي واخراج فؤاد الشطي وتقديم فرقة المسرح الوطني في الشارقة بالامارات العربية المتحدة كانت مفاجأة لم تكن متوقعة من فرقة مسرحية ناشئة .

صحيح ان النص فيه بعض الثغرات ، خاصة في الفصل الثاني ، الا ان المخرج الشطي حاول جهده في شحن وتلوين العرض بالفرجة الشعبية التي تعتمد على الموروث الشعبي ، ورمي ثقله وراء ممثلين اغلبهم يقف على الخشبة للمرة الأولى - ما عدا كنعان حمد ومحمد الجسمي ومريم - فأجاد بعضهم ، وبقي الجمود مسيطرا على الآخرين ، كما ان تكرار مشاهد مصادرة بطيخ زعفران من قبل جهات رسمية عدة ، لم يضف تغيرا نوعيا في التصعيد الدرامي .

مع ذلك .. وبالرغم من هذه الملاحظات وغيرها ، فان العرض بشر بخامات وطاقات وامكانيات يمكنها الابداع والاضافة .

لعبة مسرحية اسمها الشحاذون

سادت هذه المسرحية اجواء واحداث شبيهة بأجواء وأحداث جرت في المسرحية الجزائرية « قالوا العرب قالوا » .

فاذا كان صقر قريش وعطيل وهارون الرشيد وغيرهم قد استدعوا في المسرحية الجزائرية ، فان عطيل استدعي في هذه المسرحية ايضا وماري انطوانيت وطارق بن زياد وغيرهم من خلال اجواء النقد السياسي المباشر والسخرية من بعض الاوضاع الاجتماعية والسياسية .

كما ان لعبة المسرح داخل المسرح تم تنفيذها هنا ، مع الاختلاف في امتلاك العرض الجزائري لحرفية فنية اجود ، وتوفير اجواء الفرجة بصورة افضل .

قدمت العرض فرقة المسرح الاردني من تأليف واخراج جبل عواد .

وكان المؤلف المخرج مسيطرا على عمله ويصب سخريته بحرفية العارف بأساسيات العمل الفني ، مع ذلك فان العرض وقف عند حدود نبش القضايا التي اثارها ولم يتغلغل في تحليلها ، فذكرنا بتجربة مسرح الشوك السوري وغيره . ولم تظهر مرونة تشكيل جسدية عند بعض ممثلي المسرحية ، وأظهر بعضهم انفعالا وافتعالا زائدين .

المفتاح

● تكررت في المفتاح نفس الحكاية الشعبية التي تضمنتها مسرحية الاطفال « ام سيسي » التي عرضت صباح نفس يوم عرض مسرحية « المفتاح »

حيرة وحيران يختلفان حول الانجاب ، حيران يريد ضمانات تجعل العيش لابنه ميسرا وسهلا ، وحيرة - كأي أم - تريد طفلا بوجود الضمانات أو عدم وجودها .

يلجآن الى الجدود لاستشارتها مع أخ الرجل « نوار » فيزودونهم بكعكة وثوب لا يبليان ، بشرط الاحتفاظ بها في صندوق ، فيجدون الصندوق لكنهم لا يجدون المفتاح ، فليجأون الى الحداد .. والحداد بحاجة الى فلوس . والفلوس عند العروس ، والعروس بحاجة الى فانوس .. الخ .

دورة من البحث والجهد والتعب والاستجداء الى أن يتم صنع المفتاح .. وعندما يتم فتح الصندوق ، فان الكعكة والثوب لم يكونا فيه !

هنا يتدخل نوار ويبين بوضوح درس المسرحية بقوله : ان الجهود لم توجه الوجهة السليمة ، فليس المهم البحث والسعي فقط ، بل المهم معرفة الهدف ، وان الحل ليس في النكوص الى الخلف بل في الركض نحو المستقبل .

اعتمد العرض على رصانة السرد والالحاح على توكيد المعنى والامثولة ضمن اجواء السرد التقليدي ، والتمثيل الواقعي ، مع أن النص كان يحتمل تحويله الى عرض يحمل اشكال « الفرجة » واطلاق المخيلة وبعث امكانية التشكيل من خلال الجسد والخروج بامكانيات تعبيرية أخرى .

اخرج العرض اسعد فضه وألفه يوسف العاني وقدمته فرقة المسرح القومي السوري .

جنائزية الاعراس

كتب المسرحية وأخرجها ومثل فيها عبد الحق الزروالي - من المغرب .

وهي من المسرحيات التي تحمل اسم « مسرحيات الممثل الواحد » « مونودراما » وتحكي المسرحية قصة مخرج سينمائي جاء أحدى القرى كي يصور فيلما سينمائيا عنها ، فوجد أن الواقع يختلف عن التصورات ويحفل بالعديد من المشاكل والصعوبات التي لا تظهر في الصور المتداولة ،

الشحاذون يمارسون لعبتهم!
لقطة من لعبة مسرحية اسمها
«الشحاذون» لفرقة المسرح
الأردني.

عبدالحق الزروالي في لقطة من مسرحية « جنائزية الأعراس » المغربية .

...جيل ولقطة من مسرحية « الحصان » .

زعفران وحمارة وظيفته ورجل الجمرك ، لقطة من مسرحية « هالشكل يا زعفران » - الامارات

نور الدين عزيزة في لقطة من مسرحية « التربيع والتدوير » تونس

لقطة من مسرحية « القناع » السورية

فيحاول أن يتجاوب ويتفاعل مع الواقع الحي وأن يضع يده على أسباب مشاكل القرية الحقيقية وأسباب وجعها العام ، ولأن الوجع العام موزع على شخصيات ونماذج عدة ، لذلك فان الممثل كان يحاول تقمصها ، وبث مواجعها وصبواتها وامنياتها لتجاوز عجزها الشخصي وتجاوز العجز العام .

نية النص كانت من النوايا الطيبة ، لكنه كان يحتاج الى اعادة نظر ، خاصة في الثرثرات الزائدة فيه ، وبتر الجمل الخطابية الانشائية والاقلال من حالات الالقاء والتسميع .

وقد بذل الممثل جهودا طيبة في تقمص بعض شخصياته ، الا أن بعضها الآخر كان يحتاج الى ايجاد الحركة المناسبة والتوازن الدقيق بين الايقاع الخارجي والايقاع النفسي الداخلي .

دفاشـــة

قدمتها شركة فيلكا للاعمال الفنية في الكويت .
وهي من تأليف واخراج عبد العزيز الحداد .

وقد أوحت فكرة المسرحية بعرض يمكن أن يكتسب الخصوصية والتميز ، فالفكرة تعتمد على تخيل يقوم على أن النفط زادت كمياته المنتجة بشكل غير عادي في منطقة الخليج العربي ، وأوجدت الدول المتقدمة بدائل استغنت بواسطتها عن بترول المنطقة . فأوجد ذلك أزمة حتمت على الناس التوجه نحو نمط جديد في الحياة ، فبعض الاغنياء يهربون من البلد ويتجهون الى أميركا واوروبا ، والفقراء وأبناء الطبقات الوسطى يتوزعون على بلدان العالم الأخرى للبحث عن اعمال وأشغال فيجدون عنتا ومشاكل عديدة .

الا أن الامر لا يطول ، اذ يكتشف الجيل الصاعد بدائل أخرى للطاقة تعيد للمنطقة مكانتها .

اذا كانت هذه الفكرة قد ملكت بريقا ولمعانا ، فان العرض اربكها وشتتها ، ولم يستطع حمل الفكرة الى آفاق العرض الممتع الفني ، وخلا من الحرفية المشهدية الخبيرة والمدربة سواء في الاخراج أو التمثيل وغيرهما ، ما عدا بعض المشاهد القليلة جدا .

وزير الثقافة التونسي وآراء في المهرجان

الاستاذ البشير بن سلامة وزير الشؤون الثقافية في الجمهورية التونسية ، هو أديب قبل أن يكون وزيرا ، له عدة ابداعات في الحقل الادبي آخرها رواية « عائشة » التي صدرت سنة ١٩٨٢ .

كان على رأس أيام قرطاج المسرحية ، وتابع ورعى الكثير من نشاطاتها وعروضها ، خصص لنا جزءا من وقته ، فطرحنا عليه عدة أسئلة ، انتقينا منها ما يتعلق بالمهرجان والعلاقات الثقافية بين تونس والكويت .

● لقد أثيرت أثناء الندوة التي ناقشت « ظروف الانتاج المسرحي في الدول النامية » وخارجها ، عدة أسئلة حول الغايات والاهداف التي تتعلق بهذا المهرجان .

فهل يمكن أن يندرج ضمن النشاطات التي يقصد بها تحريك القطاع السياحي ؟ أم أنه من صلب الاعمال الثقافية الهادفة الى اطلاع المسرحيين والجمهور التونسي على تجارب مسرحية جديدة ؟ أم أنه نوع من تحقيق

امرؤ القيس في باريس

عرض آخر .. توهجت فيه الفكرة وأوحت بأننا مقدمون على مشاهدة عرض يمكن أن يكون متميزا ، بل أن مقدمة العرض التي أعتمدت الرقص الصاخب والديكور الموزع على أطراف الصالة وعمقها ، أوحيا بأننا مقدمون على مشاهدة عرض من نوع جديد متميز .

الا أن المشاهد التي تلاحقت أمامنا بعد المقدمة الصاخبة أوقعتنا في شرك عرض لم يملك الا النية في تقديم الشاعر الضليل بصورة معاصرة .

البشير بن سلامه وزير الثقافة التونسي

الاهداف القومية في تقريب قطاع معين من المثقفين الى بعضهم البعض ؟؟

ـ يمكن ادراج أيام قرطاج المسرحية ضمن أطارات السياسة الثقافية التي وضعتها الحكومة منذ سنة ١٩٨٠ وهي جزء من نشاطات كثيرة نود أن نحقق من خلالها تأصيلا لثقافتنا ، وهذا التأصيل لايتحقق بالانكماش والانغلاق على الذات ، بل بالتفتح وتبادل التجارب والخبرات مع البلاد العربية وغيرها من البلدان التي سبقتنا في بعض الفنون ، وهذا يعطينا الرصيد المناسب لتحقيق الظروف المؤاتية لايجاد ثقافة اصيلة متفتحة آخذه بأسباب العصر ، ومتفتحة على كل بلدان العالم ، وخاصة البلدان العربية والافريقية التي هي محيطنا الطبيعي ، فكما أن أيام قرطاج السينمائية أصبحت جسرا بين الوطن العربي والعالم ، فان أيام قرطاج المسرحية يمكن أن تمثل جسرا رديفا يعرف بثقافتنا ويوصل صوتنا الى انحاء العالم ايضا ويمكن جمهورنا من الاطلاع والاحتكاك بالتجارب المستجدة في الوطن العربي والعالم .

الثقافة بين الكويت وتونس

● لا شك أن هناك اتفاقا ثقافيا بين الكويت وتونس ، فهل تم تطبيق بنوده ؟ وما هو تصوركم لتحريك جوانب معينة في الاتفاق ؟؟

ـ يوجد فعلا اتفاق ثقافي بيننا وبين الكويت ، لكننا نسعى الى ايجاد صيغة أخرى يمكنها أن ترفد هذا الاتفاق وتتجاوز كل ما هو ظرفي ومؤقت ، من خلال ايجاد صيغة أخرى جديدة تجعلنا تربط العمل الثقافي بالمؤسسات الثقافية ، ضمن صيغة تضمن الاستمرار والتواصل ، ولهذا فان اتجاهنا خلال هذه السنة (١٩٨٤) يتجه نحو ايجاد صيغة رسمية قانونية توفر للفرق المسرحية واتحادات الكتاب والنوادي وغيرها من الجهات التي تعتني بالثقافة الاتصال ببعضها بشكل مستمر ودائم .

وقد بدأنا بتطبيق هذا التوجه مع اخواننا في الجزائر والمغرب ، وبدأنا بتذليل الصعوبات والعراقيل حتى من الناحية الاقتصادية ، لان لتوزيع الكتاب على سبيل المثال وليس الحصر جوانب اقتصادية وجمركية وتحويل عمله الخ . ونحن كوزارة ثقافة ان لم نذلل المصاعب في هذا المجال ، فانها لن تحل ويمكن أن لا تراعي بالشكل المناسب في الوزارات الاخرى .

وستوجه الى نسج نفس العلاقات مع اشقائنا في الخليج والجزيرة العربية لتمكين القضايا الثقافية من تجاوز القيود والبيروقراطيات .

ان فكرة المسرحية كان يمكن الخروج بها بعرض متميز لو وجد من يغربل العرض من الخطابية والثرثرة الزائدة والانفلات والايقاع البطيء والاداء المفتعل والمبالغات والبهرجة وغيرها .

قدمت العرض الفرقة الجهوية بصفاقس عن نص للكاتب المغربي عبد الكريم برشيد واخراج كمال العلاوي .

وقبل أن ننهي عرضنا لمسرحيات المسابقة الرسمية ، نسجل هذه الملاحظة :

قد تكون بعض العروض التي اشتركت في المهرجان أفضل من غيرها بنسبة ضئيلة في أقطارها آنيا ومرحليا ، نتيجة لعدة اعتبارات وظروف ، لكن درس المهرجان الاول الذي يجب أن يعيه الجميع هو أن لا يتم نقل تلك العروض الى مهرجان فيه مسابقات وتنافس لأنه « لكل مقام مقال » كما يقولون !!

العروض الموازية

بلغ عدد العروض الموازية التي لم تدخل ضمن المسابقة الرسمية في المهرجان ١١ عملا ، كان نصيب تونس ٥ منها .

وتميز من بينها عرض « موال » الذي نوهت به لجنة التحكيم وتحسر الكثيرون ، نتيجة عدم ادخاله ضمن

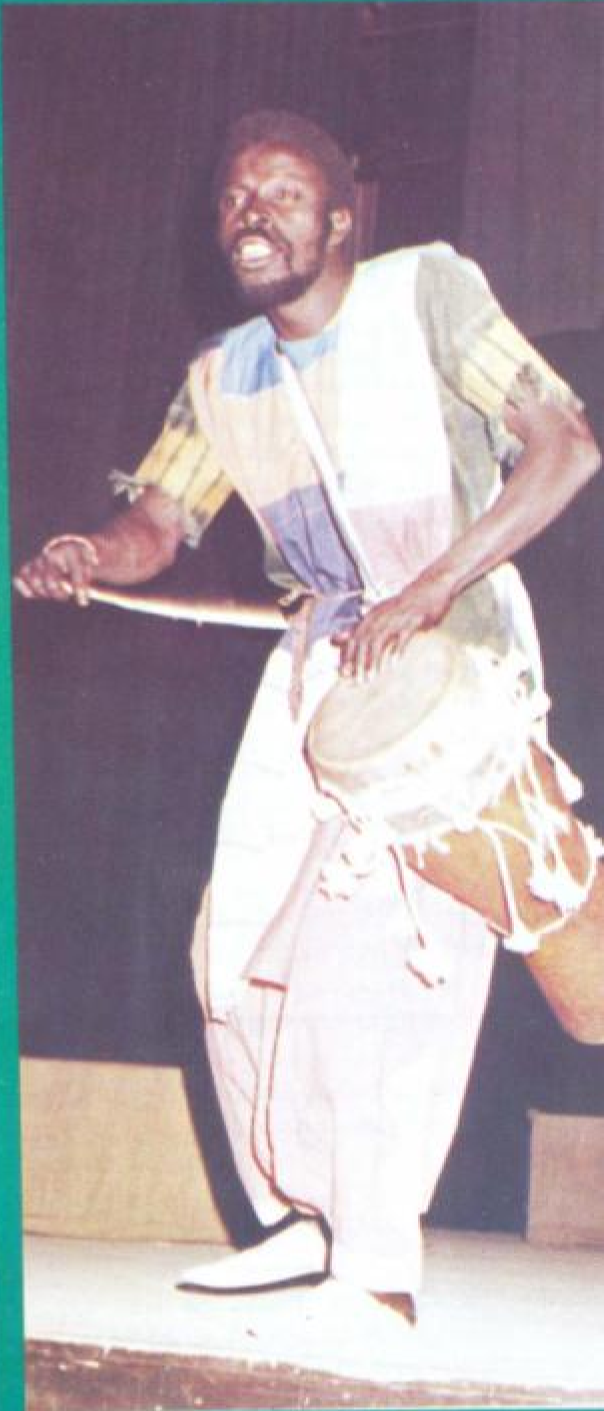

طبال وطبل ـ لقطة من مسرحية «خشبيات الآلاء» ـ السنغال

لقطة من مسرحية «موال» تونس

اجواء افريقية من مسرحية « حكام الندى » للمسرح الاسود ـ فرنسا (الى أعلى) لقطة من مسرحية « امرؤ القيس في باريس » تونس (الى اليسار) لقطة من مسرحية « خشبات الآلام » السينغال (الى اسفل)

المسابقة ، فهو عمل فيه جهد ابداعي طيب من قبل المخرج والممثلين ، مع أن النص كان يحتاج الى اعادة تشذيب وتهذيب وضبط تداعيات الممثلين التي تفرقت « أيدي سبأ » !!

وتميز عرض التربيع والتدوير أيضا وهو من أعمال « المونودراما » الذي يعتمد على الممثل الواحد .

يليه عرض « الحصان » الذي نحا نفس النحو واعتمد على قدرات الممثلة سناء جميل التي لم تكن في أحسن حالاتها .

وعرضت أيضا أربعة أعمال باللغة الفرنسية ، اثنان منها لفرقة المسرح الاسود في فرنسا - الانتي ، والثالث قدمته فرقة المسرح الوطني في السنغال ، والرابع من تقديم مسرح مرسيليا الوطني .

الاعمال الثلاثة الاولى اعتمدت على نصوص لكتاب سود ، عالجت مشاكل تتعلق بالبيئة في هاييتي وجزر المارتينيك والسنغال .

الا أن تلك الأعمال عرفت غربة في اللسان واللغة ، وغربة في الشكل الى حد ما - كما هو الوضع في أقطارنا العربية .

وقبل الانتقال الى فقرة أخرى من فقرات عرضنا ، فانه يجدر بنا تسجيل ميزة تميزت بها خامة وطاقة الممثل في العروض الافريقية والاوروبية والى حد ما في منطقة المغرب العربي ، فجسد الممثل في العروض غير المشرقية كان يملك ليونة التشكيل ، والحركية التعبيرية المتناسقة والمتناسبة للغرض المعني ، في حين أن الجسد المشرقي كان فيه بعض الجمود ، يعتمد على طاقة التعبير في الصوت أكثر من اعتماده على اقامة التوازن بين الصوت وتلوينه ، والجسد وتشكيلاته .

● الندوة .. بين القول والفعل

وجوه معروفة .. ومؤثرة عرفتها شاشات السينما وأجهزة التلفزيون وخشبات العروض المسرحية وورق الصحف والمجلات والكتب .

مصطفى كاتب ، كرم مطاوع ، ابراهيم جلال ، أحمد الطيب العلج ، سامي عبد الحميد،نضال أشقر ، أسعد فضة ، سمير العصفوري ، جميل عواد ، بلقاسم نصيري ، محمد كوكا ، فؤاد الشطي ، عبد الكريم برشيد ، المنصف السويسي ، زيازي شريف عياد ، روجيه عساف ، موسى مايقا ، سليمان كولي ، موريس سنغور ، عبد الرحمن الصالح ، يوسف عايد أبي ، غالي شكري ، رؤوف الباسطي ، كمال العلاوي ، صلاح قصيب ، سمير العيادي ، وغيرهم وغيرهم .

مثقفون ، وكتاب ، وممثلون ، ومخرجون .. من المغرب العربي والمشرق ، ومن الرقعة السمراء ، جمعتهم ندوة النقاش والبحث حول « الانتاج المسرحي في البلاد النامية : الواقع والآفاق»وعناوين أخرى فرعية ، وأقيمت اعتبارا من ٨ الى ١٢/١١/١٩٨٣ .

طرحت الورقة الاولى .. فاختلفوا ، لكن .. من الطبيعي أن يتم الاختلاف في الاجتهادات وزوايا النظر ، لكنهم غرقوا كثيرا في التنظير ، واشتطوا كثيرا في طرح التعابير والشعارات العامة .

أكد البعض على أن الثقافة انسانية ، فلماذا التعصب في البحث عن أشكال خاصة ، وأضافوا : ان التميز ما هو الا في المضمون فقط ! وزادوا : أن المسرح للنخبة ولمجموعة خاصة ، وليس للجمهور العريض !!

تزاحمت الايدي في الارتفاع بعدها ، وتسابقت الاصوات بالرد والتوضيح ، عرقت الصالة وفتحت نوافذ القاعة مع أن المطر كان يهمي في الخارج ..

قال من رد : المسرح شكل ومضمون ، والشكل يخدم المضمون بالحتم ، والضرورة ، والتميز ضروري ، والا فاننا سنفقد خصوصيتنا الحضارية .

لا تعصب ولا نقل ، بل تأثير وتأثر . أما المسرح فانه للجماهير ، والا .. فلاخير فيه أن يبقى محصوراً في دائرة النخبة .

توالت الاصوات في النقاش ، والتوضيح ، والرد ، والرد على الرد ، اشتعل الضوء الاحمر .. وارتفع صوت : كفى .. كفى .. أيها السادة ! .. اختلفوا كيفما شئتم ، واحتدوا في النقاش ، واطرحوا أفضل الافكار وأحسنها ، تشنجوا ، وزيدوا من ضغطكم ومن نسبة الدم في عروقكم ، صيحوا كما تشاؤون ولتتفتق أذهانكم عن أفضل كلمات التنظير .

لكن من قاس منكم المسافة بين ما تطرحون .. وما هو معروض الآن في المهرجان أو في السوق ؟؟

كل ما تطرحه لا يفيد اذا لم تنتقل الأفكار من الأذهان والورق الى دور العرض والشاشات والأوراق وأذهان الناس وتتحول الى مناهج عمل وتطبيق .

لا قيمة لما تطرحون ان لم يترافق القول بالفعل ، وبعضكم مسؤول عن تنفيذ الكثير من الأعمال !

خيم طير الصمت ، بلع البعض كلماتهم ، قلبوا ومحصوا ما سمعوه في أذهانهم ووصل الرذاذ البارد الى تلافيف الدماغ .. فانفض السامر ، على أمل اللقاء التالي لبحث موضوعات أخرى ..

والعروض ؟ .. كيف كانت العروض ؟؟ كان يفصلها مساحات شاسعة عن موقع الطرح التنظيري الذي

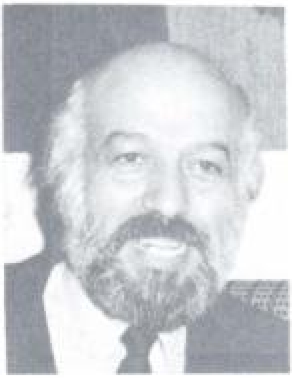
جميل عواد

نبيل بدران

فؤاد الشطي

كان يصدع الرؤوس ، مسافات وركام من الزمن والحواجز والعقبات والقوانين والتطبيق الفعلي . .

والحكم : لذلك فان لجنة التحكيم عندما تلت تقريرها النهائي . . . قالت عن العروض :

« رغم الطابع السياسي الذي ساد أغلب العروض سواء التي دخلت المسابقة أو العروض الموازية ، ورغم التزام مضامينها وسعيها الى نقد واقع مجتمعاتنا فانها افتقدت في أغلب الأحيان الرؤية التقدمية الثاقبة في تحليل الواقع الاجتماعي والسياسي تحليلا موضوعيا عميقا ، ونحت في وصف هذا الواقع منحى تعميميا مغرقا في الضبابية ، يشرح معالم الواقع المراد نقده ولا يغوص في كنه علاته غوصا تحليليا مركزا .

وأضاف تقرير اللجنة :

« ان وصف الواقع المعاش ـ في الكثير من الأعمال ـ كان كاريكاتوريا ، وكان النقد فيها أقرب الى النكتة والملمح الساخر الذي يستدر التصفيق باطلاق الشعارات العامة دون أن يسهم اسهاما فعالا في توعية المتفرج » .

آراء . . وتنظير أيضا :

بل ان بعض الفنانين والكتاب عندما سألناهم عن العروض . . وهل كانت تصب في مجرى مسرح عربي مميز ؟ أجابوا :

■ الأستاذ حقي الشبلي : نقيب الفنانين ، مخرج وممثل ومن أوائل المسرحيين في العراق . . . قال :

بعض العروض فيها ملامح بشكل عام مما يمكن أن نسميه بالمسرح العربي المميز ، وأكثرها كان مستواه دون الوسط .

والفرق التي حضرت وعرضت كانت أغلبيتها من الهواة وليس من المحترفين وقسم أجاد ، والآخر لم تكن عروضه جيدة أو على مستوى التقديم في مهرجان .

■ روجيه عساف : مخرج من لبنان .

لقد وجدت في المهرجان ملامح من أمراض المسرح العربي ، ويمكن القول بأن فترة الستينات وبداية السبعينات شهدت عطاءات مسرحية في الوطن العربي عبرت عن استيعاب المسرح الغربي والتخلص منه واكتشاف الهوية الذاتية القومية .

واليوم يبدو أن هذه المرحلة وصلت الى حدود حاسمة ، اذ أنه لا مجال للمصالحة والتوفيق بين المنطقين السابقين ، أي بين المنطق الغربي المدمر للمجتمع والهوية الخاصة للمجتمع العربي . والمنطق الآخر المكتشف لهويته والمعتز بها .

وحسب رأيي فان التجارب التي أثارت اهتماما عند الجمهور كانت هي التجارب التي تبحث عن علاقة مختلفة مع التراث والواقع المعاش والناس والحياة وتنطلق من تربتها ولا تعبر عن الواقع فقط ، بل تعبر عن علاقة الفنان بهذا الواقع أساسا .

■ جميل عواد ـ مخرج وكاتب ـ وفنان تشكيلي ـ الاردن :

لمست بعض المحاولات التي تنحو نحو تطعيم أعمالها بما يمكن أن نسميه بملامح من مسرح عربي مميز ، لكنها حسب اعتقادي لم تتطور عن مستوى ما شاهدناه في مهرجانات ولقاءات سابقة ، بل أن مستوى الجودة في التجارب السابقة كان أكثر عمقا ووضوحا ، ويبدو أن هذا المهرجان قد أعطى دلالة خطرة تتمثل في انحدار متسارع في وضع المسرح العربي . . كغيره من انحدارات !

■ نبيل بدران ، كاتب وناقد ـ مصر .

هناك تفاوت شديد في العروض ، بعضها تميز بالجودة ، خاصة عرض فرقة مسرح الحكواتي اللبنانية باعتباره يمثل اتجاها واضحا نحو ارساء مسرح عربي مميز .

ويمكن القول بأن بعض الاعمال امتلكت افكارا جديدة وجيدة وملحة ، الا أن العروض المسرحية أضاعت الفكرة ووضعتها في متاهات ومسارب غير مجدية .

لهذا فانني أصف المهرجان بأنه مهرجان الافكار الجيدة الملحة المحبطة والمجهضة في نفس الوقت .

الكويتيون بعد الاستغناء عن النفط ! من مسرحية « دفاشة » الكويت .

الأم والفتاة من مسرحية العرائس - أم سيسي - تونس (الى أعلى) الاضاءة « بطلاً » في مسرحية « يوليوس قيصر » تونس (الى اليسار)

روجيه عساف يستلم جائزة أفضل عرض

وزير الثقافة التونسي يكرم مصطفى كاتب .

مسرحيون في ندوة « ظروف الانتاج المسرحي في البلدان النامية » .

خناثة بنونة

الزباني شريف عياد

نبيل الحفار

■ فؤاد الشطي ـ مخرج ومؤلف من الكويت ـ ومخرج عرض دولة الامارات العربية المتحدة . لمست من خلال العروض بأن هاجس ايجاد مسرح عربي مميز يحاكي ويتلمس الواقع العربي ويستمد موضوعاته من التراث كانت قضية ملحة لدى الكثيرين ، لكنني وجدت أنه قد جانبهم الصواب ولم يحققوا ما أرادوه وما ابتغوه ، ويمكنني القول بأن بعض العروض جاءت مخيبة للآمال خاصة وأن بعضها بدلا من أن يوجه سهامه الى بعض الانظمة العربية نتيجة لوأد الحريات وممارساتها القمعية فانه وجه سهامه نحو الأمة وحضارتها .

كما أن بعض العروض نحت نحو دغدغة عواطف الجمهور وافراغها من شحناتها والتنفيس عن مشاكلها بواسطة المعالجات السطحية التي تعتمد الشعارات .

ويمكن القول بأن عرض مسرحية فرقة الحكواتي اللبنانية « أيام الخيام » استطاع الوصول الى وجدان الناس وعرض مشكلة حقيقية من خلال معالجة جيدة ، وان كنت أعيب على العرض بعض التطويل واعادة المعلومات أكثر من مرة ، بحيث جعلت مشاهدها تنحو نحو التوثيق والتسجيل فقط .

■ خناثة بنونة ـ كاتبة وصحافية من المغرب .

هناك بعض الاجتهادات الاخراجية ، لكن العروض اجمالا لم تصل الى مستوى التطلعات والتوقعات التي كانت مؤملة ، ولست أدري سببا محددا لذلك ، هل يعود الى غياب فرق اساسية من بعض الاقطار العربية وظهور فرق حديثة التجربة وقليلة الخبرة مثلا ؟ أم أن فترة التردي التي يعيشها المجتمع العربي عكست نفسها على المسرح ؟

لقد افتقدت بعض العروض التوازن والتكامل بين النص والاخراج ، وغلب بعض المخرجين الشكل على المضمون ، كما أن بعض العروض قدمت نصوصا مشرذمة .

■ جواد الاسدي ـ مخرج عرض فرقة المسرح الوطني الفلسطيني ـ عراقي .

ان السؤال عن ايجاد مسرح عربي مميز يعتبر من الاشكاليات المعقدة التي لا يمكن الاجابة عنها بشكل بسيط ، ويحتاج الى مواصلة للبحث من اجل تطوير العرض المسرحي واكتشاف سلبيات كثيرة لكي يتبلور العرض المسرحي ويصبح له سمات خصوصية .

ويمكنني القول أنه بالرغم من وجود مسرحيات عدة في المهرجان عانت من ضعف كثير ، مع ذلك فان المهرجان كشف العيوب واعطانا مجالا للتداول في حالة هذا الانحسار وتحديد المسارات والاختيارات وتحديد هوية ما نريد .

■ الزباني شريف عياد ـ مخرج وممثل ـ الجزائر .

ما شاهدته من عروض كان فيه ابداعات تصب في اتجاه ايجاد ملامح مميزة للمسرح العربي ، وفيها خروج على المسرح الكلاسيكي الغربي كعرض الحكواتي ، وموال ـ الذي كان خارج المسابقة للاسف ـ والشحاذين . وهذا الاتجاه يبشر بالخير اذا ما استمر وتعمق وازدادت فيه الخبرات والتجارب .

ويمكنني القول بأن بعض العروض كان مستواها دون المتوسط ، وهذا يتطلب اعادة النظر في الاعمال التي تعتمد للمشاركة في المهرجانات .

■ نبيل الحفار . . مدير تحرير مجلة الحياة المسرحية في سوريا ، ناقد ومدرس لنظرية الدراما في المعهد العالي للفنون المسرحية في دمشق .

جوابا على السؤال المطروح فانني وجدت بعض المحاولات التي تتجه نحو ايجاد ملامح لمسرح عربي مميز ، لكنها محاولات لم تبلغ مداها بعد .

ويمكن القول أن مستوى مجمل العروض كان ضعيفا ، واشير الى تميز عرضين موازيين هما :

ـ موال لفرقة المثلث التونسية .

ـ التربيع والتدوير لفرقة الديدحانة التونسية .

والمشكلة الرئيسية في رأيي تتمثل في انعدام النص الجيد وعدم قدرة الفرق على الوصول الى اللغة الفنية الملائمة لما

عبد العزيز الحداد

يسمى بالشكل الخاص بالمسرح العربي المميز . وهذا أمر يحتاج الى البحث عن طبيعة هذا الشكل .

■ فتحي الهداوي ممثل وطالب في المعهد العالي للفنون في مدينة تونس اشترك في التمثيل بمسرحية ـ موال ـ لمسرح المثلث التونسي .

الكلام عن مسرح عربي مميز قد يكون سهلا ، لكن السؤال الصعب هو كيف نقدم عروضا فيها ملامح من هذا المسرح ؟

نعم وجدنا بعض النوايا في بعض العروض ، لكنها بقيت مكبلة بأشكال غربية ، وفوجئنا بتدني مستويات العروض ، مع أن اسماء كبيرة وقعت عليها في التأليف والاخراج ، وقد يعود هذا الى أسباب تتعلق بالوضع العام المتأزم الذي عكس نفسه على قطاع المسرح ، وقد يعود الى فترات جفاف عند بعض الفنانين ، كما أنني وجدت تدنيا في مستوى تكوين رجالات المسرح وغلبة الارتجال في عروضهم ، وتمنيت لو حجبت معظم الجوائز .

■ عبدالعزيز الحداد ـ الكويت ـ كاتب ومخرج .

ميزة بعض الاعمال التي اشتركت في المهرجان هو أنها خرجت من ثوب الكلاسيكية ، ونحت نحو البحث عن أشكال يمكن أن نقول عنها أنها تقترب من مسرح عربي مميز .

وأرى أن مسرحية الحكواتي كانت جديرة بالفوز لانها وفرت شكلا مميزا .

واجمالا فان مشاركتنا في المهرجان اطلعتنا على تجارب وافادتنا كثيرا ، وجعلتنا ندرك متطلبات العروض الخاصة بالمهرجانات وخاصة الابتعاد عن الاغراق في القضايا المحلية .

■ محمد عبدالله ـ رئيس اللجنة الثقافية ـ في مسرح الشارقة الوطني بالامارات العربية المتحدة .

ـ وجدت ملامح لمسرح عربي مميز في بعض العروض لكنها غير كاملة ، وأعيب على بعض الفرق تقديمها لعروض فيها مشاكل محلية قد تكون مع نظام بلدها السياسي او الاقتصادي أو الاجتماعي ، لذلك فاننا لم نجد مشاركة وجدانية عربية في عروضها ، وهذا ما يمكن أن تطلق عليه « مسرح التنفيس » .

والمهرجان لم يخل بطبيعة الحال من عروض جيدة كمسرحية « أيام الخيام » اللبنانية ، و « قالوا العرب قالوا » الجزائرية ، و « موال » التونسية .

ـ هذه بعض الآراء التي سجلناها وقصدنا أن تكون من عدة أقطار عربية ومن شتى التخصصات المتعلقة بالمسرح . . الكل غير راض ووجه سهام نقده الى الكثير من العروض . . . وأكد على المسافة الشاسعة التي تفصل بين الكلام النظري والعرض التطبيقي . فمن هو الذي كتب المسرحيات التي قدمت ؟ ومن هو الذي أخرجها وعرضها ومثل فيها ؟؟ هل تقول أنها مشكلة فصام ؟

وهل نؤكد على أنها جزء من مشكلة حياتنا العربية التي يطرح فيها الكثير من الافراد والتنظيمات والمؤسسات أفكارا ومباديء وسياسات وخططا معينة ، الا أنهم عندما يصلون الى مراكز التقرير والتنفيذ فانهم يضعونها جانبا ولا يلتفتون اليها التفاتة جدية ؟؟

نعم أن أس البلاء يكمن في هذه النقطة بالذات !

■ وقبل أن نختتم تقريرنا هذا نشير الى أن نشاطات أخرى رافقت عروض المهرجان ، نذكر منها العروض السينمائية وعروض التلفزيون ـ الفيديو ـ واقامة معارض الصور التي تؤرخ لمراحل زمنية من حياة المسرح التونسي وفي نهاية ايام المهرجان وزع وزير الثقافة التونسية جوائز التكريم على مجموعة من كبار الممثلين والمخرجين والكتاب المسرحيين العرب ، نظرا لجهودهم وريادتهم في هذا المجال وهم :

ـ الفنانة أمينة رزق ـ من مصر .
ـ الاستاذ حقي الشبلي ـ من العراق .
ـ الاستاذ مصطفى الكاتب ـ من الجزائر .
ـ الاستاذ عبدالله غيث ـ من مصر .
ـ الاستاذ عبدالله الحمروني ـ من تونس .
ـ الفنانة نضال أشقر ـ من لبنان . □□

فتحي الهداوي

سيكولوجية الإكتئاب

بقلم الدكتور : عبد الرحمن العيسوي

□ لعل من أسوأ مظاهر المدنية الحديثة ما تفرضه على الفرد من وحدة وعزلة ، تؤدي مع غيرها من الأسباب والعوامل ، الى شعوره بالاكتئاب .

إن انسان العصر يدفع ثمن المدنية من ذاته ومن سعادته فهي تحرمه من حياة الأسرة والاختلاط والتآلف ، والمشاركة الوجدانية ، والشعور العميق بالالتحام والانتماء . ثم هي تفرض على الأبناء ان ينفصلوا عن الأسرة بمجرد وصولهم الى سن التعليم الجامعي . وعلى الرغم مما توفره حضارة العصر من الامكانات والادوات المادية وأسباب الراحة ، إلا انها لا تشعر الانسان بالسعادة ، بل تفرض عليه هذه الحضارة الحديثة كثيراً من مشاعر الفشل والاحباط وتكتب عليه أن يخوض غمار الكثير من الصراعات الحادة والمنافسات المحتدمة لكي يشق طريقه الوعر في هذه الحياة . تلك الحياة التي تشعر الانسان بالصغر والضآلة ، وبالضياع والتوهان في خضم فراغ مميت . بل أن إنسان العصر يعيش تحت وطأة التهديد الدائم والمستمر من شبح الحروب الفتاكة ، وما تهدد به من أسلحة نووية تقضي على الانسان وعلى حضارته . فليس غريباً إذن أن يشعر انسان العصر ، وهو يعيش في ظلام الوحدة القاتلة ، بالاكتئاب والحزن ، وأن تستبد به هذه المشاعر في بعض الأحيان وتحتويه ، وتسيطر عليه الى الحد الذي تنقله ـ في حالات قليلة جداً ـ ولله الحمد ـ الى حافة الانتحار والتخلص من عبء

الحياة وأثقالها التي ينوء بها كاهله .

ولذلك علينا نحن ـ ابناء الأمة الاسلامية والعربية ـ أن نحرص ، ونحن نقيم نهضتنا المعاصرة ـ أن تكون نهضة شاملة لكافة جوانب حياة الفرد : النفسية والعقلية والروحية والخلقية والعلمية والاقتصادية . وأن نقيم حضارتنا الانسانية على دعائم من الدين الاسلامي الحنيف ومن مبادئه السمحاء . وذلك حتى لا نقع فيما وقعت فيه أوربا حين نهضت بالجانب المادي وتركت الجوانب الروحية والاجتماعية في حياة الانسان وفكره . بل انها أضاعت قيمه السابقة ولم تضع غيرها ، وانما تركته يعيش في ضياع وفراغ بعد أن فقد ذلك الايمان الذي كان يمسك عليه حياته ، ويجعل لها قيمة ومعنى ومغزى . لا نريد أن تكون حضارتنا حضارة عرجاء مبتورة وانما نريدها شاملة متكاملة تصل الماضي بالحاضر . . بالمستقبل ، وتعنى بالانسان وتصون كرامته وتحميه وتحرره من كل ما يكبل طاقته بالقيود والاغلال . وفي ضوء هذه النظرة الشمولية نعرض على القاريء الكريم تفاصيل ذلك الشعور القاتل ، وهو الشعور بالاكتئاب ، فنعرف انواعه وماهيته وأسبابه وطرق علاجه والوقاية من الاصابة به .

ماهية الاكتئاب

هناك نوعان من الاكتئاب ، الأول عبارة عن مرض نفسي وظيفي ، يطلق عليه علماء النفس « اكتئاب رد الفعل » **Reactive Depression** ومعنى كونه وظيفياً أنه لا يرجع لأسباب عضوية أو بدنية معروفة ، وإنما يصاب الانسان به رغم سلامة مخه وجهازه العصبي وبقية أعضاء جسمه . ولو أن الخلل أو العطب أو الاضطراب يصيب الوظائف ، لما كان ذلك . فان هذا المرض لا بد وأن يرجع في أصوله ونشأته الى عوامل نفسية واجتماعية ، تتمثل فيما يمر به من تجارب ومواقف فيها فشل وإحباط وحرمان ، وما تعرض له من قسوة وعقاب . وعلى الرغم من أن الاكتئاب لا بد أن يصيب كل واحد منا في لحظات معينة إلا أنه في حالة الانسان السوي يزول بزوال المؤثر الذي تسبب فيه ، أو بعد فترة معقولة من الزمن تتناسب مع كم وكيف هذا المثير المحزن ومع مقدار كثافته أو شدته . هذا بالنسبة للانسان السوي .

أما الشخص المصاب بالاكتئاب فانه عندما يتعرض لموقف من المواقف المثيرة للاكتئاب أو للحزن ، فانه يظل حزيناً لفترة أطول من اللازم ، وبمقدار يفوق في نسبته الموقف أو التجربة المحزنة . فمريض الاكتئاب يبالغ

ويجسد في مثيرات الحزن ، ويظل يجتر أحزانه ويرددها ويختزنها ، ويميل المريض الى الشعور بانخفاض الروح المعنوية ، وانكسار النفس ، وقلة الهمة والنشاط والحيوية والشعور بالسخط والقنوط . كذلك يعاني المريض من العجز في تركيز الانتباه كما لا يشعر بالأمن والأمان النفسي . وهو يشعر بالغم والهم والكرب ، ولذلك قد يفقد شهيته . وبطبيعة الحال ، كل انسان معرض بالضرورة الحتمية للمرور بتجارب ومواقف غير سعيدة ، من ذلك الرسوب في الامتحانات ، او الطرد من الوظيفة او وفاة قريب أو صديق او حدوث نكسة مالية أو افلاس او الفشل في الحب وانهيار الحياة الزوجية ، وفسخ الخطوبة والتعنس . . مثل هذه المواقف وغيرها تمر بالشخص العادي ولكن بعد فترة من الزمن تزول حالة الاكتئاب . أما المريض بعصاب الاكتئاب فانه يهول ويجسم من هذه الاحداث ، ويرى أن حياته قد انتهت ولم يعد لها أى هدف وأنه لا أمل له في الحاضر أو المستقبل ، وبذلك يضع نفسه في حالة شديدة من الحزن والاكتئاب . هذا فيما يتعلق بالنوع الأول من الاكتئاب وهو الاكتئاب النفسي أو العصابي أي « اكتئاب رد الفعل » .

أما النوع الآخر فهو الاكتئاب الذهاني وهو عبارة عن مرض عقلي ، ويمتاز بأنه أكثر شدة وخطورة ، **Psychatic Depression** وفي هذا النوع الأخير من الاكتئاب العقلي يميل المريض الى الشعور بالرغبة في الموت ، كما يعاني من الأرق ومن لوم الذات ، ويعجز عن تكوين الارتباطات ولا يميل للضحك ، ويضخم المشكلات التي تجابهه ويحط دائماً من قدر نفسه ويميل الى البطء والتراخي في نشاطه ، ويعاني من الأوهام المختلفة .

أما الاكتئاب النفسي ، وهو النوع الخفيف من الحزن ، فان اعراضه تحدث نتيجة لموقف محزن يمكن تحديده والتعرف عليه ، والمريض به يستطيع أن يستفيد من العلاج ومن التشجيع ومن بث مشاعر الطمأنينة فيه . وهو يعي نفسه ويستطيع أن يدبر أموره في الحياة خلافاً لما هو عليه الحال مع مريض الذهان . هذه هي طبيعة الاكتئاب وتلك أعراضه ، ولكن من الأهمية بمكان أن يعرف القارىء تلك الأسباب التي تؤدي الى الشعور بالاكتئاب .

أسباب الاكتئاب

تشترك الأمراض النفسية في حقيقة مؤداها أن اسبابها تكمن في عوامل اجتماعية ونفسية وتربوية . ونستطيع أن نميز بين مجموعتين من العوامل السببية :

مجموعة العوامل المهيئة ، أي تلك المواقف والتجارب والعوامل التي تهيىء الفرد وتعده وتجعله جاهزاً للاصابة بالمرض . ويستطيع القارىء أن يفكر في كثير من الظروف والعوامل التي تلعب هذا الدور في حياة الانسان منذ نشأته الأولى . من ذلك تجارب الطفولة ، وما تلقاه من إشباع أو حرمان ، أو عطف أو حنان ، وما تعرض له الطفل من قسوة ومن فشل واحباط . وعما اذا كان منبوذاً أو مقبولاً من الآباء والأمهات . الى جانب التجارب المدرسية ، وعلاقة الطفل بأبناء الجيرة والأصدقاء ، الى جانب ما تعرض له من مشاعر القلق والتوتر والصد والزجر ، وما عاناه من أمراض ، فضلاً عما قد يكون انتقل اليه من الآباء والأجداد عن طريق الوراثة أي عبر الجينات أي ناقلات الوراثة التي تزود الفرد بالاستعداد العام للاصابة بالمرض . وقد يتعلم الطفل الاستجابات المرضية عن طريق معايشته للآباء المرضى عن طريق التقليد والمحاكاة .

أما المجموعة الثانية من العوامل المسببة للمرض فهي ما يسميه علماء النفس العوامل أو العامل المفجر أو المعجل بظهور المرض وحدوث الانهيار النفسي في الشخص الذي كان يعاني أصلاً من العوامل الاستعدادية الأولى ، والذي جعله مهيئاً للاصابة به . □□

تعال نسمع موسيقا وننسى آلامنا..!

بقلم : سناء محمود ديب

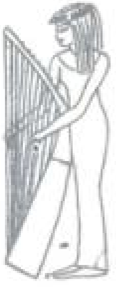

□ « مركز قيصر الطبي » في « لوس انجلوس » واحد من المراكز الطبية في الولايات المتحدة الأمريكية الذي يسمح لمرضاه ان يختاروا بين الدواء الكيمائي او شريط موسيقي في حالة الألم .

الموسيقا تستعمل الآن قبل العمليات ، خلال المعالجة الكيميائية لعدة أمراض من ضمنها أمراض آلام الظهر والنخاع الشوكي والأمراض العصبية وارتفاع الضغط وآلام الرأس .

والمشكلة المشتركة في كل الأمراض حسب قول الدكتور « ديفيد ووكر » في مركز قيصر الصحي هو القلق ، فليس من الغريب أبدا أن المرضى قبل اجراء الجراحة يصابون بالقلق ، والراحة هي معالجة عالية ، والانسان الذي يتعلم كيف يرتاح بعمق يكون عنده استعداد نفسي للشفاء بسرعة ، والموسيقا تساعدنا في الحصول على هذه الراحة .

يكفينا ان هذه المعالجة ليس لها أي مخاطر ، فالمريض مسموح له ان يستعملها في أي وقت يشعر بحاجته اليها .

والموسيقا تستعمل الآن في كل الحالات حتى في تخفيف آلام الولادة ، ففي حالة ولادة الطفل يقومون باحضار شريط تتراوح مدته من ١٨ - ٢٠ ساعة عليه عدة أغان وموسيقا تكون الأم قد تدربت عليها لاراحة أعصابها .

تقول الدكتورة« نانسي هانت » في مستشفى سانت لويس : « الموسيقا آداة قوية عجيبة .. لها تأثير فسيولوجي مباشر علينا ، فهي تزيد حجم الدم ، وتخفض ضغط الدم ، وتوازن نبضات القلب وتجعلنا نرتاح نفسيا ونسعد » .

ربما كان هذا التأثير القوي لسحر الموسيقا هو أنها تستطيع تغيير الجو المحيط بنا بتأثيرها على العقل الباطن ، والخيال عند الانسان .

التأمل العميق

عندنا الكثير من المرضى الذين مروا بكثير من الصعوبات ، يقول الدكتور ستيفان كيريك رئيس مركز قيصر الطبي ان مرضى السرطان مثلا تعرضوا ويتعرضون لسلسلة من المعالجات المؤلمة واليوم نستطيع ان نقدم لهم شريطا موسيقيا ليستمعوا له خلال المعالجة ولقد تبين ان الموسيقا

تساعدهم على التخلص من الألم بالاضافة لتهدئة اعصابهم . ومرضى الحروق عليهم أن يبقوا في المستشفى لمدة طويلة حيث يتعرضون لآلام شديدة خلال التئام حروقهم ، وبالطبع لا نستطيع اعطاءهم عقاقير مهدئة طول الوقت حتى لا يدمن الجسم عليها ، وباستعمال الموسيقا استطعنا تهدئتهم وإزالة الألم .

وهناك شريط تلفزيوني مدته ٥٧ دقيقة يستعمل الآن في المركز الصيفي في جامعة ماساشوسيت يصحب المتفرجين الى ما يسمى بالتأمل العميق ، ويدعو الدكتور كوبات الزين رئيس القسم الى إدخال الموسيقا في كل المراكز الصحية للمرضى والأطباء على السواء . وفي احصاء أخير اتضح ان ثمانين في المائة من المرضى الذين اتبعوا هذه الطريقة قالوا انها مفيدة وانها ساعدتهم على التخلص من الألم .

المعالجة الموسيقية لها تاريخ قديم فقد استعملها الفلاسفة اليونان للمساعدة على النوم، والاطباء القدامى استعملوها لتنظيم دقات القلب .

وقد أهملت في القرن التاسع عشر والعشرين ولم يعُدْ استخدامها كمثبط للألم حتى عام ١٩٥٠ حين استعملت في عيادات اطباء الاسنان ، وفي السنوات الخمس الأخيرة بدأ استعمالها وحدها بصورة ثابتة لمعالجة بعض الأمراض ، أو بالاضافة لمعالجات أخرى .

دراسات وأبحاث

كيف تعمل الموسيقا ؟ سؤال بدأ الفسيولوجيون الآن بالاجابة عليه أو بالأحرى العمل على اجابته .

التأثيرات الفسيولوجية والفيزيائية التي نحصل عليها من مجموعة التغيرات الكيميائية في الدماغ ليس فقط في قسم التفكير بل في الجهة المسؤولة عن التنفس والعاطفة والاحساس والقسم المسؤول عن السيطرة على دقات القلب .

هناك نظرية تقول ان الموسيقا تجعل الدماغ ينتج مواد كيميائية تسمى **Endorphins** تفرز من الجهاز البصري في الدماغ **Hypothalamus** وهذه تخفض الكثافة في الدماغ التي تشعرنا بالألم ، وهناك شيء واحد يجمع عليه كل المعالجين ، هو ان المجال يحتاج الى دراسات وابحاث كثيرة .

تانسي هانت التي تعمل في قسم **Hospic** تقول : « إنني أستعمل الموسيقا لمساعدة المرضى على تقبل الأمر الواقع وتخفف من إحساسهم وشعورهم بالموت وتجعلهم يتكلمون عنه . وهذا ما تدعوه مراجعة الحياة . وهي تنتقي أغاني وموسيقا كانت مشهورة خلال أنشط مرحلة في حياة المريض . انني أستعمل أغاني كان لها تأثير معين في حياتهم . . موسيقا من هذا النوع توقظ ذكرياتهم وتجعلهم يريدون ان يشاركوها مع احبائهم . ثم تقول : « أحيانا قد نجلس بجانب المرضى ونغني معهم أغانيهم القديمة المفضلة وأن هذا يعطيهم راحة وسلاما غير عاديين » .

ايجاد الموسيقا الملائمة

جورجيا كيلي والدكتور ستيفان هالبرن الباحث في المعالجة الموسيقية يقولان : ان مكتبة موسيقية شخصية تحسن الجو الذي تعيش فيه وتساعدك على تحسين صحتك واذا كنت تبحث عن موسيقا لراحة الأعصاب ، يقترح الدكتور هالبرن ان تراقب تنفسك خلال استماعك للشريط أو الاسطوانة التي اخترتها ، فاذ كانت الموسيقا تجعلك تتنفس بعمق وبطء فهي تساعدك بالتأكيد على الراحة ، واذا وجدت نفسك تتنفس بسرعة وشعرت بألم في منطقة الصدر والرقبة فهذا الشريط ليس مفيدا لك ، وكذلك ينبهك الدكتور الى أن بعض الموسيقا الكلاسيكية السريعة لن تفيدك .

راقب جسمك واحساسك ، واسمح للموسيقا ان تكون مركز انتباهك ، واجلس او تمدد وانت

تستمع إليها ! انتق الموسيقا التي تتفق مع احساسك في تلك الساعة ، فاذا كنت تشعر انك تريد الرقص أو القفز فاستمع لموسيقا راقصة تنسجم مع رغبتك .

جورجيا كيلي تقترح الموسيقا الهادئة بشكل عام كتلك التي نجدها في بعض الموسيقا الكلاسيكية لباخ ، هاندل ، بيتهوفن ، وموزارت وشوبان .

وهي تقترح ان نبتعد عن الموسيقا السريعة كالموسيقا الحديثة فانها تعجل في دقات القلب وخاصة اذا كنت لا تتحرك مع الموسيقا .

ولكن لا يجب ان نعتقد ان الموسيقا الكلاسيكية وحدها هي التي تريحك ، فموسيقا الجاز والعود والناي والقانون والهارب ، وأي موسيقا تختارها قد تجد فيها راحتك مادام جسمك يستجيب لها بالطريقة التي تريدها سواء بالراحة أو الرقص .

أخيرا لا تنس ان الذكريات المرتبطة بالموسيقا لها قوة كبيرة لازالة الضغط النفسي وتثبيت المزاج .

الموسيقا هي طاقة تماما مثل الطعام ، ملكيتك للنوع الملائم منها في البيت مهمة ، كأهمية الحصول على الطعام والفيتامينات اللازمة لجسمك .

□□

حل مسابقة العدد ٣٠٠

نوفمبر ١٩٨٣

لو قارنا بين مسابقات السنة كلها لكانت المسابقة رقم (٣٠٠) أتعسها جميعا من حيث الردود عليها . . فقد قل عدد المشتركين فيها حتى نقص عن عددهم في أية مسابقة ثقافية سابقة . . . ويعزى هذا على الأرجح الى صعوبة الأسئلة . . . بدليل أن المسابقة رقم (٢٩٨) ، كانت سهلة وقوامها خرائط لبعض الدول الأوروبية ، حظيت بعدد كبير من الردود بلغ ٥٠٠٠ رد أو يزيد . . .

على أن مستوى الردود أهم بكثير من عددها أو كميتها . . . وقد بلغ من تدني مستوى الردود على المسابقة رقم (٣٠٠) أن تعذرت العلامة الكاملة عليها جميعا باستثناء رد واحد فحسب ! أضف الى ذلك أن الردود اخفقت كلها في الاجابة الصحيحة عن السؤال الاول باستثناء رد واحد أو ردين . . .

هذا ونحن على ثقة من أن أكثر المشتركين وقعوا عند الارتجال في الرد على الاسئلة ، وأنهم لو بذلوا أي جهد في البحث عن الردود الصحيحة وذلك بالرجوع الى المصادر لجاءت ردودهم على مستوى أعلى بكثير عما جاءت عليه .

١ ـ (ألدورادو) مدينة خيالية تحدث عنها الكتاب والروائيون ولكنها مدينة واقعية أيضا . . وتقع في الولايات المتحدة الامريكية في ولاية أركنساس . . وتعتبر مركزا هاما من مراكز صناعة البترول . . . . . .

٢ ـ نبوخذ نصر الثاني ملك بابل المعروف هو الذي بنى الحدائق المعلقة .

٣ ـ أكولوجيا هو الاسم الذي يطلق على علم البيئة . . واللفظ يوناني الأصل ويعني في لغة الاغريق علم البيت أو المنزل الذي يسكنه الانسان . . أي بيئته .

٤ ـ جورج بولمان (١٨٣١ ـ ١٨٩٧) هو رجل الصناعة الامريكي الذي اخترع عربات النوم في القطارات . . وقد سميت هذه العربات بولمان نسبة اليه .

٥ ـ التيار المقصود هو تيار أل نينو . . وقد سماه أهل البيرو بهذا الاسم ، وهو يعني (الطفل) في لغتهم ، نظراً لأن وصوله الى شواطئهم غالبا ما يصادف عيد الميلاد ، ميلاد المسيح الطفل .

٦ ـ الاختراع الذي اشتهر به ماركوني هو التلغراف اللاسلكي . . وماركوني كان ايطالي الجنسية ولكنه هجر مسقط رأسه الى انجلترا سنة ١٨٩٦ . . وقد ظفر بجائزة نوبل للفيزياء عام ١٩٠٩ . وتوفي ماركوني سنة ١٩٣٧ عن عمر يناهز ٦٣ عاما .

٧ ـ الكسندر جراهام بل هو مخترع التلفون ، وكان من مواليد أدنبرة سنة ١٨٤٧ . وفي سنة ١٨٧٠ ذهب الى كندا فالولايات المتحدة الامريكية ، حيث عمل وبقي حتى وفاته سنة ١٩٢٢ .

٨ ـ الاخوان المقصودان في السؤال هما الاخوان جريم . وقد ولدا سنة ١٧٨٥ وسنة ١٧٨٦ على التوالي وتوفيا سنة ١٨٥٩ وسنة ١٨٦٣ على التوالي أيضا . . وقد اشتهرا بجمع واعادة كتابة الاساطير وقصص الاطفال الخيالية التي شاعت في ألمانيا أيام القرون الوسطى . . غير أنهما كانا من أساطين فقهاء اللغة . . .

٩ ـ الفيلسوف الفرنسي رينيه ديكارت (١٥٩٦ ـ ١٦٥٠) . انه صاحب التأملات الشهير والقائل (أفكر فأنا موجود) . ومما يذكر انه لم يقبل مهمة التدريس الملكة كريستينا في استوكهولم بمحض اختياره . . وأنه مات في العاصمة السويدية .

١٠ ـ دورة الالعاب الاولمبية القادمة ستقام في صيف هذه السنة ـ ١٩٨٤ ـ وفي مدينة لوس انجلوس بولاية كليفورنيا في الولايات المتحدة الامريكية .

١١ ـ موطن الموز الأصلي هو الهند والمناطق الاستوائية من آسيا ولا علاقة للهنود الحمر به ولا بتسميته . . . . وكان العرب هم الذين جاءوا بزراعة الموز الى حوض البر المتوسط وأوروبا . . وقد أطلقوا عليه اسم بنان الموز (ومفردها بنانة) ، كما تقول المستشرقة الألمانية هونكه . . ولا عجب أن أخذ الأوروبيون عن العرب هذه الفاكهة واسمها ، بل نصف اسمها العربي (بنانا) ، كما تؤكد المستشرقة المذكورة . .

١٢ ـ مجلة العربي هي المجلة التي احتفلت بيوبيلها الفضي في شهر ديسمبر الماضي ، سنة ١٩٨٣ .

الفائزون بالجوائز الثلاث الأولى

١ ـ الحسن بنشقرون / رقم ٥٠ شارع لبنان / الرباط / المملكة المغربية (ـ/ ٥٠ دينارا)
٢ ـ ابراهيم احمد عيسى / ص . ب ١٦٠٧٥ / القادسية / دولة الكويت (٢٠ دينارا)
٣ ـ محمد أحمد محمد / ٥٥ شارع الشهيد نصر الفاتح / كفر الزيات / ج م ع (٢٠ دينارا)

الفائزون بالجوائز الثماني التشجيعية
بقيمة ١٠ دنانير لكل منها

١ ـ معين حسن ناصر / كلية العلوم ـ السنة الثانية / جامعة دمشق / ج ع س .
٢ ـ بيها حمود / جامعة الكويت / كلية العلوم / دولة الكويت .
٣ ـ حسن عباس مهدي / ص . ب ٥٤٦٥ / الشارقة / دولة الامارات العربية المتحدة .
٤ ـ أحمد رشدي عبد الغني / ص . ب ٨٠ / التوجيه التربوي / بواسطة رشدي عبدالغني المصري / دولة قطر .
٥ ـ يوسف عبدالله الشبعان / ص . ب ٢٢١١٤ / المحرق / دولة البحرين .
٦ ـ عبدالسلام عبدالله محمد / ص . ب ٣٨٢ / كلية الدراسات ا لاجتماعية / جامعة أم درمان / السودان .
٧ ـ مرهف منيف شهلة / الحميدية ٣٢٠ / حمص / الجمهورية العربية السورية .
٨ ـ آمال حسين مصطفى بغدادي / الجيزة / جمهورية مصر العربية .

من أين ينبع نهر الزمن العربي

الجارية.. ولسع السياط

بقلم : الدكتور محمد المنسى قنديل

□

قال لها سيدها « النطاق » : غنى يا عنان .. ولكنها كانت تحس برغبة حارة فى البكاء .. وكان ضيوف سيدها سكارى اكثر مما ينبغى .. فاعتذرت .. ونظر النطاق الى ضيوفه محرجا ثم أمسك السوط وهوى به على ظهرها .. ولحظتها احست ان كل هذا الالم لا يكفيه البكاء .. وفى آخر الليل جاء الى غرفتها معتذرا .. يحمل فى يده قارورة من العطر .. فلم تعرف .. أهى للتطيب .. ام بلسما لجراح ظهرها .. قال لها النطاق .. لا تبالغى فى الامر .. فكل الجوارى يجلدن .. وكل العبيد يصلون ..

تعودت عنان على الرق .. ولكنها لم تتعود على « النطاق » . أدمنت الغناء والشعر وأحلام اليقظة وظل السوط مؤلما رغم تكرار مرات الجلد . لماذا تلتئم الجراح القديمة اذن مادامت هناك جراح جديدة قادمة . اشتراها « النطاق » بثمن بخس .. كانت مثل درة مخفية وسط لحم الاجساد المعروضة للبيع .. وعندما جلاها اكتشف انها لا تقدر بثمن .. وهكذا بدأت رحلتها فى بغداد .. قطرة من العطر وضربة من السوط ..

فى سوق بغداد ..

عندما دخلت « عنان » سوق بغداد سرت فيه حالة من النشوة .. أخفض البائعون اثمان البضائع .. وكف المشترون عن المساومة . وجلس « النخاس » بجانب جارية وحيدة لم يشترها احد وبكى . وفرد تجار « فارس »

الابسطة والسجاد فتألقت تحت الشمس مثل حقول من الحنطة والزهور الصغيرة . وانفضت المزادات .. واشترت عنان عصفورا صغيرا فأخذ يغرد على الفور وهو الذى كف عن التغريد منذ أن وضع فى القفص .. وقال لها البائع .. لم ار فى بغداد يوما مثل هذا يا سيدتى .. كانت الشمس رائقة واحست عنان ان ظهرها قد تخلص فجأة من آثار السياط .. كانت هناك فواكه غريبه جاءت فى غير موسمها . وقال لها غلام صغير يبيع البرتقال .. ما أجملك .. ضحكت عنان وهى تقول .. ولكنك لم تر وجهى .. قال الغلام .. عيناك يا سيدتى .. تتألقان فوق النقاب كأنها شمسان صغيرتان .. وفتح واحدة من برتقالاته فتألقت فصوصها الذهبية .. وانتفض العصير فى داخلها من النشوة .. وأشار لها بائع عجوز الى كرسى قديم ضخم وهو يقول .. هذا عرش كسرى يباع الآن .. ماذا لو أخذتيه وجعلتيه مقعدا لزينتك .. قالت عنان .. لا احب العروش .. وجاءها صوت امرأة عجوز من الخلف وهى تقول .. ولكنك يوما ما سوف تجلسين على عرش حقيقى .

التفتت عنان فوجدت العجوز .. فى فمها سنا واحدة .. تلبس ثوبا مصنوعا من بقايا الاقمشة .. مدت يدها المعروقة وتناولت كف « عنان » فانساقت اليها .. كان وجهها مليئا بتجاعيد غريبة .. كم سنة تمر لكى تحفر كل هذه التجاعيد . قالت .. هذا كف بكر لم يقرؤها عراف من قبل .. ثم هزت رأسها فى تأكيد كأنها وجدت ما كانت تبحث عنه .. الم أقل لك .. العرش فى انتظارك فأحذرى الوقوع فى الحب . ضحكت عنان فى مرارة وهى تقول .. الحب .. أو تسخرين منى .. انى جارية .. قالت العجوز .. انت فقط تحملين جسد جارية .. اما غير ذلك فلا .. وتركت العجوز كفها ومضت .. دون أن توضح شيئا .. ودون ان تتقاضى ثمنا .

توقفت امام دكان النخاس .. رأت المنصة التى بيعت عليها من قبل .. كان النخاس ما زال يبكى .. وحين رآها فرك عينيه بسرعة وهو يقول .. أنت الآن سيدة حقيقية .. لا ينقصك الا صك صغير من الورق لتصيرى حرة .. كان يكذب . كان ينقصها الكثير . سألته عنان .. انت الذى أوصيت النطاق بضربى .. هز كتفه واسترد بعضا من صفاقة النخاس وقال .. يا سيدتى كل الجواري يضربن .. فكرت عنان فى نفسها .. هذه المرافة لا تدرى مدى الهوان الذى وصلت اليه . اخرجت دينارا ذهبيا من كيسها والقته على المنصة .. اسرع النخاس ليلتقطه ولكنها هتفت به .. ليس لك .. أنه لهذه الجارية المسكينة .. قال النخاس وهو يعز عليه بأسنانه ليتأكد من صحته .. سوف يفسد الذهب اخلاقها .. سوف تهرب مع اول عبد تقابله .. ووضع الدينار فى جيبه بسرعة وهو يبتسم ابتسامة سعيدة .

وفجأة ارتج السوق . واندفع الحراس الى كل مكان .. أصبحوا فجأة أكثر من كل الناس الموجودين فى السوق . ودقت طبول مجهولة فوقف الحرس فى صفين متقابلين وهمس لها أحد البائعين .. أنه موكب الخليفه هارون الرشيد . قالت عنان .. أخيرا كانت تحلم بأن تراه .. أن يأتى الى بيت « النطاق » ليستمع اليها .. أو تذهب هى لتغنى له . تحلم ان تقطع الاغنية وتمزق ثوبها وتريه آثار السوط . ولكنه الآن .. وسط السوق والحراس والناس لا تملك أن تغنى أو تمزق ثوبها .

ظهر الرشيد فوق جواده .. فخما رائعا كما يليق بخليفة . على يساره وزيره البرمكى يبرم شاربه فى توتر . وعلى يمينه مسرور السياف . وخلفهما الاعيان وبقية القواد . هزت عنان القفص فعاد العصفور يغرد فرفعت القفص عاليا وهى تهتف :

ـ هذا العصفور يغرد من أجلك يا مولاى ..

توقف الخليفه مدهوشا والتفت اليها ..

قال . . من أنت ؟ . . رفعت عنان النقاب عن وجهها :

ـ أنا عنان جارية النطاق . .

كان البرمكى متوترا حتى كاد أن يخلع شاربه . . وقال الخليفه مبهورا بجمال وجهها . .

ـ لم اكن اعرف ان النطاق يمتلك تلك الدرة . .

قالت عنان . .

ـ أنه يمتلكنى ويجلدنى ايضا يا مولاى . .

واربد وجه الخليفه . .

ـ وغد . . يجرؤ على جلدك . .

ورأى الناس قد تكاثروا . . وأدرك ان الامر سوف يتحول الى حكاية تتحدث بغداد عنها فلوى عنان جواده وسار . . وسار الموكب كله . . واستندت عنان الى حائط قريب وهى تلهث . . واسرع بائع عجوز يحضر لها ماء . .

من اين اتتك كل هذه الجرأة يا عنان ؟ . سألت نفسها . . احضر البائع الماء . . ولم الحراس حرابهم وانصرفوا وكان العصفور الصغير ما زال يغرد ففتحت باب القفص واطلقته فى الفضاء وهى تهتف . .

ـ انت الآن تستحق الحرية ايها العصفور الصغير . .

فمن يمنح الحرية لعنان الصغيرة ؟ . .

ثم يأتى الحب . . دون توقع . .

هشم النطاق قفص العصفور الخالى . وكان بيته مليئا بالضيوف فلم يرفع السوط . ورغم ذلك عندما نظرت فى المرآة وجدت وجهها ما زال سعيدا . . كان حلم الخلاص ما زال متوهجا بداخلها .

لم تضع النقاب على وجهها وخرجت اليهم وغنت دون أن يطلب احد منها ذلك . كانوا كثيرين . متشابهى الاوجه . تفوح منهم نفس الرائحة . ابو نواس يجلس بجانب النطاق يحدق فيها بنظراته الشرهة التى لا تقنع ولا ترعوى . لن تبالى به ولو قال الليلة كل أشعاره البذيئة . بعيدا عنها يجلس شاب آخر رقيق له عينان متألقتان . . كانت سعيدة . . سعادة لم تتسلل اليها جلبة الضيوف السكارى . . وغنت من أشعارها :

بكيت عليها ان قلبى يحبها
وان فؤادى كالجناحين ذو رعش . .

لا تدرى كيف ـ من خلال سعادتها الخاصة جدا ـ احست بهذا الشاب . . وهو ينظر فى عينيها مباشرة . كيف يغير وضعه ليزداد اقترابا منها . وكيف لم يفطن النطاق اليه . . كان يبتسم فى رقة . . ولا ينزل عينيه ابدا . . هتف ابو نواس : نازلينى يا عنان ثم انخرط فى قصيدة فاحشة .

وكانت مستعدة للرد عليه دون كلمة فحش واحدة فالزمته حده . . وللمرة الاولى تراجع ابو نواس أمامها . وهتف بقية الضيوف بالشاب المتألق العينين . . هلم يابن حفصة هلم يا مروان نازل عنان والتفتت تراه من جديد . . أهو أنت ؟ . .

كانت تسمع عنه . . وعن شاعريته . . ولكنها لم تكن تحسب انه شاب الى هذا الحد . . ابتسم لها . . ولم وهز رأسه رافضا . . يكفي لم يكن يريد كل شيء في هذه الليلة الواحدة . يكفى أنه رآها واستمع اليها .

نهضت جارية حبشية وأخذت ترقص . ومزق أكبر تاجر « بهار » في بغداد ثيابه طربا . ونهض ابو نواس منصرفا فأحست بعبئه ينزاح من فوق صدرها . ثم تبعه الآخرون وهم يترنحون . ولكن مروان بقي . قالت لنفسها . . ياله من يوم غريب أقابل هارون الرشيد في الصباح ثم أقابل هاتين العينين المتألقتين في المساء .

دخل رجل غريب وأخذ يهمس في أذن النطاق . . ونظر النطاق نحوها فأحست أن الهمس يدور حولها . نهض واصطحب الغريب الى الخارج . . ثم عاد وهو يحمل السوط في يده وصرخ فيها .

ـ أنت . . تجرؤين على شكوق الى امير المؤمنين .

ورفع السوط فانزوى بقية المدعوين كالجرذان . كانوا يعرفون أنه في ثورة غضبه يتحول الى حيوان حقيقي . وظل مروان ينظر في دهشة لا يدرى ماذا يحدث بالضبط حتى هوى النطاق بالضربة الاولى على ظهر عنان فنهض مفزوعا . . حمل النطاق بجرمه الضخم واطاح به في الهواء ليصطدم بالحائط .

بدأت عنان تبكي . . وسقط النطاق مغشيا عليه . . وهرع بقية الضيوف الى الخارج . كانت تبكي لا لان لسعة السوط كانت قوية . . ولكن لانها اهينت امامه . . ولم تكن تريد أن تهان هذه الليلة . . قال وهو يتطلع اليها :

ـ بكت عنان فجرى دمعها
كالدر اذ يسبق من خيطه . .
قالت وهي تكفكف دموعها :
ـ فليت من يضربها ظالما
تيبس عيناه على سوطه . .

ونهضا معا . خرجا من بيت النطاق الى بغداد النائمة . . لم يفكرا في النظر الى النطاقي . . كانا يحسان انه من الصعب ان يموت . . فالكوابيس لا تموت بسهولة . . وما هذه الاغماءة الا حلم قصير . كان النهر ساكنا . سكون المتأهب للحظة حب لم تولد بعد . وضوء النجوم كان شحيحا ولكنه كان كاف لعاشقين يتلمسان خطوات العشق الاولى . وحتى « المراكبي » العجوز الذى كان نائما في قاربه لم يطلب منهما أجرة ولكنه افسح مكانا واعطاهما بقية من « تمر » النهار ثم اخذ يجدف بهدوء . .

سكن الالم قليلا . وظلت عنان تحس بالحرقة فأخذت تبكي . . ورف طائر فوق النهر ـ يبدو أنه قد ضل الطريق الى عشه ـ ثم لاح قصر ضخم متألق بالانوار . . قصر هارون الرشيد . . كانت تحلم بالخلاص على يديه . . ولكن عليها الآن ان تقنع بنصيبها من صدر ابن حفصه . .

الى متى استمر المراكبي العجوز في التجديف قبل ان يغفو . وكيف ازداد تألق النجوم . ولماذا جاء الفجر سريعا هكذا . قالت في خوف . .

ـ انه الفجر . . سوف يقلب النطاق شرطة بغداد كلها بحثا عنى . . أمسك يدها وهبطا الى الشاطيء . واعطى مروان للمراكبي العجوز كل ما في جيبه من دنانير . ولكن الرجل أعادها اليه . من الذى يشترى ليلة بهذا الصفاء . وسارا الى قصر النطاق . . كان مستيقظا . جمع

أمامه كل الفتات التى تركها الضيوف وأخذ يأكل بشراهة وحنق . وحين رآهما تأملهما قليلا ثم هتف بسخرية . .

ـ اين كنتما . . هل وقعتما فى الحب . .

قال مروان : اريد ان اشتريها . .

قال النطاق : عليك أن تدفع اولا سبب الاضرار التى سببتها لى .

قال مروان : اريد ان اشتريها . .

قال النطاق :

ـ اتعرف الرجل الغريب الذى جاء فى منتصف ليلة أمس . . انه رسول الخليفه

اتعرف ماذا كان يريد . . كان يريد شراءها ولقد طلبت ثمنا لها مائة الف دينار وليس أقل من ذلك . . سوف اواصل جلدها حتى يرتفع ثمنها .

وصمت قليلا ليلتهم ما أمامه ثم هتف فى ابن حفصه :

ـ هل تملك مائة الف دينار .

الذهب لا يكفى لشراء روح ضائعة

فى الصباح توجه مسرور بنفسه الى بيت النطاق . . كان يسير خلفه عبد صغير وهو يحمل صندوقا . وهتف بالنطاق :

ـ ها هى المائة ألف دينار بعثها اليك أمير المؤمنين . . أين الجارية ؟ ولكن النطاق رد فى برود

ـ دعنى أحصى النقود اولا . .

كان مشهد مسرور وحده يثير الرعب . . ولكن النطاق ظل يتأمله فى نفس البرود وهو يجاهد لكظم غيظه . وانزل العبد الصندوق . . وجلس النطاق على الارض وكوم النقود ثم بدأ يحصيها فى بطء وتمعن . وبعد ساعتين كان مسرور قد أوشك أن يجن وأن يخرج السيف ويهوى به على تلك الرأس المنكبه على النقود . . وهتف النطاق . .

ـ المبلغ ناقص . .

وصرخ مسرور . . ماذا يا حشرة . . ناقص . . !؟

ولم يظهر الرعب الذى كان فى قلب النطاق على وجهه . . فقد واصل القول فى برود . .

ـ ان امير المؤمنين يريد ان يعطينى الدينار بسبعة دراهم وهذا غير عدل فالدينار فى السوق لا يقل عن ثمانية دراهم . .

وأمسك احد الدنانير وجز عليه بأسنانه ثم واصل القول . .

ـ وهذا ذهب خفيف لا يغنى الدينار يجب أن لا يقل عن تسعة دراهم وصرخ مسرور مغتاظا . . وامسكه من عنقه وللمرة الثانية يرتطم جسد النطاق بالحائط ويسقط مغشيا عليه . . وتناثرت نقود الخليفه تحت الاقدام . . وجاءت عنان مسرعة على صوت الصياح الغاضب فهتف بها مسرور . .

ـ هيا معي الى القصر . .

فأطاعته . سارت دون ان تلقى نظرة على النطاق . . كانت واثقة أيضا هذه المرة أنه ما زال على قيد الحياة . وكان مسرور ينتفض من الغيظ طوال الطريق . . وظل كذلك حتى وقف امام الخليفه وهو يقص عليه قصة المساومة « الخسيسة » مع النطاق .

وقال الخليفة :

ـ رفض البيع اذن . . فكيف احضرت الجارية ؟

وفوجئت عنان . . وأخذ مسرور يلعن النطاق . . ولكن هارون الرشيد قال :

ـ سوف يشكون الى قاضي بغداد . . ولا اريد أن يقال فى مجلس القاضى أنى سلبت من واحد من رعيتى شيئا يملكه . .

قال مسرور فى دهشة :

ـ مولاى . اننا لسنا خائفين منه . .

لسنا خائفين . . ولكننا لسنا ظالمين .

قالت عنان :

ـ وما يمنعك يا مولاى من أن تعطيه ما يطلب . .

قال هارون :

ـ لن يفرط فيك مهما اعطيته من ثمن . . عودى اليه وسوف نبحث عن سبيل آخر . . أعود . . قالت فى نفسها فى مرارة . . هذا هو هارون الرشيد . . فماذا يمكن أن تفعله يابن حفصة ؟

ولكن نجوم الحب خادعة . .

كان ابن حفصة محموما . تلاحقه طيور غريبة اينما سار . كانت شمس بغداد صريحة لذلك اشعرته بالعجز عن مواجهتها . لم يكف عن الركض واللهاث . . مدح الامير والوزير والوالى والقاضى والمحتسب . وعاد بفتات من دراهم الفضة . باع دار أمه القديمه . والهدايا وبعض المخطوطات وسيفا يعلوه الصدأ . وعمامة أبيه . . وتوسل حتى وصل مجلس الخليفة هارون الرشيد ومدحه بقصيدة حارة . . وطلب منه الخليفه أن يتمنى . فتمنى مائة ألف دينار . . فضحك الخليفه واعطاه دينارا بكل بيت . .

قامر فخسر . تآسى فلم ينس . وظلت عنان كنجمة السماء البعيدة المنال . كان الاصحاب صعاليك ومفلسين . والمرابون أوغاد . وبغداد مدينة قاسية على الشعراءوالعشاق . وعندما تسلل الى حجرتها فى المساء جلسا سويا مثل طفلين ضائعين . أخبرته ماذا حدث مع الخليفه . وكيف رفض النطاق المال . كانت تحس باليأس وبضياع فرصة خلاصها . لم يفكرا فى الخروج الى النهر . . حيث يوجد الحب يجب الا توجد المرارة .

رحل ابن حفصه الى خراسان وقص على واليها ابن عبد الله مأساته فضحك واهداه خمس جوار لعله يتآسى فى اجسادهن ولكنه رفض . رحل الى الكوفه والبصرة . . ورفع ولاتها الى سماء الشعر . . وبقى هو فى حضيض الدراهم . عاد الى بغداد وتسلل الى غرفتها . . فقالت له أن النطاق مريض وانه لم يعد يضربها بالسوط . . ولم يستمع اليها . . انها حيلة اخرى من حيل النطاق للاستئثار بها . . كان مشغولا بكل الاشياء التى تفور فى داخله وهتف بها :

ـ سوف اسرق خزائن هارون الرشيد . .

اصيبت بالفزع . توسلت اليه أن يعدل عن فكرته . ولكنه كان تعبا من كثرة اليأس . . برما من الالحاح فى السؤال . . وبدت الفكرة براقة . . فالشعراء يجب عليهم احيانا أن يسلكوا طريق اللصوص . ترك غرفتها . كانت تبكى وكان هو يرتعد ولم يتصور أحد منهما ان ليلة من ليالى الحب يمكن أن تقودهما الى هذا الجنون . .

ولم ينم احد فى هذه الليلة . . واطلت على بغداد نجوم ضائعة . وفى اللحظة التى غافل فيها

ابن حفصة الحرس وتسلل الى داخل القصر أرسل النطاق يستدعى عنان لكى تجلس بجانبه . . كانت هناك شمعة وحيدة بجانب فراشه . . وكان وجهه شاحبا تطلع اليها قليلا . . ثم قال فى صوت واهن . .

- انى احتضر . .

ما أطول طرقات القصر وما أشد وحشتها . . اين توجد الخزائن . . ؟ . . كان ابن حفصة قد ذهب اليها ذات يوم فى وضح النهار ليأخذ أحدى أعطياته . . ولكن هل يمكن الاهتداء اليها فى الظلام . ابن يختبىء الحراس . . واين يكمن الموت . . ؟ . . وهل يمكن أن يولد الحب من جديد خلال السرقة والمخاطرة ؟ . .

طلب منها النطاق رشفة من الماء . . ثم همس وهو يكاد يبكى :

- هل آلمتك كثيرا . .

ولم ترد عليه . . شعرت بالمهانه من سؤاله . . وبالاحتقار له . عاد يقول . .

- اكشفى عن ظهرك . .

هتفت فى حدة . . كلا . .

قال فى توسل :

- انى احتضر . . ولعل هذا هو مطلبي الاخير . . لست أكثر من شيخ يحتضر . . توسل طويلا . . حتى أنها استدارت وكشفت عن ظهرها . أحست بأصابعه وهى تتلمس آثار القروح . وفجأة سمعته ينخرط فى بكاء حار . التفتت اليه فى دهشة . لم تتوقع أن تراه ابدا بهذا الضعف . مدت أصابعها فى تردد . . ثم لمست جبهته .

وقف ابن حفصة مذهولا امام باب الخزائن . هنا كل خراج الارض . ونتاج كل الغيم السابح فى السموات . انه لا يحتاج كل ما فيها من اموال . يكفيه ما يكفى طمع النطاق واستنقاذ روح عنان الاسيرة .

أخرج سكينا كان يحمله معه واخذ يشق فى الباب الخشبى ليحصل الى طرف المزلاج . أيها أسهل السرقة . . ام قرض الشعر ؟ . . لم يصمد المزلاج طويلا . . ولعل صاحب بيت المال لم يكن يتصور ان يجرؤ أى لص على اقتحام قصر هارون الرشيد . .

انفتح الباب . . . يا رب السموات . . . ما كل هذه الأموال المكدسة . . . حتى وسط الظلام يبدو ضوء الذهب وهاجا . . . . كيف يحصي أمواله . . . كيف يعرف ماذا يريد وأمامه أكثر مما حلم به . . . كان يسمع من حوله عشرات الأصوات . . . . ثم اكتشف انها كلها أصواته . . . صوت قلبه . . . وتنفسه وتدفق الدم في عروقه . .

أخذ يجمع كل ما يجده أمامه . . . يضع في جيوبه . . . وفي عبه وفي عمامته . . . . في كل مكان . . . . سوف ينالها . . سوف يفرغ الذهب كله أمام النطاقي ويحررها منه . . . ولكنه عليه الآن ألا يتوقف لحظة واحدة . . . وفجأة سمع صوتا آخر غير صوته يهتف به في خشونة . . .

- قف مكانك ولا تتحرك . .

التفت في فزع فوجد عشرة من الحراس حرابهم موجهة الى صدره . تحاصره . ورئيس الحرس يتساءل في دهشة :

- أي لص أنت . . . . كيف تجرأت على خزائن أمير المؤمنين ؟

ووقف صامتا تعيسا . . . وقد أدرك فجأة . . . أن الشعراء لا يصلحون للعشق . . . ولا للصوصية ؟

وكان في النطاقي بقية من القدرة على الكلام فقال لها بصوت متهدج :

- لو تعلمين كم كنت أحبك . وأغار عليك . . . كنت أعلم انهم يحسدونني فأردت أن أقبحك في نظرهم . . .

قالت له لا تتكلم . . . ولكنه واصل الكلام :

- اذا أقبل الصباح وأنا ما أزال على قيد الحياة . . . . سوف أصحبك الى قاضي بغداد وأعتقك . .

من السوق .. والى السوق تعود ..

ولكن الصباح لم يأت عليه الا وهو جثة هامدة تنتظر الدفن والمغفرة .... وانتشر خبر موت النطاقي في بغداد كلها .... ولكن خبر اللص المجهول حبيس السجن المظلم ظل متكتما عليه .... وعندما ثوى في القبر اكتشفت «عنان» مفاجأة مذهلة .... فالرجل الذي رفض مائة ألف دينار من الخليفة مات مديونا .. بيته مرهون . وأمواله نهب للمرابين ومزيفي الصكوك . كلهم أحاطوا بالبيت كالغربان . وانتظرت عنان أن يأتي ابن حفصة فلم يأت .... وبدلا منه جاء الحرس ومتكفل الرهون والقاضي ونظر الى الأثاث والجواري ثم قال :

ـ هذه كبد رطبة .... وعلى الرجل دين فليبع كل ما يملك في سوق بغداد حتى يوفي بدينه ..

أهان الله من أهانني .. قادوها الى السوق . أهان الله من أهانني . صفوها على منصة النخاس العالية ، أهان الله من أهانني ، كانت الجارية السوداء لم تبع بعد ولا زال الدينار الذهبي في جيب النخاس . وعندما صرخ عاليا .... من يزيد ؟ .. بكت عنان .. وحسبوا أنها تبكي النطاقي ... ولكن .... من كانت ستبكيه سوى نفسها ... أهان الله من أهانني .. لم يعد أحد يرثى لها .. صرخ النخاس من يزيد .. فقال رجل :

ـ خمسون ألف درهم ..

أباع بالدراهم وكنت أقدر بالدنانير .... فوجئت بمسرور يقف أمامها :

ـ مائة ألف درهم

لم يرض النطافي بسبعة أضعاف هذا المبلغ .... هتف رجل خرساني ربما لم يكن يعرف مسرورا :

ـ أزيد خمسة وعشرين ألف درهم ..

ولكزه مسرور وهو يقول :

ـ أتزيد على أمير المؤمنين .. مائتين وخمسين ألف درهم ...

ولم يكن فيها شيء يعاب ... اللهم إلا بضعة آثار من السياط في ظهرها .... سوف تزول اذا نامت على حرير أربعين ليلة واذا دلكها خصي تركي . ورغم غضب الرشيد لأن لصا حقيرا قد تجرأ على خزائنه فقد ابتسم حين رآها ... وقال لها :

ـ جئت أخيرا الى المكان اللائق بك ..

كان العرش رائعا تحته فانحنت وهي تقول :

ـ الى السيد الذي أتمنى أن أليق به .

والعرش يليق بالنبوءة ... صحبتها الجواري بعيدا الى جناحها .... حيث يمكنها أن تطل على النهر .... في النهر يبدو النهر بلا نجوم سابحة خال من الحب . ولكن من الذي يقف في وجه الريح عندما تندفع .... أيتها العجوز .... الى أي مدى أنت صادقة ... احذري الحب ... واحذري الذكرى .... واحذري أية لحظة من الضعف أو الشفقة أو الحنين .. احذري تقلب السادة ولسع السياط والبيع في السوق من جديد .

التفتت الى الناحية الأخرى .... كانت حديقة القصر الممتدة أمامها وفيرة الخضرة .... رأت جمعا من الحرس يقودون شخصا ما .... خيل اليها أنها تعرفه .... وعلى بعد كان مسرور السياف واقفا يشحذ سيفه في استمتاع ... كانوا يذهبون بالشخص المقيد الى أقصى أطراف الحديقة .... سألت أحدى الجواري :

ـ من هذا ..

قالت الجارية وهي تقترب من النافذة وتشاركها في النظر :

ـ إنه اللص الذي تجرأ على سرقة خزائن أمير المؤمنين ... سوف يقطعون يده . □□

يعتبر قرنا استشعار الحشرة بمثابة هوائيات (إيريال) تستقبل عليها مؤثرات عالمها وتوجهها الى الأهداف

تكنولوجيا الحشرات سبقت الإنسان بملايين السنين

بقلم : دكتور عبد المحسن صالح

□ بعض الحشرات سبقت تكنولوجيا الانسان بعشرات الملايين من السنين ، واستخدمت تكنولوجيا بيولجية ادق توجيها واكثر حساسية ، بل هي تستطيع ايضا ان تكشف ما لاتستطيع حواسنا اكتشافه .

منذ سنين طويلة ، حكى لي زميل يشغل منصب أستاذ للحشرات الطفيلية حكاية غريبة ، ومازلت - حتى اليوم - أتذكر قصته العجيبة ، والقصة باختصار شديد هي قصة قملة (أو بقة - فالأمر سيان) أراد بعض العلماء الأمريكيين أن يتخذوها أداة للكشف عن مخابيء الثوار الفيتناميين الذين كانوا يختبئون ليلا بين الأحراش والغابات، ليهاجموا القوات الأمريكية أثناء الحرب الفيتنامية في الستينات من هذا القرن ، فعن طريق أقطاب دقيقة مغروسة في العقد العصبية لقمل جائع ، يمكن استثارة الجهاز العصبي فيه ، ثم تسجيل هذه الاثارة على أجهزة ←

حساسة ، ومنها تعرف القوات المتقدمة مخابيء الثوار ، وبهذا يتخذون حذرهم من أي هجوم مباغت !

القضية لا شك غريبة - كما قدمنا ، وقد يصعب تصديقها ، وحولها قد يثار تساؤل هام : كيف يكتشف القمل الجائع مخابيء الثوار ؟

يكتشفها عن طريق « الرادار » الحي الذي تملكه كل قملة ، ليوجهها نحو أي مصدر تنطلق منه الأشعة تحت الحمراء ، أي الأشعة الحرارية ، فكأنما هذه الحشرة قد امتلكت جهازا حساسا ليوجهها نحو الضحية ، من خلال ما تطلقه الضحية من اشعاعات حرارية ، وكأنما هي تعيد الى أذهاننا تكنولوجيا حرب الصواريخ الحديثة التي تنطلق وراء أهدافها ، وتوجه نفسها نحوها ، عن طريق ما ينبعث منها من أشعة حرارية ناتجة من الاحتراق ، وطبيعي أن الصاروخ يمتلك جهازا حساسا للكشف والتوجيه ، فينقض على الهدف ، سواء كان طائرة محلقة ، أو صاروخا موجها ، أو مصنعا حربيا مشيدا تحت الأرض !

لكن بعض الحشرات - والحق يقال - قد سبقت تكنولوجيا الانسان بعشرات الملايين من السنين - واستخدمت تكنولوجيا بيولوجية أكثر حساسية ، وأدق توجيها ، بل هي أيضا تستطيع أن تكتشف مالاتستطيع حواسنا اكتشافه ، وبحيث تجعل من حواسنا - بالمقارنة - شيئا بدائيا .

بين حواسنا وحواسها

ولكي نوضح ذلك ، فلا مناص من تقديم أمثلة ، لنميز بين حساسيتنا وحساسيتها . . فلو أننا اقتربنا بأصابعنا من كوب ساخن ، فلن نستطيع أن ندرك أنه ساخن الا اذا لمسناه ، أو على أحسن الفروض الا اذا كانت أصابعنا منه جد قريبة ، كما أننا لا نستطيع أن نعرف أن انسانا مريض بالحمى الا اذا لامست يدنا جبهته ، ومع ذلك فلن نستطيع أن نحدد درجة حرارته ، اللهم الا اذا استعنا على ذلك بترمومتر !

قارن ذلك بما يذكره لنا دكتور فيتوس دروشر في كتابه الممتع « سحر الحواس » اذ يقول : ان لبعض الكائنات حساسية للحرارة والبرودة أرقى بكثير جدا من حواسنا ، فنحن مثلا لا نستطيع - ونحن مغمضو العيون - أن نستدل على أماكن الناس الذين حولنا من خلال الحرارة المنطلقة من أجسامهم ، لكن الأمر مختلف تماما مع البق المنزلي الذي يعيش على دماء البشر ، فالحاسة الحرارية عند هذه الحشرة هي بالنسبة لها مسألة موت أو حياة ، اذ أحيانا ما تختفي في سقف الحجرة بالنهار ، وعندما يأوى الانسان الى مضجعه ليلا ، فانها لا تراه بعينيها ، بل تحسه

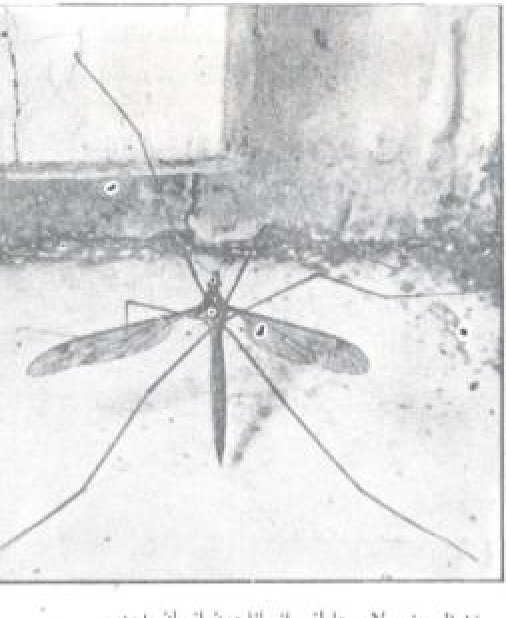

ان البعوض لا يستلطف انسانا دون انسان بدمه ، بل بما يشع منه

بقرني الاستشعار الصغيرين ، ولا تزال ترصد بها كل حركة من حركاته أثناء النوم بالأشعة الحرارية أو تحت الحمراء التي تنطلق منه ، ثم تسقط في النهاية على أي جزء معرى من جسمه بالدقة التي تسقط بها قنبلة موجهة الى هدف !

ولقد أجرى البروفيسور كونراد هيرتر المتخصص في فسيولوجيا الجهاز العصبي بجامعة برلين تجربة طريفة على قملة ، فكان أن قام بطمس عينيها حتى لا ترى أهدافها ، ثم أخذ يحرك أصبعه أمامها ، وعلى مسافة منها تتراوح ما بين ٧ ـ ١٠ سنتيمترات ، وظلت الحشرة تتحرك وراء الاصبع أينما تحرك ، ولقد دعاه ذلك الى تقدير درجة حساسيتها للحرارة ، فظهر أنها تستطيع أن تميز فرقا يصل الى جزء واحد من خمسمائة جزء من الدرجة المئوية الواحدة ، ولشيء يبعد عنها بمقدار سنتيمتر واحد وأثناء اشعاعه ذاك القدر الضئيل جدا من الحرارة ، وهي حساسية قد لاترقى اليها الأجهزة الحساسة للحرارة على أية حال .

ترمومترات حية

ثم ان حساسية القمل البالغة للحرارة قد جعله بمثابة ترمومتر حي عند بعض القبائل البدائية ، اذ يقص علينا كل من لورس ومارجري ميلن في كتابها القيم « الأحاسيس في الحيوان والانسان » ، فيذكران ان ساحر القبيلة أو طبيبها البدائي يستطيع أن يميز ان كانت درجة الحرارة التي وصل اليها المريض محتملة ، أو أنها تشكل خطرا على حياته ، وذلك من بقاء قمل الرأس فيه ، أو هجرته منه ، اذ لو ارتفعت درجة الحرارة عن حدودها المعقولة ، لشعرت بها تلك الطفيليات ، وعندئذ تبدأ في البحث عن انسان آخر سليم ، وكأنما هي تمتلك داخل اجسامها ترمومترات حساسة توضح لها الموقف ، فاما أن تبقى ، واما أن تهاجر .

يحملنا ذلك الى الحديث عن تلك الواقعة التي ذكرتها بعض كتب تاريخ العلم ، وفيها تذكر أن أحد عشر من المحلفين أو القضاة في انجلترا ، قد عقدوا احدى الجلسات الطويلة لينظروا قضايا الناس ، وانفضت الجلسة ، وبعد أيام مات ستة من الأحد عشر ، والغريب ان الذين ماتوا كانوا جميعا من الجالسين الى يمين الرئيس (الذي مات معهم بدوره) . . أما أصحاب اليسار فقد بقوا على قيد الحياة .

ولماذا مات أهل اليمين جميعا ، وعاش أهل اليسار ؟

عن طريق هجرة القمل من الرئيس الى كل من كان الى يمينه على المنصة ، فلقد كان من عادة بعض الناس في القرون الغابرة أن يزهدوا في الحياة ، وبحيث يعتبر عدم الاغتسال لفترات طويلة مظهرا من مظاهر الزهد والتقشف ، ولقد كان الرئيس من الزاهدين . . « والمقملين » أيضا ـ أي من الذين يعشش القمل في رؤوسهم وثيابهم بغزارة ، وفي اليوم السابق لانعقاد الجلسة ، ارتفعت حرارته قليلا ، لكنه رغم ذلك أصر على حضور الجلسة في اليوم التالي ، وعندئذ ارتفعت حرارته أكثر ، ولم يحتمل القمل الأمر ، فهاجر الى كل من كان الى يمينه ، حاملا معه وباء التيفوس الذي كان الرئيس مصابا به . وبعد أيام ماتوا جميعا ـ مات أصحاب اليمين بما فيهم الرئيس !

أما لماذا هاجر القمل الى اليمين ، فمغزاه قد لا يخفى على لبيب ، فلقد كانت هناك نافذة مفتوحة الى اليمين ، ومنها انطلقت بعض النسمات ، ومعها حملت حرارة الذين كانوا يجلسون الى يمين الرئيس ، والحشرة بطبيعتها حساسة للحرارة ، وربما أيضا لرائحة العرق أو الرطوبة أو الغازات ، وهي تستطيع أن توجه نفسها الى مصادرها ، ولهذا انطلقت مهاجرة نحوهم ـ أي الى الاتجاه الذي كانت تأتي منه النسمات ، فكان أن مات الستة ، ونجا الخمسة !

ان ذلك ينقلنا الى طبيعة تلك البحوث التي كان يجريها بعض العلماء الأمريكيين بغرض استخدام البق أو القمل في الكشف عن مخابيء ثوار فيتنام ، فلكي تصبح هذه الوسيلة فعالة ، فلابد أن تهب النسمات من الاتجاه الذي يوجد فيه الثوار ، الى حيث توجد هذه الحشرات الجائعة ، فتثير لعابها ، وتثار نبضاتها العصبية التي يتم تسجيلها ، وغير ذلك لا يؤدي بالطبع الى النتيجة المرجوة ، اذ ربما تلتقط تلك الحشرات ما ينطلق من الجنود الأمريكيين أنفسهم ، وعندئذ تأتي النتائج خادعة .

والواقع أن كثيرا من الحشرات الناقلة للأمراض في عالم الانسان والحيوان توسع دائرة انتشارها من خلال حساسيتها للحرارة ، فاذا ارتفعت في المصابين ، هاجرت الى الأصحاء ، فيمرضون لتحدث هجرة جديدة . . وهكذا !

وللبعوض أجهزته الحساسة

والذين مارسوا الحياة مع البعوض في السكن أو في الخلاء ، يعرفون كيف توجه البعوضة نفسها نحو الهدف ، فتقترب منه بطنينها المزعج ، وكأنما هي طائرة محلقة ، أو صاروخ موجه الى منطقة عارية من البدن ، فتنقض عليه دون أن تخطيء الهدف ! (ملحوظة : الأنثى هنا هي التي تلدغ وتمتص الدماء ، والذكر يعيش على الأزهار)

ولاشك أن عملية الرصد والتوجيه والاصابة تستلزم شروطا محددة . . اذ لابد ان يكون هناك ارسال واستقبال ، اي مصدر يطلق ، ومصدر يستقبل ، فالانسان او الحيوان هنا بمثابة محطة الارسال ، وقرنا استشعار البعوضة بمثابة محطة الاستقبال ، وهي محطة بالغة الدقة والحساسية ، بدليل أن البعوض يزورنا أحيانا على غير ما نتوقع ، لأنه قد يأتي من الخلاء الى الشقة أو المنزل ، ثم يدخلها عن طريق فتحات ضيقة أو واسعة ، ثم يتجه الى حيث نجلس أو ننام في حجرة معينة قد يطويها الظلام ، وبعدها ينقض بتوجيه متقن ليمتص الدماء ، فيعود بعد أن شبع من حيث أتى ، أو قد يختفي في البيت بعيدا عن الأنظار !

لكن . . بأية وسيلة يشتغل هذا التوجيه المتقن ؟ . . ثم لماذا يزور البعوض انسانا بمعدلات أكبر من انسان آخر يجلس معه أو ينام بجواره ؟ . . وهل يعني ذلك أنه يستلطف دما دون دم ؟ . . أو رائحة دون الأخرى ؟

الواقع أن هذه الأسئلة وغيرها ، كانت هدفا لبحوث طويلة ، لكن يبدو أن روائحنا ليس لها دخل في الموضوع - على الأقل في الوقت الحاضر ، اذ لم يثبت حتى الآن وجود رائحة معينة تطلقها الأجسام الحية ، أو ربما لأن أجهزتنا الدقيقة الحساسة التي نستخدمها في التحليل لم ترق في حساسيتها الى مستوى مراكز الحساسية الفائقة التي تكمن على قرني استشعار بعوضة . . لا أحد يدري يقينا ، لكن الذي ندريه من نتائج التجارب التي أجريت في هذا المجال ، أن البعوض يهتدي الى هدفه بعوامل عدة ، منها هواء الزفير ، ومنها الحرارة ، والرطوبة أو بخار الماء ، أو كل هذه العوامل أو بعضها مجتمعة .

ونحن بطبيعة الحال لا نستطيع أن نميز بين انسان يتنفس أو لا يتنفس الا اذا اقتربنا من أنفه بدرجة كافية ، فنحس اندفاع تيارات من هواء الزفير ليس الا ، لكننا لا نحس أو نشعر بغاز ثاني اوكسيد الكربون الخارج ، أو بتركيزه ، سواء في اقترابنا منه ، أو بعدنا عنه ، ! لكن البعوضة تستطيع ذلك من مسافات بعيدة نسبيا ، فكأنما هذا الغاز بمثابة العطر الذي تستقبله عن بعد ، وتحدد مصدره ، كما تحدد أنوفنا مثلا عطر سيدة تخطو على الطريق ، ودون أن تراها عيوننا ، مع الفرق طبعا بين بدائية الاحساس في أنوفنا ، وارتقاء هذا الاحساس الى درجات فائقة على قرني الاستشعار عند البعوضة ، أو عند غيرها !

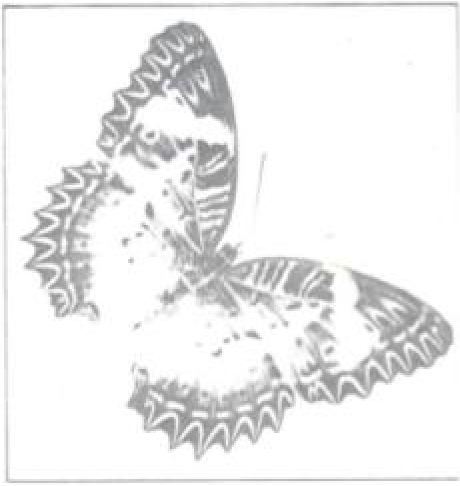

والفراشة ايضا من الحشرات ذات الهوائيات « إيربال » .

توضيح واجب

لكن ذلك لا يوضح لنا السر الذي يفضل فيه البعوض انسانا على آخر ، فهل يرجع هذا التفضيل عند البعوض الى أن انسانا أكثر حرارة وعرقا من انسان آخر ؟

هو ذاك تماما ، والتجربة العلمية هي الحد الفاصل بين قول غث وسمين . . . فلو ان انسانا قام بمجهود ، فلا شك أن سيتنفس أسرع ، وترتفع حرارته أكثر ، وينضح عرقا أكبر من انسان آخر مسترخ . . ولقد حقق كل من دايكن ورايت ذلك بالتجربة على ذراعيهما ، فبعد أن قام أحدهما بمجهود ، وبقي الآخر مسترخيا ، أدخلا ذراعيهما الى البعوض الكامن في قفص من السلك به مائة بعوضة ، توجه ثمانون منها الى ذراع دايكن ، واختصر العشرون الطريق الى ذراع رايت ، وعندما عكسا الوضع ، أي أن رايت هو الذي قام بالنشاط ، كانت زيارة البعوض لذراعه أكثر . . وتعليل ذلك يسير ، فلقد كان ذراع احدهما أعلى حرارة وافرازا من صاحبه ، نتيجة للمجهود الذي بذله ، والغريب أن فرق درجة الحرارة بين الذراعين كانت في حدود ربع درجة مئوية ، وهي في أثناء تسربها الى الهواء ، سوف تنخفض الى حدود ضئيلة ، ومع ذلك فبامكان البعوض التمييز بين المصدرين بدرجات من الحساسية فائقة .

ورب قائل يقول : وما يدرينا أن البعوض لا يستخدم عيونه في التوجه الى الذراعين ؟

الأمر بسيط . . . ما عليك الا أن تطمس عيونه بمادة سوداء لاصقة ، حتى لا يرى من أمور عالمه شيئا مذكورا ، ومع ذلك تراه ينطلق من حيث يقف ، ويوجه نفسه الى الذراع أو أي شيء يطلق حرارة ورطوبة ، وكأنما هو يعرف هدفه تماما ، والفضل في ذلك يرجع الى قرون الاستشعار التي تستقبل الجزئيات الكيميائية ، أو الأشعة الحرارية على مواقع حساسة ، فتثار بما استقبلت ، وتنطلق منها نبضات عصبية الى مخها البدائي ، فيحل شفرتها ، ويعرف مضمونها ، ويقوم بتوجيهها الى أهدافها .

لهذا اذا أزيلت محطات الاستقبال ـ أي بترت قرون الاستشعار ، فسوف يتخبط البعوض في متاهات ، ولن يهتدي الى ضالته مهما أطلقت أشعة أو رطوبة أو غازات ، ومن أجل هذا كانت قرون الاستشعار أهم لديه من العيون ، لأنه يستطيع أن يحدد بها الأهداف في ظلام دامس ، وحيث لا تنفع العيون !

كل ميسر لما خلق له

والى هنا يبرز سؤال هام : لكن كيف يهتدي البعوض الى حجرة بعينها . . في شقة . . . في منزل ؟

أيضا من خلال ما يطلقه المنزل أو الشقة من أشعة وجزئيات نتيجة النشاط البشري ، أو من المواقد الكهربية أو الغازية ، أو تلك التي تستخدم الفحم ، ونحن بطبيعة الحال لا نستطيع أن نميز بين ما ينطلق داخل المنزل ، وبين ما يخرج منه الى البيئة المحيطة (اللهم الا في حالة دخان المداخن ، او رائحة الشواء فقط) ، لأننا لسنا مهيئين لذلك ، لكن البعوض يستطيع أن يحدد البيت المسكون من البيت المهجور ، فلديه مسجلات حية بالغة الدقة والحساسية ، وهي التي توجهه من المزارع أو المستنقعات حيث يتوالد ويتكاثر ، الى حيث يعيش الانسان ، فينفذ اليه ، ويتجه الى الشقة والحجرة التي ينام فيها ، وقد يفضل انسانا على آخر في نفس الحجرة ، فلسنا نسخا مكررة من بعضنا في درجات حرارتنا ، أو في أنفاسنا وعرقنا ... صحيح أن درجة حرارة الانسان السليم تقع في حدود ٣٧ درجة مئوية ، لكن ليس معنى ذلك أنها بالضبط كذلك ، بل هناك فروق ضئيلة قد لا تكتشفها ترمومتراتنا ، لكن « الترمومترات » الحية المشيدة في البعوض تكتشفها بسهولة تامة ، فتتوجه بمعدلات أكبر الى زيد ، وتترك عبيدا أو مسعدة !

بين طرد وجذب

وأخيرا ـ فليست مثل هذه البحوث من قبيل تحصيل الحاصل ، ولا هي كذلك للعلم بالشيء فحسب ، بل لها هدف ، وهدفها أن نعرف بها أسرار سلوك الكائنات ، ووسائل حياتها ، وكيفية البحث عن عائلها لتتغذى على دمه ، وما يتبع ذلك من أمراض وأوبئة لا زلنا نعاني منها ونقاسي ... ولهذا وجب مقاومتها ، ولقد استخدمنا لذلك المبيدات الحشرية ، لكنها لم تقض عليها قضاء مبرما ، اذ تظهر بين الحين والحين في النوع الواحد طفرات تتميز بمقاومة فعالة للمبيدات ، ويبدو أن الصراع سيظل قائما بيننا وبينها فليس بالمبيد وحده تباد ، لأن ما يبيدها قد يبيدنا ، هذا لو أسأنا استخدام تلك المبيدات ، اذ تبين ان لها فينا أعراضا قد لا تحمد عقباها ، خاصة بعد أن ثبت ان هذه المبيدات قد لوثت ماءنا الذي نشربه ، وطعامنا الذي نأكله ، وأحيانا هوائنا الذي نستنشقه ... فكأنما السلاح الذي نحارب به غيرنا ، قد يرتد الى صدورنا ، ما لم نأخذ حذرنا !

من أجل هذا بدأ العلماء في دراسة سلوك الانواع الممرضة من الحشرات ، علهم يعرفون ما يجذبها وما يطردها ، فكان أن ظهرت أجهزة تجذبها أولا ، ثم تبيدها ثانيا ، والأجهزة ـ بطبيعة الحال ـ تحتوي على مواد كيميائية للجذب ، وبخار ماء ، وحرارة مناسبة ، أو أية عوامل أخرى صالحة لهذا الجذب .

ثم ظهرت دهانات للجلد تحتوي على مواد صالحة للطرد ، وخاصة للبعوض ، ولقد تم حتى الآن تجربة أكثر من ٣٠ ألف مركب كيميائي على هذه الحشرة وحدها ، وما وجد منه صالحا لايزيد عدده على أصابع اليدين ، ولا بد أن يحقق ذلك هدفين : أولهما أن تبقى المادة الطاردة على البشرة لأطول فترة ممكنة ، وثانيهما : أن تكون ذات اثر فعال في الطرد .

لكن .... كيف يطرد الدهان البعوض ؟

الواقع ان كلمة الطرد هذه كلمة مضللة ، اذ ثبت بالتجارب أن مواد الطرد لا تطرد ، بل لها قابلية للاتحاد على فتحات المراكز العصبية المنتشرة على قرني الاستشعار ، ويعني هذا ببساطة أكثر طمس أو « اعياء » محطات الاستقبال ، فلا تستطيع الحشرة تمييز شيء مما حولها ، وكأنما هي تطير على غير هدى ، مثلها في ذلك كمثل التشويش على أجهزة الرادار بموجات متداخلة ، فلا تستطيع تمييز أهدافها ، هذه صورة ، وتلك أخرى ..... لكن شتان بين صورة من صنع بشر ، وأخرى من لدن خالق مقتدر ، ولا يدرك ذلك الا الراسخون في العلم . □□

حوار القراء

اعداد
يوسف الشهاب

فان جـــوخ

● كتب الدكتور سامي محمود علي ، مقالاً في العدد رقم (٣٠٠) الصادر في نوفمبر الماضي تحت عنوان « هل مات فان جورج منتحراً . . أو مسموماً ؟ ويذهب الدكتور كاتب المقال الى تأكيد البحث الذي قامت به الدكتورة « فينا سيلر » والتي أكدت أن « فان جوخ » مات بمادة « الديجتاليس » بعد أن تناول جرعات متزايدة منها .

والحقيقة ان الأدلة التي بنى عليها مقاله ـ عليها عدة ملاحظات ، فقد ذكر الكاتب القلق النفسي الذي عانى منه « جوخ » كالنوبات الشديدة التي تنتابه من التهيج ، وكانت آلامه الشديدة تدفعه الى الصراخ أحياناً . وقد عبر عن هذه الآلام في لوحاته المتعددة وكل هذه تجعلنا نرجح إصابته بأحد أمراض الفصام ـ وهذا يعني إنفصالا بين التفكير والعاطفة وهكذا يكون وجدان الإنسان المريض غير متناسب مع تفكيره ـ وبالتالي فهو ـ غالباً ـ مات منتحراً ، كما تؤكد الروايات .

وأما قول الكاتب ان التسمم بمادة « الديجتاليس » يؤدي الى اهتزاز في عضو الابصار والرؤية المزدوجة للأشياء فهذه الأعراض وأكثر منها تحدث لمرضى الفصام .

دكتور سامي عزيز
القاهرة ـ مصر العربية

العربية . . والقرآن العربي

● منذ ربع قرن زار بيروت العالم الهندي أبو الحسن الندوي وقد أقام له أحد الوجهاء ، حفل تكريم ، وكنت أحد المدعوين ، وفي هذا الحفل رد العالم الجليل على كلمات الترحيب ، بكلمة جاء في بعضها عبارة لا تزال ترن في أذني ، ومعناها : أيها العرب ، لقد أرسل الله سبحانه وتعالى رسوله منكم ، وأنزل القرآن الكريم بلغتكم ، رغم انكم لم تكونوا آنذاك أكثر الناس عدداً ولا أجلهم قدراً ، ولا كانت لغتكم أكثر اللغات انتشاراً ، لكن إرادة الله تعالى شاءت أن تخصكم بهذا التكريم ، وأن تجعل منكم هداة ومعلمين للناس ، وقد قبلنا ورضينا نحن الأمم غير العربية ما شاءه الله وارتضاه . فكونوا بربكم معلمين نكن لكم تلاميذ .

هذا ما جاء في كلمة العالم الهندي .

والحقيقة انه من المؤسف حقاً أن تنال منا لغتنا هذا التنكر والاضطهاد والمحاربة ، ومن المؤسف أيضاً أن تتقبل ما وضعه بعض العرب في أذهاننا من أن لغتنا صعبة التعلم وقاصرة عن مواكبة متطلبات الحضارة والعلوم . ومؤسف أن نرى التخبط في لغتنا من جانبنا والتنكر لديننا ولغتنا ، بينما الأمم الأخرى تعمل على نشر لغاتها بشتى الوسائل وتنفق في سبيل ذلك الأموال الطائلة وتقيم المعاهد المجانية وتوزع الكتب والنشرات ، بينما نحن لا نعمل الا القليل من هذا لإحياء لغتنا .

عمرى حورى ـ بيروت

العـــربي :

لغتنا دون غيرها من اللغات هي اللغة التي نزل بها القرآن الكريم ، قال تعالى : « إنا أنزلناه قرآناً عربياً » . . واللغة العربية في حاجة الى بذل الجهد من أجلها ـ هي في حاجة للوصول الى الشعوب الإسلامية التي تقرأ القرآن ـ وهذه مسؤولية الجهات المسؤولة في الدول العربية خاصة وان عوامل نشر العربية في الدول الإسلامية وغير الإسلامية متوفرة عندنا . . والمهم البدء بأسلوب علمي تجني أمتنا بعده ثمارها . .

حوار القراء

حضارتنا .. والغرب

قرأت مقال الأستاذ محمد الأسعد، المنشور في العدد (٢٩٢) وكان المقال عامراً بالعبر، حريا بكل عربي أن يتملى فكرته الرفيعة ويستوعب معانيه السامية، ويلم باغراضه النبيلة في تنبيه العرب الى النظرة التي يرى فيها كتاب الغرب من خلال منظارهم المقلوب كل ما هو عربي صميم.

والغرب يعتقدون انهم نتاج حضارة خاصة قائمة على نفي لفضل الآخرين، وعدم الاعتراف بإنسانيتهم، وهذا يفسر لنا بوضوح كيف أخفى الغرب عدداً كبيراً من حضارات الأمم حسب اعتراف .. جارودي .. واذا كانت هذه هي نظرة الغربيين من الكتاب الى حضارتنا وتاريخنا فما الذي فعلناه من أجل أن نصحح هذه النظرة الخاطئة لكل ما هو غربي وشرقي ـ أليس حقيقا بنا أن نفعل شيئاً في التنبيه الى هذه الثغرة التي ينفذ منها كل من يريد أن يطعن العرب.

والدور العربي المطلوب للرد على هذه النظرة يكمن في أن نترجم أمهات الكتب العربية في العلوم المختلفة الى اللغات الأخرى، وننقل الى لغتنا كل ما يقال فينا حتى نصحح أخطاءهم ونرد على أوهامهم ـ وهذا لا يأتي الا بعد الثقة بالنفس والايمان بقدراتنا المتوفرة فينا.

شاكر الغرباوي المحامي
الناصرية ـ العراق

جيمس جويس

اسمحوا لي أن أنبه الى خطأ ورد سهوا في مجلة العربي العدد/ ٣٠٠/ ص/ ٥٤/ وذلك في مقدمة موضوع «الايرلندي المبدع الذي صور واقع البشر» عن حياة جيمس جويس وذلك بقول المجلة «في ذكرى مرور مائة عام على وفاة جيمس جويس».

فالمعروف أن جيمس جويس توفي فقط قبل اثنين وأربعين عاما، أي في عام ١٩٤١م! لذلك فأظن أن العبارة التي يجب أن تكتب هي «في ذكرى مائة عام على ولادة جيمس جويس» ذلك أنه ولد في عام ١٨٨٢م.

الدكتور اسامة باقو
حلب ـ سورية

العربي: نشكرك على ملاحظتك وعلى اهتمامك بتصحيح الخطأ الذي ورد في مستهل المقال الذي أشرت اليه، وسنعمل جاهدين على تلافي مثل هذه الاخطاء مستقبلا.

علامات ومدلولات

● لفت نظري في مجلة العربي، ان بعض المواضيع والمقالات تبدأ وتنتهي بهذه العلامة ◘ «مربع داخل دائرة» والجدير بالذكر ان هذه العلامات مدلولات خاصة لدى ضباط الخدمات الادارية، فالدائرة الخارجية تعني Operations أي عمليات، والمربع داخل الدائرة يعني (Inspection) أي تفتيش، فان كان المقصود منها المدلول المعروف لدى ضباط الخدمات الادارية فان الاستعمال يجانبه الصواب اذ لامعنى للمربع داخل الدائرة في البداية أو النهاية

فضل بقاوي ـ الخرطوم

تهنئة .. بيوبيل العربي

السيد/عبد الرزاق العسكر ، أرسل «للعربي» هذه الأبيات الشعرية يزف فيها التهنئة الى المجلة بمرور ٢٥ عاما على ميلادها ..

بالعلم تزدهر البلاد وتسعد
فالعلم أغلى ما يرام وينشد
عشرون عاماً قد تلتها خمسة
ومجلة العربي دوماً تصعد
فلقد سمت أخبارها وتألقت
وغدا لسمعتها يغار الفرقد
في كل شهر طلعة ميمونة
وبكل عام ثوبها يتجدد
فتزورنا في كل بيت حاضر
وتغير في كل البلاد وتنجد
هي للكويت منارة وضاءة
في كل صقع ضوؤها يتردد
فاذا تحيرت العقول ترى بها
نجماً يضيء لها الطريق فترشد
أكرم بها وبناشريها إنهم
قاموا بجهد يستجاد ويحمد

عبد الرزاق عبد العزيز العسكر ـ الكويت

التواجد .. والوجود

● في حديث الشهر العدد (٢٩٧) أغسطس ١٩٨٣م لاحظت أمرين ! الأول ـ ورود عبارة (لا لشيء الا لكونهم تواجدوا في ذلك الوقت ، والتاريخ في ذلك المكان المكتوب) ، وكان يجب ان يقال «وجدوا» ، لا «تواجدوا» ، لأن التواجد من الوجد وهو الشوق ، وشتان بين «التواجد والوجود» .

الثاني .. اغفل الحديث الشهري حقيقة هامة ينبثق منها الموضوع ، وهي ان الله خلق الانسان وخلق معه طبيعتين متضادتين هما «الخير والشر» وبين له طريق الخير وما فيها من مصلحة له في الدنيا والآخرة .. كما بين طريق الشر وضررها عليه وما يترتب على اتباعها من غضب ، وله بعد ذلك ان يختار .. قال تعالى «إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفورا» وقال سبحانه «وهديناه النجدين» فالخير والشر من طبيعة البشر ..

أحمد سعيد عبيدون
تريم ـ حضرموت ـ اليمن الجنوبي

العربي :

الفعل «تواجد» من الثلاثي «وجد» والفعل «وجد» له ثلاثة مصادر هي الوجد والوجود والوجدان ، فلماذا يقف السيد أحمد عند المصدر «الوجد» .

انه من هنا توهم الخطأ في استعمال الفعل «تواجدوا» في جملته التي أشار إليها ، ولو وسع نظره لرأى أن أصل «تواجدوا» من «وجده وجودا وصيغته تفاعل» وهي هنا تدل على المشاركة في العمل بين اثنين أو أكثر ، فمعنى «تواجدوا» وجد بعضهم بعضاً .

والرأي الذي عقب به القارىء العزيز ، وخلاصته أن الخير والشر من طبيعة البشر ، لا يضيف جديداً الى فكرة المقالة ، بل يقتصر على جزء منها ، والمقالة تتوسع فتصل الى أعمال القسوة التي يرتكبها البشر ، وتذكر صوراً لها مما لا ترتكب مثله الحيوانات ـ وهذا هو محور المقال الذي غاب عن ذهن الأخ القارىء .

العلاقة بين :
الإسلام والمجتمع

بقلم : ابراهيم محمد أبوربيع

« معرفة الاسلام ».. الدين والمجتمع في العالم العربي الحديث
للكاتب ميكائل جلسنان

□ إن اهتمام الغرب الأكاديمي بالعالم الاسلامي والعربي يرجع الى النصف الأول من القرن السابع عشر ، عندما تم تأسيس أول كرسي للدراسات العربية والاسلامية في جامعة كامبريدج في سنة ١٦٣٦ . هذا الاهتمام الأكاديمي الغربي تطور الى درجة قصوى في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وذلك بسبب ازدياد الحملات التبشيرية في العالم الاسلامي . فالمراكز التبشيرية في أوروبا وامريكا أحست بالحاجة الى اقامة فروع أكاديمية لدراسة اللغة العربية ، والاسلام ، والحضارة الاسلامية .

من هنا بدأ عصر الاستشراق المنظم وخاصة عندما بدأ الغرب الرأسمالي المتطور ينظر الى العالم الاسلامي على أسس اقتصادية ، واستراتيجية ، وعسكرية .

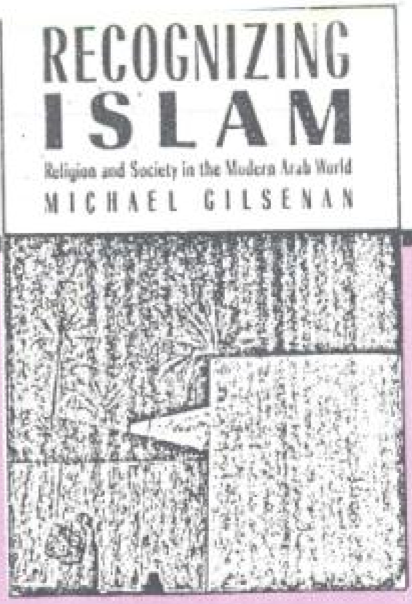

العربي والاسلامي الحديث . ومن أبرز هؤلاء المستشرقين نذكر - على سبيل المثال - فيليب حتي **Philip Hitti**، ومورو برجر **Moroe Berger**، ومانفرد هالبرن **M. Halpern**، وليونارد بيندر **L. Binder**، و س . سميث **C. Smith**، ومالكولم كير **M. Kerr** ووبليام زرتمان **W. Zartman**.

تطور علم الاستشراق

إن اهتمام امريكا بالعالم الاسلامي والعربي - وإن جاء متأخرا نوعا ما - يعكس ازدياد وأهمية النفوذ الامريكي في العالم بأجمعه . فأمريكا التي انبثقت كزعيمة للعالم الغربي بعد الحرب العالمية الثانية ورثت الأسس الاستعمارية الغربية ، وتبعا لذلك فقد ازدادت حاجتها الى خبراء متخصصين في كل المجالات وخاصة في المجالات الاسلامية ، نتيجة للاهتمام الامريكي المتزايد بعالمنا ، فان المؤسسات الامريكية الاقتصادية والعسكرية كمؤسسة كارنيجي **The Carnegie**، وروكفلر **Rockeffeller**، وفورد **Ford**، ركزت اهتمامها على تمويل برامج إسلامية وشرق أوسطية في الجامعات الامريكية ، وتدريب اكبر عدد ممكن من الطلاب الامريكيين .

ومن هنا فان المؤسسات الاستشراقية الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية أبرزت أعظم المستشرقين الذين درسوا وما زالوا يدرسون الجوانب التفصيلية للشريعة الاسلامية ، والتاريخ الاسلامي ، والتغيرات الاجتماعية والديمقراطية والاقتصادية في العالم

بالاضافة الى ذلك فان اشهر الجامعات الامريكية تستضيف أبرز المستشرقين البريطانيين ونخص بالذكر هاميلتون جب ، وبرنارد لويس .

من هنا نرى أن تطور علم الاستشراق في الجامعات الاوروبية والأمريكية يعكس الاهتمام السياسي والاقتصادي والعسكري المتزايد للغرب بالعالم الاسلامي والعربي .

هذه الحقيقة الكبرى التي حاول كثير من المستشرقين إخفاءها قد بينها الكاتب ادوار سعيد الفلسطيني المولد ، الأمريكي الجنسية في كتابه المشهور « الاستشراق » **Orientalism**.

وذكر أيضا في مجال الاستشراق المراكز الاستشراقية الاسرائيلية التي أخذت تلعب دورا ملحوظا في التدريب العلمي والأكاديمي للمستشرقين الاسرائيليين والغربيين من وجهة نظر اسرائيلية . من هذه المراكز الفعالة مركز الدراسات الأفروآسيوية في الجامعات العبرية ، ومركز « سيلوح » للدراسات الشرق أوسطية والافريقية في جامعة « تل أبيب » ، و « مركز

دراسات الشرق الاوسط » في جامعة حيفا . بسبب الصلات القوية التي تربط اسرائيل بالعالم الغربي ، فان كثيرا من الطلاب الغربيين يقومون بالمكوث في المراكز الاستشراقية الاسرائيلية لمدد دراسية طويلة للتعرف على الشرق الأوسط من نواحيه المختلفة . ان هذه المراكز الاسرائيلية تبين الفرق بين التنظيم الأكاديمي الاستشراقي في اسرائيل والدعم الرسمي وغير الرسمي لها ، وبين الجهد اليسير المنظم من جانب العالم العربي لدراسة الجوانب الاجتماعية والسياسية والاقتصادية المختلفة لاسرائيل ودول العالم الغربي من وجهة نظر عربية اكاديمية .

يبقى علينا أن نذكر في سياق مقدمتنا لعرض هذا الكتاب أن هناك بعض المستشرقين الغربيين ، كالمستشرق الفرنسي ماكسيم رودنسون **M. Rodenson** والمستشرق الامريكي بيتر جران **P. Gran**، والمستشرق الانجليزي ميكائل جلسنان ، الذين ثاروا على القواعد والاهداف الرئيسية والاستعمارية لعلم الاستشراق الغربي ، واتبعوا منهجا أكثر تقدمية وليبيرالية في تفسير الجوانب المختلفة للعالم العربي والاسلامي .

هدف الكتاب

ان جلسنان المؤرخ وعالم الانتروبولوجيا قد قضى شطرا كبيرا من حياته في العالم العربي ، بهدف دراسة العلاقة المعقدة ، ولكن المهمة، بين الدين والمجتمع في لبنان ، وسوريا ، ومصر ، والمغرب . ان جلسنان لا ينظر الى الدين كايمان بالقلب فقط ، وانما كأساس حاضر لعلاقات اجتماعية وسياسية ونفسية وتاريخية متشابكة تميز أسس المجتمع العربي عن الأسس التي تحكم المجتمعات الأخرى .

من هنا يذكر الكاتب انه يجب على الدارس للمجتمع العربي الحديث الالمام بقواعد الدين الاسلامي والتاريخ الاسلامي والتأثير الغربي على حاضر العالم الاسلامي . ان هذا الواجب وان كان ضخما الا أنه حيوي لتفسير كل الظواهر الاجتماعية المختلفة في عالمنا اليوم . من هنا يحمل جلسنان بشدة على كثير من المستشرقين الغربيين الذين لم يستطيعوا برغم أساليبهم العلمية المختلفة أن يتنبأوا بحدث ضخم جدا كالثورة الايرانية وذلك بسبب نتائجه (السلبية والايجابية) على العالم أجمع . فواضح ان الاسلام يتبوأ مركز الاحداث اليومية في العالم الاسلامي ، ودراسته تتطلب أساليب بحث ميدانية كالتي اتبعها الكاتب ، وأهم من ذلك دراسة التراث الاسلامي الضخم ومكانه من الاحداث الجارية اليوم . ان الكاتب يحلل بعمق الموقع التاريخي والاجتماعي والثقافي والسياسي لعلماء الدين والمتصوفين والمسلمين العاديين في العالم العربي . ان تحليله لعالم الحزن .. **World of Suffering** في القرى الشعبية في لبنان لا يقل براعة عن تحليله لمركز علماء الدين الاقتصادي والاجتماعي ، وخاصة في مصر ، وتحليله لمركز المتصوفين الروحي والاقتصادي والفكرة الاقتصادية للبركة .

ان علماء الدين باهتمامهم العميق بأصول الشريعة الاسلامية يجسدون بناء اجتماعيا معينا يختلف في كثير من الأحيان عن البناء الاجتماعي للسلطة الحاكمة . ان دور علماء الدين في العالم الاسلامي ، كما يقول الكاتب ، يختلف بكثير عن الدور التاريخي لعلماء الدين في أوروبا . فواجب علماء الدين في العالم الاسلامي ليس هو أن يكونوا حلقة وصل بين الله والمؤمنين كما في العالم الغربي وانما اقامة شريعة الله على الارض لمصلحة جميع المسلمين . ان سلطة علماء الدين قد ازدادت وخاصة بعد المحاولات المتكررة في الوقت الحاضر لابعاد الدين عن السياسة . فهنا أصبح رجال الدين مسؤولين اجتماعيا وخلقيا أمام الجماهير المسلمة ، وخاصة اذا كانت هذه الجماهير محرومة سياسيا واقتصاديا . يحلل

الكاتب العلاقة التاريخية بين العلماء ورجال السلطة بقوله ان هذه العلاقة لم تكن علاقة سمن وعسل في كثير من الأحيان . صحيح ان بعض العلماء رضوا عن بعض الأنظمة الحاكمة الا أن كثيرا منهم لم يرضوا عن ممارسات السلطة السياسية والاقتصادية . ان هذا التعارض ما زال قائما حتى اليوم لسبب رئيسي واحد وهو أن الافكار الاجتماعية والدينية التي يحملها رجال الدين تختلف بشدة عن الافكار المطبقة في المجتمع .

من خلال تحليل الدور التاريخي لعلماء الدين يصل الكاتب الى بحث نقطة مهمة وهي كيفية تطبيق الاسلام تطبيقا حقيقيا في المجتمعات العربية والاسلامية في القرن العشرين . لا يحلل الكاتب هذه النقطة تحليلا مستفيضا ولكنه يواجهنا بها . وتبعا لذلك يشعر القارىء لهذا الكاتب بتحدٍّ كبير للأفكار التي يحملها . عدة أسئلة من الممكن ان تجول في الخاطر عند قراءة هذا الكتاب ومنها :

١) هل يوجد هناك مسلم حقيقي مع غياب الدولة الاسلامية ؟

٢) هل نلوم علماء الدين أم الجماهير المسلمة لعدم اقامة الدولة الاسلامية ؟

٣) هل هناك إمكان لتطبيق الاسلام بطريقة عملية في عالم يبتعد عن الله يوما بعد يوم ؟(١)

كل هذه الأسئلة المنبثقة من النقاش الذي يقدمه الكتاب تحتم على الفقهاء ، أولا واخيرا ، النظر من زوايا جديدة على علاقتهم مع رجال السلطة وعلاقتهم مع عامة المسلمين .

الحركات التجديدية

ان الحركات التجديدية في العالم العربي الحديث وخاصة حركة « الاخوان المسلمين » قامت ، كما يقول الكاتب ، بسبب ظروف اجتماعية وسياسية ودينية سائدة . فهذه الحركات الدينية نشأت كرد فعل لفشل علماء الدين لاقامة المجتمع الاسلامي المتكامل من خلال فهمهم للشريعة ، وأيضا كرد فعل لاستعباد جماهير المسلمين من قبل الأعداء الخارجيين والداخليين . هذه الحركات ركزت على أمراض المسلمين الداخلية والطرق الملائمة للقضاء عليها . يذكر الكاتب ان أحد الأسباب الرئيسية لقوة الحركات التجديدية الحديثة هو اهتمامها بمشاكل عامة المسلمين ، ومن هنا فان علاقة الدين مع المجتمع في العالم العربي قد ازدادت تعقيدا .

ان طابع الاسلام الاجتماعي والسياسي أخذ شكلا حادا لم يأخذه من قبل وبالتالي أدى الى ازدياد حدة الصراع بين الايديولوجيات المختلفة في العالم العربي . ان الاقبال الهائل على جامعات العالم العربي من مختلف الطبقات الاجتماعية قد أعطى الفرصة للتيارات المختلفة ان تتصارع على أرض الواقع ، وواضح ان الحركات الاسلامية دخلت هذه المعركة حاملة شعار اقامة الدولة الاسلامية كهدف سام ممكن التحقيق .

لا شك اننا نلاحظ كما يلاحظ الكاتب نفسه أن الحركات الاسلامية تواجه صعوبات كثيرة بسبب حمل هذا الشعار . احدى هذه الصعوبات هي كيفية ترجمة تجربة الرعيل الاول من المسلمين الى لغة معاصرة تتجاوب مع التحديات الكبرى في هذا العصر . بكلمات أخرى ما موقف التيارات الاسلامية من ناحية الاسلوب والفكر من التراث الاسلامي ؟ هذه الاسئلة المختلفة التي طرحها مفكرون مسلمون في القرن العشرين كالشيخ حسن البنا ، وسيد قطب ،

---

(١) أليس من المجازفة القول بأن العالم يبتعد عن الله يوما بعد يوم ؟ (العربي)

ومولانا أبو الاعلى المودودى تحتاج الى أجوبة علمية وعملية .

واضح ان الكاتب لا يتطرق عند بحثه عن الحركات الاسلامية المعاصرة الى تجربة هذه الحركات في فترة السبعينيات وأوائل الثمانينيات وخاصة في مصر .

باعتقادي أن هذه الحركات قد اندفعت اندفاعا قوميا ومعاكسا للمحن التي اصابتها في الخمسينيات والستينيات لكي تدخل في مآزق جديدة . ان وضوح فكر هذه التيارات الاسلامية وخاصة تلك التي في مصر وعلاقتها مع عامة المسلمين سوف يحدد مستقبلها السياسي والاجتماعي .

الثقافة الاسلامية المعاصرة

يقول الكاتب انه بالمقارنة مع الثقافة الغربية المعاصرة فان أسس الثقافة العربية والاسلامية الحديثة تعتمد على المفهوم المقدس للمكان ، فبرغم عمليات التحديث في العالم العربي والاسلامي ، ما زالت المساجد والاسواق والعمارات الاسلامية الاخرى تتحدى بشدة الفكرة الغربية للبناء .

ان هذا التحدى مهم لأنه يبين الاستمرارية المكانية للاسلام الذى وحد كيانه الحضارى منذ زمن بعيد . بالاضافة الى ذلك ، فان أسس البناء الاسلامى تسمح للمسلم بأن يقيم علاقة وطيدة ، وفي كثير من الاحيان علاقة نفسية وشخصية مع المكان الذى يقطن به . هذا الشيء غير حاصل في وجدان الانسان الغربي الذى فقد المقاييس الشخصية والنفسية للمكان منذ زمن بعيد . ومن الممكن الاستنتاج من خلال هذا الكتاب ان الصراع بين فكرتي « المكان الاسلامى » و « المكان الغربي » في العالم العربي الحديث يعكس الصراع النفسي والثقافي والاجتماعى الشامل في العقل العربي الحديث .

ان قضية التراث تكتسب أهمية كبرى في هذا الصراع ولهذا يتحتم علينا النظر الى التراث من جوانب جديدة .

ان الكاتب عند دراسته لموقع التراث من الوضع الثقافي القائم يستعين بأفكار الكاتب المغربي عبد الله العروى وخاصة في كتابه « مأزق المثقف العربي - » وواضح ان كتابا آخرين في العالم العربي والاسلامي لا يستعين بهم الكاتب - أثروا تأثيرا كبيرا في مجال التراث ونخص بالذكر منهم الدكتور زكي نجيب محمود في كتابيه « تجديد الفكر العربي » ، « المعقول واللامعقول » ، والشاعر ادونيس في كتابه « الثابت والمتحول » ، والكاتب المسلم سيد حسين نصر في كتابه المهم « المعرفة والقدسية » .

ملاحظات وتنويهات

برغم الأهمية القصوى للكتاب الذى بين أيدينا الا أنه ينقصه الاسلوب التاريخي في التحليل ، والكاتب لا يقدم تمهيدا تاريخيا للمواضيع الدينية والاجتماعية والاقتصادية التي يحللها ، ومن هنا فان القارىء العربي يمكن أن يستفيد من بعض الكتابات الغربية في موضوع التحليل التاريخي للتحديات التي تواجه الاسلام والمسلمين في العصر الحاضر . من هذه الكتب المهمة كتاب ايفون حداد المعنون « الاسلام المعاصر وتحدى التاريخ »

ان هذا الكتاب يحلل التحديات المختلفة التي تواجه المسلمين وهذه الكاتبة تصل الى استنتاج مهم كالذى وصل اليه جلسنان ، وهو أن على العرب والمسلمين تحديد هويتهم بشكل واضح على حسب المتناقضات السياسية والاجتماعية السائدة في عالم اليوم . ان تحديد الهوية يجعل العرب والمسلمين جزءا مهما من التاريخ ، وليس فقط دخلاء على التاريخ ، وهذا التحديد يجعل علاقة الاسلام مع المجتمع أكثر وضوحا وقوة من ذى قبل . □□

من مكتبة العربي

سياسات النفط العربية في السبعينات

المؤلف : د . يوسف صايغ .
دار النشر : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت .
سنة النشر : ١٩٨٣م

● لا شك أن الانسان استعمل النفط منذ آلاف السنين ، لكن لم يكتسب النفط أهمية متميزة عن غيره من مواد الطاقة الا في القرن العشرين ، وحتى خريف سنة ١٩٧٣ كانت قلة من الناس في شتى بلدان العالم تفكر بشكل جاد بالقضايا والتعقيدات المتصلة بانتاج وتسويق النفط .

الا أن ارتفاع أسعار النفط بعد خريف سنة ١٩٧٣ ، جعل من الصناعة النفطية ومنظمة الاقطار المصدرة للبترول « أوبك » موضوع بحث واهتمام عام .

فما هي الأسباب التي دفعت منظمة « الأوبك » لرفع الأسعار ؟ ذلك ما يجيب عليه الكتاب ، ويطرح اجتهادات تتعلق بايجاد فهم متبادل أعمق بين مصدري النفط ومستورديه بتحديد الخطوط العريضة للسياسات النفطية ويفحص الخيارات المتاحة ودلالاتها بالنسبة للتنقيب والاستكشاف والانتاج والتسويق والتسعير ثم بالنسبة للتكرير واسالة الغاز والتصنيع البتروكيماوي .

ويفحص الكاتب دور قطاع النفط كمحرك للتنمية ويتناول الفرص العريضة التي فتحت آفاقها أمام الاقطار العربية في الاطار القطري والقومي والدولي ، ويقيم المسؤوليات التي أوجدتها تلك الفرص ، ويوضح الترابط بين الفرص والمسؤوليات .

مختارات قصصية للكاتب التركي عزيز نسين

ترجمة : فاضل جتكر
دار النشر : وزارة الثقافة والارشاد القومي ـ دمشق
سنة النشر : ١٩٨٣

● عزيز نسين هو رئيس اتحاد الكتاب في تركيا ، حاز على عدة جوائز على كتاباته الساخرة ، منها :

ـ الجائزة الاولى في عامي ١٩٥٦ و ١٩٥٧ ضمن المسابقة العالمية للكتابة الساخرة التي أجريت في ايطاليا .

ـ وحصل سنة ١٩٦٦ على جائزة « القنفذ الذهبي » لافضل كتابة ساخرة في المسابقة الدولية في بلغاريا .

ـ وحصل سنة ١٩٦٩ على الجائزة الاولى في مسابقة التمساح الدولية للكتابة الساخرة التي أجرتها مجلة « التمساح » السوفيتية .

ـ وحاز على عدة جوائز من خلال مسابقات عديدة أقامتها السلطات الثقافية في بلاده .

وقصصه الكثيرة الساخرة يكتبها على لسان بعض الحيوانات ، يستعيد فيها تراث كليلة ودمنة وألف ليلة وليلة ، في محاولة اسقاطية على حياة ومشاكل الواقع .

وقد احتوى الكتاب المترجم الى العربية على تسع عشرة قصة .

وقد كتب المؤلف مقدمة للكتاب جاء فيها :

« لكل تاريخ صفحاته السوداء البشعة . ومن الواجب معرفة هذه الصفحات وعدم نسيانها . غير أننا اذا كنا نريد السلام ، نريد صداقة الشعوب ـ وهذا هو واجبنا ـ فان علينا أن نخرج صفحات التاريخ الناصعة والجميلة ، لا السوداء البشعة الى النور .

هذا هو ما أردت أن أفعله بصفتي كاتبا تركيا ، وبصفتي أحد العاملين في حقل الثقافة ، ان الذي يسعدني سعادة حقيقية هو أن يساهم كتابي هذا مساهمة متواضعة في تمكين شعبينا « العربي والتركي » من التعرف أحدهما على الآخر من خلال الأدب .

عمر بن أبي ربيعة ونزار قباني

المؤلف : د . ماهر حسن فهمي .

الناشر : دار قطري بن الفجاءة ـ الدوحة

● ما الذي يجمع بين عمر بن أبي ربيعة الذي ولد سنة ثلاث وعشرين للهجرة ، وبين نزار قباني ابن عصرنا وزماننا ؟؟

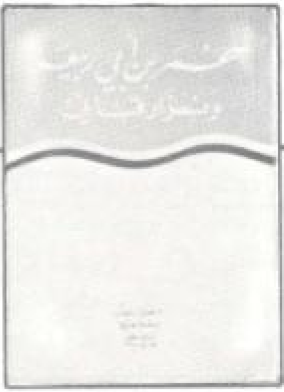

كي يجيب المؤلف على السؤال فانه يدخل في فن الموازنة الذي عرفه العرب منذ قديم الزمان .

فيقول « لا شك أن تحليل شعر الشاعرين والموازنة بينهما يكشف القيمة الحضارية وصورها من الداخل »

لكن هل يوجد للغزل نظرية ترتبط بالأوضاع الحضارية ؟؟

المؤلف يرجح ذلك . . . فيقول :

« هناك مراحل ثلاث يمر بها شعر الغزل . . . ترتبط كل مرحلة بوضع حضاري معين : مرحلة الصراع في الحياة والصراع من أجل الظفر بالمرأة لون منها ، مرحلة السلبية وتقديس المرأة صورة أخرى ، مرحلة الرفاهية وخروج المرأة وتصديها للرجل بحكم تحررها وايجابيتها »

هذا وقد قارن المؤلف بين الظروف الذاتية والموضوعية لكلا الشاعرين وبين المتشابهات فيها .

انتقال العمالة العربية المشاكل ـ الآثار ـ السياسات

المؤلف : د . ابراهيم سعد الدين ود . محمود عبدالفضيل

دار النشر : مركز دراسات الوحدة العربية ـ بيروت

سنة النشر : ١٩٨٣م

● لقد ترتب على انتقال الايدي العاملة العربية من قطر عربي الى آخر عوامل ايجابية وأخرى سلبية يجدر بنا الوقوف عندها وتفحصها .

والكتاب الذي بين أيدينا هو أحد الكتب الجادة التي تناولت هذا الموضوع من حيث الآثار والسياسات والمشاكل وبخاصة ما يتعلق بالجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

يقول المؤلفان في تقديمهما للكتاب :

« وقد كانت حركة انتقال الأيدي العاملة بين الاقطار العربية موضع ترحيب الاقتصاديين وعلماء الاجتماع ورجال السياسة في المرحلة الاولى لها ، حيث ساد اعتقاد بأن هذا الانتقال كفيل بتحقيق منافع مشتركة لكل من بلاد الاستقبال وبلاد الارسال في الوطن العربي . الا أن الاختناقات التي ظهرت في اقتصاديات العديد من الاقطار العربية وتفاقم بعض المشاكل التي صاحبت انتقال العاملين ، قد أدت الى ظهور العديد من البحوث القطرية التي ناقشت مدى الايجابيات التي ترتبت على حركة القوى العاملة وطبيعة مشاكلها . ومال العديد من الباحثين الى التركيز على الجوانب السلبية . وحملت ظاهرة انتقال الأيدي العاملة احيانا المسؤولية عن مشاكل يمكن أن تكون قد صاحبت انتقال العمالة ولكنها لا تعود اليها بالضرورة ، وقد برزت الحاجة الى تقويم عام على المستوى العربي للظاهرة بايجابياتها وسلبياتها مع اقتراح السياسات اللازمة لتعظيم الايجابيات والحد من السلبيات على الصعيد العربي » .

وهذا ما اجتهد فيه المؤلفان ومادرساه ميدانيا .

قضايا الابداع الفني

المؤلف : د . حسين جمعة .

الناشر : دار الآداب ـ بيروت

سنة النشر : ١٩٨٣م

● ميزة هذا الكتاب انه يعرض للنظريات والاجتهادات التي تناولت قضايا الابداع الفني منذ آلاف السنين ، ومنذ أن رأى أفلاطون في العالم المحسوس شبحا شاحبا لأفكار موجودة مسبقا ، وصولا الى البنيوية التي سادت في خمسينات وستينات هذا القرن في أوروبا وأمريكا . . ومارست بعض تأثيراتها على بعض الكتاب في أقطارنا العربية .

ولم يكتف الكاتب بعرض النظريات والاجتهادات التي تناولت قضايا الابداع الفني ، بل ناقشها وفند الكثير من اطروحاتها ، واجتهد في الاشارة الى مايعتقده الأفضل والأنسب في هذا المجال .

يقول المؤلف :

« جوهر الابداع يتلخص في خلق الجديد القادر على الاستجابة لمتطلبات الانسان ، ومهام الوعي وتحويل الواقع ، مما يؤدي في نهاية الامر الى تقدم التطور الاجتماعي كله ، وبفضل الابداع يكتسب كل ماهو قيم وأخلاقي في الفن ، والحياة قيمة جمالية عالية ، ويتيح الابداع للفن امكانية الاتصال الذاتي المباشر بالروح الانسانية » .

المسابقة الثقافية

رقم ٣٠٣

فبراير ١٩٨٤

تستهدف هذه المسابقة امتحان معلوماتك وسرعة خاطرك وتهدف بخاصة الى تشجيعك على البحث عن الردود الصحيحة بالرجوع الى المعاجم وسائر المصادر الرصينة . . فأملنا كبير في ألا ترد على الاسئلة ارتجالا ، حتى في الحالات التي تشعر فيها باليقين أنك تعرف الرد الصحيح .

والمطلوب منك ان تجيب على عشرة أسئلة اجابة صحيحة لكي تكون في عداد المرشحين للفوز بجائزة . .

الجائزة الأولى قيمتها ٥٠ دينارا
الجائزة الثانية قيمتها ٣٠ دينارا
الجائزة الثالثة قيمتها ٢٠ دينارا

٨ جوائز قيمة كل منها عشرة دنانير

ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي ـ صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العربي الثقافية » العدد ٣٠٣ ـ وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو أول ابريل ١٩٨٤ .

***

١ ـ لماذا يطفو الفلين على سطح الماء ؟

٢ ـ الأمير شارلز مارتل كان قائد جيوش الفرنجة في معركة بلاط الشهداء . . فما الاسم الكامل لقائد الجيوش العربية في تلك المعركة ؟

٣ ـ العضلات والعظام . . أيها يبلغ عدده في الجسم البشري (٦٢٠) وأيها (٢٠٦) . . ؟

جوائز العربي لقرائها أكثر من

ألفي دينار سنويًا

جوائز المسابقة

الجائزة الأولى ٥٠ دينارًا
الجائزة الثانية ٣٠ دينارًا
الجائزة الثالثة ٢٠ دينارًا
و ٨ جوائز تشجيعية قيمة كل منها ١٠ دنانير

٤ ـ كم مرة يسمح بالفوز لحصان في سباق دربي ؟

٥ ـ زرياب أكبر موسيقيي الاندلس . . من كان استاذه ؟ ابراهيم الموصلي أم اسحق الموصلي . . ؟

٦ ـ « الساق على الساق في ما هو الفارياق » . . هذا هو عنوان كتاب عربي معروف طبع سنة ١٨٥٥ ، فمن مؤلف هذا الكتاب . . ؟

٧ ـ أين تقع (بليز) وما هي عاصمتها ؟

٨ ـ أين تقع (بروناي) وما هي عاصمتها . . ؟

٩ ـ العقدة وحدة سرعة كما هو معروف . . لم سموها بهذا الاسم . . ؟

١٠ ـ جبل افرست والبحر الميت . . . في أيهما يزداد وزنك وفي أيهما ينقص . . ؟

١١ ـ عمى الألوان . . هل هو أكثر انتشارا بين الرجال . . أم بين النساء . . ؟

١٢ ـ ما اللغة التي تكلم بها السيد المسيح . . . ؟

كوبون مسابقة العدد ٣٠٣

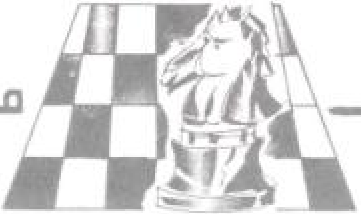

معركة بلا سلاح

« التضحية ببيدق ليست بخسارة اذا أدّت إلى كسب ثلاث نقلات » .
جولومبك

جامبيت الوزير

الجامبيت - كما أوضحنا في عدد سابق - افتتاح يضحي فيه الأبيض عادة ببيدق أو أكثر من بيادقه للسيطرة على الوسط وبناء هجوم قوي على جناح ملك أو وزير الخصم وقد تعرضنا بشيء من التفصيل لجامبيت الملك ، أما جامبيت الوزير الذي نحن بصدده في هذا العدد فهو من أكثر الافتتاحيات شعبية لدى لاعبي الشطرنج المحدثين وهو ينطوي على مخاطر شديدة للأسود إن لم يتسلح باليقظة والحرص البالغين .

١ - ب - ٤ و ب - ٤ و
٢ - ب - ٤ ف و ....
هذه النقلة أهداف عدّة أهمها :
أ - اغراء أحد بيادق الاسود بالابتعاد عن الوسط .
ب - الضغط على بيدق الوزير في حال عدم تحقق الهدف الأول .
جـ - تركيز الهجوم على عمود فيل الوزير وبالتالي السيطرة عليه .
٢ - .... ب - ٣ م
وهو الدفاع الأنسب عن وسط الرقعة والنقلة ب - ٣ ف و جيدة أيضا ولكن ليس ح - ٣ ف م لأن الحصان سيضطر للتراجع فيما بعد وفي ذلك خسارة لوقت ثمين ، ويمكن أيضا قبول البيدق المضحى به ولكن ليس على سبيل الاحتفاظ به والدفاع عنه وإلا أدّى إلى كارثة غالبا .
٣ - ح - ٣ ف و ح - ٣ ف م
٤ - ف - ٥ ح ....
لزيادة الضغط على بيدق الوزير مهددا
٥ . ف × ح ، و × ف ٦ . ب × ب ، ب × ب ٧ . ح × ب
٤ .... ف - ٢ م
٥ - ب - ٣ م ت
٦ - ح - ٣ ف ح و - ٢ و
ومن أساليب الدفاع الأخرى ما يعرف بدفاع لاسكر وذلك بنقل الحصان الى ٥ م
٧ - ر - أ ف ....
لزيد من الضغط على عمود الفيل
٧ - .... ب - ٣ ف
لمنع الأبيض من تحقيق هدفه
٨ - ف - ٣ و ب × ب
الاسود يتخلى عن الوسط ويلجأ الى تبادل القطع .

٩ - ف × ب   ح - ٤ و
١٠ - ف × ف   و × ف
١١ - ت   ح × ح
١٢ - ر × ح   ....
لو ١٢ . ب × ح   ب - ٤ ف و
فان الموقف يتحول إلى صالح الأسود
١٢ - ....   ب - ٤ م

للاستمرار في خطة تبادل القطع ومن ثم تطوير فيل الوزير لأن أكبر الصعوبات التي تواجه الأسود في هذا النوع من الافتتاح هي تطوير هذا الفيل ومتى أفلح الأسود في تطوير فيل الوزير على نحو جيد يكون قد حل أهم مشكلات الدفاع في افتتاحيات جناح الوزير .

وأعنف تكملة لدى الأبيض هي ما يعرف بتنويعة روبنشتاين نسبة للاعب البولندي الشهير

١٣ - ب × ب   ح × ب
١٤ - ح × ح   و × ح
١٥ - ب - ٤ ف   ....

الأبيض يستغل موقع الوزير للهجوم على جناح الملك والتهديد بالتقدم الى ٥ ف لمنع الأسود من تطوير فيل الوزير

١٥ - ....   و - ٣ ف
وهي أفضل نقلة متوفرة للأسود

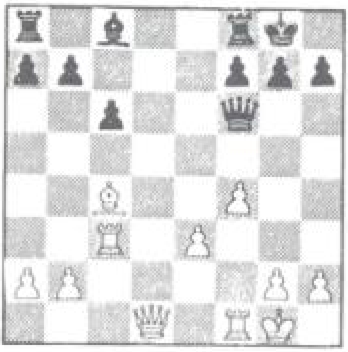

١٦ - ب - ٥ ف   ....
الابيض يسد طريق الفيل والاسود لا يستطيع أن يلعب
١٦ .... ف × ب لأن الأبيض يلعب
١٧ . ب - ٤ م ويفوز بقطعة كاملة .
١٦ ....   ب - ٤ ح و
١٧ - ف - ٣ و   ب - ٥ ح
١٨ - ر - ٢ ف و   ر - ١ و
١٩ - و - ٢ م   ب - ٤ ر و
واللعبة متعادلة الآن تقريبا .

مسألة شطرنجية

مسألة ١٤

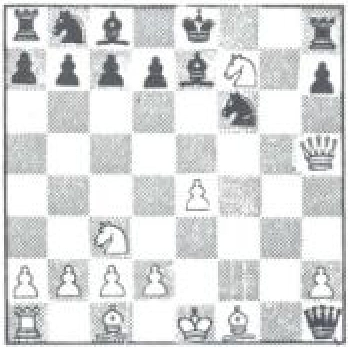

الأبيض يلعب ويكش مات في ثلاث نقلات .
حاول أن تجد الحل ونحن بانتظار ردك أيها القارىء حتى منتصف الشهر القادم .

مجلة العلوم الاجتماعية

تصدر عن جامعة الكويت

فصلية اكاديمية علمية مختصة بالشؤون النظرية والتطبيقية
في مختلف حقول العلوم الاجتماعية

رئيس التحرير د. أسعد عبد الرحمن

سكرتير التحرير عبد الرحمن فايز

يحوي العدد حوالي ٣٠٠ صفحة تشتمل على :

- ابحاث بالعربية تعالج مختلف حقول العلوم الاجتماعية.
- مراجعات لكتب حديثة تبحث الموضوعات التي تعالجها المجلة.
- ملخصات.
- ابواب ثابتة : تقارير علمية. دليل الجامعات والمؤسسات التعليمية العليا.
- ندوة العدد.

الاشتراكات :

للمؤسسات والدوائر الحكومية : في الكويت ١٢ ديناراً ، في الخارج ٤٥ دولاراً أو ما يعادلها.

للأفراد : في الكويت ديناران كويتيان ، دينار للطلاب.

في الوطن العربي : ديناران ونصف كويتيان أو ما يعادلها ، ديناران للطلاب.

في الدول الاخرى : ١٥ دولارا أمريكيا أو ما يعادلها.

توجه جميع المراسلات والابحاث باسم رئيس التحرير على العنوان التالي :
مجلة العلوم الاجتماعية - جامعة الكويت - ص.ب : ٥٤٨٦ الكويت
هاتف : ٥١٠١٨٨ / ٣٧٢ / ٢٥٠

مِنَ المسرح العالمي

سلسلة ثقافية

تصدرها في مطلع كل شهر

وزارة الإعلام في الكويت

أول فبراير ١٩٨٤

١٧٣

من المسرح الإفريقي - ٢.

الناسك الأسود

تأليف : جيمس نجوجي

ولد للموت

تأليف : سام توليا موهيكا

الخروج

تأليف : توم أومارا

ترجمة وتقديم : د. سليم الأسيوطي

مراجعة : د. طه محمود طه

المجلة العربية للعلوم الإنسانية

مجلة فصلية محكمة ، تقدم البحوث الاصيلة والدراسات الميدانية والتطبيقية في شتى فروع العلوم الانسانية والاجتماعية باللغتين العربية والانجليزية .

تصدر عن جامعة الكويت

صدر العدد الأول في يناير ١٩٨١

رئيس التحرير د. عبدالله العتيبي

مدير التحرير عبدالعزيز السيد

- تتناول المجلة الجوانب المختلفة للعلوم الانسانية والاجتماعية بما يخدم القاريء والمثقف والمتخصص .
- تعالج موضوعات المجلة الميادين التالية :
اللغويات النظرية والتطبيقية – الآداب والآداب المقارنة – الدراسات الفلسفية الدراسات النفسية – الدراسات الاجتماعية المتصلة بالعلوم الانسانية – الدراسات التاريخية – الدراسات الجغرافية – الدراسات التربوية – الدراسات حول الفنون (الموسيقى – التراث الشعبي – الفنون التشكيلية – النحت ... الخ) – الدراسات الاثارية (الاركيولوجية) .
- تقدم المجلة معالجاتها من خلال نشر :
البحوث والدراسات – مراجعات الكتب – التقارير العلمية – المناقشات الفكرية .
- مواعيد صدور المجلة : كانون ثاني – نيسان – تموز – تشرين أول .
- تنشر المجلة ملخصات للبحوث العربية بالانجليزية ، وملخصات بالعربية للبحوث الانجليزية .

ثمن العدد : للأفراد ٤٠٠ فلس
للطلاب ٢٠٠ فلس

الاشتراكات السنوية

	داخل الكويت	في الخارج
– للمؤسسات	١٠ د.ك.	٤٠ دولاراً أمريكيا
– للأفراد	٢ د.ك.	١٥ دولاراً أمريكيا
– للاساتذة والطلاب	١ د.ك.	١٠ دولارات أمريكية

- تقبل الاشتراكات في المجلة لمدة سنة أو عدة سنوات .
- قواعد النشر تطلب من رئيس التحرير .
- جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير :–

ص.ب : ٢٦٥٨٥ (الصفاة)

الكويت – الشويخ – ت : ٨٢١٦٣٩ – ٨١٧٦٨٩ – ٨١٥٤٥٣

عالم المعرفة

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

فبراير
١٩٨٤م

التصوير والحياة

تأليف
الدكتور محمد نبهان سويلم

الكتاب الرابع والسبعون

٥٠٠
فلس

المراسلات :
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية

تصدر عن جامعة الكويت

رئيس التحرير
الدكتور عبدالله الغنيم

صدر العدد الأول في كانون ثاني (يناير) ١٩٧٥

تصل أعدادها الى أيدي نحو ١٢٥,٠٠٠ قارئ

يحتوي كل عدد على حوالي ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير تشتمل على : -

- مجموعة من الأبحاث تعالج الشئون المختلفة للمنطقة بأقلام عدد من كبار الكتاب المتخصصين في هذه الشئون .
- عدد من المراجعات لطائفة من أهم الكتب التي تبحث في النواحي المختلفة للمنطقة .
- أبواب ثابتة : تقارير - وثائق - يوميات - ببليوجرافيا .
- ملخصات للأبحاث باللغة الانجليزية .

ثمن العدد : ٠٠ فلس كويتي أو ما يعادلها في الخارج .

الاشتراكات : للأفراد سنويا ديناران كويتيان في الكويت ، ١٥ دولارا أمريكيا في الخارج (بالبريد الجوي)

للشركات والمؤسسات والدوائر الرسمية : ١٢ دينارا كويتيا في الكويت ، ٤٠ دولارا أمريكيا في الخارج (بالبريد الجوي) .

منشورات المجلة :

تصدر المجلة أيضا دراسات مستقلة متعلقة بشئون المنطقة صدر منها

١- كتاب التكامل الاقتصادي في الخليج العربي (د . محمد هشام خواجكية) . ١٩٧٩ .
٢- كتاب آفاق التنمية الصناعية في دول الخليج العربي (د . عبد الاله أبو عياش) . ١٩٧٩ .
٣- كتاب حقوق الطفل في دولة الكويت (د . بدرية العوضي) . ١٩٧٩ .
٤- كتاب الاحصاءات الاقتصادية في المملكة العربية السعودية (بدوي خليل) ١٩٨٠ .
٥- دور جريدة فتاة الجزيرة في أحداث عام ١٩٤٨ بصنعاء (سلطان ناجي) ١٩٨٠ .

سلسلة وثائق الخليج والجزيرة العربية لعام صدر منها :

الكتاب الأول : وثائق الخليج والجزيرة العربية لعام ١٩٧٧ . ١٩٧٩ .

العنوان : جامعة الكويت - كلية الآداب والتربية - الشويخ - دولة الكويت .
ص . ب : ١٧٠٧٣ - الخالدية
الهاتف : ٨١٦٨٠٧ - ٨١٦٧٩٩ - ٨١٦٨٢

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير .

توشيبا: الرّائدة في نظام العكس الذاتي "أوتو رفيرس"

إن أجهزة الراديو كاسيت ستريو من "توشيبا" كانت السبّاقة في نظام العكس الذاتي "أوتو رفيرس". لذا، فقد أصبحت الأولى في توفير متعة التسجيل أو الاستماع دون توقف وذلك لدورة واحدة أو بصورة متواصلة. ويمكنك أيضاً الاستماع إلى كل جانب من الشريط دون قلبه.

توشيبا تعرض عليك مجموعة كاملة من أجهزة الراديو كاسيت المزودة بنظام العكس الذاتي "أوتو رفيرس" والمتوفرة بموديلات عادية وستريو وبأحجام صغيرة وكبيرة. وبغض النظر عن الموديل الذي تختاره فأنت واثق من حقيقة ثابتة وهي أن جهازك رائع لأنه من توشيبا.

BomBeat SX7
AUTO REVERSE
- قوة الخرج ٦٠ واط
- ٤ موجات اف ام/ متوسطة/ قصيرة ١ و ٢
- نظام ستريو شامل
- ٤ مكبرات للصوت وإبداعهن قابلة للفصل
- نظام سريع لانتقاء الصوت

BomBeat 170
AUTO REVERSE
- قوة الخرج ١٠ واط
- ٤ موجات اف ام/ متوسطة/ قصيرة ١ و ٢
- نظام ستريو شامل

BomBeat 483
AUTO REVERSE
- قوة الخرج ٨ واط
- ٤ موجات اف ام/ متوسطة/ قصيرة ١ و ٢

TOSHIBA | توشيبا

TOKYO, JAPAN

العربي

جمادى الأولى ١٤٠٤ هـ — مارس « آذار » ١٩٨٤ م

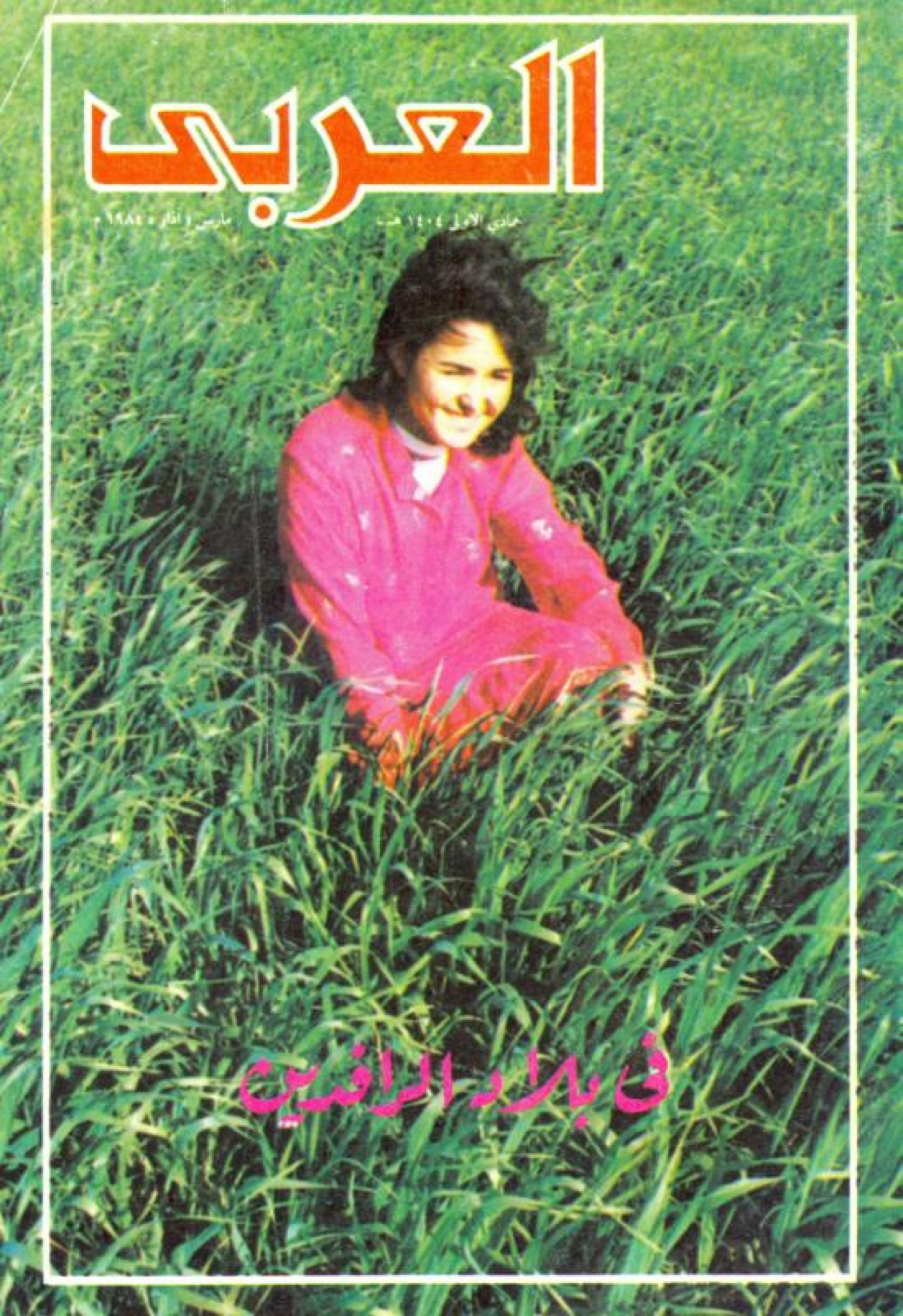

في بلاد الرافدين

١٠ أسْبَاب جَعَلتني أصِرُّ عَلى ڤيديو فيشر لمنزلي.

١،٢،٣،٤ إن عملي يأخذني الى مختلف أنحاء العالم. أحتاج الى مسجل ڤيديو يسجل ويعيد البث في أي بلد تقريباً. فيشر أنظمة باستطاعته ذلك.

٥ لقد اخترع فيشر الهاي فاي في أمريكا عام ١٩٣٧، ولقد كان رائداً في حقل التكنولوجيا منذ ذلك.

٦ ان فيشر مشهورة بجودتها التي لاتضاهى.

• بال/ميسكام/ان ڤي اس سي ٤٫٤٣/ان ڤي اس سي ٣٫٥٨

٧ مرونة استعمال فيشر مثل تراوح الڤولتاج من ١١٠ لغاية ٢٤٠ ڤولت للعمل في اي مكان تقريباً.

٨ عملية تشغيل سهلة مع جميع الميزات القياسية للبحث عن الصورة خلال حركة بطيئة او سريعة.

٩ عندما أكون خارج المنزل فهنالك إمكانية البرمجة الأوتوماتيكية الجيدة مع مؤقت لبرمجة ٨ أيام/ برنامج واحد.

١٠ إسم فيشر. لقد نال ثقتي لسنوات عديدة وهو موضع ثقتي الآن.

فيشر

FISHER

العربي

مجلة ثقافية عربية مصورة

رئيس التحرير

د. محمد الرميحي

تصدر شهرياً عن وزارة الإعلام
بدولة الكويت للوطن العربي
ولكل قارئ للعربية في العالم
المجلة غير ملتزمة بإعادة أي مادة تتلقاها
للنشر والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

المراسلات

باسم رئيس التحرير

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة
قسم الإعلانات

الاشتراكات

ترسل الطلبات إلى : قسم الاشتراكات
المكتب الفني - وزارة الإعلام
ص.ب ١٩٣ الكويت

على طالب الاشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية ، أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الإعلام طبقاً لما يلي :

الوطن العربي ٤ د.ك - باقي دول العالم ٦ د.ك

ثمن العدد

الكويت	٢٥٠ فلساً	السعودية	٥ ريالات
العراق	٢٥٠ فلساً	اليمن الشمالي	٣ ريالات
الأردن	٢٠٠ فلس	قطر	٥ ريالات
البحرين	٣٠٠ فلس	لبنان	٣ ليرات
اليمن الجنوبي	٢٥٠ فلساً	سوريا	٣ ليرات
مصر	٢٥٠ مليماً	الامارات	٥ دراهم
السودان	٢٠٠ مليم	المغرب	٣ دراهم
تونس	٤٠٠ مليم	ليبيا	٣٥٠ درهماً
الجزائر	٤ دنانير	سلطنة عمان	ربع ريال
بريطانيا	جنيه استرليني	أوربا	دولاران أو جنيه استرليني
فرنسا	١٥ فرنكاً	أمريكا	دولاران

العدد ٣٠٤
مارس ١٩٨٤

عنوان المجلة بالكويت
ص.ب ٧٤٨ صفاة
ت : ٤٢٧١٤١ - ٤٦٨٢٤٢
برقياً : « العربي » الكويت

AL-ARABI
Issue No. 304. Mar. 1984
P. O. Box 748 KUWAIT

A Cultural Monthly
Arabic Magazine
in Colour

Published by :
MINISTRY OF
INFORMATION
STATE OF KUWAIT.

عزيزي القارئ

كانت رغبة رددتها رسائل القراء على مدى السنوات الطويلة التي ارتبطوا فيها بالعربي : « أعيدوا طباعة اعداد العربي الأولى ، فقد خلت منها المكتبات » .

ومضت الأعوام ، ولم ننس . .

وأصبح بامكان القارىء اليوم ، بفضل الميكروفلم أن يحصل على اعداد العربي كلها منذ صدورها عبر ربع القرن الأخير في حيز لا يتجاوز حقيبة اليد الصغيرة .

هكذا الحياة في تطور سريع مستمر . . فقد كانت العجلة والرافعة في بداية هذا القرن أو ماقبله هي قمة ما توصل اليه العلم والصناعة .

واليوم نعيش ثورة العلم ، تلك التي حققت معها هذا التطور الهائل في وسائل الاتصال . .

بالأمس اتسعت قدرة الانسان الفيزيقية . . واليوم تتسع قدرته العقلية والعلمية بفضل التقدم التقني .

لقد أصبح في مقدور العلم أن يختزن المعلومات الموجودة على آلاف البطاقات والأشرطة في الكومبيوتر الصغير الذي تحمله معك الى أي مكان .

وهكذا « العربي » بكل اعدادها منذ صدورها ، سوف تصدر بدورها فهرسا كاملا لما حوته من رؤوس الموضوعات وأسماء كتابها على مدى الخمس والعشرين سنة الأخيرة في مجلدين لا غير .

اننا نبدأ عهدا جديدا نرجو له الاستمرار بفضل تشجيع قراء « العربي » وجهود العاملين فيها من المطابع وجهاز التحرير الى الكتاب الذين يخصونها بكتاباتهم وأفكارهم . . ولقد بدأنا نحس بصدى الجهد الذي نبذله . . ففي القاهرة وحدها وزع العربي مائة الف نسخة من عدد يناير الممتاز ، وفي بقية الاقطار العربية جاءت الرسائل تقول : « نريد المزيد من اعداد العربي » .

وخلال هذا الشهر يلتقي « العربي » بمجموعة من خيرة المثقفين العرب على أرض الكويت في ندوة تتدارس مهمة المجلات الثقافية العربية التي كانت تصدر في السابق أو التي تصدر في وقتنا الحاضر من أجل تطوير الثقافة وانتشارها ، وحيث ترحب العربي بضيوفها على أرض الكويت تعد قراءها أن تنقل لهم وقائع هذه الندوة الهامة التي تعتبر أكبر تظاهرة ثقافية عربية منذ زمن ليس بالقصير .

هكذا « العربي » مجلتك ـ عزيزي القارىء ـ أعطيتها ثقتك ، وهي تحاول رد الجميل بكثير من الجهد والعرق .

المحرر

في هذا العدد

◆ في أرض الرافدين ◆

في القطر العراقي عشنا تجربة رائدة . . إنها صورة من صور التعاون والتكامل التي كنا نحن العرب ، نحلم بها منذ قرون طويلة مضت . . في الأرض الطيبة أثمرت هذه التجربة . . ترى ما هي سماتها . . . ؟ وما أهدافها ؟ أنها صورة من قريب لما يمكن أن يتحقق في ظل التعاون والتكامل (اقرأ الاستطلاع ص ١٠٠)

◆ أدب الحوار الدينى ◆

يتصور الكثير من الناس في مجال الدين وقضاياه أن الحقيقة لا يمكن أن تتعدد وجوهها ، لان الحق (واحدهم) لا يتعدد ، ولان الصراط المستقيم أيضا واحد . والسبل المعوجة وحدها هي التي تعدد . (أقرأ ص ١٨) .

◆ الدول النامية ونظام النقد الدولى ◆

الدول النامية ، الغنية منها والفقيرة ، تلك التي تمتلك فوائض مالية في البنوك والمؤسسات التجارية ، أو تلك التي تستدين بلايين الدولارات ، لا تستطيع السيطرة على نشاطات وإتجاهات الاقتصاد العالمى المالى . . ماهى قصتها مع نظام النقد الدولى ؟ (أقرأ ص ٦٨)

◆ حكاية رجل يرفض الموت ! ◆

هذه قصة مهداة الى قلبك ، انها قصة مواطن عربي أراد الحياة ، رفض أن يستسلم للموت الذى توقعه له الاطباء ، وسافر يحمل قلبه المتعب . . وعاد الى بلده وأهله ليروى رحلته مع الموت والحياة . . (أقرأ ص ٣٤) .

◆ أطفالنا . . كيف نرعاهم ؟ ◆

أطفالنا أكبادنا تمشي على الأرض . . الاطفال يولدون وبكاؤهم يسبق ضحكاتهم وكأنهم يعلنون مع مجيئهم أنهم في حاجة الى الحب والعطف والحنان . ترى هل نجحنا - نحن الآباء - في تفهم نفسية الطفل وتقديم الرعاية التي يحتاج اليها في مراحل نموه ، حتى وهو جنين قبل أن يرى النور . . . ؟ (اقرأ ص ١٤٨)

محتويات العدد

قضايا عامة

■ حديث الشهر :
التقنية العربية .. المستورد فيها والمستنبت .
ـ د . محمد الرميحي ٨

■ الدول النامية ونظام النقد الدولي :
ـ د . أحمد حافظ الجعويني ٦٨

■ موقفنا من الحضارة ... الى أين ؟
ـ عبد الرزاق البصير ٧٦

■ المستقبل : لماذا نخشاه ؟
ـ د . محمد علي الفرا ٩٣

■ أرقام : من الصلب الى « الكونتشينة » كان القطاع العام
ـ محمود المراغي ١٣٠

عروبة واسلام

■ أدب الحوار الديني
ـ د . أحمد كمال أبو المجد ١٨

■ الحقوق في الشريعة الاسلامية
ـ محمد شمس الدين ٢٩

■ من التراث : الفراسة والكشف عن باطن الارض ـ د . محمد عيسى صالحية ٨٨

■ كتاب الشهر : شقوق في صورة العرب عند الأمريكيين ـ تحقيق : أدموند غريب
ـ عرض : د . أمين العيوطي ١٦٦

منتدى العربي

■ قضية اسلامية مطروحة : مفتي المسلمين ، لا ينبغي أن يكون موظفا
ـ د . أحمد عبد الرحمن عيسى ١٣٢

■ قبل أن تموت العامية
ـ د . أحمد خطاب العمر ١٣٧

طب وعلوم

■ طبيب الاسرة ٨٦

■ سلامة البشر من سلامة البيئة
ـ اعداد : يوسف زعبلاوي ١١٨

■ الجديد في الطب والعلم ١٤٣

■ أطفالنا أكبادنا
د . نبيل سليم ١٤٨

آداب وفنون

■ قالوا في الأم ٢٣

■ في مسرحية صلاح عبد الصبور « ليلى والمجنون » : جيل من الثوار مفقود بين

الماضى والمستقبل
ـ د . علي الراعى ٢٤

■ فيا كبدى (شعر)
ـ سعيد قندقجى ٣٢

■ عند العودة (قصة)
ـ رستم كيلانى ٦٤

■ الدور والرسالة مع رسام الجداريات ضياء العزاوى
ـ عبد المعبود شحاته ١٢٢

■ صفحة لغة : أسطورة وأساطير
ـ محمد خليفة التونسى ١٤٠

■ الرحيل الأبدى (شعر)
ـ غنيمة زيد الحرب ١٤٦

■ شدو البلابل (قصة)
ـ مجيد طوبيا ١٦١

تربية وعلم نفس

■ الحمل والاحساس بالأمومة
ـ د . أحمد السيد طوبا ٤٦

تاريخ واشخاص

■ كارل بوبر بين منهج العلم وفلسفة المجتمع المفتوح
ـ د . أحمد أبو زيد ٨١

■ يهوه اله اسرائيل الدموى
ـ سيد محمود القمنى ١٥٥

استطلاعات مصورة

■ حكاية رجل رفض الموت « أول مواطن عربي يعيش بقلب مزروع »
ـ منير نصيف ٣٤

■ عملية زرع القلب ... متى بدأت وكيف تطورت ؟ ٤٤

■ الحنين الى الماضى ... والصحراء
ـ صادق يلى ٥٢

■ فى أرض الرافدين : العرب وأرض السواد .. الأرض عراقية والمزارعون من مصر والمغرب والأردن وفلسطين
ـ سليمان الشيخ ١٠٠

أبواب ثابتة

■ عزيزى القارىء ٤
■ حل مسابقة العدد (٣٠١) ٧٤
■ العربي من ربع قرن ٩٨
■ مكتبة العربي ١٧٧
■ حوار القراء ١٨٠
■ مسابقة العربي ١٨٤
■ الشطرنج (معركة بلا سلاح) ١٨٦

التقنية العربية ..

يقول أبو الحسن الماوردي* في كتابه الشهير « أدب الدنيا والدين » .

« أعلم أن العلم أشرف ما رغب فيه الراغب ، وأفضل ما طلب وجدّ فيه الطالب ، وأنفع ما كسبه واقتناه الكاسب » .

ومفهوم العلم قد تغير بتغير الزمان وحاجات الانسان ، الا أن الأولين قد دبجوا في شرف العلم والعلماء ما يحث الناس على التتبع والاقتداء . وقد تبعهم المتأخرون في الحث على العلم ولكنه علم له زمان آخر وهو يلبي حاجات إنسان عصر آخر .

واليوم كثرت المؤتمرات والندوات والاجتماعات التي نعقدها نحن العرب للحديث عن تحدّى العلم والتقنية لنا جميعا في هذا العصر ، عصر التقنية التي حلت كثيرا من مشكلات الانسان المعاصر .

ولكننا في واقع الحال نقف ازاء هذه التقنية موقف المتفرج والمستورد أكثر من موقف المشارك المبادر .

المواطن العربي يقف أمام الاختراعات الحديثة المدنية والعسكرية على السواء ، فيرى فيها تقدما تقنيا جديدا نبت في مكان آخر من الأرض ..

(*) هو علي بن محمد بن حبيب أبو الحسن الماوردي (نسبة الى ماء الورد) ، ولد في البصرة ، ثم انتقل الى بغداد ، تولى القضاء في كثير من المدن ، ثم صارت له رئاسة القضاء ، «أقضى القضاة» في عهد القائم بالله العباسي ، وكان له منزلة عالية عند الخلفاء العباسيين . ألف كتبا كثيرة في الفقه (الشافعي) وفي التفسير وفي الاخلاق والسياسة ، طبع منها : (أدب الدنيا والدين) و (الأحكام السلطانية) و (أعلام النبوة) ولد وتوفي (٣٦٤ - ٤٥٠ هـ) (٩٧٤ - ١٠٥٨ م) .

المستورد منها والمستنبت

بقلم : الدكتور محمد الرميحي

أنت وأنا نرى ونسمع ونقرأ عن الاكتشافات الجديدة في مجالات الطب والزراعة فنقول انها التقنية الجديدة فجرها العلم من أجل حاجات الانسان ورفاهيته . ثم نرى الجديد في الاتصالات والمواصلات ، التي تصلنا بقريب مريض في أقصى الأرض أو تنتقل بنا لانجاز مهمة شخصية أو جماعية أو تنقل أفكارنا وآراءنا عشرات الآلاف من الأميال . . نرى هذا كله ولانملك الا أن نقف أمامه مبهورين . . انها ثورة العلم . . انها التقنية . ولكن وقفتنا لا تطول ، فنحن لا نلبث أن نستوردها كما نستورد أي شيء آخر .

ماذا يقول المتخصصون . . ؟

الاقتصادي ينظر الى اعتمادنا على شراء هذه التقنية جاهزة من مصدرها فيقول لنا انها تبعية علمية واقتصادية ولافكاك منها الا باستنبات هذه التقنية في أرضنا والاستغناء عن استيرادها .

والسياسي ينظر الى هذه التقنية على أنها تحدٍ لا يمكن الفكاك منه سياسيا الا بقهره .

ويبقى السؤال بعد هذا لدى الجميع في داخل قاعات المؤتمرات وعلى صفحات الصحف والمجلات « هذه التقنية المتقدمة وما استوردناه منها

حتى الآن في وطننا العربي . . . كيف نستنبتها عندنا ؟ وما هي سبل تطويرها أو تعديلها لكي يمكن أن تلبي حاجتنا الملحة ؟ » .

وتجد بعد ذلك من يقول لك إنه السؤال الصعب والتحدّي الأساسي للوطن العربي في هذه الفترة الزمنية الحرجة .

« إن نقل وتطوير التقنية يواجه الكثير من العقبات . . . فما بالك باستنباتها وزرعها ؟ » .

ولكن هذا السؤال الصعب لن يبقى صعبا اذا استطعنا أن نحقق بنجاح عملية التطوير والانتقال من الصفوف الخلفية بين أمم الارض لى الصفوف الأمامية .

وهنا لا بد لنا من وقفة نسأل فيها أنفسنا : هل نعرف بالتقريب ما هي التقنية ؟

تعددت المفاهيم والجوهر واحد

بعضنا يربط بين التقنية والعلم الاساسي BASIC SCIENCE المقترن بتطوير البحث العلمي في الجامعات ، وقليل منا من يعرف أن التقنية سبقت العلم كما نعرفه اليوم ، فالانسان عرف التقنية عندما بدأ يُشبع حاجاته البسيطة ، فهو قد عرفها منذ أحس بالحاجة الى تدبير أموره ، وما ارتباط العلم بالتقنية الا سمة جديدة عرفت في القرون المتأخرة . الانسان البدائي مثلا اخترع النار عندما اكتشف ان أكل اللحم الناضج ألذ مذاقا !

ومنا من يتحدث عن التقنية على انها التطبيقات العملية لنتائج العلوم APPLIED SCIENCE فهي في نظر هذه الفئة ليست المعرفة المجسدة

في المعدات والمنتجات واساليب العمل ، بل هي المعدات والمنتجات واساليب العمل ذاتها . . وهو خطأ واضح !

ولكن القليلين منا بعد هذا يقولون ان التقنية هي اكبر من ذلك كله واشمل ، وهذا المفهوم الأخير لا تجده الا لدى المختصين .

بعضنا يقارن بين العلم والتقنية ، فيقول ان العلم الاساسي يبحث في الاجابة عن سؤال « لماذا تحدث الظاهرة ؟ » ويهتم بالقوانين والنظريات العامة في الوقت الذي تهتم فيه التقنية بمعرفة الكيفية والاساليب التي تطبق تلك الظاهرة في الحياة العملية وفي مجالات النشاط الاقتصادي والاجتماعي .

واذا أردنا أن نضرب لذلك مثلا في حياتنا اليومية أو من المعارف والمعلومات التي نذكرها . . . فدعونا نذكر أول ما نذكر تجربة الجيش المصري في حرب ١٩٧٣ . . . . . في تلك الحرب ـ وفي بدايتها على وجه الخصوص ـ قام الجيش المصري بتحطيم الساتر الترابي لخط بارليف المنيع عن طريق مضخات المياه ، دفع المياه من المضخات نتاج علمي أو هو تقني كان اساسه العلم ، الا ان استخدامه بتلك الطريقة المبتكرة كان تقنية جديدة بحدّ ذاتها . ذلك مثل واحد والامثلة من الحياة كثيرة .

الا انه مهما كانت تعريفاتنا بأن العلم نتاج فكري ، والتقنية نتاج عملي ، فكلا الناتجين يحتاجان الى بيئة اقتصادية واجتماعية سياسية مواتية ، وبدونها يصبح العلم مقعداً والتقنية مكبّلة .

فالعلم والتقنية عملية معقدة اكثر مما هي فكر وتطبيق ، هي حزمة من الشروط يدخل في مكوناتها الأساسية الشرط الاقتصادي والاجتماعي والسياسي ومن يفهمها بغير هذه « الحزمة » المتكاملة من الشروط فهو يفهم التقنية والعلم بشكل جزئي مبتور .

لذلك فان التقنية في أحد تعريفاتها القريبة الى الشمول هي مخزون المعرفة المتاحة لمجتمع ما في زمن تاريخي معين في مجال الفنون الصناعية والتنظيم الاجتماعي .

لذلك فان التقدم التقني في مجتمع ما يتجسد في اكتشاف وابتكار اساليب جديدة لانتاج السلع وتطوير الخدمات والفنون الادارية والتنظيمية التي تؤدي لزيادة الرفاه لدى ذلك المجتمع بمعناه الشامل بهذا المفهوم تصبح التقنية اهم العوامل المسؤولة عن النمو الاقتصادي

اذا كان ذلك هو التقدم التقني فالوطن العربي - شأنه شأن الكثير من دول العالم الثالث - ما زال في مؤخرة الصفوف ، ينقل ولا يبتكر .

نعم هناك نقل حثيث للتقنية من مصادرها الكثيرة او على وجه الدقة نقل المتاح لنا من تطبيقاتها المختلفة في المعدات والمنتجات بشروط ليست سهلة وتكاليف باهظة ، وعقبات الاستنبات والتطوير كثيرة ومعقدة . ولكنها ليست بالضرورة مستحيلة التنفيذ .

ان البدء في نقل التقنية . . وتطويرها . . . واستنباتها يستلزم قاعدة اقتصادية اجتماعية سياسية في مقدمتها احترام العلم ، بحيث يمكن الاعتماد عليها وفق ما دعا اليه الماوردي منذ قرون طويلة ، وما زال يدعو اليه الكثيرون من أبناء العرب اليوم .

الهياكل الثلاثة

اصلاح الخلل في الهياكل الثلاثة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية مقدمة ضرورية وسابقة لكل شروط نقل التقنية أو تطويعها أو ابداعها في الوطن العربي . ان عمق المشاكل في هذه الهياكل الثلاثة لا تشجع احداً من الواقعيين على التفاؤل المطلق . وحتى عملية نقل التقنية التي

هي أضعف الايمان يلزمها توفر الحد الأدنى غير الموجود حاليا في الوطن العربي ، وحتى ان وجد فهو مفرق مبعثر على ساحة الوطن هنا وهناك . .

فنحن نجد في قطر عربي مثلا بعض عناصر القوة ولكن يشوبها وهن وضعف ، ثم نجد في القطر الآخر عناصر ذاتية في حدها الأدنى تنقصها بنية اقتصادية أو سياسية تقف عاجزة عن تخطي مرحلة الدفعة الأولى ، لقهر التحديات . إذا توفر المال في مكان ، نقص رجال العلم ، وان توفر العلم في مكان ، نقص رجال العزم ، وان توفر هذا وذاك نقص الاطار التنظيمي أو انحط نمط العلاقات بين المؤسسات والعاملين بها الى درجة مثبطة ومشينة . هكذا الواقع المنظور اليوم على ساحة الوطن من اقصاه الى اقصاه .

ومن التعميم الى التفصيل .

المشكلة الاقتصادية

نقل التقنية عملية باهظة التكاليف ، والوطن العربي يكاد ينقسم الى مجموعتين : دول مَنَّ الله عليها بالمال الوفير فمكنها من شراء التقنية أو المعروض منها في السوق الدولي على الأقل ، وأخرى يعوزها المال الذي تحتاج اليه لشراء أبسط انواع التقنية المطلوبة لخطط نموها الاقتصادي والاجتماعي .

ولكن الوضع يكون مقلوباً تماما عند النظر الى عنصر لا يقل أهمّية في عملية نقل التقنية أو تطويعها او استنباتها وأعني به العنصر البشري ، فحيث يتوفر المال بعامة نجد ان العنصر البشري غير متوفر كما وكيفاً . وحيث لا يتوفر المال يتوفر العنصر البشري المطلوب إن لم يكن بالكفاءة

اللازمة فعلى الأقل من حيث العدد ، ويبقي التمني لقيام قاعدة تقنية مقبولة أمرا بعيد المنال ، والحلول العربية بعد هذا مطروحة ومعلنة ولكن تنفيذها ما زال ايضا في طور التمني .

كيف نجمع بين الامكانيتين أو العنصرين ، المال والقوى البشرية تحت سقف واحد ؟ الانسان سواء كان عقلا مفكرا أو اداريا أو فنيا أو يدا عاملة هو عنصر أساسي في زيادة القدرة على الانتاج عندما تتوفر له التقنية المنقولة أو تلك التي يتم تطويعها لتكون اكثر ملاءمة لظروف بيئته . ولكن هذا الانسان في دول القدرة أو الندرة المالية ما زال ثانويا في حسابات التنمية الشاملة غير مؤهل لحل المشاكل التي تواجه بيئته ، فالافتقار الى التخطيط السليم للعناصر الادارية والفنية العالية والوسيطة ذات الكفاءة والمهارة ظاهرة بادية للعيان ، وهي جزء من مشكلة النظرة الى الانسان على امتداد هذه الارض كشيء يمكن الاستغناء عنه وتعويضه . . . بالتقنية أو المال !!

.. والمشكلة الاجتماعية

وهي نابعة من المشكلة الاولى فعلى الساحة العربية كلها هناك نقص ملحوظ في القوى العاملة من حيث الكم والكيف على السواء . على رأس أسباب النقص النوعي تفشي الأمية الهائل الذي ما زالت الخطط القومية والقطرية عاجزة عن علاجه .

واهمال العنصر البشري في الوطن العربي يمكن النظر اليه من خلال الظاهرة المتناقضة والمزدوجة ، ففي الوقت الذي يخرج فيه عشرات الالوف من العمال العرب في هجرة موسمية أو دائمة للعمل في المصانع الغربية والمؤسسات التقنية والعلمية نجد اقطار الوطن العربي من جهة أخرى تستقبل عشرات الآلاف من المهاجرين من مناطق أخرى من العالم فيُكوّن الفاقد المزدوج ثقلا ضخما على ثروات الوطن البشرية

والمادية ، فنحن نفقد من جهة خبرة وطنية نحن في مسيس الحاجة اليها ونفقد من جهة ثانية ـ ومن خلال طرف ثالث ـ التقنية التي يعود بها الغرباء الى وطنهم متى عادوا ، واذا عادوا !

وتتضح المشكلة الاجتماعية في اضخم صورها عندما نتحدث عن التعليم والتدريب في مؤسساتنا التعليمية ، حيث وقعنا فيما حذرت منه تقارير اليونسكو اكثر من مرة بشأن التعليم ، وهو الابتعاد عن خلق « الصفوة » في بناء مؤسسات علمية تستطيع ان تعيننا على المشي في دروب التنمية وامتلاك التقنية . الا أن واقع الحال في مؤسساتنا التعليمية ساد في الكثير منها طابع اكاديمي نخبوي ظاهره انقسام ثنائي بين البحوث الاكاديمية ومتطلبات الواقع وباطنه إغفال في تطوير التقنيات البسيطة التي كانت مجتمعاتنا العربية تعيش عليها ، وواجه بها آباؤنا بنجاح مشكلات حياتهم .

وعندما نتصفح تقرير اليونسكو الذي اهتم بالنظر في إمكان اقامة جسر واقعي ومقبول بين الأمم المتقدمة والأمم النامية ، نقرأ ما جاء حول المؤسسات التعليمية في العالم الثالث مجتمعة وصفاً دقيقاً لحال مؤسساتنا العربية التعليمية العالية اذ يقول التقرير :

« تتجلى اتجاهات الصفوة في أية مؤسسة علمية في التأكيد على المركزية وفي انشاء شبكات متكاملة كل التكامل وفي الرقابة على العمليات في جميع مراحلها وفي عدم مشاركة المستهلك أو المنتج في وضع البرامج ، وكثيرا ما يكون من الأمور المسلم بها لدى هذه الصفوة في المؤسسات العلمية ان المواطن العادي لا يتمتع بقدرة على الابتكار . ! »

المشكلة السياسية

وتتمحور المشكلة السياسية التي تشكل اضافة الى عقبات نقل التقنية وتطويرها أو ابداعها في الوطن العربي حول ابتلائه بهذا الزخم الهائل من

التحديات السياسية والذي تمثل في البداية في الاستعمار المباشر ثم ما لبث ان غير جلده في صراع طويل ومرير مع الصهيونية العالمية باشكالها المختلفة مما افقد الوطن نعمة الاستقرار التي هى عامل رئيسى لكل تطور علمى وتقنى ، وهذا الأمر ترك اثره في القدرة على خلق ارادة موحدة قادرة على الاستنبات الأمثل من تقنيات العصر .

ويجب هنا ايضا ألا نتجاوز السلاح الفتاك الذي يملكه الغرب اليوم ولم نجد له رادعا حتى الآن وهو سلاح الاعلام الذي يجعل شعوب العالم الثالث ـ والشعب العربي منها ـ تابعا مستهلكا بعد ترويض قدرته على المقاومة من خلال الاعلان المباشر عن السلع والخدمات التي تعج بها صحفنا ومطبوعاتنا وبعض أجهزة اعلامنا المرئية والمسموعة ، وهذا الذي يصيب في الصميم منظوم القيم فيخرقها ليؤجج حمى الاستهلاك لأشياء تافهة فاذا ما تراكمت في النهاية وجدناها قد منعتنا من استنبات تقنية مناسبة لبيئتنا ونابعة منها .

ولنا عبرة عميقة في تجربة اليونسكو عندما خاضت معركة نظام اعلامي جديد في محاولة ارادت من خلالها موازنة التدفق الاعلامي من الدول الصناعية الى الدول النامية حتى تخفض من تأثيره المباشر في عناصر المقاومة لشعوب العالم الثالث ، كى لا تضعف مقاومتها لكل ما يأتي من تلك الدول بما فيه استهلاك التقنية . . عندما حاولت اليونسكو ذلك شنت الدول الغربية هجوما شرساً على الفكرة وهددت بالانسحاب من اليونسكو !

ألا يجب أن نتذكر ونحن نقرأ في كتب تاريخ الشعوب ان آسيا كانت موطن الحضارة . . حضارة اللغة والدين والفن والتقنية حتى الرياضيات . . كانت في آسيا كل هذه المظاهر الحضارية وكذلك في افريقية « عند قدامى المصريين » في الوقت الذي كان فيه الأوربيون يصطادون حيواناتهم بالفؤوس . .

حتى كان القرن الخامس عشر فقط عندما بدأ الغرب ينقل الاساليب التقنية ويوسع من استخداماتها وبقى السؤال الذي يثير الألم في النفوس : « لماذا حدث هذا ، ولماذا استمرت التقنية عندهم ؟ » بقي السؤال وراء المجادلات التي تدور في اليونسكو بلا جواب شاف .

ان ما حدث في اليونسكو هو محاولة من جانب الدول الآسيوية ودول امريكا اللاتينية والدول الافريقية من اجل حمل المنظمة على الاعتراف باحزانها وخدمة مصالحها ..

***

ونعود الى الواقع العربي تجاه التقنية سواء على المستوى الاقليمي أو القطري فنجده يختلف عن التصور الذي يتمناه المواطن العربي . فان حزمة العناصر المؤثرة في تعويق استيعابنا لتقنية العصر متعددة وكثيرة ، فعلى الرغم من وجود المؤسسات والهيئات والمراكز والمعاهد المتعددة على ساحة الوطن العربي والمعنية بالقضية المطروحة الا ان الطريق ما زال طويلا يحتاج الى عناء ونفس طويل وعزيمة صامدة . والمدخل الحقيقي هو ترسيخ الفكر العلمي بمعناه العام في قاعدة الهرم العربي وفي قمته على السواء . فلا بد لنا ان نعمل على تثقيف الافراد العاديين وتشجيعهم وتنمية قدراتهم على الابتكار والابداع ، فالابداع والقدرة على استيعاب التقنية صنوان متكاملان .

واذا كان ينطبق على الوطن ما ينطبق على الافراد فيحسن بنا أن نذكر مرة أخرى ما قاله قاضي القضاة أبو الحسن الماوردى رحمه الله :

« واعلم أن للعلوم أوائل تؤدي الى أواخرها ومداخل تفضي الى حقائقها ، فليبدأ طالب العلم بأوائلها لينتهي الى أواخرها ، وبمداخلها ليفضي الى حقائقها ، ولا يطلب الآخر قبل الأول ، ولا الحقيقة قبل المدخل ، فلا يدرك الآخر ولا يعرف الحقيقة ، لأن البناء على غير أسس لا يبنى ، والثمر من غير غرس لا يجنى . »

محمد الرميحي

أدب الحوار الديني

بقلم الدكتور : أحمد كمال أبو المجد

□ في غياب روح الحرية واحترام الانسان نجد أن قضية أدب الحوار تتخذ أبعادا خاصة حين تتصل بالحوار حول الدين وقضاياه .

ليس أمرا هينا على ضمير المسلم المعاصر أن يتأمل فيما يدور حوله من حوار حول قضايا الاسلام والمسلمين ، فان هذا الحوار لايكاد يبدأ جدالا بالتي هي أحسن .. حتى تتسلل اليه الحدة والشدة ، وتستولي على بعض أطرافه روح الضيق بالمخالفين .. والمسارعة الى اتهامهم في أفكارهم ونياتهم وأخذهم بالشبهة وسوء الظن .. واستثارتهم باللفظ الجارح والعبارة القاسية .. فيترك بعضهم ساحة الحوار ايثارا للسلامة .. وضنا بالسمعة والكرامة .. ويختار بعضهم أن يدفع السيئة بالسيئة .. فيرد على الصيحة بأعلى منها .. ويتلقى التهمة فيوجه مثلها أو أشد منها .. ويتخير في ذلك كله أشد التهم ايلاما .. وأكثر العبارات جرحا للكرامة .. وايغارا للصدر .. وزراية بالخصم عند جمهوره .. ثم لا تلبث « القضايا » و« الهموم » التي بدأ الحوار - حين بدأ - بقصد خدمتها والاهتداء الى الرشد والصواب في شأنها .. أن تضيع وسط الصيحات العالية .. والاتهامات المتبادلة .. ولايبقى في الساحة الا خصوم يتبارزون ويتناطحون .. غاية كل منهم أن « ينتصر » .. على خصمه .. وأن تخلو الساحة من كل أحد سواه ومن كل رأي .. سوى رأيه ..

ومن الحق - مع ذلك - أن نقرر أن هذا المنهج الفاسد طبع عربي سائد .. وأنه ليس وقفا على

الحوار الديني وحده .. وأن نظرة سريعة على الحوار العربي الدائر من حولنا .. كفيلة بأن تردنا الى واقع أشد مرارة وأكثر ترديا .. فها هي الأقلام العربية مشرعة كالسهام المسمومة في مبارزات كلامية ، غايتها القضاء على الخصم ورأيه ، وتلك هي الاذاعات العربية والصحف العربية .. يُستخدمُ كثيرٌ منها سلاحا فعالا في « الحروب الأهلية العربية » التي بدأ بعضها منذ عشرات السنين ولايعرف أحد من أطرافها متى ولا كيف تنتهي .. ؟

وفي مبارزات « الأقلام » و « الاعلام » تستباح الحقيقة ، ويزيف الواقع ، وتنتهك الكرامة ، ويرجم أصحاب الرأي المخالف ..

قضية أدب الحوار

ومع عموم البلوي على هذا النحو ، وارتباطها بقضايا الثقافة والسياسة ، وغياب روح الحرية ، واحترام الانسان ، فان قضية « أدب الحوار » تتخذ أبعادا خاصة ، حين تتصل بالحوار حول الدين وقضاياه ..

● ذلك أن الصواب والخطأ في مجال « الحوار الديني » يتحولان في تفكير كثير من الناس وفي وجدانهم الى مرادفين للحق والباطل .. أو للهدى والضلال .. ومعنى هذا أن المهزوم في الحوار .. لن يعتبر في نظر خصمه ونظر الجمهور مخطئا في رأيه مجانبا للصواب في اجتهاده .. بل سيعتبر مجانبا للحق ، منحازا للباطل .. وقد يبلغ الحماس في وصفه بهذه « الخطايا » مبلغ اتهامه بالكفر والفسوق العصيان ..

● وفي مجال الدين وقضاياه كذلك يتصور كثير من الناس أن الحقيقة لايمكن أن تتعدد وجوهها ، لأن الحق « واحد » لايتعدد ، ولأن الصراط المستقيم واحد .. والسبل المعوجة هي التي تتعدد .. ويرددون في هذا السياق قوله تعالى : « وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل » (الأنعام ١٥٣) وقوله : « فماذا بعد الحق الا الضلال » (سورة يونس ٣٢) - كما يتعلقون بالاحاديث النبوية التي تتحدث عن الفرقة « الناجية » ، وهي فرقة واحدة ، من ورائها اثنتان وسبعون فرقة هالكة .. ومن شأن التفسير الحرفي لهذه النصوص ، وعزلها عن سياقها المقصود ، أن تضيق في نظر أطراف الحوار دائرة ما يجوز فيه الخلاف .. وأن تتسع مساحة ما لايجوز فيه النظر والاجتهاد ..

والتأمل الهادىء والتأني في هذه النصوص ، والجمع بينها وبين نصوص أخرى عديدة تحث على النظر ، وتدعو الى الاجتهاد في البحث طلبا للحق والصواب .. كل ذلك يؤدي الى موقف مختلف تماما .. يتسع فيه صدر « الاسلام » لاختلاف الآراء .. ولايضيق عن الاجتهاد ولو انتهى صاحبه الى الخطأ ومجانبة الصواب ..

الدين وقضاياه

ان أطراف الحوار حول قضايا الاسلام والمسلمين جديرون جميعا بأن يذكروا أن وحدة « الحقيقة » لاتنفي تعدد زواياها ، واختلاف العقول في تفسيرها .. ولو استقام مايتوهمونه من ضرورة « اجماع » الناس واتفاقهم على فهم واحد .. لما نشأت بين المسلمين علوم التفسير والكلام (أصول الدين والعقائد) ، وأصول الفقه .. ولما سجل التاريخ اختلاف الصحابة في أمور عديدة وردت فيها نصوص قرآنية وأحاديث نبوية .. ولما سجل اختلاف التابعين وتابعي التابعين والأئمة أصحاب المذاهب من بعدهم ..

ان التوقف عند هذه الحقائق التاريخية جدير بأن يخفف من غلواء كثير من أطراف الحوار المعاصر حول الدين وقضاياه .. وذلك حين يذكرون أن أصحاب النبي « صلى الله عليه

وسلم » وتابعيهم ـ وهم على ماعرف عنهم من الورع والتقوى والحرص على وحدة الأمة ـ قد اتسعت صدورهم لهذا الخلاف ، فأداروه بينهم في صفاء قلب ، وعفة لسان ، وحرص متبادل على صون الكرامات ، وحفظ المودات . .

● ويبقي من خصائص الحوار الديني . . خصوصا في اطار الاسلام الذي يتميز بشموله والارتباط الأساسي بين عقيدته وشريعته وآدابه ، أن من اليسير على الأطراف في حوار دائر حول أمور السياسة والاجتماع والاقتصاد ، أن يضفي عليه بعضهم طابعا دينيا ، وأن يلقي على مائدة الحوار بنص يتعرض من قريب أو بعيد لموضوع الخلاف بين المتحاورين ، وبذلك يكتسب الحوار كل مايحيط بأمور الدين من قداسة ، وكل ما يلحق المخطئين فيها من شبهات الاثم ، والانحياز للضلال . . فيتحول الحوار الى محاكمة . . يضطر فيه المخالف الى توجيه جهده كله للدفاع عن نفسه ، واثبات « براءته » من خطيئة الاستخفاف بالنصوص والاجتراء على الله والقول في الدين « بالهوى » .

خوف العلماء

لقد كان من آثار هذه الظاهرة غياب المنهج النقدي عن كثير من القضايا الهامة في نطاق البحث الديني ، وخوف كثير من العلماء الثقات الأتقياء من الجهر بآرائهم حتى لايتعرضوا لحملات تتجاوز « الرأي » وتقييمه . . لتمتد الى النيل من دينهم وتقواهم وأماناتهم وحسن نواياهم . .

ان المبالغة الهائلة في التخويف من تفسير القرآن الكريم ، ومن التصدي لتمحيص أسانيد بعض الأحاديث ، فضلا عن تفسير نصوصها . . ومن محاولة التجديد في بعض ما انتهى اليه علماء أصول الفقه ، كل ذلك قد أفضي بأجيال من المسلمين الى ترك الحوار الموضوعي النافع حول تلك القضايا . . وترك فجوات غير مضيئة في عقل المسلم المعاصر . . لايملك أن يطمئن ويستريح مع وجودها ، ولا تواتيه الجسارة على التصدى لها . . ومن المحاولات التي تستحق التسجيل والتنويه في هذا المقام ، حرص علماء الأصول على التمييز في نصوص القرآن الكريم بين النصوص قطعية الدلالة ، وتلك التي تحتمل التأويل واختلاف النظر . . وتفرقتهم في أقوال الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأفعاله بين ما هو « تشريع » صادر في نطاق قوله تعالى : « وما ينطق عن الهوى » وما هو اجتهاد يحتمل الصواب والخطأ . .

ورغم هذه التفرقة الأخيرة وجدنا عالما وفقيها معاصرا يقول شاكيا : « وهل أخرجتم من أعماله التشريعية سوى خصوصياته كزواج ما فوق الأربع ، وسوى جبلياته (أي أموره الخلقية) كالجوع والعطش والصحة والمرض . أما ما عدا ذلك من أقواله وأفعاله وسكوته فكل ذلك أدخلتموه في أعماله التشريعية فقلتم « ليس لنا أن نرخي في غطاء الرأس عذبة ، كما كان (صلى الله عليه وسلم) يفعل ، وقلتم عندما نقل عنه في الصحيح أنه (صلى الله عليه وسلم) قبل ابنه ابراهيم وشمه « وفي الحديث مشروعية تقبيل الوالد لولده وشمه . . فهل كل ما كان من هذا النوع ـ وهو لايعد ولا يحصى ولا يخلو عنه (صلى الله عليه وسلم) ـ في جل حياته الشريعية . يوحي به [1] .

ان من الضروري ـ لذلك ـ وضع الحدود بين ماهو « ديني » أي جاء به « وحي » . . لا يكون لمؤمن ولا مؤمنة بعده خيرة من أمرهم ، وبين ما هو من أمور الدنيا أو من أمور « العادات » كما

١ ـ اجتهاد الرسول للشيخ عبد الجليل عيسى ابو النصر ص ٣٩ ـ دار البيان (الكويت) ١٩٦٩

يقول العلماء بحيث يستطيع المتحاورون في شأنه أن ينطلقوا في حوارهم ، باحثين عما يحقق لهم وللناس من حولهم مايحتاج الى الرعاية والحماية من مصالحهم وحاجاتهم .. دون أن يواجهوا ـ عند كل منعطف ـ بأنهم مارقون من الاسلام أو مستخفون بأحكامه .. أو هادمون لأركانه .

ان من هذا القبيل ـ على سبيل المثال ـ بعض ماورد عن النبي (صلى الله عليه وسلم) في أمور الطب ، وكثير منه اقرار لما كان يفعله أهل البادية .. وفي ذلك يقول ابن خلدون في مقدمته : « والطب المنقول في الشرعيات من هذا القبيل وليس من الوحي في شيء ، وانما هو كان أمرا عاديا للعرب ووقع في ذكر أحوال النبي (صلى الله عليه وسلم) التي هي عادة وجبلة ، لا من جهة أن ذلك مشروع على ذلك النحو من العمل ، فانه (صلى الله عليه وسلم) بعث لتعليمنا الشرائع ، ولم يبعث لتعريف الطب ولاغيره من العادات »[٢] .

عفة اللسان والقلم

● ويبقى في النهاية أن الحوار حول الدين وقضاياه ، أجدر وأولى من كل حوار بالتزام عفة اللسان والقلم ، والحرص على صون الكرامة ، وتقديم حسن الظن بالنية والقصد . فما أقبح أن يتنزل العلماء في حوارهم الى جارح اللفظ وسيء العبارة متعللين بأن صدورهم تضيق وأن صبرهم ينفد .. وهم يدافعون عن الاسلام ويذودون عن مبادئه وأحكامه .. ان ذلك لايمكن أن يستقيم لمن يقرأ في صحيح مسلم أنه قيل للنبي (ص) : يارسول الله : « ادع على المشركين » فقال (ص) : « اني لم أبعث لعانا وانما بعثت رحمة »[٣] .. أو من يقرأ في صحيح البخاري أنه (ص) قال : « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر »[٤] فضلا عن أن يستقيم شيء من ذلك لمن يقرأ قوله تعالى : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » .. أو يستوقفه منهج القرآن وهو يحمي الكلمة ـ كتابة ومشافهة ـ يقوله سبحانه « ولايضار كاتب ولاشهيد » .. أو يمس قلبه أدب القرآن العظيم حتى حين يجادل المشركين بقوله : « قل لاتسألون عما أجرمنا ولانسأل عما تعملون » .. ـ سورة سبأ آية ٢٥) .

اننا ندعو علماءنا ومثقفينا الذين يحملون الأقلام ويعتلون المنابر فينا أن يتوقفوا قليلا عند تراثنا الذي يرفعون راياته في كل مناسبة ليتأسوا بالنماذج المشرقة التي يزخر بها ذلك التراث لأدب الحوار حول أدق قضايا الاسلام والمسلمين ..

● ندعوهم الى أن يراجعوا الحوار الرائع بين عمر رضي الله عنه ونفر غير قليل من صحابة النبي (ص) فيهم عثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف وبلال رضي الله عنهم أجمعين .. حين أراد عمر ألا يوزع الأراضي المفتوحة على المقاتلين من بين المسلمين .. فلقد كان موضوع الخلاف مثيرا لتفسير آيات عديدة من القرآن الكريم ، وكان يحمل في طياته مصالح كبيرة لفئات يتفاوت نصيبها من الثروة والحاجة الى المال .. فما اشتد عمر رضي الله عنه في كلمته ... وما عنّف أحدا من الصحابة في عبارة ... وما انتقل الحوار من شواهد الرأي وأدلته .. الى بواعث أصحابه ودوافعهم .. وانما تبادلوا رأيا برأي ، وحجة بحجة .. حتى اقتنع الصحابة قائلين ـ بعد الحوار الطويل ـ نعم ماقلت وما رأيت » .

---

٢ ـ ابن خلدون ، المقدمة ص٤٦٧ من طبعة المطبعة الأميرية .

٣ ـ اخرجه مسلم من حديث ابي هريرة .

٤ ـ أخرجه البخاري عن عبد الله بن مسعود من كتاب « الايمان » .

● وندعوهم أن يتقدموا ـ بعد ذلك قرنا ونصف قرن من الزمان ليطالعوا حوارا مكتوبا رائعا حول عديد من قضايا الاسلام ـ تبادله في رسالتين مشهورتين عالمان جليلان هما : امام دار الهجرة مالك بن أنس ، وامام مصر وعالمها الكبير الليث بن سعد . . فعلى الرغم مما اشتملت عليه هاتان الرسالتان من عرض لآراء ومواقف مختلفة في أمور عديدة بين هذين العالمين الجليلين ، فقد جاءتا آية مشرقة من آيات الحوار العف ، الذي نحتاج الى مثله اليوم ، وحسبنا أن نجتزيء من الرسالتين ، عبارات قصيرة تكشف عن هذا الأدب الرفيع :

النصيحة لله وحده

يقول الامام مالك في مطلع رسالته : « واعلم ـ رحمك الله ـ بلغني أنك تفتي الناس بأشياء مختلفة مخالفة لما عليه الناس عندنا ، وببلدنا الذي نحن فيه . وأنت في أمانتك وفضلك ومنزلتك من أهل بلدك ، وحاجة من قبلك اليك ، واعتمادهم على ما جاءهم منك ، حقيق بأن تخاف على نفسك . . ثم يقول : فانظر ـ رحمك الله ـ فيما كتبت اليك . . واعلم أني أرجو ألا يكون قد دعاني الى ماكتبت به اليك الا النصيحة لله وحده ، والنظر لك ، والضن بك ، فأنزل كتابي منزلته ، فإنك . . تعلم أني لم آلك نصحا » . .

ويجيب الامام الليث على هذه الكلمات الطيبة بمثلها قائلا : « قد أصبت بالذي كتبت به من ذلك . . ووقع مني بالموقع الذي تحب » ثم يقول : وقد بلغنا عنكم شيء من الفتيا . . وقد كنت كتبت اليك في بعضها ، فلم تجبني في كتابي ، فتخوفت أن تكون استثقلت ذلك ، فتركت الكتاب اليك في شيء مما أنكرت ، وفيما أوردت فيه على رأيك » . .

ويمضي الامام الليث مخالفا الامام مالكا في العديد من آرائه وفتاويه في وضوح وصراحة لا مداورة فيها ولا مجاملة على حساب الحق ، ولكنه يختمها بقوله : « وأنا أحب توفيق الله اياك وطول بقائك ، لما أرجو للناس في ذلك من المنفعة ، وما أخاف من الضيعة الا اذا ذهب مثلك مع استئناسي بمكانك ، وان نأت الديار فهذه منزلتك عندي ورأيي فيك فاستيقنه ، ولاتترك الكتاب الي بخبرك وحالك وحال ولدك وأهلك ، وحاجة ان كانت لك أو لاحد يوصل بك فاني أُسَرُّ بذلك » .

اننا نسوق هذه النماذج ، وغيرها في تراثنا القريب والبعيد كثير ، حتى يفيء الى أدب الاسلام في الحوار أولئك الذين ينصبون أنفسهم أوصياء على عقول الناس وما تخفي صدورهم ، يتهمون هذا . . ويفسقون ذاك . . ويشيعون بين المسلمين روح التردد في الاجتهاد والمشاركة بالرأي مخافة أن تتناوشهم ـ في الصدور والظهور ـ سهام أولئك المتربصين . لقد ساد بسبب ذلك كله فقه يحاصره الخوف من هذا الارهاب . . . جوهره التشديد ، واساسه التوسع في سدّ الذرائع ، والافراط الشديد في التحذير من البدع ، ومن كل فكر جديد أو نظام مجلوب ، حتى جمد المسلمون على الموجود ، وتجمد العلماء عن الخوض في كثير مما يحتاج الناس فيه الى اجتهاد جديد ، ولقد مات بسبب ذلك كثير من الأفكار حبيسة في الصدور . . وتراجعت كلمات هداية نافعة بعد أن كانت على أطراف اللسان . . واقفلت بذلك أبواب الحوار بالتي هي أحسن . . لتفتح ـ بدلا منها ـ ساحات صراع وشغب ومبارزة . . ظاهرها الرحمة ، وباطنها الضياع والعذاب . وبقي أن يستجمع أهل الرأي والعلم أطراف شجاعتهم وان يتنادوا بينهم بالجسارة التي تفرضها امانة العلماء ، فلا يردهم عن قول الحق ، واعلان الرأي ، صياح الصائحين وشغب الشاغبين . . فانما الأمر أمر شهادة بالحق لايجوز لصاحب رأي أن يحبسها في صدره أو على لسانه « ومن يكتمها فانه آثم قلبه » . □□

قالوا في الأم

■ ان صلوات الأم الصامتة ، الرقيقة ، لا يمكن أن تضل الطريق الى ينبوع الخير .

(هنري وورد بيتشر)

■ إن ما ينبغي للطفل أن يتعلمه قبل أي شيء هو الوطن : أمه !

(جول مليشه)

■ ليس هناك شيء ، في هذا العالم البارد ، الأجوف ، ولا ينبوع من الحب العميق القوي الأزلي . الا ذلك الينبوع ، في داخل قلب الأم .

(فينيا هيمانز)

■ إنني مدين لأمي بكل ما حزته من الفخار ، وما فزت به من العظمة . لأن نجاحي كان ثمرة مبادئها القويمة ، وآدابها السامية .

(نابليون بونابرت)

■ كل ما في كياني من صنع أمي . . ولأمي الفضل في كل ما أدركته .

(جون كوينس ادامز)

■ أمي صنعتني !

(أوليس إديسون)

■ لو كان العالم في كفة ، وأمي في كفه أخرى لاخترت أمي .

(جان جاك روسو)

■ الزوجة للنصح الجميل ،والحماة للترحيب ، ولكن لا شيء يعادل الأم الحنون .

(ليوتولستوي)

في مسرحية صلاح عبد الصبور "ليلى والمجنون"

جيل من الثوار مفقود بين الماضي والمستقبل

بقلم الدكتور : على الراعي

□ لا أعلم ان كانت مسرحية صلاح عبد الصبور الفاتنة هذه قد نالت ما تستحق من تقدير : مسرحية : « ليلى والمجنون » ولكني أعرف أنها بالنسبة لي عمل أزوره مرة ومرات ، فلا أمل الزيارة ولا أكف عن العودة اليها .

اذا شئنا أن نستخدم لغة التصوير ، قلنا ان صلاح عبد الصبور قد رسم لوحته هذه على قماش مسرحية شوقي : « مجنون ليلى » ، الذي استمد موضوعه من تراث العرب القصصي . غير أن هذا الرسم فوق الرسم ، لا يطمس الأصل ، وانما يعمقه ، ويوضح معانيه ، ويسمو بهذه المعاني من مستوى المأساة الخاصة الى المأساة العامة . فحب ليلى وقيس في مسرحية شوقي ، ذلك الذى تقف في طريقه الأعراف ، وتزمت الجميع ، يصبح في مسرحية عبد الصبور حبا تحول بينه وبين الاينـاع عقبات الماضي والحاضر والمستقبل معا . عقبات صنعها الفقر

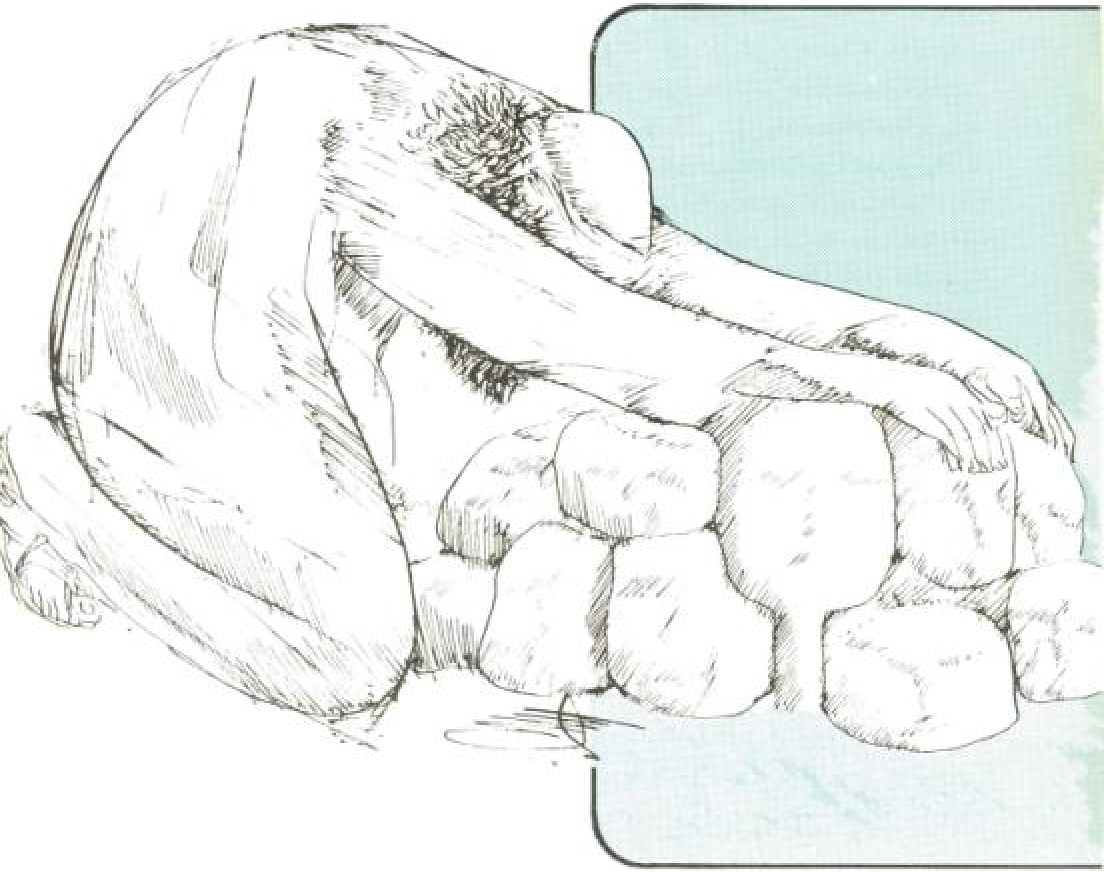

والقهر والعجز على المستويين الفردي والاجتماعي معا .

قيس في مسرحية عبد الصبور اسمه سعيد . مثقف مصري شاب يعيش في أصيل الزمن ، قرب مغيب شمس الماضي . نور الأصيل أحمر لا يلبث أن يصبح داكنا ثم أسود ، فالماضي يموت وتدخل الدنيا في سواد الحاضر ، بينما فجر المستقبل لما يولد بعد . ومأساة سعيد أنه : « وقت مفقود بين الوقتين . عمر مفقود بين الماضي والمستقبل » .

يزيد من عمق المأساة أن سعيدا أبدا لا ينسى ، وأبدا لا يفعل . تتقدم ليلى العصرية اليه ، تعرض حبها كاملا - حب الروح والجسد معا - فيعرض عنها ، لأنه لا يملك أن يقبل هذا العرض : الماضي يشده اليه ، والمستقبل يخايل بصره ، وهو في الحالين عاجز عن القبول . . . عن الفعل .

كان سعيد فقيرا في طفولته . رأى أمه تمنح جسدها لرجل تزوجته وهي تمقته . . . تزوجته كي يوفر الخبز والكساء لها ولطفلها الصغير . تزوجته بعد أن باعت كل شيء تملكه ولم يبق الا أن تعرض جسدها في سوق النخاسة .

وقد حفرت أحداث الطفولة التعسة في نفس سعيد أخاديد بعيدة الغور ، جعلته يتقزز من

الجنس . يرى فيه وجه الحب المقلوب « لغتنا الأبدية ، سقوطنا . قام في نفسه ما قام في نفس هاملت من تقزز مماثل ، اذ جاءت أوفيليا تعرض عليه حبها ، فلم ير في هذا العرض إلا شهوة الجسد للجسد ، فصرخ فيها ملتاعا : اذهبي الى بيت دعارة !

ومثل هاملت رأي سعيد أمه تتزوج رجلا كان هو يكرهه . رجلا حل محل أبيه ، ويملك امرأته وفراشه . فكأن الرجل قد قتل أبا سعيد ، ليتزوج أمه ، مثلما قتل عم هاملت « كلوديوس ، أباه وامتلك الأم والعرش معا ، غاية ما هنالك من فرق أن أم سعيد كانت تكره زوجها ، ولا تحبه مثلما كانت تفعل أم هاملت . غير أن هذا الفرق كان في نظر سعيد هامشيا . فأمه ـ رغم الزواج الشرعي ـ ترقد في فراش (الخنا) ذلك أن الزواج دون حب هو دعارة لا مجال لانكارها ، هذا تسربل نظرة سعيد للجنس السوى والحب الصحيح برداء أسود مريض . ولا تنتهي العلاقة بين سعيدوهاملت عند هذا الحد ، بل تمتد الى الطريقة التي يخرج بها سعيد من مأزق الارادة المشلولة . ان الحوادث لتدفعه دفعا الى قطع عقدة التردد بضربة من ضربات الفعل . يأتي سعيد لبيت حسام ، رفيق الكفاح الذي خان ، ليحاول مع زميله زياد أن يمنع حسان ـ زميل ثالث ـ من قتل حسام ، فيجد عنده ليلى ، قائمة لتوها من وصال جسدى مع حسام اذ ذاك ينهار سعيد . قد باعت « أمه » جسدها من جديد . باعته في فراش الخنا ، هذه المرة . ذلك أن ليلى قد استقرت في لاوعى سعيد أماً بديلة من أمه . لذلك يصرخ سعيد ملتاعا :

آه .. يا للكابوس
خدر ملعون يهبط من رأسي حتى قدمي
اني أنهار
أتخلخل مقرورا كالجبل الثلجي
ليلى .. النور .. أمي .. أمي ..
رأسي تسقط من جسمي
ليلى .. ليلى .. أمي .

وحين يعود حسام من مطاردة حسان فيجد سعيدا جالسا مع ليلى وقد هده الاعياء ، يسبه ويركله فيتناول سعيد تمثالا من الحجر وينهال به على حسام قد أصبح حسان كلوديوس آخر ، نال الحبيبة ، وهزم الحبيب هزيمة مضاعفة : في الفراش وعلى صعيد السياسة . فتك الجاسوس بالثائر ، وظفر بالفراش وبالثورة معا . هنا فقط يتحرك سعيد ، ويقطع عقدة اللافعل . تماما كما فعل هاملت حين قتل عمه كلوديوس .

ها نحن أولاء نرى ان صلاح عبد الصبور قد رسم مسرحيته ليس على قماش شوقي وحسب ، وانما على قماش شكسبير أيضا . وسنجد فيها بعد أنه قد نهل من فن معلم مسرحي ثالث هو : ت . س . اليوت ، الذي يورد عبد الصبور في المسرحية بعضا من شعره ، ويرسم مشهد انفضاض الرفاق ، كل يسير في سبيل ، بعد أن انهزموا في المعركة ، وفقدوا المدينة ، وفقدوا الأمل في الثورة في هذا الجيل ـ يرسم مشهد الانفضاض هذا بوحي واضح من مشهد مماثل في مسرحية اليوت : « حفلة كوكتيل » .

ونعرف في المشهد التالي ـ الثاني من الفصل الثالث ـ ان الحبيبين ، سعيد وليلى يدركان أن قدرهما واحد ، وانهما ضحيتان لسهم واحد : تقول ليلى وهي تسترجع دورها في مسرحية شوقي :

أدركت أن السهم ياقيس واحد
وأنا كلينا للهوى غرضان ؟

سقوط ليلى هو الوجه الآخر لسقوط سعيد . بل ان الاستاذ ، رئيس التحرير في المجلة النضالية التي تعمل فيها شخوص المسرحية ، ليضفي بعدا ثانيا على سقوط الحبيبين حين يوحي لنا بأن ليلى هي مصر الثورة ، وانها تزل بسبب تواكل أحبائهاوتقاعسهم . لم يعد التفجع كافيا ولا ممكنا ولا ضروريا :

ما دمنا أغفينا ذات مساء
وتركنا حبة أعيننا في كنف الغرباء
ممن زعموها ابنتهم
وصحونا لنراها انتهكت متمددة مستسلمة
في فرشتها الخضراء

لقد سقطت ليلى لما سقطت مصر . لما أخفق جيل المناضلين في الدفاع عن الثورة . لما قنعوا بالكلام دون العمل . ولكن هذا السقوط عارض فقط . مرحلة مؤقتة . سوف يتغير مصير ليلى ذات يوم . ستخرج من اطار الشركس والكهنة ، ستحب في يوم قادم رجلاغير حسام . رجلا يعرف أن اسمها ليلى . أما هو ، فليس ذلك الرجل . انما سعيد وقت مفقود بين الوقتين . ينتظر القادم .

ولهذا القادم ، يترك سعيد خمسة أيام من الشعر العذب يناجي فيها ذلك الثائر المقاتل المنتظر : ويتقدم له بالوصايا ، ويكون آخر ما يقول له في اليوم الخامس :

يا سيدنا .. الصبر تبدد
والليل تمدد

يا سيدنا اما أن تدركنا قبل الرعب القادم
أو لن تدركنا بعد

ويجعل سعيد عنوان قصائده الخمس هذه : « يوميات نبي مهزوم ، يحمل قلما ، ينتظر نبيا يحمل سيفا » . والعنوان يصف بدقة الخط المحوري في المسرحية هزيمة المثقفين الثوريين على

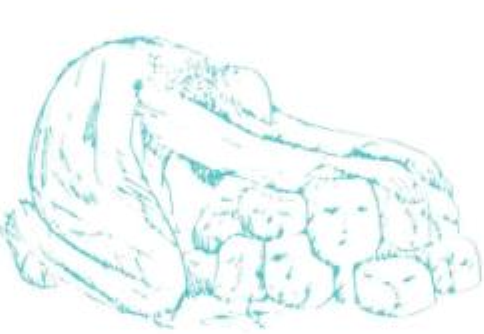

اختلاف اتجاهاتهم وتباين أساليبهم في العمل . حسان ، الذي يحمل في جيب قلما يتسكع به مع الزملاء في رياض الكلمات ، وفي جيب آخر يضع مسدسا ، هو وحده الذي يجد فيه طريق الخلاص . فالكلام غير مؤد . انما العنف هو السبيل . وزياد الذي يؤمن بمبادىء الثورة ايمانا رقيقا ، يهتز لأول اغراء . تصفه زميلته حنان بأنه : « ثوري ومنافق ، ينسى مبدأه في خفي أول أنثى يلقاها » . وكان زياد قد فتن فتونا لما رأى سيدة ثرية وذكية ومثقفة وجميلة ، فقال لنفسه : ألمس هذا الجسد الشمعي المتألق . . . أنتقم لجمع الفقراء المرهق من عزة هذا التمثال الشاهق . . « فاستحق اتهام حنان له بأنه نهاز فرص باسم المبادىء الثورية . وسعيد ، المهزوم ، الذي يؤمن بالثورة ايمانا حقيقيا ، ولكنه عاجز عن العمل . والأستاذ رئيس التحرير ، الذي يقود الجماعة في عطف وحب ولكنه لا يميز فيهم الخبيث من الطيب ، لا يرى الفروق الكبيرة بين حسان حامل البندقية ، وزياد حامل الثورة كرها ، وحسام ، الذي تهشم في شهرين من الاعتقال ، واندفع يعمل جاسوسا لأجهزة الأمن . كل هؤلاء في نظر الأستاذ سواء . لا غرو أن تفشل ثورته ، وتحترق قاهرته ، وتغلق مطبعته وصحيفته فيقول معلقا : هذا زمن لا يصلح أن نكتب فيه ، أو نتأمل ، أو نتغنى أو .. نوجد . « لاغرو أن وضع الأستاذ في غرفة التحرير الى جوار صور لبعض قادة النضال القومي لوحة دون كيخوته ، فارس الأقوال ، الذي يسلمه الخبل الى الجنون وهو يسعى لتغيير المجتمع ، لاعادة الحق والخير والجمال والفروسية الى عالم ماتت فيه هذه القيم منذ زمن .

حينما تحترق القاهرة يصاب الجميع بضربة قاتلة . زياد كان في دار بغاء ، فأسلمه الشعور بالعار الى أن يقسم على الأ يكتب حرفا من بعد .. وسلوى تأتي مودعة . لن تتزوج من حسان كما كانت تعتزم . ستتزوج السيد

المسيح ، فهي على دينه . لذلك تترك عالم حسان الذي تراه قد مات ، وتذهب الى الدير ويذهب زياد ومعه حنان الى بلدة صغيرة ليشرفا على روضة أطفال . ويدخل سعيد السجن متهما بمحاولة قتل حسام . وبهذا ينتهي عمل هذا الجيل المملوء بمن ماتوا قبل الموت .

قلت آنفا ان صلاح عبد الصبور رسم لوحته على قماشين من أقمشة شوقي واليوت . وأضيف أنه في هذه المسرحية بالذات يختار كثيرا من اتجاه اليوت لاستخدام الشعر في أغراض الدراما .

لقد أفلح عبد الصبور في خلق الشعر الدرامي في مسرحيات أخرى له : مثل : « الحلاج » و « الأميرة تنتظر » و « عندما يموت الملك » . غير أن هذه المسرحيات الثلاث تتراوح في موضوعاتها بين التاريخ والاسطورة . أما في « ليلى والمجنون » ، فان صلاح عبد الصبور يماشي اتجاها لمعلمه اليوت ، كان يقضي بتبسيط الشعر الدرامي وجعله يرن في الأذن مثلما ترن كلمات المسرحية النثرية ، دون أن يفقد صفته كشعر .

كما كان ينحو ذلك الاتجاه الى اختيار الموضوعات المعاصرة مادة للمسرحية الشعرية قصد الوصول بالمسرح الشعري الى جمهور أوسع . من أجل هذا كتب اليوت : « حفلة كوكتيل » و « السكرتير الخاص » في محاولة لبلوغ هذا الهدف .

وقد أضاف عبد الصبور الى وسيلتي التبسيط وعصرية الموضوع ، عنصرا ثالثا هو : لحم موضوع « مجنون ليلى » بموضوع « ليلى والمجنون » . وقد تم هذا اللحم بما تقدم ذكره من علاج الموضوع ، أما في الشعر فان الاختيار الذكي لمسرحية شوقي لتخرجها فرقة الأستاذ ، بجهود نفر من زملائه الثوار ، قد أتاح لشعر شوقي العذب أن ينساب في هدوء ورقة وجذل في أمواه شعر عبد الصبور ... فاذا أمواه الشاعرين تختلط وتمتزج وتلتحم ، واذا بنا نتبين - حقا وصدقا وعملا - أن الشعر يكون جيدا ، اذا كان جيدا بالفعل ، وليس اذا ماصب في قالب جديد أو قالب قديم[1] فكل ما ولد شعرا فهو شعر ، أيا كان الوالد وتاريخ الميلاد . □□

---

(١) هذا رأي الكاتب في مسألة طال فيها الخلاف بين أنصار الشعر العمودي وغيرهم . (العربي)

يصدر العربي
عدداً خاصاً بمناسبة
شهر رمضان الكريم
يونيو - حزيران ١٩٨٤

الحقوق في الشريعة الإسلاميّة

بقلم : محمد شمس الدين

من المسلّم به ان الحقوق على اختلاف أنواعها ، هي منحة من الشارع خصّ بها الافراد والجماعات لتحقيق غايات اجتماعية ومصالح مشروعة . هذه الحقوق يجب استعمالها وفق الغاية التي أرادها الشارع لها . . . فلا مجال إذن لاضفاء طابع الاستبداد والاستئثار على بعض أو كل تلك الحقوق . . .

إذا عدنا الى أيام الرومان نرى أن القانون المدني اعتمد فكرة السلطة المطلقة في ممارسة الحقوق . (كالسلطة غير المقيدة في حق الملكية ، وسلطة الأب على اولاده . . . الخ) ومما يؤيد ذلك آراء فقهائهم :

فالعالم الكبير كايوس **CAIUS** يعتبر انه ليس بالمعتدي من يستعمل حقه . والفقيه المعروف بولس **POLES** يؤكد : انه لا يأتي عملا ضارا الا من يعمل بدون حق .

وفي عهد القانون الفرنسي القديم الذي سادته النزعة الفردية ، لم يكن استعمال الحقوق مقيدا إلا في نطاق ضيق : اذا كان القصد من الاستعمال الاضرار بالغير ، او اذا تخلفت المنفعة الجدية التي تعود على صاحبها .

يتحصل مما تقدم أن التقييد باستعمال الحقوق وفق غاياتها لم يكن معروفا في الأزمنة القديمة ، ولم تكن بالتالي نظرية : « مدى استعمال الحق وما ينتج عنه من تعسف » قد تكونت على النحو

المعروف في الزمن الحاضر .

وقد جاءت الشريعة الاسلامية ترسي الأسس في نظرية « استعمال الحق والتعسف في الاستعمال » وفق معطيات الحقوق وخصائصه ، ووجدت تلك النظرية مجالا رحبا في هذه الشريعة ، شريعة البر والرحمة التي تنهى عن الظلم والتعسف .

[دراسات الفقهاء المسلمين]

واذا عدنا الى دراسات العلماء والفقهاء المسلمين ، يتبين لنا بصورة جلية أن الأئمة الاولين وأخصهم أبو حنيفة ومالك ، ركزوا على الغاية التي ترمي اليها الحقوق وبالتالي على تحديد المدى الذي يقتضي عدم تجاوزه ، ورأى الامامان الغزالي وابن القيم وجوب تقييد الحقوق واستعمالها بحسب الغرض الاقتصادي والاجتماعي (وهما هدف الشريعة أصلا) وقالا بوجوب الأخذ في سبيل ذلك بفكرة « النيّة » وانه بالتالي يقتضي استعمال الحق بحسب الغرض منه ، فاذا استعمل الحق بقصد الاضرار بالغير او اذا لم يترتب على استعماله نفع وتولد عنه ضرر للغير او للمجتمع ، فيعتبر ذلك الاستعمال تعسفيا يوجب التعويض .

وفي استعراضنا لبعض نصوص القواعد الكلية من مجلة « الاحكام العدلية » التي استمدت أكثر أحكامها من الفقه الحنفي ، والتي كانت بمثابة قانون مدني في العالم الاسلامي .. تتضح معالم نظرية « التعسف باستعمال الحق » ، فمن هذه القواعد :

الضرر يزال ـ لأن الضرر مفسدة والاصل أن كل مصلحة لأحد تحقق ضررا لآخر ، يوجب الشرع منعها ازالة لذلك الضرر .

لا ضرر ولا ضرار ـ أي انه لا يجوز ايقاع الضرر بآخر ولو كان بسبب استعمال حق ، ولا يجوز مكافأة الضرر بضرر ولو كان بسبب استعمال حق ايضا .

الضرر العام يدفع بالضرر الخاص ـ كمنع الاحتكار واجبار العمال على العمل لأنه وان كان في ذلك منفعة شخصية للفرد الا ان حق المجموع أولى بالرعاية .

درء المفاسد أولى من جلب المنافع ـ اي اذا تعارضت مفسدة ومصلحة يقدم رفع المفسدة لأن اعتناء الشرع بالمنهيات أشد من اعتنائه بالمأمورات ، ومما يتفرع عن هذه القاعدة ان الرجل يمنع من التصرف في ملكه اذا كان تصرفه يضر بجاره ضررا فاحشا لأن درء المفاسد عن جاره أولى من جلب المنافع لنفسه .

اذا تعارض المقتضي والمانع يقدم المانع ـ أي انه لا يسوغ لأحد التصرف في ملكه اذا كان يضر جاره ضررا بيّنا مثل اذا كان العلو في البناء لشخص ما والسفل لشخص آخر فلا يجوز لأحدهما ان يهدم او يفعل شيئا من ملكه مما يضر بالآخر الا باذنه .

[إنما الأعمال بالنيات]

وقد أشاد الفقهاء الغربيون بالفقه الاسلامي وبرقيه وتقدمه في تكريسه لنظرية التعسف باستعمال الحق . ولابد من الاشارة الى التوسع في مفهوم تلك النظرية مما ذكره أحد فقهاء الاندلس ابراهيم بن موسى اللخمي الملقب « بأبي اسحاق » الشاطبي في كتابه « الموافقات في أصول الشريعة » ، حيث اعتنق النظرية المعنوية في استعمال الحق التي تقول : يمنع العمل ولو كان مباحا اصلا متى انطوى على قصد الاضرار بالغير . . . تخريجا من الحديث الشريف : « انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى » .

مجال تطبيق النظرية :

طبق علماء الشريعة مضمون نظرية التعسف باستعمال الحق في مجالات متعددة ، منها على سبيل المثال لا الحصر :

١ ـ في مجال المصلحة العامة :

قرر الفقيه ابن القيم الجوزية الالزام بالبيع عند حبس السلع منعا للاحتكار ، وان كان الظاهر اطلاق حق مالك السلعة في بيعها أو حبسها كما يشاء : كما قرر ان يلزم صاحب الارض بزرعها اذا أهملها ، ليستفيد الناس والمجتمع وينتعش الاقتصاد مع ان الظاهر هو ان يبقى الانسان حرا في ان يعمل او لا يعمل . .

٢ ـ في مجال الحقوق المدنية :

قضى عمر على محمد بن مسلمة بمرور الماء في أرضه لمصلحة جاره مادام لا يتضرر ، وقد قال لابن مسلمة حين تشدد في المنع : والله ليمرّنّ به ولو على بطنك ! . . .

٣ ـ في مجال حقوق الجوار :

جاء في الحديث النبوي : لا يمنعنّ أحدكم أخاه من أن يغرز خشبة في جدار بيته .

وجاء في مدونة الفقه المالكي : يمنع الجار من بناء بئر في داره اذا كان يضرّ ببئر جاره . جزء ١٥ ـ ١٣٧ .

٤ ـ في مجال الأحوال الشخصية :

أ ـ يمنع الاب من ضرب ولده استعمالا لحقه في تربيته وتأديبه ضربا مبرحا ، أيا كانت الغاية أو الباعث ، لأن الضرب مفسدة لا يبررها أي نفع يترتب عليها .

ب ـ تنقل سلطة الطلاق من يد الزوج المضارّ الى القاضي بالتفريق حين يسيء الزوج استعمال حقه من حيث ان بيده عقدة النكاح .

ج ـ يمنع الولي من عضل موليته ، أي رفض تزويجها اذا وجد الكفء المناسب ، بدليل اعطاء الحق للمرأة المعضولة في ان تتقدم الى القاضي فيزوجها جبرا عن وليّها .

بقي أن نشير الى أمر هام يتعلق بالجزاء على سوء استعمال الحقوق وفق منظور الشريعة الاسلامية .

لقد تفردت الشريعة الاسلامية بأنها شريعة مدنية ودينية ، وبناء على ذلك فقد جمعت في اطار منع التعسف بين نوعين رئيسيين من الجزاء ، الجزاء الدنيوي الذي تعتمده الشرائع الوضعية ويتمثل في التعويض عن الضرر عينا كان أو بدلا ، والجزاء الأخروي الذي يمسّ شغاف الضمير ترغيبا وترهيبا يكفل ضبط الحياة الانسانية وحمايتها من الانحراف . □□

سخرية بشار

* دخل بشار بن برد على المهدي وعنده خاله يزيد فأنشده قصيدة يمدحه فيها ، فلما أتمها قال له يزيد :

ـ ما صناعتك أيها الشيخ ؟

ـ فقال بشار : أثقب اللؤلؤ !

ـ فقال المهدي غاضبا : « أتهزأ بخالي » ؟

ـ قال بشار : يا أمير المؤمنين ، ما يكون جوابي له وهو يراني شيخا أعمى أنشد شعرا !

فضحك المهدي . . .

فيا كبدي

شعر : سعيـــد قندقجـــي

« مهـــداة الى كـــل أب يعـــود بأبنائـــه الـــى قاعـــات الامتحـــان » .

أعـدت اليّ يـا نشـوى[١] شبـابي ... ومـا أُنسيت من زمـن العـذاب
رجـعـت الى لـيـاليّ اللـواتي ... عـرفت بجدبهـا ظمأ السـراب
أخوض بـك امتحاني من جديـد ... وأدخـل من نجـاتي في عبـابي
كـأني فيـك من أمـل وخـوف . ... أعـود الى سكـوني واضـطرابي
فـأنت أنـا أعيشـك في ذهـاب ... عـلى درب الطمـوح وفي ايـاب
أخاف عليك لـو سألـوا سؤالا ... لـطرتِ الى رحـابـك بـالجـواب
بـعيـد عـنـك والأسوار دوني ... ولكنّي كجفنـك بـاقـترابي
أنـا المشدود نحـوك . كل سطر ... يجـود بـه يـراعـك في حسـابي
وأسعـى بـالخيـال اليـك حتى ... أراك فـاستقـر بـكـل مـا بي
دعـوت الله في عـلني وسـرّي ... لـعلك تهتـدين الى الصـواب
وكفكفت الـدمـوع ولست أدري ... أمن فـرحي بكيت أم انشعـابي
فيـاكبدي نـذرت لك الأمـاني ... ويـا أملي غفـرت بك اغتـرابي
وسـوف أراك أكـبر من رجـائي ... وأحتضن السعـادة في اهـابي
وان ضن السحـاب عـلى ضلوعي ... فـأنت على الرضـا فيض السحاب

---

(١) نشوى . ابنة الشاعر . وهذه الأبيات من وحي دخولها قاعة الامتحانات للشهادة الثانوية .

حكاية رجل يرفض الموت !

أول مواطن عربي يعيش بقلب مزروع

بقلم : منير نصيف

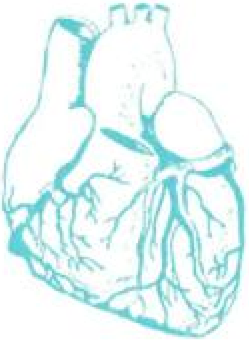

□ هذه قصة رجل اراد الحياة . قال له الاطباء انه سيموت بعد ستة أشهر ولكنه صمم على أن يعيش . رفض الموت . وسافر يحمل قلبه المريض باحثا له عن شفاء . ما قصته . وكيف بدأت ، وكيف كانت النهاية ؟

مع بداية العام الجديد كان لقاؤه بالأرض التي تركها منذ أكثر من سنة كاملة .. كانت رحلة طويلة مع الموت ، وما زالت ذكرياتها محفورة في رأسه وصدره .

وإنحنى يقبل تراب الأرض التي أحبها والتي احتضنت طفولته وصباه وابناءه الكبار والصغار ، هؤلاء الذين لم تغب صورتهم عن مخيلته لحظة واحدة طوال الشهور التي أمضاها في صراعه مع المرض والموت ..

من هو ؟ انه أول مواطن عربي يعيش بقلب مزروع .. إسمه صالح الفهد كويتي الجنسية في السابعة والأربعين من عمره ، وهو زوج لامرأتين وأب لستة عشر ولدا وبنتا ، اكبرهم في الخامسة والعشرين وأصغرهم لا يزيد عمره عن سنتين . إنه وحيد والديه ، زوّجوه في سن مبكرة ، كما كان يفعل الوالدان في مجتمعنا العربي المحافظ أيام زمان ، وهو في السادسة عشرة ، وأحب الحياة وتعلق بها ، ولم يفقد الأمل لحظة واحدة في يومه وفي غده ، حتى عندما أصبح كل شيء غارقا في الظلام من حوله !

لقد عاد صالح الى بلده والى أسرته يحمل في صدره « قلبا جديدا » ، ويبدأ حياة مع الذين أحبهم وأحبوه ..

صالح الفهد . في بيته يحكي قصته مع المرض والأمل الذي عاش معه ولم يتخل عنه لحظة واحدة .

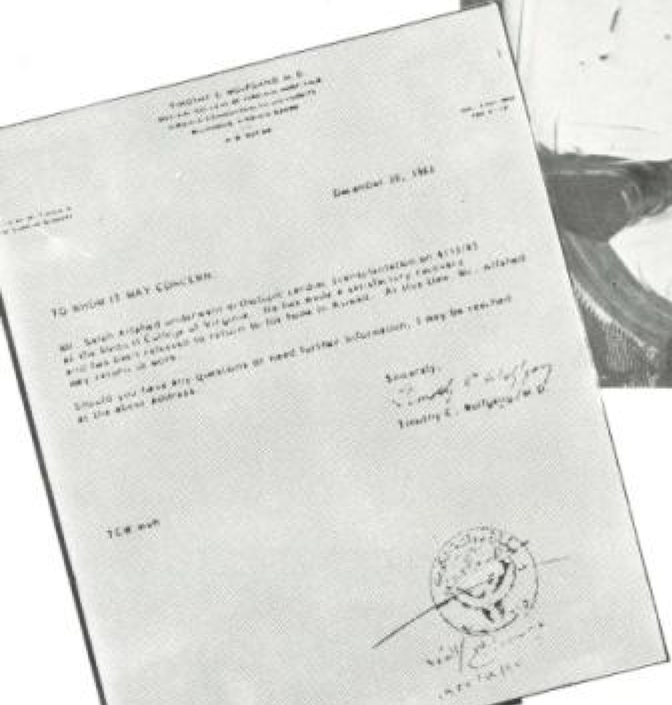
TO WHOM IT MAY CONCERN:

Sincerely,

Timothy C. Wolfgang, M.D.

TCW:mah

الى من يهمه الأمر

السيد / صالح الفهد أجريت له عملية زرع قلب في الكلية الطبية بفيرجينيا ، وقد تماثل للشفاء بصورة تبعث على الاطمئنان وسمح له بالخروج من المستشفى والعودة الى بلده ، الكويت ، وهو يستطيع أيضا أن يعود الى عمله .

في بيت صالح

ذهبنا للقائه في بيته . . البيت الذي غاب عنه شهورا طويلة . . بل هي سنوات في حسابه هو . . فقد كانت كل ساعة تمر عليه وهو راقد على فراش الموت تبدو وكأنها دهر .

وصافحنا مرحبا . . ولم نصدق أن هذا الرجل الهادىء الذي يقف أمامنا ، ويدعونا الى الذهاب معه في رحلته الطويلة مع المرض ، هو بطل قصة هذا الصراع مع الموت . . فقد كان يبدو في صحة طيبة مثله مثل أي رجل عادي في ←

(الى اليمين) صالح مع اربعة من أطفاله .. كانت عودته الى بيته وبلده مع أول يوم في العام الجديد .. وكان لقاء حارا بالدموع والقبلات ... لقد انتصرت ارادة الحياة .

الى اليسار صالح يحمل أصغر أنجاله .. « من أجلك عدت .. ومن أجلك أنت وأخوتك سأعيش باذن الله » .

« تحت » صالح مع زوجته الثانية نورية ... وحديث عن الأيام العصيبة التي عاشها بين الموت والحياة .. الأيام التي ولت ولن تعود .

مثل سنة ، وكان ممتلئا بالحياة والأمل ، والحب الذي يوزعه على ابنائه الصغار الذين كانوا يلتفون حوله ، ويرفضون أن يتركوه لحظة واحدة مع ذكرياته التي مضى يرويها لنا ..

قال صالح : « لقد ولدت من جديد .. ولكنني أشعر انه يعيش معي ، في داخلي ! »

قلت من ؟

قال : « الشاب الذي مات واعطاني قلبه ، ومنحني عمراً جديداً !

ولنبدأ القصة من أولها .. ما هي حكاية قلب صالح . ومتى بدأت متاعبه ؟

منذ عام ونصف تقريبا بدأت قصة صالح مع قلبه المريض .. كان في مكتبه بشركة المشروعات السياحية ، حيث يعمل أمينا للصندوق .. ولم يكن يشعر بشيء غير عادي في ذلك اليوم من أيام الصيف الحارة .. ولكنه فجأة ، وقبل أن ينتهي يوم العمل بنصف ساعة تقريبا داهمته الأزمة .. أحس صالح بثقل غير طبيعي فوق صدره ، وعرق غزير يتصبب من جبينه ، وألم شديد في كتفيه ، وما لبث أن سقط على الارض مغشيا عليه .. وحمله زملاؤه الى أحد المستوصفات القريبة .. ولكنه لم يبق فيه طويلا ، فقد اكتشف الأطباء هناك أن حالة صالح خطيرة ، وانها تستوجب نقله الى المستشفى ليكون تحت رعاية الاخصائيين في أمراض القلب .

جلطة في القلب

ونقلوه الى مستشفى مبارك الكبير ، وهو أحد أحدث المستشفيات الموجودة بالكويت وأكبرها ، وقرر الاطباء بعد فحصه ، أن يوضع فورا في غرفة العناية المركزة لمدة خمسة أيام ، ثم نقلوه بعدها الى الجناح الخاص لعلاج مرضى القلب .. لقد أصيب صالح بجلطة في القلب .

وفي الجناح بقي صالح تحت رعاية الاطباء لمدة اسبوعين ، قرروا بعدها أنه يستطيع العودة الى بيته وأولاده والى عمله ايضا ، ثم أكدوا له انه قد شفي تماما من مرضه ، وانه استعاد صحته ، ومنعوه من التدخين ، فقد كان صالح يدخن بشراهة أكثر من ستين سيجارة يوميا .

حدث هذا في اليوم العشرين من شهر اغسطس عام ١٩٨٢ .. ويبدو أن صالحا كان ما زال يشعر بالألم يمزق قلبه المريض بعد خروجه من المستشفى ، فهو يقول : « لم أحس بالشفاء الذي توقعه الأطباء .. ولاحظت أن هناك أوراما غير طبيعية في قدمي ، وكنت أشعر بضيق شديد في التنفس ، وانتابني الأرق ، فقد أصبحت أجد صعوبة في النوم ، وبالرغم من هذا كله ، مضيت أواظب على الذهاب الى عملي ، واحاول جاهدا أن أطرد الهواجس التي كانت تستبد بي ! »

ولكن صالحا ما لبث أن أحس في النهاية بأنه ينتهي . كان يحس بأنه يقترب كل يوم من الموت ، كان وجهه بادي الشحوب ، ولم يكن في حاجة لأن يقول لزملائه في العمل انه متعب وأنه مريض .. فقد كانت آثار كل هذا واضحة امام كل من يلقاه .. ونقلوه مرة أخرى الى المستشفى .. في هذه المرة اختاروا له مستشفى الصباح ، حيث أشرف على فحصه وعلاجه أحد كبار الاخصائيين في أمراض القلب .

ومن اللحظة الاولى .. اكتشف الطبيب انه أمام حالة خطيرة للغاية ، وان حالة المريض تزداد سوءا يوما بعد يوم ، ولكنه لم يشأ أن يصارح مريضه بخطورة حالته رحمة به وشفقة عليه .

ستموت بعد ستة أشهر !

الى أن جاء أحد الأطباء يوما ، ونقل اليه الحقيقة التي حاولوا اخفاءها عنه بعد تردد طويل : « لا أخفي عليك أن حالتك خطيرة

جدا ، وانك لن تعيش لأكثر من ستة أشهر ! » ما أقسى أن يعرف الانسان متى ستجيء نهاية رحلته على الارض !

يقول صالح : « في تلك الليلة لم يغمض لي جفن .. فقد كنت أعيش بقلبي المريض مع أولادي .. كيف اتركهم وأرحل .. لا .. لابد أن أعيش . سأفعل كل شيء وأي شيء من أجلهم .. انني مؤمن بالله وبرحمته ، ولن اتخلى عن ايماني مهما حدث .. ووسط الهدوء الذي خيم على المستشفى وأنا راقد على فراش الموت أفكر ، خطر لي خاطر ، كان بالنسبة لي الخيط الرفيع الذي بعث الأمل من جديد في صدري المثقل بالهموم والأحزان ، قلت لنفسي : « لماذا لا أذهب الى الولايات المتحدة الامريكية ، أطلب العلاج في أحدى مستشفياتها المتخصصة ؟ من يدري!؟ فربما أجد عندهم الدواء لهذا الداء الذي يتهدد حياتي .

ولكن لماذا امريكا ؟ لأن لي إبن عم في واشنطون يقيم هناك للدراسة . وهو ضابط في الشرطة ويعد لنيل درجة الدكتوراه في علم الجريمة . وحزمت أمري وحملت حقيبة ملابسي وسافرت .. »

وارهقتني الرحلة بالطائرة .. فقد كانت رحلة طويلة شاقة ، إستغرقت أكثر من خمس عشرة ساعة متصلة .. وكان إبن عمي في إنتظاري في المطار ، وحملوني الى مستشفى واشنطون على كرسي متحرك ..

وهناك .. في هذا المكان البعيد عن الأسرة والأهل والاحباب ، بدأت رحلتي مع الموت ! »

حالة ميئوس منها

كانت حالة صالح ميئوس منها تماما .. لقد اكتشف الاطباء بعد الفحوصات الدقيقة التي أجريت له واستغرقت أكثر من عشرة أيام كاملة أن عضلة القلب تالفة تماما ولا سبيل لعلاجها ، وأن الامل الوحيد الباقي امامه يكمن في زرع قلب جديد .

ولكن من أين يأتي هذا القلب الذي سينقذه من موت محقق ؟ وكيف يأتي ؟ ومتى ؟ كلها أسئلة بقيت تعيش معه ومع قلبه العليل ، الى أن جاءت المرحلة الحاسمة من حياته التي كانت قد أوشكت على الانتهاء .

لقد قال له الاطباء انه لابد من نقله الى أحد مراكز القلب في الولايات المتحدة الامريكية .. ولكن كيف ؟ ان حالته لا تسمح له بالتحرك . ان أي مجهود يقوم به قد يعرضه للموت . وكانت مشكلة . واستعان الاطباء بطائرة هليكوبتر كانت عبارة عن مستشفى صغير طائر . يحتوي على كل المعدات والاجهزة الخاصة بالانعاش ومواجهة حالة الطوارىء .. وكانت الرحلة قصيرة بين مستشفى واشنطون ومركز القلب بمدينة ريتشموند بولاية فيرجينيا .. فالمسافة بينهما لا تزيد عن مائة كيلو متر قطعتها الطائرة في ثلث ساعة .

البحث عن قلب لصالح

ووصل صالح سالما .. وهناك في مركز القلب وجد فريقا من الاخصائيين في استقباله ، ونقلوه فورا الى غرفة الانعاش .. ثم بدأت رحلة البحث عن القلب الذي سيعيده الى الحياة .. وعلى الفور بعث المركز باشارة الى جميع مراكز زرع القلب في الولايات المتحدة الامريكية : « عندنا مريض في حاجة الى قلب سليم لزراعته » .

ويقول صالح في تأثر واضح : « أنا مدين بحياتي للوالد الكبير أمير الكويت ، وللشيخ سعد العبدالله السالم الصباح ولي العهد ، وللشيخ صباح الأحمد نائب رئيس الوزراء .. وتسألوني كيف ؟ فأقول لكم ان مركز زراعة القلب طلب مني أن أضع في حسابي في أحد المصارف الامريكية مبلغا يوازي المائة ألف

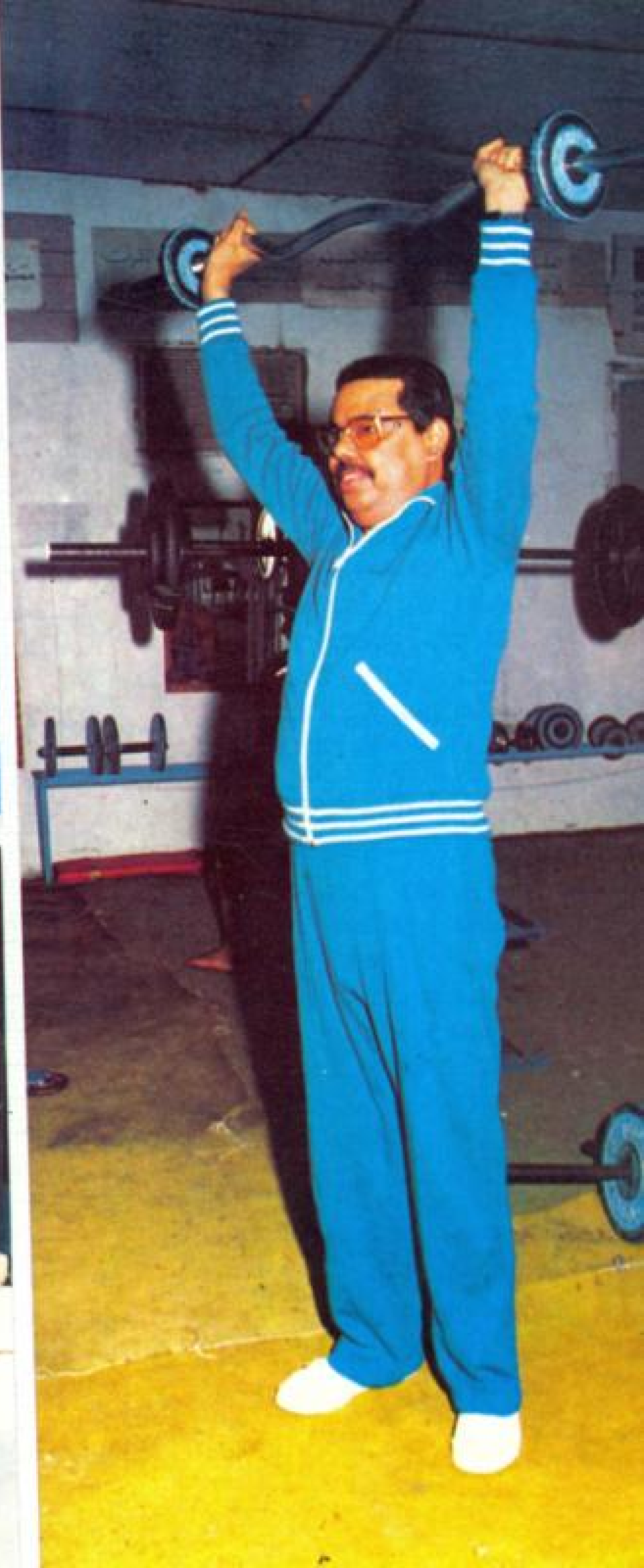

الاستاذ الدكتور عبد الرزاق اليوسف يجري الفحص الطبي الاسبوعي الذي يخضع له صالح الفهد مرة كل اسبوع ، وهو يؤكد أن حالته طبيعية وليست هناك أية مضاعفات .

(الى اليسار) الدراجة في البيت . . انها جزء هام من التمرينات الرياضية التي يقوم بها صالح . . وحديث بينه وبين أحد أبنائه : « هل تسمح لي بأن أقود دراجتك يا أبي ؟ » .

(الى اليمين) صالح يمارس الرياضة البدنية كجزء من العلاج الذي أوصى به الاطباء . . انه يعيش حياة طبيعية ، ويقود سيارته ويذهب الى السوق . . . ولا ينسى العقاقير التي يتعاطاها في موعدها .

دينار ، لدفع نفقات الجراحة الخطيرة التي ستجرى لي في حالة العثور على القلب الذي سيتم زرعه بدلا من قلبي التالف ، ثم ما سوف يتبع ذلك من علاج طويل ، عندما يتم اجراء العملية بنجاح !

« ولم أكن أملك هذا المبلغ الهائل ، فأرسلت الى احدى شقيقاتي الأربع في الكويت أطلب اليها أن تقترض المبلغ من أحد البنوك بضمان العقار الذي أملكه . وفعلت .. ووصل المبلغ أخيرا .

مدين لهم بحياتي .

ولكن القصة لم تنته ، فقد علم سفير الكويت في واشنطون الشيخ سعود عبدالعزيز الصباح بالمأساة التي أعيشها وأنا راقد على الفراش بين الحياة والموت .. وكيف أن أهلي حولوا اليّ كل ما أملك ، حتى أستطيع أن اقوم بسداد نفقات العلاج ، وسارع بارسال تقرير واف الى الشيخ صباح الاحمد ، الذي نقل قصتي كاملة الى مجلس الوزراء في أول اجتماع له . ثم فاجأني السفير بالقرار الذي كان له أعظم الاثر في نفسي : « لقد قرر أمير الكويت وولي العهد والشيخ صباح الاحمد دفع نفقات علاجي كاملة من مالهم الخاص » يومها دمعت عيناي وأنا أدعو لاصحاب هذه القلوب الرحيمة .

ونعود الى قصة صالح .. لقد بقي تحت المراقبة الدقيقة في انتظار العثور على قلب ، مدة تزيد على الخمسة والعشرين يوما .. وعندما ازدادت حالته سوءا في الأيام الخمسة الاخيرة وضعوا له قلبا صناعيا .. وبدأ العد التنازلي .. كانت كل ساعة تمر تعني أن صالحا يقترب من نهايته .. ولم يبق من الوقت الذي حدده الجراحون لبقائه على قيد الحياة أكثر من اثنتي عشرة ساعة ، بعدها لن يكون صالح هناك في انتظار زرع قلب جديد له .

في اللحظات الاخيرة

وفجأة ، وقبل انقضاء هذه الساعات القصيرة التي تبقت له قبل أن يودع الحياة .. وفي الساعة العاشرة والنصف مساء .. ووسط السكون الذي خيم على مركز زراعة القلب والظلام يلفه في دفء أشهر الصيف .. تلقى المركز الاشارة التي كان الجراحون ساهرين في انتظارها : « لقد انتزعنا قلبا سليما من جثة شاب أمريكي عمره ٢٦ عاما ، لقى حتفه في حادث سيارة .!» وقد كان الشاب المسكين متبرعا قبل وفاته طبعا ، بكل اعضاء جسمه لانقاذ حياة أي مريض في حاجة الى أي منها .

ويقول صالح : « كان اليوم هو يوم الاحد الثالث عشر من شهر يونيو من العام الماضي ١٩٨٣ .. انني لن أنسى هذا التاريخ ما حييت » .

وعلى الفور إنتقل طبيبان من المركز الطبي الذي أرقد فيه بطائرة هليكوبتر لاحضار القلب .. قلب الشاب الذي مات ليهب غيره الحياة ..!

الجري .. رياضة يمارسها صالح يوميا .. انها جزء مكمل للعلاج الذي يخضع له .

.. ونجحت الجراحة !

« وبدأت الرحلة تصل الى خاتمتها .. ترى كيف ستجيء النهاية ؟ هل تنجح الجراحة واعود الى الحياة مرة أخرى ؟ وفوجيء إبن عمي الرائد محمد جبر الفهد بالجراحين يطلبون منه إقرارا باجراء العملية الجراحية على مسؤوليته ، فقد كانت حالتي لا تسمح باجراء العملية ، وكان الجراحون يشعرون أنها حالة ميئوس منها .. كان جسمي كله قد تحول الى كتلة سوداء يابسة لا يبدو في أي جزء منه أي أثر للحياة .. حتى عروقي جفت من الدماء ! »

« وقال إبن عمي .. انه ميت ميت اقدموا على اجراء العملية على مسؤوليتي .. » ووقع الاقرار .

وبدأ عشرة من كبار الجراحين في المركز اجراء العملية .. خمسة منهم كانوا يقومون بالجراحة بالفعل بينما وقف الخمسة الآخرون يشرفون عليهم .

ونجحت العملية ، وبدأ القلب المزروع ينبض في صدري .. وشيئا فشيئا بدأت أشعر بالحياة تعود اليّ من جديد .

ووجدتني أعود الى صاحب القلب الذي

الاستاذ الدكتور عبد الرزاق اليوسف ، يكشف بدقة على كل جزء من أجزاء جسم صالح في مستشفى مبارك الكبير ، احد احدث مستشفيات الكويت

وهبني الحياة .. من هو .. ؟ لا أدري .. ما اسمه .؟ لا اعرفه .. حتى أهله لا اعرف شيئا عنهم ، فقد رفضت ادارة المركز أن تذكر لي أي شيء يمكن أن يقودني اليهم حتى أقوم نحوهم بما يستحقون مني .. انني ادعو لهم ليل نهار وأطلب الرحمة للشاب المسكين الذي ذهب وقلبه ما زال معي ينبض بالحياة في صدري وبين ضلوعي .

العودة الى تراب الوطن

هل انتهت رحلة صالح .. لا .. ليس الآن .. فقد بقي في المركز بعد اجراء العملية لمدة أربعة أشهر كاملة تحت العلاج ، والمراقبة الدقيقة ، بعدها سمحوا له بالخروج ولكنهم لم يسمحوا له بالعودة الى بلده وأهله ، لقد طلبوا اليه أن يستمر في التردد على المركز ثلاثة أشهر أخرى بمعدل مرة كل أسبوع .. أو كل يوم خميس على وجه التحديد . وذهب صالح ليقيم مع إبن عمه بشقته في واشنطون ، وكانا يقطعان المسافة بالسيارة بين واشنطون ومركز القلب في ريتشموند في ساعتين ، ويبيتان في أحد الفنادق هناك بعد الانتهاء من الفحوصات اللازمة ثم يعودان الى واشنطون في صباح اليوم التالي وهكذا ..

ومرت الشهور الثلاثة وعاد صالح أخيرا الى بلده وأولاده واهله .. ليبدأ حياة جديدة بقلب جديد لا يعرف صاحبه . ولكنه يحس انه يعيش معه في داخله مع كل نبضة ..

عاد صالح ومعه العقار الجديد (سيكلو سبورين « أ ») Cyclosporin 'A' الذي يساعد الجسم على تقبل الاجسام الحيوية الغريبة . لقد أحدث اكتشاف هذا العقار ثورة في عملية زرع الاعضاء . وعاد صالح أخيرا ليروي قصته مع الحياة والامل والمستقبل .. انها قصة رجل استطاع أن يهزم المرض ويطرد شبح الموت بفضل ارادته القوية ورغبته في الحياة □□

عمليـة زرع القلب

متى بدأت وكيف تطورت ؟

الدكتور هاني شحيبر جراح القلب ورئيس وحدة جراحة القلب في الكويت : « مستقبل استمرار حياة الانسان المريض بالقلب يكمن في زرع قلب صناعي » .

مع واحد من كبار جراحي القلب المعروفين في الكويت ، كان للعربي لقاء . انه الدكتور هاني شحيبر رئيس وحدة القلب بمستشفى الأمراض الصدرية وكان الحديث حول القلب وعمليات زرع القلب.

قال : ان زراعة القلب للانسان بدأت منذ خمسة عشر عاما . أي في عام ١٩٦٨، على وجه التحديد ، ولم تكن محاولة واحدة وإنما كانت عدة محاولات بدأت في وقت واحد تقريبا وفي عدة مراكز مختلفة من جميع أنحاء العالم . . في جوهانسبرج بجنوب افريقيا ، وفي باريس ، وفي لندن وفي ولاية كاليفورنيا وأيضا في ولاية تكساس

والواقع أن هذه السنة ١٩٦٨ ، كانت نقطة الانطلاق نحو تحقيق عملية زرع هذا العضو الاساسي الذي ينبض بالحياة في جسم الانسان وبدونه لاتكون هناك حياة .

كانت النتائج الاولى لهذه المحاولات في أواخر الستينيات ضعيفة بحيث لم تزد نسبة استمرار الحياة بعد السنة الأولى من زرع القلب عن ٤٠٪ أي أن أربعة من كل عشرة زرع لهم قلب كانوا يعيشون لمدة عام واحد ، بينما هبطت نسبة استمرار الحياة لمرضى زرع القلب بعد مرور خمس سنوات من اجراء العملية الى ٣٠٪ فقط .

واذا انتقلنا الى اواخر السبعينيات وجدنا أن عدد المرضى الذين يعيشون لعام واحد بعد عملية زرع القلب ، قد ارتفع الى ٦٠٪ بينما ارتفع عدد الذين عاشوا لاكثر من خمس سنوات الى ٥٥٪ .

أما في الثمانينيات وبعد اكتشاف عقار السيكلوسبورين « أ » Cyclosporin(A) الذي بدأ استعماله رسميا في الولايات المتحدة بقسم البحوث لمرضى زرع القلب والكبد والكلية والبنكرياس ، فقد ارتفعت نسبة الذين يعيشون لمدة عام الى ٨٥٪ ومازال الوقت مبكرا لكي أثبت توقعاتي بالنسبة لفعالية هذا العقار الذي حقق مبدئيا نجاحا باهرا منذ استعماله على مرضى زرع القلب منذ عام ١٩٨١ ومابعده . انه لاشك قد أعطى أملا بالنسبة لمرضى زراعة القلب وبقية الأعضاء .

أود أن أشير الى أن هذا العقار الجديد يستخدم الآن بحذر شديد ، نتيجة لوجود بعض المضاعفات التي يحتمل أن تظهر على المريض الذي يستعمله لفترة طويلة بعد اجراء عملية الزرع ، ولكن الذي لاشك فيه انه اكتشاف سوف يحدث ثورة في المستقبل القريب عندما تثبت فعاليته في المدى الطويل .

في هذا المجال أود أن أذكر بعض الاحصائيات عن عمليات زرع القلب في العالم .

• يقوم الجراحون باجراء ما يقارب المائة عملية زرع قلب سنويا في جميع أنحاء العالم (امريكا واوروبا وافريقيا وآسيا واستراليا) .

• يوجد حاليا ما يقارب الخمسمائة مريض يعيشون بقلوب غيرهم في جميع أنحاء الأرض ، أحدهم الاخ صالح الفهد المواطن العربي الاول الذي أجريت له هذه الجراحة بنجاح وندعو الله له بطول العمر .

هناك تساؤل قد يتبادر الى ذهن القارىء وهو متى يتقرر زرع القلب للمريض وتحت أي ظروف ؟

والاجابة على هذا السؤال تتلخص في النقاط التالية :-

• المريض المصاب بهبوط حاد في القلب نتيجة لانسداد الشرايين وصغرها وعدم التمكن من زرعها .

• المريض المصاب بتلف في عضلة القلب ، أو المريض الذي يعاني من الداءين معا ، ويتوقع له طبيا بأن حياته لن تستمر لأكثر من ستة أشهر .

• يفضل أن يكون سن المريض الذي ستجري له عملية زرع قلب ، بين الثانية عشرة الى الخامسة والخمسين ، ذلك لان المريض الذي يزيد عمره على الستين تكون هناك صعوبة في التئام جروحه وعودته الى الحياة الطبيعية ، خاصة عند استعمال العقاقير الاساسية في عملية الزرع ، وفي مقدمتها الهرمونات أو الكورتيزون .

• يجب أن تكون حالة المريض الصحية الذي ستجرى له عملية زرع القلب سليمة مائة في المائة أي لا يكون مصابا بمرض من الامراض الآتي ذكرها مثل : مرض السكر المزمن وخاصة الذين يعالجون بالانسولين ، والمرضى المصابين بهبوط حاد في وظائف الكبد أو الكليتين أو الرئتين ، وكذلك مرضى السرطان ، أو المرضى المصابين بارتفاع حاد في ضغط الدم الرئوي الناتج عن هبوط مزمن في القلب .

وانتقل الى نقطة أخرى أساسية :

• فقد تحدثنا عن عملية زرع القلب ، ولكننا لم نتحدث بعد عن عملية الحصول على القلب الذي سيزرع للمريض . ترى كيف نوفر هذا العضو الحيوي . ان في حالة زرع الكلية مثلا ، نجد أن العملية في حد ذاتها لا تمثل مشكلة ، فالانسان يستطيع أن يعيش بكلية واحدة ،

ونعود الى السؤال : « ما هو المصدر الذي تحصل منه على القلوب التي ستزرع لمريض القلب التالف ؟ »

تعتبر حوادث الطرق الأليمة المصدر الاساسي لهذا العضو ، بشرط الا تزيد الفترة بين استئصال القلب من جثة المتوفي في الحادث وبين زرعه في جسم المريض الذي ينتظر قلبا جديدا عن ست ساعات ، بشرط أن تحتفظ بالقلب المعد للزرع معقما في سائل طبي يحوى محلول البوتاسيوم والصوديوم في درجة حرارة لا تزيد على ٤ مئوية ، كما يشترط أيضا في القلب الصالح للزرع ألا يكون صاحبه قد جاوز سن الاربعين

وأود في النهاية أن أقول أن العقبات الاساسية التي اتفقت عليها مراكز زراعة القلب في العالم تكمن فيما يلي :

• المضاعفات الناجمة عن عملية الرفض ، واستعمال الادوية مثل الكورتيزون والسيكلوسبورين « أ » cyc-losporin "A" والذي خفف الكثير من مضاعفات الرفض .. رفض الجسم لأي عضو حيوي غريب .

• وهناك أيضا مضاعفات لا يستهان بها ناجمة عن حدوث التهابات في جسم المريض الذي زرع به العضو ، وخاصة عندما يتناول عقاقير الهرمونات .

• ثم لا ننسى عملية الحصول على القلب التي لا يمكن أن تتم الا بوفاة انسان آخر ، وحتى اذا توفر وهو احتمال نادر ، فهناك أسباب تحول دون الحصول عليه بسهولة . ونتيجة لذلك اتجه العلماء الى القلب الصناعي وهو في رأيي الامل للمرضى الذين يحتاجون الى زرع قلب مستقبلا .

وبالرغم من التجربة التي تمت في سولت ليك سيتي مع بارني كلارك الذي وهب نفسه لاجراء تجربة زرع القلب الاصطناعي ، وانتهت بالفشل ، الا أنها في رأيي قد فتحت آفاقا جديدة في سبيل الوصول الى قلب صناعي يمكن أن يقوم بوظيفة القلب الطبيعي وتوفر له طاقة لتشغيله على غرار الطاقة التي تقوم بتشغيل بطارية تنظيم نبض القلب pace Maker ولكن بقوة أكبر .

فلننتظر الى مستقبل زرع القلب بتفاؤل .

الحمل.. والإحساس بالأمومة

بقلم الدكتور أحمد السيد طوبا

□ كلنا يعلم أن الحمل والوضع أمران طبيعيان في حياة المرأة وهي تتقبلهما بكل بساطة وهدوء ونفس راضية. فالاحساس بالامومة هو أعظم وأنبل صفات المرأة بعد الزواج.

في بعض الاحيان يختلف الواقع اختلافا بينا عما نتوقعه حيث تلعب العوامل النفسية دورا يغير ما لدينا من انطباع عن هذه الناحية، فنجد بعض النساء يخشين الحمل ويوجسن منه خيفة فاذا حملن تملكهن القلق والذعر من طور الولادة الذي لا بد منه.

هذا الشعور اللاطبيعي مصدره سبب واحد عند نساء الأرض قاطبة وهو أبرز ما يكون عند نسائنا في الشرق العربي.. ألا وهو الجهل. ولا أقصد بالجهل عدم المعرفة بالقراءة والكتابة أي الأمية، بل أقصد الجهل بحقائق الحياة ومظاهرها وما يطرأ عليها من تطورات في مراحلها المتتابعة. ولعل الكثير منا يعرف العديد من الأمهات الأميات اللاتي أنجبن بنين وبنات أصبحوا من قادة الفكر والعلم والفن من امتنا العربية. ذلك لأنهن وان كن اميات لكنهن لم يكن جاهلات بل عرفن حقائق الحياة وبُحن بها لأطفالهن فنشئوا أصحاء جسدا وعقلا. أما الأمهات الجاهلات اللاتي لم يعرفن حقائق الحياة فبالتالي لم يكن لديهن ما يقلنه لأطفالهن سوى ربما بعض الخرافات والخزعبلات، حتى اذا ما تعلم هؤلاء الأطفال وحصلوا مستقبلا على أعلى الدرجات العلمية فاني أقول صراحة اننا سنجد بينهم الجهلاء.. والجاهلات.

فاذا كان تزمت الآباء ورجعيتهم العمياء التي يخفونها وراء ستر مصطنع من العادات والتقاليد يسهم بقسط وافر في الابقاء على هذا الجهل وتوارثه، فان الامهات الجاهلات هن المسئولات عن جهل بناتهن. فالثقافة الحقة والمعرفة الصحيحة والادراك السليم كلها تبدأ من البيت وتجيء بعد ذلك دور الحضانة ثم المدارس على اختلاف مراحلها التدريجية

لتواصل الرسالة وتصقلها وتهذبها وتضع لها المقاييس والمعايير لتنتج لنا في النهاية الأم المثقفة ، وليست الأم المتعلمة فحسب

ان ما تفتقده بناتنا سواء في البيت أو في البرامج المدرسية هو العلم بأنفسهن ، بتركيبهن العضوي ووظيفتهن الجنسية ، ذلك لأننا نرى في تعليمهن الجنس في مدارسنا وزرا يقرب من الكفر متناسين أن الله تعالى في كتابه العزيز قد ذكر الجنس من ذكر وأنثى وبين لنا العلاقة بين الجنسين وما يجب أن تكون عليه ، وذكر لنا الحمل والوضع بل قدم لنا سلسلة ذلك التطور العجيب الذي يحدث في منشأ الانسان مما عرف بعدئذ بعلم الأجنة .

ان الله سبحانه وتعالى لم يستح من ذكر الجنس على هذه الصورة المهذبة الواضحة ، لكنا نحن البشر نستحي من ذكر ذلك لبناتنا في البيت وفي المدرسة ، حقيقة ، أنه من العسير جدا أن نحادث الأطفال الصغار وحتى المراهقين والمراهقات والشباب عامة عن حقائق جسم الانسان والعلاقة الجنسية بين الذكر والأنثى وما يتبع ذلك من حمل ووضع . وهذا هو عين النقص وبيت القصيد . اننا في حاجة ماسة لتعاون الأطباء وعلماء النفس وعلماء التربية ورجال الدين وكتاب الأطفال ليوحدوا جهودهم ويستنبطوا لنا منهجا يدرس للأمهات في مدارس محو الأمية وللاطفال وللشباب في جميع مراحل التعليم ليخرجوا لنا جيلا من الأمهات الصحيحات جسما وعقلا وعلما وثقافة ، يعرفن حقائق الجنس وحقائق الحياة فلا يصعقن للطمث عندما يقبل أو يدبر ولا يخشين الحمل عندما يحدث ولا الوضع عندما يحل . ومن ثم تتوالى الأجيال الواعية ، ويكون هؤلاء الجهابذة قد وضعوا بذلك اللبنة الأولى في صرح تقدمنا

وسعادتنا النفسية في جميع أرجاء الوطن العربي .
والى أن يتحقق ذلك الأمل دعونا ننزل الى أرض واقعنا اليوم ونتدارس سويا العوامل النفسية التي تؤثر على الحمل والوضع .

المؤثرات الأسرية

ان العوامل الأسرية التي تتمثل في الوالدين والزوج والأخوة والأخوات وبقية أفراد الأسرة لها تأثير مباشر على الابنة الحامل أو المقبلة على الحمل . وللأم النصيب الأكبر من هذا التأثير للرغبة الخفية التي تكنها الابنة في محاكاة أمها والتمثل بها . وهذا يجعل الابنة عجينا طريا في يد الأم تشكله كيفما تشاء . فاذا زرعت الأم في قلب ابنتها الشجاعة والثقة بالنفس وافضت اليها بخبرتها في الحياة الزوجية ووصفت لها تجربتها في الحمل والوضع في صدق وأمانة ودون مبالغة أو تهويل فانها بذلك تكون قد قضت على الخوف والرهبة من المجهول الذي لا تعرفه الابنة بعد .

كما أن الابنة تشعر بالأمن والطمأنينة ما دامت أمها بجانبها تغذيها دوما بالنصح والارشاد والعطف والحنان وتؤهلها لملاقاة الحدث السعيد بأذرع مفتوحة وصدر رحب .

ولا يقل دور الزوج أهمية عن دور الأم . فاذا كان الزوج وديعا محبا راغبا بصدق في الانجاب ويقف بجانبها أثناء الولادة يشد على يدها مشجعا فرحا فان هذا يشعر الزوجة بالأمان والاستقرار وترحب بالحمل مثنى وثلاث ورباع

أما تأثير بقية أفراد الأسرة فهو لايقل عن سابقيه بل يساويها أو قد يفوقها وذلك لتعدد الأفراد ذوي التأثير .

أما اذا كان الحال على عكس كل ما تقدم وخيّم على البيت جو من النكد والكآبة والمشاحنة والشجار والتراشق بالالفاظ النابية والكنايات الجارحة فان ذلك ينعكس على نفسية الزوجة التي تتملكها التعاسة وكره حملها والتعسر في الولادة ثم نبذ طفلها واهماله .

المؤثرات البيئية

تدخل الظروف الاجتماعية والاقتصادية في عداد المؤثرات البيئية فلا شك أن الطبقة الاجتماعية التي تنتمي اليها الحامل لها أثر كبير في تكوين شخصيتها والتأثير على نفسيتها ، وكذلك الموقف الاقتصادي من حيث الغنى والفقر والكفاية والعوز . لكن هذه الأمور لا تكون عادة بالجديدة على الحامل التى قد عاشتها قبل الحمل وألفتها .

أما المؤثرات المباشرة فتتمثل في الجارات والصديقات والمعارف والقابلات (الدايات)اذ نجد من بين كل طائفة من تشحن فكر الحامل بحكايات وأقاصيص عن الأهوال والمخاطر التي تعرضت لها هي أو احدى قريباتها أثناء الحمل أو الولادة مما يثير الرعب في قلب الأم المسكينة التي تستمع لهذه المآسي وهي تلعن اليوم الذي حملت فيه . والويل كل الويل اذا كانت احدى هؤلاء الجارات أو الصديقات من العوانس فالعانس لا تقرّ بأنهاعانسية ولا تعترف بأنها فشلت في الاستحواذ على قلب رجل اما - انتصارا لكرامتها الشخصية واعتدادا بنفسها - تجزم بأنها قد رفضت عن عمد الاقتران بأي من الجنس الخشن حتى تتجنب مصاعب الحمل والآم الولادة ومشاكل تربية العفاريت الصغار وتقصد الأطفال . وهنا نجد الأم المسكينة لا تلعن اليوم الذي حملت فيه فحسب بل تلعن كذلك اليوم الذي تزوجت فيه .

أما القابلات فدورهن خطير للغاية . انهن يوحين الى الأم الصغيرة في خبث ومكر وبطريق

غير مباشر أنهن وحدهن « العالمات ببواطن الأمور » حتى يصرفن ذهن الأم عن استشارة طبيب أو زيارة عيادة لرعاية الأمومة والطفولة أو اللجوء لمستشفى تخصصي . وتطعن احداهن في كفاءة كل هؤلاء وتختلق الأكاذيب والأقاصيص الوهمية لتؤيد أقوالها وتعزز وجهة نظرها حتى تنفرد وحدها بمهمة رعاية الأم طوال مدة الحمل وتضطلع هي بعملية التوليد .

وحتى المتعلمات لم يسلمن من ارتكاب تلك الأخطاء التي يقع فيها غيرهن من الجاهلات سواء عن عمد أو بحسن نية . فالمتعلمات يدفعهن الغرور الى ابتكار مصاعب لا وجود لها ولا تستند على أساس رغبة منهن في الاستحواذ على اعجاب الأمهات الصغيرات ، وهن بذلك يستعرضن علمهن وثقافتهن فيعلو قدرهن في نظر الأمهات الصغيرات .

وهكذا نرى من كل ما تقدم كيف تهوى المطارق على رأس الأم الصغيرة فتحطم نفسيتها وتفتت معنويتها وتتركها حطاما نهبة للهواجس والأوهام . فهل نقف مكتوفي الأيدي أمام هذه العوامل الهدامة ؟ اذن ما هو الحل ؟ وهنا نعود من حيث بدأنا وننادي بتضافر جهود المختصين الذين ذكرتهم آنفا ونحثهم على اقرار منهج دراسي يجنب أجيالنا الصاعدة التعاسة والشقاء .

وقبل أن أترك هذا الموضوع أود أن أذكر نقطة تركتها للنهاية وقد آن وقتها فأقول ـ ارضاء لضميري واحقاقا للحق ـ اننا نحن الأطباء نرتكب نفس الأخطاء التي عددتها سواء في عياداتنا الخاصة أو في مراكز رعاية الطفولة والأمومة أو في المستشفيات الخاصة والعامة خصوصا مع الحامل المنهكة القوى التي تسير في بطء فتستحثها (التومرجيات) على الاسراع بألفاظ جافة وأوامر صارمة . وفي المستشفى ترقد الحامل في فراشها لترى الأطباء يغدون ويروحون وقد عبست وجوههم وتجمدت أساريرهم بينما الممرضات المقنعات يسرعن الخطى هنا وهناك فيزدن من التهاب الجو وتترجم الحامل المسكينة كل ذلك بأن هناك خطرا ما فتضطرب ويساورها القلق والخوف . وعلى النقيض من هذه الصورة المفزعة فقد نرى طبيب الامتياز يسير في العنبر في زهو وخيلاء فاذا تكرم وخاطب احدى النزيلات قائما في صلف وكبرياء ويرسل (الحكيمة) لتكشف على الحامل وتخطره بمدى تقدمها نحو الولادة مع أن ذلك هو واجبه هو . . . . والى غير ذلك من مظاهر التعسف والاهمال واللامبالاة .

لكن . . كيف يتفاعل جسم الحامل مع كل هذه المؤثرات النفسية وما هي مظاهر هذه الانفعالات وكيف تنعكس في صورة أمراض أو نكسات ؟ .

ان أهم ما تخشاه الحامل أثناء حملها والى أن تضع وليدها هو الألم . وهذا الألم مصدره الرئيسي هو الخوف . . الخوف من أن تعاني الحامل من آلام ، أو آلام وهمية جسّدها لها الخوف . ويمكننا ادراك ذلك بسهولة اذا علمنا أن طبيب الأسنان عندما يهم بخلع ضرس فاسد لمريض فانه يقوم بتخدير الموضع ولا يبدأ عمله الا بعد أن يتم التخدير تماما وينقطع الاحساس في الموضع ، لكن عندما يقبض الطبيب بكلابته على الضرس ويبدأ في الخلع تسمع المريض يصرخ متوجعا ويصيح متألما مع أنه لا ألم هناك بالمرة . ذلك لأن المريض كان يتألم من البارد والساخن قبل الخلع ، فكيف لا يكون هناك ألم عند انتزاع الضرس بالقوة ! لا بد أن يكون هناك ألم مبرح فهذا ما يقوله العقل والمنطق . ومظهر التعبير عن الألم هو الصراخ . . فليصرخ ولو حتى بدون ألم .

كذلك الخوف المتواصل عند الحامل قد يسبب لها ارتفاعا في ضغط الدم وهذا قد يقود الى مضاعفات وخيمة العواقب . أما في المرحلة الأولى للوضع فان الخوف له تأثير سيء على

الرحم ، فهو ينبه الجهاز العصبي السيمباثاوي الذي يقوم بوظيفة هامة وهي اعداد الجسم للهروب من الخطر أو الصمود والدفاع بشدة ، فتنطلق مادة الادرنالين من مواضع متعددة في الجسم وتبعا لذلك تتسع الحدقتان وتزداد سرعة خفقان القلب وتنقبض عضلات الأمعاء والعضلة القابضة للشرج والعضلة الدائرية لعنق الرحم فتطول فترة المرحلة الأولى للوضع وتتعسر الولادة ... مع مايصاحب ذلك من آلام ينسجها الوهم . ومن المحتمل جدا أن يكون هناك نتيجة أخرى لهذا التوتر العضلي الناجم عن الخوف ، وهي قصور ثانوي في الدورة الدموية في الرحم ينشأ عن تباطؤ بل وتوقف الدم في الأوعية الدموية الكبيرة . والعضلات اذا نقص معينها من الدم فانها تؤلم اشد الألم مثلما يحدث عند تقلص عضلات أرجل لاعبي كرة القدم أو عند قياس ضغط الدم ويظل الرباط حول الذراع مدة أطول من اللازم .

وهكذا نجد مظهرا آخر بسببه الخوف وهو نقص الأوكسجين في عضلة الرحم . أما في المرحلة الثانية فالخوف هنا يلعب دورا خطيرا غير منظور . فقد تنقبض عضلة عنق الرحم بعد مرور رأس الجنين ، تنقبض على رقبته وتهدد حياته . أو قد يحدث العكس تماما فان توهم الألم يجعل الأم تصرخ وتئن وتتوجع طوال الوقت حتى في فترات استرخاء العضلات التي تحدث بين نوبات التقلص العادية ، وتكون النتيجة أن تتعب الأم وتخور قواها وتعجز تماما عن الدفع الارادي اللازم لاتمام عملية الولادة ، وهذا خطر آخر يهدد حياة الجنين .. وحياتها .

ويروي لنا دكتور جرانتلي ديك في كتابه (الولادة بدون خوف) قصة امرأة ساعدها في الولادة عندما كان طبيبا صغيرا في مستهل حياته العملية . فبعد أن خاض الطبيب بدراجته القديمة المتهالكة وسط الطين والأوحال والأمطار المنهمرة في احدى الليالي في حي (هوايت تشابل) وهو احد الأحياء الحقيرة بلندن ، وجد نفسه في غرفة زرية لا تتعدى مساحتها عشرة أقدام مربعة ، يتساقط ماء المطر من ثقب في سطحها ويتجمع فيما يشبه البركة على الأرض العارية . وكانت ملاءات السرير تتألف من بعض الأكياس والأجولة ، وفي حين ارتكز الفراش على صندوق خشبي كان يؤلف الأرجل الخلفية للسرير .. وطالت مدة الولادة فعرض الطبيب على المرأة (هفة)من الكلوروفرم لتخفف من آلامها ، ولكن الأم رفضت في أدب جم فأثار ذلك فضول الطبيب وبعد لأي ولد الطفل وبدأ الطبيب في جمع أدواته للرحيل ، فعاوده فضوله وسأل الأم لماذا رفضت بكل اصرار استنشاق المخدر ، فقالت بكل بساطة وهدوء :

ان الولادة لا تؤلم ... ولا داعي للمخدر .. أليس كذلك يا دكتور ؟ □□

الحنين إلى الماضي

.. والصحراء

استطلاع : صادق يلي

تصوير : صلاح آدم

مع إطلالة الربيع تنتشر آلاف الخيام في صحراء الكويت حيث يقضي الأهالي وقتا جميلا بعيدا عن العمران وضوضاء المدينة .

وجانب لأحد المخيمات الكشفية الفرعية للمخيم الكشفي السنوي .

ويشهد المعسكر الكشفي في القنيطس في كل ربيع مهرجانا كشفيا يشارك فيه أعداد هائل من كشافة الكويت ودول مجلس التعاون الخليجي .

□ مع اطلالة الربيع واعتدال الجو ، يخرج أهل الكويت بشكل جماعي الى الصحراء . ينصبون الخيام في أماكن نائية عن العمران . . يقضون أياما جميلة بين الطبيعة البكر يمرحون نهارا ويتسامرون ويغنون شطرا من الليل .

ان ظاهرة الخروج الى البر تتكرر كل عام عبر أجيال وأجيال على مدى القرون ، منذ أن وجدت الكويت على هذه البقعة من الأرض .

ان أنماط الحياة الحديثة لم تعطل اهتمامهم عن التعلق بالصحراء وما ترمز اليه من بساطة ورحابة وحرية . تراهم يستبشرون بأول قطرات المطر التي تنهمر في بداية موسم الأمطار بعد صيف قائظ ، ويمنون النفس بربيع زاهر أخضر يكسو الصحراء بثوبه القشيب .

انها عادة متأصلة في نفوس أهل البلاد يتنظرون الموسم بفارغ الصبر كل عام ، ويستعدون له أتم استعداد . . يجهزون الخيام وأوعية المياه ، وكل مايلزمهم من انارة وتجهيزات الطبخ وكل مايحتاجه المرء ليعيش في الخلاء . مع أن فترة الاقامة في البر قد لاتستغرق أكثر من خمسة عشر يوما هي فترة اجازة الربيع للمدارس . فترى المخيمات تنتشر على مساحات واسعة في صحراء الكويت وبأعداد كبيرة حتى يخيل للرائي أن شعب الكويت كله قد خرج الى الصحراء ساعيا وراء الطبيعة بكل بساطتها وعفويتها .

مخيمات الأهالي

في الوفرة وفي العبدلي وفي المنقف وفي الدوحة وفي مناطق أخرى آلاف الخيام نصبت هنا وهناك ، بعضها رتبت بطريقة منظمة توحي بأن هناك اتفاقا مسبقا بين عدة أسر رضيت أن تقضي هذه الأيام الجميلة قريبة بعضها من بعض تشاركها الفرحة . . هذا مخيم كبير ومجموعة من الشباب قد أقاموا مهرجانا رياضيا للعبة كرة القدم ، ثم مجموعة أخرى تزاول لعبة كرة الطائرة ، وطائفة أخرى استحسنت ركوب الدراجات النارية الصغيرة ، وراحت تجوب الصحراء ذهابا وايابا حول المخيم .

اقتربنا من أحدهم وهو السيد سليمان ناصر العلي ، وسألناه عن هذا التجمع السنوي وعن مفهوم البر لدى المواطن . قال : الخروج الى البر يكاد يكون عادة متأصلة في نفوسنا منذ القدم ، فتجمع أفراد الأسر في أيام جميلة ، في طياتها ذكريات طيبة ، وهي فرصة لتلاقي افراد هذه الأسر وتعارفها ، ولاشك أن طلعة البر تثير فينا الحنين الى حياة الأجداد الذين كانوا يعيشون حياة هانئة بعيدة عن زيف المدينة ومشاكلها .

ويتحدث نوري خالد الهادي عن عادة خروج الكويتيين الى البر مع اطلالة كل ربيع وكيف يقضي يومه فيقول : « يبدأ يومنا مع طلوع الفجر حيث توقظنا الوالدة للصلاة ، وبعدها أقضي وقتا ممتعا أزاول فيه رياضة المشي ، التي حرمنا منها لوجود السيارات ، التي ازدحمت بها المدينة ، ثم أتناول طعام الافطار الذي يتكون من الحليب والشاي والحلوى ، وبعد ذلك أذهب لشراء مانحتاجه لوجبات الغداء والعشاء من لحم وأرز وفاكهة وخضروات . وفي المساء نقضي معظم الوقت في الالعاب المسلية لاشاعة الحيوية فيما بيننا .

ولعبة (كوت أبو سته)[1] هي اللعبة المفضلة

(١) ورق اللعب (الكوتشينه)

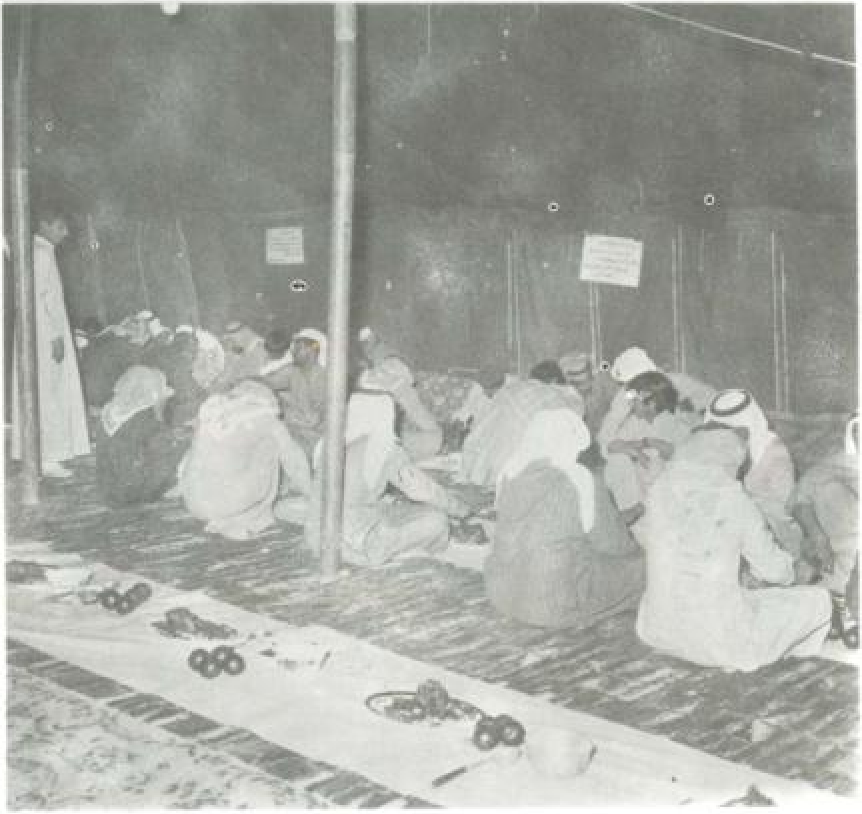

عادة ما تقيم مخيمات الأهالي ولائم عامرة للضيوف والمعارف

لدى معظم الكبار ، كما أن لعبة (المحييس) أو مايسمى بلعبة (البات) (٢) من الالعاب الشعبية القديمة التي تعتمد على قوة الملاحظة فاننا نمارسها عندما نجتمع بالخيمة في المساء ، وفي بعض الأحيان نقضي طرفا من الليل في ترديد الاغاني ، وأفضلها عندنا هي الأغاني الكويتية القديمة مثل الأصوات والسامري التي تمتاز بجماعية الأداء .

أما الطالبة زينب حسين الشطي فتقول : ان الخروج الى البر في الربيع متنفس لنا بعد أشهر من الدراسة وإنني أرجو من المسؤولين ان يوحدوا اجازة نصف السنة في المدارس والجامعات حتى تكتمل الفرحة بتواجدنا معا ، وهي تشكر الحكومة على اهتمامها بنظافة البر والعمل على راحة كل من يخرج اليه وخاصة مراكز الاسعاف التي تقوم بخدمة الأهالي وتساهم في علاج الاصابات الطارئة .

الحاج عبد الله يوسف الناصر ـ وهو شيخ جاوز الستين ـ يقول : ان الخروج الى البر عادة متأصلة في نفوسنا منذ القدم فقد كنا نخيم في المناطق القريبة من سور الكويت مثل منطقة الدسمة والعديلية وخيطان وبنيد القار ، التي أصبحت الآن مناطق سكنية زحفت اليها الحضارة ، وكنا في تلك الأيام نزاول بعض الالعاب الشعبية مثل لعبة (الهول) و(المقصى) وغيرها .

(٢) لعبة شعبية بين مجموعتين من الرجال يتنافسون على الفوز بمعرفة ما تخفيه أيديهم من أشياء خاصة .

« أنا القطار السريع » لعبة جماعية يزاولها الأطفال .

والمراجيح تنصب بين الخيام لاسعاد الأطفال . (إلى اليمين)

و « الثعلب فات فات » لعبة يعرفها الأطفال في كل انحاء العالم .

ويقضي الشباب أوقات فراغهم في مزاولة الألعاب الرياضية .

وحركة الكشف حركة سعادة وإخاء وتعاون في العمل لصالح الجماعة واستغلال لأوقات الفراغ في أعمال تعود على الكشافين بالنفع .

لعبة الموانع من الألعاب الرياضية المسلية . (إلى اليسار)

والحاج عبد الله يأخذ على الناس اسرافهم الشديد في استهلاك الأغذية والمعلبات فيشوهون البر بهذه الاكداس الهائلة من العلب الفارغة .

ويضيف الحاج عبد الله يوسف الناصر قائلا : اني لأحبذ الخروج الى البر بهذه الاجهزة الحديثة مثل الثلاجات ومولدات الكهرباء ، لأننا بخروجنا الى البر يجب أن نعود الى طبيعتنا الأولى البسيطة ونستمتع بالطبيعة .!

(الفتيان الكشافة)

لقد اعتاد كشافة الكويت في الربيع من كل عام اقامة مخيمهم الكشفي في هذه الفترة ، وفي مخيمهم الدائم في منطقة الفنيطيس يقيم ما يقرب من ٢٥٠٠ كشاف وقائد واداري مخيمهم الكشفي السابع والثلاثين ، يمثلون الأشبال والفتيان الكشافة ، قد قسم المخيم الى سبعة مخيمات فرعية يضم كل مخيم منها مايقرب من ١٨ فرقة ، وذلك لتسهيل الاشراف والتوجيه .

يضم المخيم الكشفي كذلك كشافة من دول مجلس التعاون الخليجي ، وقد شارك فيه هذا العام كشافة من سلطنة عمان ، والمملكة العربية السعودية ، ودولة قطر ، بمعدل طليعتين من الكشافة لكل وفد .

ويقول الأستاذ علي حسن العلي القائد العام

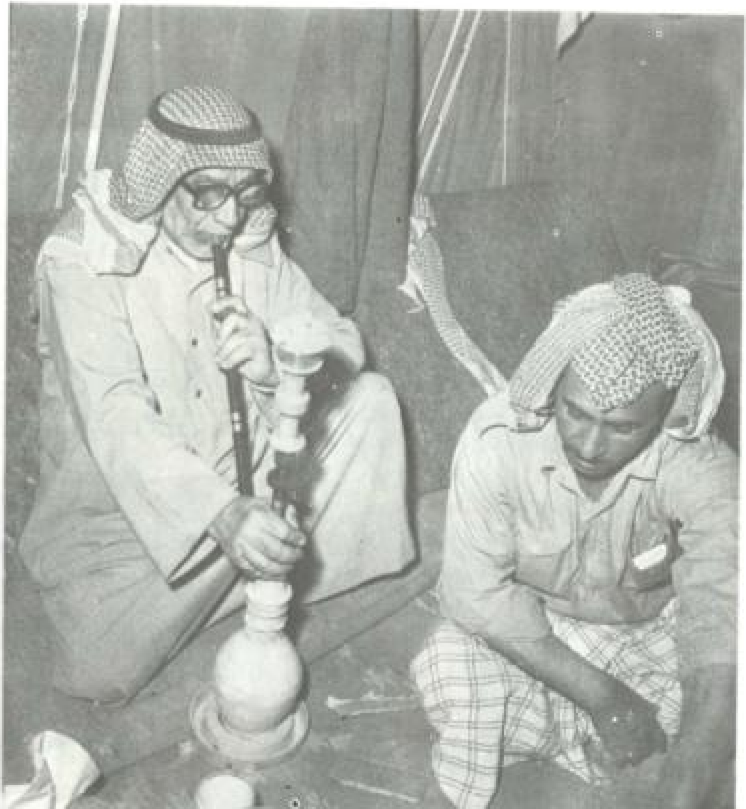

● القدو ● اداة للانسجام والمتعة في المخيم

للمخيم والمفوض الدولي : لاشك أن الكشافة تعد رسالة تربوية مكملة للعملية التربوية للمدرسة ، إذ يعيش الكشاف بين أحضان الطبيعة ليمارس هواياته في جو ملىء بالحركة والنشاط ، حيث تتوفر كل وسائل الراحة واستغلال أوقات الفراغ بالأعمال المفيدة التي تعود على الأبناء بالمنفعة ، وعلى الوطن بالخير ، فحياة الخلاء تكسب الكشاف صحة وسعادة وتعوده على الصبر والمثابرة ، ومواجهة عوامل الطبيعة المتغيرة ، ثم حسن التصرف فضلا عن التعاون بين أفراد المجموعة الكشفية في العمل فيما يسمى بنظام الطلائع ، أي أن كل ثمانية كشافين تشكل مجموعة ترتبط في العمل طوال فترة تواجدهم في المخيم .

أما عن تاريخ حركة الكشافة في الكويت والمخيمات التي أقيمت فيقول الأستاذ على حسن العلي : لقد تأسست الحركة الكشفية في الكويت عام ١٩٣٦ حينما تكونت أول فرقة كشفية قوامها ١٢ كشافا ، ثم بدأت الحركة الكشفية تنمو في الأربعينيات ، ويمكن القول ان عام ١٩٥١ كان نقطة انطلاق هذه الحركة وانتشارها في المدارس ، فقد وصل عددهم نحو ٣١١ كشافا ، أما الآن فقد بلغ عددهم نحو ٧٥١١ كشافا وقائدا يمثلون مراحل الحركة الكشفية المختلفة .

ويضيف الأستاذ العلي قائلا : أما المخيمات الكشفية السنوية فقد بدأت في الأربعينيات ، وهنا لابد لنا من ذكر بعض قادة الفرقة الكشفية الذين ساهموا في انجاح هذه المخيمات مثل الاستاذ عيسى الحمد والاستاذ جاسم القطامي وأحمد المهنا وعبد اللطيف العمر وسليمان العثمان ومهلهل المضف وابراهيم الشطي وغيرهم كثير .

أما عن نشاط الكشافة أثناء مخيم الربيع فيقول الأستاذ العلي : ان المخيم الكشفي السنوي يهدف للتعارف وتوطيد العلاقات بين شباب الكشافة ، وذلك عن طريق المشاركة في البرامج العامة التي أعدت لمثل هذه المناسبة ، فهناك برامج ثقافية وعلمية وترويجية وهوايات مختلفة وفرت لها كل وسائل التنفيذ ، وهذه البرامج لجميع المشتركين في المخيم لاختيار مايناسبهم من هذه الأنشطة فضلا عن الزيارات الخارجية للاطلاع على معالم نهضة البلاد في المجالات المختلفة .

الخروج للبر ليس ظاهرة

وكان لابد لنا ونحن بصدد الحديث عن الخروج الى البر في أيام الربيع أن نعرض لآراء أحد أساتذة الجامعة وأحد الأدباء ليحدثانا عن هذه الظاهرة وتفسيرها العلمي والنفسي ، فكان اللقاء الاول مع الدكتور محمد صالح المهيني الاستاذ بكلية التربية وأحد المهتمين بالجوانب الاجتماعية ... قال : إنني شخصيا لا أميل الى وصف خروج الناس الى البر بأنه ظاهرة لأنني أعتقد أن خروج الناس للبر أقرب لأن يكون حاجة وعادة وهواية منها أن يكون ظاهرة . وتمشيا مع نظرية الحاجات الانسانية عند بعض الناس لما يمكن الحصول عليه من هواء نقي بعيد عن أي شكل من أشكال التلوث ، كما أن البر قد يكون حاجة للبعض لممارسة الرياضة بانواعها خصوصا وأن العادات الاجتماعية في الكويت لاتحبذ ممارسة الرياضة باشكالها المتعددة ، لذلك يجد البعض أن في الخروج للبر فائدة كبيرة في ممارسة الرياضة وخاصة رياضة المشي .

كما أن البعض يشعر بالملل والسأم من جراء ما أملته عليهم ظروفهم الرتيبة ، لذلك ينزعون الى كسر هذه الرتابة ، والبر يحقق لهم مثل هذه الحاجة ، فهو يعود بهم الى العلاقات المباشرة ويبعدهم عن الرسميات وادوارها الجدية ، ويقلل من سلطة المخترعات الحديثة التي أصبحت تسيطر على كل أحاسيس الانسان ومشاعره .

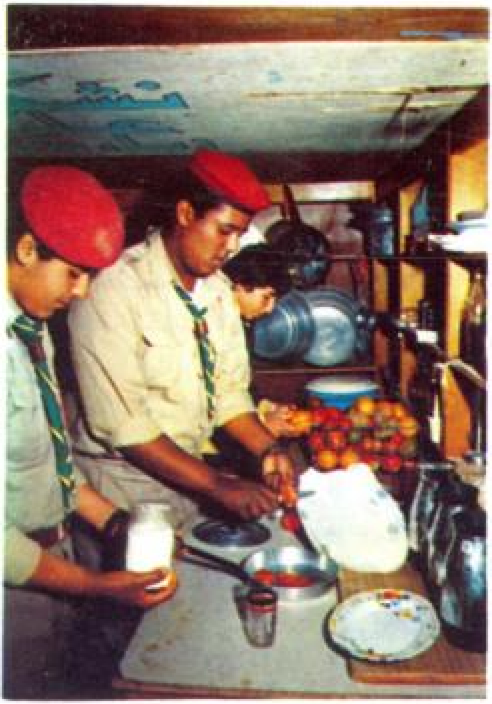

مجموعة من النساء جلسن في الهواء الطلق يتحدثن ويشربن « شاي الضحى » والقهوة العربية ودلالها منظر مألوف في كل مخيم قد تزوره .

إعداد وجبات الطعام من الأعمال اليومية المشوقة للكشافة .

وجانب من البرامج الثقافية في المخيم الكشفي السنوي .

ويحرص الفتيان الكشافة على رسم الشارة التقليدية أمام مخيمهم .

قد يتذوق بعض الناس طعم الانجاز المباشر لجهودهم مهما بدت بسيطة ، فهو يشعر بزهوة الانجاز في اختيار المكان وفي تخطيط المخيم وغير ذلك من أمور ، لذلك نجد كثيرا من الناس لاينفكون عن الحديث عما قاموا به من انجازات .

وكثيرا ماتسهم رحلات البر في لمّ شمل الأسر ، خصوصا تلك التي أبعدتها بعضها عن بعض ظروف الحياة ومشاغلها ، فنجد أن افراد الاسرة يعودون الى مايفترض أن يكونوا عليه من وئام وحب ، فهم يأكلون وينامون ويمرحون بعضهم مع بعض كفريق متكامل الأعضاء ، وهذا في ذاته يعد حدثا مهما في حياة بعض الأسر التي تعاني من التباعد والفرقة .

ويضيف الدكتور المهيني قائلا : يقول علماء النفس ان ممارسة العادات يحقق درجة من درجات التوازن التي تكون ملحة في بعض الأحيان ، ولدينا مثل شعبي يتمشى مع هذا المبدأ فيقول : (قطع الخشوم ولاقطع الرسوم) أي أن للعادات أثرا نفسيا بالغ الأهمية وهذا ما يفسره بعض علماء الاجتماع بالألفة التي تحدث أثرا مماثلا لما تحدثه العادات ، ومن هذا المنطلق فان كثيرا من الناس تتكون عندهم عادات الخروج الى البر في مثل هذه الأوقات فيألفونها .

هل هو أيضا هواية ؟

ويؤكد بعض علماء النفس عدم منطقية الهواية وبالتالي يصعب تفسيرها أو تعليلها ، ومن هنا نجد أن بعض الناس يمارسون هوايات تبدو للبعض الآخر انها بسيطة أو تافهة أو شاقة أو غير مناسبة لمراكزهم ، ولكنها هوايات تجلب السرور والارتياح لمن يمارسها ، بل ان بعضهم مستعد لأن يضحي بأشياء مهمة في سبيل ممارسة هوايته التي تبدو لنا أنها غير منطقية ، فالخروج الى البر قد يمارس كهواية عند البعض ويتلذذون بما يرافقه من متاعب وقسوة وظروف غير عادية ، كما انهم يشعرون باللذة وهم يقومون بنصب الخيام وتركيب بعض الغرف ، وحفر بعض الحفر ونصب السياج وغير ذلك من ممارسات تشكل في مجموعها كلا متناسقا يجلب السرور ويبعث على الارتياح لمن يمارس مثل هذه الهوايات .

وخلاصة القول أنه يصعب تفسير الخروج الى

يسعد الاطفال بقضاء أسعد الأوقات بصحبة ذويهم في عطلة الربيع

البر لأنه قد يكون حالة مركبة من جميع ما ذكرناه من دوافع ، واذن فهو ممارسة محايدة بمعنى أنها لاخيّرة ولاشريرة ، ولكنها قد تكون أياً من الاثنتين تبعا لما يرافقها من نتائج خاصة ، وقد تكون شريرة للبعض اذا كانت تؤدي الى تلف وتلوث في البيئة ، كما أنها قد تكون خيّرة اذا ما أحسن استغلالها بشكل يعود بالنفع على الأسرة ، واذا مانظمت بشكل لايؤثر على جمال البيئة وتلوثها .

وجهة نظر أديب

أما الأديب الشاعر الاستاذ خالد سعود الزيد فيتحدث عن ظاهرة خروج أهل الكويت الى البر في الربيع قائلا : الخروج للبر أيام العطل وأوقات الفراغ عند الكويتيين كالخروج عند غيرهم من الشعوب والأمم للمتنزهات أو الخروج الى الريف والرياض .

لكل شعب متنزهاته خارج مدنه المكتظة بالسكان ، فالنزهة غريزة لاظاهرة ، وفطرة فطر عليها الانسان كلما ضاق بحياة المدينة ذرعا ، فالخروج بعيدا عن المدن ترويح للنفوس ، واستعادة للحماسة ، وعودة لأحضان الطبيعة وحظيرتها .

ما أحوج الانسان للعودة الى أحضان أمه ، كلما مسه البعد واحرقته المدينة بهجيرها ورمضائها . لقد اعتاد الكويتيون منذ القدم ان يرحلوا الى الصحراء حين يخضر عودها ايام الربيع . فليس في الكويت ريف يلجأ اليه الناس الا هذه القرى الصغيرة المتناثرة على ساحل الخليج ، لذلك فهم يقيمون منذ القدم بجانبها وعلى حواشيها رغبة منهم في أن يكونوا قريبين من منابع المياه ، وحين لم يعد الماء مشكلة لسهولة المواصلات وسهولة نقله تراهم منتشرين في صحراء الكويت كلما حل فصل الربيع ، يقيمون في الخيام البيضاء ، وينصبونها حيثما رحلوا في طريق الصحراء متجاورين أو متباعدين . . . لكل قطين وضعه الذي يرضاه ، وما زال لفظ (القطين) يطلق حتى اليوم على مجموعة من الناس والعائلات - متجاورين - يسكنون الخيام أو بيوت الشعر .

ترى الناس منتشرين في الأرض الواسعة الممتدة ، يسيرون فتبلل أقدامهم قطرات الندى المنساب بعد طلوع الشمس من الأعشاب حين يطؤونها .

تراهم .. هذا مقبل على وردة يضمها ، وذاك على زهرة صحراوية يشمها ، وذاك يبحث في الارض بآلته عن الفقع (الكمأة) ينبش الارض كلما رأى ترابا متورم الشفتين . . تصدعت أرضه ، وتشققت انسجته ، وتراهم في الليل مجتمعين حول موقد النار أو غير بعيدين منه ، يتسامرون ويتحاورون أو يلعبون الورق تسلية وازجاء للوقت .

هل أحسست بنعم الله حين تروح الأغنام أو تغدو ؟ لا- لست شاعرا بهذه النعمة الا حين تكون في الصحراء أو الريف قريبا من الفضاء الممتد ، يقول الله جل وعلا : « ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون ».

اذا سرحت الاغنام أو أراحت سمعت لها ثغاء كالأهازيج من فم العذارى تنطلق للفضاء العريض ، ما أجملها رائحة غادية .

يخرج الانسان للبر ليخرج من دائرة الزمن الرتيب ، ليعيش حرا بلا قيود ، طليقا بلا حدود ، سماء زرقاء أو مغيمة تظله ، وأرض ممتدة تقله ، ونبات وأزهار متعددة الالوان تحيط به من جوانبه .

ان الخروج للبر نعمة من نعم الله على الانسان ، فطره الله عليها كلما ضاقت الحياة به ، وكلما شاء أن يجدد أنفاسه وينشط إقباله ، ولعل فيه منافع أخرى لا أدريها يعرفها علماء النفس والاجتماع ، انها نعمة من نعم الله يحمد عليها ويشكر . □□

عند العودة

قصة رستم كيلاني

بريشة عبد المعبود شحاته

الأضواء سواطع في كل جانب من الميدان الفسيح الذى يغوص فيه الناس الوافدون من كل بلد . .

وتحيط بالميدان المقاهي المملوءة بالرواد والسرادقات التي تموج بألوان الفنون الشعبية . .

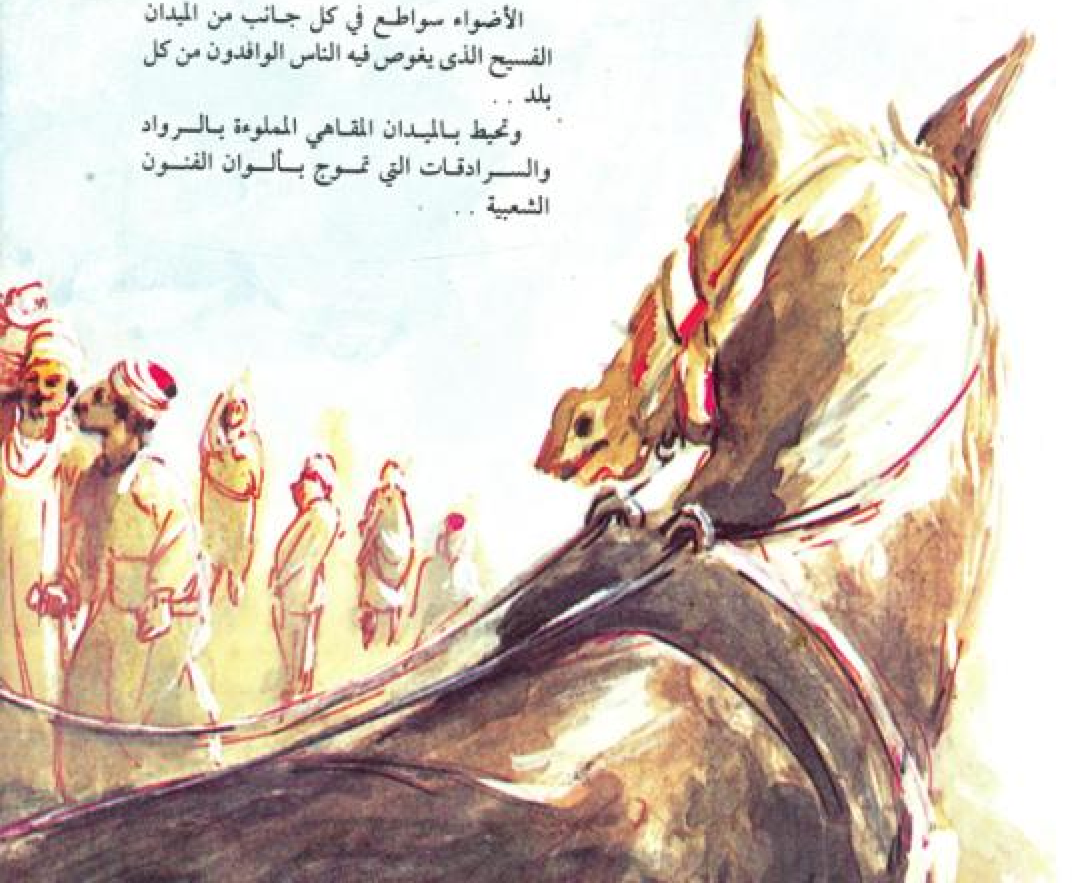

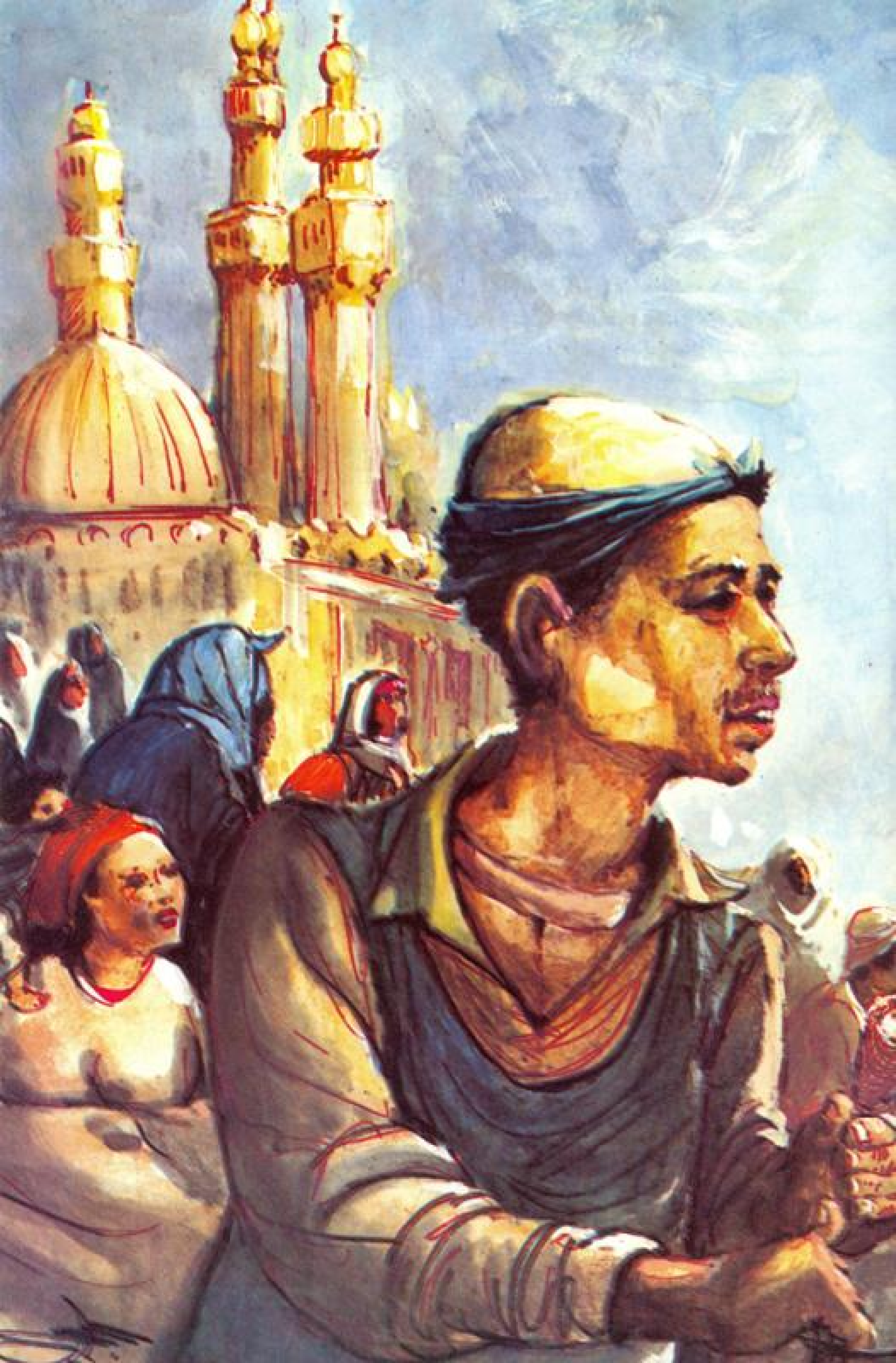

وتنبعث من هنا وهناك أصوات المداحين ، ويخترق كل هؤلاء صوت ينبعث من المسجد الكبير الذى يعج بالناس . . . صوت مقرىء معروف يتلو بعض آيات من ذكر الله . .

وفي خلال أيام مولد الامام الحسين كان المعلم (حسن) الشهير بـ (سحس) ذو الوجه الصبوح ، والابتسامة المشرقة ، والذى يتسم بخفة الحركة ، وسرعة الخاطر ، يواصل ليله بنهاره في نقل الوفود محاسيب الحسين من حي السيدة زينب على عربته الكبيرة المزركشة بألوان زاهية ، والتي يجرها حصانه (عنتر) البنى اللون . .

وكان الركاب يلجأون اليه في توصيلهم لتساهله ، وعدم تغاليه فيما كان يطلبه من أجر تلقاء ما يقدمه من خدمات . .

ولقد أثار هذا الرواج الذى خص المعلم (سحس) وحده دهشة زملائه ، خاصة المعلم (حنفي) الذى تشاجر معه بسبب تساهله الكبير ومخالفته للأسعار التي اتفقوا عليها جميعا بينهم . .

واوضح المعلم (سحس) موقفه منهم ، انه يرضى بما قسم الله له من أجر بسيط ، انه انسان له حساسية خاصة ، يشفق على رجل هدته الأيام ، وعلى امرأة تنوء بحمل صغارها ، أما الأطفال فهو أب لهم أيضا يشفق عليهم ويرد إليهم قروشهم ، ويركبهم العربة بلا مقابل فهم أحباب الله ، ويذهب بهم الى سيدنا الحسين . .

ومدد ياحسين . .

* * *

عاد المعلم (سحس) بعد آخر (نقلة) لسيدنا الحسين في طريقه الى السيدة زينب و (الموقف) ، وتراقصت أمام عينيه الحلية الذهبية التي سيشتريها لزوجته (أم كامل) ، والحقيبة الجلد لحفظ كتب (كامل) ولده الوحيد الذى يريد أن يربيه تربية محترمة على حد قوله . . والشرابة الحمراء لحصانه (عنتر) ماأجمله عندما يعلقها في رقبته ويتبختر بها ، ما دام الله قد فرجها عليه هذا الفرج الكبير . .

وبينما هو يسير ، و (عنتر) يخترق الهواء في خفة ودلال ، وعلى حين فجأة انقضت عليه وعلى العربة سيارة عامة كبيرة ، كأنما هوت عليه من السماء . .

وفي لحظات سريعة انقلبت العربة ، وطار من فوقها المعلم (بحس) ليفترش الأرض . .

ولم يدر بعد ذلك على وجه التحديد ، ماذا حدث له لأنه كان أقرب الى كابوس مروع منه الى حقيقة مؤلمة . .

ولم يشعر بما حدث من إجراءات ، ولكنه أحس فقط بأنه فقد حصانه (عنتر) الى الأبد . .

وجلس المعلم (سحس) يبكيه ، يبكى رفيق عمره ، وجالب رزقه ، يبكيه بحرارة الأب وهو يودع فلذة كبده ، لقد فقد (عنتر) الحصان الجميل ، وهو يودع فلذة كبده ، لقد فقد (عنتر) الحصان الجميل ، ثم كيف يربي بعد ذلك ولده (كامل) . . كيف؟ أيعمل من جديد صبيا عند أحد المعلمين ، لقد شقى ، وذاق الأمرين ، وجاع ، وعمل ، ووصل ليله بنهاره حتى تحققت أمنيته . . وكان يقول في حسرة بصوت مخنوق بالبكاء :

ـ « حسدوك يا عنتر . . يا خسارة . . حسدوك . . يا . . »

وتجمع الناس من حوله يواسونه ، مرددين :

ـ « سليمة . . . احمد ربنا انها جت في الحصان » . .

ولم يكونوا يدرون انه يود لو فدى (عنتر) بحياته ، فما فائدة حياته دون (عنتر) ؟ . .

وبدأ الجمع ينفض من حوله ، كما بدأ هو ، « يعدل » العربة تجاه الحصان الملقى على الأرض فاقد الحياة ، وتعاون معه بعض الناس على رفع (عنتر) فوقها ، وأراح بيديه المرتعشتين رأسه المملوء بالدماء ، والذى مال على أحد جانبي العربة . .

وجر العربة حاملا فوقها رفيق عمره ، وآثار الدم على الطريق تشهد على فاجعة المعلم (سحس) ، وسار في تؤدة بخطوات قصار ، ناكس الرأس ، ودموعه تسابق قدميه . .

* * *

وصل المعلم (سحس) مدخل الحارة والحزن باد عليه ، كان يرى بعين خياله شماتة المعلم (حنفي) والمعلمين كلهم بعد أن نفذت عيونهم الحاسدة فأصابت (عنتر) . .

وعندما مر بالموقف نهضوا كلهم من جلساتهم ، وجروا نحوه سائلين عما حدث . .

وبينما هو يقص عليهم الخبر ، شعر أن المعلم (حنفي) وزملاءه على عكس ما كان يتوقع منهم ، يشاركونه حزنه العميق ، يواسونه على فقيده ، وقد ألم بهم من الحزن مقدار ما ألم به . .

وبعد صلاة الفجر . .

عاد المعلم (سحس) من مسجد مولانا الامام الحسين الى منزله ،ووجد مظروفا أعطته له زوجته ، فتحسسه ووجد به نقودا جمعها له زملاؤه لعلها تعوضه عما فقده علها تسهم في شراء (عنتر) جديد . . ورفع رأسه الى السماء ، وتساقطت دمعات حزينة من عينيه ، وأسلم رأسه لوسادته ، ثم راح في اغفاءة . □□

الدول النّامية ونظام النّقد الدّولي

بقلم : الدكتور أحمد حافظ الجعويني

☐ تطالب الدول النامية بتعديل نظام النقد الدولي الحالي الذي مضى عليه الآن نحو أربعين عاما ، فقد أنشىء هذا النظام عام ١٩٤٤ في بريتون وودز على أمل مساعدة الدول في مواجهة مشاكل موازين المدفوعات واحتياجاتها الى السيولة الدولية . فالى أي مدى استجابت الدول المتقدمة الى هذا المطلب ؟

أنشىء صندوق النقد الدولي لمواجهة المشاكل القصيرة الأجل التي تواجهها الدول بسبب العجز في موازين مدفوعاتها مع عدم توافر السيولة الدولية لديها لمواجهة هذا العجز ، بينما أنشىء البنك الدولي للانشاء والتعمير في ذات الوقت وبنفس الاتفاقية للمساعدة ـ كما تدل التسمية ـ على عمليات الانشاء والتعمير التي هي بطبيعتها طويلة الأجل . ولكن التطورات النقدية واحتياجات التجارة الدولية ومتطلبات التنمية الاقتصادية ـ نظرا لترابطها ـ أدت الى تداخل عمليات الصندوق والبنك ، فالصندوق أصبح الآن يهتم بالمسائل والمشاكل الخاصة بالعرض والانتاج والتصدير بشكل امتد الى التعديلات التي قد تحدث لهذه العناصر في الأجل الطويل ، بينما البنك قد دخل ـ ولو بشكل محدود ـ في عمليات الاقتراض التي تساعد على التعديل الهيكلي للتجارة الخارجية لبعض الدول . بل ان رابطة التمويل الدولية ورابطة التنمية الدولية أصبحتا تهتمان بالادارة النقدية للعملات الأجنبية بتدخلها للمعاونة في مشاكل موازين المدفوعات وتقديم القروض غير المخصصة للدول الفقيرة . هذا التداخل أدى الى تعاون وثيق بين المؤسستين الدوليتين في تبادل المعلومات والنصيحة ، بل وأيضا في تشكيل لجان تقصي الحقائق التي ترسلها المؤسستان لكثير من الدول .

وقد لا يرجع ذلك الى مواقع المؤسستين معا في واشنطن العاصمة الأمريكية ، والتحكم

الفعلي للدول الغربية فيها ، بل - وأيضا - الى التداخل الواقعي ، بل وعلى المستوى العملي والنظري بين أسباب ومشاكل ونتائج اقتصاديات الأجل القصير والأمد الطويل على مستوى الاقتصاد العالمي والاقتصاديات المحلية لكل دولة . فهناك من المشاكل الاقتصادية الدولية التي تظهر وتؤثر في الاقتصاد العالمي لأسباب غير نقدية تماما ، وان كان من الطبيعي أن تلعب المسائل المالية والنقدية دورا ما في هذه المشاكل .

تحكم دول الغرب

وتجدر الاشارة هنا الى أن الدول الغربية تتحكم في نشاطات المؤسستين ، وإن كانت الدول النامية أعضاء فيهما ، ولكن التصويت حسب المساهمة الرأسمالية في المؤسستين ، بالاضافة الى ذلك فان بنك التسويات الدولية - وهو نادي البنوك المركزية الغربية - لا تلعب الدول النامية في قراراته أي دور ، رغم أهميته في توجيه السياسات المالية والنقدية الدولية . وأخيرا وليس آخرا فان البنوك التجارية العظمى ذات الدور الفعال في المدفوعات المالية والنقدية العالمية ، هي بنوك غربية ، تعمل بهدف الربح ، ولصالح الاقتصاد الغربي ، وليس بهدف التنمية الدولية ، وصالح الدول النامية .

هذا بالنسبة للمؤسسات الدولية ، وبالنسبة للأوضاع المالية والنقدية الدولية ، فان الأوضاع الحالية تختلف اختلافا بينا عن تلك التي أنشئت في ظلها مؤسسات اتفاقية بريتون وودز ، فقد أدى الكساد العالمي الكبير في الثلاثينيات الى أن يطلب من تلك المؤسسات عند إنشائها عام ١٩٤٤ أن تضع قيودا صارمة على نشاطاتها ، وبالتالي نشاطات الدول التي تضطرها ظروفها الى اللجوء اليها .

فصندوق النقد الدولي غالبا ما ينصح أية دولة تواجهها مشكلة في ميزان مدفوعاتها بما يعرف لديه من سياسات الاستقرار **Stabilization Package** وهي تتضمن عادة : (١) تخفيض العملة الوطنية (٢) تحرير التعامل في الصرف الأجنبي أو العمل على الاقتراب من هذا الهدف (٣) الحد من الاستيراد (٤) رفع سعر الفائدة المحلي لتشجيع الادخار والحد من التضخم المالي (٥) الحد من الانفاق الحكومي عن طريق الغاء الاعانات للمستهلكين (٦) زيادة الضرائب الدخلية والسلعية (٧) وفي بعض الأحيان تجميد الأجور وربما رفع الرقابة على الأسعار .

نقد هذه السياسات

هذه السياسات الكلاسيكية أصبحت عنواناً تضعه المؤسسة الدولية على كل طلب يقدم من أية دولة نامية أيا كانت أوضاعها الاقتصادية والمالية أو السياسية والاجتماعية . ويعتقد خبراء الصندوق أن اتباع الدولة لنصائحهم السابقة سوف يحقق زيادة في الصادرات ، وبالتالي زيادة موارد الدولة من النقد الأجنبي ، وكذلك خفضا في الواردات ، وبالتالي مدفوعات الدولة من هذا النقد ، والنتيجة أن ما سبق سيحقق نقصا في عجز ميزان المدفوعات ، وربما تعادلا في هذا الميزان ، بل ان البعض يتفاءل بإمكانية حدوث فائض .

هذا هو الدواء لكل داء ، فبالنسبة لميزان المدفوعات فان الهدف من تخفيض العملة لزيادة الصادرات ، وخفض الواردات ، قلما يتحقق في الدول النامية لأن كلا من عرض الانتاج القابل للتصدير والطلب على الواردات الضرورية للحياة كلاهما غير مرن ، ولن يستجيب بالدرجة الكافية لتحقيق الهدف بل وقد لا يستجيب على الاطلاق ، فالانتاج الزراعي بطبيعته انتاج غير مرن على الأجل القصير ، وفي معظم الدول النامية هو انتاج غير كاف لمواجهة الاستهلاك المحلي ، وبالتالي لن يلعب دورا كبيرا أو صغيرا في زيادة الصادرات ، واعادة التوازن لميزان

المدفوعات .

والانتاج الصناعي - ان وجد - في الدول النامية فانه رغم ضآلة نسبته الى الناتج القومي ، فهو من حيث النوعية والتكلفة لا يستطيع المنافسة الدولية ، والنزول للسوق العالمي ، بل انه ما كان ينمو في كثير من الحالات دون حماية جمركية عالية . كذلك فان زيادة الصادرات منه - لو أمكن معالجة ما سبق - تحتاج في كثير من الأحيان الى واردات من المواد الخام ، والمعدات ، وقطع الغيار ، والمعرفة التكنولوجية ، وكلها أصبحت بعد خفض العملة الوطنية أكثر تكلفة ، بل وأكثر ندرة في الحصول على موارد النقد الأجنبي .

هذا واذا انتقلنا الى قطاع التصدير التقليدي للبلاد ، والذي يتمثل غالبا في منتج زراعي ، أو منتج حيواني ، أو منتج تعديني وحيد ، فان تخفيض العملة الوطنية ازاء العملات الأجنبية لا يشجع على زيادة الصادرات ، فبجانب أن العرض غير مرن - كما ذكرنا - فان الزيادة في حجم الصادرات - إن حدثت - لن تؤدي الى زيادة موارد النقد الأجنبي للبلاد عما كانت عليه قبل التخفيض . فمثلا عندما اضطرت الصومال الى خفض عملتها من « ٦,٢٥ » شلن للدولار الى ١٥ شلنا دفعة واحدة ، فان خفض صادراتها من اللحوم لم تتضاعف مرتين ونصف لتحافظ على مواردها السابقة على التخفيض من العملة الأجنبية ، بل ان هذه الموارد نقصت عما قبل ، واضطرت البلاد الى قبول تخفيضات أخرى بلغت ثلاث مرات في خلال سنتين فقط .

وبالطبع أدى التخفيض كما هو متوقع - في الصومال وغيرها - الى تزايد الاسعار ومضاعفتها أكثر من تخفيض العملة (بين ليلة وضحاها ارتفعت أسعار تذاكر الطيران والاقامة بالفنادق الى نحو ٣ أمثال ، وأسعار اللحوم خلال عامين الى عشرة أمثالها .. الخ) . فتخفيض العملة الوطنية عموما لا يؤدي الى زيادة تكلفة استيراد الضروريات ، كما أن تجميد الأجور وخفض الاعانات للمستهلكين لو نفذ يزيد من العبء الذي يواجهه أصحاب الدخول المحدودة لنقص دخولهم الحقيقية ، ولا يخفى ما لذلك من مساوىء اقتصادية تخفض من رفاهيتهم الاجتماعية وتؤثر على وضعهم بالنسبة للطبقات الأخرى ، ومساوىء سياسية نتيجة للاضطرابات والاضرابات والقلاقل التي يمكن أن تتعرض لها ، بل وتعرضت لها دول كثيرة ، أخذت باقتراحات الصندوق . وبالنسبة الى رفع سعر الفائدة على المدخرات المحلية بهدف زيادتها والحد من التضخم النقدي ، فان المدخرات الشخصية (أي الفردية) بسيطة في الدول النامية ، فضلا عن أن الانكماش النقدي وضغط الائتمان يقع عبئه على المشروعات الوطنية التي لن تواجه فقط بارتفاع في تكلفة التمويل لندرته ، بل وأيضا بارتفاع في تكلفة المستورد من رأس مال (تمويل) ومعدات ومواد خام ، مما قد يؤدي الى الحد من نشاطها والغاء أي خطط للتوسع في انتاجها ، ومؤدى ذلك أن الادخار الفردي وادخار قطاع الأعمال كلاهما يتأثر سلبيا وليس بالزيادة كما يعتقد خبراء الصندوق .

دور رأس المال الاجنبي

إن من ينتهز هذه الفرصة هو رأس المال الأجنبي للشركات المتعددة الجنسيات ، لو كانت البلاد لديها قطاع تعدين للتصدير ، حيث يصبح مشروع استغلال الموارد التعدينية اكثر ربحا نتيجة لانخفاض العملة الوطنية ، وبالتالي التكلفة المحلية للمشروع ، بما في ذلك الاتاوات الحكومية ، كما قد تنتهز هذه الشركات وغيرها الفرصة للتوسع في صادراتها لداخل البلاد ، حيث ان ما تدفعه البلاد نقدا أو عينا لوارداتها أصبح أكثر من ذي قبل .

ولن نزيد المشكلة بالقول بان احتمال دخول

رأس المال الأجنبي مستمرا في البلاد ، اذا توافرت الشروط التي يتطلبها وهي : الاستقرار السياسي ، وتحويل الارباح للخارج ، وتزايد الربحية ، يؤدي الى تفاقم نسبي لمشكلة العملات الاجنبية على الأجل الطويل ، لأنه بينما تحصل الحكومة او المساهمون المحليون عادة على نصيبهم من الارباح بالعملة الوطنية ، فان رأس المال الأجنبي يحصل عليها بالعملات الأجنبية . وتجدر الاشارة هنا أن زيادة الانتاج المحلي بسبب هذا الاستثمار لن يكون بديلا للواردات ، اذا كان قطاع التعدين وهو الغالب ، كما أنه لن يكون بديلا للواردات بنسبة ١٠٠٪ ، ولو حدث أنه تم في نشاطات أخرى . والخلاصة أنه في الاجل المتوسط والطويل ان لم يحدث تحويل رأس المال الأجنبي الى ملكية وطنية فان مشكلة ميزان المدفوعات تتفاقم أكثر من أن تحل .

دور البنوك التجارية العالمية

هناك العديد من البنوك التجارية في العالم الغربي ، التي لها فروع تكاد ان تكون في كل مكان ، لدرجة تسمح لنا بتسميتها بالبنوك العالمية ، وان كان هذا التعبير يجب ألا يختلط بالبنك العالمي أي البنك الدولي للانشاء والتعمير ، الذي انشىء من خلال اتفاقية بريتون وودز التي سلفت الاشارة اليها في مقدمة هذا المقال .

ورغم أن البنوك التجارية العالمية هذه يجب أن تركز اهتماماتها وأنشطتها ـ باعتبارها بنوكا تجارية ـ على التمويل القصير أو المتوسط الأجل للتجارة الدولية ، فانها في العقدين الأخيرين ومنذ تراكم فوائض البترول ، بدأت تولي اهتماماتها وتزيد من نشاطاتها في تمويل الدول النامية التي تحتاج الى عملات أجنبية لدفع فواتير البترول المستورد ، وكذلك تمويل عجوزات ميزان مدفوعاتها الأخرى الناتجة عن القيام بمشاريع ضخمة للتنمية الاقتصادية بها . فتراكم فوائض البترول لدى هذه البنوك ورغبتها الملحة للاستفادة منها باقراضها جعل هذه البنوك تبحث عن مجالات لاستغلال هذه الأموال ، وفي بحثها عن ذلك قامت بتخفيف شروط اقراضها لدرجة أن أصبحت هذه الشروط أيسر للدول المقترضة عن شروط المؤسسات الاقتصادية الدولية ، ودفعت الاوضاع الخاصة برغبة البنوك في استثمار الفوائض وحاجة الدول النامية لها لتمويل عجز موازين مدفوعاتها الى تلاقي الاثنين : البنوك التجارية والدول النامية ـ في سوق المال ، وحدوث طفرة من الاقتراض العالمي لم يحدث لها مثيل . وقد أدى ذلك الى زيادة أسعار الفائدة العالمية الى مستويات عالية جدا ، والى تراكم المديونات الخارجية للكثير من الدول النامية الى أرقام خيالية ، فقد بلغت بالنسبة للبرازيل ٩٠ بليون دولار ، وللمكسيك ٨٠ بليون دولار ، والارجنتين ٤٠ بليون دولار ، ... الخ . وهكذا فإن ثلاثة ارباع الديون الدولية هي مديونيات على الدول النامية .

ويهمنا في هذا المقام التوكيد على أن البنوك التجارية والاقتراضات الخاصة تحول من تمويل تجاري قصير الأجل الى تمويل هيكلي طويل الأجل ، وأصبحت هذه البنوك تلعب دورا متزايدا في السيولة الدولية ، وسد احتياجات الدول النامية عندما تواجه عجزا في موازين مدفوعاتها . ولكن هذا ليس تنافسا مع المؤسسات الدولية بل انه استكمال لها ، فهذه المؤسسات وتلك البنوك ذات أهداف مشتركة بسبب الملكية والتبعية والاهتمامات المشتركة ، فهي كلها موجودة في الغرب ويملكها غربيون ، وهدف اية مؤسسة مالية هو زيادة النشاط لزيادة الأرباح والعوائد ، ان لم يكن غاية لذاتها فهو هدفا لدوها . فالتمويل هو التمويل - (Finance is Finance) أيا كان الشكل القانوني الذي تتخذه المؤسسة

وقد أدى تدخل البنوك التجارية الغربية في مجالات كانت في الأصل محصورة على صندوق النقد الدولي ـ أدت الى تراكم سريع للديون التجارية الدولية وأدت الى الكثير من المخاوف لدى الدول الغربية ، وخاصة أن هذه البنوك كانت تقدم القروض للدول النامية بأسلوب جماعي عن طريق ما يعرف بالسنديكات (Syndicates) فضلا عن أن هذه القروض لاتحميها اشتراطات الاحتياطيات القانونية ، ولاوجود الملجأ الأخير لتحقيق السيولة ، اذ لم تتبع في تقريرها الاشتراطات المتعارف عليها للقروض التجارية . بل ان تلك البنوك أخطأت في استخدام ايداعات قصيرة ومتوسطة الأجل في اقتراض متوسط وطويل الأجل . والحل الذي انتهت اليه هذه البنوك والدول التابعة لها هو الاستمرار في اقراض الدول المدينة بالقدر الكافي لسداد فوائد هذه الديون . أي ضمان الربحية مع تأجيل توقيت انفجار القنبلة .

فاذا كانت المشكلة مع صندوق النقد الدولي هي أسلوب تعامله وصعوبة اشتراطاته . وعدم تناسب اقتراحاته مع ظروف واحتياجات الدول النامية ، فان مشكلة البنوك التجارية العالمية هي في مخالفتها لطبيعة أعمالها ، ودخولها الى مجالات ليست في المعتاد قادرة على التعامل فيها ومنحها القروض بشروط أكثر مرونة من المؤسسات الدولية ، وخطورة الوضع بالنسبة للمودعين للأموال فيها ، أكثر من تعرضها هي للافلاس أو عدم الربحية التي وجدت لها الحل بتأجيل توقيت اعلان عدم الدفع من الدول المدينة أو الافلاس من تلك البنوك ، وان كان بعضها بدأ فعلا في اعلان افلاسه .

دور الدول النامية

ان الدول النامية سواء المصدرة للبترول والتي تمتلك فوائض مالية في البنوك التجارية والمؤسسات المالية ، أو تلك المستوردة له والمدينة بالبلايين من الدولارات ، كديون خارجية ، وفوائد على تلك الديون . قد تكون مشتركة في بعض المؤسسات المالية الدولية كصندوق النقد الدولي والبنك الدولي للانشاء والتعمير ، وبعض الوكالات التابعة للبنك ، ولكنها لا تستطيع السيطرة على نشاطات واتجاهات الاقتصاد العالمي المالي ، لأن قدراتها التصويتية محدودة وهي ناتجة عن اسهامها المحدود في رأس المال ، ولأنها ليست عضوا في بعض المؤسسات الدولية الأخرى ذات التأثير الفعال في هذا الاقتصاد العالمي ، مثل بنك التسوية الدولية (BIS) ومنظمة التعاون الاقتصادي والتنمية (OECD) ، كما أنها لا تستطيع حضور اجتماعات القمة الاقتصادية للغرب . .

واذا ضغطت الدول النامية في المؤسسات الدولية التي تشترك فيها فان أمام الغرب دائما مؤسساته الخاصة المذكورة ، بل ويستطيع اذا أراد ـ وكما هدد من قبل ـ الانسحاب من المؤسسات الدولية هذه وتكوين مؤسسات أو عمل ترتيبات مالية تخدم أهدافه ومصالحه .

والواقع أن معظم الدراسات عن الاقتصاد العالمي والسيولة الدولية ـ حتى تلك التي تدافع عن الدول النامية مثل دراسات الاقتصادي السويدي ميردال (G. Merdal) يقوم بها اقتصاديون غربيون ، ولم تظهر دراسة وافية عن وظائف المؤسسات الدولية التي نحتاج اليها ، والتغير المستمر في أهدافها ، والحكمة في تنظيماتها والتحكم في ادارتها ، والسياسات التي تحكم نشاطاتها . . . ورغم أن الدول النامية هي اما صاحبة الأموال المتراكمة بسبب فوائض تصدير البترول ، واما هي الدول المدينة بسبب عجز موازين مدفوعاتها ، الا أن الوسيط دائما هو مجموعة دول ثالثة تتحكم في كلتا المجموعتين ، واذا كانت الدول صاحبة الأموال لما تشعر بالكامل بالمشكلة بعد ، فانها في الطريق الى مواجهة الواقع ان عاجلا أو آجلا ، ولكن

الدول النامية المدينة هي التي تشعر الآن بمرارة الموقف وتعاني من تحكم المؤسسات والبنوك العالمية واملائها لشروطها ، فعليها أن تعدل من خططها التنموية بقطع الواردات ولو كانت ضرورية للحياة أو لدعم وسائل الانتاج ، وعليها أن تخفض من عملتها الوطنية حتى ولو كان ذلك - كما سبقت الاشارة - في غير صالحها وعليها أن تقبل بانخفاض حجم دخلها الأهلي الحقيقي وتقلص استثماراتها المحلية وتراجع معدلات النمو فيها .

وعلى المجموعتين مواجهة التضخم العالمي ، وارتفاع قيمة الواردات من سلع غذائية ، ومواد وسيطة ، ومعدات رأسمالية ، وليس أمامها الا التراجع نحو حماية واهية من الحماية الجمركية والنقدية وتخفيض العملة ، وخفض الانفاق الحكومي على خدمات الرفاهية والتعليم والصحة .

مواجهة الموقف

ولكن المهم هو كيف تواجه هذا الواقع ؟ ان عام ١٩٨٢ كان أول عام تواجه فيه كل من الدول المصدرة للمواد الأولية والمستوردة للبترول ، شروطا قاسية لا قبل لها بقبولها من صندوق النقد الدولي . لقد تزايد عدد المعارضين للصندوق واشتراطاته القاسية التي لا تفيد في الوصول الى شاطيء الأمان ، بل انها تزيد الأمر سوءا والطين بلة . ولقد اقترح البعض لذلك بعض الحلول في مقدمتها مرونة الصندوق في املاء شروطه واعتدالها ، وأن يراعي خبراؤه الظروف السياسية والاجتماعية بجانب الظروف الاقتصادية والمالية للدولة موضع التفاوض ، وان تمتد نظرتهم الى الأمد المتوسط والطويل في علاج الموضوع ، ولا ينظروا للأمر على أنه اختلال هيكلي قصير الأجل ، بينما هو بناء مستمر طويل الأجل . وهناك اقتراح بالتوسع في الاقتراض التعويضي ، والتوسع في اصدار وتخصيص حقوق السحب الخاصة ، ومنح اعانات للدول الأقل نموا أو الاكثر فقرا ، والمساعدة في مواجهة آثار الدورات التجارية التي تصدرها الدول المتقدمة للعالم النامي ، واستخدام مبدأ ربط الصادرات برقم قياسي للاسعار لمنع تذبذب الموارد النقدية الأجنبية بسبب التقلبات في الأسعار العالمية لصادرات الدول النامية من المواد الأولية ، وكذلك الربط بين تحسن شروط التبادل التجاري الخارجي وبين سداد المديونية الخارجية . . . الخ .

هذه وغيرها من الاقتراحات قدمت ونوقشت بمعرفة المسئولين في المنظمات الدولية ، ولكن المسألة ليس فقط في الاقتراحات والمناقشات لأساليب وطرق واتجاهات ، بل هي أيضا مسألة تنظيمات (**institutions**) ومن هو المتحكم في نشاطاتها ، واتخاذ قراراتها ، ولصالح من تتخذ هذه القرارات ؟ .

إن اغفال البناء ومحاولة اعادة ترتيب المنزل فقط لن يساعد على حل هذه المشاكل ، فعلينا أن نفكر في بناء جديد بتصميم جديد يراعي الظروف المتغيرة المتطورة ، وظهور العديد من الدول النامية كوحدات اقتصادية دولية لم تكن موجودة في عام ١٩٤٤ عندما وقعت اتفاقية بريتون وودز ، ولكل مقام مقال،ولكل زمان عنوان .

لقد وقعت الاتفاقية المذكورة في ظل شبح الكساد الكبير ، وباملاء الدول العظمى اقتصاديا وسياسيا وعسكريا ، أما الآن فالأمر ليس كذلك . فالأوضاع الاقتصادية مختلفة ، وهناك العديد من الدول التي نالت استقلالها سياسيا ، وان كانت لم تنله بعد اقتصاديا ، وعلينا أن نضع نظاما اقتصاديا دوليا يحقق ويضمن لها هذا الاستقلال الاقتصادي ، عن طريق التعاون المثمر المتبادل ، وليس التحكم عن طريق مؤسسات دولية عفا عليها الزمن ، وأصبحت شروطها لا تواكب المناخ الاقتصادي والسياسي العالمي . □□

حل مسابقة العدد
(رقم ٣٠١)

المنشورة فى عدد ديسمبر ١٩٨٣

ما أشبه هذه المسابقة بالمسابقة رقم ٣٠٠ ! فقد كانت الردود عليها قليلة ، وكان مستواها لا يبعث على الرضى .. والسبب واضح .. فأسئلتها لا تخلو من صعوبة .. ولا يسهل الرد عليها ارتجالا .. والظاهر أن أكثر المشتركين فيها فضلوا الارتجال على مراجعة المصادر .. لذا جاءت ردودهم على نحو ما أسلفنا ..

أما الردود الصحيحة فهى كما يلى :-

١ - سرح له بالسفر ، لاصرح ، هو الصحيح لغة . يقول المعجم الوسيط : صرح الشيء : انكشف وظهر ، وصرح النهار : ذهب سحابه ، واضاءت شمسه ، وصرح الامر أظهره ...

ويقول الوسيط أيضا : سرح العامل (سراحا) : أخلاه فى عمله ، وسرح الرسول : أرسله فى حاجة ، وسرح المرأة : طلقها ، وسرح الماشية : اسامها . !

٢ - المقصود بقولنا أن حجر الماس يعادل (٢٠) قيراطا هو أن وزن ذلك الحجر يبلغ ٤ جرامات .. ذلك أن القيراط هو وحدة وزن فيما يتصل بالماس ... ويعادل ٢٠٠ .، من الجرام .

ويختلف مدلول القيراط فيما يختص بالذهب .. فهو هنا « قياس نقاء » .. فالذهب الخالص هو الذى يبلغ عياره ٢٤ قيراطا .. أما الذهب الخليط فقد يبلغ عياره ٢٠ قيراطا أو ١٨ قيراطا أو دون ذلك .. وذلك تبعا لمقدار الذهب الخالص فى ذلك الخليط ..

٣ - « النار » هى ما يقصد الشاعر فى البيتين .

٤ - لفظ ارابيسك لفظ اصطلاحي شائع فى أكثر لغات أهل الغرب .

وهو مصطلح فنى يستعمل فى شتى الفنون . وفى الرسم والنحت بخاصة ..

والمقصود بهذا المصطلح الاشكال التزيينية المتحنية والمتشابكة كأوراق الشجر واغصانه .

٥ - ميزان حرارة سلسيوس هو نفسه ميزان الحرارة المئوى (السنتغراد) . وسلسيوس هو مخترع هذا الميزان واسمه بالكامل اندرز سلسيوس **Anders Celsius** وكان هذا عالم فلك سويديا(١٧٠١ - ١٧٤٤) وقد اخترع ميزانه سنة ١٧٤٢ .

٦ - بحر سرقوسة جزء صغير من المحيط الاطلسى .. يقع شمالى جزيرة بورتوريكو مباشرة وبمحاذاة مدار السرطان الى الشمال . فهو يقع اذن بجوار مثلث برمودا .. والاهم من ذلك هو وقوعه بجوار تيار الخليج .. لا عجب اذن ان كانت مياه بحر سرقوسة دافئة وأميل الى السكون والهدوء .. وتكثر فيها الطحالب والاعشاب البحرية .. ولاغرابة ان كانت المنطقة المفضلة لاسماك الانكليس الرحالة .. تأتى اليها من شواطىء أوروبا الشمالية وسواها .. لتبيض فى مياه بحر سرقوسة وتموت .. وتستغرق رحلتها هذه نحو ثلاث سنوات .

٧ - فرديناند مجلان (١٤٨٠ - ١٥٢١) قام برحلته حول العالم سنة ١٥١٩ - ١٥٢٢ وكاد أن يكمل رحلته هذه لولا موته فى الفلبين .. وقد اكملها من بعده أحد اعوانه سبستيان دل كانو .. حل محله فى قيادة ما تبقى من اسطوله وساروا من من الفلبين الى اسبانيا . ومع ذلك فان مجلان يعتبر صاحب الفضل الاول والاكبر فى الدوران حول الارض للمرة الاولى فى التاريخ .

٨ - الطن وحدة وزن كما هو معروف .. وهو اما طن مترى (= ١٠٠٠ كيلو) أو طن انجليزى (= ١٠١٦ كيلو) أو طن قصير (٢٠٠٠ رطل انجليزى)

٩ - الكالورى ووحدة الحرارة البريطانية .. كلتاهما وحدة حرارة والكالورى هى الاصغر .. فهى مقدار الحرارة المطلوبة لرفع حرارة غرام واحد من الماء درجة مئوية واحدة . بينما وحدة الحرارة البريطانية

هي المقدار المطلوب من الحرارة لرفع حرارة رطل انجليزي واحد من الماء درجة واحدة فهرنهيت .. وهي تعادل ٩٩٧ر٢٥١ كالوري .

١٠ ـ خلافا لما يتبادر للذهن .. الجوافة هي الاغنى من البرتقال من حيث ما تحتويه من فيتامين جـ (C) . اذ تبلغ ما تحتويه الحبة الواحدة منها ٣٠٠ مليغرام من فيتامين (جـ) ولا تزيد محتويات الحبة الواحدة من البرتقال على ٧٤ مليغرام من فيتامين (جـ) (وزن الجوافه والبرتقاله ١٠٠ غرام و ١٥٠ غرام على التوالي)

١١ ـ المصران الاثنا عشري هو الجزء الاول من المعاء الدقيق .. وقد سموه « الاثنا عشري » نظرا لطوله الذي يبلغ نحو ١٢ بوصة .. بل ١٢ اصبع .

١٢ ـ صح .. فسكان العاصمة واشنطن دي سي ، أو ان شئت ، مقاطعة كولمبيا ، لا يحق لهم بموجب الدستور أن ينتخبوا أو يُنتخبوا اعضاء للكونجرس الامريكي .. ويدير شؤون مقاطعتهم أو المدينة العاصمة ، مفوضون يعينهم الرئيس الامريكي مباشرة .. على أن وضعهم هذا لحقه الكثير من التعديلات في الستينات والسبعينات .. بحيث أصبح لهم ممثل واحد في المجلس ، مجلس النواب لا الشيوخ .. ومثلهم هذا محدود الصلاحيات ..

اسماء الفائزين بالجوائز الثلاث الاولى

الجائزة الاولى : محمود أحمد ادريس/ الهيئة القومية للكهرباء/ القسم التجاري/ الخرطوم ـ السودان . (٥٠ دينارا)

الجائزة الثانية : مرشدي محمد مرشدي زهران / المجمع القروي / المجارده / أبها / المملكة العربية السعودية . (٣٠ دينارا)

الجائزة الثالثة : السيدة نعمت محمد هلال / عمان / الاردن . (٢٠ دينارا)

اسماء الفائزين بالجوائز التشجيعية

بقيمة ١٠ دنانير لكل منها

١ ـ يوسف عبد الله الشبعان / ص ب : ٢٢١١٤/ المحرق / دولة البحرين .

٢ ـ محمد فكري عبد الجليل / البنك الاهلي المصري / بورسعيد / جمهورية مصر العربية

٣ ـ بشير علية / ص ب : ٦٦/ الوادي / الجزائر .

٤ ـ خلود مهدي الدوري / البصرة / العراق .

٥ ـ عدنان جابر يوسف / مدرسة شملان بن علي / الفروانية / الكويت .

٦ ـ مروة حسن عباس المهدي/ الشارقة / الامارات العربية المتحدة .

٧ ـ عبد اللطيف محمد عبد اللطيف / ص ب : ٣٨٢/ جامعة أم درمان الاسلامية/ السودان

٨ ـ السيد مرجان عبد القادر / القباضة البلدية / شارع محمد الديوري / القنيطرة / المغرب

موقفنا من الحضارة
إلى أين .. ؟

بقلم : عبد الرزاق البصير

□ الاجابة على هذا السؤال تشكل أهم قضية واجهت الأمة العربية والأمة الاسلامية منذ قرن أو أكثر .

شاء الله أن تنكمش الأمة العربية . انكماشاً شديداً لمدة تزيد على عشرة قرون بعد أن كانت قوة سياسية وفكرية كبرى انبسط سلطانها من الصين الى فرنسا ، وكانت عاصمتها بغداد قبلة يحج اليها الناس على اختلافهم من علماء وفقهاء ومفكرين وشعراء ، وكانت لغتها لغة العالم المتحضر وكانت دولتها دولة ازدهرت فيها الحضارة الانسانية بكل نواحيها ، ثم أ دسمتأخرة ف خصب حياتها حتى أن لغتها أصبحت لغة ضعيفة لا يتحدث بها أهلها الا فيا بينهم . وسبب ذلك أن اللغة التركية كانت لغة التدريس ولغة الدوائر يوم أن كان السلطان العثماني مهيمناً على الوطن العربي من مشرقه الى مغربه ، ثم جاءت انكلترا وفرنسا وإيطاليا فحلت محل الدولة العثمانية وفرضت كل منها لغتها على كل قسم احتلته من البلاد العربية . . . فقد كان المغرب العربي من نصيب فرنسا ، وليبيا من نصيب إيطاليا ، ومصر والشام والعراق ومنطقة الخليج العربي من نصيب إنكلترا ، وظلت الأمور تسير من سيء الى أسوأ حتى انطفأت نار الحرب العالمية الأولى . وكانت الصحوة قد بدأت تسري في روح هذه الأمة قبل تلك الحرب بمدة قليلة ، فلما وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها أخذت هذه الصحوة تقوى شيئاً فشيئاً مما جعل هذه الأمة تتحسس موطيء أقدامها ، وقد حدث ذلك بعد تضحيات كثيرة فقدت فيها هذه الأمة جماعة كبيرة من مفكريها ، دفعهم الايمان بحق هذه الأمة الى بذل دمائهم مما فصّله جماعة من المؤرخين وهو بحث يضيق عنه هذا المجال ، وكل ما يمكننا قوله هو أن الاستعمار جزّأ هذه الأمة بين دول صغيرة ودول كبيرة ولكنها على كل حال ظفرت باستقلالها وأخذت تصرف أمورها بأيدي أبنائها ، ومما لا شك فيه أن التصرف في

الأمور بعد الاستقلال يقتضي من أصحابه أن يكونوا متلائمين مع عصرهم وهذا ما نقصده عندما طرحنا هذاالسؤال في بداية هذا الحديث . . . فماذا نعني بالحضارة ؟ وماذا نعني بملاءمتنا مع هذه الحضارة .

ما هي الحضـــارة ؟:

أما ما نعنيه بالحضارة فان العلماء قد أجابوا على السؤال باطلاق تعريفات كثيرة مختلفة على الحضارة نرى أن نورد البعض منها ، ونجري حوله نقاشاً لنتفهم بدقة ما تعنيه هذه الكلمة . . يقول الدكتور قسطنطين زريق « اذا استنطقنا اللغة وجدنا أن الحضارة تعني في اللغة العربية الإقامة في الحضر أي في المدن والقرى بخلاف البداوة وهي الإقامة المتنقلة في البوادي . جاء في القاموس : والحضارة بالفتح خلاف البادية ، والحضارة الإقامة في الحضر ، وفي لسان العرب : والحضر خلاف البدو ، والحاضر خلاف البادي ، والحضارة الإقامة في الحضر . . . عن أبي زيد ، وكان الأصمعي يقول : الحضارة بالفتح ، فأصل المعنى إذن هو الاستقرار ، والاستقرار الذي ينشأ عن زراعة الأرض هو السبيل الذي تنفسح فيه لأبناء المجتمع مجالات التصور (فاذا وجدوها تقدموا في فنون اكتساب العيش وفي بناء المدن وفي تحصيل

المعرفة وفي الانتظام الداخلي والتعامل الخارجي وكان لهم حظهم من الرفاه ومن الإبداع ومن الحضارات بوجه عام) (١) .

وفي تصوري أن لفظة الحضارة من الكلمات التي تتغير معانيها بتغير الحياة . فنحن يمكننا أن نعرف الحضارة بالاستقرار يوم أن كانت البداوة تشمل معظم البلاد العربية اذ أن المقيمين في الصحراء أكثر من المقيمين في المدن ، ولكن البداوة أخذت في الانقراض وأخذ التحضر في الاتساع لأن المدن تكبر وتكثر يوماً بعد يوم ، بل إننا أخذنا نشكو الهجرة من الريف والصحراء الى المدن لأن مشاكل كثيرة نشأت عن هذه الهجرة لعل أهمها ضعف الزراعة والازدحام ، مما سبب ارتفاعاً في أثمان الأراضي وفي أسعار الإيجار .

ملاحظات على ابن خلدون :

ومن الغريب حقاً أن نجد ابن خلدون وهو العالم الاجتماعي يقول في مقدمته : « ان أهل البدو أقرب الى الخير من أهل الحضر » وسببه أن النفس اذا كانت على الفطرة الأولى كانت متهيئة لقبول ما يرد عليها ، وينطبع فيها ، من خير أو شر ، قال ﷺ : « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه او ينصرانه أو يمجسانه » . وبقدر ما سبق اليها من أحد الخلقين تبعد عن الآخر ويصعب عليها اكتسابه ، فصاحب الخير اذا سبقت الى نفسه عوائد الخير وحصلت لها ملكته بعد عن الشر وصعب عليه طريقه ، وكذا صاحب الشر اذا سبقت اليه أيضاً عوائده . وأهل الحضر لكثرة ما يعانون من فنون الملاذّ وعوائد الترف والإقبال على الدنيا بعدت عليهم طرق الخير ومسالكه بقدر ما حصل لهم من ذلك (٢) » .

أقول من الغريب حقاً أن يصدر مثل هذا الرأي من شخص قال عنه الكثيرون بأنه مؤسس لعلم الاجتماع ، وقال عنه الدكتور قسطنطين زريق : « انه أبرز من تصدى لهذا الموضوع في اللغة العربية بل أول من عالج شؤون الحضارة بصورة منظمة في أي لغة من اللغات فاستحق أن يعتبر مؤسس علم الحضارات (٣) » .

لأن أقل مفكر يدرك أن الخير يعتمد على مايؤمن به الانسان من قيم ، والمعروف أن البدو لا يفهمون من القيم الا مصلحتهم الذاتية ، فالفردية متركزة فيهم لأن طبيعة حياتهم ترغمهم على ذلك،فهم لا يخضعون لقانون الا لما تعارفوا عليه لأن الخضوع للقوانين لا ينشأ الا بعد نشوء الدولة التي يقوم نظامها على العمل الجماعي ، فان يكن هناك قرابة من الخير فهي للحضر وليست للبدو ، على أن التاريخ الماضي والحاضر يقول لنا وبصوت عال : ان نفس الانسان يكمن فيها كثير من التناقضات فهو اذا غضب نسي كل القيم..فتجده يتصف بالقسوة التي تقشعر من هولها الأبدان ، واذا رضي تمثل القيم واتصف بالرحمة ، ذلك ما يحدثنا به التاريخ في الماضي والحاضر وفي جميع الأمم .

ولكن التاريخ يحدثنا بأن البداوة أقرب الى القسوة والوحشية ، فان البرابرة هم الذين قضوا على الحضارة الرومانية ، وان المغول والتتار هم الذين قضوا على الحضارة الاسلامية فلنلتمس لنا تعريفاً آخر للحضارة . يقول الدكتور جميل صليبا : « وأما الحضارة بالمعنى الذاتي المجرد فتطلق على مرحلة سامية من مراحل التطور الانساني المقابلة لمرحلة الهمجية والتوحش ، أو تطلق على الصورة الغائية التي تستند اليها في الحكم على صفات كل فرد أو جماعة ، فاذا كان الفرد متصفاً بالخلال الحميدة المطابقة لتلك الصورة الغائية قلنا انه متحضر وكذلك الجماعات فان تحضرها متفاوت بحسب قربها من الصورة الغائية أو بعدها عنها ، ومع أن الصورة

(١) كتاب في معركة الحضارة ص ٢٧ . (٢) مقدمة ابن خلدون ص ٥٨٤ . (٣) في معركة الحضارة ص ٢٧ .

الغائية للحضارات مختلفة باختلاف الزمان والمكان فان اختلافها لا يمنع من اشتراكها في عناصر واحدة ، وتتألف هذه العناصر في زماننا من التقدم العلمي والتقني ، وانتشار أسباب الرفاه المادي ، وعقلانية التنظيم الاجتماعي ، والميل الى القيم الروحية ، والفضائل الأخلاقية » [٤] . وفي هذه الفقرة تأييد لما ذهبت اليه عن أن الخير يصدر من الانسان حسب مفهومه للقيم .

تغير مفهوم القيم :

ومن الواضح أن الأمم ليست متفقة على مفهومها لكل القيم ، فبعضها يرى الشيء خيراً في حين يكون سيئاً عند أمة أخرى ، بل ربما تتغير القيم أو يتغير بعضها عند الأمة الواحدة ، وكمثال على ذلك ينبغي لنا أن نتذكر قوة هيمنة الوالدين على أولادهما كيف كانت قبل نصف قرن من الزمن ، ونحن وما صرنا عليه الآن نجد أنه قد تغيرت هذه العادة التي كان يعتقد بأنها عادة خيرة ، إنها تغيرت كل التغيير عما كانت عليه اذ كان عمل الابن وزواجه مثلاً لا بد وأن يكونا كما يريده الأب ، أما الآن فان الزواج والعمل قد أصبحا حسب رغبة الابن وميوله ، وينبغي لنا أن نتذكر كيف كانت نظرة الانسان الى المرأة من أن مهمتها ينبغي أن تكون مقصورة على الانجاب وعلى تربية الأولاد ، أما في حالتنا الحاضرة فان مهمتها أصبحت كمهمة الرجل... تتعلم كما يتعلم،وتعمل مثل ما يعمل ، ويعود سبب هذا التغير الى أن الحضارة الانسانية أوضحت أن المرأة تملك من الطاقة والقدرة مثل ما يملك الرجل . . فقد صعدت الى الفضاء وأنيطت بها إدارة كثير من الأعمال كالطب والهندسة والتدريس،بل انها أصبحت رئيسة لدول كبيرة متحضرة كانجلترا والهند ، لا بد لنا ـ معشر العرب ـ من أن نصير الى مثل ما صار اليه غيرنا من الأمم ، أما الجهود التي تحاول أن توقف هذا التحول فانها ستؤخره الى حين ، ولكن لا الى الأبد بطبيعة الحال . ثم ان علينا أن نتذكر أيضاً أن شجرة التعليم نمت وازدهرت حتى أصبحت دوحة كبيرة تظلّل الناس بظلها الوارف بعد أن كانت الأمية تخيم بظلامها الكثيف على سكان هذه المنطقة ، ومن المؤكد أن التعليم الحديث هو الوسيلة العظمى لاعداد الانسان كي يفهم الحياة وما يحدث فيها من تغير، وتجد تفصيل ذلك في آثار علماء التربية .

عماد الحضارة العصرية :

فليس من التجاوز في شيء أن نقول إن التنظيم هو عماد الحياة المعاصرة ، فانت اذا تأملت حياة الناس في هذا العصر تجد كل شيء فيها يسوده التنظيم ، ولنأخذ التعليم دليلا ومثالا من أدلة وامثله لاتحصى على ما ذكرنا . فنحن اذا ما تأملنا هذا الجانب من النشاط الانساني قبل قرون نجد التنظيم ضعيفاً فيه ، فأنت لا تجد فيه مراحل ولا برامج تناسب سن الدارس ، كأن نمو العقل أو مرحلة العمر ليس لها أي أثر على عكس ما يحدث في تعليمنا الحاضر ، وقل مثل ذلك في كثير من الأمور ، فما تشريع القوانين على اختلافها من جزائية وجنائية وتجارية وغيرها ، وما اعتماد اللجان في عملها على اللوائح الداخلية ، وما تنظيم المؤتمرات الشامل من تحديد زمان المؤتمر وتعيين القضايا التي يتدارسها ، والوصايا والقرارات التي يتوصل اليها ، الا أدلة أخرى على ما ذكرته من مكانة التنظيم في الحضارة المعاصرة ، غير أننا نلاحظ أن الأمم المتقدمة هي تلك التي تلتزم بما يقتضيه هذا النهج في حياتها التزاما دقيقا في معظم الأمور ، أما الأمم المتخلفة فهي تلك التي لا تعير التنظيم ما يستحق من عناية فائقة ، ونلاحظ أمراً

(٤) المعجم الفلسفي جـ ١ ص ٤٧٦ .

آخر أيضاً وهو أن الأمم المتقدمة تبتعد عن العاطفة في معاملتها لجماهيرها الى حد كبير ، اذ أنها لا توكل الأعمال المهمة الا لمن هو قادر على القيام بها،وذلك بأن يكون الفرد قد تدرج من عمل الى آخر أو قل انه صعد درجات السلم من أول الدرج بطريقة بينت ثبات خطواته واستقامته وحسن تصرفه . أما الأمم المتخلفة فان للصداقة والقرابة والتقرب أكبر الأثر لوصول الشخص الى أعلى المناصب . وهذا لا يعني أن أفراد الأمم الراقية ملائكة أو أنهم معصومون لا يصدر عنهم خطأ ، أو لاتزل بهم قدم ، فذلك رأي لا يقول به عاقل . . . فهم بشر من البشر تصدر عنهم الأخطاء وتزل بهم الأقدام وتؤثر بهم الإغراءات الى قبول الرشوة وعمل الغش في معاملاتهم . ولكن المخالفين للأنظمة والقوانين متأكدون أنهم لا يكادون يفتضحون وتنكشف مخالفاتهم حتى يلقوا جزاءهم مهما كانت مكانتهم . والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى كقصة ووترجيت فقد اكتشفت صحافة الولايات المتحدة أن رئيسها نيكسون سلك نهجاً غير أخلاقي لينجح في الوصول الى رئاسة الجمهورية ، وما ان نشرت ذلك على الناس حتى جرى تحقيق دقيق أدى في آخر الأمر الى عزله عن رئاسة الجمهورية . وأنت لا تكاد تقرأ الصحف الا وتجد الأدلة ساطعة تعزز ما أشرنا اليه بل انهم قد يبالغون في ذلك الى حد أن طائرتين في اليابان تصادمتا في الجو فما كان من وزير المواصلات في اليابان الا أن قدم استقالته ، وقد تفرع عن ذلك مواجهتهم للحقائق ـ مهما بلغت مرارتها ـ ومصارحتهم لشعوبهم بها مما يجعل شعوبهم على بيّنة من معظم الأمور .

العقل والمنطق :

أما الأمم المتخلفة فان أصحاب المناصب العالية في مكانة مرموقة تجعل الناس لا يجرؤون على توضيح أخطائهم ، واذا ما أرادوا أن يقتربوا من ذلك فانهم يقتربون بحذر وخوف . أما سبب اختلاف النهج بين الأمم المتقدمة والأمم المتخلفة فانه يعود في الأصل الى أمرين .

أحدهما : أن أنظمة الحكم في الأمم الراقية تعتمد على ارادة الشعب ، أعني أن يأتوا عن طريق الانتخابات ، أما في معظم الأمم المتخلفة فان أنظمة الحكم تعتمد على الدبابة والمدفع . واذا كان هناك انتخاب فهو انتخاب صوري لا حقيقة له .

والأمر الثاني : هو أن الأنظمة هناك تدرك بأن الثروات هي ملك للشعب لا يجوز أن تستخدم الا في طريقها الصحيح . أما في الأمم المتخلفة فان ثروات الشعب هي في الواقع ملك للمهيمنين على الأمر . لهذا تجد خطب رؤساء الأمم المتقدمة وبياناتهم تؤكد أن عليهم واجباً يقومون به لا يسهبون في ذلك . أما في الأمم المتخلفة فان بيانات الرؤساء مطولة مليئة بالمن على الشعب ، فهم يشيدون بما بنوا من مدارس وما قاموا به من أعمال بأسلوب يؤكد أنهم تصدقوا بذلك على شعوبهم ، فعلى الشعب أن يكون ممتنا وأن يقدر ما قام به المسؤولون من أعمال جليلة .

وصفوة القول أن للعقل والمنطق أثرهما الأقوى على الأمم المتمدنة ، وأن هناك مآخذ كثيرة على الحضارة المعاصرة لعل أهمها أنها تؤمن بالمادة أعمق الإيمان بدليل ما تنفقه من جهود مادية تفوق الخيال على أسلحة الدمار . أما قوانينها التي تتعلق بالقيم الانسانية فانها تعتبر زخرفة من القول لا تقدم ولا تؤخر . على أن هذه القضية جوانب كثيرة لا يمكن أن ألم بها في هذا المجال . □□

كارل بوبر
بين منهج العلم.. وفلسفة "المجتمع المفتوح"

□ على الرغم من أنه تجاوز الحادية والثمانين من العمر ، فلا يزال كارل بوبر ، الفيلسوف البريطاني النمساوي الأصل ، يثير الكثير من الخلاف والجدل والنقاش حول شخصه وأفكاره التي لا تخلو من هجوم عنيف على معارضيه،والسخرية والتنديد بهم وبآرائهم .

بقلم الدكتور : أحمد أبو زيد

الكتابات والأفكار التي يطرحها كارل بوبر تلقى ما تستحقه من عناية واهتمام يتناسبان مع مكانته كواحد من اكبر المفكرين المعاصرين وأشدهم تميزا واستقلالا في الرأي ، وقدرة على التعبير عن كل ما يعرض له من موضوعات ، وإن كان هناك من يصف أعماله بالفجاجة والفظاظة والميل الى تبسيط الأمور الى حد (التسطيح) ، بل إن هناك من يصفه بالتهور والاندفاع في إبداء الرأي بطريقة لا تتفق مع الأصول الواجب اتباعها في الكتابات الأكاديمية .

ولقد أفلح بوبر في تأليب الكثيرين ضده من مختلف الاتجاهات الفكرية ، والمذاهب والايديولوجيات ، وأن يشغلهم بنفسه وبآرائه طوال الوقت ، بحيث يقول الان رايان Alan Rayan في ذلك أن بوبر هو الفيلسوف الوحيد الذي تمكن من أن يجعل اسمه يتردد دائما في بيوت كل المشتغلين بالعلوم الاجتماعية . فالماركسيون يعرفون تماما مدى عنف وقسوة الانتقادات التي يوجهها الى الماركسية فيصفها بأنها (غير علمية) ويندد بادعاءاتها عن حل لغز التاريخ ، ويتهم تطلعاتها المثالية أو على الأصح (الطوباوية) بأنها تحمل في ثناياها الكثير من الشرور والأخطار . وان كانوا هم بدورهم يقولون ان العلم « البوبري » علم وضعي برجوازي ورجعي ، وهكذا . . . .

ومنذ شهور قلائل أخرجت المطابع في الغرب ثلاثة مجلدات جديدة يعتبرها بوبر مجرد (حاشية Postscript) على أول كتاب له نشره بالألمانية عام ١٩٣٤ بعنوان « منطق الاستكشاف Logik dev Forschung وهو كتاب أقام الدنيا منذ نصف قرن ولم يقعدها حتى الآن . وقد ترجم الكتاب من الألمانية الى الانجليزية بعد ذلك بربع قرن كامل (عام ١٩٥٩) تحت اسم « منطق الكشف العلمي The Logic of Scientific Discovery » ثم نقل من الانجليزية الى العربية بعد ذلك بحوالي ربع قرن آخر (١٩٨٢) . وفي هذه (الحاشية) التي تقع في ثلاثة مجلدات ، يحمل كل مجلد منها عنوانا خاصا به ، وتستغرق كلها حوالي تسعمائة صفحة ، يعود بوبر الى نفس المشكلات القديمة التي عرضها في ذلك الكتاب القديم ويضم اليها بعض كتاباته وآرائه الأخرى التي سبق له نشرها وذلك مع بعض التعليقات الجديدة على تلك الكتابات والآراء . وصدور (الحاشية) بهذه الصورة - وبعد كل هذا الوقت الطويل - دليل واضح على مدى التزامه بأفكاره ومواقفه وتمسكه بها . ولقد قوبلت (الحاشية) باهتمام بالغ من كافة الأوساط الثقافية في أمريكا وبريطانيا ، وأفردت الصفحات الطوال في المجالات العلمية لمناقشة آراء بوبر في كثير من الاهتمام والجدية والعمق ، مع كثير من الهجوم والنقد العنيف . ولكن لم يرتفع خلال هذا كله صوت واحد ينعى على الرجل تمسكه بآرائه القديمة أو ينادي بضرورة اختفائه من ميدان الثقافة والفكر ، بحجة أنه لم يعد لديه جديد يضيفه الى المعرفة الانسانية كما يحدث عندنا حين يحلو لبعض صغار الكتاب مهاجمة الرواد الكبار متخذين من هذا الهجوم ستارا يخفون وراءه عجزهم عن العمل الجاد والتفكير المثمر والانتاج الجيد الرفيع . ولعل أقسى ما كان يقال في الهجوم عليه والتشكيك في آرائه هو أن الزمن وحده كفيل بأن يثبت إذا ما كان بوبر سيظل فيلسوفا كبيرا - كما هو الآن - أو أنه سيحتل مكانة ثانوية في تاريخ الفكر . وأيا ما يكون الامر فقد حمل كارل بوبر على عاتقه - كما يقول جوناثان ليبرسون Jonathan Lieberson مهمة اقامة نسق عقلاني نقدي يمكنه أن يضيء كل مجال التجربة الانسانية التي تشمل العلم والفن والأخلاق والسياسة ، وهي مهمة كانت تعتبر في وقت من الأوقات مسألة عادية ومألوفة لدى المفكرين حينذاك . ولكن الكثيرين ينظرون اليها الآن على أنها طموح ليس له ما يبرره .

ذاق مرارة الفقر

بدأت حياة كارل رايموند بوبر Karl Raimund Popper الفلسفية في العشرينيات في فيينا ، وهي المدينة التي ولد فيها (٢٨ يوليو ١٩٠٢) وعاش وعمل الى أن اضطر للهجرة الى نيوزيلنده عام ١٩٣٧ حين أخذ هتلر يتربص بالنمسا . وينتمي بوبر الى عائلة يهودية الأصل ، ولكن أبويه كانا قد اعتنقا المسيحية والتحقا بالكنيسة اللوثرية قبل مولده . وكان أبوه محاميا على درجة من الثراء ، ثم أصاب العائلة الفقر في نهاية الحرب العالمية الأولى ، ومع ذلك استطاع كارل أن يكمل تعليمه بجامعة فيينا حيث تتلمذ على عدد كبير من الاساتذة ، وتأثر بوجه خاص بعالم النفس النمساوي الشهير كارل بهلر Karl Bühler

في نيوزيلنده تولى بوبر التدريس في كلية كانتربري الجامعية ، وظل هناك الى ما بعد الحرب العالمية الثانية ، وتمكن أثناء تلك الفترة من تأليف كتابه الذي أرسى قواعد شهرته بحيث ارتبط اسمه به أكثر مما ارتبط بأي عمل آخر . وأعني به كتاب « المجتمع المفتوح وأعداؤه The Open Society and Its Enemies » ثم غادر نيوزيلنده الى انجلترا عام ١٩٤٦ للتدريس بمدرسة لندن للاقتصاد London School of Economics ، وأصبح أستاذا للمنطق والفلسفة والمنهج العلمي عام ١٩٤٩ ، وظل يعمل بها الى أن تقاعد عام ١٩٦٩ وهو في سن السابعة والستين . ولم يمنعه تقاعده من مواصلة التفكير والكتابة . فظهر له في عام ١٩٧٢ كتاب « المعرفة الموضوعية » وفيه يعود لمناقشة وتوضيح بعض المشكلات المنهجية التي سبق له أن عالجها في كتابيه عن « منطق الكشف العلمي » و « المجتمع المفتوح وأعداؤه » وكذلك في كتابه عن « عقم المذهب التاريخي » (١٩٥٧) كما نشر عددا كبيرا من المقالات المتفرقة التي ضم جانبا منها الى كتاب « الحاشية على منطق الكشف العلمي » .

أعمال كارل بوبر

ولكن من بين هذه المؤلفات والكتابات يحتل كتاب « منطق الكشف العلمي » وكتاب « المجتمع المفتوح وأعداؤه » مكانة خاصة في فلسفة كارل بوبر وتفكيره العلمي والسياسي . والواقع أن معظم أعماله الأخرى ليست الا امتدادا أو تكملة للأفكار والآراء التي ضمنها هذين الكتابين . الكتاب الأول فيه ثمرة وخلاصة موقفه من العلم وفهمه للمنهج العلمي ، والكتاب الثاني هجوم على المذاهب الفكرية والفلسفية التي يعتقد أنها تمثل تهديدا خطيرا للحرية ، وبالذات مذاهب أفلاطون وهيجل وماركس . وقد أثار تهجمه على أفلاطون كثيرا من الانزعاج في أوساط المثقفين في الخارج .

ولقد شغلت مشكلة المنهج العلمي بال بوبر طوال حياته كما شغلت جانبا كبيرا من كتاباته ، وأثارت آراؤه في هذا الصدد ـ ولا تزال ـ كثيرا من الجدل والنزاع وبخاصة مع الماركسيين ، وهو نزاع يدور في المحل الأول حول سؤال هام للغاية هو : ماذا نعني بالعلم وماذا نقصد من المنهج العلمي وبخاصة حين نتكلم عن السياسة وعن المجتمع ؟ وقد صدر موقفه في الأصل من معارضته لنظرة الوضعيين المناطقة من أعضاء (حلقة فيينا) الى العلم ومنهجه ، اذ كان معظمهم يعطون كثيرا من الاهتمام لمشكلة التمييز بين (ماله معنى) وما لا معنى له أو ما هو لغو وهراء . وكانوا ينظرون بكثير من الاحترام الى العلم باعتباره مصدر المعرفة ويرون أنه ليس ثمة شيء يمكن معرفته وراء التجربة ، بينما كانوا يذهبون في الوقت ذاته الى اعتبار الدين

والأخلاق والميتافيزيقا (التقليدية) خالية من المعنى وأنها لغو وهراء . فأي عبارة أو حكم من الأحكام يكون له معنى اذا كان قابلا للتحقيق عن طريق المعطيات الحسية ، بينما يكون خاليا من المعنى اذا تعذر ذلك التحقيق . أي أن القضايا المقبولة عقلا والتي تعطي معنى هي تلك التي يمكن تحقيقها عن طريق الشواهد والبينات والأدلة المحسوسة المستمدة من التجربة ، بينما كل ما لا يمكن تحقيقه بهذه الطريقة يعتبر لغوا .

ولم يكن بوبر يعطي أدنى أهمية لمثل هذه المسائل التي شغل الوضعيون المناطقة أنفسهم بها ، ولم يكن يبالي بمسألة التمييز والفصل بين ماله معنى وما ليس له معنى أو بمسألة التحقيق أو اعطاء أهمية خاصة للشواهد المستمدة من الحواس . وانما كان الأمر المهم بالنسبة له هو تحديد الخط الفاصل بين العلم Scientific واللاعلم non Scientific والتعرف على الخصائص التي توجد بالضرورة في عملية البحث العلمي والتي تساعد على تقدم المعرفة العلمية ونموها . والنقطة المحورية في ذلك كله ليست قابلية نظريات العلم للتحقيق وانما قابليتها للدحض والتفنيد .

البجعة السوداء

صحيح أن هدف العلماء هو الكشف عن القوانين العامة الكلية الصادقة . ولكن من المستحيل ـ في نظره ـ البرهنة على صدق هذه القوانين عن طريق جمع وتكويم الحالات والشواهد المؤيدة . لأنه قد يحدث أن نعثر في أي لحظة على حالة مناقضة لكل تلك الشواهد . فمهما يكن عدد البجعات البيضاء التي نعثر عليها، فإن ذلك لن يعتبر في حد ذاته دليلا كافيا أو برهانا قاطعا على أن (كل) البجع أبيض اللون ، لأننا قد نكتشف وجود بجعة سوداء وبذلك يصبح الحكم بأن (كل) البجع أبيض حكما (غير) صادق . فالشيء الذي يعطي العلم (علميته) اذن ليس هو جمع الشواهد التي تؤيد الفرض، وانما البحث عن الدليل أو البينة التي قد تنقض ذلك الفرض وتدحضه .

« العملية العلمية » في نظر بوبر تقوم اذن على المحاولة والخطأ . وقد تردد هذا الرأي في كتاباته بأشكال مختلفة وان كان يفضل في الأغلب التعبير عن ذلك باستخدام كلمتي « الافتراض أو التخمين conjecture » و « الدحض re-futation فالعالم الخليق بهذا الاسم هو الذي يضع افتراضات أو تخمينات واسعة عريضة تستند في الوقت ذاته على المعلومات والحقائق المتاحة له ، كما أنها تدور حول الطريقة التي يمكن بها حل مشكلات معينة بالذات ، ثم يعكف بعد ذلك ، هو وغيره من العلماء على اختبار وفحص تلك التخمينات بكل ما في وسعه من أساليب ووسائل بقصد اكتشاف نقاط الضعف أو الأخطاء في تلك التخمينات . فاذا صمد تخمينه لكل هذه الاختبارات القاسية العنيفة أمكن قبوله على أنه حل ملائم ، على الأقل الى أن يثبت عكس ذلك . أما اذا فشل التخمين أو الافتراض في الصمود أمام هذه الاختبارات فانه يكون قد تم دحضه وتفنيده ويتعين بذلك على الباحث أو العالم أن يأتي بافتراض أو تخمين جديد بحيث يأخذ في اعتباره ما تكشف عنه التخمين السابق من حقائق أو نقائص وهكذا . وقد بلغ من أهمية هذا المبدأ في تفكير بوبر أن خصص أحد كتبه لمعالجة الموضوع مع أنه تطرق اليه في كل كتاباته الأخرى ، وأعطى هذا الكتاب الذي صدر عام ١٩٦٢ عنوانا يدل على مضمونه ومحتواه وهو « التخمينات والتفنيدات » بل ان بوبر اعتبر المحك الرئيسي للحكم على إخلاص الباحث أو العالم في صياغته لنظرية هو المدى الذي يذهب اليه في عملية الاختبار والفحص الدقيق العنيف والبحث عن الحالات والشواهد التي قد تدحض تلك النظرية .

التحليل النفسي والماركسية

ولكن هذا لا يعني أبدا ضرورة رفض وإبعاد كل الأحكام والقضايا التي من هذا القبيل واسقاطها كلية من الاعتبار ، وكل ما يعنيه ذلك هو اخراجها فقط من حيز العلم الصحيح والتصدي لها إن هي حاولت أن تنتحل لنفسها صفة العلم كما هو الحال بالنسبة للتنجيم . وعلى هذا الاساس نفسه فان بعض فروع المعرفة التي تبدو في ظاهرها « اكثر احتراما » من التنجيم والكيميا لا يمكن اعتبارها (علوما) بأي حال من الأحوال . وأفضل مثالين لذلك هما التحليل النفسي والماركسية . والظاهر أن انشغال بوبر واهتمامه بمسألة طبيعة العلم نجما عن عدم اقتناعه بهذين الفرعين من فروع المعرفة على الرغم من أن الكثيرين يعتبرونهما من أهم (العلوم الانسانية) التي ظهرت في أواخر القرن الماضي . وكان رأي بوبر هو أن كل ما يدور من نقاش وجدل وخلاف في هذين (العلمين) لم يساعد على تقدم المعرفة بشكل مقنع ، وانهما يفتقران الى ذلك الركن الأساسي المميز للعلوم الطبيعية ، وهو البحث الجاد المستمر عن الأدلة والشواهد والحالات التي قد تنقض فروضهما ونظرياتهما وتدحضهما .

والعيب الأساسي في التحليل النفسي هو أنه لا يصوغ فروضه أبدا بطريقة تسمح باختبارها وفحصها بمنهج الدحض ، فليس هناك وسيلة على الاطلاق لاختبار صدق نظرية فرويد عن أن الأحلام هي تعبير عن مشاعرنا ورغباتنا المكبوتة . وحتى حين توجد دلائل وشواهد تدحض أحد هذه الفروض فان أتباع مدرسة التحليل النفسي يسارعون الى التشكيك فيها والتهوين من شأنها واثارة الشكوك حول الدوافع التي تكمن وراء هذه الاعتراضات ، بل كثيرا ما يلجأون الى تجريح أصحابها . واذا كان أعضاء هذه المدرسة يعتقدون أنهم يعملون بذلك على (إنقاذ) تفسيراتهم السيكوتحليلية من محاولات الدحض والتفنيد فإن هذا الموقف لا يؤدي في آخر الأمر - وهذا هو المهم - الى تقدم المعرفة ونموها . ومن هنا كان بوبر يرفض اعتبار التحليل النفسي علما بالمعنى الدقيق للكلمة .

وهذا نفسه يصدق على الماركسية . فعلى الرغم من التعاطف الذي كان بوبر يبديه في وقت من الأوقات نحو الماركسية التي اعتنقها لفترة قصيرة في شبابه فانه يرى أنها كثيرا ما تلجأ الى الأساليب ذاتها التي يلجأ اليها التحليل النفسي . فليس ثمة سبيل الى دحض دعوى الماركسية عن قرب انهيار وزوال الرأسمالية لأنها دعوى غير قابلة للاختبار والفحص على أساس تجريبي (امبيريقي) .

بل ان الأمر يذهب الى أبعد من ذلك حين يحاول بوبر تطبيق ذلك المنهج القائم على التخمين والدحض في مجال الحياة السياسية والاجتماعية . وبوبر من المفكرين القلائل الذين بنوا فلسفتهم وشهرتهم على محاولة المزج بين العلم والسياسة والنظر الى السياسة والمجتمع في ضوء العلم ومقتضياته . فالعلم بطبيعته معارض للتسلط وإخضاع حرية الفرد للدولة ، بل انه على العكس من ذلك تماما (ديمقراطي) إن صح هذا التعبير ، لأنه لا يتقبل سوى القضايا والأحكام والدعاوى التي تثبت قدرتها على الصمود أمام كل محاولات الفحص والاختبار والدحض والتفنيد بصرف النظر عمن صدرت عنه هذه الدعاوى ، والنقطة الأساسية هنا هي أن البحث الجاد والسعي الحثيث وراء الفهم العلمي أمور ترتبط ارتباطا وثيقا بتنظيم المجتمع العلمي ذاته الذي هو في جوهره (مجتمع مفتوح) . والمجتمع المفتوح هو الذي تخضع فيه كل الآراء والمعتقدات والمسلمات بصورة دائمة ومستمرة للنقد الصريح . وهذا هو المبدأ الذي يرتكز عليه بوبر في هجومه على النظم الشمولية التي تقف في وجه الفرد وتهدد هذه الحرية

□□

طبيب الأسرة

الشخير
Snoring

والدتي تشخر كثيرا أثناء النوم فهل هذا الشخير في حكم المرض يا ترى ؟ فاذا كان كذلك فماهو سببه ؟ وما هو علاجه ؟

هشام / المغرب

الشخير ظاهرة شائعة تعزى الى ذبذبة شديدة للجزء الخلفي من سقف الحلق المسمى بالحنك الرخو **Soft Palate** بسبب وقوعه بين تيارين من هواء الزفير الخارج من القصبة الهوائية حيث ينطلق أحد التيارين خارجا فوق الحنك عبر قناة الأنف ، أما الأخر فيخرج من تحت الحنك الى الفم .

من الملاحظ أن أغلب الذين يشخرون أثناء نومهم يعانون من هذه الظاهرة وهم نيام على ظهورهم والفم مفتوح ، وتختفي اذا ما تقلب النائم ليكون نومه على أحد الجانبين .

على أي حال فان حدة الشخير تزداد وتكراره يستمر عندما يكون هناك عائق في موضع ما من مجرى الأنف يعوق سلاسة جريان تيار الهواء عبر قناة الأنف . ولهذا فان تقصي أسباب الشخير يبدأ عادة بفحص مجاري الأنف لاستطلاع أي خلل مرضي ، أكثر هذه الاختلالات شيوعا هو صغر فتحتي الأنف أو انحراف حاجز الأنف **Deviated Septum** أو تضخم الغشاء المخاطي المبطن لجدار الأنف ، نتيجة التهاب أو حساسية ، كما أن لحمية الأنف أو الزوائد اللحمية فيه **Nasal Polypi** أو تضخم الغدة خلف الأنف التي يدعونها لوزة البلعوم **Adenoid** هي كذلك من أسباب الشخير المألوفة .

من الملاحظ أن الانسان البدين هو أكثر استعدادا للشخير من غيره كما أن أحوالا عامة ليست مرضية مثل الاجهاد والتعب والاسراف في التدخين أو الافراط في شرب الكحول هي من الأسباب المهيجة للشخير .

أما الأحوال المرضية الشديدة التي يصاحبها الشخير الطارىء عند الانسان فهي حالات الارتجاج في المخ أو التسمم بالأفيون والاختناق وما شابهها ... وهذه تكون واضحة المعالم بأعراضها الأخرى التي تتصدرها الغيبوبة .

ان علاج الشخير دائما يبدأ بالبحث عن السبب واستئصاله ، فاذا لم يتبين السبب فان تفادي النوم على الظهر واستعمال مخدات عالية نسبيا سوف يوقف

الشخير . وقديما كانوا يلجأون الى حيلة طريفة هي نزع بضع شعيرات قاسية من الفرشاة وتثبيتها في لباس النوم وربما وضعوا حصاة صغيرة عوضا عن الشعيرات تدفع بالنائم الى تفادي النوم على الظهر ومحاولة النوم على أحد الجانبين .

الانفلونزا ليست زكاما ولا حساسية

أصاب بين حين وآخر بأعراض تتمثل في انسداد الأنف مع عطاس وجريان سائل مائي ولكن دون شعور بالحرارة ، أو معاناة من السعال ، وفي باديء الأمر اعتقدت أنها شكل من أشكال الانفلونزا ، أو ربما هي نزلة برد (رشح) كما أشار البعض عليّ . . . ولكني مع تكرار معاناتي استشرت الطبيب فقرر أنها الحساسية . . . فهل يمكن للحساسية أن تسبب الانفلونزا أم هما مختلفتان ؟

ح . ي . ن . الدوحة ـ قطر

ربما كانت الانفلونزا من أكثر الأسماء تداولا بين الناس ، يطلقونه اعتباطا على كل توعك قد تصاحبه الحمى ، أو قد لاتصاحبه ، مع بعض أعراض نزلة برد من جريان الأنف والسعال ، وبحة الصوت وشعور الانهاك ، ودون شك أن الانفلونزا أحد الأمراض القديمة عند الانسان ، لكنها لم تكتسب شهرة اسمها الا عام ١٧٤٣ حين أطلقها طبيب اسكتلندي يدعونه جون بربنجل john Pringle لتعبر عن نوبة برد شديدة تتميز بالحمى الشديدة والسعال وجفاف الحلق والانهاك العام .

ويقال ان هذا الاسم انفلونزا Influenza قد اشتق من كلمة ايطالية هي انفلونس دي فيديده Influence De Videdo وتعني تأثير الأرواح الشريرة على حد ما كانوا يعتقدون ، وربما أطلق عليها البعض اسم جريب Grepe بمعنى القبضة ـ مشتقة من الفرنسية لأن المرض يقبض النفس .

وعلى أي حال فان سر المرض لم يكتشف الا في مطلع الثلاثينات حين اكتشف الفيروس المسبب للانفلونزا ، ثم تتابعت الاكتشافات ليقف العلماء على سر ثلاثة فيروسات كل منها يسبب الانفلونزا .

أما نزلة البرد المعروفة باسم الزكام ، والتي يطلق عليها البعض اسم النشلة ، أو الرشح ، وكانت تختلط على الناس (وما زالت عند البعض) مع الانفلونزا ـ فيها فيروسات أخرى قد تعد ٨٩ فيروسا مختلفا ، ولكنها من عائلة واحدة تؤدي الى أعراض أخف وطأة من الانفلونزا وأقل خطرا ، وتتميز بعدم ارتفاع درجة الحرارة في الغالب أو ربما بارتفاع بسيط مع جريان الأنف وانسداده مع سعال

حتى الآن لم يعثر الطب على علاج نوعي لأي من الانفلونزا أو الزكام ، ولكن الراحة التامة والغذاء الجيد هما أساس العلاج الذي يعتمد على تقوية المناعة الطبيعية للجسم والا انتهى الأمر الى مضاعفات تكون في الانفلونزا أشد مما هي في الزكام .

لقد سجل عام ١٩١٨ عقب الحرب العالمية الأولى وفاة عشرين مليون انسان في أوروبا من أثر وباء الانفلونزا كما تسجل احصائيات المستشفيات اصابات التهاب الرئة أو القلب وربما تشوه الأجنة عند الحوامل ، أما مضاعفات الزكام فلا تعدو التهاب الجيوب الأنفية أو التهاب الجهاز التنفسي السفلي وربما امتدت الى الأذن الوسطى .

على أي حال فهذه الأعراض قد تختلط أحيانا مع أعراض الحساسية التي تظهر لسبب أو لآخر على الجهاز التنفسي العلوي أي الأنف والحلق والقصبة الهوائية ، ومن الطبيعي أن هذه الأعراض قد تكون أحيانا مراوغة لدرجة يختلط فيها التشخيص ولكن الطبيب المختص لا مكان لديه للخطأ أو الحيرة بين هذا وذاك .

من التراث

الفراسة
والكشف عن باطن الأرض

بقلم : الدكتور محمد عيسى صالحية

□ قبل التطورات المذهلة التي شهدتها العلوم الحديثة ، تمكن العلماء العرب من استخراج الماء من باطن الأرض ، وهذه هي التفاصيل .

درج بعض علماء الغرب في نصف القرن الماضي على وصف المجتمعات بالمتحضرة وشبه المتحضرة والمتخلفة وجعلوا من جملة معايير هذا التقسيم قدرة المجتمع على اخضاع البيئة لمتطلبات حياته اليومية ، من ثم توفير احتياجاته الملحة بحسن استغلاله للمحيط الذي يعيش فيه .

وفي هذه المقالة أقدم نموذجاً لنجاح العلماء العرب في الفراسة لخدمة الهندسة ومن ثم تسخير العلوم الأخرى كالفيزياء والحيل والكيمياء للسيطرة على مرفق من مرافق الحياة اليومية الا وهو « انباط المياه الخفية » من باطن الأرض ، ومن ثم اصعادها الى الأعلى في حين أن آلة الرفع الكهربائية لم تكن معروفة ، وأخيراً إجراؤها في قنوات للري والشرب وغيرها من الأمور المعروفة وستتناول في هذه الحلقة موضوع الاستدلال على الماء في باطن الأرض .

ان الفكرة التي تجعل أمر علم الفراسة محصوراً في الانسان هي بلا شك مجانبة لواقع الحال ، فان الفراسة وان عنت الاستدلال بظاهر الشيء على باطنه فان الأرض يمكن ان تكون مجالاً للتفرس ، ولم لا ؟ والأرض تخزن الماء « وقيل يا أرض ابلعي ماءك » ، « وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع » ، فلماذا اذن لا تجرى الفراسة على الأرض ، وقد أدرك محمد بن عمر الرازي « ت ٦٠٦ هـ / ١٢١٠م » هذه الحقيقة حين جعل النوع الخامس من العلوم المناسبة لعلم الفراسة هو حكم مهدف المياه ومستنبطها في البقاع السهلية والجبلية لاخراج الأنهار ورفعها الى وجه

هذا المقال كان مفروضاً أن ينشر في العدد رقم ٣٠٣ فبراير ١٩٨٤ . واشرنا اليه في فهرس العدد : ولكن لضيق المكان ، تأجل نشره الى هذا العدد .

مجرى العيون ـ اكبر مشروع هيدروليكي في العالم ، لرفع الماء من الانهار الى القلعة .

الأرض ، وعنده أن الأصل الذي عليه مدار هذه الصناعة هو معرفة ترب الأرض بألوانها وخواصها : السهلي منها والجبلي والرملي والصخري . ولعل من يعتقد ان الوصول الى استخدام الفراسة في اكتناه مجهول الأرض انما جاء متأخراً في القرن السابع الهجري مثلاً ، ولكن العودة الى مراجع اللغة يضع أمامنا العديد من المصطلحات التي تندرج تحت باب الاستفادة من الفراسة في الاستدلال على ما في باطن الأرض . فجوّاب الفلاة مثلا هو الذي ما اختار صخرة ليحفر منها الا أماهها (أي استنبط الماء منها) . والعياف أيضاً تطلق على الدليل الذي يعرف موضع المياه في الأرض ، والقنقن هو من يمتهن التفتيش عن المياه في باطن الأرض ، وأحياناً يتعدى عمله مجرد التفتيش عن المياه الى تحديد مواضعه في باطن الأرض وحتى تحديد كميته .

وجعلوا من صفات القنقن المميزة الحس الكامل بمكان وجود الماء ، ومن ثم التصور الشامل لطبيعة المياه في باطن الأرض بعداً وقرباً ، عذوبة وملوحة ومرارة وغيرها ، وتلك لا تتوفر الا للأذكياء من القوم حسب مفهومهم ، فكأن وظيفته تماثل عمل المهندسين والجيولوجيين المختصين بعلوم الأرضية في زماننا **Hydroscope Sourcier** ولكن أدواته هي فراسته . فهل لنا ان نرقب عمل قنقن يبحث عن المياه في منطقة معينة .. ؟

وجدير بنا ان نشير بهذا الصدد الى ان اليونانيين استدلوا على مكان وجود المياه في باطن الأرض باستعمال عصا سموها « القضيب

السحري » يحمله شخص بوضعية معينة ويتفرسه ويحدد منطقة لاستنباط الماء منها ، وخبرته قد تكون متوارثة في هذا الشأن ، أما عند العرب فقد سلك القنقن عدة وسائل لتحديد مكان المياه ونوعيتها وكميتها حيث يعنى بظاهر الأرض وجبالها ووديانها وصحرائها . وكثيراً ما كان يجرى التجارب التطبيقية العملية لاثبات ما توصل اليه .

الاستدلال على الماء بالنبات

لقد كانت معارف العرب عن النبات متميزة ، فكان وجود أنواع من النبات في اماكن معينة دليلاً على وجود المياه في تلك المنطقة ، فما على القنقن الا ان يتقن أنواعها ويتعرف اليها ويصنفها ليحدد فائدتها في الكشف عن المياه ، فالقنقن بدوره يعمل على نظمها في مجموعات كما يلي :

- نباتات لا يستقيم لها حال الا اذا وصل جذرها الى الماء ، فحيث رأيت هذا النوع من النبات فاحفر متبعاً جذر النبات فستصل حتماً الى نبع ماء ، فنبات الحاج ـ العاقول ـ مثلاً تغور أصوله حتى تصل الى الماء ، وقد ذكر الكرخي انه شاهد واحدة منها طولها خمس عشرة ذراعاً وان اصلها كان في نهر دجلة ، وروى خبراً آخر عمن حفر بئراً في صحراء ذات حاج اتصلت عروقها الى ان وصل الماء بعد خمسين ذراعاً .

- نباتات يدل وجودها على قرب الماء وعذوبته ، كالقصب والثيل والحلفاء والسرو والبطم والعليق والعوسج الصغير لا سيما اذا نمت في الصيف والخريف وذلك أن جذورها تغور بعيدة في الأرض باحثة عن الماء وأضاف المسعودي اليها اللين من الحشيش ، وجعلها دالة على قرب الماء لمن أراد الحفر وما عدا ذلك فعلى البعد .

- نباتات تدل على رطوبة الأرض مع قلة الماء مثل لسان الثور والبابونج والخطمى وكزبرة البئر واكليل الملك والخبازى والحندقوق وحي العلم والدوقس والسعدي والثيل والخروع والضمران (الضومران) والأسل ونبات الدم أي نبات دم الأخوين .

- نباتات تدل على ان الأرض ذات ماء فقط كالحرشف والحمض التي لا تنمو الا على ماء التوأب والعوسج المستوي القضبان الذي لا يمكن ان ينمو الا على أرض ذات ماء .

- نباتات لا تنمو الا في الأرض الرطبة مثل الطرفاء والبردى والسماق والحماض ولسان الحمل والعليق ، واحتمال وجود الماء فيها قائم .

- نباتات تدل على بعد الماء مثل العوسج الكبير الذي ينبت في الأرض القشفة البعيدة الماء .

ولم يغب عن بال القنقن أنه بمقدار غضاضة تلك النباتات ونضرتها وخضرتها وكثرة أغصانها والتفاف ورقها وعروقها ، يكون الماء قريباً أو بعيداً ، وكذا كميته كثيرة أو قليلة في جوف الأرض .

الاستدلال على الماء بشم التراب

ويمكن ان يستدل على أمكنة وجود الماء عن طريق شم تراب المنطقة التي يراد الحفر فيها ، اذ لكل بقعة من الأرض رائحة خاصة بها ، يعرفها الماهرون المدربون في هذه الصنعة ، فاذا كان

نبات العوسج الصغير .

ريح التراب مثل ريح الطين المستخرج من السواقي والأنهار الدائمة التي تجف على حافاتها أوحت أن المياه على أذرع يسيرة في غور الأرض ، ومثل ذلك التراب العفن الذي تماثل رائحته رائحة الطحالب ، وان كانت رائحة التراب كرائحة التراب القشف الدائم الجفاف ، دلت على أن الماء اما بعيد الغور أو لا ماء في المنطقة ، وقد أورد الادريسي خبر ذاك التاجر الذي كان يبيع بضاعته في بغامة من أرض السودان . وحين بلغ منه العطش أشده ، طلب الى الدليل البربري ان ينقذ حياته بقطرات من الماء ، ونعى نفسه الى الدليل لأنه سيموت ورفاقه عطشاً ، فما كان من الدليل البربري الا ان اخذ غرفة من تراب الأرض وشمه وتبسم ، وطلب الى أهل القافلة ان يستريحوا فان الماء معهم وأخذوا يحفرون وبعد نصف قامة نبط لهم ماء كثيراً .

ويقودنا هذا الى العلامات الدالة على الماء من ظاهر التربة ، فان نعومة وخشونة وجهها يدلان على امكانية وجود الماء فيها ، فكل منخفض من الأرض ذي طين أسود ودسم فهو ذو ماء ، وأكثر ذلك يوجد في هوات ومغارات اذا كان قرارها مسترخي التربة ، وان كانت الأرض قاحلة يابسة مدرها مثل الخزف كانت عديمة الماء ، ولاثبات ذلك يبلل ترابها ، فان كان طينها كطين الخزف كانت عديمة الماء والنداوة . أما اذا كان على وجه الأرض صخور ذاهبة طولاً وعرضاً ، قليلة السمك ، فهي قليلة المياه وكذا الأرض الكثيرة الرمل والرضراضة والخشنة التراب ، ولمزيد من التأكيد يعجن تراب الأرض ، فان كانت صمغية دل ذلك على ان الأرض ريانة وفيها ماء والا فالأمر عكس ذلك .

الاستدلال على الماء باستقراء ظواهر وسطوح الجبال

يرى الكرخي ان لون الجبال ينبيء عن الماء فيها ، فالجبال السوداء ذات اللون الأسود والرخوة الحجارة والطبقية التكوين ، (عريضة وضخمة من الأعلى) أو حجرها كثير متبدد وصخورها قائمة كأنها ناتئة يكون الماء فيها أكثر وأغزر من الجبال ذات اللون الأخضر أو الصفراء أو الحمراء لا سيما ان ظهر على سطحها ندى في الصباح الباكر . وفي آخر ساعات النهار

يلحظ بالعين ويلمس باليد . ويمكن التثبت من نداوتها وتعرقها بنثر تراب ناعم على وجه حجارة تلك الجبال وينظر عند المساء ، فان تندى التراب ففيه ماء قريب من وجه الأرض ، وبقدر كثرة الماء في الجبل وقربه من ظاهره تكون كثرة الندى ، وان كان الماء قليلاً أو بعيداً ، كان الندى قليلاً وضعيفاً . أما الجبال البيضاء فانه لا ماء فيها .

ومن ناحية أخرى ، فان الجبال المتصلة بعضها مع بعض والتي تتخللها الشعاب وتظللها الأشجار غالباً ما تكون أوفر حظاً من الجبال المنفردة اليابسة والمزدحمة الصخور باحتوائها على المياه ، لأن النوع الثاني من الجبال لا تستديم الثلوج عليها لمدة طويلة فلا تنفذ المياه منها الى باطن الأرض الا قليلا . وفي الجبال المتصلة ينظر الى الشقوق التي في ظاهر الجبل أو الأرض ، فان كانت شبه الجليد فذاك حفيف الهواء ، وان كانت ندية والبخار طالع منها فذلك حفيف الماء ، ثم إن نمو بعض النباتات مما لايزرع على الجبال لدليل على وجود المياه فيها ، وكذا مشاهدة آثار قنوات مائية تحتها المياه الجارية فوقها في موسم الشتاء أو عند ذوبان الثلوج بحيث تتصل تلك المسايل بشعاب الجبال ولا يرى أي مخرج لها .

الاستدلال على وجود الماء بالسماع

وغالباً ما يقوم القنقن بذلك فيميز بالاستماع بين دوي الريح في باطن الأرض ، والدوي الذي يعقبه خرير الماء أو حفيفه في جوف الأرض وغالباً ما يختار القنقن مكاناً بعيداً ندياً معشباً ، ويستمع الأصوات في شعاب الجبال والبطاح ، وبقدر قوة تمييزه بين الأصوات يستطيع ان يحدد قرب الماء أو بعده ، وان تعذر عليه ذلك فينظر الى الدوي ، فان استمر على حالة واحدة عند اطالة الاستماع له ويكون كالدوي في غور من الجبال فذاك صوت الماء ، وان سكن تارة وهاج أخرى فهو صوت الريح ، لأن الأرض الخالية من الماء يدب في خللها الهواء ويخرقها فيسمع صوته . وقد أوضح الكرخي هذه المسألة عندما وصف مكاناً مرملاً في سفح جبل ، قرب نهاوند ، يسمع منه في أوقات مثل دوي الريح وبعد سماع ذلك يفيض منه ماء يجري الى حضيض الجبل فيسقي المزروعات .

وأورد البيروني أن أهل اليمن ربما حفروا البئر فبلغوا صخرة حسبوا ان تحتها ماء فينقرونها نقرة يعرفون بصدى صوت نقرهم مقدار الماء تحتها ، وأشار الى مثل ذلك صاحب كتاب « الاستبصار في عجائب الامصار » عند وصفه لمدينة وَرْجلان من غانة ، فذكر « انها كثيرة الماء ولها أعجوبة ليست في موضع من الأرض ، يحفر الرجل بئراً ، فيجد طبقاً من حجر صلد فيستبشر عند وجوده ويطعم أولياءه فرحاً ويدخل اليه من يعرف كيف ينقره » .

هذه نماذج من اخضاع البيئة للسيطرة الانسانية أبدع العلماء العرب فيها ، واستفادوا من كل ما من شأنه أن يجعل الحياة ميسورة ، ولكن بالجهد والعمل الدؤوب . وهل أتاك حديث المسعودي حين قرر أن قرى النمل تدل على وجود الماء من عدمه ، فان كانت النمال غلاظاً سوداً ، ثقيلة المشي دلت على قرب الماء ، وان كانت النمال على عكس ذلك وسريعة المشي ، كان الماء بعيدا ، وذهب الى ان النمل يدل أيضاً على عذوبة الماء وملوحته في المنطقة .

□□

المستقبل لماذا نخشاه ؟

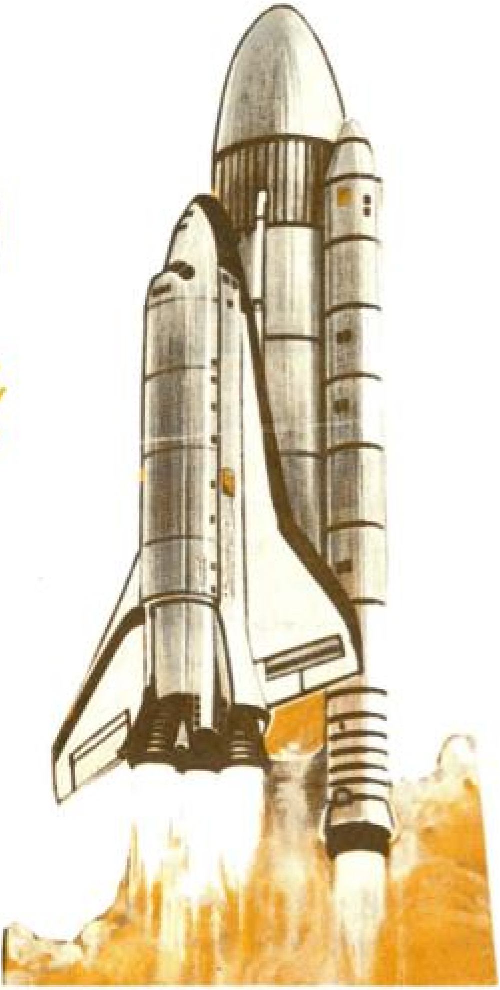

بقلم الدكتور : محمد علي الفرا

□ القلق سمة عصرنا هذا ، والخشية من المستقبل من علاماته البارزة وسماته المميزة ، فالقلق والتخوف من المستقبل مشكلة إنسان هذا الزمان أينما حل وارتحل ، وحيثما استقر واستوطن . ولو سألت اليوم أي انسان مهما كان شأنه ومركزه في مجتمعه لشكا لك من حاضره الذي يحياه ، ولأطلعك على مدى القلق الذي يساوره وهو يستشف المستقبل الذي هو مقدم عليه ، ولأفاض في الترحم على ماض ولّى وزمان أدبر ورحل وطوى معه سعادة كانت تغمر الانسان ، وراحة بال وطمأنينة حال نفتقدها في عالم اليوم .

حينما ينظر كثير من الناس الى حاضرهم ومستقبلهم بمثل تلك النظرة القلقة يظنون بأن هذا خاص بهم وحدهم وبطبيعة عملهم وبنمط حياتهم وبظروف المكان الذي هم فيه . وهم من أجل مستقبل أفضل ، وحياة أرغد وأسعد ، يطلقون لخيالهم العنان ، فيصور لهم وضعا مثاليا في مكان آخر ، وينسج لهم صورة مشرقة لذلك المكان ، وقد خلا من المتاعب والمشاكل ، ولكن سرعان ما يكتشف هؤلاء ـ بمجرد ملامستهم لأرض الواقع ـ ان ما زينه لهم خيالهم ما هو إلا أوهام . وأن المشكلة عامة وليست خاصة ، فالكل في هذا العالم يشكو الزمان حاضرا ومستقبلا ، ويحمل المكان شكواه ، وسبب بلواه .

وقد اهتم الانسان بالمستقبل منذ بدء الخليقة ، وحاول أن يرسم صورة للحياة المستقبلية ، وما ينبغي أن تكون عليه أحواله وأوضاعه . وقد أدرك بأن الماضي والحاضر يؤثران الى حد كبير في شكل المستقبل ، ولذلك بذلت الكثير من المحاولات من أجل تعديل الواقع أو تغييره ، حتى يكون المستقبل أكثر اقترابا مما هو متوقع .

ولعل من أبرز تلك المحاولات في الماضي البعيد محاولة فيلسوف الاغريق الشهير افلاطون بناء المدينة الفاضلة UTOPIA في عمله الخالد « جمهورية افلاطون » والذي رسم فيها صورة لما ينبغي أن تكون عليه تلك المدينة التي ستحقق للناس السعادة والرفاهية .

ولم تنقطع محاولات المفكرين والفلاسفة على مر العصور في شرح وتحليل مقومات المستقبل لمجتمع تسود فيه العدالة والفضيلة والخير ، ووضعوا في ذلك الكثير من الأفكار والنظريات التي أفادت البشرية . ولسنا هنا بصدد التعرض لهذه المحاولات ، ولا لتلك النظريات ، وإنما أردنا أن نبين بأن الخوف من المستقبل هو مشكلة الانسان التي لازمته من قديم الزمان .

وإذا تركنا الماضي ، وانتقلنا الى الحاضر ، جاز لنا أن نتساءل عن دوافع تلك النظرة القلقة لانسان اليوم وهو يتأمل مستقبله ويتدبر حاله ! فلا شك في أن هناك الكثير من المتغيرات التي تؤثر على نظرة الانسان هذه ، ولا بأس من تحليل بعضها .

الواقع يلقي بظله على المستقبل

كثيرا ما يكون القلق والتخوف من المستقبل مستمدا من الواقع الذي يحياه الانسان . فلو ألقينا نظرة تأملية لتبين لنا بأن هذا الجيل يعيش حياة مترفة لم تشهدها الأجيال السابقة . فباستطاعة المرء أن ينتقل الى أقصى أنحاء المعمورة في وقت قصير ، وبوسيلة تؤمن له متطلبات الراحة ، بينما كان سلفه في الماضي يبذل الجهد ، ويعاني المشقة ، إذا انتقل من مدينة الى أخرى داخل القطر الواحد ، فما بالك اذا كانت هذه المدينة تقع في بلد بعيد ؟

لقد شاع اليوم استعمال السيارة ، وأصبح معظم الناس يمتلكونها ، وتطورت أشكالها وأحجامها واشتملت على كثير من وسائل الراحة والمتعة ، وساعدت السيارة وغيرها من وسائل النقل الكثيرة على الحركة والانتقال واتصال العالم بعضه ببعض ، وأصبح السفر ضرورة من ضرورات الحياة ولوازمها .

وشمل التطور بيوتنا ومكاتبنا وأعمالنا . فالمساكن تطورت من حيث الشكل والنمط والحجم والمحتوى . ولم يعد المسكن مجرد مكان يقيم فيه الانسان ويلتجيء اليه من الظروف البيئية القاسية ، وانما أصبحت له مواصفات ومقاييسات لا بد أن تلبى حتى تتمشى والحياة المعاصرة . وأصبح البيت يحتوي على كل ما يخطر على البال كالأثاث الفاخر ، ووسائل اللهو والتسلية كالتلفاز والسينما والفيديو . ووجدت ربة البيت كل الوسائل التي تعينها على ...

مهماتها وواجباتها من طبخ وكنس وغسيل ونحوه . فكل شيء يمكن انجازه بأقل مجهود يبذل ، وفي أسرع وقت ممكن وبمجرد الضغط على زر الكهرباء .

منجزات العلم

ويتطلع الانسان في عالمه الذي يعيش فيه اليوم ... لقد استطاع بالعلم أن يحقق أشياء ما كانت تخطر له على بال . وكانت بالأمس من قبيل المحال . ويفاجأ كل يوم بمزيد من المخترعات والمبتكرات والمنجزات العلمية ، التي مكنته من اختراق حاجز الفضاء الكوني ، والوصول الى بعض كواكب المجموعة الشمسية ، ودرس أحوالها كما ضرب بسهم وافر في عالم البحار والمحيطات ، وحاول كشف أسرار القيعان والأخاديد والمنخفضات .

ولكن هذه المخترعات ، وتلك المنجزات التي كان من المفروض أن تحقق الرفاهية والسعادة للانسان أصبحت اليوم سبب قلقه وتعاسته ، وسر نظرته التشاؤمية للمستقبل . فالسيارة ـ مثلا ـ على الرغم من أنها نعمة من نعم حياتنا المعاصرة الا أنها باتت نقمة . فمع زيادة أعداد السيارات كثرت حوادثها بشكل رهيب ، حتى أصبحت ضحاياها تفوق بكثير الضحايا التي تسقط لأسباب أخرى ، بما في ذلك الموت الطبيعي .

ولقد أثرت السيارة على نمط حياتنا ، وشكل مجتمعاتنا ، فبزيادة اعداد السيارات أصبح لا بد من زيادة أطوال الشوارع ومساحاتها طولا وعرضا . فتبعثرت المساكن وتفرقت وانتشرت مما أدى الى ضياع الكثير من معالم الحياة التي كانت سائدة بعاداتها وتقاليدها وقيمها ... تلك القيم التي كانت بمثابة صمامات الأمان للمجتمع . ولذلك فقد أسهم هذا الانتشار والتشتت في عملية التفكك الأسري . وانفصام الروابط العائلية التي كانت تمد الفرد بعاطفة المحبة وروح الانتماء .

الملل والضياع

ومع كثرة وسائل الراحة والتسلية وتنوعها في المنزل فقد المرء الحافز والدافع ، وشعر بأن كل شيء طوع أمره وبنانه ، ولم يعد أمامه من شيء بعيد المنال . علاوة على أنه استنزف وقته في إشباع لذة حسية واستمتع بأمور مادية أدمن عليها ، ولم يتبق لديه الوقت الكافي للقراءة والمطالعة . وحتى لو توفر هذا الوقت فانه يعزف عنها ولا يقربها .

وكان لذلك آثاره على هذا الجيل الذي اضمحلت الثقافة عنده ، ونتيجة لطغيان الجانب المادي من الحضارة ، وتغلبه على الجانب الثقافي والفكري ، يختل التوازن ، وتضيع القيم ، ويشعر الانسان بالضياع الذي يتلوه الاكتئاب ويصاحبه شعور قوي بتفاهة الحياة .

وقد يؤدي مثل هذا الشعور الى شيوع ظاهرة الانتحار مللا من الحياة وتشاؤما من المستقبل . ومن المعلوم بأن ظاهرة الانتحار تكثر في المجتمعات المترفة أكثر منها في المجتمعات المتخلفة والفقيرة . فالسويد مثلا تحتل المرتبة العالمية الأولى في قائمة ضحايا الانتحار .

واذا كان الانسان قد حقق الكثير من الانجازات العلمية والمبتكرات التي تستخدم في السلم ومن أجل رفاهية البشر وراحتهم ، إلا أن ما حققه في ميدان الدمار والخراب كان أعظم وأخطر . لقد تفنن الانسان في هذا الزمان في صنع مختلف الأسلحة الفتاكة ، وهو في كل يوم يطور ويعدل ويبتكر المزيد من وسائل الحرب والهلاك . حتى قيل بأن لدى كل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي من هذه الوسائل الخبيثة ما يكفي لتدمير العالم عشرات المرات . انها حرب فناء الأرض وما فيها ومن عليها .

ولا شك في أن هذه المخترعات الرهيبة التي أصبح الكل يسمع عنها باتت تنغص حياة الانسان ، وتهدد سعادته ، وتلقي الرعب والهلع في نفسه ، وتلقي على المستقبل بظلالها السوداء القاتمة ، وتجعله يتساءل : مادام الحاضر هذا حاله فما عسى أن يكون المستقبل ؟

خلل في النظام البيئي

لو سلمنا بما توصل اليه الانسان من راحة ورفاهية وحضارة بفضل المبتكرات العلمية وتطبيقاتها ، وما تتميز به حياتنا الحاضرة من مختلف الوسائل الانتاجية وغير الانتاجية ، فإننا لا بد وأن نعرف بأن الثمن الذي دفعناه في مقابل ذلك كان غاليا جدا .

ان ثمن كل ذلك كان راحة البال وطمأنينة الحال . فعلى الرغم من أن الانسان في الماضي كان يكد ويشقى ، ويبذل الجهد من أجل لقمة العيش ، وتوفير أسباب الراحة لنفسه وأسرته الا أنه كان سعيدا كل السعادة بحياة البساطة التي كان يحياها . وكان يستمتع بالطبيعة من حوله . فالهواء الذي يستنشقه نقيا خاليا من التلوث الناجم من عوادم السيارات ومداخن المصانع . وكان يستمتع بالمشي وهو يقضي لوازمه ، وتسر عينه وتبتهج بما تراه من بديع خلق الله ، ممثلة في المروج والتلال والجبال التي تكلل هاماتها الأشجار ، وتجري من حولها الأنهار . . . حيث خرير الماء الرقراق ، وزقزقة العصافير . لقد كاد الانسان يفتقد هذا كله بعد أن طغى العمران ، واختفت المروج ، وتغيرت معالم البيئة ، واختل النظام البيئي وأصيب بالخلل . ومعلوم بأن الله خلق الأرض لتكون للانسان مهدا ومستقرا ، وأوجد فيها كل شيء بمقدار . ولكن تدخل الانسان في البيئة تدخل جائر أساء لها ولنفسه ، وأصبح يعيش في بيئة مؤلفة من مبان متراصة بعضها فوق بعض ، ومصانع وسيارات تنفث السموم في الجو ، وتبعث السأم والملل في النفس ، وتؤثر في سلوك الانسان وأفعاله ، وكثيرا ما يتساءل المرء حينما يرى ذلك ويقول لنفسه : « إلى أين تسير بنا الحياة ؟ أو الى أين نسير بها ؟ وما هو المصير وشكله وحاله ؟ إن تدمير الانسان للبيئة بمثابة تدمير بطيء لنفسه ولمستقبله . ولذلك قامت في معظم أنحاء العالم جمعيات حماية البيئة وصيانتها من عبث الانسان في هذا الزمان .

عصر الأزمات

لو تأمل الواحد منا هذا العالم ، لوجد الكثير من المشاكل التي أثقلت كاهله وأنهكت قواه ، وهددت استقرار العالم وأمنه ، وهذه المشاكل عديدة ومتنوعة . . . فمنها ما هو اجتماعي ، ومنها ما هو اقتصادي ، وسياسي ونحوه . . . . ناهيك عن كل ما يتفرع عنها من مشاكل وهي مشاكل مترابطة ومتداخلة ومتفاعلة تؤثر في بعضها البعض وتتأثر مهما بدت لنا ظواهرها متباينة .

وبطبيعة الحال فان هذه المشاكل ليست خاصة بزماننا هذا ، فجذورها تضرب في الماضي البعيد ، فهي ملازمة للانسان في كل عصر ، ولكنها برزت واتضحت أبعادها ومعالمها منذ أن كوّن الانسان المجتمعات والشعوب والأمم التي أخذت تناضل من أجل العيش والبقاء ، سواء كان هذا النضال مع ظروف البيئة المحيطة بها ، أو متمثلا في الصراع مع بعضها البعض من أجل السيطرة والسيادة . وهذا النضال وذلك الصراع ولّد المشاكل والأزمات ، وبمرور الزمن زاد تراكم المشاكل وتعقدت ، وأصبحت أزمات تواجه الانسان وتهدده . ونحن اليوم نسمع ونحس ونتأثر بالكثير من الأزمات مثل أزمة الانفجار السكاني في بعض أنحاء العالم ، وأزمة انتاج الغذاء ، وأزمة الاسكان وأزمة الطاقة ، والتلوث ، والتصحر . . . الى غير ذلك من مسلسل الأزمات التي يتميز بها عصرنا هذا ، والذي سمي بحق عصر الأزمات .

وإلى جانب المشاكل والأزمات الاقتصادية ، هناك العديد من المشاكل السياسية التي تعصف بأمن العالم واستقراره ، الى جانب المشاكل الاجتماعية التي تهدد وحدة المجتمع بالتفسخ والتحلل .

وهذه الأزمات والمشاكل مهما كان نوعها تؤثر في الانسان وتحدد نظرته الى المستقبل . ولكن هناك فروق فردية بين البشر ، فمنهم من يشعر بالضعف أمام المشاكل ، ومنهم من لا يكترث لها ولا يهتم ، في حين أن هناك نفرا لديه القدرة على التحدي . ولكل وضع من هذه الأوضاع نظرته المختلفة للمستقبل .

وللدين دور هام في حياة الأمم والشعوب ، لكونه يغرس في الأفراد الفضائل والقيم ، ويجعل للحياة هدفا ، ويكلف الانسان بالسعي لتحقيق هذا الهدف ، وبذلك يولد الآمال في النفوس . وهذه أمور توطد صلة الانسان بالحياة ، وتجعله ينظر الى المستقبل بتفاؤل . فالمتدين دائما متفائل مهما ادْلَهَمَّ به الخطب ، واسودت الدنيا من حوله، فشعاره الدائم : « إن مع العسر يسرا » . والمتدين يوازن بين حاضره ومستقبله ، فهو كما يقول علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا » .

دع القلق وابدأ الحياة

وتمثل هذه الحكم والأقوال المأثورة مخرج الانسان بقناعات منها : أن لا حياة مع اليأس ، ولا يأس مع الحياة ، ودع القلق وابدأ الحياة كما يقول ديل كارنيجي ، وألا تفكر إلا في حدود يومك . وليس معنى هذا ألا تفكر في المستقبل ، ولكن معناه ألا تسرح بفكرك إلى ما هو أبعد من المستقبل المنظور ، وإذا نظرنا الى سر سعادة الناس في الماضي نجد أنهم كانوا يفكرون في حاضرهم الذي يملكونه ، ومستقبلهم الذي يسهل عليهم رؤيته . كل همهم في تدبير قوت يومهم . أما الغد فيتركونه للغد اذ لا سلطان لهم عليه . أما إنسان اليوم فهو يفكر فيما هو أبعد من مستقبله .. إنه يريد أن يؤمن الحياة والسعادة لنفسه ، ويضمن المستقبل لذريته من بعده . ولهذا تراه غير قانع بما ملك . يسعى دوما وبكل السبل والوسائل الى مزيد من التملك في كل مكان ، وهو غير آمن على ماله ، قلق عليه ، حتى أصبح سر شقائه وتعاسته ، والمال وسيلة لقضاء حاجات الانسان ، فإن زاد منه بعد ذلك شيء فهو رقم أو أرقام في البنوك لا تراها .

وهذا النمط من الحياة المادية المفرطة يولد في الانسان القلق وتوتر الأعصاب ، ولذلك لا بد من موازنة هذه الأمور المادية بالنواحي الروحية . والتخوف من المستقبل يشيع في المجتمعات التي يضعف فيها الوازع الديني . ومن هنا بدأ الكثير من المجتمعات بالتفكير في معالجة الأوضاع بالتركيز على القيم والفضائل وغرسها من جديد في الأمم والشعوب .

وخلاصة القول فإن الحكمة تقتضي عدم اجهاد الفكر في المستقبل البعيد لأننا لا نملكه ، وحسبنا أن نخطط لمستقبلنا القريب المنظور ، ونترك النتائج تخرج كما ينبغي لها أن تكون ، فلا نقلق مادمنا قد عملنا كل جهدنا وطاقتنا ، اذ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها . □□

● اني اهتم بالمستقبل ، لأني سأقضي هناك بقية حياتي .

(تشارلس كترنج)

فقهاء الاسلام قالوا :

تطور الشرائع ضرورة لا بد منها ...

الاحكام تتغير وفق العادات وحاجات الزمان

لكل زمان دولة ورجال .. ولكل دولة نظمها وشرائعها ، ولكل مجتمع وجيل من الناس عاداته وحاجاته التي تؤثر في تلك النظم والشرائع ، من ناحية ، وتتأثر بها من ناحية أخرى .. وهذه وتلك تخضع للتطور مع الزمان وحاجاته ومقتضياته .. ومن هنا كان تطور الشرائع خلال مختلف عصور التاريخ ..

سئل « صولون » الحكيم الاغريقي ، عما اذا كان ما سنه لأهالي أثينا هو أفضل الشرائع ، فأجاب : « أعطيتهم أفضل ما يمكنهم تحمله » . وبهذا أحسن الجواب ، اذ أن الحكم على شريعة قوم لا يكون حكما عاما مطلقا ، بل يكون نسبيا بالقياس الى البيئة والزمان .

تطور الشريعة الرومانية

وتاريخ الشريعة الرومانية أوضح شاهد على تطور الشرائع . فقد استمرت تلك الشريعة أربعة عشر قرنا في تطور متواصل ، منذ القرن الثامن قبل الميلاد الى القرن السادس بعده . فكان العرف والعادة ، وقوانين الملوك والأباطرة ، ومراسيم قاضي القضاة ، واجتهاد الحكام وتأليف الفقهاء ، وتدوينات يوستنيانوس ـ هذه جميعا كانت مصادرمتنوعة ، عملت بتضافر على تطوير الشريعة الرومانية وتغييرها من شريعة شكلية قاسية الى شريعة انسانية راقية ، كانت أساسا للقانون ولعلم الشريعة الحديثين في معظم البلاد الأوربية في سائر البلاد التي اقتبست منها .

ويعد مبدأ تطور الشرائع اليوم من المبادىء المسلم بها في الغرب . وأشهر من أقره وأوضحه في القرن الثامن عشر « مونتسكيو » في كتابه روح الشرائع .

العرب سبقوا .. حتى في هذا !

ولم يغفل علماء العرب وفقهاؤهم عن هذا المبدأ الواضح . بل انهم سبقوا علماء الغرب في اكتشافه وتوضيحه وتفريعه . ففي أواخر القرن الثالث عشر للميلاد ، قال شهاب الدين أحمد بن ادريس المعروف بالقرافي (المتوفي سنة ٦٨٤ هـ) ، امام المالكية في مصر ، في كتابه الاحكام في تمييز الفتاوي عن الأحكام ،

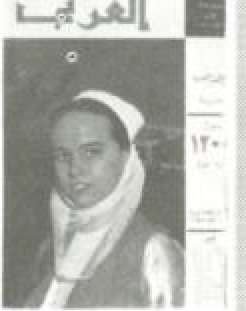

العدد الرابع - مارس ١٩٥٩

وتصرفات القاضي والامام » : « ان كل ما هو في الشريعة يتبع العوائد ، يتغير الحكم فيه عند تغيير العادة ، الى ما تقتضيه العادة المتجددة » .

ثم في أوائل القرن الرابع عشر ، أشار ابن قيم الجوزية الدمشقي (المتوفي ٧٥١ هـ) ، في كتابه « إعلام الموقعين عن رب العالمين » ، الى قاعدة تغير الفتوى واختلافها بحسب تغير الأزمنة والأمكنة ، والأحوال والنيات والعوائد ، ونبه الى هذا الأمر الواضح الذي وقع بسبب الجهل به غلط عظيم على الشريعة .

وكذلك ، في منتصف القرن الرابع عشر ، قام في المغرب العربي رائد علم الاجتماع وعميد علمائه ، عبد الرحمن بن خلدون (المتوفي سنة ٨٠٨ هـ) . فاثبت وأكد في مقدمته الشهيرة :

« أن أحوال العالم والأمم وعوائدهم ونحلهم لاتدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر . انما هو اختلاف على الأيام والأزمنة وانتقال من حال إلى حال ، وكما يكون ذلك في الأشخاص والأوقات والأمصار ، فكذلك يكون في الآفاق والأقطار والأزمنة والدول ، سنة الله التي خلت في عباده » .

فتاوى محمد عبده

وأخيرا ، نوه الأستاذ الامام محمد عبده ، مفتي الديار المصرية في أواخر القرن التاسع عشر ، بقاعدة اختلاف القوانين ، ومبدأ تطور الشرائع عامة ، فقال انه : لما كانت القوانين مناط ضبط الأعمال لتكون منتجة لجلائل الفوائد ، وهي ثمرة الأعمال النظرية وخلاصة الابحاث الفكرية ، صارت قوانين كل أمة على نسبة درجتها في العرفان ، واختلفت القوانين باختلاف الأمم في الجهالة والعلم . فلا يجوز حينئذ وضع قانون طائفة من الناس لطائفة أخرى ، تباينها في درجة العرفان أو تزيد على عوائدها وأخلاقها ، والا اختل نظامها والتبس عليها سبيل الرشد »

وهكذا ، أفتى الشيخ محمد عبده بعدم التمسك بمذهب واحد ، لما في ذلك من الحرج على الناس ، وقال - من ثم - بفتح باب الاجتهاد ، وبتجويز كثير من المعاملات التي اقتضتها حاجات التجارة في العصر الحديث .

سابقات من عهد الخلفاء

وهذه الأقوال مبنية على سابقات معتبرة ، صادرة عن كثير من خلفاء المسلمين وفقهائهم ، كالخليفتين عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز ، وأبي يوسف قاضي قضاة بغداد . فهؤلاء جميعا وغيرهم من أمثالهم ، نظروا الى معاني الاحكام ومقاصدها على ضوء الضرورة ، أو تغير العلل أو العادات التي بنيت عليها .

وقال بتوسيع الأحكام وتفريعها والزيادة عليها بما يؤيدها ويتممها ، كما نرى مثلا في قاعدة التعزيز ، وقاعدة السياسة الشرعية ، وما أشبه . وأمثلة ذلك عديدة لا يسمح هذا المجال بتفصيلها ، وكلها تثبت مرونة الشريعة الاسلامية ، وقدرتها على مسايرة التطور الاجتماعي الحديث .

تعدد الوسائل والمظاهر

ولقد تعددت الوسائل التي لجأت اليها الأمم في تطوير شرائعها . ففي القديم ، كان الناس محافظين على عاداتهم متمسكين بتقاليدهم الموروثة ،وكانت طرق التطوير محدودة مقيدة . منها الحيل الشرعية التي لجأ اليها بعض علماء الرومان ، وبعض فقهاء الحنفية . ومنها اللجوء الى مبدأ الانصاف ، الذي استعمله قاضي القضاة (البريتور) الروماني ، وفقهاء الحنفية فيما أسموه « الاستحسان » ، وفقهاء المالكية وغيرهم فيما أسموه « المصالح المرسلة » ، وقضاة المحاكم القنشليارية الانكليزية .

الدكتور صبحي محمصاني

فى أرض الرافدين : العرب

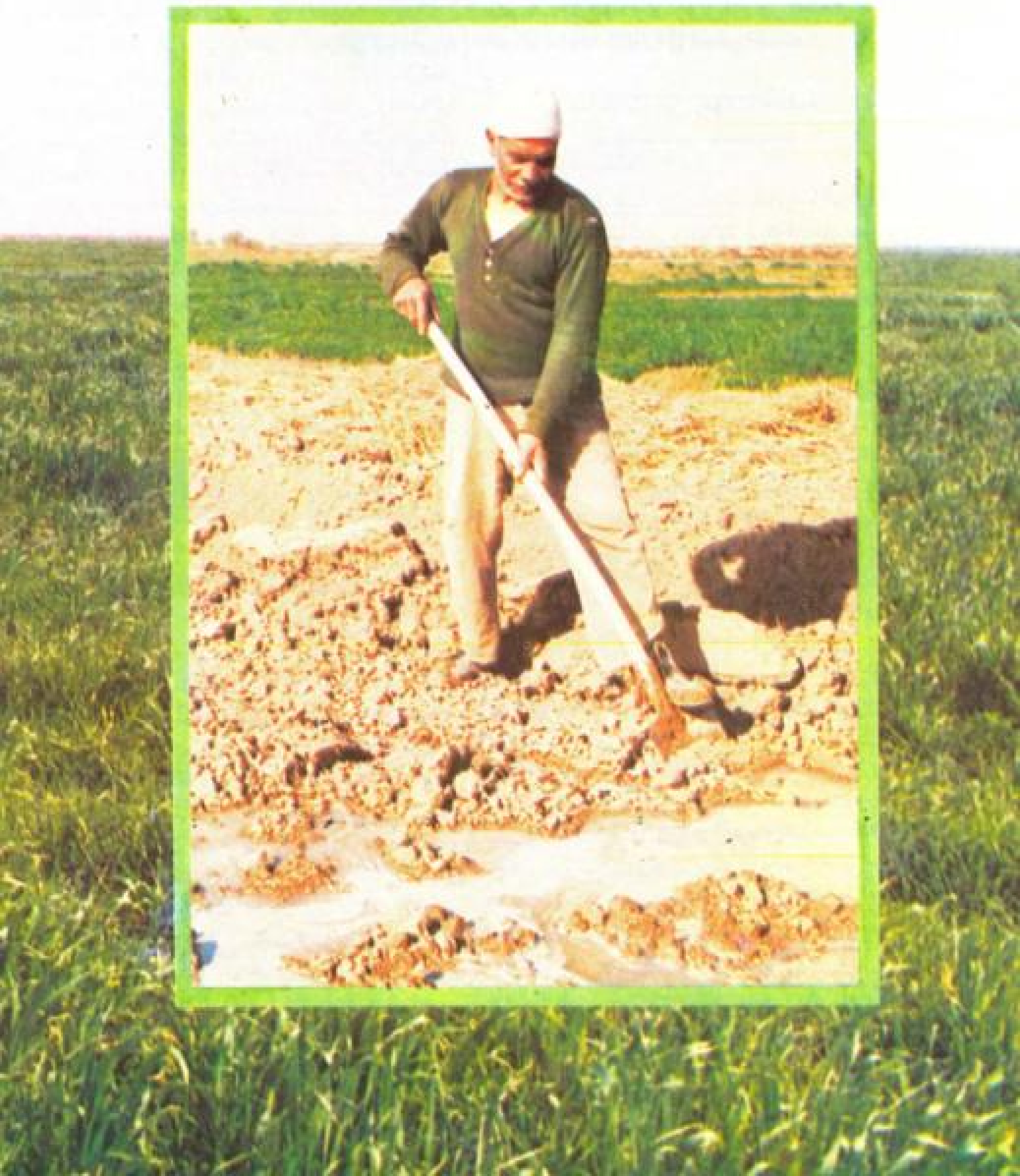

وأرض السّواد

استطلاع: سليمان الشيخ   تصوير : طالب الحسيني

الايدي عندما تعرق تنبت حقولا
نهاياتها قد لا تنتهي عند حدود الافق !

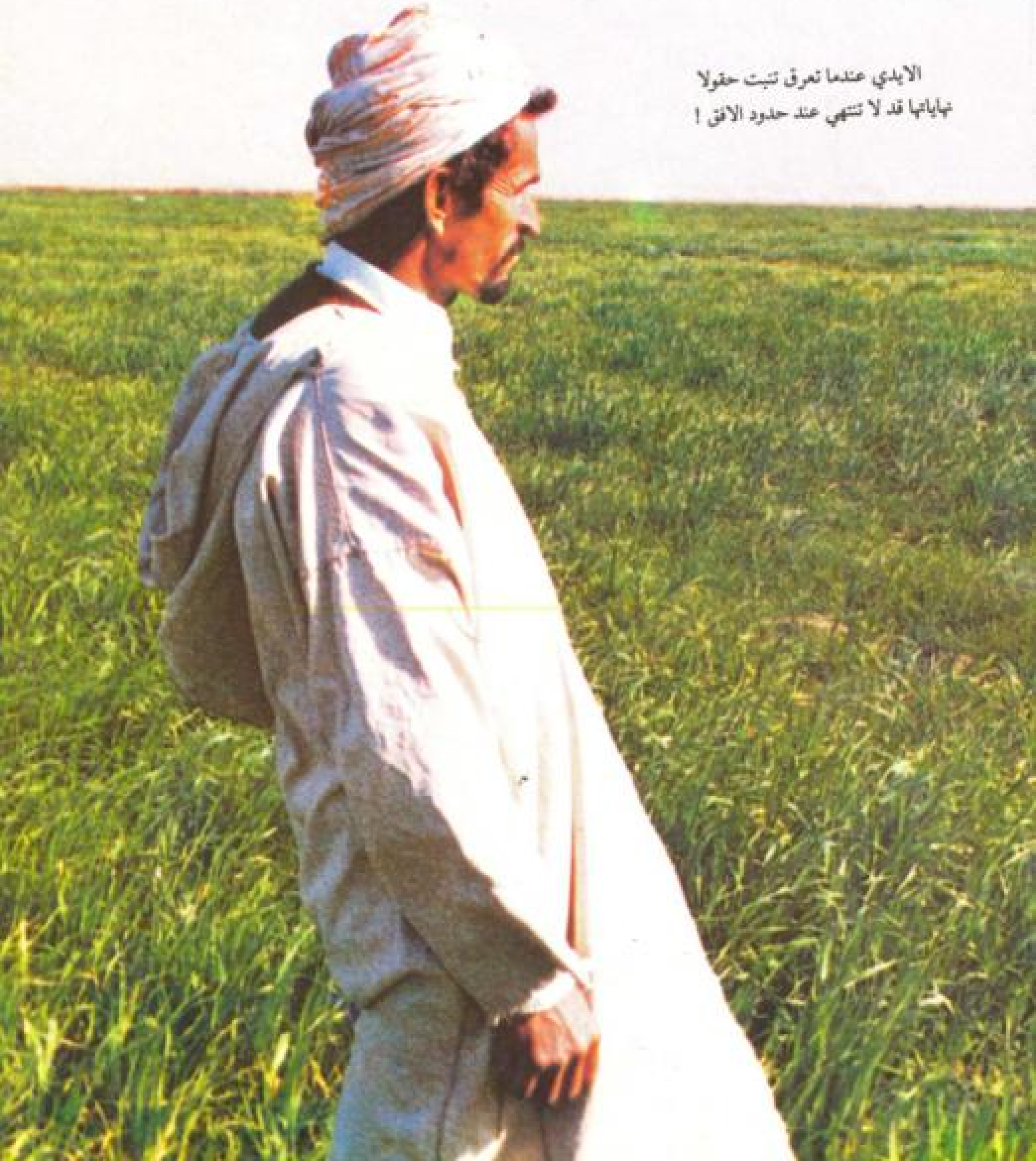

الأرض عراقية، والمزارعون من مصر والمغرب والأردن وفلسطين

□ قيل عنها أنها أرض السواد*، وأنها يمكن ان تطعم أبناء الوطن العربي خبزا وحبوبا وتغنيه عن الاستيراد. من أجل ذلك فهي قد خطت خطوات على درب استصلاح الاراضي ومنحها للفلاحين من أبنائها ومن أبناء الاقطار العربية الاخرى...

فلاحون من مصر... والمغرب والاردن وفلسطين جاءوا وحطوا رحالهم في أراضي العراق وزرعوها حبوباً وخضروات.

عن هذه التجربة.. وعن الفلاحين في حياتهم الجديدة... كان هذا الاستطلاع..

سمرة الوجوه وتقاطيعها متشابهة ومتقاربة في المساحة الممتدة من المحيط الاطلسي الى الخليج العربي.

لكن لهجات الألسنة مختلفة... وربما تكون عصية على الفهم في بعض كلماتها... مع ذلك فان تلك المساحة هي مساحة الوطن العربي... الذي كان يتنقل العربي بين أقطاره - منذ زمن غير بعيد - بحرية ودون قيود، أو حواجز الجمارك، أو حدود الكيانات والاقاليم التي تكاثرت بفعل عدة عوامل، وكان العربي اذا ما وصل الى قطر أو اقليم من الاقاليم العربية الاخرى، فانه كان يستطيع الزواج والتملك والاقامة كأي مواطن يعيش منذ زمن طويل في البقعة التي حل فيها... ولأن الأمر في الكثير من أقطارنا العربية أصبح عكس ذلك، لذلك فان التجربة التي شهدناها في القطر العراقي، والتي هي موضوع استطلاعنا، قد أعادت الى «التقاليد» التي كانت سائدة من قبل بعض الاحياء والذكر، وحتمت علينا الاطلال عليها ومعايشتها عن قرب.

الوجوه كما ذكرت سمراء... لكن اللهجات مختلفة.. فلاحون مصريون جاءوا من أقاصي الصعيد،

* السواد حسب تعريف الدكتور عبدالعزيز الدوري في طبعة كتابه الثانية «تاريخ العراق الاقتصادي - في القرن الرابع الهجري» الصادر عن دار المشرق في بيروت سنة ١٩٧٤ هو «كلمة سواد تشير في الحقيقة الى الاراضي الخربنية التي تكون عامة أراضي منطقة العراق».

واستنادا الى مصادر الكثير من المؤرخين كابن خرداذبة والاصطخري وابن رسته والمسعودي وابن حوقل فان منطقة السواد تمتد «من العلث وحربي شمالا الى الخليج العربي جنوبا ومن حلوان - في العراق - شرقا الى العذيب بجوار القادسية غربا».

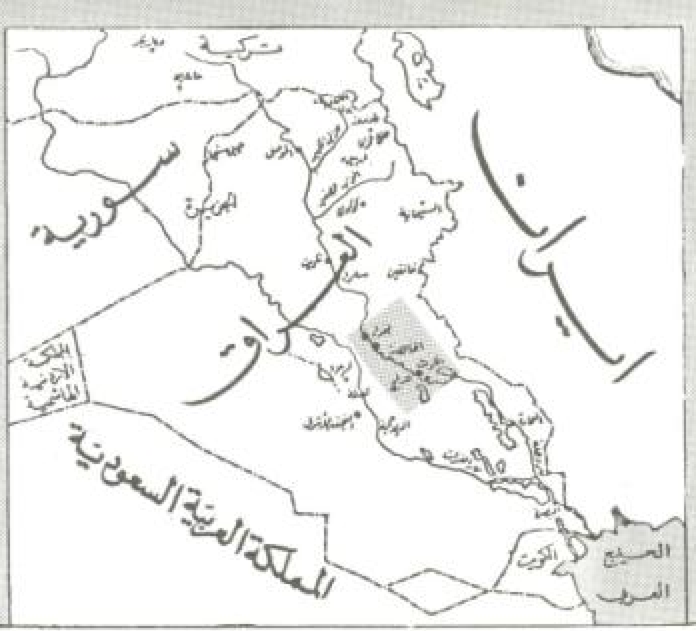

خريطة القطر العراقي ويظهر فيها موقع قريتي الخالصة والدلمج بشكل تقريبي .

من سوهاج ومن أسيوط والمنيا وبني سويف ، ومن المنوفية والغربية وغيرها من محافظات وقرى القطر المصري . . .

وآخرون جاءوا من أقاصي الجبال في أطلس المغرب وصحرائه وسهوله من محافظات تازا ، وقلعة السراغنة ، وورزازات ، والرشيدية وتيفيليت وغيرها . . . ومزارعون أردنيون جاءوا من الاغوار والعقبة . . وغيرها . .

وفلسطينيون من القرى الفلاحية المحتلة . . حطّوا رحالهم في أراضي ومزارع القطر العراقي . .

فما الذي جاء بهم ؟ . . . ومنذ متى جاءوا ؟ وعلى أي أساس ؟ وما هي حقوقهم وواجباتهم ؟ وما هي مبررات اقامة هذه التجربة . . وما هي أهدافها ؟؟

المعروف أن العمال والموظفين هم الذين يمثلون الغالبية العظمى من بين نسبة المجموعات دائمة حركة التنقل بين الاقطار العربية .

فما الذي جعل الفلاحين الذين هم أكثر التصاقا بالارض يغادرونها وينتقلون الى قطر آخر ؟ وما هي الاغراءات التي جعلتهم يقدمون على نقلة نوعية لها آثارها المهمة على حياتهم وعلى حياة قطاعات مهمة أخرى ؟؟

. . . عن هذه الأسئلة وغيرها يدور استطلاعنا هذا .

لكن وقبل البدء في تقديم أجوبة على الاسئلة ، فاننا نقدم هذه المعلومات عن بعض القطاعات في القطر العراقي المتعلقة بموضوعنا :

مؤثرات الجغرافيا

يقع العراق كما هو معروف في جنوب غرب قارة آسيا ، في القسم الشمالي الشرقي من الوطن العربي .

وبالنسبة لخطوط العرض والطول فان العراق يقع في القسم الجنوبي من المنطقة المعتدلة الشمالية ، أي في منطقة الانتقال بين المناخ الصحراوي الحار ومناخ البحر الابيض المتوسط .

يقول الدكتور جاسم محمد الخلف في كتابه « جغرافية العراق » الصادر عن دار المعرفة بالقاهرة سنة ١٩٥٩م . ان « لهذا الموقع أثره في مناخ العراق ، حيث أصبحت امطاره قليلة (ما عدا المنطقة الجبلية الواقعة في أقصى الشمال الشرقي) ومتغيرة في كميتها ومواسمها الى درجة يصعب الاعتماد عليها في الزراعة . كما أن جفاف المناخ وارتفاع درجة الحرارة في الصيف تسببان أضرارا للتربة والري والمزروعات » .

لهذا فان العراق ما هو الا هبة دجلة والفرات ، تماما مثلما هي مصر هبة النيل .

الا أن جريان دجلة والفرات بصورة أسرع من النيل كوّن مشكلة بالنسبة للزراعة في العراق ، لذلك فان الحكومات المتعاقبة منذ فجر التاريخ ، حتى اليوم دأبت على اقامة السدود والقنوات على مجرى النهرين كي تتحكم في توزيعها ، وكي تعطي المساحات المستصلحة من الاراضي كفايتها من الماء .

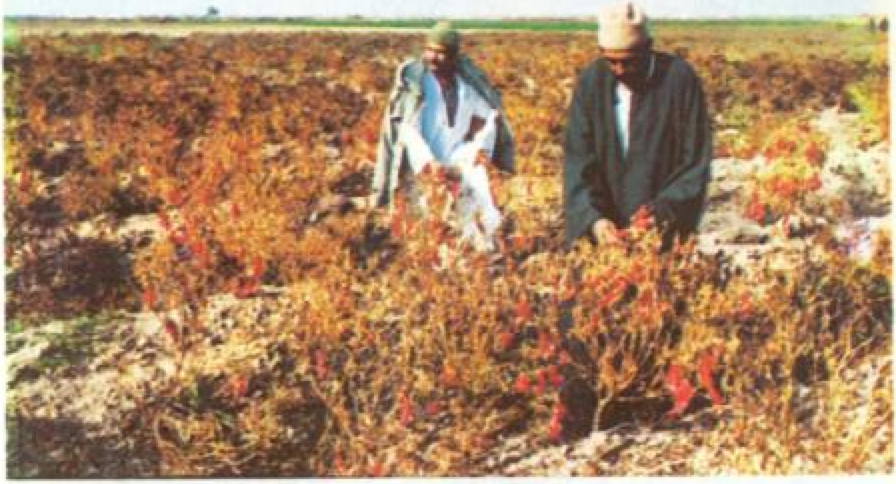

شرح صور استطلاع العراق

جني حقل الفلفل . (الى اليمين فوق)

آمال . . وابتسامة بعد محصول وفير . (الى اليمين اسفل)

استلام من ارض مفلوحة حديثا . . وهي ترتوي بالماء . (الى اليمين اسفل الصفحة)

أم خالد . . تتابع الطيور والحيوانات في حديقة منزلها . (الى اليسار)

والسكان أيضا

واذا كان الموقع الجغرافي قد أثر في نظام الزراعة والري والاقتصاد ، وغيرها ، فانه أثر في أحوال العراق الاجتماعية أيضا حسب ما يذكر الدكتور الخلف في كتابه آنف الذكر . . . فيقول :

« ولا يقتصر أثر موقع العراق على أحواله الاقتصادية ، بل أن هذا الموقع بالذات أثر في أحوال العراق الاجتماعية بصورة واضحة ، فموقعه ضمن المنطقة التي تلتقي عندها القارات الثلاث جعله منذ القديم في طريق الشعوب الغازية أو المهاجرة بين هذه القارات ، كل ذلك ساعد على زيادة الاجناس البشرية التي مرت أو استقرت فيه والتي لا تزال آثارها واضحة في التكوين البشري لسكان العراق في الوقت الحاضر » .

ويقول السيد عبدالرزاق الحسني في الطبعة السابعة من كتابه « العراق قديما وحديثا » الصادرة عن دار اليقظة العربية في بغداد سنة ١٩٨٢ ما يلي عن التركيبة التي يتألف منها الشعب العراقي :

« ويتألف الشعب العراقي من أقوام مختلفة : عربية وكردية وفارسية وتركية ، فيؤلف العرب ٧٨ في المئة والكرد ١٧٪ والفرس ٢،٧٥٪ والترك ٢،٢٥٪ وقد توطن العراق في غضون الحرب العالمية الاولى عنصران جديدان وهما :

الأرمن الذين أجلاهم الترك عن بلادهم ، والاشوريون الناطرة اللذين هاجروا من جبال حكاري

واورمية بحكم الظروف السياسية التي حاقت بهم ولكنها أقلية ضئيلة .

وفي العراق ديانات متباينة : اسلامية ، ومسيحية ويهودية ، والاسلامية هي الاغلبية الساحقة ، وفيه أقليات مختلفة كاليزيدية والصابئة والبهائية وتشيع فيه لغات عديدة ، ولكن جميع هذه الاقوام والديانات واللغات تذوب في بوتقة الوحدة العراقية . أما دين الدولة الرسمي فالاسلام ، وأما لغتها القانونية فالعربية ، ويستظل بهذه الوحدة أصغر العناصر وأكبرها على حد سواء ، ولهذا ترى القانون الاساسي العراقي كفل في مادته الثالثة عشرة حرية الوجدان والعقيدة والشعور لجميع السكان دون تمييز ولا تفريق » .

وإذا كان الكلام السابق في خطوطه العريضة صحيحا ، فان بعض التغيرات والتبدلات حدثت في التركيبة السابقة بعد صدور الكتاب ، خاصة بعد طبعاته الاولى .

هذه ملامح عن العوامل التي أثرت وتؤثر في واقع البيئة العراقية أرضا ومناخا وسكانا ونشاطا وانتاجا .

الا أن معطيات البيئة والموقع كما هو معروف ليست قدرا غير قابل للتغيير والتبديل ، لذلك فان مشروعات استصلاح الاراضي بدأت منذ زمن ، وتم تغيير طبيعة الكثير من الاراضي فأصبحت تعطي الخيرات ، وتموج بالزرع الاخضر بعد أن كانت جدباء قاحلة .

وما يعنينا في هذا الاستطلاع هو الاراضي التي تم استصلاحها وسلمت الى المزارعين العرب الذين ينتمون الى عدة أقطار عربية .

■ عن هذه التجربة يحدثنا الاستاذ نوري الراوي رئيس الاتحاد العام للجمعيات الفلاحية الذي يضم في عضويته حوالي ٧٥٦ جمعية فلاحية منتشرة في جميع نواحي محافظات القطر العراقي .

وقد شغل الاستاذ الراوي عدة مواقع قيادية تتعلق بالثروة الحيوانية والزراعية في القطر العراقي وفي المنظمات العربية والعالمية .

من الوحدة الى الخالصة

قال الاستاذ الراوي : التجربة بدأت كما تعرفون منذ سنة ١٩٧٦م ، حيث تم عقد بروتوكول بين حكومتي الجمهورية العراقية والجمهورية المصرية ، يقضي بنقل عائلات فلاحية من مصر للاستيطان والعمل في الاراضي المستصلحة في منطقة الوحدة ، التي تبعد عن بغداد حوالي ٤٥ كيلومترا . واذكر أن المتطوعين في العمل الشعبي هم الذين بنوا بيوت تلك المنطقة .

وفعلا فقد حضرت مائة عائلة فلاحية مصرية ـ بلغ عدد أفرادها حوالي ٧٥٠ فردا ـ كنا قد جهزنا لها البيوت المناسبة (مساحة البيت بحدود ٢٠٠ متر مربع) وفرشناها بالاثاث المناسب ، ومنحنا لكل فلاح مساحة من الارض تتراوح بين ٢٠ و ٢٥ دونم (الدونم في العراق يساوي ٢٥٠٠ متر) ووفرنا لها السقاية المناسبة .

وأعطينا الفلاح بقرة ، وحوالي ٢٠ دجاجة ، وعدة الفلاحة ، ومنحناه مساعدة بحدود خمسين دينارا عراقيا ، ومنحناه راتبا شهريا بحدود ٣٠ دينارا في ستة الأشهر الاولى ، ووفرنا له الحبوب المناسبة للزراعة كالقمح والشعير والبرسيم .. ووفرنا مرشدين زراعيين ، ومواد أخرى لمحاربة الآفات الزراعية في القرية .

وقد تم تغيير اسم القرية من الوحدة الى الخالصة ، اثر العملية الفدائية التي نفذها الفدائيون الفلسطينيون في شمال فلسطين سنة ١٩٧٦ في بلدة الخالصة التي تعرف الآن « بكريات شمونة » .

وقد تركت بعض العائلات القرية بعد مدة من حضورها ، لأن مهنتها لم تكن في الأساس الفلاحة ، وعددها قليل ومحدود .

وقد أكد السيد لطيف مجول مسؤول العلاقات الخارجية في الاتحاد ، الذي كان يحضر المقابلة بأن عددهم حوالي ١٥ عائلة فقط .

وأضاف بأنه من المهم انجاح التجربة ، وهي فعلا ناجحة ، بدليل استمرارها منذ سنة ١٩٧٦ .

وهي احدى التجارب القومية التي يعتز بها العراقيون ويفخرون ، اضافة الى أنها توفر حوافز من التنافس والنشاط الشريف بين الفلاحين .

وأضاف السيد الراوي بأنه تم توفير المرافق الخدماتية

نوري الراوي
رئيس الاتحاد العام للجمعيات الفلاحية

المناسبة أيضا في القرية ، من مستوصف ومدارس ابتدائية ومتوسطة وثانوية ، ومكتب للبريد ، وجامع ومقهى وسوق وغيره .

وتركنا الحرية للفلاح كي يزرع ما يشاء في فصول السنة من الحبوب والبقول والخضار ، وأعطيناه الحرية لتسويقها بنفسه وحسب رغبته .

وقد نفى الأستاذ الراوي بعض المعلومات التي تتعلق بمشاركة الدولة في بعض حصص الانتاج ، وأكد على أن الدولة لا تسترد الا ثمن البذور فقط ، وحتى هذه البذور فان الدولة توفرها بسعر مدعوم . وعندما يتم الحصاد فان الفلاح حر في بيع محصوله لأية جهة يختارها .

أما بخصوص المعاملة التي يلقاها الفلاحون العرب فانها نفس المعاملة التي تطبقها على الفلاح العراقي من ناحية الحقوق والواجبات ، بل أننا نراعي في الكثير من الاحيان ظروف واحتياجات الفلاحين الوافدين أكثر من فلاحينا العراقيين ، وهذا نعتبره واجبا وليس منة .

أما بالنسبة للارض والبيوت وملكيتها ، فان هناك عقودا قد تمت بيننا وبين الفلاحين للحصول على الاراضي والدور وخدماتها بالمجان ، ويمكن أن يتحول العقد بعد فترة الى سند تمليك .

وعن العلاقات الاجتماعية بين الفلاحين العراقيين والمصريين .. قال الأستاذ الراوي أنها علاقات جيدة وتم التزاوج بينهم ، فقد تزوج عراقيون من مصريات ، وتزوج مصريون من عراقيات ... وهذه أمور يمكن أن تسأل الفلاحين أنفسهم عنها .

أما بخصوص طلب الحصول على الجنسية العراقية فان قوانينا تنص على معاملة العربي كالعراقي

دلمج واسط

وبخصوص الفلاحين الذين جاءونا من المملكة المغربية فانهم جاءوا حسب اتفاق مسبق بين حكومتنا وحكومتهم ، وطبق عليهم نفس ما طبق على الفلاحين المصريين من اجراءات ومنح وقروض ، مع فوارق يمكن أن تلمسها اذا ما زرت القريتين ، فبيت الفلاح المغربي وحديقته وأرضه أوسع . (البيت بحدود ٤٠٠ متر مربع) والارض تتراوح بين ٤٠ و ٥٠ دونم لزراعة الحبوب ، يضاف اليها دونمين لزراعة الخضار) .

والقرية المغربية التي تسمى بالدلمج جاءها في الفترة الأولى (سنة ١٩٨١م) حوالي ٢٠٠ عائلة مغربية بلغ عدد أفرادها حوالي ١١٦٠ فردا ، الا أنه نتيجة لعدة عوامل أهمها : أن بعضهم لم يكن له دراية بالعمل الفلاحي ، ويمتهنون مهنا أخرى ، ولم يملك الصبر على الغربة والتكيف مع الطقس ، لذلك فقد بقي في القرية ٥٠ عائلة فلاحية مغربية التحق بها ٩ عائلات أردنية وعائلتان فلسطينيتان وعائلتان مصريتان .

والأرض المستصلحة في الدلمج تصل مساحتها الى ٢٨٥ ألف دونم ، يتم استغلال حوالي ١٨٠ ألف دونم منها حتى الآن .

ونحن بصدد تنفيذ خطة لاحضار حوالي ١٣٥ عائلة مصرية في شهري يناير وفبراير ـ كانون ثاني وشباط من هذا العام ، لاسكانهم في منطقة الدلمج وقد اشترطنا أن يكون نحو ربعهم من خريجي المعاهد الزراعية .

(تمت المقابلة في بداية شهر يناير) .

وأنهى السيد الراوي حديثه بالتوكيد على أهمية التجربة ، واعتبرها محكا للشعارات القومية ، ووضعها موضع التطبيق والتنفيذ .

هكذا .. وبعد أن وفر لنا المسؤولون بعض المعلومات الأساسية عن القريتين ، فان الاحاطة بكامل تفصيلات التجربة كان يحتم علينا الانتقال الى القريتين ، ومعايشة التجربة على الطبيعة ، والعيش مع الفلاحين في الحقول والبيوت وغيرها من أماكن ... ومناقشتهم والاستماع اليهم والوقوف منهم على التفصيلات التي تتعلق بحياتهم ، خاصة وأن التجربة قد بدأت تدخل في عامها الثامن .

وهكذا كان .

انتقلنا الى الخالصة ... التي تبعد عن بغداد حوالي ٤٥ كيلومترا ... بالقرب من الطريق المتجه جنوبيا نحو البصرة ... وتقع ضمن مشروع الوحدة الزراعي الاسكاني .

على يسار الطريق كانت « اليافطة » تشير الى القرية بوضوح ... فاتجهنا اليها مباشرة ، وحططنا رحالنا في مركز الارشاد والتدريب الفلاحي ...

قال السيد سعيد الموظف في مكتب الصحافة والاعلام في اتحاد الجمعيات الفلاحية أن المركز تابع للهيئة العامة للتدريب والارشاد الزراعي في وزارة الزراعة ، وهو يتولى تأهيل الفلاحين في مجال الزراعة ، كالوقاية من الآفات الزراعية ، والتدريب على المكننة ... وكل ما يستجد في أمور الزراعة .

الارض هي الارض !

بدأ المزارعون يتوافدون ... وجوه سمر لوحتها

جني المحاصيل .. و « خص » يجد فيه الفلاح بعض الراحة

(الى اليمين) و « ماكينة » حديثة تشق اتلاما جديدة في الأرض . (الى اعلى)

الشمس ، فتحول بعضها الى لون البرونز ... قامات معظمهم طويلة ، يلبسون دشاديشهم وجلابياتهم واغطية رؤوسهم المصرية المعروفة ... ، سماحة في الوجوه ، وتحيات وسلام .

بدأنا بالتعارف .. النكتة تحضر عفو الخاطر ... يدحرجها المصري حتى ولو كان في أسوأ الظروف .. هكذا أعرف ... وهكذا لمست .

طويل ومهيب ومتقدم في السن .. لكنه فجر النكتة منذ اللحظات الاولى للقاء ... علي يوسف الشريف من المنوفية ... رئيس الجمعية الفلاحية في الخالصة من مواليد سنة ١٩٢٨م .

استعاد موقف عادل امام في احدى المسرحيات وسأل : أنا اسمي مكتوب ؟ .. انتم الحكومة ... طيب ! ... انفرجت الأسارير وتدفق الضحك عفيا عفويا .. صاخبا .. توالى التعارف والتعريف ..

كانوا من شتى محافظات القطر المصري ، المشهورة بالفلاحة والزراعة .. المنوفية ، سوهاج ، اسيوط ، المنيا ، بني سويف ، الغربية .. وغيرها .. وغيرها وكانوا من شتى الاعمار ، منهم من هو مولود في العشرينيات وبعضهم في الخمسينيات وأغلبهم مولود في ثلاثينيات وأربعينيات هذا القرن ..

قطعت حديثهم وسألت : دعونا نعود الى البداية .. كيف جئتم ؟ ولماذا ؟ وماذا وجدتم .. وكيف تكيفتم ؟؟

● تبرع حمدي عبدالفتاح ركبة من محافظة المنوفية من مواليد سنة ١٩٤٣ بالاجابة فقال :

- لقد قرأنا اعلانات عن رغبة الحكومة العراقية باحضار فلاحين لبعض الاراضي المستصلحة ، وبعد أن قرأنا الشروط وفهمناها تقدمنا بطلبات الى الحكومة المصرية ، فتمت الموافقة على مائة عائلة من شتى المحافظات المصرية .

وحضرنا الى العراق نحمل « هدومنا » فقط ، وانتقلنا الى هذه القرية ووزعت علينا البيوت التي وجدناها مؤثثة وجاهزة للسكن ، وفيها الماء والكهرباء ، مع حديقة كبيرة فيها بقرة و ٢٠ طيرا ، وأعطونا ٥٠ دينارا كمنحة تشجيعية ، وصرفوا لنا راتبا بمقدار ٣٠ دينارا شهريا لمدة ستة أشهر ، ووزعوا علينا أدوات الزراعة والحراثة ، ووفروا لنا الحبوب ... وعينوا لنا مشرفا زراعيا يتابع أعمالنا ، والآفات التي يمكن أن تظهر في المزروعات .

وقد جئنا الى العراق ، لاننا وجدنا شروطا جيدة ومريحة . . اضافة الى أن أراضينا في مصر كانت لا تفي بحاجاتنا ، وكنا بحاجة الى أراضي أوسع وأكبر .

● هل يترك الفلاح أرضه بسهولة يا حمدي ؟

ـ لم يهتز ولم يبد عليه الارتباك . . . وأجاب :

ـ صحيح أنه من الصعب على الفلاح ترك أرضه . . لكن تركنا أرضنا هناك واستلمنا أرضا هنا ، والارض هي الارض .

● والحنين . . . والغربة . . والاصحاب . . والاقارب ؟

ـ نشتاق ونَحِنُّ ونتذكر ، لكن الارض أصبحت هنا موجودة ، ولنا معها حكايات وارتباطات ، ووجدنا أصحابا ، وكوّنا صداقات . والرسائل مع أهالينا وأقاربنا لم تنقطع ، ونزورهم كل سنة أو سنتين .

التكيف

● والاولاد والمدارس والتكيف مع البيئة والجيران والعلاقات بينكم ؟

ـ قال علي يوسف الشريف رئيس جمعية فلاحي الخالصة . .

ـ المدارس موجودة ، من الابتدائي حتى الثانوي بالمجان ، ومن لا يرغب فانه يمكن أن يتحول الى مراكز التدريب الزراعي وغيرها ، أو يبقى مع والديه يساعدهما في الفلاحة والحصاد ، كما أن التطبيب مجاني أيضا ، والخدمات الاخرى مجانية ، ونعامل معاملة العراقي في شتى الامور . اما بالنسبة للارض فاننا وجدنا بعض الملوحة فيها ، ولكن بمرور الزمن ، وزراعة المواسم كل سنة ، فقد خفت الملوحة ، وتم التكيف مع طبيعة الطقس .

● أما عن مشاكل الفلاحين بعضهم مع بعض . . فقد قال رئيس الجمعية . . . . لقد حصلت بعض المشاكل البسيطة في البداية ، لكن ـ وبعد أن تم التعايش والتفاهم والتكيف . . فقد اتفق الجميع على تكوين جمعية فلاحية ، وتم انتخابي رئيسا لها ، وفي ما يتعلق بالمشاكل الحالية فانها مشاكل بسيطة ، وعادية ، لا تتعدى فلتان بقرة على زرع فلان من الفلاحين ، أو بعض الخلافات على أسبقية السقاية . . مع أن المياه متوفرة دائما .

أما بالنسبة لعلاقتنا باخواننا العراقيين فهي جيدة وتم التزاوج بيننا .

● ألم تختلف المناهج المدرسية على الاطفال . . ؟ وألم تجدوا بعض الفروقات في اللهجة والعادات والتقاليد بينكم وبين أخوانكم العراقيين ؟؟

ـ أجاب حمدي عبدالفتاح ركبة : وشاركه آخرون :

ـ لقد واجه المتقدمون في الدراسة بعض المشاكل في اختلاف المناهج بين مصر والعراق ، لكن نتيجة لمراعاة المسؤولين وصبرهم فانه تم تجاوز هذه المشكلة ، وانتظم ابناؤنا في الدراسة كالعراقيين تماما ، أما الاولاد الصغار الذين تقدموا للصف الاول الابتدائي فانهم لم يواجهوا أية مشاكل .

● أما من ناحية الفروقات في اللهجة . . . فان قريتنا الخالصة فيها عدة لهجات من مصر ، وبالنسبة للفروقات في اللهجة بين العراقي والمصري فانها حاصلة . . لكن التوائم والتفاهم قد تم منذ زمن ، مع ذلك . . دعني أروي لك هذه . . القصة . .

« ماكو » و « مافيش »

افترت الوجوه عن ابتسامات ولمعت عينا حمدي بتعبيرات خاصة ، فأدركت أنها ليست قصة . . بل نكتة قال :

ذهب فلاح مصري الى صاحب دكان عراقي ، وطلب منه زجاجة بيبسي كولا . فأجابه العراقي :

ـ ماكو . .

ـ ثم سأل المصري . . طيب أعطني كولا . . أجاب العراقي :

ـ ماكو

ـ سفن . .

ـ ماكو

هنا حبكت النكتة مع المصري . . فقال : طيب أعطني زجاجة ماكو ! !

انفجرت القاعة بالضحك ، بالرغم من أن الفلاحين قد سمعوا النكتة كثيرا وربما حصلت معهم .

استرسل حمدي وأضاف والآن . .

أصبح المصري يقول للعراقي . . ماكو يعني ـ مفيش ـ والعراقي يقول ، مفيش ، بدلا من « ماكو » !

● سألت : هل تشارككم الحكومة العراقية في ريع المحاصيل . . أو تدفعون ضرائب معينة لها ؟؟

. . . تدفقت الاصوات من الجميع نافية ، ذلك ، وقال

عبدالسلام محمد حسن .. لا .. لا هذا ولا ذاك ، نزرع حقولنا بالحبوب والخضروات ونُسوقها حسب ما نشاء ، ولا يتدخل احد في ذلك ، ولم يطالبنا أحد بضرائب أو شراكة .

قلت : اختلفت بعض الصحف في قيمة المبلغ الذي توفرونه سنويا ، بعد سداد كل ما عليكم ، وبعد الصرف على احتياجاتكم العادية ، وبعد ارسال مبالغ لاهاليكم في مصر ، بعضها قال أنكم توفرون ثلاثة آلاف دينار عراقي ، وغيرها أوصل المبلغ الى خمسة آلاف .. فما هي الحقيقة ...؟

قال علي الشريف رئيس الجمعية :.. هذا الامر يختلف بين فلاح وآخر ... وبين أرض وأخرى وموسم وآخر ...

أصوات الفلاحين تداخلت بعضها مع بعض ... قال بعضهم أن المبلغ مبالغ فيه .. لكن الحمدلله والشكر له ، والشكر للمسؤولين على رعايتهم .. فنحن نوفر حقيقة .. لكن المبلغ الذي ذكرته الصحف مبالغ فيه ....

● هل يوجد مقهى تتجمعون فيه ..؟ وهل هناك مكتبة ..؟ وهل تحسنون القراءة والكتابة ..؟ وهل طبق عليكم قانون محو الامية ؟؟

ـ أجاب الفلاح حسين عبدالوهاب حزين :.. يوجد مقهى نتسامر فيه في أوقات فراغنا وتوجد جمعية تعاونية أيضا وجزارة وغيرها من البقالات ، وبعضنا يحسن القراءة والكتابة ... وبعضنا الآخر لا يحسنها .

ـ قطع الحديث السيد محمد نجيب محمد مسؤول المركز الارشادي في الخالصة وهو مصري من مواليد سنة ١٩٥٢ في البحيرة وحاصل على دبلوم زراعة .. وقال :

ـ في الحقيقة لا يوجد مكتبة مستقلة ، لكننا نوفر في المركز الارشادي مجلات وافلاما تتناول كل ما يتعلق بالزراعة وآخر التطورات في هذا المجال .

كما ونقيم دورات تدريبية للفلاحين وابنائهم وندفع لهم حافزاً مادياً نظير حضورهم للدورات ، ونمنحهم شهادات أثر انتهاء كل دورة ، وبعض الدورات تختص بالزراعة وحمايتها من الآفات ، وبعضها عن الالات وغير ذلك .

وتم اقامة مركز لتدريب ابناء الفلاحين الذين تركوا المدارس النظامية من سن ١٢ الى ١٦ سنة ، ودورة المركز لستة أشهر يتخرج بعدها الطالب مؤهلا في المهن الزراعية او الآلات . كما تم اقامة مركز تدريبي لتربية النحل ، ودورنا هنا في القرية متابعة كل ما يتعلق بالفلاح وزراعته وارشاده لمكافحة الآفات ، أما بالنسبة لقانون محو الامية .. فقد تم تطبيقه في البداية على من لا زال أميا ، لكن تمت بعض الاستثناءات فيما بعد .

وقبل أن ننتقل الى الحقول والبيوت ... سألني الفلاح حسين عبدالوهاب حزين ... لقد سألتنا عن حقوقنا .. لكنك نسيت أن تسأل عن واجباتنا !؟

قلت : وهل هناك غير رعاية الأرض وزراعتها وجني محصولها ؟

قال : نعم .. يوجد .. فقد شارك الكثير منا في المعركة الدائرة على حدود العراق وتحملنا نصيبنا من التضحيات .

سألت : هل حصل أحدكم على الجنسية العراقية ، وما هو وضعه بالنسبة للخدمة في الجيش ؟

أجاب الفلاح حمدي : انا أحد الحاصلين على الجنسية العراقية .. مع ذلك فلم يُطلب مني التخلي عن جنسيتي المصرية ، والعربي يحصل على الجنسية العراقية بسهولة اذا ما استوفى الشروط المطلوبة . أما بالنسبة للخدمة العسكرية فاننا يجب أن نؤديها في مصر اذا لم نحصل على الجنسية العراقية ، أما اذا حصلنا عليها فاننا نؤدي الخدمة هنا في العراق كأي مواطن عراقي .

في الحقول

مضينا الى الحقول .. أرض مقطعة ومقسمة الى مساحات تتراوح بين ٢٠ و ٢٥ دونما .. تفصل بينها قنوات الماء أو بعض الحدود واضحة المعالم .. بعضها مزروع بالبرسيم أو الخس أو البصل أو الشعير أو الملفوف .. وبعضها محروث حديثا .

مررنا على عائلة يتولى أفرادها قطف الخس ، الأم وابنتان وصبيان .

ـ حقلهم مليء بالخس والبصل والملفوف .. الرجل غائب في المدينة .. والصبي الكبير مع البنت الكبيرة يتوليان جني المحصول .

سألت الصبي شعبان ١٢ عاما ..: هل تذهب الى المدرسة يا شعبان ؟

ـ لا .. تركتها ..

● لماذا ؟

ـ كي أساعد والدي .

وأنتِ يا امال : أنا جئت من بيت زوجي في منطقة ثانية كي أساعد أهلي في جني محصولهم .

انتقلنا الى حقل آخر ... الارض لا زالت محروثة حديثا ، والفلاح فتح الله عبدالعزيز حمزة يتصبب بين اتلامها يتولى سقايتها .

وآخر جمع محصوله في « خص » الحقل ..

وآخرون يتولون الحراثة بواسطة التراكتور .

بعض الوجوه التي تصنع التجربة
الجديدة .. بينها :
١ ـ علي الشريف رئيس الجمعية
الفلاحية بالخالصة .
٢ ـ المصدادي محمد رئيس الجمعية
الفلاحية بالدلمج .

سألت عمدة القرية الفلاح علي يوسف الشريف : هل هذه التراكتورات التي أراها للفلاحين ؟

أجاب : يوجد في القرية ١٧ تراكتورا للفلاحة ، هي ملك خاص بالفلاحين ، أما الحصاد فانه يتم بواسطة حاصدات الحكومة . أو بواسطة الفلاح نفسه ، وقد ملك الكثير من الفلاحين عربات للنقل وستجدها أمام البيوت بكثرة .

في البيوت

انتقلنا الى بيت الفلاح عبدالعظيم علي يوسف من محافظة سوهاج ومن مواليد سنة ١٩٥١ .. البيت مؤلف من ثلاث غرف ومنافعهم ، ومؤثث بالأسرة والخزائن والكماليات الاخرى : من تلفزيون ومسجل ودفاية وغيرها .. حديقة المنزل الكبيرة تربي فيها أم خالد (زوجة عبدالعظيم) الطيور والماعز والبقر والخراف ...

سألت أبا خالد : هل مساحة كل البيوت مثل مساحة بيتك وهل يسمح لكم بتربية الطيور والحيوانات كما تشاءون ؟

- قال : مساحة البيوت متشابهة .. وكما ترى فانه مسموح لنا بتربية ما نشاء ، بل أنه يوجد قسم بيطري لمعالجة ماشيتنا وطيورنا أيضا اذا مرضت .

ثم صاح على أم خالد بتحضير الشاي ...

شربنا الشاي وخرجنا شاكرين لصاحب البيت كرمه وضيافته .. سألت العمدة على الشريف اثناء تجوالنا بين البيوت .. لقد أمضيتم حوالى ٨ سنوات هنا في هذه الارض وهذه البيوت ، فهل أصبحت ملكا لكم ؟قال : الذي اعرفه أن قانون الاصلاح الزراعي يبقي الارض على ذمة من يزرعها طيلة حياته مادام يزرعها ، والبيت بيته مادام قائما على زراعة الارض كما أننا نحصل على قروض ، ودخلنا في صندوق الضمان .. كي نضمن حياتنا بعد تقاعدنا :

● والاولاد اذا ماكبروا .. ورغبوا مزاولة مهنة الفلاحة ؟

قال السيد سعيد الموظف في القسم الصحافي في اتحاد الجمعيات الفلاحية : يمنح ابن الفلاح أرضا وبيتا اذا ما أراد مزاولة الفلاحة تماما كما تم منح والده ، هذا اذا بلغ السن القانونية وتزوج .

أثناء تجوالنا مررنا على مكتب البريد والمقهى .. والمدرسة ووصلنا الى نهاية حدود القرية .. فغادرناها مودعين من قبل عمدتها ومجموعة من الفلاحين .

ثم بدأنا بالاستعداد لزيارة قرية الدلمج في يوم لاحق .

لطيف محول مسؤول العلاقات الخارجية في اتحاد الجمعيات الفلاحية

الدلمج :

يقع مشروع الدلمج في محافظة واسط ، وضمنه قرية الدلمج أو قرية المغاربة ، وهي تبعد حوالى ٢٠ كيلو مترا عن مدينة الكوت عاصمة المحافظة ، وكما أن نهر دجلة يروي مشروع الوحدة التي تقع ضمنه قرية الخالصة ، فان نفس النهر يروي مشروع الدلمج من خلال أحد فروعه .

يقول الدكتور جاسم محمد الخلف في كتابه « جغرافية العراق » مايلي : - اقيمت « سدة الكوت » على نهر دجلة أمام مدينة الكوت سنة ١٩٣٩ م . لرفع مستوى مياه النهر الى فرع الغراف وجدول الدجيلة اللذين يأخذان الماء من الضفة اليمنى لنهر دجلة في مقدمة السد ، ويسقيان مساحة تزيد على ٢,٠٠٠,٠٠٠ دونم منها ٢٥٠,٠٠٠ دونم على جدول الدجيلة » .

بلغنا المشروع بعد ان انطلقنا من بغداد في رحلة استغرقت حوالي ساعتين . القرية مبنية من الطابوق العراقي المعروف الذي تشوبه بعض مساحات الملوحة ..

وعلى ذكر الملوحة التي تظهر واضحة في بعض الاراضي قال السيد سعيد - أنها تظهر بسبب نتح الماء الذي يتجمع في الاراضي الواطئة .. ولأن بعض الاراضي تترك مهملة بدون استغلال وبسبب البخر الذي يحصل للمياه ، فان الملوحة تظهر واضحة على سطحها .

المغاربة في الدلمج

دخلنا غرفة جلوس أحد بيوت القرية .. غرف البيت أوسع من غرف البيت في قرية الخالصة ، الوجوه تحمل سمات منطقة المغرب العربي .. زادتها « البرانس » تحديدا لمكان قدومها ، كانوا من بعض محافظات المملكة

حسن دعمون فرج ـ عضو المكتب التنفيذي للجمعيات الفلاحية ـ في محافظة واسط

المغربية ، كالرشيدية ، وتازا ، وقلعة السراغنة ، وورزازات وغيرها .

تولى الحديث في البداية الفلاح مصدادي محمد رئيس الجمعية الفلاحية في القرية ، وهو من تيغيليت في محافظة الرشيدية . .

قال : لقد قدمت ٢٠٠ عائلة مغربية في نيسان من عام ١٩٨١ الى هذه المنطقة ، من خلال اتفاق بين المملكة المغربية والجمهورية العراقية ، لزراعة الاراضي المستصلحة في منطقة الدلمج ، ووجدنا البيوت جاهزة للسكن ومؤثثة ، فيها الماء والكهرباء وكل الكماليات المطلوبة ، حتى أننا وجدنا الارض مزروعة وجاهزة . مع ذلك فلقد اختلف الطقس على بعض العائلات ، ولم يستطيعوا التكيف معه ، اضافة الى أن مهن الكثير منهم لم تكن الفلاحة في الأساس ، اضافة الى بعد العراق عن المغرب ، كل ذلك دفع بحوالي ١٥٠ عائلة الى العودة وترك المكان وبقينا حوالى ٥٠ عائلة ، انضمت الينا بعض العائلات الأردنية والفلسطينيه والمصرية ، وحصلت على نفس التسهيلات والأراضي التي حصلنا عليها .

وعلق السيد حسن دعمون فرج ـ عضو المكتب التنفيذي للجمعيات الفلاحية في محافظة واسط قائلا أن الكثير ممن تركوا العراق كان من بينهم الحلاق ، والقصاب ، والموسيقي والنجار وغيرهم ، مع أنه تم توفير مساحة أراضي للفلاح الواحد تصل مابين ٤٠ الى ٥٠ دونما لزراعة الحبوب ، ودونمين لزراعة الخضروات ، وبيوت مؤثثة مع حديقتين داخلية وخارجية تصل مساحة كل بيت وملحقاته الى حوالى ٤٥٠ مترا ، وتم توفير مستوصف ، ومدارس ، ودائرة زراعة ، واشراف ، ومكتب بريد ، وغير ذلك من خدمات .

عاد المصدادي للحديث فقال : من الطبيعي أن يحصل صراع داخلي بين الانسان ونفسه من أجل التكيف وتقبل الحالة الجديدة ، فالطقس ، ونظام الزراعة ، وطبيعة الارض مختلفة عما ألفنا في بلادنا ، لكن مع مرور الزمن حصل التكيف ، وتم التغلب على كل مشكلات التأقلم . . ونحن الآن نطالب بزيادة مساحة الارض ، فعندنا الاستعداد الكامل لبذل الجهود المضاعفة .

ثم تولى الحديث الفلاح العوني محمد من محافظة تازا الواقعة بين مدينتي فاس ووجدة . . فقال : نحن جئنا للعمل وبذل الجهد . . ودافعنا للمجيء ـ اضافة الى ممارسة المهنة والعيش ـ ولاؤنا لامتنا العربية ، وفخرنا بعروبتنا .

التفاهم

● ألم تجدوا مشاكل في التفاهم بينكم وبين اخوانكم العراقيين خاصة من ناحية اللهجة والعادات . . وغير ذلك ؟

ـ أجاب الفلاح قاسمي السيد محمدي عباس من ورزازات قرب مراكش :

يوجد اختلاف في لهجات المحافظات التي ننتمي اليها ، الا أن التعايش والسعي لفهم بعضنا البعض ازال الكثير من اختلاف اللهجات . . وهكذا تم مع اخواننا العراقيين .

● والغربة والحنين الى الأهل . . والأقارب . . كيف كان تعاملكم معها ؟؟

ـ قال القاسمي : . . وجدنا ارضا عوضتنا عن اراضينا . . وحنيننا الى الأهل والأقارب والصداقات لا زال في قلوبنا . . والرسائل بيننا لم تنقطع ، وبعضنا يسافر ويقضي بعض الوقت عند الأهل ، . . لكن بلاد المغرب ـ كما تعرف ـ بعيدة ، وثمن التذاكر مرتفع بالنسبة لنا كفلاحين ، لذلك فاننا نطالب بتخفيض ثمن تذاكر الطيران .

● وأطفالكم والمدارس . . والصعوبات ؟؟

ـ تولى الفاضل محمد رحال من قلعة السراغنة الاجابة فقال : بعض أولادنا دخلوا الجامعات . . ومن كان مستواه دون ذلك فقد تم له التكيف وتم التغلب على كل المشكلات الخاصة بالطلبة ، اما من كان في الابتدائي فانه لم يجد أية مشكلة . . والحقيقة أننا وجدنا كل التسهيلات الممكنة في البيوت أو الحقول .

● ما الذي تزرعونه ؟

قال : محمد عبدالرحيم عثمان . . . المرشد الزراعي ـ من مصر ● . يتم التركيز على الدورة الزراعية في فصل الشتاء من خلال زراعة الشعير ، خاصة وأن الارض مستصلحة حديثا ، ثم يليه الحنطة والعدس والحمص .

▲ طريق واطفال وبط وتراكتور في قرية الخالصة .

مزرعة بقر صغيرة داخل حديقة البيت . ▼

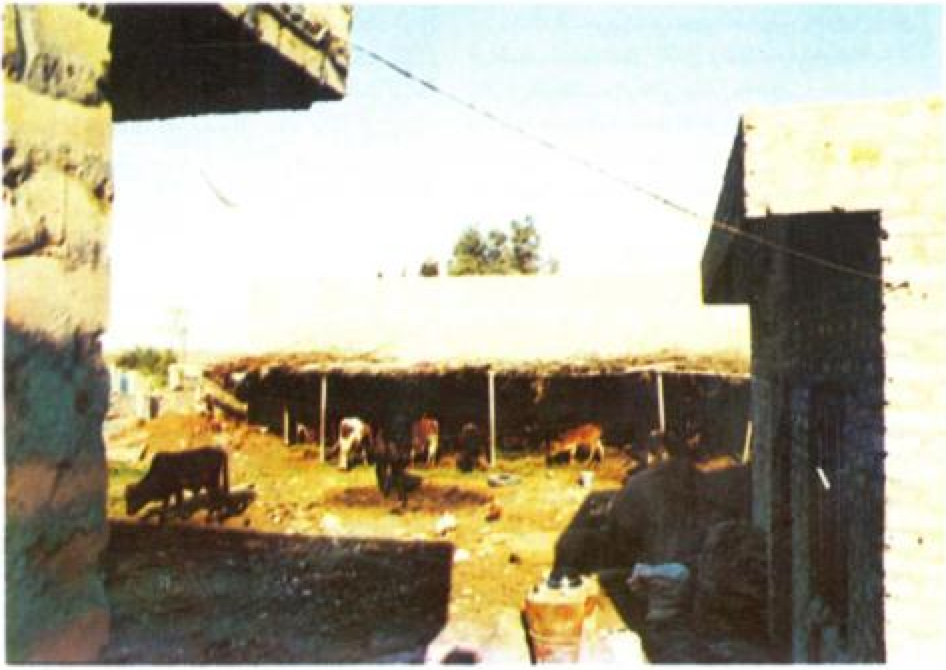

كما تتم زراعة الفول والباميا والباذنجان والفجل والخس والبصل وغيرها في مساحات زراعية أخرى ، ويتم توفير الحبوب من قبل اتحاد الجمعيات الفلاحية حسب السعر المتداول في كل عام ، والاسعار تحصل على دعم من قبل الحكومة ، أما المبيدات فاننا نوفرها بالمجان .. ونقيم اجتماعات دورية لشرح كل ما يتعلق بكل دورة زراعية وآفاتها .

● عدت الى سؤالي الذي سألته لفلاحي قرية الخالصة .

ـ هل تدفعون للدولة حصص مشاركة أو ضرائب معينة ؟؟

قال المصدادي محمد ـ عمدة القرية ـ لا تدفع الا ثمن حبوب البذار أو رسوم الحراثة والتسميد ، تماما كالفلاحين العراقيين ، ونحن نتولى تسويق المنتوجات وبيعها كما أننا بصدد شراء تراكتورات حراثة من خلال تعاونيتنا .

شكرنا الفلاحين وتجولنا بين البيوت ودخلنا بعضها .. فوجدنا الحدائق الداخلية مليئة بالزراعة ، أو تغص بأنواع شتى من الطيور والحيوانات الاليفة ، ووجدنا بعض النساء والاطفال يساعدون الرجال ، اما في الحقول اليانعة الخضرة المتعددة في أنواع الزراعة ، أو في تربية الطيور والحيوانات ، أو في زراعة الحدائق الداخلية في البيوت .

سألت مندوب الجمعيات الفلاحية المرافق لنا : هل التجربة مقتصرة على الخالصة والدلمج ... قال : توجد تجربة ثالثة في قرية خان بني سعد التي تبعد عن بغداد حوالي ٥٠ كيلومترا في محافظة ديالى .

وفيها ٧٠ عائلة اردنية و ٢٦ عائلة فلسطينية ، وهم يزرعون حوالي ٣٨ ألف دونم من المزروعات المغطاة بالبلاستيك ، كالخضار والاشجار المثمرة وغيرها .

وهؤلاء تعاقدوا مع وزارة الزراعة مباشرة بتاريخ ١٥/٨/١٩٨٣ .

وبعد : قيل ولازال يقال أن أرض السواد في العراق يمكنها اذا ما استصلحت وزرعت أن تطعم الوطن العربي قمحا وتغنيه عن الاستيراد ، فهل التجربة الجديدة هي خطوات التنفيذ على درب هذا المشروع ، اضافة الى ابعادها ومراميها القومية الواضحة ؟؟ □□

مستوصف الدلمج .. يستقبل رواده .

سلامة البشرية في سلامة البيئة

هذا باب جديد بين أبواب العربي الثابتة . . . ولكنه ليس بجديد من حيث موضوعه ، وقد أولاه العربي اهتمامه منذ فجر ظهوره . . قبل ٢٥ عاما . .

فالباب الجديد اذن بحاجة الى تعاون قرائه . . انه بحاجة الى آرائكم وبحاجة أيضا الى ما قد تزودونه به من أخبار بيئتكم القريبة ، حيث تعيشون . . . وما تعاني منه من تلوث وما قد تشهده من جهود لمكافحة هذا التلوث . .

اعداد : يوسف زعبلاوى

بقع الزيت . . . وسبل مكافحتها

الأساليب الطبيعية في مكافحة بقع الزيت في أعالي البحار هى الأساليب الأكثر شيوعا حتى الآن . . . ولا تختلف هذه الأساليب من حيث المبدأ . . فهي تستهدف في كل الحالات انتشال الزيت من ماء البحر . . . ولكنها تختلف من حيث التطبيق ، أو طريقة انتشال الزيت بالتحديد . من هنا كانت الأجهزة والمعدات المختلفة التي تعتمدها هذه الأساليب . . . فمنها ما يجرف الزيت جرفا ، أو يغرفه غرفا ، أو يمتصه أو يجتذبه ، الى آخر ما هنالك . . . وسنستعرض في السطور التالية بعض هذه الأساليب ، مرجحين الأهم منها على المهم ، والأحدث على الأقدم ، مراعين في ذلك كله الايجاز بقدر الامكان . . .

السفن المخلبية : وهى أمريكية ، تم تطويرها في مطلع سنة ١٩٧٧ . . . تمتلك عددا كبيرا منها وكالة حماية البيئة في الولايات المتحدة (E .P.A.)وكذلك سلطات البحرية فيها ، وقد أقدمت على شرائها دول عديدة نذكر منها المانيا الاتحادية وكندا واليابان والنرويج وبريطانيا وايطاليا واستراليا .

وتعتمد هذه السفن على سواعد طويلة ممتدة على جانبيها تشبه المخالب . . وتعمل هذه السواعد على دفع الزيت الطافي على سطح البحر الى مقدمة السفينة . . حيث توجد الفوهة الشفاطة ، التي لا تلبث أن تبتلع ذلك الزيت ابتلاعا . . ليأخذ سبيله الى المستودعات . . وهناك تعمل المضخات الخاصة على عزل ماء البحر عن الزيت . . وتضخ هذا الزيت الصافي الى القوارب التي تنقله بدورها الى الشواطىء .

وتختلف هذه السفن من حيث حجمها وطاقتها . . فطراز (٣٠٠٣) مثلا يشفط الزيت بمعدل ١١٠٠ لتر في الدقيقة . . أو يزيد . . ويتسع مستودعه لنحو ١٥١٠٠ لتر . . .

سفن الحزام الجذاب : وهى امريكية أيضا ويعود تطويرها الى أواخر السبعينات أيضا . . والحزام الجذاب ، وهو قوام هذه السفن ، عبارة عن حزام ناقل لفاف مصنوع من مادة بلاستيكية تجتذب الزيت وكأنها المغناطيس . . . ويخرج الحزام من السفينة ويمتد كاللسان مسافة عشرة أمتار الى حيث تكون بقعة الزيت . . . ويدور الحزام الجذاب

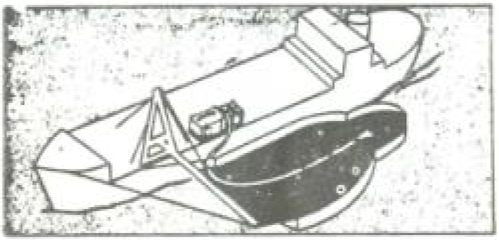

الجهاز الكانس لبقع الزيت .

ويلتف فلا يلبث أن ينقل الزيت الى داخل السفينة فتتناوله اسطوانات العصر الكبيرة .. فتعتصره وتزيل ماء البحر منه .. ليأخذ سبيله بعد ذلك الى المستودعات .

ويتميز الحزام الجذاب أو المصّاص بفاعليته فيما يتصل ببقع الزيت الثقيل .. كالزيت الاندونيسي المعروف باستعصائه على اعمال المكافحة ..

وتبلغ طاقة هذا الحزام ٢٢٧٠ لترا من الزيت في الدقيقة .. والجدير بالذكر أن الفضل في تطوير الحزام الجذاب انما يعود الى صناعة الفضاء .. التي طالما اعتمدت عليه في الصواريخ ، ومن أجل الابقاء على الزيت والغازولين في مكانها دون حركة .

السفينة الكانسة : تعمل هذه السفينة كالمكانس الكهربائية وتعتمد على الفراغ **Vacuum** لالتقاط الزيت وقذفه الى داخلها .. وهي ذات طاقة كبيرة قدرها (٤٠) مترا مربعا من بقع الزيت في الساعة .. ذلك أن أنبوب الشفط فيها لا يقل قطره عن ٦ بوصات، وذلك لضمان الطاقة الكبيرة المرغوبة ، وبقصد تنظيف ماء البحر ، لا من الزيت فحسب ، ولكن من شتى الشوائب والملوثات ، كالمعلبات والقوارير وغير ذلك . والسفينة مجهزة بما يشبه الأجنحة (انظر الرسم) وهي التي تعمل على دفع الزيت في اتجاه الأنبوب الشافط .

والشركات الانجليزية هي التي طورت هذه السفينة ، بل الأجهزة والمعدات ، في مطلع الثمانينات ... ذلك أن في الامكان شراء المعدات وحدها ... فهي قابلة للتركيب على أي سفينة أو قارب .. وثمنها زهيد .

سفينة البي بي : ما زالت هذه السفينة قيد التجربة .. في بحار مختلفة وفي مياه الخليج بالذات .. وقد طورتها شركة البترول البريطانية .. وقوامها مجموعة من الشفرات القلابة التي تدور فتدفع الزيت الى داخل السفينة .. والتي تصلح بخاصة لمكافحة بقع الزيت الثقيل . الا أن طاقة هذه السفينة محدودة ولا تصلح - على ما يبدو - لمكافحة بقع الزيت الكبيرة ..

سفينة الصياد الاسكتلندي : وتمتاز بطاقتها الضخمة ، ١٠٠٠ طن من الزيت في كل رحلة تقوم بها . وهي تعتمد على شبكة صيد عملاقة مصنوعة من النايلون وذلك لصيد الزيت على أوسع نطاق ممكن . وقد نجح في تطويرها في مطلع السنة الماضية ١٩٨٣ أحد صيادي اسكتلندة .. وتولت صنعها احدى الشركات الكبيرة في بريطانيا ..

طريقة جوبلين : لعلها أحدث المبتكرات في مجال مكافحة بقع الزيت وقد أعلنت عن تطويرها الشركة البريطانية المعنية بتاريخ ١١ / ١٠ / ٨٣ .. وتتميز هذه الطريقة بأن معداتها خفيفة الوزن وقابلة للحمل والنقل ورخيصة الثمن .. مبدأ عملها الاعتصار ، وقوامها اسطوانتان تعصران الزيت عصرا بالدوران في اتجاه متعاكس ، وتبلغ طاقة المعدات ٥٠ طنا من الزيت في الساعة .

جزيرة كياوا ...
لم لا نقضي العطلة الصيفية على شواطئها !؟

تقع جزيرة كياوا ومدينة شارلزتون على شواطيء الاطلسي في ولاية كارولينا الجنوبية ، حيث يشير السهم .

أقدمت دولة الكويت قبل نحو عشر سنوات على شراء جزيرة كياوا الامريكية .. وتقع هذه الجزيرة على الساحل الشرقي لأمريكا الشمالية .. مقابل مدينة شالزتون في ولاية كارولينا الجنوبية .. وهي من الصغر بحيث يتعذر العثور عليها في الخرائط ، مهما كبرت .. وقد تم شراؤها بمبلغ ٤ . ١٧ مليون دولار .. من أحد

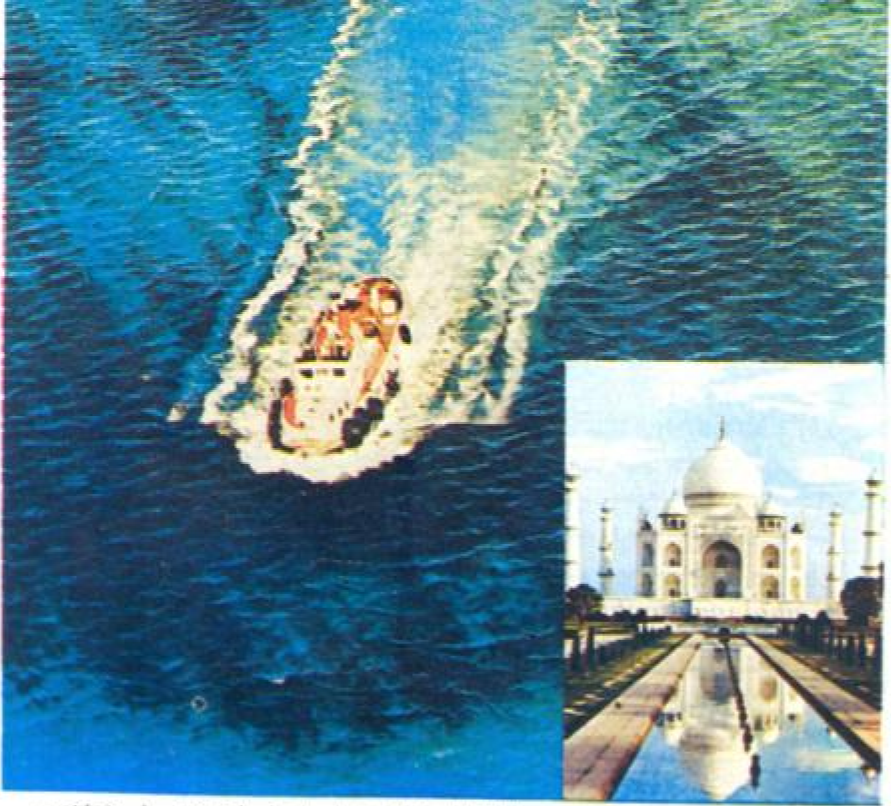

تاج محل .... وهو في غنى عن التعريف

احدى السفن التي يكافحون بها بقع الزيت .. على أن الطريقة التي تعمل بها هذه السفينة هي طريقة التفتيت الكيماوية .

كبار ملاك الغابات في الجنوب الامريكي .. وكان المبلغ الذي سبق أن دفعه هذا المليونير ثمنا للجزيرة ١٢٥٠٠٠ دولار !

واستنكر الكثيرون تلك الصفقة .. ورأى البعض فيها غبنا فاحشا لحق بالكويت .. ورأى آخرون فيما استهدفته الصفقة من أعمال الاستصلاح والاستثمار في تلك الجزيرة النائية طموحا لا مسوغ له .. وهل يعقل أن تنجح الكويت حيث فشل الأمريكيون .. !؟

هذا الى جانب المقاومة الفعالة التي لقيتها الصفقة في أمريكا .. فقد احتج البيئيون عليها وطالبوا حكومة واشنطن بالغائها وذلك بحجة سلامة البيئة وضرورة حمايتها والابقاء على أحياء البرية في جزيرة كياوا ونباتاتها ومستنقعاتها . فمن شأن أعمال الاستصلاح ومشاريع التنمية أن تتلف بيئة الجزيرة الطبيعية ، كثيرا أو قليلا ..

وقل مثل ذلك في اليهود .. يهود مدينة شالزتون بخاصة . فقد عمدوا هم أيضا الى الضغط على حكومة واشنطون لألغاء الصفقة .. وذلك لأغراضهم وأهوائهم السياسية ، كما لا يخفى ..

وتجاهل المسؤولون الكويتيون هذه العراقيل .. وانصرفوا الى الاعمال المجدية في صمت .. أعمال استصلاح الجزيرة واستثمارها . وعهدوا بهذه الأعمال الى شركة أمريكية ذات خبرة واسعة فيها ..

وما أسرع ما أنجزت هذه الشركة ثالث متجمعاتها السكنية التي أنشأتها في بطون الغابات في الجزيرة .. على نحو يضمن غمرها بضياء الشمس .. وجعلوا بيوتها الخشبية تبدو وكأنها من حجارة .. ثم أقاموا في تلك المجمعات ملاعب التنس والجولف وأحواض السباحة .. والأهم من ذلك أنهم رمموا الجسر القديم الذي يصل الجزيرة بالشاطىء وفتحوا الجزيرة لعامة الناس ، بعد أن كانت وقفا على الخاصة .. وراح أهل شالزتون يزورون الجزيرة وقتما يشاءون ويستمتعون بالسباحة على بعض شواطىء الجزيرة .. على ان المتجمعات والمجمعات وكذلك بعض الشواطئ ، أنما أقيمت بقصد ارضاء الخاصة الأغنياء من الامريكيين .. لاغرابة اذن أن بلغ مجموع ايرادات جزيرة كياوا حتى الآن ٣٠٠ مليون دولار ..

التلوث . . .
يهدد آية من آيات الفن الاسلامي

تاج محل مهدد بالتشويه والفناء بسبب تلوث الجو . . حقا انه ليس الصرح الوحيد في العالم المهدد على هذا النحو ، ولكن تاج محل يحتل مكانة فريدة بين تلك الصروح جميعا . . . فهو أجملها وأروعها ، بحكم أكثر النقاد من أهل الغرب . . . وهو آية من آيات الفن المعماري الاسلامي في كل زمان ومكان . . . فالعمل على انقاذه اذن مسؤولية كبرى تقع لاعلى عاتق حكومة الهند والهيئات الدولية فحسب ، وانما تقع كذلك على عاتق الدول الاسلامية كلها ودون استثناء .

أما مصدر التلوث الرئيسي فمصفاة البترول الحكومية القائمة في ضواحي بلدة (ماثورة) الواقعة على بعد ٤٠ كيلومترا من مدينة أكرا . . حيث يوجد تاج محل . . . والمصفاة جديدة نسبيا ، لم يمض على تأسيسها أكثر من عشر سنوات ، وبلغت كامل طاقتها في السنة الماضية . . ويعجب المرء كيف صمد تاج محل طوال ال ٣٥٠ سنة التي مضت على انشائه ولم يتعرض لأي مكروه الا في السنوات العشر الأخيرة وعقب ظهور مصفاة البترول الحكومية . . والتعرض للغازات التي تتصاعد منها . . .

فقد غلب التعتيم والاصفرار على الكثير من هذا الرخام الراجستاني الناصع . . وبدأ يفقد بهاءه الذي هو سر سحره . . ولولا متانته وصلابته الأصيلة لتعرض هو أيضا لمثل التفتيت الذي حل بالحجارة الزهرية الجميلة . . حجارة المباني الصغيرة المجاورة لتاج محل .

ولكن ما هي الملوثات والغازات التي استطاعت أن تحدث مثل هذا التلف على بعد ٤٠ كيلومترا ؟

كان هذا السؤال موضع أبحاث ودراسات علمية دقيقة قام بها مؤخرا البروفسور ديف J . M.Dave ، عميد كلية العلوم البيئية في جامعة جواهر لال نهرو . واعتمد هذا العالم فيا اعتمد عليه في أبحاثه تلك على أحدث أجهزة الرصد التي تقيس التلوث . . وقد أقامها في كلا الموقعين . . مصفاة البترول وتاج محل بالذات . . واليك فيا يلي جردا بالملوثات ومقاديرها وفق ما تمخضت عنه تلك الأبحاث العلمية . .

٢٥ ـ ٣٠ طنا من غاز ثاني اكسيد الكربون تداهم تاج محل في كل ساعة من ساعات اليوم .

١٠٠ ـ ١٥٠ طنا من أول اكسيد الكربون

٦٠ ـ ١٠٠ طن من الهيدروكربونات

١٠٠ طن من شتى أكاسيد النيتروجين

أحد آبار البترول في حقل نوروز . . حينما كان مشتعلا . .

هذا بالاضافة الى المعادن المختلفة التي وجدت ضمن تلك الغازات ، وهي الفاناديوم والكادميوم والنيكل والكروم .

ويعجب المرء لموقف حكومة الهند . . فهي تقدر تاج محل أبلغ التقدير بدليل اقدامها قبل نحو سنة على اغلاق محطتين لتوليد الطاقة كانتا تعتمدان الفحم الحجري وقودا . . ثم انها بادرت الى اجراء تعديل جذري في قطارات أكرا بحيث أصبحت تسير بالديزل بدلا من الفحم . . . ومع ذلك فان حكومة المسز غاندي ما زالت ترفض رفضا باتا مجرد النظر في الأضرار التي تحدثها مصفاة ماثورة في تاج محل . . . ناهيك بالاجراءات الواجب اتخاذها لوضع حد لها . .

ويتساءل البيئيون . . لم لا تنقل المصفاة الى جهة أخرى بعيدة من شبه القارة . . أبسبب التكاليف والخسائر المادية . ؟ ولكن بقاءها حيث هي يسبب خسائر حضارية وفنية لا تقدر بمال . . وتسبب أيضا خسائر مادية لايستهان بها . .وهي الايرادات السياحية التي تعود على حكومة الهند بفضل تاج محل .

الدّور والرسالة

مع رسام الجداريات

ضياء العزاوي

بقلم : عبد المعبود شحاتة

□ الوقت ضيق .. حتى المكان والزمان .. والصدر ضيق .. الكل يلهث .. لا أحد فينا لديه الوقت لاستماع الآخر .. والكل يرفض .. وكأنما الرأى قنبلة .. موقوتة ...

العين مفتوحة .. وكأنها فجوات في جمجمة سلطت عليها الأضواء .. بها من العمق والاتساع ما يوحى بأنها ترى وتبصر .. وهى جوفاء خالية ضاربة في الوهم .. فاقدة لكل مقومات البصر والبصيرة .

أمور كثيرة تجرى في هذا العصر .. تدمير للقيم والمبادئ والأحلام ... تدمير للانسان .. رؤوس فصلت عن الأجساد وكأنها ذبائح أضحية .. وأجساد مشطورة وكأنها أحذية ضالة كلها يمين وكلها شمال .. وسواعد مبعثرة تحمل في قبضتها مدفعا ، وفي الأخرى كسرة خبز ، التقطتها من نفايات اليوم السابق .. وسط حطام البيت ، وفراش الأولاد العزل ، والديك يصيح قبيل الفجر .. يعلن .. ميلاد يوم جديد مثلما ولد الأمس بالأمس ، واليوم بالأمس أيضا ..

والفارس يطل علينا من بعيد في أعلى الوادى .. يمنحنا شعورا بالأمن .. فيهدأ الصدر .. ويطمئن قلبي المفزوع من هول المأساة ... !!

رغم أن انسانية الانسان ملكية خاصة ، ورغم أن الحق لا يموت .. كان القتل العصرى والابادة الجماعية أمام العالم أجمع .. والسفاح المتغطرس يظهر ملء الشاشة بالألوان .. فيها الاحمر القاني .. بلون الدم البكر .. أين ضمير الانسان ؟ .. الأجساد متورمة حتى أنك لتكاد تشم رائحة العفن من خلال شاشة التليفزيون والبيوت ثكلى .. والشوارع فاضحة بالقتل .. والأرض حبلى بالشهداء والأبرياء والعزل .. حتى أصبحنا لا نرى الا جثثا ... !!

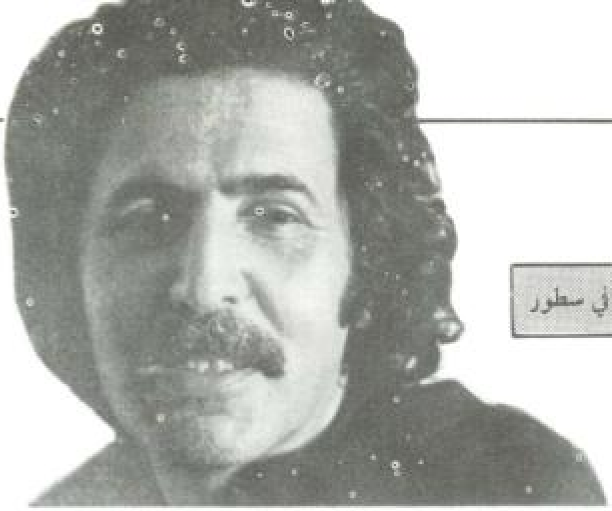

ضياء العزاوي في سطور

○ الفنان العراقي ضياء العزاوي ولد في العراق بمدينة بغداد ودرس الآثار والفنون وله نشاط فني عالمي .

ـ أقام ثمانية عشر معرضا خاصا في طرابلس وبيروت والكويت وكازابلانكا وباريس ولندن وجنيف وسويسرا ، بالاضافة الى المعارض الجماعية التي اشترك فيها مع زملائه الفنانين العرب داخل الوطن العربي وخارجه .

● قدم معرضه التاسع عشر بقاعة الفنون بضاحية عبد الله السالم بدعوة رسمية من المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت في النصف الثاني من شهر نوفمبر ١٩٨٣ .

الدور والرسالة

يقدم لنا الفنان ضياء العزاوى جانبا من وجدانه في لحظة عطاء .. مستغرقا في هموم الانسان العربي تارة .. ومستشرقا في التاريخ والتراث تارة أخرى .. وكأنما يحثنا برفق يفوق حدة الخناجر . مستخدما أسلوبه البليغ أشد البلاغة ، عن طريق الفن ، كأداة من أعظم القوى الدافعة لاحياء الآمال الكبرى وإذكاء المثل العليا .

من خلال واحد وستين عملا تشكيليا جمعت بين الأصالة ودقة الأداء .. وحسن استخدام الخامة .. والمعالجات الموضوعية .. متنقلا بنا من الرمز الى التجريد تارة ، ومن التشخيص التعبيرى الى الدراما العنيفةتارة أخرى . متخذا موقفا صلبا ، كفارس أسطورى من فرسان التاريخ في الزمن الغابر .. ليعلن في شجاعة عن دور الفنان العربي ورسالته تجاه القضايا العربية والانسانية .

القديم والمعاصر

لقد استطاع بطاقته الرائدة ، أن يتمثل في اعماله روعة التاريخ بكل شجنه وعذوبته من خلال استخدامه لوحى الخط العربي ، والمساحة المشبعة بالحلم الأسطورى في اللون ، جامعا أحيانا ، مفرقا أحيانا أخرى .. فيظهر الأصفر الفاقع اللون وسط فصيلته متمازجا مع الأحمر والأحمر الوردى ، في بلاغة وعشق وشوق للقاء ، فيتم الانسجام والوئام ، بين أجزاء

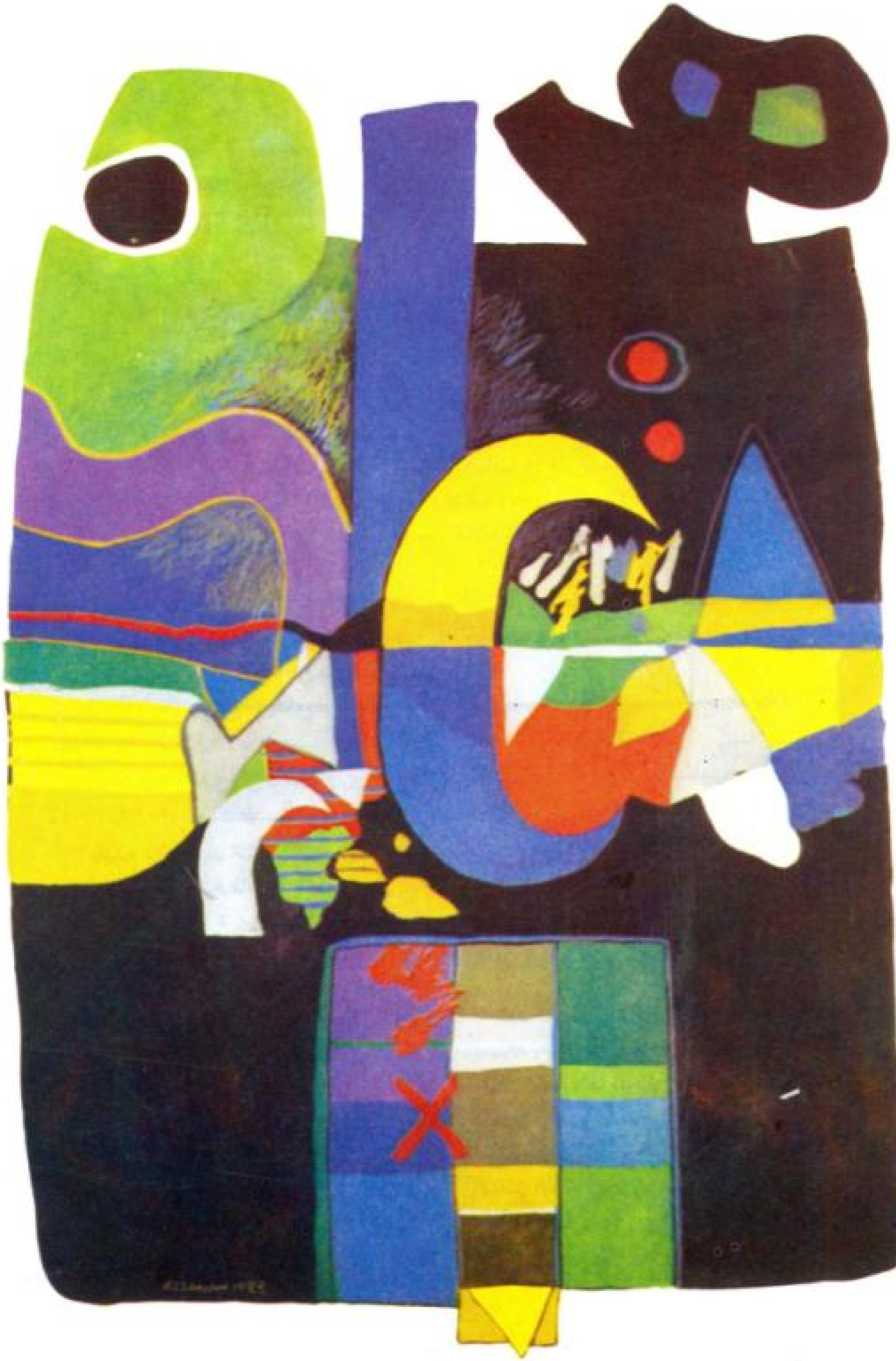

1

4

من لوحات الفنان

١ « حروفيات عربية رقم ٧ »

٢ من « رمز شعبي »

٣ « الانسان والسلام »

٤ « مشهد شرقي »

٥ الجزء الاوسط من جدارية ضياء العزاوي « نحن لا نرى الا جثثاً »

3

2

العمل الفني ، وكأنه وحدة نسيج متكامل . . . ولدت هكذا ، ولا يمكن أن تكون غيره - فلا يسعك الا أن تسعد بألوانه حين يغنى ، وأن تحترم وقاره حين يحزم أمره ، لتخرج في النهاية ، وأنت مع وليس ضد منطقه في الرمز ، والأسطورة ، والتجريد خاصة في أعماله « الزيارة » - تكرار لرمز شعبي - حديقة شرقية - حروفيات - مشهد شرقي - نافذة بغدادية - الفارس - عبد الله الملون - ذاكرة بغدادي - بوابة شرقية - تمثال نصفي لعبد الله - عبد الله يغادر مدينته ، ومعه أيضا حينما نجد أن جميع الأعمال لها ثمن ما عدا جدارية « صبرا وشاتيلا فهي ليست للبيع » .

القيمة الجمالية والفكرة

ويستوقفك كل عمل من أعماله ، فلا تريد تركه الا لترى عملا آخر يمدك بدوره . . فكل عمل من أعماله له نظام خاص به . . يجمع بين الجدة والابتكار وجمال التعبير ، ودقة الأداء ، والتماسك البنائي ، والوحدة بين الأجزاء ، والمزاوجة بين الجزء والكل .

أما من ناحية الفكرة فتنقسم اعماله الى مجموعتين . . وفي كلتا المجموعتين يضع العزاوى حلولا ايجابية للقضايا التشكيلية التي أثارت الجدل منذ الستينيات وحتى وقتنا هذا . . حول « دور الفن ورسالته وموقف الفنان من قضايا العصر . »

ففي المسألة الأولى . . التراث والمعاصرة . . أو اعادة استلهام التراث يوضح الى أى حد . . وبأى صورة يكون التحديث ؟ فهو ليس مع تمثيله تمثيلا ظاهريا . . وهو ليس مع نقله حرفيا ومحاكاته وتقليده . . وهو ليس مع المطابقة المثلية . . وانما مع الحاضر والمستقبل ، يستشف الروح من الجسد التاريخي ، ويستلهم الوحى من الحس العربي والشرقي والاسلامي في لونه وانسيابه ورخائه . . وغناه ، وبين التصميم والحروفيات والشرقيات نستمتع بجمال الدنيا وزخرفها وزينتها لما تحمله من بعد ثقافي انساني .

- يستمد بقاءه ، من استشراق الموسيقا والفن والأدب ، بما فيها من رؤى جمالية ، وقيم انسانية ، ضاربة في العمق والأصالة .

ويؤكد لنا الايمان الروحي الذي يبلور قيم الأشياء ، ويوظف طاقات الفعل ، في عمل مبدع ، من أجل منفعة البشرية .

حالة التوتر والقلق

يعيش العزاوى حالة فنية صحية . . التوتر والقلق . فهو يحاسب نفسه كثيرا . . ويناقش نفسه كثيرا وينقد ويحلل ويقارن ، حتى يصل الى المعادل التشكيلي المناسب للفكرة ، ويعبر عن هذا الموقف في لوحاته « عبد الله الملون بالأزرق » وعبد الله يغادر مدينته « ١ » وعبد الله يهرب من عبد الله - وعبد الله مع طائر البيت - وعبد الله يهرب ثانية - وعبد الله يرنو الى حديقته - وتمثال نصفي لعبد الله - ويظل عبد الله « العزاوى » يحب ويرنو . . ويتأمل . . ويتألم ويفرح ويأنس من كل ما يشاهد ، ومن كل ما تصل اليه قناعته عن طريق حوار النفس في كل ما يقابله من مواقف حياتية تدغدغ وجدانه وتهز كيانه . . قومية كانت أو انسانية من خلال أسفاره في الكون المادى .

في وسط هذه الحالة التأملية ، المغرقة في التنامى الانساني يبلور لنا مفهومه المعرفي الذي يرفض الحفظ والسرد والتلقين للمعارف السابقة والمتدرسة . . ويجتازها ، مؤكدا الروح والأصالة في جملة الاعمال للمجموعة الأولى . . مسترسلا من خلالها ، حتى يضعك أمام الحدث الأكبر . . وهنا يأتي الشق الثاني من أعماله . . صرخة مدوية من وحى الضمير الحى في عالم مقهور . . منهوش القلب ممزق الضمير .

رسام الجداريات

في الجانب الآخر من فن العزاوى يضعنا أمام التاريخ كشاهد عيان ، فهو يعالج قضية عامة وليست قضية فئة .. انه أمام معالجة قضية لها شرعيتها ولها حيثياتها وأصولها .

إذن ليست اللوحة الزيتية أو الأيقونة .. أو ما يسمى « بالتابلوه » هى التي يمكن أن تستوعب هذه الفكرة .. فيرجع الى دراسته التاريخية .. ويبحث عن شكل يمكن أن يستوعب الفكرة .. ومن المصرى القديم والأشورى والمكسيكي يأتيه الحل .. الحل المناسب لمستوى الفكرة .. ويضعنا مع العالم أمام جدارية صبرا وشاتيلا .

الحل التشكيلى

لا يرى العزاوى جدارا مناسبا فى العالم حتى الآن لتنفيذ جداريته .. فهو يرفض المكان بالحدود السياسية والايدلوجية .. فاتخذ حلا عمليا يحقق الهدف الأسمى من الفكرة ويمكنه من عرض وجهة نظره الانسانية أمام الانسان فى كل مكان بعيدا عن الحدود ..

اختار نسبة ذهبية عالمية ٢٤٤×١٢٢ سم واتخذ شكلا بنائيا قويا كالبنيان المرصوص بوضعه أربع وحدات من النسبة السابقة أفقيا فى اليمين والشمال وبينهما الوحدتان الأخريان لتشكل مساحة قدرها ٢٤٤×٩٧٦ سم تتصدر القاعة الكبرى للمعرض فتمتد من الأرض وحتى السقف . ويقف أمامها المشاهد وهو فى حالة من التأمل والذهول .. ليس فقط كيف عالج هذه المساحة وربط بين أجزائها المحكمة ، والتفاصيل دقيقة والعناصر متناثرة هنا وهناك من طائرات وصواريخ ودمار المبانى وحطام المنازل وأشلاء الانسان .. والفارس ينهض والديك يصيح وسط أجزاء الجسم المبعثرة من وجوه وأعضاء وأياد مبتورة ـ وانما للمعالجة التشكيلية البعيدة عن الشكل الواقعى بمعادل تشكيلى تترابط فيه الأجزاء والعناصر لتعطى فى النهاية التكوين العام والهيئة للعمل الفنى ، وكأنها وحدة نسيج ليس بها خلل .. محملة بالمعانى معبرة عن المأساة كما أرادها .

ولقد استطاع العزاوى أن يتحدى ويتصدى فى صمت بالغ وهمس عال يفوق ثرثرة الموجودين ، لتسمع فى خشوع ورهبة الى موسيقاه الحزينة وسط الأشلاء المتناثرة فى أجزاء الجدارية ينظم ويداوى ويضمد كل الجروح الناتجة عن التجزىء الرباعى الذى يشكل التصميم العام . متجاوزا حِسّ المشاهد بالزمان والمكان من خلال صرخة دامية من قلب رقيق مفعم بالحب للانسانية .

وأخيرا .. فان ضياء العزاوى الفنان بما يتمتع به عمق الرؤية والذكاء يقدم لنا تجربة انسانية تتميز بالصلابة والقوة والأصالة متعاطفة مع حرية الانسان واحترامه ، مؤمنة بنضال أمة تنزف من دمها قرابين للحرية والشرعية فى الحياة .. ونحن مع فنان الدور والرسالة .. لانرى الا جثثا . □□

الغلاف الأخير

يقدم لنا الفنان ضياء العزاوي جانبا من وجدانه في لحظة عطاء .. مستغرقا في هموم الانسان العربي تارة .. ومستشرفا من التراث تارة أخرى ، يستشف الروح من الجسد التاريخي ، متخذا من الرمز الشعبي صورة الكف في تنظيم رباعي ، وهو بذلك يجمع بين الحلم والاسطورة .. اخترنا لك هذا الرمز في ثلاثة أوضاع مختلفة شكلا وموضوعا (انظر الغلاف الأخير)

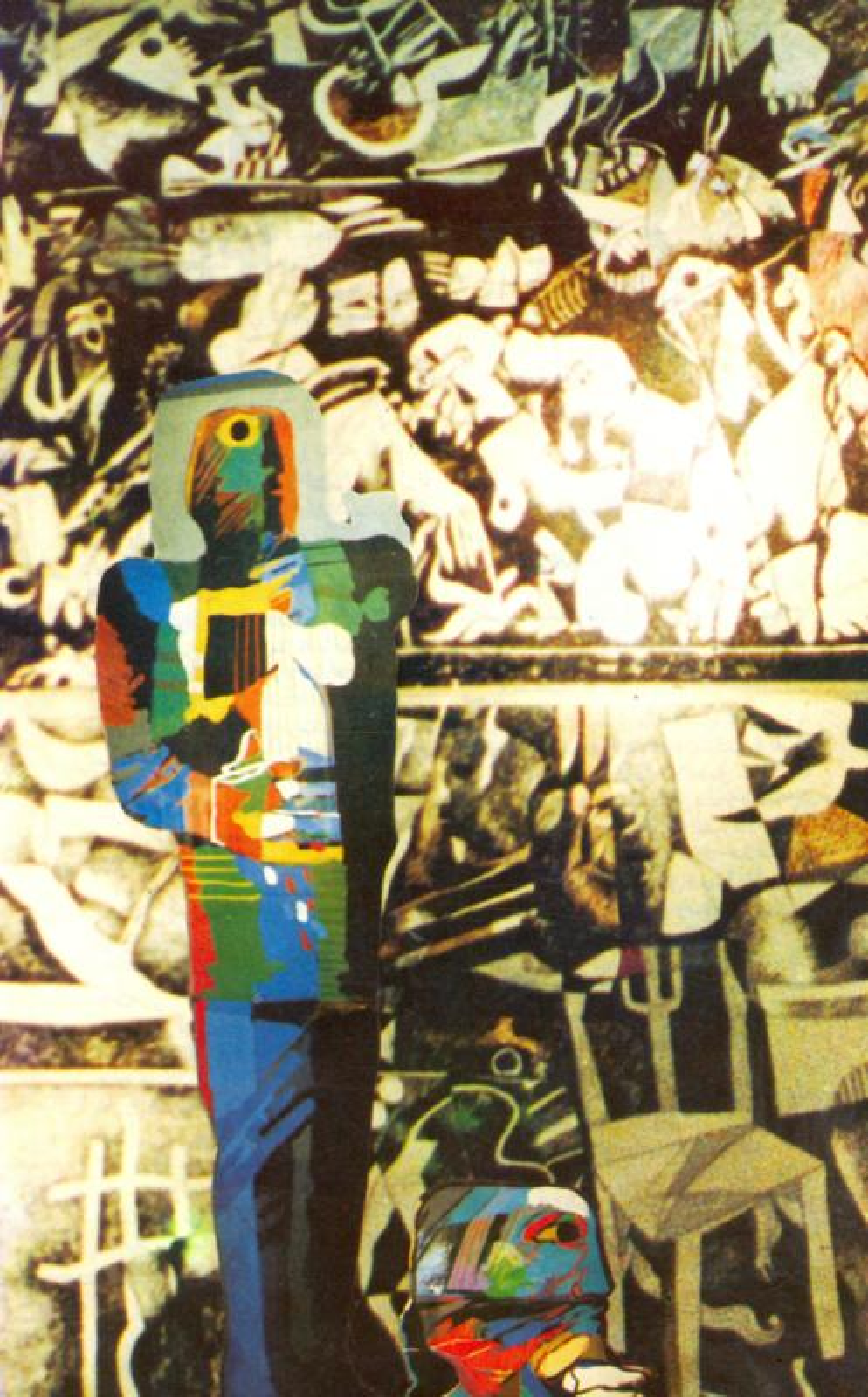

مِن الصّلبْ إلى "الكوتشينة" كان القطاع العام

☐ يبدو أنه سقط الى الأبد الفكر القائل بأن الأفراد وحدهم هم البداية والنهاية في أي تنظيم اجتماعي ، وأن القطاع الخاص بمفرده قادر على قيادة سفينة الاقتصاد وتحقيق رفاهية المجتمع ، وأن على الدولة كتنظيم علوي أن تكتفي بدور الحارس والمنسق والمساند لأنشطة خاصة .

ورغم أن بوادر السقوط كانت بادية منذ فترة ، حين تلقت فكرة المشروع الخاص ضربات أساسية على يد الاشتراكية التي اعتبرت المشروع العام هو الصيغة المثلى لتحقيق التنمية والرفاهية والعدالة ، ورغم أن الدول الرأسمالية ذاتها قد ساهمت في توجيه ضربات أخرى ، حين قدمت العديد من المبررات للمزيد من تدخل الدولة ، والمزيد من النشاط الاقتصادي الذي تتولاه المشروعات العامة . . رغم ذلك فان جديداً يطرأ على الساحة ، وتعكسه منظمات دولية لاتمت للاشتراكية بصلة .

آخر تقرير للبنك عن التنمية في العالم والصادر عام (١٩٨٣) يعطي الاهتمام الأول لدراسة ادارة التنمية ودور الدولة ومكان المشروع العام .

في التقرير رأي . . ورقم ، يحملان جانباً كبيراً من الأهمية . . .

أما الرأي فيقول : ان كافة البلدان الآن تأخذ بنوع من الاقتصاد المختلط . . قدر من حرية الأسواق . . وقدر من تدخل الدولة .

ان الأسواق الحرة حرية كاملة يمكن أن تفشل فشلاً كبيراً . . ثم . . يعدد التقرير مساويء نظام السوق وضرورة استخدام الوسائل البيروقراطية ، رغم ما تحمله من مساويء أيضاً .

وربما يكون الرأي نتيجة دراسة نظرية وتطبيقية ، لكنه قد يكون أيضاً نتيجة اعتراف بالواقع الذي تعكسه الأرقام . . .

وأبرز هذه الأرقام : كم تنفق الحكومة ؟ فالانفاق العام أحد المؤشرات التي تحدد حجم النشاط الحكومي في المجتمع ومقدار تغلغله . . و . . طبقاً للتقرير فان ما يسميه الاقتصاديون إنفاقاً عاماً والذي تعبر عنه الميزانيات قد تضاعف حجمه خلال هذا القرن عدة مرات ، وزادت أهميته النسبية ، حتى اقترب في كثير من الحالات من نصف الدخل القومي ، وفاق ذلك في بعض الدول الغربية مثل السويد .

وبتدقيق أكثر ، نجد أن هذا الانفاق الذي تقوم به الحكومات لم يوجه فقط للقيام بالوظائف التقليدية للدولة مثل الدفاع والأمن والخدمات . . لكنه وفي نفس الوقت كان توسعاً في الاستثمار ، وتوسعاً في المشروع العام .

وطبقاً للأرقام أيضاً ، فان مساهمة المشروعات المملوكة للحكومات في الدخل القومي في الدول الصناعية غير الاشتراكية ، وفي الدول النامية على السواء ، قد تزايدت حتى قد وصلت الى (٨٠٪) من إجمالي الاستثمارات الجديدة في بعض الحالات (حالة مصر) .

والأرقام هنا تثير قضية هامة هي اتساع دور الدولة ، وتراجع دور الأفراد والنشاط الخاص .

صحيح أن لذلك تراثاً ، فقبل الاشتراكية التي كرست فكرة القطاع العام ، كانت هناك مشروعات عامة . .

وصحيح أن البداية كانت بحثاً عن مورد من خلال احتكار تقيمه الدولة ، كما حدث في فرنسا عندما احتكرت صناعة الدخان ، وكما حدث في دول أوروبية أخرى عندما احتكرت صناعة الملح وصناعة الكحوليات ، وكان ذلك في القرن السادس عشر . . فلما جاء الربع الأخير من القرن العشرين كان الاحتكار قائماً ، وكان الشكل الحديث شركات للقطاع العام ، تملكها الحكومة

بقلم : محمود المراغي

تتعدد الأسباب اذن .. والملكية العامة واحدة والمشروع العام .. والموظف العام .. والقطاع العام حقائق لم تعد خافية . ووفق إحصاء قدمته مجلة الايكونومست البريطانية في ٣٠ ديسمبر ١٩٧٨ يتضح حجم الظاهرة ، فمن بين أكبر خمسين شركة في أوروبا الغربية كان هناك عام ١٩٧٧ عشر شركات مملوكة للحكومات ، وتسع شركات مملوكة لها جزئياً ، وكان هناك على سبيل المثال مؤسسة ايري الايطالية ، التي تمثل أكبر شركة صناعية في أوروبا ، ويعمل بها (٥٢٥) ألف مشتغل (١٩٧٧)،وتمتلك ـ كشركة قابضة ـ مشروعات تمتد من الاذاعة والطيران والبنوك ، الى المواصلات السلكية واللاسلكية ، والسفن ، والفنادق ، والسياحة ، وصناعات وأنشطة أخرى .

في الوطن العربي تزداد الظاهرة وضوحاً ، ففي العراق على سبيل المثال بلغ نصيب القطاع العام (٦٨٪) من الدخل القومي في أواخر السبعينيات ، في نفس الوقت زادت هذه النسبة في دول النفط ذات النظام الرأسمالي ، حيث تسيطر الدولة بالضرورة على نشاط البترول ، أي أن الوطن العربي بجناحيه وبنظمه الاقتصادية والاجتماعية المختلفة قد تزايدت فيه الأهمية النسبية للقطاع العام .

نحن اذن أمام ظاهرة تنمو ... ولا يحد منها وصول أحزاب يمينية للحكم في الغرب .. كما لا يحد منها ارتداد عن الاقتصاد الموجه في العالم الثالث .

والظاهرة معناها : اتساع نفوذ الموظفين والمنظمات البيروقراطية .

انه عصر الموظف العام الذي احتل معظم النشاط في دول نامية كثيرة ، كما احتل ثلث حجم العمالة في دول غربية كالنمسا .. بل اقتربت نسبته من خمس العمالة التي تعمل في الولايات المتحدة الأميركية .... زعيمة الاقتصاد الحر .

ومن هنا كانت المقولة صحيحة : الاقتصاد الحر ... لن يستمر حراً حرية واسعة ، والمشروع العام لن يستمر سمة مميزة للشرق الاشتراكي وحده ، والموظف العام لن يكون فقط .. للخدمة والحراسة .

ان كل شيء يتغير .

بدأ ذلك منذ فترة .

وهو الآن يتأكد ، وينال شهادة دولية من أكثر المدافعين عن الاقتصاد الحر والمشروع الخاص . □□

الفرنسية ، وتدير صناعات الملح والخمور والبترول والسكر .. أو شركات للسكك الحديدية والبترول والصلب تملكها بريطانيا .. حتى ورق « الكوتشينة » خضع للاحتكار وامتلكه قطاع عام في اليونان .

كل ذلك صحيح ـ ومجرد أمثلة ـ لكن ما يلفت النظر ـ وفي الوقت الذي يزداد فيه اليمين نفوذاً في أوروبا الغربية ، وتنحسر نسبياً دعوات الاشتراكية من العالم الثالث ، بل وتتجه الدول الاشتراكية لفتح الباب للقطاع الخاص (كالمجر ويوغسلافيا وغيرها)... في هذا الوقت تسجل الأرقام تزايد دور الدولة ودور القطاع العام .

وبالطبع فان مبررات قيام القطاع العام تختلف ، فبينما هو ضرورة تنموية وضرورة عدالة اجتماعية في الدول النامية وحديثة الاستقلال . فهو كذلك صمام الأمن عند دول الاقتصاد الحر .. في السلم يوفر المورد ، وفي الحروب والأزمات الاقتصادية ينتشل من المأزق ، وفي الحالين يوازن الأسواق ، ويقوم بغير المرغوب وغير المربح للقطاع الخاص .

وقبل ذلك وبعده فهو كثيراً ما يكون أداة السيطرة على صناعات استراتيجية ذات أهمية في الأمن القومي .

مفتي المسلمين .. لا ينبغي أن يكون موظفاً

الدكتور أحمد عبدالرحمن عيسى

□ « هذه قضية عامة أعني بها جميع المسلمين في كل دولة وحكومة ، وما تناولت عرضها من زاوية محلية ، الا تقريبا للموضوع فقط من الناحية التطبيقية » .

حينما عرض منصب (المفتي) على الشيخ محمد عبده قال : هذه وظيفة بلا عمل . وذلك لأن منصب (المفتي) كان وظيفة يتولاها شيخ الازهر الى جانب المشيخة ، فيكون شيخا ومفتيا في آن واحد . وكان آخر من تولى المشيخة والافتاء في منصب واحد من أئمة المسلمين هو الشيخ حسونة النواوي ، واستمر حتى فصل منهما معا بأمر الخديوي عباس حلمي ، فكانت الفرصة سانحة لفصل الافتاء عن مشيخة الازهر .

اختار الخديوي عباس حلمي لمنصب الافتاء الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، واختار لمشيخة الازهر فضيلة الشيخ عبدالرحمن القطب وبذلك استقل كل من المنصبين عن الآخر .

اشتهر الشيخ محمد عبده بلقب (مفتي الديار المصرية) لأنه حول هذا المنصب الخطير من مفتي الحكومة الى مفتي الاسلام والمسلمين ، بدءا من وقفته المشهورة ضد مصالح الخديوي ورغباته كما سنوضحه بعد في قضية أرض الجيزة وأرض مشتهر الزراعية .

كان الخديوي عباس حلمي يدرك تماما من هو الشيخ محمد عبده ، فلما اتجهت رغبة هذا الخديوي الى اختياره لمنصب الافتاء توجس في نفسه بأن الشيخ محمد عبده سيرفض هذا المنصب بدون أن يكون شيخا للازهر ومفتيا معا كما هو المتبع قبل ذلك . ولكن الخديوي لا يرغب في أن يكون الشيخ محمد عبده شيخا للازهر ولا اماما أكبر . فماذا يصنع لكي يحقق رغبته في فصل الافتاء عن المشيخة ، ولكي يقصره على الافتاء ويحرمه من المشيخة لأسباب سياسية .

احتال الخديوي لذلك بأن استدعى مصطفى باشا فهمي رئيس النظار (الوزراء) وحسن باشا عاصم رئيس الديوان الخديوي لصداقتهما الوطيدة بالشيخ محمد عبده . وطلب منهما أن يتلطفا مع الشيخ حتى يقنعاه بقبول منصب الافتاء بدون المشيخة ، وأن يؤكدا له أن الخديوي حريص على هذا الاتجاه كل الحرص ويسعده كل السعادة أن يقبل هذا المنصب . ثم قال لرئيس ديوانه حسن باشا عاصم : أخبر صديقك الشيخ بأنه اذا لم يقبل هذا المنصب فانه سيوقعني في صعوبات سياسية حادة ، وأنا أعترف أن هذا المنصب قليل على الشيخ محمد عبده ، ولكن الأمور مرهونة بأوقاتها . واستطاع الصديقان التأثير في الشيخ ونجحا في وساطتهما الخديوية لديه حتى قبل . فصدر الأمر العالي من الخديوي بناء على قرار مجلس النظار (الوزراء) بتعيين الشيخ محمد عبده مفتيا للديار المصرية . وكان ذلك في ٣ يونيه سنة ١٨٩٩ وقد وجم لذلك كثيرون من عارفي الامام ، وقال بعضهم : ان الخديوي وضعه في قفص من ذهب . ولكن الشيخ سار بالافتاء على غير ما توقع الخديوي وحكومته ، فأثبت أن جناحيه لا تقوى على طيهما جدران أي قفص ولو كان من فولاذ . وتوالت المواقف والاحداث في مجالات فتاوى الاستاذ الامام . ومنها ما كان من فتواه ضد مصالح الخديوي نفسه .

***

أصبح الشيخ محمد عبده عضوا في مجلس الاوقاف الأعلى بحكم منصبه في الافتاء كما هو متبع . وهنا تقع واقعته مع الخديوي ، في حين أن حسن باشا عاصم صديق الشيخ كان المندوب في هذا المجلس . ولكن الشيخ محمد عبده أفتى فتواه لذات الدين لا لذات الخديوي ورئيس ديوانه . فما قصة هذه الفتوى ؟

قصتها أنه كان للخديوي مزرعة واسعة في أرض (مشتهر) خارج القاهرة تجود بمحصول زراعي وفير ، وفي الوقت نفسه كانت أراضي الاوقاف في (الجيزة) أغلى وأثمن لأنها كانت معدة للبناء واقامة القصور ، فأصبح محصولها الزراعي أقل من محصول مشتهر . تطلعت رغبة الخديوي الى امتلاك أراضي الجيزة في مقابل التنازل عن أرض مشتهر الزراعية للأوقاف ، وأن تدفع الاوقاف أيضا ثلاثين ألف جنيه للخاصة الخديوية مع أرض الجيزة ، لأن أرض مشتهر الخديوية تجود بمحصول زراعي أوفر من أرض الاوقاف بالجيزة . وقد استغل أشياع الخديوي هذه المغالطة الظاهرة بين أرض معدة للبناء وتقدر بالمتر ، وأرض زراعية تقدر بالفدان . عرض الموضوع على مجلس الاوقاف الأعلى ، فأفتى الشيخ محمد عبده بأن المقايضة بهذه الصورة باطلة شرعا وفيها ضرر جسيم بأوقاف المسلمين وخيراتهم . وقال الشيخ فيما

قال : ان الأمر في مثل هذه المقايضة أن تقدر قيمة الارض بالثمن الجاري لا بالغلة الزراعية لاختلاف طبيعة الارض في الجيزة عنها في مشتهر ، ثم ان الفصل في مثل هذا الموقف ليس من اختصاص المجلس الأعلى للاوقاف ، وانما هو من اختصاص لجنة تخصصية من المهندسين وذوي الخبرة في شئون الزراعة وفي أراضي البناء . وتألفت اللجنة نزولا على رأي الشيخ محمد عبده وفتواه وموافقة مندوب الخديوي في المجلس وهو حسن باشا عاصم .

وجاء رأي اللجنة مفاجأة للخديوي وأشياعه ، اذ قررت اللجنة أن أرض الجيزة أغلى من أرض مشتهر ، بمقدار عشرين ألف جنيه . وقال الشيخ محمد عبده اذا كان الخديوي راغبا في المقايضة مع هذا ، فعلى الخاصة الخديوية أن تدفع لا أن تأخذ ، والا فأرض المسلمين تكون لهم . فثارت ثائرة الخديوي وأقسم على الانتقام من الشيخ محمد عبده . وقد كان .

بهذه الفتوى كان الشيخ محمد عبده أول من كسر قيد الوظيفة الحكومية في الافتاء ، اذ كان منصب المفتي تابعا لنظارة الحقانية كما هو تابع لوزارة العدل الآن .

ولما تولى الشيخ المراغي مشيخة الازهر ـ وهو من تلاميذ الشيخ محمد عبده وامتداد لفكر جمال الدين الافغاني ـ رأى أن يتحلل بطريقة لبقة من افتاء المسلمين عن طريق مفتي الحكومة ، فأصدر قرارا أزهريا بتشكيل لجنة خاصة تسمى (لجنة الفتوى بالأزهر) وكان ذلك في سنة ١٩٣٥ وأن يختار أعضاؤها من (جماعة كبار العلماء) وتتمثل فيهم المذاهب الاربعة المشهورة وهي الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي ، لا أن تكون الفتوى مقصورة على المذهب الحنفي وهو مذهب مفتي الحكومة الرسمي . وقد سبق أن نادى الشيخ محمد عبده بهذا الرأي مع أنه كان حنفي المذهب . وقد أثبتت لجنة الفتوى بالازهر جدارتها بما يليق بمكانتها العلمية بين المسلمين قاطبة . ولما أنشيء في الازهر (مجمع البحوث الاسلامية) ليحل محل جماعة كبار العلماء ، أصبح أعضاء هذه اللجنة العشرة يختارون من بين أعضاء مجمع البحوث الاسلامية ويمثلون المذاهب الاربعة ، وذلك بقرار خاص من شيخ الازهر ، على أن يراعى في اختيار هؤلاء الاعضاء أن يكونوا من أساتذة الكليات الازهرية المحالين الى المعاش وأن يكونوا غير خاضعين للتولية أو العزل ، وأن يكون اختيارهم على أساس المكانة العلمية التي تؤهل صاحبها لأن يتصدر للافتاء وتتوافر فيه صفات المفتي وشروطه وهي الدراية الكاملة بالدين الاسلامي واللغة العربية والاجتماع وفهم روح العصر حتى يكون من أهل الرأي والنظر .

بهذا التقليد الذي وضعه الشيخ المراغي ، أصبح في الازهر لجنة للفتوى العامة ، والى جانبها دار الافتاء المصرية الرسمية التي تكون غالبية فتاواها في التصديق على بعض أحكام المحاكم ، كالحكم بالاعدام مثلا ، أو في اصدار البيانات الرسمية عن ثبوت الهلال أو وقفة عرفات وأول أيام العيدين . وقيام لجنة الفتوى بالازهر الى جانب دار الافتاء الرسمية ، لا يعد ازدواجية على أي حال ، فميدان الفتوى متسع للجميع ، ولكن « شتان ما بين اليزيدين في الندى » كما يقولون . ولا يغض من هذا ما قد يحدث من التضارب بين الهيئتين ، كما حدث في

ثبوت هلال رمضان في العام الماضي ، فقد أصدر مفتي الحكومة بيانا بعد منتصف الليل بأن الناس في رمضان وكان يوم السبت ، بناء على اخطار السعودية ، وأصدرت لجنة الفتوى بالازهر بيانا بالرد على المفتي بأن يوم الأحد ـ لا يوم السبت ـ هو أول أيام شهر رمضان شرعيا . وأصدر مدير جامعة الازهر السابق بيانا مطابقا لبيان لجنة الفتوى بالازهر . ولكن الناس صاموا يوم السبت رسميا ، ومن لم يصله النبأ صام يوم الأحد شرعيا . ولله في خلقه شئون .

ويبدو أن وظيفة المفتي الرسمي للدولة ، تقليد عثماني استكمالا للشكل الديني لدى الخلافة العثمانية ، وأصبح هذا التقليد ساريا في مصر .

***

وبعد فان خطورة الفتوى في شئون المسلمين ، تقتضي أن يكون المتصدرون للفتوى أحرارا من كل قيد أو سلطان ، غير خاضعين لضغط الوظيفة الحكومية في أي بلد اسلامي على الاطلاق ، وغير قابلين للعزل أو التولية كما حدث للشيخ محمد عبده بخصوص فتوى أرض الجيزة وأرض مشتهر .

ان الانحرافات الدينية الخطرة التي ظهرت على السطح الآن ، مثل جماعة التكفير والهجرة ، وجماعة تنظيم الجهاد وغيرها من الرافضين ، انما ترجع الى افتقاد الاسوة الحسنة والقدوة المثلى من افتاء المسلمين وتبصيرهم بأمور دنياهم الناجزة ، وقضاياهم المعاصرة ، التي تحتاج بالحاح الى رأي صريح واضح لا يخشى في الله لومة لائم ، ولا يخضع لسلطان غير سلطان الله النابع من الكتاب والسنة وما صح من أقوال الصحابة وأفعالهم ، فهذا الدين سمح واسع الرحبات في نزعتيه كلتيهما : النزعة الانسانية والنزعة التعميرية . وهل كان الائمة الاربعة موظفين مثلا ؟ . لقد قال بعض الناس للأمام أبي حنيفة : لقد توسعت في الرأي وقلت ما لم يقل به الامامان أبوبكر وعمر ولا قاله أستاذك الشعبي . فرد الامام أبوحنيفة باعتداد وقال : نحن رجال وهم رجال . أي لا حجر في الرأي مادام صادرا عن أهلية كاملة وتمكن خاص . وكذلك الامام الشافعي كان له مذهب قبل أن يفد الى مصر ، فلما قدمها ورأى فيها مجتمعا جديدا وحضارة اجتماعية وفكرية ، عمد الى تعديل كثير من آرائه وفتاواه فأصبح له مذهبان في الفقه : قديم وجديد . وليس لقائل أن يقول : وأين نحن من الامام أبي حنيفة أو الامام الشافعي ؟ . نعم أين نحن منهم في جلالة قدرهم ، ولكن حتى لا نصاب بالأحباط يجب ألا ننسى أن لكل عصر رجاله ، وأن جواهر النبوغ لا يخلو منها جيل أو عصر ، وأن الدين يسر ، وأن الرسول صلوات الله عليه قال : « تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا أبدا ، كتاب الله وسنتي » او كما قال . وهاهو ذات التراث الاسلامي الضخم من علوم القرآن وعلوم الحديث وأحكام الفقه وأفعال الصحابة الراشدين وأقوالهم كل هذا متاح لذوي الخبرة في هذا العصر الحافل بالتناقضات . فلماذا لا تقوم جماعة حرة للفتوى في كل بلد اسلامي من هؤلاء العارفين ، تتناول هذه الجماعة قضايا العصر ومشكلاته بالنظرة الواعية البصيرة دون سلطان عليهم غير سلطان الله جل جلاله ، وتكون هذه الجماعات على اتصال ومكاشفة وتبادل الخبرات

والجهود لمصلحة المسلمين في ملك الله .

***

من الثابت المقرر أن الدين الاسلامي له أحكام قطعية ، وأحكام غير ثابتة بنص قطعي ولا اجماع من أئمة المسلمين . فالأحكام القطعية ثابتة في كتاب الله ومفصلة موضحة بالسنة النبوية الشريفة ، وهذه لا مجال فيها للفتوى أو الاجتهاد ، وانما مجال العلماء فيها هو التفهم والتذكير وحسن العرض والبيان . أما الاحكام التي لم تثبت بنص قطعي ولا اجماع ، وبخاصة الكثير من أحكام المعاملات ، فهي موضع الاجتهاد والفقه والاستنباط والقياس في اطار الكتاب والسنة وفهم روح العصر .

حينما أوفد النبي ـ صلوات الله عليه ـ معاذ بن جبل قاضيا لليمن وواليا عليه قال له : ماذا تصنع اذا عرض لك قضاء ؟ قال معاذ : أرجع الى كتاب الله . قال له : فان لم تجد . قال : أرجع الى سنة رسول الله . قال له : فان لم تجد . قال معاذ : أجتهد برأيي لا آلو (أي لا أقصر في الاجتهاد ولا أقعد عنه حتى أفصل فيما عرض لي من شئون المسلمين) فربت الرسول على كتفه وقال : الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي الله .

وقال الامام الغزالي : طلبنا العلم لغير الله ، فأبى العلم أن يكون الا لله .

ومن الثابت المقرر أيضا أن الدين في مصلحة الحياة ، وأن الحياة نهر متجدد الجريان ، وقد ألحت المشكلات الاقتصادية المعاصرة على المجتمعات الاسلامية وهي لا تستطيع أبدا أن تتقوقع على نفسها وأن تدير ظهرها للحركة الكونية في العالم كله ، لا يستطيع المسلمون أن ينفصلوا في معاملاتهم عن الاقتصاد العالمي وأسواق التجارة ومجالاتها ومجالات الصناعة . فهل يتخبطون في هذه الأودية على غير هدى من دينهم المتفتح الذي دارت أفلاكه وتدور في جميع الآفاق .

هل يجوز لنا أن نقول ان الصحوة الاسلامية المعاصرة ، قد فاقت اهتمامات أهل الفكر الاسلامي وأرباب النظر فيه ، وأن الكشوف العلمية بيولوجية كانت أو سيكلوجية أو كونية ، قد بهرتهم فوقفوا موقف المشدوه المتفرج ما بين منكر ومنبهر ومتعجب ومهلل : فأين الفتاوى الاسلامية الرشيدة في هذا كله ؟ . أين علماء المسلمين من فقه سلوكيات الحاكم والمحكوم وتركيبة الهيكل الاجتماعي في كل بيئة اسلامية ؟ وكيف تساس المجتمعات الجديدة بسياسة تهبط من أعلى فيذعن لها الجميع حيث يتساوون جميعا في العموميات ويعترفون بالحق الالهي لذوي الخصوصيات منهم على قدر نصيبه من الفضل في سلم الدرجات ؟

***

ان مجال القول ذو سعة في قضية افتاء المسلمين في أمور دينهم لدنياهم . ونختصر الحديث فنقول : ان الضرورة القصوى تحتم قيام هيئة علمية حرة للفتوى والاجتهاد الجماعي تكون منبثقة من ذات الدين لا من ذات الحكومة أي حكومة . واذا كان لابد لأي حكومة من وظيفة المفتي لها ، فليكن لقبه مثلا (المستشار الديني) لا المفتي ، فان لقب المفتي لقب خطير وأمر جليل ، ولا نقصد بهذا حكومة بعينها ولا مفتيا بعينه قد حظي في يوم من الأيام بهذا اللقب ، فالأمر خالص لله ولذات الدين ، والقضية كلها

تدور حول المبدأ والوسيلة من حيث هما مبدأ ووسيلة .

فالمبدأ أن الفتوى لا تكون وظيفة حكومية روتينية ، بل هي رسالة دينية دنيوية تحقق العافية في الدين والدنيا ، وهما في نهاية المطاف شيء واحد . هذا هو منطق الأشياء .

والوسيلة هي أن تكون الفتوى جماعية ، لا يناط بها فرد يكون هو المتحدث الرسمي ، بل تناط بها هيئة راشدة من علماء المسلمين الذين يمثلون جميع المذاهب وتتحقق فيهم أهلية العمل الاسلامي . وهم موجودون قائمون بيننا ويعيشون حياتنا في الدول الاسلامية الآهلة بغالبية سواد المسلمين ، وربما لا تخلو من بعضهم أقليات كامنة في سواد غير المسلمين من الأمم الأخرى .

نعم ، هم موجودون ويتحقق فيهم المبدأ ، ولكن تنقصهم الوسيلة . فهل من مجيب ؟

قبل أن تموت العاميّة

بقلم : د . أحمد خطاب العمر

هل هي دعوة الى الابتعاد عن لغتنا العربية الفصحى ؟ كاتب المقال يقول : لا ! إذن ماذا يعني بدعوته الى الابقاء على العامية ؟

لست ممن يدعو الى الكتابة بالعامية ، أو الى التحدث بها ، اذ لاأريد أن اكون من دعاة قطع أواصر الامة بتراثها ، ولا أواصر بعضهم ببعض ، ويفرحني ان اتحدث بالفصحى وان اكتب بها ، وان يتحدث الآخرون ويكتبوا بها ، تلك آمالي وأماني منذ ان تعلمت قراءة القرآن على يد شيوخ صالحين رضي الله عنهم وارضاهم ، اذ زينوا لي حب العربية ، فكان القدر ان صرت معلما لها ، وصرت أتتبع ما يكتب عنها ، ومما قرأته ما كتب عن العامية ، فرأيت من كتب عنها صنفين : منهم المغالي في حبها والدعوة الى ان تأخذ طريقها في الكتابة ،

لأن التعبير بها عن الافكار أيسر ، وان الرجوع الى الفصحى أمر صعب ، يتطلب الوصول اليه اعباء وقدرات ، فأوحى هذا الصنف للناس صعوبات اتقان العربية ودراستها ، وصعوبات نحوها وتعبيرها ، وكثرة معاني الفاظها واشتقاقاتها ، ومنهم المغالي في كرهها والعداء لها والتوهين من شأنها ، بل التشنيع على من يريد أن يستفيد منها ، ولم يكن موقفي منها مع اولئك ولا مع هؤلاء ، اذ انني أومن بأن الفصحى سهلة يسيرة ، والتعبير بها سهل يسير .

ولكني لا أدعو الآن الى اماتة العامية ، والتخلص منها بسرعة ، لأن عاميتنا ليست كعامية غيرنا ، عاميتنا جاءت منحدرة من لهجات عربية مختلفة ، تفاعلت مفرداتها واساليبها فيما بينها فاختلطت ، وظلت سليمة ، فهي تعبر بجمل اسمية أو فعلية على طريقة الفصحى دون تعقيد ، وتقدم ماله الصدارة في الكلام وتؤخر ما حقه التأخير ، أما معظم تأثرها فكان بالالفاظ المفردة اذ استعارت من غيرها ، الفاظا مع الفاظ لهجات عربية اخرى ، والالفاظ كثيرا ما تموت ويحيا غيرها تبعا لتغير الزمن ، فنستطيع ان نقول : ان عاميتنا امتداد لفصحى لغتنا ، حافظت على اساليب التعبير وفصاحة كلامها ، فهي عربية لوجه آخر ، فلماذا الخوف منها ، واخافة الآخرين ؟ بحيث اصبح علاجها شغلنا الشاغل ، وعائقا كبيرا في سبيل تقدمنا ، ومواصلة مسيرتنا في الحياة فنكثر من الجدال في سبل التخلص منها ، وكأن ليس لأمة في العالم كله غيرنا لغتان : لغة العامة ، ولغة الخاصة ، وهم يقطعون المسافات الواسعة في التقدم ، فلماذا ينكرون علينا ، ان لنا لغة يتكلم بها العامة ، ولنا لغة يكتب بها الخاصة ويتفاهمون ؟ والزمن كفيل بتغييرها ؟

اذن فلنفتش عن الفصيح من اساليب عاميتنا ومن الفاظها ونسجله ونسجل الظواهر اللغوية التي تتصف بها ، قبل ان تموت وتنسى ثم نعود نفتش عن قواعده لتتقن طريقته ، فهو صلة بينها وبين فصحاها عند تحدرها عنه ، ففي استعمالاتها لغات وظواهر لغوية وقواعد ، ففي لهجة بغداد ولهجات غيرها مثلا يكسرون ياء المضارعة ، فيقولون : يمشي ويلعب ويسمع ، وفي تكريت والموصل ينطقونها بالفتح ، فالأولى لغة تميم ، والأخرى اللغة المجمع عليها ، فتلك احتفظت بلغة قوم ، وهذه اتبعت لغة الجمهور فهي ظاهرة لغوية معروفة وجدناها في عاميتنا .

ويقول الناس في الموصل وتكريت (غاح وغاس) في (راح وراس) وهذا من غريب القول ، ولكن السيوطي في مزهره يورد كلمات جاءت بالراء والغين منها :

غانت نفسه ورانت ، تغين وترين اذا غشت ، والرمص في العين والغمص .

وغاية الخمار ورايته ، وكان بعض اهل اللغة يقول : كل راية : غاية ، والغاية : الراية .

والغادة : المرأة الناعمة اللينة والرادة ، ورجل راد وغاد ، والرمازة : الجارية الغمازة .[1]

فقد احتفظت هاتان اللهجتان بظاهرة لغوية لا تعرف في غيرها ولا هي من مشهور القول

ويقولون ايضا : (النيس) في (الناس فيميلون الألف الى الياء ، وهذا من غريب القول ايضا ، ولو رجعنا الى كتب القراءات لوجدنا بعض القراء يقرأ : قل اعوذ برب

النيس » فهذه لغة لا تحتفظ بها غير لهجتي تكريت والموصل .

ويقولون في الموصل : اعطى على الفصيح ، ويقولون في بغداد : انطي ، بابدال العين نونا وهذه ظاهرة لغوية معروفة احتفظت بها لهجة بغداد .

ويقرأ بعض القراء في القرآن : « ذامتربة ومسغبة » مترب ومسغب (بحذف الهاء وكسر الحرف قبله) ونجدهم في الموصل يقولون : (ست) في (ستة) ، فهذا توافق عجيب ، نجده في عامية منطقة من مناطق العراق .

وفي العاميات ظواهر لغوية لا يستطيع الدارس ان يحسن نطقها او ان يجيدها ، لأنه لا يجد في كتب اللغة والمعجمات والقراءات الا وصفها : ونجدها في العامية تحدرت موروثة عن السابقين الى ان وصلت الينا . مضبوطة النطق ، فصيحة او قريبة من الفصيح كالروم والاشمام والامالة وادغام الحروف ببعضها وتسهيل الهمزة او تحقيقها ، وابدال الحروف بعضها من بعض ، واسقاط بعض حروف الكلمة ودمجها مع كلمات غيرها ، ثم انه قد يكون لكلمة معنى غير مألوف في لهجة ما ، لو رجعنا به الى المعجم العربي لوجدناه هناك ، او لوجدنا له صلة باستعماله فيها ، لذا نقول مطمئنين : ان لهجاتنا ليست كلهجات العالم غيرنا ، فمن هنا ندعو الى ان تسجل عامية كل قطر ويحتفظ بها في مكتبات صوتية ، فالزمن آت لأن نحتاجها ونرجع اليها للتيسير في فهم كثير من تلك الظواهر التي قطع الزمن الطويل بيننا وبين عصر الفصاحة ، فتحرف او تصحف ، فلم نعد نتقن نطقه كالأوائل ، فكم من متحدث اليوم يقول : عرف (بكسر الراء) قياسا على علم ، وكم من كاتب يخطيء في التمييز بين الضاد والظاء لأن موضع نطقهما في الفم لم يعد كما كان ينطقه المتقدمون ، فالضاد من الجانب الأيمن للفم مع امالة اللسان اليه ، والظاء بين الاسنان واللسان ، نسجلها اذا لنفيد منها عندما نصعد بها الى الفصحى ، ونستفيد من الطرق التي تحددت بها الى مكانتها .

إذن فلنسجل العامية ، فانها ستموت حتما ، لأن لغتنا اليوم (أقصد اللهجات) ليست على ما هي عليه قبل عشر سنوات او عشرين سنة وسوف تكون غيرها بعد عشر سنوات او عشرين سنة ، فآلاف الالفاظ قد ماتت ، ولم يعد احد من الناس يستعملها ، فكم من شيخ اليوم لا يفهم ما يتحدث به طفل في مراحله الأولى من الدراسة ، اذن ستكون لنا لغة اخرى يتفاهم بها المثقفون ، والمتعلمون سيزيلون تلك اللهجات ، فلنسجلها قبل ان تموت وينسى حتى الفصيح منها ، لتفيدنا في مسيرتنا عندما نرحل جميعا من العامية الى الفصحى . □□

---

(١) هذه الكلمات التي اوردها كاتب المقالة نقلا عن السيوطي ، وذكر انها تنطق بالراء كما تنطق بالغين كلمات قليلة لا تدل على لهجة عربية مطردة في قلب كل راء غينا ، وقد لاحظ علامة الموصل الشيخ الغلامي في كتابه عن الامثال الموصلية ان اهل الموصل ينطقون كل راء غينا ، واستثنى من ذلك كلمات تنطق بالراء كما في العربية الفصيحة ، وقد لاحظنا ان هذه الكمات التي تنطق بالراء كلمات قرآنية مثل : الارض ، رب ، الرحمن ، البحرين . ولما وجهنا نظره الى ذلك وافقنا على ملاحظتنا . (العربي) .

أسطورة وأساطير

بقلم : محمد خليفة التونسي

□

لكل كلمة عربية مشتقة جانبان : مادتها وصيغتها أو وزنها ، فمادتها تقوم على جذرها (وهو غالبا ثلاثي) وهذا الجذر يدل على المعنى العام الذي يجمع بين الجذر وبين سائر المشتقات منه ، فمثلا : الكلمات : كتب ، يكتب ، اكتب ، كاتب ، مكتوب ، كتاب ، وسائر المشتقات التي تشاركها في مادتها تقوم على جذر واحد هو « ك . ت . ب » الدال على الحدث العام هنا وهو التقييد .

ولكن لكل كلمة من هذه الكلمات ومزيداتها - صيغتها أو وزنها ، الذي يدل على معناها الخاص الى جانب المعنى العام للجذر وكل مشتقاته ، وهو الحدث ، فمثلا كتب يدل على الكتابة في الزمن الماضي ، ويكتب يدل على الكتابة في المستقبل ، وكاتب لفاعل الكتابة ، ومكتوب لما وقعت عليه الكتابة [1] ، وهكذا يقال في كِتَاب وكُتُبَة وكَتَاتيب ، وكتيبة ، واستكتب . بل من هذا الجذر « ك . ت . ب » تشتق « الكتابة » وهي التي تسمى مصدرا ، وكذلك المصادر وأمثالها تؤخذ من جذورها .

(لغتنا الشاعرة)

وتتفق لغتنا وسائر شقيقاتها العروبية (السامية) في أنها اشتقاقية ، وفي أن جذورها غالبا ثلاثية (وان حاول بعضهم ارجاعها الى جذور ثنائية) ، ولكن لغتنا تمتاز من سائر شقيقاتها بأنها أكثر أوزانا ، وأن أوزانها أكثر اطرادا ، ولهذا يسهل علينا أن نأخذ من أي جذر (ثلاثي) أي صيغة أو أي وزن (ولو لم يسمع) وان لم تكن الكلمات في كل الصيغ سائغة على سواء .

ولخصيصة الوزن في معظم كلمات لغتنا ولخصائص أخرى فيها ، يصح أن تسمى لغتنا « اللغة الشاعرة » وهكذا سماها شيخنا عباس العقاد في كتاب بهذا العنوان ، لأن الوزن - الى جانب خصائص أخرى - من خصائص الشعر .

ومن أوزان لغتنا « أفعولة » وجمعها « أفاعيل » (أو « أفاعل » احيانا) ، ومن السهل أن نعمد الى أي جذر ثلاثي فنشتق منه كلمة على هذا الوزن ، سواء كان الجذر صحيح الآخر أو معتله ، فالجذور صحيحة الأواخر مثل (حدث ، سطر ، طرح) نصوغ منها « أفعولة » هكذا : (أحدوثة ، اسطورة ، اطروحة) ، ومعتل الآخر بالياء أو الواو (وهو الناقص) مثل : (ضحى ، لهو ، هوى) ، يصاغ منه على هذا الوزن ، فيقال : (أضحيّة ، وألهيّة ، وأهويّة) ، واذا كان حرف العلة واوا مثل (لهو) ، جاز أن تقول : (ألهُوَّة وألهيَّة) (بالواو أو الياء) وكذلك اذا كان حرف العلة مرة واوا ومرة ياء مثل ، (دعو ، دعي) نقول : أدْعُوَّة ، وأدْعيَّة [2] ،

---

(١) يسمى النحاة الصيغة الدالة على الفاعل : اسم الفاعل ، والدالة على المفعول : اسم المفعول ، مع انها وأمثالها صفات ، وقد يميزون بين الأسماء والصفات وهذا صواب ، أو يعتبرون الجميع اسماء وهذا خطأ ، وهما متشابهان في بعض الخصائص ، ولكنهما يختلفان في خصائص أخرى .

(٢) المزهر للسيوطي ٢/١٢٦

واذا كـان حرف العلة يـاء كانت الصيغـة بالياء مثل : (أضحية ، وأهوية) .

واذا كانت الصيغة بالياء جاز أن تشدد الياء في المفرد والجمع ، مثل أضحيّة ، أضاحيّ ، وجاز أن نخفف الياء في المفرد والجمع ، مثل أضحيَة ، وأضاحٍ (منقوص)[٣] ومثلها أمنيّة ، وأمانٍ بالتشديد ، كما في الآية « ليس بأمانيّكم ولا أمانيّ أهل الكتاب » أو بالتخفيف كقول المتنبي يناجي نفسه في أولى قصائده التي أنشدها أمام كافور في مصر

كـفـى بـك داء أن تـرى المـوت شـافـيـا
وحـسـب المـنـايـا أن يـكـن أمـانـيـا

(دلالة وزن أفعولة)

واذا كان لكل مشتق وزنه الذي يدل عليه بخاصة ، فما دلالة وزن أفعولة ؟ .

(١) تدل احيانا على المرة من الحدث ، مثل : أهزوجة ، أفروده ، أغنية ، أمثولة .

(٢) أو تدل على أداة الحدث مثل : أرجوحة ، أنشوطة ، احبولة ، أنبوبة .

(٣) أو تدل على ماتدل عليه صيغة مفعول ، مثل : أضحوكة ، أضحية ، أطروحة .

(٤) أو تدل على الحدث كالمصدر مثل : أضلولة (الضلالة) ، أكرومة (الكرامة) ، أهوية (الهواء) ، أغوية (الغواية) .

(٥) وقد تدل على أكثر من معنى من المعاني السابقة ، اذ تدل غالبا على المرة من الحدث (بحكم تاء التأنيث فيها) ، وتدل أيضا معه على شيء آخر مما سبق مثل : أدعية أغلوطة ، أعجية ، أمدوحة .

ما مفرد الكلمات من صيغة أفاعيل ؟

وكل الكلمات على صيغة أفاعيل تعد جموعا ، وليس من الضروري أن يكون مفردها على وزن أفعولة . بل يكون المفرد على وزن أفعول ، مثل أسلوب وأساليب وأخدود وأخاديد ، وقد يكون على وزن إفعال مثل : إبهام وأباهيم ، اسناد وأسانيد ، أو يكون على وزن : إفعيل مثل : إبريق وأباريق ، إسفين (وتد) وأسافين ، أو على وزن إفعالة مثل : إضبارة واضابير ، واضمامة واضاميم ، أو يكون على وزن فعيل ، مثل : حديث واحاديث ، ومديح وأماديح ، أو يكون جمعا ، مثل : أقوام (جمع قوم) وأقاويم ، وأقوال (جمع قول) وأقاويل .

ولكن يغلب على وزن أفاعيل أن يكون جمعا لكلمات على وزن أفعولة .

وحيث وجد جمع على هذا الوزن جاز لنا أن نجعل مفرده أفعولة : سمع ذلك أو لم يسمع . على أن يكون سائغا .

وهذه كلمات على وزن أفعولة وجمعها أفاعيل ، وتفسير بعضها : أبطولة ، أثفية (الحجر من ثلاثة تحت القدر للطبخ وغيره) ، أحجية (لغز) ، أحدوثة : (الحديث) أحفورة (الحفرة) ، احكية (حكاية) ، أدحية (مبيض النعام) ، أرجية (رجاء / تأخير) ، اسطورة ، اشغولة (مشغلة) ، اصبوحة ، أضحوكة ، أضلولة ، أطروبة ، أعتوبة ، اعجوبة ، اعطية ، اعلولة ، اعلومة (العلامة) ، أغرودة ، أغنية ، أغوية (مهلكة) ، افعولة (اعجوبة) أفكوهة ، افنونة ، أقسومة (النصيب) ، اكلوبة ، اكرومة ، العروبة ، ألقية (الشدة أو الشيء المطروح) ألهية ، امدوحة ، امسية ، أمثولة ، انبوبة ، انبوشة ، انشودة ، أهزوجة ، اهوية (الهاوية)

ولسنا نريد هنا أن نستوعب كل ماورد أو يمكن أن يرد على أفعولة ، ويكفي هنا أن نشير الى حاجتنا الى الكلمات الخفيفة من هذا الوزن لاستعمالها في المصطلحات العلمية المتجددة الغامرة ، ومثلها مايسمى الفاظ الحضارة .

ومن المصطلحات التي أدخلت حديثا على لغتنا من هذا الوزن كلمة « أقصوصة » ترجمة لكلمة **Short Story** أي

---

(٣) كلمة « اناسيّ » القرآنية ـ جمع إنسي ـ قرئت بتشديد الياء وتخفيفها « أناسيَ كثيراً » .

● صفحة لغة ●

القصة القصيرة ، ومن الكلمات التي يستحسن ادخالها « كلمة » « أرقودة » ، « أو أمهودة » ترجمة لما يسميه الغربيون أغاني المهد للأطفال Lullbies كي يناموا في اطمئنان ، وهذه الأغاني شائعة في كل الأمم وكل اللغات قديما وحديثا ، وليس لها في لغتنا كلمة خاصة ، فهل نستطيع أن نترجمها بكلمة « أمهودة » من « المهد » أو أرقودة من « رقد » .

كما يستحسن ادخال كلمة تدل على الأغاني التي يرقص الأمهات والآباء بها الأطفال ، وفي لغتنا منذ الجاهلية حتى اليوم كثير من هذه الأغاني وهناك بعض الكتب الخاصة بها ، وأقترح تسميتها « أرقوصة » وأراقيص .

ومعروف أن من علامات الصحة والجمال في المرأة أن تكون هيفاء (نحيلة الخصر) واضحة الصدر والردف ، لانها مخلوقة لاستضافة مخلوق آخر ، فاذا كانت واضحة الردف دل هذا على اتساع الحوض لراحة الجنين ، واذا كانت نحيلة الخصر دل هذا على أن المعدة لاتمتلىء ولاتضغط عليه ، واذا كانت واضحة الصدر دل هذا على راحة الطفل في الرضاعة .

وكان العربي قديما يستحب ذلك في المرأة ، وذوقه فطري سليم ، وفي ذلك يقول شاعرنا المخضرم كعب بن زهير في قصيدته المشهورة « بانت سعاد » وهي التي أنشدها أمام النبي عليه الصلاة السلام .

هيفاء مقبلة ، عجزاء مدبرة
لايشتكى قصر فيها ولا طول

ويقول شاعرنا الغزل عمر بن أبي ربيعة في احدى صواحبه

أبت الروادف والثدي لقمصها
مس البطون ، وان تمس ظهورا[4]

والمرأة العربية البدوية - لأسباب بيئتها كانت أدنى الى النحافة ، فكانت بعضهن تربط خلفها ما يجعل مؤخرتها ضخمة ، وهذه تسمى « أضخومة » ، أو « اعظامة » ، وأولى من ذلك أن تسمى « أردوفة » ، أو أعجوزة ، اشتقاقا من اسم العضو « ردف أو عجيزة » كما أن بعضهن كانت مطمئنة الصدر - كمعظم الرجال - فتربط على صدرها ما يظهر لها ثديين أو نهدين ، فهل يجوز أن تسمى ذلك الرباط « أثدية أو أنهودة » اشتقاقا من أحد هذين العضوين « ثدى » و « نهد » ، وهل يجوز أن تسمى ما يشد حول الخصر corsetأى المشد لاظهار نحافته أو رشاقته أو هيفه « أخصورة أو أهيوفة » .

وعندما كان اظهار المرأة على المسرح ممنوعا لتمثيل النساء في المسرحيات ، كان المخرجون يستعيضون عنهن الشبان ، فكان من أدوات التنكر وضع هذه الأدوات على الصدور والأرداف ليظهر الشبان بمظهر النساء . □□

(٤) أى أن ظهور ثدييها وردفيها يمنع التصاق قميصها ببطنها أو ظهرها .

العين

* العين مفتاح شخصية الانسان ، ومفتاح أسراره ، ومجتمع قواه ومعانيه المختلفة . ففيها يتجلى الحب والبغض ، والعداوة والصداقة ، والرحمة والقسوة ، والذكاء والغباوة ، والقوة والضعف ، والحزن والسرور ، والصحة والمرض ، والأمر والنهي ، والهدوء والقلق ، وكل تلك المعاني يشتمل عليها الانسان .

آلام الظهر والرقبة .. وعلاقتها بالوسادة

من المعروف أن آلام الظهر وآلام الرقبة الروماتزمية هي من أكثر الآلام حدة وشيوعا ... ولكنه من غير المعروف أن سبب هذه الآلام المبرحة قد لا يتعدى الوسادة التي تنام عليها ... فالمفروض في الوسادة أن تسند الرأس والرقبة كما في الرسم[١] ولكنها لا تسندهما في معظم الحالات ، كما يبين الرسم[٢] ..

يقول الدكتور هيو سمايث Smythe ، رئيس وحدة الأمراض الروماتزمية في مستشفى ولزلي في تورنتو بكندا .. يقول ان هذه الوسادة غير السائدة هي السبب في معظم حالات آلام الرقبة المنتشرة في بلاد الغرب بنسبة ٧٪ على أقل تقدير ... ذلك أن العمود الفقري يتعرض لبعض التقوس ، بسبب الوسادة الرديئة ، فتتعرض بعض الفقرات للاحتكاك فيما بينها ، بتأثير ذلك التقوس .. ويترتب على هذا وذلك الألم المبرح ..

ومن طريف ما يذكر أن الدكتور سمايث أجرى دراسة وافية لوسائد الشعوب المختلفة .. وسائد أهل الصين والافريقيين وسواهم .. وذلك قبل أن يبتكر وسادته المثالية التي صممها وطورها وفق مقتضيات جسم الانسان وعموده الفقري بالذات .. وقد صنع وسادته هذه من مادة بلاستيكية ثابتة بقدر ما .

وبعد تجربتها على نطاق واسع سمح بصنعها وبيعها في الاسواق على نطاق واسع أيضاً .. وتتميز هذه الوسادة بأنها تسمح للمرء أن ينام على بطنه أو جنبه أو ظهره ... دون أن ينتقص ذلك من استغراقه في النوم أو من الراحة التي يتواخاها منه .

بدائل جديدة أحلى من السكر وآمن من السكارين

● يبدو أن سنة ١٩٨٤ ستكون سنة بدائل السكر والسكارين . فقد تم تطوير ستة من هذه البدائل .. وصدر الترخيص الرسمي باستعمال ثلاثة منها .. وما لبثت هذه أن نزلت الاسواق وراج بعضها على أوسع نطاق .

وهكذا دالت دولة السكارين .. فقد ظهر هذا البديل أول ما ظهر سنة ١٩٣٨ .. ثم ما لبث ان استأثر بالاسواق واحتكرها منذ سنة ١٩٦٩ / ٧٠ وذلك بعد أن حظرت السلطات المختصة استعمال السيكلامات ، بديل السكر الآخر .. الذي شاع ونافس السكارين حتى أواخر الستينات .

←

ومضت سبع سنوات بعد ذلك واذا بالسكارين يتعرض أيضا لهزة عنيفة كادت أن تؤدي الى حظره . . بل ان دائرة الغذاء والدواء قررت بالفعل حظر السكارين . . ولكن الكونجرس الامريكي ما لبث أن تدخل وأبطل قرار الدائرة المذكورة وأباح استعمال السكارين ، بشرط التحذير من الافراط في استعماله . وهكذا بقي السكارين قيد الاستعمال وبقي على انتشاره بالاسواق واحتكاره لها . . حتى ظهرت البدائل الجديدة في الشهور الاخيرة .

ونحصر حديثنا هنا بواحد من هذه البدائل . . الاسبارتم Aspartem فهو أشهرها ولعله أهمها . . عملت على تطويره شركة سيرلي Searle الامريكية المعروفة . . وذلك منذ سنة ١٩٦٥ ، حتى اذا فاز بالترخيص الذي لا غنى عنه للتسويق ، راحت الشركة تدعو الى ترويج « الاسبارتم » ، وتنتجه على أوسع نطاق ممكن . أما مبيعاتها من البديل الجديد (ويعرف باسمين تجاريين أحدهما : أيكول Equal ، والآخر نوتراسويت Nutrasweet فقد بلغت حوالي ٧٥ مليون دولار سنة ١٩٨٢ ، وتقدر بحوالي ٢٥٠ مليون دولار سنة ١٩٨٣ ، وبنحو ٤٠٠ مليون دولار لسنة ١٩٨٤ . لا عجب اذن أن انتشر « الاسبارتم » في ٢٢ دولة أخرى غير الولايات المتحدة الامريكية .

ويعجب المرء لهذا النجاح الذي أصابه « الاسبارتم » بالرغم من غلائه . . فهو أغلى من السكر بنحو ٢٠ مرة . . ولكنه أقوى تحلية منه بحوالي ٢٠ مرة أيضا . . فهو اذن بمثل ثمن السكر في حقيقة الامر . .

أضف الى ذلك ان « الاسبارتم » أغلى بكثير من السكارين . فثمن الرطل (الانجليزي) من هذا الاخير لا يزيد على ٤ دولارات بينما ثمن الرطل من « الاسبارتم » لا يقل عن ٨٤ دولارا . . ومعنى هذا أن « الاسبارتم » أغلى من السكارين بحوالي ٢١ مرة . ولو ذكرنا ان « السكارين » يفوق « الاسبارتم » من حيث قوة التحلية بحوالي ٥٠٪ . . لتبين لنا مدى غلاء البديل الجديد بالمقارنة مع البديل القديم .

ما السر اذن في هذا الرواج الكبير الذي أحرزه الاسبارتم . . بالرغم من حداثة عهده وغلاء ثمنه ؟ . . السر هو في أن البديل الجديد بروتين . . أي مادة غذائية كالسكر الطبيعي تماما . . وتوجد خاماته (الاحماض الامينية) في كثير من الاطعمة التي نأكلها كل يوم . . كبيض الدجاج مثلا . فهو اذن خير من السكارين (المادة الكيماوية المستخرجة من البترول التي لابد ان تكون ذات اعراض جانبية ، قلت أم كثرت . .) ثم ان الاسبارتم خير من السكر الطبيعي . . فهذا يحتوي على السعرات الحرارية بنسبة عالية بينما « الاسبارتم » لا يحتوي على شيء يذكر منها . .

بقي أن نذكر ميزة أخرى للاسبارتم . . فحلاوته تبدأ حلوة وتنتهي حلوة . . كالسكر الطبيعي تماما . . بخلاف السكارين الذي غالبا ما تنتهي حلاوته ببعض المرارة .

الخمرة . . .
تصيب العظام بالوهن والمرض

ما زال العلماء في الغرب يكتشفون المزيد من الأضرار التي تلحقها الخمرة بشاربيها . . . وكان آخر ما اكتشفوه من هذه الأضرار التلف الذي تحدثه الخمرة في العظام . .

أما المكتشفون ففريق من علماء جامعة (لوما لندا) في كاليفورنيا ، أجرى تجاربه المخبرية على كتاكيت الدجاج وأجنته . . . وتجدر الاشارة الى أن الجرعة التي أعطيت لها لم تكن مبالغا بها . . . بل كانت بنسبة ما

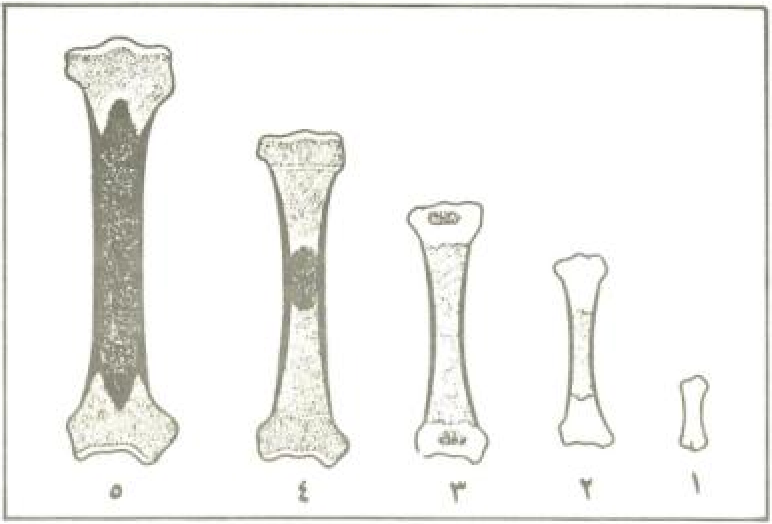

يتجمع في دم الرجل من كحول فيما لو شرب ٤ ـ ٥ كؤوس . .

ويعلق جون فارلي Farely أحد علماء الفريق والاخصائي في الكيمياء الحيوية على ذلك بقوله : ان العظام في الدجاج والانسان وغيرهما من الفقاريات . . تمر في عمليتين مختلفتين في آن معا . . . عملية البناء وعملية الفناء . . . فبينما تمضي بعض خلايا العظام في بناء عظم جديد . . . تمضي خلاياها الأخرى في الوهن والفناء . . . وان احتفظت العظام بحجمها وشكلها فما ذلك الا نتيجة هذا السجال بين العمليتين . . . وقد ثبت بالتجربة العلمية العملية أن كأسا واحدة من الخمر كفيلة بالاخلال بهذا التوازن . . . . وبحجم العظام تبعا لذلك .

ويشير العلماء الباحثون الى احتمال وجود عوامل أخرى تتعاون مع الكحول لأحداث تلف العظام المذكور . . . كألوان الطعام التي يأكلها شارب الخمر ، وآفات الكبد التي قد يعاني منها . . . الا أن ذلك لم يثبت حتى الآن . . . ولن يبطل أثر الخمرة في تلف العظام على كل حال .

بقي أن نذكر أن للخمرة أثرا سيئا آخر . . . فهي تبطل مفعول العقاقير التي يصفها الأطباء بقصد تقوية العظام أو معالجتها . .

والصور اللطيفة الخمس المرافقة تروي قصة تكون العظام من أولها . فالعظام تتكون من نواة غضروفية (١) ثم تحل محل هذه النواة مادة متكلسة Calcified . . وتحل في أوسط العظمة أولا (٢) ثم تظهر تلك المادة المتصلبة في طرفي العظمة (٣) ويظهر بعد ذلك النخاع (٤) ثم تكبر (٥) ولا تنفك العظمة التي استكملت نموها أن تتعرض للعمليتين السابقتي الذكر ، عملية البناء وعملية الفناء . ولكن الكحول هي التي تفسد عليها ما هي بحاجة إليه من توازن بين العمليتين فتتعرض للتلف . . .

الرحيل الأبدي

اكلما سفائني رست
على شواطيء الوجود
تضاءلت روحى تحولت
بحرا من الجمود
وهومت ... فوق ارتعاش الخوف والتسهيد
حرفا خفى الوقع يخفى فى سدول الصمت اصداء الرعود

....

اريد ان تبقى سفائنى
فى لجة الترحال ابحارا بلا حدود
ترقى تلال الموج
تجتاز الجبال السود ...
تناى .. تواصل الترحال فى بحر الزمان ..
وتبتغى .. ألا تعود
لرصيف ازمنة المخاوف ... والتخاذل ... والركود
تابى السفائن ان تعود
لطلول شطآن من الاسمنت قامت ... يا بحار ...
بينى وبين نقاء روحى كالجدار
واقام فيها الليل أستارا محنطة السدود .
ان الرسو على الرصيف نهايتى ... قبرى ... ومنفاى البعيد
سجنى الذى ترسو به الأيام فى لجج اللحود

....

اريد ابحارا بشريان الأمد المسافر فى فؤاد الكون
فى الزمن الابيد
اترشف الاحلام من شفة الخلود
وانا على سطح السفين مسافر
فى صحبة الأنداء أحتضن المنى ...
ألقاً على قمم الشروق
تنثه مقل الوجود ..

شعر : غنيمة زيد الحرب

الكويت

واظل احلم بالرجوع ...
وتبتغى ألا أعود
كيما يظل الحلم حلما ... والمنى ...
محض انتظار خالد ...
- ينأى بعمر الوهم ... يمتص الوعود
اهوى المنى ... غرسا بروض الغيب ينتظر الجنى
ويقودنى نحو السفوح الخضر اشراق السنا
فاظل ابحر نحو فجر الحلم في الق الرحيل
افدى الامانىّ التى احببتها وهماً لغابات السراب مسافرا
يقتات من امل الوصول ...
... وسوف يقتله الوصول .
اهوى المنى ... غيما على هدب الغيوب معلقا
انأى به كي لا تلامسه الرياح
فينحنى من قمة التحليق .... تشربه الرمال
تلوكه شفة الهطول
اخشى الوصول .... اخشى الوصول
كبرعم يابى التفتح ... غاية
ويرى التبرعم والنضوج ... مساربا نحو الضمور
تزهو باحداق الذبول
وكنجمة ... في الأفق سابحة تغور
لتفر في الزمن البديد
عن قبضة الاغماء في صمت الأفول
اخشى الوصول ... واود ابحارا بامواج المدى
والدرب آباد المسافات التى لا تنتهى
فمرافىء الدنيا توارت في بحور الليل
والتجديف في أمواهه السكرى ... ثملٌ يطول
اخشى الوصول ...
واود ابحارا بأعماق الزمان
بسرمد التجوال في ابد الرحيل

أطفالنا أكبادنا

بقلم : الدكتور نبيل سليم

□ قبل أن تبحث فى تاريخ أمة .. عليك أن تبحث عن مكانة اطفالها ، من حيث الرعاية والاهتمام . فالاهتمام بالطفل ليس وليد العصر .. لقد بدأ منذ القدم .. وكان الفراعنة أول من اهتم به .. وكانوا أكثر فهما ودراية .. فاحتفلوا بالطفل ، ولكن على طريقتهم .. وأصبحت ساحة « ابو الهول » المسرح الرسمي للاحتفال بالطفولة . فكان خوفو وخفرع وغيرهما يتبركان لهم تحت أقدام الاله .. بالدعوات والصلوات ..

إذا كان عام الطفل بدأ وانتهى .. فلنر ماذا يجب ان نقدمه للطفل فى كل عام وكل شهر وكل يوم .. حتى يستطيع أن يحمل على كتفيه أعباء نفسه وأعباء وطنه .

ان الحديث عن الطفولة له زوايا متعددة ، لكننا سوف نتعرض لزاوية واحدة وهى : الطب والطفل . ان الأطفال يولدون وبكاؤهم يسبق ضحكاتهم .. وكأنهم يعلنون منذ البداية أنهم فى حاجة الى من يلاطفهم ويرعاهم ويفهمهم ، والى من يحبهم ويحيطهم بالعطف والحنان . فالأطفال لهم فلسفتهم .. ويجب ان نتفهم حقا نفسيتهم وحقيقة ضرورياتهم وامكانياتهم لكى نرعاهم بطريقة علمية وسليمة حتى نتلافى الأخطاء التى نقع فيها اثناء تربيتهم .. انها حقا مسألة حيوية ومهمة تتعلق بأغلى ما نملك فى الدنيا ، ولكى نصل الى تلك المعرفة العلمية والتجربة والممارسة علينا ان نبدأ بطب الاطفال .

ان أهم شيء فى فترة ما قبل ولادة الطفل - فترة الحمل - .. هو التغذية الجيدة للأم ... والراحة الفكرية وتجنب الصدمات النفسية والجسمانية .. ومراعاة عدم السمنة الزائدة .. وعليها مراعاة تجنب أمراض معينة مثل الحصبة الالمانية . اذ أنه لابد من عملية اجهاض عند الاصابة بها اثناء الثلاثة أشهر الأولى للحمل . لان تلك الحصبة تولد فى الطفل التشوهات .. مثل العمى او العتة .

كما يجب على كل زوجة ان تعرف الخطر الذى يهدد طفلها - وهو جنين - قبل ان يولد حيث انه من الممكن ان يتعرض قلب الطفل - مثلا - لعدة اخطار ، حينما تتعرض الأم ايضا لالتهاب الغدة النكفية أو قد تستعمل الأم أى دواء دون استشارة الطبيب .. كل هذه الحالات قد تنتهى بميلاد طفل قلبه به عيب .

وهكذا يصبح على الأم ان تحافظ على صحتها بعدم التعرض لعدوى هذه الامراض .. كذلك

عليها ايضا ألا تستعمل أى دواء الا بمعرفة الطبيب . . وبذلك لايتعرض قلب الجنين لأى اصابة .

قلوب الأطفال

هناك بعض الملاحظات التى تدعو الطبيب الى التأكد من سلامة قلب المولود . . فقد يتأخر الطفل الذى يشكو من لغط خلقى بالقلب عن التنفس أو البكاء لفترة بعد الولادة . . . وقد يكون منتفخا أو متورما مع وجود شىء من الزرقة وقد يكون كبده متضخما . . وهذه كلها علامات عن وجود تغيرات غير طبيعية بالقلب تستدعى الفحص . . والعلاج . .

أما فى فترة الرضاعة فقد تلاحظ الأم ان الوليد يشكو من ضيق التنفس مع سرعة دقات قلبه وتكرار حدوث نزلات البرد والنزلات الشعبية والالتهاب الرئوى . . هنا غالبا تكون الحالة عبارة عن عيب فى تكوين القلب يؤدى الى زيادة الدم الذاهب الى الرئة على المعدل الطبيعي . . وهكذا يحدث الاحتقان المستمر للرئة . . وهكذا تصبح الرضاعة صعبة مع ظهور العرق الشديد من مجرد الرضاعة . . وبالتالى يتأخر النمو العام للطفل الرضيع .

وفى فترة الطفولة فاننا قد نلاحظ زرقة شديدة فى شفتى الطفل واظافره . . مع انتفاخ فى اصابعه . . وقد يحدث ذلك منذ ولادته . . وكل هذه العلامات تعنى وجود عيب فى تكوين القلب . . كذلك قد تلاحظ الأم (خصوصا عندما تلد فى سن متأخرة نسبيا أو بعد الانقطاع لفترة طويلة عن الحمل) ان المولود مغولى الهيئة . . مثل هذا الطفل يحتاج الى فحوص دقيقة للتأكد من سلامة قلبه .

هذه الاختبارات قد تكون عن طريق كشف بالأشعة . . رسم القلب . . تسجيل أصوات القلب . . قياس نسبة الاكسجين فى

الأطراف .. قسطرة القلب .. ثم الأشعة الملونة لحجرات القلب .

والحق يقال ان نسبة الخطورة من اجراء هذه الأبحاث أصبحت الآن معدمة فى كل مراكز الفحوص ، وهذه الخطورة ان وجدت لا تتعدى واحدا من المائة .. وهى النسبة المقررة لهذه الابحاث فى اى مركز عالمى بالخارج .

وعلى هذا الأساس يجب أن تسارع كل أم بفحص قلب طفلها .. حتى تتأكد من سلامته وحتى يمكن علاجه فى وقت مبكر .. خصوصا وان الكثير من التشوهات التى قد تحدث فى القلب قد أصبح له جراحات فعالة وشافية ، واصبح للتشوهات الكبيرة عمليات جراحية تجرى للطفل فى سن مبكرة حتى تصل به السن المناسبة لاجراء الجراحة الشافية .

ان علاج طفلك وهو صغير يعطيه اكبر فرصة للشفاء .. بينما يؤدي التكاسل وتأجيل العلاج الى الخطر على حياته في بعض الاحيان ، وعلى صحته في اغلب الاحوال .

● نوم الأطفال : يختلف عدد ساعات النوم عند الأطفال حسب سن الطفل .. ومن طفل لآخر ، كما انها قد تتفاوت عند نفس الطفل بين وقت وآخر ، وهذه ارقام تقريبية لنوم الأطفال .

ـ خلال الستة شهور الأولى من العمر ينام الطفل من ١٦ الى ٢٠ ساعة كل يوم .

ـ خلال الفترة من ٦ : ١٢ شهرا ينام الطفل من ١٤ الى ١٦ ساعة كل يوم .

ـ خلال الفترة من ١٢ : ٢٤ شهرا ينام الطفل من ١٢ الى ١٤ ساعة كل يوم .

هذا وتقل فترة النوم تدريجيا بعد ذلك ولكنها لاتقل عن ١٠ ساعات كل يوم خلال العاشرة .

● فترة ماقبل النوم : بعض الأطفال يخلدون الى الهدوء قبل النوم ، والبعض الآخر « وهو عدد قليل من الأطفال » يصير عصبيا فيكثر بكاؤه دون وجود سبب ظاهر كأنه فى واقع الامر لايريد النوم .. ولابد ان تخلو فترة النوم من اى اثارة او استدعاء لانتباه الطفل « كمشاهدة التليفزيون او ازعاج صوت الراديو » .. اما الموسيقا الهادئة الناعمة فقد تؤدى الى سرعة نوم الطفل .

● أسباب قلق الأطفال : هناك أسباب عديدة لقلق الأطفال فى النوم نذكر منها : ـ

ـ الجوع .. وذلك مصداقا للمثل الدارج (ان جاعوا زنّوا ، وان شبعوا غنوا « ناموا ») .

ـ المغص .. نتيجة لعسر الهضم او غيره .

ـ تبول الطفل او تبرزه اثناء النوم يؤدى الى تلوث ملابسه ، ولا يكف الطفل عن البكاء حتى يتم تغيير ملابسه .

ـ كثرة الأغطية وخاصة خلال الصيف او قلة الأغطية خلال الشتاء البارد .

ـ وجود حشرة كالناموس أو البرغوث بسرير الطفل تلدغ الطفل فيحدث البكاء .

ـ ارتفاع حرارة الطفل لأسباب مرضية .

ـ حالات مرضية ونذكر منها التهاب الأذن الوسطى والفتق الأربي المختنق .

هذا ويجب ان تعرف الأمهات ان معظم - ان لم يكن كل - الاطفال الصغار وبالتحديد خلال الشهر الأول وربما الثانى من العمر ينامون طول النهار ، ويكثر القلق مع البكاء خلال الليل مما يؤدى الى اضطراب نوم الأسرة ، ونؤكد ان ذلك الاضطراب فى نوم الطفل خلال الاسابيع الاولى من العمر شىء طبيعى ويزول هذا الاضطراب بعد نهاية الشهر الثانى .

● أفضل الأوضاع لنومه : تعتقد معظم الامهات ان نوم الطفل الصغير على ظهره مريح ، والبعض الآخر يضع الطفل الصغير فى السرير على جانبه . . وقد وجد الأطباء فى اوروبا وامريكا ان افضل الاوضاع لنوم الطفل الصغير - وخاصة بعد الرضاع - هو النوم على البطن وذلك للأسباب التالية :

- ليس هناك أى احتمال لحدوث الاختناق « وذلك - بالتأكيد - شىء نادر الحدوث جدا » بعد الرضاعة ، وذلك يفرض عدم وضع وسادة تحت رأسه .

- يستطيع الطفل التخلص من الغازات .

- وبذلك يقل حدوث المغص الذى يحدث عند الاطفال الصغار خلال الثلاثة اشهر الاولى من العمر ، ويؤدى الى قلق نوم الطفل وكثرة الخرق .

- قد يأخذ الرأس شكلا أفضل عندئذ ولا يجب ان تنسى الامهات ان كثرة نوم الطفل على ظهره تؤدى الى حدوث الطفح الناتج عن اللفة فى منطقة الاليتين فيؤدى الى كثرة بكاء الطفل الصغير .

هذا ولا توضع وسادة تحت رأس الطفل حتى نهاية العام الاول من العمر وبعد ذلك توضع وسادة مناسبة .

تغذية الرضيع

عند ما يولد الطفل يصبح لبن الأم أهم شىء لديه ، لأنه أكثر الالبان أمنا وضمانا لنموه الطبيعى . لانه اللبن الوحيد الغنى بالبروتينات مع مركبات الحديد والأحماض الأخرى مثل حمض الفوليك Folic Acid

لقد كان مثيرا فى مؤتمر « اسهال الاطفال » الذى عقد بالاسكندرية مؤخرا ، أن الاطباء الذين اجتمعوا فى هذا المؤتمر اكدوا أن نسبة كبيرة من الاطفال اصبحوا يعانون من مرض سوء التغذية . . وأبرزها الانيميا . . او مرض (الكوشيوركور) وهو مرض يصيب اطفالنا بسبب نقص البروتينات .

ان الرأى العام السائد فى العالم الآن هوأنه لابد للأم ان ترضع طفلها الثلاثة أشهر الاولى فى أدنى الاحوال ثلاثة اسابيع ، فرضاعة الطفل من ثدى امه فى هذه الفترة تجنبه متاعب كثيرة جدا . حيث ان لبن البقر المجفف قد يسبب ضررا للرضيع . لان البوتاسيوم عال جدا فى اللبن الحيوانى سواء كان طازجا أو مجففا .

وعندما يرتفع الفسفور فى الدم يقل الكالسيوم . كذلك العكس إذ ان هناك نسبة بينهما بالتبعية ، وهبوط الكالسيوم فى دم الوليد يعرضه لنوع من التشنجات . كما أن الاملاح مثل البوتاسيوم والكالسيوم والكلور عالية فى اللبن الحيوانى - فهى تعتبر حملا ثقيلا على الكلى للوليد . وقد تؤدى الى ورم عام فى الجسم خاصة اذا كان الوليد جاء قبل الأوان . فرضاعة الطفل من ثدى امه تعطيه مناعة ضد بعض الامراض التى تكون الأم قد اخذت فيروسها . مثل فيروس شلل الاطفال او الحصبة وغيرها .

وتظل هذه المناعة مع الوليد لمدة ثلاثة اشهر ، ومن النادر جدا ان يصاب بهذه الأمراض ، بعد انتهاء فترة المناعة يجب ان نعطى التطعيم للوليد . وهناك ايضا ناحية سيكلوجية مهمة فى عملية ارضاع الوليد من ثدى امه وهى الارضاء النفسى للطفل وللأم ذاتها .

ويعتبر حليب الأم الغذاء المثالى للطفل فى الاشهر الاولى من عمره ، وذلك لأنه غذاء سهل

الهضم ، متوفر لدى الأم ، ولا يكلفها شيئا ولا يلقى بأى عبء مادى على الأسرة ، فضلا عن كونه خاليا من البكتيريا الضارة وخاصة ما يسبب منها النزلات المعوية . لكل هذه الأسباب وغيرها ننصح الأم الشابة بأن تهيء لطفلها كل الفرص للتغذية على حليبها .

وغذاء الأم المرضعة يجب ان تتوفر فيه - كما هو الحال اثناء فترة الحمل - كمية وفيرة من البروتينات مثل اللحم ، والبيض ، والجبن ، وننصح الأم بشرب الماء واللبن وتناول الكثير من الخضر والفواكه الطازجة والخبز ويجب ان تقلل من المنبهات كالشاى والقهوة ، ولا تستعمل التوابل والثوم فى طعامها ، ولا تتعاطى من الدواء الا ما يشير به الطبيب .

ولما كانت الانفعالات النفسية العنيفة والارهاق تؤثر على كفاية حليب الأم ، فنصيحتنا للأم المرضعة ان تتحاشى هذه المنغصات .

وتبدأ الأم فى ارضاع وليدها بعد نحو ثمانى ساعات الى اثنتى عشرة ساعة من الولادة الطبيعية او بعد ذلك حسبما يرى الطبيب . . وفى فترة الأيام الثلاثة الاولى بعد الولادة يكون للثدى إفراز يسمى « السّمار » وهو سائل على درجة غير عالية من التكوين الغذائى ، ولكنه يناسب مقدرة الجهاز الهضمى للطفل فى أولى مراحل الانتقال ، ولكى نضمن للطفل مستلزماته فمنذ هذه الفترة يجب اعطاؤه - بين حين وآخر - مقادير من الماء السابق تعقيمه بالغلى ، او بعض السوائل كالتليو او الكراوية بقليل من السكر ، وعلاوة على ارضاعه من الثديين لنضمن ادرار اللبن ، وفى العادة يكون ادرار اللبن فى اليوم الثالث بالقدر الوفير اللازم لاحتياجات الطفل ، ويلاحظ خلال الايام الاولى من عمر الطفل عدم التقيد بمواعيد محددة للرضاعة ، بل يرضع الطفل كلما طلب ذلك باظهار علامات الجوع ، وبعد فترة وجيزة قد تصل الى اسبوعين او ثلاثة اسابيع نجد ان طلب الطفل للرضاعة سوف ينتظم فى اوقات معينة تبلغ خمس او ست مرات فى النهار ، وحينئذ يكون اتباع التوقيت الذى يختاره الطفل فتثابر الأم على ارضاع طفلها على فترات منتظمة كل ثلاث أو اربع ساعات من حوالى السادسة صباحا الى العاشرة مساء .

وعند الرضاعة تختار الأم مكانا هادئا ، وتجلس مستريحة واضعة الطفل على ركبتها مع رفع العنق والرأس بالذراع ناحية الثدى الذى يمسك به الطفل ، وتمسك الأم بالثدى فى راحة يدها الأخرى كي لا يعوق تنفس الطفل . . وفى العادة تدوم الرضاعة على الثديين من عشر الى خمس عشرة دقيقة ، وخلال الرضاعة ولدى الانتهاء منها ، يرفع الطفل برفق لوضع قائم مع إسناد ظهره ورقبته كى يتجشأ « يتكرع » الهواء الذى ابتلعه اثناء الرضاعة . ويؤخذ فى الاعتبار ضرورة غسل حلمتى الثديين قبل وبعد كل رضاعة بالماء المعقم مع تجفيفها جيدا .

واذا لم يكن لدى الأم ما يكفى طفلها ، فيجب ألا تتردد فى استشارة الطبيب حتى وان لم يحن ميعاد الزيارة المقررة ، وقد يشير الطبيب بما يراه خاصا بأي تغذية اضافية ان لم يتوافر لدى الأم من الحليب ما يكفى رضيعها .

نصائح للعناية برضيعك

- استعدى لاستقبال طفلك باعداد كل ملابسه ، وما يحتاج اليه قبل ولادته بوقت كاف ، والأفضل ان يكون ذلك قبل بداية الشهر السابع للحمل ، حتى لاتجدى نفسك فى ورطة بسبب احتياجاك الى أشياء ضرورية مثل الغيارات أو أدوات الرضاعة أو مقياس الحرارة او المشمع الخ . .

- لا تقلقى عندما يفقد طفلك جزءا من وزنه فى الايام الاولى بعد ولادته ، فانه يتخلص من جزء من الماء الزائد فى جسمه ثم ما يلبث ان

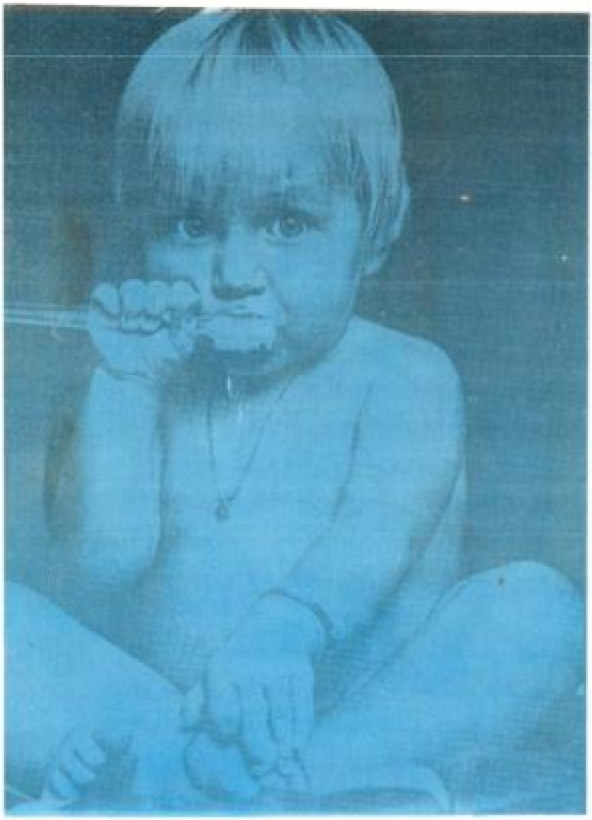

يعوضه فى فترة وجيزة . ويبدأ وزنه ـ بعد ذلك فى الزيادة المطردة .

ـ لا ترغمى نفسك على ارضاع طفلك اذا شعرت انك عصبية وليس لديك الاستعداد لارضاعه ، اعطيه رضعة صناعية ثم أرضعيه من الثدى بعد ذلك فى الرضعة التالية ، اذ ان ادرار اللبن عند الأم يتأثر بحالتها النفسية .

ـ أعطى طفلك رضعة خفيفة ليلا « الثانية بعد منتصف الليل » من مغلى « التليو » او « الكراوية » اذا شعرت ان رضعة الليل ترهقك وأنت نصف نائمة .

ـ اما اذا كان طفلك يرضع صناعيا فاعطيه الرضعة وانت تحمليه بين ذراعيك كما لو كنت ترضعينه من ثديك فهذا يفيده من الناحية النفسية ، لا ترضعيه وهو نائم فى سريره .

ـ راقبى اللبن بحيث تتأكدين انه يملأ الحلمة اثناء الرضعة ولا يترك فراغا يدخل منه الهواء الى معدته فيسبب له المغص بعد الرضاعه .

ـ لاترغمى طفلك ان يأخذ الرضعة الى آخرها . فالأم التى تجبر طفلها على أخذ اكثر مما يريد ، تربى لديه كراهية للغذاء ومقاومة لتناوله .

ـ لاتحاولى الاحتفاظ باللبن الذى يتركه رضيعك فى الزجاجة اذ يصبح غير صالح للرضاعة بعد مرور ساعات ، ويجب ان تتخلصى منه على الفور .

ـ اغسلى الزجاجة والحلمة فور انتهاء الرضعة بالماء الدافىء والصابون ، باستعمال فرشة زجاجات تخصصينها لهذا الغرض .

لاتنتظرى حتى تغليها مع باقى الزجاجات وتتركى آثار اللبن بداخلها فتحمض وتتكاثر فيها الميكروبات ، وتأكدى بعد الغسيل ان ثقوب الحلمة خالية من آثار اللبن .

ـ ابدئى من الشهر الخامس فى اعطاء طفلك كمية صغيرة من اللبن كل يوم فى فنجان بدلا من الزجاجة ليعتاد على فكرة ان اللبن يمكن ان يتناوله فى فنجان ايضا ، فلا يرتبط اللبن فى ذهنه بالرضاعة فقط . بذلك يسهل فطامه فى الوقت المناسب عندما تكون سنه ملائمة لذلك . اما اذا انتظرت الى الشهر التاسع او العاشر لتبدئى فى اعطائه اللبن فى الفنجان ذاته فسوف يرفض أخذه ولن يستسيغ رائحته .

ـ لا تتعجلى فطام الطفل ، فكل طفل يختلف عن الآخر فى المدة التى يستغرقها ليتخلى تماما عن الرضاعة . وافطميه تدريجيا . فتبدئين من سن ١٠ شهور ، ولا يتخلى تماما عن الرضاعة الاعندما يبلغ سنتين .

ـ لاتعطى طفلك نوعا جديدا من الغذاء بكمية كبيرة من أول مرة وتعودى على ان أى

غذاء جديد يجب ان تعطيه له بكمية صغيرة ثم زيديها شيئا فشيئا .

ـ اعطى طفلك عصير البرتقال المخفف بكمية معادلة من الماء المغلي بعد ان يبرد ، ابتداء من الشهر الثالث تقريبا ، طالما ان هضم الطفل طبيعي . اعطيه من البداية ملء ملعقة شاى من العصير المخفف بمقدار ملعقة شاى من الماء السابق غليه فى اليوم الأول ثم زيدى هذه الكمية تدريجيا .

ـ ابدئى فى اعطاء طفلك صفار البيض المسلوق جيدا عندما يبلغ ستة أشهر او حتى قبل ذلك ، اذا كان طفلك ليس لديه استعداد للحساسية . وابدئى بربع صفار بيضة ثم زيدى الكمية تدريجيا ، فالميزة الكبرى فى صفار البيض انه يحتوى على الحديد وهو الشىء الذى لا يحتوى عليه اللبن .

ـ نظفى أذن طفلك من الخارج كل يوم باستعمال قطعة من القطن الطبى ، ونظفى أنفه باستعمال قطعة قطن صغيرة ملفوفة على عود كبريت او سلاكة اسنان ، اما أظافره فقصيها كلما طالت وذلك اثناء استغراقه فى النوم ، لأنك اذا تركت اظافره طويلة فقد يجرح بها وجهه .

ـ امسحى فم طفلك بقطعة قطن طبى مبللة بالماء السابق غليه ، وذلك عقب كل رضعة حتى تتأكدى انه لاأثر للبن حول شفتيه .

ـ يجب ان يستحم طفلك كل يوم فى الصيف . أما فى الشتاء فلا تدخلى طفلك الحمام من الشهور الاولى ، والأفضل ان يستحم فى غرفة دافئة تدخلها الشمس ، ولا ضرورة للحمام كل يوم في الأيام القارصة البرودة ويكفى ان يعتنى بنظافته بعد التبول والتبرز . ويكفى ان يستحم مرتين فى الأسبوع .

الملابس والغطاء

لاتلبسى طفلك ملابس أكثر من اللازم ، فهذا يجعله يفقد قدرته على التأقلم السريع مع الجو الخارجي ، ولا تختبري دفئه بجس يديه ، فمعظم الاطفال تظل ايديهم باردة بالرغم من دفء اجسامهم . ولكن تحسسى قدميه او رقبته لتعرفى درجة حرارة جسمه الحقيقية . وافضل دليل هو لون وجهه ، فالطفل الذى يشعر بالبرودة يختفى احمرار وجنتيه .

ـ استعملي الغطاء المصنوع من الصوف فهو افضل غطاء في الشتاء للطفل ، وأنسب أنواع الاغطية الصوفية هي تلك المصنوعة من نسيج التريكو لأنها مرنة وخفيفة الوزن وتمنح طفلك الدفء المطلوب ، اما في الصيف فاستعملي غطاء مصنوعا من التريكو القطن .

ـ عرضي طفلك للهواء الطلق لمدة ساعتين او ثلاث ساعات يوميا عندما يكون الجو مناسبا ، ولكن في المرة الاولى ابدئي بربع ساعة فقط ثم زيدي المدة تدريجيا ، فالهواء الطلق يفتح شهية الطفل ويساعده على النوم الهادىء .

ـ ضعي رضيعك لينام على وجهه بدلا من النوم على ظهره وذلك خلال الأشهر الأولى فلهذا الوضع عدة مزايا منها : انه يعطي راحة للطفل الذي يشكو من سوء الهضم ، واذا تقيأ قليلا بعد الرضاعة لا يحتبس تنفسه وهذا الوضع يقوى عضلات الرقبة .

لا تنسي ان تخصصي بعض الوقت كل يوم للعب مع طفلك ، فهو يحتاج الى اللعب معك ويتعلم منك ويسعد بنظرتك الفرحة اليه ، فهي تنمى روحه مثلما ينمى اللبن عظامه .

لا تكوني قلقة ولاتستدعي الطبيب لأي سبب ، ولكن سارعي بعرض طفلك على الطبيب اذا ظهر عليه تغير غير مألوف في حالته العمومية مثل الشحوب الشديد او التراخي أو القلق او البكاء المستمر ، أو اذا أصيب بالاسهال ولا سيما خلال السنة الاولى ، او بالتهاب شديد في العينين ، واذا جرح في رأسه ، أو خبط خبطة شديدة ولم يكن بادي الصحة التامة بعد مرور نحو خمس عشرة دقيقة . □□

يهوه..
إله إسرائيل الدموي

بقلم : سيد محمود القمني

☐ هذا البحث يصور عقائد اليهود كما أوردتها الأسفار اليهودية المتداولة ، لا على حسب ما جاء في القرآن الكريم ، وهناك فرق واسع بين الصورتين ، وأهمية هذه الصورة أن اليهود يعملون بما جاء في كتبهم وحسب تعليماتهم » .

مثل بقية القبائل السامية التي انتشرت ما بين الرافدين والبحر المتوسط دان العبريون ـ الذين عرفوا في مراحل تالية بـ « بني اسرائيل » وبـ « اليهود » ـ بعبادة كبير آلهة الرافدين « ايل » وبصريح العبارة يؤكد كتاب اليهود المقدس(العهد القديق ـ التوراة) أن « ايل اله اسرائيل ـ اصحاح ١٢ تكوين » .

وفي هذا الكتاب نجد « ايل » يحظى بالسيادة على العقلية العبرية طوال المرحلة الابراهيمية حتى ظهور النبي موسى ، علما بأن الكتاب يعيد أصل الأسرة الابراهيمية الى مدينة « أور » الرافدية ، حيث هاجرت من هناك الى كنعان وفلسطين » .

والى « ايل » يتنسب يعقوب النبي باسمه (هو ابن اسحق بن ابراهيم) ، فقد تسمى بـ « اسرائيل » أو « اسر ـ ايل) أي جندي الرب أو حامي ايل) ، ومن ثم أصبح أولاده الأثنا عشر (الأسباط) يدعون بني اسرائيل ، والى ايل تتنسب كل الأسماء ، الملائكية من جبرائيل الى ميكائيل واسرافيل وعزرائيل . . . الخ .

ويقول الكتاب انه بعد فترة من الزمن قضاها العبريون في فلسطين أصاب الأرض قحط ، فرحل الأسباط الى سيناء ، ومن هناك دخل بعضهم مصر الفرعونية حيث تكاثروا زمنا ، ومن نسل « لاوي » احد الاسباط جاء النبي موسى .

من اخناتون الى موسى

في اصحاحه الثاني يروي سفر الخروج : أن

موسى نشأ وترعرع في البلاط الملكي حيث تبنته أميرة فرعونية ، فصار لها ابنا ودعته موسى ، ويذهب الباحثون الى أن الاسم « موسى » اسم فرعوني خالص ويعني (ابن) ، ويزعم « برستد » في مؤلفه (فجر الضمير ـ ص ٣٣٦) أن موسى مختصر من اسم فرعوني مركب كما كانت عادة المصريين في التسمية ، على غرار ما نجد في اسم الفرعون « تحتمس » ، أو « تحوت موسى » فهو مركب من (تحوت = اله الكتابة + موسى = ابن) أي ابن الاله تحوت ، مثله أحمس ورعموس .... الخ .

ويذهب جل المؤرخين والاثريين نفس المذهب في كون موسى اسما فرعونيا فيؤكد « ديورانت » في مؤلفه الموسوعي (قصة الحضارة ، الجزء الأول ، المجلد الثاني ، ص ٣٢٦) : « ان موسى اسم مصري لا اسم يهودي ... ويقول الاستاذ جارستانج عضو بعثة مارستن التابعة لجامعة ليفربول أنه كشف في مقابر أريحا الملكية أدلة تثبت أن موسى أنجبته في عام ١٥٢٧ ق . م . بالتحقيق الأميرة « حتشبسوت » (الملكة حتشبسوت فيما بعد) ، وأنه فر من مصر حين جلس على العرش عدوها تحتمس الثالث » . واذا أخذنا بتأريخه لخروج اليهود من مصر (١٤٤٧ ق . م) فان ذلك يقرب موسى من زمن « أخناتون » فرعون التوحيد الذي دعا الى عبادة اله واحد تتمثل قوته في الشمس ، وقد عرض جارستانج عددا من الجعلان والخزف زعم أن عليها نقوشا تؤكد بنوة موسى لحتشبسوت .

وقد لاحظ « فرويد » مثل هذه الملحوظات فبنى عليها افتراضا في كتابه (موسى والوحدانية) خلاصته زعم بأن موسى ، ربما كان أحد كهنة اخناتون فرعون التوحيد وحين انهارت ديانة اخناتون اتجه نحو العبريين المستعبدين بمصر وعلمهم هذه العبادة بعد أن مزجها بعقائدهم ، وفر بهم من مصر الى فلسطين لينجو من أعداء الديانة الاخناتونية ، بينما يدعم « برستد » وجهة نظره (ص ٣٨٠ ـ فجر الضمير) بأن العبريين لديهم مأثور يؤكد أن موسى كان متفقها تماما في حكمة المصريين ، اضافة الى حضه العبريين للاخذ بشعيرة الختان وهي شعيرة فرعونية ، هذا ناهيك عن تفسير « فرويد » لثقل لسان موسى بكونه نتيجة حتمية لاختلاف لسانه المصري عن اللسان العبري .

أما ظهور الاله يهوه في عهد موسى ليحل محل ايل الابراهيمي ، فيتضح من خلال سرد الكتاب المقدس لحكاية عن طلب المصريين موسى لجريمة قتل فيها مصريا ، وهرب على أثرها الى « مديان » (الأصحاح ٢ خروج) ، ومديان على سفوح سيناء حيث سكنت هناك قبائل كنعانية ، وحل موسى ضيفا على « يثرون »[١] شيخ مدين وكاهنها ، وتزوج ابنته ، واشتغل برعي غنمه ، وهنا يقول الكتاب : « فساق الغنم الى ماوراء البرية وظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عليقة ، . . فلما رأى الرب أنه مال لينظر ناداه الله من وسط العليقة وقال : موسى . . لاتقترب الى هاهنا ، اخلع حذاءك من رجليك لأن الموضع الذي أنت واقف عليه أرض مقدسة . . اني رأيت مذلة شعبي في مصر . . فنزلت لأنقذهم من أيدي المصريين وأصعدهم الى . . أرض تفيض لبنا وعسلا ، الى مكان الكنعانيين » ، ولما سأله موسى عن اسمه قال : هكذا تقول لبني اسرائيل : « أهيه أرسلني اليكم . . يهوه أرسلني اليكم ، هذا اسمي الى الأبد » (أصحاح ٣ خروج)وبناء على هذا الأمر الالهي . . حسبما يزعم الكتاب المقدس ـ عاد موسى الى مصر ليقود العبريين في رحلة الخروج عبر سيناء نحو كنعان « فلسطين » تحت زعامة الاله الموسوم بـ « يهوه » .

---

١ ـ يقال في رواية اسلامية شعيب المذكور في القرآن المجيد . « العربي »

●يهوه : اله اسرائيل الدموي

جذور يهوه الوثنية

يلوح لنا أن خروج اليهود كان بداية خلط شديد بين العقائد المصرية التي تأثروا بها ـ ولا شك ـ أبان وجودهم هناك ، وبين عقائد الكنعانيين الذين تبدأ حدودهم الجغرافية عند سفوح سيناء الشرقية . ولعل أهم التأثيرات المصرية تظهر في العجل الذي يزعم الكتاب أن هارون صنعه لليهود ليعبدوه ـ بعد تغيب موسى أربعين ليلة فوق الجبل ليحضر الواح الشريعة ـ انما هو العجل « أبيس » المصري ، وفي تابوت العهد الذي أمر يهوه موسى بصنعه لينزل ويسكن فيه ، ويحمله الاسرائيليون معهم في ترحالهم ليكون معهم حاميا دائما ، ومجموع مواصفات هذا التابوت العجيب الوارد بطول الأصحاح ٢٥ خروج لا تخرج عن مواصفات التوابيت المصرية للآلهة الفرعونية ، ومن أطرف القصص حول التابوت أن الفلسطينيين استطاعوا اختطافه في احدى المعارك فهزموا الاسرائيليين لأن الله كان معهم في التابوت .

ومما يجدر ذكره أن أهم الأسس التي بنى عليها فرويد مذهبه في مصرية موسى وكهانته للديانة الاخناتونية ، أن الدين اليهودي ظل طوال عصوره حتى قرابة القرن الأول قبل الميلاد يرفض فكرة البعث والحساب ، وهو ذات الرفض الذي استمدته الديانة الاخناتونية للقضاء على الايمان بالاله أوزيريس اله الخلود المصري ، تحقيقا لمبدأ التوحيد والقضاء على كافة الآلهة الأخرى غير الاله « آتون » الواحد .

أما التأثير الكنعاني فيظهر في تفسير « ديورانت » تحول اليهود من عبادة ايل الى عبادة يهوه بقوله : « يبدو أن اليهود الفاتحين قد عمدوا الى أحد الهة كنعان فصاغوه في الصورة التي كانوا هم عليها ، وجعلوا منه الها ذا نزعة حربية . . ويلوح انه كان في بداية أمره الها للرعد يسكن الجبال » ، ولو قمنا بمقارنة بين عقائد يهوه اليهودية وبعض اعقائد الكنعانية ، سنجد أن تفسير ديورانت يحظي بالقبول ، ويتسم بكثير من الصحة .

ولعل أشهر الهة كنعان ، ذاك الذي حمل اسمه معنى السيادة فسمى البعل « ادوناي »[٢] والبعل ادوناي كما يظهر في الواح اوغاريت الاثارية هو اله بروق ورعود وصواعق ، الغيوم مركبته التي يستقلها والبرق ضوء وجهه الرباني اذا تجلى ، الرعد صوته والصاعقة سوطه ، والمطر نعمته ورضاه عن عبيده ، وله اسطورة طويلة تحكي بطولاته وصراعه مع اعداء البشر من تنانين خرافية ، وقتله للحية الضخمة متعددة الرؤوس « لوياثان » ، والعجيب أن نجد تطابقا يكاد يكون حرفيا بين هذه الخرافات الاوغاريتية وبين النصوص التوراتية ، واليك نموذجا منها :

تقول اللوحة السادسة من اسطورة بعل الاوغاريتية : « ايها الظافر بعل ، تشق حجب الغيوم ، ياراكب السحاب ، ترسل صوتك رعدا فترتجف الجبال ، ترتعد فرائص الاعداء » (ترجمها د . أنيس فريحة في كتابه ملاحم واساطير ص١٣٣) . ويقول الأصحاح ٢٩ ، ١٠٤ من المزامير « صوت الرب على المياه ، اله المجد أرعد ، الرب فوق المياه الكثيرة ، صوت الرب بالجلال ، « السحاب مركبته ، الماشي على أجنحة الريح » . وتقول نفس اللوحة الاوغاريتية : « في ذلك اليوم يعاقب الرب بسيفه القاسي العظيم الشديد لوياثان ، ويضع نهاية للحية الملتوية الهاربة ، شالياط ذات الرؤوس السبعة » ويقول الاصحاح ٢٧ في سفر اشعياء : « في ذلك اليوم يعاقب الرب بسيفه القاسي العظيم الشديد لوياثان الحية الهاربة ، لوياثان الحية المتحوية ، ويقتل التنين الذي في البحر . ولعل أوضح الادلة على الاثر الكنعاني في يهوه ، هو أن اليهود استعملوا الاسم

٢ ـ أدوناي بمعنى سيدي ، واليهود لاينطقون اسم « يهوه » بل ينطقون بدلا منه أدوناي . « العربي » .

« ادوناي » في الكتاب المقدس تبادليا مع الاله « يهوه » في أكثر من موضع ، بل أن قانون الايمان اليهودي يقول : اسمعي يااسرائيل : ان الهنا ادوناي هو الاله الاوحد .

وبالعودة الى النص الاوغاريتي نجده يحدثنا عن أمر من البعل لاتباعه قائلا « قبل طلوع الفجر ، توجهوا الى طور غزة . . » وه طور غزة » يأخذنا جنوبا الى سفوح سيناء حيث عمرت هناك بعض القبائل الكنعانية ، وقد اكتشفت هناك عام ١٩٣١ قطع من الخزف من بقايا عصر البرونز ، مكتوب عليها اسم اله هو « اياه - ياهو » ، وفي الاصحاح ٤٨ من المزامير « غنوا لله رنموا لاسمه ، اعدوا طريقا لراكب القفار ، باسمه ياه » . كما عثر على نص اوغاريتي يقول فيه الاله ايل : « اسم ابني ياو » !! بل ويؤكد الاثري برستد ان القبائل الكنعانية القاطنة بسيناء جنوبي فلسطين وبالتحديد أهل مديان ، كانت تدين قبل زمن بعيد بعبادة اله وثني يدعي « يهوه » ، وهي القبيلة التي استضافت موسى حين حل ضيفا على يثرون كاهن يهوه ، عند هروب موسى من مصر بعد جريمة قتله المصري (انظر فجر الضمير ص٣٧٦) .

يهوه بطل حرب

في كتابه (مغامرة العقل الاولى - ص١١١) يؤكد « فراس السواح » أن يهوه ابتدأ بداية وثنية متواضعة ، فيهوه لايدعي العلم المطلق ، عندما يطلب الى اليهود أن يميزوا بيوتهم بدهنها بدماء الخراف المضحاة ، فلا يهلكون مع من يريد اهلاكهم من المصريين ؟! (انظر اصحاح ٦ خروج) ، وهو اله متردد يخشى شماتة الناس به وبشعبه ، ويستطيع موسى بذكائه أن يدفعه لتغيير رأيه (انظر اصحاح ١٤ عدد)وهو اله مشخص يمكن رؤيته بالعين المجردة ، فهذا موسى يلمح قفاه « فتنظر الى ورائي أما وجهي فلا يرى - اصحاح ٣٣ خروج » ، وهو بطل يصارع الوحوش والتنانين تماما كالآلهة السورية والبابلية والاغريقية .

ونضيف الى فراس السواح هنا أن هناك كثيرا من النصوص التوراتية تؤكد امكانية رؤية يهوه ، والحديث معه وجها لوجه ، حتى السلام عليه وتناول الطعام معه خبزا وملحا ، وهاك بعض هذه النصوص : « يكلم الرب موسى وجها لوجه كما يكلم الرجل صاحبه - اصحاح ٣٣ خروج » ، « ولما كان الصباح انه صارت رعود وبروق وسحاب كثير على الجبل ، وصوت بوق شديد . . وأخرج موسى الشعب لملاقاة الله . . وكان جبل سيناء كله يدخن أجل أن الرب نزل عليه بالنار - اصحاح ١٩ خروج » ، وان « موسى وهارون . . وسبعين من شيوخ بني اسرائيل صعدوا الى الجبل وهناك رأوا اله اسرائيل . . وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الازرق الشفاف ، وكذات السماء في النقاوة ، ولكنه لم يمد يده الى اشراف بني اسرائيل ، فأكلوا وشربوا - الاصحاح ٢٤ خروج » . كذلك يظهر الكتاب المقدس يهوه الها شديد البطش متعطشا للدماء وسريع الغضب فينتقم من شعبه اليهودي كما ينتقم من اعداء شعبه ، ويصفه الكتاب نصا بقوله : « الرب رجل حرب - اصحاح ١٥ خروج » ، وانه « . . اله يسخط كل يوم - اصحاح ٧ مزامير » ، وانه « يمطر فخاخا وكبريتا وريح السموم - أصحاح ١١ مزامير » ، ويزعم أن داود النبي يقول حين نادى يهوه « سمع من هيكله صوتي وصراخي قدامه دخل اذنيه ، فارتجت الأرض وارتعشت أسس الجبال ، ارتعدت وارتجفت لأنه غضب ، وصعد دخان من أنفه ونار من فمه ، أكلت جمرا ، اشتعلت فيه ، طأطأ السماوات ونزل ، وضباب تحت رجليه - أصحاح ١٨ مزامير » .

يهوه الدموي

وان هذه الصفات التي يذكرها الكتاب المقدس للاله يهوه انما تذكرنا بصفات اله كنعاني

آخر من سلك البعوث هو البعل ، مولك - أي الملك ، وكان في اعتقاد عباده لا يظهر الا بين العواصف والبروق والنيران وظواهر الطبيعة الغامضة ، وأقاموا له مذبحا أمام تمثاله ليسترضوه بتقديم أطفالهم قربانا له بإحراقهم على مذبحه ، ويبدو أن بعض الاسرائيليين لاحظوا وجه الشبه بين يهوه ومولك ، فقاموا يعبرون عن صدق ايمانهم بتقديم أطفالهم لنيران مولك ، وها هو أرميا النبي يؤكد نظرتنا بندائه في الأصحاح ١٩ من سفره « على عدد مدنك صارت آلهتك يا اسرائيل . . قد بنوا مرتفعات للبعل ليحرقوا اولادهم بالنار محرقات للبعل » .

وفي الأصحاح ٢١ من سفر صموئيل الثاني نجد قحطا شديدا يعم مملكة داود يفسره الكتاب أنه غضب يهوه بسبب قتل شاول للجبعونيين ، وهنا يزعم الكتاب أن داود قام بتقديم سبعة رجال قربانا للرب حتى يهدأ « وسلمهم الى يد الجبعونيين فصلبوهم على الجبل أمام الرب » ، حتى أيام موسى يدعي الكتاب أن يهوه« قال لموسى : خذ جميع رؤوس الشعب وعلقهم للرب مقابل الشمس فيرتد حمو غضب الرب - أصحاح ٢٥ عدد » .

ولم يقف يهوه في دمويته عند هذا الحد ، بل طبع شرائعه بشراسته ، حين حفرها بأصبعه الالهي على الحجر ثم أعطى موسى عند فراغه من الكلام معه في جبل سيناء ، لوحي حجر مكتوبين بأصبع الله - أصحاح ٣١ خروج » ، تحدد طريقة التعامل مع شعوب سيناء وفلسطين بدءا من الأصحاح ٢٠ تثنية لعل أخطر أمر فيها « أما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب الهك ، فلا تستبق منها نسمة ما » .

(ياه شوع) الها

باستمرار مطالعة الكتاب المقدس نجد يشوع الذي خلف موسى على مركز القيادة المطلقة قد أخلص في تطبيق الشريعة اليهودية الدموية الى حد يحسده عليه أحفاده اليوم ، الا أن الغريب ارتفاع الكتاب المذكور بيشوع الى حد يقرب من التأليه ، فيكاد يكون الها يتدخل في نظام الكون ، ويأمر منه تقف الشمس أو يسير القمر ، « وقال امام عيون اسرائيل : يا شمس دومي على جبعون ، ويا قمر وادي ايلون ، فدامت الشمس ووقف القمر حتى انتقم من أعدائه - أصحاح ١٠ يشوع » .

ومع كل الخوارق اليشوعية المنسوبة اليه في الكتاب المنعوت بالمقدس ، فإن قبيلة من الشعوب التي ذاقت ويلات يشوع ، لم تجد حرجا في وضعه بموضعه الصحيح ، وفي تسمية الأشياء باسمائها الحقيقية دون تزويق ، بعد أن قتل يشوع منها في ليلة واحدة ما يزيد عن عشرة آلاف نسمة ، فنجد في الفصل الرابع من المجلد الثالث في **chamber's papers** أن اسم يشوع بن نون قد وجد مسجلا على حجر عند توميديا بشمال أفريقيا ، حيث أقام الفينيقيون مستعمرتهم قرطاجنة ، وعلى ذلك الحجر الذي اكتشف عام ٥٤٠ م كتابة فينيقية يقول كاتبوها : « أننا خرجنا من ديارنا لننجو بأنفسنا من قاطع الطريق ، يشوع بن نون . !! □□

تعقيب من العربي :

هذه هي أصول بعض العقائد اليهودية كما أوردتها أسفار العهد القديم وغني عن الذكر أنها تختلف عن الصورة الواضحة التي يرسمها القرآن الكريم لموسى عليه السلام ، ولبني اسرائيل ، والأمانة التي عهد بها الله اليهم كما عهد بها الى سائر المقربين ، فنقضوا الميثاق وقتلوا الأنبياء وعاثوا في الأرض فسادا ، محتجين بأنهم فضلوا على العالمين ، ومتجاهلين أن التفضيل اصطفاء للاختبار ، تزيد به المسئولية ويتضاعف الحساب . . وليس حقا مطلقا ، يستعلون به على الناس ، ويضمن لهم السيادة على العباد ، حتى بعد أن ينقضوا الميثاق .

• قصة •

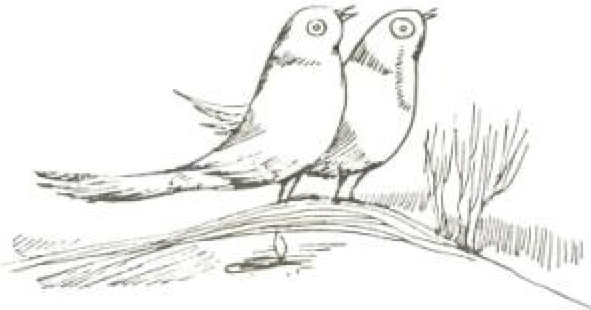

شَدْوُ البلابلْ

بقلم : مجيد طوبيا

☐

شدت البلابل ،دهشت : أتوجد بلابل فى هذا الحى ؟ ! .. طار النوم من عينى ، وتغريد الطيور زائد المرح ! .. نظرت الى شيش الشرفة ، الصباح يملأ الخارج وشرائط من نوره تفرش الغرفة ، اندفعت أطل عبر الشيش : هل عاد ؟ ! .. نظرت صوب حديقة الجانب الآخر ، انبهرت : يبدو انه عاد !! .. فتحت باب الشرفة عن آخره ، الهواء عبق رغم عوادم السيارات ، والأشجار مخضرة ، والزهور زاهية فى ألوان متقاربة متدرجة متباينة من الأبيض والأصفر والأخضر ، وجميع هذا ابدعته الطبيعية فى ليلة واحدة !! .. فرحت بالتنوع : أخيرا عاد من بعد انقطاع سنوات مريرة ! .. شعرت بصفاء عجيب وتهيأت للحب فقررت التأنق ..

منذ سنوات كنت الوحيد فى مجموعة الصحاب الذى تنبه الى اختفائه ، لاحظت أن العام قد انتهى من غير أن يأتى فصل الربيع ، قلت لهم ذلك فلم يأبهوا ، وذهب بعضهم للوقوف فى طابور الغذاء ! .. ثم جاء العام التالى وانقضى مشوّها مثل سابقه ، بثلاثة فصول فقط ، صيف حار طويل وخريف خماسينى وشتاء قارس ! .. نبهتهم الى هذه الظاهرة فضحكوا منى ثم تحدثوا عن بعض طوابير الكساء ! .. فلما ولد العام الثالث ورحل بعد اثنى عشر شهرا تاركا الحدائق جرداء من غير لمسة الربيع لم أطق تجاهلهم واتهمتهم بالبلادة ، فاذا بصاحبى الصحفى ينصحنى بأن أنشر رسالة فى باب « خرج ولم يعد » أقول فيه : « خرج الربيع

منذ أعوام واختفى فى ظروف غامضة ، ومن يجده يتصل بى على عنوان أمام كلية الطب وله مكافأة سخية ! » . . لم استسغ كلامه لكنهم ضحكوا طويلا !! وأشار صديقى ضابط الشرطة الى مبنى القسم القريب قائلا : اذهب وقدم بلاغا كى يساعدوك فى البحث عنه ، واذا سألوك ان كنت تشك فى أشخاص بعينهم فقل انك تتهم الخريف والصيف والشتاء لسطوهم على أيام الربيع !!

تحملتهم بعض الوقت ثم أخذت أجلس بعيدا عنهم معظم الأمسيات . . . ولعلهم ارتاحوا لهذا ، وكنت أسمعهم يتكلمون فى شتى المواضيع ، لكنهم ابدا لم يشتكوا من اختفاء الخضرة والزهور ، أو يتبرموا من الغبار الذى يهب علينا من الطريق مع مرور كل سيارة ، ولا من العطن الفائح من مطعم الفول القريب !!

ومضت الشهور رتيبة كئيبة ، حتى كاد ذهنى أن يتشتت بيد الركود والتناوم ، وحتى صرت بطىء الحركة ، ثقيل الكلام ، أتثاءب بالمساء ، منزويا وحيدا على المقهى المزدحم ، ثم أنهض سقيما الى البيت ، تتلجلج خطواتى بين تنافرين : رفض الخارج وخواء المسكن ! . . أحاول شغل وقتى بالقراءة حتى أملها ، فيسيطر على سلوك عصابى يدفعنى الى الانغماس ـ ولوقت طويل ـ فى نفض غبار الطريق عن أثاث الشقة ، أو تلميع بندقية المرحوم والدى !! . . وفى الصباح وقبل ذهابى الى العمل أعبر الطريق الى أطلال الحديقة ، أتأمل الفروع والغصون ، علنى أجد تباشير الخضرة ، فلا أجد غير اليباب ، أرى طالبات الطب فأمتحن نفسي وأضع عينى فى عيونهن من غير أن اشعر بأقل تغير فى النبض أو الأحاسيس حتى خشيت التبلد !! . . وعندما أعربت عن مخاوفى هذه فى المقهى ، تهكم صاحبي المدرس قائلا : لعل أحد تجار السوق السوداء خبأ الربيع فى ثلاجة كبيرة كى يبيعه فى عبوات خارج التسعيرة وبثمن مرتفع ! ثم أخذ نفسا طويلا من سيجارته سعل بعده بشدة ولعله كان يضحك !! غير أننى منذ يومين رأيت احداهن ، وخيل لى أننى جاهز لحبها وأنها ستبادلنى ذات الشعور ، فتقدمت منها مبتسما بقصد التعرف ، غارقا فى عينيها الواسعتين ، ولونها الخمرى ، ارتبكت برهة بابتسامة شاحبة سرعان ما أزالتها ، وأطرقت تبتعد عبر اطلال الحديقة الى موقف « الاتوبيس » فعزيت نفسي قائلا : لعلها تتبدل ان جاء الربيع وتفتحت الزهور . . لكنى شممت رائحة مشرحة المستشفى فتملكتنى الكآبة !! . . وفى المساء عندما لاحظ صاحبنا موظف البنك أننى لا استظرف نكاتهم قال فى جدية مصطنعة : لا تحزن ، سنكتتب لاقامة سرادق تتقبل فيه العزاء فى الفقيد الغالى ! ثم استدار يلعب الشطرنج ليهزم كعادته كل مساء !

تهيأت للحب ، فقررت التأنق ، يدفعنى يقين غامض بأننى على موعد بين الخمائل ، ووقفت أمام المرآة أحلق ذقنى ، واذا بوجهى متورد من بعد شحوب ، ونظراتى متأججة من بعد ركود ، ففكرت منتشيا فى هذا الفصل الفياح الذى ترق فيه الأحاسيس ، وتتسع الابتسامات ، وتشف العيون عن أعذب ما فى القلوب !!

تأنقت وهبطت الى عتبة البيت ، تجاهلت الأغانى السخيفة فى المحلات المجاورة والدق والخبط ، ورأيت المارة مكدودين ـ رغم أننا فى أول النهار ـ سائرين كدأبهم اليومى من غير لفتة واحدة لتعدد الألوان الذى جد ! جاهدت فى عبور الطريق وزكمت عوادم السيارات أنفى ، أهاجت الدمع فى عينى ، نجحت فى الوصول الى أرض الخضرة والطيور المغردة ، استرخت أعصابى ، وهمت بين الشجيرات أملأ صدرى بهواء الفُل والياسمين ، وأفلحت فى تناسى زعيق المحركات ، ومنبهات الصوت ، والأغانى والدق والخبط ، وأصوات أخرى مبهمة قادمة من اتجاه ما !

بين الخميلة كانت جالسة ، فى ثوب منقوش ، وشعر متهدل ، بلونها الخمرى وعينيها الواسعتين ، وبجوارها حقيبتها وثوبها الطبى ، راقبتها من بين الأفرع ، وتيقنت انها تنتظر ، تشجعت .. وظهرت لها .. فتهلل وجهها ، سرعان ما كان الالتئام ، كأننا صاحبان من زمان ، وفى عذوبة النظرة تأكد الود ، وفى لهفة اللمسة تواصل .. ثم راحت تتهادى من وردة لأخرى تستنشق الأريج مع الفراشات ، تتناغم ضحكاتها مع البلابل ، والمحبون يفدون تباعا ، والطيور تحيينا بتغريد خاص .. بينما الأصوات المبهمة تقترب وتبدو مثل دبيب صارم الرتابة !! .. لكننا واصلنا سيرنا بجوار المجرى الرفيع ، وراقتنا مياهه اللألاءة ، وقلنا هذا جدولنا الذى يروى اشجارنا التى تثمر ورودنا .. وشعرت بجسدى عفيا وبذهنى متفتحا ، فراودتنى افكار بديعة ومشاريع جديدة قررت أن اشركها فيها ، فوجدتها تستدير عند شجيرة الفل ، وتوشوش لى برغبتها فى أن نبتكر معا شيئا فريدا ، ثم بدت وكأنها ستبوح بحبها ، ورأيت فمها يتحرك لكنى لم أسمعها ، كان الدبيب الصارم قد دنا وصار يرج الطريق ! .

سمعت صكة مفزعة ، ورأيت آلة ضخمة تقف الى جوار الرصيف تطل بعشرات العيون الجاحظة ، تصطك وكأنها تتفكك !! .. بالفعل تفككت الى عدة كائنات عجيبة .. الكائن منها يشبه الانسان بعينين جاحظتين ومقص طويل فى يديه ، تقدم أولهم ، فتح حدّى المقص ، ثم تصيّد شجيرة وبترها بجميع غصونها وياسمينها !! .. توترت أعصابى ! .. سرعان ما لحقه الثانى والثالث ، تدافعوا بالعشرات جاحظين ، شاهرين مقصاتهم مسنونة الحواف ، هجموا على الورود والشجيرات ، بتروها فى انضباط وحنكة ! .. دوت صكات البتر ، صرخت حبيبتى لائذة بى ، فزعت الطيور الى أعمدة الانارة ، تشتّتْ الفراشات ، اشتدت الصكات ، كادوا أن يدهسوني فى تقدمهم ، صرخت معترضا ، وجوههم فارغة من أيّ انفعال ، ترنحت الحبيبة ، سارعت أساندها ، ساد الصمت بغتة !! .. جزرت جميع أشجار الحديقة ، عدا شجيرة الفل حيث كنا ، اقترب أكثرهم جحوظا ، كأنه ينظر الى جميع الجهات ، تجاسرت محاولا منعه ، حول مقصه نحو عنقى ، كاد يقطف رأسى ، تقدم فتقهقرت .. تمنيت لو بيدى بندقية والدى ، تعثرت حبيبتى هاربة ، أعاقنى الدوار من اللحاق بها ، ابتعدت ، اندفعت الفراشات فى قوس طويل هابط ، انتحرت غرقا فى الجدول الصغير ، احتججت بصوت غاضب ، دوت الصكة الأخيرة ، حط الصمت النهائى !! .. ما فائدة الاحتجاج وقد نفذوا عدوانهم ؟ ! .. انضبطوا فى صفوف مستقيمة ، خبطوا الأرض بأحذيتهم الثقيلة ، استداروا نحو الطريق ، دقت كعوبهم أسفلت الطريق ، تجمعوا ، تكتلوا ، عادوا كما جاءوا آلة ضخمة تطل بعشرات العيون الجاحظة ، مضت تبتعد بدبيبها الصارم ... التفت اليها المارة فى فضول ، ثم تابعوا سيرهم اليومى !!

والشمس حارقة ولا ظل ولا حائل ، وسمعت نواح امرأة ، وبدلا من عبق الورود امتلأ الجو برائحة عفن مختلطة بمواد طبية ، والهواء يهب من عند المشرحة ، ثم ركد تماما وصار لزجا خانق الرطوبة ، والمرأة النائحة أمام المشرحة ، لعل قريبا لها قد مات ، ولعله بالداخل فى انتظار وثيقة الدفن ! .. فكرت ان أذهب الى مجموعة المقهى واخبرهم بما حدث ، لكنى توقعت ان يسخروا منى ، ولعلهم ما زالوا يشكون الأسعار ، والمجارى ، وعذاب المواصلات ، وتلوث المياه ، فان جلس عن قربهم شخص غريب بتروا شكاواهم ريبة ، وانهمكوا فى لعب الدومينو !!

انسحبت الى غرفتى ، وأغلقت الشيش

والزجاج ، وجلست منكس الرأس ، مددت يدى أفتح المذياع ، وعندما بدأ يتكلم أخرسته ، لماذا يجردون المكان من الأشجار .

طوال الليل لم أنم ، وان غفوت فجحوظ العيون يفزعنى ، لأجد الظلام مازال يحبطنى ، طاردنى كابوس متقطع ، حلمت بالأشجار وقد كسيت جميعها بزهور سوداء اللون ! تساءلت ان كانت توجد مثل هذه الزهور فى أى مكان من العالم ؟ ! . . لم أعرف الاجابة يقينا ، لكن مادامت توجد زهور بيضاء فمن المؤكد ان السوداء موجودة !! ثم سرعان ما عرفت الاجابة ، عندما استيقظت على صوت عويل مرتفع ، الجو قائظ ، ولم أكن على ثقة أنى نمت ، ربما غفوت عند الفجر ، تمنيت أن يكون ما حدث كابوسا . . . سارعت الى الشرفة ، ورأيت مجموعة من النسوة فى سواد كامل ، متربعات مولولات فى دائرة ، رأيتهن مثل زهرة كبيرة نائحة سوداء ، وقد يبست من حولهن الزهور المبتورة والأوراق ، والهواء اللافح يدفعها فوق الثرى ، ورغم البعد سمعت خشخشة جفافها فاقشعر بدنى !! . .

بالفعل توجد زهور سوداء ، ان لم تكن فى الطبيعة فهى فى داخل معظم الناس وبشكل ما فى داخلى أنا على الأخص !! . .

ابتلت عيناى بالدموع فتموجت زهرة النائحات برحيق أساها ، خمنت ان وثيقة الدفن لم تصدر بعد وهاجنى الدوار : ان الأسود لون مفترس يبتلع ألوان الطيف السبعة ولا يعكسها فلا نراها حيثما يوجد ، وهذا نذير شر لأن الوان الطيف تظهر عند المطر الشديد فى قوس قزح ، وقوس قزح علامة أمان ان طوفان النهاية لم يحن بعد !

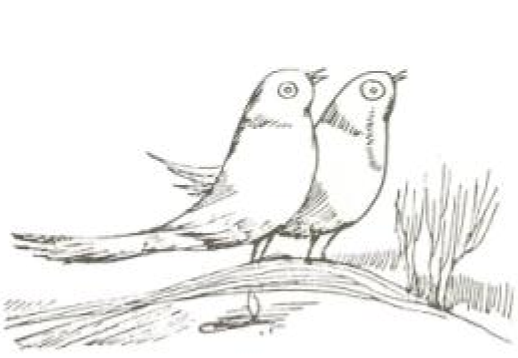

تنبهت على ضجيج آخر فى الطريق ، وكانت الآلة التى تطل بعشرات العيون الجاحظة سرعان ما اصطكت وتفككت ونزل الجاحظون . . . . طردوا النسوة فى قسوة ، ثم انهمكوا فى كنس الأوراق والفروع الجافة وردم الجدول بما فيه من فراشات ميتة ، ثم راحوا ينزلون من العربات مقاعد كثيرة رصوها فى صفوف متوازنة ، أقاموا امامها منصة خطابة . . . فرشوا المنصة بسجادة كبيرة مهترئة ، وضعوا من فوقها ترابيزة ومكبرات صوت ثم تجمعوا من جديد ، تلاصقوا ، عادوا كما كانوا . . . آلة ضخمة لها عشرات العيون الجاحظة ثم مضت !! .

دخلت ، حاولت القراءة ففشلت ، انتابتنى الحالة العصبية فتشاغلت بنفض الغبار عن أثاث البيت ، ثم انهمكت تماما فى تنظيف بندقية أبى . .

وبعد الغروب امتلأت المقاعد بالجالسين المتصنمين دون تململ تحت الاضواء الباهرة ، وفوق المنصة وقف خطيب ينطق عبر مكبرات الصوت بعبارات منمقة وكاميرات التليفزيون تصوره ، وكان يتكلم عن طريق وردى يؤدى الى مستقبل كله زهور ورياحين !! . . ورغم انهم كانوا قد علقوا من خلفه لافتات كبيرة أخفت بناية المشرحة تماما الا أنني كنت على يقين من أنها لا تخفي رائحتها !!

كرهت كل هذا فدخلت شقق ، سرت حائقا من غرفة لأخرى ، ثم رأيت بندقية المرحوم أبي ، فكرت فى تنظيفها من جديد ، لكن سؤال مفاجىء : هل ترك معها بعض الطلقات الصالحة ؟ ! . . وبحثا عن الاجابة قمت أفتش فى صندوقه القديم المغلق .

□□

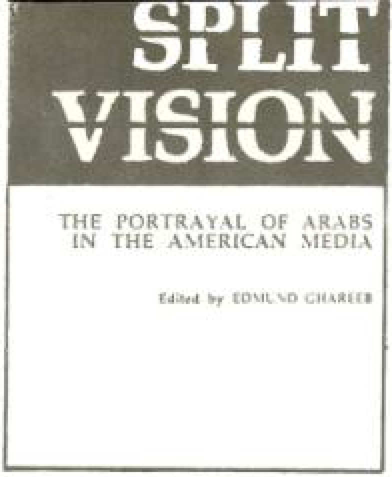

شقوق في صورة العرب عند الأمريكيين

العرب في وسائل الاعلام الأمريكية

تحقيق : إدموند غريب

عرض : د . أمين العيوطي

□ هذا كتاب جديد ، ينقل لنا دور وسائل الاعلام في تكوين صورة العرب عند الأمريكيين من خلال الأحاديث واللقاءات التي أجراها الدكتور إدموند غريب مع الصحفيين الأمريكيين البارزين ، وأيضا من واقع المقالات التي نشرت بأقلام الأخصائيين في الاعلام . كيف يرى الأمريكيون العلاقات بين العرب بعضهم وبعض ، وكيف ينظرون الى الصراع العربي الاسرائيلي ، وأخيرا العلاقات الأمريكية العربية . ان الكاتب يخرج من بحثه في النهاية بنتيجة واضحة .

ما هي هذه النتيجة ؟

هذا ما يجيب عليه الكاتب في كتابه « الرؤية المشققة » أو « شقوق في صورة العرب عند الأمريكيين » .

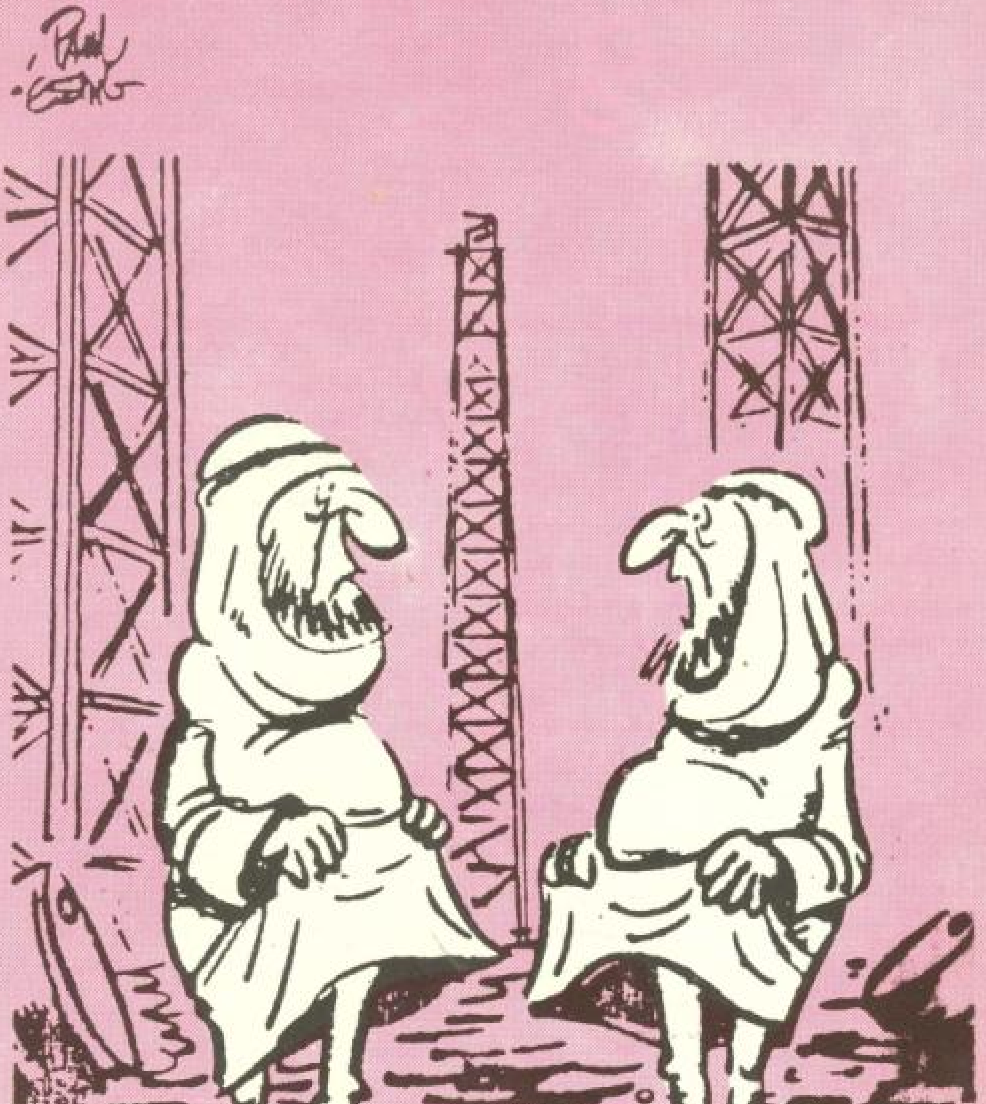

بعد اجتماعات الاوابك وانخفاض اسعار البترول«العرب يخوضون في «بركة البترول
الضحلة»… كما تراها صحافة الغرب .

دور وسائل الاعلام في تشكيل سياسة أمة ومواقفها من شعوب وحضارات أخرى ، حين تنشر أو تذيع أخبارا منحازة تدعم العداء السياسي ـ هذا هو الموضوع الذي يطرحه الكتاب من خلال ما يحدث في وسائل الاعلام الأمريكية بالنسبة للصراع العربي ـ الاسرائيلي .

يقع هذا الكتاب في قسمين : القسم الأول يغطي موقف هذه الوسائل فيما بين ١٩٧٥ ـ ١٩٧٧ ، وهي فترة تتميز بانعدام التوازن في تغطية وجهتي النظر العربية الاسرائيلية ، والقسم الثاني يغطي الفترة ما بين ١٩٧٩ ـ ١٩٨٢ ، التي تتسم بمحاولة تحقيق هذا التوازن ، وفهم طبيعة القضية العربية الاسرائيلية . ويتم هذا العرض من خلال لقاءات قام بها المؤلف مع العديد من الشخصيات الاعلامية البارزة من الأمريكيين المهتمين بالقضية العربية ، ومن خلال دراسات ومقالات بأقلام كتاب لهم وزنهم في هذا المجال .

وقد كانت وسائل الاعلام الأمريكية المختلفة ترسم للعرب في أذهان الأمريكيين صورا من التخلف ، والارهاب ، والتعصب ، والفساد ، والشهوة وفي ١٩٦٧ أضيف الى الصورة تخاذل العرب وجبنهم ، وصورة حركة التحرير الفلسطينية على أنها حركة ارهابية . والى ذلك أضيفت افتراءات مقصودة مثل ازدهار التجارة تجارة العبيد في الدول النفطية ، وتضليل الرأي العام بأن العرب هم الذين بدأوا حروب ٤٨ ، ٥٦ ، ٦٧ ، وكانت الرسوم الكاريكاتيرية تصور العرب بشكل يشجع العداء ضدهم ، ويشوه حقائق الصراع العربي ـ الاسرائيلي . وفي المقابل كانت صورة الاسرائيليين أنهم قوم أقوياء ، شجعان ، مضطهدون ، وانهم رواد جعلوا الصحراء تزدهر والديمقراطية عندهم حقيقة واقعة وسط عالم عربي تحكمه الديكتاتوريات ، وكانت مشاكل اسرائيل الداخلية من تمييز عنصري بين اليهود الشرقيين والغربيين ، واضطهاد الأقليات العربية تتوارى في الصفحات الداخلية والحروب التي تشنها تصور على أنها حروب انتقامية ضد العمليات الارهابية .

التحيز الأمريكي

ومن أسباب هذا الموقف جهل الرأي العام بتاريخ المنطقة وتحيز الأمريكيين لليهود ثقافيا وحضاريا ، وجهل وسائل الاعلام بتاريخ الصراع ، ومحاولتها تشويهه وتأثير اللوبي الصهيوني على من يهاجم مصالح اسرائيل واتهامه بالعداء للسامية ؟ .

غير أن العرب أنفسهم لعبوا دورا هاما في انجاح أهداف الصهيونية،فالقيود والحظر الاعلامي ، والتشكك في نوايا الصحفيين الأجانب ، وعدم قدرتهم على الوصول الى صانعي الأخبار ، والفجوات اللغوية والثقافية . . جعلت من العسير على المراسلين المعتدلين تقدير وجهة النظر العربية . كذلك كانت الحكومات تتجه الى الادارة الأمريكية دون الكونجرس والشعب الأمريكي ، وكانت السفارات العربية عاجزة عن توصيل الموقف بكفاءة ، أما لانعدام كفاءة العاملين فيها ، أو لجهلهم بموقف حكوماتهم من القضايا الأساسية وبالمعلومات والاحصائيات لمواجهة استفسارات الجمهور والاعلام ثم تأتي سلبية الأمريكيين في مواجهة هذا المد المعادي للعرب .

غير أن الأمر لم يعدم بعض الأقلام المنصفة ، خاصة بعد حرب ١٩٧٣ ، والحظر البترولي ، وتزايد الاهتمام بالأسواق العربية بل لقد أصبح لدى المراسلين الأمريكيين معلومات أفضل عن المنطقة تتيح لهم تغطية معتدلة دقيقة لقضايا المنطقة . وقد تأكد هذا الاتجاه خلال ١٩٧٤ ـ ١٩٧٥ من عدد التقارير التي نشرت عن مشكلة الشرق الأوسط وجذورها ، وان لم يتأكد هذا

الكــاتب

الدكتور إدموند غريب يحمل درجة الدكتوراة في التاريخ من جامعة جورج تاون ، وهو يعمل مستشارا لشؤون الشرق الأوسط وشؤون الاعلام في واشنطن . وهو كاتب وصحفي متمرس ، وكان مراسلا لصحيفة الاتحاد ، وصحيفة أخبار الامارات ، وكان أيضا معلقا سياسيا لصحيفة « بيروت ديلي ستار » التي تصدر بالانجليزية ، ونائبا لرئيس تحرير الدراسات الفلسطينية ، وله عدة مؤلفات .

الاتجاه بما يكفي لأن يجعل الرأي العام الأمريكي أكثر الماما بحقائق الأمور .

كانت تلك الخطوط الأساسية التي دارت حولها لقاءات المؤلف مع رجال الاعلام،وفي هذا التحقيق يتفق الكثير منهم على أن وسائل الاعلام ظلت متحيزة لاسرائيل حتى فرضت حرب ١٩٧٣ والحظر البترولي عليها محاولة اكتشاف العالم العربي،وقد أدى هذا التحيز الى التأثير في الرأي العام ، وبذلك ظلت معلوماته غير كافية لتكوين رأي متوازن . وكانت النتيجة تصوير اسرائيل على أنها واحة ديمقراطية وسط صحراء تعج بالبرابرة والجمال والخيام ، مع عدم التعرض لانكار اسرائيل للحقوق الانسانية للفلسطينيين ، أو للكتابة عن المخيمات ، أو المثقفين الفلسطينيين ، أو أي وجه عربي مشرق ، كان الهدف عدم توصيل أية حقائق خاصة بالصراع العربي - الاسرائيلي الى الرأي العام .

تأثير الصهيونية

ويجمع الكثير على أن أسباب هذا هي تأثير اللوبي الصهيوني على رجال الكونجرس وعلى انتخابهم ، وعلى المراسلين ان حاولو أن يكونوا معتدلين من خلال طوفان الرسائل التي تصل الى الصحف وتشكل ضغطا على رؤساء التحرير . ويتحكم في هذا الاتجاه وجود أعداد كبيرة من اليهود في المدن الكبرى ، وأثرهم في مجالات الاعلام والثقافة والمال والاقتصاد مما يؤثر على صياغة الخبر . هناك أيضا تحكم الحركة الصهيونية في المؤسسات اليهودية وفي شبكة اتصالات فعالة من خلال جيش من العاملين الذين يرسلون مئات الآلاف من الرسائل والبرقيات لأعضاء الكونجرس ورؤساء التحرير حين تثار قضية أو موقف مما يؤدي الى التحكم في وسائل الاعلام من الداخل . هذا الى أن معظم المراسلين ورؤساء التحرير وأصحاب الصحف من اليهود مما يؤدي الى سيادة وجهة نظرهم .

أما من ناحية الأمريكيين فانهم متحيزون حضاريا لاسرائيل ضد العرب لأنهم يعرفون الكثير عن الثقافة اليهودية . هذا بالاضافة الى الصداقات التي تربطهم باليهود الأمريكيين ، ومشاركة اليهود في الحياة الثقافية الأمريكية ، وارتباط المسيحية باليهودية في أذهانهم . وقد ولد هذا انحيازا ثقافيا أعمى لا يكاد المحررون والمراسلون أنفسهم يدركونه ، أو يتوقفون لتصحيحه ، رغم جهلهم بما يجري في الشرق

الأوسط .

ومن ناحية العرب فانهم لا يدركون دور الصحافة ، وأهمية توفير المعلومات لها . فالبيروقراطية العربية تقيم العقبات في سبيل توفير المعلومات للصحفيين مما لا يخدم مصلحة العرب في نقل وجهة نظرهم ، ويساعد في شرح المواقف الاسرائيلية،والعرب يتخوفون من التعبير عن آرائهم مع المراسلين . والدبلوماسيون العرب لا يقومون بواجبهم ، بل يرفضون التعليق حتى مع المراسلين المتعاطفين . وفي حين أن للعرب أربعا وعشرين سفارة في واشنطن ، ولاسرائيل سفارة واحدة ، الا أن هذه السفارة أكثر كفاءة في التعامل مع الصحافة ، ورجال الكونجرس ، والعلاقات العامة . وأجهزة الاعلام العربية لا تؤدي عملها بما يضمن وصول المواقف العربية الى وسائل الاعلام ، لشكها في نوايا المراسلين ، وعدم معرفتها بأسماء المراسلين ومواقفهم الفكرية،أما كبار المسؤولين فانهم لا يوفرون فرص اللقاء مع المراسلين . كذلك فان الرقابة في البلاد العربية تخلق المشاكل للصحفيين الأجانب . ويحتاج الأمر منها الى جهد أكبر داخل نظام الاعلام الأمريكي . أما العرب الموجودون في الولايات المتحدة فان صمتهم مسؤول عن تعرض المراسلين المتعاطفين للضغوط الصهيونية ، أو عن عدم بث أخبار عن العرب على الاطلاق فهم لا يتجادلون ، ان خيرا وان شرا مع ما ينشر عنهم،وبصمتهم يؤكدون الغياب العربي وهم لا يحاولون اقامة علاقات مع جاليات الأقلية ، مثل الجاليات الزنجية المتعاطفة ، ولا يدركون أهمية وسائل الاعلام . كما انهم ليس لهم لوبي عربي رغم وجود الرابطة القومية للعرب الامريكيين ورابطة خريجي الجامعات الأمريكية العرب ومجموعات أخرى صديقة غير عربية لكنها مجموعات ضعيفة نسبيا يستطيعون اقامة جسور تفاهم معها ورأب الصدع الثقافي بين العرب وأميركا . وفي هذا الشأن فان الفلسطينيين أكثر كفاءة في التعامل مع وسائل الاعلام الغربية من خلال مكتب الاعلام الفلسطيني .

دور العرب

هذه السلبيات هي في نفس الوقت مؤشرات الى الطريق الايجابي،فلا بد من خلق منظمة عربية تراقب وسائل الاعلام الأمريكية بدقة كما يفعل اللوبي الصهيوني ، وتراقب التقارير غير المنصفة ، أو غير الدقيقة،وتحتج على أي تصوير كاريكاتيري ، وترد عليه،مما يضع حدا لممارسات رؤساء التحرير والمسؤولين في التليفزيون،حتى يحسبوا حسابا لردود الأفعال هذه .

غير أن الصورة رغم هذا ، قد بدأت تتغير بعد حرب ١٩٧٣ نتيجة للانتصارات العربية ، والحظر البترولي بحيث أصبح ارتباط الأمريكيين بالشرق الأوسط ، وتزايد الاهتمام القومي بالمنطقة ، وخوف الأمريكيين من تورط أمريكا بشكل أكبر في الصراع العربي ـ الاسرائيلي ، وتزايد وعيهم بالمخاطر التي تخلقها مواجهتهم مع السوفيت في المنطقة . وقد أدت هذه العوامل الى محاولة تغطية قضايا الشرق الأوسط بدقة وواقعية أكبر وتغطية المشاكل الفلسطينية ومحاولة تصوير العرب على حقيقتهم وتطويرهم لبلادهم وتميزهم الفكري مما جعل المتحازين لاسرائيل والجاليات اليهودية ترى في هذا تحولا مفزعا . كما كان من نتيجة تزايد الاهتمام بالمنطقة تواجد عدد كبير من المراسلين فيها يريدون ابراز وجهة النظر العربية . هكذا بدأت نظرة أكثر واقعية الى العالم العربي وربما أدى أي فوران مقبل الى تغيير الصورة كليا بحيث يحدث تحولا في ادراك الأمريكيين .

دراستان

حول هذا كله يورد المؤلف دراستين ، واحدة

حول التميز في الافتتاحيات الصحفية الأمريكية « هارولدر . بايتي » وعرض للرسوم الكاريكاتيرية السياسية التي تتناول الشرق الأوسط « لجورج د . هامون » .

في الدراسة الأولى يقول بايتي ان هناك ميلا بين رؤساء تحرير الصحف الأمريكية الى انكار نفوذ الجماعات اليهودية والصهيونية على افتتاحيات الصحف الامريكية . وعندما أثار الجنرال جورج براون هذه القضية في ١٩٧٤ ، ثارت عاصفة من النقد ، واعتبر تصريحه معاداة للسامية وأرغم الرئيس فورد الجنرال براون على الاعتذار . المؤكد أن هناك تحيزا في الصحافة الأمريكية الى جانب اسرائيل . يرجع هذا الى كثافة اعداد القراء اليهود خاصة في نيويورك ، والعلاقات العامة التي تقيمها المنظمات اليهودية والصهيونية ، وتلاحم الثقافة المسيحية واليهودية التي تشكل مدركات المحررين ، والمسيحيون الأمريكيون يعتقدون أن انشاء اسرائيل تحقيق لنبوءة توراتية ، كما يرون في اليهود قوما قريبين منهم وفي العرب أغرابا .

بالعودة ، والتمييز بين الاسرائيليين والعرب المقيمين في اسرائيل - كل هذا يشكل تمييزا عنصريا .

بل ان بعض اليهود الامريكيين الذين يقفون ضد اسرائيل مثل الحاخام إلمر بيرجر ، والبروفيسور نورتون ميزفينسكي ، والفريد ليلينثال ، وادموند هاناور ، يؤمنون بتحيز الصحافة الامريكية لاسرائيل . وظلمها للعرب وسوء تصويرها للصراع العربي الاسرائيلي ، وتصوير العرب في رسوم كاريكاتيرية مسطحة ، خشنه ، قاسية ، هذه الرسوم تعكس بالطبع المشكلة الاساسية في تناول الصحف الامريكية للصراع ، وهي مشكلة الجهل . ولهذا يصور العرب جميعا على انهم يرتدون العباءات والفلسطينيين في ثياب ارهابية بالاسلحة السوفيتية . وهو اتجاه عنصري في حد ذاته . وفي نفس الوقت لايستطيع رسام كاريكاتير ان يرسم صورة انتقادية لاسرائيل .

جهل الامريكيين بالعرب

وليس أدل على التحيز للصهيونيه في وسائل الاعلام الامريكية من موقف الصحافة حول قرار ادانة الامم المتحدة للصهيونية بصفتها شكلا من أشكال العنصرية في ١٧ اكتوبر ١٩٧٥ ، فقد خرجت الصحف تدين القرار وتصفه بمعاداة السامية ، وتدعو الى اعادة النظر في اشتراك الولايات المتحدة في الامم المتحدة . هذا في حين ان اسرائيل مدانة بالفعل بالتميز العنصري . فالصهيونية تؤكد ان اليهودية جنسية ، وتعتبر اليهودي من ولد من أم يهودية ، أو اعتنق اليهودية دون أن تكون له عقيدة أخرى هذا التأكيد على ان اليهودية جنسية وشعب وليست مجرد ديانة ، وخلق دولة لهذا الشعب ، والاعتقاد بتفوق اليهود فكريا وخلقيا ، وانكار وجود الفلسطينيين ، وعدم السماح لهم

هذا الجهل ينسحب على المحررين اليهود والامريكيين على حد سواء - فالامريكيون يجهلون الكثير عن الشرق الاوسط أو اليهودية أو الصهيونية وكلمة « عربي » تثير في أذهانهم شيخا في الصحراء ، وألف ليلة وليلة ، وجماعة من الفرسان منطلقة في الصحراء . ولهذا فانهم فريسة للمجموعات المنظمة التي يهمها أن تقدم لهم وجهة نظر خاصة . والصهيونية لها مصلحة في عرض الصراع العربي الاسرائيلي بحيث تستميل الامريكيين الى التعاطف مع اسرائيل ومع الصهيونية ، غير ان حرب ٧٣ عدلت الموازين بالنسبة للدول العربية والشعب الفلسطيني فقد بدأ استخدام كلمة « فلسطيني » بدقة في افتتاحيات الصحف ، وان كان استخدام « رجال العصابات العرب » و « الارهابيون

العرب » مازال يتردد هذا الاستخدام غير الدقيق ينتج عنه انكار الهوية القومية والفردية للفلسطينيين ودمجهم مع العرب كافة واتهام الحكومات العربية بمسئوليتها عن أعمال الفدائيين . ولما ظل عدم الاعتراف بالفلسطينيين عند مجموعة قومية وطنية شرعية لها تطلعاتها في تقرير المصير ، فسوف تظل النظرة الى العنف الفلسطيني على انه غير شرعي . لهذا ظلت الصحافة الامريكية تصر على الاشارة الى الحركة الوطنية الفلسطينية على انها ارهابية دون اشارة بناءة اليها والى حكوماتها المختلفة .

بل ان الصحافة لاتشير الى الجهود العربية للوصول الى حل مع اسرائيل ، وتصور الغارات الاسرائيلية على الاردن وسوريا ولبنان على انها انتقامية وتستنكر أي قرارات ضد اسرائيل ومعظم هذه الاخبار تقوم بتوزيعها جماعات صهيونية أو يهودية ، أو السفارة الاسرائيلية ، أو الكونجرس اليهودي الامريكي أو جماعة بناي بريث . أو المتحدثون الذين يجتمعون بمكاتب رؤساء التحرير لكي يوفروا لهم مادة عن الصراع في الشرق الاوسط ،أو من خلال دعوة الصحفيين لزيارة اسرائيل باسعار مخفضة ،وتنضم السينما الى هذه المؤثرات حين تصور الغارة الاسرائيلية على مطار عنتيبي ، أو فيلم « الخروج » الذي يصور بشكل بطولي المحاولات الصهيونية لخلق دولة اسرائيل .كل هذا يشكل تأثيرا على الرأي العام الامريكي مع اسرائيل ، وضد العرب الذين لا يحظون بمثل هذه الدعاية . وبهذا تفشل وسائل الاعلام في توجيه الشعب الامريكي حول قضية ملحة من قضايا السياسة الخارجية حين تشوه الحقائق .

.. حتى الرسوم الكاريكاتيرية

أما «جورج د . هامون» في مقاله « عرض للرسوم الكاريكاتيرية السياسية التي تتناول الشرق الاوسط » ، فانه يستعرض هذه الرسوم خلال اربع فترات في صراع الشرق الاوسط : مايو يونيه ٤٨ ، نوفمبر - ديسمبر ٥٦ . يونيه - يوليو ٦٧ ، اكتوبر - نوفمبر ٧٣ ويصل الى ان هذه الرسومات تتلخص في رسوم اشخاص يمثلون الحرب ، او تهاجم زعيما عربيا - غالبا ما يكون عبدالناصر - او تحاول تنميط العرب ، او عرض رسومات ضد العرب وفي صف اسرائيل ، من خلال شخصيات غير عربية مثل أوثانت لانه وجه اللوم الى اسرائيل . كما انه يصل الى نتيجة ان غياب الرسومات ضد اسرائيل تدل على التحيز لصالحها ويدل هذا على جهل اصحاب الرسوم الكاريكاتيرية لتطور الاحداث ولنوايا اسرائيل،ولعل هذا يبدو اكثر وضوحا في الرسومات التي تربط بين شخصيات او مؤسسات عربية وبين النازية ، مما يثير استجابة فورية لدى القاريء الامريكي فالعرب يصورون على انهم المعتدون . المتخلفون ، ولا يريدون السلام ، دون اية اشارة الى ارهاب اسرائيل ، او اعتداءاتها ، او قوتها العسكرية التي يدعمها الغرب ، حتى في ١٩٥٦ حين كان من الواضح انها هي المعتدية .

ولهذا نجد الرسم الذي يصور اسرائيليا يروي اشجارا نضره في حين يجلس اعرابي حافي القدمين على صخرة وسط قفر ممسكا بعظمة ، او عربيا بشارب اسود ولحية وانف معقوف وعباءة فضفاضة وغترة (كوفية) وعقال يمشي حافيا بهدف النيل منه وتحقيره.

اما رسوم اليهود فانها تقدمهم بثياب غربية وملامح غربية،والهدف الواضح هو اثارة تعاطف الامريكيين . ونرجع هذا الى ان الجماعات المتحازة لاسرائيل كانت تحاول دائما نسف اي هجوم على جوهر التركية الاسرائيلية ويدل هذا على سلبية الجالية العربية الامريكية ، وترددها في تحديد صورة العرب كما يظهر في الصحف ، والسينما والمجلات الهزلية ، والكتب المدرسية

ولابد من قيامها بجهد مركز حتى تتجه الافتتاحيات الصحفية الى تناول جوهر مشكلة الشرق الاوسط ، والى عرض وجهة نظر متوازنة فيما يتعلق بالمشكلة العربية ـ الاسرائيلية ، او العربية ـ الامريكية .

الجزء الثاني

بعد الاتفاقية المصرية الاسرائيلية ، وتغير العلاقات العربية المصرية والثورة الايرانية ، والحرب العراقية ـ الايرانية وحرب لبنان تدفقت الانباء وتعددت الافلام الوثائقية ، والابحاث والروايات عن المنطقة . وادى هذا الى تناول متزن اكثر اعتدالا للمنطقة ، واقل ميلا الى التشويه والتحيز ، والى تصحيح صورة العرب بل وصل الامر الى حد رفض نشر وبث اعلانات ورسوم كاريكاتيرية تعرض بالعرب ، او تسيء اليهم .

لكن مقابل كل اعلان او برنامج رفض ظهر واحد آخر ينال منهم فظهرت برامج تسلية من مسلسلات المغامرات . والمسلسلات البوليسية والكوميديات وعروض الاطفال تعرض صورا سلبية للعرب ، فأثناء ازمة اواكس السعودية ظهرت كاريكاتيرات تسخر من جهل العرب وسذاجتهم وحبهم للمظاهر والماديات،واثناء الهجوم على الثورة الايرانية ظهر اتجاه الى ربط العرب بالايرانيين كمبرر للهجوم على الاسلام والمسلمين ، والثقافة العربية ، والعقل العربي . كما ظهرت كتب تصور ميل الشخصية العربية الى الخيال والتطرف ، والانشغال بالشرف وعدم الاهتمام بالزمن ، والقدرية والعنف ونقص القدرة الابداعية ، والميل الى السيطرة .

وعلى الرغم من ان اسرائيل لا علاقة لها بهذا الا ان الدعاية لوجهة النظر الاسرائيلية اكدت تفسير اسرائيل للحرب بشكل يشوه صورة العرب ، كما حدث في مقال حاييم هرتزوج الذي تنبأ فيه بتزايد نفوذ السوفيت في المنطقة وانحى فيه باللائمة على الغرب لانشغاله بالصراع العربي الاسرائيلي،وعدم توجيه اهتمامه الى القضايا الرئيسية الاخرى التي تهدد السلام في الشرق الاوسط،كما اكد عدم استقرار العالم العربي وان اسرائيل هي صخرة الاستقرار في المنطقة . ولم تكن هناك اية اشارة الى توتر العلاقات السوفيتية ـ العراقية قبل الحرب مباشرة ، ولا الى قلة شحنات الاسلحة السوفيتية الى العراق . بل ان تزويد اسرائيل لايران بالسلاح وهي التي اذلت امريكا في ازمة الرهائن صور على انه تحرك بارع ، وعلى انه خدمة لامريكا بعد ان يزول الخميني ويتولى الجيش الايراني الامور . بل وصورت الحرب على انها دليل على انعدام المنطق الغربي في الشرق الاوسط وذلك لتوسيع الفجوة بين الشرق والغرب .

كذلك كانت حرب لبنان ١٩٨٢ مناسبة لتصوير الصراع على انه صراع بين اليمين المسيحي واليسار الاسلامي . بدأ هذا الاتجاه في اسرائيل وتلقفته وسائل الاعلام الامريكية.لم يكن الهدف مجرد تسطيح الصراع بل اثارة شبح الحروب الصليبية . وقد اسقط هذا الطرح الكثير من الحقائق : ان المسيحين ليسوا كلهم يمينيين ، ان اليسار الاسلامي كان مزيجا من العناصر الشيوعية والقومية والاصولية وغيرها ، ان الكثير من المسلمين كانوا اما سلبيين او معارضين للحركة الوطنية،ووسط هذا اغفل دور القوى الخارجية المشتبكة في الصراع .

ولم يفسر هذا الصراع داخل اطار مشكلة الشرق الاوسط ، وجعل لبنان حلبة للصراعات الخارجية واغفل اساسا دور اسرائيل .

مأساة لبنان

غير ان احتلال اسرائيل لبيروت الغربية ادى الى توازن اكبر في تغطية قضايا الشرق الاوسط ، فالـرعة التي تغيرت بها نغمة نجاح الهجوم الاسرائيلي وكفاءة الاسلحة الامريكية ، الى

تصوير الدمار الذي احدثته هذه الاسلحة ادت الى تغطية مستوى الاصابات المدنية ، ومعاناة اللاجئين ، وتدمير اهداف غير عسكرية مما أدى الى تغير الاعتزاز بالاسلحة الامريكية الى تقزز . هكذا ظهرت افلام للقصف الاسرائيلي لاحياء مدينة بيروت . وظروف الحياة بعد قطع المياه والكهرباء والاغذية .

كذلك كانت مذبحة صبرا وشاتيلا صدمة للكثيرين من مؤيدي اسرائيل ومن الصحفيين الامريكيين اليهود . فبدأ الشك في صورة اسرائيل البلد الضعيف المحاط باعداء اقوياء . وادى هذا الى اعادة تقييم لخلفيات اسرائيل وممارستها للقوة والعنف حتى وصف بيجن بالارهابي وارييل شارون بالتوسعي الاسرائيلي المتعصب وثارت تساؤلات حول تأثير السياسة الاسرائيلية على المصالح الامريكية ، وحق عودة الفلسطينيين الى وطنهم ، وضرورة قطع المساعدات الامريكية عن اسرائيل حتى تؤكد رغبتها في ترك الضفة الغربية وغزة لحكم فلسطيني غير عسكري . كما تساءل الكثير حول امن اسرائيل وتحقيقه من خلال قتل الابرياء وقد كان من نتيجة هذا احلال شولتز محل هيج مما اتاح الفرصة لموقف اكثر اعتدالا . كذلك فان المعاناة الانسانية التي نتجت عن الحرب ادت الى التزام الادارة الامريكية والصحافة بحق الفلسطينيين في وطن . غير ان هناك شكا في ان يستمر هذا التطور في انصاف العرب . فتأييد الكونجرس لاسرائيل في زيادة المنح والهبات ، برغم وقوف اسرائيل ضد السياسة الامريكية في الشرق الاوسط يوحي بان هذا الاتجاه لن يستمر .

وقد كان من بين اسباب هذا التحول اهتمام الحكومات العربية بتوفير المعلومات الدقيقة للصحفيين ، ونشاط الهيئات العربية والمنظمات الامريكية العربية في محاربة تنميط العرب وتحسين العلاقات العربية الامريكية ، وقيام الجمعيات النسائية العربية بزيارة المدن الامريكية لتعويض النقص في تغطية الاخبار وشرح وجهة النظر العربية .

كانت تلك هي الصورة كما يطرحها المؤلف من خلال استعراض موقف مختلف وسائل الاعلام . وهي صورة لايختلف حولها الكثيرون ممن قاموا بدراسات من الامريكيين أنفسهم حول العلاقة بين وسائل الاعلام وسياسة الولايات المتحدة أو حول الخرافات التي تنشرها هذه الوسائل عن الشرق الاوسط أو حول تأثير الاساليب الصهيونيه في تشويه صورة العرب وحقائق الصراع العربي ـ الاسرائيلي وأثر ذلك كله على الصورة التي يرسمها المتلقى الامريكي في ذهنه عن العرب وحقائق المنطقة .

غير ان الامر يمتد فيما وراء كل وسائل الاعلام الى الوسائل الثقافية الاخرى مثل الافلام السينمائية ، والكتب الدراسية ، والروايات ، والكتاب الذي بين أيدينا يضم دراسات .. بأقلام أمريكية وعربية حول الصورة العربية في هذه الوسائل .

في الروايات

وحول صورة الشرق العربي في الرواية يقول جانيس ج . تيري إن مؤيدي اسرائيل ادركوا مدى تأثير الرواية الجماهيريه كوسيلة لدعم التعاطف مع اسرائيل مثلما فعل ليون يوريس في رواية « الخروج » التي تصور الكفاح في سبيل تأسيس دولة اسرائيل وهذا مثل صارخ على قدرة الرواية على التأثير . فقد كان للصيغة الدرامية قوة الواقع في التأثير على الرأي العام .

وفي المقابل فان تصوير العرب والمسلمين ووصفهم بالتخلف ، والجشع والشهوانية ، والشر ، وانعدام الانسانية ، انما يجعل منهم كبش فداء مريح في الرواية المعاصرة التي تتناول موضوعات مستقاة من الشرق الاوسط .

ورواية سول بيلو « الى القدس » مثال واضح على ذلك . فهي رواية تفترض تفوق الثقافة

الاوروبية والاسرائيلية على الثقافة العربية ، وترفض فكرة ان اسرائيل دولة عنصرية ، استعمارية توسعية ، ولاتلتفت الى التجانس الديني في المنطقة ، والتسامح التاريخي الاسلامي ، بل تقلل من شأن الاسلام ، كما توجه اللوم للعرب وحلفائهم السوفيت بسبب تصعيد العنف في المنطقة ، هذا دون أي تشكك في صحة الصورة النمطية التي ترتسم في الاذهان عن العرب مما يدل على سلبية الموقف الغربي من العالم العربي .

مثل هذه الروايات تنقسم الى ثلاثة انواع : قصص المغامرات ، وروايات الجاسوسية ، أو الروايات التي تدور حول النفط العربي .

في روايات المغامرات تتم المواجهة عادة بين قوى الخير وقوى الشر وهكذا تصور رواية أندرو شوجار « الفدائيون الاسرائيليون » انتصار البطل على عقبات هائلة ، وتظهر الاسرائيليين على انهم شجعان نبلاء والعرب جبناء همجيون . وكذلك تعرض « الدورية الاردنية » ، التي كتبها ايكال ليف ، العرب بوصفهم قوى خارجية أجنبية تميل للعدوان ، في حين يميل الاسرائيليون الى حب السلام .

أما روايات الجاسوسية فانها تتناول الصراع في الشرق الاوسط على خلفية دولية ، وتصور العرب أشرارا ، والاسرائيليين أبرياء . هذا هو الخط الذي نلمسه في روايه باري شيف « الهدف الفاتيكاني » ، « والجهاد » لايسر هاري ، و « خطة الموساد » للبنارد هاريس ، « وخمين » لمناحم بريجاني و « صلاح الدين ! » لأندرو أوزموند ، و « العنقاء » لايلي لاندو وأموس أريكا . وليس من الغريب أن يبدو العرب ، والروس في مثل هذه الروايات اشرارا والاسرائيليون متفوقين .

أما النوع الثالث : « حافة الهاوية » لبنيامين وهربرت ستاين ، والدببة الفضية « والبليون دولار » لبول اردمان ، فهو يتناول الاستثمارات المالية الدولية ، ومقاطعة اسرائيل ، وزيادة النفط ، ومايصاحبها من تضخم . والهدف الاساسي من هذا كله احداث تأثير بأن العالم العربي الاسلامي انما يشن حربا اقتصادية شاملة ضد الغرب المسيحي .

والكتب المدرسية

وهناك من الكتب المدرسية الخاصة بالدراسات الاجتماعية والثقافية مايحمل من المعلومات أشياء تترك تأثيرا دائما على الطفل ، خاصة وأنه يكتسبها في سن مبكر . في هذا الصدد يلعب الكتاب المدرسي ، دورا خطيرا خاصة اذا وجدت فروق ثقافية أو عرقية أو دينية .

وكتب الدراسات الاجتماعية الامريكية تتضمن العديد من البيانات المضللة أو غير الدقيقة ، أو الناقصة ، أو القديمة عن العرب مما يولد افكارا خاطئة عنهم،فالكثير من هذه الكتب لاتزال تؤكد حياة البدو الرحل في العالم العربي ، وتخلف الحياة في المدن والقرى ، ووسائل الزراعة البدائية بل امتد التشويه في هذه الدراسات الى القضية الفلسطينية والتعليم والقومية العربية .

وربما لم يتعرض موضوع يمس صميم الحياة العربية للتشوية مثلما تعرض الاسلام ، فعلى الرغم من ان الكتب المدرسية تشرح الاركان الاساسية للاسلام وحياة الرسول الكريم بدقة ، الا ان التناول يظل مختصرا بحيث يستبعد الكثير من الجوانب الاساسية للاسلام ، كما يستبعد نقاطا حيوية مثل الاسهام الاسلامي في حضارة العالم في مجال الرياضيات والجبر والفلسفة والطب والكيمياء .

وهي كتب لاتتوخى الدقة في التعريف بعدد المسلمين . فهي تقدر المسلمين بعدد يصل ما بين ٤٥٠ ـ ٥٠٠ مليون ، أي بثمن تعداد العالم .

ورغم التأكيد على أن الاسلام هو ثاني أوسع الديانات انتشارا في العالم ، الا انه يغفل الرقم الحقيقي الذي يصل الى ٧٠٠ مليون .

وعند عرضه شخصية الدين الاسلامي تؤكد هذه الكتب على أن الاسلام يتسم بنزعة الى الحرب والقتال ، لكي تساعد على استمرار سوء تصور رسالة الاسلام الحقيقية . فغالبا ما تربط هذه الكتب بين هذا الجانب وبين فكرة « الجهاد » لتبرز فرقا بين الاسلام والمسيحية في هذا الخصوص وهكذا تربط بين الاسلام والعنف والحرب في ذهن الطالب ، وتغفل تسامح الاسلام مع أهل الكتاب ، ونصح الرسول والخلفاء لقادة الجيوش العربية بعدم ايذاء النساء والاطفال والعجائز ، وعدم قتل الحيوانات أو قطع الثمار عن الاشجار .

غير انه بعد ١٩٧٥ ظهر تقدم ملحوظ فيما يتعلق بنقطتين احداهما تسمية الدين . فبعد ان كان الاسلام يشار اليه بـ « المحمدية » بدأ استخدام كلمة « الاسلام » لوصف دين المسلمين . أي انه بدلا من ربط الدين بشخص الرسول الكريم بدأ التأكيد بأنه لم يكن الا رسولا بعث برسالة . أما النقطة الاخرى فهي الحروب الصليبية . فقد بدأت الكتب ترجع أسباب الحروب الصليبية الى الاتراك السلاجقة الذين هاجموا الاماكن المسيحية المقدسة في ١٠٧١ ونهبوها ، وحالوا دون وصول الحجاج المسيحيين اليها ، وفرضوا الضرائب والمكوس . لكنها تعفي الحكام المسلمين من هذا وتصفهم بالتسامح مع الأديان الاخرى .

في الكثير من هذا كانت الكتب المدرسية تحمل معلومات مضللة عن الاسلام ، وبهذا أسهمت في خلق صورة سيئة للاسلام . ويظل الفرد الامريكي في حاجة الى معلومات اكثر دقة والى مجموعات ضغط تحت مجالس التعليم وانجاحها على استخدام كتب اكثر دقة ، والى اقامة حلقات بحث للمدرسين وتوفير متحدثين عن الاسلام .

صورة العرب

ثم ماذا ؟ ان مثل هذا الدراسات واللقاءات التي اجراها المؤلف ، قد أوصلته الى نتيجة وهي أن المشكلة تتجاوز قدرة العرب على عرض قضيتهم بكفاءة وعلى التحكم في تصوير وسائل الاعلام لهم . فالحقيقة التي تتبلور في النهاية ان صورة العرب انما تعكس الواقع العربي . فالانقسامات العربية أدت الى ضعف الامة العربية ، وانعكست على تصوير مواقفهم . كذلك فان الاهتمام بالحقوق الانسانية في العالم العربي ينعكس بنفس القدر على صورتهم . وربما كانت جهود البلدان العربية نحو التحديث بسرعة فائقة يصاحبها فورانات ، وصراعات عربية داخلية ، وغياب المؤسسات الدستورية لكن هذه السلبيات تركت أثرها على تغطية وسائل الاعلام لوجهة النظر العربية .

كذلك فقد فشل العرب في استغلال امكانياتهم الاقتصادية لتحقيق اهدافهم . فالسياسة الأمريكية في الشرق الاوسط تمر كثيرا دون عقاب وأمريكا تحصل من العرب على ما تريده من انتاج مرتفع من النفط ، وممارسة ضغوط عليهم لتخفيض الاسعار ، وحماية الدولار الامريكي من خلال الاستثمارات العربية الدولارية ، وزيادة صادراتها التجارية اليهم مما يخلق مئات الالاف من فرص العمل في امريكا، ولهذا فان أي ضغط اقتصادي عربي على امريكا من شأنه ان يحقق نتائج ايجابية في موقفها من العرب .

ان معالجة مثل هذه السلبيات من شأنه ان يدفع التغير الطفيف الذي حدث لصالح العرب نحو مزيد من الفهم من جانب الامريكيين لحضارة المنطقة وتاريخها وأهميتها الحيوية ، وتراثها الثقافي والحضاري ، ونحو تعزيز علاقات مثمرة متكافئة بين الطرفين تخدم المصالح العربية . □□

من مكتبة العربي

الشيخوخة والصحة

المؤلف : د . يوسف الكيلاني

الناشر : ذات السلاسل ـ الكويت

سنة النشر : ١٩٨٣ م .

يدرس هذا الكتاب مجموعة من الموضوعات التي تتعلق بالمسنين وصحتهم ، والتغيرات التي تحدث في اجسامهم ، والأمراض التي يمكن ان يعانوا منها ، والمشكلات الاجتماعية التي يمكن ان تواجههم .

ويفصل المؤلف في ايراد الأمراض المتعلقة بكل جهاز من اجهزة جسم المسن ، كأمراض الدم ، والجهاز الهضمي ، والقلب والشرايين والرئة والجهاز العصبي وغيرها .

ويورد بعض العلاجات الطبية الخاصة بكل مرض من الامراض ، ويورد ايضا وسائل التأهيل التي تمكن المسن من تخفيف أقصى درجات النشاط والحيوية ، وذلك لكي يستطيع ان يعيش ويمارس حياة اكثر اعتمادا على النفس والتدريب على مواجهة الصعاب والتغلب عليها .

الطاقة النووية العربية
عامل بقاء جديد

المؤلف : د . عدنان مصطفى

الناشر : مركز دراسات الوحدة العربية ـ بيروت

سنة النشر : ١٩٨٣

* يجمع الكثير من المصادر على ان نضوب مصادر النفط والغاز قد يتحقق في العقد الثاني من القرن القادم ، اذا ما استمر هذا الهدر والاستنزاف لهذه الموارد .

لذلك فان بحوثا ومحاولات اكتشاف عدة لا تزال قائمة لايجاد بدائل ، أو على الأصح مصادر أخرى موازية او مساعدة للطاقة الأساسية المعتمدة الآن .

ومن تلك المصادر الطاقة النووية . فما نصيب الوطن العربي من هذه الطاقة ؟

يجيب المؤلف : لقد بذلت بعض الاقطار العربية جهودا متميزة في استكشاف اليورانيوم ، وكانت نتائجها تحديد شذوذات مثيرة في الجزائر والمغرب والصومال .

لكن هل الطاقة النووية محددة باليورانيوم الطبيعي فقط ؟

يجيب المؤلف بأن هناك مصادر أخرى ، أهمها الفوسفات .. فما نصيب الوطن العربي من ذلك ؟

يجيب المؤلف : تحتوي معظم مواصفات الفوسفات البحرية على اليورانيوم بنسب تتراوح بين الـ ٦٠ و ٢٠٠ جزء في المليون ، ووفقا لامكانيات الفوسفات البحري العربية المؤكدة ، فان الوطن العربي يمتلك فعلا قرابة « ٢ ، ٥ مليون طن » من اليورانيوم المشارك للفوسفات ، أي ما يعادل ٣٦ بالمائة من مجمل اليورانيوم المشارك للفوسفات على الصعيد الدولي وتتركز هذه الطاقة في المغرب وتونس والأردن .

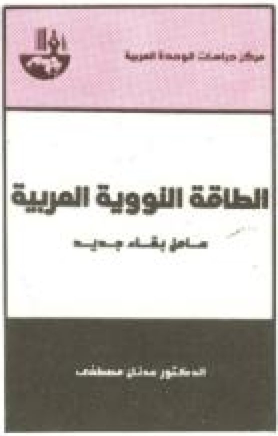

الا أن هذه الطاقة كغيرها من الطاقات ، تحتاج الى تضافر الجهود على الصعيد القومي ، لتمويل استغلالها وتحويلها الى طاقة منتجة تفيد المواطن العربي في حياته اليومية .

شعر الارض المحتلة في الستينات ـ دراسة في المضامين .

الدارس : د . عبد الرحمن ياغي .
الناشر : شركة كاظمة ـ الكويت .

كان لصدور كتاب غسان كنفاني عن الشعراء والأدباء في الأرض المحتلة منذ سنة ١٩٤٨ في بداية الستينات دوره الكبير في « الكشف » عن حركة ادبية ناشطة ، تمتاز بقوة المقارعة لدولة الاحتلال الصهيوني وقوانينها في الرقابة والمصادرة والاعتقال ، وتخوض نضالاتها وتحدياتها بكل جسارة وصمود .

ومنذ أن تم ذلك « الكشف » ، ومنذ ان انطلقت الثورة الفلسطينية لخوض كفاحها المسلح في منتصف الستينات ووقوع هزيمة حزيران سنة ١٩٦٧ ، فان النتاج الأدبي في الارض المحتلة أصبح شغل دور النشر العربية والصحافة وأجهزة الاعلام الشاغل . نتيجة عدة أسباب ولتحقيق عدة نتائج ليس هذا العرض المبتسر هو مجال ذكرها .

والكتاب الذي نحن بصدده درس مضامين خمسة دواوين لمحمود درويش وأربعة دواوين لسميح القاسم ، ومجموعة قصائد لتوفيق زياد مكتوبة كلها في الستينات .

وميزة الشعر الذي درسه الباحث ـ أوجزها توفيق زياد في مجلة الجديد الصادرة سنة ١٩٦٦ في الارض المحتلة

« ان شعر القضية المستقلة لشعبنا العربي الفلسطيني أو ما اصطلح على تسميته بشعر العودة ، الذي كتبه شعراؤنا الثوريون امتاز بأنه لم يكتب من بعيد أي من « الخارج » بل كتب من « قلب البيت » ، كتبوا عن القرى المهدومة وهم يقفون أمام أنقاضها ، ويسمعون الأولاد وهم يفسرون للسياح ان هذه هي خرائب رومانية ! وعن الأرض المصادرة وهم بين الفلاحين المتظاهرين والمتمردين امام التركتورات ، وعن التراب المتشوق لأصحابه ، وهم يقفون عليه ، وعن عبير البرتقال ، وهم يشمونه . انهم لم يكتبوا « سماعيا » وانما عاشوا ما يكتبونه ، وهذا هو مبعث شقاء وسعادة لا توصفان » وهذا أضاف الى شعرهم نكهة أخرى خاصة يمكن بواسطتها تشخيصه ومعرفة هويته » ص ٦٣ .

استراتيجية الاستعمار والتحرير .

اسم المؤلف : د . جمال حمدان .
الناشر : دار الشروق ـ بيروت .

يجيب هذا الكتاب على اسئلة مهمة تتعلق بواقع ما آل اليه العالم وما يمكن ان يؤول اليه من خلال الكشف عن المقدمات التي سجلها الانسان ، فمنذ فجر التاريخ وهو يذود عن كيانه وحرياته أمام أنماط من القهر والاستعمار والاستعباد « انطلاقا من القانون العلمي العام المعروف : لكل فعل رد فعل يوازيه في المقدار والاتجاه ، وتوكيدا للنظرية التي اعتمدها الفيلسوف البريطاني توينبي« التحدي والاستجابة » .

ويسجل المؤلف عدة اسئلة يختزلها في مقدمته :
« الصراع الذي يعيشه عالم اليوم . هذا الذي يتمزق بين كتل العقائديات المتناقضة وقوى التحرير الفوارة ، ورواجع الماضي المتربصة ، ما نمطه الاقليمي ـ ان كان ثمة نمط ـ وما أصوله التاريخية ؟ وهذه التطورات العميقة التي يشهدها توزيع القوى والأوزان السياسية بين الدول والكتل والقارات ، وهذه الانقلابات الكاملة في الاستراتيجية الكوكبية في ظل العصر النووي . هل هي تحولات أم تحويرات للماضي بدرجة ما ، أم هي طفرات بكر تماما في تاريخ البشرية ؟

الى أين يتجه نمط توزيع القوى السياسية والاستراتيجية في مستقبل سيخلو من الامبراطورية واحتكار القوة والعلم ، وقد تنتشر فيه الأسلحة النووية انتشارالحضارة والتكنولوجيا الحديثة ذاتها ؟ وما احتمالات المستقبل بالنسبة لسياسة وليدة كعدم الانحياز ، ولقوة جديدة كالعالم الثالث ؟

وقد أجاب المؤلف على هذه الأسئلة وغيرها بأربعمائة وأربعين صفحة من القطع المتوسط .

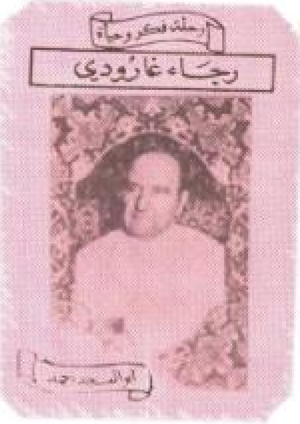

رحلة فكر وحياة

رجاء غارودي

الكاتب : ابو المجد احمد
الناشر : دار البعث ـ قسنطينة ـ الجزائر
سنة النشر : ١٩٨٣م

● المفكر الفرنسي روجيه غارودي اعلن اسلامه سنة ١٩٨٢ . بعد رحلة تنقل بين الديانات والعقائد ، وتسمى برجاء .

عن رحلة التنقل هذه وعن مؤلفات ومواقف الرجل والتفصيلات والاجواء التي كانت تحيط في كل مرحلة من مراحل حياته ، كتب الكاتب هذا الكتاب ، وتابع فيه جل ما طرحه المفكر من طروحات وافكار ومواقف .

والتي كان يصطدم في بعضها مع المؤسسات والقائمين عليها ، مما كان يدفعه الى اعلان اجتهاداته الخاصة ، التي تتناقض معها ، ومن ثم الخروج منها ، الا انه مع ذلك لاينكر بأن الماضي ماضيه . يقول في هذا المجال

« هذا الماضي هو ماضيّ ، ولست اخجل منه ، لأني اذا استطعت ان اتعلم التغيير ، فذلك لانني مررت بهذا الطريق » .

حوار القراء

العقل العربي والعقل الصهيوني

في حديث الشهر من العدد رقم ٣٠٠ نوفمبر ١٩٨٣ أتحفنا الدكتور محمد الرميحي بمقاله شائقة دسمة ضمنها بعض نظراته الى ما يسميه « بالعقل الصهيوني » وآفاقه وطرق فهمه وتحليله .

وكان مما أورده الأستاذ في مقاله الذي اسهب فيه ـ دعوته الى انتهاج طريقة جديدة او اطار جديد للتفكير عند محاولة تحليل العقل الصهيوني للوصول الى فهمه انطلاقا من القول بأن فهم العدو خطوة أولى في مسيرة مواجهته . .

ولعلني لا أمتدح الأستاذ اذا قلت انه قد قام بمحاولة صحيحة ، وخطوة واسعة في سبيل نشر مثل هذا النوع من التفكير بين مثقفينا ، في وقت نحن فيه في أمسّ الحاجة الى مثل هذا الطرح ، الا انني لا أقف هنا لأسجل آيات الشكر للاستاذ ، فهو غني عن هذا ، لكن الذي اود قوله هو اننا ـ قبل محاولة فهم هذا « العقل الصهيوني » ـ محتاجون الى ان نلوي اعناقنا قليلا تجاه انفسنا ، عملا بقوله صلى الله عليه وسلم « رحم الله امرءا عرف قدر نفسه » واسمحوا لي ان اضع الحديث الشريف في غير موضعه .

الا انني اعتمادا على ان المرء لا يمكن ان يقوم بمحاولة ناجحة لفهم ما حوله في هذا الكون الا بعد ان يتخذ من معرفة نفسه قاعدة راسخة للانطلاق نحو فهم غيره .

انني لست من دعاة التراجع ، ولا ممن يحبون المشاكسات ، غير انني لا ادعي بهتانا عندما اقول اننا معشر العرب والمسلمين ، لما نفهم ولما نحاول ان نفهم ، انفسنا وعقولنا ، او بالاصح عقلياتنا بعد حتى نتمكن من ايجاد وتحليل العقل الصهيوني .

وفي نفس الوقت ادعو كافة المفكرين والباحثين العرب والمسلمين وما اكثرهم . . . الى القيام بمحاولة استطلاع هذا (العقل العربي) وتحديد مداه واتجاهه : اذا كان هناك وجود لما يمكن تسميته (بالعقل العربي) الواحد .

عبداللطيف عيسى مصطفى
كلية الاقتصاد ـ جامعة قاريونس

الشعوب . . والقوميات

تناول الدكتور محمد أحمد خلف الله ، القومية العربية في مقالته التي جاءت في العدد (٣٠١) من العربي . . وقد ورد في الصفحة ١٢٩ ما يأتي . .

« وأعتقد أن العنصر الأول في بناء القومية هو اللغة » ! !

« ان القومية أولا لها مقومات ، ومن هذه المقومات العنصر والأصل والانتماء الى « أرومة » والى جنس خاص لشعب من الشعوب ، وعند نشوء الأمم تنشأ لغتها ولذلك يقال لها لغة الأم . . هذا من جهة . .

ان اللغة لم تحدد يوما ما قومية أمة من الأمم ولا القومية العربية ولا غيرها ، مثلا هناك شعوب أفريقية تعرضت للاستعمار الانجليزي والفرنسي ، وفرضت لغتها على بعض هذه الشعوب وأصبحت هي اللغة المتداولة والمحلية ولا لغة غيرها ، فهل أصبح هؤلاء فرنسيين أو انجليز ؟ ! ـ من ذلك نرى أنه لايمكن تقسيم هذه الشعوب الى قوميات مختلفة حسب لغاتها كما ذكر الدكتور خلف الله . .

المهندس / فتحي مطلوب
بغداد ـ العراق

اعداد
يوسف الشهاب

تنويه

جاء في رد الأستاذ عثمان سعدي على مقال الدكتور فؤاد زكريا الذي نشر في عدد يناير ١٩٨٤ بعنوان « ثقافتنا المعاصرة بين التعريب والتغريب » خطأ مطبعي عندما أشرنا في مقدمة الرد على أن العدد (٣٠٢) صادر في شهر يناير ١٩٨٣ ، وصحة التاريخ يناير ١٩٨٤ ، وهو الموعد الذي صدر فيه العدد المشار اليه ، لذا اقتضى التنويه .

(تصحيح)

جاء في العدد الممتاز ـ شهر يناير ١٩٨٤ ـ الصفحة ٢٧ تعليق خاطيء على الصورة المنشورة في الصفحة المشار اليها على أنها وليمة القطار ، والواقع الصحيح هو أن دائرة المطبوعات والنشر بما فيها ادارة مجلة العربي انتقلت في عام ١٩٥٨ الى مقرها الذي تم استئجاره من المرحوم الحاج عبد الله العوضي بالقرب من بيته في شارع دسمان ، وبهذه المناسبة أقام الحاج عبد الله وليمة غداء على شرف رئيس الدائرة الشيخ صباح الأحمد وبقية كبار موظفي دائرة المطبوعات ومجلة العربي

الانسان .. وليد المجتمع

الانسان العربي الواعي .. قبل أن يكون وليد التقنية الحديثة ، يجب أن يكون وليد المجتمع الحر ..

قرأت ما ورد في مقال الدكتور صفاء خلوصي ، في العدد (٢٩٨) من العربي ، حول مقال « عضو هيئة التدريس في الجامعات العربية .. مكانته ومستقبله » ولا شك أن هذا المقال لخص ما تعانيه هيئة التدريس في مجتمعنا ، وهي الهيئة التي يقع على عاتقها تهيئة الانسان العربي لكي يكون قادرا على مواجهة الأخطار المحيطة به ، ولمواكبة التطور والتكنولوجيا الحديثة وتوظيفها في خدمة الانسان العربي ، ولي بعض الملاحظات أود أن أوضحها في سياق هذا المضمون .

أولا .. ان ما يعانيه عضو هيئة التدريس لا ينطبق عليه وحده ، وانما ينطبق على قسم كبير من مجتمعاتنا العربية ، اذ أن المطلوب تطوير القطاعات الاخرى من المجتمع حتى يصل هذا التطوير الى عضو هيئة التدريس في جامعاتنا لكونه أحد أفراد المجتمع ، فالانسان العربي قبل أن يكون وليد التقنية الحديثة المتمثلة في الجامعات الحرة ، كما جاء في مقال الدكتور خلوصي ، فانه يجب أن يكون وليد المجتمع الحر .

أيضا .. تحدث كاتب المقال عن مشكلة الاستنزاف الأكاديمي وهجرة الأدمغة ، واعتقد أن المقال المنشور تحت عنوان « تهجير الأدمغة في العدد (٢٩٧) بقلم الأستاذ محمد خان ، قد أعطى هذه المشكلة حقها ـ ذلك أن السبب الأساسي في هذه المشكلة هو الضغط السياسي الذي يعانيه كثير من العلماء والاختصاصيين في بعض الدول .

عماد عواد ـ يوغسلافيا

حوار القراء

الواقعية .. والخيالية

تظهر علينا بين حين وآخر على صفحات مجلتنا العربي ، مقالات تمزج بين الواقعية في الموضوع الذي يعالجه الكاتب وبين الخيالية التي يمكن ان نجدها في القصص ، سواء اكانت تاريخية ام غير ذلك .. بل اننا نعجز احيانا عن تحديد نوعية المقالة وفي اي باب ندرجها ، هل هي تاريخية ام فلسفية ام سياسية ، وحبذا لو كان الاختيار للمقالات يتم كما ذكرتم في حوار القراء من نفس العدد من انكم تختارون الافضل من المقالات للنشر في العربي ...

المهندس ـ حسان نجار ـ حلب ـ سوريا

العربي

نؤكد لصديق المجلة ، اننا لانجيز اي مقالة للنشر الا بعد قراءتها من رئيس التحرير ولجنة القراء .. وذلك يعود الى حرص العربي على تقديم اجود ما لديها من مقالات ...

العربي ـ والاكتشافات العلمية

تزوجت في يناير ١٩٥٩م ، أي من عمر مجلتكم الثقافية ، واحتفلنا في الشهر الذي تحتفلون فيه باليوبيل الفضي للعربي (يناير ١٩٨٤) هذه المجلة ذات الثقافة والاشعاع الفكري الذي يصل الى كل مثقف عربي محب للعلوم والاداب والثقافة العامة ، وانا افتخر بأن مجلة العربي هي المجلة الوحيدة التي اتابعها بشكل مستمر خلال سنوات عمرها ، واود في ختام رسالتي ان تعطوا الاكتشافات العلمية التي تتعلق بشئون الفضاء والكون اهتماما اكثر في المجلة لما فيها من فوائد كبيرة للقاريء ..

فدوى ابو النجا ـ بيروت ـ لبنان

تحية من حلب الشهباء

تحية لهذه المجلة الكريمة والعاملين فيها ، فقد اتحفتمونا بهذه النافذة الرائعة ، فقد كانت مجلة العربي فعلا من انجح المجلات العربية التي ساهمت وما تزال تساهم في بناء الثقافة لكل مواطن عربي ، فمجلتكم دائما تقدم الجيد المفيد ، ولهذا حق علينا الشكر ، فأنتم وجميع العاملين في هذه المجلة الكريمة ساهمتم في وصول هذا النبع الثقافي الينا فكيف لا نشكركم وأنتم شموع تشتعل لكي تضيء ظلام هذا العالم ، فألف تحية ولكم المحبة على الجهد المشكور .

أهنئكم على هذه المجلة التي تواكب التقدم التقني والعملي وارجو من الله أن يوفقنا جميعا لخدمة الجيل العربي .

محمد مأمون علي
الجمهورية العربية السورية ـ حلب

التطرف .. والخيال

في العدد (٣٠٠) من العربي، وفي ركن منتدى العربي، قرأت مقالين وقفت عندهما .. الأول للدكتور عزالدين فراج. الذي غالى وتطرف في نفي الخيال، وان كان فرضه صحيحا فانه بنسبة قليلة - فمثلا في الفيزياء. منذ متى اكتشفت «الذرة»، وقد وضع لها شكل وحجم، وكذلك كيفية دوران السحابة الالكترونية حولها، هذا كله من نسج الخيال ولكنه آت من حقيقة، أي وجود الذرة.

وهناك ظاهرة أخرى يبدو وكأن الدكتور لم ينتبه اليها، الا وهي تغير وتطور العلوم مما يبرهن على أن الحقائق المعتبرة هي مجرد خيال .. ومثلا هناك حقائق ثابتة لايمكن لأي عالم أن ينفيها وكالسيتو بلازم، الموجود في الخلية، باعتبار أن أصغر وحدة نباتية قادرة على العيش هي الخلية.

أما المقال الثاني - فهو للأستاذ نهاد الشريف، وقد أكد على أن جميع الحقائق التي تصلنا هي خيال في خيال، ولاوجود للحقيقة مطلقا. وهو هنا يغالي في التطرف،

التركي قرمري - المدية - الجزائر

الروضة المتنقلة

الى رئيس تحرير مجلة العربي وأعوانه من محررين وعمال وفنانين اعتادت العربي أن تهدي الينا في رأس كل شهر روضة متنقلة، أكلها مختلف، وشذاها عبق، تغذي العقل وتروض النفس. يتسابق اليها الكبار ويزاحمهم عليها الاطفال والصغار. مرجع مهم للدارسين ومرتع خصب للخليين.

الصيدلي: محمد عبد الوهاب أوبري / حلب

○ العربي: كان لتحيتك الرقيقة أجمل الأثر في نفوس أسرة العربي

تبوتب .. في رسالة

قرأت في عدد نوفمبر ١٩٨٣ من العربي موضوعا طريفا عن تبوتب استهله كاتبه بأمنية وليس بعيدا أن يتفرغ لها يوما من الأيام طلاب هذا القطر أو ذاك من شباب العرب فيقتفوا آثار هذا الأندلسي الأفريقي قبل أن تعفي عليه رمال الأيام.

ويشرفني أن أكون أنا العربي الوحيد الذي تناول هذا الرجل بدراسة علمية جادة، كانت موضوع درجة الماجستير التي حصلت عليها عام ١٩٧٥ من جامعة القاهرة بعنوان «حميد المرجبي» تبوتيب «والوجود العربي في الكونغو»، تناولت فيها الرجل من حيث نشأته وأصله العربي في مسقط، وثقافته ورحلاته المشوبة بروح المغامرة العربية، وحب الضرب في المجهول، ولذة النجاح التي دفعته للتوغل أكثر في قلب القارة العذراء، مستهينا بالصعب حتى كان أسطورة على لسان الأجانب من مبشرين ومكتشفين استعانوا به في حلهم وترحالهم، فكان عكازهم في ضعفهم، وعينا لهم في أسفارهم، وعونا لهم في كل خوف ألم بهم داخل هذا الجوف الافريقي المجهول.

الهيئة المصرية للكتاب - بولاق - القاهرة

دكتور / يواقيم رزق مرقص

العربي: نرجو أن تبعث لنا بصورة من رسالتك للاطلاع عليها ان امكن.

المسابقة الثقافية رقم ٣٠٤

مارس ١٩٨٤

أسئلة هذه المسابقة بسيطة للغاية .. ولعلها معروفة لأكثر القراء ....

وان لم تكن كذلك فما أسهل الرجوع الى المصادر للعثور على الاجابة الصحيحة عنها ...

وقل مثل ذلك في الردود عليها .. فهي لا تتطلب ديباجة في الرد ... بل لاتحتاج الا الى كلمة واحدة : فاما كلمة « خطأ » أو كلمة « صواب » ..

والمطلوب منك ان تجيب على عشرة أسئلة اجابة صحيحة لكي تكون في عداد المرشحين للفوز بجائزة ..

الجائزة الأولى قيمتها ٥٠ دينارا
الجائزة الثانية قيمتها ٣٠ دينارا
الجائزة الثالثة قيمتها ٢٠ دينارا

٨ جوائز قيمة كل منها عشرة دنانير

ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي ـ صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العربي الثقافية » العدد ٣٠٣ ـ وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو أول ابريل ١٩٨٤ .

***

١ ـ المنطقة القطبية الجنوبية ، تبلغ مساحتها ضعفي مساحة أستراليا بالتقريب ... خطأ أم صواب ؟

٢ ـ منغوليا .. مسقط رأس جنكيز خان وهولاكو ... احتلت الصين وحكمتها في القرن الثالث عشر ... ولكنها واقعة تحت الاحتلال الصيني في الوقت الحاضر ...

٣ ـ طارق بن زياد ، فاتح الأندلس الشهير ، لم يحظ بما استحقته انتصاراته من تقدير وتكريم .. بل عوقب وعذب وكأنه مجرم من المجرمين ....

جوائز العربي لقرائها أكثر من

ألفي دينار سنويا

جوائز المسابقة

الجائزة الأولى	٥٠ دينارا
الجائزة الثانية	٣٠ دينارا
الجائزة الثالثة	٢٠ دينارا

و ٨ جوائز تشجيعية قيمة كل منها ١٠ دنانير

٤ ـ يميزون بين الساعات ، ساعات اليد وغيرها ، تبعا لعدد الاحجار التي تدخل في تركيبها . . . . وأحجار الساعات هذه أحجار كريمة . .

٥ ـ الفلورسنت والنيون اسمان لشيء واحد . . .

٦ ـ نقار الخشب لا ينقر الخشب بحثا عن طعام وانما بدافع غريزي ومن أجل تقوية منقاره وزيادة حدته . . . .

٧ ـ الدبور يفرز ورقا كما تفرز النحلة عسلا . . .

٨ ـ الحوت هو أكبر الكائنات على الاطلاق ، الحية منها والمنقرضة سواء بسواء . . . فهو أكبر من أضخم الديناصورات التي عرفها التاريخ بلا استثناء . . .

٩ ـ الوطواط أقرب نسبا الى الحيتان منه الى طير البوم . . .

١٠ ـ الأخوان رايت ، ولبور وأورفيل رايت ، اشتهرا في تاريخ الطيران بسبب نجاحهما في قطع المحيط الأطلسي طيرانا . . .

١١ ـ امرؤ القيس هو قائل المثل المعروف . . تمخض الجبل فولد فأرا . . . .

١٢ ـ ساعة بيج بن اللندنية الشهيرة . . . سموها بهذا الاسم نظرا لكبرها . . . فلفظ (بيج) يعني (كبير) في اللغة الانجليزية الحديثة ، كما هو معروف ، ولفظ (بن) يعني (ساعة) في اللغة الانجلوسكسونية القديمة . . .

كوبون مسابقة العدد ٣٠٤

معركة بلا سلاح

« تَفقَّدْ قطعك وقطع خصمك عقب كل نقلة،واحرص على تشتيت بيادق خصمك وجمع شمل بيادقك .. ولا تدخل بقطعة من قطعك إلى منزل تضطر الى التقهقر منه دون فائدة » .

الصولي[1]

تصفيات العالم للشطرنج

اخترنا لك في هذا العدد دورا من أهم أدوار التصفيات ما قبل النهائية؛لاختيار اللاعبين الذين سيقابلون بطل العالم الحالي للشطرنج أناتولي كاربوف ... وهذا الدور بين اللاعب الفيليبيني « يوجينيو توري » واللاعب المنغاري « زولتان ربلي » (البكانت ١٩٨٣) .

ويستخدم الابيض « توري » في هذا الدور افتتاحية جامبيت الوزير مركزا هجومه على جناح الوزير في سبيل تفوق تكتيكي بطيء،ولكنه يستغرق في خطته كل الاستغراق،فيفوته ملاحظة الخطر المتزايد الناجم عن تركيز الأسود لقواه حول حصانه المتمركز في وسط الرقعة،والذي مكنه أخيرا من فتح أعمدته والانقضاض على دفاع الأبيض وتحطيمه شر محطم،وانتهى الدور بكش مات بديعة ... وكان هذا الدور فاتحة انتصارات البطل المنغاري على خصمه الأسيوي ... وانتهت المباراة بينهما بنتيجة ٦ ـ ٤ لصالح البطل المنغاري

جامبيت الوزير
« يوجينيو توري » (أبيض) و « زولتان ربلي » (أسود)

١ ـ ب ـ ٤ و	ح ـ ٣ ف م
٢ ـ ح ـ ٣ ف م	ب ـ ٣ م
٣ ـ ب ـ ٤ ف	ب ـ ٤ و
٤ ـ ف ـ ٥ ح	ب ـ ٣ ر م
٥ ـ ف × ح	و × ف
٦ ـ ح ـ ٣ ف	ب ـ ٣ ف
٧ ـ ب ـ ٣ م	ح ـ ٢ و .
٨ ـ ف ـ ٣ و	و ـ ١ و
٩ ـ ت	ف ـ ٢ م
١٠ ـ و ـ ٢ م	ت

الأبيض يعد نفسه لمهاجمة القطع الصغرى،والسيطرة على عمود الوزير،وكان يفضل لو لعب :

١٠ . ب ـ ٤ م لمزيد من الانتشار والسيطرة على وسط الرقعة .

١١ ـ ر م ـ ١ و	ب ـ ٤ ف م
١٢ ـ ر و ـ ١ ح	ب ـ ٣ ر و

(١) هو الأديب الكبير إمام الشطرنجيين العرب أبو بكر محمد بن يحيى الصولي (المتوفى ٣٣٥هـ) وله عدة مؤلفات ثمينة في الشطرنج .

١٣ - ب - ٤ ح و	ح - ٣ ف
١٤ - ب - ٤ ر و	ف - ٣ و
١٥ - ر م - ا ف و	ح - ٥ م
١٦ - و - ٢ ف	

كان من الأفضل لو لعب :

١٦ . ح - ٥ م ليضع حدا لسيطرة الاسود على وسط الرقعة، ولكن نقلات الابيض التالية تدل على غفلته عما بيّته له الخصم،وعلى انهماكه في التخطيط للسيطرة على الجناح الآخر للرقعة .

١٦ -	ف - ٢ و
١٧ - ب - ٥ ح	ر ب × ب
١٨ - ر ب × ب	و - ٢ م
١٩ - ب - ٥ ف	ف - ا ح
٢٠ - ب × ب	ف × ب ف
٢١ - ح - ٢ م	و - ٣ ف
٢٢ - ف - ٥ ح	ب - ٥ ف ! (مدهشة)
٢٣ - ح × ب	ف × ح

وهنا يغتنم الاسود فرصة انشغال الأبيض في النصف الآخر من الرقعة ويكشف عن نواياه بصراحة .

٢٤ - ب × ف	و × ب ف
٢٥ - ر - ا ف	ر - ٦ ر ! (رائعة)
٢٦ - ر - ٣ ح	ف × ف
٢٧ - ر × ر	
أو ٢٧ . ر × ب	ر × ح
٢٨ - ف × ر	ح - ٧ و
٢٧ -	ف × ر
٢٨ - م × ف	ب - ٤ ح م
٢٩ - ب - ٣ ر	ب - ٤ ر
٣٠ - ر - ٢ ر	ب - ٥ ح
٣١ - ب × ب	ب × ب
٣٢ - ح - ٥ م	و - ٧ ر

هجوم ساحق من الأسود لا قبل للأبيض برده،وينتهي الدور بالنهاية البديعة التالية :

٣٣ - ب - ٣ ف	و - ٨ ر +
٣٤ - م - ٢ م	و × ب +
٣٥ - م - ٣ و	ر × ب +
٣٦ - ح × ر	و × ح ‡

مسائل شطرنجية

الأبيض يلعب ويكش مات بـ ١٢ نقلة

يبدو لأول وهلة ان الدور قائم لأن الابيض لن يسمح للأسود بترقية البيدق إلى الوزير،ولكن بسلسلة من المناورات البديعة يستطيع الأبيض أن يكش مات بـ ١٢ نقلة . . . ولن نحرمك أيها القارىء من متعة العثور على الحل،ونحن بانتظار ردك حتى منتصف الشهر القادم ، فان لم توفق فستجد الحل في عدد شهر مايو ١٩٨٤ مع تمنياتنا لك بالتوفيق . .

حل المسألة (١٣) يناير ١٩٨٤ :

١ - ب - ٨ ح (و)	م × و
٢ - م - ٦ م	م - ا ر
٣ - م - ٧ ف	ب - ٣ م
٤ - ف - ٧ ح ‡	

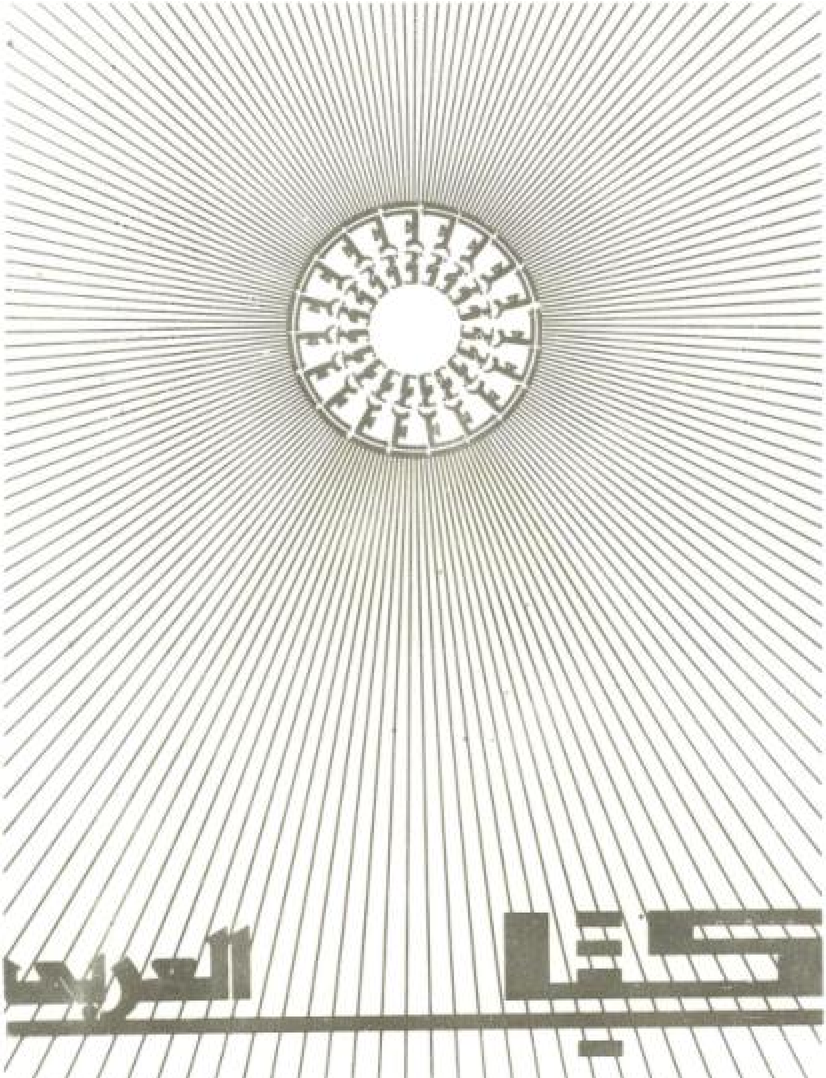

الكتاب الثاني ابريل ١٩٨٤

العلم في حياة الإنسان

د. عبدالحليم منتصر

Are You Ashamed Of Your ENGLISH?

Be Specialist Trained in Written and Spoken English!

With a good command of English you can talk fluently and effectively, write clearly and concisely. You impress your boss, your colleagues and your friends. It can get you promotion – a better job – ensure your success and enhance your social life. You can acquire it quickly and easily!

To make this possible for YOU, we offer you a **specialist**, home-study Diploma training in Business English. You learn how to write business letters, reports, minutes, telex, telegrams, conduct meetings and lots more about business, – plus full tuition in the English language and how to use it in your job. **Never again need you be ashamed of your English!**

Your training has been **specially written** for people whose mother tongue is not English. If you are over 15, want to succeed – want the good things in life – this could be YOUR starting point! So write now for free details, including checkable proof of **big success** by ordinary men and women. No obligation. Send your name and address in BLOCK CAPITALS to Dept. B/AAB 14, Business Training Ltd, 7 Dale Street, Manchester, M1 1JB, England.

BUSINESS TRAINING LIMITED

Dept. B/AAB 14,
Sevendale House,
7 Dale Street,
Manchester,
M1 1JB,
England.
C.A.C.C. Accredited

Please tell me about your home study training and how I can obtain my specialist Diploma.

BLOCK CAPITALS PLEASE

Surname ....

Other names ....

Address ....

....

....

....

عالم المعرفة

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

مارس ١٩٨٤ م

مفاهيم قرآنية

تأليف :
د. محمد أحمد خلف الله

٥٠٠ فلس

الكتاب الخامس والسبعون

المراسلات :
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

من المسرح العالمي
سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع كل شهر
وزارة الإعلام في الكويت

أول مارس ١٩٨٤

١٧٤

مصرع كاسبرهاوزر

تأليف : ديتر فورته
ترجمة وتقديم : د. عبدالسلام اسماعيل
مراجعة : د. محمود فهمي حجازي

تصدرها
جامعة
الكويت

مجلة العلوم الاجتماعية

مجلة فصلية أكاديمية تعنى بنشر الابحاث والدراسات في مختلف حقول العلوم الاجتماعية.

رئيس التحرير: د. خلدون حسن النقيب

مدير التحرير: عبد الرحمن فايز المصري

منبر بارز للأكاديميين العرب.

توزع أكثر من (٨٠٠٠) نسخة.

الاشتراكات

للمؤسسات: ١٢ ديناراً في الكويت.
٤٥ دولاراً أمريكياً في الخارج

للأفراد: ٣ دينار في الكويت، ٢ دينار للطلاب
٢،٥ دينار أو ما يعادلها في الوطن العربي.

١٥ دولاراً أمريكياً في الخارج.

الموزع في الكويت والخارج: مجلة العلوم الاجتماعية

توجه جميع المراسلات الى: رئيس التحرير
مجلة العلوم الاجتماعية - جامعة الكويت ص. ب ٥٤٨٦ صفاة - الكويت
هاتف: ٢٥٤٩٤٢١ «مباشر» ٢٥١٠١٨٨/ ٢٧٣/ ٢٥٠ تلكس ٢٦١٦ كويت

المجلة العربية للعلوم الإنسانية

مجلة فصلية محكمة ، تقدم البحوث الاصيلة والدراسات الميدانية والتطبيقية في شتى فروع العلوم الانسانية والاجتماعية باللغتين العربية والانجليزية .

تصدر عن جامعة الكويت

صدر العدد الأول في يناير ١٩٨١

رئيس التحرير د. عبدالله العتيبي

مدير التحرير عبدالعزيز السيد

- تتناول المجلة الجوانب المختلفة للعلوم الانسانية والاجتماعية بما يخدم القارىء والمثقف والمتخصص .
- تعالج موضوعات المجلة الميادين التالية :
اللغويات النظرية والتطبيقية – الآداب والآداب المقارنة – الدراسات الفلسفية الدراسات الفنية – الدراسات الاجتماعية المتصلة بالعلوم الانسانية – الدراسات التاريخية – الدراسات الجغرافية – الدراسات التربوية – الدراسات حول الفنون (الموسيقى – التراث الشعبي – الفنون التشكيلية – النحت ... الخ) – الدراسات الاثارية (الاركيولوجية) .
- تقدم المجلة معالجاتها من خلال نشر :
البحوث والدراسات – مراجعات الكتب – التقارير العلمية – المناقشات الفكرية .
- مواعيد صدور المجلة : كانون ثاني – نيسان – تموز – تشرين أول .
- تنشر المجلة ملخصات للبحوث العربية بالانجليزية ، وملخصات بالعربية للبحوث الانجليزية .

ثمن العدد : للأفراد ٤٠٠ فلس
للطلاب ٢٠٠ فلس

الاشتراكات السنوية

	داخل الكويت	في الخارج
– للمؤسسات	١٠ د.ك.	٤٠ دولاراً أمريكيا
– للأفراد	٢ د.ك.	١٥ دولاراً أمريكيا
– للاساتذة والطلاب	١ د.ك.	١٠ دولارات أمريكية

- تقبل الاشتراكات في المجلة لمدة سنة أو عدة سنوات .
- قواعد النشر تطلب من رئيس التحرير .
- جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير :–

ص.ب : ٢٦٥٨٥ (الصفاة)

الكويت – الشويخ – ت : ٨٢١٦٣٩ – ٨١٧٦٨٩ – ٨١٥٤٥٣

مجلة
دراسات الخليج والجزيرة العربية

تصدر عن جامعة الكويت

رئيس التحرير
الدكتور عبد الله الغنيم

صدر العدد الأول في كانون ثاني (يناير) ١٩٧٥

تصل أعدادها الى أيدي نحو ١٢٥,٠٠٠ قارئ

يحتوي كل عدد على حوالى ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير تشتمل على : -

- مجموعة من الأبحاث تعالج الشئون المختلفة للمنطقة بأقلام عدد من كبار الكتاب المتخصصين في هذه الشئون.
- عدد من المراجعات لطائفة من أهم الكتب التي تبحث في المناحي المختلفة للمنطقة .
- أبواب ثابتة : تقارير - وثائق - يوميات - ببليوجرافيا .
- ملخصات للأبحاث باللغة الانجليزية .

ثمن العدد : ٠٠ فلس كويتي أو ما يعادلها في الخارج .

الاشتراكات : للأفراد سنويا ديناران كويتيان في الكويت ، ١٥ دولارا أمريكيا في الخارج (بالبريد الجوي) .

للشركات والمؤسسات والدوائر الرسمية : ١٢ دينارا كويتيا في الكويت ، ٤٠ دولارا أمريكيا في الخارج (بالبريد الجوي)

منشورات المجلة :

تصدر المجلة أيضا دراسات مستقلة متعلقة بشئون المنطقة صدر منها

١- **كتاب التكامل الاقتصادي في الخليج العربي (د . محمد هشام خواجكية) . ١٩٧٩ .**
٢- **كتاب آفاق التنمية الصناعية في دول الخليج العربي (د . عبد الاله أبو عياش) . ١٩٧٩ .**
٣- **كتاب حقوق الطفل في دولة الكويت (د . بدرية العوضي) . ١٩٧٩ .**
٤- **كتاب الاحصاءات الاقتصادية في المملكة العربية السعودية (بدوي خليل) ١٩٨٠ .**
٥- **دور جريدة فتاة الجزيرة في أحداث عام ١٩٤٨ بصنعاء (سلطان ناجي) ١٩٨٠ .**

سلسلة وثائق الخليج والجزيرة العربية لعام صدر منها :

الكتاب الأول : وثائق الخليج والجزيرة العربية لعام ١٩٧٧ . ١٩٧٩ .

العنوان : جامعة الكويت - كلية الآداب والتربية - الشويخ - دولة الكويت .
ص . ب : ١٧٠٧٣ - الخالدية
الهاتف : ٨١٦٨٠٧ - ٨١٦٧٩٩ - ٨١٦٨٢

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير .

مـاهـوَ الجَـديـد؟
أفـكـار ومـنـتجَـات أفـضـل من TOSHIBA

ثلاجة Toshiba الجديدة "جي آر - ٣٣٣ إي اس في" GR-333ESV تقدم لكم اليوم جهاز التبريد المباشر - "دايركت كولنغ سيستم" - الذي يؤمّن تجليداً سريعاً. بمجرد كبس زر التجليد السريع الموجود على اللوحة تنخفض الحرارة في حجرة التجليد (الفريزر) بسرعة إلى ٤٠ درجة مئوية تحت الصفر، وهذه الحرارة أقل من الحرارة التي تعطيها حجر التجليد العادية. والنتيجة هي أن الطعام يتجلد بسرعة وفعالية أكثر، كما تضمن هذه الثلاجة المحافظة على الطعام الطازج، ونكهته وفائدته الغذائية الأصلية.

إن ثلاجة Toshiba الجديدة "جي آر - ٣٣٣ إي اس في" هي مثال آخر على أفكار Toshiba الخلاقة في صناعة إنتاج الأجهزة المنزلية.

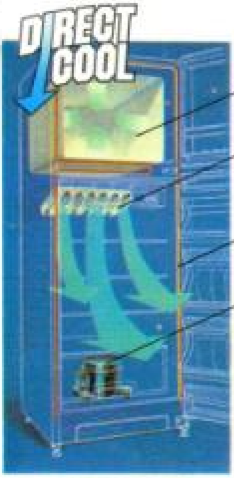

وحدة تبريد حجرة التجليد

وحدة تبريد الثلاجة

أنبوب التنظيف

ضاغط

-40°C

تذويب أوتوماتيكي كامل للثلج مع جهاز لتصريف الماء

GR-333ESV

VH-1400
- غسالة بخصائص جديد كبير
- جهاز لاختيار كمية الماء المناسبة (دوائر لتوفير الوقت والماء)

VC-1010EJ/810E
- مكنسة كهربائية ١٢٠٠ واط ذات قوة كهربائية عالية

TA-1000AY
- مكواة قوية الاحتمال

RAC-46JE
- مكيف هواء بضاغط دائري هادئ الصوت
- قوة ١٨٠٠٠ بي تي يو

TOSHIBA | توشيبا

TOKYO, JAPAN

• لوحات للفنان ضياء العزاوي •

• الموضوع داخل العدد •

العربي

جمادى الأخره ١٤٠٤ هـ - ابريل (نيسان) ١٩٨٤

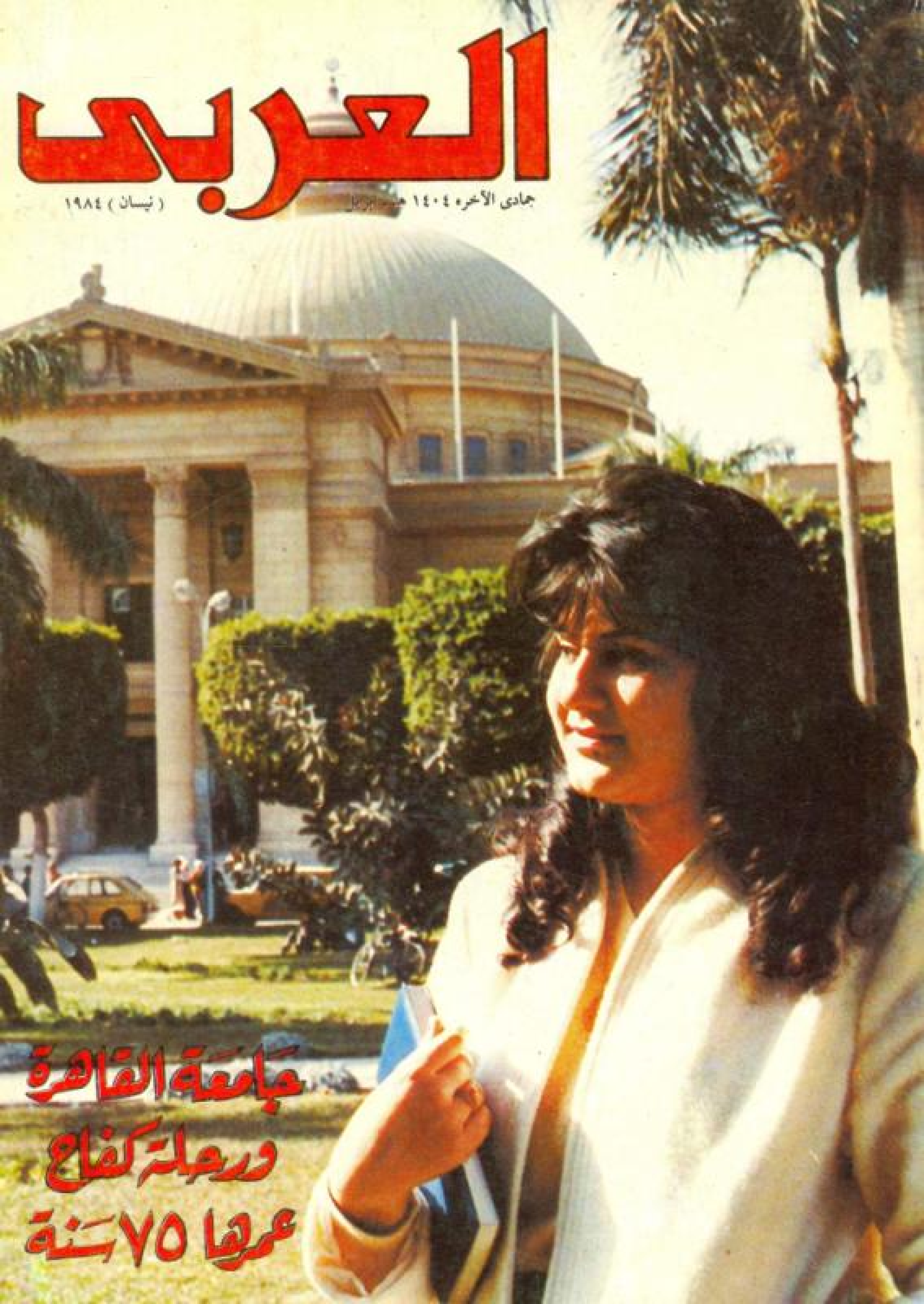

جامعة القاهرة ورحلة كفاح عمرها ٧٥ سنة

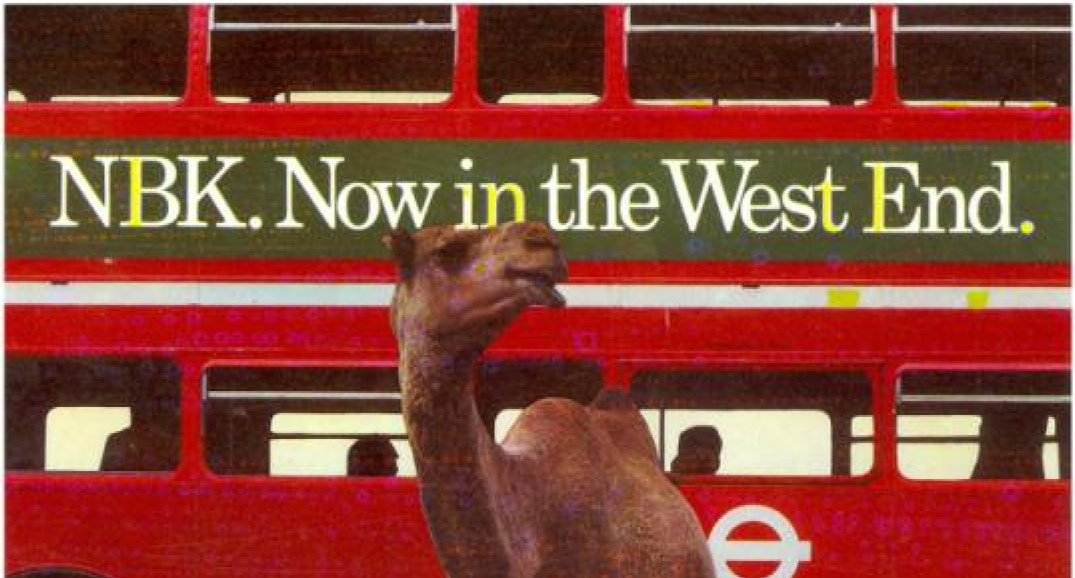

كافة الخدمات المصرفية يقدمها لك
بنك الكويت الوطني عند زيارتك القادمة للندن

بنك الكويت الوطني، اقدم واكبر بنك في الكويت، افتتح فرعه الثاني في قلب الوست اند من لندن. هذا الفرع الجديد الذي يقع بمحاذاة شارع اوكسفورد على مقربة من الماربل آرش افتتح خصيصا ليساعد الزائرين الكويتيين ويجعل اقامتهم في لندن كاملة، وذلك بتقديم النصح لهم وتوفير مجموعة شاملة من الخدمات المصرفية الشخصية.

اوقات الدوام كالآتي: من الاثنين الى الجمعة ٩،٣٠ إلى ٣،٣٠ بعد الظهر، ثم السبت من ٩،٣٠ حتى ١٢،٣٠ بعد الظهر.

- فرع وست اند ١٨١ أورشارد ستريت، لندن W1، مقابل محلات سيلفرد جز تلفون ٦٨١١ ٩٣٥ (٠١)

- لندن - فرع السيتي ٩٩ بيشوبس جايت، لندن EC2، تلفون ٢٦٣-٩٢٠ (٠١)، تلكس ٨٩٢٣٤٨

بنك الكويت الوطني ش.م.ك
The National Bank of Kuwait SAK
بنك تعرفه وتثق به.

مكتب الكويت الرئيسي: ص.ب ٩٥ الصفاة، الكويت، تلفون ... غرفة تداول العملات: تلفون ... تلكس ...

العربي

مجلة ثقافية عربية مصورة

رئيس التحرير

د. محمّد الرميحي

تصدر شهرياً عن وزارة الإعلام
بدولة الكويت للوطن العربي
ولكل قارئ للعربية في العالم
المجلة غير ملتزمة بإعادة أي مادة تتلقاها
للنشر والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

المراسلات

باسم رئيس التحرير

الإعلانات

يُتفق عليها مع الإدارة
قسم الإعلانات

الاشتراكات

ترسل الطلبات إلى : قسم الاشتراكات
المكتب الفني – وزارة الإعلام
ص.ب ١٩٣ الكويت

على طالب الاشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة
مصرفية ، أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الإعلام
طبقاً لما يلي :
الوطن العربي ٤ د.ك – باقي دول العالم ٦ د.ك

ثمن العدد

الكويت	٢٥٠ فلساً	السعودية	٥ ريالات
العراق	٢٥٠ فلساً	اليمن الشمالي	٣ ريالات
الأردن	٢٠٠ فلس	قطر	٥ ريالات
البحرين	٣٠٠ فلس	لبنان	٣ ليرات
اليمن الجنوبي	٢٥٠ فلساً	سوريا	٣ ليرات
مصر	٢٥٠ مليماً	الامارات	٥ دراهم
السودان	٢٠٠ مليم	المغرب	٣ دراهم
تونس	٤٠٠ مليم	ليبيا	٣٥٠ درهماً
الجزائر	٤ دنانير	سلطنة عمان	ربع ريال
بريطانيا	جنيه استرليني	أوروبا	دولاران أو جنيه استرليني
فرنسا	١٥ فرنكاً	أمريكا	دولارات

العدد ٣٠٥
ابريل ١٩٨٤

عنوان المجلة بالكويت
ص.ب ٧٤٨ صفاة
ت : ٤٢٧١٤١ - ٢٤٢٨٦٤٦٨
برقياً : «العربي» الكويت

AL-ARABI
Issue No . 305 . Apr. 1984
P. O. Box 748 KUWAIT

A Cultural Monthly
Arabic Magazine
in Colour
Published by :
MINISTRY OF
INFORMATION
STATE OF KUWAIT.

عزيزي القارئ

عندما كلفنا الاستاذ الكبير كامل زهيري بكتابة بحث حول دور مجلة العربي في الثقافة العربية الحديثة لم نرد أن نحدد كيف يكتب أو أي طريق يأخذ أو مايمكن أن يأخذه أو يتركه من مجلتك الثقافية . . العربي . وعندما انتهى الباحث أيضا لم نناقشه فيما كتب ، فقد تركنا كل ذلك للندوة الثقافية التي نرجو أن نقدم لك جزءا من وقائعها وبعضا من مناقشاتها اما من خلال العربي أو من خلال كتاب العربي الذي نصدره فصليا .

مانريد أن نقوله لك الآن هو أن الاستاذ كامل زهيري - وهو الصحفي العربي الكبير - قال في بحثه : (ان مجلة العربي لم يكن يقدر لها أن تولد لتبقى وتستمر لو لم يتوفر لجهازها هذا المثلث الذهبي من حرية وعلاقة حميمة بالقارىء وادراك ذكي للأحداث) .

أما الحرية فيعود اليها كامل زهيري من جديد في ثنايا بحثة فيقول : (ان حرية العربي عنوان حرية الكويت ، وقد أخذت العربي حريتها من حرية الوطن ، وشاع هذا الحماس للحرية بنوع من السماحة الفكرية التي تحفظ استقلالية الكاتب ومكانته الادبية وزهوه بما يكتب) .

الحرية للصحافة والثقافة هي العامل الهام كما يراها كامل زهيري من خلال تجربة شخصية ، وفهم عميق للتجارب العربية كافة ، الحالية والسابقة . . . الحرية هي التي تعطي المطبوعة ذلك النبض المتفاعل مع الاحداث . . لكن في المثلث الذهبي أيضا ، ما أسماه كامل زهيري (العلاقة الحميمة بالقارىء) وهنا يأتي دورك عزيزي القارىء العربي أو قارىء العربية في أي مكان كنت ، فنحن نجتهد هنا بكل اخلاص وتفان من أجلك أنت ، وأنت وحدك ، من خلال شعور وطني وقومي عربي يحتضن بأعتزاز أرض العروبة والقيم العربية ، ويصر على فتح آفاق التطور والرقي في المستقبل .

ولكن بدون استجابتك وقولك لنا ما تحب أن تراه في مجلتك ومالايعجبك فيها . . بدون هذه الاستجابة تظل اجتهاداتنا محدوده ، وافكارنا بحاجة الى مرآة عاكسة .

المحرر

في هذا العدد

◆ رحلة كفاح ◆

في ظل الاستعمار الذي جثم طويلا على صدر الأمة العربية كان قيام (مدرسة) أي مدرسة ، حدثا .. وكان قيام جامعة ثورة .. وقامت أول هذه الثورات في مصر .. وهذه قصتها نعود اليها منذ بدايتها ونتذكر أحداثها بمناسبة احتفال العرب بمرور ٧٥ سنة على مولدها (اقرأ ص ١٤٢)

◆ ١٩٨٤ الأخ .. والنبوءة والكاتب ◆

حديث النقاد عن رواية قديمة ولكنها تحمل عنوانا حديثا .. عنوان العام الذي نعيشه . الرواية صدرت عام ١٩٤٨ للكاتب الراحل جورج أورويل .. كتبها ورحل بعد عامين من صدورها .. إنها تصور الحياة كما رآها في خياله منذ أكثر من خمسة وثلاثين عاما .. صورة مخيفة لما يمكن أن يكون عليه العالم تحت سلطان الأخ الاكبر كيف ؟ (اقرأ ص ٢٨)

◆ الكومبيوتر يقرع أبواب المدارس ◆

دخل الكومبيوتر المدرسة ، وبدأت دول كثيرة في استخدام الحاسب الالكتروني في التدريس ، واعتمدت دول أخرى استخدامات الكومبيوتر المختلفة كمقررات في مناهج التدريس ، واستعانت المدارس في سبيل ذلك بخبرة الجامعات والمراكز الصناعية المتقدمة . ان الكومبيوتر يقتحم المستقبل ويفرض وجوده في حياتنا (اقرأ ص ٦٨)

◆ الدراسات الشرقية في الجامعات الألمانية ◆

في ألمانيا الاتحادية أكثر من ست عشرة جامعة في كل منها قسم للدراسات الشرقية ، وتعتبر جامعة توبنجن من أقدم الجامعات التي اهتمت بالدراسات الشرقية منذ أكثر من خمسمائة عام ، وفي هذا الكتاب الذي شارك في تأليفه مجموعة من الباحثين الألمان ، نستطيع أن نلمس مدى الاهتمام اليوم بالكتاب العرب والثقافة العربية في ألمانيا (اقرأ ص ١٧٤)

محتويات العدد

قضايا عامة

■ حديث الشهر : قضية اليونسكو والحدود الفاصلة .. بين الثقافة والسياسة !
ـ د . محمد الرميحي ٨

■ العلاقات الامريكية الاسرائيلية .. المراحل والنتائج .
ـ د . فضل مصطفى النقيب ١٦

عروبة واسلام

■ حوار بين علماء الطب والشريعة
ـ د . حسان حتحوت ٢٤

منتدى العربي

■ الأفغاني المفترى عليه دخل التاريخ ومن كان مثله لا يعوزه دفاع .
ـ د . شاكر مصطفى ٣٥

■ الشعر العربي هل هو أصل الرمزية ؟
ـ د . حامد أبو أحمد ٣٩

طب وعلوم

■ الكمبيوتر يقرع أبواب المدارس
ـ د . سعد الحاج بكرى ٦٨
■ من أجل غذاء المستقبل : غزو الصحارى واستغلالها
ـ د . عز الدين فراج ٨٠
■ مفارقات بين عين الانسان وعيون الحيوان
ـ د . سرى سبع العيش ٨٨
■ وجبة علمية خفيفة : غداً اللحوم من الطحالب
فوزى عبد القادر الفيشاوى ... ١١٧
■ طبيب الاسرة ١٢١
■ من الحواس ما وزن .. فعدل فاستوى
ـ د . عبد المحسن صالح ١٢٩
■ سلامة البشرية فى سلامة البيئة
ـ اعداد يوسف زعبلاوى ١٣٨
■ الجديد فى الطب والعلوم ١٦٧

آداب وفنون

■ ألف وتسعمائة وأربعة وثمانون-رواية « جورج أورويل » الرهيبة.« الأخ » والنبوءة والكاتب !
ـ د . محمد خير عثمان ٢٨
■ صفحة لغة : التقى الرجل أحفاده
محمد خليفة التونسى ٤٤
■ الفنان محمد الشيخ ولوحة من الكويت
.... ٦٢

■ الحرب الخاصة (قصة)
ابراهيم زعرور ٥٤
■ الداعي (قصيدة)
- يعقوب السبيعي ٧٨
■ الشياطين الصغار (قصة)
- د . عبد القادر ياسين ٩٢
■ من التراث : من أدب الحرب
- جمال الدين الألوسي ١١٠
■ كتاب الشهر : الدراسات الشرقية في الجامعات الالمانية .
- عبد المقصود حبيب ١٧٤
■ ركوة القهوة (قصيدة)
- وديع ديب ١٨٨

تاريخ واشخاص

■ حوار مع عالم الطب والمفكر الامريكي « جوناس سولك » مكتشف مصل شلل الاطفال .
- ترجمة يوسف ميخائيل أسعد ٤٦
■ لغز ايبلا .. هل كانت مملكة عربية ؟
- محمد الأسعد ٩٧
■ في ذكرى عبد الوهاب عزام بعد ربع قرن .. شخصية مبدعة ونسيج فريد .
- د . نعمات أحمد فؤاد ١٢٤

تربية وعلم نفس

■ حذار من تدليل طفلك
- د . عبد العلي الجسماني ٥٩
■ الشيخوخة .. ماذا يمكن أن نقدم لها ؟
- د . درى حسن عزت ١٠٦
■ الشاي الاخضر
- د . عبد العزيز كامل ١١٣

اجتماع

■ من سجلات المحاكم : لوجه الله
- علي منصور ٦٣

استطلاعات مصورة

■ جامعة القاهرة ورحلة كفاح عمرها ٧٥ سنة !
- مصطفى نبيل ١٤٢

أبواب ثابتة

■ حل مسابقة العدد (٣٠٢)
.... ٥٢
■ العربي من ربع قرن
.... ١٠٤
■ حوار القراء
.... ١٧٠
■ من مكتبة العربي
.... ١٨١
■ المسابقة الثقافية
.... ١٨٤
■ معركة بلا سلاح « الشطرنج »
.... ١٨٦

قضية اليونسكو .. والحدود الفاصلة

من الآن وحتى نهاية العام الميلادي الذي نحن فيه ، سوف تتصاعد قضية ثقافية عالمية وتحظى تدريجيا باهتمام جمهور المثقفين ، وكذلك الحكومات في العالم الثالث وفي العالم المتقدم على السواء ، والقضية هي ما عزمت عليه الولايات المتحدة من الانسحاب النهائي من المنظمة العالمية للتعليم والعلوم والثقافة ، والمعروفة باختصار (باليونسكو) . فقد قدمت الولايات المتحدة في آخر العام الماضي وثيقة رسمية مكتوبة للمسئولين في المنظمة تخطرهم فيها ، كما ينص قانونها الداخلي بالانسحاب آخر العام الحالي ١٩٨٤ .

واذا كان الموضوع مهما بالنسبة للمجتمع الدولي ، وأكثر أهمية بالنسبة لدول العالم الثالث على العموم ، فانه أشد أهمية بالنسبة لنا نحن العرب ، إذ أن الأمر يعنينا من كل جوانبه ، وبصفة خاصة جانب الصراع الثقافي مع الصهيونية العالمية .

ولكن قبل الدخول في التفاصيل ، لابد أن نعرف شيئا عن الموضوع وأبعاده المختلفة ، حتى نتبين خطورة الأمر وعمقه وتشعبه ، وربما من خلال التعرف على المنظمة التي قررت الولايات المتحدة أن تنسلخ عنها . . ما هي ؟ وما دورها ؟ وماذا قدمت للعالم ؟

الاقلية . . والأغلبية

واليونسكو أنشئت في عام ١٩٤٦ منبثقة عن الأمم المتحدة ، تستهدف توثيق الاتصال بين الشعوب ، وتشجيع التبادل التعليمي والعلمي ، وفتح المجال لفهم الثقافات العالمية المختلفة ، وتعريف بعضها عن طريق الاتصال والاعلام ، وكذلك

بين الثقافة والسياسة !

بقلم : الدكتور محمد الرميحي

الاهتمام بحقوق الانسان بعد أن تبنت الأمم المتحدة ميثاق حقوق الانسان المعروف .

أما مؤسساتها فهي ثلاث حلقات رئيسية مكونة من المؤتمر العام ، والممثل من خلال الدول المنضمة اليها ، وكل دولة من الدول الأعضاء لها صوت واحد في هذا المؤتمر ، ثم المجلس الاداري المكون حاليا من ثلاثين عضوا ، وكان في السنوات الأولى لبدء العمل في المنظمة مكونا من ثمانية عشر عضواً فقط ، وأعضاء هذا المجلس منتخبون من المؤتمر العام بعد ترشيحهم من قبل دولهم ، ثم تأتي الحلقة الأخيرة وهي المدير العام ومعاونوه الاداريون ، الذين يتلخص عملهم في متابعة قرارات المؤتمر العام والمجلس الاداري وتنفيذها .

ويجتمع المؤتمر العام مرة واحدة كل عامين ، ومهمته إقرار الميزانية العامة ، (التي تأتي من مساهمة الدول الأعضاء حسب معايير معينة ، لها علاقة بدخل الدولة وعدد سكانها . . . الخ) .

ومن مهمات المؤتمر أيضا وضع السياسة العامة للبرامج التي تطبقها هذه المنظمة ، ولقد بدأت المنظمة بحوالي أربعة وأربعين عضوا عند انشائها ، وهي اليوم تحتضن ١٦٢ دولة الى جانب دولة الفاتيكان كعضو مراقب ، وثلاثة أعضاء منتسبين ، وأربع منظمات تحرير في كل من آسيا وأفريقيا ولها وضع المراقب أيضا .

وكان من الطبيعي أن تتغير الصورة في المؤتمر العام ، فبعد أن كانت الأغلبية في بداية الانشاء من الدول الغربية بالمقارنة الى القلة القليلة من دول العالم الثالث ، أصبحت هذه الأخيرة بعد موجة التحرر من الاستعمار في الستينات والسبعينات تشكل الاغلبية الساحقة ، وبالتالي تحولت البرامج الداخلية والعامة لليونسكو باتجاه خدمة هذه الأغلبية الجديدة .

غبار السياسة !

لقد أحلت اليونسكو ـ في مقرها الجديد الذي انتهى بناؤه في عام ١٩٥٨ في باريس ـ تتوسع في برامجها المباشرة وغير المباشرة ، لتخدم مجالات الثقافة في العالم . وكانت دوما في الأساس منظمة غير سياسية ، الا أن رياح السياسة ـ بمضي الزمن ـ ما لبثت أن عصفت بها . فغبار السياسة في المنظمة الأم ـ الأمم المتحدة ـ ملأ بدوره أروقة اليونسكو في مناسبتين : الأولى عندما انسحبت البرتغال من المنظمة بسبب اشتداد النقد لسياستها في موزمبيق ، وكان ذلك في عام ١٩٧١ ، والمرة الثانية عندما حجبت الولايات المتحدة ربع ما تساهم به في ميزانية اليونسكو في عام ١٩٧٤ احتجاجا على طرد اسرائيل من اليونسكو ، ولكن ما لبثت الحالتان أن سويتا بحلول وسط .

أما اليوم فإن اليونسكو تعيش في مأزق أكثر حرجا وأعمق أثرا ، فهي تواجه الانسحاب الكامل الشامل للولايات المتحدة الامريكية ، أي فقدان عضوية دولة عظمى تساهم بحوالي ربع الميزانية العملية لهذه المنظمة العلمية الثقافية الضخمة .

ماذا حققت اليونسكو ؟

قلت ان الولايات المتحدة تساهم بما يوازي ربع ميزانية اليونسكو ، التي قدرت للسنتين الحالية والقادمة (١٩٨٤ ـ ١٩٨٥) بحوالي ٣٧٤ مليون دولار . إلا أن القضية الرئيسية ليست هي الميزانية ، فاليونسكو ليست مؤسسة تمويل خاصة للبرامج الثقافية الكبيرة ، ولكنها تقوم باعداد برامج تتطلب مبالغ ضخمة ، وتجلب بعد ذلك التبرعات من مصادر مختلفة لاستكمال هذه البرامج . فأعمالها إذن حيوية بالنسبة للمجموعات الأربع المكونة منها ، وهي المجموعة الغربية ، والمجموعة الآسيوية والمجموعة الأفريقية ومجموعة دول أمريكا اللاتينية . ومن أعمالها عقد المؤتمرات والندوات وتبادل المعلومات العلمية وتقديم الاستشارات الفنية . وبمرور الوقت أصبح لها مكاتب للتعاون العلمي في مدن مثل مونتفيديو MONTEVIDEO عاصمة أوروجواي ، وهي واحدة من أهم مدن أمريكا

الجنوبية التاريخية ، وفي القاهرة ودلهي وجاكرتا وغيرها ، فقد أكملت مابين سنوات ١٩٧٩ حتى ١٩٨٣ أكثر من ألف مشروع علمي وثقافي ، ووفرت من خلال سعيها العالمي لتدبير الأموال حوالي ٤٠٠ مليون دولار لتلك المشاريع .

لقد كان من أعمالها المعروفة في الوطن العربي والاسلامي ودول العالم الثالث مشروعات ثقافية مثل انقاذ معبد (أبو سمبل) في النوبة بمصر وجزيرة فيلة في نهر النيل . ومشروع انقاذ مدينة موهنجو دارو **Mohenjo Daro** في وادي الاندس **Indus** بمقاطعة السند في باكستان ، وهذه ربما تكون أقدم مدينة عرفت حتى الآن في الحضارات القديمة وربما تكون أقدم من حضارة مابين النهرين والحضارة المصرية القديمة ، وكذلك انقاذ المعبد البوذي في البروبودور **BOROBODUR** في جاوة **JAVA** .

أما في مجال التعليم وتدريب المدرسين فقد ساعدت برامج اليونسكو منذ عام ٧٩ حتى ١٩٨٣ على محو أمية ١٥ مليونا في مختلف أنحاء العالم ، وفي سنة ١٩٨٠ فقط ساعدت في تدريب حوالي ٣٠ ألف مدرس ، ويعمل حوالي ٢٠ ألف عالم حول العالم في مشروعات علمية مثل البحث عن المعادن ، وامكانات توفير مصادر جديدة للغذاء ، وتأثير المحيطات على الطقس وحماية البيئة ، وغيرها كثير .

لقد خطت اليونسكو في مجالات عديدة خطوات ايجابية وبناءة لأعضائها واهتمت بمصالح الأغلبية من اعضائها في دول العالم الثالث عن طريق وضع برامج مدروسة لتعديل العلاقات الدولية ، وخاصة في المجال الاقتصادي ، وفي مجال تبادل المعلومات . ومنذ دراسة ماكبرايد الشهيرة (أصوات متعددة وعالم واحد) التي كلفته بها اليونسكو ، اتجهت لمحاولة موازنة تدفق المعلومات أو ما يسمى اليوم بالنظام الاعلامي الجديد .

القضية المطروحة

نتيجة لأن أعمال اليونسكو متشعبة وكثيرة ، وهي بشكل أو بآخر قائمة على الفكر البشري في جميع نوازعه وميادينه ، فلابد ـ والحال كذلك ـ أن ترتبط أعمالها بالسياسة أو تصبغ بصبغة سياسية .

وهل السياسة الا ميدان واحد مبسط من ميادين الفكر الانساني ؟ ونتيجة

لطبيعة العضوية فيها (ليس شرطا تلقائيا أن يكون عضو الأمم المتحدة عضوا في اليونسكو ، والعكس صحيح) . فقد أصبح لدول العالم الثالث الصوت الأعلى . وكان ـ بالتالي ـ طبيعيا أن يتجه المؤتمر العام لتكريس هذه المصالح كما يراها في برامج محددة . فقد كانت اليونسكو طوع بنان المؤسسين ، وأغلبيتهم في سنواتها الأولى من الدول الغربية أو الدول التي تسيطر عليها السياسات والمصالح الغربية . وبتحول الميزان العالمي نتيجة دخول دول عديدة في العالم الثالث الى الساحة الدولية وبناء على تطبيق مقولة (صوت واحد للدولة الواحدة) كان لابد من تغير في المصالح ، فأصبحت معظم الأصوات في اليونسكو ـ كما هي في الأمم المتحدة ـ تمثل المصالح الجديدة ، وفي الوقت الذي كان هناك ميزان لضبط هذه الأغلبية في الأمم المتحدة من خلال تقنين أصوات الكبار واعطائهم الثقل الأوفر في مجلس الأمن (العقل المتحكم في قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة) ، لم يكن الأمر كذلك في اليونسكو ، فالأغلبية هي صاحبة الصوت الأعلى والقدرة على الالزام نظريا على الأقل .

من هنا يفسر بعض المراقبين موقف الولايات المتحدة بالانسحاب على أنه موقف سياسي أيديولوجي ، فالقضية المطروحة على بساط البحث في نظر البعض أكبر من قضية انسحاب دولة كبرى من مؤسسة عالمية ـ على أهميتها ـ بل هي قضية النظام العالمي الجديد الذي بدأت تباشيره تنبثق وهو يعبر عن أغلبية الشعوب في العالم الثالث التي ترغب في أن ترى نظاما عالميا عادلا في الموارد وفي المعلومات والفرص المتاحة وغير المتاحة ، من بينها ـ وعلى رأسها ـ المجال الثقافي .

الا أنه قبل الحكم النهائي لابد من التعرف على وجهة نظر الولايات المتحدة في الخروج من اليونسكو وكيف تبرره بأكبر قدر من الوضوح والدقة من خلال الوثائق المتوفرة .

وجهة نظر الولايات المتحدة

تضع الوثائق المقدمة من الولايات المتحدة والمتاحة قضية الانسحاب من اليونسكو باوسع ما يكون من الوضوح فهي تعترف بان اليونسكو قناة هامة للتعاون الدولي في مجالات التربية والعلوم والثقافة ـ وذلك في احسنُ حالاتها ـ كما تقول الوثائق ، اما في اسوأ الحالات فانها (توجه طاقاتها لمشاريع باهظة التكاليف ومكثفة

سياسيا ، تضر بمصالحنا ، وتنتقد قيمنا ، وتهاجم مبدأ السوق المفتوحة ، وحرية انسياب المعلومات ، وقد فشلت في ادارة نفسها !) .

وتذهب الوثائق التي تبرز وجهة نظر الولايات المتحدة في هذا الامر الى القول : (لقد حاولنا خلال السنوات الثلاث الماضية مساعدة اليونسكو لتخليص نفسها من نغمة المعاداة للغرب ، وعدم رغبتها في الدفاع عن حرية الفكر والتعبير التي على اساسها قامت اليونسكو ، ولقد حاولنا كثيرا من اجل اصلاح الخلل الاداري المكلّف وغير الفعال ولم تستجب اليونسكو !) .

ثم تأتي الوثائق لتحدد مكان الاعتراض اكثر فتقول : (لقد اعتمدت اليونسكو في ميزانية ٨٤ ـ ١٩٨٥ اموالا ضخمة يصرف جزء كبير منها على ما تسميه بالنظام الاعلامي الجديد ، والذي يهدد مباشرة حرية تبادل المعلومات وحرية الصحافة ، كما انها تؤكد الحريات الجماعية بدلا من الحقوق الفردية) وباتجاه نقد برامج محددة تشير الوثائق (من المفروض في حقل التعليم ان تدعو اليونسكو الى محو الامية وتوحيد الدرجات العلمية وتنميطها وكذلك نشر المعلومات وتقديم المساعدات الهامة في مجالات حيوية مثل تدريب المدرسين ، ولكنها توجه برامجها في التعليم اكثر واكثر الى موضوعات مثل السلام ونزع السلاح ، ليس كما هي مُرادَة شرعا وصدقا من كثير من الناس ـ وفيهم الامريكيون ـ ولكن كما هي موضوعة في الدعاية السوفيتية !) .

وتتجه الوثائق لتصف مجالات العلوم وتنتقدها فتقول : (وفي مجالات العلوم قدمت اليونسكو مساهمات ايجابية ولكن السياسة بدأت تظهر حتى في هذا المجال فهي تقول : « العلوم من اجل السلام والعلوم من اجل نزع السلاح » .

في الوقت الذي تنتقد فيه الوثائق الامريكية برامج اليونسكو كما وضحنا بشيء من الاسهاب سابقا فانها تعترف ان كثيرا من برامجها يجب الحفاظ عليه وتطويره ولكن خارج مؤسسات اليونسكو .

ويسترعي النظر ان المعايير الرئيسية التي تشدد عليها الوثائق الامريكية التي تبرر للعالم انسحابها بعد نهاية ١٩٨٤ من منظمة عالمية كبيرة مثل اليونسكو هي معايير « الجدوى الاقتصادية » ، كما تقول احدى الوثائق : (ان فوائد البقاء عضوا في اليونسكو فوائد قليلة ، ومتراجعة ويمكن استبدالها ، اما التكاليف المالية والسياسية فانها كبيرة ومتعاظمة) .

ووجهات نظر اخرى

ان خروج الولايات المتحدة من اليونسكو ليس امرا هينا وبسيطا فهو مؤشر الى الخلل الذي يمكن ان يصيب المنظمات الدولية ، وبالتالي التعاون الدولي . وان لم تجد دول كبرى طريقا للتفاهم وتبادل المصالح المشروعة دون الانسحاب وقطع المعونات المالية والتفكير بمؤسسات بديلة فان القضية مطروحة سياسيا .

وعلى الرغم من اننا نعرف الآن ان القضية سوف تناقش في المجلس الاداري لليونسكو في الاسبوع الاول من الشهر القادم (مايو) وانها قابلة للاخذ والرد من جديد ، فقد اثار الموضوع مجالا للنقاش بين المهتمين في العالم وفي الولايات المتحدة على وجه الخصوص .

وجهات النظر الاخرى تلك تتراوح بين رفض الفكرة التي تعتبرها بعض الاوساط العلمية الامريكية قد جاءت نتيجة لوجهة نظر المتشددين في الادارة الامريكية الحالية (ادارة ريجن) ، وبين مؤيدين للخطوة في الصحف العامة .

الا ان تقديرنا لما كتب في الصحف الامريكية السيارة - وكان بعضه محبذا للانسحاب - يقل بعد ان عرفنا من خلال تقرير مطول نشرته صحيفة الجارديان GUARDIAN البريطانية قالت فيه ان مذكرة سرية رفعت لوزير خارجية الولايات المتحدة من وزارته تنصح بان تشن حملة في بعض الصحف الامريكية تهدف الى مساندة الاتجاه الى الانسحاب .

الا ان اكثر وجهات النظر اعتدالا وموضوعية هو ما طرح من خلال المجلات المتخصصة ، مثل اخبار العلم الشهرية الامريكية (يناير ١٩٨٤) تقول المجلة ان معظم العلماء في الولايات المتحدة يكظمون غيظهم من الخطوة الامريكية بالانسحاب من اليونسكو ، فهم يرون ان المداخلات السياسية التي تدعيها وجهة النظر الرسمية لا تؤثر كثيرا في برامج اليونسكو .

ولكنهم يعترفون بالمشكلة الادارية ، وان الاخيرة نابعة من ان اليونسكو ، ارضاء لاعضائها ، قد وزعت ميزانياتها كي ينال منها معظم هذه الدول ، وفي ذلك تقليل من فعالية البرامج العلمية التي تحتاج الى تكثيف في المال ، كي تأتي ثمارها بشكل افضل ، وتذهب وجهات النظر المعارضة لتقول : ان الانسحاب سوف يؤثر على استفادة العلماء الامريكان في مجالات حيوية كدراسة البحار والاجواء ، وان المشكلة لا تعالج بالانسحاب بل بنشاط اكبر لدور الولايات المتحدة .

والموقف العربي

لاشك ان مشروعات اليونسكو ومسرحها كمكان عالمي حيوي لمشاركة الاقطار العربية والدفاع عن حقوقها الثقافية والعلمية ـ تتطلب موقفا موحدا من هذه الاقطار تجاه ما هو مطروح من الازمة ، وكلما كان هذا الموقف موحدا وواضحا لما نريد ، كان اكثر فاعلية .

لقد وقفت بعض المجموعات الاقليمية في اليونسكو بوضوح تجاه الازمة فالمجموعة الافريقية كان لها رأي واضح ، طالبت فيه الولايات المتحدة باعادة دراسة الموقف ، كما ان بعض المؤسسات الثقافية العربية كان لها رأي في الموضوع يدافع عن قرارات المؤتمر العام على انها قرارات ديمقراطية معبرة عن مصالح الاكثرية ، الا ان المطلوب شيء اكبر من ذلك ، واعمق لترسيخ ما بزغ من نظام دولي جديد يؤكد اهمية البرامج التي تتوخاها اليونسكو وبخاصة في مجال النظام الاعلامي الذي اصبح ذا اهمية قصوى في مجال تصحيح الصورة عن تطلعات ومشاكل العالم الثالث ونقلها بامانة .

ونحن العرب يعنينا ذلك كثيرا فنحن قوم مستهدفون من قبل قوى شتى ومصالح كثيرة في ارضنا وامتنا وطموحاتنا .

ان وقائع الحياة السياسية العالمية ليست مثاليات ومبادىء فقط مجردة عن المصالح ، ولقد كانت الوثائق الامريكية التي عرضنا من قبل جزءا منها واضحة كل الوضوح في ربط المصالح بالعمل الثقافي والسياسي .

وفي الوقت الذي يدعو فيه الجميع الولايات المتحدة للنظر الى الموضوع كله واقعيا ، واخراجه من المناورات السياسية وسياسات الضغط ، نتذكر جميعا ماقاله ودرو ولسون رئيس الولايات المتحدة لفترتين ١٩١٣ ـ ١٩٢١ وصاحب المبادىء الاربعة عشر ابان الحرب الأولى : (انه لأمر محفوف بالمخاطر ان تحدد سياسة خارجية لدولة ما في اطار مصالحها المادية . . ان ذلك لأمر مخز !) .

عندما نتذكر ذلك القول ـ ونحن نرى المخاطر التي تربط السياسات الخارجية بالمصالح ـ نتذكر دائما ان المبادىء مازالت هي هي ، ولكن المواقف هي التي اختلفت .

محمد الرميحي

العلاقات الأمريكية الإسرائيلية: .. المراحل والنتائج

بقلم الدكتور/ فضل مصطفى النقيب*

□ هناك علاقات مميزة معروفة بين الولايات المتحدة الأمريكية والكيان الصهيوني منذ أن أقيم هذا الكيان سنة ١٩٤٨ .

الا أن هذه العلاقة كانت تزداد وثوقا في مراحل معينة من حياة هذا الكيان الغريب في أرضنا العربية ، خاصة بعد حرب ١٩٨٢م في لبنان .

فما هي طبيعة تلك المراحل ..؟ ولماذا هذه العلاقة الخاصة والمميزة ..؟ ولماذا يكابر البعض ويتجاهل الواقع والوقائع ؟

لا يوجد تناقض بين زعيمين يؤمنان بعقيدة سياسية واحدة أكبر من ذلك الموجود بين أهم رجلين في تاريخ « اسرائيل » السياسي ـ ديفد بن غوريون ومناحيم بيجين .

الاختلاف بين الرجلين ايدلوجي وسياسي وشخصي . الأول يمثل ايدلوجية العمال ، وسياسة المرونة ، وشخصية مزارع الكوبوتز ، بينما يمثل الثاني أيدلوجية اليمين وسياسة التعصب ، وشخصية محامي المحاكم البدائية .

بالرغم من ذلك فلقد ، حققت « اسرائيل » بقيادة هذين الرجلين أعلى حد في أحلام المشروع الصهيوني . نجحت قيادة الأول في تأسيس الدولة واكتساب الاعتراف العالمي ، وبناء اقتصاد عصري وجيش قوي . ونجحت قيادة الثاني بعزل أكبر دولة عربية في الصراع العربي ـ الاسرائيلي ، وقطع خطوات كبيرة نحو دمج اقتصاد الضفة الغربية وقطاع غزة بالاقتصاد الاسرائيلي ، وتكييف سياسة الدولة وفق

---

* جامعة واترلو ـ دائرة الاقتصاد ـ كندا

مشروع « اسرائيل الكبرى » .

ومع هذا فلقد انتهت حياة الرجلين السياسية نهاية واحدة بعيدة عن أجواء الانتصار والنجاح . كلاهما ترك الحكم من بابه الخلفي ، وقد خسر شعبيته السياسية ، ورصيده الأخلاقي ، وقدرته الشخصية على الاستمرار .

وبعد بن غوريون جاء خلفاؤه في تجمع العمال : اشكول ، وجولدا مائير ، ورابين ، وبيريز ليبنوا سياسة «اسرائيل» على أساس تحالف استراتيجي مع الولايات المتحدة الامريكية ، بعد أن كانت سياستها تدور في أجواء العلاقة مع فرنسا وبريطانيا .

والآن يجيء خلفاء بيغن في تجمع الليكود اليميني ، شامير وارينز ليبنوا سياسة « اسرائيل » على أساس علاقة جديدة مع الولايات المتحدة بعد أن تأكدوا ان الاقتصاد الاسرائيلي لم يعد قادرا على تحمل اعباء المشروع الصهيوني من خلال مناخ العلاقة القديمة .

لقد ضمن هذا الارتباط باميركا نجاح السياسة الاسرائيلية عبر السنوات ، وبنفس الوقت قاد لفشل الايدلوجية التي اعتنقها بن غوريون وبيغن طوال حياتهما . واذا كان فشل الأول لم يظهر الا بعد سنوات من اعتزاله الحكم ، فان فشل الثاني كان واضحا في السنة الأخيرة من حكمه .

ان الدولة التي حققتها احلام الصهيونية السياسية بجناحيها العمالي واليميني دولة عسكرية قوية بالتأكيد ، ولكنها ليست دولة حرة .

مواطنها ليس آمنا على حياته ، ومصيره السياسي مربوط بزعماء ينظرون الى العالم برؤى رجعية متعصبة ، ومصيره الاقتصادي يقرره زعماء دولة أخرى على بعد آلاف الأميال .

« الهزيمة في الانتصار » تناقض فاضح ولكنه ليس صدفة . فالحركات العنصرية تكشف عن وجهها التاريخي الأسود لأصحابها عندما تحقق أهدافها . والصهيونية رغم تملكها لأحدث

أدوات التنظيم الاجتماعي والتكنولوجيا الحديثة ، لا تشكل استثناء .

لقد دفع العرب غاليا ثمن الانتصار الصهيوني ، وسيدفعون أكثر ، ولكن يهود « اسرائيل » سيدفعون الثمن أيضا ، وكما يقول الصحفي الاسرائيلي داني روبنشتين : « ان ما يحدث الآن يقود « اسرائيل » للفاشية ، ان ذلك وضع سيء جدا بالنسبة للعرب . ولكن اليهود سيدفعون ثمنا أقسى . »

السياسات الاقتصادية لحكومات العمال

لقد قادت السياسات الاقتصادية لحكومات العمال المتتابعة منذ مطلع السبعينيات الى عجز دائم في ميزانية الحكومة نتج عنه ارتفاع مستمر في الاسعار ، وعجز دائم في ميزان التجارة الخارجية ، وانخفاض مستمر لسعر (الشيكل)* وتزايد مستمر للديون الخارجية .

بشكل مبسط كانت تلك الحكومات تصرف سنويا أكثر بكثير من دخلها . أي أن مجموع مصروفاتها السنوية كان يفوق ما تجمعه من ضرائب وما تحصل عليه من مساعدات اميركية رسمية وشعبية . هذه المصروفات الزائدة تزيد في حجم الطلب على السلع في السوق فتسبب ارتفاع اسعارها . وارتفاع سعر السلع الاسرائيلية بالنسبة لسلع البلدان الاخرى يقلل من حجم الطلب عليها في الاسواق العالمية ، مما يسبب عجزا في ميزان التجارة الخارجية ، ويقلل من حاجة الأسواق الخارجية للعملة الاسرائيلية فينخفض سعرها بالنسبة لأسعار النقد الاخرى .

ويعود سبب ذلك الى سياسة التسلح الجديدة التي بدأتها « اسرائيل » منذ مطلع السبعينيات بهدف بناء صناعة أسلحة حديثة (طائرات متطورة وصواريخ ودبابات) لتكرس نفسها كدولة عسكرية كبرى في المنطقة ، ولتربك اقتصاد دول المواجهة العربية المضطرة لدخول سباق التسلح معها ، وقد انعكس ذلك على الاقتصاد الاسرائيلي مما حتم على الحكومة اتباع التالي :

ـ اللجوء الى استغلال اليهود الشرقيين ، بحيث ظهر هذا الاستغلال بشكل فاضح في أواخر السبعينيات عندما أصبحت غالبية السكان من اليهود الشرقيين (٥٣٪) بينما لم يكن لهم الا ٢٥٪ في مقاعد الكنيست ، و ١٥٪ من عدد الطلبة الجامعيين .

ـ عندما لم يستطع هذا الاستغلال ان يؤمن للمشروع الصهيوني إمكان الاستمرار . تحتم اللجوء الى الدعم الأميركي . ففي آخر سنة من حكم العمال كانت اسرائيل تحصل على (٢,٢) بليون دولار سنويا كإعانة من حكومة الولايات المتحدة ، وهي تقريبا نصف ما قدمته تلك الحكومة للدول الصديقة في العالم ، وهذا يعني أن « اسرائيل » تشكل نصف اهتمامات اميركا العالمية مع أن عدد سكانها يعادل واحداً بالألف من سكان هذا العالم . هذا بالطبع غير المساعدات الاميركية الخاصة . وحتى ذلك لم يكن كافيا . فتم اللجوء الى المساعدات الاميركية غير المباشرة ، وحصلت « اسرائيل » على ديون أميركية بأسعار زهيدة ، وعندما كانت تعجز عن سدادها فان اميركا كانت تحولها الى منح[1] .

لقد قادت هذه السياسة الاقتصادية الى

---

* اسم العملة المتداولة في الكيان الصهيوني .

(١) عندما قادت سياسة ريغن الجديدة سنة ٨١ و ٨٢ الى ارتفاع اسعار الفائدة بشكل خيالي بنسبة (٢٠ ٪) . ذكرت مصادر صحفية ان « اسرائيل » كانت تقرض الاموال الامريكية التي تحصل عليها للبنوك العالمية بفائدة زهيدة لتحصل على فرق سعر الفائدة .

موقفين متناقضين في منتصف السبعينيات . فمن ناحية أدى استغلال عشرات الآلاف من العمال العرب من سكان الضفة الغربية وقطاع غزة في مجالات الأعمال الرديئة الى انتقال اليهود الشرقيين الى مجالات عمل أفضل . ومن ناحية أخرى أدت سياسة التسلح عن طريق التضخم المالي الى حرمان اليهود الشرقيين من الامتيازات الجديدة . فاشتد تذمرهم السياسي واتضح ان الحكومة لا تستطيع الاحتفاظ بسياسة التسلح الا اذا نجحت في انتهاج أحد أسلوبين لا ثالث لهما :

١ ـ سن ضرائب جديدة تسهم في تغطية المصاريف ، وتقلل من التضخم المالي ، وارتفاع الاسعار ، فيسهم اليهود الغربيون بتحمل اعباء التسلح بشكل يتناسب مع قوتهم الاقتصادية .

٢ ـ زيادة المساعدات الاميركية بشكل جوهري حتى تستطيع هذه المساعدات تحمل العبء الأكبر في مصروفات التسلح .

ولكن حكومة العمال لم تستطع مواجهة الأمر ، فظلت تتبع سياستها القديمة ، حتى جرت الانتخابات في آيار ١٩٧٧ ، وجاء تجمع اللكود اليميني للحكم لأول مرة منذ تأسيس « اسرائيل » .

بيغن وخطة فريدمان

لم يكن مناحيم بيغن المرشح المفضل بالنسبة لادارة الرئيس كارتر ولهذا لم يكن متوقعا أن تستطيع حكومته الحصول على زيادة كبيرة من المساعدات الاميركية تسد بها عجز الميزانية . ومن ناحية أخرى فقد أتت أصوات اليهود الشرقيين بتجمع الليكود للحكم . ولهذا توقعت الصحف العالمية أن تنتهج الحكومة الجديدة سياسة ملائمة لمصالحهم الاقتصادية . ولما كانت الحكومة الجديدة يمينية فانها ستعمل حتما على سد العجز بالميزانية ، واتباع سياسة مالية محافظة . ولقد أخذت هذه التوقعات مصداقية كبيرة عندما أعلن وزير المالية الجديد سيمحا اهرلتش عن تعين استاذ الاقتصاد الاميركي بجامعة شيكاغو ملتون فريدمان مستشارا للجنة الحكومية للشؤون الاقتصادية ، ووجهت له الدعوة لزيارة « اسرائيل » فهو استاذ معروف بعدائه الشديد لسياسة التضخم المالي وعجز الميزانية .

وقد كانت هذه التوقعات غريبة ، فسد عجز الميزانية في « اسرائيل » يعني فرض ضرائب عالية على الأغنياء ، وتوقع ذلك من حكومة يمينية يتجاهل أبسط قواعد السياسة ، ويتجاهل ايضا تاريخ ملتون فريدمان .

فالرجل له شهرة عالمية كمفكر اقتصادي يؤمن بأن كل مشاكل النظام الرأسمالي ناجمة عن تدخل الحكومة في المحاولات الاقتصادية ، وان هذا النظام قادر على تقديم أفضل الحلول لمشاكل النمو والتوزيع اذا ترك حرا . وهو منذ أوائل الخمسينيات يكتب ويحاضر مطالبا بالغاء تدخل الدولة في مجالات التعليم ، والضمان الاجتماعي ، ومساعدة الفقراء . ولقد اشتهرت نظرياته الاقتصادية في أواخر الستينيات ومطلع السبعينيات حتى أصبحت تعرف باسم « مدرسة شيكاغو » .

وقد عاد ملتون فريدمان من « اسرائيل » فرحا بالتغيير الجديد ، وكتب مقالا في مجلة نيوزويك الاميركية يؤكد فيه ان الحكومة الجديدة تملك سياسة اقتصادية مسؤولة ، قادرة على انهاء فوضى الاقتصاد الذي قادت اليه حكومات العمال . وانها اذا ملكت الجرأة على تنفيذ سياستها فانها تستطيع خلال مدة قصيرة ـ تحقيق معجزة لا تقل أهمية عن معجزة حرب الأيام الستة !!!

إلا أن فريدمان تجاهل كليا ميزانية التسلح ، وأكد أن الحل هو تقليص دور الحكومة بالنسبة للاقتصاد . وايقاف دعم أسعار السلع الرئيسية وانهاء القيود على حركة رأس المال . والغاء الضرائب على الواردات ، ودعم الصادرات . والتخلص من شركات القطاع العام وبيعها

للقطاع الخاص .

وبعد خمسة أشهر أي في أكتوبر ١٩٧٧ أعلنت الحكومة ما يسمى يومها بـ « السياسة الاقتصادية الجديدة » والتي حملت بصمات فريدمان بشكل واضح . وكان من أهم قرارات تلك السياسة : تعويم « الشيكل » في سوق النقد الدولية ، أي ترك سعره يتحدد وفق العرض والطلب ودون تدخل البنك المركزي . وانهاء أكثر القيود على حركة رأس المال ، والغاء ضريبة السفر ، وايقاف الدعم الحكومي لسلع التصدير . وزيادة ضريبة الاستهلاك ، كما تحدثت « السياسة » عن نية الحكومة للتخلص من بعض الشركات كشركة بنك الملاحة الاسرائيلية ، وشركة الخط الحديدي بين البحر الميت وايلات .

الفقراء يخسرون

وأهم ما في السياسة الجديدة هو انها لم تتعرض لسياسة التسلح ولم ترفع ضريبة الدخل . وخلال أيام معدودة من أكتوبر ١٩٧٧ قادت السياسة الجديدة الى انخفاض سعر الشيكل بمقدار ٤٥٪ وزيادة تكلفة الاستهلاك بمقدار ٢٥٪ . وهكذا كان أول عمل قام به بيغن هو توجيه ضربة الى مصالح الذين انتخبوه ، أي للفقراء ومعظمهم من اليهود الشرقيين ، فانخفاض سعر « الشيكل » مع السماح بتنقل رؤوس الأموال - يعني هدية للاغنياء الذين يملكون أرصدة في البنوك الاجنبية في أوروبا وأميركا ويستطيعون احضارها « لاسرائيل » بعد أن زادت قيمتها ٤٥٪ . وزيادة تكلفة الاستهلاك نظرا لازدياد الضريبة وذلك يعني خسارة الفقراء ٢٥٪ من قوتهم الشرائية ، وهكذا اضطرت نقابات الهستدروت القوية الى رفع أجورها . بنسبة توازي ارتفاع تكلفة الاستهلاك .

وفي الوقت نفسه اخذت الحكومة تزيد من عجز الميزانية وذلك لأنها مضطرة الى الصرف على سياستها الجديدة تجاه المستوطنات . فمن المعروف ان بناء المستوطنات عام ١٩٧٧ كان يواجه صعوبات اقتصادية كبيرة . فالاقتصاد الاسرائيلي كان يشكو من افتقاد عام لليد العاملة ، بفعل تناقص الهجرة الى « اسرائيل » وتزايد الهجرة المضادة . ولهذا كانت هناك أقلية صغيرة من المتعصبين مستعدة للانتقال الى المستوطنات . فبدأت الحكومة باتباع سياسة ترغيب للمواطنين العاديين للانتقال الى المستوطنات مع الاحتفاظ باماكن عملهم في المدن .

هذه المصروفات الخيالية على بناء المستوطنات والتسلح اخذت ترفع عجز الميزانية بشكل لم تعهده « اسرائيل » ، في السابق ، حتى قدر انه في اعوام ٧٨ و ٧٩ كانت الحكومة تحقن الاقتصاد بحوالي بليون ونصف دولار في الشهر عن طريق الاستدانة من البنك المركزي ، فانعكس ذلك على شكل ارتفاع هائل في الأسعار جاوز حدود ١٠٠٪ في أواخر ١٩٧٩ .

امام هذا الواقع الاقتصادي المتردي كانت اولويات حكومة بيغن هي : - ضمان ولاء اليهود الشرقيين في الانتخابات القادمة ، والتحضير لحرب لبنان . ومن أجل ضمان ولاء اليهود الشرقيين في انتخابات سنة ١٩٨١ ، فان بيغن نفذ خدعة لم يعرفها تاريخ السياسة الاسرائيلية سابقا ، وتفصيلها هو : -

اتباع سياسة اقتصادية جديدة خفضت من ضرائب الدخل ، وخفضت من ضرائب استيراد الكماليات حتى وجد الاسرائيلي المحدود الدخل نفسه ولأول مرة قادرا على شراء السيارة والتلفزيون الملون والفيديو والكاميرا . . . مما جعل الصحافة الاسرائيلية تطلق على تلك الفترة اسم : « رحلة المتعة » .

واستمرت تلك الرحلة حتى بعد ان بدأت « اسرائيل » هجومها على لبنان في حزيران ١٩٨٢ . وهكذا حاربت « اسرائيل » اطول

حرب في تاريخها ووسيلتها في تمويل الحرب هي : تأجيل الدفع .

تأجيل الدفع و « رحلة المتعة » !!

تأجيل دفع ثمن الحروب ليس اختراعا اسرائيليا . فهذه هي الطريقة التي اتبعتها الولايات المتحدة وهي تحارب في فيتنام . فحتى في اعوام ٦٦، ٦٧، ٦٨ عندما وصل عدد الجنود الأمريكيين في فيتنام الى نصف مليون جندى ، وتكاليف الحرب الى (٤٦) مليون دولار في اليوم ، كان الرئيس لندون جونسون يرفض نصائح الاقتصاديين داخل الحكومة وخارجها والتي تجمع على ضرورة فرض ضرائب تغطي مصاريف الحرب . بل على العكس كانت ادارته تتبع سياسة انعاش اقتصادية يقول ان هدفها هو الحرب على الفقر ويسميها بسياسة « المجتمع العظيم » .

وفي عام ١٩٦٩ عندما جاء رتشارد نكسون للحكم كان « المجتمع العظيم يعاني من بدايات التضخم المالي . وكان متوقعا ان يتبع الجمهوريون المحافظون سياسة جديدة تخفض من المصروفات الاجتماعية ومن عجز الميزانية . وفي البداية اتبعت الادارة الجديدة بالفعل سياسة مناوئة للتضخم المالي ، ولكن بعد سنتين عندما اخذت هذه السياسة تنشر الكساد الاقتصادى وتزيد من اعداد العاطلين عن العمل ، وتهدد فرصة اعادة انتخابات نكسون في الانتخابات القادمة ـ عكست الادارة اتجاهها ، واعلنت في آب ١٩٧١ سياسة سميت يومها ايضا بـ « السياسة الاقتصادية الجديدة » تهدف للانعاش الاقتصادية وتضع قيودا على حركة الاسعار والدخول . وفي عام ١٩٧٤ عندما رفعت هذه القيود قفزت الأسعار بشكل مفاجىء ، وحدث تضخم مالي وكساد اقتصادي بنفس الوقت ، ولم تدفع اميركا ثمن حرب « فيتنام » الا بعد ان تشكل تحالف يميني سياسي يدين بمبادىء مدرسة شيكاغو الاقتصادية وجاء بالرئيس ريغن الى الرئاسة في أوائل عام ١٩٨١ .

واتبع الرئيس ريغن سياسة تخدم مصالح الاغنياء ، فقلل من ضريبة الدخل ، وقلص حجم المساعدات الحكومية لاصحاب الدخول المحدودة والفقراء ، وخلال سنتين قضى على غلاء الاسعار .

الاتفاق الجديد

اما الكيان الصهيوني فانه كان من المفروض فيه البدء بدفع ثمن سياسة التسلح والحروب في لبنان مع بداية عام ١٩٨٤ . فمن المعروف انه استدان من حكومة الولايات المتحدة بين اعوام ١٩٧٣ و ١٩٨٢ مبلغ ٨ بلايين دولار للتسلح[٢] وكانت هذه الديون لمدة ثلاثين عاما ، تدفع « اسرائيل » في العشر سنوات الأولى الفوائد فقط ، وبعدها تبدأ بدفع الأقساط .

ولكن عام ١٩٨٣ مر دون ان تبدى « اسرائيل » اهتماما بالموضوع ، بل على العكس سارت اشواطا في بناء الطائرات المقاتلة الجديدة ، التي تقدر تكلفة الواحدة بأكثر من (١٥,٥) مليون دولار (أكثر من تكلفة الطائرة الامريكية المقاتلة (F 16) وعقدت مع الحكومة الاميركية صفقة شراء ٧٥ طائرة (F 16) بتكلفة (٢,٧) بليون دولار وهى أكبر صفقة شراء سلاح في تاريخ « اسرائيل » .

وانتهى العام وحجم ديونها الخارجية قد بلغ (٢٥) بليون دولار (اي بمعدل « ٨٠٠٠ » دولار للفرد الواحد ، وهى أعلى نسبة استدانة في العالم) وعجز ميزانيتها يبلغ (٥) بلايين دولار سنويا ، ومعدل ارتفاع الاسعار هو ٢٠٠٪

(٢) هذا المبلغ يخص الديون المستقلة عن المساعدات والمنح .

ولكن قبل أن ينتهي العام باسبوعين وقعت الحكومة الاسرئيلية اتفاقا جديدا مع الولايات المتحدة حولت بموجبه اميركا مبلغ (١,٥) بليون دولار من قروض الى منحة ، وهكذا وبجرة . . قلم ـ بدأت الولايات المتحدة تدفع ثمن حرب لبنان .

هذا الاتفاق الجديد الذي بدا وكأنه نتيجة حادث نسف مقر المارينز في مطار بيروت في اكتوبر الماضي ، كان في الواقع نتيجة لمشاورات اسرائيلية أمريكية تمت في آب « أغسطس » الماضي أثناء زيارة شامير (وكان ما يزال وزير ا للخارجية) وأرينز لواشنطن للبحث في مستقبل الديون الاسرائيلية ، أي قبل شهرين من حادث نسف قيادة المارينز في بيروت . وهو أيضا ابرام رسمي لتفاهم أمريكي اسرائيلي جديد بدأ منذ مجيء الرئيس ريغن للحكم . فلقد اتبعت ادارة ريغن سياسة تسلح مطابقة لسياسة « اسرائيل » التي ابتدأتها منذ مطلع السبعينات . فاذا نظرنا لسياسة ريغن الاقتصادية نرى أنه خفض النفقات الحكومية الامريكية في كل مجال ما عدا مجالين : التسلح والمساعدات الاسرائيلية . وتقوم فلسفة التحالف اليميني الذي جاء بريغن الى الحكم على أن المعسكر الرأسمالي يستطيع تحقيق الانتصار على المعسكر الاشتراكي عن طريق سباق التسلح وارباك اقتصاد الاتحاد السوفييتي ، وهناك قناعة أكيدة عند اصحاب هذه المدرسة بأن الاقتصاد السوفييتي لن يستطيع تحمل اعباء السباق اذا دفعته الدول الرأسمالية الى حدود عالية وباهظة التكاليف .

وتدير ادارة الرئيس ريغان شؤون الصراع العالمي من خلال استراتيجية التسلح وهي تحث حلفاءها في أوروبا الغربية وكندا واليابان على زيادة ميزانية التسلح ، وترى في التسلح الاسرائيلي ركنا رئيسيا من أركان استراتيجيتها العالمية . والاتفاقية الجديدة بداية لدمج الاقتصاد الاسرائيلي بالاقتصاد الامريكي .

« من يدفع ثمن الحروب الاسرائيلية ؟ »

لقد قلنا ان مناحيم بيغن ابتدأ الحكم وهناك خياران امام « اسرائيل » : أما أن تفرض على المجتمع الاسرائيلي تضحيات جديدة ، أو تحصل على مساعدات أمريكية جديدة . ولقد قادت سياسة بيغن الى الخيار الثاني . فالمجتمع الاسرائيلي لايستطيع تحمل اعباء التسلح ، وذلك يعني ببساطة انخفاض مستوى المعيشة الى ما دون النصف وهو وضع لن يسمح به اليهود الغربيون ونقابات الهستدروت القوية التأثير .

وعندما يضرب عمال الهستدروت ويحتجون على سياسة شامير التقشفية دون أن يطالبوا بأي تعديل لسياسة التسلح أو سياسة الاستيطان ، فانما يطالبون بمزيد من المعونات الامريكية . وهذا ما تفعله أمريكا الآن : دفع الثمن الكامل للحروب الاسرائيلية . ولكن ذلك يبقى نصف الحقيقة ، أما نصف الحقيقة الآخر فهو أن أمريكا لاتدفع ثمن حروبها هي فكيف تدفع ثمن حروب أصدقائها ؟ وهي أيضا لا تتحمل وحدها عبء سياستها التسليحية .

وتفصيل ذلك أنه عندما خسر عشرة ملايين عامل أمريكي عملهم نتيجة سياسة ريغان الانتخابية فان غالبيتهم العظمى كانت من الملونين والفقراء ، وكان هناك في الوقت نفسه أكثر من (١٠٠) مليون عامل أمريكي يعملون ويحصلون على معاشات وترقيات سنوية هي أعلى ما حصلوا عليها في حياتهم . الا أنه بحكم تشابك العلاقات الرأسمالية فان الكساد الاقتصادي انتشر في العالم ، وخسر ملايين العمال في أوروبا عملهم وأكثرهم أيضا من العمال المهاجرين كالأتراك والعرب واليوغسلاف ، وتحركت في أوروبا موجة مسعورة من التمييز العنصري ضد العمال الاجانب .

وهكذا يدفع الفقراء ثمن الحروب

الاستعمارية دوما ، ومنهم فقراء أمريكا ، وفقراء الأمة العربية . . . فهم يدفعون ثمن الحروب الاسرائيلية مرتين : مرة من دمهم ولحم أطفالهم ودمار بيوتهم . ومرة أخرى بالهزات الاقتصادية التي تعصف بلقمة عيشهم ومستقبل أطفالهم . وهم يقومون بذلك منذ سنة ١٩٤٨

الثابت الوحيد في حياتنا

لقد كتبت تحليلات كثيرة في الوطن العربي عن أسباب توثق العلاقة الاسرائيلية الامريكية . ومما لاشك فيه أنه سيكتب في المستقبل أكثر مما كتب حتى الآن . فهذه العلاقة تبدو وكأنها الثابت الوحيد في حياتنا . ولقد آن الوقت لكي نقلل من اهتمامنا باحصاء عدد أصوات الناخبين اليهود في ولاية نيويورك ، ومتابعة الخلاف الدائر بين وزير الخارجية ووزير الدفاع في واشنطن ومحاولة تغيير العقل الشرقي حتى يستطيع مخاطبة العقل الغربي . وأن نولي اهتماما أكثر للشكل الذي يفهم به الاسرائيليون والامريكيون هذه العلاقة . وعلينا ادراك الحقائق بجلاء ووضوح ،

اذ أنه بعد يومين من توقيع شامير وريغن للاتفاق الجديد في واشنطن في أواخر العام الماضي ، استضاف البرنامج التلفزيوني لمحطة A B C . هذا الاسبوع مع ديفد برينكلي » السيد لورنس ايغلبيرجر سكرتير وزارة الخارجية الامريكية المساعد للشؤون السياسية للحديث عن الاتفاق الجديد ، ومن المعروف أن السيد ايغلبيرجر هو الذي سافر الى تل أبيب ومهد للمحادثات . وفي معرض الحديث وجه ديفيد برينكلي السؤال التالي :

« ألا تخشون أن يغضب الاتفاق الجديد مع « اسرائيل » اصدقاء أمريكا في الشرق الأوسط من الحكومات العربية المعتدلة ؟ »
وكان جواب سكرتير وزارة الخارجية الامريكية المساعد :
« أنا لا أرى أي سبب لغضب أحد . كل العالم يعرف أن لنا علاقة خاصة « باسرائيل »وكل العالم يعرف أننا ملتزمون بحماية المصالح الاسرائيلية . واذا شاء بعضهم أن يغضب بدون سبب فليكن » .

وقبل ذلك بثلاثة أشهر جرت مقابلة صحفية بين مستشار حاكم البنك المركزي الاسرائيلي اسرائيل اغرا ، والصحفي الامريكي ادوارد والش . . . وفي معرض الحديث عن موضوع المساعدات الامريكية «الاسرائيلية » ، قال مستشار حاكم البنك المركزي الاسرائيلي : « أي فهم سليم للعلاقة الامريكية الاسرائيلية يجب أن يتم عبر مقارنة حجم المساعدات الامريكية « لاسرائيل » بحجم تكاليف القوات الامريكية في أوروبا . اسرائيل أرخص لكم » .

فهل نحن مدركون لهذه الحقائق . . . . ولماذا نعيش في بحر من الأوهام ؟؟

□□

يصدر العربي
عدداً خاصاً بمناسبة
شهر رمضان الكريم
يونيو - حزيران ١٩٨٤

حوار بين علماء الطب وعلماء الشريعة

بقلم الدكتور : حسان حتحوت

□ قبل سنوات نشرنا في « العربي » مقالا بعنوان « قضايا علمية تنتظر احكامها الشرعية » . . عرضنا فيه لطائفة من الكشوف الطبية وتطبيقاتها التي تمت أو كادت تتم ودعونا فيه الى ضرورة أن يجلس علماء من المسلمين المتخصصين في العلوم الطبية والحياتية مع المتخصصين في العلوم الشرعية والفقهية ليتدارسوا تلك الموضوعات لعلهم يخرجون على الناس برأي شرعي فيها ، يستعين به الناس على معرفة الحلال والحرام في تلك المحدثات الجديدة التي كانت غائبة عن الاذهان لدرجة أن أحد اخوتي وأصدقائي من الفقهاء النابهين المستنيرين لم يصدق مسألة أطفال أنابيب الاختبار ، ورجح أن أكون من « الأرأيتيين » الذين يفترضون الاشياء ويقولون : « أرأيت لو حدث كذا فماذا يكون الرأي الشرعي فيه » . . وقد علق على مقالي بمقال في العربي ، لولا أن الأيام مرت وولدت الطفلة الاولى من أطفال الأنابيب واصبح الامر الذي كنا نرقبه سنوات في دوائرنا العلمية خبراً عاماً تنشره وسائل الاعلام .

ولهذا أحسسنا بسعادة غامرة ، وحمدنا الله كثيرا ، لما شهدنا هذا الأمل المنشود يخرج الى حيز الوجود على صورة « ندوة الانجاب في ضوء الاسلام » التي نظمتها وزارة الصحة بالكويت ، مع المنظمة العالمية للطب الاسلامي في أواخر مايو ١٩٨٣ ، تكون على الأقل تجربة فاتحة للقاء العلماء والفقهاء ، وما يمكن أن يحدث ، وما يمكن أن ينجح .

ولهذا كانت الندوة محدودة ومغلقة . . ولم تبدأ الندوة بلقاء الفريقين وانما سبق ذلك أن نخبة من الأطباء المتخصصين قاموا باعداد مذكرات مبسطة ولكنها دقيقة ووافية عن بعض المسائل الطبية على ضوء أحدث الانجازات الطبية ، وأرسلت هذه المذكرات للسادة الفقهاء قبل الندوة بزمان للتذاكر والتفكر ، ومن بعد كان اللقاء .

ولقد كنت حتى الجلسة الأولى مشفقا كل الاشفاق ، أحسب أن الفريقين مدرستان مختلفتان ، وأخشى ألا تجمعهما لغة مشتركة . .

فكيف يتفاهم عالم الطب الذي يعلم أن الكتاب الطبي يكون قديما بالفعل بمجرد خروجه من المطبعة ، وأن الكتب للأساسيات ، أما الجديد ففي هذا السيل المنهمر من النشرات والدوريات . . . . مع عالم الفقه الذي ترتكز مكتبته ومعلوماته وآراؤه أولا وأخيرا على كتب صدرت منذ مئات السنين ؟ واذا ذكرت كلمة « جنين » مثلا فهل مدلولها واحد عند عالم الشريعة ، وهو لم يدرس علم الأجنة قط ـ وعند عالم الطب الذي أتاحت له الامكانات التقنية الحديثة أن يرى رأي العين كيف يبدأ الجنين !؟ وكيف يتشكل وينمو ويتحرك وتمارس أجهزته وظائفها ، ويستعد للخروج الى الدنيا ؟ وأن تتجمع له عنه من معلومات الصحة والمرض مانهضت لنشوء فرع طبي جديد اسمه طب الجنين ؟ ولقد كان من أنجح سمات الندوة شريط سينمائي عن الجنين من أيامه الأولى وخلال الحمل ، بعضه مصور بآلة التصوير بالموجات فوق الصوتية ، وبعضه بعدسة دقيقة دخلت مباشرة الى داخل الرحم ، وصورت الجنين الباكر حيا نابضا متحركا ، وهو لايزال في أدواره الاولى بل أيامه الاول وقبل أن تحس الأم بحركته بزمان طويل .

وكان اللقاء

وما بدأت الجلسة الاولى حتى أفرخ روعي وانجابت مخاوفي . ذلك أن عمود الأمر الاخلاص ، وقد كان موفورا بحمد الله . كان واضحا أن التقدم العلمي أصبح من التعقيد بحيث لايستغني الفقيه فيه عن شرح الطبيب المتخصص ، وأن الرأي الناضج لايمكن الا أن يكون ثمرة جهد مشترك . . التقى الفقهاء المؤمنون والأطباء المؤمنون ، فرأيت اخوة الايمان ولم أر حساسية متنافرين ولاجبروت كهنوت . . بل ان وجهات النظر عندما كانت تتشعب لم تكن استقطابا الى فريقين . . . فقهاء وأطباء بل تشعبت حتى فيما بين الفقهاء وفيما بين الاطباء . ومع ذلك فما ولغ لسان ولا ارتفعت عقيرة بالتكفير أو التفسيق أو الزيغ أو المروق على نحو ما ابتلى به المسلمون في ظلمات السابق أو اللاحق ، ولعل أهم منجزات الندوة في نظري هو أنها كانت درسا في أدب الاختلاف ، كما كانت درسا في تحرى الصواب .

ومع أن الندوة كانت محدودة بوصف كونها تجربة رائدة ، فقد ضمت نخبة طيبة من علماء الشريعة والدراسات الاسلامية . . . أذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر الشيوخ والأساتذة والدكاترة : بدر المتولي عبد الباسط ، وزكريا البري ، وأحمد الغندور ، ويوسف القرضاوي ، وعبد العزيز كامل ، وعبد الله العيسى ، وخالد المذكور ، ومحمد الأشقر ، وعمر الأشقر ، وعبد الستار أبو غدة ، وابراهيم الدسوقي ، وعبد الله عبد الشكور ، وتوفيق الراعي ، وغيرهم من أمثالهم . . الى جانب نخبة من علماء الطب والعلوم الحياتية المسلمين المؤمنين ، دعوا من أدنى الارض ومن أقصاها .

ولم تصدر التوصيات بأغلبية الاصوات ، فهذه الامور لاتتم بطبيعة الحال بأغلبية الاصوات ، وانما احيلت المناقشات برمتها الى لجنة للصياغة كانت تحرص فيما لم يجمع عليه اعضاؤها أن تثبت أي تحفظ ولو كان من فرد واحد من أعضائها . . ولسنا هنا في حل من أن نورد ثبتا بالأبحاث أو المناقشات أو التوصيات ، فالمجال هنا محدود ولعل هيئة الندوة مشكورة تصدر في ذلك ماتشاء وقت تشاء ، وانما نورد في ايجاز بعض الأمثلة ، وما اتجه اليه الرأي فيها ، دون اسهاب في الحيثيات فلها ـ كما نقول ـ مجال آخر .

الاجهاض العمد

ولعل خير ما نذكر فيه أن نورد النص الذي ◄

كتبته لجنة الصياغة وهو : « استعرضت الندوة آراء الفقهاء السابقين ومادلت عليه من فكر ثاقب ونظر سديد ، وأنهم أجمعوا على تحريم الاجهاض بعد نفخ الروح أي بعد أربعة أشهر ، وأن آراءهم في الاجهاض قبل نفخ الروح اختلفت ، فمنهم من حرّمه باطلاق أو كراهة ، ومنهم من حرمه بعد أربعين يوما وأجازه قبل الأربعين على خلاف في وجوب العذر .

وقد استأنست الندوة بمعطيات الحقائق العلمية الطبية المعاصرة ، والتي بينتها الابحاث والتقنية الطبية الحديثة ، فخلصت الى أن الجنين حي من بداية الحمل ، وأن حياته محترمة في كافة أدوارها خاصة بعد نفخ الروح ، وأنه لايجوز العدوان عليها بالاسقاط الا للضرورة الطبية القصوى . . وخالف بعض المشاركين فرأى جوازه قبل تمام الأربعين يوما وخاصة عند وجود الأعذار » .

انتهى كلام لجنة الصياغة ، وعلى الرغم من وجود مَن وقف اجتهاده عند الذي بين يديه من كتب الأقدمين ، فقد كان مما يثلج الصدر أن الاغلبية الغالبة رأت أن تدخل في حسابها وتعتمد في رأيها الحقائق العلمية المعاصرة . . وأحسسنا أن الاجتهاد الفقهي مؤذن بنشاط بعد خمود ، وحراك بعد سكون . .

أطفال أنابيب الاختبار . . (والرحم الظئر)

مرة أخرى كان نص لجنة الصياغة شاملا رغم ايجازه . . « انتهت الندوة بالنسبة لهذا الموضوع الى أنه جائز شرعا ، اذا تم بين الزوجين أثناء قيام الزوجية ، وروعيت الضمانات الدقيقة الكافية لمنع اختلاط الانساب » (وان كان هناك من تحفظ حتى على ذلك ، سدا للذرائع) . واتفق على أن ذلك يكون حراما اذا كان في الأمر طرف ثالث سواء أكان منيا أم بويضة أم جنينا أم رحما . . فليس لامرأة أن تحمل بمنى غير زوجها . . ولايجوز ان تحمل بويضة امرأة أخرى ولو كان المني من زوجها . . كما أن شرط « اثناء قيام الزوجية » أخذ في الحسبان أن المني (والجنين الباكر) يمكن حفظه بالتبريد حيا لفترة طويلة قد يقع أثناءها الطلاق أو وفاة الزوج . . وكذلك رفضت فكرة الرحم الظئر وهو أن يتم تكوين جنين من زوجين في انبوب الاختبار ثم تستأجر امرأة أخرى لحمله وولادته ان كانت الزوجة محرومة من رحم قادر على الحمل .

نظر الجنس لعورة الجنس الآخر

كان الاجماع على « جواز نظر الجنس الى عورة الجنس الآخر لدواعي الكشف الطبي والمعالجة والتعليم الطبي . . مع الاقتصار فيما يظهر من العورة على ماتدعو اليه الحاجة » .

ومع أن السلاح الطبي في جيش الرسول كان كله مجموعة من المؤمنات ذوات البصر بالتطبيب . . ومع أن كتب الفقه الاسلامي منذ قرون طويلة قد حسمت هذا الموضوع ، الا انني لمست في تلامذتي من طلاب الطب الجدد ومن غيرهم أن هناك حاجة الى التبصير والتطمين في الآونة الأخيرة ، وما نشهده من صحوة اسلامية نسأل الله لها التسديد والترشيد ، وأن تجتاز دور الفورة العاطفية الى دور الفكر الهادف والعمل البناء . . وطبيعي ألا يؤتمن على العمل في الطبابة الا من كان أهلا للأمانة ، وواجب أن تشتمل الدراسة في الكليات الطبية على ما يربط الطلاب بالقيم الدينية السامية ، وأن تشجع المرأة المسلمة القادرة على احتراف الطب في فروعه المختلفة لتساهم في سد حاجة المجتمع المسلم .

التعقيم الجراحي

وقد رأت الندوة « جواز اللجوء الى منع الحمل الجراحي على النطاق الفردي للضرورة

التي يقدرها الطبيب المسلم الثقة اذا استنفدت الوسائل الأخرى . أما على مستوى الأمة الاسلامية فلا يجوز شرعا ، وتنكر الندوة أن يكون التعقيم حركة عامة ، وتحذر من استخدامه في الحرب السكانية (الديموجرافية) التي تهدف الى جعل المسلمين أقلية في بلادهم أو في العالم » .

ولعل في هذا الرأي عاصما للأطباء المسلمين من الانحراف في الدعوة العالمية الساعية الى « التعقيم عند سن أصغر وأصغر ، وعند عدد من الأولاد أقل وأقل » كوسيلة لمكافحة الانفجار السكاني . . والأطباء زملائي في الاختصاص أخبر الناس بتعاسة من أجريت لها عملية التعقيم ثم تغيرت الظروف بتغير الزوج أو فقد الأولاد ، ثم عجز الطب عن اعادة فتح الأنابيب ، فان أدق الجراحات (وبابهظ النفقات) كثيرا ما تعجز عن اعادة الأمر لما كان عليه ، ولو اختارت باديء الأمر وسيلة من وسائل منع الحمل المؤقتة ، لأمنت أن تقع في الندم ولات حين مناص .

بنوك الحليب البشري المختلط

وليس لها وجود في العالم الاسلامي وهي في الغالب الى زوال نظرا للاستغناء عنها في بلادها ببدائل أخرى . وتقوم على تبرع النساء المرضعات كل بما يتيسر من حليبها ، وتجمع من ذلك حصيلة يومية كبيرة تستخدم في تغذية طوائف من المواليد الخدج ، يحتاجون للحليب البشري بالذات . . وقد كان هناك رأيان : أحدهما يخشى أن تقوم بذلك أخوة الرضاع بين من اشتركوا في شرب هذا الخليط ، ثم بينهم وبين أبناء وبنات من تبرعن به ، ويرى لذلك ضرورة عمل سجل تفصيلي يوزع على ذوي الاختصاص . . بينما رأى الفريق الآخر ومنهم الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي صاحب الورقة الرئيسية في هذا البحث استنادا الى رأي الليث بن سعد وفقهاء الظاهرية ومن وافقهم أن الرضاعة لاتتحقق الا باجتماع ركنين هما إلقام الثدي ، وشرب الحليب ، ومادام الطفل لم يمص الثدي فلا حرج .

ومسائل أخرى

وتعرضت الندوة لمباحث أخرى ، لم نجد مجالا لعرضها ، اذ لابد لها من شيء من الشرح يضيق عنه المقام ، ولعل لنا اليها عودة أخرى . . منها التحكم في جنس الجنين ، وقضايا الاستنساخ بالنسبة للانسان ، وتقنية التكاثر والهندسة البشرية باستخدام بعض خصائص الحامض النووي معاود الالتحام ، وخواطر عن المقررات الدراسية في الكليات الطبية بالعالم الاسلامي .

ونظرا للفائدة الكبيرة التي حققتها الندوة ، رأى المشتركون فيها ضرورة عقد ندوات أخرى لاحقة لمناقشة المزيد من القضايا الطبية المطروحة ، بل كان من بين التوصيات « تشكيل لجنة دائمة يشترك فيها الفقهاء والأطباء والعلماء للنظر عند الحاجة في القضايا التي يتطلب البت فيها خبرات فنية ووجهات نظر شرعية » .

وبعد . . . .

لكأني أشهد ارهاصات تكوين المجمع العلمي الاسلامي الذي يطوي المسافة طيا بين الفقه الاسلامي وبين قضايا القرن العشرين والقرن الحادي والعشرين . .

وكأني أشهد باب الاجتهاد ينفتح ، وتهب منه أنسام ندية ، تنبيء أن شريعة الاسلام صالحة لكل زمان ومكان ، وأن معينها لاينضب ، شريطة أن تنقدح بالفكر أمخاخ علماء المسلمين كل في اختصاصه ، وكل في عناق واحد من خدمة هذا الدين القيم . .

وكأني أشهد الصحوة الاسلامية جاوزت مرحلة حرارة العاطفة الى مرحلة بناء الحضارة . ●

□□

١٩٨٤

رواية جورج أورويل الرهيبة

الأخ .. والنبوءة والكاتب

بقلم : الدكتور
محمد خير عثمان

« جورج أورويل »

□ قليل من الأعمال الأدبية المعاصرة التي اختلفت الآراء حول مضمونه وأجمعت على عظمته مثل « ألف وتسعمائة وأربعة وثمانون » « ١٩٨٤ » رواية الكاتب الانجليزي « جورج أورويل » صاحب « الطريق الى ويقان بيير (١٩٣٧) » و « وفاء لكاتالونيا ـ ١٩٣٨ » و « والصعود الى الهواء الطلق ـ ١٩٣٩ » و « مزرعة الحيوانات ـ ١٩٤٥ » ـ فردوس العمال المفقود وأعظم سخرية سياسية في هذا القرن .

عندما صدرت « الف وتسعمائة واربعة وثمانون » في عام ١٩٤٩ ، قال عنها احد النقاد المعاصرين فور صدورها « انها كتاب عظيم . . ولكني اسأل الله ان يجنبني قراءة مثلها في مستقبل ايامي ! » . .

أدانها الشيوعيون ، وأبغضها اليسار الاوروبي ، وهو مازال اسيرا لأحلام الأممية فيما بين الحربين العالميتين ، ولم يجد في الرواية الا الجزء الثاني من حرب اورويل الفكرية ضده بعد ان كانت « مزرعة الحيوانات » هي الجزء الأول من هذه الحرب . .

هلل لها معسكر آخر في اليسار ، لأنها في رأي هذا المعسكر لا تحذر من تحول الحكم الى السلطة المطلقة في يد اليساريين ولكن في يد الليبراليين وحدهم .

بينما رأى فيها البعض الآخر هجوما على النموذج الاشتراكي البريطاني ، وتحذيرا من وقوعه تحت ظل النمط الاقتصادي الروسي ، وتسلط البروليتاريا (النوغاء) بقيادة نقابات العمال البريطانية ، ويستند هؤلاء على شواهد من اعمال اورويل السابقة في تحليل ونقد برامج حزب العمال البريطاني بقيادة اتلي ، وهو يتولى الحكم في اول حكومة بريطانية بعد الحرب .

وفي الولايات المتحدة نفدت طبعتها الأولى التي بلغت ٣٥٠ ألف نسخة ـ وهو رقم كبير بمقياس ذلك الوقت ـ في اسابيع قليلة ، وتصدرت قائمة افضل الكتب ، ووجدت اقبالا منقطع النظير بوصفها دعوة من الكاتب الى الانفتاح الاقتصادي والحرية المطلقة في الاقتصاد والتجارة الدولية . . اما في المعسكر الشرقي ـ والستالينية في اوجها ـ فقد تسربت الرواية الى بعض اقطاره ووجد فيها المواطنون هناك امثلة عديدة لحياتهم اليومية .

أورويل يرد على نقاده

أما بعض النقاد ، وهم ايضا كثيرون ـ ولهم وزنهم في الحياة الأدبية والسياسية ـ فقد حذروا بألا تؤخذ الرواية ـ وهي عمل فني هادف وجاد ـ كمجرد اداة اعلامية في يد هذا المعسكر او ذاك ، دعما لموقفه وهويته السياسية ، واستغلالا لعبقرية كاتب عرف بجديته والتزامه الأخلاقي لاتجاه سياسي معين . اما اورويل نفسه فقد كانت تستولي عليه مشاعر مختلفة وهو يقرأ قصاصات الصحف وتعليقاتها التي كان يبعث بها اليه اصدقاؤه عن روايته وهو على فراش المرض (وقد مات بعد صدور الرواية بوقت قليل سنة ١٩٥٠) وعلى الرغم من سعادته برواج الرواية واقبال القراء عليها وما قد تدره عليه من مال هو أحوج ما يكون اليه في مرضه ، فقد ضاق ذرعا بسوء فهم القراء لمغزى القصة وتحميلهم اياها اكثر مما تحتمل ، عن قصد او غير قصد ، فكتب

يقول « لم أكن أعني ان هذا ما سوف يحدث وانما اعني انه ما قد يحدث ، لو سارت الامور على ما هي عليه » « والدرس الذي يمكن ان نستنبطه من هذا الكابوس المخيف هو الا تدعوا مثل هذا يحدث . . . ان هذا يعتمد عليكم » وهو هنا يخاطب مجموعات المثقفين في عصره ، وكان سيء الظن بهم الى حد كبير .

الواقع يمتد الى المستقبل

والطريف في رواية « جورج اورويل » هو ان الجيل الذي عاصر ولادتها هو نفس الجيل الذي يشهد حلول العام الذي تنبأ كاتبها بوقوع تنبؤاته فيها كمجتمع معاصر ، وهو عامنا هذا الذي نشهد بواكيره . . . عام ١٩٨٤ ميلادية ، والذي يحمل عنوان الرواية .

ولا نعرف يقينا لماذا اختار الكاتب هذا العام بالذات ميقاتا ومسرحا زمنيا لأحداث روايته ، ربما اراد ان يقول لنا ان الكارثة اقرب مما نقدر « لو سارت الامور على ما كانت عليه » في زمانه ، وانها ستحل بنا في اقل من اربعين عاما ، وهو بالتقريب عمر بطلها المأساوي الحائر « ونستون سميث » . والأربعون هي ايضا سن النضج العقلي حيث يكون العقل قادرا على التمييز بين « المعقول » و« اللامعقول » ، بمعنى ان يكون قابلا للوقوع في براثن المأساة التي يخلقها وعيه للمقارنة بين ما هو كائن وما ينبغي ان يكون . . وقد كانت هذه هي مأساة « ونستون سميث » ، الرجل الناضج الذي افلت بمعجزة ببقية من عقله في مجتمع لم يعد فيه للعقل مكان .

ان الرواية تمثل صورة للحياة التي عاشها وعانى منها الكاتب ، فهي امتداد طبيعي لذلك الواقع الى جوف المستقبل الذي يمكن تصوره . . . وهذه الواقعية هي التي تقوى من عنصر الرعب فيها ، لأنها تجعل احداثها من صنع التاريخ لا من صنع الخيال .

صيحة تحذير

من هنا فان « الف وتسعمائة واربعة وثمانون » ليست قصة خفيفة ولا مسلية ولم يكن هذا من اهدافها ، فلا يمكن مثلا ان يقرأها الشخص ثم يلقي بها جانبا دون اكتراث : انها صيحة تحذير وتصوير لوضع ممكن الحدوث جدا . .

وقد اختار الكاتب ان يضعها في قالب « اليوتوبيا النقيضة » بمعنى انه يريد ان يقول لنا ان المجتمعات السليمة هي بالضبط عكس مجتمع ١٩٨٤ الذي صوره لنا . وبهذا الاسلوب استطاع ان يصور الخطر على الانسان وحريته وذكائه ابشع تصوير ، فهو مثلا عندما يريد التعبير عن المبادىء الانسانية التي ينشدها يصفها في الشعارات الرئيسية لنظام الحكم في مجتمعه الروائي :

« الحرب هي السلام ـ الحرية هي الاستعباد ـ الجهل هو القوة » وحتى لا يضيع المغزى الجاد الذي يريد نقله الى الناس في دوامة من التفسيرات والاحتمالات ، فقد صاغها في اسلوب لغوي مباشر بعيد عن الرمز والتعقيد .

والتعبير البسيط السهل كان صفة تميز بها « أورويل » صحفيا وكاتبا وروائيا ، حتى قيل انه قد حول الكتابة الصحفية الى عمل فني حقيقي ، كما عرف انه كان اعظم كاتب مقال باللغة الانجليزية في هذا القرن ، وفي « ١٩٨٤ » يتحول الاسلوب في يده الى الصورة التي كان يتمناها لنفسه وهو ان يزيل حاجز الاتصال بينه وبين القاريء العادي بلغة بسيطة ومباشرة . على ان للغة عنده ـ كما سنرى ـ شأنا اخطر واعمق ، فهي في يد الطغاة اداة سياسية خطرة ، ووسيلة اشد فتكا من جميع الوسائل في

التحكم في الانسان ، وتحويل شخصيته الى الوجهة التي يختارها الطاغية .

الجو الروائي للقصة

واحداث « الف وتسعمائة واربعة وثمانون » هي افعال بسيطة محسوبة يقوم بها اشخاص معدودون في جو قاتم من الخوف والنفاق وانعدام الاحساس بالأمان ، وتحت ظل حرب لا نعرف تماما هي حرب قائمة فعلا أم هي حرب وهمية مفتعلة ؟ .

ففي عام ١٩٨٤ يكون عالمنا هذا الذي نعيش فيه قد تم تقسيمه بين ثلاثة معسكرات او كتل سياسية وجغرافية كبيرة ، وقد سقطت هذه الكتل الثلاث بدورها فريسة في ايدي قوى سياسية وايديولوجية متضاربة الاهواء والمصالح .

ومن بين هذه القوى بوريشيا مسرح القصة التي نحن بصددها ، وقد اختار الكاتب لندن عاصمة لها مما يدل على ان بوريشيا هي في الحقيقة بريطانيا . ان الحرب التي تعيشها هذه المعسكرات الثلاثة فيما بينها يعيش القاريء كل جوها وظروفها وحياتها اليومية لحظة بلحظة في مجتمع « ١٩٨٤ » . اننا نعلم ان الحرب ـ لو كانت هنالك حرب فعلا ـ قد بدأت منذ نحو ثلاثة عقود من الزمان ولكننا لا نعرف من هو العدو الحقيقي لبوريشيا من بين المعسكرين الآخرين ، ولا نعرف ايضا اسبابها ولا نتائجها ، لأنها حرب من نوع غريب ، فليس فيها نصر ولا هزيمة ولا هدنة ولا صلح وانما هي « حالة حرب دائمة » ، يفرضها حكام اوشينيا على المواطنين ليظلوا في خوف دائم وتحت جو مستمر من الرعب والاستسلام ، فان ذلك يسهل على هؤلاء الحكام فرض سلطتهم على المواطنين كما يشاؤون ، لقد ادرك هؤلاء الحكام بحكم خبرتهم ان حالة الخطر الدائم هي اقرب الحلول السياسية لأزمة الحكم مع بقائهم في قمة السلطة ، ولذلك فقد قرروا الوقوف بجانب الخطر والتحالف معه ضد حرية المواطنين وامنهم واطمئنانهم .

« الأخ الأكبر يراقبك »

وعندما يقع المواطنون فريسة لمشاعر الخوف المستديم من خطر محدق بهم يسهل على النظام ممارسة كل انواع الكبت والرقابة ومصادرة الحريات دون مقاومة ، بل عن طواعية واختيار من جانبهم .

وبذلك تكتمل مقومات مجتمع « ١٩٨٤ » ، مجتمع « شرطة الفكر » الذين يعرفون ما يدور بالاذهان بمجرد استخدام الفراسة وقراءة تقاطيع الوجه وخلجاته ، مجتمع شاشات التصنت والترصد المنصوبة في الاماكن العامة والخاصة ، مجتمع الجواسيس ، والجواسيس الهواة ، والجواسيس الاطفال ، والذين استطاع النظام تجنيدهم ضد افراد اسرهم ، وهم اشد الجواسيس خطرا وفتكا وتفانيا ، مجتمع صناعة الحقائق غير الموجودة وازالة الحقائق الموجودة ومحو الذاكرة ، مجتمع ينتهي فيه الماضي

بالأمس ، فلا يعود فيه تاريخ ، ولا يولد فيه الغد ، فلا يعود هنالك امل . . مجتمع حفلات الاستهواء الجماعي التي ينظمها الحكام حيث ينفس المواطنون عن غيظهم المكبوت ضد عدو غامض « وكبش فداء » لا احد يعرف : أحقيقة هو ام اسطورة .

مجتمع لا خوف فيه من الاخلال بالقانون لأنه لا يوجد فيه قانون يمكن الاخلال به . . مجتمع « لايوجد فيه اصدقاء . . . وانما رفاق » .

واخيرا فانه مجتمع « الاخ الاكبر » في صورته الضخمة التي تمتلىء بها الشوارع والساحات والاماكن العامة ، بشاربه الكث وتقاطيعه الجامدة ، وعينيه النفاذتين ، ونظراته التي تتابعك حيثما اتجهت او تحركت وكأنها تهتف بك :

« الأخ الأكبر يرقبك »

ونحن لا نرى الاخ الاكبر ولا ندري ان كان هو الاخر حقيقة او اسطورة ولكننا ندرك انه الحضور الدائم للسلطة والارهاب في مجتمع اوشينيا .

مجتمع النقائض

وفي هذا المجتمع يبدو كل شيء على نقيضه تماما « وزارة الحقيقة » هي وزارة تشويه الحقيقة ، « وزارة الوفرة » هي وزارة التوزيع غير العادل للمواد الغذائية الشحيحة ، « رابطة اعداء الجنس للناشئات » ورئيستها هي العشيقة السرية لونستون سميث ، ومن قبله للعديد من اعضاء الحزب ! .

« أما الأخ الاكبر » فليس هو الا « الخصم الاكبر » لحرية المواطنين وامنهم واطمئنانهم . . يحصى عليهم حركاتهم وسكناتهم وينتهي الامر بالكثيرين منهم الى الموت او « تحويلهم الى حالة غازية » حسب تعبير « النيوسبيك » او اللغة الجديدة للحزب .

مسار الأحداث

في هذا الجو وفي هذا المجتمع تجري احداث « ١٩٨٤ » ، ان شخصياتها كلها تقريبا « نماذج » او « انماط » وكائنات ليس لها ظل ولا ابعاد ، وهي اشخاص لا تتطور ولا تنمو وانما تدور في فلك رتيب . .

يقع ونستون سميث ـ بطل القصة في علاقة غرامية سطحية مع « جوليا » احدى الموظفات في « مديرية الاساطير » « بوزارة الحقيقة » التي يعمل فيها ونستون محررا ومزورا للحقائق والمعلومات ، تنجح جوليا في تدبير اللقاء بينهما عدة مرات في اماكن بعيدة عن رقابة الشرطة السرية ، وعيون شاشات الترصد واجهزة التجسس المنتشرة في كل مكان ، ويعقد ونستون صداقة سطحية ايضا مع صاحب مكتبة كهل ، اسمه كارنجتون ، وعن طريقه يستطيع اللقاء بجوليا في غرفة مهجورة لكارنجتون ، ويتخذ منها العاشقان عشا لغرامها ، ولكنهما يتوجسان دائما ان تطبق عليهما الشرطة في كل لحظة .

ويلتقي ونستون بشخص غامض هو « اوبراين » ، احد اعضاء الحزب الحاكم ، ويوحي اليه هذا بانه معارض للنظام الحاكم وانه يعلم ايضا ان ونستون معارض في سريرته ايضا ، ويعتقد ونستون ان هذا الشخص « اوبراين » هو الامل الوحيد في الخلاص ـ خلاص اوشينيامن الحكم الارهابي الذي يتسلط عليها وعلى شعبها .

ويستدرج اوبراين كلا من ونستون وصديقته جوليا مدعيا انه في صف المعارضة الداخلية للنظام ، وانه احد اعوان جولد شتاين ـ عدو الشعب الأول وموضوع حفلات الكراهة الاسبوعية ـ ويستلم رنستون وصديقته لاوبراين الذي يعيرهما سرا « الكتاب » ـ وهو مجموعة افكار جولد شتاين وتحليله للوضع السياسي واتجاهه المناهض للحكم الاستبدادي

في اوشينيا بقيادة الاخ الاكبر . . ويقرأ ونستون « الكتاب » بتعمق وتلذذ لأنه يجد فيه كل افكاره وخواطره التي يؤمن بها وينطوي عليها في دخيلة نفسه عن النظام الذي يعيش فيه .

ويتعرف ونستون ايضا على رجل ذكي اسمه « سايم » وهو خبير « النيوسبيك » اللغة الجديدة ، ومن نقاشه مع سايم يدرك مدى ذكائه وخبرته وايمانه بالدور السياسي المدمر للغة عندما تصبح اداة في يد حكم متسلط .

ولكن سايم يختفي فجأة ولا يعلم شيء عن مصيره . . لقد حولته شرطة الفكر « الى حالة غازية » كما تنبأ له ونستون وذلك لفرط ذكائه وحماسته . . فالحزب الحاكم لا يحتمل وجود الاذكياء والمتحمسين لرسالتهم اكثر مما ينبغي ويعلم زملاؤه في العمل بنهايته ولكنهم لا يكترثون .

ومن الشخصيات التي يتعرف عليها ونستون بمحض المصادفة ، منذ بداية القصة ، العامل بارسونس وزوجته ، وطفليه فيدرك مدى قابلية وقوع الطبقات العاملة الدنيا اسيرة في قبضة « النظام » وقبولها لمصادرة حرياتها وفكرها وجهدها عن طواعية وتصديقها لجميع اكاذيب « الاخ الاكبر » بل تقديسها له حتى دون ان تعلم عنه شيئا . وباتصاله بهذه الاسرة العاملة يدرك ونستون مدى التخريب الذي يقوم به النظام الحاكم في النظام الاسري حيث يغري الآباء والامهات بتنشئة ابنائهم كعيون على خصوم النظام واعدائه ، فضلا عن ان هؤلاء الاطفال يعملون جواسيس على اسرهم نفسها لحساب « شرطة الفكر » . . . ولكن امثال بارسونس هم الذين يعمرون طويلا في مثل هذا الحكم .

النهاية

وفي نهاية الامر يقع ونستون وصديقته جوليا في يد « شرطة الفكر » بعد ان يكشف امرهما صديقهما كارنجتون للشرطة ، ويذهل ونستون وصديقته عندما يدركان ان كارنجتون كان في الحقيقة رجل شرطة شابا متنكرا في صورة الكهل كارنجتون صاحب مخزن الانتيكات .

وتقوم الشرطة بتعذيبهما ، ويكون على رأس فريق التعذيب اوبراين الرجل الذي كان يعلق عليه ونستون الآمال في الخلاص . .

وتحت جحيم التعذيب يضطر ونستون الى الاعتراف « بجريمة الفكر » التي اعتقل وعذب من اجلها . ولكنه يوقع ايضا بصديقته جوليا . .

ويتم تحويل ونستون تماما الى الخط الذي نشز عنه . فكريا ، لأربعين عاما . .

وبعد انْ يتم الاعتراف وتقف عملية التعذيب . . يرفع ونستون عينيه الدامعتين ليرى « الاخ الاكبر » يتطلع اليه ، ولكن هذه المرة في كثير من العطف والحنان . . ويلوم ونستون نفسه لسوء الفهم الذي حرمه من هذه المحبة الابوية طوال نشوزه عن الحزب ! . . ولكن لا بأس فكل شيء على ما يرام . . لقد انتهى الصراع الآن وانتصر ونستون على نفسه . . لقد احب الأخ الأكبر ! وهكذا تكون نهاية البطل . . فهو لا يموت شهيدا دون مبادىء آمن بها وانما يعيش ضحية من ضحايا الاستبداد والقمع .

الكاتب

والذي يتابع حياة جورج اورويل بشيء من الاهتمام لا يملك الا ان يلحظ هذا القرب بين حياته وعمله وفكره السياسي من جانب وبين اعماله الادبية من جانب آخر .

وعلى الرغم من غزارة انتاجه وتنوع القضايا التي تناولها في كل من مجموعة رواياته وقصصه والتي الف منها في الفترة ما بين ١٩٣٣ و ١٩٣٩ عشر روايات . . . بمعدل رواية واحدة كل عام ، وفي المئات من مقالاته وتحليلاته النقدية

للناس والافكار والاوضاع ، على الرغم من ذلك ، بل ربما من اجل ذلك ، فان التزامه الفكري لم يتزعزع حيال كل المبادىء التي كان يدعو اليها ويبشر بها ، وهي تحقيق الخير والفضيلة والكرامة الشخصية ، وتوظيف الفكر والذكاء لما ينفع الناس ، وان تكون على رأس المجتمع حكومة بعيدة عن الكبت والاستبداد ، ترى في الحكم وسيلة لتحقيق هذه المبادىء وليس غاية تتسلط بها على الرقاب . .

النشأة الأولى

اسمه الاصلي « اريك بلير » ولكنه اختار « جورج اورويل » اسما ادبيا عرف واشتهر به ، وولد بلير في ولاية البنغال في الهند في اليوم الخامس والعشرين من يونيو (حزيران) عام ١٩٠٣ ، وكان ابوه « رتشارد بلير ـ يعمل شرطيا في حكومة المقاطعة ، وفي طفولته الأولى عادت به امه الى بريطانيا ليبدأ تعليمه هناك ـ كعادة موظفي المستعمرات البريطانية آنذاك ـ وهناك شب وترعرع ، واظهر في بواكير عمره من الاستعداد المبكر ما رشحه لنيل اعانة مالية ساعدت والديه على ارساله الى مدرسة « اعدادية » ذات نظام ارستقراطي محافظ ، ولكن تجربته في الحياة والدراسة في تلك المدرسة لم ترتبط في ذهنه بذكريات سعيدة ، فقد وصفها فيما بعد بانها كانت « عالما صغيرا من القسوة والخداع والسرية . . ولم يكن بمقدوري ان اكون فيها شخصا فاضلا » . .

ولكن على الرغم من ذلك فقد نبغ في دراسته فيها واستطاع ان يحرز جائزة اخرى مكنته من الدخول الى كلية « ايتون الثانوية » وهي واحدة من اشهر المدارس البريطانية المعروفة « بالمدارس العامة » المحافظة في التعليم البريطاني ، وكان لهذه الكلية ولنظامها التعليمي الفضل في صياغة شخصيته وفي تشربه بالمثل الانجلوسكسونية الكلاسيكية ، حتى اصبح فيما بعد من اليساريين القلائل الذين استطاعوا التوفيق بين التمسك بالحس الوطني والقيم الاخلاقية لمجتمعه البريطاني ، الى جانب اعتناقه للفكرة السياسية الاشتراكية والتي كانت ترى في التمسك بمثل هذه القيمة الوطنية تضييقا للافق السياسي ، بل لعله كان واحدا من ابرع من عبر عن هذه الموازنة وبررها في كتاباته المختلفة .

وبعد ان انهى دراسته في ايتون وصل الى اعتاب اكسفورد وكمبردج ولكنه لم يستطع الالتحاق بأي منهما على الرغم من تميزه الدراسي وذلك لعدم قدرة اسرته المتوسطة الحال على تحمل اعباء المصروفات الدراسية الباهظة .

وقرر فورا ان يدخل معترك الحياة العريضة غير مزود الا بشهادة الثانوية فعاد الى آسيا ، وهناك بدأ من حيث انتهى ابوه ـ شرطيا في حكومة بورما . . وكانت تجربة قاسية لقي فيها الكثير من العنت والعناء ، وانعكست آثارها على فكره واتجاهه السياسي وفي كتاباته التي عبر فيها عن رفضه للاستعمار بكل صوره واشكاله ، وذاق فيها طعم الاخفاق في المواءمة بين واجبه كموظف صغير يحرس مصالح الامبراطورية البريطانية في مجتمع بعيد ومتخلف ، وبين افكاره كشاب يحمل بين جوانحه قيما ومبادىء اخذت تتبلور في نظرته للحياة والاحياء في اتجاه انساني شامل . □□

تنويه واعتذار

وقع خطأ غير مقصود في تسمية منطقة الصحراء بالمغرب في الصفحة رقم ٣٧ من العدد رقم ٣٠٣ فبراير عام ١٩٨٤ ، في الخريطة المنشورة مع المقال الذي يحمل عنوان (التكامل الاقتصادي الخليجي ، نواة للتكامل العربي الكامل) ، لذا وجب التنويه والاعتذار .

منتدى العربي

مــرة أخرى :

الأفغــانى المفترى عليه

عملاق دخل التاريخ

بقلم: الدكتور شاكر مصطفى

□ مثل هذا الرجل ليس فى حاجة الى من يتجرد للدفاع عنه ، ولست لأدافع . تجريح قاعدة التمثال الضخم لا تهدمة . الرجل طود . وكان وسيبقى رمزاً من رموز النهضة ، وليس يهم أن يتسلق المتسلقون ساقيه والأطراف .

الدكتور لويس عوض وضع نظارة خاصة ذات ألوان غربية ، وتسلق او حاول . أخذ سيرة الافغاني فـزرعها ـ بقلمه ـ ألغاما ، وايماءات ، وشبهات ، وما شاء الهوى . وحين تطوى الصفحة الاخيرة من المقالات السبعة عشرة لن يكون في خاطرك الا اشارة استفهام كبيرة كبيرة : لماذا ؟

لماذا هذا الاستهزاء والتدمير للرجل ، كأنما افعى ظفرت بذبيح عظيم سمين ؟ أهو لتكريس المصرية الفرعونية ؟ أهو محاولة تهديم الرموز الكبرى للنهضة ضمن اوركسترا التهديم التي تتناول اليوم كل شيء ؟ وتأتي على كل شيء ؟ اهو الانبطاح والتقديس لكل ما هو غربي والتنصل بعد الهزء من الشرق كل الشرق وكل قيم الشرق ؟

الافغاني انسان وله ككل انسان صبواته ، ونزوات الهوى ، واضطراب الايام وألوان المد والجزر في الحياة . فماذا يضيره ـ لو صحت كل ←

الشبهات المزروعة في الدراسة - ان يكون انسانا ؟ فما بالك اذا كانت تلك الشبهات مملوءة بالتجني العمد ، مثقلة الاسطر والاحرف بسموم الظنون ؟

المحررون الكبار الذين هزوا التاريخ من ذا الذي يبرئهم ويجعلهم الاطهار ؟بوليفار . سان مارتان . غاندي . واشنطن . غاريبالدي ما فيهم الا من وراءه التاريخ الحافل . ولكن من ذا الذي يعرف الوجه الآخر لهم ، او يهتم بإثارته ؟ من ذا الذي يعرف الوجه الآخر للقمر ؟ ثم لمصلحة من تثار هذه القضايا الآن وقدمضى على الكتب اليهودية والايرانية التي ذكرت اشباه هذه التهم للافغاني ما بين ١٥ الى ٢٠ سنة ؟

ترى ما الرأي لو جاء باحث ، بعد قرن من الزمان ، فنظر في التقارير الأمنية عن الدكتور لويس عوض فوجد انها خليط شيوعي أمريكي فاتهمه بالذبذبة والتلون ، ونظر في تراثه الفكري فوجد فيه ريح الطائفية فرماه بالباطنية والنفاق ، وفي تراثه السياسي فوجده متصلا بامريكا وانكلترا فدمغه بالعمالة ، وكتب عنه فتحدث عن « اسطورة » لويس عوض ، وان له « دورا » كان يؤديه لحساب مجهول ، وان له « ماضيا مريبا » وتعاونا كاملا مع جهة ما ، وانه « مزدوج الشخصية » ، او مثلثها او مربعها حسب الظروف ، وان مواقفه وتحركاته « جملة من المتناقضات » ، كل ذلك بوثائق امريكية وانكليزية وفرنسية . . . ما الرأي يا ترى عند ذلك ؟

مع ذلك فهذا واكثر منه بكثير هو ما قاله الدكتور لويس عوض عن الافغاني .

استند الدكتور لويس عوض اولا على وثائق المتجسسين الانكليز منقولة لدى باحثين يهود . والانكليز على الدوام كانوا أعداء الافغاني . فاذا زاوج بين هذه الوثائق ، وبين ما كتبه اصدقاء الافغاني وتلاميذه لينقضها ويثبت الشكوك والشبهات . فأين الوثائق العثمانية والفرنسية والمصرية والهندية والانكليزية والروسية ؟

أفكار الرجل

ويقف الدكتور لويس عوض عند أفكار الرجل فيجهد اعنف الجهد واقسى الجهد لا في الهزء منها فقط ، ولكن في تسفيهها ومحاولة اظهار التناقض فيها ، ولو من خلال المنطق الصوري . فثقافة الافغاني - عند لويس عوض - لا تتجاوز المعلومات عن الشيخية والبابية والبهائية في ايران . « وتعلم في الهند شيئا عن الداروينية والمادية والمثالية والعقلانية والطبيعية وما شاكل ذلك من علوم الغرب وقد ظهرت آثارها في كتاباته بعد سنوات عديدة . وما تبقى فهو من فتات المعرفة التي كان يمكن أن يتسقطها بالسماع من افنديات المثقفين حول نظرية الفيلسوف الانجليزي هربرت سبنسر ومدرسته البيولوجية في علم الاجتماع القائلة،بأن المجتمع الانساني كائن عضوي يتبع في ميلاده وطفولته وشبابه وشيخوخته وموته الدورة البيولوجية المألوفة » (لم لا يكون ابن خلدون هو مصدر الافغاني في ذلك وليس سبنسر ؟) .

ويقول الدكتور عوض حول هجوم الافغاني على الداروينية « . . . واكثر حجج الافغاني ضد الداروينية حجج مضحكة تدل على جهله بنظرية التطور كما تدل على انه كان يجمع معارفه عن علوم الغرب وفلسفاته من مناقشاته الجدلية مع المثقفين او من الشذرات القليلة التي كان يقرؤها في صحافة عصره . . . » « وهذا امر مفهوم لان الافغاني لم يكن يعرف من اللغات الاوروبية الا قليلا من الفرنسية . . . »

لهذا كله فان المحاضرة التي القاها في استامبول واثارت عليه الضجة وادت الى نفيه لم

تكن اكثر من « مجرد فقاعة في الجو الثقافي التركي سرعان ما انفثأت . . . » .

ويمسك الدكتور لويس بتلابيب الشيخ الافغاني بعد هذا فاذا وجده يدافع عن الدين بمنافعه العملية الحياتية استنتج على الفور ان الشيخ « لا يؤمن بالدين كمجموعة من الحقائق الميتافيزيكية الالهية الروحية ولكنه يجعله مجرد معتقدات نافعة لحفظ المجتمع . مجرد مؤسسة وضعية ذات وظيفة اجتماعية » . . « وهذا في الواقع هو جوهر رسالة الافغاني في الرد على الدهريين » .

واذا قارن الافغاني بين النبي والفيلسوف واوضح ان « لا حاجة الى انبياء مشرعين في كل عصر لأن الشريعة الالهية كافية لجملة العصور ولكن البشر بحاجة الى مفكرين ينظمون الحياة بالعقل في كل عصر » امسك به الدكتور مرة اخرى وصرخ : « وهذا ايضا زندقة بالنسبة لمن يعتقد ان اصول الدين والشريعة صالحة لكل عصر ولكل بيئة لأنه قول يفترض تناقض الشريعة مع العقل في بعض العصور وبعض البيئات » .

واذا قال الافغاني في محاضراته باستامبول : « لقد كنا في اعلى عليين ثم هبطنا اسفل سافلين بسبب تواكلنا وكسلنا وانصرافنا عن العلم ولابد من التشبه بالامم المتمدنة وضرورة اكتساب كل فرع من فروع العلم » صرخ الدكتور بمنطقه السليم : اقبض يا شاويش ! ان الافغاني هنا « يهرب بعض المعاني » فقوله هذا « يتضمن اعترافا بانحطاطنا . . والمقصود طبعا اننا لم نتعلم الا علوم الدين »!! . .

واذا دعا الافغاني في مجلة العروة الوثقى الى الجامعة الاسلامية وحكم المستبد العادل (وهذه الفكرة في رأي الدكتور عوض مسروقة من عصر التنوير) فان ذلك يتناقض عند السيد الدكتور مع دعوة مصر للمصريين والدعوة الى اعمال الدستور في مصر . . ويرى انه كان يخطط سرا للجامعة الاسلامية بينما كان في الوقت نفسه ، ومسايرة للتيار الوطني الجارف في مصر ، يذكر المصريين حتى بأمجاد الفراعنة ضد الاستعمار الاوروبي . (هل نسي الدكتور ان مصر كانت تابعة للعرش العثماني الذي كان الافغاني يدعو للانضواء تحته ؟) .

واذا دعا الافغاني في الهند الى الوحدة بين المسلمين والهندوس في الكفاح الوطني ضد الانكليز ، ودعا في الوقت نفسه الى اقامة دولة اسلامية مستقلة تفصل بين الهند وروسيا (وهي هنا افغانستان وباكستان في اقصى شمال الهند) فان في هذا « ذبذبة بين اتجاهين سياسيين متعارضين اشد التعارض » وهذه الذبذبة - في رأي الدكتور عوض - كانت من اسباب فشل الافغاني في مرحلته الهندية !!» .

الدور . . والعقدة !!

وماذا قال الدكتور عوض اخيرا عن اعمال الافغاني وممارساته الحياتية ؟ انه يرى ان الافغاني كان دوما « يؤدي دورا من الادوار او يبحث عن دور » . وهو ليس بشيء لا في الهند ولا في افغانستان ولا في استامبول ولا في مصر ولا في لندن من بعد .

يقول كان الافغاني يغير ألقابه كي « يجعل من المستحيل على الناس وعلى السلطات ان تتعقب منشأه وتجمع المعلومات عنه . . » كأنما الافغاني طريد دولي ،ويضيف«انه حين ذهب الى الهند ثم افغانستان كان يجتهد بين قوم سنيين لاخفاء اصوله الشيعية حتى يتسنى له الاندماج في بيئة السنية لاداء دوره الذي اختاره . . » .

ويمضي الدكتور عوض في مثل هذا الحديث ، ففي كل صفحة دسيسة تدس ، او شبهة ترمى ، والدراسة طويلة ، وهنا كل

« مظاهر » التوثيق العلمي : وهكذا قصد الافغاني الهند او اوفد اليها « وانتهى الامر بابعاده عنها ، بعد الابعاد عن ايران وعن العراق » وتلتها مرحلته العربية (الحجازية العراقية) التي استغرقت ٣ سنوات وانتهت بابعاده للمرة الثانية او الثالثة عن موطنه ايران ، وهناك مرحلة تجواله الغامض . . خمس سنوات تلتها مرحلته الافغانية سنتين ، انتهت بابعاده عن افغانستان « بعد ان كان بارزا جدا في بلاط الامير اعظم خان وكان « محامي السياسة الروسية لديه » . وقد كان قبوله لدى هذا الامير « فورا وبلا تحفظ » وكان تحوله « من جوال غامض التحركات الى المحرك الأول في بلاط كابول » دليلا « على ان اوراق اعتماده في قوة الحديد وقوة المبعوث من قوة باعثة » . . ويقضي الدكتور صفحة كاملة ليقول ما قاله الوكيل البريطاني في كلمتين : ان الافغاني « عميل روسي ».

مع ذلك فشل الرجل في افغانستان ولم يخرج « بإذن للحج » ، ولكن « خرج مطرودا من افغانستان الى الهند » والغريب ان هذا العميل الروسي » بدلا من ان يذهب الى روسيا ذهب الى الاستانة !! ولا يرى الدكتور في هذا اي تناقض مع منطقه السديد !

في استامبول يشكك الدكتور في ان يكون الافغاني « شيئا » رغم انه اختير عضوا في مجلس التعليم . ثم القى محاضرة تسببت في نفيه . ومع ذلك فلم تكن اكثر من « فقاعة انفثأت » و « طرد الافغاني » من استامبول ليأتي مصر . . وهناك « في قمة نشاطه في مصر سنة ١٨٧٩ لم يكن علما من اعلام البلاد او زعيما بارز المكانة في الحياة بحيث لا يحتاج الى تعريف (لدى السادة الانكليز) ولم يكن يشكل مشكلة تجعل منه شخصية عامة في السياسة المصرية يعرفها المسؤولون في انكلترا . . » (فمقياس البروز هناك !!) .

الى اين نمضي في التعداد ؟

يطول الامر جدا لو تابعنا الدكتور « الباحث »(!) في رحلة الاتهام والشبهات وافتراض سوء الطوية والنوايا ، والمغامرة والعمالة . .

خلاصة الامر كله ان الافغاني عند الدكتور « اسطورة » ، « وشخصية غامضة » ، « ومن اصعب الصعاب (!) ان يقول احد بأمانة وعن معرفة : هذا هو الافغاني الحقيقي !» ترى لو طبقنا شبهات وشكوك الدكتور عوض على اية شخصية من الشخصيات التاريخية ألسنا نصل الى انها جميعا ذلك « الايراني الغامض ؟» ان كتابة دراسة طويلة والعناء فيها بهذا الشكل غير العلمي يعني ان لها غرضا غير العلم . فما القصد الاخير منها ؟ اين تصب ومن المنتفع يا ترى ؟

من المستفيد ؟ هل صعب على الدكتور لويس عوض ان يرى رجلا حرا ذا فكر نضالي في تاريخنا الحديث دون ارتباط بالاجنبي ، فصب عليه وابل شكوكه وغضبه « وعلميته »؟

انه ينطلق في الدراسة كلها من فرضية مسبقة هي الاتهام . يفترض قبل البحث ان الرجل اجير عميل ، ثم يتكفل بالتفسير والاستنتاج حيثما وجد سبيلا للدس عليه او لتجريده من جبته ، انه في احسن الاحوال ومع افتراض الحسنى قد خسر ثلاثة ارباع المعركة بالتجني الذي حشا به دراسته لقد كتب الدكتور لويس منذ فترة قريبة وبعد تاريخ طويل من الشبهات ، عن الجنرال يعقوب الذي لحق بنابليون بونابرت وخدمه وحارب معه ضد مصر فجعل منه بطلا قوميا وها هو في « الايراني الغامض » يمسك بتلابيب جمال الدين الافغاني فيمزقها تمزيقا ليجعل منه عميلا مأجورا وليرى في كل حركة من حركاته وكل سكنة غرضا ودورا وجهة محركة ممولة !!

الشعر العربي .. هل هو أصل الرمزية ؟

بقلم الدكتور/ حامد أبو أحمد

لم يتوقف النقاد العرب المحدثون كثيرا عند إمكان أن يكون شعرنا العربي القديم مشتملا على بعض الظواهر التى انطلقت منها فى العصر الحديث أعظم حركة شعرية عالمية هى الحركة الرمزية .

اذا كان البعض قد اهتم بهذه القضية على نحو آخر ، مثل الدكتور درويش الجندى فى كتابه « الرمزية فى الأدب العربى » ، حيث خصص لها بابا كاملا يشتمل على ثلاثة فصول تتناول الرمزية فى الادب العربى القديم والادب الاسلامى والادب العباسى والاندلسي ، ولكنه خرج بالنتيجة التالية عن الادب الجاهلى : « ومعنى ذلك ان البيئة الجاهلية لم تكن صالحة للرمزية بالمفهوم الغربى ، تلك الرمزية التى تغوص فيما وراء الحس ، وتحاول ان تعبر عما لا يمكن التعبير عنه تحت ستار من الأوهام والأحلام ، وفى لفائف من الظلام والغموض (١) » .

الا ان هذا الباحث يعود ليقرر أن فى الشعر الجاهلى رمزية أسلوبية قريبة من الاسلوب الرمزي الغربى . ثم انه يمضى فى تفصيل مظاهر هذا القرب . وهو يفعل الشيء نفسه تقريبا فيما يتعلق بالعصور الاخرى الاسلامية ، حيث ينفى عن الشعر العربى عامة المفهوم الغربى للرمزية ، لكنه لا يستبعد وجود بعض الخصائص التى تجمع بينه وبين الرمزية الغربية الحديثة - أو بتعبير أصح - تقرب بين الاتجاهين مثل الاغراب فى التصوير عند شاعر كأبى تمام أو بشار بن برد ، واصطناع البديع ، والاهتمام بالتورية ، والغموض ، والاكثار من المجاز والاستعارة والكناية ، وغير ذلك من فنون البلاغة . كما أن الدراسات العربية الأخرى حول الرمزية تنحو هذا النحو تقريبا .

والحق أن هذه القضية يجب طرحها من وجهة نظر أخرى ، فبدلا من أن نبحث هل يتفق ما في الشعر العربي من رمزية مع المفهوم الحديث للرمزية الأوروبية أم لا ؟ يجب أن نطرح المسألة على النحو التالي : هل يمكن أن نجد في شعرنا العربي القديم بعض الخصائص التي تمثل أصولا للحركة الرمزية أم لا ؟ . وطرح المسألة على هذا النحو ينسجم مع اتجاه الغربيين أنفسهم في طرحهم لمثل هذه المسائل . فهم عندما يبحثون عن أصول الحركة الرمزية عادة يعودون الى كتابات من مهدوا لها ، مثل الشاعر ادجار ألن بو ، والفيلسوف سويدنبرج وسواهما . والمعروف أن كتابات ألن بو أو سويدنبرج لا تتفق بالطبع مع المفهوم المتعارف عليه للرمزية بعد ذيوع أشعار شارل بودلير وآرثر رامبو وبول فيرلين وبول فاليري وغيرهم ، ولكن كتابات ألن بو وسويدنبرج كانت بمثابة تمهيد للحركة .

سان خوان دي لاكروث والرمزية

من هذا المنطلق بحث بعض النقاد الاسبان عن أصول الحركة الرمزية في أشعار الشاعر المتصوف الاسباني الشهير سان خوان دي لاكروث . وقد طرح الناقد الأسباني كارلوس بوسونيو هذه المسألة على النحو التالي ، يقول : « سوف أحاول تقريب شعر سان خوان دي لاكروث من المدرسة الرمزية التي انتشرت أعمالها في نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين . وأنا اذ أقوم بهذا

(١) د . درويش الجندي « الرمزية في الأدب العربي » - دار نهضة مصر للطبع والنشر

التقريب لا أدعي بالطبع أن شاعرنا الكبير الذي عاش في القرن السادس عشر الميلادي رمزي بالمعنى الحالي المتعارف عليه للرمزية ، أو أنه يقع في دائرة تتفق تماما مع أصل نشأة هذه الحركة المعروفة بهذا الاسم . ان ما أنويه في هذا الصدد أقل مفارقة من ذلك ، وان كنت لا أدري هل لهذا السبب نفسه يأخذ طابع المفاجأة أم لسبب آخر ؟ انني أريد أن أوضح أن سان خوان دي لاكروث بما له من صفات وخصائص المتصوف (وهي أشياء ذات جذور لا عقلانية في العادة) قد توصل الى بعض الاكتشافات الفنية ، التي استخدمت هي نفسها فيما بعد في الشعر الأوروبي ابتداء من عند بودلير فقط ، أو بتعبير أكثر تحديدا ابتداء من المدرسة التي أطلق عليها اسم « المدرسة الرمزية » ، أو ما سبقها ومهد لها من طلائع . ولكن يجب أن نضع في اعتبارنا في هذا الصدد أن هذه الاكتشافات ليست كأي اكتشافات أخرى ، وانما تشكل ـ بلا أدنى شك ـ أهم المعطيات التي أثرت على ظهور الرمزية في العصور اللاحقة »(٢) .

بهذه الطريقة يقوم كارلوس بوسونيو بطرح المسألة ، ثم يمضي في تطبيق نظريته عن الصورة التقليدية والصورة الرمزية على أشعار سان خوان دي لاكروث ، حتى يصل الى النتيجة ، وهي أن شعر هذا المتصوف الكبير يقوم على الصورة الرمزية التي عرفت في العصر المتأخر عند الرمزيين .

يقسم بوسونيو اذن الصورة الشعرية الى نوعين :

١ ـ صورة تقليدية ، وهي التي ظلت تستخدم في الشعر الأوربي منذ القديم حتى نهاية الحركة الرومانتيكية . وتقوم على المشابهة الموضوعية (مادية أو معنوية أو قيمية) بين شيء واقعي ترمز له بـ (أ) مثلا وشيء متخيل ترمز له بـ (ب) ، أما وجه الشبه هنا فهو مما يدركه العقل بسهولة . فعندما يقول احد الشعراء « شعر من الذهب » يدرك الذهن على الفور وجه المشابهة بين الشعر والذهب ، وهي هنا مادية أي الاشتراك في لون واحد هو الصفرة .

٢ ـ أما الصورة الثانية فهي « الصورة الايحائية » ، وهي خاصة بالشعر المعاصر ، وقد بدأت مع بودلير . وهذه الصورة تجعلنا ننفعل دون أن يصل عقلنا الى ادراك أي وجه منطقي للمشابهة بين (أ و ب) . ويكفينا فقط أن نحس بالمشابهة العاطفية بين الشيئين . انها اذن صورة غير عقلية ، وهي أيضا ذاتية في الوقت نفسه . ويمثل كارلوس بوسونيو لهذه الصورة الايحائية بالمثال التالي : « العصفور مثل قوس قزح » . ففي هذا المثال نجد العصفور (أ) أو المشبه ، وقوس قزح (ب) أو المشبه به متباعدين في الظاهر ، لكنهما يثيران في القارىء شعورا متماثلا انه الشعور بالبراءة الذي نستقبله في شيء من الحنان . وبهذا فان العصفور وقوس قزح يتشابهان عاطفيا في معنى غير معقول ، أي على عكس ما يحدث في الصورة التقليدية التي يتسم فيها وجه الشبه بالعقلانية والمنطقية . وهكذا نجد العصفور وقوس قزح قد تحولا الى رمزين لرموز واحد ، أي أنهما على الرغم مما بينهما من تباعد في العقل والمنطق قد أصبحا ينتظمان عاطفيا في وجه شبه واحد هو البراءة . وهذا المعنى لا ينطبق عليهما في مجال الواقع ولكن التعبير بهذا الشكل يعطينا انطباعا بأنهما كذلك .

ويضرب كارلوس بوسونيو مثلا لهذه الصورة الايحائية من شعر سان خوان دي لاكروث ، بهذه الأبيات :

حبيبي هو الجبال
والوديان المنعزلة ، المليئة بالأشجار
والجزر الغريبة
والانهار الرنانة
وصفير الرياح الحبيبة ،
والليل الساكن . . . الخ

هنا نجد الشاعر يشبه حبيبه (الله) بأشياء غريبة . واذا أخذنا التشبيه الأول كمثال وهو « حبيبي مثل الجبال » ، وطبقنا عليه نظرية بوسونيو في الصورة الايحائية نجد أن المشبه « أ » (حبيبي)والمشبه به « ب » (الجبال) لا يوجد بينهما أي وجه شبه واقعي للمشابهة ، ولكن المحبوب يعطينا شعورا بالعظمة والقوة ، وهو نفس الشعور الذي يداخلنا بالنسبة للجبل ، ومن هنا تأتي المشابهة اللامعقولة بين المحبوب والجبال .

ومن هذا المثال وغيره من أشعار الصوفي الاسباني يؤكد الناقد كارلوس بوسونيو أن سان خوان دي لا كروث ممهد للحركة الرمزية ، بل انه قد سبقها بأكثر من ثلاثة قرون ، وذلك باستخدامه لوسائل فنية لا تختلف كثيرا عما كتبه شعراء الرمزية من بودلير حتى بول فاليري . ومن ثم فان سان خوان يكاد يكون شاعرا معاصرا سابقا لزمانه بعدة قرون . وهذا المعنى ركز عليه أيضا الناقد الشهير داماسو ألونصو في دراسة له عن سان خوان لا مجال للحديث عنها في هذه العجالة .

(٢) كارلوس بوسونيو « رموز في شعر سان خوان دي لا كروث » ـ دار نشر تاوروس ـ مدريد .

الشعر العربي والرمزية

وإذا طرحنا المسألة على هذا النحو بالنسبة للشعر العربي ، سنجد أن شعرنا مليء بالصور الايحائية ، التي تذهب في الاغراب أحيانا الى حد يكاد يكون أبعد مما ذهب اليه الرمزيون المحدثون أنفسهم ، مثل قول ذي الرمة :

للجن بالليل في حافاتها زجل
كما تجاوب يوم الريح عيشوم
هنا وهنا ، ومن هنا لهن بها
ذات الشمائل والايمان هيشوم
دوية ودجى ليل كأنهما
يم تراطن في حافاته الروم

ونحن نظلم أنفسنا ، ونظلم الشعر العربي اذا قلنا عن مثل هذه الأبيات إنها لا تدخل في نطاق الرمزية بالمفهوم الأوروبي لأنها غير مستوحاة من الحس الباطني ، وإنما جاءت من الاحساس الخارجي الذي يدق أحيانا فيبصر ما قد يفوت على النظر العادي . نظلم الشعر العربي لأنه من المستحيل أن نطلب من ذي الرمة أن تكون أدواته الفنية مثل أدوات بودلير وبول فيرلين ورامبو حتى نقرنه بهم . ونظلمه حين نطلب منه أن يتخطى عصره بأكثر من عشرة قرون ، ونظلمه أيضا حينما نصف شعره بأنه صادر عن إحساس خارجي ، لأن الشاعر أي شاعر اذا كان صادق الحس فانما يستبطن الالهام الداخلي المتمكن في أعماقه . كما أننا نظلم الشعر العربي ظلما بينا حين نصفه بالتخلف مقارنا بمذهب حديث هو أساسا قد أفاد من كل التراث الشعري العالمي . ولكننا عندما نعالج مثل هذه المسائل يجب أن نتسلح بأدوات النقد الغربي نفسها ، لندرسها دراسة كافية واعية ، وندرك اتجاهاتها ومغزاها حتى لا نقع في الخطأ ، فننفي عن أنفسنا ابداعات وأمجادا نحن أولى الناس بالبحث عنها وإخراجها للناس في صورة حديثة .

وقد رأينا أن الناقد الكبير كارلوس بوسونيو ، وهو من أكبر نقاد العالم المتحدث بالاسبانية ، عندما أراد أن يعالج ما في شعر سان خوان دي لاكروث من اتجاهات رمزية ، طرح المسألة على النحو المنطقي الذي يتسق مع الأصول الموضوعية والتاريخية والزمنية . اذ لا يمكن أن نطلب من سان خوان دي لاكروث أن يكون رمزيا بالمعنى الذي عرفت به فيما بعد المدرسة الرمزية ، ولكن يكفيه أنه استخدم بعض أدوات الرمزيين الفنية ، سابقا لهم في ذلك بثلاثة قرون ، ويكفي أن أشعاره تقترب من بيئة الرمزيين وتمهد لها ، ويكفي أنه في هذا الزمن البعيد الذي كانت تسود فيه اتجاهات أخرى استطاع أن يكون نسيج وحده . وهو بكل هذه الأشياء استوجب صفة الخلود في الشعر . ولذلك يقول بوسونيو : « إن أعظم ما في سان خوان دي لاكروث هو أن أشعاره تسبق عصره ، وتأتي على نفس النمط الذي ساد في عصرنا[٣] الحاضر » ، كما يقول أيضا : « إن شعر سان خوان دي لاكروث يدل ـ من جهة الصور الموجودة به ـ على تغيير جوهري ذي طابع ثوري . وهذا التغيير الذي أدخله سان خوان هو نفسه الذي حدث في الشعر بعد ثلاثة قرون على يد رواد الحركة الرمزية التي نعدها معاصرة . إذن فقد استطاع سان خوان أن يبدع شعرا يتسم باللامعقولية وسط محيط من الشعر في عصره يوصف[٤] بالعقلانية » .

ونحن نجد أمثلة كثيرة لهذه التشبيهات اللاعقلانية في الشعر العربي . انظر مثلا الى قول بشار بن برد :

وكأن رجع حديثها
قطع الرياض كسين زهرا
وكأن تحت لسانها
هاروت ينفث فيه سحرا
حوراء إن نظرت إليـ
ـك سقتك بالعينين خمرا
وتخال ما جمعت عليـ
ـه ثيابها ذهبا وعطرا
وكأنها برد الشرا
ب صفا ووافق منك فطرا

فهل نجد هنا صورة تقليدية في تشبيه رجع الحديث بقطع الرياض المكسوة بالزهر ، وهل نجد هنا وجه شبه موضوعي عقلاني بين رجع الحديث وقطع الرياض المزهرة . إن الصورة هنا هي تلك الصورة الايحائية الرمزية التي تحدث عنها كارلوس بوسونيو ، بل إنها تفوقها ايحاء وسحرا بطريقة تركيبها وبما فيها من تراسل حواس وبما يأتي بعدها من صور تحمل القارىء يعيش في عالم ساحر من صنع الالهام الخلاق . ان وجه الشبه بين رجع الحديث وقطع الرياض المزهرة لا يدرك بسهولة ، وإنما يحسه الانسان بعاطفته . إنها اذن صورة غير عقلية تفوق في

(٣) المصدر رقم ٢

(٤) اللاعقلانية الشعرية ـ دار نشر جريدوس ١٩٧٧ .

نسجها وإيحائها ما نستشفه من بيت سان خوان دي لاكروث المذكور « حبيبي هو الجبال » . وهذا المثل الذي ذكرناه لبشار إن دل فإنما يدل على عظمة شعرنا العربي الذي لا يحتاج إلا إلى أن نستخرج ما فيه من كنوز ونعرضها على العالم بأدواته النقدية الحديثة . ويمكن للقارىء أن يجد في قراءاته لشعرنا العربي القديم أمثلة تفوق الحصر من هذا القبيل .

نظرية خوان رامون خمينيث حول أصول الرمزية

ومن العجيب أن شاعرا اسبانيا كبيرا هو خوان رامون خمينيث هو الذي وجه الأنظار الى ما في الشعر العربي من خصائص رمزية ، ولكن لم يتابع أي واحد من النقاد الاسبان خطا خوان رامون في هذا الطرح أو يحاول دراسته ، لأسباب كثيرة من بينها ضراوة صعوبة اللغة العربية ، ولأن الموضوع في حد ذاته لا يهمهم بالدرجة الأولى .

ولعلها اذا درست بجد تؤدي الى إحداث انقلاب في النظريات الشعرية السائدة في أوروبا . وليس هذا بمستغرب ، وهناك سابقة في مثل ذلك : لقد أحدثت دراسات المستعرب الشهير إميليو جارثيا جوميث (ولد عام ١٩٠٥ وما زال حيا) حول ابن قزمان والزجل الاندلسي والموشحات انقلابا في نظرية أصول الشعر الغنائي الأوروبي . فبعد أن كان الأوروبيون يرجعون أصول هذا الشعر الى الشعر البروفنسالي أو الجاليسي - البرتغالي GALLEGO - PORTUGUES أصبحوا يبحثون الآن عن أصول أقدم ، تعود الى أزجال ابن قزمان والموشحات الأندلسية .

وعندما تطرح مسألة كهذه من شاعر كبير مثل خوان رامون خمينيث يكون لها أهمية قصوى للأسباب التالية : أولا لأنها صادرة من شاعر عملاق معترف به عالميا ، ويعد أبا للشعر الحديث في اسبانيا ، كما انه حاصل على جائزة نوبل في الآداب عام ١٩٥٦ . وللتعريف الموجز بهذا الشاعر نقول إنه ولد عام ١٨٨١ في قرية موجير بمنطقة الأندلس (المنطقة الجنوبية من اسبانيا) وتوفي عام ١٩٥٨ في بويرتوريكو . وله دواوين كثيرة من أهمها « يوميات شاعر حديث الزواج » ، كما اشتهر بمرثيته التي عنوانها « حماري وانا » ، وهي مترجمة لكل اللغات ومن بينها اللغة العربية ، كما كتب عنه الأستاذ عباس العقاد كتاب « شاعر أندلسي وجائزة عالمية » ، وإن اتسمت دراسته عنه بطابع تعميمي . ثانيا لأن الموضوع في حد ذاته ينطوي على أهمية كبيرة ، لأنه يدخل في نطاق البحث عن الأصول ، التي يوليها الأوروبيون أهمية عظمى . وثالثا لأن الاسبان أنفسهم ، بعد أن زايلهم أو كاد يزايلهم الحرج في ذكر ما للعرب من مآثر وأياد على ثقافتهم ، أصبحوا يهتمون بهذه الموضوعات التي تؤكد سبقهم للأوروبيين في تأصيل كثير من الاتجاهات الأدبية والفنية .

يرى خوان رامون خمينيث أن أصول الرمزية تعود الى الشعر الصوفي الاسباني ، بالأخص شعر سان خوان دي لاكروث ، ومن قبله الى الشعر العربي - الاندلسي . وسوف أكتفي ببسط بعض أقوال الشاعر الكبير في هذا الموضوع ، لأنها لوضوحها ودقتها لاتحتاج الى تعليق .

وبحسبنا أن نطرح هذه النظرية كمشروع لعمل طموح ، نرجو أن يتيسر له من الباحثين من يدرس جوانبه المختلفة دراسة أكاديمية موضوعية .

اصل الرمزية

يقول خوان رامون في خطاب بعث به الى الشاعر لويس ثيرنودا : « اذا كانت الرمزية موجودة في أعمالي الحالية ، وأعمالي السابقة أيضا فهذا شيء طبيعي ، لأني أندلسي . أليس الشعر العربي - الاندلسي مشابها للرمزية الفرنسية ؟ فضلا عن تأثيرات المتصوفة الاسبان على الشعراء الغنائيين الامريكيين (الن بو) ، والانجليز (براوننج) والالمان (هولدرلين) ، كما كثرت مظاهر تأثيرهم على الرمزية الفرنسية »(٥) .

وقال خوان رامون في محاضراته التي القاها في آخر حياته في بويرتوريكو عن الحركة الحديثة المودرنيزم : « ان الرمزية الاسبانية لها في أسبانيا سابقة أخرى هي « الشعر العربي - الاندلسي » .

ففي القرنين الثاني عشر والثالث عشر كانت النساء تقوم بالتدريس في جامعات قرطبة واشبيلية وغرناطة ثم حدث انهيار كبير . ولكن سان خوان دي لاكروث ، ومن بعده بيكر (شاعر اشبيلي من القرن التاسع عشر) والرمزية الفرنسية . هؤلاء هم الذين يشكلون حاليا ما يسمى بالرمزية الاسبانية »(٦) .

وفي محادثاته مع الناقد ريكاردوجيون ، التي صدرت

---

(٥) خوان رامون خمينيث - الموديرنزم - مدريد ١٩٦٢

(٦) نفس المصدر .

بعد موت خمينيث في كتاب ، نجد الشاعر لا يمل من تكرار هذا الرأي . فهو يخاطب جيون قائلا : « لقد قرأت سان خوان دي لاكروث وأنا طفل . انه رمزي مثل بيكر ، انهما حالتان تشبهان حالة بول فيرلين . الشعراء العرب الاندلسيون أيضا رمزيون ، كما يمكن أن ترى في المختارات التي ترجمها جارثيا جوميث . ان بها أشعارا لشاعر من اقليم ويليه **Huelva** (أحد أقاليم الاندلس) لا يحضرني اسمه الآن ، هي رمزية بكل معنى الكلمة . وقد قرأت وأنا طفل ، في بيتي بموجير بعض النماذج من الشعر العربي ـ الاندلسي في الترجمات النثرية التي كانت موجودة في ذلك الحين[٧] » .

ويقول خوان رامون في موضع آخر من هذه المحادثات : « ان الصوفية الموجودة عند الرمزيين مأخوذة عن متصوفينا ، وعن الشعر العربي ـ الاندلسي . فقد اثر المتصوفة الأسبان على الرمزيين مثلما اثر عليهم الن بو وفاجنر وموسيقا فاجنر . لقد كان شعر سان خوان دي لاكروث منتشرا في فرنسا بفضل المخطوطات التي اخذت عن ترجمة راهب سوليسم ، وذلك من قبل ان ياخذ طريقه الى المطبعة في اسبانيا . وقد تحدث بول فاليري بشيء عن هذه الترجمة ، وان كنت لا اذكر الآن نص كلامه »[٨] .

وفي محاضرة له عن « الشعر المنغلق والشعر المتفتح » يقول خوان رامون : « ما الذي يدفعني للبحث عن تأثيرات ايطالية . ولديّ هذا الكنز الذي لم يكد يمسه احد من شعر العرب الاندلسيين في قرطبة واشبيلية وغرناطة ، الذين تجمع بين عصورهم وعصورنا التالية روابط قوية ؟ ولعلي اذ قمت بملامسة هذا الكنز استطعت ان احقق الرمزية في اشعاري ، وذلك لأن افضل ما في الرمزية يعود الى الجانب الأسباني الذي يأتي من شعر العرب والمتصوفة ، ويمكن لاي قاريء التحقق من ذلك . اي ان الرمزية اذا كانت متصلة بألمانيا عن طريق الموسيقا ، وبانجلترا عن طريق الشعر الغنائي كما يقال ، فهي متصلة اكثر باسبانيا عن طريق سان خوان دي لاكروث »[٩] .

ثم يعود خوان رامون في نفس المحاضرة لهذا الموضوع ، فيقول : « وهكذا فان رمزية جيلي لا يمكن ان يقال عنها انها كانت غريبة علينا مثل التأثيرات الايطالية على بوسكان وجارثيلاسو (شاعران من عصر النهضة تأثرا بالشعر الايطالي واحدثا تحولا في الشعر الأسباني في القرن السادس عشر) ، لأنه بالرغم من ان اسبانيا كانت تابعة لروما لفترة طويلة ، فان اكثر الاشياء تعبيرا عن الروح الاسبانية في الشعر والموسيقا والفن بصفة عامة تأتي ـ على ما اعتقد ـ من الجانب القوطي والجانب الشرقي ، هذا فضلا عن ان اسبانيا قد فرضت على روما طابعها الخاص ، ومن ثم فان ما يبدو لنا رومانيا لعله كان يبدو للرومانيين في سالف الزمن اسبانيا . ان الشعر الأسباني الحديث اقرب الى شعراء الخلافة في قرطبة مثلا منه الى اي اتجاه سابق ، بل انه اقرب الى هؤلاء (اي الى شعراء الخلافة) منه الى شعر افضل الشعراء الأسبان في العصر الوسيط المتأخر » .

هل نبدأ ؟

هذا هو رأي الشاعر الكبير خوان رامون خمينيث . ونحن نطرحه على ساحة البحث ، فلعله يوجه الانظار نحو طرح افكار ومناهج نقدية جديدة تستطيع دراسة شعرنا القديم بمنظورات حديثة ، فيها من الاصالة النقدية والدرس الجاد ما يمهد الطريق لفتح الآفاق العالمية امام شعرنا العملاق . ولا يكفي ان تطرح المسألة على النحو الذي رأيناه في بداية هذا المقال ، او نجتهد في البحث عن تأثيرات الرمزية الفرنسية على شعرنا الحديث والمعاصر ، كما فعل كثير من الدارسين مما لا يتسع المجال لذكرهم ، لأن طرح القضية على هذا النحو معناه اننا نجعل من الرمزية الاوروبية الحديثة نقطة الانطلاق في تقيم الاعمال الشعرية القديم منها والحديث ، فاذا اتفق معها ما لدينا من تراث شعري قديم رفعناه الى السماء ، والا نزلنا به الى الارض ، واهلنا عليه التراب ، او قلنا ، في اكثر احكامنا اعتدالا ، ان شعرنا القديم لم يعرف الرمزية بمفهومها الحديث . مع ان اصول البحث الموضوعي تقتضي ـ كما ذكرنا ـ ان تطرح المسألة على نحو آخر تماما ، وهو ما يفعله الغربيون انفسهم في طرحهم لمثل هذه المسائل . □□

(٧) ريكاردوجيون ـ مدريد ١٩٥٨ ـ محادثات مع خوان رامون خمينيث

(٨) المصدر السابق .

(٩) العمل الممتع ـ خوان رامون خمينيث ١٩٦١ طبعة أجيلار

إلتقى الرجل أحفاده

بقلم : محمد خليفة التونسي

□ في هذا العنوان كلمتان تستوقفان نظر الباحث اللغوي هما : « ألتقى » فعلا متعديا ، و « أحفاد » جمع تكسير .

بعض المتشددين يتنكر للكلمتين : احداهما أو كلتيهما ، وينكر فصاحتها ، ويتوهم أنها لحن ، وسبب انكار إحداهما يختلف عن سبب إنكار الأخرى ، كما سترى فيما يلي :

أحفاد

بمراجعة معاجمنا حتى المطولة لا تجد فيها الكلمة « أحفاد » ومن هنا يتنكر المتشددون لها ، فهم يرون أن كل كلمة لم ترد في المعاجم لا تعد فصيحة ، وأن المعاجم حوت كل ما سمع عن الأسلاف الذين يحتج بكلامهم (إلا النادر) ، فيقفون عندها ولذلك يسمون « السماعيين » وهذه طريقتهم في التفرقة بين الفصيح وغير الفصيح .

ولسنا ـ بحمد الله ـ من هؤلاء السماعيين ، فللتوسع النظر ، حتى لا نحجر واسعا في اللغة ، فإن لاثبات عروبة الكلمة أو فصاحتها سبلا أخرى غير المعاجم .

واذا رجعنا الى مأثوراتنا نجد في دعاء القنوت الذي نردده في صلاة الفجر ونحن نناجي الله « واليك نسعى ونحفد » أي نبادر بطاعتك .

ونجد الفعل : حفد ـ كضرب ـ يَحْفِدُ حَفْدًا وَحَفَدَانًا ، وكذلك حُفُودًا ، ونجد المزيد : احتفد يحتفد احتفادا ، بمعنى الخفة والسرعة في الخدمة والعمل ، وكذلك أحفده حمله على الاسراع .

ومن هنا أطلقت صفة « الحافد » و « الحفيد » على كل واحد من الخدم والأعوان ، أيا كان نوع الخدمة أو العون ، وأيا كانت الصلة بين المعين والمعان ، كما أطلق الجمع على الأولاد ، وأولاد الأولاد ، وقد يخصص بالبنات لأنهن خدم الأبوين في البيت ، كما أطلق على الأصهار والأختان ، وآخر ما انتهى اليه الجمع في تنقلاته التاريخية من حيث الدلالة أو المعنى هو : أولاد الأولاد .

والمفرد حَافِد ، وجمعه « حَفَدَة » كما جاء في سورة النحل « وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة » ونظيره : ساحر وسحرة ، وعابد وعبدة وحافظ وحفظة .

وكذلك يقال : حافد وَحَفَدٌ ، ونظيره خادم وخدم ، حارس وحرس ، عابد وعُبُدٌ ، كما في قوله تعالى « وعبد الطاغوت » أي عباده .

كذلك يقال « حافد وحُفَّاد » مثل خادم وخُدَّام ، حارس وحُرَّاس ، عابد وعُبَّاد ، وتأتي المبالغة من حفد على حَفَّاد ، مثل : خَدَّام ، نَفَّاع ، ضَرَّار ، وهناك حفيد ، مثل : نصير ، شهيد ، فهيم،والجمع حفداء ، مثل : نصراء وشهداء وفهماء

فاذا نظرنا الى كلمة « أحفاد » جمع تكسير

وجدنا أولا أنها عربية الجذر « ح ف د » كما ذكرنا هنا قبل .

ووجدنا ثانيا أنها الآن أعرف عندنا في الكتابة والحديث ، وأشيع استعمالا من جموع التكسير الأربعة الفصيحة المذكورة آنفا .

ووجدنا ثالثا نظائر كثيرة للجمع « أحفاد » ، سواء قلنا إن مفرده « حافد » أو « حفيد » ، فمثل « حافد وأحفاد » وزنا : يافع وأيفاع ، ماجد وأمجاد ، واحد وآحاد ، جاهل وأجهال ، شاهد وأشهاد ، ياسر[1] وأيسار ، صاحب وأصحاب ، ناصر وأنصار .

ومثل : « حفيد وأحفاد » : يتيم وأيتام ، شهيد وأشهاد ، أصيل وآصال ، يمين وأيمان ، شريف وأشراف ، مشيج (خليط) وأمشاج[2] ، رعيل وأرعال ، سَنِيّ (رفيع) وأسناء، جليد وأجلاد ، مليح وأملاح .

ووجدنا رابعا ما يسمى عندنا باب المزاوجة ، وتكون بين كلمتين متقابلتين معنى ، مثل « الغَدايا والعَشايا » ، هكذا تقال كلمة « الغَدايا » ، لتزاوج « العَشايا » ، وعَشايا جمع عَشيّة ، لأن « فعائل » جمع تكسير مطّرد في جمع فعيلة ، ولكن « غدايا » جمع غدوة ، ومثل غدوة لا يجمع على غدايا ، بل على غَدَوات ، ولولا المزاوجة ما تساهلوا في جمعها على غَدايا .

واذا نظرنا في ضوء المزاوجة لكلمة « أحفاد » وجدنا أنها تقابل « الأجداد » ، وتساير كلمات أخرى تتصل بالأرحام ، مثل الآباء والأبناء ثم الأخاء وهناك الأزواج والأختان والأصهار في نطاق الأسرة وأحفاد كأسباط وزنا ومعنى .

وهناك خامسا جمع الجمع ، فاذا كان لدينا جمع تكسير وأردنا أن نجمعه جمع تكسير مثلا نظرنا الى ما يوازنه من المفردات فكلمة « أكَم » مثلا جمع « أكَمَة » وجمع « أكَم » هو « آكام » ، لأن المفرد اذا كان على وزن « أكَم » مثل « سبب » جمعناه على « أسباب » وكذلك « ولد وأولاد » وعلى هذا الوزن « حَفَد » فلا عجب أن يجمع على أحفاد وان كنا لا نرى أن كل جمع تكسير يجمع على هذه الطريقة .

فما أحرانا إذن أن نرحب بالجمع « أحفاد » ونسجله في معاجمنا ، مع حَفَد وحَفَدة وحفداء .

التقيته

أما الفعل « التقيته » فينكر لأنه غير شائع الاستعمال فيما نعهد .

ومنذ نحو عشر سنوات بدأت ألاحظه يتردد على أقلام الصحفيين ، ولم أطالعه في كتابة أديب قبل ذلك ، ولعل هذا أو نحوه هو الذي دعا بعض المحققين - ومنهم علماء - أن يبادروا بإنكاره عند سماعه لأول وهلة ، وأذكر أني لم أطمئن اليه حين فوجئت به بدءًا في صحيفة ، وكان آخر من رأيتهم ينكرونه أستاذا في اللغة من دكاترتنا الناجين ، وكان ذلك قبل سنة خلال محاضرة في رابطة الأدباء بالكويت ، وبعد انصرافنا همست في أذنه مداعبا: كيف تنكر الفعل « التقيته » وقد بلغ من شيوعه أن الشحاذين عندنا يستعملونه في هذا السجع هكذا « من قدم شيء بيداه ، التقاه ، عند الله » وكذلك احتفظت به بعض لهجاتنا العامية ، ثم قلت له : إن الفعل ورد هكذا في « أساس البلاغة » للزمخشري ، والقاموس ، والتاج واللسان والمخصص ، وقد استشهد له الزمخشري بالبيت :

لما التقيت عُمَيْرًا في كتيبته
عاينت كأس المنايا بيننا بددا

واذا كان الغالب على صيغة « افتعل » أن يكون فعلا لازما ، فإن كثيرا من الأفعال على هذا الوزن قد جاء متعديا ، مثل : اجتباه ، استباه ، اصطفاه ، اقتضاه ، اتتواه ، افتراه ، اعتراه ، اجتذبه ، اقترحه ، انتهره ، اعتزله . □□

(1) الياسر : من يقسم الذبيحة في لعب الميسر ، وهو القمار عند العرب .

(2) في القرآن الكريم في الكلام على الانسان « إنا خلقناه من نطفة أمشاج » .

حوار مع عالم الطب والمفكر الأمريكي :

جوناس سولك

مكتشف مصل شلل الأطفال

أجرى الحوار بيتر ستولر **Peter Stoler** المحرر بجريدة التايم (١)

ترجمة : يوسف ميخائيل أسعد

□ لعل جوناس سولك (٦٨ سنة) هو الشخصية الرائدة في مجال الطب الذي تحول في السنوات الأخيرة بفكره الى مجالات الأخلاق والابداع وتحديد النسل ، وتأثير العلم في الشئون الانسانية . وهو في هذا اللقاء يتحدث من مكانه القصي فوق ربوة على شواطىء المحيط الهادى عن التطور المستمر للبشرية .

لو أن جوناس ادوارد سولك لم يكن قد أنجز شيئا آخر سوى استحداثه لمصل شلل الأطفال ، لأول مرة عام ١٩٥٤ ، لكان ذلك كافيا وحده لدعم مكانته في معارج الابطال ، في المجالين الطبي والعلمي . بيد أن عمله منذ ذلك التاريخ قد أظهر أن سولك ـ واهتماماته ـ قد ضربت في الآفاق ، وصارت له صفة الشمول . ذلك أن انشاءه وادارته للمعهد الذي يحمل اسمه ، قد قدم مثالا يجب أن يحتذى لتوفير فرص الابداع ، بينما ترسخ كتبه قدمه كمفكر وفيلسوف متمتع بكل من الأصالة والبصيرة .

ولد سولك في نيويورك عام ١٩١٤ ثم حصل على مؤهله في الطب من كلية الطب بجامعة نيويورك في عام ١٩٣٩ . وقضى الأربعينيات بمدرسة الصحة العامة بجامعة ميتشجان وبمدرسة الطب بجامعة بتسبرج . وفي عام ١٩٦٣ ترك شرقي أمريكا متجها الى لاجولا **Lagolla** ، وهي ضاحية رائعة في سانديagو بولاية كاليفورنيا لكي ينشيء هناك معهد سولك للدراسات البيولوجية .

ويعكس هذا المعهد نظرته الكاملة الى العالم ، وقد اقتنع بأن علم الأحياء الدقيق الذي

(1) Psychology To-Day , March 1983

جوناس سولك

مايزال في مراحله الأولى ، انما يوفر أفضل فرصة لفهم كيف تبدأ الأمراض وتنتشر . ولقد أشاع سولك هذه الفلسفة في نفوس أربعمائة من العلماء والتقنيين الذين يعملون بالمعهد ، كما أشاع لديهم بعضا من توطيد العزم الذي ساعده على اكتشافه لمصل شلل الأطفال . وبعد أن ظل سولك عاكفا على دراسة تأثير العلم في الشئون الانسانية ، فقد اكتشف منذ عشرين عاما أن قدرة الانسان على فهم ومعالجة مادة تطوره ذاتها ، انما تجعله في موضع المؤلف لسطور تطوره الذاتي ، ومن ثم فانه أثار العديد من التساؤلات .

من ذلك مثلا ، الى أي حد تؤثر العناية بمستوى صحي أفضل للناس في مقومات الانسان الوراثية ؟ وكيف يجب أن يستفيد العلم مما يقوم بالكشف عنه من معرفة جديدة ؟ وما الكيفية التي سوف يتطور الانسان وفقها ، والكيفية التي يجب أن يتم بها ذلك التطور ؟

واقع جديد

ولقد تصدى سولك لأسئلة كهذه بشكل مباشر ، وكان يصل في بعض الأحيان الى حد يجعل بعضا من معاونيه يشكون فيما اذا كان قد تجاوز الحد ، فأخذ في درس مناطق ليس له بها سوى خبرة ضئيلة . وفي خلال العقد الأخير أخذ سولك في تناول موضوعات الأخلاق العلمية ومستقبل البشرية ، وذلك في كتابيه « الانسان يتفتح » ، « man linfolding » والبقاء للأكثر حكمة « Survival of the Wisest »

وفي عام ١٩٨١ أخذ في تفحص الموضوع المعقد الخاص بنمو السكان في دراسة تبدو مثيرة ، قام بكتابتها مع أكبر أبنائه يوناثان Gonathan تحت عنوان سكان العالم والقيم الانسانية : واقع جديد . World Population and Human Values : anew

Reality . وبعد ذلك خلال شهر مارس ١٩٨٣ ، فان سولك قام بنشر كتابه الرابع بعنوان « تشريح الواقع : اندماج الحدس والعقل **Anatomy of Reality : Merging of Lntuition & Reason** وهذا الكتاب ليس مجرد سرد ، بل هو أقرب ما يكون الى مناظرة سقراطية حول طبيعة الكون ومكان الانسان فيه ، كما أنه تفسير لدور التطور في ماضيه ومستقبله وجريا وراء سولك ، فان هذا الكتاب محاولة لتفتيق عقل القارىء وحمله على اختيار أفكاره وقيمه ، وقد كتبه سولك بالخط العادي ، كما سبق أن فعل في كتبه السابقة ، مسجلا أفكاره في سلسلة من المذكرات ، ومتبعا ذلك بتفحصها ، وحاذفا منها ما يرى ضرورة حذفه بعناية .

أما الذي أجرى الحديث التالي مع سولك فهو بيتر ستولر نائب رئيس تحرير مجلة التايم ، وقد قضى يومين في صحبة سولك وزوجته الفنانة فرانسواز جيلوت **Francoise Gilot** في بيتهما ، على سفح جبل بارتفاع ستمائة قدم عن المحيط الهادي ، وأيضا بمعهد سولك .

نظرية التطور

ستولر : بالرغم من النغمة القاتمة المتواترة للأخبار ، فانك تصف نفسك بأنك شخص متفائل . فكيف يتسنى لك الحفاظ على تفاؤلك ؟
سولك : لقد دأبت على اثارة هذا السؤال عن نفسي ، لاني أقع على نفس القتامة ، وأسمع نفس الرعد ، وأرى نفس البرق ، كما يفعل كل شخص آخر . بيد أني لا أعزو هذا الى النهاية ، بل الى البداية ، فأنا أرى أن الخطر الذي نجابهه اليوم جزء من عملية التطور ، التي أراها كآلية لاستمرار الوجود . واني لأرى أن من الممكن أن يتطور البشر الى مرحلة جديدة وذلك باستجاباتهم الشعورية للتهديدات التي تحيق باستمرار وجودهم ، وبقيامهم بعمل شيء بازاء وجودنا ، وعدم ترك ذلك بالكامل للمصادفة .
ستولر : ان بعض العلماء من أمثال ستيفن جي جولد **Stephen Jay Gould** وغيره قد أثاروا مجموعة من الأسئلة حول التطور ، وهم يتشككون فيما اذا كانت لدى دارون جميع الاجابات . فهل هذه التحديات تضعف اعتقادك في أهمية التطور أو تضعف من تفاؤلك ؟

سولك : لا ، على الاطلاق . فالأسئلة التي أثيرت تنصب على آليات التطور ، ولا تتعلق بالحقيقة الراسخة وهي ان الانواع تتطور . فليس من احد يناقش بجد فكرة التطور .
ستولر : هل تقول ان البشر يمكن ان يتحكموا في التطور ؟
سولك : ان هذا هو ما أفترضه . فأنا اعتقد ان هناك طاقة هي جزء من استجابتنا الموروثة ، تسمح لنا بالاستجابة لطرائق تمكننا من استمرار البقاء . واني اعتقد ان لدى الناس احساسا بالمسئولية تجاه استمرار نوعهم . فهناك بالتأكيد قيمة تطورية في الاستمرار ، وهذه الامكانية لابد انها ترسخت فينا ، وفي اسلافنا الذين تم انتقاؤهم على يد الطبيعة في سياق التطور .

ستولر : ألست تقدم تعريفا جديدا للتطور ؟
سولك : ليس جديدا ، بل أوسع وأرحب ، فمعظم الناس يتناولون التطور بعبارات جسمية كتفسير دارون لأصول الأنواع . وأنا أرى التطور باعتبار أنه مطمور في كل شيء ـ في المادة البشرية وفي المادة الحية ، وفي المادة الفزيائية .

ستولر : اننا جميعا نستطيع أن نتناول أمثلة للتطور البيولوجي ـ أعني بزوغ الانسان الماهر **Homo Habilis** ، أعني تطور الأمخاخ الكبيرة . فهل لك أن تقدم الينا بعض الأمثلة المتعلقة بالتطور البعد بيولوجي ؟
سولك : ان اختراع الزراعة منذ حوالي عشرة الاف عام قد يكون مثالا نوضح به التغير البعد بيولوجي . وثمة مثال آخر نسوقه هو اختراع

الطباعة واختراع الأدوات ، كتعبير عن قدرة العقل البشري ، هو مثال آخر للتغير البعد البيولوجي . ولقد أستطيع أن أدرج تطور الرياضيات والفيزياء والفنون في هذا الاطار ، وأيضا استحداث الراديو والتلفزيون وغير ذلك من وسائل الاتصال الجماهيري . ولقد أدرج أيضا استحداث الأفكار ، مثل مفهوم دارون عن التطور ، ومفهوم نيوتن عن آليات الأجرام السماوية ، ومحاولات أينشتين بازاء استحداث نظرية مجال موحدة ، لكي يربط في اطارها بين الكهرباء والمغنطيسية وغير ذلك من أفكار . فالتطور البعد بيولوجي هو أي شيء ينتهي الى احداث زيادة في الشعور البشري .

من أجل البقاء

ستولر : ألست تتحدث اذن عن نموذج للتطور يشبه النموذج اللاماركي (نسبة الى لامارك) ، وهو نموذج نجد فيه أن الخصائص المكتسبة تورث للأجيال التالية ؟

سولك : هذا هو بالضبط ما أتحدث عنه . فتفسير دارون هو أفضل تفسير للوقائع المشاهدة المتعلقة بالتطور البيولوجي . أما تفسير لامارك فيبدو أنه مناسب لما نعرفه عن التطور البعد بيولوجي . فالسمات البعد بيولوجية تكتسب ، وبعد ذلك تنتقل الى الأجيال المتعاقبة .

ستولر : ألا تعتبر مثل هذه التأملات الفلسفية خروجا جذريا تماما عن مجال البحث الطبي ؟

سولك : إنها نتاج طبيعي للبحث الطبي ، أو هي على الأقل يجب أن تكون هكذا . واني لأعود بالذاكرة عندما كنت طالب طب وقد قيل لي ان من الممكن احداث المناعة ضد الدفتيريا بواسطة الحقن ببكتريا ميتة ، وبعد ذلك مباشرة قيل لنا اننا لانستطيع أن نأخذ مناعة ضد فيروس بواسطة طعم « فيروس مقتول » وذلك لأنه لكي يكتسب أحد المرضى مناعة ، فيجب عليه أن يأخذ جسمه خبرة المرض . ولقد سألت « لماذا لايصح هذا بازاء الفيروس » ؟ فأجاب المعلمون: « لأن ذلك كذلك » . وهذه في الواقع ليست اجابة ، ومن هنا فاني حاولت أن أضع نفسي في مكان الفيروس ، ونظام المناعة ، وأن أرى كيف ينهجان ولماذا ؟ وبدأت في عمل ذلك كلما وجدت أن على أن أعرض للأشياء التي تبدو متناقضة ظاهريا . ولم يعد معقولا في نظري أن يكون الجنس البشري آخذا في اعداد نفسه للهلاك ، فالكائنات الحية لاتقوم بتحطيم نفسها ، بل تحافظ على وجودها طالما تستطيع ذلك . فلماذا يشذ الجنس البشري عن ذلك ؟

ستولر : كتب لويس توماس Lewis thomas في كتابة المسمى « حيوات خلية Lives of a Cell» قائلا ان الكائنات الحية تهدم نفسها من وقت لآخر ، وذلك بأن تزيد من تفاعلها مع العدوى ، فهل ترى بعض التناظر بين نظم مناعتنا التي يمكن أن تقتلنا عندما تضل سبيلها ، وهي تلك المؤسسات الاجتماعية والسياسية التي نحن أعضاء فيها وقد أنشأها المجتمع لحمايتنا ؟

سولك : نعم فأنا أرى أن البشرية تعاني من مجموعة من الامراض الرمزية ذاتية المناعة ، وأيضا من بعض السرطانات الرمزية . فقوات الشرطة والقوات المسلحة يمكن أن تبالغا في اتخاذ موقف الوقاية ، كما أن الأخطار التي تتأتى عن ضلالها لسبيلها يمكن أن تكون هائلة جدا . وعلى المستوى البعد بيولوجي يبدو أننا نقمع صميم الابداع والأصالة التي نحتاج اليها لاستمرار بقائنا .

العلاقة الثنائية

ستولر : انك تقول في كتابك « تشريح الواقع » ان قيام العلاقات هو أكثر الظواهر أهمية في هذا الكون .

سولك : انه كذلك . فالاحساس بقيام العلاقات يبدو رئيسيا للاحساس بالنظام .
ستولر : هل هناك أنواع مختلفة من العلاقات ؟
سولك : ان العلاقة الأساسية هي العلاقة الثنائية . فكل شيء في الطبيعة يتكون من عنصرين . فالخلية تتكون من عنصرين أساسيين تعتمد عليها في وجودها ، هما العنصر الجرثومي Genetic والعنصر الجسمي somatic وثمة علاقة مزدوجة هي تلك العلاقة التي تقوم بين الفرد وبين النوع . والنوع لايمكن أن يوجد بغير الفرد ، وجميع الأفراد هم أعضاء في نطاق النوع . ويتضمن التطور علاقة مزدوجة بين الطفرة mutation وبين الاختيار . وفي نطاق العقل البشري ثمة علاقة مزدوجة بين الحدس intuition وبين العقل Reason.

ستولر : هل أفضل العلاقات هي العلاقات التكاملية ؟

سولك : اني أرى أن من الأفضل أن نسميها بالعلاقات ذات المصلحة المتبادلة . فالكل لايمكن أن يكون في موقف متضاد مع أجزائه ، وبالمثل لا يمكن أن تكون الأجزاء في موقف مناهض للكل . وأفضل العلاقات هي تلك العلاقات التي تنمو بطريقة تراكيبة لابطريقة تضادية .

ستولر : هل تقول ان العلاقات التضادية هي علاقات سلبية بشكل رئيسي ؟

سولك : ليس على الاطلاق . فكل شيء بزغ من خلال التطور قد بزغ من خلال التحدي . ولكن التبادلية mutualism هي أيضا أساسية لوجودنا . انها تعني الافادة من كل شخص لتعزيز أفضل ما هو موجود لدى كل فرد للفائدة المتبادلة لجميع الأشخاص .

ستولر : ولكن هل التطور قد تأسس الى هذا الحد على التعاون ؟ هل الأنواع المتطورة تستجيب لضغوط التطورية بواسطة تطوير علاقات نفعية متبادلة ؟

سولك : ليس شعوريا . فمعظم الأنواع لا تستطيع أن تتطلع الى النتائج التي تتأتى عن أعمالها ، ومن ثم فانها تستجيب بردود الفعل على النحو الذي تعمله ، لأنها ببساطة كائنات حية . فهي قد اختيرت لذلك النوع من الاستجابة الآلية .
ستولر : . . . وهي تعيش وتتناسل الى أن تصير كثيرة العدد جدا بأكثر مما تتحمله بيئتها ، الأمر الذي يؤدي بنا الى أن نأخذ في اعتبارنا السكان والضغوط السكانية . فهل لنا أن نتحدث عن هذا قليلا ؟

صراع البشر

ستولر : انك لاتؤيد نظرة مالثوس التقليدية القائلة بأن الجنس البشري على وشك أن يزيح بعضه بعضا من الأرض لكي يعيش .

سولك : ليس على الاطلاق . ذلك أن النمو السكاني عندما يسير في نظام مغلق ، فانه يسير وفق منحنى على شكل حرف S . فاذا ما بدأ بعدد قليل نسبيا من الأفراد ، فانهم سوف يزدادون في عددهم الى حدود طاقة حمولة بيئتهم . فالسكان سوف ينخرطون في فترة من التزايد السريع الى أن يبدأوا في التناسل بدرجة أقل لأسباب متعددة . فاذا ما طبقنا هذا استقرائيا على النظم البشرية ، فاني أصير مقتنعا بأن ثمة عددا من العوامل ـ التلوث والضغط المتدفق بافراط على الموارد الطبيعية ـ تشكل آلية تغذية رجعية سوف تعمل بدورها على انقاص السكان الى المستوى الأمثل للبقاء . وأعتقد أن هذه الآلية تتدعم بالعوامل الوراثية .

ستولر : كيف ينطبق هذا على التطور البشري ؟
سولك : انه ينطبق بصدد التطور الشامل ، ومبدأ التطور الذي ينبغي أن نضعه نصب أعيننا وأن التطور يتخلل كل شيء . فقبل التطور البيولوجي ، كانت هناك استمرارية مسبقة

أسميها التطور القبلبيولوجي ، وقبل ذلك كان هناك تطور الكون . وهناك بعد التطور البيولوجي التطور البعد بيولوجي ، أعني تطور الشعور ، وتطور الشعور بالشعور جنبا الى جنب مع الشعور بالتطور . فالتطور آخذ طريقه في نطاق العقل الانساني حاليا كنتيجة للخبرة البشرية التي نجري عليها عمليتي الهدم والبناء والتي تصير مندمجة في قوامنا . فالفكر الانساني والابداعية الانسانية قد تطورا جميعا كاستجابة للبيئة البشرية .

الابداع ليس ترفا

ستولر : لقد سبق أن قررت أن مفتاح التطور البعد بيولوجي هو الابداعية . فكيف نقوم برعاية الابداعية ؟

سولك : اننا نستطيع الكشف عنها وتشجيعها . والشيء المهم عن الابداعية بالنسبة لنا هو أن مستقبلنا يعتمد عليها . فهي ليست ترفا .

ستولر : ما أنواع العمل الذي يمارس في المعهد لجعل الابداعية تأخذ طريقها ، ولتشجيع التطور البعد بيولوجي ؟

سولك : اننا نستخدم البيولوجيا الجزيئية والخلوية لاثارة أسئلة حول كيفية التحكم في الجسم وفي عمل الآليات التنظيمية . ونحن نثير هذه الأسئلة بصدد السرطان ونظام المناعة ، وبصدد الأمراض ذاتية المناعة ، وبصدد الهرمونات ودورها في التوتر . ونحن ندرس بنية الجهاز العصبي وتطوره ونموه في محاولة لفهم كيفية عمل المخ . ونحن نتفحص الكيفية التي يكتسب بها الناس اللغة وذلك بدراسة اكتساب الصم البكم للغة . وهناك أربعة أشخاص حاصلون على جوائز نوبل يقيمون بالمعهد ، وجميعهم يضطلعون بعمل هام . والدرسات التي تظهر أن الوهن العضلي الحاد انما هو مرض ذاتي المناعة قد تمت بالمعهد .

ستولر : إذن فما تقوله هو أن التنوع الثقافي - أو اذا آثرت تعبير التنوع البعد بيولوجي - هام لتحقيق التطور المستمر كتنوع وراثي .

سولك : هذا صحيح فالأفكار هامة كأهمية الجينات .

ستولر : في التطور البيولوجي نجد أن اختيار الأفضل ، أو الأصلح - اذا صح التعبير - انما يتم بواسطة الطبيعة ، أفلا نعلم أن النوع قد اختير بواسطة واقع وجوده ؟

سولك : ان نفس الشيء يحدث في التطور البعد بيولوجي . ولكننا في التطور البعد بيولوجي وحده نكون مشتركين في عملية الاختيار بواسطة القرارات التي نصدرها لدعم أفكار معينة . ومن المهم أن نساعد الناس أصحاب تلك الخواص العقلية التي لها قيمة عامة شاملة .

ستولر : انك في كتاب « تشريح الواقع » تقول ان التطور - أعني التطور البيولوجي بصفة خاصة - انما هو عملية تصحيح الخطأ . فهل ينهج التطور البعد بيولوجي نفس النهج ؟

سولك : هذا صحيح . فالتطور البعد بيولوجي يتضمن البقاء للأكثر حكمة . فالحكمة تصير المعيار الجديد للأصلح .

ستولر : وكيف نقوم بتعريف الحكمة ؟

سولك : الحكمة بالنسبة لي ، هي القدرة على اصدار أحكام استعادية متسمة بالافادة من الأحداث الماضية من جهة ، ومستقبلية بعيدة النظر من جهة أخرى .

ستولر : تعني القدرة على التطلع الى المستقبل ؟

سولك : على نحو ما نعم . فمعظم الكائنات الحية تستجيب للمثيرات بغير أي تفكير في النتائج المتعلقة بالمستقبل . ولكن منذ تطور الشعور ، فان الانسان استطاع أن يستشعر المستقبل ، فالشعور يستدعي وجود احساس تنبئي ، وهو لدى البعض على جانب أكبر من الدقة مما لدى الآخرين . □□

حل مسابقة العدد
(رقم ٣٠٢)

المنشورة في عدد يناير ١٩٨٤

البلدان التي تمثلها صور المسابقة هي كالتالي :

١ ـ مالي .
٢ ـ عمان ـ الاردن (فتاة في المدرج الروماني) .
٣ ـ قطر أو أية دولة من دول الخليج العربي (رجل وصقره) .
٤ ـ الصين (نفر من الشباب يغنون ويعزفون وهم جالسون) .
٥ ـ المغرب (رجل يسير في أحد الأسواق) .
٦ ـ موريتانيا (فتاة بزيها الوطني) .
٧ ـ جبل العرب ـ سوريا (فتاتان في أحد الحقول) .
٨ ـ ليبيا (مدرج روماني) .
٩ ـ بالي ـ أندونيسيا (فتاة ترقص) .
١٠ ـ أحدى قباب الأزهر ـ القاهرة .
١١ ـ أحد مساجد البهرة في الهند .
١٢ ـ السنغال (شابان واقفان بالقرب من أحد المساجد)

اسماء الفائزين بالجوائز الثلاث الاولى

الجائزة الأولى : الدكتور يس محمد جمعة قطب/ ١٢ ش الجمهورية المتفرع من شارع محطة السوق/ الاسكندرية ـ جمهورية مصر العربية .

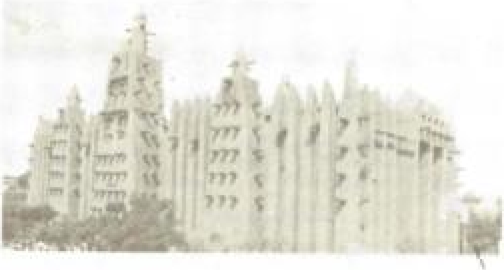
١

٢

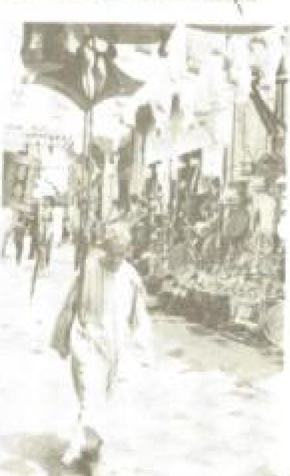

٦

٧

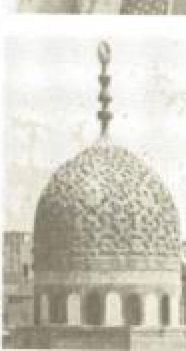
١٠

١١

الجائزة الثانية : محمد خالد فواز النظامي/ ص . ب ٦٤٨٦/ عمان/ الاردن
الجائزة الثالثة : اسماعيل يوسف/ ص . ب ١٠٥٣٣/ طرابلس/ ليبيا .

الجوائز الثمانية التشجيعية

١ ـ عبدالعزيز سلطان فهد السويعي/ مدرسة تحفيظ القرآن الكريم/ الاحساء ـ الميرز/ المملكة العربية السعودية .
٢ ـ محمد آدم عبدالله/ ص . ب ٢٧٢٩ ـ الصفاة ـ الكويت .
٣ ـ الزهور عز الدين صالح فهمي/ شركة النيل الازرق للغزل والنسيج/ ص . ب ٢٦٠ واد مدني/ جمهورية السودان الديمقراطية .
٤ ـ محسب عبدالرحيم حوده/ مركز طنطا/ محافظة سوهاج/ شارع الجامع الكبير/ جمهورية مصر العربية .
٥ ـ منذر عبدالعزيز الشمالي/ منزل ٤٠ شارع ٦٤ قطعة ٦/ كيفان/ الكويت .
٦ ـ سالم محمد عبدالله مسعود/ ص . ب ١٠٠٣٢/ صنعاء/ اليمن .
٧ ـ عبدون فاطمة الزهراء/ ٤ ش الامير عبدالقادر/ بواسماعيل/ ولاية البليدة/ الجمهورية الجزائرية .
٨ ـ اسماعيل محمد المحمود العبدالرحمن/ ص . ب ١٥٣٣٠ العين/ دولة الامارات العربية المتحدة .

٤

٣

٩

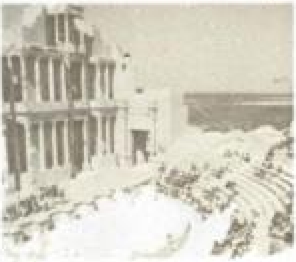
٨

١٢

الحرب الخاصة

بقلم : ابراهيم زعرور

يمكنني أن أقرر الآن ، وبيقين طافح اني مجنون كامل ! . والا ، فكيف تسلط فكرة كهذه على انسان سوى ، نصف برجوازي ، نصف مثقف الا اذا كان مجنونا كاملا ؟

ومن الجلي طبعا لدى الجميع ان العلاقة بين وجع اسناني وبين السياسة الامريكية في منطقتنا هي بالكاد موجودة . ناهيك عن ان تكون علاقة فاعلة ومؤثرة ... ولكن عندما سألتني زوجتي ذات صباح عادي الاكفهرار عن السبب المفاجيء للوجع الذي داهم اسناني - مع اني ذلك العتل اللعين الذي لا تعرف الأمراض اليه طريقا - وجدتني اعتسف اجابة تفتقر الى التروي قائلا بأنها السياسة الامريكية ! . لم اكن بالطبع اعني ما أقول .

غير اني سرعان ما احسست في اجابتي بقدر كبير من الصدق والجدية النابعة من تلقائية الرد ... ولكن زوجتي تلقت الرد بالاستهتار الملائم لمثل هذه الآراء المتطرفة التي بدأت تنزلق على لساني مؤخرا ... ووجدتني انجرف مع نوع من التحدي المفاجيء فكان من الضروري تأكيد فكرتي الطازجة هذه .

- انت إذن لا تعتقدين بالعلاقة السببية بين ...

فقاطعتني بسخريتها الخبيثة الحذرة .

- بلى .. ان العلاقة واضحة كالشمس لمن اراد ان يرى .

« اللعينة ... بدأت تستهزيء بقواي العقلية .. على كل حال ، سأذهب الى طبيب الاسنان ذات يوم وأواجهه بكل متاعبي وآرائي الشخصية » .

ولانني نصف برجوازي ، نصف مثقف ، ومجنون كامل ، فأنا انسان ثلاثي الابعاد .

أسرف في التساؤل غالبا ، وابالغ في الاستنتاجات الغبية احيانا ، ولكنني شديد الحرص على ان يظل جنوني في الحدود المأمونة دائما . غير أنني لم أعد أتهاون مطلقا في مسألة العلاقة هذه بين وجع اسناني وبين السياسة الامريكية في منطقتنا . . . وأية مهادنة في هذا الموضوع اثناء احتدام النقاش مع زوجتي ، لا تعدو كونها مناورة بارعة مني لكسب الوقت ريثما تتوافر لدي الأدلة الدامغة .

أما زوجتي التي لم تعد تعير فلسفاتي كبير اهتمام ، فقد كانت قد استسلمت منذ امد بعيد لافكاري الغبية ، ولكنها ظلت على يقظة تامة فيما يتعلق بمسألة الجنون هذه .

فوضعت في اعتبارها عامل الصدفة ، واتخذت عدتها لفورات الجنون الطارئة التي بدأت تنتابني مؤخرا ، فأخفت سكاكين المطبخ عني وابعدت الادوات الخطرة عن متناول يدي . واتخذت كافة التدابير الامنية اللازمة لحماية الأولاد مما باتت تعتقده من فورات الجنون المفاجيء .

وضبطتها ذات مرة تتهامس مع الاولاد . وفهمت بالغريزة انني موضوع تهامسهم ومؤامراتهم ووجدت ان من الحكمة ان اتجاهل هذه الوساوس والمؤامرات ، فتشاغلت عنهم متصنعا البراءة واطلقت صيوان اذني نحو تهامسهم .

كانوا يستمعون اليها بغباوتهم المعتادة وهم يسترقون النظرات ، ويقتضبون الاشارات الساخرة نحوي . وقد فشلت ايديهم الصغيرة في اخفاء ضحكاتهم الخبيثة الشامتة . كان الضحك المكتوم يتفجر من اطراف انوفهم وعيونهم وآذانهم .

وعندما احسوا الريبة في انصرافي المفضوح عنهم ، أندفعت البنت الصغيرة نحوي متهللة مستبشرة وهي تصيح

- بابا . . بابا . . هل اصبحت مجنونا حقا ؟

- لا ادري . . اسألي ماما . .

- ولكن الجيران ايضا يقولون إنك مجنون .

- اذا كان هذا ما يعتقدونه فلابد ان يكون صحيحا .

* * *

اصبح واضحا ان الصغار وأمهم قد اتخذوا قرارهم باعلاني مجنونا رسميا . وهكذا طرأ على محيط الأسرة عنصر مشوق جديد واصبح لدى الصغيرة شيء مثير تضيفه الى عوامل تفوقها على ابناء الجيران . فليس بالامر العادي أن يكون لك والد مطبق الجنون ! . ومن نافلة القول ان من يتمتع بوالد كهذا يمكن أن يوضع على قدم المساواة مع من يفتقر والده الى ابسط مقومات الجنون .

ثم تعود الصغار ان يلتفوا من حولي عندما يلتئم شمل الاسرة بعد الغداء وقد اسند كل واحد منهم ذقنه براحتيه وراحوا يحدقون في وجهي بفضول متفرس مدققين في تصرفات المجانين . وصارت عيونهم تطاردني في كل حركة وكل سكنة علهم يصطادون أيما هفوة يواجهونني بها ويعززون بها دعواهم . . الامر الذي جعلني اصبح اكثر حذرا في افعالي واكثر اقتصادا في آرائي . ولكنني لم اتخل مطلقا عن مسألة العلاقة السببية تلك . ولكن الحالة ازدادت سوءا . واشتد وجع اسناني ، واصبح مجرد شرب الماء البارد يسبب لي ألما لا يطاق . . ولكي اتجنب ملامسة الماء لجذور الاسنان كان علي ان اشربه ارتشافا . وقد ضبطني الملاعين ذات مرة متلبسا في حالة ارتشاف بيّن . فظنوها واحدة من الاعراض الدامغة . فأخذوا يتغامزون وقال اكبر الاولاد لمريديه .

- هذا بالضبط هو ما يفعله « هؤلاء » .

كانت الصفعة هي الرد الامثل على مثل هذه الملاحظة من صبي نحو والده الشرقي . . ولكنني أب ديموقراطي . أؤمن بالحوار اسلوبا لفض الخلافات . . فسألته :

ـ من هم هؤلاء الـ « هؤلاء » الذين تعنيهم ياسيدي ؟

ـ وما شأنك انت ؟! . . . سر بيني وبين اخوتي . .

ـ اذا كنت تعني المجانين فقد جانبت الصواب بانجلنا العزيز . فهؤلاء لا يشربون . .

وهنا ضج الملعون بالضحك ، وشاركته الغوغاء ، واخذوا يصفقون له ثم اعلن اللعين انتصاره قائلا :

ـ ألم اقل لكم ؟؟

وادركت بعد فوات الأوان ان عربتي قد تهورت وزل لساني بهذه الفكرة الغبية التي سيستغلونها اسوأ استغلال في اضعاف موقفي . وتخلخلت دفاعاتي الامامية فعلا فابتلعت الهزيمة مؤقتا أملا في النجاة ريثما اثبت اقدامي في مواقع جديدة . ولكن الشيطانة الصغيرة اصرت على استثمار انتصارهم المؤقت لتدمير معنوياتي . فوقفت في وجهي ووضعت يديها على جانبي رأسها وفردت اصابعها التي أخذت تتراقص كجناحي فراشة منهوكة القوى ، ودلعت لسانها الذي تناثرت حوله بقايا الطعام . . . لقد تعلمت الشيطانة أخيرا كيف يشيرون للمجانين .

أما الجيران فقد اكتفوا بالتعليقات الطائشة كلما رأوني . تعليقات من نوع « عقار امريكي جديد لمكافحة التسوس » ـ « قائد احدى الحاملات يتفقد طاقم أسنانه » . « مسئول كبير يتوقع انفراجا في أزمة ما بين الفكين » إلى غير ذلك من التعليقات الاسنانوأمريكية .

وبلغت أزمتي حدا خطيرا عندما زرت طبيب الاسنان . . فبعد فحص طويل وشاق قرر ان اسناني سليمة تماما واني لا اعاني الا من الم وهمي فقط !! وفي مثل هذه الحالة يصف لك الطبيب عادة الاقراص التي تزيد حالتك سوءا .

« ايها تصدق الآن ؟؟ ألم اسنانك ام تقرير الطبيب ؟؟ » هذا ما جاء في بيان متشف لزوجتي .

وكالعادة ايضا ، اخذ الجيران يشيدون بمهارة الطبيب وجهوده البناءة ، ويستنكرون احساسي الزائف ووجعي اللامسئول . .

غير ان الامر لم يخل من بعض المؤيدين والانصار . فبدأت الامور تأخذ طابعها الفوضوي الغوغائي المناسب . وانقسم الناس ما بين مصدق مؤيد ، وشاجب مستنكر واستمر الجدل عنيفا حول ما اسموه باحتمالية تزييف الحس .

واهملوا موضوع الألم نهائيا . . وقد خرج الليبراليون من الجيران من هذه المعركة منتصرين وقرروا عدم اهليتي الاجتماعية .

وعلى الفور ، اوقفت جميع معاملاتي مع البقالين فما دونهواعتبر في حكم الملغي كل عقد ابرمه بعد ذلك التاريخ . ثم اوكلوا للجنة خاصة مهمة حصر ممتلكاتي التي وصفها التقرير فيما بعد بانها « سقط متاع بال واشياء أخرى رثة غير ذات قيمة » .

بعد ذلك تم سحب الاعتراف بتوقيعي وتجميد كافة نشاطاتي . وهنا وقعت الواقعة . . . أعلنت العصيان على الجميع . وكانت ثورة من الجنون الجارف . . ايسحب توقيعي وانا حي !! صحيح انه قد لا يساوي في عالم الارقام شيئا ، . . ولكنه توقيعي ! خصوصيتي . . . النغمة التوافقية لايقاع روحي . . الخاصية الادبية التي تميزني عمن عداي . . . . الله اكبر !!

انه الشيء الوحيد الذي لاتطوله القوانين ولم تتناوله الفقرات التفسيرية بالتوضيح بعد . . انه حريتي الكاملة غير المنقوصة . وأي مساس به يعتبر مساسا بوجداني . .

ثم ان العلاقة بيني وبين توقيعي علاقة صميمية ومن نوع خاص .

ففي الليالي الممضة ، يكون التوقيع هو سلاتي الوحيدة . به اصرف وجع الليل

وبشكله احقق حريتي المطلقة . فاتغلب على الزمن المفجع بتكرار التوقيع على ايما ورقة بيضاء اعثر عليها . فاوقع .. ثم أوثق توقيعي بتوقيع آخر . واصادق على صحة التوقيع ثم اوقع على المصادقة واعيد التوقيع على صحة كل ما ورد اعلاه حتى تمتلىء الورقة ... بل ان لي نظرية فذة في هذا الشأن . وهي انني اصنف الانسان في خانة الحيوانات ذوات التوقيع .

ضاع صوتي هباء ولم يستطع احد ان يتفهم حقيقة مشاعر الحرية هذه ، وفسروها على انها مظهر متطرف لأعراض الجنون الحاد .

* *

اخذت اعيد حساباتي بهدوء .. ووجدت انه يتعين علي ان اقنع الناس بثلاثة امور . اولها ان اسناني توجعني حقا .. وثانيها ان السياسة الأمريكية في منطقتنا هي المسئولة عن ذلك وثالثها انني لست مجنونا .

ووجدت ان الصعوبة تكمن في طريقة التناول . فالقضايا الثلاث متداخلة بشكل يستحيل معه بحث أحداها في معزل عن القضايا الأخرى . فاستخدمت اسلوب المناورة الذي يتبعه المتفاوضون السياسيون وبدأت بقضية هامشية هي مسألة « احتمالية تزييف الاحساس » هذه . ولجأت في ذلك الى احد الاطباء النفسيين وشرحت له الموقف بتفاصيله المملة . فسألني .

ـ هل تحلم ؟؟

ـ بالطبع احلم .. كالآخرين جميعا .

ـ وبماذا تحلم ؟

ـ بشتات من الصور السريالية والكوابيس العلمانية .. بوجدانيات ، ورؤى ميتافيزيقية ... كثير ... كثير ....

ـ هل تذكر حلما محددا ؟؟

ـ اذا حاولت ان اجمع شتات احلامي ، فان الانطباع العام الذي يمكنني ان أخرج به هو أن هناك قوة كبيرة تطاردني وتحاول ان تنتزع اشيائي الفقيرة لتدفع بها نحو فقراء آخرين لتستعديهم علي ... عموما اشعر في احلامي بالعزلة والمحاصرة

ـ ألم تلاحظ تكرار صور غير عادية ؟ .

ـ جميع أحلامي ليست عادية . ولا اتذكر شيئا محددا سوى انني استيقظ في الصباح لأجد اسناني مصطكة الى درجة موجعة .

ـ هذه حالة معروفة في علم النفس . فالضغط بالاسنان يكون عادة نوعا من التعويض من جراء الاحباط المتكرر او الاحساس بالاضطهاد .. وتكرار الضغط يؤدي الى الألم المزمن في الفكين ... انها حالة معروفة لدينا ، وعلاجها ميسور ..

ـ دكتور .. ايمكن ان يكون للسياسة .... اعني هل يمكن ان يكون للاحوال السياسية ـ في ظروف خاصة ـ تأثير من نوع ما ؟؟

ـ ربما الأحوال السياسية أو الاقتصادية . أو أي عامل آخر يمكنه أن يوظف هذا النوع من التعويض بضغط الاسنان لصالح رغبة حبيسة ....

ـ ربما ...

ـ وبماذا تنصحني يا دكتور ؟؟

ـ أن تعلن حربك الخاصة على الجهة التي هي موضوع اداناتك ...

ـ وهل تسمى هذا علاجا ميسورا سامحك الله !!

ـ لا ... فهذا واحد من اساليب العلاج .. ولكن هناك بدائل أخرى اسهل بالطبع .

ـ هات هات ... طنيب عليك أنا .

ـ فقال ضاحكا

ـ انصحك بمضغ العلكة الامريكية ... فهي كفيلة بامتصاص الغضب بعد أن تنهك الفكين ، فلا تعود الاسنان قادرة على أن تصطك غضبا بعد ، . □□

حذار من تدليل طفلك

بقلم : الدكتور عبدالعلي الجسماني

□ طفلي المدلل يطلب كل شيء بالبكاء: فماذا أفعل ؟

هكذا يتساءل الآباء أو يسألون . وما دروا أن بكاء الطفل في هذه الحالة وعلى هذا النحو هو نتيجة للتدليل . وما عرف الآباء ان التدليل عواقبه التربوية وخيمة كعواقب القسوة . وكلاهما خطأ فادح بحق الطفل . وما اختلافهما في نتائجهما الا من حيث الظواهر السلوكية التي تظهر على الشخصية فيما بعد .

يغيب عن اذهان كثير من الآباء والأمهات حقائق هي في الواقع من بدهيات الحياة اليومية منها مثلا التفريق بين الحاجة والرغبة .

الرغبات ما اكثرها . فهي تمثل نوازع نفسية عند الطفل ولا تخضع عنده لأى معيار . فهو لم يتشبع بعد بقيم المجتمع والتي تبدأ من الأسرة ولم يتطبع على قواعد التحكم بجموح الذات .

الرغبات تجري مع الطفل كجريه في ساحات اللعب ، حيث لا يقف عن الجري الآ عندما يحول دونه حائل .

وفي عالمنا اليوم ما أكثر المنبهات التي تستثير عند الطفل كوامن الرغبات . والرغبة لديه قد تأتي مقرونة مع حاجة ضرورية ، ولعلها تصدر عنه تعبيرا عن تماديه في الالحاح من غير مبرر . فهو حينما يطلب مثلا لعبة شاهدها عند طفل آخر وتذكره امه أو ابوه بأنه يمتلك واحدة منها ، فأنه يعزز طلبه بالبكاء مع شيء مما يسمى بـ (التبرير الطفلي) وهو ان اللعبة التي رآها حمراء أو صفراء وانه يريد اخرى من نفس اللون الذي شاهده . ويتمادى في الصراخ .

ازاء هذا لا يجد الأبوان سبيلا الآ اسكاته بأحد امرين : الضرب وما يتبعه من زيادة في الصراخ ، أو اقتناء اللعبة له ليكف عن الصراخ والزعيق وهنا يتحسس الطفل مكانته اكثر ، ويدرك (بأحساس الطفل) أنه انتصر . وكلما تقدم به العمر وعرف حقيقة موقفه وانه مدلل ، تمادى في الطلبات الناجمة عن الرغبات والتي لا علاقة لها البتة بالحاجات الضرورية .

ويتمكن الأباء من مواجهة تربية الطفل على نحو يرتضونه عندما يميزون بين رغبات الطفل اللامتناهية وحاجاته الضرورية . فله حاجاته الجسمانية كحاجته الى الغذاء الصحي حسب العمر الذي يكون عليه ، لأن لكل عمر طعاما يناسبه ، فالرضيع مثلا يجب ان يتغذى بحليب الأم مباشرة لأسباب جمة الآ في الحالات القسرية . وحاجة الطفل الى الهواء النقي ، وحاجته الى الرداء المناسب حسب الفصول والمواسم ، وحاجته الى النوم الكافي ..... الخ .

للطفل ايضا حاجته النفسية منها مثلا ، حاجته الى الحنان ، وحاجته الى الأمان والطمأنينة ، وحاجته الى الشعور بالانتماء الى الأسرة وانه محبوب ، وحاجته الى انه يتمكن من عمل ما يطلب منه ، وحاجته الى الحرية في الحركة والتمتع بمباهج الحياة ، وحاجته الى اللعب ، وحاجته الى الارتياد والاستكشاف مدفوعا بدافع حب الاستطلاع . . . الخ .

متى ادرك الأبوان تلك الضرورات اللازمة لنموه وتطوره تمكنا من التعرف على مواطن الأخذ بيد الطفل الى مواقف الأيجاب مع الدراية ، وتجنبا الانقياد لرغباته ونزواته دونما اعتساف . وفي الحالين يعطيانه من الحنان والاعتراف بمكانته ولكن بتوجيه سديد .

المنطلق : تهذيب السلوك

وتنشأ المتاعب التي يواجهها الأباء في تربية الأبناء من التباين بين عقلية الاطفال وعقلية الراشدين ، ان نمو الطفل يحصل على مراحل متتابعة ومتداخلة ، وقد تكون متسارعة تارة ، ومتباطئة أخرى ، كل هذه تجعل من العسير على الأباء الالمام بمتطلبات كل فترة من حيث خصائصها واهتماماتها وسبل الألتفات الى دقائقها . وان نصيحة روسّو التي وجهها في حينها الى المعلمين كان احرى به ان يتوجه بها أو بمثلها الى الأباء فيخاطبهم : (تعلموا كيف تعرفون ابناءكم) . والمعرفة هنا ليس المقصود بها حقيقة المظاهر كما تبدو ، انما يراد بها حقائق التكوين النفسي والتطور الاجتماعي الملازم للنمو البيولوجي .

فمن المباديء المقررة في علم نفس الطفولة هو ان تتم دراسة تطور نفسية الطفل بالارتكاز الى اتباط نفسيته لمكونات محيطه الاجتماعي والطبيعي . فالأبوان والاخوة والاقارب هم اول من يأتي في ايصاله بحقائق المجتمع . وبيئته البيتية وما تحتويه وما يراه في الشارع وفي

البكاء ، واذا ما اقترنت العادة السلبية هذه بأحساسه بأنه مدلل فأنه لن يقلع عما اعتاده الآ بتلمس عادة تحل محل ما نريده ان يقلع عنه . وقد تطول الفترة أو تقصر . واذا ما استحكمت فأنها قد تستوجب الاستعانة بمتخصص بعلم نفس الطفل . وهكذا نرى ان عدم صبر يبدر من الابوين اول الأمر قد يجر في اعقابه سلسلة من المتاعب .

قصاص أم عقاب

يذهب كثير من الآباء في ايامنا هذه الى انهم يربون ابناءهم تربية لا يشوبها قصاص . وعندما تسألهم لماذا ، فأنهم يجيبون بدعوى التحرر من آثار الماضي . وكأن الماضي ما انطوى على فضائل ، بل امتلأ فقط بالقصاص وكأن التحرر من الماضي يعني الانفلات من التزامات التربية وتهذيب التصرف والتنشئة على القيم الأخلاقية والسلوكية المحبية اجتماعيا وان مفهومهم يرتبط بأطلاق العنان لنزعات الطفل الفجة ومنها التدليل ، دون التمييز بينه وبين التربية بالتطبيق .

وحين يسألهم المرء ماذا يعنون بالقصاص ، يجيبون على الفور انهم لا يتذكرون انهم ضربوا ابناءهم ، ويردفون انهم تحاشوا ذلك حتى لا يعقدوهم . وهنا نجد لدى التدقيق ان اولئك الآباء لم يميزوا بين تربية ابنائهم دون قصاص ، وتربيتهم لهم دون ضرب . وان هذا الطراز من الآباء ينسى بأن الطفل حينما يطلق له العنان فانه يشب على فكرة ترسخ في عقله بأن كل سلوك كان قد اتاه وقام به ويقوم به هو سلوك صحيح . وان القصاص يجب الا يقرن بالضرب الجسمي .

فلنعد الى المثال الذي ذكرناه في مستهل حديثنا هذا - مثال اللعبة المماثلة - فلو سمع الطفل كلمة

الاسواق هي اساسيات منبهاته المادية . ولما كان ادراك الطفل في سنوات حياته الاولى ، وبخاصة السنوات العشر الأولى منها تقترن بالمحسوسات اساسا ، فأن تفكيره يوحي اليه بأن ما تقع عليه عينه انما هو في متناوله ولا يرى خلاف ذلك لأن رؤيته البصرية هي بأتجاه واحد ، وهي التي تحدد له ما يرى ويشاهد . لهذا فهو يجرب مختلف السبل مع أبويه لبلوغ رغباته . بالصراخ أحيانا ، وبالغيرة اطوارا ، وبالتحبب تارة ، وبالطاعة أو العناد والتمرد في فترات أخرى .

ولكن لما كان البكاء من سمات الطفولة ، وهو بعد ، أول رد فعل يصدر عنه لحظة الولادة ، فانه بالنسبة اليه الملتجأ المناسب له . وحينما يجد الاستجابة المباشرة لبكائه هذا ، فأنه يكرره وبشكل اشد بحكم اكتساب عادة

(لا) بلهجة حاسمة تنم عن عزم وتصميم ، متبوعة بتذكير الطفل بعبارة موجزة بأنه يمتلك مثلها ولا عبرة للون ـ وان يقال له هذا بلغة مبسطة مشفوعة بتعابير وارشادات توضيحية أو كما تسميها في علم النفس (تعبيرية) فان الطفل يرتدع . واذا تكرر طلبات مماثلة فأن الخيار يترك للابوين حسب تقديرهما للضرورة وللموقف ، وبهذه يزايل الطفل اللجوء الى البكاء ، وينشأ وهو يتقبل التوجيه والنقد فيما بعد .

مبدأ التلاؤم

ان ما أسماه بياجيه بـ (مبدأ التلاؤم) انما اراد به التوازن بين التمثل والتطابق وهذا معناه ان تتدرج مع الطفل حسب نموه البيولوجي والنفسي في اكسابه معطيات بيئته . فلا يجوز ، مثلا ، التغاضي عن كل ما يرتكبه الطفل على اساس صغر سنه أو ان نبتسم له ونشجعه على اعمال لو ارتكبها طفل في العاشرة أو الحادية عشرة بل وحتى في السادسة من عمره لعاقبناه . أو ان نلبي كل مطلب له بمجرد انه صرخ ، لأن الصراخ يستتلي الصراخ وهكذا الحال .

فالتلاؤم ، من احد جوانبه ، معناه ان يستقي الطفل بالقدوة والتوجيه الواضح ، ومنذ نعومة اظفاره ، سلوكا قوامه الاشارات المعبرة والالفاظ المفهومة ، والحركات الدالة بحيث عندما يبلغ مرحلة السيطرة الارادية على الذات يكون قد تشرب وتمثل جميع التوجيهات والقيم ومظاهر السلوك . فلكل مرحلة من مراحل العمر في حياة الطفل خصائص ينبغي ان نعرفها . ولا يجدر بالآباء أن ينسوا حقيقة هي :

ان للطفل رغبات لا تنتهي ، وارادة كالريح ، لا يصدها شيء ، وانما بالتربية تتكيف وبالصبر تتهذب ، وبالتوجيه تتوافق مع المجتمع . □□

(الفنان واللوحة)

عشق الفن فكان حياته وسلواه ، ولكنه اتجه الى الطفولة في فنه ، فكانت وحيه في الكثير من أعماله التي قدمها في معارضه وفي برامجه على الشاشة الصغيرة ، وهو فنان رقيق المشاعر ، يعيش احاسيس بيئته وتراثه الشعبي ، وقد تجسد كل هذا في لوحاته التي انتقل بها ومعها الى المعارض العربية القومية والعالمية .

عرضها في الكويت ثم في القاهرة وتونس والمغرب ، وغيرها من الاقطار العربية ، ولكنه ما لبث أن خرج عن حدود أمته لينقل فنه الى بعض دول أوروبا ، فذهب الى يوغوسلافيا وأسبانيا وغيرهما .

انه الفنان محمد الشيخ عقيل الفارسي ، حصل على بكالوريوس الفنون والتربية من جامعة القاهرة ، وهو عضو باللجنة الكويتية للفنون التشكيلية بالكويت ، وعضو الرابطة الدولية . ولد في الكويت عام ١٩٤٨ ، وأقام أول معرض لأعماله في عام ١٩٧٩ وآخر معارضه كان في يناير من هذا العام . ومن هذا المعرض الأخير ، اخترنا هذه اللوحة .. وهي تمثل حمامتين بوجهين طفوليين ، وحول الوجهين الصغيرين البريئين ملابس شعبية .. انها لوحة تتعانق فيها الطفولة مع البيئة وتراثها .. الجديد في هذه اللوحة أن الفنان استعان بقشر البيض ونوع خاص من الخشب كأرضية بدلا من الالوان التي ألفناها في لوحات غيره من الفنانين .

انظر اللوحة على الغلاف الأخير

من سجلات المحاكم

لوَجه الله

بقلم : علي منصور المحامي

عصى الدمع عينيها لما انكفأت على جثمان ولدها ، وهي تحاول ان تبكيه ، بعد ان صرعته رصاصات رأتها ، ورأت من أطلقها .

كان وحيدها . . وضعته بعد ايام من رصاصات صرعت أباه ، وفي ذات المكان . وعلى خلاف ما اعتاد امثالها من الاهمال في امور الحمل والوضع ، وما كان منها يوم حملت من قبل ومات الجنين دون ان يرى النور ، على خلاف ذلك جميعا . حرصت كل الحرص على ان « تقوم بالسلامة » وأن تلد في أمان وتمنت ان يكون المولود ذكرا .

ولم يكن مبعث حرصها الشوق الى ان تصبح أما ، بعد ان ترملت ، ولا ان يكون لها انيس وهي المقطوعة من شجرة كما يطلقون على من لا اهل له ولا صاحب ، وانما كان الحرص لغاية اخرى ، ازمعتها ساعة ان رأت زوجها تنزف جراحه الى ان فارق الحياة ، ففارقت هي معنى الحياة .

اعتادت منذ زواجها برضوان ان يخرجا معا كل

صباح ، حتى تبلغ هذه البقعة المخضرة ارضها ببعض النباتات التي لا صاحب لها ولا حائز ، فتطلق فيها اغنامها ترعى على هواها ، بينما هي جالسة في ظل شجرة ، ترسل لحيحا تسميه حينا غناء وحينا حداء ، وتعابث التراب بعود من الحطب ، ترسم به خطوطا ودوائر وعلامات ، لا تدري لها معنى لا هي ولا الارتجال الذي تصدر عنه ، وان كانت كقارئة الفنجان ، تخض فيه بقية القهوة ثم تؤول الرسوم والرموز وتترجمها معاني ، ومن المعاني تبدأ في التحسب بين التفاؤل والتشاؤم .

أما رضوان . . فيتركها ليذهب الى المحلج الذي يعمل به ، والذي يقع بعيدا عن المرعى بآلاف الامتار .

وعندما تبدأ الشمس سباحتها في يم الافق مؤذنة بالغروب ، يلوح رضوان فتسعى آمنة الى اغنامها تجمعها ، ليعود الموكب كما بدأ مع رحلة الصباح .

وكان رضوان دائم الابتسام ، ولو كانت زوجته من بنات الحضر لظنت انها بسمة الفرحة بلقائها وقد عاد اليها بعد ان سلخ سحابة النهار بعيدا عنها ، ولكنها كانت من اعماق الريف ، ومن صميم تربية تميت في المرأة العاطفة ، الا ان تكون متاعا لزوجها منذ باتت مما ملكت يمينه ، حتى ان مجرد الحديث عن الحب ومشتقاته ولو بين الزوجين ، يعد من العيب الذي لا يغتفر .

على انه رغم كل هذا كانت آمنة تسعد للابتسامة على شفتي زوجها ، وتطرب لما كان اهل القرية يطلقون عليه « الوجه البشوش » .

وذات يوم رابها وراعها ان غاضت الابتسامة لما غادر رضوان المحلج وهل عليها ، وقاومت رغبتها في سؤاله عما به . حتى لا تخرج عن التقاليد التي اعتادت ، او حتى لا يحمل سؤالها على انه تدخل في شئون الرجل ، اي فيما ليس يعنيها .

وألفت آمنة كذلك من تصرف زوجها ، انها على طول السنوات التي تبعته فيها مع الأغنام وطوال الطريق من المرعى الى الدار ، لم يكن يستدير خلفه ، حتى وهو يطارحها احيانا بعض الحديث ، لذا استرعى انتباهها ان كان في ذلك اليوم يسترق النظرة الى ما وراءه بين الحين والحين .

واعتصمت بالصمت على مضض الى ان اظهرها هو على سر هذا التغيير .

فمن العاملين معه بالمحلج « كفافي » ذلك الشاب المستهتر ، الذي تسانده عصبة من اهله في استهتاره واستهانته حتى بالحياة ذاتها .

ويوم غاضت الابتسامة كان رضوان قد رأى « كفافي » وهو يخفي تحت ثيابه جلبابا جديدا خلعه احد الزملاء في العمل ، خشية ان يتسخ من زيوت الآلات وشحومها ، فتشوه جدة الجلباب ، ولما يفرح به صاحبه بعد .

رآه رضوان ولم يتكلم لكن « كفافي » لما ضبط بعد ثورة صاحب الجلباب ، ظن ان رضوان ـ وهو الوحيد الذي رآه يلص الجلباب ـ هو الذي وشى به . . . فتهدد وتوعد .

ومرت ايام كان كفافي كلما شاهد رضوان اشاح عنه بوجهه وتمتم بكلمات لم يعرفها رضوان ، ولكنه فهم من الحركات التي صاحبتها انها كلمات تهديد .

وجاء اليوم المشئوم . . ورأت آمنة « كفافي » الأب وهو يقتص لكفافي الابن ، فيطلق الرصاص على رضوان .

ورغم هذا الذي رأته آمنة رأي العين وصارت منه على يقين ، فقد حرصت طوال التحقيق على تأكيد انها فوجئت بالرصاص ينفذ الى صدر زوجها ، وانها لم تر من اطلقه ، وانها رأت شبحا يعدو ، ومع خلو المكان مما يحجب الرؤية او يعيقها ، فقد كانت فجيعتها بمصرع زوجها اقوى من ان تدرك معها شيئا يعرف بالقاتل ، واصرت على ان ليس لزوجها اعداء وانه لا توجد بينه وبين احد خصومات .

ورغما عما بذل المحقق من محاورة ، ورجال الضبط من محاولات ـ وكان تقديرهم انها لابد تعلم من الجاني خاصة عند اجراء المعاينة ، وما اظهرت من انه لا يوجد ما يختفي فيه الجاني ، او يتخذ منه ساترا ، وان من كان في موضع آمنة من القتيل ، تسير خلفه لبضعة امتار ، لابد ان يرى من اطلق ، خصوصا وقد كان مسار الاطلاق من الامام الى الخلف ، اي ان الجاني كان في مواجهة المجني عليه ، وبالتالي في مواجهة الشاهدة ، وان حالة الضوء كانت لا تزال تسمح بالرؤية المبصرة .

* * * *

وواصلت آمنة مسيرتها اليومية وحيدة مع الأغنام من الدار الى المرعى ، حتى جاءها المخاض وهي جالسة الى جذع شجرة ، تتكيء برأسها على راحتيها بعد ان القت عود الحطب جانبا .

وتجلدت ، واستعانت بالله ، ووضعت « مخلوفا » ، ورغم الآلام التي تتقدم حالة الوضع وتصاحبها وتعقبها ، فقد ابتسمت للمرة الأولى منذ غاب عنها زوجها ، وان كانت بسمة خافتة .

* * * *

وانكفأت على مخلوف ترعاه ، وما ان بلغ اول مدارج الادراك ، حتى راحت تسمعه قصة ابيه ، وتذكره بالثأر الذي نذرته له تحضه عليه ، والذي حال حرصها عليه دون ان تقرر الحقيقة في التحقيق ، واصرت على انها لم تر القاتل ولا هي تعرفه وانها لا تتهم أحدا .

وبعـد ان نفد مبلغ المكـافأة التي نقـدتها اياهـا ادارة المخلع ، راحت تبيع كل حين شيئا من الاغنام لتستعين بثمنها رغم قلته على شئون الحياة ، وكانت بدورها شئونا قليلة .

ولما بقيت لها رأس واحدة من اغنامها ، كان الحين قد حـان ، اذ اشتد سـاعـد مخلوف ، وحق عليه ان يـوفي الدين . . . ان يثأر لدم ابيه ، حتى تـستطيع آمنة ان تستحم بعد هذا العمر الطويل ، وان تتقبل العزاء ، لو ان هناك من يعزيها .

وفي الجانب الآخر كان كفافي الكبير يرقب حـركات مخلوف وسكناته منذ شب عن الطوق ، وكان بحكم دربته وما جبلته عليه البيئة ، يعرف ان مخلوفا لابد ان يثأر منه يوما ، واطلع كفـافي الصغير عـلى هـواجسه ، فكـان القرار ، ثم كان التنفيذ .

أطلق كفـافي الصغير الرصاص عـلى مخلوف فـأرداه قتيلا ، ورأت امه الواقعة ، ولكنها اتخذت من التحقيق نفس الموقف الذي اتخذته عندما سئلت في حـادث مقتل زوجها .

وكان ذلك منها غريبا . . فهي ليست حاملا ، ولا امل لها في ولد يثأر للأب والولد ، ولكن آمنة كانت تعرف ان يافعا يقيم في احد النجوع القريبة من قريتها ، وانه ممن لاتخطيء رصاصاتهم الهدف وانـه يحترف القتـل حيث يستأجره الناس لذلك .

لذا كان التحقيق يدور في واد ، وكل تفكيرها مأخوذ الى واد آخر . . كيف تلقى هذا اليـافع ، وكم تعطيـه اجرا ، ومن اين لها بهذا الذي تعطيه ؟

وجرت من النيابة ومن رجال الضبط نفس المحاورات والمحاولات دون جدوى . . واقفـل التحقيق كما اقفـل سـابقه ، وقيـد مثله كـذلـك . . . ضد مجهـول لعـدم معرفة الفاعل .

● ● ● ●

وخرجت آمنة تستعجل الايام بعد ان وهن العظم منها واشتعل الرأس شيبا ، خشية ان يدركها الأجل قبل ان تروي غليلها ودون ان تثأر لدم زوجها ودم ولدها ، بل ولدم الأيام التي عاشتها حطاما . . . عز عليها كل شيء حتى الدمع ، ولم يبق سوى عزاء واحد . . الثأر .

وفي حنو قاتل . . سحبت العنزة الباقية لها من الدنيا الى سوق القرية تعرضها للبيع ، واسترعى ذلك نـظر احد المخبرين (الشرطة السـريين) الذي كان يكلف اسبوعيا يوم عقد السوق ، بأن يراقب الرواد ليـرصد تصـرفات المشبوهين منهم ، ويضبط مـا قـد يعـرض للبيع من المسروقات . . خاصة المواشي .

وكـان المخبر يعرف آمنة من ايـام التحقيق الأخير ، وعجب لما رآها تبيع العنزة الوحيدة الباقية لها ، وسألها عن السبب . . فأشاحت عنه ، فلما كرر في رفق سؤاله اجابت بانها لم تعد تقوى على الرعي .

ولم تتح له فرصة سؤال آخر ، واستدارت وقد اطبقت يدها على ثمن العنزة .

ومن السـوق توجهت الى كوخ اليافع ، فلقيها هاشا ، وحنا على ضعفها ، واتصل بينهما الحديث وكان يخاطبها يا أمي . . وكان الخطاب يحرك في صدرها الشيء الكثير . . حنين لابن وحنين لزوج . . وذكرى لطلقات ودماء . . ولايام تصبر وتشرد . .

وسألت آمنة اليافع ان يقتل لها « كفافي » الكبير ، ولقي الطلب صدى في نفسه ، فقد كان كفافي متكبرا ، وكان اليافع لا يحب المتكبرين .

ووافق على المبدأ وسألها عن الأجر ، فأخرجت من صدرها صرة طوتها على ثمن بيع العنزة ، ودست كـل الثمن في يده ، فقلبه اليافع وابتسم في سخرية وقال . .

ـ والله رخصت يـا صـائب . . ولا الـدم الـذي رخص . . . ودم من . . . كفافي الكبير . . . ماذا دهاك يا أمي . . ؟

ــ يا ولدي . .

ولم تـطاوعهـا الكلمـات ، وانمـا انهمرت دموعهـا المتجمـدة ، وللمرة الأولى منـذ زمن بعيد ، وكفكف صائب دموعها وطيب خاطرها وراح يستمع لقصتها لتهز اعماقه ببعض ما رددت ، ولم يعتد قبل ذلك ان اهتزت هذه الاعماق .

روت قصة زوجها ومصرعه امام عينيها ، وهي لاتملك الا ان تبقى على سر القاتل حتى يثأر منه الحمل المستكن ، وروت قصة الحمل يوم وضعته وكان ولدا ، وكيف ربته وهي ترصده للثأر حتى راح دمه يسأل الثأر . .

ومع الدموع التي انهمرت . . كان من حديثها اليه . .

لم اعرف الا اليوم قيمة الابن . . . ولم يعد لي ابن . . الابن الذي يرضى دم ابيه في قبره لما يثأر له فيهدأ ذلـك الدم . . . ويرأب جرح أم بعد ان ظلت الايام تنكؤه كلما مر صباح والغريم على قيد الحياة .

ويا حسرتي . . لما وجدت من يقوم مقام الابن لم اجد المال . . تجردت من آخر ما املك وكل ما املك ، العنزة الوحيدة التي بقيت من قطيع ذهب قبلها ، ولكن في سبيل اعداد الابن . .

ولم يصرخ صائب ولكنه اوشك . . . ثم راجع نفسه فالعجوز لا تحتمل صراخا ، وراح الى حجرها في شوق

المحروم وناداها . . يا امي . . وكان نداء لم يشعر بحلاوته قبل اليوم ، وحرمت آمنة ترديده على مسمعيها منذ فقدت مخلوفا ، وقال صائب في عمق عجيب . .

ـ انا سأثأر لك من كفافي الكبير . . قولوا له فليتشهد على روحه . . سأقتله . . لوجه الله . ومد الى آمنة يده يرد لها الجنيهات القليلة . . ثمن بيع العنزة . . وراح يتحسس بندقيته ، يقلبها بين يديه في اعجاب ثم قبلها وهو يقول . .

ـ قبل ان ينقضي اليوم سيأتيك خبره . .

لا . . بل ربما خبره وخبر ولده . . كفافي الكبير وكفافي الصغير لو ساعدني الحظ واجتمعا . . في نفس المكان . . نعم نفس المكان الذي قتل فيه زوجك رضوان . . وابنك مخلوف .

● ● ● ●

وفي نفس المكان . . . صادف ان كان « الكفافيان » الكبير والصغير يسيران جنبا الى جنب في سبيلهما الى دارهما ، ودوت رصاصتان نفذت كل واحدة في قلب كل واحد منهما . . وسقطا قتيلين . وبدأ التحقيق . .

وحار المحققون فليس هناك خيط يقود للحقيقة ، ولا بصيص من نور يلقي ضوءا على بداية الطريق . . . فلا شاهد ولا اثر ، ولا شبهة .

واحتار رجال الضبط . . وثارت امامهم علامات ولكن هل يمكن الربط بينها ، في هذا المكان قتل اربعة في ثلاث حوادث . صحيح ان هناك فوارق زمنية بين الحوادث الثلاث ، ولكن لا يشرف رجال الضبط ان تنتهي هذه الحوادث جميعا الى عدم معرفة الفاعل فالقيد ضد مجهول .

ودفعت الحيرة برجال الضبط الى كل ظن . . ولكن احدا منهم لم يتجه ظنه الى آمنة ولا الى صائب الا واحدا لم يكن على قدر بقية الرجال ، فهم ضباط عظام وهو مجرد مخبر .

وبدأ المخبر تفكيره بالحادث الذي عاصره . . . مقتل مخلوف بن آمنة ، ثم تصرفها يوم السوق السابق على وقوع الحادث الأخير وبيعها العنزة الباقية لها من الحياة ، ودون سبب يمكن ان يتصوره ، ثم نفورها من الحديث معه يومئذ وتعليل اقدامها على البيع بعلة غير سائغة .

بدأ المخبر تفكيره بهذا ثم انتهى به . . فهي تصرفات مريبة ولكن ما الصلة بينها وبعضها ؟ والأهم من ذلك ما الصلة بينها جميعا وبين قتل كفافي الكبير وكفافي الصغير ؟ . .

ولما اوشك ان ينصرف عن التفكير الحت عليه خواطر اخرى اوصله اليها بحثه ، فقد وصل الى ان آمنة بعد قتل الكفافيين انتهزت ظلام الليل واستحمت في مياه الترعة ، ولم يعرف عنها انها استحمت كذلك من قبل ، بل ولا أنها استحمت منذ مقتل زوجها .

ووصل الى أنها زارت قبر زوجها وابنها زيارة طارئة في غير مناسبة من المناسبات التي يذكر فيها الاحياء الاموات فيقصدون قبورهم .

وحمل نفسه اليها وقدم لها العزاء فتقبلته .

وهنا ايقن انه قد تم لها الثأر لدم زوجها وابنها . او لدم الاخير منهما على الاقل ، ولذا ـ واخذا بتقاليد الثأر ـ حل لها ما لا يحل لامثالها الا بعد الأخذ بالثأر ، ومن ذلك الاستحمام وتقبل العزاء . . . ولكن ما علاقة هذا بكفافي الكبير او الصغير ؟ بل ما علاقته بأي معلوم من الناس وهي التي لم تر قاتل زوجها ولا قاتل ابنها ، فلا تعرف اذن المطلوب بالثأر ؟.

وكيف يتفق ان يقتل هذا في نفس مكان مقتل زوجها وولدها . . أهي المصادفة البحتة . . أم صار المكان ساحة للقتل الذي يقيد ضد مجهول لعدم معرفة الفاعل .

وحتى ان وجد الاجابة على كل هذه التساؤلات ، فهناك استحالة ان تقوى آمنة على القتل . . أي قتل .

وبينما هو في تصوراته استدعاه ضابط المباحث وكلفه ببعض المهام المتعلقة بالتحريات المطلوبة عن القتيلين . . كفافي الكبير وكفافي الصغير ، حتى يستطيع ان يكمل محضر تحريات المباحث الذي طلبته النيابة العامة لتتصرف في التحقيق . . وطبعا بالقيد ضد مجهول .

وانتهز المخبر الفرصة وشحذ جرأته وصارح الضابط بخواطره . . بتخيلاته على عيبها كما قال . وسرح الضابط قليلا ثم ربت على كتفه وهو يقول له . . . المهم ان يكون هناك سبب يدعوها لقتل الرجلين . . أما كيف تقتل فبتحريض الغير على القتل . . ولكن ان صح هذا . . من يكون الغير ، وما هو الثمن . . انها لا تملك سوى ثمن العنزة . .

وسرح مرة اخرى وقال . . على أي حال تحر بارفاعي عن تحركات آمنة في المدة السابقة على وقوع الحادث .

وتحرى رفاعي . .

وعرف فيما عرف انها قصدت حيث يقطن صائب ، وعرف ان صائبا ليس فوق مستوى الشبهات . وحمل الذي عرف الى رئيسه ، فقام بعد ان استأذن النيابة بالقبض على صائب للاشتباه ، واستقدم آمنة لدار الشرطة وتعمد ان ترى صائبا وهو في طريقه الى محبسه والقيد الحديدي مايزال في يديه فتداعت . . وعزت عليها هذه الأيدي التي تستحق القبل . . الأيدي التي روت غليلها عندما تحركت

لخدمتها . . احتسابا لوجه الله . . . أفلا نستطيع الآن خدمة الأيدي وصاحبها . ولو افتدته ولوجه الله .

وتحدثت الى الضابط وسألته عن سبب القبض على صائب ، فأجابا بسؤال عما اذا كانت تعرفه ومناسبة هذه المعرفة ، فقالت انه يشبه ابنها . . ابنها الذي قتله كفافي الصغير كما قتل كفافي الكبير اباه رضوان . . وانها لذلك لما لاحت لها الفرصة قتلتهما .

ونقل الضابط اعتراف آمنة الى صائب . . فهز رأسه وقال . . عجيبة ، وسطر الضابط كل هذا على علته ورفعه الى النيابة فتولت التحقيق ، وكان صائب كلما قاربه الاتهام استطاع ان يفلت منه ، ولكن جهد المحقق وضابط المباحث اوقف الاتهام بالنسبة له على قدم وان لم يستطيعا ان يبلغا به الوقوف على قدمين .

وقدم الاثنان . . آمنة وصائب متهمين هذا بالقتل ، وهذه بالاشتراك بالتحريض والاتفاق . ويوم المحاكمة ترافعت النيابة . . ولما بلغ ممثلها من مرافعته ختامها أهاب بالمحكمة الموقرة ان تنزل بصائب بالذات اقصى العقاب . . . فآمنة ان ناداها الى الجريمة دم زوجها ودم ابنها فصائب دعاه الى الجريمة توغله في الاثم . . وهل هناك ابعد من ان يحترف الانسان القتل . . ان يؤجر على القتل . . ان يقتل الروح التي حرم الله قتلها الا بالحق لقاء دراهم مهما كثرت فهي من العرض الزائل . . أي تجارة بائرة . . واي جبن ودناءه .

ودون ان يدري صرخ صائب في وجه النائب المترافع . . حرام عليك . . . انا شريف لست جبانا ولا دنيئا كما تقول . . انا لم اتقاضى ثمنا . . هذا كان لوجه الله .

وتغيرت صورة القضية . .

وأجلت المحكمة جوابها . . . .

وابتسم المخبر مرتين . . مرة لما نطقت المحكمة بالحكم وكان بالنسبة لصائب « باحالة الاوراق الى المفتي » ، وبالنسبة لآمنة تأجيل النطق بالحكم حتى يتحدد أمر صائب ، ومرة وهو يصحب صائبا الى عشماوي المنوط به تنفيذ الأحكام بالاعدام شنقا . □□

كتاب العربي
الثاني
يصدر في منتصف هذا الشهر
ابريل - نيسان ١٩٨٤
العلم في حياة الإنسان
د. عبدالحليم منتصر

الكمبيوتر
يقرع أبواب المدارس

بقلم : الدكتور سعد الحاج بكرى

تصوير : طالب الحسينى

□ تتزايد أهمية استخدام « الكومبيوتر » أو الحاسب الآلى فى شتى مجالات الحياة . ولم يحدث من قبل أن تطور علم من العلوم كما تطور علم الحاسب الآلى خلال السنوات الثلاثين الأخيرة ... كيف كانت مسيرة هذا الاختراع الذى أحدث ثورة فى حياة الناس ؟

الكومبيوتر في مدارس الكويت . . إن الكثير من الدول بدأت باعتماد بعض موضوعات الحاسب الآلي واستخداماته المختلفة كمقررات في مناهج المدارس .

كان الحاسب قبل ثلاثين عاما كبير الحجم ، غـالى الثمن ، كثير الأعطال ، محدود الامكانات ، قليل الاستخدام ، لا يقترب منه الا المتخصصون الذين يفهمون كل دقائقه ، وقد أصبح اليوم صغيرا فى حجمه ، رخيصا فى ثمنه ، نادر الأعطال ، واسع الامكانات ، له دور هام فى كل مجالات الحياة ، ويستطيع كل فرد أن يتعلم استخدامه دون أن يكون متخصصا أو واسع المعرفة فى علومه .

وتعود سرعة تطور الحاسب الآلى ، وتوسع مجالات استخدامه الى أسباب كثيرة ، لعل من أهمها أنه آلة مهمتها مساعدة العقل البشرى على التعامل مع المعلومات ، الحسابية منها أو غير الحسابية . ولأن التعامل مع المعلومات هو مسألة مشتركة فى شتى أمور الحياة العلمية منها بمجالاتها المختلفة ، أو الادارية بأنواعها المتعددة ، حتى الشخصية ، فقد وجد الحاسب من خلال ذلك الترحيب اللازم لتطوره واتساع نطاق استخدامه .

وقد اهتمت الجامعات فى الأقطار العربية باستخدام الحاسب ، فأنشأت مراكز خاصة لاستخدامه ، وأضافت مواد علوم الحاسب الى مناهج العديد من الكليات . كذلك أقيمت دورات للتدريب على استخدام الحاسب فى العديد من المؤسسات فى شتى أنحاء الوطن العربى . لكن هذا لم يعد كافيا لمواكبة تطور الحاسب والاستفادة من امكاناته ، ولا بد للمدارس العربية من دور فى هذا المجال ، فهى المسؤولة عن بناء الأجيال بكل ما فى ذلك من تربية وتهذيب ، وعلم ومعرفة ، واستجابة لمتغيرات العصور .

والحاسب هو أحد المتغيرات الهامة فى عصرنا هذا ، الذى بدأ يأخذ اسم عصر الحاسب الآلى .

وسوف نحاول فى هذا المقال طرح مسألة استخدام الحاسب فى المدارس العربية . وفى سبيل ذلك سوف نستعرض أولا بعضا مما يجرى فى العالم بشأن تعليم استخدام الحاسب فى المدارس ، ثم ننتقل الى طرح المشاكل التى يمكن أن تواجهها المدارس العربية فى هذا المجال ، ونحاول أخيرا تقديم وجهة نظر حول هذا الموضوع .

الكومبيوتر فى المدرسة

بدأ العديد من الدول باعتماد بعض موضوعات الحاسب الآلى واستخداماته المختلفة كمقررات فى مناهج المدارس . ففى بريطانيا على سبيل المثال شهدت السنوات الأخيرة اضافة مقررات خاصة بالحاسب ضمن مقررات كل من المستوى العادى الذى يماثل المرحلة الثانوية فى المدارس العربية ، والمستوى المتقدم الذى يؤهل الطالب لدخول الجامعات . وقد رافق اضافة هذه المقررات دخول الحاسب الآلى الى هذه المدارس لاجراء التطبيقات العملية اللازمة لهذه المقررات . وقد استعانت المدارس فى سبيل ذلك بخبرة الجامعات والمراكز الصناعية المتقدمة .

ولم تكتف بعض المدارس بادخال موضوعات الحاسب مقررات دراسية وكفى ، بل أتاحت الفرص أمام الطلبة لاستخدام الحاسب من أجل أغراض أخرى تفيدهم فى دراستهم لباقى المقررات أيضا . فعلى سبيل المثال قامت مدرسة برنستون الثانوية بولاية نيوجيرسى الامريكية بتخزين الموسوعة الاكاديمية الامريكية التى تحتوى على تسعة ملايين كلمة ضمن الحاسب . وأتاحت للطلبة استخدام الموسوعة عبر أجهزة متصلة بالحاسب ومزودة بشاشات تلفزيونية ، وأدى هذا الى تسهيل الحصول على المعلومات من الموسوعة ، وتوفير الجهد والوقت فى البحث عن

الموضوعات المطلوبة . وقد ازداد عدد الطلبة الباحثين عن المعلومات من الموسوعة . وهناك اليوم مراكز معلومات خاصة من هذا النوع يمكن للطلبة الاشتراك بها ، واستخدامها من منازلهم ، عن طريق أجهزة خاصة يمكن ربطها بالخط الهاتفى وشاشة التلفزيون .

بالاضافة الى ما سبق ـ امتد الاهتمام بتعليم الحاسب الى أوقات الفراغ والاجازات ، فأقيمت المعسكرات فى سانتا باربارة بولاية كاليفورنيا الامريكية على مدى السنوات الأربع الماضية ، وقد شهدت هذه المعسكرات اقبالا متزايدا تضاعف أخيرا بمقدار ست مرات . وقد بلغ متوسط أعمار المشتركين فى هذه المعسكرات حوالى ثلاثة عشر عاما . ولتشجيع المنافسة فى العطاء بين المشتركين ، فقد جرى توزيع ميداليات خاصة للمتفوقين . وقد وجد المشرفون على هذه المعسكرات أن صغار السن أشد قدرة من سواهم على تعلم اساليب استخدام الحاسب بسرعة ، كما أنهم أرفع مهارة فى وضع ذلك موضع التنفيذ العملى .

مشاكل الكومبيوتر فى المدارس العربية

بعد هذا الاستعراض السريع لبعض ما يجرى فى العالم بشأن مسألة تعليم استخدام الحاسب الآلى لطلبة المدارس ، ننتقل الى محاولة استقراء بعض المشاكل الرئيسية التى يمكن أن تعترض سبيل تعليم الحاسب فى المدارس العربية .

ولعل أولى هذه المشاكل مسألة اللغة والمصطلحات العلمية ، فمعظم المراجع المتوفرة لدراسة موضوعات الحاسب المختلفة تعتمد أساسا على اللغة الانجليزية ، ويعتمد المتخصصون فى علوم الحاسب من العرب على هذه المراجع . ونظرا لحداثة عمر الحاسب ، فان مصطلحاته ايضا حديثة العهد ، كما أنها تتزايد باطراد مع اتساع مدى تطبيقاته . لذا لم تزل محاولات نقل هذه المصطلحات الى اللغة العربية محدودة ، ثم هناك صعوبة قائمة فى وضع كتب دراسية باللغة العربية لمقررات الحاسب ، وبالمقابل ليس من المستحب اعتماد الكتب الانجليزية لمقررات الحاسب ، فبالاضافة الى ما فى ذلك من صعوبة على الطلبة ، فان اعتماد هذه الكتب يمكن أن يؤدى الى شرخ فى نظم الدراسة فى المدارس العربية التى تعتمد على استخدام اللغة العربية ، فى شتى أقطار الوطن العربى ، لدراسة المقررات العلمية والأدبية المختلفة . وعلى ذلك ، لا بد من البحث عن حل متوازن لهذه المشكلة يضمن فهم مصطلحات الحاسب ونظرياته ، من أجل توصيل علومه الى طلبة المدارس ، مع عدم التخلى عن اللغة العربية .

أما المشكلة الثانية فتتعلق بلغات تشغيل الحاسب . وتتضمن هذه اللغات كلمات باللغة الانجليزية بالاضافة الى بعض الرموز والأرقام . وقد كانت هناك محاولات ، على نطاق محدود ، لتحويل كلمات ورموز بعض لغات الحاسب الى اللغة العربية . ومن هذه المحاولات لغة الحاسب « نجلاء » المأخوذة عن لغة « بيزك » . ولكن نظرا لأن معظم التطبيقات على مدى سنوات عمر الحاسب وكذلك معظم التطورات المحدثة فى مجال الحاسب الآلى ، تعتمد على اللغات الاساسية للحاسب التى تستخدم اللغة الانجليزية ، فان الانتقال التام الى لغات الحاسب المحولة الى اللغة العربية ، بالرغم من فائدته فى دعم اللغة العربية ، يحتاج الى جهد وزمن قبل أن يصبح ممكنا على مدى واسع .

ثم هناك العديد من المشاكل الأخرى التى تواجه تعليم الحاسب فى المدارس . فهناك مشكلة عدم وجود ما يكفى من المتخصصين لتدريس موضوعات الحاسب والاشراف على تدريبهم العملى ، ثم هناك أيضا مشكلة كلفة الاجهزة اللازمة وتكاليف تشغيلها وصيانتها ،

أربع صور للكومبيوتر في مدارس الكويت ، الطلبة والاساتذة أمام الكومبيوتر . . أن بعض المدارس في الخارج لم تكتف بادخال موضوعات الحاسب ضمن المقررات الدراسية ، بل أتاحت الفرص أمام الطلبة لاستخدام الحاسب من أجل أغراض أخرى تفيدهم في دراستهم لباقي المقررات .

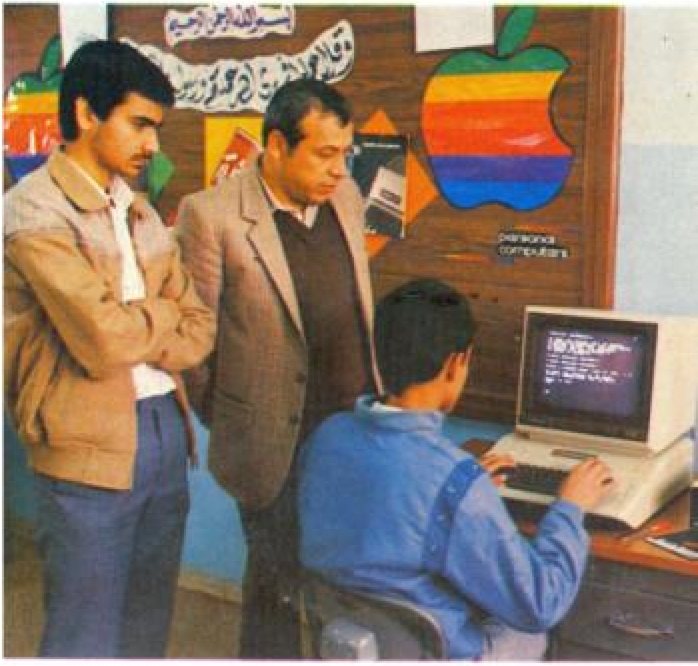

بالاضافة الى عدد من المشاكل المتفرعة الاخرى .

وجهة نظر

ولعله من المفيد الآن ، أن نتساءل عما يجب أن نفعل أمام المشاكل المطروحة ، فالهدف أمامنا واضح ، وهو أن تستجيب المدارس العربية لمتغيرات العصر فى مجال الحاسب الآلى ، وتحاول اللحاق بمن سبقنا فى هذا المجال . والمصاعب الأساسية أمامنا أيضا واضحة ، وهى مسألة اللغة والمصطلحات ، ومشكلة لغات تشغيل الحاسب ، ثم مشاكل المتخصصين والتكاليف اللازمة ومشاكل فرعية أخرى . وعلى ذلك ، يتطلب الطريق الى الهدف المنشود تذليل المصاعب المطروحة . لكن المشكلة هنا هى أن تذليل المصاعب يحتاج الى زمن يشكل تأخيرا فى الاستجابة المطلوبة . وعلى ذلك ، لا بد من استجابة معقولة يجرى تحقيقها خلال أقل وقت ممكن ، على أن يرافقها استعداد مستمر لاستجابة أفضل على المدى الأبعد ، وسوف نحاول فيما يلى مناقشة متطلبات الاستجابة المنشودة ، وكيفية تطوير هذه الاستجابة نحو الافضل على المدى البعيد .

ولعل الخطوة الأولى فى سبيل تحقيق استجابة سريعة لتطورات الحاسب المتزايدة ، تكون فى أن تعمد المدارس ، فى الأقطار العربية - ربما فى كل قطر عربي على حدة - لتحقيق سرعة العمل على وضع المناهج الدراسية لمقررات تتعلق بمبادىء الحاسب الآلى ، ولغات تشغيله ، وأساليب استخدامه . ويمكن الاستعانة فى وضع هذه المناهج بالمناهج الموضوعة فى مدارس الدول الاخرى ، وبخبرات أساتذة الجامعات . ولتحقيق الفائدة المرجوة من هذه المناهج لا بد من أخذ الناحية العملية بعين الاعتبار ، لما لها من أثر فعال فى مجال الحاسب .

وبعد وضع المناهج ، يجب وضع الكتب اللازمة لها ، وهنا تأتى مشكلة اللغة والمصطلحات . ولتقديم حل سريع ومعقول لهذه المشكلة ، يمكن وضع هذه الكتب باللغة العربية ، على أن تكتب المصطلحات فى هذه الكتب باللغتين العربية والانجليزية ، وعلى أن يحتوى كل كتاب فى نهايته على قاموس للمصطلحات لا يشمل ترجمتها فقط ، بل تعريف معنى كل منها أيضا . والغاية من ذلك هى تحديد المصطلحات المقصودة بدقة ودون التباس ، لا سيما أن كثيرا من مصطلحات الحاسب تتشابه ، كما أنها لو تطابقت - تختلف فى بعض الأحيان تبعا للاستخدام بين شركة وأخرى أو دولة وأخرى . ويسهل هذا التحديد الدقيق - على المدى البعيد - مشكلة توحيد المصطلحات والكتب بين الاقطار العربية .

تعريب لغات الكومبيوتر

أما مشكلة تعريب لغات تشغيل الحاسب فيمكن تجاوزها فى المرحلة الاولى من تدريس الحاسب فى المدارس ، نظرا للمصاعب الناجمة عن ذلك والمطروحة فيما تقدم فى هذا المقال من جهة ، ولأن كلمات اللغة الانجليزية فى كل لغة من لغات الحاسب كلمات محددة للغاية ، لاتشكل عبئا على الطالب ، ولا تعديا على اللغة العربية من جهة ثانية ، ولا يمنع هذا التجاوز فى المرحلة الاولى ، من تشجيع البحوث التى تهدف الى تطوير لغات عربية للحاسب ، يمكن الاعتماد عليها فى المستقبل .

وفيما يتعلق بعدم وجود ما يكفى من المتخصصين لتدريس المواد المتعلقة بالحاسب ، نرى أن للجامعات العربية دورا هاما فى حل هذه المعضلة . فعلى المدى القريب يمكن للجامعات

طالبة في حصة لدراسة استخدامات الكومبيوتر في مدرسة للبنات بالكويت .

أن تقيم دورات خاصة لمدرسي المدارس لتأهيلهم لتدريس مقررات الحاسب المطلوبة . وعلى المدى الأبعد ، تعمل الجامعات العربية على وضع مناهج موجهة لنيل درجات علمية تخصصية في مجال الحاسب الآلي . وعلى ذلك يمكن لهذه الجامعات تزويد المدارس في المستقبل بحاجتها من المتخصصين .

وتبقى بعد ذلك مشاكل متفرعة أخرى لعل من أهمها مسألة التكاليف اللازمة لتحقيق الاستجابة المستمرة لتطورات الحاسب ، خصوصا ما يتعلق منها بالنواحي العملية،وفي هذا المجال هناك ملاحظتان تستحقان النظر . . . تتعلق الاولى بامكان تخفيض التكاليف ، عن طريق اتفاقات لاستخدام مشترك لبعض مراكز الحاسب بين المدارس وبعض المؤسسات الاخرى .

أما الملاحظة الثانية فتتعلق بالانخفاض المستمر في كلفة الحاسبات بسبب التطور التكنولوجي المتسارع من جهة ، والانتاج والتوزيع على مدى اكثر اتساعا من جهة اخرى . فقد أدى ذلك الى ظهور الحاسبات الشخصية وحسابات الجيب المنخفضة الكلفة ، والتي سيصبح بمقدور معظم الناس اقتناؤها في منازلهم .

وبعد كل ما سبق نرى أن هذا المقال دعوة للمدارس العربية الى أخذ موضوع الاستجابة لتطور الحاسب الآلي بشكل اكثر جدية ، نظرا لأهميته المتزايدة . ولعل بعض الأقطار العربية قد بدأت تتوجه نحو هذه الاستجابة ، ولعل بعضها الآخر يحتاج الى شيء من الدفع . واذا كان هذا المقال قد ساهم في القاء الضوء على هذا الموضوع فانه يكون قد حقق هدفه المنشود . □□

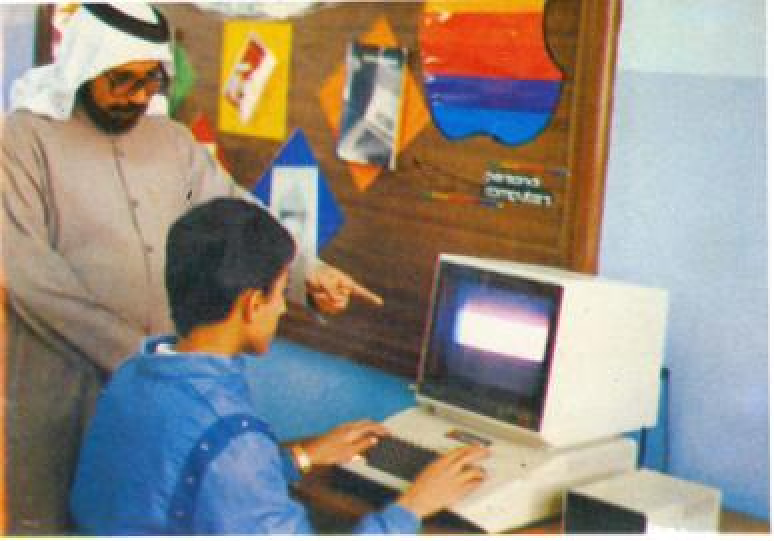

الكومبيوتر في المدرسة أكثر من وسيلة جديدة للتعليم وتيسير استيعاب الطالب لدروسه . فهو يعود الطالب عل النظام ويعلمه الصبر والمثابرة والدقة في العمل وتدارك الاخطاء عند وقوعها .

والكومبيوتر بعد هذا يعلم الطالب الموضوعية وعدم الانحياز فليس فيه مجال للعواطف ، ومن يعمل عل الكومبيوتر يتحول شيئا فشيئا الى انسان يعمل بعقله فقط ويزن الامور بحقائقها ، ثم هو بعد ذلك يوسع المدارك ويفتح آفاقا جديدة أمام شبابنا وأطفالنا .

الصورتان الى اليمين في المعرض الذي أقيم أخيرا في الكويت لشرح استخدامات الكومبيوتر في المدرسة .

الصور الثلاثة الى اليسار للطلبة مع أساتذتهم أمام الكومبيوتر . . لقد أصبح هذا الجهاز أحد المتغيرات الهامة في العصر الذي نعيشه ، ولسنوات طويلة مقبلة وقد بدأ القائمون عل تعليم وتربية النشء يولون اهتماما خاصا بهذا التطور التقني في التدريس .

الداعي

شعر
يعقوب السبيعي

في شـذا الغيدِ في تثنّي الغـواني
في تَـهـادِي بـعيـدِهـا للتـّدانـي
في وجيـزِاللقـاءِ تُسـهـبُ عَينـي
بحـديـثٍ يَـهـابُ منـه لِسـانـي
في العشَـايـا ، وهُنَّ أجمـلُ ممَّـا
يشتهى الحُلم في العيون الـرواني
في شفيفِ الضّيـاءِ يَسقي وعـودا
كـان قلبي هنـاكَ ... لمّـا دعـاني
من دعاني ؟ الصّوتُ رحْلةُ جُرحٍ ..
في فَـمِ الـغيـبُ زيّفتـه الامـانـي
يتفـانـى عـلى الـوصـولِ لِقَلـب
طـار خـوفـاً من وصْلِـهِ المُتفـانـي
منْ هـزيـعٍ الى هـزيـعٍ ينـادي :
أيقظـوا الفجْـرَ ، فـاللّيـالي تُعـاني
يـاسَـهَـارَى ويـاغُفـاةَ اللّيـالي
سوف تبكي السّنونَ مَوْتَ الثّواني
من دعـاني ؟ أراه صـوت غـروب
جـرّحَ اللّيـلُ خـدَّه الأرْجُـوانِـي
هـل دعـاني لِمَـوْعـدٍ فيـه يمحـو
فيضَ شكري لواعـدي ، وامْتِناني

لسْــت أدرِي ، وللظّنــون التفــافٌ
حوْلَ عُنقِي ، والخوفُ مـلْءُ كياني
أيّهـا الصّوت هـل تَهِي أم ستقْوى
حــينَ أجنــي هنــاك شرّ المجــاني
والــدّروبُ التــي إليْــك تُــؤدّي
ما عساها تقول ؟ أو مـا عساني ؟
سوفَ أقْوَى عـلى اجْتياز الأقَـاصِي
حــينَ أقــوى عــلى ابْتعـاد الأدَانِي
يافؤادي ، ياحفرةَ الصّدْر ، صبْرا
صـرْتَ قبْراً عـلى الْهوالِـكِ حَـانِي
أسْلَمَتْنَـا الى الـدُّيـاجي حـروفٌ
من ظَـلام لـداجيـاتِ المعَـانـي
ســوف نبكي : أنـا وأنت ، قليــلا
ثمّ .. نسهـو .. ونستجيد الأغَـانِي

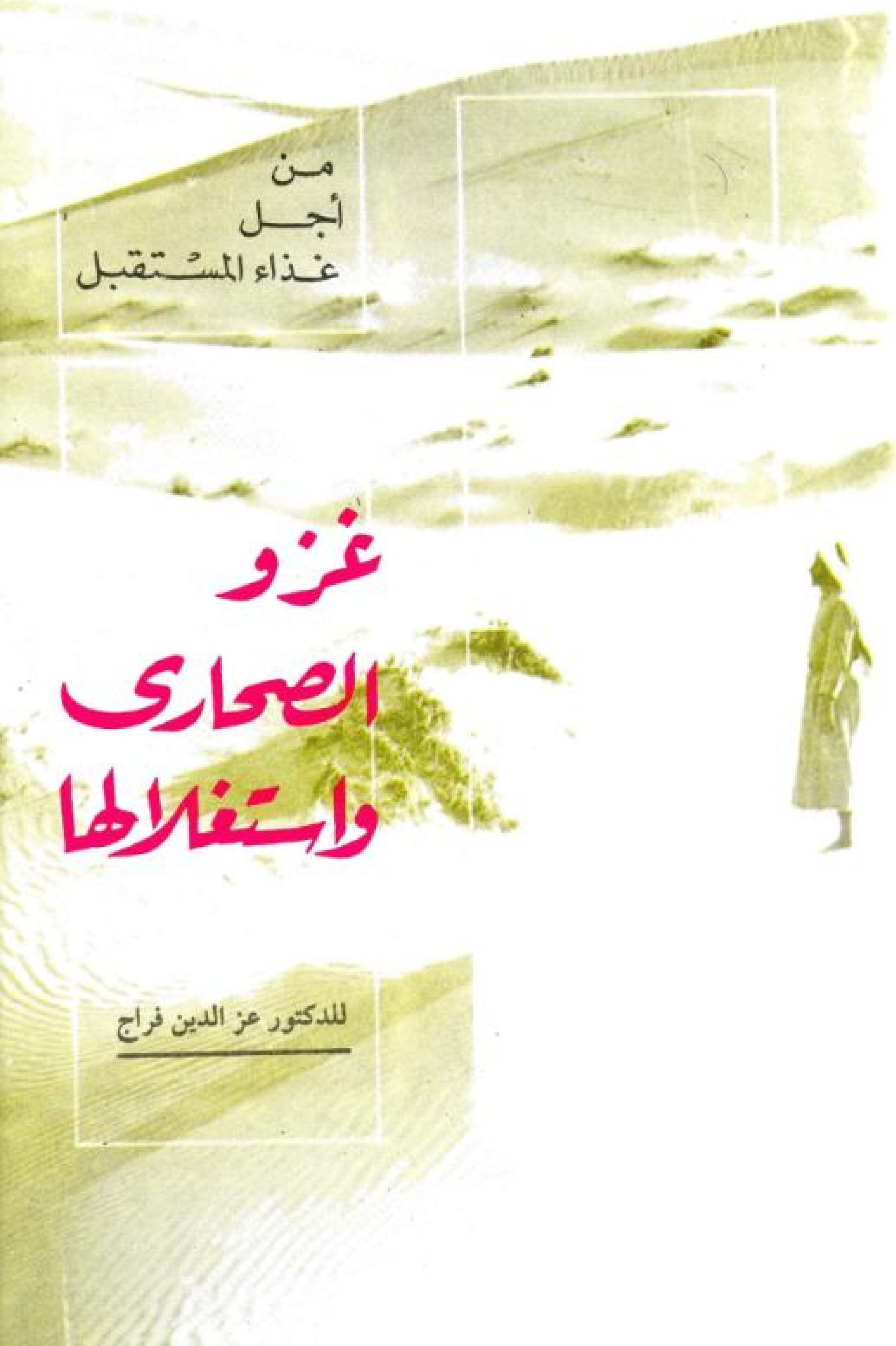

من
أجل
غذاء المستقبل

غزو الصحاري واستغلالها

للدكتور عز الدين فراج

حقائق مزعجة تؤكد أن الموقف العالمى من انتاج الغذاء في حاجة إلى وقفة من العلماء للمشاركة جديا في حل جذرى لزيادة الانتاج الزراعي .. ولكن كيف ؟!

لم يكن عدد سكان العالم في بداية القرن التاسع عشر يزيد على ألف مليون نسمة وارتفع هذا الرقم إلى نحو الضعفين خلال مائة سنة فقط ، أما الاحصائية الأخيرة عن تعداد سكان العالم فهى تبين أن سكان الكرة الأرضية وصل عددهم الى ٣٧٥٠ مليون نسمة ، في حين أن عدد سكان العالم في عام ١٩٥٠ كان نحو ٢٥٠٠ مليون من البشر .

واذا ظلت نسبة تزايد السكان على ما هى عليه الآن فان عدد سكان العالم سيصل إلى خمسة آلاف مليون نسمة في عام ١٩٨٥ .. وسيرتفع هذا العدد في نهاية القرن الحالى إلى ٦٥٠٠ مليون نسمة .

وهذه الزيادة ، هى في الحقيقة خطر يداهم البشرية إذا لم يتم منذ الآن تطوير وزيادة مصادر الغذاء في العالم واستغلال كل المصادر الطبيعية الاستغلال الصحيح القائم على التقدم التكنولوجى الحديث .. ولهذا السبب فانه تجرى الآن ابحاث على توفير الغذاء للانسان على سطح الأرض .

واذا سارت الأمور على ماهى عليه الآن من غير حلول جماعية حاسمة ، فسيواجه العالم والعرب جميعا مشكلات غذائية جسيمة في نهاية القرن العشرين .. وهذه الفترة الباقية ليست بعيدة .

منظمة الأغذية تدق ناقوس الخطر

نشرت منظمة الأغذية والزراعة تقريرا مفصلا عن حالة الغذاء في العالم جاء فيه أن هناك نقصا حادا في الأغذية ناتجا عن سلسلة من تدهور الانتاج في كثير من أجزاء العالم ، كنتيجة للموجات الحادة من القحط التى حلت بالكثير من الدول .. وهناك مناطق واسعة من العالم تعاني نقصا شديدا في اللحوم مما أدى الى زيادة الأسعار زيادة تعتبر أكبر زيادة حدثت في التاريخ .

وارتفاع اسعار اللحوم أدى الى حدوث عمليات تهريب للحوم بطريقة تهدد بتفشى امراض الماشية في دول أوروبا .

ويعزى خبراء هذه المنظمة الأسباب في الأزمة الغذائية التى تعاني منها معظم دول العالم الى الموقف غير المستقر بالنسبة لانتاج القمح في الصين وضعف انتاج محصول القمح في استراليا وانخفاض محصول القمح في شيلى إلى أدنى مستوى وصل اليه منذ عام ١٩٣٠ .

هذه الحقائق الخطرة تبين لنا أن الموقف الدولى في انتاج الغذاء يحتاج الى وقفة من العلماء للمشاركة جديا في حل جذري لزيادة الانتاج الزراعي ، وخاصة استنباط اصناف جديدة ذات غلة عالية كالقمح المكسيكى الذى امكنه في فترة قصيرة أن يحول الكثير من الدول من دولة مستهلكة فقط إلى دولة مصدرة .

وأمام عدم التكافؤ بين زيادة مساحة الأراضي الزراعية ارتفعت صيحات منظمة التغذية والزراعة التابعة لهيئة الامم المتحدة تحذر وتنذر كل عام . وهذا ما دفع « دوريس دود » المدير العام لمنظمة التغذية والزراعة التابعة للأمم المتحدة أن يصرح مرة فيقول :

« إن ضغط السكان في بعض اقطار الشرق الأوسط على موارد الأغذية وعدم التناسب بين عدد السكان وزيادة موارد الطعام سيتهددنا بكارثة إن لم نعمل من الآن على تجنبها وتلافيها » .

فلا صحة بلا غذاء .

ولا حضارة بلا غذاء .

ولا ثقافة بلا غذاء .

ولا فن بلا غذاء .

زراعة الصحارى العربية

لهذا فان الدعوة الى التوسع في زراعة الصحارى العربية في كل الدول العربية جديدة علينا ، فكثير من هذه الأصقاع الصحراوية كانت فيما مضى خصبة عامرة بالبساتين والأشجار . فبعض الأصقاع المصرية الغربية كانت في القرن الثالث والرابع والخامس بعد الميلاد عامرة بالخصب والنماء ، عامرة بالبساتين والأشجار . وكانت بساتين الزيتون والعنب تمتد إلى جزء كبير داخل الصحراء المصرية الغربية .

وهناك من الدلائل ما يثبت أن الواحتين الخارجية والداخلية في الصحراء المصرية ، كانتا مكتظتين بالسكان أيام حكم الفرس واليونان والرومان لمصر ، حتى بلغ عدد سكانها ٨,٠٠٠,٠٠٠ نسمة كانوا يعيشون من محاصيل الاراضي الزراعية بها . كما كانوا يملكون عددا كبيرا من الماعز والأغنام والماشية ، وكانوا يتاجرون في البلح ويصدرونه إلى الوادى على ظهور الابل .

وقد كانت الزراعة منتشرة انتشارا عظيما تبعا لكثرة السكان في تلك الواحات إلى ما بعد ثلاثة قرون من الفتح الاسلامي ، ومن ثم ابتدأ الاضمحلال ، لأنه نتج عن كثرة الحروب والغزوات نقص في عدد السكان ، ونشأ من قلة اليد العاملة ضعف في الزراعة والصناعة ، فزالت كروم الاعناب من مربوط التي كثيرا ما ذكرها المؤرخون في مؤلفاتهم وزالت معارس الزيتون التى لم يبق من آثارها غير المعاصر المطمورة ، كما أنه تركت في الواحات مساحات واسعة من غير زراعة حتى تضاءل الغرس منها الى الحد الادنى .

وما يقال عن مصر يقال عن العراق في عهدها الزاهر في عصر العباسيين ، حيث كانت البلاد والقرى عامرة بالخير العميم والأرض الخصبة المتصلة ، مما يذكره لها التاريخ بكل فضل .

قيل إن الديك كان يصيح في بغداد فيرد ديك القرية القريبة ، ثم ديكة القرى المجاورة فترد عليها الديكة في البصرة ، وهذا القول يدل على أن الأرض كانت عامرة الزرع والحب ، فلا ديكة في أرض قاحلة لا حب فيها . ولكن الآن نجد مساحات واسعة ، زحفت عليها الرمال وغطاها الاهمال والجدب ، وكانت فيما مضى خصبة عامرة .. أما آن الأوان لأن نعيد لهذه الارض خصبها وانتاجها الوافر ؟

وما يقال عن مصر والعراق يقال عن دول عربية أخرى .

لهذا كان باب الأمل في استغلال الصحارى مفتوحا على مصراعيه ، وكل ما يلزم هو أن نبدأ بعزم جديد وبهمة لا تعرف الملل ، مع التفكير السليم وعدم الارتجال ، بل يجب أن نسير في هذا التوسع طبقا لسياسة مرسومة موضوعة .

واذا كانت بعض الدول العربية تعتمد اليوم على البترول ، فلماذا لا نكون دولا منتجة للبترول والغذاء معا ؟ وهل سيظل البترول إلى أبد الآبدين ؟. علينا إذن ان نقتطع من صحارينا المتاخمة بعض الأرض لنعيد إليها خصبها ونماءها .

إستغلال المياه الجوفية

ولاستغلال الصحارى لا بد من توصيل

الأنهار والترع القريبة إلى الأراضي المتاخمة القابلة للاصلاح ، ولكن من الافضل أن نلجأ الى خزانات المياه الجوفية في باطن الأراضي الصحراوية ، كما هي الحال في الصحراء الغربية المصرية الليبية ، حيث أثبت لفيف من علماء مصر الجيولوجيين أن تحت الصحراء ماء قدر ماء خزان السد العالي ألف مرة تسربت من مياه النيل من قديم الزمن . ويرى لفيف آخر أن هذه المياه الجوفية ما هي إلا بقايا امطار قديمة تجمعت عاما بعد عام .

وبرغم دقة التفاصيل التى حصل عليها علماء مصر فقد استخدموا في الفترة الأخيرة أحدث وسائل العلم الحديث وهي تكتولوجيا الفضاء وصور الأقمار الصناعية التي تحمل العديد من الأجهزة وتلتقط أدق تفاصيل الأرض . لقد استخدم اعضاء المركز المصرى للاستشعار من البعد صور القمر الصناعي وطائرات الاستطلاع الجوى واجهزة الخطة الفضائية المصرية ، ومعهم البعثات الجيولوجية الحقلية ، لكشف ما تبقى من اسرار خزان الماء الجوفى

جني المحصول

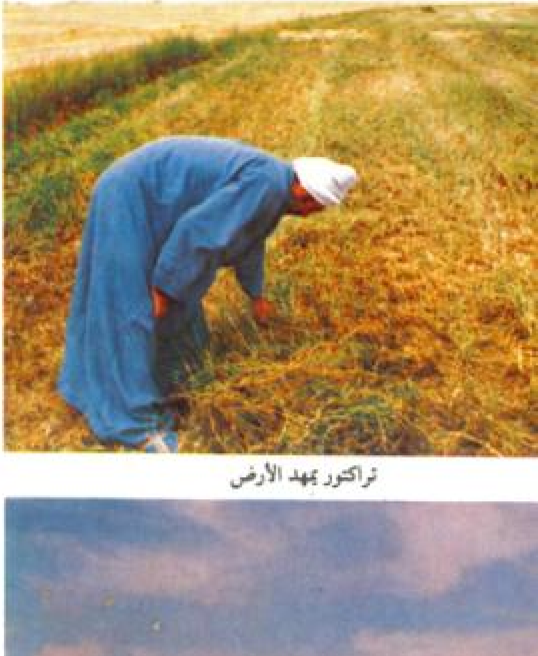

تراكتور يمهد الأرض

الراقد تحت الصحراء المصرية الغربية . والآبار التي حفرت في الواحة الخارجة المصرية والواحة الداخلة والفرافرة وجنوب الوادى وسيوه كلها أكدت وجود الماء الغزير وبدرجة تدفق أكبر غزارة ، كلما اتجهنا غربا ، خصوصا في الفرافرة . وهذا يشير الى وجود الخزان المائي ، ولكن ذلك لا يدفعنا أيضا الى المبالغة في حجم هذا الخزان الجوفي لأننا لم نقم حتى الآن بحفر الآبار الكافية في المناطق التى تتخلل المساحات ما بين الداخلة والفرافرة ، أو الخارجة وجنوب الوادى وهكذا . ولكننا نستطيع أن نطمئن على أن المياه المكتشفة حتى الآن يمكنها أن تروى مليون فدان .

الاقتصاد في استغلال الماء

وأرض الصحارى أرض ذات تلال واطئة منحدرة ، ولا بد أن يقطع الانسان مسافة طويلة قبل أن يعثر على حقل مستو ممهد ، وتسويتها تحتاج إلى نفقات كثيرة . ولذا فاننا إذا ما استخدمنا طريقة الرش بغمر الارض بالماء ، فان

كانت صحراء قاحلة

الماء قد ينزل من فوق المنحدر ، وتغرق القرية التى تقع في نهاية الوادى . ومد انابيب المياه في جوف الأرض يعرضنا مرة أخرى الى صعوبة طبيعة انحدارها . والمياه عادة تخرج من الآبار العميقة باستعمال المضخات وهذه وسيلة كثيرة النفقات . وبعد أن درسنا جميع هذه النقاط ، قررنا أن أنسب الوسائل لتوصيل المياه إلى الأرض الصحراوية هى الرى من أعلى عن طريق الرى بالتنقيط أو بالرش . حيث تقذف الرشاشات الماء فوق النباتات ، وتغمر المزارع برذاذ خفيف من المطر ، كما في الرسم . وتعلو هذه الرشاشات عن الأرض بقدمين ، وبها ثقوب يبعد كل ثقب منها عن الأرض بنحو قدمين ،ويبعد كل ثقب منها عن الآخر بمقدار اربع وعشرين بوصة . وقد يبلغ طول كل صف من هذه الرشاشات مائتي قدم أو أكثر . ويروى الصف مساحة من الأرض تبلغ خمسة وعشرين قدما في كل من الحالتين . وهذا لا يحدث إلا إذا كان الصف معدا بطريقة تجعله يتحرك ببطء من جانب إلى آخر . وهناك عدد من الفلاحين لا يستخدمون طريقة تحريك الصف من جانب الى آخر ، مفضلين استخدام رجال يقومون بهذه العملية حينا بعد حين وتستقى هذه الرشاشات مياهها من انابيب رئيسية قد تكون تحت الارض أو فوقها .

وطبيعي أن طريقة الرى بالرش توفر كمية المياه المستخدمة . . وهذا أمر مطلوب في سقى نباتات الاراضي الصحراوية أو الاراضي الزراعية القليلة الماء .

الأمطار الصناعية

لقد بدأت التجربة الأولى لانزال المطر الصناعي في عام ١٨٩١ فانفقت حكومة الولايات المتحدة مبلغ تسعة آلاف دولار لتفجير بعض البالونات في طبقات الجو العليا ، عسى أن يؤدى ذلك إلى هطول الأمطار ، ولكن كان ذلك بلا جدوى .

وفي عام ١٩٤٥ اصيبت المقاطعات الشمالية الغربية من ويلز الجديدة بقحط وجفاف فتشققت الأرض ، وجفت المراعي وحل الذبول في كل مكان . . وترقرقت الدموع في المآقى وعز على العلم أن يرى النكبة ويشهد الفاجعة ، وهو مكتوف اليدين ، فنهض بعض العلماء باحثين منقبين ، حتى اهتدوا إلى أساس المشكلة .

لقد وجدوا أن هناك فارقا كبيرا بين القطرات الدقيقة المعلقة في السحب ، وبين القطرات الكبيرة التى تتساقط مطرا . فقطرات السحب غاية في الصغر والضآلة بحيث تهبط وئيدة بسيطة ، ثم ترتد متبخرة قبل أن تبلغ الارض . أما قطرات المطر فأكبر حجما واثقل وزنا من هذه القطرات الصغيرة العالقة بالسحب لهذا تجد قطرات المطر تسقط في سرعة وتتبخر في بطء . وبذلك تصل إلى سطح الأرض بعكس القطرات الصغيرة السابحة مع السحب .

والسر في هذا كله راجع إلى تجمع هذه القطرات الصغيرة الضئيلة والتحامها حتى يكبر حجمها ويزيد ثقلها فتسقط غيثا مدرارا ، فيه حياة ورحمة بالعالمين .

ودرس العلماء السحب الممطرة فوجدوها تكون بلورات ثلجية صغيرة يترتب حولها بخار الماء وقطراته .

وأخذ العلماء يبحثون عن وسيلة يحولون بها هذه القطرات الصغيرة السابحة مع السحب إلى قطرات كبيرة حتى اهتدوا إلى استعمال الثلج الجاف . . والثلج الجاف كما نعلم هو الثلج الناشيء عن تجمد ثاني اكسيد الكربون .

فالطائرة عندما تنثر حبيبات الثلج الجاف أو غيرها من المواد الكيمياوية بين السحب المرتفعة المشبعة بالرطوبة ، تهبط درجة الحرارة . وعندئذ تتحول قطرات الماء الضئيلة الحجم الى نويات لبلورات ثلجية ، ثم تتشبع هذه النويات بالرطوبة ويكبر حجمها تدريجيا . وأخيرا تسقط

هذه البلورات ، وعندما تصل هذه البلورات الثلجية إلى الهواء الدافيء قرب سطح الارض تتحول الى مطر .

وما زالت ابحاث المطر الصناعي تسير في طريق النضج والكمال ، وحينها يصل العلم إلى السيطرة الكاملة على السحب ، بحيث تنزل امطارها متى أراد وأينها اراد ، يكون قد أدى للبشرية خدمة من أجل الخدمات واعظمها ، وعندئذ نستطيع أن نحول الصحارى الجرداء إلى مزارع فيحاء .

تحسين المعيشة في الصحارى

المشكلة الكبرى في الصحارى تلك الحرارة الشديدة التي تدفع الانسان إلى الهرب منها . لكن أشعة الشمس التى تلهب الصحراء يكون فيها الحل الأمثل لتلك المشكلة . انها قادرة بالفعل على تحويلها إلى جنة تجذب وتمتع الهاربين منها . وذلك بتوليد الكهرباء من الطاقة الشمسية عن طريق الخلايا الشمسية الكهروضوئية - ثم تستغل الطاقة الكهربية المتولدة في مختلف العمليات ومنها عمليات التبريد وتكييف الهواء .

وبتكييف الهواء الصحراوى الشديد الحرارة وايجاد اعمال التبريد فيه ، يغرى الناس بالبقاء فيه وعدم الهروب منه إلى المناطق الباردة المعتدلة .

وببقاء الناس في الصحارى يمكن استغلالها في الزراعة برفع ماء الرى من تحت سطح الأرض بالآبار الارتوازية ، ويمكن أيضا الانتفاع بما فيه من معادن وثروات . . ويمكن تحويل بعضها إلى مزارع ومصانع .

في ولاية نيو مكسيكو تمت تجربة ناجحة في مجال الزراعة ، فقد اقيمت مجموعة من الابراج المرتفعة مثبتة فوقها مرايا مقعرة متجهة الى السماء . وهذه المجموعة من الآلات تشكل نظاما جديدا للرى يعتمد تماما على الطاقة الشمسية ، حيث تدير حرارة الشمس التى تعكسها المرايا « تورين » يقوم برفع الماء من باطن الأرض ويصبها في خزان مجاور يجرى منه الماء لرى الحقول المجاورة .

والآن بعد أن امكنتا تكييف هواء الصحارى ورفع المياه من اعماق الارض ، ستصبح هذه الصحارى جنات مثمرة .

ويمكن أيضا اجراء التجربة نفسها التى عملت في إحدى قرى للصيادين واسمها « لاسي » على أحد الشواطيء النائية في المكسيك ، حيث يعيش هؤلاء الصيادون في أكواخ مصنوعة من سعف النخيل عيشة بسيطة بدائية ، يستمدون نور الكهرباء من مولد صغير وحيد .

وكان صيادو هذه القرية لا يستطيعون تجميد ما يصيدونه من اسماك وحيوانات بحرية ذات قيمة غذائية لبعدها عن الأسواق الأمريكية .

هذا عمل بعض الخبراء في مشروع مع الحكومة المكسيكية باقامة محطة كهربية صغيرة تعمل بأشعة الشمس بقوة صغيرة تتراوح بين ١٠٠ - ٢٠٠ كيلووات . . مع بناء مستعمرة سكنية وامدادها بالكهرباء الكافى فقط لطهى الطعام وتبريده وحفظه وتجميد الأسماك والحيوانات البحرية ، مع التخلص من ملوحة ماء البحر للحصول على الماء العذب .

انتعشت الحياة في قرية الصيادين النائية وتحسنت احوالهم الاقتصادية ، بسبب المحافظة على انتاجهم من الأسماك والحيوانات البحرية لبيعها في الأسواق البعيدة باثمان عالية ، بدلا من تلفها ، واصبحوا ينظرون إلى أشعة الشمس في امتنان قائلين : شكرا شكرا ياشمسنا الحبيبة .

ومثل هذه المستعمرة السكانية يمكن اقامتها بنفس الصورة في الصحارى العربية ومتى فعلنا ذلك أدت إلى بقاء اليد العاملة ، وكان في مقدورنا استغلال اشعة الشمس في رفع الماء من باطن الأرض ومن رفع الماء تخضر الأرض وتؤتى من كل الثمرات احسنها . □□

مفارقات بين عين الانسان وعيون الحيوان

بقلم الدكتورة : سرى سبع العيش

□ هل استوقفنا التشابه بين عين الانسان وعين الحيوان ؟.! العينان وحدة واحدة من نسيج كونى متصل ، إن كليهما يستلهم الرؤية من خلال أشعة الشمس !

لو قورنت عين الانسان بعيون المخلوقات الفقارية الأخرى من ثدييات وطيور وأسماك وبرمائيات ، لما وجد إختلاف جذرى فى الأسس التشريحية التى تشكل العين ، ولا فى الوظائف الحيوية التى تقوم بها أجزاؤها المختلفة ، ولكن الاختلافات تتعلق بتطور تلك الوظائف وتنوعها وذلك تمشيا مع نوع الحياة التى يعيشها المخلوق ، والفعاليات التى يقوم بها والظرف الزمنى الذى يتحرك به ، ان كان حيوانا نهارى الرؤية أو ليليها ، أو كان طيرا جويا أو أرضيا أو حيوانا مائيا ، أو برمائيا . كذلك تتركز الاختلافات فى شكل العدسة البلورية ، وشكل البؤبؤ العينى ، ونوع الخلايا البصرية التى تنتشر على سطح الشبكية ، إن كانت عصيات أو مخاريط أو كليهما ، لأن العصيات هى الخلايا البصرية الحساسة للرؤية الليلية . أما المخاريط

فهي الخلايا البصرية الحساسة للرؤية النهارية ، وكذلك تشمل الاختلافات والتغايرات ملحقات العين كالاجفان ، والأهداب والغدد الدمعية والعضلات المحركة للعين . فحركات الاجفان وأشكالها وعددها تتبع نوع الحياة التي يحياها ويعيشها المخلوق ، والحركة الدائمة التي يقوم بها سعيا وراء رزقه ، وكذلك حركات العين فهي مقدرة تبعا للوضع الذي يكون عليه في حياته إن كان قائما يمشي على اثنتين أو أربع ، أو طائرا في الجو يقتنص فريسته الأرضية أو المائية ، أو سابحا في الماء يتصيد ما يطوله من أحياء مائية .

ولنأخذ الأمثلة التالية تسهيلا لهذا البحث

عين القط

تشبه عيون الفقاريات آلة التصوير ، فالضوء يدخل العين عبر فتحة البؤبؤ الذي يتغير حسب شدة الاضاءة وضعفها . وانكسار الضوء يحدث في العدسة التي تركزه في بؤرة على الشبكية الحساسة للضوء . ولكن آلات التصوير ، وخاصة الحديثة منها ، تحوى عددا من العدسات تتغير حسب بعد الجسم أو قربه . وحاجز البؤبؤ فيها أيضا يتغير ضيقا أو اتساعا ، حسب شدة الاضاءة أو خفوتها . ولكن عين المخلوقات الحية تتميز بمرونة البؤبؤ فيها فهو يضيق عندما تشتد حدة الاضاءة فتدخل الأشعة اللازمة للرؤية الواضحة وتمنع الأشعة المتبعثرة المؤذية الوهاجة ←

عين القط نهارا

عند التعرض لأشعة الشمس يضيق البؤبؤ كثيرا كما يبدو في الصورة ، وبفضل عضلات خاصة في القزحية ينغلق بشكل شق عمودي . فهو صمام أمان يمنع عبور الأشعة المؤذية للعين ، بينما يسمح فقط للحد الأدنى من التوهج ، متكيفا حسب نمط الخلايا الشبكية المبصرة .

من دخول العين فتكون الصمام المنظم للاضاءة . أما عندما تخفت الاضاءة ليلا أو فى الأماكن المظلمة ، فالبؤبؤ يتسع ليضم أكبر كمية من الحزمة الضوئية تكفى لتحث الشبكية على الاحساس بالضوء ورؤية الأشياء بدقة عالية . وهكذا أيضا تتسع دائرة البؤبؤ عند رؤية الاشياء البعيدة ، وتضيق عند النظر للاشياء القريبة ، وهو أيضا يتسع عند الفزع والغضب ليدخل الانارة القصوى فتدق رؤية الأشياء ، أى أن العين كباقى أجزاء الجسم تكون فى غايتها القصوى من حيث الحيطة والحذر استعدادا للطوارىء الخارجية بعد أن تنبه الجهاز العصبى الذاتى الحركة ، أما فى حالة الهدوء والسلم فيعود البؤبؤ لحجمه الصغير العادى .

أما القط فهو صياد ليلى ، يتربص باعدائه من الفئران والحشرات ، ويسير ببطء ، وخلسة ثم ينقض . وهذا العمل يتطلب منه تقديرا جيدا دقيقا للمسافة التى يقفزها ، وهو يملك عيونا كبيرة تتجه للامام مما يعطيه تراكبا فى الساحة البصرية فى العينين . وهذا يمنحه قدرا من الرؤية المجسمة . ولانه قناص ليلى ، فأغلب الخلايا الحساسة فى الشبكية هى من العصيات التى تعمل فى الضوء الخافت وفى الليل . لذلك تتسع الحدقة لديه ليلا وتصبح دائرية الشكل ، لتحتوى أكبر كمية من الأشعة ذات الامواج القصيرة الخافتة . أما فى النهار ولان العصيات الشبكية عند القط لا تطيق ولا تمتص الأشعة ذات الامواج الطويلة التى تكثر فى الضوء الساطع ، فيضيق البؤبؤ عند القط ليحمى الشبكة من أذى الشعاع القوى ، فيبدو البؤبؤ بشكل شق أسود طولانى عمودى وذلك بفضل عضلات خاصة فى القزحية

ظاهرة التألق

وهنالك ميزة ليلية لدى القط وهى ظاهرة

عين القط ليلا

البؤبؤ مستدير ، واسع ، ملء الحدقة ، وظاهرة التألق واضحة بسبب الطبقة الباطية خلف الشبكية التى تمتلك خاصية التألق عند التعرض لضوء ساطع . فهى تعمل كمرآة عاكسة ، تعكس عبر العصيات الاشعة التى لم تمص ، فتهب القط قدرة على الرؤية ليلا بوضوح .

التألق ، فعين القط تشع فى الظلام ، وتتألق بلون أصفر مخضر عند تعرضها لضوء ساطع ، وتفسير ذلك هو أن القط يمتلك طبقة بساطية تحت الشبكية تحتوى تركيزا عاليا من مادة الريبوفلافين ، وهذه تمتص الأشعة ذات الأطوال القصيرة ٤٤٥ ، ٣٧٢ ، ٢٦٩ ، ٢٢٥ ، أنغستروم ، وهى قادرة على التألق سواء عند التعرض للأشعة فوق البنفسجية ذات الاطوال ١٧٠ ، ٣٩٠ ، أنغستروم أو أشعة الشمس ، فبعد تعرضها لتلك الأشعة تتهيج ذرات الريبوفلافين وتمتلك قدرة كافية تطلقها عند عودتها لحالة الاتزان ، فتعمل كمرآة عاكسة تطلق عبر العصيات بعض أو كل ما امتصته من أشعة ، فيتمكن الحيوان من الرؤية الدقيقة الواضحة فى الليل .

أما عين الانسان فهى نهارية ليلية ، لان شبكيته تحتوى نوعين من الخلايا الحساسة ، العصيات التى لا ترى الا فى الظلام ، والمخاريط التى لا ترى الا فى الضوء الساطع ، وهى التى تميز أيضا الألوان . فالمصابون بالعشى أو العشاوة الليلية لا توجد فى شبكياتهم عصيات ، وهى ان وجدت تكون ضامرة ضعيفة ، والعكس صحيح بالنسبة للمصابين بعمى الالوان ، اذ لا تحتوى شبكياتهم على مخاريط للالوان التى تعجز عن رؤيتها ، ومن هنا جاء عمى الليل وعمى الالوان ، وقد تبين أن معظم الفقاريات لاترى الألوان . لانها لا تحوى مخاريط كافية فى شبكياتها . أما بالنسبة للثيران التى تستثار بالرداء الأحمر فى حلبة صراع الثيران ، فهى في الحقيقة مصابة ايضا بعمى الألوان ، ولا تميز اللون الأحمر عن غيره ، ويمكن استثارتها بمجرد التلويح بأى وسيلة أخرى ، ولكن ربما كان اللون الأحمر أكثر تلاؤما مع زى وزهو مصارع الثيران نفسه ، واللون الأحمر يضفى على الحلبة رونقا لبداية الملحمة التى تبدأ برداء أحمر وتنتهى بدماء حمراء . □□

الشياطين الصغار

بقلم : الدكتور عبد القادر ياسين

□

ودعت زميلاتها عند باب المدرسة ، وسارت وحدها تخترق طرقات المخيم متجهة نحو البيت . هزت رأسها تزيح خصلة الشعر عن عينها اليمنى ، ورفعت وجهها نحو الشمس تغمره بأشعة الربيع الدافئة .

كان الطقس جميلا ، والسماء صافية ، والأرض كأنها فتاة خرجت لتوها من الحمام . شعرت بدفء الشمس يسري في أطرافها كالمخدر ، فتمنت ان تظل سائرة هكذا الى الأبد . قصرت خطاها ، وأخذت تسير على مهل وهي تضم حقيبة كتبها الى صدرها ، وعيناها تترددان بين دفء الشمس ومعالم الطريق .

وفي أوج نشوتها نسيت احساسها بالجوع . كل حواسها كانت مفتوحة لاستيعاب اكبر قدر ممكن من نشوة الدفء . شدت حقيبة كتبها الى صدرها كأنها تحتضن العالم كله .

وتذكرت ان اكثر شيء كان يبعث اللذة في نفسها ، وهي طفلة ، هو الاستلقاء على العشب الأخضر في ضوء الشمس . وكان والدها يراها وقد غلبها النوم فيحملها بين ذراعيه ويدخلها الى البيت خوفا عليها من ضربة الشمس . ولما لم تنفع الحسنى كان يضربها ويتهمها بأنها طفلة كسول لن تفلح في شيء . ومنذ ذلك اليوم لم تسمح لنفسها بالاستلقاء في ضوء الشمس ، حتى بعد أن زال خطر الضرب والاتهام الى الأبد .

كان وقع أقدامها على الطريق رتيبا كالايقاع في خلفية معزوفة موسيقية . قفزت فوق بقعة ماء في وسط الطريق ، فقفزت ذاكرتها الى ماقاله الاستاذ في درس التاريخ من أن « المتعة تبطىء الحركة ، ورخاء الشعوب يؤدي الى كسلها وتدهورها . »

ردت تحية احدى النساء ، وعادت الى استاذ التاريخ الذي تعتبره مثلها الأعلى .

أمر الحاكم العسكري الصهيوني بمصادرة مقدمة ابن خلدون من المكتبات ، ولكنه لم يستطع ان يصادرها من رأس الاستاذ تيسير . خمس سنوات قضاها في السجن يقرأ المقدمة حتى حفظها غيبا « من الغلاف الى الغلاف » ، نكاية باعدائه ومحتل وطنه ، الجروح التي لمّا تندمل في وجهه بعد ، تزيد من حدة ملامح بطولته .

في درس التاريخ كوّر قبضته كأنه قائد يحث جنوده على القتال : « ان الشعوب التي تناضل من أجل حقها في الحرية والاستقلال والحياة الحرة الكريمة لا وقت لديها للكسل والخمول ، ولا مكان فيها للكسالى والمتخاذلين » .

حين تذكرت ذلك ، خجلت من استمتاعها بدفء الشمس ، خفضت بصرها وحثت خطاها كأنها تسير لملاقاة الاعداء . بعد لحظة دخلت زقاقا ضيقا تزدحم البيوت على جانبيه،تراصّ البيوت يحجب الشمس ويثير رائحة مياه الغسيل التي لاتجف أبدا . برودة الجو أعادت احساسها بالجوع ، فحاولت ان تخمن نوع الغداء الذي اعدته أمها لهذا اليوم ، عملية التخمين كانت صعبة على الرغم من أن أصناف الطعام التي تطبخ في منزلهم منذ عامين لاتزيد على عدد انواع الخضراوات التي تزرع في حديقة البيت الصغيرة ، وبيض الفراخ الأربع التي لايسمح لها بالتكاثر . فأمها طاهية ماهرة تستطيع ان تصنع من البيض و البطاطا والباذنجان عشرة انواع من الطعام لكل منها اسمها الخاص .

* * *

كانت أمها تعرف انواع الطعام الذي يشتهيه أبوها اكثر من غيره . وفي ذلك اليوم الذي لاتمحى ذكراه من مخيلتها عاد والدها الى البيت عند المساء خائر البطن . وكانت زوجته قد أعدت له نوع الطعام الذى يشتهيه ، فأكل حتى انتفخ بطنه ، ثم سألها وهو يشرب القهوة عن سبب هذه الوجبة الخاصة فأجابت : « هذه الليلة ينتظرك جهد كبير ويجب ان تكون قويا » . لم تفهم ابتسام معنى هذه الجملة الا في اليوم التالي . عند منتصف الليل أفاقت ووالدها يقبلها هي واخوتها في الفراش . وبعد لحظة خرج والدها من البيت وأمها تدعو له بالنصر والعودة الى البيت سالما .

كانت دعوة أمها مستجابة . ففي تلك الليلة انتصر والدها وعاد سالما ولكن ليس الى البيت .

سمعت صوت مجموعة من الأولاد يتراكضون في الزقاق باتجاهها ، فانتحت جانبا الى ان مروا كالسيل الهادر بالعشرات ، كانوا يصرخون ويلوحون بأيديهم ، وينحنون على أرض الزقاق راكضين فيقتلعون الحجارة ويحملونها مستمرين في الركض كالفرسان على ظهور الخيل ، وكلما مروا من أمام بيت زاد عددهم الى ان اختفوا في نهاية الزقاق .

هؤلاء الشياطين لايستطيع المرء ان يصنفهم ، في المدرسة ملائكة يشع النور منهم ، وفي البيوت ينضح العرق من جباههم كعمال المناجم ، وفي الطرقات يلعبون بالوحل ويتشاجرون كالديوك ، وفي المظاهرات يتصدون لجنود العدو بحجارتهم واطاراتهم المطاطية ، فيشع الأمل في نفسك وتؤمن بأن صلاح الدين لم يمت .

تخيلت اخوتها جالسين في ساحة البيت ينتظرون عودتها وعيونهم تدمع جوعا ، وأمها تلعن اليوم الذي سمح فيه للبنات بدخول المدرسة . أخوها أحمد شيطان رجيم على الرغم من أن سنه لاتزيد على ثماني سنوات . في أيام الجمعة يجمع شلة اصدقائه ويذهبون الى المقبرة للتدرب على رمي الحجارة . كل شاهد قبر في المقبرة يمثل عدوا لهم ، والماهر من يستطيع أن يقلب شاهدا عن أكبر بعد ممكن . . . قبل حوالي شهر رآهم امام جامع المخيم فحاول أن يطردهم بحجة انهم يدنسون حرمة الأموات ، فرفضوا ، وقال له أحمد : « أمواتنا في الجنة . . . نحن نحارب الشواهد فقط ! سمعته احدى الجارات فحكت القصة لأمها وهي لاتتماسك من شدة الضحك .

* * *

سمعت أحد الشبان في بيت يقع على يسارها يصفر صفيرا خاصا فالتفتت . ورفع يده بالتحية والبسمة ملء وجهه . فابتسمت ورفعت يدها ترد تحيته ، ثم عادت تحتضن حقيبة كتبها وتحث السير نحو البيت . انه سمير زميلها في الدراسة . كلما رأت وجهه تذكرت كعكة السمسم . فكلما خرجت من الصف في استراحة الغداء تجده قد اشترى كعكتين : واحدة لها والأخرى له . زميلاتها في المدرسة يتهمونها بأنها

تحبه وهي لاترد على ابتساماتهم الا بالابتسام والصمت . الغريب فيه أنه قوي العقل والجسم معا . اعتقله جنود العدو سبع مرات . كلما وفر ابوه مبلغا من المال ليؤمن دخوله الى الجامعة اضطر الى دفع المال لاطلاق سراحه من السجن . في المرة الأخيرة رجاه ابوه أن يهدأ قليلا حتى يدخل الجامعة فأجابه : « في المرة القادمة ، يا أبي ، لن تضطر الى دفع كفالة لاطلاق سراحي » .

حين وصلت الى منعطف الزقاق المؤدي الى البيت ، لمحت على البعد مجموعة من الأولاد منبطحين على سفح التل القائم على مشارف المخيم من الجهة الشرقية . استغربت هذا النوع من اللعب الهادىء وتمنت ان يظل لعبهم هكذا دائما .

واقتربت من محددة المعلم يوسف ، فتوقف الطرق على الحديد . ولما اصبحت مقابل باب المحددة احست بنظراته على كتفيها . التفتت نحوه فأدار رأسه بسرعة ووهج النار يضيء الشقاء في وجهه . ثم عاد الطرق على الحديد يرن في أذنيها . ليس عبثا هذا الاحترام الكبير الذي يحظى به المعلم يوسف . . . شاب في مقتبل العمر ، يخجل من ظله ، ولايخرج الصوت من فمه الا نادرا . لم يجرح طوال حياته شعور أحد ولم يؤذ نملة . يشتغل اثنتي عشرة ساعة في اليوم ، وجيرانه يقولون انهم يسمعون طرق الحديد في بيته في ساعات الليل . في المخيم شائعات تقول ان المعلم يوسف يصنع في بيته أشياء سرية لايعلم بها أحد . أبوه أقعده الكبر ، وأمه لاتقوى على شيء الا اصدار التعليمات لبناتها الخمس اللواتي بقين معها في البيت .

أخبرتها أمها في الأسبوع الماضي أن والدة المعلم يوسف تطلب يدها لابنها الوحيد . أمها ، بالطبع ، لاتريد ان تزوج ابنتها الوحيدة فى وقت مبكر . وهي شخصيا لم تفكر في هذا الموضوع حتى الآن . هل ترضى بالمعلم يوسف زوجا لها ؟

* * *

قطع حبل افكارها هدير سيارات تقترب من المخيم . نظرت فلم تر سوى مجموعة الاولاد منبطحين على سفح التل وقد بدأت الحركة تدب فيهم . بدأت الريبة تدخل الى نفسها،فالاولاد لايلعبون بل يتهيأون للقتال . ورجال المخيم معظمهم لما يعد من العمل بعد . . . هرولت نحو البيت وهي تتعثر بذكرياتها . في المدرسة سمعت صباح اليوم طلابا يتحدثون عن عملية الليلة الفائتة : مجموعة كمنت لدورية من جيش العدو واشتبكت معها ثم انسحبت نحو الداخل بسلام والجنود يتعقبون اثارهم

على عتبة البيت وجدت أمها واقفة مع مجموعة من النساء يراقبن الاولاد على التل . علمت من أمها ان الاولاد عرفوا باقتراب الجنود قبل غيرهم فخرجوا لاستقبالهم بالحجارة ، من بين اخوتها الثلاثة سمحت أمها للكبير فقط ان يذهب مع الاولاد الى ساحة المعركة ، أما الصغيران فقد حبستهما في البيت .

دخلت البيت فوجدت أخويها الصغيرين يبكيان والطعام على المائدة في وسط الغرفة لم يلمسه أحد . طلبا اليها بالحاح ان تسمح لهما بالانضمام الى بقية الاولاد على التل فقالت لهما بأن عليهما اولا ان يتدربا على رمي الحجارة في المقبرة مع أحد ، وبعد ذلك يذهبان مع الاولاد الكبار الى المعركة . اقتنعا ، فتركتهما وخرجت دون ان تفطن الى معرفة نوع الطعام الذي اعدته والدتها لهذا اليوم .

في طريقها الى الخارج رأت ضوء الشمس يغمر العشب قرب شجرة الليمون فتمنت ان تستلقي على العشب في ضوء الشمس وتغط في نوم عميق ، سمعت صوت والدها يتهمها بأنها فتاة كسول لن تفلح في شيء فألقت حقيبة كتبها على العشب وأسرعت تعدو . على عتبة البيت اكتشفت ان امها ذهبت مع مجموعة النساء الى أول بيت في الجهة الشرقية من المخيم . في الخارج سمعت صخب الاولاد المشتبكين بالحجارة مع جنود العدو الذين ثارت ثائرتهم .

في الزقاق التقت بزميلها سمير وهو يعدو مع مجموعة من شبان المخيم نحو التل . طلبت اليه ان ترافقهم فوافق شريطة ان تبقى بعيدة عن ساحة المعركة .

عند أول التل وقفت مع بقية الفتيات كجيش الاحتياط في المؤخرة ، بينما تقدم شبان المخيم يحمون اخوتهم الصغار . من موقعها استطاعت ان تميز أخاها احمد وهو يجول في ساحة المعركة والحجارة تنطلق من يمناه كالرصاص ، سمعت أول طلقة رصاص فلم تحتمل بقاءها في موقعها . انفصلت عن جيش الاحتياط وتقدمت بضع خطوات الى ان أصبحت خلف سمير مباشرة .

***

حجر ينطلق من يد أخيها ليصيب جنديا صهيونيا بين عينيه ، فيتدفق الدم صابغا بزته العسكرية . أحمد يدرب الاولاد على رمي الحجارة على شواهد القبور في المقبرة . . . لايحتمل ان يظل « الشاهد » واقفا . . . يريد ان يراه منبطحا على الارض . احمد يتسمر في مكانه والحجارة تنطلق من يمناه نحو « الشاهد » المصبوغ بالدم . يقترب « الشاهد » خطوة بعد اخرى مكشرا عن انيابه ، واحمد متسمر يقذف الحجارة مصرا على ان ينبطح « الشاهد » على الارض . على بعد خطوات يترنح الشاهد وينبطح على الارض ، فيقفز احمد في الهواء فرحا منتشيا بالنصر .

قفزة احمد توصله الى ايدي الجنود الذين احاطوا به وهو في غفلة عنهم ، جنود العدو يشبعونه ضربا بعصيهم . بصره مسمر على « الشاهد » المنبطح على الارض وفرحة النصر تملأ نفسه . الاولاد يوجهون حجارتهم نحو الجنود الذين يضربون احمد . ينطلق الرصاص في الهواء فتشتد المعركة .

شاهدت ابتسام جنود العدو وهم يضربون أخاها بوحشية . تتفجر غضبا . تسمع والدها يتهمها بأنها فتاة كسول لن تفلح في شيء . تهز رأسها تزيح خصلة الشعر عن عينها اليمنى وتتقدم بسرعة نحو جنود العدو . سمير يحاول ان يمنعها فتفلت من قبضته . تمسك بأخيها وتحاول ان تخلصه من أيدي الجنود . الجنود يضربونها بوحشية وهم « يبرطنون » بلغة لاتفهمها . . . ألم الضربة الأولى كان كافيا لأن ينسيها معنى الألم الى الأبد . دفء الشمس يزيدها اصرارا وقوة فتهجم من جديد . تدفع جنديا في صدره ثم تحتضن اخاها بشدة لتحميه من الضرب . . . ترى والدها يحاول أن يحملها في حضنه ويدخلها الى البيت خوفا عليها من ضربة الشمس فتزداد تشبثا بأخيها رغم الضرب .

جندي يمسكها من شعرها ويدفعها بعنف ، تراهم يجرون أخاها من قدميه نحو سيارة عسكرية ـ تسمع صوت الحجارة يئز في الهواء ، وصوت النساء والفتيات اللواتي انضممن الى المعركة دفاعا عن أولادهن . ترى والدها يقبلها بعد منتصف الليل قبل خروجه من البيت . ترى كمكة السمسم ، فتهجم على جنود العدو لتخلص أحمد .

تحاول ان ترمي جسمها فوق أخيها . يركلها جندي بين فخذيها فتتراجع بضع خطوات ولكنها لاتنبطح على الارض . كعكة السمسم تضرب ذلك الجندي بقبضتها في وجهه بكل قوة . الجندي يصوب بندقيته نحو صدرها . ترى سميرا يحمل كعكة السمسم اليها في المدرسة كل يوم،تنحني على الارض فتحمل حجرا بيمناها وتهجم على الجندي . تدق الحجر في رأسه فينبطح قبل ان تنطلق رصاصته .

جندي آخر يصوب بندقيته نحو صدرها . ترى والدها الذي عاد سالما ولكن ليس الى البيت . تسمع الطلقة . تحس دفء الشمس في صدرها . ترى احمد يقفز في الهواء فرحا بالنصر . تستلقي على العشب في ضوء الشمس الى الأبد . وتغلق عينيها على حقيبة كتبها قرب شجرة الليمون . □□

لوح من مملكة ايلا

لغز ايبلا

هل كانت مملكة عربية ؟

بقلم : محمد الاسعد

منحوتة من مملكة ايلا

□ الكشف الجديد لمدينة ايبلا شمال حلب ، يعيد رسم لوحة التاريخ القديم ، ويكشف الكثير من الحقائق الهامة ، ويضع على المؤرخين العرب مسؤولية اعادة كتابة التاريخ القديم على ضوء الحقائق الجديدة .

في اكتوبر من عام ١٩٧٥ توصلت بعثة ايطالية للتنقيب عن الآثار في موقع « تل مرديخ » شمال مدينة حلب الى العثور في غرفتين من غرف قصر ملكي على آلاف الالواح الطينية قدر عددها بـ ١٦٥٠٠ لوح بالاضافة الى مئات الشظايا المحطمة .

وهكذا تكللت جهود التنقيب المتواصلة منذ عام ١٩٦٤ بالعثور على المحفوظات الملكية لما أصبح يطلق عليها في اوساط الباحثين مملكة « ايبلا » . تلك المملكة التي ورد اسمها في آثار متفرقة وجدت في بلاد سومر وأكد ومصر القديمة منذ البدايات الاولى للتنقيبات الاثرية في المنطقة العربية بحدود النصف الثاني من القرن التاسع عشر .

وقد ظل اسم « ايبلا » علما على مملكة مطمورة تحدثت عنها كتابة منقوشة على تمثال للملك (جوديا) حاكم « لكش » السومرية في الالف الثالث قبل الميلاد ووصفتها بالمصدر الذي يمد « لكش » بالاخشاب . وتحدثت عنها نصوص وجدت في مدينة (اور السومرية) بوصفها مركزا لصناعة النسيج .

وظهر اسم المملكة مجددا على لوح مهم اكتشف في نهاية القرن التاسع عشر يصف فتوحات (سرجون) الاكدي (٢٣٤٠ - ٢٢٨٤ ق . م) ويشير الى احتلاله لثلاث مدن هي (ماري) و (ايبلا) و (يارموتي) ، وهو في طريقه الى جبال الامانوس :

وعاد الاسم مجددا الى الظهور في كتابة على تمثال بازلتي عثر عليه في مدينة (اور) . وتروي الكتابة فتوحات حفيد (سرجون) المعروف باسم (نارام - سن) الذي حكم بلاد سومر وأكد ما بين (٢٢٥٩ - ٢٢٢٣ ق . م) وضمن هذه الفتوحات يذكر هذا الملك انه فتح (ايبلا وأرمان » اللتين لم يسبق ان فتحهما أحد قبل نهاية الخليقه . . . » .

ويبدو ان هذا الفتح الاخير قد قضى على سيادة مملكة (ايبلا) وأودعها متحف التاريخ . فقد جاء في نقوش هيروغليفية على أحد اعمدة معبد الكرنك في مصر العليا - ان جيش (تحوتمس الثالث) (١٥٠٠ ق . م) قد مر بناحية اسمها (ايبلا) وهو في طريقه الى الفرات .

ورغم ان توارد هذا الاسم وبهذا الترتيب ومن عدة مصادر يشير الى حقيقة وجود هذه المملكة ، وازدهارها في المنطقة المعروفة باسم أرض (كنعان) الا ان أحدا لم يستطع ان يحدد موقعها بنجاح .

وظل الأمر كذلك حتى توصلت البعثة الايطالية اثناء تنقيباتها قرب حلب الى العثور على جذع تمثال نذري نقش عليه بالحروف المسمارية نص يدل على انه للملك (ابلت لم) ملك (ايبلا) .

وكانت هذه البداية هي المؤشر الذي وجه التنقيبات ، وقاد الى القصر الملكي ، والى العثور على غرفة المحفوظات .

وهكذا انفتح سجل التاريخ القديم الذي تم ترتيبه وفق التنقيبات في أرض الرافدين ومصر الفرعونية على قوتين هما قوة حضارة أرض الرافدين وحضارة مصر الفرعونية . وظهر بعد

اكتشاف (ايبلا) نقض هذا الترتيب الذى قام على أساس مقارب للحقيقة العلمية وليس الحقيقة كلها .

الاصول العربية

اظهرت الترجمات الاولى لنصوص (ايبلا) المكتوبة بالخط المسمارى وبلهجة مختلفة عن السومرية والبابلية والاشورية وقريبة من الاكادية والكنعانية ، ان هذه المملكة التى بادت فى عشرينيات الالف الثالثة قبل الميلاد ، كانت مملكة ذات مدنية متطورة فى أرض (كنعان) توازى مثيلاتها فى أرض الرافدين ومصر وكانت قوة سياسية كبرى هيمنت على اجزاء اساسية من هذه الارض ، وكان لها أحلاف واتفاقيات سياسية واقتصادية . وكان تجارها يجوبون البلاد من الاناضول الى مصر ، ومن البحر الابيض المتوسط الى أرض الرافدين .

على ان القيمة الحقيقية لهذا الكشف تغوص عميقا الى الطبقات التحتية للبنية السياسية والاقتصادية ، أى موقع (ايبلا) الفكرى فى مضمار ما يطلق عليها اصطلاحا « الحضارات السامية » . ويشمل هذا الموقع اللغة والدين والآداب والفنون وكل المنجزات الفكرية والتطبيقية التى حققتها هذه الحضارات وطبعت بها تاريخ المنطقة (السامية) حتى العصر الراهن .

والحقيقة ان هذا الطابع الفكرى العام الذى كشفت اجزاء منه الآثار المعروفة فى وادى الرافدين ومصر الفرعونية ليس افتراضا بل هو واقع أصبح مقررا منذ نصف قرن . وقد غذت التنقيبات المتتابعة فى المناطق السورية هذا الواقع بالمزيد من التفاصيل وخاصة تلك التى تمت فى موقع مدينة (مارى) على الفرات وفى موقع مدينة (اوغاريت) قرب اللاذقية .

وتبين ان هذا الطابع الحضارى قد امتد الى بلاد اليونان الاغريق ومنها الى الحضارة الغربية الحديثة .

وبعد ان كانت نزعة المركزية الاوربية تدعى ان تاريخ الحضارة لا يمتد زمنيا الى ما هو أبعد من الاغريق وما اطلقوا عليها (الحضارة العبرية) اصيبت هذه النزعة بحرج بالغ ، وتبلبلت افكار دعاتها أمام الالواح الطينية فى سومر وأكد وبابل وآشور واوغاريت وأريحا واعمدة الكرنك .

ولم تظهر هذه الالواح ان المنطقة العربية ذات مساهمة عريقة فى سلم التحضر الانسانى فقط ، بل أظهرت شيئا فى منتهى الاهمية وهو ان ما يسمى (بالحضارة العبرية) مصطلح مختلق شأنه فى ذلك شأن مصطلح (السامية) وان تاريخ المنطقة وفق الوثائق الاثرية لم يشهد الا موجات حضارية مترابطة وذات أصول لغوية ، ودينية وأدبية وقانونية واحدة ، تلك هى الاصول العربية .

ورغم تصاعد موجة الاعتراف بوجود حضارات غير حضارة الاغريق أضاءت العالم القديم فى الوقت الذى كانت فيه أوروبا تعيش عصورها الحجرية ، الا ان هذا الاعتراف ظل مشوبا بروح غير علمية حين يصل الامر الى تحديد هوية هذه الشعوب التى أقامت هذه الحضارات والى تحديد الموقف من خلافات راسخة تداولها العالم بوساطة (التوراة) اليهودية .

فقد ظل هذا النص المكتوب فى القرن الخامس قبل الميلاد نوعا من الكتاب المقدس والمرشد لدى المؤرخين والباحثين وعلماء الحضارات وفلاسفة التاريخ من الغربيين . حتى لو ضللهم ، وتعارضت خرافاته مع حقائق علوم الاثار واللغات والاجناس .

ومن هنا فقد تبنى « شلوتز » النمساوى فى عام (١٧٨١) تسمية (السامية) ليصف بها الشعوب العربية وموجاتها المتتابعة من الجزيرة

العربية الى الهلال الخصيب . ومن هنا ايضا أطلقت على اللهجات المتعددة مثل البابلية والآشورية والكنعانية والآرامية تسمية اللغات السامية وليس اللهجات العربية ورغم ورود لفظ « السامية » في الوثائق التاريخية الا انه أصبح معتمدا باصرار غريب حتى يظل لخرافة انحدار شعوب العالم من عدد من اسماء الاشخاص وزنها وتظل (التوراة) هي المرجع والاساس .

والمتابع لكتب الرحالة الغربيين عن الاقطار العربية يلمس كيف بنيت في الذهنية الغربية صورة هذه الاقطار وفق التصور التوراتي ، والمفارقة ان هؤلاء الرحالة كانوا ينظرون الى كل الاقطار العربية بمنظار التوراة حتى في القرن العشرين لقد اصبحت تواريخ وجغرافيا واجناس المنطقة وأصولها رهنا بما علمته التوراة للغرب بينما لم يكن هذا الكتاب بالنسبة لعمق المنطقة الحضاري غير قشرة على السطح . وسنرى في ابحاث قادمة . كيف اثبتت المكتشفات الاثرية هذه الصفة القشرية .

الصهيونية .. أيضا

لقد طرحت (ايبلا) على بساط البحث هذه القضية بشكل متفجر حين بدأ عضو البعثة الاثرية الايطالية « جيوفاني بتيناتو » اثر اكتشاف الالواح بترويج اقاويل مؤداها انه قرأ في الالواح اسماء مثل « ابرام » و « داود » و « عيسو » و « أبر » و « اسرائيل » واسماء مدن مثل « حاصور » و « مجدو » و « غزة » و « اورساليما » .. الخ . ذاهبا الى ان هذه الاسماء هي نفسها التي وردت في التوراة ..

وخلال جولة له في الولايات المتحدة في نيسان عام ١٩٧٦ أسهب في الحديث عن اكتشافاته هذه فلم يسأل عن اسم او حدث الا وزعم انه موجود في الواح (ايبلا) . وتلقف الباحثون التوراتيون المهتمون بتثبيت صورة العالم كما تحدده التوراة هذه التصريحات . وبدأت تنهال على الصحافة الاميركية والبريطانية عشرات التكهنات والتحليلات المتجهة الى هدف واحد : وهو اثبات ان مملكة (ايبلا) مملكة يهودية بدليل الاسماء الواردة في الواحها . وأن أصل اليهود يرجع الى هذه المملكة .. !

وكان اركان الحملة ثلاثة افراد هم : دافيد فريدمان رئيس تحرير مجلة الآثار التوراتية ، وميتشل دافيد رئيس المعهد التوراتي في روما . وجيوفاني بتيناتو عضو البعثة المنقبة وتابعهم في ذلك عدد كبير من صحفيي « التايم » و « النيوزويك » و « الديلي تلغراف » و « والايكونومست » و « الوول ستريت جورنال » و « لوس انجلوس تايمز » .

وركزت هذه الحملة على القول انه « طالما ان لغة (ايبلا) قريبة من العبرية ، وان نصوص (ايبلا) تحوي اسماء اعلام واسماء مدن وردت في التوراة فانه من المحتمل بكل بساطة ان يكون أصل العبرانيين من (ايبلا) .. ! »

وعندما وصلت هذه الحملة ذروتها عقد رئيس البعثة المنقبة البروفيسور (باولو ماتيه) مؤتمرا صحفيا في أيلول ١٩٧٧ بين فيه حقيقة الالتباس الذي يقع فيه المؤمن بخرافات التوراة ، ويحاول ان يجر اليه الناس . فذكر ان تشابه وورود الأسماء في الواح ايبلا والتوراة ليس معناه انها اسماء « يهودية » « أو عبرية » فهذه الاسماء أصلا اسماء معروفة وشائعة في المنطقة وبين شعوبها قبل ان تظهر شخصية (ابراهيم) الذي يدعي اليهود الانتساب اليه بألف عام . وقد وجدت في عدة مناطق من أرض كنعان وبالتالي لا يمكن ان تكون لها دلالة خاصة تؤيد المزاعم اليهودية .

وكان لتوضيحات رئيس البعثة ، ولتوضيحات بعض الاختصاصيين مثل استاذ الاشوريات (روبرت بيغس) الاثر الكبير في

كبح تقولات الصحافة الغربية والتوراتيين ، وبدأت تنحسر موجة التضليل شيئا فشيئا مع تزايد عدد الالواح المقروءة من محفوظات (ايبلا) . وبدأ عضو البعثة بتيناتو سلسلة من التراجعات اظهرت أي نوع من المهازل يمكن ان يقود اليها باحث يبذل قصارى جهده لاثبات الخرافة رغم انف العلم .

والمثال التالي يوضح ما انتهت اليه هذه الحملة : فقد زعم بتيناتو هذا انه قرأ في اللوح رقم (ت م ٧٥ - ١٨٦٠) اسماء مدن السهل الخمس الواردة في التوراة في سفر الخليقة ، وانها واردة وفق ترتيب التوراة نفسه وهي مدن : سادوم - عمورا - ادما - هبوييم - بالع . ثم تراجع . . وقال ان الاسماء ليست واردة في لوح واحد ولكنها موزعة في عدة الواح . ثم اضاف ان ثلاثا منها قرئت مغلوطة . وأخيرا تبين ان اللوح المشار اليه يتعلق بسبائك معدنية . !

العلم يتحدث

وازاء ما اثارته هذه الحملات من ضباب وتقولات وجهت سوريا الدعوة الى عدد من الاختصاصيين في قراءة الكتابات المسمارية في العالم ، وتألفت في عام ١٩٧٨ لجنة دولية ، وبدأت تصدر منذ عام ١٩٨١ دراسات متصلة تحت اسم « نصوص محفوظات ايبلا الملكية » كما بدأت البعثة الايطالية باصدار نتائج دراساتها حول موضوعات لغوية وأثرية وتاريخية خاصة بايبلا وذلك في مجموعتين الاولى تسمى (حوليات ايبلا) **Annali De Ebla**) والثانية تسمى (دراسات ايبلوية) **Studi Eblaiti**) .

وفي مايو من العام ١٩٨١ عقدت في جامعة روما ندوة عالمية حول (ايبلا) اشترك فيها عدد من علماء اللغات القديمة ، والتي خلالها ثلاثون بحثا . ووضعت قضية (ايبلا) في مسارها الصحيح . وأعطت اللجنة ردا علميا على حملة الاوساط التوراتية تضمن أنه لا علاقة لايبلا من قريب أو بعيد ، لامن حيث الشكل ولا المضمون ، ولا بشكل تقريبي بأي وجه من الوجوه بالعبرانيين او التوراة او قضاة العبرانيين وملوكهم . فايبلا تسبق ظهور هؤلاء بألف عام . وليس في نظمها السياسية أو الدينية او الاجتماعية علاقة بالجماعة البدوية الهائمة بين الرافدين ومصر ، والتي طرأت على الوسط الكنعاني وتعلمت لغته وتبنت موروثاته وتقاليده وأساطيره .

على أن هذا النشاط العلمي ، وان كان قد أسكت بعض الهواة في القضية الا ان الصحافة الغربية السياسية كما يبدو لم يعد يهمها الا أن تتابع قضيتها الخاصة وهي الاستمرار في ترويج اكاذيب بتيناتو وتكهنات التوراتيين والاوساط الصهيونية . وآخر ما قرأناه بهذا الخصوص هو المقال الذي نشرته - الديلي اكسبرس « البريطانية في سبتمبر ١٩٨١ . وتكهنت فيه : بان الجدال الذي اثارته (ايبلا) قد اشتد الى درجة يبدو معها ان مجموعة من التوراتيين اليهود ستشعل الحرب العربية - الاسرائيلية الآتية بالتمسك بأن سوريا هي الوطن الذي ورثه اليهود عن اجدادهم .

وعادت الصحيفة الى تكرار ما سبق وان دحضته تحريات العلماء ودراساتهم المتواصلة .

عرب . . لا ساميون

هل انتهت عند هذا الحد قصة (ايبلا) ، عند حد اغلاق الباب بوجه التفسيرات المغلوطة ؟

ان هذه القصة بكل مارافقها من اثارة لم تتوقف بعد ، وهذا الفصل الذي وصفناه في

السطور السابقة ليس الا جزءا من الصراع النقال الذي تشهده المنطقة العربية وما زالت ...رح مملكة (ايبلا) وآلاف الالواح المكتشفة في ...ناطق العربية الأخرى ترقد في المتاحف صامته ...سبب قلة خبراء اللغات القديمة في العالم ، ...سبب الكمية الهائلة لهذه الالواح . ولا شك ...وصول الى فك رموز هذه الالواح وقراءتها بحاجة الى سنوات طويلة .

...لا اننا رغم ذلك نستطيع القاء بعض الاشارات المهمة على طريق اعادة تركيب تاريخ حضارات المنطقة ، تلك الدلالات التي كشفت عن جزء منها ألواح (ايبلا)

لئن اتجه عدد من المختصين العرب الى مواجهة الحملة اليهودية والتضليل التوراتي ، بدلا من اخضاع مخطوطات (ايبلا) للدرس في ضوء مجموع ما كشفت عنه بحوث الحضارات في (اوغاريت) و (مجدو) و (اريحا) و (بابل) و (أشور) و (سومر) و (حضرموت) فان تصفية الحساب التي قام بها سومر ...ما في عام ١٩٨١ ليست نهاية المطاف . ...ما زالت المهمة مطروحة على هؤلاء المختصين . وذلك أن مسارعة الاوساط ...التوراتية الى مصادرة موضوع مثل موضوع (ايبلا) وان كان يحمل في ثناياه طابع الهجوم الا انه يحمل ايضا طابع الدفاع عن النفس . لان من الملاحظ في ضوء المكتشفات الآثارية التي تمت حتى الآن ، ان العلماء بدأوا ينصرفون عن (التوراة) ويتخلون عن اعتبارها مرجعا ذا قيمة تاريخية .

بالاضافة الى ان هذه المكتشفات بدأت تؤكد وبشكل متزايد ان ما في التوراة من تشريعات وقصص وآداب وتنظرات دينية ليست خلقا يهوديا . بل هي مخطوطات جمع فيها كتبة التوراة نصوصا من حضارات مختلفة ونسبوها الى انفسهم والى حكمائهم وهذه الحضارات المعنية هي حضارة سومر وأكد وبابل وأشور وكنعان والحضارة الفرعونية . وهي في غالبيتها العظمى ذات اطار واحد لا صلة له باليهودية لان هذه الحضارات نشأت وتكونت عبر بضعة الاف من السنوات .

وهذا يعني ان مصطلح (الحضارة اليهودية) أو (الحضارة العبرية) هو مجرد اكذوبة تداولها الباحثون الغربيون طيلة القرون الماضية بينما كانوا في الحقيقة يتداولون منجزات تشريعية وأدبية ودينية لحضارات أخرى وقد ظلت هذه الاكذوبة شائعة بفضل اندثار معالم هذه الحضارات القديمة والجهل بها .

على ان الكشف الاكثر اهمية من ذلك ، والذي أفرد له الدكتور (احمد سوسة) كتاب (العرب واليهود في التاريخ) هو ان ما تسمى بالشعوب السامية ما هي الا هجرات القبائل العربية المتتابعة من الجزيرة العربية منذ ما يقارب عشرين الف سنة قبل الميلاد .

وان ما تسمى بعائلة : اللغات السامية ان هي الا مصطلح يصف في الحقيقة لهجات للغة واحدة تفرعت مع هذه الهجرات . ولا يصح تاريخيا تسميتها الا بالطابع العام الذي طبع منابعها اي الطابع العربي .

اضافة الى أن المكتشفات الأثرية قد دلت على ان مصطلحات مثل « العبريون » و « الاسرائيليون » و « الموسويون » و « اليهود » ليست مترادفة وانما هي اشارات الى اقوام مختلفين من ناحية عرقية ودينية . وتفصل بين ظهورها وتداولها عدة قرون لا تقل عن ستمائة سنة .

فلفظ « عبري » او « عابيرو » يعني في الألواح القديمة البدوي المترحل ولفظ (اسرائيلي) هو اسم علم كنعاني . ولفظ (الموسويون) اشارة الى الجماعه التي خرجت من مصر بقيادة نبي الله (موسى) الى فلسطين . اما لفظ (يهود) فلا علاقة له بالعبيرو ولا باسرائيل ، وانما نشأ اللفظ نسبة الى مملكة يهوذا ، ولم يرد في النصوص التاريخية قبل وجود هذه المملكة على اجزاء من فلسطين في القرن السادس قبل الميلاد .

أيبلا . . أم عيبلا ؟

اذن فالباحثون العرب مطالبون باعادة تركيب التاريخ ، وكتابة هذا التاريخ على ضوء علم الآثار واللغات وحقائق الجيولوجيا وعلوم المجتمعات البشرية ، بعد ان كشفت قضية (أيبلا) كيف أن المنطق التوراتي يضع دائما الحصان وراء العربة ، فيجعل من السابق مقتبسا من اللاحق . أو يجعل للاحق وجودا يسبق وجوده التاريخي . وخطورة هذا المنطق انه لا يقتصر في هيمنته على دوائر محدودة بل يمتد الى دائرة أوسع هي دائرة الثقافة العالمية المعاصرة .

ويهمنا في ختام هذا البحث الاشارة الى نقطة في منتهى الخطورة نأمل من المختصين العرب أخذها بعين الاعتبار ، الا وهي قضية اللغة التي يجب أن تترجم اليها الالواح الاثرية . فمن الملاحظ من الصلات القوية بين ما تسمى (اللغات السامية) ورود عدد كبير من الكلمات العربية التي لا تزال مستخدمة حتى اليوم . من أمثال هذه المفردات التي وردت في الواح (أيبلا) : ، مليكوم . . . أخت . . يد . . تين ، ويشبه ذلك ما ورد من مفردات عربية في الواح أوغاريت ، وفي الالواح البابلية والاشورية .

ولا شك ان قراءة هذه المفردات قد جاءت بعد ان نقلت أولا الى اللغات الايطالية والفرنسية والانجليزية والالمانية . ولولا وضوحها الشديد لما كان ممكنا اكتشاف عربيتها .

ووصلت الينا محرفة كما حرفت آلاف المفردات التي تصلنا من الواح بابل وأشور واوغاريت . وسبب هذا التحريف يرجع الى أن مكتشفي الآثار من الاوربيين يستخدمون لغة لاتشترك مع (اللغات السامية) هذه بأبسط الاشياء ، أي تكافؤ الحروف نطقا وكتابة وعددا . ومن هنا تسقط في الترجمة عادة حروف سامية وتتحول حركات الاعراب الى حروف أصلية ، وتستبدل الحروف الساقطة مثل العين والضاد والحاء بحروف لاتينية . وحين تترجم الى العربية تكون قد بعدت عن الاصل نطقا وكتابة .

وقد تساءل د . عفيف بهنسي في محاضرة له (٣ آيار ١٩٧٨) هل تلفظ (أيبلا) على هذا النحو ووفق نطق اللغات الأوروبية ، ولا سيما وان الذين يقرأون النصوص هم ايطاليون وفرنسيون وانكليز والمان ، وكثيرا ما يضيع الحرف ، ع ، ويندثر لدى النطق ليلفظ « أ » اليس ثمة احتمال بأن يكون لفظ (أيبلا) هو (عيبلا) أو نحو ذلك ؟ !

وقد استرعت هذه الملحوظة اهتمامنا ، خاصة وان الدكتور (أحمد سوسة) أورد فقرة من كتاب حمزة الاصفهاني (تاريخ سير الملوك) تقول « ان العرب العاربة عشرة ، عاد وثمود وطسم وجديس والعمالقة وعبيل وأميم ورهط وجاسم وقحطان . . . » : وما استرعى انتباهنا هنا هو اسم قبيلة « عبيل » الوارد في هذه الفقرة ، وقربه الواضح من لفظة « عبيلا » . . اليس من المحتمل ان تؤكد ترجمات عربية للالواح ان هذه المملكة التي سماها المكتشف الايطالي « أيبلا » وأخذنا هذه التسمية عنه ، ما هي الا مملكة (عبلا) أو (عبيلا) العربية البائدة ؟ وانها ليست مجرد مملكة (سامية) ؟

هذه ملحوظات أولية ربما تثير الاذهان لدراسة الحضارات القديمة من منطلقات عربية وباللغة العربية ، واطراح المنطق التوراتي اللاتاريخي . وبوساطة الحرف اللاتيني .

ترى ما هي نتائج ترجمة الحروف المسمارية الى الحروف العربية مباشرة ؟ وكم من الاسماء المتداولة سيتضح انها أسماء محرفة ؟ وكم من الاحداث ودلالاتها سيعاد تركيبه ؟ واية صورة ستتضح لهذا الوطن العربي ؟ حين يكتب تاريخه القديم باللغة العربية لأول مرة ؟ □□

القرن العشرون
عصر انتصار القوميات الآسيوية والإفريقية

اتفقت كلمة المؤرخين والباحثين على تسمية القرن التاسع عشر باسم « عصر القوميات » . . وأنا لا أعترض على هذه التسمية ، من حيث الأساس . غير أني أعتقد أن الدقة العلمية تحتم علينا أن نقيد ذلك بقيد صغير ، ولكنه هام ، فنقول : « عصر القوميات في أوروبا » .

لأن القرن المذكور - وبتعبير أدق - القرن الذي امتد بين انتهاء الحروب النابليونية وبين انتهاء الحرب العالمية الأولى أو بين معاهدات فينا وتوابعها وبين معاهدات فرساي ولواحقها ، اذا كان عصر « انتصار القوميات » بالنسبة الى البلاد الأوروبية ، فانه كان عصر شيء آخر بالنسبة الى البلاد الآسيوية والأفريقية . . انه كان عصر « استفحال الاستعمار » .

حقا ، ان القرن المذكور كان « عصر انتصار القوميات ، في البلاد الأوربية » . بكل معنى الكلمة .

فان خارطة أوروبا السياسية تغيرت خلال القرن المذكور تغيرا أساسيا في اتجاه ثابت عام : هو تكوين دول قومية في مختلف أنحاء القارة الأوروبية .

ولا غرابة والحالة هذه ، اذا صار القرن التاسع عشر ، عصر « انتصار القوميات » في أوروبا ، وفي الوقت نفسه « عصر استفحال الاستعمار » في أفريقيا وآسيا .

واذا تعمقنا في البحث قليلا ، توصلنا الى حقيقة هامة اخرى ، وعلمنا : ان انتصار الفكرة القومية في أوروبا ، كان من جملة الأسباب التي أدت الى استفحال الاستعمار في آسيا وأفريقيا .

ذلك لأن انتصار مبدأ القوميات في أوروبا ، لم يترك أمام أية دولة من الدول ، أي مجال للتوسع في القارة المذكورة نفسها . لأن جميع دولها أصبحت قومية . ولأن حدود تلك الدول تقررت وفقا لمقتضيات مبدأ القوميات الى أقصى حدود الامكان .

ولذلك اضطرت الدول الطامحة الى تحويل أنظار توسعها الى خارج القارة الأوروبية.

ومن المعلوم أن الاستعمار الأوروبي للقارة الامريكية كان قد بلغ مداه قبل القرن المذكور ، وتتالت الحركات الاستقلالية في مختلف اقطارها . وفي الأخير أعلن منرو مبدأ « أمريكا

■ العدد الخامس - ابريل (نيسان) ١٩٥٩

للأمريكيين » ، فلم يترك للدول الأوروبية مجالا للتوسع جديداً في تلك القارة أيضا .

ولهذه الأسباب كلها ، توجهت أطماع التوسع بكليتها نحو القارتين الآسيوية والافريقية . .

وهذا العامل ، بانضمامه الى العوامل الاقتصادية المعروفة ، دفع الدول الأوروبية الى التهافت على استعمار تلك البلاد ، بسرعة وبشراهة .

ولذلك شهد العالم هذا الحادث القريب :

في الوقت الذي كانت خارطة أوروبا السياسية تتغير وتتطور وفق ما يرتضيه مبدأ « حقوق القوميات » صارت خارطة آسيا وافريقيا تتخطط وتتكون وتتقسم ، وفق مصالح المستعمرين ومساوماتهم المعقدة ، دون أدنى التفات الى الاعتبارات القومية .

وهذا هو الذي جعل القرن التاسع عشر ، عصر « انتصار القوميات » من جهة ، وعصر « استفحال الاستعمار » من جهة أخرى .

القرن العشرون قرن حاسم

ولكن . . من الطبيعي أن هذه الأحوال ، ما كان يمكن أن تدوم الى الأبد .

بل كان من الطبيعي ، أن تستيقظ الشعوب الآسيوية والافريقية من سباتها - الواحد بعد الآخر - وأن تتزود بأسباب الحضارة العصرية من ناحية ، وتعي حقوقها القومية وتطالب بها ، وتثور على مستعمريها من ناحية أخرى .

من المعلوم أن البعض من الشعوب المذكورة استطاعت أن تقطع شوطا كبيرا في هذا السبيل ، منذ بداية القرن الحالي ، ولا سيما منذ نهاية الحرب العالمية الأخيرة . ولكن ، لا يزال أمام معظمها طريق طويل وشاق ، محفوف بضروب من الموانع والعراقيل ، من الأشواك والأدغال ، من المهاوي والوديان .

ومع كل ذلك ، لا شك في أن الفكرة القومية ستتغلب في آخر الأمر . على جميع هذه الموانع والعراقيل . . وستنتصر في البلاد المذكورة كما انتصرت من قبل في القارة الأوروبية .

ولهذا السبب ، سيكون القرن الحالي : « عصر انتصار القوميات » في القارتين الآسيوية والافريقية ، و « عصر تلاشي وانهيار الاستعمار في جميع القارات » .

ولا شك في أن الأمة العربية ستكون أكثر المستفيدين من ذلك . لأنها - في الحالة الحاضرة - أشد المتضررين من الاستعمار ومن رواسبه ومخلفاته الخطيرة .

ساطع الحصري

الشيخوخة

ماذا يمكن أن نقدم لها؟

بقلم: الدكتور دري حسن عزت

□ الشيخوخة موضوع بدأ يطفو على سطح أولويات الاهتمام، ويفرض نفسه كمتطلبات حية تواجه المسئولين عن خدمات الصحة النفسية في المجتمعات النامية، ويلزم التخطيط لها من الآن لتوفير الهيئات الطبية والتمريضية والاجتماعية المتخصصة، وكذلك الامكانات الاسكانية.

عدد المسنين في ازدياد كما يظهر ذلك في التعداد العام للسكان، ونسبة عددهم لعدد السكان العام في ارتفاع، فنسبة من هم في سن الخامسة والسبعين وما فوقها لعدد السكان في انجلترا في عام ١٩١١ كانت ١,٥٪، وفي عام ١٩٥١ كانت ٤,٧٪، وفي عام ١٩٨١ كانت ٥,٦٪، ويقدر لها في عام ٢٠٠١ ان تكون ٦٪، وفي دولة الكويت كانت نسبة من هم في الستين وما فوقها عام ١٩٥٧ هي ٣,٩٪، وفي عام ١٩٧٠ كانت ٤,٢٪، اذن المؤشرات تفيد ان النسبة في تصاعد.

وقد ساعد في ذلك التقدم الشامل في علاج معظم الامراض التي كانت تودي بحياة الناس في منتصف العمر وقبله في لعقدين الاخيرين، لمعظم الحميات كالتفوئيد والامراض الصدرية كالسل وكذلك امراض السكر وضغط الدم ومضاعفاته ـ اصبحت لها علاجات فعالة ـ جعلت اعدادا كثيرة من البشر تصل الى سن الشيخوخة المتقدمة، واطالت في متوسط عمر الانسان الى حوالي ٧٤ عاما. ومما جعل موضوع المسنين ومسئولية رعايتهم من الموضوعات المثارة على مختلف المستويات ـ التغيرات الاجتماعية الجذرية التي وصل اثرها الى اساسيات انماط الحياة الاسرية، فحركة التمدين Urbanisation تسير بسرعة بالهجرة المكثفة من الريف الى المدينة او بتمدين الريف نفسه. ووصول مفاهيم المدينة اليه، مما جعل الاسر التقليدية الكبيرة المسماة بالاسر الممتدة Extended families التي كان يعيش تحت سقفها عدة اجيال من اجداد وآباء وابناء واحفاد، تتفتت الى

اسر صغيرة نووية تشتمل على الوالدين وعدد صغير من الابناء ، ففي الاسر الممتدة كان المسنون يحظون برعاية كافية على عكس الحال في الاسر النووية الصغيرة ، اذ يصعب على زوجين شابين انجبا طفلا او طفلين ان يتحملا مسئولية رعاية مسن لهما او اكثر ، غالبا ما يعاني من امراض جسمية مقعدة ، بجانب حالة شيخوخته الاصلية ، مثل هذا الوضع يمكن ان يدمر امثال هذه الاسر الشابة . ومن هنا تبرز مسئولية المجتمع في رعاية مسنيه على المستوى القومي بجانب ، اذا لم تتوفر الرعاية الاسرية الفردية التقليدية .

الشيخوخة . . ماهي ؟!

كثيرا ما يثار هذا التساؤل ، هل الشيخوخة حالة مرضية يمكن علاجها او الوقاية منها او تأجيل وقوعها ؟

الشيخوخة : مرحلة طبيعية في حياة الانسان ، وهي المرحلة الختامية التي تعده للنهاية المتوقعة المعروفة وهي نهاية كل حي .

توجد في جسم الانسان اجهزة المناعة **Anto-immune systems** وهي التي تحميه من المؤثرات والعوامل المعاكسة سواء النابعة من بيئته الداخلية او الخارجية ، وبدون قوة اجهزة المناعة هذه لا يستطيع الجسم المقاومة او التصدي للمتغيرات المستمرة ، فيضعف ويهلك ، واجهزة المناعة تضعف بالتدريج مع تقدم العمر ، ويصبح الجسم غير قادر على مواجهة العوامل المعاكسة لبقائه حيا فيستسلم دون مقاومة ويفنى .

والآثار النفسية والعقلية للشيخوخة ترجع اساسا الى ان الخلايا العصبية غير متبدلة كخلايا اخرى مثل الكرات الدموية التي تتجدد على فترات بموت بعضها وتكون غيرها ، فالخلية العصبية اذا عطبت تفقد وظيفتها جزئيا او كليا ، وعلى مر السنين يعطب الكثير من هذه الخلايا ويقل عدد الصالح منها ، وهذا يتسبب في هبوط مستوى اداء وظائف المخ ، ويظهر هذا في هيئة الاعراض الذهنية للشيخوخة .

متى تبدأ الشيخوخة ؟

وليس هناك وقت محدد تبدأ فيه الشيخوخة وتنتهي كما هو الحال في مرحلة المراهقة ، اذ انها عملية بطيئة ومتدرجة لا تظهر آثارها فجأة ، فعندما تظهر على الانسان اعراض الشيخوخة ويشكو من آثارها تكون العملية قد بدأت من سنوات دون مؤشرات واضحة حتى تتراكم الآثار بمرور الايام فتظهر واقعيا واكلينيكيا .

ولقد ارتبطت الشيخوخة تراثيا وتاريخيا بسن الاحالة على التقاعد ، فعند سن الستين بحكم نظام المجتمع على الفرد العامل في المؤسسات بالتخلي عن عمله فيها ، وبنقله الى حالة من البطالة الاجبارية ، هذه النقلة الحادة من النشاط الى الجمود ، تحدث صدمة نفسية تهز كيان

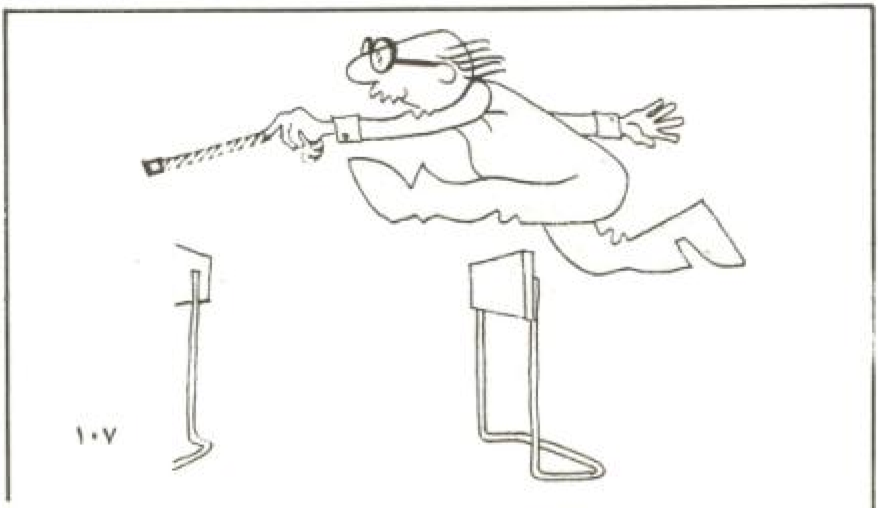

المتقاعد ، وغالبا ما تكون هي السبب المباشر في تدهوره العام ، ويفضل ان يكون التقاعد بالتدريج لكي يتأقلم عليه المرء ويتقبله ويستطيع التكيف مع البدائل الاخرى المتاحة .

ويصنف المسنون الى فئتين عريضتين : المسنون الشباب وهم ما بين الخامسة والستين والخامسة والسبعين ، والمسنون الشيوخ وهم ما فوق الخامسة والسبعين ، ويعتبر المسنون الشباب قادرين على الحياة المستقلة المثمرة بالقليل من العون والمساندة ، أو حتى بدون ذلك اذا احسن الانتفاع من قدراتهم ورغباتهم في العمل المناسب ، اما من هم فوق الخامسة والسبعين فيصعب عليهم الاعتماد على انفسهم وهم في حاجة الى عون حقيقي ومساندة كافية .

ويهدف المتخصصون في العمل في مجال المسنين الى الانتفاع بجهود المسنين الشباب لخدمة ورعاية المسنين الشيوخ ، فهم يدربونهم ويوظفونهم في هذا المجال من الخدمة الاجتماعية ، وبذلك يتيحون لهم فرصة لحياة نشطة يشعرون فيها بنفعهم ، ويزيدون من دخلهم مما يبطىء فعل الشيخوخة فيهم ، وغالبا ما يساعد على تقدمها الخمول وقلة المنبهات وعدم الاهتمام واللامبالاة .

اعراض نفسية وعقلية

ومن اعراض الشيخوخة الاعراض النفسية والعقلية ، وليس من الضروري ان تظهر كل الاعراض المذكورة في كل حالة ، لكن ظهورها وارد في معظم حالات المسنين الشيوخ ومنها :

ـ اضطراب الذاكرة او فقدانها لاحداث قريبة الوقوع ، كأن ينسى مكان وضعه لنظارته او محفظته او جريدته ، او ماذا تناول في افطاره ، كذلك ينسى اسماء الاقارب والاصدقاء واسماء الاماكن والاشياء وينسى المواعيد ، لكن احداث الماضي تظل حية في ذهنه فهو يستطيع ان يقص قصصا حدثت في الماضي البعيد بتفاصيل دقيقة،وينسى انه رواها منذ وقت قصير ، ويكررها مرات ، وبتقدم الحالة يمتد فقدان

النشاط

الذاكرة لأحداث الماضي البعيد ايضا ، وبتقدم الحالة اكثر يصعب على المسن التعرف على احد ولا حتى على نفسه .

ـ ضعف التركيز والاستيعاب والقدرة على الابتكار .

ـ الاهتمام بالتفاصيل والجزئيات فلا يرى الامور في ترابطها وكلياتها فهو يروي كيف ذهب الى مكان ما ويعنى بتفاصيل مملة لا داعي لها ، لكنه ينسى الهدف الاصلي من الذهاب الى هذا المكان .

ـ سوء التقدير واضطراب الحكم على الامور ، فلا يعرف قيمة المال او الممتلكات ، وهنا يسهل التأثير عليه واستغلاله .

ـ تقلب الانفعالات ، فيبكي بدون سبب واضح ، وكذلك يضحك بسرور ورضا دون مبرر ، فاذا سئل عن حاله انهمرت دموعه بغزارة ويصعب عليه السيطرة على انفعاله نتيجة هذا المنبه البسيط .

ـ فقدان السيطرة على الغرائز والرغبات الجنسية ، فيمكن ان يندفع بلا وعي الى المحارم مما يسبب مشاكل اسرية واجتماعية .

ـ يزاح المسن غالبا من دائرة الاهتمام الى جانب،بعيدا عن الاضواء ، ولكونه يعيش في الماضي ولا تثيره احداث الحاضر فينفض عنه شباب الاسرة ولا يأخذ برأيه في الامور،فيشعر انه زائد عن الحاجة ، وكأنه اصبح عالة على

الجميع،فتتولد عنده المعتقدات الوهمية الباطلة . كالشعور بالاضطهاد والدونية ، او ان نوعا من المؤامرات يدبر ضده للتخلص منه .

ـ اضطراب السلوك وسرعة الاستثارة فيصبح ضيق الصدر قليل الصبر ، ولا يتقبل المعارضة مما يدفعه الى الهياج البدني والعنف احيانا

ـ المسن لا يحتاج لفترة طويلة من النوم اذا تكفيه اربع ساعات في المتوسط فينام مبكرا ويستيقظ في منتصف الليل ، بينما يكون الآخرون نياما ، ويدور بالمنزل ليلا بلا هدف ويفتح صنابير الماء او الغاز وينسى اغلاقها .

ـ يحدث من تصرفاته خطورة على نفسه او غيره ، فيمكن ان يشعل النيران دون قصد اذا نام وهو مشعل سيجارة ، ويمكن ان يخرج من المنزل والناس نيام ، ويضل طريق العودة وتظهر ايضا اعراض الامراض الجسمية المصاحبة التي تكون غالبا مكتسبة من مرحلة منتصف العمر ، كارتفاع ضغط الدم ومرض السكر ، والتهاب المفاصل ، وامراض الكلية ، والبروستاتا ، والقلب ، وضعف السمع والبصر ، وكذلك بعض الامراض النفسية ، مثل اكتئاب الشيخوخة **Involutional depression** او الفصام أو التأخر **Late Paraphrenia** وهذه الامراض يسوء حالها بسبب اهمالها ، ولا

تعزى كل شكوى للمسن الى كبر سنه رغم انها قابلة للشفاء اذا شخصت وعولجت

رعاية المسنين

اصبح علم الشيخوخة ورعاية المسنين **Geriatric care** من التخصصات الطبية المستقلة ، يتطور باطراد تبعا لحاجات المسنين المتزايدة والرعاية التي تقدم للمسن تتوقف على حالته وظروفه وظروف اسرته .

وتفضل رعاية المسن بالمنزل **Home care** بقدر المستطاع لكي لا يعزل عن اسرته ، ولا يحرم من شعور الامان الذي يستمده من وجوده بين افرادها ، لكن هذا القول على بساطته ليس بالامر الهين في تطبيقه ، فالمسن ـ وبالأخص من فئة الشيوخ ـ يحتاج لرعاية متخصصة ودراية فنية غالبا ما لا تتوفر لدى الاسرة ، وهناك عدة اماكن ومستشفيات ودور وسيطة يمكنها ان تقدم الخدمات المناسبة للمسنين كل حسب حالته وظروفه .

وغني عن البيان ان الشيخوخة حالة فسيولوجية طبيعية في عمر الانسان لا يمكن تفاديها ، وما نعنيه بالوقاية هنا هو تخفيف اعراضها ، وابطاء وقعها وتأجيلها بقدر المستطاع ، وتفادي العجز والاعتماد الذي يميز هذه المرحلة .

ان الموت هو حتمية كل حي مهما طال به العمر ، لكن ليس من الضروري ان يأتينا ونحن في مرض ومعاناة ، ومعنى الوقاية هنا ان ندخل الشيخوخة ونحن في نشاط ونعيشها في ايجابية مستمتعين بما توفره هذه المرحلة من حياة ذات طابع خاص ، وينبغي للانسان ان يعد نفسه لشيخوخة نشطة وهو ما زال بعد في منتصف العمر ، او حتى في شبابه ويتخذ الاحتياطات المناسبة من لياقة بدنية ، واعتدال غذائي ، وتوازن عاطفي ، وثراء فكري ، كي يصل الى شيخوخة سعيدة ، فتأتي النهاية في راحة . ولعلنا هنا نتذكر جميعا ، ان رعاية المسنين في بلادنا ما زالت في حاجة الى الكثير لكي تصل الى مستوى قريب من المقبول . □□

من أدب الحرب

بقلم : جمال الدين الألوسي

□ اصطلح المؤرخون على تسمية الحروب التي خاضها العرب في الجاهلية بـ « ايام العرب » فما المقصود بهذا المصطلح*...؟ وما معناه ؟؟

● تعتبر تلك الأيام مصدرا خصبا من مصادر تاريخنا وينبوعا من ينابيع الأدب ، لما اشتملت عليه من وقائع وحروب وأدب ، وما روي عنها من نثر وشعر ، وما تخللها من مأثور الحكم ومنخول القول ، وروائع النظم ، وانها مصدر لتوضيح الكثير من وشائج القربى بين القحطانيين والعدنانيين ، وتجلي الصلات بين العرب وغيرهم من الأمم المجاورة لهم كالروم والفرس والأحباش ، كما أنها تروي لنا الكثير مما يقع بين القبائل من القحطانيين وغيرهم . وبين قبائلهم وبين ربيعة ومضر وبين القبيلة من أرومة واحدة . وتوضح لنا ما وقع بين العرب بعد الاسلام من حروب ، وما شجر بين قبائلهم . وهذه الأيام لم يصلنا منها الا القليل . ونقرأ أخبارها متناثرة في كتب الاخبار وأصدقها ما جاء وصفها في شعر الشعراء وما ورد بطريق الشعر . فهو مرآة صادقة معبرة عن أحوال العرب وعاداتهم واجتماعهم وتفرقهم . وتظهر في ثنايا رواياتهم فضائلهم وأخلاقهم . . . كالوفاء بالعهد والدفاع عن المحارم ، والانتصار للقبيلة ، وحماية الجار ، والصبر في القتال ، والصدق عند اللقاء ، والسبة والعار لمن يفر ، ويلحق الذل الفرد والجماعة ، وربما يلحق الابناء الى دهر طويل ، أو مدى الحياة ، ولذلك قالوا « الطعن في النحور والصدور » .

ويقول الحصين بن الحمام المري :

«ولسنا على الأعقاب تدمي كلومنا
ولكن على أقدامنا تقطر الدما»

(أي لا نولي الأدبار فرارا من المعركة) .

الشعراء والفرسان

والشعر الحماسي والفخر والرثاء والهجاء للخصوم أكثره مرتبط بهذه الايام . في الوقت

● المقصود بالمصطلح هو حروبهم مع غيرهم ومع بعضهم بعضا .

الذي كان فيه الفرسان فيه يناضلون بسيوفهم ورماحهم ، ويضحون بأرواحهم رخيصة في سبيل الحفاظ على أقوامهم وأوطانهم . وكان الشعراء خلفهم أو معهم يذودون عن الاحساب بقصائدهم ، ويفاخرون بشجاعة أبطالهم ، والفرسان الشجعان أغلبهم شعراء يدافعون عن أمجادهم بقصائدهم ، ويفاخرون ببطولاتهم ، ويهجون أعداءهم ، أو ينصفونهم ، ويعلنون شجاعتهم ، ولا يبخسونهم حقهم ، كما نراه في القصائد المنصفات ، يرثون قتلاهم « ولا تراهم مع الباكين يبكون » ويصفونهم بكل كريمة .

نقرأ هذا مجسدا في شعر المهلهل والأعشى وعمرو بن كلثوم وعنترة والحارث بن حلزة اليشكري ، وعمرو بن معديكرب الزبيدي ، وزهير بن أبي سلمى ، والفند الزماني ، ودريد ابن الصمة ، وحسان بن ثابت ،وغيرهم من شعراء الحماسة ، يروي لنا هذا الشعر أخبار الابطال والمغاوير وفرسان الحروب من أمثال بسطام بن قيس ، وربيعة بن مكدم فارس كنانة ، ودريد بن الصمة قائد جشم من هوازن ، وجساس بن مرة ، وهاشم بن حرملة صاحب الشياء ، والحارث بن عباد ، وغيرهم من أبطال الحروب وفرسان الشعر الذين وردت أشعارهم في وقائع عديدة ، مثل يوم « ذي قار » الذي يقول فيه أعشى قيس : -

لو أن كل معد كان شاركنا
في يوم « ذي قار » ما أخطاهم الشرف

ويوم خزازى الذي يقول فيه عمرو بن كلثوم :

ونحن غداة أوقد في (خزازى)
رفدنا فوق رفد الرافدينا
فآبوا بالنهاب وبالسبايا
وأبنا بالملوك مصفدينا
أبا هند . فلا تعجل علينا
وأنظرنا نخبرك اليقينا

ومثل يوم « البسوس » وفيه يقول المهلهل :

أهاج قذاة عيني الأذكار
هدوءا فالدموع لها انحدار
خذ العهد الأكيد على عمري
بتركي كل ما حوت الديار
ولست بخالع درعي وسيفي
الى أن يخلع الليل النهار

ويقول الفند الزماني :

صفحنا عن بني ذهل
وقلنا : القوم اخوان
عسى الأيام أن يرجعـ
ـن قوما كالذي كانوا
فلما صرح الشر
فأمسى وهو عريان
ولم يبق سوى العدوا
ن دناهم كما دانوا
مشينا مشية الليث
غدا ، والليث غضبان
بضرب فيه توهين
وتخضيع وأقران

ويقول طرفة بن العبد في بعض هذه الأ...

سائلوا عنا الذي يعرفنا
بقوانا يوم تحلاق اللمم
يوم تبدي البيض عن أسوقها
وتلف الخيل أعراج النعم

شعب جبلة

ومن هذه الأيام يوم « شعب جبلة » :

يقول معمر بن المثنى يوم جبلة أعظم ... العرب ، لما لقيت فيه قبيلة تميم واحلافها يقودها لقيط بن زرارة التميمي طالبا بثأر ... الذي أسره بنو عامر ومات في أسره . وذلك ... اتخذه في هذه الحروب من الحنكة والحكمة

والتدبير وسداد الرأي والحيلة ، « والحرب خدعة » كما قالوا ـ ومن قوة التنفيذ مما لا نظير له في حروب الجاهلية ، ذلك أن لقيط بن زرارة لحقه عار وهجاه قومه لأنه ترك أخاه أسيرا في بني عامر ، ولم يفده حتى مات ، فلما مات وسمع بموته نشط لحرب بني عامر ، وانطلق يؤلب القبائل عليهم وعلى أحلافهم من بني عبس ، واجتمع حوله خلق كثير من بني ذبيان وبني أسد وقبائل من هجر و غيرها على رأسهم (وبر الكلبي) ـ أخو النعمان بن المنذر لأمه ـ وحين أعلمت بنو عامر أحلافها فداحة هذا الجيش ، اجتمع رأيهم على الرحيل بالعيال والأموال حتى دخلوا « شعب جبلة » ليقاتلوا المهاجين من وجه واحد ، وكان من تدبيرهم أن أمروا بربط الابل وحبسها عن المرعى والسقيا ، وجعلوا الأهل والذراري وراء ظهورها ، وأمروا الرجال أن تأخذ بأذنابها اذا هاجمهم القوم ، فانها ستنحدر على المهاجين عند العقبة ، وهي تحن الى مرعاها وورِدها ، فاذا انطلقت فلا يرد وجهها وانحدارها شيء ، ثم تخرج الفرسان في أثر الرجال وتنحط من عل ، وتدمر من يلقاها ، وظل رهط بني عامر وقيس وعبس يتربصون هجوم الأحلاف من تميم وبني أسد وغيرهم ، وعطّش العامريون وأحلافهم الابل ثلاثة أخماس أي ما يبلغ خمسة عشر يوما ولم يطعموها ، فلما أقبلت جيوش تميم وأحلافها ، ودخلوا الشعب ، وتسرعوا في ارتقاء العقبة كما توقع بنو عامر وتركوهم حتى أوغلوا في الصعود ، فلما انتصفوا عقبة الجبل حل العامريون عقل ابلهم ، فأقبلت تهوي منحدرة كصخر حطه السيل من عل ، فدقت كل ما لقيت أمامها من جموع أعدائها ، فانهزم من قدر على الهزيمة ، ومات من مات ، وقد قتل لقيط بن زرارة ، وأسر أخوه صاحب بن زرارة .

قال (المعفر البارقي) وقد شهد الوقيعة هذا اليوم :

أمن آل شعثاء الحمول البواكر ... مع الصبح أم زالت ـ قبيل ـ الأباعر

وحلت سليمى في هضاب وأيكة ... فليس عليها يوم ذلك قادر

فألقت عصاها واستقرّت بها النوى ... كما قرّ عينا بالاياب المسافر

وقد رجعت (دوران) تبغي لثأرها ... وجاشت تميم كالفحول تخاطر

هذه الحروب المتلاحقة جعلت للفروسية معنى يربى عليه فتيانهم حتى أصبحوا يفاخرون بقولهم :

وما مات منّا سيد حتف أنفه ... ولا طل منا حيث كان قتيل

تسيل على حدّ السيوف نفوسنا ... وليست على غير السّيوف تسيل

وقالوا : « من مات بعيدا عن ساحات الحرب مات ميتة البعير » كما قالوا : « مات حتف أنفه ، ومات موته الجبان » .

هذه الخصال من الشجاعة والتضحية والنجدة والكرم ـ وجهها الاسلام وجهة الخير ، وقادها لاعلاء كلمة الله ، ونشر دعوة الاسلام ، ونزع ما في نفوسهم من عصبية قبلية ، ووجههم الى أخوة اسلامية تشعر بشعور الأمة بعد أن كانت محصورة في شعور القبيلة ، فأثمرت ثمارها اليانعة في اليرموك والقادسية ، يوم انتصر دين الله بقيادة موحد الأمة الرسول العربي محمد ـ صلوات الله عليه ـ فأينعت الدعوة وآتت أكلها ، ودخلت في دين الله أقوام لاعداد لها ، وامتد ظلها شرقا وغربا ، وشع نور تعاليمها في أصقاع الدنيا ، وقامت للعرب حكومات شملت بظلها وحضارتها الانسانية جمعاء . □□

الشاي الأخضر

بقلم : الدكتور عبد العزيز كامل

□ « رحم الله عبدا سمحا اذا باع ، سمحا اذا اشترى ، سمحا اذا اقضى ، سمحا اذا اقتضى »

حديث شريف : رواه البخارى عن جابر بن عبدالله

هذه قصة من ثلاثة مشاهد ، قصة دائرية : نهايتها فى موضع بدايتها كأنها رمز من الفن الصينى .

*** المشهد الأول:**

كنا فى مؤتمر عالمى ، وقاربت جلساته أن تنتهى ، فقال لى صاحبى :

ـ أعرف تاجرا ممتازا عنده كل ما تحتاج اليه من هدايا تذكارية من الصناعات التقليدية . الرجل حسن المعاملة . طيب الحديث ، ولنا عنده إكرام خاص ، وسترى بنفسك انه يرحب بضيوفه كأنهم فى بيته ، ويقدم اليهم الشاى الأخضر الجميل ، عنده رجل طيب اسمه (عم أحمد) دائما يبتسم ، فنان فى صناعة الشاى وتقديمه . .

وذهبنا الى المحل ، غير بعيد من الفندق الذى ينزل فيه صاحبى ، ويطل على الميدان الواسع الذى تصب فيه طرق رئيسية ، وألقى صاحبى السلام على الحاج يعقوب ـ ولنتفق على هذا الاسم ـ رجل فارع الطول ، كأنه مصارع قديم ، جم الأدب ، سريع التحية والانحناء ، لم يفقد جسمه ليونته ، وغير بعيد عنه يقف أحد مساعديه ـ واحد على الأقل ـ تبادلنا التحية ، يكفى أن ينطق الحاج بكلمة (شاى) حتى يصل الخبر الى عم أحمد فى الطابق الأسفل ، وكرجع الصدى يعود بابتسامته الودود ، وانحناء على صينية الشاى كأنها وليد جديد . يحيى هذا ، ويسلم على ذاك .

رؤيتك ابريق الشاى بلمعانه الفضى ، وغطائه المخروطى ، كأنه معبد هندى ، عم أحمد يصب الشاى فى الكئوس الملونة المزخرفة ، التقاليد أن يملأ نصف الكأس ، صوت الشاى عند سقوطه زغاريد فرحة ، ينتشر معها عطر ، كأنه صديق يمسح عنك الحزن والألم . .

وتنظر حولك ، المعرض متحف : أقسام ←

شتى . هنا المصنوعات الخشبية ، الزخارف الحجرية ، الصناديق الصغيرة ، الحفر ، هنا مصنوعات النحاس - الطرق ، التكفيت ، هنا الفضية والحلي من صناعات البدو ، تذكر معها الحسن الذي عناه المتنبي :

حسن الحضارة مجلوب بتطرية
وفي البداوة حسن غير مجلوب

هنا الأواني ، المزهريات ، الأسلحة القديمة ، السيوف ، الدروع ، الخناجر . وتسمع صوت الحاج يعقوب :

- تفضل ، هذا الكعك ، صناعة محلية ، لذيذ مع الشاي الأخضر ، انظر حولك ليس المهم أن تشترى اليوم ، نحن نحب الأصدقاء ، هناك قسم للسجاد بالدور الأعلى وملابس النساء والاطفال في الدور الاسفل ، المحل محلكم ..

وكثيرا ما نبدأ بحاجات الأهل ، لتأمين الجبهة الداخلية .. وكل أب يفضل أهله وأولاده على نفسه عندما يبحث عن هدية ..

وتتحول فتلقى عاملات على درجة عالية من الأدب وحسن المعاملة ، وتسأل السؤال فتأتي إليك الاجابة :

- يمكن أن تنظر الى ثوبين فلا تستطيع التمييز الدقيق بينهما ، خصوصا في الصناعات التقليدية ، صناعة اليد شيء وصناعة الآلات شيء آخر ، والمواد تختلف ، حتى الصناعة اليدوية ، الدقة تختلف ، انظر : هنا النقش متقارب ، وهنا متباعد ، هذا مستوى ، وذاك مستوى ، وهذه الخيوط المذهبة .. أنواع ودرجات يتفاوت بها السعر ..

وتشعر أن البائعة دخلت بك في المياه العميقة ، كيف التمييز ؟ تقول وكأنها تقرأ مافي نفسك : المهم الثقة بين البائع والمشتري ، هذا هو الفرق بين تاجر وتاجر ، وبين محل ومحل .

- وهذا الثوب التقليدي لا تستطيع أن تحكم عليه الا اذا ارتدته سيدة .

وفي سرعة يأمر الحاج يعقوب اثنتين من المعاونات أن يذهبا الى خدر خاص ، وأن ترتدي احداهما الثوب ، وهو ثوب كاس محتشم فيه الزخارف التقليدية .

والى أن تنتهي العارضة من ارتداء الثوب ، يتقدم عم أحمد وعلى وجهه ابتسامة ، وفي يده كأس من الشاي الأخضر ، ومعه أفراحه وتأثيره .. والحاج يعقوب يقول :

- فقط : خذ فكرة ، قد تعود لتشتري مرة أخرى وتحس أن مقاومتك أخذت تضعف ..

- لا يهمك السعر المبين على البضاعة ، أنتم أصدقاء ، ولكم اكرام خاص ، اليوم نريد أن نكسب صديقا .

وحددنا بعض ما نريد ، وقال الحاج يعقوب سعرا ، بادره صاحبي بالاحتجاج وأعقبه بالمساومة .

- اخصم ثلث السعر ياحاج .

ودار الحوار بين الثمن والثلث ، وتحرك الى السدس ، ثم الى الخمس واستقر عند الربع ... والحاج يقول :

- هنا تبدأ الخسارة وأنت لا تريدها لي .

وعلت وجهه سحابة من التأثر ، ما لبث أن تغلب عليها ، وأدار وجهه الى بعيد ، وزفر زفرة عميقة متزنة ، وقال - كأنما يكلمنا عن طريق وسيط :

- المحل محلكم ، وهذه حدودي فلا تضغطوا علي .

ومع هذا أصر صاحبي ، وقبل الحاج قول الصديق بعد ضيق مهذب ، ستره بابتسامة وهو يقول : أمركم !!

وخرجنا ، وصاحبي يقول :

- المهم أن تتعرف على الحاج يعقوب ، وهو ومن معه ليسوا مجرد بائعين أنهم أهل خير وصداقة ، خصوصا الحاج . وأخذت متاعي القليل وخرجت .

* المشهد الثاني :

وفي الغد قال لي أصحاب آخرون :

ـ سنأخذك الى أقدم الاسواق التقليدية في المدينة ، وهو نموذج متكرر من الأسواق القديمة في القاهرة والقدس ـ أعادها الله الينا وأعادنا اليها ـ ودمشق وحلب واستامبول ، لا تخلو منه عاصمة من عواصم العالم العربي من المحيط الى الخليج .

هنا رائحة التاريخ ، الشوارع الضيقة المتعرجة ، الارض الحجرية ، الطرقات المسقوفة ، الحوائط الغليظة ، الحديث والقديم . البضائع المدلاة والمحدودة ، كأنها الأيدي والأكف في تظاهرة تجارية ، الملابس المعلقة كأنها شهود صامتون ، مهرجان من الصوت والحركة ، والعطر والدخان ، الصانع المنصرف الى الانتاج كأنه لا يسمع ولا يرى ، البائع الواقف أمام محله بعيون سريعة الحركة ، ولسان سريع القول ، ويد مرفرعة بالتحفة ، مشيرة الى السلعة تارة واليك تارة ، آخرون تقدمت بهم السن يجلسون في وقار ينتظرون الرزق يأتيهم .. بعد أن وقفوا له أمام المحل سنين .. بائعون جائلون بكل ما يخطر على البال من انتاج محلي أو مستورد ، نساء يعرضن انتاج المنازل كسبا لرزق حلال في أدب ووقار ، زائرون من أقطار شتى .. هذا الأجنبي بآلة تصوير معلقة في رقبته ، زائغ العين كأنه (أليس) في بلاد العجائب ، وهذه الأم ومن ورائها الأبناء والحفدة ... أصوات مختلطة ، أعمار شتى ، الدنيا تجمعت في مكان ..

وجدت محلا صغيرا ، كان الأول على يمين الطريق بعد ساحة فيها مسجد ، تواعدنا أن نلتقي عنده بعد وقت حددناه .

كان في وجه الرجل سماحة لا تخطئها عين ، والى جواره طفلة صغيرة تأكل الحلوى ، واضح أنها ابنته ، وغلام فيه هدوء الى النوم أقرب ، بعيد الشبه عنه ، علمت منه بعد الحديث أنه قريب مات أبوه ، والرجل الصالح يرعاه ، ويدربه على التجارة .

وجدت نفس الأحزمة المزخرفة التي اشتريناها من الحاج يعقوب ، وعلى ظهرها نفس الختم ، وسألته عن السعر ، فكان قريبا من ثلث ما انتهينا اليه بعد الحوار الطويل ، وكل المؤثرات : التحية ، الشاي الأخضر ، عرض الأزياء ، العاملات المهذبات ، المعلومات الوافرة ، الثقة ، الأمانة .. وابتسامة عم أحمد ، كل هذا كان مضافا الى السعر ياحاج يعقوب ؟!...

حاولت مع الحاج حسين أن أخفض السعر ، فابتسم وهو يقول :

ـ يبدو أنك لست ممن يحسنون المساومة ، وقد اختصرت لك الطريق ، وآخر قولي كذا ، وأمامك السوق ، ولك بعد هذا الخيار الأخير ، وانصرف عني الى آخرين ، وتركني ومابين يدي من هدايا أردت مشاهدتها .

وسألته عن أنواع القصب والسلوك المستخدمة ، فقال :

ـ موجودة ، ولكن هذه الأنواع التى تتحدث عنها لا تعرض في السوق هكذا . انها باتفاق مباشر بين الصانع والمشترى ، والاثنان على خبرة بما يتبايعانه .

جلست على ركن (البنك) الذي يفصل بين الطريق والمحل ، والذي يعرض عليه الحاج حسن بضاعته .

لم تفارق الابتسامة شفتيه ، باع أمامي لأكثر من زبون ، الفرق بين القول الأول والأخير محدود جدا ، يكاد يكون ارضاء لشهوة الزبون في المساومة .. لا أكثر .

طلبت هدايا أخرى ، فوضعها أمامي ، ثم انصرف عني ، ولما حاولت تجربة المساومة : قال :

ـ قد رأيت أمامك أهل بلدي وبأي سعر أخذوا .. وابتسم قائلا :

ـ خذ ما تريد وتوكل على الله ..

وجمع ما أخذت ، ووضعه في لفافة ، وربطه برباط ،وكانت أشياء محدودة .. وتراضينا

على ثمن قريب مما قال . . . وانصرفت مع صاحبي .

* المشهد الثالث :

غلب الضحك علي وعلى صاحبي ثم قال :

ـ أما بعد . . فحمدا له أننا أخذنا من الحاج يعقوب أشياء قليلة . . المهم التجربة .

ومر اليوم ، ولقيني صاحبي الأول ، وقصصت عليه الأمر .

فأسرع الى الحاج يعقوب ينقل اليه ما حدث ، وعاد الي وهو يقول :

ـ أخبرت الحاج يعقوب أنكم ذهبتم الى السوق القديم ، فظهر عليه قلق مفاجيء وهو يقول : من الذي أخذهم الى هناك ؟ لماذا ذهبوا ؟

وفي ليلة السفر كنت أتريض قليلا فقادتني أقدامي الى محل الحاج يعقوب وحدثتني نفسي أن أزوره . لماذا ؟ لأكتب نهاية هذا المشهد ، أما البيع والشراء فانتهى أمره . .

وفي هدوء تبادلنا السلام (كأن شيئا لم يكن ، وبراءة الأطفال في عينيه) كما يقول المرحوم كامل الشناوي في قصيدته المعروفة (لا تكذبي) . .

قلت : أريد فقط أن أفهم ياحاج يعقوب ، الحديث الشريف الصحيح (المتبايعان كل واحد منهم بالخيار على صاحبه مالم يتفرقا) . (رواه البخاري ومسلم عن عبدالله بن عمر)

وقد أكرمتنا . . وأنا أعلم أن ايجار المحل مرتفع ، وأجور العمال والضرائب ، ولكن ألا ترى أن ثلاثة أمثال السعر كثير ، بين الشارع الرئيسي والسوق القديم . . . ألا يكفي الضعف ؟

قال : الذي قلته نصف الحقيقة ، وأنت لم تذكر الجهد الذي بذلته أنت في الذهاب الى هناك : السيارة ، الانتقال ، والوقت ، ثم سهولة اتصالك بنا ، وعلى العموم المحل محلك والأمر أمرك . .

ثم نظر الى بعيد . . الى ركن الحقائب وقال :

ـ أستأذن ، عندي عمل في الداخل ، والعاملات معك لمزيد من الشرح ، وأي شيء تريده تجدنا جاهزين .

واختفى الحاج يعقوب . .

وبرزت العاملة ـ عارضة الأزياء بالأمس ـ ومعها زميلة :

ـ الموضوع كله ثقة في ثقة ، من الصعب التفرقة بين أنواع الزخارف والمواد المستخدمة فيها ، هنالك أنواع ممتازة ، وأنواع جيدة ، وأنواع عادية ، في أول الأمر تبدو الخيوط المذهبة كلها واحدة ، ولكن هناك فرق أساسي ، ضع الخيط على وجهك : اذا أحسست ببرودته فهو جيد ، والا كان رديئا ، جرب هذا ، الخيوط الرديئة بعد قليل يتغير لونها ، وتصبح غبراء ، وتضيع قيمة الهدية ، من الأفضل أن تثق في البائع ، وأنه يعطيك ما يطمئن اليه هو . ولكن عليك أولا أن تختار البائع الذي يستحق الثقة .

ودخلنا مرة أخرى في أسرار الصناعة والنماذج وأشهد أنني أخذت أراجع نفسي . .

لا عضلة في وجهها تشي بشيء من الخداع ، الصوت في هدوئه وثقته ، كأنها تتحدث الى قريب أو صديق .

ولم يكن أمامي الا أن أقتنع ، أو أظهر الاقتناع ، وجاء عم أحمد بالشاي الأخضر ، هل كانت زغاريده هذه المرة ترحيبا أم وداعا ؟ هل كانت انتصارا أم اقناعا أم تظاهرا بالاقتناع ؟

وعم أحمد يدعو الى كأس الشاي ، والبائعة تقدمها وهي تقول :

ـ تفضل الشاي ، واحرص على ألا يختلط ما اشتريته من عندنا ، بما اشتريته من السوق القديم ، وسترى الفرق بعد شهور ، وعندئذ تذكرنا بالخير .

وعدت . .

ومازلت أنتظر الفرق ، ولكن كيف أعرفه ، وقد ذهب كل حزام الى صديق ؟! □□

وجبة علمية خفيفة . .

غداً . .

اللحوم من الطحالب

بقلم : فوزي عبد القادر الفيشاوي

□ في ذلك اليوم البعيد . . . منذ حوالي عشرين عاما أو يزيد . . . كان الأمل رائدهم . . وكانت الحاجة باعثهم الأول ليقتحموا بالعلم مجاهل القارة السوداء (افريقيا) . . .

هم جماعة من العلماء الفرنسيين يتجهون الى جمهورية تشاد . . الى تلك الارض البكر . . . علهم يظفرون بهبة من هبات الطبيعة التي تجود بها لأهل هذه الأرض البسطاء . . . يقتربون أكثر وأكثر من أصحاب الوجوه السمراء الباسمة ، والقلوب البيضاء الناصعة . . ويلبون دعوتهم لتناول تلك الاطباق الشهية التي تشبه اللحوم . . ولكنها ليست لحما . . . وفجأة يجد العلماء بغيتهم . . . انه بحق اكتشاف مثير يبعث على الأمل في غد أفضل لكل الجائعين والمحرومين في العالم . . . انه بحق عالم الطحالب المثير . أحد أقطاب البروتينات غير التقليدية . . والتي يعول عليها كثيرا لمجابهة شبح الجوع الكئيب . . . !! . . .

هل تذكر ذلك النمو الأخضر . . الذي تراه طافيا فوق سطح بحيرة أو مستنقع . . ؟ قد لا يلتفت نظرك كثيرا اليه . . غير أن العلماء يعرفونه جيدا . . . انه نوع من الطحالب . . . !

. . والطحالب في لغة العلم نباتات ثلاثية أي أنها نباتات خضراء بلا ساق أو جذر أو أوراق . . وقد تكون وحيدة الخلية أو عديدتها ومن الطحالب ما يستعصي على العين رؤيته فلا تراه الا بالمجهر ، ومنها أنواع بحرية يصل طولها ←

الى حوالى ١٩٠ مترا في منطقة القطب الجنوبي . . . ! ! . غير أنها جميعا تحتوي على مادة اليخضور (الكلوروفيل) ، وهي لذلك قادرة على القيام بعملية البناء الضوئي حيث تمتص ثاني اكسيد الكربون وفي وجود الماء والطاقة الشمسية تبني المواد الكربوهيدراتية ومنها تصنع باقي المواد كالبروتين والدهون . . والفيتامينات وغيرها من مواد الغذاء . واذا سألت رواد الفضاء عن الطحالب ، أجابوك أنها صديقنا الصدوق . . . كيف . . . ؟!

فمنذ أول رحلة للانسان الى الفضاء والطحالب جزء رئيسي من برنامج الرحلة حيث يتم تنمية الطحالب الخضراء في مزارع صناعية داخل مركبات الفضاء ، لتقوم بتنقية جو المركبة من غاز ثاني اكسيد الكربون الذي يلفظه الرواد أثناء تنفسهم ، وفي نفس الوقت تمدهم بالاكسجين النقي المتجدد . . . ! !

الغذاء من الطحالب

لاشك أن رحلة الانسان مع الطحالب ضاربة في أعماق التاريخ منذ كان الصينيون القدماء يعدون أطعمة شتى من الطحالب البحرية . . وكذلك فعل اليابانيون من قبل ولايزالون . . . ! !

غير أن اهتمام العلماء بالطحالب كمصدر هام للبروتينات غير التقليدية لم يأت الا عام ١٩٦٣ خلال الرحلة التي بدأت بها هذا الكلام ، حينما لاحظ العلماء الفرنسيون أن السكان في جمهورية تشاد الافريقية يتغذون على أحد أنواع الطحالب التى تنمو طبيعيا في البرك والمستنقعات بجوار معامل تكرير البترول . فقد تعود الأهالي على جمع هذه النباتات الخضراء ، ثم يضعونها على الرمل ويتركونها هكذا تتعرض لأشعة الشمس الملتهبة حتى تجف تماما وتنضج . . وبعدها تقطع وتؤكل اما جافة مباشرة ، أو بعد طبخها . وهو طعام شهي ويعد من الوجبات الشعبية هناك . . ! ! .

وقد لاحظ العلماء الفرنسيون التأثير الهائل لهذا الغذاء على صحة هؤلاء الناس ، مما شجعهم على القيام بدراسة تحليلية لمكونات الطحالب وهالهم ما رأوا . . . فقد أثبت التحليل أن هذه الطحالب غنية بالبروتين حيث يصل الى حوالي ٥٠ ٪ من الوزن الجاف ، علاوة على ٢٠ ٪ دهون ، (١٥ ـ ٢٠ ٪) مواد كربوهيدراتية . . بالاضافة لمجموعة متكاملة من الفيتامينات منها فيتامين (أ) وفيتامين (ج) ، وحامض الفوليك . وغيرها . .

وما أثار العلماء حقا في بروتينات الطحالب هو ارتفاع قيمتها الحيوية التي تقترب من البروتينات النباتية ، بل انها توضع مع دقيق الفول السوداني في رتبة واحدة . والأغرب من هذا أنهم تمكنوا من الحصول على بروتينات طحلبية تفوق في قيمتها الغذائية ما يمكن الحصول عليه من فول الصويا . . . !! .

ولقد لوحظ تشابه كبير بين الاحماض الأمينية في بروتينات الطحالب ، والأحماض الامينية في الخميرة « توربولا » المنتجة للحم الصناعي والتي تشبه بدورها الأحماض الموجودة في جسم الانسان . . !! .

انهم يزرعون الطحالب . .

لاشك أن اقتصاديات الانتاج من أهم ركائز أي نشاط بشري . . والطحالب غير مكلفة بالمرة اذا ما قورنت بتكاليف انتاج البروتينات التقليدية فكل ما تحتاجه لايعدو أن يكون أكثر من قطعة أرض رخيصة (وقد تصلح الأراضي البور) لاقامة أحواض التربية عليها ، حيث تملأ بالبيئة المغذية وهي بضعة أنواع من الأملاح المذابة في

الماء . . . ويتم فيها زراعة الطحالب التي تنمو بدورها نتيجة قيامها بعملية البناء الضوئي ، ويزداد حجمها وعددها، فتجري لها عندئذ عملية تجميع ، ثم تفصل بالطرد المركزي ويجفف الناتج على هيئة مسحوق يحتوي على أكثر من ٥٠ ٪ من البروتين .

وعلى أثر الأزمة التي تعرضت لها الثروة الحيوانية في العالم نتيجة لقلة الاعلاف الحيوانية ، راح العلماء يجهزون علائق حيوانية جديدة من الطحالب التي أثبتت بسرعة نجاحها في زيادة انتاج ونمو الحيوانات والدواجن بصفة خاصة فقد أعطى كيلو جرامين من علف الطحالب زيادة فعلية قدرها كيلو لحم بعد فترة تتراوح من (٣٠ ـ ٤٥ يوميا) . وهي بذلك تساهم في زيادة الثروة الحيوانية وبالتالي توفير الأغذية البروتينية الحيوانية . .

غير أن أهم استخدامات البروتينات الطحلبية هي تناولها مباشرة كغذاء آدمي . . فهم في الصين واليابان يستخدمون الطحالب ضمن الوجبات الرئيسية في عمل الحساء . كما تطبخ مع الأرز .

وفي الولايات المتحدة وانجلترا تعتبر وجبة الطحالب البحرية من أفخر الاطعمة وأغلاها . . وقد اتفق العلماء على أن أفضل طريقة لتقديم البروتينات الطحلبية الى الانسان هي خلطها مع المنتجات الغذائية الشائعة كالمكرونة والأرز والخضر المعلبة ، وكذا أغذية الأطفال ، وفي هذا الشأن فقد أعطيت مقررات غذائية تتكون من البروتين الطحلبي للأطفال الذين يعانون من حالات سوء التغذية . فكان نتيجة ذلك تحسنا واضحا في أحوالهم الصحية ، وقد وافقت منظمة الأغذية والزراعة الدولية **FAO** على هذا المنتج بعد تحليله ومطابقته للمواصفات . . !

ولذلك فانه يمكن اضافة البروتين الطحلبي بنسب معينة الى غذاء الأطفال أو يمكن أضافته الى الدقيق أو الأغذية الفقيرة في البروتين ، حيث ترفع من قيمتها الغذائية وتخفض في نفس الوقت من أسعارها . .

وقفة مع الطحالب

والآن يمكن أن نتساءل هل الطحالب تعتبر غذاء مأمونا من كافة النواحي ، أم أن هناك بعض المثالب التي تؤخذ عليها كغذاء آدمي . . ؟ . .

وحقيقة الأمر . . أن بروتينات الطحالب قد لاتخلو من بعض المشاكل ، من أهمها . . .

ـ مشاكل اللون فمعظم الطحالب المستخدمة كمصدر بروتيني من سلالات ملونة ، تحتوي على صبغات خضراء وصفراء وزرقاء . . وهذه الألوان تسبب بعض المضايقات عند أعداد وتناول هذه البروتينات.

ولذا فان الدراسات اليوم تتجه لاستخلاص هذه الصبغات ، ونحن نضرب عصفورين بحجر واحد (كما يقولون) فمن ناحية نخلص البروتين من تلك الصبغات المنفرة أحيانا . ومن جهة أخرى نستغل هذه الصبغات في كثير من الأغراض الصناعية مثل تلوين الأغذية المحفوظة . بل ان البعض يعتقد أن القيمة الاقتصادية لهذه الصبغات يمكن أن تغطي تكاليف مشروع البروتينات من الطحالب .

ـ مشاكل التسمم . فصحيح أن بعض الطحالب تحتوي على مركبات سامة . ولكن هذه السلالات تستبعد من عملية انتاج البروتين الخلوي على المستوى الصناعي . .

ـ مشكلات السلالات النقية . . . ففي واقع الأمر . تعد عملية تنقية السلالات من العمليات الشاقة ، حيث يتم فيها استبعاد السلالات السامة ، واختيار السلالات سريعة النمو التي لها قدرة أكبر على البقاء وتتحمل الظروف الجوية خاصة درجات الحرارة . وغيرها .

ونحن إذ نعرض لأهم المشاكل التي تواجه انتاج البروتينات غير التقليدية من الطحالب نهدف من هذا إلى انارة الطريق على أساس من الحقيقة المجردة . . . فالواقع أن انتاج البروتين الجديد ما زال محفوفا ببعض المصاعب والتي يتعين على المشتغلين بأمور تكنولوجيا الأغذية ، ايجاد حلول سريعة لها ، ومن بين هذه المصاعب :

- دراسة العلاقة بين أنواع الطحالب المختلفة والخواص الغذائية للطحالب .

- جمع معلومات شاملة عن السمية ، وسلامة الغذاء من الناحية الصحية والقيمة الغذائية ، ومدى تقبل الانسان للطحالب كغذاء بروتيني .

- العمل على تطوير الاساليب الاقتصادية المتبعة لانتاج بروتينات الطحالب كغذاء للانسان مثل عمليات ازالة الصبغات وتطوير التطبيقات الخاصة باستخدام الطحالب في التغذية . ومدى استجابتها لعمليات الحفظ المعروفة مثل التعليب والتجفيف والتجميد.

ثروة بين أيدينا

اذا كانت الدراسات والتجارب التي أجريت لتقدير القيمة الغذائية لبروتين الطحالب قليلة الى حد ما اذا قورنت بتلك التجارب التي أجريت على بروتين الخميرة . . الا أن الخبرة الطويلة التي اكتسبت في استعمال الطحالب كغذاء في بعض بلدان أفريقيا عبر السنوات الطويلة يمكن أن يعوض النقص في هذه التجارب . . . وتصبح لدينا في النهاية قناعة بمدى الامكانات الهائلة الكامنة في بروتينات الطحالب لسد جزء من احتياجات أمتنا العربية من البروتين . . ولعلنا نتساءل . . أين هي الطحالب على موائدنا . . . ؟

وأين نحن من هذا المصدر الجديد للبروتين ؟ والمدهش حقا في عالمنا العربي . . . أن جميع عناصر تربية واستزراع الطحالب لانتاج البروتين متوافرة بصورة ليس لها نظير في معظم دول العالم . . .

فعالمنا العربي يزخر بمساحات واسعة من الأراضي الرخيصة الثمن التي يسهل اقامة أحواض التربية فوقها . .

كما أن طاقة الشمس التي تتراوح درجة حرارتها بين (٢٧ - ٣٥م) وهي الدرجة المثلى لنشاط هذه الكائنات ، ! متوافرة في كثير من دول أمتنا ، وبصورة نحسد عليها . . .

ويكفي لاظهار أهمية هذا العامل أن نذكر أن علماء معهد البترول الفرنسي قد فشلوا في تنمية الطحالب بجنوب فرنسا بسبب برودة الجو هناك ، وقلة ضوء الشمس ، واضطروا لنقل جهودهم ومعداتهم الى المكسيك حيث درجة الحرارة أكثر ملاءمة ، وضوء الشمس أشد تركيزا . . وهناك نجحت تنمية الطحالب . . ! ! .

نقول . . اننا بالرغم من كل هذه الامكانات الهائلة التي تؤهلنا للدخول بقوة في عالم انتاج البروتينات غير التقليدية من الطحالب ، الا أننا لم نفعل أكثر من القيام ببعض البحوث المعملية أو النصف صناعية في قليل من جامعاتنا ومراكز الابحاث العربية !!

ولعلنا في ختام هذا العرض السريع لواحد من أهم مصادر البروتينات غير التقليدية ، ننبه لهذه الثروات التي نرفل فيها ، دون أن ندري . . . وأخشى أن نكون ندري . . . عندئذ لا يسعنا الآن نأمل في صانعي القرار العربي لوضع هذا الأمر كضرورة من ضرورات التنمية لسد حاجات الملايين المتزايدة من الغذاء . وأن نولي عنايتنا ورعايتنا بحوث علمائنا الصامتين الصابرين ، لنقل هذه التجارب الى مرحلة الانتاج الصناعي الواسع من أجل أمن وسلامة أمتنا العربية في يومها وغدها . . !! . . □□

طبيب الأسرة

النكاف والعقم
Mumps and Sterility

أصبت منذ مدة بمرض النكاف وهو تورم الغدة النكفية والتهابها ، ثم شفيت بعد العلاج والراحة ، ولكني فوجئت بانتقال المرض الى الخصية مرة أخرى بعد عشرة أيام تقريبا من مرضي السابق وقد علمت أن هذا دليل الاصابة بالعقم .

ولما كنت على وشك الزواج فان القلق الشديد ينتابني مما أفكر معه بالعدول عن فكرة زواجي حتى لا أظلم شريكة حياتي .

أفيدوني وأريحوني من شكوكي لثقتي بكم .

أ . ر . س

حلب ـ سوريا

النكاف **Mumps** مرض شائع يعرف بين العامة باسم « أبو كعب » ، وربما سمته بعض البلدان العربية باسم « أبو داج » وهو أحد الأمراض الفيروسية شديدة العدوى التي تصيب الغدد اللعابية وخاصة أكبرها ، وهي الغدة النكفية التي تقع قبالة الأذن على زاوية الفك .

ان السبب هو فيروس خاص يسبب تورما في الغدد اللعابية وارتفاعا في درجة الحرارة وتوعكا عاما وربما انتقل مع المضاعفات الى مواقع أخرى أهمها الخصية أو البنكرياس وربما المبيض أو الثدي ، وهو بوجه عام يعتبر من أمراض الأطفال ولكنه قد يصيب الكبار ، وهو في الأطفال أقل وطأة في مضاعفاته مما هو عن الكبار ، اذ لم يعهد انتقاله عندهم الى الخصية واحتمال حدوث العقم ، بينما يصل احتمال التهاب الخصية عند الكبار الى نسبة تتراوح ما بين ١٠ ـ ٣٠ ٪ ومن المؤكد أنه يخلف عند نسبة كبيرة منهم شيئا من الضمور في أنسجة الخصية مما يحتمل معه أن تنتهي الى تلفها تماما ، وبالتالي الى حدوث العقم ، وان كان هذا الاحتمال قليلا جدا .

ان فيروس المرض شديد العدوى ، سريع الانتشار ، اذ رصدت عدواه قبل ستة أيام من ظهور الأعراض على المريض وهو في دور الحضانة التي قد تطول الى اسبوعين أو ثلاثة ، ويبقى المريض معديا بعدها أياما طويلة قد تصل الى اسبوع .

طبيب الأسرة

ولما كان هذا المرض من أمراض الفيروسات فان علاجا نوعيا خاصا به لا يتوفر بين قائمات المضادات الحيوية ، لهذا تعتبر الراحة التامة والتغذية الجيدة وبعض العقاقير المهدئة والمسكنة أساس العلاج .

إن ظهور أعراض اصابة الخصية بالمرض قد تعقب اصابة الغدد اللعابية بأسبوع ، وربما تصل الى اسبوعين أو ثلاثة من شفاء المريض ، وهنا يشعر المريض بتورم واحمرار وبعض الألم ، وبعدها ربما لا حظ ضمورا في الخصية ولكن هذا ليس تأكيدا على اصابته بالعقم ، والقول الفصل يعود الى تحليل السائل المنوي مختبريا ، لاستطلاع حالة الحيوانات المنوية وتأكيد سلامتها أو عدمها .

وعلى أي حال ، تعامل الخصية المصابة في علاجها معاملة الغدة اللعابية .

احتباس النفس أثناء النوم

● يصيبني بين حين وآخر شعور بالاختناق خلال فترة النوم يجبرني على الافاقة مذعورا ، و[illegible] بعضهم هذا بالوهم ، أو حلم مزعج ، أو كابوس ، أو ربما حالة نفسية مضطربة .

فهل هناك تفسير علمي لهذه الحالة ، وهل هناك من علاج ؟

ص . ع .
الكويت

احتباس النفس أثناء النوم وتوقف التنفس مع شعور صاحبه بالاختناق مما يدفع به الى القفز فورا من السرير طلبا للهواء ظاهرة مألوفة وشائعة بين الكثيرين ، وخاصة فئة الذكور البالغين دون الاناث ، لهذا يعتقدون أن هرمون الذكر Testosteron التستوستيرون قد يكون عاملا فعالا في الامر

على أي حال فالاسباب الرئيسية لظاهرة احتباس النفس أثناء النوم تعود الى أحد ثلاثة احتمالات :

الاول : سبب ميكانيكي يعيق التنفس .

الثاني : سبب عصبي يتركز في مراكز التنفس .

الثالث : وجود الاحتمالين معا .

غير أن الاحتمال الاول وهو السبب الميكانيكي يعتبر أهم الاسباب لأنه الشائع والأعم . حيث يتوفر سبب يعيق دخول الهواء الى الرئتين كضيق الانف أو تضخم اللوزتين أو ربما تضخم خلقي في اللهاة ، وهذا بدوره يؤدي الى حالة من انخفاض الضغط داخل الرئتين ، وبالتالي الى امتصاص اللسان والحنك الرخو الى أسفل حيث يسد الحلق والبلعوم ومنه يحتبس النفس .

من الطبيعي أن تتجد هذه الظاهرة أثناء النوم بسبب ارتخاء عضلات اللسان والحنك مع انقباض في عضلات البلعوم ويتميز الكثير من مرضى هذه الحال (وليس كلهم) بالبدانة الزائدة وظاهرة الشخير ليلا مع شعور بالصداع والهبوط الذهني والجسدي اثناء النهار .

وعلاج هذه الحال يبدأ بازالة السبب الذي يحول بين الهواء والمرور بحرية مطلقة عبر مسالك الهواء العلوية .

أما السبب الآخر والنادر نسبيا فهو السبب العصبي ، حيث يفتقد المريض تلك الدفقة العصبية القادمة من مركز التنفس في المخ ، والتي تعمل على تنظيم عملية التنفس في نبضات منتظمة ت[illegible]اسب وحاجة الجسم الى الهو[illegible] ، وهذه حالة ربما تحدث ليلا [illegible] [illegible]ارا ويصاحبها اعراض أخرى [illegible] تخفى على طبيب الاعصاب [illegible]تخص ولكنها حالة نادرة والحمد لله .

مرض مانيير

(Meniere Disease)

● تداهمني بين حين وآخر نوبات من الدوار ، مصحوبة بطنين حاد في الأذن ، يصعب معها القيام بأي عمل ، علاوة على الارهاق الجسدي والنفسي المجهد . وعند الفحص علمت أن مرضي يدعونه مرض مانيير فهل من سبب لهذا ، وهل من علاج ؟ .

خ . س

المنامة ـ البحرين

هذا المرض يحمل اسم الطبيب الفرنسي الذي يعزى اليه تحديد معالمه ووصفه على وجه الدقة وهو الدكتور بورسبر مانيير عام ١٨٦١ .

غير أن المرض معروف لقدامى الاطباء وكان شائعا بين الناس لدرجة انهم يزعمون ان الامبراطور الروماني يوليوس قيصر كان يعاني منه كما عانى منه المصلح الديني المعروف مارتن لوثر .

وبالرغم من اسم هذا المرض المتميز ، وقدم معرفة الانسان به ، وسعة انتشاره ، فما زالت فيه مجاهل لم تعرف للطب بعد ، وهو اكثر انتشاراً بين الرجال منه بين النساء ، وخاصة بين متوسطي الاعمار منهم .

والأعراض تبدأ عادة بطنين حاد في الاذن دون توقف ، بما يشبه خرير الماء أو صوت بخار الماء المنبعث من ابريق الشاي ، يصاحبه ضعف في السمع وفقدان للتوازن ، ويبلل المريض عرق بارد مع شعور بالغثيان أو القيء .

ان النوبة المرضية تداهم صاحبها دون مقدمات تبدأ بشعور بالدوار واحيانا اخرى قد توقظه النوبة على صوت طنين حاد في الاذن وتدوم بضع ساعات لتزول جميع الاعراض وتختفي مخلفة وراءها شعور الدوار الذي قد يلازم المريض اياما .

لم يتفق جمهور الأطباء على السبب الحقيقي لهذا المرض ولكن بعضهم يعزونه الى زيادة نسبة السوائل وتراكمها في الاذن الداخلية ، ومع هذا فلم يصل أحد الى تفسير لسبب زيادة هذه السوائل وتراكمها .

فريق آخر يجتهد في تفسيره ليؤكد ان مرض مانيير هذا هو شكل متميز من أشكال الحساسية ، كما هو الربو مثلا ، أو التهاب العين ، أو طفح الجلد .

وهناك فريق ثالث يعتقد أن السبب هو انقباض في أوعية الدم المغذية للاذن الداخلية .

وعلى ضوء هذه الافتراضات المتباينة تجري محاولات العلاج لهذا المرض والتي يمكن تلخيصها على الوجه التالي :

أولا : تحديد شرب السوائل والاقلال منها ما أمكن بما لا يزيد عن لتر ونصف يوميا .

ثانيا : تقييد استعمال ملح الطعام بقدر الامكان وعدم استعماله على موائد الطعام .

ثالثا : تعاطي العقاقير المدرة للبول طلبا لافراز الصوديوم واقلال نسبة الماء في الجسم .

رابعا : استعمال العقاقير المضادة للحساسية ، افتراضاً بان المرض هو شكل من اشكال الحساسية ، ولكن هذه العقاقير تفقد متعاطيها شعور الاتزان .

خامسا : ينصح البعض باستعمال فيتامين ب ٦ .

فاذا لم يصل المريض الى فائدة واضحة من هذه الاساليب، فإن اجراء عملية جراحية قد تكون اجراءً حاسما ، وهنا يلجأ الجراح اما الى تعطيل الاذن الداخلية ، وهنا تكون التضحية بحاسة السمع ، أو الى تعطيل الياف العصب الثامن من أعصاب المخ المختص بالتوازن ، وهذا يجري اما بأسلوب العملية الجراحية ، أو باستعمال الموجات فوق الصوتية .

لكي لا ننسى

في ذكرى عبد الوهاب عزام بعد ربع قرن

شخصيّة مبْدعة ونسيج فريـد..

بقلم الدكتورة : نعمات أحمد فؤاد

□ كان الدكتور عبد الوهاب عزام في حياته صاحب رسالة،ظل عمره يعيش لها ويحيا بها ويدعو اليها،ولما قضى مات عليها . وكانت رسالته وهواه : « الاسلام والعروبة » ، كانا قبلته مؤلفا ومترجما ودارسا ومحققا ومناضلا . . كانا شغله مقيما ومرتحلا فهو في مصر يجمع القلوب عليها في الآثار الادبية عربية وشرقية . وفي البلاد العربية يجوب البقاع ، ويحقق الامكنة ، ويقف بالمعالم التاريخية يسجل عن الطبيعة ويعكف على الكتب ، فسد مأرب وسوق عكاظ ومواطن الذكريات من الجزيرة العربية معالم دراسية مشهودة في آثار عبد الوهاب عزام العالم الأديب .

هناك في بلدة « الشوبك الغربي » من أعمال مركز « العياط » في مديرة « الجيزة » ولد عبد الوهاب عزام في أول أغسطس ١٨٩٤م .[١]

وهو رائد من رواد الحركة الفكرية المصرية ، فهو أول من عمل في مصر على انشاء الدراسات الشرقية وأول من علم الفارسية والتركية وآدابها في الجامعة .

(١) ذكر الدكتور زكي المحاسني في مجموعة محاضراته عنه أن ميلاده سنة ١٨٨٤ ولكن الأستاذ محمد الدين عزام شقيق الدكتور عبد الوهاب عزام ، قال بالتاريخ الذي ذكرته أي سنة ١٨٩٤ م .

الخلق المذهلة ، لأن كل حاسة تتعامل مع عالمها بطريقة تختلف عن الحواس الأخرى ، ولهذا يأتي تصميمها مناسبا تماما لما تستقبل وتجمع وتحلل وتحول من صورة الى صورة ، أو من طبيعة الى طبيعة أخرى مختلفة ، ليصبح لكل ذلك هدف ومعنى ، فللموجات الكهرومغناطيسية محطات استقبال أو حواس تختلف في التصميم والتكوين عن أخرى مهيأة لاستقبال الموجات الصوتية ، وهذه أو تلك تختلف عن الحواس التي تتعامل مع المركبات الكيميائية التي تنطلق حول الكائنات ليل نهار ، أو تندس في الطعام والشراب والهواء ، لتصبح أدوات جذب أو طرد ، أو تحذير وانذار ، أو مسيلة للعاب أو الدموع ، أو مستملحة ومنفرة ، أو مجمعة ومفرقة ، أو لتوضح العدو من الصديق ، أو لتجمع الذكور باناثها ، أو لتهدي النوع الى نوعه . . . الخ ، وطبيعي أن معظم ما ذكرنا لاينطبق على الانسان ، بل ميدانه عالم الحيوان ، لأن الجزيئات الكيميائية عنده بمثابة قاموس كبير يحوي مفردات لغة غير منطوقة ولا مسموعة ، لكنها ـ مع ذلك ـ أبلغ في عالمها من فصاحة الخطباء ، ونصائح الحكماء ، وكلام المتكلمين ، لأنها تؤدي هدفها باختصار شديد ، ودون فلسفة أولف أو جدل أودوران !

لكن قبل أن ندخل الى هذه العوالم المثيرة ، كان من الأوفق أن نحدد الأسس التي تتعامل بها الكائنات مع بيئتها من خلال أحاسيسها ، لتدرك ما يدور حولها من متغيرات وظواهر قد يكمن فيها الموت والحياة ، وبهذا تستطيع أن تقدر لرجلها قبل الخطو موضعها . ولكي يتم الاحساس ، فلا بد من وجود مؤثر ، ثم مستقبل لهذا المؤثر وتحويل ما استقبل الى نبضات عصبية ، ثم نقل هذه النبضات خلال شبكة من الألياف لتصبها في مراكز خاصة من المخ ، لتقوم هذه المراكز بعمل ترجمة فورية ، وترد في الحال واللحظة ، لتنبىء الكائن الحي بموقفه من عمله !

هذه هي الصورة العامة التي تشتغل في الكائنات ، لتهيىء لها من أمرها رشدا ، فتشعر بكل ما يدور حولها ، لتتخذ فيه أمرا كان مفعولا ، ولينطبق عليها القول الفصل « الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى » .

ومع ذلك ، فلابد أن نختار واحدة من هذه الحواس لنقدمها هنا في دراستنا ، فندرك كيف نظمت الأمور تنظيما متقنا ، وليكن ذلك من لب تكويننا ، لكننا لن نختار حاسة من الحواس التي نعرفها ، بل علينا أن نقدم حاسة مجهولة لمعظمنا ، لأننا نتعامل معها ظاهرا ، ولا نعرفها باطنا ، وليكن ذلك في تكوين صغير قائم في أذننا ، بالتحديد في أذننا الداخلية ، ولا نقصد هنا حاسة السمع ـ كما قد يقفز للأذهان من أول وهلة ، بسبب أن السمع مرتبط بالأذن ـ ومع ذلك فقد حوت الأذن جهازا آخر بديعا ودقيقا ، ليحفظ علينا توازننا ، فنعرف رؤوسنا من أرجلنا ، تلك هي حاسة التوازن التي تشتغل بميكانيكية بيولوجية فذة ، فإليها ، لنتعرف عليها .

اعدل نفسك !

ولنأخذ ـ كمثل ـ كفتي الميزان اللتين تترجحان ذات اليمين وذات اليسار ، كلما وضعت في هذه الكفة أو تلك بعض الصنج او الأثقال ، تريد بذلك حالة من الاتزان ، كذلك يكون الحال مع الميزان الكامن في الآذان ، فواحد الى اليمين ، وواحد الى اليسار . هذا في أذن ، وذاك في الأخرى ، لكنهما ليسا ميزانين ، بل آلاف الموازين الدقيقة المنصوبة ، ولها أثقالها التي تشتغل به وتتوازن ، والأثقال أحجار ، او هي بالتحديد كربونات الكالسيوم ، والأحجار كثيرة جدا ، لكنها تتخذ شكلا بلوريا غريبا ، ولكي نطلعك على

١٩٣٢ . وكان موضوع رسالته شاهنامة الفردوسي . ثم صار أستاذا للأدب العربي ١٩٣٩ ثم عميدا لكلية الآداب ورئيسا لقسم اللغات الشرقية بها ١٩٤٦ .

وفي هذه الأثناء انتدب مرتين للتدريس في جامعة بغداد . وتطلعت اليه وزارة الخارجية فتشبثت به الجامعة . فقد قرر مجلسها في ٣/ ١١/ ١٩٤٧ أن الجامعة (لا يمكن أن تستغنى عن حضرة الدكتور عبد الوهاب عزام نهائيا وانما يوافق المجلس على ندب سيادته مؤقتا لمدة ثلاثة شهور يعود بعدها للجامعة) . فلم تملك وزارة الخارجية الا ندبه في نوفمبر سنة ١٩٤٧ للقيام بأعمال مندوب فوق العادة ووزير مفوض لمصر بالمملكة العربية السعودية سنة ١٩٥٤ . وملأ هذا المنصب حتى أول أغسطس ١٩٥٤ وهو تاريخ بلوغه سن الاحالة على التقاعد من وجهة النظر الوظيفي . وهنا اختارته الحجاز مؤسسا ومديرا للجامعة التي أنشأها بالرياض سنة ١٣٧٧ هـ فأخلص لها حتى اختاره الله لأكرم جوار . . . نقي السيرة باقي الأثر .

كان عزام ترتيلة في تدينه ، وفي أدبه ! شعره ونثره . . وكان صفوا أعذب ما يكون الصفاء في انسان . . . « رب هل رتل البراهمة الا فرقانك ؟ وطلبوا في الكهوف الا عرفانك ؟ وهل انفتحت عن بوذا زهرة الكنج الا لذكرك ؟ وهل هجر العالم الا لوجهك ؟ وهل أملى كونفشيوس الا تعاليمك ؟ وهل أراد زرادشت الا ذكرك ؟ وهل ضمن كتابه الا حمدك ؟ يا خالق الجن والانس ، من سواك يحمى الخليقة بظلالك وهدايتك ؟ »

بهذه السبحات من مواجد الروح ، استهل عزام كتابه « الأوابد » وسماها « مناجاة » .

وعلى سماحته ودماثته ، وتصوفه ، وتلطفه . . كان يثور للظلم ولا يكتفي بالثورة بل يتجاوزها الى الردع . ومن «مثانيه » !

صاح ما الحر من يثور على الظلم
وثارت لحقها الأقوام
انما الحر من يسير الى الظلم
فيصميه والأنام نيام

كان متصوفاً على طريقته . . كان تصوفه خلوصا للحق ، وحبا للجمال ، وشغفا بالفن ، وانسراحا روّاحا للفكر ، دون عزوف عن الدنيا أو زهد في طيباتها مما أباحه الله للانسان ، وأتاحه للمؤمن من دون حرج .

كان كريم المظهر . . أنيق الملبس والمسكن ، مترف الروح والعيش في غير سرف أو صلف .

(التصرف والتصوف)

وقد كان يرى أن الاسلام من الصفاء والنقاء بحيث يلهم صادقي الايمان من كرائم المعاني في أسلوب التصرف والتصوف والسلوك . . والدليل عنده « عمر بن الخطاب » رضى الله عنه ، و « عبد الله بن عمر » و « على بن ابي طالب » ـ كرم الله وجهه ـ بل من جاءوا بعدهم مثل « الحسن البصرى » و « سفيان الثورى » و « رابعة العدوية » .

وآيات التصوف الاسلامية تتمثل له في الآيات : « الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح » .

والآية (هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم) .

والآية (ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله) .

والآية (واذكر ربك في نفسك تضرعا وخفية ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين) .

والآية (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض) .

وما يكون التصوف الا أن يكون ايمانا بنور النور وأنه ليس كمثله شيء فكل شيء محدود ، والله بلا حدود . . . اليه وحده تتجه الأفئدة

وتعنو الوجوه . يعبده المؤمن في ضراعة وصمت وتفكر فيا خلق .

(مؤلف ومترجم)

كان عبد الوهاب عزام موسوعة لغات . . ولم تقف اجادة الدكتور عبد الوهاب عزام للغات الشرق والغرب وادراكه العميق لحضارتيها عند حدود الثقافة الخاصة للفرد ، بل تجاوزت هذا المعنى على رفعته ، الى ما هو أعم وأشمل وأنفع ، فألف الكتب ، ونقل الآثار ، وعرف بالرجال ، وراد الاماكن ، وحقق المواقع . وجمع الله في لسانه ، كما يقول الاستاذ عبد المنعم خلاف في رثائه - ألسنة العرب والفرس والترك والهند أعظم أمم الحضارة الاسلامية . . فكانت داره ناديهم ، وموائده قراهم ، وكان موضع ثقتهم واعزازهم وسفير بعضهم الى بعض . . .

كان يجيد العربية و التركية والفارسية والاردية ، والانجليزية والفرنسية ، وقد أثرى هذه اللغات جيعا بالتأليف فيها ، والترجمة عنها . ومن مؤلفاته :

الرحلات الاولى - الرحلات الثانية . وكتاب النفحات . ومنظومة اللمعات من ستمائة بيت أهداها الى الشاعر محمد اقبال . وموقع عكاظ . وكتاب الاوابد . وكتاب (محمد اقبال) سيرته وفلسفته وشعره . والمثانى . وهى ثلاثمائة رباعية وقد آثر أن يسميها « المثانى » لا الرباعيات ، حتى لا تقترن في الموضوعات برباعيات الخيام ، اذ نظمها كلها في التأمل الديني فضلا عن فروق فنية يراها . . . على أن « المثنوية » عنده تتألف من بيتين .

مدخل الشاهنامة العربية للبنداري ، والتصوف وفريد الدين العطار ، ومهد العرب ، وأوزان الشعر الفارسي والأدب الفارسي بالاشتراك مع د . يحيى الخشاب ، وذكرى أبي الطيب بعد ألف عام ، ونواح مجيدة من الثقافة الاسلامية ، والمعتمد بن عباد ، ونظرات في سنن المسلمين في كتابه التاريخ .

ومن كتب التراث التي نشرها ، كتاب (الورقة في تاريخ الشعراء*) لمحمد بن داود بن الجراح أحد وزراء الدولة العباسية . وقد طبع من نسخة مخطوطة عثر عليها في ايران ولايعرف لها نظير في العالم .

ومن جهود الدكتور عبد الوهاب عزام في ميدان النشر :

الشاهنامة التي نقلها الى العربية ، البنداري ، وديوان المتنبي ، ومجالس السلطان الغوري ، وكليلة ودمنة ، ورسائل الصاحب بن عباد بالاشتراك مع الدكتور شوقي ضيف في عام ١٩٤٧ .

ومن جهوده فى الترجمة :

فصول من المثنوى (عن الفارسية) ، وجهار مقاله ، عروض (عن الفارسية) بالاشتراك مع الدكتور يحيى الخشاب ، واتحاد المسلمين لجلال نورى (عن التركية) بالاشتراك مع الاستاذ حمزة طاهر . الى جانب مقتطفات كثيرة من الشعر الفارسى والشعر التركى نشرت فى مجلة الرسالة وغيرها .

ومن بحوث الدكتور عبد الوهاب عزام التى نشرتها له مجلة المجتمع اللغوى ، بحث القاه فى الدورة الرابعة عشرة بعنوان (صلات اللغة العربية باللغات الاسلامية) ، وبحث القاه فى الدورة الخامسة عشرة فى موضوع :

« اسماء العشب والاشجار فى بوادى العرب » ، وبحث فى الدورة السابعة عشرة بعنوان : « الألفاظ الفارسية والتركية فى اللغة

---

* (العربي) شاركه فى نشر كتاب « الورقة » الاستاذ عبد الستار أحمد فراج ،ولقد نشرته « دار المعارف فى مصر » فى سلسلة « ذخائر العرب »

العامية المصرية » وبحث فى الدورة التاسعة عشرة بعنوان « الالفاظ العربية فى اللغات الاسلامية غير العربية » [٢]

وقد اشار الاستاذ مصطفى السقا الى بحوث أخرى متتابعة فى أدوار انعقاد مؤتمر المجمع اللغوى ابتداء من الدورة الثانية والعشرين الى دور الانعقاد فى سنة ١٩٥٩ وكان موضوع بحثه فيه عن الشعر النجدى المعروف بالشعر النبطى فى جزيرة العرب .

أما الشاعر اقبال الأثير عنده فقد خصه بترجمة ثلاثة دواوين له :

* بيام مشرق أى رسالة المشرق التى رد بها على ديوان جوته . (**)

* ضرب الكليم .

* ديوان الاسرار والرموز الذى عكف على ترجمته سنة كاملة .

مثانى عزام

ويذكر الناس « رباعيات الخيام » ، ويغفلون عن « مثانى عزام » لأنهم الى التخفف أميل . تلك المثانى التى نظمها وهو سفير مصر فى باكستان بكل ما فى شفافيته من نفاذ . . ولعل ملابسات النظم حدت بالنقاد فى ساحة الأدب ، أن يعزوا « المثانى » الى تأثره باقبال . . والحقيقة انه تماثل فى النزعة .

لقد أهدى عزام الى فيلسوف باكستان اقبال ، منظومته « اللمعات » اعتزازا به ، واعزازا لـه . . ومع مكان اقبال عنده ، ومكانته من نفسه ، لالتقائهما فى الفكر الاسلامى ، فانه فى « المثانى » كان يعبر عن نفسه ويصدر عن شعوره ، وينبع من روحه . ان السليقة كما يقول استاذنا العقاد فى مقدمته للمثانى .

(هى التى أوحت الى شاعر المثانى فى نظمها لا التقليد لاقبال فى منظوماته) .

لم يقلد الدكتور عزام ، الشاعر « اقبال » مع حبه له حتى انه وهو سفير مصر فى باكستان كانت تتحلق حوله ، فى داره الندوة . . عن أدب اقبال حتى سمى مريديه (دراويش اقبال) [٣]

ومع هذا كله كان عزام تسبح وحده . وقد حسم عزام نفسه الموقف فى هذه الكلمات التى أراها ومضات :

(يؤسفنى أن بعض النقاد وضع أدبى وأدب اقبال فى ميزان المناقشة وجهدوا أن يشيعوا اغلاطهم فى هذا الشأن . وهذا عمل لا يليق بالأدب الفسيح الذى يخاطب النوع الانسانى كله . . لأن فى ساحة الأدب العالمى يقوم الشعراء وأولو الفن فى منبت واحد من الاخوة الانسانية . ويقينى أن ومحمد اقبال عاملان للصدق والجمال فى الادب . . ونحن نلتقى حيث يقدم القلب الانسانى والعقل الى عالم الانسانية أجمل هداياهما وأروعها) .

بهذه الدماثة رد عزام على ناقديه :

كان عزام خيرا كله وكان أدبه أدبا متفائلا . .

« قيل : ليل مظلم ، قلت اذكروا
فى ظلام الليل اشراق الصباح
قيل : غيم معتم ، قلت انظروا
رب نجم من وراء الغيم لاح »

□□

---

(٢) كتاب (قمم أدبية) للدكتورة نعمات أحمد فؤاد .

(**) (العربي) الديوان الذى ألفه الشاعر الألمانى جوته هو « الديوان الشرقى للشاعر الغربى » (وترى صورته أعلاه)

(٣) عندما اشتدت حركة الفدائيين المصريين سنة ١٩٥١ فى القناة ، قام هؤلاء الدراويش بمظاهرات كبيرة فى باكستان تأييدا لمصر حتى اشتكى السفير البريطانى الى عميد السلك السياسى هناك فقال السفير المصرى الدكتور عزام : وهل أنا الذى أخرجت المظاهرات فى لاهور وفى العراق وفى الهند . ان الذى أشعل المظاهرات سبب يعرفه الانجليز جيدا وهو « السياسة الانجليزية » .

مِنَ الحواس ما وزن .. فعدل .. فاستوى !

بقلم : الدكتور عبد المحسن صالح

☐ يقولون ان الحواس خمس : حاسة البصر والسمع والشم والتذوق واللمس ، لكن هذاالتحديد فيه اجحاف كبير بالحواس ، اذ قد يمكن ان يقال ان ذلك يسري على الانسان ، لكنه لايسري ـ بطبيعة الحال ـ على الحيوان ، لأن بعض الأنواع تمتلك حواس غير حواسنا المعروفة ، أضف الى ذلك أن الحواس تختلف كما ونوعا ، فقد لانحس نحن بأشياء ، ويحسها الحيوان ، بمعنى أننا قد لانرى ، وهو يرى ، أو لانسمع ، وهو يسمع ، أو لا نشم ، وهو يشم ، كما أننا لا نمتلك مثلا حاسة مغناطيسية ، لكن ليس معنى أننا نمتلك ، أن غيرنا لايمتلك ، بل توزعت الحواس بين المخلوقات لتصبح دليلها في عالمها الذي قد تكتنفه الظلمات أو المتاهات !

أيها نختار ؟

لكن موضوع الحواس من الموضوعات الشيقة والمثيرة ، وأنماطها متشعبة وكثيرة ، كما أنها تحتوي على أسرار كبيرة ، ولو كتبت وقدمت بالصورة التي توضح ما تنطوي عليه من تصميمات « وتكتيكات » ، لاستوعبت عدة مجلات مثل هذه المجلة ، وهذا ما يدعو حقا للحيرة ، فأيها نترك ، وأيها نختار ؟ . . هل نبدأ مثلا بما حواه جسم الانسان ؟ . . أو هل نستعرض ما انطوى منها في جسم الحيوان ؟ . .

الواقع أن كل حاسة تستحق التقديم ، وتتطلب المعرفة ، ففي كل منها آية من آيات

الخلق المذهلة ، لأن كل حاسة تتعامل مع عالمها بطريقة تختلف عن الحواس الأخرى ، ولهذا يأتي تصميمها مناسبا تماما لما تستقبل وتجمع وتحلل وتحول من صورة الى صورة ، أو من طبيعة الى طبيعة أخرى مختلفة ، ليصبح لكل ذلك هدف ومعنى ، فللموجات الكهرومغناطيسية محطات استقبال أو حواس تختلف في التصميم والتكوين عن أخرى مهيأة لاستقبال الموجات الصوتية ، وهذه أو تلك تختلف عن الحواس التي تتعامل مع المركبات الكيميائية التي تنطلق حول الكائنات ليل نهار ، أو تندس في الطعام والشراب والهواء ، لتصبح أدوات جذب أو طرد ، أو تحذير وانذار ، أو مسيلة للعاب أو الدموع ، أو مستملحة ومنفرة ، أو مجمعة ومفرقة ، أو لتوضح العدو من الصديق ، أو لتجمع الذكور باناثها ، أو لتهدي النوع الى نوعه ... الخ ، وطبيعي أن معظم ما ذكرنا لاينطبق على الانسان ، بل ميدانه عالم الحيوان ، لأن الجزيئات الكيميائية عنده بمثابة قاموس كبير يحوي مفردات لغة غير منطوقة ولا مسموعة ، لكنها ـ مع ذلك ـ أبلغ في عالمها من فصاحة الخطباء ، ونصائح الحكماء ، وكلام المتكلمين ، لأنها تؤدي هدفها باختصار شديد ، ودون فلسفة أولف أو جدل أودوران !

لكن قبل أن ندخل الى هذه العوالم المثيرة ، كان من الأوفق أن نحدد الأسس التي تتعامل بها الكائنات مع بيئتها من خلال أحاسيسها ، لتدرك ما يدور حولها من متغيرات وظواهر قد يكمن فيها الموت والحياة ، وبهذا تستطيع أن تقدر لرجلها قبل الخطو موضعها . ولكي يتم الاحساس ، فلا بد من وجود مؤثر ، ثم مستقبل لهذا المؤثر وتحويل ما استقبل الى نبضات عصبية ، ثم نقل هذه النبضات خلال شبكة من الألياف لتصبها في مراكز خاصة من المخ ، لتقوم هذه المراكز بعمل ترجمة فورية ، وترد في التو واللحظة ، لتنبيء الكائن الحي بموقفه من عمله !

هذه هي الصورة العامة التي تشتغل في الكائنات ، لتهيىء لها من أمرها رشدا ، فتشعر بكل ما يدور حولها ، لتتخذ فيه أمرا كان مفعولا ، ولينطبق عليها القول الفصل « الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى » .

ومع ذلك ، فلابد أن نختار واحدة من هذه الحواس لنقدمها هنا في دراستنا ، فندرك كيف نظمت الأمور تنظيما متقنا ، وليكن ذلك من لب تكويننا ، لكننا لن نختار حاسة من الحواس التي نعرفها ، بل علينا أن نقدم حاسة مجهولة لمعظمنا ، لأننا نتعامل معها ظاهرا ، ولا نعرفها باطنا ، وليكن ذلك في تكوين صغير قائم في أذننا ، بالتحديد في أذننا الداخلية ، ولا نقصد هنا حاسة السمع ـ كما قد يقفز للأذهان من أول وهلة ، بسبب أن السمع مرتبط بالأذن ـ ومع ذلك فقد حوت الأذن جهازا آخر بديعا ودقيقا ، ليحفظ علينا توازننا ، فنعرف رؤوسنا من أرجلنا ، تلك هي حاسة التوازن التي تشتغل بميكانيكية بيولوجية فذة ، فإليها ، لنتعرف عليها .

اعدل نفسك !

ولنأخذ ـ كمثل ـ كفتي الميزان اللتين تتأرجحان ذات اليمين وذات اليسار ، كلما وضعت في هذه الكفة أو تلك بعض الصنج او الأثقال ، تريد بذلك حالة من الاتزان ، كذلك يكون الحال مع الميزان الكامن في الآذان ، فواحد الى اليمين ، وواحد الى اليسار .. هذا في أذن ، وذاك في الأخرى ، لكنهما ليسا ميزانين ، بل آلاف الموازين الدقيقة المنصوبة ، ولها أثقالها التي تشتغل بها وتتوازن ، والأثقال أحجار ، او هي بالتحديد كربونات الكالسيوم ، والأحجار كثيرة جدا ، لكنها تتخذ شكلا بلوريا غريبا ، ولكي نطلعك على

حقيقتها ، فلا أقل من تقديم صورة تغني عن أي وصف أو كلام يمكن ان يقال في هذا المجال (شكل ١) .

ان نظرة عابرة على هذه الأثقال او الأحجار ، قد يصيب البعض بالحيرة أو الدهشة ، وقد يدعو ذلك الى التساؤل : كيف تؤوي الأذن الداخلية كل هذه الكتل ؟ . . وأين تنتظم ؟ . . وكيف تعمل ؟ . . وما هي طبيعة الموازين التي تتعامل مع هذه الكتل ؟ . . الخ .

قبل أن نجيب على هذه الأسئلة ، كان لا بد من كلمة مختصرة نوضح بها لماذا جاءت أحجار التوازن بهذا الشكل أو الحجم الذي يقع تحت بند « اللامعقول » . . ان الفضل في ذلك يرجع الى الميكروسكوب الاليكتروني الذي يعطيها تلك الصورة المجسدة ، وهي هنا مكبرة عدة آلاف من المرات ، أي أننا لو أعدناها الى حجمها الطبيعي ، وتراصّ مائة حجر منها الواحد بجوار الآخر ، لما بلغ طولها جميعا الا ملليمترا واحدا بالكاد !

لكن . . كيف تشتغل الموازين بهذه الأثقال ؟ . . وما هو شعورنا نحن بذلك ؟

دعنا نمهد لذلك بظاهرة معروفة لنا جميعا ، فلو أنك درت حول نفسك بسرعة ، وبين ذراعيك طفل يبلغ من العمر سنوات تعد على اصابع اليد الواحدة ، أو اصابع اليدين ـ اذا أردت ، ثم توقفت وتركت الطفل على الأرض في وضع واقف ، لوجدته يترنح ، ثم يسقط على الأرض ليتشبث بها ، وكأنما كل شي يدور حوله وحولك ، عندئذ تستنتج ان الطفل قد فقد اتزانه أو توازنه ، لكن هذا الاحساس يقل درجات في الكبار ، ربما عن طريق الممارسة أو التحكم في ضبط الجسم ، لكنهم ـ مع ذلك ـ قد يشعرون بشيء من عدم الارتياح .

أو لو أنك استقبلت مصعدا يرتفع فجأة ، أو يتوقف فجأة ، عندئذ يأتيك شعور بأنك قد أصبحت أخف أو أثقل ، أو لو أن سيارة قد اندفعت بغتة الى الأمام ، أو انحرفت فجأة الى اليمين أو اليسار ، أو توقفت في لحظة خاطفة ، كل هذا وغيره يعطيك احساسا بالميل أو الاندفاع نحو هذه الجهة أو تلك ، وسرعان ما تعدل ما مال منك ، لكنك لا تفعل ذلك بذاتك ، بل يرجع الفضل فيه الى فعل الأحجار بالموازين ، فمحصلة تجاوب هذه مع تلك ، يولد تيارا من نبضات عصبية ، حيث تصب في المخ ، فيقوم باجراء حساباته بسرعة فائقة ، ويحسم الموقف بارسال اشارات الى العضلات ، ليأمرها باعادة الجسم الى توازنه .

أي كأنما هذه الموازين هي التي تحدد موقفنا بالنسبة للجاذبية التي تتسلط علينا من أرضنا ، وتعدل قامتنا اذا سرنا ، وتؤكد أوضاعنا في نومنا أو جلوسنا أو ميلنا في أي اتجاه أو زاوية . . وبالاختصار فهو ذلك الاحساس أو الحاسة الغامضة التي قد يظن البعض أنها من عندنا ، لكن لا شيء يأتي من لا شيء ، بل لا بد من موازين حقيقية منصوبة بالعدل والقسطاس في داخلنا ، واليها الآن لنكشف عنها غطاءها ، فنرى كيف تراكبت وشيدت ، وندرك بأية معايير قد نصبت ، فكل شيء فيها قد جاء بحساب ، وسرى بمقدار !

تصميمات مذهلة

وكالمهندس أو عالم الرياضيات الذي يتعامل مع الأنماط أو النماذج الفراغية ، فيحدد لها عرضا وطولا وارتفاعا ، ليبدو كل شيء مجسما في محاور ثلاثة تتعامد على بعضها ، كذلك يجيء جهاز التوازن على الفكرة ذاتها ، مع الفرق طبعا بين ما رسم الانسان وخطط ، وبين ما قدر الخالق فأبدع ، ليجيء خلقه شاهدا بكل ما هو بديع ومنسق وأصيل .

شكل (١) هذه الكتل من الأحجار المتناسقة تتراص على وسادة خاصة في الأذن الداخلية ، ولقد جاءت بهذا الشكل المثير لأنها مكبرة بالميكروسكوب الاليكتروني المجسم ، وهي بمثابة الكتل التي تضغط على ما تحتها ، فتشعرنا بتوازننا ، وتحدد من استوائنا بالنسبة للجاذبية الأرضية (لمزيد من التفاصيل - راجع المقال) .

شكل (٢أ) جهاز التوازن في الأذن الداخلية قد جاء
على هيئة تصميم محكم وبديع اذ تخرج منه ثلاث أنابيب
شبه دائرية متعامدة على بعضها ، لتمثل الاتجاهات الثلاثة
الأساسية المعروفة هندسيا ، وعند قواعد هذه الأنابيب
ترتكز أحجار التوازن ، لتزن كل ما تتعرض له من حيود في
جميع الاتجاهات المعروفة .

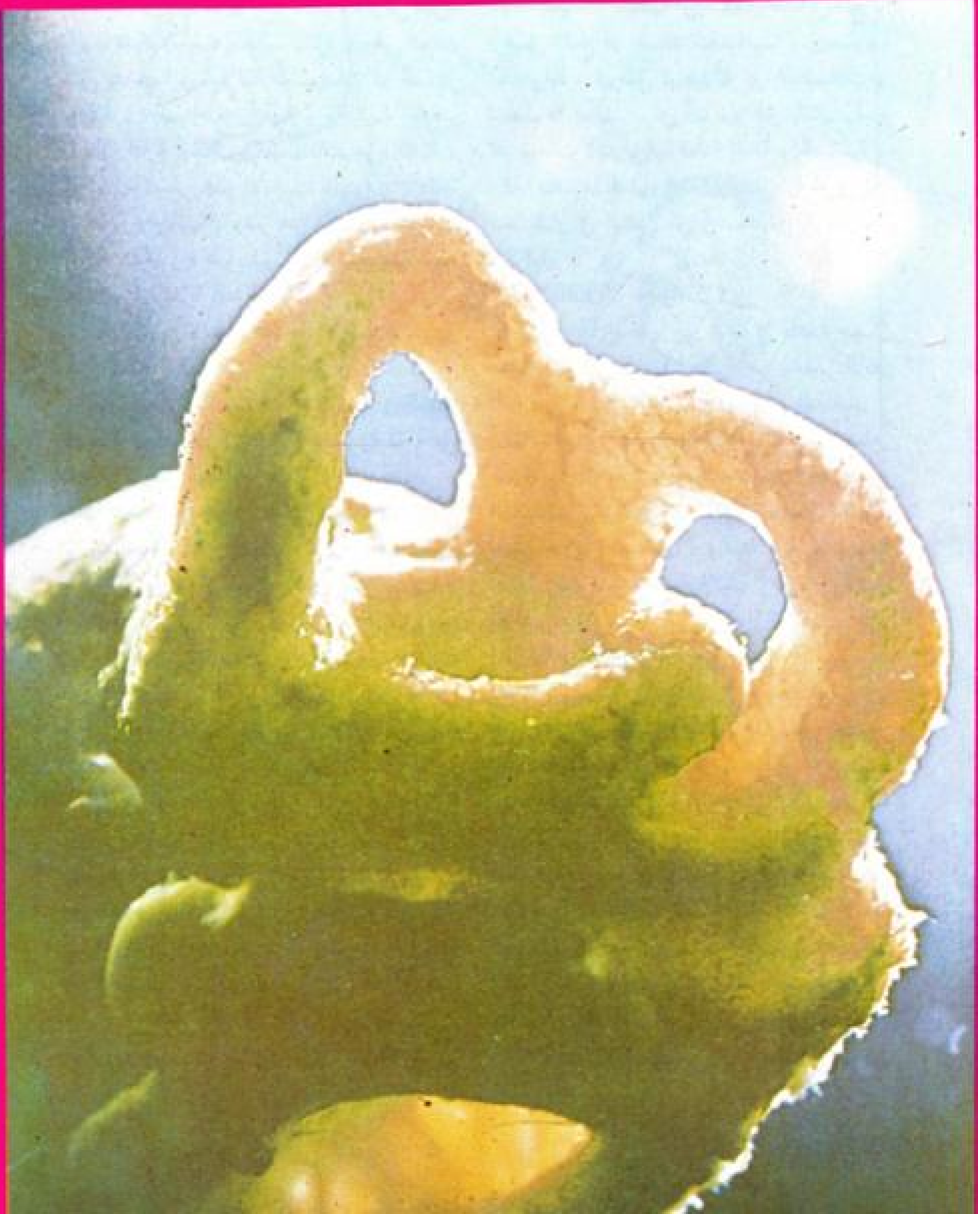

لكن الوصف في مثل هذه الأسرار المذهلة قد لا يسعفنا في توضيح ما انطوت عليه تلك الموازين من تكوينات شاهدة على اتقانها ، ولهذا كان لابد من تقديم صورة حقيقية وأخرى توضيحية (شكل ٢ أ ، ب) ، وفيها ترى التواءات تشبه المتاهات ، وهي تمثل لنا جهاز التوازن ، والجهاز يرتكز على قاعدة ، ومن القاعدة تخرج ثلاث أنابيب صغيرة ، وكل أنبوبة تكون تشكيلا أشبه بنصف دائرة ، وهي تتعامد على بعضها في ثلاثة مستويات أو محاور فراغية .. فواحدة رأسية ، والثانية أفقية ، والثالثة أفقية أيضا ، لكنها تتعامد على الثانية ، وأحيانا ما تسمى هذه الأنابيب بالقنوات الأمامية والخلفية والجانبية ، وسر هذا التصميم الغريب لا يخفي مغزاه على لبيب ، لأنه يمثل لنا الاتجاهات الثلاثة المعروفة .

لكن .. ماذا تحوي هذه الدوائر أو القنوات ؟

الواقع أنها تكوينات عظيمية (تصغير عظمة) مبطنة من الداخل بأغشية رقيقة ، من داخلها سوائل ليمفاوية ذات تركيب خاص ، وفيها تتحرك الموازين ، ولكى نرها ، فلا مناص من تشريحها ، لكن العين لن ترى شيئا ذا بال ، ولكي ترى ، فلا بد من عين غير عيوننا ، فجاءت « عين » الميكروسكوب الاليكتروني لتقدم لنا صورة مجسدة ، لجزء هام من أجزاء الموازين ، ولكى لا يخوننا التعبير ، فلا أقل من عرض الصورة لتوضح لنا ما نريد (شكل ٣) .. عندئذ سترى حزمتين ، وكل حزمة مستقلة بذاتها ، ويتكون كل منها من مجموعة من أهداب بعضها طويل ، وبعضها قصير ، وكل مجموعة تخرج من خلية واحدة ، وكل خلية - في حد ذاتها - بمثابة ميزان دقيق ، لتوازن الأمور مع الآلاف الأخرى ، وهي - في مجموعها - ترتكز على تكوين محدب كالتخت ، وكل تخت موجود عند مدخل كل قناة شبه دائرية (انظر شكل ٢ ب) ، وتمتد أهداب كل الخلايا المرتكزة على التخت داخل تجويف قناتها ، ويعنى ذلك ان اتجاهات الأهداب عند مدخل كل قناة تبدو وكأنما هي متعامدة على بعضها ، ذلك ان القنوات ذاتها تتجه على محاور متعامدة ، بحيث اذا تحركت السوائل في قنواتها ، تتحرك معها الأهداب بدورها ، فتميل هذه الجهة أو تلك ، ومع ميلها تنطلق نبضات عصبية ، لتستقبلها ألياف دقيقة ، فتنقلها الى منطقة محددة في المخ ، وعلى المخ أن يفك شفراتها ، ويعرف مضمونها ، فيرسل توجيهاته الى العضلات ، لتعدل ما مال .. اى أننا - والحق يقال - أمام تصميمات تكنولوجية فائقة الدقة والحساسية ، ولهذا يعتبرها العلماء تحفة فنية هندسية تحوى كل ما يثار في النفس من أحاسيس الدهشة والاكبار .

وما فائدة الاحجار اذن ؟

ليس هذا مجالها ، بل مجالها فى قاعدة جهاز التوازن التى تمتد فى جزء من دهليز الأذن الداخلية ، ففى هذه القاعدة يوجد انتفاخان ، أحدهما يسمى الجريبة ، والآخر القريبة (تصغير جراب وقربة) ، وفيهما تتوزع حزم من الأهداب ، والأهداب متصلة بخلايا تعرف باسم خلايا الاستقبال ، وتحيط بها وبأهدابها اغلفة رقيقة من مادة جيلاتينية رخوة ، وفوق الاهداب ترتكز احجار التوازن ، وهى التى قدمناها فى شكل (١) ، وفى هذا الشكل ترى ايضا جزءا من الأهداب فى وسط الصورة ، لكنها جاءت مشوهة ومتداخلة لسوء تحضير الشريحة ، لكن ذلك قد لا يهمنا بقدر ما يهمنا ان نعرف ان حركة هذه الاحجار تتأثر بحركة رءوسنا ، وعندئذ تتزحلق حسب الميل وشدته ، فتحتك باطراف الاهداب ، فتنقل ما حدث الى خلايا الاستقبال ، فتحول الحركة الى طاقة كهروكيميائية ، لتتولد منها نبضات عصبية ، لتنتقل عبر « اسلاك » او الياف عصبية ، حتى تصب فى المخ ، فيتخذ فيها امرا كان مفعولا .

هذا - اذن - ما انطوت عليه حاسة التوازن من

شكل (٢ب) رسم توضيحي لجهاز التوازن ، حيث تبدو الأنابيب متعامدة ، وعند قواعدها المتضخمة قليلا توجد أجهزة التوازن الدقيقة ، والى اليمين شكل مبسط يوضح ميل هذه الموازين ، اذا مال الرأس هذه الجهة او تلك .

تكوينات كانت علينا خافية ، ولقد قدمناها باختصار شديد ، ولنا عذرنا لضيق المجال ، ومع ذلك يبقى أمامنا بعض حقائق يجب تقديمها ، لنعرف المزيد من خفايا هذا العضو الفريد .

قيمة الشيء تظهر فى فقده !

نحن - بطبيعة الحال - لا نعرف قيمة الشيء الا اذا فقدناه ، فطالما سارت الأمور هينة لينة ، فقد لا نبالى ، لكن من فقد نعمة حاسة من الحواس ، فلا شك يشقى ويكابد ما فقد ، وهناك نسبة من البشر تولد محرومة من حاسة التوازن ، نتيجة لسبب خلقى ، أو قد تأتيها اثناء حياتها بسبب التهاب فى الأذن الداخلية ، أو لامتلاء جهاز التوازن بسوائل زائدة عن حدودها . . . الخ .

وطبيعى ان من يفقد حاسة التوازن ، يعيش بلا توازن ، اذ يحل به دوار أو دوخة ، وأحيانا يشعر ان الأشياء تتراقص أمامه ، لكن الأعراض تأتيه على فترات متقطعة تفصلها اسابيع أو شهور أو سنون .

ومع ذلك ، فقد يعتمد فاقد هذه الحاسة على حواسه الأخرى ، لأن حاسة التوازن تخدمها مرافق ثانوية ، فمن الممكن الاعتماد جزئيا على

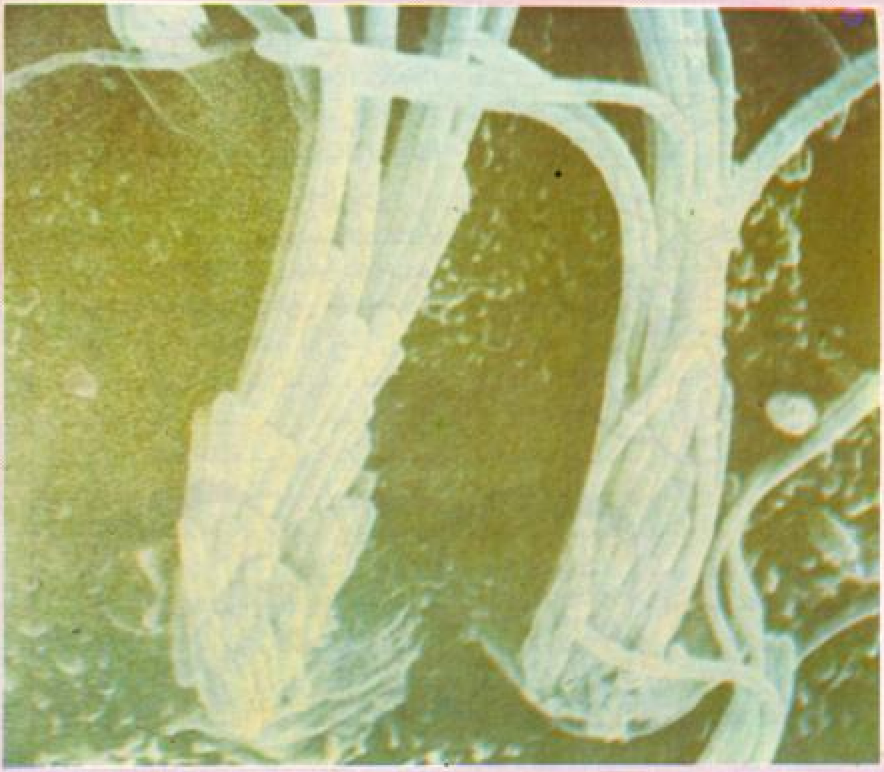

شكل (٣) حزمتان من أهداب دقيقة تمثل قليلا من كثير يعد بالآلاف ، وعلى هذه الأهداب ترتكز أحجار التوازن (لا تظهر هنا في الصورة) ، فعندما نميل عن الوضع المضبوط ، تتزحلق الأحجار ، فتحتك بالأهداب ، وتولد نبضات عصبية ، فتشعرنا بما صار عليه وضعنا .

عينيه ، ليحدد بهما موقفه وموقعه بالنسبة لما حوله ، او بالتركيز والانتباه لاستقامة جذعه ، وحركة عضلات الساقين ، وما يتصل بهما من احساس عصبي ، لان ارتكاز ثقله على الساقين يعطيه بعض الاحساس بالثبات ، لكن هذا الثبات قد يتلاشى عند نزوله الى الماء ، وهنا يخف وزنه ، ويفقد توازنه ، ولا يستطيع تمييز فوق من تحت وقد يغرق ، ونحن نستطيع أن نقف على ساق واحدة لفترة طويلة ونحن مغمضو العيون ، لكن ذلك لا يستمر الا لثانية او لثانيتين لفاقد حاسة التوازن ، اذ يحس بدوار قد يدفعه للسقوط ، مالم يعد سريعا الى سابق وضعه .

لكن حاسة التوازن قد تختل لأسباب عارضة ووقتية ، ثم تعود تدريجيا الى حالتها الطبيعية ، لكن بعد زوال المؤثر ، فاللاتي تهتز أجسادهن مع رءوسهن بشدة في حفلات الزار ، أو الذين يحركون جذوعهم ورءوسهم بعنف في حلقات

الاذكار ، او من يرقصون رقصات تشنجية صاخبة ، او من يدورون حول أنفسهم دورات سريعة . . . الخ ، كل هذا وغيره يرج السوائل في انابيبها رجا ، ويهز الأحجار في مواقعها هزا ، فيؤدي الى حركات فوضوية في الأهداب ، وما يتبع ذلك من تشويش مستمر في مراكز الاستقبال في الأمخاخ . . وكلما كان الرج او الهز أقوى ، جاء التأثير بدرجات أعلى ، فلا يستطيع مركز التوازن ان يسيطر على تلك الفوضى ، وقد يسقط الذاكرون والراقصون والمقيمات لحفلات الزار من دوار قد يؤدي الى انهيار . . البعض يعلل ذلك بالجذب والوجد والهيام ، او بسبب عفريت الزار ، لكن لا العفريت قد دخل او خرج ، ولا الحركة التشنجية لها دخل في ذكر الله ، اذ بذكر الله تطمئن القلوب ، وتخشع العقول ، لا أن تهتز الرءوس والأبدان بيدع ما أنزل الله بها من سلطان ، لكن البعض قد يمتهن موازينه الكامنة في رأسه ، فتمتهنه الموازين ، ليكون ما يكون من خلل قد يؤدي الى مالا تحمد عقباه .

وللحيوانات أيضا موازينها

لكن جهاز التوازن ليس مقصورا فقط على الانسان ، بل ينتشر في معظم مملكة الحيوان ، فما من حية تتلوى ، أو ضفدع يقفز ، أو سمكة تعوم ، أو طائر يطير ، أو قط وكلب وحمار وقرد يسير ، الا ولكل منها جهاز توازن من صنع خبير حكيم ، ليحدد لها وضعها السليم ، ولقد قام العلماء باجراء تجارب كثيرة على بعض هذه الحيوانات وأزالوا منها أجهزة توازنها ، فكانت النتيجة ان فقدت احساسها بالتوازن ، فاذا عامت السمكة بدون جهازها ، لم تستطع ان تحدد فوقا من تحت ، واذا قفز الضفدع ، ترنح ووقع ، واذا سقط القط من مكان مرتفع ، لم يستطع ان يعدل وضعه ، او يحدد اتجاهه اثناء سقوطه ، ليستقبل الارض بوسائد أرجله اللينة ، فمن المعروف ان القط السليم يستخدم جهاز توازنه في مثل هذه الحالات بكفاءة نادرة ، ومن اجل هذا يقول الناس « ان القط بسبع ارواح » ، وهو قول يحمل بعض بذور الحقيقة ، لأن جهاز التوازن اليقظ مسئول عن « روح » من هذه الأرواح - ان صح هذا التعبير !

« وكالاكروبات » او لاعب السيرك يمشي على حبل او سلك ، او يقفز من حلقة الى حلقة برشاقة واقتدار ، أو القرد الذي يقفز بين الاشجار ، او ينطلق فوق الاغصان ، اذ في كل هذه الحركات يلعب جهاز التوازن مع العينين مع العضلات مع التدريب دورا هاما ، ليصبح كل شيء متوازنا ، والا كانت الكارثة .

لكن جهاز التوازن يفقد قدرته عند رواد الفضاء ، والسر في ذلك لا يخفى على لبيب ، لأن الانطلاق من الارض الى الفضاء ، والتجول فيه - بعيدا عن الارض أو أي كوكب من الكواكب - يلغي الاحساس بالجاذبية ، وجهاز التوازن مصمم بدقة ليتعامل مع جاذبية الأرض ، وكأنما هو « بندول » معلق في رءوسنا ، فيحس بأي انحراف او حركة غير سوية ، فيعدل ما انحرف أو مال ، اى هو بمثابة عجلة قيادة « اوتوماتيكية » ، هدفها دائما توجيهنا لنطيع قوانين الجاذبية . . لا جاذبية ، اذن لا توازن !

لهذا اذا سرت ثابتا ، أو وقفت قائما ، أو جلست معتدلا ، أو نمت مسترخيا ، أو تحكمت في ميل أو انحراف نتيجة لما قد يتسلط عليك من قوى دافعة أو هابطة او صاعدة . . الخ . . الخ ، فاعلم ان من وراء ذلك أجهزة حساسة تتحكم وتوجه وتصحح . . انها حاسة التوازن الغامضة ، لتجعل كل شيء موزونا ، ربما مصداقا للآية الكريمة « والأرض مددناها ، وألقينا فيها رواسي ، وأنبتنا فيها من كل شيء موزون » . □□

سلامة البشرية

في سلامة البيئة

اعداد : يوسف زعبلاوي

المناخ العالمي
هل مآله الى صقيع أم الى جحيم ؟

أصدرت وكالة حماية البيئة الأمريكية (E. P. A.) تقريراً هاماً عن المناخ العالمي في شهر أكتوبر الماضي .. وقد كانت التنبؤات التي تضمنها هذا التقرير من الخطورة بحيث أثارت الفزع في الكثيرين ، وحملت الكونجرس الأمريكي على تكليف هيئة علمية ذات مكانة رفيعة بتقييم ذلك التقرير ..

ولبت أكاديمية العلوم National Academy of Sciences الأمريكية طلب الكونجرس ، فأجرت الدراسات وتوصلت الى نتائج وتوصيات ضمنتها تقريراً ثانياً يقع في حوالي ٥٠٠ صفحة .. (٤٩٦ صفحة بالتحديد) وقد اعتمدت الأكاديمية في دراساتها هذه أحدث أجهزة الكومبيوتر .. ويمكن القول بأن التقريرين لم يختلفا كثيراً ، أحدهما عن الآخر .. فكلاهما أكد التراكم المتزايد لغاز ثاني أكسيد الكربون في أعالي الجو .. وذلك نتيجة للاستهلاك المتزايد للمحروقات الاحفورية (fossil fuels)(١) فضلاً عن تزايد التحطيب وتقطيع الأشجار وتواري الغابات وزحف الصحاري ..

وكلاهما أكد أيضاً أن الحزام الكثيف الذي بات يلف الكرة الأرضية لفا . (حزام ثاني أكسيد الكربون) . من شأنه أن يعمل على تدفئة الكرة الأرضية ورفع حرارتها .. شأنه في ذلك كشأن بيت النبات الزجاجي .. على أن التقريرين يختلفان في بعض التفاصيل ...

فتقرير وكالة البيئة يتنبأ بأن الزيادة في ارتفاع الحرارة ستبلغ نحو (٤) درجات فهرنهيت في غضون نصف القرن القادم .. وأن مستوى البحار والمحيطات سيرتفع حوالي قدمين قبل حلول سنة ٢٠٢٥ ... فيعرض للخطر الكثير من الشواطيء والمدن الساحلية والجزر ، كمدينة شارلزتون في كارولينا الجنوبية ، وجزيرة كياوا الكويتية - القريبة منها - ويضيف تقرير الوكالة الى ذلك تنبؤه بأن تغييراً جذرياً سيطرأ على معدلات هطول الأمطار .. وعلى المحاصيل الزراعية تبعاً لذلك ... ويخلص التقرير الأول هذا الى نتيجة قاتمة متشائمة هي أن التغيرات التي تنبأ بها واقعة لا محالة .. ولن يحول دون وقوعها أو يحد منها أي تقنين في استهلاك المحروقات الأحفورية .. أو غير ذلك من الوسائل والاجراءات ..

وتطلع الناس الى التقرير الثاني ، تقرير أكاديمية العلوم .. بأن كمية غاز ثاني أكسيد الكربون المتراكمة في الجو ستتضاعف ضعفين بعد منتصف القرن الواحد والعشرين .. وأن حرارة المناخ العالمي ستزداد ٧ درجات فهرنهيت .. وأن الكثير من المراعي والأراضي الزراعية - لا سيما تلك التي تعتمد على مياه الري - ستمنى بالجفاف .. وتتحول الى ما يشبه الصحراء ..

هذا وغاز ثاني أكسيد الكربون الذي لا يرى ، ليس خطيراً بحد ذاته .. بل انه ضرورة حيوية للنباتات الخضراء .. فهو الخامة الأساسية التي تصنع منها (زمن الماء وضوء الشمس) هذه النباتات المواد الغذائية التي لا يستغني عنها إنسان ولا حيوان .. (الكربوهيدرات) .

ولكن الزائد أخو الناقص .. والمفيد قد يسبب الضرر اذا زاد عن حده ... وهذا بالضبط هو ما حدث لغاز ثاني

(١) الفحم الحجري ، والبترول ، والغاز الطبيعي .

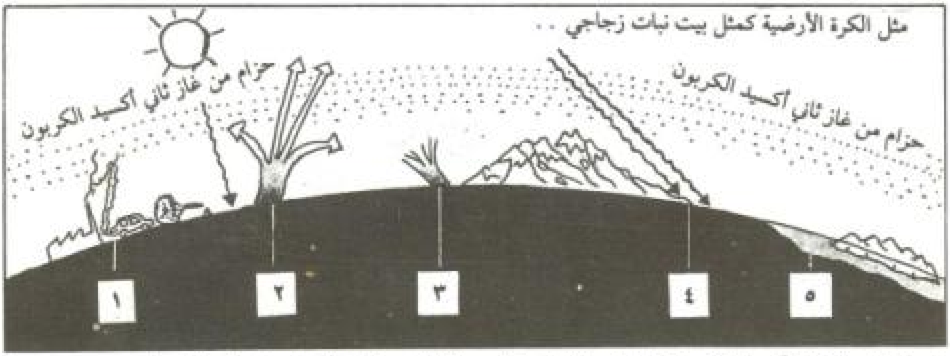

١ ـ يتراكم غاز ثاني أكسيد الكربون في الجو وذلك نتيجة استهلاك المحروقات الاحفورية وقطع الأشجار .
٢ ـ حزام ثاني أكسيد الكربون يحتجز بعض حرارة الشمس ويمنعها عن الانعكاس من سطح الأرض الى الفضاء .
٣ ـ يزداد بخار الماء بسبب ارتفاع حرارة الجو . . فيحتجز هذا البخار المزيد من حرارة الشمس المنعكسة .
٤ ـ ويذوب الثلج والجليد فتتعرى اليابسة وتمتص المزيد من ضوء الشمس وحرارتها وتسبب المزيد من ذوبان الجليد
٥ ـ وتذوب الجبال الجليدية بسبب الحرارة التي تختزنها المحيطات . . ويؤدي ذوبانها الى ارتفاع سطح تلك المحيطات .

أكسيد الكربون . . فقد تصاعد من المحروقات الاحفورية بكميات تفيض عن حاجة النباتات . . فتراكم في الجو ولف الكرة الأرضية كالحزام الحاجب أو الحاجز . . فهو يحتجز الكثير من الحرارة الشمسية التي طالما عكسها سطح الأرض وردها من حيث أتت ، فانطلقت الى الفضاء الخارجي . . واحتجاز هذه الحرارة وحبسها كفيل بتدفئة الكرة الأرضية ورفع حرارتها . . هذا في الوقت الذي لا يحول فيه الحزام الكربوني الحاجز دون وصول حرارة الشمس الى سطح الأرض أصلاً . . فهو يسمح بقدومها ولكنه يحول دون عودتها . . من هنا كان التشبيه ببيت النبات الزجاجي **(Green house Effect)**

ماذا . . لو قامت الحرب النووية . . ! ؟

الحرب النووية واقعة لا محالة . . فهي ان لم تقع تبعاً لهجوم تقوم به الولايات المتحدة . . فستقع نتيجة هجوم يقوم به الاتحاد السوفياتي . . . وقد لا تقع هذه الحرب نتيجة هجوم من الغرب أو الشرق وانما بسبب خطأ قد يرتكبه أحد المسؤولين عن اطلاق الأسلحة النووية في احد المعسكرين عن غير قصد . . واحتمال الخطأ هو الاحتمال الأكثر ترجيحاً ، لأن الدولتين العظميين ستحجمان عن اشعال الحرب النووية لا لسبب الا لأنها تدركان تماماً انها ستكون مدمرة لكلتيهما معاً وللبشرية بأسرها . . وقد تكون مدمرة أيضاً للكرة الأرضية نفسها . .

ذلك أن الترسانة النووية بلغت من الضخامة ما يبعث على الفزع حقاً . . فالدولتان العظميان تملكان من القنابل والصواريخ والقذائف ما تبلغ قوته التفجيرية (١٠٠٠ر٠٠٠) مليون ضعف قوة القنبلة التي القيت على هيروشيما سنة ١٩٤٥ . . ولا مبالغة في هذا . . وحسبك ان قذيفة ب ٥٣ (B-53) وهي إحدى القذائف النووية التي تملكها الولايات المتحدة ، بل قل : أكبر تلك القذائف وأقواها تفجيراً تبلغ أبعادها كما يلي :

طولها ١٢ قدماً .

وزنها ٤ أطنان .

قوتها التفجيرية = ٩ ملايين طن TNT = ١٠٠٠ ضعف قوة قنبلة هيروشيما .

والأسوأ من ذلك كله هو أن الترسانة النووية آخذة في التزايد والتعاظم بصورة مذهلة . .

فالولايات المتحدة وحدها تصنع ثماني قنابل نووية كل يوم ، من هنا كانت مفاوضات جنيف للحد من الأسلحة النووية مدعاة للسخرية ، فهي لا تنشد سوى التخفيف أو الحد من تكاثر هذه الأسلحة . . ومثلها كمثل الواعظ

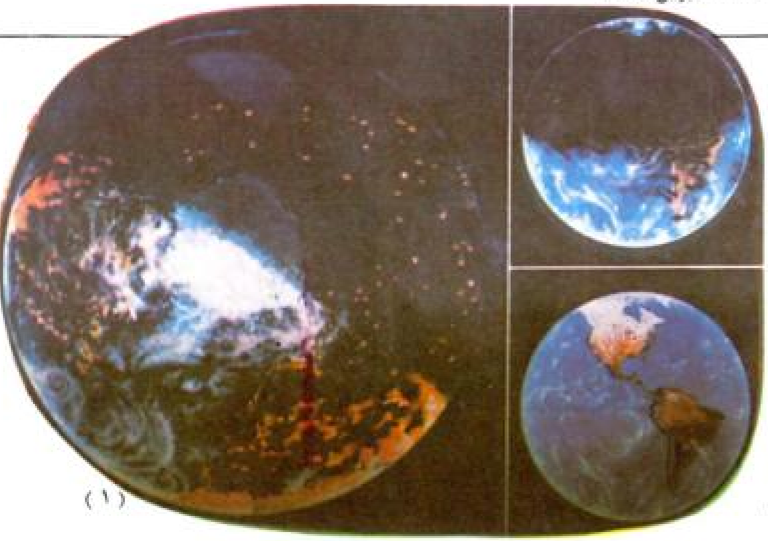

(٢) (٣) (١)

الغبار النووي يغطي نصف الكرة الشمالي اثر الانفجار النووي (١)
ثم ينتشر الغبار (٢) حتى تدخل الأرض عصرها الجليدي الجديد (٣)

الذي يحاول اقناع شخص قرر الانتحار بألا يلقي نفسه من الدور الستين ، من إحدى ناطحات السحاب ، وانما من الدور الخمسين فحسب . . وكأن موته في الحالة الثانية يكون أخف وطأة من موته في الحالة الأولى . .

لا عجب اذن ان هب البيئيون في كل مكان ، وخاصة في أوروبا وأمريكا واليابان ، بحملات ومظاهرات حاشدة لم يسبق لها مثيل . . يطالبون الدول جميعاً بالقضاء على الأسلحة النووية ، لا بمجرد الحد من تزايدها . ولا غرابة أن كثرت في المدة الأخيرة الكتب والمؤتمرات العلمية التي تركز على الحرب النووية وعواقبها .

من ذلك ما أكده كبار العلماء الذين اجتمعوا في واشنطن في أواخر أكتوبر الماضي من أن تفجير نصف ما تملكه الدولتان العظميان - تقول النصف فقط ! - كفيل بتوليد سحابة من الغبار الذري والدخان والسخام أو الشحار (Soot) تغطي سطح الكرة الأرضية ، وتحجب الشمس عنها . . فيحل الصقيع أو ما سموه بالشتاء النووي . . ومن شأن هذا الانقلاب في المناخ العالمي أن يهدد الحياة البشرية وغير البشرية . .

ومن تلك الدراسات أيضاً تلك التي أجراها فريق من العلماء برئاسة كارل ساجان **Carl Sagan**، عالم الفيزياء الفلكية المعروف . . وذلك على أسس التناظر **Simulation** في الرياضيات العليا . . ودلت تلك الدراسات على أن السحابة التي يمكن ان تحدثها الحرب النووية ستبلغ من السمك والكثافة ما يجعلها تحجب ٩٠٪ من ضوء الشمس ، عن نصف الكرة الشمالي ، وذلك طوال شهر كامل ! ودلت هذه الدراسة أيضاً على أن سطح الأرض سيبرد في النصف الأول من ذلك الشهر حتى تبلغ حرارته ١٣ درجة فهرنهيت ! ويستمر هذا الصقيع بضعة شهور،وقد تصل السحابة الذرية الى نصف الكرة الجنوبي أيضاً . . وذلك في غضون أسابيع قليلة . ويترتب على هذا وذاك اختلال كبير في مدى ضوء النهار . . وفي درجات الحرارة . . وقد يطول أمد هذا الاختلال سنة كاملة . .

ولا يخفى ان الصقيع المذكور من شأنه ان يقضي على المزروعات ومحاصيلها ، إن لم نقل على الحياة النباتية كلها . . ويصدق هذا بخاصة في حالة وقوع الحرب النووية المرتقبة في فصل الربيع أو الصيف .

وقد يترتب على الصقيع النووي تجمد الماء العذب في كافة مصادره . . فتعطش الحيوانات وتنفق . . وقد يؤدي الى عرقلة التمثيل الضوئي في النباتات . . فيتعطل انتاج المواد الكيماوية الضرورية للغذاء أو البقاء على قيد الحياة .

هذا الى جانب التلف الكبير الذي ستحدثه السحابة النووية في البحار وأحيائها . . . واليابسة وحيواناتها . .

وتجدر الاشارة الى ان فلماً تلفازياً يمثل الحرب النووية وعواقبها عرض في الولايات المتحدة ودول أوروبية

مختلفة . . . وقد أحدث هذا الفيلم واسمه « في اليوم التالي » (The Day After) فزعاً بالغاً في نفوس الذين شاهدوه . .

عصر الطاقة الشمسية . .
بات قريباً جداً . . !

من المعروف أن المحروقات الاحفورية Fossil Fuels (الفحم الحجري والبترول والغاز الطبيعي) هي مصدر تلوث البيئة . . أكثرها ان لم نقل كلها . . ومن المعروف أيضاً ان الطاقة الشمسية كفيلة بحماية البيئة من كل تلوث . . فيما لو أمكن الاعتماد عليها بدلاً من تلك المحروقات . . وقد ثبت بما لا يقبل الشك أن هذا الاعتماد متيسر تكنولوجياً ، ولكنه متعذر اقتصادياً . . . . ومعنى هذا ان العقبة الوحيدة التي حالت دون حلول الطاقة الشمسية محل الطاقة الأحفورية هي عقبة التكاليف . . تكاليف تحويل الطاقة الشمسية الى طاقة كهربائية . . وكذلك تكاليف تجميع تلك الطاقة وخزنها . . . لاستعمالها حين الحاجة .

والظاهر ان التكنولوجيا الحديثة قطعت شوطاً كبيراً في هذا الصدد ، وان المستقبل غير البعيد كفيل بحصولنا على الطاقة الشمسية بكلفة زهيدة ـ نسبياً ـ وباستعمالنا هذه الطاقة النظيفة على نطاق واسع . . لما فيه خيرنا وخير الأجيال اللاحقة . . .

ونحصر حديثنا هنا بالخلايا (أو البطاريات) الشمسية (Photovoltaic cells) وهي التي تحول ضوء الشمس الى كهرباء بطبيعتها على نحو مباشر فوري . . فاننا لا نحتاج الى أكثر من تعريض المادة المعنية أو الخلية لضوء الشمس لنحصل على التور الكهربائي منها حالاً ودون عناء . . وفاعلية هذه الخلايا ثابتة ومؤكدة وقد استعملت على نطاق واسع في الأقمار الصناعية منذ الستينات واثبتت قدرتها على تحويل الطاقة الشمسية الى طاقة كهربائية ، وقدرتها على الصمود وعدم التلف طوال السنوات الماضية . . الا أن كلفتها الباهظة هي التي حالت دون إنتاجها على نطاق تجاري ، واستعمالها بدلاً من الطاقة الاحفورية أو الذرية . . .

فقد بلغت تكاليف توليد شمعة كهربائية واحدة (Watt) بواسطة الخلايا الشمسية ـ ٤٠٠ جنيه استرليني . . . في الوقت الذي لم تزد فيه تكلفة انتاج تلك الشمعة بواسطة المولدات الكهربائية التقليدية على ربع جنيه استرليني (٢٥ قرشاً) . .

ومضت الأيام واذا بهذه التكلفة الأخيرة ترتفع . . بينما التكلفة الأولى . . تكلفة تحويل الطاقة الشمسية الى كهرباء ، تنخفض .

واستمر هذا الانخفاض حتى بلغت كلفة الشمعة الواحدة ٧١ جنيهاً استرلينياً في مطلع السبعينات . . ثم تدنى الى ٢٠ جنيهاً سنة ١٩٨٠ . . وهبط الى ٨ جنيهات سنة ١٩٨٢ و ٥،٥ جنيه في السنة الماضية ، سنة ١٩٨٣ . . أما تكلفة الشمعة الكهربائية التقليدية فقد ارتفع (في بريطانيا وغيرها) حتى بلغ ١،٥ جنيه . . . ومع ان الفارق كبير بين الكلفتين (ثلاثة أضعاف) فقد انتشرت الخلايا الشمسية بكثرة حتى بيع منها في السنة الماضية وحدها ما بلغت حصيلته ١٨ ميجاواط ، أي أربعة أضعاف ما كانت عليه سنة ١٩٨١ و ١٠٠٠ ضعف لما كانت عليه سنة ١٩٧٣ .

وتتجه الأنظار حالياً الى جيل جديد من الخلايا الشمسية ، نجحوا في تطويره حديثاً . . ومن شأن هذه الخلية الجديدة ان تخفض كلفة الشمعة الكهربائية الشمسية الى جنيه استرليني واحد قبل حلول سنة ١٩٩٠ . وعندئذ تصبح الطاقة الشمسية ذات جدوى اقتصادية ، وتصبح منافستها لمصادر الطاقة التقليدية ـ الأحفورية وغيرها ـ منافسة فعالة تكفل للطاقة الشمسية الانتشار . . وللمصادر الطاقة الأخرى التقلص والاندحار . .

مجموعة من الخلايا الشمسية Photovoltaic Cells ضمن غلاف بلاستيكي

جامعة القاهرة ورحلة كفاح عمرها ٧٥ سنة

• شهدت قاعات الجامعة ارهاصات الحركة الوطنية .

◄ الفتيات فى مقدمة موكب الشهيد عمر شاهين الذى حمل السلاح مكافحا ضد الانجليز .

استطلاع : **مصطفى نبيل**

تصوير : **شوقي مصطفى**

جامعة القاهرة القلب النابض خلال ٧٥ سنة .

▼

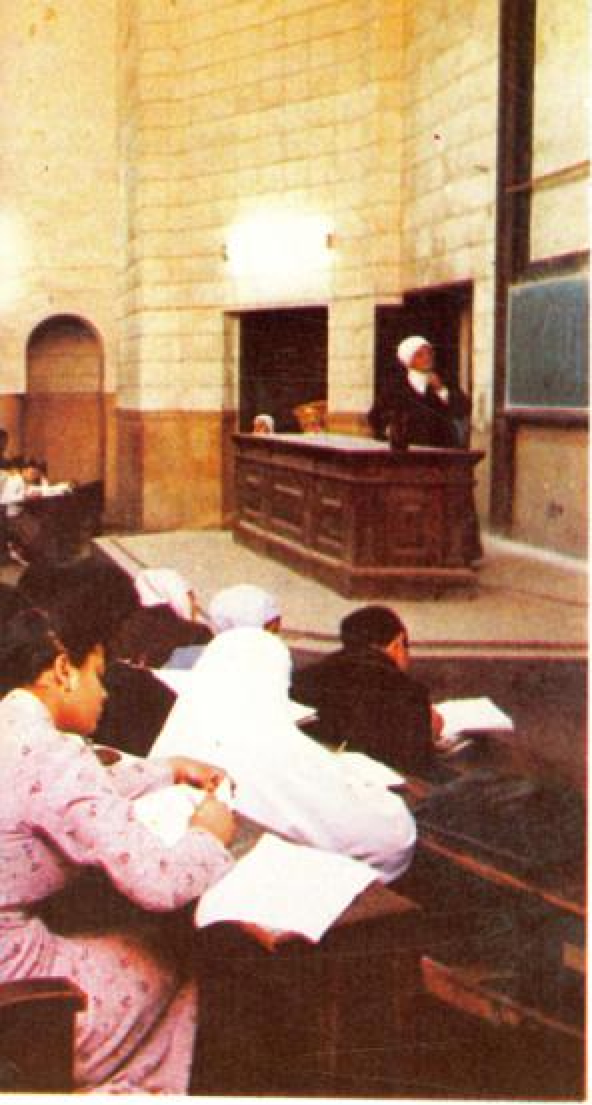

طالبات كلية الزراعة
وسط الحقول .

الحرم الجامعى القبة
والساعة .. رمزان
للكفاح .

قاعة المحاضرات
والتطلع الى المستقبل .

كلية الهندسة وميدان
الجامعة .

□ هذه قصة أول جامعة قامت في الوطن العربي ، انها احدى ثمرات الكفاح بين جيل الرواد وبين المستعمر . انها قصة غير عادية نسوقها بمناسبة احتفال جامعة القاهـرة بعيدهـا الماسي ، وعنـدما تشاهد الجامعات منتشرة على طول الوطن العربي ، وعندما ترى المرأة تقبل على التعليم ، فلا بد أن تستوقفك قصة الكفاح الطويل . .

كانت بداية الرحلة منذ خمسة وسبعين عاما ، عندما قامت الجامعة الاهلية في القاهرة ، أقامها شعب مصر رغم أنف المستعمر ، اليوم نتوقف متأملين نقطة البداية التي حولت العديد من الظواهر التي لم تكن مألوفة الى مجرد أمور طبيعية لعل أبرزها اقتحام المرأة مجال التعليم والعمل .

تصل الى جامعة القاهرة عبر جسر الجامعة ، ومن أعلى نقطة فوق الجسر ، ترى مبنى الجامعة بجلاله ووقاره ، ترى القبة تحتضن المباني المنتشرة من حولها ، ومن هنا تشاهد مشهدا بانوراميا لعميدة الجامعات الحديثة في الوطن العربي ، يطالعك تمثال نهضة مصر ، وصور تزين المكان تضم الزعيم أحمد عرابي ، ومصطفى كامل ، وسعد زغلول ، لعلها وضعت في مكانها بمناسبة الاحتفال بالعيد الماسي للجامعة ، ان المبنى الرئيسي للجامعة يعتبر من المباني النادرة التي تحيط بها الخضرة من كل مكان ، رغم تقلص هذا اللون الاخضر في كل أنحاء العاصمة ، حديقة الاورمان الى يمينك ، وحديقة الحيوان الى يسارك ، وخلف مبنى الجامعة بساتين كلية الزراعة .

وتقترب من الجامعة فتسمع دقات الساعة من برجها الشهير ، وكأنها تذكرك بما لا يجب أن يضيع من الوقت ، وتتوالى في خاطري الصور التاريخية التي تختلط بوجوه الشباب الغض الذي أراه أمامي ، وأسترجع البداية ، أنا لم أعشها ولكنها تعيش هي في صدري ، وفي صدر كل شاب تلقى العلم في رحابها .

قامت الجامعة الأهلية بمبادرات من الرأي العام ، وكان عدد طلابها لا يتجاوز ١٢٠ طالبا ، وتمضي الاعوام . . ثلاثة أرباع قرن من الزمان ، ويصل عدد الذين تخرجوا من هذه الجامعة الى أكثر من مليون ، منهم ١٠٦ ألف و ٤٨٢ دارسا حصلوا على درجات عليا .

كانت البداية تقتصر على تدريس العلوم الانسانية ، ثم ضمت اليها أربع مدارس عليا ، واليوم أصبحت تضم ٢١ كلية ، ينتمي طلابها الى كل الأقطار العربية . . وإقامة الجامعة مثل كل الاعمال العظيمة نتاج مخاض طويل ، ومعركة قاسية ضد السيطرة الأجنبية ، مرت بمراحل متعددة حتى خرجت أخيرا الى النور ، فارتبطت قصتها بكفاح قادة الحركة الوطنية ، ورموز الاصلاح في مصر الحديثة . .

بعد هزيمة الثورة العرابية ودخول الاحتلال البريطاني الى مصر في يوليو عام ١٨٨٢ ، خيم على البلاد اليأس الذي أدى الى فتور الهمة ، ولكن سرعان ما أخذ الشعب يتلفت حوله متسائلا عن أسباب الهزيمة ويبحث عن وسائل قهرها .

وأدرك أن المعارف الحديثة التي تخلفت طويلا في الشرق يكمن فيها أهم أسباب الهزيمة ، وعم اليقين أن أولى الخطوات التي ينبغي اتخاذها لمواجهة المحتل تكمن في التعليم الحديث ، ولم تكن بعيدة ـ زمنيا ـ تجربة محمد علي التي وأدتها الدول الكبرى ، بعد أن أقام المدارس ، وأرسل البعثات الى كل من فرنسا وبريطانيا ، وأقام الترسانة الحربية والجيش الحديث ، وتنامت هذه التجربة حتى فرضت عليها هذه الدول بعد موقعة « نفارين » فك الترسانة الصناعية ،

فتيات الجامعة في صدام مع البوليس (من الأرشيف) . .

الطلبة والطالبات فى المعامل .. على العلوم الحديثة يقوم المستقبل .

تمثال شهداء الجامعة فداء للوطن . (الى اليمين)

مبنى الجامعة المصرية القديم وهو مبنى الجامعة الامريكية الآن

والاستغناء عن معظم أفراد الجيش ، ورغم ذلك لم تنقطع محاولة تحصيل العلوم الحديثة ، وشهد التعليم بعض الازدهار أيام اسماعيل الذي أعلن أن هدفه « تحويل مصر الى قطعة من أوروبا . . . » ، والذي استفاد من خبرة المبعوثين وعلى رأسهم رفاعة رافع الطهطاوي في إقامة المدارس العليا ، فكان في مصر قبل الاحتلال البريطاني ، مدرسة للطب وأخرى للحقوق ومدرسة المهندسين ، ثم أضيف اليها فيما بعد مدرسة للزراعة العليا . .

لم يكن التعليم الحديث بعيدا ، بل وأكثر من ذلك فقد عرف الشرق الحياة الجامعية قبل الغرب بأكثر من قرنين من الزمان ، الجامعة الازهرية في القاهرة أسست في القرن العاشر الميلادي ، وأيضا جامع القرويين في فاس ، وجامع الزيتونة في تونس ، والمدرسة النظامية والنجف الاشرف في العراق . .

ولم تظهر الجامعات في أوروبا إلا في القرن الثاني عشر . .

ولكن التعليم في هذه الجامعات العربية العريقة استبعد علوم العصر ، واقتصر على علوم اللغة والدين ، وفقد الأزهر وظيفته بالتدريج كمؤسسة علمية ، واقتصر دوره على اعداد الوعاظ ، وقد تلقى الأزهر ضربتين موجعتين ، أولاهما عند إنشاء دار العلوم التي يدرس بها فقة اللغة العربية الذي كان يؤديه تاريخيا الأزهر الشريف ، والضربة الثانية عندما أقيمت مدرسة القضاء العالي التي جاءت بعد سيادة القانون المدني الفرنسي ، لتنتزع من الازهر وظيفته التشريعية . .

والذي يقرأ كتاب « الأيام » لطه حسين أو كتاب « حياتي » لأحمد أمين يدرك جحيم الأزمة التي كان يعاني منها الازهر الشريف ، فبعد أن أصبح دوره هامشيا في شؤون الحياة ، انعكس ذلك على أساليب التدريس ، ورفض شيوخه لكل ما يدور من حولهم . . !

وشاهد المثقفون وقادة الرأي خطة الاحتلال البريطاني ، وسياسته التعليمية التي تهدف الى

الامير أحمد فؤاد ومجلس ادارة الجامعة عام ١٩٠٨ ، وفي الصورة يعقوب آرتين وكيل نظارة المعارف ، وعبد الخالق ثروت النائب العام ، وحسن باشا سعيد ، وماسبيرو مدير المتحف المصري .

جعل التعليم يقتصر على تدريب المصريين على الوظائف الحكومية ، وأحكم اللورد كرومر ومن بعده دنلوب وضع خطة تستهدف استبعاد كل العناصر القومية ، ويروي المؤرخ عبدالرحمن الرافعي في كتابه « مصطفى كامل » أن هذا الزعيم الوطني انتقد في مجلس شورى القوانين في ديسمبر عام ١٨٩٤ استبعاد التاريخ القومي من مناهج الدراسة ، وكان في مصر قبل الاحتلال أعداد كبيرة من المدارس الحديثة ، التي يقوم فيها التعليم على قاعدة راسخة ، وهي المجانية التي بدأها محمد علي ، فألغت سلطات الاحتلال المجانية ، وجعلت التعليم بمصروفات باهظة ، وحلت اللغة الانجليزية محل اللغة العربية فيما تبقى من المدارس ، وتلاشت البعثات التعليمية الى أوروبا ، وانتشرت مدارس الارساليات التبشيرية*.

وشجعت السياسة البريطانية الكتاتيب الاهلية مع تحويلها من ديوان الأوقاف الى ديوان المدارس ، وأما بالنسبة للمدارس العليا ، فقد كان فيها قبل الاحتلال ألفا طالب ، فأصبح العدد ٤٥٠ طالبا عام ١٩١٤ ، وكان في مدرسة الطب وحدها مائتا طالب ، ولم يعد بها سنة ١٨٩٨ سوى عشرة طلاب . . !

الصيحة الأولى

وفي ظل تلك الظروف نشرت مجلة الهلال الشهرية الثقافية أول مقال ينادي بإقامة جامعة في أول فبراير عام ١٩٠٠ بعنوان « مدرسة كلية هي حاجتنا الكبرى » ، واقترحت المجلة إنشاء كلية لتثقيف الشباب في بلادهم ، بدلا من ارسالهم الى أوروبا ، وقدمت اقتراحا محددا بتكوين لجنة برئاسة أحد قادة الأمة للسعي في الاكتتاب ، حتى يرى مشروع الجامعة النور . . .

وبادر الزعيم مصطفى كامل الذي كان يرى

* للاستزادة ، يرجع الى كتاب الدكتور عبدالمنعم الجميعي ـ الجامعة المصرية والمجتمع .

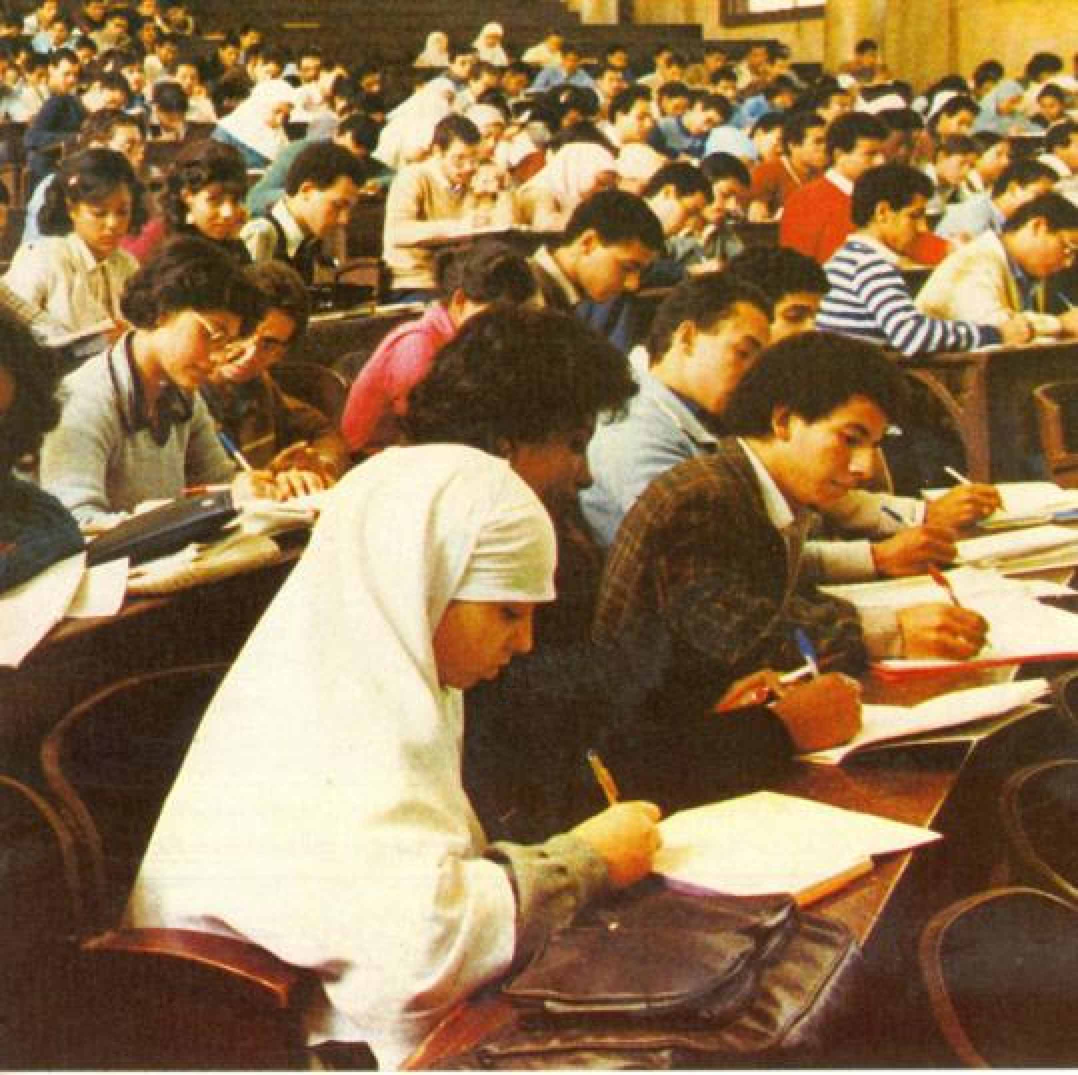

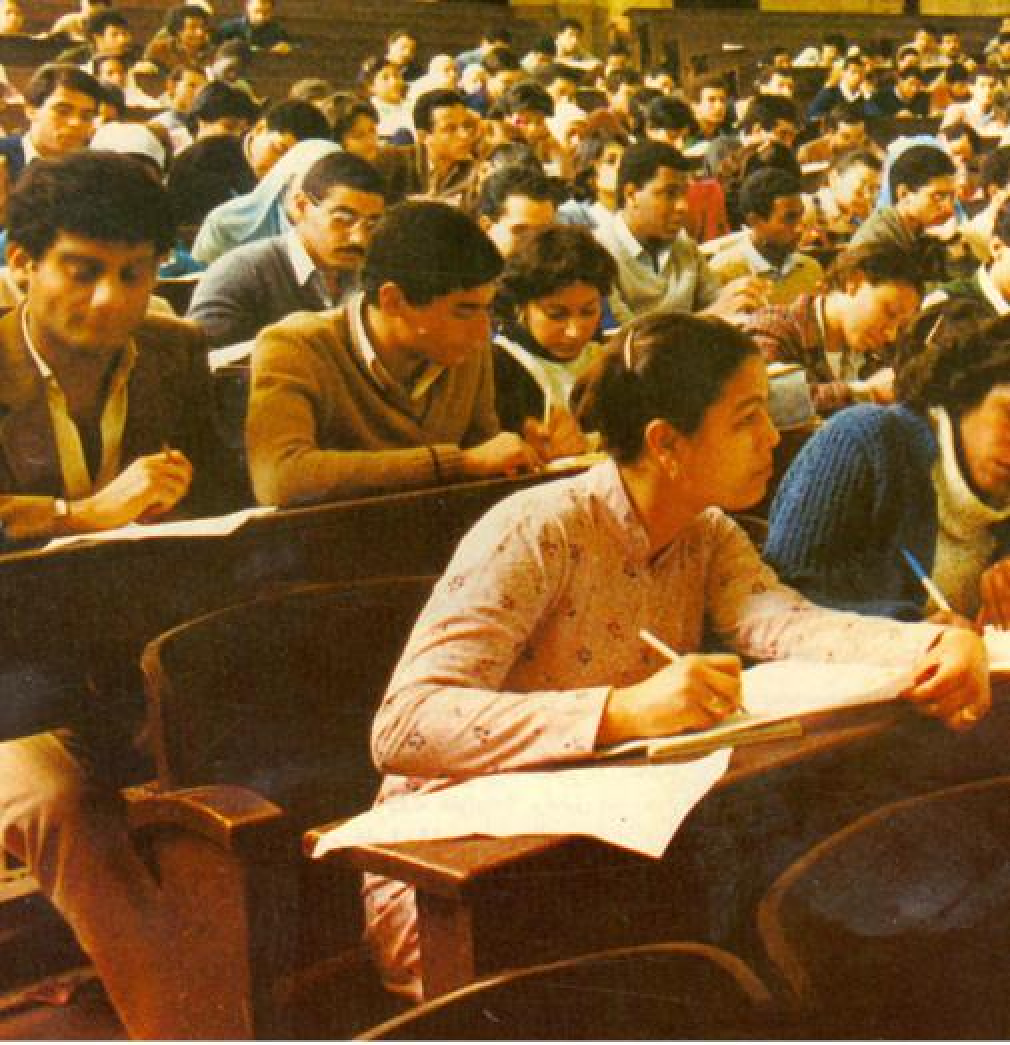

قاعات الدرس .. مصنع رجال ونساء المستقبل (الى أعلى)

المكتبة وأجهزة حديثة للمكفوفين . (الى أقصى اليمين)

في كلية العلوم .. متحف يحوى عظام وجماجم الانسان والحيوان ، وهو أحد المتاحف النادرة في الوطن العربي . (الى اليمين)

أول بعثة من الأطفال تسافر الى فرنسا ، ولم يعد من البعثة أحد .. لقد فشلت التجربة .

أحمد لطفي السيد .

أن مهمته الأولى قهر اليأس الذي أصاب الأمة ، فأخذ يفتح آفاقا جديدة للمستقبل ، ويدعو الى فكرة الجامعة على صفحات جريدته اللواء ، وأطلق صيحته في ٢٦ أكتوبر عام ١٩٠٤ ، « آن الأوان أن يفكر قادة الأمة في عمل جديد ، الأمة في أشد الحاجة اليه وهو إنشاء جامعة للأمة بأموال الأمة . . . » .

ومنذ هذا الوقت أخذ على عاتقه الدعوة لمشروع الجامعة ، وتنقل « جوليت آدم » في كتابها « انجلترا في مصر » احدى رسائل مصطفى كامل الى محمد فريد في ٢٤ سبتمبر عام ١٩٠٦ يقول له فيها : « خير هدية أقترح عليكم تقديمها للوطن العزيز ، وللأمة المحبوبة ، هي أن تقوم اللجنة التي ألفت بدعوة الأمة كلها ، وطرق باب كل مصري لتأسيس جامعة أهلية تجمع أبناء الفقراء والأغنياء على السواء ، وتهب الوطن الرجال الأشداء ، الذين يزيدون عدد خدامها الصادقين ، ممن لا يخشون في الحق لوما ولا عقابا ، ويعملون لمداواة داء الأمة وجمع أمرها ، وبث روح الوطنية العالية في نفوس أبنائها ، لأن كل مليم يزيد عن حاجة المصري ثم لا ينفق في سبيل التعليم ، هو لا محالة بائد ، والأمة محرومة منه بغير حق . ! »

« فلتنس الأحزاب انقساماتها ، ولينس الصحفيون خصوماتهم ، ولنلق بالأحقاد ـ ولو يوما واحدا ! ـ في هوة لا يسمع فيها لغو ولا تأثيم ، ولتجتمع الأمة لاتمام هذا العمل ، وتحقيق مشروع فيه الخير كل الخير والنفع العميم .

وليذكر الذاكرون أن بين أبناء الفقراء الذين أوصد الاحتلال في وجوههم أبواب العلم والنور ، ر.وسا لو تحلت بالعرفان لكانت فخار مصر الى أبد الزمان . . »

وقامت اللجنة بجمع الاكتتاب من أجل الجامعة ، وقد بلغ حوالي ثمانية آلاف جنيه ، وعاد الموضوع ليتعثر أمام الفكرة التي تبنتها السياسة البريطانية ، التي تدعو الى إقامة الكتاتيب بدلا من الجامعة ، وشهدت هذه الفترة ترويج كرومر لفكرة « نفع » الكتاتيب بدلا من بناء الجامعة .

ويمكن أن نلمس قصة أول جامعة عربية والصراع السياسي الذي دار حولها من خلال ما نشرته الصحف في تلك الايام ، وقد دخلت طرفا فيها الصحف البريطانية ذاتها ، تقول صحيفة المؤيد : « ان الانجليز يرغبون في حصر التعليم الراقي في دائرة ضيقة جدا ، لا يراد منها غير اعداد موظفين « ميري » أي حكوميين لخدمة رؤسائهم الانجليز » ، وقالت صحيفة الاجشيان جازيت التي أسسها الانجليز : « ان محاولة المصريين إنشاء جامعة ليست سوى محاولة

لقطة لطلبة الجامعة عام ١٩٥١ مع بدء الكفاح المسلح فوق كوبري عباس الشهير .

مصطفى كامل الغمراوى ..
كان التعليم والجامعة رسالة عمره .

صبيانية لمجموعة من الشبان الذين يزعمون أن التربية التي تلقوها لا تناسب عقولهم الواسعة ، وأفكارهم الكبيرة ، ولذلك يريدون أن يتخذوا من الجامعة وسيلة لاستقلالهم ، ولكنهم مثل الرجل الذي يريد اتخاذ غانية !. » أما صحيفة التايمز البريطانية فقد كتبت كلمات لا ينقصها الصراحة قائلة : « يمكن أن تتحول الجامعة المصرية من مشروع تعليمي الى مشروع سياسي » وأما صحيفة جلوب فقد نشرت تقريرا في ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٠٦ قالت فيه : « يكفي أن مصطفى كامل الذي يقف على رأس المهيجين هو ذاته الذي يحاول اقناع المصريين بالمشروع ، واذا لم تؤخذ الاحتياطات اللازمة ، فان الجامعة ستصبح تابعة لحزب مصطفى كامل وهذا أمر يحمل معه دلالات خطيرة » . !

النهضة الوطنية

وبدأت فكرة انشاء الجامعة تجتذب عددا من قادة الرأي ، مثل الشيخ محمد عبده ، وعرض أحمد منشاوي باشا أرضا يملكها في باسوس وأعلن استعداده لاقامتها من ماله الخاص ، ولكن ما لبث أن توفي الشيخ وتوفي الباشا ، وكانت وفاتها نهاية للفكرة قبل أن تولد .

واذا كان الانجليز يفخرون بأن أغنياءهم يقيمون المتاحف وينفقون بسخاء على الفنون ، واذا كان الأثرياء من الاميريكان يرصدون جزءا من أموالهم على معاهد الابحاث المختلفة وأعمال الخير ، ففي مطلع هذا القرن كان الأعيان أو الأثرياء في مصر يقدمون أموالهم وأراضيهم من أجل التعليم ، واستجابة لنداء قادة الفكر في المجتمع ..

وقد ظهر أحد أعيان بني سويف وهو مصطفى كامل الغمراوي ، وأعلن تبرعه بمبلغ خمسمائة جنيه لمشروع الجامعة ، ونشر نداء في جميع الصحف داعيا للمساهمة في إنشائها ، يقول

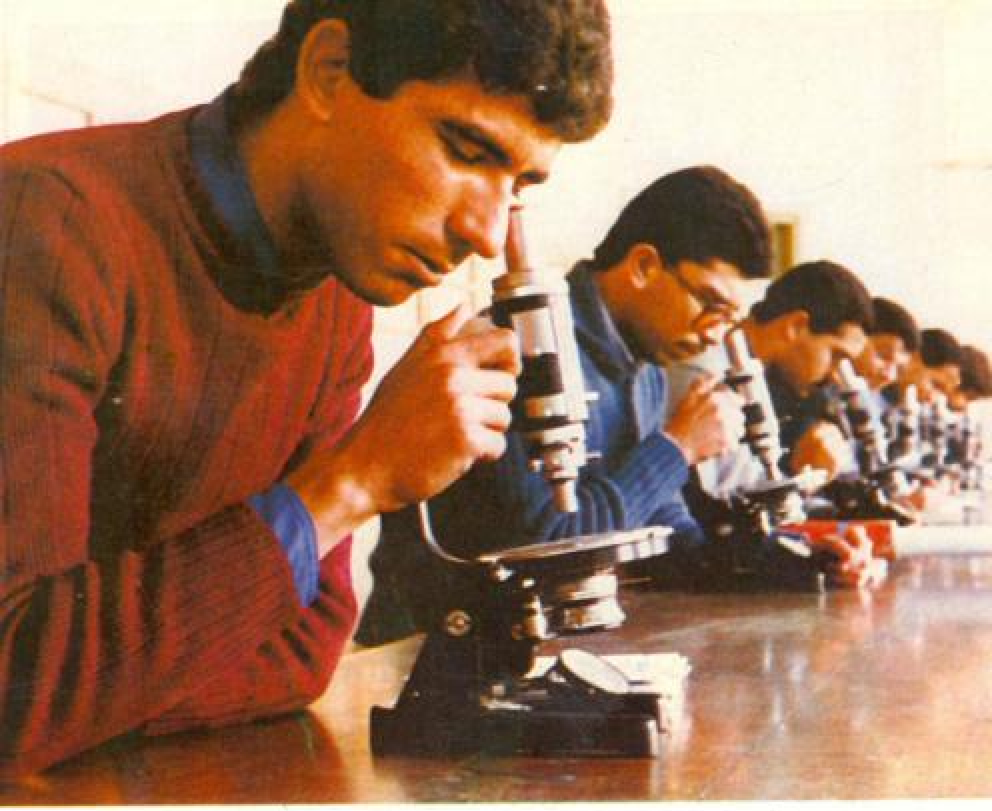

الميكروسكوب ومستقبل العلوم .. من خلاله يرى الطلبة اسرار الحياة .

مبنى الجامعة وحديقتها ، من الأماكن القليلة التي ما زالت تحافظ على بقية من مجدها القديم . (الى اليسار)

المكتبة العامة في الجامعة ثاني اكبر واقدم مكتبة في مصر .

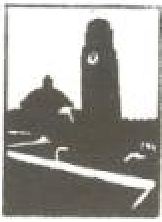

الأميرة فاطمة الزهراء ابنة الخديوي اسماعيل تبرعت بكل ما تملك للجامعة الاهلية في شبابها ثم بعد ان ولى الشباب .

الاعلان : « كثر بحث الجرائد في ارتقاء المعارف في مصر ، والمعارف والعلوم كما يعلم الناس ، حياة الأمة وركن رقيها وتقدمها . . فهل يعتقد الناس أن الوطنية تقوم بشقشقة اللسان ، أو بذل النفس والنفيس في سبيل الوطن وترقيته بالطرق التي تفيد ولا تضر . عار على مصر أن يكتفي أبناؤها بالشكوى والتحسر على الأقدار ، بينما الشكوى يجب أن تكون من قلة وطنية الأغنياء ، وتخليهم عن الاعمال الكبيرة التي ترتقي بالوطن ، مثل مشروع الجامعة . . »

ولم تكن هذه الصيحة في واد ، فاذا كان مصطفى كامل قد بعث الأمل ، فقد جذبت هذه الحملة سعد زغلول لتحقيق الأمل ، وارتبطت نشأة الجامعة بأكبر زعيمين وطنيين قامت على أكتافهما النهضة الوطنية ، فمن دار سعد زغلول صدر البيان الأول في ٢١ أكتوبر عام ١٩٠٦ ، بعد اجتماع ضم لفيفا من قادة الرأي مثل قاسم أمين ، ومحمد فريد ، وحفني ناصف ، والشيخ عبدالعزيز جاويش . ووصل اكتتاب المجتمعين الى أربعة آلاف و ٤٨٥ جنيها ، وتم تكوين لجنة تحضيرية برأسها سعد زغلول ، وأمينها العام قاسم أمين .

ولعل استعراض بعض ما جاء في هذا البيان يبين الأحلام والآمال المعقودة على إنشاء الجامعة . يقول البيان المنشور في كتاب عباس العقاد عن سعد زغلول : « هذه السنة هبّ في

الدكتورة سهير القلماوى وحكايات عن كفاح المرأة من أجل انتزاع حقها فى التعليم . (الى أسفل) ود . سهير ، وذكرياتها مع زميلاتها اللاتى لحقن بها وسرن فى نفس الطريق الذى سارت فيه قبلهن .

الرأي العام تيار تلقائي لتحقيق هذه الأمنية لأن الأمة انتهت بأن تفهم تمام الفهم أن طريق التعليم فيها ناقصة ، ودائرته ضيقة ، تقف وتنتهي بالطالب قبل بلوغ الغاية ، وأن من وراء الحدود التي انحصر فيها معارف سامية وحقائق عالية وقضايا جليلة ومشكلات غامضة تشتاق النفوس الى حلها ، واختراعات جديدة وتجارب بديعة واختبارات كثيرا ما شغلت وتشغل عقول كبراء العلماء في أوروبا ، ولا يصل الينا منها إلا صداها الضعيف ، فمنها ما يختص بالوجود ، وما يتعلق بالهيئة الاجتماعية ، وما يبحث فيه عن لغة الانسان ، وعن الآداب والفلسفة والشرائع والتربية ، وكل ما يهم ماضي الانسان وحاضره ومستقبله ، وهو موضوع علوم شتى لا يعرف أحد شيئا منها ، ولا يهتم بما كمل منها ولا بما هو سائر نحو الكمال ، وأبلغ من ذلك أنه لا يوجد لدينا درس نعرف منه قيمة المؤلفات العربية في الآداب والفلسفة والعلوم ، ولا قيمة من اشتهروا من مؤلفيها عند الأوروبيين الذين بحثوا عنهم وعرفوهم ووفوهم حقهم من الاجلال والاحترام .

إن جميع الذين يشعرون منا بنقص تربيتهم العقلية يرون من الواجب أن يتقدم التعليم في بلادنا خطوة نحو الأمام ، وان أمتنا لا يمكنها أن تعد في صف الأمم الراقية لمجرد أن يعرف أغلب أفرادها القراءة والكتابة ، أو أن يتعلم بعضهم

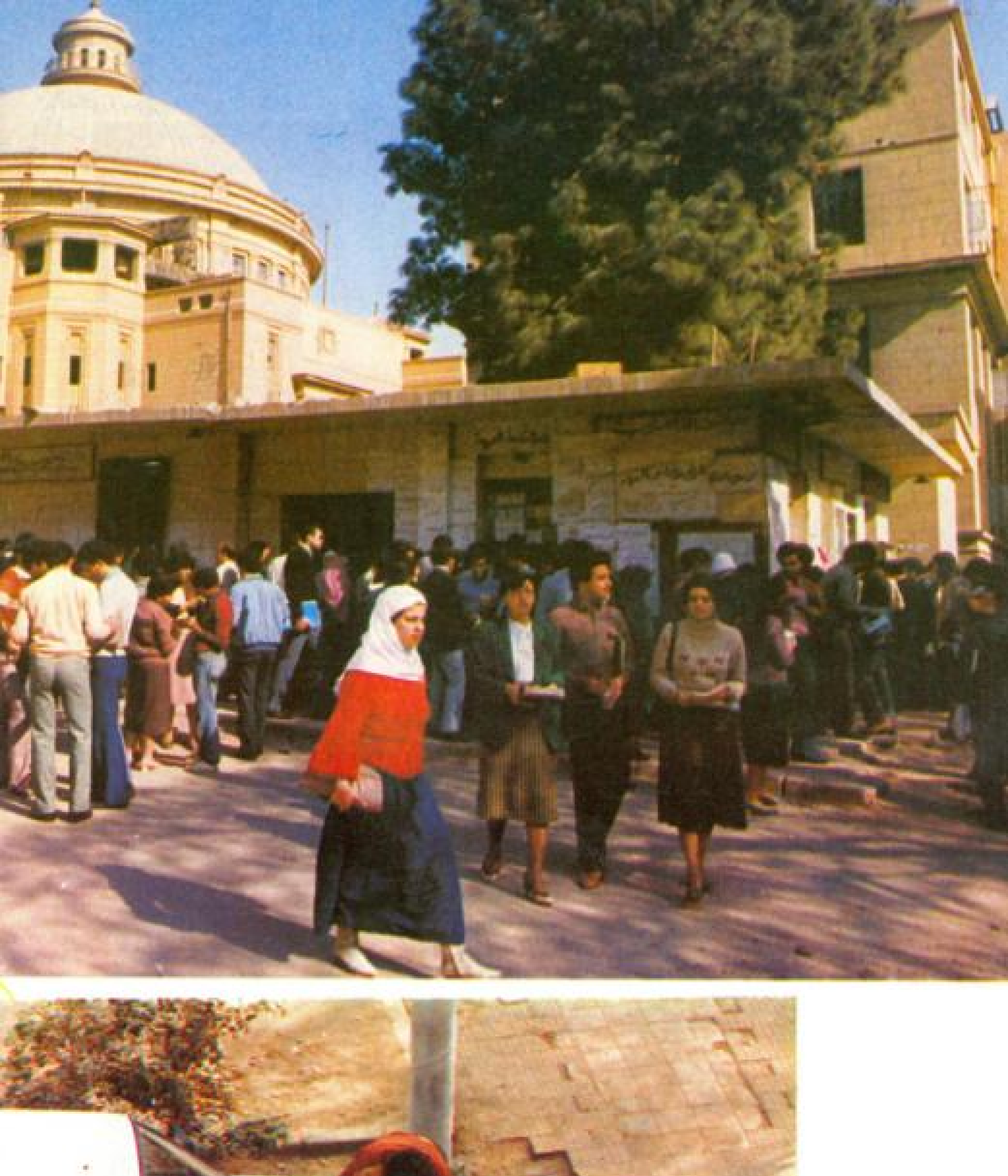

▲ فى الحرم الجامعى .. مجموعات من الطلبة والطالبات أمام مكتبات بيع الملازم والكتب . (الى أعلى)

▶ فوق مقدمة سيارة بالحرم الجامعى ، بعض الطلبة والطالبات يراجعون الدروس بين المحاضرات . (الى اليمين)

أمام قبة الجامعة .. نحن نستعد للتخرج .. لم يبق من الزمن سوى أسابيع قليلة .. (الى اليسار)

شيئا من الفنون والصناعات كالطب والهندسة والمحاماة ، بل يلزم شبابنا الذين يجدون في أوقاتهم سعة ، وفي نفوسهم استعدادا ، أن يصعدوا بعقولهم ومداركهم الى حيث ارتقى علماء تلك الأمم . . . » .

وحين علم مصطفى كامل باعلان تشكيل لجنة تأسيس الجامعة ، أرسل من أوروبا يحتج على سعد زغلول وقاسم أمين ، فانه سبقهم الى الفكرة ، ويجب أن يكون تنفيذها تحت رعايته ، ولم يستمر سعد طويلا في رئاسة اللجنة ، اذ عين وزيرا للمعارف في ٢٨ أكتوبر ١٩٠٦ ، وتمكن من تقديم مساهماته من خلال موقعه الجديد . .

وكانت أعمال هذه اللجنة محل اهتمام الشعراء ، وقد ألقى حافظ ابراهيم قصيدة قال فيها :

فما لكم أيها الأقوام جامعة
الا بجامعة موصولة السبب
قد قام (سعد) بها حينا وأسلمها
الى (أمين) فلم يحجم ولم يهب
فعاونوه يعاونكم على عمل
فيه الفخار وما ترجون من أرب

ورأى مشروع الجامعة الأهلية النور على أيدي هذه اللجنة ، والتي تولى رئاستها الأمير أحمد فؤاد ، وتم افتتاحها يوم ٢١ ديسمبر عام ١٩٠٨ بمقرها في قصر جناكليس وهو ذات المبنى الذي تشغله الجامعة الأمريكية حاليا ، ومنه انتقلت الى سراي محمد صدقي بميدان الأزهار في شارع الفلكي .

أميرة مصرية ويوم عظيم

وفي قصة اقامة الجامعة صفحة مشرقة لدور أميرة مصرية قدمت كل ما تملك للجامعة عندما واجهت الجامعة ندرة في مواردها ، فتقدمت الأميرة فاطمة الزهراء ابنة الخديوي اسماعيل ، ووهبت الجامعة قطعة أرض مساحتها ستة أفدنة ووقفت للانفاق عليها ٦٦١ فدانا ، بالاضافة الى تقديم كل ما لديها من جواهر وحلي ، لكي يقام بثمنها مبنى الجامعة . . .

واستبدلت الحكومة بالأرض التي قدمتها الأميرة أخرى في منطقة الاورمان ، التي يقوم عليها مبنى الجامعة الحالي . .

واذا رجعنا الى ما نشر في الصحف عند افتتاح الجامعة ، وجدنا صحيفة الاهرام تنشر في ١٨ ابريل عام ١٩٠٨ وصفا ليوم الافتتاح باعتباره أحد الأيام المشهودة ، وكتبت تحت عنوان « في سبيل الجامعة » قالت : « كان اليوم الذي اجتمع فيه المتبرعون هو يوم الجامعة العظيم ، بل فاتحة عصر جديد لهذا المعهد الذي تتوق اليه الأمة بكل جوارحها ، وتذكر زيارة أعضاء مجلس الادارة لحسن بك زايد الذي تبرع للجامعة بخمسين فدانا . . » كما نشرت الأهرام مقتطفات من خطاب قاسم بك أمين في حفل الافتتاح ، ودأبت الأهرام بعد ذلك على نشر ملخصات دروس بعض أساتذة الجامعة في افتتاحياتها .

في البداية اقتصرت الدراسة في الجامعة على العلوم الانسانية ، واعتمدت على الاستاذ المحاضر ، وكان الأمير أحمد فؤاد رئيس الجامعة يلقي بها محاضرات في الفروسية والرماية ، وكانت أول محاضرة هي التي ألقاها أحمد بك زكي في « الحضارة الاسلامية » ، كما استعانت الجامعة بعدد من المستشرقين ، ومن ناحية أخرى ارسلت عند افتتاحها أحد عشر طالبا الى جامعات لندن وباريس وليون ، وأوفدت بعد ذلك بعثات من الأطفال للتعلم في كل من ألمانيا وفرنسا ، على أمل أن يعودوا للتدريس في الجامعة ، ولكن التجربة فشلت فشلا ذريعا .

وكان ممكنا في تلك الأيام الحصول على الدكتورية بدون الحصول على شهادة جامعية ، وكانت أول رسالة دكتوربة هي التي تقدم بها الشيخ طه حسين عن حياة ابي العلاء المعري ، وحصل على مكافأة قدرها عشرون جنيها ، وحصل طه حسين على الدكتورية قبل حصوله على الليسانس . . .

وكانت الجامعة تفتح أبوابها للفقراء من غير القادرين ، وكانت المجانية أحد مقوماتها الرئيسية ، وهكذا كان التعليم دائما في الشرق . !

استقلال الجامعة

وكانت الجامعة ابنة الفلسفة الليبرالية التي سادت عند إنشائها ، وكان خير من عبر عنها أحمد لطفي السيد ، وكان يرى أن : « ترفع

أسرى معركة التل الكبير عند عودتهم من الأسر .

الحكومة ، يدها عن التعليم ، وأن تتنزل عنه الى للأمة ، « لأن التعليم الحر أنفع كثيرا من التعليم الحكومي » ، وأنه « اذا تولت الحكومة أمر التعليم فسوف تصبغه بسياستها ، ودخول السياسة في التعليم من شأنه أن يجعل الطالب يكبر وهو طفل » ، لأن « العلم لا يرقى تحت ضغط السياسة » .

وقد صرح رئيس الجامعة الأمير أحمد فؤاد . « بأنه من يوم تولى رئاسة الجامعة وهي جامعة وطنية حرة ، وليست تحت رعاية الحكومة أو تدخلها في شيء . . . »

كما ارتبطت فكرة إنشاء الجامعة بمرتكزات رئيسية ، هي الاستقلال والعلمانية ، وتقديم المعرفة للجميع مهما اختلفت دياناتهم أو جنسياتهم أو حالتهم المالية ، كما شهد التعليم تطورا هاما لم تعرفه المدارس العليا ، وذلك عندما فتحت الجامعة أبوابها للفتيات ، وخصصت ابتداء من عام ١٩٠٩ محاضرات خاصة بالسيدات ، واضطر هذا القسم للتوقف لعدم الاقبال عليه في السنة الدراسية ١٩١٢ - ١٩١٣ .

وقد استمرت الجامعة مستقلة عن الحكومة معتمدة على مواردها الخاصة حتى ١٩ مايو ١٩٢٥ ، بعد أن عانت من الأزمات المالية المتكررة ، خلال الحرب العالمية الأولى وبعدها ، مما اضطرها الى اعادة مبعوثيها ، وخضعت في هذا التاريخ للاشراف الحكومي عليها ، الا أنها حافظت على استقلالها وشخصيتها المعنوية ، وتحكي صفحات تاريخها مواقف العديد من رجالها في تمسكهم باستقلالها وبالنهج الذي أقيمت على أساسه ، كما ضمت اليها المدارس العليا بعد خضوعها للاشراف الحكومي ، وكتب لطفي السيد في مذكراته عن استمرار قبول الطالبات : « لا أخفي أننا قبلنا الطالبات أعضاء في الأسرة الجامعية ، في غفلة من الذين من شأنهم أن ينكروا علينا الاختلاط باخوانهن في الدرس . . » .

وفي عام ١٩٣٣ تخرجت أول دفعة من طالبات الجامعة المصرية ، وكانت تتكون من نعيمة الأيوبي من كلية الحقوق ، وسهير القلماوي ، وفاطمة سالم وفاطمة خليل من كلية الآداب . .

الجامعة والحركة الوطنية

شاهدنا كيف قامت فكرة الجامعة في أحضان الحركة الوطنية ، وكانت من أهم منجزاتها ، وعادت الجامعة بدورها لتقدم لمصر والوطن العربي جيلا من الرواد العمالقة ، الذين رفعوا مشاعل الحركة الفكرية والثقافية والأدبية والعلمية ، وحملوا عبء التطور الاقتصادي والاجتماعي في المجتمع . .

ومن جانب آخر أمدت الجامعة الحركة الوطنية على الدوام بالقادة من أجل تحقيق الاستقلال ، ويكفي أن نعرف أن فكرة تكوين الوفد المصري الذي قام بدور بارز في تحقيق الاستقلال نبتت في أحد اجتماعات مجلس ادارة الجامعة الأهلية ، ويذكر محمد علي علوبة في مذكراته أنه بعد انتهاء اجتماع مجلس ادارة الجامعة المصرية ، همّ الأعضاء بالخروج ، وهنا استوقف محمد محمود باشا زملاءه أعضاء المجلس ، وكانوا : سعد زغلول ، وأحمد لطفي السيد ، وعبدالعزيز فهمي وغيرهم ، استوقفهم عند الباب معترضا بعصاه ، قائلا : « اننا لن نمشي حتى نقرر نهائيا تكوين وفد للسفر الى اوروبا للدفاع عن القضية المصرية » . وكانت هذه بداية صفحة مشرقة في النضال من أجل الاستقلال .

وتقوم ثورة ١٩١٩ ، وتدور الأيام ، وتستمر الجامعة تقدم الوقود للحركة الوطنية ، بل لا يمر حدث وطني الا وتلعب الجامعة فيه دورا رئيسيا ، ونتوقف قليلا لنستعرض بعض هذه الأحداث ، على فترات مختلفة . .

بعد الحرب العالمية الثانية ، بدأت مرحلة مواتية للعمل الوطني ، عندما رفعت الرقابة عن الصحف في يونيو عام ١٩٤٥ ، وبرزت من جديد المسألة الوطنية كرد فعل للكبت الطويل خلال أيام الحرب وتراكم الشعور بالتنازل الذي قدمته البلاد بعقد معاهدة ١٩٣٦ ، كما كان المناخ الدولي مناخا تتطلع فيه الشعوب الى بناء عالم جديد تسود فيه العدالة والمساواة . .

وبدأ التحرك من الجامعة المصرية ، وعقد الطلبة الاجتماعات المتواصلة لتنظيم صفوفهم ، وبرمجة عملهم استعدادا لموجة جديدة من الجهاد الوطني ، وكانت اجتماعاتهم تعقد في كلية الطب جامعة فؤاد الأول (القاهرة الآن) ، وكانت تجربة ثورة ١٩١٩ ماثلة أمامهم عندما شكل الأهالي « لجانا ثورية » ، فاتفقوا على تكوين اللجان الوطنية لقيادة الحركة الوطنية في مرحلتها الجديدة . وأعلنوا تشكيل اللجنة التحضيرية للجنة الوطنية للطلبة ووضعوا برنامجا من ثلاث نقاط :

١ ـ لا يقتصر الكفاح على مقاومة الاحتلال العسكري ، ولكن من الضروري أن يمتد الى رفض السيطرة الاقتصادية والسياسية والثقافية .

٢ ـ ضرورة القضاء على عملاء الاستعمار المحليين .

٣ ـ الوحدة الوطنية هي طريق المقاومة ، ولابد من اتحاد كل القوى المعارضة للاحتلال في جبهة واحدة . ورفع شعار : « المفاوضات مع المستعمر على حقوق الوطن خيانة* . . » .

اتحاد الطلبة والعمال

وكانت هذه اللجان اشارة البدء لحركة شابة نفثت دماء جديدة في الحياة السياسية ، وقامت هذه الحركة يوم ٩ فبراير ١٩٤٦ بمظاهرة وصفت بأنها أضخم مظاهرة قامت منذ الحرب العالمية الثانية ، وتوجهت من الجامعة الى ميدان الجيزة ثم الى كوبري عباس ، وما ان توسطته حتى حوصرت من جانب الكوبري ، وفتح الكوبري وبدأ الاعتداء على الطلبة ، فسقط البعض في النيل ، وجرح أكثر من مائتي طالب ، وكان الهدف منع المتظاهرين من الوصول الى قلب القاهرة ، وأدت أحداث هذا اليوم الى سقوط الوزارة . .

وكانت الخطوة التالية لقاء بين الطلبة والعمال ، وتكوين « اللجنة الوطنية للعمال والطلبة » ، التي قامت بدور بارز في الكفاح ضد السيطرة الاستعمارية وأعوان الاستعمار ، وضد المفاوضات والأحلاف ، ويقول بيانها الأول : « واستئنافا للحركة الوطنية المقدسة التي تشترك فيها كل عناصر الشعب المصري ،

---

* الحركة السياسية في مصر ـ طارق البشري

متكتلة حول حقها في الاستقلال التام والحرية الشاملة . . » أعلنت اللجنة اضرابا عاما يوم ٢١ فبراير ، وتوقفت الحياة في طول البلاد وعرضها ، وأضرب عمال المصانع والمحلات وطلبة المدارس والكليات ، وتجمعت المظاهرات في ميدان الاوبرا ، وعقد مؤتمر وطني قرر مقاطعة المفاوضات وأساليب المساومة ، والمطالبة بالغاء معاهدة ١٩٣٦ ، واتفاقيتي ١٨٩٩ الخاصتين بالسودان ، ثم تحركت المظاهرات نحو ميدان قصر النيل حيث الثكنات البريطانية ، واتجه قسم منها الى قصر عابدين ، وأشعل المتظاهرون النار في قشلاق « معسكر » للانجليز ، بعد أن دهمت سيارة بريطانية مسلحة بعض المتظاهرين وهي تخترق الجموع . .

وأسفرت أحداث ذلك اليوم عن مقتل ٢٠ شخصا ، واصابة ١٥٠ من الوطنيين ، وعلقت صحيفة المانشستر جارديان البريطانية على لجان الطلبة والعمال بقولها : « ان النظام الذي تجلى في هيئة العمال والطلبة كان أعلى مستوى نظام رأته مصر منذ قيام الحركة الوطنية عام ١٩١٩ » .

كانت هذه اللجنة نتاج جيل سياسي ناشيء ، وكانت أكثر استجابة لمتطلبات العمل الوطني في أعقاب الحرب الثانية ، وكانت أسرع في فهم الحركة الوطنية وايقاعها ، وأكثر اصرارا على تحقيق الاهداف الوطنية ، وكان التوهج الشعبي الذي انبعث من الجامعة أضخم من أي تنظيم قائم !

ويمضي الزمن في دورته ، ولا تكاد تنقضي ستة أعوام حتى يتصاعد العمل الوطني في أخطر مرحلة ، وتشهد الجامعة من جديد الشرارة الأولى .

الكفاح المسلح

وما أحوجنا أن نتوقف عند العلامة الثانية التي تستحق أكثر من وقفة ، حيث نتناول دور جامعة فؤاد الأول (القاهرة) بعد إلغاء معاهدة ٣٦ خلال شهور أربعة مجيدة ، بدأت في اكتوبر عام ١٩٥١ ، عندما أعلن إلغاء المعاهدة ، وقاربت النهاية بحريق القاهرة في ٢٦ يناير ١٩٥٢ .

وهي صفحة لم يلق عليها الضوء الكافي ، وصدر عنها مؤخرا كتاب موجز بقلم قائد معسكر الجامعة حسن دوح ، يروي بعض ما جرى خلال تلك الأيام ، حينما كان مدير الجامعة الدكتور عبدالوهاب مورو ، والأساتذة يرعون هذا العمل ويمدونه بالدعم والتأييد ، يوم انتفضت الجامعة ، ونفضت عنها الصراع الحزبي ، وبحثت عن طريق جديد ، بعيدا عن الكلمات التي لاكتها الألسنة حتى استهلكت وفقدت معناها . .

وبمبادرة من الطلبة أقيم معسكر داخل أسوار الجامعة ، مكان كلية التجارة الحالية ، ونصبت فيه الخيام ، وتكونت كتائب للكفاح المسلح ضد الاحتلال البريطاني ، وأشاع هذا العمل الصحوة في الأمة كلها ، وأضاف للموقف عاملا جديدا يصعب السيطرة عليه ، خاصة وأن المعسكر لم يجذب الطلاب وحدهم ، بل جذب أيضا اساتذة الجامعة ومديرها الدكتور مورو الذي قدم كل دعم ، وتبنى العمل بشجاعة فائقة ، ومسؤولية كبيرة ، ومن الاساتذة الذين وضعوا كل ما يملكون من خبرة وإمكانات في خدمة المعسكر : الدكاترة : عبدالمنعم بدر ، والشيخ أمين الخولي ، وحسني عباس ، وحسن فهمي ، وسعيد النجار . وقامت أول ثكنة عسكرية في أحضان أكبر مؤسسة علمية في البلاد ، وتدفقت عليها المساعدات من كل مكان ، وأمدها رجال من القوات المسلحة بالخبرة والتدريب ، وكان صلاح هدايت (وزير البحث العلمي فيما بعد) يتولى قسم المواد الناسفة والألغام والمفرقعات ، ويقوم بتصنيعها داخل معسكرات الجيش ومعامل كلية العلوم ، واشترك مجدي حسنين وغيره من الضباط الأحرار في معسكر آخر أقامه طلبة الجامعة بالقرب من القواعد البريطانية الشرقية في معسكر تل باسطة ، وكانت مساهمة الضباط الأحرار رمزا لدعم الجيش للكفاح المسلح . .

وشهدت هذه الثكنة العسكرية الخطوات الأولى لشاب تملؤه الحيوية والنشاط ، لا يزيد عمره عن ثمانية عشر عاما ، كان اسمه ياسر عرفات بالسنة الأولى في كلية الهندسة ، كان يملأ المعسكر حماسا عندما يقوم بتدريب الطابور على ما كان يسمى وقتها « التكتيك العنيف » .

وبعد فترة وجيزة من التدريب ، وفي ١٢ يناير عام ١٩٥٢ ، خاضت كتيبة الجامعة أول معاركها وهي معركة التل الكبير ، ردا على

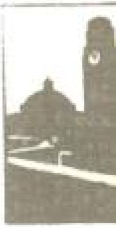

معركة التل الكبير الذي هزمت فيها قوات الثورة العرابية ، واستشهد فيها قائد كتيبة الجامعة الشهيد عمر شاهين الطالب في كلية الطب ، كما استشهد احمد المنيسي ، وستة آخرون ، وانتفضت مصر أمام هذه الأحداث التي أخذت تتوالى ، وتم نسف ثلاثة قطارات محملة بالجنود البريطانيين ، وتم نسف مخازن الذخيرة في « أبو سلطان » وتعددت المعارك في منطقة القناة ، وقد خرجت مصر في جنازة بلغ طولها ثلاثة كيلومترات يتقدمها مدير الجامعة والأساتذة بالأرواب الجامعية ، وكل القادة ، وكانت الجامعة يومها قطعة نابضة من حياة الأمة ، ومعروف أن هذه الصفحة قد طويت بحريق القاهرة ، الذي أسدل ستارا كثيفا على أحداثها ، كما أوقف تأثيرها المتنامي ولكن الى حين ، فقد كان الكفاح المسلح في القناة هو الشرارة الأولى لقيام ثورة ٢٣ يوليو . .

رفض الهزيمة

وتمضي الأيام وتسكن الجامعة ، وتنتفض من جديد بعد الهزيمة الكبرى التي وقعت في ٥ يونيو عام ١٩٦٧ ، وتقوم المظاهرات من جديد وبعود للجامعة دورها ويتركز داخلها نبض المجتمع ، وتستمر بين عام ١٩٦٨ وحتى ١٩٧١ ، تعبر بكل الوسائل عن رفضها للهزيمة والمطالبة بالمواجهة العسكرية مع العدو ، ولتشكل المحرك الرئيسي للأحداث والمطالبة بالقتال وتحرير الارض ، وأخذت هذه المطالب صورا شتى ، فتارة احتجاجا على ضعف أحكام الطيران التي صدرت ضد كبار القادة العسكريين ، وتارة أخرى احتجاجا على الوعود المهدرة ببدء القتال !.

وهي أيام ليست بعيدة ومازالت تفاصيلها في الذاكرة . .

حصانة الجامعة

وتمضي الذكريات مع مرور خمسة وسبعين عاما ، وترد الى الذاكرة الى جانب أيام السعد ، أيام المصاعب والعقبات في طريق الجامعة ، وترد الى الذاكرة أولى الضربات التي وجهت الى استقلالها وحصانة أساتذتها ، التي وقعت خلال أزمة مارس عام ١٩٥٤ ، عندما فصل من الجامعة بسبب مواقفهم الفكرية والسياسية ٦٤ استاذا ، مما أصابها بجرح مازالت تعاني منه حتى الآن ، خاصة وأن هذه الضربة تكررت مرة أخرى في أزمة سبتمبر ١٩٨١ الماضي ، رغم أن الجامعة أمدت المجتمع طوال هذه الفترة بأغلب قياداته ، فكان يختار من بين أساتذتها الوزراء والسفراء ، وعبر الدكتور جمال حمدان عن هذه الظاهرة في كتابه « شخصية مصر » ، انها كانت احدى صور التحالف بين العسكريين وبعض أساتذة الجامعة ، ولكن ما يقع فعلاً هو أنه عند غياب القوى السياسية التي تفرخ القيادات السياسية ، لا يصبح هناك مفر من اللجوء الى أساتذة الجامعة ، ففقدت بذلك الجامعة أبرز أساتذتها ، ولم يكن ذلك بالضرورة يوفر القيادات الصالحة ، فمازال البون شاسعا بين الاستاذ الذي يتقن مادته وبين القدرة على ممارسة القيادة الفعلية في المجتمع !.

واليوم . . يعود الجميع ويتطلعون الى الجامعة بعد أن وصل عدد الجامعات في مصر الى اثنتي عشرة جامعة ، وانتشرت الجامعات في كل الأقطار العربية ، يطلبون منها الارتباط بقضايا المجتمع ، والمساهمة في حل الأزمة الراهنة ، عن طريق تقديم البحوث العلمية في مختلف الميادين ، وحتى يتمكن المجتمع من مواكبة الثورة العلمية واللحاق بمظاهر فنون التقنية المتطورة ، وزادت الحاجة اليها كمصدر للاشعاع الفكري والتقدم العلمي ، ومصنع للقادة ، وتجمع لأساتذة يكرسون أنفسهم للعلم . .

وأولى جامعاتنا هذه تشكو قلة الامكانات وحصار المشاكل . .

فهل يستطيع الجيل الحالي ، الذي تسلم الشعلة من أجيال عملاقة سبقته ، أن يعيد الجذوة الى الشعلة . . ؟!

ان عودة الجامعة الى دورها القديم مرهونة باستردادها لاستقلالها المفقود ، وحصانتها الجامعية الضائعة ، عندها لن تقبل طلبة يزيدون عن قدرتها ، وعندها ستعود لها قيمتها المعنوية كحصن لحرية الفكر ، وستلعب دورها من جديد في قضايا الوطن . □□

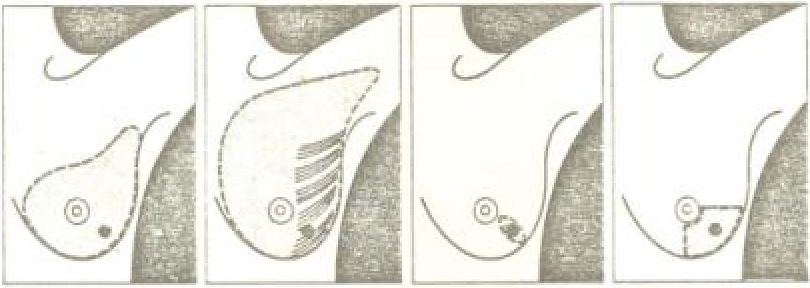

اجتثاث الورم وما حوله — اجتثاث الورم فحسب — استئصال كليّ — استئصال بسيط

عمليات سرطان الثدي

عقد معهد السرطان في (بثسده) في الولايات المتحدة اجتماعا هاما ضمن اجتماعات عقدت في شهر اكتوبر الماضي .. نقول هاماً ... نظرا للتقرير الخطير الذي تلاه على المجتمعين اخصائي السرطان الايطالي المعروف اومبرتو فيروني Umberto Veronesi .. والدكتور اومبرتو هذا هو رئيس معهد السرطان الشهير في ميلانو .. وقد أوجز في تقريره الثمرة الطبية التي تمخضت عنها الدراسة العلمية الميدانية التي قام بها هو وصحبه والتي استغرقت عشر سنوات .

أما موضوع الدراسة بصفة عامة فكان سرطان الثدي .. عدو المرأة الاكبر .. وأما موضوعها بصفة خاصة فكان العلاج المفضل لهذا المرض الخبيث ... ايكون باستئصال الثدي استئصالاً كلياً أم باجتثاث الورم اجتثاثا موضعيا ..؟ وقد ركز التقرير على الموضوع الخاص وشرح بتفصيل بعض التجارب الشاملة التي اجراها الدكتور امبرتو ورفاقه ..

لقد بلغ عدد من شملتهن تلك التجارب من المصابات بسرطان الثدي (٧٠٠) امرأة .. اجريت لنصفهن عملية استئصال الثدي (Mastectomy) وللنصف الآخر عملية اجتثاث الورم وما حوله (Quadrectomy). وأعقب ذلك علاج بالاشعة في الحالات التي امتد فيها الورم الخبيث الى الابط .. وتجدر الاشارة الى ان العمليات اجريت للسبعمائة امرأة جميعا في مرحلة مبكرة من اصابتهن بالسرطان ، وان قطر الورم الخبيث فيهن جميعا لم يجاوز ٣/٤ البوصة .. (١٩ مليمترا تقريبا) .

ومضت السنوات العشر ، واذا بالكثرة الغالبة من النساء في كلتا الفئتين ، ٩٦٪ منهن بالتحديد ، مازلن أحياء ويتمتعن بصحة جيدة . ولم يظهر السرطان ثانية الا في اقل من ٥٪ منهن وذلك في كلتا الفئتين ايضا .. وفي هذا ما يدحض النظرية الشائعة القائلة بأن الورم السرطاني الخبيث يعود ويظهر ثانية اذا كانت العملية التي اجريت له عملية اجتثاث موضعي .. لا عملية استئصال كلي .. من هنا كانت الملاحظة الطبية الهامة التي أبداها أحدهم اذ قال : « لعل من الصعب جدا الابقاء على عمليات الاستئصال الكلي بعد الآن » ..

ولم يكن قائل هذه الملاحظة سوى الدكتور برنارد فيشر (B.Fisher) كبير جراحي سرطان الثدي في جامعة

بتسبورغ .. في الولايات المتحدة .. والمعروف عن الدكتور برنارد هذا مناهضته القديمة لعمليات الاستئصال الكلي .. فقد دعا هو وآخرون من الجراحين الأمريكيين ، الى ضرورة تجنب اجراء تلك العمليات ما أمكن ، والحرص على تحاشي الاندفاع العشوائي في اجرائها في كل الحالات ... وهو يؤكد ان عملية الاجتثاث الموضعي ناجحة ، وتفي بالغرض حتى في الحالات التي يبلغ فيها قطر الورم الخبيث بوصتين او يزيد قليلا .. وهو يؤكد ايضا ان عملية الاجتثاث الموضعي ينبغي ان تكون محدودة ولا تجتث آلام الورم فحسب Lumpectomy (انظر الرسوم)

هذا ومازال بعض الجراحين متشبثين لا بعمليات الاستئصال الكلي فحسب ولكن بعمليات الاستئصال الكلي الشامل ايضا .

الكولسترول ، والقول الفصل في أضراره

اكتملت الدراسة العلمية الواسعة التي اجرتها حكومة الولايات المتحدة للكولسترول واضراره .. لقد بدأتها في مطلع سنة ١٩٧٤ .. أي قبل عشر سنوات ، وذلك بقصد الوصول الى قرار نهائي يدين الكولسترول أو يُبرئه .

ذلك ان اضرار هذه المادة الدهنيّة الشمعية التي تتراكم داخل الشرايين المنتشرة في شتى انحاء الجسم ، كانت موضوع نفي او تأكيد طوال سنوات خلت . وكان لابد من اجراء دراسة شاملة تمكّن الأطباء من إصدار حكمهم النهائي على الكولسترول ، وتقييم آثاره تقييما موضوعيا لا يقبل الشك من قريب ولا من بعيد .

وهكذا أصبحت دراسة الكولسترول هذه بمثابة الحلقة المفقودة التي تحدد العلاقة بين المواد الدهنية الحيوانية وبين زيادة الكولسترول في الدم .. من جهة .. وبين هاتين الظاهرتين وبين مرض القلب المرافق لهما .. من جهة ثانية ..

وقد قام بهذه الدراسة باحثو معاهد الصحة التابعة لحكومة الولايات المتحدة .. وبالتحديد ، معهد القلب والدم والرئة .. وذلك في عدد من المستوصفات الطبية المنتشرة في طول البلاد وعرضها .. ويبلغ عدد الذين شملتهم الدراسة (٣٨٠٠) رجل ، تراوحت أعمارهم بين ٣٥ ـ ٥٩ سنة .. وكانوا كلهم من الذين يعانون من ارتفاع محتويات الكولسترول في الدم والمعرضين بالتالي للمخاطر المترتبة على هذا الارتفاع .

وقسم الباحثون هؤلاء الرجال الى نصفين .. سمح للنصف الواحد بوجبات تحتوي على نسبة منخفضة من الدهنيات وتشمل مقادير اقل من بيض الدجاج ومن اللحم المدهن ومستخرجات الألبان .. وطلب من هؤلاء الـ ١٩٠٠ رجل تناول الكولسترامين (Cholestyramine) وهو عقار يخفض مستوى الكولسترول في الدم ..

أما النصف الآخر من الرجال الذين شملتهم الدراسة فقد سمح لهم بمثل الوجبات التي اعطيت لرجال الفئة الأولى .. الا ان هؤلاء لم يتناولوا الكولسترامين ، وانما البلاسبو Placebo العديم الأثر ، الذي كثيرا ما يعتمده الباحثون في تجارب ودراسات كالتي نحن بصددها .. وروعي في اختيار افراد كلتا الفئتين التماثل من حيث عادات التدخين والشرب (الكحول) وكذلك من حيث

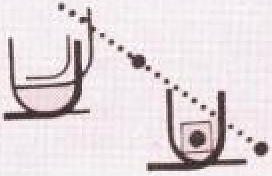

احذروا الكولسترول تصونوا قلوبكم

التغير بالنسبة المئوية لمحتويات الكولسترول في الدم

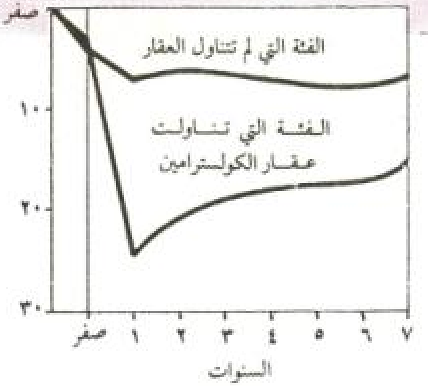

ضغط الدم وممارسة التمارين الرياضية ..

ومضت ستتان على مباشرة تلك الدراسة .. دون ان يظهر اي فرق بين رجال الفئتين .. ولكن ثمة فروقا كبيرة بدأت تظهر بينهم مع مر الزمن .. وراحت هذه الفروق تتراكم حتى كانت لدى اختتام الدراسة (في شهر يناير الماضي ١٩٨٤) كالتالي :

١ ـ الوفيات بسبب الجلطة او الانسداد التاجي كانت في الفئة الأولى اقل منها في الفئة الثانية بنسبة ٢٤٪

٢ ـ الاصابات بالذبحة بأنواعها بلغت في الفئة الأولى اقل مما بلغته في الفئة الثانية بنسبة ٢٠٪

٣ ـ اعراض الاصابة بآفات القلب انخفضت في الفئة الأولى عما كانت عليه في الفئة الثانية بنسبة ٢٥٪

٤ ـ العمليات الجراحية التي اجريت لرجال الفئة الأولى كانت اقل من نظيرتها في الفئة الثانية بنسبة ٢١٪

وهكذا وضعت الدراسة حدا للبلبلة وأصبح في الامكان الآن الجزم بأن تخفيض مستوى الكولسترول في الدم كفيل بالحد من أعراض امراض القلب والنوبات القلبية .. بلا نزاع ..

اطارات السيارات من البلاستيك

اكتشف العلماء صنفا جديدا من اللدائن (Plastics) ، يمتاز على كل ما عرفناه من المواد البلاستيكية ، سواء من حيث القوة او قلة تكاليف الانتاج ، أو من حيث قابلية المواد الجديدة لأن يعاد صنعها بعد استعمالها مدة من الزمن ، لتستعمل من جديد .. وكان خبر هذه اللدائن مفاجئا الى حد كبير بالنسبة الى الكيماويين الذين حضروا مؤتمر الجمعية الملكية الكيماوية ، وقد عقد في الربيع الماضي في جامعة لانكستر ، في بريطانيا ..

وكان الدكتور دافيد ريتشاردز من بين الذين تحدثوا عن هذه المواد الجديدة واسمها كوبولايمر (Copolymer) .. والدكتور ريتشاردز هذا من كبار الباحثين العاملين في مختبرات وزارة الدفاع البريطانية (في اسكس) وهي مختبرات متخصصة بمتفجرات الصواريخ .. الدافعة لها ..

ومما قاله الخبير المذكور : ان المجموعة التي تهمنا من هذه المواد الجديدة .. هي تلك التي نستخرجها من مادة بوتادين (Butadiene) .. وهي مادة تستعمل حاليا في صنع بعض اطارات السيارات والمحافظ والحقائب ..

ويؤكد الدكتور رتشاردز ان صنع اطارات السيارات من اللدائن الجديدة بات احتمالا قريب المنال . عندئذ لا تعود اطارات السيارات سببا هاما من اسباب التلوث .. وذلك نظرا لقابليتها لأن تذاب وتصنع اطارات جديدة لتستعمل مرة ثانية .. وثالثة .. الخ ..

حوار القراء

العامل الروحي ـ للانسان العربي

اكثر ما يلفت النظر في مجلاتنا الثقافية ، والعربي احداها ، انها لا تهتم كثيرا بالعامل الروحي للانسان العربي ، وهو عامل مرتبط ارتباطا وثيقا بدينه وعاداته واعرافه ، ويجب ان تركز مثل هذه المجلات على الدين بصفة خاصة لأنه ثابت لا يتغير مثل تغير الاعراف والتقاليد ، فالدين الاسلامي هو اكبر عوامل جذب الانسان العربي ، لأنه العامل المهم في الانسان العربي المسلم .

ومن هنا يجب على كل من يحاول التأثير على الانسان العربي ان ينطلق من المبادىء السامية وان يعبر عنها وينطق باسمها ، ويلتزم بها في كل تحركاته اليومية ، وهذا للاسف عامل مفقود في مجلاتنا الثقافية العربية التي تركز على التاريخ وعلى القومية اكثر من تركيزها على العامل الروحي الديني ، الذي هو اعمق تأثيرا واقوى وسيلة من اجل بناء انسان عربي ملتزم دينيا وخلقيا وقوميا . .

عمران عبدالسلام احمد ـ كلية الحقوق ـ بنغازي

ابن ماجد . . أرشد « فاسكودي جاما »

في العدد (٣٠١) من العربي ، جاء بين صفحات موضوع حول « الملاحة البحرية » وكان موضوعا مشوقا للقراء ، ولكنني أود أن أبعث لكم هذه المعلومات التي أرى ان كاتب المقال لم يعطها الاهتمام اللازم ولم يوضحها لقارىء « العربي » .

لقد ولد شهاب الدين أحمد بن ماجد في عُمان حوالي عام ٨٣٨ هـ ، وتوفي عام ٩٠٥ هـ وهو ينتمي لأسرة اشتهر أفرادها بارتياد البحر وحب الأسفار والملاحة ، فتعلق بالبحر منذ الصغر ، واكتسب مهارات أجداده ، واستطاع بفضل تجاربه وسعة خبرته البحرية أن يكتشف أساليب جديدة في فنون الملاحة .

وقد ذكر المؤرخ قطب الدين النهروالي أن الذي قاد فاسكودي جاما الى الهند ، عبر رأس الرجاء الصالح ، لم يكن عربيا بل كان هنديا مسلما ، غير أن هذا الرأي لا أساس له امام الحقائق المعروفة للجميع حول هذه الواقعة ، ودور أحمد بن ماجد فيها . ويبدو أن المؤرخ النهروالي ، أراد فيما ذكره طمس دور هذا البحار العربي مع فاسكودي جاما ، رغم أن الحقائق التاريخية تشير الى هذا الدور

صالح ضرمار ـ مسقط ـ سلطنة عمان

أرض الروم . . أو أرزروم

ذكر الدكتور نيقولا زيادة ، في العدد (٣٠١) من العربي ، ضمن مقالته « المشرق العربي والغزو الأوروبي » اسم مدينة « أرضروم » الموجودة في تركيا ، والذي أعلمه من كتب التاريخ أن هذه المدينة فتحها العرب المسلمون ، وفيها ضريح أحد الصحابة الكرام ، وأطلقوا عليها اسم أرض الروم . وبما أن اللغة التركية لا تستعمل حرف (ض) فانهم ينطقونها ، أرزروم ، وهذا ما أردت توضيحه لكاتب المقال حتى لا يتيه القاريء في متاهات التسمية لهذه المدينة

محمد فارس ـ منبج ـ سوريا

اعداد
يوسف الشهاب

في أثر المتنبي

قرأت مقالا للاستاذ عبد الرزاق البصير بعنوان (في أثر المتنبي بين اليمامة والدهناء) نشر في العدد (٢٩٩) من العربي ، وتوقفت عند فقرة منه تحت عنوان (لحظة تفاق) ص ١١٥ حيث استغربت كثيرا من الاستاذ عبد الرزاق مخالفته لابي الطيب حين قال :

فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله
ولا مال في الدنيا لمن قل مجده

يقول الكاتب (أجد نفسي تخالف أبا الطيب في هذه النظرة ، فان المجد في رأيي يحصل لمن لا مال له ، بل انه حصل فعلا لفئة كبيرة لا تملك الا النزر اليسير من المال ... كالفلاسفة والعلماء والمكتشفين ، ... وان المال كثيرا ما يظفر به أناس لا يساوون ملء آذانهم ترابا) .

- يفهم من هذا الكلام أن الكاتب ذهب الى تفسير المجد على أنه العلم والفلسفة والمعرفة بينما المعنى الحقيقى الذى أراده المتنبي هو مجد السلطان ، بدليل قوله في البيت السابق :

فلا يتحلل في المجد مالك كله
فينحل مجد كان بالمال عقده

فلو أن المتنبي أراد مجد العلم والمعرفة لما قال (فينحل مجد كان بالمال عقده) لان مجد العلم لا ينحل أبدا - وهذا أمر جد بديهي - بينما مجد السلطان (في ذلك العصر) يصيبه الانحلال اذا كان عقده بالمال .

فؤاد علي أيوب
كلية الاداب - الجامعة اللبنانية
بيروت

العربي : وهذا رد الأستاذ عبد الرزاق البصير .

تدل الرسالة التي تلقيناها بأن كاتبها يتمتع بذوق رفيع بدليل هذا الاكبار العظيم لابي الطيب ، ولم أكتب تلك الكلمة الا لأرسم بعض مافي نفسي لهذا الشاعر العربي العظيم ، غير أن هذا الاكبار لا يجيز لي أن أغلق الباب دون مناقشته ، فقد أوردت المعاجم كلاما مطولا عن لفظة المجد لا يوجد فيها لفظة السلطان كما ذهب اليها كاتب الرسالة ، ولا شك أن شاعرنا الاكبر لا يمكن أن يحصر معنى لفظة المجد في السلطان ، وإنما يقصد بها اسمى معانيها ، وهو الشرف والمروءة وحسن الفعال ، وهذا كله يصدق على العلماء وعلى الفلاسفة والعادلين من السلاطين ، واني على كل حال - أشكر كاتب الرسالة على رسالته .

أطول وثيقة

أكتب إليكم هذه المعلومة عن أطول وثيقة في العالم .... انها تلك الوثيقة التاريخية التي تضمها وزارة الأوقاف المصرية ، ويبلغ طولها نحو خمسمائة متر - وهي مكتوبة بالخط العربي الجميل وبمداد أزرق تتوسط سطوره عناوين حمراء - وهذه الوثيقة هي (حجة وقف) السلطان الأشرف (قايتباي) أحد سلاطين مصر في العهد المملوكي - وتعنى وزارة الأوقاف بالمحافظة عليها وقد استهلت هذه الحجة بما يأتي :

بسم الله الرحمن الرحيم ... الحمد لله الذي يسر جميع الخيرات ، وسلبها لسلطاننا الملك الأشرف وأعانه ، وجعله أعلى مرتبة من ملوك الأرض .

عبدالرحمن السيد ابراهيم - قرية كفر النخلة - مصر العربية

حوار القراء

أهلا .. بالعربي

أبعث اليكم بأجمل التهاني باليوبيل الفضي ، ومرور ٢٥ عاما على اصدار مجلة العربي رائدة الثقافة العربية ، وكل عام والعالم العربي والاسلامي بخير .. وبحلول عام ١٩٨٤م لا اجد ما اقوله الا ... اهلا بالعربي في ثوبها الجديد ، ولقد وجدت في مجلتكم ما يروق لي ، واعجبنا كثيرا بشكلها الخارجي وما تتضمنه من ابواب ومواضيع اقتصادية وثقافية واجتماعية ، تساعد وتساهم في تنمية ثقافة القارىء العربي - احييكم واشكركم على ما تبذلونه من جهد في سبيل تقديم طبق شهي من الثقافة لكل قارىء ..

جميلة محمد الطنوبي - الاسكندرية - مصر

العربي

شكرا للقارئة على شعورها الطيب تجاه العربي ، ونود ان نؤكد ان ما نقدمه على صفحات المجلة ما هو سوى واجب علينا نحو القارىء .

نافلة على « السبحة »

طالعت بمزيد من الاهتمام مقالة « السبحة » للاستاذ جمال الغيطاني في العدد ٣٠١ ديسمبر ١٩٨٣ من مجلة العربي . فأثلجت المعلومات الواردة صدري لدقة ما جاء فيها من معان وافكار . غير اني رأيت ان ارفد المقالة المذكورة بنافلة مما لدي ، لعلها تكون استكمالا للبحث ... اجمع هذه المعلومات الاضافية من اربع نقاط :

١ - السبحة الكاربا : ان كلمة (كاربا) فارسية معناها جاذب القش ، وهي مركبة من (كاه) بمعنى القش والتبن ، و(ربا) بمعنى جاذب وسارق . ولهذا قالوا لها ، اذا ما حكت بقماش صوفي جذبت القشة اليها وحملتها سبحة كاربا اوكاهربا . ومن هذا المعنى اطلقنا كلمة « كهرباء » الفارسية على الاختراع الضوئي Electricity والطريف جدا ان الفرس استعاروا كلمة « البرق » العربية لهذا المفهوم الحديث ، ولعله اكثر من الكلمة الفارسية (من الناحية العلمية) . فنحن اليوم نستعمل كلمتهم وهم يستعملون كلمتنا ، ومثل هذا التبادل اللغوي بين العربية والفارسية كثير .

٢ - السبحة البرهومية : أفاض صاحب المقال بذكر انواع من السبحات المعروفة واحسن ، غير ان هناك بعضا آخر لم يرد ذكره ، اكتفي بايراد نوع واحد لطرافته ، هذا النوع هو « السبحة البرهومية » ، نسبة الى طريقة مذهبية (سنية) ، لعلها راجعة الى شيخ صوفي يدعى ابراهيم . ويكثر مريدو هذه الطريقة في السودان ومصر . ويعرف المريدون بعضهم بعضا من حمل السبحة . وهم كثيرو العطف على حامليها وعلى المريدين للطريقة البرهومية ، ومازلت اذكر العطف الذي لقيته يوما من جراء حملي لها (من غير تمذهب) .

لا تشبهوا اسرائيل بالسرطان

اكتب اليكم هذه السطور من اجل خطأ اراه في هذا التشبيه الفظيع .

في معظم المجلات والجرائد يكتب السادة الكتاب والصحفيون مشبهين اسرائيل بمثابة السرطان في جسد الامة العربية .

اولا : كنت اتمنى ألا يصل بنا التهويل بقدرة اسرائيل الى حد تشبيهها بالسرطان لعدة اعتبارات اهمها :

١ - ان السرطان في معظم الاحيان يؤدي الى وفاة المريض . نعم ... اعرف ان الكتاب لم يقصدوا ذلك ، ولكن تكرار مثل هذا التشبيه له بالغ الاثر السيء .

تتألف هذه السبحة من ٩٩ حبة موزعة توزيعا رباعيا . فعلى طرفي المئذنة الثابتة ٣٣ حبة من كل طرف ، مفصولة بحبتين كبيرتين (على عكس السبحات الاخرى) يليها ١٦ حبة من طرف و١٧ حبة من الطرف الاخر . كما علق فوق المئذنة الثابتة عشر حبات (من نفس الحجم) . ولها مئذنة متحركة تعين وقوف المتعبد في مكان معين في تسبيحه ، وعلى هذه المئذنة المتحركة حبتان أخريتان . وعلى هذا يكون عدد حباتها العام بين صغيرة وكبيرة ١١٣ حبة . وتمتاز حباتها عادة بانها رقيقة مبسطة ، في حين ان حباتها الفاصلة اكبر حجما ومضلعة .

٣ ـ اصل السبحة : لاشك ان السبحة قديمة الاستخدام في الديانات . فالمعروف ان الديانة البوذية المنتشرة في الهند والصين اقدم الديانات التي استخدمت السبحة في عباداتها . ورجال الدين البوذيون (فقط) يحملون سبحاتهم الضخمة ، حبتها كبيرة بحجم الجوزة ، على رقابهم او حول خصورهم .

ويروى ان اليهود سبقوا البوذيين (البوذية سبقت اليهودية بخمسة قرون تقريبا) في استخدامها ثم تلاهم المسيحيون . ومن بعد ذلك دخلت في مجال العبادة الاسلامية . غير ان مفهومها الديني اخذ في التضاؤل ولاسيما في الشام ومصر ، حتى غدت نوعا من الزينة والتباهي والتسلية .

٤ ـ عدد حباتها : اختلفت الديانات في مسألة عدد حباتها ، وفي تأويل هذا العدد . ومما يروى ، وارجحه ان عدد حباتها الثلاث والثلاثين تذكير بعمر السيد المسيح على الارض ، وان الذيول التزيينية التي تعلق في قمة مئذنتها ثلاثة ، وهي تذكير بالثالوث المقدس (الأب ، الابن ، روح القدس) . لكن صانعي المسابح اليوم غيروا من هذه الاشكال الثلاثية فزادوها او انقصوا منها . . والله اعلم .

الدكتور محمد التونجي
الاستاذ الزائر بجامعة اكسترا ـ بريطانيا

العـــربي تشـرق من الكـــويت . . . الى العروبة

يسعدني أن اكتب اليكم هذه السطور معبرا من خلالها عن مدى اعجابي في مجلتنا العربي للدور الكبير الذي تحمله على عاتقها كرسالة ثقافية تشرق من الكويت لتضيء في اقطار العروبة .

والبعد بين بلادي وبين الكويت يتركني في تقاطع يتلاشى ، وتصبح المسافة وحدها طاقتي التي أواصل عبرها الطريق نحو الوصول الى مجلتنا التي أرى فيها ما يغذي الفكر ـ ففي زمن العشق ترتحل الخطوط في افق تمتزج فيه الألوان في قالب اكثر تواصلا للابداع والقيم الانسانية .

عبدالباري الناشري ـ اليمن الديمقراطية

العربي

ما تضمنته رسالة القارىء من اطراء على العربي ، يدفعنا الى المزيد من الجهد لمواصلة المسيرة التي بدأتها هذه المجلة ، خدمة للقارىء العربي في كل اقطار العروبة . . .

٢ ـ ان السرطان هو تغير في طبيعة بعض خلايا الجسد ، اي ان السرطان ناشىء من جسد المريض . وهذا ليس حال اسرائيل معنا فان معظم الاسرائيليين مهاجرون وليسوا من فلسطين .

٣ ـ انه مهما استخدم الجسم من وسائل وامكانيات فانه لن يتمكن من القضاء على السرطان اذا انتشر . وهذا ليس حال العرب للاسف الشديد ، فان العرب تركوا اسرائيل ونسوا قضيتهم الاصلية ، وتفرغوا لتصفية حساباتهم الداخلية .

لا تصفوا اسرائيل بالسرطان ، وربما يكون اصدق وصف لها هو وصفها بالطفيليات .

فتحي عبدالسلام احمد
كلية طب المنصورة ـ مصر

الدراسات الشرقية في الجامعات الألمانية

تأليف مجموعة من الباحثين الألمان

عرض عبد المقصود حبيب

☐ الاستشراق* هو ـ في صورته العامة ـ عبارة عن ميدان الاهتمام الاوروبي بكل مجالات العلم والثقافة والتاريخ والاديان في الشرق، والشرق هنا كلمة لا تنحصر في الموقع الجغرافي، ولاتقتصر على جانب آسيا وبلاد الشرق العربية والاسلامية، بل تشمل أيضا مناطق واسعة في وسط افريقيا وشرقها وغربها.

صلة الاستشراق بالعالم العربي والاسلامي، يرجعها بعض المؤرخين الى عوامل مختلفة: منها احتكاك المسلمين بالرومان في غزوة «مؤته» ثم غزوة «تبوك»، ومنها الحروب الصليبية حين بدأ الاحتكاك السياسي والديني بين الاسلام والمسيحية الاوروبية في فلسطين، ومنها الحروب الدموية التي نشبت بين المسلمين في الاندلس ومسيحييها بعد استيلاء الفونسو السادس على طليطلة في سنة ٤٨٨ هجرية / ١٠٨٥م.

وهناك مؤرخون آخرون يرون أن نشأة الاستشراق جاءت لتلبي حاجة الغرب للرد على الاسلام ومعرفة أسباب القوة الدافعة لأبنائه حتى وصلوا الى أسوار فيينا، وآخرون يرجعون ذلك الى أن الاوروبيين المستعمرين لبعض البلدان العربية والاسلامية في الشرق الادنى والاوسط

* في بحث للدكتور اسحق موسى الحسيني جاء (لفظة استشرق ومشتقاتها مولدة، استعملها المحدثون من ترجمة Orientalism ثم استعملوا من الاسم فعلا فقالوا «استشرق» ويلاحظ ان «المستشرق» تطلق على دارس الشرق كله اقصاه ووسطه وادناه وعلى دارس لغاته وآدابه وحضاراته وأديانه ...).

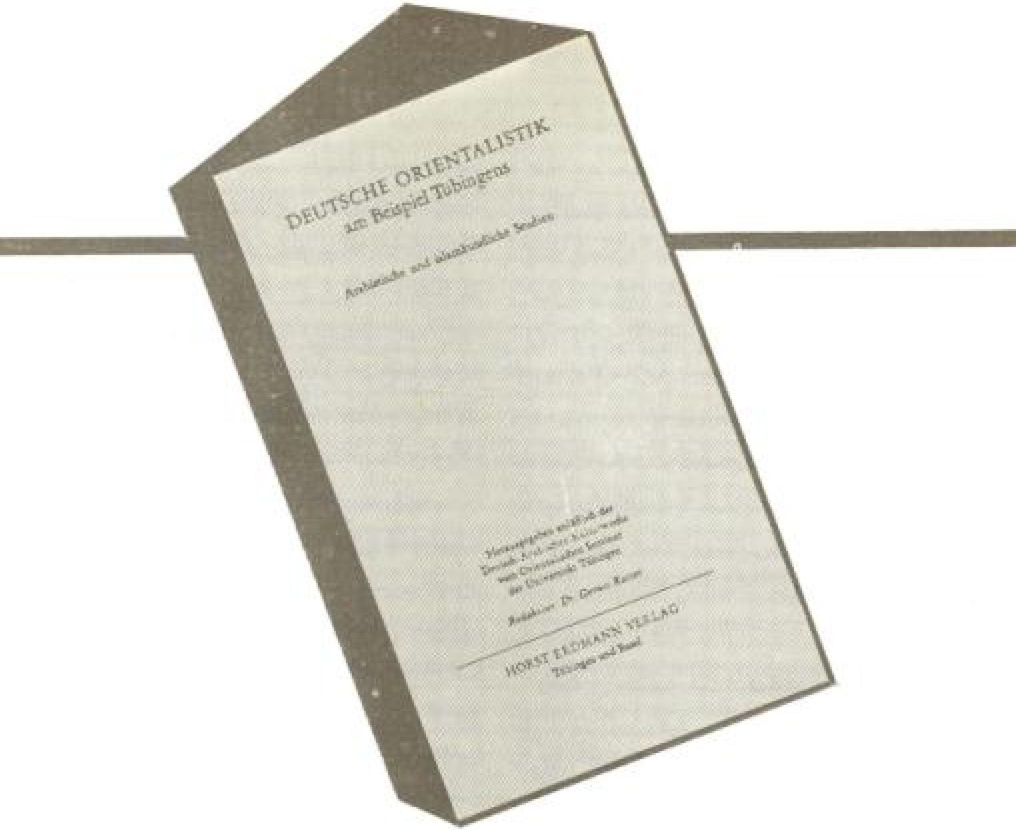

وشمال افريقيا وجنوب شرق آسيا كانوا في حاجة الى فهم عادات وتقاليد وأديان هذه الشعوب التي استعمروها لتوطيد سلطانهم وتثبيت سيطرتهم الاقتصادية عليها ، مما دفعهم الى تشجيع الاستشراق والعناية به في صور شتى وحث الجامعات الاوروبية على دراسته .

الا أنه من العسير تحديد الاستشراق بسنة معينة ، ومن الطبيعي أن يسترعي الاسلام نظر رجال الدين المسيحي منذ ظهر وانتشر ثم اتسع انتشاره في المشارق والمغارب . . فهناك نصوص من كتابات عالم اللاهوت « يوحنا الدمشقي » ترجع بداية الاهتمام المسيحي بالاسلام ودراسته الى نحو مائة سنة بعد ظهوره ، وبقيام الحروب الصليبية زاد اقبال رجال الدين المسيحي على دراسة الاسلام،وعني المسيحيون بوجه خاص بفلسفة الكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد، كما عنوا بترجمة القرآن الكريم والتعليق عليه . .

واعتنى علماء الكنيسة في أوروبا بدراسة اللغة العربية ، وكما تقول المستشرقة الالمانية أنا ماري شيمل : « لم يكن هدفهم علميا بل انهم أرادوا الرد على الاسلام على أساس تراجم لاتينية للقرآن ، وارشاد المسلمين بواسطة تراجم عربية للانجيل والكتب الاخرى أي أن غرضهم كان بعيدا عن تحقيق عادل ودراسة عملية »

حتى الحكايات والأساطير

وفي القرون الثلاثة الماضية اتسعت دائرة الاستشراق لتشمل كل ما له بالشرق صلة . . حتى الحكايات والاساطير والامثال الشعبية

والملابس التقليدية وطرائق العيش وغيرها يحللها ويحاول الربط بينها للوصول الى كنه نفسيات هذه الشعوب الشرقية ، وأصبح فرعا قائما بذاته في العديد من الجامعات الاوروبية حتى لاتكاد جامعة أوروبية تخلو الآن من قسم لهذه الدراسات . . وأنشئت له معاهد مستقلة ومراكز خاصة بدراسة كل مايتعلق بالاستشراق حول الدول العربية والاسلامية .

ومنذ منتصف القرن الحالي بدأ تصنيف الدراسات واعداد البحوث حول جهود الاستشراق ومعاهده بهدف اطلاع مواطني الدول الاوروبية التي تدعم دراسات المستشرقين على هذا المجال الواسع العريض ولكي تضع أمامهم ضوءا يوضح المنهج العلمي الذي ينبغي على الاوروبي أن يقيس به حضارة وثقافة وعقيدة غيره من الامم أو الشعوب .

وفي ألمانيا الاتحادية أكثر من ست عشرة جامعة في كل منها قسم للدراسات الشرقية تتابع على الدراسة فيها أجيال المستشرقين الذين منهم من يترك عمله الجامعي والتدريسي ويلتحق بوظائف عليا في مجالات الشئون الخارجية والعلاقات السياسية ، وهناك بالفعل عدد من سفراء ألمانيا ذوي المكانة في عدد من دول العالم الاسلامي والعربي هم من كبار المستشرقين والضالعين في علوم الاستشراق وخاصة مايحيط منها بمناطق عملهم .

ولو نظرنا الى هذه الجامعات الالمانية وصلتها بالدراسات الشرقية ، لجاءت جامعة (توبنجن) من بين أقدم هذه الجامعات التي اهتمت بهذه الدراسات . . اذ يرجع ذلك فيها الى ماينيف على خمسمائة سنة . . وأصبح القسم فيها (معهد الشرقيات) من أكبر الاقسام المماثلة . . وقد أصدر كتابا عن جهود هذه الجامعة في مجال الدراسات العربية والاسلامية ، يتكون من ١٤٠ صفحة ويضم أحد عشر بحثا في جميع جوانب الاستشراق فيما يخص الدراسات العربية والاسلامية ، وقد وضع هذه البحوث عدد من أساتذة الاستشراق الالمان الذين شاركوا أيضا في الدراسة أو التدريس في هذه الجامعة التي يزيد عمرها على خمسة قرون .

ألف ليلة وليلة !

وجاء في مقدمة هذا الكتاب « ان كلمات مثل : شرق ، وعرب ، واسلام تثير في مخيلة المواطن العادي شتى الخواطر ذات الاصول التاريخية والثقافية والسياسية ، فان أحداثا كمعركة بواتييه ، وحصار الاتراك لفيينا ، هي بالنسبة الى الاوروبي على درجة من الاهمية تضارع النزاع العربي الاسرائيلي وأزمة الطاقة ، ثم ان كتبا للشباب كبعض أعمال كارل ماي وأساطير ألف ليلة وليلة تركت في ذاكرة الالماني آثارا أعمق مما تركته دراسات المستشرقين ، أما في العالم العربي والاسلامي فقد استقبلت دراسات المستشرقين بشيء من الحذر الذي يمكن ارجاعه الى عوامل تاريخية وسياسية واقتصادية في الماضي والحاضر ، فلقد قاد الغرب المسيحي حربا صليبية طويلة في مشرق العالم الاسلامي ، ومحنة الاندلس في مغربه في العصور الوسطى ، ثم استعمر في العصور الحديثة أكثر أجزاء العالم العربي والاسلامي،وترك مشاكل اقتصادية وسياسية ما زالت هي أو آثارها باقية هنا وهناك حتى يومنا هذا . . ويهدف هذا الكتاب الى ازاحة الافكار المسبقة في مجال العلاقات بين

الشعبين العربي والالماني بما يستطيعه من اطلاع الالمان على مدى ثراء الدراسات الشرقية في الجامعات الالمانية وخاصة جامعة توبنجن لتكون في ذلك بداية تعاون أعمق بين الالمان والعرب في الدراسات والابحاث التي تهم الطرفين . »

وبالنظر الى أن الكتاب يركز على توضيح جهود الاستشراق في جامعة توبنجن فقد جاء أول بحوثه حول الدراسات العربية والاسلامية فيها ، وضعه الدكتور جرنوت روتر المولود في عام ١٩٤١ ودرس العلوم الاسلامية واللغات الافريقية ومقارنة الاديان في الجامعات الالمانية، وعمل فترة المعهد الالماني للابحاث الشرقية في بيروت ، وهو يضع في هذا البحث تأريخا سريعا لتطور قسم الدراسات الشرقية في هذه الجامعة فيقول - ان الاهتمام بدراسة اللغات الشرقية في جامعة توبنجن يكاد يشاركها في عمرها الطويل الذي يزيد الان على ٥٠٠ سنة ، وقد ظلت الدراسات الشرقية قرونا طويلة كمادة فرعية في دراسة علوم اللاهوت وكانت اللغة العبرية هي جوهرها ،وكان طبيعياً ألا يبدأ الاهتمام العلمي بالديانة الاسلامية وحضارتها الا بعد عهد التنوير ، بالرغم من أن غالبية شاغلي كرسي الاستاذية للدراسات العبرية الذي أنشىء في عام ١٥٢١ كانوا رجالا اهتموا أيضا باللغة العربية اهتماما لابأس به،ومن بينهم ويلهلم شيكارد الذي شغل ذلك المنصب في الفترة من عام ١٦١٩ الى ١٦٣٥ وكان قد تعمق في دراسة اللغة العربية وله بحوث عديدة في مجالاتها .

المكتبة العربية

ومع عصر التنوير بدأت في القرن الثامن عشر صورة جديدة للشرق أكسبت الدراسات العربية طفرة كبيرة أدت الى انفصالها عن علوم اللاهوت ، وكان ذلك في جامعة توبنجن على يد كريستيان شنورر (١٧٤٢ - ١٨٢٢) الذي تولى هذا القسم في عام ١٧٧٥ وظهر عمله الرئيسي في كتاب بعنوان (المكتبة العربية) تناول فيه وصف ٥٠٠ كتاب من الكتب العربية في أوروبا حتى آنذاك .

ثم توالى على القسم بعد ذلك مستشرقون لهم قدم راسخة في الدراسات العربية والاسلامية من بينهم البرت سوتسين (١٨٤٤ - ١٨٩٩) وكريستيان زابيولد ، واينوليتمان الذي رأس قسم الدراسات الشرقية في توبنجن لمدة ثلاثين عاما بدءا من عام ١٩٢١،وقام بترجمة ألف وليلة في ستة مجلدات ترجمة جمعت بين روعة الاسلوب ودقة اللغة ، وحصل في عام ١٩٥٠ على درجة الدكتوراة الفخرية من جامعة القاهرة،وصار عضوا في مجمع اللغة العربية .

ثم جاء بعده رودي باريت الذي تقاعد في عام١٩٦٨ « توفي في آخر يناير ١٩٨٣ عن احدى وثمانين سنة » وهو الذي ركز أبحاثه العلمية منذ وقت مبكر في مجالين من مجالات الثقافة العربية والاسلامية .الاول هو (الدراسات القرآنية) التي توج جهوده فيها بترجمة القرآن الكريم الى اللغة الالمانية ، ودراسة تحليلية للنص القرآني ، والثاني هو (الادب الشعبي العربي) .

وينتهي جرنوت روتر من بحثه الى القول بأن معهد الدراسات الشرقية في توبنجن يجابه مشاكل كثيرة مثل غيره من الاقسام المشابهة في الجامعات الالمانية نتجت غالبا عن الفصل بين مواد الدراسة وتقسيمها الى مواد صغيرة وأخرى كبيرة حيث يقاس حجم المادة بعدد طلابها

لابحجمها ، ولكن الاحداث السياسية والاقتصادية قد بينت أننا في مسيس الحاجة الى مجهود علمي أكثر تركيزا على دول الشرق الادنى والاوسط لانها أقرب المناطق الحضارية الينا .

أما البروفيسور رودي باريت الذي ورد اسمه قبل سطور والمولود في ١٩٠٢ فقد كتب بحثا بعنوان (البحوث القرآنية) يقول فيه ان الدراسات القرآنية من التخصصات التي توليها الدراسات الشرقية في جامعة توبنجن عناية بالغة .

دراسات في القرآن الكريم

ولقد كان القرآن الكريم ودراساته وبحوثه هي الشغل الشاغل لرودي باريت فله (محمد والقرآن) و (المرأة في العالم العربي والاسلامي في القرآن) و (حدود البحوث القرآنية) و (الرمزية في الاسلام) و (ترجمة القرآن) و (القرآن .. تعليق وفهرس) وهو - من منطلق هذا الاهتمام الظاهر - يقول : ان دراسة نصوص القرآن الكريم أمر طبيعي في كل الجامعات التي بها قسم للدراسات الشرقية،وأمام كل طالب يشترك في برنامج المبتدئين في اللغة العربية الفرصة في نهاية البرنامج أن يتعرف على نصوص مختارة من القرآن الكريم ، وعندما بدأت أنا شخصيا دراسة الدين المسيحي في العام الدراسي ١٩٢٠/ ١٩٢١ واتخذت اللغة العبرية منطلقا لتعلم اللغة العربية سرعان ماعقدت العزم على قراءة القرآن كله في لغته الأصلية ، وفي أقل من عام حققت ذلك الهدف مستعينا بقاموس عربي - فرنسي وبترجمة القرآن الصادرة عن ماكس هيننج ، الا أن محاولتي التعرف عن كثب على هذا الكتاب المقدس ذي المواضيع الصعبة بقيت سطحية .

ولم أتفرغ للبحث في القرآن الا بعد أن عكفت طويلا على دراسة وضع المرأة في العالم العربي والاسلامي مستخلصا من القرآن كل ما يتعلق بهذا الموضوع من نصوص ، وأوصلني ذلك الى أنه توجد فعلا ترجمات أوروبية كثيرة للقرآن الا أن تفصيلات معينة بالنص كانت اما مختلفة في الترجمات أو غير واضحة على الاطلاق ، وفي محاولتي لتوضيح هذه التفاصيل توصلت الى وجهة نظر أبعد من ذلك وهي أن الانسان عند محاولته الشرح لابد وأن يستجمع كل المعلومات الموضوعية والصيغ اللغوية الواردة في مواضع أخرى من القرآن وأن ينظمها ويراعيها عند التفسير وكان نتيجة ذلك وضع برنامج لترجمته ترجمة علمية جديدة .

وأخذ رودي باريت يدرس تفسير الطبري وتفسير الزمخشري وتفسير البيضاوي وكان في ذلك كما يقول : « وكنت في استعمالي لهذه الكتب بمادتها العلمية الغزيرة على غاية من الحرص والحذر ، على عكس المترجمين الالمان الذين نقلوا عن الاصول العربية بعض التفسيرات الغامضة وتبنوها ، فمن الواجب ترجمة النص بمعناه الأصلي كما انزل على النبي (صلى الله عليه وسلم) وكما أراد له أن يفهم » .

في الجزيرة العربية

وننتقل الى بحث آخر في هذا الكتاب وضعه والتر موللر من مواليد عام ١٩٣٣ وكانت أطروحته للدكتوراة في عام ١٩٦٨ في فقه اللغات السامية المقارن ، وتتركز دراساته على اللغة

السبئية (العربية الجنوبية القديمة) وقد جاء بحثه هذا تحت عنوان (لمحة عن الرسوم الصخرية والنقوش في جزيرة العرب) يقول فيه : يعتقد الكثيرون أن شبه الجزيرة العربية دخلت التاريخ بظهور الدين الاسلامي غير أنه لدى ذكر بلاد العرب قبل الاسلام يخطر على البال ما ورد عنها متفرقا في التوراة وما ذكره مؤلفو الاغريق والرومان ووجود شعراء سبقوا مجيء النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) ممن بلغ انتاجهم ذروة التطور بل تتوفر أيضا وثائق عديدة من شبه الجزيرة العربية نفسها تدل دلالة واضحة على سكانها الأوائل وطرق معيشتهم ، فقد عثر على المئات من الرسوم الصخرية التي بدأ البحث العلمي يعنى بها منذ عهد قريب والتي تمثل فترة ماقبل الكتابة ، أما بعدها وابتداء من الالف الأول قبل الميلاد ، فلدينا الآلاف من النقوش السامية الجنوبية التي أخذ عددها يتزايد في الفترة الأخيرة ، وتدل الآثار المكتشفة على أن الجزيرة العربية لم تكن خالية من السكان قبل ألفي سنة من الميلاد ، فالموجودات الاثارية المتوفرة تغطي كل فترات العصر الحجري الهامة ، فقد عثر في وسط المملكة العربية السعودية وفي جنوبها الغربي على رسوم يعود تاريخها الى الالف الخامس قبل الميلاد وتمثل هذه الرسوم صورا من حياة السكان في ذلك الوقت وملابسهم وأعمالهم وأسلحتهم وعاداتهم .

وبظهور الكتابة أخذت الرسوم في هذه المنطقة تقل بشكل ملحوظ ، وفي « الفترة الادبية » قبل الاسلام يكاد يكون كل ماوصلنا من رسوم على الصخور لا يخرج عن كونه نقوشا وقد قلت هي ايضا في العصر الاسلامي ، بينما كثر الوسم-تلك العلامة المميزة-للنسب والحسب عند البدو .

ويقول والتر موللر : ان أول من خلف الشواهد النقشية في شبه الجزيرة العربية هم السبئيون من عرب الجنوب،وكتاباتهم منقوشة في غاية من الدقة والعناية في لغة أطلق عليها اللغة العربية الجنوبية القديمة وهي لغة تنقسم الى لهجات مختلفة . . . تحمل كل لهجة منها اسم شعبها أو دولتها ، ولم يقتصر العثور على النقوش العربية القديمة على جنوب الجزيرة العربية فقط بل عثر على كثير منها أيضا في الشمال الغربي حول (ديدان) القديمة التي كانت تمثل مركزا هاما بعيدا على طريق البخور الشهير ، وكانت قد نشأت فيها مملكة خاصة بعد اضمحلال دولة (معين) التي حكمت المنطقة وقد ورد ذكرها في نقوش تسمى النقوش الديدانية وهي ذات حروف تشبه حروف المسند الى حد كبير ، وأعقبت النقوش الديدانية نقوش لحيانية من زمن ملوك لحيان الذين حكموا هناك قرنا ونصف قرن من الزمان .

وفي القرن الأول قبل الميلاد استولى الشعب التجاري المقيم شمالا (النبطيون) على واحة ديدان وخلفوا لنا في مدينة(الحجر) وما حولها عديدا من النقوش كتبت بالخط الآرامي ، والنصوص الآرامية جاءت من تيماء الواقعة شمال شرقي ديدان ، كما وجدت هناك أيضا نقوش قديمة تحمل نمط الخط نفسه للمنطقة ولذلك عرفت بالنقوش التيمائية .

ولقد وصل الينا نقش وجد في النمارة على قبر امريء القيس المتوفى في عام ٣٢٨ بعد الميلاد والمنعوت بملك العرب كلها ، وهو نقش ذو شكل كتابي يعتبر مرحلة الانتقال الى الكتابة العربية المعهودة في النصوص المبكرة ، ولغته-

ولا ريب ـ هي اللغة العربية الشمالية وبذلك يعد أقدم نص معروف حتى الآن كتب باللغة العربية اللغة التي نشرها الاسلام وتبوأت به مكانها المرموق في المعمورة منذ ذلك الحين .

الكتب العربية

أما عن رعاية الدراسات العربية في مكتبة جامعة توبنجن فيكتب عنها إميل كوميرر يقول « لقد شكلت الكتب العربية منذ زمن بعيد أحد المعالم الهامة لهذه المكتبة،فهي تمتلك مثلا كتاب (القانون) لابن سينا وهي النسخة التي ظهرت في مطبعة الكاردينال فرديناند فون فيديتش عام ١٥٩٣ في روما،ويوجد فيها أيضا جزء كبير من المؤلفات التي طبعها (ابراهم متفرق) في القرن الثامن عشر والتي يمكن اعتبارها أول مطبوعات في الشرق . . والمكتبة الآن تحوي ١٣٠ ألف مجلد في مختلف وجوه الدراسات الشرقية منها ما يتراوح بين ٧٠ ـ ٨٠ الف كتاب تختص بالثقافة والأدب العربي .

ولما كان موضوع استكشاف المخطوطات واستيعابها أمرا ضروريا للغاية فقد كشف العقدان الماضيان عن عدد من المؤلفات العربية التي لم تكن معروفة أو ظلت في سباتها العميق مكدسة في مكتبات الشرق أو مكتبات اوروبا وامريكا ، يفاجأ العالم كل عام بما يصدر من المؤلفات القديمة التي ساد الاعتقاد بانها مفقودة ، وكل عام تتغير تبعا لذلك فكرتنا عن الثقافة العربية ، ولقد توفر للمكتبة في توبنجن جهاز الفهرسة البيليوجرافي وهو يتكون من الفهارس المطبوعة للمكتبات الكبيرة المتخصصة في الدراسات الشرقية كلها ومنها فهرس الكتب العربية بالمتحف البريطاني ، وفهرس المكتبة لفرع الدراسات الشرقية والافريقية بجامعة لندن ، وفهرس مكتبة معهد الدراسات الشرقية بجامعة شيكاجو ، وفهرس الموسوعات لمجموعة المؤلفات الشرقية في مكتبة نيويورك العامة وفهرس المواد العربية والفارسية والتركية في جامعة هارفارد وفهرس اتحاد المطبوعات الآسيوية .

وفيما يختص بالمخطوطات العربية فان المكتبة في توبنجن تباهي بأنها تمتلك في هذا المجال ما يحتل المكانة الثالثة من ناحية الحجم بعد مثيلاتها في (المكتبة البروسية في برلين) ومكتبة الدولة في ميونيخ . . ففيها اقدم مخطوط لكتاب (فضائل القرآن) تأليف ابي عبيد القاسم بن سلام وهو مخطوط يرجع الى عام ٥٦١ هجرية ١١٦٦ ميلادية ، ومخطوط (سمط اللآلىء) لابي عبيد البكري وهو عبارة عن تعليق على أمالي ابي على القالي وكتاب نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب من وضع الفقيه الاندلسي علي بن موسى ابن سعيد .

وتتوالى باقي بحوث هذا الكتاب وهي تقدم للقارىء الالماني معلومات وافرة في مجالاتها مثل (بحث اطلس توبنجن عن الشرق الادنى) للبروفيسور هاينس هالم ، وبحث (بدايات علم الكلام في الاسلام) لمؤلفه يوسف فان اس ، وصيغ التاريخ العربي الاولى للبروفيسور جرنوت روتر ، ومعجم اللغة العربية الفصحى للبروفيسور مانفريد اولمان ، وتاريخ العلوم العربية الذي وضعه ثلاثة من الاساتذة هم فريدمان ريكس ، وماتياس شرام ، مانفريد اولمان ، ونصوص غنوصية ومانوية في مصر بقلم الكسندر بوليج وغيرها . □□

من مكتبة العربي

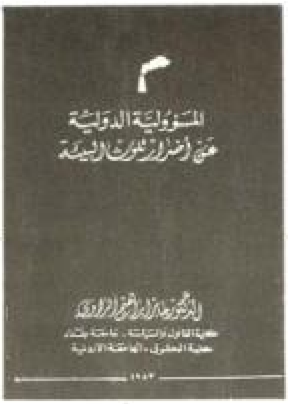

المسؤولية الدولية عن أضرار تلوث البيئة

* المؤلف : د . جابر ابراهيم الراوي
* الناشر : كلية القانون والسياسة - جامعة بغداد .
وكلية الحقوق - الجامعة الأردنية .
* سنة النشر : ١٩٨٣م

أطلق على القرن التاسع عشر اسم قرن الثورة الصناعية ، ومنذ ذلك الحين ازدادت وتنوعت حركة استغلال المصادر الطبيعية . وقد رافق ذلك زيادة في عدد السكان وارتفاع مستوى المعيشة وزيادة الطاقة الانتاجية في الزراعة والصناعة وغيرهما من مجالات الانتاج . وازدادت أيضا فرص التقدم العلمي والتكنولوجي في مجال استخدام الطاقة النووية .

وكان لذلك ثمن أخذت البشرية تدفعه تدريجيا ، فتهددت الكائنات الحية بالفناء نتيجة للتلوث ، وأصبح الأمن وتطور العلاقات الطبيعية بين الدول عرضة لأخطار كثيرة .

وقد تابع الكاتب في فصول كتابه المسؤوليات الدولية والقانونية المتعلقة بالتلوث برا وبحرا وجوا .

وجاء في تعريفه للبيئة ما يلي : (هي المحيط الذي تعيش فيه الكائنات الحية - الانسان والحيوان والنبات - ويتكون هذا المحيط من عناصر الماء والهواء والتربة) .

وعرّف التلوث: بأنه (كل تغيير ينتج عن تدخل الانسان في أنظمة البيئة ويسبب ضررا بشكل مباشر وغير مباشر للكائنات الحية ويشمل تلوث الهواء والماء والتربة والغذاء) .

وقد ضمن الكاتب في بعض فصول كتابه جوانب من التشريعات والقوانين وتوصيات المؤتمرات التي عُقدت لدراسة أسباب تلوث البيئة والأخطار الناتجة عنها

حقيقة غرف الغاز النازية

* الكاتب : روبير فوريسون .
* ترجمة : د . عيسى الناعوري .
* اصدار : دار الكرمل - عمان - الأردن .
* سنة النشر : ١٩٨٣م .

يقول الكاتب الفرنسي فوريسون في نهاية المقابلة الطويلة التي أجريت معه وتحولت الى كتاب :

« فلنفتح عيوننا على ما فعلته بنا وسائل الاعلام ، ولنكشف القناع عما تحاول السلطة أن تخفيه في كل حقل » .

فما الذي تم تزييفه وما الذي تم اخفاؤه ؟؟
انها « غرف الغاز النازية »

يقول الكاتب : « مسؤولية الوسائل الاعلامية في كل هذا

كانت ساحقة . فخلال خمسة وثلاثين عاما ، وفي القارات الخمس ، ظلت تعرض خرافة « قتل الجنس » و « غرف الغاز » كأنها حقيقة واقعة . وهكذا سيق الى الخديعة مليارات من البشر » .

ويضيف في مكان آخر :

« لقد وجدت معسكرات الاعتقال الألمانية فعلا ، ولكن كما يعلم الجميع جيدا ، لم يكن هذا شيئا خاصا بالالمان وحدهم . حتى أفران حرق الجثث وجدت في بعض المعسكرات غير أن الحرق ليس شيئا أخطر ولا أكثر اجراما من الدفن ، بل لقد كانت افران الحرق وسيلة تقدمية ، أفضل من سواها من الوجهة الصحية للتخلص من الأوبئة التي انتشرت اثناء الحرب » .

وحول عدد من ماتوا في معسكر الاعتقال (اوشويتس) قال فوريسون : « لدي أسباب كثيرة تجعلني أظن أن عدد من ماتوا في (أوشويتس) من اليهود وغيرهم كان قرابة ٥٠ ألفا فقط ، وليس ٤ ملايين ، مثلما ظلوا يزعمون طويلا . قبل أن ينكمش الرقم الى مليون واحد ، كما يفعل الآن معهد التاريخ المعاصر في ميونيخ .

وأما عدد الموتى في جميع معسكرات الاعتقال من سنة ١٩٣٣ وسنة ١٩٣٤ الى سنة ١٩٤٥ فأظن أنه كان ٢٠٠ ألف أو على الأكثر ٣٦٠ ألفا » !

فهل فوريسون هو المصيب ، أم أجهزة الاعلام الصهيونية والمؤيدة لها ؟

المسرح في الكويت
مقالات ووثائق

* الكاتب : خالد سعود الزيد .

الناشر : شركة الربيعان ـ الكويت .

سنة النشر : ١٩٨٣م .

يجمع معظم الذين أرخوا لنشأة المسرح حسب شكله الحديث في الوطن العربي الى أن بدايته كانت في مصر وبلاد الشام منذ منتصف القرن التاسع عشر . تأثرا بالمسرح الاوروبي .

وقد ظهرت عدة كتب وأبحاث أرخت وسجلت أهم التطورات والأطوار التي دخلت على هذا الفن « الوافد » .

أما في منطقة الخليج العربي ، فان المدارس بصورتها الحديثة هي التي احتضنت هذا الفن ، منذ عشرينيات هذا القرن .

ويؤكد الكاتب خالد سعود الزيد الى ان بداية النشاط المسرحي في الكويت كان من سنة ١٩٢٢ .

ومن ثم يتابع في فصول كتابه تفصيلات الأطوار التي مر بها ، والعروض التي قدمت ، والرجالات الذين لعبوا أدوارا مهمة في هذا المجال .

ويضمن كتابه الوثائق والنصوص والمراسلات المتعلقة بهذا النشاط .

في التنمية العربية

* الكاتب : د . اسماعيل صبري عبدالله .
* اصدار : دار الوحدة ـ بيروت .
* سنة الصدور : ١٩٨٣م .

تأسيسا على معايشة تجارب التنمية في العالم وخاصة في وطننا العربي عبر ما يزيد على ربع قرن ـ يسجل الكاتب اقتناعه بوضوح :

« ان تنمية أي قطر عربي لن تكتمل ولن تسير حثيثا الا في اطار تنمية قومية شاملة » .

ويقول في صفحة أخرى من الكتاب :

« التخلف في حقيقته تنمية معوجة متوجهة في الأساس نحو الخارج ، لا تشمل المجتمع كله بخيرها ، وتطمس شخصيته الحضارية بدل أن تؤكدها ، ومن ثم استقر الفكر

التنموي الحديث على أن التنمية عملية حضارية شاملة ، يشكل النمو الاقتصادي أحد مقوماتها التي لا غنى عنها ، ولكنه ليس العنصر الوحيد .

وترتب على هذا المفهوم الجديد الواسع للتنمية رفض فكرة أن لها نموذجا وحيدا أو عددا محدودا من النماذج المتكاملة نظريا ، والمعدة سلفا والتي يتعين الاختيار بينها ، وانما على العكس من ذلك ، يتعين على كل بلد أو مجموعة من البلدان ذات حضارة مشتركة أن ترسم لنفسها صورة واضحة المعالم للحياة التي تريد .

وعندئذ لابد أن تقوم التنمية على سياسة الاعتماد على النفس لاستثمار طاقات كل أفراد المجتمع ، وأن تتجه نحو اشباع حاجاتهم الأساسية ، وتأكيد الشخصية الحضارية المتميزة .

ويخلص المؤلف الى نتيجة مؤداها :

« ان التنمية هي مشروع اقامة مجتمع أفضل لأبنائه في ضوء قيمهم الحضارية » .

ابن تيمية ـ الفقيه المعذب

* الكاتب : عبدالرحمن الشرقاوي
الناشر : دار الموقف العربي ـ القاهرة
* سنة النشر : ١٩٨٣م .

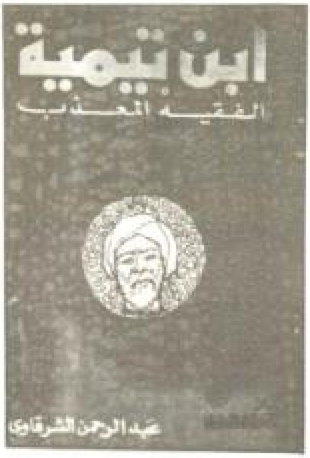

في عصر سادته الفوضى ، وتفكك الأقطار والأقاليم العربية والاسلامية .

وفي عصر زرع فيه التتار الرعب ، ومارسوا الاحتلال والبطش والتدمير .

في ظل هذه الظروف ولد أحمد تقي الدين بن تيمية في مدينة حران في سوريا ، وكان من الطبيعي أن يتأثر تأثرا شديدا بالحال التي وصل اليها الناس .

فعاش (حياة منتفضة متوترة من المعارك المتصلة ، حارب فيها بالقلم وباللسان ، وحتى بالسيف نفسه .

كانت معاركه تهدأ في بعض الأحيان ، ولكنها لم تنقطع قط ، وهي اذا توقفت ، أثارها هو بنفسه من خلال رأي يخالف به ما ألفه الناس ، أو حدّة يصدم بها أحد مجادليه ، أو حملة يشنها على ما يراه بدعة أو مخالفا للسنة .

وما أكثر ما شاعت البدع والخروج على السنة في ذلك الزمان) .

وقد تتبع الكاتب حياة الفقيه ابن تيمية ، والمعارك التي أثارها ، والظروف التي حتمت عليه اصدار بعض الفتاوى .

وقد كتب الشرقاوي كتابه هذا بأسلوب أدبي جمع فيه بين متابعة السيرة التاريخية وأضفى عليها أسلوبا قصصيا وضع فيها اجتهاده ورؤاه وتحليله الخاص للأحداث .

وقد أورد هذه الفقرة عمّا كان يتوارد في ذهن الفقيه :

(ما جدوى العلم ، والفقه ، وكل الكلمات ، ان لم تستطع أن تنتشل الانسان ، وتحمي شرف الحياة ؟ ماجدوى كل شيء ان كان الذعر يطارد الأمن ، والباطل يغشى الحق بدخان البارود والبهتان ؟؟) .

المسابقة الثقافية

رقم ٣٠٥

ابريل ١٩٨٤

أسئلة هذه المسابقة سهلة للغاية .. وأملنا كبير في أن توفقوا بموافاتنا بالردود الصحيحة .. وأن يحالفكم الحظ فتفوزوا باحدى الجوائز النقدية المجزية.

والمطلوب منك ان تجيب على عشرة أسئلة اجابة صحيحة لكي تكون في عداد المرشحين للفوز بجائزة ..

ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي ـ صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العربي الثقافية » العدد ٣٠٥ ـ وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو أول يونيو ١٩٨٤

***

من هو ..؟

١ ـ الصوفي المسلم الذي جلد وعذب وصلب سنة ٩٢٢ م .

٢ ـ العالم العربي الذي حاول التحكم بفيضان النيل ، وذلك في عهد الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله ؟

٣ ـ مؤلف قصة حي بن يقظان .. ؟

٤ ـ الفيلسوف العربي الذي يظهر في احدى لوحات رفائيل الشهيرة .. لوحة مدرسة أثينا بالتحديد .. ؟

٥ ـ الفنان الأوروبي الذي قطع أذنه بيده .. ؟

جوائز العربي لقرائها أكثر من
ألفي دينار سنويا

جوائز المسابقة

الجائزة الأولى	٥٠	دينارا
الجائزة الثانية	٣٠	دينارا
الجائزة الثالثة	٢٠	دينارا

و ٨ جوائز تشجيعية قيمة كل منها ١٠ دنانير

٦ ـ الأديب البريطاني الذي ألف كتابا بعنوان « الأبطال » والذي قدم فيه الرسول العربي محمد عليه الصلاة والسلام على سائر أبطال التاريخ . . ؟

٧ ـ البطل الذي كان له الفضل الأكبر في تحرير عدد من دول أمريكا الجنوبية . ؟

٨ ـ مؤلف كتاب « الربوبية » الذي كان له أثر واسع في تاريخ الفلسفة الاسلامية . . علما بأن الكتاب المذكور كان مترجما ، وأن الكتاب والفلاسفة المسلمين نسبوه الى أرسطو خطأ . . !

٩ ـ الفيلسوف اليوناني الذي وقع أسيرا في قبضة القراصنة ، والذي لم يطلق سراحه الا بعد أن قبض القراصنة فدية مجزية . .

١٠ ـ الخليفة الذي زج بالامام أحمد بن حنبل في السجن بتهمة الزندقة . . ؟

١١ ـ الفنان الذي رسم لوحة الموناليزا ؟ ومن هو الفنان الذي رسم لوحة الجوكندا . . ؟

١٢ ـ مؤلف كتاب « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » . .

كوبون مسابقة
العدد ٣٠٥

« الشطرنج رياضة ذهنية راقية ،
والرياضة أدب ورجولة وأخلاق »

الوصايا العشر في الشطرنج

أناتولي كاربوف
بطل العالم الحالي للشطرنج

تقسّم أدوار الشطرنج في العادة إلى مراحل ثلاث : الأوائل أو الافتتاحات ، أواسط اللعب ثم الأواخر أو النهايات . ولكل من هذه المراحل استراتيجيتها وخططها . . . والوصايا العشر التالية - وإن بدت بديهية للاعب المتمرس - ذات أهمية كبرى ، ويجدر باللاعب الحريص على الرقي بمستوى لعبه أن يضعها دوما نصْب عينيه .

في أوائل الأدوار :

١ - سارع بنشر قطعك مبتدئا بالأفراس والأفيال ثم عجل بالتبييت لتحصين ملكك وابعاده عن مواطن الخطر .

٢ - لا تسرع بالخروج بوزيرك وإلا أصبح عرضة لهجوم القطع الصغرى للخصم .

٣ - ابتعد عن نقل القطعة الواحدة أكثر من مرة ، ففي هذا هدر لنقلات ثمينة أنت بحاجة إليها لمزيد من التوسع والانتشار .

في أواسط اللعب :

بعد أن نشرت قطعك وحصنت ملكك أصبحت الآن

مهيئا لمناورات واشتباكات أواسط اللعب . . . . وهنا عليك ان تهتم بما يلي :

٤ ـ أحطْ ملكك بحماية جيدة وحاذر من تحريك البيادق القريبة منه دون مبرر وإلا فانك تضعف مركزه وتمهد الطريق أمام خصمك لمهاجمته .

٥ ـ حاول أن تنشر قطعك بحيث تسيطر على أكبر عدد من المربعات خاصة مربعات الوسط والمربعات القريبة من ملك الخصم .

٦ ـ إذا أردت حماية إحدى قطعك فاحمها بقطعة صغيرة ، تقلّ عنها قيمة وإلا عرضتها للخطر هي الأخرى .

٧ ـ العب بحماسة ودون تراخ . . . ولكن لكل نقلة تنقلها هدف واضح ، أما في حالة التردد فاعمل على تحسين وضع قطعك بنقلها قريبا من الوسط أو من المربعات التي تحيط بملك الخصم .

في المراحل الأخيرة عندما تصبح القطع قليلة على الرقعة :

٨ ـ تقدم ببيادقك تمهيدا لترقيتها .

٩ ـ استخدم ملكك كقطعة مهاجمة ، فعندما تقلّ القطع يصبح الملك أقل عرضة لأخطار الهجوم المفاجيء ويصبح دوره ايجابيا .

في جميع مراحل اللعب :

١٠ ـ حاول تكسير أو مبادلة القطع عندما تكون متقدما على خصمك وابتعد عن المبادلة أو التكسير في حال تقدم خصمك عليك . . . أما إذا كان وضعك سيئا وليس أمامك سوى السعي للحصول على التعادل او الباطة فحاول تكسير بيادق خصمك كي تحرمه من فرصة الترقية .

مسألة (١٦)

الأبيض يلعب ويكش مات بنقلتين

آخر موعد لوصول الحل هو اول شهر يونيو (١٩٨٤)

حل المسألة ١٤ عدد فبراير ١٩٨٤

الحل : ١ . ح ـ ٦ و ++   م ـ ١ و

٢ . و ـ ١ م +   ر أو ح × و

٣ . ح ـ ٧ ف ≠

الحل بالطريقة الجبرية :

١ . ح ـ د ٦ ++   م ـ د ٨

٢ . و ـ هـ ٨ +   ر × هـ ٨

٣ . ح ـ و ٧ ≠

ركوة القهوة

شعر : وديع ديب

وركوة[1] لأبي مازلت أذخرها — كأنما هِيَ مني حجّة الحَسب
يا سحرها وهى فوق الجمر هازجة — تروى حديث الندى فى ساحة اللّهب
أيام يتلو على السّمار ساكبها — حكاية الجاه فى الماضى من الحقب
اذ المكارم ما قدمت من بلس[2] — للسّامرين وما أضرمت من حطب
وما يطوف به السّاقى على علل — من قهوة هي ذوْب الليل والشهب
واذ نداماك مزهوّ ومفتخر — وكلهم سيّد من سادة العرب
يروون ما كان من عزّ ومن كرم — ويُلبسون « الحكايا » بردة الأدب

---

(١) الركوة : الاناء الذى تصنع فيه القهوة (العربي)

(٢) البلس كـبب (التين) أو ثمر يشبهة (العربي)

سلسلة ثقافية
تصدرها فى مطلع كل شهر

أول ابريل ١٩٨٤

١٧٥

الغابة

تأليف : الكسندر استروفسكى
ترجمة وتقديم : د. مكارم الغمري
مراجعة : د. سمية عفيفي

عالم المعرفة
سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

ابريل ١٩٨٤ م

الموت
في الفكر الغربي

تأليف : جاك شورون
ترجمة : كامل يوسف حسين
مراجعة وتقديم : د. إمام عبدالفتاح إمام

٥٠٠ فلس
الكتاب السادس والسبعون

المراسلات :
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

في مرحلة ما.. سوف تخرج الأمور من بين يديك

عندما تغادر بضائعك ميناء الشحن في طريقها إليك، ستبقى قلقاً حتى تصلك بأمان وفي الوقت المحدد.
ولكن باستطاعتك أن تريح نفسك من عناء التفكير والقلق عندما تعتمد في شحن بضائعك على شركة الملاحة العربية المتحدة التي تؤمن لك وصول بضائعك سالمة وتوليها الاهتمام الكبير والمسئولية الكاملة.
إن شركة الملاحة العربية المتحدة، الشركة الوطنية لدول الخليج العربي قد وضعت في اعتبارها أن تحوز على ثقتك واعتمادك لها كي تحقق لك الراحة والاطمئنان.

اطمئن .. ودع الأمور لنا

U.A.S.C.

شركة الملاحة العربية المتحدة ش.م.ع

الكويت: الادارة العامة، ص.ب ٣٦٣٦ صفاة، تلكس ٢٢٠١٨/٢٢١٧٦ - الامارات العربية المتحدة: دبي ص.ب ٢٢٧٨ تلكس ٤٥٩٤ - البحرين: المنامة ص.ب ٥٣٦٧ تلكس ٩٠٤٩
المملكة العربية السعودية: الدمام، ص.ب ٥٦٣ تلكس ٦٠١٣٢١ - العراق: بغداد ص.ب ٥٩٤٢ تلكس ٢٦٩٦ - قطر: الدوحة ص.ب ٦٦٣٦ تلكس ٤٤١٦ - الأردن: عمان ص.ب ٥٨٥٩ تلكس ٢١٥٣٣

تصدرها
جامعة
الكويت

مجلة العلوم الاجتماعية

مجلة فصلية أكاديمية تعنى بنشر الأبحاث والدراسات في مختلف حقول العلوم الاجتماعية.

رئيس التحرير: د. خلدون حسن النقيب
مدير التحرير: عبد الرحمن فايز المصري

منبر بارز للأكاديميين العرب.
توزع أكثر من (٨٠٠٠) نسخة.

الاشتراكات

للمؤسسات: ١٢ ديناراً في الكويت.
٤٥ دولاراً أمريكياً في الخارج
للأفراد: ٢ دينار في الكويت، ١ دينار للطلاب
٢,٥ دينار أو ما يعادلها في الوطن العربي.

١٥ دولاراً أمريكياً في الخارج.

الموزع في الكويت والخارج: مجلة العلوم الاجتماعية

توجه جميع المراسلات الى: رئيس التحرير
مجلة العلوم الاجتماعية. جامعة الكويت ص.ب ٥٤٨٦ صفاة. الكويت
هاتف: ٢٥٤٩٤٢١ مباشر، ٢٥١٠١٨٨ / ٣٧٣ / ٢٥٠ تلكس ٢٦١٦ كويت

المجلة العربية للعلوم الإنسانية

مجلة فصلية محكمة ، تقدم البحوث الاصيلة والدراسات الميدانية والتطبيقية في شتى فروع العلوم الانسانية والاجتماعية باللغتين العربية والانجليزية .

تصدر عن جامعة الكويت

صدر العدد الأول في يناير ١٩٨١

رئيس التحرير د. عبدالله العتيبي

مدير التحرير عبدالعزيز السيد

- تتناول المجلة الجوانب المختلفة للعلوم الانسانية والاجتماعية بما يخدم القاريء والمثقف والمتخصص .
- تعالج موضوعات المجلة الميادين التالية :

  اللغويات النظرية والتطبيقية – الآداب والآداب المقارنة – الدراسات الفلسفية الدراسات النفسية – الدراسات الاجتماعية المتصلة بالعلوم الانسانية – الدراسات التاريخية – الدراسات الجغرافية – الدراسات التربوية – الدراسات حول الفنون (الموسيقى – التراث الشعبي – الفنون التشكيلية – النحت ... الخ) – الدراسات الاثارية (الاركيولوجية) .
- تقدم المجلة معالجاتها من خلال نشر :

  البحوث والدراسات – مراجعات الكتب – التقارير العلمية – المناقشات الفكرية .
- مواعيد صدور المجلة : كانون ثاني – نيسان – تموز – تشرين أول .
- تنشر المجلة ملخصات للبحوث العربية بالانجليزية ، وملخصات بالعربية للبحوث الانجليزية .

ثمن العدد : للأفراد ٤٠٠ فلس
للطلاب ٢٠٠ فلس

الاشتراكات السنوية

	داخل الكويت	في الخارج
– للمؤسسات	١٠ د.ك.	٤٠ دولاراً أمريكيا
– للأفراد	٢ د.ك.	١٥ دولاراً أمريكيا
– للاساتذة والطلاب	١ د.ك.	١٠ دولارات أمريكية

- تقبل الاشتراكات في المجلة لمدة سنة أو عدة سنوات
- قواعد النشر تطلب من رئيس التحرير .
- جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير :–

ص.ب : ٢٦٥٨٥ (الصفاة)

الكويت – الشويخ – ت : ٨٢١٦٣٩ – ٨١٧٦٨٩ – ٨١٥٤٥٣

مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية

تصدر عن جامعة الكويت

رئيس التحرير

الدكتور عبد الله الغنيم

صدر العدد الأول في كانون ثاني (يناير) ١٩٧٥

تصل أعدادها الى أيدي نحو ١٢٥٫٠٠٠ قارئ

يحتوي كل عدد على حوالي ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير تشتمل على : —

مجموعة من الأبحاث تعالج الشئون المختلفة للمنطقة بأقلام عدد من كبار الكتاب المتخصصين في هذه الشئون

عدد من المراجعات لطائفة من أهم الكتب التي تبحث في النواحي المختلفة للمنطقة .

أبواب ثابتة : تقارير — وثائق — يوميات — ببليوجرافيا .

ملخصات للأبحاث باللغة الانجليزية .

ثمن العدد : [illegible] ٠٠ فلس كويتي أو ما يعادلها في الخارج .

الاشتراكات : للأفراد سنويا [illegible] دينار كويتي في الكويت ، ١٥ دولارا أمريكيا في الخارج (بالبريد الجوي)

للشركات والمؤسسات والدوائر الرسمية : ١٢ دينارا كويتيا في الكويت ، ٤٠ دولارا أمريكيا في الخارج (بالبريد الجوي)

منشورات المجلة :

تصدر المجلة أيضا دراسات مستقلة متعلقة بشئون المنطقة صدر منها :

١ — كتاب التكامل الاقتصادي في الخليج العربي (د . محمد هشام خواجكية) . ١٩٧٩ .

٢ — كتاب آفاق التنمية الصناعية في دول الخليج العربي (د . عبد الاله أبو عياش) . ١٩٧٩ .

٣ — كتاب حقوق الطفل في دولة الكويت (د . بدرية العوضي) . ١٩٧٩ .

٤ — كتاب الاحصاءات الاقتصادية في المملكة العربية السعودية (بدوي خليل) ١٩٨٠ .

٥ — دور جريدة فتاة الجزيرة في أحداث عام ١٩٤٨ بصنعاء (سلطان ناجي) ١٩٨٠ .

سلسلة وثائق الخليج والجزيرة العربية لعام صدر منها

الكتاب الأول : وثائق الخليج والجزيرة العربية لعام ١٩٧٧ . ١٩٧٩ .

العنوان : جامعة الكويت — كلية الآداب والتربية — الشويخ — دولة الكويت .

ص . ب : ١٧٠٧٣ — الخالدية

الهاتف : ٨١٦٨٠٧ — ٨١٦٧٩٩ — ٨١٦٨٢

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير .

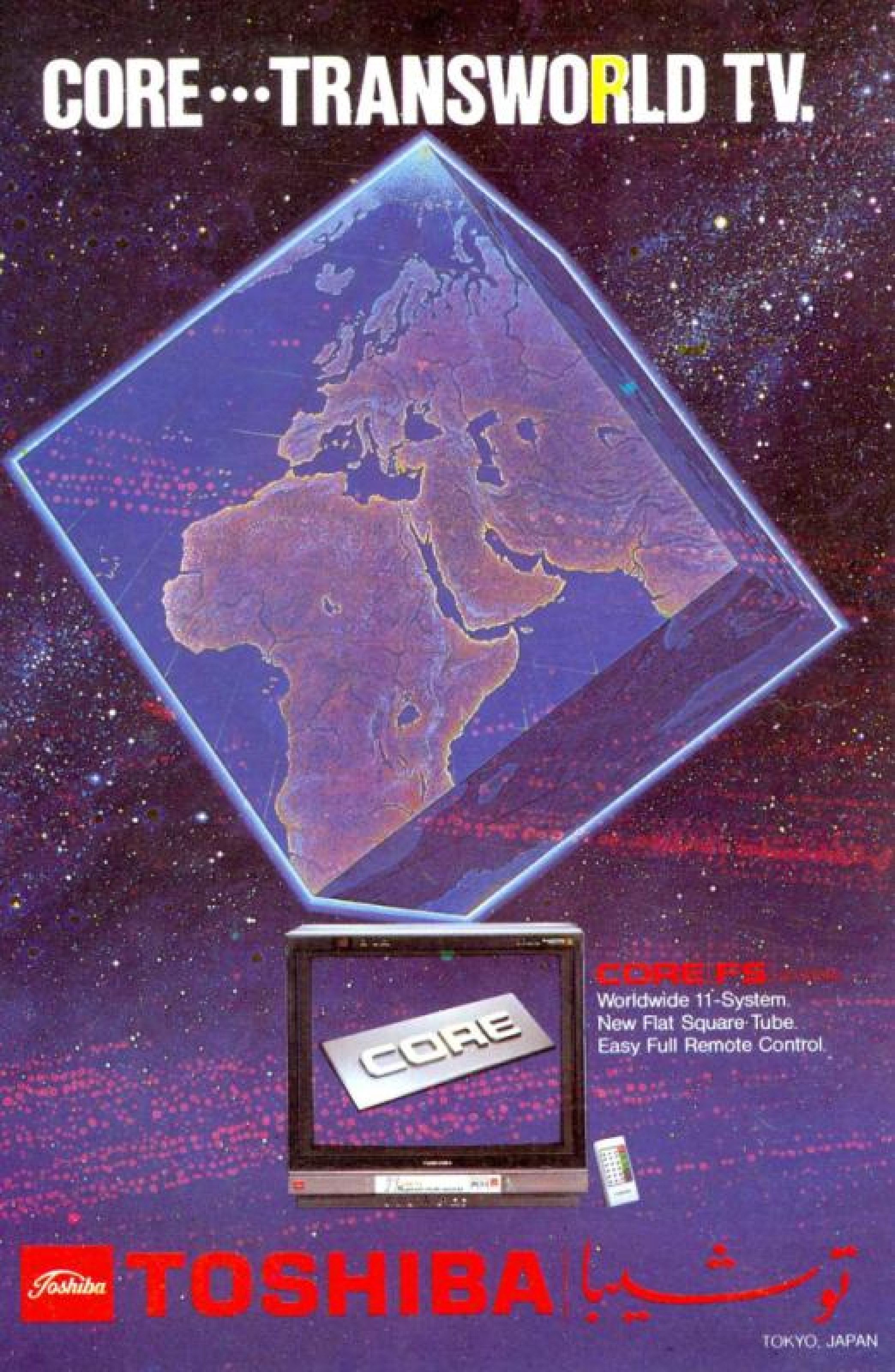

CORE···TRANSWORLD T.V.
CORE
CORE FS
Worldwide 11-System.
New Flat Square Tube.
Easy Full Remote Control.
Toshiba
TOSHIBA
توشيبا
TOKYO, JAPAN

▫ طفولــة ▫ إقرأ "لوحة وفنان" داخل العدد

شعبان ١٤٠٤ هـ - مايو «أيار» ١٩٨٤

العربي

الأيدي تصنع التراث في تونس

- الديمقراطية .. نظرة جديدة
- صرخة ١٥٠ مليون طفل عامل
- عالم الغد .. طاقة من الشمس

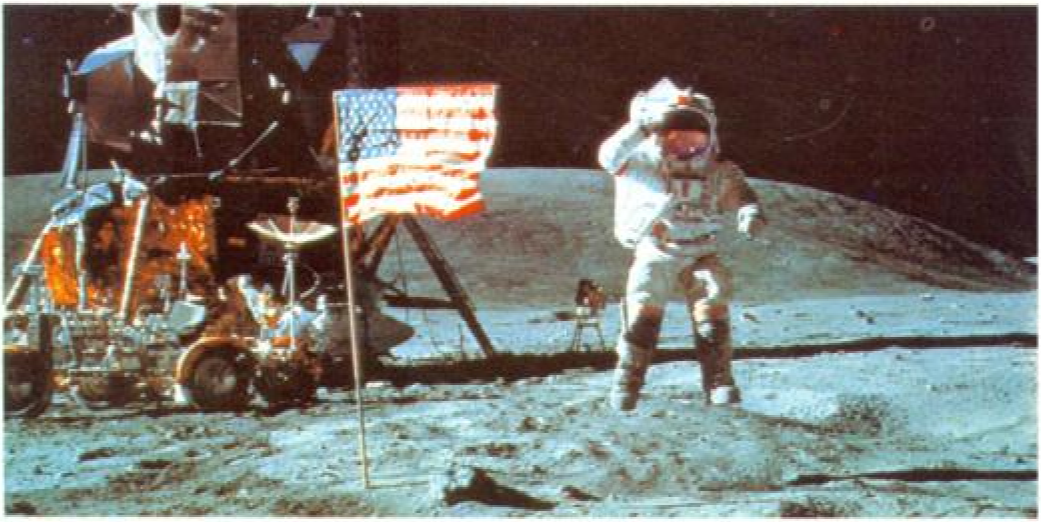

خطوات الإنسان الأولى على القمر: ٢١ يوليو ١٩٦٩

الأفكار العظيمة من أمريكا تتواصل مع فيشر.

فكرة عظيمة اخرى من امريكا، إبتدأها رجل إسمه افيري فيشر في عام ١٩٣٧ عندما قدم للعالم اول جهاز نظام هاي فاي، وفي السنين اللاحقة قدم عدة اختراعات سباقة للعالم: اول جهاز استقبال ستريو AM/ FM، أول نجاح تطبيقي لموتور جهاز الاسطوانات يعتمد الحركة الخطية، أول مخروط معدني بثقوب، نظام مكبرات صوت ٣ إتجاهات والعديد من التطورات الاخرى السباقة.

ان إسم فيشر كوربوريشن اليوم هو واحد من الارفع مكانة في مجال الأجهزة السمعية المرئية في العالم.

ان التكنولوجيا الحديثة والهندسة الصناعية ومتابعة نوعية الإنتاج الفائقة الجودة أعطت فيشر هذه الشهرة المميزة عالمياً.

لذا يمكنك التمتع بمجموعة فيشر الواسعة من الأجهزة السمعية والمرئية كلها تعتمد على التقاليد الأمريكية بالنسبة للتطوير والنوعية، ومهما كان جهاز فيشر الذي اخترته ستكون اكيداً من جودته ووثوقه وعمره الطويل. فيشر. فكرة امريكية عظيمة اخرى.

فيشر

FISHER

The first name in high fidelity

العربي

مجلة ثقافية عربية مصورة

رئيس التحرير

د. محمد الرميحي

تصدر شهرياً عن وزارة الإعلام
بدولة الكويت للوطن العربي
ولكل قارئ للعربية في العالم
المجلة غير ملتزمة بإعادة أي مادة تتلقاها
للنشر والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

المراسلات

باسم رئيس التحرير

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة
قسم الإعلانات

الاشتراكات

ترسل الطلبات إلى : قسم الإشتراكات
المكتب الفني - وزارة الإعلام
ص.ب ١٩٣ الكويت

على طالب الإشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية ، أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الإعلام طبقاً لما يلي :
الوطن العربي ٤ د.ك - باقي دول العالم ٦ د.ك

ثمن العدد

الكويت	٢٥٠	فلساً	السعودية	٥	ريالات
العراق	٢٥٠	فلساً	اليمن الشمالي	٣	ريالات
الأردن	٢٠٠	فلس	قطر	٥	ريالات
البحرين	٣٠٠	فلس	لبنان	٣	ليرات
اليمن الجنوبي	٢٥٠	فلساً	سوريا	٣	ليرات
مصر	٢٥٠	مليم	الامارات	٥	دراهم
السودان	٢٠	قرشاً	المغرب	٣	دراهم
تونس	٤٠٠	مليم	ليبيا	٣٥٠	درهماً
الجزائر	٤	دنانير	سلطنة عمان		ربع ريال
بريطانيا		جنيه استرليني	أوروبا دولاران أو جنيه استرليني		
فرنسا	١٥	فرنكاً	أمريكا		دولاران

العدد ٣٠٦
مايو ١٩٨٤

عنوان المجلة بالكويت
ص.ب ٧٤٨ صفاة
ت ٤٣٩٧٢٨-٢٤٦٨٤٢٤٢-٤٢٧١٤١
برقياً "العربي" الكويت
تلكس : MITR-44041 KT

AL-ARABI
Issue No. 306. May 1984
P. O. Box 748 KUWAIT

A Cultural Monthly
Arabic Magazine
in Colour
Published by:
MINISTRY OF
INFORMATION
STATE OF KUWAIT.

عزيزي القارئ

اجتمعت في ندوة العربي الثقافية صفوة من حملة الأقلام ومشاعل الفكر . . من مختلف أقطار وطننا العربي . . على خير ما يجب أن يجتمع عليه العرب من ألفة وتعاون ومحبة وحرية .

وحين نركز على الحرية دائماً . . فنحن نعني أيضاً ذلك الحرص من مجلتك (العربي) على أن تجعل من صفحاتها ساحة للكلمة الحرة ، ومنطلقاً صادقاً للحوار البناء في الميدان الثقافي ، من أجل أن تكون المنبر الحر الذي تريد . فلولا الحرية والحوار ما استطاعت العربي أن تكون المعبر الحقيقي لما يعتمل في أعماقك . . والصفحة الناصعة التي تعكس تطلعاتك . . والصورة الصادقة التي تتمناها لتظل بين يديك . . مجلة كل العرب .

فتلك هي الأهداف التي سعت العربي لتحقيقها دائماً . . وهي ذات الأهداف التي تسير عليها الكويت والتي أشار اليها الشيخ صباح الأحمد نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الخارجية ووزير الاعلام في افتتاح الندوة حين أكد « أن الكويت منذ أن خرجت الى العالم مستقلة تنظر الى هدف سام تعمل على تأكيده وتحقيقه في عالم العروبة والاسلام . . هذا الهدف هو الوفاق والحوار الأخوي » .

ولقد كان ذلك - في الحق - ما أثلج صدورنا ونحن نرى صفوة المثقفين في ندوتهم يؤكدون ذلك المعنى في بحوثهم ومناقشاتهم . فالعربي كما عبر عن ذلك الشيخ ناصر محمد الأحمد وكيل وزارة الاعلام « يدعمها اطلاق الحرية في الكتابة والنشر بلا رقيب الا ضمير كتابها من المحيط الى الخليج ، والا ضمير المسؤولين عن التحرير فيها والذين تحرص الكويت دائماً ان يكونوا من بين من احترموا مسئولية الكلمة فاحترمتهم جماهير القراء » .

ولعلك عزيزي القارىء قد لمست ذلك دائماً . . كما لمسه المشاركون من المثقفين الذين أسعدنا اسهامهم في ندوة العربي . وقد كان بودنا أن تحتضن الندوة كل المثقفين العرب . . لولا مشكلات الزمان والمكان . . وان كنا قد افتقدنا وجود بعض من دعوا للمشاركة ولكن لم تسمح لهم ظروفهم بالمساهمة بالحضور . .

ونقولها بصدق ، ان العربي ليسعدها أن تحتضن كل المثقفين والقراء في ندواتها . . وان كانت تعتبر أنها تلتقي بهم في ندوة ثقافية على صفحاتها كل شهر . . وهي تضع نفسها دائماً في خدمتك - عزيزي القارىء - وفي خدمة كل العرب . . على ساحة الكلمة وفي ميدان الفكر .

المحرر

في هذا العدد

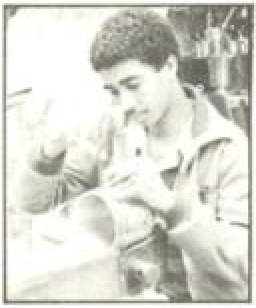

◆ الأيدي التونسية تصنع التراث ◆

هل هو فنان ؟ نعم وبكل المقاييس . . ذلك هو الصانع الماهر الذي يقدم لنا التراث في أروع صوره . . التقت به العربي في تونس لتقدم نماذج من انتاجه في عصر الآلة . . (اقرأ الاستطلاع ص ٣٦) .

◆ . . في بلد الكهوف ! ◆

وفي حوران بالقطر السوري الشقيق عاشت العربي أياما مع التاريخ ، لتنقل لنا جانبا من صفحاته التي طواها الزمن ولكنها بقيت حية في بطون الكتب (اقرأ الاستطلاع ص ١٠٠) .

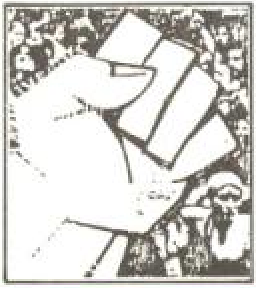

◆ الديمقراطية . . نظرة جديدة ◆

من مآسي التفكير في موضوع « الديمقراطية » أنه وقع زمنا طويلا ، فريسة المنهج الشكلي الذي فرضته التبعية الثقافية للغرب ، والذي حصر صورة الديمقراطية في عدد من النماذج الشكلية التي تدور حول كيفية اصدار القرارات من جانب المؤسسات الدستورية والسياسية . . ماذا أغفل هذا التحليل . . ؟ (الدكتور أحمد كمال أبو المجد يقدم نظرة جديدة للديمقراطية ص١٦)

◆ متى نتجه الى البحار بحثا عن الغذاء . . ؟ ◆

الأرض تضيق بسكانها . . الأرض تجوع . . الرقعة الزراعية تضيق وتضيق . . ما الحل ؟ ليس أمامنا سوى الاتجاه الى البحار نبحث في أعماقها الغنية عن غذاء المستقبل . متى . . وكيف ؟ (اقرأ ص ٩٤) .

محتويات العدد

قضايا عامة

■ حديث الشهر :
المثقفون العرب والمستقبل
ـ د. محمد الرميحي ٨

■ الديمقراطية .. نظرة جديدة !
ـ د. أحمد كمال ابو المجد ١٦

■ الرأي العام بين الاستفتاء .. والقرار .
ـ د. عبد الله حسن العبادي ٢٣

عروبة واسلام

■ من التراث : المخاطر عند العرب
وكيف كانوا يقدرونها ؟
ـ د. إحسان صدقي العمد ٨٢

طب وعلوم

■ سلامة البشرية في سلامة البيئة ... ٦٤

■ طبيب الأسرة ٧٥

■ متى نتجه الى البحار ـ بحثاً عن غذاء أوفر ؟ ـ د. عز الدين فراج ٩٤

■ الانزلاق الغضروفي ـ معالجته بالأنزيمات بدلاً من العمليات .
ـ يوسف زعبلاوي ١٢٨

■ الجديد في الطب والعلم ١٤٢

■ الانسان يبني .. الانسان يهدم ..
تلوث الهواء يهدد وجودنا .
ـ محمد عزو صقر ١٥٤

■ ماذا يعني تشخيص الأمراض الوراثية .
ـ د. غسان حتاحت ١٦١

آداب وفنون

■ الكأس الواحدة (قصيدة) .
ـ محمد الفايز ٣٢

■ من سجلات المحاكم : شاهد من نغمة !
ـ علي منصور المحامي ٨٧

■ وجه في المرآة . ـ أبو المعاطي أبو النجا ١١٤

■ صفحة لغة : تصحيحات لغوية .
ـ محمد خليفة التونسي ١١٧

■ صلاح طاهر .. صورة للفنان في شبابه الدائم . ـ أحمد غانم ١٢٠

■ شهيد الزمن الأحدب (قصيدة) .
ـ محمود عبد الغفار دياب ١٣٥

■ مكانة الأرض في الأدب الصهيوني .
ـ حلمي عبد الكريم الزعبي ١٣٦

■ ليت ما في الغيب يأتي (قصيدة) .
ـ د. عيسى درويش ١٥٢

■ الدرس الأول (قصة) .
ـ محمد حسن عبد الله ١٦٦
■ كتاب الشهر : الرواية العربية الحديثة من خلال عين غربية
ـ حسن محمود عباس ١٧١

منتدى العربي

■ لغة الصحافة بين المشرق والمغرب العربي .
ـ عبد الواحد المحروق ٦٨
■ إتقان اللغات الأجنبية بين الاستعمار والاستقلال .
ـ ياسر الفهد ٧٢

اجتماع

■ في عيد العمال : صرخة ١٥٠ مليون طفل عامل .
د. عدنان رشيد ٢٧
■ أرقام : الطب تقدم .. والأطفال ما زالوا يموتون .
ـ محمود المراغي ٣٤
■ الأسرة والمرأة : غريبان تحت سقف واحد .
ـ منير نصيف ٧٨

تاريخ واشخاص

■ قرائن كافكا وعالم من الغموض .
ـ د. حامد رمضان مسافر ١٤٦

استطلاعات مصورة

■ ما زالت الأيدي تصنع التراث في تونس .
ـ سليمان الشيخ ٣٦
■ عالم الغد .. طاقة من الشمس .
ـ وفاء طه ناجي ٥٤
■ حوران ورحلة الى بلد الكهوف .
ـ صادق يلي ١٠٠

أبواب ثابتة

■ عزيزي القارىء ٣
■ مقالات في كلمات ١٤٥
■ العربي من ربع قرن ١٥٠
■ حل مسابقة العدد ٣٠٣ .... ١٦٤
■ من مكتبة العربي ١٧٨
■ المسابقة الثقافية ١٨٢
■ معركة بلا سلاح « الشطرنج » ١٨٤
■ حوار القراء ١٨٦

المثقفون العرب

هل المثقف العربي فى أزمة ؟

وهل هذه الازمة ناتجة عن واقع ذاتى يمر به المثقف العربي ؟ أم هى واقع موضوعى فى صلب المجتمع نتيجة للمرحلة التاريخية التى تمر بها الامة العربية ؟

تلك أسئلة خلت وتناقلها بعض مثقفينا فى كتبهم ومقالاتهم .

ولكن ألا يحسن أن نحدد من هو المثقف كى يسهل السير ؟

المتعلم ، المثقف ، المفكر ، ثلاثة مفاهيم تتناولها نحن العرب وكأن احدها يقود الى الآخر لدى الغالبية منا ، ولكن لكى نحدد الفاصل بين هذه المفاهيم التى قد تكون تجريدية اكثر منها واقعية ، نقول : إن الثلاثة تتوفر لديهم معرفة متخصصة ، ولكن المثقف يوظف ما لديه من معرفة متخصصة فى خدمة مجتمعه فقط عند الربط بينها وبين جوانب الحياة الاخرى بحثا عن حلول لمشكلات المجتمع ، أما المفكر فإن ذاك الربط يكون عنده أكثر تجريدا ويشكل مشروعا فكريا شبه متكامل ، لذلك فان المثقف هنا هو فى منزلة بين المنزلتين ، فهو - رجلا كان أو امرأة - يهتم بمشكلات المجتمع ويتفاعل معها ، وغالبا ما يكون تفاعله فى شكل قيادى .

الا أنه نادرا ما يكون الفاصل بين المتعلم والمثقف والمفكر فى مجتمعنا العربي فاصلا واضحا محدد المعالم ، وكثيرا ما تأخذ الاغلبية المفاهيم الثلاثة على أنها مفهوم واحد .

ونعود الى السؤال المركزى من جديد

هل أدى المثقف العربي دوره فى المجتمع العربي ، أو بشكل أكثر دقة ، هل حدد مناطق الخطر ومواضع الضعف وأشار بالحلول لتفادى تلك المناطق الخطرة وتعويض ذلك الضعف الذى يعرض الأمة الى الاضمحلال والفناء .

والمستقبل

بقلم: الدكتور محمد الرميحي

نجد من يقول إن المثقف العربي قد قام بدوره كما ينبغي، ولكن الخلل يكمن فى عدم وجود قنوات فاعلة قادرة على تحويل الآراء والمقترحات لهذا المثقف أو ذاك الى فعل.

ونجد بعد ذلك من يقول إن المثقف العربي لم يقم بدوره، فقد خذل الأمة وتخلى طوعا أو كرها عن مهمته فى اقتراح الحلول والمخارج للاشكالات التى تواجه الامة وتعبئة المواطنين خلفها.

وتبقى القضية فى دائرة مفرغة أو تدور حول نفسها دون مخرج.

إن ذلك تبسيط لواقع معقد، ونظرة سوداء أو بيضاء تفرز الامور لتسهيلها دون تعاط دقيق لعناصر الأزمة، وهى أعمق وأكثر تشابكا من الاجابة عليها بنعم أو لا .. نكون أو لا نكون.

القدرة الممكنة والقدرة المستغلة

أى منا يريد أن يرجع الى أية قضية اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية أو غير ذلك، فسيجد أن مثقفا أو مجموعة من المثقفين العرب قد وصفوها، وقد يكون هذا التوصيف بدقة واحكام منقطع النظير.

وأضرب مثالا واحدا لا غير - وبين ما نشر وكتب المثقفون العرب عشرات الامثلة - فبينما كنا نعد لندوة العربي الثقافية رجعت الى محاضرات المواسم الثقافية فى الكويت * فوجدت كلمة من أربعة أسطر

* كانت معارف الكويت فى الخمسينيات قبل أن تتحول الى وزارة التربية والتعليم، تعد موسما ثقافيا غنيا تجلب له بعض الخبرات العربية المميزة وقد طبعت محاضرات مواسم ثلاثة لسنوات ١٩٥٥، ١٩٥٦، ١٩٥٧. والاشاره السابقة لاحدى المحاضرات فى الموسم الثقافى الثانى ١٩٥٦. المحاضرة التاسعة.

فى المحاضرة التاسعة للموسم الثقافى الثانى (١٩٥٦) - وكان قد أعدها والقاها الدكتور أمجد الطرابلسى ، وهو واحد من بين مئات المثقفين العرب المنتشرين على أرض العروبة ، وكانت المحاضرة بعنوان « تأملات وذكريات فى حرم المسجد الجامع فى قرطبة » ، اذ بعد أن طاف المحاضر متنقلا على أجنحة الزمن فى ربوع الاندلس بين اشبيلية وغرناطة ينتهى الى مسجد قرطبة فيصف لمستمعيه سحر ما رأى ، وينتهى بأربعة أسطر فى نهاية محاضرته تلك ، أنقلها للقارىء اليوم ، وهى بيت القصيد فى الاستشهاد . يقول :

(أيها السيدات والسادة لقد حدثتكم عن المسجد الجامع فى قرطبة كما رأيته ، وقد مضى على خروج العرب من الاندلس أكثر من خمسمائة عام . فادعوا الله معى ألا يرينا فى حياتنا وألا يرى أبناءنا وأحفادنا من بعدنا يوما يأتى فيه رجل مثلى فيحدثهم بقلب موجع عن المسجد الاقصى كما حدثتكم اليوم عن مسجد قرطبة) .

ولم تكد تمضى سنوات عشر ، وفى حياة المحاضر وفى حياة معظم من سمعه ذاك المساء ، حتى جاءت الأخبار بسقوط المسجد الاقصى . . ولا تزال الاخبار تأتى عن المسجد الاقصى تباعا .

هذا مثال واحد من بين عشرات الامثلة فى الاقتصاد والاجتماع والسياسة وعاها المثقف العربي وكتب عنها وذهبت صرخته فى واد ليس به بشر ، وجاء الصدى فارغا .

فقدرة الفهم والتحليل وقرع جرس الانذار مبكرا موجودة لدى المثقف العربي - أو فلنقل على وجه الدقة لدي بعضهم - فالقدرة ممكنة ولكن المحقق منها محدود . . وهنا يبرز سؤال آخر . . . اذن أين الحلقة المفقودة ؟

ماينبغى كسبه مجددا ؟

واقع الضعف العربي اذن ليس فى انعدام من يعرف هذا الواقع ويحلله ، بل أن جوهر هذا الضعف - ان صح التعبير - انما هو فى انعدام الوسائل الفعالة لتخطى هذا الضعف ، جوهره فى الانقسام غير المبرر وغير الصحى بين المدارس الفكرية التى تدعو للخلاص ، ثم بين هذه

بعض المشاركين في ندوة العربي الثقافية خلال مناقشتهم لبيان الكويت الثقافي .

المدارس كل على حدة وبين أصحاب القرار السياسى ، وتصبح هذه المدارس ومتخذو القرار السياسى فى كل قطر عربي ، وكأنها جزر معزولة بعضها عن بعض ويتعاظم العداء وبأسها بينها شديد ، فيه مكان واحد للأنا وليس فيه أى مكان لغيره . .

الأنا السياسى أو الأنا الاجتماعى أو العرقى أو الدينى أو المذهبى أو أى ثنائية اخرى !

وكلما اشتد الضغط على الأمة العربية زاد الالم واتسعت الشقة ، وتتصاعد ظاهرة التشقق أيام الضيق والارتباك .

ولقد قدم لنا الدكتور عبدالله العروى فى منتصف الستينيات ثاقب رأيه فى تحليل المدارس الفكرية العربية منذ النهضة حتى اليوم تحت شعب ثلاث فى كتابه ذائع الصيت « الايديولوجية العربية المعاصرة » ، وهذه الشعب هى : المفكر الشيخ (شيخ الدين) ، مثل جمال الدين الافغانى والثعالبى ومحمد عبده الى آخر هذه المدرسة بتفرعاتها اللاحقة .

والمفكر رجل السياسة - مثل علال الفاسى ولطفى السيد ، والمفكر داعية التقنية كما يجده العروى بشخصيات مثل سلامة موسى وطه حسين-ومنذ أن قدم لنا العروى هذه الجزر الثلاث من المدارس الفكرية الحديثة فى الوطن العربي ، قام آخرون بتصنيفها وتعديلها والاضافة اليها مثل ما دعاه سعد الدين ابراهيم « رباعية المدارس » «كالمفكر الفقيه »،و « المفكر الخبير » ، و « المفكر القومى » ، و « المفكر الاشتراكى » ، وسواء أكانت الجزر الفكرية العربية رباعية أو ثلاثية أو أكثر أو أقل ، فبيت القصيد هنا أنها جزر منعزلة بعضها عن بعض ، ومنعزلة فى الوقت نفسه الى حد كبير عن متخذى القرار السياسى فى معظم الاوقات .

المطلوب اذن هو اقامة الجسور لسد الفجوة بين هذه الجزر الفكرية . هذا العمل ليس تمنيا أخلاقيا أو طوباويا ، ولكنه ضرورة قصوى لانقاذ الوطن من هذا التدهور الذى يؤدى به الى واد غير ذى قرار .

وهو مطلب يجمع عليه كثير من المثقفين العرب ، فليس محض صدفة فى بيان الكويت الثقافى الذى صدر فى نهاية ندوة العربي الثقافية فى مارس الماضى ، أن يشدد على أهمية التواصل الثقافى . فيقول مثلا فى النقطة الرابعة : « ان المجتمعات العربية تتميز بالتكوينات المتنوعة ولا مفر من أن يتخذ العمل الثقافى طريق الجدل بالتى هى أحسن وسبيل الحوار الفكرى الدائم » .

وليس من قبيل الصدفة أن يشدد البيان على الحوار فى الوقت الذى يكتب فيه المفكر العربي سعد الدين ابراهيم ورقة عمل لمنتدى الفكر العربي فى عمان - كى يناقشها بعض المثقفين العرب وتكون بعنوان « تجسير الفجوة بين صانعى القرار والمفكرين العرب » . ويبدأ سعد الدين ابراهيم فى هذه الورقة مطالبا بحوار بين ما سماه المدارس الفكرية العربية المتعددة وما سميناه الجزر الفكرية المعزولة بعضها عن بعض .

لقد سبقت معارك الابادة الفكرية بين العرب معارك السلاح ، وكانت مقدمة لها ، وما نحصده اليوم من فرقة وتمزق للوطن الكبير والاوطان الصغيرة ما هو إلا جزء من نتائج تلك القطيعة .

من هنا تبدو الدعوة لكسب المعركة مجددا ـ بعد أن اعتقدنا أننا كسبناها بخروج المستعمر بأشكاله المختلفة ـ دعوة لها مصداقيتها ، وهي هذه المرة دعوة لكسب المعركة ضد النفس ، الدعوة للحوار انطلاقا من مبدأ : ليس الكل على خطأ ، وأيضا ليس الكل على صواب .

الرفض والتعنت والانغلاق سمة غالبة على المدارس الفكرية العربية المعاصرة ، فان كنت قوميا فلا بد أن تكون معاديا للتراث ، وان كنت تراثيا فلا بد انك معاد للقومية والتحديث .

انفصام ما بعده انفصام بين معسكرات الجزر الثقافية المعاصرة ، ويحلو لكثير منا أن يجسد هذا الانفصام ويعمقه باستخدام الالفاظ والكلمات الرنانة ذات الجرس العالى ، فذاك تفكيره مادى ، والآخر خرافى . . الى أمثال هذه التعبيرات الاستفزازية . والواقع أن الامر ليس كذلك ، انما هى أسماء سميناها أو نقلناها ، تحتاج فى واقع الأمر الى مراجعة تبتعد عن تفسير النيات والاماني الى قراءة الواقع العربي المعاصر .

لذلك نجد هذه المحصلة مجدولة فى كلمات واضحة فى النقطة الثالثة من بيان الكويت الثقافى الذى تبنته ندوة « العربي » فهى تقول :

« لا جدال فى أن اقرار الحقوق الاساسية للانسان وإطلاق الحريات العامة وعلى رأسها حرية التعبير هما اساس ازدهار الثقافة ، وان تطويق الحريات فى معظم مجتمعاتنا (العربية) هو أهم عوامل الازمة الثقافية الراهنة ، ولكن الحرية ليست هبة تقدم الى المثقفين ـ واذا كان ذلك حقا فهى فى الوقت نفسه واجب ومسئولية ، ويقع على عاتق المثقفين « دور اساسى فى التحول الى الايجابية ، وفى عدم اخضاع مسئولياتهم الفكرية لمسئوليات أخرى ، وفى السعى الجاد الحازم لنيل الحرية التى يطلبون »

وفى مكان آخر يعود بيان الكويت الثقافى فيؤكد انه : (اذا كان المثقفون ينتقدون القوى التى تضطهدهم من خارجهم ولا تقبل الا الرأى الواحد ، فأحرى بهم أن يبدأوا بأنفسهم فى إيقاف هذا الاضطهاد بين بعضهم وبعض) .

والعودة الى قراءة تضاريس الخريطة العربية الاقتصادية

والاجتماعية والسياسية هي من أولى مهام المثقف العربي على أن تكون قراءة واقعية ، وليست معبأة مسبقا بتصورات مستوحاة من تاريخ هذا الشعب أو ذاك ، وليست مستمدة من تفسير الواقع العربي من خلال قوقعة معدة سلفا !

الواقع العربي متشعب متنوع يحتاج الى جهد ابنائه فى سبر اغواره ، ودراسته دراسة متأنية متعمقة بقدر ما يتمتع المثقف من الحرية وبقدر ما نوليه من ثقة هو جدير بها . بقدر ما يستطيع أن يقدم لنا الحلول والاجابات .

أعطى راضيا واخذ شكورا . .

موقفنا من التقدم والرقى والاستقلال والنهوض للحاق بالعصر لا يتوقف فقط على سد الفجوة بين اجتهاداتنا الفكرية فى اطار من الحوار الحر المتفاعل ، انما هو ـ فوق ذلك وبعده ـ خلق القنوات السليمة لتحويل هذا الفكر وتلك الآراء الى فعل فى صلب المؤسسة السياسية ، وهنا تأتى قضية سد الفجوة بين المثقفين والسلطة السياسية ، وقد جاء بيان الكويت الثقافى مؤكدا ذلك فقال :

« ان قدرا كبيرا من مشكلاتنا انما يعود الى الحواجز التى اقيمت بين صانعى القرارات والمثقفين ، لقد خلقت هذه القطيعة جوا من عدم الثقة المتبادل وانعدام الاطمئنان المصيرى الفردى والجماعى » .

هذا الهاجس الذى عبر عنه البيان هو هاجس قطاع واسع من المثقفين العرب اليوم ، الا أن ردم هذه الهوة ليس بالأمر الهين المستطاع ، فعلاقة المثقف بالسلطان فى تاريخنا ليست علاقة ايجابية فى كل الاحوال ، وهى ليست بالقطع ايجابية فى تاريخنا الحديث الا من جانب واحد ، جانب المثقف المبرر لفعل السلطة وليس الناقد لها .

وليس ذلك غريبا حتى فى المجتمعات المتقدمة ، فالكاتب البريطانى المعروف هارولد إفينز [1] ـ رئيس تحرير الصنداى تايمز

1. Harold Evans, GOOD TIMES BAD TIMES., George Weidenfeld & Nicolson, 1983.

والتايمز لفترة طويلة - كتب كتابا بعد أن ترك وظيفته ، وأصبح الكتاب من أوسع الكتب انتشارا فى خريف السنة الماضية ، يقول عن السيدة مارجريت تاتشر - رئيسة وزراء بريطانيا - « أنها محدودة فى تفهمها للمعارضة ، فهى تفهم شيئا واحدا . . فإما معارضة شاملة أو تأييد شامل ، ولكنها لا تفهم بالمرة نقد الخلصاء ! » .

ضربنا هذا المثل فقط لتأكيد القول بأن علاقة المثقف بمتخذى القرار السياسى علاقة السهل الممتنع فى معظم الاحوال ، وخاصة اذا ما تمسك المثقف بقول رأيه كما يمليه عليه ضميره ، فاذا كانت العلاقة ليست سهلة فى المجتمعات التى خلفت وراءها مئات من السنين فى الممارسة الديمقراطية،فهى أصعب وأقسى منالا فى مجتمعات خرجت لتوها من استعمار طويل .

النقد الموضوعى المصحوب بالحكمة هو المطلوب من المثقف العربي اليوم ، ولعلنا لا نضيف جديدا عندما نقول أن التبرير والمسايرة يفعلان فى المجتمع فعل الجرثومة الضارة فى الجسد .

ومن المهم أن نذكر أن أحد الكتاب السياسيين الذين درسوا الوطن العربي وأوضاعه السياسية بعمق جدير بالاحترام ، وهو ما يكل هدسون (١) ، يكتب كتابا عن شرعية السلطة فى الاقطار العربية يصل فيه الى نتيجة مفادها أن انقطاع الوصل بين السلطة والمثقف واحد من أهم عناصر الاضطراب فى الواقع السياسى العربى .

وبعد . . .

فان مناقشات(ندوة المجلات الثقافية والتحديات المعاصرة)وبيانها الختامى قد أوضحا بما لا يقبل الشك أن حوار المثقفين العرب بين بعضهم وبعض فى جو من التسامح ، وحوارهم مع متخذى القرار السياسى فى أوطانهم ، هو أول معالم الطريق للخروج من هذا المأزق الذى سماه البعض بعصر القلق العربي .

محمد الرميحي

---

1. Michael C. Hudson, ARAB POLITICS, THE SEARCH FOR LEGITIMACY, Yale University Press, 1977.

الديمقراطية .. نظرة جديدة

بقلم الدكتور: أحمد كمال أبو المجد

□ ما الديمقراطية ؟
لقد قال علماء السياسة فيها وعنها الكثير الكثير . . ولكن هل غيرت كلماتهم شيئا له قيمته من واقعنا ؟ كاتب المقال يطرح السؤال ثم يجيب عليه !

لو لم أكن كاتبا لهذه المقالة لترددت طويلا في قراءتها ، ولقلت ما عسى أن يقوله كثير من قرائها : « وهل بقي في أمر الديمقراطية جديد يمكن أن يقال . . ؟ أولم يملأ علماء السياسة ورجالها ـ عبر السنين الطويلة ـ آلافا من الصفحات في الحديث عنها ابتداء من أفلاطون وفلاسفة اليونان . . ومرورا بفلاسفة الثورات الأمريكية والفرنسية والبلشفية وقادتها ، من أمثال روسو ومونتسكيو وفولتير في فرنسا ، ولوك وهوبز في انجلترا ، وجفرسون وماديسون في أمريكا ، ومنظرى « الديمقراطية الشعبية » في الاتحاد السوفيتي وكثير من الدول الاشتراكية . . وانتهاء بالعلماء المعاصرين الذين أضافوا الى « مقولات » الأقدمين . . فنونا في التحليل والتركيب لا تعدو أن تكون « أدوات » للبحث ، وضمانات لدقة المنهج المتبع فيه ، دون أن تغير من جوهره أو تضيف جديدا الى موضوعه . ؟

ولو لم أكن كاتب هذه المقالة لأضفت الى ما تقدم سؤالا يمازجه الاحساس بالمرارة واليأس . . ولقلت مع كثير من القائلين . . وهل غيرت كلمات علماء السياسة شيئا ذا بال من واقعنا العربي الأليم ؟ . حيث ترتفع على المجالس والساحات والمنتديات ألوية الديمقراطية وشعارات « حكم الشعب بالشعب » ، ومع ذلك تستقر في ثنايا نسيجه ألوان من القهر

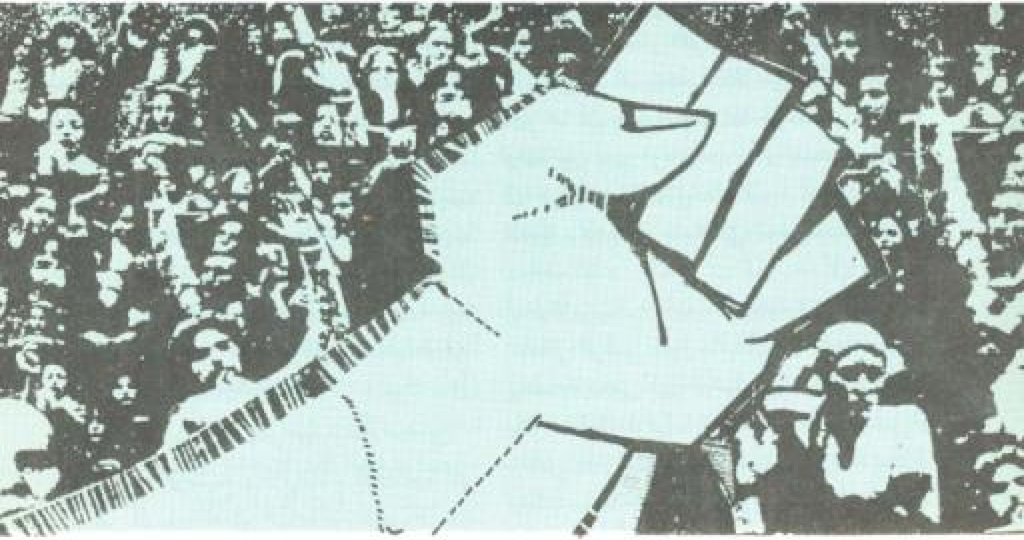

والتسلط والانفراد « بالسلطة » و « الثروة » ، « والمنزلة بين الناس » ، يمارسها أفراد معدودون أو تمارسها فئات وطبقات مغلقة على نفسها تستتر وراء أقنعة الديمقراطية وتزعم أنها تتحدث وتعمل باسم « الجماهير » . .

وجوابي عن هذه الأسئلة . . أننا أخطأنا جميعا حين تصورنا الديمقراطية وصورناها للأجيال بحسبانها « المثل الأعلى » للنظام السياسي الكامل ، « والفردوس المنشود » الذي لا يعرف الظلم والشقاء سبيله الى رواده والمستظلين بظله . . وموطن الخطأ الفادح في هذا التصوير أنه يفترض وجود « صورة كاملة » ، وصيغة مطلقة للعدل السياسي . . فان لم يجدها حوله - ولن يجدها - صنعها بيده ونسجها من خياله ، ثم أحاطها بهالات التقديس . . تماما كما كان العربي القديم يصنع أصنامه بيده ، ثم يسجد لها ويقدم على أعتابها القرابين . . وقد أدت هذه النزعة « المثالية » في البحث عن « المطلق السياسي » الى تحول الديمقراطية ، في عقل ووجدان كثير من الناس ، خصوصا في عالمنا العربي ، من نظرية سياسية معروفة المعالم ، ونظام للحكم محدد الخصائص والأركان ، الى أن صارت مرادفا « انطباعيا » للعدل والحرية والمساواة في كل ما يتعلق بسياسة الجماعة . . ونتيجة لهذا التحول صار طبيعيا أن يصف الحكام جميعا أنظمتهم - على اختلافها وتناقض أسس شرعيتها وأساليب عملها - بأنها أنظمة ديمقراطية . . ما دام ابتعادها عن هذا الوصف ، يعني - بالضرورة - أن تصير - في أعين الناس - أنظمة معادية للعدل والحرية والمساواة .

بين الواقع والمثال

ولا مخرج للجماهير من هذه المثالية الرومانسية التي تصيبهم بالحيرة وتلقي بهم الى اليأس كلما أحسوا بالمفارقة الهائلة بين « الواقع » و « المثال » في حياتهم السياسية الا بأن يؤدي أهل الاختصاص والمعرفة بشئون السياسة واجبهم في نقل تلك الجماهير من عالم الأحلام المثالية ذات اللون الوردي الى عالم « الواقع » بألوانه المتداخلة . وأول واجباتهم في تحقيق هذا الانتقال ، يتمثل - فيما نرى - في الكف عن توجيه

الجهد كله الى التبشير بالديمقراطية والتغنى بمحاسنها .. وهو مسلك بطبيعته عاطفى وحماسى ، والتوجه فوق ذلك الى التعريف بحقيقتها ، وتحديد خصائصها ، وشرح وظائفها ، وبيان ضماناتها .. وهو مسلك ـ بطبيعته ـ علمى وعقلى ..

واذا كان تحقيق هذا التحول يحتاج الى سنين طويلة والى جهود مكثفة مضنية يتعاون عليها أهل الاختصاص جميعا ، فانى أطمح الى المشاركة فى تحقيق هذا التحول عن طريق تسليط الأضواء على أمور ثلاثة تتعلق بالديمقراطية ، وتنطوى على نظرة جديدة اليها :

أولها .. نسبية الديمقراطية كنظام سياسى .

ثانيا .. توضيح « الآليات » المجتمعية التى يتم عن طريقها حكم جماعة من الجماعات ، واتخاذ القرارات فى داخلها .

ثالثا .. التنبيه الى بعض « المتغيرات » الجديدة التى تؤثر تأثيرا كبيرا على مسار الديمقراطية وفاعلية آلياتها التقليدية ..

وقد يكون من قبيل الضرورة المنطقية قبل أن نتناول هذه النظرات الجديدة أن نقدم تعريفا « أوليا » بموضوعها ، وهو الديمقراطية .. ونقول عامدين أن ما نقدمه هو تعريف بها وليس « تعريفا لها » بالمعنى الذى يشترط فيه المناطقة أن يكون جامعا لأفراد المعرف مانعا من دخول غيرهم فيه ..

ان مجموع ما قيل عن الديمقراطية أو قيل فى تعريفها يكشف لنا عن أنها ليست مجرد مذهب أو نظرية ، وان كان الكتاب المدرسيون يردونها تاريخيا الى العديد من المذاهب والنظريات ، بعضها من طبيعة ميتافيزيقية وبعضها الآخر من قبيل التحليلات الاجتماعية ، وبعضها الثالث من قبيل وجهات النظر فى التنظيمات الهيكلية .. وانما هى ـ فوق ذلك ـ أسلوب فى اصدار القرارات واتخاذ المواقف وتحديد الأوضاع التى تمس مجموعة من البشر ، وتمس أفراد « الجماعة السياسية » بصفة خاصة ..

ويمكن من قبيل التبسيط الذى لا يخل بالحقيقة القول بأن اصدار القرارات فى جماعة من البشر لا يمكن الا أن يتخذ شكلا من أشكال ثلاثة : فهو اما أن يضع سلطة اصدار القرار قانونا أو واقعا بين يدى فرد واحد ، أو يضعها بين يدى قلة من أفراد تلك الجماعة .. أو يضعها ـ فى النهاية ـ فى يد الأغلبية التى تسمى حينئذ تجاوزا « بالجماعة » ..

والأمر ـ مع ذلك ـ لا يتخذ فى العمل هذا الشكل الرقمى المجرد كما أنه لا يتخذ صورة واضحة تسمى فيها الأشياء بأسمائها ، فحين يكون الحكم فرديا ، لا تخلو الدولة من مجلس أو مجالس تشارك فى مناقشة القرارات واصدارها ، ولكن سلطة الفصل والتقرير تستقر فى النهاية ـ واقعا على الأقل ـ بين يدي هذا الحاكم الفرد ، سواء سمى ملكا أو امبراطورا أو مستشارا أو حتى رئيسا للجمهورية ..

وحين يكون الحكم حكم أقلية فانه يتخذ ـ أيضا ـ صورا متعددة . وهذا التعدد أثر من آثار التداخل والارتباط بين النظم السياسية والدستورية من ناحية ، والواقع الاجتماعي من ناحية أخرى . فلا يوجد نظام يقرر صراحة أن الحكم يستقر فى يد أقلية ، ولكن حين يفرض الواقع الاجتماعي والاقتصادى سيطرة معينة لطبقة أو فئة أو جماعة ، سواء كانت من التجار أو الجنود أو رجال الدين أو النبلاء أو المثقفين أو المنتمين لحزب منظم ، فان النظام يؤول فى حقيقته الى أن يكون نظام أقلية .. ولا يكون أبدا نظاما ديمقراطيا ..

هذا هو جوهر الديمقراطية كما نستخلصه من الاستقراء الطويل لتاريخ الفكر السياسى والأنظمة السياسية فى الشرق والغرب على امتداد التاريخ المدون .. أما ما عدا ذلك .. من ارتباط الديمقراطية بالحرية .. أو بالمساواة .. أو وصفها تارة بأنها مذهب سياسى خالص ، ووصفها تارة أخرى بأنها لا تكتمل الا اذا

صارت كذلك مذهبا اجتماعيا .. فلا يعدو أن يكون وصفا لبعض آثارها .. أو شروط قيامها أو اضافة اختيارية لجوهرها ..

نسبية الديمقراطية ..

والديمقراطية بهذا « المعنى » لا تستغرق الحياة السياسية كلها ، ولا تضمن وحدها ـ لأحد سعادة ولا حرية ولا رخاء .. ولا تعصم الجماعة التى تتبعها من الوقوع فى شرور سياسية واجتماعية .. وهي بحكم كونها أسلوبا فى تنظيم السلوك الانسانى « فى جانب من جوانبه هو جانب اتخاذ القرارات التى تمس الجماعة .. فانها تخضع لكل ما تخضع له وسائل تنظيم ذلك السلوك الانسانى ، وعلى رأس ذلك أن قوانينها ليست مطلقة التأثير والفاعلية .. لأن « الارادة » الانسانية تستطيع دائما أن تتدخل ، بصور لا حصر لها وتحت تأثير بواعث لا حصر لها كذلك ، لتحاجز بين المقدمات والنتائج فى مسار تلك القوانين وهذا ما نقصده « بنسبية الديمقراطية » .. وهى فى الحقيقة نسبية مزدوجة .. اذ هى نسبية فى تحقيق شروطها وأركانها .. بحيث تتوافر تلك الشروط توافرا جزئيا ، يزيد وينقص .. ولا تصل أبدا الى الصورة المثالية المطلقة .. اذ ليس فى الوجود الانساني كله شيء مطلق .. ثم هى بعد ذلك نسبية فى تحقيق آثارها وانعكاساتها على « الحياة الانسانية » ، لأنها ليست المؤثر الوحيد الفعال فى تلك الحياة وانما هى عنصر واحد يشترك مع سائر عناصر الحياة السياسية والاجتماعية والبيئية فى تحقيق الصورة النهائية لحياة الانسان .. وتزداد الحاجة الى توكيد « نسبية الديمقراطية » فى عالمنا العربي حيث يسود الفكر المثالي المولع « بالمطلقات » ، وحيث تتعلق أبصار الناس بالخوارق المعجزات .. يبحثون عنها ، فى الفكر ، وفى المجتمع ، وفى الطبيعة ، وينتظرون على يديها ألوانا من « الخلاص » الكامل ، و « الحل النهائي » لكل المشاكل .. والسعادة المطلقة التى لا يتخللها شقاء .

ذلك « فكر غيبي » هدام .. وهو ليس فكرا اسلاميا بحال من الأحوال ، اذ يقيم الاسلام تصوره الأساسى للكون والانسان على أساس نسبية القوانين الاجتماعية .. بما فيها تكاليف الشريعة وأوامر الله .. « وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر [١] » ، ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به ، لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا » [٢] « ما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم » [٣] .

لهذا يدهشنا أشد الدهشة أن يتساءل البعض من حولنا عن قيمة الديمقراطية .. اذا كانت المجتمعات الديمقراطية لا تزال تعرف ألوانا من الظلم والقهر .. أو أن يقيم بعضهم الحجة عليها بدعوى أن الأغلبية فى ظلها تسن قوانين لايقبلها عقل ولا شرع .. ذلك فيما نرى ـ خلط قبيح ينبغى أن يرد أصحابه الى جادة العلم بالنقل والعقل ، وألا يترك منطقهم الأعرج ليفسد على الناشئة عقولها وصدق توجهها ..

ذلك أن السؤال الوحيد الذى يصح طرحه فى ظل نسبية الديمقراطية انما هو التساؤل عن مدى التفاضل بين الديمقراطية وبدائلها .. ان السؤال الصحيح هو : هل تزيد فرص العدل والرشد مع زيادة « درجة الديمقراطية » أم لاتزيد ؟؟

هل تقل احتمالات صدور التشريعات الفاسدة المخالفة للعقل والشرع فى ظل الديمقراطية عنها فى ظل نظام الحكم الفردى وحكم الأقلية أو لا تقل .. ؟

والجواب الذى تشير اليه بداهة العقل ، وشهادة التاريخ ووقائع التجارب الكثيرة من حولنا .. أن « الديمقراطية » بمعناها الذى

---

١ ـ سورة الكهف ، آية ٢٩ ٢ ـ سورة النساء ، آية ٦٦ ٣ ـ حديث صحيح ، رواه مسلم .

حددناه تزيد فرص العدل . . وتزيد فرص الحرية ، وتزيد فرص الرشد في اتخاذ القرارات . . وأنه اذا كان في شرعية حكم « الأغلبية شك » فان الشك في شرعية حكم الأقلية وحكم الفرد أكبر بكثير . . وبذلك يظل صحيحا ما ذكره الشيخ محمد عبده رحمه الله من أن تصرف « الواحد في المجموع ممنوع » . . كما يظل صحيحا ـ من وراء الجدل الطويل حول العلاقة بين الديمقراطية والشورى ـ ان جوهر الديمقراطية ـ بمعناها الذي حددناه ـ هو حال الذين يذكرهم القرآن بالرضا ويصفهم بالاستجابة لله لأنهم « أقاموا الصلاة ، وأمرهم شورى بينهم » . ، وفي النهاية فان نسبية الديمقراطية تعنى أن النماذج المعروفة في الغرب للديمقراطية قد لاتصلح (بالضرورة) لنا ، اذ هي مرتبطة تاريخيا وموضوعيا في بعض جوانبها على الاقل بالتصورات الاساسية للحضارة الغربية ولايلزم بالتالي ان تكون كلها صالحة للتعبير عن تصورات ومفاهيم حضارتنا العربية الاسلامية بل لايلزم ان تكون قادرة على معالجة مشاكل الواقع المعاصر الذي قد تختلف عناصره عن عناصر (الواقع التاريخي الذي عاصر نشأة تلك النماذج التقليدية وتطورها) .

ان من مآسي التفكير العربي في موضوع « الديمقراطية » أنه وقع ـ زمنا طويلا ـ فريسة المنهج الشكلي الذي فرضته التبعية الثقافية للغرب ، والذي حصر صورة الديمقراطية في عدد من النماذج الشكلية التي تدور حول كيفية اصدار القرارات من جانب المؤسسات الدستورية والسياسية . . ويغفل هذا التحليل حقيقة كبرى مؤداها أن هذه المؤسسات هي نتاج واقع اجتماعي لا بالمعنى « الميكانيكي » المطلق الذي يقدمه بعض شراح الماركسية ، وانما بمعنى عضوي مركب يربطها ـ طول الوقت ـ بالواقع الاجتماعي الحي بحيث تتلقى زادها اليومي من الطاقة والحركة عن طريقه . ومعنى هذا أن القرارات السياسية الهامة التي تصدر بها وثائق شكلية من البرلمانات والوزارات والادارات لاتصنع في الحقيقة هناك ، وانما هذه الهيئات كلها أشبه بخطوط التجميع **Assembly Lines** لتأثيرات عديدة تبدأ حركتها داخل نسيج المجتمع وتبلغ ذروتها في مراكز متعددة داخل هذا النسيج يحتاج تحديد مواقعها الى تشريح سياسي واجتماعي لبنية كل مجتمع على حدة ، ولنضرب على ذلك مثالا :

التشريع الذي يصدر مثلا من البرلمان (وليكن الكونجرس الأمريكي ، أو البرلمان الانجليزي) في شأن سياسة اقتصادية أو ضرائبية أو متعلقة بالصحافة ، أو بتنظيم العلاقة بين المؤجر والمستأجر . . أو بين المواطنين والوافدين . . هذا التشريع هو في الواقع ثمرة « دورة سياسية » مزدوجة : دورة كبرى ، ودورة صغرى .

● فالدورة الكبرى تأخذ مسارها في نسيج المجتمع وفي مراكز التأثير فيه : في النقابات العمالية ، واتحادات الصناعات ، ومجالس ادارات الشركات والمؤسسات التجارية الكبرى ، والمؤسسات الدينية الرسمية وغير الرسمية ، ودوائر المعارضة السياسية ، والتنظيمات الحزبية ، وسائر ما يسمى في علم السياسة بجماعات الضغط **Pressure groups** .

وهذا التفاعل المعقد هو ما يمكن أن نسميه « البناء التحتي » أو « البنية التحتية » للقرار السياسي . والقرار السياسي الذي يصدر مقطوع الصلة بهذه البنية قرار محكوم عليه في أغلب الأحيان بالاعدام المعجل أو المؤجل ، لأن وضعه موضع التنفيذ في وجه موقف أو قرار مناقض له قائم بالفعل داخل مراكز التأثير في « الدائرة الكبرى » يخلق صراعا هائلا يمكن في النهاية أن يحوّل القرار المعلن الى كلمات جوفاء .

● أما الدائرة الصغرى فهي هناك قريبا من قمة الهرم ، وداخل المؤسسات التي وكلت اليها

الجماعة - غالبا في دستورها - مهمة اصدار القرار . . كالمجلس النيابي أو مجلس الوزراء أو المحاكم العليا والدستورية . . . فبالاضافة الى أن هذه الدوائر الصغرى تعتبر - الى حد ما - تعبيرا عن الدائرة الكبرى ، فان عملية صدور القرار من جانب تلك المؤسسات ليست - كما قد يتوهم الباحث القانوني المجرد - عملية اقتناع وتصويت واصدار قرار . . . ان ذلك التصور وهم قاتل يباعد بين جانب كبير من الفكر القانوني والسياسي في عالمنا العربي المعاصر وبين فهم الواقع واستيعاب جوهر الحياة السياسية . .

ان هذه المؤسسات « الفوقية » أو « الدوائر الصغرى » التي تباشر اصدار القرارات هي بدورها مؤسسات اجتماعية لها قوانينها الداخلية . وبغير فهم هذه القوانين والقوى التي توجهها يتعذر فهم عملية المشاركة في اصدار القرار على هذا المستوى . ان تحديد القوى المؤثرة على النائب أو الوزير في اتخاذ قراره أمر يحتاج الى دراسات سياسية ونفسية واجتماعية ، وليس - على الاطلاق - مسألة قانونية مجردة .

ان القرار الذي يؤثر على مصالح الجماعة هو في الحقيقة ثمرة دورة عضوية كاملة تجري داخل شرايين الجماعة ، وثمرة دورة صغرى تجري - بعد ذلك - داخل شرايين المؤسسات المختصة - دستوريا - باصدار القرارات .

ومن هنا يكون وصف جماعة معينة بأنها تمارس الديمقراطية محتاجا الى رصد مراكز التأثير المختلفة في الجماعة وحقيقة القاعدة الشعبية التي تمثلها تلك المراكز ، وكذلك الى معرفة الدور الرئيسي لكل من هذه المراكز في ممارسة التأثير . وفي النهاية فاننا نحتاج الى فهم كيفية سير الدورة الصغرى لاتخاذ القرارات داخل المؤسسات الدستورية . . ان تركيز الدراسات السياسية على هذه الأمور بدلا من التوقف عند وصف مراحل اتخاذ القرار كما تحددها النصوص الدستورية والقانونية ، يعد مدخلا هاما لفهم حقيقة الديمقراطية ، ولتحقيق مزيد من الفاعلية لقوانينها الداخلية . . وهو - فوق ذلك - مدخل ضروري لتصحيح نظرة الفرد العربي الى « الديمقراطية » كنظام سياسي ، والى دوره في ممارسة حقوقه ومسؤولياته على نحو يبث الحركة والحياة في الدورتين الكبرى والصغرى اللتين أشرنا اليهما . . بدلا من اكتفائه باختيار ممثلين له في « المؤسسات » الرسمية التي تعلن « القرارات السياسية » التي تم صنعها واعدادها في بنية المجتمع بعيدا عن تأثيره ومشاركته .

متغيرات جديدة

شهدت القرون الثلاثة الأخيرة مجموعة من التطورات والتغيرات الجذرية على صورة الحياة الانسانية نتيجة الثورات العلمية والصناعية المتعاقبة . . ثم نتيجة الثورة في وسائل الاتصال بثا واستقبالا ، وأكثرها تطورات لم تكن حاضرة وقت صياغة المقولات الرئيسية المتصلة بالديمقراطية . . ولبعضها تأثيرات حاسمة على مسار الديمقراطية وفاعليتها كأسلوب في اتخاذ القرارات . .

ذلك أن الممارسة الديمقراطية تتوقف في التحليل الأخير على مشاركة الفرد برأيه وموقفه عند مستويات متعددة من مستويات اعداد القرار السياسي واتخاذه اعلانه . . ومعنى هذا أن « المؤثرات » التي توجه فكر « الفرد » وتحكم اختياره أو توجه ارادته » . . من شأنها في النهاية أن تحدد اتجاه القرارات ومضمونها . .

● وفي مقدمة هذه المتغيرات أن كثيرا من القرارات التي يدعى الأفراد في الدولة الحديثة لابداء الرأي فيها أو اتخاذ الموقف منها قد صارت قرارات بالغة التعقيد ويحتاج فهمها الى تأهيل خاص لايتاح لأكثر الناس . . . ومن هنا تكون دعوة « الفرد العادي » ، أو حتى « عضو البرلمان العادي » لابداء الرأي فيها أمرا غير جدي ولا مأمون العاقبة . . ويكفي أن نتصور على سبيل المثال دعوة الجمهور لابداء رأيه في عقد معاهدة

للحد من صنع الأسلحة غير التقليدية . . . أو للموافقة على قرار تزمع الدولة اتخاذه بالموافقة على اغراق بعض النفايات المشعة في مياهها الاقليمية أو في أراضيها . . أو لاقرار تغييرات جذرية في هيكل الاقتصاد أو في السياسة الاقتصادية . .

ان « جدية » المشاركة في اتخاذ مثل هذه القرارات المعقدة قد أصبحت تقتضي استحداث وسائل فعالة لتنوير المشاركين في اتخاذ القرار قبل دعوتهم لهذه المشاركة . . وقد طبقت السويد هذا الأسلوب منذ سنوات حين نظمت برنامجا مكثفا للتعريف بقضايا الطاقة النووية قبل دعوة الناخبين لابداء رأيهم في قرار متعلق بذلك الأمر . . . وقد سمح بعد ذلك بابداء الرأي في ذلك القرار لمن أتموا هذا البرنامج دون غيرهم .

الفرد العادي صار مبرمجا

● ومن أهم هذه المتغيرات الثورة الكبرى في ميدان « الاتصال » والاعلام . . اذ قد أصبح الفرد المعاصر بسبب هذه الثورة « معرضا » لشحنة صاعقة من التأثير العقلي والوجداني تسلطها عليه الدولة كما تسلطها سائر « المؤسسات » ، وجماعات الضغط التي تملك وسائل الاتصال المتقدمة . . ومعنى هذا أن الفرد المعاصر قد صار « موجها » أو « مبرمجا » الى حد كبير . . بحيث يمكن التنبؤ مستقبلا بكيفية استخدامه لحريته في الاختيار واتخاذ القرار على أساس « البرامج » التي صيغ فكره ووجدانه وفقا لها . . ان الحديث ـ في ظل هذه « البرمجة » المستمرة للعقول والمشاعر عن حرية الأفراد في الاختيار أمر فيه نظر كبير . .

ان الخلاف الذي ثار داخل هيئة اليونسكو خلال الأعوام الأخيرة بين الدول المتقدمة والدول النامية حول « حرية الاعلام » وحق الدول النامية في حماية شعوبها من التأثيرات الطاغية لاعلام الدول المحتكرة لأدوات التأثير في هذا الميدان شاهد واضح على علاقة الثورة الاعلامية بجدية الخيار المتروك للأفراد في ظل هذه الظروف الجديدة .

● ومن المتغيرات الهامة كذلك زيادة التوتر الدولي واتصال موجاته على نحو أوشكت معه « الحرب الباردة » و « الظروف الاستثنائية » أن تصير حالة مستمرة ومستقرة قد لا تعود معها الشعوب أبدا الى حالة « الظروف العادية » التي صيغت النظريات الديمقراطية أصلا لتنظيم أسلوب اتخاذ القرارات في ظلها . . . واذا كانت الاستجابة المألوفة للظروف الاستثنائية المصاحبة للتوتر الدولي أو الداخلي هي « تركيز السلطة » وتقليص المشاركة الجماعية في اتخاذ كثير من القرارات ، والترخص بقبول كثير من صور التجاوز والخروج على « قوانين العمل الداخلي » للديمقراطية ، فان معنى هذا أن ظروف التوتر الدولي والداخلي ذي المحاور المتعددة التي تكاد تشمل دول العالم جميعا لم تعد ظروفا مواتية لممارسة الديمقراطية ، وأنه قد صار علينا أن نتكيف مع هذا الظرف الجديد ، وأن نحدد لأنفسنا صور الممارسة الديمقراطية وحدودها وأساليبها البديلة خلال هذه الحقبة الجديدة .

هذه بعض معالم النظرة الجديدة للديمقراطية كما ينبغي ـ في تقديرنا ـ أن تكون ، في ضوء الرؤية العضوية للترابط بين أبنية المجتمع ومؤسساته الفوقية ، وبين الطبقات المختلفة التي يتكون منها نسيجه . . .

وفي ضوء المتغيرات التي أشرنا الى بعضها . . وجدير بنا جميعا أن نشتغل بدراسة هذه المتغيرات وأن نرتب حياتنا السياسية على أساس التعامل معها بدلا من اضاعة الوقت في حوارات عقيمة حول شعارات سياسية صاغها علماء نظريون في أزمنة غابرة . . ولم يعد أكثرها صالحا لتفسير الحقائق السياسية لعصرنا . . . أو معالجة المشاكل السياسية والاجتماعية الحقيقية لشعوبنا . □□

الرأي العام بين الإستفتاء .. والقرار

بقلم : الدكتور عبدالله حسن العبادي

□ الرأى العام ، ما هو أثره وتأثيره ؟
إنه شيء آخر غير رأى الجمهور وجماعات الغوغاء والدهماء ، لأن هذه الأخيرة تتحكم فيها العواطف والمشاعر !

يعرف علماء الاجتماع عادة الرأى العام : بأنه الرأى الغالب أو رأى الاغلبية من الناس . ويمكن أن نلخص فكرة الرأى العام فنقول : بأن هناك مسائل معينة أو قضايا محددة ذات طبيعة سياسية أو اجتماعية أو ثقافية أو غير ذلك ، تطرح على سبيل المناقشة وتبادل الآراء فيها ، وبذلك تتمكن مثل هذه المسائل أو القضايا من الحصول على رأى متفق عليه من غالبية الافراد المشاركين في إعطاء الرأى حولها ، وهذا ما يقصد به الرأى الغالب .

فالرأى هنا يمكن ان نقصد به النظرة الى الأمور المتضمنة معنى الترجيح والاعتقاد ، وهو

الرأى العقلي الغالب في جماعة ما ، ويسمى (الرأى العام) لأننا نميزه عن الرأى الفردى أو الشخصى إذ تعدد أصحابه والقائلون به .

ولكن هل من الضرورى أن يكون الرأى العام إجماعيا ؟ بمعنى أن تتفق القضايا جميعها المطروحة للنقاش وأخذ الآراء في موضوع ما في الوصول الى تقرير شيء معين بصددها سلبا أو ايجابا ؟ ان بداهة المنطق تفترض القول ان ذلك قل أو ندر أن يحدث ، وذلك يعنى أن الرأى العام لا يكون مطلقا في عموميته وكليته . وليس شرطافي الرأى العام أن تصل فيه آراء الجماعة الى مستوى الأغلبية أو الاجماع التام .

الرأى العام والرأى الخاص

وفي الوقت نفسه يجب علينا أن نلاحظ شيئا هاما للغاية وهو أن الرأى العام غير الرأى الخاص أو الرأى الشخصي ، فالرأى الخاص ظاهرة نفسية تمثل رأى شخص معين معروف ، فهو الذى يقول هذا الرأى ويتمسك به ويدافع عنه .

أما الرأى العام فيختص بمجموعة كبيرة من الأفراد ، ذات مشارب مختلفة في الفهم والثقافة والمعرفة ، وذات خلفيات متباعدة في التكوين الاجتماعي والاقتصادي لها . ويتميز الرأى العام من الرأى الخاص بثباته النسبي ، وبأنه أقل تعرضا للتغيير والتحويل الذى قد يطرأ على الرأى الخاص أو الرأى الشخصي . وليس معنى ذلك أن الرأى العام يتميز بالجمود والثبات عند نقطة معينة ، وانما هو قد يتحول في اتجاه آخر اذا تغيرت الظروف والمعطيات . وقد دلت الدراسات التجريبية التي تجرى باستمرار في الدول الصناعية المتقدمة أن الرأى العام يتصل اتصالا وثيقا بالجماعات التي يرتبط بها الافراد ـ ومعنى ذلك أنه لو وجهت أسئلة الى الأفراد بوصفهم أعضاء في جماعة ما ـ عن مسألة اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية أو رياضية ، فان رأيهم سيكون مختلفا عن رأيهم الشخصي الذى سيبدونه فيما لو وجهت لهم الأسئلة بصفة خاصة .

كيف يتأثر الرأى العام ؟

والرأى العام هو غير رأى الجمهور أو جماعات الغوغاء والدهماء لأن هذه الجماعات الاخيرة تتحكم فيها العواطف والمشاعر الى درجة كبيرة ، وقد تجمع بينهم الصدفة وحدها . . كما يحدث لبعض الناس عندما يتجمعون في شارع ما لرؤية حادث سيارة مثلا . أو عندما تذهب جماعات مختلفة المشارب لمشاهدة مباراة في كرة القدم . وهناك اختلافات اجتماعية ونفسية بين كل من جماعات الرأى العام وجماعات الدهماء . فمثلا نجد أن جماعات الرأى العام ترتكز في أفكارها الموحدة وفي كيان وجودها على اتصال روحى وثيق يربط بينها ، وعلى تفاهم تام في الميول والأهداف والاتجاهات والأفكار . ان بلورة هذه المفاهيم المتقاربة قد تكون ناتجة عن قراءتهم لصحف معينة ، أو استماعهم الى اذاعة واحدة ، أو لأنهم يتلقون مصادر معلوماتهم من وسائل اعلامية واحدة ذات هدف واحد . أما بالنسبة لحالة العامة أو الدهماء فان اتصالهم ببعض يكون عادة إما بالكلام أو بالاشارة ، وذلك يتبين جليا من حالتهم عندما يتجمهرون حول حادثة ما في

الكاتب :

استاذ مساعد بقسم الدراسات الاجتماعية ـ جامعة الملك سعود، ومعار حاليا للعمل بمجلس التعاون لدول الخليج العربية .

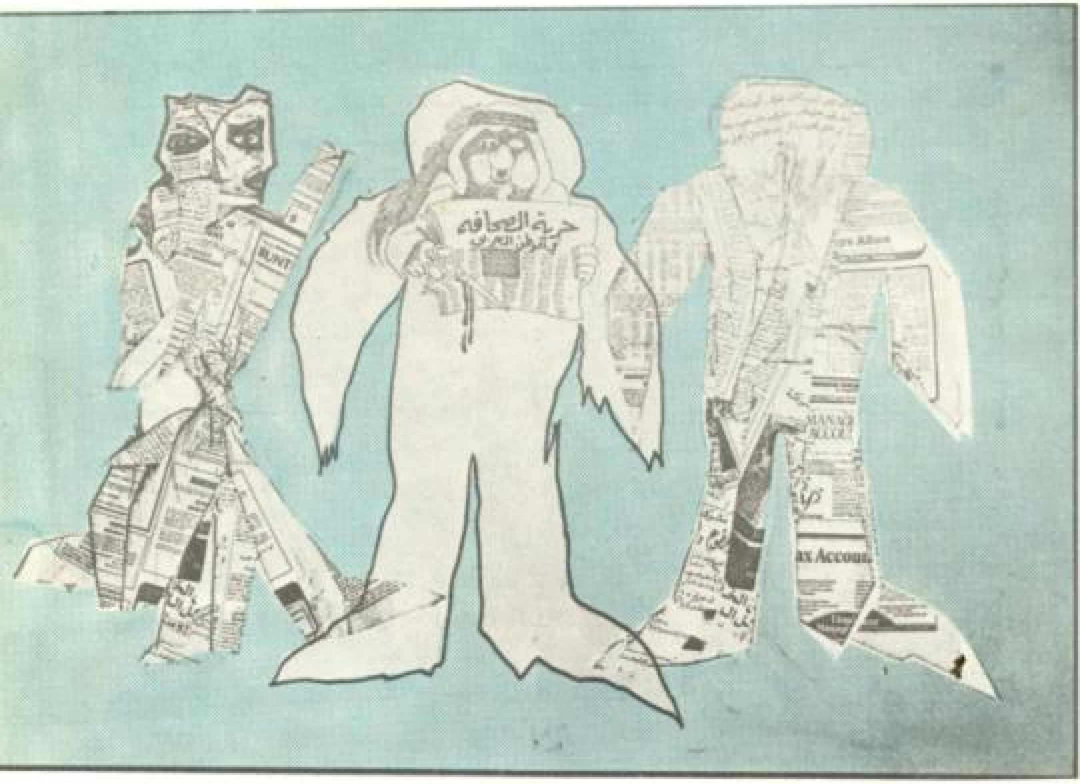

الطريق العام . فالملاحظ هنا أن الصدفة تجمع هؤلاء الأفراد ، وهي التي لعبت دورا رئيسا في تجمع هذا العدد الكبير نسبيا من العامة لرؤية الحادثة ، وصحيح أن الأفراد من العامة يكونون متلاصقين ببعض ، ومتجاورين لرؤية الحادثة ، ومشاهدة ما يجرى ، ومثل هذا التلاصق والتلاحم الجسمي قد لا يحدث لجماعات الرأى العام التي قد تكون متباعدة عن بعضها ، غير أن وسائل الاتصال من صحافة وإذاعة وتلفزيون وغيرها تربط بين أفكارهم ، وتوحد اتجاهاتهم ورؤيتهم في الحياة العامة .

ويتتج عن هذا التباعد الموجود بين أفراد جماعات الرأى العام أن تكون قوة الاتجاه والتأثير في هذا النوع من الجماعات أقل وأخف منها في أفراد الغوغاء والعامة ، ولعل السبب في ذلك عائد الى تقارب هؤلاء العامة وتلاصقهم وتباعد أفراد جماعات الرأى العام ، غير أننا نلاحظ في مقابل ذلك أن درجة التأثير واستمراره في أفراد جماعات الرأى العام أشد بكثير منها في أفراد العامة . . ولعل السبب في هذا يرجع الى ذوبان أهمية الحادث العرضي الذى جمع بين هؤلاء الأفراد من العامة ، فعندما ينتهي الحادث العام في الطريق أو تنتهي مباراة كرة القدم يتفرق هؤلاء الأفراد كل الى عمله ، أو الى منزله ، وكل حسب وجهته ، في حين أن أفراد جماعات الرأى العام تكون قوة الاتجاه والتأثير عليهم مستمرة لفترة غير قصيرة من الزمن ، لأنهم يلتقون حول افكار معينة ورؤى محددة .

الانتماء إلى جماعة واحدة

وهناك فرق آخر واضح أيضا بين أفراد جماعات العامة وبين افراد جماعات الرأى العام . . ففي الجماعات الاولى لا يتمكن الانسان من الانتماء في نفس الوقت الى أكثر من جماعة واحدة من جماعات العامة . . فمثلا لو افترضنا أن عدة حوادث من حوادث السيارات وقعت في ثلاثة شوارع من الرياض ، إحداها في شارع المطار ، والثانية في شارع الجامعة ، والثالثة في شارع الضباب ، فان ذلك لا يتيح للفرد في جماعات العامة الا الانضمام لاحدى الجماعات في شارع واحد لرؤية الحادث ومشاهدته .

أما في حالات جماعات الرأى العام فان الفرد يمكنه الانتماء الى عدة جماعات منها ، فهو قد يكون عضوا رياضيا في ناد ما ، وقد يكون عضوا في احدى الغرف التجارية والصناعية ، أو يكون عضوا في احدى الجمعيات التعاونية . .

التأثير المتبادل

وللرأى العام في عصرنا الحاضر سلطات كبيرة على الناس ، ولا سيما الذين يكونون في مواقع قيادية ، ويؤثرون ويتأثرون بمجموعات كبيرة من آراء الناس حولهم ، وحول الاعمال التي يقومون بها ، ولقد أخذ تأثير الرأى العام على القادة السياسيين يتفاعل ويتزايد مع مرور الأيام ، ومع وجود تفاوت في هذا التأثير المتبادل بين القادة السياسيين وبين الناس المؤثرين فيهم أو المتأثرين بهم . ان ذلك يحدث تبعا لظروف الزمان والمكان والاشخاص أنفسهم ، ومستوى التعليم ، ومقياس الوعي السياسي والاجتماعي عند هؤلاء الناس . ولقد حاولت الأنظمة السياسية ، بمختلف أنواعها في العالم.وما تزال ـ (من ديموقراطية ـ واشتراكية ـ واستبدادية ـ وديكتاتورية فردية ـ وعسكرية وغيرها) كسب جانب الرأى العام إلى صفوفها . وتفننت هذه الأنظمة مستعينة في ذلك بالوسائل الفنية والعلمية والفلسفية ، أن تكسب الرأى العام وتداريه وتدغدغ عواطفه وأحاسيسه ، حتى تضمه الى جانبها ، وحتى تتحاشى التصادم معه ، وبذلك تؤثر القيادات السياسية في الرأى العام كما يؤثر الرأى العام فيها .

وتكثر وسائل التعرف على اتجاهات الرأى العام وقياسه قياسا فيه كثير من الدقة ـ بقدر الامكان . . وهناك هيئات وجهات رسمية وغير رسمية تخصصت في بعض جوانب هذا التعرف ، والوقوف على اتجاهات الرأى العام . وتجرى الدراسات لقياس الرأى العام أيام الانتخابات السياسية وغيرها من الانتخابات ، ووسائل ذلك الصحافة ووسائل الاتصالات الاخرى ، وسائر مجالات التعبير والنشر والاحصاء والاستفتاء ، وكلما توفرت الحرية لهذه القياسات دون تدخل أو ضغط من الجماعات ذات المصلحة ، حصلنا على قياسات للرأى العام دقيقة ، وتعطي رأيا غالبا ، ولكن على النقيض من ذلك . . كلما تدنت وسائل قياس الرأى العام وتدخلت عوامل أخرى بالمال أو غيره ، حصلنا على مهازل مضحكة نسميها اتجاهات الرأى العام ! □□

■ نحن نسقط لكي ننهض . . ونهزم في المعارك لنحرز نصرا أروع . . تماما كما ننام لكي نصحو اكثر قوة .

« برونتج »

طفل عامل .. هكذا رسمت الحياة بؤسها على قدميه

في عيد العمال

صرخة ١٥٠ مليون طفل عامل !

بقلم : الدكتور عدنان رشيد

□ كلنا يتذكر رواية الكاتب الانجليزي شارلز ديكنز (أوليفر تويست) التى صور لنا الطفولة المعذبة فى انجلترا ابان الثورة الصناعية التى بدأت فى القرن الثامن عشر ، لقد انقضى أكثر من قرن على صدور الرواية ، طرأت خلاله تطورات عميقة على الحياة فى أوروبا ، الا أن الكثير من الدول ظلت بعيدة عن تطبيق قوانين تحريم تشغيل الاطفال فى المصانع ، ولكن يبدو أن انتشار الفقر والبطالة ورخص الايدى العاملة بين الصغار أدى الى الاستعانة بالاطفال فى عملية الانتاج ، وعادت المأساة .

فى العالم اليوم ١٥٠ مليون طفل بين الخامسة والسابعة يعملون فى البناء ومصانع النسيج بأجور تافهة لا تكاد تسد الرمق . .

ففى دول امريكا اللاتينية يعمل الصغار فى البناء ، ويحمل هؤلاء الطابوق فوق ظهورهم مما يؤدى بمرور الزمن الى تقوس الظهر وتراخى الفقرات ، أما الذين يعملون فى المصانع فيتعرضون الى امتصاص السموم الكيماوية والغازات الاخرى التى تضر بالصحة .

وفى الدول النامية وحدها ٧٥ مليون طفل فى عمر الثامنة يعملون فى الورش وأعمال البناء ، وفى مسح الاحذية ، أو كباعة متجولين . . انهم يضعونهم فى مواقع العمال القادرين على العمل ، وترتفع نسبة البطالة ، فالاطفال يتقاضون أجورا منخفضة ، فتجد مثلا فى جزيرة هايتى آلاف الاطفال يعملون فى نقل الماء ، ويتقاضى الواحد منهم لقاء ١٥ كيلو جراما من الماء ٥٠ سنتا امريكيا ، رغم أن القانون ينص على أن الحد الادنى لاجر العامل هو ٤ دولارات . . !!

وفى الهند يعمل ٤٠ ألف طفل فى صناعة تغليف الالعاب النارية ، ويتقاضى الطفل ٤٠ سنتا يوميا ، أما صاحب المصنع فيجنى ربحا سنويا يقدر بحوالى ١٥٠ مليون دولار . . .

واذا ما عصى الطفل تعليمات وأوامر صاحب المصنع ، فان صاحب المصنع يلجأ الى أعنف أساليب العقاب ، ومن بينها كى جسده بقضيب معدنى ملتهب . . !!

أم تبيع طفلتها !

وفى تايلاند دفع الفقر اما الى بيع طفلتها البالغة من العمر ٨ سنوات الى مصنع للغزل ،

أطفال فى عمر الزهور يعملون ويكدحون ويعانون

للعمل طيلة اليوم وطيلة العام بمبلغ ١٠٠ دولار . وتعمل هذه الطفلة طوال ساعات النهار فى غرفة ساخنة ، فاذا مرضت وجب عليها أن تعوض أيام غيابها بالعمل ساعات اضافية ، أما اذا تباطأت فى العمل فإن المسؤل يضربها بالعصا ضربا مبرحا يمزق نياط القلوب . وتنام الطفلة مع بقية الاطفال على الارض بدون فراش ! وتعد هذه الاساليب شكلا من أشكال العبودية الحديثة ، رغم أن قوانين العمل فى العالم وقوانين الامم المتحدة تحرم ذلك ، ولكنهم لا يدركون مضمون هذه القوانين ، بسبب غياب النقابات والجمعيات التى تهتم بأمور الطفولة . .

وفى امريكا اللاتينية وافريقيا يعمل الاطفال فى خدمة العوائل الثرية ، واذا حاول أحدهم الهرب يضربه رب البيت بقسوة ، وتتساقط دموعه طالبا الرحمة ، أما الفتيات الصغيرات فيتعرضن للاغتصاب !!

وفى امريكا الوسطى يعمل الاطفال فى الحقول والمزارع فى موسم الحصاد ، وجنى الثمار من الاشجار .

والى هنا ، والعمل طبيعى بالنسبة لاطفال صغار فى هذه السن وسط الحقول ، ولكن وغالبا ما يقوم أصحاب المزارع برش هذه الحقول من الطائرات بالمواد الكيماوية المبيدة للحشرات ، الامر الذى يشكل خطرا كبيرا على صحة هؤلاء الاطفال .

وفى كولومبيا يعمل الاطفال فى مناجم الفحم الضيقة المسالك والممرات ، ويصابون بعد فترة

من الزمن بالسل الرئوى ، لعدم تناولهم الحليب الذى يمتص الغازات المضرة . .

ولنعد الى تايلاند ، حيث يعمل أغلب الاطفال فى مصانع الزجاج ذات الحرارة العالية ، التى تصل الى ٧٨٣ درجة مئوية دون وجود مراوح أو أجهزة تكييف .

وفى البرازيل يعمل الاطفال فى مصنع نفخ الزجاج لصناعة الاقداح ، فيتعرضون للتسمم بسبب استنشاق اوكسيد الحديد والزرنيخ والسيليكون ، مما يؤدى الى اصابتهم بأمراض فى أجهزة التنفس .

أما الاطفال الذين ينقلون الطابوق فوق ظهورهم فى أعمال البناء فى الكثير من دول العالم الثالث فانهم يتعرضون لآلام مستمرة فى العمود الفقرى يتعذر علاجها . . .

ويشكو أغلب الاطفال الذين يعملون فى المصانع لساعات طويلة من أوجاع فى عظام الساقين والساعدين ، وتنتهى حياة اغلب هؤلاء قبل بلوغهم سن الرشد . . !!

وفى الهند يموت أغلب الاطفال بالانفجارات الكيماوية والصدمات الكهربائية ، نتيجة لانعدام الامن الصناعى داخل المصانع . .

أما فى افريقيا فيعمل الاطفال الملونون طيلة الشهر بمبلغ دولارين ، وعندما يتعذر على الطفل الملون ايجاد عمل له ، يضطر الى التسول أو البحث عن الطعام فى القمامات .

٤٠ مليون طفل مشرد

وفى كولومبيا يجهل ٣٠ فى المئة من الاطفال اباءهم ، اذ يمضون يومهم فى الملاجىء الحكومية ، حيث يبلغ عددهم ٣٢ ألف طفل مشرد . .

أما عدد الاطفال المشردين فى امريكا اللاتينية فيبلغ ٤٠ مليون طفل وأغلبهم يكسب قوت يومه من غسيل السيارات ومسح الاحذية أو

هل تصدق أن الطفلة الصغيرة عاملة بناء ؟

التسول . .

وفى فرنسا يعمل الاطفال فى الصيف فى قطف الكروم من المزارع ، وفى ايطاليا تعمل الفتيات الصغيرات فى المصانع كما أن ٦٠ فى المئة من أطفال الولايات المتحدة يعملون فى المصانع للحصول على أجور تكفيهم لتغطية متطلبات هواياتهم ، كشراء الكاميرات وآلات التصوير والألعاب المسلية !!

وبسبب انعدام الأمن الصناعى فى المصانع يفقد أغلب الاطفال سيقانهم أو سواعدهم أو بعض أصابعهم ، اضافة الى اصابتهم بامراض نفسية ، ناهيك عن معاناتهم بسبب سوء التغذية المستمرة ، مما يؤثر على قوة تفكيرهم ومستوى ذكائهم .

وفى جنوب ايطاليا وبالضبط فى منطقة (التامورا) انتحر طفل لان والديه عرضاه للبيع فى مزاد علنى فى السوق ليعمل راعيا للاغنام ، وقد أشارت النقابات الايطالية الى أن كثيرا من الاطفال يباعون كل عام سرا بسبب الفاقة والعوز ، أضف الى ذلك أن أغلب الفتيات فى تايلاند والفلبين اللواتي يبلغن الثامنة من العمر يمارسن البغاء بسبب الفقر . وقد انتشرت هذه الظاهرة فى الهند واستراليا وايطاليا ، حيث تمارس الفتيات فى عمر العاشرة البغاء العلنى ، وكذلك فى مواخير نابولى وجنوا وروما حيث اعتادت الفتيات الصغيرات ممارسة البغاء

أما فيما يتعلق بالتعليم فاننا نجد أن أغلبهم لم يزر المدرسة ، ففى ايطاليا مثلا لا سيما فى مدينة نابولى تقول الاحصائيات أن طفلا واحدا من كل ٣ أطفال لم يزر المدرسة حتى الان !

أما المدرسة الابتدائية فلم يدخلها أطفال سوى ٢٢ بالمئة من الاطفال هناك . .

ان الاطفال الذين يساهمون فى تشييد وبناء حضارة واقتصاد العالم النامى والمتقدم على السواء لا يعرفون الاجازة السنوية ، ويفتقرون الى حنان الام ورعاية الاب .

وتشير احصاءات الأمم المتحدة بأن تكاليف صاروخ عابر للقارات تكفى للانفاق على مليون و ٥٠٠ ألف طفل لمدة عام .

الطفل والمستقبل

ان قوانين العمل تحرم تشغيل الاطفال فى المصانع واعمال البناء وغير ذلك من الاعمال الشاقة ، الا أن الفقر المتفشى فى الدول النامية ، وانعدام الترابط بين أفراد الاسرة فى الدول المتقدمة ، وعدم اهتمام المسئولين بهذه الظاهرة لعدم وجود برامج للاصلاح الشامل ، جعل الاطفال يقذفون بأنفسهم فى هوة الاعمال الشاقة لتوفير لقمة الخبز ، مما يؤثر بدوره على الايدى العاملة حيث يعد الطفل عاملا منافسا للعمال فى البلدان النامية ، اضافة الى انهم أيد عاملة رخيصة تغرى أصحاب الاعمال على استغلالهم دون وازع دينى أو انسانى او قانونى . .

ان العالم ينفق كل دقيقة مليون و ٣٠٠ ألف دولار على التسلح ، ولكننا نسينا الاطفال المعذبين فى العالم ، وان لم تسارع الحكومات فى الدول النامية والمتقدمة الى منع تشغيل الاطفال فى المصانع وأعمال البناء وانحدارهم الى عالم التسول ، فاننا سنبقى متخلفين قرونا طويلة ، رغم مظاهر الحضارة التى تفاخر بها الدول التى سبقتنا !

ان ثمة قصصا مؤلمة عن جنوح الاطفال الى الجريمة والتسول والبغاء والعمل الشاق . وقد آن الأوان لتشريع قانون يمنع تشغيل الأطفال ، وينبغى على الحكومات فى الدول النامية فرض ضريبة على كل مواطن ، تسمى (ضريبة الطفولة) وتودع فى صندوق خاص تشرف عليه الهيئات الاجتماعية لانفاقها على الاطفال الفقراء لتعليمهم ، وايجاد أعمال لهم ، لكى نعيد لهم الابتسامة المشرقة ، والفرحة العذبة ، أسوة بالاطفال السعداء فى العالم . . فالطفل هو المستقبل . □□

الكأس الواحدة

شعر : محمد الفايــــز

عجبت لهم من فتية قد تكهنوا
بما سوف يأتي أو من الوحي لُقنوا

الى الآن لم تبرح بهم نزعاتهم
تميزهم عن غيرهم حين تقرن

نشاوى وإن لم يشربوا ، وصدورهم
خرائط برق أو فضاء ملون

وقد عرفوا أن الحياة وما بها
من الماء ان الماء يصفو ويأسن

ومهما يكن من أمرهم فجميعهم
على الفطرة الأولى وما تتضمن

لئن حاصرتهم كل حرب وأوغلت
بهم أمم شتى فلم يتمكّنوا

فما برحوا ظلا وماء لساكن
وفيهم هوى للموت شارٍ ومزمن

كأني أرى الخيّام يبكي وقد صحا
من النوم ان الموت نوم مكفّن

لقد عرف الأفلاك كيف مدارها
يدور ولكن مادرى كيف تطحن

اكان لزاما طحن أرض نباتها
زبيب وحناء وتمر وسوسن

وَدُور كأن الصخر في حجراتها
قلوب بها حزن لو الصخر يحزن
نوافذها يبكي عليها زجاجها
وكان بها العصفور يأوي ويقطن
وكانت حروب الناس كُلاّ بأرضه
فصارت كأن الحرب في الناس ديدن
لقد نفخوا في الطين فهو زخارف
وظلّ وطين الناس نتن معفن
وجاءوا بموت آخر لاتردّه
دروع ولا حصن لمن يتحصن
وقالوا هي الأشياء تنمو مع المدى
كذلك هذا الموت ينمو ويسمن
وليس الذي يبقى مقيما بكهفه
كذاك الذي يبني بناءً ويسكن
تجاوز فينا الحزن حدّا أحاله
رموزا وبعض الرمز حزن مبطن

في الثمانينات .. الأطفال أقل طولاً .. والفقر هو المتهم

بقلم : محمود المراغي

أصبح الاطفال في زامبيا أقل طولا بالنسبة لاعمارهم .. وأصبحوا في سان باولو ـ عند الولادة ـ أخف وزنا مما هو مألوف بالنسبة للطفل الطبيعي !

الخبر ـ مع مجموعة أخرى من الاخبار الهامة ـ أعلنته منظمة دولية هي منظمة الامم المتحدة للاطفال والمعروفة باسم اليونيسيف .. والخبر جاء ضمن تقرير شامل يشير للاخطار التي تهدد اطفال العالم ، بسبب موجة الركود الاقتصادي التي تجتاح العالم .. وسوف تستمر في اجتياحه طوال هذه الحقبة تاركة العديد من الآثار التي من بينها : طفل أقصر .. وآخر أخف وزنا .

الا أنه في حساب الآثار الشاملة على الطفولة ، فان الصورة أكثر قتامة .

يقول التقرير : انه في كل صباح يموت (٤٠) ألف طفل لم يحتفل أي منهم بعيد ميلاده الاول .. ومعنى هذا ان العالم يفقد (١٤) مليون طفل كل عام ، ممن لا تتجاوز أعمارهم السنة الاولى من حياتهم !

وبالطبع فان النسب تختلف من منطقة الى أخرى .. ومن حقبة الى أخرى ، وبينما يجرى ترتيب الدول في دراسات أخرى وفق الدخل القومي الذى تحققه كل منها .. فإن منظمة الطفولة ترتب الدول وفق نسبة وفيات الاطفال الرضع ... ووفقا لذلك نجد أنه يموت في كل من أفغانستان وفولتا العليا وسيراليون مائتا طفل من كل ألف طفل رضيع .. بينما تهبط النسبة الى أدنى السلم لتصل الى ٧ بالالف في السويد وفنلندا واليابان ، وهذا يعني أن معدل الوفيات في بعض الدول الفقيرة يتجاوز المعدل في بعض الدول المتقدمة بنحو ٢٩ ضعفا .

وهناك بالطبع استثناءات في العالم الفقير مثل الصين .. ولكن تبقى القاعدة العامة أن أطفال الفقراء يموتون أكثر .. وأن هؤلاء يتأثرون بالفقر وبالركود الاقتصادى (حتى لو كانوا في دول غنية) من خلال قناتين : الاولى انكماش دخل الاسرة .. والثانية انكماش الانفاق الحكومي ، وفي الحالتين يتم ترجمة الامر الى انكماش في الغذاء والكساء والرعاية الصحية للطفل .

وبتفصيل أكثر فان الاطفال الرضع (أقل من عام) ، وهم موضع الحديث ، لا يموتون بهذه النسب العالية بسبب أوبئة أو أمراض خطيرة .. لكنهم يموتون لاسباب قد تبدو بسيطة ، فالإسهال مثلا ـ وبما يسببه من جفاف ونقص للسوائل في الجسم ، يموت بسببه ٥ ملايين طفل سنويا .. ويعتبر الخبراء أن الجفاف هو السبب الاول للوفاة عند الاطفال في العصر الحديث في الدول النامية !

وداخل دائرة (البسيط القاتل) أيضا يأتي مرض الحصبة ليحصد ، مليونين من الرضع كل عام ، ثم السعال الديكي ليحصد مليونا ونصفا .. ثم .. تأتي أمراض سوء التغذية وغيرها .

هذه الاسباب المباشرة لموت (١٤) مليون طفل رضيع .. هل هناك من سبيل لعلاجها ؟

في عام ١٩٠٠ كانت نسبة هذه الشريحة من الوفيات في مدينة نيويورك (١٤٠) في الالف .

ثم أصبحت هذه النسبة الان من نصيب بنجلاديش وبرئت نيويورك من الامراض القاتلة . . و . . هكذا حدث تقدم شديد في المستوى الاقتصادي والثقافي والاجتماعي والصحى فى العالم المتقدم ، وقد ترك هذا أثره على صحة الاطفال . . ولكن هل يحدث نفس الشيء في العالم النامي ؟

المنظمات الدولية لا تتوقع ذلك وتعتقد أن المدخل الاقتصادي ومفتاح الوفرة الذى قضى على الامراض وأشاع العناية بالطفل ودفع بالامهات الى مستوى جديد من الوعى . . هذا المدخل لن يكون متاحا للدول النامية في زمن الفقر والركود ، وأن المدخل المناسب شيء آخر . . أقل تكلفه وأيسر سبيلا .

وتقول الدراسة الهامة التي أصدرتها اليونيسيف عن أطفال سنة ١٩٨٤ان ثورة في أسلوب حماية الاطفال يمكن أن تحدث . . وأن المفاتيح الاربعة لذلك أبسط مما تتخيل .

مفتاح أول ـ علاج جديد لجفاف الاطفال . . وهو علاج بالفم لاول مرة !

مفتاح ثان ـ أن نراقب نمو أطفالنا . ونزن الطفل كل شهر . . ونستشير المتخصصين !

والمفتاح الثالث : التحصين ضد الأمراض .

والمفتاح الرابع : أن ترضع الام طفلها . . ولا تعتمد على الوسائل الصناعية .

ووفقا لما تقوله الدراسة فإن ذلك يمكن أن ينقذ كل عام (٧) ملايين طفل ، ويخفض نسبة الوفيات في هذه الشريحة من العمر (أقل من عام) الى النصف .

وبالطبع فإن (ثورة حماية الاطفال) لاتعتمد على الجهود الحكومية وحدها لكنها تعتمد على الجهود الشعبية في الاساس . . فعندما نعرف أن نسبة الوفيات ترتفع لدى الامهات اللاتي يتزوجن تحت سن العشرين . . أو يلدن مرات متتالية ، واذا عرفنا أيضا أن الكثير من الامراض عمادها البيت النظيف وغير النظيف . . اذا عرفنا ذلك فلا مفر من أن نقول : نعم ان الجهد الشعبي هو الاساس .

وحين نقول ذلك فاننا لانعالج قضية تهم المختصين وحدهم ، أو قضية النساء وأطفالهن البؤساء . . لكننا نعالج قضية اعتبرها المجتمع الدولي قضية سياسية من الدرجة الاولى حتى أن الجمعية العامة للامم المتحدة قد اتخذت قرارا عام ١٩٨٠ بتخفيض نسبة الوفيات للاطفال الرضع فقد كانت النسبة عام ١٩٥٠ تبلغ عشرين بالمائة من عدد أطفال العالم الثالث . . فأصبحت عام ١٩٧٥ : تبلغ عشرة بالمائة . . وأصبح المستهدف بموجب قرار الامم المتحدة النزول بالنسبة الى خمسة بالمائة عام ٢٠٠٠ .

ولكن . . هل نستطيع ؟

المنظمة المتخصصة (اليونيسيف) تقول : ان الدلائل تشير الى أن اكثر من سبعين بلدا ـ تضم ٦٠٪ من المواليد ـ سوف تعجز عن تحقيق ذلك بسبب ظروفها الاقتصادية . . لذا فإنه بينما كان طريق الخلاص في العالم المتقدم : تنمية اقتصادية يصاحبها طب متقدم . . أصبح النمط المطلوب في العالم الثالث : (طب بسيط فعال تساعده جرعات من التنمية) .

وفى العلاج أيضا يقولون : ان تكنولوجيا الغرب المتقدمة فى الوقاية والعلاج وطب الاطفال ليست هى المطلوبة . المطلوب شيء ابسط من ذلك يحقق (نتائج أفضل بموارد أقل) . . و . . يضربون المثل بكوريا الشمالية والجنوبية والصين وسيرى لانكا .

وهل يحتاج الزواج المتأخر ، . . وارضاع الطفل طبيعيا ، والحمل في فترات متفاوتة الى امكانات اقتصادية واسعة ؟

الجواب طبعا بالنفي . . والبداية الطبيعية هي الوعي . . وهو وعي يصنع ثورة تنقذ ملايين الاطفال الذين يموتون قبل أن تتفتح عيونهم على الحياة . □□

مازالت الأيدي تصنع التراث في تونس

استطلاع : سليمان الشيخ

تصوير : سليمان حيدر

هناك (عالم) ومعالم أخذنا نفتقدها تدريجيا في بعض اقطارنا العربية ، بعد أن توالت علينا هجمات المواد المصنعة المستوردة ..

فما هو ذلك العالم .. وما هي تلك المعالم ؟؟ ..

الطرق على النحاس ... أدوات بسيطة وحس جمالي فائق .

ارتبطت كلمة (صناعة) في أذهان الناس ، بالمصانع الكبيرة التي تنفث دخانا يلوث البيئة ويغطي السماء بطبقة من غباره ، مما يؤثر على حياة الناس ويساعد على انتشار الأوبئة والامراض .

وارتبطت الصناعة أيضا بهدير الآلات الذي يصم الأذان .

لكن مارأيك عزيزي القاريء لو نقلناك الى واقع آخر مألوف ولكن غير مطروق .. واقع (صناعي) لاتسوده الاجواء التي تحدثنا عنها ، ولاينبعث منه الدخان الاسود .. تتأثر فيه الحواس ولكن بصورة أخرى ، فهي ترتقي وتسمو وتحلق معه الى آفاق بعيدة موغلة في القدم ، وتختلط فيه الأجواء الفنية بالأجواء الصناعية .

واقع تلعب فيه اليد ـ سيدة الآلة ـ الدور الاساسي وتستعمل فيه أدوات صغيرة وبسيطة .. !

تنقلك الى أجواء مايسمى (بالصناعات التقليدية) .

حيث بات معروفا أن هذه الصناعات تعرضت منذ زمن في وطننا العربي الى منافسة شديدة من قبل الصناعات الحديثة المستوردة التي تسربت الى البيوت ، وكادت أن تطردها وتهدد وجودها بالانقراض .

وقد وجدنا في الجمهورية التونسية اصراراً على المحافظة على تقاليد الكثير من هذه الصناعات التقليدية .. مما حتم علينا وقفة تأمل وبحث ودراسة لها ، فكيف عاشت هذه الصناعات ونمت وتطورت وأصبحت علامة مميزة لتاريخ هذا الشعب وتراثه على مر العصور ؟

ـ ان زائر تونس سيكتشف أنه يوجد في كل مدينة وقرية تقريبا معارض لبيع هذه الصناعات .

ـ ورش كبيرة وصغيرة تصنع التحف التي تحمل طابع القطر الشقيق وطبيعة حياة أهله .

ـ بيوت اختصت بصناعة معينة من تلك الصناعات ، يعمل فيها الاب والام والاولاد .

ولكن ماهي تلك (الصناعات التي تحتل كل هذه الاهمية ؟؟

التجميلي والاستعمالي

يقول السيد محمد المصمودي مدير الديوان القومي للصناعة التقليدية :

● هناك عشرات الصناعات التقليدية المنتشرة في شتى أنحاء تونس.

- الزربية ـ السجاد ـ والنسيج :
- الاثاث وصناعة الخشب .
- صناعة الخزف والسيراميك .
- الخيزران ومشتقاته .
- النحاس والحديد المطروق .
- المصوغات والمرجان .
- صناعة الجلود ومشتقاتها .
- الالات الموسيقية .
- الخياطة والدمي .
- الحرير والتطريز .
- المرمر المنحوت والحجارة المنقوشة .

ويمضي المصمودي في حديثه فيقول « وقد تولد عن هذا النشاط سلسلة منتجات قد تصل الى الآلاف .. بعضها صنع خصيصا للتجميل والزخرفة ، وبعضها يحتل مكانا بارزا في البيت التونسي وبيوت الزوار الذين يقبلون على اقتنائه لاستعمالهم الشخصي ، والفرق واضح بين النموذجين .. »

ومهمة الديوان القومي ـ كما يقول المصمودي ـ هي المحافظة على التراث ، والعمل على اثرائه تقنيا وجماليا ، ان كان لهذا الغرض أو ذاك . أعني ان كان للاستعمال اليومي أو للزينة والاقتناء .

وقبل أن نتابع تسجيل بقية حديثنا مع السيد المصمودي ننتقل معا في رحلة سريعة الى الاسواق نستكشف ما فيها ونسجل انطباعاتنا .

محمد المصمودي . . مدير ديوان الصناعات التقليدية

تدخل أسواق مدينة تونس المحاذية والقريبة من جامع الزيتونة . . مئات المخازن والمعارض والدكاكين والمحلات (والمغازات)* تغص بمئات المنتوجات من الصناعات التقليدية . . .

صانع الجلود يبتكر . . وتخرج من بين يديه عشرات الصناعات . . الجميلة والزاهية . وطارق النحاس يشكل أطباقا ومزهريات ومصابيح بشكل فني جذاب . وصانع (الشاشيات) (الطربوش) أي غطاء الرأس الاحمر ، وصانع ألعاب الاطفال ، وبائع المصوغات والمرجان وصانع وبائع السجاد . . كل اولئك يصنعون عالما فنيا متعدد الالوان والاشكال ، ومتنوع الخامات والمواد ، يغلب عليه النقل والتقليد والتواصل مع ما ابتكره الاجداد ، بل هناك الكثير من المحاولات التجديدية في كل صناعة وفي كل مادة . قفاطين ، دشاديش من شتى الاشكال والاصناف ، نحاسيات ، جلود ، زرابي ، سيراميك ، فضيات ، ذهبيات الخ . . تكل رجليك وأنت تتنقل بين الطرق الضيقة المسقوفة ، التي تذكرك بأية مدينة عربية عريقة . . .

يخيل اليك أن الحجارة ستنطق وتروي ماصنعه بناتها وتخال أن الطرق ستنقلك بعد كل منعطف أو في نهايتها كي تلتقي وجها لوجه مع الرعيل الاول من مشيدي المدينة الذين تعاقبوا على اضافة اللمسات الفنية الحضارية على كل ركن فيها .

تاريخ متصل

لقد عرفت تونس هجرات وغزوات كثيرة قبل الفتح الاسلامي وبعده ، وكل شعب من تلك الشعوب حمل معه ثقافته ومميزاته الحضارية وابداعاته . . وبعضها مازال حاضر الوجود يشير الى عظمة ماتم انجازه لنقرأ معا ماكتبه عثمان الكعاك في كتابه (التقليد والعادات التونسية) الصادر عن الدار التونسية للنشر ١٩٨١ في طبعته الثالثة :

قال عن الفينيقيين : (جاء الفينيقيون من لبنان ، ونقلوا صناعات الأمم ومتاجرها من قطر الى قطر ، وأدخلوا الى تونس المزروعات والصناعات التقليدية والزينة) .

وعن المسلمين الذين قسم تاريخهم الى أطوار . . كتب الأستاذ الكعاك :

● المهلبيون : نشروا صناعة الزربية العجمية وغيرها من المأكولات والزراعات .

* مغازة : كلمة فرنسية تعني معرض ، وتكتب في تونس (مغازة) بدلا من معرض وهناك مصادر تشير الى أن الكلمة الفرنسية مأخوذة عن كلمة (مخزن) العربية !!

اضفاء لمسات جمالية على أقفاص سيدي بوسعيد ـ لاحظ التركيز على العمل اليدوي .

مصابيح الاضاءة .. وجمالية الاستعمال .

السيراميك .. قبل أن يكتسي صورته النهائية

الزجاج المكسور يمكن أن يصبح اداة استعمال مرة ثانية .

الصلصال .. خامة تتحول الى العشرات من أدوات الاستعمال

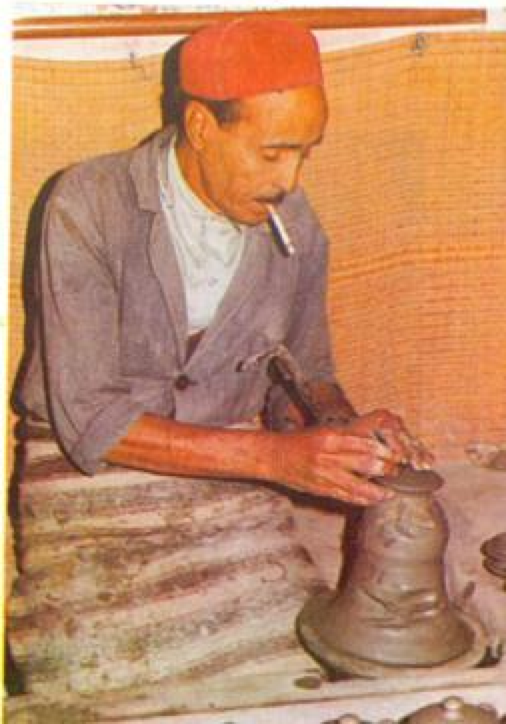

تشكيل النحاس فيه صعوبة أيضا !

● الأغالبة : كوّنوا عادات احتفالات العيدين ، والمولد ، والطواف فيها على الأولياء ، وتزيين الأسواق ، وجلبوا الموسيقى الشرقية ، وصناعة الكاغد ، وشرب الشاي وأقاصيص جحا ، ولعب الشطرنج والنرد .

● الفاطميون : جلبوا الى تونس عادات الشيعة ، منها التمثيل الديني بعاشوراء ، وصنع عرائس عاشوراء ، والاكثار من الموالد ، وصور الحيوانات المنقوشة على الألواح أو الحجر أو الرخام .

● الصنهاجيون : نشروا التصوير الزيتي ، والموسيقى الأندلسية المركبة على الأزجال ، والموشحات المقسمة الى نوبات .

● الحفصيون : أسسوا الكتاتيب والمدارس على صورتها الحالية ، وبلغ الفندق والكوشة والصناعات مبلغ اتقانها الحالي .

● المراديون : دخلت في عهدهم الموسيقى العسكرية التركية والشارف والأطعمة التركية ، ودخلت الصناعات التركية في التطريز والخياطة والملابس وغيرها .

وفي عصرهم أي عصر المراديين جاء الاندلسيون سنة ١٠١٧ م وأدخلوا أطعمتهم وبعض زراعاتهم ، وجلبوا آخر ما ظهر من الموسيقى الأندلسية في آخر مراحلها . وأثروا في أسلوب البناء ونظام المدن وأنواع الصناعات والتجارات والزراعات فقد جلبوا صناعة الشاشية والزليج ـ تشكيل المرمر والرخام ـ والحرير والتطريز والنقش العربي .

وهكذا توالت موجات البشر تصب في المدن التونسية وقراها ثقافاتها وصناعاتها وزراعاتها وعاداتها وتقاليدها . تتأثر وتؤثر في الناس المحليين .

وهكذا فان الصانع التقليدي التونسي عندما يصنع مادة ما ويشكلها ، فان علينا التذكر بأن وراء هذا التشكيل الجديد موجات من المد البشري ساهمت هي أيضا في التشكيل والتأثير ، وأن أنفاسها مرصودة في المادة المصنعة ، تعطيها العراقة ، وتوصلها بتاريخ ما انفك عن الامتداد والوصل والاتصال .

سراميك نابل

ولو انتقلنا من أسواق مدينة تونس الى أسواق مدينة نابل التي تبعد عن العاصمة حوالي ٥٥ كيلو مترا ، والتي لا زالت التأثيرات الأندلسية واضحة على مبانيها وصناعاتها . فانك تجد المعارض غاصة بالمصنوعات التقليدية ، بل تجد المصانع الصغيرة ناشطة في صنع الفخار والسيراميك والأواني المنزلية ، وتحتل زوايا معينة في الطرق نفسها التي فيها المعارض . بل أن النابليين لجأوا الى توكيد شهرتهم بالسيراميك فأحاطوا شجرة أرز صغيرة بأكبر فخارة من السيراميك رأيتها في حياتي ، وزرعوها في وسط شارعهم الرئيسي . . الذي تحول الى متحف في يعج بشتى المصنوعات التقليدية ، بل ان واجهات الكثير من المباني غطاها بلاط السيراميك وقطعه ، ورسمت عليه رسوم جميلة الشكل حسنة المناظر والزخارف .

جميلة ولباس تقليدي فيه البساطة والجمال معاً

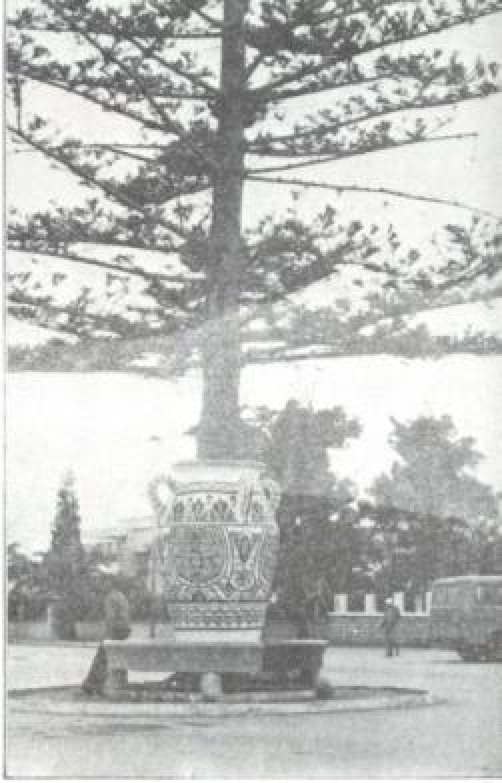

عناق الأرز مع السيراميك في نابل

يقول الأستاذ الكعاك في كتابه المشار اليه سابقا :

« ويدخل الزخرف في تزيين الجدران والسقوف بالأشكال النباتية والهندسية والحيوانية ، فمن أجمل الزخرف النباتي قبة المحراب بجامع القيروان ، ومن زخرف الحيوانات ما يوجد بالحمامات على الخصوص ، ومنها ما تزخرف به الأدوات مثل أواني الفخار الساذج والغفل والفخار المطلي » .

وَشْوَشَةُ البحر

ولو تحركنا من نابل وتوجهنا نحو مدينة الحمامات فاننا سنقطع حوالي عشرة كيلو مترات على طريق تحفها مزارع الزيتون والكروم .

وفي هذه المدينة التي تربض على شواطىء البحر .. تتحاور قلعتها التاريخية مع الموج وتحكي قصص ما شهدت ورأت ، وأحيانا تتعارك مع الموج .. وتتحدى غضبه وفورانه ، فيرق ويتصالح معها ليستمر التعايش بينهما .. بين الثورة والغضب ، والرقة والغزل والوشوشة والبوح والتناجي .... وتصطف بجانب القلعة معارض كثيرة مليئة بالمصنوعات التقليدية كغيرها من المدن التونسية .

ولو انتقلت الى سيدي بوسعيد التي تبعد حوالي ٢٠ كيلو مترا عن العاصمة فستجد نفسك وكأنك في حاضرة من حواضر الأندلس ، بناء ، وأزقة ، وأرصفة ، ونقوش أبواب ونوافذ ، وتمر على قرطاج فتواجه هدير الموج وهو يحاور أطلال تاريخ تليد ، حمل فيه الطموح الى أن يدق الفينيقيون وقائدهم هنيبعل أبواب روما ، بعد أن قطعوا جبال الألب المليئة بالوعورة والصعوبات والتعب .

يبهج المنظر فيك عروق الشجن ، وتتكاثف الذكريات فوق بعضها بعضا .. تغيم الصورة أمامك فتغمض عينيك هنيهة . فتصحو على الهدير ، بعد أن ضربت حاسة شمك رائحة أزهار البرتقال - والقوارص - أي الحمضيات ... فتصحو على نفسك وسط اشارات ورموز وأشياء تذكرك بأن (القيمة الجمالية) والقيم ما زالا مصدرا من مصادر العطاء فينا ، وأن جيش السياح الذين يتدفقون على أقطارنا وتغص بهم أزقتنا التاريخية وهم يبحثون وينقبون عن الآثار ، أو يسعون لاقتناء الصناعات التقليدية المترعة بالذوق الشرقي واللمسات الفنية المفتقدة في المحيط الغربي ما هي الا توكيد على أن فينا ذلك الاكتناز الذي يمكن أن يتحول الى (كنز) دافق بالعطاء والبذل والتواصل . واستعادة الدور والفاعلية في خريطة الدنيا والعالم ... وتتكاثف في الذهن المفارقة .. هم يسعون الى اقتناء آثارنا وصناعاتنا التقليدية ، ونحن ... أو البعض منا

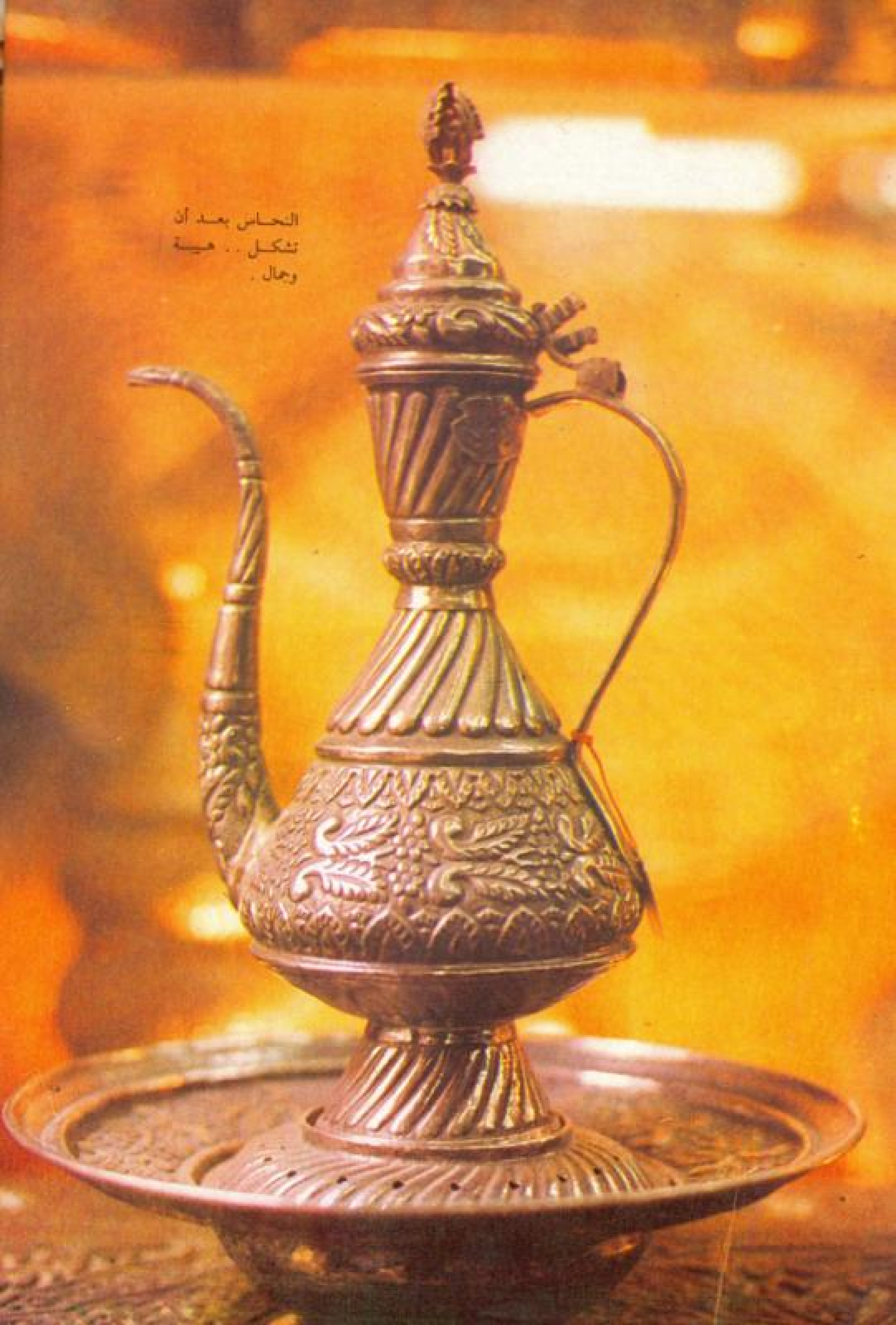

النحاس بعد أن تشكل .. هيبة وجمال .

دقة وتركيز في الصنعة

بائع وزبائن .... وفخار تشكل

يتلهف على الاستيراد واستهلاك ما يصنعون وهو فاقد للجمال والعراقة !!

اليد المبتكرة

ترى هل بعدت بنا الخواطر ، فخرجنا من المحسوس والملموس الى التجريد ، وأخذتنا الذكريات والانفعالات الى خلط الواقع بالتاريخ .

ليكن ... فالصناعة التقليدية هي مزيج من واقع موجود بواقع آخر متصور أو متخيل ، أعطانا المبادىء والأساليب والبصمات والايماءات .. وها هي الأجيال اللاحقة تسير على الدرب تضيف وتجدد .. وتبتكر .

تتمعن صانع الفخار وهو مستغرق في عمله ، أو عامل السيراميك وهو يلون مادته ، أو العامل الذي يصنع ويلون أقفاص سيدي بوسعيد للطيور ، أو صانع آلات الموسيقى أو السجاد الجنوبي والقيرواني والكليم والزرابي وغيرهم وغيرهم ... فترى كل واحد منهم يضيف لمسات فنية ، وأشكالا هندسية تتداخل بعضها مع بعض ، فلاتملك الا أن تسأله :

ـ هل تعتبر نفسك فنانا ؟

يجيبك العامل حتى دون أن يرفع رأسه عن مادة صناعته : (كلّ فنان في صنعته) ... نعم صحيح فالصنعة تحتاج الى مستوعب وناقل ومطور ومجدد .. وربما مبدع .

صحيح أن الابداع هنا يتأطر ضمن حدود ضيقة ، ومع ذلك فان في كل صنعة أسرارا وحذقا ومهارة .. وتشكيلات فنية تراعي تناسق الكتلة والشكل والتدرجات اللونية .. الخ ، لذلك فان (الابداع) يبقى جزءا من هم الصنعة ... التي يزيدها المران والخبرة والزمن والهواية اكتمالا وتطورا ...

هي وسيلة لاكل العيش ... هذا صحيح لكن الفن والابداع يحوطانها ويدخلان في أساس مادتها .

في الدندان

عزيزي القارىء .. لاشك أنك أصبحت مشتاقا لمعرفة تفصيلات أخرى عن هذه الصناعة

معرض للصناعات الجلدية والنحاسية والصوفية

اليدوية .. حجمها .. وماذا تمثل في بنية الاقتصاد التونسي ، وآفاقها ... وغير ذلك من أسئلة .. عن هذه الاسئلة وغيرها ... كان لابد لنا من زيارة الورشة الرئيسية والاساسية لهذه الصناعة في منطقة (الدندان) في العاصمة التونسية ، ومعايشة العاملين ومقابلة المسؤلين عنها ...

بداية نقول بأن الديوان القومي للصناعات التقليدية انتقلت تبعيته من وزارة الاقتصاد الوطني وأصبح ركناً أساسياً في وزارة السياحة والصناعات التقليدية اعتبارا من شهر اكتوبر الماضي .

استقبلتنا مسؤولة العلاقات الخارجية في الديوان الآنسة رجاء العيادي خريجة معهد الصحافة والاخبار . خيرتنا بين مقابلة مدير الديوان أولا ، أو المرور على أقسام ورشة الدندان في جولة للوقوف على مراحل الانتاج وتفصيلاته . ففضلنا الجولة في البداية ... وهكذا كان ...

بدأنا بورشة النحاس المطروق ... والمنقوش والمطلي ، ثم صناعة الزجاج ...

وعلقت الآنسة رجاء أن الديوان أرسل بعض الفنيين الى الجمهورية العربية السورية كي يكتسبوا هذه المهنة ويحذقوا فيها ، وذلك كي ينقلوا مهاراتهم الى غيرهم .

ثم انتقلنا الى ورشة صناعة السجاد ... وأفادتنا الآنسة رجاء بأن هذه الصناعة ومشتقاتهاوأنواعها تمثل حوالي ٧٠٪ من انتاج المحمل ، وتستوعب النسبة نفسها من الايدي العاملة ، وهي من النساء والفتيات . ثم انتقلنا الى قسم صناعة أقفاص سيدي بوسعيد ثم صناعة المرجان والعقود وصناعة الدمي والتطريز والطبع على الحرير وغيرها .

ولاحظنا أن كل ورشة يوجد فيها أكثر من معلم يتولى نقل خبراته الى مجموعة من العاملين المتدربين . ثم التقينا بعد ذلك بمدير الديوان الاستاذ محمد المصمودي

بعث التراث

وقد اعلمنا السيد المصمودي بأن هناك حوالي ١٥٥ مركزا انتاجيا أو ورشة تتبع الديوان ،

كل هذا الجمال في السجاد .. صنعته هذه الفتاة في مدينة الحمامات . (الى اليمين)

خيوط وأيدي تغزل السجاد . (الى اعلى)

الكليم يتشكل لونيا . (الى اسفل)

وهذه المراكز موزعة في المدن وأعماق الارياف ، ويصل عدد العاملين فيها الى حوالي١٥ ألف عامل ، وهذه المراكز تمثل مراكز تدريب وانتاج في نفس الوقت ، اذ أن حوالي ٢٥٠٠ شاب وشابة يتدربون في نهاية المرحلة الابتدائية في الورشات على أيدي قدماء الحرفيين .

ويمثل انتاج بعض الصناعات حوالى ٢٠٪ من الناتج الوطني . كما أن حوالي ١٢٠ ألف عامل وعاملة يعملون في الصناعات التقليدية داخل الجمهورية في القطاعين الحكومي والخاص .

حسب الاحصاءات المتوفرة لديكم . . ما هي نسبة الدخل من الصناعات التقليدية قياسا بالصناعات الاخرى ؟

ـ انها تمثل حوالي ٣٪ من الانتاج القومي الخام .

● انها نسبة قليلة !

ـ توجد برامج نطمح من ورائها الى زيادة هذه النسبة .

● ماهي أهداف الديوان . . . وماهو دوره ؟

ـ هناك عدة أهداف وجد الديوان أساسا لتحقيقها . . . اختصرها فأقول :

ـ المحافظة على التراث القومي الثقافي والتقليدي والعمل على اثرائه بواسطة اتباع كل مايمكن أن يخدم صالح القطاع بجميع فروعه .

ـ النهوض بالقطاع وتطويره وايجاد فرص عمل للايدي العاملة .

ـ مراقبة جودة الانتاج والتطوير فيها .

ـ تدريب الكوادر الفنية .

ـ التشجيع على بعث الحرف الصغرى وايجاد المؤسسات الصناعية التقليدية .

ـ اقامة معارض يتم من خلالها توزيع جوائز على أفضل الابتكارات الهامة

ـ تدريب أيدي عاملة من عدة بلدان أخرى .

ـ تصدير المواد المصنعة ، والاتفاق بشأنها مع الجهات المعنية .

● ما هي نسبة تصريف موادكم المصنعة . . بين الداخل والخارج ؟

ـ تمثل نسبة تصريف موادنا حوالي ٨٠٪ داخل أسواقنا . أما نسبة التصدير الخارجي فانها تمثل حوالي ٢٠٪ فقط . وهذا يعني أن النسبة الغالبة يتم استهلاكها داخليا .

● لكن بعض الصناعات أسعارها مرتفعة قياسا بدخل المواطن العادي ؟

ـ ملاحظتك صحيحة ، وقد صدر قانون ١٩٨١م أوصى بتقديم القروض الى من يريد الاتجاه الى ايجاد مشروعات في هذا المجال .

ومع ذلك فان طبيعة الصناعات التقليدية تقتضي التجزئة وعدم التجمع ، لذلك تبقى الاسعار مرتفعة نسبيا ، خاصة واننا نؤكد على أن تبقى صناعتنا يدوية ، وعدم اللجوء الى المكننة

● الكثير من صناعاتكم التقليدية اليدوية أصبحت تصنع آليا في بعض البلدان الاخرى . . . فما هو موقفكم ازاء ذلك

ـ كل ما نستطيع انتاجه ويستطيع الايفاء باحتياجات مواطنينا فاننا نمنع استيراد المواد الشبيهة المنافسة له من الخارج ، الا في أضيق الحدود ، كأن تدخل مادة معينة فيها طراز جديد كي يستفيد منها حرفيونا ، أو كي نجعل المواطن يقتنع بأصالة المادة المنتجة محليا ومتانتها قياسا بما هو مصنع في الخارج .

الثقافي الاقتصادي

ان ممارسة الدعاية والاعلان يمكن أن تفيد لمرة أو مرتين ، ولكن المواطن سيكتشف الحقيقة ، لذلك فان تعاملنا مع مواطنتا يعتمد على تقديم الاجود والافضل ، وهكذا وظفنا ماهو ثقافي ضمن مسلك اقتصادي لان التراث بدون احياء يمكن أن يموت .

لذلك فاننا نرى بان الانتساب الى التراث الاصيل يمكن أن يكون وسيلتنا ومنفذنا الى جيوب الناس شرط أن نخضعه لحاجات العصر وطموحاته .

رجاء العبادي مسؤولة العلاقات الخارجية في الدان دان .

آلات الموسيقا تنتظر اليد الخبيرة . . . كي تنطق

وهكذا فاننا نشجع كل قرية ومدينة بتصنيع المتوفر لديها من مواد ، وتقديم أفضل الخامات وأجود الطرز في هذا المجال .

انكم تصدرون مانسبته حوالي ٢٠٪ من انتاجكم الى الخارج ، فماهي أهم اسواقكم ؟

أهم اسواق التصدير لدينا هي أوروبا تليها الولايات المتحدة .

أما بالنسبة لدول الخليج والجزيرة العربية ، فاننا لانزال في بداية التعامل معها ، فقد أقمنا معرضا دائما في مدينة الرياض . وبدأنا تصدير الخزف والزجاج والمنسوجات الحائطية والاقفاص والحلي الى دولة الامارات العربية المتحدة ، واقمنا معرضا في مسقط ، دام حوالى اسبوعين ، سنكرره في دبي وأبوظبي .

وأجرينا الاتصالات المناسبة لاقامة معرض في الكويت خلال هذا العام .

وبعد . . . عزيزي القارىء . . أن ترى بعينيك أفضل من أن تسمع ، ونحن نقلنا عن الواقع . . عن جزء من هذا الواقع ... هذا اذا أردنا التحديد ومن المسلم به أن الواقع أجمل وأبهى .

وبعد أيضا . . بعض مجتمعاتنا أغرقت أسواقها بكل ماهو مستورد ، وأصبح الانتاج المحلي وخاصة الصناعات التقليدية في حالة تدعو الى الرثاء ، مع ان فيها الكثير من روح الاصالة والانتماء والتواصل مع التراث والتاريخ الوطني ، اضافة الى ان تشجيعها وحمايتها يوفر مجالات العمل لآلاف الايدي العاملة ، ويوجه الانظار الى استغلال أمثل للخامات المحلية . . مما يثري الاقتصاد الوطني ويعطيه دفعا قويا □

سيراميك نابل .. مهرجان ألوان .. وأشكال وأحجام .

الزهور أجمل أم هذه المزهرية ؟

عالم الغد

طاقة من الشمس

استطلاع : وفاء طه ناجي

تصوير : طالب الحسيني

□ تؤكد الاحصاءات العلمية في مجال الطاقة الشمسية أن معدل ما يصل الى الأرض من الطاقة الحرارية للشمس في العام الواحد يفوق ما يستهلكه العالم من مصادر الطاقة جميعها بنحو عشرين الف مرة . انها الطاقة الوحيدة والخالية من أخطار التلوث ، ويمكن انتاجها في أي مكان .

ومع تزايد البحوث العالمية بالطاقة الشمسية ، يحظى هذا المجال باهتمام خاص في الكويت نظرا لكونها تقع في قلب منطقة ترتفع فيه معدلات الاشعاع الشمسي ، وهي الدولة التي تختزن أرضها رصيدا كبيرا من الطاقة التقليدية التي يعتمد عليها اليوم ، ونعني بها النفط .

على أثر الحظر الذي فرضته دول النفط على تصدير البترول وما ترتب عليه من ندرة في المعروض منه في الأسواق العالمية ، بدأ الاهتمام العالمي بضرورة توفير مصادر أخرى للطاقة ، ولأن الشمس أعظم مصادر الطاقة الطبيعية الدائمة في الكثير من دول العالم ، وفي وطننا العربي بصفة خاصة ، فقد تكثفت الجهود في مجال استخدامات الطاقة الشمسية تمهيدا لتطبيقها عمليا . ومع البحوث التي تجرى منذ سنوات عديدة في الكويت كانت لنا رحلة بدأناها مع المسئولين عن تطوير البحوث والتجارب المتصلة بالاستفادة من الشمس . وفي قسم الطاقة بمعهد الكويت للأبحاث العلمية الذي يقوم بالتعاون مع بعض المؤسسات الحكومية

المجمع الزراعي في محطة الصليبية بصحراء الكويت . وتظهر المقعرات الشمسية التي تستقبل الاشعاع الشمسي

والهيئات الدولية المتخصصة باجراء الابحاث والدراسات لاستغلال الطاقة الشمسية في أغراض جديدة ، ومن ناحية أخرى اعداد كوادر وطنية تعمل في هذا المجال .

كانت بداية رحلتنا حول المجالات الرئيسية التي يركز المعهد جهوده في تطويرها ، وهي : استخدام أشعة الشمس في التبريد ، وتحلية مياه البحر ، وتوليد الكهرباء .

وفي المجال الأول ، قام المعهد باجراء عدة دراسات وبحوث تتعلق بالجدوى الفنية والاقتصادية لاستخدام الطاقة الشمسية في أغراض التبريد والتكييف ، وقد تم بالفعل تنفيذ عدة مشاريع تطبيقية داخل المعهد وخارجه ، منها : تشغيل مشروع البيت الشمسي داخل المعهد ، وتركيب وتشغيل مشروع للتبريد الشمسي في روضة الأطفال (روضة صقر الرشود في ضاحية الروضة) بالتعاون مع وزارة الكهرباء والماء ، بقدرة تبريدية تبلغ أربعين طنا ، بالاضافة الى تشغيل ثلاث اشارات مرورية رئيسية بطاقة الشمس بالتعاون مع الادرة العامة للمرور .

البيت الشمسي

وكان لنا لقاء مع الدكتور على الصائغ رئيس القسم العربي في منظمة الطاقة العالمية والمسئول عن مشروع البيت الشمسي قال : بدأ العمل في البيت عام ١٩٧٧ هنا داخل المعهد ، بهدف تحديد وسائل الحصول على أقصى استفادة من الطاقة الشمسية في عملية تبريد وتدفئة وتسخين المياه داخل المسكن بالاضافة الى توليد الكهرباء من الخلايا الشمسية للانارة والاستعمالات المنزلية الاخرى التي تعتمد على الكهرباء ، وأصبح بامكاننا الآن تسخين المياه للاستخدام المنزلي بتكلفة تقارب تكلفة التسخين الكهربائي

نموذج للمجمعات الشمسية المسطحة التي تستقبل الاشعاع الشمسي وتحوله الى حرارة تستخدم في الاغراض البسيطة مثل التدفئة وتسخين المياه داخل المنازل .

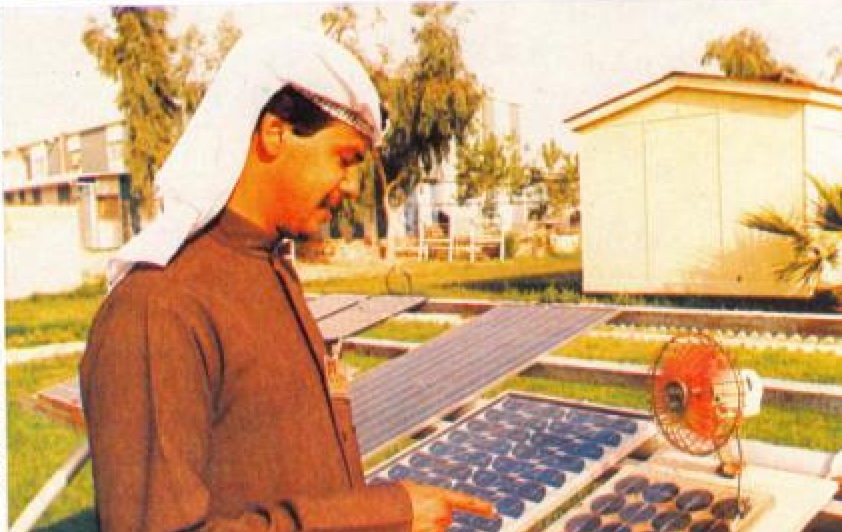

مروحة تدور بالطاقة الكهربائية المولدة من الشمس .

المجمعات الشمسية المركزة او المقعرة في محطة توليد الكهرباء بالطاقة الشمسية التي تم تشييدها في منطقة الصليبية بصحراء الكويت بهدف تزويد مجمع زراعي متكامل بالطاقة الكهربائية الحرارية اللازمة لتشغيل اجزائه المختلفة ولتحلية المياه .

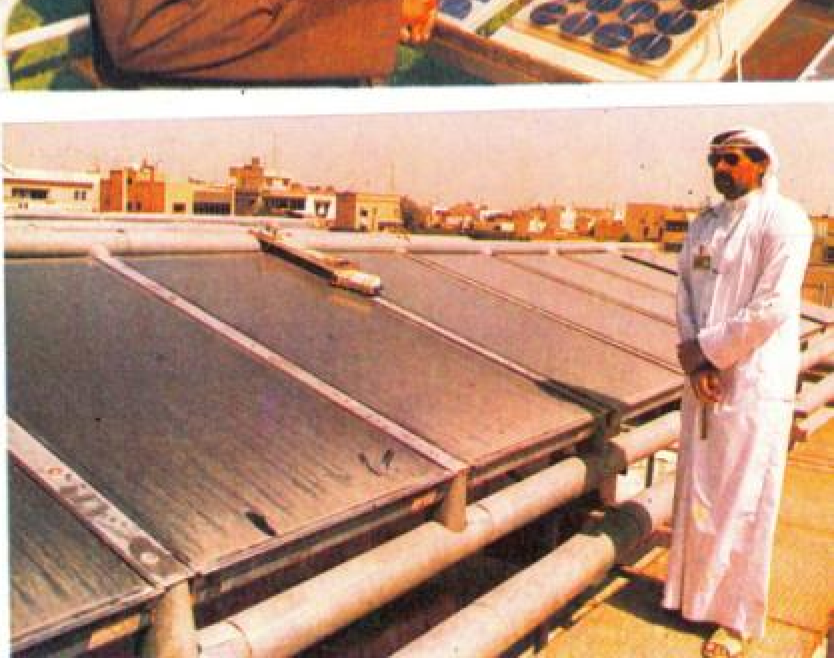

تأثير الغبار السلبي على انظمة استقبال الاشعاع الشمسي فوق اسطح المباني .

حسب الاسعار الحقيقية وغير المدعومة للكهرباء . ولعل أهم استغلال للطاقة الشمسية في الكويت هو التبريد ، حيث شدة الاشعاع الشمسي في الصيف تتناسب طرديا مع كمية التبريد المطلوبة .

ويواصل د . الصائغ حديثه قائلا : وتتم الاستفادة من أشعة الشمس عن طريق أنظمة للطاقة الشمسية يتم نصبها فوق أسطح المباني لاستقبال الاشعاع الشمسي ، وتسمى بالمجمعات الشمسية ، وتنقسم الى نوعين : مجمعات شمسية مسطحة ومجمعات شمسية مقعرة أو مركزة ، يتكون المجمع الشمسي المسطح من لوحة معدنية رقيقة داخلها انابيب ، يتم طلاء احد أوجه هذه اللوحة بمواد كيماوية خاصة ، لها قدرة عالية على امتصاص أشعة الشمس وقدرة منخفضة جدا على عكس هذه الاشعة . ثم توضع اللوحة في صندوق ذي اطار معدني أو خشبي ، ويكون سطح الصندوق المعرض للشمس من الزجاج ، يمرر السائل المراد تسخينه في الانابيب ، وعند سقوط أشعة الشمس على اللوحة المعدنيةترتفع درجة حرارتها ، وتنتقل الحرارة الى السائل داخل الانابيب فترتفع أيضا درجة حرارته . ويستخدم هذا النوع في أغراض التدفئة وتسخين المياه للاستعمال المنزلي . . وبعض الصناعات البسيطة حيث لا حاجة لدرجات حرارة عالية .

أما المجمعات الشمسية المركزة ، فهي عبارة عن مرآة معدنية مقعرة وطويلة ، يمر في خط مركزها أنبوب يحمل السائل المراد تسخينه ، وحين تسقط أشعة الشمس على سطح المرآة فانها تنعكس وتتركز على خط المركز حيث يمر الانبوب ، وتكون النتيجة رفع درجة حرارة السائل في الانبوب . ويستخدم هذا النوع في الأغراض التي تحتاج الى درجات حرارة عالية أو بخار ماء .

وبالنسبة لمشروع البيت الشمسي ، فقد تمت ادارته بالطاقة الشمسية بصورة كاملة .

د . علي الصايغ مسئول القسم العربي في لجنة الطاقة العالمية . . ويظهر جهاز قياس الغبار .

ويصل د . الصائغ الى نهاية حديثه فيقول أما فيما يتعلق بتوليد الطاقة الكهربائية من الشمس فما زالت العملية مكلفة وتحتاج الى المزيد من البحث والتطوير ، الا أنه اذا قورنت تكاليف توليد الكهرباء هذه بالفائدة التي تعود علينا من تغطية تزايد الطلب على التيار الكهربائي في أشهر الصيف ، تبين لنا أن هذه المصروفات الاضافية لها ما يبررها . . والكويت تساير معظم دول العالم المتقدمة في تطوير استخدامات الطاقة . انني أرى ذلك من خلال الجهود العلمية الحالية وهو ما يبشر بامكانية خفض تكلفة الكهرباء الشمسية للاستفادة منها فعليا .

محطة الصليبية

ومن الابحاث التطبيقية الأخرى التي قام بها المعهد ، محطة توليد الكهرباء بالطاقة الشمسية التي تم تشييدها في عام ١٩٨١ في منطقة الصليبية

د . سعود عباش رئيس قسم الطاقة في معهد الكويت للأبحاث العلمية .

بصحراء الكويت .

يقول د . صفوت مصطفى الباحث في المعهد ومسئول المشروع : تشتمل خطة استغلال محطة توليد الكهرباء بالطاقة لشمسية على تزويد مجمع زراعي متكامل بالطاقة الكهربائية والحرارية الضرورية لتشغيل أجزائه المختلفة ولتحلية المياه . بالاضافة الى تأمين احتياجات الطاقة

د . أحمد بشاره نائب مدير معهد الكويت للأبحاث العلمية .

الداخلية اللازمة لتشغيل أجهزة محطة توليد الكهرباء نفسها وتشتمل احتياجات المحطة نفسها على الطاقة الكهربائية اللازمة لتشغيل المضخات وأجهزة التحكم واجهزة التوجيه اللازمة لحقل المجمعات ، بالاضافة الى تشغيل أجهزة التحويل الحراري ، بما في ذلك مضخة سائل التبخير وأجهزة تبريد التربين والتكثيف .

أما احتياجات المجمع المتكامل ، فتشمل الطاقة الكهربائية اللازمة لضخ مياه الصلبية من البئر الارتوازي ، وتوزيع المياه بين الخزانات المختلفة ومضخات الري ، وتشغيل محطة للتحلية ، هذا الى جانب الطاقة اللازمة لتشغيل أجهزة التكييف وأجهزة تبريد المستنبتات الزراعية بالمجمع ، والطاقة الكهربائية اللازمة لتشغيل ورشة الصيانة والمكاتب والثلاجات الخاصة بحفظ المنتجات الزراعية ، كما تشتمل الخطة على استخدام جزء من الطاقة الحرارية في تشغيل محطة تحلية المياه التي تعمل بطريقة التبخير الومضي متعدد المراحل . وفي تسخين المياه اللازمة لمباني المجمع ، بالاضافة الى كل ذلك فهناك امكانية تشغيل محطة تحلية المياه بالطاقة الشمسية بكفاءة عالية نسبيا تحت درجات حرارة متغيرة حسب توفر الاشعاعات الشمسية التي تمد المحطة بالطاقة الحرارية ، ويتم ذلك عن طريق تغيير معدلات تدفق المياه المالحة في مراحل المحطة المختلفة حسب درجات حرارة المياه الأولية ، وكذلك حسب درجة حرارة المجمعات الشمسية والخزان الحراري الذي يمد المحطة بالطاقة الحرارية . ويترتب على هذه الخواص ارتفاع معدلات جريان المياه الحاملة للطاقة الحرارية ، وانتاجية المحطة عندما ترتفع معدلات التجميع الحراري ، أو عندما تنخفض درجة حرارة المياه المالحة التي تدخل محطة التحلية ، وتكون المحصلة النهائية لذلك المحافظة على كفاءة الانتاج في حالات تغيير درجات الحرارة بالمحطة .

وينهي د . صفوت مصطفى حديثه قائلا :

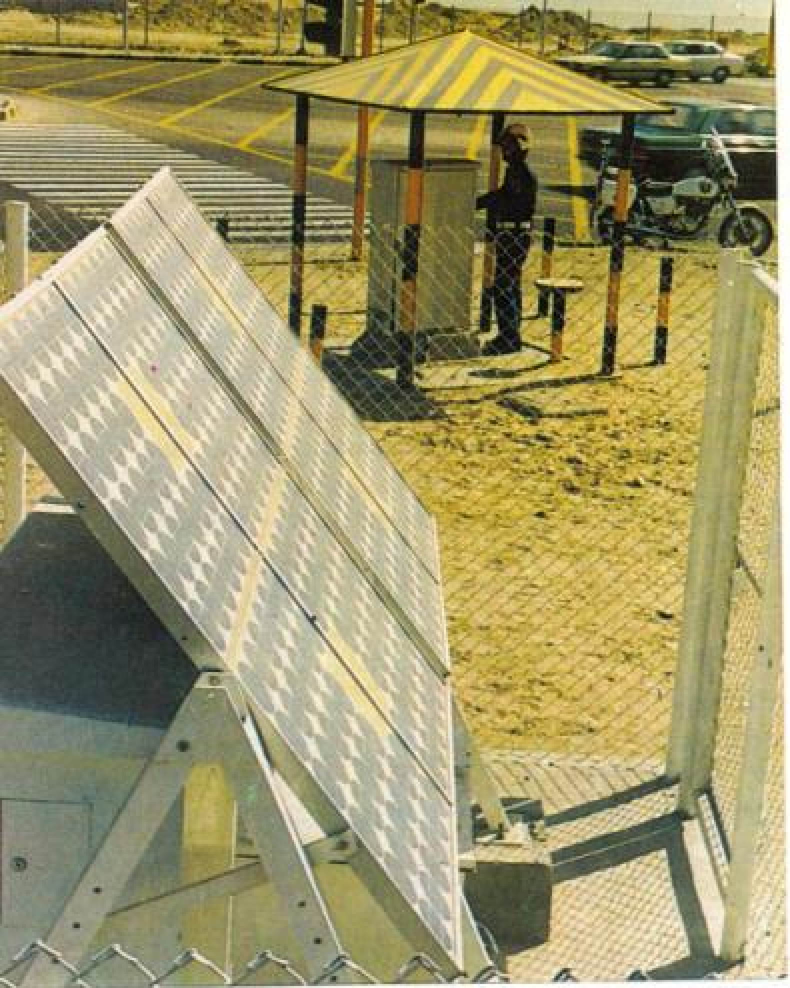

احدى المجمعات المقعرة .. التي تستخدم في الاغراض التي تحتاج الى درجات حرارة عالية او بخار ماء .

مشروع تشغيل الاشارات المرورية بالطاقة الشمسية .. وقد تم المشروع وبدأ العمل به .

روضة صقر الرشود يتم تبريدها صيفا وتدفئتها شتاءا بالطاقة الشمسية ، وتظهر انظمة استقبال الاشعاع الشمسي فوق سطح المبنى .

كذلك أمكن تشغيل محطة الصليبية الكهربائية بقوة مائة كيلو واط وهي تعمل بطريقة التحويل الحراري للطاقة الشمسية . بمعنى تحويل الحرارة الى كهرباء .

صعوبات استخدام الطاقة الشمسية

ويتحدث د . سعود عياش رئيس قسم الطاقة بالمعهد عن العقبات التي تواجه الباحث في هذا المجال فيقول : ان استخدام الطاقة الشمسية مثل استخدام الموارد الطبيعية الاخرى يحمل في طياته مشاكل من الضروري ايجاد حلول لها ، تتركز معظم هذه المشاكل في حركة الأرض بالنسبة للشمس واشعاعاتها كمصدر للطاقة ، وهنا نشير الى حقيقتين أساسيتين يترتب عليهما العديد من العقبات : أولا : ان الطاقة الشمسية لا تتوفر بشكل منتظم ، وهي ليست مخزونا جاهزا يمكن استخدامه متى شئنا ، بل ان توفر الاشعاع الشمسي يعتبر مصدرا للطاقة خفيف التركيز ، بحيث أن أقصى معدلات الاشعاع لاتتجاوز كيلوواط واحد على المتر المربع ، واذا أخذنا في الاعتبار الانخفاض النسبي لكفاءة تحويل الطاقة الشمسية لتبين لنا أن كثافة الطاقة المتولدة بالنسبة لوحدة المساحة منخفضة أيضا . . وهذا يتطلب استخدام مساحات كبيرة من أجهزة التحويل الشمسي وخاصة التطبيقات التي تتطلب توليد كميات كبيرة من الطاقة .

ويختتم د . عياش حديثه فيقول : ولأن أقصى الطموحات لا تتجاوز تطوير منظومات تخزين حرارية أو كهربائية أو ميكانيكية معقولة ذات حجوم وتكاليف معتدلة ، فمسألة التخزين أساسية في حياة الانسان منذ بداية الخلق ، وليس هذا جديدا أو مدهشا ، فالحضارة المعاصرة قامت على استهلاك ما جرى تخزينه من أنواع الوقود الأخرى مثل : الفحم الحجرى والبترول ومشتقاته . . الخ . . وذلك على مدى الآلاف من السنين .

ان اعداد كوادر وطنية مدربة للعمل بكفاءة عالية جزء من سياسة المعهد في هذا المجال حتى تظل الكويت محافظة على مركزها في منظمة الطاقة العالمية ، الحقيقة أن استخدام طاقة الشمس على نحو مناسب سيرقى بمستوى حياة البشر الى حياة حضارية جذرية تختلف تماما عن أشكال الحياة فيما سبق .

وعن امكانات التنسيق في مجال بحوث الطاقة الشمسية بين دول الخليج العربي يتحدث د .

د . صفوت مصطفى مسئول مشروع الصليبية .

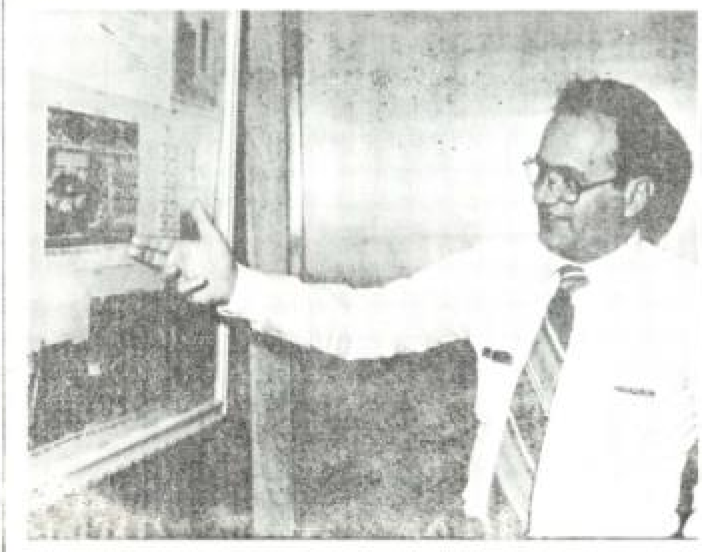

أحمد بشارة نائب مدير عام معهد الكويت للأبحاث العلمية فيقول :

ان التعاون بين دول الخليج في هذا الميدان ، بدأ فعلا عام ١٩٧٧ بقيام عدة مشروعات في دولة البحرين بالتنسيق مع المعهد منها : انشاء محطة قياس وتسجيل الاشعاع الشمسي ، وتركيب نظام لاختبار المجمعات الشمسية المسطحة ، وقد نقل هذا النظام من الكويت وتم تركيبه في الموقع بمدينة المنامة . كما تم تركيب نظام مستقل للاتصالات الهاتفية يعمل بالطاقة الشمسية بهدف حل مشكلة انقطاع الاتصالات بين مراكز الشركة أثناء فترات انقطاع التيار الكهربائي بالاضافة الى تأسيس مكتبة خاصة بأبحاث الطاقة الشمسية تكون نواة لمركز معلومات يعنى بهذا المجال .

التنسيق بين دول الخليج

ثم يقول : إن تبادل الخبرات والمعلومات في نظم تطوير الطاقة الشمسية بين دول الخليج العربي أصبح ضرورة ، فهناك مجال لقيام مشروعات مشتركة بين هذه الدول مثل : انشاء مركز عام لتجميع المعلومات حول الطاقة الشمسية من أنواء جوية وبيانات عن الاشعاع الشمسي وكميات الغبار أو المواد الأخرى التي تحد من وصول أقصى كمية من الاشعاع الى المنطقة . من ناحية أخرى يمكن تشجيع العمل المشترك والتعاون مع المنظمات العالمية المهتمة بمجال الطاقة ، واستحداث منح دراسية وبعثات للعاملين في مجال الطاقة الشمسية في دول الخليج ، بهدف تعزيز الأيدي الوطنية المدربة لسد احتياجات العمل مستقبلا . وفي نهاية حديثه يقول د . أحمد بشارة : ان امكانات التعاون واسعة جدا . . خاصة وأن دول المنطقة تلعب دورا حيويا ومميزا على صعيد وضع الطاقة العالمي ، نظرا لاسهامها الكبير في تلبية الاحتياجات العالمية الحالية من النفط والغاز كمصدرين من أهم مصادر الطاقة في وقتنا الحاضر . وحيث ان للتطورات في حقول الطاقة البديلة علاقة ارتباط دقيقة بمستقبل الطاقة العالمي فان الكويت ودول المنطقة تتابع باهتمام كل ما يستجد من تطورات . وهي لهذا تطمح في أن تكون على صلة مستمرة بهذه التطورات ، وأن تكون لها دور فيها .

ضرورة حضارية

يبقى لنا أن نقول أن مسألة الطاقة لم تعد قضية محلية ، فالتعاون بين دول الخليج تفرضه ضرورة حضارية . . والقضية الآن تهم العالم كله . . المنتج والمستهلك ، والذي يجب أن يسعى اليه الجميع هو مزيد من استثمار الجهد خاصة في ترشيد استهلاك الطاقة . . الامر الذي يعني التعامل الأمثل مع موارد الطاقة المتاحة بحيث يجري تلبية متطلبات وحاجات المستهلك بأقل قدر من الطاقة والمحافظة عليها أيضا من خلال الاجراءات التي تهدف الى خفض معدل الاستهلاك . وفي هذا المجال بالذات يمكن تحقيق تعاون واسع بين دول الخليج .

والحقيقة الثابتة علميا أنه لا توجد تكنولوجيا اخرى للطاقة لها ما للطاقة الشمسية من تعدد الاستعمالات والفوائد . وان اهتمام الكويت بأبحاث الطاقة أمر تفرضه ضرورة حضارية . فمن المتوقع أن تصبح الطاقة الشمسية في المستقبل أرخص من الطاقة التي يتم توليدها مركزيا . . كما انها سوف تتيح الفرصة كذلك لتحقيق الاستقلال في الطاقة . وسوف تزيد أرباح استثمارها عن تلك التي تحققها مصادر الوقود الأخرى المحدودة الى أقصى حد .

وهكذا يعود الانسان من جديد الى الطبيعة يستمد منها الطاقة التي يحتاج اليها . . . الى الشمس مصدر الحياة على الأرض . □□

سلامة البشرية

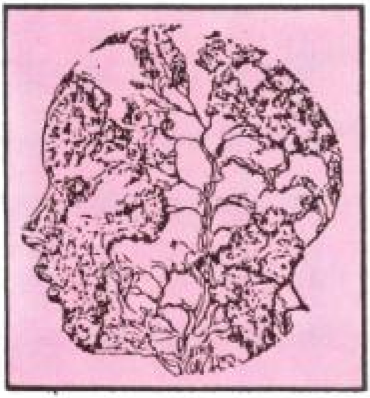

في سلامة البيئة

أهرامات في البحر ..... لمكافحة التلوث

يظن الكثيرون أن بقع الزيت التي تلوث البحار انما تنشأ عن مصدرين أثنين لا ثالث لهما .. فاما آبار بحرية اصابها التلف او انفجرت او اشتعلت النيران فيها .. فتدفق البترول منها .... وإما ناقلات عملاقة وغير عملاقة انفجرت او اصطدمت فغرقت واندلع البترول منها ...

ولكن لبقع الزيت أسبابا أخرى لا تقل خطورة عما ذكرنا .. من ذلك ما يقدم عليه قباطنة الناقلات بقصد تنظيف ناقلاتهم .. فهم يلقون ببقايا حمولة تلك الناقلات من البترول الى البحر ... فتتكون بقع الزيت الصغيرة التي لا تلبث أن تتجمع وتتواصل لتصبح كبيرة .. وهذه تصرفات جنائية بحق البيئة وتعاقب عليها القوانين في الدول المتقدمة التي تسن القوانين للبيئة وتسهر على تنفيذها ...

ومن ذلك أيضا تسرب الزيت بصورة طبيعية .. فقاع البحر لا يخلو من شقوق .. والكثير من هذه الشقوق يقع على مقربة من حقول بترول أو غاز .. ولا مفر من أن ترشح بترولا (أو غازا) لا يلبث أن يطفوا على سطح البحر فيلوث الشواطيء بأوحال من القار ... ويبطش بالثروة السمكية ويقضي على المواسم السياحية ... ووحل القار هذا أسوأ تلويثا من البترول .. وحسبك أنه سميك كالاسفلت وقد تقضي ساعات في تنظيف جسمك منه بلا طائل ... أضف الى ذلك أن له رائحة كريهة جدا ..

ويقدر الخبراء أن ٦٫٧٪ من مجمل انتاج البترول من الآبار البحرية لا بد وأن يتسرب الى البحر عبر الشقوق التي ذكرنا . وفكر البيئيون والعلماء والمسؤولون في سانتا باربارا فيما عساهم أن يفعلوا لانقاذ شواطئهم من هذا التلوث البغيض الذى طالما عانوا منه في المدة الاخيرة ... فكان هذا الهيكل الهرمى الذى ترى في الصورة ..

صنعوه من حديد بمساحة ١٠٠ قدم × ١٠٠ قدم عند القاعدة ، وبوزن لا يقل عن ٣٥٠ طنا ... وأنت تراه في الصورة قبيل انزاله الى أعماق البحر .. ليستقر على قاعه على عمق ٢٢٠ قدما .. حيث الشقوق .. فيمسك بما يتصاعد منها من غاز وما يتسرب من بترول ... ويضع بذلك حدا لتلوث الشواطيء بالقار .. ثم يتدفع الغاز الذى يتجمع في الهرم عبر أنابيب خاصة ممتدة من الهرم الى

الهرم الحديدي قبيل انزاله الى القاع

اليابسة .. أما البترول فيبقى في الهرم ويتراكم في مستودعه .. حتى تأتي الناقلات ، بين حين وآخر ، فتحمله وتنقله الى الشاطيء .

وتجدر الاشارة الى أن تطوير هذا الهرم قد تم بالتعاون بين شركة أركو ARCO وشركة موبيل وشركة أمتويل .. وبلغت تكاليفه ٨ ملايين دولار .. ومن طريف ما يذكر أن ما يتصيده الهرم من غاز وبترول يبلغ ٦٠٠,٠٠٠ قدم مكعب غاز و ٥٠ برميل بترول كل يوم .

الحضارة .. هل أصابت البشرية فى بنائها أم اخطأت

احد أفراد قبيلة الوا آروني

يشعر المرء أحيانا أن الحضارة الانسانية لم تكن مصدر نعمة على البشرية بقدر ما كانت مصدر نقمة .. ولعل فى قصة القبيلة البدائية التى ما زالت تعيش فى العصور الحجرية ، والتى اكتشفوها قبل حين ، ما قد يدعم ذلك الشعور .

انها قبيلة (الـوا أورانى) Waorani .. القبيلة الهندية الحمراء التى تعيش فى مجاهل حوض الأمزون .. عثروا عليها بالصدفة قبل نحو ١٥ سنة ، حين بدأت البرازيل تنفيذ مشاريع التنمية العملاقة فى بلادها ، وراحت تشق وتعبد الطريق الطويل (حوالى ١٠,٠٠٠ ميل) عبر دنيا الامزون الشاسعة .. وقد ثبت لهم أن القبيلة المذكورة كانت طى تلك المجاهل وفى منأى تام عن الحضارة الانسانية على مدى تاريخها كله ... وأنها بقيت على فطرة العصور الحجرية حتى اكتشفوا أمرها فى أواخر الستينات .

ووجد العلماء الامريكيون فى واقع هذه القبيلة ما شجعهم على القيام بشتى التجارب والأبحاث العلمية على أفرادها . فجمعوا المئات من العينات من دم رجالها .. والمئات من النماذج من أنسجة اجسامهم .. وأرسلوها جميعا الى مختبرات علمية فى شتى الولايات المتحدة . وجرى تحليل تلك العينات والنماذج تحليلا دقيقا ، كيماويا وبيولوجيا وغير ذلك .. فماذا كانت النتائج .. ؟

دلت تلك التحاليل والابحاث على أن أفراد قبيلة الوا أورى يفوقون سائر سكان العالم كافة وبلا استثناء من حيث سلامة الصحة ، والمناعة ضد الامراض .. وتبين أنهم يتمتعون بحصانة طبيعية تقيهم أمراض القلب والنوبات ، وتقيهم الاورام السرطانية وداء السكرى .. ولكن تلك التحاليل اثبتت أيضا أن أفراد قبيلة الوا أورى يعانون من علة فى الاسنان ... ضعفها العام وقابليتها للتلف قبل الاوان ..

وبحث الدكتور جيمس لارك Larrick وزوجته الدكتورة كاثي بك Buck ـ وهما فى طليعة العلماء الامريكيين الذين يقومون بدراسة قبيلة الوا أورى ـ بحثا فيما عساها تكون أسباب تلك العلة ... وما لبثا أن وجدا

أن طعام تلك القبيلة غنى بالمواد السكرية الطبيعية .. فهذه مواد تنتج من الاحماض ما يتلف الاسنان ..

على أنهما لم يقفا عند هذا التفسير .. بل مضيا في بحث تفسيرات أخرى محتملة لتلك العلة ... من تلك الاحتمالات ماله صلة بالانزيمات .. فقد تكون أجسام أفراد قبيلة الوا أورى تعانى من زيادة أو نقصان في أفراز أحد الانزيمات ذات الاثر المباشر على بنية الاسنان .. وقد تعانى من نقص في أحد عناصر اللعاب ونخص بالذكر منها **Salivary glycoprotein** وهو الذى يساعد الاسنان على مقاومة التسوس (**caries**)

والاهم من ذلك كله ما أكدته تلك البحوث والتحاليل من أن خلايا الجسم بلغت ذروة من الكمال في أجسام قبيلة الوا أورى .. وهذا ما حدا بالعالمين السالفى الذكر ـ وهما من المختصين البارزين في الهندسة البيولوجية ـ ان يقوما بالابحاث والتحاليل ، ويبذلا الجهود بقصد تخليق خلايا جديدة كخلايا أجسام قبيلة الوا أورى .. خلايا الخلود كما يأمل العالمان ...

ونعود من حيث بدأنا .. ونتساءل هل كانت الحضارة الانسانية مصدر نعمة أم نقمة على البشرية ... ؟؟

مكافحة الحشرات بحشرات اخرى مفترسة

القارة الافريقية هى بلا ريب اتعس القارات جميعا .. فهى لا تكاد تخلص من كارثة حتى تحل كارثة اخرى اسوأ منها .. وقد تعانى من كارثتين او ثلاث في آن واحد .. كما هى الحال في الوقت الحاضر .. فهى تعانى حاليا من قحط شديد ، أسوأ كثيرا من قحط السنتين الماضيتين .. وقد شمل هذا القحط دول جنوب القارة ، ٢٤ من تلك الدول بالتحديد ، وأخذ يفتك بتلك الدول ، فيميت يوميا عشرات الألوف من سكانها ، ومئات الألوف من ماشيتها .. ويتلف تربتها ومراعيها .. ويترك بصماته الراسخة على بيئتها ... ولكن القارة الافريقية تعانى في الوقت نفسه من كارثة اخرى ثانية .. كارثة الكاسافا .. وقد لا تقل هذه الكارثة خطورة عن كارثة القحط . الا ان نكبتها تأتى بالتدريج .. لا دفعة واحدة .. من هنا كان بعدها عن الاضواء وعن الصحف والانباء .

الكاسافا نبات .. انه الغذاء الضرورى لحوالى ٢٠٠ مليون نسمة من سكان غرب وأواسط افريقيا .. وهو بالنسبة الى هؤلاء كالارز بالنسبة الى اهل الصين .. والخبز بالنسبة الينا نحن العرب .. بل قل اكثر من ذلك .. فالافريقيون يأكلون أوراق الكاسافا الخضراء الكبيرة .. ويعتصرون الكحول من جذورها .. ويطحنون هذه الجذور ليصنعوا خبزهم منها ... الى آخر ما هنالك ...

وشاءت الاقدار ان تكون حاجة الكاسافا الى ماء الرى قليلة نسبيا .. وان تسلم من شر الجفاف والقحط الذى ضرب القارة سنة تلو السنة منذ نحو عشر سنوات .. والذى يبطش بها حاليا ، وعلى نحو ما اسلفنا ..

على ان الكاسافا لم تسلم من عدو آخر من اعداء النبات .. الحشرات .. البقة المغبرة ' **Mealy bug**' والعنكبوت الاخضر (**green spider**) بالتخصيص . فهذه حشرات تستطيب الكاسافا كالافريقيين .. ولكنها تلتهمها وتقضى على محاصيلها وهى في حقولها ، فتحرم الافريقيين منها ، وتحكم عليهم بسوء التغذية ـ ان لم نقل بالمجاعة ، بابشع معانيها ..

والغريب أن موطن الحشرتين العدوتين ليس افريقيا وانما امريكا الجنوبية ، ودولة الباراجواى بالتحديد .. وقد انتقلتا الى القارة السوداء بحكم الصدفة منذ نحو ١٥ سنة .. وما اسرع ما اكتشفتا الكاسافا ، ضالتها المنشودة ، فانطلقت تلتهمها بنهم شديد وسرعة كبيرة ، جاوزت ٣٠٠ ميل سنويا .. وما لبثت الحشرتان ان قضتا على ٢/٣ محصول الكاسافا في عدد من البلدان الافريقية .

وزاد الطين بلة ان مبيدات الحشرات لا تبيد ايا من الحشرتين المذكورتين .. فهي لا تؤثر على العناكب من قريب ولا من بعيد .. ولا تستطيع الوصول الى البقة المغيرة مهما بلغت قوة الضغط في اجهزة رشها .. ذلك ان هذه البقة تسمم اوراق الكاسافا الطويلة فلا تلبث هذه ان تلتوي وتنطوي فتلف الحشرة وبيوضها وتضمن حمايتها من كل مكروه ...

من هنا اتجه العلماء ، علماء هيئة إفاد (IFAD) وهي الهيئة الدولية المتخصصة في شؤون التنمية الزراعية والمتفرعة عن المنظمة الدولية ... اتجهوا الى فكرة مكافحة الحشرتين بحشرات اخرى مثلها . وهذه فكرة معروفة من حيث المبدأ .. ولكنها صعبة جدا من حيث التطبيق .. اذ ليس من السهل تحديد الحشرات التي تأكل الحشرتين وليس من السهل ايضا العثور على الحشرات او توليدها صناعيا بالكميات المطلوبة ..

ومضى العلماء في بحثهم ومضت ثلاث سنوات قبل ان يكتشفوا الدبور (الزنبور) البراجوي .. وكذلك أحد اصناف الخنافس .. فمن شأن هذه الحشرات ان تبادر الى التهام البقه المغيرة والعنكبوت الاخضر بأسرع مما تستطيع هاتان الحشرتان التهام الكاسافا ..

ويتولى المعهد الدولي للزراعة الاستوائية في نيجريا (بالتعاون مع افاد) توليد الحشرتين المفترستين بالملايين .. وتعبئتها ضمن قوارير من البلاستيك بحجم قلم الحبر .. وتطلق هذه القوارير بقوة بواسطة اجهزة تشبه المدافع الرشاشة .... وتجهز بها طائرات خاصة .. وتطلق في نيجريا وعشرين دولة افريقية اخرى لا تقل مساحتها بمجملها عن مساحة قارة استراليا بأسرها .. والامل كبير في ان تنجح الحشرات المفترسة التي بدأوا اطلاقها بالفعل في شهر فبراير الماضي في انقاذ ما يمكن انقاذه من محاصيل الكاسافا .

ساعة الهاوية
(clock Doo,s deey)

الساعة التي ترى في الصورة ليست ساعة زمنية عادية .. انها ساعة الخطر التي ابتكرها علماء ذرة أمريكيون .. سبعة وأربعون بالتحديد ، بينهم ١٨ عالما من حملة جائزة نوبل .. ابتكروها لتبين مدى تفاقم الأزمات العالمية ، وتحدد بالتالي مدى قرب العالم من نهايته ، أو بعده عنها ...

على ان عقارب هذه الساعة لا تتحرك اتوماتيكيا وانما يحركها العلماء الذين ابتكروها ... فهم يقربونها من ساعة الصفر كلما ازدادت المخاطر وتفاقمت الازمات العالمية .. ويبعدونها عنها كلما غلب التفاهم والوفاق على العلاقات الدولية .

وقد بدأ العلماء هوايتهم العلمية هذه سنة ١٩٤٧ حين بلغت ساعتهم هذه الثانية عشرة الا سبع دقائق .. وجاءت سنة ١٩٥٣ ، السنة التي فجر فيها الاتحاد السوفيتي قنبلته النووية الاولى ، واذا بالعلماء يحركون عقارب الساعة بحيث بلغت الثانية عشرة الا دقيقتين .. ثم عادوا فحركوها ثانية لتبلغ الثانية عشرة الا ١٢ دقيقة ، وذلك لدى توقيع الدولتين العظميين على اتفاقية الحد من التسلح (سولت الاول) سنة ١٩٧٢ .. واخيرا حركوها في مطلع هذه السنة بحيث بلغت الثانية عشرة الا ثلاث دقائق .. وذلك في أعقاب توقف مفاوضات جنيف للحد من الأسلحة الذرية . □□

صورة تاريخية لتفجير القنبلة النووية الامريكية الاولى في المحيط الهادي سنة١٩٤٦

لغة الصّحافة بين المشرق والمغرب العربي

□ استوقفني في العدد ٣٠٠ من العربي لشهر محرم ١٤٠٤ مقال - لغة الصحف وحظها من الفصاحة - للدكتور ابراهيم السامرائي ، وذلك لاكثر من سبب .

كلنا يتألم عندما يقرأ صحفنا ، لما يتجمع فيها يوميا واسبوعيا من هضم لقوانين اللغة التي اخذ محترفو الصحافة السيارة يقصرونها على تبني الاساليب والاستعمالات الفاشية في لغة الحديث اليومي ، اي لغة التخاطب العامة ، التي ابتعدت في ضوابطها كل البعد عن اللغة الفصيحة .

وكنت اعتقد - قبل قراءة المقال المشار اليه - ان الدكتور السامرائي سيتناول تناولا شاملا هذه الظاهرة الطاغية ، وخطرها الكبير على العامة والناشئة المتعلمة ، الذين يعتقدون ان لغة الصحافة فصيحة ، فيأخذون عنها فيما يكتبون دون انتباه الى ما فيها من علة ، غير اني وجدت الدكتور يقصر « تصويباته » على شق جغرافي من بلاد العرب اليوم ويعتبر لغة عرب الشمال الافريقي - او المغرب العربي - عربية اقليمية والسياق والصياغة يوحيان بانها عربية من الدرجة الثانية مقارنة مع عربية المنطقة الجغرافية المقابلة (في ذهن الدكتور) لبلاد المغرب العربي وكل هذا يجعلنا نقف موقف الاحتراز المبدئي من هذه الروح التي ينضح بها المقال .

لقد اعتمد الدكتور السامرائي في كتابة آرائه عينات من مقال طالعه في احدى صحف المغرب الأقصى ، فآخذ صاحب المقال ، ومن ورائه سكان منطقة المغرب العربي ، على استعمالات لغوية وصيغ نحوية اذ سمح لنفسه أن يحكم عليها بانها مجانبة المجانبة التامة لما تحدد في اللغة العربية من قواعد وصيغ تحفظ لها بناءها السليم .

وانتقى الدكتور نماذج من الالفاظ والاستعمالات يدلي بها حجة لتثبيت رأيه في تخطئة ما ذهب الى انه خطأ ، وبدأ بكلمة (تلفزة) التي فضل عرب المغرب صياغتها بدلا من الصياغة المشرقية (تلفزيون) .

اختاروا تطويع هذه الكلمة الأجنبية المركبة ، واعطوها صيغة لا تزعج الذوق العربي ، الذي

يميل الى ارجاع الكلمات ذات الطابع الاشتقاقي - المقابل للوضع المترجل - الى مادة جذرية يأتي منها الفعل والمصدر واسم الالة الخ . . . . .

فمصطلح (تلفزة) اوجد منه ابناء المغرب العربي الفعل : « تلفز - يتلفز الخ . . . » والمصدر (تلفزة) واسم الآلة (تلفاز) واسم الفاعل واسم المفعول الى غير ذلك مما يقع توليده من الجذر الاصلي .

اما اختيار النقل الصوتي لهذه الكلمة الاجنبية (تلفزيون) فانه خال في الاستعمال العربي خلوّا تاما من هذا التطويع الاشتقاقي ، مع ان الكلمة في لغتها الاصلية مستجيبة لذلك .

ويمضي الدكتور السامرائي مستنكرا مخالفة المصطلحات التي درج عليها عرب المشرق ، كأن في هذه المخالفة ضيما وفسادا يلحقان باللغة العربية التي يتعلق بها الجميع ، ويتعرض الى كلمة (الاشهار) التي يعقب في شأنها بقوله (وقد يقف المشارقة أمام هذه الكلمة ، ولا يتجه منها لهم شيء في القراءة الاولى ، حتى اذا اطلعوا وعرفوا من سياقها شيئا ادركوا ان لغة (الاشهار) هي لغة الاعلام) .

وانا لنستغرب من جعله شقا من العرب هم المرجع ، والشق الآخر تابعا لهم مع ان الاحتكام السليم في صحة الاختيار يقضي بالرجوع الى المدلولات اللغوية ذاتها وصرف النظر عن المجموعات الجغرافية .

فشَهَر - يشهر - شَهْرا الشيء : أعلنه واذاعه ، وهذا المعنى لا تفيده في مقام الدعاية التجارية كلمة الاعلام التي يفضلها الكاتب ، لأن اهل المشرق درجوا على استعمالها في معنى الاعلان والنشر والاذاعة ، وهو المدلول الذي تتضمنه الكلمة الاجنبية (publicite) التي جعل الكاتب مضمونها مرجعا في مفاضلته بين لغة المشرق العربية وبين لغة المغرب العربية فهذه الكلمة الأجنبية يتجاوز مدلولها مجرد الاعلام ، الى الاذاعة الواسعة . فالفرق واضح اذن بين مضمون (الاعلام) وبين مضمون (الاشهار) فالثاني فيه معنى الاول وزيادة ، بينما الاول لا يغني عن الثاني .

وينبه الدكتور السامرائي - ولا أدرى من اجل ←

أي غاية ؟ ـ قائلا : « في هذه العربية (يعني عربية اهل شمال افريقية) شيء آخر فاذا كنا في المشرق العربي نلتزم بمصطلح (العمل) لما يقوم به العامل في المصنع والموظف في الوظيفة وغيرهما ، فان اخواننا في الشمال الافريقي قد اتخذوا (الشغل) مصطلحا لهم فيقال عندهم مثلا : « الاتحاد العام للشغل . . . »

فأي ضير على اللغة يراه الكاتب في استعمال لفظ (الشغل) في معنى (العمل) ؟ أولم يرد هذا في القرآن الكريم ، فجاءت كلمة شغل تدل على التوجه الى العمل : « سيقول لك المخلفون من الاعراب شغلتنا اموالنا واهلونا »

* * *

ونعرج اخيرا على ما جاء في الصفحة (١٠٣) التي ورد فيها ما يلي : « قرأت في صحيفة الاتحاد الاشتراكي المؤرخة في اليوم الثالث من تموز (يوليه) ما يأتي : عقب انسحابه المفاجيء من مقر القمة الافريقي التاسع عشر الذي انعقد في اديس أبابا عاصمة اثيوبيا ، وعودته من جولته في بعض بلدان المشرق العربي صرح الرئيس معمر القذافي . . . » وعقب الدكتور السامرائي على جملة (وعقب . . . صرح الرئيس القذافي) فكتب : (في هذا الذي ذكرته من كلام المحرر في الصحيفة المشار اليها شيء يجانب المشهور في القاعدة النحوية وهو (عود الضمير على متأخر عنه) ليس الى توجيهه او تأويله من سبيل ، وتلك قاعدة ادركناها ونحن صبية شداة)

وحتى لا نتوقف اكثر مما ينبغي على ما تضمنه قول الدكتور (وتلك قاعدة ادركناها ونحن صبية شداة) نذكره بقاعدة عودة الضمير على الاسم الظاهر ، كما ادركناها على مقاعد الدراسة الثانوية وعلى الوجه الذي استنتجه المستقرئون لاستعمالات العرب الفصحاء في هذا الباب عند وضعهم للقواعد النحوية للغة العربية .

لقد انتهى هؤلاء المستقرئون الى تفصيل في المرتبة التي يحتلها من الجملة الاسم الذي يعود عليه الضمير ، وعلى هذا التفصيل بنوا الاباحة او المنع او اللزوم فقالوا :

الاصل ان يعود الضمير على متقدم وهذا التقدم اما أن يكون تقدما لفظيا حقيقيا في ترتيب عناصر الجملة ، كأن يأتي الفعل في الجملة الفعلية أولا ثم الفاعل ثم غيرهما من التوابع ، أو أن يكون هذا التقدم اعتباريا،اي باعتبار المرتبة التي يستحقها اللفظ في ترتيب عناصر الجملة ، كأن يأتي المفعول به قبل الفاعل فيقال في هذا الاخير أنه متأخر لفظا متقدم رتبة ، ومثال القاعدة في ترتيب الجملة الفعلية ان نقول : (اخذ الكاتب قلمه ليكتب) وفي الجملة الاسمية : (الرجل الغريب واضحه سماحته)

فمثل هذه الصورة سواء في الجملة الفعلية او في الجملة الاسمية هي الاصل والغالبة في كلام العرب ، اذ عاد فيها الضمير على اسم متقدم لفظا ورتبة فيمكن القياس والنسج على مثل هذه الصيغ .

● غير ان الفصحاء من العرب الذين لا يتطرق الى فصاحتهم ريب ، خالفوا في بعض كلامهم هذه القاعدة الاصلية فقدموا ما حقه التأخير وأخروا ما حقه التقديم سواء في بناء الجملة الفعلية او الاسمية واستنتج المستقرئون :

أ ـ حالة اعتبروها شاذة لورودها قليلة

نادرة في الكلام الفصيح ، فمنعوا القياس عليها ، لان القياس لا يكون الا في الغالب المنتشر من الاستعمالات ، وضربوا لهذا الشاذ مثلا قول الشاعر :

جزى ربه عني عدي بن حاتم
جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

فالضمير في كلمة (رب) يعود على (عدي) التي هي مفعول به ، ووضعوا قاعدة لذلك المنع هي : ان الضمير لا يجوز ان يعود على اسم متأخر لفظا ورتبة اذ المفعول به في الجملة الفعلية رتبته الطبيعية ان يأتي بعد الفعل والفاعل معا ، وهما عنصران لهما اهمية اكبر من المفعول به الذى يجيء متمما لمدلول الجملة ، لان معرفة الفاعل اهم من معرفة المفعول به فيجب التعجيل به للسامع لانه هو العنصر الايجابي في مدلول الكلام .

ب ـ حالة اولى وجدوها مخالفة للترتيب الاصلي لكنها متفشية ، فاباحوا القياس عليها مثل قول جرير :

جاء الخلافة أو كانت له قدرا
كما اتى ربه موسى على قدر

وخرجوها على اعتبار الاسم الذى عاد عليه الضمير ـ وهو كلمة (موسى) ـ متقدما في اصل الترتيب لانه فاعل فعل (أتى) فيكون الضمير قد عاد على اسم متقدم رتبة ومتأخر لفظا وعلى هذا نجد قول الله عز وجل : (واذ ابتلى ابراهيم ربه) [1] بل ذهبوا في مثل هذه الحالة الى فرض مخالفة القاعدة الأصلية وأوجبوا تقديم المفعول به على الفاعل حتى يتجنبوا عود الضمير على متأخر لفظا ورتبة في صورة احترام قاعدة ترتيب عناصر الجملة الفعلية (الفعل اولا ثم الفاعل ثم بقية توابع الجملة)

جـ ـ حالة ثانية وجدوا فيها ايضا عود الضمير على اسم متأخر لكن أباحوا فيها القياس وهى الحالة التى استهجنها الدكتور السامرائي وخطأ صاحبها وقال في شأنها : « انها (عربية ملحونة) و « ليس الى توجيهه (اى التركيب الذى قرأه في الصحيفة المغربية) او تأويله من سبيل » .

اما سبيل تأويله عند النجاة فهى : ان الضمير قد عاد على متقدم رتبة (لانه فاعل) ولو تأخر لفظا ، والى ذلك يشير ابن مالك صاحب الالفية في قواعد النحو بقوله :

وشاع نحو خاف ربه عمر .

فالامر اذن شائع يمكن القياس عليه وليس شاذا يهمل ويمنع القياس عليه وعلى المذهب الشائع نكتب في المغرب العربي مثل كتابة محرر الصحيفة المغربية . □□

تونس : عبد الواحد المحروق

---

(١) في الشاهد القرآني عاد الضمير في (ربه) على اسم تقدمه وهو ابراهيم ، فهو لا يدخل موضوع المحاورة ، وأما البيت (جزى ربه عنى عدى بن حاتم) فالضمير في « ربه » يعود على اسم متأخر عنه ، وكذلك قول ابن مالك (وشاع نحو خاف ربه عمر) فالضمير في (ربه) يعود على اسم متأخر عنه هو (عمر) وهما شاهدان على عود الضمير على الاسم المتأخر عنه ، أيا كان ترتيبه في الجملة لفظا أو رتبة ومثلهما الشاهد « أتى ربه موسى » (العربي)

اتقان اللغات الأجنبية بين الإستثمار والإستغلال

☐ قرأت باهتمام ومتعة ما كتبه الدكتور فؤاد زكريا على صفحات مجلة العربي (العدد ٣٠٢ ، كانون ثاني ١٩٨٤) في مقالته القيمة (ثقافتنا المعاصرة بين التعريب والتغريب) التي شدد فيها على اهمية التعريب ودوره الحضاري الذي اصبح يضم ابعادا سياسية وقومية ، الى جانب ابعاده الثقافية ، كما قارن بين حركة التعريب القديمة والحديثة ، ونوه باخفاق السياسة التعليمية الخاصة باللغات الأجنبية في الاقطار العربية ، مما دفع بالقلة ممن يتقنون هذه اللغات الى استخدام قدراتهم في مآرب خاصة .

وأود هنا ، في هذه المقالة الصغيرة ، استكمالا للفائدة ، أن أعقب ، وأتوسع ، بعض الشيء ، في أحد الجوانب التي تضمنتها مقالة الدكتور فؤاد ، والمعلق بكيفية استخدام المثقفين معرفتهم باللغات الأجنبية . وفي الحقيقة فان هذه المعرفة يمكن ان تستخدم بصورة سلبية لسرقة أفكار المؤلفين الأجانب ، والتنصل من عناء البحث والتقصي ، كما يمكن أن تستخدم بطريقة ايجابية ، ليس في التعريب فحسب وانما أيضا في شكل هام آخر من أشكال العمل الكتابي ، وهو تحليل الكتب الأجنبية . يقول الكاتب الجليل فؤاد زكريا :

(ففي ظل الجهل باللغات الأجنبية لدى الغالبية العظمى من أفراد الأجيال الحالية ، أصبح قدر لايستهان به من التأليف اقرب الى النقل المباشر او التلخيص . لقد أصبحت القلة القادرة على فهم اللغات الاجنبية تستغل هذه القدرة من أجل اعفاء نفسها من عناء البحث والتفكير المستقل ، وهي واثقة أن احدا لن يكتشف ما نقلته عن الغير) وما ذكره الدكتور فؤاد صحيح الى حد بعيد ، وان كانت التهمة تنطبق ، في الحقيقة ، على بعض الذين يتقنون اللغات الأجنبية ، لا عليهم جميعا . ولكن الكاتب يرجع ظاهرة لجوء بعض المثقفين من متقني اللغات الأجنبية الى نقل أفكار الكتاب الأجانب ، وتقديمها الى القراء وكأنها من نتاجهم الخاص ، بصورة أساسية ، الى جهل الاكثرية الساحقة من القراء باللغات الأجنبية وعجزهم عن اكتشاف عملية النقل . ويبدو لي أن هذا يمثل سببا واحدا من أسباب الظاهرة المذكورة . وهناك سببان آخران قد يكونان اكثر أهمية ، وهما ضعف الوازع الاخلاقي عند الناقل ، والافتقار الى تشريعات خاصة لتنظيم العمل الثقافي والصحفي ومعاقبة مخالفات النشر . ودليل على ذلك أن عملية النقل والتلخيص ، أو لنقل السرقة الكتابية ، تتم عن المؤلفات العربية ايضا ، فكثيرا ما ينقل بعض اشباه الكتاب مقالات أو نصوصا أو أفكارا معينة ، عن كتب أو مجلات عربية ، قديمة أو حديثة ، نقلا كاملا أو جزئيا ، ويقدمونها الى القراء ، كما لو كانت من ابتكارهم . ان هذه الظاهرة المؤسفة ، سواء

تجلت في السرقة من مصادر عربية ، أو مصادر أجنبية ، تعود اذن الى ثلاثة أسباب رئيسية :

● غياب الوازع الأخلاقي والضمير الوجداني عند بعض المثقفين الذين يسعون الى اقتناص مكاسب مادية ومعنوية دون عناء أو جهد .

وتطلق ـ عادة ـ على الذين ينقلون نتاج الكتاب العرب أو الأجانب ، وينشرونه كما لو كان نتاجهم الخاص عبارة (لصوص الكتابة) او (لصوص الأدب) .

● عدم وجود قوانين وأنظمة ثقافية عربية صريحة لمواجهة مخالفات النشر ، ومعاقبة لصوص الكتابة الذين يسيئون الى حرمة الأدب ويشوهون صورة العمل الكتابي .

● عدم تحمس المواطن العربي ـ بشكل عام ـ الى القراءة ، فهناك قلة من المواطنين العرب يقرؤون الكتب والمجلات . . . وان قلة قليلة فقط من هذه القلة تقرأ بجدية وعمق . ولا شك أن هذا أحد الأسباب التي تغري بعض أشباه الكتاب على السرقة من الكتب أو المجلات أو النشرات المختلفة ، ظنا منهم أن قلة عدد القراء العرب الذين يطلعون على المطبوعات تجعل انكشاف حالهم أمرا مستبعدا . وهذا السبب يصبح اكثر وضوحا عندما يتعلق الأمر باللغات الأجنبية حيث نجد أن قراء اللغات الأجنبية العرب أقل بكثير من قراء اللغة العربية ، مما يجعل اغراء السرقة عن الكتاب الاجانب أقوى منه عن الكتاب العرب . وهذا ما حدا بالدكتور فؤاد زكريا بالتنبيه على أهمية مشكلة سرقة النصوص الأجنبية .

ومن الفقرات الأخرى التي استرعت انتباهي في مقالة الدكتور زكريا ، قوله (ان أعدادا متزايدة من كتابنا تستغل قدرتها على فهم اللغات الأجنبية لكي تلخص كتب الغربيين وتقدمها كما لو كانت نتاجها الخاص .) وهذا القول يعد امتدادا لفكرة السرقة من المؤلفات الأجنبية . الا اني اود الانتقال ، هنا ، الى فكرة تلخيص الكتب الأجنبية وعرضها وتحليلها ، مع ما يصاحب ذلك من جوانب سلبية تتجلى في امكانية سرقة أفكار المؤلف ، ومن جوانب ايجابية تتمثل في تقديم زبدة الكتب الأجنبية الحديثة الى القراء العرب على طبق من ذهب .

فمن المعروف أن معظم المواد التي تنشر على صفحات الكتب والمجلات ، اما أن تكون مبتكرة ابتدعها الكاتب نتيجة خبراته وقراءاته المختلفة ، أو معرفة ترجمها المترجم عن مصادر أجنبية باحدى اللغات الانكليزية او الفرنسية او الالمانية او الروسية .. الخ . وتمتاز المادة الموضوعة بأنها تعكس اصالة الفكر المحلي العربي وخصوصيته ، في حين تنقل المادة المعربة أحدث الاتجاهات العلمية والثقافية والأدبية المعاصرة في الفكر الأجنبي المتقدم .

وهناك أشكال اخرى من الكتابات لايمكن أن تندرج ضمن التأليف ، ولا ضمن التعريب ، ومن بينها عرض الكتب الأجنبية وتحليلها . وهذا العمل مفيد جدا لأنه يزود القارىء عبر تحليل صغير مكثف بخلاصة كتاب كبير قد يعز عليه شراؤه أو يتعذر فهمه ، ولأنه يجمع بين مزايا التأليف والتعريب في آن واحد ، فالتحليل يمكن القارىء من الاطلاع على الأفكار والانجازات الأجنبية المتطورة ، من جهة ، وعلى أفكار المحلل الخاصة واستنتاجاته من جهة ثانية ، فالمحلل لا يكتفي بعرض أفكار الكتاب

وتلخيصها ، بل يقوم بمناقشتها والتعليق عليها والاضافة اليها . ان محلل الكتاب يقدم آراءه الأصلية ، جنبا الى جنب مع آراء المؤلف الأجنبي ، وهنا ينبغي التأكيد على ان المحلل الأمين يعرض مادته بطريقة تجعل القارىء قادرا على التمييز بين افكار المحلل وأفكار المؤلف الأصلي . وللأسف فان بعض المحللين عن قصد أو عن غير قصد يقدمون آراءهم وآراء مؤلف الكتاب الأجنبي ، بصورة متداخلة يعجز معها القارىء عن التفريق بين هذه وتلك . ولكن الأسوأ من ذلك أن بعضهم يعرضون أفكار المؤلف وكأنها أفكارهم ، ظنا منهم أن أحدا لن يطلع على الأصل الأجنبي ليكتشف ذلك . وهذا يمثل ضربا من ضروب السرقة الأدبية التى تشبه ما أشار اليه الدكتور فؤاد زكريا .

واذا تجاوزنا هذا الجانب السلبي ، فان تحليل الكتب الأجنبية يعد فى الحقيقة ، انجازا عظيم الأهمية ، لأن عدد القراء الذين يستطيعون الاطلاع على الكتب الأجنبية وفهمها ، قليل للغاية . وحتى هؤلاء قد لا يتاح لمعظمهم شراء مثل هذه الكتب ، اما لغلاء أسعارها أو لعدم توافرها ، واذا كان الكتاب الذى يصدر فى قطر عربي ما ، لا يتاح له الانتقال الى باقي الاقطار العربية الا ضمن حدود ضيقة للغاية بسبب القيود الظالمة التى تعوق حركة الكتاب العربي ، فكيف نتوقع أن يكون حال الكتاب الذى يصدر فى أميركا أو بريطانيا ، مثلا ؟ ! وفى ضوء هذا الواقع فان تقديم زبدة كتاب أجنبي ثمين ووضعها فى متناول القارىء ، على صفحات احدى المجلات ، هو عمل كبير دون ريب ، ويعد بمثابة تعميق لعملية التعريب الجافة التى تكتفى بنقل محتويات الكتاب الأجنبي كما هى ، دون نقد أو مناقشة . ويختلف المحللون بالطبع فى طرق عرضهم وتحليلهم للكتاب . والمحلل البارع هو الذى يحسن اختيار الأفكار التى يود عرضها ، ويكتفى بتحليل الخطوط الرئيسية فى الكتاب دون الغوص فى تفصيلات صغيره لا لزوم لها ، على حساب النقاط الكبرى .

ولا شك ان لانتخاب الكتاب أهمية خاصة . فالمكتبة الأجنبية تعج بمئات الكتب التى لا تهم القراء العرب من قريب أو بعيد ولا تمت الى قضاياهم وهمومهم بأية صلة ، بل تتعلق بأوضاع هذا القطر الأجنبي أو ذاك . ومن الضروري اختيار الكتب الأجنبية التى تعالج أوضاعا تنطبق على أوضاع الدول النامية ، ولاسيما الدول العربية ، مع عدم إغفال أهمية الكتب التى تتناول القضايا العالمية الكبرى .

وهكذا فان عملية تحليل الكتب الأجنبية تحتل درجة ممتازة فى سلم الأعمال الكتابية المختلفة كالبحث والدراسة والخاطرة والترجمة والقصة والقصيدة . . . الخ ، وهى ثمرة هامة من ثمرات اتقان اللغات الأجنبية ، ولا يقلل من أهميتها أن بعض الكتاب يسيئون استخدام مقدراتهم اللغوية ويستغلونها بالطريقة التى أشار اليها الدكتور فؤاد زكريا . ويبدو لي أن من يقرأ بعض الفقرات التى وردت فى مقالة (ثقافتنا المعاصرة بين التعريب والتغريب) قد يخرج بانطباع مفاده أن جميع الذين يتقنون اللغات الأجنبية يستغلون قدراتهم استغلالا سيئا لخدمة مآربهم الخاصة . ولكن من المؤكد أن الدكتور فؤاد لم يكن بقصد فى حقيقة الأمر سوى فئة قليلة جدا من هؤلاء . □□

دمشق : ياسر الفهد

طبيب الأسرة

عضة الفأر ليست طاعوناً

● شاءت الصدفة أن يتمكن فأر من عض أحد أطفالي الصغار ، أصيب بعدها بأسبوع بحمى وهبوط عام وصداع ، وظهر بعض الطفح فهل هذا هو الطاعون أم هو مرض آخر ؟

ع . س
صنعاء ـ اليمن

(لقد ارتبطت سمعة الفأر بتاريخ الطاعون Plague الذي هدد حياة البشر عبر آلاف مؤلفة من السنين والذي رسم صورة حزينة لا تمحي من ذاكرة التاريخ البشري بل أصبحت كلمة طاعون تعني في اللغة كلمة وباء . . . أي وباء . . . حتى الاسم العلمي للجرثومة المسببة للمرض المعروفة علمياً باسم باستيوريللا بيستس Pasteurella Pestes مشتقة من الوباء أيضاً (وباء = Pestes) .

غير أنه مع اكتشاف الانسان للمضادات الحيوية والمبيدات الحشرية ، وتوسع المعرفة عن طريقة انتقال المرض ، وارتفاع الوعي الصحي ، فقد انحسرت موجات أوبئة الطاعون وانحصر في مناطق محددة متخلفة من العالم ، تقع في أواسط أفريقيا وجنوب شرق آسيا .

غير أن الفأر لم يكن مطية لوباء الطاعون فحسب ، بل كانت هناك قائمة طويلة من الأمراض تزيد عن العشرة ، كان الفأر والجرذ يعملان على نقلها ، أدركها العلماء مؤخراً بعد انحسار موجة الطاعون ، منها : حمى عضة الفأر Rat Bite fever والتسمم الغذائي Food poisoning والتيفوس المتوطن endemic typhus .

غير أن شبح الطاعون بقي يعيش في أذهان الناس بالرغم من أن حمى عضة الفأر من الشيوع والانتشار في كل مكان كان فيه للفأر جحر يأوي اليه ، لدرجة أنّ عدد الضحايا في مدينة بومباي وحدها يقدر بعشرين ألف حالة .

والواقع أن هناك ميكروبات تعيش في فم الفأر وبين أسنانه ، منها نوعان : الأول يدعونه العصيات السبحية Streptobacillus ويوجد في أمريكا وأوروبا ، والثاني يدعى اللولبيات الصغيرة أو Spirillum minor وهذه تنتقل الى الانسان مع عضة الفأر ، الذي بطبيعته يعض حتى يقرض أنيابه ويمنعها أن تنمو لدرجة قد تحول

طبيب الأسرة

بينه وبين قدرته على الأكل ، أو ربما يعض أحياناً دفاعاً عن النفس .

وهذه الحمى يصاحبها آلام عامة وصداع وطفح جلدي بضعة أيام ، يشفى بعدها المريض وخاصة مع العلاج .

ان حمى عضة الفأر بعيدة كل البعد عن الطاعون الذي ينقله الى الانسان برغوث الفأر ، بعد أن يلدغ دم فأر مريض ليفرغه في جسم إنسان مجاور ، اذ يتقيء الفأر جراثيم المرض بعد أن تسد معدته بسبب تكاثرها الرهيب في معدة الفأر .

ان الشيء المشترك بين الطاعون وحمى عضة الفأر هو الفأر وجيرته للانسان .

الدم في البـــول

● مشكلتي أنني لاحظت منذ زمن وجود دم في البول دون أية أعراض أخرى ، وبعد مراجعة أحد الأطباء طمأنني أنها معاناة من البرد ، أخذت لها الأدوية الموصوفة دون فائدة .

فهل وجود دم فى البول هو علامة خطر ؟

أفيدونا جزاكم الله عنا كل خير .

عبد الصمد محيي الدين
مكناس ـ المغرب

وجود دم في البول سواء منه ما اكتشف بالعين المجردة أو بالمجهر حالة مرضية تستحق الاهتمام ، يدعونها في لغة الطب البيلة الدموية **Haematuria** أو البول المدمم .

من الطبيعي أن تتسلل الى سائل البول بعض كرات الدم الحمراء .R.B.C، ولكن عددها يجب ألا يزيد عن اثنتين أو ثلاث في مجال الرؤية بالعدسة المكبرة للمجهر بأية حال ، والا اعتبر الأمر مرضاً ، وما أكثر الأمراض التي تسبب تسلل الدم الى سائل البول ، وهي تتراوح ما بين سبب بسيط تافه الشأن الى سبب خطير لا يستهان به ، لهذا لا بد من استشارة طبيب حاذق متخصص يجري الفحص ليحدد السبب ويصف العلاج .

من الأهمية بمكان تأكد الطبيب من أن لون الدم الأحمر يعود حقاً الى وجود دم فيه أو أن في الأمر سبباً آخر ربما كان صبغة من طعام أو شراب أو عقار ، واذا ثبت وجود الدم بالتحليل المخبري فإن الطبيب في هذه الحال يرصد اهتمامه للتأكد من أمور حيوية أهمها :

أولاً : موضع النزف من الجهاز البولي ، هل هو من الكلية في أعلى الجهاز أم من الحالب أم من المثانة أو من الاحليل (مجرى البول السفلي) فلكل من هذه المواضع علامات وأدلة وأسباب .

فالدم النازف من الكلية أو الحالب عادة يعطي لوناً بنياً أو دخانيا مختلطاً بسائل البول .

وهذا تصاحبه الالتهابات في هذه المواضع ، أو لوجود حصوة تخدش الأنسجة مما حولها ، بينما نزيف المثانة قد يكون زاهي اللون متقطعاً على فترات كما هو الحال في بعض أورام المثانة ، أو قد يصاحب الدم الصديد فيعطيه لون العكارة كما هو الحال في الالتهابات .

أما لو كان النزف في نهاية المجرى البولي أو الاحليل فله وجهان : أما أن يسبق جريان البول ، وهذا دليل على نزف في جدار المجرى البولي ، أو أن يعقب تيار البول وهنا يكون النزف في عنق المثانة .

ثانياً : وجود أعراض أخرى وعلامات تصاحب النزف

الدموي كالألم مثلا الذي يصاحب تحرك الحصوات ، بينما يغيب في أحوال الأورام ، وكارتفاع ضغط الدم الذي تتميز به التهابات الكلية ، ثم لا بد من التأكد من ارتفاع درجة الحرارة التي تصاحب الالتهاب على الأغلب وهكذا .

إن أمراض الجهاز البولي تحتاج عادة الى اختبارات وفحوص عدة قبل تحديد الإصابة ، منها تحليل البول مخبرياً لاستطلاع الطفيليات كالبلهارسيا مثلاً التي تتعرف عليها من بويضاتها الصغيرة .

ومنها الأشعة السينية لتصوير هيئة الجهاز البولي ومنها استعمال المنظار وتحاليل الدم ، لهذا يصعب الفتوى والاجتهاد العاجل في أمر أمراض الجهاز البولي دون وجود تفاصيل علمية مؤكدة ، أما عن دور البرد في إدماء البول فهو اجتهاد غير مؤول .

كاسات الهواء

● قرأت عن أخبار العودة الى استعمال الأطباء لكاسات الهواء العربية واعتمادها أسلوباً علمياً معترفاً به في علاج كثير من الأمراض ، فأين تقع الحقيقة في هذا الخبر ؟ وأين أجد المتخصصين في هذا الفن الطبي ؟

س . أ .
بني غازي - ليبيا

لقد ترسبت في قناعات البعض أن كاسات الهواء علاج طبي عربي المنشأ له فعل السحر في شتى الأمراض ، بل ما زال هذا الأسلوب معتمداً في الطب الشعبي يضفي عليه أصحابه الكثير من الصفات التي تجاوزت الحقيقة بكثير .

إن كاسات الهواء أسلوب قديم جداً في العلاج عرفته أغلب الشعوب منذ آلاف السنين ، لهذا له في كل لغة تقريباً اصطلاح خاص معتمد .

فهو في انجلترا يسمى **Cupping** وفي فرنسا يدعونه **Ventouse** وفي ألمانيا يلقب **Schropfen** أما في أمريكا فيعرف باسم **Vacum** .

لقد أثبت أطباء الفراعنة طرق استعمال كاسات الهواء على أوراق البردى منذ خمسة آلاف عام ، كما ذكرها ابقراط في أرض اليونان قبل ولادة السيد المسيح بخمسمائة عام ، وجاء ذكرها كأسلوب معتمد في كتب ابن سينا والرازي ، كما لا زالت كاسات الهواء طريقة معتمدة في الطب الشعبي الصيني على قدم المساواة مع طريقة الوخز بالابر .

غير أن كاسات الهواء لم تحظ حتى اليوم باعتراف معتمد من الأوساط الطبية الحديثة وان كان بعض من الأطباء يدعي أنه وجد لها تأثيرات طبية في بعض الأمراض وخاصة آفات الصدر والآلام الروماتيزمية .

ليس من الضروري أن تستعمل كاسات من الزجاج كما قد يتوهم البعض لأن بعض المحدثين من محترفي العلاج بكاسات الهواء يستعمل شفاطات من المطاط ، كما أن بعض الشعوب قد تستعمل الخيزران في مص الهواء ، لأن فعل كاسات الهواء يعتمد على تفريغ الهواء من جزء معين من جلد الجسم غالباً ما يكون عن طريق تسخين الكأس لإفراغها من الهواء .

إن تأثير كاسات الهواء يعتمد حسب التفسير العلمي الحديث على تنشيط الدورة الدموية في المنطقة المصابة ، سواء بفعل الحرارة ، أو بفعل التفريغ الهوائي وهذا يعمل بدوره على تصريف سموم الفضلات التي يعاني بسببها المريض من ألم العضلات أو المفاصل .

أما التمادي في القناعة بأثر كاسات الهواء على شتى أمراض الصدر أو أمراض الكلية والبواسير أو إعادة الشباب فهذا تجاوز كبير للحقيقة .

غريبان تحت سقف واحد

بقلم : منير نصيف

□ هل شعرت يوما أن زوجك مازال انسانا غريبا عنك ؟ هل توقفت مرة تتأملين تصرفات هذا الرجل الذي مضى على زواجك منه سنوات طويلة ؟ هذه قصة زوجين مضى على زواجهما أكثر من عشر سنوات ومع هذا مازالا يعيشان غريبين تحت سقف واحد .. انها قصة من واقع الحياة !

من وراء زجاج نافذة غرفة نومها ، جلست ترقب الشارع الذي خلا من المارة في هذه الساعة المتأخرة من الليل .. ترى ماذا جرى له ؟ لقد تعود في الأيام الاخيرة أن يعود الى البيت متأخرا بعد أن ينام الأطفال .. إنها تعرف أن العمل الجديد الذي يقوم به قد أخذه منها .. ولكن هل يمكن أن ينسى الرجل بيته وزوجته وأطفاله في غمرة اشتغاله بعمله ؟ انها لم تعد تراه الا للحظات قصيرة بعد أن ينتصف الليل وهي ساهرة مع كتاب جديد ... وما اكثر المرات التي يغلبها فيها النعاس وهي جالسة على مقعدها تقرأ فلا تراه الا مع صباح اليوم التالي وهو يستعد للقاء يوم جديد ... ويدور حوار سريع في فتور شديد ، لا يلبث ان ينتهي بذهاب كل منهما الى عمله .. حتى اللحظات القصيرة التي يقضيها في بيته لم تعد تشعر خلالها بوجوده .. فهو لم يعد يتحدث في أي شيء وعن أي شيء .. إنه يجلس ساهما شاردا وكأنه يحمل الدنيا فوق رأسه ، واذا تكلم فحديثه دائما عن العمل ، ومتاعب العمل ، والاجتماعات التي يستعد لها ، والصفقات التي يأمل في اتمامها .. وهو يتوقع منها ان تشاركه الحديث .. ولكنها لا

تلبث ان تكتشف انه يتحدث في موضوع لا تعرف عنه شيئا ، فتسكت عن الكلام ، وتكتفي بأن ترسم على وجهها ابتسامة مصطنعة !

* * * *

ما الذي حدث ؟ هل يمكن ان تتغير الحياة بهذه السرعة . . هل انتهى الحب الذي كان يعيش معهما ويربط بينهما خلال السنوات القصيرة التي عرفته فيها . .

لقد كان شاباً مرحاً ناجحاً طموحاً . وكان يحلم ، وكانت تحلم معه بالسعادة والعيش في رخاء . .

وسارا معا على الطريق . . كانت رحلة شاقة ، ولكنها لم تطل ، فقد نجحا في تحقيق كل ما كانا يحلمان به معا . . شيء واحد كان يفلت منهما دون ان يحس به أحدهما أو كلاهما . . الحب الذي عرفه الزوجان الشابان في بداية حياتهما . . وعندما جاء الأطفال ثمرة حياتهما الزوجية بدأت الزوجة الشابة تشعر ان زوجها لم يعد هناك ليشاركها فرحة اللقاء بالضيوف الجدد الذين ملأوا البيت بالحياة . . وبحثت عنه فوجدته غارقاً في عمله . . صحيح ان النجاح لذيذ . . ولكنه يصبح ألذ عندما يشعر صاحبه أن هناك من يشاركه الاستمتاع بهذا الانتصار . .

* * * *

وتمضي بها الأيام ثقيلة متباطئة . . الزوج مشغول في عمله سعيد بنجاحه . . وهي مع اطفالها في المساء وفي عملها في الصباح ، انها مازالت تعمل . . مازالت تذهب الى مكتبها كل يوم ، رغم أنها لم تعد في حاجة الى الأجر الذي تتقاضاه منه ، فقد أصبح زوجها في مركز يسمح له بأن يعوضها عما تكسبه من عملها . . ولكنها لا تريد ان تعيش في الفراغ الذي أصبحت تجد نفسها فيه وسط هذا البيت الذي يحمل كل ركن فيه ذكريات أحلامهما معا وكفاحهما معا . . انها تحاول ان تغرق همومها في عملها ، فهو الشيء

الوحيد الذي يملأ حياتها اثناء غياب اطفالها عن البيت !

هل انتهت الرحلة القصيرة بهذه السرعة .. لو انها كانت تعلم لما بدأتها .. انها تعرف أشياء أخرى كثيرة تعلمتها من الحياة ومن خلال قراءاتها .. وفي سني طفولتها وشبابها وسط والديها قبل ان تخوض أكبر وأعظم تجربة في الحياة .. تجربة الزواج ..

انها تعرف ان الحب قد يولد في لحظة ، ولكن الحب الناضج كالشجرة التي تنمو ببطء وتخرج من البذرة التي تغطيها الأرض .. وان الزوجين في حاجة الى وقت طويل لتنمية مشاعرهما وتفهم أوجه الاختلاف بين شخصيتيهما ، ومشاركة كل منهما للآخر في أفراحه وأحزانه .

ان نصائح امها مازالت تملأ رأسها الصغير .. « إياك يا ابنتي ان تتركي للخلافات الصغيرة التي تنشأ بينك وبين زوجك مجالا لتدمير حياتك .. لا تستسلمي لأول جرح صغير يصيبك !

ضمدي جراحك وأبدئي من جديد ! .. » .

ولكن ماذا عنه هو .. انها لا تريد ان ترى حياتها تنتهي بنفس الأسلوب الذي تقرأ عنه وتسمع به .. الفراق تم ... من يدري ماذا يجيء من بعده .. فقد ينتهي كل شيء بعد ذلك بالطلاق .. ان مجرد التفكير في هذا المصير الذي ينتظر حياتها التي اضطربت يزعجها .. لا من أجل نفسها .. ولكن من أجل الأطفال الأبرياء الذين يبحثون عن الحب والدفء في قلوب الأبوين ! ..

وعادت تسأل نفسها : نعم ماذا عنه ؟ انه لم يعد يشعر بها ولا بأطفاله .. ان عمله يمتص كل وقته .. انه لم يقم بأية محاولة لاذابة الجليد الذي بدأ يتراكم ويملأ أجواء البيت التي كان يلفها دفء الحياة حتى عندما كانا يختلفان ويتخاصمان .. كان هناك دائما شيء يعيد العلاقة الى طبيعتها بينها وينتهي الخلاف الذي يهدد سعادتها .. اما الآن فقد عصف البرد بكل شيء حتى في أشد أيام السنة حرارة ودفئا !

إنها لا تدري ماذا تفعل ؟ الحيرة تستبد بها والقلق يعيش معها طوال ساعات الليل والنهار !

ولكن يشاء القدر ان يسوق في طريقها يوما سيدة شابة مثلها أو أكبر سنا قليلا .. من هي لاتدري ؟ من اين جاءت ؟ انها لا تعلم عن الطريق الذي اختارته من اجل الوصول اليها شيئا .. هل هي الصدفة وحدها التي قادتها الى هذا المكان .. في هذه الساعة من النهار ربما .. ! كانت في صباح هذا اليوم تستقل سيارتها الصغيرة مع أطفالها الصغار في نزهة بين احضان الريف .. وفجأة سمعت صوتا جميلا .. كانت صاحبة الصوت تغني وهي تقف وسط الحقول الخضراء تجمع ثمار الفاكهة من الأشجار في سلة صغيرة .. كان واضحا انها ليست من اهل الريف .. فقد كانت ملابسها تقول هذا .. ولكن كان واضحا ايضا أنها ليست ميسورة الحال .. فقد كانت بساطتها في اختيار ملابسها تؤكد أنها سيدة عادية من عامة الشعب .. ولم تكن وحدها ... كان معها اطفالها الصغار الثلاثة ..

واستوقفها صوت الغناء الجميل ، ربما لأنها لم تسمع أحدا يغني قريبا منها منذ زمن طويل ، وربما ايضا لأنها وجدت فيها نفسها ، فهي ايضا كان صوتها مازال جميلا .. ولكنها نسيت الغناء ، او ربما فقدت تماما رغبتها في الغناء .. انها مازالت تذكر كيف كان صوتها الجميل يثير اعجاب مدرساتها في المدرسة وهي تنمو وتكبر وتتفتح مثل الزهور التي وجدت نفسها تقف في وسطها فجأة عندما شدها هذا الصوت الجميل !

****

فنزلت من سيارتها واتجهت اليها وحيتها .. وقالت بسرعة تسألها : « أنت تغنين .. ان صوتك جميل .. لابد أنك سعيدة في حياتك ! » .

ـ نعم سعيدة ، ولماذا لا أكون سعيدة في هذا اليوم الجميل .

ـ أعني هل انت سعيدة في زواجك ؟

ـ لا ! ليست السعادة هي الكلمة التي يمكن ان تقال في وصف حياتي . . . ليس هناك سعادة كاملة على هذه الأرض . . فالسعادة لا يمكن ان تقوم فوق رمال متحركة . . والحياة من حولنا تتحـرك . . كل شيء فيهـا يتغـير . . حتى الناس . . أقرب الناس اليك . . المهم يا سيدتي ان نتعلم كيف نتعامل مع الآخرين كما هم بكل ما فيهم من مساويء ومحاسن . . انت تسألينني عما اذا كنت سعيدة في حياتي . . وانا اقول لك انني اسعد انسانة في الدنيا في هذه اللحظة بين اطفالي وبين الطبيعة الجميلة من حولي . . ولكنني لا أدري كيف سيكون شعوري غدا وانا أستقبل يوما جديدا . . بل ربما بعد مرور بضع ساعات وانا استعد للعودة الى البيت وافكر فيما هو مطلوب مني القيام به . .

ووجدت نفسها تقاطعها فجأة قبل ان تكمل حديثها . . انها لم تتوقع ان تجد عند هذه السيدة البسيطة كل هذا الكلام الذي وقفت تنصت اليه باهتمام . . وعادت تسألها : « من أنت ؟ » .

ـ انا فنانة ، أنقل لوحاتي من الطبيعة التي أعشقهـا ، وأبيعها وأقتصـد ثمنها لأبنـائي الصغار .

ـ وزوجك ؟

ـ انه تاجر يمتلك محلا صغيرا لبيع الأقمشة ! لقد تزوجنا منذ خمسة عشر عاما . كنت أحبه ، وكان هو ايضا يبادلني هذا الشعور . كان متيما بحبي . . كان يريدني لنفسه وكأنه قد أصبح يمتلكني . . لم يكن يسمح لأحد ، حتى أمي وأبي بأن يكون لهما مكان في قلبي . كان يتصور انه ليس من حق احد مهما كانت صلته بنا ان يقترب من مملكته ! ولكنه ما لبث ان اكتشف الخطأ الكبير الذي وقع فيه عندما حملت واقترب موعد ولادة طفلنا الأول . . لقد كان هو الذي ذهب بقدميه يرجو أمي ان تحضر لتكون قريبة مني في هذه اللحظة التي تنتظرها كل أم .

* * * *

ـ هل دام الحب الذي ربط بين قلبيكما ؟

ـ انه لم ينته على اية حال لأنه تعلم ان أقصر طريق لاعادة الحياة الى هذه العاطفة التي تربط بين قلبي الزوجين هو عدم اخفاء حقيقة مشاعره . . فالزوجة أي زوجة لا تقتنع بما ترى . . ولكنها تريد ان تسمع ايضا ما يؤكد لها هذا الذي تراه في تصرفات زوجها . .

ـ تعنين ان يؤكد حبه لها من وقت لآخر . . أليس هذا ما تريدين ان تقوليه ؟

ـ ليس بالضبط . . ولكن هناك كلمات كثيرة تؤدي نفس المعنى ، ليس بالضرورة ان يقول لها : « أنا أحبك » . فتكرارها قد يؤدي الى عكس ما هو مقصود بها . . انه يستطيع ان يقول لها مثلا « هل خطر ببالك يوما انني فخور بك » ! . . أنا سعيد لأنك عدت الى البيت في ساعة مبكرة !! .

ـ وهل تعلم زوجك هذا الكلام ؟

وأجابت الفنانة ، ولكن بأسلوب جديد لم تألفه السيدة التي التقت بها صدفة وكأنها عثرت عندها على مفتاح لبعض المتاعب التي تعاني منها . . كانت تتكلم بنفس الطريقة التي ترسم بها لوحاتها : « الحب يا سيدتي ليس عملا فرديا ولكنه مناخ نعيش فيه بكل ما يحمله لنا من مطر ورعد وحر وبرد . . الحب مدرسة بين الزوجين . . مدرسة نتعلم فيها ونكبر ونكتشف أشياء لم تكن في حسابنا أبدا . . اذا عرفنا ان هذه العاطفة لا يجب ان تسقط في وجه أول ريح تعصف بها ، فقد تعلمنا ان الحب بين الزوجين ليس « قبلة » وليس كلمة حلوة . . انه مناخ يملأ القلب ولابد لنا أن نكيف حياتنا به ومعه ! » .

وتصافحا . . وتركتها تكمل اغنيتها ، ولم تنس وهي تترك المكان أن تهنئها على اللوحة الرائعة التي رسمتها بكلماتها ! .

□□

من التراث

المخاطر عند العرب وكيف كانوا يقدرونها ؟

بقلم : الدكتور إحسان صدقي العمد

☐ قلما تخلو حياة الأمم والشعوب من تعرضها في بعض الأحيان ، لأخطار جسيمة داخلية أو خارجية تهدد كيانها وتكاد تعصف بوجودها . وما تخطت أمة من الأمم مثل هذه المرحلة الا بفضل وعيها المستنير لجسامة تلك الأخطار ومبادرتها الى مواجهتها بالحزم والعزم وحسن التدبير . .

في تاريخ العرب والمسلمين أمثلة عديدة على هذه الظاهرة التاريخية ، التي اعتمدت مواجهتها على مدى ما كان يتمتع به قادتهم من نظر بعيد وتفكير عميق في تقدير الخطوب والأمور وتأثير نتائجها على حاضر الأمة ومستقبل مسيرتها .

وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في مقدمة اولئك القادة الذين ألهمهم الله مثل هذه الصفات . فقد أدرك منذ البداية الخطر الجسيم الذي شكله مشركو قريش على الدعوة الاسلامية ومستقبلها حين خرجوا بقوتهم المسلحة الكبيرة للقضاء على جماعة المسلمين القليلة في بدر ، وقد حفز هذا الموقف النبي الكريم واصحابه على الانتصار لدين الله او الاستشهاد دون ذلك ، وجعل يستنهض همم أصحابه قائلا : « سيروا وأبشروا فان الله قد وعدني احدى الطائفتين ، والله لكأني الآن أنظر الى مصارع القوم » ، وتوجه الى العلي القدير يدعوه النصر ويقول : « اللهم إنك إن تهلك هذه العصابة لا تعبد بعدها في الأرض ، اللهم أنجز لي ما وعدتني ، اللهم نصرك » .

وبمثل هذا النظر الثاقب والاستشراف الصادق ، كان الرسول الكريم يوقن أن النصر على قوى الشرك ودرء خطرها عن دولة المسلمين في المدينة المنورة ، سيمهد الطريق أمام انطلاقتهم وازالة الحواجز المادية التي كانت تقف في وجه نشر دعوة الاسلام في العالم . وتحدثنا كتب السيرة والمغازي ، ان النبي ـ ﷺ ـ كان يَعِدُ الصحابة وهو يشاركهم حفر الخندق حول المدينة بفتح المشرق والمغرب . حتى قال المنافقون : « نحن نختنق على أنفسنا وهو يعدنا قصور فارس والروم !! » وكرر الرسول هذه الرؤية المستقبلية في غزوة تبوك ، وذلك بفضل نظره البعيد ووعد الله الذي لا يتخلف .

بل ان النبي صلى الله عليه وسلم حذر المسلمين من تآمر الاعداء عليهم ، وأوصى بجلاء اليهود عن جزيرة العرب ليحول دون استمرار تآمرهم على الاسلام والمسلمين ودولتهم .

أبوبكر يستشعر الاخطار

وواجهت ابا بكر الصديق رضي الله عنه ظروف عصيبة بعد وفاة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وكادت تلك الظروف تعصف بالاسلام ودولته ، حين ارتدت معظم قبائل العرب عن الاسلام ، وامتنعت عن اداء الزكاة ، وطمع الأعراب في غزو المدينة نفسها ، وقد رأى البعض أول الأمر مهادنة المرتدين وتركهم وماهم عليه من منع الزكاة وتأليف قلوبهم حتى يتمكن الايمان في قلوبهم ثم يزكون ، الا ان الصديق اصر بعد نظره على مقاتلة من يفرق بين الصلاة والزكاة ، وتجزئة اركان الدين وفرائضه واطلق عبارته الشهيرة « والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأقاتلنّهم على منعها . ان الزكاة حق المال . والله لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة » وقد كان ، وانتصر المسلمون ، وسلمت عقيدة الاسلام من خطر التفتيت والتجزئة .

وقد أدرك الصحابي الجليل ابوهريرة فضل ابي بكر في مواجهة ذلك الخطر والقضاء على اثاره البعيدة ، حين قال : « والله الذي لا اله الا هو لولا أن أبا بكر استخلف ما عُبد الله » .

وتجتاز الأمة الاسلامية المحنة والخطر ، لتواصل انطلاقتها التاريخية الكبرى في نشر دعوة الخير والايمان والسلام .

وخاض المسلمون عدة وقائع قبل أن يلقوا جموع الروم في معركة اليرموك الفاصلة . وقد هُم عمر بن الخطاب حين أعد أن يتوجه الى بلاد فارس ليقود المعركة بنفسه ، الا أن الناس اقنعوه بالبقاء في المدينة ليكون للمسلمين المدد والرده . وقد بلغ من خطورة هذه المعركة ـ كما يقول ابن أعثم ـ أن أبا سفيان أشار على ابي عبيدة باشراك النساء فيها . « فعبأ ابو عبيدة نساء المسلمين فوق ربوة خلف جيش المسلمين . فعلت النساء التل ، ومعهن الاطفال والصغار . وقال لهن ابو عبيدة : خذن بايديكن اغمدة السيوف واعمدة البيوت والفساطيط ، واجمعن الحجارة بين ايديكن ، وحرضن المسلمين على قتال المشركين ، فاذا كان الأمر لنا ، فكن على ما انتن عليه ، وان رأيتن احدا من المسلمين منهزما فاضربن وجهه باعمدة البيوت ، واضربنه بالحجارة وادفعن إليه اولاده ، وقلن له : قاتل عن ولدك وعن بيعة الاسلام . فقالت النساء : ايها الامير ابشر بما يسرك » وكانت البشرى بالنصر ثم انسحاب الروم من جميع بلاد الشام بعد ان قدم المسلمون الوفا اخرى من الشهداء .

جهاد الى يوم القيامة

وبرغم انتصار المسلمين على الفرس والروم ، فانهم لم ينخدعوا بهذا النصر ، بل زادهم يقظة وتأهبا واستعدادا ، وظلوا يحملون السلاح ويرابطون في معسكراتهم ومواقعهم الحربية لحماية دولتهم من الاعداء المتربصين بها ، مصداقا لقول الرسول الكريم « الجهاد ماض الى يوم القيامة » ، ومن أجل ذلك أنشأوا المسالح والرباطات ، ونظموا حملات الصوائف والشواتي دفاعا عن الثغور والحدود والديار التي طالما طمع فيها الاعداء وتأهبوا للاغارة عليها . وقد أدرك قادة المسلمين في الامصار هذه الحقيقة بنظرهم الصائب وحدسهم الصادق . ويحدثنا المقريزي في خططه ان عمرو بن العاص والي مصر ، كان لا ينفك عن تحريض المسلمين المرابطين في مصر على الوقوف على اهبة الاستعداد لمواجهة الاعداء المغيرين ويقول لاصحابه :

« اعلموا انكم في رباط الى يوم القيامة ،

لمكث الاعداء حولكم ، ولاشراف قلوبهم اليكم والى داركم معدن الزرع والمال والخير الواسع والبركة النامية » . ويروى في خطبة له بالفسطاط أن النبي عليه السلام يقول : « إذا فتح الله عليكم بعدي مصر فاتخذوا فيها جندا كثيفا ، فذلك الجند خير أجناد الأرض ، لأنهم رباط الى يوم القيامة » وهذا اعمق فهم وابعد نظر لاهمية موقع العالم الاسلامي وطمع الاعداء فيه ، ووجوب التأهب لافشال كيدهم والقضاء على اطماعهم .

بل ومن القاعدة العربية الإسلامية في مصر ، انطلقت سواكب الهدى وحملات الفتح الى المغرب ، حيث دخلت تلك الديار العزيزة تحت رايات العروبة والاسلام ، بعد سبعين سنة من الجهاد المتصل الذي قدم فيه المسلمون من الشهداء ألوفا بعد ألوف .

.. وفي المشرق أكثر من عبرة

وواصل المسلمون في عهد بني أمية السير على هذا النهج في الاستراتيجية ، وبذلوا جهودا مضنية في الدفاع عن دولة الاسلام ، وبخاصة حدودها الشمالية والشرقية المتاخمة لقبائل الخزر والترك التي عرفت بقوة البأس والشكيمة . وتزخر الحوليات الاسلامية بأخبار الحملات على تلك المناطق والتخوم ، وتعزيز قوات المرابطين المسلمين في الثغور في تلك الاقطار النائية . ومن أجل ذلك نظم المسلمون البريد ووسائل الاتصالات السريعة التي جعلت الخلفاء وولاتهم يقفون على أمور الدولة وأمنها وسلامتها ، حتى أنهم كانوا لا يحجبون صاحب البريد من الدخول عليهم في أي ساعة من الليل او النهار ، اذ « ربما أفسد على القوم سنة لحبسهم البريد ساعة » على حد قول عبدالملك بن مروان . واذا كانت معظم تلك الحملات قد كللت بالنصر فان بعضها لم يحالفه النجاح ، لكن ذلك لم يفت في قوة المسلمين او يحيدهم عن تغيير تدبيرهم واستراتيجيتهم الثابتة في ضرورة المحافظة على قوة الدولة وهيبتها وسلامة حدودها . فقد استشهد القائد الشيباني الشهير مصقلة بن هبيرة وجميع أفراد حملته التي قدرتها بعض المصادر بعشرين الف رجل من خيرة المجاهدين وذلك لدى توغلهم في اقليم طبرستان عام ٥٠هـ/ ٦٧٠م ، ومع ذلك فلم يهن المسلمون ولا تخاذلوا ، بل استمروا في ارسال الحملات الى هذا الثغر حتى تم ضبطه ودخل معظم أهله في الاسلام .

وكان للحجاج تدبير ورأي

وللحجاج بن يوسف الثقفي فضل في سعيه الدائب لتأمين الحدود الشرقية للدولة الاسلامية ، فنراه يرسل حملة كبيرة قوامها عشرون ألف رجل من أهل البصرة والكوفة عام ٧٨هـ/ ٦٩٨م لاخضاع اقليم سجستان (افغانستان الحالية) ، ولكن هذه الحملة التي قادها عبيدالله بن ابي بكرة حوصرت في ذلك الاقليم وقتل معظم افرادها فلم ينج منهم سوى حوالي خمسة الاف رجل ، مما احدث تضعضعا ملحوظا في قوة المسلمين وهيبتهم في تلك المناطق . وقد رأى الحجاج بنظره البعيد ، ضرورة توجيه حملة كبيرة جديدة الى سجستان للانتصار على الاعداء هناك واستعادة هيبة الدولة . وأورد البلاذري في انساب الاشراف نص كتاب الحجاج الى عبدالملك الذي يستأذنه فيه بتسيير الحملة الجديدة ، فقال : « أما بعد ، فان جند امير المؤمنين الذين بسجستان أصيبوا ، فلم ينج منهم الا القليل . وقد اجترأ العدو بالذي اصابه من أهل الاسلام ، فدخلوا بلادهم وغلبوا على حصونهم وقصورهم . وقد اردت

ان اوجه اليهم جندا كثيفا من اهل المصرين (البصرة والكوفة) ، فاحببت ان استطلع رأي امير المؤمنين في ذلك » .

ويأتي رد عبدالملك قويا متماسكا يدل على قدر الرجال وثقتهم . فأجاب الحجاج : « بلغني كتابك لما ذكرت من مصاب المسلمين بسجستان حتى لم ينج منهم الا الشريد ، وجراءة العدو لذلك ، وقوتهم على أهل الاسلام . فاولئك قوم كتب القتل عليهم فبرزوا الى مضاجعهم وعلى الله ثوابهم ، واما ما اردت ان يأتيك فيه رأيي من توجيه الجنود وامضائها الى ذلك الفرج الذي اصيب فيه المسلمون او كفها ، فان رأيي ان تمضي رأيك راشدا موفقا » .

التفكير والتدبير

وأمثال هؤلاء الرجال الذين يعملون التفكير والتدبير كثير في تاريخنا ، فهذا عبدالملك بن مروان كان لا ينفك عن النظر في عواقب الامور ومعالجتها بالحزم الذي تقتضيه ، فكان اذا ظهرت في دولته فتنة او ادلهم خطب شمر عن ساعد الجد وامتنع عن المسرات حتى تقمع الفتنة وينجلي الخطب ، ويحدثنا الراغب الاصفهاني في محاضرات الادباء ان عبدالملك مكث ثلاث سنين وخمسة أشهر لا يقرب امرأة حتى أتاه خبر قتل ابن الاشعث ، وتمثل بقول الاخطل :

قوم اذا حاربوا شدّوا مآزرهم
دون النساء ولو باتت باطهار

وقل مثل ذلك عن ابي جعفر المنصور الذي أثر عنه انه اذا كان لا يصدر الا عن تفكر ولا يمضي الا بعد تدبر ، وكان ذلك ما اوصى به ولده المهدي قبيل وفاته حين قال له : « يا بني خذ عني اثنتين : لا تقل من غير تفكر ، ولا تعمل من غير تدبر » وكثرت قبله وبعده كتب التنظير السياسي للامراء والخلفاء لمعالجة الامور بالحكمة والتفكر والحزم واغتنام الفرص المواتية ، حتى نسب الى عبدالحميد الكاتب قوله :

وعاجز الرأي مضياع لفرصته
حتى اذا فات أمرا عاتب القدرا

وكان حكماء العرب يقولون : « انتهزوا الفرص فانها تمر مر السحاب » وكانوا يقولون : « العجز عجزان ، عجز التقصير وقد كان ، والجد في طلبه وقد فات » . وكان ابن المقفع تلميذ عبدالحميد يقول : « اعجز الملوك آخذهم بالهوينى ، واقلهم نظرا في مستقبل الامور ، وأشبههم بالفيل الهائج الذي لا يلتفت الى شيء ، فاذا حزبه امر تهاون فيه ، وان اضاع الأمور حمل ذلك على قرنائه » . وكان نظراؤه يقولون : « من تأخر تدبيره ، تقدم تدميره ، ومن طالت غفلته زالت دولته ، ومن لم يغتنم الفرصة عادت عليه غصة » .

الفرص الضائعة

وقد يطول بنا الحديث اذا تتبعنا الفرص الذهبية الضائعة في تاريخ امتنا العربية الاسلامية البعيد والقريب . ولكن نكتفي بذكر بعض الفرص التي ضاعت ابان التصدي للغزو الصليبي لمشرق العالم الاسلامي ومغربه . اذ كان السلطان الناصر صلاح الدين يرى بنظره الثاقب وأفقه البعيد ، ان المواجهة الناجحة لخط الصليبيين لا تتم الا بتوفير اكبر قدر ممكن من تضامن المسلمين ووحدتهم . حتى لقد اثر عنه ان « امور الحرب لا تحتمل في التدبير الا الوحدة » . ومن أجل ذلك سار على خطا سلفيه عماد الدين زنكي ونور الدين محمود في تحقيق هذا الهدف . ويحدثنا ابو شامة صاحب كتاب « الروضتين في اخبار الدولتين » ، ان صلاح الدين اراد ان تتضافر جهود المسلمين في المغرب والمشرق للقضاء على الخطر الصليبي ، وبعث لهذه الغاية

برسالة الى الخليفة العباسي الناصر يشرح له الموقف العسكري الخطير حول ثغر عكا وتدفق المدد الصليبي عليها ، ويدعوه الى ارسال العون والمدد الخاصة « وقد تعاضدت ملوك الكفر على ان ينهضوا الى المسلمين من كل فرقة طائفة ، ويرسلوا اليهم من كل سلاح شوكة ، فاذا قتل المسلمون واحدا في البر بعثوا الفا عوضه في البحر . واصحابنا قد أثرت فيهم المدة الطويلة والكلف الثقيلة في استطاعتهم لاطاعتهم ، وفي احوالهم لا شجاعتهم . وكل من يعرفهم يناشد الله فيهم المناشدة النبوية في الصيحة البدرية : اللهم ان تهلك هذه العصابة . . . ، ويخلص الدعاء ، ويرجو على سيدنا امير المؤمنين الاجابة » لكن الخليفة لم يمده بمال او رجال ، واكتفى في رده بالدعوات والتمنيات ، فبادر صلاح الدين الى الاستنجاد بسلطان المغرب يعقوب بن يوسف بن عبدالمؤمن الملقب بالمنصور ، على قوى المغرب والمشرق تتعاون في صد الخطر الصليبي عن البلدين ، وكتب اليه يستنهضه ويقول : « فان كانت الاساطيل في الجانب الغربي ميسرة ، والعدة فيها متوفرة ، والرجال في اللقاء فارهة ، وللقاء غير كارهة ، فالبدار البدار . . . وان كانت دون الاساطيل موانع ، فالمعونة ما طريقها واحدة . . تكون تارة بالرجال وتارة بالمال ، وما رأينا اهلا لخطابنا ولا كفؤا لانجادنا ، ولا محفوفا بدعوتنا ، ولا مليا لنصرتنا ، الا ذلك الجناب . . فقد كانت تتوقع منه همة توقد في الغرب نارها ، ويستطير في الشرق سناها ، وتغرس في العدوة القصوى (الاندلس) شجرتها ، فينال من في العدوة الدنيا جناها . فلا ترضى همته ان يعين الكفر الكفر ، ولا يعين الاسلام الاسلام » .

لكن الامل في ذلك السلطان خاب ، فلم يهب الى نصرة او نجدة او ارسال عون ، لا لشيء كما تحدثنا معظم المصادر ، بل لان صلاح الدين لم يخاطبه في رسالته بامير المؤمنين على عادة اهل المغرب كما يقول ابو شامة ، فتغلب المظهر على الجوهر ، وقصر النظر على بعده ، فضاعت فرصة لم تعوض في تاريخ الأمة .

ومالنا نلوم سلطان المغرب ولا نلوم سلاطين المشرق وامراءه ، الذين حفيت اقدام رسل صلاح الدين من كثرة التردد عليهم واستنصارهم . فما نصروه برجال ولا مال ، وآثروا التحصن في القلاع ، وظنوا ان النجاة في الاعتصام برؤوس الجبال . وقد صور القاضي الفاضل هذا الحال في رسالة بعث بها الى صلاح الدين وفيها يقول بصورة مؤثرة : « ان الله تعالى اطلع على قلوب اهل الارض فلم يستخدم في اقامة دينه واعلاء كلمته الا انت . . . وفي الارض من له المملكة وراثة ، ومن له في المال كثرة ، ومن له في العدد ثروة ، فاقعدهم واقامك . . . هذا وليس لك من المسلمين كافة مساعد الا بدعوة ، ولا مجاهد معك الا بلسانه ، ولا خارج معك الا بهمّ ، ولا خارج بين يديك الا بالاجرة . . . تدعوهم الى الله وكأنما تدعوهم الى نفسك ، وتسألهم الفريضة ، وكأنك تكلفهم النافلة وتعرض عليهم الجنة ، وكأنك تريد أن تستأثر بها دونهم . والآراء تختلف بحضرتك والمشورات تتنوع بمجلسك ، فقائل لم لا نتباعد عن المنزلة ؟ وآخر لم لا نميل الى المصالحة ، ومتندم على فائت ما كان فيه حظ ، ومشير بمستقبل ما يلوح فيه رشد . . . ولكن الشدة تذهب ويبقى ذكرها ، والازمة تنفرج ويبقى اجرها » .

ولا ادري هنا اكان القاضي الفاضل عبدالرحيم البيساني كاتب صلاح الدين ووزيره يصور حال ازمة عصره التي انفرجت بعد حين وبقي ذكرها ، ام انه يصور ازمة عصرنا التي مازالت تنتظر الحل والفرج ، على يد جيل يعمل الفكر والنظر ويتدارك الامر والخطر . □□

من سجلات المحاكم

شاهد من نَغَمِه

بقلم: علي منصور المحامي

□ رآها ورأته عرضا وسمعته تلصصا وهو يغني. فجن كل بالآخر وأفرط في جنونه وأزمع أن يتزوجها.

وصارح نفرا من خلصائه.. فنصحوه ألا يفعل، فهو «فلاح»، وهي «بدوية».. صحيح اننا كلنا مخاليق الله.. ولكن هناك الأعراف والتقاليد. ومن عرف البدو وتقاليدهم المرعية أن لا يزوجوا بناتهم الا من بدوي، وأن يأبوها على الغرباء، لا سيما الفلاح.

وأصر «حسان» ولم يفلح في رده نصح، خصوصا وأنه إذ تسقط الأخبار وتقصى، علم أن «دنيا» التي أحبها قد جاوز إعجابها به الى الغرام.

وبذل ما استطاع.. قرع الباب فصفق في وجهه، وساق الشفاعات والوسطاء فباءت جميعها بالاعتذار.

واتصل الخبر بواحد من أصحاب النفوذ ـ وكان ممن عانى الصبابة فبات يعرفها، وكان ممن يطربون لسماع حسان بين الحين والحين ـ فرق لحاله وأوفد الى آل «دنيا» من يتهددهم بأن «السيد» سيهدم على رؤوسهم خيامهم التي أقاموها في أرض ليست لهم ان لم يزوجوا الفتى من الفتاة... وحدد لهم شهرا.

وحارت القبيلة وتداول رؤساؤها في الأمر.. فالأرض ليست لهم فعلا، والرحيل ليس أمرا يسيرا بعد العمر الذي سلخوه في الأرض مستقرين.. وإن رحلوا فإلى أين؟.

صحيح ان أرض الله واسعة، ولكنها حولهم ضاقت بمن تكاثر ومن تكاثف، وفي الوقت نفسه ليس سهلا ولا هينا أن يخرجوا على ما توارثوا من تقاليد.

وأخيرا تفتق بعض التفكير عن الاعتذار بأن «دنيا» مخطوبة لأحد فتيان القبيلة، ومقروءة فاتحتها، وأنها على وشك «الدخول»، وأنه من الحديث الشريف «لا يخطب أحدكم على خطبة أخيه».

وأسرعوا ودبروا الفتى الخاطب ، وأسرعوا وأعلنوا عن يوم العرس ، وكلفوا ممن يتفق مع حسان ليحيى الليلة .

وقبل الموعد المضروب بأيام فجعت القرية بجثة الفتى الخاطب عارية وهي طافية على صفحة مياه الترعة .

وقامت الدنيا ، وشرع رجال البحث في التحري والتقصي ، وطوف بخيالهم الظن في « صاحب النفوذ » بعد أن جرحت كرامته بعصيان كلمته ، لولا أن سيرته وسلوكه وغيابه عن البلدة منذ حين أبعدت ذلك الظن . واتجهت الشبهة الى حسان فهو موتور والقتيل غريمه . ولكن الشبهة لم تجاوز حدها فلم يساندها ثمة دليل ، وبخاصة بعد أن ثبت أنه لا يعرف القتيل ولا علم بتهديد صاحب النفوذ ، ولا بأن القتيل كان في طريقه ليكون زوجا لدنيا . أما الذي كلف بأن يتفق معه على احياء الليلة فقد ثبت أنه لم يكن قد شرع فيما نيط به .

وقيدت الواقعة « عوارض » .

وخشيت القبيلة أن يعاود صاحب النفوذ ضغوطه بعد أن زالت العلة ، وأسرع صاحب الفتوى الأولى بفتوى ثانية .. أن يتخلصوا من دنيا ذاتها باغراقها في مياه الرياح ويشاع أنها لم تحتمل قضاء « عريسها » الذي كانت تحبه فاختارت أن تلحق به ... وبنفس الطريقة ... غرقا .

وألقى الأمر الى « أم دنيا » أن تصحب الفتاة قبل طلوع الفجر بزعم غسل بعض الثياب وهناك تدفع بها الى الماء ولا مانع أن تضع فوقها « الطشت » حتى تتفق ... ولا مانع من أن تستعين في ذلك بمن هو موضع ثقتها من نساء العائلة .

وكان أمرا لا يعصى .

وبقلب متمزق ودمعة لا تجف ، عرضت الأم المنكوبة الأمر على أختها « ناعسة » ، فاستمهلتها أياما ، عادت بعدها وطلبت اليها أن تصحب دنيا وطقم ثياب غير الذي ترتديه ، وأن يخرج الجميع بعد أن ينتصف الليل لتنفيذ المأمورية .

وفي غسق الليلة الموعودة بارحت الدار أطياف ثلاثة ، بينما وقف الأب يشهد رحيل « مصدر العار » ويحاول أن يحجب دمعة انحدرت تبلل لحيته البيضاء .

وسارت النسوة الثلاثة في صمت عميق ، وجاوزن حدود القرية حتى بلغن مكان ظهور جثة « الخاطب » الغريق ، ووقف الركب ، وراحت الأم تودع ابنتها .

وظهر حسان فاضطربت دنيا وفغرت الأم فاها وابتسمت ناعسة وهي تقول لأختها . « ألم يكن القرار عجيبا ؟ هات طقم الثياب وضعيه هنا .. وأنت يا حسان خذ « دنياك » الى أقرب مأذون كما اتفقنا وارحلا .. انها أمانة .. إرحلا بعيدا ... وسترجع يا أختي ، وستشهد الثياب على أن « دنيا » غرقت ... أغرقت نفسها بعد أن شفها الوجد فشقت ثوبها ثم صدرها حزنا على حبيبها ... على الفقيد الغريق .

* وان رآها أحد ؟

* نجت .. وهربت .. ويحلها الحلال .

وهمت الأم أن تستطرد فأسكتتها أختها وهي تحث على الاسراع قبل أن يفضحهم النهار . ورحل حسان وفي يده دنيا لا يكاد كل يصدق نفسه ، وقفلت الأم وأختها راجعتين ، وراحت هذه تطمئن أختها على مصير ابنتها ، تقص عليها ما دبرت خلال الأيام التي سألتها مهلة . وكيف اتصلت بحسان ووثقت في حبه دنيا ورتبت معه الموعد والخطة ، وكيف فاتحت في الأمر دنيا ووثقت من حبها كذلك .. وأنهت حديثها بقولها ... « وعلى كل حال .. أنا قلبي مطمئن » .

وأجابت الأم وهي سادرة حائرة ... يسمع منك ربنا ويسترها ويسترنا .

* * *

وبعيدا عن القرية ، عقد حسان قرانه على دنيا ، وفي الدار التي نزلا بها ، اقترب منها وهو يقول .. من كان يصدق أن دنيا بين يدي ..

* ودنيا تلها لك . .
* وبدنيا سأتغلب على الدنيا .

وراح يحصي ما حمله من حصيلة العمر ، أو على حد تعبيره « ما خرج به من الدنيا » ثم راح يفكر في كيف يصرف . . . وكيف يتصرف .

وهمت دنيا أن تخلع ما كان في يديها وعنقها من حلي . ولكن حسانا أبى عليها ذلك . فلما أصرت قال لها . . « دعيها للزمن . . » وابتسمت وأمنت . . .

ولم يكن اختيار حسان للقرية التي حطا رحالهما فيها اعتباطا ، ولا لفرط بعدها عن قرية « المهجر » وانما تدخل في اختياره لها أن بها « المعلم حسيب » وهو من أهل الصنعة القدامى الذي سيعينه على أن يشق طريقه في المجتمع الجديد .

وبعد أن اطمأن الى المأوى أو ما أسماه كذلك تجوزا ، مضى يسأل عن حسيب ولم يبذل في ذلك كثيرا ، فقد كانت الحوائط تحمل الأصباغ المعلنة عنه وعن « الجوقة » و « الفن الجديد » والشهرة والصيت والدعوة الى ساعات كلها طرب ورقص واستعراضات .

وقصد حسان الخيمة التي كانت لحسيب مسرحا ومسكنا ومنتدى ، وتعانق الرجلان وتبادلا عبارات المجاملة ، ثم تبادلا الأخبار ، ورحب حسيب بأن يكون حسان واحدا من رجاله . . . وجاء العرض غاية المراد .

ومنذ الليلة التالية كانت « النمرة » الجديدة الغناء البلدي مع المطرب الشعبي « حسان المغنواتي » وأطرب الناس وأعجبها وقبض يوميته فعاد الى دنيا سعيدا يلقى بها بين يديها لأنها القيمة على النفقة .

وقبل ان تشكو دينا حرمانها من زوجها وحبيبها معظم النهار حيث يقضيه بين الفرقة لأداء « التجارب » وجزعها معظم الليل وهي تنتظر عودته والتي لا تكون غالبا الا مع خيوط الفجر . . قبل هذا تقرر ان يقيم حسان وزوجته بأحد ملحقات الخيمة شأنه شأن « المعلم » والمخرج وواحد او اثنين من كبار الفنانين .

وكم فرحت دنيا بهذا التعديل ، إذ أتاح لها أن تتمكن من رؤية حبيبها في كل حين وان لا تتبدد قلقا وهي تنتظره كل ليلة . وفوق هذا وذاك تسعد بأن تسمع كل ليلة غناء الحبيب . ولغنائه في صدرها الى جانب حلاوته وطلاوته معاني قصتها معه . . . وهي قصة خالدة . وكانت دنيا كلما سمعت غناء حسان لا تتمالك عواطفها فكانت تحسبها صادرة لها دون غيرها من الرواد ، وهي وحدها التي تفهم ما وراء الكلمات . وكانت تتمايل مع النغم ، وتدق بقدمها على « الواحدة » وتعيد اللحن بأصابعها مع تمتمة تطابق الصوت والحركة .

وكم هنأ حسيب حسانا

وكم شكر حسان حسيبا

وبعد أشهر تكلم ، مخرج الفرقة فأطرى صوت حسان وأداءه وتنغيمه ، ولكن هناك شيئا ينقص « الفرقة » ، واحدة تصاحب الغناء ، أو مرددة « للمذهب » أو مؤدية « للقرار » أو راقصة على « الواحدة » . ذلك هو الفن التجاري الصحيح الذي يزيد من ترغيب الجماهير فيكثر إقبالهم وتعمر جيوبنا ويرتفع أجرك . . لا مؤاخذة يا أستاذ . . أنت وحدك عظيم . . ولكن كفن فقط والفن وحده لا يؤكل عيشا . . . الفن داخل الخيمة والحكم خارجها . . . « على الشباك » .

وأمن حسيب على الكلام في شيء من الاستحياء .

ودارت بسرعة أفكار حسان ، فهو يسأل أكثر من شيء . . الفن . . . والأمان ، ولقمة العيش وان كان الفن لا وطن له غير أن الأمان ولقمة العيش هنا موطنها ، ولذا طلب مهلة كي يفكر في اختيار من يصاحبه وبما يصاحبه .

وتدخل المخرج وأشار الى دنيا ، وسارع الى

التأكيد أن خبرته ومراقبته لها « متفرجة » تقطعان بصلاحيتها لمشاركة حسان في أدائه . . . راقصة على خفيف ، ومرددة على أخف .

وسكت حسان ولم تتحرك شفتا دنيا ، وان تحرك بعنف ما بين ضلوعها ، وقطع حسان السكون . . . انها لا تعرف شيئا من هذا ، وان عرفت فهي لا تتقنه .

وأجاب المخرج . . ومن كان يعرف أو كان يتقن . . أنا الكفيل بهذا . . . والمياه تكذب الغطاس .

وفي خلوة حسان ودنيا تشاورا . . واستقر القرار .

ومنذ اليوم التالي حملت الاعلانات عن الفرقة . أن حسانا سيقدم « ثمرة جديدة » . . العرض الغنائي الراقص ، وكانت دنيا هي الجزء الجديد في ذلك العرض .

وتغير في الأداء والحركة الشيء الكبير وأحيانا في اللحن . . . أما الفن لم يتغير ، بل ولم يكن حسان يسمح لأحد أن يتدخل فيه فهي المعاني التي يغنيها . . قصة دنيا وكان التغيير الوحيد أن يضيف كل يوم أبياتا تترجم السعادة التي يعيشها هو ودنيا ، والتي خالفت سعادة الآخرين فهي لا تعرف التجمد ولا التراجع .

وكان للجمهور في اظهار اعجابه وسائل تتفق الا القليل في مبعثها ، وتختلف في صورها . . . تشترك جميعها في التصفيق وبعض الهتاف ، وتفرق في البسمة والنظرة ، وأحيانا في بعض الاشارات وبعض التلميحات وشذوذ نادر في شيء من التصريحات .

وكفنان . . . كان حسان معتادا على كل هذا ، وكان يرضيه حينا ويضايقه حينا آخر . ولكنه اليوم بات زوجا ، فاختلف التعبير واختلط احساس الفنان باحساس الزوج والضوابط فيها غير محكومة .

وفي أول الأمر كان مستمعا والقلب في صمم ، فكان يمر على كل شيء متسامحا ، وكان كما اعتاد دائما يختص نفسه بكل الاعجاب ، ثم بدأ يلفته من ذلك مالا يمكن أن يوجه الى ذكر فهو موجه اذا الى أنثى . . . والأنثى هي دنيا . . . ودنيا هي زوجته . . . وليس لأحد أن يعجب بزوجته سواه .

وبتصرف الفنان كان يصبر حتى ينزل الستار ثم كأن شيئا لم يكن ، ويختلف تصرف الزوج حين يغلق باب غرفتها ، اذ يقيم الدنيا حتى تقعدها زوجته بابتسامة أو بنظرة أو بما يجاوز هذا .

ومرت أيام وأشهر وأعوام . . وترامت سمعة الفرقة وشهرتها ، ووفد عليها طراز جديد من الرواد ، منهم من ترتفع ثقافته عن الرواد

العاديين ، ومنهم من تنتفخ جيوبه عن هؤلاء .

وبين هذا الجمع الجديد واحد بين هؤلاء وهؤلاء ... شذ ولأول مرة فهتف باسم دنيا وحدها ، وكأنها هي التي انفردت بالأداء أو بالابداع ، وكان الهتاف دائما باسم حسان ونادرا باسميهما معا .

وأول الأمر لم يحس بالحدث سوى حسان ، فلما تكرر التفتت دنيا فكانت ابتسامة ـ لم يكن مقصودا بها ذلك الرائد ـ وانما كان تعبيرا عن اعجابها بنفسها .

والناس دائما مقلدون . فقد بدأ نفر يجري مجرى « الرائد » في تصرفه حتى أصبح الهتاف باسم دنيا من اللزوميات ، فبدأت تشعر أن لها مشجعين يخصونها وحدها ، وبدأت تفصل بين حبها وفنها أو بين حبيبها ومجدها . وتصارع الحب وشهوة المجد ، وكان مما يزكي الأخير في صدر دنيا وفكرها بعض طبع المرأة ... ثم كلمات تتناثر عن قصد من بعض الذين أكلتهم الغيرة من نجاح حسان .

وبدأت بين دنيا وحسان المشاحنات ، ولم يخطر على بال أيها أن يوائم بين حبه وفنه ، ثم بات حسان لا يستطيع أن يوائم بين دنيا وماجد على تصرفاتها التي اغتفر منها الكثير وفاء لأنها ـ وكما قالت له أمها من بين دموعها ـ أنها أمانة .. أما الذي لم يغتفر بل وبدأ يثير في صدره الشكوك فاختلال برنامج دنيا وتغيبها أحيانا عن الدار وتأخرها أحيانا عن مواعيد الفرقة ، وكانت تنتحل اعذارا يتقن من تلفيق الكثير منها ، فلما تجرأ وفاتحها بشكوكه ... لم تنكر أنها تلتقي أحيانا « بالرائد » أياه ولكن لما عرفت أنه ظهر لها أنه من قبيلتها ، وأن عليها أن تفرط في مجاملته حتى لا يشي بها فلا يبقى عليها أهلها وأضافت وهي تتخايل .. ولا تبقى دنيا لحسان .. ان بقي حسان .

وبدأت الأفواه تهمس ثم الألسنة ترسل الاشاعات ... وبدأ يراقب سرا خطاها حتى بدد الشك اليقين ... وتداعت في فكره كثير من الذكريات ، وثارت في صدره واضطربت معاني كثيرة ... كان أعلاها الثأر .

وثار ... وبعد أيام علم الجميع أنه وجدت جثة بعيدا عن البلدة وكانت جثة دنيا يتقاذفها التيار اذ كان السد المائي مفتوحا ومياه الترعة يسابق بعضها بعضا .

وكان حسان قد بدد الهدوء صراخا لما افتقد دنيا وقتل البلدة بحثا وسؤالا فلم يعثر لها على ظل ، حتى علم بظهور جثة في تلك القرية البعيدة فسعى اليها مع غيره ، وتعرف على الجثة وسقط مغشيا عليه .

وتمهيدا للدفن أوقع طبيب الصحة الكشف على الجثة فاشتبه في أنها مقتولة خنقا قبل أن تموت غرقا .

وظن رجال الضبط أن الوصول الى الجاني أمر سهل ، فهو محدد في حسان الذي شهد زملاؤه بما كان من خلافاته مع دنيا في الفترة الأخيرة ، وأنكر حسان وهو يصرخ كيف يعقل أن يقتل المرء نفسه ، وجهد التحقيق كثيرا . ولكن ـ ورغم اقتناع ضابط المباحث أن حسانا هو القاتل ـ لم تسفر الجهود الا عن مجرد ظنون ولم تصل الى دليل ... والدليل في المسائل الجنائية جزم ويقين .

واتجه بعض الجهد الى الرائد بمظنة أنه موفد من أهل دنيا لقتلها ، بعد أن عرفوا بأمرها من صحيفة كانت نشرت لها يوما صورة ... ولكن اتضح أن « الرائد » بريء مما وجه اليه .

وقيدت الواقعة ضد مجهول وبقي واحد يؤمن ـ وان يكن بلا دليل ـ بأن حسانا هو القاتل ... ذلك هو ضابط المباحث .

* * *

وبعد أيام الحداد بالنسبة لحسان والكساد بالنسبة للفرقة عاد حسان الى الغناء ... وللمرة الأولى أحس أنه ينافق فيما يرسل من معاني رددها عمرا وكانت تزداد كل يوم عمقا وطلاوة .

وفي زعم « التجديد » راح يلقي أغاني لغيره من كبار المغنين حتى يبعد عن أغاني دنيا كما كان

يسميها . فان أرغم على القائها كان صوتا بلا طرب ولحنا بغير نغم .

ووعلل الكثيرون ما أصابه بفرط حزنه على دنيا . وان ذهب الرواد السطحيون الى أن دنيا كانت تضفي على غنائه الحياة . . . ونكأ القول جراحه ، وقال له « المعلم حسيب » يوما : استفق لحالك . . . . دنيا رحلت عن الدنيا . . . وأنت سيرحل فنك وترحل بذاتك ان بقيت على هذا الحال .

* ارحل . . لقد رحلت من زمان .

وفهم الرجل معنى وكان حسان يقصد معنى آخرا .

* * *

وكانت لحسان أغنية جديدة . . . ولكنه كان كلما استبدت به الذكريات يشدو بها في جنح الليل على قبر دنيا لتسمعها وحدها ، فهي وحدها التي تفهم أمرها :

أنا اللي خدتك بايدي من إيدين الناس
وأنا مهيتك بايدي يوم شربت الكأس
وان كانت الوالدة رقت . . هي والخاله
أنا قلبي أصبح حجر . . من كثر ما شاله

ويخفت صوته وهو ينشد أبياتا كأنه يسربها الى القبر :

النار في قلبي ومن شدة لهيب النار
ظنيت ح يطفي اللهيب لو خدت بعض التار
لكن لهيبي فضل . . . ونور عيوني طار

وسمع يوما صدى صوته مدنف متيم به . . . فغافله وسجل الأغنية وراح يسمعها ويسمعها حتى اتصل أمرها بأسماع « ضابط المباحث » . . . وتلصص ذات ليلة ليسمعها ولكن بأذن أخرى . . اذن من يتلقى الاعتراف وما أن فرغ حسان حتى فاجأه بقوله :

ـ أعد . . . وقعت بلسانك يا بطل .

وبهت حسان وطعن القبر بنظراته وهو يقول « ولكني ثأرت للذكريات . . لعمري . . لحبي . . لوجودي . . ولدنيا .

وطير الضابط « اشارة » للنيابة العامة . . . حادث مقتل دنيا . . . حسان هو القاتل . . شهد عليه شاهد من نغمه . . . واعترف .

وأمام المحقق اعترف حسان تفصيلا . □□

■ من طلب العلم لنفسه فالقليل منه يكفي ، ومن طلبه للناس فحوائج الناس كثيرة .

« مالك بن دينار »

■ كان حتى الأمس القريب فنانا ، ولكنه عاد يتطاحن على العيش كواحد من القطيع .

« فولتير »

■ إنك تبلغ مرتبة النمو الكامل عندما تضحك ضحكتك الأولى ساخرا من نفسك .

« ايثيل باريمور »

متى نتجه إلى البحار

اطلبوا الغذاء في سطح الأرض فان هي ضاقت

فاطلبوه في البحار

« وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا »
(قرآن كريم)

بحثاً عن غذاء أوفر؟

بقلم الدكتور : عزالدين فراج

☐ اذا عرفنا أن سكان الأرض يعيشون الآن على ربع الكرة الارضية بما عليها من أرض مزروعة وغير مزروعة وصحراوات وثلوج غير مسكونة وأن ثلاثة أرباع المساحة الباقية تشغلها البحار والمحيطات والأنهار ، أدركنا أهمية البحار في توفير الغذاء لسكان هذه الأرض التي نعيش عليها .

في البحار أنواع من الأسماك المختلفة الاشكال والألوان والصفات ، وتعتبر ثروة اقتصادية كبيرة ، لأنها من أهم مصادر غذاء الانسان ، ويمكن أن تحل الاسماك محل لحوم الأبقار والأغنام والدواجن ، هذا مع رخص ثمنها وسهولة الحصول عليها .

ولحوم الأسماك سهلة الهضم ، لذيذة الطعم ، غنية بالفيتامينات الهامة ، وخاصة فيتامين أ وفيتامين د ، كما تحتوي الاسماك على مقادير مناسبة من الأملاح المعدنية ، وخاصة أملاح اليود والفوسفور والكالسيوم اللازمة لتكوين العظام ونشاط الأعصاب .

والأسماك بجانب قيمتها الغذائية لها فوائد اقتصادية أخرى ، أهمها استخراج الزيوت الطبية الغنية بالفيتامينات من كبد بعض الأسماك ، وتستخدم زيوت بعض الاسماك في عدة أغراض كصناعة الطلاء ودبغ الجلود .

ويعتقد الخبراء أن البحر يمكنه تقديم مائتي مليون طن من الاسماك سنويا ـ أي أربعة أضعاف حصيلة الصيد السنوي في هذه الأيام ـ وذلك دون أن يتأثر الرصيد الضخم من الاسماك .

ولقد جرت محاولات لنقل الانواع القيمة من الأسماك الى الاماكن التي لم تكن توجد فيها من قبل ، ففي العصور الوسطى نقل الشبوط الى شمال أوروبا ، وفي القرن الاخير أحضر سمك « التَرُوت » البني والسالمون الى نيوزيلندا . ومن أهم عمليات النقل التي نجحت في مياه البحار المالحة نقل السمك المعروف باسم ثعبان البحر الى مياه عادية كان يصعب عليه الوصول إليها ، كذلك سبق ان وصفنا حركة نقل سمك موسى الهولندي .

وكذلك أجريت محاولات للاخصاب والفقس الصناعي في كل من المياه العذبة والمالحة ، ومازالت تجري هذه المحاولات بنجاح في برك الأسماك وفي البحيرات والجداول حيث نقص السلمون والبياض .

وتنجح تسميد مياه السمك لزيادة انتاج المواد الغذائية الأساسية في برك الأسماك ، كما جرب ذلك أيضا في المياه الحرة . ويظهر ان تجارب إمداد المياه المالحة في الخلجان الاسكتلندية بالأسمدة لم تؤد الى نتائج يمكن ان تطبق في مساحات اكبر .

وأخيرا فان صيد أو إبادة الحيوانات المفترسة نجح في الشواطيء وفي المياه العذبة . ولقد وجد أن صيد الحيوانات المفترسة تؤدي الى زيادة انتاج السلمون ، بما يبلغ تسعة أضعاف ونصف هذه التكاليف .

من أجل غذاء أكثر

وكان صيد السمك فيما مضى يعتمد على الحظ والصدفة أكثر مما يعتمد على الخبرة ، ولكن العلم أبى إلا أن يخضعه لارادته ، فكان له ما أراد ، فأصبح في مقدور الصيادين في كل أنحاء العالم رؤية السمك تحت الماء ، سواء أكان ذلك في الليل أم في النهار ، وسواء أكانت الشمس مشرقة أم مختبئة وراء السحب .

لقد أصبح في مقدور الصيادين معرفة مكان السمك في أعماق البحار ، ومعرفة نوعه وعدده واتجاهه وسرعة سيره في الماء ، بفضل جهاز جديد ، يعرف بمسجل الأعماق .

ومسجل الأعماق عبارة عن صندوق صغير في حجم جهاز الراديو ، يوضع في مقدمة السفينة ، وفي الجهاز شريط من الورق ، خطوطه الرأسية تمثل الماء امام السفينة ووراءها ، والخطوط الافقية تمثل عمق الماء ، وكلما تقدمت السفينة في سيرها ، رسمت الأقلام خطين متوازيين ، العلوي منها يمثل سطح الماء ، والسفلي يمثل قاع البحر ، وبين هذين الخطين المتوازيين تقوم الأقلام برسم صور متباينة للأسماك في اعماق البحر .

بهذا الجهاز استطاع الصيادون تحديد المواقع والأعماق التي يكثر فيها السمك ، فيبدأون

الصيد ، وهم على يقين ، من صيد موفور ، بعد ان كانت عملية الصيد عملية حظ ومجرد صدفة .

وقد ابتكر اليابانيون وسيلة سهلة للصيد ، بأن يضع الصياد مجموعة من المصابيح الكهربية بحيث تمتد الى مسافة طويلة في البحر في اتجاه عمودي على الساحل .

ثم يضيء الصياد ابعد المصابيح عن الشاطيء ، فيلتف حوله السمك ، ثم يطفيء هذا المصباح ، ويشعل الذي يليه ، فيتجه نحوه السمك ، ثم يطفيء هذا المصباح ويشعل الذي يليه وهكذا . . ويظل السمك يلاحق المصابيح حتى يدخل الشبكة التي نصبها الصياد بالقرب من الساحل .

غذاء للأسماك

والمعروف ان البحار تنتج المواد الغذائية النباتية التي تعيش عليها الاسماك الصغيرة بكميات هائلة جدا ـ حوالي ٢٠٠ مليون طن من النباتات وحيدة الخلية والطحالب سنويا ـ وبالرغم من ذلك فهي لا تكفي غذاء للعدد الهائل من الأسماك ، لكي تتحول عن طريق الأسماك الى البروتين الحيواني في لحومها ، فالأمر يتطلب ١٠٠,٠٠٠ رطل من الطحالب والكائنات الدقيقة ، حتى يمكن الحصول على رطل واحد من الأسماك ، والحل هو زيادة كمية السمك فيها .

وتجري محاولات اخرى لاستخدام فضلات الانسان كنوع من السماد ، لزيادة نمو النباتات البحرية ، بنشرها على اعماق بعيدة عن مستوى سطح البحر ، ويؤدي ذلك الى نتائج مفيدة لتغذية الاسماك ، كما يفكر العلماء ايضا في اضافة بعض المواد الكيماوية الى هذه الفضلات حتى يتضاعف نمو الكائنات البحرية الدقيقة

والطحالب ، وبالتالي تزيد كمية الاسماك التي تتغذى عليها .

وهكذا نستطيع ان نصل الى انتاج انواع من الاسماك الصغيرة بكميات هائلة تمكننا من صناعة « مسحوق السمك » الذي يحتوي على البروتين الحيواني . ويصبح في الامكان استخدامه لتعويض البلدان التي تعاني من نقص البروتين الحيواني . ولا يبدي الناس اليوم اهتمامهم بمسحوق السمك نظرا للرائحة المعروفة التي تنبعث منه .

وتجري الآن عمليات لانتاج دقيق السمك الذي يخلو تماما من الروائح لطهوه بمختلف الوسائل ، ليصبح غذاء شعبيا غنيا بالبروتينات الحيوانية اللازمة للنمو . وتقام الآن في مختلف البلدان المصانع التي سوف تقوم في المستقبل القريب بانتاج دقيق السمك على نطاق واسع .

وتوجد في البحار عدة انواع من الأصداف والقواقع التي تصنع منها الازرار ، كما تستعمل الاصداف اللامعة في تطعيم الاثاث واطارات الصور وتزيين الابنية ، وعمل العقود والاقراط وغيرها من الحلي ، وتطحن الاصداف ايضا وتضاف الى غذاء الدواجن .

الطحالب وقيمتها الغذائية

وتطفو على وجه المياه نباتات عديدة ، وتكثر هذه النباتات في المياه الراكدة او التي تجري ببطء ، وكذلك توجد الطحالب في البحار والمحيطات ، وتجمع هذه النباتات وتجفف ، وتستعمل في تغذية الطيور والماشية ، كما تستعمل كنوع من الاسمدة وكنوع من الوقود ، ومن هذه النباتات والطحالب تستخرج بعض العناصر النافعة كاليود والحديد والكالسيوم وغيرها من مواد الدواء والطلاء .

وتعتبر الطحالب ذات اهمية غذائية كبيرة ، اذ تتغذى عليها الحيوانات الصغيرة التي تأكلها وبالتالي الأسماك الصغيرة ، وهذه تتغذى عليها الأسماك الكبيرة ، وهي من الأغذية الرئيسية للانسان .

وتلعب الطحالب دورا هاما في حفظ التوازن بين النبات والحيوان في البيئة المائية لأنها اي الطحالب تمتص ثاني اكسيد الكربون وتخرج الاوكسيجين في الوقت الذي تمتص فيه الحيوانات الاكسيجين وتخرج ثاني اكسيد الكربون .

وتعتبر الطحالب من المواد والاطعمة الغذائية التي يتناولها الانسان مباشرة حيث يأكلها اليابانيون . ويصنع من الطحالب مادة الجيلي التي تستخدم في صناعة الحلوى ، ويستخلص من بعض انواعها مادة « الأجار آجار » التي تستعمل في مزارع البكتريا والفطريات .

والطحالب مصدر من اهم المصادر التي يستخلص منها الانسان اليود والبوتاسيوم ويستخرج من بعضها مساحيق تستخدم في طلاء الأخشاب .

ويضيف بعض المزارعين الطحالب في بعض البلاد الى اراضيهم الزراعية كسماد .

ودخلت الطحالب مؤخرا سفن الفضاء حيث استخدمت لتكوين المواد الغذائية ولاستهلاك ثاني اكسيد الكربون المتصاعد من تنفس الانسان او الحيوان المسافر واخراج الاوكسيجين .

والطحالب هي تلك الكائنات التي تستوطن عادة الماء ، وتتراوح الوانها ـ حسب تباين اجناسها ـ ما بين الأخضر الداكن الاخضرار والاحمر الضارب الى الزرقة او الاصفرار ، ومنها ما تتخذ الوانا بنية او حمراء ، وهي تتباين فيما بينها من حيث الاطوال والاحجام ، فمنها ما هي دقيقة الحجم ـ وحيدة الخلية او خيطية ـ لا تستطيع ان تتبينها الا مجهريا ، ومنها ما تتكون من تراكيب خلوية وتكاد تضاهي في اطوالها الاشجار ، وقد اتجه اليها الانسان حديثا ليستمد منها احتياجاته المتزايدة من غذاء وكساء وعلاج ، بعد ما عجزت اليابسة ان تحمل اعباء بني الانسان ، وعجزت بسبب الانفجار السكاني ان توفيه شتى ما يتطلبه من احتياجات واصبح

الشغل الشاغل لرجال العلوم الآن ان يجدوا في البحار والمحيطات ـ بما فيها من طحالب واحياء ـ الغذاء الذي يسد حاجة الاعداد المتزايدة من بني الانسان ، والدواء الذي يسبغ المناعة والشفاء ضد الامراض ، والألياف الصناعية للمنسوجات .

وكانت بداية تحديد قدرة الطحالب ـ على انتاج البروتينات والفيتامينات في احد الطحالب الخضر الوحيد الخلية ، ويطلق عليها علميا اسم « كلوريللا » . ففي عام ١٩٤٩ قدر « جافرون » المحصول السنوي لمزرعة مائية مساحتها فدان واحد بخمسين طنا من الوزن الجاف للكلوريللا ، نصفها من البروتين ، ومن الدهون ١٠٪ ، ومن فيتامين أ ٥٠٠٠ وحدة في كل جرام ، ومثلها من فيتامين ج ، ومن حمض الفوليك ٤٨٥ وحدة في كل جرام . وهذا المحصول يزيد عدة اضعاف على اي محصول زراعي جزيل العطاء ، مما جعل من عملية استزراع الطحالب مشروعا مربحا يسترعي الانظار ، تخطط من اجله البرامج وترصد الأموال .

ولابد من الاشارة هنا الى ان بروتينات الطحالب المستغلة كغذاء للانسان تحتوي على نسب متوازنة من الاحماض الامينية الضرورية للانسان ، وهي تكاد تشبه في تكوينها تلك الموجودة في البروتين الكامل للبيض .

وبعض الطحالب منتجة للدهون ، خصوصا في الطحالب الخضراء . وفي اثناء الحرب العالمية الثانية اجريت في المانيا الغربية تجارب معملية لانتاج الدهون بواسطة الطحالب في مزارع كبيرة ، فوجد ان من بين الطحالب الكثيرة الانتاج للدهون الطحلبان كلوريله وسينودزمس وهما من الطحالب الخضراء .

شواطيء بحار الدول العربية

ومن حسن حظ معظم الدول العربية ان لها شواطيء بحرية تمتد حولها لعشرات الألوف من الكيلومترات ، فالدول العربية بشمال افريقيا تطل على البحر الابيض والاحمر والمحيط الاطلسي ، او على بحرين معا « كما في مصر » أولها حدود على بحر من جهة ومحيط من جهة أخرى « كما في المغرب » . . ومنها ما يطل على الخليج العربي ، او المحيط الهندي ، وهذا يعني اننا جميعا ـ نحن العرب شرقا وغربا ـ نطل على بحار ومحيطات ، لكننا لم نفتح عيوننا على ما فيها من ثروات ، فهذه قد تغنينا عن ملايين الاراضي الزراعية .

فالدول العربية جميعا ـ رغم امتدادها على شواطيء شاسعة ، ولديها امكانات مالية وبشرية ، فان استغلالها جميعا لثروات البحار يقع في ذيل القائمة بين الدول الاخرى . وكان من المفروض او المحتم ان تنتبه لذلك ، وتعطيه ما يستحقه من اهتمام ، خاصة وان لديها نقصا ملحوظا في البروتين خاصة ، واللحوم عامة . . ولابد ان يكون لها من ذلك النقص دافع قوى وملح كي تحصل من بحارها وشواطئها على هذه الثروة المتاحة ، بدلا من ان تدفع جزءا من ثرواتها لكي تستورد به ما تحتاج من ذلك المصدر الهام من مصادر الطعام .

ويؤيدنا في ذلك « جيفورد بتشوب » أستاذ الاسماك بجامعة « جون هوبكنز » بامريكا حيث يقول : « كميات البروتين الحيواني التي يمكن استغلالها من مياه البحار والمزارع السمكية من شواطئها تعادل اضعافا مضاعفة من انتاج الثروات البروتينية الناتجة من حظائر تربية الحيوانات على اختلاف انواعها . فميل مربع واحد من مزرعة سمكية قد يعطي حوالي ٩٠٠ طن من الاسماك كل عام ، في حين ان تغذية الماشية على ميل مربع من المراعي يعطي ما يتراوح بين ١٠ الى ٨٠ طنا من اللحوم . ما أعظم الفرق ؟! . لهذا كان استغلال البحار أمرا غاية في الاهمية والنفع العام . □□

حوران

ورحلة إلى بلد الكهوف

استطلاع : صادق يلي   تصوير : أوسكار متري

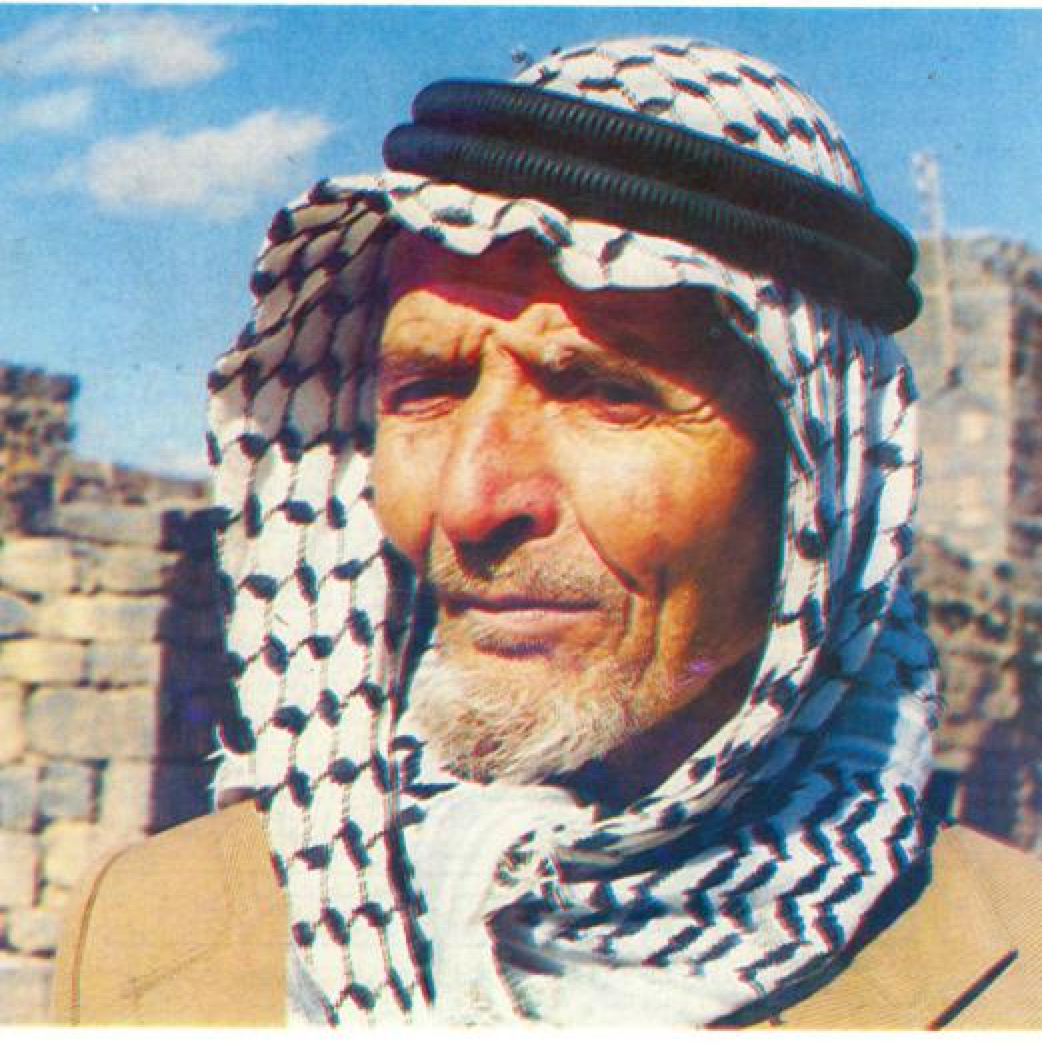

ينتسب معظم سكان حوران الى الغساسنة أبناء جفنة . وهنا وجه عربي الملامح والقسمات امام آثار مدينة بصرى .

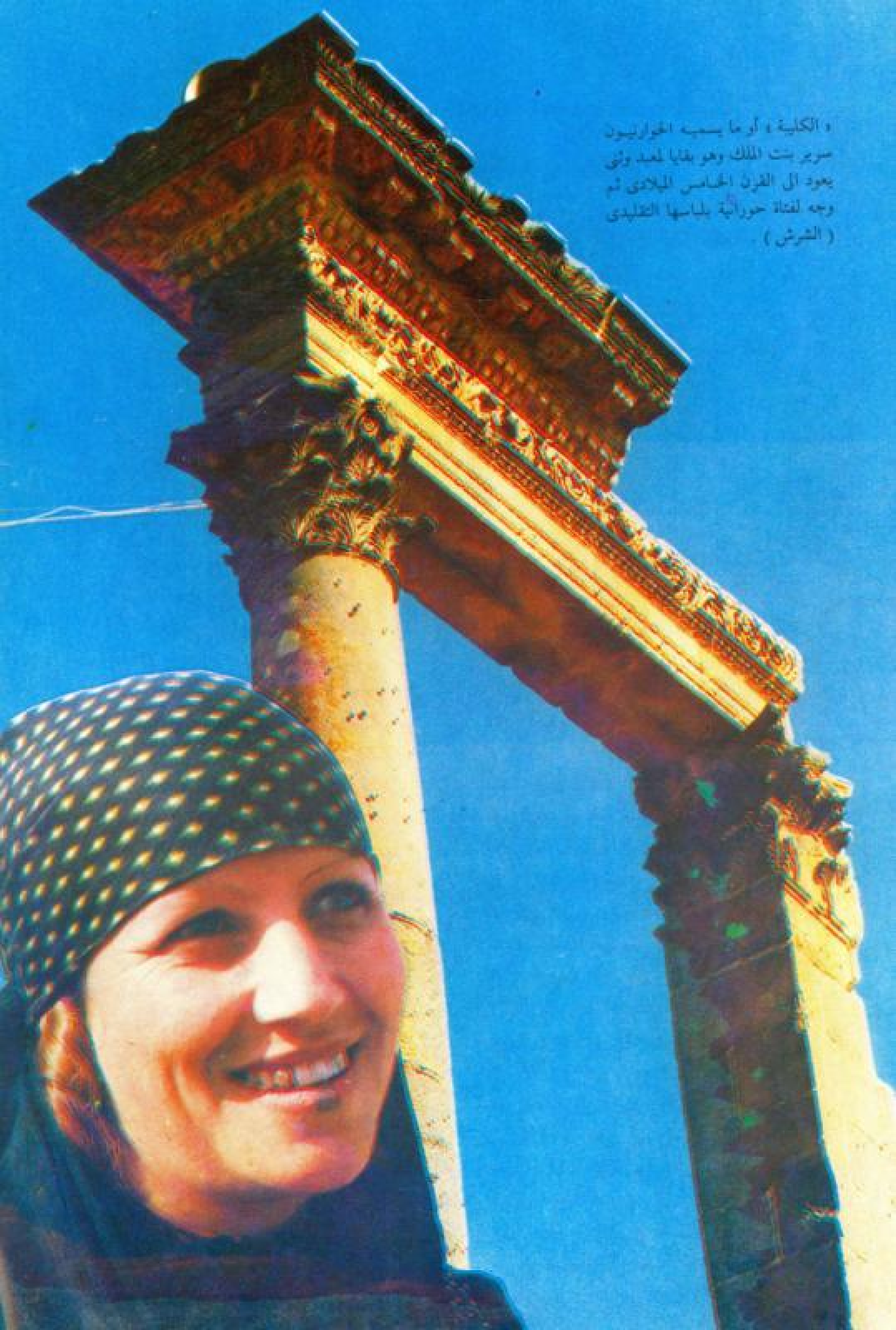

«الكابية» أو ما يسمى الفواربود
سرير بنت الملك وهو بقايا لمعبد وثنى
يعود الى القرن الخامس الميلادى ثم
وجه لفتاة حورانية بلباسها التقليدى
(الشرش)

☐ الى حوران في القطر السوري الشقيق كانت رحلتنا هذه المرة ! . . شددنا اليها رحالنا لنسجل بالكلمة والصورة جانبا من تاريخها القديم الذي ما زال يعيش معها ويقرن باسمها . . وعشنا أياما بين آثارها نقف ونتأمل ، ونبحث ونقلب صفحات التاريخ . . ماذا رأينا . . ؟ وكيف كانت وقفتنا بين اطلال هذه الحضارة التي قامت في تلك البقعة من الأرض العربية ثم ذهبت ولم يعد باقياً منها الا ما نجده في بطون الكتب ، وبين ما تبقى من آثار تدل عليها هنا وهناك . . ؟

تعال معنا نصحبك الى حوران في هذه الجولة السريعة بين معالمها . . ومع صفحات الكتب التي تحدثت عنها ، فما أكثر اللحظات التي يقف فيها المرء حائرا عندما يجد نفسه يغوص في أعماق التاريخ . وقد أحسسنا بهذه الحيرة ونحن نتنقل بين آثار حوران القديمة . . أي حضارة تلك التي شهدتها هذه البقعة العربية ومتى ؟ وماذا جاء بعدها من حضارات ؟ . . وعدنا الى الكتب نبحث فيها عن حوران القديمة في التاريخ .

وحوران أو اهراء روما وبلاد السمن والعسل . . بقعة من عالمنا العربي لعبت دورا مميزا في بناء صرح الحضارة الانسانية ، ساهم ابناؤها منذ آماد موغلة في التاريخ في بناء مجتمع له كيانه الحضاري والسياسي ، وتميزت البقعة بحفظها لهذا التراث الذي يعد بحق من أرقى مظاهر الانشاء المعماري البشري . فعلى سهولها وروابيها زهت حضارة هي رفد للحضارة العربية في بلاد ما بين النهرين ومصر واليمن .

لقد غاب عن كثير من المؤلفين والعلماء أهمية الدور الذي قام به العرب في نقل هذه الحضارة الى الغرب والشرق الاقصى ، فوصفوا تلك المباني الاثرية انها بقايا لأمم خلت وطواها التاريخ ، ولكن علم الآثار الحديث بدد هذه المزاعم . وأكد بالبرهان أن بناتها هم العرب ، نتيجة لتفاعل حضارتهم وتطورها وتفاعلها مع الحضارات الأجنبية .

ولكن لماذا سميت حوران بهذا الاسم . وما معنى هذه الكلمة ؟

هناك آراء متباينة حول معنى كلمة حوران فسرها البعض بأنها تعني الكهف أو بلد الكهوف ، فقد اشتهرت بالكهوف والمغاور والابنية الباطنية ، كما أن الثلج كان ما يزال يغطي أعلى قمم حوران طوال فترات غير يسيرة من كل عام . والصخور البازلتية السوداء هي السمة المميزة لمبانيها وأرضها . . من هنا سموها البلد الاسود .

أما ياقوت الحموي فيقول عنها : حوران كورة واسعة من أعمال دمشق من جهة القبلة ، ذات قرى عديدة ومزارع وحراج وما زالت منازل للعرب .

يقول الدكتور نور الدين حاطوم : شملت حوران قديما منطقة واسعة من جنوب سوريا ، كانت جبل الدروز أو ما يسمى الآن بجبل العرب ثم محافظة درعا ، والجولان حتى تصل الى عجلون في الاردن .

الجامع العمري من أروع الآثار الاسلامية في سوريا ، بني بعد الفتح الاسلامي ومئذنته الرباعية الشكل يرجع تاريخها الى القرن الثاني عشر الميلادي عندما بلغ المسجد ذروة توسعه .

حوران في التاريخ

حوران منطقة عاش بها الانسان العربي منذ عصور ما قبل التاريخ ، وأقام فيها حضارات عريقة اتصلت مع غيرها من الحضارات الانسانية ، بحكم موقعها الجغرافي ، ويكاد يجمع المؤرخون على أن حوران لم تعرف سكانا مستقرين الا القبائل العربية التي كان يترأسها (عوج) وكان من العموريين ، وقد أطلق عوج الذي يعد من العمالقة اسم (أدرعي) على مدينة (درعا) ، ويقال أن طول سرير ملكهم أو تابوته كان تسعة أذرع وعرضه أربعة أذرع ، ويبدو أن حوران ذاع صيتها ، وهذا ما تؤكده اللوحات التي عثر عليها في تل العمارنة بجمهورية مصر ، وهذه اللوحات هي رسائل متبادلة بين سكان منطقة حوران والفراعنة ، أبان حكم الفرعون (أمنحوتب الثالث) و (أمنحوتب الرابع) ، كما توضح أن ثمة وحدة بين القطرين قد قامت في أواخر حكم هذين الفرعونين .

ومع تعاقب الزمن بدأت مملكة العموريين تسير باتجاه خط النهاية فقويت شوكة الكنعانيين الذين أمتد نفوذهم نحو الداخل ، وما لبثوا حتى أقاموا التحصينات المنيعة والاسوار ذات الشرفات والأبراج . وفي هذه الفترة أخذ العبرانيون في الهجرة الى الجنوب الغربي من حوران ، وكان نزوحهم في بادىء الأمر جماعات مرتزقة وتجاراً ، ثم ما لبثوا أن اقتبسوا لغة السكان وعاداتهم وتزاوجوا مع الكنعانيين ، وعندما شعروا بقوتهم هاجموا حوران واحتلوا كثيرا من مدنها . غير أن قيام مملكة الأراميين في دمشق وقف سدا أمام توسعهم ، فحاربهم الأراميون على يد ملكهم (بنحدد الأول) وغيره

تحفل حوران بالعديد من الآثار الرومانية والاسلامية فمن آثارها الرومانية كاتدرائية بصرى التي بنيت عام ٥١٣ م والتي تعد من أقدم الكاتدرائيات في العالم (الى اليسار) . ◄

الشارع المستقيم الرئيسي في بصرى المبلط بالأحجار منذ أيام الحكم الروماني وعلى جانبيه تبدو أعمدة تعود الى حقب تاريخية عديدة (الى اليمين) .

►

هناك مشروع كبير تدرسه سوريا وهو تحويل مدينة بصرى الى متحف طبيعي وذلك بازالة الأبنية الحديثة وتوفير الخدمات السياحية . ◄

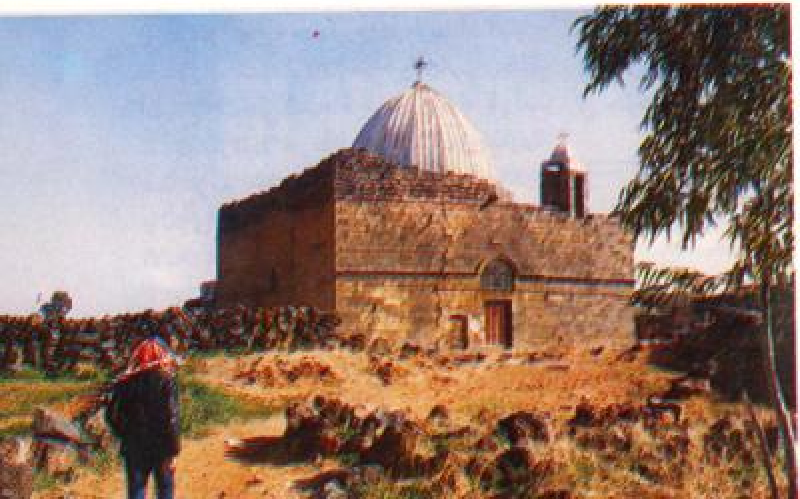

كنيسة القديس جيورجس في ازرع وفيها تمثل كيفية انتقال بناء الكنائس من الطراز الملكى الى الشكل المربع . ◄

مدة قرنين من الزمان فحرر أراضي حوران منهم ولم يرفع السيف عنهم حتى قدموا ما يملكون من كنوز وذهب .

ونتيجة لأهمية موقع حوران فقد كانت محط أنظار القادة الفاتحين ، وكان أول من توجه اليها من القادة التاريخيين الذين ذاع صيتهم (الاسكندر المقدوني) الذي كان احتلال الشرق العربي حلما يراوده منذ صغره وكان كل همه اجتياح تلك المناطق التي تشكل خطرا على طموحاته في القضاء على الامبراطورية الفارسية ، وفي عام ٣٣٣ ق . م وبعد معركة ايسوس الشهيرة زحف الاسكندر على الشرق العربي واحتل سوريا واصبحت حوران قسما من امبراطورية الاسكندر ، وبعد وفاته تجزأت امبراطوريته الى أربع ولايات كبيرة بين قادته الذين خلفوه ، فكانت سوريا وحوران من نصيب (انتغونس) ، ولكن (بطليموس) ملك مصر تغلب عام ٢١٣ . ق م على انتغونس فضم فلسطين والأردن وحوران الى مقاطعته المصرية .

الانباط

وفي هذه الفترة يأتي دور الانباط الذين كانت لهم علاقة وثيقة بالحضارة اليونانية وثقافتها ، فتأثر سكان حوران بهذه الثقافة ، وانفتحت طرق حوران أمام تجارة الانباط ، وتحولت مدنها الى مراكز تجارية هامة . والمعروف أن الانباط عرب وان استعملوا الارامية في كتاباتهم ، بدليل أن أسماءهم هي أسماء عربية خالصة ، بل أنهم كانوا يشاركون العرب في عبادة الاصنام المعروفة عند عرب الحجاز ، مثل ذي السرى واللات والعزى . ومما يزيد في أهمية الحروف النبطية أن الابجدية العربية انحدرت مباشرة منها .

وكان لموقع عاصمة الانباط ـ البتراء ـ أكبر الاثر في رقي دولتهم ، فقد كانت البتراء هي طريق القوافل التي تربط بين جنوب الجزيرة وشمالها ، وقد ضمت مملكة الانباط في اوجها دمشق والاقسام الجنوبية والشرقية من فلسطين وحوران والاردن .

وكان الحارث اول ملوكهم ويدعى (ملك العرب) فقد هزم مرارا جيش اليهود وحاصر « اورشليم » وكان اول من سك نقودا نبطية ، اقتبس لها النموذج المعروف عند البطالمة ، وقد فتح الانباط ابوابهم للتأثيرات اليونانية الرومانية ، فدخلت مملكة الانباط ضمن المحور العام للحضارة الهلنستية ، فكانت بصرى هي الحضارة الثانية بعد البتراء وانتقلت اليها الحضارة الهلنستية عن طريق الانباط .

وكان للرومان دور مميز في حوران فقد انشأوا سلسلة من المراكز والطرق على طول حدود الصحراء لحماية الاماكن المتحضرة ، ويبدأ هذا الطريق من دمشق ويمر بحوران الى مؤاب ، وقد رصفه (تراجان) واستخدم كطريق عسكرية لفرق الجيش وكانت اولى مشاريع الرومان في حوران تعبيد الطرق ، وهي لا تزال صالحة الى يومنا هذا للمرور في بعض اقسامها وكذلك معظم الجسور التي تمر عليها هذه الطرق ، كما اقيمت على جوانبها حواجز من احجار ضخمة ومحطات للمراقبين والحراس ومرابط للخيول ومستودعات للمؤونة والعلف ، وقد بوشر بشق هذه الطرق عام ١٠٦م وانتهت عام ١١٧م زمن الامبراطور (هدويان) ، وهي تشكل جزءا من شبكة الطريق الروماني الدولي الذي يبدأ من دلتا النيل الى سيناء ، ثم يتفرع الى اراضي البخور في جنوب الجزيرة العربية .

امبراطور روماني من اصل عربي

لم يكن الحكم الروماني للولايات الخاضعة له شديد الوطأة على سكان هذه الولايات ، فلم يحاولوا ان يذيبوا قومية تلك الولايات في القومية

الرومانية ، فأبقوا لكل ولاية طابعها القومي ، واقتصروا فقط على نشر اللغة اللاتينية في ربوع

ولاياتهم ، ولكنهم مع ذلك ابقوا لسكان كل ولاية لغتها الخاصة ، كما منح الامبراطور (كراكلا) حق الرعوية الرومانية لجميع سكان

الولايات فاصبح من حق اي فرد في اية ولاية تسلم اعظم وظيفة في الدولة اذا كان اهلا لذلك ، وبذلك تمكنت سلالة سورية من

الوصول الى عرش الامبراطورية الرومانية ، وكانت هذه الاسرة هي اسرة الامبراطور (سفيروس) التي يرجع اصلها الى مدينة

حمص ، كما تمكن شاب من حوران ولد في شهبا او بصرى ان يجلس على عرش روما وهو (فيليب) العربي عام ٢٤٤م الذي اغدق على

بصرى النعم ومنحها امتيازات كثيرة مما زاد في ثروتها العمرانية والاقتصادية حتى وصلت بصرى الى درجة عالية اصبحت معها من امهات

المدن ، وكان من نصيب هذا الامبراطور العربي الاصل ان يرأس عام ٢٤٨م احتفالات ذكرى مرور الف سنة على تأسيس روما .

ينتسب معظم سكان حوران اليوم الى الغساسنة وهم يفخرون بهذا النسب ، فلقد نزحت هذه القبيلة العربية الجنوبية الى حوران بعد تصدع قديم في سد مأرب ، وقد سموا بآل غسان لنزولهم على نبع ماء اسمه غسان ، كما سموا بآل جفنة او اولاد جفنة .

تنصر الغساسنة خلال القرن الرابع الميلادي ، ويقال ان عدد ملوكهم بلغ احد عشر او اثنين وثلاثين ملكا ، وتهتم التواريخ البيزنطية بصورة خاصة بعلاقتهم مع القسطنطينية ولا يعرف من تاريخ ملوكهم سوى الملوك الخمسة الاخيرين الذي جاء حكمهم في القرن السادس الميلادي واشهرهم الحارث بن جبلة حوالي ٥٢٩ ـ ٥٦٩ الذي عينه جستنيان سيدا على كل القبائل العربية في سوريا ومنحه لقب رئيس قبيلة وبطريق ، وقد ترجم العرب هذه الالقاب بمعنى (ملك) ، وفي زمن الحارث وصلت مملكة الغساسنة ذروة اتساعها فشملت حوران وجبل حوران ، واصبحت بصرى التي بنيت كاتدرائيتها عام ٥١٢م العاصمة الدينية في المنطقة ، واشتهرت كمركز تجاري مرموق .

وكان جبلة بن الايهم آخر ملوك الغساسنة وقد اعتنق الاسلام ، ويروى انه اثناء حجة الأول حدث ان وطيء بدوي من فزارة على ازاره فلطمه جبلة ، فشكاه البدوي الى الخليفة عمر بن الخطاب ، فحكم عمر على الامير بالقود ـ اي المعاملة بالمثل ـ او يرضى الرجل ، فما كان من جبلة الا ان يهرب سرا الى بيزنطة .

حوران في الجاهلية والاسلام

ولعبت حوران دورا اقتصاديا ، فهي سوق كبيرة كانت ترتادها القوافل العربية من كل حدب من الجزيرة العربية ، بعد الانتهاء من اسواق الحجاز ، وكان اشهر هذه الاسواق سوق دير ايوب ، وهي قرية بحوران من نواحي دمشق ، وتعرف اليوم باسم الشيخ سعد ، ويظهر انه كان لها في القديم شأن كبيرة ، يقارب مالبصرى . وكانت سوق دير ايوب اول اسواق الشام قياما ، وكان العرب وقريش خاصة اذا انتهوا من اسواقهم المعروفة ـ وهي سوق عكاظ ومجنة وذو المجاز ـ تهيئوا للسفر الى الشام ، وبدأوا بسوق دير ايوب ، ومتى انتهت اقاموا سوق بصرى ، فقد كانت بصرى عاصمة حوران ومن اكبر مدن الشام ، حتى ان اسمها يتردد في كثير من اشعار العرب لما لاهل الشام من علاقة متواصلة مع سكان الحجاز .

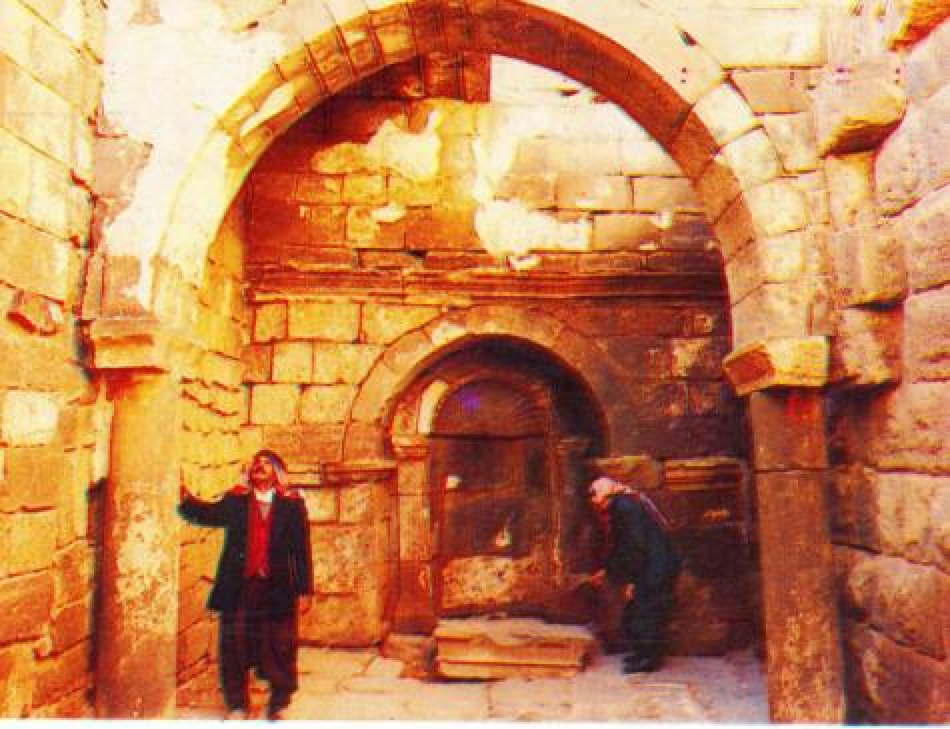

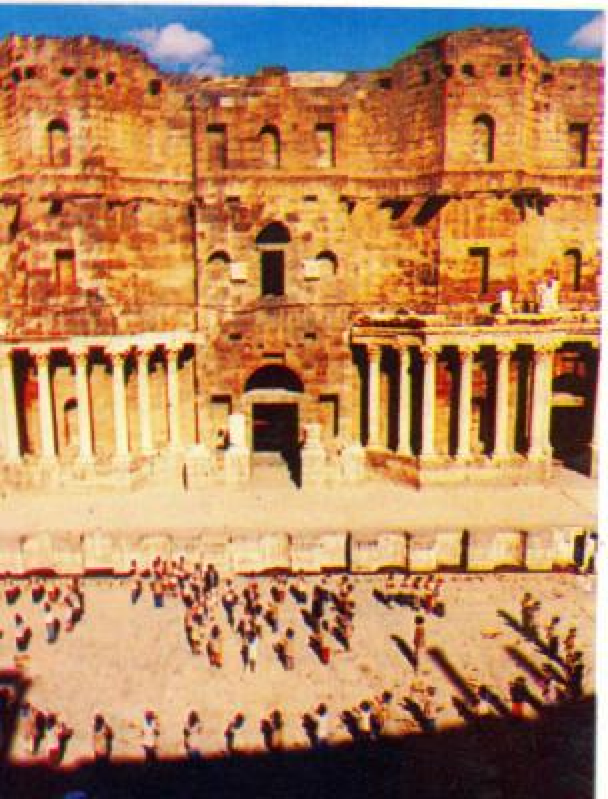

▲ جامع مبرك الناقة ويقال ان الجامع بني في المكان الذي بركت فيه الناقة التي حملت أول نسخة من القرآن الى سوري (الى أعلى) .

◄ منصة التمثيل وساحة العازفين في مدرج بصرى يجمع بين مميزات المسارح اليونانية والرومانية ، والانحناء البادي على جدار جناحي المسرح وانحرافه يساعد المتفرج الجالس في آخر صفوف المدرجات على متابعة ما يجري فوق منصة التمثيل (الى اليسار) .

أعمال الترميم والتنقيب عن الآثار تجري على قدم وساق في مدينة بصرى ، ان مديرية الآثار السورية ترمي الى تحويل مدينة بصرى الى متحف تاريخي طبيعي (على الصفحة المقابلة)

الراهب بحيرا والرسول

وتذكر كتب السيرة ان الرسول ﷺ سافر الى بصرى مرتين مرة وهو صبي مع عمه ابي طالب ومرة وهو ابن خمس وعشرين سنة في تجارة للسيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ، وتذكر الرواية ان احد الرهبان واسمه بحيرا كان في دير ، فدعا الراهب ابا طالب ومجموعة من التجار لوليمة ، فاجتمعوا اليه وتخلف رسول الله ﷺ من بين القوم لحداثة سنه ، فلما نظر بحيرا ولم يجد بغيته سأل هل تخلف احد عن الطعام ؟ فقالوا : يا بحيرا ما تخلف عن طعامك احد ينبغي ان يأتيك الا غلام هو احدث القوم سنا . فقال : فليحضر هذا الغلام ، فلما جاء محمد ﷺ جعل بحيرا يلحظه لحظا شديدا وينظر الى اشياء من جسده قد كان يجدها عنده من صفته ، ثم كشف بحيرا عن ظهر رسول الله فرأى خاتم النبوة فقبل موضع الخاتم ، فقالت قريش : ان لمحد عند هذا الراهب لقدرا ، ثم قال بحيرا لابي طالب ارجع بابن اخيك هذا الى بلاده ، واحذر عليه اليهود فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت لتبغينه شرا . فان لابن اخيك هذا شأنا عظيما . ولما بلغ الرسول الخامسة والعشرين من عمره قدم بصرى للمرة الاخيرة بتجارة لخديجة بنت خويلد .

ولما كانت خلافة ابي بكر لم يغفل المسلمون شأن بصرى ، فكانت اول من فتحت صلحا بعد حصار قليل عام ١٣ هجرية ، على ان يؤدوا عن كل رجل دينارا او جريب جنطة ثم فتح المسلمون حوران جميعها في نفس العام .

موقعة اليرموك

وعلى ارض حوران عقد لواء النصر للعرب المسلمين في قتالهم للبيزنطيين ، فان خالد بن الوليد بعد تلقيه الاوامر من الخليفة ابي بكر

السوق الأرضية في بصرى يمتد مسافة مائة وستة أمتار ، وهو من مكتشفات ادارة الآثار السورية ويرجح بأنه كان يستخدم لتخزين البضائع السريعة التلف .

الصديق قد سار من العراق لمساعدة جيوش العرب في الشام ، فوصل الى بصرى وكان ابو عبيدة بن الجراح قد انفذ شرحبيل اليها ، فلم يقو على هزيمة الروم ، وبوصول خالد بن الوليد الى بصرى سقطت بيده احدى عواصم الغساسنة دون كبير عناء ، فتابع سيره لفتح دمشق بينما كان هرقل يعد الجيوش للموقعة الحاسمة مع العرب فاعطى قيادة جيشه لاخيه تيودور ، فكان يوم الواقوصة ، وهي قرية على ضفة نهر اليرموك . وقد احسنت القيادة العربية تخيرها لهذا الموقع ، ولم تجد جهود الجنود البيزنطية اي نفع امام هجوم القوات الاسلامية المندفعة بالايمان . فكان النصر حليف المسلمين .

ومما يجدر ذكره ان الخط الفاصل اليوم بين العدو الاسرائيلي وسوريا هو وادي نهر اليرموك ، حيث يقف الجيش العربي السوري متأهبا لخوض المعركة المرتقبة واسترجاع الارض المغتصبة ودحر العدو الغاصب .

وكانت الجابية وهي احدى قرى حوران مقرا للقيادة العربية في عهد الخلفاء الراشدين ، واحتفظت بأهميتها العسكرية حتى عهد الامويين ، وقد خرج عمر بن الخطاب الى الجابية فوطد الامن في الاراضي المفتوحة ، ومن الجابية وجه عمر من يفتح بيت المقدس وفي

الجابية ايضا عقدت مبايعة مروان بن الحكم ، واستعاد الفرع المرواني السلطة لبني امية . اما في ايام الدولة العباسية فقد بقيت حوران ممرا لقوافل الحجاج والتجارة ، وقدر لحوران ان تظهر ثانية زمن صلاح الدين الايوبي الذي حول بصرى الى قاعدة عسكرية ، وانطلق منها الى نصر حطين عام ١١٨٦م الذي اعاد القدس الى الحظيرة العربية من جديد .

أدباء ومفكرون

وقد عرفت حوران الكثير من مشاهير المفكرين والادباء الذين اثروا تراثنا العربي التليد بانتاجهم المبدع ، فكان منهم الادباء والفقهاء والمحدثون ، الذين كان لهم اليد الطولى في مجالات شتى من المعرفة يذكر لنا التاريخ اسم فيلسوف ايبقوري وشاعر اسمه (فيلوديمس) ولد في اوائل القرن الأول قبل الميلاد في قرية جدرة ، وكذلك شاعرا اخر اسمه (ميليغر) ، اما في العصر الروماني فقد ظهر (بورفيزيوس) وهو احد الذين تناولوا دراسة الافلاطونية الحديثة . ولقد تردد اسم حوران ومدنها في قصائد كثيرة لشعراء في الجاهلية والاسلام ، منهم امريء القيس وابو ذويب والنابغة الذبياني وحسان بن ثابت وغيرهم .

يحدثنا الشيخ بركات عبد المحسن الضماد مفتي محافظة حوران الذي يعد مرجعا علميا كبيرا لتاريخ حوران ورجالها قائلا :

المعروف أن أبا تمام الطائي الذي ولد في قرية جاسم احدى قرى حوران قد نشأ كما ينشأ ابناء الفقراء من أهل عصره ، فتعلم في كتاب القرية القراءة والكتابة وحفظ القرآن في قريته جاسم ، وقد ذكر ابن خلكان أن أباه كان يعمل عطارا في دمشق ، وقد أودع أبنه ـ أبا تمام ـ ليعمل عند حائك ، ثم رحل الى مصر ، فتعلم في جامع الفسطاس ، ولما كبر استقر به المقام في العراق ليغدو شاعر الخليفة المعتصم ، وقد خلدت وزارة السياحة السورية أبا تمام فأقامت له تمثالا كبيرا وضعته في أهم ميدان في قرية جاسم .

ومن الفقهاء الذين برزوا في حوران الامام محي الدين النووي الذي ولد عام ٦٣١ هجرية في قرية نوى الى الشمال الغربي من درعا ، وتعلم في دمشق ، ومات في قرية نوى سنة ٦٧٦ هجرية ، وله عدة تصانيف ومؤلفات أهمها : تهذيب الأسماء واللغات ، ومنهاج الطالبين ويقع في ثلاث مجلدات ، وشرح صحيح مسلم والاربعين النووية ثم رياض الصالحين .

ومن الفقهاء الكبار أيضا ابن قيم الجوزية . وهو من العلماء الحفاظ ، وهو استاذ ابن كثير واسمه محمد بن ابي بكر ، توفي عام ٧٥١ هجرية ، كذلك ابن كثير صاحب التفسير المعروف ، ويرجح أنه من مدينة بصرى ويسميه البعض ابن كثير البصري . ومن الفقهاء أيضا محمد بن عبد القادر الصيداوي من قرية صيدا قرب درعا ، وكذلك الشيخ اسحق بن ابراهيم الأذرعي المتوفي في عام ٣٤٤ وهو محدث ثقة حدث عن كثيرين ، منهم أبو عبد الرحمن النسائي وأبو زرعة وابن عيينة وخلق كثير من الحفاظ والمحدثين الكبار مثل عبد الوهاب بن عبد الله بن أيوب الأذرعي . وقد روي عن البجلي وابن أركين والدارقطني ، كما روي عنه أبو علي الأهوازي وابن السمسار ، ومعروف بأنه ثقة توفي عام ٤٢٥ هجرية ، وصنف كتبا كثيرة ، وآخر هؤلاء العلماء الفقهاء محمد بن عثمان بن خراش ابو بكر الاذرعي ، وقد حدث عن ابن العسقلاني وابن الطبري والقراطيسي والعباس الجرجاني ، كما روى عنه أبو يعقوب الأذرعي وأبو الحسن الرازي .

هذه هي حوران بماضيها التليد وأوابدها التي انتشرت على جنباتها من مدن كبرى وقلاع وحصون كانت السمة البرزة التي تألقت في هذه المنطقة من وطننا العربي ، كانت الدرع الذي يرد عن حياض الوطن هجمات الاعداء ويساهم في بناء حضارة الانسان . □□

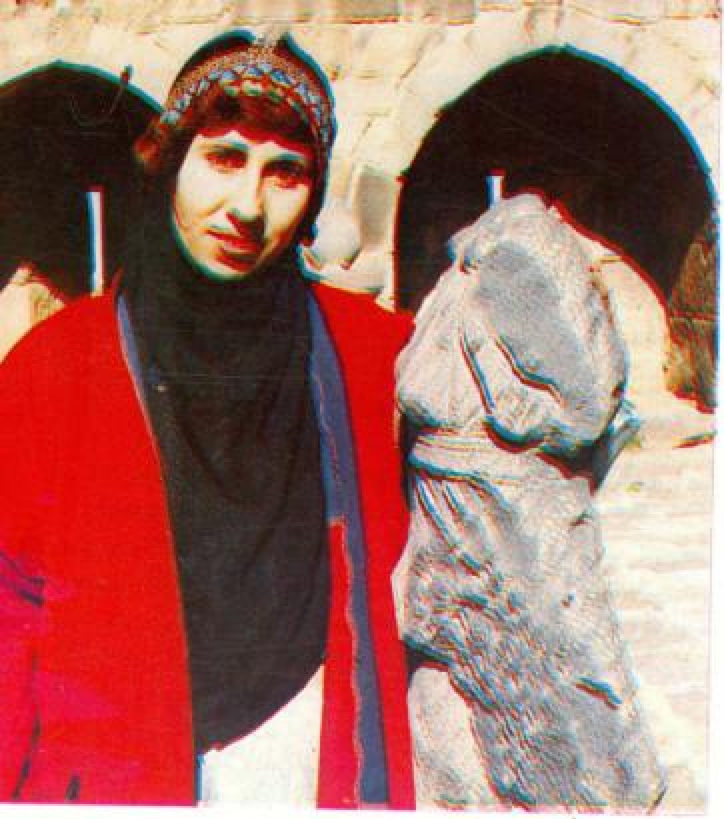

فتاة من حوران بملابسها التقليدية الحورانية بين آثار مدرج بصرى (الى اليسار) .

الدبكة رقصة مشهورة في هذه المنطقة تؤدى على نغمات المزمار البلدي ويشترك فيها الرجال والنساء ، انها علامة بارزة في الأفراح والأعياد (الى أسفل) .

فرقة الطلائع في محافظة درعا يقدمون عرضاً لرقصة مشهورة بمصاحبة الدفوف والضرب على الأكف .

وجه في المرآة

بقلم : أبو المعاطي ابو النجا

هو لا يعرف الحياد ، فهو إما معك أو ضدك .

لا تستهويه لعبة البحث عن الحقيقة المجردة أو المعقدة ، فحقائق الأشياء أو الأعمال أو الناس تتمثل دائما في نتائجها ، فيما تعنيه له ، في موقفه منها أو موقعها منه .

وهو لا يعترف بالهدوء أو الأناة فهو إما هادر بالفرح أو الغضب ، والدنيا من حوله لا شيء فيها يدعو الى التأمل أو الرضى أو البسمة السعيدة أو المريرة .

فناسها وحيوانها وطيورها وأشياؤها صيد يمكن اقتناصه ، بصرخات الترويع أو طلقات الرصاص ، أو بعض الطعم في الشباك ، والمخلوقات التي يحتاج صيدها الى الصبر والهدوء والكلمات الرقيقة لا تثير فيه شهوة الصيد .

نهاره نشاط متصل ، وساعات نومه القليلة تعجز عن أن تسرق له لحظات من الدعة ، فأحلامه كوابيس من المغامرة أو الفزع أو محاولة اقتناص المستحيل أو الموت في سبيله .

ما أصعب موقفك إذا كان ضدك ، فهو لا يرضى بمجرد هزيمتك أو انسحابك ، ولكن رحمة الله قد تهبط فجأة حين ينساك - فهو أيضا عظيم النسيان لأن معركة أخرى في حجم طاقته قد بدأت هناك ، وأنت بلا مقاومة أصبحت جزءا من العالم الساكن الذي لا يروق له .

وما أصعب موقفك أكثر إذا كان معك ، وكثيرا ما لا تعرف لماذا هو معك ؟ طبعا هو يعرف ، ولهذا سوف يقبل عليك كالعاصفة من كل الجهات ، يحاصرك بالاعجاب والمودة والخدمات التي لا تطلبها وربما لا تحتاجها . وهو لا يحتاج الى المناسبات ليقدم لك عرابين حبه ، فالحب الحقيقي كما يتحدث عنه هو الذي لا ينتظر مناسبة للتعبير عن نفسه ، ولا يحتاج الى الأسباب لتبرير وجوده ، فهو سر من أسرار الوجود يقف خارج سلسلة الاسباب والمسببات .

ومهما يكن ذكاؤك وتجربتك وأنظمة دفاعك ، وقدرتك على الصمود فغالبا ما تنهار حصونك أمام هذا الفيضان الجارف من العواطف ، وقد تعيد حساباتك وفكرتك عن الناس أو عنه . وقد يصل بك الامر الى حد الشعور بالذنب حيال حذرك السابق منه ، ولكنك في أكثر الأحوال سوف تبقى مستسلما منتظرا مستمتعا بهزيمتك وربما متفرجا ، غير قادر أو غير راغب في التفكير في حجم الأنانية التي ينطوي عليها موقفك ، غير قادر أو غير راغب في ادراك أنك تصبح دون أن تلاحظ جزءا من نسيج عالمه الذي يلتف حولك بأذرع قوية الاغراء والصلابة تسعى الى

ابتلاعك ، ثم يجيء يوم لا يطول انتظاره ، فتقول أو تفعل ما لا ينسجم مع هذا العالم الذي أصبح يحيط بك ، أو تعترض في موضوعية شديدة على شيء يقوله أو يفعله ذلك الذي يقف وراء هذا العالم معتقدا أنك تمارس جزءا طبيعيا من حريتك . . . انذاك تمطر السماء دما وصواعق على نحو مفاجيء لراحتك التي آثرتها منذ البداية ، آنذاك تصبح العاق الخائن الناكر للجميل ، الناكث للصداقة ، وعبثا تحاول أن تفهم أو تناقش أو ترد ، عبثا تحاول أن تتفاوض حول حدود آمنة لما هو أنت ولما هو هو ، عبثا تحاول أن تدافع عن حريتك أو حتى حريته ، عن معنى الصداقة التي كانت أو تكون .

ان طوفان الحب يصبح فجأة طوفان كراهية وحقد ، يصبح نارا تحرقك ولا تحرقه لانه هو في هذه اللحظات يكون قطعة من النار .

وقد تكون من النوع الذي لا يحترق بسهولة ، أو مجنونا بالرغبة في أن تفهم فيمتد صبرك ، وتنتظر حتى يهدأ البركان ، وتحاول أن تسمع وتفهم وآنذاك قد تكتشف من خلال ما يقوله أو ما لا يقوله ، أن هذا الصديق القوي الواثق القادر المانح بلا حدود للحب وللكراهية مجرد انسان يقتله الخوف ، وتنهشه الشكوك والأوهام ، أو لعل الخوف قتله منذ سنين بعيدة ، وأنه منذ تلك السنين يقاتل بحثا عن لحظة طمأنينة حقيقية لا يجدها ، ولعله ان يجدها دائما ، ولكنه في خوفه كان يسحقها تحت أقدامه ، أو أقدام مخاوفه وشكوكه وأوهامه ، ولعله التقى في سعيه المحموم بعشرات الخائفين من أمثاله فكانت شكوكه تجد دائما طعامها المفضل ، فعاشت ونمت وترعرعت وتأكد له أنه لا مفر أمامه من أن يكون مفترسا أو فريسة . . وحين فقد ثقته بالناس راح يمنحها للأشياء ، فالأشياء وحدها هي التي يمكن امتلاكها ، واستعمالها على الوجه الذي تحب ، الأشياء لا تعترض ، ولا تقول لا ، ولا تخون ، وقد تغنيه عن الناس الذين يختلفون ويخونون ويعترضون ، ولكن هذه الأشياء في تكاثرها تبقى عاجزة عن منح الطمأنينة والحب ، بل قد تكون بهذه المثابة مصدرا جديدا للقلق والشك والمخاوف ،والأشياء لا توجد في الفراغ فهي مع الناس ومنهم وبهم ، وهكذا يبدأ يتعامل مع الناس كما يتعامل مع الأشياء ، يحاول امتلاكهم وشراءهم بالحب أو سحقهم بالكراهية .

وفي كل مرة يخسر الناس ولا يكسب الطمأنينة ، فالطمأنينة شعور بشري لا يمنحه الا مخلوق بشري حر ومطمئن عبر فعل بشري حر ومسئول .

ولم يتح له أبدا أن يعرف الحب القادر على منح الطمأنينة ، مع أنه لا حديث له الا عن الحب ، وتصف ترساناته من أسلحة الحب ، فالحب لا يوجد الا مع الحرية وهو أسير شكوكه وأوهامه ، والحرية لا تمتلك سوى نفسها ولا تقدم لأحد سوى ما يقدر على فعله أو قوله أو الشعور به في لحظة حرية مسئولة .

سوف تتعب إلى حد اليأس وأنت تحاول أن تنقذ نفسك أو صديقك من عالم شكوكه ومخاوفه ، ليجد في نفسه شجاعة مواجهة الحرية ، وانتظار عطاياها التي لا تشتري ولا تغتصب ، ولا تقبل الاغراء أو التهديد .

فاذا شعرت بالعجز عن نزع سلاح صديقك فلماذا لا تحاول أن تبدأ بنزع سلاح مخاوفك ، جزء من مخاوفك ؟

فلعلنا جميعا نحمل في وجوهنا بعض ملامح هذا الوجه الذي رأيناه في المرآة .. نعم . . . فنحن نحمل من هذه الملامح ، بقدر ما نرغب في امتلاك الأشياء ونرغب عن الاكتفاء باستخدامها .

بقدر ما نجد من صدورنا من الضيق من اولئك الذين يختلفون معنا في تقدير الأمور أو في زاوية الرؤية .

بقدر ما نخاف من مواجهة الحرية بمعناها العميق الشامل باعتبارها حقا للآخرين ولنا بنفس المدى والمقدار . □□

تصحيحات لغوية

بقلم : محمد خليفة التونسي

☐ نفرد هذه الصفحة لمحاورة أديب في بعض تعقيباته اللغوية الخاصة بمقالة عنوانها « كيف نخرج من المأزق الثقافي » في العدد ٣٠٣ (فبراير ١٩٨٤) .

١ ـ استبدل كذا بكذا

عرض كاتب المقالة لما جرى من اصلاح لغوي في لغات بعض الأقطار الشرقية (اليابان ، والصين ، وكورية) كي يتمكن أهل كل قطر فيها من العلوم الحديثة ، وهي دائما متجددة ، وسبيل ذلك ترجمتها الى لغتهم الوطنية ، وتدريسها لهم بها في معاهدهم ، بدلا من تدريسها بلغة أجنبية حديثة ، ولا يتأتى ذلك الا بكتابتها بحروف لغتهم ـ بعد اختزال هذه الحروف ـ بدلا من كتابتها بحروف أجنبية .

وقد ضرب الكاتب أمثلة لذلك ، منها ما جرى في الصين التي أشار الكاتب الى أن حروف لغتها تبلغ عشرات الألوف ، أو هي ٤٤٤٤٤ (خمس أربعات) ، ثم قال : « عمل الزعيم ماوتسي على تخفيض حروفها التي رفض استبدال الحروف اللاتينية بها » .

وعقب القارىء الأديب على الجملة الأخيرة « التي رفض استبدال الحروف اللاتينية بها » فحكم بأنها خطأ ، وأن صوابها « التي رفض استبدالها بالحروف اللاتينية » .

وهذه التخطئة خطأ ، لأن الاستعمال الأفصح للفعل « استبدل » ومصدره « استبدال » هو أن تدخل الباء على المتروك من البدلين ، وبهذا جاء القرآن الكريم ، إذ يقول على لسان نبي في محاورة قومه « أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير » فينكر عليهم رغبتهم في

ترك ماهو خير أو أفضل ، وميلهم الى الذي هو أدنى منه .

اذن فعبارة المقالة صحيحة ، بل هي أفصح العبارتين ، لأن الزعيم الصيني تمسك بحروف لغته الصينية واختزلها لتسهل الكتابة والقراءة بها ، ورفض تركها والأخذ بالحروف اللاتينية .

ولزيادة الايضاح نقول ان « استبدل » يستعمل مثل « اشترى » فاذا قلت « اشتريت الكتاب بدينار » ، فمعنى الجملة أنني أخذت الكتاب وتركت الدينار واذا قلت « رفضت شراء الكتاب بدينار » فمعنى الجملة أنني تمسكت بالدينار ورفضت تركه ،وهذه الجملة تماثل جملة المقالة « رفض استبدال الحروف اللاتينية بها » .

ولا ننسى هنا أن نشير الى أن العبارة التصحيحية في تعقيب الكاتب - صحيحة أيضا ، لكن لا في ذاتها ، بل لأن سياق الكلام كله يدل على أن الزعيم الصيني تمسك بحروف لغته الصينية ورفض الأخذ بالحروف اللاتينية .

وعبارة التعقيب - مع صحتها - أقل فصاحة من عبارة المقالة ، لأن عبارة المقالة واضحة بذاتها لبيان المقصود ، وليست تحتاج الى توضيح من سياق الكلام .

٢ - التوسع مع المجاز

وجاء في المقالة أن الصين بفضل اصلاح لغتها حققت من التنمية مالم تحققه الهند التي اعتمدت في تحصيل العلم الحديث على اللغة الانجليزية مع أنها سبقت في نهضتها الصين بل اليابان ، فاستطاعت الصين حل كثير من مشكلاتها ودخلت عصر الفضاء « لأن نسيج خيوطها الرئيسية للتنمية هو اللغة القومية » .

وعقب القارىء الأديب فحكم على العبارة الأخيرة بأنها خطأ ، وأن الصواب « لأن خيوط نسيج التنمية الرئيسية هي اللغة القومية » .

ونحن نرى أن عبارة المقالة لو كانت حقيقية لكان الفرق واضحا بينها وبين عبارة القارىء الأديب ، ولكن العبارتين مجازيتان ، ثم ان كلمة الرئيسية في العبارة الأولى تتعين صفة للخيوط ، ولكنها في العبارة المقترحة تصلح أن تكون صفة « للخيوط » أو « للتنمية » و « كلمة » نسيج الخيوط « تدل على « الوحدة الكلية » أو على « التركيبية » ولا تدل على ذلك كلمة « خيوط النسيج » .

٣ - فَعْلَنَ وفَعْلَل

وكان كاتب المقالة قد جرى على الطريقة العربية في الاشتقاق من الكلمات الأعجمية فاشتق الفعل « يَبْنَنَ » من « اليابان » و « وصَيْنَنَ » من « الصين » والمصدر « كَوْرَنَة » من « كورية » ، وأشرنا نحن في هامش الصفحة التي وردت فيها هذه الكلمات الى أن هذه طريقة في الاشتقاق تقبلها لغتنا السمحة كما أشرنا الى أن الفعل هنا على وزن « فعلن » .

وعقب القارىء فقال : ان الوزن « فَعْلَنَ » خطأ ، وأن الصواب « فَعْلَل » .ومعروف أن علماء الصرف عندنا اعتبروا أصول الكلمات في لغتنا ثلاثة حروف لأنهم وجدوا أن جذور أكثر كلماتها ثلاثية ، فوضعوا لها الميزان « ف . ع . ل » ليقابل أصولها الثلاثة ، ويسمون الحرف الأول فاء الكلمة ، والثاني عين الكلمة ،

والثالث لام الكلمة ، فاذا كانت الزيادة من أصل وضع الكلمة - أو هكذا تبدو لنا - على أربعة أحرف أو خمسة زدنا لاما في الميزان فتقول في « دَحْرَجَ » وزنها « فَعْلَلَ » وهكذا الخماسي « سفرجل » بزيادة لامين ، وكذلك اذا كانت الزيادة ناشئة من تكرار لام الكلمة ، مثل « جَلْبَبَ » وزنها « فَعْلَلَ » .

واذا كانت الزيادة حرفا أو أكثر على الأصل الثلاثي قابلنا الأصول فيها بالأصول « ف . ع . ل » وقابلنا الزيادة بلفظها ، فتقول « تَكتبُ بوزن » تَفعُل و « سَنْبَل » بوزن « فَنْعَلَ » و « بَرْهَنَ » و « سَلْطَنَ » بوزن « فَعْلَنَ » بحسب موقع زيادة النون في البدء أو الوسط أو النهاية ، وبحسب حركات الكلمة الموزونة (والغالب أن تكون الزيادة حرفا أو أكثر من الحروف العشرة التي يجمعها قولنا « سألتمونيها » أو « أمان وتسهيل » كما قال العلماء ، وقد تكون الزيادة من غيرها وان لم يذكر العلماء ذلك).

والاشتقاق قد يكون من الجذر الثلاثي وقد يكون من المشتق على حاله ، فاذا قلنا « سلّط القوم فلانا عليهم » كان المعنى أنهم جعلوا له عليهم سُلْطَة ، واذا أردنا أن نبين أنهم عينوه عليهم « سُلْطَاناً » قلنا « سَلْطَنَ القوم عليهم فلانا » اشتقاقا من « سُلْطَان » كما اشتق الفعل بَرْهَنَ « من برهان » لامن الجذر « بره » واشتق « عَرْبَنَ » من عربون ، وقد يزيد العرب النون لأسباب أخرى مثل « خَلْقَنَ التمر » وأمثلة أخرى ستأتي .

ونحن اليوم أميل الى التوسع في هذه الاستعمالات ، فنحن نقول مثلا : « عِلْمَانِيّ » و « حَقّانِيّ » كما قيل قديما « رُوحَانِيّ » و « رَبّانِيّ » و « رَقَبَانِيّ » (غليظ الرقبة) وشَعْرَانِيّ (غزير الشعر) ولِحْيَانِيّ (غزير اللحية) ومثل ذلك عشرات في لغتنا .

ومن زيادة النون في لغتنا - وقد يستغرب - ما ورد في وصف المرأة بأنها « سُمْعُنَّة » و « نُظْرُنَّة » أي حسنة السمع والنظر أو هي تكثر ذلك ، وقد علّل أحد أئمة اللغة - واخاله « الأصمعي » - تسمية الخيل خيلا بخيلائها ، لأنها تمشي « العِرَضْنَة » أي بالعرض .

وزيادة النون في الكلمات الثلاث أظهر ما تظهر في كلمة « الكورنة » التي وردت في المقالة ، اشتقاقا من كلمة « كورية » ، والكَوْرَنَة مصدر على وزن « فَعْلَنَة » والماضي « كَوْرَنَ » مثل بَرْهَنَ وخَلْقَنَ وسَلْطَنَ ،ولكن الاشتباه قد يرد في الكلمتين « يَبْنَنَ » و « صَيْنَنَ » اشتقاقا من « اليابان » و « الصين » ، فاذا اعتبرنا الأصول على الطريقة العربية « ي ب ن » و « ص ي ن » قلنا « يبّن » و « صيّن » أي جعله « يابانيا » و « صينيا » كما نقول « مصّر » و « عرّب » أي جعله مصريا أو عربيا ، ولكننا نزيد النون لبيان جعل الشيء يابانيا وصينيا ، كما زدناها « في كورن » لأننا - جريا على الطريقة العربية - اعتبرنا الأصل الثلاثي من كورية هو « ك و ر » ونزيد النون للتفرقة بينها وبين « كوّر » بمعنى جعل الشيء كرة ، كما اذا قلنا « الخباز يُكَوِّر العجين » .

والعرب لم يزيدواحرفا في كلمات لغتهم كما زادوا النون واستعملوها آواخر للدلالة على معان مختلفة ، ولم يزيدوها كما زادوها بعد آخر الكلمات ، للسبب نفسه .

وشكرا للقاريء الأديب على شدة تتبعه لما قرأ ، وبحثه عن الصواب فيما ظنه خطأ ، وهكذا ينبغي أن تكون القراءة فهي حسن تتبع واحاطة وبحث ونقد . □□

ـ تمتد مجمل ذكريات الشخوص التجريدية عند الفنان الى المرأة الشرقية الكاسية في العشرينيات وحيث يحيل ملاءتها السوداء الى ظل أخضر والى حركية . . نغمية تكشف عن توتراتها .

صلاح طاهر

صورة الفنان في شبابه الدائم

بقلم : أحمد غانم

ـ المشهد الطبيعي الذي تشربت به روح الفنان في الأربعينيات ينبض في تجريداته التمثيلية في الثمانينيات

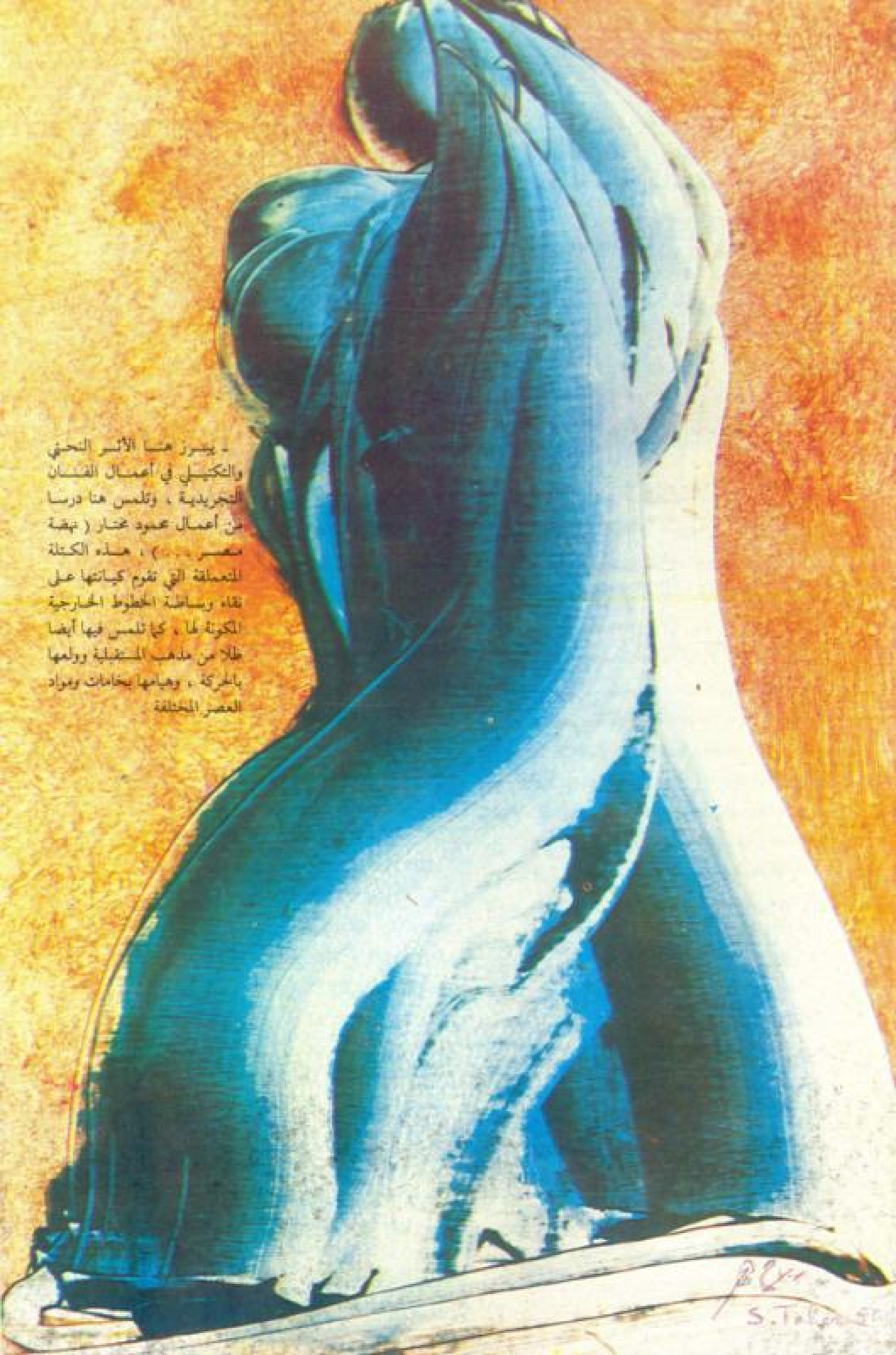

ـ يبرز هنا الأثر النحتي والتكتيلي في أعمال الفنان التجريدية ، ونلمس هنا درسا من أعمال محمود مختار (نهضة مصر ...) ، هذه الكتلة المتعملقة التي تقوم كياناتها على نقاء وبساطة الخطوط الخارجية المكونة لها ، كما نلمس فيها أيضا ظلا من مذهب المستقبلية وولعها بالحركة ، وهيامها بخامات ومواد العصر المختلفة

ان القضية التي نطرحها هي قضية التواصل بين الأجيال .. والتيارات .. بحيث نستطيع رؤية امكانات التناغم وفعاليات البناء في مساحة بانورامية رحبة لاتميع التفاصيل ولاتهمل مساهمة بناءة . . . وحينئذ يمكننا أن نرى الى جانب الأبيض والأسود ، الأحمر والأصفر والأزرق أيضا بتنويعاتها المختلفة .. كما نرى الحاضر والماضي والمستقبل في متوالية الزمن والتواصل .

لاشك أن تجربة الفنان صلاح طاهر بتغايرها وانشطارها الى نصفين وعبر اكثر من نصف قرن من العطاء .. تستطيع أن تشكل (حلقة وصل) متينة البنيان بين فن الرعيل الأول (جيل الرواد في العشرينيات) وبين فن الجيل الحالي .

وطبيعة الحياة التصويرية التي خاضها هذا الفنان الكبير تثير الانتباه ، حيث يبدو أن نصفها يختلف اختلافا جذريا عن نصفها الآخر .. فكأننا أمام جبل شاهق له قمتان .. وكل قمة تشمخ في اتجاه .. وكأنما صلاح طاهر ضد صلاح طاهر .. انها حالة تضاد مثالية في الأسلوب وفي الرؤية الفنية وفي الافكار

منذ التحاقه عام ١٩٢٩ بمدرسة الفنون الجميلة العليا ـ وهو ابن الثمانية عشر ربيعا ـ وحتى أواسط الخمسينيات ـ وقد قارب الخمسين من عمره ظل وفيا للتقاليد الفنية التي درسها . ولقد تمكنت منه الأكاديمية تمكنا يبدو ألا فكاك منه ، كما أن براعاته الحرفية المتزايدة في تصوير المنظر الطبيعي والوجوه وغيرها وفق المنظور المرآوي[1] صارت مضرب الأمثال ومحط الاعجاب .. ولقد خالطت أكاديميته ريشة تأثيرية شيقة في ايقاعاتها اللونية .. وترك فيه الرائدان يوسف كامل وأحمد صبري اللذان درسا له بصمات عميقة الأثر في وجدانه وفنه ويديه .

○○○ بين الوعي والتمرد ○

أحس صلاح طاهر في الخمسينيات أن يده وريشته المدربة الواثقة والمكتنزة بالخبرات الاكاديمية قد صارت نقيضة لوعيه بمكتسبات عصره . فريشته قابعة أسيرة في رحاب الماضي ، وهؤلاء المعلمون ـ التالدون بتعاليمهم الشائقة ـ هم الذين باتوا يحيون ويحتلون يديه وأصابع ريشته ! . وأحس بأنه لايعيش حياته كما أنه لايمثل عصره .. وتساءل ما الذي سيبقى مني ؟! أمصور مناظر طبيعية خلابة ؟! وهل تراني سأتفوق في هذا على تصاوير رمبراندت أو كلودمونيه الخ الخ ؟! . . .

لم يكن أحد من عشاق فن صلاح طاهر الاكاديمي ـ أو حتى من الشباب المتمردين المتقدين ـ بقادر على التصور بأن هذا الشيخ قادر ببراعة على أن يتخلص من جلده ، وعلى أن يبدأ مخاضا وولادة فنية جديدة . فبعد عودته من زيارة طويلة الى الولايات المتحدة الامريكية اطلع فيها على صيحات العصر الجديد ورؤاه

١ ـ « التصوير المرآوي » يصلح مصطلحا جامعا للتصاوير التي تحاكي الرؤية التمثيلية للاشياء والكائنات سواء اكانت فنونا ومذاهب كلاسيكية مثالية ، أو اكاديمية : طبيعية او واقعية .. الخ .. والفضل فيه يعود الى د . زكي نجيب محمود في كتابه « في فلسفة النقد » ص٧٩ . .

الفنية التي تجذرت بعد الحرب العالمية الثانية فاجأ الوسط الفني والثقافي في القاهرة بمعرضه التجريدي الاول ، ولعل عبارة الاستاذ محمود عباس العقاد الشهيرة خير تلخيص لما أحدثته هذه المفاجأة من هزة عميقة : «صرح من صروح الفن في مصر قد تهدم» !

ولاشك بأن الثقافة العريضة التي اكتسبها الفنان هي التي شكلت له التحدي الأكبر ، والذي تكون داخله يستصرخه التغيير . لقد تكونت بذور تمرده الفكري داخله منذ زمن بعيد في غيبة عن يديه وعن عيون المعجبين بفنه الاول . ولم تكن زيارته للقارة الجديدة سوى المثير الذي استنطق - بعد التثبت الطويل - رؤاه الجديدة ، وفنه الآخر . . .

ان صلاح هو رجل ارادة ووعي من طراز نادر ، فهو متبحر في اطلاعه على الفلسفة ، قارىء نهم للآداب والفنون ، مطلع على مؤلفات علم النفس والتاريخ،تعلم العزف على الكمان وأجاد ، وهو ذواقة ومستمع للموسيقا . انبهر بنيتشه زمنا . وصادق العقاد وحاوره طويلا . مارس اليوجا وفن التأمل ومايزال . وتقلد مهام عملية وعلمية عديدة ، وله حضوره وتأثيره على مجريات الفن في بلاده . ولايتناقض مع هذا ممارسته للملاكمة الثقيلة العنيفة في صدر شبابه ، وكان فوزه دائما بالضربة القاضية . ولعله أراد لنفسه في الفن - أكاديميا وتجريديا - ماأراده في الرياضة !

ولقد حصل على جوائز تشكيلية لها ثقلها ومكانتها في بلاده وعلى مستوى العالم ، منها واحدة من أهم جوائز التصوير (جائزة جوجنهايم) وقد نالها عام ١٩٦٠ . وجدير بالاعتبار والملاحظة أن أعماله التي نال عنها الجوائز هي تلك التي عقد فيها مصالحة عميقة بين التشخيص والتجريد .

○ ○ في وادي الصمت والجلال ○

أتيح له منذ عام ١٩٤٤ كأستاذ للدراسات العليا (المرسم الحر آنئذ) في كلية الفنون الجميلة ولمدة تسع سنوات كاملة ، أن ينسحب من عالم القاهرة وقلق الأربعينيات الى حضن وادي الصمت والموت والجلال القديم ، كي يستجلي أسراره ، ففي حضن جبال وادي الملوك والملكات الغربي في الأقصر (طيبة) كان يقيم أربعة أشهر كاملة . . يخرج مع خيوط الفجر ليرسم بفرشاة الزيت الرصينة عالما جليلا قديما ما يزال يتحدانا بصمته وهدوئه وبهائه . . ومع المساء وحيث لا صوت الا ضوت الجبل والريح ، ولا أضواء متحركة قلقة ملتاعة ، اللهم الا مصباح كيروسين صغير ، كان يقضي الليل يعب من الكتب أمهاتها . .

. . ولعل الزائر الذي متعه الحظ برؤية هذه الابهاء القديمة والآثار العريقة يشعر بجلالها وتفاؤلها وصمتها وصفائها ثم هذا الثقل الذي يضغط على النفوس فيثقل معدنها ويثقفه .

وتكفيك عدة ساعات من نهار - هناك - وفي هذا الوادي العميق : وادي الموت ، وحتى يمتلكك هذا الشعور الجارف : كل هذا الزمن ! . . . ثم كان - الفنان - يعود في رحلة الصيف أربعة أشهر أخرى ، لكي يجري مع نخبة الخريجين تجربة مشابهة في حضن القاهرة الاسلامية ، في أعماق أروقة الصمت والدفء ، في حضن الظلال والحنان . . . بل هذا الانسجام الاسلامي العميق والذي يسري في الوجدان كأنسام أطياف تاريخيه . . لاتموت .

كان يأتي طلاب الدراسات العليا ويرحلون ، وكان (الأستاذ - الفنان) موجه هذه التجربة ومرشدها .

ولاشك أن مشخصات صلاح طاهر التجريدية الأخيرة قد أحالت هذه التجارب والذكريات بل مئات اللوحات التي سجلها لهذه الأطلال الباقية وتلك الانحاء ،الى صور عصرية ، هي عصارة فن واختزال ، تمثل لحظات للسعادة المبهمة . . لحظات هي مفقودة ومفتقدة . . وخافية عن أنظارنا في تكأكؤ هذه المدن الحديثة ذات الاكتظاظ .

ان تجريداته ـ لا شك ـ تمد جذورها الى أحلام تاريخ عريق ، تاريخ وتراث يسري على حد قوله «في دورتنا الدموية ذاتها» . . فاضرب بريشتك أيها الفنان العريق كيف تشاء . . تكفيك دراستك . . يكفيك ولهك وعصريتك . . . ولك حريتك . . أما تاريخك ـ تاريخنا ـ فلا تخشى عليه من شيء ، انه كامن خلف ضربات فرشاتك .

لا يمكن فهم شخصية صلاح طاهر هنا أو هناك (الأول أو الثاني) إلا باكتشاف جوهره كرجل ارادة قادر على الاستجابة للتحدي . والرجل المريد هو مسار لقذيفة طويلة المدى ، قذيفة يطلقها الوعي والتثبت ، وهو رجل معرفة هدفه الاتقان الشديد .

هذا الاتقان في حالة الفن لا يأتي كاستجابة عضوية للذكاء والوعي أو تراكم المعلومات الفوري . . ان عنصرا أساسيا فيه هو القدرة على التمثيل . . وهذا التمثل ـ في حالتنا ـ يقتضي وقتا طويلا ، إن فنان الارادة هو رجل يعرف أن موهبته وعبقريته لا تنضج الا على نار هادئة فاترة ، هي نار العقل والمنطق . كما أنه قد يتاح لغيره أن يظهر ويحترق بنار الفن ، أما هو فقد يأتي ختاما مثاليا لهم ، وكأنه حالة تقريرية ذات صفة أكاديمية مقننة ومطلقة في آن . انه ليس حرفا قلقا ولا شهابا محترقا بل هو مسار جملة طويلة لها رصانتها .

● ● ●

حدثني صلاح طاهر الأستاذ فقال : « منذ قرابة عشرة أعوام ونيف جاءتني دعوة من اليونسكو لزيارة باريس ولندن وروما واسبانيا وامستردام . . للتعرف على فنونها وفنانيها لعدة أشهر . فأجبتهم أنه يكفيني في هذه الفترة القصيرة جدا أن أتعرف على باريس واسبانيا . وكان في هذا كفايتي . وهذا ما كان . وكنت ومازلت أعجب لهؤلاء الفنانين الذين يسارعون الى قبول مثل هذا العرض ، الذي يبدو سخيا ، ولا أراهم يفعلون أكثر من ربط الحقائب وفكها

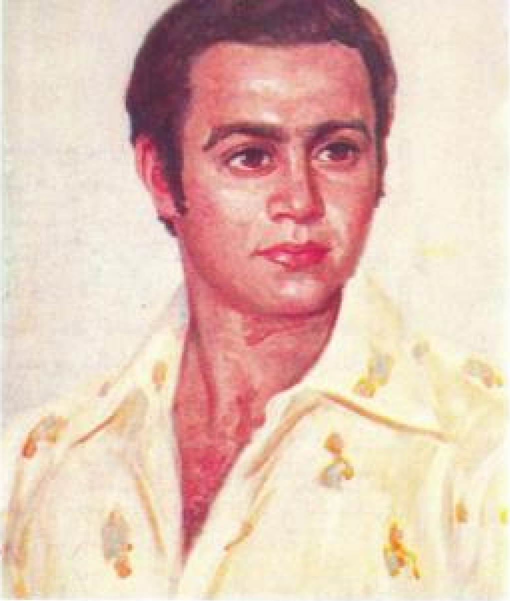

ـ ابن الفنان أيمن ، واحدة من مئات « البورتريهات » الأكاديمية الأسلوب ، قد أولع بها الفنان زمنا .

ـ تكشف هذه الصورة عن طبيعة خيالات صلاح طاهر التجريدية ، فالفلاحة وجها وجزعا ، واقعية ورومانتيكية وتأثيرية وتجريدية ، هي القاسم المشترك الأعظم في اهتمامات جيل الرعيل الأول .

ـ منحوتة أخرى تنتمي الى أشكال المستقبل الغامضة الفذة . النحت هنا عمارة حركية . تراه من بعد ، كما يمكنك أن تلج بين ضلوعه الفوارة بالقلق والقوة . ان تماسك الكتلة هنا يبدو هو اللحظة التي تلحق بالانفجار ، كأنه تكوين جيولوجي بشري نحتي جديد .

من فندق الى فندق ، ولا أظنهم ـ بهذه الطريقة ـ سيكتسبون شيئا له قيمة . على كل هذه طريقتهم ولي طريقة أخرى .

بهذه الروح التي تعرف للمعرفة قدرها وأشراطها ، ذهب الفنان في رحلته الشهيرة الى أمريكا في زيارة طويلة كانت كلحظة تنوير درامية حيث قضى هناك ستة أشهر كاملة عام ١٩٥٦ ، يعاين النتاج التام الصنع ، والطرائق المثلى في الفن الحديث . .

وهو الآن يستطيع أن يلمس عن قرب فن العصر في بيته . بل راح يتنفسه حتى غدا بعضا من كيانه وكلا في روحه . وحكي لي كيف استبدت به لوحة أهاجت مشاعره وحركت أفكاره وقلقلت ثوابتها : «أقيمت في احدى المدن وعلى مساحة حديقة هائلة تظاهرة فنية كبرى ، ومسابقة للفنون السبعة في أمريكا (الشعر والأدب ، الموسيقا والرقص ، التصوير والنحت ، المسرح والسينما)

وقد حصلت فيها لوحة عنوانها «طبيعة صامتة صينية» على الجائزة الكبرى . » أمضيت ساعات يومية طويلة في تأمل هذه اللوحة ذات الأسلوب التجريدي الذي يخلو من أي تمثيل لشخوص أو أشياء أو كائنات .

وكان أول ما أثارني ودققت فيه ، أن هذه اللوحة ـ من التجريد الخالص ـ تحوي بوضوح وفي بساطة وعمق متناهيين كل القيم الفنية والقواعد التكوينية التي ندرسها لطلابنا ، والتي يعرفون بها مقدار جودة التصاوير الكلاسيكية .

فالنسبة الذهبية والتوازن والتماسك والتباين والعمق والتناغم والملمس وغيرها مستوفاة فيها على أتم صورة !

ومع ادامة النظر وتواصل التأمل تكتشف أنها قماشة فاتنة لألوان الفن الصيني الباهر العريق ، ثم تكتشف عبقا من الاضاءة الذاتية الخافية ، وهذا التلوين الذي تفرد بنسجه وتجسيمه رمبراندت المصور الكبير في تصاويره . . . و . .

« وعدت الى القاهرة أحمل أزمتي وقلقي معي ، ومخاضا عسيرا لولادة جديدة خالطتها فرحتي باكتشافي . . وانها لسعادة كبرى أن تفكر وأن ترتاد أبحرا من الفن والمشاعر » .

وهنا يبدو التجريد المحدث خلاصة لقيم الشكل وجوهر التكوين وقوى التشكيل . . انه معمار خاص فريد . . ولغة مركزة . . وها هي تتفتح أمامه ـ كما في هذه اللوحة النادرة ـ وكأنها أكمام أزهار عجيبة ، لموسيقى وأشعار فريدة ، قوامها ـ مفرادتها ـ الشكل واللون . وهتف في نفسه خاطركالذي هتف به بو كلي«يالا التكوين الخالد . . مبعث القوة . . لكل الزمان وكل المكان » (٢)

○ ○ ○ عاش حياتين ○

قال الفنان في محاضرته عن « الفن والحضارة » التي ألقاها في معرضه الأخير (الثالث والستين) في صالة الفنون الجميلة بضاحية عبدالله السالم بالكويت . . « لقد غير بيكاسو شكل الفن الحديث وجوهر حضارتنا حين اكتشف التكعيبية ، ففنون الديكور والتصميم الصناعي والعمارة العصرية . . كل هذا وغيره كان بناء على هذا الاكتشاف » .

لعلني لم أذهب الى بعيد . . فها أنا أعود الى الفنان في جلسة أخرى ، ويساعدني توارد الخواطر على استجلاء ملاحظة ذات قيمة بالغة ، فبعد قرابة العشرين عاما من الولع بالتجريد ، ومع انعدام التسجيل للفنان العربي ، فلا هو يسجل لنفسه أو يسجل غيره له ، تذكر الفنان معرضه التجريدي الأول في أواخر الخمسينيات فقال : « لقد كان معرضا عن التجريد الخالص ، لوحات مرسومة بالأبيض والأسود ، ونادرا ما كنت ألجأ كاضافة في خلفية الشكل الى الرمادي أو الأحمر الداكن . . . تسألني لماذا ؟ ! . . أتذكر أنني كنت أريد أن أحصل على « الفورم » وأؤكد قيم الكتلة وحسن بنائها ،

---

٢ ـ لمزيد من ايضاح الفكر « في الفن الحديث » . . راجع مقال بول كلي في مجلة « المجلة » القاهرية ترجمة : الفاروق عبد العزيز ، والمنشور في عدد نوفمبر ١٩٦٨م

لقد حرصت أول الأمر على ألا تغريني ألوان التجريد المحدث ومبالغاتها ، وألا تغريني باهمال الشكل والكتلة » . . . . . . لعل هذه الملاحظة تكشف للدارس ان هـذا الفنان قـد عاش حياتين ، ومخضرم بذرة وحصادا بين عصرين من عصور الفن . فالملاحظ عبر تاريخ الانسان الفني أن الرسام حين يبدأ تعلم الرسم أو انتاج لوحاته فانه يقف طويلا أمام الأبيض والأسود : (الكتلة ، الخط ، الملاحظة . .) يستوي في هذا ميكائيل انجو أو فان جوخ الذي علم نفسه ، أو بول كلي . وقد يكون الفنان بعد هذا ملونا مجيدا أو لا يكون ملونا . فاللون اضاءة تغمر كتله الرصينة التي أتقن حبكها أول مرة .

وفي الفن الحديث ينطلق الفنان المعاصر المتمرد بالطبيعة في خطوات متلاحقة من دراسته وخطوطه بالأبيض والأسود الى الأكاديمية (أو أشبه) الى المبالغة الى الاختزال الى التجريد المطلق الى اكتناه رؤاه . . . لكن ما معنى أن يعود صلاح طاهر على بدء الى الأبيض والأسود ، الا اذا كانت هذه قرينة تؤكد ولادته مرتين . . وتمثله لعالمين مختلفين . وامتلاكه لرؤيتين نقيضتين ، انه انسان مخضرم بالمعنى العميق لهذه الكلمة . ولقد ولد وازدهر مرتين في عصرين مختلفين أشد الاختلاف .

● ● ●

لعلك ياقارئي - بعد هذه اللقطات من حياة الفنان وأفكاره تستطيع أن تتلمس العبر بنفسك . وضيق المساحة الذي يؤذن بانتهاء الوقت يمنينا بفرصة أخرى لاكتشاف أسرار أعماله برؤية نقدية . وها أنا أتفق معه في جملة أخيرة أدعها أمام ناظريك :

الفن الحديث والتجريد المحدث عمره لايزيد عن ثلاثة أرباع القرن ، انه عمر قصير جدا بالمقارنة الى الكلاسيكية التي تمتد الى ماقبل الميلاد بخمسة قرون . هذا القرن شهد انفجارا معرفيا ومايزال . علينا ان نحيا عصرنا وأن نتعلم لغته . لاشك أن القليل النادر في الفن الحديث هو الجيد . من قال أن كل مارسمه بيكاسو كان عظيما ، تجار الفن هم الذين يتاجرون بامضائه . . . . . لكن مابالك أيظن المرء أن كل مارسم أكاديميا بلغ القمة التي يحتلها ميكائيل انجلو أو روفائيل ؟!!! التاريخ الفني هو الذي يحاكم الفنان ويفرز الجيد من الرديء . الشائع لماذا يخاف الانسان التجديد ؟ لماذا يهرب الانسان من متعه التفكير ؟ لماذا يرتاد السهل من الامور ؟! هذا أمر شائع في الانسان والبلاد ، كان في بلادنا قبل ظهور التلفزيون . . لاشك أن الفن الحديث في بلادنا يكسب الجمهور الكبير مع الوقت ، في العشرينيات كان الاشتغال بالفن مخاطرة كبرى وطريقا مجهولا ، لقد دخلت كلية الفنون بدون تفكير ولم أستمع الا الى الصوت النابع من أعماقي . وهذا ما أفعله طوال الوقت . وماذا أفعل ازاء نجوم في المجتمع العربي تطلب مني أن أعود وأبقي ريشتي (الثمينة) رهينة محبس الاكاديمية ؟ . انني حين أرسم ليس من عين تراقبني حتى ولا ابني أيمن . . انني أتبع صوت القلب . . تسألني التفسير . . كيف يستطيع أن يفسر المرء نفسه ؟! نحن بحاجة الى ثورة في أجهزتنا التربوية وخاصة الفيلم التسجيلي .. تحدياتنا شاملة لعل أوهنها محو الأمية . . . . . الرجل الفطري البسيط يؤيدني . . فقط هؤلاء الذين تعلموا ألا يتعلموا شيئا ؟! لست أخاف المستقبل . . ان التفاؤل طبيعة فينا . . الفن حديقة الروح . . سيكلوجية الزحام تحاصرنا . . لاحل للمصريين الا اذا كسروا حاجز الصحراء . . أية أمة تحيا في خندق في ٤٪ من مساحتها ؟ان ارادة أولى العزم قادرة على فك اشتباكنا مع أنفسنا وتخلفنا . . ليطمئن الناس الى التاريخ فهو خير ذاكرة حافظة للمبدعين الرواد ابداعهم . الموسيقا معمار في الزمان ، والعمارة موسيقا في المكان ، ولا شك أنني أصبو في تصاويري الى حالة الموسيقا . لماذا نجسم في تصاويرنا الرعب ؟ بل لماذا لا نتعالى على الألم ؟ لنجسم التفاؤل وارادة الحياة . . . الأمل لا شك أكبر من الألم . . لم يزل لدي الكثير لأصنعه . ■

الماسح الالكتروني CAT Scanner وصورة ظهر الفتاة تبدو واضحة مكبرة على شاشته

الإنزلاق الغضروفي

معالجته بالأنزيمات بدلاً من العمليات

بقلم : يوسف زعبلاوي

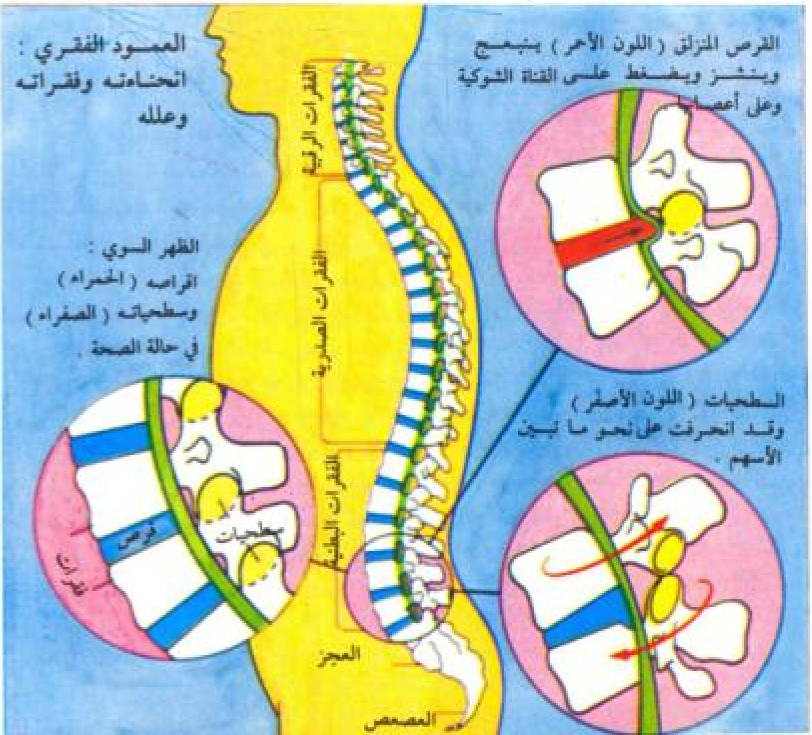

في غرفة العمليات وقبيل اجراء الجراحة .. يشرح الجراح تفاصيل العملية التي يوشك أن يجريها

عملية الانزلاق الغضروفي كانت وما زالت الطريقة الفعالة التي تعالج بها حالات الانزلاق الغضروفي المستعصية .. الا أنها لم تعد الطريقة الوحيدة .. في أمريكا ومنذ أواسط الستينيات على أقل تقدير .. فقد درج الاطباء في كندا والولايات المتحدة، طوال العشرين سنة الماضية، على معالجة تلك الحالات بطريقة أخرى جديدة .. أبسط وأسهل من العملية الجراحية وأقل تكلفة منها، سواء في الوقت أو المال .. وأثبتت الطريقة الجديدة أنها أضمن نجاحا وأسرع نتيجة من الجراحة، ولا تقل فعالية عنها في نحو ٧٠٪ من الحالات، أو تزيد ... هذا وقوام الطريقة الجديدة الانزيمات والخمائر ... والانزيمات المستخلصة من عصارة فاكهة البابايا، أو ان شئت، الشيموبايين (Chemopapain) .. فما هي هذه الطريقة الجديدة وما هي مزاياها ؟ ولكن - وقبل ذلك كله - ما هي الغضاريف، أو الاقراص الفقارية ؟ وما هو العمود الفقري وما هي وظائفه .. ؟

العمود الفقري : وظائفه وبنيانه

العمود الفقري هو قوام الظهر، وعماد الجسم، كما هو معروف، فهو يحمل أضلاع

الصدر والكتفين والجمجمة ويثبت الحوض .. تلك هي وظيفته الأولى ... وهو مكون من فقرات ، كما لا يخفى ، وعدد هذه الفقرات ٢٦ فقرة في عرف بعض الاطباء أو ٣٣ فقرة في عرف الآخرين . هذه الفقرات هي :

الفقرات	Vertebrae	عددها
الرقبية	Cervical	٧
الصدرية	Tharaic	١٢
القطنية	Lumber	٥
فقرة العجز	Saccrum (٥ فقرات)	١
فقرة العصعص	Coccyx (٤ فقرات)	١
	٣٣	٢٦

على أن للعمود الفقري وظائف أخرى لا تقل أهمية عما ذكرنا من دعم الجسم ... فهو يؤوي ويصون الحبل الشوكي الذي تتفرع عنه طائفة من أعصاب الجسم ... وكأنها الأغصان .. ولو ذكرنا أن هذه الأعصاب هي التي تصل بين المخ وبين مختلف أجزاء الجسم لأدركنا مدى أهمية هذه الوظيفة .. وظيفة المحافظة على الحبل الشوكي ..

وثمة وظيفة أخرى هامة .. فالعمود الفقري يتيح للجسم من القوة والمرونة ، في آن معا ، ما يبعث على العجب حقا .. وحسبك أبطال رفع الأثقال .. فهم قادرون على حمل أثقال تفوق أجسامهم وزنا .. وقادرون على رفعها في الهواء أيضا .. وقل مثل ذلك في راقصي الباليه وأبطال الجمباز .. فهم يستطيعون الانثناء والانحناء بأجسامهم بحوالي $\frac{٢}{٣}$ دائرة كاملة .. وما كان الجسم ليتمتع بهذه المرونة وتلك القوة لولا العمود الفقري ..

فلو دققت النظر في بنيان هذا العمود لوجدت فيه آية من آيات الخلق والابداع .. تتضاءل دونها كافة المباني والصروح التي تمخضت عنها الهندسة العمارية في كل زمان ومكان . فالعمود الفقري مقوس أربع تقويسات مخففة بشكل حرف S .. وفقراته الست والعشرون (أو الثلاث والثلاثون) تجمع بين أقصى الصلابة وأقصى المرونة ... وذلك في بنيتها وتراصها .. فهي ذات نتوءات وفجوات .. وتتداخل نتوءات الفقرة الواحدة بفجوات الفقرة التي تليها بأحكام .. وقد روعي في تكوين الفقرات السفلى مزيد من السمك والوزن .. نظرا لأنها تحمل المزيد من وزن الجسم .. وروعي في تكوينها جميعا أن يقوم بين كل فقرتين منها غضروف .. هو القرص الفقاري أو الدسك .

الأقراص الفقارية

عددها اثنان وعشرون ، وتؤدي من الوظائف الهامة مالا غنى عنه للعمود الفقري .. وبالتالي للجسم ككل ..

فالقرص الفقاري الغضروفي هو سر المرونة التي تتجلى في العمود الفقري .. فهو يصل ويفصل بين الفقرتين في آن معا .. شأنه في ذلك كشأن المفصّلة الحديدية التي تثبت الأبواب في مكانها وتضمن لها حركتها ـ فتحها واغلاقها ـ فلولا الأقراص الغضروفية الفقارية لكان رقص الباليه ورياضة الجمباز ضربا من المستحيل ..

ويقوم القرص الغضروفي بوظيفة أخرى هامة .. فهو كالبطانة ويحول دون احتكاك الفقرتين احداهما بالأخرى .. ودون تلفهما تبعا لذلك ... وهو أيضا كالوسادة .. يمتص الصدمات التي يتعرض لها الجسم البشري لا محالة ، ويمتص أيضا الانضغاط Compression الذي يترتب على حمل الأجسام أو نقلها من مكان الى آخر ، والذي لا بد أن يصيب العمود الفقري لولا وجود الوسادات الغضروفية بين فقراته .. فالأقراص الفقارية اذن أوعية ضغط Pressure-Vessels .. ولا غرابة أن شبهوها باطار السيارات ..

فهذه الاطارات ـ وهي مصنوعة من مطاط ، كما هو معروف ـ تمتص الكثير من الصدمات التي تتعرض لها السيارة بسبب مطبات الطرق أو وعورتها . . وهذه بالذات هي الوظيفة التي تؤديها الأقراص الفقارية ، من حيث هي وسادات غضروفية . . أضف الى ذلك أن اطار السيارة عبارة عن هواء مضغوط يوجد داخل الجدار المطاطي القوي الرُّجوع . . والمقوى بأسلاك من فولاذ أو فايبرجلاس أو غير ذلك ، في صميم تركيبه . .

وقل مثل ذلك في القرص الغضروفي . . فهو عبارة عن نواة طرية أو سائلة من الداخل ، يغلفها جدار غضروفي قوي من الخارج . . . اما النواة فمن مادة هلامية (Jelly-like) مركبة من البروتينات والكربوهدرات والاملاح فضلا عن الماء . واما جدار القرص الغضروفي ـ فألياف من نوعين : ألياف الالاستين الصفراء وألياف الكولاجن Collagen البيضاء . . . وتتميز الياف الالاستين بالمرُونة . . . وتتميز الياف الكولاجن بالقوة والمتانة . . . ولعل مادة الكلاجن هذه هي من أقوى المواد التي تدخل في تركيب الجسم البشري اطلاقا . . . ولما كان جدار القرص الغضروفي يحتوي على كلتا الفئتين من الالياف جمع بين المرونة والقوة . . . ولما كان يحتوي على مزيد من الياف الكولاجن كانت القوة والمتانة هي صفته المميزة . . .

والغريب أن ألياف الكولاجن هذه دقيقة للغاية وتبلغ من الصغر ما حال دون رؤيتها حتى بالمجهر . . غير أن بعض العلماء الانجليز (في مانشستر) نجحوا مؤخرا في مشاهدة ألياف كولاجن كما هي على الطبيعة ، وذلك بواسطة أشعة اكس المنعطفة أو المحيَّدة (Diffracted) . . وقد تبين لهم أن هذه الألياف متعارضة أيضا ، ويقاطع بعضها بعضا بزوايا مختلفة . . واتضح لهم أن تقاطعها هذا هو الذي يزيدها قوة على قوة . .

« الانزلاق » الغضروفي

وبالرغم من قوتها ومتانتها فان ألياف كولاجن معرضة للتلف . . وتلفها يعني تلف القرص الغضروفي . . وفقدانه قوته ومرونته وعجزه بالتالي عن أداء وظيفته ، بيد أن هذا التلف ليس انزلاقا . . وتسميته بالانزلاق الغضروفي تسمية خاطئة ومضللة . . رغم كونها شائعة ومستساغة . . .

فالقرص الفقاري المنزلق (Slipped disc) لاوجود له على الاطلاق . . . فالقرص لا ينزلق أبدا . . . اذ كيف يمكن أن ينزلق وهو مثبت بين الفقرتين وكأنه جزء لا يتجزأ منهما . .؟ كيف يمكن أن ينزلق وهو ملتحم بالفقرتين . . تلحمه بها الاربطة القوية المتينة . . .؟

اذن ما هو التلف الذي يصيب القرص ويسبب الآلام المبرحة ويستوجب الجراحة ؟ انه تلف يبدأ في جدار القرص في معظم الحالات . . وفي نواته في أقلها . . فقد يضمحل الجدار (degenerated) أو يتمزق (Ruptured) أو يفتق (herniated) أو ينبعج (bulges) ، فتظهر نواة القرص وتنشز هي الأخرى أو يعتريها نتوء . .

وقد يبدأ التلف في هذه النواة نفسها . . . فيزداد ماؤها ويرتفع ضغطها ، لسبب أو لآخر . . فتمزق جدار القرص وتنشز منه . .

وقد تتعرض الأعصاب القريبة للضغط ، من هذا النشوز أو ذاك الانبعاج . . فتتضاعف آلام الظهر المبرحة . . وتقترن بالخدر أو التنميل . . وقد يقع الضغط على الحبل الشوكي أو على العصب الوركي (Scietic) . . في أحد فرعيه الممتدين في الساقين أو في كليهما . . عندئذ يصبح ألم الظهر عذابا لا يطاق ، ويقعد المصاب عن الحركة ويشله ويجعله كالكسيح !

ولعل أكثر ما يبعث على العجب هو أن تأتي الاصابة بذلك العذاب الأليم ، ويتلف

الأقراص الفقارية نفسها ، تبعا لأسباب عرضية . فقد أثبتت التجارب التي أجراها علماء جامعة كمبردج في المدة الأخيرة ، وذلك بواسطة أشعة اكس المنعطفة التي سبق أن أشرنا اليها . . . . أثبتت أن تلف الأقراص الفقارية انما يترتب في معظم الأحيان على تلف جدارها ، وتلف ألياف ذلك الجدار ألياف كولاجن بالذات - وأثبتت أيضا أن هذا التلف وألمه المبرح انما يترتب ، في معظم الأحيان أيضا ، على حركات عرضية وأوضاع عادية . . ولكنها غير سوية . . كأن ينحني المرء بظهره الى الأمام ، ثم يستدير قليلا ذات اليمين أو ذات اليسار . . فهذه أوضاع كفيلة أحيانا بالاصابة بالانزلاق الغضروفي والتسبب بعذابه الاليم . ويتضاعف الألم ويتفاقم التلف اذا اضطر المرء لحمل حقيبة سفر أو ما اليها أثناء انحنائه واستدارة جسمه على نحو ما ذكرنا .

بقي أن نذكر أن الأقراص الفقارية ليست كلها معرضة للتلف بنسبة واحدة . فأقراص الفقرات القطنية (أنظر الرسم) أكثر الفقرات عرضة للانزلاق الغضروفي . تليها في ذلك أقراص الفقرات العنقية . . أما فقرات الصدر فقلما تتعرض لتلك الآفة .

انحراف السطيحات

ولابد من الاشارة الى علة اخرى غفل عنها الطب حتى مطلع السبعينيات حين ظهر التصوير بالكمبيوتر والمسح الالكتروني (C.A.T.) فقد اتاحت اجهزة التصوير الجديدة للمختصين فرصة اكتشاف علة السطيحات المنحرفة (Dislocated Facets) وهي العلة التي طالما استغلقت عليهم وبدت لهم وكأنها « انزلاق » غضروفي . . والتي تضاهي علة الانزلاق هذه ألما وخطورة .

أما السطيحات فليست سوى سطوح الفقرات الصغيرة . . انها سطوح بفقرات عمودك الفقري الموجودة في أوسطه . فهذه السطيحات تكون متناسقة في حالة الصحة . . ولكنها تنحرف قليلا عن مواضعها في حالة المرض . . وعندئذ يختل تناسقها ويتعرى عظمها فتضغط بقسوة على الأعصاب الشوكية القريبة ، وتسبب ألما حادا يضاهي سائر آلام الظهر تبريحا . .

والغريب أن ما ذكرنا من الأسباب التي تؤدي الى الانزلاق الغضروفي كالانحناء والاستدارة وحمل الأجسام الثقيلة ، هي نفسها الأسباب التي تسبب انحراف السطيحات . .

عملية الانزلاق الغضروفي

يقول الدكتور محمود كامل البوز احد كبار جراحي العظام في مستشفى العظام في الكويت . . : (ومن الظهر ننفذ الى الغضروف بين الفقرات ، ونفرغ ما فيه من انبعاج ونواة ، فنزيل الضغط عن الحبل الشوكي ، او العصب المجاور . .[١]) فعملية الانزلاق الغضروفي اذن عملية استئصال (Laminectomy) وهي عملية دقيقة وشاقة . . ولا يقدم على اجرائها الا كبار الجراحين الذين يتمتعون بخبرة طويلة في اجرائها . .

وتدل الاحصاءات على ان فرص النجاح في عملية الدسك هذه ضئيلة ، ولا تزيد نسبتها على ٢٠٪ من الحالات . . وقل مثل ذلك في احتمالات فشلها ، وتبلغ نسبتها ٢٠٪ ايضا . . اما في بقية الحالات ٦٠٪ فنجاح العملية محدود ، ان كان ثمة نجاح . .

---

١ - راجع مقال الدكتور محمود كامل البوز بعنوان : الانزلاق الغضروفي المنشور في مجلة العربي عدد ابريل رقم (١٧٣) سنة ١٩٧٣ .

اضف الى ذلك ان عملية الانزلاق تحدث فراغا بين الفقرتين في بعض الحالات .. كما يقول الدكتور البوز في مقاله المذكور . وفي تلك الحالات يضطر الجراح الى اجراء عملية اخرى ثانية .. يملأ فيها الفراغ بشظايا يقتطعها من عظمة الحوض وتلتحم تلك الشظايا بالفقرات .. ولكن على حساب المرونة .. اذ غالبا ما تؤدي هذه العملية الثانية الى شيء من التصلب في الظهر ..

من هنا كان حرص الجراحين على عدم اجراء عملية الانزلاق الا في الحالات المتفاقمة التي يستعصي شفاؤها بطرق العلاج الاخرى ... فهم يعمدون اولا الى معالجتها بالراحة والتزام الفراش ، او ارتداء جاكتة الجبس ... وكذلك بتناول المسكنات وعقاقير ترخية العضلات ، في تلك الاثناء ، وفي حالة فشل هذه الطرق فان الجراحين يعمدون ثانيا الى معالجة تلك الحالات بوسائل الطب الطبيعي ، كالحرارة العميقة والتدليك والتمرينات الرياضية ... اما اذا فشلت هذه الوسائل ايضا .. فعندئذ تصبح العملية الجراحية بمثابة السهم الاخير .. او الشر الذي لا بد منه ..

هذا وعملية الانزلاق تكلف الكثير من المال وتستوجب البقاء في المستشفى اسبوعين او يزيد .. وتطول فترة نقاهتها حتى تبلغ ٣ ـ ٦ شهور .

ويقول احد كبار الجراحين الشهيرين باجراء عملية الدسك في الولايات المتحدة .. « ما كنت لاسمح لنفسي باجراء عملية الدسك لنفسي ـ فيما لو كنت انا المصاب .. »

ومضت السنين وجاءت الستينات .. واذا بالاطباء العلماء يكتشفون طريقة جديدة لمعالجة الانزلاق الغضروفي ، وخيرا من العملية الجراحية .. وهكذا لم يعد الجراحون مكرهين على اجراء تلك العملية باعتبارها السهم الاخير او الشر الذي لابد منه ..

قصة الاكتشاف الجديد

بدأت القصة في اواخر الخمسينيات .. فقد اتفق للدكتور ليمان سميث (حي يرزق ، ٧٢سنة) ، من بلدة ألجين في ولاية ألينوي ان قرأ بحثا في الانزيمات ، ـ انزيمات فاكهة البابايا بالذات ـ وفي اثرها في مقدار ما يحتويه الدم من البروتينات ..

وتجدر الاشارة الى ان البابايا فاكهة استوائية وفيرة في بلدان امريكا الوسطى ، ومغذية وطيبة المذاق .. وقد تنبه الناس لفوائدها العلاجية منذ زمن ، وراحوا يصفونها بعضهم لبعض ، لمعالجة امراض عديدة مختلفة .. كالتهاب الكبد .. وبعض الامراض التناسلية .. وتبين لهم فوائد اخرى للبابايا فعمدوا الى استعمال عصارتها على نطاق واسع من اجل تطرية اللحوم .

ولعل هذه الفوائد والاستعمالات كانت الباعث على قيام الدكتور سميث بحقن بعض الارانب بعصارة البابايا على سبيل التجربة .. وما اسرع ما ارتخت آذان تلك الارانب في صبيحة اليوم التالي .. ومعنى هذا ان عصارة البابايا غنية فعلا بالانزيمات .. وان انزيماتها هذه هي التي اذابت البروتينات الجلاتينية التي توجد في غضاريف آذان الارانب ... ومعنى هذا ايضا ان انزيمات البابايا يمكن ان يكون لها .. في الاقراص الفقارية ، مثل الاثر الذي كان لها في آذان الأرانب . فتلك غضروفية وهذه غضروفية مثلها ...

وأجرى الدكتور سميث من التجارب ما أثبت له فعالية تلك الانزيمات في شتى حالات تلف الاقراص الفقارية .. بما في ذلك ترهلها وانبعاجها وتمزقها .. أو ، أن شئت ، انزلاقها .. وتم استخلاص عصارة الشيموبابين (Chemopapain) من فاكهة البابايا ، وهي خير من عصارتها البسيطة

العادية . . نظرا لأنها أكثر فاعلية منها وبلا آثار جانبية . . . وأطلقوا على عصارة الشيموبابين هذه الاسم التجاري دسكيز . (Discase)

ورخصت وكالة الغذاء والدواء (.F.D.A) استعمال الدسكيز علاجا للانسان سنة ١٩٦٣ . ولكن ترخيصها هذا كان مبدئيا باعتبار الدسكيز عقارا تجريبيا . . . ومضت ١٢ سنة ولم يطلب احد تمديد هذا الترخيص ولا اصدار ترخيص نهائي جديد . فتوقف صنع الدسكيز في الولايات المتحدة .

الّا أن كندا التي احتضنت ، كعادتها ، قرار وكالة (F.D.A) الأول بترخيص الدسكيز لدى صدوره سنة ١٩٦٣ ، لم تجد مبررا لوقف انتاج الشيموبابين أو المعالجة به في مطلع السبعينات . . وهكذا واصل الاطباء الكنديون معالجة حالات الانزلاق الغضروفي بالشيموبابين على نطاق واسع . . وأحرزوا من النجاح في معالجة العلة الخطيرة بهذه الطريقة البسيطة ما شد اليهم جيرانهم من أبناء الولايات المتحدة وقد تعذرت معالجتهم بأنزيمات الشيموبابين في بلادهم . فانطلق هؤلاء يتوافدون على مستشفيات كندا ، فلا يكاد يمضي عليهم أيام معدودة حتى يعودوا الى بلادهم سالمين معافين .

ومن طريف ما يذكر هنا أن الدكتور هوارد نوبل Dr . H . Bates Noble وهو من جراحي العظام المعروفين في مدينة شيكاغو ، درج على تحويل مرضاه الى كندا للمعالجة بالشيموبابين بدلا عن عملية الانزلاق التي كان بوسعه اجراؤها لهم . . واتفق أن أصيب الدكتور نوبل بآفة الانزلاق وبألمها المبرح . . وفي ذلك يقول : (كان على أن أقرر . . فأما الجراحة . . وأما الشيموبابين) . ولم يتردد طويلا . . ويمم شطر مدينة تورنتو ومستشفى ولزلي فيها . . حيث يمارس الدكتور أيان مكتاب طريقة الشيموبابين في معالجة حالات الانزلاق الغضروفي . . وفي غضون يومين عاد الدكتور نوبل الى عمله في شيكاجو وقد شفي غضروفه وعوفي من آلامه . .

ولم تغفل دائرة الغذاء والدواء في واشنطن (F.D.A) عما كان يجري في كندا . . بل أنها أولت الطريقة الجديدة مزيدا من اهتمامها طوال الستينات والسبعينات . . حتى جاوز عدد الحالات التي أشرفت على معالجتها بالشيموبابين (١٥٠٠٠) حالة . . . وقد تحقق نجاحها التام في أكثر من ٧٠ ٪ منها . . لا غرابة اذن أن وجدت الوكالة في ذلك ما يبرر اقرار المعالجة بالشيموبابين مجددا .

هذا وتتميز الطريقة الجديدة بالبساطة . . فهي لا تعدو كونها مجرد حقنة . . كحقنة البنسلين مثلا . . . غير أن حقنة الشيموبابين تحقن في القرص الفقاري التالف . . وفي نواته الجلاتينية بالذات . . . ويتم ذلك بواسطة محقنة (Syringe) ذات ابرة طويلة ١٥ سنتمترا) وبمقدار ١ ـ ٥ , ١ مليمتر من الشيموبابين .

والغريب أن تلف الغضروف أو انزلاقه يزول تماما ويزول معه ضغطه على الاعصاب وألمه ، وكأن شيئا لم يكن وذلك فور حقن الانزيمات فيه ، ذلك أن الانزيمات تذيب ـ نواته ـ فتقضي على الاجزاء الناشزة منه وعلى آلامه في ثوان معدودة . .

هذا ولا يستغرق التحضير لعملية الحقن هذه أكثر من ساعة . . ولا يتطلب اجراؤها الاقامة في المستشفى أكثر من ٢ ـ ٥ أيام . . أما تكاليفها فزهيدة جدا بالمقارنة مع تكاليف العملية الجراحية .

والشيموبابين ، وهو مادة نباتية ، كما ذكرنا . . بلا مخاطر تذكر على ٩٩٪ من الناس . . ولعل أثره الجانبي الوحيد هو أنه قد يحدث صدمة في الجهاز التنفسي Anaphylactic Shock . . في قلة من الناس (١٪) أو دون ذلك . وعندئذ يسهل على الطبيب المعالج التغلب على تلك الصدمة . . كما يسهل عليه تجنبها مسبقا . □□

شهيد الزمن الأحدب

شعر : محمود عبد الغفار دياب

أضحى منبوذا كالأجربْ   تنهشه الذكرى كالعقربْ
تبكيه دموع دامية   تتساءل : أيان المهرب
مشلول الخطو يطارده   غدر مجنون لا يتعب
وئدت أحلام طفولته   كلطيم ضيّعه الأقرب
نهشته ذئاب جائعة   بقرته وقالت : لا تغضب
حشرجة الروح تحركه   والقاتل من دمه يشرب
صلبوه وحيدا عريانا   والموت بمهجته يلعب
تتوعد عيناه الدنيا   سملوها صاحت : « لن يرهب »
يمناه أشارت ويلكمو   قطعوها والزند تصلّب
فتحامل يوسعهم ركلا   بتروا ساقيه ، وما أذنب
كتبت يسراه وصيته   بدم فى رمل يتلهب
« الحريات لها ثمن   وبغير دماء لا تُكتب »
« سأموت لتحيا يا وطنى   قسما بترابك لن نغلب »
« اصرار الحق يحققه   والباطل يزهق أو يصلب »
قبله الموت برحمته   فاستشهد فى الزمن الأحدب
تركوا أشلاء جريمتهم   نهبا لنسور أو ثعلب
نثروه بلا كفن مِزقًا   بخلوا بالقبر فلا تعجب
زلزلت الأرض لمصرعه   والحور العين به تذهب
وسمعت نداء أسعدنى   والشرق عيون تترقب
« ما مات شهيد تعرفه   وسيبعث عملاقا أصلب »
« والقاتل مقتول يوما   مادام الثأر له مطلب »
« والحق سيعرف صاحبه   ما عاش لأخطار يركب »

مَكانة الأرض في الأدب الصّهيوني

بقلم : حلمي عبد الكريم الزعبي

□ طرحت الحركة الصهيونية منذ اليوم الاول لنشأتها شعارا يدعو الى ضرورة ربط اليهودي بالارض . ولقد أولت هذه الحركة في ادبياتها قضية الارض وربط اليهودي بها اهتماما كبيرا وبارزا على اساس انه قاعدة اساسية من قواعد مايسمى بالوطن القومي اليهودي .

ووضعت الحركة الصهيونية ، وكل الذين انضووا تحت رايتها ، نصب اعينهم هدف الهاب الشعور بضرورة العودة الى الطبيعة ، فكان ان لجأت الى تجنيد الادباء من شعراء وكتاب ومفكرين للترويج لهذه المقولة والدعوة اليها وتحريض اليهود في كل مكان على قبولها واعتناقها .

وقد ظهر ذلك جليا في تناول الادباء الذين كتبوا باللغة العبرية واليديشية في روسيا القيصرية وفي أوروبا الشرقية . فقد حاول هؤلاء ما وسعتهم المحاولة ان يعطوا هذا الشعار ابعادا جديدة وخاصة اولئك الذين امتلكوا ناصية الشعر والنثر .

ولاغرو ان تشغل هذه المسألة الشعراء والروائيين الصهاينة وان تكون حافزا في شعرهم ورواياتهم ونتاجاتهم الأخرى . وقد لجأ هؤلاء

الى التنقيب في الماضي عندما حاولوا احياء اللغة العبرية التي ماتت قبل اكثر من ٢٠٠٠ عام وصولا الى هدفهم في ايقاظ المشاعر والنوازع النفسية لدى اليهود . لذا حاولوا ان يعطوا شعار الارض مضمونا يستمد قوته من التلمود ، ومن اساطير الماضي ، ومن الحديث عن الارض واهمية الارتباط بها ، وكيف أن الابتعاد عن هذه الارض هو الذي دفع باليهود الى المنفى ، وان العودة اليها سيضع حدا لمعاناة هذا المنفى .

وعمل المفكرون الصهاينة على تناول هذه المسألة بشيء من الرومانسية التي اجادها ادباء وشعراء ، امثال حاييم بياليك وشالوم عليخم ، واحاد هعام وحاولوا زرع حب الارض في نفوس اليهود ، واستهواء الطبيعة وجمالها .

وقد برزت في افكار الكتاب والشعراء الصهاينة الدعوة الى الطبيعة ، كما ظهر ذلك في النماذج التالية الشعرية منها والنثرية .

الارض والطبيعة

فعلى سبيل المثال كرس الشاعر الصهيوني مناحيم بياليك ديوانه الشعري « ارض صهيون » كله للتغني بالارض ومنافعها وخيراتها .

فجاءت قصيدته التي نورد بعض ابيات منها منسجمة مع الشعار الصهيوني الذي يقول :

من ينقذني من الجوع
من يطعمني خبزا وفيرا
ومن يسقيني كأس حليب
لمن الشكر ولمن الثناء
للعمل والارض . . . .

ويتناول شاعر صهيوني قديم هو شلومو شالوم هذه المسألة في شعره فيخصها بعناية خاصة ، ويحاول ان يرتقي بالعلاقة بين الانسان والارض الى مرتبة التقديس :

يا ارض نحيا بحياتك
يا أرض نحتفي بعيدك
ونتشبث بجذورك
ونكتسي بنسيجك يا أرض

ويواصل دعاة الحركة الصهيونية مهمتهم في زرع « حب » الارض في نفس اليهودي ، فينبري شاعر آخر وقبل حوالي قرن تقريبا ليغني للمحراث والارض فيقول :

بالمحراث
ورثت كل سعادتي
كل حياتي الهانئة المطمئنة
لاينقصني شيء
أنهض من نومي
أسعى الى مصدر رزقي
هناك بين تراب الارض
يكتنز كل الخير
هناك اللبن والعسل
هناك في جوف الارض

وغنى شعراء صهاينة كثيرون امثال الترمان وشلوميسكي وابراهام بين وعشرات غيرهم للارض ، للجبال ، للسهول ، لحظيرة البقر ولقطعان الاغنام وللكرمة .

وتناول الآخرون من « الادباء » الذين عبأتهم الحركة الصهيونية او الذين يدينون لها بالولاء هذه المسألة خلال نتاجاتهم الاخرى فها هو أحد هعام يقول لاتستطيع ان تكون واحدا منا . . من عشاق صهيون وانت تعرض عن حب الارض ، فحب الارض هو حب صهيون . كلا لاتستطيع ان تكون واحدا منا وانت بعيد عن الطبيعة الخلابة وعن نسيمها العليل ، عن الارض التي تدر حليبا وعسلا ، فاعط حبك للارض ، فالعودة الى الارض عودة الى صهيون ، ونهاية للمنفى بكل آلامه ومعاناته » .

كما ركز غيرهم من دهاقنة الفكر الصهيوني امثال شالوم عليخم وبنيسكر وبير وسكولوف وبيري كتسنلسون على المقولة الصهيونية ،

مشددين على انه لايمكن « للوطن القومي » أن تقوم له قائمة الا بعودة اليهود الى الارض ، وهكذا اضحى شعار العودة الى الارض شعارا مركزيا من شعارات الحركة الصهيونية .

ربط اليهود بالارض

ان اية معالجة للشعار الصهيوني الداعي الى ربط اليهودي بالارض تتطلب منا العودة الى الوضع الاجتماعي والاقتصادي لليهود قبل ظهور الحركة الصهيونية . فمثل هذه العودة ستساعد ولاشك على تبيان الارضية التي انطلق منها هذا الشعار ، وكذلك مغزاه ودلالته .

كانت الجماعات اليهودية المؤثرة تنتشر في أوروبا الغربية وأوروبا الشرقية ، ولكل جماعة ظروفها واوضاعها . ففي الغرب تميز مجتمع الجماعات اليهودية بالطابع البرجوازي السائد في الغرب . وكان اليهود يشكلون قطاعا بارزا ومؤثرا من البرجوازية الغربية . ومن هنا برزت البيوتات اليهودية المشهورة ، أمثال روتشيلد وهيرسي ، حيث كانت هذه الاسر رمزا للقوة والتسلط المالي للبرجوازية اليهودية بين الطبقات الوسطى في الاقطار الغربية .

وكان النشاط الاقتصادي لليهود يعتمد على التعامل برأس المال السائل والاموال المنقولة وكانت هذه المهنة الاجتماعية حكرا على اليهود لاسباب مهمة :

١ - الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي كانت سائدة في تلك الأقطار والتي حتمت وجود فئة تتعامل بالمال المنقول . وامتناع الاشراف والنبلاء ورجال الدين عن امتهان هذه الحرف الوضيعة ، الامر الذي ادى الى احتكار اليهود لها ، وبالتالي ظهورهم كطبقة برجوازية مميزة .

٢ - تراكم رأس المال المنقول لديها خلال العصور وخبرتها في كثير من مجالات التجارة والتبادل الانتاجي . وكان معظم اليهود في بلاد الغرب يعملون بالتجارة والسمسرة واصابوا قسطا وافرا من المال والاثراء ، حتى شاع بين تلك المجتمعات بعض الاقوال التي تصور اليهودي بالقدرة على ابتزاز الاموال ، وعقد الصفقات التي يغبن فيها الطرف الآخر . وهكذا برزت الرأسمالية اليهودية التي اتاحت لليهود خلق نظام الاقتصاد النقدي .

وفي أوروبا الشرقية كان البنيان الاجتماعي لليهود مناقضا لصورة المجتمعات اليهودية في غرب أوروبا . صحيح انه وجدت في أوروبا الشرقية برجوازية يهودية وتجار واصحاب محلات ، ولكن غالبية اليهود كانوا من أرباب المهن الصغيرة ، مثل صناع الأدوات المعدنية ، لهذا لم يمتلك اليهود جذورا في البنيان الاجتماعي لتلك المجتمعات ، فمعظمهم كانوا باعة متجولين وسماسرة وحرفيين . وبالاضافة الى ذلك عاش اليهود في أوروبا الشرقية ضمن مجتمعات مكتظة بالسكان ، ومنفصلة عن بيئاتها بسبب انغلاقها على تلك المجتمعات ، الى الحد الذي جعلهم يبتدعون لانفسهم لغة خاصة هي اللغة اليديشية .

هكذا كانت حالة اليهود فى التسعينات من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، حين بدأت الصهيونية فى الظهور والتطور كحركة سياسية مستندة بشكل رئيسي الى دعم الجماعات اليهودية .

السباحة ضد التيار !

وانه لامر بديهى ان تدرك الصهيونية ان التوجه الى الجماعات اليهودية فى اوروبا بشعار « ربط اليهودى بالارض » انما سيكون سباحة ضد التيار وحراثة فى بحر ، وبناء قصور فى الهواء . وكما قلنا ، كان معظم اليهود فى اوروبا من التجار الذين يقومون بمبادلاتهم على نطاق

واسع فى عواصم عديدة . وكان معظم هؤلاء من كبار اصحاب البنوك وبيوت المال والبرجوازية المتغطرسة ، وانطلاقا من الادراك بأن « قومية » اليهودى هى « قومية » التاجر ، و« قومية » رجال المال وعلى الاخص فى الغرب ، فلم تحاول الصهيونية ان تروج لشعارها بين هذه الجماعات اليهودية البرجوازية . فهؤلاء ابعد ما يكونون عن استيعاب هذه الشعارات ، وعن ابداء الاستعداد للتخلى عن دورهم كوسيط للاقتصاد النقدى فى البيئات الاوروبية من أجل أن يعودوا الى « الارض » التى لا تعطى الربح السريع الذى يتطلب بذل العرق والجهد والكد .

وفى ضوء هذا التركيز على يهود اوروبا الشرقية كانت الحركة الصهيونية تراقب مجتمع الجماعات الأوروبية الشرقية ، وتدرس وضعها عن كثب ، مما مكنها من استيعاب القوانين الأساسية لعملها هناك . ومن هنا فانها كانت تعتقد ان طرح شعار « ربط اليهودى بالارض » توطئة لتهجيره ، ستتلقفه الجماعات اليهودية ، وستستقبله كاستقبال الارض الظمآنة للمطر .

أسباب التمسك بشعار الأرض

على ان ثمة أسبابا أخرى دفعت الحركة الصهيونية الى حمل شعارها لنشره بين يهود اوروبا الشرقية .

السبب الاول ، ويتعلق بالبنيان الاجتماعى لليهود فى اوروبا الشرقية ، وقد سبق ان خضنا فى موضوعه ، هذا الوضع الذى جعل يهود اوروبا الشرقية غير مستقرين ، يتنقلون من مكان الى آخر بسبب ما تتطلبه حرفهم . يضاف الى ذلك الاضطهاد الفعلى او الوهمى الذى تعرض له اليهود مما جعلهم ينكفئون ، حسب ما ترويه مصادرهم ، فى احياء « الجيتو » والانغلاق على البيئات الاخرى . وقد تصورت الصهيونية أن أوضاعا كهذه تمثل أرضا خصبة تساعد على نشر شعارها .

السبب الثانى سبب سياسى ، فمن الأهمية بمكان أن نوضح أن اليهود فى اوروبا الشرقية كانوا حتى نهاية الحرب العالمية الثانية من المعارضين للصهيونية . وكان هؤلاء يعيشون وسط بحر من الأفكار التقدمية والاشتراكية ، لهذا كانت الحركة الصهيونية تخشى على هؤلاء من هذه الافكار أن تجرفهم بتيارها ولا سيما بعد ظهور حزب (البوند) حزب الطبقة العاملة اليهودية الذى تبنى خطا معاديا للصهيونية .

ومن هنا فقد ارتأت ان الاسراع فى طرح هذا الشعار والدعوة للهجرة الى فلسطين سيكونان بمثابة سد منيع يدرأ عن اليهود خطر هذه الافكار ويباعد بينهم وبين الذوبان والاندماج فى مجتمعات اوروبا الشرقية . وقد سلك الصهاينة فى اوروبا الشرقية مسلكا دعائيا قويا مضادا لتلك الافكار الى الحد الذى جعلهم تحت دواعى الخوف ينشئون احزابا صهيونية تعتنق الافكار الاشتراكية ، وحاولت ان تقرن الاشتراكية بالصهيونية ، مثل حزب « عمال صهيون » « وعشاق صهيون » عملت على دفع اليهود باتجاه فلسطين .

السبب الثالث هو سبب دعائى ، كانت الحركة الصهيونية تنطلق فى نشاطها بين صفوف اليهود فى اوروبا الشرقية من خلال حضور ثقافى تمثل فى ظهور عدد من الشعراء والادباء والمفكرين بين يهود اوروبا الشرقية .

الصهيونية الادبية

ولا نجافى الحقيقة لو قلنا ان الصهيونية الأدبية سبقت الصهيونية السياسية ، فالشاعر الصهيونى مناحيم ياليك كان شاعر الصهيونية الأول ، وكان أول من غنى للصهيونية ، وروج لافكارها ، وندب حظ اليهود فى منافيهم ،

يتغنى بجمال صهيون وهو يناجي عصفورة حطت على فنن بالقرب من منزله فتصورها قادمة من ارض صهيون ، كما كان الفيلسوف الصهيوني أحاد هعام هو اول من قال :

« ان الامل الكبير الذي يراود اليهود في منافيهم يمثل خلاصة الحياة ، وهو الذي يدفعهم الى الامام ، الى الهدف الذي يبدو بعيدا ، هدف العودة الى ارض صهيون . الى العمل في ارض آبائهم التي تنتظرهم منذ الفي عام » . ومن خلال هذا النتاج الادبي (شعرا ونثرا ، رواية وقصة) الذي تدفق فوق صفحات الصحف التي بدأت تصدر بالعبرية والايديشية في روسيا القيصرية ودول اوروبا الشرقية نفذت الحركة الصهيونية الى يهود اوروبا الشرقية . واذا اعتبرنا ان الادب في ذاته يمتلك الاسباب الدعائية بطريقة مباشرة او غير مباشرة فاننا لا يمكن الا ان نقول بان الادب الصهيوني كان منذ بداية ظهوره ادبا دعائيا يكرس لخدمة اهداف محددة .

وهكذا فان الادب الصهيوني لم يقف بمعزل ، في يوم من الايام ، عن اهداف الحركة الصهيونية واساليبها ، فهو واحد من ادواتها المنفذة والمخططة في آن واحد .

لقد اخذت الصهيونية تجير الأدباء والأدب الصهيوني لخدمة شعارها « اليهودي والارض » من اجل صياغة مفاهيم ثقافية وأنماط حياة جديدة لليهودي بحيث يتم اعداده الاعداد المناسب قبل تهجيره الى فلسطين ، فكانت محاولاتها تهدف الى اعطاء مضامين جديدة لحياة اليهود لتشكل في النهاية شخصية اليهودي المستقر وليس التائه والجوال ، الملتصق بالارض الذي يزرعها بالعرق والجهد .

وواضح ان هذا التصور لليهودي المزارع المرتبط بالارض والمستقر فوقها والمستغل لخيراتها والمنتفع بانتاجها ومحصولها هو الذي أملى على الحركة الصهيونية ان توجه اليهود خلال الهجرة الثانية في اواخر القرن الماضي وبداية هذا القرن الى العمل الزراعي .

وليس من المدهش ان نجد الحركة الصهيونية تلجأ الى انتقاء المرشحين للهجرة من اليهود الذين ينتمون الى طبقات كادحة ، أو من الذين لا يملكون عملا مستقرا في اوروبا الشرقية ، بينما احجمت عن مطالبة افراد الطبقة البرجوازية في اوروبا بالهجرة ، لمعرفتها ان ذلك لا يجديها نفعا .

ولو ان الحركة الصهيونية توجهت بدعوتها الى يهود اوروبا الغربية ، فان مثل هذه الدعوة كانت ستمنى بالفشل الذريع ، اذ ان اليهود الذين اصابوا نصيبا من الثراء والجاه لم يكونوا راغبين في التخلي عن أوضاعهم ، واستئصال ذاتهم في سبيل الحلم الصهيوني ، وفي سبيل « وطن قومي » ضيق الرقعة لا تتوفر فيه فرص ومجالات لنشاطهم .

وليس غريبا ان يستجيب يهود اوروبا الشرقية لنداء الصهيونية ، بعد ان تحول ـ معظمهم ـ الى منبع رئيسي نهلت منه الصهيونية تأييدها ، اذ استمدت منهم معظم القادة والرواد والمهاجرين .

الشعارات والتطبيق

هنا نصل الى النقطة الحاسمة في وضع الشعار الصهيوني موضع التطبيق مع بداية تدفق موجات المهاجرين من اوروبا الشرقية . فعندما بدأت هذه الموجات تصل الى فلسطين كانت توجه الى المناطق لاقامة المستوطنات ، فأقيمت مستوطنات كثيرة .

وقد جاءت موجات الهجرة الرئيسية الاخرى بعد الحرب العالمية الاولى كموجة الهجرة الثالثة عام ١٩٢١ التي عرفت بحركة الرواد ، لتعطي التوجه الصهيوني الى الارض والزراعة دفعة جديدة ، اذ ان الحماس والاندفاع تجاه الزراعة كان غير عادي واكتسب صفة التقديس ، وذلك لان العناصر الصهيونية التي تم تهجيرها كانت

مدفوعة بحماس لفكرة « الوطن القومي » ولشعار « ربط اليهودي بالارض » . ونظرا لانتماءاتها السياسية وارتباطها بحركات سياسية صهيونية فقد ركزت على العمل الزراعي . وقد انعكس هذا التركيز على الزراعة من خلال اقامة عشرات المستوطنات التي تعتمد على الزراعة والتوجه الى استصلاح الأرض وتجفيف المستنقعات ، ويمكن القول بأن الغالبية العظمى من المهاجرين آثروا العمل الزراعي على غيره ، فكان اختيارهم للاقامة في المستوطنات يكمن وراء هذا الاهتمام بالزراعة ، الذي ابدته زعامة الاستيطان الصهيوني في فلسطين وكذلك المستوطنون المستقدمون من الخارج ، وذلك لتحقيق عدة اهداف اهمها :

١ ـ تحقيق الاهداف الايديولوجية الصهيونية التي تركز على اليهودي المزارع والمنتج ، وتحقيق الهدف الايديولوجي في « العودة » الى الأرض وذلك بهدف خلق نوع من الارتباط والتجانس بين الانسان والارض من اجل احداث تغيير جذري في نمط التوزيع الوظيفي لليهود بعد ان كان يميل لصالح نشاط الخدمات .

٢ ـ الاسراع في استيعاب المهاجرين في السنوات الاولى واستثمار الاراضي العربية .

٣ ـ خلق نمط من الاستيطان الزراعي للمهاجرين يؤدي الى شكل معين من التنظيم الانتاجي بهدف تحقيق زيادة الانتاج ، وتحقيق درجة من الانتشار ، والتوزيع السكاني بما يخدم اهداف الدفاع الاقليمي .

وقد اتخذ هذا الاهتمام العديد من المظاهر والتي تمثلت في تخصيص نسبة ٦٠٪ من جملة الاستثمارات من الفترة ما بين عام ١٩٢٠ وحتى عام ١٩٣٠ للزراعة و٣٠٪ من عام ١٩٣٠ وحتى عام ١٩٣٦ للغرض نفسه وهذه السنوات هي السنوات التي شهدت موجة من الهجرة الجماعية اعتبرت من اكبر واوسع موجات الهجرة ، بينما بلغت الاستثمارات في الصناعة ١٥٪ .

واستوعبت الزراعة اليهودية خلال الفترة ذاتها ما يقدر بـ ٤٦٪ من القوى العاملة ، وهذه النسبة لا تشمل الصناعة المرتبطة بالزراعة أصلا والمعتمدة على الانتاج الزراعي .

وفي الواقع عاش شعار الحركة الصهيونية القائل « بربط اليهودي بالارض » احلى ايامه وعزه الذهبي في العقد الثاني والثالث والرابع والخامس .

وقد وجد هذا الحماس للارض تعبيرا له في الادب الصهيوني . فها هو الشاعر الصهيوني جولد يبرغ يتحدث في شعره عن الارض والطبيعة :

في كل ليلة يرنو القمر
الى الزهور التي نمت براعمها في الحدائق
الى اشجار السرو التي احاطت البساتين
يرنو القمر في كل ليلة
الى حظيرة الابقار والاغنام
الى السهول الخضراء المترامية
الى المراعي المكسوة بالعشب
الى الجبال التي تغطيها اشجار البلوط
الى مياه الجداول المتلألئة كاللجين
يرنو القمر في كل ليلة

ان الصورة التي يقدمها الادب الصهيوني للعلاقة بين اليهودي المهاجر والارض تحاول ان تعطي نموذجا مثاليا .

وهذا شاعر صهيوني آخر هو اهرون بين يغني للارض ويقول :

هيا بنا يا أبناء
لم يعد لدينا وقت للفراغ
ابنوا ايها البناة
بلا خوف ولا كلل
لنبني جميعا ارض الأباء
فأرضنا تدعونا شيبا وشبابا
لنعطيها جهدنا وعرقنا
ففيها وفي اعماقها يكمن وجودنا □□

مستحضر اليونسيف الجديد للقضاء على الاسهال

عدو الأطفال هو الاسهال وليس الجدرى أو الطاعون أو شلل الاطفال .. حسبك أنه بسبب الوفاة لحوالي ٥ ملايين طفل سنويا .. على أن التجفف (dehydralion) ومايرافقه من فقدان الأملاح هو سبب الوفاة الرئيسي والمباشر في أكثر حالات الاسهال . . .

من هنا كان الاهتمام الذى أولاه للموضوع اخصائيو الصحة العامة العاملون في عدد من الدول النامية والتابعون لمنظمة اليونيسف UNICEF (المنظمة الخاصة بالأطفال والمتفرعة عن هيئة الأمم المتحدة)

فقد نجح أولئك الاخصائيون في تطوير علاج للتجفف سموه ، اختصارا ، أورت (ORT) .. وقد وضع هذا العلاج موضع التجارب الميدانية على نطاق واسع ..

فثبت نجاحه في الأردن في ١٧٢٠ حالة من مجموع ١٧٣٢ حالة ..

واستعمل العقار أيضا في كافة مستشفيات كوستاريكا حيث نقصت وفيات الأطفال بنسبة ٨٠٪ منذ استعمال العقار في ذلك البلد المعروف من بلدان امريكا اللاتينية .

ولعل أول ما يقال عن أورت ORT هو أن الكلمة اختصار للاسم الكامل وهو : (Oralehydration Therapy) وقوامه الماء مضافا اليه الجلوكوز وملح الطعام .. وذلك بالنسبة التالية :

لتر واحد ماء عذب + ٢٠ جرام جلوكوز+٣,٥ جرام ملح ، ويمكن الاستعاضة عن كمية الجلوكوز - في حالة عدم توفره ، باربعين جراما من السكر العادى المستعمل في المنازل .

ويحتوى مستحضر الأورت بالاضافة الى ما ذكرنا .. ٢,٥ جرام كربونات الصودا و ١,٥ جرام من كلوريد البوتاسيوم ..

ولئن كانت هذه المواد تحسن مستحضر الأورت .. الا أنها ليست أساسية ويمكن تعاطى المستحضر بدونها .

فصام الشخصية .. هل هو مرض معد .. ؟

مرض (الاسكيزوفرينيا) مرض عقلي أو نفسي يتسبب بانقسام الشخصية أو انفصامها .. لذا كان الاسم العلمي الذي صاغوه بالعربية هو الفصام . . .

وعلى قدم عهد البشرية بهذا المرض ، وقدم عهد الأطباء والعلماء بأعراضه وأساليب علاجه . . . فان طبيعة الفصام وأسباب الاصابة به ما زالت مجهولة .. لذلك كانت الابحاث التي أجراها العالمان الامريكيان أرنولد شايبل Scheibel وتلميذه جويس كوفلمان . . . على جانب من الأهمية . . . فقد تبين لهذين الطبيبين النفسيين العاملين في جامعة أوكلا في كليفورنيا .. تبين لهما أن علة المرض انما تكمن في جزء واحد من أجزاء المخ ، دون غيره . . . أى المركز العاطفي .. فالخلايا

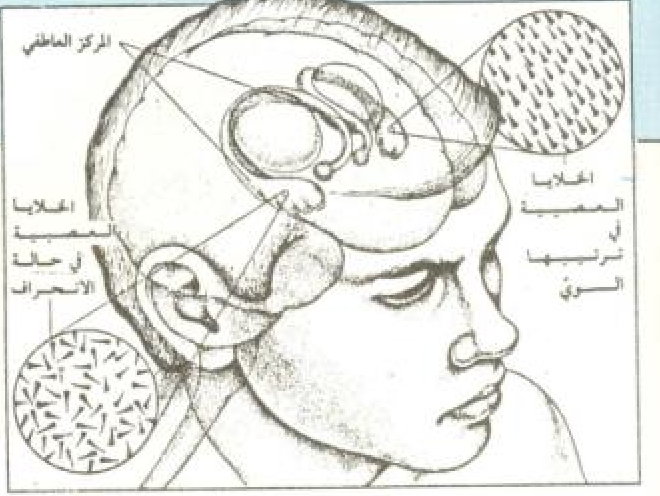

العصبية في هذا المركز تنحرف وتفقد ترتيبها في المصابين بمرض الفصام ... (انظر الرسم) . وتبين لهما أيضا أن مدى انحرافها يقرر مدى الاصابة بالمرض ... فقد يبلغ انحرافها ١٨٠ درجة أو ٩٠ درجة ... فيكون المريض في الحالة الأولى أسوأ حالا منه في الحالة الثانية ...

ويذهب العالمان الى أن الاصابة بالفصام تكون في الثلث الأول من فترة الحمل ... أي أنه يصيب المرء وهو جنين في بطن أمه ... ويصيبه تبعا لآفة أو علة وراثية أو بسبب عدوى فيروسية ... ويعجب العالمان وغيرهم لأمر هذا المرض الذي يصيب الجنين ولا تظهر أعراضه الا في مرحلة متأخرة من النمو ...

الفيتامينات لا فائدة ترجى من تناولها ..

هل ينصح الأطباء بتناول حبوب الفيتامينات .. لضمان المزيد من الحيوية والنشاط ؟ الجواب .. لا !

هذا ما يؤكده التقرير الخطير الذي نشرته مجلة وتش (Which) في شهر يناير الماضي ١٩٨٤ والمجلة المذكورة يصدرها اتحاد المستهلكين في بريطانيا .. وهو اتحاد كبير ذو نفوذ واسع ..

ويؤكد التقرير ايضا ان المبالغ التي انفقها الانجليز على شراء الفيتامينات ، وقد بلغت بمجموعها ٤٥ مليون جنيه استرليني في السنة الماضية ١٩٨٣ ، هذه المبالغ ذهبت هدرا ... ذلك ان الناس جميعا يحصلون على ما يحتاجونه من الفيتامينات من الطعام الذي يأكلون يوما بعد يوم .. فهذه الوجبات اليومية كفيلة بامداد الجسم بحاجاته اليومية من الفيتامينات وفق تقديرات دائرة الأمن الصحي والاجتماعي البريطانية Department of Health and Social Security وهي نظيرة دائرة الغذاء والدواء الامريكية (F.D.A.) .

وتجدر الاشارة الى ان التقرير المذكور قد استند الى ابحاث وتجارب علمية اجريت في شهر يونيه الماضي (١٩٨٣) تحت اشراف مجلس الثقافة الصحية Health Education Council وقد دلت تلك الأبحاث على ان ٢٠٪ من الانجليز عامة يقبلون على شراء الفيتامينات وتناولها .. وان ٤٣٪ من هؤلاء يعتقدون ان هذه الفيتامينات تنقذهم مما يعانون منه من تعب او اعياء او خمول او ميل للنوم Lethargic .

ولو فطن هؤلاء الى امكانية حصولهم على تلك الفيتامينات بالمجان دون مقابل ، وذلك من شتى الاطعمة التي يأكلونها كل يوم .. والتي يستطيعون تعديلها بحيث تمدهم بمزيد من فيتامين (ج) أو (ب) مثلا .. وفق ما تحتاجه أُجسامهم ... لما بددوا تلك المبالغ الضخمة على شراء ما لا يفيد ولا ينفع .. بل قل يُسبب

الجديد في العلم والطب

الضرر في بعض الحالات .

ذلك أن فيتامين (أ) وفيتامين (د) قد يسببان الأذى او حتى التسمم فيما لو اخذا بمقادير كبيرة ..

وما يصدق على الفيتامينات يصدق ايضا على الأملاح المعدنية ... كالحديد مثلا .. فهو يسبب التلف لبطانة المعدة اذا اسرف المرء في تناوله .

وتجدر الاشارة الى ان تقرير مجلة (وتش) لم يحظ باجماع الخبراء والأطباء .. وان بعض الأطباء المختصين بشئون التغذية ، كالدكتور درك شريمبتون (Derek Shrimpton) المدير العام لمؤسسة التغذية البريطانية The British Nutrition Foundation وقد علق على التقرير بقوله : « ان بعض الفئات من الناس تستفيد في الغالب من تناول الفيتامينات . كالحوامل والمسنين .. وذوي الدخل المحدود » .. ويضيف الدكتور الى ذلك قوله : ان الفوائد التي تنسب الى الفيتامينات وهمية في الغالب ..

ولعل المصانع التي تنتج هذه الفيتامينات هي المسئولة عن ترويج تلك الفوائد واقناع الناس بحقيقتها ، وذلك ضمانا لبيع المزيد منها وجني المزيد من ارباحها .. وفي ذلك يقول (Boots) بوتس احد كبار أصحاب مصانع الفيتامينات في بريطانيا : « نحن لا نزعم ان تناول الفيتامينات ضروري جداً أو لا غنى عنه ولكننا نعتقد ان الفيتامينات تعود على المرء بفائدة في بعض الحالات .. حالات الارهاق الشديد وحالات النقاهة من الأمراض .. على سبيل المثال » ..

حشوة جديدة للأسنان المتسوسة

كان تسوس الأسنان مشكلة الناس جميعا ، وشغل أطباء الأسنان الشاغل .. وكانت حشوة الملغم (مزيج الزئبق بأحد المعادن) هي الحشوة المفضلة لملء نخور ذلك التسوس .. ولكن تلك الحشوة كانت أشبه بالرقعة .. تتأثر بالسوائل ، الساخن منها و البارد ، ومآلها الى التلف والسقوط ، ان عاجلا أو آجلا .. وقد قبلها المرضى ورضى عنها الأطباء ، مصداقا للمثل القائل :

ان لم يكن ما تريد فأرد ما يكون ...

ولكن التكنولوجيا غيرت تلك الحال ومكنتنا من الحصول على ما نريد .. فقد ابتكرت حشوة جديدة لثقوب تسوس الأسنان تماما كما تمناها المثاليون من الأطباء ..

ذلك أن الحشوة الجديدة ليست بحشوة على الاطلاق ... فهي نسيج من مادة الاسنان نفسها .. الميناء تولد في الثقب فلا تلبث أن تلتصق ، بل تلتحم بجدرانه وتصبح جزءا لايتجزأ من السن ، ويصبح الثقب أثرا بعد عين .. ومن مزايا الحشوة الجديدة أنها لا تتأثر ببرودة ولا بسخونة وأنها لا تتلف كحشوة الملغم القديمة .. ثم انها والسن صنوان .. لونا ولمعانا ، ولا سبيل الى التمييز بينها وبينه .

والسر في ذلك انما يعود الى الهندسة البيولوجية (أو الوراثية) .. فقد نجح العلماء في عزل الجينة (gene) المختصة بصنع الميناء .. ونجحوا في حملها على افراز الميناء أو توليدها وذلك بوضعها ضمن خلايا الخميرة ..

وليس لدينا من التفاصيل أكثر مما ذكرنا .. فان طلبت المزيد فما عليك الا الاتصال بالعلماء الذين وفقوا الى تطوير هذه الطريقة ، وهم فريقان ... فريق من علماء جامعة كارولينا الجنوبية .. وفريق من علماء كلية بايلر baylor في هيوستون في ولاية تكساس .

مقالات في كلمات

● الرجل الذي لايعرف نواحي القوة فيه هدف سهل للمرأة التي تعرف نواحي الضعف فيه .

(شارلي شابلن)

● لاينبغي ان تقول كل ما تعرف ولكن ينبغي أن تعرف كل ما تقول .

(كلوديوس)

● قد يفشل المرء كثيرا في عمله ولكن لاتعتبره خائبا إلا اذا بدأ يلقي اللوم على غيره .

(برناردشو)

● المبالغة في شيء تضعفه .

(جان فرانسوا)

● لم يتعلم الحياة بعد كل من عجز عن أن يقهر احد المخاوف كل يوم .

(رالف اميرسون)

● قد يغفر الله لنا ذنوبنا وخطايانا ولكن جهازنا العصبي لن يغفرها .

(وليام جيمس)

● لا يتأوه عاشق مجانا .

(شكسبير)

● الرجل العاقل يخلق من الفرص أكثر مما يجد .

(لورد بيكون)

● إن فضل تحرير البلاد الامريكية عائد الى التعليم الاجباري .

(لويد)

فرانز كافكا

وعالم من الغموض

بقلم: الدكتور حامد رمضان مسافر

☐ منذ مائة عام ولد كافكا . . ومر سريعا في الحياة . . . لكن هذه السرعة لم تمنعه من إبداع روايات اعتبرت جديدة في ميدانها ، وفي بنائها .

لذلك يبدو لي في أحيان كثيرة بأن ما أشار اليه الكاتب الانكليزي كولن ولسن في دراسته القيمة « فن الرواية **The Craft of Novel** » من (أن تأثير الرواية على مر العصور كان أكبر بكثير من تأثير نظريات داروين وفرويد وماركس مجتمعة على الحضارة الانسانية) يحمل في طياته حقيقة لا يمكن ان تخفى على أحد .

فالغالبية العظمى من الناس لا تستطيع أن تفهم النظريات المعقدة سواء كانت ايديولوجية أو نفسية أو اقتصادية . ولكن من منا لم تستهوه احداث قصة قرأ عدة صفحات منها ؟ من منا لم تستهوه متابعة حلقات مسلسلة عربية شدّته من البداية في التلفزيون ؟ ان عنصر التشويق يشدنا الى أبعد الحدود وربما تصور أحدنا ان احدى شخصيات القصة أو المسلسلة تمثله هو نفسه وأن ما يحدث من خطوب وأهوال لهذه الشخصية أو تلك حصلت أو تحصل له الآن . بل كم من سوء التصرف الذي يصل الى درجة المأساة يحصل لمراهقينا أو حتى لكبارنا وهم يقلدون ما قرأوه في قصة أو شاهدوه في فلم .

حصل ذلك على مر العصور منذ ذاك الصباح في ٦ نوفمبر ١٧٤٠ حين استفاق اهالي لندن ليجدوا تلك القصة المسماة « باميلا » على رفوف اكشاك باعة الصحف والمجلات وكان قد كتبها

صاموئيل ريتشارد سون باسم مستعار . لم يفكر أحد وهو يقلب صفحات ذلك الكتاب بأنه سيحدث ثورة في الحياة الاجتماعية للمجتمع البريطاني . ومنذ ذلك الوقت الذي نفذت فيه طبعات كثيرة من قصة « باميلا » وريتشارد سون يعلو نجمه حتى أنه يقال بأن المكتبات العامة في انكلترة أنشئت بعد أن ألح الناس في طلب « باميلا » .

اذن كان تأثير قصة « باميلا » أكبر بكثير من نظريات فرويد وداروين وماركس . وتوالت الروائع منذ أن كتب (شيلر) « اللصوص » والى يومنا هذا حيث جلبت قصة (مائة عام من العزلة) لماركيز شهرة ما بعدها شهرة ، ونفذت طبعاتها حتى في اللغة العربية بينما مؤلفات عالم النفس والاقتصاد وعلوم الحياة لا يقرؤها الا المتخصصون أو يعلوها الغبار على رفوف المكتبات .

وقد احتفل العالم في العام الماضي بالذكرى المئوية لميلاد فرانز كافكا ، أحد ثلاثة عمالقة في أدب القرن العشرين لم يطاول أحد تأثيرهم على البشرية جمعاء حتى الآن . والاثنان الآخران هما جيمس جويس ومارسيل بروست . وقد عرف الكثير منا كافكا من خلال رواياته المترجمة الى العربية ، ومنها المحاكمة أو (القضية) والقصر أو (القلعة) وقصته القصيرة (المسخ)، وربما شاهد الكثير منا في السينما رواية (المحاكمة) التي مثلها أورسون ويلز فأبدع فيها أيما أبداع .

ولد فرانز كافكا في الثالث من يوليه ١٨٨٣ بمدينة براغ في تشيكوسلوفاكيا ، ومر بهذا العالم مرورا سريعا فلم يعش فيه الا أربعين عاما . عاش في اسرة يهودية ثم لم يلبث بعد أن قضى طفولة وصبا طويلتين أن رفض الحياة الدينية اليهودية لأنها تقوم على النفاق أكثر مما تقوم على الايمان . وأصبح حائرا لا يستطيع أن يعود الى دين آبائه لأن عقله لا يطمئن الى هذا الدين ولا يستطيع ان يستغني عن حياة دينية صادقة تعمر القلب وتملأ الضمير ثقة واطمئنانا . وحيرة أخرى انبعثت من صلته بوالده فقد أنكر سيرة أبيه في الدين وفي الاسرة وفي تدبير منافعه التجارية لأنه رآها تقوم مقدما على التسلط ولم ير فيها صدقا ولا اخلاصا . ففي سيرته الذاتية التي كتبها بعنوان (رسائل الى أبي) والتي لم يقرأها أبوه أوضح كافكا بأن فشله في الحياة وهروبه من الحياة الاجتماعية بل تردده في الزواج يعود الى ابيه ، ومن هنا وجد له مخلصا واحدا هو الادب وما تقع يداه عليه من مؤلفات وكتب .

ولعل الشعور بالعجز في الحياة الذي أوجده فيه أبوه هو الذي جعل الادب العالمي يغنى بروائع هذا الاديب الخالدة . فلقد التجأ الى الكتابة ليهرب من جحيم الآخرين في دنيا لم يحبها ولم يدر لماذا وُجد فيها ، لكنه كان ككل الناس

عليه أن يكمل الرحلة التي لم تطل . وربما كان أخص ما يمتاز به فرانز كافكا أشد الامتياز صدقه واخلاصه وبغضه للتكلف وبعده عن التصنع ، وشدة التواضع الذي يأتي من معرفة الانسان قدر نفسه وهو من أجل ذلك كان يكتب لنفسه أكثر مما يكتب للناس ، فقد كان من أشد الناس زهدا في نشر قصصه لا لأنه كان يكابر بها بل لأنه كان يكرهها كما يكره نفسه .

لكنه بعد هذا كله كان أبعد الناس عن الصراحة وأنآهم عن الوضوح فيما كان ينتج من القصص الطوال والقصار . ولم يكن يريد ان ينشر آثاره لكن صديقه (ماكس برود) كان يدفعه دفعا لذلك ، ونشر في حياته قصصا لا تتعدى سبعا في مجلات مختلفة ، وكانت وصيته بعد وفاته سنة ١٩٢٤ لصديقه (ماكس برود) هي أن يحرق كل ما كتبه . ولقد وقف (ماكس برود) حائرا ثم قرر في النهاية ان ينشر جميع قصص كافكا وفاء لذكراه .

ولم تمض على وفاته سوى اعوام قليلة حتى كانت قصصه بعيدة الانتشار في المانيا ثم في أوروبا الوسطى كلها حتى جاوزت أوربا الوسطى الى أوربا الغربية وتلقاها الفرنسيون والانكليز بترحاب كبير ، وأخذوا يكتبون عنها ما يكتبون من التفاسير ، واليوم تملأ آثار كافكا معظم المكتبات العامة وبلغات مختلفة ، ولعل الكثير من الحركات الادبية كالوجودية والسريالية والرمزية وأدب اللامعقول اعتبرت كافكا بطلها في حياته وفي أدبه .

عالم من الغموض

تبدو قصص كافكا غريبة في محتواها غامضة كل الغموض فيما ترمي اليه ، وحتى اشخاص قصصه تتصرف تصرفات تبدو لنا غريبة كل الغرابة لكنها بالنسبة لكافكا طبيعية لأنها تمثل ما يعتمل في داخله من ثورة ضد الحياة وضد البؤس واليأس الذي تجسد في أيامه ، لنأخذ مثلا قصصه الثلاث (القضية والقصر وامريكا) . فستراه في قصته الاولى يبدؤها بداية عادية لكنها غريبة كل الغرابة . رجل يفيق من نومه ذات صباح وينتظر ان تحمل اليه الخادمة طعام الافطار ، ولكن الخادمة لا تدخل عليه بل يدخل عليه رجلان يزعمان له انهما يمثلان الشرطة وأنهما قد أقبلا للقبض عليه ثم يلقيان عليه أسئلة سخيفة يفهمانه بعدها بأنه متهم وانه سيدعى ذات يوم للمثول بين يدي القضاة . وينصرف الشرطيان وهو حائر ومنكر لهذا التصرف وقلق يريد أن يتبين التهمة . لكنه بعد أن يذهب الى عمله كما تعود ان يفعل يحاول ان يقتنع بأنه متهم وان عليه ان يدافع عن نفسه . وذات يوم يدعى بالهاتف الى المحكمة وهو مكان غريب لا صلة له بالمحاكم أو دور الشرطة . وفي اليوم الموعود يذهب فيرى عجبا . . داراً كبيرة قذرة تكثر فيها السلالم والدهاليز ولا يجد الناس طريقهم فيها الا بعد عناء شديد ، وهي دار مسكونة يسكنها أناس فقراء من أواسط الناس . وحين يصل الى غرفة المحكمة يرى جمهورا غريبا وجماعة من الموظفين ، فيجلس في مواجهة القضاة ويحاورهم دون ان يفهم منهم شيئا ، ثم ينصرف وقد ايقن بأنه متهم دون ان يعرف طبيعة التهمة . ويتصل بكبار المحامين وصغارهم وآخرين ليسوا من المحاماة في شيء . ويعده أولئك وهؤلاء بالدفاع عنه وتبرئته ، ولكن أحدا منهم لم يبين له طبيعة التهمة ولم يدله على مكان قضاته . وذات مساء يقبل عليه رجلان في زي رسمي يدعوانه فيستجيب وهو لا يعرف لماذا اقبلا عليه ولأي غرض يدعوانه . وعندما يخرج معهما يأخذه كل واحد منهما من احدى ذراعيه حتى اذا خرجا من المدينة طرحاه على الارض وغمدا خنجرا في قلبه حتى اذا عرف أنه الموت قال : (كما يموت الكلب) وتنتهي القصة .

أغلب الظن ان كافكا أراد بقصته الرائعة هذه ان يصور الانسان كخاطيء لا يشك في

خطيئته ، لكنه لا يعرف طبيعة هذه الخطيئة ولا يعرف كيف دفع اليها ولا كيف تورط فيها ولا كيف يتخلص منها بل ولا حتى امام من يستطيع الدفاع عن نفسه . فهو متأكد بأنه خاطيء ومتأكد بأن هناك قاضيا يعاقب على الخطيئة أو يبريء منها . ومتأكد ان هناك قانونا ينظم عقاب الخاطئين ، ولكنه يجهل طبيعة الخطيئة ويجهل طبيعة القانون ولا يعرف أين يجد القاضي ! ولا يجد الوسيلة التي توصله اليه . ان كافكا يصور الانسان البائس اليائس الذي أجبر على الحياة دون ان يريدها ، وأجبر على الموت دون أن يريده ، وخيل اليه انه حر بين ذلك .

الدعوة الى القصر !

وفي قصة (القصر) تنتهي الى نفس النتيجة اليائسة ، فالبطل هنا قد أقبل من مكان مجهول الى قرية مجهولة يشرف عليها قصر فخم ، وهو يقول للناس انه قد دعي الى هذه القرية . بأمر من القصر ليشغل فيها منصب مساح . ويريد أن يتصل بالموظف المختص في القصر ليتسلم عمله ، ولكنه لا يجد سبيلا الى ذلك . يحاول ان يتصل عن طريق الهاتف فلا يسمع الا أصواتا غامضة لا تدل على شيء . ويحاول ان يتصل بالعمدة فلا يجد عنده علما بهذا المنصب ولا من اختاره لشغله . ويحاول ان يصل الى القصر فلا يجد سبيلا الى ذلك . ويحاول ان يتصل بالقصر بواسطة السعاة الذين يسعون بين القرية وسادة القصر فلا يحصل على شيء . وانما هو الخداع يتبعه الخداع والحيرة تتبعها الحيرة والعناء المهلك والشقاء الذي لا يحتمل . وتنتهي القصة بدون أن يصل صاحبنا الى نتيجة حتى يدركه الموت .

انه الغريب الذي لا يدري من أين جاء ولا الى أين يمضي ، وانما يتصور بأنه قد دعي ، وان له عملا ينبغي ان يؤديه ثم يحال بينه وبين هذا العمل وتضيع حياته في هذه الجهود اللاجدية .

ولو انه استطاع ان يصل الى القصر ويتحدث الى اسياده لوضحت له المعاني . ولكن الاسباب منقطعة بينه وبين القصر . القصر موجود وهو يدير حياة الناس ما في ذلك شك ، ولكنه يدير الامر من بعيد ، ولا يسمح لأحد بأن يتصل به أو يراجعه في قليل أو كثير .

فكافكا اذن لا ينكر وجود القوة الخارقة المدبرة لكنه لا يعرف كيف يتصل بها ليعرف لماذا يترك ولماذا يحتمل ما يحتمل ؟ .

أمريكا أيضا

أما في قصته الثالثة (امريكا) ففيها كما قال ماكس برود (شيء من الأمل) لكنها كذلك لا تنتهي الى غاية . بطل القصة صبي في السادسة عشرة من عمره سخط عليه ابواه لأن خادمة أغوته ، فنفياه الى امريكا حيث تختلف عليه الاحداث . ثم ينتهي به الأمر بعد كثير من المصاعب الى ان يجد عملا كعامل في فرقة تمثيلية غامضة أشد الغموض ، وقد وُضع مع زملائه في قطار ذهب به الى مكان مجهول . وبعدها تنتهي القصة ، ويبقى مصير الصبي مجهولا بعد ذلك . فهل وصل الى المدينة التي أرسل اليها ؟ وما هي الحوادث التي عرضت له أثناء السفر قبل ان يصل القطار الى غايته ؟ وهكذا فإن القصة ناقصة . . . فلماذا لم يتمها كافكا ؟

ان كافكا حسب اعتقادي ترك النهاية مفتوحة لأنه أراد ان يوصل لقارئه قصة الانسان غير المستقر الذي لا يعرف نهايته . . . ولا يعرف مآله بعد الموت .

ان قصص فرانز كافكا من الخصب والقوة بحيث رسخت في الأدب العالمي شامخة كقلعته الخالدة أو قصره المنيف !

ومازال الكُتاب حتى اليوم يحشون في رموزه . . . وأجوائه الغامضة المثقلة بالكوابيس . □□

الحياة جسر لا بد أن يعبر
أنتم يا شباب أكثر عددا وأكفى عدة

تسألني عن مبتدله ، فقد أقول لا أدري .

وتسألني عن منتهاه ، فقد أقول لا أدري .

ولكنه جسر انا موقن أنه لم يوضع هنا عبثا . ذلك أني ما عرفت قط جسرا أقيم حيثما أقيم عبثا .

ولكنه جسر لا بد أن يُعبر .

وزمانكم ، يا شباب العرب ، قد يكون أعسر من زماننا ، مقارنة زمان بزمان . والى هذا الحد أسخو في الرأي ، أطلب رضاكم .

ولكني أعود فأقول اذا انتم قارنتم زمانا بزمان ، فقارنوا كذلك شبابا بشباب ورجالا برجال .

انكم يا شباب اليوم أكثر عددا ، وأكفى عُدّة .

وعلى قدر العدد ، وعلى قدر الكفاية ، ترجى النتائج ، ويرجى تحقيق الآمال .

فاربطوا يا شباب العرب بين صباح أمتكم ومسائها . أنتم ، معشر الشباب ، صباحها ، ونحن ، الأشياخ مساؤها . والمساء خبرة طويلة ثمينة كادت أن تولى ، والذى تغيب عليه الشمس ليس له في هذه الحياة رجوع .

أقول أنتم اليوم ، يا شباب اليوم ، أكفى ، ولكنها كفاية غير كافية .

انها كفاية لا تفي بحاجات هذا الزمان .

ان من سوء ظنا نحن الآباء ، ومن سوء حظكم أنتم الأبناء ، أننا من أمة بين أمم غفت كثيرا ، وغفت طويلا ، ثم فتحت عينيها على وجه من الأرض تبدل ، وحال من سكان هذه الأرض د تغير ، فأمم كانت متخلفة سبقت ، وأمم كانت سابقة تخلفت .

وشيئان استجدا على هذه الأرض ونحن في غفوة .

شيء أسموه علما .

وشيء أسموه صناعة .

ثم تفاعلات في الفكر الانساني قلبت شئون الحياة رأسا على عقب . ومفاهيم شائعة سيارة تغيرت معانيها . وحجب كانت أسدلت على وجوه وعقول تمزقت جميعا ، وتغير معنى الدولة ، وتحددت الأمور فيها بما لم تكن تحددت على مثله من قبل . والفرد صار له حقوق من تعليم ، وحقوق من عمل . وولدت مدنية جديدة ، وأساليب للعيش جديدة لم تقتصر على زمرة في الناس أو زمر ، ولكن شملت أكثر الشعوب حيثما نشأت هذه المدنية . وحتى الذين وقفوا في الصفوف الأخيرة من شعوبهم نالهم من خير هذه المدنية ، مادة وعقلا ، فوق ما نال أمثالهم في صفوف أمم أخرى لها من هذه المدنية حظ قليل .

العدد السادس مايو ١٩٥٩

عالم جديد لا شك فى هذا .

ومدنية عارمة لا شك فى هذا .

عالم جديد ، ومدنية عارمة ، لم يكن كمثلها فى سابق الزمان شىء .

وأنتم ، يا شباب العرب ، لا يمكنكم ان تعيشوا بمعزل عن هذا العالم الجديد والمدنية العارمة . ولو أنكم شئتم تعزلا ما استطعتم . ان هذه المدنية كالماء يعطى الحياة أو هو يغرق . انها كالبحر الذى فاض وأخذ يتسلل فيضه الى كل بقعة مجهولة معزولة من سطح هذه الأرض ، لن ينجو منه من أهلها الا ذو سفين . فالذى لا يكون له سفين يذهب الى القاع . فاين سفينكم ؟

ان العصر عصر ذرة ، شاع أو سيشيع خيرها ، اذا أذن له ، حتى يلف هذه الكرة والعصر عصر ذرة ، ذاع أو سيذيع شرها حتى ما يترك موقعا الا اتاه ، فأهلك فيه راعية وراعيا . ومع الذرة صواريخ لها هى الأخرى خيرها وشرها ، ولكن شرها أوضح وأكثر اغراء .

وكما التهبت الأرض الجامدة بذرات وصواريخ ، كذلك نال العقول من لهيبها لهب ، واستعرت به الأرض أو كادت . فما من أمة الا وبها قلق ، وما من أمة الا وبها توثب وتحفز . والقارات جميعا أخذت تهدر بطونها مسموعة ، هديرا يصل الى بعض الآذان فتحسبه بشير خير ، وهو يصل الى آذان أخرى فتحسبه نذير شر ، وما أكثر ما تختلط النذر والبشائر ، وما أكثر ما تحار فيها العقول . والسماء تلمع بالبرق أشد اللمع ، وتقصف بالرعد أشد القصف ، فقد يكون من ذلك الري الذى ينتظم الأرض جميعا ، وقد تكون الصواعق التى تهلك الناس والسيول التى تغرق الحرث والنسل . .

كأني أسمع من يقول : ومن ذا الذى لا يعلم أن هذا العصر جديد ، وأن مدنيته عارمة ، وأن المستقبل ملىء بارهاصات يتقدمها برق ورعد .

فالى هؤلاء أقول ، ان العلم غير الوعي . والوعي درجات ، منها الوعي السالب ، وتجده فى طرف . ومنها الوعي الموجب ، وتجده فى الطرف الآخر .

الوعي ذو السلب فأشبه بوعى الحالم . انه يعى من وجوده ما يعى الحالم . ثم هو كالحالم يترك المقادير تسوقه الى حيث هى تشاء ، لا الى حيث هو يشاء .

أما الوعي ذو الايجاب فهو الوعي اليقظ أتم يقظة . ذلك الذى يحفزه الواقع المسيء ، أو المستقبل المخطر ، الى أن يقوم فيخطط لحاظره ومستقبله . فهو لا يترك الزمن يخطط وحده . وهو يتدخل فى ارادة هذا الزمن ليشركه فى ارادته بإرادة منه اقوى ، وهو بذلك قد يعدل من وجهته ، وقد يعكس هذه الوجهة عكسا . وهو لا يقول انها المقادير ليس بمستطاع أن يدفعها الانسان دفعا ، وانما هو يفرض ارادته عليها فرضا حتى تصبح ارادته هذه بعض هذه المقادير .

ان هذه الأحداث الجارية ، وتلك الأخرى المنذرة أو المبشرة ، انما تصنعها وتجرى بها ارادات رجال . وقد سبق الى هذا المعنى فيلسوف الألمان ، « شوبنهور » ، فألف كتابا سماه « انما الدنيا ارادة » .

الدكتور أحمد زكي

ليت ما في الغيب يأتي

شعر الدكتور : عيسى درويش

ليت مـا في الغيب يـأتي فـلقـد طـال انتـظاري
كم قـطعت العمر أمشي نــحــو آمــال كــبــار
كــلما لاح بـريـق خـلتـه بـعض نهاري
واذا بـالـليـل يـأتي يـزرع اليـأس بـداري

•••

أيـهـا المجهـول أقبـلْ ربـمـا تـرتـاح عـنـدي
فـأنـا مـثلك طـيف مـرّ من قبـلٍ لـبعدِ
انـني أقـبـل مـا تخـ ـفيه من نـحس وسعـد
كــل مكـتـوب سيـأتي فمتى يـصـدق وعـدي

أيها الآتي الينا   لا تغب عنا طويلاً
فاذا كنت جميلاً   سترى قلباً جميلاً
واذا خيبت ظني   سترى مني قبولاً
فأرحني من عذابي   أصبح الجسم عليلاً

•••

يا صديقي لا تلمني   وعش العمر رغيداً
ودع الأحزان تمضي   واترك الهم بعيداً
روعة الانسان أن يحـ   يا لياليه سعيداً
فتأمل يا صديقي   واجعل الأيام عيداً

الإنسَان يَبني .. الإنسَان يهدم

تلوث الهواء يهدد وجودنا

بقلم: محمود عزو صفر

□ [في الماضي السحيق كانت الطبيعة وحدها هي العامل الأساسي في تلوث الهواء .. وفي تنقيته ، أما اليوم فقد اختل التوازن ، واصبحت قدرتنا على تلويث الهواء ، أكثر بكثير من قدرة الطبيعة على تنقيته .. اننا نتنفس هواء ملوثا ، ومعه أصبحت حياتنا مهددة بالخطر !!]

لم يكن الهواء الذي يحيط بنا في يوم من الأيام نظيفا ونقيا . فلقد كان هذا الهواء دائما ملوثا بالمواد الطبيعية : كالأتربة والغبار التي تثيرها وتحملها الرياح النشطة ، وذرات الملح التي تتصاعد من البحار والمحيطات ، والغازات التي تنبعث من تلف النباتات والحيوانات ، والكميات الضخمة من الغازات وذرات الرماد التي تقذفها البراكين في الفضاء .

ويؤكد العلماء بأن الأرض استطاعت خلال ملايين السنين الماضية المحافظة على التوازن البيئي ، وبالتالي الابقاء على جو الأرض نظيفا ، فالرياح كانت تعمل على مزج وتشتيت الملوثات ، والامطار والثلوج كانت تغسل الجو من هذه الملوثات ، والنباتات تمتص غاز ثاني اكسيد الكربون وتطلق الاكسجين . وهكذا كان الغلاف الجوي يقوم تلقائيا بالمحافظة على

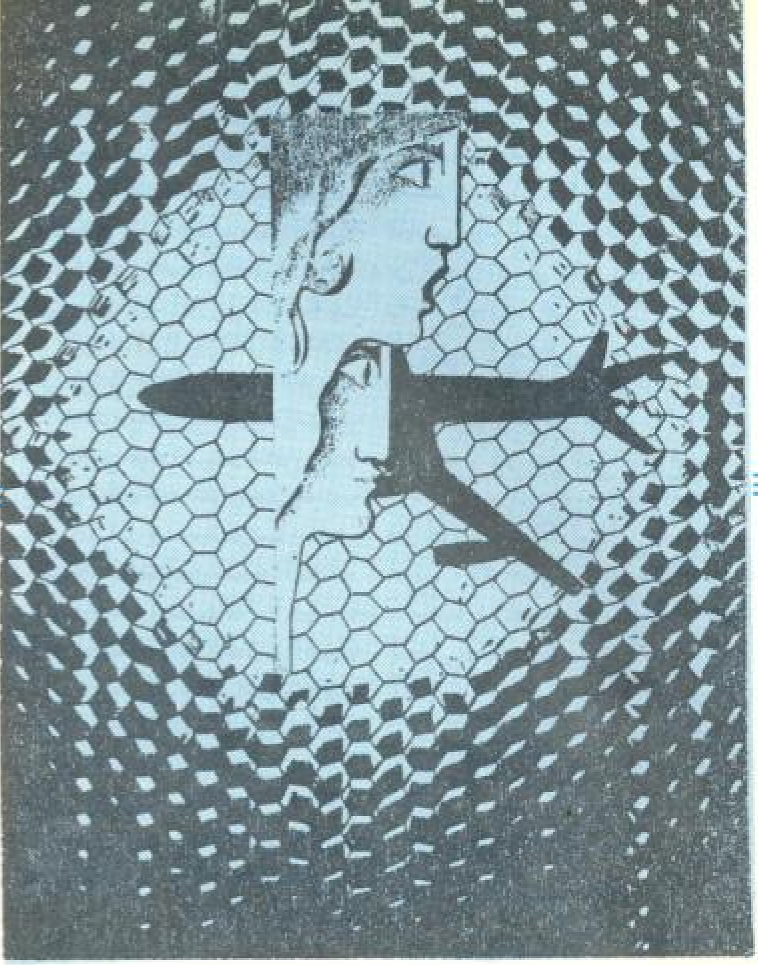

البيئة نظيفة سليمة .

مع قيام الثورة الصناعية وازدياد عدد السكان اختل هذا التوازن حيث أصبحت قدرتنا على تلويث الهواء أكثر من قدرة الطبيعة على تنقيته . ولقد ظهرت آثار هل الاختلال في المناطق التي تتركز فيها الصناعة ، حيث تصب آلاف المصانع الدخان الأسود والغازات الكبريتية في الهواء .

وعندما تكون الأحوال الجوية في منطقة من المناطق مهيأة للابقاء على المخلفات الصناعية قريبة من سطح الأرض لعدة أيام ، فان صعوبة التنفس والسعال أو الرشح والتهاب العيون تنتشر بكثرة بين الناس وخاصة المسنين ، كما تزداد الوفيات بسبب التهاب الرئتين وأمراض القلب . واعتبارا من منتصف القرن التاسع عشر أخذت مآسي التلوث تتكرر في المناطق الصناعية في أوروبا وأمريكا مخلفة وراءها الأمراض والوفيات ولقد صدر في مدينة بتسبرغ بالولايات المتحدة الامريكية أول قانون للتحكم في التلوث عام ١٨١٥ ، كما صدر في عدد من المدن الصناعية قوانين محلية للحد من الادخنة التي تطلقها المصانع في الجو . وكانت انجلترا قد أصدرت في عهد الملك ادوارد الأول عام ١٢٧٣ أول قانون للتحكم في التلوث وذلك للحد من حرق الفحم الحجري واستعمال النيران .

على أن الصورة قد تغيرت نسبيا بعد الحرب العالمية الثانية ، حيث حل النفط والغاز الطبيعي

الى حد كبير محل الفحم الحجري ، ومع هذا فان حدة التلوث قد ازدادت تدريجيا نظرا لزيادة عدد السكان وللتوسع في الصناعة وانتشار وسائل النقل ، حيث بلغ تلوث هواء بعض المدن حدودا خطرة كما هو الحال في مدينة لوس انجلوس حيث يوجد فيها أكثر من ثلاثة ملايين سيارة ، ومن المعروف أن السيارة الواحدة تطلق في العام حوالي طن من غاز أول اكسيد الكربون (احتراق طن واحد من البنزين يؤدي الى تشكل ٦٠ كيلو غراما من أول اكسيد الكربون) والهواء مهما كان نظيفا فانه يحتوي على شوائب غازية وسائلة وصلبة ، وهذه الشوائب تشكل جزءا متناهيا في الصغر من مجمل الغلاف الجوي .

ويسمى الجزء السفلي من الغلاف الجوي بالتروبوسفير ، ويبدأ من سطح الأرض حيث يصل ارتفاعه الى حوالى ١٨ كم فوق المناطق الاستوائية ، في حين يصل ارتفاعه الى حوالى ٧ كم فوق المناطق القطبية ، كما أن هذا الارتفاع يتغير بتغير الفصول وبتقلبات الضغط الجوي فوق سطح الأرض . وفي هذه الطبقة من الغلاف الجوي تنخفض درجة الحرارة مع الارتفاع بمعدل ٦٫٥° م لكل كيلو متر واحد ، كما أن جميع الظواهر الجوية تحدث في هذه الطبقة ، وتمتزج الشوائب في هذه الطبقة بواسطة الرياح وتيارات الحمل الصاعدة والهابطة ، لذا يبقى الجو على وجه العموم نقيا ، باستثناء المناطق الصناعية حيث تتركز الملوثات ، وكذلك الحال في المدن حيث تكثر وسائط النقل المختلفة .

مكونات الغلاف الجوي

يتكون الغلاف الجوي من عنصرين رئيسين هما : الأزوت (النيتروجين) بنسبة ٧٨ ٪ وهو غاز لا يحترق بسهولة ، والاكسجين بنسبة ٢١ ٪ ، وهو غاز فعال يساعد على الاشتعال ويتحد مع معظم العناصر الأخرى . وهذان العنصران يشكلان ٩٩ ٪ من مجموع الغلاف الغازي ، أما الباقي فهو ١ ٪ فهو عبارة عن عدد من الغازات التي تمتزج بنسبة ضئيلة جدا ، وهذه الغازات هي : الأرغون ، النيون ، الهيليوم ، الأوزون ، ثاني اكسيد الكربون . ومن الجدير بالذكر أن الأرغون يشكل ٠٫٩ من الـ ١ ٪ وهو غاز خامل ، بينما تشكل بقية الغازات ٠٫١ من الـ ١ ٪ أي ما يعادل ١٠٠٠ جزء لكل مليون جزء من الهواء الجاف ، ويكون غاز ثاني اكسيد الكربون هذه الكمية ، أي حوالي ٣٣٠ جزءا في المليون ، وهذه الكمية المتناهية في الصغر هي المسؤولة عن عملية التمثيل الكلوروفيلي ، كما أن غاز ثاني اكسيد الكربون هذا هو الذي يحافظ على حرارة جو الكرة الأرضية خلال الليل ، ذلك لأنه يمتص بكثرة الاشعاع الأرضي ويمنع تسربه الى الفضاء الخارجي .

أما ثلثا عشر الـ ١ ٪ الباقية من حجم الهواء الجاف فهي عبارة عن مجموعة الغازات الخاملة ، وهي : نيون ، هيليون ، هيدروجين ، كريبتون ، بالاضافة الى الملوثات المختلفة كالأوزون ، أول أكسيد الكربون ، الهيدروكربونات ، جسيمات صلبة ومواد سائلة .

أن جميع النسب التي تحدثنا عنها آنفاً حول تركيب الغلاف الجوي ، أنما أحتسبت على أساس أن الهواء جاف ، غير أنه في حقيقة الأمر فان الجو مهما كان جافا فانه لا يخلو كلية من بخار الماء ، فهو موجود دائما ، وتتراوح هذه الكمية بين حوالى صفر في المائة في هواء الصحارى الى حوالى ٤ ٪ من حجم الهواء فوق البحار والمحيطات . وبالرغم من صغر هذه الكمية فانها المسؤولة عن الظواهر الجوية كالسحب والأمطار والثلوج ، بالاضافة الى أن بخار الماء

والذي يكثر وجوده في طبقات الجو السفلي ، يعمل على امتصاص جزء من الاشعاع الشمسي وبذلك يحتفظ بحرارة الجو .

ومن الجدير بالذكر أن الاشعاع الشمسي وبخار الماء يلعبان دورا كبيرا في عملية التلوث . فأكسيد الكبريت تتحد مع بخار الماء المعلق في الهواء وتكون أحماض الكبريت ، أو ما يعرف بالمطر الحمضي كما ان أكاسيد الأزوت تتحد مع الهيدروكربونات مكونة الأوزون ، كما أن غاز الأوزون هذا يتكون في طبقات الجو العليا بفعل الأشعة فوق البنفسجية . ولو أننا قارنا بين الملوثات المعلقة في الهواء وبين الحجم الاجمالي للغلاف الجوي الذي يحيط بالكرة الأرضية لوجدنا أن هذه النسبة ضئيلة جدا لا تكاد تذكر ، وبالتالي يخيل الينا للوهلة الأولى أنها لاتشكل خطورة على سكان هذا الكوكب ، غير أننا من ناحية أخرى نجد أن كمية الملوثات التي تنطلق في الجو تزيد على مئات الملايين من الاطنان . ففي بلد كالولايات المتحدة الأمريكية بلغت الملوثات (١٩٤ مليون طن) عام ١٩٧٧ ، أي ما يعادل حوالي طن للشخص الواحد ، وتشمل هذه الملوثات : أول اكسيد الكربون ، الجسيمات المعلقة ، أكاسيد الكبريت ، أكاسيد الأزوت ، الهيدروكربونات .

مصادر الملوثات وتأثيرها

● الجسيمات الدقيقة

قد تكون هذه الجسيمات صلبة أو على شكل قطرات سائلة ، وهي من الصغر بحيث تبقى معلقة في الهواء . ويتراوح حجم هذه الجسيمات بين ذرات مرئية ، كما هو الحال في السناج والدخان الى جزيئات دقيقة لا يمكن مشاهدتها الا بالمجاهر الاليكترونية . وتبقى الجسيمات الدقيقة معلقة في الهواء لفترة طويلة حيث تنقلها الرياح الى مساحات بعيدة . وتصل هذه الذرات الى الهواء بفعل النشاط الصناعي ، ووسائل النقل المختلفة ، والعوامل الطبيعية كالغبار والرمال التي تنقلها الرياح الشديدة ، وحرائق الغابات وثورة البراكين . وعلى سبيل المثال فان كمية الغبار والأتربة التي انطلقت الى الغلاف الجوي عند ثوران بركان « كراكاتاو » ـ احدى الجزر الاندونيسية ـ عام ١٨٨٣ ، تقدر بعشرات الملايين من الاطنان ، ولقد انتشر هذا الغبار حول الكرة الأرضية والى ارتفاعات تصل الى حوالي خمسين كيلومترا .

وتقدر كمية الغبار الذي ينطلق من المصادر الصناعية أو الذي يتصاعد بفعل العوامل الطبيعية فوق سطح الكرة الأرضية بحوالي ٧٠٠ مليون طن في كل عام ..

وتدل الدراسات على أن كمية الغبار المترسب في القاهرة مثلا تبلغ ٤٧٨ طنا على الميل المربع (١٨٧ طنا على الكيلومتر المربع) في الشهر ، وقد بلغت كمية الغبار والأتربة المترسبة في الكويت خلال شهر أغسطس من عام ١٩٧٩ ، (٢٣٩) طنا على الكيلومتر المربع في حين بلغ المتوسط الشهري خلال عام ١٩٧٩ (٩٠) طنا / كم ٢ . وهذه الجسيمات تؤذي الرئتين لأنها قد تكون من الصغر بحيث تدخل مع الهواء عبر الشعب الهوائية كما قد تسبب بعض الجسيمات التهاب العيون وأمراض الحساسية كما تؤثر في الجهاز العصبي .

● ثاني اكسيد الكبريت

ينتج هذا الغاز عند احتراق الوقود الحفري (بترول ، فحم حجري ، غاز طبيعي) ، ويعتبر هذا الغاز الخانق من الملوثات الرئيسية في المناطق الصناعية وعلى الأخص حيث توجد محطات القوى الكهربائية . فالمحطة الكهربائية الواحدة التي تعمل بالفحم الحجرى أو النفط

تنفث في الهواء حوالى عدة أطنان من هذا الغاز في الساعة الواحدة ، وعند احتراق ١٠ أطنان من الفحم الذي يحتوي على نسبة عالية من الكبريت فان حوالى طن واحدا من غاز ثاني اكسيد الكبريت ينطلق في الهواء ويصيب هذا الغاز الجهاز التنفسي فيسبب التهاب القصبات ، السعال ، الرشح ، الربو ، كما أنه يهيج الجلد والعيون . ويزداد خطر هذا الغاز عندما يكون الجو رطبا وخاصة أثناء الضباب أو عند هطول الأمطار حيث يتحد مع قطرات الماء فيتشكل ما يعرف بالمطر الذي يلحق التلف بالمعادن والأحجار ، والنايلون ، ناهيك عن الأذى الذي يلحقه بالانسان والحيوان والنبات .

وتقدر الكمية المتصاعدة من أكاسيد الكبريت في دولة الكويت بـ (٢٠٤ الف طن) في العام الواحد ، بينما تصل هذه الكمية الى (٢٧ مليون طن) في الولايات المتحدة الأمريكية في العام الواحد .

● أول اكسيد الكربون

غاز سام ، لا لون له ولا رائحة ، وينتج عند الاحتراق غير الكامل للوقود كما هو الحال في السيارات التي تعتبر من أكبر مصادر هذا الغاز . ويتبين من احصائية نشرتها وكالة حماية البيئة الأمريكية لعام ١٩٧٧ أن وسائط النقل المختلفة (سيارات .. عربات نقل) هي المسؤولة عن حوالي ٨٠ ٪ من غاز أول اكسيد الكربون ، وأن ما تطلقه السيارات والمركبات المختلفة يشكل حوالي ٥٥ ٪ من اجمالي الملوثات في الولايات المتحدة الأمريكية ، هذا ويزداد خطر هذا الغاز في المناطق التي تزدحم فيها السيارات .

وعلى وجه العموم فان هذا الغاز لا يوجد عادة بدرجة تركيز عالية في الهواء ، الا في وسط المدن حيث تكثر السيارات وخاصة في ساعات الازدحام . ان حوالي جزء واحد من هذا الغاز في مائة ألف جزء من الهواء يسبب المرض ، بل أنه قد يسبب الوفاة عندما تصل درجة تركيزه الى نسبة عالية . ويحل غاز أول اكسيد الكربون محل الاكسجين في كريات الدم الحمراء ، وبذلك تقل كمية الاكسجين التي تصل الى أجزاء الجسم المختلفة ، ومن المعروف أن الاستمرار في نقص الاكسجين يؤثر في الدماغ والقلب .

وفي دولة الكويت يتبين أن كمية غاز أول أكسيد الكربون الذي ينطلق في الجو تبلغ (٥٠٢ ألف طن) في العام ، على أن أخطر ما في هذا الأمر أن ٨٤ ٪ من هذا الغاز ينحصر في مدينة الكويت وضواحيها .

وفى الولايات المتحدة الامريكية ينطلق من هذا الغاز (١٠٣ مليون طن) . في العام .

● الهيدروكربونات

هذه المركبات شأنها شأن أول أكسيد الكربون تنتج عن عمليات الاحتراق غير الكامل للوقود . وفي الولايات المتحدة الأمريكية نجد أن كمية هذه المركبات تصل الى (٢٨ مليون طن) في العام ، (٤٠ ٪) منها ينطلق مع غازات العادم . وفي دولة الكويت تتشكل معظم هذه المركبات من : مصافي البترول ، وحدة انتاج الأمونيا ، حركة المرور وتبلغ كميتها في العام (١١٦ الف طن) ، يتصاعد معظمها (٦١ ٪) من منطقة الشعيبة .

وتشير بعض الدلائل الى أن بعض هذه المركبات سام ، وقد يسبب أمراضا خطيرة غير أن البعض الآخر من هذه المركبات غير سام ، ويزداد خطر هذه الملوثات عندما تتحد مع الأوزون أو أكاسيد النيتروجين بوجود ضوء الشمس .

● أكاسيد النيتروجين

وهي غازات سامة ، تسبب الوفاة اذا وجدت

بتراكيز عالية في الهواء . وتتولد هذه الغازات عندما يحترق الوقود في درجة حرارة عالية ، حوالي ٥٦٠°م ، فيتسبب ذلك في احتراق النيتروجين الجوي . وفي الولايات المتحدة الامريكية تتولد معظم هذه الغازات (٥٠٪) من عمليات التدفئة و (٤٠٪) تنتج مع غازات العادم . أما أهم مصادر هذه الغازات في الكويت فهي محطات التقطير ، ووسائل النقل المختلفة ، والمخلفات الغازية في مصافي النفط .

تسبب هذه الملوثات تهيج العيون كما تؤذي الرئتين ، على أن من أشد مخاطرها اتحاد ثاني أكسيد النيتروجين مع الهيدروكربونات بوجود أشعة الشمس حيث يؤدي هذا الاتحاد الى تشكل غاز الأوزون السام .

● الأوزون

ينتشر غاز الأوزون في طبقة الغلاف الجوي التي تقع على ارتفاع يتراوح بين ١٥ كم و ٥٠ كم ، وتصل نسبة تركيز غاز الأوزون في هذه الطبقة الى حوالي ٨ أجزاء لكل مليون جزء من الهواء . ووجود الأوزون على مثل هذه الارتفاعات العالية يبعد خطر سُمِّيَّة هذا الغاز عن الانسان والنبات والحيوان . ويبلغ متوسط تركيز هذا الغاز عل مستوى سطح الأرض أقل من ٠,٠٧ جزء في المليون وان كانت درجة التركيز هذه قد تصل ال حوالي ٠,٥ جزء من المليون خلال الايام التي يسود فيها الضبخان (ضباب + دخان) "Smog" وهو منتشر في الدول الصناعية وبريطانيا بصفة خاصة .

* SMOG : الانجليزية كلمة تجمع بن كلمتي SMOKE ومعناها الدخان ، وFOG ، وتعني الضباب .

ثاني أكسيد الكربون

يتنج هذا الغاز بفعل عمليات احتراق الوقود الحفري (بترول ، فحم حجري ، غاز طبيعي) ، ويؤكد العلماء بأنه مع بداية الثورة الصناعية في غرب أوروبا في نهاية القرن الثامن عشر أخذت كمية غاز ثاني أكسيد الكربون بالازدياد تدريجيا في الغلاف الجوي . ففي عام ١٩٥٦ بلغت كمية الكربون ممثلا في ثاني اكسيد الكربون والذي انطلق في الهواء نتيجة الاحتراق الوقود الحفري حوالي (٢٢٠٠ مليون طن) ، أما في الوقت الحاضر فان هذه الكمية تزيد عن (٥٠٠٠ مليون طن) في العام .

ولقد زادت كمية غاز ثاني اكسيد الكربون في الغلاف الجوي في الفترة من عام ١٩٥٧ الى الآن بنسبة ٦ ٪ كما يقدر ـ حاليا ـ الوزن الاجمالي للكربون في الهواء بما يزيد عن (٧٠٠) ألف مليون طن) .

ومن خصائص غاز ثاني اكسيد الكربون أنه يسمح للاشعاع الشمسي بالمرور عبر الغلاف الجوي والوصول الى الارض في حين أنه يمتص الاشعاع الحراري الذي ينبعث من الارض ولا يسمح له بالانطلاق نحو الفضاء ، وهكذا يحتفظ بالحرارة على مقربة من سطح الأرض ، الأمر الذي قد يؤدي الى ارتفاع درجة الحرارة على هذا الكوكب اذا ما استمر تزايد تركيز هذا الغاز في الغلاف الجوي ، ويتكهن بعض العلماء بأن هذه التدفئة لجو الأرض قد تؤدي الى تغييرات في المناخ المحلي العالمي .

وهكذا نرى مما تقدم أن لتلوث الهواء آثارا ضارة على الصحة ، ويتوقف ذلك على نوع وكمية الملوث في الجو . وعلى وجه العموم فإنها تؤدي الى تهيج كل من الجهاز التنفسي ، والعيون والانف ، بالاضافة الى الاصابة ببعض الأمراض كأمراض الرئة والربو الشعبي ، ويزداد تفاقمها لدى المصابين بها عند تلوث الهواء .

وتلوث الهواء لايؤدي فحسب الى الاصابة ببعض الامراض أو أنه يزيد بعض الامراض سوءا بل انه قد يؤدى الى الوفاة ، وعلى الأخص عندما تحدث ظاهرة الضبخان (ضباب + دخان) . وهذه الظاهرة تحدث في المناطق الصناعية حيث يختلط دخان المصانع بالضباب . فلقد أدى حدوث هذه الظاهرة الى وفاة ١٠٣ أشخاص في جلاسكو في خريف عام ١٩٠٩ .

ولعل من الحوادث المشهورة والتي كان سببها هذا النوع من التلوث ماحدث في لندن في الفترة مابين الخامس والتاسع من شهر ديسمبر عام ١٩٥٢ حيث أدى ذلك الى وفاة ٤٠٠٠ شخص ذلك لان مزيج (الضباب + الدخان) وبسبب استقرار الجو وركوده آنذاك أدى الى بقاء هذه الظاهرة مدة أربعة أيام بالتالي نتج عنه : ضيق في التنفس ، وأرتفاع في درجة حرارة الجسم ، والى زرقة في البشرة بسبب نقص الاكسجين في الدم . ولقد كانت الاسباب الرئيسية للوفاة : الالتهاب الرئوي الحاد وأمراض القلب .

والعلاج

ربما كان انشاء الاحزمة الخضراء حول المصانع والمستشفيات والمدارس ، والاكثار من المساحات الخضراء في المدن ، أهم عامل من عوامل تنقية الهواء ، ثم الاهتمام بعد ذلك باقامة الاجهزة الخاصة بمراقبة تركيز الملوثات المختلفة ، واجراء الفحص الدوري على السيارات ونشر الوعي البيئي بين المواطنين .

ترى هل يأتي اليوم الذي ينجح فيه الانسان في استخدام الطاقة الكهربائية لتسيير السيارة ، والاستغناء عن الوقود التقليدي الذي يحترق في ملايين السيارات ويؤدي الى تلويث الجو بغبار أول أكسيد الكربون ، وأكاسيد الازوت والمركبات الهيدرو كربونية . . ؟ الانسان وحده هو القادر على انقاذ حياته من التلوث . □□

ماذا يعني تشخيص الأمراض الوراثية ؟

بقلم الدكتور غسان حتاحت

□ الوراثة وأمراضها خضم واسع يضيع فيه الملاح الماهر ، وصحراء مترامية الأطراف ينكرها عابر القفار . وهي في بعض الأمراض ذات دور رئيسي هام ، وفي بعضها الآخر عامل من عدة عوامل . وللوراثة اسرار وغوامض . كلما كشف العلم جانبا منها تبين له عمق غورها واتساع مداها .

البحث في الأمراض الوراثية يشبه محاولة حل لغز من ألغاز أجاثا كريستي أو حادثة معقدة من روايات آرثر كونان دويل . فكثيرا ما تنطلق من علامات بسيطة أو دلائل قد لا تثير الاكتراث إلى تشخيص أمراض خطيرة ، ومحاولة البحث عن وقاية منها أو علاج لها ، أو طريقة مقبولة للتعايش معها .

والتشخيص في أحيان كثيرة كالمشعل ينير جوانب من أسرار المرض وتبقى مع ذلك جوانب أخرى مظلمة مجهولة ، وبصيص من ضوء خير من ظلمة مطبقة .

وهنا سوف أعرض بعض حالات وراثية ، تبين كيف أن التشخيص الصحيح ، وإن كان يعجز أحيانا عن أن يقودنا إلى علاج فيه الشفاء التام ، فهو لا يتركنا حيارى ولا قليلي الحيلة ولا عزلا تجاه أمراض خطيرة .

عون كبير

فقد راجعتني - مرة - أم مع طفلها لعلاجه من أعراض زكام حاد . وأثناء فحصه أثارت انتباهي واهتمامي بضع وحمات صباغية على الجلد ،

ذات لون بني فاتح تسمى طبيا « بقع القهوة بالحليب » وذلك بسبب لونها المميز . وتصادف هذه البقع كثيرا دون أن تكون ذات دلالة ما ، لكنها أحيانا تكون ذات أهمية تشخيصية كبيرة في بعض الأمراض . خاصة إذا كانت متعددة أو واسعة أو مترافقة مع مظاهر أخرى تماثلها في عدم إثارتها أي اكتراث من قبل الأهل .

وقد فتشت بقية نواحي الجلد لدى هذا الطفل وخاصة الناحية الابطية ، حيث عثرت على نمشات صغيرة بنية اللون وهي ماكنت أبحث عنه . إذ تكاد هذه النمشات أن تكون علامة مبكرة شبه واسمة لمرض نادر هو مرض « فون ركلنغها وزن » ، وهو مرض تتطور أعراضه ومظاهره مع تقدم العمر ، وهو وراثي يتبع في انتقاله من السلف إلى الخلف ما نسميه بنمط الوراثة القاهرة .

وعندما سألت الأم عن وجود مثل هذه الوحمات لديها أو لدى زوجها أجابت أنه يوجد لدى زوجها الكثير منها وأنه مصاب بآلام مفصلية وعصبية وأنه شبه مقعد . وطلبت أن أراه ، وعندما قمت بفحصه تأكدت من وجود هذا المرض لديه وبالتالي وجوده لدى ابنه .

وهنا يحق لنا أن نتساءل ما هي فائدة التشخيص المبكر لمرض لا توجد طرق مجدية للوقاية منه ، وليس له علاج ، وسيره نحو الأسوا حتمي أكيد ؟ أليس التشخيص المبكر في مثل هذه الحالة كالبوم يبشر بالأخبار السيئة ويخبر بالمصيبة قبل وقوعها ؟ (والبوم ـ والحق يقال ـ متهم بريء . .) .

وجواب هذا التساؤل واضح . وهو أننا عندما نتوقع مصيبة ما، أو أمراسيئاً ، فاننا نستعد لاستقباله بما يناسب ذلك ، ونكون أقدر على تحمل العبء منا عندما لا نكون مستعدين متهيئين .

وقد شرحت للأهل شيئا عن طبيعة هذا المرض ، وكيفية انتقاله بالوراثة . وكانت نصيحتي لهم هي أن عليهم منذ الآن أن يخططوا لمستقبل هذا الطفل ، بحيث يتناسب ما يرسمونه له مع احتمال العجز المتوقع ، وأن يوجهوه الى اختيار مهنة في المستقبل لا يضيرها هذا العجز . وبهذا نكون قد قدمنا للطفل ما نستطيع من مساعدة ، كما ذكرت للأهل ان عليهم أن يفكروا في احتمال تكرر حدوث هذا المرض ثانية اذا قرروا انجاب أطفال آخرين .

وهكذا يكون التشخيص المبكر قد قدم لنا عونا كبيرا ، تماما كما يساعد الانذار المبكر بحدوث الأعاصير ، فهو لا يمنع الاعصار لكنه ـ بسبب الاحتياطات المتخذة ـ يجعل أذاه محدودا ضئيلا .

ألا ترون معي أن ملاحظة بضع وحمات جلدية يشبه لونها لون القهوة بالحليب ، وتسمى طبيا بهذا الاسم ، قد ساعدت طفلا مصابا بمرض وراثي ـ ليس له في المستقبل المنظور علاج ـ بأن تعرف على حقيقة مرضه ؟

حفيدة ابراهام لنكولن

وحادثة اخرى ، طفل حوّل إليّ على أنه مصاب بمرض نادر هو مرض مارفان ، وكان هذا الطفل طويل القامة نحيلا ، وكان لديه تخلف عقلي خفيف ، وتحدد في حركات المفاصل ، وكانت عدسة العين لديه مخلوعة في العينين .

إن قسما من هذه الظواهر الآنفة يتناسب مع مرض مارفان . غير أن وجود تحدد الحركة في المفاصل لم يجعلني مستريحا إلى هذا التشخيص . ذلك انه في مرض مارفان يحصل فرط في حركة المفاصل لا تحدد فيها . لذلك رجحت أن يكون لدى هذا الطفل مرض آخر يسمى « بيلة الهوموسستين » . وهو واحد من مجموعة كبيرة من أمراض اضطرابات استقلاب الحموض الأمينية التي تتشكل منها البروتينات . وعندما طلبت تحري هذه المادة في البول أظهرت نتيجة الفحص وجود هذا المرض لدى الطفل .

وقد ساعدنا هذا التشخيص على إعطاء الأهل شرحا وافيا عن هذا المرض ، وعن نمط وراثته واحتمالات تكرر حدوثه . ومن جهة أخرى فإن لهذا المرض حمية خاصة وعلاجات مفيدة تخفف على الأقل من شدة الأعراض ، وتوقف سير المرض نحو الأسوأ .

وهكذا استفدنا من نفي وجود تناذر مارفان وتشخيص بيلة الهوموسستين وكان ذلك استنادا الى مظهر بسيط هو وجود تحدد في حركة المفاصل .

وعلى ذكر مرض مارفان فإن هناك مريضاً مشهوراً جداً كان لديه هذا المرض ، رغم أنه لم يشخص إلا بعد عشرات السنين من وفاته ، وهو أبراهام لنكولن ، أحد أشهر رؤساء الولايات المتحدة السابقين . وثمة قصة طريفة وراء تشخيص هذا المرض لديه . فقد كان أحد اخصائيي أمراض الوراثة يفحص مريضة لديها أعراض ومظاهر مرض مارفان ، وبما أن هذا المرض وراثي فقد سألها عن وجود أعراض مماثلة لدى الأب أو الأم فوجد أن الأم مصابة به ، وكانت هذه الأم حفيدة أبراهام لنكولن .

فكان أن فحص الطبيب سجلات الرئيس لنكولن الصحية ، واستنتج منها أنه كان مصابا بهذا المرض الذي لم يصفه الأدب الطبي إلا بعد سنوات طويلة من مقتل لنكولن .

ولقد كان هذا تشخيصا طريفا لمرض نادر تم بعد وفاة المريض بعشرات السنين . وقد أكد هذا التشخيص حقيقة معروفة ، وهي أن وجود مرض وراثي لا يعني بالضرورة أن المريض عاجز أو شبه عاجز .

اثناء فحص روتيني

ومريض آخر ، طفل في أشهره الأولى ، جيء به الى عيادتي لمعالجته من التهاب معوي ، وأثناء الفحص « الروتيني » تحريت لديه حركة المفصل الحرقفي الفخذي (أو مفصل الورك) - وهو فحص نجريه دائما وأبدا في كل مرة يراجعنا فيها طفل تحت السنة الأولى من العمر - فوجدت عنده علامات تشير إلى وجود خلع في هذا المفصل . وهذا الخلع قد يكون في بعض الأحوال وراثيا ينتقل ضمن ما يسمى بنمط الوراثة متعددة العوامل . هذه العوامل التي من جملتها كون الجنس أنثى . لذلك تكثر مصادفته لدى الاناث أكثر منها لدى الذكور . ووجوده عند الذكر يعني أن العوامل الأخرى من القوة بمكان بحيث استطاعت إحداث هذا الخلع لديه ، وهي في هذه الحالة أقدر على إحداثه لدى الاناث في نفس العائلة . وقد طلبت من الأم أن تجلب لي بقية أطفالها الصغار - خاصة الاناث منهم - لفحصهم وكان أن وجدت خلعا في مفصل الورك - لم يتنبه له آنفا - لدى شقيقة للطفل تكبره بما يزيد عن السنة .

وكان أن عولج الطفل وأخته من قبل أطباء اخصائيين في أمراض العظام والمفاصل . فشفي الطفل تماما وتحسنت حالة أخته .

والمعروف أن هذا الخلع يشفى بصورة كاملة وبسهولة كبيرة عندما يشخص مبكرا ويعالج ، وهو من أصعب الحالات عندما يتأخر تشخيصه وعلاجه ، إذ يحتاج وقتها الى عمليات متعددة معقدة . ومن هنا كانت أهمية وضرورة تحري حركة مفصل الورك لدى كل طفل تحت السنة الأولى عند كل فحص طبي .

إن فحصا « روتينيا » كاملا للمريض ، ومعرفة أن مرضا ما هو ذو طبيعة وراثية ومعرفة نمط الوراثة ، قاد الى تشخيص صحيح وعلاج مفيد . . مفيد للمريض حقا . . ومفيد للطبيب جدا . إذ ليس شيء أمتع ولا أسعد للطبيب من شعوره بأنه قد ساعد على إنقاذ مريض من مرض عضال .

وتلك - لعمري - جائزة الطبيب الكبرى ومكافأته العظمى التي يقصر دونها كل ثواب دنيوي . □□

حل مسابقة العدد

(رقم ٣٠٣)

المنشورة في عدد فبراير ١٩٨٤م

١ ـ يطفو الفلين على سطح الماء بسبب كثرة ما فيه من مسامات مملوءة بالهواء . وتجدر الاشارة الى أن شجرة الفلين من فصيلة البلوط وهي دائمة الخضرة وموطنها الأصلي شواطىء البحر المتوسط . . وقد تبلغ من الطول ١٨ مترا . . وقشرتها الداخلية (لا الخارجية) هي التي يستخرج منها الفلين التجاري .

٢ ـ قائد الجيوش العربية في معركة بلاط الشهداء ـ هو الأمير عبدالرحمن بن عبدالله الغافقي ، حاكم الاندلس آنذاك .

٣ ـ (٦٢٠) هو عدد العضلات و (٢٠٦) هو عدد العظام في الجسم البشري .

٤ ـ لا يسمح لحصان بالاشتراك ـ فضلا عن الفوز ـ في سباق دربي الا مرة واحدة . . ذلك أن من قوانين ذلك السباق ان يكون الحصان في السنة الثالثة من عمره ليسمح له بالاشتراك فيه . .

هذا ويقام السباق في فصل الربيع من كل سنة منذ سنة ١٧٨٠ ، وذلك في مدينة ابسوم في بريطانيا ، ولا تزيد مسافة السباق على ٢٤٠٠ متر . .

٥ ـ ابراهيم الموصلي هو أستاذ زرياب . .

٦ ـ كتاب « الساق على الساق فيما هو الفارياق » مؤلف هذا الكتاب هو أحمد فارس الشدياق (١٨٠٤ ـ ١٨٨٨) .

٧ ـ تقع بليز في أمريكا الوسطى (انظر الخريطة المرفقة) عاصمتها هي بلموبان ، وعدد سكانها ١٥٠,٠٠٠ نسمة ، ومساحتها ٢٢,٩٦٥كم ، وكانت مستعمرة بريطانية حتى سنة ١٩٨٢ حين نالت استقلالها . .

٨ ـ تقع بروناي في جزر الهند الشرقية في جزيرة بورنيو بالتحديد وبمحاذاة سراواك التي تقع في نفس الجزيرة (انظر الخريطة) عاصمتها (بندر سري بجاوان) وعدد سكانها ٢٢٠,٠٠٠ نسمة ، وهي سلطنة مستقلة حاليا ، وقد نالت استقلالها من بريطانيا في مطلع هذه السنة ١٩٨٤ . وسلطنة بروناي تنعم بثروة بترولية كبيرة .

٩ ـ العقدة البحرية هي وحدة سرعة تعتمدها السفن . . وهي تعادل ميلا بحريا وتساوي ١٨٥٢ مترا . وتعود التسمية الى ما قبل قرون . . حين عمدوا الى تحديد سرعة السفن بواسطة حبال معقودة . .

١٠ ـ ينقص وزنك على قمة افرست ويزداد في الغور عند البحر الميت . . . ذلك أن ما تتعرض له من شد الجاذبية ينقص على قمة الجبل ويزيد في الغور نظرا لبعد الأول عن مركز الأرض وقرب الثاني من هذا المركز . .

١١ ـ عمى الألوان يصيب ٧,٥٪ من الرجال ولا يصيب الا ٠,١٪ من النساء .. فهو اذن أكثر انتشارا بين الرجال ، ويبلغ انتشاره بينهم أكثر من ٧٠ ضعف انتشاره بين النساء ..

١٢ ـ تكلم السيد المسيح باللغة الآرامية ، وهي من اللغات السامية ، كالعربية والعبرية وقد تقلصت كثيرا على مر التاريخ ... وقد لا نجد من يتكلمها حاليا الا قلة من أهالي قرى جبل القلمون في سوريا ، وبخاصة قرية معلولا ..

الفائزون بالجوائز

الجائزة الاولى : الطاهر العمرى/ بنغازي/ ليبيا

الجائزة الثانية : محمد أحمد شقير/ مدرسة كيفان الثانوية للمقررات بنين/ الكويت

الجائزة الثالثة : عبد القادر علي النعيم/ ص . ب (٣٥٢٢) الخرطوم/ السودان

الجوائز الثمانية التشجيعية

السيد هلالي عبد القادر (D.E)/ مدرسة أشبال الثورة/ القليعة/ ولاية البليدى/ الجزائر .
خيرية حسين محمود هرماس/ مكة المكرمة/ السعودية/ محمد محمود التازى/ رقم ٦ زنقة ابو نواس/ حى الليمون/ الرباط/ المغرب/ مرح محمد/ جامعة الكويت/ الكويت/ علاء عبد العزيز عبد علي/ منزل ٧٦٦/ طريق ٥١٧/ المنامة ٣٠٥/ دولة البحرين/ أحمد بشار خالد بركات/ دائرة القضاء الشرعى/ ص . ب (٨٤)/ أبو ظبي دولة الامارات العربية المتحدة .

السيد نيازى عبد الجليل السيد/ شارع اللواء عبد العزيز علي/ مدينة الابراهيمية/ محافظة الشرقية/ جمهورية مصر العربية

علاء أحمد محمد عطا الله/ ص . ب ٨٤٣٣/ عمان/ الاردن

الدَّرسُ الأوَّلُ

بقلم : محمد حسن عبد الله

☐

حين صدر قرار تعيينه كانت التسمية الوظيفية للعمل المنوط به : « عضو فني بالمراقبة » . لم يفكر كثيرا في طبيعة هذه التسمية كما لم تتضح أمامه حدود العمل الذي ينبغي أن يقوم به ، وعلاقة هذا العمل بالاعمال الاخرى التي يقوم بها موظفون كثيرون في هذه المراقبة ، وفي غيرها من المراقبات المنطوية تحت ادارة واحدة . هذا الغموض لم يزعجه كثيرا ، فسيأخذ مكانه في مكتب ، عليه لافتة نحاسية أنيقة ، ولن يعدم أن يجد ما يشغله من شئون نفسه ، فاذا كان في رؤسائه أو زملائه من يحتاج الى عونه ، فان بابه مفتوح ، وتليفونه جاهز للاستقبال ، وفي استطاعة مثل هذه المطالب أن تحدد له ـ ولو على المدى البعيد نسبيا ـ الدور الذي سيقوم به كعضو فني .

هكذا بدأ يعد غرفة مكتبه بحماسة ، وغير قليل من الزهو ، لما تضفيه صفة « فني » من احساس بالخصوصية ، والمهارة المتميزة ، فوضع خلف كرسيه عددا من الكتب الضخمة ، ذات الأغلفة الملونة ، ورأى أن يكون بعضها بلغة أجنبية ، مع الحرص أن تكون كلمة « الفن » ومشتقاتها واضحة على جميع الأغلفة ، ووضع على يساره في مقابل حامل التليفون عددا من « الكتالوجات » الخاصة بالمعلومات والاحصائيات ، وعلق في مواجهة الداخل لوحة سيريالية الطابع ، ذات مساحات لونية متداخلة ، وخطوط متقاطعة أو متوازية ، وطوفان من النقط الصغيرة ، المتراصة أو المبعثرة . . لوحة يمكن أن تقرأ على أي وجه ، ويمكن الا تقرأ مطلقا .

وجلس ينتظر ، محافظا على سمته المتفائل ومعنوياته العالية ، مضمرا الاستعداد لبذل أي عون يطلب منه . لكن الايام تمضي وباب مكتبه مغلق ، وتليفونه صامت ، وبريده اليومي لا يزيد عن استلام نسخة من نشرة أو تعميم . غير أنه بترادف الأيام تناسى الزمن ، أو غفل عنه ، وأوشك أن يسلم بأن هذا هو الوضع الطبيعي الذي لا غرابة فيه ، وان وظيفته الحقيقية هي ان

يظل حبيس مكتبه ما استطاع ، وأن يتسلم النشرات والتعميمات الى أن مر عليه أحد زملائه ، فذكره بأن اليوم هو أول الشهر ، وأن عليه أن يذهب الى خزينة الوزارة ليقبض راتبه .

« راتب !! » كم بدت له الكلمة عجيبة نابية ، مثل شخص ألقى بعبارة تهنئة . اكتشف على أثرها أن المجلس كان للعزاء !! ومع ذلك فقد ذهب الى الخزينة ، وصرف المبلغ دون اعتراض من أحد ، وهذا يعني أنه يستحقه فعلا ، ولكنه لم يستطع أن يحول دون تساؤل ظل يدوي في ضميره كعاصفة مطلقة السراح في أرض خلاء : هذا الراتب . . . في مقابل ماذا ؟ ويشاغل نفسه أو يحاول أن يلجم العاصفة ، بالبحث عن جواب : في مقابل أنني متقطع لهذا العمل ، وعلى استعداد لبذل العون لمن يطلبه ، ولا على أن أحدا لم يطلب الاستعانة بي ! ويعود التساؤل يلح من جديد :

ولكن ، اذا كان قد مضى شهر ، ولم يطلب أحد منك شيئا ، وقد يمضي شهر آخر على نفس الوتيرة ، ألا يدل ذلك على أنك في الحقيقة لا تعمل شيئا . . ؟ وان العمل ليس في حاجة اليك . . ؟ وانك زائد عن الحاجة ؟ وهنا يتصدى الجانب الآخر من عقله بالجواب السريع ليجابه الخطر الماثل : اذا كنت زائدا عن الحاجة فعلا ، فلماذا اذن صدر قرار التعيين ؟

ها هنا واجه عقدة مميتة ، انقض على حل سريع لها قبل أن يجرح نفسه بما ينال من كرامته ، صحيح أنه عين في وظيفته مستندا الى واسطة قوية ، وضغوط واحراج لمن بيدهم قرار التوظيف ، ولكن من المؤكد أن « الواسطة » لا تصنع وظيفة ، لا تنشئها من العدم ، « الواسطة » و « الضغوط » عادة تؤدي الى تفضيل شخص على آخر ، لعمل مطلوب أصلا ، هذه هي الحقيقة ، وهي تعني انه لا خطأ في توظيفه ، ولا في تسمية وظيفته ، ولكن : ماذا تعني هذه الوظيفة من الأساس ؟ هل نقطة البداية أن يبدأ الآخرون في الاستعانة به ، وطرق باب مكتبه ، أم أن يتحرك هو بالذهاب اليهم وطرح أفكاره عليهم ؟ واذا كان الوضع الأخير هو واجبه ، لماذا لم يطالبه رئيسه بأي شيء على مدار شهر كامل ؟ !

وقرر أن يقدم « ورقة عمل » وأعجبته جدا هذه التسمية التي التقطتها أذنه في مكان ما ، قد نسيه كما نسي المناسبة . سمى ورقته « العمل خارج الجدران »فقد تراءى له أن أكثر ما تقوم به المراقبة هو مجرد تداول أوراق مكتوبة ، ومملوءة بالتوقيعات والاحالات ، فلماذا لا تنزل بجهودنا الى العمل الميداني بين الناس ؟ كتب هذه الديباجة في الأسطر الأولى من الورقة ، ثم رأى أنه لا بد أن يضع بعض المقترحات لتطبيق فكرته ، فسجل كل ما تراءى له ، للوهلة الأولى ، كما توارد الى خاطره : « الطبيعة حبيسة الجدران ـ الطفولة والفن سلبا وايجابيا ، رجل القانون وقوانين حياته الخاصة ـ حين تجدين نفسك وحيدة في شارع خال ـ أصحاب الأعمال الليلية ، ماذا يفعلون في النهار ؟ » . لقد أعجب كثيرا بغرابة الموضوعات التي وقع عليها ، ولم يستبعد في هذه اللحظة أنه يملك موهبة كبيرة لم تتح لها فرصة التعبير عن نفسها ، وحين اعادة قراءة ما كتب ساوره القلق الغامض بأن شيئا ما ليس في مكانه ، أو أن هناك شيئا ناقصا . غير أنه لم يجهد عقله في اكتشاف ما يحسه ، فبعد أيام تعرض ورقته في اجتماع ، وتناقش ، ومن خلال المناقشة يمكنه استدراك ما فاته ، وتحسين ورقته البكر ، التي ستعلن ميلاد عضو فني حقيقي .

قدم الورقة الى رئيسه المراقب ، ولعله توقع أن يسأله : أين أنت منذ زمن ؟ أو : لماذا لم تأخذ رأيي في ورقتك قبل أن تقدمها الي ؟

ولكن شيئا من ذلك لم يحدث !! ألقى المراقب نظرة سريعة على الورقة ، ثم وضعها منكفئة على زجاج مكتبه ، وضغط الجرس ، وطلب له قهوة ، ثم عاد يقرأ الورقة بتمعن ، دون أن يبادله كلمة واحدة ، ثم فتح الدرج أمامه

وأسقط فيه الورقة ، وهو يقول : عظيم !! ونظر اليه نظرة تحية كأنما يكتشفه أو يراه لأول مرة ، وقال دون أن يهتز في كرسيه : شكرا . وفهم العضو الفني أن هذه الـ « شكرا » هي اذن بالانصراف ، فخرج وهو لا يدري كيف يحكم على محاولته ، وهل أحسن أو أساء ، غير أن الملابسات تدل على أنه قبل أن يدخل على المراقب ، كان في وضع أكرم ، فخروجه دون أن يكون بينهما حوار ، ودون وداع يليق ، هو بمثابة طرد له ، أو على الأقل : رفض مهذب لمحاولته . وعاد يفكر : ماذا ينبغي أن يفعل ؟ وهل أخطأ حين غادر القوقعة » !

بعد يومين اثنين رن جرس التليفون في مكتبه في أول ساعات العمل ، وكان الصوت نسائيا ، وعرف أنها سكرتيرة المدير العام ، وعجب لهذا الاتصال الذي ليس له سابقة ، وزاد عجبه حين عرف أنه مطلوب لمقابلة المدير العام فورا . وشغل نفسه قليلا بأمر يتعلق بالتدرج الوظيفي اذ كيف يطلبه المدير العام مباشرة ، وعن غير طريق رئيسه ؟ ولكن الأمر بدا له تافها حيال السؤال الذي كدّ ذهنه في البحث له عن جواب دون ثمرة : ماذا يريد منه المدير العام ؟ ولولا أن الاستغناء عن خدمات الموظفين ، أو طردهم من العمل ، يتم دون مقابلة المدير العام ، لما استبعد أن تكون هذه هي النتيجة المتوقعة . على أية حال لقد ذهب مهرولا .

لم يتوقف عند السكرتيرة دقيقة واحدة ، ما إن رأته حتى وقفت باسمة ، وفتحت باب المكتب ، فدخل ، وأغلقت الباب من خلفه ، واستقبله المدير بنصف وقفه ، ومد يده مصافحا ، وعزم بسيجارة ، وسأله عن أخبار العمل في المراقبة ، ولم ينتظر الجواب ، وقال له : أنني أريد أن آخذ رأيك في مسألة فنية ، وأريد أن يبقى الأمر بيني وبينك لا يعلم به أحد !!

اهتز قلبه بنشوة الثقة التي بلغها ، ولم يعبأ بأن هذا كله يستعصي على الفهم ، فليس في الادارة كلها عمل له طبيعة السرية ، وهو بالذات ـ العضو الفني ـ لم يسند اليه أي عمل من قبل : لا سري ، ولا علني . ومع هذا فانه سرعان ما استجاب لرغبة المدير العام ، فأكسب وجهه ملامح جدية ، اكتسحت بقع القلق والحيرة التي كانت تسوده ، وحرك كرسيه قليلا في اتجاه كرسي المدير ، زيادة في الحرص ، مع أن المكتب المترامي كان خاليا تماما .

بعد دقائق كانت بين يديه ورقة ، مطبوعة على الآلة الكاتبة بعناية فائقة تصدرها عنوان : « نحو رؤية جديدة : العمل بين الجماهير » وتحت هذا العنوان وضعت عباراته التي خطها في « ورقة العمل » كما هي دون أية اضافة ، وفي ذيلها توقيع المراقب ، وقد أرفق بها خطابا موجها الى المدير العام ، للنظر وتدبير الميزانية المطلوبة لبدء الخطة ودون أية اشارة الى العضو الفني ودوره في العملية .

للوهلة الأولى لم يعرف ما المطلوب منه ، وللوهلة العاشرة لم يعرف أيضا . لقد ظن أن الرجل سيسأله : بذمتك ، ألست أنت صاحبة هذه الورقة ؟ ولو أنه فعل فان هذا يعني أنه مدير حقيقي يعرف القدرات الحقيقية لجميع العاملين في ادارته . ولكن المدير رمقه بنظرة متفحصة ، ذكرته بنظرة المراقب من قبل ، وتنهد ، وتعانقت أصابعه فوق بلور المكتب ، وهو يسأل : هيه . . . ما رأيك ؟ ما رأيه في ماذا ؟ انه لا يعرف ما هو المطلوب على وجه التحديد ، ولقد أوشك أن يتسرع فيكشف للمدير أنه صاحب الورقة المقدمة اليه بتوقيع المراقب ولكنه الهم الصمت ، اذ بدأ الرجل يوضح ما يريد :

كما ترى . مراقبكم أرسل الينا هذه المقترحات من بنات أفكاره وأنا ، كمدير عام ، لا يجوز أن أوافق على الفور على كل ما يقدم الى من مقترحات لا بد من طلب ايضاحات ، وتحفظات ، ورفض جزء وقبول جزء ، والمطالبة بتعديل ، ثم تدخل بعد هذا كله في جدل حول الميزانية وكيف يمكن تدبيرها ، الى آخر ما تعرف .

الى الآن . . . لم نفهم . . وعجب المدير العام كيف أن ما قاله لم يوصل ما يريد الى العضو الفني ، فاضطر الى الاستمرار ، مع مزيد من الوضوح والتحديد :

كما ترى . . . . أنا مشغول لقمة رأسي ، عندي ثلاث مراقبات أصغرها مراقبة صاحبنا ، ولا يمكنني أن أفرغ لمثل هذه المسائل الفنية جدا ، ولهذا سأعطيك الورقة لتقوم باعداد رد عليها ، في اطار ما ذكرت لك من الايضاحات والتحفظات ، والتساؤلات . الخ . ولا تنسى ما اتفقنا عليه ، أن يبقى هذا الأمر بيننا ، وهذه بداية تعاون أرجو أن يستمر وتنال ثقتي !!

هكذا وجد نفسه أمام ورقته وجها لوجه ، مطالبا بالرد عليها ردا لا بد أن يشتمل على تخطيء وتصويب ورفض ، وربما تنديد ، وارشاد الخ . مصيبة انتساب ورقته الى شخص غيره تهون أمام المصيبة الجديدة ، فانه حين يكتب الرد ، لا يستبعد أن يعرف المراقب حقيقة ما حدث ، وهنا ينزل به عقابا رادعا ، اذ كيف قدم اليه خطة لا يوافق هو نفسه عليها ، ويضمر نقدها ، ويتولى اظهار عيوبها ؟ حاول أن يطمئن نفسه بنفسه أنه لا بد أن السرية مقدسة تماما في هذه الادارة ، والا كيف جرؤ المراقب نفسه على انتحال ورقة العمل دون أن يدري أحد بمصدرها الحقيقي ، فكذلك سيكون الحال مع الرد عليها . ولكنه ما أن فرغ من تجاوز هذه المصيبة الوظيفية حتى وجد نفسه في مواجهة مصيبة فنية أشد ، فهو حين وضع ورقته الغبراء ، ولم تكن في نظره تتجاوز العبث وشغل الزمن الفارغ ، لم يفكر مطلقا في أنها تستحق الرد وأنه حين يتعين الرد عليها ، ستكون المهمة من نصيبه أيضا ، فكيف يمكنه الآن أن يرد على نفسه ؟ !

حبس نفسه في مكتبه يوم عمل كاملا ، وظل يجوب أطراف الغرفة كالنمر في القفص ، يقرأ الورقة بصوت مسموع ، ويرددها من ذاكرته محاولا اكتشاف ثغرة فيها ، دون جدوى . فكر أن يستعين بصديق ، لكنه خشي تسرب الموضوع فتكون نهايته في الوظيفة . واكتشف أنه يمكن اقتراح تغيير نظام الموضوعات . تبدأ بالطفولة مثلا ، ثم المرأة ، ثم الرجل وتكون الطبيعة خاتمة المطاف . ونشط ذهنه لتبرير هذا التبديل ، ولكنه بعد أن أتمه رأى أنه أقل من مآخذ « مدير عام » على خطة وضعها « مراقب » فقلبه الهم مرة أخرى ، ورجع الى تلاوة الورقة ، وتنغيم كلماتها ، وتقليب معانيها ، دون أن يهتدي الى مكان يوجه اليها فيه ضربة قاضية تليق بمدير عام يمارس رقابة جادة على ادارته .

في لحظة كرب أليم ، جاءه الحل السعيد : ان الخطة المطبقة حاليا لم تستنفذ أغراضها بعد ، والخطة المقترحة تحتاج الى مناقشة وتعديل ، كما أنه من الضروري أن تسبقها عملية تدريب لكوادر خاصة ليست متوفرة الآن مما يعني أن هذه الورقة ـ في هذا الوقت ـ لا تستند الى نظرة عملية تضع الامكانات المتاحة في الاعتبار .

« المراقب » يستدعي العضو الفني : خطتك لم يوافق عليها . . . هناك اعتراضات جوهرية ، انتظر ، باعتبارك المسؤول عنها ، أن تتولى صياغة الرد وتسلمه الى غدا ، ان كرامة المراقبة كلها في خطر .

« المدير العام » يستدعي العضو الفني : مراقبكم رد على الاعتراضات بتعديل الخطة ، والاكتفاء بالموضوع الأول كتجربة ، لا أريده أن يفهم أنه هكذا ببساطة يمكن أن يملي ارادته وأفكاره علينا . اجلس هناك وحياتك ، وجهزلي ردا يثير غيظه .

تحددت أماكن وجود العضو الفني ، بين مكتب المراقب ، ومكتب المدير وتحدد نشاطه بأن يكتب ، ويفند ما يكتب ، وبدأ يتخذ احتياطاته فيترك في كل موضوع ثغرات يمكنه أن يرد عليها ، وأن يرد على الرد . . . أنه لم يقدر من قبل أن ما يكتبه يمكن أن تكون له كل هذه الأهمية ، وأنه أصبح « فنيا » الى هذه الدرجة !!

□□

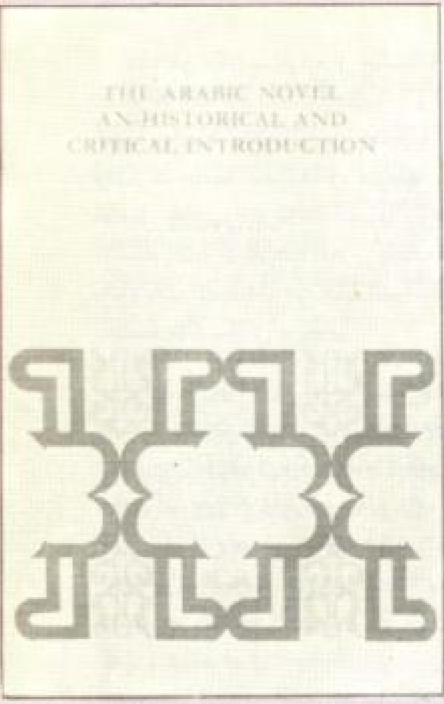

الرواية العربية الحديثة

من خلال عين غربية

تأليف : روجر ألن

عرض : حسن محمود عباس

□ (الرواية ـ وفقا للقواعد الفنية السائدة غربا وشرقا ، منذ القرن الثامن عشر حتى الآن ـ نوع أدبي حديث النشأة في أقطار الوطن العربي ، اذ ترجع نشأة الرواية عندنا الى بداية القرن العشرين ، ولهذا كانت الدراسات عنها قليلة عندنا ، وهي في الخارج أقل ، وهذا الكتاب مجموعة دراسات للرواية العربية من خلال عين غربية ، فماذا جاء فيه ؟)

هذا هو الكتاب الرابع في سلسلة الكتب التي تصدرها مجلة الدراسات السامية ، والتي تشرف عليها جامعة مانشستر من الناحية الأكاديمية وتشارك جامعة الكويت في تمويلها . وهو في الأصل محاضرات ثلاث ألقاها روجر ألن ، الأستاذ المشارك للأدب العربي بجامعة بنسلفانيا بالولايات المتحدة ، على طلبة الدراسات العربية بجامعة مانشستر في بريطانيا .

وكان الأستاذ بوزورث ـ أستاذ الأدب العربي بقسم دراسات الشرق الأدنى بالجامعة الأخيرة ـ قد وجه الدعوة لمؤلف هذا الكتاب لالقاء محاضرات عن الرواية العربية ، وقد تم ذلك في شهر أيار / مايو من عام ١٩٨٠ . ثم ما لبث المحاضر ـ بتشجيع أدبي من الأستاذ بوزورث ، ومادي من جامعة الكويت ـ أن طور محاضراته تلك ، ونشرها في السلسلة التي أشرنا اليها ، لتغدو هذا الكتاب الذي هو بين أيدينا الآن .

كانت الرواية في الوطن العربي موضوع عدد من الدراسات ، لكن تلك الدراسات لم تكن تعادل ـ لا في كمها ولا في نوعها ـ ما كان يكتب عن الشعر ، ولعل ذلك يعكس صورة عن المكانة المتميزة للشعر في الوطن العربي . واذا كانت الدراسات عن الرواية العربية قليلة في الوطن العربي نفسه ، فهي أقل من ذلك في اللغة الانجليزية ، وهي ـ ان وجدت ـ تكاد تنحصر في قطر عربي واحد هو (مصر) ، وفي كاتب عربي واحد هو (نجيب محفوظ) . وهذه الدراسة ـ كما يقول المؤلف ـ لا تعدو أن تكون مقدمة لأن الوطن العربي متسع جغرافيا ، وما يكتب فيه عن الفنون كثير . وهي لن تجاوز ما كتب باللغة العربية من أعمال روائية ، فلن تلتفت الى ما كتب بلغات أجنبية كالفرنسية ـ مثلا ـ التي استعملها في كتاباته كل من كاتب ياسين ومحمد ديب لأن تلك الكتابات وشائج قربى وصلات نسب بالأدب الفرنسي الحديث وان كانت أسماء المؤلفين عربية .

نشأة الرواية في الغرب وتطورها

وقد قسم المؤلف كتابه الى مقدمة وخمسة فصول هي :

١ ـ تعريفات وأصول .
٢ ـ التطور المبكر للتقاليد الروائية العربية .
٣ ـ فترة النضج .
٤ ـ ثماني روايات عربية .
٥ ـ خلاصة واستنتاج .

والسؤال عن الجذور التاريخية للرواية العربية يأتي ضمن أولى مهام الدارس لهذا الفن في الأدب العربي الحديث : هل هي تطور تدريجي طبيعي لما عرفه العرب من ألوان القصص مما ورد في ألف ليلة وليلة بخاصة ، وفي كتب الأدب القديم بعامة ، أو من السير الشعبية كسيرة عنترة وغيرها ، أم هي غرس جديد منقطع الجذور عن التراث الأدبي للعرب ؟

يخبرنا مؤرخو هذا النوع الأدبي ونقاده أن الرواية الفنية ظهرت بظهور دون كيشوت لسيرفانتس ، وروبنسون كروزو لدانيال ديفو ، وجوزيف أندروز وغيرها من أعمال هنري فيلدنج ، وباميلا وغيرها من أعمال ريتشاردسون ، وظلت الرواية الفنية تأخذ بأسباب التطور حتى بلغت مرحلة النضج على يد كل من جيمس جويس ومارسيل بروست والرمزيين . فالى أي من هذين التراثين تنتمي الرواية العربية ؟ هل تنتمي الى التراث العربي أم الى التراث العالمي ؟

أصول الرواية العربية

يلاحظ الدارسون في هذا الصدد أنها تنتمي الى التراث العالمي وان لم تنقطع الصلة بينها وبين التراث العربي . يقول ادوارد سعيد « ان في الأدب العربي ـ فيما قبل القرن العشرين ـ أشكالا غنية مختلفة للقصص تحمل أسماء كالقصة ،

والسيرة والحديث ، والخرافة ، والأسطورة ، والخبر ، والنادرة والمقامة ، لكن أيا من هذه الأسماء لم يتطور - كما تطورت الرواية الأوروبية - ليغدو نموذجا رئيسيا .

ويقول عبد الرحمن منيف - وهو كاتب روائي وناقد - : « ليس للرواية العربية تراث . لذلك فان على كل كاتب روائي عربي أن يختار لنفسه وسيلة للتعبير دون أن يأنس الى من يرشده في ذلك . ولا بد - والحال كذلك - من أن يعتور عمله النقص ، ويشوبه الخطأ » . وعلى الرغم من أن جبرا ابراهيم جبرا - الناقد والروائي البارز - يقر بدين الرواية العربية للرواية الأوروبية التي سبقتها في النشأة والتطور . . . نجده يلفت النظر الى « أن استخدام التكنيك المتعدد الطبقات ، وتفتيت الزمن والاهتمام بحياة الفرد في المجتمع - وهي كلها من الاهتمامات الرئيسية للرواية المعاصرة - كل هذه موجودة في ألف ليلة وليلة » .

وينتقل الدكتور صفاء خلوصي بهذا الجدل خطوة أخرى متقدمة حين يلاحظ الصلة الوثيقة بين ترجمة ألف ليلة وليلة الى اللغة الانجليزية ، وبين ظهور الرواية الفنية الحديثة - ولا يقل أهمية عما تقدم ما نود أن نضيفه في هذا الصدد ، وهو أن ترجمة المستشرق الانجليزي ادوارد بوكوك لقصة حي بن يقظان الى اللغة اللاتينية في عام ١٦٧١ وما أصابته من شهرة وانتشار في كل أقطار أوروبا ، ثم ظهور ترجمات لها في كل اللغات الأوروبية تقريبا ، (منها ثلاث في اللغة الانجليزية وحدها) قد كان له أثر في نشأة الرواية الحديثة . فقد أثرت في رواية روبنسون كروزو لدانيال ديفو في الأدب الانجليزي وأثرت في كتاب الناقد « الكريتيكون » لباتازار جراثيان في الأدب الاسباني . ويضيف المؤلف الى ذلك كله قائلا بأن قصة التفاحات الثلاث التي وردت في ألف ليلة وليلة ربما كانت الأصل في نشأة الرواية البوليسية .

ولقد كانت البداية في كتابة الرواية العربية الحديثة في الفترة التي اصطلح على تسميتها بعصر النهضة العربية ، أي النصف الثاني من القرن التاسع عشر حيث ظهرت المسرحية لأول مرة والرواية والقصة القصيرة .

في هذه الفترة من التاريخ العربي الحديث كانت الضائقة الاقتصادية التي عانت منها بلاد الشام آنذاك ، والحرب الأهلية التي حدثت فيها ، وضغوط الدولة العثمانية في عهدها المتأخر ، كل ذلك أدى الى هجرة أعداد كبيرة من سكان تلك البلاد . وكان معظم المهاجرين من الأسر المسيحية . أما وجهة المهاجرين فقد اختلفت . فمنهم من ذهب الى مصر لما كانت تنعم به من استقرار نسبي ، ومنهم من ذهب الى أقطار أوروبية ، ومنهم من ذهب الى الأمريكتين حيث تكونت هناك واحدة من أغنى مدارس الأدب العربي الحديث ومن أكثرها خصبا ، وهي مدرسة المهجر .

كان من نتيجة تلك الهجرة انحسار المد الثقافي المتعاظم في بلاد الشام آنذاك ممثلا في الجهود الأدبية لأسر بعينها كآل البستاني والشدياق واليازجي والنقاش ، وقد عملت الرقابة العثمانية على الحد من الانطلاقة بوسائل أخصها الرقابة على النشر . وبسبب تلك الرقابة ، وبسبب بعد العراق الجغرافي تأخرت بدايات النهضة فيه وفي أقطار المغرب العربي ، تلك الأقطار التي كانت قد تعرضت للاستعمار الفرنسي الذي دخل الجزائر عام ١٨٣٢ ودخل تونس عام ١٨٨٨ .

الاتصال والعوامل المؤثرة

كان احتلال نابليون لمصر في عام ١٧٩٨ باعث نهضة ، ثم أعقبه استيلاء محمد علي على السلطة ، وايفاده المبعوثين الى كل من ايطاليا وفرنسا . وكان من أبرز هؤلاء رفاعة رافع الطهطاوي صاحب كتاب « تخليص الابريز في

تلخيص باريز » . وقد تطرق فيه ـ كما يدل عنوانه ـ الى موضوع الاتصال الثقافي بين الشرق والغرب ، ذلك الموضوع الذي ظل أثيرا لدى الروائيين العرب طوال عقود هذا القرن ونخص منهم بالذكر طه حسين ، وتوفيق الحكيم ، ويحيى حقي ، والطيب صالح ، وسهيل ادريس . وقد أخذت معالم التطور الكبير تتضح بعد افتتاح مدرسة اللغات في عام ١٨٣٦ حين أخذ خريجو هذه المدرسة على عاتقهم ريادة حركة الترجمة ، فكان من آثارها ترجمة أعمال فولتير ومونتسكيو ، وفي مجال القصة ترجمت أعمال لافونتين ، وروايات الكسندر دوماس . ثم وفر حكم الخديوي اسماعيل (١٨٦٣ ـ ١٨٧٩) ملاذا آمنا للأسر المسيحية المهاجرة من بلاد الشام وما كانت تحمله معها من أبحاث في اللغة والأدب ، ومن تجارب في الصحافة والمسرح .

وكان رفاعة الطهطاوي قد أسس « الوقائع المصرية » ، ومن ثم فقد تزاوجت جهود الطهطاوي وخبرات المهاجرين الى مصر من بلاد الشام ، وكان من أثر ذلك نشأة الصحافة وتطور النثر الفني وهما عاملان أساسيان من عوامل وجود الرواية الفنية ومن ثم تطورها . وكان بشارة تقلا قد أسس الأهرام في الأسكندرية سنة ١٨٧٥ ، وكان جرجي زيدان قد أسس الهلال في عام ١٨٩٢ . وكان مما أسدته الصحف للفن الروائي نشر الروايات والقصص المترجمة في مسلسلات يومية أو أسبوعية ، ثم أخذت الترجمات تقل شيئا فشيئا لتحل محلها روايات وقصص قصيرة بأقلام وطنية شابة . وعلى هذا النحو باتت الصحافة تمارس دورا مهما في اشاعة الرواية والقصة بين الناس وارساء قواعدها .

ان الذين أرسوا التقاليد الروائية في الوطن العربي هم كتاب من مصر والشام . كانت البدايات تتمثل في روايات جرجي زيدان التي اقتفى فيها أثر ولتر سكوت . وكانت أعماله تفضل كثيرا ما كان يترجم أو يقتبس ، وذلك بما كانت تحفل به من جريمة وحب ، وخدعة ، وقتال ورقص وحركة سريعة . كانت الروايات الأولى التي تكتب على شكل مسلسلات في الصحف تنتقد المجتمع والعادات والسياسة .

وبعد احتلال الانجليز مصر في عام ١٨٨٢ تولى اللورد كرومر تنظيم السياسة المالية فيها ، وقد وجد المويلحي في تلك الظروف مادة لكتابة ساخرة ، فأخذ يكتب قصة وينشرها في عمود يومي من جريدة والده طوال أربع سنوات من عام ١٨٩٨ حتى عام ١٩٠٢ . وكان الراوي يدعى عيسى بن هشام وهو بطل مقامات بديع الزمان الهمذاني ، وعندما قرر جمعها في كتاب أطلق عليها اسم « حديث عيسى بن هشام » ونجح الكتاب ، وأعيد طبعه ، وقرر على طلبة المدارس بعد أن حذف منه انتقادات الكاتب للأزهر ولأسرة محمد علي .

وهناك من يعد هذا العمل بداية لكتابة الرواية الفنية في مصر ، ولكنه لو عد كذلك لأساء الى الكتاب اساءة بالغة ، فهو لا يتفق والكثير من عناصر العمل الروائي الفني . وكذلك حاول حافظ ابراهيم أن يخوض تجربة العمل الروائي ولكن محاولته لم تبلغ شأنا . وكانت تجربة جرجي زيدان تختلف عن تجربتي المويلحي وحافظ في أنها استخدمت أسلوبا أقل بلاغة وترفقا . وتأتي كتابات المنفلوطي خطوة في تطور النثر العربي ، ثم يأتي أسلوب جبران خليل جبران المشرق اللين في قصصه : « الأجنحة المتكسرة » ، و « الأرواح المتمردة » ، و « عرائس المروج » ، لكن الذي يشوب تجربته هو تدخله أثناء السرد ليلقي بحكمة أخلاقية ، أو بموعظة اجتماعية .

وقد أدت كل هذه الأعمال ـ بطريقة أو بأخرى ـ الى ظهور النوع الأدبي سواء في الأسلوب ، أو في الاهتمام بالقضايا الاجتماعية ، أو في المظاهر التقنية ، لكن أول كاتب اضطلع بمهمة الروائي الجيد هو محمد حسين هيكل في روايته « زينب » .

الرواية الفنية في مصر

صدرت رواية زينب في القاهرة سنة ١٩١٣ ، وهي أول رواية غير تاريخية . لقد وضع المؤلف قارئه في وسط الريف ، وتوسع في وصف الحقول والمحاصيل ومظاهر طبيعية أخرى كالشروق والغروب ، ولم تقتصر رغبة المؤلف على كتابة رواية تجيش بعاطفة الحنين الى الوطن أثناء البعثة للدراسة في الخارج وانما أراد أن يصف بأسلوب واقعي - وضع المرأة ، وما آل اليه من فساد وتخلف ، وقد ظهرت مشكلة اللغة التي ينبغي للرواية أن تكتب بها منذ المحاولات الأولى لارتياد هذا الفن . فمن الناس من كان يرى وجوب كتابتها باللغة الفصحى ، ومنهم من كان يحبذ توظيف اللهجة المحلية لأداء هذه المهمة ، ومثل هذا الجدل كان حريا بالنقاد أن يثيروه ويختصموا فيه ، أما كتاب الرواية فقد كانوا يختارون لأنفسهم المزج بين الفصحى والعامية ويتركون الجدل والخصومة لمن يشاء .

وفي مطلع هذا القرن نشأ نوع أدبي جديد هو القصة القصيرة . وكان محمود تيمور هو أول من شرع فيه وأنشأه . وفي العشرينات ، وفيما تلاها من أعوام ، استمر محمود تيمور في هذا الاتجاه . وقد تأسس ما عرف بالمدرسة الحديثة ، وكانت تتألف من محمود تيمور ، ومحمود طاهر لاشين، ويحيى حقي . كان هؤلاء الكتاب متأثرين بكتاب القصة القصيرة الأوروبية وبالكتاب الروس مثل تورجنيف وتشيكوف .

ثم ظهرت « أيام » طه حسين لتسهم في تطور النثر الأدبي . وكان لأسلوبها الرائق الواضح السلس أثر عظيم جعل منها تحفة فنية في الأدب العربي الحديث ، وقد كتبت بلسان الغائب مما أضفى عليها طابعا قصصيا . وفي الثلاثينات من هذا القرن غدت كتابة الروايات نموذجا يود كل كاتب أن يبدع على غراره ، فأعلن عن مسابقة للرواية فاز فيها كتاب « ابراهيم الكاتب » للمازني ، وهي رواية ، وان اتصفت ببعض صفات السيرة الذاتية ، الا أن فيها نقدا للعادات الاجتماعية . ولم تكن ميزتها في السرد القصصي بقدر ما كانت في التشخيص ، وفي مجال رسم الشخصية تظهر قدرة المازني وتتجلى عبقريته .

كان أول نجاح حقيقي لظهور رواية مقنعة في وصفها لأسرة في ظروف محددة هي رواية « عودة الروح » لتوفيق الحكيم التي نشرت في عام ١٩٣٣ . واذا كانت عودة الروح تمثل جانبا من سيرة ذاتية فان « عصفور من الشرق » له تمثل جانبا آخر . وفي عام ١٩٣٧ أصدر الحكيم رواية « يوميات نائب في الأرياف » ، وهي عمل يدين كثيرا لتجارب المؤلف الذاتية . وقد أسهم العقاد في هذا النشاط الفني فكتب رواية « سارة » في عام ١٩٣٨ حيث أدخل عنصر التحليل النفسي ، فاستحوذ على اهتمام الكاتب ، مما جعل الرواية تخلو تقريبا من الحوار أو الحدث .

الرواية في اقطار عربية اخرى

هذا ما كان من أمر الرواية في مصر حتى مشارف الأربعينات ، ولقد حدث تطور مماثل في أماكن أخرى من الوطن العربي ، وربما كان التطور مختلفا في التسلسل الزمني والملامح المحلية ، لكنه كان متشابها من حيث السياق الأساسي ، كالترجمة والتعريب والاقتباس ومن ثم الابداع .

كان أبرز الكتاب في سوريا ولبنان حتى الحرب العالمية الأولى هم كتاب مدرسة المهجر ، وقد ذكرنا جبران خليل جبران ، ونذكر الآن زميله وكاتب سيرة حياته ميخائيل نعيمة . وهو ناقد شاعر ، يعد كتابه النقدي « الغربال » معلما من معالم النقد العربي الحديث . كانت أول رواية كتبها هي « مذكرات الأرقش » التي صدرت في عام ١٩١٧ ، أما رواياته الأخرى فقد ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية . وكان

النوع الأدبي الثاني الذي كتب فيه هو القصة القصيرة .

ان أعمال نعيمة القصصية توضح معتقدات الناس في لبنان من أهل القرى الجبلية ، وموقفهم من أسرهم وجيرانهم ومن الأفكار الجديدة . ان عناوين مثل : ستتها الجديدة ، ومصرع ستوتة ، هي أعمال ترسم باقتدار وجهات نظر منيعة محصنة عن الأسرة والأطفال ، وعن موضوعات أخرى .

وقد أشار الدكتور يوسف عز الدين في كتابه عن تطور الرواية في العراق الى أسباب ووسائل كتلك الأسباب والوسائل التي أدت الى ظهور الرواية وتطورها في أقاليم أخرى من الوطن العربي ، ومنها ظهور الصحافة . كانت الروايات في أول عهدها اما تاريخية واما للتسلية ، كرواية « العدل أساس الملك » المأخوذة عن هنري الرابع الانجليزي والصادرة في عام ١٩٠٩ ، ورواية « ناظم باشا » الصادرة في عام ١٩١١ ، وهي قصة قيل عنها انها تاريخية اجتماعية سياسية ، وقد كتبها سليمان الدخيل . وظهرت الرواية العكاظية لسليمان فيضي في عام ١٩١٩ ، وأسلوبها شبيه بأسلوب المويلحي التهكمي الساخر في تناوله لمفهوم الاصلاح الاجتماعي . وقد ظهرت أعمال قصصية أخرى في العراق قبل عام ١٩٣٩ كان أفضلها ما كتبه أكثر الكتاب شهرة آنذاك وهو محمود أحمد السيد . ان رواية السيد المسماة « في سبيل الزواج » التي اتخذ الهند مسرحا لأحداثها مثال بارز على القصة الرومنسية الميلودرامية .

وينقل المؤلف عن محمد عفيفي ، في كتابه « تطور الرواية العربية في المغرب » ، قوله : « .. كانت متأثرة الى حد بعيد أسلوبيا وفنيا وابداعيا بتطور الصحافة الأدبية ، وبالتعريف الغربي للفن الروائي ، وبأمثلة مترجمة في الصحف . » وقد كتب محمد عبد الله الموقت رواية بعنوان « الرحلة المراكشية » يعمد فيها القاص الى شيخ يدعى عبد الهادي ليقود رحلته في أرجاء المغرب وصدرت الرواية في عام ١٩٢٠ ، وقد أدى ازدياد سيطرة اللغة الفرنسية - لغة المستعمر - الى عرقلة تطور النثر الفني في أقطار المغرب العربي حتى مشارف عهود الاستقلال . وقد بدأت حركة تعريب نشطة تأخذ في حسبانها تعميم اللغة العربية ومساعدة ما ينشر بها . وعلى الرغم من أن تطور الرواية في الأقطار العربية الأخرى كان بطيئا اذا قورن بما أصابته من تطور في مصر ، الا أنها أخذت في التطور السريع - بعد الحرب العالمية الثانية . في الأسلوب وفي النضج الفني على السواء .

أجيال جديدة

وفي الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية طرأت متغيرات على الوطن العربي ، اختلفت معها المقاييس والاهتمامات . ففي عام ١٩٤٨ أعلن عن قيام (اسرائيل) في فلسطين المحتلة ، وكان من نتيجة ذلك شيوع الاضطراب والثورة في أقطار عديدة من الوطن العربي . ففي مصر قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وفي العراق قامت ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ، واشتعلت أقطار المغرب العربي بالثورة ضد الاستعمار الفرنسي ، وقامت ثورة في جنوب اليمن لتحريره من الاستعمار البريطاني ، ثم جاءت حرب عام ١٩٦٧ . ازاء هذا الواقع المتغير طرأت اهتمامات جديدة على كتاب الرواية في الوطن العربي ، وظهرت أجيال جديدة من الكتاب .

كان ظهور نجيب محفوظ في أواخر الثلاثينات علامة مهمة على تطور الرواية العربية ، ونضجها الفني ، ولقد ظل أبرز روائي عربي طوال الأربعينات والخمسينات والستينات من هذا القرن . وكان من أشهر أعماله الروائية ، «الثلاثية المعروفة» و « أولاد حارتنا » ، و « السمان والخريف » ، « واللص والكلاب » « وثرثرة فوق النيل » وغيرها . وقد أدخل

محفوظ عناصر جدية على الصنعة الفنية كالحوار الداخلي، وتيار الوعي واستخدام الرمز. وظهر الروائي والناقد والشاعر الفلسطيني جبرا ابراهيم جبرا ليسهم بعدد من الأعمال الروائية التي جعلت منه واحدا من أبرز كتاب الرواية في الوطن العربي الحديث، ان روايات مثل «صيادون في شارع ضيق» و «السفينة» و «البحث عن وليد مسعود»، ان مثل هذه الروايات لا يمكن أن تمحى من الذاكرة بسهولة. انه يضع شخصياته على رقعة متسعة من الأرض تجاوز الأرض العربية في كثير من الأحيان لتشكل جزءا من دراسة شاملة للصلات الثقافية في عالم اليوم، ولترصد ظاهرة الاغتراب في المجتمع الانساني الحديث. وهناك روائي فلسطيني آخر هو غسان كنفاني الذي يرتبط اسمه بالقضية الفلسطينية ارتباطا وثيقا، لا لأن شخصيات رواياته فلسطينية كلها ولكن لأنه احتل مكانا بارزا في حركة النضال الفلسطيني أيضا.

ويضرب المؤلف أمثلة على الرواية في المغرب العربي، فيقرر أن النضال الوطني الذي أخفق عبد الكريم غلاب في معالجته في روايته «دفنا الماضي»، وقد عالجه بنجاح واقتدار «الطاهر وطار» في رواية «الزلزال». أما في العراق فلم يكن الوضع مماثلا لما كان عليه في الجزائر من حيث الثورة الدموية ضد الفرنسيين، لكنه كان يمثل عدم استقرار سياسي في الفترة التي سبقت عام ١٩٥٨ وهذا يتجلى في رواية غائب طعمة فرمان: «خمسة أصوات»، ان روايتي غائب فرمان والطاهر وطار تعالجان أوضاع ما بعد الثورة. ويعقد المؤلف مقارنة بين معنى البحر عند حليم بركات في روايته «عودة الطائر الى البحر»، وعند حنا مينا في روايته «الشراع والسفينة».

ويقرر المؤلف أن الرواية العربية غالبا ما تعكس وجهات نظر سكان المدن والبورجوازيين، لكن رواية عبد الرحمن الشرقاوي «الأرض» تختلف عن سواها، وتعد من أفضل ما كتب في الدفاع عن اجراءات الاصلاح الزراعي التي استهلت بها الثورة المصرية عهدها. انها خير مثال على قدرة الروائي على تصوير البيئة، ويعود الفضل في ذلك الى مقدرة الشرقاوي على نقل روح الفكاهة عند الفلاحين. وينتقل المؤلف الى الحديث عن يوسف ادريس الذي اتخذ من الأحياء الفقيرة في القاهرة خلفية لمعظم قصصه القصيرة، وقد استغل فيها خبرته الطبية. ويتحدث عن فتحي غانم ويأخذ عليه وصفه المباشر، في رواية «الجبل»، ويقرر بأن اشتغاله - أي فتحي غانم - في الصحافة كان له أثر في عمله روائيا.

الثلث الأخير

ويخصص المؤلف الثلث الأخير من كتابه لدراسة تحليلية نقدية لثمانية من أبرز كتاب الرواية العربية وقد اختار عملا واحدا لكل منهم وهم:

نجيب محفوظ ورواية ثرثرة فوق النيل، غسان كنفاني ورواية ما تبقى لكم، حليم بركات ورواية عودة الطائر الى البحر، عبد الحكيم قاسم ورواية أيام الانسان السبعة، الطيب الصالح ورواية موسم الهجرة الى الشمال، جبرا ابراهيم جبرا ورواية السفينة، اسماعيل فهد اسماعيل وروايات «كانت السماء زرقاء»، و «المستنقعات الضوئية» والحبل والضفاف الأخرى.

وأخيرا عبد الرحمن منيف ورواية النهايات.

وبعد، فقد كانت الرحلة مع كتاب «الرواية العربية - مقدمة تاريخية ونقدية» للأستاذ روجر ألن رحلة ممتعة ومفيدة. ولقد حاول محاولة جادة في أن يكون محايدا وموضوعيا في عرضه لتطور الرواية العربية وفي حكمه عليها، فأصاب حظا وافرا من النجاح. □□

من مكتبة العربي

جمال الدين الافغاني
وأثره في العالم الاسلامي الحديث

الكاتب/د . عبد الباسط محمد حسن

الناشر/مكتبة وهبه ـ القاهرة

سنة النشر/١٩٨٢ .

ثارت في الفترة الاخيرة زوبعة حملتها اوراق الصحف حول مكانة جمال الدين الافغاني ودوره وأصله بل ان هذه الزوبعة ما هي الا صدى لزوابع سابقة حول حقيقة ودور هذا الرجل .

وقد أصدر المؤلف كتابه هذا وتابع فيه مواد هذه « الزوابع » عن نشأة الافغاني وأصله ، والعوامل التي أثرت في فكره والمحطات التي توقف وعاش فيها كالهند وايران ومصر وباريس وتركيا وغيرها ، والدعوات والافكار التي طرحها في كل محطة . ويبين دوره في الدعوة الى الجامعة الاسلامية ومقاومة الحكم المطلق ومقاومة الاحتلال الاجنبي ، وأثره في الثورة العرابية ، وتبنيه لخط العنف والاغتيالات ، وعرج على كتاباته وخطبه ومؤلفاته ، وتابع الكثير من المصادر التي كتبت عنه .

واكد على سعة أفقه ، وتحرره من قيود التقليد ، ودوره في انشاء بعض الصحف .

وسجل عن دعوة الافغاني ما يلي :ـ

« ولذلك فان دعوة جمال الدين تعتبر امتداداً لما سبقتها من دعوات ، وان كانت قد تميزت عنها بأنها لم تكن محدودة ببلد اسلامي معين ، كما انها كانت حركة شرقية اسلامية ، فيها اتجاه للغرب ، ولكن في ايمان بالشرق وتراثه وتقاليده ، اي انها كانت تجمع بين ما نسميه في الوقت الحاضر بالاصالة والمعاصرة » .

فنسنت فان كوخ
بحث تطبيقي في تفسير
انماط السلوك البشري

الكاتب : جاسم كريم حبيب

اصدار : المؤلف سنة ١٩٨٣ ـ بغداد

احتل الفنان فنسنت فان كوخ جانبا مهما في مسيرة الفن التشكيلي وكانت حياته مليئة بالغرائب والمفاجآت ، واعتبرها المؤلف « اعظم لوحة خالدة رسمها » ذلك بأنها تتضمن في ثناياها انماطا السلوك العادي

والابداعي والمرضى والجنسي . . الخ .

يقول المؤلف عن حالة القلق .

« استمرار حالة القلق غير العالي واعراضه المرافقة بالنسبة للانسان المبدع أمر على غاية كبيرة من الأهمية لان هذا من شأنه ان يؤدي الى جعل درجة الانجاز في السلوك الابداعي كبيرة من خلال التفكير الدائم في كيفية تخطي الصعوبات التي تعترض طريقه ، بغية تحقيق درجات متقدمة المستوى في العمل المبدع ، أما اذا حدث وصل المبدع الى مرتبة القلق العالي ، وظل هذا القلق العالي مستمرا ومن دون جدوى في التخلص منه فان المبدع سيقع ـ حتما ـ فريسة للمرض النفسي أو السلوك المرضى وهذا ما حصل للفنان المبدع فان كوخ في فترة من فترات حياته القصيرة .

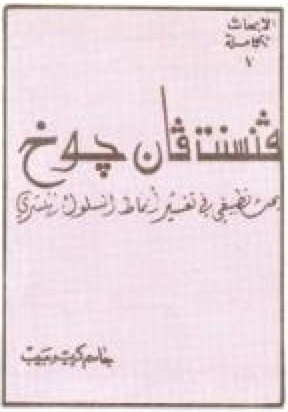

التضخم والتنمية في الوطن العربي

الكاتب : د . فؤاد مرسي

الناشر : مؤسسة الابحاث العربية ـ بيروت

سنة النشر : ١٩٨٣

يدرس المؤلف في أبواب كتابه مجموعة من الظواهر المتعلقة بالتنمية والتضخم في اقطار الوطن العربي ، ويعيد أسباب التضخم الى عوامل داخلية وخارجية ، مما يؤثر على العملية التنموية ويعوق تصاعد وتائرها .

يقول في هذا المجال

« ان دراسة التضخم وتأثيره السلبي على التنمية في الوطن العربي تكشف عن ارتباط هذا التضخم بأهم ظاهرتين تشكلتا في سبعينيات هذا القرن عربيا وعالميا » .

فمع انطلاقة الحقبة النفطية أخذت تتشكل داخل الاقتصاد العربي على مستوى كافة الاقطار العربية ضغوط تضخمية متزايدة القوة والخطورة ، وبدت اعراض الكساد على الاقتصاد العالمي ، واصطحبت بمعدلات متسارعة من التضخم حتى لقد أصبح التضخم ظاهرة دائمة تشمل كافة مراحل الدورة الاقتصادية ، من هنا لا يمكن ان ندرس اوضاع التضخم العربي بمعزل عن ظاهرة التضخم في الاقتصاد الرأسمالي العالمي المعاصر ، ولقد انعكس هذا التضخم بكل مصادره وقواه على عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية العربية ، وكان ذلك سببا آخر من أسباب تخلف هذه التنمية التي انتهت حتى الآن الى

من مكتبة العربي

ازدياد اندماج الاقتصاد العربي في الاقتصاد الرأسمالي العالمي » .

فما هو الحل كما يرتأيه الكاتب ؟

يقول في هذا المجال :

« ان محاولة التغلب على التضخم في كل قطر عربي على حده محاولة ناقصة او قاصرة ، ويتوقف الامر في النهاية على قدرة مجموع الاقطار العربية على تحرير الاقتصاد العربي من روابط التبعية التي تربطه بالاقتصاد الرأسمالي العالمي » .

عروبة الجزائر عبر التاريخ

الكاتب : عثمان السعدى

الناشر : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر

سنة النشر / ١٩٨٢

حدثت منذ سنوات قليلة بعض التحركات بين ما يسمى « ببربر الجزائر » والمغرب . . . فهل « البربر » هم غير السكان الآخرين في هذين القطرين العربيين وهل الجزائر كانت غير عربية عبر الكثير من حقب التاريخ ؟

عن هذه الاسئلة وغيرها يجيبنا مؤلف الكتاب ، ويثبت فيها مستندا على الكثير من المصادر ان البربر « تعود اصولهم الى العرب منشأ ولغة وانتماء ، ويفند الكثير من المزاعم ، في هذا المجال يقول الكاتب . . . بعد ان يستعرض آراء الكثير من المؤرخين عربا وأجانب

« ويستدل من جميع آراء المؤرخين عربا واوروبين نزهاء ، ان كلمة « بربر لا تعتبر تسمية ذات أصالة تتضمن تحديدا عرقيا (اثنيا) والغالب انها اخذت من الاصطلاح الروماني الذي كان يطلق على جميع الشعوب المتخلفة بمستعمراتهم سواء بالشرق الادنى أو بشمال افريقيا أو اوروبا » .

ويضيف : « ومما يؤكد عدم اصالة تسمية « البربر » عرقيا تسميات فئات البربر المتعددة السائدة حاليا من صحراء مصر الغربية ، وحتى المحيط الاطلسي ، ولو سألت أي مواطن من هذه الفئات التي تتجاوز عشر فئات « هل انت بربري ؟ » لما فهم ما تقول، لان هذه الفئات اتخذت اما صفات جغرافية أحيانا ومهنية أحيانا اخرى » وهي ابعد ما تكون جميعها عن المضامين العرقية .

ويذهب المؤلف الى « ان النزعة البربرية والانفصالية البربرية جاءت مع الاحتلال الفرنسي ، وان اديباتها لا توجد الا بالفرنسية ، وان دعاتها من الجزائريين والمغاربة هم مجرد تلامذة اساتذة الاستعمار الفرنسي ومنظرية » .

الهجرة الى النفط

ابعاد الهجرة للعمل في البلدان النفطية واثرها على التنمية في الوطن العربي

الكاتب / د . نادر فرجاني

الناشر / مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت

سنة النشر / ديسمبر ١٩٨٣

أنصبت الدراسات في الفترة الاخيرة على دراسة ما يمكن ان تمثله هجرة الايدي العاملة من تأثيرات على اقطار

الخليج والجزيرة العربية ، لكنهاقليا كانت تتعرض الى تأثير الهجرة على القطار المنشأ ، أي الاقطار التي هاجرت منها الأيدي العاملة .

والكتاب الذي نعرض له يتناول أقطار طرفي المعادلة .

الاقطار المصدرة والمستقبلة ، ويتابع التفصيلات المتعلقة بالآثار الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية المترتبة على الهجرة .

يقول مؤلف الكتاب :

« تعرضت الهجرة لتطورات ضخمة ومتلاحقة في فترة زمنية قصيرة ، فقد تنامى عدد المهاجرين الى البلدان العربية النفطية بمعدل سريع جدا خلال السبعينيات ، مما انتج كثيرا من الآثار الاجتماعية الاقتصادية البعيدة المدى في كل من بلدان المنشأ والاستقبال ، وعلى حين بدأت بلدان الاستقبال في نهاية السبعينيات في التحوط من بعض الآثار السلبية للهجرة الواسعة النطاق ، لم تنتبه بلدان التصدير لمثل هذه الآثار بالدرجة اللازمة ، وتنامى فيها الاعتماد على الهجرة للعمل بالخارج كحل لمشاكلها الاقتصادية الداخلية .

ولكن تطورات الثمانينيات الاولى تنذر بتغير قد يكون كبيرا في معدل نمو الهجرة للعمل في البلدان العربية النفطية نتيجة لكساد سوق النفط ، وتدني عوائد بيعه ، مما سينعكس ولا شك على مستوى وطبيعة النمو الاقتصادي ومن ثم على حجم وتكوين قوة العمل في بلدان الاستقبال » .

والكاتب يركز في فصول كتابه على دراسة آثار الهجرة في المجتمع المصري واليمني بقطرية الشمالي والجنوبي ، ثم يدرس تأثيرات الهجرة في دولتي الكويت والامارات العربية المتحدة . ثم يدرس تأثير ذلك على دول اقطار مجلس التعاون الخليجي مجتمعة . . .

الحب خارج الزمن

الكاتب : رؤوف وصفي

الناشر : دار الاداب ـ بيروت

سنة النشر : ١٩٨٣

قليلة هي محاولات الكتابة القصصية والروائية في مجال الخيال العلمي في وطننا العربي ، وعدم الاتجاه الى هذا النمط من الكتابة قد يعود الى متطلباته التي تقوم على خيال خصب وثقافة علمية ثابتة . كما ان الكثير من الكتاب يهمهم معالجة واقعهم وقضاياه ، بدلا من القفز الى عوالم مجهولة ، ومع اننا نجد هذه العوالم في بعض تراثنا الادبي الذي كتب منذ مئات السنين ، مع ذلك فان نصيبه في حياتنا المعاصرة قليل .

وآخر ما وصلنا في هذا المجال مجموعة قصصية للكاتب احتوت على ١٢ قصة قصيرة كلها تصب في هذا الاتجاه ، وهي ليست المجموعة الاولى له في هذا المجال .

لنقرأ معا هذا التقديم الذي كتبه المؤلف والذي اختلط فيه الخيال بالعلم .

« كنت فيما مضى لا ابصر الا في حدود الافق ، اما الآن فأشعر انني تجاوزته الى ماوراءه ، أنني ارى في خيال دقيقة واحدة أضعاف ما يحتويه عالم الحقيقة كله ، احمل قلبي على سحابة من النجوم وانطلق كومضه من بلايين الومضات في الفضاء ، في رحلة الى اقصى حدود الكون والى المستقبل فعندما تتسع آفاق العقل البشري ، ليحيط بالعوالم السماوية التي لا يستطيع أن يراها ولكنه يؤمن انها هناك ، وعندما يتلاءم مع هذه الدوامة الكونية المروعة ، عندئذ يصبح الانسان جديراً بالانتساب الى هذا الكون الرائع » .

المسابقة الثقافية

رقم ٣٠٦

مايو ١٩٨٤

لا جديد بالنسبة الى شروط المسابقة ، فالمفروض أن تصلنا الردود في غضون شهرى ما يو ويونيه ، وأن تتضمن الاجابة الصحيحة عشرة اسئلة لكى تكون من المرشحين بالفوز باحدى الجوائز .

١ ـ ما المادة التي كثيرا ما يضيفونها الى ماء الشرب بقصد تأمين الوقاية من تسوس الأسنان . . ؟

■ الكلورين .

■ الفلورين .

■ الغازلين .

٢ ـ أيهما أكثر كمية في دم الانسان . . . كريات الدم البيضاء أم كريات الدم الحمراء ؟

٣ ـ متى تتصلب عضلات الميت ، أو تتيبس ؟

■ قبيل الموت . .

■ في اللحظة التي يسلم فيها الروح ويموت . .

■ بعد وقوع الموت ببضع ساعات . .

٤ ـ تأبط شرا هو اللقب الذى اشتهر به الشاعر الجاهلي ثابت بن جابر بن سفيان الفهمي . . ترى لم لقبوه بهذا اللقب . . ؟

٥ ـ فيتامين ك . . ما هي وظيفته . . ؟

■ لا وجود لهذا الفيتامين . .

■ يضمن للدم التخثر السوى المطلوب . .

■ يقى الدم من التجلط . .

٦ ـ العملية القيصرية . . لم يسمونها بهذا الاسم . . ؟

■ نسبة الى يوليوس قيصر الذى ولد بواسطة هذه العملية .

■ اسم العملية اسم لاتيني ويعني القطع أو الجراحة . .

■ لأن يوليوس قيصر سن قانونا يحمل الأطباء على اجراء الجراحة واخراج المولود حيا فيها اذا تعرضت الحامل للموت اثناءالوضع .

٧ ـ الانسولين هرمون تفرزه غدة البنكرياس . . . وهو هرمون ضرورى للجسم . . لماذا ؟

■ بدونه يتراكم السكر الموجود في الدم ويصاب المرء بمرض السكرى .

■ الانسولين هرمون . . وهرمونات الجسم كلها جنسية . . فهو اذن ضرورى لحياة الانسان الجنسية .

■ غدة البنكرياس جزء من الجهاز الهضمي . . وهرمون الانسولين اذن ضرورى لعمليات هضم الطعام .

جوائز العربي لقرائها أكثر من
ألفي دينار سنويا

جوائز المسابقة

الجائزة الأولى	٥٠ دينارا
الجائزة الثانية	٣٠ دينارا
الجائزة الثالثة	٢٠ دينارا

و ٨ جوائز تشجيعية قيمة كل منها ١٠ دنانير

٨ ـ الجمرة مرض معد يصيب الماشية وقد يصيب الانسان .. ترى ما علاقة باستور، العالم الفرنسي الشهير، بهذا المرض ..؟؟

- كان باستور أول من نجح في معالجة هذا المرض بالتلقيح ...
- باستور هو أول من اكتشف مرض الجمرة ..
- كان باستور أول من نجح في معالجة مرض الجمرة بالبنسلين ...

٩ ـ يتعرض الجسم أحيانا لحالة خطيرة من حالات نزف الدم .. فما الاسم الطبي الذي تعرف به تلك الحالة .. ؟

- غرغرينا
- غنغرينا

١٠ ـ من القائل، وما المناسبة ؟

من يُرِدْ صحبة الزّمان طويلا فَلْيُوطِّنْ نفسا على الآلام

١١ ـ الفلين .. من أين يستخرج ...؟

- من البحر ... فهو حيوان أو نبات بحري يعيش قرب المرجان ..
- من الشجر .. بل من شجرة معينة من شجر البلوط .. ومن لحاء تلك الشجرة الباطني .. بالتحديد ..
- الفلين .. هو أحد المنتجات الصناعية

١٢ ـ ثابت بن أوس الأزدي شاعر من شعراء اليمن الجاهليين .. كان عظيم الشفتين وقد اشتهر بلقب أو كنية غير اسمه .. فما هو ذلك اللقب ...؟

كوبون مسابقة
العدد ٣٠٦

معركة بلا سلاح

طرفة شطرنجية

سألت إحداهن بطل العالم الكوبي المعروف « كابابلانكا » هل الشطرنج صَعْب ؟ فأجابها البطل بكل بساطة : كلا . . . كلا . . . يا سيدتي . إنه على العكس من ذلك تماما فكل ما عليك لتصبحي لاعبة ممتازة هو ان تضعي قطعك في المكان الجيد . . . وهذا هو كل شيء !

الشطرنج في الصين

لم يمض على دخول الصينيين حلبة الصراع العالمي للفوز ببطولة الشطرنج سوى عقد واحد فقط غير انهم استطاعوا في هذه الفترة الوجيزة من الزمن ان يظهروا من التفوق والبراعة ما أثار حفيظة منافسيهم من الاوروبيين ، ففي الزيارة الأخيرة التي قام بها فريق الشطرنج البريطاني للصين في عام ١٩٨٢ انتهت المباريات لصالح الفريق الصيني وإن كان الفارق ضئيلا .

ويتوقع المراقبون ان يحقق الأبطال الصينيون المزيد من الانتصارات وبخاصة بعد أن فازت اللاعبة الصينية « ليوشيلان » ببطولة آسيا للشطرنج للسيدات وانضمت الى صفوف المتنافسات على بطولة العالم .

ويبدو ان اللاعبين البريطانيين قد وعوا الدرس الذى لقنهم إياه اللاعبون الصينيون في لقائهم الاول والذى يتضح بجلاء في الدور التالي بين اللاعب البريطاني الكبير جون سيلمان واللاعب الصيني « ليو ونز » ، وهذا الدور من أدوار مباريات الاولمبياد العالمي للشطرنج المنعقد في لوزان في سويسرا تمهيدا لمباريات العالم النهائية التي تقام في العام الحالي .

سيلمان (أبيض)	ليو ونز (أسود)
١ . ح - و ٣	ح - و ٦ •
٢ . د ٤	هـ ٦
٣ . ز ٣	د ٥
٤ . ف - ز ٢	ج ٥
٥ . ج ٤	د × ج ٤
٦ . و - أ ٤ +	ح و - د ٧
٧ . و × ج ٤	أ ٦
٨ . و - ج ٢	ج × د

وبهذا يكون الاسود قد سمح للأبيض بالسيطرة التامة على وسط الرقعة . . . ، وكان من الأفضل لو لعب ٨ . . . .
ر-ب ٨

٩ . ح×د ٤	ف-ج ٥

وفي هذه النقلة خسارة لوقت ثمين وكان من الافضل للأسود ان يلعب ف-هـ ٢

١٠ . ح-ب ٣	ف-د ٦
١١ . ح-ج ٣	ت
١٢ . ت	ر-ب ٨
١٣ . ر-د١	و-هـ ٧
١٤ . ف-هـ ٣	ح ٦

وكان من الافضل للاسود أن يلعب ب ٣

مسابقة العدد

المسألة (١٧)

الأبيض يلعب ويكش مات بنقلتين

آخر موعد لوصول الحل هو مطلع شهر يوليو (١٩٨٤)

● كتبنا هذه المسألة بالطريقة الجبرية وقد عرضنا لهذه الطريقة بالتفصيل في عدد يناير ١٩٨٤ .

١٥ . رو-ج ١	ر-د ٨
١٦ . أ ٣	هـ ٥
١٧ . ح-أ ٤	ب ٥
١٨ . ح-أ ٥	

من الواضح ان هذا الرد وما يتبعه من تهديد مضاعف بالنقلة ح-ج ٦ لم يخطر ببال البطل الصيني .

١٨	ر-هـ ٨
١٩ . ح-ج ٦	و-هـ ٦
٢٠ . ح×ب ٨	ف×ب ٨
٢١ . ح-ج ٥	ح×ج ٥
٢٢ . و×ج ٥	ح-ز ٤
٢٣ . ف - ج ٦	ر-و ٨
٢٤ . و×و ٨+	يستسلم

حل المسألة (١٥)

عدد مارس ١٩٨٤

١ . و-ج ٣	م-ب ١
٢ . و-د ٣+	م-أ ١
٣ . و-د ٤	م-ب ١
٤ . و-هـ ٤+	م-أ ١
٥ . و-هـ ٥	م-ب ١
٦ . و-و ٥ +	م-أ ١
٧ . و-و ٦	م-ب ١
٨ . و-ز ٦+	م-أ ١
٩ . و-ز ٧	م-ب ١
١٠ . و-ح ٧+	م-أ ١
١١ . و-ح ٨	م-ب ١
١٢ . و-ح ١ ≠	

حوار القراء

الموسيقا الكويتية

لما كانت مجلة العربي تعرض أنواعا من الثقافات والعلوم والآداب ، فانى أقترح عليكم الاهتمام بالجانب الموسيقى باعتباره من الفنون التي تهتم بها الدول كرمز من رموز ثقافتها وحضارتها ، وأتمنى من مجلتنا الاهتمام بعلم الموسيقا الكويتية ـ والقاء الضوء على الآلات الموسيقية الكويتية وعلى أشهر الموسيقيين في الكويت .

كما أنني أود دراسة الموسيقا الكويتية ، ومعرفة العزف على الآلة الموسيقية التي تشتهر بها الكويت ، وشروط الالتحاق بالمعاهد الموسيقية فيها .

جمال عبد الحي عبد الغنى ـ الجيزة ـ مصر

العربي

الاهتمام بالموسيقا وأهلها لم يغب عن صفحات المجلة ، وبخصوص معرفة شروط الانتساب الى معهد الموسيقا في الكويت ، يرجى الكتابة الى : معهد الدراسات الموسيقية ـ الكويت ـ وزارة الاعلام .

التعصب .. للغة العربية

كتب الأستاذ عثمان سعدى ، مقالا بعنوان (كيف نخرج من المأزق الثقافي) استشهد فيه بنجاح تجربة اليابان والصين وكوريا وكيف طوعوا لغاتهم في استيعاب محتويات النهضة الغربية وتطوير بلادهم صناعيا وعلميا ، ومن الأسف أنه بينما أشاد المستشرقون بلغتنا العربية لم تتمكن من التعريب الشامل لكل العلوم خصوصا في علوم الطب والهندسة ، اذ لا بد من التعصب للغة العربية من أجل النهوض بمنطقتنا العربية في كل المجالات . . .

أحمد أدريس

الدوحة ـ قطر

البابليون .. والبساط الأحمر

قرأت في العدد (٣٠٢) من العربي وفي صفحة ١٦٢ ، ما جاء في مقالة الدكتور عمر الدقاق : ومن تمام الأبهة لدى استقبال الملوك والرؤساء ، مد بساط طويل أحمر اعظاما لشأن الضيف الكبير حين تطأ (أقدامه) أرض البلاد .

ويبدو أن ذلك العرف كان معهودا في القديم على نحو ما . . . والذي أدريه أن ذلك العرف سنه البابليون سنة ٥٨٦ ق.م عند استقبالهم ملكهم الفاتح نبوخذ نصر ، حين عودته بأسرى أورشليم ، بعد انتصاره الباهر عليهم في معركة جربة ، وفرش لاستقباله وتكريمه البابليون الممر الى باب عشتار بساطا من الورود الحمراء الزاهية .. وتفعل ـ هذا ـ كل دول العالم تقريبا باستثناء العدو الاسرائيلي .

حسين حسن التميمي ـ بغداد ـ العراق .

اعداد
يوسف الشهاب

الكويت . . ومنظمة الطب الاسلامي

كان لخطوة الكويت في انشاء منظمة للطب الاسلامي في الكويت أكبر الأثر في نفوس ابناء الوطن العربي ، لما لمثل هذه المنظمة من دور في اهتمامها بالعلوم الاسلامية ، والأبحاث في هذا المجال ، واحياء التراث الاسلامي وفق منهج علمي حديث ، والتعاون مع الهيئات الدولية في المجال الطبي . ولهذا الموضوع الحيوي دور كبير في تحقيق الأمل في الخروج بالمسلمين والانسانية جمعاء من أثر الاستهلاك المادي والمعنوي الذي لا ينسجم مع القيم والتعاليم الاسلامية ، وهو مشروع نأمل أن يرى النور على المستوى العربي والاسلامي ، وأن يساهم به المسلمون من أجل صنع حضارة تستمد مقوماتها من أصالة الانشاء الحضاري والفكري والثقافي والسلوكي المهني والعام ، واستيعاب العلوم المعاصرة وتطبيقاتها بوعي ومسئولية ملتزمين بقيمنا ومبادئنا واخلاقياتنا ومثلنا الاسلامية .

كمال عبد الرحمن محمد
الجزيرة أبا ـ السودان

المشافي العربية

تابعت باهتمام الأفكار المطروحة من خلال المنتدى العربي عن الجامعات العربية ، وهل تحقق الهدف منها ، وتيقنت بأننا جيل قادر على تحقيق نهضة شاملة في مجمل الأقطار العربية . .

ولقد لفت انتباهي ما كتبه الدكتور نبيل سليم ، عن فشل المشافي الجامعية في تأهيل أطباء متخصصين يملكون الخبرة العملية الكافية والمعلومات الطبية الحديثة ، وقادرين على رفع المستوى الصحي في بلادنا العربية .

وباعتقادي أن السبب لا يكمن في كون هؤلاء خريجي مشافي حلب أو القاهرة أو الكويت ، وأولئك هم خريجو مشافي باريس أو لندن ، بل هناك أسباب يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار وهذه تتلخص في : -

أولا . . الاعتماد على الدراسة النظرية في مشافينا أكثر من الاعتماد على الدراسة العملية .

ثانيا . . كون جميع الاساتذة والأطباء المشرفين على طلاب الدراسات العليا يعملون أيضا في القطاع الخاص ، وأن فترة وجودهم في المشافي الجامعية غير كافية لتأهيل هيئة عالية المستوى ، لذلك نجد أن أغلب طلاب الدراسات العليا يعتمدون على جهودهم الخاصة أكثر من اعتمادهم على أساتذتهم .

ثالثا . . كثرة الطلاب تحت اشراف أستاذ واحد وان هذا يتم على حساب المستوى العلمي لهؤلاء الطلاب . .

رابعا . . الأمور الادارية والروتينية التي تحد من حرية الحركة لطالب الدراسات العليا ، وحصر فكر الطالب في تقبل ما يمليه عليه الأساتذة ، دون أن يملك الاعتراض أو المناقشة ، ويجب الاعتراف بأن هناك أسبابا تعطي المختص من المختصين في الجامعات الخارجية أفضلية ويمكن عرض بعضها : اختلاف الامراض والعوامل المرضية للمرض الواحد باختلاف البيئة والعادات والتقاليد ، ثم التباين في المستوى الصحي بين بلادنا وبين الدول المتقدمة ، فكثير من الأمور التي تعتبر مشاكل صحية عندنا قد طواها الزمن عندهم منذ أمد بعيد ، فشلل الأطفال والسعال الديكي من أمراض الأطفال التي يندر أن لا يصاب طفل بها .

والتخصص في هذا الميدان من العلم مطلوب بشروط منها : رفع امكانيات المشافي الجامعية وزيادة عددها ، ثم تفريغ الاساتذة الاطباء المشرفين على القطاع التعليمي ، مع زيادة الأجور لتأمين حياة كريمة لهم تتناسب مع مكانتهم الاجتماعية .

محمد مرجان ـ كلية الطب البشري ـ حلب

حوار القراء

الاسلام .. والعروبة

في مقال « القومية العربية » بقلم الدكتور محمد خلف الله المنشور في عدد (ديسمبر ١٩٥٨) والمعاد نشره في العدد (٣٠١) ١٩٨٣م جاء ما يأتي :

« ... ثم ان فكرة العربية أكثر انتشارا وأوسع نفوذا من الفكرة الاسلامية ، انها تشمل سكان العالم العربي جميعا ، أما الاسلام فلا يشمل هؤلاء السكان . لقد تعرّب سكان هذه البلدان أجمعون ولم يسلموا أجمعين . انه لا يزال منهم النصارى ولا يزال منهم اليهود .

والذي أود قوله ان الدكتور محمد أحمد خلف الله (سامحه الله) حسب لليهود حسابهم ولم يحسب للملايين من الأكراد في العراق وسوريا والاردن ، ولا للتركمان أو البربر في شمالي أفريقيا ... وهؤلاء مسلمون كما يعرف الجميع . وهذا المقال كتب أول ما كتب في عام ١٩٥٨م أي بعد عشرة أعوام أو أحد عشر عاما بعد احتلال اليهود أرض فلسطين المقدسة وتدنيسهم لها . ومع ذلك فاليهود لهم أهمية كبيرة في تكوين الوحدة العربية في نظر الدكتور كاتب المقال .. أما الملايين الذين ذكرتهم من غير العرب فلا .

ولا أعني بهذا أنني ضد الوحدة العربية أبدا ، ولكن مع اليهود ، لا ! أما اللغة العربية فهي الأساس في الوحدة العربية وفي الوحدة الاسلامية ، ولا خير في وحدة إسلامية لا ترتكز على لغة القرآن الكريم ، ولا على لسان سيد الخلق عليه الصلاة والسلام .

محمد فاتح توفيق - الدار البيضاء - المغرب

الوجه الاجتماعي

كنت - ولا أزال - أتابع صدور مجلتنا العربي ، التي تطل علينا كل شهر في مواضيعها القيمة الشاملة لكل جوانب الحياة الأدبية والثقافية والعلمية وغيرها ، وخلال هذه المتابعة مع قراءة العربي شعرت بغياب الوجه الاجتماعي للمجلة ، الذي يدرس ويحل مشكلة كل قارىء يقتني هذه المجلة التي يعرفها كل قارىء عربي ، لشمولها كافة أنشطة الحياة الفكرية ، وما نوده - كقراء - أن تأخذ (العربي) هذا الجانب في أعدادها القادمة ..

معتز ابراهيم الغرباوي - القليوبية - مصر الجديدة

العربي

شكرا للقارىء على متابعته للعربي وعلى اقتراحه ، لكننا نرى أن الاقتراح ، الذي طرحه لا يتمشى مع رسالة المجلة وطبيعتها ، خاصة وأن قضايا المواطن العربي كثيرة ، وقد لا تستوعب صفحات المجلة ، ثم أن العربي لا تغفل عادة الجانب الاجتماعي ، وهذا ما تؤكده المقالات الاجتماعية التي يتناولها اساتذة مختصون في هذا الميدان ..

لاصوت آخر يَصِفُ ساعة رولكس بمثل هذا الجمال

أحيَتْ "كيري تي كاناوا" أولى حفلاتها الغنائية، وهي في الخامسة عشرة، أمام جمهور من السيدات ينتمين إلى جمعية نسائية محلية في أوكلاند، نيوزلندا.

ولربما لامس صوت "كيري" وترًا حساسًا في نفوس هذا الجمع من السيدات، إلا أن أيًا منهن لم يخطر لها ببال ان الفتاة سوف يلمع نجمها لتصبح من أشهر مغنيات سوبرانو الأوبرا في العالم.

وكان ما تقاضته مقابل ظهورها على خشبة المسرح آنذاك مبلغًا سخيًا مقداره جنيهان استرلينيان.

واليوم، وبعد قيامها بدور "دونا الفيرا" من مسرحية "دون جيوفاني" في باريس، أو دور الكونتس في مسرحية "عرس فيغارو" في كوفنت غاردن، بلغ التأثر منتهاه بكثير من النقاد حتى وصفوا صوتها بانه لا يقدر بثمن.

وحيثما غنت هذه النجمة العالمية، إن في نيويورك، لندن، باريس أو ميلانو، تلاقي تجاوبًا رائعًا وحماسًا منقطع النظير. يضاف إلى ذلك النجاح الخارق لفيلم "دون جيوفاني" - اخراج جوزيف لوسي - الذي تألقت فيه كيري بدور "الفيرا".

تقول كيري، "إني مدينة بالكثير للتدريب والتكنيك الفني الذي اعتمدته أساسًا حيث أصبح صوتي مكيفًا للغناء متخطيًا كل المصاعب". واختيار "كيري تي كاناوا" ساعة لمعصمها لأمر يغمرنا بالسرور، حيث تقول: "بكل بساطة، رولكس اويستر ليدي - ديت جست الذهبية هي ساعة رائعة. وطوال سنوات، وأنا أستعملها، لم يحدث أبدًا أن زلّت أو أخلّت... وأنا أعلم كم من الصعب أن تبلغ الأمور مرحلة المئة بالمئة.

وكل يوم، وحيثما كنت، أمضي ساعة على الأقل في غناء دور مسرحي لأحافظ على صوتي نقيًا رخيمًا. لذا، أقدّر الوقت حق تقدير، وكذلك المهارة والمجهود الذي يبذل لابداع شيء في منتهى الجمال والدقة، كهذه الساعة."

"كيري تي كاناوا" وساعتها رولكس ليدي - ديت جست.

لم يصدر عن أي صوت آخر تعبير بمثل هذا الجمال.

ROLEX
رولكس

ساعة رولكس ليدي - ديت جست المصنوعة من الذهب عيار ١٨ قيراطًا أو من فولاذ لا يصدأ مع سوار ينسجم معها.

عالم المعرفة

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

مايو ١٩٨٤ م

الشعر الإغريقي

تراثاً إنسانياً وعالمياً

تأليف

د . أحمد عتمان

الكتاب السابع والسبعون

٥٠٠ فلساً

المراسلات :

توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

من المسرح العالمي
سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع كل شهر
وزارة الإعلام في الكويت

أول مايو ١٩٨٤

١٧٦

الدكتاتور

تأليف : جول رومان
ترجمة وتقديم : عبد المسيح ستيتي
مراجعة : د. على درويش

تصدرها
جامعة
الكويت

مجلة العلوم الاجتماعية

مجلة فصلية أكاديمية تعنى بنشر الأبحاث والدراسات في مختلف حقول العلوم الاجتماعية.

رئيس التحرير: **د. خلدون حسن النقيب**

مدير التحرير: **عبدالرحمن فايز المصري**

منبر بارز للأكاديميين العرب.

توزع أكثر من (٨٠٠٠) نسخة.

الاشتراكات.

للمؤسسات: ١٢ ديناراً في الكويت.
٤٥ دولاراً أمريكياً في الخارج

للأفراد: ٢ دينار في الكويت، ٦ دينار للطلاب
٢،٥ دينار أو ما يعادلها في الوطن العربي.

١٥ دولاراً أمريكياً في الخارج.

الموزع في الكويت والخارج: مجلة العلوم الاجتماعية

توجه جميع المراسلات الى: رئيس التحرير
مجلة العلوم الاجتماعية - جامعة الكويت ص.ب ٥٤٨٦ صفاة - الكويت
هاتف: ٢٥٤٩٤٢١ «مباشر» ٢٥١٠١٨٨ / ٣٧٣ / ٢٥٠ تلكس ٢٦١٦ كويت

المجلة العربية للعلوم الإنسانية

مجلة فصلية محكمة ، تقدم البحوث الاصيلة والدراسات الميدانية والتطبيقية في شتى فروع العلوم الانسانية والاجتماعية باللغتين العربية والانجليزية .

تصدر عن جامعة الكويت

صدر العدد الأول في يناير ١٩٨١

رئيس التحرير د. عبدالله العتيبي

مدير التحرير عبدالعزيز السيد

- تتناول المجلة الجوانب المختلفة للعلوم الانسانية والاجتماعية بما يخدم القارىء والمثقف والمتخصص .
- تعالج موضوعات المجلة الميادين التالية :
  اللغويات النظرية والتطبيقية – الآداب والآداب المقارنة – الدراسات الفلسفية الدراسات النفسية – الدراسات الاجتماعية المتصلة بالعلوم الانسانية – الدراسات التاريخية – الدراسات الجغرافية – الدراسات التربوية – الدراسات حول الفنون (الموسيقى – التراث الشعبي – الفنون التشكيلية – النحت ... الخ) – الدراسات الاثارية (الاركيولوجية) .
- تقدم المجلة معالجاتها من خلال نشر :
  البحوث والدراسات – مراجعات الكتب – التقارير العلمية – المناقشات الفكرية .
- مواعيد صدور المجلة : كانون ثاني – نيسان – تموز – تشرين أول .
- تنشر المجلة ملخصات للبحوث العربية بالانجليزية ، وملخصات بالعربية للبحوث الانجليزية .

ثمن العدد : للأفراد ٤٠٠ فلس
للطلاب ٢٠٠ فلس

- **الاشتراكات السنوية**

	داخل الكويت	في الخارج
– للمؤسسات	١٠ د.ك.	٤٠ دولاراً أمريكيا
– للأفراد	٢ د.ك.	١٥ دولاراً أمريكيا
– للاساتذة والطلاب	١ د.ك.	١٠ دولارات أمريكية

- تقبل الاشتراكات في المجلة لمدة سنة أو عدة سنوات .
- قواعد النشر تطلب من رئيس التحرير .
- جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير :

ص.ب : ٢٦٥٨٥ (الصفاة)

الكويت – الشويخ – ت : ٨٢١٦٣٩ – ٨١٧٦٨٩ – ٨٨٥٤٥٣

مجلة
دراسات الخليج والجزيرة العربية

تصدر عن جامعة الكويت

رئيس التحرير
الدكتور عبدالله الغنيم

صدر العدد الأول في كانون ثاني (يناير) ١٩٧٥

تصل أعدادها الى أيدي نحو ١٢٥٫٠٠٠ قارئ

يحتوي كل عدد على حوالى ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير تشتمل على : -

- مجموعة من الأبحاث تعالج الشئون المختلفة للمنطقة بأقلام عدد من كبار الكتاب المتخصصين في هذه الشئون
- عدد من المراجعات لطائفة من أهم الكتب التي تبحث في المناحي المختلفة للمنطقة .
- أبواب ثابتة : تقارير - وثائق - يوميات - بيبليوجرافيا .
- ملخصات للأبحاث باللغة الانجليزية .

ثمن العدد : ٠٠ فلس كويتي أو ما يعادلها في الخارج .

الاشتراكات : للأفراد سنويا ديناران كويتيان في الكويت . ١٥ دولارا أمريكيا في الخارج (بالبريد الجوي) .

للشركات والمؤسسات والدوائر الرسمية : ١٢ دينارا كويتيا في الكويت . ٤٠ دولارا أمريكيا في الخارج (بالبريد الجوي)

منشورات المجلة :

تصدر المجلة أيضا دراسات مستقلة متعلقة بشئون المنطقة صدر منها

١- **كتاب التكامل الاقتصادي في الخليج العربي (د . محمد هشام خواجكية) . ١٩٧٩ .**

٢- **كتاب آفاق التنمية الصناعية في دول الخليج العربي (د . عبد الاله أبو عياش) . ١٩٧٩ .**

٣- **كتاب حقوق الطفل في دولة الكويت (د . بدرية العوضي) . ١٩٧٩ .**

٤- **كتاب الاحصاءات الاقتصادية في المملكة العربية السعودية (بدوي خليل) ١٩٨٠ .**

٥- **دور جريدة فتاة الجزيرة في أحداث عام ١٩٤٨ بصنعاء (سلطان ناجي) ١٩٨٠ .**

سلسلة وثائق الخليج والجزيرة العربية لعام صدر منها : -

الكتاب الأول - وثائق الخليج والجزيرة العربية لعام ١٩٧٧ . ١٩٧٩ .

العنوان : جامعة الكويت - كلية الآداب والتربية - الشويخ - دولة الكويت
ص . ب : ١٧٠٧٣ - الخالدية
الهاتف : ٨١٦٨٠٧ - ٨١٦٧٩٩ - ٨١٦٨٤

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير .

توشيبا: الرائدة في نظام العكس الذاتي "أوتو رفيرس"

إن أجهزة الراديو كاسيت ستريو من "توشيبا" كانت السباقة في نظام العكس الذاتي "أوتو رفيرس". لذا، فقد أصبحت الأولى في توفير متعة التسجيل أو الاستماع دون توقف وذلك لدورة واحدة أو بصورة متواصلة. ويمكنك أيضا الاستماع إلى كل جانب من الشريط دون قلبه.

توشيبا تعرض عليك مجموعة كاملة من أجهزة الراديو كاسيت المزودة بنظام العكس الذاتي "أوتو رفيرس" والمتوفرة بموديلات عادية وستريو وبأحجام صغيرة وكبيرة. وبغض النظر عن الموديل الذي تختاره فانت واثق من حقيقة ثابتة وهي ان جهازك رائع لانه من توشيبا.

BOMBEAT SX7
AUTO REVERSE
• قوة الخرج ٦٠ واط
• ٤ موجات أف أم / متوسطة / قصيرة ١و٢
• نظام ستريو شامل
• ٤ مكبرات للصوت بإتجاهين قابلة للفصل
• نظام سريع لانتقاء الصوت
• ٤ موجات مغنطيسية مختلفة

BOMBEAT 170
AUTO REVERSE
• قوة الخرج ٢٠ واط
• ٤ موجات أف أم / متوسطة / قصيرة ١و٢
• نظام ستريو شامل
• أربعة مكبرات بإتجاهين

BOMBEAT 483
AUTO REVERSE
• قوة الخرج ٥ واط
• ٤ موجات أف أم / متوسطة / قصيرة ١و٢
• مكبر الصوت ثنائي الإتجاه

Toshiba **TOSHIBA** | توشيبا

TOKYO, JAPAN

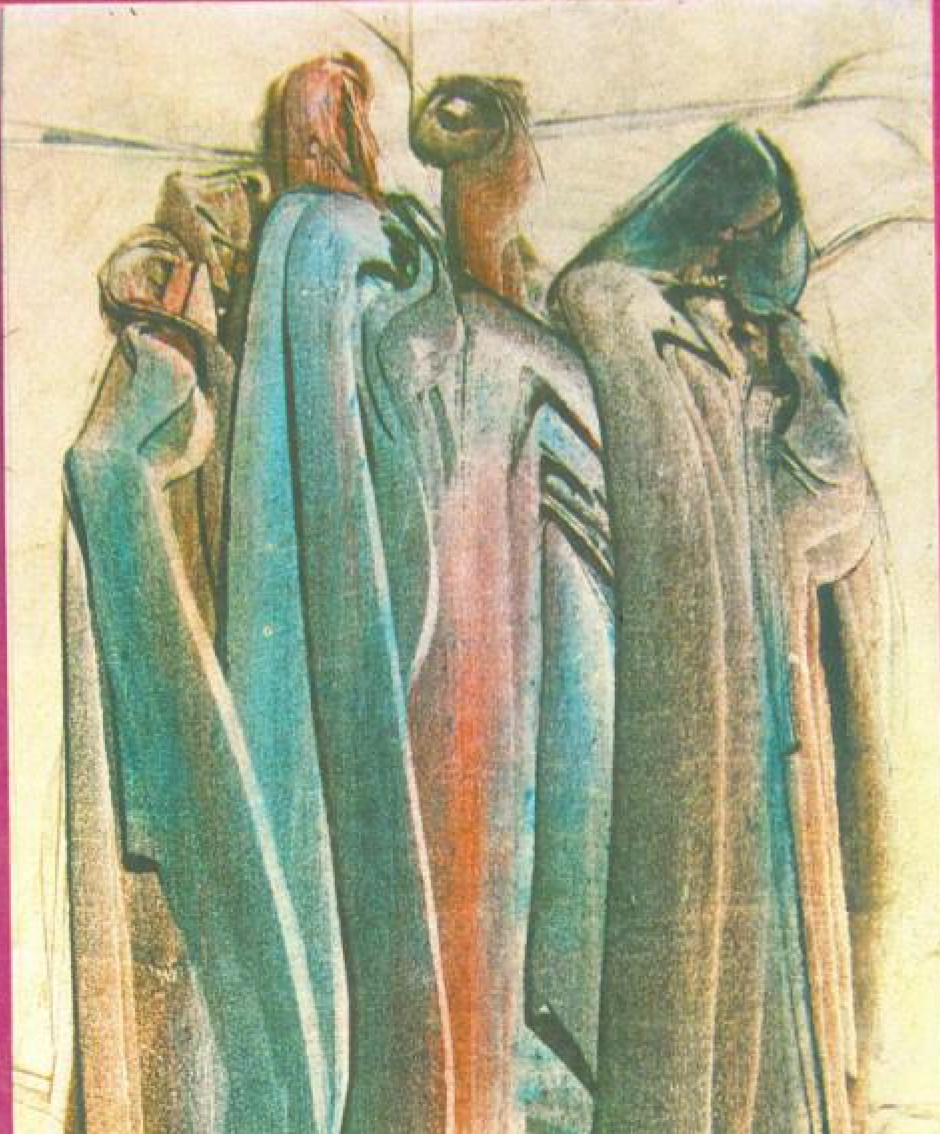

★لوحة وفنان★ إقرأ ص ١٢٠

رمضان ١٤٠٤هـ - يونيو (حزيران) ١٩٨٤

العربي

عدد خاص

رمضان كريم

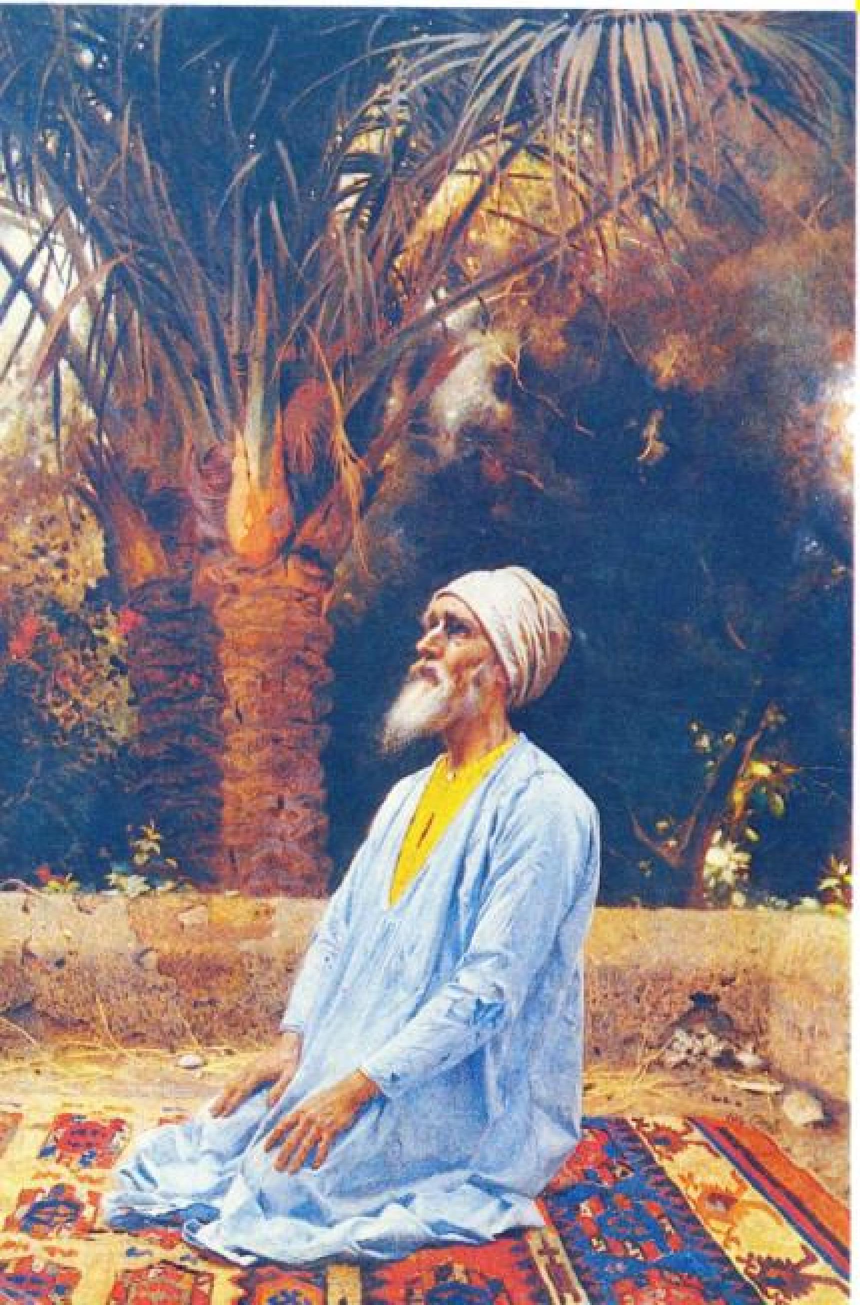

رمضان..
ومآذن القاهرة

موسيقى الزمن
.. والإنسان

باربا روسا
سيد البحار

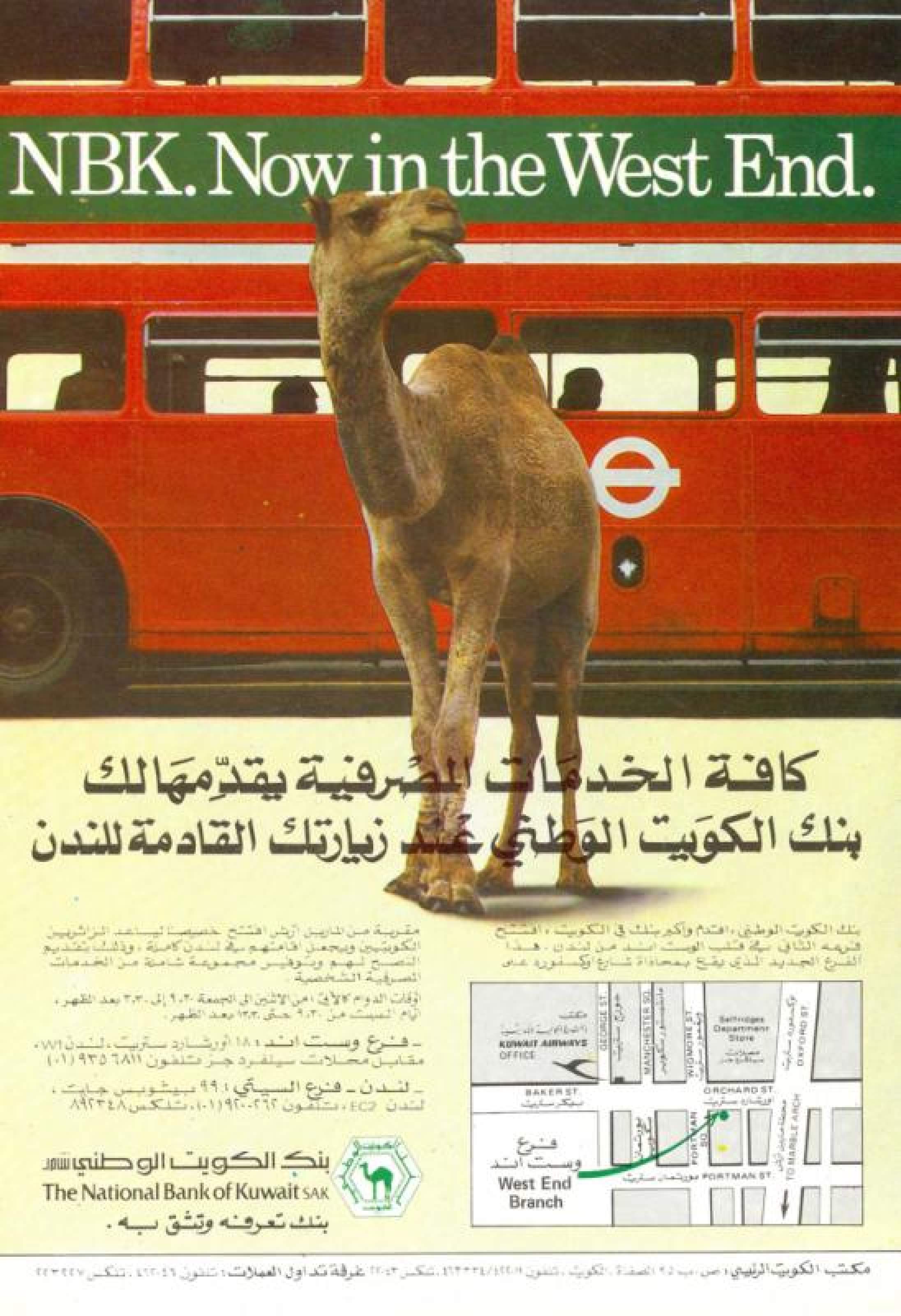

NBK. Now in the West End.
كافة الخدمات المصرفية يقدمها لك
بنك الكويت الوطني عند زيارتك القادمة للندن
بنك الكويت الوطني، اقدم وأكبر بنك في الكويت، افتتح فرعه الثاني في قلب الوست اند من لندن. هذا الفرع الجديد الذي يقع بمحاذاة شارع أكسفورد على
مقربة من ماربل آرش افتتح خصيصا ليساعد الزائرين الكويتيين ويجعل اقامتهم في لندن كاملة، وذلك بتقديم النصح لهم وتوفير مجموعة شاملة من الخدمات المصرفية الشخصية
أوقات الدوام كالآتي: من الاثنين الى الجمعة ٩:٣٠ الى ٣:٣٠ بعد الظهر، أيام السبت من ٩:٣٠ حتى ١٢:٣٠ بعد الظهر.
- فرع وست اند ١٨ أورشارد ستريت، لندن W1، مقابل محلات سيلفردجز تلفون ٩٣٥٦٨١١ (٠١)
- لندن - فرع السيتي ٩٩ بيشوبس جايت، لندن EC2، تلفون ٢٦٢-١٩٢٠ (٠١)، تلكس ٨٩٢٣٤٨
GEORGE ST.
MANCHESTER SQ.
WIGMORE ST.
Selfridges Department Store
OXFORD ST.
KUWAIT AIRWAYS OFFICE
BAKER ST.
ORCHARD ST.
PORTMAN SQ.
PORTMAN ST.
TO MARBLE ARCH
فرع وست اند
West End Branch
بنك الكويت الوطني ش.م.ك
The National Bank of Kuwait SAK
بنك تعرفه وتثق به.

العربي

مجلة ثقافية عربية مصورة

رئيس التحرير

د. محمد الرميحي

تصدر شهرياً عن وزارة الإعلام
بدولة الكويت للوطن العربي
ولكل قارئ للعربية في العالم
المجلة غير ملتزمة بإعادة أي مادة تتلقاها
للنشر والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

المراسلات

باسم رئيس التحرير

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة
قسم الإعلانات

الاشتراكات

ترسل الطلبات إلى : قسم الإشتراكات
للمكتب الفني - وزارة الإعلام
ص.ب ١٩٣ الكويت

على طالب الإشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة
مصرفية ، أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الإعلام
طبقاً لما يلي :
الوطن العربي ٤ د.ك - باقي دول العالم ٦ د.ك

ثمن العدد

الكويت	٢٥٠	فلساً	السعودية	٥	ريالات
العراق	٢٥٠	فلساً	اليمن الشمالي	٣	ريالات
الأردن	٢٠٠	فلس	قطر	٥	ريالات
البحرين	٣٠٠	فلس	لبنان	٣	ليرات
اليمن الجنوبي	٢٥٠	فلساً	سوريا	٣	ليرات
مصر	٢٥٠	مليماً	الامارات	٥	دراهم
السودان	٢٠	قرشاً	المغرب	٣	دراهم
تونس	٤٠٠	مليم	ليبيا	٣٥٠	درهماً
الجزائر	٤	دنانير	سلطنة عمان		ربع ريال
بريطانيا		جنيه استرليني	أوربا		دولاران أو جنيه استرليني
فرنسا	١٥	فرنكاً	أمريكا		دولارات

العدد ٣٠٧
يونيو ١٩٨٤

عنوان المجلة بالكويت
ص.ب ٧٤٨ صفاة
ت ٤٣٩٧٢٨-٢٤٦٨٤٢-٤٢٧١٤١
برقياً "العربي" الكويت
تلكس : MITR-44041 KT

AL-ARABI
Issue No . 307 . June . 1984
P. O. Box 748 KUWAIT

A Cultural Monthly
Arabic Magazine
in Colour
Published by:
MINISTRY OF
INFORMATION
STATE OF KUWAIT.

عزيزي القارئ

قضية الاعلام اليوم لم تعد مجرد صحيفة أو مجلة تقرؤها ثم تطويها .. ولا مذياعا تسمع موسيقاه وأغانيه ثم تحرك مؤشره لتغير موجته .. ولا تلفازا تدير مفتاحه لتفتح عينيك على صور ومشاهد وروايات تبهرك وتدغدغ مشاعرك حتى ترتوي فتطفئه .. لا .. فقد بات الأمر أكثر أهمية وأشد خطرا مما تتصور ..

فبعد سنوات قليلة .. سنجد أنفسنا في مواجهة اجتياح شامل على ثقافتنا العربية من ثقافات أجنبية لن تكون كلها صديقة .. حين تهبط علينا من الفضاء برامج البث التلفزيوني للأقمار الصناعية التي ينتظر أن تنطلق بوادرها خلال بضعة شهور .

وبرغم أن البدايات قد تكون جذابة ومشوقة بالقدر الذي يدفع الشعوب الى متابعتها .. نجد أن الذي لا شك فيه .. هو أن برامج البث الجديد ستكون مثل « سنارة الصيد » .. التي تطلق في الماء محملة بالطعم الذي يجتذب الأسماك .. حتى اذا وقعت في المصيدة لم تجد سبيلا للفكاك ، بعد أن تكون السنارة قد انغرست في حلوقها لتجذبها الخيوط الى حيث لا حرية .. ولا حياة .. ولنا أن نتصور أنفسنا في وطننا العربي ، وقد غطى قمر البث الاسرائيلي سماءنا .. لينقض علينا بكل ما يريد بثه من سموم وأكاذيب .. !

صحيح أن الخطر الآن قائم ولو بشكل جزئي بما تستورده اذاعاتنا المرئية المسموعة من برامج تبث لنا السم في الدسم .. الا أن الخطر سيكون أعم وأشمل عندما لا يصبح في أيدينا ما نتحكم به فيما تنقله الينا الموجات السامة المنقضة علينا من الفضاء .

ان «العربي» عزيزي القاريء ـ يناقش معك في هذا العدد تفاصيل ذلك التحدي الخطر الذي يجب أن نستعد لمواجهته .. ويفتح صفحاته لكل صاحب رأي .. يمكن أن يسهم به للاعداد لهذه المواجهة ..

فتلك في الواقع هي القضية .

المحرر

فى هذا العدد

عدد خاص عن رمضان

وأنت تقلب صفحات هذا العدد الخاص بمناسبة رمضان .. وتستعرض موضوعاته .. وحين تختتم ساعات صومك .. وتلقى نظرة سريعة على عقارب ساعتك بانتظار لحظة الافطار .. هل خطر ببالك أن تعرف ما وراء هذه الساعة الصغيرة من تاريخ ؟ وهل تنبهت الى أن كل شىء فى هذه الحياة يسير بميقات ؟ وان التوقيت أساس من أسس العقيدة ترتبط به فرائض الاسلام .. من صيام وصلاة وزكاة وحج الى بيت الله ؟ إن أردت أن تنعش ذاكرتك ، فتتبع موسيقا الزمن .. والانسان .

« اقرأ ص ٤٩ »

♦ مآذن القاهرة القديمة ♦

عندما يرتفع صوت المؤذن .. وتغرب شمس رمضان وراء مآذن القاهرة القديمة .. يمر أمام ناظريك شريط طويل يستعرض سجل تاريخ أحرفه من نور .. يحكى تفاصيل أيام باهرة شهدت أمجاد العرب والمسلمين .. وأحداث عهود حافلة بالانتصارات .. هى الشاهد الحى على حضارة رائعة ظلت تتواصل كلما انطلق من فوق المآذن نداء .. الله أكبر ..

« اقرأ ص ١٠٠ »

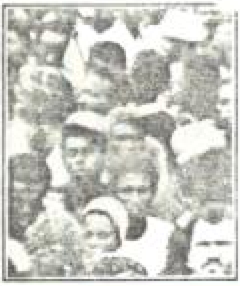

♦ نحو نظام عالمى بديل ♦

تميزت الحقبة الأخيرة بصحوة ثقافية حضارية فى العالم الثالث .. ترفض أيدلوجيات « السادة » .. وتنادى بالعودة الى الجذور والبحث عن الذات ، ولا شك أن الصحوة العربية الاسلامية هى أهم هذه الحركات جميعا فى عالم اليوم .. فكيف يكون السعى الجاد لشق طريق جديد لمشروع حضارى بديل للمشروع الغربى الذى أصبح الآن على مفرق الطرق ؟ .

« اقرأ ص ١٦ »

♦ بارباروسا .. سيد البحار ♦

لم يكن بارباروسا قرصانا كما ادعى المؤرخون الاوروبيون.. وإن كانت حملاته ضد السفن الاسبانية والأساطيل الصليبية تعد قرصنة .. فكيف نسمى هؤلاء الذين كانوا يضربون تجارة المسلمين ويستولون على سفنهم فى عرض البحر .. ويهاجمون الثغور الاسلامية ، يسرقون خيراتها ويستعبدون أهلها ؟ ان قصة حياة خير الدين سيد البحار وحامى العقيدة تلقى ضوءا كاشفا على الحقيقة كما تبينها صفحات التاريخ الاسلامى .

« اقرأ ص ١٢٤ »

محتويات العدد

قضايا عامة

■ حديث الشهر : من المسئول عن الجوع في العالم ؟
الأولوية : للغذاء أم للسلاح ؟
ـ د. محمد الرميحي ٨
■ نحو نظام عالمي بديل !
ـ د. اسامة أمين الخولي ١٨
■ عاصفة على اليونسكو .. زمان الشعوب بين الضغوط والآمال .
ـ د. عبد العزيز كامل ٢٦

عروبة واسلام

■ ملامح الهوية العربية .
ـ د. محمد عمارة ٣٤
■ النص والاجتهاد والحكم في الاسلام
ـ د. محمد احمد خلف الله ٤١
■ شهر رمضان في المدينة الاسلامية .
ـ د. سعيد عبد الفتاح عاشور ... ٥٧
■ كتاب الشهر : سيرة (محمد) والحقيقة بين عالمين .
ـ د. محمد الموافي ٢٠٣

منتدى العربي

■ ماذا أعددنا لمواجهة البث التلفزيوني الأجنبي بالأقمار الصناعية ؟
ـ حمدي قنديل ٨٢
■ نحو سياسة عربية قومية للاتصال
ـ د. احمد حسين الصاوي ٨٧
■ أرقام : نملك الأدوات .. ويستخدمها الآخرون .
ـ محمود المراغي ٨٠

طب وعلوم

■ الجديد في الطب والعلوم .
ـ اعداد يوسف زعبلاوي ٩٧
■ طبيب الأسرة ١٥٦
■ الصيام .. والصحة .
ـ د. نبيل سليم ١٦٣
■ قاموس من مفردات .. لا مكتوبة ولا منطوقة .
ـ د. عبد المحسن صالح ١٨٠
■ سلامة البشرية من سلامة البيئة ١٨٨

آداب وفنون

■ الغد المجهول .
ـ الياس قنصل ١٧
■ لوحة وفنان .
ـ ثريا البقصمي ٤٠
■ ضروب الأدباء .
ـ عبد الله زكريا الأنصاري ٤٦

■ الترجمة من العربية واليها .
- عبد الرزاق البصير ٩١
■ غيبوبة حلوة (قصة) .
- عباس خضر ١٢٠
■ صفحة لغة : رئيس ورئيسي .
- محمد خليفة التونسي ١٣٤
■ باكثير .. رائد التجربة وبطل الانقلاب في الشعر المعاصر .
- د . عبد العزيز المقالح ١٣٨
■ سمفونية البحر والبحار .
- ابو المعاطي أبو النجا ١٤٤
■ بيني وبين السياسة الأسبوعية .. ذكريات نصف قرن .. أي ذكريات . - د. نقولا زيادة ١٥١
■ من قصص الخيال العلمي : الاكتشاف (قصة) للكاتب السوفيتي فارلين شرونجن .
- ترجمة أشرف فتحي ٢٠٠

اجتماع

■ الترف النفطي والثقافة .
- د. أسامة عبد الرحمن ٧٤
■ شخصيات رمضانية .
- د. حسان حتحوت ١٥٩

تاريخ واشخاص

■ من التراث : البحث عن الزمن : موسيقا الزمن .. والانسان .
- ريم الكيلاني ٤٩
■ من تجارب الشعوب : الثورة الفيتنامية وشروط النهضة .
- عثمان سعدي ٦٧
■ باربار وسا سيد البحار وحامي العقيدة .
- سليمان مظهر ١٢٤
■ يا نايم .. وحد الدايم المماليك يصومون رمضان .
- د. محمد المنسي قنديل ١٩٢

استطلاعات مصورة

■ شمس رمضان وراء مآذن القاهرة القديمة .
- منير نصيف ١٠٠
■ مسرح الطفل وتجربته الجادة في الكويت .
- صادق يلي ١٦٨

أبواب ثابتة

■ عزيزي القاريء ٤
■ العربي من ربع قرن ٧٢
■ من مكتبة العربي ٢٠٩
■ حوار القراء ٢١٢
■ حل مسابقة العدد (٣٠٤) ٢١٥
■ المسابقة الثقافية ٢١٦
■ معركة بلا سلاح (الشطرنج) ٢١٨

من المسؤول عن

الجوع : قنبلة بلا انذار

يُحدثك البعض عن المشكلات العالمية ، فيضع مشكلة التهديد النووي على رأس المشكلات التي ترعب العالم وتخيفه . . ويضرب لك مثلا بأن الوقت المتاح بين معرفة الصاروخ المتجه الى هدفه ، وبين اتخاذ قرار بمواجهته في أي اتجاه ، قد تقلص اليوم ، ليصبح أربع دقائق فقط ، بين المعسكرين المتواجهين . . الشرق والغرب .

تلك بعض أسباب الخوف على العالم ، ولكن هناك أسباب أخرى أكثر خطورة وتدميرا ، وهي لا تحتاج لضغط أزرار ولا تحسب بالدقائق ، فهي قائمة تدمر ملايين الأرواح من البشر في أكثر من قارة ، وخصوصا في أجزاء كبيرة من أفريقيا وآسيا . . إنها قضية الجوع .

ومنذ أن كتب « جوزيه دوكاسترو » كتابه المعروف « الكتاب الاسود للجوع » في أوائل الستينيات من هذا القرن ـ مرورا بتقرير لجنة ولي برانت الدولية وانتهاء بتقارير المنظمات المختلفة التابعة للأمم المتحدة في بداية الثمانينيات ـ وقضية الجوع ونقص التغذية التي تقصف أرواح الألوف المؤلفة من الأنفس البشرية كل عام ، هي قضية تتداولها المحافل المتخصصة والتقارير الموثقة ، وتظل حبيسة الأدراج أو مضمومة في كتابات الأكاديميين ، أو ينظر اليها على أنها قضية انسانية فحسب . . قضية ليس من المحتمل أن تصيبنا ـ نحن في الوطن العربي ـ برذاذها !

ولكن هل ذلك صحيح ؟

يقول الزعيم العمالي السابق هارولد ولسون ـ وكان ذلك في بداية الستينيات أيضا ـ « ان المشكلة الملحة لغالبية البشر ليست مشكلة الحرب ولا مشكلة تكاليف المعيشة ولا مشكلة الضرائب . . . انها مشكلة الجوع . . ذلك أن الجوع هو نتيجة وسبب في نفس الوقت للفقر والبؤس لملايين البشر من أبناء الأرض » .

ان البؤس والجوع الذي يخيم على قسم كبير من سكان الكرة الأرضية هو في نظر العقلاء أشد خطرا على مستقبل الانسانية ، حتى من هول الحرب النووية .

واذا كانت الحرب النووية غير متوقعة . . فالفقر والبؤس هو الواقع المعاش يوميا ، واذا أردنا أن ننظر الى نتائجه فلنتذكر بعض حوادث أخيرة وقعت في بعض

الجوع في العالم ؟

بقلم : الدكتور محمد الرميحي

الأقطار العربية ، نعيها بكل حواسنا .

ففي الوطن العربي .. نجد أنه لا غياب الديمقراطية ، ولا فرض الأحكام العرفية ، دفع الشارع العربي في بعض أقطارنا الى الهيجان .. كما فعلت قرارات رفع أسعار بعض المواد الغذائية الأساسية . انه الخوف من الجوع .. القنبلة التي تنفجر دون انذار .

***

ولكن من المسئول عن الجوع في العالم ؟

هناك نظريتان مطروحتان لتفسير أسباب الجوع وتحديد العوامل المسببة له :

النظرية الأولى تقول :

ان الجفاف واحتباس الأمطار في بعض المناطق ، وتآكل التربة وزيادة تكاثر السكان ـ خاصة في العالم الثالث ـ وتدفقهم من المناطق الريفية الى الحضرية ، وما

شابه ذلك من العوامل الطبيعية يؤدي الى تدهور الزراعة .

وفوق هذه الأسباب الطبيعية ـ يذهب القائلون بهذه النظرية الى وضع أسباب مصنوعة من قبل الانسان نفسه ـ مرة أخرى ـ خاصة في العالم الثالث ليزيدوا بأن السياسات غير الحكيمة ـ الزراعية والاقتصادية بوجه عام ، والتي تتبعها أقطار العالم الثالث ـ تؤدي الى تزايد في انهيار الزراعة ، كما تؤثر في ذلك الخلافات الاقليمية الحادة ، والتي قد توصل الى الحرب ، مما يدفع مزارعي المناطق الحدودية الى الهجرة ، وحرمان الريف من الخدمات الأساسية ، واحتكار الثروة لدى فئة صغيرة من الناس ، ويؤدي ذلك بالتالي الى أن يصبح الريفي فقيرا معدما وتتناقص انتاجيته الى الحضيض ، مما يجعل هذا الريفي يعتقد أن خلاصه في المدينة . . فيزيد المشكلة تعقيدا .

هكذا ترجع النظرية الأولى أسباب المجاعة الى الانحطاط الزراعي المرتبط بالمؤثرات الطبيعية وبالاجتهادات الخاطئة للانسان .

أما النظرية الثانية :

في أسباب هذه المجاعة ، وتدني مستوى التغذية لبعض بلدان العالم الثالث ، فهي تضع اللوم على سيئات النظام الاقتصادي العالمي ، فهو يفرض على الدول النامية والفقيرة حدودا لا يمكن تخطيها ، فان هي حاولت ان تنمي نفسها زراعيا تجد أنها في حاجة الى مستلزمات الانتاج الزراعي ، كالأسمدة والمبيدات ووسائل النقل والتخزين ، والتقاوي المحصنة ، وفوق ذلك المعرفة العلمية . . وجميعها مصنوعات أو خدمات تملكها البلدان المتقدمة ، ويعترض الحصول عليها الافتقار الى نقد نادر ليس متوفرا الا بمساعدة الدول المتقدمة نفسها ، وكأن الدائرة مقفلة لا خروج منها .

في الوقت نفسه تفرض الدول المتقدمة الأسعار التي تناسبها للمنتجات الخام ، المتوفرة في البلدان النامية ، وتغلق سوقها من جهة أخرى ـ الا فيما ندر ـ لأي شكل من أشكال المصنوعات أو المنتجات الزراعية التي يمكن أن تدر نقدا أجنبيا .

وباختصار ـ تضع هذه النظرية اللوم كل اللوم في مظاهر الفاقة والجوع في العالم ، على سياسات الدول المتقدمة المحتكرة للنظام الاقتصادي الدولي . .

فأي النظريتين على خطأ . . وأيهما على صواب ؟

الجوع في العالم الثالث : مظاهره وأسبابه

نكون مجانبين للحقيقة والواقع اذا تبنينا احدى النظريتين على علاتها ، فهناك حق في بعض ما تقوله النظرية الأولى ، وحق في بعض ما تقوله النظرية الثانية ، إلا أن واقع الفاقة والجوع في العالم الثالث واقع حي معاش .

فمظاهر الجوع والفاقة في بعض مناطق افريقية وآسيا وأمريكا اللاتينية تصدمنا بها اعلانات مؤسسات الاغاثة الدولية ، ومؤسسات العون الخيرية الاقليمية في كل يوم وساعة .

ففي منتصف أكتوبر الماضي قامت منظمة الأغذية والزراعة الدولية بتنظيم حملة سريعة من خلال مؤتمرين للمتبرعين ، عقدا في روما لتقديم المساعدة العاجلة لبعض الدول الافريقية ، وظهر من أوراق المنظمة أن الدول الافريقية التي تعاني من نقص حاد في الغذاء ، وصلت الى ستة وعشرين بلدا ، ومن الممكن أن تصل الى خمسة وثلاثين بلدا ، أكثر من نصف بلدان افريقيا ، بعد أن ظلت الظروف الطبيعية في العام الماضي كما هي عليه في افريقيا منذ سنة ١٩٨١ ، من نقص في الأمطار وهلاك في الماشية ، الى درجة أن صور الأقمار الصناعية تظهر أن الحزام الأخضر خلف الصحراء الافريقية قد تراجع من ١٥٠ الى ٢٠٠ كيلو متر للجنوب ، وبدأت الصحراء تتسع ، مما يهدد بزوال حضارة افريقية كاملة .

هذا الجفاف يسبب مآسي في بعض تلك الدول الافريقية ، الى درجة أن الملايين تواجه المجاعة ، أو على الأقل تواجه مستوى خطيرا من نقص في التغذية .

في الحالة هذه لا يمكن تجاهل الأسباب الطبيعية التي تزيدها المشكلة الاقتصادية العالمية تعقيدا . فان معظم هذه البلاد لا تجد العملة الصعبة لاستيراد ما تحتاجه من غذاء أساسي لسكانها ، أما على المستوى العالمي فان موضوع ازدياد السكان أيضا عامل لا يمكن تجاهله . ورغم تحفظنا على الأرقام ـ حيث تختلف بعض المصادر عن الأخرى ـ الا أننا نذكر كمؤشر ما ذكره معهد دراسات العالم في تقريره المرسوم ـ حالة العالم سنة ١٩٨٤ ـ وهو من المصادر التي يمكن الاعتماد عليها . يقول التقرير ان زيادة سكان الأرض قد وضع على مصادرها الطبيعية ضغطا غير

مسبوق ، والتقديرات تقول لنا أن عدد سكان العالم سوف يصل خلال الخمسة الأعوام القادمة الى خمسة بلايين نسمة ، أي بزيادة ٣٣٠ مليونا على ما كان عليه عدد سكان المعمورة في منتصف ١٩٨٣ ، والذي كان ٤,٦٧ بليون نسمة . هذه الزيادة سيكون نصيب الأسد منها في العالم الثالث ، فنسبة زيادة السكان بالولادة في العالم الثالث هي ٣٣ لكل ألف من السكان ، في حين أنها لا تزيد على ١٥ لكل ألف من السكان في الدول المتقدمة ، أي أنه ـ بحسبة صغيرة ـ نجد أن عدد الولادات في العالم الثالث يصل الى سبع مرات أكثر منها في العالم المتقدم . في الوقت الذي نجد فيه أن نسبة الوفيات العامة بين الدول المتقدمة ودول العالم الثالث ، تكاد تكون متقاربة ، فهي عشر وفيات لكل ألف نسمة في البلدان المتقدمة ، واثنتا عشرة وفاة لكل ألف نسمة في البلدان النامية ، ولكن هذه النسبة تختلف اختلافا بينا عندما نتحدث عن وفيات الأطفال .. فهي ٣٩ ألفا من المواليد في العالم الثالث ، بينما تنخفض الى ١٩ ألفا من المواليد في الدول المتقدمة .

أما توقع سنوات عمر الانسان ، فالافتراض هو أن يصل في الدول المتقدمة الى سن ٧٣ سنة في المتوسط ، أي بزيادة حوالي ١٥ سنة في المتوسط عن سنوات عمر الانسان في العالم الثالث .

بيت القصيد هنا من هذه الأرقام هو أن مستوى المعيشة للفرد في العالم المتقدم يتحسن باطراد .. من الناحية المادية ، بينما هو ينخفض في العالم الثالث الذي يتكاثر فيه البشر ويتزاحمون على مصادر طبيعية أقل .

من المضحك المبكي أن هناك مليارات من المخلوقات البشرية هي الأكثر تناسلا لأنهم أشد فاقة ، مشكلتهم اليومية اللاهبة والمستعصية هي الحصول على الرغيف ، يعيشون في المغارات والكهوف وعلى حدود الصحراء ، يتغذون بالأعشاب ، أو في مدن مزدحمة حيث يقتنصون فرص الحياة الأفضل اقتناصا .

استغلال الطبيعة وتسخيرها أيضا يعاني من عقبات كؤود لدى هؤلاء البشر ، فعلى سبيل المثال يذهب تقرير حالة العالم سنة ١٩٨٤ الى القول ـ ان آسيا التي تضم نصف سكان العالم لا تملك أكثر من ١٧٪ من موارد الأرض الغذائية ، كما أنهم يسخرون مواردالطبيعة للاستهلاك المباشر ، فأحد مصادر اعادة نظام الحياة على الأرض .. هو الغابات التي تتقلص مساحاتها في العالم الثالث بأسرع مما يحدث في العالم المتقدم .

وبعض الأسباب الأخرى

اذا كان الانفجار السكاني وعوامل الطبيعة من الأسباب الرئيسية لمظاهر الفاقة والجوع في عالمنا .. فإن هذه الأسباب ليست كل شيء . حيث ان الانفجار السكاني يمكن من خلال وسائل متعددة أن يضبط ، ومن خلال استخدام التقنية المتقدمة يمكن أيضا موازنة ما تحجبه الطبيعة لفترة زمنية محددة ، إلا أن أسبابا أخرى

يشترك فيها الانسان بإرادته تسبب الفاقة والجوع . . وهي أسهل تحكما في يد الانسان ان توفرت الارادة .

قد يبدو من العجيب مثلا أن تقول لنا التقارير الرسمية ان احتياطي الغذاء العالمي قد بلغ أعلى مستوى في عقد كامل خلال أوائل الثمانينيات . . وتركز هذا الاحتياطي في العالم المتقدم . . ومن أسباب هذا التراكم الملفتة للنظر ، ضعف القوة الشرائية لأقطار العالم الثالث ، واضمحلال متوسط استهلاك الفقراء للغذاء

ويتركز مخزون الانتاج الغذائي في بعض الدول الغربية مثل الولايات المتحدة وكندا واستراليا ، فخريطة تجارة الحبوب تقول لنا ان العالم يزداد اعتمادا على سلة الخبز في أمريكا الشمالية .

فعلى سبيل المثال نجد أنه في سنة ١٩٨٢ صدَّرت الولايات المتحدة ما نسبته ٥٥٪ من صادرات العالم من الحبوب الى الخارج . هذا الاعتماد الكبير على منطقة بحد ذاتها لاطعام العالم ، يجعل بقية المناطق معرضة لمخاطر حقيقية ، أقلها خطورة تغلب المناخ الطبيعي في أمريكا الشمالية ، وأكثرها تغلب المناخ السياسي الممكن في أي وقت ، فهو عامل يتحكم فيه الانسان !

انتاج الغذاء

الانتاج واعادة الانتاج قضية أخرى يتخبط فيها كثير من أقطار العالم الثالث . تقول لنا الاحصائيات أيضا أن نمو انتاج المواد الغذائية في البلدان المتخلفة تأخر تأخرا ملحوظا . ففي عشر سنوات بين ١٩٦٤ و ١٩٧٤ زادت نسبة انتاج العالم في

المواد الغذائية حوالي ٣١٪ ٠ وزاد انتاج الفرد في المتوسط بـ ٧٪ أي ٠,٧ في السنة . غير أن البلدان المتقدمة قد زادت فيها انتاجية الفرد في المتوسط بـ ١,٤٪ سنويا ، وهذا يعني ضعف المستوى العالمي . . ويعني أيضا انخفاض متوسط الانتاج في دول العالم الثالث .

وفي الوقت الذي يضعف فيه الانتاج تقل سبل ابتكار الاستفادة القصوى من المصادر المتاحة ، فاعادة استخدام مواد مثل الورق والصلب والالمونيوم طريقة معروفة ومؤسسية في العالم المتقدم ، فبلد مثل هولندا واليابان تعيد استخدام حوالي نصف ما تستهلكه من ورق ، وتفرض تسع ولايات في الولايات المتحدة قوانين لدفع رهونات على علب وزجاجات المشروبات التي تؤمن إعادة ٩٠٪ منها من أجل اعادة التصنيع والاستخدام من جديد ، في الوقت الذي لا تهتم كثير من دول العالم الثالث لهذا الأمر . كما أن الدول الأخيرة تقتطع من ميزانياتها الكثير . . . الكثير للصرف على شراء الأسلحة وتكديسها ، وهذا أمر يصفه تقرير معهد دراسات العالم بطريقة لا تبتعد عن السخرية بقوله :
(ان شعوب العالم الثالث رغم أنها أفقر وأكثر جوعا ، إلا أنها أفضل تسليحا) !

اذا كانت مشكلات الانتاج واعادة الانتاج والصرف غير العقلاني على السلاح تُعد من أسباب تدهور مناطق العالم في الفقر والجوع ـ بجانب الأسباب الطبيعية ـ فان سياسات التوزيع وسوء الادارة لا تقل درجة مساهمتها في هذا الوضع الخطير .

فاذا كانت افريقيا ـ جنوب الصحراء ودول الحزام الافريقي الاوسط ـ قد هزت ضمير العالم بسبب الجوع ونقص الغذاء ، فان الجوع ونقص التغذية وباء في

مناطق أخرى كالهند وبعض مناطق العالم الثالث التي تتوفر لديها وسائل أفضل من أفريقيا من مصادر المياه والأرض الخصبة والادارة المتقدمة نسبيا .

ففي الهند على سبيل المثال تقول لنا الاحصائيات ان عدد السكان قد بلغ في سنة ١٩٨٣ حوالي ٧٠٠ مليون نسمة ، منهم حوالي ٣٣٩ مليون نسمة يعيشون تحت حزام الفقر (أي لا يجدون الحد الأدنى من الغذاء والمسكن والرداء) .

ويزداد هذا الرقم سنويا بنسبة ٦,٦٪ حسب بعض المصادر الصحفية الهندية .

أما وفيات الأطفال ـ والتي هي مؤشر من مؤشرات مستوى المعيشة لأي دولة ، فتقول لنا الاحصائيات أنه مابين سنة ١٩٧٠ الى ١٩٧٨ كان متوسط وفيات الأطفال في الهند ١٣٠ وفاة في الألف ، وتذهب الاحصائيات لتقول أن وفيات الأطفال قبل السنة الأولى من الميلاد تشكل ٣٠٪ من مجموع الوفيات ، أما وفيات الأطفال تحت سن الرابعة فتشكل ٤٥٪ من نسبة الوفيات العامة في الهند !

أما الرقم المخيف الآخر ، فإن الاحصائيات تقول لنا ان ٨٥٪ من الأطفال الهنود قبل الخامسة من عمرهم يعانون من أشكال مختلفة من نقص التغذية ! ومثل آخر من ماليزيا ، فرغم النهضة الاقتصادية بعد الاستقلال ، الا أن نسبة الفقر قد زادت في الثلاث سنوات الأخيرة من ٢٩٪ الى ٤٢,٨٪ ، كذلك تشير الدلائل الى ان نسبة الفقر تزداد في أمريكا الجنوبية والوسطى .

مشكلة الجوع والفقر في بعض هذه المناطق ليست مشكلة جفاف ، ولا حتى زيادة في عددالسكان ، أو نقص في انتاج الغذاء .

المشكلة مشكلة سياسات ، ففي بعض بلدان أمريكا اللاتينية التي يعاني سكانها من الجوع وسوء التغذية المزمن ، هذه الدول في واقع الأمر هي مُصدرة للغذاء ! ولكن أي غذاء ، الغذاء المطلوب للأسواق الخارجية .

والهند على سبيل المثال لديها فائض من الغذاء أيضا كما أن انتاجها يتزايد ، فقد ارتفع انتاج الحبوب في الهند من سنة ١٩٥٠ الى سنة ١٩٨٣ من ٥٠ مليون طن الى ١٤٥ مليون طن . والخبراء يعتقدون أن انتاج الحبوب في الهند سوف يصل في عام ٢٠٠٠ الى مابين ٢٢٥ مليون طن و ٢٥٠ مليون طن/ سنة .

وبعض جوع أقطار العالم الثالث ناتج من فقر الجماهير نتيجة التوزيع السيء للثروة والادارة غير الرشيدة للموارد التي توصل الناس ـ رغم غنى طبيعتهم النسبي ـ الى حد يعجزون فيه عن انتاج أو شراء الطعام الأساسي .

هل يوجد خطر في الوطن العربي ؟

الأسباب العامة التي ذكرناها سابقا كمسببات للجوع ، ونقص التغذية في العالم الثالث ، تنطبق بعمومياتها على الوطن العربي .

فبعض مناطقه - كموريتانيا مثلا - لم تفلت من دائرة الجفاف ونقص الغذاء في السنوات الأخيرة من خلال موجة الجفاف العامة التي ضربت غرب افريقيا - الا ان أوضح المظاهر بالنسبة لنا كعرب ، حاجتنا الملحة الى حد التبعية للمواد الغذائية .

فزيادة الطلب على الحبوب في الوطن العربي (القمح - الأرز - الذرة) وبقية المواد الغذائية الأخرى والذي تزامن مع تقهقر الانتاج منه جعل من الوطن العربي أكبر مستورد للحبوب بعد الاتحاد السوفيتي ، فنجد أن الوطن العربي قد استورد حوالي ١٣،٨ مليون طن من القمح في سنة ١٩٧٩ ، أي ما يعادل ١٧٪ من القمح المتوفر للتصدير في العالم أجمع ، بينما نسبة العرب الى سكان العالم لا تتجاوز ٥٪ .

واذا تذكرنا أن الولايات المتحدة تليها كندا وأستراليا هي المصدر الأكبر .. يتضح مدى امكانية ارتباطنا بعلاقة تجارية ملزمة نحتل فيها نحن العرب موقع التبعية .

ولأن الوطن العربي قد تخلف لاسباب معروفة عن الثورة الخضراء الأولى في الستينيات ، والتي شهدت فتحا في الزراعة والزراعة المصنعة ، ولم يبدأ الاستثمار العربي في الغذاء الا في السبعينيات ، فحتى تلك الخطوات لم تعد تغني - كما تقول منظمة الاغذية والزراعة - عن أن الوطن العربي سوف يستورد في سنة ١٩٨٥ ما قيمته ٥ بلايين دولار من الحبوب واللحوم .

نعم .. لقد بدأت مظاهر الأشياء تتغير . فهناك في الوطن العربي خطط للتطوير الزراعي ، وهناك أشكال جديدة من طرق الزراعة والري ، وهناك مؤسسات دولية واقليمية ووطنية علمية وعملية تهتم بالموضوع الزراعي في الوطن العربي ، وهناك اتحادات منتجين للأسماك وبعض أنواع المزروعات والصناعات ذات العلاقة .. الا أن الجهد المبذول والظروف المحيطة به ، لا تجعلنا نركن الى ان يوم الخوف من الجوع يبتعد عنا بخطوات كبيرة .

***

وفي شهرنا هذا - شهر رمضان المبارك - والذي يحثنا فيه ديننا الاسلامي وحضارتنا العظيمة على الصوم من أجل التعبد ومشاركة غيرنا عناء الحرمان لفترة من النهار ..

نضع السؤال الآتي لكل مهتم :

هل توجد لدينا سياسة او سياسات عربية زراعية تهدف الى الحد من تبعيتنا الغذائية وتكفينا شر الحاجة ؟ أم أننا نخضع لأهداف السياسة الزراعية للآخرين ... ؟

إن ذلك لعمري هو الجهاد العظيم ...

محمد الرميحي

الغد المجهول

شعر : الياس قنصل

سواء رأيت الخير فيك أو الأذى
ثويتَ وراء الأفق رهنَ استراحةٍ
نظامك يحدوه رُتوب معينٌ
نحدّد في ساعاتك الصبح والدجى
وأنت قديم ضاع في الدهر بدؤه
توزع ما تهوى بعدل مكتّم
يظل رجاء المرء فيك موطدا
ولو لم تكن سرا على الناس مغلقاً
لما نلت ممن يبتغيك عنايةً
اذا عرف الانسان ما سوف ينجلي
فقد زال احلى ما يَضم وجوده
ورب رجاء كان دأباً وهمة
وَقَدْ يَجعل الظنُّ الحياةَ جميلةً
وتلمحها عين اليقين كآبة
تصول على الأيام صولة فاتك
وتسري الينا بالفُجاءات ساخرا
فكم عارضٍ عرفانَ ما فيك لم يكن
تكيّفك الأفكار وَفق مرادها
فأنت سريع ان يكن ما يهمّنا
وأنت بطيء حين نرقُب غاية
تمر كما مر القضا غير عابيء
تُطِلُّ علينا كُل يَوْم وتختفي

فان هنائي في انتظارك يا غدُ
دقائقها معدودة لا تُمددُ
بأناته سيرُ الزمان مُقيدُ
وسلطانك المحبوسِ ليس يُحددُ
وصدرك فيه كل شيء مجدد
فتنتثر اسباب الشقاء وتُسعد
ولو كان بين المرء والموت موعد
يقرّب منه الوهم حينا ويُبعد
بها لهفة نيرانها تتوقد
وبان له ما كان في الغيب يُنشد
من السحر في الشوق الذي ليس ينفد
تُصادم أهوال الخطوب وتَصمُدُ
وينفث فيها ما يروق ويَرْغَد
بأمواجها جمر العزائم يَخْمُد
وفيك يموت اليوم والأمس يُلحد
بما حَسب العقل الحصيف المسدد
سوى جاهل فيما يَنُص ويسرُد
وجوهرك المكنون لا يتعدد
اذا جئتَ ـ مكروها يسوء وَينكُد
على أسها صرحِ الهناء يُشيد
بمصلحة فينا تَضِل وترشد
وأنت وراء الأفق ثاو مخلد

نحو نظامٍ عالميّ بديل

بقلم : الدكتور اسامة امين الخولي

□ هل يمكن تحقيق قيام مشروع حضاري بديل للنظام العالمي .. يتجاوز السلبيات التي يعاني منها المشروع الغربي ؟ وهل هي مرحلة تحول .. أم مجرد تطور وانتقال .. ثم كيف تكون العودة الى الجذور من أجل المستقبل ؟

المخضرمون منا استعادوا ـ وهم يطالعون ما فاضت به الصحف والدوريات الغربية في الشهور الأخيرة من تعليقات على كتاب جورج اورويل[1] « ألف وتسعمائة واربعة وثمانون » ـ ذكريات الزوبعة التي أثارها ظهور الكتاب عام ١٩٤٩ والذي صور فيه الكاتب مستقبل العالم عندما يأتي عام ١٩٨٤ في صورة بشعة أرادها أن تكون تحذيرا للعالم المتمدن (الغربي ؟) من مخاطر استتباب الأمر للنظم الشمولية وبسط جناحها على العالم . ولقد جاءت التعليقات الأخيرة بمقارنات كثيرة بين هذه الصورة وبين واقع الحال وتفاوتت الرؤى من كاتب الى آخر ، وبدا لي أن هذه قد تكون مناسبة ، لا لتقييم آخر لنبوءة أورويل كهدف في ذاته ، وانما للنظر عبر أكثر من ربع قرن من التاريخ حافل بأحداث جسام وتقلبات عنيفة ، وللتعرف بشيء من التمعن على ما طرأ على العالم من تحول ، وعلى المجالات التي وقع فيها هذا التحول .

ولنسترجع ، من باب الانصاف للرجل ، وكمنطلق للنظر فيما طرأ على العالم من تغير ، الجو الذي انكب فيه على تأليف روايته هذه .

لم يكن قد مضى على نهاية الحرب العالمية الثانية ، التي قيل عنها انها الحرب التي ستنهي كل الحروب ، وعلى مؤتمر يالتا الذي حسم المشكلة المتبقية بعد كل الحروب ، ألا وهي تقسيم الأسلاب والغنائم ـ لم يكن مضى عليها أكثر كثيرا من العام حين ألقى وينستون تشرشل ـ ومن موقع المعارضة بعد أن هزم هزيمة نكراء في الانتخابات قبيل نهاية الحرب ـ خطبته الشهيرة في فولتون في الولايات المتحدة والتي كانت بمثابة اعلان نشوب « الحرب الباردة » بين الغرب والشرق .

وتداعت الأحداث بعد هذا بسرعة فيما لا يزيد عن أعوام ثلاثة شهدت قيام حلف الأطلسي وحصار برلين . وبداية سلسلة الحروب « الصغيرة » على تخوم مناطق نفوذ النظامين ، متمثلة في الحرب الكورية . وهي الحروب التي لم تتوقف منذ ذلك التاريخ وكأنها أصبحت الأداة المقننة من الطرفين « لتنفيس » الضغط وتجنب وقوع الكارثة العظمى والدمار « المتبادل والمؤكد » الذي تأتي به حرب نووية . حدث هذا كله بعد سنوات تعد على أصابع اليد الواحدة في

---

(١) الأسم المستعار لكاتب انجليزي مشهور اسمه الحقيقي ايريك بلير ، قضى نحبه بعد صدور هذا الكتاب بأقل من عام . ولقد ترجم الكتاب الى اللغة العربية ونشرته وزارة التعليم العالي المصرية في مشروع الألف كتاب بعد صدوره بعدة أعوام .

انتصار قوى « النور والعقل » على كابوس الفاشية والقضاء على قيمها المتوحشة وممارساتها البشعة ، وما أتى به هذا الانتصار من شعور عارم بأن العالم يقف الآن على مشارف مستقبل زاهر يتمتع فيه كل بني البشر بالحد الأدنى من رغد العيش والحرية والكرامة والأمان .

كان ماوتسي تونج في آخر مراحل كفاحه الطويل لبسط سيطرة الحزب الشيوعي على الصين بأسرها ، بينما كان الاستعمار الغربي يلفظ أنفاسه الأخيرة في آسيا وهو يدير معاركه السياسية والعسكرية ، اما في يأس غاشم أو تسليم أعقل بالأمر الواقع . أما افريقيا فقد كانت آنذاك مازالت بعيدة عن أي شيء من هذا . وفي هذه السنوات الحرجة بالذات نشأ الكيان الصهيوني على أرض فلسطين بمباركة الطرفين وبقي منذ ذلك الحين خنجرا مسموما في صدر الأمة العربية الدامي .

في هذا المناخ من تبخر الأحلام الطوباوية والتدهور السريع للعلاقات الدولية وانهيار « النظام القديم » صور لنا أورويل عالما تسيطر عليه قوى عظمى تحكم في كل واحدة منها طغمة نخبوية جموعَ الناس ، مستخدمة القوة والبطش والعنف والارهاب والاعلام ، ومسخرة هذا آخر منجزات العلم والتقنية ، ومستعينة بطبقة بيروقراطية تطيع وتنفذ ولا تفكر . بل تتصرف كالآلات الصماء المسلوبة الارادة . وعرفنا حينئذ بصورة « الأخ الكبير » الذي يرى كل شيء ويسمع كل شيء ويعرف كل ما في خبايا النفوس . وهي الصورة التي شاعت بيننا واستخدمت في مناسبات كثيرة منذ ذلك الحين .

والأمر الهام هنا هو أن هذا العالم كان عالما مستقرا وآمنا . . . إلا لأولئك الذين اجتازوا حاجز الخوف وأطلقوا العنان لفكرهم فاكتشفوا أنهم ليسوا أحرارا ـ وبهذا أصبحت حياتهم في خطر مميت . فأين نحن من هذا اليوم ؟ وما هو مجمل حصيلة التقدم العلمي والتقني منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ؟

جورج اورويل

دور العلم والتقنية

فلننظر اذن في بعض الحقائق الأساسية في عالم اليوم لننتقل منها بصورة شبه تلقائية الى النظر في خصوصية دور العلم والتقنية في هذا العالم .

● ان الحضارة الانسانية لم تعرف في أية لحظة من تاريخها الطويل وجود مثل هذا الحشد من البشر « الأحرار » وبأي معنى نختاره لمفهوم الحرية . بل انني أذهب الى أبعد من هذا فألاحظ أنها لم تعرف بنفس القدر مثل هذا العدد الضخم من الناس الذين يدركون أنهم ليسوا بعد أحرارا والذين يملكون ارادة السعي للحصول على حريتهم .

● ان العالم لم يشهد في تاريخه الطويل مثل هذا الاهتمام بحصول سكانه على متطلباتهم الضرورية ولا هو حقق أبدا مثل ما حققه اليوم في توفير هذه المتطلبات . واذا ما كانت مئات الملايين مازالت تعيش حتى يومنا هذا دون المستوى الأدنى من متطلبات الغذاء أو غيره من أساسيات الحياة ، فلنتذكر أن المجاعات التي كانت تودي كل عام بحياة عشرات الملايين من البشر في الصين والهند قد ذهبت الى غير رجعة وأن أكثر من مليار ونصف من سكان العالم القاطنين في هاتين الدولتين وحدهما قد تجاوزوا

ماو تسي تونغ

هذه المحن ، بل ان الهند تصدر قدرا من الحبوب الى واحدة من الدولتين العظميين .

● لقد نشأت في العالم منذ نهاية الحرب العالمية الثانية أكثر من مائة دولة مستقلة جديدة ، ليؤكد قيامها توجها متعاظما لا سبيل اليوم لانكاره نحو اللامركزية وتعدد مراكز السلطة . بل اننا شهدنا خروج « التوابع » على هيمنة « السادة » بل ليّ ذراعهم . ولنذكر هنا على سبيل المثال فرض الشعب الفيتنامي الصغير ارادته واذلاله المهين للأداة العسكرية الأمريكية ، ولنذكر أيضا ـ على سبيل المزيد من الأمثلة ، ـ لا الحصر ـ قيام منظمة « الأوبك » وسيطرة الدول الأعضاء فيها على مواردها الطبيعية خلال سنوات معدودات وفرضها ارادتها ، ولو لبعض الوقت ، على العالم الصناعي . ان « العالم الثالث » مفهوم جديد لم يكن معروفا حتى بعد نهاية الحرب بسنوات .

● لقد تميزت الحقبة الأخيرة بشواهد واضحة لصحوة ثقافية ـ حضارية في هذا العالم « الثالث » تستبدل بالنزعة القديمة نحو تقليد « السادة » ومحاكاة نمط حياتهم ـ برفض أيديولوجياتهم والعودة الى « الجذور » التي قطعت سنوات الاستعمار علاقته بها أو شوهتها ، و « البحث عن الذات » متمثلا في جهد المثقفين في أمريكا اللاتينية وأفريقيا وآسيا للتعرف على تراثهم الحضاري والسعي للارتباط به والاستناد اليه في صنع حياة جديدة . ولعل الصحوة الاسلامية هي أهم هذه الحركات جميعا في عالم اليوم . وهي تنمو يوما بعد يوم ولا شك في أنها ستمر بمراحل مريرة وتقلبات عنيفة حتى تتعرف على الطرق المثلى للوصل بين دوافعها ومنطلقاتها وبين واقع العالم في الداخل وفي الخارج لتحقيق أهدافها في المستقبل .

مرحلة التحول

والحق أن هذه المرحلة بالذات ـ كما وصفها أنور عبدالملك ـ تبدو وكأنها مرحلة تحول ، لا مجرد تطور أو انتقال ، يشمل كل أبعاد الحياة الانسانية . والتحول لا يسير سيرا مطردا ولا يمضي في اتجاه واحد متناسق ومرسوم بدقة . وهناك فروق نوعية وكمية كبيرة في معدلات هذا التحول في قطاعات الحياة المختلفة : في الانتاج والاقتصاد ، في أنماط السيطرة والتحكم ، في التماسك الاجتماعي والهوية الثقافية ، في الأيديولوجيات السياسية ، حتى الأديان والفلسفات ـ أي باختصار في كل ما نسميه البنية التحتية والبنية الفوقية للمجتمع . والتفاوتات أكثر وضوحا بين التكوينات الاجتماعية الاقتصادية البشرية المختلفة وما يتميز به كل منها من أيديولوجيات (سميناها الرأسمالية الليبرالية أو الاحتكارية أو رأسمالية الدولة ، والاشتراكية الديمقراطية أو الوطنية التقدمية ، والشيوعية الستالينية ـ اللينينية أو الماوية) وبالذات في خصوصياتها الحضارية والثقافية والقومية التي أغفلها الكثيرون حتى الآن وهم ينظرون في السمات الجديدة لعالم اليوم .

ان بدايات هذا التحول ليست حديثة تماما ولا هي ترجع الى السنوات القليلة التي انقضت منذ نهاية الحرب العالمية الثانية . فهي تنبعث من عدة عوامل ، على رأسها عودة القارات الثلاث (آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية) . الى الظهور

على المسرح الجيوبوليتيكي الذي احتكره « الغرب » لعدة قرون خلت . وهذه ظاهرة نستطيع أن نرجع بها الى القرن الماضي ، وإن تعاظم وقعها ففرضت نفسها بوضوح أكثر في ظاهرة « العالم الثالث » بعد عام ١٩٤٥ ، واذا ما كان « الغرب » ، أو « الشمال » بالتسمية الأحدث ، قد تعامل مع هذه الظاهرة من منظور اجتماعي ـ سياسي ، فان الطرف الاخر ـ آسيا وأفريقيا ـ والعالم العربي والاسلامي فيها ، وأمريكا اللاتينية الى درجة أقل ـ يعتبرها في جوهرها عملية نهضة حضارية وثقافية . أما العامل الهام الثاني فهو تصدع قيم هذا « الشمال » ذاته والذي بدأ بصدور « الاعلان الشيوعي » عام ١٨٤٨ ثم تسارعت معدلاته بعد « ثورة أكتوبر » عام ١٩١٧ وانهيار النظام القيصري في روسيا ، وتعاظم الصراع بين الطبقات في اطار الايديولوجية الاشتراكية والتي يعتنقها ، أو يعيش تحت ظلها اليوم حوالي نصف سكان العالم ، أغلبهم في هذا « العالم الثالث » .

الأزمات تتوالى

ولقد تبلورت مظاهر التحول بوضوح في السنوات الأخيرة في مفهوم « الازمة » في الشمال « السيد » والذي استند حتى الآن في انجاز مشروعه الحضاري الذي ساد العالم في القرون الأخيرة ، على ما تحقق من تقدم في العلم وتطبيقاته ، منذ الاكتشافات البحرية الرائدة لكولبس وماجيلان وكوك ورالي ، وفي « عصر النهضة » في أوروبا، واثناء الثورة الصناعية ، ووصولا بنا الى تقسيم مناطق النفوذ في العالم في يالتا عام ١٩٤٥ . انها أزمة التدهور المزعج في البيئة العالمية ، وأزمة نضوب الموارد الطبيعية ؛ وأزمة الرعب النووي . والأهم من هذا كله انها أزمة القيم الحضارية التي دفعته في حماس مجنون لاتخاذ الانتاجية و « النمو » و « المتعة الحسية » و « الاستهلاكية » مقاييس للتقدم . وهكذا بدأ الحديث في أواخر الخمسينيات ومطلع الستينيات عن مشاكل « عالمية » مثل معدلات الزيادة المزعجة في عدد سكان هذه الأرض والتغير الدرامي المتوقع في المناخ على ظهرها خلال عقود معدودات والعمر القصير للموارد الطبيعية التي قام عليها هذا المشروع الى آخر قائمة الموضوعات التي جاءت سلسلة مؤتمرات الأمم المتحدة في العقد الماضي وكأنها لائحة برؤوس أقلام عناصر هذه الأزمة .

لقد بدت « الأزمة » من منظور « المركز » المهيمن ، أزمة عالمية لا أزمة لمشروع الشمال الحضاري نفسه . ومن خلال هذا المنظور ، فان انهيار هذا المشروع الذي ساد حتى الآن يعني نهاية الحضارة الانسانية ، ولا مفر من أن نعترف بأن كثيرا منا في « التخوم » (أي بلاد « الجنوب » المتخلف ماديا والذي مازال يعاني وبحدة من مشاكل جوهرية تغلب عليها المشروع الحضاري الأخر منذ زمن بعيد) منساق وراء هذا الخطر ويرى في محاكاته سبيلا للخروج من دائرة التخلف .

من هنا نشأ الحديث عن التنمية البديلة وشارك فيه رواد من « المركز » ومن « التخوم » في محاولات شجاعة مازالت حتى يومنا هذا تخطو خطواتها المتعثرة الأولى ، فهي بعد لا تقف على أرض راسخة من المنجزات النظرية ولا تسير بخطى راسخة نحو تحقيق تطبيقات عملية مقنعة . ومن هنا ثار الجدل حول التقنيات « الملائمة » و « الوسيطة أو المتوسطة » وحول معايير الملائمة وحول « الحاجات الانسانية الأساسية » وحول طرق تحديدها . وفي هذه المرحلة الحبلى باحتمالات التحول برزت بوضوح أكثر صحوة العودة الى الجذور في العالم الثالث والتي تمثلت في الوطن العربي في ظهور القومية العربية كمدخل لادارة الصراع في المنطقة على الصعيد الاجتماعي ـ السياسي،وفي تعاظم وقع الحركات الاسلامية الرافضة للنمط

ريغان

تشرنينكو

السائد من أساسه ، على الصعيد الحضاري - الثقافي .

التقدمات التكنولوجية

يقتضي الأمر هنا أن ندخل تحت دائرة الضوء عاملا جديدا ظهر بوضوح في أوائل العقد الماضي وأصبح يشغل بال الطرفين عند النظر في هذا التحول ومحاولة التعرف على اتجاهاته المتوقعة ، الا وهو ما يسمونه عادة التقدمات التكنولوجية التي تحققت منذ مطلع السبعينيات متمثلة بالحاسبات والألكترونيات الدقيقة والاتصالات والفضاء والبيولوجيا الوراثية . ولا شك أن كلا منا قد سمع ورأى الكثير من عجائب تطبيق هذه التقدمات والحاسبات تقوم بالبلايين من العمليات الحسابية في الثانية الواحدة ، وشريحة السليكون التي لا تتجاوز مساحتها ظفر اصبع تقوم بمهام حاسب مما كان يشغل مبنى كبيرا قائما بذاته منذ أقل من عشرين عاما مضت ، والألياف الضوئية وتوابع الاتصالات تنقل مئات الألوف من الرسائل حول العالم بدقة وبكلفة لا تذكر ومركبات الفضاء يعيش فيها البشر شهورا طويلة ويجرون فيها أبحاثا علمية لا سابق عهد لنا بها في الفضاء ، وهي ترصد كل كبيرة وصغيرة على سطح الأرض ، والكائنات الدقيقة تدمج في جيناتها عناصر وراثية جديدة . ولا يعنينا هنا الخوض في المزيد من مثل هذا السرد وان كان الالمام بشيء منه أمرا لازما لفهم حقيقة القوى الفاعلة في العالم المعاصر . وانما يعنينا هنا أن نتعرف بشكل مبدئي على ما تأتي به هذه التقدمات من فرص لقيام مشروع حضاري بديل للمشروع الغربي لا يعاني من سلبياته ويخرج بالعالم ، شماله وجنوبه ، من مأزق أزمته الراهنة ، وسنكتفي هنا بسرد أعمق هذه الفرص دلالة وأكثرها امتلاء بالاحتمالات .

الشواهد والدلالات

(١) ان هيمنة « الأخ الكبير » على فكر الانسان تسقط تدريجيا بفعل هذه التقنيات ، ان ثورة الاتصالات التي بدأت بالترانزستور ثم الكاسيت حتى وصلنا الى شبكات نقل المعلومات ، وبكل ما يخطر على البال من أنواع لها ، عن طريق الهاتف والتلفزيون في المنزل ، تتيح للفرد منابع متباينة للمعلومات وفرصا لم يعرفها من قبل ،للتعرف على وجهات النظر المتصارعة والروايات المتناقضة عن نفس الحدث ، بنفس القدر الذي تتيح به « للأخ الكبير » فرص رؤيته على المواطن ، أي أن احتكار « الأخ الكبير » قد كسر وأن للمواطن الآن فرصا أفضل لكسر حاجز الخوف وتكوين آرائه الخاصة به .

(٢) ويرتبط بهذا اليسر الذي يتم به اليوم التواصل بين الناس ، سواء بالانتقال في ساعات معدودات عبر مسافات كان قطعها يستغرق حتى زمن غير بعيد أياما وأسابيع ، أو عن طريق الاتصالات الهاتفية . ان التواصل بين الناس لم يعد مقصورا على فئة الموسرين ولا على «الشمال» ولنا أن نتخيل القفزة التي سيحققها اطلاق قمر

الاتصالات العربي في أواخر هذا العام من تيسير التواصل بين الأقطار العربية .

(٣) عندما اقترح خروشوف مازحا على كنيدي أن يتبادلا المعلومات والأسرار التي يحصل عليها كل منهما من أجهزة مخابراته فانما كان يشير الى تحول جذري خطير اخر ، هو « الشفافية » المتزايدة لأفعال النظم المتنافسة واستحالة اخفاء أفعال لها كانت حتى زمن قريب أسرارا يحافظ عليها باصرار . ان من المستحيل اليوم أن يجري أي نشاط مدني أو عسكري ذي قيمة في الخفاء في أي مكان في الأرض أو البحر أو السماء . وهذا التطور التقني هو الأساس الذي أخرج العالم من مأزق الحرب الباردة الى مفهوم التوازن الذي تقوم عليه اتفاقيات الحد من انتشار الأسلحة النووية أو الاستراتيجية .

(٤) وقد نربط بين هذا وبين ما أتاحته الحاسبات المنزلية الصغيرة من فرصة لغلمان صغار في ولاية ميلووكي الأمريكية لاقتحام بنوك معلومات بالغة الحساسية في هيئات مالية عملاقة ومؤسسات حكومية مدنية وعسكرية في الصيف الماضي وهم قابعون في عقر دارهم يتعاملون مع لوحة مفاتيح ويحملقون في شاشة تلفزيونية . ان هذه بادرة لطفرة نوعية في ذكاء الفرد وقدراته يتيحها له الحاسب الألكتروني ووسائل الاتصال . ولست أعني بالفرد هنا المتخصص من رجال العلم أو الصناعة أو الادارة أو الاقتصاد أو السياسة أو الحرب ، وانما اعني المواطن العادي ايا كان عمله . ان نشأة ظاهرة « المعرفة » كقوة وانتشارها في المجتمع يكسب جهد التنمية من العالم الثالث بعدا جديدا تماما يصرفه عن اقتناء المعدات والمنتجات من الشمال المتقدم الى ادراك ان المعرفة و « الذكاء الاجتماعي » هما لب عملية التنمية وجوهرها الحقيقي وينبهه الى ان اكتسابها أمر متاح فعلا اليوم بفضل تطبيقات التقنيات الحديثة وشفافية النظم العملاقة ، سواء أكانت دولة أو شركة متعددة الجنسيات، ويضعه أمام واجب اقامة التنظيم الاجتماعي الذي يستغل هذه الفرصة الفريدة .

(٥) ان هذه التقنيات التي كسرت احتكار « الأخ الكبير » على الفكر تفتح أيضا أمام العالم الثالث مسالك جديدة تماما يتوقع لها أن تؤدي بها الى الوفاء بكل الحاجات الأساسية لمواطنيه من الغذاء ومصادر الطاقة ومواد التشييد والبناء والتصنيع ، والى تدوير المخلفات الملوثة للبيئة وتحويلها الى موارد جديدة .

(٦) واخيرا ـ وبالقطع ليس آخرا ـ أشير الى ما طلع علينا به الرئيس ريجان منذ بضعة أشهر من حديث عن سياسة دفاعية جديدة تنتقل بالولايات المتحدة من الردع النووي القائم على « الدمار المؤكد المتبادل » (MAD) الى ما سمي « حروب الكواكب » أو المدخل الدفاعي ، لا الهجومي ، القائم على تدمير القذائف النووية في اللحظات الأولى من اطلاقها وفوق ارض مطلقيها بوسائل متعددة بواسطة مركبات تسبح في الفضاء الخارجي . ولعلنا نذكر هنا ايضا ما تواتر من أنباء على امتداد السنوات الأخيرة عن أقمار سوفيتية قاتلة تدمر الأقمار المعادية ، وعن تجارب لاشعاعات تصيب الأجسام الطائرة وتقضي عليها . ولست ممن يهللون لهذا التطور الجديد الذي يعني المزيد من الإنفاق العسكري والذي يصل الان في العام الواحد الى ما يساوي مجمل ديون العالم الثالث التي اعتبرت في العام الماضي مصدر خطر حقيقي قد يؤدي الى انهيار مأساوي للنظام النقدي والمصرفي العالمي . وانما اردت ان أشير الى مثال آخر من أمثلة تغير المفاهيم تحت تأثير التقدمات العلمية .

ولست بغافل وانا اورد هذه الشواهد التي تناقض تماما نبوءة اورويل عن ان الصراع حول كل واحد منها محتدم بضراوة ولم يحسم بعد ، فمعركة النظام الاعلامي الدولي الجديد ، والجدل حول انتقال المعلومات عبر الحدود ، ومخاطر الهندسة الوراثية ، وتزايد احتمالات

اندلاع الحرب النووية عن غير قصد ، كل هذا وارد تماما وماثل بوضوح أمام أعيننا .

الأمن العالمي

يقودنا هذا الى المسألة الاخيرة والجامعة في نبوءة اورويل . فقد كان مجتمعه البغيض مجتمعا يعيش في استقرار وأمن عالمي دائمين . فلننظر الان في ما طرأ على مفهوم الاستقرار والأمن العالمي من تغير عبر السنين . ان المنظور الشمالي السائد حتى الان يرى ان استقرار وأمن القوتين العظميين يعني استقرار وأمن البشرية جمعاء . وهي نتيجة منطقية لمنطلق « الهيمنة » التي لا تكف الصين عن التنديد به . وهناك شواهد كثيرة تشير الى ان الغالبية العظمى منا كانت حتى وقت قريب تسلم ، صراحة او ضمنا ، بهذا المنظور للاستقرار والأمن في العالم بأسره . وان كنت لا أتجاهل هنا اصرار الصين منذ عدة سنوات على انها لا ترهبها القوة النووية وان العملاق الامريكي « نمر من الورق » . واذا ما كانت هناك فروق بين النظامين السائدين في الشمال فان بينهما بنفس القدر أوجه شبه غريبة ، لا من حيث اتساع الرقعة وعدد السكان والقدرات التكنولوجية وادعاء العمل من أجل رخاء البشر وتقدمهم ، وانما من حيث اتخاذ العدوانية ستارا يخفي حاجة كل منهما الى قيام تهديد الآخر له كقوة حافزة لتماسك مجتمعه وتأكيد شرعيته .

ولقد ظهرت مؤخرا دعوة جديدة للبحث عن نظام بديل للأمن والاستقرار في العالم من أمثلتها دعوة اولاف بالم ، رئيس وزراء السويد ، الى « الأمن المشترك » والتي تعقد الامال في وقف سباق التسلح المجنون على الارادة السياسية للشعوب في كل ربوع العالم . الا ان الحقيقة المرة التي لا مفر من مواجهتها هي اننا ، شمالا وجنوبا ، أبعد ما نكون عن قيام مثل هذه الارادة العالمية . ويكفينا أن نستعرض السجل الحزين لأداء المجتمع الدولي في مواجهه المشاكل العالمية التي تحدثنا عنها في مطلع هذا العرض والتي تكشف بوضوح عن أن البشرية لم تنشىء بعد أداة قادرة على حل هذه المشاكل ، وحلولها معروفة وممكنة ، لأنها لا تملك الارادة الواعية والالتزام بالقيام بهذه المهمة .

ويحلو لي ، وربما أكون ممعنا في التفاؤل ان اتصور ان « التحول » الذي نشهد بوادره قد يكون فيه خلاصنا من هذا المأزق الذي أوقعنا فيه انهيار المشروع الحضاري الشمالي . إني أتصور أن الثورة التي نرى بداياتها في ميادين المعلومات والاتصال تعني ان امام الجنوب الآن فرصة لتحول حضاري ـ ثقافي يتيح له امتلاك ناصية المعرفة واستخدامها كقوة في اعادة التوازن لميزان العلاقات الدولية المختل . واذا ما كان قطاع المعلومات يعامل الآن كقطاع رابع منفصل عن قطاع الخدمات في توصيف الاقتصاد في دول الشمال . واذا ما كان حجمه واسهامه في اجمالي الناتج القومي والقيمة المضافة كبير حقا ، فان هذا التوجه يجري أيضا في الجنوب . ولقد تكشف لي مؤخرا من دراسة سريعة لحجم هذا القطاع في الاقتصاد المصري انه أكبر كثيرا مما كان يظن البعض،وأنه آخذ في الازدياد بفعل التبادل الثقافي والفكري الذي يجري بين الشمال والجنوب .

وأضيف الى هذا ظهور الدعوة الى « المشاركة » في اتخاذ القرار والالحاح المتزايد على ضرورتها اذا ما أريد للتنمية أن يصحح مسارها، بعد أن ظهر الفشل الذريع لنمط المحاكاة التي سارت فيه حتى الآن . وهنا يجيء دور « البحث عن الذات » و « العودة الى الجذور » والسعي الجاد لشق طريق جديد لمشروع حضاري بديل للمشروع الغربي الذي وصل الآن الى مأزق لا يعرف كيف يخرج منه ، بل لعله في حسابات الزمن البعيد يلفظ اليوم أنفاسه الأخيرة ويحملنا آلام تشنجات اللحظات الباقية في حياته . □□

عاصفة على اليونسكو

زمان الشعوب بين الضغوط والآمال

بقلم الدكتور : عبد العزيز كامل

☐ مدينة النور - باريس - تسبح في بحر من النور ، وتستعد لاستقبال العام الجديد . أشجار أعياد الميلاد تمد فروعها ، وتحمل مصابيحها كأنها تعانق المستقبل . أنهار من الناس تفيض بهم الطرقات ، ويفيض منهم الفرح .

وفي الحي السابع مبنى يبدو أنه على حافة العيد ، ولايشارك فيه . . هنا الأمانة العامة لليونسكو ، القلب الثقافي لعالمنا المعاصر .

الدور الخامس . مكتب المدير العام : أحمد مختار أمبو . وبين يديه خطاب من وزير خارجية الولايات المتحدة - جورج شولتز - يبلغه فيه - يوم ٢٨ ديسمبر / كانون الاول ١٩٨٣ - بقرار انسحاب الولايات المتحدة من اليونسكو . ويصبح القرار نافذا في نهاية عام ١٩٨٤ - كما تنص على ذلك الفقرة السادسة من المادة الثانية من الميثاق التأسيسي (صدر عام ١٩٤٥ ، وعدّله المؤتمر العام في دورات تالية ، وكان اعتماد هذه الفقرة في دورته الثامنة عام ١٩٥٤) .

وانسحاب الولايات المتحدة يعني فقدان ٢٥٪ من ميزانية اليونسكو ، وصدعا واسعا في عالمية المنظمة وقدراتها ، وادانة لها ، وضوءا أخضر لمزيد من الانسحاب ، وضوءا أحمر وانذارا للمنظمات الاخرى ، واصابة مباشرة في حصن الفكر بصاروخ سياسي أمريكي .

أكثر من مرة زرت د . أحمد مختار أمبو في مكتبه ، وفي أكثر من عاصمة قابلته .

في مكتبه لاتكاد ترى الحوائط . الكتب تغطي كل مكان . لوحات فنية . تماثيل . ثقافة العالم في حجرة . ثقافة طولها الزمان ، وعرضها المكان ، ومحتواها آفاق الفكر وابداع الانسان .

من أفريقيا جاء . السنغال موطنه ، الاسلام عقيدته،الاخاء الانساني سبيله ، الثقافة - في أوسع مدلولاتها - هدفه .

شق طريقه بنور العلم وشرف الكلمة ليكون المسئول الاول في أكبر منظمة ثقافية في العالم . دخل المكتب عام ١٩٧٤ يحمل مواريثه من الاصالة والعالمية . وفي عام ١٩٨٠ تقرر تجديد

أحمد مختار أمبو

انتخابه ليتابع المسيرة سبع سنوات أخرى . كان القرار اجماعيا ، شاركت فيه الألوان والالسنة ومستويات التقدم والتنمية من شمال وجنوب . .

اسماء مؤلفاته تحمل الأمل والعمل ، منها : منابع المستقبل . زمان الشعوب .

من الميثاق التأسيسي

ولكن من أين نبدأ ؟ وكيف هبت العاصفة ؟

نعود الى الميثاق التأسيسي نقرأ منه سطورا . . فهذا الميثاق استند اليه الذين دافعوا عن اليونسكو ، والذين هاجموه معا :

« ان حكومات الدول الاطراف في هذا الميثاق التأسيسي تعلن باسم شعوبها أنه : لما كانت الحروب تتولد في عقول البشر ، ففي عقولهم يجب أن تبني حصون السلام .

«ولما كان جهل الشعوب بعضها ببعض مصدر الريبة والشك بين الامم على مرّ التاريخ ، وسبب تحول خلافاتها الى حروب في كثير من الاحيان .

ولما كانت الحرب العظمى المروعة التي انتهت مؤخرا قد نشبت بسبب التنكر للمثل العليا الديمقراطية التي تنادي بالكرامة والمساواة والاحترام للذات الانسانية ، وبسبب العزم على احلال مذهب عدم المساواة بين الاجناس محل هذه المثل العليا عن طريق استغلال الجهل والانحياز .

ولما كانت كرامة الانسان تقتضي نشر الثقافة ، وتنشئة الناس جميعا على مبادىء العدالة والحرية والسلام ، كان هذا العمل بالنسبة لجميع الامم واجبا مقدسا ينبغي القيام به في روح من التعاون المتبادل » . .

ثم نقرأ في السطور التالية للديباجة عن مكانة التضامن الفكري والمعنوي بين بني البشر . . ثم اعتزام الدول الموقعة على الميثاق تأمين فرص التعليم تأمينا كاملا متكافئا لجميع الناس ، وضمان حرية الانصراف الى الحقيقة الموضوعية والتبادل الحر للأفكار والمعارف ، وتنمية العلاقات ومضاعفتها بين الشعوب تحقيقا لتفاهم أفضل بينها ، ولوقوف كل شعب منها بصورة أدق وأصدق على عادات الشعوب الاخرى .

وكانت الاهداف التي حددتها المادة الاولى تعزيزا للتعارف والتفاهم بين الامم ، وعملا على تنشيط التربية الشعبية ونشر الثقافة ، ومساعدة على حفظ المعرفة وعلى تقدمها وانتشارها ، وتأمين استقلال الثقافات والنظم التربوية وسلامتها وتنوعها المثمر .

خطاب الانسحاب الامريكي

ونقرأ معا سطورا من خطاب شولتز الى المدير العام ، ونستعين مع تحليله باضافة أرقام وخطوط :

في مقدمة الخطاب : ايمان الولايات المتحدة والشعب الامريكي بالمبادىء الواردة في الميثاق التأسيسي لليونسكو ، وما تخصصه الولايات المتحدة من موارد كبيرة لبلوغ هذه الغايات ، وأن عليها أن تتخير بعناية الأساليب والوسائل الدقيقة لبلوغها ، وتقرأ تقديرا شخصيا للمدير العام وجهوده . . ثم يقول :

« وقد أعربنا طوال سنين عديدة عن (١) قلقنا ازاء بعض اتجاهات سياسة اليونسكو (٢) والجوانب الايديولوجية التي تؤكد عليها

(٣) وميزانيتها (٤) وادارتها . وهي أمور تؤدي الى (٥) الانتقاص من فعالية المنظمة . وتعتقد أن هذه الاتجاهات (٦) قد حادت باليونسكو عن المبادىء الاصلية لميثاقها التأسيسي (٧) ونرى أنها خدمت المقاصد السياسية لبعض الدول الاعضاء ، بدلا من خدمة الرسالة الدولية المنوطة باليونسكو (٨) وقد عملنا بعزم على تشجيع المنظمة على العدول عن هذه الاتجاهات بحيث تتجه من جديد صوب مقاصدها الاساسية (٩) وتتحاشى بحزم أن تتحول الى خادمة لسياسة دولة أخرى (١٠) وتدير شئونها بكيفية تجاري فيها الفعالية .. وتتبع أولويات ترتكز على القيمة البرنامجية لاعلى عادات الماضي أو الملاءمة السياسية أو غير ذلك من الاعتيادات الدخيلة » .

ثم تذكر الرسالة « أن بعض جهودكم وجهودنا قد أثمرت » ثم تعود لتعلق على المؤتمر الاخير (نوفمبر / تشرين الثاني ١٩٨٣) فتقول :

« فلو كانت النتائج التي خلص اليها المؤتمر العام تمثل أفضل مايمكن أن نتوقعه من المنظمة بتشكيلها الحالي وبالكيفية التي تدير بها شئونها في الوقت الراهن ، فان الأمل ضئيل في عودة المنظمة الى مبادئها الاساسية بصدق واخلاص » .

هذه هي الاداناات العشر وحيثياتها ، والتي خلص بها وزير الخارجية الى قرار الانسحاب ، ثم اشار الى توجيه الولايات المتحدة لمواردها الى وسائل أخرى غير اليونسكو وفي اطار مبادئه ..

وفي الفقرة الأخيرة يضع الخطاب على رأس المنظمة تاج الشوك يدمغها بأنها تساهلت في غايات مثل حقوق الانسان الفردية وحرية تداول المعلومات « ولعله يجيء وقت يتبين فيه أنه كان بالامكان بلوغ غاياتنا المشتركة ، لو روعي مبدأ : أن انجاز بضعه أمور على نحو جيد أبعد أثرا من تناول مصائب العالم تناولا سطحيا » .

وتترك الفقرة الباب مفتوحا لتعاون من الخارج تخصص له الموارد التي كانت تخصصها الولايات المتحدة لليونسكو « وان أية برامج بديلة تضعها الولايات المتحدة ، يمكن أن تستخدم ، من حيث المبدأ ، كأساس للتعاون بين الولايات المتحدة واليونسكو في المستقبل ، اذا مارأى الطرفان نفعا في ذلك، وسيكون من دواعي سرورنا أن ننظر في هذه الامكانية في الوقت المناسب » ولنتأمل قليلا في هذه الكلمات « اذا مارأى الطرفان النظر في الامكانية .. الوقت المناسب .. » لتتبين سهولة اغلاق الباب أمام أي تعاون أو فتحه ومدى هذا الفتح حين ترغب الولايات المتحدة ..

الجزء المغمور من جبل الثلج

كان هذا هو الجزء الظاهر من جبل الثلج الذي اصطدم بسفينة اليونسكو مع أعياد الميلاد ، وهي في ذروة أفراحها بعد المؤتمر الثاني والعشرين في باريس (نوفمبر / تشرين الثاني ١٩٨٣) وماسبقه في المؤتمر العالمي بشأن السياسات الثقافية الذي شهدته مدينة مكسيكو (في ٢٦ يوليو / تموز - ٦ اغسطس/ آب ١٩٨٢) وماصدر عنه من التقارير والتوصيات و « اعلان مكسيكو بشأن السياسات الثقافية » وقبل هذا سجل طويل من المواقف سنعرض أهم معالمه ..

قطاع من الخارجية الامريكية لم يكن راضيا عن اليونسكو ، بينما أعداد كبيرة من صفوة علمائها يتعاونون معه ، وللولايات المتحدة في هذه المؤتمرات واللقاءات والمشروعات والندوات حضور ايجابي دائم ..

والجذور قديمة : ففي عام ١٩٧٤ أوقف الكونجرس مدفوعات الولايات المتحدة لليونسكو من أجل مواقفه من اسرائيل ، وحرص اليونسكو على مدينة القدس ، وآثارها التاريخية.ثم عاد التعاون ..

وأخذ هذا القطاع ، وقد اتخذ سياسة الولايات المتحدة مقياسا يزن تصرفات اليونسكو ، وهو منظمة عالمية . بدأت أول أمرها بثمان وعشرين دولة وتضم الآن مائة واحدى وستين ..

وليس في سلطاتها التشريعية - وهي المجلس التنفيذي والمؤتمر العام - حق النقض (الفيتو) الذي تتمتع به الدول الكبرى الخمس في مجلس الامن ، وتستطيع كل دولة منها أن توقف أي قرار لا توافق عليه . ومن هذه الزاوية اختلف منبر اليونسكو عن منبر مجلس الامن ، وبالتالي اختلفت طبيعة القرارات بين الجهازين ، ووجدت الدول ، وبخاصة الناشئة منها في العالم

الثالث مجالا رحبا للقول واتخاذ القرارات لا تجده في منظمة أخرى .. وما اعتبرته دول العالم الثالث والمصنفون في العالم المتقدم من حسنات اليونسكو ، كان من سيئاته عند بعض أجهزة الخارجية في الولايات المتحدة .
ونقرأ فيما وجد الى النور طريقة من تقارير هذه الاجهزة :
« ان سياسات اليونسكو ، منذ سنوات تعمل ضد الاهداف السياسية للولايات المتحدة . وقد نصحت هذه الادارة - اليونسكو - أكثر في مرة - وبينت لها حدود تحمل الولايات (وتحمل الغرب) لسياسات وبرامج وأحوال اليونسكو التي أسيء توجيهها .. ولقد ظللنا ثلاث سنوات نقدم الى اليونسكو الاولويات والاطار الذي يقود علاقاتنا مع كل المنظمات المتعددة الأطراف . وكانت اليونسكو وحدها بين هذه المنظمات التي لم تكن استجابتها بناءة ..
ثم يحدد التقرير أهم ملامح سياسات اليونسكو فيما يلي :
١ - التسييس الواضح لكل موضوع تتناوله : اسرائيل . جنوب افريقية . حقوق الانسان . نزع السلاح . الاتصال .
٢ - عداوة متوطنة نحو المؤسسات الاساسية في المجتمع الحر وبخاصة السوق الحرة والصحافة الحرة .
٣ - في ميزانية اليونسكو أكبر توسع غير مسئول وغير مفيد في نظام الامم المتحدة .
ثم يعقب على هذا بقوله : كان هذا هو الجانب السلبي الظاهر في اليونسكو ، الذي لانستطيع أن نتقبله بعد الآن ، ولكن هناك جوانب ايجابية في أنشطة اليونسكو .. ويعد أن سرد هذه الجوانب ، والمشروعات التي تستطيع أن تستمر الولايات المتحدة في التعاون عليها ، وبين هذا في ملحق قانوني بالتقرير خلص الى النتائج الآتية :
١ - أن عضوية الولايات المتحدة في اليونسكو تحطم وتشوه وجهات نظر وقيم ومصالح الولايات المتحدة .
٢ - برهنت التجربة على أن الولايات المتحدة لاتستطيع أن تغير اليونسكو من الداخل ، اذا ظلت عضوا فيها .
٣ - قد يقوى مركزها في منظمات الامم المتحدة اذا انسحبت من اليونسكو ..
٤ - ان الثمن الذي ستدفعه سياستنا الخارجية في الانسحاب ، لايبدو كبيرا . فالكثيرون - وان لم يقولوا - يؤيدوننا . ذلك لأنهم يعتمدون على الولايات المتحدة كقدوة وقيادة وحامية لمصالحهم .
٥ - ان احترامهم لنا سيزداد ويؤخذ بجدية أكثر .
٦ - وان الاشارة التي سيرسلها انسحابنا من اليونسكو . الى المنظمات الاخرى الدولية المتعددة الجنسيات ، هذه الاشارة لاتعني انسحابا مماثلا ، ولكننا نود عملا غير سياسي ووسائل محددة في التعاون والعمل
ثم درس التقرير بعد هذا تأثير الانسحاب على مجموعات الدول في العالم والمواقف المتوقعة من كل منها ، واقترح أساليب مقابلتها ..
هذه أهم ملامح الجزء الغائر من جبل الثلج الذي اصطدم باليونسكو قبيل العام الجديد .. وفي التوقيت المرسوم في شهر ديسمبر ١٩٨٣ .

مع ربان السفينة

ومن حق أحمد مختار أمبو - ربان سفينة اليونسكو - منذ عام ١٩٧٤ أن يشرح وجهة نظره . هذا حق وواجب ومسئولية عالية .
ولقد أرسل الى وزير خارجية الولايات المتحدة ردا على خطابه بتاريخ ١٨ يناير/ كانون الثاني ١٩٨٤ جاء فيه :
« ولم يفتني أن أحيط رئيس المؤتمر العام ورئيس المجلس التنفيذي علما برسالتكم . وقد طلبت علاوة على ذلك أن يدرج ضمن جدول الاعمال المؤقت للدورة التاسعة عشرة بعد المائة

للمجلس التنفيذي التي ستبدأ في ٩ مايو/ آيار ١٩٨٤ الموضوع التالي « رسالة وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية بشأن انسحاب الولايات المتحدة الامريكية ..» ويهمني أن أعرب لكم عما أحس به من أسف بالغ ازاء انسحاب عضو مؤسس من المنظمة تعاونت سلطاته كما تعاون مربوه وعلماؤه ومثقفوه بوجه عام في أنشطة اليونسكو حتى اليوم تعاونا بارزا مطردا ، ووسعهم هم أيضا ولاشك أن يستفيدوا من هذا التعاون .. ولقد أكدت دائما على ضرورة الحفاظ على عالمية المنظمة .. »

ويشير الخطاب بعد هذا التقدير المتبادل بين المدير العام وخارجية الولايات المتحدة ، ووفدها لدى اليونسكو . والنتائج التي أوصل اليها تعاون الدول الاعضاء .. والى تكوين لجنة دائمة للصياغة منذ عام ١٩٧٦ في المؤتمر العام استطاعت أن تقرب بين وجهات النظر ، وأن تضع نصوصا تحظى بموافقة اجماعية . والى النزول بالحد الاقصى للميزانية في الدورة الثانية والعشرين (١٩٨٣) والذي سبق أن اعتمده المجلس التنفيذي بمقدار ٥٦,٢ مليون دولار . وبهذا أصبحت الميزانية المعتمدة لفترة ١٩٨٤ - ١٩٨٥ قدرها ٣٧٤,٤ مليون دولار . وسيؤدي هذا الى نقص ماتدفعه الولايات المتحدة بنحو ٦,٧ مليون دولار ..

ويمضي الخطاب يبين ماسيرد الى الولايات المتحدة من احتياطي الميزانية وأن مجموع ماسيطلب من الولايات المتحدة في فترة عامي ١٩٨٤ - ١٩٨٥ هو ٢٥,٤ مليون دولار بينما كانت الدفعة السنوية للفترة ١٩٨١ -١٩٨٣ هي ٤٩,٨ مليون دولار (والارقام مقربة لتيسير المقارنة) .

ومضى الخطاب يشرح نظام التخطيط المتوسط الأجل للاعوام ١٩٨٤ - ١٩٨٩ والحوار الديمقراطي الذي يدور بشأنها بين الدول الاعضاء ، وتأييد الدول لهذه الخطط والبرامج ، وشرح جوانب فنية من الميزانية وقرارات أجهزة المراجعة في سلامتها .

وانتقل الى مناقشة ما جاء في خطاب الخارجية الامريكية عن « اتجاهات تحيد باليونسكو عن أهدافها . واليونسكو منظمة دولية يحدد ميثاقها التأسيسي قواعد عملها وأساليب اتخاذ قراراتها » .

وكان النص يقضي بأنه عندما يباشر المؤتمر العام انتخاب أعضاء المجلس التنفيذي فعليه أن يحرص على أن يضم المجلس اشخاصا من ذوي الكفاية في الفنون والآداب والعلوم والتربية ونشر الأفكار ، وممن تتوافر لديهم الخبرة والمقدرة اللازمتان للقيام بالمهام الادارية والتنفيذية الملقاة على عاتق المجلس . ثم يشير المدير العام الى نص كان له مكانة في حرية اليونسكو وهو أن اعضاء المجلس التنفيذي « يمارسون السلطات التي فوضهم في ممارستها المؤتمر العام باسم المؤتمر العام كله وليس بوصفهم ممثلين لحكوماتهم ».

وبناء على مبادرة من حكومة الولايات المتحدة بوجه خاص ، تقرر في عام ١٩٥٤ ، أن يصبح كل عضو من أعضاء المجلس التنفيذي ابتداء من ذلك الوقت« ممثلا لحكومة الدولة التي ينتمي اليها » ، وهكذا فقد المجلس - الذي كان يتكون حتى ذلك الوقت من شخصيات مستقلة في عالم الفكر ، أراد مؤسسو اليونسكو أن يكفلوا له أكبر قدر من حرية الرأي ازاء حكوماتها ،و هذه احدى خصائصه الاساسية ..

واشار التقرير الى التحقيقات التي أجراها « مجلس الولاء » بالولايات المتحدة حول الموظفين الامريكيين العاملين باليونسكو .. ثم يقول :

« وينبغي التمييز بين وجهات النظر التي تبديها هذه الدولة أو هذه المجموعة من الدول الاعضاء في اليونسكو ، وبين أنشطة المنظمة ذاتها التي تحتم عليها رسالتها الاخلاقية تجاوز الايديولوجيات المختلفة دون تجاهلها - وقد ذكر

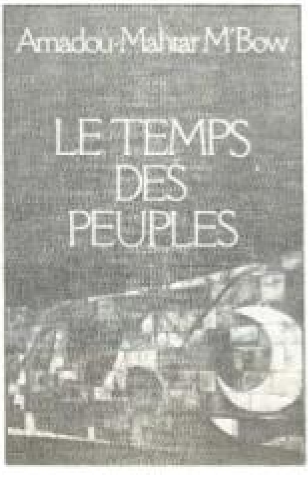

بذلك السيد أدموند ب . هينلي رئيس وفد الولايات المتحدة الامريكية . في الدورة الثانية والعشرين للمؤتمر العام (نوفمبر ١٩٨٣) في الكلمة التي ألقاها في اثناء مناقشة السياسة العامة ، فقال : « ان الفارق بين ماتناقشه نحن كحكومات وبين مانتوقع من المنظمة أن تفعله لينطوي على أهمية حاسمة ، ولكننا نغفل هذا الفارق في كثير من الاحيان » .

ويعقب المدير العام في خطابه على هذه العبارة بقوله : « والواقع انها مسألة كثيرا مايغفلها هؤلاء الذين ينحون باللائمة على اليونسكو ، والذين ينسبون الى المنظمة ذاتها مواقف يبديها هذا المندوب أو ذاك باسم هذه الحكومة أو تلك » .

ثم انتقل الخطاب الى نمو المنظمة من ٢٨ دولة عند التوقيع الى ١٦١ عند ارسال الخطاب ، وعلاقة النمو واتساع مجال العمل وآمال الشعوب مع التنوع الشديد الممثل في اليونسكو والذي يعكس واقعا عالميا ، وايمان اليونسكو بالحرية والتعليم والثقافة للجميع دون تمييز،كما ينص على هذا الميثاق التأسيسي ، وما قالته السيدة جيرارد (سفيرة الولايات المتحدة لدى اليونسكو) باسم مجموعة الدول الغربية في ختام الدورة الأخيرة . « وكثيرا ما توصلنا الى قراراتنا في هذا المؤتمر من خلال توافق الآراء . . وانه لانجاز عظيم جدا ان تتمكن هذه الدول الكثيرة من التوصل الى اتفاق مشترك حول القضايا المطروحة عن طريق نقاش طابعه الاعتدال والاتزان » .

وفي ختام الخطاب يأمل المدير العام أن تراجع الولايات المتحدة الوضع برمته ، وتقرر البقاء في اليونسكو ، وبهذا تصون لها طابعها العالمي ، وتواصل التعاون معها بصورة كاملة تامة .

منابع المستقبل

ونعود الى جملة في خطاب شولتز الى المدير العام يقول فيها : ـ ان انجاز بضعة أمور على نحو جيد أبعد أثرا من تناول جميع مصائب العالم تناولا سطحيا .

نعود الى هذه الجملة لنسأل : ماهي هذه المصائب ؟ وما التناول السطحي ؟ ونطالع معا كتاب المدير العام : منابع المستقبل ، وقد صدر عن اليونسكو (١٩٨٢) في هذه المرحلة التي اطلق عليها المدير العام . « زمان الشعوب » وهو عنوان لأحدث كتبه ، وقد أشاد بهذا التعبير مؤتمر مكسيكو عن السياسات الثقافية (١٩٨٢) .

بعد المقدمة نقرأ عناوين الفصول التالية : كوكب واحد ، ألوان من التباين والتفاوت ، النظام الاقتصادي الدولي ، السلام وسباق التسلح ، حقوق الانسان ، البيئة والموارد الطبيعية ، الاتصال بين الناس والثقافات ، العلم والتكنولوجيا والمجتمع ، النمو والتساؤلات المطروحة بصدده ، الذاتية الثقافية ، التربية والمجتمع ، ظواهر التشكك وتجديد القيم ، التحديات ، مهام اليونسكو في السنوات ١٩٨٤ ـ ١٩٨٩ ـ

ويعرض الكتاب المهام الرئيسية الخمس والبرامج الثلاثة عشر وقد أضيف اليها البرنامج الرابع عشر عن المرأة،الذي درسه المؤتمر العام (نوفمبر ١٩٨٣) .

وهذه المهام الخمس متسلسلة ومترابطة ومتدرجة . ولكل منها برنامج أو أكثر . والبرامج بدورها حلقات متماسكة ، يصورها العرض الموجز الآتي ، وفيه ارقام المهمات والبرامج :

أولا ـ الاسهام في دراسة مشكلات العالم الراهن ، ذلك لأن اليونسكو « مرصد » و « مختبر أفكار » ويقابلها برنامج :

(١) تأمل في المشكلات العالمية ودراسات مستقبلية .

ثانيا ـ الاسهام في توفير الظروف المواتية للمشاركة . ويقابلها برنامجان :
(٢) التعليم للجميع
(٣) الاتصال في خدمة الانسان .

ثالثا ـ تنمية قدرات استخدام المعارف وتنمية المعارف ذاتها . ويقابله أربعة برامج :
(٤) وضع سياسات التربية وتنفيذها .
(٥) التعليم والتدريب والمجتمع .
(٦) العلوم وتطبيقاتها في مجالات التنمية .
(٧) نظم المعلومات والانتفاع بالمعرفة .

رابعا ـ الاسهام في تيسير التطورات والتحولات ، ويقابلها ثلاثة برامج :
(٨) مبادىء العمل من أجل التنمية واساليبه واستراتيجياته .
(٩) العلم والتكنولوجيا والمجتمع .
(١٠) بيئة الانسان والموارد الارضية والبحرية .

خامسا ـ تجديد القيم والتفاهم بين الشعوب . ويقابله ثلاثة برامج :
(١١) الثقافة والمستقبل .
(١٢) القضاء على التحيز والتعصب والعنصرية والفصل العنصري .
(١٣) السلام والتفاهم الدولي وحرية الشعوب وحقوق الانسان .

يأتي بعد هذا البرنامج المضاف وهو :
(١٤) أوضاع المرأة .

فالمهام تبدأ من المساهمة في الدراسة وتنتقل الى توفير الظروف المواتية فمواجهة المشكلات ، فالابداع ، فتجديد القيم .. والبرامج توازي معها وتترابط وتتكامل .

هذا ماتدارسه المؤتمر العام في دورته الثانية والعشرين ، وماصطدم بجبل الثلج ، والعام الجديد على الابواب .

الثقافة أصبحت عقبة

ولنتصور الثقافة شجرة على جانب طريق لها ظل محدود .. ثم نمت وضربت بجذورها في الارض وفروعها في الفضاء ومدت وجودها حتى فرضته على العابرين .. فمنهم من رضى به وسعد ، ومنهم من ضاق بالشجرة واعتبرها عقبة على الطريق الممتد . ولعل هذا ماكان من أمر الثقافة في المؤتمر العالمي بشأن السياسات الثقافية (مكسيكو ٢٦ يوليو / تموز ـ ٦ اغسطس / آب ١٩٨٢) .

لقد مد المؤتمر فروع الثقافة ورأت أمم الارض فيها فيئا وظلا وقال المؤتمر :

« ان الثقافة ، بمعناها الواسع ، يمكن ان ينظر اليها اليوم على أنها جماع السمات الروحية ، والمادية والفكرية والعاطفية التي تميز مجتمعا بعينه أو فئة اجتماعية بعينها ، وهي تشمل الفنون والاداب وطرائق الحياة كما تشمل الحقوق الاساسية للانسان ونظم القيم والتقاليد والمعتقدات .

وان الثقافة هي التي تمنح الانسان قدرته على التفكير في ذاته وهي التي تجعل منا كائنات تتميز بالانسانية المتمثلة في العقلانية والقدرة على النقد والالتزام الاخلاقي ، وعن طريقها نهتدي الى القيم ونمارس الاختيار ، وهي وسيلة الانسان للتعبير عن نفسه والتعرف على ذاته كمشروع غير مكتمل والى اعادة النظر في انجازاته والبحث دون توان عن مدلولات جديدة وابداع اعمال يتفوق فيها على نفسه » .

ومن هذه القاعدة العريضة ينطلق اعلان مكسيكو عن الثقافة الى الحديث عن الذاتية الثقافية والبعد الثقافي للتنمية ، والثقافة والديمقراطية ، والتراث الثقافي والابداع الفني والتربية الفنية والعلاقة بين الثقافة وبين التربية والعلوم والاتصال وتخطيط الانشطة الثقافية وادارتها وتمويلها والتعاون الثقافي الدولي ودور اليونسكو في ذلك .

أرأيت كيف امتدت الشجرة ، وحملت هذه الفروع أوراقا تتنفس هواء الحرية ، متطلعة الى مزيد من النور ضاربة بجذورها في أرض الحياة ؟

ارتبطت الثقافة بالحرية السياسية والاقتصادية والفكرية وحقوق الشعب في تقرير المصير ومشروعية الدفاع عن التراث الثقافي .. والتراث أرض وفكر وأجيال .. والتراث ماض وحاضر ومستقبل ، فالزمان في حركة دائمة . وكما نسمع أحيانا عن مذابح الاشجار لإفساح الطريق ، اتجهت بعض الأقطار الى شجرة

الثقافة ، وضاقت بمساحتها في اعلان مكسيكو ، ورأت فيها عقبة على الطريق .. ولم تشفع لها الخضرة ، ولا أمل الشعوب في زمان الشعوب فماذا تصنع فأس السياسة بغصون الثقافة الخضراء ؟

أصوات متعددة وعام واحد

وهذا عنوان كتاب هو حصيلة أعمال لجنة دولية برئاسة السيد شون ماكبرايد (ايرلندا - والحائز على جائزة نوبل) وهو من اصدار اليونسكو عام ١٩٨١ (الطبعة العربية) . وهو وثيقة على درجة عالية من الخطورة ومما أشار اليه خطاب وزير الخارجية وتقارير الوزارة .

وتقرأ على غلاف الكتاب أهم الأسئلة التي قدم التقرير عنها مقترحاته .

كيف نعالج عدم التوازن والتحريف في نشر الأنباء ، ولاسيما العالمية منها ؟

ماهي الشروط التي يمكن تهيئتها لكي تتحول عملية الأنباء ذات الاتجاه الواحد ، والمحتكرة من طرف الاقوياء - سواء كان مصدر قوتهم العلم أو المال أو القوة المطلقة - الى عملية واسعة ديمقراطية تشمل كل القضايا وتعتمد على الحوار الذي يشترك فيه الجميع ؟

ماهي المبادىء التي يجب اعتمادها لخلق نظام عالمي جديد للاعلام والاتصال يتميز بالعدالة والنفع العميم ؟

تلك بعض الاسئلة التي حاولت اللجنة العالمية لدراسة مشاكل الاتصال الاجابة عنها في تقريرها هذا ..

ومن التقرير - وكنموذج لوضوحه وقوته وتعبيره عن آمال الشعوب - أقتبس الفقرة الآتية (ص ٥٤٦ من الطبعة العربية)

ان حرية الكلام وحرية الصحافة وحرية الإعلام وحرية التجمع من الحريات الاساسية لممارسة حقوق الانسان . ويعد توسيع هذه الحريات المتعلقة بالاتصال بحيث تصبح حقا فرديا جماعيا أوسع للاتصال بين الناس ، مبدأ من المبادىء التي تسود الان عملية تحقيق الديمقراطية ، والمساواة بين الاجناس . ويعد الدفاع عن حقوق الانسان واجبا من الواجبات الاساسية لوسائل الاعلام .

والآن : بين من الخلاف ؟

لقد فتحت اليونسكو ابوابها أمام أي حوار ، وملفاتها أمام أي محقق ، وميزانيتها أمام أي مراجعة . فماذا حدث ؟

في مساء الاربعاء ٢١ مارس ١٩٨٤ تعرض مقر منظمة اليونسكو العالمي في باريس لحريق اندلعت فيه النيران فى أكثر من مكان في وقت واحد .

وهكذا انتقل الصراع من النور الى الظلام .. ومن الكلمة الى الحريق ومن الفكر الى التآمر ..

أكثر من وفد ومن مجموعة وفود ، قالت كلمتها في مسيرة اليونسكو ، مؤتمر القمة الاسلامي الرابع في الرباط (يناير ١٩٨٤) ناشد الولايات المتحدة الامريكية أن تبقي في اليونسكو ، وان تعدل عن قرار الانسحاب .
وتساءل : ما اليونسكو ؟

انه قلم يكتب ، ولسان ينطق ، وقلب يشعر ، وفكر يدعو الى مستقبل أفضل .. انه أمل أخضر التقت عنده الآمال .. وأملنا أن نتعاون جميعا على أن تمر هذه العاصفة ، وتتغلب الحكمة ، وتعود الى اليونسكو عالميتها لتكون منبر العالم ، ومدرسة الحوار الديمقراطي .. وتطويرا من الداخل ، دون انسحاب ولا مقاطعة .

ففي عقول البشر ، كما يقول الميثاق التأسيسي - يجب أن تبنى حصون السلام . □□

ملامح الهوية العربية

بقلم : الدكتور محمد عمارة

☐ العروبة .. هل هى بناء فوقى قابل للتغيير .. أم جوهر ثابت له صفة الاستمرار ؟ وهل هى مجرد تراث .. ام هوية ثابتة القسمات ؟

ان هذه هى القضية التى نبحث عن ملامحها .. مع محاولة استكمال مقومات الاستقلال الحضارى .

عندما تكون الامة مالكة لتراث حضارى غنى وعريق ، وعندما تكون حضارتها من الحضارات التى تألقت يوما فتخطت بعطائها الحدود القومية لهذه الامة ـ كما هو حال أمتنا العربية الاسلامية ـ عندما يكون هذا هو حال الامة ، فمن الصعب ـ بل المستحيل ـ عليها أن تقف بنضالها فى سبيل الاستقلال ، عند « الاستقلال السياسى » أو « الاستقلال الاقتصادى » ، ولا بد لها أن تواصل مساعيها كى تحقق « الاستقلال الحضارى » الذى يعيد لها شخصيتها القومية ، ويزيل آثار التشوه الفكرى التى لحقت بها عندما فقدت الاستقلال وخضعت لتأثيرات الغزاة ! ..

وفى البحث عن استكمال مقومات هذا « الاستقلال الحضارى » يثور التساؤل عن « الهوية » الخاصة بالأمة .. وأين نلتمس معالمها ؟ .. أفى تراث الامة وموروثها ؟ .. أم فى الوافد الفكرى الذى وفد الينا منذ بدء الغزوة الاستعمارية الحديثة ، والذى مازال يفد الينا من خلال ما يتم على أرضنا من « تحديث » مطبوع بالطابع الغربى والتغريبى ؟ .. كما يثور التساؤل كذلك عن ماهية القسمات التى تُكون « هوية » الامة الحضارية ؟ .. وهل « الهوية » هى كل « التراث » ؟ .. والى أى مدى يصيب التطور والتغير « الهُوية » الحضارية للامة فى مجرى التطور العام ؟؟ ..

وبادىء ذي بدء ، لا بد من تحديد مضامين المصطلحات . .

فـ « الهوية » ـ بضم الهاء ـ مصطلح استعمله العرب والمسلمون القدماء . . وهو منسوب الى « هو » . . وهذه النسبة تشير الى ما يحمله من مضمون . . فهى تعنى ـ كما يقول « الجرجانى » فى (التعريفات) : « الحقيقة المطلقة ، المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة فى الغيب المطلق » .

أما معاجمنا الحديثة فانها لم تخرج عن هذا المضمون ، عندما قالت عن الهوية : انها « حقيقة الشىء أو الشخص المطلقة ، المشتملة على صفاته الجوهرية ، والتى تميزه عن غيره . . » . . وتسمى ، أيضا : « وحدة الذات » . .

وبعبارات أدخل فى موضوعنا ، فاننا نستطيع أن نقول : ان الهوية الحضارية لأمة من الامم ، هى القدر الثابت ، والجوهرى ، والمشترك من السمات والقسمات العامة ، التى تميز حضارة هذه الامة عن غيرها من الحضارات ، والتى تجعل للشخصية القومية طابعا تتميز به عن الشخصيات القومية الاخرى . .

العروبة كهوية

واذا شئنا أن نضرب بعض الامثلة للقسمات الجوهرية التى غدت ، لعمومها واستمراريتها ، جزءا أصيلا فى « هوية » أمتنا العربية الاسلامية فاننا سنجد مثلا :

■ العروبة : ـ بالمعنى الحضارى والفكرى ـ وليس بالمعنى العرقى والعنصرى ـ فلقد غدت العروبة هوية لهذه الجماعة البشرية التى تعربت بعد الفتح العربى الاسلامى ، والتى أصبح ولاؤها وانتماؤها لكل ما هو عربى ، وليس للاطوار الحضارية غير العربية التى سبقت ، فى تاريخها ، طور التعريب . . ولقد استوت فى هذا الولاء والانتماء للعروبة بأولئك الذين انحدروا من اصلاب عربية بالمعنى العرقى . .

وكما أصاب التعريب البشر ، فجعلهم جزءا من نسيج الامة الجديدة ، كذلك اصاب المواريث الحضارية لشعوب البلاد التى أصابها التعريب . . فلقد أحيا الاسلام الصالح من هذه المواريث ، بعد أن كادت تموت فى ظل القهر البيزنطى القديم ، ولم يمارس الاسلام ضدها

حرب « المسخ والنسخ » التي مارستها الحضارة الأوروبية ضد المواريث الحضارية لأهل البلاد التي ابتليت بالاستعمار الحديث .. فكما دخلت شعوب البلاد ـ بعد الفتح ـ الى نسيج الجماعة العربية ، كذلك غدت هذه المواريث الحضارية القديمة جزءا أصيلا في الحضارة التي تبلورت على أرض هذه الأمة ، كمحصلة لتفاعل الاسلام ، بروحه الشابة وافقه العقلاني ، مع الصالح من هذه المواريث .. واذا كان « الاسلام الدين » الذي هو وضع الهي ، والذي يجب أن ننزهه عن الاضافات والبدع البشرية .. اذا كان هذا « الاسلام الدين » قد اختص به الذين تدينوا به من المسلمين .. فان « الحضارة العربية الاسلامية » بعلومها وفنونها الدنيوية ، قد جاءت ثمرة للاسلام الدين وللمسلمين المؤمنين به ، مع تلك الاسهامات والاضافات التي دخلت نسيج هذه الحضارة من المواريث التي سبقت ظهور الاسلام ، وتلك التي أبدعها الذين تعربوا مع بقائهم على الشرائع الدينية التي سبقت ظهور الاسلام ..

فعروبة البشر .. وعروبة الحضارة ، هي سمة من السمات الثوابت ، التي غدت جزءا من « الهوية » التي تميز أمتنا وحضارتنا عن غيرها من الامم والحضارات ..

واذا كان « عموم » العروبة في الامة ـ كجماعة بشرية ـ وفي حضارتها ـ بعلومها وفنونها وآدابها ـ هو مما لا يحتاج الى اثبات أو ايضاح .. فان البعض قد يرتاب في « ثبات » هذه القسمة في وجه عوامل التطوير والتغير، داخلية كانت أو خارجية ، ومن ثم فان هذا البعض قد يرتاب في كون هذه « العروبة » واحدة من القسمات التي تمثل « هوية » هذه الامة ، في المستقبل ، كما كانت في ماضيها وحاضرها ! .. فهذا البعض قد يحلو له النظر الى « العروبة » كمجرد قسمة من قسمات « البناء الفكري الفوقي » ، الذي يصيبه التطور والتغير عندما يتطور ويتغير « البناء المادي التحتي » للمجتمع ، كما هو الحال مع بعض « الافكار » التي تتبع في البقاء أو الذهاب الظروف المادية التي تبعثها وتستدعيها ! ..

ونحن نعتقد أن نظرة متأملة للتحديات التي جوبهت بها عروبة الامة وعروبة حضارتها عبر تاريخنا المليء بالتحديات ، ستجعلنا على يقين من أن « العروبة » هي « هوية » .. وليست مجرد « بناء فوقي » يتغير بما يصيب « البناء المادي التحتي » من تطور وتغير ..

لقد سيطر « الترك ـ المماليك » و « الترك ـ العثمانيون » على مقدرات هذه الامة العربية أغلب قرون تاريخها الاسلامي .. وسيطر الاستعمار الغربي وهيمن على حياتنا قرابة القرنين من الزمان .. وخلال هذه القرون الطويلة امتحنت « عروبة الأمة .. وعروبة الحضارة » أقسى الامتحانات ! ..

ففي ظل « الترك المماليك » ، الذين كانوا فرسان العصر الوسيط ، وحماة الديار من الخطر الخارجي لقاء أن تصبح هذه الديار اقطاعا حربيا لامرائهم وأجنادهم ! .. في ظل هذا التسلط المملوكي ظهرت دعوى عدم ارتباط العروبة بالاسلام ! فلقد كان الحاكم غريبا عن الروح القومية للأمة ، تجمعه بها وحدة الدين فقط ، فشاعت المقولة التي تغض من شأن العروبة ، حتى لقد زعم البعض تناقضها مع الاسلام ! ..

وفي ظل سلطان « الترك ـ العثمانيين » بلغ التحدي للعروبة حد محاولة تتريك العرب ، كي يتحولوا الى « أتراك » ! ..

أما في ظل الهيمنة الاستعمارية الغربية فان محاولات « فرنسة الجزائر » و « تغريب » فكرة الامة ، ومحاربة العربية ، بمشاريع كتابتها بالحرف اللاتيني مرة .. واستبدال العامية بها مرة ثانية .. والتخطيط لسيادة الجهل بها في كل الأحايين ! .. ان هذه المحاولات وأمثالها شواهد على ما جابه العروبة في تلك الحقبة من التحديات ..

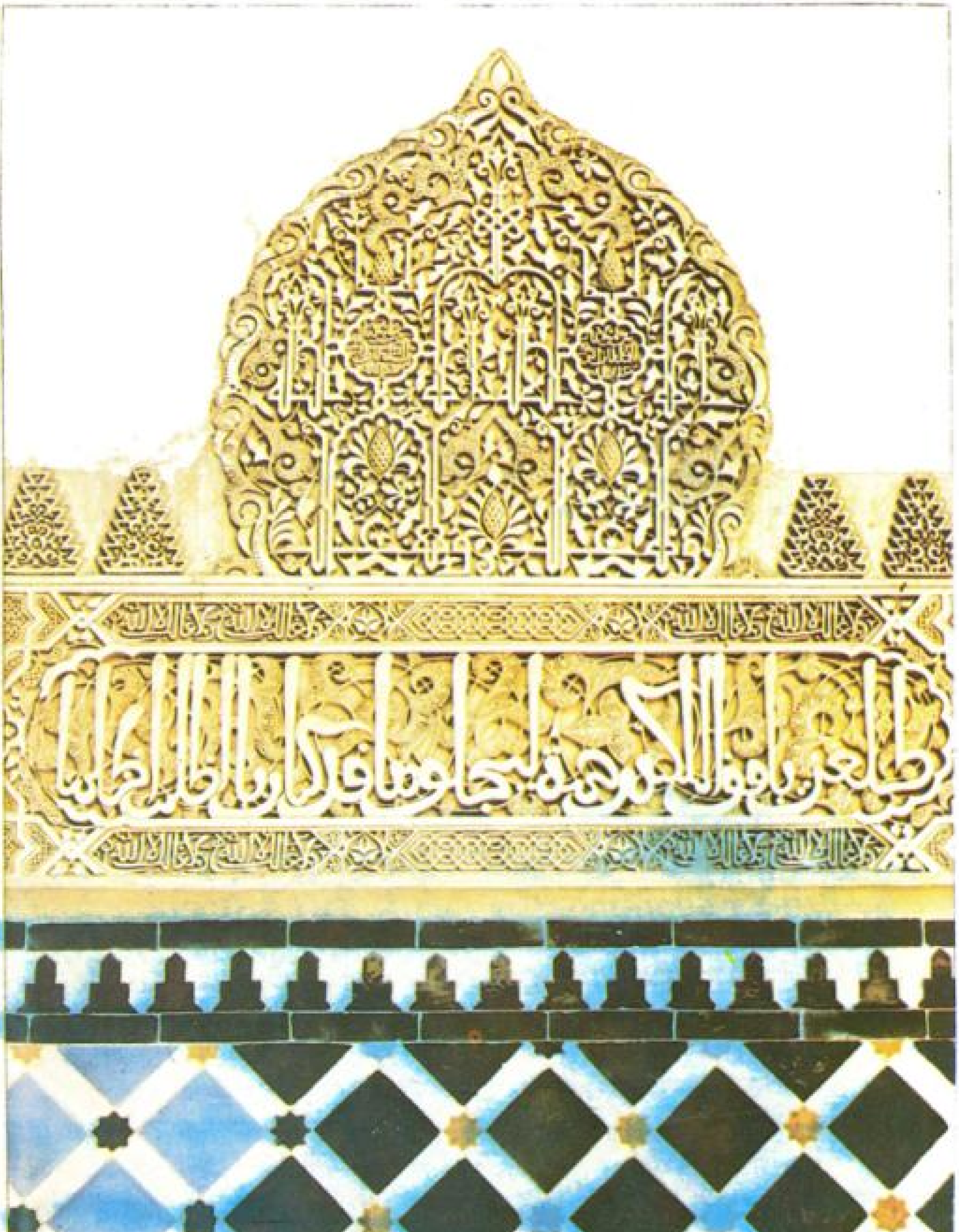

لكن « العروبة » رغم هذه التحديات التى تمثل عوامل وتحولات قامت فى أرض الواقع ، ظلت صامدة شامخة مستعصية على التحرك من موقعها الحصين .. فليست هى اذن « بالبناء الفوقى » الذى يصيبه التغير بتغير الظروف .. وانما هى « جوهر ـ ثابت » ، كما هى « عام وشامل » له صفة « الاستمرار » .. انها « هوية » وليست مجرد تراث ! ..

روح التوحيد

■ والتدين : هو الآخر قسمة من القسمات الجوهرية والثوابت التى تكون جزءا من « هوية » هذه الامة ! ..

ونحن بالطبع ، لا نزعم ان أمتنا وحدها هى المتدينة من بين الامم الاخرى .. لكننا نقول : ان مما يميزها ـ كهوية لها ـ هو عموم روح التدين بين ابنائها ـ وروح التدين غير شعائره ومظاهره ـ فجمال الدين الافغانى يحدثنا عن أن التدين هو طبيعة وجبلة فى الانسان المسلم ، حتى لتستعصى هذه الروح الايمانية على الاقتلاع حتى عند الذين يتوهمون أنهم قد اقتلعوها بالزندقة والمروق من الدين والالحاد فيه .. انها تبقى طابعاً لهم ، وأثرها فيهم باق كأثر الجرح بعد أن يندمل ؟ !

■ وهذه الروح المتدينة محورها ومزاجها هو « التوحيد » .. وهو مميز آخر ، يجعل التدين بهذا المعنى وبهذه الروح التوحيدية « هوية » تتميز بها أمتنا وحضارتنا عن غيرها من الامم والحضارات .

ان « التوحيد » الذى بلغ فى تراث مصر القديمة ـ عند اخناتون (١٣٦٩ ـ ١٣٥٣ ق م) الى الحد الذى تحدثت فيه أناشيده عن الله ، سبحانه ، كاله للكون كله .. هذا التوحيد هو جزء من مواريث حضارتنا ، جاءها من بقايا الشرائع الالهية القديمة .. وبه تميزت عن صورة التوحيد فى (العهد القديم) ، تلك التى جعلت « التوحيد » أقرب ما يكون الى الوثنية ، فالله فيها هو اله لبنى اسرائيل وحدهم ، أما الشعوب الاخرى فلها آلهتها الخاصة بها ؟ ! ..

وحتى وثنية العرب القديمة ، فى جاهليتهم التى سبقت الاسلام ، كانت « انحرافا » عن جوهر ونقاء هذا « التوحيد » (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ؟ ليقولن : الله ..) ـ لقمان : ٢٥ ـ .. (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ـ) ـ الزمر : ٣ ـ ..

وهذه الروح « التوحيدية » بلغت فى روح الحضارة الشرقية مبلغ « الهوية » والثوابت من القسمات . فكان دخول شعوب الشرق فى دين الله ـ الاسلام ـ أفواجا ، دونما اكراه ، بالترغيب أو الترهيب ، رغم حرية الاعتقاد التى أبقت المؤسسات الكنسية وما لها من تراث فى الجدل وخبرات فى التبشير .. فلقد كان التوحيد الاسلامي ، الذى بلغ الذروة فى النقاء ، والذى أعاد الى هذه العقيدة ـ التى هى جوهر الدين ـ صفاءها ونقاءها الذى أرادها عليه الواحد ، سبحانه وتعالى .. كان هذا التوحيد الاسلامى « الهوية » التى أعادت شريعة الاسلام والكشف عن جوهرها ، بعد أن طمستها تعقيدات التثليث والتجسد والحلول !

واذا كان الباحثون فى تراث الغرب الفلسفى ، يرصدون فى ذلك التراث تيارا « ماديا ـ ملحدا » منذ اليونان وحتى عصرنا الراهن .. فلا بد ان يلفت نظر هؤلاء الباحثين خلو تراثنا الفلسفى من هذا التيار « المادى ـ الملحد » عبر تاريخنا الحضارى الطويل ! .. وما تلك الشبهات والمقولات والاجتهادات التى يحسبها البعض « شكا » أو « زندقة » أو « الحادا » ، الا « وافد » غريب عن روح حضارتنا وفكرها الفلسفى ، لم يتعد مكان « النتوء ـ النشاز » ، ولم يبلغ يوما حجم « التيار » أو ما يشبه « التيار » ! ..

أما الاجتهادات الاصيلة التى حسبها

« النصوصيون » و« الحادا » فان النهج « العقلاني ـ الاسلامي ـ الوسطي » الذي تآخت فيه « الحكمة » و « الشريعة » ـ يضعها في اطار « العقلانية الاسلامية » ، وينفي عنها أن تكون « مادية » أو « الحادا » كذلك الذي تميز به التراث الغربي منذ اليونان وحتى العصر الحديث . .

فهو اذن ـ التدين . . والتدين بروح التوحيد ـ من القسمات الثوابت ، التي غدت في حضارتنا العربية الاسلامية « هوية » تتميز بها هذه الحضارة عن غيرها من الحضارات .

الوسطية الاسلامية

■ والاعتدال : الذي جعل هذه الحضارة ـ وأمتها ـ ترفض « الغلو » ، بكل صوره ، وفي كل الميادين . . هو الآخر من القسمات التي غدت « هوية » نتميز بها عبر تاريخنا الحضاري الطويل . . فهذا الاعتدال هو الذي جعلنا أمة وسطا ، نقف موقف الشاهد ، الذي هو « عدل » بين ظلمين ، و « حق » بين باطلين ، و « اعتدال » بيت تطرفين . . الخ . . الخ . .

انها « الوسطية الاسلامية » ـ ليس بالمعنى السوقي الذي شاع في مجتمعاتنا لمصطلح « الوسطية » ! . . بل انها لتتميز عن « الوسطية الأرسطية » . . فهي تعني « الاعتدال » و « التوازن ـ والموازنة » . . انها لا تقف وسطا بين « قطبي » الظاهرة . . ولكنها تجمع وتؤلف بين ما يمكن الجمع والتأليف بينه من بين سماتها وعناصرها ، بواسطة النظرة الشمولية والشاملة ، والموقف المعتدل والمتوازن . .

انها لا تقف بين « العقل » و « النقل » . . وانما تؤلف بينهما . . وكذلك موقفها ازاء « المادة » و « الروح » . . « الدنيا » و « الآخرة » . . و « الدين » و« الدولة » . . و« الفرد » و« المجموع ».و« الذات » و « الموضوع » و « الاصالة » و « التحديد » . . و « الثبات » و « التطور » .

وهي ـ بهذا المعنى ـ من القسمات الثوابت في شخصيتنا القومية وطابعنا الحضاري . . بها تميزت أمتنا وتتميز ـ ويجب أن تظل متميزة ـ عن غيرها من الامم ذات الطابع الحضاري المتميز والعريق . .

وصدق الله العظيم اذ يقول : (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) ـ البقرة : ١٤٣

* * *

تلك بعض من قسمات « الهوية » الحضارية لأمتنا العربية الاسلامية . . انها « البصمة » الحضارية التي لا يطمسها « التفاعل الحضاري » الخلاق ـ عندما يكون رشيدا ينهض به المستقلون الاصحاء الراشدون ! ـ . . كما أنها لا تحتاج في حفظها والمحافظة عليها الى « الانغلاق » « الحضاري » والسعي لاقامة الاسوار الصينية بين حضارتنا وغيرها من الحضارات . . بل ربما أصابها هذا « الانغلاق » بما يصيبها به الذوبان في « هويات » الآخرين من تشوه وذبول . .

فهنا ـ أيضا ـ لا بد من « الوسطية . . والتوازن . . والاعتدال » ! . . □□

■ أخ لك كلما لقيك أخبرك بعيب فيك ، خير لك من أخ كلما لقيك وضع في كفك دينارا .

« بلال بن سعد »

لوحة.. وفنان

على شواطيء عكا ، في عام ١٩٣٨ حفرت اقدامه الطفولية الرمال ، خطت أنامله خطوطا تنبيء بمولد فنان ، نحت في الرمال أحلامه ، ثم تركها لتغمرها الأمواج ، وحمل الفنان والنحات الفلسطيني (توفيق عبدالعال) أحزانه وذكرياته في رحلة هجرة طويلة ، مشردا في بلاد الله الواسعة .

وكبقية أفراد الشعب الفلسطيني ، الذي كتب عليه هذا المصير المظلم ، كان سلاحه الريشة ، والأزميل ، وأتيحت له الظروف فيقيم عشرين معرضا شخصيا في بلدان عربية مختلفة كذلك شارك في معارض جماعية متعددة ، وأصبح عضوا لاتحاد التشكيليين الفلسطينيين فرع لبنان ، وعضو الاتحاد العام للفنانين التشكيليين العرب ، وعضو جماعة البعد الواحد ، ومعظم موضوعاته مكرسة لخدمة القضية الفلسطينية ، فالجرح كبير ، وأصعب من أن يندمل .

ومن معرض الفنانين الفلسطينيين بمناسبة (يوم الأرض) الذي أقيم في الكويت ، اخترنا هذه اللوحة الزيتية ، تحمل عنوان (نحو النور) وتمثل طفلة فلسطينية ووالدتها ، والقاسم المشترك بينهما حيرة تطل من العيون ، ووجهان يتقمصهما الخوف من شيء مجهول وان قبضة الأم القوية على المصباح ، تبين اصرارها على متابعة المسيرة . ورغم بحيرة الضوء السابحة فيها جزئيات اللوحة فان الحزن ينبع من الوجوه ليجتاح كالطوفان كل ما في اللوحة من بهجة لونية .

ثريا البقصمي

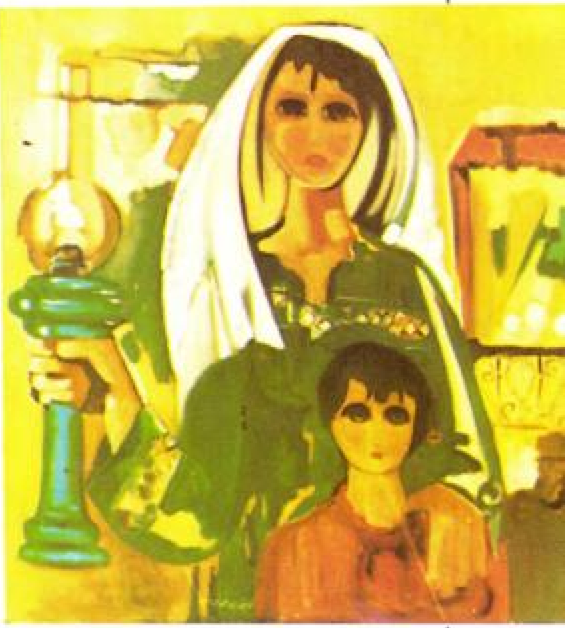

النص والاجتهاد والحكم في الإسلام

بقلم : الدكتور محمد أحمد خلف الله

□ هل الحكم في الاسلام من اجتهادات العقل البشري .. أم أنه تحدد قطعيا في نصوص شرعية لا تقبل الاجتهاد .. ؟.

الدكتور محمد أحمد خلف الله .. يطرح رأيا في هذا الموضوع .

جذب انتباهي ، وحاز اعجابي ما سمعته من أحد الدعاة البارزين كي يؤكد صحة الدعوة الى تطبيق الشريعة الاسلامية ، وتحقق الحكومة الاسلامية ، بمثل ضربه ، أعتقد أنه قد أصاب به كبد الحقيقة .

كان المثل مستعارا من الحضارة الأوروبية التي تنكرها الجماعات الدينية وتراها الشر الذي يجب الوقوف في وجهه والتخلص منه مهما تكن الظروف والمناسبات من حيث اننا نملك من التراث الاسلامي ما يمدنا بالحلول لما نعانيه من مشكلات .

كان المثل الذي ضربه العضو البارز ، والمقولة التي قال بها ، هي : إن مخترع الآلة إنما يبين للناس كيفية تشغيل هذه الآلة ، وإن المؤسسات التي تتولى بيع هذه الآلة تضع نسخة من هذا البيان مع كل آلة معروضة للبيع ، وان كل مشتر لهذه الآلة يلتزم بهذا البيان عند تشغيله لهذه الآلة ـ وإلا فسد الأمر وعجزت الآلة عن أن تقوم بوظيفتها التي أعدت من أجلها .

←

البيان والعقل

ثم قال : والله سبحانه وتعالى هو الخالق لهذا الكون بمن فيه وما فيه ، وقد وضع البيان الذي يبين للناس كيفية ممارسة الحياة ، وبعث في شأن ذلك بالانبياء المرسلين .

انه يجب علينا أن نلتزم بهذا البيان ، والا نتخلى عنه والا فسدت الحياة وانحرف الناس عن الطريق المستقيم .

ثم أردف ذلك بالآية القرآنية الكريمة : « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » آية ١٤ الملك .

وما قاله الرجل هو عندي من المسلمات ، ولست أخالفه في شيء مما قال ما دام البيان الذي يدعونا اليه هو البيان الذي جاء من عند الله ، وبلّغه الى الناس الأنبياء المرسلون .

اننا نخالف الرجل عندما نراه ، أو نرى غيره من الدعاة يدعونا الى الالتزام دينيا ببيانات أخرى هي من صنع العقل البشري ، ومن اجتهادات المجتهدين من رجال الفكر الديني .

اننا نؤمن بأن الدين لا يكون الا من عند الله ، تحمله الأنبياء المرسلون للناس ، وتبينه لهم . أما ما يجيء به العقل البشري عن طريق اجتهادات المجتهدين فيما لا نص فيه ، فلا يمكن أن يكون دينا بحال من الأحوال .

والالتزام بما يقول المجتهدون هو التزام أدبي من حيث انه من أمجاد أسلافنا أو مما لا تزال فيه مصلحة لنا .

ان كل ما لم يرد فيه نص قد ترك أمره للعقل البشري . . . . عقل من سبقونا ، وعقولنا نحن .

وان من حقنا أن نجتهد في مشكلات عصرنا كما اجتهد القدامى في مشكلات حياتهم ، وما وصلوا اليه ، وما نصل نحن اليه ، هو من أدبياتهم وأدبياتنا . وليس من الدين في شيء .

والمعيار الوحيد الذي توزن به الاجتهادات البشرية ، القديمة والحديثة ، هو ألا تأتي بما يخالف النص . . . وبخاصة عندما يكون النص واضحا وصريحا وقطعي الدلالة ووارد مورد التكليف .

وهنا نعود الى هذا المثل الذي ضربه الداعية لقد استعار مثله من الحضارة الأوروبية ومن مسائل العلم والتكنولوجيا . . . أي من هذا الميدان الذي يصنع فيه التقدم ، وتيسر فيه سبل ممارسة الحياة على كل انسان .

والقواعد العلمية التي قامت استنادا اليها كل التطبيقات في ميادين التكنولوجيا والالكترونات ، هي حقائق عالمية تجمع على صحتها كل المجتمعات البشرية ، وتمارس حياتها على أساس منها .

العلم والتكنولوجيا

والمجتمعات الاسلامية اليوم تمارس حياتها على أساس من العلم والتكنولوجيا ، وبدون جدل أو حوار . . تفعل ذلك في الماديات . في ميادين : المعمار ، والسيارات ، والطائرات ، وكل أدوات الحرب والقتال . وفي ميادين الطب والصيدلة وكل ما يتعلق بجسم الانسان . ولا يطالبنا أحد من الجماعات الدينية بأن نعود الى التراث في شيء من ذلك .

لا يطالبنا أحد بأن نعالج أمراضنا بالشكل الذي كان يعالج به كل من الرازي وابن سينا ، مرضاه .

ان الصراع الذي يدور اليوم بين الجماعات الدينية وغيرها انما يدور في الواقع حول المعنويات ، ويدور في الأعم الأغلب حول الفكر السياسي ، وحول قيام الحكومة الاسلامية التي تحكم بما أنزل الله .

والفكر السياسي الذي يدور حول نظام الحكم هو عند غير الجماعات الدينية معرفة بشرية . معرفة قد صدرت عن التجربة البشرية وليس عن الوحي الالهي . وانه من هنا كانت السياسة علما تتوفر على دراسته المؤسسات العلمية من أمثال كليات الاقتصاد والعلوم السياسية .

السياسة عند هؤلاء علم من العلوم ، وشأنها في ذلك شأن علوم : الطب والصيدلة والهندسة والزراعة والتجارة ، وما أشبه .

ولا أريد في هذا الموقف أن أتعجل القارىء ، وآخذ به الى حيث أريد ، وانما أريد أن أتوقف معه عند مسائل بعينها من قضية نظام الحكم كي تتبين أي الموقفين أصح ، موقف الجماعات الدينية أو موقف المؤسسات العلمية . ؟ .

وهذه القضايا هي :

كيف يولى رئيس الدولة في المجتمع الاسلامي ، وكيف يعزل ؟

كيف يمارس رئيس الدولة في المجتمع الاسلامي سلطاته ، ومن أين يستمد هذه السلطات ؟

ان الاجابة هي التي سوف تنير أمامنا السبيل الى الوصول ، الى وجه الحق في قضية نظام الحكم في المجتمع الاسلامي .

وهذه الاجابة سوف نستمدها من الواقع العملي الذي تحقق في هذه القضية عند النشأة الأولى للمجتمع الاسلامي .

وسوف نقف من هذه النشأة عند رئاستين للمجتمع الاسلامي ، الواحدة منها رئاسة النبي العربي محمد بن عبدالله عليه السلام ، نستطيع أن نسميها بنظام النبوة والرسالة . والثانية منها رئاسة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، نستطيع أن نسميها بنظام الخلافة .

نظام النبوة

ونظام النبوة والرسالة ديني اقتضته حكمة الله ، ونفذته ارادته .

ويقوم هذا النظام على اختيار المولى سبحانه وتعالى واحدا من عباده ، يصطفيه من دون الناس ويحمله رسالة منه الى الناس . ويقوم من يحمل هذه الرسالة بتبليغها للناس وتوضيحها لهم ، ثم قيادتهم في تحقيق مضمون هذه الرسالة .

ومضمون هذه الرسائل مضمون تثقيفي من حيث ان مهمة هؤلاء الرسل قد كانت بنص القرآن الكريم : تعليم الناس الكتاب والحكمة لاخراج الناس من الظلمات الى النور وهداية الناس الى الحق والى الطريق المستقيم .

ومثل هذا النظام لا يمكن أن يكون نظام حكم بأي حال من الأحوال . . لا سيما ونحن جميعا نعلم أن القرآن الكريم لم يجعل النبي العربي محمد بن عبدالله عليه الصلاة والسلام ملكا أو رئيس دولة ، وظل ينعته بالنبي الرسول . . وليس من حقنا بأي حال من الأحوال أن نلتزم بغير ما جاء به القرآن الكريم ، ونستبدله بغيره .

لم يكن نبي الاسلام في أي وقت من الأوقات ملكا أو رئيس دولة ، وإنما ظل دائما النبي الرسول .

والقرآن الكريم يجعل محمدا عليه السلام رسول الله وخاتم النبيين ، وقضى بهذا على نظام النبوة وأسلم بهذا شؤون البشرية للعقل ليجتهد هذا العقل فيما لا نص فيه .

على أن المسألة لا تقف عند هذا الحد ، وانما تتجاوزه الى غيره من الأبعاد التي تجعل خصائص النبوة والرسالة بعيدة كل البعد عن أن تكون من خصائص نظام الحكم التي تدعونا الجماعات الدينية اليها ، وتلزمنا بها الزاما دينيا . ومن ذلك :

أولا : السلطة في نظام النبوة والرسالة مستمدة من المولى سبحانه وتعالى ، بينما هي في نظم الحكم مستمدة من الناس .

والأمور التي ترتبت على هذا بنصوص القرآن الكريم ، ان بيعة الناس للنبي عليه السلام تعتبر بيعة لله (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ، يد الله فوق أيديهم . . .) - آية ١٠ الفتح -

وتعتبر طاعة النبي عليه السلام في نظام النبوة والرسالة طاعة لله ، وليست لشخص النبي عليه السلام : (من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا) - آية ٨٠ النساء - (وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله . . .) - آية ٦٤ النساء - .

ثانيا : أن القرآن الكريم كان يلفت ذهن النبي عليه السلام أنه ليس على الناس بوكيل أو مسيطر أو جبار أو ما الى ذلك . . من كل ما هو من شؤون الحكم والرياسة .

وعلى أساس من هذا كان القرآن الكريم أيضا يطلب اليه أن يترك أمر عقاب الناس على مخالفتهم تعاليم الله الى الله نفسه : (ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم) - آية ٢٥ ، ٢٦ الغاشية - . وكان يطلب اليه أيضا أن يتحمل كل ما يصدر عنهم من مخالفات : (قد نعلم أنه ليحزنك الذي يقولون . . .) - آية ٣٣ الأنعام - .

ان القرآن الكريم لم يعامل النبي عليه السلام الا على أساس أنه النبي الرسول ، وليس أبدا على أساس أنه رئيس دولة ، وواضع نظام للحكم تستمد منه فكرا سياسيا لكيفية تحقيق دولة اسلامية .

(وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) - آية ١٤٤ آل عمران - .

يجب أن نلتزم بما التزم به القرآن الكريم . ونقف عند حدود النبوة والرسالة من أمر محمد عليه السلام .

نظام الخلافة

أما نظام الخلافة فهو الذي يمكن أن نسميه نظام حكم ، وأن نأخذ منه الأفكار السياسية التي يمكن أن نستند اليها عند صنع نظام حكم يليق بنا في أيامنا هذه . . نهاية القرن العشرين .

ونظام الخلافة لا يمكن أن يكون نظاما دينيا من حيث انه لم يكن هناك نص فيه ، وانه من هنا . . . أي من حالة غياب النص اختلف الصحابة رضي الله عنهم في كيفية اقامة هذا النظام ، وفي اختيار الخليفة باعتباره رئيس الدولة .

وغياب النص في هذه القضية هو الذي جعل كيفية اختيار أبي بكر رضي الله عنه غير كيفية اختيار عمر رضي الله عنه ، وجعل كيفية اختيار عثمان مختلفة عن طرق اختيار سابقيه .

أما اختيار علي كرم الله وجهه فلم يتحقق عن طريق اجماع المسلمين . وكان اختيار معاوية بحد السيف .

ان التاريخ الاسلامي يكشف لنا عن حقيقة أن نظام الخلافة ليس مصدره النص ، وانما مصدره الاجتهاد . ونحن حين نقول بالاجتهاد في هذه القضية انما نعني أن العقل البشري هو الواضع لنظام الخلافة .

وهنا حقيقة لا بد من لفت الذهن اليها هي أن ما كان من اجتهاد العقل البشري لا يكون دينا ، وانما يكون تشريعا مدنيا

الخلافة نظام مدني للحكم ، وليست نظاما دينيا للحكم .

والسلطة في الخلافة مستمدة من الناس ، وليست من الله كما هو الأمر في نظام النبوة والرسالة .

والناس يستطيعون عزل الخليفة ، وليس ذلك من حقهم في شأن النبوة والرسالة .

يبدأ نظام الحكم في الاسلام بنظام الخلافة وليس بنظام النبوة والرسالة .

وكلمة الحق التي يجب أن تقال ان الجماعات الدينية انما تطالب بنظام الخلافة . وبهذا النظام على أيام الخلفاء الراشدين .

والأمر الذي نختلف وإياهم فيه أننا نعتبر نظام الخلافة نظام حكم مدني وليس نظام حكم ديني . ولا نقف معهم عند الخلفاء الراشدين وانما نعتمد النظام كله منذ نشأته على أيام أبي بكر رضي الله عنه والى نهاية الخلافة العثمانية تجارب متصلة في مسيرة هذا النظام .

ان الوقوف عند الخلفاء الراشدين انما يعني أن نظام الحكم في المجتمع الاسلامي قد كان لمدة أربعة عشر قرنا وتزيد نظاما غير راشد ، وغير صالح للحياة في أيامنا هذه .

ان تجربتنا في نظام الحكم يجب أن تؤخذ بكاملها ، وأن تدرس الأفكار السياسية التي جاءت بها هذه التجربة مع اختلافها وتنوعها . أما الوقوف عند عصر الراشدين فهو بتر للتجربة . وكأن المسلمين لم يكونوا في نظام حكم صالح للحياة الا على أيام الراشدين . . أي مدة نصف قرن من تجربة عاشت أربعة عشر قرنا .

الاجتهـــاد

والذي نريد أن نختم به هذا المقال هو أن نظام الخلافة لم يكن فيه نص ، وليس يصلح فيه القياس .

ليس يصلح القياس لأن المولى سبحانه وتعالى قد أنهى نظام المقيس عليه وهو نظام النبوة والرسالة . وليس يصح القياس على أمر انتهى العمل به ، وكان الانتهاء على يد المنشىء له ، وهو المولى سبحانه وتعالى .

نظام الحكم في الاسلام نظام مصدره الاجتهاد وليس النص ، وما جاء عن اجتهاد يمكن أن يستبدل به حتى يأتي الاجتهاد الجديد بما يحقق المصلحة .

والجماعة الدينية يجب أن تترك هذه القضية لتكون محل اجتهاد جديد .

ان الفكر السياسي في نظام الحكم هو فكر بشري خالص . وتستطيع المؤسسات العلمية من أمثال كليات العلوم السياسية أن تجتهد فيه .

يجب أن نقف حسب المثل الذي أورده ذلك العضو البارز في الجماعات الدينية عند حدود بيان الله لكيفية ممارسة الحياة في هذا الكون بمن فيه وما فيه .

ويجب أن نجتهد فيما ليس فيه نص . . أي بيان من عند الله . واجتهادات المجتهدين هي فكر بشري خالص ، وليست من الدين في قليل أو كثير .

وهنا لا بد من التمييز بين الدين والتشريع .

ان مصادر التشريع أربعة : الكتاب والسنة والاجماع والقياس . أما مصدر الدين فهو الله سبحانه وتعالى . ومن هنا لا يكون الالتزام دينيا الا اذا كان عن النص .

يجب ألا نخلط بين الأمرين . ويجب أن يكون واضحا أن ما كان مصدره الاجتهاد عند غيبة النص هو فكر بشري خالص .

ويجب أن نعلم أن من حقنا اعادة النظر في المسلمات التي مصدرها الاجتهاد . . أي أعمال العقل البشري .

وعلى أساس من كل ما تقدم يكون معنى الحكومة الاسلامية هو الحكومة التي أنشئت عن اجتهادات العقل البشري .

والحكومة الاسلامية حكومة مدنية . وليست حكومة دينية . الأساس فيها الاجتهاد وليس النص .

وكل هذا الذي ذكرنا مرتبط بالحكومة من حيث هي سلطة تنفيذية فقط . أما الجانب التشريعي من نشاط الحكومة فى المجتمع الاسلامى فانه يثير قضايا أخرى بالغة الاهمية تتعلق بمصادر التشريع والاجتهاد وشروطه ووسائل ممارسته فى المجتمعات المعاصرة ولهذه القضايا مقام غير هذا المقام . □□

ضروب الأدباء

بقلم : عبدالله زكريا الأنصاري

□ سأل سائل عن ضروب الأدباء ، وهل منهم من يموت حيا ويحيا ميتا ؟ أم أن ذلك قول مبالغ فيه ؟

والسؤال يحتاج الى تفكير في المعنى المقصود ، ذلك أن بعض السائلين أحيانا يريدون شيئا من خلال سؤال عن شيء آخر ، أعني أنهم يريدون توضيح فكرة محددة عن طريق سؤال غير مباشر عن الفكرة ذاتها .

فماذا يعني هذا السؤال ؟ أحسب أنه يعني بالأدباء الذين يموتون أحياء أولئك الأدباء الذين لا تحس بوجودهم وهم أحياء يتنسمون هواء الحياة ، وبالأدباء الذين يحيون أمواتاً أولئك الأدباء الذين تحس وتشعر بوجودهم وهم يرقدون تحت الثرى .

ان إطلاق السؤال على علاته هو الذي يحتاج إلى تمعن وتمحيص ، فليس كل الأدباء على حال سواء ، وليسوا على مستوى واحد من الفهم والادراك ، إذن فالسؤال فيه شيء من الواقع وشيء من المبالغة ، وليس كل أديب يموت حيا ويحيا ميتاً ، فهناك أديب يحيا بعدما يموت ، وأديب يموت في حياته .

هناك أديب يظلمه مجتمعه الذي يعيش فيه ، وينصفه منه مجتمع يأتي بعد حين . وفي نفس الوقت هناك أديب يجعجع ، ويجعجع له مجتمعه وهو لا يساوي شروى نقير .

وهناك أديب يملأ الجو دخاناً فيمضي ويتلاشى دخانه في الفضاء لا يترك أي أثر ، وأديب لا تكاد تشعر به وهو ينسج خيوطا دقيقة من المعاني ، فيمضي وتبقى معانيه باقية ما بقيت الحياة . إذن هناك أدباء يظلمهم المجتمع ، ويقسو عليهم الزمان ، وأدباء يطبل لهم المجتمع ويضحك لهم الحظ في حياتهم ، هؤلاء يموتون ولا يبقى لهم أثر ، وأولئك يموتون ويحيا أثرهم .

الأموات الأحياء

لا بد في هذا الحال من الاجابة على سؤال السائل ، ولا بد من تصنيف الأدباء الذين يلاقون في حياتهم الاضطهاد ، أو الذين يلاقون في حياتهم التطبيل والتزمير .

إن بعض الأدباء عاشوا أحياء وماتوا أحياء ، وهؤلاء هم المبدعون الذين فرضوا أنفسهم فرضاً على المجتمع ، عاشوا فيه ، وتحسسوا

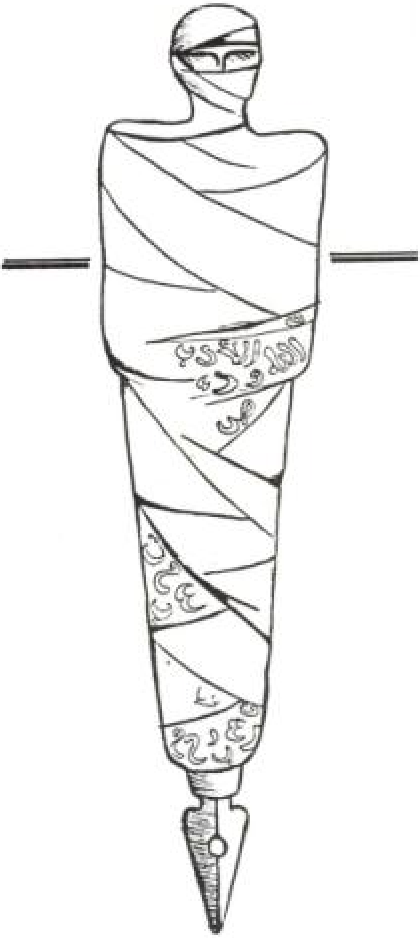

مشاكله وعالجوا أموره ، وأعطوه كل إبداعهم ، وملأوا ضميره . فعاشوا معه أحياء ، وماتوا لكنهم ظلوا أحياء في وجدانه ، حقا إنهم هم المبدعون ذوو الرأي الحر والكلمة الصادقة ، الذين لم تستطع سيوف الارهاب أن ترهبهم ، ولم يستطع ضجيج التطبيل والتزمير للتافهين أن يكون له أثر فيهم .

وبعض الأدباء عاشوا أمواتاً وماتوا أمواتاً أيضاً ، وهم التافهون الذين يحاولون أن يكونوا شيئاً وهم لا شيء ، وبالرغم من الدعاية التي تثار حولهم ، والمحاولات التي تحاول فرضهم على الأدباء وفرض نتاجهم فقد عاشوا بيننا عيشة الأموات لتفاهة ما يأتون به من أدب ، أو شبه أدب ، فليس كل أدب أدباً ، فهناك أدب ينفع الناس وأدب لا يفيد منه الناس ، بل هناك أدب يضر الناس ، لأنه أدب مغشوش بالكذب والحقد والنفاق ، أي أنه أدب صادر عن أهواء لغرض شخصي معنوي أو مادي ، وليس صادراً عن معاناة لخدمة المجتمع ، إذن فصاحب هذا الأدب يعيش ميتاً ويموت ميتاً أيضاً ، لا أدبه ينفع الناس ، ولا يبقى منه شيء بعد موته . فهذا هو الأدب التافه إن حق لنا أن نسميه أدباً .

وبعض الأدباء عاشوا أمواتاً وماتوا أحياء ، وهؤلاء هم المظلومون الذين حوربوا في حياتهم ، وحورب أدبهم ، وطاردتهم سيوف الارهاب ، ولم تدع أفكارهم وآراءهم تأخذ طريقها الى المجتمع خشية التأثير عليه ، وخشية إيقاظه من سباته ، لكن أفكارهم الحية وآراءهم الخالدة ظلت راقدة في بطون الكتب ، أو مسطرة على الورق ، أو محفورة في وجدان الأحرار إلى أن تحين ساعة خروجها فتخرج ويستفيد منها الناس ، لهذا نجد صاحبها عاش عيشة تشبه عيشة الأموات الذين ظلمهم الزمن ولم يخدمهم الحظ ، لكنهم حيوا بعدما ماتوا ، إذ ظلت أجسامهم في التراب لكن ظلت أرواحهم حية ترفرف على العقول والأفكار . إذن فهؤلاء هم المظلومون الذين عاشوا أمواتا وماتوا أحياء .

المنافقون

وبعض الأدباء عاشوا أحياء وماتوا أمواتاً وهم المنافقون الذين لم يخل منهم عصر من العصور ، والذين يأتون في كل زمان ومكان يتقلبون على أعتاب السلاطين وذوي الجاه ، يسبحون بحمدهم ، ويعيشون على فتات نعمهم ، يطبلون ويزمرون ويرقصون على أشلاء الضحايا من الشعب ، يقولون ما يرضي ذوي النعم ،

وينعمون بما تبثه دعاية أهل النعم عنهم ، انهم يعيشون ملء أسماعهم ، لا يردعهم رادع من ضمير ، ولا يتورعون عن قول الكذب ، ولا يبالون بالآثار السيئة التي تنعكس على نفوس الناس من جراء ما يأتون به من أضاليل وأباطيل وأكاذيب يصدقونها ، وقد يصدقها السذج من الناس ، لكنها مرفوضة من قبل ذوي الأفكار والآراء الحرة ، ومرفوضة من قبل ذوي الضمائر الحية ، ومرفوضة من قبل الواعين الذين يدركون معنى الكلمة ، ويقدرون قيمتها ولا يزنوها إلا بميزان العقل والفهم والادراك ، إذن فهؤلاء هم المنافقون الذين يعيشون أحياء على فتات الموائد ، لكنهم يموتون ويموت معهم نفاقهم ، ولا يبقى لهم أي أثر بعدما تنصبّ عليهم لعنات الحرية والحق ، بل لعنات الأدب الرفيع .

تلك هي صنوف الأدباء ، منهم من يسمو بأدبه فيلامس به الثريا ، ومنهم من ينحط بأدبه فيدفن في التراب .

إن المسألة تتعلق بالنشأة وبالتكوين وبالبيئة ، بل إنها تتعلق بأصل النبات والتربة التى خرج منها ، أي أن هناك عوامل متعددة لا بد أن تتوفر في الأديب ، منها ما يرتفع به الى الأعلى ، ومنها ما ينحط به الى الحضيض . ولكلٍ سبب أو أسباب

إنك لو أجلت نظرك بين الأدباء لوجدت عجباً أي عجب ، والأدباء على كل حال ليسوا بدعة في الحياة غريبة ، فهناك ضروب من الناس في مختلف الفنون والأعمال ، لكن هذا الحديث يدور حول الأدباء وحدهم ، ولعل خطورة الأدباء تأتي في درجة مميزة ، لأنهم أصحاب الكلمة ، ولأنهم في طليعة الذين يتعاملون مع الحرف ، فالحرف ديدنهم والكلمة بضاعتهم ، والجملة وما تحتوي عليه من معان خبزهم اليومي ، أعني أنهم هم الذين يتحملون مسؤولية التوعية ، ومسؤولية الحفاظ على إيصال المعنى المؤدي الى هذه التوعية ، ومسؤولية عدم الاعتداء على الناس في عقولهم وأفكارهم ، ذلك أن الكذب والغش وعدم قول الحق اعتداء على الناس في عقولهم وأفكارهم واعتداء على كرامتهم .

صكوك الغفران

نعم هناك منهم من يحاول استغفال بعض العقول ، ومحاولة الظهور بالمظهر الذي يضفي عليه هالة من المعرفة ، وهو لا يصل بتكوينه الى أية مرتبة من العلم والادراك ، ولعل منهم من توصلوا إلى فرض أنفسهم فرضاً على العلم والمعرفة ، فحصلوا على الاسم دون المعنى ، وراحوا يزهون بصكوك لا تختلف عن صكوك الغفران التي كانت تصدرها بعض الكنائس استغلالاً لعقول الناس ، خداعاً بالدين الذين يؤمنون به .

هؤلاء يصدرون صكوكاً من الغفران حتى لأولئك الذين قد لا يستحقون الرحمة والمغفرة ، وأولئك يلوحون بصكوك لا تساوي الورق الذي كتبت عليه .

إن سؤال السائل لا بد وأن يعني ما نراه ونشاهده اليوم من عبث بالأدب ، وتهاون بقدسية الحرف واستخفاف بسدى الأدب ولحمته ، هذا العبث الذي تطفح به أنهار الصحف والمجلات ، وتلفظه المطابع على شكل كتب أو كتيبات . . . والسؤال يأتي من معاناة السائل أحياناً .

ولعل هذا السيل الجارف من الأدب الضعيف سبب من أسباب التهاون بطهارة الحرف وقدسية الكلمة .

الخلاصة أن الأدباء شتى مختلفون ، وهم لايختلفون عن غيرهم من الناس ، منهم الصالح ومنهم الطالح ، إلا أن مسؤوليتهم أكبر ، وخطأهم أعظم ، وحسابهم أشد وأعسر ، وهذا ما كان وما يجب أن يكون . □□

● مغربي يقيس الوقت من ساعة شمسية حسب الظل .

البحث عن الزمن

موسيقا الزمن والإنسان

اعداد : ريم الكيلاني

الساعة التي تحكم مواعيدك . . وتحدد طريقك . وتسيطر على مواقيتك وترسم خطوط حياتك . . وتقرر مستقبلك وتكتب مصيرك . . ما هي قصتها من الألف الى الياء ؟

أنت تجلس مع أسرتك ، تعد الدقائق ، وتنتظر لحظة الغروب ، لتختتم ساعات صومك . وتجتمع معهم مرة أخرى في السحور ، على نية الصوم قبل الفجر لتمسك بعدها عن المفطرات ساعات يوم بطوله .

أنت تصحو وتنام ، تصلي وتصوم ، تفطر وتمسك ، تأكل وتجوع ، تذهب الى عملك ، وتعود الى بيتك ، وتنظم مواعيدك ، وتسابق بسيارتك أو على قدميك لتلحق بعملك ، وتضمن احترامك لنفسك وثقة الآخرين بانتظامك ، كل ذلك على دقات الساعة .. وحركة عقارب الثواني والدقائق والساعات ..

وقد لا يخطر ببالك وأنت تلقي نظرة سريعة الى ساعتك .. ان وراء هذه الساعة الصغيرة تاريخا طويلا ... فكم تحكمت في مصائر شعوب ، ووضعت نهايات حروب ، وحددت لحظة الصفر لانقلابات ، وحسمت في ساحة النصر معارك ، وكم قررت مصائر زعماء ، وأدت الى انهيار قيادات ، وأسقطت طائرات وأغرقت سفنا وغواصات وأطلقت صواريخ وأقمارا وسفن فضاء .

كل شيء في الحياة .. كل شيء من لحظة الميلاد الى لحظة الممات وحتى الساعة التي لا ريب فيها .. تحسب بالثواني والدقائق والساعات .. وصدق شوقي إذا : .. ان الحياة دقائق وثوان ..

المواقيت في الاسلام

كل شيء بميقات ..

يقول سبحانه وتعالى في كتابه الكريم « انا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ، ليلة القدر خير من ألف شهر ، تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر . سلام هي حتى مطلع الفجر » .

بين كل العقائد الحية والديانات السماوية في هذا العالم لا يوجد غير الاسلام والمسلمين من يعتبرون التوقيت أساسا من أسس العقيدة . فعلى أساسه فرضت مواقيت الصلوات الخمس كل يوم . وعلى مدى رمضان الشهر الفضيل تحددت مواقيت الصوم والافطار والسحور والامساك . بل ان للزكاة والحج الى بيت الله مواقيت وأزمنة وساعات لا تعديل فيها ولا تبديل .

واذا تتبعنا هذه المواقيت في الاسلام ، فسنجد أن الصلاة لها أوقات محددة لا بد أن تؤدى فيها لقوله تعالى « ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا » . وأشار القرآن الى هذه الأوقات فقال « وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل » وصلاة طرفي النهار هي الفجر والعصر ، وأما زلف الليل فصلاة المغرب وصلاة العشاء .

والصيام في الاسلام له مواقيته ، فهي محددة ترتبط برؤية الهلال . يقول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته » .

وللصيام ركنان موقتان : الامساك عن المفطرات من طلوع الفجر الى غروب الشمس ، يقول تعالى « وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام الى الليل » . والركن الثاني هو النية وهي موقتة أيضا ولا بد أن تكون النية قبل الفجر من كل ليلة من ليالي شهر رمضان . بل ان الصيام في غير رمضان أيضا له مواقيته . وقد جاءت أحاديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) عن الصيام في مواقيت محددة . فقد نهى عن صيام يومي العيدين وعن صوم أيام التشريق وعن صيام يوم الجمعة منفردا وعن إفراد يوم السبت بصيام . كما نهى عن صيام يوم الشك وصوم الدهر أي أيام السنة كلها . كما نهى عن صيام يوم الوقوف بعرفات .

للزكاة - كركن من أركان الاسلام - مواقيتها . وهي واجبة في جميع أنواعها على أن تؤدى عندما يحول عليها الحول وهو سنة . وزكاة الفطر واجبة على كل فرد من المسلمين . وتوقيت زكاة الفطر بآخر رمضان ، ويقول الامام مالك : ان وقت وجوبها غروب الشمس ليلة الفطر ولا يجوز تأخيرها الى وقت طلوع الفجر من يوم العيد .

وعن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) انه قال : « من أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة . ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات » .

وللحج مواقيته . وهي مواقيت زمانية ومواقيت مكانية . فالمواقيت الزمنية هي الأوقات التي لا يصح شيء من أعمال الحج الا فيها . يقول تعالى « يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج » .

ويقول سبحانه « الحج أشهر معلومات » والاحرام بالحج لا يصح الا في أوقات الحج وهي شهر شوال وشهر ذي القعدة وعشر من ذي الحجة . والمواقيت المكانية هي الأماكن التي يحرم منها من يريد الحج أو العمرة ... ولا يجوز لحاج أو معتمر أن يتجاوزها دون أن يحرم .

فللاحرام مواقيته . وللتلبية في الحج مواقيتها . ويبدأ المحرم بالتلبية من وقت الاحرام الى رمي جمرة العقبة يوم النحر . وللتوجه الى منى مواقيته حيث يكون يوم التروية أي يوم الثامن من ذي الحجة . والتوجه الى عرفات له مواقيته وهو بعد طلوع شمس يوم التاسع . ووقت الوقوف بعرفة يبدأ من أول اليوم التاسع الى طلوع فجر يوم العاشر ، وللرمي ولأيام التشريق وللمبيت بمنى وللرجوع الى مكة مواقيت محددة .

ساعة شمسية بجوار مشربية

وكانت المواقيت والأزمنة مما كان يهتم به المسلمون ومؤرخوهم وفلاسفتهم منذ العصور الأولى . . تسمع القزويني يتحدث عن الزمان في كتابه « عجائب المخلوقات » فيقول : انه مقدار حركة الفلك ومرور الأيام والليالي . واليوم هو الزمان بين طلوع الفجر وغروب الشمس . وأما الليل فهو الزمان بين غروب الشمس وطلوع الفجر وبمجموعهما أربع وعشرون ساعة لا تزيد ولا تنقص . وكل ما نقص من النهار زاد من الليل . وكلما نقص من الليل زاد من النهار

ويفهم الطبري الزمان فهم الحواري في إيمانه . . فالزمان عنده ساعات الليل والنهار . يعرف عباد الله من ذلك عدد السنين والحساب فيعبدونه وفق مواقيت معينة ؟

ولا ينسى الطبري أن يحدد مقدار هذا الزمان الذي عاشه الانسان منذ بدء خلقه . وهو يتكلم عن مقدار الزمان فيقدره بسبعة آلاف سنة من بدئه حتى الهجرة . وهو يورد أقوال الآخرين حيث قدره كعب الأحبار بستة آلاف سنة حتى الهجرة . وهو يذكر رأي اليهود في قدر الزمان اعتمادا على توراتهم ، وأنهم يقدرونه حتى الهجرة بسنوات قدرها ٤٦٤٠ سنة . ويذكر أيضا في كتابه « تاريخ الأمم والملوك » ان اليونان من النصارى يرون بطلان تقدير اليهود ويرفضونه وأنهم يقدرون هذه الفترة بسنوات تبلغ ٥٠٩٢ اعتمادا على التوراة التي في أيديهم .

ثم يذكر حدوث الزمان ، وأن له بداية ونهاية . وان وجود الله قبله وبعده دائم . ويفرق بين وجود الله بغير زمان ووجود الخلق مع الزمان .

ومن أجمل ما تحدث به الفارابي في كتابه « الموسيقا الكبير » هو رابطة بين الأزمنة والأنغام ، فحتى الموسيقا عنده لها دورها مع الأزمنة . وهو يتكلم عن أصناف الأزمنة في الايقاع الموسيقي ويقسمها الى قسمين : موصل الايقاع ومفصل الايقاع ، فالايقاع الموصل هو المتوالي بأزمنة متساوية ويسميه « الهزج » ، والمفصل من الايقاع هو ما تتفاضل فيه الأزمنة .

وعن علاقة الايقاع بالأزمنة يذكر وصف آلة قديمة مستطيلة الشكل عليها مسطرة مقسمة متحركة يمكن بواسطتها استخراج جميع الأنغام التي يمكن أن تحدث من جميع الأجناس المختلفة الأبعاد والأزمنة .

والفارابي يقيس النغم وترددات الأوتار بالزمن . وهو يتكلم عن الأعراض التي تلحق اتفاقات النغم في الأجسام والآلات ومنها ما يعرف في علم الصوت بالتردد الاضطراري . وهو يقيس هذا التردد بالأزمنة الدقيقة التي يستغرقها .

من نقطة البدء

ولنعد الى نقطة البدء . . مع قصة الانسان والبحث عن الزمن . . لقد قسم الانسان البدائي حركة الظلال بادىء ذي بدء الى أقسام معينة تتناسب وحياته البدائية البسيطة كما يلاحظ ذلك في مسلة معبد الكرنك واستخدامها ساعة للظل . وليس بعجيب أن يستمر هذا المبدأ أساسا لقياس الوقت طوال أجيال متعاقبة .

كانت مصر أول دولة استعملت الأعمدة الحجرية المرصوفة بأبعاد متساوية لمعرفة الوقت من حركة ظلالها على الأرض وذلك قبل ميلاد المسيح بقرون عديدة .

ولا شك أن الشرق العريق في المدنية ، الزاخر بالاختراعات هو أول من ابتكر ساعة الماء التي لعبت دورا مهما في قياس الوقت ليلا ونهارا ، بينما كانت ساعة الشمس تنتهي مهمتها بانتهاء شروقها . وقد نسب ذلك الى المصريين بدليل الساعة المائية التي عثر عليها أيضا في معبد الكرنك . ونطالع في كتب التاريخ ما يروى عن « منارة الاسكندرية » المشهورة والتي تعتبر من المباني العجيبة وقد بناها الاسكندر وقيل انها كانت مبنية بحجارة مغموسة في الرصاص تضم نحو ٣٠٠ بيت ، وللبيوت طاقات على البحر ، ويقال ان طولها كان ألف ذراع وفي أعلاها تماثيل

● الساعة المائية بفاس المغربية . . من آثار القرن الرابع عشر الميلادي تعطي فكرة عن طريقة تشغيلها . . فبحركة ميكانيكية من أعلى الجدار تنطلق كرة حجرية في الميزاب الخشبي الأعلى . لتسقط مرة كل ساعة فوق ناقوس نحاسي يقع على مسافة ٢٠ قدماً . وتظل البوابة الصغيرة فوق الناقوس مفتوحة ولا تغلق الا بعد سقوط الكرة التالية بعد ساعة أخرى .

● ساعة مائية من العصور القديمة . . الماء ينساب من القدر الأعلى الى الأسفل من خلال صنبور يسمح بمرور الماء بحدود معينة . ويوجد داخل كل من القدرين مقياس لتحديد كمية الماء المنسابة كل ساعة .

ساعة رملية

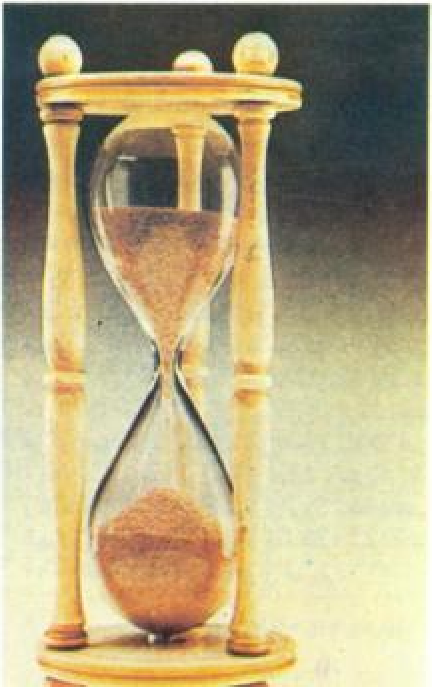

من نحاس منها تمثال رجل يشير بيده الى البحر ، فاذا صار العدو على بعد نحو ليلة منه يسمع لأصواته صدى يعلم به أهل المدينة بمجيء العدو فيستعدون له .

ونسب كذلك للبابليين تقسيم اليوم الى ٢٤ ساعة حيث ان العراقيين الأقدمين عنوا بملاحظة الأجرام السماوية منذ أقدم الأزمان ، وقسموا اليوم الفلكي الى ١٢ قسما كل قسم يساوي ساعة مضاعفة من ساعاتنا ، والساعة الى ٣٠ جزءا أي أن يومهم الفلكي كان مقسما الى ٣٦٠ قسما متساويا ، كما أن السنة الواحدة ٣٦٠ يوما ، فكانت الدقيقة تساوي ٤ دقائق من دقائقنا .

كانت هذه هي البدايات الأولى لقياس الوقت .

ثم كان بعد ذلك اهتمام العرب والمسلمين بالمواقيت والأزمنة ، اذ كان لا بد من تحديد واضح لمعرفة المواقيت ومتابعة الزمن .

فبعد أن كانت البداية عندهم هي قياس الظلال ثم المزولة . . الا أنهم استطاعوا بعد ذلك أن يبرعوا في تطوير قياس الوقت . ومن الثابت علميا ان الساعة الرملية كانت المثال التقليدي لقياس الوقت . وعملية استغلال الرمل الموجود تحت يدهم باستمرار سهلت لهم التركيز على الساعة الرملية . . وكانت عملية انسياب الرمل بسرعة وخفة تسحر المتطلع اليها وتاخذ انتباهه لأنها تكاد تشعر الانسان بإن دقائق عمره تتسارع مع انسياب الرمال .

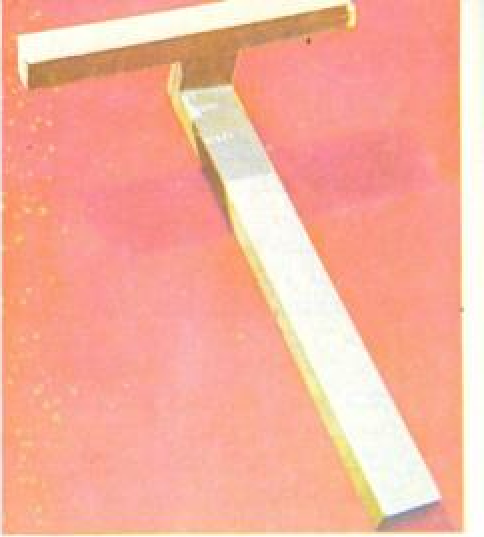

● ساعة الظل . . صنعها المصريون القدامى في القرن الثامن قبل الميلاد . توضع في مواجهة الشمس فيسقط ظل العمود الأفقي على المقياس المرسوم على العمود الرأسي . .

● ساعة شمسية متحركة من الذهب والفضة من القرن العاشر الميلادي يمكن حملها باليد ، يوضع العمود الذهبي في إحدى الفتحات الثلاث من كل من الجانبين . . وتجرى قياس الظل كل ساعتين كما يجري نفس الحساب كل شهرين من شهور السنة .

ـ أثناء فترة حكم لويس السادس عشر أخذت ساعات الرفوف وقاعات الاستقبال أشكالها ، وكانت القيثارة أكثر الساعات جاذبية (فوق) . . والى يسارها ساعة تعود للقرن السادس عشر . . شكلها وصناعتها الموجودة على الميناء صورة واضحة لحركة النهضة المبكرة .

وكانت ساعة النار أيضا هي أبسط الوسائل وأكثرها فائدة لقياس الوقت كما أنها زهيدة الثمن .

وفكرة ساعة النار مستنتجة من الاحتراق البطيء للشمعة . إذ توضع الشمعة بشكل أفقي وتحزم بخيوط متوازية ومتساوية الأبعاد عن بعضها البعض ويتدلى من رأس الخيط ثقلان كرويان معدنيان . فاذا ما أخذت الشمعة بالاحتراق وذاب جزء من البعد المعين ، عندها يحترق الخيط الذي يحزم الشمعة فيسقط الثقل المعدني المتدلي الى الحوض النحاسي .

وبسقوط الثقل يحدث صوت يسمعه الناس ليهتدوا الى الوقت المعين الذي استغرقه ذوبان جزء من الشمعة المشتعل ، ومن البديهي ان قوة الصوت تتباين انخفاضا وارتفاعا بالنسبة إلى سعة الحوض النحاسي وبالنسبة الى الثقل الساقط وارتفاعه .

ساعة الشمس

كان إنسان ما قبل التاريخ يقيس الوقت بواسطة تقسيمه الى ٤ تقسيمات طبيعية ، فيبدأ منذ شروق الشمس حتى تتوسط قبة السماء وهي أعلى نقطة للشمس وتدعى ظهرا ، وبعده الغسق ثم الغروب فالليل .

ومن الثابت علميا ان أحدا لا يستطيع أن يقرر من هو أول انسان لاحظ الظلال التي تحدث بواسطة حركة الشمس المنتظمة . فقد ثبت علميا أن المزولة المصرية التي لا تزال موجودة في متحف برلين هي أقدم ساعة شمسية عثر عليها ، ولابد لساعة الشمس أن توضع في مكان مشمس إما على قاعدة قليلة الارتفاع أو على قمة بناية مرتفعة . أو تنصب متجهة نحو الجنوب بحيث تطل عليها الشمس من أول النهار الى آخره ويوضع في وسطها وتد أو عمود محكم الوضع تصيبه الشمس بأشعتها فيقع ظله على وجه الساعة مؤشرا على أحد أرقامها كأنه العقرب .

وكما ينتقل العقرب من رقم الى آخر كذلك ينتقل الظل من خط الى آخر مشيرا الى موقع الشمس من الأرض .

وتطورت ساعة الشمس عند المسلمين ومن بين عباقرتهم الأفذاذ العلامة العربي الألمعي أبو الحسن الملقب ببديع الزمان الاسطرلابي الذي تضلع بعلم قياس الوقت ووضع أسلوبا عجيبا لحساب الساعات في كل ساعة من ساعات الشمس . وقد أجمع العلماء بأن أقدم مزولة شيدت على طريقة القمر كانت من قبل العرب الذين وضعوا أسسها على دراسة حركة الأرض حول المحور .

تقول زيجريد هنكة المؤرخة في ذلك ، ان العرب امتازوا بمهارة فائقة في اختراع ساعات الشمس وأعطوها شكلا دائريا يتوسطه محور ظاهر . وتمكنوا بواسطتها من تحديد موضع الشمس في كل حين . . ومن تحديد وضع التقاويم الزمنية ، وكانت الساعة الشمسية النقالة الاسطوانية أكثر اختراعاتهم أصالة وفنا في هذا المجال . وقد وصلت هذه الساعة التي سموها « ساعة الرحلة » الى حد من الاتقان بحيث انها كانت رفيقتهم في رحلاتهم القصيرة والطويلة .

وقد انفتحت آفاق عديدة أمام المسلمين فصنعوا الساعات التي تسير على الماء والزئبق . . . ثم كان أن توصلوا الى الساعات الشمسية الرقاصة التي كانت تعلن ساعة الغداء بصوت رنان . كما توصلوا الى الساعات المائية التي كانت تقذف كل ساعة كرة في قدح معدني وتدور حول محور تظهر فيه النجوم ورسومات من عالم الحيوان .

كان لاكتشاف فكرة الساعة المائية أثر كبير في سير ركب المدنية نحو التقدم .

فكرة ساعة الماء فكرة بدائية تماما اذا ما قيست بعصرنا الحاضر ، ولكنها اكتشاف عجيب إذا ما قيست بالأزمان القديمة ، فساعة الماء عبارة عن وعاء من حجر مثقوب من الاسفل يطفو عائما على سطح الماء . وعندما يتصاعد الماء مترشحا الى داخل الوعاء فان النسبة التي يستوعبها الوعاء حتى أول إشارة تعتبر ساعة ، وإذا ارتفع الماء الى الاشارة الثانية تعتبر ساعتين . . . . وهكذا . وقد تباينت أشكال الساعة المائية فمنها ما وجد على شكل مخروط مقلوب ومنها ما صور على هيئة قارب يعوم فوق سطح الماء وفي أسفله ثقب يتصاعد خلاله الماء الى القارب ومجاديفه تشير الى علامات الساعة المؤشرة داخل القارب .

هدية الرشيد لشارلمان

وللمسلمين في عصر الدولة العباسية أياد بيضاء في تطور فن صناعة ساعة الماء . وقد بلغت بغداد أوج عزها ومجدها ولم يكن بغريب أن تصل الساعة التي صنعت في زمن هارون الرشيد حد الابداع في الفن والدقة .

ففي عام ٨٠٧ م قدم عبدالله رسول هارون الرشيد الخليفة العباسي الى القيصر شارلمان في مدينة «آخن من أعمال المانيا هدية عبارة عن ساعة من هذا النمط . وقد أعجب شارلمان عجبا عظيما بهذه الساعة كما دهش رجاله حتى انه يقال ان بعضهم هرب من المجلس عند سماع دقاتها وقد ظنوا أنها دقات الشيطان .

وقد علق مؤرخ القيصر « اينارد » على هذا الحدث في يومياته قائلا :

وفي حين إتمامها لذلك ، كانت تسقط الى الأسفل اثنتا عشرة كرة صغيرة محدثة دويا ايقاعيا جميلا ، بالاضافة الى عدد مماثل من الافراس الصغيرة التي كلما دارت الساعة دورتها الكاملة تقفزت من فتحات اثنتي عشرة بوابة وأغلقتها بقفزاتها . وهناك أشياء أخرى كثيرة تسترعي الانتباه في هذه الساعة تدعو الى العجب » .

ومن أجمل الساعات المائية التي تعتبر تحفة نادرة « الساعة التي زينت بها مدينة دمشق في جامعها الأموي الذي بناه الوليد بن عبدالملك . ويصف ابن جبير هذه الساعة فيقول : « عن يمين الخارج من باب جيرون في جدار البلاط الذي أمامه غرفة ولها هيئة طاق كبير مستدير ، فيه طيقان من نحاس أصفر فتحت أبوابا صغارا على عدد ساعات النهار ، ودبرت تدبيرا هندسيا ، فعند انقضاء ساعة من النهار تسقط صنجتان من نحاس من فمي بازين مصورين من نحاس أصفر قائمين على طاستين من نحاس تحت كل واحد منها ، أحدهما تحت أول باب من تلك الأبواب ، والثاني تحت آخرها . والطاستان منقوبتان ، فعند وقوع البندقتين فيهما تعودان داخل الجدران الى الغرفة وتبصر البازين يمدان أعناقهما بالبندقتين الى الطاستين ويقذفانها بسرعة بتدبير عجيب تتخيله الأوهام سحرا » ، وعند وقوع البندقتين في الطاستين يسمع لها دوي وينغلق الباب الذي هو لتلك الساعة للحين بلوح من النحاس ، لا يزال عند كل انقضاء ساعة من النهار حتى تنغلق الأبواب كلها ، وتنقضي الساعات ثم تعود الى حالها الاول . ولها بالليل تدبير آخر .

الفلك والاسطرلاب

أبدع العرب في علم الفلك وتطوير وصنع الاسطرلاب لتعيين أماكن النجوم وضبط حركاتها ، فبنوا مرصدا في الاسكندرية في القرن الثالث الهجري ظل وحيدا الى أن أنشأوا المراصد في بغداد ودمشق والأندلس وسمرقند .

وللمسلمين طرق جديدة أدخلوها في الرصد واخترعوا الكثير من آلاته مثل ذات السمت والارتفاع وذات الأوتار حتى انتشر صيت الفلكيين المسلمين في أقطار العالم وأصبح عليهم تحقيق وحل كافة المسائل الفلكية .

ويعترف الغرب ان العرب علموهم « الرقاص » وهو البندول لقياس الزمن ، ولا يخفى ما بني على الرقاص من الآلات الفلكية وغيرها .

ولا نستطيع أن ننسى في هذه المناسبة أنه في مجال قياس الزمن برز في أيام الأمير محمد بن عبدالرحمن في الاندلس ، العالم أبو القاسم عباس بن فرناس (ت ٢٦٠ هـ ـ ٨٧٣) وكان بالاضافة الى أنه شاعر وأديب عالما بالفلك والكيمياء والطبيعة . وقد توصل الى صنع زجاج من الرمال والأحجار . كما اخترع عددا من الآلات الفلكية واخترع آلة لقياس الزمن اسمها الميقاتة .

البندول والساعة الآلية

أما عن رقاص الساعة (البندول) فقد كان العرب هم أول من اخترعوه . وأول من اخترعه هو أبو سعيد عبدالرحمن بن أحمد بن يونس المصري (ت ٣٩٩ هـ ١٠٠٩ م) ثم جاء بعده كمال الدين موسى بن يونس بن محمد العقيلي الموصلي (ت ٦٣٩ هـ ١٢٤٢ م) فعرف أشياء كثيرة من قوانين تذبذب الرقاص . وكان الفلكيون يستخدمونه لحساب الفترات الزمنية في أثناء رصد النجوم .

يتناسى علماء الغرب كل ذلك وهم يتحدثون عن جاليليو وتوصله الى اختراع البندول . ولا يذكرون أن بحوث كمال الدين بن يونس في البندول كانت في متناول الدارسين في عالم الغرب . . . وفي ايطاليا بالذات حيث كانت على اتصال دائم بالسواحل السورية والمصرية ولاسيما أثناء الحروب الصليبية ومنها انتقل الكثير من علوم المسلمين .

ولا شك أن جاليليو قد درس كل ذلك قبل أن يتوصل الى معرفة البندول . . وان كان المؤرخون الغربيون يقولون ان مصباحا ضخما من البرونز شاهده العالم جاليليو في احدى الكنائس وهو يتذبذب مرات ومرات فشرد ذهنه وقاس ذبذبات المصباح وهي تتناقص رويدا رويدا ، قاسها بنبضات قلبه . فدهش عندما وجد أن زمن ذبذبة صغيرة هو نفس زمن ذبذبة كبيرة ، ومن ثم استلهم من هذه الظاهرة آلة لقياس سرعة النبض وتغيره . وكانت دراساته عن البندول التي تلقفها من بعده العالم كريستيان هيجيز عام ١٦٥٦ م . وأدرك ان هذا المصباح المعلق يرشده الى دراسة لحقيقة البندول الذي أمسى بعد ذلك أساسا لقياس الوقت .

هكذا بمرور الوقت نجح الأوروبيون في قياس الزمن بالساعة الشمسية أو الرملية أو المائية . وفي القرنين ١٤ ، ١٥ م ظهرت أولى الساعات الآلية ذات الأجراس ثم تلتها ساعات الجيب . وقد كان لاكتشاف قانون الذبذبة ان سمح باستكمال الدقة التي افتقرت اليها الساعات القديمة ، كما كان لتطبيق قانون البندول بمعرفة العالم الهولندي هيجنز على الساعات وما تبع ذلك من ابتكار

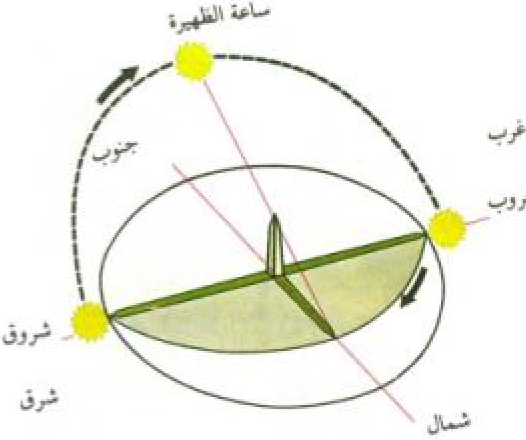

● المسلة المصرية القديمة تقيس الزمن .. انها مسلة تحتمس بالكرنك وقد أقيمت حوالي ١٤٧٠ قبل الميلاد . يسقط ظلها مع حركة الشمس من الشرق الى الغرب .. ويبين القطاع الجانبي مسافة ظل المسلة عند الشروق وعند الغروب ووقت الظهيرة في أقصى مسافات الظل .

العجلة الرقاصة مما جعل الساعة الآلية غاية في الدقة . وهكذا كانت النقلة الكبرى بتطوير الساعة الميكانيكية .

ونحن لا نعرف متى ظهرت الساعة الميكانيكية على وجه التحديد ولكنها عرفت أول ما عرفت في الكنائس في نهاية القرن العاشر ، والمدهش حقا ان الرهبان في القرون الوسطى استعملوا الساعات أكثر ممن سبقوهم من اخوانهم حيث كانوا ينشدون الدقة التي استطاعوا تحقيقها بالاعلان عن الوقت بواسطة الأجراس .

وفي عام ١٢٢٨ أمر الملك ادوارد الأول ملك انجلترا الحرفيين بصناعة أكبر ساعة في العالم . وقد انتهوا من انجاز تلك الساعة بعد عدة سنوات ووضعوها في فناء القصر القديم في لندن حيث ثبتت على برج من الصخور .

وفي عام ١٤٨١ اشترى الملك لويس الحادي عشر ساعة علقها على ظهر فرسه حتى يستطيع أن يعلم الوقت في أي لحظة يرغب فيها .

ومن أبدع الساعات المطورة ساعة ويلز الموجودة في متحف لندن العلمي وهي ساعة شمسية . ولا تزال موجودة في مكانها في ويلز وتعتبر احدى أجمل الساعات في العالم .

تلك هي قصة البحث عن الزمن . تؤكد أن المسلمين هم أول من اهتم بتحديد المواقيت وتوصلوا الى وسائله وبرعوا في ذلك ، ثم تركوه للغرب يستغله ويدعيه لعلمائه كما حدث في كل علوم العرب المسلمين . فهل آن للمسلمين وهم من يدركون قيمة التوقيت ويتعاملون مع الساعات والايام والدقائق في كل الفروض والأحكام ـ أن يحسنوا استغلال الزمن والالتزام بالمواقيت ... وأن يدركوا ان الوقت الذي يضيعونه سدى ويهدرونه هباء ... هو في النهاية محسوب عليهم وعلى مستقبل الأجيال الاسلامية غدا .. وبعد غد .. وحتى قيام الساعة . □□

شهر رمضان في المدينة الإسلامية

بقلم الدكتور : سعيد عبد الفتاح عاشور

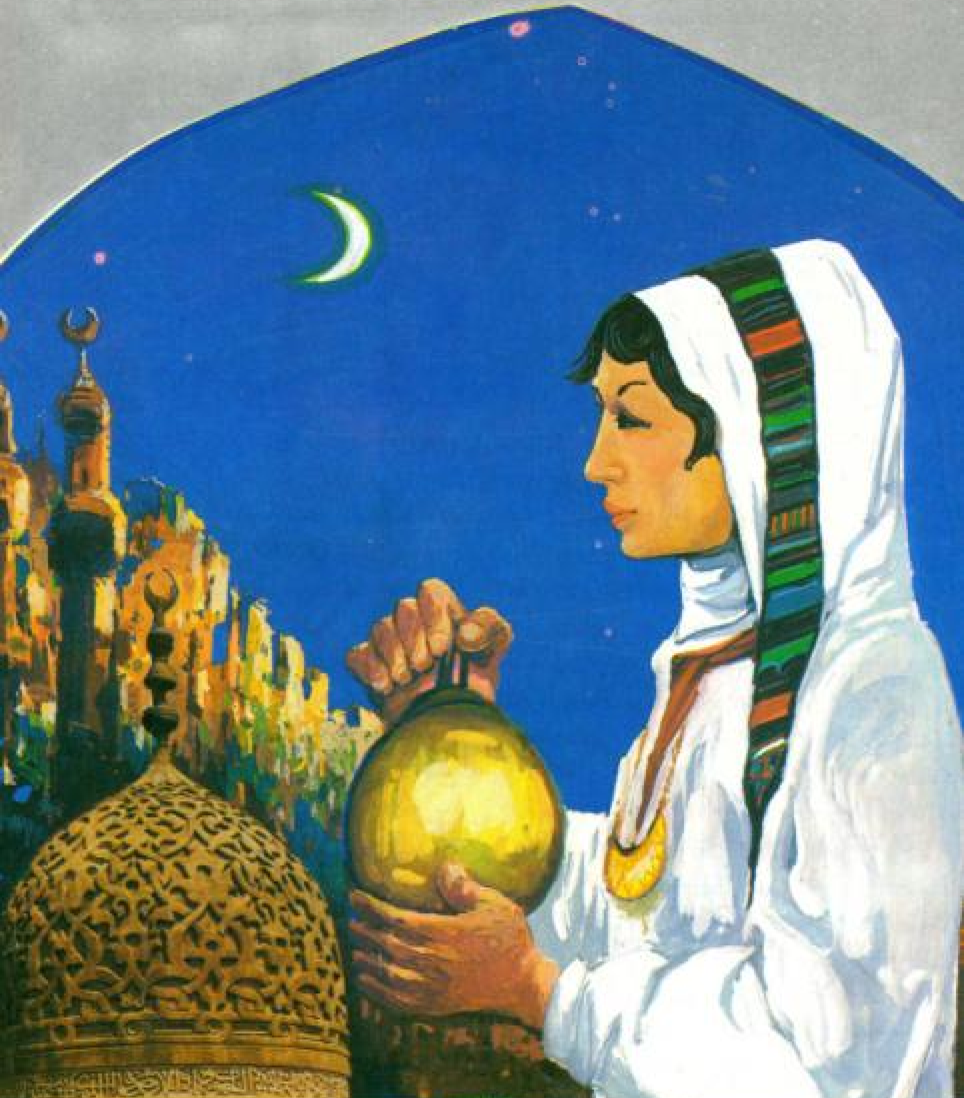

■ وصل هلال رمضان .. ويشرق الايمان مع استقبال شهر الصيام في عالم الاسلام . من رسم الفنان عبد المعبود شحاته

كيف كانت المدن والمجتمعات الاسلامية تحتفل بشهر رمضان وتحيي لياليه وكيف انتقلت من البساطة الى الاسراف والتعقيد ؟

تلك نظرة سريعة على ايام وليالي رمضان كما وصفها الرحالة والمؤرخون المعاصرون

بدأت الحياة في المدينة الاسلامية بداية بسيطة تتفق وبساطة الاسلام ونقاوة المجتمع الاسلامي ، ومنذ البداية كان المسجد الجامع في وسط المدينة يمثل قلبها النابض ، وينطلق منه صوت المؤذن خمس مرات في اليوم لينظم لأهل المدينة برنامج حياتهم اليومي في شئون الدين والدنيا جميعا ، من قيام وسجود ، وصحوة ونوم ، وعمل وراحة . فاذا ظهرت للمسجد في ذلك الدور وظائف اخرى غير العبادة ، فان هذه الوظائف ارتبطت غالبا ـ بشكل أو بآخر ـ بالناحية الدينية ، كأن يتخذ مكانا للعلم ، يلتقي في رحابه المعلمون والمتعلمون ليتفقهوا في أصول الدين ، أو كأن يختار القاضي المسجد مكانا يجلس فيه ليحكم بين الناس بما أنزل الله .

وفي هذا المجتمع المتسم بالبساطة احتفل المسلمون بشهر رمضان المبارك ، واحياء لياليه في حدود الطابع الديني لهذا الشهر ، متبعين آثار السنة النبوية الشريفة ، بحيث لم يتعد هذا الاحتفال العكوف في المساجد ، والاكثار من ذكر الله والتوبة اليه ، والتوسع في الاحسان والصدقة ، مع مزيد من تلاوة القرآن الكريم .

رمضان في الليل

ولاشك في أن طبيعة الحياة في هذا الشهر تطلبت قدرا من الهدوء أثناء النهار ، يقابله قدر من النشاط أثناء الليل . ففي فترة الصيام نهارا لايقوى الانسان على النهوض بكثير من أعباء الحياة ومطالبها ، وانما يفضل أن يركن الى الراحة . ولكن بغروب الشمس تنشط الأبدان وينصرف الناس الى الوفاء بمطالب الدين والدنيا ، فتدب الحياة في المدينة ، ويهرع كثيرون الى المسجد حيث يمتد بهم المقام حتى صلاة الفجر . هذا في حين يخرج اصحاب الحاجات الى الاسواق لابتياع مايلزمهم من زاد وطعام ، أما شوارع المدينة وطرقاتها فلا تهدأ ليلا ، اذ تفتح الحوانيت ابوابها طوال الليل ، وكذلك المرافق العامة من حمامات وسبل وغيرها . وهذا كله يخالف ماكان عليه الوضع في غير شهر رمضان ، عندما تتوقف الحياة في طرقات المدينة ، ويكف النشاط في اسواقها بعد صلاة المغرب . ومن سار في الليل لغير سبب قاهر قبض عليه وعوقب .

وقد تطلب هذا النشاط في المدينة الاسلامية أثناء ليالي شهر رمضان توفير الاضاءة في الطرقات والاسواق ، مما جعل كثرة الأضواء من سمات المدينة الاسلامية في شهر رمضان ، ومع أن الرحالة الأوروبيين ذكروا انه من سمات المدينة الاسلامية في العصور الوسطى كثرة المصابيح العامة التي تضيء طرقاتها ليلا ، الا ان كثرة الحركة طوال الليل في شهر رمضان تطلبت من كل عابر سبيل أن يحمل مصباحه معه في يده . ولعل هذا هو السر في ارتباط شهر رمضان بظاهرة المصابيح ، اذ لم تكن هذه الفوانيس في أول الأمر اداة للترف والزينة بقدر ماكانت ضرورة للرؤية وكشف الطريق .

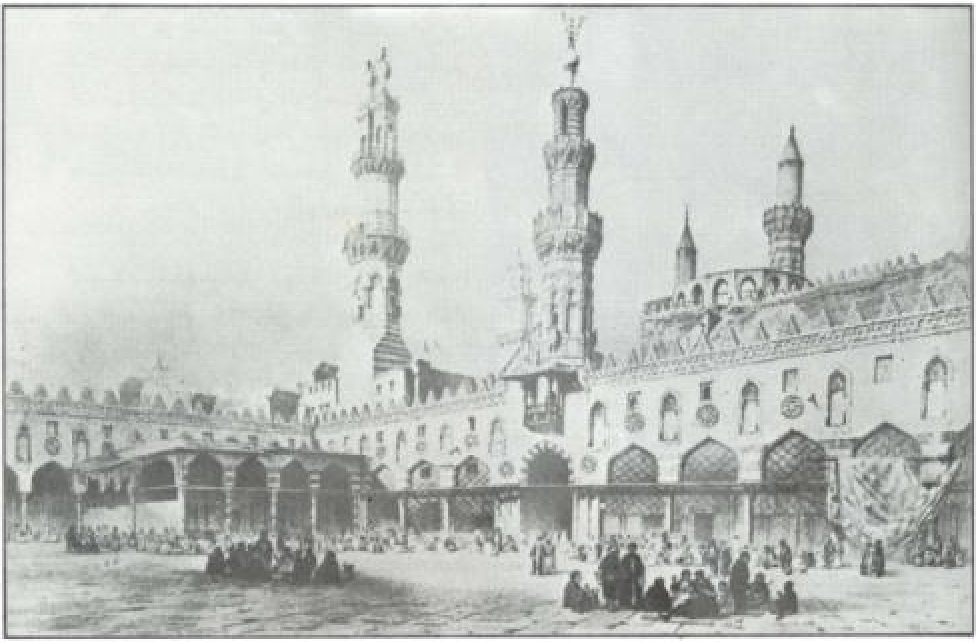

حرص سلاطين المماليك على التوسع في الاحسان والصدقة طوال شهر رمضان على أهل الجوامع والخوانق في قاهرة المعز

ومع تطور المجتمع الاسلامي ونموه ، بدأت ملامح الحياة في المدينة الاسلامية تفقد بساطتها الاولى ، وتتخذ تدريجيا مسحة من الاسراف والمبالغة والتعقيد نتيجة لارتفاع مستوى المعيشة ووفرة الأموال من ناحية ، ونتيجة للمؤثرات التي زحفت على هذا المجتمع من الشعوب ذات الحضارات القديمة التي دخل أهلها في الاسلام محتفظين بكثير من عناصر تراثهم وتقاليدهم ، من ناحية أخرى .

ولم يكن منتظرا أن تظل الاحتفالات ببعض المناسبات الدينية ، كالاحتفال بالعيدين ، أو الاحتفال بشهر رمضان ، بعيدة عن هذا التطور . وكان أن أخذت هذه الاحتفالات تكتسب تدريجيا بعض مظاهر المجتمع الجديد من الاسراف والمبالغة ، مع الاحتفاظ بطابعها الديني العام الذي يتفق وجلال هذه المناسبات .

وتبدو هذه الحقيقة بالقاء نظرة عامة سريعة على الاحتفال بشهر رمضان في بعض المدن والمجتمعات الاسلامية في أواخر العصور الوسطى ، وذلك في ضوء الاشارات العابرة المقتضبة التي وردت متناثرة في كتابات بعض الرحالة والمؤرخين المعاصرين .

فمن المعروف أن شهر رمضان يوصف دائما بأنه كريم ، بمعنى انه تستحب فيه التوسعة على الاهل والاقارب ، والاحسان الى الفقراء والمساكين وابناء السبيل . يحكي الرحالة ابن بطوطة أن زيارته لدمشق سنة ٧٢٦ هـ صادفت شهر رمضان ، فرأى الكثير من ضروب الكرم في هذا الشهر وقال ان فضائل أهل دمشق ألا يفطر أحد منهم في ليالي رمضان وحده ، فمن كان من الأمراء والقضاة والكبراء ، فانه يدعو أصحابه والفقراء يفطرون عنده . ومن كان من

الجميع سواسية بين يدي الله

التجار وكبار السوقة صنع مثل ذلك . أما من كان من الضعفاء ـ أي رقيقي الحال ـ فانهم يجتمعون كل ليلة في دار أحدهم ، أو في مسجد ، ويأتي كل واحد منهم بما عنده من طعام ، فيفطرون جميعا في شبه وليمة مشتركة . ويبدو أن فكرة الوليمة المشتركة في شهر رمضان حازت وضعا مألوفا في كثير من بلاد الاسلام ومدنه ، لما فيها من معاني البر والتآخي . يحكي ابن بطوطة عن أهل سلطنة مالي بالسودان الغربي الذين زار بلادهم في رمضان سنة ٧٥٣هـ أنه من حسناتهم التمسك بالدين والصلاة ، وأنه من عاداتهم « أن يفطروا باحدى الدور ، ويأتي كل واحد منهم بطعامه تحمله العشرون فما فوقهن من جواريه » .

رمضان في القاهرة

يضاف الى هذا حرص المسلمين في كل مدينة على زيارة بعضهم بعضا في ليالي شهر رمضان . ويروي ابن الحاج في القاهرة انه اذا تخلف فرد عن زيارة قريبه أو صاحبه أو معلمه في شهر رمضان أدى ذلك الى سوء تفاهم بين الطرفين .

وقد أشار المقريزي وابن تغري بردي والعيني وابن اياس وغيرهم من المؤرخين المصريين الى حرص سلاطين المماليك في مصر على التوسع في الاحسان والصدقة طوال شهر رمضان . فالسلطان برقوق اعتاد أن يذبح طوال سلطنته في كل يوم من أيام رمضان خمسا وعشرين بقرة ، يتصدق بلحومها ـ مع ما يطبخ من الطعام وما يخبز من آلاف الأرغفة ـ على أهل الجوامع والخوانق والرُّبُط والسجون بحيث يخص كل فرد رطل لحم مطبوخ وثلاثة أرغفة . أما المساكين والمعدمون فرتب لهم السلطان في شهر رمضان مطابخ لافطار الصائمين وتوزيع الصدقات عليهم . وقد بلغ عدد الطاعمين في هذه المطابخ ، في ايام السلطان بيبرس في القرن

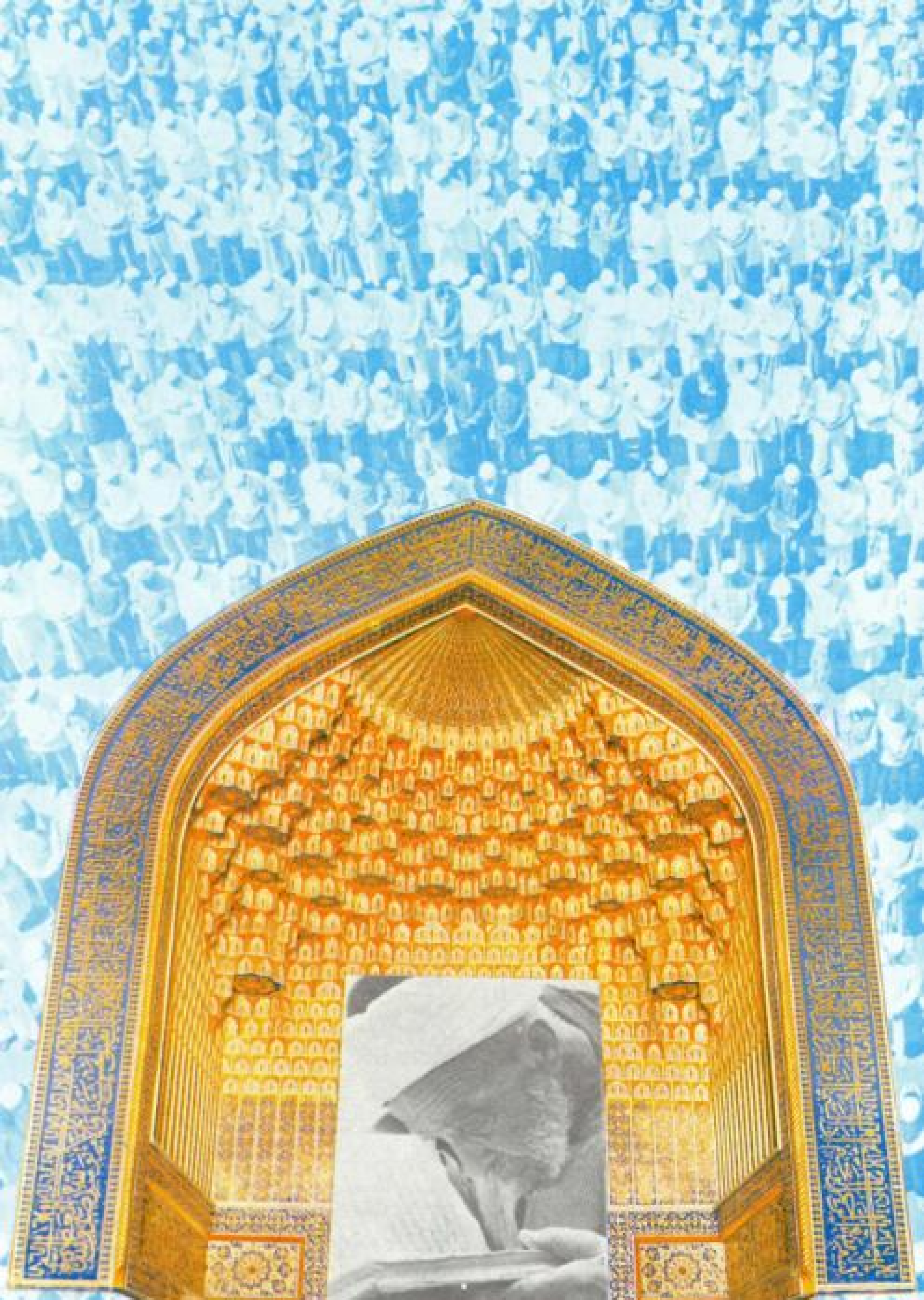

كلما ارتفع صوت الاذان . . وقوفا بكل الخشوع والايمان . . ثم عكوفا في المساجد ومزيدا من تلاوة القرآن

السابع الهجري - خمسة آلاف نفس في كل يوم من ايام شهر رمضان على قول المقريزي .

كذلك اعتاد هؤلاء السلاطين أن يعتق الواحد منهم في شهر رمضان ثلاثين رأسا من الرقيق ، أي بعدد أيام الشهر . يضاف الى هذا كله التوسعة على العلماء وطلاب العلم ، اذ تصرف لهم رواتب اضافية في شهر رمضان ، وبخاصة من السكر الذي تتضاعف كمية المستهلك منه هذا الشهر بسبب الاكثار من عمل الحلوى . وقد بلغ راتب السكر في شهر رمضان أيام السلطان الناصر محمد بن قلاون ثلاثة آلاف قنطار ، قيمتها ثلاثون الف دينار ، منها ستون قنطارا كل يوم من أيام رمضان برسم الدور السلطانية .

وقد وصف الرحالة ابن بطوطة في القرن الثامن الهجري طريقة احتفال المصريين في احدى المدن المصرية - وهي مدينة أبيار - برؤية هلال رمضان ، فقال انه في يوم الركبة - وهو يوم الركوب لرؤية هلال رمضان ، ويوافق التاسع والعشرين من شعبان - أجتمع فقهاء المدينة ووجوهها بعد العصر بدار القاضي الشافعي . ووقف على باب الدار نقيب المتعممين فاذا وصل أحد الفقهاء أو الأعيان ، تلقاه ذلك النقيب ومضى بين يديه قائلا « باسم الله سيدنا فلان الدين » فيقوم له القاضي ومن معه ، ويجلسه النقيب في موضع يليق به . فاذا تكاملوا هناك ، ركبوا جميعا - وعلى رأسهم القاضي - وتبعهم من بالمدينة من الرجال والصبيان ، حتى اذا ماانتهوا الى موضع خارج المدينة - هو مرتقب الهلال عندهم - ينزل القاضي ومن معه يرتقبون الهلال .

فاذا عادوا بعد صلاة المغرب وبين ايديهم الشموع والمشاعل والمصابيح مضاءة ، كان ذلك دليلا على ثبوت رؤية الهلال . وعندئذ يوقد التجار الشموع بحوانيتهم ، وتكثر الأنوار في الطرقات والدروب والمساجد ، حتى يتحول الليل نهارا .

السحور في مكة

أما طريقة التسحير فقد تباينت في المدن الاسلامية . ففي مكة يذكر ابن بطوطة أن المؤذن الزمزمي في الحرم الشريف كان في وقت السحور يقوم في الصومعة - أي المئذنة - التي بالركن الشرقي من الحرم ، داعيا ومذكرا ومحرضا على السحور ، فيردد ذلك باقي المؤذنين في بقية الصوامع . وقد نصبت في أعلى كل صومعة خشبة على رأسها عمود أفقي الوضع ، يُعلق فيه قنديلان مضيئان من الزجاج ، فاذا قرب الفجر واوشك أن يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود ، وقع الايذان بالقطع - أي الامتناع عن الطعام والشراب وعندئذ يُسحب القنديلان ، ويشرع المؤذنون في الاذان لصلاة الفجر . يقول ابن بطوطة ان دور مكة تميزت بأسطح ، فمن بعدت داره بحيث لايسمع الاذان يبصر القنديلين المذكورين فيتسحر . فاذا لم يبصرهما أقلع عن الأكل والشرب .

ولكن ابن الحاج يذكر ان العادة جرت في القاهرة بأن يطوف اصحاب الأرباع وغيرهم بالطبلة على البيوت ، وهم يضربون عليها ، هذا في حين اعتاد أهل الاسكندرية أن يكون التسحير بدق الأبواب على اصحاب البيوت والمناداة عليهم بأسمائهم .

واذا كانت ثمة ظاهرة مشتركة بين كافة بلاد الاسلام ومدنه في شهر رمضان ، فان هذه الظاهرة كانت الحرص على احياء شعائر الدين . وقد قضى ابن جبير شهر رمضان من عام ٥٧٩ هـ في مكة المكرمة ، فقال « ان القائمين على الحرم استعدوا لهذا الشهر بتجديد الحصر وتكثير الشمع والمشاعل حتى تلألأ الحرم نورا وسطع ضياء » وطوال ليالي رمضان تتفرق الأئمة في نواحي المسجد لاقامة صلاة التراويح ، فالشافعية في ناحية ، والحنفية في ناحية أخرى ، والحنبلية في ناحية ثالثة ، والزيدية في جهة

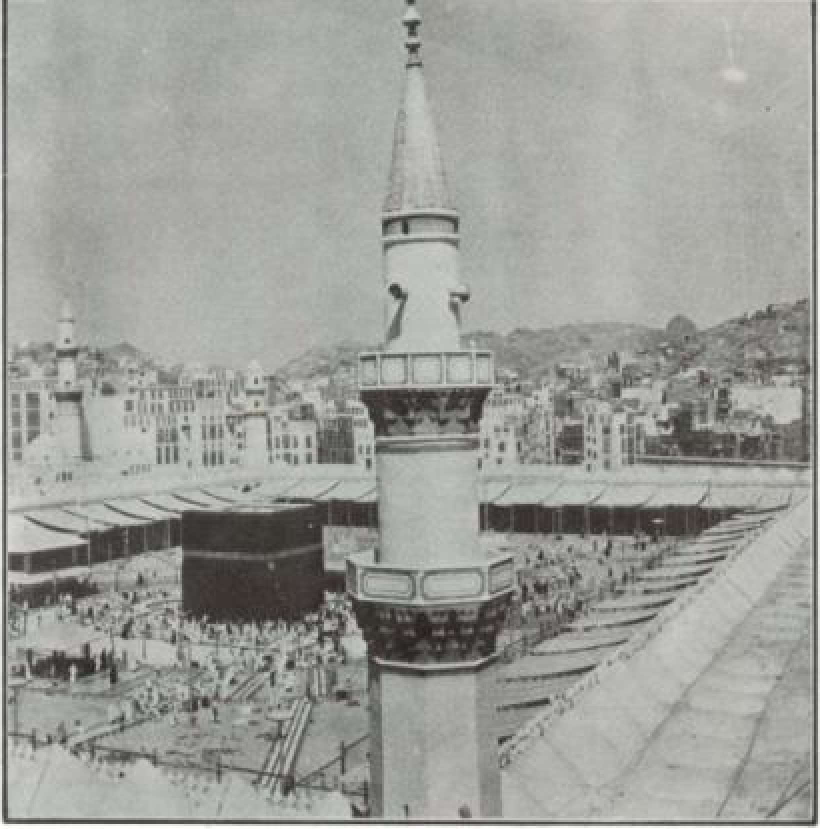

ويتطلق الاذان من مئذنة الركن في ساحة الكعبة المشرفة . . حيث تحيط بها الأعمدة المسقوفة للحرم . . والتي تجددت في العهد المجيدي قبل التجديد السعودي .

رابعة . أما المالكية ، فكان لهم ثلاثة قراء يتناوبون القراءة ، بحيث لم يبق في المسجد زاوية ولا ناحية الا وفيها قارىء يصلي بجماعة خلفه ، « فيرتج المسجد لاصوات القراء من كل ناحية ، فتعاين الأبصار وتشاهد الأسماع من ذلك مرأى ومستمعا تنخلع له النفوس خشية ورقة » .

ويذكر ابن جبير أن كل وتر من الليالي العشر الأواخر من رمضان كان يختم فيه القرآن الكريم في الحرم المكي الشريف . وقد أفاض هذا الرحالة في وصف ما حدث في ليلة الثالث والعشرين من رمضان سنة ٥٧٩ هـ ، وفيها اختتم القرآن أحد أبناء سراة مكة ، وكان غلاما لما يبلغ الخامسة عشرة من عمره وقد احتفل أبوه احتفالا كبيرا لهذه الليلة ، فأعد له ثريا متعددة الفروع ، كما أعد شمعا كثيرا ، ووضع في وسط الحرم ما يشبه المحراب على قوائم أربع نزلت منها قناديل ، وأسرجت في أعلاها مصابيح ، في حين وضع على مقربة من المحراب منبر مجلل بكسوة مجزعة مختلفة الألوان . وحضر « الامام الطفل » على حد تعبير ابن جبير ، فصلى التراويح وختم ، وسط حشد ضخم من الرجال والنساء الذين حضروا لرؤيته « وهو في محرابه لا يكاد يبصر من كثرة شعاع الشمع المحدق به » . ثم برز من محرابه ، رافلا في أفخر ثيابه ، مكحل العينين ، مخضوب الكفين ، واتجه الى منبره حيث استوى مسلما على الحاضرين وجلس بين يديه قراء شرعوا في القرآن على لسان واحد ، حتى اذا ما أكملوا عشرا من القرآن الكريم ، قام الغلام خطيبا ،

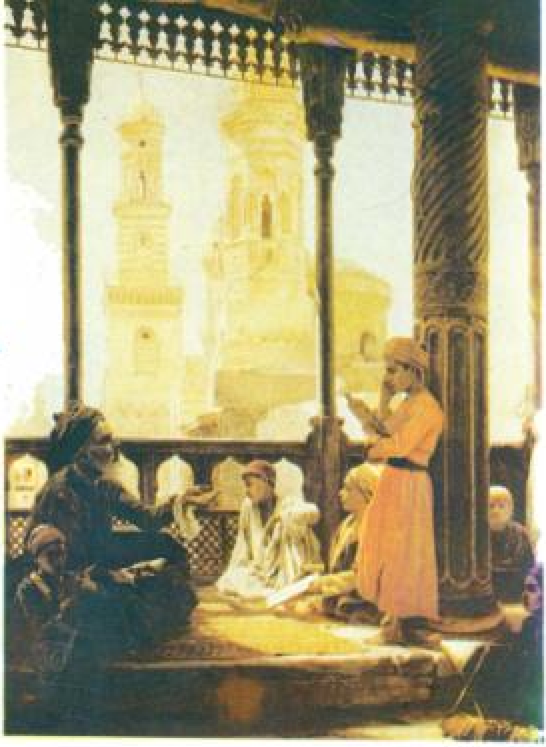

■ ويلتقي المعلمون والمتعلمون ليتفقهوا في أصول الدين . . ويختار القاضي المسجد مكانا يجلس فيه للحكم بين الناس بما أنزل الله .

ومن حوله على درجات المنبر نفر يمسكون الشموع في أيديهم ، ويرفعون أصواتهم عند كل فصل من فصول الخطبة « يا رب ! يا رب » واختتم خطبته بتوديع الشهر المبارك وترديد السلام عليه ، والدعاء للخليفة ، ومن جرت العادة بالدعاء له من الأمراء . ثم نزل ، وانفض الجمع . وفي تلك الليلة وزعت الحلوى والطعام على الجمع ، وخاصة القاضي ومن هم في مكانته ، فقد خصوا بطعام حفيل وحلوى ، على عادتهم في مثل هذا المجتمع » .

ليلة القدر

وتكون أعظم الاحتفالات بالليالي العشر الأواخر من رمضان في ليلة السابع والعشرين منه ـ وهي ليلة القدر ـ فتكثر الأضواء والأنوار حتى « يتوهم المتوهم لهول ما يعانيه من ذلك أن تلك الليلة المباركة نزهت لشرفها عن لباس الظلماء فزينت بمصابيح السماء » .

وكان الاستعداد لهذه الليلة المباركة يجري في الحرم الشريف قبل حلولها بثلاثة أيام ، فتنصب أعمدة من الخشب تمتد فيما بينها الواح أفقية على شكل ثلاث طبقات ، وتوضع عليها زجاجات المصابيح وتتدلى من جوانبها القناديل . وفي ليلة القدر توقد الشموع والمصابيح والقناديل ، وتنصب عن يمين المقام ويساره شموع كبيرة الحجم ، في حين تحيط المشاعل بالحرم « فجاءت كأنها دائرة نور ساطع » .

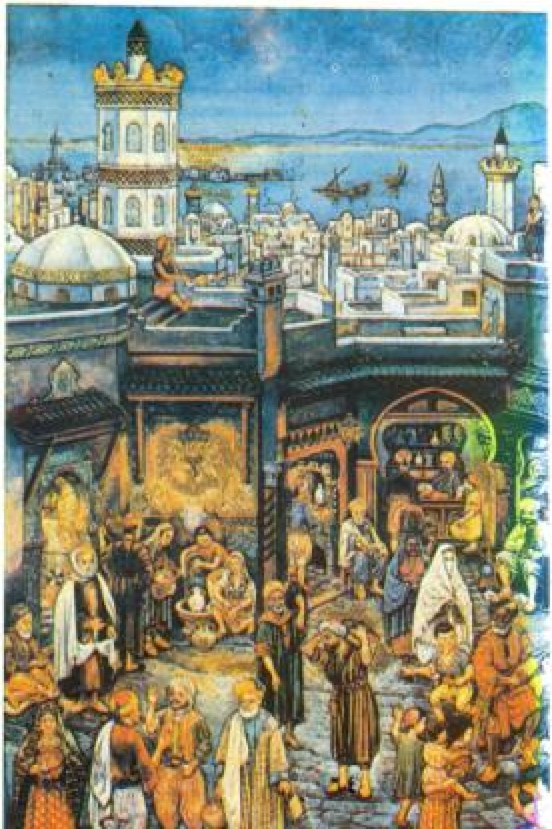

■ شدّت أوضاع المدينة الاسلامية في شهر رمضان انتباه الرحالة خاصة في مرحلة التبادل التجاري في أواخر العصور الوسطى .

كل شيء في الأسواق خلال نهار رمضان . . من رسم الفنان محمد فريد الحديدي

أما صبيان مكة فقد أحدقوا بكافة شرفات الحرم ، وبأيديهم المشاعل والمصابيح ، فوضعوها مضاءة في رؤوس الشرفات ، وهم يرفعون أصواتهم « يا رب ! يا رب ! » على لسان واحد ، فيرتج الحرم لأصواتهم . ثم تقدم القاضي فصلى فريضة العشاء الآخرة . ثم قام وابتدأ بسورة القدر ، وكان أئمة الحرم في الليلة السابقة قد انتهوا من القراءة اليها . وتوقف عندئذ سائر الأئمة من قراءة التراويح ، تعظيما لختمة المقام ، وحضروا متبركين بمشاهدتها . وعندما ختم القاضي بتسليمتين ، قام خطيبا ، مستقبل المقام والبيت العتيق ، حتى اذا ما فرغ من خطبته عاد الأئمة لاقامة تراويحهم . ثم انفض الجمع « وأعينهم قد سالت دموعا ، والأنفس قد أشعرت من فضل تلك الليلة المباركة رجاء مبشرا بمن الله تعالى بالقبول » .

وبعد ذلك يستمر الأئمة والخطباء بقية ليالي رمضان في « التذكير والتحذير والتبشير » الى أن تنتهي ليالي هذا الشهر الكريم بسلام .

وفي نهاية رمضان يستعد المسلمون لاستقبال عيد الفطر ، فيسهرون حتى ساعة متأخرة من الليل في اعداد الملابس وصقلها ، وتجهيز الحلوى والكعك والفطائر ليتبادلوا بها التهنئة في العيد ، وكانت الأضواء تضاعف في ليلة استهلال شوال في المسجد الحرام في مكة ، أشبه بما كان عليه الوضع في ليلة القدر ، ويكثر الناس

في تلك الليلة من الطواف والصلاة والتهليل والتكبير .

العمرة في رمضان

ولايفوتنا أن نشير الى انه من العوامل التي ضاعفت من بريق الحياة الدينية في مكة المكرمة طوال شهر رمضان كثرة المترددين عليها في هذا الشهر المبارك لأداء العمرة . وقد أكد هذه الحقيقة ابن بطوطة في رحلته ، اذ أشار الى فضائل الاعتمار في رمضان ، مستشهدا « بالحديث الشريف : « عمرة في رمضان تعدل حجة معي » .

ولاشك في أن هذه الصورة التي ذكرها كل من ابن جبير وابن بطوطة عن ليالي شهر رمضان في مكة ، كانت تتكرر على مقياس أو آخر في معظم المدن الاسلامية ، مع تقرير ما كان لمكة من وضع خاص بوصفها أم القرى ، فيها بيت الله الحرام ، قبلة المسلمين ، ومركز حجهم واعتمارهم .

ومن امثلة ماكان يجري في المدن الاسلامية في شهر رمضان ماذكره ابن بطوطة في زيارته لمدينة دولة اباد بالهند ، اذ أشاد بما فيها من مسجد للصلاة « يصلي فيها الأئمة التراويح في شهر رمضان » كذلك ذكر ابن بطوطة في رحلاته أنه عندما سافر الى مدينة بلغار وصلها في رمضان . « فلما صلينا المغرب افطرنا وأذن بالعشاء في اثناء افطارنا فصليناها ، وصلينا التراويح والشفع والوتر . . . »

أما مؤرخو مصر الاسلامية ، فقد ذكروا اشارات عابرة الى كيفية احتفال أهل القاهرة - على المستويين الرسمي والشعبي - بشهر رمضان ولياليه ، من ذلك أن الخلفاء الفاطميين كانوا كعاداتهم - يقيمون سماطا كبيرا في غرة رمضان . ومن مواكب هؤلاء الخلفاء موكب أول رمضان ، ومواكب الجمع الثلاث الأخيرة من هذا الشهر .

وفي هذه المواكب كانت تزدان الدور والحوانيت والأسواق التي يمر بها الخليفة يحف به رجال الدولة ، يحمل أحدهم المظلة فوق رأسه في حين يطلق الخصيان البخور على جانبي الطريق .

ولاشك في أن اوضاع المدينة الاسلامية في شهر رمضان شدت انتباه الرحالة والسفراء الأوروبيين الذين ترددوا عليها ، وخاصة في مرحلة نشاط التبادل التجاري في اواخر العصور الوسطى .

ومن ذلك أن « برنارد دي بريدنباخ » استرعى نظره أن القاهرة التي كانت هادئة بالنهار اشتدت فيها الجلبة بالليل . وقد ظن أن التواشيح الدينية التي تردد صداها بين أرجاء المدينة نوع من الغناء ، وان طبول التسحير ضرب من الموسيقا والايقاع ، فقال ان مظاهر الافراح والغناء ، ودق الطبول استمرت طوال الليالي التي قضاها في القاهرة ، مما جعل النوم متعذرا عليه . أما « فابر » الذي زار مصر في اواخر القرن التاسع الهجري - الخامس عشر للميلاد - فقد صادف دخوله القاهرة شهر رمضان ، فتعجب لكثرة الأضواء ليلا في الطرقات ، والمصابيح المختلفة الاشكال والألوان التي يحملها الكبار والصغار . ولما استفسر عن السر في هذه الحياة الصاخبة اثناء الليل ، قيل له ان الشهر رمضان ، وان الناس يخرجون ليلا لقضاء حوائجهم . كذلك لاحظ الرحالة « سيمون سيجولي » أن الحوانيت لاسيا محلات الطعام والمطابخ تظل ابوابها مفتوحة حتى مطلع الفجر طوال ليالي شهر رمضان ، فوصف هذا الشهر المبارك حسب فهمه - بأنه الشهر الذي ينام فيه المسلمون بالنهار ويصحون بالليل .

وهكذا ظل رمضان - وسيظل دائما - شهر الصوم والعبادة ، شهر القرآن والتوبة ، شهر الكرم والاحسان ، شهر البشر والفرح الذي تطمئن فيه القلوب وتنشرح الصدور . □□

من تجارب الشعوب

الثورة الفيتنامية وشروط النهضة

بقلم : عثمان سعدي

□ انتصار فيتنام على الغزاة .. ليس وحده ما يفخر به الفيتناميون .. بل انهم يعتبرون أن أعظم انجاز حققوه هو انتصار لغتهم الوطنية .. والتمسك بها في مواجهة اللغة التي فرضها المستعمرون الفرنسيون .

ان نجاح العلم والتقنية المفتنمين في فيتنام الشمالية ، يكمن في انها استطاعا التلاؤم مع ظروف تاريخ الفيتنام تلاؤما مكن الجماهير من مواجهة أشد أنواع الحروب ضراوة وشراسة شنت ضد أمة من الأمم ، والخروج منها منتصرة . ان العلم الصحيح هو العلم النافع للانسان ، العلم الذي يمكنه من حل مشاكله المباشرة ، العلم الذي يملك الانسان تطويعه وتكييفه ليتلاءم مع نضاله ضد الطبيعة ، ونضاله ضد قوى الشر ، نضاله لتحقيق طموحات أمته . وقد قام العلم والتقنية في فيتنام بهذا الدور ، لانهما التصقا بالشعب منذ نشأتهما وتطورا معه . لان لغة هذا العلم كانت هي لغة الأمة الفيتنامية .

ان سبب هذه المعجزة الفيتنامية ، راجع الى ان قادة الفيتنام الكبار وعلى رأسهم (هوشي مينه) ، أوجدوا الحل الحاسم للمسألة الثقافية ، من خلال تطبيقهم الفتنمة الشاملة وصاغوا بذلك المواطن الفيتنامي الجديد .

الفتنمة والارادة السياسية

منذ اليوم الأول للاستقلال شن الفييتناميون حملة واسعة من أجل تطبيق فتنمة شاملة، وركزوا على نشر وعي لغوي بين الناس. ورغم أن الفييتناميين شيوعيون ماديون، لا يؤمنون بالمقدسات، الا أن لغتهم في نظرهم مقدسة. فالاستاذ تران هيوتيوك يقول «ان اللغة القومية مقدسة».

وهم لا يتصورون مواطنا يزعم أنه يحب وطنه، ويتصف بالكبرياء الوطني، يضع أولاده في مدارس أجنبية، يقول نغوين فان هوين «كيف يمكن لمواطنين يعيشون في بلد واحد، ويقولون بأنهم يحبون الأرض التي ولدوا فيها، ويتحدثون عن كبريائهم الوطني، في نفس الوقت الذي يتكلمون فيما بينهم بلغة أجنبية، بلغة ليس لها أية علاقة لا بتقاليد الثقافة الوطنية، ولا بخصائصها، ولا بأفكار الشعب ومشاعره».

ولا يمكن لأمة أن تنهض اذا لم توحد صفوفها. فاللغة القومية هي أقوى أداة لتحقيق هذه الوحدة. يقول خان توان: «ان اللغة تساهم مساهمة كبيرة في توحيد واتحاد صفوف الأمة. فقد كانت الفييتنامية في جميع العصور وعلى امتداد التاريخ أداة فعالة لتوحيد أمتنا، وكتلة متراصة في الحياة اليومية، وفي بناء الوطن».

بل ان الفييتناميين الذين هزموا الجيش الفرنسي والجيش الامريكي، يعتبرون أن أعظم انجاز حققوه هو انتصار الوطنية، ونجاح الفتنمة الشاملة. يقول فان توان: «يعتبر الشعب الفييتنامي أحد الشعوب التي مرت عليها حياة مكفهرة عاصفة منذ آلاف السنين. ويعتبر أعظم شيء تحقق في هذه الحياة هو انتصار اللغة الفييتنامية».

كانت اللغة الفييتنامية في الاربعينيات لغة قريبة من البدائية، فخلال الثمانين سنة من الاستعمار الفرنسي، لم تتح لها الفرصة للتطور، بل تركت في مرحلة الجمود والتخلف. فقد فرض الفرنسيون لغتهم في الادارة وفي التعليم بسائر مراحله. ويروي الكاتب دانغ تهاي ماي «أنه في الاربعينيات كان البعض يقول بأن اللغة الفييتنامية لغة عامة جدا وغامضة، تستطيع أن تعبر عن القضايا العامة والمجملة لكن طاقتها التحليلية ضعيفة، ويصعب عليها أن تتحول إلى لغة دقيقة للعلوم».

لكن عندما أعلن استقلال الفييتنام لم يستسلم الفييتناميون لهذا الوضع، فيستمروا عليه تاركين بلادهم تحت سيطرة اللغة الفرنسية، التي ورثوها عن العهد الاستعماري متطورة جاهزة، تستعملها سائر المعاهد العلمية والتقنية، حتى الادارة، وانما اختاروا الطريق الصعب. أسسوا لجانا لغوية وعلمية تقوم ببحث المصطلحات بالفييتنامية، وبترجمة أمهات الكتب اليها، جاعلين توصية قائدهم المعلم (هوشي مينه)، نصب أعينهم، عندما يقول: «اسهروا على صفاء اللغة الفييتنامية كما تسهرون على صفاء عيونكم. تجنبوا ـ وبعناد ـ ان تستعملوا كلمة أجنبية، في مكان باستطاعتكم أن تستعملوا فيه كلمة فييتنامية».

ربع مليون كلمة

عملت اللجان المختصة على ابتكار المصطلحات، ضمن خطة علمية ترتكز على قواعد، تضمن عدم خروج المصطلح عن روح اللغة: «كنا في صياغتنا للمصطلحات ـ كما يقول مدير كلية الهندسة آنذاك الاستاذ فام دونغ دين ـ نبحث في لغتنا اولا، فان لم نجد مادة لذلك بحثنا عنها في كلمات اللغة الصينية».

اعترضت المشرفين على الفتنمة عقبات كبيرة، واستطاعوا بإرادتهم وبإخلاصهم

للغتهم تذليلها عقبة عقبة . وتمكنوا بجهود كبيرة من ان يبتكروا من منطلقات متواضعة بل فقيرة - لغة علمية حديثة ، بحيث نحتوا خلال عشرين سنة من ١٩٤٦ الى ١٩٦٦ ربع مليون كلمة ومصطلح . ومن غير شك فان لغة يدخل قاموسها ربع مليون كلمة في عشرين سنة ، كانت في البداية لغة بسيطة جدا تقارب اللغة البدائية . يقول نغويين فان هوين ، وزير التربية الاسبق : « بفضل مساعدة لجنة الدولة للعلوم ، ومختلف معاهد البحث العلمي ، استطاعت الاطارات التي تعمل في ميدان البحث ، او التي تعلم مادة العلوم في المعاهد العليا ، او التي تعمل في مصالح اخرى ، ان تبتكر ربع مليون مصطلح علمي ، وتقني ، وكان المقياس الذي يصوغون على ضوئه المصطلح كالآتي : ان يكون دقيقا ، قريبا من لغة التخاطب وسهلا ، وعمليا » .

وقد تبين ، من خلال تجربة العلماء الفيتناميين ، ان المصطلح المبتكر يتمتع بدقة في المدلول ، أكثر مما يتمتع به المصطلح المنقول عنه ، لان المصطلح الجديد المبتكر المترجم ، يكون قد استفاد من عامل الزمن ، وما أحدثه من تطور في العلم الذي يقوم المصطلح بالتعبير عنه .

كانت عملية ابتكار المصطلحات العلمية والتقنية لا تتم في اطار نظري منعزل جامد ، وانما كانت تنجز ميدانيا ، ضمن التدريس والبحث ، فقد اعدت الهيئات المختصة قائمة بامهات المراجع والكتب التي تقرر فتنمتها ، سواء بالترجمة أو بالتأليف . وكانت حصيلة ذلك ترجمة ثلاثمائة (٣٠٠) كتاب ومرجع ، وتأليف مائتين ، في اثناء عشرين سنة (١٩٤٦ - ١٩٦٦) . يقول الاستاذ نغوي نهو كونتوم : « حسب احصائية غير كاملة ، فان عدد هذه المطبوعات (المفتنمة) بلغ خمسمائة مجموعة تضم مائتي الف (٢٠٠,٠٠٠) صفحة ، وخمسين مليون كلمة . ثلاثمائة مجموعة منها عبارة عن مطبوعات مترجمة من مختلف اللغات الأجنبية ، والمائتان الباقية من تحرير اطارات الجامعة » .

كان المشرفون على تعليم العلوم بالفيتنام مقتنعين بأن تقدم اي بلد في الميدان العلمي ، لا يمكن أن يتحقق الا اذا استطاع نشر العلم والوعي بالعلم نشرا واسعا بين الجماهير الشعبية بالبلد . ولا يمكن لهذا النشر أن يتم افقيا وعموديا ، الا اذا كان هذا العلم يتم - تدريسا وبحثا - بلغة البلد الوطنية . ويرفع في السنة الأولى لاستقلال الفيتنام الشعار التالي : « ان اكبر فرصة لنشر العلوم بسرعة وفي ظروف أفضل ، أن تكون اللغة الوطنية هي لغة تدريس العلوم ولغة البحث العلمي » .

يقول الاستاذ تغويان خان توان : « حتى بالنسبة للعلوم والتقنية الراقية ، تبقى اللغة الوطنية أفضل وسيلة تعبيرية لنشرها » .

فتنمة الطب

عندما أصدر هوشي مينه قراره السياسي بالفتنمة الشاملة لم يلق قبولا لدى أساتذة معهد الطب ، فطلبوا مقابلته ، وأوضحوا له استحالة فتنمة الدراسات الطبية ، بسبب عدم معرفتهم هم وطلبتهم للغة الفيتنامية ، ومن عادة هوشي مينه أن يستمع أكثر مما يتحدث . فاستمع لوفد أساتذة الطب مدة ساعات ، طلبوا فيها تأجيل فتنمة الدراسات الطبية ، وجعلها تطبق تدريجيا ، وفق برنامج يستغرق سنوات . وفي نهاية الاجتماع حسم القائد الفيتنامي الموقف بما يلي : « يسمح لكم استثنائيا هذه السنة - بالتدريس باللغة الفرنسية ، مع ضرورة تعلمكم انتم وطلبتكم اللغة الفيتنامية ، على أن تجرى الامتحانات في نهاية السنة الدراسية باللغة الفيتنامية » . وانصرف الاساتذة ، ليطبقوا القرار الذي اتخذته القيادة السياسية بحسم .

يقول الاستاذ نغوي نهو كونتوم : « انني اذكر

في السنة الاولى لتأسيس مدرسة الطب والصيدلة ، ومدرسة العلوم ومدرسة الفنون الجميلة ، والمدرسة العليا للاشغال العمومية وغيرها من المعاهد العليا وهي سنة ١٩٤٥ ، وفي نهايتها ـ ونحن ما زلنا في عهد ثورة ضد الاحتلال الفرنسي ـ كنا نحن الاساتذة الجامعيين ، الذين تخرجنا جميعا في المعاهد الفرنسية العليا ، نختار الاسئلة ونحررها بالفرنسية ، ثم نترجمها من هذه اللغة ـ التي اعتدنا على التحدث والتفكير بها منذ عشرات السنوات ـ الى اللغة الفيتنامية ، التي أجبرنا حديثا على تعلمها وتعلم كتابتها ، كان بعضنا يقضي نصف يوم أو يوما ، لاعداد الاسئلة بالفرنسية ، لكنه يقضي أياما كاملة لكي يتمكن من ترجمتها الى الفيتنامية » .

ويروي الاستاذ تران هوي تيوك الصعوبات التي تجشمها من أجل تعلم اللغة الفيتنامية : « لقد قضيت خمس عشرة سنة خارج الفيتنام ، تعلمت خلالها وعلمت باللغة الفرنسية ـ كان استاذا بكلية الطب بجامعة باريس لمدة سنوات ـ ثم عدت الى الفيتنامية في سنة ١٩٤٦ ، واسند الي كرسي الانف والاذن والحنجرة في معهد الطب والصيدلة بهانوي . وقمت منذ الوهلة الاولى بالتعليم باللغة الفيتنامية . اذكر انني القيت اول درس في مدرج المعهد باللغة الوطنية . وبطبيعة الحال فقد وجدت صعوبة في أول الأمر ، لكن نجحت ، وأنا راض عن نفسي لأنني استطعت أن اعبر عن اعتزازي بصفة المواطن المستقل الحر ، وذلك بالقاء دروسي بالفيتنامية » .

وهكذا نجد أن اساتذة الجامعة الفيتنامية كانوا يبذلون جهودا مضنية في تعلمهم اللغة الفيتنامية عن كبر واتقانهم لها ، والقيام بفتنمة معلوماتهم الطبية ونقلها بلغتهم الى طلبتهم . كانوا يقومون ـ وهم يعلمون ـ بعدة عمليات : عملية متابعة التطور العلمي في العالم واكتسابه باللغة الفرنسية التي يتقنونها ، وعملية فتنمة المصطلحات الطبية الفرنسية ، وذلك بنحت وابتكار مصطلحات بلغتهم ، وعملية نقل هذه المعلومات بلغتهم الى طلبتهم ، والى مكتبة اللغة الفيتنامية . انهم لا يقومون بعملية اجترار كسول لما يتلقونه من الطب الفرنسي ، ونقله نقلا فوتغرافيا ، وانما يقومون بعملية خلق وابداع ، وهم يؤدون مهنة التدريس الجامعي ، اقتناعا منهم : « بأنه لكي يكون الطبيب الفيتنامي جيدا ـ كما يقول الاستاذ تيوك ـ ينبغي أن يعرف الحقيقة الفيتنامية ، وهذا يقتضي ضرورة معرفة الطبيب للغة الفيتنامية ، واستعماله لها عمليا في مهنته » .

وفتنمة الطب وتعليمه بالفيتنامية لا يقتصر فقط على الجانب الشكلي لنقل المعلومات ، وانما يتعداه الى ايجاد طب فيتنامي ، فاساتذة الطب الفيتناميون يرون أن غايتهم ليست ترجمة برامج كليات الطب الغربية الى لغتهم ، أي ترجمة الطب الغربي وكفى ، وانما لابد وان تمتد الى احياء الطب الشرقي المتوارث عن حضارات الشرق العريقة وتلقيحه بأساليب الطب الغربي . وهكذا نرى أن اساتذة الطب الفيتنامي اهتموا بطبهم التقليدي ، فدرسوه واستنبطوا منه أساليب وطرقا ، صاروا يدرسونها في كليات الطب عندهم . وهذا هو سبب وجود كرسي خاص للطب الشرقي ، في كليات الطب الفيتنامية والكورية والصينية ، هذا الطب الذي يسميه اساتذة الطب بالبلدان العربية بالشعوذة . مع أن العرب يعتبرون من أعرق الشعوب التي ورثت طبا تقليديا عن عهود ازدهار حضارتهم . الا ان اطباءنا بسبب تكوينهم بلغات أجنبية ، صاروا يحتقرون تراث الطب العربي القديم ، وهذا هو الذي يفسر لنا لماذا ينعدم وجود مادة الطب العربي القديم في كليات الطب العربية التي تدرس باللغة الاجنبية . يقول الدكتور تيوك : « ان تعليم الطب بالفيتنامية ، هو وسيلة طبيعية لتحقيق الربط بين الطب الحديث والطب التقليدي ، بين الطب الغربي والطب الشرقي » .

ولا يمكن لمهنة الطب أن تنجح وتأتي بثمارها في بلد ، الا اذا ارتكزت على الطب الوقائي . ولا يمكن للطب الوقائي ان ينتشر بين الجماهير الا اذا كان الطب يدرس بلغتها القومية . يقول الاستاذ تيوك : « ان الطب الطلائعي ينبغي أن يكون قبل كل شيء طبا وقائيا . وهذا يتطلب من الجماهير حد ادنى من معرفة الامراض ووسائل النظافة والصحة . والطب الوقائي لا ينجح الا بمبادرة الجماهير . وبدون استعمال اللغة الوطنية ، كيف يتوصل الى نشر هذا الحد الادنى من المعرفة بين الجماهير وجعلها تطبقه » .

الخلاصة والعبرة

(أولا) قام الفيتناميون منذ اعلان استقلال بلادهم في الاربعينيات ، بتطبيق الفتنمة الشاملة على التعليم والادارة وسائر مرافق حياتهم التي كانت تسيطر عليها سيطرة كاملة اللغة الفرنسية ، ولمدة ثمانين سنة .

(ثانيا) بهذه الفتنمة الشاملة استطاعوا تكييف اقتصادهم وطبهم وبحثهم العلمي ، مع وضع الحرب الذي دام قرابة نصف قرن . وتحقيق وحدة الشعب الفيتنامي جنوبا وشمالا ، وتأسيس الدولة الفيتنامية الموحدة ، على طريق الوحدة الكبرى لأمة الهند الصينية .

(ثالثا) أوجدوا بفضل الفتنمة الشاملة طبا فيتناميا ، حل مشاكل الانسان الفيتنامي الصحية ، وطوروا الطب الشرقي بحيث احتفظوا بالجوانب الايجابية فيه ، مسخّرين في ذلك أساليب الطب الغربي الحديثة .

(رابعا) برهن الفيتناميون بتجربتهم ، ان أقرب طريق لبناء صرح تنموي اقتصادي واجتماعي وثقافي ، هو ان تكون اللغة الوطنية هي الاداة لذلك فتعليم العلوم والتقنية باللغة الوطنية في سائر مراحل التعليم ، واستعمالها في مراكز البحث العلمي ، من شأنه ان يوجد علما قوميا ، وتقنية قومية ، تبني التنمية القومية على الانتاج والامكانيات الذاتية ، وتربط حاضر الأمة بماضيها الذي تستفيد من تجاربه ، وتجعل هذا العلم الذي اكتسب الهوية القومية بفضل اللغة ، قابلا لتلاؤمه مع حاجات المجتمع ، ومتطلبات المرحلة النضالية التي تخوضها الأمة .

(خامسا) بالعلم والطب المفتنمين ، استطاع الفيتناميون خلال سنوات قليلة ، حل أخطر مشكلة واجهتهم بعد تحرير سايغون سنة ١٩٧٥ وتوحيد شطري الفيتنام . وهذه المشكلة تتمثل في أكثر من ستمائة ألف (٦٠٠,٠٠٠) بين مومس وشاذ ومدمن على المخدرات ، تركها لهم الوجود العسكري الامريكي بجنوبي الفيتنام ، تنهش أجسادهم أخطر الأمراض التناسلية والمخدراتية . وفي الوقت الذي نشاهد فيه أقطارنا العربية المسلمة تتفد لمجتمعاتها من خلال انفتاحها غير المحسوب ، على لغات الغرب وثقافات الغرب . هذه الانحرافات التي نراها تتسع وتكبر في كل يوم .

(سادسا) بالفتنمة الشاملة ، أوجد علماء ولغويو الفيتنام المناخ الميداني لابتكار المصطلح العلمي . بينما ما زال المصطلح العلمي العربي عندنا يتم في معظم الحالات ، في اطار نظري ، بعيدا عن التجربة الميدانية ، بسبب تطبيقنا للتعريب الجزئي .

(سابعا) تعامل الفيتناميون مع لغتهم على أنها لغة مقدسة ، وطبقوا ذلك عمليا ، فجعلوها تسيطر على سائر مرافق حياتهم . بينما لا يملكون قرآنا كما نملك في الوقت الذي نجد فيه أن لغتنا هي لغة القرآن الكريم ، فنرفع من شعار العودة للاسلام ، ونجعل لغتنا القومية التي هي لغة القرآن تعيش على هامش حياتنا ، ونترك ثمانين بالمائة من جامعيينا وهم خريجو كلياتنا العلمية والتقنية وباحثو مراكز البحث العلمي ، تسيطر عليهم اللغة الاجنبية ، وتصوغ تفكيرهم ، وتستلب شخصياتهم . ألسنا نعيش في عصر يسيطر عليه العلم وتتحكم فيه التقنية ؟!! □□

العدد السابع يونيو ١٩٥٩

انقذوا تراثنا المبعثر

منذ ربع قرن أطلقت الدكتورة عائشة عبدالرحمن دعوتها في مجلة العربي لجمع المخطوطات العربية المبعثرة ، وتوثيقها وضبطها وتصنيفها وتحريرها ، لكي يوضع بين أيدي الدارسين مادة تصلهم بتراثهم .. فإلى اي مدى استجابت المؤسسات الثقافية العربية لهذه الدعوة ..؟

هناك خطأ في مناهج درسنا يجب أن يصحح ، وقصور لا يجوز الصبر عليه . ذلك أننا نقيم الدرس الأدبي والتاريخي على غير أساسه الصحيح ، اذ تعوزنا فيه مادة البحث ، وهي المخطوطات المبعثرة في شتى البقاع ، لا تدري عنها إلا القليل .

ندرس الأدب العربي ونؤرخ لأعلامه ، وليس بين أيدينا إلا قدر ضئيل من نصوصه المحققة ، ودواوينه الأصلية .

وندرس تاريخ العرب والاسلام ، الديني منه والسياسي والاجتماعي ، واكثر أصوله ومواده ، بعيدة عنا مجهولة منا .

ونطلق القضايا والأحكام ، ناسين أن كنوزنا الفكرية قد تسربت إلى أوربا على أيدي الدول الاستعمارية ، وتجار الكتب وهواة جمع المخطوطات الشرقية ، وما تزال هناك تملأ خزائن لا يحصيها عد ، ونحن هنا ننتظر ما يجود به علينا المستشرقون مما ينشرون من هذه الذخائر ، ونعتمد في دراستنا المتخصصة العليا على مطبوعات ليدن وليبتزج واكسفورد وروما و . . . و . . . دون أن يعنينا ما بقي هناك بلا نشر !

وإلا فماذا نعرف عن ألوف الذخائر التي حملها سلاطين آل عثمان فيما حملوا من كنوز الأقطار العربية أيام العصر العثماني ، والتي ما تزال هناك تملأ الخزائن التركية ، ولسنا نعرف أسماء كثير منها ، وأنى لنا ذاك وقد سجل كتاب « المحكم » لابن سيده ، باسم كتاب « المحاسم في اللغة »!؟

وأنها والله لحاسمة قاصمة !

ولماذا أذكر تركيا ، وهنا في مصر ، وجدت مخطوطة من « رسالة الغفران » في مكتبة سوهاج الأميرية ، مفهرسة بعنوان « مخطوط في الأدب ، مجهول اسمه واسم المؤلف » !

وأخرى في مكتبة الاسكندرية ، وجدت مفهرسة بعنوان « كتاب في الأدب ، نادر الوجود جدا ، لعلي بن منصور - رحمه الله »!

بل رحمنا الله نحن ، في ضيعة تراثنا وضيعتنا به !

ان المخطوطات العربية هي في تقديري حجر الأساس في بناء الوطن العربي الجديد الذي تتآزر قوانا لاقامته ، وهي الخطوة الأولى في الطريق الطويل الذي صممنا على اجتيازه ، سعيا وراء هدفنا الأسمى ، وهو معرفة ذواتنا ، واستكمال مقومات شخصيتنا ، وأدراك مكاننا الصحيح في عالم اليوم .

ويخطىء من يحسب أن موضوع المخطوطات العربية ، لا يعني سوى المتخصصين في الدراسات الأدبية والاسلامية ، فالحق أن هذه المخطوطات ، هي تراثنا القومي الذي نعرف به ذاتيتنا ونميز مراحل سيرنا على مدار الزمن ، ونستبين ملامح كياننا الأصيل الذي ضرب بيننا وبينه بسور بناه أعداء الشرق العربي كيما يحولوا دون وعينا لماضينا وفهمنا لأصولنا ، ويحجبوا عنا أمجاد آباء لنا وأجداد ، شاركوا في صنع تاريخ الانسانية وبناء الحضارة .

وما أقول هذا صنعة كلام ، أو عن فتنة وادعاء ، فهذا تاريخ الاستعمار يشهد بأن أعداء الشرق والعرب والاسلام ، قد جندوا قواهم لحربنا بأسلحة من الغزو الفكري والروحي ، ابتلتنا بعقدة الشعور بالنقص ، بما بترت من أصولنا العريقة ، وبما باعدت بيننا وبين ماضينا

بنت الشاطئ

« يريد أعداء الوطن العربي أن يضربوا حجابا بيننا وبين ماضينا ، ويطمسوا آثار آبائنا ، وأمجاد أجداد شاركوا في تقدم الانسانية وبناء حضارتها . . ليقولوا لنا بعد ذلك اننا لا نصلح للحياة ما لم نتكيء على حضارة الغرب وحدها » .

في أرجاء الأرض

الأغر ، وبما ألقت في روع أجيال منا ، أننا لا نصلح للحياة ما لم نتكيء على حضارة الغرب وحدها ، ونلتمس منها أسباب نهضتنا ومقومات وجودنا .

وقد جدوا ، أو ما جدوا ، في الاستيلاء على تراثنا الفكري والأدبي وبثوا رسلهم في انحاء هذا الشرق الكبير ، يحملون الى الغرب ذخائر مخطوطاته ، حيث عكفوا على دراستها لكي يفهموها أولا ، ولكي يلتمسوا فيها ـ ثانيا ـ ثغرات ينفذون منها الى عقولنا ونفوسنا ، رجاء أن يشوهوا في عيوننا صورة أمسنا ، ويطفئوا نورا لنا اضاء للبشرية طريقها وسط الظلمات ، وحتى نقتنع أخيرا بأن بقاءنا في عالم اليوم ، رهن بتنكرنا لشرقيتنا وعروبتنا ، وتعلقنا بركاب « رسل الحضارة وسادة العصر » واذ ذاك يهون علينا ان نراهم يستبيحون حمانا ، ويقومون أوصياء علينا ، يأخذون بأيدينا نحو التمدن .

وأنتقل بعد هذا الى الجانب القريب للموضوع ، فأذكر فيما أذكر ، ان الشرق العربي في تاريخه الحديث ، قد جد في استدراك ما فاته من أسباب الاستنارة والثقافة ، ابان عصور الظلمات التي حيل فيها بينه وبين العلم . فمنذ أدرك حرص أعدائه على أن يظل في غفلة من الجهل ، بدأ يكافح في سبيل نشر الثقافة وتيسير سبل العلم وموارد المعرفة ، فكانت نهضته تعليمية باهرة ، لا أغلو اذا قلت أنها أمضى أسلحتنا في نضالنا الظافر ضد الاستعمار والطغيان . وقد تخلص الشرق ، أو كاد ، من السياسة التعليمية التي رسمها له المستعمرون ، وانطلقت الأفواج من شبابنا نحو الجامعات والمعاهد العليا ، تنهل من مورد العلم وتستكمل مكونات انسانيتها ، في هذه الصروح القومية التي يعتز بها وطننا ويعقد عليها الأمل الكبير في أجيال من الشباب الواعي المستنير .

ولا يروعن القاريء أن أشير هنا الى نقص وخطأ ، فهذا ـ فيما أعرف وتعرف الدنيا ـ آية وعي ، ورمز حيوية ، ودليل طموح واصرار . وقد قال سلفنا : القناعة عجز ، ثم جاء الاستعمار يهدهد نعاسنا وغفلتنا بمثل : القناعة كنز ، والصبر طيب ، ومن رضي بقليله عاش !!

وفي الحق ، ان جهودا بذلت لاستدراك هذا النقص الفادح في جمع تراثنا القديم ، وكان قسم اللغة العربية في كلية الآداب بجامعة القاهرة ، هو ـ فيما أعرف ـ أول من تنبه لهذا ونبه إليه ، وحمل طلاب الدراسات العليا ، على ان يرفقوا برسائلهم للماجستير والدكتوراه ، نصا محققا لمخطوط عربي .

وظهرت ثمار دعوته ـ وقد بدأت منذ عشرين عاما على وجه التحديد ـ في قيام دار المعارف بمصر ، بنشر سلسلة من الذخائر العربية في طبعات محققة .

ثم انشيء معهد المخطوطات في جامعة الدول العربية ، واخذ يسعى جهده الى معرفة تراثنا المضيع ، ونشر بعض ذخائره .

وأدركت دار الكتب المصرية أخيرا حقيقة مهمتها في أن تتولى جمع التراث العربي ، ولعلها جادة في هذا المجال .

وللمجمع العلمي بدمشق ، عناية خاصة بنشر ذخائر المخطوطات العربية ، وبخاصة تلك التي في المكتبة الظاهرية بالعاصمة الفيحاء .

وقامت الى جانب ذلك جهود فردية ، حالف التوفيق بعضها وخان اكثرها لأسباب لا يتسع المجال هنا لبيانها ، ولكن ليس من العار أن نخطيء ، وانما العار أن ندعي العصمة من الخطأ وأن نبرأ مما يجوز على البشر من سهو ونقص وقصور .

وما أشك في أن هذه الجهود المتفرقة سوف ينضجها الزمن ، وتهذبها المرانة والتجربة ، ويرشدها شعورنا بالحاجة الى تجريد حملة من العلماء بالنصوص ، الفقهاء بالعربية ، تهيأ لهم الأسباب كيما يفرغوا لجمع تراثنا المبعثر ، ثم توثيقه وضبطه وتحريره ، لكي يضعوا بين أيدي الدارسين مادة درسهم ، ويتيحوا للواعين من أبناء هذا الشرق العربي ، سبل الاتصال بأصولهم ، وادراك ذاتيتهم ، وفهم مكنوناتهم ومقوماتها .

عائشة عبدالرحمن

الترف النفطي والثقافة

بقلم الدكتور/ أسامة عبدالرحمن*

□ تواجه الثقافة تحديا مصيريا أمام بريق الذهب النفطي . وإذا كانت الثقافة رافدا من روافد الحضارة .. فكيف يمكن للترف النفطي أن يكون واجهة حضارية .. دون أن يكون له مردود سلبي على الفكر ؟

سأل سائل .. لقد كان جيل ما قبل النفط يتلهف الى الثقافة ، وان كانت مشاربها ومواردها محدودة .. وكان التعليم نادرا يصعب السبيل اليه .. وكان المستعمر سببا رئيسيا .. والفاقة من بين الاسباب .. فلماذا - بعد رحيل المستعمر وتعدد مشارب التعليم وموارده ومجيء الترف النفطي - يبقى المجتمع متخلفا وخصوصا في الجانب الثقافي ؟

لقد انغمس المجتمع النفطي في كل شيء الا الثقافة .. وسعى المجتمع النفطي الى احتضان كل شيء الا الثقافة .. والمجتمع النفطي في غمرة الانكباب على الترف المادي .. وفي التيه بين زخارفه لم يجد متسعا من الوقت للثقافة .. وربما تلاشى عنده الاقتناع بأهمية الثقافة .. وربما أصبحت الثقافة بالنسبة له قضية لا تتواءم مع واقعه .. أو كبريق من سراب .. قد يكون لها بريق وما جدوى بريق السراب .. أمام بريق الذهب النفطي .. الذي جذب اليه كل شيء حتى الزمان والمكان ..

والثقافة أمام بريق الذهب النفطي واجهت وتواجه تحديا مصيريا لم تواجهه عبر كل عصور التاريخ .. وما من منكر أن التاريخ ما عرف هذا

* عميد كلية الدراسات العليا - جامعة الملك سعود الرياض .

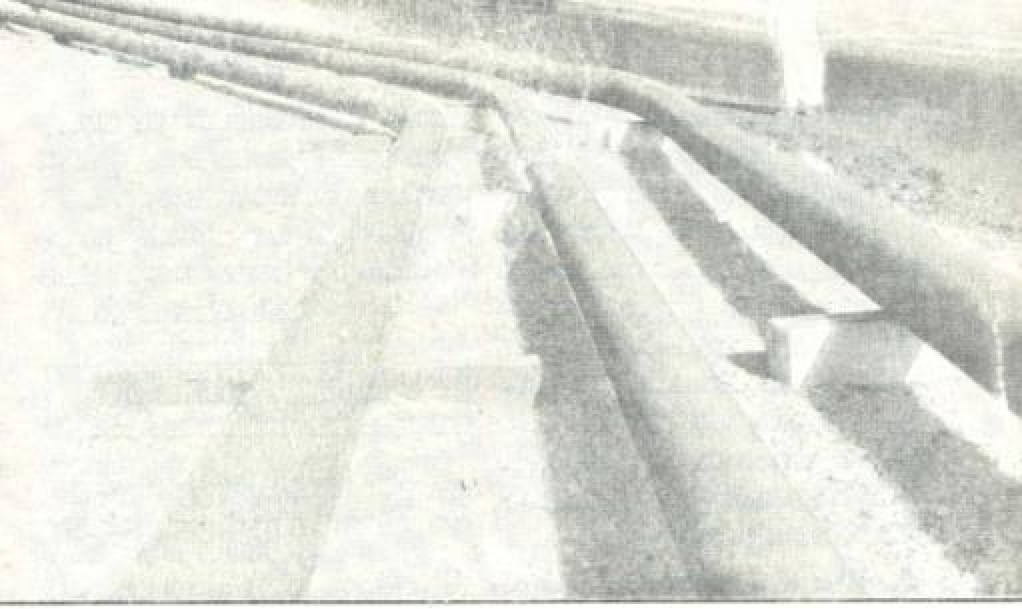

البريق بهذا الوهج الأخاذ .. في أي فترة أخرى .. وما من منكر أن الثقافة واجهت تحديات مصيرية تجاه طوفان من الجهل .. أو مد من الغزو الفكري السيء النوايا .. أو سدود حالت بينها وبين قومها .. أو حراب غرزت على صفحاتها .. أو ضربات كادت أن تكون عليها قاضية .. ولكن القضية أن الثقافة مع بريق الذهب النفطي مازالت تواجه تحديات جمة لعل أبرزها الترف النفطي ذاته .

أمية المتعلمين

لقد أصبح الفكر غريبا .. وأصبح المفكرون غرباء .. وازدادت الهوة بين المفكرين في جانب والقاعدة المجتمعية في الجانب الآخر .. كما ازدادت الهوة بين الفكر في جانب والقيم الممارسة في الجانب الآخر .. وليست المسألة مسألة ازدياد في مساحة الهوة فحسب .. ولكن في طبيعة هذه الهوة .. وفي أسبابها .. فلقد كان من أبرز أسبابها الأمية التي تسربل القاعدة المجتمعية الكبيرة .. أما الآن ـ ومع بقاء الأمية سببا ـ فان العلم المقدم في طبق نفطي برز سببا أقوى من الامية .. في وجود مثل تلك الهوة ..

ولعل البؤس المعيشي .. أفضل من الترف النفطي من وجهة نظر الثقافة .. التي يندر أن يناصرها في وجهة نظرها هذه .. المجتمع اللاهث وراء بريق الترف النفطي متعة أو عناء في سبيل المتعة .. ووجهة نظر الثقافة قد تدعمها أدلة تاريخية .. ولكن هناك أدلة تاريخية أخرى تدعم وجهة نظر معارضة .. وهي ان الأزدهار المجتمعي في جوانبه الاقتصادية وغير الاقتصادية يتلاحم ويتقابل معه عادة الأزدهار الثقافي .

ان الازدهار المجتمعي الراسخ الأركان .. المتكامل الجوانب .. القادر على التطوير والعطاء الذاتي .. هو المعنى الأقرب لمفهوم الحضارة ، وليس ثمة منكراً أن الثقافة جزء أساسي في الحضارة .. وان الحضارة والثقافة لا يمكن أن يتضادا بل العكس هو الصحيح .. اذ أن الثقافة ـ وهي رافد من روافد الحضارة ـ تلقى من الازدهار الحضاري-التربة الخصبة التي

تهيأ لها كل أسباب النجاح .. والنمو والانتشار .. والترف النفطي في نظر الكثيرين « حضارة » ولو كان الأمر كذلك لما كان للثقافة جمود أو اضمحلال .. بل على العكس من ذلك .. لوجدت الثقافة فيه المرتع الخصب .. ووجدت منه النصير الظهير .

الترف النفطي وأزمة الفكر

لو كان الترف النفطي « حضارة » لكانت أي حجة على أنه سبب جمودها أو اضمحلالها حجة داحضة . ان الترف النفطي واجهة حضارية .. أما ما خلف الواجهة فليس بينه وبين الحضارة عروة .. ولذا فان تلك الواجهة الحضارية مضللة .. اذ أن الترف النفطي قد خلخل حتى القيم الأصيلة التي كانت تقدر الثقافة .. وان حال بينها وبين الثقافة حائل بين فترة وأخرى .. فلقد تلاشت تلك القيم أو كادت .. واتخذت القيم الجديدة من الواجهة مظهرا لها يقدر الثقافة ولكنها خلف الواجهة تضرب بمفهوم الثقافة عرض الحائط .. وتسخر من أي معترف بالثقافة .. أو مغترف منها .. والواجهة الحضارية للترف النفطي مثلها مثل الواجهة الحضارية للقيم الجديدة كلاهما يقترف باسم الثقافة .. آثاما تتبرأ منها الثقافة .. وكلاهما يشيد بالثقافة علنا .. ويطعنها سرا .. وكلاهما يأخذ من الثقافة الغلاف .. ويطمس كل الحروف والكلمات والصفحات الناصعة .

انه لا يمكن جحود ما أسبغه النفط على المجتمع من رفاهية وترف .. فلولاه .. لما تيسر استخدام أحدث الأجهزة والوسائل والاستمتاع بأرقى السلع الاستهلاكية .. والحصول على أحسن الخدمات .. ولولاه لما كان الرصيد الكبير من حملة الدرجات العلمية .. ولولاه لما كان هذا السيل الوفير من الكتب والمجلات والصحف .. صحيح أن عددا ليس باليسير من ذلك الرصيد وروافد عديدة من ذلك السيل .. قد تقف من الثقافة على الهامش .. وربما تقف خارج هامش الثقافة .. ان الانغماس الترفي من مظاهره الانكباب على التمثيليات والاغاني .. مع أن معظم هذه التمثيليات والأغاني تكاد تكون خاوية المحتوى .. ثم ان معظم الكتب والمجلات والصحف .. قد لا تمت الى أي جانب من جوانب الفكر بصلة .. كم هي الكتب ذات المحتوى الفكري التي تجد طريقها الى هذه القاعدة العريضة اللاهية .. وكم هي المجلات الفكرية التي تستطيع الوقوف على أقدامها أو تستطيع الحفاظ على بقائها .. وكم في الصحف من الصفحات .. ما يمت الى الفكر .. وحتى ان كان هناك من الكتب أو المجلات أو الصحف ما يمت الى الفكر .. فأينا يجد الى القارىء الواعي سبيلا وأين هو القارىء الواعي .. في غمرة الترف النفطي .. فهو اما منغمس فيه .. واما لاهث وراءه وهو في الحالين .. لا يكترث بالمحتوى الفكري .. ولا يجد وقتا .. أو لا يجد رغبة في استيعاب المحتوى الفكري .. وهو في الحالين لا يميل الى استنزاف وقته في جهد فكري .. لا يشعر بمردود سريع له .. فهو أميل الى استنزاف وقته في جهد يأتيه بمردود مادي سريع .. ومتى كان للفكر مثل ذلك المردود ؟؟ وهو من بعد ذلك أميل الى الاستمتاع بوقته وقد أعطته الواجهة الحضارية من الاسباب ما يحقق له ذلك حتى لو كان غثاء .. ما عرفته الثقافة من قبل .. وما اعترف به الفكر .. فهل يبقى بعد الميلين متسع من الوقت أو الرغبة في الاجهاد الفكري ؟

المظهر حضاري والغلاف فكري

وليس القارىء هو وحده المنغمس غالبا في الترف النفطي أو اللاهث وراءه .. فقد يكون الكاتب في هذه الواجهة هو أيضا منغمسا في الترف النفطي أو لاهثا وراءه .. ولذلك فان

توجهه يتفق مع توجه القارىء . . ولهذا فهو لا يفرز في أغلب الأحيان الا غثاء . . ويلقى هذا الغثاء من القارىء الاستجابة . . ويلقى الكاتب الثناء العاطر . . على غثائه . . وهو ما بذل في سبيله عناء . . وما سهر الليالي مسطرا ومختبرا . . ولا سافر بين الكلمات والصفحات الناصعة . . سفرا مضنيا . . ومن قبل ذلك وبعده ربما ليس لديه القدرة الا في الخوض في الغثاء . . فلقد فتح الترف النفطي الباب على مصراعيه . . لحشد كبير من الكتاب الذين ماهم بكتاب . . ما عرفوا قيمة الكلمة . . فأساؤوا استخدامها أو حرفوا معناها .

ان الكاتب غالبا في ظلال الواجهة الحضارية التي شيدها الترف النفطي يسعى ما وسعه الجهد ان يكون له اسم على الواجهة . . ويسعى أن يكون له أي كتاب أو مقال في هذه الواجهة . . وهو نفسه يتعامل كما يتعامل الترف النفطي براجهة مظهرها حضاري . . وما بعد الواجهة تفصل بينه وبين الحضارة أميال شاسعة . . اذ يتعامل بواجهة مظهرها ثقافي وتأخذ من الفكر غلافا سطحيا . . أما ما خلف الواجهة وما بين دفتي الغلاف . . فغثاء . . أو شبه غثاء . . والقارىء غالبا أيضا في ظل هذه الظاهرة التي أوجدها الترف النفطي يستقبل برحابة صدر أكثر الغثاء . . طالما أن المظهر حضاري والغلاف فكري . . اذ لا يهمه المحتوى كثيرا . . طالما أنه ليس لديه الوقت لتحليل هذا المحتوى . . أو ربما حتى قراءته . .

ان مجتمع الترف النفطي بين انغماس أو تطلع لم تتخلخل فيه أكثر القيم الأصيلة خلخلة أساءت الى الثقافة فقط ولكنها أساءت الى غير الثقافة أيضا . . وشتان بين مجتمع يضع القشور موضع اللباب . . ولا يجد اللباب في أكثر الاحيان له موضعا . . وبين مجتمع يضع كلا منها في موضعه . . وان حال بينه وبين اللباب حائل . . أو تكالبت عليه القشور . .

لقد كان المجتمع قبل الترف النفطي معذورا للجهل الذي كان يعيث فيه . . ويحكم نواصيه . . في ظل هيمنة استعمارية مجحفة . . لم تدعم الجهل لكي يرسخ أقدامه فحسب . . ولكنها هيأت له كل الأسباب لممارسة دوره في تأطير الفرد ضمن اطار لا يدرك فيه مشكلته . . ولا يعي واقعه . . ولا يدرك مشكلة مجتمعه . . ولا يعي واقع مجتمعه . . والهيمنة الاستعمارية المجحفة لم تفعل ذلك فحسب . . ولكنها أجهضت حتى القدرة الذاتية . . لو بدت قدرة ذاتية . . يمكنها أن تبحر حتى في بحار الجهل المتلاطمة الامواج . . الى مرافىء ترتفع عليها رايات الثقافة خفاقة .

الغثاء الثقافي

لقد أعلن المستعمر منذ مدة رحيله كرها لا طوعا . . وانفرجت أسارير المجتمع العربي اذ بدا له أن الاهتمام بالعلم واجب ولكن يبدو أن الاهتمام كان قاصرا . . أو صاحبه خلل . . أو غلب عليه السعي نحو الشهادات فبقيت الأمية حتى بعد سنوات طويلة في بعضها . . تمثل نسبة لا يستهان بها . . وطفح الكيل بالشهادات العليا . . وبقيت الثقافة في أكثر الاحيان . . غريبة في القطاع الأمي . . وربما غريبة أيضا في قطاع حملة الشهادات العليا . . فما أتيح لها أن تنمو وتزدهر . . وكانت المحصلة لما يسمى بالثقافة في أكثر الاحيان غثاء . . وليس هنا مجال الخوض في تفاصيل أسباب الغثاء الثقافي . . ولكن الواقع يقرر أن هناك ثمة سبب أو أسباب وراء ذلك . . ويستطيع المتتبع لواقع المجتمع العربي النفطي منه وغير النفطي أن يدرك أن المستعمر بقوته الحضارية الجديدة وبتعمقه في معرفة السلوك المجتمعي والفردي في هذه الدول استطاع أن يظل متحكما الى حد ما في تحديد الكثير من المدخلات والمخرجات التعليمية والثقافية وفي العديد من التوجهات التعليمية

والثقافية . .

ولعل الرافد الأدبي من روافد الثقافة يعزى طغيان الغثاء فيه الى طغيان الغثاء في القيم المجتمعية ممارسة وفعلا . . وان بقيت الواجهة تحمل رموز القيم المحمودة .

لقد غلب الغثاء على القيم المجتمعية . . وتحالف ماهو غير محمود من القيم المجتمعية المحلية . . مع غثاء القيم الوافدة . . حتى كادت أن تتلاشى من قاموس القيم . . معظم ملامح القيم المحمودة . . لقد أصبح من المألوف أن يشار الى « النزيه » كعملة نادرة . . ولكن حتى هذه الاشارة التي تحمل الثناء العاطر ظاهرا هي من وراء الكواليس تعتبره « مغفلا » . . ألم يصبح انتهاز الفرص في سبيل تحقيق المصالح الفردية الآنية . . ولو حتى على حساب المصلحة العامة في القطاعين العام والخاص « شطارة » ؟ أولم يفرض الكثير من مظاهر السلوك المجتمعي والفردي المنحرفين . . وجودهما . . ويحظيا بالقبول والرضا . . أولم يلبس الباطل ثياب الحق . . وينتهك حرمته . . ويستبيح داره ويلقي به خارج الأسوار . . ألم يصبح الرياء والنفاق صفتين يظهر المجتمع في بعض الأحيان غضبه عليهما ظاهرا . . وهو يباركهما باطنا . . ويبارك من يباركهما ؟ وما قيمة المفكرين والعلماء فعلا في مثل هذه المجتمعات ؟ وهل هناك مناخ مجتمعي ينمو فيه الفكر ويبرز فيه عطاء المفكرين ؟ وأين هم المفكرون وهل كانت لهم ريادة مجتمعية ؟ والكاتب والقارىء صنوان في هذا المجتمع الذي كادت أن تمسخ فيه كل القيم المحمودة على محك الممارسة . . ولذا فليس بمستنكر ان كان مسلكهما متوائما مع الغثاء من القيم . . وليس بمستنكر أن يكون توجههما كتابة وقراءة نحو الغثاء .

والمجتمع بهذه الصورة يندر أن يجد فيه كاتب أو قارىء لم يسلك سبيلها ضالته فيه . . وكيف يجد ضالته . . والمجتمع بقيمه قد قتل الضالة . . وكيف يفتح مثل هذا المجتمع ذراعيه لكاتب أو قارىء . . لا يتبنى ما يتبناه هذا المجتمع حتى لو كان غثاء . .

الرافد العلمي في الثقافة

أما الرافد العلمي في الثقافة وهو الرافد القوي في الحضارة الجديدة بكل أبعادها فان دول العالم الثالث تكاد كلها تكون بمعزل عن هذا الرافد . . أو على الأقل لا يكاد بعضها يحظى الا بقطرات لا تروي غليلا . . ولا تيسر وحدها خلق رافد داخلي قادر على العطاء . . وعلى تنمية القدرات الذاتية المبدعة . . ويحاول المستعمر ألا ينكشف الرافد العلمي في الثقافة للمجتمع في الدول النامية . . ولذلك فهو يضرب حوله حصارا شديدا . . ومما يزيد الطين بلة أن المجتمع في الدول النامية لم يحاول أن يجد الى ذلك الرافد سبيلا . . ولم يحاول أن يوجد رافدا ذاتيا ويعطيه من فكره وجهده وعرقه ما يمكنه من التطور والاستمرار .

ان دول العالم الثالث ـ وخصوصا ما يتمتع منها بوفرة مالية ـ انغمست في الاستمتاع بالجانب المادي الاستهلاكي من نتاج الفكر العلمي في الدول المتقدمة وذلك من السهولة بمكان . . غير أن هذا الانغماس الاستهلاكي يحقق للدول المتقدمة ما ترجوه . . وطالما ظلت الدول النامية مستهلكة وغير قادرة على العطاء من خلال القدرة والمعرفة الذاتية فانها تستمر معتمدة على الدول المتقدمة ويظل هذا الاستمرار لأن الحصار المضروب حول المعرفة العلمية . . قوي ومستمر . . ومسألة الحصار المضروب يجب ألا تكون بمثابة المشجب الذي تعلق عليه كل أسباب التخلف العلمي في أكثر الدول النامية ذلك أن الأقطار العربية ـ شأنها شأن أكثر دول العالم الثالث ـ لم تعن كثيرا بالبحث العلمي . .

ان انفاق الدول النامية على البحث لا يشكل نسبة تذكر من ناتجها القومي الاجمالي . . وقد تكون هذه النسبة كافية لبناء الواجهة . . أما

البحث العلمي فيكاد يكون من الندرة بمكان .. وقد يكون التوجه المجتمعي من أسباب هذا القصور .. وقد يكون من أسبابه أيضا الشعور بالاحباط وعدم القدرة على الخوض فيه مقارنة بالدول المتقدمة وهذا جزء من تأثير « الاستعمار الفكري » (ومثل هذا الموضوع يستحق تحليلا مفصلا ومنفصلا) .. والقضية ليست قضية انفاق فحسب .. ان العديد من الكتب والمجلات ينفق عليها الكثير ولكن ماهو العطاء الفكري في هذه الكتب والمجلات .. والقضية ليست قضية انشاء نوادٍ ثقافية أو ادارات للثقافة والعلوم والفنون .. أو هيئات للبحث العلمي .. وربما وزارات للبحث العلمي .. صحيح ان انشاء مثل هذه الكيانات مرغوب لو توفرت لها أسباب النجاح ولكن حين تكون هذه الكيانات واجهات .. فليس ثمة نجاح يتوقع من ورائها ..

انحراف القيم المجتمعية

لو أحصيت الكتب والمجلات التي غمرت الأسواق في الأقطار العربية سواء ما كان منها صناعة محلية .. أو صناعة مستوردة خلال العشرة أعوام الأخيرة لجاء الرقم أكبر بكثير مما تتوقع ورغم ضآلة الانفاق على البحث العلمي .. فان أي احصاء للبحوث التي تمت خلال العشر أعوام الأخيرة سيجيء رقما أكبر بكثير مما نتوقع أيضا .. ولو أحصينا عدد الأندية والهيئات .. التي تم انشاؤها خلال العشرة أعوام الأخيرة لكان الرقم أيضا أكبر بكثير مما نتوقع . واذا كان الأمر كذلك فأين تأثير ذلك في تقدم هذه المجتمعات ؟ قد تكون هناك أسباب متعددة وراء ضآلة التأثير أو جموده أو انعدامه .. ربما كان من أبرزها غلبة الغثاء على المعين الأصيل .. وغلبه المظهر على المخبر .. وغلبة القيم المجتمعية والتوجه المجتمعي المنصرف الى غير ذلك .. على القيم المجتمعية والتوجه المجتمعي المنصرف اليه .. والنتيجة أيا كانت الأسباب واحدة .. وهي انحسار الفكر .. او انحرافه مع انحراف القيم المجتمعية .. للضغوط المفروضة عليه والسدود الحائلة دون امتداد عطائه وتغلغل غير أهله .. وربما تغلبهم على أهله .. وعدم اعتراف المجتمع بأهل الفكر .. في بناء اختلط فيه عدم التقدير بعدم الاكتراث بعدم المبالاة ..

والترف النفطي ليس مسئولا وحده عن كل هذه الاوزار ذلك أن الاقطار العربية غير النفطية لا يكاد يختلف فيها واقع الفكر وممارسته ومحيطه اختلافا بينا عن واقع الفكر وممارسته ومحيطه في الاقطار النفطية .. صحيح أن الترف النفطي ربما لم يفقد أثره عند الاقطار العربية النفطية ولكن كان له أثر ممتد وان كان أقل عموما في الأقطار العربية غير النفطية .. ولهذا فان مع الترف النفطي أسبابا أخرى بعضها بيِّن وبعضها غير بيِّن .. لكنها مجتمعة مسئولة عن انحسار الروافد الثقافية بشتى ألوانها ومشاربها أو غلبة الغثاء فيها على المعين النقي ..

ان المجتمع العربي مازال فيه مفكرون .. ومازال فيه نفر يقدرون الفكر حق قدره وفيه من يستطيعون خلق روافد .. او اثراء روافد .. وفيه من أهل الأدب من يعتز بهم الادب .. وفيهم من أهل العلم من يفخر بهم العلم .. ولكنهم اما قلة لم تقدرها الكثرة .. واما قلة ما وجدت لها مناخا مناسبا .. ولذلك فان الاصلاح ممكن وليس مستحيلا .. وممكن ولكنه صعب .. والمجتمع في الأقطار العربية ان أراد أن يأخذ من التنمية الثقافية الحقيقية بأسبابها .. ويمتلك نواصيها .. ويضع قدميه على بداية الطريق القويم للوصول الى أهدافها المرجوة فان عليه أن يصحح مساره .. ويعدل مسلكه ويتنكب على اللباب .. ويدوس على القشور .. وأرجو أن يكرس جهده لذلك .. فان فعل فقد أفلح .. □□

نملك الأدوات ويستخدمها الآخرون

« نحن والغرب » قضية قديمة .

واذا كانت جيوش المسلمين قد عبرت البحر لتصل الى أطراف أوروبا بحثا عن بقعة جغرافية جديدة تنشر فيها دعوة الاسلام ، فان جيوش الغرب قد عبرت البحر نفسه ولكن في اتجاه مضاد لعشرات المرات ولأغراض اخرى لا تتصل بالعقيدة .

قديما .. كان الاستعمار المباشر ، بجيوشه وأساطيله .

حديثا .. كان الاستعمار الاقتصادي .

وحديثا جدا .. كانت تلك القضية الشائكة : تواصل فكري وثقافي وحضاري .. أم استعمار جديد وتبعية من نوع آخر ؟

وربما كان الخيط دقيقا بين التفاعل الضروري بين الحضارات ، والانتقال اللازم للأفكار .. وبين ما يسمى تبعية فكرية يسيطر فيها أحد الاطراف على أنماط وسلوكيات الفكر عند طرف آخر ، وبما يؤثر في عملية اتخاذ القرارات في مجتمع ما .

الهيمنة هي القضية وليس الانفتاح على العصر ، والاستزادة من أفكار الآخرين .. فالانفتاح والاستزادة أداتان ضروريتان للتقدم .

ولكن .. كيف تحدث الهيمنة ؟ .. بنوعية الرسالة الفكرية أو الثقافية أو الاعلامية التي تنتقل عبر الحدود لتغزو عقول الآخرين ؟ .. أم بكمية هذه الرسائل ومدى احتلالها لمساحة من العقل والوجدان ؟ أم بالاثنين معا .

ولسنا بحاجة الى أن نقول أن الاثنين معا يصنعان ذلك الوجدان المرتبط غربا ، والمتأثر بأسلوب تفكير ونمط حياة وظروف حضارة .. غير عربية في النهاية .

وفي هذا الاطار واذا تتبعنا خيطا واحدا في أداة واحدة .. اذا تتبعنا كم من المواد التلفزيونية التي تدخل البيت العربي أو بيت الانسان الذي يعيش في العالم الثالث بشكل عام .. اذا فعلنا ذلك فاننا سوف تدرك ذلك الفرق الهائل بين صياغة العقل في الجنوب ، وصياغة العقل في الشمال .. بشرقه وغربه .

في دراسة لمنظمة اليونسكو عام ١٩٨٣ تأتي بعض المؤشرات الهامة . الدراسة تحت عنوان تدفق التليفزيون - شارع في اتجاه واحد .. والنتائج الرئيسية تقول ان الغرب يصدر المواد التليفزيونية .. وشرق اوروبا يستورد ويصدر .. أما الجنوب - وهو العالم الثالث - فهو يستورد فقط وبنسب هائلة تلفت النظر ، ووفقا للأرقام التي جاءت في الدراسة فان أميركا اللاتينية تستورد نصف ما تعرضه في التليفزيون من برامج غير اخبارية .. وآسيا تستورد ثلث ما تعرضه .. أما الدول العربية فانها تستورد ما بين ٣١٪ الى ٥٧٪ مما تعرضه محطات التليفزيون بها ، وأكبر المصدرين لكل هؤلاء : الولايات المتحدة الأميركية .

وقد تناولت الدراسة ست دول عربية فقط هي :

السعودية واليمن الديمقراطية والكويت ومصر ولبنان والعراق . ورغم أن الدول الست تدخل فيما يسمى (المشرق العربي) فان المغرب العربي لن يكون على الأرجح أفضل حالا .

المهم - وفي تحليل هذه الأرقام - يمكن القول ان الفروق قد سقطت في معظم الأحوال .

فالدول ذات الأعداد السكانية الكبيرة وذات الامكانات البشرية قد تساوت أو اقتربت في استخدام

بقلم : محمود المراغي

المواد الاجنبية من دول قليلة السكان أو قليلة الموارد .

أيضا .. فان الدول ذات النظام السياسي القريب من الليبرالي قد تساوت في موقفها مع تلك التي تأخذ بالنظام الاشتراكي . وبينما اختارت بعض الدول نظام الاقتصاد الموجه فانها لم تفعل نفس الشيء وبنفس الدرجة وهي تستقبل برامج غربية بنسبة تزيد عن نصف ما تعرضه ..

.. دليل ذلك أن نسبة ما تستورده اليمن الديمقراطية من برامج قد بلغ ٥٧٪ مما تعرضه في التليفزيون، بينما هبط الرقم الى ٤٠٪ في محطة لبنان والمشرق و ٣١٪ في المملكة السعودية .

الاختلافات السياسية والثقافية واختلاف التوجهات لم تكن اذن فيصلا في الانفتاح أو الانغلاق على (الغرب التليفزيوني) .

وربما كان القاسم المشترك والمؤثر أنها جميعا دول حديثة العهد بتلك الأداة الاعلامية الخطيرة : التليفزيون .. وربما كانت حداثة الخبرة أو ضعف الامكانات في بعض الحالات سببا للتوسع في استقبال البرامج الاجنبية على هذا النحو .

على أي حال وأيا كان سبب التوسع في الاستيراد ـ ولانقول التبادل الاعلامي أو المعرفي ـ فان السؤال الرئيسي : ما هو تأثير ذلك القرار غير المعلن .. المقصود أو غير المقصود .. بأن تخاطب البرامج الاجنبية (والاميركية في الاساس) عقول شعوبنا بما يزيد عن نصف المساحة الزمنية المتاحة ؟ .. وما هو تأثير ذلك بالنسبة لشرائح تزداد فترات مشاهدتها كالنساء والشباب والاطفال ؟ أي قيم تحملها تلك البرامج ؟ وأي عادات وتقاليد تبثها في عقول مشاهدينا ؟ .. ثم .. واذا انتقلنا الى الأداة التكميلية للتليفزيون وهي (الفيديو) فأي مساحة يحتلها ذلك الجهاز الحديث .. وبأي برامج وأفلام ، خاصة أن دراسة اليونسكو تشير الى أن نسبة الافلام والمسلسلات المستوردة تصل في بعض المحطات العربية الى ١٠٠٪ مما تعرضه ؟ .. أي أن نسبة الانتاج المحلي صفر،والمستورد وفي فترات الافلام والمسلسلات يحتل الزمن كاملا .

هل نقول انه التطور الطبيعي .. والتفاعل اللازم ؟ .. ولكن .. من قال ان القيم تتوافق والحاجة لأنماط من السلوك والاستهلاك العربية تتفق مع ما يفرزه الغرب وتفرضه واشنطن ؟ من قال ان شعوبا تتطلع الى اشباع الحاجات الاساسية بحاجة الى أنماط دول وشعوب وصلت الى مرحلة الرفاهية ؟ .. من قال ان الشعوب التي تعلي قدر القيم الروحية والانسانية بحاجة ان تنتقل لذلك الطراز من القيم المادية الذي يسيطر على الغرب ؟

الأمر بحاجة الى دراسة تتجاوز البحوث المتعجلة ، فالأمر يتعلق بعقل الانسان العربي ، وأخشى ما أخشاه أن يكون المنطق السائد .. أننا نمتلك أدوات العصر ثم نبحث لها عن وظيفة . واذا كان التليفزيون نموذجا بارزا أوجدناه ليحتله غيرنا ، فان النماذج الأخرى كثيرة ..

والمنطق واحد : عربيا أو في العالم الثالث .. فنحن جزء من هذا العالم بايجابياته وسلبياته ومشاكله .. والتجربة هنا لا تختلف عن التجربة هناك .. والقضية : أي قدر من الاهتمام والتخطيط توليه لقضية العقل .. وأي قدر من ذلك الاهتمام والتخطيط توليه للركن المادي من الحضارة : امتلاك الأدوات وبناء الاقتصاديات والتوسع في الاستهلاك ؟

وربما يكون اختلاف النسب في ذلك الاهتمام نقطة الخلل وبيت الداء .. ومن هنا نفذ (البرنامج التليفزيوني الغربي) الى داخل كل بيت .. وبهذه النسب الهائلة ..

ماذا أعددنا لمواجهة :

البث التلفزيوني الأجنبي بالأقمار الصناعية ؟

بقلم : حمدى قنديل

☐ بعد سنوات قليلة سوف تهبط علينا من الفضاء برامج تلفزيونية واذاعية ، من قبل الأقمار الصناعية ، ولن نتمكن من صدها . . !

وسنواجه تحدى اجتياح الثقافات الأجنبية ـ وبالتحديد الثقافة الغربية ـ للثقافة العربية ، فماذا أعددنا لمواجهة هذا التحدى ، قبل فوات الأوان . !

ان "العربي" تطرح هذه القضية ، وتفتح صفحاتها لكل صاحب رأى . .

من أبرز المشكلات التى تواجه العالم فى الثمانينيات مشكلة أقمار الاذاعة المباشرة Direct Broadcast Satellites وهى مشكلة لاتهم رجال الاتصال وحدهم ، وانما تهم الأوساط الثقافية والسياسية والقانونية وغيرها . كما أنها لا تهم الدول الصناعية وحدها ، ولكنها تهم الدول النامية أيضا ، وسوف تكون الدول العربية فى مقدمة الدول النامية التى ستتأثر بهذا التطور ، وذلك بحكم قربها من الدول الأوروبية ، ووقوع بعضها ـ خاصة دول شمال أفريقيا ـ فى مجال تغطية البث التلفزيوني للأقمار الأوروبية التى ينتظر أن يبدأ اطلاقها فى العام القادم ١٩٨٥ .

ومن ناحية أخرى سوف تتعرض الدول العربية للبث التلفزيونى المباشر من القمر الصناعى الذى أفصحت اسرائيل مؤخرا عن أنها

تنوى اطلاقه فى السنوات القليلة القادمة .

وبالرغم من أن هناك خططا لاطلاق عدد من أقمار الاذاعة المباشرة فى بلدان مختلفة فى منتصف الثمانينيات ، الا أن البعض مازال يتنبأ بأن هذه الأقمار لن يروج استخدامها الا فى نهاية هذا القرن . ويعزو بعض هؤلاء السبب فى ذلك الى أنه مهما تقدمت التجارب التى تجرى فى هذا الشأن ، الا أننا نجد أن الانتقال فى التكنولوجيا من مرحلة انتاج النماذج الى مرحلة « الانتاج بالجملة » يأخذ عادة وقتا أطول من المتوقع . ولكن المشكلات الصعبة حقا ليست هى المشكلات المتعلقة بالتكنولوجيا ، بقدر ما هى تلك التى تتعلق بالسياسة والقانون والثقافة ، والتى ستنشأ عندما يتعدى البث الفضائى حدود دول ليغطى دولا أخرى .

وتكمن المشكلة هنا فى أن مجال التغطية لقمر تطلقه دولة ما لا يمكن أن يتطابق مع حدود تلك الدولة ، ولكنه يتعدى تلك الحدود ليصل بالبث الى الدول المجاورة . وهذا التجاوز Spillover هو الذى يزعج تلك الدول التى قد لا تكون راغبة فى تلقى البرامج الوافدة . . وقد يكون تطفل مثل هذه البرامج مقصودا ، بمعنى أن الدولة التى تقوم بالبث تقوم به عمدا وباصرار لإيصال رسالة معينة الى المشاهدين فى دولة مجاورة رغم أنف حكامها ، أو تحت أنف حكامها . وقد لا يكون هذا البث مقصودا كما يحدث الآن بالنسبة للبث التلفزيونى الذى يتم بالشبكات الأرضية .

ولكن أقمار الاذاعة المباشرة سوف تجعل هذا البث يغطى مناطق أوسع ، بل يغمر دولا بكاملها ، وربما جعلت التلفزيون فى يوم ليس ببعيد أقرب ما يكون الى اذاعات الراديو الموجه فى يومنا هذا . لكن البث التلفزيونى سوف يكون أعمق تأثيرا فيمن يتلقاه من ذلك الذى أحدثه الراديو ، ذلك أن المادة السمعية البصرية ـ كما هو معروف ـ أقوى تأثيرا من المادة الصوتية وحدها .

وبالطبع فان هذا سوف يزعج كثيراً من الدول التي تختلف في نظمها السياسية مع تلك الدول التي تبث البرامج التلفزيونية بأقمار الاذاعة المباشرة . ولكن مثل هذا الارسال في الوقت ذاته لا يريح حتى تلك الدول التي تتشابه في ثقافتها وعقائدها السياسية . ونستطيع أن نرى هذا في وقتنا الحالي حتى قبل أن يبدأ الارسال التلفزيوني المباشر بالأقمار الصناعية . فقد رفضت هيئة الاذاعة البريطانية BBC بث برنامج « شارع السمسم » Sesame Street الذي أنتجته الولايات المتحدة ، لأنها تعتقد أنه يحمل الى أطفالها قيماً غريبة عنهم . وبدأت الهيئة منذ عام ١٩٨١ خطة يتم تنفيذها على مدى ثلاث سنوات لخفض نسبة البرامج المستوردة التي تذيعها . وينطبق هذا الأمر على كثير من الدول الأوروبية ، خاصة تلك الدول التي لا يوجد بها تلفزيون غير تجاري لا يستهدف الربح ، ولذلك لا يلهث بالضرورة وراء البرامج الأمريكية وما فيها من عنف وإثارة وجريمة وجنس يجتذب المشاهدين والمعلنين من

ورائهم . وفي فرنسا على سبيل المثال ظهر إعلان في صحيفة « لوموند » في سبتمبر (ايلول) ١٩٨١ نشرته جماعة جديدة سمت نفسها باسم « لجنة الهوية الوطنية » Comit d'identite nationale قالت فيه ان الأفلام السينمائية الأمريكية تمثل ٤٠ في المائة من الأفلام التي بثها التليفزيون الفرنسي و ٣٥ في المائة من تلك التي تعرضها دور السينما ، وان السينما صورة حقيقية من صور الهوية الوطنية ، فاذا ما خضعت للمصالح الأجنبية فسوف تؤدي الى اجتثاث الثقافة الوطنية من جذورها .

التحكم فى البرامج

وفي كندا يعتبر الموقف أكثر سوءا ، وذلك نتيجة لمتاخمتها للولايات المتحدة ، أكبر مصدر للانتاج التلفزيوني في العالم ، حيث يستطيع نحو ٦٠ في المائة من سكان البلاد أن يشاهدوا بانتظام وبوضوح برامج المحطات الأمريكية للحدود ، أو البرامج التي تنقل اليهم بواسطة شركات للتلفزيون السلكي . ولكن المشكلة تفاقمت في السنوات الأخيرة مع بدء استخدام الأقمار الصناعية في الولايات المتحدة . ويقول باحث كندي : « انه بعد أن تعرض الكنديون لآلاف الساعات من المسلسلات البوليسية الأمريكية ، فان كثيرين منهم لا يستطيعون تمييز رجال الشرطة الفيدرالية ، وكثيرا ما يخلطون بين الجندرمة الملكية وبين المباحث الأمريكية FBI أو وكالة المخابرات المركزية CIA كذلك فان نظام القضاء الكندي يعاني من الشيء نفسه ، وكثيرا ما يختلط الأمر على المواطنين في التمييز بينه وبين نظام القضاء الأمريكي . يضاف الى ذلك النفوذ الأمريكي على عوامل أكثر حساسية في المجتمع

ولكن نفوذ التلفزيون الامريكى لن يكون مقصورا على كندا وحدها عندما يبدأ فى استخدام أقمار البث المباشر ، بل سيتعداها ليشمل أيضا مناطق كبيرة من أمريكا اللاتينية ، وليعم العالم كله من خلال بث البرامج الامريكية بواسطة الشبكات الفضائية التجارية التى سيتوالى انشاؤها .

ولا يقتصر الأمر على البرامج وحدها ، وانما يشمل الاعلانات أيضا ، إذ بامكان الاعلانات أيضا أن تنقل قيما غربية كتلك التى تنقلها البرامج تماما ، كما أنها قد تحمل رسائل تتعارض والنظم القائمة فى بلدان أخرى . فهناك بلدان كثيرة ، من بينها فرنسا على سبيل المثال ، تمنع الاعلان عن السجائر وكذلك عن المشروبات الكحولية ، فما الذى سيكون عليه الموقف عندئذ اذا تطفل على البلاد بث تلفزيونى يحمل اعلانات عن هذه السلع ؟

ان الحل الذى لجأت اليه بعض البلدان فى أحوال مماثلة عندما يصلها ارسال تلفزيونى من بلد مجاور هو اللجوء الى بيع أجهزة استقبال تلفزيونى تقتصر على التقاط ترددات معينة هى ترددات محطة التلفزيون المحلية ، ومنع استيراد أجهزة أخرى . وبعض البلدان يلجأ الى التشويش على هذا الارسال ، تماما كما يتم التشويش على موجات الراديو الأجنبية الموجهة . وهناك البعض الآخر الذى يسلم بالأمر الواقع ، سواء عن رضا أو عن كراهية ، كما سلمت الدول العربية المواجهة لاسرائيل بالارسال التلفزيونى الاسرائيلى .

التضارب مع حقوق الانسان

والواقع أن المشكلة فى صميمها هى انعكاس

لتضارب عميق بين حقين من حقوق الانسان ثم التذكير بهما فى كل الاعلانات الرسمية والدولية ، وهما من جهة الحق فى الاتصال وحرية التعبير ، ومن جهة اخرى حق الثقافات فى حماية اصالتها وهويتها ، ومن العسير طبعا قبول أى تضارب بين هذين الحقين ، وان كان من العسير أيضا التوفيق بينهما .

ولكنه مهما كان الأمر ، فيجب أن نسلم بحقيقة لا مناص من الاعتراف بها ، تلك أنه لا ردة فيما حققته التكنولوجيا من تقدم ، وان هذه التكنولوجيا ـ وخاصة تكنولوجيا الفضاء ـ أصبحت على أبواب الوطن العربي ، وانه خلال سنوات قليلة سوف تهبط علينا من الفضاء برامج لن يمكننا صدها عن سمائنا . ولن يمكننا أن « نسد » قنوات التلفزيون الاجنبية لأن بعض برامجها قد تحدث مثل هذا الأثر السلبي أو ذاك ، فربما كان البعض يتذرع بذلك حتى يحجب عن الجمهور مصادر اعلام جديدة . كما اننا لا نستطيع أن نمنع أجهزة تسجيل الفيديو ـ وهى آخر تكنولوجيات الاتصال التى دخلت البيت العربي ـ لمجرد أن بعض الناس يستخدمونه فى مشاهدة برامج خارجة على الاخلاق واللياقة ، أو أن بعض الموزعين لأشرطته يتاجرون بمواد لايملكونها .

وقد بدأ المجتمع الدولى يتنبه الى هذه المشكلات منذ بداية السبعينيات ، وأدت المناقشات التى جرت فى عدة دوائر دولية ، وخاصة فى اطار منظمة اليونسكو ، الى وضع « اعلان بالمبادىء الرائدة لاستخدام الاذاعة عن طريق التوابع الصناعية من أجل حرية تداول المعلومات ونشر التعليم وتعزيز التبادل الثقافى فى عام ١٩٧٢ » . ودعا الاعلان الى أنه « مراعاة لمبدأ حرية الاعلام ، يجب على الدول أن تبادر الى عقد اتفاقيات بشأن الاذاعة المباشرة من التوابع الى غير سكان البلد الذى تصدر عنه البرامج » . كما ورد بالاعلان نص آخر يقول انه « تراعى فى اعداد البرامج لاذاعتها مباشرة على بلاد اخرى أوجه الاختلاف فى القوانين الوطنية للبلاد المستقبلة للاذاعة » .

وفى العام السابق كان الاتحاد الدولى للاتصالات ITU قد أضاف الى « قواعد الراديو » الدولية فقرة (٤٢٨/أ) تقول انه « عند وضع المواصفات الخاصة بمحطة فضائية فى خدمة الاذاعة الفضائية ، سوف تستخدم كل الوسائل الفنية المتاحة كى تقلل ـ الى أكبر حد عملى ـ الاشعاع الى أراضى البلدان الأخرى ، الا اذا تم اتفاق مسبق مع مثل هذه البلدان » وقد فسرت معظم الدول هذا النص على أنه تثبيت لضرورة الموافقة على تجاوز البث التلفزيونى الفضائى للحدود الدولية ، واعتبار ذلك مبدأ جديدا من مبادىء القانون الدولى . ولكن الولايات المتحدة ومعظم دول أوروبا الغربية كانت تعارض هذا المبدأ .

وظلت هذه الدول على موقفها عندما اتخذت الجمعية العالمية للأمم المتحدة فى عام ١٩٨٢ قرارا (٩٢/٣٧) تضمن أنه « على كل دولة مرسلة أو مستقبلة فى اطار خدمة الارسال التلفزيون الدولى المباشر بواسطة التوابع الاصطناعية تطلب اليها ذلك دولة اخرى مرسلة أو مستقبلة فى اطار الخدمة نفسها ، أن تدخل فورا فى مشاورات بشأن أنشطتها فى ميدان الارسال التلفزيونى الدولى المباشر بواسطة التوابع الاصطناعية مع الدول التى طلبت المشاورات ، وذلك دون الاخلال بأية مشاورات أخرى قد تجريها هاتان الدولتان مع أية دولة أخرى فى هذا الموضوع » .

وتحاول الدول العربية في الوقت الحالي أن تستخدم هذه المبادىء حتى تحول دون اطلاق القمر الصناعي الاسرائيلي ، أو دون استخدامه لبث برامج التلفزيون الاسرائيلية مباشرة الى بيوت المشاهدين العرب . ولكن الدول العربية لم تثر اعتراضا على أي من الأقمار الصناعية الاوروبية التي سيبدأ اطلاقها بعد عام أو عامين على الأكثر .

وفي الواقع تبدو الدول العربية كما لو كانت في حيرة ازاء البث التلفزيوني الفضائي الذي سيأتيها من الخارج . وقد لاحظت هذا بعثة خبراء كان قد استعان بها اتحاد اذاعات الدول العربية في عام ١٩٨٣ ، اذ قال هؤلاء انه « في حين رأى بعض هؤلاء الذين التقت بهم البعثة أن مسألة الغزو الثقافي الاجنبي مسألة مبالغ فيها ، وأنه شعار تتذرع به الحكومات التي لا تطمئن لشعوبها ، فقد رأت الغالبية أن هناك خطرا من اجتياح الثقافات الغربية للمقومات الثقافية العربية ، وان هذا الخطر قائم في الوقت الحالي قبل أن تدخل عصر الفضاء ، نتيجة لنوعية البرامج التي تستوردها وتبثها محطات التلفزيون العربية » .

مواقف متباينة

واذا ما حللنا وجهات النظر المطروحة الآن في الساحة العربية بهذا الشأن لأمكننا أن نميز بين أربعة مواقف مختلفة . فهناك أولا المؤيدون للانفتاح التلفزيوني لأسباب متعددة منها أن المواطنين العرب يمكنهم بالفعل الاستماع الى الاذاعات الأجنبية ، ويمكنهم مشاهدة بعض محطات التلفزيون الأجنبية بما في ذلك التلفزيون الاسرائيلي ، وانه لا يمكن الوقوف في مواجهة التقدم التكنولوجي ، وانه يجب الثقة بوعي المواطن العربي ، وبقدرات محطات التلفزيون العربية .

وهناك ثانيا المتخوفون من « الغزو الثقافي » لأسباب مختلفة ، من بينها أن البث الأجنبي سيحمل قيما مخالفة لقيم المجتمع العربي ، وانه سيروج لدعايات كاذبة وقد يهدد الأمن القومي ذاته ، وانه سيشيع انماط السلوك الاستهلاكي بالاعلانات التي يبثها مما يؤدي الى تخريب الاقتصاد الوطني ، وأن القبول بالبث الاسرائيلي خاصة انما هو بمثابة تطبيع للعلاقات التلفزيونية والثقافية والسياسية مع اسرائيل .

وهناك ثالثا المؤيدون للمنع والسماح الانتقائي ، كأن نسمح باستقبال البث الموجه من الدول الصديقة ونمنع ذلك الموجه من الدول المعادية ، أو كأن نسلم بأن القادرين دون غيرهم سوف يستطيعون شراء الأجهزة التي تمكنهم من التقاط البث (اذ أنه خلال السنوات القليلة القادمة لن يمكن الالتقاط بجهاز الاستقبال العادي ، وانما سيكون من الضروري شراء هوائي معقد نسبيا ليلتقط الاشارة التلفزيونية من القمر الصناعي مباشرة) .

وهناك رابعا كثيرون حائرون بين ايمانهم بحرية الاتصال وحرية المواطن في تلقي الارسال الذي يريده من ناحية ، ومن ناحية أخرى رغبتهم في صون ذاتيتهم الثقافية وحماية مواطنيهم من المخاطر المختلفة .

ويؤكد هذا التضارب بين وجهات النظر المختلفة الحاجة لدراسة شاملة تشارك فيها أوساط عديدة بشأن المواقف التي يمكن اتخاذها حيال الارسال التلفزيوني الأجنبي بالأقمار الصناعية : الآفاق التي تفتحها ، والتحديات التي تجلبها . □□

نحو سياسة عربية قومية للإتصال

بقلم : الدكتور احمد حسين الصاوي

☐ اكتسب الاتصال في النصف الثاني من القرن العشرين بُعدا عاليا عميق الجذور متعدد الجوانب . وكان ذلك نتيجة حتمية لعدة عوامل سياسية واقتصادية واجتماعية . بالاضافة الى الثورة التقنية التي أدت الى عدة مظاهر نشهدها ونحسها جميعا . ولعل في مقدمة هذه المظاهر السرعة الفائقة التي تمارس بها وسائل الاعلام الحصول على المادة الاعلامية ثم بثها ونشرها ، وقيام شبكة معقدة من العلاقات مختلفة الأنماط والاشكال امتدت عبر العالم كله وتأثر بها الانسان في كل مكان . فلم يعد من الممكن لأي شعب ان يعيش بمعزل عن العالم . واصبحت كل امة ، بل كل مجموعة بشرية ، تمثل جزءا من الواقع اليومي لسائر البشر .

كان طبيعيا ان يؤدي هذا الوضع الاعلامي المتميز الى بروز عدد من المتناقضات التي اسفرت عن عدة مشكلات شائكة :

ـ لقد اصبحت شعوب كثيرة ـ تضمها أساسا مجموعة دول العالم الثالث ـ تمثل « المستهلك الاعلامي » ، بينما تمثل الدول الصناعية المتقدمة في الغرب « المنتج الاعلامي » .

ـ وبالرغم من تحرر أكثر من بليونين من الناس ـ يكونون بضعا وثمانين أمة ـ من ربقة الاستعمار في هذه الحقبة ، فان ظروف العالم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية وغيرها أدت الى أن تقع هذه المجموعة الضخمة من البشر ـ مع غيرها من الامم النامية ـ تحت سيطرة العالم المتقدم سياسيا واقتصاديا . والأخطر من هذا أنها وقعت ، من خلال الاعلام ، تحت سيطرته الثقافية والفكرية .

ـ واتضح قصور استقلال دول العالم الثالث ازاء التبعية الاعلامية الواضحة . وأصبح لابد من « الاستقلال الاعلامي » مع كل من « الاستقلال الاقتصادي » و « الاستقلال السياسي » لكي يصبح مدلول الاستقلال كاملا غير منقوص .

ـ وأدت الهيمنة الاعلامية ، من خلال مؤسسات الدول المتقدمة ، الى احكام نفوذها على الهياكل الاعلامية في الدول النامية . وأثر ذلك بوضوح على عملية التدفق الاعلامي ، فأصبحت في معظمها فيضا غامرا من جانب واحد . ومن هنا أصبح الاختلال الكبير والتفاوت الصارخ من أبرز سمات الاتصال الدولي بين البلاد المتقدمة والبلاد النامية ، أو ـ كما يقولون ـ بين الشمال والجنوب .

ـ كان لهذا الاختلال في عمليات الاتصال الاعلامي آثار بعيدة على انسان المجتمعات النامية سياسيا واقتصاديا وثقافيا . وفي الوقت نفسه تعاظم شعور الانسان الغربي بتفوقه الحضاري ، مع تزايد نصيبه من الجهل بالحقائق الضرورية عن البلاد النامية .

نظام عالمي للأعلام

غير ان ردود الفعل لم تلبث أن تفجرت ، وعلت الأصوات المعترضة على هذا الوضع الرافضة له ، والداعية الى اقامة « نظام عالمي جديد للاعلام » يساعد دول العالم الثالث على تحقيق شيء من « التوازن » في عملية الاتصال على المستوى الدولي .

وأسهمت منظمة اليونسكو اسهاما مباشرا وقويا في بلورة ردود فعل العالم الثالث ، فتتابعت جهودها في السنوات الاخيرة لتأكيد ضرورة تداول المعلومات بصورة اكثر توازنا على المستوى العالمي أو في داخل كل مجتمع . وكثفت المنظمة الدولية نشاطها لمحاولة الوصول الى تخطيط عملي يتفق ورسالتها التي آمنت بها واعلنتها في أكثر من مناسبة ، وهي تستهدف تأكيد حرية البحث عن الحقيقة ، وحرية تبادل الافكار والمعلومات ، وتنمية وسائل الاتصال بين الشعوب لتحقيق تفاهم افضل ، على أساس أن ممارسة حرية الرأي وحرية التعبير وحرية الاعلام ، ـ وهي من حقوق الانسان الاساسية ـ عامل جوهري في دعم السلام والتفاهم الدوليين . ومن ثم تتابعت الملتقيات والمؤتمرات التي سعت اليونسكو الى عقدها ، والتي انتهت الى عدد من التوصيات البناءة ، وبقدر ما كان لهذه الجهود من اثر طيب بين أبناء العالم الثالث ، فانها أثارت تيارا من الغضب وردود الفعل المضادة في الاوساط الاعلامية الغربية ، ووصفت احتجاجات العالم الثالث ومحاولاته بأنها تمثل اتجاها يتعارض وحرية تدفق المعلومات . وعلى هذا بلغ النقاش العالمي الدائر حول الاتصال درجة حادة من المواجهة في أكثر من مجال .

ونحن في العالم العربي جزء من العالم الثالث ، نعاني مما يعانيه من تناقضات الاتصال ومشكلاته . ولكن لا شك أن لنا ظروفنا الخاصة التي تجعل لما نعانيه أبعادا معينة قد لا تهيئها ظروف دول أمريكا اللاتينية أو كثير من الدول الافريقية والأسيوية مثلا .

ان الدول العربية تعاني من الاختلال الواضح في عملية الاتصال بينها وبين الغرب ، وتعاني من عدد من مظاهر التبعية الاعلامية ، وان كانت صور هذه التبعية تتفاوت بتفاوت ظروف كل دول وبنيتها الاعلامية . فهناك اختلافات واضحة في نظم الحكم بين دولة عربية وأخرى . وهناك تفاوت في الموارد الطبيعية ومستوى التعليم ونسبه وفي الكثافة السكانية وغير ذلك . ولكن الذي لا جدال فيه أن العالم العربي يمثل مجموعة متميزة من الشعوب ترتبط فيا بينها بعرى لا تنفصم ، اذ تجمعها وحدة اللغة والتاريخ والحضارة والمصلحة والمصير المشترك .

وهذا العالم العربي سوف يشهد في القريب العاجل ثورة تقنية تتمثل في اطلاق أول تابع (قمر) صناعي يستخدم في الأتصال . ولهذا الحدث آثار لا تحصى .. فسوف يضاعف من مرونة الحركة الإعلامية ، ويزيد حجم الاتصال بين العالم العربي وسائر بلدان العالم ، ويؤثر بالتالي في حياة الانسان العربي بشكل مباشر وغير مباشر .

سياسة قومية موحدة

ومن هنا ينبغي أن تكون للعالم العربي - من حيث هو وحدة تمثل كيانا اقليميا متميزا تربط بين أجزائه تلك الوشائج القوية - سياسة اتصال قومية موحدة تقوم على دعامتين :

أولا : ان العالم العربي جزء من العالم الثالث . وعلى هذا فان إسهام الدول العربية في جهود العالم الثالث الرامية الى كفالة اتصال افضل فيما بين اجزائه ، والى الحد من حجم الاعلام ذي الاتجاه الواحد ، والى تحقيق مبدأ حرية الاعلام والمبادلة الاعلامية بين الدول ، والى أن يكون التدفق الاعلامي حرا ومتوازنا - يغدو أمرا حتميا .

ثانيا : ان تنسق الدول العربية بين سياساتها الوطنية الاعلامية وسياستها القومية الموحدة التي تسعى الى تحقيق أكبر قدر ممكن من الاستقلال والاعتماد على النفس في المجال الاعلامي ، وذلك على اساس الوحدة في اطار التنوع الذي تفرضه المقتضيات الوطنية المحلية . وبالرغم من اختلاف الانماط الاعلامية ، ونظم ملكية وسائل الاعلام ، والتفاوت في مدى علاقة الدولة بالسياسة الإعلامية من حيث الصياغة والاشراف والممارسة والتطبيق والتوجيه والدعم .. الخ ، فهناك غايات مشتركة يمكن تحقيقها لمجابهة شتى مساوىء الوضع الاتصالي الدولي وتناقضاته .

قضايا لها أهميتها

ومن أهم القضايا التي تحتاج الى اقرار سياسة اعلامية عربية موحدة بشأنها :

١ - مواجهة الغزو الفكري من خلال ذلك الحشد من البرامج الثقافية والترفيهية ، وذلك بتنويع مصادر الحصول على تلك البرامج ومراقبتها مراقبة دقيقة وفحصها بعناية بواسطة متخصصين على أعلى مستوى فكري وقومي قبل اقرار بثها .

٢ - مواجهة الخطر الذي يتمثل في فيض الاعلانات التجارية وغير التجارية في عدد من وسائل الاعلام التي تغرينا أرباحها فلا تنتبه الى ما تمثله من ترابط عضوي وثيق بين النفوذ الاقتصادي والنفوذ الاعلامي ، وما يتسلل من خلال هذا النفوذ الى نفوس قراء الصحف ومشاهدي التليفزيون من مؤثرات تستهدف غايات معينة .

٣ - دعم الذاتية الثقافية العربية ، ويحتاج ذلك الى وضع سياسة اعلامية متبصرة واسعة النطاق تؤكد هذه الذاتية والقدرة الابداعية وتمتد الى شتى الموضوعات والبرامج في الصحافة والاذاعة والتليفزيون وبخاصة ما يوجه منها الى الناشئة .

٤ - مواجهة احتكار الانباء بمزيد من التعاون الاعلامي بين الدول العربية ، وهنا يبرز مشروعان عربيان لا جدال في أنهما على قدر كبير من الاهمية في هذا الصدد ، وهما انشاء شبكة قومية للاذاعة ، وانشاء وكالة أنباء عربية . وكذلك مواجهة احتكار الافلام أو عدم كفايتها بانشاء مركز عربي لانتاج الافلام وتوزيعها . ان هذا كله سوف يساعد لا على تقليل

الاعتماد على المصادر الاجنبية بقدر الامكان وعلى تحسين ميزان التبادل الاعلامي فحسب ، وانما سوف يقلل كذلك الى أقصى حد من اذاعة وكالات الأنباء العالمية لمعلومات مجزأة أو مبسطة أو محرفة عن العالم العربي .

٥ ـ وضع سياسة طويلة الأمد للدراسة الاعلامية والتدريب المهني لمواجهة التطورات المتلاحقة في تقنيات وسائل الاعلام ، فآلات الطباعة الحديثة التي استوردتها معظم المؤسسات الصحفية في العالم العربي ، والقمر الصناعي المزمع اطلاقه ، والاجهزة الالكترونية التي بدأت وكالات الانباء الوطنية العربية في استخدامها . . كل هذا يقتضي استعدادا ودربة لن توفرهما الا برامج مدروسة للتدريب المهني على مختلف المستويات ، وكذلك تطوير برامج التعليم الاعلامي وتخطيطها بما يجعل الدارسين أقدر على التعامل مع المستحدثات المتلاحقة في مختلف وسائل الاعلام .

٦ ـ اعادة النظر في العلاقة بين السلطة والاتصال في كل قطر عربي . فاذا كانت الاذاعة المسموعة والمسموعة المرئية تعتبران من المرافق العامة ، وبالتالي تخضعان لاشراف الدولة ، فان هذا لا يعني أن يخدم الجهازان اغراضا محددة وأن يدورا في فلك معين تحدده السلطة وترضى عنه . وأمثلة الاذاعات التي تشرف عليها الدولة وتمولها ، مع اقل قدر من التدخل في سياستها ، كثيرة في غير العالم العربي ، ويمكن أن نقتبس من نظمها ما يلائم ظروفنا . واذا كان نظام الحكم في دولة ما مثلا يسمح بالممارسة الديمقراطية . فمن التناقض أن تملك هذه الدولة المؤسسات الصحفية وتتصرف في مقدراتها بمفهوم المالك المتحكم . ومن جهة أخرى فان دعم دولة ما للصحف ، لمواجهة تزايد نفقاتها ولحمايتها من سيطرة السوق التجارية أو بعض قوى الضغط ، قضية لا علاقة لها بتدخل الدولة في شئون هذه الصحف . وفي أوروبا الآن سبع دول ديمقراطية متقدمة تدعم صحفها العاجزة عن الوفاء بمتطلبات بقائها واستمرارها ، ولا شك أن تحقيق أكبر قدر من الديمقراطية الاعلامية في البلاد العربية سوف يكون عاملا جوهريا في التنمية الذاتية اللازمة لمواجهة تلك التحديات.

ان بعض الدول العربية ـ مثلها في ذلك مثل سائر دول العالم الثالث ـ تحتاج الى مساعدة فنية من الدول المتقدمة لكي تدعم نظمها الاعلامية . وبعضها الآخر يحتاج الى المساعدة المادية كذلك . ولكن العالم العربي في مجموعه يحتاج أكثر من هذا الى التطوير الذاتي لنظمه الاعلامية لكي تكون له سياسة قومية موحدة يستطيع بها أن يسهم اسهاما فعالا في اقامة « النظام العالمي الجديد للاعلام » الذي يتيح التخلص من ربقة التبعية الاعلامية ، ويحقق العدل والتوازن والمساواة في تبادل المعلومات ، ويدعم الاعتماد على النفس ، ويؤكد الذاتية الثقافية ، ويؤدي بالتالي الى مزيد من المكاسب للبشرية جمعاء □□

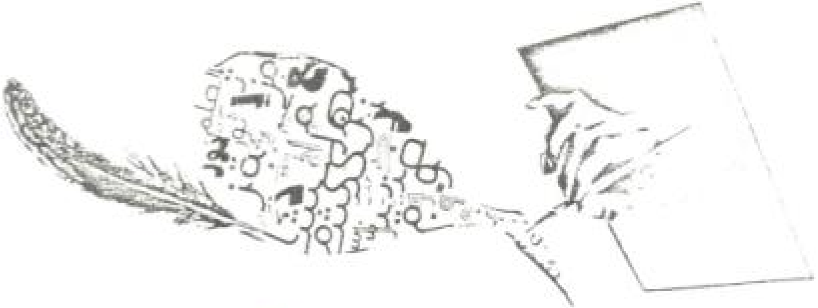

الترجمة من العربية وإليها

بقلم : عبد الرزاق البصير

□ للغة العربية علاقتها باتساع الحضارة الاسلامية . . ومستوى أي أمة له علاقة بمفردات لغتها . . واللغة ترتقي باعتناء أصحابها وما يبذلون في سبيلها من جهد وطاقة . . فما هي صلة كل ذلك بالترجمة من العربية وإليها ؟

يتضح للمتأمل في تاريخ لغة القرآن أنها سلكت نهج الأخذ والعطاء منذ أقدم عصورها ، شأنها في ذلك شأن اللغات الحية القوية ، التي تملك قابلية للبقاء ، ذلك أن لديها استعدادا لتقبل ما يجد في الحياة من تغيّر وتطور . فنحن ندرك جميعا بأنها أخذت من اليونان والفرس والهند كثيرا من المفردات ، فعرّبتها تعريبا مكينا حتى أصبحت مفردات عربية لا يكاد ينتبه لها الا العلماء : كالاستبرق والدمقس والفردوس وقسطاس وقرطاس وصلاة ودسر ، وقد جاء ذكر الكثير منها في القرآن الكريم ، وتتبعها كثير من العلماء والمفسرين وأعادوا كل واحد منها الى أصله . نذكر منهم « أبو المنصور الجواليقي » مؤلف كتاب المعرّب . والسيوطي مؤلف كتاب « المهذّب . فيما في القرآن من المعرب . »

كما نجد قبل الاسلام مفردات اجنبية في شعر حسّان بن ثابت والأعشى والمنخل اليشكري وعدي بن زيد العبادي .

فلما نزل القرآن الكريم على الرسول وانتشر نور الاسلام وانبسط سلطانه على العالم المتمدن ، في ذلك العصر اتسعت حضارة العرب .

اللغة واتساع الحضارة

لا بدّ للغة من أن تواكب اتساع الحضارة ، لأنها هي الوعاء الذي يشتمل على ما يدخل في اللغة من مفردات جديدة ، ويبدو أنها اتخذت في مبدأ الأمر طريق الترجمة العلمية أيام خالد بن يزيد بن معاوية ، وذلك أنه كان مغرما

بالكيمياء ، ثم تلاه سالم مولى هشام بن عبدالملك فترجم كتاب رسائل أرسطو الى الاسكندر ، وترجم ديوان المحاسبة في تلك الفترة . ومن الملاحظ أن الترجمة كانت فردية أو شبه فردية أيام الأمويين .

وقد بقيت على هذا النسق حتى جاء العصر العباسي فانفتحت الأبواب على مصاريعها للترجمة فتدفقت كما يتدفق النهر العظيم . وقد شملت الترجمة علم الفلسفة والهندسة والطب وعلم الاجتماع والجغرافيا . كما نجد ذلك فيما نقل من كتب ارسطو وكتاب كليلة ودمنة وكتاب المجسطي الى غير ذلك من الكتب التي لا تحصى . ولقد تتبع كثير من الباحثين مسيرة الترجمة ودرسوا أسبابها ، ولعل محمد بن اسحق المعروف بابن النديم ، صاحب كتاب الفهرست المشهور ، أول من قام بذلك ثم نهج العلماء هذا النهج وتحدثوا عن ذلك أحاديث مفصلة وليس من قصدنا الآن أن نفصل الحديث عن سبب النقل ، فقد أشرنا الى ذلك فيما سبق حيث قلنا ان اتساع الحضارة لا بد له من اتساع اللغة ، والذي يهمنا الآن هو أن نتذكر بأن هذه الترجمة الواسعة لا يمكن أن تتم لو لم تكن اللغة العربية لغة تملك من الغنى والقوة مالا يملكه الا القليل من اللغات .

عظمة اللغة العربية

يقول المرحوم الدكتور أحمد أمين : « في الحق ان اللغة العربية أرقى اللغات السامية كما يقرر دارسو تلك اللغات فلا تعادلها اللغة الآرامية ولا العبرية ولا غيرها من هذا الفرع السامي . وهي كذلك من أرقى لغات العالم فهي تمتاز عن اللغات الآرية بكثرة مرونتها وسعة اشتقاقها فاذا قيس ما اشتق من كلمة عربية من صيغ متعددة لكل صيغة دلالة على معنى خاص بما يقابلها من كلمة أفرنجية وما يشتق منها-كانت اللغة العربية في ذلك غالبا أوفر وأغنى » .[1]

واللغة كسائر الكائنات الحية لا يمكن أن ترتقي وحدها ، وانما ترتقي حين يعنى بها أصحابها فيبذلون في سبيلها ما ينبغي أن يبذل من جهد وطاقة . وهذا البذل لا يمكن أن يقوم به الا العلماء الذين يعرفون ما تعنيه اللغة من مكانة ، هي في الواقع ركن من أركان حياة الأمة لأنها هي المرآة التي ينعكس فيها ما توصل اليه افرادها من مستوى اجتماعي واقتصادي وعلمي وفكري وسياسي . فنحن اذا اردنا ان نعرف مستوى اي امة ، فان اول ما ينبغي ان نفعله هو ان ننظر في مفردات لغتها ، فاننا ـ اذا فعلنا ذلك ـ سنجد في معاني تلك المفردات صورة متكاملة للمستوى الحضاري لتلك الامة .

عناية علمائنا بنحو اللغة العربية

من ذلك يتبين لنا تنبه علمائنا كالأصمعي وأبي زيد الأنصاري والكسائي وغيرهم من العلماء الذين بذلوا ما يملكون من جهد في التوجه الى منابع اللغة ليجمعوا شتاتها من تلك المنابع، حتى قيل عن الكسائي بأنه أنفق خمس عشرة قنينة حبر في الكتابة عن العرب سوى ما حفظه . وقيل عن أبي عمرو بن العلاء بأن كتبه عن العرب الفصحاء قد ملأت بيتا له الى قريب من السقف . أما الأصمعي فان تاريخه مملوء بالقصص عن الأعراب في البادية ، وما سمع منهم من لغة وشعر وقصص[2] .

ويعود سبب هذه العناية الشديدة باللغة

---

(١) ضحى الاسلام ، ج ١ ، ص ٢٨٩

(٢) احمد امين : ضحى الاسلام ، ج ١ .

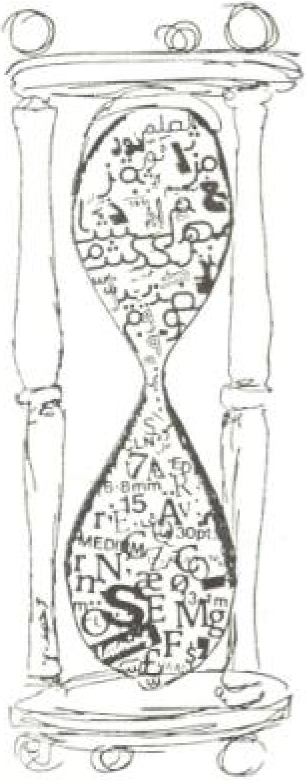

العربية الى أمرين أحدهما أن العربي يعتز بلغته أشد الاعتزاز لاعتقاده أنها أفضل لغات العالم ، كما نجد ذلك في بعض ما قاله الجاحظ عن سائر اللغات ، ثم ازداد العربي اعتزازاً بلغته بعد نزول القرآن وانتشار لغة العرب بين كثير من الأمم . والأمر الثاني شيوع اللحن الشديد بين الناس لكثرة امتزاج العرب بغيرهم من الأمم ومصاهرتهم للأجانب ، فنجد الأشراف يأخذون أبناءهم الى البادية يتربون بها لينشأوا على الفصاحة ، فقول الرسول عليه السلام : أنا أفصح العرب ، بيد أني من قريش ، واني نشأت في بني سعد بن بكر[٣] ، يؤيد ما ذكرناه ، وليس الرسول وحده الذي نشأ في البادية ، وانما هي عادة درج عليها الكبراء والأشراف ، وقد زادت هذه العناية حتى اختلطوا بالأعاجم .. لذلك نجد الخلفاء يتخذون العلماء كالأصمعي وغيره لتربية أبنائهم على حفظ الشعر وروايته والالمام بأيام العرب ومآثرها ويسمونهم المؤدبين ، وذكر أخبارهم يطول به المقام لأنها كثيرة مفصلة .

وقد سمّى مؤرخو الأدب بعض هؤلاء المؤدبين ، فالضحاك بن مزاحم وعامر الشعبي ، مربيا أولاد عبد الملك بن مروان ومحمد بن مسلم الزهري مربي أبناء هشام بن عبد الملك[٤] . وقد كان عبدالملك مشغوفا بحب ابنه الوليد حتى منعه حبه من ارسال ابنه الوليد الى من يؤدبه ، فكان كثير اللحن في كلامه ، فقال فيه أبوه : أضرّ بنا حبنا للوليد فلم ترسله للبادية . من هنا نستطيع أن نفهم تحذير عبدالملك بن مروان لأبنائه من اللحن فيقول لهم ان اللحن في منطق الشريف أقبح من آثار الجدري في الوجه ، وأقبح من الشق في الثوب النفيس[٥] ، بل كان اللحن عندهم من أفحش عيوب الملك ، ويرون أنه لا يولّى على العرب الا من يحسن كلامهم . وقد عبر عن ذلك أبو الطيب المتنبي خير تعبير حيث يقول :

وانما الناس بالملوك وما
تفلح عرب ملوكها عجم

ولعله لا يقصد الفصاحة فقط ، وانما يقصد بأن على العرب بأن يرفضوا ولاية الأجنبي مهما

---

(٣) السيوطي : المزهر ، ج ١ .

(٤) المعجم العربي : ج ١ .

(٥) الجاحظ : البيان ، ج ٢ ، والمعجم العربي : : ج ١ ص ٢٥ .

كان شكل تلك الولاية . وكان الخلفاء والأشراف يتحفظون من اللحن كل التحفظ ويكرهونه ويبتعدون عن قائله ، فقد قيل لعبدالملك : لقد أسرع اليك الشيب . فقال : «شيبني صعود المنابر والخوف من اللحن» وقد نشأت من هذه العناية خصلة جديدة أصبحت فخرا من المفاخر ، استحقت التنويه من الشعراء .

وكانت هذه الوسيلة الوحيدة التي حفظوا بها لغة القرآن وصانوا أنفسهم من اللحن في مبدأ الأمر ولكنهم تنبهوا الى أن هذه الوسيلة ليست كافية ، فلا بد من جمعها بصورة منسقة لذلك نجدهم يؤلفون الكتب فيما جاء عن العرب عن أسماء الحيوانات كالابل والخيل وأسماء النبات .

ثم رأوا أن ذلك ليس بكاف لصون اللغة وحمايتها ، لهذا أخذوا يؤلفون المعاجم .. ومما يتصل بالعناية باللغة وتقويتها أن كثيرا من الخلفاء كانوا مشغوفين بحب الشعر والشعراء فكانوا يدعون الرواة اليهم كمعاوية بن أبي سفيان وعبدالملك بن مروان ، وظلت هذه الخصلة متصلة حتى آخر خلفاء بني العباس ، فكان الأديب يهيىء نفسه اذا دعاه الخليفة للقائه وذلك بأن ينظر في كتب الأدب ورواية الأشعار ليحفظ منها ما يستعذب ويستملح ويستغرب ليكون أثيرا لدى الخلفاء ، وكم من مناظرة جرت بين لغويين في مجلس الخلفاء كانت لها شهرتها في الكتب الأدبية كمناظرة الكسائي وسيبويه عند هارون الرشيد[٦] . ولعل قصة أبي عثمان المازني وما جرى له مع الواثق من أطرف ما يروى في هذا الصدد ، فانك حين تقرأ هذه القصة ، تجد فيها عناية الخلفاء بالشعر وتقديرهم للأدباء وارتياحهم للغناء ، كما تجد في هذه القصة لباقة هذا الشيخ الجليل وتهذيبه في محادثته مع الخليفة .. ومؤدى هذه القصة أن الخليفة الواثق جلس ذات يوم مع ندمائه فأخذت جارية تغني بقول العرجي :

أظلوم ان مصابكم رجلا
أهدى السلام تحية ظلم

وحينما انتهت من غنائها أخذ الجلساء يتذاكرون في اعراب هذا البيت وكادوا يتفقون على رفع اسم (رجل) الوارد في البيت الذي تغنت به ، ولكن الجارية أصرت على أن شيخها أبا عثمان المازني لقنها اياه بالنصب ، وينبغي أن نتنبه هنا الى أن مؤرخي حياة المازني قالوا عنه بأنه في غاية الورع ، لكن ورعه هذا لم يمنعه من أن يلقن جارية مغنية أبياتا رقيقة بصورة متقنة ، مما جعل الجارية المغنية لا ترضى بأن يخطأ شيخها ، وهو امام من أئمة اللغة ، فما كان من الواثق الا أن أمر بإشخاصه من البصرة الى بغداد . قال المازني : فلما مثلت بين يديه ، قال : ممن الرجل ؟ قلت من بني مازن . قال : أي الموازن ؟ أمازن تميم أم مازن قيس ، أم مازن ربيعة ؟ قلت : من مازن ربيعة ، فكلمني بكلام قومي ، وقال : باسمك ؟ لأنهم يقلبون الميم باء والباء ميما قال : فكرهت أن أجيبه على لغة قومي كي لا أواجه بالمكر ، فقلت : بكر يا أمير المؤمنين ، ففطن لما قصدته ، وأعجب به ، ثم قال : ما تقول في قول الشاعر (أظلوم ان مصابكم رجلا) أترفع رجلا أم تنصبه ؟ . فقلت : بل الوجه النصب يا أمير المؤمنين وبذلك أثبت صواب قول تلك الجارية ، قال ذلك بعد أن جاء بالأدلة النحوية التي تثبت قوله ، فأعجب الخليفة بقوة حجته ، ثم قال له : هل لك من ولد ؟ فرد عليه : نعم ، بنية يا أمير المؤمنين . فقال : ما قالت لك عند مسيرك ؟ فأجابه : أنشدت قول الأعشى :

أيا أبتا لا ترم عندنا
فانا بخير اذا لم ترم

---

(٦) المعجم اللغوى : ج ١

اراـنـا اذا أضـمـرتـك الـبـلاد
تجـفـى وتـقـطـع مـنـا الـرحـم

فقال له : فما قلت لها ؟ رد عليه المازني . . قلت قول جرير :

ثـقـي بـالله لـيـس لـه شـريـك
ومـن عـنـد الخـليـفـة بـالـنـجـاح

قال : على النجاح ان شاء الله ، ثم أمر له بألف دينار ورده مكرما [٧] . وقد تعمدت أن أطيل في رواية هذه القصة لما فيها من دلائل مختلفة ، أعتقد أنها لا تخفى على القارىء . وقد وجد رواة الشعر وعلماء اللغة من الخير أن يكتبوا الكتب يجمعون فيها آثار الشعراء المشهورين لأنها لا بد أن تجد سوقا رائجة لدى العلماء والخلفاء ، بالاضافة الى أن هذه الكتب تخلق منزلة لأصحابها في قلوب العلماء والخلفاء .

وهناك أمر آخر يعد في الواقع ركنا قويا في تنمية اللغة وجمعها ، ونعني به تفسير القرآن والحديث النبوى الشريف،لأن في هذين المنبعين الدينيين بعض المفردات التي تحتاج الى تفسير وتوضيح ، لا سيا بعد أن بعد الناس عن زمن حياة الرسول الذى يستطيع أن يفسر آيات الله وأحاديثه،فقد كانت الصحابة اذا أشكل عليهم شيء من القرآن أو الحديث يرجعون اليه فيجدون عنده المنبع الصافي ، ثم انهم كانوا أقرب الى الفهم من أولئك الذين جاءوا بعد الرسول بقرن أو قرنين ، ولقد وجد علماء اللغة ورواة الأشعار ميدانا فسيحا ومادة غزيرة يستقونها من تفسير القرآن الكريم فصنفوا فيها الكتب الكثيرة ، مثل كتاب غريب الحديث وغريب القرآن والغريب المصنف وغيره من الكتب [٨] .

النهج القديم في عناية اللغة

وهناك مجهود آخر أعتقد أنه أعظم خطرا من جمع الأشعار وروايتها وأعني به جمع المفردات ، التي نطلق عليها المعاجم بأنواع مختلفة ، فقد جمعت من القرآن الكريم أول الأمر ، ثم جمعت من الأحاديث النبوية ، ثم من بحوث الفقهاء ، ثم جمعت حسب معانيها اللغوية ، ثم أخذت في التطور والترتيب حتى أصبحت على ما انتهى اليه ابن منظور في موسوعته لسان العرب والزبيدي في كتابه تاج العروس ، وغيرهما من العلماء اللغويين الذين جمعوا مفردات اللغة بصور مختلفة يسرت للباحثين طرق البحث حين يحتاجون . . الى أى نوع من الأنواع التي يحتاجون اليها في بحثهم ، أولئك مصابيح أناروا الطريق وحفظوا اللغة لمن بعدهم ، جزاهم الله عن لغة القرآن أحسن الجزاء .

تطور الأسلوب في العناية باللغة

فقد كانت الحياة تقتضي أن يسلك النشاط اللغوى هذا الأسلوب الذى أشرت اليه ، أما في هذا العصر الذي اتصل فيه العالم من مشرقه الى مغربه اتصالا وثيقا وانثالت علينا سيول المخترعات والمكتشفات وأصبح التعليم واسعا يتضمن علوما جديدة لم تكن معروفة من قبل ، لهذا ولغيره من الأمورفان تنمية اللغة وتقويتها لا بد لها من أن تتخذ نهجا ملائما لهذا التطور الخطير ، وقد اقتضى الحال في هذا العصر أن يكون هذا الطريق هو انشاء مجامع اللغة العربية التي تضم صفوة من العلماء الذين تخصصوا في

---

(٧) المعجم اللغوي : ج ١

(٨) كشف الظنون : الجزء الثاني ـ ص ١٢٠٢

مختلف ميادين العلوم النظرية والتطبيقية ، اذ أن هذا هو السبيل الملائم لما طرأ على حياة الأمة العربية ، بل حياة البشرية كلها من تغير متسارع . ولقد أحدث هذا النهج الذى اقتضاه ما أشرنا اليه من تطور في الحياة ، انماء للغة القرآن وتعزيزا لها ، فليس من المبالغة في شيء اذا قلت بأنه لولا هذا النهج لأصبح وجود الأمة العربية بصفة خاصة والأمة الاسلامية بصفة عامة في خطر ما بعده من خطر . فقد عربت مصطلحات في مختلف العلوم النظرية والتطبيقية لا تحصى عددا ، الأمر الذي مكن لهذه اللغة من أن تواكب هذه التغيرات الكثيرة المختلفة . وليس من شك أن هذه الجهود المضنية المحمودة قد ساهمت ، وما تزال تساهم مساهمة فعالة في يقظة هذه الأمة وتفهمها الحياة . ولولا جهود مجامع اللغة العربية لظلت هذه الأمة تتخبط في حيرة ظلماء ، فان تعريب المصطلحات قد جاء الينا من ثقافات انجليزية وفرنسية وايطالية ، مما جعل لكثير من المصطلحات مفردات تختلف في مبانيها وفي معانيها ، الأمر الذي كاد أن يدخل اليأس في بعض النفوس من قدرة اللغة العربية على مواكبة الحياة الجديدة ، فجاءت جهود المجامع موحدة للمصطلحات العلمية ومنظمة لها بما تقيمه من مؤتمرات سنوية نافعة ، وبما تنشره من آثار قيمة تتمثل فيما تصدره من مجلات ومعاجم في مختلف العلوم والميادين . ولست أشك بأن هذا النهج كان وما يزال له أكبر الأثر في التقارب بين أقطار وطننا العربي الكبير وفي تقوية ديننا الاسلامي الحنيف ، لأن انماء لغة القرآن وتعزيزها تقوية للاسلام ، والذي أتمناه أن تصبح هذه الجهود منتشرة أكثر مما هي عليه لتصبح في متناول الجماهير ، ومن المحقق أن مجامع اللغة العربية تبذل كل ما في وسعها لتحقيق هذه الأمنية التي تعمر قلب كل مخلص لهذه الأمة ، وانها لبالغة ما يصبو اليه المخلصون بفضل ما يبذله مجمع اللغة العربية في القاهرة ، لأن لمصر أكبر الأثر في تثقيف الأمة العربية والأمم الاسلامية ، فكل ما يحدث من نشاط في الساحة الفكرية في مصر لا يلبث أن ينتشر بسرعة هائلة في أقطار وطننا العربي الكبير ، فان للمؤتمر السنوي الذي يقيمه مجمع اللغة العربية في القاهرة ، والذي تتلاقى فيه صفوة مختارة من علماء هذه اللغة ومفكريها ـ اكبر النفع ، اذ أن هؤلاء العلماء يقفون على ما انتهى اليه مجمع اللغة العربية في القاهرة من تعريب للمصطلحات ، وما توصل اليه من قرارات في شتى ميادين الحياة ، مما يجعلهم قادرين على ابداء الرأي وعرض ما توصلت اليه مجامع اللغة العربية الأخرى للمصطلحات العلمية ، لتصبح هذه الجهود متحدة . . والله وحده هو العالم بما يبذله علماؤنا من جهود في تعزيز لغة القرآن ، على أن هذه الجهود كلها لن تؤتي ثمارها المطلوبة الا اذا أصبح التعليم باللغة العربية في جميع المراحل وفي كل الميادين . □□

العدو العاقل :

* قيل لكسرى : أي الناس أحب اليك أن يكون عاقلا ؟

قال كسرى : عدوى . .

قيل له : وكيف ذلك ؟

قال : لأنه اذا كان عاقلا كنت منه في عافية وأمن .

الجديد في العلم والطب

اعداد : يوسف زعبلاوي

الجديد في علاج مرض السكري
مضخة الأنسولين

يسمونها البنكرياس الاصطناعي بقدر ما تكبح جماح مرض السكري وتحد من تقلباته وتتحكم بمحتويات السكر في الدم على مستوى شبه ثابت وقريب جداً من مستوى تلك المحتويات في الأسوياء المعافين . . . كانت موضع تطوير منذ أكثر من خمس سنين . . وقد تحدثنا عنها في هذا الباب قبل حين (١) ولكنها بلغت حالياً مرحلة التجارب الميدانية البشرية وستغزو الأسواق عما قريب لتصبح في متناول الجميع .

ولعل أهم ما يذكر عن هذه المضخة كثرة طُرُزها والشركات التي طورتها وتهم بتسويقها . وبعض هذه الشركات بريطانية أو فرنسية أو اسكندنافية أو يابانية ، وأكثرها أمريكية . وبالرغم من هذه الكثرة فان مضخة الأنسولين المرتقبة متشابهة شكلاً وحجماً وأداة . .

فهي اما مستطيلة أو مستديرة كالشكل المرافق . . . ولا تزيد أبعادها على ٣٫٥ بوصة ، طولاً أو قطراً ، وبوصة واحدة سُمكاً . . وهي معدّة للتثبيت على الخصر أو الصدر بحيث تنغرس ابرتها الدقيقة في الجسم فتخترق الجلد لتستقر تحته . . وهي مجهزة بمخزن للأنسولين صغير ، قد يفي بحاجة الجسم من هذا الهرمون لمدة اسبوعين . . أوتزيد ، حتى تبلغ ستة أسابيع . . فالمخزون اذن بحاجة الى استبدال او ملء بالأنسولين بين حين وحين . . . .

وتختلف مضخات الأنسولين قليلاً من حيث القوة الدافعة التي تعتمدها لدفع الهرمون الى الجسم . . فبعضها يعتمد القوة الكيماوية ، ضغط بخار الفلوروكربون الذي في المضخة مثلاً . فحرارة الجسم كفيلة بتصاعد هذا البخار ليضغط بدوره على الأنسولين . . فيندفع هذا الى الجسم عبر الابرة الدقيقة المنغرسة فيه . . ولكن بعض المضخات مجهزة ببطارية صغيرة (من نوع الليثيوم) وكمبيوتر صغير . . ومحرك صغير . . ومضخة صغيرة . . كل ذلك في المضخة الصغيرة التي تفرز الأنسولين بقوة الدفع الميكانيكية .

أضف الى ذلك أن مضخات الأنسولين قابلة للتحكم بما تفرزه من الهرمون . . تزيده او تنقصه حسب الحاجة . . وذلك اما من قبل الطبيب أو من قبل المريض نفسه . . . فقد يدل تحليل دم المريض على انه بحاجة الى مزيد من الأنسولين أو خلاف ذلك . . عندئذ تعاد برمجة المضخة حسب الطلب . . .

ومعنى هذا أن مضخات الأنسولين المرتقبة تفترض تحليل الدم مرة في اليوم أو أكثر . . وتفترض أيضاً وجود جهاز تحليل

(١) راجع أنباء الطب والعلم في عدد يونية سنة ١٩٧٩ .

الدم الأوتوماتيكي في حوزة المريض ... والا تعرّض المريض لضايقة دون مبرر .. فيضطر للذهاب الى المتوصف لتحليل،لا لأخذ حقنة الأنسولين .. فالمضخة اذن تضمن للمريض الراحة وتعفيه من المضايقة .. وهذه ميزة طبّية ... ولا بد من وجود جهاز تحليل أوتوماتيكي في متناول المريض ، لاستكمالها .. ولكنها ليست ميزة المضخة الأولى أو الغاية الأساسية التي من أجلها صنعت المضخة ..

فهذه الغاية إنما تتمثل في مدّ جسم المريض بالانسولين على نحو متواصل وبمقادير ضئيلة محددة .. فهذا الافراز المقنن البطيء المستمر هو بيت القصيد في مضخات الأنسولين ، أو إن شئت ، البنكرياس الاصطناعي . فقد اثبتت الدراسات والتجارب العديدة ان هذا الأسلوب أكثر فاعلية وأسلم عاقبةً من حقن الأنسولين اليومية .. فهو كفيل بالحد من التقلبات المفاجئة والخطيرة في نسبة السكري في الدم ... وهي التقلبات التي غالباً ما تحدث عقب وجبات الطعام أو قبلها ... أو تبعاً لمدى الدسم في ألوان الطعام التي يتناولها المريض ، فالمضخة تتجنب هذه التقلبات الخطيرة الى حد كبير ...

ولكن المضخة كفيلة بافرازها البطيء أيضاً بمزيد من التحكم بنسبة السكري في الدم وبالحفاظ على مستوى لتلك النسبة شبه ثابت وقريب جداً من مستوى الأصحاء المعافين من مرض السكري . (انظر الرسم البياني) .

وتجدر الاشارة الى أن منظمة الصحة العالمية قد احتضنت مضخة الأنسولين هذه ، وهي تقوم حالياً في اجراء التجارب الميدانية الواسعة النطاق عليها ، وذلك وفق برنامج سيستغرق سنتين (ابتداءً من مطلع هذه السنة) . ويشرف على تنفيذ البرنامج الدكتورة كيرستن جوهانسن . Kirsten Johansen الدانمركية والرئيسة المسؤولة لقسم التكنولوجيا الطبية التابع للمنظمة العالمية .

بقي أن نذكر أن الهدف من البرنامج الذي رصد له مبلغ ٤٠٠,٠٠٠ دولار ليس تحري الجدوى الطبية أوالناحية العملية للمضخة .. فهذا ما أثبتته البحوث والتجارب طوال السنوات الماضية .. ولكن الغاية من البرنامج انما هي دراسة أثر المضخة في نمط الحياة .. حياة مرضى السكري .. أو ، ان شئت ، التغيرات التي يمكن أن تحدثها في حياتهم .. ويحرص البرنامج على تحديد مدى تقبل مرضى السكري للمضخة ونسبة إقبالهم على استعمالها وقد بلغت هذه النسبة وفق الاحصاءات التي اجريت حتى الآن ٦٠٪ في بريطانيا ولم تزد على ٣٠٪ في فرنسا .. أما البلاد التي تشملها تجارب البرنامج فهي فنلندة والنرويج وفرنسا والمجر ، والمانيا الشرقية .. وربما بريطانيا أيضاً ..

ومهما يكن من أمر مضخات الأنسولين التي ذكرنا ، ومهما بلغت مزاياها وفوائدها .. فانها بعيدة جداً عن الكمال .. حقاً انها تحد كثيراً من احتمالات الافراط والتفريط في نسبة السكر في الدم ... ولكنها لا تقضي على هذه الاحتمالات قضاءً تاماً ... ولا تضمن للمريض الحصانة او المناعة ضد الحالتين النقيضتين الخطيرتين ... ولا تكفل له الحماية من النتائج الوخيمة التي قد تترتب عليها ..

من هنا كان اتجاه بعض العلماء في أمريكا وأوروبا واليابان الى تطوير مضخة للأنسولين كفيلة بالقضاء على تلك الاحتمالات جميعاً ، وبتجنيب المريض مخاطر الافراط أو التفريط المفاجئين في نسبة السكر في الدم . ولكن علماء اليابان سبقوا سائر زملائهم ونجحوا بالفعل في تطوير تلك المضخة شبه المثالية .. ونجحوا كذلك في التجارب المخبرية التي أجروها لها ... ونخص بالذكر من هؤلاء العلماء اليابانيين الدكتور موتواكي شيشيري **Dr. Motoaki Shichiri** أحد كبار اساتذة جامعة أوزاكا .

وتحتوي مضخة الدكتور موتواكي على مجسات (Sen-sors) تحلل دم المريض أولاً بأول وترصد نسبة السكري في دمه باستمرار على مدار الساعة

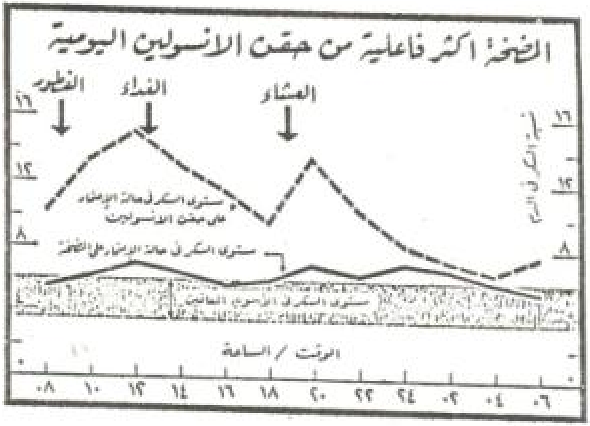

أي أن هذه المجسّات تكتشف ما قد يحدث لنسبة السكر من ارتفاع أو هبوط فوراً لدى حدوثه .. ويحتوي المضخة اليابانية أيضاً على كمبيوتر صغير ، يتلقى من المجسّات نتائج تحليلها للدم ... ويصدر الكمبيوتر بدوره أوامره الى جهاز الضخ .. ليفرز الأنسولين بالمقادير المناسبة التي تستوجبها تلك النتائج ... فيأمر بزيادة إفرازه إن ارتفعت نسبة السكر في الدم .. أو بالحد من إفرازه اذا هبطت تلك النسبة ... كل ذلك اتوماتيكياً ومن حيث لا يدري المريض ...

أما التجارب التي أجراها الدكتور شيشيري فقد أجراها على كلاب استأصل من أجسامها غدة البنكرياس ، وراح يطعمها المواد الغذائية النشوية بمقادير عادية ... وفرض على الكلاب البقاء في معازلها دون سير أو عدو ... ودلت الفحوص والتحاليل المتوالية على أن تلك الكلاب نعمت بالمستوى السوي لمحتويات السكر في دمها .. تماما كما نعمت به سابقاً قبل انتزاع البنكرياس من أجسامها ..

ولا بد من الاشارة هنا الى ما اكتشفه أطباء وعلماء اسكندنافيون من فوائد للأنسولين اخرى غير فوائده الخاصة بمرض السكري ... فقد ثبت لهؤلاء العلماء ان هذا الهرمون ذو أثر كبير في تنشيط القلب والحد من التلف الذي يصيبه في حالة النوبات التي قد يتعرض لها ، أو العمليات الجراحية التي قد تجرى له ... فمن شأن الأنسولين أن يقوي ضربات القلب ، كما عرف سابقاً ، دون أن يزيد سرعة تلك الضربات .. فهو اذن خير من العقاقير المألوفة التي درج الأطباء على اعطائها للمريض في تلك الحالات .. فهذه العقاقير لا تقوي ضربات القلب فحسب ، ولكنها تزيد من سرعة تلك الضربات أيضاً ، فتضاعف حاجة القلب الى الأوكسجين .. ولكن القلب المريض أضعف من أن يستوعب المزيد من الأوكسجين تلبية لحاجته .. وهكذا تزداد حال المريض سوءاً .

والسؤال الذي يطرحه المرء هنا لا محالة هو : هل في الامكان مضاعفة الأنسولين في الدم بالمقادير الكبيرة التي قد يتطلبها مريض القلب ... دون أن يتعرض هذا المريض لمخاطر أخرى جديدة قد تضاهي مخاطر مرضه الأولى نفسها .. ؟

ويرد على هذا السؤال الطبيبان الدكتور رولف أكروث **Dr. R. Ekroth** في مستشفى سالجرنسكا **(Sahlgrenska)** في جوتنبرغ في السويد والبروفور أوله ميوس **Ole Mjos** في مستشفى ترومسو في النرويج ... يردان على السؤال بكلمة (نعم) ! ولكنهما يشترطان في هذا الصدد الاعتماد على جهاز جديد طورته لهذه الغاية شركة جامبرو **(Gam-bro)** السويدية ، ويشترطان كذلك شروطاً أخرى لا يتسع المجال لشرحها في حديث عن الجديد في علاج مرضى السكري ، لا سيما أن هذا الحديث لما يكتمل بعد .

عندما تغرب شمس رمضان وراء ..

مآذن القاهرة القديمة

استطلاع : منير نصيف

تصوير : محمد يوسف

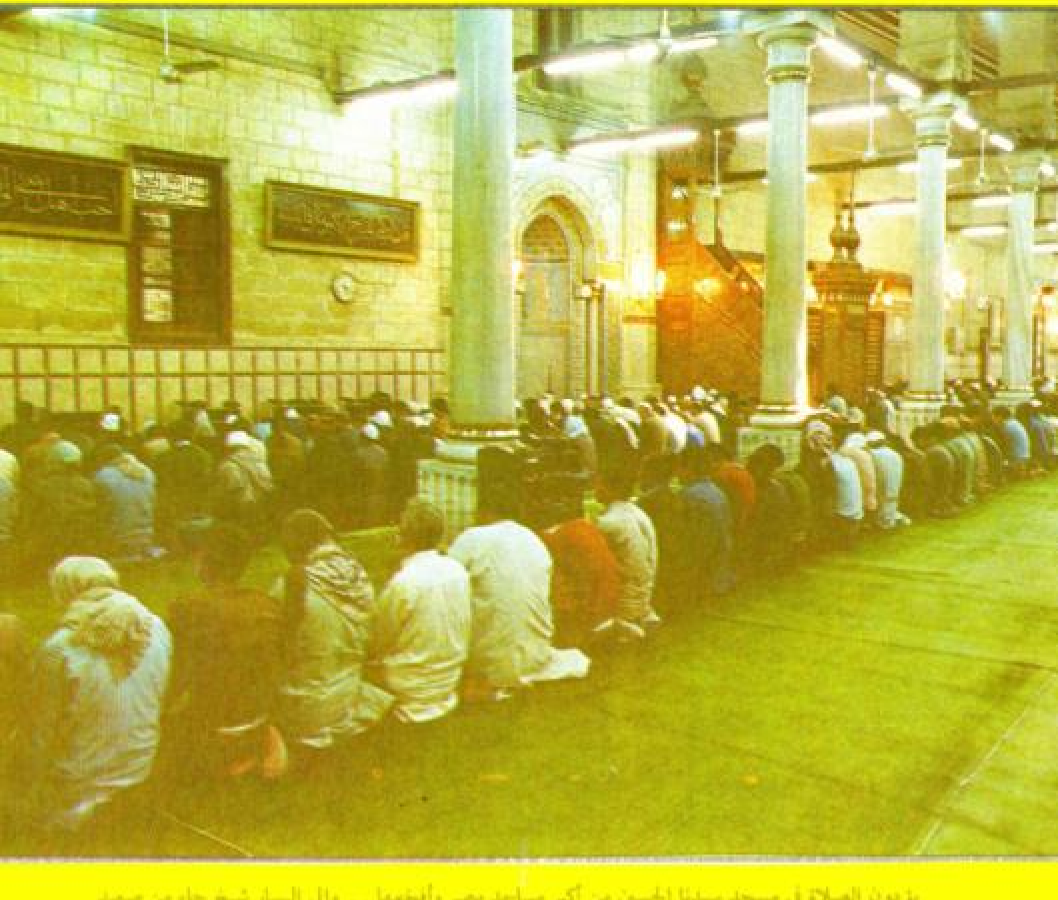

يؤدون الصلاة في مسجد سيدنا الحسين من أكبر مساجد مصر وأفخمها .. وإلى اليسار شيخ جاء من صعيد مصر ليزور أجداده ووقف يقرأ الفاتحة أمام مسجد عمرو بن العاص أقدم مسجد في مصر .

.. ويوشك قرص الشمس على الغوص وراء الافق البعيد ، معلنا نهاية الرحلة مع الصوم في هذا الشهر الكريم .. ويبدأ الظلام يلف المكان في انتظار بداية يوم جديد ... وتشرق الشمس .. ولكنها ابدا رحيمة بالصائمين ... ان الشمس في رمضان لها وجه خاص ، فهي تحنو على العباد الصالحين وتترفق بهم في اقسى ساعات الصيف قيظا . هنا في القاهرة القديمة تشرق شمس رمضان وتغيب .. ترى كيف قامت هذه المدينة ،كيف قامت بمآذنها ومساجدها وقلبها النابض بالحب والحياة ..؟

لم نكن نعرف على وجه التحديد من أين نبدأ . . كل شيء أمامنا ومن حولنا يصور لنا عظمة اجدادنا الذين عاشوا قريبين من الله . . وانتابنا احساس غريب لم نشعر به في اي بقعة اخرى من هذه المدينة الكبيرة التي قال عنها ابن خلدون : « من لم يزر القاهرة ، فلا يمكن ان يدرك عظمة الاسلام » .

كان الرجل على حق ، فقد كان كل شيء أمامنا ومن حولنا ينبض بالحياة رغم القرون الطويلة التي عاش معها . . . ولكن اي قاهرة تلك التي تحدث عنها ابن خلدون ؟ انها ليست العاصمة الكبيرة بأضوائها ومبانيها الحديثة بطبيعة الحال ، فلم يكن هناك شيء من هذا عندما اراد ان يصفها . . كان ابن خلدون يتحدث عن قاهرة المسلمين التي عاشت بمساجدها ومآذنها ومبانيها الاسلامية القديمة عدة قرون . . هي هي لم تتغير . . ولكن كيف لنا ان نعرف ان كل شيء بقي على ما كان عليه . ونحن لم نر منه الا الذي عاصرناه . .

كتب التاريخ تؤكد لنا ما ذهب اليه الراوي وهو يصحبنا في جولة بين آثار القاهرة الاسلامية . . وتذكرنا حديث المستشرق الفرنسي الذي تحدث في كتابه (مساجد القاهرة) : حضارة المسلمين ، حضارة حية دائما . . لا تموت ابدا . . لانها حضارة قامت فوق الأرض . . فهي ليست في المدن التي تندثر ويدفنها التراب ثم تقوم فوقها مدن اخرى وثانية وثالثة . . كما حدث لطيبة ، وكما حدث لمدينة اوغاريت في الشام وللمسارح الرومانية التي غطتها الرمال ، والمقابر الفرعونية التي دفنوا فيها موتاهم تحت جبال من الرمال والصخور . . . حضارة المسلمين بقيت دائما عالية شامخة تعانق السماء . . !

ولم نكن في حاجة لأن نكمل وصف المستشرق الفرنسي لما رأى . . فقد جاء صوت المؤذن (الله اكبر) . . . ورفعنا عيوننا الى اقرب مئذنة في الشارع الضيق الذي امتلأ ببيوت الله ، وتعلقت أبصارنا بها ، وكأننا نبحث عن صاحب هذا الصوت الملائكي الذي كان يدعو الناس الى الصلاة . . . ويسرع المؤمنون معه في هدوء الى بيت الله . .

بلا زيف ولا رياء

هذا ما عناه صاحب (مساجد القاهرة) . . . المآذن . . انها هي التي قامت فوق الارض تحكي قصة انتشار الاسلام في كل بقعة من الارض العربية ، وخارج حدود ارض العرب . . ما من مسلم رأى مئذنة غلبها الزمن او بدأت تظهر عليها آثار الشيخوخة الا سارع الى اصلاحها وترميمها او الاضافة اليها واعادتها الى ما كانت عليه . . . حتى لو تهدم الجامع الذي تطل عليه المئذنة . . كانوا يبدأون بالمئذنة اول ما يبدأون ، ثم يتجهون الى المسجد الذي كان ويعيدون اليه ما كان عليه .

لم نفقد طريقنا في قلب القاهرة القديمة للحظة واحدة . . فالزائر هنا في بيته ووسط اهله . . . هنا يستطيع المرء ان يجد نفسه ويجد نوعا من الناس يختلف تماما عن هؤلاء الذين يلتقي بهم في زحام المدن العربية التي ترك فيها المسلمون بصماتهم واضحة . . كل شخص تلتقي به مستعد لمعاونتك وارشادك ودعوتك الى تناول طعام الافطار معه اذا كنت صائما في شهر رمضان او حتى في غير ايام هذا الشهر المبارك . . ولو كنت تزورها لأول مرة . . فأنت تحس على الفور انك في قلب مدينة صديقة . . وان شيئا ما في طابعها الاصيل قريب منك ربما كان اسلوب الحياة البسيط الذي يعيشه اهل القاهرة في هذه الاحياء القديمة حيث تمتلىء قلوبهم بالايمان بالله ورسله انهم هنا لا يبحثون عن زخرف هذه الحياة الفانية ولا يهتمون به . . إنهم يعيشون على طبيعتهم بلا قناع ولا زيف او رياء . .

جامع محمد علي والقلعة

قصة انتشار الاسلام

في قصة السائح الاجنبي الذي تصادف وصوله الى القاهرة خلال شهر رمضان الكريم واختار العيش في فندق متواضع في حي سيدنا الحسين وفضله على افخم فنادق القاهرة ، قد نجد بعض ما ذهبنا اليه في وصف الحياة البسيطة البعيدة عن الصورة الزائفة والتعقيدات الثقيلة التي يهرب منها كل من اراد ان يرى الحقيقة على وجوه الناس وفي عيونهم وفي احاديثهم التي تترفع عن الرياء والنفاق . .

قال الراوي يحدثنا عنه : « وجدته يقف حائرا امام الباب الخارجي لأحد فنادق القاهرة الكبرى . . . واقتربت منه اسأله اذا كنت استطيع أن أساعده . واجاب بأنه حجز لنفسه حجرة في هذا الفندق . ولكن عندما وصل قالوا له انه تأخر ، وأن الحجرة خصصت لغيره . . . وأنه لا يدري أين يبيت ليلته . وهو لا يعرف أحدا في هذه المدينة الكبيرة .

وقلت انني اعرف فندقا متواضعا في حي قديم بالقاهرة القديمة . . . انه فندق صغير ولكنه نظيف . وقد نزل فيه من قبله كثيرون واستمتعوا باقامتهم وكانت مفاجأة عندما طلب

رغيف رمضان تقدمه الفلاحة القادمة من الريف .. انها تخبزه في فرنها الريفي الذي تحرص فنادق القاهرة الكبرى على بنائه في المطبخ وتقدمه للصائمين من نزلائها على مأدبة الافطار .

مسجد السلطان محمد بن قلاوون ومسجد ابنه الناصر محمد في الوسط ثم مسجد السلطان برقوق في العهد المملوكي .. وهي تعود الى القرن الهجري الثامن .. من أجمل مساجد القاهرة القديمة .

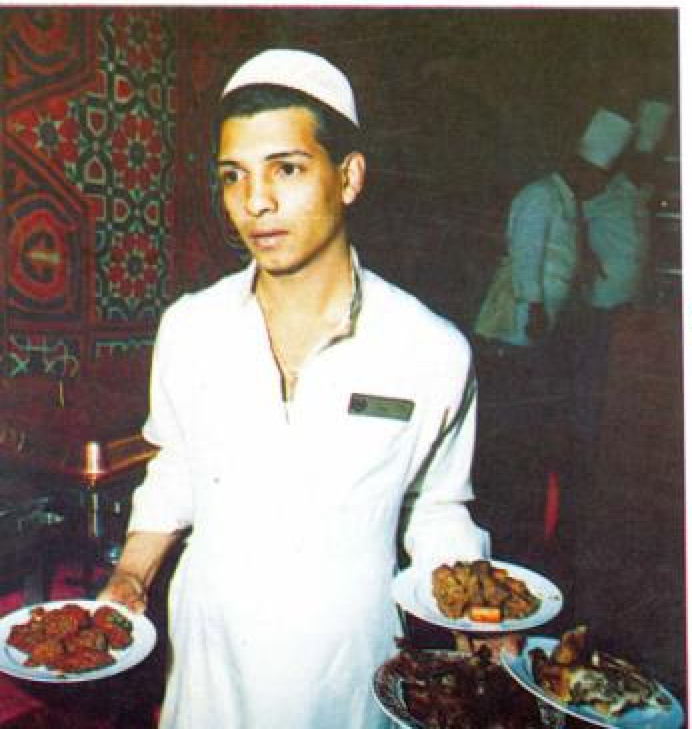

أطباق الطعام الرمضانية يحملها « ابن البلد » في طريقها الى الصائمين .. هي أيضاً أطباق تخصص في صنعها أمهر الطهاة في فنادق الدرجة الأولى تماماً كما يصنعوها في الأحياء الشعبية في القاهرة القديمة .

اليَّ الرجل ان اصطحبه فورا اليه .

وكان فندقا في حي سيدنا الحسين .. ونزل الضيف الغريب القادم من الخارج في احدى الغرف المطلة على الشارع المزدحم دائما بالمصلين والزائرين والسائحين والتجار وطلاب العلم .. فهي منطقة سياحية الآن كما تعلمون !

وترددت على الفندق مرتين .. كنت اخشى ان يكون ضيفنا غير مرتاح .. ولكنني فوجئت به في المرتين وهو يستقبلني مرحبا عاجزا عن التعبير لي عن شكره لما قدمته له من خدمة لا ينساها . ولم يتركني الا بعد ان وعدته بقبول دعوته لي بتناول طعام الافطار في مطعم اشتهر بتقديم اطباق لحم الضأن المشوي (الكباب) ..

لقد رأى الناس صائمين عن الطعام ، فصام مثلهم لينعم بالأطباق الشهية في الأفطار !

... ويسافر ليعود !

وينهي الراوي قصته : لم يترك صاحبنا القاهرة الجديدة التي نقلته اليها لحظة واحدة .. لقد امضى الاسبوعين في زيارة كل معالمها .. مساجدها ومتاحفها وقبور الاولياء فيها . وعلى مدى ست سنوات متصلة بعد هذه الزيارة ، ظل الضيف الغريب يأتي الى نفس المكان وينزل في نفس الفندق .. عائدا الى بلده في كل مرة محملا بالهدايا من خان الخليلي والغورية والتربيعة وكان يقول لي : « ليس غريبا ان اكتشف هذا الصفاء والنقاء في مدينتكم التاريخية ، ثم هذا الجمال في ليلها الهادىء ونهارها النابض بالحياة في وسط هذه الاحياء الأثرية القديمة التي كانت تقول لي كل يوم شيئا جديدا كلما لقيتها مع اشراقة الشمس ، وعند الغروب .. انني لن انسى صلاتكم فقد كنت اقف معكم خاشعا الى اللقاء يا صديقي في العام المقبل !! ويسافر ليعود !

ـ وهل تنتظره ايضا هذا العام ؟

ـ نعم .. انني انتظره دائما مع حلول شهر رمضان الكريم .. ثم هو لم يعد يأتي وحده ! في العام الماضي ، جاء ومعه اربعة من اصدقائه .

وكرم الضيافة وحسن معاملة الزائرين والسائحين طبيعة متأصلة في اهل مصر .. فقد كان مجتمع القاهرة خلال العصور الوسطى ، مجتمعا مفتوحا امام الشرق والغرب ، يألف الغرباء ويكرمهم ، ويجتهد في حسن معاملتهم وفتح الابواب في وجوههم .

أقدم نشرة سياحية

قال مرافقنا يكمل حديثه معنا ويمضي بنا في رحلته هذه المرة مع التاريخ : « كان السلطان قلاوون حريصا على فتح ابواب مصر لكل زائر وتاجر يجيء اليها مادا يد الصداقة لاهلها ، فأصدر اوامره الى نوابه في كل ثغر من ثغور مصر باستقبال الزوار والتجار الوافدين احسن استقبال ومعاملتهم بالود والحسنى وترغيبهم في الاقامة ، ومراعاة العدالة فيما يجبونه منهم من اموال بحيث لا يأخذون منهم سوى الحقوق السلطانية ، وقد قال في امره هذا : انهم ـ اي السياح والتجار ـ هدايا البحور ودوالبة الثغور ، ومن السنتهم ما تجنُه الصدور ، واذا بذر لهم حب الاحسان ، نشروا له اجنحة مراكبهم كالطيور .

ولم يكتف السلاطين بالحرص على حسن معاملة الوافدين ، بل بعثوا بمنشورات الى التجار في المشرق والمغرب لترغيبهم في المجيء الى مصر . وكانت هذه المنشورات اقدم ما كتب في فن الدعاية والسياحة في العالم في ذلك الوقت المبكر من القرن الثالث عشر الميلادي (القرن السابع الهجري) .

ومضينا نكمل رحلتنا بين آثار الحضارة الاسلامية في القاهرة القديمة .. كنا نمشي في

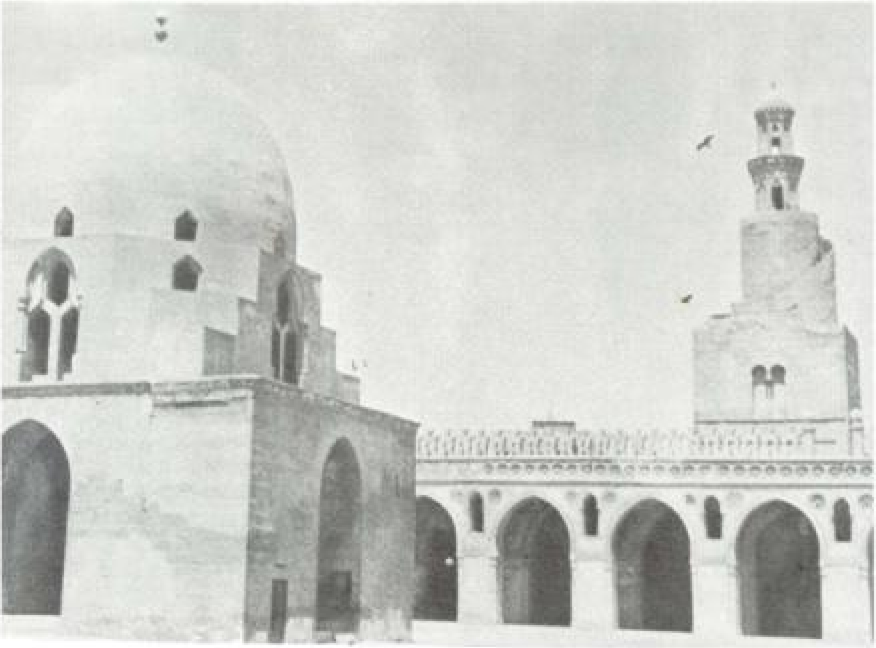

جامع ابن طولون ومئذنته الشهيرة

الشوارع الضيقة التي انتشرت المساجد على جوانبها بمآذنها الشامخة.. جوامع كبيرة ومساجد صغيرة .. كل مسجد وكل جامع منها يحكي لنا قصة من بعيد او من قريب .. بعضها او الكثير منها مازال يحتفظ ببهائه ورونقه كما لو كان قد شيد بالأمس القريب .. لقد توقفت عندها عقارب الزمن فبقيت على ما كانت عليه .. مسجد سيدنا الحسين ، ومسجد السيدة زينب ، ومسجد ابن طولون ، ثم اقدم مساجد مصر اطلاقا .. مسجد عمرو بن العاص اول قائد مسلم جاء لفتح مصر وانتشر الاسلام في عهده .. أي مساحة تلك التي نحتاج اليها لنتحدث عن كل هذه الآثار ؟ ولم تطل وقفتنا ، فقد ادركنا على الفور ان أية محاولة قد نقوم بها ستكون أشبه بمن جلس على شاطيء البحر محاولا ان يجمع مياهه في فنجان !

مجد المسلمين العرب

لقد كانت هناك عدة محاولات،قامت بآخر محاولة منها سيدة كريمة ، هي الدكتورة سعاد ماهر .. راحت تكتب عن مساجد مصر وتحاول ان تجمعها في كتاب فاذا بها تخرج بموسوعة تقع في عدة اجزاء .. كل جزء منها يحوي مئات الصفحات ومع ذلك قال بعض الذين قرأوه : « لقد جاء الكتاب ناقصا ، رغم المجهود الكبير الذي بذلته الكاتبة في جمع كل ما يتصل بمساجد مصر من قريب او من بعيد » .

ومضينا نمشي مع التاريخ .. لقد اقتنعنا الآن بأن هذه الرحلة السريعة لن تكون اكثر من محاولة للاقتراب من تلك الايام التي شهدت مجد المسلمين العرب في فارس والشام ومصر

باب زويلة . أحد بوابات القاهرة القديمة . باب ضخم كان أحد بوابات السور الذي شيد حول العاصمة لحمايتها .

كنافة رمضان قبل أن تدخل الآلة في صنعها .. طبق حلو شهي في ليالي رمضان .

طبق الفول المدمس على مائدة الافطار دوماً في كل مكان حتى مطاعم فنادق الدرجة الأولى .

والعراق وبلاد المغرب ولكن ثمة شعور كان ينتابنا ونحن نخطو فوق هذه الارض التي مر الاجداد من فوقها . . اجيال من بعد اجيال من بعد اجيال . . هنا فوق هذا التراب كانت مسيرتهم وكانت رحلتهم مع الحياة . . وكانت رحلة مليئة حافلة بالخير والعمل الطيب والتسامح الديني . . وذهب الأولون ، ولكن آثارهم بقيت تدل عليهم .

وتذكرنا المعري وهو يقول في قصيدته الرائعة :

سر ان اسطعت في الهواء رويدا . .
لا اختيالا على رفات العباد
خفف الوطء ما اظن اديم الا
رض الا من هذه الاجساد

بداية القصة

ولكل قصة بداية . . . ترى كيف بدأت قصة القاهرة ، ومتى ؟

هل جاء الاسلام بعدها ام قبلها ؟ اسئلة لا يجد المرء مفراً من الوقوف عندها ما دام قد صمم على الغوص في اعماقها . . ولنبدأ القصة من حيث يعنينا الحديث.كانت ارض مصر التي شهدت الاديان السماوية السابقة . . . اليهودية ثم المسيحية قد استعدت لاستقبال الاسلام . . ففي عام ٦٤١م (٢٠ هجرية) جاء العرب الى مصر وفتحوها ، وكان عليهم بعد هذا ان يختاروا عاصمة لها ، واتجه الرأي في البداية الى مدينة الاسكندرية التي بناها الاسكندر المقدوني . . ولكن الاقتراح ما لبث ان استبعد ، فالاسكندرية مدينة تشرف على البحر وكان عرب الجزيرة يخشون ركوب البحر . . وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأمر قواده بألا يجعلوا بينهم وبينه ماء . . كان يقول لهم : « إن شئت ان آتيكم ركبت جملي فأدركتكم من غير ركوب ماء » .

وفي موقعة ذات السواري بين الاسطول الاسلامي والاسطول الرومي بالاسكندرية ربط المسلمون بين سفنهم فصارت قطعة واحدة يمشي عليها الجنود كما لو كانت ارضا . . وحاربوا الروم وانتصروا عليهم . .

جامع عمرو بن العاص

حضارة المسلمين العرب كانت اذن في اول امرها حضارة برية . . . ومن هنا ابتعدوا عن البحر في البداية . . وكانت العاصمة الاسلامية العربية الأولى هي التي اسسها عمرو بن العاص سنة احدى وعشرين هجرية (٦٤١م) في المكان الفسيح الذي يقع الى جانب حصن بابليون ، حيث عسكرت قوات المسلمين للمرة الأولى . وأسموها (الفسطاط) . . . وتبحث عن العاصمة الاسلامية القديمة الآن ، فيشيرون لك بأصابعهم الى المنطقة التي يقوم فيها مسجد عمرو بن العاص . . هنا كانت الفسطاط (مصر القديمة) التي اقام عمرو فيها مسجده العتيق الذي يحمل اسمه « إمام المساجد ومطلع الانوار اللوامع . . طوبى لمن حافظ على الصلوات فيه ، وواظب على القيام بنواحيه » . ثم اتسع المسجد حتى بلغ مساحته الحالية في العصر الأموي . . ووسط هذا الحقل من الأعمدة والأروقة كانت تعقد حلقات التدريس ، كما كانت تقام ايضا حلقات الوعظ والارشاد تصدرتها يوما واعظة زمانها ام الخير الحجازية في الدولة الفاطمية . . وقد كانت ترى الشمس تغرب مرتين في شهر رمضان ، فلا تقرب الصلاة والطعام الا مع الغروب الثاني .

وكان المسلمون يحفظون بأموال اليتامى والمساكين في حرم المساجد لما فيها من قدسية وحرمة . . وكانوا يوزعونها عليهم بعد صلاة المغرب . ويدخرون قسما منها لليلة القدر في رمضان .

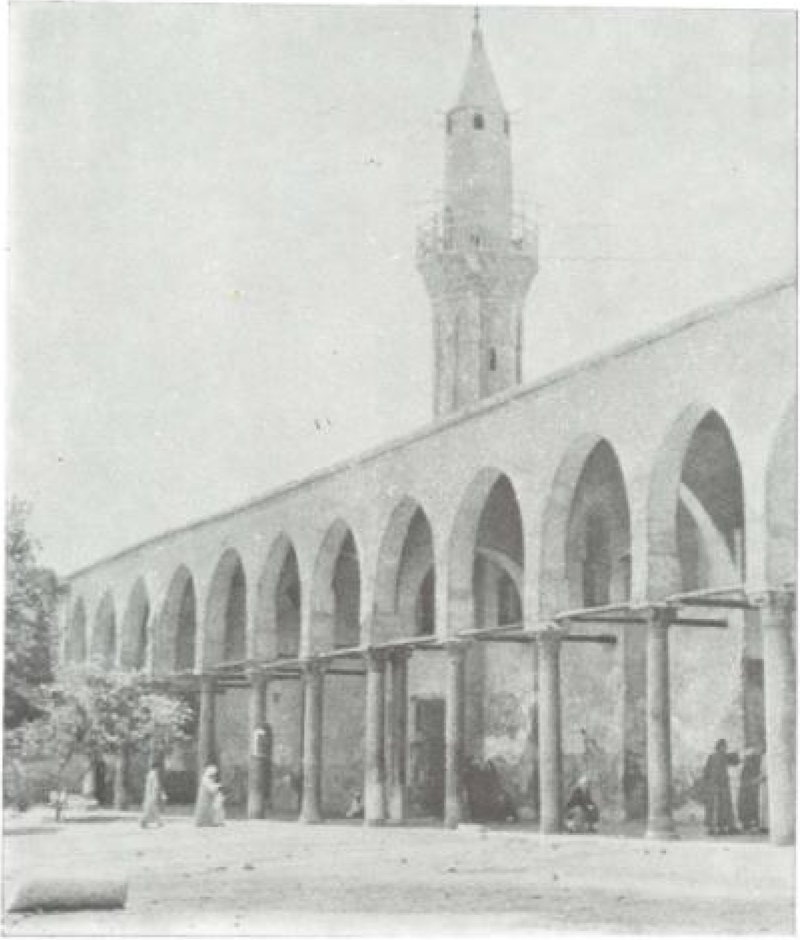

مسجد عمرو بن العاص من الداخل

ولم يكن مسجد عمرو مقصورا على الفرائض الدينية وحلقات التدريس ، بل كانت تعقد فيه ايضا محكمة لفض المنازعات . . وكانت تنتهي دائما بالصلح والسلام .

وعرفت الفسطاط الازدهار خلال القرون الثلاثة التي اعقبت انشاءها ، وقد اسهب المؤرخون في وصفها فقالوا ان شوارعها كانت مرصوفة ومنازلها فسيحة تتألف أحيانا من خمس او ست طبقات ، وكانت المدينة تحوي كل المرافق الصحية وفيها عدد كبير من الحمامات العامة .

ربما تكون وقفتنا قد طالت بعض الشيء عند الفسطاط ، ولكن لنا عذرنا،فلكل قصة بداية كما ذكرنا.وقد كانت هذه المدينة الاسلامية التاريخية التي لم يبق منها غير ما يجده المرء في بطون الكتب . . هي بداية القصة في هذه العجالة . . قصة دخول الاسلام وانتشاره في مصر .

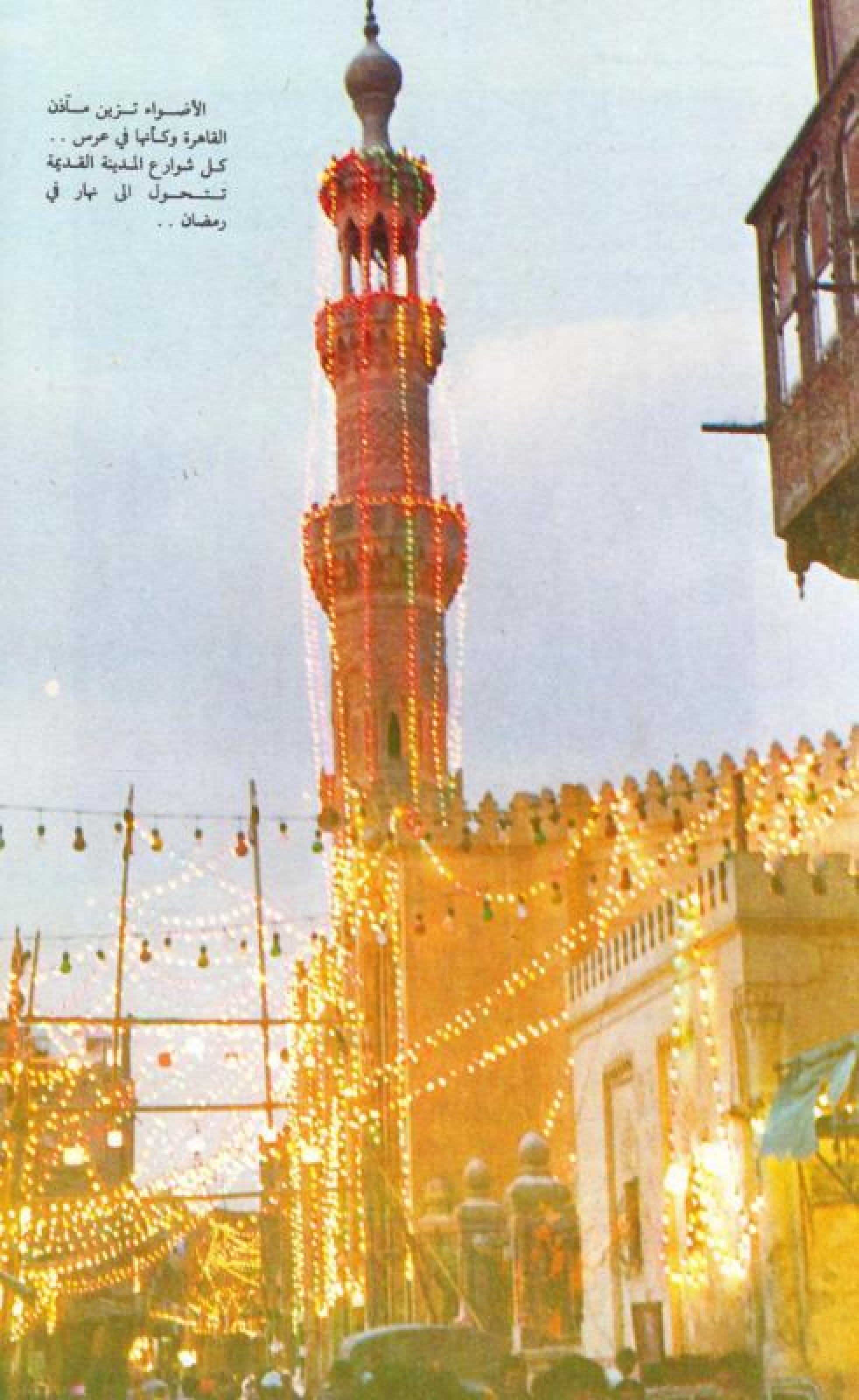

الأضـواء تـزين مـآذن القاهرة وكأنها في عرس .. كل شوارع المدينة القديمة تـتـحـول الى نهار في رمضان ..

قهوة الفيشاوي في حي سيدنا الحسين .. وهي أحد معالمه المشهورة كم شهدت من أمسيات الفكر والفن والأدب .. وشرب فيها كبار رجالات مصر الشاي الأخضر وهم يتسامرون .. تماماً كما يفعل اليوم أهل الريف (تحت) بعد أن رحل روادها الأولون .

مسجد السلطان قلاوون من الخارج حيث تظهر المئذنة والقبة

رسالة الاسلام ومبادئه

انها قصة سجل التاريخ تفاصيلها بأحرف من نور .. فلم يأت عمرو بن العاص القائد العسكري المسلم الى مصر حاملا رسالة الاسلام فحسب ، ولكنه جاء يحمل المثل والمبادىء والقيم التي تنبع من هذا الدين الحنيف على مر العصور .. فقد بسط عمرو حمايته على اقباط مصر وانقذهم من المذابح التي راح عشرات الالوف ضحية لها في عهد روما الوثنية ثم روما المسيحية . وحافظ عمرو على كنائسهم وعلى اديرة الرهبان الاقباط في مصر وسمح لهم باعادة بناء ما هدمه الفرس منها وكل الآثار القبطية التي يجمعها اليوم متحف خاص بها تحكي هذه القصة ويزوره المسلمون والمسيحيون على السواء .. تماما مثل المتحف الاسلامي الذي يحوي اقدم وأروع آثار المسلمين .

ولم يفته الاهتمام بنيل مصر العظيم ، فأقام له مقياسا في جزيرة الروضة ، اما عمرو نفسه فقد وصف مصر بقوله : تربة غبراء وشجرة خضراء يخط وسطها نهر ميمون الغدوات مبارك الروحات يجري بالزيادة والنقصان. شروق الشمس على صفحته سلاسل من ذهب وغروبها لآلىء تسبح بحمد الله » .

واخيرا قامت القاهرة

ثم تقوم القاهرة او « المنتصرة » ، اخيرا في عام ٩٦٩م (٣٥٨هـ) . . أسسها جوهر الصقلي وبنى حولها سورا من اللبن على شكل مربع طول كل ضلع فيه لا يزيد على ألف ومائتي ياردة ، ولم تكن مساحة الأرض التي حددها السور تزيد على ٣٤٠ فدانا ، وفي وسط هذه المساحة شيد جوهر قصرا كبيراً بلغت مساحته وحده اكثر من سبعين فدانا . . وعلى مقربة من القصر انشأ جوهر الجامع الأزهر الشريف ، أول مسجد ومدرسة واقدم جامعة في العالم .

ترى اين قامت القاهرة على وجه التحديد ، واين كان موقع اسوار تلك المدينة الناشئة الصغيرة . . التي مضى على انشائها اليوم خمسة عشر والف عام .

من الجهة الشرقية كان يحدها جبل المقطم ، وغربا الخليج الذي كان يخرج من النيل الى الجنوب قليلا من فم الخليج ، وينتهي عند خليج السويس ، ومكانه اليوم (شارع بورسعيد) .

اما الجهة الجنوبية فكان يحدها خط يمتد من ميدان باب الخلق ويتجه شرقا مارا بباب زويلة (بوابة المتولي) وينتهي عند جبل المقطم ، وفي الشمال تبدأ حدودها عند الجهة الغربية من ميدان باب الشعرية متجهة شرقا الى باب الفتوح فباب النصر ثم تنتهي عند جبل المقطم .

عاصمة الفاطميين

ولم يكن هدف جوهر الصقلي من انشاء القاهرة ان تكون قاعدة او دارا للخلافة ، بل مجرد سكن للخليفة وحريمه وجنوده وخواصه ، فنشأت مدينة متواضعة محدودة المساحة معدودة المباني والمنشآت ، واستمرت بعد قيامها مدينة عسكرية لفترة من الوقت وكانت تحوي قصور الخلفاء ومساكن الامراء ودواوين الحكومة وخزائن المال والسلاح ، ولكنها ما لبثت ان اصبحت بعد انشائها بأربع سنوات عاصمة الخلافة الفاطمية عندما انتقل اليها المعز لدين الله الفاطمي من المغرب حيث اتخذ منها مقرا له ، واصبحت مصر موطنا لاسرته . . واصبحت مصر موطنا لكل العرب . .

وما حدث للقاهرة التي راحت تنمو وتكبر وتتسع حتى اصبحت اليوم اكبر عاصمة في الوطن العربي . . . حدث للجامع الازهر الذي كان اول عمل فني معماري اقامه الفاطميون . . لم ينل الازهر شهرته العالمية ومركزه المرموق في العالم الاسلامي اعتمادا على صفته الدينية فحسب بل على ما قام به ايضا من اعمال مدنية وخدمات اجتماعية وسياسية . . وتمضي القرون ويصبح الازهر اقدم جامعة عالمية .

والحديث طويل اذا مضينا مع التاريخ . . لقد كان العصر الفاطمي هو العصر الذهبي للقاهرة ولكثير من ارجاء مصر . . ثم جاء الايوبيون ، وإلى صلاح الدين الايوبي يرجع الفضل فيما آلت اليه القاهرة اليوم . . انها لمحة سريعة عن الرواد الذين أثروا الحياة في مصر بعد ظهور الاسلام . . لأننا لو توغلنا في تاريخ مصر ومضينا معه وتوقفنا عند كل حقباته لاستمرت مسيرتنا لاكثر من سبعة آلاف سنة !

ونقف في مواجهة المدفع القديم بجوار القلعة . . انه مدفع رمضان . . لا احد يعرف على وجه التحديد متى انطلق لأول مرة ، ولا الى

(الى اليمين) بيت الكريدلية أحد المعالم القديمة في القاهرة اشتراه رجل انجليزي أشهر اسلامه .. انه نموذج للبيت العربي بأثاثه الذي جمعه صاحبه من مختلف العواصم الاسلامية .. وقبل أن يموت أوصى به للدولة فحولته الى متحف .

ملابس العيد بألوانها الزاهية وزخارفها التي صنعتها الأيدي الماهرة .. إنها في كل بلد اسلامي طوال شهر الصوم المبارك الى أن يجيء عيد الفطر . (الى اليسار) .

(فوق) صانع السبح .. بدأت قصته مع المسبحة منذ عقود طويلة .. وهو يحتفظ في محله الصغير بحي سيدنا الحسين بصور له مع الملوك والرؤساء الذين كانوا يقصدونه لشراء مسابحهم من الأحجار الثمينة .

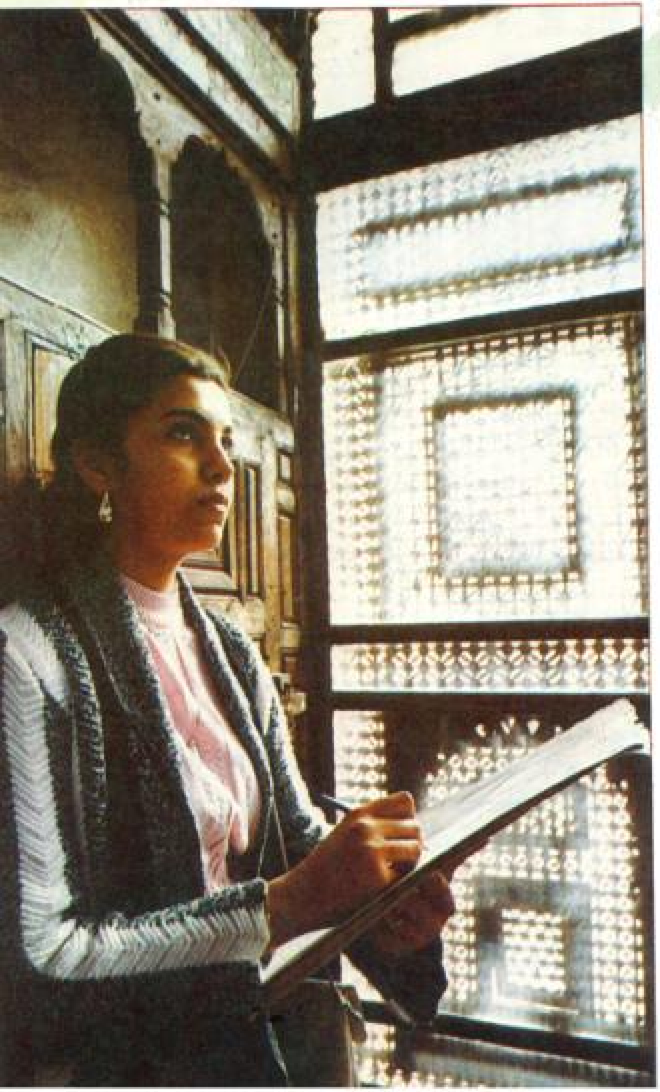

في بيت السحيمي الذي سمي باسم آخر سكانه وكان شيخاً من شيوخ الأزهر الشريف ، وقفت طالبة كلية الفنون الجميلة ترسم لوحة للمشربيات العربية . (الى اليسار) .

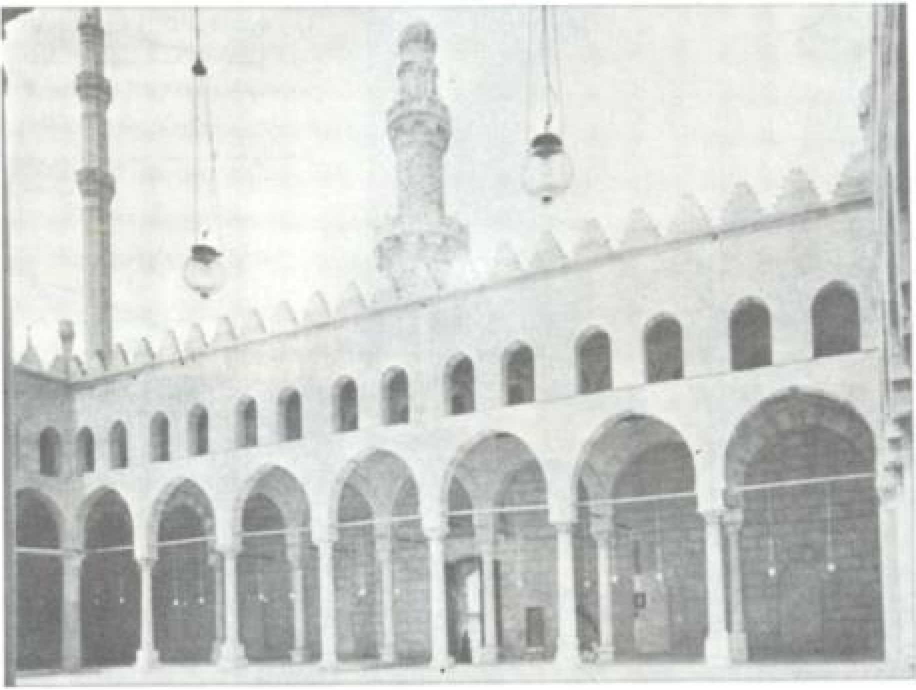

مسجد السلطان محمد بن قلاوون من الداخل

اي عهد يرجع تاريخه . . ولو ان البعض يؤكد انه جاء مع محمد علي الجندي الالباني الذي استقل بمصر عن النفوذ العثماني واعلن العصيان على الباب العالي وانتصر . . وقد كان يقول : سأجعل شمس مصر تقف عند باب قلعتي ولا تغيب عنها ابدا .

لا نريد ان نتعرض لهذه الفترة من التاريخ فليس هذا موضوعنا ، ولو ان هذا السلطان هو باني مصر الحديثة . . وقد اشرقت الشمس طويلا في سماء مصر في عهد أبنائه .

شمس رمضان

وأوشك قرص الشمس على الغوص وراء الافق . . وقال مرافقنا : نحن نقول ان الشمس في رمضان لها وجه خاص ، فهي تحنو علينا وتترفق بنا في اشد ساعات الصيف حرا . !

وقبل ان ينهي حديثه ارتفع صوت المؤذن يكبر . . وعدنا الى حيث كنا في شوارع القاهرة القديمة ، وامام قبر السيدة زينب رضي الله عنها ، وقف مرافقنا فجأة ، وقال : هنا في هذا المكان كانت تأتي كل يوم . . سيدة عجوز فقدت الزوج والابناء . . تهدم البيت الذي كانوا يعيشون فيه بمنطقة القنال احرقه الاسرائيليون ونجت هي من الموت . . كانت تأتي الى قبر السيدة زينب كل يوم وتصلي وهي صائمة وترفع يديها الى السماء . . . واستبد بها التعب في احد ايام شهر رمضان الكريم منذ خمسة اعوام . . . فنامت حيث كانت تجلس ، وبقيت حيث هي حتى طلع الفجر . . وادت الصلاة ، ولكنها كانت في صلاتها هذه المرة سعيدة فرحة . . ولم

تكتم سر سعادتها فقد راحت تحكي للناس ما رأته في منامها .. يد ملاك نزل من السماء تمتد اليها وتضع في يدها هي قصاصة صغيرة من الورق .. وقال الملاك يحدثها : في هذه الورقة عنوان .. اذهبي اليه وسوف تجدين شقيقتك التي كنت تبحثين عنها !

في القاهرة القديمة التي قضينا بين مساجدها ومآذنها بضعة ايام تستطيع ان تعرف السبب .. لماذا يأتي الالوف من المسلمين وغير المسلمين من شتى انحاء الوطن العربي لقضاء شهر رمضان المبارك .. فبين هذه الآثار الاسلامية يستطيع المرء ان يلمس روحا خاصة لا يشاركها فيها اي مكان آخر .. ربما جاءت من عراقة التاريخ الذي عاشته هذه البقعة من الارض .. وربما كانت من نبضات قلبها الكبير الذي يخفق بالحب لكل الناس ولكل عمل طيب يمت الى الله بصلة .. في هذا المكان الذي تعلو فيه المآذن والقباب لا يفقد الانسان ... اي انسان طريقه الى الله ابدا ..

ووراء هذه المآذن الشامخة عاشت القاهرة عهودا حافلة بالانتصارات .. وهي ايضا لم تسلم من الهزائم والانتكاسات .. ولكنها كانت تخرج في كل مرة وبعد كل هزيمة مرفوعة الرأس شامخة شموخ مآذنها التي تقف شاهدا على الحضارة التي عرفت طريقها اليها حتى في تاريخ ما قبل التاريخ .. □□

من وصايا لقمان

* « يا بني من حمل مالا يطيق عجز ، ومن أعجب بنفسه هلك ، ومن تكبر على الناس ذل ، ومن لم يشاور ندم . ومن جالس العلماء علم ، ومن قل كلامه دامت عافيته » .

***

منه ... واليه !

* جاء في كتاب « سراج الملوك » للطرطوشي ما يأتي : « من عجيب ما اتفق بالاسكندرية أن رجلا من خدام نائب المدينة غاب عن خدمته زمنا . ففي بعض الأيام قبض عليه صاحب الشرطة وحمله الى دار النائب فانفلت في بعض الطرق وترامى في بئر ، والمدينة اذ ذاك مسردبة بسرداب يسير الماشي فيه قائما ، فما زال الرجل يمشي الى أن لاحت له بئر مضيئة ... فطلع منه ، فاذا البئر في دار النائب . فلما طلع أمسكه وأدبه .

قصة قصيرة

غيبوبة حلوة

بقلم: عباس خضر

كل يوم يصحو مبكرا عند الفجر، وينظر من خلال زجاج النافذة الى نوافذ المستشفى القريب، فيبعث ذلك في نفسه مشاعر متباينة.. يتخيل وراءها خيالات متباينة.. ياترى كيف حال المرضى هناك؟ منهم من لايزال يغط في نومه، ومن استيقظ بدافع الألم، ومن لم ينم ليله، ومن اعتاد مثله على الاستيقاظ مبكرا.. الخ.

عالم عجيب مسكين.. يتخيله فيشعر بالراحة في معظم الاحيان، وأحيانا يتذكر فيأسى! يتذكر اشياء كثيرة رآها وعاناها في المستشفيات، وتمتع ببعضها ولا يزال كذلك كلما تذكرها!

ومن عجيب مشاعره انه يحب الحياة ويتشبث بها، ويذهب عنه ملل رتابتها، عندما يكون مريضا.. يشعر بالأمل في مباهجها بعد الشفاء.. وما مباهجها عندئذ الا ان يغدو ويروح.. يأكل الطعام ويمشي في الاسواق، يعطي ويأخذ، يفرح ويأسى.. الخ.

ولكن حدث مرة ان كان مريضا في المستشفى وهجم عليه الاشمئزاز من كل شيء، وداخله اليأس اذ أظلم في وجهه كل شيء، ولم يكفه ما يعانيه من آلام المرض حتى جاءته تلك الممرضة الشرسة.. قبيحة النظر، دميمة الوجه، يدل تضخم جسمها في أماكن غير متناسبة على انها تأكل وترعى كما يرعى الجاموس! ولا بد انها تجور على طعام المرضى.

دلت التجارب على ان المرأة الدميمة الخلق تكون غالبا دميمة الخُلق، يعلل هذا بأن الناس ينظرون اليها فلا يستريحون لنظرها، فيعبسون في وجهها، فتستقر في نفسها كراهية الناس لأنهم يكرهونها.

وعلى عكس ذلك المرأة الجميلة الصبوحة المشرقة، لاترى الناس الا مشرقين في وجهها فتحبهم وتبادلهم اشراقا باشراق.

احتار في امره.. ماذا يفعل ازاء تلك الممرضة المرحة...؟ اذا احتاج الى شيء يناديها فلا تتحرك، واذا تحركت فعلى دفعات بطيئة.. وياويل نفسه اذا استدارت ورأى أحد ردفيها يعلو، والآخر يهبط، تقول له في شبه تأنيب: ماذا تريد؟ ألاتنتهي لك طلبات؟ اذا كان راغبا في شربة ماء انسدت نفسه وذهب عنه العطش مع جفاف الريق.

على ان مسألة القبول في «الوجه الصبوح» قد تنعكس على سبيل الشذوذ، ولكل قاعدة شواذ، فتكون الدميمة خفيفة الظل لما يكون في طبعها من الرقة والانسانية المهذبة، وعلى العكس قد تكون الجميلة ثقيلة الظل.. والمثل العامي يقول: «ياوحشة كوني نغشة» أي كوني ظريفة مداعبة ضحوكا بحيث تعوضين ما فاتك من جمال بحسن الكلام وحلاوة اللسان.

احتار صاحبنا المريض في أمر تلك الممرضة ولم تسعفه الحيلة في التخلص منها، فاستشعر الالم النفسي، مضافا الى الألم الجسمي، وتضاءل امله في الحياة وضعف تشبثه بها.. وجعلت الغيبوبة تنتابه في فترات قصيرة أولا، ثم تزداد شيئا فشيئا حتى طالت في احدى المرات، فانزعج اهله الذين يزورونه يوميا، وأحضروا له طبيبا مختصا في الامراض العصبية وجعل هذا يعالجه بمختلف الوسائل.

لايزال يذكر حوارا جرى بينه وبين الطبيب، وهو بين اليقظة والغيبوبة... لم يكن قد أفاق تماما والطبيب يجسه

ويمسك بيده متلطفا قائلا :
ـ أفق يا استاذ أحمد ، أفق .
ـ لماذا تريدني ان أعيش ؟
ـ أهلك في حاجة اليك .
ـ أنا لا أريد . . .
ـ الحياة حلوة يا استاذ أحمد .
ـ لا أجد فيها الا المرارة .
ـ لا ، لا ، يا استاذ احمد .
قال الطبيب ذلك وهو يداعب خده وذقنه برفق . . ثم قال وهو يلتفت الى الحاضرين من أهل المريض كأنه ينبههم الى ما فعله وما يستحق عليه الأجر الكبير : ـ
ـ هذا أنت يا استاذ أحمد قد صرت على مايرام .
قال أحمد لأخيه المهتم به :
ـ انقلني من هنا ، لا أريد ان أرى هذه المرأة . . . يقصد الممرضة .
ـ أين تريد ؟
ـ انقلني الى أي مكان ، الى الدرجة الاولى ، نعم سيكون اجرها مرتفعا ، ولكن قاطعه الشقيق قائلا : ـ
ـ لا بأس يا أخي ، كل شيء يهون في سبيل راحتك وشفائك .
ونقلوه الى قسم الدرجة الاولى ، ولم يكن هناك مكان خال ، وازاء الالحاح وضعوا له سريرا اضافيا في حجرة مع مريض آخر : رجل مسن طيب ، وقبل ذلك .
استقبلته هناك ممرضة رقيقة حسناء ذات وجه سمح يجود بالبشاشة ، قال في نفسه أول ما رآها : الحمد لله لقد عوضني الله خيرا ، يظهر انهم يضعون تلك الممرضة الشرسة في الدرجة الثانية لكي (تطفش) الزبائن الى الدرجة الاولى ليستفيدوا من ذلك فرق الاجر ، عادت اليه طمأنينته ، واستراحت نفسه ، وانتعشت معنويته . التقط اسمها « فاطمة » من فم جاره وهو يناديها ويحادثها .
وجد فكره يقرن فاطمة الرقيقة الى تلك الممرضة الشرسة ، حضر اسم « فاطمة » في ذهنه ، وصار له في سمعه وقع جميل ، على حين رفضت ذاكرته اسم تلك الممرضة التي « لاتسمى » كما يقال في الحديث العادي عمن يبغضه المتحدث .
جاءت اليه فاطمة تصلح وضعه في الفراش ، تلمسه في خلال ذلك برقة وعلى شفتيها ابتسامة لم ير أعذب منها .
اقترب من تمام الشفاء ، لم تواته غيبوبة ، وبالتالي لم يحتج الى طبيب الامراض العصبية ، وأراد اخوه في احدى الزيارات ان يستشف حالته النفسية ، قال له :
ـ كيف حالك الآن يا أحمد ؟
ـ بخير والحمد لله .
ودخلت فاطمة في هذه اللحظة ، فلحظ الأخ على وجه أخيه الاشراق لقدومها ، وأعطته الحقنة،وكأنما أعطته حلوى،وتبسم لها شاكرا ، ثم انصرفت . قال الأخ :
ـ لم تعد تنتابك الغيبوبة ؟
لم يسمع جوابا من أخيه ، لأنه كان شارد النظرات ، كأن ليس معه احد يكلمه . . . .
ـ أين ذهب عقلك ؟
ـ لا ، لم يذهب ، اني معك ، ماذا قلت ؟
ـ ان الغيبوبة هذه المرة من نوع آخر . . غيبوبة حلوة ؟
ـ ماذا تقصد ؟
ـ لا شيء ، المهم صحتك ، متى تخرج من المستشفى ؟
ـ عندما يقرر الطبيب .
قال ذلك وقد تنبه على حقيقة كانت بعيدة عن وعيه . هل سيخرج من هنا ؟ طبعا سيخرج ، سيخرج مهما طال الوقت . . وفاطمة ، ألن يراها بعد ؟ كيف يصبر على فراقها ؟ وانتبه لنفسه فسأل نفسه : أتحبها ؟ وأجاب : ولم لا ؟ قال له الرجل الكبير المريض الذي يقاسمه الغرفة وقد انفردا يسمران :
ـ لا تنشغل بها يا ولدي . . . .
ـ من هي ؟
ـ فاطمة . . أتظن ان ولعك بها يخفى عليّ . . ؟
واضاف :
ـ ان هي ألا أيام وتخرج من هنا ويذهب كل الى حاله .
ـ لا أريد ان أذهب وأدعها .
ضحك المسن وهو يقول :
ـ أتأخذها معك ام تبقى هنا الى الأبد ؟
ـ ما رأيك ؟
ـ فيماذا ؟
ـ ان أفاتحها في الزواج ؟
ـ يبدو لي أنك جاد في حبها . . .
ـ أليست جديرة بالحب ؟
ـ اسمع ياسيد أحمد ، انها تؤدي عملها كممرضة ،تؤديه على احسن وجه ، معك ومعي ومع كل مريض . ويبدو أنها تحب عملها وتنهمك فيه . ويظن الواحد منا ـ نحن المرضى الذين تعاملهم برقة ـ يظن انها تحبه وتؤثره وتخصه .
كان أحمد شاردا لا يعي ما يقول الشيخ .
ـ الحب شيء والزواج يا ولدي شيء آخر .
ـ أنا أريد هذا الشيء الآخر .
ـ قد أراده مريض آخر وناله .
ـ ماذا تقول ؟ ماذا تعني ؟
ـ لا تؤاخذني ياولدي اني أعلم ما لا تعلم . .
ـ ماذا تعلم ؟ وأنى لك ؟
ـ علمت منها هي . . حدثتني ، أفضت الي كوالد

شده أحمد وأصغى يريد ان يقف على ماعند الشيخ ، وقال الشيخ :
فتن بها ذلك المريض ، وكان من أصحاب الملايين ، أغراها بمعسول كلامه ووعوده حتى قبلت ان تتزوجه . ولما خرج من المستشفى دخلا في حياة زوجية لم تكن للأسف سعيدة ، انطفأت النشوة الاولى من جانبه ، رأى اشتغالها عنه بعملها ، ولم ير العناية التي كان ينشدها ، والتي كانت تبذلها له مريضاً،وهي تبذلها لكل مريض بدافع حبها لفن التمريض الذي حذقته في المعهد وكرست جهدها عليه .

ومن جانبها علمت انه متزوج وله اولاد ، ولم يقل لها ذلك ، رأت انه خدعها فكرهته ، وانتهى الامر بالطلاق . اسمع ياولدي،خذها مني نصيحة : نصيحة رجل كبير السن عركته الحياة ، انها ممرضة تختلف عنها زوجة .

ـ ولكني أحببتها ومستعد أن آخذها على علاتها .
ـ انت تقول هذا لأنك في سكرة الحب . . . وعندما تفيق ستعرف الحقيقة .
ـ لن أفيق .
قال هذا ثم تذكر ما قاله أخوه : انك في غيبوبة حلوة . . .
وقال في نفسه : سكرة الحب أو غيبوبة حلوة . . فليكن أي شيء . . أريدها والسلام .

جاءت فاطمة ، وأعطت احمد الحقنة ، وابتسمت وهي تقول له : بالشفاء ، تلك الابتسامة الدائمة الفاتنة ، ليته يستطيع ان يقبل هذا الفم الجميل . . كيف يسمع الى نصح ذلك الرجل المسن المخرف الذي برد قلبه ؟ قال لها مستجمعا شجاعته :

ـ فاطمة .
ـ نعم يا استاذ أحمد .
ـ لا تقولي استاذ ، أنا أحبك وأريد ان أتزوجك .
فوجئت ، تذكرت ماضيا أليما سكتت ، قال :
ـ أفهم من سكوتك انك موافقة ؟
غابت الابتسامة من وجهها وهيَ تقول :
ـ لا .
ـ لماذا يا فاطمة ؟ أنا أحبك
ـ كلكم تقولون هذا ، وأنا لا أريد ان أكرر التجربة .
ـ أية تجربة ؟
ـ اسأل الحاج . . .
واشارت الى صاحبه في الحجرة ، وأضافت :
ـ يبدو نائما ، يتظاهر بالنوم . . . .
فتح الحاج عينيه ، وقال ضاحكا :
ألم أقل لك ؟
أما هي فقد ظلت على عبوسها الطارىء وانسحبت .
والآن ينظر من النافذة الزجاجية عند الفجر الى نوافذ المستشفى الزجاجية المضيئة ، ويتخيل ما وراءها ومن وراءها . . . ويود ان يكون هو هناك ولو مريضا . . وان تكون هي هناك ايضا ممرضة . ما أجمل ذكرها ! . .
لن ينساها أبدا ، ولن ينسى فضلها اذ لم تتزوجه ، فبقيت في اعماقه طيفا حبيبا ، ومن يدرى كيف كانت تكون لو تزوجها .

■ الغضب ريح تهب فتطفىء سراج العقل .
« انجرسول »

■ يتروح العليل بنسيم أرضه ، كما تتروح الارض الجدبة ببل المطر .
« جالينوس »

■ جيش من الوعول يقوده أسد خير من جيش من الأسود يقوده وعل . .
« نابليون »

باربا روسا

سيّد البحار وحامي العقيدة

بقلم : سليمان مظهر

☐ كان مكافحا لا تلين عريكته قادرا على مواجهة النصر والهزيمة كل بما يستحقه من عناية وثاقب نظر .. ونفذ من الأساليب في البحر ما لم يسبقه اليها الآخرون .. فما هو سره الحقيقي ؟

احدى قطع الأسطول العثماني راسية في خليج القرن الذهبي

خير الدين باربار وسا . . في ردائه القومي . .

كيف يكون الثأر . . ؟!

كان هذا هو السؤال الذي راح يدور في رأسه صاخبا كدوامة . . منذ خرج من متجر أبيه قبل ذلك بساعات .

وفي الحق . . انه لم يكن من قبل ، قد أدرك شيئا من أمر ذلك الصراع بين المسلمين والصليبيين في الاندلس .

ولم يكن في الأعماق منه اهتمام كبير بشئون العقيدة ، بل كان يجهل من أمور الدين كل شيء . فهنا . على سواحل ليسبوس في غربي آسيا الصغرى . . حيث يعيش أبوه الجندي الانكشاري على تجارة الخزف والفخار بعد أن تقاعد من خدمة السلطان . . وحيث لا يجوب الطرقات غير رجال البحر وفتيانه . . لم تكن الدولة العثمانية قد بذلت أي جهد لغرس أصول الايمان في أعماق من دخل الاسلام من سكان الجزر . ولكن الفتى خير الدين - التركي المسلم - كان مع ذلك شابا شجاعا عفا . . بلا مغامرة ولا خمر ولا متاع . . بالرغم من أنه كان يعيش في جزيرة زاخرة بالمغامرات الصاخبة والشراب الرخيص الذي يكرعه البحارة كلما عادت سفنهم التجارية ومراكبهم الشراعية بعد جولات طويلة في خضم البحر الأبيض المتوسط . . ينقلون التجارة من ميناء الى ميناء . . ويستولون على ما تحمله سفن أخرى من البضائع والثروات .

ولكن . . مابالك ياخير الدين وتلك الرغبة في الثأر التي تأججت في صدرك الصغير . . ؟!

أتكون هذه النار قد أحرقت أعماقك بعد أن ضرب أذنيك ذلك الخبر الذي جاء به البحارة العائدون من سواحل الشمال الافريقي . . ؟!

الا ما كان أبشعه من خبر . . وما أسوأها من أنباء : لقد سقطت غرناطة . . !!

انهار عهد المسلمين في الاندلس بعد أكثر من سبعة قرون طوال ، أقاموا خلالها حضارة اسلامية رائعة . . ثم أصابهم الهزال عندما ثارت بين حكامهم وأمرائهم الأحقاد والمحن . . فما اجتمعت لهم كلمة ولا توحد لهم جيش ، وهم يواجهون الهجمة الصليبية الشرسة التي انقضت تستولي على كل شيء وتمزق كل إمارات الاسلام . . حتى لم يبق منها سوى غرناطة . . وحكامها من بني الأحمر . .

وماذا بعد السقوط ؟

ولكن . . ها هي غرناطة أيضا تسلم زمامها للزحف الصليبي . . وها هو الملك الصغير أبو عبدالله يضيع آخر معقل من معاقل المسلمين في الاندلس . . ويستسلم للملكين الصليبيين فردناند وايزابيلا . . وها هو يسلم مفاتيح الحمراء وغرناطة كلها في يوم أسود من ربيع الأول من عام ٨٩٧هـ (١٤٩٢م) .

وها هم المسلمون الباقون في الاندلس يقعون بين شقي الرحى . . !

أما الفتى خير الدين - أو خيضر كما يسميه الغربيون - فقد وجد نفسه - وهو بعد في الرابعة عشرة - يتابع الانباء كلها وهو قابع في دكان أبيه ، يستمع كل يوم الى ما يحكيه البحارة من مظاهر الاذلال التي حلت بالمسلمين .

وما كان أقساها من أنباء على الفتى . وهو يفتح عينيه واذنيه يستمع من أخيه البحار عروج الى قصص المذابح الرهيبة التي أنزلها الصليبيون بمن بقي من المسلمين على أرض الأندلس .

. . . ومحاكم التفتيش

كان الفتى ينصت في ذهول الى ماتفعله محاكم التفتيش بالمسلمين . . وكم كان الأمر مرعبا وهو يسمع الى واحد ممن استطاعوا الهرب من سجون محاكم التفتيش ، اذ يصف آلات التعذيب في القاعات المظلمة الرطبة بجدرانها السوداء . « لقد ثبتت فيها مسامير ناتئة قد صدئت ، يغلق عليها بباب من الحديد السميك ، وفي أرضها سلاسل ضخمة مشدودة الى حلقات في الأرض ، وهي سلاسل لربط من يجري تعذيبهم . . والى جانب ذلك توجد مجالد من الجلد المعقود على رصاص ودواليب وسحابات ذات مسامير صدئة حادة لتمزيق الأجساد ، وعضاضات حديدية لعض اللحم ، ثم أكاليل حديدية ذات مسامير حادة ناتئة من الداخل تطوق بها جبهة المعذب ، ثم يأخذ السجان في تضييقها شيئا فشيئا بواسطة مفتاح يدور بلولب حتى تغرز المسامير في الرأس ، وهناك الكلاليب ذات الرءوس الحادة لسحب أثداء النساء من الصدور ، والآلات الخاصة بسل اللسان من أصله ، وتكسير الأسنان ، الى جانب أحذية تحمى لدرجة الاحمرار يلبسونها لمن ساء حظه ووقع في يد أولئك الوحوش ، ثم أحذية أخرى حديدية ذات مسامير من الداخل يضعون فيها قدم السجين ، ثم يأخذ الموكل بالتعذيب في تضييقها شيئا فشيئا . كما توجد سفافيد حديدية متباينة الأشكال لتحمى في النار ثم يكوى بها المعذب . . وهناك خزانة حديدية يقف فيها المعذب وفي بابها ست حراب قصيرة مثبتة . . فاذا أغلق الباب بقوة دخلت حربتان في عيني المسكين لتنفذا من مؤخرة جمجمته ، وتدخل حربة في قلبه وأخرى في معدته وأخريان في بطنه .

لا . . لا . . ألا ما أبشع كل ذلك وهو ينزل بمن بقي

لوحة تمثل الأخوين .. عروج وباربا روسا وهما يصنعان النصر ويحققان السيطرة على كل سواحل البحر المتوسط

وقد كان مقدرا للأخ الأكبر عروج أن يلعب أهم دور في حياة خير الدين منذ التحق معه لركوب البحر .. اذ كان على الاثنين أن يوطدا موضع قدم للدولة العثمانية على الساحل الافريقي الشمالي .. لتبدأ من بعد، مرحلة طويلة من الصراع بين المسلمين والصليبيين .. ولتتأكد سيطرة السفن الاسلامية على طرق التجارة في البحر المتوسط، حيث كانت السفن الاوروبية تمر حاملة تجارة الشرق والغرب . وفجأة وجدت هذه السفن نفسها - خلال صراع طويل حول المصالح التجارية بين الشرق والغرب في البحر المتوسط - في مواجهة هجمات مستمرة من رجال البحر المسلمين، الذين كان لابد أن يلعبوا أدوارا في ضرب التجارة الاوروبية على ما تحمله سفنها، ردا على العدوان المستمر على الثغور والموانىء والتجارة الاسلامية في الشمال الافريقي، كما كان لابد من رد على المطاردات المسيحية للعرب المهاجرين من الأندلس بعد سقوط غرناطة، وللمغاربة الذين استعبدهم الأسبان في غزواتهم المستمرة على السواحل الافريقية . ليجعلوا منهم عبيدا أرقاء .

لم يكونوا قراصنة

في ذلك الوقت عرف التاريخ (عروج) مسئولا عن التجارة الساحلية في الجزر اليونانية التابعة للدولة العثمانية . وكان يعاونه في ذلك الأمر أخوه خير الدين .. ومن المؤكد أن الأخوين بالاضافة الى والدهما الانكشاري المتقاعد كانوا رجال أعمال ناجحين . وحتى عام ١٥٠٤ - ونتيجة لتجارتهم الناجحة ومعاركهم الموفقة - كانوا قد كسبوا سفينتين كبيرتين .. وكان ذلك بعض أسباب تسمية المؤرخين الاوربيين لعروج وخير الدين ورجالهما « بالقراصنة » .

والحق، ان ما كان يفعله رجال البحر المسلمون من هجوم على التجارة، والسفن الاوروبية، لم يكن قط من قبيل القرصنة كما ادعى المؤرخون والكتاب الأوروبيون والصليبيون .. وما كان (عروج) قرصانا، ولا كان أيضا خير الدين الذي أصبح من بعده تحت اسم باربا روسا مصدر الرعب للسفن الأسبانية . فلو كانت هذه هي القرصنة، فكيف نسمي هؤلاء الذين كانوا يضربون التجارة الاسلامية ويستولون عليها في عرض البحر، ويهاجمون الثغور الاسلامية ويسرقون خيراتها، ويحولون من يقع في أيديهم من أهلها عبيدا يسترقونهم في السفن والمزارع، ويكلفونهم بأدنى الأعمال وأشقها على الاطلاق ؟

من المسلمين على أيدي الصليبيين في الاندلس المفقود .

وكيف لا يكون نداء الثأر هو الرد على كل ما يجري هناك ؟!

عروج وخير الدين

على أن خير الدين لم يكن وحده من تحرقه حمى الغضب .. بل كان أخوه الأكبر عروج - وهو من يخوض البحر وينقذ من يستطيع من الهاربين من الموت - الأكثر غضبا والأشد حقدا .

وكان يستطيع أن يفعل الكثير ....

ولم يرفض طلب أخيه الأصغر خير الدين وهو يتمنى عليه أن يشركه في مسيراته في البحر .. لعله يستطيع أن يفعل معه شيئا بعد ..

وهكذا انضم خير الدين ليكون ضمن البحارة المحاربين على سفن أخيه المسلحة ذات الأشرعة والمجاديف .. التي تجوب غمار البحر المتوسط .. لاتزال النقمة بسفن الأسبان والصليبيين .

ألا كذب المؤرخون الأوروبيون ولم ينصفوا . .

انه الرد على العدوان بالعدوان . . والثأر من اللصوص والسفاحين والطغاة والمتعصبين ، بالضرب الموجع في البر والبحر .

الصفقة مع الحفصيين

كان الناس في الثغور الاسلامية ، والمضطهدون من المغاربة المسلمين الذين يعيشون تحت الحكم الاستبدادي الأسباني ، يستغيثون بأصحاب السفن والقباطنة المسلمين لانقاذهم ، ويحثونهم على تكثيف عملياتهم البحرية ضد الأسبان بصفة خاصة وضد التجارة الاوروبية بوجه عام .

وكان الناس يتطلعون الى شخصية مقاتلة شديدة البأس تستطيع أن تدفع عنهم الأذى وتنزل بأعدائهم الانتقام ، ووجد الناس في (عروج) وأخيه خير الدين هذه الشخصية الشجاعة النادرة . وكان لابد للرجلين ومقاتليهما من أن يجدوا المكان الذي يستقرون فيه ويلجأون إليه ، لمواصلة شن الحملات على السفن الاسبانية . وإذ وجد الأخوان أن الأسرة الحفصية في تونس قد وضعت إمكاناتها كلها لخدمة قضية منكوبي الأندلس ، فقد اتجها اليها . وكان الالتقاء بين عروج ورجاله وبين السلطان الحفصي مولاي محمد بن الحسن عام ١٤٩٤ الذي رحب برجال البحر ، ومنحهم جزيرة جربة ، مع حرية في اتخاذ وسائل الجهاد التي يريدون ، وشراء احتياجاتهم من أراضيه . . وفي المقابل وافق الأخوان على أن يقتسما مع السلطان ما يحصلان عليه من أسلاب خلال غاراتهما على سفن الاعداء .

خلال سنوات قليلة وحتى عام ١٥١٢م كان رجال البحر الأتراك والمغاربة تحت قيادة عروج وخير الدين قد أخذوا طريقهم على طول سواحل الشمال الافريقي لينقضوا من هناك على سفن الأعداء . . ومن جنوا الى أسبانيا كانت الدول الاوروبية المطلة على البحر المتوسط في حالة كبيرة من الرعب والفزع لدرجة أن اسطولا اسبانيا ضخما يحمل أكثر من عشرة آلاف مقاتل راح يجوب البحر لمطاردة الأخوين .

في ذلك الوقت كان الأخوان يعملان على تلبية نداءات كل من يستنجد بهما ممن يتعرضون للتهديد الأسباني . وحين استجابا لنداء حاكم بجاته ، اتجها للاستيلاء على جيجل لتصبح قاعدة لهما بدلا من جربة ، بسبب تصاعد خلافاتهما مع السلطان الحفصي . ومن هناك انطلقا لنجدة أهل الجزائر عام ١٥١٦م .

الا أن الأخوين واجها مقاومة عنيفة من الحامية الأسبانية القوية التي كانت تسيطر على القلعة المشرفة على الميناء . وحين عجزا عن الاستيلاء على القلعة دب الخلاف بينهما وبين سالم التومي حاكم الجزائر ، الذي أصر على أن يغادر الأتراك اراضيه التي كانوا قد نزلوا بها . وأصبح الموقف لا يحتمل الا واحدا من اثنين : إما أن يغادر عروج ورجاله البلاد فاقدا الكثير من مكانته وآماله ، وإما أن يبقى في الجزائر لتصبح قاعدة قوية له .

وأصر عروج على البقاء في الجزائر . فانقض برجاله على الأراضي الساحلية متفاديا القلعة التي يسيطر عليها الأسبان ، واستطاع أن ينتصر على قوات سالم التومي . . ونصب نفسه حاكما على الجزائر .

ضربة للأسطول الاسباني

بدأ عروج وخير الدين يعملان للسيطرة على رأس من الساحل يواجه القلعة . ودارت معركة رهيبة كان النصر أخيرا فيها للأخوين . . ولم ينج من السفن الأسبانية الا القليل .

يا للكارثة على الأسبان . وهل كان يمكن أن يحدث أكثر من ذلك ؟!

لقد كان لانتصار عروج أثره في تثبيت حكمه في الجزائر . ويدأ يمد سلطانه الى ما وراءها . . وبدأ عدد رجاله يتزايد بانضمام المئات ممن تحرروا من الاستعباد الأسباني اليه .

ولكن . . كما كانت هي العادة دائما حين تنشق القوى الاسلامية على نفسها ، ويتصارع أعضاء الأسرة الواحدة الحاكمة . . استنجد بعض زعماء تلمسان - مقر حكم الاسرة الزيانية - بعروج حاكم الجزائر . ولبى عروج الدعوة تاركا خير الدين نائبا عنه ، ونزل برجاله الى المدينة عام ١٥١٧ . ولكن بقية الأسرة من الزيانيين لم يتورعوا عن التحالف مع الأسبان ومحاصرة عروج في تلمسان ، واتفقوا عليه حتى اضطر الى مغادرة المدينة . ولم يكد يمضي بسفنه الى أكثر من مائتي ميل حتى انقض عليه الأسبان .

وكتبت النهاية لعروج . . ضحية الخيانة والانشقاق . . وكان فقده ضربة قاسية للمسلمين . .

بار باروسا يقود

قتل عروج عام ١٥١٨ بينما خير الدين في نهاية الثلاثينيات من عمره . ولم يكن هناك خلاف قط على من يكون الحاكم الجديد على بلاد الشمال الافريقي الذي يقع

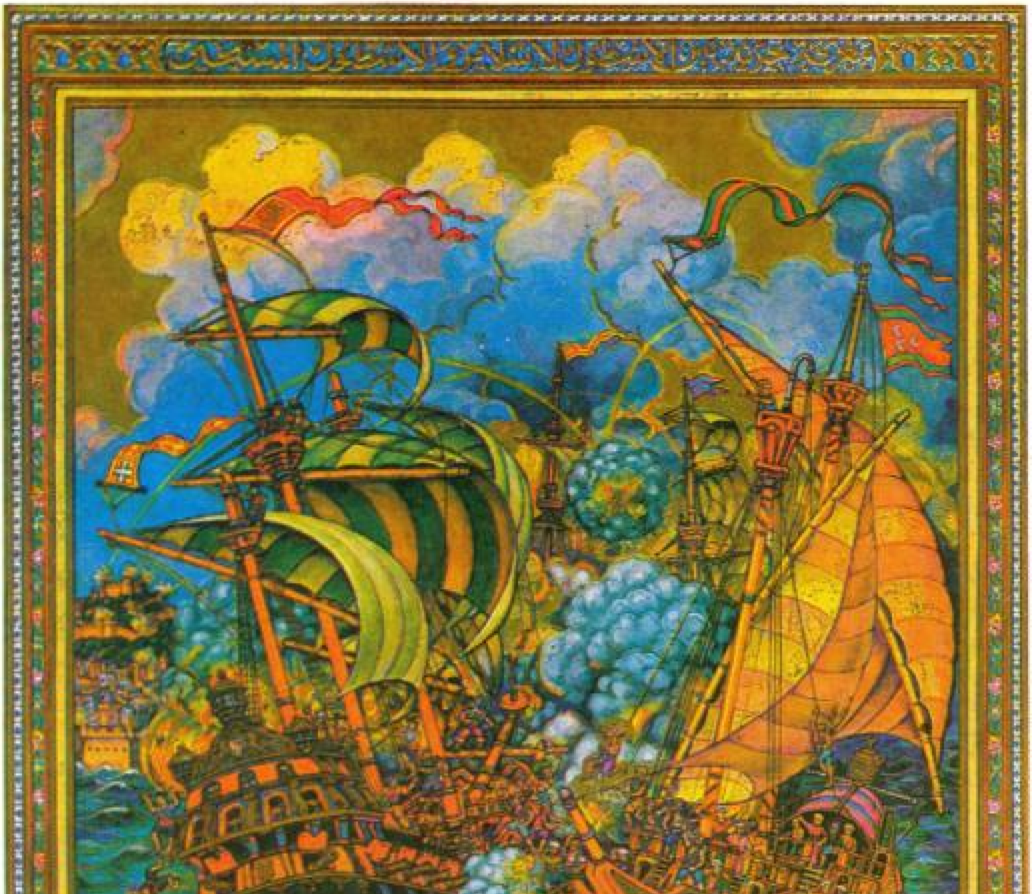

معركة بين سفينتين من الأسطول الإسلامي والأسطول المسيحي .

رسميا تحت التبعية العثمانية . وكان خير الدين يتمتع بذكاء وبراعة نادرة في الحكم كما في الحرب . وكان في مظهره ومخبره شخصية قيادية .. مغامرا بطبعه .. ملكي الملامح .. متين البنيان .. كثيف شعر الرأس والذقن .. ذا حواجب ورموش طويلة كثة .. وقبل أن يشيب شعر رأسه وذقنه كان يميل الى الاحمرار .. ومن هنا سمي « بارباروسا » .. وهي تعني ذا اللحية الحمراء ... »

لم يلبث خير الدين باربروسا اذن أن تابع الكفاح ضد القوى الصليبية والتجارة الاوروبية في البحر المتوسط . وكان لابد له منذ البداية أن يوطد سيطرته على طول الساحل الافريقي . وكان يدرك أن الصراع بين مسلمي شمال افريقيا والقوى الاوروبية صراع مصالح بين قوى كبرى .. وان الدخول في الدولة العثمانية والافادة من امكاناتها الكبرى في الدفاع عن شمال افريقيا سيتيح له فرصة أكبر للنصر .

الولاء للسلطان

كان كل من السلطان سليم وخير الدين باربروسا ينظر الى الموقف من وجهة نظره . وقد أدرك سليم وهو يعمل على إقرار حكمه في كل من الشام ومصر ، مدى أهمية بقاء باربروسا متنفذا على الجناح الغربي لدولته في شمال أفريقيا ، ومهددا للثغور الأسبانية لضمان المصالح التجارية للدولة العثمانية .

وهكذا تم التلاقي بين الرجلين . فقد أعلن خير الدين ولاءه للسلطان العثماني الذي أقره بالتالي واليا على الجزائر من قبل السلطان . وكان ذلك يعني للوهلة الاولى أن الامبراطورية العثمانية قد أصبحت صاحبة الولاية والنفوذ الفعلي على كل الشمال الافريقي بعد أن كان تبعية رسمية فحسب ، باعتبار أن السلطان العثماني هو خليفة المسلمين . وأصبح باربروسا بذلك رجلا من كبار قواد الدولة العثمانية في البحر المتوسط .

وفي عام ١٥١٩م أول أعوام حكم باربروسا للجزائر ، قرر شارل الخامس ملك أسبانيا ، ضرورة تدمير هذه القوة الاسلامية الواقعة جنوبي بلاده . وتجمع اسطول أسباني ضخم من خمسين سفينة حربية تكون ستارا للمواجهة ، يتبعها ثلاثمائة من حاملات المقاتلين ، يضاف اليهم فرسان القديس جون والبابا وممالك نابولي وموناكو والأمراء الصليبيين بقيادة « فرناندو ديجونزاجا » والقائد الجنوي اندريا دوريا . وأصبح واضحا أن العملية الصليبية الضخمة ستنطلق في وحدة متضامنة بدعوى حماية الحركة التجارية في البحر المتوسط .

واستعد باربروسا للمواجهة . ودعا المغاربة الذين استعبدتهم أوروبا المسيحية والأسبانية للدفاع عن حريتهم ومواجهة مستقبلهم . وساند السلطان واليه فأمده بقوة تضم ألفين من مقاتليه الانكشارية ، كما أعلن مراسيم خاصة للبلاد التابعة للدولة لتوجيه مساعداتها الى الجزائر لمساندة الوالي المسلم في مواجهة للغزو الصليبي .

الكارثة على الصليبيين

في يوم عيد سانت بارتلوميو ٢٤ أغسطس ، وصل الاسطول الأسباني الى مياه الميناء الجزائري .. وهناك وقعت الكارثة ..

فبعد أن نزلت بعض القوات الى الشاطىء .. انقضت عاصفة رهيبة على الأرمادا .. الأسطول الأسباني .. أقلعت السفن من المراسي ، وتلاعبت الريح الهوجاء بالسفن فانفك عقدها ، وتحطمت حاملات المجاديف تحت ثقل الماء ، والناقلات الثقيلة اندفعت لتتكسر على صخور الشاطىء ، بينما تسابقت السفن الحربية لتبتعد عن السواحل الى عرض البحر ، وأصبحت ناقلات الجنود عاجزة وهي تتحطم على الصخور ، وغرق مئات الرجال ، ودمرت أكثر من عشرين سفينة ، والذين استطاعوا النجاة من الغرق وقعوا أسرى .. وكانت الحصيلة كما حددها المؤرخ الأسباني ساند أكثر من ثلاثة آلاف قتيل الى جانب أربعمائة أسير .

وقد بدت الأخلاقيات الكريمة لخير الدين باربروسا وما يتمتع به من كرم وبطولة ، حين نزل بنفسه ليمنع رجاله المغاربة المنقضين على من نجا من الغرق ليقتلوهم . وسجل التاريخ حوارا رائعا بين خير الدين وأحد قادة الأسبان الأسرى .

قال خير الدين للقائد الأسباني : ألست ترى أن على القادة دائما أن يحافظوا على كلمتهم ومواثيقهم ؟

وأجاب الضابط : انه أمر لا شك فيه

وتساءل باربروسا : فلماذا حدث أنه بعد موقعة تلمسان التي قتل فيها أخي ، وبعد أن استسلم المقاتلون المسلمون .. لجأ الأسبان الى قتلهم .. لماذا لم يحافظ القائد على اتفاقه مع الترك الذين وعدهم الحياة والحرية والذهاب الى حيث يشاءون .. ثم أمر بقتلهم جميعا ؟

وأجاب القائد : لم يقتلهم الأسبان بل قتلهم العرب .

وقال باربروسا : هؤلاء العرب كانوا من المغاربة الذين استعبدتم وكانوا ينفذون أوامركم بقتل الأسرى .. أليس من قبيل المعاملة بالمثل أن أصدر أوامري بقتلكم ؟

السلطان سليمان القانوني وقد سار خلفه خير الدين بارباروسا قائد البحرية العثمانية والى جانبه قائد القوات البرية في أحد شوارع استانبول

ولم يجد القائد الأسباني ما يقوله .. وقال بارباروسا : ومع ذلك فقد أصدرت أوامر مشددة بعكس ما فعلتم أنتم .. ولكنى أؤكد لك أننى رجل مسلم شريف - بعكس قائدكم الذى لم يكن أهلا للثقة .. وانني سأحترم كلمتي خيرا منه . وقد وعدتكم بالحياة والحرية .. فأما الأولى فها أنتم تحظون بها الآن .. وأما الثانية فانكم ستتمتعون بها . وبرغم أن كل ثرواتكم لن تعيد الحياة الى مئات القتلى من رجالى فان ماستفتدون به أنفسكم من مال لن يكون إلا تعويضا بسيطا عن فقدانهم .

وقال القائد الأسباني : أنتم أقوياء ومنتصرون ، وتستطيعون أن تقرروا ماتريدون .

أجاب خير الدين : لقد كنتم أقوياء وانتصرتم على المسلمين . وبعد انتصاركم اضطهدتم المسلمين في الاندلس بكل لون من ألوان العذاب ، وأخرجتموهم من دينهم بعد أن سلمت لكم غرناطة ، ولم ترعوا عهودكم ومواثيقكم التى عاهدتم عليها ملكهم ، أليس من حقنا الآن أن نفعل مثل ما فعلتم ، وان نكرهكم على اعتناق الاسلام وإلا أنزلنا بكم العذاب ؟ ولكننا مع ذلك لن نفعل وان كنا قادرين على ذلك .

وتغير وجه التاريخ

هكذا كان الرجل الذى أصبح الآن الرجل الأول في الشمال الأفريقي .. وهكذا تغير وجه البحر المتوسط على يد بارباروسا ورجاله المسلمين . وقامت الحصون وأبراج المراقبة على طول سواحل المتوسط وثغوره للتصدى والحماية من نشاطات وحملات خير الدين ورجاله . وتشهد مدن التلال على امتداد الساحل من اليونان الى ايطاليا الى صقلية الى سردينيا والبليار على الرعب الذى عاشت فيه القوى الصليبية والأوروبية في هذه المدن من بارباروسا ، كما تشهد أن جريمة الملكين الأسبانيين فردناند وايزابيلا ضد المسلمين في الاندلس ، وفي نفس الوقت وصول الأخوين عروج وبارباروسا الى غرب البحر المتوسط . كان لهما تأثيرهما الكبير على مجرى التاريخ .

في ذلك الوقت كانت القوتان الوحيدتان اللتان تسيطران على طرق التجارة في المتوسط .. هما الأسبان وأساطيل بارباروسا . وكما يقول أحد معجبيه : « كانت اساطيله تتزايد شهرا بعد شهر حتى أصبح لديه ٣٦ من

السفن القوية . وكانت الهدايا التي ترسل اليه لا تكاد تحصى .. وكانت قواته تتزايد باستمرار بوفود المقاتلين الذين أنقذهم خلال حملاته من الاستعباد الاسباني . فردوا له الجميل بأن أبلوا أحسن البلاء في حروبه ضد الأسطول الاسباني » .

المدينة التي لا تقهر

الا ما أروع ما أنجزت يا خير الدين ..

والواقع أن الجهود التي كان يبذلها خير الدين لدعم قوته وتوطيد حكمه كان لا بد لها أن تثمر . وقد استطاع أن يجعل من مدينة الجزائر التي اشترك معه لتقويتها المئات من بناة السفن ورجال البحر والعمال والفنيين والحرفيين في كل ميدان ـ مدينة من أقوى المدن الحصينة في العالم ، حتى أطلق عليها اسم « المدينة التي لا تقهر » .

وقد استطاع خير الدين أن يوطد نفوذه في الجزائر بعد أن تمكن عام ١٥٢٩ من الاستيلاء على القلعة التي كانت لا تزال في يد الأسبان .. الأمر الذي جعل الملك الاسباني يوجه ضده عام ١٥٣١ م . حملة بحرية كبيرة بقيادة اندريا دوريا القائد الجنوى . ولكن المقاومة القوية والدفاعات الصامدة التي واجهه بها خير الدين جعلت (دوريا) يفشل في تحقيق هدفه . ولا شك أن هذا الفشل كان مؤشرا . وكان لابد من لقاء آخر فيما بعد بينه وبين غريمه خير الدين ..

باربروسا في استانبول

كانت انتصارات باربروسا من العظمة حتى أن ابراهيم الوزير الأول للسلطان العثماني سليمان القانوني أغرى السلطان باستدعاء هذا القائد العملاق الى استانبول لاعادة تنظيم اسطول الدولة العثمانية . و لفرط اعجاب الوزير ابراهيم به كتب في رسالة الى السلطان « لقد وضعنا أيدينا على رجل بحر أصيل . لا تتردد في أن تمنحه لقب باشا ، وان تجعله عضوا في الديوان ، وان تنصبه قائدا أكبر للبحرية العثمانية » .

وكان تأثر السلطان سليمان لا يقل عن وزيره . وكما يقول القنصل الفرنسي في استانبول في رسالة الى حكومته : « ان القمة التي بلغها العثمانيون في البحر تؤرخ منذ أول انتصارات خير الدين بعد أن حطت قدماه على ميناء استانبول » .

والحق أن خير الدين ، من خلال معرفته بالبحر

القائد الجنوي أندريا دوريا ..
الخصم اللدود لخير الدين ..

ومعاركه ومتطلبات سفنه ومؤثرات أسلحته وقيمة الرجال والمقاتلين على صفحته ، كان قادرا تماما على إقامة أقوى أسطول للامبراطورية .. ودوى اسمه في كل مكان باربروسا .. سيد البحار ..

عودة الى تونس

في يوليو ١٥٣٤م أبحر الاسطول التركي الجديد من القرن الذهبي ليرسو في منطقة استراتيجية رئيسية في البحر المتوسط . وثار فزع أوروبا كلها . فقد كان الأسطول يضم ٨٤ سفينة حربية بقيادة خير الدين باربروسا . وبعد أن استدار الأسطول حول خليج ماتابان وصل كالزلزال الى مضيق مسينا واضعا تحت رحمته طريق التجارة بين ايطاليا وصقلية .

وكانت تلك أول حملة من العديد من الحملات المتتالية التي أثارت فزع أوروبا . وتحرك باربروسا صوب الساحل الايطالي الغربي عاصفا بالموانيء آسرا كل السفن المبحرة على طول السواحل .

وفجأة حول باربروسا سفنه ليتجه جنوبا الى تونس حيث كان حاكمها مولاى حسن من الأسرة الحفصية قد أعلن الاستقلال عن الدولة العثمانية ، وأقام علاقات مع الملك الاسباني شارل الخامس . ولم يكد مولاى حسن يشهد تقدم الأسطول التركي واقترابه من الميناء حتى أسرع الى جمع ثرواته وكنوزه ورحل مع نسائه وأولاده هاربا الى حلفائه عرب الداخل .

وباستيلاء خير الدين على تونس تحولت مثل الجزائر الى ولاية عثمانية . وبعد أن كان خير الدين قائدا أعلى للأسطول العثماني ، فقد اصبح أيضا واليا على تونس

والجزائر معا ، وعرف في كل مكان في حوض المتوسط كأعظم رجال البحر . . ولم يكن له من منافس على ذلك سوى الجنوى « اندريا دوريا » .

معركة العمالقة

في خريف ١٥٣٨ وقعت المعركة الكبرى والأخيرة التي استمرت لسنوات في مواجهة حاسمة بين بارباروسا والقوى الأوروبية . تلك كانت معركة بيرفازا في مدخل خليج اكتيوم . . نفس المكان الذي دارت فيه الدائرة على انطونيوس وكليوباترا على يد أوكتافيوس قبل ذلك بقرون . وفي هذا المكان أيضا حققت قوات الشرق انتصارها الكبير على الايطاليين وحلفائهم الأسبان .

فقد تجمعت سفن البندقية الثمانون ومعها ٤١ سفينة تحت قيادة أندريا دوريا بالاضافة الى خمسين سفينة اسبانية . والتحم هذا التجمع الضخم بسفن بارباروسا البالغة ١٥٠ سفينة . وكان الأخير عائدا من غزوة قام بها على جزر بحر ايجه . وعندما التقى بالمهاجمين صمم أن يلقن الأوروبيين هذه المرة درسا يتعلمون منه أن العثمانيين وحدهم سادة هذا البحر .

كان واضحا أنها معركة بين العمالقة . فباربروسا ووراءه السواحل التركية وأراضي الممتلكات العثمانية يتستر بأحضان الخليج حيث موقع استراتيجي متميز . وعجز أعداؤه عن اختراق المضيق الضيق الذي يسيطر عليه الأتراك برا وبحرا . . . بينما بارباروسا على الجانب الآخر يستطيع الخروج في الوقت الذي يشاء معتمدا على مجريات الرياح محددا اللحظة المناسبة للهجوم .

وفي ليلة ٢٦ سبتمبر قرر دوريا أن ينسحب من موقعه الى خارج بريفيزا في محاولة لخداع بارباروسا . وكان متأكدا أن تحركات أسطوله في اتجاه اليونان التي أصبحت جزءا من أراضي الدولة العثمانية سيجعل بارباروسا يتحرك لملاحقته وعندها يستطيع أن يخرجه من المضيق الذي يتحصن به . وقد كان . . ولكن خيرالدين لم يكن بالغافل عن هذه الخدعة . . ومع هذا فبالرغم من معارضة ضباطه فقد قرر أن يخرج متابعا عدوه ببطء ولكن بالسرعة التي يريدها .

وفجأة عند اكتيوم أسرع باربا روسا في جنح الليل ليلحق بأسطول أندريا ولتبدأ المعركة . وقد استغل باربا روسا خفة حركة سفنه لتحقيق هدفه وراح ينقض على أسطول أندريا . الذي كانت سفنه الثقيلة بطيئة الحركة . . وكان الريح الشمالي الذي أبحر فيه أندريا دوريا قد انقلب ليعرض سفنه وهو يواجه عدوه لمخاطر جمة . وبدا واضحا أن الموقف أصبح لا مهرب منه .

وفي ٢٨ سبتمبر - برغم الجو الخريفي السيء - قرر بارباروسا بدء هجوم النصر . . ولم يكن أمام أندريا دوريا الا أن ينسحب تاركا سبع سفن أسيرة في أيدي الأتراك . . واتخذ طريقه نحو كورفو تاركا لبارباروسا أن يحول البحر المتوسط بحق . . الى بحيرة عثمانية .

النهـاية

استطاع بارباروسا بعد ذلك وعلى مدى سنوات أخرى أن يحقق انتصارات جديدة على شارل الخامس ملك الاسبان الذي فقد خلال المعارك أغلب سفن أسطوله . وقد نجح خيرالدين أيضا أن يتعاقد مع فرانسيس الأول ملك فرنسا لاضعاف القوة الاسبانية فيما سماه الاسبان « بحلف الكفار » وأصبح الأسطول العثماني من بعد ذلك ملتقى أنظار كل المراقبين الأوروبيين .

وكانت الأعوام الأخيرة من حياة بارباروسا كلها السعادة . . وكانت ثقة السلطان الكبيرة في قائده قد جعلته موضع التكريم في كل مكان . . . وأقيم باسمه مسجد من أجمل مساجد استانبول كما أقيم بالقرب منه ضريح يطل على البحر الذي عرفه طويلا كأعظم بحار في عالمه .

ثم كان اليوم الذي لا بد منه . .

وسجل التاريخ على صفحة من صفحات سنة ١٥٤٦ م تلك العبارة القليلة الكلمات :

« اليوم . . مات خير الدين بارباروسا . . ملك البحار . . وحامي العقيدة . . ومرعب الصليبيين » □□

■ كم من امرأة جميلة تراها أصفى من أديم السماء . . . ثم تثور يوما فلا تدل ثورتها على شيء الا كما يدل المستنقع على أن الوحل في قاعه . . فأغضب المرأة تعرفها .

(مصطفى صادق الرافعي)

• صفحة لغة •

رئيس و رئيسي

بقلم : محمد خليفة التونسي

□ في القاموس (وشرحه : تاج العروس) ما نصه : « الأعضاء الرئيسة القلب والدماغ والقلب » وفيها « الرأس أعلى كل شيء... وسيد القوم كالريس .. والرئيس » ولهذا يجوز أن نقول مثلا « السيدة مرجريت تاتشر رئيسة مجلس الوزراء في بريطانيا » والسيد ميتران رئيس جمهورية فرنسا .

ونقول تشبيها : « القلب عضو رئيسيٌ في كل حيوان » .

فهل يجوز أن نستعمل هنا كلمة « رئيسي » بدلا من « رئيس » في أمثال هذه العبارة ؟ وما الحجة في رفض ذلك أو قبوله ؟..

ظهرت هذه المسألة بين الباحثين اللغويين حديثا منذ نحو ثلاثين سنة ، فأجاز بعضهم استعمال رئيسي وأنكره آخرون ، ونلاحظ فيما نسمع ونقرأ للمتحدثين والكتاب في أحد أقطارنا العربية انهم لا يستعملون في أمثال هذا التعبير الا كلمة « رئيس » وقد أصابوا في استعمال هذه الكلمة ، ولكن نرى أنه لا جناح على غيرهم في استعمال كلمة « رئيسي » .

ونرى أن الباحثين لو دخلوا الى المسألة من أبوابها لاتفقوا أو قاربوا الاتفاق . وقد أحسن بعض علمائنا السابقين حين اعتبروا ياء النسب في آخر المنسوب (مثل : عربي ، مصري ، هاشمي) تشبه تاء التأنيث في آخر المؤنث (مثل : امرأة ، طيبة ، حمزة) وقد قسموا المؤنث الى حقيقي ولفظي ، فالحقيقي ما يقابله مذكر من جنسه ، مثل : خالة ، عمة ، عمرة ، خديجة ، طيبة ، واللفظي مالا يقابله مذكر من جنسه مثل تجارة وصحيفة ومكتبة ، ومن المؤنث اللفظي ما يدل على مذكر حقيقي ، مثل حمزة وطلحة ، وربيعة .

وهكذا قسموا المنسوب قسمين ، فمنه حقيقي ، مثل : حجازي ، فني ، قومي ، ومنه لفظي لا ينتسب الى شيء وان جاء في صورة المنسوب مثل : كرسي ، سخري ، قمري ، دردي ، كُرْكِيّ ، دهمي ، دري .

ويلاحظ في بعض الأسماء التي لا تدل على جنس حقيقي أن مذكرها ومؤنثها يأتيان بمعنى واحد ، مثل حماس وحماسة ، سماح وسماحة ، نقاء ونقاوة ، وهكذا :

جلال ووسام وملال ، وخسار ، ولجاج ، وبراء ورضاع ، الى عشرات من هذه الأمثلة .

وهكذا نجد كثيرا من الكلمات التي جاءت في صورة المنسوب بالياء تؤدي كل منها المعنى الذي يؤديه ما نسبت اليه ، وهي تبلغ في تراثنا الأدبي عشرات وعشرات منذ العصر الجاهلي كما سنرى .

وليس من همنا هنا أن نلم بقواعد النسب أو النسبة في لغتنا ، ويكفينا أن نشير الى أن الغالب أن المنسوب يختلف معنى عن المنسوب اليه ، مثل بغداد وبغدادي ، فكلمة « بغداد » تدل على مدينة ، وكلمة بغدادي تدل على شخص أو شيء منسوب الى بغداد ، وكذلك الكلمات : مغرب ومغربي ، أو طب وطبي ، أو قلم وقلمي .

ولكن هذه القاعدة غير مطردة كما أسلفنا ، وهذا ما فات المنكرين لاستعمال كلمة رئيسي بدلا من كلمة رئيس ، فقرروا أن النسب يوجب أن يكون المنسوب مختلفا عن المنسوب اليه في معناه ، كما قرروا اجماع العلماء على ذلك ، وأن ما جاء خلاف ذلك من دلالة المنسوب والمنسوب اليه على معنى واحد يعتبر شاذا أو يقتصر منه على السماع . سواء كانت زيادة الياء لازمة كما في « دردىّ » أو غير لازمة كما في « أعجمي » وفاتهم أن كثيرا بين علمائنا من يخالفهم في هذا الرأي . جاء في « المخصص » لابن سيده ، مثلا : « فأما قولهم . فأعجم وأعجمي كأحمر وأحمري ، وأنت تريد الأحمر الذي هو صفة ولا تريد النسب ، كما لا تريد بكرسي الاضافة الى شيء وهذا مأخوذ من رواة اللغة » (المخصص ٢/ ١٢٠) .

وفي لسان « العرب » لابن منظور : « الأربع الواسع من كل شيء ، والأربعي الواسع الخلق المنبسط الى المعروف ، والعرب تحمل كثيرا من النعت على أفعلي كأربعي وأحمري » (ربع) .

فابن سيده يرى أن ذلك مأخوذ عن « رواة اللغة » وابن منظور يرى أن العرب تحمل كثيرا من النعت على « أفعلي » ونزيد نحن أن العرب تحمل كثيرا من النعت على أوزان أخرى كثيرة متنوعة كما سنرى .

ويقول ابن سيده أيضا « ان الاسم اذا كان غير وصف صار بالنسب اليه وصفا » (مثل زيد وزيدي) ثم يقول : « فاذا ألحقت الوصف نفسه ياء الاضافة ولم يكن تحتها حقيقة إضافة فانما أردت بذلك توكيد الصفة .

وقد أحصينا نحن مما مر بنا من النصوص ، ومما مر بنا في المعاجم أكثر من مائة مثال للمنسوب الذي يتفق فيه المنسوب والمنسوب اليه في المعنى ، ومن المنسوب الذي لا يقصد منه النسب .

فاذا بلغت الأمثلة هذا العدد مع أننا لم نستقرئها في معجم ملخص كالقاموس ، فكيف نحكم بشذوذ هذه الأمثلة ؟ وهل يلزم أكثر من هذا العدد لاثبات قاعدة لغوية ، ولو كانت خارجة عن قاعدة أشيع وأكثر منها أمثلة ؟

ولسنا نريد هنا أن نورد قائمة بكل ما لدينا من الأمثلة ، فإنه يطول ، ولسنا هنا بصدد وضع معجم لها ، ويكفي أن نذكر نماذج من هذه الأمثلة ، معتذرين عما في بعضها من الغرابة علينا :

١ ـ أسود وأسودي في قول النابغة الذبياني :

زعم البوارح ان رحلتنا غدا
وبذاك خبرنا الغراب الأسودي

وقول دريد بن الصمة في قصيدته التي يرثى بها أخاه عبدالله :

فطاعنت عنه الخيل حتى تنفست
وحتى علاني حالك اللون أسودي

والروى في كل من القصيدتين مكسور ، وكلا الشاعرين جاهلي :

٢ ـ جَيْدَر وجيدري (أي القصير) مثل قول أبي ذؤيب :

كيف المرادي ، لا تأكلاً
جبانا ، ولا جيدريا قبيحا

٣ ـ دوّار ودواري ، كما في قول العجاج :

أطربا وأنت قنسرى
والدهر بالانسان دواري

٤ ـ الألمع والألمعي (واليلمعي) كقول أوس بن حجر:

الالمعي الذي يظن بك الظن
كأن قد رأى وقد سمعا

٥ ـ القُفاخر والقفاخري : الناعم الضخم الجثة :

كقول الراجز :

معدلَّجٌ بَضٌ قفاخري

٦ ـ جعظر وجعظري : المتكبر ، أو الغليظ الجسم ، أو الفظ أو الأكول الضخم كما جاء في الحديث « ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل جعظري جوّاظ مناع جماع » .

٧ ـ الأربع والاربعي كما في قول زهير بن أبي سلمى :

مهذبٌ النجيبِ أربعيّ

قافٌ بخضمُ الكفُ عبقريُّ

٨ ـ القعسر والقعسري : الضخم الشديد كقول العجاج الراجز :

والدهر بالانسان دواري

أفنى القرون وهو قعسري

٩ ـ العَصلب والعَصلبي : الشديد ، كقول الراجز (وقد استشهد به الحجاج في بعض خطبه) :

قد حسها الليل بعصلبيٌّ

أروعَ خراجٍ من الدويّ

١٠ ـ الشعشعان والشعشعاني (الطويل) كما في قول العجاج يصف مشفر ناقته :

تبادر الحوض اذا الحوض شغل

بشعشعانيٍّ صُهابيٍّ هدل

(وهنا في مادة « شع » يقول ابن منظور في اللسان تعقيبا على « الشعشعاني :

« ياء النسب فيه لغير علة ، انما هو من باب : أحمر وأحمري ، ودوّار ودوّاري ») .

١١ ـ أجنب وأجنبي : الغريب .

١٢ ـ واللوذع واللوذعي : الخفيف الذكي كما في قول الشاعر يصف حركة النبي في بلاد العرب :

وعرَبية أرض ما يحلّ حرامَها

من الناس الا اللوذعيُّ الحلاحلُ

١٣ ـ ١٤ ـ اللخلخان والطمطماني : الأعجم

١٥ ـ ألمع والمعي : الذكي المتوقد

١٦ ـ البجر والبجري ، الداهية ، أو الشر العظيم .

١٧ ـ ١٨ ـ الكُنتُى والكنتي : الشديد

١٩ ـ الشرمح والشرمحي : القوي الطويل .

٢٠ ـ اليلنجوج واليلنجوجي : عود للبخور .

٢١ ـ الصماح والصماحي : العرق المنتن .

٢٢ ـ الأملدان والأملداني : الانسان الناعم .

٢٣ ـ الجخدر ، والجخدري : الضخم .

٢٤ ـ الخنسر والخنسري : الخاسر .

٢٥ ـ السحَر والسحَري : قبيل الصباح .

٢٦ ـ عيسران وعيسراني : العسر .

٢٧ ـ الصمعر والصمعري : الشديد .

٢٨ ـ نصران ونصراني .

٢٩ ـ القهاب والقهابي : الأبيض .

٣٠ ـ البطاحي والبطاحي : مرض يعقب الحمى .

٣١ ـ ٤٠ ـ الصُّهابي (الشديد) ، القمري (طائر) والعبرزي (الذهب ، الجميل ، الوسيم ، الأسد) ، البَخْبَخي (الواسع النفقة والواسع الدار) دَجُوجي (مظلم) دَجاجي (أسود) ، الوَقبي (المولع بصحبة الحمقى) الجعظمي (نبات طي) الدُهوري (الرجل الصلب) .

٤١ ـ ٥٠ ـ القعدي (الكثير القعود) ، الضجعي (الكثير الاضطجاع) الحُوذي (السائق ، المتحث للسير) الحَواري (الناصر) الحُباكري (الضخم المجتمع الخلق) الصُّرادحي (الشديد البين) الهمذاني (الكثير الكلام) الجخدري (الضخم) الرُّدحي (بقال القرى) اللَهاثي (الكثير الحِيلان الحُمْر في وجهه) .

فما دلالة الياء في هذه المنسوبات ؟

يرى بعض العلماء كما تقدم أنها لم تأت بدلالة جديدة فكأنها واردة للتوسع في العبارة ، فهي : كتاء التأنيث في قولنا : حماسة ، وشقاوة ، وبراءة ، بدلا من : حماس ، وشقاء ، وبراء . وربما كان هذا أدنى الى المعقول .

ويرى بعضهم أن الياء زيدت للتوكيد ، ولا بأس بهذا الرأي .

ويرى بعضهم أنها من اضافة الشيء الى نفسه ، وهذا جائز في باب النسب كما هو جائز في باب الاضافة[1] اذا

---

(١) يسمى بعض العلماء « النسب » بأنه « الاضافة » المعكوسة ، ففي الاضافة يكون المضاف سابقا للمضاف اليه في الرتبة دائما مثل : ديوان السلطان ، فاذا جئنا الى النسب قلنا « السلطاني » وصفا للديوان ، فكلمة السلطان جاءت في النسب متقدمة .

اختلف المضاف والمضاف اليه لفظا ، مثل : مدينة صنعاء ، وقرية الجهراء ، فالمضاف في هذه الكلمات مضاف الى نفسه ، لأن صنعاء مدينة ، والجهراء قرية .

وأيا كان الرأي فالمنسوب والمنسوب اليه في هذه الكلمات بمعنى واحد .

ونلاحظ هنا في هذه الكلمات المنسوبة أنها ليست مقصورة على أفعلي — كما سبق القول - بل تأتي على أوزان مختلفة ، وهي على اختلافها كثيرة .

واذا رجعنا الى المصطلحات ونحوها في تراثنا ، وجدنا كلمات كثيرة كان المصطلح فيها قد نشأ صفة بمشتق ، أو صفة بجامد يقوم مقام المشتق ، ثم تلحق بها في الحالتين ياء النسب ، ثم يكون هذا المنسوب أشيع استعمالا من المنسوب اليه ، ومن ذلك مثلا في أسماء الفرق الاسلامية : تابعي ، وخارجي ، ورافضي ، ومعتزلي ، فانها أشيع من تابع ، وخارج ، ورافض ، ومعتزل[٢] .

ومن توسعاتنا اليوم أننا نستعمل المنسوبات في الأوصاف أكثر من استعمالنا أصولها ، ومن ذلك مثلا : البنك المركزي ، والبنك الفرعي ، والكتاب الأصلي والأساسي ، والسبب الجوهري والسبب العرضي ، والتعليم الأولي والتعليم الثانوي ، والمرحلة الأولية ، والمرحلة الثانوية في التعليم ، والدهر السرمدي والأزلي والأبدي ، ولا نقول غالبا : البنك المركز أو الفرع ، والكتاب الأصل أو الأساس ، والسبب الجوهر أو العرض ، والتعليم الأول والثاني ، والدهر السرمد أو الأزل أو الأبد .

ولكن الغالب في المنسوب كما قدمنا أن يأتي مخالفا للمنسوب اليه ، وهو النسب الحقيقي ، أو النسب على بابه .

وليس من الضروري أن يكون المنسوب اليه في النسب الحقيقي أو اللفظي اسما ، بل قد يكون فعلا ، مثل : البَحيحي ، واليلمعي ، والأدريُّ ، والأبائيُّ ، أو أداة ، مثل ، كمي وكيفي ، أو وصفا مشتقا ، مثل : تابعي ، ومهاجري ، ومملوكي ، أو اسم ذات ، مثل : أسدي ، وحجري ، ونباتي ، أو مصدرا (اسم معنى) مثل : السمعي والبصري ، والنقدي ، والاداري ، والوزاري ، والرياسي ، والبطولي ، والتقليدي ، والابتداعي والتقريري والاشتراكي والوجودي والسبب في شيوعه ما اقتضاه ويقتضيه مجال الحضارة والمعرفة من تقدم وتنوع . □□

---

(٢) التابعي : الجيل عقب الصحابة ، والخوارج : من خرجوا على الامام علي بعد موقعة صفين ، والروافض من خرجوا مع زيد بن علي بن الحسين ، ثم رفضوا متابعته في القتال حين خالفهم في التبرؤ من أبي بكر وعمر ، والمعتزلة واصل بن عطاء وعمر بن عبيد وأتباعهما .

الناس . . . والكلام

* قد ندمت على ما قلت ، ولم أندم على ما لم أقل .
* أنا على رد ما لم أقل ، أقدر مني على رد ما قلت .
* ما حاجتي الى أن أتكلم بكلمة ، ان وقعت علي ضرتني ، وان لم تقع علي لم تنفعني .

باكثير رائد التجربة وبطل الانقلاب في الشعر المعاصر

بقلم : الدكتور عبد العزيز المقالح

□ كان رائدا من رواد حركة الشعر الجديد . . ووضع أساسا لشكل القصيدة العربية الجديدة . . واتسمت محاولاته بالتحدي . ثم فجأة . . عاد الى موقف مغاير . . . فكيف تم هذا التغير ؟ .

تقتضي الأمانة الموضوعية الاشارة في مدخل هذا الحديث عن باكثير الشاعر ، الى أن باكثير رائد الجديد الشعري قد اختفى وانكسرت صورته الثائرة المغامرة تحت ضربات الاحباط والقلق والتردد ، بين ماض شعري قائم في النفوس ومألوف لها ، ومستقبل شعري يتراءى له في ظل عوامل اليأس أكثر بعدا من نجوم السماء . ويمكن الاشارة في هذا المدخل أيضا الى أن نجاح التجربة الشعرية الجديدة التي بدأها في أواخر الثلاثينيات بقدر ما عكست في نفسه من الفخر والرضا قد عكست قدرا من الحزن والألم ، فهو لم يتابع التجربة الى أن يتكامل وجودها ، ولم يشارك في إغنائها ، واكتفى بوضع معالمها الأولى ثم انفصل عنها في وقت مبكر ، وعاد الى موقف مغاير ، وهو إن لم يكن موقف الشاعر المتشدد في المحافظة على القديم فهو ليس بحال موقف الشاعر الرائد المجدد .

ويمكن للدارس أن يقرأ في شعر باكثير ملامح ثلاث مراحل ، عبرت عن ثلاثة مقومات جمالية ، وعكست ثقافة الشاعر وردود أفعال الواقع الذي ترجمت عنه ، وكانت تعبيرا عن ظواهره المتقدمة والمتخلفة والمراحل الثلاث هي :

أولا : مرحلة البدايات .

ثانيا : مرحلة جامعة القاهرة .

ثالثا : مرحلة انكسار التجديد .

ولأن مرحلة البدايات غير ذات أهمية ، ولم تقدم من النتاج الشعري شيئا يذكر سوى مسرحية « همام أو في بلاد الأحقاف » وهي مما قد نعرض له في مجال المسرح ، فاننا سوف نتخطاها الى المرحلة الثانية ، وهي مرحلة تتجلى فيها أهم ملامح التجديد عند باكثير ، ويظهر الأساس الأول الذي قامت عليه الحركة الشعرية الجديدة . . هذه الحركة الشامخة التي استقرت وأخذت مكانتها وصارت جزءا من واقع حياتنا الثقافية والفنية .

كان باكثير قد وصل الى القاهرة في منتصف الثلاثينيات ، وقاهرة الثلاثينات ـ كما يحدثنا التاريخ الأدبي لتلك الفترة ـ كانت تحاول أن تستشرف ـ أكثر من أي عاصمة عربية أخرى ـ آفاقا جديدة للحياة وللآداب والفنون ، وكانت تسعى الى امتلاك مفاتيح العصر من خلال أعنف الصراعات ، صراع من أجل انهاء الاحتلال ، وصراع من أجل الدستور والحرية والبرلمان ، صراع ضد الملك والوزارة ، وصراع من أجل تطوير شكل الأدب والثقافة وتطوير الفنون . لم يكن باكثير عندما دخل القاهرة مراهقا فتبهره المظاهر أو تخدعه الأضواء ، كان صاحب قضية ، وهو لا ينسى أوضاع البلاد التي طوف بها والتي ينتمي اليها ، وهو لم يدخل القاهرة زائرا أو سائحا ، ولكنه دخلها مسكونا بهاجس الثورة والتجديد ، كان موقفه قد تحدد مبكرا من قضايا التخلف الفكري والاجتماعي ، فهو في مقدمة مسرحيته أو بالأصح محاولته الأولى في مجال المسرح الشعرى"همام أو في بلاد الأحقاف"يبشر بروح العصر الجديد وروح التفاعل مع الحياة الجديدة ، كما يدين بعنف وبفهم عالم الصراعات الميتة القائمة على تقديس الأحساب والأنساب والتشيع للعائلات ، وقد أعرب عن ذلك الشعور قبل أن يدخل مصر ويقع تحت تأثير ما يصطرع في جنباتها من مواقف وأفكار .

(كلنا يعلم أن في حضرموت بدعا في الدين يجب أن تنكر وتزال ، ماقي ذلك من شك ، وجهلا يجب أن ينار بمصباح العلم ، ماقي ذلك مرية ، وجمودا يجب أن يدك صرحه . .) .

وحين كانت البدع والخرافات تغطي على أهداف التحرير وتمنع الرؤية الواضحة للعصر ، فإن المقدمة لم تخل من اشارات تهاجم تخلف الشعر وما يلقاه من عناكيب القوافي والعاجزين عن التعامل مع عصرهم ، وكانت قراءاته المفاجئة لمسرح شوقي بداية الثورة على القصيدة الغنائية ذات الصوت المفرد ، وقد أجاد استيعاب الأسلوب وأجاد التقليد في « همام أو في بلاد الأحقاف » لكن أخطر ما صنعه مسرح شوقي في ذلك الشاب الحالم المتعطش الى التغيير أن قاده الى القاهرة والى كلية الآداب ، والى قسم اللغة الانجليزية على وجه الخصوص ، فلم يمض سوى وقت قصير على دخوله الى مصر والتحاقه بكلية الآداب حتى وجد أن نظام القصيدة العربية هو المحتاج إلى تغيير وليس موضوعها فحسب ، لقد أحدث مسرح شوقي أثرا كبيرا في نفسه ، وهزه ـ كما يقول ـ من الأعماق ، وأراه لأول مرة في حياته كيف يمكن للشعر أن يكون ذا مجال واسع في الحياة حين يخرج عن نطاق ذاتية قائله ، لكن الدراسة في الجامعة ودراسة الأدب الانجليزي بخاصة قد غيرت نظرته لمفهوم الأدب كله ـ كما يقول أيضا ـ وغيرت مجرى حياته الأدبية وتحولت أحلامه من البحث عن الشاعر الكبير في نفسه الى البحث عن المسرحي ثم الروائي أو القصصي الكبير .

إعادة النظر في المقاييس

لقد تغيرت المقاييس الأدبية في نظر الطالب الجامعي القادم من جنوب الجزيرة العربية ، وصار الشعر في الدرجة العاشرة من اهتمامه . بل لقد توقف عن نظمه حتى يتبين موقفه من هذه الأشكال التي تموج في نفسه ، وحتى تستقر البلبلة التي أحدثها هذا الانفتاح المفاجيء ، على الآداب الأخرى . وفي الصفحات الأولى من

كتابه (فن المسرحية من خلال تجاربي الشخصية)يتوقف طويلا ليروي للقارىء قصة أول خروج على وحدة البيت في القصيدة العربية ، واكتشافه لما يسمى بالشعر المرسل : (كانت ثقافتي الأولى عربية خالصة وظلت كذلك حتى حضرت الى مصر فعزمت على أن أدرس الأدب الانجليزي لما بلغني انه غني بالشعر الرفيع .

فأخذت أعيد النظر في المقاييس الأدبية التي كانت عندي من أثر ثقافتي العربية،ويهمني هنا أن أخص بالذكر ما يتعلق بدراسة المسرحية ، فقد انجذب قلبي اليها أكثر من انجذابي الى غيرها من فنون الأدب الأخرى كالقصة والأقصوصة والملاحم والشعر القصصي ، وكان يستهويني بوجه أخص أعمال شكسبير ، فلا غرو أن أفتتن به باعتباره يجمع بين الفن القديم الذي أحبه وهو الشعر وبين هذا الفن الجديد الذي بدأت أكتشف في نفسي الاستجابة اليه وهو فن المسرحية .

وقد نتج عن هذه الأزمة النفسية التي عانيتها من جراء تغير مقاييسى الأدبية ـ كما أشرت ـ أن انقطعت برهة عن نظم الشعر ، تمت فيَّ خلالها تجربة جديدة بالنسبة اليَّ ، ثم تبين انها جديدة بالنسبة الى مستقبل الشعر العربي الحديث وأعني بها محاولة ايجاد الشعر المرسل في اللغة العربية .
واتفق في ذلك الحين أن حدث حادث في مقاعد الدرس كان له أثر كبير في دفعي الى التعجيل بهذه المحاولة وخلاصته أن أحد مدرسينا الانجليز تحدث ذات يوم عن الشعر المرسل وكيف أن اللغة الانجليزية اختصت بالبراعة فيه ، والتفوق على سائر اللغات ، وكيف أن الفرنسيين حاولوا محاكاته في لغتهم فكان نجاحهم محدودا ، ثم قال : ومن المؤكد ألا وجود له في لغتكم العربية ولا يمكن أن ينجح فيها ، فاعترضت عليه قائلا : أما أنه لا وجود له في أدبنا العربي فهذا صحيح لأن لكل أمة

بدر شاكر السياب

تقاليدها الفنية،وكان من تقاليد الشعر العربي التزام القافية ، لكن ليس ما يحول دون ايجاده الى اللغة العربية فهي لغة طيعة تتسع لكل شكل من أشكال الأدب والشعر . . فاكتفى بأن أعرض عني ، وشعرت عندئذ بأن عليَّ أن أتحدى هذا الزعم وأدحضه بالبرهان العلمي ، وانصرفت من الدرس وقد ملك عليَّ هذا التحدي كل أمري ، فبدا لي أن خير ما أبدأ به في هذا السبيل هو أن أترجم فصلا من شكسبير على هذه الطريقة ، فذلك أجدر أن ييسر لي هذه التجربة وأعوَن على النجاح فيها .

وكنا في تلك السنة ندرس مسرحية (روميو وجولييت) فلا غرو أن وقع اختياري عليها فاخترت مشهدا من مشاهدها وبدأت أفكر في ترجمته،فاتفق ان جاء الوزن في بحر المتقارب (فعولن فعولن فعولن فعول) دون ان أعي ما ينطوي عليه ذلك من الدلالة . ثم مضيت في عملي مرسلا نفسي على سجيتها في اختيار ما يناسب المقام من البحور والأوزان ، فاكتشفت بعد لأي ان البحور التي تصلح لهذا الضرب الجديد من الشعر هي تلك التي تتكون من تفعيلة واحدة مكررة كالكامل والرجز والمتقارب والمتدارك والرمل ، لا تلك التي تتألف من تفعيلتين مختلفتين كالسريع والخفيف والبسيط

نازك الملائكة

والطويل فانها لا تصلح.(فن المسرحية من خلال تجاربي الشخصية ص ٨) .

من الريبة الى الثورة

ذلك هو الاكتشاف الخطير والمثير الذي تسبب بعد عشرة أعوام في ايجاد هذا المنحنى الشعري الجديد الذي أحدث انقلابا في تاريخ القصيدة العربية ، ودفع بأهم المواهب الشعرية العربية المعاصرة الى اختياره طريقا حديثا ومتميزا وأصيلا ومتفاعلا مع حداثة الواقع العربي ومعبرا عنه ، غير منعزل أو سجين في القوالب التاريخية الجامدة ، ولم تكن ثقافة باكثير التقليدية في منأى عن هذا الاكتشاف المثير ، فقد أمدته معرفته العميقة بالشعر العربي ، وامتلاكه لخصائصه وأدواته الفنية امتلاك معرفة وممارسة - وبقدرة على التجاوز والتفكير في امكانيات الخروج على القافية اولا ثم على وحدة البيت ثانيا .

وقد ظلت هذه التجربة أكثر من عشر سنوات موضع ريبة وخوف قبل ان تتحول الى ثورة في شكل الشعر العربي ، فلا أحد يستطيع أن يتصور شعرا يقوم على التفعيلة لا على الشطر ، وان تكون القصيدة منفصلة عن الصورة التي تشكلت بها تراثيا ، وعلى مدى ستة عشر قرنا ،

وقد أشار باكثير الى هذه الحقيقة قائلا : (ولكنّ هذا الشعر المرسل لم يستقبل عند ظهوره بالترحيب أو الاستحسان الا من قبل المرحوم الأستاذ عبدالقادر المازني الذي - تفضل رحمه الله فكتب مقدمة للمسرحية (اخناتون ونفرتيتي) اشاد فيها بهذه التجربة في الشعر المرسل وصلاحيته للمسرحية ، وكنت اظن انني سأتابع كتابة المسرحيات بهذا الشعر ، غير أن تجاربي جعلتني بعد ذلك أقطع بأن النثر هو الأداة المثلى للمسرحية ، ولا سيما اذا اريد بها أن تكون واقعية ، وان الشعر لا ينبغي أن يكتب به غير المسرحية الغنائية التي يراد بها أن تلحن وتغنى ، أي الاوبرا) .

وقبل الحديث عن الاستجابة المتأخرة لهذه التجربة في مجال الكتابة الشعرية القائمة على التفعيلة ، والخارجة على وحدة البيت الشعري كما كان عليه في القصيدة التقليدية قبل ذلك ، أرغب في أن استطرد بملاحظتين قصيرتين : الملاحظة الأولى حول ما أورده باكثير من أن البحور التي تصلح لهذا الضرب الجديد من الشعر هي تلك التي تكون من تفعيلة واحدة مكررة . والملاحظة الثانية حول ما ذهب اليه من أن النثر هو الأداة المثلى للمسرحية ولا سيما اذا اريد بها أن تكون واقعية . وعن الملاحظة الأولى فان الأيام قد أثبتت خطأ ما ذهب اليه باكثير من أن بحور التفعيلة المكررة هي الصالحة لكتابة القصيدة الجديدة ، وقد أيدته في هذا الخطأ الشاعرة الكبيرة نازك الملائكة التي تقصر كتابة هذا النوع من الشعر على ماتسميه بالبحور الصافية ، وقد استطاع الشعراء الشبان أن يؤكدوا من خلال الممارسة ان تفعيلات كل البحور ومجزوءاتها صالحة لكتابة الشعر الجديد ، وقد أثبت الشاعر أحمد دحبور في ديوانه (واحد وعشرون بحرا) صدق المقولة الجديدة - كما أكدت قصائد اخرى جديدة من بحر الطويل ، وقصائد اخرى جديدة من بحر البسيط ، وقصائد من البحور غير المتماثلة

التفاعيل . . صدق المقولة الجديدة ايضا . أما الملاحظة الثانية وهي حول ما ذهب اليه باكثير من أن النثر هو الأداة المثلى للمسرحية فذلك صحيح ، وهو ما أثبتته التجارب المسرحية في السنوات الأخيرة . واذا كان الفن المسرحي ضربا من الايهام فان الافتعال الشعري في الحوار يكسر حدة هذا الايهام ، ويجعل المشاهد يدرك من أول لحظة ان هذا الذي يراه على المسرح لا يمت بصلة الى واقع الحياة ، فالناس يتحدثون شعرا ولا يجيدون استخدام الشعر بمثل هذه السهولة التي تحدث أمامهم على المسرح .

نازك الملائكة وشروط الريادة

ونعتذر عن هذا الاستطراد لكي نعود الى الموضوع الرئيسي في هذا الجانب من البحث وهو ريادة باكثير لحركة الشعر الجديد وللانقلاب الجذري الذي شهدته القصيدة العربية في أواخر الأربعينيات ، فقد أثار بوضعه أساسا جديدا لشكل القصيدة العربية الجديدة ردود أفعال متباينة وتأثيرات مختلفة ، وان كانت الاستجابة قد جاءت متأخرة ، وبدأت من بغداد ثم امتدت الى بقية الأقطار العربية دون استثناء . وقد اعترفت الشاعرة الكبيرة نازك الملائكة كما اعترف زميلها في الريادة للجديد الشاعر الكبير بدر شاكر السياب بالأثر الذي تركته محاولات باكثير ، وبدوره الواضح على التجربة الشعرية الجديدة ، وإن كانت الشاعرة الكبيرة قد عادت فقصرت التأثير العام والشامل على دورها ودور زميلها السياب ، وهي لكي تحقق لنفسها ولزميلها هذا الدور تضع شروطا أربعة ينبغي ـ كما تقول ـ ان تتوافر لكي تعتبر قصيدة ما أو قصائد هي بداية هذه الحركة ، والشروط الأربعة هي :

١ ـ أن يكون ناظم القصيدة واعيا الى أنه قد استحدث بقصيدته اسلوبا وزنيا جديدا سيكون مثيرا أشد الاثارة حين يظهر للجمهور .

٢ ـ ان يقدم الشاعر قصيدته تلك (أو قصائده) مصحوبة بدعوة الى الشعراء يدعوهم فيها الى استعمال هذا اللون في جرأة واثقة ، شارحا الأساس العروضي لما يدعو اليه .

٣ ـ ان تستثير دعوته صدى بعيدا لدى النقاد والقراء فيضجون فورا ، سواء أكان ذلك ضجيج اعجاب أم استنكار ـ ويكتبون مقالات كبيرة يناقشون فيها هذه الدعوة .

٤ ـ ان يستجيب الشعراء للدعوة ويبدأون فورا باستعمال اللون الجديد ، وتكون الاستجابة على نطاق واسع يشمل العالم العربي كله . (نازك الملائكة : قضايا الشعر المعاصر : ص ١٦) .

ولن أتردد عن القول بأن هذه الشروط الأربعة لا تنطبق على أحد الرواد ، أو على من اصطلح على تسميتهم برواد القصيدة الجديدة ، كما تنطبق على الشاعر علي أحمد باكثير ، وبغض النظر عن الضجة والاستجابة الفورية ، وكتابة المقالات المؤيدة أو المستنكرة ، فان تجربة باكثير رائدة ومثيرة بكل المقاييس وتحت كل الشروط ، وهي لم تكن مقصورة على قصيدة أو قصيدتين أو حتى على ديوان من الشعر يضم بعض القصائد ، وانما هي تجربة كبيرة تتمثل في عملين فنيين كبيرين احدهما مترجم وهو « روميو وجولييت » والآخر عمل ابداعي وهو « اخناتون ونفرتيتي » وهما من حيث الحجم وكم الشعر يزيدان عن كل ما قدمه السياب ونازك من قصائد جديدة منذ بدأت ريادتهما في سنة ١٩٤٧م الى أوائل الخمسينيات .

ضرورة الابداع

ولم تتسم المحاولة عند باكثير بالوعي بأهمية الاستحداث فحسب وانما اتسمت كذلك بالتحدي لمن يقول ان الشعر المنطلق من قيود

القوالب القديمة للقصيدة العربية لا يكتب له النجاح،وفي مقدمة ترجمته لمسرحية « روميو وجولييت » يقول باكثير شارحا الأساس العروضي الذي يدعو اليه : (والنظم الذي تراه في هذا الكتاب هو مزيج من النظم المرسل المنطلق بالنظم الحر ، فهو مرسل من القافية ، وهو منطلق لا يشابه بين السطور ، فالبيت هنا ليس وحدة وانما الوحدة هي الجملة التامة المعنى التي قد تستغرق بيتين أو ثلاثة أو أكثر ، دون أن يقف القارىء الا عند نهايتها . وهو ـ أعني النظم ـ كذلك لعدم التزام عدد معين من التفعيلات في البيت الواحد . ولست أقصد بهذا البيان التحديد الاصطلاحي لهذا الضرب الجديد من النظم ، وانما قصدي ان أعطي القارىء فكرة عامة عنه قد تساعده على تذوقه).(روميو وجولييت : المقدمة) .

ماذا تعني هذه المحاولة الواعية ، وهذا الاعتراف المسبق بضرورة الابتداع ، ثم هذه الأوصاف الثلاثة التي تبعت كلمة«والنظم»،وهي « مرسل » ، « ومنطلق » وحر ؟ هل ما تزال الاستاذة نازك الملائكة على اصرارها بالأسبقية وبأنها الرائدة الأولى أو أنها مع الشاعر بدر شاكر السياب أول رائدين في هذا المضمار ؟ ان لنا مع الاستاذة الجليلة حديثا آخر في فصل قادم من هذا البحث سوف يتضمن بعض النصوص المختارة من مسرح باكثير الشعري المترجم الذي استطاع باقتدار تام أن يجعله مختلفا ومغايرا لمسرح شوقي ، الذي وصفه بأنه مجموعة من المقطوعات الشعرية المتنافرة النظام . وعلينا قبل ذلك أن نقرأ سطورا اخرى من مقدمة مسرحية اخرى قال عنها نقاد الشعر بأنها من أنجح المحاولات التجديدية في مجال الشعر الجديد او الشعر الحر ـ كما يحلو لبعضهم ان يسميه ، وهذه التسمية من التسميات التي اطلقها باكثير نفسه على محاولاته الشعرية ، والمسرحية المشار اليها هي « اخناتون ونفرتيتي » وقد ظهرت في عام ١٩٤٠م ، وتقول مقدمتها الثانية : « هذه مسرحية اخناتون ونفرتيتي اعود اليها بعد تسعة وعشرين عاما منذ عايشتها وكتبتها في سنة ١٩٣٨ ، فأقدمها اليوم للقراء العرب كما خرجت للناس في طبعتها الأولى سنة ١٩٤٠ أقدمها متأسيا مما أجد في سطورها من أنفاس شبابي الأول ، ومغتبطا لما أصابت من حظ عظيم . اذ صارت نقطة انقلاب في تاريخ الشعر العربي الحديث كله . فقد قدر لها ان تكون التجربة الأم فيما شاع اليوم وسميته أنا قديما الشعر المرسل المنطلق . .

تجربة انطلقت في منيل الروضة على ضفاف النيل بالقاهرة . ثم ظهر صداها أول ما ظهر في العراق لدى الشاعرين المجددين الكبيرين بدر شاكر السياب ونازك الملائكة ، بعد انطلاقها بعشرة أعوام،ثم ما لبث ان شاع هذا الشعر الجديد في العالم العربي كله (اخناتون ونفرتيتي : مقدمة الطبعة الثانية ص ٥) ولا يتسع المجال بعد كل هذا لايراد سطور من مقدمة الأستاذ المازني رحمه الله للطبعة الأولى من مسرحية (اخناتون ونفرتيتي) وهي مقدمة صادرة عن ناقد كبير له مكانته في عالم الأدب العربي ، مع رفيقيه العقاد وشكري ، فقد تلمس ثلاثتهم أساليب التجديد المختلفة ، وقرعوا أبواب الشرق والغرب بحثا عن طرائق لتجديد الشكل دون جدوى ، ان المازني يكاد يصرخ وهو يقدم للمسرحية أن هذا هو الأسلوب الذي ظللنا نبحث عنه ثم أدركه هذا الشاب اليماني القادم من أرض « دمون » ارض أقدم اشكال التجديد .

في تاريخ الشعر العربي القديم :

تطاول الليل علينا دمون
دمون إنّا معشر يمانون
واننا لأهلنا محبون

أجل : لقد تطاول علينا ليل العصر الحديث ، لكننا مانزال لأهلنا محبين وبهم مشفقين ، الا أننا نحب الحق ونكره التعصب ، وحبنا للجديد ضارب في جذور التراث ومتغلغل في أعماق العصور . . □□

سمفونيّة البَحر .. والبحّار

بقلم : أبو المعاطي أبو النجا

□ بصدور رواية « المرفأ البعيد » سنة ١٩٨٣ للكاتب العربي الكبير « حنا مينا » تكتمل ثلاثية « حكاية بحار » التي صدر الجزء الأول منها بهذا العنوان سنة ١٩٨١ ، ثم صدر الجزء الثاني بعنوان « الدقل » سنة ١٩٨٢ .

مع أن هناك شواهد كثيرة توحي بأن رواية « المرفأ البعيد » يمكن أن تكون هي النهاية الطبيعية لهذه الثلاثية ، فان الطريقة التي ينتهي بها هذا الجزء ، وبعض وقائعه الأخيرة تحمل إمكانات النمو والتطور ، وقد يعني ذلك نوعا من النهايات المفتوحة ، لكنه بأي حال لا يعني أن علينا أن ننتظر موت البحار أو عودته فالبحارة - كما يقول : « سيد الاسكندراني » أحد شخصيات هذه الرواية - لا يموتون ، يفقدون غالباً ، كل زوجة تنتظر عودة زوجها ، لكن انتظارها يطول . . . . » .

●●●

تبدأ هذه الرواية من نقطة النهاية ، بعد أن بلغ « سعيد حزوم » الشخصية المحورية فيها الخمسين من عمره ، وحط رحاله على شاطيء مدينة « طرطوس » مجرد مشرف يرعى بعض المصطافين ، إثر حادثة صغيرة اضطره فيها عناده وكبرياؤه الى قبول التحدي من شاب في العشرين من عمره للدخول في مسابقة للغوص ، تغلب فيها على الشباب بخبرته الطويلة ولكنه لم يسعد بهذا الفوز الذي أدرك من خلاله حقيقة ما فعل به الزمن « لقد وصل الى النقطة التي تتساوى عندها الأشياء ، وليس يحس حقداً ولا عتباً ولا يرغب إلا في النوم » وبين اليقظة والنوم والسير على الشاطيء ينثال تيار الذكريات في إضاءات قوية على مراحل من حياته تروى بصوت « سعيد حزوم » ، حيث يمتزج تاريخه الشخصي بأحداث هامة في تاريخ وطنه وأمته والعالم ، ومن خلال هذا الصوت الذي يتردد عبر أزمنة الرواية وأمكنتها يكتسب هذا العمل الضخم وحدته ، ويمتد هذا الصوت كنغمة أساسية في سمفونية عن البحر ومعها ، ومن خلالها تنبعث وتلتقي وتتحاور أصوات الشخصيات الأخرى في تنوع خصب ، وتناغم فريد ، يمنح هذا العمل طابعه السيمفوني ، وتوتره الدائم عبر صفحاته التي تربو على الألف صفحة من الحكمة والجنون والأسى والإحباط والتوهج والأمل والفكاهة الحلوة والمرة .

ملامح من رحلة حياة

كان « سعيد حزوم » طفلاً حين سمع بتلك القصة العجيبة عن بطولة أبيه « صالح حزوم » في إنقاذ المراكب من عاصفة نهرية عاتية ظل الناس يتحدثون عنها طويلاً في « مرسين » ببلاد الأناضول . وبعيني الطفل وعقله رأى وعايش أحداث اضطهاد الاتراك للعرب ، ومقاومة أبيه لهذا الاضطهاد ، ودخوله السجن بسبب هذه المقاومة . ولم يكن قد غادر طفولته بعد ، حين عاش أول هجرة للأسرة من ميناء « مرسين » في إقليم الأناضول الى ميناء « الاسكندرونة » في سورية ، ويومها قالوا له : إننا عائدون الى أرض الوطن .

في « الاسكندرونة » عاش « سعيد حزوم » مرحلة الصبا وبدايات الشباب ، ومع أنه كان في أرض الوطن فقد وجد أباه « صالح حزوم » يقاوم اضطهاد الفرنسيين للأهالي حين عصفت بهم البطالة إبان الأزمة الاقتصادية ، فخرجوا في مظاهرة أمام قصر الحاكم الفرنسي ، الذي لم يجد ما يقدمه لهؤلاء الجوعى سوى طلقات الرصاص . . . من يومها لم يعد يبصر أباه . . . الا في الليل . . . وأدرك أن خطراً كبيراً يحدق بأبيه وبالأسرة ، وبأن الخطر يكون في الوطن كما يكون في الغربة وأدرك على نحو غامض أن ثمة علاقة بين مقتل بعض الجنود الفرنسيين هنا أو هناك وبين اختفاء أبيه في الجبل ، لم يكن أبوه يقول له شيئاً واضحاً بشأن اختفائه ، ولا بشأن الناس الذين يقدمون لهم في غيابه بعض المعونات ، وفي تلك الليلة التي طرقوا فيها بابهم على غير موعد ، كاد أن يطلب منهم أن يوضحوا له الأشياء ، وبدوا وكأنهم سيفعلون ذلك من تلقاء أنفسهم فقد أخذوه الى شاطيء البحر ، وأشاروا الى سفينة فرنسية غارقة بقرب الشاطيء كانت محملة في داخلها بصفائح الغاز ، وأخبروه بأن أباه كان يأتي في الليل ويغوص الى قلب هذه السفينة ويخرج منها صفائح الغاز ، ويبيعونها سراً للمحال التجارية ، وبثمنها كانوا يشترون الخبز للأهالي الذين تعصف بهم الأزمة ، وأن أباه لم يخرج من السفينة بعد آخر مرة غاص فيها ، وأنهم بحثوا عنه وانتظروه دون طائل ، ويجد سعيد حزوم نفسه يقوم بأول مخاطرة كبرى في حياته ، يغوص مرات داخل عنابر السفينة ، متحدياً الخوف والموت والوهن والمجهول في كل مرة للبحث عن جثة أبيه . وحين نجح في الخروج العسير بها من أشداق السفينة الغارقة ، وجد أنها لم تكن جثة والده بل هي لجندي فرنسي ضمن طاقم السفينة الغارقة وبقدر ما شعر هو ومن معه بالاحباط العظيم بعد هذه المخاطرة . . . انبثق من قلب هذا الاحباط أمل . . . فما دام لم يعثر على جثة أبيه في هذه السفينة فهناك أمل في أن والده لا يزال على قيد الحياة .

البحث عن الأب

منذ تلك اللحظة تبدأ في حياة الابن « سعيد » ومع بدايات الشباب مهمة البحث عن الأب « صالح حزوم » على نحو غير محدد ، ولكنه ملح ودائم وهو بحث عن شخص الأب الغائب ، وهو اكتشاف للمعاني التي يمثلها .

إن وقائع حياة الأب التي قدمها المؤلف في الجزء الأول « حكاية بحار » قدم بعضها من خلال وعي الطفل ، وبعضها الآخر من خلال الوعي الناضج « لسعيد حزوم » ، بعد أن يسمع أجزاء جديدة منها من رفاق والده ، هذه الوقائع يعاد اكتشافها من جديد في ضوء التجارب التي يمر بها سعيد حزوم ، ويختلط ذلك الاكتشاف باكتشاف سعيد حزوم لذاته وللناس وللدنيا من حوله في البر والبحر .

إن العلاقة بين الابن والأب في هذه الرواية محور من أهم محاورها . . . والعصب الممتد بين أجزائها عبر رحلة حياة « سعيد حزوم » ، والبحث عن الأب هو من بعض الوجوه ، بحث عن الذات . فالأب هو الأنا الأعلى أو المثل الأعلى ، لشخصية سعيد حزوم ، والرحلة الممتدة لسعيد حزوم في البر والبحر هي محاولة مستمرة لاكتشاف أبعاد هذا الأنا الأعلى ومحاولة لترسم خطاه والوصول اليه ، وهي محاولة بالغة الصعوبة ، فالأب الذي اختفى في ظروف غامضة في غبش الصبا يسفر عن وجهه أو وجوهه المتعددة عبر الأحداث والشخصيات الجديدة التي يتعرف عليها ويتفاعل معها سعيد حزوم ، بعضها يرفع الأب الى مستوى الأبطال ، وبعضها يؤكد أنه كان بطلاً في بعض المواقف ومجرد بحار محدود الامكانات في مواقف أخرى ، وبعضها يكشف عن جوانب ضعف

ربما كانت عظمته الوحيدة هي في قدرته على تجاوزها عند اللزوم . ومع تطور أحداث الرواية يلوح أن المثل الأعلى في هذه الحياة القاسية المتغيرة يبدو هو الآخر مراوغاً وقابلاً للتغير . . . وأن فيه من المراوغة بقدر ما فيه من السحر والجاذبية . . . فهل تنتهي رحلة البحث عن الأب بمحاولة لصياغة جديدة له ؟ ووقتها يصبح اكتشاف الأب هو اكتشاف الذات وتلتحم شخصية الابن بشخصية الأب في كل جديد عند الوصول الى ذلك « المرفأ البعيد » الذي يبحر اليه الابن في نهاية الرواية ؟ ؟

لماذا لا نعود الى قراءة متأنية لهذه الرواية ؟

ملامح جديدة

لقد أدى اكتشاف سعيد حزوم لجثة الجندي الفرنسي في السفينة الغارقة الى دخوله السجن لمدة ثلاث سنوات لأنه لم يبلغ السلطات الفرنسية عن عثوره على الجثة في حينها . . . كان الحكم في حقيقته نوعاً من عقاب الأب الغائب الذي عجزت السلطات الفرنسية عن القبض عليه ، وكانت تجربة السجن كلها خطوة أولى على طريق البحث عن الأب ، ففي السجن التقى سعيد حزوم - رغم البشاعات التي عايشها - بمن أكرموه وعنوا به عندما عرفوا بأنه ابن صالح حزوم ، وخارج السجن - رغم الأزمة الطاحنة - سمع من أمه وهي تزوره - أن هناك من كان يهتم بالأسرة وأن من بينهم جارة قديمة لهم من « مارسين » عادت الى الاسكندرونة اسمها « كاترين الحلوة » . كان قد سمع من أحد البحارة قصة مثيرة عن علاقة بين أبيه وبين كاترين الحلوة التي لم تكن حسنة السمعة . كان ذلك جزءا من الماضي فما معنى أن تعود تلك المرأة لتساعد أسرة الرجل الذي كانت تحبه بعد أن اختفى ودخل ابنها السجن ، هل نسيت كيف طردها أبوه من مرسين بعد خروجه من السجن لأنها كانت على علاقة بالأتراك وهو في السجن ؟

ما معنى أنها لا تزال تذكر أباه بعد خمسة عشر عاماً من طرده لها ؟ أم تراها عادت هي الأخرى للبحث عن الأب ؟

●●●

بعد أن خرج « سعيد حزوم » من السجن كان هو الذي يقود أسرته هذه المرة في هجرة جديدة من الاسكندرونة الى اللاذقية ، فقد سلم الفرنسيون لواء الاسكندرونة الى تركيا ، وها هو يتراجع أمام نفس القوى التي كان يحاربها أبوه . . . لقد اختفى أبوه ، ولكن هذه القوى تتعاظم ، وهو وقومه يتراجعون أمامها ، وهو مسئول عن الأسرة التي تركها له أبوه ، بلا تجربة ولا تعليم ، سوى سنوات قليلة في المدرسة ، وسنوات أقل في السجن ، وها هو يجد نفسه وحيداً غريباً في ميناء اللاذقية ، الميناء مكان غامض يحفل بالأسرار والغرائب والمخاطر التي تحيط بالكهوف والأقبية . . . . لقد سكن في واحد منها الى أن يجد مسكناً ولكن الوقت يطول

دون أن يجد المسكن المأمول ، ويتعرف على نوعيات مختلفة من الشخصيات . . . « العجوز » الذي يعمل معه على زورقه كبحار ، . . . « قاسم العبد » الموظف بالسكك الحديدية ذي الرقاقة اللحمية بين أصابعه ، والذي لا يتكلم الا في السياسة ويغرق في الدهشة حين يكتشف أنه كان على صلة بوالده « صالح حزوم » ، وتتحول دهشته الى نوع من الحيرة أمام طريقة قاسم في فهم الوطنية ، فهو يتشكك في رجال الكتلة الوطنية ، ويكتفي بتأييدهم في الثورة ضد فرنسا ، ولكنه بعد ذلك لا يضع ثقته الا في عمال الميناء ، وفي دفعهم لتأليف نقابة للدفاع عن مصالحهم ، يتكلم معه في حذر ووضوح وحسم ، ولكنه يعامله أحياناً كطفل عديم الخبرة ، وفي حديثه عن أبيه « صالح حزوم » لا يحيطه بهالة البطولة التي تبدى في أحاديث البحار العجوز (الذي يعمل معه) عن والده ، والريس عبد الحميد الذي ما كاد يعرف أنه ابن صالح حزوم حتى أكرمه ووعده بالبحث له عن فرصة عمل تحقق له طموحه في أن يكون بحاراً كوالده ، والى جوار هؤلاء يتعرف أيضاً على شخصيات من نوع آخر . . . « توفيق » صاحب الخمارة التي تضم حثالة الميناء من اللصوص والصعاليك والمدمنين ، ويلتقي في هذه الخمارة « براغب درويش » المهرب الدولي الذي خرج لتوه من السجن ، ويتحدث عن حياته ومغامراته بلا تحفظ وكأنه لا يعمل حساباً لقيمة ، أو لشخص أو لشيء ، ولا يجد معنى لبحث « سعيد حزوم » عن أبيه ، ولا لبطولة أبيه أو أي بطولة .

ذلك هو عالم الميناء الصاخب بالمتناقضات حيث تبدو أسطورة أبيه كزورق في بحر عاصف ، موجة ترفعها ، وموجة تعصف بها وهو يبحر خلف الأسطورة في البحر ذاته ، محاولاً أن ينقذها ، أن يكتشف حقيقتها ، ولكنه يكتشف لدهشته أنها هي التي تنقذه في أحيان كثيرة ، ففي الليلة ذاتها التي التقى فيها براغب درويش ، وفي نهاية السهرة يلتقي في ذات الخمارة « بالريس عبدوش » الذي لا يكاد يعرف انه ابن "صالح حزوم" حتى يعرض عليه أن يعمل على مركبه كبحار ، وكان توفيق صاحب الخمارة قد أخبره منذ لحظات أن الريس عبدوش قد تزوج من امرأة اسمها « كاترين الحلوة » وهكذا يجد نفسه في لحظة واحدة ، لعلها إحدى غرائب الميناء ، يجد فرصة العمل التي كان يحلم بها ، بحاراً على مركب مثل والده لا على زورق في ميناء .

والده هو الذي كان يوصيه دائماً بأن يكون بحاراً ومناضلاً ، وها هو يوشك أن يصبح بحاراً ، أما كيف يصبح مناضلاً فهذا ما لا يعرف بعد طريقاً واضحاً اليه . . . ؟ وكيف يا ترى يكون النضال ؟ على طريقة قاسم العبد أم على طريقة أبيه ؟ الذي لا يزال يبحث عنه ، أهو الذي يبحث عن أبيه أم أن أباه هو الذي يبحث عنه ، فها هو يقترب فجأة من العمل مع زوج كاترين الحلوة التي تمثل واحداً من أهم أسرار والده ؟ ومن أقصر الطرق اليه . . . الى حقيقته ؟ وحين يعود في تلك الليلة منتشياً بما حدث في المقهى ، حين يروى لأمه بعض ما حدث له ، لا تجد أمه في كل ما سمعته منه سوى معنى واحد ، هو أن البحر الذي اخذ الأب يريد أن يأخذ الابن أيضاً ، وحين يقول لها سعيد مداعباً :

- ان الريس عبدوش متزوج من كاترين الحلوة . . .

لا تجد في هذا الخبر سوى أنه فرصة لتذهب الى كاترين جارتها القديمة في « مارسين » لعلها تقنع زوجها الريس عبدوش الا يأخذ ابنها معه الى البحر ، وهكذا تقوم الأم الطيبة بتقديم ابنها بنفسها الى المرأة التي أخذت الأب من قبل .

ويلتقي سعيد بكاترين الأسطورة . . . أيمكن أن تكون هذه المرأة هي دليله الى أبيه . . . أن يصل الى حقيقته من الأبواب الخلفية ؟ ويكتشف

لدهشته أن الواقع دائماً يفوق كل الأساطير . . . وهل كان يتخيل سعيد حزوم يوماً في عمق أحلامه أو خيالاته أو مغامراته أن يصبح عاشقاً لكاترين الحلوة ، وبحاراً على مركب زوجها . خائناً لريسه ولأبيه ، ولما سمعه من قاسم العبد متدنياً الى درك أسفل من ذلك الدرك الذي ظن أن راغب درويش وحده هو الذي انتهى اليه .

لا ماء البحر ولا دموع المطر ، ولا جنون العاصفة ، لا شيء من هذا كله بقادر على تطهيره من دنسه ، وشفائه من جنونه ، كان يبحث عن أبيه وهو الآن يبحث عن نفسه ، شيء من أبيه يجري في دمه ، أبوه نفسه أحبها ، هي نفسها قالت له : لو عاد أبوك اليوم لتركت الريس عبدوش من أجل أبيك ، رغم ما فعله معي ، رغم أنه طردني ذات ليلة مطيرة من مارسين ؟ أي خفايا ينطوي عليها ذلك الأب ؟ أتراها تحبه هو ؟ أم تبحث عن أبيه فيه ؟ تبحث عنه حباً أو انتقاماً ؟ أهو يقترب من أبيه أم يبتعد عنه ؟ أبوه في ساعة الحسم قال لا ، هذا الجمال . . . أما هو فماذا قال وماذا يفعل ؟ .

في داخله تتصارع لا ونعم ، يتصارع قاسم العبد وراغب درويش ، الأب والابن . . . أبوه طلب منه أن يكون بحاراً ومناضلاً فهل ينتهي به الأمر وقبل أن يبدأ بالنضال ضد أبيه ؟ ، واذا ترك سعيد حزوم الحساب المؤجل مع أبيه فماذا عن الحساب العاجل مع الريس عبدوش ؟ هل بدأ يشك في علاقته بزوجته . . . أبوه هو الذي حكى له يوماً قصة معناها أن البحار ينتابه إحساس داخلي حين تخونه امرأته في غيابه حتى لو لم يكن هناك دليل واحد على خيانتها . حتى في هذه المعركة القذرة يمد له أبوه يد العون ، أشياء كثيرة تؤكد أن بذرة الشك السامة تنمو في قلب الريس عبدوش ، أهمها أنه لأول مرة يرفض طلباً لكاترين الحلوة حين رجته الا يأخذ سعيدا معه على المركب رحمة بأمه التي طلبت منها ذلك ، كأنما أدرك أنها تريده أن يتركه لها هي . . . وأين تتم تصفية الحساب بين الرجلين في البر أم في البحر ؟

عاصفة في البحر

في البحر ، في أول سفرة له مع الريس عبدوش ، أدرك سعيد حزوم الوجه البارد للحقائق التي كان يحدثه عنها العبد على البر ، الريس ربس ، هو صاحب المركب وسيد البحارة ، والفروق التي كانت تختفي على البر في ليالي السمر تظهر على سطح المركب حادة وصارمة ، على ظهر المركب لكل دور ومكان لا يتجاوزه ، وأصبح هو سعيد حزوم مجرد بحار صغير تابع يقف في نهاية صف طويل من الأتباع ، يتلقى الأوامر والتعليمات من أصغر بحار قبله . . . أين هو من الريس عبدوش الذي يلوذ بقمرته في ترفع ؟ يفصل بينهما - الى جوار الشكوك - عشرات البحارة القدامى ؟ ؟ .

وذات ليلة تهب العاصفة ، أول عاصفة يراها سعيد حزوم في أول رحلة بحرية . . . هذا هو الوجه الآخر للبحر . . . الوجه الذي كان يراه في أحاديث أبيه وفي أحاديث البحارة ، ومعه يظهر الوجه الآخر للريس عبدوش . . . فحين تهب العاصفة تكتسح كل ما يقف في طريقها ، تكتسح حتى الفروق بين الريس والبحارة ، بين من يملك المركب ومن يعمل عليها ، المركب في تلك اللحظات لم تعد ملكاً لأحد سوى الموج العاصف يتلاعب بها وبهم ، وعليهم جميعاً أن يستردوها من الموج العاصف ، من قبضة الريح العاتية ، أن يصبحوا جميعاً قبضة واحدة لأن السفينة هي وسيلة نجاتهم ، هيا أيها الرجال . . . أيها الأخوة ، هكذا يتكلم الريس عبدوش ، أمام العاصفة ، أما قبلها ، وحين تقذف الريح بأحد البحارة من أحد الصواري الى قلب اللجة ، وحين لا يكون هناك معنى

لاستمرار المحاولة لانقاذ فرد واحد ، وحتى لا يضيع الجميع ، فان الريس وحده ، وهو الذي يأمر بالكف عن المحاولة ، ويمتزج الاعجاب بالحقد بالخوف في قلب سعيد حزوم وهو يطالع الوجه الآخر لريسه وغريمه . الرؤساء في البحر لا يتوارثون اللقب كما يتوارث الاقطاعيون الثروات ، الريس يصبح ريساً بالجدارة ، بتحدي العاصفة ، بمواجهة الخطر لانقاذ الركاب والمركب ، فاذا جاءت لحظة الاختيار فان الريس ينزل الركاب في قوارب النجاة ، وقد يختار أن يغوص في اللجة مع مركبه ، تلك هي عدالة البحر الوحيدة التي لم يعرفها قاسم العبد ، ولم يعترف بها ، ولعلها العدالة التي تأسر قلب البحارة وتجعلهم يستسلمون الى ليل حياتهم الطويل ، العاصفة تشتد وتكسر الصارى الذي يرتبط بالدقل فيختل نظام الأشرعة ، فاذا لم يفصل عن شبكة الأعمدة المترابطة بحبال ثخينة تحطم الدقل ووقعت الكارثة ، تبرز المخاطرة الكبرى الى الوجود ، لا بد أن يصعد أحد لقطع الحبال التي تربط الصارى بالدقل ، يصعد الى المكان الذي قذفت منه العاصفة بأحد البحارة الى البحر المائج منذ قليل فمن الذي يلبي نداء المهمة المانحة للموت والحياة ؟ ؟

هذه لحظة سقوط الأقنعة ، ويسفر الوجه الحقيقي للريس عبدوش حين يتقدم لإنجاز المهمة ، ويتوسل اليه البحارة أن يبقى وأن يختار واحداً منهم ، فلا ينبغي في لحظة كهذه أن تتعرض المركب لفقدان الريس ، الريس يجب أن يبقى حتى النهاية ، ولكن الريس يعلن أن هذا هو قراره واختياره . . . أهذا ما كان يقصده صالح حزوم حين طلب من سعيد أن يصبح مثله بحارا . . . أهذا هو الموقف الذي واجهه أبوه يوم العاصفة النهرية ؟ ويتقدم سعيد حزوم في تصميم ليقوم بالمهمة بدلاً من الريس عبدوش بعد حوار يلغي المسافات بين الريس والبحار ، لكن لمن كان سعيد يقدم عمله ؟

لأبيه . . ؟ للريس عبدوش الذي تجاهله منذ دفع قدمه على المركب ؟ للبحر الذي يواجهه لأول مرة ؟ لعمق شعوره بالخطيئة ؟ لعمق رغبته في أن يعرف حقيقة أبيه وحقيقة نفسه ؟ أم أن « كاترين » كانت في الأعماق البعيدة،في كل الأحوال يريد أن يترك لها رسالة تصلها مع من يبقى من هذه المهلكة يروي القصة .

ومن مِنْ كل هؤلاء تقبل عمله ؟ لا العاصفة هدأت ، ولا المركب نجا رغم فصل الصارى عن الدقل ، ولا الريس عبدوش قابل فعله بالعرفان وكيف يغفر له الريس عبدوش أن ينجح وحده في إنجاز العمل الخطير ؟ ربما تغرق المركب ، ولكن بحار العالم لا تنجح في إغراق مثل هذا الانجاز .

« لو كنت جباناً لاحتملني ، لكنه هو المجروح الكرامة ، المنتهك الحرمة لم يشأ أن ينجو منافسه » .

هكذا كان سعيد حزوم يحدث نفسه بعد أيام عصيبة وهو يتذكر أحداث اللحظة المرعبة ، فبعد أن نجح سعيد في مهمته ، لم يسفر هذا النجاح الا عن تأجيل الكارثة ، ريثما ينزل الركاب الى قارب النجاة ، وحين لم يبق على ظهر المركب سوى رجلين اثنين يتزان فجيعة وألماً ، الريس عبدوش وسعيد حزوم ، لم يبق أمام الريس عبدوش ما يمكن أن ينقذه سوى شرفه كريس ، أن يغرق مع مركبه ، وأن يأمر سعيد بالنزول الى قارب النجاة بالحبل الذي كان لا يزال يربط المركب بالقارب .

وفي اللحظة التي كان سعيد في منتصف المسافة بين المركب والزورق أخرج الريس عبدوش سكيناً وقطع به الحبل وهو يصرخ في ظلام العاصفة :

لنغرق معاً يا سعيد ، أنت في البحر ، وأنا في المركب ، وهكذا لا تكون كاترين لك ولا لي .

□□

بيني وبين السياسة الأسبوعية

ذكريات نصف قرن .. أي ذكريات !

بقلم : الدكتور نقولا زيادة

☐ كانت غذاء فكريا . . كانت تنقلنا الى العالم ، وتنقل العالم الينا . . ربطت بيننا وبين وطننا العربي ، ونقلت الينا صورا لأهل الفكر . . كانت مدرسة متنوعة الفصول والأهداف . . في الأدب والعلم والتاريخ والرواية والفكر . . انها « السياسة الأسبوعية » عشنا معها وعاشت معنا بين الحربين العالميتين . .

« وهذه قصتي معها وذكرياتي عنها » .

أنا من أبناء الحرب العالمية الأولى .

ولدت في الشهر الأخير من سنة ١٩٠٧ في عهد عبد الحميد الثاني العثماني (١٨٧٦ - ١٩٠٩) خادم الحرمين الشريفين وسلطان البرين وخاقان البحرين .

أرومتي عميقة الجذور في الناصرة (فلسطين) لكنني ولدت (مصادفة) في دمشق لأن والدي كان يعمل موظفا في سكة حديد الحجاز (المكاتب الرئيسية) وقد كنت بعد طفلا لما وصل أول قطار الى المدينة المنورة (أيلول/ سبتمبر ١٩٠٨) ولما خلع عبد الحميد (تموز/ يوليو ١٩٠٩) .

توفي والدي في دمشق جنديا عثمانيا غير محارب . وبعد وفاته عادت أسرتنا الصغيرة الى الناصرة . كنت في الثامنة من عمري . وفي السنوات التي قضيناها في دمشق أدخلت مدرسة للفرير (**Fraire**) ، لكن دخول الدولة العثمانية الى جانب المانية في الحرب أدى الى

اغلاق المدرسة (الفرنسية) . فأرسلت الى مدرسة أهلية في حيفا . فكان لي من ذلك التعلم المتنقل حصيلة تعلم القراءة العربية .

في سنة ١٩١٧ انتقلت أسرتنا الى جنين (في فلسطين) . وهناك لم يكن ثمة مدرسة ! فصف الضباط من الفرقة الجوية (الالمانية) التي كانت تقيم في البلدة اختاروا مبنى المدرسة لاقامتهم .

الا أنني كنت قد أصبحت أتقن القراءة ، لذلك قرأت كل ما وقعت عليه يدي . (ولنذكر انني أتحدث عن السنوات ١٩١٦ - ١٩١٩) والكتب التي وقعت عليها يدي كانت ألف ليلة وليلة وقصة عنتر وتغريبة بني هلال وقصة الملك سيف بن ذي يزن . قرأتها ، وقرأت أجزاء منها أكثر من مرة .

وأخيرا فتحت المدرسة في جنين (مطلع ١٩١٩) ، وقضيت فيها سنتين . لكنها كانت مدرسة قامت على أنقاض متنوعة ، فالتلاميذ كانوا فيها من أعمار مختلفة حتى في السنة الواحدة (الصف الواحد) . ففي سنتي أنا ، وكانت أعلى سنة في المدرسة ، كنت أنا أصغر الطلاب ، وكان في الصف نفسه طالب في العشرين من عمره . وكما كان الطلاب متنوعين في الأعمار والخلفيات ، كان المدرسون متنوعين . ويمكن القول أن فتح المدرسة وسيرها في السنة الأولى كان عملية ترقيع ، وفي السنة الثانية كانت عملية تجبير .

وقضيت السنوات ١٩٢١ - ١٩٢٤ طالبا في دار المعلمين في القدس . والوضع هنا كان أيضا في بداءة الأوضاع . فالطلاب متنوعو المشارب والخلفيات والأعمار . أما الأساتذة فقد كانوا مجموعة طيبة ، وأصحاب كفاءات جيدة . وقد تأثرت أنا (وأنا معني بنفسي الآن) باثنين منهم هما خليل طوطح مدير الدار ودرويش المقدادي . وقد عمل في دائرة المعارف بالكويت ، كان تأثير هذين منوعا ، لكن أهم ما يمكن أن أذكره هو أنهما حببا إلي المطالعة وأثارا في نفسي الهمة الى الاستمرار في طلب المعرفة .

محمد حسين هيكل

في ميدان العمل

في دار المعلمين تعودنا على القراءة . وكانت تصلنا من الصحف المصرية - الأهرام والمقطم - والمجلات مثل المقتطف والهلال - فكانت هي الزاد الذي نمتع به أذهاننا وأفكارنا .

وبعد عملي سنة واحدة معلما في مدرسة قرية (ترشيحا) نقلت الى مدرسة عكا الثانوية (وقد كانت في واقع الأمر ، مدرسة متوسطة فيها السنوات الأربع العليا من الدراسة الابتدائية ، والسنتان الأوليان من الدراسة الثانوية . . وفي هذه المدرسة وهذه المدينة قضيت عشر سنوات (١٩٢٥ - ١٩٣٥) .

لم يكن في المدينة حانوت واحد لبيع أي نوع من الكتب ، (وحتى الكتب المدرسية كانت تبعث بها ادارة المعارف لتباع للطلاب) . فكان يتحتم علي أن أبتاع كل كتاب أحتاجه ، وأكثر ما كنا نحصل على كتبنا من القدس أو من القاهرة .

الا أن المشكلة كانت ، بالنسبة لي ، ذات ناحية أخرى . فأنا أحصل على الكتاب أقرؤه ولو تأخر الأمر بعض الوقت . وأنا أحصل على المقتطف والهلال وأقرؤهما . لكن المجلة الشهرية تطلعك على الأشياء بعد صدورها بمدة .

وكانت الصحف الفلسطينية (الكرمل وفلسطين والجامعة العربية والجامعة الاسلامية -

السياسة الأسبوعية

كانت مصر ، في أعقاب ثورة ١٩١٩ ووضع الدستور (١٩٢٣) ، قد قامت فيها الأحزاب السياسية التي كانت تتنافس وتتطاحن فيما بينها . وكان حزب الأحرار الدستوريين من الأحزاب القليلة عددا ، لكنه كان حزب فيه عدد لا يستهان به من أهل الفكر في مصر . وأدرك هذا الحزب ـ قبل غيره ـ أهمية وجود صحيفة تعبر عن آرائه وتدافع عن وجوده . لذلك أنشأ ـ في سنة ١٩٢٢ ـ جريدة السياسة ، وعهد برئاسة تحريرها الى الدكتور محمد حسين هيكل . وكان هيكل قد تخرج في معهد الحقوق في مصر ، ثم ذهب الى باريس حيث درس علم الاقتصاد والسياسة . وكان ليراليا ، منفتح الذهن ، لكنه كان مصريا لم يتخل عن مصريته وهو في باريس

وجريدة السياسة (اليومية) كانت تتميز لا بالأسلوب الرصين فحسب ، ولكن بالترفع عن المهاترات التي كانت شائعة في الصحف السياسية يومها . ولا يمكن القول عنها أنها كانت واسعة الانتشار ، حتى في مصر نفسها ، لأنها جريدة حزبية . وكان الانفاق عليها يأتي من مموليها ومؤسسيها الذين دفعوا نفقاتها من جيوبهم الخاصة .

وبعد سنوات من العمل في السياسة أنشأ الدكتور محمد حسين هيكل جريدة السياسة الأسبوعية ، وهي التي كان الغرض منها أن تكون لسان حال مصر « الفكري » الى العالم العربي . وهي لذلك كانت فتحا جديدا .

قبل أن يتولى الدكتور هيكل رئاسة تحرير السياسة اليومية ، كان قد عمل في «الجريدة» محررا ، وكان قد أصدر السفور ، كما أنه اشتغل بالمحاماة بعض الوقت . لذلك كان مهيأ للاشراف على السياسة اليومية .

واذا كانت السياسة (اليومية) ذات صبغة ولون وطابع سياسي حزبي ، فان السياسة

احمد أمين

عبدالعزيز البشري

على سبيل المثال) تصلنا يوميا الى عكا . لكن أكثر هذه الصحف ـ خاصة الى أوائل الثلاثينيات ـ كانت أخبارها محلية الصبغة ، مع بعض برقيات للأخبار العالمية (من رويتر وهافاس) . لا الأخبار العالمية الكبرى والمهمة ولم تكن ثمة محطات اذاعة ولا راديات تمكن الواحد منا الاطلاع على ما يجري في العالم .

هذه المشكلة حللتها بأن طلبت من بائع الصحف المتجول ـ ولم يكن هناك بائع صحف ثابت بادىء الأمر ـ أن يأتيني بالاهرام ، والاهرام ـ مثل غيرها من الصحف والسلع وحتى الأشخاص ـ كانت تحمل في قطار المساء من القاهرة الى حيفا (فيصلها في منتصف الساعة العاشرة صباحا) ثم تحمل الى عكا فتصلني حول الظهر .

المجلة الشهرية كانت تزودني بالغذاء الفكري ، والصحيفة اليومية كانت توصلني بالعالم . لكن تلك تأتي مرة في الشهر ، وهذه كانت تنتقل يوميا بين مراكز النشاطات السياسية المتنوعة . لذلك كان ثمة فجوة في نفسي وأحب أن تملىء الفجوة التي هي بين الشهر واليوم .

وكان أن صدرت السياسة الأسبوعية في آذار/ مارس ١٩٢٦ . ولعلي لم أتعرف اليها الا بعد شهور .

الأسبوعية كانت حاجة تثقيفية اجتماعية فكرية . (ولو أنه في الواقع كان ثمة رد فعل حزبي في مصر على صدور السياسة الأسبوعية ، اذ صدر البلاغ الأسبوعي) .

ولست معنيا الآن فيما اذا كانت « السياسة الأسبوعية » قد سدت حاجة ملحة في مصر . فذلك أمر يحتاج الى بحث وتقص ليس هنا موضعها ، ولا أنا أصلح للقيام بذلك . ولكن الذي أود أن أؤكد عليه هو أن السياسة الأسبوعية سدت - بالنسبة لي شخصيا - الفجوة التي كنت أشعر بها بين المجلة الشهرية والصحيفة اليومية .

السياسة الأسبوعية ، أولا ، ربطتني بالعالم الخارجي السياسي المتطور يومها (في عقود ما بعد الحرب العالمية الأولى) على أساس وضع أخبار الأسبوع المهمة أمامي مع التحليل الذي يقوم بكتابته أصحاب أقلام خبيرة وعقول نيرة .

والسياسة الأسبوعية ربطتني ، ثانيا ، بالبلاد العربية . فبعد أن كنت أقرأ الأخبار متلاحقة في الصحيفة اليومية ، على أنها أمور متناثرة،رأيتها في السياسة الأسبوعية منتظمة على أيدي مراسلين للمجلة في أكثر الأقطار العربية . وكان هؤلاء المراسلون يبعثون بالحصاد الأسبوعي للمجلة . وبسبب بطء المواصلات في تلك الأيام ، كانت الرسالة الاسبوعية تنشر متأخرة نسبيا في السياسة الأسبوعية ، لكنها كانت تعطي الأخبار وحدة محلية ، والقارىء يستطيع أن يضم ما يكتبه المراسلون وعندها تتكون عنده الفكرة الجامعة .

والسياسة الأسبوعية ، ثالثا ، عرفتني بأهل الفكر من المصريين . وليس من اليسير تعداد الأسماء جميعها . فذلك أمر يستعصي الآن على الباحث الأخصائي (وكدت أقول على الكومبيوتر) . ولكنني أذكر على سبيل المثال بعض أولئك الذين لولا السياسة الأسبوعية لبقوا - بالنسبة الي - أسماء شاحبة .

أود أن أذكر بين الذين تعرفت اليهم عن طريق السياسة الأسبوعية (على غير ترتيب معنى) هيكل نفسه وطه عبد الحميد الوكيل ومحمود عزمي ومنصور فهمي وعبدالحميد العبادي ونقولا يوسف ومصطفى عبد اللطيف السحرتي وأحمد زكي أبو شادي ومحمد الهلباوي وزكي مبارك وعبد الحميد حمدي وابراهيم ناجي وحسين ولي وحسن صادق وعلي باشا ابراهيم وأحمد أمين وأحمد زكي ومحمد عوض محمد .

أما من الذين كنت قد قرأت لهم ، ولكن الصلة توثقت بيننا عن طريق السياسة الأسبوعية فطه حسين .

وكان في السياسة الأسبوعية (لمدة طويلة) حديث متزن واضح عن واحد من رجال التاريخ المصري الحديث . وهذه الأحاديث كانت تحيط بجميع الرجال لا رجال الحزب منهم فقط .

وكانت السياسة الأسبوعية تنشر قصة الأسبوع . والذي قد قر في نفسي أن تلك القصص كانت ممتعة لذيذة ، دون أن تكون وعظية .

على أن المقال الذي كان يثير في اعجابا خاصا ، هو « في المرآة » في هذا الباب كان الشيخ عبدالعزيز البشري يرسم في كل أسبوع صورة قلمية (مصحوبة بكاريكاتور) لواحد من رجال السياسة المصرية . وأشهد أن البشري قد بلغ غاية البراعة في الكثير من هذه الصور التي رسمها . قرأتها وهي تنشر ، فكنت أطرب لها أيما طرب . وقد كنت أقرؤها على زملائي أحيانا ، لكن لما نُشرت هذه فيما بعد كتابا ، وقرأته بعد سنوات ، لم يكن للمقالات الوقع السابق في نفسي . ان المناسبة كانت تحملنا على كثير من المتعة . لكن فن البشري في هذه الصور بلغ خير ما يمكن . (وقد حاول البعض تقليده فيما بعد ، فلم يكتب لهم التوفيق) .

كنت - في أثناء عملي في عكا - بحاجة الى أكثر من مدرسة كي أزداد معرفة وأستفيد علما ، وكان كل ذلك يجب أن يأتي من خارج الميدان . وأحسب أنني نجحت الى حد كبير . فقد كنت

أحس بهذا النمو ـ لا أقول اليومي أو الأسبوعي ـ ولكنه كان نموا فحسب .

أنا والسياسة الأسبوعية

وكانت السياسة الأسبوعية واحدة من هذه المدارس ، اذا جاز التعبير . فالمقتطف والهلال والسياسة الأسبوعية كانت في الواقع المثلث الذي كنت أتلقى منه الضغوط ـ وما ألذها ـ الفكرية ، والمعرفة ـ وما أيسرها ـ العلمية .

وأود أن أذكر حادثة واحدة جرت لي مع « السياسة الاسبوعية » في شتاء سنة ١٩٢٨ ـ ١٩٢٩ . في تلك المواسم انتشر في المنطقة العربية الشرقية (مصر وبلاد الشام) مرض عرف باسم الضنك أو الدنج . وعملا بالدور الذي كانت تقوم به في تثقيف قرائها ، نشرت السياسة الاسبوعية مقالا عرض فيه كاتبه (لا اذكره) اعراض المرض والعلاج اللازم له . وقرأت أنا المقال للمعرفة . وحدث أن أصيب أخي بالضنك . واستدعيت الطبيب (هذا في عكا) لزيارته .

فلما فحصه قلت له انه مصاب « بالضنك » ولما سألني كيف عرفت قلت له من الاعراض . وأضفت ـ وأنا اعتمد على مقال السياسة الاسبوعية ـ وليس لهذا المرض علاج . وكل مايحتاجه المريض الغذاء والتدفئة والراحة ، فهو مرض مضن لكنه لاينتشر في انحاء الجسم ، ويحدث مضاعفات .

نظر الى الدكتور . وقال ومن أين لك كل هذه المعرفة ؟ فأحضرت له المقال (وكان قريبا مني) فبدأ بقراءته ثم طلب مني أن أعيره العدد ليقرأه في البيت (فعلت واعاده الى فيما بعد) . لكن قبل أن يبتعد عن فراش أخي قال لي مادمت تعرف العلاج ، فلن أكتب لأخيك روشتة (وصفة طبية) . لو لم تكن تعرف لاعطيته ماء نقيا مصبوغا ، لان الناس يحبون أن يشربوا الادوية .

(وأضاف الى فضله أن أخذ مني نصف أجرة الزيارة التي يتقاضاه عادة) .

وكان اشتراك « السياسة الاسبوعية » السنوى في مصر ستين قرشا مصريا . أما في الخارج فكان عشرين شلنا (أي مايعادل جنيها استرلينيا) . أما نحن فكنا ندفع ثمنها في عكا قرشين ونصف القرش بالعملة المصرية التي ظلت نقد فلسطين الرسمي الى ١٩٢٨ . ولما تغير النقد اغتنم البائع الفرصة وأخذ يتقاضي ثلاثة قروش ثمن العدد الواحد .

بقي أن أذكر أن السياسة الاسبوعية لم يكن لها كثير من الزبائن في عكا ـ في الفترة الاولى كانت تبيع عددين (الواحد كنت ابتاعه أنا والثاني مدير المدرسة عارف البديري ١٩٢٦ ـ ١٩٢٩) وفيما بعد ارتفع العدد (المبيع) الى نحو ستة اعداد ، لكن المهم هو عدد الذين يقرأونها منا مستعارة !

وفي أحد الايام (أظن في أواخر ١٩٣٢) لم تصل السياسة الاسبوعية . وعرفنا بعد ذلك انها لم تتمكن من السير بسبب النفقات الباهظة .

والذي أعرفه انه لما زرت القاهرة لاول مرة في شتاء ١٩٣٣ ـ ١٩٣٤ كانت الندوة الفكرية التي حملت اليها (وتمتعت بذلك) في لجنة التأليف والترجمة والنشر . وهناك تعرفت شخصيا الى أحمد أمين وأحمد زكي ومحمد عوض محمد وأحمد حسن الزيات وعبد الحميد العبادي وآخرين .

وكانت الرسالة » هي المجلة الاسبوعية التي يكتبون لها ، وأصبحنا نقرؤها . لكن السياسة الاسبوعية كانت شيئا اخر ، مدرسة متنوعة الفصول والغايات ـ في الادب والعلم والتاريخ والرواية والفكر والقصة ـ والذي في ذهني هو أن الاسبوعيات التي عاصرتها أو لحقت بها (وأنا أتحدث عن فترة ما بين الحربين) لم تكن من نوعها ولاسدت الفراغ الذي شعرت أو (شعرنا) به بعد اختفاء السياسة الاسبوعية . انها ذكريات تعود الى نصف قرن ويزيد من السنين !

□□

طبيب الأسرة

الصدفية Psotiasis

● أصبت منذ ما يزيد عن ثلاث سنوات بمرض جلدي في مناطق الكوعين والركبتين والرأس ، شخصه الأطباء على أنه مرض الصدفية . فهل لي أن أعرف شيئا عن هذا المرض ؟

كرم . ش . ش . - دمشق - سوريا

الصدفية أو ما يعرف باسم مرض الصدف من أمراض الجلد الشائعة الانتشار بين مختلف طبقات البشر وفئات العمر والجنس ، اذ قيل ان نسبة الاصابة بالمرض قد تصل الى حد ٦٪ من مجموع السكان .

والاسم في الواقع ينسب الى وصف المرض ، اذ تظهر على جلد المريض حبيبات حمراء يعلوها قشور بيضاء فضية اللون تتراكم فوق بعضها البعض لتعطي شكل الصدفة .

ثم تمضي أيام لتساقط القشرة على هيئة النخالة بكثرة وسهولة عند حكّها أو الاحتكاك بها .

هذه القشور الصدفية الهيئة أشكال وأنواع ، منها ما يكون بقعا صغيرة قد تخطئها العين ويصعب تشخيصها ، ومنها ما ينتشر ويتلاحم حتى يعم أغلب مواضع الجلد .

غير أن أكثر مواقع الجلد اصابة بالقشور الصدفية هي مناطق الاحتكاك مثل الكوع والركبة وأسفل الظهر ، هذا بالاضافة الى فروة الرأس التي تبدو مغطاة وكأنها القشرة ، كما أن الصدفية كثيرا ما تصيب الاظافر بنسبة قد تصل ٢٥٪ من عند المصابين مما ينتهي بها الى التشوه .

ان الصدفية تستقطب اهتمام الاطباء المختصين الذين يعكفون على دراستها وتقصي أسبابها ، وبالرغم من فشل الاطباء في العثور على السبب الجوهري في الاصابة فان هناك ملامح كثيرة واجتهادات متعددة لتفسير السبب ، لم ينته الجدل الطبي الى اتفاق جامع حول أحدها .

ويقال فيما يقال مثلا ان الصدفية لها جذور عائلية أو وراثية بنسبة ٢٥٪ .

بعض آخر يقول بوجود بؤر صديدية كامنة ، بينما آخرون يؤكدون على عامل الاحتكاك والضغط كعامل مهيج للصدفية لهذا تكثر الاصابة في مواقع الكوع والركبة وأسفل الظهر .

فريق آخر يعزو السبب الى اختلال هرموني أو ربما اضطراب عصبي ، أو لعله خلل في أنزيمات التمثيل الغذائي المختصة بالدهنيات مما ينعكس على جفاف بشرة الجلد وتصلبها . على أي حال فبالرغم من عدم اتفاق

الاطباء على سبب معين واضح الا أن هناك قناعة تامة أن المرض لا عدوى منه اطلاقا ، كما أنه لا يسبب اضطرابا عاما للجسم أو لأحد أعضائه باستثناء الجلد .

ولما كان السبب في مرض الصدفية لم يتضح بعد ، يصبح العلاج بالتالي أمرا اجتهاديا يقصد به تخفيف وطأة القشور والاصداف التي تداهم أحيانا وتختفي أحيانا أخرى وأهم هذه الاجتهادات العلاجية ما يلي :

أولا : استعمال الدهانات الموضعية الخارجية من أمثال القار والكورتيزون مما يصفه طبيب الجلد المختص .

ثانيا : التعرض لأشعة الشمس وما تحويه من أشعة فوق بنفسجية ، لما لوحظ من ظهور طفرات الطفح الجلدي في غياب أشعة الشمس ، فاذا لم تتوفر فقد هيأ الاطباء أجهزة الأشعة فوق البنفسجية مما يدعونها بالأشعة السوداء .

سهولة التنفس أو التهام الطعام .

ثانيا : ـ التهاب متكرر حاد يتهدد حياة الانسان بمضاعفات خطيرة أبرزها الحمى الروماتيزمية والتهاب الكلى والضعف العام .

ان وجود احد هذين السببين قد يبرر التنازل عن فائدة اللوزتين أو لوزة البلعوم ، ومع هذا فيفضل الانتظار حتى يتجاوز الطفل سن الثالثة أو الرابعة من العمر ، بل لقد لوحظ أن كثيرا من الاطفال تعود اللوزتان عندهم الى الانكماش والضمور فيما بين سن ٣ ـ ١٠ سنوات ، أما قبلها فيخشى من عودة اللوزتين الى التوالد لو اجريت عملية الاستئصال وبهذا تسترجع اللوزتان قصتها الأولى .

على أي حال فان استئصال اللوزتين قد أدى عند البعض الى نهاية المطاف لمشاكل الالتهاب أو الانسداد ، بينما عند البعض الآخر بما يقدر ٥٠ ٪ تقريبا فقد انتقل العبء في الدفاع عن مدخل الحلق ضد الجراثيم من اللوزتين الى العقد والأنسجة اللمفاوية التي تتوفر في جدار الحلق لهذا نجد أن نسبة من المرضى يشكون من التهاب مزمن في الحلق لا حيلة لعلاجه ويتعين على من يعاني من هذا الالتهاب عقب استئصال اللوزتين أن يراعى الحيطة والحذر من نزلات البرد والمشروبات الباردة أو التعرض لاختلاف حاد في درجات الحرارة ، ومعالجة اية اصابة وهي ما زالت في المهد .

استئصال اللوزتين
Tonsillectomy
مالها وما عليها

● منذ ثلاث سنوات أجريت لي عملية استئصال اللوزتين ولكنني بدأت أشعر بعدها بالتهاب متواصل في البلعوم وربما الحنجرة أيضا .

ما فائدة اللوزتين وهل في ازالتهما ضرر ومشاكل صحية ؟

اللوزتان في الحلق تعتبران ضرورة من ضرورات الوقاية من عدوى الجراثيم والميكروبات التي تهدد الجهاز التنفسي ، حيث تعملان كحارسين يتصيدان كل ما فيه خطر او منه مرض .

ويشارك شريط لمفاوي خلف الانف في عملية الدفاع والوقاية التي تقوم بها اللوزتان وهذا النسيج يدعونه لوزة الانف أو الأدينويدز Adenoids أو لوزة البلعوم .

غير أن هناك أسبابا معينة تدفع بالطبيب أحيانا الى النصيحة باستئصال اللوزتين أو الأدينويدز جراحيا اذا أصبح واحد منهما مصدر ضرر أو كان عائقا أمام الصحة وتناسق وظيفة الجسم الطبيعية ومن هذه الاسباب الرئيسية : ـ

أولا : ـ تضخم اللوزتين لدرجة تسد معها الحلق وتحول بين

طبيب الأسرة

التستوستيرون Testosterone

● مما يقلقني أنني بلغت العشرين من العمر ولم ينبت بعد شيء من الشعر في وجهي مما ألحظه على أقراني من الشباب ، ونظرا لدراستي في الطب فاني أدرك أن الأمر ليس وراثيا وانما هو نقص في هرمون التستوستيرون فهل لكم أن تدلوني على أفضل التراكيب الدوائية المناسبة .

ج . خ - حلب

هرمونات الذكر الجنسية التي تتحكم في سلوكه الجنسي وشكله المميز يدعونها أندروجينات Androgens وهذه تفرزها خلايا خاصة في الخصية يدعونها خلايا ليدج Leydig وهي مسئولة عن تطور الأعضاء الخارجية والداخلية وعن ظهور الخواص المميزة للرجل مثل خشونة الصوت ونمو شعر الوجه أو توزيعه على أنحاء الجسم وعن شكل جسم الرجل العضلي .

ان أهم هذه الاندروجينات الطبيعية هو هرمون التستوستيرون TESTOS-TERONE الذي تفرزه خلايا الخصية تحت تأثير من غدة في الدماغ يدعونها الغدة النخامية Pituitary Gland وعلى وجه التحديد نصفها الأمامي .

لقد صنع العلماء بديلا صناعيا للتستوستيرون الطبيعي أطلقوا عليه اسم الميثايل تستوستيرون Methyl Testosterone والذي حل محل التستوستيرون الطبيعي الا فيما ندر من استعمالات .

ان هناك اليوم عددا من املاح التستوستيرون التي تستعمل بدائل للتستوستيرون الحر الطبيعي بل تتفوق عليه ولكنها في مجملها تستعمل في ثلاث مجالات محددة :

أولا : علاج تعويضي في أحوال نقص افراز الاندروجين عند الرجل وخاصة عند ضعف نشاط الخصية أو الخصوانية enuchoidism أو عند تغير المزاج الجنسي عند الذكر أو تخلف ظهور أعراض الرجولة عليه .

ثانيا : أدوية بناءة anabolic لعلاج التحول والهزال لأنها تشجع تركيب الزلاليات في الجسم وبناء الانسجة .

ثالثا : معالجة بعض الأحوال النسائية ، مثل عسر الحيض أو النزيف أو احتقان الثدي .

هناك استعمالات محددة وبجرعات معروفة متناسبة مع حاجة الجسم ودرجة المرض يعرفها الأطباء المختصون في أمور الغدد الصم ، كما أن للتستوستيرون أشكالا شتى في تعاطيه ، منها ما يزرع أقراص منه تحت الجلد مدة طويلة ، ومنه ما يعطى حقنا في العضل وبعضه قد يؤخذ استحلابا في الفم أو ربما ابتلاعا ولكل مريض ما يناسبه ، ولا حيلة أن يتعاطاه المريض من تلقاء ذاته أو بتقدير منه والا أدى الى مضاعفات ومحاذير قد تؤثر على نمو الجسم وتركيبه أو اختلال الكفاءة الجنسية عند الرجال ، كما تؤدي الى أعراض الاسترجال عند النساء ، لهذا فلا بد من التزام الحذر والدقة عند تعاطي هذه الاندروجينات وهو أمر لايتوفر الا للمختصين من الأطباء .

شخصيات رمضانية

بقلم : الدكتور حسان حتحوت

☐ دعوة مفتوحة أمدها لقرائي فمن شاء منهم صحبني في سهرة رمضانية ، نطوف خلالها بعدد من أصحابي للتعارف ، واثقا أننا سنجد لدى كل منهم فكرة نقف عندها أو لفتة نتعلم منها شيئا ، أو مرآة نرى فيها لمحة من أنفسنا ، وقديما قيل معرفة الرجال كنوز . . ولعل رمضان ببركاته خير كاشف عن كنوز الناس ومعادن الرجال . ولما كنت لا آمن أن يتألم منهم أحد ان أذعت باسمه جهرا على هذه الصفحات ، فلعل القارىء يأذن أن أكني فلا أصرح بالاسماء وان صدقت المعاني والأوصاف .

الاستاذ كاظم

وهو كاظم فعلا . . لا تخطيء العين من قسمات وجهه أنه يكظم شيئا ، وبصعوبة بالغة طول نهار رمضان . فان كان الثواب على قدر المشقة فملامحه توحي الينا أنه ولا شك اكبرنا ثوابا ، ولا يفوت نظرتي الطبية اليه أن تقرأ معالم الحرمان من الادمان . وهو ليس مدمن تدخين فحسب ، بل هو مدمن طعام كذلك فيما أعلمه عنه ، وفيما يذيع به قوامه السمين وشحمه السميك وكرشه الكبير . . ولولا أن الدين عنده جد لا هزل لما أمنت عليه ان يفرط في صيام رمضان فلا يصوم . وأسوأ أوقاته قرب المغرب فهو لا يكاد يتماسك وكأنه حاقن بالبول لا تطيق مثانته أن تصبر . . حتى اذا انطلق مدفع الافطار انطلق الرجل وكأنه سهم يطير عن قوس مشدودة . . وسلك مسلك من يجعل ليله انتقاما من نهاره ، وفطره انتقاضا على صومه ، وأكل وكأن له عشر معدات لا معدة واحدة ، وهو في غير رمضان يدخن ثلاثين سيجارة في اليوم وفي رمضان يدخن خمسين سيجارة في الليل . . ويحار فكري في أمر الاستاذ كاظم ، فهو من وجهة النظر قد أدى الصيام تماما فليس من مطعن شرعي على صيامه ، وهو في المساء لم يأكل الا مباحا فليس من طعن شرعي على طعامه وشرابه فأذا حاكمت الرجل الى حكمة الصوم ودرسه ←

وموعظته لم تملك الا الشعور بأنها فاتت على الرجل ، أو فوتها على نفسه ، فأين ما استفاده من درس كبح جماح النفس والسيطرة عليها ، وأين هو من الحديث الذي يقول « ما ملأ ابن ادم وعاء شرا من بطنه » فان كان لا محالة فاعلا فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه » وأين هو في تدخينه من الآية التي تقول « ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة » . . واذ يريدنا رمضان أن نكسر شهوتنا أرى الاستاذ كاظما يدخر شهواته ولا يكسرها ، ولا يحاول أن يروض الوحش ولكنه يحبسه ويجيعه ليجعله ساعة يطلقه من حبسه أشد انقضاضا وأفتك افتراسا ، وياليت الاستاذ كاظما خرج من رمضان بالصوم وبالدرس معا !

الدكتور محمد

وهو من زملائي النجباء . . متين في مهنته الطبية ، محبوب من مرضاه وزملائه ، حسن العشرة حلو الطبع . . فيه كل الصفات التي تحب ، الا انه ولا أدري لماذا كان خالي الوفاض في باب العبادة ، فلم تكن الصلاة على جدوله اليومي ولا الصيام على جدوله السنوي ، ولم يكن منكرا ولا كافرا ، ولكن لعلها النشأة أو الجو المحيط أو صعوبة تكوين عادات جديدة في حياة وجدها مستمرة ومستقرة ولا تنهدم ولا تنهار لغياب الصلاة أو الصيام .

هكذا كان حين انضم الى فريقنا في العمل . . والواقع العجيب أن ذلك زادنا التفافا حوله ولصوقا به وليس العكس . . فقد رجونا لهذا الزميل الحبيب أن يكرمه الله بالتزام سبيله ، كما رجونا للاسلام أن يكسب عنصرا غنيا بالخير ، والناس كما قال النبي عليه السلام معادن ، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام ، وقديما دعا النبي فقال اللهم أعز الاسلام بأحد العمرين وكانا كافرين . . ولعل هذه المحبة الغامرة التي استشعرها منا مع حسن الصحبة والوداعة في النقاش هي التي هيأت له أن يدير فكرة في الامر في لحظات صفاء النفس ، واذا بنا تفاجأ في مطلع رمضان جديد أن محمدا صائم ! كانت الفرحة لا توصف ، ووجدتها فرصة خصبة لاسألة في مودة : فهل شرعت في الصلاة كذلك ؟ قال ليس بعد ، خطوة خطوة ، والصوم كل عام والصلاة كل يوم . قلت : فلا بأس ولكن هل صومك ياترى صوم اجتماعي استجابة للمحيط الذي حولك ؟ أم لعله صوم صحي على غرار ما نسمعه من حشد الاطباء الذين يجمعهم لنا الاعلام مع كل رمضان ؟ قال لا والله بل استجابة لأمر الله . قلت : الا ترى معي مدى سوء معاملتك لله . فأن قال صم قلت نعم وان قال صل قلت لا ؟ أهكذا يعامل الانسان ربه يا محمد ؟ وكان محمد يحترم ، نفسه ويحترم عقله . ومن ساعتها انتظمت صلاته ، ومر زمان فأخبرني كيف امتلأت حياته بعد أن أسلمها لله ، وكيف شعر أن الانسان - كل انسان - ان لم يعبد الله عبد غيره من الأرباب سواء كان ذلك حجرا أو بشرا أو هوى أو غاية . ومحمد الآن من العاملين الأكفاء للاسلام وقضاياه على نطاق عالمي .

الشيخ راضي

وقد عرفته راضيا مرضيا وشهدت فيه أخلاق رمضان في رمضان وفي غير رمضان . وانما أذكره

حين أذكر الدكتور محمدا لأني أدين للشيخ بتعلم « أدب الأختلاف » . . ما رأيته مرة يقابل خاطئا بزجر أو نهر ، وانما كان على الدوام يمهد له سبيل التوبة ويفرشه أمامه بالورود والريحان . . وفي زمننا هذا الذي يقتتل فيه المسلمون ويسب بعضهم بعضا ، بل يغالون الى حد التكفير ، أذكر أن الرجل ما خانته مرة الحكمة والموعظة الحسنة ، حتى عندما كان الملحدون يناقشونه في وجود الله . . فكانت سماحة نفسه ربحا له وبالتالي ربحا للأسلام . وشهدته وأحد زملائنا يعترف له بأنه زنى فاذا هو يسأله في طمأنينة « فهل استغفرت ؟ » . . . ولا أنسى يوم قصد اليه أحد أنداده من المسلمين المتشددين فقال له « اني أكرهك ! . . وأجابه الشيخ بابتسامته الهادئة « وأنا والله أحبك . . » ويرد الرجل في سخونة : ولكني أكرهك في الله . . » وفي سلامة يجيب الشيخ « هذا يزيدني حبا فيك . » وكلما اشتكى اليه تلامذته من فساد الناس وضلال الحكام وسطوة الاعداء وجور السلطات قال لهم « أتراكم تكونون سعداء لو طلع الصبح على كل هؤلاء وقد تابوا الى الله وأنابوا اليه واهتدوا بهداه ؟ . . ويقولون نعم ، فيقول فأنتم اذن تحبونهم ما دام يسعدكم أن ينالوا هذا الخير . . فتذكروا دائما أنكم تحبونهم وتذكروا أننا في جهادنا لا نقاتل الا بالحب . . طراز فائق لو اقتدى به المسلمون لعم الخير .

سيادة المدير

وهو مدير لأحدى المؤسسات الصحية الحكومية ، وهو كذلك طبيب اداري ناجح ، ان كان مقياس النجاح ، أن ترسم لنفسك بما تشخط وتنطر وتنترفز وتعبث وتعاقب شخصية مرهوبة يعمل لها ألف حساب ، ويتكهرب الجو اذا حضرت-فاذا السعاة والفراشون كأن على رؤوسهم الطير وتدرك من هدوئهم وحذرهم ان سيادة المدير في الادارة . . وسيادة المدير يساري النزعة ومن المؤمنين بتلقائية الكون وحتمية التاريخ والعلم التجريبي ، فما لم يره العلم فهو غير موجود . . لا غرو اذن ان كان رمضان في رأيه سخافة . . ولكن سيادة المدير يريد أن يكون ايجابيا فما يكاد يصل الى الادارة صباحا حتى يأمر بالقهوة ، وهو يتظاهر في ذلك بالعفوية ، ولكن عين البصير تدرك أنه يفعل ذلك على سبيل رد الفعل لصيام الصائمين من حوله ، خاصة ان كانوا يشعرون انهم مستضعفون ازاء سيادته ، ولئن تنكر سيادة المدير لضعف الضعفاء لقد عجزت أن أدرك كيف تنكر لأصول العلم الذي تعلمه وأصول الذوق السليم الذي تربى عليه ، وأصول اللياقة واللباقة وهو يتحدى مجتمعا بأسره ويجرح شعوره ولا يعجب منه الا بنفسه ، ومرت الأيام فاذا ابنة سيادة المدير تمرض ويشتد عليها المرض وعالجها أمهر الاطباء ولكن تبين أن الأمر أخطر مما توقعوا وتطامنت غلواء سيادة المدير ، وانتابه

الهم لابنته الوحيدة ، وبدا رجلا غلبان مسكينا . . وفي ظلمة اليأس نادى به واحد من الموظفين « لاتيأس يا سيادة المدير وقل يارب » ويدعو المدير في حرارة «يارب» ولا أتمالك الا أن أقول له : ولكنك يا فلان لا تؤمن بوجود رب ، واذا به يقول في استسلام : « من أجل فيفي لابد أن يكون هناك رب » . وأجاب الله المضطر حين دعاه ، وتماثلت فيفي للشفاء ، ولكن سيادة المدير لم يعد كما كان أبدا . . تغير فيه شيء . . وهو الآن كذلك يتماثل للشفاء ! كانت فيفي نعمة الله عليه في صحتها وفي مرضها ، ولله في أزجاء نعمته وسائل وأساليب . . وفيفي الآن فتاة جامعية ، تؤدي صلاتها ، وتصوم شهرها ، وتتلو مصحفها ، وتحترم مظهرها ومخبرها . . والبيت معها يتحول من اليسار الى الوسط ، وسعادة المدير قد تغير من حال الى حال . . وهو الآن صائم في رمضان لأول مرة في حياته .

الاستاذ أبو الهوى

وهو رجل مشهور في بلده وخارج حدودها لأنه مسئول كبير عن جهاز التلفزيون ، ولن أسمي بلده وحسبي أن أقول أنه بلد « اسلامي » . . رمضان عنده مهنيا موسم خطير بطبيعة الحال ، يستأدي منه ومن الجهاز الوظيفي الذي يرأسه جهدا مضنيا من قبل أن يهل رمضان بوقت طويل . . والرجل كفء في عمله ، وهو مخلص له ، وقد أتيح لي أن أعاين ذلك نظرا لصلتي الشخصية به . . وهي صلة أحرص عليها وأقدرها ، وقد سمحت وثاقة الصلة أن أصارحه باستغرابي لخطة البرامج التي أعدها لرمضان . . وان رمضان شهر الطاعات والعبادات والجام الشهوات والتوبة عن السيئات ، وهو ما ينسجم تماما مع الحشد الطيب من الاحاديث الدينية والندوات المواعظ والفنون التي تدعو للاسلام وتحض عليه . . ولكن ذلك في نظري لا يتسق على الاطلاق مع حشد مماثل من الانتاج العكسي الذي لايمكن أن يوصف بأنه اسلامي ولا رمضاني . . ويخيل لي أن شاشة التلفزيون قد أصيبت بمرض فصام الشخصية ، والشاشة ذاتها تريك في آن حديث الشيخ الشعراوي بما فيه من نور وروحانية ، ثم تنتقل فجأة فتعرض اللحم العاري والردف المزاز واللفظ الجريء ، سواء في برامج حرة أو روايات أو مسلسلات . وأنا لا أعتقد أنني من المتزمتين ، ولكن فقط احترت في أي اتجاه يجب التلفزيون أن يسير بالامة الجالسة لمشاهدته ؟ أجابني صاحبي في غير احراج : أن أمزجة الناس تختلف ، ورمضان كريم يحلو فيه السمر والسهر ، وأنهم يرون من واجبهم أن يرضوا جميع الأذواق ! وبدا له هذا الكلام طبيعيا ، أما أنا فالحق أنني ما زلت مندهشا لهذه القدرة العجيبة على الحياد بين ما يرضي الله وما يسخطه ،

وبعد . . فهذه شخصيات من أصحابي تشد تفكيري في رمضان ، ولعل القاريء يرى أن بين أصحابه هذه الشخصيات بذاتها وأن اختلفت الاسماء . . أولعلي وضعت المرآة أمام وجوه لتأخذ زينتها وتنفض غبرتها وتصلح هيئاتها وانما المؤمن كما قال النبي مرآة أخيه ، مع دعوة محب حريص أن يرزقنا الله هداه ورضاه وكل عام أنتم بخير .

الصّيام والصّحة

بقلم : الدكتور نبيل سليم

☐ الصيام كركن من اركان الدين ليس مقصودا به الجوع والحرمان فى حد ذاته وانما المقصود هو ما وراء هاتين الظاهرتين من اهداف،اهمها صحة وتربية الانسان الفرد التى تؤدى بدورها الى تربية المجتمع ككل .

لو تأملنا الصوم لوجدنا انه محاولة للحد من الرغبات والنزوات الانسانية مع تعددها فى مجالات اساسية كعملية الغذاء والرى .

واذا فهم الصائم الحكمة من صومه ثانه يزداد تحكما فى غرائزه ودوافعه،وهكذا يصل الى قوة نفسية تحقق له السعادة والتكيُّف .

التربية الجسدية

وللصيام والحرمان من الطعام آثاره الجسدية مثل انخفاض مستوى السكر فى الدم لدرجة ما ، وجفاف الحلق مع قلة الماء الموجود بالجسم ، وانخفاض مستوى المواد المحدثة للعادة كالنيكوتين عند المدخنين . . ولكنها آثار مفيدة فى تربية الجسد واجهزته التى تعمل للحفاظ على بقائه حيا . . ان ما يذكره البعض من ان الصوم يسبب الامراض ، ما هو الا هراء وافتراء على الشهر المبارك . فان كان فيه تعذيب او ضرر ما سنه الشارع الحكيم سبحانه وتعالى . ففى كل الشرائع السماوية معان سامية وفوائد كثيرة تعود على البشرية بالخير والبركة .

وليطمئن جميع الصائمين بان الابحاث

العلمية التى اجريت على الصائمين كانت جميعها تؤدى الى نتائج مطمئنة ، فلم يحدث اي خلل فى الميتابولزم **Metabolism** أي عمليات التمثيل الغذائى او العمليات الانزيمية المختلفة داخل الجسم . اللهم الا تغييرا فى مواعيد عملهـا طبقا لمواعيد الصيام مع حفظ توازنها دون ادنى خلل . وان ما يضر الصائم ليس الصيام نفسه ولكنه عدم اتباع التعاليم الصحية والغذائية السليمة ، التي تحدث نفس الضرر اذا تهاون فيها الشخص فى وقت آخر غير شهر الصيام .

ولهذا يجب على الصائم ان يتعاطى احتياجاته الغذائية كاملة ويوزعها ما بين الغروب ووقت الامساك .

اتهام باطل

ويكتفى بعض الناس بوجبة واحدة عند الافطار فيملأون بطونهم بالماء والطعام بقسوة، بحجة تعويضهم عن فترة الصيام فيحدث لهم ضيق فى التنفس وسرعة فى ضربات القلب بعد الاكل نتيجة لضغط المعدة على الحجاب الحاجز والقلب ، علاوة على ما تسببه من عسر فى الهضم **Dyspepsia** واضطرابات معدية ، ويصومون اليوم كله دون سحور ظنا منهم ان فى وجبة الافطار كفايتهم وهذا غير صحيح . حيث ان المعدة لها طاقاتها حسب ما تعودت عليه طوال العام .

فمهما يأكل أحدهم من طعام فى الوجبة فلن يأخذ كل احتياجاته اليومية ، وينتهى به شهر الصيام منهك القوى ناقص الوزن او يصاحبه نقص فى بعض العناصر الغذائية ويلوم الشهر المبارك على انه السبب وهو من هذا الاتهام براء .

ومنهم من يكثر من تناول الحلويات والسكريات والاطباق الشهية المختلفة مثل الكنافة والقطايف التى يكثر تواجدها اثناء هذا الشهر ، فيلتهم منها طوال الليل اكثر مما تتسع له معدته ، فبالاضافة لما تحتويه من دهون قد تسبب له اضطرابا فى عمليات الهضم فان الاكثار من السكريات والمواد النشوية شأنه شأن الدهون يؤدى الى السمنة وما يصاحبها من اضرار ، وقد اثبت علم التغذية ما للسكريات من اثر فى تصلب الشرايين **Arterio sclerosis**

ويستحسن ان يفطر الصائم على مشروب دافىء مثل شوربة الخضار او منقوع البلح فى اللبن الدافىء ثم يأخذ قسطا من الراحة لمدة نصف ساعة حيث يمكنه تأدية فريضة المغرب اثناء فترة الراحة ، يتناول بعدها وجبة الافطار . ويجب ان يكون الطعام منوعا ليعطى الجسم احتياجاته الغذائية،ولا يفوته ان تشتمل هذه الوجبة على طبق السلطة الخضراء الطازجة لما تحتويه من املاح معدنية وفيتامينات تدرأ عنه كثيرا من الامراض . وان يتجنب المخللات ما امكن لما فيها من نسبة كبيرة من املاح الصوديوم ، وما ينتج عنها من اضرار نتيجة لاحتجازها لكمية كبيرة من الماء داخل الجسم . وكذلك تفقد بعض العناصر الغذائية نتيجة لعملية التخليل . وعليه ان يمضغ الطعام جيدا والا يملأ معدته بالماء لان كثرة الماء تخفف العصارة الهاضمة مما يؤدى الى صعوبة الهضم .

مرض السكر . . والصيام

من المعروف عند الجميع ان مرض السكر له علاقة وثيقة جدا بالطعام وكمياته ونوعه وطريقة طهيه ولقد كانت الطريقة المتبعة فى علاج مرض السكر قبل اكتشاف الانسولين والأدوية الحديثة التى تستعمل فى الفم هو الاقلال من تعاطى المواد النشوية ، وقد اتبع فى المانيا وامريكا فى اواخر القرن الماضى واوائل هذا القرن طريقة السيطرة على مرض السكر فى الحالات المتوسطة عن طريق الصوم ويشبه الصوم الكامل عن الطعام لمدة يومين او اسبوعين .

وقد اوصى البروفيسور « نوفن » (ابو السكر في العصر الحديث) المرضى ان يصوموا تماما عن الطعام ما عدا تناول عصير بكميات قليله لمدة يومين .

ومن هنا يتضح اهمية الصيام على شريطة ان يأخذ الطابع الديني الاصيل ، وهو لذة الحرمان من تناول الطعام المغذي الدسم .

ان جميع الابحاث الحديثة قد اثبتت ان ٣٠٪ او اكثر من مرضى السكر يمكن السيطرة على مرضهم بواسطة اتباع نظام في التغذية دون استعمال اى شيء آخر سواء عن طريق الفم او الحقن . ومعظم هؤلاء يستطيعون ان يعيشوا حياة طويلة اذا اتبعوا هذا النظام في الغذاء ، وهذا متبع في الدول التي يرضخ فيها المريض للنظام الذي يضعه الطبيب .

والطب يحسب بمنتهى الدقة الكمية اللازمة لكي يعيش المريض حياة عادية ، وهذه الكميات في الغالب لا ترضى المريض فيتجاوزها سواء قل ذلك او كثر ، فينتج عن ذلك تزايد حدة المرض فيلجأ الطب الى استعمال الاقراص او الانسولين **Insulin** ومن هذا يتضح قيمة صيام ١٠٪ من ايام السنة تقريبا باتباع نظام خاص في الاكل .

فالصوم قطعا - كما اثبت العلماء في القرنين الماضي والحالي-ذو فائدة كبرى في السيطرة على مرض السكر مهما كانت نسبة ارتفاع السكر في الدم في بدء اكتشاف المرض .

ان الحالات الخفيفة في مرض السكر والحالات المتوسطة يمكن التغلب عليها بالصيام . اما الحالات المتقدمة والحالات التي ينقص فيها وزن المريض عن المعدلات الدولية بالنسبة للسن والطول والجنس ، او التي يظهر فيها أسيتون **Acetone** في البول والدم بعد فترة من الصيام ، او حالات مرض السكر التي يصحبها مضاعفات كالاصابة بأمراض صدرية أو بتصلب شديد في شرايين القلب والجهاز العصبي-فان الصوم في شهور الصيف يكاد يكون ممنوعا لانه يستمر حوالى ١٧ ساعة خصوصا في الجو الحار لذا لا تنصحهم بالصيام .

اما في شهور الصيام التي تقع في الشتاء فان مدة الصيام لا تزيد عن ١٢ ساعة والصوم فيها محتمل بل يعتبر مفروضا على الحالات المتوسطة والحالات الخفيفة .

ومرضى الكلى

ان انتشار امراض الكلى المختلفة ببلادنا وتنوع الاطعمة ودسامتها في شهر الصيام المبارك يجعل من الواجب علينا وضع النقط فوق الحروف حتى لا يضار مريض الكلى بسبب ادائه للفريضة المقدسة ، سواء باتباع تعليمات خاصة اثناء الصيام او بالامتناع عن الصيام عامة .

ويمكن ايجاز امراض الكلى التي تتأثر بالصيام في نوعين على الاخص :

اولا : املاح البول وحصوات المجارى البولية .

ان المرضى الذين يشكون من ارتفاع نسبة بعض الاملاح في البول مما يعرضهم لتراكمها وتكوين حصوات بالمجارى البولية ، او المرضى الذين يشكون فعلا من وجود حصوات بهذه المجارى لا بد ان يتنبهوا الى حقيقتين .

الحقيقة الاولى

هي ان تركيز الاملاح في البول يزداد في حالة الامتناع مدة طويلة عن شرب السوائل وعلى ذلك ننصح الصائم بتعويض ما فاته اثناء الصيام من الشراب بعد الافطار مباشرة او الاكثار من السوائل في فترة الافطار وخصوصا قبل الرفع عن الطعام . . ويستحسن في مرضى الحصوات بالذات الامتناع عن الصيام في الايام الشديدة

الحرارة حيث تقل نسبة البول بدرجة ملحوظة مما يساعد على زيادة حجم الحصوات وتكوين حصوات جديدة في هذه الفترة .

الحقيقة الثانية

هي ان بعض مأكولات شهر رمضان مثل التين والمشمش وقمر الدين مليئة بأملاح الاكسلات **oxalate** وهي من الاملاح المسببة لحصوات المجاري البولية في كثير من الحالات . كما ان عادة الاكثار من اللحوم في هذا الشهر يرفع من نسبة املاح احماض اليوليك **Uric Acids and Urates** وهي ايضا قد تسبب تكوين بعض الحصوات ولكن بنسبة اقل من الاولى .

ثانيا : - التهاب الكليتين ومضاعفاتها :

ان التهابات الكليتين مما يشكو منه المريض عادة بظهور زلال او صديد في البول وبعض الآلام في الجنب او الظهر . اذا ازمنت وجب الحذر من الاقلال من السوائل وخصوصا اذا ظهرت مضاعفاتها على شكل تسمم البولينا المزمن **Chronio Uremia** (ارتفاع نسبة البولينا في الدم مع ظهور اعراضها مثل الدوخة والغثيان والصداع والاضطرابات الهضمية) .

وفي الحالة الاخيرة يجب على المريض ان يمتنع كلية عن الصيام حيث ان حالته تستلزم الاكثار من السوائل بصفة منتظمة مع الاقلال من اللحوم والبروتينات بشكل عام .

وعلى اي الاحوال فمريض الكلى يجب ان يعلم ان الاكثار من السوائل بشكل عام مع الاقلال من البروتينات بالذات وبعض المأكولات الغنية بالاملاح - يجب ان تكون نصب عينيه سواء صام أو أفطر حتى يقي نفسه شر مضاعفاتها البسيطة والخطيرة على حد سواء .

الصيام والقلب

أثبتت الدراسات العلمية انه كلما تقدمت الدول اقتصاديا وزاد فيها الرخاء وبدأ اهلها يزيدون من نسبة المواد الدهنية الغالية الثمن في غذائهم ، زادت فيهم الامراض ، ومن اهمها امراض شرايين القلب ، وانه كلما ارتفع دخل الانسان واصبح يأنف من تناول الخضروات والجبن القريش والعدس وغيرها من الاطعمة الشعبية واكثر من اكل اللحوم والزبدة ، والقشطة والمأكولات الغالية - زاد تعرضه للاصابة بأمراض شرايين القلب .

فهل في هذا إثبات للحكمة الغالية (ان القناعة كنز لا يفنى) ؟ وأن (الفقراء احباب الله) انه لامر جدير بالتأمل . وانها لحكمة بالغة .

فمن المعروف ان تناول كميات من المواد الدهنية والمواد الغنية بالكولسترول **cholesterol** تزيد من التعرض للاصابة بأمراض شرايين القلب وان الاقلال منها يقي من هذه الامراض .

اذن فالصيام - وفيه امتناع عن الطعام طوال النهار - يعمل على خفض هذه المواد في الدم وبالتالي يعمل على وقاية شرايين القلب ، بل ان الشرايين المصابة فعلا بتخثر الشرايين يمكن ان « ينصلح » حالها اذا انخفضت نسبة الكولسترول والدهنيات في الدم .

ولكن يجب الحرص عند تناول الافطار من زيادة كميات المواد الدهنية حتى لا تضيع فائدة الصيام الصحية ويجب التشبه بسنة النبي الكريم والصحابة الابرار وكانوا يصومون النهار ثم لا يسرفون اذا احل لهم الطعام .

ومن امراض القلب الهامة ما ينشأ عن ارتفاع ضغط الدم **Hypertension** الذي يؤدي الى زيادة العبء على البطين الايسر للقلب ، فيدعوه ذلك الى التضخم ولكن الامر ينتهي بالبطين الى

الهبوط Heart Failure . وضغط الدم مثل كثير من امراض القلب هو مرض من امراض المدنية،ثم ان هناك علاقة اكيدة بين الملح وارتفاع الضغط ، وقد اثبت العلماء انه يمكن خفض ضغط الدم المرتفع اذا تناول الشخص غذاء مقصورا على الأرز ، ولكن المرضى قطعا لا يطيقون هذا الغذاء ، كما اثبتوا ايضا ان الادوية المدرة للبول وهى التى تعمل على افراز الصوديوم فى البول تصلح فى نفس الوقت لخفض ضغط الدم المرتفع ، وعلى هذا فان المصابين بارتفاع ضغط الدم يفيدهم الصيام اذ يقلل كمية الملح التى سوف يتناولونها خلال اليوم .

ولا يفوتنى ان اشير الى التدخين واثره الضار على شرايين القلب بالاضافة الى اثره الضار على الرئة فلا شك ان الصيام عن التدخين طوال اليوم سيفيد الشرايين والقلب، بشرط الا يعوض المرء ما فاته من تدخين اثناء النهار بعد الافطار،أى لا يكثر من التدخين فى فترة ما بين المغرب والامساك .

... والحمل

البعض يحاول دائما ان يسهل الامور فينصح كل حامل بالا تصوم .. وانا اعتقد ان من يفعل ذلك يخطىء فى حق نفسه وفى حق مريضه .. فهو من جهة قد افتى على غير اساس طبي ، فعليه وزر خطئه ، ومن جهة اخرى فان الحامل اذا لم تصم رمضان فعليها ان تقضى الايام التى افطرت فيها .. وهى مشقة اكثر من الصيام فى شهر الصيام نفسه .

وقد اباح الدين الافطار فى حالتين : المرض والسفر . وكلاهما لا ينطبق على الحامل . فالحمل الطبيعى ظاهرة فسيولوجية وليس حالة مرضية . وليس هناك سند طبى على ان الصيام يضر الحامل طالما كانت فى صحة جيدة . مما يؤكد انه لا تعارض هناك بين الدين والعلم .

على انه ليس معنى هذا ان كل حامل يمكنها أن تصوم ، ففى بعض الاحيان يسبب الحمل - او يصاحبه - ظواهر مرضية توجب الافطار .. ففى الاشهر الاولى مثلا قد يحدث للحامل غثيان وقىء يحتاج علاجه لأدوية خاصة مع تناول وجبات صغيرة على فترات متقاربة . كما ان الحامل قد تشعر بدوخة او ضعف اذا صامت وعندئذ يوصى لها بعدم الصيام .

راحة النفس والبدن

ولنوع الغذاء الذى تتناوله الحامل دور كبير فى المحافظة على صحتها وصحة الجنين ، فالحامل تحتاج لكميات من البروتينات والفيتامينات والاملاح اكثر من غير الحامل « الضعف تقريبا » ولذا يجب عليها ان تكثر من شرب اللبن ومنتجاته وان تحصل على كميات كافية من الخضروات والفواكه واللحوم الحمراء وكذلك البيض والسمك ويحسن ان تتناول ما يعادل ثلاثة اكواب او اكثر من السوائل يوميا وان تمتنع عن الاطعمة المحمرة والمواد الحريفة ، واذا كان امتلاء المعدة بعد الصيام من الامور غير المرغوب فيها صحيا فان ذلك اكثر ما ينطبق على الحامل .

وبعد .. فقد شرع الله الصيام لصحة النفس والبدن فقال سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم : « شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه .. » صدق الله العظيم . ان امر الله لنا بصيام هذا الشهر وراءه من الحكم ما لا يعد ولا يحصى لان هذا الشهر الذى أنزل فيه اكبر وأعظم دستور سماوى والذى فيه ليلة القدر التى هى خير من الف شهر والتى تنزل الملائكة والروح فيها هو شهر الصحة والعافية شهر البركات والحسنات شهر الخير فى الدنيا والآخرة .

□□

مسرح الطفل
وتجربته الجادة في الكويت

استطلاع : صادق يلي   تصوير : طالب الحسيني

□ هل نجح مسرح الطفل في تجربته التي قدمها في الكويت ؟ وهل استطاع ان يعالج مشكلة اللغة المسرحية التي يتقبلها الطفل . . . وهل صحيح ان استخدام اللغة العربية المبسطة يجعل العمل المسرحى أكثر قابلية للتصديق ؟

مجموعة مشاهد مختلفة من مسرحية سندريلا التي أعدها الكاتب العربي سيد حافظ لمؤسسة البدر للانتاج الفني واخرجها الاستاذ منصور المنصور وقامت ببطولتها الفنانة هدى حسين .

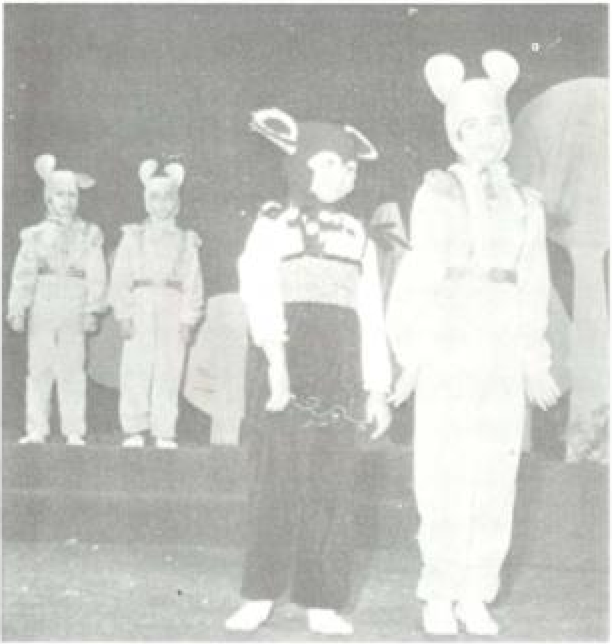

وادي السعادة والمنى وادي القمر ، فيه المحبة والهنا طول العمر

الفنانة اسمهان توفيق :

يقول الكاتب الامريكي الساخر مارك توين في حديث له عن أهمية مسرح الطفل لخلق أجيال مدركة لأهمية هذا المسرح : « ان مسرح الطفل هو خير معلم لأن دروسه تلقى عن طريق الحركة التي تشاهد ، والعبارات التي تنطق ، والحدث الذي يمثل ، وحين تبدأ الدروس رحلتها من مسرح الطفل لاتتوقف عند منتصف الطريق بل تمضي الى غايتها . . . الى عقول أطفالنا »

من هنا كان الحديث عن مسرح الطفل ـ كأداة لخلق جيل قادر على استقبال العروض المسرحية الجادة ـ يحتل مكانة متميزة من تفكير علماء النفس والاجتماع والتربويين ، تقول الدكتورة كافية رمضان : « لقد آن الأوان لوضع خطة جريئة لاعداد جيل من أطفالنا ينمو مشبعا بمفاهيم عصرية ، بعيدا عن الأساليب العشوائية في تثقيفه وتنمية خياله . . ان ما يقدم للطفل العربي لايزال يزخر بالخرافات والمتناقضات ، وما يقدم للطفل لايصلح لبناء جيل واع مدرك لمسؤولياته وطموحاته ، ان أمام الكويت فرصة لتقوم بالتغيير ، فلديها الامكانات المتاحة لخلق جيل يدرك قيمة المسرح في حياتنا .

فالمسرح في مفهومه وسيلة من وسائل الثقافة ، وعندما يتعامل مع الطفل لابد من وجود النظرة التربوية الى جانب تقديم الجرعة الثقافية ، ومن الغريب أن بعض الأعمال المسرحية الخاصة بالطفل تعمل ضد المبادىء التربوية ، فاختيار بعض النماذج البشرية مثل الأقزام مادة للضحك والتسلية عند الطفل ، تهدم ما يحاول التربويون والاجتماعيون خلقه من التآلف الاجتماعي بين الطفل السوي والطفل المعوق . لذلك ينادي خبير اليونسكو العربية الأستاذ زكي خفاجة باقامة مسرح قومي يتحقق من خلاله وجود المسرح الشامل كوسيلة تثقيف وتربية الاجيال مسرحيا ، فالمسرح في

نجحت اللغة العربية في اجتذاب الأطفال .

سندريلا والأمير في مشهد من المسرحية

الوقت الحالي تخطى مفهوم وسيلة الاتصال الجماهيري الى نقطة تتلاقى عندها كل التيارات التي يتعرض لها الفرد ، والطفل واحد من أبناء المجتمع ،ويخلق من هذه التيارات فكرا جديدا لتثقيف المشاهد . فلا بد من وجود الكاتب المتخصص في التعامل مع الطفل ، والمخرج المدرك لما يعيشه الأطفال ، والممثل القادر على ايصال المفاهيم لعقلية الصغار ، ويتم ذلك من خلال ادارة مسرحية لديها القدرة على التعامل مع الطفل المتفرج .

للكويت تجربة

لقد بدأ الاهتمام بمسرح الطفل في منطقتنا العربية يأخذ نصيبه في السنوات الأخيرة ، فللعراق تجربة طويلة بدأت على يد الأستاذ قاسم محمد ، اذ قام بتأليف عدة أعمال مسرحية مخصصة للطفل ، كما أن الجماهيرية الليبية لها باع طويل في الاهتمام بهذا المسرح ، اذ أن مادته تدرس كاحدى المواد المقررة في المنهج الدراسي ، والأردن أيضا مهتم بحركة تثقيف الطفل ، فهناك نوادي الأطفال التي تهتم بقراءاتهم وبفنونهم ، ولا شك أن مصر - وهي السباقة دوما في مجالات الثقافة - بدأت الاهتمام بما يسمى بمسرح العرائس الذي قدم مجموعة من الأعمال ، مثل الليلة العظيمة ، بالاضافة الى أن اهتمامهم منصب على قصور ثقافة الطفل وهي مؤسسات تختص بفنون الأطفال ، مثل الفنون التشكيلية وقصص الأطفال وبعض المسرحيات القصيرة ، وهناك مجموعة من الأسماء تخصصت في كتابات الأطفال نذكر منهم المرحوم كامل كيلاني الذي كتب العديد من قصص الأطفال ، والأستاذ عبد التواب يوسف رئيس جمعية كتاب الأطفال ، والسيدة نبيلة راشد وخديجة صفوت وغيرهم .

البطلة محبوبة ، والكلب كلبوب ، والطائر مسرور ، والغراب زرمبيح ابطال مسرحية اصدقاء التي تعد التجربة الاولى في استخدام اللغة العربية المبسطة في مسرح الطفل .

كلبوب يفكر مليا في الطريقة المثلى للتصدي للغربان والرجوع الى حياة التعاون .

الاطفال يتابعون مشاهد المسرحية بشغف واهتمام كبيرين .

أما في الكويت فقد بدأت هذه المحاولة على يد سيدة كويتية هي السيدة عواطف البدر التي آمنت أن الطفل في الكويت وفي بلادنا العربية في أمسّ الحاجة الى أعمال تعالج قضاياه ومشاكله وقضايا العالم الذي يعيشه بشكل يواكب عقلية الطفل ، بأسلوب مسرحي بسيط . فاعتبرت المسرح أقصر طريق لتوصيل أية معلومة تربوية أو ثقافية أو اجتماعية جادة لأذهان الأطفال ، فالطفل عندما يأتي الى المسرح ويرى الممثل أمامه يشعر أنه أمام مدرسة ، انسان حي قريب منه يسلم عليه ويحادثه .

تقويم فني

تقول السيدة عواطف البدر : « ان افتقار الكويت ووطننا العربي الى مسرح للطفل دفعني لخوض هذه التجربة ، فتحمست بتأسيس مؤسسة البدر للانتاج الفني في منتصف السبعينيات ، وبدأت بمسرحية السندباد البحري للكاتب العربي محفوظ عبد الرحمن ، وقد نجحت هذه المسرحية نجاحا باهرا حتى أنها نالت الجائزة الأولى في مهرجان مسرح الطفل في ليبيا ، ثم تلتها خمس مسرحيات أخرى للطفل هي (البساط السحري) و (أ ب ت) ثم (العفريت وقفص الدجاج) وأخيرا (سندريلا) .

وأمام هذا النجاح الباهر لتجربة مسرح الطفل في الكويت على يد السيدة عواطف البدر قامت عدة فرق مسرحية بتقديم أعمال للطفل ، كما فكرت بعض الفرق الأهلية في تقديم مسرحيات تخدم قضية الطفل ، وقد تكون الكويت السباقة في تقديم عروض مسرحية متكاملة في فصل أو فصلين بالموسيقا والاضاءة والصوت والزخرفة وبكل مستلزمات العرض المسرحي المتكامل .

يقول الناقد الفني الأستاذ عبد الستار ناجي : « ان ظاهرة مسرح الطفل جاءت عقب حالة تردي المسرح في الكويت ، بعد أن شهد المسرح حالة من الازدهار على يد المخرج المسرحي المرحوم صقر الرشود الذي أسهم بدور بارز في الحركة المسرحية في الكويت ، فقد كان الرشود يستفز المسرحيين لتقديم الأعمال الجادة ، فكانت حالة من الغيرة وحالة من التحدي داخل كل مخرج في الكويت ، وبعد رحيل صقر الرشود بدأ هذا النشاط يضمحل شيئا فشيئا ، ففي الموسمين الماضيين لم تقدم الفرق المسرحية أي نتاج رغم أنها تتلقى المعونة المالية ، ثم جاءت مرحلة مايسمى بمسرح الطفل على يد السيدة عواطف البدر ، ولم تأت هذه البادرة كبديل صحيح ، بل جاءت كمدخل تجاري ، والدليل على ذلك حصيلة الاستثمار لهذه الظاهرة ، ثم توجه الفرق الخاصة للاهتمام بما يسمى بمسرح الطفل .

ويضيف الأستاذ عبد الستار ناجي قائلا : لاأنكر أن هناك اجتهادات فردية وبعض الأعمال الجادة . فمؤسسة مثل مؤسسة البدر للانتاج الفني التي تعمل على مدى ستة أشهر لاجراء البروفات والاستعانة بالتربويين والاخصائيين وبكادر فني كبير ، لاشك أنها تستحق التقدير ، ولايعيبها أنها بدأت بداية تجارية ، اذ أنها في وسط الاستمرار بدأت تعي أن عليها أن تنطلق من أهداف ثقافية ، فقدمت عدة أعمال ناجحة كان منها مسرحية قفص الدجاج التي تعد بحق من أخطر النصوص التي قدمت على المستوى العربي لمسرح الطفل .

النصح مطلوب

أما الفنانة اسمهان توفيق التي تفضلت وقدمت مجموعة من صور عدد من المسرحيات والتي ساهمت بعملين مسرحيين للطفل فتقول عن هذه

تعتمد اغلب العروض المسرحية على الراوي لتقريب القصة الى ذهن الطفل

الظاهرة المسرحية : اذا أردنا أن نقوّم ظاهرة ما سواء كانت فكرية أو فنية أو أدبية ـ فاننا لانستطيع أن نقومها خاصة اذا كان وقتها الزمني قصيرا وصغيرا ، وحركة مسرح الطفل بالكويت لم يمر عليها فترة زمنية طويلة كي نستطيع أن نعطي هذه التجربة التقويم الكامل ، فست سنوات أو سبع سنوات ليست كافية ، بالاضافة الى أن مسرح الطفل بدأ على يد مؤسسة فنية واحدة بقيت وحدها في الساحة الى أوائل الثمانينات حيث دخلت مجموعة أخرى من الفرق تهتم بمسرح الطفل ، اما بدافع التقليد أو بدافع الغيرة ، أو بدافع الحماس أو الحب ، وخلال هذه الفترة قدمت هذه الفرق مجتمعة ما يقرب من ١٥ عرضا للأطفال ، ونحن من خلال هذا الرقم لانستطيع أن نقوم هذه الأعمال بشكل موضوعي بل نستطيع القول انها ظاهرة صحية تدل على أن هناك اهتماما موجها للطفل ، وهو اهتمام جيل ، فيجب أن نسدي الى هؤلاء المهتمين بمسرح الطفل النصائح كاستشارة التربويين وأساتذة علم الاجتماع وعلم النفس واشراكهم في أعمالنا المسرحية ، اننا الآن لسنا بحاجة الى التقويم ، لكننا بحاجة الى من يسدي الينا النصح .

مسرحيتان

والفنانة اسمهان توفيق لها تجربتان في الاخراج المسرحي للطفل ، فقد قدمت مسرحية « دكوش يغزو وادي القمر » ومسرحية أخرى باسم « أصدقاء » استقت أفكارها من كتاب كليلة ودمنة ، ففكرة مسرحية « أصدقاء » تقوم على ضرورة التعاون لتحقيق المصلحة المشتركة بين كلب وبطة وعصفور ، فيبني هؤلاء الثلاثة بيتا يؤويهم ويوزعون العمل فيما بينهم : البطة لشؤون البيت والكلب للحراسة والنظافة ورعاية شؤون الحديقة ، والعصفور لجلب الحطب الا أن حال هذا التعاون لم يعجب الغراب فيحاول أن يخرب هذا التعاون بين الكلب والبطة والعصفور ، فيروح يوغر صدر العصفور على زميليه مما يدفع الى المطالبة بتغيير مسؤوليات العمل الموكل اليه ، لكن هذا التغيير يخل بمعادلة الاستعداد الفطري ، والقدرات المؤهل لها كل فرد من الأصدقاء ، فينتج عنه اصابة كل فرد من مجموعة الأصدقاء بحادث . . . فالبطة تضيع في الغابة ، والكلب يحرق رجله في المطبخ ، والعصفور يصيبه الارهاق والمرض ، ثم يلتقي الأصدقاء ويتعاتبون ويبحثون عن الاسباب التي جعلتهم يصلون الى تلك الحالة ، فيكتشفون أن الغراب وراء كل ما حدث ، فيقرر الأصدقاء التصدي للغراب والرجوع الى حياة التعاون بعد أن رمموا البيت وجددوه .

هذه المسرحية قدمتها وأخرجتها الفنانة اسمهان توفيق باللغة العربية المبسطة ، تقول

(دكوش يغزو وادي القمر) . . . المحاولة الاولى للفنانة اسمهان توفيق في تجربتها الرائدة في الاخراج لمسرح الطفل . وتلاقي العروض المسرحية الخاصة بالطفل اقبالا كبيرا على مختلف المستويات .

الفنانة اسمهان « ان لي تجربتين في الاخراج المسرحي كانت الأولى باللهجة الكويتية المحلية وهي بالطبع أبسط لي كمخرجة في التعامل مع الأطفال ، الا أن الأطفال كانوا يقرأون الكلام المحلي باللغة العربية ، فكنت أقول لهم يجب أن تتكلموا مثلما تتكلمون في بيوتكم مع أمهاتكم وإخوانكم » .

اللغة الثالثة

وتضيف الفنانة اسمهان توفيق « وحينما قدمت تجربتي الثانية باللغة العربية ، لم أجد هذه الصعوبة فكان الأطفال يقدمون التعبير الذي أريده ، كما أنهم كانوا يستوعبون اللغة العربية بشكل أسرع ، انني لا أقدم قوالب جامدة بحكم أو دروس ، بل أقدم اللغة العربية بطريقة بسيطة والتي يسميها البعض باللغة الثالثة في جو مسرحي من الموسيقا والغناء ، فالطفل عنده الاستعداد لتقبل اللغة العربية » .

وتضيف قائلة : « ولما كنا بصدد اقامة مسرح تربوي فان أولى مهماته وأدواته هي اللغة ، لأن الطفل لا يهتم بالاخراج أو الاضاءة أو الزينة ، لأنه جاء ليرى حكاية بسيطة يستوعبها ويفهمها ببساطة ، وعندما تكون اللغة العربية مفهومة بجمل قصيرة وبسيطة لا تعد مشكلة ، أقول ذلك بعد تجربتي في مسرحية « أصدقاء » ونجاح هذه المحاولة » .

العامية والفصحى

ويدلي الدكتور حمدي الجابري أستاذ النقد في المعهد العالي للفنون المسرحية بالكويت برأيه حول العامية والفصحى في مسرح الطفل قائلا : أعتقد أن الفنانة اسمهان توفيق قد قدمت خدمة لمسرح الطفل في الكويت باصرارها على تقديم عرض باللغة العربية المبسطة وهذا ما كان مفتقدا في معظم العروض التي قدمت على مسرح الطفل ، ويهمني أن أشير الى أن اللهجة المحلية يعاني منها الكبار كما يعاني منها الصغار ، فهناك انفصال بين العربي والعربي بسبب هذه اللهجات المختلفة ، فلا بد أن نحافظ على بعض جماليات حياتنا وأن نقرب طفلنا الى لغة القرآن .

ويستطرد الدكتور الجابري قائلا : أما مسألة صعوبة اللغة فان هذا أمر مردود عليه ، بمعنى أن هناك تجارب عربية لتقديم عروض بالفصحى المبسطة وخير شاهد على كلامي ما تقدمه مؤسسة الانتاج البرامجي المشترك مثل برنامج « افتح يا سمسم » ومجموعة اعماله الأخرى ، ولا شك أننا باستخدامنا اللغة العربية المبسطة نيسر لطفلنا التخاطب وتتخلص من عيب موروث وعيب يؤدي الى التفتت والتشتت ، نحن نشكو مر الشكوى من اللهجات المحلية فنحن عندما نشاهد عملا فنيا من العالم العربي وخاصة من المغرب العربي فاننا لا نفهمه ، وهذه مأساة فناننا العربي ، فاستخدام العربية المبسطة للطفل يؤكد قيما لابد منها ، فاللغة العربية لاتسيء الى المسرح بشيء بل تجعله أكثر قابلية للفهم والتصديق .

مسرحية سندريلا

سندريلا حكاية بسيطة معروفة قرأها معظم الأطفال كما عولجت مسرحيا وتلفزيونيا عدة مرات . كتبها الكاتب العربي سيد حافظ واخرجها منصور المنصور وانتجتها مؤسسة البدر للانتاج الفني .

موضوع المسرحية يدور حول حكاية سندريلا المعروفة ، فتاة يتيمة الأم مضطهدة ، نشأت بين زوجة أبيها وأختيها من والدها في جو من القهر والاذلال ، فقد حملوها مالاتطيق ، ولم يعطوها مقابل ذلك شيئا ، سوى القهر والهوان من الكلمات ، وفي يوم من الأيام يدعو الأمير الى حفل بقصد اختيار عروس له ، وتحضر

سندريلا الحفل بمساعدة امرأة عجوز تسمى «أم الخير» ، فيعجب الامير بها ويراقصها ، وفي منتصف الليل تهرب سندريلا تاركة فردة حذائها فيبدأ حراس الأمير بالبحث عن صاحبة الحذاء المفقود فيعثرون على سندريلا ويحضرونها للأمير فتضع ثلاثة شروط لقبول الزواج من الأمير فيوافق عليها ويتزوجها .

الملاحظة التي لابد أن نشير اليها ونحن بصدد الحديث عن مسرح الطفل هو أن معظم مسرحيات الطفل مستوحاة من التراث ، فالمادة التراثية والأسطورة والحكاية الشعبية فيها الكثير من الخيال المحبب للطفل ، ولا يوجد لها مثيل في أدبنا الواقعي مثل جو الأميرات والساحرات والجنية . . فمثل هذه الشخوص المحببة للطفل لاتوجد في أدبنا المعاصر . لذلك اتجه كتاب مسرح الطفل الى التراث يبحثون فيه عن ضالتهم ، ولكن التشبث بالتراث والأساطير قد يعد قصورا من الكتاب . . فتقديم موضوع جيد وهادف بشخوص حقيقية يعالج مشاكل الطفولة أو يقدم جانبا تربويا هو الأجدى بأن يقدمه كتاب مسرح الطفل .

يقول الدكتور حمدي الجابري : ان التوجه الى التراث العربي اذا تم بشكل مدروس فانه مفيد جدا ، فهناك الكثير من القضايا التي يستطيع المسرح أن يقدمها ، وبالتالي فاننا نقدم لطفلنا خدمة جليلة ، انني لاأخفي الحقيقة حين أقول : ان الكتابة للمسرح شيء صعب ويحتاج الى مران وتجارب وخبرة طويلة واذا كان تراثنا يوفر لنا القصة فنحن بذلك نوفر على الكاتب مجهودا كبيرا ، فلا يبقى أمامه الا صياغة الموضوع ، وبالطبع فان الصياغة تكون أسهل كثيرا ، وفي هذه الحالة نستطيع أن نقدم مسرحا أهم وأجدى وأقرب الى الطفل .

ولكن هل لمسرح الطفل أن يقدم موعظة أو قيمة أخلاقية بشكل مباشر . . أم يفضل أن تكون هذه القيمة بأسلوب غير مباشر ؟

طرحنا هذا السؤال على الكاتب المسرحي سيد حافظ الذي ساهم في الكتابة لمسرح الطفل فقال : « التربويون هم السبب ، فهم دائما يريدون الأهداف التربوية المباشرة . . يجب في نهاية كل درس أن نسأل التلاميذ ماذا استفدنا يا اولاد . . ؟ في الاتحاد قوة . . القناعة كنز لايفنى . . وهكذا . . الشيء نفسه انتقل الى المسرح المباشر . . حتى الوسائل التعليمية سقطت في نفس التكرار الشائع ولا أقول في الخطأ الشائع ، والمسرح كوسيلة تعليمية مارس الشيء نفسه ، وبدلا من أن يكون سنبلة متميزة أصبح جرعة متكررة للحكم والمواعظ . . اننا نفترض أن طفلنا العربي يحتاج الى التوجيه المباشر مع أننا نقول باستخدام الطرق غير المباشرة وهذا لايحدث إطلاقا » .

ويستطرد سيد حافظ قائلا : «ان فن الأطفال في وطننا العربي يجب أن يحمل قيما ومواعظ أخلاقية مباشرة والا أطلقت عليه رصاصة التربويين الأكاديميين مدهونة بالاتهام الكبير (تدمير القيم والمبادىء والأخلاق) لأننا نفرض مسبقا أن طفلنا العربي لارأي له وأنه شجرة لاظل لها . . . وأنه تاريخ لم يأت بعد .

انني ضد المباشرة ومع ذلك لابد أن أفعلها حتى أرحم جلدي من سياط الاتهامات الاكاديمية ، ان الكاتب المسرحي للطفل يجب أن يدرك عدة نقاط وهي أن الطفل شاعر وأن الطفل ناعم الأحاسيس وأن الطفل يملك شهية لكل جديد ، ان الطفل جزيرة لم يكتشفها احد » .

وأخيرا نورد جانبا من حديث لألفريد هتشكوك المخرج الذي تربع على عرش الاخراج السينمائي عن سبب عزوفه عن تقديم أعمال للأطفال يقول :

«ان عالم الطفل سهل في أفكاره . . . صعب في تعامله . . وانني لم أصل الى خبرة تؤهلني للتعامل مع عالم قاس في حكمه . . انه عالم الطفل » .

□□

قاموس من مفردات لامكتوبة ولامنطوقة

بقلم : الدكتور عبد المحسن صالح

□ كلما تعمق الانسان في دراسة الكائنات ، زاد شغفه ، وتفتح عقله ، ونضجت مداركه ، ووقف مذهولا امام أسرار عميقة عمق البحار ، أو حتى فيما وراء هذه الأعماق .. اذ كلما اكتشف سرا ، قاده ذلك الى أسرار اعمق واغزر ، وكأنما العقل لايريد أن يشبع منها ابدا ، أو كأنما يردد بخضوع : هل من جديد ؟ .. هل من مزيد ؟ .. فالمعرفة ليس لها من حدود او قرار ، وهي - بلا شك - تجذب ذوي العقول الناضجة ، ولا شأن لها بالعقول اللاهية ، ومن أجل هذا تقدم الذين اتخذوا العلم سبيلا ، وتخلف الذين أشاحوا عنه بعقولهم ، ولكل ماسعى .

نود أن نمهد لموضوعنا بكلمة نستقيها من الحديث الشريف ! « من تعلم لغة قوم أمن شرهم » .. وطبيعي أن مايرمي اليه الحديث معروف ، فالناس أمم ، ولهم لغاتهم ولهجاتهم وسلوكهم وعاداتهم ، واللغات منطوقة او مكتوبة او مقروءة ولها مفرداتها وقواميسها .. الى آخر هذه الأمور التي نعرفها تمام المعرفة .

لكن مجموعة كبيرة من العلماء التجريبيين قد ذهبوا الى ابعد من ذلك بكثير ، وبدأوا يعيشون مع اقوام وأمم اخرى تتحدث لغات غير لغاتنا ، ولكل قوم لغتهم ، ومع ان هذه اللغات تنتشر حولنا في كل آن وحين ، الا اننا لانستطيع استيعابها ، لسبب بسيط ، ذلك ان تلك اللغات غير مكتوبة ولامنطوقة ولا مقروءة ، ومع ذلك فلها مفرداتها التي لوجمعت وكتبت ، لما وسعتها مجلدات من فوق مجلدات ، او قواميس تلو قواميس ، وعندئذ ستبدو قواميس البشر شيئا متواضعا من حيث الكم والنوع ، وكأننا لسنا وحدنا في الكون !

نعود لنقول : ان جيشا متكاملا من العلماء قد وقع على كنز ثمين من لغات تعمل في الخفاء ، وبدأوا في ترجمة مفرداتها ، ومعرفة تكوينها ، وادراك معانيها ، وبهذه المعرفة ، يمكن التوجيه والسيطرة ، وكأنما هؤلاء العلماء قد اصبحوا

شكل (١) معركة بين نوعين مختلفين من النمل الأسود والأحمر ، وفي مثل هذه المعارك تطلق فيرومونات الانذار لتجذب مزيداً من القوات الى ساحة القتال ، كما أن هذه الفيرومونات تؤثر في النمل المحارب ، وتكسبه جرأة وشراسة واقداماً على مقابلة الأعداء (راجع المقال) .

بمثابة « سليمان » العصر والأوان ، رغم اننا لم نعرف كيف كان يعرف الملك سليمان لغة النمل والطير والحيوان ، لكن « سليمانات » هذا الزمان قد قدموا لنا قاموس مفردات فيه دستور يتحكم في هذا العالم الصامت الأخرس ، وينظم مجتمعاته ، ويسيطر على سلوكه .. وبماذا ؟.. بما قل ودل .. « وخير الكلام ما قل ودل ».. « ولكن اكثر الناس لا يعلمون » .

النجدة .. النجدة !

ولقد تعرض كاتب هذا المقال وهو فتى غر ، لحادثة لن ينساها مدى العمر ، فبينما كان يقف بجوار خلية نحل ، ليتطلع اليها ، ويحكم لها او عليها ، لدغته نحلة ، فلطمها بيده لطمة ، وبينما كان يستعد للانصراف ، فوجيء بنحلة من وراء نحلة ، وقد هجمت عليه لتحدث فيه لدغة من وراء لدغة ، وصاح صارخا ومستنجدا : النجدة النجدة ، ثم اطلق ساقيه للريح ، والنحل من ورائه ينطلق كسرب هائج ، وانتهى الاشكال ، بعد ان اغلق بينها وبينه الابواب ، وظل يومين طريح الفراش ، وهو يجتر آلامه ، ويعزم الأمر على الا يعود الى خلية نحل ابدا .

ولقد ظلت هذه الحادثة تشغل بالي ، وتثير سؤالي : لماذا هجم على النحل بمثل هذه الضراوة ، ولم أكن اضمر له شرا ؟

ولم أهتد الى جواب مقنع الا بعد ان كبرت ، ودرست وتخصصت في علوم الحياة عامة (البيولوجي) ، وكيمياء الكائنات الدقيقة خاصة ، وعرفت ان لكل شيء في الكون والحياة لغة خاصة ، وكان من سر تقدم العلوم معرفة مفردات هذه اللغة على مستوى الموجة والجسيم والذرة والجزيء والخلية والكائن الحي .. الخ .

فيوم ان صرخت طالبا النجدة من قومي ، سبقتني النحلة ايضا بطلب النجدة من قومها ، ←

فأجابوها بأسرع مما أجابني قومي .. لم تصرخ النحلة كما صرخت ، ولا نادت كما ناديت ، بل ارسلت رسالة سريعة ومقتضبة ، حملها الهواء في التو واللحظة ، وتفهّمها النحل الذي يحلق كحرس شديد حول الخلية ، ففعل بي ما فعل !

ان مفردات الرسالة التي تطلب النجدة قد حل جزءا من شفرتها كل من « بوش » ، و« شيرر » ، و« ستون » في بحث نشروه عام ١٩٦٢ في مجلة نيتشر (الطبيعة) الشهيرة ، والجزء الآخر جاء في رسالة للدكتوراه تقدم بها جانيسون للحصول على الدرجة في عام ١٩٦٧ ، ثم « مورس » وزملاؤه الذين عزلوا كلمة سر أخرى من غدد موجودة في فكوك شغالة النحل .

أي ان شفرة رسالة طلب النجدة عند النحل عبارة عن « جملة » مركبة ومختصرة ، تعرف كيميائيا بأربعة مركبات محددة ، وهي ـ لمن يهمه الأمر ـ من املاح حامضين اسمها بروبيونيك وبوتيريك ، وخلات كحول اسمه ايزواميابل ، ومركب اسيتوني يعرف باسم٢ ـ هبتانون !

وطبيعي ان هذه اللغة قد لا تعني بالنسبة لنا شيئا مذكورا ، لكنها تخرج من النحلة عند اللدغة ، وتستقبلها ـ عن طريق الهواء ـ كل نحلة أخرى قريبة من المجال ، ولو استطاعت النحلة ان تتحدث ، فربما يجيء حديثها هكذا : هناك عدو ، وقد هوجم ولدغ .. فالى الحرب يارفاق .. وفي التو واللحظة تنطلق كل نحلة نحو الهدف بما استقبلت على قرني استشعارها ، وكأنما هي سهام سامة موجهة بدقة بالغة ، فمن حيث تصلها المواد المنذرة مع النسمات التي تهب نحوها ، تنطلق الى الضحية الذي هو « أنا » .. او كل ضحية تقترب من مستعمراتها ، سواء كان انسانا او حيوانا ، ذلك ان بعض الحيوانات تستطعم عسلها كما يستطعمه الانسان ، ولقد ظهر النحل والحيوان قبل ان يوجد الانسان على هذا الكوكب بعشرات الملايين من الأعوام ، ولابد للنحل من لغة يتفاهم بها ، ويعرف العدو من الصديق ، ولابد ايضا من سلاح يدافع به عن الأوطان .. وقد كان !

ثروة من المعلومات

هذه ـ اذن ـ بضع مواد كيميائية قد كونت في حياة نوع واحد من النحل كلمة مركبة مفيدة ، والعلماء الذين يفكون شفرتها ، ويعرفون تكوين جزيئاتها ، بل أحيانا يقومون بتخليق هذه الجزيئات ثم تجربتها على النحل ، ليعرفوا ان كانوا قد اصابوا او اخطأوا ، كل هذا وغيره يشير الينا من طرف خفي ان علماء هذا الزمان قد بدأوا في ترجمة جديدة لمفردات لغة صعبة ، ربما اصعب من فك لغة حجر رشيد الذي عرفنا به سر لغة الفراعنة .

ولاشك أن مفردات قاموس تلك الكائنات كثيرة جدا ، لدرجة أن واحدا من العلماء قد قدر عدد هذه المفردات في الحشرات فقط بأكثر من نصف مليون مركب كيميائي ، ودعك اذن من الكائنات الأخرى ، فلها أيضا لغتها الكيميائية التي تستخدمها في أغراض شتى ، وهذا يعني أننا لو كتبناها بلغتنا فلن تكفيها قواميس من فوق قواميس ، من الحجم الكبير !

وعندما تصبح حصيلة المعلومات كبيرة ، فان الانسان يحتار ، فأيها يترك وأيها يختار ، لكن دعنا نركز هنا فقط على بضعة مركبات اتخذتها الأنواع المختلفة من الكائنات لتترجمها في حياتها ، وتصبح لها بمثابة كلمات تعني الانذار والخطر والشغب وماشابه ذلك .. ذلك أن لكل نوع منها « لهجته » التي لايدركها نوع آخر سواه ، فكلمة مثل (الخطر) في لغتنا ، لايفهمها الا الناطقون بالضاد ، لكن أن تنطق هذه الكلمة أمام انجليزي أو فرنسي او كل من لاينطق ولايتكلم لغتنا فلاشك أنه لن يدرك ماذا تقصد ، فله مفردات لغته كما لنا مفردات لغتنا وكذلك تكون الانواع المختلفة من الكائنات ، عدا أنها تتخاطب بعضها مع بعض بلغة الكيمياء

، وتفهمها بسهولة ، حيث لانستطيع نحن ذلك ، اللهم الا اذا تعلمنا اصول هذه اللغة السرية .

فلو ان انسانا قد وقف في الخلاء على ارض مزروعة ، أو في أحراش وغابات ممتدة ، فقد يسمع زقزقة عصفور ، او صرير صرصور ، أو مواء قطة ، أو زئير أسد . . الخ ، وكل هذا وغيره بمثابة لغة مسموعة يدركها أربابها ، لكن هناك لغات كيميائية اخرى كثيرة تنتشر حوله في الهواء ، كما تنتشر مثلا موجات محطات الاذاعة أو التلفزيون ، فلا هو يستطيع ان يشم هذه بأنفه ، ولا أن يسمع تلك باذنه ، لان حواسه قاصرة عن أن تتعامل معها ، فاذا ظهر جهاز الاستقبال المناسب ، ممثلا في قرون الاستشعار ، استطاع ان يلتقط الروائح التي يطلقها هذا العالم الأخرس ، وطبيعي أن لكل نوع رائحته التي يفهمها افراده دون سواه . . فكأنما هذه القرون بمثابة هوائيات دقيقة تستقبل تلك الروائح ، كما تستقبل هوائيات الاجهزة المختلفة الموجات المختلفة كذلك ، ولكل عالم ماينا سبه . . موجة كان ذلك أو رائحة أو صوتا . . الخ .

بين هرمونات وفيرومونات

لقد وقع العلماء على غابة كثيفة من مفردات كيميائية ، تشكل لغة سرية ، فكان أن اطلقوا عليها اسم الفيرومونات Pheromones (مفردها فيرومون) . . وهي - كما يشير اسمها - أقرب شيء شبها بالهرمونات (Hormones) . . وهي فعلا كذلك ، لكن مع فرق جوهري وهام ، ذلك أن الهرمونات تنظم حياة الكائن من الداخل لأنها تفرز من غدده ، وتنطلق في دمه ، في حين أن الفيرومونات تؤثر عليه من الخارج ، لأنه يستقبلها على اجهزة استقبال خاصة (مثل الشعيرات الحساسة للروائح في الأنف أو قرون الاستشعار في الحشرات) ، فتؤثر فيها ، وتوجه سلوك الكائن بحسب ما تمليه عليه حياة الفرد والجماعة ، فيكون الانضباط الموجه ، والتنظيم المذهل الذي لانراه في كثير من مجتمعات البشر ، رغم أنهم قد امتلكوا أسمى مافي هذه الأرض جميعا - نعني عقلا مدركا - لكن ماأكثر مايمتهن أصحاب العقول قوانينهم التي أريد بها تنظيم حياتهم ، لكن ماعلينا من كل ذلك ، فالحديث فيه يدعو الى الهم والنكد ، وحالنا خير شاهد على مانقول .

والواقع ان معظم هذه الفيرومونات تتكون اساسا من ذرات الكربون والايدروجين والاوكسيجين ، ومن التوافيق والتباديل بين هذه العناصر الثلاثة يمكن انتاج عائلة ضخمة من المركبات ، وكل مركب منها له تأثير يختلف عن أي مركب آخر ، ولكي يؤدي وظيفته ، فلابد أن يلبس في مراكز استقبال كيميائية على قرون الاستشعار ، مثله في ذلك كمثل القفل والمفتاح ، فكما أن لكل قفل مفتاحه الذي يلبس فيه ويفتحه ، كذلك كان لكل مركز استقبال مركبه الذي يركب فيه او عليه في وضع مناسب تماما ، ويثير فيه نهايات عصبية محددة ، والاثارة تنطلق على هيئة نبضات خاصة ، فيستقبلها المخ البدائي ، ويحل شفراتها ، ويعرف مضمونها ، ويوجه الكائن الى سواء السبيل .

ولاشك أن دراسة هذه التفاعلات الحيوية على مستواها الدقيق ، سوف تمكن العلماء من استنباط مركبات كيميائية محورة قليلا ، أو قريبة الشبه بالمركبات الطبيعية التي تتخذها هذه الكائنات أداة للتخاطب ، وعندما تنحشر هذه المركبات المحورة في مراكز الاستقبال ، كما تنحشر المفاتيح غير المناسبة في اقفالها ، فان ذلك يؤدي الى تضليل كالذي نعرفه نحن مثلا في لغاتنا لو وضع حرف بطريق الخطأ مكان حرف آخر في جملة مفيدة ، كأن يقال مثلا في برقية : نحن قادمون للعزاء ، فتكون : نحن قادمون للعزال ، فهذه تعني شيئا غير تلك ، كذلك لو حلت ذرة او شق كيميائي في مركب محل ذرة أو

شكل (٢) حشرة ابي العيد أو الدعسوقة التي تعيش على المن النباتي ، وقد أمسكت منها واحدة بين فكيها لتحطمها وتأكلها ، وفي هذه الأثناء تطلق الضحية فيرومونا تحذر به أخواتها من هذا (الديناصور) السفاح ، وبالفعل تبدأ الحشرات في الحركة بعيداً عن ساحة الاغتيال .

شق كيميائي آخر ، فان ذلك كفيل بتضليل مراكز الاستقبال العصبي ، فيشوش على المخ بمعلومات خاطئة فلا يدرك المطلوب !

عود على بدء

ولقد اكتشف العلماء من لغة الانذار الكيميائية الكثير .. من ذلك مثلا انك لو سحقت نملة بين اصابعك ، لخرجت منها بعض الفيرومونات التي لو وصلت رائحتها الى ابناء مستعمرتها ، فان ذلك يعني عندها انذارا بارتكاب جريمة قتل ، وعندئذ يستعد النمل لملاقاة الخطر ، وتثور فيه حمية القتال ، لكن سلوكه يختلف باختلاف الانواع ، بمعنى ان نوعا كبيرا منه قد لوحظ وهو يبدأ في « تسخين » نفسه ، فيقف ملوحا بقرني استشعاره ، يريد بذلك تحديد مكان الجريمة ، ثم ينطلق فاتحا فكيه ، ويضرب احدهما بالآخر لدرجة أنه يمكن سماع اصطكاك الفكوك ، وكأنما هي سيوف تتلاقى مع سيوف ، ولو تصادف ومست هذه الفكوك أرجل أو أجنحة حشرات اخرى ، لكانت كفيلة ببترها .. المهم ان هذه الفيرومونات المنطلقة تثير في النمل هياجا ، وكأنما هي تؤهله لدخول المعركة غير هياب ولامتراخيا دفاعا عن الوطن أو أبنائه !

وطبيعي أن هذه الفيرومونات المنذرة بحدوث شغب أو هجوم أو عملية قتل لفرد أو أكثر من أفراد المستعمرة قد وجدت لحكمة ، وليس فقط لأن انسانا قد سحق نملة أو أكثر ، ذلك أن هذه المستعمرات قد عرفت الحروب المنظمة قبل أن يظهر الانسان على هذا الكوكب بعشرات الملايين من السنين ، فأحيانا ما تقوم الحروب بين مستعمرات متجاورة للنوع الواحد ، أو بين الانواع المختلفة ، ولا بد أن تحمي كل مستعمرة نفسها بما يعرف الآن بنظام الانذار المبكر ، حتى لا يفاجأ النمل المعتدى عليه

شكل (٣) لكي يحدث التفاهم في هذا العالم الصامت ، لا بد من وجود وسيلة للارسال وأخرى للاستقبال ، والارسال يعتمد على غدد خاصة تطلق عدداً من الفيرومونات التي يحملها الهواء الى محطات أو أجهزة استقبال على درجة هائلة من الحساسية ، والصورة توضح هوائيين طويلين جداً (أطول من الخنفسة ذاتها) وهما ما نعرفهما بقرني الاستشعار اللذين يختلفان في الترتيب بين الأنواع المختلفة .

بالمعركة ، ويداهمه العدو داخل مساكنه على حين بغتة .

ولنفرض هنا أن هجوما قد بدأ حول مستعمرة ، عندئذ ستكون الحرب في البداية محدودة ، لأن بعض أفراد النمل المعتدى عليه قليل ، وهو الذي كان يتجول كالعادة بالقرب من المستعمرة ، أو للبحث عن الطعام ، ثم فوجيء بنمل غريب ، ولا بد أن يشتبك معه رغم عدم تكافؤ العدد ، وطبيعي أن الكثرة تغلب القلة ، لكن الأمور لن تستمر طويلا على هذا الحال ، اذ عندما يهتاج النمل أو يصاب أو يقتل ، تنطلق منه فيرومونات الانذار ، وعندئذ يعرف من في المستعمرة المعتدى عليها أن هناك شغبا ، ليس هذا فحسب ، بل ان بعض أفراد المستعمرة يسرعون الى الداخل ، ويطلقون صيحة الحرب . . أيضا من خلال نوع خاص من الفيرومونات ، وعندئذ تهب المستعمرة عن بكرة أبيها ، ويندفع كل من تلقى الانذار الى الخارج ، ويحدد الاتجاه الذي يدور فيه القتال من خلال استقبال رائحة المعركة على قرون الاستشعار ، وتحدث حرب طاحنة ، يكون فيها المنتصر والمهزوم . . كل هذا يتوقف على الشجاعة والجرأة والكثرة العددية .

ويبرز هنا سؤال هام : اذا كان المعتدى والمعتدى عليه يتبعان نوعا واحدا من النمل ، فكيف - اذن - يتعرف النمل على العدو من الصديق ، رغم أن هذا يشبه ذاك تماما ؟

أيضا من خلال الفيرومونات التي تفرزها الغدد المكلفة بتصنيعها ، لأنها تتحدد بنوع التربة والغذاء والمناخ العام داخل المستعمرة ، اذ ليست حياة كل مستعمرة صورة طبق الأصل من حياة مستعمرة أخرى ، حتى ولو كانت تتبع نفس النوع ، فكأنما كل فرد في أية مستعمرة يحمل معه هويته أو بطاقة تحقيق شخصيته التي سجلت بفيرومونات هي أشبه بماركة مسجلة لكل أفراد المستعمرة ، ولهذا فان النملة لا تقف

لتتأمل في نملة أخرى بعينيها ، ثم تحدد شخصيتها أو شكلها بالنظر ، بل بما يفوح منها ، فان تطابقت الرائحة ، كان ذلك دليلا على أنها من نفس المستعمرة ، وان اختلفت ، قامت المعركة .

أي أنها أمم منظمة أعظم تنظيم ، ولها شرائعها وأحكامها ولغاتها التي تتحدد بأنواع خاصة من الفيرومونات وهي في حياتها أبلغ من خطب الخطباء ، ومواعظ الحكماء ، وتوجيهات القادة في دنيا البشر !

شهادة الوفاة

ورب سائل يتساءل : كيف يميز النمل بين رعاياه الذين قتلوا في ساحة المعركة والذين ماتوا داخل المستعمرة ميتة طبيعية ؟ . . وما دام الموت في أي صورة من صوره يؤدي الى اطلاق الفيرومونات ، أفلا يعني ذلك ارباكا في حياة النمل ، فيختلط عليه الأمر ، ويحسب أن كل ميتة ـ بما فاح منها ـ بمثابة انذار بهجوم تسبب في هذا الموت ، وعلى ذلك الأساس يستعد لمعركة وهمية ؟

وهذا تساؤل وجيه . . لكن ليس كل فرمون ينطلق من الجرحى أو الأموات ، سواء في معركة حربية ، أو نتيجة لميتة طبيعية ، هو نذير بالخطر . . بل هناك فرق في التركيب الكيميائي بين فرومونات الانذار ، والفيرومونات التي تنطلق من نملة ميتة ، لتنذر قومها بموتها ، ليشيعوها الى الدار الآخرة !

وقد يبدو ذلك خيالا ، لكن التجربة المثيرة التي قام بها البروفيسور ادوارد ويلسون الاستاذ بجامعة هارفارد الشهيرة ، تضع حدا لهذه الظنون ، لأنه تساءل أيضا نفس الاسئلة السابقة . . اذ قام باستخلاص مادة الفيرومون (الواقع أنها عدة مواد متراكبة) التي ينعي بها أموات النمل لأترابهم الأحياء موتهم ، ليحملوهم بعيدا عن المستعمرة الى مدافن الأسرة ، أي الى كومة صغيرة قريبة من المستعمرة ، حيث يلقون فيها كل ما يقابلهم في مستعمرتهم من نفايات غير مرغوب فيها ، ذلك أن النمل مخلوق يحب النظافة ، ومن أجل هذا « تمشط » النملة نملة مثلها ، طالما كان لديها وقت فراغ ، وتنظف أيضا كل ما يصادفها في مستعمرتها من أدران أو قمامة .

والتجربة ببساطة واختصار تتركز في دهان بعض أحياء النمل « بعطر » الموت المستخلص ، ثم تركها لحالها لتدخل مستعمرتها ، وعندئذ حدث شيء غريب ، اذ حمل النمل عنوة كل نملة تحمل فيرومونات الموت على جسدها ، والى خارج المستعمرة يلقونها ، فيعود النمل « الميت » الحي الى مستعمرته ، فيحمل من جديد الى مدافن الاسرة ، وتكررت العملية حوالي ثلاثين مرة ، عدها ويلسون عدا ، وأخيرا اعتبر النمل رفاقه الأموات من الأحياء ، وسمح لهم بالبقاء ، لكن بعد أن تطايرت فيرومونات الموت ، وفقدت أثرها في الاعلان .

والنمل في ذلك معذور ، فلا الذي كتب له ويلسون شهادة الوفاة على جسده ، يدرك لماذا حمله الرفاق الى قبره ، رغم أنه يتمتع بالصحة والعافية ، ولا كذلك النمل المشيع يستطيع أن يتغاضى عن النداء الذي حمله الأحياء كشهادة وفاة معلنة بالرائحة ، فالقانون هو القانون ، ولا استثناءات فيه ـ على الأقل ـ في ممالك النمل ، ولا شأن لنا هنا بممالك البشر !

ابتعد . . لاتقترب !

لكن مما لا شك فيه أن الفيرومونات المنذرة بحدوث الشغب والحروب والمآسي التي تتعرض لها أفراد النوع الواحد ، لا تقتصر فقط على النحل والنمل ، بل يبدو أنها واسعة الانتشار بين كثير من الأنواع ، وهي تحتاج في اكتشافها الى علم وجهد وصبر ، لأن هذه الفيرومونات توجد وتؤثر بتركيزات ضئيلة غاية الضآلة ، ثم لابد

من عزلها بحالة نقية ، ودراسة تكوينها الكيمائي ، ثم تخليقها في أنابيب الاختبار اذا دعت الضرورة لذلك .

يكفينا هنا أن نقدم عدة أمثلة قليلة ، وعلى حسب ما يسمح به المجال . . فلقد لوحظ ان حشرة المن النباتي الدقيق الحجم ، الذي يعيش على امتصاص عصارة النبات ، ويسبب خسارة في المحاصيل . . لوحظ ان هذه الحشرة اذا هوجمت بحشرة أكبر منها ، مثل حشرة ابي العيد او الدعسوقة ، فانها تفرز قطرة جد صغيرة قبل أن تغيب في بطن الحشرة المهاجمة ، وليس في ذلك ما يثير ، بل ان الشيء المثير حقاً ان الحشرات القريبة من ميدان الجريمة تظهر عليها علامات تدل على الخوف والفزع ، فتبدأ في حركة نشطة ، وتسرع زاحفة بعيداً عن السفاح الذي حل بأرضها ، وهي - بطبيعة الحال - لم تر الجريمة رؤية العين ، لكنها تعرف ذلك من الرائحة التي أطلقتها الضحية في القطرة ، ولقد حقق بعض العلماء هذه الظاهرة المثيرة ، واكتشفوا ان المن اذا هوجم ، يسارع باطلاق فيرومونات الانذار التي تعني عندها : هناك سفاح شرير لا قبل لكم به ، ومن الحكمة ان تهربوا قبل ان يحل بكم ما حل بي !

إن هذا الانذار يدعو للتفرق والتشتت والهرب ، وهو يختلف عن انذار النحل والنمل الذي يدعو الى الهجوم اذا حل بأرضها دخيل . . لكن المن قد اختار طريق السلامة ، فليس له من حيلة يدافع بها عن نفسه ، أو يهجم بها على غيره ، وخير له ان يتفرق قبل ان تحل به كارثة لا تبقى ولا تذر .

وفي المركز الزراعي للبحوث والتنمية بولاية أوهايو الأمريكية ، اكتشف كل من ك . ر. نولت ، ا . م. جولف ان الحشرة المعروفة باسم نطاط الشجر ، اذا داهمها الخطر ، أو جُرح الجسد ، أو تمزق البدن ، نتيجة لهجوم مباغت من عدو أكبر يريد التهامها ، فما أسرع ما ينط كل نطاط كان موجوداً في الساحة ، ويقفز من ورقة الى ورقة ، أو من غصن لآخر ، وهي - أي الحشرات الهاربة - لم تفعل ذلك لأنها سمعت أو رأت الجريمة وهي ترتكب ، بل لأن أحد أبناء نوعها قد اغتيل . . لكن قبل ان يودع دنياه ، فلا أقل من تحذير فيروموني ينطلق منه أثناء موته ، لينذر به قومه . . وكأنما لسان حاله يقول : اهربوا . . ولقد أعذر من أنذر !

ومثلنا الأخير يأتينا من الدراسة التي قام بها في كاليفورنيا كل من ناثان هوي ، ويونس الشيخ ، على أحد شقائق النعمان البحرية ، وهي حيوانات هلامية ذات لوامس كثيرة ، وتنتشر على الصخور . . اذ عندما دمرا واحداً منها ، لاحظا ان الشقائق الأخرى من نفس النوع ، والتي تنتشر حولها ، سارعت بسحب اذرعها ، والانكماش ثم الانطواء على نفسها ، وكأنما هي قد استقبلت أنباء مزعجة ، وهي بالفعل كذلك ، لأن الكائن المصاب قد أطلق فيرومونا انتشر في الماء ، ليحذر من يسكنون حوله بوقوع الاعتداء . . ولقد قام العالمان بعزل الفيرومون ، واستطاعا تحديد تركيبه الكيميائي بطرق طويلة ومضنية ، لا تهمنا هنا في موضوعنا .

والواقع ان مفردات هذا القاموس الكيميائي للكائنات تعني في حياتها أموراً أخرى كثيرة ، ونحن لم نقدم منها هنا الا ما يعني لغة الانذار ، اما للاستعداد لصد هجوم وشيك ، أو بقصد التشتت والتفرق ، وأحياناً للانطواء على النفس ، حتى يزول الخطر .

ويبقى بعد ذلك مفردات أخرى كثيرة لها شأن يذكر في تنظيم الجماعات ، فمنها الفيرومونات التي تجمع شمل الذكور بالأناث ، او التي تحدد النسل ، أو التي ترسم الحدود للملكيات الخاصة ، الى آخر هذه الموضوعات الشيقة التي تستحق ان نعرضها في دراسات أخرى قادمة ، لندرك ان هذا الكوكب لم يخلق لنا وحدنا ، بل تشاركنا فيه أمم أمثالنا ، لكن أكثر الناس عنها غافلون . □□

سلامة البشرية

في سلامة البيئة

السرطان من أخطر أمراض البيئة

كان السرطان ، وما زال ، المرض المستعصي العضال في أكثر حالاته ، ان لم نقل كلها .... وكانت الأبحاث والدراسات تجري على قدم وساق في كافة مراكز البحث العلمي في العالم بأمل الوقوف على حقيقة هذا المرض الفتاك ، ناهيك بالعثور على العلاج الناجع له .... ولكن بلا طائل .... حتى كانت الشهور الأولى من هذه السنة ، فظهرت أبحاث مختلفة ذات قيمة وخطورة كبيرة وتبشر بامكانية التغلب على السرطان في مستقبل غير بعيد .

وأهم هذه الأبحاث تلك التي تركز على الخلايا والجينات Genes ونخص بالذكر منها البحث الذي أجراه باحثون أمريكيون بالتعاون مع باحثين آخرين ايطاليين ..

وقد اعتمد هذا البحث بعض الخلايا التي انتزعت من رئة أحد المدخنين (٦٦ سنة) وكان مصابا بسرطان الرئة ..

ولا يخفى أن كل خلية من خلايا الجسم تحتوي على ٢٣ زوجا من الكروموزومات .. وان كل واحد من هذه الكروموزومات يحتوي على آلاف الجينات ... وأن كل واحدة من هذه الجينات تحتوي على سلم مدرج يبلغ عدد درجاته ٤٠٫٠٠٠ درجة ... فالذي اكتشفه الباحثون هو أن السرطان انما هو خطأ ما يصيب واحدة فقط من هذه الدرجات الاربعين ألفا وان كل ما يرافق السرطان من فتك وبطش انما يترتب على ذلك الخطأ ..

على أن الذي يهمنا هنا ليس البحث المتصل بالجينات والكروموزومات وانما الأبحاث العديدة المتصلة بالمأكولات والمشروبات وعلاقتها بالسرطان ..

من تلك الأبحاث ما نشرته جمعية السرطان الوطنية (الأمريكية) ACS في شهر فبراير الماضي وقد أكد أن القرنبيط والملفوف والكرنب تحتوي على مواد تقي المرء من الاصابة بالسرطان ..

وأكد التقرير أيضا أن المواد الدهنية والكحول وكذلك اللحوم المدخنة أو المخللة تمهد السبيل لاصابة الجهاز الهضمي بالأورام السرطانية .

وينصح التقرير ذوي الأجسام البدينة بتخسيس وزنهم .. ويوصي الناس جميعا بأكل الأطعمة الليفية .. أما الخضروات والفواكه الغنية بفتامين أ و ج (A + C) كالحمضيات والخضرة التي ترى في الصورة فمن شأنها الحد كثيرا من سرطان الجهاز الهضمي وسرطان الجهاز التنفسي .

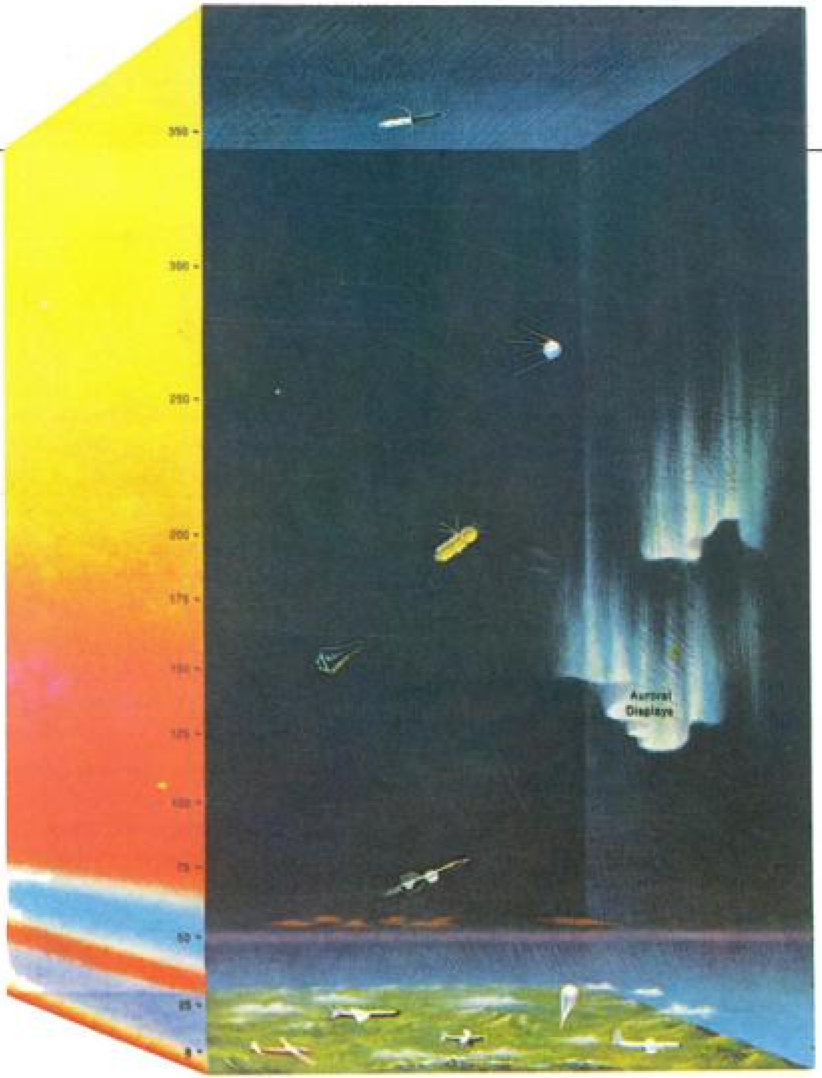

هذا هو الغلاف الجوي

رسم ايضاحي جميل للغلاف الجوي الذي يلف الكرة الارضية .. فهذا الغلاف مكون من عدة طبقات .. الواحدة فوق الأخرى .. وهي كالتالي :

طبقة تروبوسفير ...... من سطح الأرض الى ارتفاع ٨ أميال تقريبا .

طبقة ستراتوسفير ...... ٨ أميال ـ ٣٠ ميلا تقريبا .

طبقة ميزوسفير ...... ٣٠ ميلا ـ ٤٠ ميلا تقريبا

طبقة الأوزون (الخط البنفسجي) ٤٠ ميلا ـ ٥٠ ميلا تقريبا .

طبقة أيونوسفير ٥٠ ميلا ـ ٤٠٠ ميل تقريبا .

لاحظ الأرقام على هامش الرسم المقابل ليسارك وهي قائمتان .. داخلية تحدد الارتفاع بالأميال .. وخارجية تحدد درجات الحرارة المختلفة التي تلقاها في طبقات الجو المختلفة ، كما تظهر لك ذلك ألوان الرسم

أما الأضواء الغامرة في أواسط الجو فهي التي تعرف باسم الشفق القطبي .. وأما الطائرات والأقمار الصناعية فضلا عن الغيوم .. فيظهرها الرسم في طبقات الجو التي غالبا ما تظهر فيها أو ترتادها .

التلوث الجوي والأوزون

تحدثنا في عدد سابق عن تلوث الجو أو الهواء من حيث تراكم غاز ثاني أكسيد الكربون في الجو وتشكيله حزاما يلف الكرة الأرضية ويزيد مناخها حرارة على نحو ما يفعل بيت النبات الزجاجي ، وتحدثنا في عدد أسبق عن التلوث الذري ، بل انتشار الغبار الذري تبعا للتفجيرات النووية التي لا مفر من وقوعها في حرب نووية شاملة باتت قاب قوسين أو أدنى .. وذكرنا الدمار الهائل الذي سيحدثه هذا الغبار الذري والذي سينتهي ان عاجلا أو آجلا الى القضاء على الحياة بكافة صورها .. وأشرنا أيضا الى التلف الذي سيحدث لطبقة الأوزون بتأثير الغبار الذري والتفجيرات النووية .. فما هي طبقة الأوزون هذه ؟ .. وما هي قيمتها .. بالنسبة الى الانسان والحيوان .. وسائر أشكال الحياة ؟

سموها طبقة .. لأنها توجد بين طبقات الجو العليا .. على ارتفاع يتراوح بين ١٥ ـ ٣٠ كيلو مترا ! . وأكثر من ذلك في بعض الأحيان .. أنها حزام يلف الكرة الأرضية لفا قوامه الأوزون .. أو ان شئت الأوكسجين الثلاثي الذرات .. فهو اذن غاز .. ولكن لونه مائل للزرقة ويتكون من جراء تعرض الهواء ، بما فيه من أكسجين عادي ، الى شحنة كهربائية صامتة .. ولا يلبث هذا الأوزون أن يتصاعد في الجو حتى يصل الى الحزام ، حزام الأوزون ، الذي يلف الكرة الارضية على ارتفاع ١٥ كيلو مترا أو يزيد .. ويستقر فيه ..

على أن حزام الأوزون هذا ذو قيمة كبيرة وخطورة بالغة .. فهو الحزام الواقي الذي يحمي حياة الانسان والحيوان والنبات من شر الأشعة الضارة التي توجد ضمن أشعة الشمس .. كالأشعة فوق البنفسجية والأشعة تحت الحمراء .. فحزام الأوزون يمتص أكثر هذه الأشعة ويحول دون تسربها الى سطح الأرض .. ودون بطشها بالكائنات الحية التي تعيش عليه .. من ثم كان هذا الحزام بحكم الحزام الواقي ..

ولكن هذا الحزام تعرض لبعض التلف في السنوات الأخيرة .. وذلك بتأثير عدد من المواد والأسمدة الكيماوية .. ولما يقدمه عادم الطائرات النفاثة ، لا سيما اذا انطلقت بسرعة تفوق سرعة الصوت ... ناهيك بالتفجيرات النووية التي قد تقضي على طبقة الأوزون قضاء تاما في حرب نووية شاملة .. وقد أوجزنا ذلك في الرسم الايضاحي المرافق ..

على أننا أوجزنا في الرسم نفسه الأضرار والمخاطر التي تترتب على تلف حزام الأوزون .. حزام الحياة الواقي ..

وتجدر الاشارة الى شتى البحوث والدراسات التي تقوم بها مختلف الدول بقصد تحديد التلف الذي لحق وما زال يلحق طبقة الأوزون الواقية .. فقد دلت احدى تلك الدراسات على أن كمية الأوزون الموجودة في الحزام الواقي قد نقصت بنسبة ٥٪ فيما بين سنة ١٩٧٠ ـ ١٩٧٨ .. وذلك تبعا لتكاثر المواد الكيماوية المعروفة : الايروزول والفلوروكربون (١٢) .. فقد تضاعفت كميات هذه المواد ثلاثة أضعاف في الفترة المذكورة .. فتناقصت كمية الأوزون الواقي بالنسبة المذكورة أيضا .. والمواد المذكورة تدخل في صنع كثير من المستحضرات الكيماوية كمبيدات الحشرات ومستحضرات التجميل ..

وتجدر الاشارة أيضا الى أن بعض الدول التي تولي حماية البيئة الاهتمام اللائق بها قد حظرت صنع واستعمال الايروزول والفلوروكربون (١٢) .. وذلك من أجل حماية حزام الاوزون الواقي .. ونذكر من تلك الدول الولايات المتحدة الأمريكية وكندا والسويد والنرويج والدانمرك .

بقي أن نشير الى أن غاز الأوزون أو الأكسجين الثلاثي الذرات (٣) **Allotropic** وهو ذو فوائد كثيرة ، يمكن انتاجه صناعيا وذلك من أجل تبييض المركبات العضوية .. وابادة الجراثيم وازالة الرائحة الكريهة والطعم الرديء ناهيك بتعقيم مياه الشرب .. وهذا لا يمنع طبعا أن غاز الأوزون سام وقابل للانفجار ..

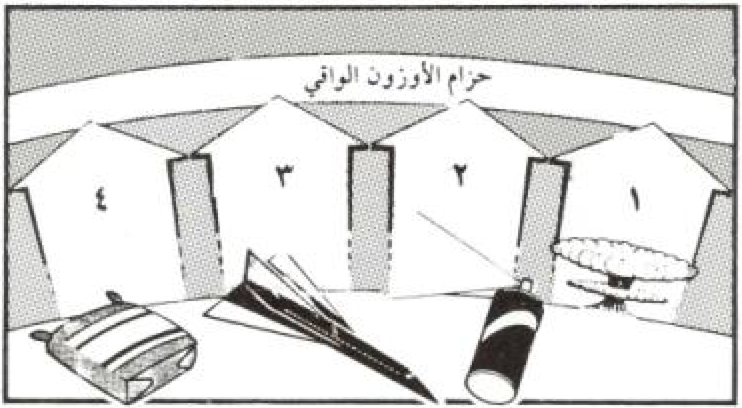

الملوثات التي تتلف الأوزون

١ ـ التفجيرات النووية كفيلة باتلاف الأوزون بنسبة ٢٠ ـ ٧٠٪ .

٢ ـ الايروزول والفلوروكربون (١١) و (١٢) يتلفان الأوزون بنسبة ملحوظة وقد أقدمت بعض الدول على حظر صناعتها واستعمالها .

٣ ـ الطائرات النفاثة التي تفوق سرعتها سرعة الصوت تقذف من عادمها أكاسيد الأزوت التي تتلف الاوزون .

٤ ـ الاسمدة الأزوتية يتصاعد منها أكسيد الأزوت الذي يتسبب بتلف الأوزون بنسبة لا تقل عن ١٥٪ .

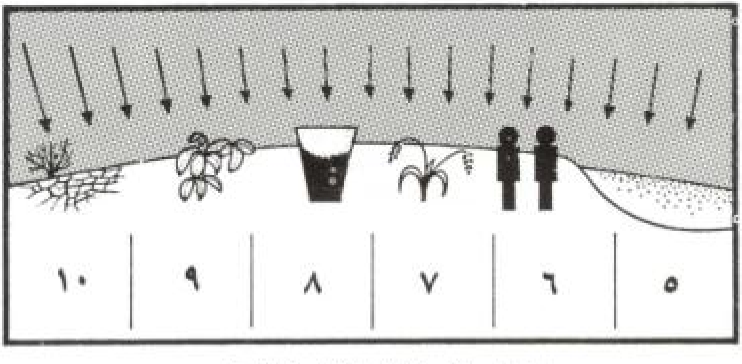

الدمار الذي يحدثه الاوزون اذا تلف

٥ ـ يلحق الدمار بالبلانكتون . . تلك الكائنات البحرية الدقيقة التي تعتبر أساسا في بقاء الأحياء المائية .

٦ ـ تكثر الاصابات بسرطان الجلد وتكثر الأمراض التي تصيب الانسان في صميم خلاياه . .

٧ ـ وتتناقص المحاصيل وتتعرض النباتات لأمراض وراثية مستعصية . .

٨ ـ ويصبح من الصعب تكرير المياه وتصفيتها بالقدر الكافي . .

٩ ـ تلف الاوزون يتسبب في تحطيم خلايا الكائنات الدقيقة من الحيوان والنبات .

١٠ ـ ويؤدي أيضا الى احداث تغييرات جذرية في المناخ .

يانايم وحّد

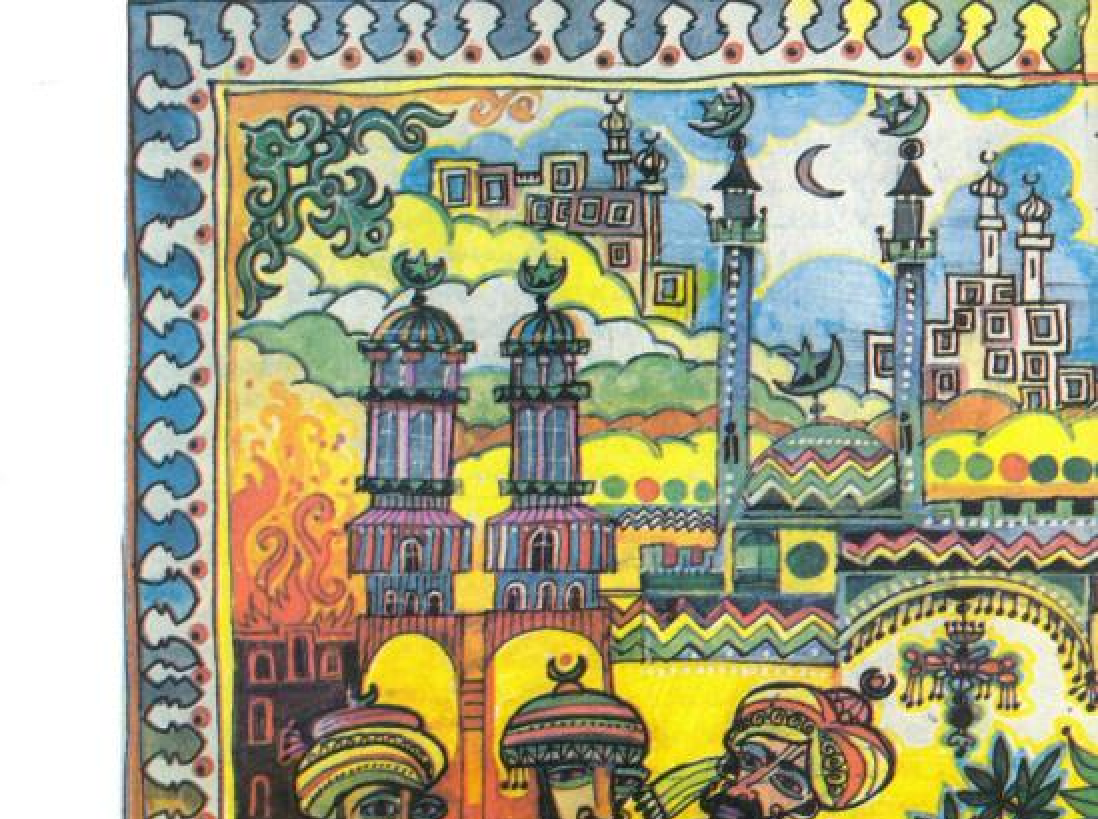

الدّايم

المماليك يصومون رمضان

بقلم : الدكتور محمد المنسي قنديل

ولم يوجد (الدايم) اشتات من البشر كما وحده المماليك ، فمنذ أن تجمعوا من سهوب (التركمان) الباردة ، وجبال البلغار الوعرة ، وفجاج (الصقالبة)المنعزلة ، وقد وهبهم الله الدين واللسان والهوية وسلطان الارض والخيل العتاق والجواري الحسان ، والغلمان المرد والقصور والخانات ، فعلوا وبغوا وحكموا وحاربوا وانتصروا وانكسروا ثم زالت دولتهم كأن لم تكن . . وسبحان من له الدوام . .

سماء مظلمة . . وهلال وحيد . .

لقد هجروا الذاكرة القديمة ، وعاشوا حلمهم الزاهي فلم يفيقوا منه الا على الموت ، إما بالاغتيال او الخنق او السم او السجن مدى الحياة - ولكن أي منهم لم يندم على هذا المصير .

كانت بداية كل شهر بالنسبة لهم حدثا يستحق التهنئة والاحتفال . . ولا بد أن يصعد القادة والمشايخ والاعيان الى القلعة لتهنئة السلطان . . كانت شهورهم بالغة العذوبة والقصر . .

لذا فقد أحبوا شهر رمضان ، أحبوه يوماً يوماً . . أحبوا لياليه ودورة هلاله ، أحبوا درجة الاحساس العالية بكل لحظة من لحظاته ، احساس الجوع والشبع ، والري والعطش ، والابتهال والخوف .

في بداية كل رمضان . . وسواء ظهر الهلال أو لم يظهر . . يجلس السلطان على كرسيه بالقلعة ويأتي الوزير والمحتسب وخلفهما صفوف طويلة من الحمالين . يمرون امام السلطان ومعهم الغنم واكياس السكر والارز والدقيق والزبيب والجوز واللوز والتوابل والبقول . يأتون في صف طويل كالنمل صعودا من اسفل الى اعلى . ويغيبون في باب القلعة كأنهم يغيبون في بطن السلطان . يأتون من الحقول والبراري والارض الجافة والقرى الصغيرة والدساكر الى مخازن السلطان استعدادا لصومه العظيم . . ولا بد انه كان يمد يده ويتحسس كل هذه الاشياء والا ما حرص كل السلاطين على اقامة هذا المشهد من كل عام . . بعد ذلك ينسحب الى غرفته، ويترك رؤية الهلال مسألة يقررها شيوخ الأزهر . . لقد بدأ هو شهر رمضان بطريقته الخاصة .

ورؤية الهلال مشكلة اخرى . فالهلال يجب أن يرى وشيوخ الازهر عليهم أن يروه بالعين المجردة ويعانون من ضعف في الابصار ، وغالبا ما تهب من (المقطم) ريح رملية قاتمة تجعل الرؤيا متعذرة حتى من أعلى المآذن .

احيانا كان الهلال يظهر واضحا كأنه سن ضاحك ، وأحيانا يبقى غائبا ، ويمضي اليوم التاسع والعشرون ويحل اليوم الثلاثون . . ولكن قد تحدث المفاجأة في منتصفه . . ففي عصر السلطان برقوق اضطربت القاهرة اضطرابا كبيرا عندما ثبت ظهور الهلال في منتصف النهار تقريبا ، ونادى قاضي (الشافعية) بالامساك بعد أن كان الغداء قد وضع على الموائد ، واسرع السلطان فطرد مدعويه وأمر برفع الصحاف وتجشأ وأعلن الصيام ولم يكن باقيا على المغرب الا عدة ساعات .

الصراع من أجل الرؤية

ولان الصراعات كانت كثيرة بين من يحكم . . ومن يعلم . . فقد كانت مسألة رؤية الهلال تخضع احيانا لوجهات النظر فقد حدث في ليلة الرؤية بأن أعلن القضاة الاربعة ومشايخ الازهر ان الهلال لم يظهر وأعلن الوالي وأنصاره من الجراكسة انهم قد رأوا الهلال من فوق مآذن مسجد المتولي . وكبر الناس وأضاءوا المشاعل واستعدوا للسهر . . ولكن أحد المشايخ هبط غاضبا وهو يصيح . . « اطفئوا المصابيح

ياحرافيش . . أتصدقون الجراكسة وتكذبون العمائم ؟ «فأطفأ الناس المشاعل . ولكن الجراكسة عادوا ومعهم مزيد من الجند . . واصروا على أن يوم الغد هو الاول من رمضان . فأوقد الناس المشاعل . . وتوافد المشايخ من كل الاروقة . . « أيعلمنا الجراكسة امور ديننا » . . فأطفأ الناس المشاعل . . وأمسك احد الحراس بذقن احد المشايخ فضربه الشيخ بالمركوب ، واشتبكت الايدي وأوقد الناس المشاعل وأطفئوها عدة مرات . ثم صعدوا جميعا الى القلعة يحتكمون بين يدي السلطان .

ونظر السلطان للجراكسة الغاضبين ، وللشيوخ الممزقي العباءات . . وللسماء الخاليه من أي أثر . . وكان الموقف حرجا . . لا يوجد هلال . . ولكن لو خذل الجراكسة فسوف يخذلونه . . والمشايخ مقدور عليهم ، لذلك قر قراره واعلن أنه أيضا قد لمح الهلال . . وباتت القاهرة مقسومة . . صائمة . . ومفطرة .

فتوى . . من اجل الافطار . .

على أي حال فالرؤية يجب أن تثبت ، ويجب أن يصعد القضاة والمشايخ للتهنئة . . وأن يصعد ايضا الخليفة العباسي لابسا زيه الأسود . . كأنه يذكر الجميع أنه في الارض ما زال هناك « امير للمؤمنين » . . لم يبق له من الخلافة الا اسمها وشارتها السوداء . ولا يخلو الامر خلال هذه التهنئة من شكاية لرفع مظلمة . . أو محاولة للتخفف من ضريبة فادحة . . والسلطان يوافق احيانا . . ويماطل في أحايين كثيرة . . السلطان الغوري كان يتذمر دائما وهو يقول : « الخزائن فارغه يا مشايخ والجند طلباتهم كثيرة » . .

ويتوسل اليه المشايخ قائلين :« والناس مساكين يامولانا السلطان وعيالهم كثيرة » . .

فيهمهم السلطان كأنه يشكو ذات نفسه : « العيال لا يملكون الا البكاء . . ولكن الجند يلعبون بالسيوف والمكاحل يا مشايخ . . »

أما السلطان برقوق فقد أعلن في اول ليلة من ليالي رمضان . . « من كانت له ظلامة او خصومة فليحضر بين يدي السلطان » . . ولم يقع الامر لسلطان من قبله وهو من احدث ذلك بين سلاطين المماليك . . ففتحت القصور ابوابها ودخلت حكايا العامة والحرافيش وصغار التجار . . ومن الغريب أن القصص تتباين ولكن الظلم واحد . .

وقد حير السلطان اشرف أبو المعالي العلماء والمشايخ اكثر مما حيرهم هلال رمضان ففي صبيحة اليوم الاول استدعاهم على عجل . . ودخلوا فوجدوه جالسا متجهما فوق العرش . . ووزيره (منجك) بجانبه . . وأحسوا بالخوف والحيرة ، فظلوا صامتين . . وأخيرا تكلم الوزير بهدوء ورزانة . . « السلطان يريد فتوى لافطار رمضان »

ونظر القضاة بعضهم الى بعض : وهل يحتاج المفطر الى فتوى ؟ . . لم يتكلم احد ، خيم الصمت كأن الوزير لم يقل شيئا . واحتقن وجه السلطان غضبا وهو يصيح . . « هيه . . ماذا تقولون ؟ » . .

وتنحنح المشايخ . . وبدأ القاضي المالكي يسرد احكام الصوم ومبيحات الافطار بصورة عامة . . ولكن يفهم منها انه لا يوجد في حالة السلطان ما يبيح الافطار ، وهتف السلطان في قوة . . « انا مريض يا مشايخ . . ضعيف » . . وتدخل الوزير ليحاورهم . . لكن أحدا منهم لم يستطع أن يقتنع بجدوى حاجة السلطان الى فتوى كاذبة . . اذا كان يريد أن يفطر فليفطر . . ولكن السلطان ظل مصرا . . كان يريد أن يفطر . ولم يلن أحد منهم رغم أنهم كانوا يرتعدون خوفا . فوعدهم السلطان ، واغراهم الوزير ، وزجر الحرس واقتادوهم الى السجن . . وجلس السلطان ووزيره يفكران في هذه الورطة ثم اهتديا الى حل . . فليسافر

السلطان .. وفي السفر عذر شرعي للافطار .. وهكذا اعلن في نفس اليوم ان السلطان سوف يسافر لتفقد قلاع الاسكندرية ودمياط ثم يرحل بعد ذلك الى الشام .

ولكن السلطان قلاوون كان يطلب فتوى من نوع مختلف .. ففي ليلة التهنئة بالرؤية كانت المناقشة محتدمة بينه وبين المشايخ حول مسألة كنيسة اليهود في القدس . كانت الكنيسة قديمة وآيلة للسقوط ، وكانت المشكلة .. « هل يجوز هدمها في هذه الحالة دون أن يعد ذلك اعتداء على اهل الكتاب .. أم يعاد بناؤها كما كانت من قبل » ..

وانقسم المشايخ .. بعضهم أفتى بجواز هدمها ما دام وجودها في هذه الحالة قد أصبح خطرا ، وبعضهم حبذ اعادة تجديدها .. وظل السلطان يوازن بين الأمرين .. ولانه كان يميل للعمران .. لكل ما هو محسوس فقد امر باعادة بنائها وترتيبها على أحسن وجه .. ولو كان قلاوون يعرف الغيب ما كان هذا اختياره ..

يأيتها الادعية .. طهرينا ..

ثم يصعد العلماء ؟ والمجاورون والقراء والمؤذنون الى حوش القلعة حيث يبدأون في تلاوة البخاري ، ولعلها المناسبة الوحيدة التي ترتفع فيها الادعية من القلعة .. صافية .. فيها شيء من الانكسار .. ومن الرهبة « يارب ياذا الجلال .. اغفر لنا .. ذنوبنا » ..

كانوا يطلبون التوبة في هذه الليالي عن كل ذنوب المماليك منذ أن خطفوا واسترقوا وبيعوا وأسلموا وترقوا وملكوا وحكموا واستعبدوا مالكيهم كانوا يطلبون التوبة عن ايام طويلة من النهب والتآمر وخيانة الأهل والغدر والزهو والملق والرفعة والانحطاط . والمشايخ يداومون القراءة والدعاء حتى الليلة الثامنة والعشرين من الشهر ، فيختمون الختمة في اجتماع حافل يحضره السلطان والأمراء .. ويخلع فيها عليهم الخلع .. ويفرق صرر المال .. ويطمئن أن عبق البخاري والادعية الطيبة سوف تبقيه على العرش عاما جديدا ..

وكان قلاوون هو أول من زاد في أعطية شهر رمضان .. فقد أمر أن يفرق على الفقهاء والعلماء (توسعة) اي مبلغا اضافيا من المال لعيالهم .. واستمر ذلك طول فترة حكمه .. ولا بد أن السلطان الأشرف شعبان قد فكر في شيء من هذا القبيل لولا أنه اكتشف ان الخزينة السلطانية قد سرقت واختفت منها عشرون الفا من الدنانير الذهبية .. وارتج القصر .. فقد كانت الخزانة في غرفة نوم السلطان .. والسلطان قد تسحر ونام .. والجميع قد حذروا السلطان من النوم بعد السحور بما فيهم الاطباء . ولكنه نام واختفت العشرون ألف دينار .. ولم يكن أمامه الا الشك في خدمه وفي عبيده المقربين .. وكانت المفاجأة عندما اعترف الجميع على (خوند سوارباي) محظيته الاثيرة ..

الى من يأمن المرء في هذا الزمان ؟ ..

وضع السلطان محظيته في السجن فلم تعترف ، أمر بضربها بالسياط فتحملت وخرجت بعد سنوات طويلة من سجن (العرقانة) وهي كهلة .. وفاقدة السمع تهمهم بكلمات غامضة تحكي عن تجربة السجن الطويلة ولا أحد يدري ان كانت قد سرقت النقود أم لا ؟

ولعل « خوند سوار » كان عقابها قاسيا .. ولكن العقاب لم يكن يقل قسوة بالنسبة للمفطرين .. ففي عهد السلطان الغوري قبض على رجل وهو سكران في عز النهار فضرب بالمقارع وجرس بالقاهرة . وفي حادثة اخرى كبس الوالي بنفسه جماعة من الاروام والجراكسة يشربون الخمر .. وقبضوا عليهم ووقع السلطان في حرج بالغ لانه كان بينهم بعض أولاد الاعيان . وفي حديقة الازبكية في وسط المدينة القى القبض على رجلين وامرأة كانوا يشربون

الخمر في منتصف النهار . . وكانت المرأة من الذكاء بحيث فرت من يد الحرس وطيف بالرجلين مقيدين في المدينة وهما يبكيان . .

وفي عهد قايتباي بدأ رمضان بداية حزينة ، فقد ثارت ريح عاصفة من جهة الغرب ، وساد الظلام ثم بدأ المطر يتواصل في الهطول في غير أوانه . . وعانت مدينة دمياط من قلع الاشجار وتهدم البيوت ، ولكن الخبر المفزع جاء من المدينة المنورة ـ على ساكنها افضل الصلاة والسلام ـ فقد هبطت صاعقة عظيمة في آخر الليل . . فأحرقت منارة المسجد الشريف . . والسقوف والحيطان والاعمدة والابواب ولم ينج الا القبة الشريفة . . وقد رأى الحادث مؤذن المسجد فهبط وقد أصابه الخرس من هول ما رأى ولم يلبث ساعة حتى مات .

وعندما سمع السلطان هذا الخبر لم يتمالك نفسه فأجهش في البكاء ، وبكى الوزراء والامراء ومقدمو الجند . . وتعالت التكبيرات في الازهر وخرج العوام هائمين في الشوارع واعولت النساء في البيوت . . وسادت المدينة كآبة الندم . . وأخذ كل منهم يعزي الاخر . . لقد حفظ الله القبة الشريفة وساكنها عليه السلام . . ولكن كان للافطار طعم الحنظل . . وكان في الصوم العزاء . . وأي عزاء . .

وأفاق السلطان من الصدمة فشرع في تجديد المسجد الشريف ووجه للمدينة البنائين . . وصانعي الرخام وعلى رأسهم اشهر بناء في هذا الوقت (ابن الزمن) وشرع في بناء الجدران والمحراب ، وهدم القبة القديمة ـ وكانت من الخشب ـ وبنى بدلا منها قبة من الحديد المخرم . ولم تهدأ النفوس الا بعد عامين من العمل حين اكتمل بناء المسجد ليصبح من اعظمها وأشرفها ، حتى قيل أن السلطان قد صرف على بنائه نحو مائة ألف دينار . .

واذا كانت بداية رمضان حزينة بالنسبة للسلطان قايتباي . . فان نهايته كانت غامضة بالنسبة للسلطان الناصر أبي السعادات . . ففي اليوم التاسع والعشرين اشتد الحر ، وعز وجود السقائين ، وتكالب الناس على الزوايا والجمال ، حتى تعاركوا بالعصي . وفي وسط هذا التوتر امر السلطان أن تدق (الكئوسات) في القلعة وصاح فيمن حوله « انا اعمل العيد في الغد من هذا الشهر سواء رأوا الهلال أم لم يروه » . .

واشيع هذا التهديد بين الناس ، فركب قاضي القضاة الشافعية بغلته وصعد الى القلعة ، وعرفه أن العيد لا يجوز الا اذا رأى الهلال في تلك الليلة .

ولكن السلطان كان مصرا حتى أنه هم بعزل القاضي ، لم يكن يريد للشهر أن يتم لانه لو تم فسوف يكون الجمعة هو أول أيام العيد . . وسوف يدعي للخليفة من فوق المنابر مرتين . . مرة في خطبة صلاة العيد . . ومرة في خطبة صلاة الجمعة . . والدعاء للخليفة مرتين علامة على نهاية السلطان . هكذا يعتقد كل الناس ، ويعتقد الناصر أبو السعادات نفسه . . ففي دورة الزمن المملوكي هذه يتقلب الحظ سريعا . . وأيام ابي السعادات لم تكن رضية . يكفي أنه كان يتزيا بزي المغاربة ، وينزل للصلاة في الازهر متنكرا ، ثم يجاذب الناس اطراف الحديث . . وكان دائم السؤال عن سيرة السلطان . . ودائما يسمع مالا يسره . .

صاح السلطان وماج . . « لا عيد يوم الجمعة » . .

ولكن القاضي كان مصمما أن لا بد من رؤية الهلال ، وصعدوا جميعا الى أعلى جزء في القلعة ، وانتقى السلطان من رجاله أحدهم بصرا وبثهم في كل مكان . . ؟ فوق مآذن الأزهر وجامع المؤيد والمقطم وجلسوا يترقبون والسلطان يقضم أظافره والليلة مظلمة ، داكنة ، ولم يظهر الهلال . . وصام الناس الخميس وعيدوا الجمعة ودعوا للخليفة مرتين ودعوا على السلطان مرتين فاستجاب الله للدعاء .

من يوقظ الغوري ؟ . .

في الليل تهدأ القاهرة على تكبيرات صلاة التراويح في جامع سيدنا الحسين ، ثم تسود ساعات من السلام الجميل ، ساعات هادئة بلا خوف من مداهمة الوالي أو الحارس او المحتسب . ففي ليل رمضان تغل الشياطين بسلاسل من جهنم . ويسعى المجاذيب والدراويش بين الأزقة يتلمسون أطباق الحلوى . تقدمها لهم فتاة محجبة ، ولكن عيونها ساجية تنظر اليهم فتزيد القلب المجذوب انجذابا . . ويطوف اصحاب النذور بقرب الماء المخلوط برائحة الورد . . يسقون عطاشى الصوم ، وفي منتصف الشهر ، في منتصف ختمة البخاري يفرد القمر جسده وينام على البوابات العتيقة ، وتتفتح أزهار (ست الحسن) وفي منتصف الليل يمر « المسحراتي » ويدق الطبلة كأنه وجيب قلب هذه المدينة الغافية .

(يانايم . . وحد الدايم) . .

كأنه يضع بلسماً على كل شقاء الشهور الماضية . .

في صباح منتصف الشهر يبدأ موكب الكسوة الشريفة . بلونها الاخضر الزاهي من الحرير الدمشقي وخيوط الذهب والفضة ترسم الآيات الكريمة . والجمل يحملها على ظهره ، ويعبر الشوارع والدروب مختالا كأنه يعرف أي مكرمة يحملها فوق ظهره ، هذا هو موكب الراحة الاخير . كأنه وداع لحلم مزدهر طال أمده . .

الاحداث الصغيرة تتجمع وفلول بني عثمان تتجمع أيضا في الشمال . والسلطان الغوري علق على أبواب القلعة مدفعا قديما يطلق كل يوم من أيام رمضان طلقتين ، واحدة للافطار وأخرى للامساك . ولكنه هو نفسه كان بحاجة لمن يوقظه ، بحاجة لمن يقول له : ان هذا المدفع بالغ القدم لا يصدر الا صوتا عاليا مزعجا . . أما مدافع بني عثمان فهي مهلكة . سوف يحصدون بها حلم الدولة الزاهر التي هزمت التتار والصليبيين وسادت البر والبحر ، وكان الغوري يعاني من اضمحلال في بصره ، وكان كل يوم يقف في النافذة ويطل على المدينة التي تدين له بالخوف دون أن يراها جيدا ويردد (يا بصير . . يا بصير) كان مشغولا بخنق الاصدقاء في (العرقانة) وتسليط أعوان « الزيني بركات » على الناس ، ومغالطة تجار القوافل في الحساب . واحتكار صناعة السكر . . وعندما وقعت اول معركة صغيرة بين جنوده على حدود الشام وبين جند العثمانيين في أحد ايام رمضان . لم يتبصر ، وظل يردد (يا بصير . . يا بصير . .) ويتحسس الدنانير ويكدسها في خزائنه لعلها تعطيه احساسا بالحرية بدلا من هواجس ذلك المملوك المشترى الراقد في اعماقه .

وفي آخر رمضان رآه لم يجد بدا من الخروج ، رفع الأعلام وأرضى الأمراء والأتابكة . . وأخذ الجيوش الجوانية وضمها الى الجيوش البرانية ، وسار الى (مرج دابق) بعد أن كان بصره قد زال تقريبا . . وخاض معركته الاخيرة بشجاعة تليق بوغد عجوز لم ير حشود بنى عثمان ، لم ير بيارقهم ولا أسلحتهم المصقولة الحديثة . ولكنه فقط سمع دوي مدافعهم كأنه يوم القيامة . وجمع به الحصان فألقاه على الارض وداسته الخيول المنهزمة ، لم يعرف له طريق جسد . ولم يبك له احد على قبر ، وزالت دوله الغوري كأن لم تكن . فسبحان من لا يزول ملكه ولا يتغير على طول المدى . .

ومثلما اختفى جسده . . اختفى ماله . . ففي اليوم الرابع عشر من الشهر نفسه وصل الخبر فجرا الى القاهرة . وكان الدوادار طومان باي يصلي بالناس في الازهر فأغرورقت عيناه بالدموع . . الهزيمة قاسية ، وبقية الثمن لم يدفع بعد ، وكانت القاهرة كلها قد استيقظت واجفة . ترقب طومانوهو يسير بثوبه الخفيف الابيض ، خلفه الأمراء المقدمون وأمامه

المصابيح والمشاعل ، وهو يخترق الطرق والحارات كأنه يبحث عن مخرج فترتفع له الاصوات بالدعاء ، جاء اليوم ياطومان ، كان محبا للعوام ، لين الجانب ، قليل الاذى ، غير متكبر ولا متجبر ، جاءه ميراث طويل من الملك مطعم بالدم دون أن يسعى اليه . وعندما جلس على العرش خطب له الائمة من فوق كل المنابر ، وهي المرة الاولى والاخيرة التي يخطب فيها للسلطان . . فلم يكن يخطب الا للخليفة . . وفتح خزائن مصر . . فوجدها خالية . .

وكان اليوم التاسع من الشهر حزينا ، فقد استولى سليم شاه بن عثمان على دمشق ، وملك قلعتها وقتل ستة وثلاثين من امرائها . واختتم المشايخ البخاري في القلعة ، وحضره السلطان فلم يخلع خلعة ولم يفرق صرة . . كانت الجيوش الزاحفة تتقدم ، والحرب الضروس تناديه والمصير التعس يمد خيطا من الدم . . من هزيمة (الريدانية) . . الى تعليق جسده مشنوقا على باب (زويلة) . . ولم يأت عيد الاضحى الا وقد نصر الله السلطان ابن السلطان . ملك البرين والبحرين وكاسر الجيشين ، وسلطان العراقين وخادم الحرمين الشريفين ، الملك المظفر سلطان شاه .

نهاية ليست مأساوية . .

وجاء رمضان التالي على مدينة مهزومة ، يحكمها وال بعد أن كان يحكمها سلطان ، احد المماليك الذي أمنهم طومان باي فخانوه . . خاير بك الذي أصبح باشا . . وأطلق الناس عليه خاين باشا . . في الثامن من الشهر تزوج من خوند مصر باي زوجة طومان باي المقتول . كأنه أراد أن يرثه في كل شيء . وغاض النيل حنقا وغضبا ، فلم يزد ارتفاع منسوب مياهه اصبعا ، وهدد العطش البلاد . . وأشهروا في القاهرة اربعة نسوة وهن على حمير ووجوههن ملطخة بالسواد ، قيل أنهم يجمعن عندهن الاجانب من الاتراك في شهر رمضان ، وبلغ حنق الناس مداه ، فأخذوا يرجوهن بالطين والاحجار ، كأنهم يتقمون لكل مرارات الهزيمة . والسخط والاحلام المجهضة ، وظل النيل يغيض ، اربعة اعوام كاملة حكمها (خاين باشا) والنيل الذي يفي دائما في شهر رمضان . . لا يفي . . أخلف مواعيده تماما مثلما اخلف خاين باشا مواثيقه . . وعانى الناس من الجوع والعطش والقهر . .

وكانت النهاية . . مهينة وليست مأساوية . . اللمسة الاخيرة على الجرح المليء بالملح . . جلس خاين باشا فتكاثر عليه المماليك والامراء والمقدمون السابقون . . كانوا يطلبون أعطية شهر رمضان . . ولا بد أنه لمح في وجوههم زهو رفاق السلاح القدامى . . ولعله لمح في وجوههم بعضا من عزة النفس التي لم تقتلها الهزيمة . . وصرخ الباشا فيهم : « يا كلاب يازرابين . . أنتم بقى لكم وجه حتى تتكلموا . . يفشتم وجوهكم في ايش . . ؟ »

وأمر الانكشارية من حوله أن يضربوهم ويطردوهم من حول مقعده ، فأسرع الانكشارية بالعصيان وضربوهم ضربا فاحشا . . وجاءت ضربة على كتف جاني بك الدوادار فخلعته ، وبهدلوهم غاية البهدلة ونزلوا من القلعة على أقبح وجه ، وقال الشاعر المصري :

لما تكبرت الجراكسة التي
كانت بمصر . . أذلهم رب الورى . .

هبطوا مكسوري الخاطر ، وسط الناس الذين ظلموهم كثيرا . . فلم يدر أحد اهم احق بالرثاء ام بالشماتة ، وكان الجو حارا والارض جافة والغلاء عاما وانتظر الجميع حتى يأتي المساء وتهب نسمة عذبة من ناحية النيل ، فترتعش القلوب ، وتسود السكينة ، وتدق الطبلة كالوجيب :

(ياتايم . . وحد الدايم) . . □□

من قصص الخيال العلمي

الاكتشاف

للكاتب السوفيتي المعاصر
فارلين سترونجن

ترجمة : أشرف فتحي

□ كنا ـ ابني وأنا ـ نلعب « لعبة الاستخفاء » في البيت ، وجاء دوري لأغمض عيني . « مستعد ، سوف أمسك بك اينما كنت مختبئا ، قريبا أو بعيدا » هكذا صحت وأنا مغمض العينين ، ثم استدرت وبدأت البحث . نظرت تحت المائدة وبحثت تحت السرير ، لكن . . . لا اثر للولد ، فتحت الصوان . . . لا شيء سوى الملابس ، ولم يكن ايضا خلف المقعد الكبير ، كما كان الحمام خاليا .

ان شقتنا مكونة من غرفتين فقط ، فأين يمكن ان يكون قد اختبأ ؟ أيكون قد خرج من الشقة ؟ . . . لكن السلسلة كانت على الباب .

بدأت أشعر بالقلق ، واشتركت زوجتي معي في البحث ، فتشت جميع أرجاء الشقة غير واثقة من نتيجة تفتيشي ، بل انها نظرت في ادراج المكتب . . . ثم أخذت تنادي :

« اليوشا ، اظهر أرجوك »

صمت !

« اظهر ، فأنا سأخرج لشراء بعض الأيس كريم »

لا اجابة !

بدأنا نحن الاثنين نتصايح . . . كادت تنتاب زوجتي نوبة هستيريا . . . وأخيرا ظهر ابننا

« أين كنت ؟؟ »

« هناك »

« أين ؟ »

« هناك ، في البعد الرابع »

« ماذا ؟ أي بعد ؟! »

« الرابع ، هناك أبعاد ثلاثة وأنا اكتشفت الرابع »

انفغر فوهانا على اتساعهما . . . قالت زوجتي بصوت ملاطف :

« أرنا هذا الـ . . . البعد الرابع يا حبيبي ، خذنا معك »

رد ابننا قائلا : « لا . . فسوف تكتشفون كل شيء ، ؟ لكني سآخذ « يوركا » و « ايجور » و « فاسيا » معي ، وهناك نستطيع ان نلعب الهوكي ، اثنان ضد اثنين ، ولأي وقت نشاء ، ولن يستطيع واحد منكما أن يضايقنا »

كان تفكيري قد بدأ يضطرب ، فأسرعت الى

« معهد البحث العلمي » . . . صحت بعصبية :
« هذا ما حدث ، صدق أو لا تصدق ، لكن هذا ما حدث ، اكتشف ابني البعد الرابع .
« . . . هل يقرأ الأفكار ؟ »
« الأفكار ؟ لا ، لم ألحظ ذلك » .
« هل يستطيع ان يقرأ بأطراف أصابعه ؟ »
« لا » .
« كم هو شاذ . . . كنت أعتقد أنه يملك كل العلامات المميزة للخارقين »
« لكنه فعلا اكتشف البعد الرابع ودخل فيه وخرج منه أمام عيني »
« هل رأيت ذلك فعلا ؟ »
« في الحقيقة لم أره وهو يذهب ، فقد كنت مغمض العينين ، لكنه كان « هناك » بالفعل ، فليس بالشقة أي مكان يستطيع الاختباء فيه ، وقد بحثنا في كل ركن في الشقة . . . ثم رأيته يعود » .
« كيـف ؟ »
« ظهر من تحت الأرض »
« من تحت أي أرض ؟ »

« حسنا . . . أرضية الشقة »
« هل لديكم قبو ؟ »
« كلا ، نحن نسكن في الطابق الرابع ، فكيف يكون لنا قبو ؟ »
« بابا . . . . اتعرف كيف يسكت المخرفون المزعجون ؟ انك هنا في معهد للأبحاث العلمية ، وأنا ليس لديّ وقت لسماع قصص خيالية » .
« لكني أعرف هذا ، وبناء عليه حضرت ، من أجل العلم ، ومن جهة أخرى فان ابني سيبقى مختفيا في « البعد » .

« من الصعب تصديقك ، فمن المتوقع أن يكتشف البعد الرابع عام ١٩٩٥ ، بل اننا حتى الآن غير واثقين من نجاحنا في اكتشافه » .
لزمت الصمت مفحما . . . أخيرا قال ببطء :
« حسنا ، أحضر ابنك هذا ودعه يثبت لنا أنه اكتشفه » .
عدت الى المنزل سعيدا .
« اليوشا . . . أسرع يا عزيزي ، لدينا موعد في « معهد الابحاث العلمية » لمناقشة اكتشافك » .
قال ابني بهدوء : « يستطيعون الانتظار ، وعندما أنهي دراستي في المدرسة والجامعة سوف أذهب لأراهم » .
« ولم لاتذهب الآن »
« لأن . . . أنت لا تقرأ الصحف جيدا ، لقد قالوا ان التطور السابق لأوانه واجراء التجارب على مهارات الأطفال يعوق النمو الطبيعي » .
« لكنك لن تختفي ؟هـه »
قال جادا وهو يحك رأسه : « هذا يتوقف على سلوككم ، لكن هذا أكثر من أن يحتمل ، فمنذ وقت طويل لم أتناول اي قدر من الآيس كريم » .
يا للصبي المسكين . . .

أسرعت خارجا لاحضار بعض الآيس كريم . . . عندما عدت رأيت المشهد الآتي : زوجتي تجري عبر الشقة باحثة عن ابننا . □□

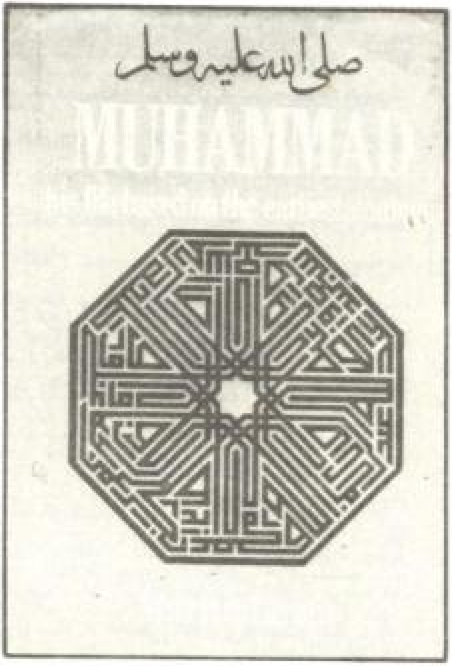

سيرة محمد والحقيقة بين عالمين

بقلم : الدكتور محمد الموافي

□ أيهما أجدى عند كتابة السيرة . . أن تقدم الأحداث التاريخية جامدة محددة . . أم يكون ذلك بطريقة روائية يعاد فيها تشكيل الأحداث لتأتي السيرة خلقا جديدا يعرف لأول مرة ؟

وكيف كان اختيار الكاتب « د . مارتن لنجز » في عرض كتابه الأخير « سيرة محمد » ؟

لاشك أن قارىء سيرة محمد (صلى الله عليه وسلم) لمؤلفها د . مارتن لنجز - القارىء العارف بالأمور - سوف يدهش ويتساءل . . سيرة محمد ، في الغرب لها تاريخ طويل عريض؟ طويل لأنه يرجع الى العصور الوسطى وما قبلها ، وعريض لأنه لا توجد ثقافة يعتد بها لم يبذل المؤلفون فيها جهودا كبيرة للتعريف بهذه الشخصية البارزة على مستوى العالم كله منذ ظهوره تاريخيا في القرن السادس الميلادي حتى يومنا هذا ، أي طيلة أربعة عشر قرنا وتزيد .

أما دهشة قارىء محمد (صلى الله عليه وسلم) لكاتبها لنجز فلأن المؤلف ، بالرغم من هذا الثراء النادر في معالجة هذا الموضوع باقلام غربية ، غير مسلمة وغير عربية ، لم يشر الى أية معالجة من هذه المعالجات السابقة عليه في مقدمة أو فاتحة أو فذلكة أو تنويه بفضل أو رد على مزاعم . . الخ . لقد عودنا المؤلفون ، لا سيما في الغرب ، ان الواحد منهم اذا تناول موضوعا مطروقا سارع فأعطى القارىء نبذة عنه ، أو خلاصة ما وصل اليه البحث والاجتهاد من علم بهذا الموضوع . فاذا انتهى من هذه الخلاصة سارع فاثبت بأن ما قدمه في كتابه لايعدو أن يكون جهدا متواضعا يرجو به اضافة متواضعة للموضوع ، لم يقصد بها أن تكون الكلمة الأخيرة فيه ، خاصة اذا كان الموضوع ينطوي على مشكلات تاريخية أو جدلية تثير الخلاف عليها ، كما هو الحال في سير العظماء ، خاصة في العصور القديمة .

فما بال د . لنجز يصرف النظر تماما عن هذا التقليد ، ويكتفي بأن يضيف في صفحة العنوان عبارة « من أقدم المصادر » (العربية) . وهذه العبارة يفصلها المؤلف في الصفحة الأخيرة من الكتاب (رقم ٣٤٩ - وهو غير مطبوع) قبل فهرس الاعلام . فيذكر اشتمال هذه المصادر ، بالاضافة الى القرآن والسنة ، على كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد ، وعلى سيرة رسول الله لابن اسحق ، وعلى كتاب المغازي للواقدي ، تضاف الى ذلك اشارات عابرة من أخبار مكة للأزرقي ، ومن تاريخ الرسل والملوك للطبري ، والروض الأنف وفيه يعلق عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي على ابن اسحق .

أقدم السير

لقد اعتدنا من المؤلفين الغربيين أن يشيروا الى أحدث البحوث تاريخا ، لاالى أقدمها ، وأن يحتجوا بالمعاصر والحديث من الكتب والمؤلفات ، لا الى الدراسات التي مرت عليها قرون . فمثلا اذا عنّ لأحد النقاد الآن ، أن يكتب عن شكسبير فانه لا يرجع الى ما كتبه عنه نقاد القرن السابع عشر ، ولا نقاد القرن الذي يليه من أمثال فولتير وصمويل جونسون،والذي غلب فيه العقل على العاطفة ، في الحكم على الأعمال الأدبية . أنه يرجع في المقام الأول الى أحدث نقاد القرن العشرين والى ابرز نقاد عصر الرومنتيكية .

لكن هاهو مارتن لنجز يعكس الآية فلا يشير الا الى أقدم السير . وللاجابة على التساؤلات التي تثور في نفس القارىء نذكر أنه حتى عهد قريب نسبيا في الغرب لم يخضع التأليف في سيرة الرسول محمد لما يخضع له التأليف عادة من اعتبارات أكاديمية ومناهج علمية ، حيث يبدأ الموضوع بحسبها على شكل نقطة أو نقاط صغيرة ، ثم لا يلبث بفضل البحث والدراسة أن تتكشف غوامضه وترتسم له أبعاد جديدة وتتسع حدوده . لكن سيرة محمد في الغرب ظلت قرونا مرتعا للمباراة في التعصب ومثارا للجدل الديني . ان الاصل في السيرة ، أي

سيرة ، أن تقدم بيانات عن شخص ما وعن ظروف حياته بقصد التعريف بها ، ويرجع كاتب السيرة ـ وان لم يكن مسلما ـ بأن البيانات التي يقدمها صحيحة ، اعتمادا على ما وصل الى يده من مصادر موثوق بها .

غير أن سيرة محمد في الغرب بدأت تقليدا مضادا ومعوقا لوظيفة السيرة . فبدأت باشاعة خرافات وترهات وأباطيل عن شخصية محمد (صلى الله عليه وسلم) وعن حياته ـ اشاعات تأبى الحشمة أن تردد مجرد أمثلة منها في هذا المقام المهيب ـ اشاعات وترهات أقلها كفيلة بالاساءة الى سمعة أي انسان ، فما البال بنبي الاسلام ،

لكن هذه الحملة الظالمة ، والحق يقال لم تكن تقصد لذاتها لأن محمدا (صلى الله عليه وسلم) كان قد انتقل الى الرفيق الاعلى قبل بدء هذه الحملة بقرن ، بمثل ما كان يقصد بها أن تنعكس على الديانة التي أسسها محمد رسول الله ونبيه عليه الصلاة والسلام ـ هذه الديانة التي أحست

أوروبا بخطرها مذ نجحت في مد نفوذها بل فرض سيطرتها على الامصار التي كانت تحتلها الامبراطورية الرومانية : من بلاد الاناضول والشام ومصر الى بلدان شمال أفريقيا حتى المحيط الاطلسي وأسبانيا ، هذا الاسلوب في

التشهير لاشك أسلوب فعال ، فليس أفتك بالنظم من مهاجمة منظميها ، ولا بالنظريات بمنظريها . واذن فالغرب لم يكتف في حروبه الصليبية بتجييش الجيوش واحتلال المواقع . بل

قرن ذلك بحرب دعائية . فاذا كانت الوقائع العسكرية استمرت ثلاثمائة عام فالحرب الدعائية سبقت هذه الثلاثمائة عام ورافقتها واستمرت بعدها مئات من السنين . حتى الوقت الحاضر ، إن لم يكن في أوروبا وامريكا ، ففي اصقاع واسعة من أفريقيا وشرق آسيا حيث الجهالة العمياء والجوع الكافر الذى يسهل على المبشرين مهمتهم في تشويه الديانات الأخرى .

وتتركز هذه الحرب في تزييف صورة نبي الاسلام وتزييف آي القرآن ، كتاب المسلمين المقدس .

اسلوب الوحدة الآرسطية

يعود لنجز للمصادر العربية القديمة لا لينقلها بنصها وفصها ، ولا باستطراداتها وتشعباتها ، وانما ليعرف منها الحقائق وينقل زبدتها الى القارىء الغربي المعاصر بأسلوب يعالج الموضوع كله ، وهو هنا سيرة محمد (صلى الله عليه وسلم) كوحدة عضوية أو شبه عضوية ، كل واحد متكامل تخضع فيه جميع الاجزاء ، وهي هنا وقائع حياة الرسول ، لكيان واحد هو سيرة محمد ، حيث تجد أنه مهما تعددت الفصول ، واختلفت عناوينها ، فلا أحد منها يشطح أو يبعد بأخباره ومحتوياته كثيرا عن الموضوع الرئيسي المجمع لهذه الأجزاء . واذا تسرع القارىء وحكم من عنوان فصل ببعد مادته أو صلتها بمحمد لم يلبث أن يغير حكمه اذا بلغ نهاية الفصل .

هذا الاسلوب في التأليف أو التركيب الذي يمكن أن نسميه اسلوب الوحدة الأرسطية يتجلى على أتمه في الادب الانشائي من مسرح ورواية . فالمسرحية أو الرواية الأرسطية كل متكامل لايقبل الزيادة أو النقصان . وقد اصطبغ بهذا المفهوم لوحدة الموضوع أيضا الكتابات الوصفية مثل أدب السير . وقد تمخض هذا الاسلوب في الكتابة الانشائية والوصفية على السواء عن مفهوم الفلسفة اليونانية للكون كما يقرر الباحث .

وهو مفهوم ورثه عنهم الرومان ، ثم العصور الوسطى في أوروبا . أما العرب والمسلمون حتى العصر الحديث ، كما يؤكد نفس الباحث ، فقد كان لهم تصور للجمال ـ أيضا ناتج عن تصورهم الخاص للكون ـ يختلف عن تصور اليونان له .

العمل العربي الفني القديم مفتوح النهاية عبر سدودها ولا محدودها . بعبارة أخرى عمل فني ترى له بداية ، ولكنك لا ترى له وسطا ولا نهاية ، واذن فأنت لا تنتظر نهاية ـ كما تفعل في الفنون الغربية ـ حتى يكتمل لك معنى العمل ويتحقق لك الاحساس بجماله . بل أن هذه التجربة الجمالية لتتحقق في كل جزء أو فقرة أو مرحلة أو واقعة ، على حدة . . فاذا كان العمل الفني من الزخارف الاسلامية كان قصيدة جاهلية أو أي شعر على غرارها جاء التأكيد فيها على كل بيت على حدة ، ومثل ذلك في قصة الاطار في كليلة ودمنة أو في الف ليلة وليلة . تبدأ ويمكن أن تستمر حلقاتها الى مالا نهاية . وهذا غير نظرية الجمال الارسطية ، وفيها تعيب العمل الفني الزيادة كما يعيبه النقص ، ويخضع فيه تقييم الجزء للدور الذي يلعبه هذا الجزء في تحقيق المعنى الكلي للعمل ومن ثم حدوث التجربة الجمالية التي تتوقف على المعنى العام لا على المعاني الجزئية كل على حدة

الخلق الروائي للسيرة

وبعد فقد أسلفنا أن هذا التصور الأخير قد تأثرت به المؤلفات غير الانشائية . ومنها كتابة السيرة ، وان لنجز في كتابه محمد سار في هذا الطريق وحقق منه ما تسمح به طبيعة الموضوع » فدمج مصادره القديمة في كيان واحد أقرب الى مفهوم الوحدة الارسطية الذي لايطغى فيه جزء على كل . بل يخضع له في التأثير العام .

هذا من حيث الاسلوب أما من حيث الموضوع فقد نجح مارتن لنجز في تجنب ثلاثة أنواع من السير ، الأول يركز على الجدل الديني ، وهو الذي طغى على سيرة محمد في الغرب في الماضي . لكن هذا النوع لم يعد يجد طلبا عليه في عصرنا هذا الذي انصرف عن الدين انصرافا يكاد أن يكون تماما ، والنوع الثاني وهو السير الاكاديمية من مثل المجلدين (محمد في مكة) و(محمد في المدينة) تأليف مونتجمري زات**Montgomery zatt** وهو أدنى الى روح العصر الذي نعيش فيه ، والذي تهمه اكتشاف الحقيقة تاريخية كانت أو عملية بصرف النظر عن مساس ذلك الاكتشاف بالاصول الموروثة ، وبصرف النظر عن تأثيرها أو عدم تأثيرها على العقائد الدينية ، وهذا الجنس من السير صغير الجمهور لأنه لا يستمد جمهوره من عامة المثقفين وانما يستمده من العلماء المختصين ومن الدارسين الاكاديميين . أما النوع الثالث من السير فهو وليد النوع الثاني بمعنى أنه يعتمد تمام الاعتماد على نتائج البحوث والدراسات الاكاديمية . فهو سرد لما توصلت اليه هذه الأخيرة من حقائق ، لكن لا يشترط فيه كما يشترط في البحوث الاكاديمية باثارة قضايا لمحاولة اثباتها أو بنفيها ، كما لا يشترط فيه أحداث تأثير فني ما في القارىء كما نجد مثلا في سيرة محمد ، ضمن كتاب « الابطال وعبادة الابطال» لكارليل، انما المقصود به مجرد الاخبار والاعلام . وهذا النوع من السير هو الذي نجده عادة في الموسوعات وأشباه الموسوعات ، وأود أن أثبت هنا أن النوعين الثاني والثالث من سيرة محمد ، أي السير الاكاديمية والسير الاخبارية شيء معمول به في كل الثقافات ولا تختص بهما سيرة محمد في الغرب بالذات .

أما مارتن لنجز فقد استهدف في سيرته لمحمد ﷺ هدفا يستفيد فيه بنتائج النوعين الثاني والثالث ويضيف اليها غرضا جماليا لا يتحقق في أيها . والحاصل هو خلق جديد للسيرة النبوية بالانجليزية أشبه ما يكون بالخلق الروائي الذي يستحوذ على حواس القارىء فلا يكاد يدع الكتاب قبل أن يكون قد اتمه . وأرجو الا يسيء القارىء فهمي فيظن خطأ أنني أقصد أن مارتن لنجز اعتمد على خياله فأضاف من عنده أشياء لأحكام حبكة الرواية . حاشا لله أن يفعل شيئا من ذلك وهو الذي يعامل مصادره العربية بما

يشبه التقديس . وانما استخدم لنجز خيال روائي مدرب في ترتيب الأحداث التي تنطوي عليها سيرة الرسول ﷺ فقدم وأخر ، وأطال وأقصر حتى تحولت روايته لكل حادثة الى قطعة فنية تضافرت فيا بينها في فصول الكتاب البالغة خمسة وثمانين لتتألف من مجموعها سيرة الرسول .

هذه الروائية ، كما قلت وأكرر هنا ، صفة لم تأت نتيجة لاضافة أحداث بل لاعادة تشكيل الأحداث التاريخية بحيث تبدو كالروايات الفنية المحكمة الحبكة . . انها أيضا نتيجة للنظر الى تلك الاحداث والوقائع التاريخية من منظور فنان روائي يعرف كيف يؤثر في انسانية القارىء ويثير مشاعره ، لقد علمنا عبد الرحمن الشرقاوي في سيره الأخيرة للخلفاء الراشدين وبخاصة « على أمام المتقين » ، كيف يحول التاريخ الجامد الى رواية حية وذلك اعتمادا على مبدأين هما : أولا اختيار نوع التفاصيل التي تكشف عن الانسان وليس فقط خطوط السيرة الرسمية التي يعتمدها المقدمون ، وثانيا دمج هذه التفاصيل الانسانية في كيان جديد لا تتباعد فيه ولا تتنافر بل تتفاعل وتتماسك ، فاذا السيرة كأنها خلق جديد تعرفه لأول مرة .

اعادة تشكيل الأحداث

وهذا تقريبا ما فعله لنجز في سيرة الرسول . انه لم ينس فيما اختاره من تفاصيل أن يدمج تلك التي تكشف عن أغوار النفس البشرية مع الروايات التاريخية الجامدة وبذلك يحولها الى لوحة تموج بالحياة وتنبض بالحركة والعاطفة وفيمايلي قصة لمت شملها من فصول متفرقة من السيرة الراهنة ، وهي تثبت ما لاحظته من عناية المؤلف بتفاصيل قد لا يعيرها المؤرخ التفاتا ، ولكن كاتب سيرة حية يهمه ما يدور بخلد النفوس أكثر مما تهمه أخبار المعارك العسكرية لايسعه أن يستغني عن هذه التفاصيل . وسوف يتبين قارىء هذه القصة - ومثيلات لها في السيرة الراهنة - أنه لولا الرجعية العقيمة لأقبل عليها الشعراء والروائيون وكتاب المسرح وصنعوا منها روائع في هذه الفنون تعمق تأثير الدين في القلوب أكثر مما تفعل الخطب المنبرية والوعظ الساذج .

قصة زينب وأبي العاص

كانت هالة قريبة الى قلب أختها خديجة زوج رسول الله ﷺ . وكان ولد هالة أبو العاص بن الربيع أثيرا لدى خالته خديجة فخطبته - وشجعها الرسول ﷺ على ذلك - الى ابنتيها زينب . فكان أبو العاص أحب أزواج بنات خديجة اليها . لكن أبا العاص لم يدخل الاسلام حتى بعد أن دخلته زوجته زينب وقد تعرض أبو العاص لضغوط كثيرة وكبيرة من قبل عبد شمس القبيلة التي انتمى اليها أبو سفيان بن حرب ، لكي يطلق ابو العاص زينب ، ووعدوه ان هو طلقها أن يجدوا له زوجة أخرى هي أجمل وأغنى من بمكة من النساء . غير أن حبه لزينب وحب زينب له حالا دون هذا الاغراء (ص٧١)

ثم أسر أبو العاص في بدر واحتجز في كنف الرسول ﷺ . وجاء الى المدينة أخوه عمرو بن العاص بمال ارسلته معه من مكة زينب لتفتدي به زوجها ، ومع المال أرسلت عقدا من العقيق اليماني كانت أمها خديجة قد اهدتها اياه بمناسبة زواجها من أبي العاص . فلما رأى رسول الله ﷺ العقد امتقع لونه وقد تعرف فيه على عقد خديجة ، فاهتزت جوانحه وقال لكل من كان يستحق من فدية الأسير - قال رسول الله ﷺ ما معناه : « اذا شئتم أن تطلقوا سراح الزوج الأسير وتردوا فديته الى زوجته فالشأن شأنكم» ففعلوا ورجع المال والعقد مع ابي العاص نفسه . وحتى مع هذا لم يدخل أبو العاص الاسلام .

فطلب منه الرسول لما تهيأ أبو العاص للعودة الى مكة أن يرسل بزينب الى المدينة لأن آية من القرآن نزلت تحرم بقاء زوجة مسلمة على ذمة زوج مشرك .

وبعد غزوة الخندق كان أبو العاص في طريقه الى مكة عائدا من الشام على رأس قافلة غنية بحمولتها لا سيا من الفضة . فاغارت عليها فرقة فرسان بقيادة زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ ، فاستولت على القافلة كلها بما في ذلك رجالها وساقتهم أسرى الى المدينة . الا أبا العاص نفسه الذي نجا من الأسر . فسعى وقد جمح به الشوق الى امرأته زينب وابنتيها أمامه يريد زيارتها . وسار متخفيا تحت جنح الليل وطرق عليها الباب وأدخلته زينب . ولما لم يكن الوقت بعيدا عن مطلع الفجر فقد هرعت الى المسجد وأخذت مكانها مع أخواتها ومع حواتهن في الصف الأول وراء صفوف المصلين . وكبر الرسول لدخوله الصلاة وردد الجمع من ورائه التكبير . وفي الهنيهة التي أعقبت ذلك صاحت زينب بأعلى صوتها : « أيها الناس ، اعلموا أني قد أجرت أبا العاص في بيتي » ثم دخلت الصلاة بعد التكبير . فلما فرغ النبي ﷺ من الصلاة خاطب المصلين قائلا ما معناه : « هل سمعتم ما سمعت ؟ »فسمعت همهمة ايجاب ترددت في المسجد . فقال : « والذي نفسي بيده ما علمت شيئا من هذا الأمر حتى سمعت ما سمعتا . وان أضعف مسلم ليستطيع أن يجير ويكون عمله ملزما لسائر المسلمين » . ثم قام الى ابنته وقال ما معناه : « أحسني استقباله ولكن لا يقربنك كزوج ، فأنت لست حلاله » ثم اطلعت زينب أباها على ما يكابده أبو العاص من هم بسبب فقده التجارة التي اجتلبها من الشام بالمقايضة نيابة عن العديد من تجار قريش الذين ائتمنوه على تجارتهم لأنه كان من أكثر أهل مكة استحقاقا هذه الثقة والائتمان . فارسل النبي الى أفراد الحملة الذين استولوا على المال وقال لهم ما معناه : « هذا الرجل ، كما تعلمون قريب لنا ، وأنتم قد استوليتم على مال له ، فاذا شئتم أن تحسنوا فتردوا عليه المال ، فذلك مما يرضيني ، واذا أمسكتم عليها المال فانه غنيمة أفاءها الله عليكم أنتم أحق بها (ص ٢١٥) . فوعدوا الرسول خيرا . بل ذهبوا الى حد أن ردوا له كل شيء بما في ذلك قرب الماء والقوارير الصغيرة من الجلد . ولما كانت هناك دلائل تدل على أن أبا العاص يفكر في دخول الاسلام قال له أحدهم : « لم لا تدخل الاسلام فيحق لك الاستيلاء على هذه التجارة التي هي ملك للمشركين؟» فقال أبو العاص : « لبئسها بداية لاسلامي . تريدني أن أخون الأمانة ؟ » وأخذ البضاعة الى مكة وسلمها لذويها . ثم عاد الى المدينة ودخل الاسلام .

ومؤلف هذه السيرة النبوية قديم العهد بالاسلام متخرج من جامعة اكسفورد في الثلاثينيات الأولى بعد أن درس الادب الانجليزي ، وربما تعلم فيها أيضا مبادىء العربية . وجاء الى مصر في أخريات الثلاثينيات وقد اعتنق الاسلام واختار لنفسه الاسم : أبو بكر سراج الدين . وعكف في أوقات فراغه على قراءة النصوص العربية في التصوف وكتب رسالة فيه وبقي يعمل استاذا للادب الانجليزي بجامعة القاهرة الى عام ١٩٥٢ حين عاد الى انجلترا وعمل أمينا على الكتب والمخطوطات العربية بمكتبة المتحف البريطاني بلندن (الآن : المكتبة البريطانية) الى أن أحيل الى التقاعد ، فأسهم في الاعداد لمهرجان الاسلام الذي عقد في لندن في أواسط السبعينيات . ومن ذلك أنه سافر الى كثير من العواصم الشرقية ليجمع التحف القرآنية وغيرها . كما اشترك فيما انبثق عن هذا المهرجان من مؤلفات في الاسلام وفي الفن العربي . وله قبل ذلك كتب في الاصول الدينية وفي التصوف كما أن له ديوانين قصيرين من الشعر . □□

من مكتبة العربي

اتجاهات فى التربية العربية

الكاتب : د . منير بشور .
الناشر : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ تونس
سنة النشر : ١٩٨٢ م .

يتناول هذا الكتاب ثلاثة موضوعات أساسية تتعلق بسياسة التربية والتعليم فى الأقطار العربية هى :

- التعليم الاساسى بما فيه تعليم الكبار ومكافحة الأمية .
- تنويع التعليم الثانوى .
- تطوير الادارة التربوية .

ويقارن المؤلف بين هذه السياسات التطبيقية وبين الاستراتيجية التربوية التى وضعتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم سنة ١٩٧٩ ليستكشف مدى التطابق أو الاختلاف بين ما أوصت به الاستراتيجية وبين ما يحدث على أرض الواقع . ويخرج بنتيجة مؤداها

« لا يمكن تحقيق التعليم الاساسى فى غياب الالتزام الاعمق بتغيير البنى السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، واطلاق هذا التغيير على أرض الواقع ، والتوق الى تحقيق ديمقراطية التعليم ، ورفع وتحسين مستواه ومحو الأمية وتعليم الكبار وغير ذلك ، مما لا يمكن أن يكون لها تأثير الا بالقدر الذى تنجح فى استيعاب حركة الواقع داخل بنية النظام التربوى » .

علماء وادباء ومفكرون

الكاتب : د . عبد العظيم أنيس .
دار النشر : مؤسسة الأبحاث العربية ـ بيروت .
سنة النشر : ١٩٨٣ م .

أصبح التراث ـ بقضه وقضيضه ـ يحمل صفة التقديس عند بعض الفئات .
مع أن فيه الكثير مما عفا عليه الزمن ودرسته الايام . وفيه أيضا المشرق والوضاء والذى يمكن احياؤه والبناء عليه .
يقول المؤلف فى مجال « احياء التراث العلمى العربى »

« ما من عمل يجل فى مجال احياء تراثنا قدر احياء تراثنا العلمى العربي . ان هذا العلم هو احياء لأروع أعمال الفكر العربي فى أزهى عصوره ، وهو ضرورة لازمة ونحن نحاول من جديد أن نبنى حياتنا الاقتصادية والاجتماعية والفكرية والعملية على أسس عقلية رشيدة . ونحن بهذا نصل الماضى بالحاضر ، وننفض الغبار عن القاعدة التاريخية التى يقوم عليها بناؤنا المجيد اليوم ، وندس الأساس المعنوى الفكرى للقومية العربية » .

ولم يكتف الكاتب فى كتابه بطرق المعارف العلمية فقط ، بل « تجول بين صفوف من المعارف الانسانية قد نراها متباعدة بعضها عن بعض أو غير متجانسة ، وقد نرى نوعا من المفارقة ، مثلا ، بين ذكريات عن طه حسين » والبحث فى « التكنولوجيا الجديدة » والدراسات عن اينشتاين وافرست غالواه أحد كبار علماء الجبر فى القرن التاسع عشر وغاليليو وأرسطو وابن الهيثم ، وعن الفلسفة الوضعية المنطقية ، وعن « مستقبل البحث العلمى فى وطننا العربي » ثم عن شاعر الالمان العظيم غوته ... الخ .

هـذا ويمكن القول بأن الكتاب ما هو الا مجموعة مقالات متنوعة الاهتمامات والمعالجات كان الكاتب قـد نشر بعضهـا فى الصحف والمجلات من قبل . وبعضهـا نشر فى مجلة « العربي » بالذات .

مجالس التذكير

ـ من كلام الحكيم الخبير
ـ ومن حديث البشير النذير

الكاتب : الشيخ عبد الحميد بن باديس .
الناشر : وزارة الشئون الدينية ـ الجزائر

سمعنا وقرأنا كثيرا عن الشيخ عبد الحميد بن باديس وعن دوره فى مواجهة محاولات فرنسة الجزائر فى بدايات هذا القرن

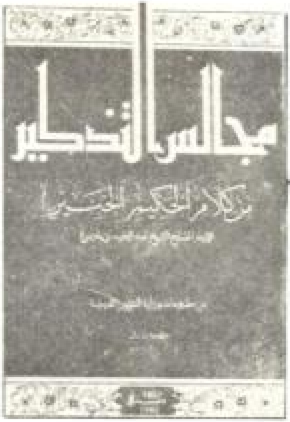

لكننا لم نقرأ كتاباته واجتهاداته التى لم تخل مجلة « الشهاب » الجزائرية منها طوال فترة صدورها فى مدينة قسنطينة التى شهدت جل نشاطه ، وكانت قاعدته وملاذه ومركز حركته الاصلاحية والتربوية .

وقد جمعت وزارة الشئون الدينية فى الجزائر مقالاته وتفسيراته وشروحه للآيات القرآنية الكريمة والاحاديث النبوية الشريفة فى كتابين لسد ثغرة عدم وصول مجلة « الشهاب » الى الكثير من المناطق والاقطار .

خاصة وانها صدرت فى عشرينيات هذا القرن ، وقد جاء فى المقدمة التى كتبها السيد عبد الرحمن شيبان ـ وزير الشؤون الدينية ما يلى : ـ

« وفسر الامام ابن باديس بقلمه مجموعة من الآيات القرآنية الكريمة ، والاحاديث النبوية الشريفة ونشرها افتتاحيات فى مجلة « الشهاب » تحت عنوان « مجالس التذكير ، من كلام الحكيم الخبير ، وحديث البشير النذير »

كتاب التجليات

الكاتب : جمال الغيطاني
الناشر : دار المستقبل العربي ـ بيروت
سنة النشر : ١٩٨٣ م .

عبر ما يزيد على ثلاثمائة صفحة من القطع المتوسط ، يضعنا جمال الغيطاني فى أجواء تجلياته التى استعار لها العبارات النثرية الملغومة بالشحنات الصوفية والمرفودة بأفضل ما قيل من شعر صوفى لكبار شعراء الصوفية كابن عربي وغيره .

فما هي حقيقة هذه التجليات ؟

انها رواية ، صاغها المؤلف بهذا الاسلوب المنفرد الذي سبق وان جاء مبثوثا في بعض رواياته وقصصه السابقة ، الا أنه أجاد سبكه وتنقيته في روايته الاخيرة هذه .

وقد وزع جهده على صب تجلياته ضمن الاسلوب المشار اليه ، لكنه لم يغفل عن مزاوجتها بالأحداث الدرامية التي يحاكم من خلالها مشاكل الزمان وقضايا العصر .

وقد جاء في الرواية :

« انتبهت فاذا بنور ساطع يشرق في ليل نفسي ، ونور ليس مثله مثل حتى ظننت انني عدت الى مركز الديوان البهي ، ثم رأيت في بؤرته ثلاثة وعلى مسافة خلفهم ثلاثة ، وفي منتصف المسافة بينهم واحد . أما الثلاثة الأول فيتوسطهم حبيبي وقرة عيني ورفيق تجلياتي وملاذ همومي ومقبل عثراتي ، أمامي الحسين سيد الشهداء ، الى يمينه أبي والى يساره عبد الناصر .

ديوان الشوكاني

« أسلاك الجوهر »
والحياة الفكرية والسياسية في عصره .
تحقيق ودراسة ونشر : د . حسين عبدالله العمري - صنعاء .

من هو الشوكاني ، وفي أي عصر عاش ، وما هو دوره في الحياة العامة ؟

يقول المحقق : هو محمد بن محمد بن عبدالله الشوكاني الصنعاني ، ولد سنة ١٧٥٨ م وتوفي سنة ١٨٣٤ م . علامة ، فقيه، أصولي ، محدث ، مفسر ، محقق ، ناقد لغوي ، مؤرخ ، أديب ، قاض ، مصلح ، سياسي .

ويضيف: نعم ... هو هذا كله ، له ما يربو على مائة كتاب وبحث ورسالة لا مجال لبسطها أو الحديث عن اي منها ، والذي يهمنا الآن من كل صفات الرجل هو الشوكاني الاديب والشاعر ، لكننا في واقع الامر لا نستطيع فصل هاتين الصفتين عن سائر صفاته التي ذكرناها ، فهو وان قال شعرا يبث فيه أشواقه ، يجد أو يهزل ، يمدح أو يرثي ، فمعظم شعره الآخر ، شعر العالم والناقد واللغوي والمصلح ، والمجتهد المحارب للجهالة والتعصب ، الداعي الى الحرية والتحرير من ربقة المذهبية الضيقة والتقليد الاعمى ، وفساد الموظفين ، ويضيف في مكان آخر : ان الشوكاني الشاعر الذي نقدمه اليوم - والذي نستطيع أن نفرده عن بقية صفاته - شاعر ملتزم بآرائه ومواقفه وقضايا مجتمعه ، وكانت حياته وأدبه وعلمه رجعا صادقا للظروف الاجتماعية والسياسية والثقافية التي كانت تعيش فيها اليمن في النصف الثاني من القرن الثامن عشر والثلث الاول من القرن التاسع عشر للميلاد .

ومن أجوائه الشعرية :

وليس يزول الضر الا بكلفة
ومن رام اذهاب القذى خض عينه .

حوار القراء

الانسان اليمني

نشر في العدد (٢٩٨) مقالة عنوانها « محمد عبد الولي » وبداية القصة القصيرة في اليمن ، وقد وردت فيها بعض العبارات لم اعرف ماذا يقصد الكاتب منها مثل . .

« لقد خانوا تربتهم لانهم لم يدفنوا فيها » و « والقاص لا يجرم المهاجرين من عطفه وحسب وانما يتهم كل من يترك بلاده بالجبن والتخاذل . . »

ومثل هذه العبارات فيها تهكم وسخرية لذلك الانسان الذي خرج بحثا عن لقمة العيش بشرف وكرامة ، والانسان اليمني لم يعرف عنه انه كان جبانا أو متخاذلا . .

واذا كان الكاتب قد اخطأ فكيف نوافقه ـ لقد عاش الكاتب أياما غلب عليها السواد وحتمت

العربي . . والحرية

كان لكتاب « الحرية » الذي قدمتموه لقراء العربي ، أطيب الاثر في نفوسنا وحينما فرغت من قراءته شعرت ان الروح الفكرية للمرحوم الدكتور أحمد زكي لا تزال تعيش بيننا ، ولا يزال قراء العربي ينهلون من هذا الفيض الواسع الذي عودنا عليه الدكتور زكي رحمه الله . .

وقد صنعت العربي خيرا حينما خطت الخطوة الاولى باصدار مثل هذا الكتاب ليضيف خدمة ثقافية جديدة الى جانب الخدمات الجليلة التي تقدمها العربي لكل ابناء العروبة . .

محمد عبد المحسن المبارك ـ الرياض
المملكة العربية السعودية

العربي :

شكرا لقارئنا العزيز ولكل من ارسل الينا مشيدا بالكتاب الاول للعربي ـ وما قمنا به هو جزء من رسالة هذه المجلة تجاه كل قاريء للعربي

الاستطلاع . . بدايتي مع العربي

هذه أول رسالة اكتبها الى مجلتنا الحبيبة « العربي » وكم أشعر بنشوة عارمة وانا أخط لكم سطور هذه الرسالة ـ فالحمد لله الذي اعزنا بالاسلام وربط قلوبنا به وبالعروبة .

وانني اذ اكتب لكم هذه الرسالة فان ذاكرتي تعود الى الوراء حيث ذكرياتي الحلوة مع العربي حين وقعت عليها عيناي لاول مرة وانا لا ازال صغيرا فهي اول مجلة بدأت بقراءتها ، وكنت اتسل بالصور الملونة التي توضع

عليه القساوه ..

والانسان اليمني هو الذي رفع نهضة بلاده وعزز من مكانتها بين دول العالم ـ وكل هذا كان بالعزيمة والعلم وتحدي الصعاب ..

مسعد علي احمد صالح ـ البحرين

مع الاستطلاع المصور ـ وبعد نمو ثقافي بدأت بقراءة ما يحويه الاستطلاع من كلام وشرح وافهم الكثير منه .

وهكذا فمن هذا الاستطلاع بدأت قصة حبي مع المجلة ـ هذا الى جانب ما أقرؤه من ابواب وشخصيات عربية وغير عربية وطرائف عربية وغير ذلك من الابواب ذات الثقافة الواسعة للقاريء ، واعترف ان الفضل في تنمية ثقافي العامة واتساع مداركي يعود اولا واخيرا الى مجلتنا العربي التي كانت ولا تزال أنيس كل قاريء في وحدته .

عبد الرحمن ناصر البهري

حضرموت ـ اليمن الديمقراطي

المستقبل .. آفة العصر

تعقيبا على مقال الدكتور محمد علي الفرا .. المستقبل .. الى أين ؟ لي الشرف بعرض النقاط التالية التي وجدتها فرصة لابداء الرأي فيما تناوله الكاتب .

وما من شك بأن ما كتبه الدكتور الفرا ، هو حقيقة عقلانية تعتمد على منطق سوى قائم على المعرفة العلمية والاجتماعية .

ان الخوف من المستقبل هو آفة العصر ونتيجة حتمية للتطورات والمخترعات التي ابتكرها الانسان لتكون وبالا على نفسه ، ولكن هناك مشكلة لا بد من طرحها والتعمق في تفسيرها ، وهي الانسان وبمعنى أدق دور الانسان في المستقبل .. أناقش في هذا المجال ، ـ مع احترامي لرأي الدكتور الفرا ـ نقطتين هامتين احداهما ذكرت والاخرى لابد من ذكرها ..

وكما ورد في المقال . ان المستقبل شيء لا يتفق مع الكم والكيف ولا يخضع لقوانين ثابتة ، ولا يفسر بالاستقراء أو بالاستدلال انه الشيء الوحيد الذي يدفعنا للاستمرار في الحياة ، فليس هناك حاجز ملموس يفصل بين مستقبل المنظور وغير المنظور . وليس هناك علاقة سببية بينهما على الاطلاق ، فما هو مستقبل فهو مطلق وليس ذا منظور قريب أو بعيد ، فهل نخطط لخمس سنوات او لعشر سنوات ؟ وهل هذا هو « المستقبل القريب » ؟ .

ولو افترضنا جدلا بأن هناك مستقبلا منظورا ، فما هو ؟ ومتى ؟ وما احكامه وقوانينه ؟ وما علاقة النفس البشرية به؟

كل تلك الاسئلة بحاجة الى تفسيرات مقنعة تضع النقاط على الحروف ولا يمكن ذلك الا بقدوم ذلك المستقبل الغامض الذي قد يخيب آمالنا ويقضي على احلامنا ويعيد الشقاء والتعاسة من جديد .. ان مجلة العربي « لكل العرب » فأنيروا دروبنا باقلامكم .

محمد الحسين .. كلية الآداب ـ دمشق

حوار القراء

الفصحى والعامية

قرأت في العدد (٣٠٤)من مجلتنا العربي للدكتور أحمد خطاب تحت عنوان « دعوة مقنعة الى العامية » رغم تنبه ذلك في بداية المقال ، والحقيقة - أن الفصحى تعاني في زماننا هذا من محنة حقيقية تتمثل في قلة عدد الناطقين بها وهذا يعود في جزء منه الى عهد الانحطاط الثقافي الذي ابتليت به الأمة العربية ، وفي جزء منه الى محاولات الاستعمار لتفريق أمة الضاد التي كرمها الله وانزل القرآن بلغتها ، ويرجع السبب الآخر في ذلك الى محاولات بعض الكتاب العرب الذين أوحوا الى الناس بصعوبة اتقان الفصحى ودراستها حتى انك لتجد بعض الذين يحملون الدكتوراه وهم يعتبرون في الوطن العربي من المثقفين ، ومع هذا يعجزون عن التحدث بالفصحى لفترة قصيرة .

محمد سالم البطاشي -
الاسكندرية -
جمهورية مصر العربية

عندما يحسم المختبر قضايا المواريث

شد انتباهي ما أورده الدكتور سينوت حليم دوس في الصفحة ٧٤ (عدد يوليو / ٨٢) من مقاله (عندما يحسم المختبر قضايا المواريث) فالميراث وأنصبة الورثة تتحدد في الآيتين التاليتين من سورة النساء وذكر الآيتين ١١ و ١٢ .

ولما كانت آيات المواريث ثلاثا وردت في سورة النساء فيكون عدم ذكر الآية ١٧٦ مخالفاً للحقيقة واليك نص هذ الآية :

(يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وان كانوا أخوة رجالاً ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين ..) .

ويقول الدكتور في مقاله انه استخلص من هاتين الآيتين :

ثالثاً - للزوجة التي لم تنجب ربع التركة فاذا انجبت فلها الثمن أما الزوج فيكون له النصف فان أنجب فله ربع التركة .

وأقول : ان الدكتور لم يوفق فيا استخلصه أعلاه والصحيح كما يبدو لي :

١ - إن للزوجة المتوفى عنها زوجها ربع التركة إن لم يكن له فرع وارث ذكراً كان أو أنثى منها أو من غيرها . فلو مات عن زوجة وأختين شقيقتين وجدّ مثلا فللزوجة ربع التركة وللأختين الشقيقتين الثلثان وللجد السدس .

أما لو مات عن زوجة وكان له من زوجته هي أو المتوفاة أو المطلقة منه طلاقاً بائناً أولاد فلها (للزوجة أو الزوجات التي في عصمته) ثمن التركة والباقي للأولاد بالتعصيب(للذكر مثل حظ الأنثيين)

٢ - للزوج من تركة زوجته المتوفاة نصف التركة ان لم يكن لها فرع وارث ذكراً كان أو انثى منه أو من غيره . فلو ماتت الزوجة عن زوج وأب فلزوجها نصف التركة والباقي لأبيها . ويأخذ الزوج ربع التركة من زوجته المتوفاة إن كان لها فرع وارث ذكراً كان أو أنثى منه أو من غيره . فلو ماتت عن زوج وأب وابن فللزوج الربع وللأب السدس والباقي للابن .

غانم سعيد السماك
دمشق

حل مسابقة العدد
(رقم ٣٠٤)

المنشورة في عدد مارس ١٩٨٤م

١ ـ صواب . . فمساحة المنطقة أو القارة القطبية الجنوبية تبلغ ١٣٫٧٢٧٫٠٠٠ كم^2 ، ومساحة استراليا لا تزيد على ٧٫٧٠٤٫٤٤١ كم^2 .

٢ ـ منغوليا شطران . . منغوليا الداخلية ، وهي اقليم تابع للصين ويتمتع بالحكم الذاتي ، ومنغوليا الخارجية وهي جمهورية مستقلة تربطها بالاتحاد السوفياتي اتفاقية العون المتبادل ، علماً بأنها احتضنت نظام الحكم السوفياتي سنة ١٩٢٤ واعترفت الصين باستقلالها سنة ١٩٤٦ .

٣ ـ صواب . . فطارق بن زياد لم يحظ بما استحقه من تقدير ، بل عوقب وعذب كالمجرمين .

٤ ـ صواب . . فأحجار الساعات أحجار كريمة .

٥ ـ خطأ . . فالضوء فيها يعتمد على مواد وأساليب مختلفة .

٦ ـ خطأ . . فهو ينقر الخشب طلباً للطعام . . وبحثاً عن الكائنات الدقيقة التي تعيش في الخشب وعليه .

٧ ـ صواب . . فالدّبور يعتبر أول صانع للورق في التاريخ .

٨ ـ صواب . . فالحوت هو أكبر الحيوانات جميعاً بما في ذلك الديناصورات . .

٩ ـ صواب . . فكلاً من الوطواط والحوت من الحيوانات اللبونة .

١٠ ـ خطأ . . فالاخوان رايت اشتهرا بصنع أول طائرة أقلعت وطارت بمحرك .

١١ ـ خطأ . . فالمثل (تمخض الجبل فولد فأراً) منسوب الى الشاعر الروماني هوارس .

١٢ ـ خطأ . . فقد سميت (بيج بن) نسبة الى السير بنجامين هول . . .
الذي تولى الاشراف على بناء البرج وساعته والذي تحمس للمشروع كثيراً في مناقشات البرلمان له . .
وكان الرجل ضخم الجثة . . من هنا كان لفظ بيج . . أما بن فاختصار لاسم بنجامين . . .

الفائزون فى المسابقة

الجائزة الاولى : رشدى محمد مرشدى زهدان/ ابها ـ المجاردة/ المجمع القروى ـ المملكة العربية السعودية .

الجائزة الثانية : فوزية عبد الجليل عماشة/ مساكن الكويت ـ جهورية مصر العربية

الجائزة الثالثة : يسرى جبل كامل/ جامعة دمشق/ دمشق/ سوريا .

الجوائز التشجيعية الثمانية

عبد القادر عثمان البنا/ ص . ب ٤٤٧٥/ كريه ـ عدن/ اليمن الديمقراطية
نوال يعقوب جاسم/ الكويت
اغناج عزيزة/ مراكش المغرب
السيد بن حصير عماد بن عيسى/ بلدية عين جاسر/ دائرة مروانه ـ ولاية باتنه/ الجزائر
بدر الدين أحمد حسب الرسول/ الخرطوم/ السودان
وفاء امين الشيخ/ كفر الزيات/ مصر
لطيفة ابراهيم الشعبان/ دولة البحرين
ايمن منذر قاسم عبد المالك/ اربد/ الأردن

المسابقة الثقافية

رقم ٣٠٧

يونيه ١٩٨٤

أكثر اسئلة هذه المسابقة ذات طابع رياضي . . فالألعاب الأولمبية التى تقام مرة كل أربع سنوات والتى تشمل العالم بأسره وتشمل ايضا الالعاب الرياضية كلها تقريبا لمناسبة جديرة باهتمام الناس جميعا لا سيما الشباب . وانتا اذ نتمنى لكم التوفيق في الاجابة على (١٠) اسئلة من الاسئلة التالية اجابة صحيحه لتفوزوا باحدى الجوائز القيمة لنرجو ان تتقيدوا بشروط المسابقة الثقافية الخاصة بوصول اجوبتكم في غضون شهرين وذكر عناوينكم بوضوح داخل رسائلكم .

١ ـ الالعاب الاولمبية . . . لم سموها بهذا الاسم ؟

● نسبة الى جبل اولمبوس الموجود في اليونان قرب أثينا العاصمة ، وكان الجبل مقر الآلهة في اعتقاد الاغريق .

● نسبة الى بلدة أولمبيا في اليونان وكانت قديما مقر عرافة شهيرة .

● نظرا لضخامة المهرجانات الاولمبية . . فاللفظ لاتيني ويرمز الى الضخامة .

٢ ـ مباراة ركض الماراثون . . ما المسافة التى يقطعها المتبارون فيها ؟

● ١٥٫٥ ميلا

● ٢٢٫٥ ميلا

● ٢٦ ميلا و ٣٨٥٫٥ ياردة .

٣ ـ التنس وكرة السلة وكرة القدم . . . ما أصل هذه الالعاب . . ؟

انجليزية او فرنسية أو امريكية . . ؟

٤ ـ الملاكمة رياضة قديمة جدا وعنيفة . . ويقال انها كانت تمارس بقبضات عارية . وكانت مباريات بطولتها تستمر ساعات وساعات حتى يطرح احد المتبارين خصمه ارضا ويحرز النصر الحاسم عليه . . فهل هذا القول صحيح أم خطأ ؟

٥ ـ شعار الألعاب الاولمبية عبارة عن خمس دوائر مختلفة الالوان ومتشابكة . . ما المعنى الذى يرمز اليه هذا الشعار ؟

٦ ـ بقيت الالعاب الاولمبية معطلة طوال ١٥ قرنا . . من سنة ٣٩٤ ـ ١٨٩٤

ترى هل كان صاحب الفضل في احيائها انجليزيا ام فرنسيا ام امريكيا . . . ؟

جوائز العربي لقرائها أكثر من

ألفي دينار سنويًا

جوائز المسابقة

الجائزة الأولى ٥٠ دينارًا

الجائزة الثانية ٣٠ دينارًا

الجائزة الثالثة ٢٠ دينارًا

و٨ جوائز تشجيعية قيمة كل منها ١٠ دنانير

٧ ـ هناك لعبة كرة القدم التي نعرفها .. ولعبة الرجبي العنيفة التي يسمح فيها بلمس الكرة بل وبحملها والانطلاق بها الى مرمى الخصم ، كما يسمح فيها بالعمل على انتزاع الكرة من حاملها بشتى الوسائل .. ترى ما الاسم الذى يطلقه الامريكيون على هذه اللعبة ..؟

- يسمونها رجبي كمايسميها الانجليز ..
- يسميها الامريكان وكثيرون غيرهم كرة القدم
- الاسم الذى يطلقه الامريكيون على هذه اللعبة هو (سَكَرْ)

٨ ـ من الذي اطلق سراح الأمام احمد بن حنبل من السجن ؟

٩ ـ هل هناك مباريات دولية أخرى لكرة القدم غير المباريات الاولمبية ..!

ما هي هذه المباريات ، ان كان ثمة مباريات ..؟

١٠ ـ من القائل : لسان الفتى نصف ونصف فؤادة فلم يبق صورة الا اللحم والدم .؟

١١ ـ من هو الشاعر الذى اشتهر بلقبه : حَيْص بَيْص الشاعر .. علما بأنه توفى سنة ١١٧٩م .؟

١٢ ـ من هو العالم العربي الذى ولد سنة ٩٧٣ في غزنه (أفغانستان) والذى عرف لغات عديدة أخرى غير العربية ، نذكر منها العبرية والتركية والفارسية .. وقد امتدت حياة هذا العالم نحو ٧٥ سنة . اذ توفى سنة ١٠٤٨م ؟

كوبون مسابقة العدد ٣٠٧

معركة بلا سلاح

تَسْمير القطع

تَسْمير القطع (**the pin**) من الأمور الهامّة التي تَسْتحقّ عناية خاصّة من اللاعب المبتدىء واللاعب المحترف على حدّ سواء فهو يشلّ قطع اللاعب ويجعل منها فريسة سهلة لقطع الخصم الأصغر والأقلّ قيمة ، فالقطعة المُسَمّرة تعجز كليّة عن الحركة بسبب التهديد المُسْتتر المُوَجّه لقطعة أخرى تفوقها قيمة ففي الشكل التالي :

يُسَمّر الفيل الأبيض الحصان الأسود الذي لا يملك حراكاً حماية لوزيره من تهديد الفيل فيصبح بذلك فريسة سهلة لبيدق الأبيض الذي يهدّد بأخذه في النّقلة القادمة .

ويبين الشكل التالي ضَرْباً آخر من ضروب التّسمير يقع فيه وزير الأبيض فريسة سهلة لفيل الأسود لوقوعه هو والملك على وَتَر واحد .

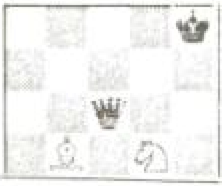

اما هذا الشّكل فينطوي على مثال متقدم على التّسمير والكشة المزدوجة في آن واحد . . إذ لا مناص لوزير الأسود من أخْذ الفيل وبالتالي الوقوع فريسة سائغة للحصان الذي يكش الملك ويكشه في آن واحد في النقلة التالية .

وفي كثير من الأحيان يكون التسمير هو العامل الرئيسي في إماتة الملك كما هو الحال في الشّكل التالي :

مسألة رقم (١٨)

الأبيض يلعب ويضرب مات في نقلتين

تقبل الردود حتى نهاية هذا الشّهر

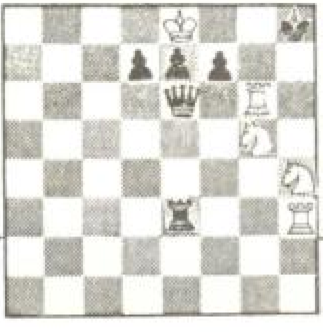

١٠ جوائز للمتسابقين

ابتداء من العدد القادم ـ يوليو ـ ١٩٨٤ تنشر (العربي) أسماء عشرة فائزين باشتراك مجاني بالمجلة ممن استطاعوا الوصول الى حل « المسألة الشطرنجية » . . وسوف يمنح الخمسة الأوائل منهم اشتراكا مجانيا بالمجلة لمدة عام . . ومن السادس الى العاشر يمنح الفائز اشتراك مجاني لمدة ستة أشهر . .

حيث يكش حصان الأسود ملك الأبيض فيضطر للأخذ بالبيدق لكَوْن الرّخ مُسَمّراً حمايةً للملك والذي يتيح للأسود إنهاء الدَّوْر بكش الملك من المربع ر ٣ (أو ح٣ بالطريقة الجبرية) .

ويمكن أن يُؤدّي التَّسْمير في كثير من الأحيان الى ضرب كش مات في المراحل الأولى من الدور كما يَتَبيَّنُ من الدَّوْر التّالي الذي نكتبه بالطريقة الجَبْرية[1]

١	د ٤	ح ـ و٦
٢	ج ٤	هـ ٥
٣	د×هـ ٥	ح ـ هـ ٤
٤	ح ـ د٢	ح ـ ج٥
٥	ح ـ و٣	ح ـ ج٦
٦	أ ٣	و ـ هـ ٧
٧	ز ٣	د ٦
٨	هـ × د٦ ؟؟	ح ـ د٣ ‡

ويتضح من هذا الدور ان علينا ان نكون في منتهى اليقظة عندما يضع الخصم وزيره على نفس الخط (أو الوَتَـر) الذي يَحتلّه الملك .

(١) انظر شرح هذه الطريقة فى عدد يناير ١٩٨٤

حــل المسألة رقـم (١٦)

الحل بالطريقة الجبرية :

مفتاح الحل هو

١ . م ـ د٦ . . . . . .

فاذا لعب الاسود :

١ . . . . . . ر ـ ز٦ +

٢ . ف ـ هـ ٦ ‡ بالكشف

اما إذا لعب :

١ . . . . . . ر ـ د٣+

٢ . ف ـ د ٥ ‡ بالكشف

وفي حالة محاولة الأسود للهرب الى :

١ . . . . . . م ـ ب٤

٢ . م×ج٦ ‡

أو الى :

١ . . . . م ـ ب٦

٢ . ف ـ ج٣ ‡

سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع كل شهر

أول يونيو ١٩٨٤

١٧٧

خاتمان من أجل سيدة

تأليف : انطونيو جالا

ترجمة وتقديم : عبد اللطيف عبد الحليم

مراجعة : د. يوسف الحشاش

كتاب العربي

الثالث

ندوة العربي في يوبيلها الفضي

المجلات الثقافية والتحديات المعاصرة

دراسات شارك فيها نخبة من المفكرين العرب

د. فؤاد زكريا
د. محمد جابر الأنصاري
د. عبد الله العمر
الأستاذ كامل زهيري

يصدر في ١٥ يوليو القادم

أيّ رحّالة دوليّ حقّ يجد في ساعته رولكس ما لا يقدّر بثمن

في عام ١٩٣٧، راح يراود مخيّلة «ثور هيردال» حلم حول ما إذا كانت الحضارات القديمة لكل من المكسيك والبيرو وجزر الباسفيك ومصر ووادي ما بين النهرين تنبع من مصدر واحد، حلم أراد أن يثبت معه أن عبور المحيطات الثلاثة كان ممكناً قبل إقدام الأوروبيين على تحقيق ذلك بأمد بعيد.

وبعد عشر سنوات، عام ١٩٤٧، أقلع هيردال من ساحل البيرو بطوف من خشب «البلزا» أطلق عليه إسم «كون ـ تيكي». مرّ مئة يوم ويوم رستا الطوف «كون ـ تيكي» بعدها على جزر الباسفيك.

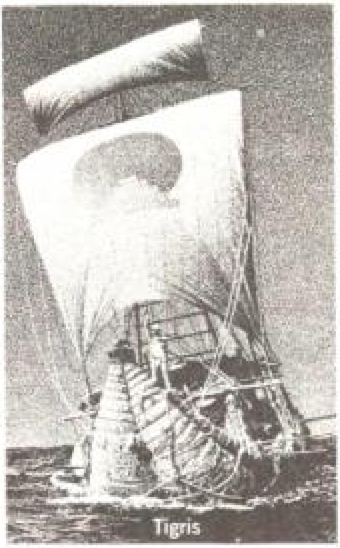

وفي عام ١٩٧٠، غادرت أفريقيا «رع ٢»، سفينة «ثور هيردال» المصنوعة من قصب البردي. وبعد سبعة وخمسين يوماً، وصلت «رع ٢» الى «بربدوس» في الجانب الآخر من الأطلنطي.

وفي العراق، خلال ١٩٧٧ ـ ٧٨، قام «هيردال» ببناء السفينة «تايغرس»، أي دجلة، من القصب، وأبحر فيها ماراً بمحاذاة باكستان وسلطنة عمان حتى مدخل البحر الأحمر حيث حالت الحرب المحلّية دون مواصلة الابحار. ورغم ذلك، أثبتت «تايغرس» انه كان من الممكن ان تتفاعل الحضارات القديمة لكل من سومر ووادي الأندوس ومصر بطريق البحر.

ويقول هيردال، «المحيطات لم تفصل بين الحضارات القديمة، بل انها ربطت فيما بينها.»

ويستند نجاح حملات «هيردال» الى التخطيط الواضح والدقة التامة في كل شاردة وواردة.

ويضيف هيردال، «لقد أنزلنا الى البحر نماذج مطابقة تماماً للسفن الأولى التي بناها البحارة القدماء، واستخدمنا طرقهم في شدّ الحبال والأشرعة والصواري وفي التوجيه، واقتنا بما كانوا يقتاتون، واخترنا أجهزة الملاحة البدائية التي استعملوها. ولكن، من أجل تحديد المسار بطريقة علمية دقيقة وبالاتصال اللاسلكي الاضطراري لدى دخولنا الموانئ الحديثة والطرق الملاحية، كنا بحاجة الى ما كان باستطاعة الانسان القديم الاستغناء عنه: ساعة حديثة بالغة الدقة جديرة بالاعتماد.»

إنّه الاطراء في توجيه مجاملة كهذه الينا، خاصة وقد جاءت على لسان أشهر رحّالة دوليّ في العالم.

الساعات التي كان يلبسها «ثور هيردال» وبحارته هي من صنع رولكس.

ROLEX
رولكس

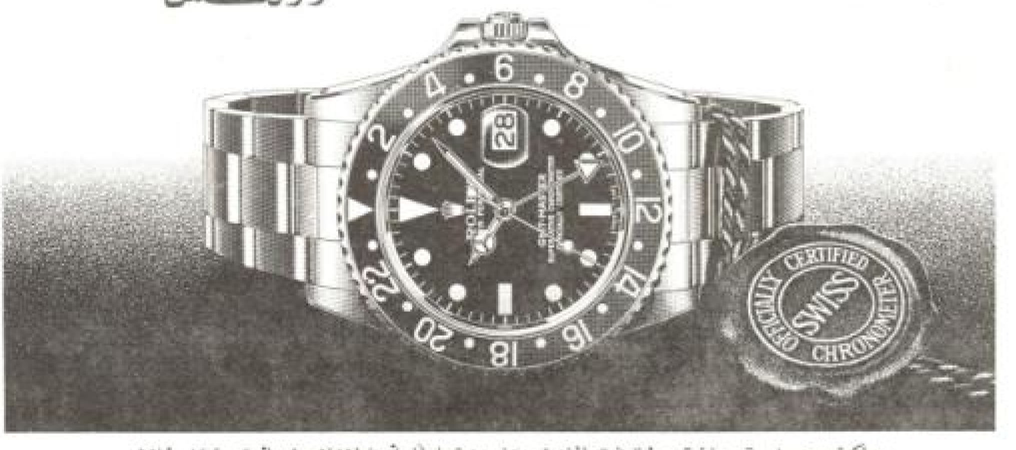

رولكس «جي. إم. تي. ـ ماستر» متوفرة بالذهب عيار ١٨ قيراطاً، أو فولاذ لا يصدأ، مع سوار ملائم.

بسم الله الرحمن الرحيم

مؤسسة الكويت للتقدم العلمي

جائزة الكويت

تمشيا مع أهداف مؤسسة الكويت للتقدم العلمي وتحقيقا لاغراضها في تدعيم الانتاج العلمي وتشجيع العلماء والباحثين ، تقوم المؤسسة بتخصيص جوائز في مجالات العلوم والاداب والفنون والتراث وذلك وفق برامجها السنوية ، وتسجل المؤسسة من خلال هذه الجوائز اعترافها بالانجازات الفكرية المتميزة التي تخدم التقدم العلمي وتساعد على النهوض بالمجهودات المبذولة لرفع المستوى الحضاري في مختلف الميادين .

وموضوعات جائزة الكويت لعام ١٩٨٤ في المجالات الخمسة هي كما يأتي : —

١ — العلوم الاساسية : بيولوجيا البحار Marine Biology

٢ — العلوم التطبيقية : تنمية مصادر المياه Water Resources Development

٣ — العلوم الاقتصادية والاجتماعية : الزراعة والتنمية الاقتصادية في الوطن العربي . Agriculture and Economic Development in the Arab World

٤ — الفنون والاداب : المأثورات الشعبية .. (الفلكلور) Folklore

٥ — احياء التراث العربي والاسلامي : الملاحة عند العرب Navigation in Arab Heritage

وتخصص المؤسسة سنويا جائزتين مقدار كل منهما عشرة آلاف دينار كويتي (١٠,٠٠٠ د.ك.) في كل مجال من المجالات المذكورة ، جائزة لواحد (أو أكثر) من الكويتيين وأخرى لواحد أو (أو أكثر) من أبناء البلاد العربية الاخرى . كما تقدم المؤسسة مع الجائزة النقدية ميدالية ذهبية وشهادة تقديرية تبين مميزات الانتاج بصورة مختصرة .

ويتم منح جائزة الكويت وفق الشروط الاتية : —

١ — يجب أن يكون الانتاج المقدم قد نشر خلال العشر سنوات الماضية وأن يكون مبتكرا وذا أهمية بالغة بالنسبة الى الحقل المقدم فيه .

٢ — تقبل المؤسسة طلبات المتقدمين وترشيحات الجامعات والهيئات العلمية كما يحق للافراد الحاصلين على هذه الجائزة ترشيح من يرونه مؤهلا لنيلها ، ولا تقبل ترشيحات الهيئات السياسية .

٣ — يتضمن الترشيح السجل العلمي للمرشح ونبذة مختصرة عن حياته وانتاجه ومبررات ترشيحه لنيل هذه الجائزة .

٤ — لا يعاد الانتاج المقدم الى مرسله سواء فاز المرشح أو لم يفز .

٥ — لا تقبل الاعتراضات على قرارات المؤسسة بشأن منح الجوائز للفائزين .

٦ — على الفائز أن يقدم محاضرة عن الانتاج الذي نال الجائزة بسببه .

٧ — تقبل الترشيحات ابتداء من ١٩٨٤/٣/١ ولغاية ١٩٨٤/١٠/٣١ .

٨ — ترفق مع الترشيحات أربع نسخ من الانتاج المقدم وترسل على العنوان الاتي :

السيد مدير عام مؤسسة الكويت للتقدم العلمي

ص.ب. (٢٥٢٦٣ — الصفاة — الكويت)

تصدرها
جامعة
الكويت

مجلة العلوم الاجتماعية

مجلة فصلية أكاديمية تعنى بنشر الأبحاث والدراسات في مختلف حقول العلوم الاجتماعية.

رئيس التحرير: د. خلدون حسن النقيب
مدير التحرير: عبد الرحمن فايز المصري

منبر بارز للأكاديميين العرب.
توزع أكثر من (٨٠٠٠) نسخة.

الاشتراكات

للمؤسسات: ١٢ ديناراً في الكويت.
٤٥ دولاراً أمريكياً في الخارج

للأفراد: ٣ دينار في الكويت، ٢ دينار للطلاب
٢,٥ دينار أو ما يعادلها في الوطن العربي.

١٥ دولاراً أمريكياً في الخارج.

الموزع في الكويت والخارج: مجلة العلوم الاجتماعية

توجه جميع المراسلات إلى: رئيس التحرير
مجلة العلوم الاجتماعية - جامعة الكويت ص.ب ٥٤٨٦ صفاة، الكويت
هاتف: ٢٥٤٩٤٢١ «مباشر» ٢٥١٠١٨٨ / ٣٧٣ / ٢٥٠ تلكس ٢٦١٦ كويت

المجلة العربية للعلوم الإنسانية

مجلة فصلية محكمة ، تقدم البحوث الاصيلة والدراسات الميدانية والتطبيقية في شتى فروع العلوم الانسانية والاجتماعية باللغتين العربية والانجليزية .

تصدر عن جامعة الكويت

صدر العدد الأول في يناير ١٩٨١

رئيس التحرير   د. عبدالله العتيبي

مدير التحرير   عبدالعزيز السيد

- تتناول المجلة الجوانب المختلفة للعلوم الانسانية والاجتماعية بما يخدم القارىء والمثقف والمتخصص .
- تعالج موضوعات المجلة الميادين التالية :

اللغويات النظرية والتطبيقية – الآداب والآداب المقارنة – الدراسات الفلسفية الدراسات النفسية – الدراسات الاجتماعية المتصلة بالعلوم الانسانية – الدراسات التاريخية – الدراسات الجغرافية – الدراسات التربوية – الدراسات حول الفنون (الموسيقى – التراث الشعبي – الفنون التشكيلية – النحت ... الخ) – الدراسات الاثارية (الاركيولوجية) .

- تقدم المجلة مُعالجاتها من خلال نشر :

البحوث والدراسات – مراجعات الكتب – التقارير العلمية – المناقشات الفكرية .

- مواعيد صدور المجلة : كانون ثاني – نيسان – تموز – تشرين أول .
- تنشر المجلة ملخصات للبحوث العربية بالانجليزية ، وملخصات بالعربية للبحوث الانجليزية .

ثمن العدد : للأفراد ٤٠٠ فلس

للطلاب ٢٠٠ فلس

الاشتراكات السنوية

	داخل الكويت	في الخارج
– للمؤسسات	١٠ د.ك.	٤٠ دولاراً أمريكيا
– للأفراد	٢ د.ك.	١٥ دولاراً أمريكيا
– للاساتذة والطلاب	١ د.ك.	١٠ دولارات أمريكية

- تقبل الاشتراكات في المجلة لمدة سنة أو عدة سنوات .
- قواعد النشر تطلب من رئيس التحرير .
- جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير :ـ

ص.ب : ٢٦٥٨٥ (الصفاة)

الكويت – الشويخ – ت : ٨٢١٦٣٩ – ٨١٧٦٨٩ – ٨٨٥٤٥٣

مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية

تصدر عن جامعة الكويت

رئيس التحرير
الدكتور عبدالله الغنيم

صدر العدد الأول في كانون ثاني (يناير) ١٩٧٥

تصل أعدادها الى أيدي نحو ١٢٥٠٠٠ قارئ

يحتوي كل عدد على حوالي ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير تشتمل على : -

- مجموعة من الأبحاث تعالج الشئون المختلفة للمنطقة بأقلام عدد من كبار الكتاب المتخصصين في هذه الشئون
- عدد من المراجعات لطائفة من أهم الكتب التي تبحث في المناحي المختلفة للمنطقة .
- أبواب ثابتة : تقارير - وثائق - يوميات - ببليوجرافيا .
- ملخصات للأبحاث باللغة الانجليزية .

ثمن العدد : ٥٠٠ فلس كويتي أو ما يعادلها في الخارج .

الاشتراكات : للأفراد سنويا ديناران كويتيان في الكويت ، ١٥ دولارا أمريكيا في الخارج (بالبريد الجوي) .

للشركات والمؤسسات والدوائر الرسمية : ١٢ دينارا كويتيا في الكويت ، ٤٠ دولارا أمريكيا في الخارج (بالبريد الجوي) :

منشورات المجلة :

تصدر المجلة أيضا دراسات مستقلة متعلقة بشئون المنطقة صدر منها

١ - كتاب التكامل الاقتصادي في الخليج العربي (د . محمد هشام خواجكية) . ١٩٧٩ .
٢ - كتاب آفاق التنمية الصناعية في دول الخليج العربي (د . عبد الاله أبو عياش) . ١٩٧٩ .
٣ - كتاب حقوق الطفل في دولة الكويت (د . بدرية العوضي) . ١٩٧٩ .
٤ - كتاب الاحصاءات الاقتصادية في المملكة العربية السعودية (بدوي خليل) ١٩٨٠ .
٥ - دور جريدة فتاة الجزيرة في أحداث عام ١٩٤٨ بصنعاء (سلطان ناجي) ١٩٨٠ .

سلسلة وثائق الخليج والجزيرة العربية لعام صدر منها :

الكتاب الأول . وثائق الخليج والجزيرة العربية لعام ١٩٧٧ . ١٩٧٩ .

العنوان : جامعة الكويت - كلية الآداب والتربية - الشويخ - دولة الكويت .
ص . ب : ١٧٠٧٣ - الخالدية
الهاتف : ٨١٦٨٠٧ - ٨١٦٧٩٩ - ٨١٦٨٢

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير .

مَاهوَ الجَديد؟
أفكار ومنتجَات أفضل من TOSHIBA

ثلاجة Toshiba الجديدة "جي آر - ٣٣٣ إي اس في" GR 333ESV تقدم لكم اليوم جهاز التبريد المباشر - "دايركت كولنغ سيستم" - الذي يؤمن تجليداً سريعاً. بمجرد كبس زر التجليد السريع الموجود على اللوحة تنخفض الحرارة في حجرة التجليد (الفريزر) بسرعة إلى -٤٠ درجة مئوية تحت الصفر. وهذه الحرارة أقل من الحرارة التي تعطيها حجر التجليد العادية. والنتيجة هي أن الطعام يتجلد بسرعة وفعالية أكثر. كما تضمن هذه الثلاجة المحافظة على الطعام الطازج، ونكهته وفائدته الغذائية الأصلية.

إن ثلاجة Toshiba الجديدة "جي آر - ٣٣٣ إي اس في" هي مثال آخر على أفكار Toshiba الخلاقة في صناعة إنتاج الأجهزة المنزلية.

تذويب أوتوماتيكي كامل للثلج مع جهاز لتصريف الماء

VH-1400
- غسالة بخصائص جديدة كثيرة
- جهاز لاختيار كمية الماء المناسبة، (دوائر لتوفير الوقت والماء)

VC-1010EJ/810E
- مكنسة كهربائية ١٢٠٠ واط ذات قوة كهربائية عالية

TA-1000AY
- مكواة قوية الاحتمال

RAC-46JE
- مكيف هواء بنمط دائري هادئ الصوت
- قوة ١٨٠٠٠ بي تي يو

TOSHIBA | توشيبا

TOKYO, JAPAN

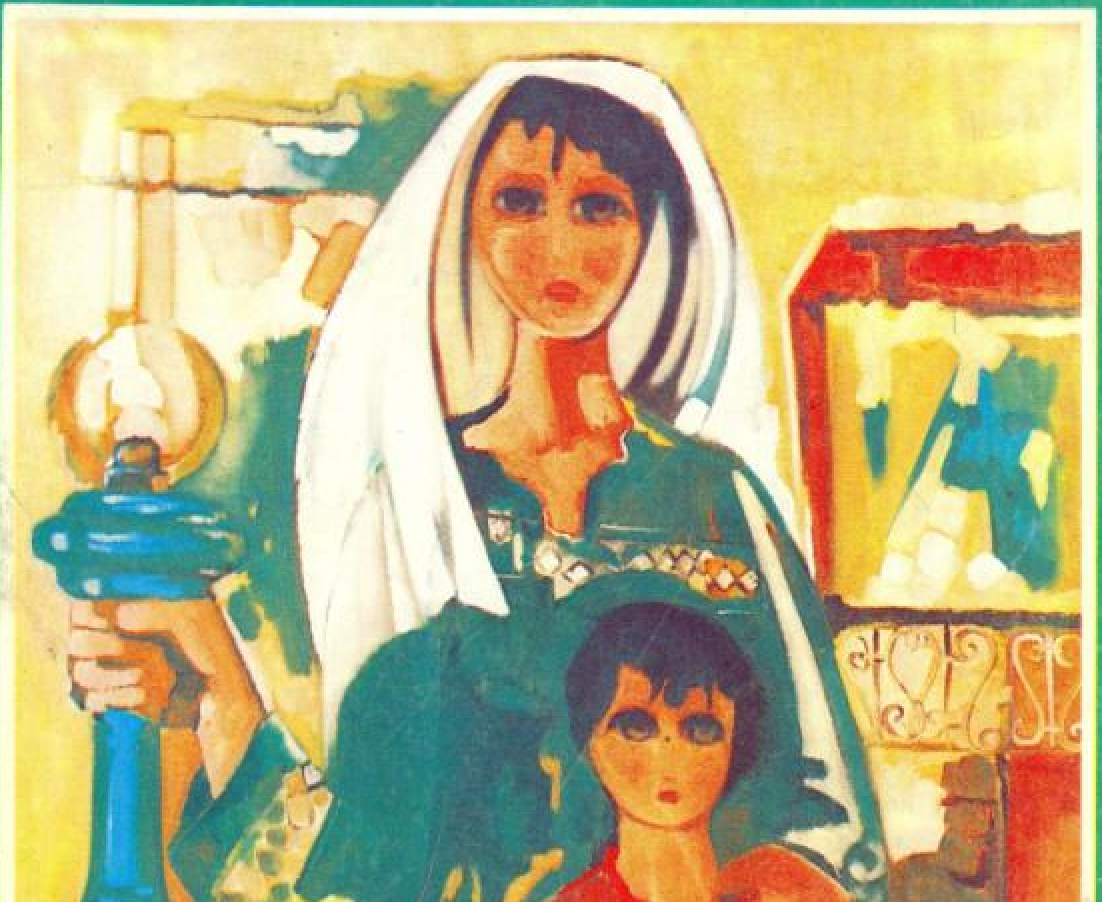

■ نحو النور ■ اقرأ "لوحة وفنان" داخل العدد

شوال ١٤٠٤ هـ - يوليو (تموز) ١٩٨٤

العربي

عالم المسلمين
السوفييت

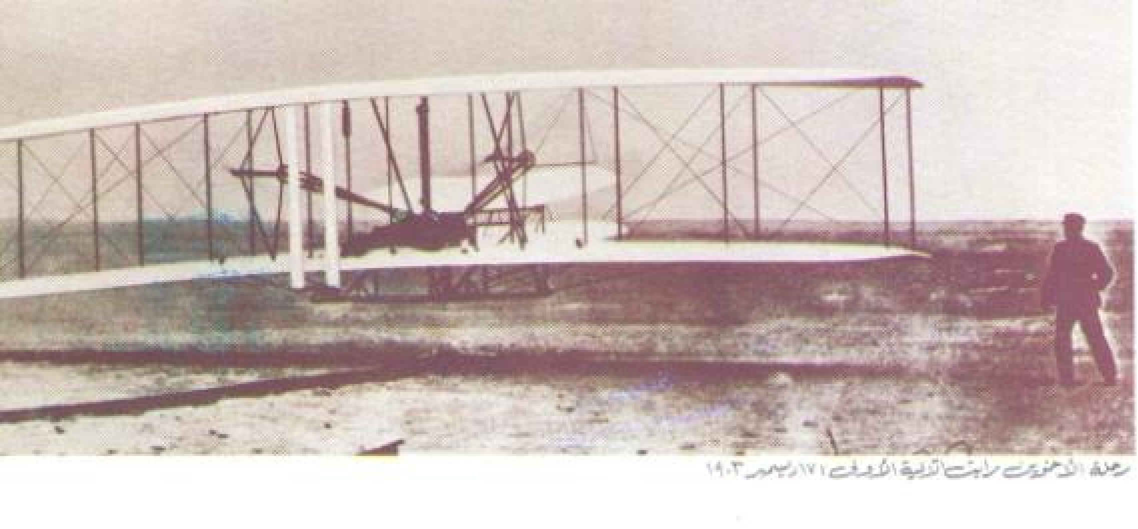

رحلة الأخوين رايت الأولى ١٧ ديسمبر ١٩٠٣

الأفكار العظيمة من أمريكا تتواصل مع فيشر.

خلال ٢٠٧ سنوات من تاريخها قدمت أمريكا العديد من الاختراعات التكنولوجية التي ساعدت في جعل العالم مكاناً أفضل للعيش، وواحد من أكثر الاختراعات التي يتمتع بها الناس اليوم هو صوت الهاي فاي الذي اخترعه عام ١٩٣٧ رجل اسمه أفري فيشر والذي قدم في السنوات التالية عدة إختراعات اخرى سباقة.

إن إسم فيشر اليوم هو واحد من الأرفع مكانة في تكنولوجيا الأجهزة السمعية المرئية في العالم، وتتبوأ أجهزة فيشر للأنظمة المركبة المبيعات بنسبة ٤٠٪ في فئتها في الولايات المتحدة حيث أصبح الأمريكيون يطلقون إسم "الهاي فاي النقال" على أجهزة فيشر المركبة النقالة تقديراً للجودة الرفيعة التي تميزها. أما أجهزة فيشر الاخرى من مسجلات الفيديو كاسيت، والتلفزيون الملون، ولاعب الاسطوانات الرقمي المدمج فتعتبر أيضاً في الطليعة ضمن الاجهزة السمعية المرئية الرفيعة.

ان هذه العراقة الأمريكية الغنية بالاختراعات والجودة تجعلك تعتمد بكل ثقة الجودة التي يقدمها فيشر في كل جهاز من مجموعة أجهزته السمعية والفيديو الواسعة. فيشر فكرة أمريكية عظيمة اخرى.

فيشر

FISHER

The first name in high fidelity

العربي

مجلة ثقافية عربية مصورة

رئيس التحرير

د. محمد الرميحي

تصدر شهرياً عن وزارة الإعلام
بدولة الكويت للوطن العربي
ولكل قارئ للعربية في العالم
المجلة غير ملتزمة بإعادة أي مادة تتلقاها
للنشر والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

المراسلات

باسم رئيس التحرير

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة
قسم الإعلانات

الاشتراكات

ترسل الطلبات إلى: قسم الاشتراكات
المكتب الفني - وزارة الإعلام
ص.ب ١٩٣ الكويت

على طالب الاشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة
مصرفية، أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الإعلام
طبقاً لما يلي:
الوطن العربي ٤ د.ك - باقي دول العالم ٦ د.ك

العدد ٣٠٨
يوليو ١٩٨٤

عنوان المجلة بالكويت
ص.ب ٧٤٨ صفاة
ت ٤٣٩٧٢٨-٢٤١٦٨٢٤٢-٤٢٧١٤١
برقياً "العربي" الكويت
تلكس: MITR-44041 KT

ثمن العدد

الكويت	٢٥٠	فلساً	السعودية	٥	ريالات
العراق	٢٥٠	فلساً	اليمن الشمالي	٣	ريالات
الأردن	٢٠٠	فلس	قطر	٥	ريالات
البحرين	٣٠٠	فلس	لبنان	٣	ليرات
اليمن الجنوبي	٢٥٠	فلساً	سوريا	٣	ليرات
مصر	٢٥٠	مليماً	الامارات	٥	دراهم
السودان	٢٠	قرشاً	المغرب	٣	دراهم
تونس	٤٠٠	مليم	ليبيا	٣٥٠	درهماً
الجزائر	٤	دنانير	سلطنة عمان		ربع ريال
بريطانيا		جنيه استرليني	أوروبا		دولاران أو جنيه استرليني
فرنسا	١٥	فرنكاً	أمريكا		دولاران

AL — ARABI
ISSUE No. 308. JUL. 1984
P.O.Box KUWAIT

A Cultural Monthly
Arabic Magazine
in Colour
Published by:
MINISTRY OF
INFORMATION
STATE OF KUWAIT.

عزيزي القارئ

ان اقامة جسر ثقافي دائم بين أقطار وطننا العربي . . هو مسئولية أساسية يتحملها كل من يعمل في مجال الكلمة . . والفكر .

وحين حملت العربي على أكتافها هذه المهمة قبل أكثر من خمسة وعشرين عاما . . كانت تدرك أن هذا الجسر يقوم على دعامات ، يمثل كل منها لونا من ألوان الثقافة والمعرفة . . وأن اهتزاز أي من هذه الدعامات يمكن أن يؤدي إلى زلزلة الجسر كله وتعريضه للانهيار . .

من هنا كان حرص العربي على أن تكون جسرا ثابت الدعائم . . فلا تبخس حق لون من ألوان المعرفة لحساب لون آخر . . . ولا ترجح ميزان كفة لتطغى على كفة ثانية . . وهي تعلم أنها مجلة جامعة لكل القراء في شتى الأعمار . . تزود الجميع ـ رجالا ونساء وشبابا وكهولا ـ بكل ما يهمهم في الميدان . . دون أن تبخس حق الأبناء وهم في ريعان الصبا في الاطلاع والتجول بين شعاب المعرفة . . تلك إلى تبني العقول والنفوس والقلوب والوجدان .

ان سر الأسرار في الصحافة الثقافية،هو القدرة على مراعاة التوازن التحريري ، في كل مجال من المجالات التي تستهدف توجيهها لقارئها . . مع الادراك الحقيقي لرغباته واحتياجاته . .

وحين تعمل العربي على زيادة الجرعة الثقافية المنوعة التي يلمسها القارىء على صفحات هذا العدد والأعداد التالية . . فلأن أسرة تحريرها تريد أن تجعل المجلة متعة لقارئها من الغلاف الى الغلاف . . وهو هدف يستحق الجهد والتضحية والعمل المتواصل من أجل تحقيقه .

ان العربي تتعامل مع قارئها على أنها رسالة للثقافة ومتعة للقراءة . . وأهم ما تهدف اليه هو أن تظل متمسكة تماما بهدف اصدارها . . أن تكون مجلة لكل العرب . . وليس لبعضهم . . وأن تنقل العالم اليهم . . وتنقلهم الى العالم . .

وبمعنى آخر . . أن تكون العربي بحق ـ عزيزي القارىء ـ عيونك على العالم .

المحرر

في هذا العدد

المسلمون السوفيت .. القابضون على الجمر

قد يكون مثيرا لدهشتك ان يقول لك امام مسجد في سمرقند أن رجل الدين له مكانة اجتماعية تفوق سواه .. ولكنك ستجد في عالم المسلمين السوفيت ، أشياء أخرى اكثر عجبا واثارة للاستغراب .. فما زال الناس يتبعون أساليب علاج ابن سينا ، ويبحثون في أعمال الفارابي والخوارزمي والبيروني .. هذه القائمة الطويلة من عمالقة العلماء المسلمين .

(اقرأ ص ٦٨)

التجربة الموسيقية بين الحضارات

(أعطني خبزا وفنا أعطك شعبا) تظل هذه المقولة صحيحة الى يومنا هذا ، والموسيقا كأحد انواع الفنون ، كان لها دور متمايز في تاريخ الانسان ، فاقتربت من عروش الملوك .. والتصقت بتراتيم المنشدين والمبتهلين .. وابتعدت لتصبح نشيدا للعامة ، وهم يتغنون للجمال والحرية والحق ..

(اقرأ ص ٢٩)

مستعمرة فضائية لعشرين مليون انسان

يدين التاريخ الانساني في تطوره .. بأحلام البشر .. وصفت في حينها بالجنون .. ولكن هذا الجنون هو الذى صنع تاريخا طويلا لبنى الانسان من الصراع مع الطبيعة ، وترويضها والانتصار عليها ... ومع التقدم العلمي الهائل .. يتطور شكل الاحلام للتعبير عن احتياجات العصر .

واليوم يقدم جيرارد اونيل عالم الفيزياء النووية في جامعة برنيستون حلما آخر .. من أجل مستقبل جديد .

(اقرأ ص ٩٢)

مدينة تصنع السعادة

في زماننا الذى نحياه ، لم يعد الجمال والسلام مواطنا في مدننا العربية ، فتحت وطأة عصر مادي مجنون .. خاصمنا الجمال .. وعاندتنا الابتسامة ..

في وسط هذا العالم المتوتر جدا ، تقدم لك مدينة تملك اصرارا على أن تمنحنا السعادة والغبطة والبسمات .

(اقرأ ص ١٣٦)

محتويات العدد

قضايا عامة

■ حديث الشهر
مصير اليهود
د. محمد الرميحي ٨

■ الأخطار المحتملة الناشئة عن توظيف الأموال العربية في البنوك الأجنبية
بقلم: الدكتور محمد طممة ٢٤

■ ارقام: أزمة في مطبخ العالم الثالث.
محمود المراغي ٣٤

عروبة واسلام

■ التراث.. والاجتهاد.. ونظرية الاسلام والسياسة
د. أحمد كمال أبو المجد ١٧

■ من التراث: اليهود وعالم الطيران سنة ٥٥٦ هـ - ١١٦٠ م.
د. محمد عيسى صالحية ٤٨

منتدى العربي

■ الانسان.. والارادة الشافية..
فيصل الحسن ٦٢

■ القسم الطبي، كيف بدأ.. والى أين انتهى؟
د. ضياء نوري حسن ٦٥

طب وعلوم

■ مستعمرة فضائية لعشرين مليون انسان!
سليمان مظهر ٩٢

■ مستقبل بلا قلب يصنعه الروبوت.. هذا الرجل الآلي
د. عصام عزو ١١٤

■ سلامة البشرية في سلامة البيئة ... ١٤٨

■ الجديد في الطب والعلم.
اعداد يوسف زعبلاوي ١٥٧

■ طبيب الأسرة ١٦٩

آداب وفنون

■ التجربة الموسيقية بين الحضارات.
د. فؤاد زكريا ٢٩

■ الجاحظ.. والكتابة للعامة.
د. وديعة طه نجم ٤٣

■ ارفعي المشعل (قصيدة)
د . سعاد الصباح ٥٢

■ حوار مع الدكتورة سلمى الجيوسي .
سليمان الشيخ ٥٤

■ سيمفونية البحر والبحار .. المرفأ البعيد ـ أبو المعاطي أبو النجا ١٠٤

■ لوحة وفنان ..
ثريا البقصمي ١١١

■ الراية (قصيدة)
محمود مفلح ١١٢

■ من ندوة العربي الثقافية
د . محمد مواعده ١٢٠

■ صفحة لغة : ثمن الكتاب ثلاثة دنانير لاغير
محمد خليفة التونسي ١٢٤

■ من قضايا المسرح العربي المعاصر .
د . حياة جاسم محمد ١٢٦

■ الحلم (قصة) فرانك تيلسلي ـ ترجمة طارق يوسف أسعد ١٥٢

■ كتاب الشهر : الخبز والمدافع .. وأزمة الاقتصاد العالمي
مجدي نصيف ١٧٢

تاريخ واشخاص

■ أيام لا تنسى : المقاومة الوطنية الفلسطينية ١٩٣٦ ـ ١٩٤٨
د . أحمد عبد الرحيم مصطفى ... ٣٦

■ قصة القصر د . شاكر مصطفى .. ١٣٢

■ أسبلة القاهرة جمال الغيطاني ١٦٠

استطلاعات مصورة

■ المسلمون السوفيت القابضون على الجمر .. في بلاد ما وراء النهر
مصطفى نبيل ٦٨

■ في مدينة الكويت الترفيهية . مدينة تصنع السعادة، وتختبىء فيها البسمات ـ محمود عبد الوهاب ١٣٦

أبواب ثابتة

■ عزيزى القارىء ٤

■ العربي منذ ربع قرن ١٠٢

■ من مكتبة العربي ١٧٧

■ مسابقة العربي الثقافية ١٨٠

■ حل مسابقة العدد (٣٠٥) ١٨٢

■ الشطرنج (معركة بلا سلاح) ... ١٨٤

■ حوار القراء ١٨٦

مصير

هكذا كان عنوان الكتاب الذي ألفته الكاتبة اليهودية الأمريكية « روبرتا ستاريوس فيورخ » .

« مصير اليهود » عنوان له جاذبية خاصة للمهتمين بقضية الشرق الأوسط ، وبالصراع العربي الاسرائيلي . والكاتبة من سلالة اليهود الروس ذوي الأصل الألماني المهاجرين الى الولايات المتحدة ، وعنوان الكتاب الفرعي هو : « شعب ممزق بين قوة اسرائيل وأخلاقيات اليهود » .

سمعت عن الكتاب من بعض الأصدقاء ، فسألت عنه في بعض مكتبات نيويورك ـ مكان صدوره ـ فاذا البائع يمط شفتيه ويقول : لم أسمع بهذا الكتاب . . ! وسألت عنه في مكتبات لندن فاذا البائع يجيبني ببرود الأنجليز المشهور : لقد نفد ما عندي . . ولا أعتقد أنني سأطلب منه نسخا أخرى فهو كتاب ممل . . !

وصدق حدس الأصدقاء ، لقد اختفى الكتاب بعد صدوره ، لأن الكاتبة عالجت بوضوح موضوعا لا تقره الصهيونية العالمية . . وهو موضوع اليهود في مجتمعاتهم التي أستقروا فيها ، وموقف اليهود واسرائيل من العرب الفلسطينين .

وأخيرا . . وجدت نسختين من الكتاب في مكتبة فى جنيف بسويسرا تبيع الكتب الصادرة بالانجليزية . وبدأت أتصفح الكتاب بعين ناقدة ومتفحصة .

الكتاب يقع في ستة فصول متوسطة الحجم ، ويبلغ عدد صفحاته مائتين وخمسين صفحة من القطع المتوسط . . فهو كتاب عادي في مظهره ، بكل ما تعني الكلمة من معنى .

اليهود

بقلم : الدكتور محمد الرميحي

والفصول ـ من غير المقدمة ـ تعالج على التوالي الموضوعات التالية : القاعدة الأخلاقية ، الشتات والتحرر ، فقط في الولايات المتحدة ، منذ روزفلت حتى ريجان ، اليهود والسود ، اليهود ودولة اسرائيل .

والكتاب بعد قراءته لا يعني الانطباع الأول الذي يتصوره أي قاريء عربي ، فهو ليس معاديا للصهيونية على طول الخط ، ولكنه في الوقت نفسه ينقد نقدا واضحا السلوكيات اليهودية عبر التاريخ ـ وخاصة في العصر الحديث ـ دون لف او دوران ، ومن هنا جاءت الحقائق التي ذكرتها الكاتبة ـ وعلى العلن ـ عن أخلاقيات اليهود ، وتحالفاتهم على مر العصور ، ونظرتهم لبعض القضايا الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، التي طرحت في اوروبا ابان القرنين الماضيين ، وأتخذ منها اليهود كطائفة موقفا محددا ، ليس بالضرورة هو الموقف الانساني او الموقف المقبول عقلا او المبرر منطقيا ، تلك الحقائق هي التي ربما جعلت من الكتاب ـ رغم صدوره حديثا ـ شيئا نادرا لا يمكن الحصول عليه بسهولة .

والاحتمالات وراء عدم توفر الكتاب على رفوف المكتبات وفي واجهة محلات بيع الكتب ، ربما كانت اسبابها تكمن في المعالجة غير الودية التي أظهرتها الكاتبة لقضية شعب اراد له المؤرخون الغربيون المحدثون ان يكون بالفعل هو شعب الله المختار ـ والمضطهد في نفس الوقت ـ والذي تحمل كل مصائب الانسانية من اجل رسالة يؤمن بها . . ! وأراد لنفسه أن يكون شعبا يعيش على اضطهاد الآخرين .

والكتاب ـ حتى لا يأخذ القاريء العربي انطباعا خاطئا درجت على تلقينه له بعض وسائل الاعلام ـ ليس هو بالمعادي المطلق ، أو الذي لا يحمل شيئا من

التعاطف على بعض قضايا اليهود واطروحات الصهيونية ، فهو ايضا يحمل في طياته ذاك البعد ، إلا أن غلبة النقد وكشف الحقائق ترجح كفة التعاطف . . . ومن هنا ربما جاءت محاربته الاعلامية .

ولكن قبل اطلاق الاحكام، ادعو القاريء ان يصحبني - بشيء من الاختصار - لمطالعة بعض القضايا الرئيسية التي طرحت بين دفتي هذا الكتاب .

بين الخرافة والحقيقة

في المقدمة - ولا تعتبرها الكاتبة كذلك - تطرح مجمل تصوراتها حول علاقة الحقيقة بالخرافة ، في كون اليهودية دينا واحدا ، واليهود شعبا واحد . فهي تقول ان اليهودية ثوب متعدد الألوان ، غير متسق او منسوج بين ألوانه ، واليهودية كدين متشرذمة وتعددية بحيث لايمكن المصالحة أبدا بين فروعها المختلفة، وكمجموعة عرقية دينية فان اليهود يفتقدون التماثل والتشابه . فاليهود السفارد ذوو المنشأ الاسباني لا يشتركون مع اليهود الاشكناز - يهود اوروبا الشرقية - في شيء . . لا اللغة ولا العادات ولا الأصول ولا الثقافة .

من هم اليهود إذن ؟

هنا تمهد الكاتبة لكل اطروحاتها القادمة بقولها ان اليهود يتميزون بصفاتهم الأخلاقية ، وعندما لا توجد هذه الصفات الاخلاقية ، لا يوجد اليهود .

من هنا فان اجتياح الاسرائيليين للبنان في صيف ١٩٨٢ والمذابح التي رافقت ذلك وأعقبتها ، جعلت - كما تقول الكاتبة - اخلاقيات اليهود امام تساؤل ، هذا التساؤل انتهى لدى اليهود الامريكان ، اما الى تبرير ما فعلته الدولة اليهودية ، أو الى قصر اللوم على القادة الاسرائيليين كمناحيم بيجين واريل شارون على تلك التصرفات . الا أن حقيقة الأمر هي ان اسرائيل كانت قد اغتصبت أراضي العرب ومارست سياسة اضطهادهم على اوسع نطاق .

لقد أصبح اليهود يعبدون ربا اخر ، فتحولوا من احترام للاخلاقيات والمبادىء ، الى عبادة القوة . لقد كان ما يربط اليهود منذ القدم ، ليس الدولة ، ولكن الأولوية الأخلاقية ، الأمر الذي تجاوزه اليهود اليوم ، واصبح كل يهودي يقول الحق خارجا عن الاجماع يحق عليه العقاب .

بهذا التمهيد تصل الكاتبة الى معنى ليس موضحا في أسطر تلك المقدمة ، ولكنه يظهر بين السطور ، وهو ان اليهودي الحق هو من يقول الحقيقة ، ويضع

الأخلاق فوق المصالح . فهي ـ اذن ـ ذلك اليهودي الحق . ولكن كيف تعالج بقية الموضوع بعد ذلك ؟

القاعدة الأخلاقية

على القاعدة الأخلاقية تبني الكاتبة اطروحتها ، فهي تقول : اذا كان المسيحيون يعتقدون أن العالم بدأ بقصة آدم وحواء ، فان قصة اليهود تبدأ مع الشتات ، وفي هذا الشتات ـ كما تقول الكاتبة ـ كون اليهود قواعدهم الأخلاقية التي بدأت بالوصايا العشر ، والتي هي في حقيقتها وصايا انسانية كان بعضها معروفا لحضارات سابقة ، وأضاف عليها اليهود بعضاً من خبرتهم ، مثل عطلة السبت الاجبارية ، والتي هي اول تشريع عمالي نصت عليه القوانين ودفعتهم اليه اعمال السخرة التي خبرها اليهود ـ كما تقول الكاتبة ـ في مصر القديمة قبل الخروج الأول .

سبع من الوصايا العشر سلبية ، بمعنى انها تنهي عن اعمال ولا توصي بايجابية مثل : لا تزن ، لا تسرق ، لا تقتل . . الخ ، وثلاث وصايا ايجابية هي : منع العمل يوم السبت ، والعناية بالايتام والأرامل ، ومعاملة القريب والجار بالعدل .

مع الوصايا العشر ـ وكذلك مع طريقة عقاب المخالفين لهذه الوصايا والتي هي في الاساس شعور بالذنب وتأنيب الضمير بدلا من العقاب الحسي ـ ولد الضمير . وتضيف الكاتبة بعد ذلك : أنه من أجل معرفة ما يدور في اسرائيل اليوم يجب التفرقة بحسم بين القانون والشعب الذي فشل في استيعاب الثورة التي قام بها ، لقد كان هناك دائما مستويان لليهودية : أحدهما مثالي والآخر واقعي ، وكل المحاولات للوصول الى المثالية أفشلها التوجه الحثيث لطلب السلطة بدلا من الضمير .

وتذهب الكاتبة في هذا الفصل الى متابعة تاريخ اليهود القديم ، واصرارهم على ان يكون لهم ملك ودولة ، أما القدس ـ كما تشير الكاتبة بوضوح ـ فانها ليست مدينة يهودية تاريخيا ، إنما اغتصبها اليهود منذ القدم من الكنعانيين وجعلوها عاصمة اليهود السياسية والدينية .

ثم تعرج الكاتبة الى معالجة سقوط الدولة اليهودية أولا بالاحتراب بين قبائل اليهود أنفسهم ، ثم مع الآخرين ، الى أن تصل الى القول : أن الاسرائيليين اليوم الذين يذكرون مملكة اليهود القديمة بفخر واعتزاز ، غالبا ما يتذكرونها للأسباب

الخطأ ، حتى يبرروا المزيد من الوقوع في الخطأ ، لقد كانت قيادات الممالك اليهودية بربرية ـ كمعاصريهم ـ كما ان تلك الممالك لم تكن تنتعش الا عندما يكون جيرانها قد استهلكوا واضعفوا أنفسهم .

ما أنقذ اليهود وجعلهم مستمرين الى يومنا هذا ـ كما تقول الكاتبة ـ ليس ملوكهم ولكن أنبياؤهم . ولكن هؤلاء الأنبياء الذين كانوا يدافعون عن القانون الأخلاقي ، كثيرا ما كانوا يحاربون ويصلبون في الممالك اليهودية القديمة ، وكان الكثير من اليهود يفضلون العيش في مناطق الهجرة ، على العيش في مملكة اليهود . . وتضرب لذلك مثلا عريقا في التاريخ فتقول : في سنة ٥٣٨ قبل الميلاد سقطت الامبراطورية البابلية في يد الفرس ، فطلب بعض اليهود في بابل من الامبراطور الفارسي ان يسمح لهم بالعودة ان ارادوا ، ولكن معظمهم لم يعد.ثم تضيف : على الصهيونيين ان يعرفوا انه في ذلك الوقت ـ كما هو الحال في الوقت الحاضر ـ عندما يعرف المهاجر اليهودي ان له ارضا يعود اليها فهو يختار ـ في الغالب ـ عدم العودة .

الشتات والتحرر

تعالج الكاتبة في هذا الفصل قصة اليهود منذ شتاتهم حتى انخراطهم في الحركات الثورية التي جرت في اوروبا ابان القرن التاسع عشر ـ والفترة طويلة ومعقدة تاريخيا ـ ولكنها تفسر بقاء اليهود واليهودية طوال هذه القرون ، وانتقالهم من الشرق الأوسط الى اوروبا الغربية ثم الى اوروبا الشرقية والى مناطق بعيدة مثل الهند والصين . . تفسر هذا البقاء بثلاثة اسباب : السبب الأول : انهم أقلية اعتمدوا على حسن رعاية حكام من أديان أخرى ، وبما أنه لا سلطة لهم فقد منع ذلك من توجههم للتفرق . والسبب الثاني : أن لديهم كتابا هيأ لهم الطريق للعيش كيهود . وأما السبب الثالث فهو انهم عزلوا انفسهم متعمدين عن الآخرين من غير اليهود .

وطوال هذه القرون فأينما وجد اليهود ، فأنهم منعزلون عن بيئتهم ، كما أنهم يشعرون بتفوقهم الديني على مضيفيهم . . أن هذا الشعور من العمق بحيث يصل الى درجة الايمان به لدى اليهودي العلماني ايضا .

بين القرن الخامس عشر والثامن عشر الميلادي شهد اليهود انتقالا في اوروبا من بلد الى آخر . فبعد ان عاشوا في طمأنينة وعصر ذهبي مع المسلمين في اسبانيا ـ وكانت مقرا لليهود الذين طردتهم فرنسا في سنة ١٣٩٤ ـ طردوا من اسبانيا اثر

خروج المسلمين بعد ذلك بمائة عام تقريبا(١٤٩٢) كذلك طوردوا من الدويلات الالمانية ، فأتجهوا شرقا الى بولندا ولتوانيا واوكرانيا ، حيث كان اليهود قد استقروا هناك لبضع مئات من السنين .

تقول الكاتبة : رغم ذلك فان يهود الشتات ـ مع بعض التحفظات التي وضعتها الدول او الملوك المستقبلين لليهود ـ حكموا مجتمعاتهم واصبحوا من اصحاب المال الأغنياء . . حتى ان بعض المسيحيين « اعتقدوا انه ليس بين اليهود شحاذون » واليهود انفسهم كانوا مالكين ومتاجرين بالعبيد .

ومن أهم ما تناقشه الكاتبة في بقية هذا الفصل قضيتان : اولاهما علاقة اليهود بالثورة الفرنسية ، وثانيها علاقة اليهود بالفكر اليساري والاشتراكي في اوروبا .

تقول ان الثورة الفرنسية اعطت اليهود حقوق المواطنة الكاملة ، وظهر لأول مرة مفهوم « الدولة داخل الدولة » فقد رفض مفكرو الثورة الفرنسية اعطاء اليهود حقوقهم كشعب منفصل .

كليرمونت تورنيت قال :

« كل شيء يجب ان يرفض لليهود كشعب ، وكل شيء يجب ان يعطي لليهود كأفراد » . .

لقد تحقق لليهود من خلال الثورة الفرنسية ـ كما تحقق لهم بعد ذلك من خلال الثورة الأمريكية ـ كل ما ارادوه كمواطنين في دولة ، ولكن ظل التصاقهم بموجات التغير التي ضربت أوروبا القرن التاسع عشر خاصة دورهم في ثورة ١٨٤٨ التي اجتاحت معظم دول اوروبا مما يعني عدم قبولهم بالواقع وسعيهم الى التغيير . ولكن رغم أفكار المساواة التي جاءت بها موجات التغير الاوروبية ، ظل اليهود يحاولون الحصول على امتياز لهم كشعب وكدين .

بنجامين دزرائيلي ـ السياسي البريطاني الذي ولد كيهودي ثم تحول الى المسيحية وهو ابن الثالثة عشر ـ كتب يقول (١٨٥٢) :

« كل توجهات الشعب اليهودي الى المحافظة على قواعدهم وهي الدين وملكية العقار . . انها توجهات مضادة للمساواة الانسانية » .

أما علاقة اليهود بالفكر الاشتراكي في اوروبا القرن التاسع عشر ، فتطيل فيها الكاتبة وتفصل .

تقول عن كارل ماركس ـ مؤسس الفكر الاشتراكي العلمي والذي هو من عائلة دينية يهودية تحول الى المسيحية ـ انه رغم شجبه للدين اليهودي بأقسى الكلمات ، الا ان ماركس كان بشكل لا شعوري يطلب « المشيح » العلماني واخذ الاشتراكية كطريق له في ذلك ، كما انه ليس اليهودي الوحيد الذي يفعل ذلك . .

فهناك موسى هس ـ اول اشتراكي الماني ـ وروزا لكسمبورج ، وليون تروتسكي مفكرون وقادة اشتراكيون يهود ، اعتقدوا أن طريق العدالة الاجتماعية هو اعتناق الاشتراكية كدين .

ولكن حتى الاشتراكيين اليهود لم يكونوا عالميين ، بل تعاون بعضهم ـ خاصة في روسيا القيصرية ـ مع البوليس السري القيصري لدفع اليهود الاشتراكيين الروس الى الهجرة والتحول الى الصهيونية ، بدلا من العمل داخل مجتمعاتهم الأصلية . لقد كان الحل الصهيوني هو الأمل الذي بشر به دعاة الصهيونية ، ومن خلال المذابح المنظمة للاشتراكيين اليهود في روسيا القيصرية في بداية القرن العشرين ، دفع هؤلاء قسراً الى الهجرة . . ومنها الهجرة الى فلسطين .

اليهود في الولايات المتحدة واليهود في اسرائيل

تتناول الكاتبة هجرة اليهود الى امريكا حيث كانوا اقلية لا تذكر في البداية . . ومع ذلك فقد كان لهم موقف من الثورة الأمريكية . . . وتدعى انهم كانوا خلف الضغط الذي تم ونجح في فصل الدولة عن الدين عند بداية انشاء المؤسسات الدستورية الأمريكية ، الا أن تطور المجتمع اليهودي في امريكا اختلف عن تطور ذاك المجتمع في اوروبا ، فلم يكن هناك « رجال دين يهود » في العالم الجديد لفترة طويلة ، بعد الهجرات اليهودية الأولى ، مما جعل اليهودية في الولايات المتحدة تأخذ شكلا محدثا عن اليهودية التقليدية . وقد كان اليهود في امريكا في بداية الأمر ـ كما تقول الكاتبة ـ (امريكيين عاديين في الشارع ويهودا في بيوتهم) .

كما انهم ـ على الرغم من كونهم اقلية دينية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ـ لعبوا دورا سياسيا بارزا تقلبوا فيه بين مناصرة الجمهوريين ومناصرة الديمقراطيين . في البداية كانوا يصرون على ان اصواتهم الانتخابية ليست كتلة بل هم افراد . . وما لبث الأمر ان انقلب ـ عندما قويت نزعة التجمعات العرقية والدينية في الولايات المتحدة بشكل عام ـ الى تكوينهم جماعة ضاغطة ومؤثرة .

ولم تكن هجرة اليهود الاوروبيين الى الولايات المتحدة بسبب كونهم لاجئين سياسيين ، فقط بضع مئات منهم كانوا كذلك ، اما الأغلبية فقد هاجرت لنفس الأسباب التي هاجر بسببها مواطنوهم الأصليون من غرب اوروبا . . وهي اسباب اقتصادية في الأساس .

لذلك فلم يكن اليهود في المجتمع الجديد بعيدين عن الاتجار بالعبيد . . فقد مارس بعضهم هذه المهنة ، كما وقفوا مع اشد الافكار تعصبا ومحافظة ، واذا لم يكن

جميع اليهود في امريكا تجار عبيد ، الا انهم جميعا ـ كما تقول الكاتبة ـ وقفوا موقف المتفرج والصامت لما لاقاه السود في امريكا من اضطهاد وذل، فوق ذلك لقد ناقش بعض رجال الدين اليهود قضية العبودية ، ليس على انها قانونية فقط ، بل كواجب ديني ايضا .

لقد كانت مقارنة عبودية اليهود في مصر القديمة بالعبيد في أمريكا ، تغضب اليهود الذين ينظرون الى انفسهم كمالكين للعبيد في الأرض الجديدة .

تتابع الكاتبة الأسباب التي دعت تيودور روزفلت في السنوات الأولى من بداية القرن العشرين الى تعين اول يهودي امريكي في منصب سياسي عال ، كوزير للتجارة ، وكذلك ودرو ولسون عندما عين اول يهودي امريكي في المحكمة الفيدرالية العليا ، فتقول انها اولى المؤشرات التي جعلت من مجموعات الضغط اليهودية ، ومن ثم الصهيونية ، تستخدم بفعالية اصوات الناخبين اليهود . وفي الأربعين عاما الممتدة من نهاية القرن التاسع عشر الى بداية القرن العشرين ـ اي بين ١٨٨٠ و ١٩٢٠ ـ تزايد عدد اليهود في امريكا من ٢٥٠ ألف نسمة الى ٣,٥ مليون نسمة ، وكان معظم المهاجرين هذه المرة من اوروبا الشرقية وروسيا ، ولكن ايضا من ذوي الأصول الألمانية .

تقول الكاتبة : امريكا لم تكن كفلسطين فقد تم في امريكا سحق المواطنين الأصليين (الهنود الحمر) كما لم يكن هناك معارضة لليهود ، فالكاثوليك كانوا مركز العداء للمواطن الأمريكي الجديد ، وليس اليهود .

وبعد أن تعرج الكاتبة على موضوعين رئيسيين هما : موقف اليهود في السياسية الامريكية منذ روزفلت (مطلع القرن العشرين) حتى ريجان ـ اي في الثمانين عاما الأخيرة ـ وموقف اليهود من حركة تحرير العبيد ونضال الزنوج في امريكا للتحرر من القيود الاجتماعية والاقتصادية ، تنهي الكتاب بدراسة موسعة عن اليهود واسرائيل . . وربما يكون هذا الفصل من اهم فصول هذا الكتاب .

تقول الكاتبة انه من المآسي العجيبة ان ينتهي اليهود ـ الذين اعطوا العالم القواعد الاخلاقية وكذلك مفهوم الدولة المثالية ـ الى بناء دولة هي اسرائيل والتي هي ليست مثالية ولا اخلاقية . وكذلك تدعي الصهيونية انها حركة تحرر وطنية ، واذا كانت كذلك فانها لم تحرر احدا . . فحتى اليوم فان ٧٥٪ من اليهود يعيشون خارج اسرائيل ، معظمهم باختيارهم دون ضغط او اضطهاد او تخويف ، فوق ذلك فان الهجرة من اسرائيل هي الملحوظة ، وبقاء اليهود في اسرائيل هو بقاء تحت الضغط النفسي ان لم يكن الحقيقي .

لقد اختارت الحركة الصهيونية ان تبني دولة من خلال اضطهاد المواطنين الاصليين (الفلسطينيين) ومن خلال جمع شتات من اليهود من انحاء العالم المختلفة ، والذين لم يعيشوا هناك بحجم معقول في الألفي سنة الأخيرة ، والذين لم يعودوا يشتركون معا لا في اللغة ولا في الثقافة ولا في اي شيء آخر . . فقط تجمعهم الهوية المختلف عليها وهي اسم (يهود) .

ولأن اسرائيل مفروضة على الشعب المحلي (الفلسطيني) من خلال شعب غير محلي . . فهي نوع من انواع الاستعمار وليست حركة تحرير .

كما ان الصهيونية ذاتها كانت دائما في موقف اقلية بين اليهود ، وهي تبقى كذلك ، الا انها في الطرف الآخر تعوض نقص العدد عن طريق (الصراخ) الكثير !

اذا كانت البلدان الأخرى تحاكم على اساس معاملتها لليهود ، فأول بلد يجب ان يحاكم - كما تقول الكاتبة - هو « اسرائيل » نفسها . ففي اسرائيل تحتاج الاحزاب الرئيسية دائما الى اصوات المتعصبين من اليهود حتى تحكم ، لذلك فان هؤلاء المتعصبين يشكلون ثقلا اكبر من عددهم وقوتهم الحقيقية ، ومثال آخر فانه على الرغم من ان ٦٠٪ من يهود اسرائيل هم من السفارد (الشرقيين) فهم حتى الآن لم يستطيعوا تحويل قوتهم العددية الى قوة سياسية .

فاسرائيل كانت ، وسوف تبقى دائما ، في يد اليهود الغربيين .

وتذهب الكاتبة لتشرح بكثير من التفاصيل والوقائع الخلافات العرقية والاجتماعية والسياسية بين الفئات اليهودية المختلفة ، والقادمة كل منها من ثقافة وعرق وتاريخ مختلف .

اما عن سياسة اسرائيل تجاه العرب فتستشهد الكاتبة بأقوال مسئولين اسرائيليين ومفكرين يهود . بأن افضل طريقة لاستمرار سيطرة اليهود الغربيين وبقاء اسرائيل ، هي استمرار تخلف العرب .

***

وبعد .

هذا قليل من كثير جاءت به الكاتبة اليهودية في هذا الكتاب ، الذي لو كتبه احد العرب ، لاتهم باتهامات كثيرة . . ولكنه شهادة موثقة تاريخية واجتماعية وسياسية لمصير اليهود في العالم . وشهادة من داخلهم على العصر والحوادث . . تحتاج من كل عربي ان يقرأ هذا الكتاب بالكامل .

ولو توفرت للكتاب الترجمة الكاملة الى العربية ، لأصبح في يد شبابنا شيء لا نقوله نحن عن الصهيونية . . ولكن يقال عنها من داخلها .

محمد الرميحي

التُّراث والإجتهاد ..

ونظريّة الإسلام السّياسيّة

بقلم : الدكتور أحمد كمال أبو المجد

☐ من مظاهر الأزمة في حياتنا الثقافية المعاصرة أننا نردد جميعا في مناسبة وغير مناسبة أن اختلاف الرأي لا ينبغي أن يفسد الود ، وأن الاجتهاد في الأمور العامة حق مكفول لكل من حاز شروطه وأسبابه . . وأن تعدد الآراء في قضايا السياسة والاجتماع باب خير ورحمة ، ودليل ثراء حضاري يستحق أن نعتز به وأن نحافظ عليه . . ومع ذلك لا يكاد أحدنا ينحاز في قضية من القضايا الى رأي يلتزم به ويدافع عنه ويرى المصلحة في اتباعه ، حتى يضيق صدره بالمخالفين ، ويشتد قلمه ولسانه في اتهامهم بالخطأ أو بالخطيئة ، وتستولي عليه الرغبة في اسكاتهم ومصادرة حرياتهم ، والاستعانة في ذلك بكل أسلحة القتال الفكري ، ما يحل منها وما لا يحل . .

ولا يعرف تاريخ الفكر الاسلامي قضية ثار حولها من الجدل والخلاف المتصل قديما وحديثا مثل ما أثارته قضية « الخلافة » ، « ونظام الحكم » فعلى أعتابها سل أول سيف في الاسلام ، ومن أجلها ثارت الفتنة الكبرى بعد وفاة النبي ﷺ ، وبسببها تصدعت وحدة المسلمين ونأى بعضهم عن بعض . . وبين يدي وأنا أكتب هذه السطور عشرات من الكتب التي تتناول نظام الحكم الاسلامي ، وعشرات كثيرة من المجلات والصحف المتخصصة تتزاحم على صفحاتها الآراء المتعارضة حول قضية « الحكم في الاسلام » ، وترتفع في كثير منها حرارة الحوار ارتفاعا تذوب معه معاني الكلمات والمصطلحات وتختلط بسببه على أطراف الحوار مواضع الخلاف الحقيقي بينهم . . لذلك لم يكن غريبا أن تظل « المحاور الرئيسية » لقضية الحكم فى الاسلام معلقة فى « الفكر الاسلامى » وفى « الممارسة الاسلامية » ، تتوزعها الرؤى المتناقضة ، ويتبادل أصحاب تلك الرؤى بسببها ألوانا من الاتهامات . .

قضايا موضع خلاف

وفي اعتقادنا أن توحيد الفكر أو تقريبه حول هذه المحاور الرئيسية شرط ضروري يتعذر في غيبته توظيف الفكر لخدمة الممارسة والتطبيق . . ومشاركة منا في تقريب الفكر حول هذه المحاور نعرض في هذه السطور لعدد من قضايا « الحكم في الاسلام » لا يزال الخلاف الكبير قائما حولها :

أولا : اقامة « الحكم » الصالح جزء من رسالة الاسلام والسياسة الشرعية قسم من أقسام شريعته ، والنبي ﷺ كان رسولا وكان ـ ابتداء من الهجرة ـ حاكما ورئيسا : هذه المقولة ـ فيما نرى ـ ينبغي أن تحسم الجدل الطويل حول العلاقة بين « الدين والسياسة » في التصور الاسلامي ، وهو جدل تتداخل فيه أخلاط من المخاوف والأوهام والرغبة في الانتصار لقضايا أخرى غير قضية « نظام الحكم » . . منها على سبيل المثال مخاوف الكثيرين من تحول نظام الحكم الى نظام ديني تزول فيه السلطة السياسية عن أغلبية الجماعة بين يدي « رجال الدين » ومنها مخاوف كثير من الحكام وكثير من المفكرين من أن يكون « اقحام الدين في السياسة » مدخلا لفرض بعض الآراء السياسية الذاتية باسم الدين ، أو مدخلا لافساد الدين وتأويله لحساب السياسة . .

والحقيقة العملية والتاريخية التي ينبغي أن تعلو على هذه المخاوف والأوهام تتمثل فيمايلي :

١ ـ ان طبيعة الاسلام هي المدخل الأول لحسم علاقة الدين بالسياسة في ظله ، فالاسلام ـ باستقراء نصوص القرآن والسنة وسيرة النبي ﷺ نظام شامل ، واهتماماته لا تتخلى أبدا عن جانب هام من حياة الانسان . . واذا كان اجتماع الناس ضروريا ، وكان خضوعهم لسلطان سياسي أمرا متمما لهذا الاجتماع ، فلا يتصور أن يقف الاسلام موقفا محايدا من هذا السلطان . . ولذا قال الغزالي بحق : « الدين أساس والسلطان حارس ، وما لا أساس له فمهدوم ، وما لا حارس له فضائع » [1] وكان ابن تيمية يسمي قوله تعالى : « ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » آية الأمراء اشارة الى أنها تتضمن أصول الهدى الاسلامي في ممارسة

---

(١) أورد الغزالي هذه العبارة في كتابه « الاقتصاد في الاعتقاد » منسوبة اليه أو الى غيره بعد أن قال : « ان الدنيا والأمن على الأنفس والأموال لا ينتظمان الا بسلطان مطاع . . » .

« السلطة السياسية » . .

٢ ـ ان النبي ﷺ قد أقام بعد هجرته الى المدينة « دولة » بالمعنى الكامل لهذا المصطلح ، وأنه ﷺ قد كان رئيس هذه الدولة وحاكمها . . لهذا لا نقبل قول القائلين ان نظام المجتمع في عهد النبي ﷺ قد خلا من مظاهر الحكم وتنظيم الدولة ، وأنه ﷺ كان نبيا ورسولا ، ولم يكن ملكا ولا حاكما (٢) . . لا نقبل هذا القول لأنه ـ فيما نرى ـ غير صحيح أولا ، وغير منتج ثانيا ! (أ) فهو غير صحيح لأن النبي ﷺ قد سارع فور هجرته الى المدينة ـ على ما قدمنا ـ الى تنظيم المجتمع الجديد للمؤمنين فكتب الوثيقة المعروفة بدستور المدينة (٣) وأقام على أساس مبادئها المدونة دولة بالمعنى الفني الكامل لهذا المصطلح عند أهل الاختصاص ومارس فيها فعلا أمور الحكم والرئاسة حتى لم تكن هناك « وظيفة من الوظائف التي يمكن أن يقال عنها انها سياسية من اعداد الأداة لتنفيذ العدالة ، أو تنظيم الدفاع أو بث للتعليم ، أو جباية للمال أو عقد معاهدات أو انفاذ سفارات الا كانت هذه الدولة تؤديها على عهد رسول الله ﷺ (٤) .

(ب) وأما أن هذا التدليل غير منتج فلأن بساطة تكوين الدولة في عهد النبي ﷺ لا تصلح دليلا على أن الحكم والرئاسة خارجان عن مهمة الاسلام في الجماعة ، ذلك أن طبيعة الزمان والبيئة ما كانت لتسمح بمزيد من التركيب والتعقيد في بناء جهاز الحكم و ضبطه وتنظيمه . . ولكن الشورى كانت أصلا ، والعدل كان أساسا ، ومسئولية الرعاة والرعية كانت مبدأ ، واقامة ذلك كله كانت ولا تزال واجبا مفروضا . . وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب . . والأبنية التنظيمية على ما هو معروف ومقرر ـ تزداد مع الزمن والتطور دقة واحكاما وتركيبا . . وهذا هو الفارق بين وجود المبدأ وبين صياغته وتركيبه . .

الرسالة والحكم

وأغرب من ذلك المماراة في أن النبي ﷺ كان يجمع الى صفة الرسالة أنه كان حاكما سياسيا ومؤسسا لدولة سياسة ، والاصرار على أنه كان نبيا رسولا ولم يكن ملكا . ان هذه المماراة تسقط من حسابها البعد التاريخي المتمثل فيما قدمناه من أن النبي ﷺ قد أقام أكثر من عشر سنين في المدينة وسط أتباعه من المهاجرين والأنصار ، وفي أطار مجتمع جديد ليست فيه سلطة سياسية أخرى حتى يقول قائل ان مهمته كانت تقتصر على الدعوة وتبليغ الرسالة وأنه ترك المجتمع السياسي القائم يسير في طريقه ويأخذ مداه تحت لواء سلطة سياسية منفصلة عنه وعن أتباعه . . ولقد كان النبي ﷺ فعلا رئيسا لهذا المجتمع وحاكما فيه بأمر

---

(٢) ذهب الى هذا المرحوم الشيخ علي عبد الرازق في كتابه المشهور « الاسلام وأصول الحكم » حيث يقول (ص ١٣٦ من طبعة مكتبة الحياة ـ بيروت) ١٩٦٦ : « ان محمدا (ص) ما كان الا رسولا لدعوة دينية خالصة للدين لا تشوبها نزعة ملك ، ولا دعوة لدولة . . وأنه (ص) لم يقم بتأسيس مملكة . . وما كان ملكا ولا مؤسس دولة » والى هذا أيضا ذهب الاستاذ محمد خلف الله في بحثه بمجلة العربي . .

(٣) ارجع اليها في السيرة النبوية لابن هشام ، وكتاب الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام ، بمجموعة الوثائق السياسية في عهد النبي (ص) للدكتور محمد حيدان ص ٣٩ ، وانظر تحليلا جيدا لها في مؤلف الدكتور محمد سليم العوا : النظام السياسي للدولة الاسلامية ص ٤٧ ـ ٥٨ .

(٤) الدكتور محمد ضياء الدين الريس ، النظريات السياسية الاسلامية .

الله وهو ما نص عليه العهد المدون الذي اشرنا اليه في موضعين منه أولهما : « وأنكم مهما اختلفتم في شيء فان مرده الى الله والى محمد » . والآخر : « وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فان مرده الى الله والى محمد رسول الله ﷺ . . » . . ولقد مارس النبي ﷺ هذه الرئاسة واتبع في ممارستها مبادىء واساليب لا يخلو الحال فيها من أمرين لا ثالث لهما : ان نقول ان هذه المبادىء وتلك الاساليب شرع من شرع الله الموحى به وجزء من نظام الاسلام في السياسة والحكم ، أو نقول انها اجتهاد من اجتهاد الرسول ﷺ في سياسة الناس وتدبير الحكم وأنها جزء من هديه وسابقة من سوابق هدايته يتأسى بها المسلمون بعد ذلك جيلا بعد جيل . . أما الفرض الثالث وهو أن نسقط هذه الحقيقة التاريخية من حسابنا وأن نتحدث عن مهمة النبي ﷺ كما لو كانت قد تمت في فراغ فلا نظنه منهجا علميا سائغ القبول ، اذ ليس من منهج العلم الانسلاخ من حساب الواقع ورؤية التاريخ . .

استدلال فى غير موضع

ويبقى بعد ذلك أن الاستدلال في هذا المقام بمثل قوله تعالى : « وما محمد الا رسول » استدلال في غير موضعه ، واستخلاص يجاوز حدود المقدمات . . اذ المقصود من هذه الآية وأمثالها توكيد نبوة محمد ﷺ واثباتها . . وليس المقصود ـ أبدا ـ نفي ما عداها من صفاته . . تشهد لهذا بقية الآية حيث تقول : « قد خلت من قبله الرسل » . . وأما نفي صفة « الملك » عنه ﷺ في مثل قوله لعمر رضي الله عنه : « مه ياعمر أتظنها كسروية . . انها نبوة لا ملك » فلا يعدوان يكون اشارة الى ما يقتضيه مقام النبوة والتبليغ من تحمل المشاق والتجرد للدعوة ونبذ الترف الذي يصاحب « الملك » . . خصوصا وقد كان « الملك » مقترنا في الذاكرة العربية بالترف المضل . . والظلم المذل . . على النحو الذي تصفه الآية الكريمة من سورة النمل على لسان ملكة سبأ : « ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة . . » .

ويلحق بهذا الخطأ في الاستدلال خطأ آخر يتمثل في محاولة التمييز المطلق بين رئاسة النبي ﷺ للمؤمنين ورئاسة من بعده . . ذلك أن النبي ﷺ كان ـ بشهادة القرآن ـ بشرا رسولا . . واذا كانت طاعته في أمور الدين واجبة بالشرع ، وثابتة بالنص باعتبارها طاعة لله سبحانه ، ونزولا على أمره الثابت بالوحي . . فان الدخول تحت رئاسته السياسية التنظيمية قد احتاج ـ الى بيعة وعقد . . على ما رأينا في بيعة العقبة قبل الهجرة ، وكالعهد الذي عقده مع المهاجرين والأنصار ويهود المدينة بعد الهجرة . .

ولهذا أيضا أوجب الله الشورى على نبيه ﷺ بقوله : « وشاورهم في الأمر » وهو الذي يوحي اليه ويتلقى الحكمة عن ربه . . بل ان هذا الوجوب ليتخذ في الاسلام دلالة خاصة حين نذكر ما ينبهنا إليه الفخر الرازي في تفسيره من أن هذه الآية انما نزلت في أعقاب خروج النبي ﷺ لملاقاة المشركين في أحد نزولا على رأي أصحابه وخلافا لما كان يميل اليه من البقاء في المدينة ومقاتلتهم فيها . . فكان الحق تعالى يقول له : عليك بالشورى حتى وان ظهر خطأ الرأي الذي أسفرت عنه . . لأن الخطأ مع رأي الجماعة أهون من الصواب العارض مع رأي الفرد .

الحدود بين المقولات

ان المفارقة بين نظام النبي (ص) في الحكم ونظام الخلفاء من بعده تحتاج الى وقفة متأنية تضبط فيها الحدود بين المقولات المختلفة ، وتسمى من خلالها الاشياء بأسمائها وأوصافها

الحقيقية ... ان النبي (ص) كان نبيا يوحى اليه . وكان بشرا يسوس جماعة المسلمين بشريعة هي شريعة الله ، وباجتهاد هو اجتهاده الذي يمتزج فيه هدى النبوة .. بخصائص البشرية .. وهذا الامتزاج لا حيلة لأحد معه وليس الى دفعه من سبيل .. ولهذا احتاج الصحابة في كثير من المواقف الى أن يستوضحوه (ص) كما استفسر منه الحباب بن المنذر يوم بدر قائلا : يا رسول الله أهذا منزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدم عنه أو نتأخر ، أم هو الرأي والحرب المكيدة .. ولكن الذي يعنينا من هذا أنه (ص) كان حاكما ورئيسا للدولة .. كما كان نبيا رسولا .. وأن الحكم بهذا قد صار جزءا من نظام المجتمع الاسلامي لا يتصور أن يسقطه الاسلام من حسابه ، أو أن يترك الناس في شأنه بغير مبادىء هادية تكفل اندماج « السياسة الشرعية » في التصور الاسلامي الشامل للحياة وللانسان .

ما هي الخلافة ؟؟

ولكن هل الخلافة التي تعاقبت حلقاتها منذ عهد الرسول الى سقوط الخلافة العثمانية هي نظام الحكم الاسلامي ؟

ان هذا السؤال بدوره ينقسم الى شقين يحتاجان الى وضوح مطلق في العرض والى ضبط كامل في تلقي المصطلحات ..

الشق الأول .. ما هي الخلافة .. وهل هي نظام اسلامي مخصوص محدد المعالم ، مكتمل التفاصيل ..

والشق الثاني .. هل الحكم الاسلامي « نظام حكم ديني » بالمعنى المتعارف عليه حديثا « للحكومة الدينية » ..

اذا صرفنا النظر مؤقتا عن المعنى اللغوى للخلافة .. فسوف نجد أن الناس استعملوا مصطلح الخلافة قديما وحديثا وفي أذهانهم أخلاط من المعاني والأفكار ..

أ ـ فالخلافة عند البعض هي كل نظام للحكم ، أو كل حكومة تمد سلطانها ليشمل الأمة الاسلامية .. وهي بهذا « تشخيص تشريعي » للأمة الواحدة ، وتعبير سياسي عن رابطة الاسلام التي تتجاوز الحدود الجغرافية والقومية .. وكثير من الذين يتحمسون لنظام الخلافة وينادون باحيائه انما يتحمسون في الحقيقة لهذا المعنى ، وقد لا يعرفون سواه ..

ب ـ وهو عند البعض كل نظام يقيم الشريعة ويدعو للاسلام .. وهذا تعبير سياسي عن التزام « الحكومة » « بالشريعة » .. والمناداة « بالخلافة » في هذا المعنى أقرب الى المناداة بتطبيق الشريعة في المجتمع ، وليست بالضرورة دعوة الى تطبيق نظام مخصوص من أنظمة الحكم السياسي في الجماعة ..

وقد يجتمع هذا المعنى مع سابقه فتغدو الدعوة لاحياء الخلافة ركنا من أركان الدعوة للاسلام يحقق وحدة الأمة كما يحقق دخولها في « حكم الله ومنهجه » .

جـ ـ أما في المنظور التاريخي فالخلافة تعبير يصف سلسلة طويلة من نظم الحكم التي تعاقبت على المسلمين بعد وفاة النبي (ص) ، وحال وحدتهم واجتماع شملهم ، وحال تفرقهم أقطارا وممالك .. وهي في بعض صورها « خلافة » راشدة ، أو صالحة كخلافة الأربعة من أصحاب رسول الله (ص) أبي بكر وعمر وعثمان وعلي .. وفي بعض صورها الأخرى ملك عضوض يقوم على التسلط والقهر ويجترىء على كثير من الحقوق والحريات .. ويمتزج فيه العدل بصور شتى من الجور .. وان اتخذ لنفسه اسم الخلافة ورفع رموزها وطقوسها ..

أمور متداخلة

وفي ضوء ما تقدم يبدو لنا عقم الجدال المستمر هذه الأيام وعلى امتداد عشرات من السنين حول

« الخلافة » . . اذ هو جدال حول أمور عديدة متداخلة . . لا يمكن حسمه الا بعد التمييز بين هذه الأمور وتحديد الموقف من كل منها على حدة . . ومن الأمثلة القريبة على تداخل معاني « الخلافة » المتعددة الجدل الطويل الذي ثار حول الموقف من « الخلافة العثمانية » التي سقطت في مطلع القرن العشرين . .

فالذين دافعوا ويدافعون عن ذلك النظام انما يفعلون ذلك تعلقا بأمور ثلاثة ، بعضها أو جميعها :

أهمها أنها كانت حكما يتوجه بنفوذه وسلطانه الى « الأمة الاسلامية » متجاوزا حدود الأقطار والقوميات(٥) . .

وأنها كانت حكومة تعلن التزامها بالشريعة الاسلامية ، وتطبيق أحكامها على الرعية ما وسعها ذلك التطبيق .

وأنها ـ في النهاية ـ كانت قلعة اعتصام للمسلمين في وجه غزو سياسي وعسكري وفكري أوروبي .

أما الذين سعوا الى ازالتها ، أو لم يروا ـ على الاقل ـ في تلك الازالة بأسا كبيرا فقد كان من بينهم من لا شبهة في انتمائه الاسلامي وحرصه على الهوية الاسلامية للدولة والمجتمع . . وانما دفعهم الى هذا الموقف ـ الذي أساء كثيرون فهمه ـ أن الخلافة العثمانية لم تعد في أخريات أيامها تعبيرا صحيحا عن فلسفة الاسلام في السياسة والحكم . . فقد زايلتها الشورى ، وغاب عنها العدل ، وفارقتها قاعدة مسئولية الراعي أمام الرعية . . كما أنها من الناحيتين الاجتماعية والفكرية قصرت أشد التقصير في الاجتهاد لمصالح الرعية ، وتراخت قبضتها في سباقها مع منافسيها . . فعجزت عن سد الثغور ورعاية المصالح ، وقعدت همتها عن التعليم والأخذ بأسباب العمران والمدنية . . ولم تعد لذلك كله قادرة على رفع راية الاسلام والتحدث باسمه ومواجهة الأخطار العديدة المقبلة على شعوبه . . ولهذا كان موقف أولئك النفر من العلماء والمصلحين المسلمين الذين شاركوا في نقد الخلافة تعبيرا عن موقف اسلامي صادق في مواجهة رمز اسلامي عاجز لا قبل له ولا طاقة بمواجهة تحديات العصر ومزاحمة الحضارات الأخرى . .

لماذا هذا الاصرار

وبعد ذلك كله نعود فنتساءل . ما الذي بقي لنا اليوم من نظام الخلافة ؟

اننا لا نجد في أصول الاسلام ونصوصه واجماع علمائه المجتهدين ما يدعونا اليوم للتمسك بلفظ الخلافة . . اذ العبرة كما يقول علماؤنا انما هي بالمقاصد والمعاني وليست بالألفاظ والمباني . .

وقد كان مصطلح الخلافة عند نشأته على عهد أبي بكر رضى الله عنه مجرد تعبير عن تعاقب أمراء المؤمنين على رئاسة الدولة الاسلامية بعد وفاة النبي (ص) ، ولم يكن أبدا تعبيرا عن نظام سياسي مكتمل المعالم محدد القسمات . . وآية ذلك ـ كما لوحظ بحق ـ ان طريقة اختيار رئيس الدولة ، هي احدى القسمات الرئيسية لكل نظام من أنظمة الحكم ، قد اختلفت ولم تستقر على أسلوب واحد طوال حكم الخلفاء الأربعة ، فضلا عمّن جاء بعدهم من الأئمة والخلفاء . .

ومع ذلك لا نذهب في ترتيب النتائج على هذه المقدمة الصحيحة مذهب القائلين بأن « العقل البشري هو الواضع لنظام الخلافة »(٦) .

---

(٥) هكذا كانت على الأقل قبل أن تنحرف الى تبنى سياسة « التتريك » ، وتتخذ موقفا جائرا تجاه العرب وقومياتهم .

(٦) الدكتور محمد خلف الله أحمد في دراسته المنشورة بمجلة العربي العدد ٣٠٧

والحق أننا لا نجد تفسيرا مقبولا لاصرار كثير من الناس على اتخاذ موقف حدى مطلق في هذه القضية المركبة .. فلماذا يصر كثير من الناس على أن « الخلافة » نظام الهى خالص .. ويصر بعضهم على أنه نظام بشري خالص ..

مبادىء وأركان الاسلام

ان الحقيقة في هذه القضية ، كما نراها ونرى الشواهد الكثيرة الواضحة عليها أن الاسلام قد وضع للحكم مبادىء وأركانا بغيرها لا يكون النظام ـ في حقيقته ـ اسلاميا وان رفع لواء الخلافة .. وتدثر بشعاراتها ومصطلحاتها .. وأن أى نظام للحكم لا يمكن أن يكون اسلاميا الا بمقدار ما يقوم على الشورى ـ ويقيم العدل ، ويحترم حقوق الناس وحرياتهم ، ويقرر مسئولية الحكام ، ويوجه جهده للحكم بشريعة الله .. ولقد آن الأوان لدعاة الاسلام والمنادين بتطبيق أحكامه أن يتنبهوا الى التناقض الصارخ الذي تنطوى عليه أنظمة للحكم أو نظريات وتصورات للخلافة تقيم ركنا واحدا من هذه الأركان وتهدر أركانا أخرى لا تقل في « التصور الاسلامي » شأنا ولا خطرا .. وليت هؤلاء يستشعرون أن غياب « سلطان القانون » على الحكومة ، وتحولها الى حكومة رجال تعلو اراداتهم فوق القانون وفوق ارادة المجموع أمر لا يجتمع في اهاب واحد مع دعاوى « الخلافة » وتطبيق الشريعة والحكم بما أنزل الله ..

نعم .. ان الحرية المطلقة والعدل المطلق والمشاركة الكاملة في الحكم غايات ومثل لا تدرك بحذافيرها ، وانما هى نماذج « تتجه » اليها الجماعات ، ولا تبلغ منها الا نصيبا يزيد وينقص .. ولكن يظل صحيحا مع ذلك أن غياب هذه الامور « محبط » للعمل ، وأنه بقدر هذا الغياب تغيب الصفة الاسلامية عن نظام الحكم .

ونحن لا نستطيع ـ مع ذلك ـ أن نزعم مع القائلين أن نظام الحكم في الاسلام نظام مصدره الاجتهاد .. وأن ما جاء عن اجتهاد يمكن أن يستبدل به غيره .. وأن الفكر السياسي الاسلامي في نظام الحكم هو فكر بشري خالص .

وانما الأمر هنا ـ فيما نرى ـ وسط بين هاتين المقولتين .. ذلك أن الاسلام قد كتب على « المسلمين » الشورى والعدل ومسئولية الحكام ، مبادىء ثابتة لا تسقط بإسقاط المجتهدين .. وترك لهؤلاء المجتهدين أن يضعوا « القوالب والصيغ » التي تستطيع من خلالها تلك المبادىء أن تؤتى أكلها في اطار الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي يخضع المسلمون لتأثيرها كما تخضع سائر الأمم .. وهذا المسلك من الشارع ـ سبحانه ـ آية علم ، ودليل حكمة ، وباب رحمة ، وبه وحده يتحقق لنظام الحكم الاسلامي ما يراد له أن يحققه من تثبيت قيم صالحة في علاقة الراعي بالرعية ، وعلاقة الناس بعضهم ببعض ، ومن فتح الأبواب أمام الاجتهاد البشري بحثا عن « الحد الأقصى الممكن » من المصالح المتحددة في ظل ظروف وملابسات ـ هى الاخرى متغيرة ومتجددة .

ليتنا نتنبه الى هذه الحقائق الكبرى في منهج الاسلام التشريعي وليتنا نفرغ من الجدل الطويل حول قضية الاسلام والدولة .. لنتوجه بالعمل والعلم ، الى بناء الدولة ، بدلا من الحديث الطويل عنها .

تلك هى القضية الأولى ، قضية وجود « نظام حكم اسلامي » أو عدم وجوده .

وتبقى قضية أخرى لا تقل عنها أهمية ، هى قضية طبيعة ذلك النظام من حيث « أساس شرعية السلطة » السياسية في ظله ، وما اذا كانت الحكومة الاسلامية « حكومة دينية » بالمعنى الشائع لهذا المصطلح وهى قضية نرجو أن نفرد لها دراسة مستقلة ان شاء الله . □□

الأخطار الناشئة عن توظيف الأموال العربية في البنوك الأجنبية

بقلم : الدكتور محمد طعمة

□ « تميزت حقبة السبعينيات بتعاظم إيرادات عديد من الدول العربية ، ورغم الثراء الذي تحقق فلم يواكب ذلك برامج تنمية لتوظيف هذه العائدات . . واتجهت النقود العربية للتوظيف في أوعية البنوك الأجنبية » . .

تخضع الدول العربية الى نوعين من الأنظمة النقدية : الأول نظام حر يسمح بتحويل عملاتها الوطنية إلى العملات الأجنبية وبالعكس . والثاني نظام مقيّد يضع شروطا وقيودا لهذا التحويل وفق سياسة نقدية محدودة . وفي كلا النوعين يسعى قسم من الهيئات والأفراد الى توظيف أموالهم في العملات الأجنبية ، لأسباب عديدة يمكن ايراد أهمها بما يلي : -

أ) عدم قدرتهم على ايجاد مشاريع منتجة يمكن أن تدر عليهم أرباحا تعادل - في نظرهم - مقدار الجهد والخطر اللذين تشتمل عليهما تلك المشاريع .

ب) ارتفاع معدلات الفائدة مقارنة بمعدلات فوائد عملاتهم الوطنية .

ج) سهولة الحصول على دخل ثابت ، دون بذل أي جهد يذكر .

د) تمويل تجاراتهم الخارجية ، وسد نفقاتهم في أسفارهم الخارجية .

هـ) قابلية العملات الأجنبية القوية إلى التحويل بين بعضها البعض وبين العملات الأخرى بكل سهولة ويسر .

و) تكوين احتياطي نقدي لمواجهة بعض الأخطار التي يمكن أن تنشأ عن بعض الاضطرابات في المنطقة .

ز) الاطمئنان النفسي الناشيء عن الشعور بتوظيف الأموال في بلدان مستقرة سياسيا .

توظيف الأموال العربية

خلال السنوات العشرين الماضية خُلقت سوق جديدة ، لم تكن موجودة قبلا ، لاستثمار الأموال المهاجرة ، دعيت بالسوق الأوروبية

وتتعامل هذه السوق EUROMARKET بشكل رئيسي - بما يدعى بالدولار الأوروبي EURODOLLAR الذي هو عبارة عن الدولار الأمريكي المودع لدى مصارف خارج الولايات المتحدة . ومع مرّ السنين تعاظم حجم هذا النوع من الدولارات ، بحيث فاقت مبالغه ألفاً وخمسمائة مليار دولار أوروبي .

فالأفراد والمؤسسات والشركات والحكومات من شتى أنحاء العالم الراغبة باستثمار أموالها المدخرة يقتنون الدولارات الأميركية ليودعوها في مصارف خارج الولايات المتحدة . وهذه تقوم بدورها ، بإقراضها إلى المؤسسات والشركات والحكومات في شتى أنحاء العالم الراغبة بالاقتراض ، بغية تمويل مشاريعها المختلفة .

الأخطار المحتملة

أولا : معدلات الفوائد وهمية وليست حقيقية :

يتراءى لكثير من الأفراد الذين يوظفون أموالهم في العملات الأجنبية (إيداع لدى المصارف الأجنبية ، اقتناء سندات بعملات أجنبية ، . . الخ) أن أسعار الفائدة التي يتقاضونها هي أعلى من معدلات الفوائد التي يجنونها من مصارفهم الوطنية لقاء إيداع أموالهم لديها . ولذا فانهم يفضلون التوظيف الخارجي في العملات الأجنبية .

إلا أن ما يجدر ملاحظته هنا في هذا الشأن أن ما يحصلون عليه من دخل لقاء هذه التوظيفات ليس الا دخلا وهمياً وليس دخلاً حقيقياً . إن من المعلوم لدى الجميع الآن أن الدول الأوروبية الغربية والولايات المتحدة التي يسعى الأفراد والحكومات العربية لتوظيف فوائضهم النقدية في عملاتها تعاني حالة من التضخم النقدي تشتد نسبته أو تخف تبعا للأوضاع الاقتصادية في كل منها . ففي الولايات المتحدة وفرنسا وايطاليا وانجلترا تجاوزت نسبة التضخم في بعض الحالات سنويا ١٥٪ (تجاوزت ١٣,٥٪ في الولايات المتحدة في عام ١٩٨٠) . هذا ولما كان قياس نسبة التضخم تقاس عادة بنسبة ارتفاع مستوى الأسعار (أسعار المواد الأستهلاكية ، على الأغلب) فإن هذا يعني أن القوة الشرائية للعملة المصابة بالتضخم تنخفض قوتها الشرائية داخل بلدها للسلع والخدمات بنفس نسبة التضخم . أي أن الدولار الأمريكي الذي أصابه تضخم في سنة ما بنسبة ١٠٪ مثلا ، فانه لا يقوى

على شراء سلع وخدمات داخل الولايات المتحدة الا بما يعادل ٩٠٪ من قيمته التي كان يشتري بها تلك السلع والخدمات في السنة السابقة .

لهذا يجب علينا التفريق بين معدل الفائدة الأسمي (١٣٪) ومعدل الفائدة الحقيقي (٣٪) . إن ظاهرة التضخم التي اعترت دول العالم خلال السنين الأخيرة وما زالت هي التي دفعت بأسعار الفائدة إلى معدلات عالية جدا ، على عكس ما قد يظن البعض ان هذا الارتفاع مرده الى الطلب المتزايد على تلك العملات من قبل البلدان المقترضة الحديثة في نموها الاقتصادي ، كبلدان أمريكا اللاتينية وآسيا وأفريقيا وبعض الدول الأوروبية الشرقية .

لقد كانت معدلات الفائدة في معظم دول العالم - قبل استفحال ظاهرة التضخم هذه - تتراوح بين ٣٪ و٥٪ للآجال القصيرة من الودائع . وقد كانت المصارف المركزية تستعمل تخفيض أو رفع معدلات إعادة حسمها وقروضها للمصارف التجارية ، كسلاح لتشجيع النشاط الاقتصادي أو الحد منه .

أما في الوقت الحاضر فقد أصبح تحديد معدل الفائدة في الأسواق النقدية منوطاً بعاملين اثنين : الأول : معدل التضخم ، والثاني : معدل الفائدة الذي كان معمولا به قبل استفحال ظاهرة التضخم ، ونسبة هذا الأخير الآن هي ما بين ٣٪ و٤٪ فقط - فاذا كان معدل التضخم في بلد ما ٧٪ فان معدل الفائدة المعمول به بين المصارف سيكون بين ١٠٪ و١١٪ . ولا يمكن أن يتعداه بأي حال من الأحوال . وهذا ما يفسر لنا تباين معدلات الفائدة في أسواق النقد الأوروبية نظرا لاختلاف نسبة التضخم في كل منها . وفيما يلي معدلات الفائدة لمدة سنة في ١٤/ شباط / ١٩٨٤م في كل من الدول التالية : (سويسرا ٤٪ ، المانيا الغربية ٦ $\frac{3}{16}$٪ ، انجلترا ٩ $\frac{13}{16}$٪ ، الولايات المتحدة ١٠ $\frac{7}{16}$٪ ، فرنسا ١٥ $\frac{1}{4}$٪) .

ثانيا : تقلبات أسعار صرف العملات الأجنبية تجاه العملات العربية :

يلعب سعر صرف عملة ما بالنسبة للعملات الأخرى دورا كبيرا في التجارة الخارجية للبلد . وتسعى الدول في الوقت الحاضر لجعل أسعار صرف عملتها مع العملات الأخرى مستقرة نوعا ما ، حتى لا تتأثر أسعار وارداتها وصادراتها تأثرا ملحوظا يمكن أن يؤثر على نشاطها الانتاجي .

وبغية في الوصول الى هذا الهدف ، فقد اتفقت بعض الدول الأوروبية على إنشاء نظام يحد من التقلبات الكبيرة في أسعار الصرف ليحصرها في حدود معقولة لا تضر باقتصاديات كل منها .

الا أن مثل هذا النظام غير موجود بين دول العالم العربي من جهة ، وبين الدول الصناعية التي يوظف الأفراد والمؤسسات والحكومات مدخراتهم النقدية في عملاتها . فالدولار مثلا - وهو العملة الرئيسية الموظف فيها ٨٠٪ الى ٩٠٪ من الفوائض النقدية العربية خاضع لتقلبات واسعة في سعر صرفه سواء بينه وبين عملات الدول الصناعية الأوروبية او بين عملات الدول العربية أو غيرها . وهذا عائد إلى السياسة النقدية والاقتصادية التي تنتجها الولايات المتحدة تحقيقا لمصالحها الخاصة .

فمثلا كان الدولار في عهد إدارة « كارتر » ضعيفا للغاية ، حتى انه وصل سعره بالنسبة للمارك الألماني إلى (١,٧) ماركا . أما في عهد « ريغان » الحالي فقد أصبح الدولار قويا للغاية ، اذ أصبح سعره بالنسبة لأقوى عملة أوروبية وهي المارك (٢,٧٥) ماركا ، أي بارتفاع مقداره ٦٢٪ عما كان عليه سعره في أواخر عهد كارتر . لهذا يطلق الاقتصاديون على وضع الدولار في الوقت الحاضر بأنه « مقوَّم » بأكثر من قيمته الحقيقية ، وأنه في عهد « كارتر »

كان مقوما بأقل من قيمته الحقيقية .

ما يعنينا هنا في هذا المجال ، بالنسبة لنا ، هو أن العملات الأجنبية للدول الصناعية ، وفي طليعتها الدولار الأميركي يمكن أن تخفض أسعار صرفها أو ترفعها بالنسبة للعملات الأخرى وفقا لمصالحها الخاصة . فاذا أقدم الأفراد والحكومات العربية على توظيف أموالهم في مثل هذه العملات ـ وكانت وقتها مقومة بأكثر من قيمتها الحقيقية فان أي هبوط في أسعار صرفها من شأنه أن يلحق اضرارا كبيرة لهؤلاء المستثمرين . إن الذين وظفوا أموالهم في الدولار الأميركي في مطلع عهد كارتر ، عندما كان سعر المصرف آنذاك ممثلا للقيمة الحقيقية لهذه العملة ، تعرضوا لخسائر كبيرة جدا في نهاية عهده ، عندما هبطت أسعار صرف الدولار الى أدنى حد بالنسبة لجميع العملات الأخرى ، وذلك عندما قرروا تحويل تلك الدولارات الى عملاتهم الوطنية ، مع الملاحظة أن الفوائد التي جنوها لم تكد تعادل ـ في بعض الحالات ـ الخسائر التي لحقت بهم من جراء هبوط سعر صرف الدولار .

إن معظم الاقتصاديين الأميركيين والأوروبيين في العالم يعتقدون جازمين أن سعر الصرف للدولار الأميركي في الوقت الحاضر مقوما فوق قيمته الحقيقية بـ ٢٠٪ نتيجة للسياسة التي تتبعها الولايات المتحدة الآن،والتي تتركز في تمويل العجز الهائل في ميزانيتها العامة ، البالغة (١٨٠) مليار دولار عن طريق رفع سعر الفائدة على الدولار الى مستوى ملحوظ ، هذا اذا قيس بنسبة التضخم المتدنية في الوقت الحاضر ، الأمر الذي حمل قسما كبيرا من المدخرين في العالم العربي وغيره الى توظيف أموالهم في هذا النوع من الدولار .

إلا أنه لا يخفي أن مثل هذه السياسة المتسمة برفع اسعار الفائدة الى هذا المستوى من شأنه ـ على المدى المنظور ـ أن يلحق أضراراً جسيمة بالاقتصاد الأميركي (ارتفاع في حجم الواردات ، وانخفاض في حجم الصادرات ، وازدياد في حجم البطالة . . الخ) الأمر الذي سوف يؤدي الى إعادة النظر في هذه السياسة بغية تخفيض عجز الميزانية ، والحد من النفقات العسكرية ، وتخفيض سعر الفائدة . . . . . تلك الأمور التي من شأنها أن يتراجع سعر صرف الدولار الى قيمته الحقيقية بالنسبة للعملات الاجنبية الأخرى ، ذلك الهبوط المقدر له نسبة ٢٠٪ من قيمته الحالية .

إن مثل هذا الهبوط قد يبتلع على الأقل فوائد سنتين من الأموال الموظفة سابقا ، هذا اذا عاد الى قيمته الحقيقية . أما اذا استمر في الهبوط لظروف اقتصادية خاصة بالولايات المتحدة ـ كما حدث في عهد كارتر ـ فان الانخفاض قد يبتلع قسما من أصل المدخرات ذاتها .

ثالثا : عجز الدول والمؤسسات المقترضة للأموال عن الوفاء :

الى جانب احتمال حدوث الخطرين السابقين ، هناك خطر آخر ماثل للأذهان الآن . ويتمثل في الصعوبات المالية التي تعانيها الدول الآخذة بالنمو ، والتي كانت قد اقترضت أموالا ضخمة من المصارف العالمية المودع لديها الفوائض النقدية وودائع المدخرين.إذ كما هو معلوم ، أقدمت دول كثيرة في أمريكا اللاتينية وأفريقيا وآسيا وأوروبا الشرقية على الاستدانة من المصارف العالمية أموالا كبيرة بغية استخدامها في مشاريعها التنموية أو سد العجز في موازين مدفوعاتها نتيجة للكساد الاقتصادي أو ارتفاع اسعار البترول خلال السنين الأخيرة . وقد تصادف هذا الاقتراض مع حدوث تضخم كبير في الدول التي اقرضت مصارفها هذه الأموال ، الأمر الذي جعل معدلات الفائدة عالية جدا ، بحيث تجاوزت في بعض الاحيان ٢٠٪ سنويا ، كما حدث في عام ١٩٨٠ و١٩٨١ ، علما أن هذه الديون بلغت في عام ١٩٨٢ فقط (١٢٠) مليار

دولار امريكي .

إلا أن الركود الاقتصادي الكبير الذي يغشى العالم الصناعي منذ عدة سنوات قد أثّر بشكل ملحوظ على النشاط الاقتصادي للدول المتطورة النمو ، التي تأثرت صادراتها بالدول الصناعية تأثرا ملحوظا سواء من حيث الحجم او من حيث الأسعار ، الأمر الذي اوقعها في ازمات مالية صعبة ، نتج عنها عجز بعضها عن تسديد اقساط قروضها مع فوائدها المرتفعة الى المصارف المقرضة . ونحن نسمع من آن لآخر كيف ان الدول المقترضة الكبيرة كالمكسيك والبرازيل والأرجنتين ونيجيريا وبولونيا وغيرها ، تخطر الجهات المقرضة بأن تعيد جدولة أقساط ديونها تحت طائلة التوقف عن الدفع في حال عدم القبول ، كما حدث مثلا عام ١٩٨٢ ، عندما اعلنت المكسيك عجزها عن تسديد الأقساط المترتبة عليها للمصارف . اذ بادر (١١٥) مصرفا كبيرا بالاجتماع فورا لوضع خطة لتأجيل هذه الديون ، تجنبا من وقوع كارثة عالمية تصيب النظام المصرفي والمدخرين ، وذلك لأن ديون هذه الدولة وحدها كانت في حدود (٨٠) مليار دولار امريكي . وفي جميع الحالات يتوصل المقرضون والمقترضون الى حل للتأجيل خوفا من الكارثة الكبرى .

ان الشعور بمثل الاخطار التي ألمحنا اليها سابقا هو الذي حمل بعضا من كبار المستثمرين الى التحول الى استثمار اموالهم في مشاريع صناعية او تجارية أو عقارية في الدول الصناعية . اذ بهذه الانواع من الاستثمارات يتخلصون قبل كل شيء - من عامل التضخم الذي يعتري العملات في عصرنا الحاضر ، وبالتالي فان أي تضخم في العملة يصاحبه ارتفاع في اسعار هذه الاستثمارات ، وتبقى ارباحهم منها ارباحا حقيقية وليست دخولا وهمية .

الا ان مثل هذا التحول لا يشمل الا قسما من المستثمرين . اما الباقي فانهم يتوزعون بين مستثمرين كبار لا يرغبون في الدخول بمثل هذه المجازفات من الاستثمار ، وبين مدخرين وسط وصغار يدفعون باموالهم خارج بلادهم لاسباب شتى تختلف من بلد لآخر ، وعلى اكتفاف هاتين الفئتين سوف يقع العبء الاكبر من المخاطر المستقبلة .

رابعا : خطر خاص بالبلاد ذات الأنظمة النقدية المقيّدة :

هناك خطر رابع يصيب بشكل أساسي المستثمرين من الأفراد والهيئات الذين يقيمون في بلد عربي خاضع لنظام نقدي مقيد (غير حر) . اذ في مثل هذا النظام لا يخضع سعر الصرف لعملته تجاه العملات الأخرى للعوامل الاقتصادية الصرفة ، كما هو الحال في الأنظمة النقدية الحرة . ففي هذه الأخيرة عندما يحدث تضخم نقدي ممثلا بارتفاع في أسعار البضائع فان هذا الارتفاع ينعكس بالضرورة على سعر الصرف للعملة عن طريق انخفاض قيمتها ، وبالتالي انخفاض سعر صرفها ، في حين تعمل السلطات النقدية في الأنظمة المقيّدة الى شل انعكاس الاثر التضخمي على سعر الصرف عن طريق اتخاذ اجراءات متعددة ، خاصة بسياسة الاستيراد والسياحة والصرف .. الخ . لهذا فقد يحدث - خلال فترة محدودة من السنين - ان ترتفع الأسعار الداخلية للسلع والعقارات الى عشرة أضعاف ، ويبقى سعر العملة الخارجية - سعر الصرف - لا يتعدى زيادته على الضعفين مثلا .

في مثل هذه الأحوال ، عندما يرغب المستثمر في العملات الخارجية في إعادة أمواله ، بتحويلها الى عملته الوطنية ، لاستثمارها في داخل بلده ، لا يجد بين يديه سوى اموال بالعملة المحلية لا تقوى قوتها الشرائية على اقتناء سلع أو عقارات لا يتجاوز مقدارها ٪١٠ ما كان بمقدوره اقتناؤه قبل مغادرة امواله الوطن .

التجربة الموسيقية بين الحضارات

بقلم : الدكتور فؤاد زكريا

☐ فى استطاعتنا أن نعرف الكثير عن حضارة شعب من الشعوب ، اذا تأملنا طريقة ممارسته للفنون . بل ان هذه الممارسات الفنية تعد ـ فى نظر الكثيرين ـ أقوى تعبير عن الجوهر الحقيقى للشعوب .

الفن نشاط تلقائى حر . وعندما يترك الانسان حرا فى ممارسة نشاط ما ، فانه يعبر فى هذا النشاط عن أعمق سماته الباطنة . أما أنواع النشاط الأخرى ، كالعمل مثلا ، فلا تتسم بنفس القدر من الحرية : اذ أن هناك ضرورات كثيرة تفرض على الانسان طريقة ممارسته لعمله ، كضرورات المعيشة اليومية ، ومدى قدرة البيئة والموارد الطبيعية على تلبية احتياجاته ، ونوع العلاقات الاجتماعية التى يمارس الانسان عمله فى ظلها ، وغير ذلك من العوامل التى تجعل العمل نشاطا لا يتسم بالحرية التامة ، ومن ثم فانه لا يعبر تعبيرا كاملا عن الجوهر الكامن للانسان . واذن ، ففى ميدان الفن وحده يترك الانسان حرا ، لكى يعبر عما فى أعماقه ، ومن خلال تحليلنا للممارسات الفنية السائدة فى الحضارات المختلفة ، نستطيع أن نصل الى الجوهر المميز لهذه الحضارات .

وفى هذا المقال سينصب البحث على فن الموسيقا . ذلك لأن هذا الفن يمثل الخصائص التى كنت أشير اليها بوضوح كامل . فهو فى أساسه فن باطن تسرى أنغامه فى الزمان ، على حين أن الفنون التصويرية تتعلق بما تدركه العين فى المكان . وكما قال الفلاسفة فان الزمان هو اطار الحس الداخلى ، على حين أن المكان اطار أو قالب للحس الخارجى ، ولذلك كانت الموسيقا هى الأقدر على التعبير عن الجوهر الباطن للانسان .

سمات التجربة الموسيقية

بعد هذه المقدمة ، التى قد يراها القارىء فلسفية أكثر مما ينبغى ، أود أن أعرض لبعض سمات التجربة الموسيقية فى حضارات مختلفة ، لكى نصل منها الى بعض العناصر التى تكشف عن جوهر هذه الحضارات .

ففى الحضارة الغربية كان التيار الرئيسى للموسيقا هو ما نطلق عليه اسم « الموسيقا الكلاسيكية » . وصحيح أن هناك أنواعا أخرى من الموسيقا كانت تنمو الى جانبه ، كالموسيقا الشعبية ، والموسيقا الراقصة ، التى ازدادت أهميتها وازدادت الفوارق بينها وبين الموسيقا الكلاسيكية وضوحا منذ أوائل القرن العشرين - غير أن الموسيقا الكلاسيكية هى الانجاز الأكبر فى هذا الميدان للحضارة الغربية ، والى هذه الحضارة يرجع الفضل فى ابداع هذا النوع الراقى من الموسيقا ووضع الأسس الدقيقة التى يتم بها أداؤه ، وان كان اشعاع الموسيقا الكلاسيكية قد امتد فيما بعد الى بقاع أخرى فى العالم .

ولعل أهم السمات التى تميزت بها نشأة الموسيقا الكلاسيكية ، منذ أواخر العصور الوسطى الأوروبية ، أنها ارتبطت منذ البداية بالشعائر الدينية . فالموسيقا كانت جزءا لا يتجزأ من طقوس الكنيسة ، وفى جو القداسة هذا تطورت ، منذ البدايات البسيطة للترتيل الدينى فى « الانشودة الجريجورية » ، حتى موسيقا « القداس » الفخمة عند كبار المؤلفين الموسيقيين فى القرون الثلاثة الأخيرة . وبطبيعة الحال فان التطورات المعقدة التى مرت بها هذه الموسيقا - على مدى هذه القرون الثلاثة - نقلت هذا الفن الى مرحلة تتجاوز أصوله الأولى بكثير ، بحيث أصبحت له اتجاهات شديدة التنوع والخصب ، وأخذ ينفصل شيئا فشيئا عن تلك الأصول الدينية ، حتى لم تعد لهذه الأصول - فى الوقت الراهن - الا أصداء خافتة . ومع ذلك فان نشأة الموسيقا الجادة ، فى ظل القداسة الدينية ، أضفت عليها طابعا خاصا ، تستطيع أن تلمسه بوضوح ، اذا حضرت حفلا موسيقيا (كونسيرت) فى احدى القاعات الكبرى المخصصة لهذا الفن فى دولة أوروبية :

فالقاعة نفسها أشبه بمكان العبادة ، والجمهور يراعى آدابا صارمة فى سلوكه وحديثه حتى قبل أن يبدأ العزف . وحين يبدأ الأداء يخيم الصمت على الجميع ، فلا همس ولا حركة ولا مظهر للحياة الا لدى القائمين بالأداء أنفسهم ، أما قائد الفرقة الموسيقية (الأوركسترا) فهو صاحب الكلمة والمسيطر على الحضور ، من عازفين ومستمعين . وهكذا يشيع جو من الرهبة والخشوع والتبجيل لا نظير له الا فى دور العبادة .

تحديات الموسيقا العربية

وعلى العكس من ذلك فان الجو الذى ارتبط بالموسيقا ، فى الحضارة العربية ، كان أبعد ما يكون عن القداسة ، ولم يكن له شأن بالدين ، بل انه كان ، على العكس من ذلك ، تحديا - بدرجات متفاوتة - لتعاليم الدين . فمجالس الطرب والانس فى قصور الخلفاء وبيوت الأغنياء كانت هى البيئة التى ازدهر فيها فن الموسيقا العربية . وأشهر القائمين بالأداء (أعنى المغنين والعازفين) كانوا من الجوارى أو القيان . وكان من المألوف - ولا يزال - أن يرتبط الأداء الموسيقى بالرقص ، وتكون مهمته تقديم خلفية ايقاعية للراقصة التى تمارس فنا حسيا خالصا - اذا جاز اطلاق اسم الفن على حركات الاستثارة التى تؤديها . وعلى حين أن الموسيقا كانت فى الغرب تهىء الروح للعبادة ، فانها فى حضارتنا كانت فى كثير من الأحيان تهىء

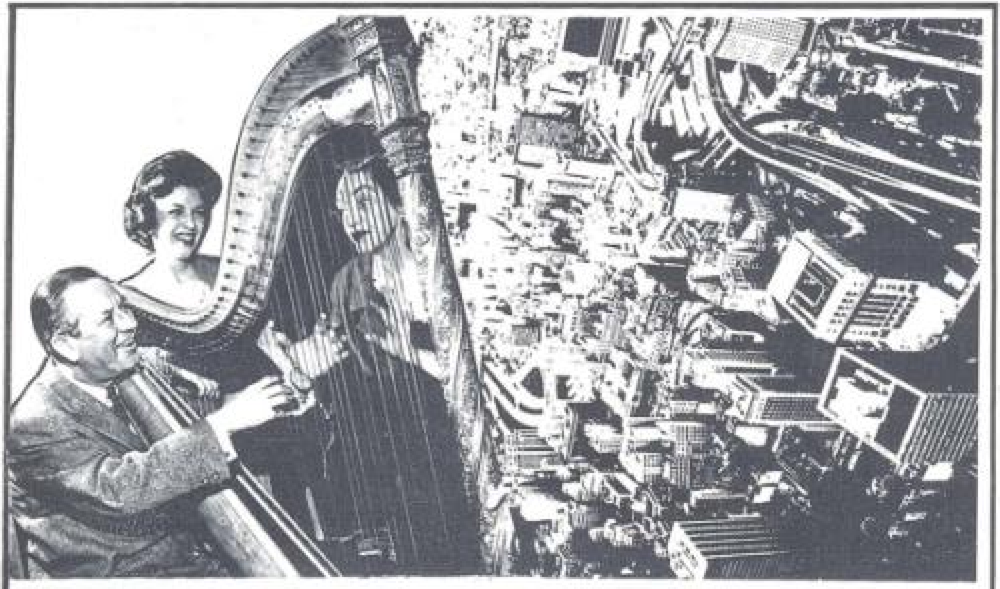

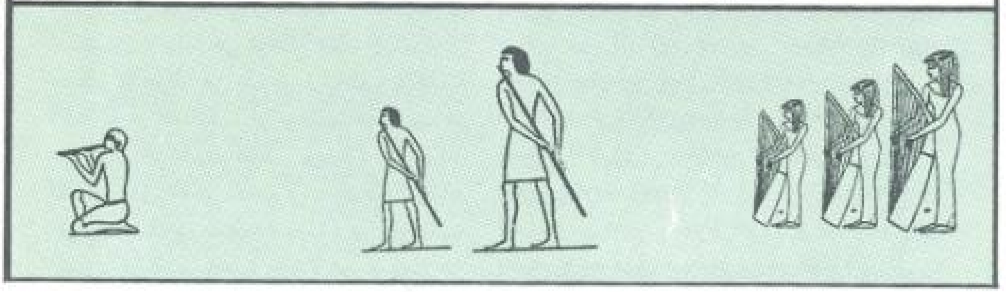

الاحاسيس والجسد ذاته للاثارة الحسية . وفى هذا الصدد تلعب دقات الطبول ، المصحوبة برقص مثير ، فى حفلات الزفاف ، دورا ليس من الصعب فهم دلالته .

ان التعميم فى هذه المسائل أمر محفوف بالمخاطر : اذ أن دور الموسيقا الراقصة الصاخبة فى الحضارة الغربية المعاصرة هو بدوره بعيد كل البعد عن القداسة الدينية ، وارتباطاته بالاثارة الحسية واضحة كل الوضوح ، ومن جهة أخرى فان بعض مظاهر التلحين النغمى فى حضارتنا ، كالأذان وترتيل القرآن ، كانت ذات صبغة دينية مباشرة . وفضلا عن ذلك فقد تغلغل الفن النغمى فى وجداننا الشعبي من خلال أغانى المهن والحرف ـ كغناء البحارة والزراع والبنائين ، الخ . . هذه كلها أمثلة لا يمكن تجاهلها ، وهى تخرج عن اطار ذلك التعميم الذى قدمناه من قبل . ومع ذلك ففى استطاعة المرء أن يقول ـ مطمئنا ـ أن هذا التعميم ينطبق على التيار الرئيسى للموسيقا فى كلتا الحضارتين ، مع الاعتراف بوجود كثير من الحالات المخالفة له خارج هذا التيار الرئيسى . فالتطور الأساسى للموسيقا الغربية الكلاسيكية كان فى أصوله الأولى مرتبطا بالقداسة الدينية ، والتطور الأساسى للموسيقا فى الحضارة العربية كان مرتبطا بلحظات المتعة الحسية الدنيوية .

التجربة فى عالمنا العربي

فاذا صح هذا الحكم ، فى حدوده العامة هذه ، كان فى استطاعتنا أن نفسر من خلاله

عددا من الظواهر الهامة التى تتميز بها التجربة الموسيقية فى مجتمعاتنا العربية .

فالتجربة الموسيقية فى عالمنا العربي تكاد تقتصر على الغناء ، حتى أن كلمة الموسيقا ، عندما ترد على الأذهان ، لا تعنى لدى معظم الناس الا فن الغناء ، والكلام عن أوضاع الموسيقا العربية ، فى الصحف والمجلات والكتب أحيانا ، يتحول تلقائيا الى مناقشة لأوضاع الأغنية العربية . وهكذا فان الموسيقا الخالصة تكاد تكون فنا غير معترف به فى بلادنا . صحيح أننا قد نجد موسيقا مصاحبة للرقص ، وغير مقترنة بالغناء ، ولكن هذه بدورها ليست موسيقا خالصة . وهكذا فان الموسيقا عندنا عاجزة عن أن تقف وحدها ، بوصفها فنا مستقلا قادرا على أن ينقل رسالته الخاصة الى المستمعين ، وانما هى توصل هذه الرسالة فى معظم الأحوال عن طريق ارتباطها بالكلمة الشعرية أو الغنائية ، أو بوصفها عاملا يساعد على ابراز حركات راقصة . وبعبارة أخرى فان الافتقار الى العمق التعبيرى ، نتيجة لارتباط الموسيقا بغايات سطحية بعيدة عن روحانية الفن ، هو الذى جعلها عاجزة عن أن تعبر عن نفسها بدون الاستعانة بوسائط أخرى ، كالكلمات والرقص .

ولا شك ان الأصل الدنيوى للموسيقا ، فى مجتمعاتنا ، هو الذى يفسر ظاهرة أخرى نتقبلها نحن بصورة طبيعية لأننا اعتدناها ، على حين أن أبناء الشعوب الاخرى ينظرون اليها بدهشة بالغة ، وأعنى بها المشاركة الزائدة بين الجمهور وبين الفنان فى حفلات الغناء . ففى خلال هذه الحفلات لا يكف الجمهور عن ابداء رأيه - على شكل استحسان - بأعلى صوت ، وبمختلف الكلمات والصيحات ، ويشعر المغنى نفسه بسعادة بالغة كلما استمع الى صيحات الطرب تدوى بأعلى صوت ، وتستخدم فيها شتى أنواع الألفاظ والهتافات ، بين كل مقطع ومقطع من أغنيته ، ويشارك بالتصفيق مع الأداء اذا كان الايقاع فيه واضحا ومثيرا ، حتى يتحول الحفل الى نوع من الأداء المشترك بين الفنان والجمهور ، ويزول الحد الفاصل بينهما . هذه المظاهر ، كما قلت ، مألوفة لدينا ، ولكنها غريبة كل الغرابة عند غيرنا من الشعوب ، التى يضطر فيها المستمع الى أن يحبس رغبته فى السعال ، حتى تسكت الموسيقا من فرط احترامه لها .

العمق الموسيقي

وبطبيعة الحال فان جزءا من تفسير هذه الظاهرة يكمن فى درجة العمق التى يتسم بها الفن الموسيقى فى كلتا الحالتين : فحين يكون هذا عميقا ، متعدد الأبعاد ، مركب العناصر ، يحتاج المستمع الى أن يحشد كل ما يملك من طاقة، ويركز أكبر قدر من انتباهه ، حتى يستطيع استيعاب العمل الفنى بمختلف جوانبه . أما حين يكون الفن مسطحا ، أحادى البعد ، يسوده التكرار ، ويكشف عن كل ما يريده التعبير عنه منذ اللحظة الأولى ، فعندئذ يستطيع المستمع أن يتابعه بسهولة حتى وهو يتحدث أو يصيح أو يغرق فى ضجيج . ومع ذلك فان مثل هذه المشاركة الجماعية ، بين الجمهور والفنان ، لا تفسَّر تفسيرا كاملا الا اذا وضعنا فى اعتبارنا الأصول الدنيوية والحسية لهذا الفن . ذلك لأن الانفعالات المرتبطة بالامور الحسية تعبر عن نفسها خارجيا ، بوضوح وصراحة ، وبطريقة زاعقة . أما الانفعالات التى تنم عن خشوع وتقديس فتظل فى داخلنا ، هادئة وصامتة .

على أننا لو شئنا الدقة لقلنا ان الحضارة العربية ليست هى وحدها التى تمارس التجربة الموسيقية بطريقة المشاركة بين الجمهور والفنان ، وتبتعد عن ذلك التأمل العميق والهادىء الذى تتميز به التجربة الموسيقية فى حضارة الغرب . فالموسيقا الافريقية الزنجية بدورها بعيدة كل البعد عن التأمل ، اذ أنها هى الأخرى تلغى المسافة بين الفنان والجمهور ،

بحيث يندمج ذلك الجمهور مع الأداء الموسيقى اندماجا تاما ، تعبر عنه حركات الرقص الايقاعية التى انبهر بها الغرب ذاته عندما عرفها ، عن طريق زنوج أمريكا بوجه خاص ، فاتخذ منها مصدرا من أهم مصادر موسيقاه الراقصة الخفيفة فى القرن العشرين .

ومع ذلك فان التشابه بين التجربة الموسيقية العربية والزنجية يقف عند هذه الحدود . ذلك لأن الموسيقا الزنجية تؤدى فى حياة مجتمعاتها دورا أوسع مدى بكثير من ذلك الدور الترفيهى ، الحسي اللاهى ، الذى تؤديه الموسيقا فى حياتنا . انها مندمجة اندماجا وثيقا فى عقائد الزنوج وشعائرهم ، ونظم مجتمعهم ، وأخطر جوانب حياتهم . واذا كانت الموسيقا عندنا ـ فى الأصل ـ تستثير انفعالات حسية معينة ، ولا تتجاوز هذا المدى الا فى النادر ، فان الموسيقا الزنجية ترتبط بطقوس الميلاد والبلوغ والعبادة والحرب والموت . ولا بد أن كلامنا قد رأى ـ فى الأفلام التلفزيونية الاخبارية أو الوثائقية ـ تلك المظاهرات التى يسير فيها الزنوج من أجل قضايا خطيرة كل الخطورة ، وهم يرقصون على أنغام الموسيقا وايقاعاتها رقصا لا صلة له بالبهجة أو المرح ، وانما يعبر عن كل ما يختزنونه من مشاعر الحزن أو الرفض أو الاحتجاج أو الغضب . بل إن المنظر ذاته يتكرر حتى في تشييع جنازات موتاهم . ففي ذلك الاقتراب الشديد من منابع الحياة والتوحد مع الطبيعة ، الذي تتميز به الحياة الزنجية ، تقوم الموسيقا بدور حاسم ، يتجاوز بكثير مفهوم « الفن الجميل » كما يشيع بيننا ، لكي تصبح مظهراً أساسياً من مظاهر حيوية الانسان . ومثل هذا الدور لا يمكن أن نجد له نظيراً في تجربتنا الموسيقية في العالم العربي .

أشكال التجربة العربية

ان التجارب الفنية العربية تزداد عمقاً وأصالة في ميادين كثيرة ، كالشعر والقصة والفنون التشكيلية . والمبدعون يستطيعون ان يقدموا الى العالم انتاجاً يمثل أسهاماً يثري روح الانسان أينما كان . أما في الموسيقا فان تجربتنا في الأغلب قد ظلت هزيلة ، عاجزة عن أن تقدم انتاجاً يلقي التقدير والاعتراف خارج اطارنا المحلي .

وفي اعتقادي ان الأصل الحسي الذي نشأت فيه الموسيقا عندنا هو واحد من أهم الأسباب التي جعلتها عاجزة عن النهوض الى مستوى الفنون الأخرى في حياتنا . وما زلنا الى اليوم نجد الانغام التي تلحن بها كبريات القصائد ذات الطابع الديني أو الصوفي ، قابلة لأن تصبح موسيقا راقصة عابثة لو أبدلنا كلمات القصيدة الصوفية بكلمات الحب والغزل المألوفة ، أو اذا استعضنا عن الغناء بالرقص .

فاذا كنا نجد بعض المتزمتين ، في عالمنا العربي المعاصر ، يصفون الموسيقا بأنها كفر ، ويحرمون على أبنائهم وبناتهم ممارسة أي شكل من أشكال التجربة الموسيقية ، فان التعليل البسيط والواضح لهذه الظاهرة ، هو أن هؤلاء لم يروا في الموسيقا الا ضربات الدف والطبول وألحان العود ، وتمايل الجواري والقيان ، في مجالس الطرب والسكر بقصور الخلفاء .

غير أن هذا ليس الا شكلاً واحداً هابطاً ، من أشكال التجربة الموسيقية ، وهناك أشكال أخرى ظهرت في أجواء بعيدة كل البعد عن الخلاعة والمجون . ولو كان هؤلاء الذين يسارعون الى التحريم والتكفير ، والذين يزدادون في عالمنا العربي تزمتاً كلما اقتربنا من القرن الحادي والعشرين ـ لو كانوا قد عرفوا شيئاً عن ذلك السمو الروحي الذي تستطيع الموسيقا أن توصلنا اليه ، لأدركوا كم كانت نظرتهم محدودة وضيقة عند ما اقتصروا ، في نظرتهم الى هذا الفن ، على أشد تجاربه سطحية وابتذالاً . □□

أزمة .. في مطبخ العالم الثالث !

بقلم : محمود المراغي

□ هذه واحدة من المشاكل الفريدة لذلك الجزء من العالم الذي اطلقنا عليه اسم « الجنوب » . مشكلة .. لم نتعرف عليها جيدا ، ولا نتحدث عنها في العادة .. ووفقا لما تقوله منظمات دولية مختصة فإنها كانت الى سنوات قريبة ـ مجهولة المعالم .

لقد تحدث العالم طويلا حول أزمة الطاقة . بدأ الحديث في بداية السبعينيات فلما ارتفعت أسعار النفط تعددت الاجتهادات والبرامج من أجل معالجة أفضل للقضية . وبينما اتجه البعض ـ وفي خطوات سريعة ـ للاقتصاد من استخدام النفط ، اتجه آخرون وعبر تكنولوجيا متقدمة لانتاج طاقة بديلة ، اعتمادا على موارد تقليدية كالفحم أو اعتمادا على أحدث الموارد وهي الطاقة النووية .. مرورا بالكهرباء والكحول الذي استخدمته البرازيل ومن بعدها دول أخرى كوقود للسيارات .

لقد كانت الأزمة حقيقية بمعنى أن النفط ـ طال عمره أو قصر ـ ثروة ناضبة .. وان على العالم أن يجد طاقة رخيصة وبديلة يدير بها مصانعه وسياراته .. وآلاته الزراعية .. ومطابخه أيضا .

وقد امتدت هذه الأزمة من الشمال الى الجنوب ، وأخذت في الجنوب شكلا آخر ذا شعبتين .

الأولى ـ هذه اقتصادية عكستها فواتير النفط المتزايدة والتي تحولت الى قروض لم يسبق لها مثيل ، وساهم فيها تزايد سعر النفط وتزايد سعر المواد المصنوعة في نفس الوقت .

الثانية ـ عجز واضح عن ابتكار جديد يعالج الأزمة .. ورغم أن عددا من اضخم مشروعات الكهرباء في العالم يتم الآن في امريكا اللاتينية ، ورغم ان النفط ـ في جزء كبير منه ـ « انتاج جنوبي » يقدمه العالم الثالث ، ورغم ذلك فقد ظل شبح المستقبل الذي لا نجد فيه طاقة كافية وملائمة في تكلفتها .

ظل هذا الشبح يخيف المسؤولين في الدول النامية .

حدث ذلك لكنه لم يكن تعبيرا حقيقيا عن مجمل الأزمة . لقد كان هناك وجه آخر .. لا نراه .. ولا نحسه .. ولا نتحدث عنه . وبينما كانت مشكلة الطاقة شائعة بالمعنى السابق في دول الشمال ومدن الجنوب .. كانت المشكلة الأخرى . أو الوجه الآخر للمشكلة ـ يتركز في القطاع الريفي .. وفي جبال وصحاري العالم الثالث .

ملامح هذه المشكلة بسيطة للغاية : نساء لا يجدن نارا كافية لطهي الطعام .. ورجال في أماكن باردة أحيانا ـ لايجدون خشبا للتدفئة ، وأطفال يجري تخصيص كل جهودهم في بعض الأحيان من أجل جمع فروع الشجر اللازمة .

وعلى قدر ما تبدو المشكلة بسيطة ، على قدر ما يعترف الخبراء بأنها واحدة من أخطر المشاكل التي يصادفها العالم وانها كما قال ، عالم امريكي للبيئة هو « اريك ايكهولم » سوف تحتل عما قريب مانشيتات الصحف وموضوعاتها الرئيسية ، ذلك أنها تمس حوالي ثلث سكان الأرض وبالتحديد (١٣٠٠) مليون نسمة يعيشون في العالم الثالث ، ويعتمدون على الخشب لاستخدامه بشكل مباشر في الأعمال المنزلية .

الرقم قد يصدم العقل : (١٣٠٠) مليون انسان لايجدون طاقة أو وقودا كافيا . ليس للتدفئة المركزية أو لتشغيل الأدوات الكهربائية المنزلية أو وسائل النقل من قطارات وسيارات وطائرات وسفن .. وليس لتشغيل المصانع والمعامل الحديثة ولكن من أجل وجبة طعام .

الأخطر - وطبقا لاحصاءات وتقديرات منظمة الأغذية والزراعة « الفاو » - فإن الرقم سوف يتضاعف ، وسوف تشمل المعاناة في عام (٢٠٠٠) : (٢٤٠٠) مليون انسان ! . . وفي تقرير للمعهد الدولي للبيئة والتنمية بلندن فان مسحا قد أجرى لـ ٧٦ دولة نامية أظهر العديد من الحقائق الهامة حول هذه المشكلة .

(أولى هذه الحقائق أن الخشب هو أكثر أنواع الوقود انتشارا في العالم الثالث وان كل أسرة ريفية في العالم النامي تعتمد كليا أو جزئيا على الخشب بشكله الخام كوقود في المطبخ أو كمواد للتدفئة .

الحقيقة الثانية أن نسبة الاعتماد على الخشب تتفاوت من بلد الى آخر وبينما ترتفع النسبة في نيبال مثلا الى ٩٨٪ من الطاقة المستخدمة فإنها تهبط في كل من تشاد وتانزانيا وفولتا العليا الى ٩٤٪ . . وتهبط أكثر في بعض البلدان حتى تصل الى ٨٪ في ماليزيا .

و . . في هذه الدائرة يأتي الوطن العربي ليسجل نسبة غير قليلة من الاعتماد على الخشب رغم فقر الثروة الخشبية في معظم بلدانه . ففي السودان يعتمدون على الأخشاب كوقود بنسبة ٨١٪ من الطاقة المستخدمة في البلاد وفي المغرب تبلغ النسبة ١٩٪ وفي الصومال ٩٠٪ وتونس ٤٢٪ .

الحقيقة الثالثة التي يبرزها المسح ، أن هناك ثلاثة مستويات للأزمة . بلدان تعاني من الندرة الكاملة ، وعدد هذه البلدان ٢٦ بلدا يضم المجتمع الريفي فيها (١٠٠) مليون نسمة ، وتتركز هذه البلدان في شرق وجنوب شرق أفريقيا وفوق جبال الهيملايا وفي بعض المناطق المكتظة بالسكان في أمريكا الوسطى . بعدها تأتي شريحة ثانية يواجه أصحابها عجزاً لكن الأزمة غير متفاقمة بالنسبة لهم . . و . . تشمل هذه الشريحة - من البلاد العربية - مصر والجزائر والعراق والأردن ولبنان والمغرب وسوريا وتونس واليمن الشمالية واليمن الجنوبية . ثم . . تأتي الشريحة الثالثة ويواجه أصحابها موقفا مرضيا .

أما الحقيقة الأخيرة التي أبرزتها الدراسات فهي أن التعامل مع الخشب « من اجل نيران تطبخ » يختلف من منطقة الى أخرى حسب الوفرة والندرة . ففي نيبال لايستغرق الأمر من المرأة أكثر من عدة دقائق كل يوم تحصل فيه على حاجتها . . ولكن في مناطق أخرى تقضي النساء (١١) يوما كل شهر من أجل جمع الوقود . . وفي بعض البلدان يتفرغ طفل في كل أسرة لهذه المهمة . . وفي غانا يحتاج الفرد ليوم عمل كامل ليحصل على قدر من الوقود يكفيه ثلاثة أيام . . أما في بنجلاديش فقد اشتدت الأزمة وأصبحت الأسرة الريفية تعتمد على قشر النباتات ومخلفات قصب السكر والقش الذي يحصلون عليه كمنتج ثانوي في الحقول .

السؤال الرئيسي : ما هو مستقبل هذه المشكلة التي أطلقت عليها منظمة الأغذية والزراعة والمعاهد المتخصصة . اسم « الأزمة المقبلة » ؟

في محاولة للاجابة على السؤال تعددت الجهود لتحقيق أمرين : معلومات أكثر حول المشكلة وحجمها ، وبرامج أوفر لزيادة الأشجار أو تقليل الاستهلاك . . و . . وخلال الأعوام (١٩٧٧ - ١٩٨٤) فقد تم تخصيص (٥٠٠) مليون دولار أميركي لهذه البرامج . كان أكبر المانحين هو البنك الدولي للانشاءات والتعمير ، وكان أكثر المهتمين بالجانب الفني والعلمي هي منظمة الأغذية والزراعة . خلال ذلك تم تنفيذ أكثر من مائة مشروع لتنمية الأشجار في (١٢) بلدا لكن النتائج تفاوتت من بلد لآخر . . وبينما زرعت الصين بجهد ذاتي (٢٨) مليون هكتار جديد في ربع قرن ، وبينما نجحت حملة التشجير في كوريا الجنوبية فقد فشلت الحملة في أماكن أخرى كثيرة .

ساعد على ذلك : انتقال الناس من القرية الى المدينة وبحثهم عن نمط آخر للاستهلاك أكثر يسرا ، وساعد عليه تنافس الاستخدامات المختلفة للأخشاب . . فبينما تعلو قيمة الخشب اذا استخدم في الأغراض الصناعية ، وبما يغري الزراع لبيع انتاجهم ، كما يغري سكان الغابات للاتجاه تجاريا . بينما يحدث ذلك فإنه على الطرف الآخر تعجز الأسرة في كثير من البلدان في الحصول على حاجتها من خشب الوقود . . واذا وجدته بسعر مرتفع أيضا فإنه مما يساعد على استمرار الأزمة وفشل البرامج الموضوعة ضمن أرض محدودة يفضل الناس عادة استثمارها في زراعة الغذاء .

و . . هكذا تبدو الصورة : الحاجة قائمة لأشجار تحترق . . لكن الغابات تنكمش والأشجار تسقط والمباني تمتد لتأكل الأخضر واليابس وتصبح الصورة المستقبلية المفزعة : مطابخ بلا نيران . . ومنازل باردة بلا تدفئة .

هل يأتي ذلك اليوم قريبا ؟ . . وما هو الملجأ حينذاك ؟ بالانتقال لأشكال حديثةمن الطاقة كالنفط أو الكهرباء أو الذرة ؟ . . وبأي تكلفة . . وأي موارد متاحة في عالم الفقراء ؟

الأزمة حقيقية وتزايدها أمر وارد . □□

المقاومة الوطنية الفلسطينية ١٩٣٦ - ١٩٤٨

بقلم : الدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى

□ تعتبر الفترة بين عامي ١٩٣٦ - ١٩٤٨ من أبرز فترات المقاومة الوطنية الفلسطينية ضد المؤامرة البريطانية اليهودية في فلسطين ... كيف بدأت بذور المقاومة ؟ .. وكيف واجه عرب فلسطين الصهيونيين في معركة غير متكافئة ؟ .. سؤال يجيب عليه هذا المقال

لم يستسلم عرب فلسطين للمؤامرة البريطانية الخاصة ببذل وعد لليهود بأن يقيموا وطنا قوميا في فلسطين ، فمنذ بداية الانتداب البريطاني نجدهم لا ينفكون عن المقاومة وتحدى المخطط الاستعماري البريطاني ، ومن ثم التمرد تلو التمرد والثورة تلو الثورة ضد الصهاينة الطامعين والانجليز المتواطئين . على أن أهم معالم التحدى الفلسطيني في الفترة السابقة على نشوب الحرب العالمية الثانية تتمثل في ثورة ١٩٣٦ - ١٩٣٩ التي بدأت باضراب عام ثم ما لبثت أن عمت فلسطين من أقصاها إلى أقصاها . وقد بدت هذه الثورة الكبرى ثورة فلاحين متقطعة ، إذ كان يعوزها التنظيم المركزي ووجود هدف سياسي موحد - فهي مجموعة من الحروب الصغيرة بحكم تشتت جهد الثوار جريا وراء عدة أهداف جزئية . فالمجموعات المقاتلة العربية كانت تحارب اليهود وحكومة الانتداب البريطانية ، في الوقت الذي كانت تضرب فيه العناصر الفلسطينية المترددة أو ذات العلاقة باليهود أو ذات الاتجاه المخالف أو التي عليها ثارات لم يُصفَّ حسابها بعد . وكان يزيد في حدة هذه الصراعات الداخلية التنافس على إحراز الزعامة السياسية على عرب فلسطين ، بين آل الحسيني وآل النشاشيبي .

وكان جانب كبير من الفلاحين يحاربون من أجل الاحتفاظ بأراضيهم التي كان يتهددها الضغط الصهيوني ، في حين أن « الأفندية » الميسورين اقتصاديا والذين كان بإمكانهم

فوزي القاوقجي

استيعاب رموز الاستقلال الوطني ، كانوا يحاربون دفاعا عن الأرض بصورة أكثر تطورا ، وذلك بسبب إحساسهم بالأخوة العربية وإلحاحهم في طلب الاستقلال الذي حققه إخوة لهم ـ أو كانوا في طريقهم إلى تحقيقه ـ في سوريا والعراق ومصر . ورغم ذلك ففي أواخر عام ١٩٣٥ وخلال الشهور الستة التي استغرقها الاضراب العام أفسحت الخلافات المجال أمام هدف مشترك ، وذلك حين تبلور الوضع الثوري في فلسطين . ففي عام ١٩٣٦ أمكن للأيديولوجيات القومية العربية أن تعزز تلاحم الأحزاب السياسية الكبرى ، وذلك رغم أن قوات الفدائيين كانت تفتقد الترابط بحيث لم يتح لها تنظيم موحد .

الارتباط بالارض

وفي مثل هذا المجتمع الفلسطيني الذي لم يكن قد تخلص نهائيا من بقايا الاقطاع ، حاول الأرستقراطيون من ملاك الأراضي ـ يمثلهم مفتي القدس الحاج أمين الحسيني ـ أن يطبعوا الثورة بالطابع السياسي بدل ارتباطها بالأرض ، حيث كان الخوف من فقدان الأرض نتيجة لاتساع نطاق المجتمع اليهودي هو الحافز القوي الذي يدفع الفلاح إلى التمرد .

وليس معنى هذا أن عرب فلسطين لم تكن لهم بنى سياسية ، أو قدر من التطور السياسي . فقبل ذلك كان شباب العرب ومتعلمو المدينة ،

قد بدءوا ينظمون أنفسهم سياسيا ، فظهرت لجان وطنية محلية في شتى ربوع فلسطين ، وبخاصة في المدن التي ما لبثت أن أصبحت مراكز للثورة مثل نابلس وجنين وطولكرم . وإلى جانب ذلك كانت توجد صحافة عربية نشطة وصندوق مالي (صندوق الأمة العربية) كان قد أنشيء في عام ١٩٣٢ بهدف إنقاذ أراضي العرب من اليهود ـ هذا إلى جانب موارد الأوقاف التي أنفق منها المفتي في عام ١٩٣٦ على المقاتلين العاملين في التلال ، وبذلك ضمن استمرار الثورة ووفر لها الزعامة الفعالة . وفي الشيخ عز الدين القسام الذي سقط هو وجماعته على أيدي البوليس ، وجدت الثورة شهيدها ورمزها للمقاومة .

على أن الثورة كانت تعوزها الخلايا السرية التي توفر لها الدعم المستمر ـ إذ كانت خطط الثوار تقتصر على العمل العسكري دون محاولة إقامة سلطة جديدة أو بناء حكومة بديلة عن طريق ربط الجناح السياسي بالجناح العسكري ، على عكس اليهود الذين كانوا في ذلك الوقت يبذلون كل ما في وسعهم للتمهيد لاقامة دولتهم . ورغم أن السلطات العسكرية البريطانية لم تقم كبير وزن للفدائيين الفلسطينيين باعتبارهم محاربين ، إلا أنهم نجحوا في السيطرة على كثير من المدن الكبرى ، بما في ذلك القدس القديمة ـ بالاضافة الى مساحات واسعة من البلاد . فخلال الشهور الستة التي استغرقها الاضراب اشتد ساعد الثورة التي استمرت جذورها حتى عام ١٩٣٨ . وما إن حلت أواخر هذا العام حتى بدا من الناحية العسكرية أن الثورة قد أصبحت أكثر فعالية ، وذلك حين ازدادت مهارة الفدائيين وانضباطهم . وفي خلال عام ١٩٣٨ (ذروة الثورة) انتعشت التقاليد الوطنية ، فارتدت النسوة الحجاب ، في حين ارتدى الرجال الكوفية والعقال . ورغم ذلك فلم تتوفر للفدائيين قيادة مركزية ، وإن وجد بعض الزعماء الاسميين من أمثال عبد

الحاج أمين الحسيني

الرحيم الحاج محمد ، وفوزي القاوقجي ، وعارف عبد الرزاق ، وغيرهم .

ورغم أن الفلاحين كانوا الذراع الضاربة للثورة ، فإنها بدأت في المدن حيث يوجد المنتمون لطبقة الأفندية من المتعلمين والموظفين ممن هم على وعي سياسي ، في حين قام الفلاحون الفقراء الأميون الذين كانوا يعانون البطالة في بعض الأحيان بتنفيذ العمليات القتالية . وبمرور الزمن سيطر المقاتلون على « الأفندية » مما يفسر أن الجانب السياسي للثورة ، الذي كان واضحا في البداية ، كاد يختفي في أواخر عام ١٩٣٨ .

المسرح الرئيسي للثوار

وكانت منطقة الجليل الشمالية هي المسرح الرئيسي لنشاط الفدائيين الذي كان أشد صلابة وتنظيما وتهديدا لسلطات الانتداب . وكانت معظم هجمات العرب تحدث خلال الليل ، مستهدفة تخريب خط أنابيب نفط العراق الذي كان ينتهي عند حيفا ، بالاضافة إلى الطرق والأسلاك الشائكة التي نصبت على حدود فلسطين الشمالية الشرقية (خط أسلاك تيجارت) . كما استهدفت الهجمات

عبد القادر الحسيني

المستوطنات اليهودية ودوريات ومراكز البوليس والجيش . وهناك مسرح ثان هو منطقتا الجليل الجنوبية والسامرة حيث كان القتال أقل شدة ـ وهنا كانت فصائل الفدائيين صغيرة مما جعل من الصعب العثور عليها ومواجهتها . كما وجد مسرح ثالث للعمليات هو المنطقة الممتدة من القدس إلى الخليل ، من بئر السبع إلى غزة إلى يافا، وإن يكن فلاحو هذه المنطقة أقل حماسة لحمل السلاح من أقرانهم ، خاصة وأن دوريات البوليس والجيش كانت تسيطر على الموقف .

ولم تشأ السلطات البريطانية في فلسطين أن تلجأ إلى العنف مع الثوار في البداية ، بل آثرت الوقوف موقف الدفاع ، وذلك خشية إغضاب العالم العربي ، في الوقت الذي كانت تلوح فيه نذر الحرب العالمية الثانية . إلا أن العسكريين البريطانيين قاموا باتخاذ إجراءات أكثر صرامة ، مما جعل الحكومة البريطانية تقرر القيام بحملة منظمة لاعادة الاستقرار إلى فلسطين . وقد بدأت خطة الهجوم في مايو ١٩٣٨ بتشكيل دوريات أوردى وينجيت **orde wingate** الليلية الخاصة التي كانت بمثابة رأس الحربة في الهجوم على مجموعات الفدائيين العرب .

وما إن وافى ديسمبر ١٩٣٨ حتى كان الجيش البريطاني قد أحكم سيطرته على البلاد ـ وكان رمز انهيار الثورة هو استشهاد القائد عبد الرحيم الحاج محمد في ٢٥ مارس ١٩٣٩ في قرية سنور . وحين اندلعت الحرب العالمية الثانية كانت الثورة الفلسطينية قد قضي عليها تماما

الهجرة اليهودية ومشروع التقسيم

وقد احتدمت القضية الفلسطينية في أعقاب الحرب العالمية الثانية ، خاصة وأن أعدادا كبيرة من اليهود الأوروبيين المشردين نتيجة للحرب قد صمموا ـ بتوجيه من الحركة الصهيونية العالمية ـ على التوجه إلى فلسطين . وكانت القيادة الصهيونية قد قررت في مؤتمر بلتمور (١٩٤٢) التعجيل بإقامة الدولة اليهودية رغم أنف بريطانيا ، كما وثقت علاقاتها مع الولايات المتحدة الأمريكية التي خرجت من الحرب أقوى دولة في العالم ـ وهكذا نجد الرئيس ترومان ـ الذي تولى رئاسة الولايات المتحدة في أواخر مراحل الحرب على اثر وفاة الرئيس روزفلت ـ يصر على أن تسمح بريطانيا بإدخال ١٠٠,٠٠٠ يهودي إلى فلسطين في الحال ، ورغم مقاومة بريطانيا لهذا الطلب ـ حرصا على ارضاء العرب ومحاولتها إيجاد حلول وسط للقضية الفلسطينية ـ فقد اشتدت الهجرة اليهودية غير الشرعية الى فلسطين ، ثم وجه الارهاب اليهودي الى السلطات البريطانية التي عمدت الى القيام بارهاب مضاد وزادت من حجم القوات العسكرية البريطانية وفرضت على فلسطين اجراءات استثنائية تستهدف السيطرة على البلاد .

وكان تعاون الحكومات العربية في عامي ١٩٣٨ ـ ١٩٣٩ قد أدى الى إفشال مشروع تقسيم فلسطين ، مما أفسح المجال لمزيد من التضامن العربي ووصاية الدول العربية المستقلة وشبه المستقلة على القضية الفلسطينية ، خاصة وان الانجليز كانوا قد لجأوا الى الوحشية في قمع

الثورة الفلسطينية الكبرى ، وأعلنوا خروج الزعماء الفلسطينيين على القانون ، مما أدى الى فرارهم الى البلدان العربية المجاورة وانضمام بعضهم الى دول المحور . لهذا كان عرب فلسطين يفتقدون الزعامة ، خاصة وأن « اللجنة العربية العليا » التي تزعمت النضال الفلسطيني كانت قد اختفت ، وأن رئيسها ـ مفتي القدس الحاج أمين الحسيني ـ كان خارج البلاد . ورغم محاولة وجهاء فلسطين المتكررة لاحياء اللجنة ، إلا أن أنصار المفتي الغائب عرقلوا مثل هذه المساعي . وكانت هذه الخلافات هي السبب في عدم اشتراك مندوب فلسطين في المباحثات التمهيدية التي أدت الى قيام الجامعة العربية ، مما جعل الزعماء العرب ـ الذين كانوا يسعون الى إنشاء الجامعة العربية ، يشجعون على إحياء اللجنة العربية العليا ، ويعملون على حل مشكلة القيادة الفلسطينية الناجمة عن الصراعات بين مختلف الشيع الفلسطينية ، وأخيرا دخلت الى حيز الوجود « الهيئة العربية العليا » التي ما لبث الحاج أمين الحسيني أن أصبح الموجه الرئيسي لها ، على اثر فراره من فرنسا وجوئه الى القاهرة . وفي فلسطين كانت تعليمات الحاج أمين تنفذ بحذافيرها ، مما أنعش قوة أنصاره في كل مدن فلسطين وقراها ، وأضعف قوة منافسيهم ، وجعل اتجاه الحركة الوطنية الفلسطينية أميل الى التطرف .

وثيقة لها أهميتها

على أي حال فقد كتب المندوب السامي البريطاني في فلسطين ما يلي في ٣٠ ابريل ١٩٤٦ (١) :

« رغم أن فكرة اثارة متاعب سياسية خطيرة ، بعيدة الآن عن خواطر الكتل الواسعة من السكان العرب في البلاد ، فان هناك على الأقل ما يكفي من العوامل المتنامية التي ترجح احتمال حدوث انفجار في ظروف معينة . ففي نهاية ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ فان حرب العصابات وأعمال الابتزاز والقتل والمتاعب التي سببتها اجراءات الأمن المتشددة التي اتخذتها السلطات . كان أثرها على عرب فلسطين أن أنهكتهم وأثارت تقززهم،فالانتقال المثير من هدف الى آخر ، مما يميز الساميين ، هو الذي أدى الى تغير الموقف خلال أسابيع قليلة ، ومن ثم نجد أن القرى التي اشتركت منذ وقت قصير في الغارات وأعمال قطع الطرق قد انقلبت لترحب ترحيبا حارا بالموظفين البريطانيين الذين لا تحيط بهم حراسة . ومما قوى هذا التحول الى ايثار السلام أن فترة الحرب قد ادت الى استيعاب الايدي العاملة بشكل اوسع وادت كذلك الى ارتفاع اجورها . فالبرولتاريا العربية التي لا تملك شيئا وبخاصة في التلال ـ حيث ادى ازدياد السكان باستمرار الى الضغط المتواصل على الارض المنتجة وجدت الآن ـ عملا سهلا وفير الأجر في مكان آخر .»

« ورغم ذلك فمن الممكن ان يستثار العرب نتيجة لخشيتهم من السيطرة الصهيونية : كما ان الضجة التي صاحبت اعلان برنامج بلتمور في يونيه ١٩٤٢ قد اثارت في الحال رد فعل متناميا لدى الجماهير العربية . وقد انتهز حزب عرب فلسطين الفرصة لبدء الدعاية لصالح الحاج أمين . وقد اوضح رد الفعل انه ابا كان تردد السكان العرب في الاشتراك في العمل السياسي ، فان الحاج امين لا يزال رمزا للمقاومة العربية ضد الطوفان الاجنبي . فبانتهاء الحرب وازدياد ضجيج الدعاية السياسية اليهودية ، اخذ النشاط السياسي العربي ينتعش بصورة متزايدة .

(١) ملف وثائق وزارة الخارجية البريطانية رقم ١٤/١٠٩٠ ـ مذكرة على درجة كبيرة من السرية مرسلة من المندوب السامي البريطاني في فلسطين الى السفير البريطاني في القاهرة .

التنظيمات السياسية الوطنية

ورغم رغبة التجار والفلاحين في هدوء الاوضاع في فلسطين ، فقد بدت في اواخر عام ١٩٤٥ واوائل عام ١٩٤٦ شواهد تدل على ان عرب فلسطين كانوا قلقين على وضع بلادهم العام ، بحيث كانوا على استعداد لمواصلة النضال . وقد غصت البلاد بالتنظيمات السياسية الوطنية مثل القسّامين ، وجمعية الاعتصام ، وجمعية الدم العربي السرية ، ولجنة احياء الدم العربي ، ولجنة مجالس القرآن ، وجمعية الشبان المسلمين ـ كما وجدت منظمات مختلفة تهدف الى تنظيم المقاطعة .

ورغم أن فلسطين شهدت بعض الأعمال الفردية التي قام بها العرب في أعقاب الحرب العالمية ، فان صدور قرار تقسيم فلسطين من جانب الأمم المتحدة في نوفمبر ١٩٤٧ كان بمثابة الشرارة التي فجرت الموقف برمته .

تشير معظم المصادر الصهيونية الى أن عرب فلسطين هم الذين بدأوا القتال في اليوم التالي لصدور قرار التقسيم ، في حين يؤكد الكاتب الأردني حازم تركي نسيبة أن اليهود بدءوا بعد ثلاثة أيام من صدور قرار التقسيم (٢٩ نوفمبر ١٩٤٧) في تنفيذ خطة دالتDaletالتي كانوا قد أعدوها سلفا ، وكانت تقضي بالاستيلاء على أكبر قدر من فلسطين . وعلى أي حال فبينما كان اليهود يخضعون لقيادة موحدة تضع لهم الخطط ، وتعد العدة لجمع أكبر قدر من الأسلحة ، كان عرب فلسطين نهبا للانقسامات والصراعات في الوقت الذي كانت فيه الدول العربية تخشى كل منها « شقيقتها » وتتآمر عليها

وما لبثت الهيئة العربية العليا أن سعت الى تجنيد المتطوعين في شتى مدن وقرى فلسطين ، والى شن حرب الفدائيين على المستوطنات والمواصلات اليهودية والحاق الضرر بالممتلكات اليهودية ، وقد قام عرب فلسطين في البداية بشن الهجمات على مسئوليتهم الخاصة،دون وجود أي تنسيق في هذه المرحلة المبكرة على المستوى المحلي . وكثيرا ما كانت الخطط تعترضها المنازعات بين اتباع المفتي وخصومهم من أتباع اسرة النشاشيبي . وهي المنازعات التي وصلت أحيانا الى حد القيام بأعمال الاغتيال . . وعلى أي حال ففي ١٤ يناير ١٩٤٨ نفذ عرب فلسطين أول عملية كبيرة استهدفت اليهود : اذ قام حوالى الف من القرويين العرب بمهاجمة مجموعة مستوطنات عصيون ، الواقعة على قمة تلال الخليل ، والمطلة على الطريق الذي يربط الخليل بالقدس . ورد اليهود بمهاجمة قرية سعسع العربية الواقعة قرب الحدود اللبنانية . وازاء تصاعد أعمال العنف قررت اللجنة العسكرية بجامعة الدول العربية تشكيل جيش الانقاذ (أو التحرير) بقيادة فوزي القاوقجي ومده بالاسلحة التي توفرها الدول الأعضاء . وطالب الحاج أمين الحسيني ـ الذي كان خارج فلسطين ـ بأن تسلم له الأسلحة لكي يقوم بتوزيعها ، وأن لايجري اتخاذ أي اجراء دون علمه ، وطالب بتزويده بالمال لتمويل العمليات الفدائية . وكل ذلك لأن المفتي يعتقد أن الملك عبد الله وفوزي القاوقجي يسعيان الى السيطرة على مساحات واسعة من فلسطين ، ومن ثم استعداده لبذل كل ما في وسعه لعرقلة مخططاتهما قبل فوات الأوان ـ وكان القاوقجي في أواسط ١٩٤٨ يمثل أكبر خطر بالنسبة الى الحاج أمين لأن جيش الانقاذ كان قد وطد أقدامه في فلسطين .

دور عبد القادر الحسيني

وقد ذهب الحاج أمين الحسيني الى أن جيش فدائييه لن يتعاون مع جيش الانقاذ ، الا اذا أصبحت في يديه السيطرة الفعلية على نشاطات كل القوات العاملة في فلسطين . وحين رفضت اللجنة العسكرية بالجامعة العربية طلبه ، عمد

الى ضرب الدول العربية بعضها ببعض . أما الجنرال اسماعيل صفوت الذي عينته الجامعة العربية قائدا لكل القوات العربية العاملة في فلسطين ، فقد وافق في نهاية الأمر على أن يوضع شمالي فلسطين تحت امرة القاوقجي ، والقطاع الأوسط تحت امرة رجال المفتي ، وأبرزهم ابن عمه عبد القادر الحسيني ، الذي كلف بالمسئولية عن قطاع القدس ، والشيخ حسن سلامة الذي أوكل اليه قطاع يافا ـ الرملة ـ اللد . وكان عبد القادر الحسيني معبود الجماهير بسبب شجاعته وكفاءته العسكرية ، وكانت مهمته قطع طرق المواصلات اليهودية ، وعزل المستعمرات ، وشن غارات الفدائيين في منطقة القدس ، ومهاجمة القوافل المتجهة من القدس الى مجموعة مستوطنات عصيون .

أما جيش الانقاذ فقد بلغ تعداده حوالي ٤,٠٠٠ مقاتل معظمهم من المجندين السابقين في الجيوش النظامية وقوات البوليس العربية ، وكان كثير منهم قد قاتلوا تحت قيادة القاوقجي في ثورات عربية مختلفة ضد الاستعمار الغربي .

وبينما القاوقجي يصدر البيانات المستفيضة عن انتصاراته الزائفة ، أفلح عرب فلسطين في السيطرة على الطرق الرئيسية ، وعزل كثير من المستعمرات اليهودية ومدينة القدس . ولكن القوات الصهيونية المتحدة تحت قيادة مركزية محنكة والمزودة بالاسلحة التي كانت تأتيها من كل حدب وصوب ـ التي كان كثير من قادتها قد تلقوا تدريبهم في معارك الحرب العالمية الثانية ـ قامت بهجومها باعتباره أحسن وسائل الدفاع . وفي أوائل ابريل ١٩٤٨ استولت على قرية القسطل التي كانت لا تزال تقوم فيها قلعة ترجع الى العصر الروماني ، والقسطل ذات موقع أستراتيجي هام ، فمنها كان يمكن شن الهجمات على الطريق الذي يصل القدس بتل أبيب .

وحين سقطت القرية كان عبد القادر الحسيني في دمشق ، يسعى الى الحصول على الأسلحة من مندوبي الجامعة العربية ، لمواجهة الهجوم الصهيوني . وبعد أن أخبره الجنرال اسماعيل صفوت بأنه لا يستطيع تزويده بالمدافع اللازمة لاسترجاع القرية ، عاد الى فلسطين وهو يردد انه سيرجعها بمدافع أو بدون مدافع ، ثم قام بمحاولة يائسة أدت الى استشهاده . وواصل الصهاينة الاستيلاء على القرى العربية الواقعة في قطاع القدس ، منها دير ياسين التي جرت فيها المذبحة المعروفة .

وقد أدى استيلاء الصهيونيين على القسطل ومواقع أخرى على طريق تل أبيب ـ القدس ، الى فتح الطريق أمام القوافل اليهودية المحملة بالطعام وبالوقود والأسلحة ، وغير ذلك من المؤن التي كانت المستوطنات في أشد حاجة اليها . ورغم أن استشهاد عبد القادر الحسيني قد هز مشاعر عرب فلسطين ، فانهم واصلوا النضال . وفي ٢٠ ابريل ١٩٤٨ هاجم آلاف من الفلسطينيين أكبر قافلة يهودية كانت متجهة الى القدس (٣٥٠ شاحنة) واستعادوا المرتفعات المطلة على باب الواد ، وأحكموا قبضتهم على مدينة القدس ، برغم الهجمات الصهيونية المضادة .

وبينما عرب فلسطين يواجهون الصهيونيين في كل مكان في معركة غير [٢] متكافئة ، اذا بدول الجامعة العربية تقرر ارسال قواتها الى فلسطين يوم ١٥ مايو ١٩٤٨ ، وهو التاريخ الذي حددته بريطانيا لاكتمال انسحابها من البلاد . ومنذ ذلك التاريخ تغيرت معالم القضية الفلسطينية ، وطبيعة كفاح عرب فلسطين ، في سبيل وجودهم وحقهم في تقرير المصير . □□

---

(٢) قدرت الدوائر البريطانية قوة الهاجاناه في عام ١٩٤٦ بحوالي ٧٥,٠٠٠ مقاتل والبالماخ القوة الضاربة في جيش الهاجاناه السري بخمسة آلاف مقاتل ، وقوة الأرجون بما يتراوح بين ٥,٠٠٠ الى ٦,٠٠٠ مقاتل . كما قدرت أن مقاتلي عرب فلسطين لا يمكن أن يتعدوا ١٣,٠٠٠ مقاتل وذلك على اعتبار أن عدد العرب الناشطين باستمرار خلال الثورة الفلسطينية الكبرى لم يزد على الألفين (أوراق مجلس الوزراء البريطاني ـ تقرير مؤرخ في ١٩٤٦/٧/٣) .

الجاحظ والكتابة للعامة

بقلم : الدكتورة وديعة طه نجم

□ يكاد الجاحظ أن يكون أول كاتب عربي يهتم بجميع طبقات الناس .. وينقل حكاياته عن شخصيات من عامة الشعب ... يجالسهم ويسمع أحاديثهم .. ويصفهم بالبعد عن الكذب والنفاق .. وهو ما يدع فيه الآخرون .. !

هذه الحكاية يرويها القاضي المحسن التنوخي ... من كتاب القرن الرابع الهجري في معرض حديث له في كتاب « الفرج بعد الشدة » ضمن حكايات بعض من تعرض لمخاطر قطاع الطريق او امتحن بسرقة ماله من قبل اللصوص ، ثم جاءه الفرج بسبب من الاسباب قال : -

« حدثني عبدالله بن عمرو الحارث الواسطي السّراج المعروف بأبي احمد الحارث ، قال :

كنت مسافرا في بعض الجبال فخرج علينا ابن سيار الكردي فقطع علينا ، وكان بزي الامراء لا بزي القطاع ، فقربت منه انظر اليه وأسمع كلامه فوجدته يدل على فهم وأدب ، فداخلته ، فاذا برجل فاضل يروي الشعر ويفهم النحو ، فطمعت فيه ، وعملت في الحال ابياتا مدحته بها .

فقال : (لست اعلم ان هذا من شعرك ولكن اعمل لي على قافية هذا البيت ووزنه شعرا الساعة لأعلم انك قلته) . وانشدني بيتا .

قال : فعملت في الحال اجازة له ثلاثة ابيات .

فقال لي : اي شيء أخذ منك لأرده عليك ؟

قال : فذكرت ما أخذ مني ، واستضفت اليه قماش رفيقين كانا لي فرد جميع ذلك . ثم اخذ من اكياس التجار التي نهبها كيسا فيه الف درهم فوهبه لي . قال ، فجزيته خيرا ورددته عليه .

فقال لي : لِمَ لَمْ تأخذه ؟

فواربت في كلامي .

قال : أحب أن تصدقني .

فقلت : وأنا آمن ؟

قال : نعم

قلت : لأنك لا تملكه ، وهو من أموال الناس أخذته منهم الساعة ظلما ، فكيف يحل لي أخذه ؟

فقال لي : اما قرأت ما ذكره الجاحظ في كتاب اللصوص عن بعضهم ، قال ، ان هؤلاء التجار لم تسقط عنهم زكاة الناس لانهم منعوها وتجردوا فتركت عليهم فصارت اموالهم بذلك مستهلكة ، واللصوص فقراء اليها . فاذا اخذوا

اموالهم وان كره التجار اخذها كان ذلك لهم مباحا لأن عين المال مستهلكة بالزكاة وهم يستحقون اخذ الزكاة شاء ارباب الاموال او كرهوا .

فقلت : بل قد ذكر ذلك الجاحظ ، ولكن من اين يعلم ان هؤلاء استهلكت الزكاة اموالهم ؟

فقال : لا عليك ، انا احضر هؤلاء التجار الساعة واريك بذلك دليلا صحيحا ان اموالهم لنا حلال .

ثم قال لاصحابه : هاتوا التجار .

فجاءوا ، فقال لاحدهم ، منذ كم تتجر في هذا المال الذي قطعناه عليك ؟

قال : منذ كذا وكذا سنة .

قال : فكيف كنت تخرج زكاته ؟

فتلجلج وتكلم بكلام منه لا يعرف الزكاة على حقيقتها فضلا عن ان يخرجها . ثم دعى بآخر ، وقال له :

اذا كان معك ثلاثمائة درهم وعشرة دنانير وحال عليك الحول فكم تخرج منها للزكاة ؟

فما احسن ان يجيبه . قال للاخر :

ان كان معك تجارة ولك دين على نفسين ، احدهما ملي والاخر معسر ، ومعك دراهم وكان الحول حال على الجميع ، كيف تخرج الزكاة ؟

قال ، فما فهم السؤال فضلا عن ان يتعاطى الجواب ، نفر منهم ثم قال لي :

خذ الآن الكيس .

قال : فأخذته وساق القافلة ليتصرف فيها .

فقلت : ان رأيت ايها الأمير ان تنفذ معي من يلغني المأمن كان لك الفضل . ففعل ذلك ، ونجوت من أذاه » .

روبن هود عربي

ان هذا اللص الظريف المتزيي بزي الامراء لا بزي القطاع ، لم يكن قاطع طريق عاديا ، بل هو اشبه بشخصية (روبن هود) الذي شاء ان يأخذ حق الفقراء بيده من الأغنياء . وهو يرى ان هذا المال هو زكاة اموال لم يؤدوها بل لم يعرفوا مقدارها الواجب عليهم . وهو فوق علمه بحق الفقراء في الزكاة من اموال الأغنياء ، يبدو شخصا « ذا فهم وأدب » مثقفا يفهم الشعر ويقرأ الأدب ، ويستشهد بكتب السلف لاقرار حقه الذي يستلبه بالقوة !

فأما كونه ظريفا أديبا صاحب فهم وعلم ، فتلك قضية ، ولكن كونه يتخذ من كتب ابي عثمان الجاحظ مصدرا لعلمه ووسيلة للاستشهاد على ما يذهب من طلب الحق فذلك هو ما يستحق الوقوف عنده .

على أن من الجدير بالذكر أن هذه الاشارة الى رجل من اللصوص قرأ بعض كتب ابي عثمان واتخذها شاهدا ، ليست فريدة في بابها .

فقد جاء في روايات اخرى للتنوخي بأن امرأة من العامة شهدت ذات مرة أمام أحد القضاة ، وأنها استشهدت كذلك ببعض ما ورد في كتب الجاحظ وكأنها على معرفة وثيقة من اطلاعها على ما جاء فيها .

هؤلاء الناس من العامة لم يقرأوا كتب الجاحظ قراءة عابرة ، ولكنهم يبدون وكانهم امعنوا النظر فيها ، واطلعوا على محتواها باهتمام واتخذوها شواهد على ما يذهبون اليه .

كتاب اللصوص

ترى ما سر هذه العلاقة بين العامة واديب متكلم كانت له شهرته ومنزلته في الحياة الفكرية والادبية طوال ما لا يقل عن قرنين من الزمان هما الثاني والثالث للهجرة ؟

قبل الدخول في بحث هذه التساؤلات ، يجب ان نتذكر ان الجاحظ يعد من اوسع الكتاب اهتماما بحياة الناس ، بجميع طبقاتها وانماط تفكيرها واتجاهاتها . . وقد كتب رسائل وكتبا تناول في بعضها اصحاب الحرف بجميع انواعها ، واصحاب التجارات والصناعات ،

كما تناول اللصوص والمكدين واصحاب الحيل والارتزاق بكل وسيلة . فقد كان المجتمع العباسي الذي عاش فيه الجاحظ مجتمعا زاخرا بكل هذا وغيره ، وقد شاء الجاحظ ان يكتب عن كل ما فيه . .

ونعود الى حديث التنوخي وحكاية اللص الاديب ، فنقول ان كتابا بعنوان (كتاب اللصوص) قد ورد فعلا بين الكتب التي ألّفها الجاحظ .

وهذا الكتاب وان لم يصل الينا كاملا حتى الآن ، فان مقتطفات منه او اشارات اليه قد جاءت في اماكن مختلفة من كتب الجاحظ نفسه ، او من كتب سواه ، ويمكننا من خلالها ان نستدل على طبيعة موضوعه وان نعرف شيئا عنه . ويسمى الكتاب احيانا بكتاب (حيل اللصوص) ، ويقول عنه ابو عثمان الجاحظ نفسه انه صنف فيه (حيل لصوص النهار) و (حيل سراق الليل) وأنه جمع فيه لطائف الخدع - كما يقول .

ويبدو كذلك ان الجاحظ نقل حكايات الكتاب عن شخصيات من العامة ، وهو كثيرا ما ينقل عنهم دون تحرج او تردد ، بل يصفهم بالبعد عن الكذب والتزيد ، ويقول انه كان يجالسهم ويسمع احاديثهم ، وقد نقل عنهم كثيرا من الروايات التي تدور في بيئتهم .

وفي كتاب الحيوان (موسوعة الجاحظ المشهورة برواياتها الادبية وبمعارفها العامة) . اورد الجاحظ وصيته ، قال عنها انها وصية عثمان الخياط للشطار واللصوص ، ينصحهم بنصائح خلقية تخص طبقتهم . والوصية ، ان لم تكن جزءا منقولا عن كتاب اللصوص نفسه . فهي على الاقل دالة على طبيعة عناية الجاحظ بهذه الطبقات من الناس ، ونقل كلامهم وتصوير شخصياتهم ومفاهيمهم التي لم تعد ملتزمة

بالمفاهيم السائدة في المجتمع ، بل ربما هي اقرب الى تقاليد الصعاليك واهل الفتوة والى الشطار . . وما دامت هذه الجماعات قد احتلت حيزا في الحياة الاجتماعية فان وجودها كان لابد ان يلفت نظر الجاحظ واهتمامه ، فراح ينقل صورا من حياتها في كتاباته .

بين المؤيدين والمعارضين

لعل الجاحظ اول كاتب عربي يتخذ هذا الموقف الجريء في الاهتمام بجميع طبقات الناس ، دون الاقتصار في الكتابة على طبقة خاصة ، ولقد كان لموقف الجاحظ هذا ردود فعل متباينة بين معاصريه والكتاب الذين جاؤوا بعده . فانقسموا تجاه كتاباته الى فريقين :

فريق رأى في كتاباته خروجا على المألوف وهدرا لمفاهيم الادب والأخلاق ، فراحوا يوجهون اليه التهم بانه قد افسد بكتاباته أخلاق الناس ، وأنه راح يعلم الفساق وجوه السرقة والحيل ، كما اتهم بانه افسد على التجار تجاراتهم بالكتابة عن (غش الصناعات) ، لأنه يكشف عن غش البضائع والحيل في اخفائها ، والى آخر ذلك من أوصاف وصفت بها رسائله وكتبه المتعددة المتنوعة الموضوعات ، التي تناول فيها الجاحظ حياة المجتمع من حوله . بمحاسنه ومساوئه . . فلم يتعود الكتاب في عصره على جعلها في مستوى الموضوعات الادبية التي يتناولها الاديب او الكاتب ، ذلك ان مفهوم الادب حتى عصر الجاحظ كان لا يزال تحت تأثير الادب التهذيبي الذي يكتب للخاصة فقط . وتجمع فيه الشواهد الشعرية والحكم والامثال والخطب والاقوال من اجل ان يتأدب به المتأدبون من ابناء الخاصة . وذلك هو الادب الذي سيطرت عليه شخصيات من الكتاب امثال عبدالحميد الكاتب الديواني ، وابن المقفع . . الادب الذي ورثه الكتاب الديوانيون عن تقاليد فارسية قديمة ، لم يكن مفهوم الادب فيها الا للخاصة ، اما عامة الناس فليس لها مواضع او اعتبار في ادب هذه الطبقة .

اما الجاحظ فله رأي آخر في مفهوم الادب وفي كل ما يكتب . فهو للخاصة كما هو للعامة . ولعله الكاتب الذي اعاد للادب العربي نظرته الشمولية التي تحضن جميع فئات الناس دون تمييز بينها فالأدب يكتب عنها ويكتب ويوجه اليها . . من هنا دأب الجاحظ على جمع حكايات السماكين والصيادين واصحاب الحرف السوقية المختلفة ، بل حتى نساء العامة كان لهن صور تمثلهن في كتبه ، فلم يكن كاتب قبله يجرؤ على جعله في كتاب . ومن هنا وجه الى الجاحظ نقد شديد لأن طريقته في النقل والتناول لجميع طبقات الناس ، لم تكن مألوفة في الادب المكتوب بعد . . ولكن هذه الطريقة كان لها اتباع من كتاب القرون التالية ، وهنا يأتي دور الفريق الآخر .

اما الفريق الآخر فيمثله مجموعة من كتاب القرن الرابع والخامس الهجري من بينهم المحسن التنوخي ، وابو منصور الثعالبي وابو حيان التوحيدي والراغب الاصفهاني . . ولا يفوتنا ذكر اصحاب المقامات كبديع الزمان الهمذاني والحريري . وقد اصبحت شخصية المكدي الاديب البارع المحتال بكل حيلة من اجل العيش ، هي شخصية بطل المقامة . . وهي شخصية تستمد اكبر مقوماتها من كتابات ابي عثمان الجاحظ عن هذه الطبقة في عصره . . امثال خالد بن يزيد المكدي (في كتابه البخلاء) وأبي فاتك قاضي الفتيان ، وغيرهما من شخصيات المكدين والقصاص والمحتالين التي ابرزها الجاحظ في كتاباته وجعلها مدارا لحكاياته . .

وصايا الجاحظ

لقد كان الجاحظ اول من وجه النظر الى وجود هذه الفئات في مجتمع الحاضرة العباسية ،

متميزة عما الفه المجتمع من تقاليد ومفاهيم في الخلق والعادات . فبينما تعد الحاجة والفقر والكدية (التسول) امورا يداريها الناس ولا يصرحون بها ، صارت هذه الامور شيئا آخر في نظر هذه الفئات والجماعات من الشطار او الفتيان . فالفقر او الحاجة او البؤس اصبحت من الامور التي يجب ان تواجه بشجاعة وعزم . وممارسة سرقة اموال الاغنياء لم تعد في نظرهم جريمة بل صارت فريضة ، والاموال المستلبة غنائم تقرن بغنائم الجهاد والحروب في سبيل الله . فعثمان الخياط (وهو ليس خياطا للملابس ولكنه يخيط الجدران ـ بعد فتحها ببراعة كأنه يخيطها خياطة)، الذي ورد ذكره عند الجاحظ سابقا وهو يوصي اصحابه اللصوص بوصايا ، تعود شخصيته للظهور ثانية في كتابات الراغب الاصفهاني ، يوصي اصحابه بوصايا تبدو غريبة في نظر المجتمع ، ولكنها تنسجم مع مفاهيم طبقته حيث يقول لهم :

« لم تزل الأمم يسبي بعضها بعضا ، ويسمون ذلك غزوا ، وما يأخذونه غنيمة ، وذلك من اطيب الكسب . وانتم في اخذ مال الغدرة والفجرة اعذر . فسموا انفسكم غزاة كما سمى الخوارج انفسهم شراة » .

واللص في نظر هؤلاء « احسن حالا من الحاكم المرتشي والقاضي الذي يأكل اموال اليتامى » .

ومع ذلك فقد كانت لهم مقاييس من الفتوة والمروءة بحيث انهم كانوا يقولون (كما يروي ابن الجوزي الفقيه الحنبلي المشهور في القرن السادس) :

« الفتى لا يزني ولا يكذب ويحفظ الحرم ولا يهتك ستر امرأة » . وعثمان الخياط نفسه كان يقول انه لم يعتد قط على جار له مهما كان . . . فالجوار له حق في نظرهم يعلو على كل حق . . ولعل اقوالا كهذه التي ترددت في كتب الجاحظ هي التي استشهد بها لص التنوخي المذكور ، ولقد بقيت شخصية عثمان الخياط وامثاله من (حكماء اللصوص !) قدوة يقتدي بها هؤلاء ، شاهدا على هذه الطبقة عبر العصور .

ويصف التنوخي لصا ظريفا آخر كان يطلع قريبا من بغداد بأنه كانت « فيه فتوة وظرف ، وانه اذا قطع لم يعرض لاصحاب البضائع القليلة التي تكون دون الألف . واذا اخذ ممن حاله ضعيفه شيئا قاسمه عليها فترك شطر ماله في يديه وانه لا يفتش امرأة ولا يسلبها . . . » .

الموقف من العلماء

لقد كان هذا الاتجاه في ادب الجاحظ بوادر أولى نحو أدب واقعي يتناول حياة الناس اليومية ويقدمها للقاريء بجميع صورها المشرقة او المعتمة ، ينطق بلسانها ويصور احوالها وطبيعة تفكيرها ، وينقل كل ما يدور عنها من حكايات واحاديث . .

على ان الاتجاه الى نقل كل ما يخص العامة لا يعني باية حال من الاحوال ان الجاحظ او هؤلاء الأدباء كانوا يجعلون من هذه الطبقة قدوة يقتدون بها او ينصحون باتباعها . فقد يتردى بعض هؤلاء في حياتهم وفي ضيق افقهم الى مستوى لا يليق بالانسان ان يقتدي به . ومن هنا كان موقف الجاحظ واضحا في ان الخاصة من العلماء ـ ولا سيما المتكلمين من المعتزلة الذين كان الجاحظ نفسه من اتباعهم ـ يجب ان يكون في ايديهم قيادة العامة وارشادهم ، فالخاصة من العلماء أشبه بالعقل المدبر الموجه لوظائف الحواس (التي يشبه بها العامة) وليس للحواس قدرة على التصرف بدون العقل . .

وهكذا ، يبقى أدب الجاحظ معينا ثرا لمعرفة خفايا مجتمع ازدهر بشتى الأنماط والفئات من الناس ، عايشه الجاحظ بكل قدراته وتوثبه العقلي ، وقدمه لنا في كتاباته طوال فترة قاربت قرنا من الزمان (نحو منتصف القرن الثاني الى منتصف القرن الثالث) هي الفترة التي عاشها ابو عثمان . □□

اليهود وعالم الطيران

بقلم : الدكتور محمد عيسى صالحية

« وقضى اليهود الليل فوق أسطح المنازل ، يترقبون الملائكة لتحملهم من بغداد الى القدس ، وعندما اشرق الصباح انطلقوا يهرولون في شوارع بغداد وقد ارتدوا الثياب الخضراء » . . . ثم . .

ما من أمة اكتوت بمكائد اليهود ومؤامراتهم وفتنهم اكتواء الأمة العربية عبر العصور التاريخية ، فمنذ أدرك أحبار اليهود أن نبيا سيبعث من بين العرب ، أعملوا الحيلة والغدر والاغواء والشعوذة ضده ، حتى اذا ما هاجر النبي ﷺ الى المدينة وبدأ تنفيذ اعلان الصحيفة التي عقدها بين أهل المدينة تنكروا له .

وكان ما كان من أمر اجلائهم من جزيرة العرب لتستريح الأمة من افكهم وضلالهم ، ومن ثم تنهض جيوش الفتح بحمل الدعوة للمشرق والمغرب ، شعارها « الاسلام أو الصلح أو الحرب » والأمان لأهل الكتاب ، فهم في ذمة المسلمين اذا ما حفظوا عهد المسلمين وميثاقهم ، ويروي البلاذري في فتوح البلدان أن عمرو بن العاص غداة فتح مصر ، استدعى بطريرك الاقباط بنيامين من مخبئه في مغاور وكهوف الصحراء ، ومنحه قدرا كبيرا من الحرية ، نظم بعدها شئون طائفته ، وبنى العديد من الكنائس ، ومثل ذلك فعل عمروابن العاص مع يهود مصر الذين كانوا يقطنون الاسكندرية ، أمنهم وضرب عليهم الجزية ، ولكن أنى لهم احترام المواثيق حتى التوراة لم تنج منهم ، لا من حيث التحريف ولا الاضافة ولا الحذف ، وقد انسحب هذا على قول أشعيا في نبوءته « ان الذئب والكبش يرعيان جميعا ويربضان معا ، وان البقرة والدب يرعيان جميعا ، وان الأسد يأكل التبن كالبقرة » كانت نبوءة أشعيا عندهم علامة مبعث المسيح ، ولذا أقاموا ينتظرون الأسد آكل التبن . وعندهم متى جاء هذا المسيح فانه سيجمعهم في القدس وتصير لهم دولة ، ويخلو العالم من سواهم فيحجم الموت عن جنابهم المدة الطويلة .

وتبدأ رحلة المتاعب مع مسيح اليهود ، فيدعي يهودي من بلاد الشام ، اسمه سيرينوس أو (سويرا) بأنه المسيح المنتظر ، ويدعو اتباعه لترك تعاليم التلمود ، فيتبعه سُذّاج اليهود ، وتعصف بهم الترهات والاغراءات ، ولما اشتد خطره قبض عليه الخليفة الأموي يزيد بن عبد الملك وسلمه لرؤساء اليهود الذين تولوا محاكمته ، وبذا استراحت الأمة من شره ، لقد كانت بدعة سويرا تقوم على أنه الكوكب الدري الذي ورد ذكره في التوراة ، وهو الذي يضيء القمر ، وتلك مقولة « الألفان » مسيح السامرة الذي ادعى النبوة حتى قبل ظهور السيد المسيح عليه السلام ـ وحذف وأضاف وعدل في تعاليم التلمود كيفما شاء .

وحين كانت معاول الهدم تفتت كيان الدولة الأموية ، ويعلو نجم الخلافة العباسية ، كانت دعيّ آخر يرفض « تعاليم التلمود » ويحرم الذبائح ويلغي الطلاق ، ويزيد الصلوات وقتا اضافيا ، ويشيع بين عامة اليهود أن الله تعالى كلفه بتخليص بني اسرائيل من أيدي الأمم العاصين والملوك الظالمين ذاك هو أبو عيسى ، اسحاق بن يعقوب الأصفهاني ، وقيل ان أسمه عرقيد الوهيم أي (عابد الله) بدأ دعوته في أواخر خلافة مروان بن محمد ١٣١ هـ ، فاتبعه اليهود ، وفي محاولة منه ـ لاقناعهم بصدق دعواه ـ خط على أصحابه بعود آس ، وقال لهم : « أقيموا هذا الخط فلن ينالكم عدو بسلاح ، ويمضي الرجل في التأليف بين السذج حتى اذا ما استفحل أمره سير له الخليفة العباسي المنصور جيشا التقاه بالري وقتله وبدد جمع أتباعه ، ولم ينفعه لاعوده ولا آسه . ومع ذلك فغوايات اليهود استمرت .

وتكاد أن تكون فتنة داود بن الروحي أخطر ما تعرضت له الدولة الاسلامية ، لكثرة أتباع داود من اليهود ، والمنطقة التي حاول الاستيلاء عليها لاقامته وتأثيرها على اليهود القاطنين بعاصمة الخلافة ببغداد حسب ما رواه المؤرخ الوحيد الذي شاهد حوادثها عن كثب وأفرد لها فصلا في كتابه الموسوم « بذل المجهود في افحام اليهود » فقد ارتحل السموأل بن يحيى المغربي مصنف الكتاب السابق الى أذربيجان حيث خدم بيت بهلوان ، وتوفي في مراغة سنة ٥٧٠ م . ونسج على منواله بنيامين بن يونة التطيلي في رحلته سنة ٥٦١ هـ .

اسلام السموأل

كان السموأل بن يحيى من أعاظم أحبار اليهود قبل اسلامه في بغداد سنة ٥٥٨هـ ، اثر زيادته للشرق كله واقامته في بغداد ، ثم الانتقال منها الى أذربيجان بعد أن درس مبادىء الاسلام ، وفهم كل اسراره ، وعلم محاسنه وفطرته ، وكان من نتيجة هذه الدراسات أن أسلم الرجل عن علم وخبرة ويقين ، وهو الطبيب والفيلسوف والحيسوب (الحاسب) والمهندس ، والمطلع على الأخبار والحكايات في الزمن القديم وأمهات كتب التاريخ والأدب . ويروي السموأل باستغراب سرعة استجابة اليهود الى قبول الباطل والمستحيل المتمثل في دعوة داود بن الروحي الذي نشأ في سواد الموصل ، وتلقى العلم في بغداد . عن حسداي رأس الجالوت ، وعن علي رأس المثيبة ، فتضلع في التوراة والفقه والتلمود ، ونبغ في فنون السحر والشعوذة ، ودخل في روعه أن يعلن العصيان على قطب الدين مودود صاحب الموصل في خلافة المقتفي لأمر الله ، مدعيا أن الله قيضه لفتح القدس وانقاذ اليهود من نير الاستبعاد ، فآمنت به جماعة من سذاج اليهود وحسبوه المسيح المنتظر ولقد اقتضى هذا سجنه من قبل السلطان ، ويبدو أنه أفلت من السجن ، فهرب الى العمادية (شمال العراق) وهناك أشاع اسطورة عن كيفية هربه وملخصها : انه تمتم باسم « شيم همفوراش »وهو اسم الله الخفي الذي لايطلع على سره الا المتوغل في أسرار اللاهوت ، وان التلفظ به يمنح المرء قوة خارقة مثل الاختفاء عن الأنظار ، وقطع المسافات البعيدة ، وروى لأتباعه خبره مع سلطان السلاجقة الذي سجنه ولكنه خلص نفسه من السجن ، وذهب الى مجلس السلطان وأظهر له أنه لا يخشاه ، ولا يرهب أحدا من وزرائه فاغتاظ السلطان منه وأمر جنده بالقبض عليه فهرب منهم حتى وصل نهر « قيزيل أوزون » وهناك نشر طيلسانه فوق الماء ، وعبر عليه الى الجانب الآخر ، وأمر السلطان جنوده أن يلحقوا به ، فركبوا الزوارق الى الشاطىء الثاني ، ولكن دون جدوى ، الى أن ظهر ابن الروحي في العمادية كما أسلفنا .

وحقيقة الأمر أن داود بن الروحي كان يخطط للاستيلاء على العمادية ، مستغلا صداقة واليها له ، لتبقى له معقلا حصينا ، فكتب الى اليهود القرائين بنواحي أذربيجان وذكر في كتبه ، انه قائم قد غار لليهود من يد المسلمين وخاطبهم بقوله : « ولعلكم تقولون هذا لأي شيء قد استفزنا لحرب أم قتال ؟ لا .. لسنا نريدكم لحرب ولا لقتال ، بل لتكونوا واقفين بين يدي هذا القائم ليراكم هناك من يخشاه من رسل الملوك الذين ببابه »ويضيف في كتابه اليهم : « وينبغي أن يكون مع كل واحد منكم سيف أو غيره من آلات الحرب ويخفيه تحت أثوابه » فاستجاب اليه يهود الأعاجم وأهل العمادية

وسواد الموصل ، وهنا ضيق عليهم الوالي وكاد أن يهلكهم لولا وصول رسول من بغداد بكتاب الى ابن الروحي من رأس الجالوت ورؤساء المثيبة وفيه : « ليكن معلوما لديك أن موعد ظهور المسيح لم يحن بعد ، وليس لدينا البراهين على قرب ظهوره ، وهذا أمر لايتأتى بالعنف أو بشق عصا الطاعة ، وأنا لمطالبوك بالكف عما أنت فيه ، وإلا حرمناك من جماعة بني اسرائيل » ولكن النداء ذهب أدراج الرياح ، واستمر ابن الروحي في فتنته ، مما دفع زين الدين علي بن بكتكين التركماني الى تدبير قتله على يد حميه ، حيث ذبحه صهره وهو يغط في النوم في فراشه .

الطيران الى بيت المقدس

ومع ذلك لم يخمد مقتل ابن الروحي نار الفتنة ، بل زادها اشتعالا ، فقد نادى يهود العمادية بابن الروحي المسيح المنتظر ، وفي مدن كسلماس وتبريز ومراغة جعله اليهود هناك قسمهم الأعظم . وأما في بغداد فالبلية أعظم .

وتفصيل ذلك أنه لما وصل الخبر الى بغداد اتفق هناك شخصان من محتالي اليهود ، رويا أنهما كانا من أخلص حواريي ابن الروحي ، وقد حملها رسائل ليهود بغداد ، يبشرهم فيها بالفرج الذي ينتظرونه بالعودة الى بيت المقدس ، فقد حانت العودة الى أرض الميعاد وحدد لهم ليلة يطيرون فيها أجمعين الى بيت المقدس .

وانطلت الحيلة على يهود بغداد وهم الذين يعتبرون أنفسهم أكثر مدنية من سواهم من يهود الأرياف والاطراف ، وتسارع اليهود شيوخا ورجالا ونساء الى هذين المحتالين وهم يحملون الأموال اليهما ليتصدقا بها على من يستحقها ، ولمزيد من الارباك فقد طلب المحتالان الى يهود بغداد أن يتزينوا بالثياب الخضر ، فأورشليم لا تستقبل الا أصحاب الأردية الخضراء ، فتدافع اليهود في أسواق بغداد يشترون الثياب الخضر استعدادا للطيران ولتقبل المدينة المقدسة دخولهم اليها .

واجتمع اليهود في الليلة الموعودة فوق سطوح المنازل ، ينتظرون الطيران على أجنحة الملائكة الى بيت المقدس ، وارتفع من النساء البكاء على أطفالهن المرتضعين ، خوفا أن يطرن قبل طيران أطفالهن أو يطير الأولاد قبل أمهاتهم ، فتجوع الأطفال بتأخير وقت الرضاعة ، والعروس تبكي عريسها حسرة الفراق عند الطيران .

كل هذا يجري والمسلمون في بغداد متعجبون مما أصاب اليهود ، ويعتقدون أن خبلا قد حل بالقوم ، ومع ذلك أحجموا عن معارضتهم بل تركوهم يمرحون فوق أسطح المنازل ، حتى تتكشف آثار مواعيدهم الخادعة واستمر اليهود يشدون أنفسهم ويوثقونها حتى لاح الصباح ، ولم تأت الملائكة لحملهم فهرعوا الى المحتالين ، فوجدوهما قد نجوا بما وصل اليهما من أموال اليهود . فانكشفت الحيلة وضاعت أمانيهم ، وسموا ذلك العام ، « عام الطيران » وصاروا يعتبرون به سنين ، كهولهم والشباب منهم . وينهي السموأل خبر عام الطيران بقوله : « وهو تاريخ البغداديين من المتهودة في هذا الزمان ، فكفاهم هذا الأمر عارا دائما وشنارا ملازما » .

وأخيرا نسج اليهود من أوهامهم أرض ميعاد ، وتغنوا بالقدس قبلة التقديس زورا ، ودأبوا على عزف النغم ، حتى ذبحوا المدينة المقدسة ، وبدمها عجنوا فطيرهم لليلة العيد ، واما نحن فالمدينة قبلتنا الأولى ومسجدها الذي أسرى اليه بمحمد ﷺ فنغمتنا الأبدية « القدس عروس عروبتنا » .

□□

إرفعي المشعل

في بِلادي في مغانِي   ارضِ اجدادِي الجميلةْ
لي مع الأيامِ أخْبَا   رٌ واسرارٌ طويلةْ
هل ابوحُ اليومَ بالشَّجْـ   ـوِ لأحبابي وقومي
فلعلَّ البَوْحَ يجْلو   عن فؤادي بعض همّي
يابلادي انتِ أنْأى   من سَنَى الأنجم عنّي
بيدَ ان الجُرْحَ في الأعما   قِ يبكي ويُغنّي
غُرباءُ الأرضِ أغْرا   هُمْ بريقُ الذهب
فاستباحُوا دونَ حقٍّ   ارضَ أُمّي وأبي
وغدَا ديدنُ اهلِ الْـ   ـحَيِّ خبثٌ ونفاقٌ
كيف يرتاحُ الضميرُ الـ   ـحُرُّ والحقُّ مُرَاقٌ ؟
في بلادي في مغاني   ارضِ أجْدادِي الجميلةْ
نَسِيَ النّاسُ من البَأْ   سِ التواريخَ الجليلةْ
ابتِ الأحلامُ والآ   مالُ في الدَّمْعِ السَّخينْ
وجَرى الدمعُ دماً يَبْـ   ـكِي على الحقِّ السجينْ
أضحتِ الأخلاقُ بَيْنَ النا   سِ عُقْلاتٍ قديمةْ
سُحُبُ الحُبِّ طوتْها   غَبْرَةُ الجُرحِ الأليمةْ
كُلَّما غُدْتُ أراني   في حِمَى أهلي غريبةْ
وهمو مثلي اغرا   بٌ على أرضٍ سليبةْ

شعر الدكتورة : سعاد الصباح

نحـن امْسَيْنـاَ مـعَ الأغـ ـتام ِ في أرْض ِ بـلادي

والكـلابُ السـودُ تَـرْعَـى والخنـازيـرُ تنـادي

رُبَّمَـا تـأكُلُنـا يَـوْ مـاً وبـاسْـم المـدنية

يسقطُ الـوَعْيُ ويَغْدُو الشعـ ـبُ للـغـازِي ضَحِيَّـةْ

يـا شَبـابِـي إنَّ فيكُـم كـلَّ آمـالِي الـرَّفيـعـةْ

وبِـلادِي بـينَ أيْـد يكُـم تـراثٌ وَوَديـعـةْ

فـانهضُوا من غَفْـوَة الوَعْي ومِـن أَسْرِ السكينـةْ

قبـل أن تَـغْـرَقَ في الطُّـو فـان أعْـلامُ المـدينـةْ

اطـرَحـوا كـلَّ بـريـقِ وتنـاسَـوْا كـل زينـةْ

واجـعـلـوا أيْـديَكُـم دِر عـاً عـلى الحق أمينـةْ

كـلُّ مـا يُبْنَـى عـلى الرَّمـ ـل هبـاءٌ في هبـاء

أثْبِتـوا في الـعمْـقِ مـايَـر قَـى لأسبـابِ السمـاء

يـا كُـوَيتِـي يـا بِـلادي يـا حياتي ، يـا مَصيري

هـأنَـا اشـعـرُ أنـي ضـلَّ في الأرض ِ مسيـري

هــذه الأيـامُ لا تَـعْـ رفُ مـعنًـى للشُّبـاتِ

والـذي يَـغْفَـلُ تَطْـويـ ـه ريـاح الـذكـريـاتِ

حـرِّكي فيـكَ الشبـابَ الـ حُـرَّ نحـوَ الأمنيـاتْ

ليس في الـدُّنيـا ثبـاتٌ بـل حيـاةٌ أو ممـاتْ

جوامع

الدكتورة سلمى الجيوسي

أجرى المقابلة :

سليمان الشيخ

□ ما هو موقع الأدب العربي ضمن قائمة الآداب العالمية ، وهل وصل أدبنا الى القاريء في الشرق والغرب ؟ وهل هناك أزمة يعاني منها هذا الأدب ؟ وما هو موقع الشعر الحديث والشعر المنثور قياساً بالشعر « البيتي » ؟ ؟

عن هذه الأسئلة وغيرها . . كانت إجابات الدكتورة سلمى الخضرا الجيوسي : ـ

التجريب وآفاق الشعر :

س : استناداً الى ظاهرة عودة بعض الكتاب الى كتابة الشعر حسب شكله البيتي ، فان بعض المتابعين خرجوا باستنتاج يقول بأن ذلك قد تم لأن أفق الشعر الحديث وصل الى منتهاه ، ولم يعد عنده ما يضيفه الى حركة الشعر العربي . . فما هو رأيك دكتورة سلمى ؟

جـ : عندما بدأت حركة الشعر الحديث في الخمسينيات تترسخ وتؤسس لنفسها مفاهيم معينة كان ذلك ممكناً لأن الشاعر العربي أحس بقدرة جديدة كبيرة على تخطي الأساليب والأشكال الشعرية الموروثة والكتابة بأساليب لم يألفها الشعر العربي من قبل . هذه الجرأة على

■ عصرنا ما زال عصر تجريب حاد في جميع عناصر القصيدة .

■ صورة الشاعر المقاتل لا يمكن ان تنطبق على شعراء جيل كامل .

أغلب الذين يتحدثون عن الشعر في بلادنا .. يعنون بما يقال في الشعر لا بكيفية قوله !

■ ما هو دور الاقليمية في تدشين كتاب وشعراء غير مجيدين وغير جيدين ؟ ؟

■ مشروع « بروتا » يملك طموح ترجمة خمسين كتاباً الى اللغات الحية في ظرف خمس سنوات .

التجريب لم تفتر بل ازدادت قوة ، وهذا مهم جداً . ان يشعر المبدعون بأنهم قادرون على تجريب أي شيء وتغيير أي شيء وتخطي أي شيء (شريطة أن لا يخرجوا على قواعد الفن وأصالته) . لم يزل عصرنا عصر تجريب حاد في جميع عناصر القصيدة : في شكل الشعر ولغته وصوره ومواقفه ولهجته ومواضيعه . وقول البعض ان الشعر الحديث قد وصل الى منتهاه لا يدل على شيء ، حيث أن أفق الشعر الحديث واسع جداً ولم يزل غنياً ومليئاً بالامكانات . ولا شك أن أزمة الشعر المعاصر لا تعود الى انغلاق أفقه إطلاقاً .

أما من حيث الشكل نفسه فان الأشكال الكثيرة القادر عليها الشعر المتحرر من قانون الشطرين والقافيه الموحدة (ما يسميه الناس خطأ بالشعر العمودي) لم تستنفد نفسها بعد ، بل على العكس اننا لم نزل في بداية التجربة . كانت العقبة الصلدة الكبرى أمام تغيير شكل الشطرين هي أن يتوصل الشاعر الى أسلوب جديد يخترق به قانون التوازن والوقوف في هذا الشكل ويفكك انقسامه الشطري المتساوي . كانت الأذن العربية عبر القرون قد اعتادت على التوازن والتقسيم المقنن والتساوي المزمن في هذا الشكل وكان الفكاك منه عسيراً . أما عندما تم للشعراء الوصول الى أسلوب الشعر الحر ، بعد تجارب كثيرة بدأت منذ مطلع القرن الحالي ، فان المجال أصبح مفتوحاً أمامهم للتجريب المستمر وابداع أشكال كثيرة جديدة .

وكذلك في عناصر القصيدة الأخرى .

أما عودة بعض الشعراء الى كتابة شعر الشطرين فانهم يستعملون أحد أشكال الشعر العربي المهمة . وقيام الشعر الحر لا يعني ان أشكال الشعر العربي القديمة من شكل الشطرين والقافية الموحدة الى الموشح وغيره قد ماتت وانتهت الى الأبد . ان الأشكال الشعرية المكتملة فنياً كشكل الشطرين الذي استوعب ←

حضارتنا جميعاً عبر أكثر من خمسة عشر قرناً ليس شكلاً مرحلياً جاء لكي يوصل الشاعر الى ما هو أحسن منه .

إن شكل الشطرين والقافية الموحدة شكل كامل الفنية له تقنيته المدهشة ومزاياه الخاصة والشكل الحر لا ينفي ولا يغني عنه الى الأبد . وعلى الصعيد النظري لا مانع من أن يتعايش الشكلان معاً . الا أن المشكلة العملية هنا تقع في قدرة الشاعر على استعمال شكل قديم موطد بلغته ومواقفه ولهجته وإيقاعاته واسلوبه بنجاح وترويضه ليستوعب لغة مبتكرة ومواقف حديثة ولهجة جديدة وأسلوباً في الكلام غير مألوف .

س : فهل تعتقدين أن هناك أزمة تعاني منها حركة الشعر في هذه المرحلة ؟

وهل ما نشهده من تراجعات وأزمات على صعيد الواقع العربي هو من أسباب أزمة الشعر . . أم ان لحركة الشعر معادلاتها وكيمياءها الخاصة بها ؟

جـ : في ما يتعلق بأزمة الشعر فانني أجتهد فأقول :

نعم ، إن الشعر المعاصر اليوم يعاني من أزمة حادة ولكنها أزمة فنية في الدرجة الأولى ونفسية في الدرجة الثانية .

* ولنبدأ بالناحية النفسية : فان كان ثمة مؤثرات نفسية تسببت في أزمة الشعر العربي الحديث فانها لا تعود الى التراجعات والأزمات التي يعانيها الواقع العربي ، هذه كانت خليقة بأن تفجر ينابيع الرؤيا والخلق عند الشعراء بدل أن تكبحها . واني أظن ان الشعراء كانوا سيقعون في نفس هذه الأزمة لو كان الواقع العربي مختلفاً أي أكثر إيجابية .

إن الدافع النفسي وراء الأزمة هو المفهوم المشوش لطبيعة الشعر ورسالة الشاعر . فقد أجمع أغلب الشعراء ونقادهم بأن دورهم في

الشعر يجب أن يكون سياسياً قيادياً مقاوماً ملتزماً بأنواع الكر والفر التي تهيمن على الحياة السياسية . وكذلك فان جمهور الشعر أبدى شغفاً خاصاً بهذا النوع من الشعر . ولكن الأزمة وقعت لأن هذا الشعر اتخذ نغماً موحداً في كل مكان : انه شعر متجهم ، هجومي ، غاضب فيه تحد جارح ويحمل لهجة غاية في التوتر والتشنج وطبقة صوتية عالية محترقة حتى انه يكاد يكون في أغلب نماذجه ، شعراً منبرياً خطابياً ذا قاموس موحد وطريقة متماثلة في التناول . هذا أحد أسباب الأزمة الراهنة ، فلا الشعراء ولا نقادهم فطنوا الى الأمور التالية :

أ - الفرق الأساسي بين التعبير الفني عند الغضب والرفض وبين الأسلوب الفج إن الفجاجة ضد الفن والقصائد التي تتصف بالاحتدام والغضب المستمر واللهجة العالية والزعيق ، دون أن تلجأ الى فترات هدنة تخفف من حدتها ، تجيء فجة حتى أنك تشعر بأن الشاعر لم يعد قادراً على الشعور بالمشاعر الطبيعية وكأن شيئاً قد انفلت منه ولا يستطيع هو اللحاق به .

ب - إن للشعر السياسي ولشعر الغضب والمقاومة شعراءه وصورة الشاعر المقاتل لا يمكن ان تنطبق على شعراء جيل بأكمله فلكل شاعر مزاجه النفسي والشعري الخاص الذي لا يبدع الا من خلاله . لقد قرأت في السنتين الأخيرتين مئات الدواوين الشعرية المعاصرة - ووجدت أن من العسير جداً أن يتبين الانسان قصيدة من قصيدة وشاعراً من شاعر . وكم حصل شاعر ضعيف الموهبة على شهرة واسعة لأنه التزم بقضية مهمة مع انه عبر عنها بكلام ضعيف فنياً .

جـ ـ إن التعبير عن الموقف الرافض أو الغاضب لا يشترط هذا الأسلوب المتشنج فبامكان الشاعر ان يعبر عن نفس الموقف الرافض بأسلوب التهكم والسخرية والمفارقة البارعة . غير أن الشاعر المعاصر فيما عدا شاعرين أو ثلاثة لم يستغل هذا الأسلوب في الشعر ولعل هذا يعود الى صعوبة هذا الأسلوب وضعف عرفه في الشعر العربي الحديث .

الصورة الشعرية

من الواضح ان هذا الوضع له علاقة بالناحية الفنية في الشعر أيضاً . غير أن لهذه الناحية أبعاداً أخرى أكثر فداحة أهمها سوء فهم الشعراء للصورة الشعرية الجيدة . فالشاعر المعاصر يكثر من استعمال الصور في القصيدة الواحدة من ناحية ومن ناحية أخرى يصر على التفنن والابتكار في هذه الصور ـ وهذان الأمران مشروعان لو أن مفهوم الصورة الجيدة كان واضحاً لديه ، أو لو أن غريزته الفنية لم تشوش .

إن الصورة الشعرية المعاصرة تمتاز أولاً بالغرابة والحدة وثانياً بالمباعدة بين طرفي التشبيه وفي هذا تكمن جودتها ومنه ينبع تعقدها وطرافتها عندما تكون صائبة . ولكن في هذا أيضاً يكمن إمكان الخلل والشطط . فالصورة المعقدة الغريبة التي تباعد بين طرفي التشبيه لا تكشف ضعفها بسهولة عندما تكون غير موفقة أو رديئة ومن السهل أن يظن القارىء وحتى الناقد أن الضعف يكمن في عجزه عن فهمها لا في خللها هي نفسها . ولكن للصورة الشعرية الجيدة سواء كانت مباشرة أو غير مباشرة ، بسيطة أو معقدة ، قواعد لا يمكن الخروج عنها بنجاح .

١ ـ يجب ان تكون للصورة الشعرية وظيفة ما في القصيدة فهي إما تنمي المعنى أو تكثف العاطفة أو تعمق عنصر الجمال فيها .

٢ ـ ويجب ان يكون لها منطق داخلي يسري الى وجدان القارىء ويفهم شعرياً حتى عندما يكون تفسيرها منطقياً أمراً عسيراً .

٣ ـ يجب ان تكون صور القصيدة منسجمة لا ينقض بعضها بعضاً . وأنا لا أتكلم هنا عن التناقض الفني الذي يشكل عنصراً رائعاً أحيانا من عناصر القصيدة الحديثة بل عن الصور التي ينفي بعضها بعضاً كما يطفىء الماء النار .

٤ ـ والصور الجيدة تجيء دائماً منسجمة مع لهجة القصيدة ورؤياها فان كانت لهجة القصيدة تهكمية ساخرة كانت الصور حزينة مضحكة أو منطوية على مفارقة تبرز عنصر التهكم .

٥ ـ الصور في القصيدة يجب ان لا تكون عبارة عن كومة من الركام الخاوي من المعنى فكأن الشاعر يدور في فراغ . وهذه مع الاسف ظاهرة بارزة في شعرنا المعاصر .

النقـــد

س : يعيد البعض ازمة الشعر العربي المعاصر الى غياب الناقد عن القيام بدوره فهل ترين من جهتك ان لهذا القول صحته ومصداقيته ؟

جـ : الى حد غير قليل . واسباب ضعف النقد متعددة الخصها بالتالي :

(١) ثقافة الناقد الفنية : واعني بها هنا معرفته بتقنيات الشعر واسسه الفنية ، ان اغلب الذين يتحدثون عن الشعر عندنا انما يعنون بما يقال في الشعر لا بكيفية قول الشعر . وقد كان تحليل النقد للموضوع الشعري ومازال اكثر ما يعني به الناقد ، فالموضوع في متناول اليد يستطيع ان يخوض في الكلام عنه اغلب الكتاب . غير ان الشعر العربي المعاصر في حاجة شديدة الى من يحلل تقنية الشعر ويبرز محاسن الصور واللغة

د . سلمى الخضرا الجيوسي

- شاعرة وأديبة واستاذة جامعة في مادة الأدب الحديث .
- درست في جامعة الخرطوم من سنة ١٩٧٠ الى سنة ١٩٧٣ .
- درَّست في جامعة الجزائر من سنة ١٩٧٣ الى سنة ١٩٧٥ .
- درسَّت في الجامعات الأمريكية .
  - يوتــا .
  - واشنطن .
  - مينشجان .
  - تكساس .

من سنة ١٩٧٦ الى سنة ١٩٨٠ .

* أسست مشروع « بروتا » لترجمة الآداب العربية الى اللغات الحية عالمياً سنة ١٩٨٠م .

- لها دراسات نقدية كثيرة نشرت في المجلات العربية والانجليزية تعدها لتصدر في كتابين .
- صدر لها كتاب « الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث » في جزأين من دار بريل في هولندة سنة ١٩٧٨م .
- لها ديوان شعر صدر سنة ١٩٦٠ تحت عنوان « العودة من النبع الحالم » .
- كتبت فصلاً بالانجليزية عن الشعر الأدبي الأموي لموسوعة كامبردج للأدب العربي .
- ترجمت الجزء الأول والثاني من رواية « رباعية الاسكندرية » للورنس داريل .
- ترجمت كتاب « الشعر والتجربة » لماكلش .
- ترجمت كتاب « مآثر في الشعر الأمريكي » للناقدة لويز بوجين ولها عدة ترجمات أخرى في الرواية والنقد أيضاً .

والاسلوب والشكل في قصيدة ما او مساوئها . وهو امر صعب مجهد لا يطيقه الا من ملك معرفة دقيقة بتقنيات الشعر عامة وتقنيات الشعر العربي خاصة ، لاسيما في قضية الشكل العربي . ان عصرنا كما قلت ، عصر تجريب وتجديد ، وفيه نزوع نحو كل ما هو غير مألوف في الشعر . وقد كان هذا النزوع كفيلا بان يقود الى الابداع لو ان النقد وقف بالمرصاد للشذوذ والمبالغة في الابتداع والخروج عن مقاييس الفن . ولكن النقد وقف محايدا او مؤيدا ، فتمكنت بعض الازياء الشعرية ان تسيطر على الشعر .

٢ ـ الاقليمية : اذا نظرنا الى الشعر العربي المعاصر عامة وجدنا انه موحد الى حد كبير في رؤياه واساليبه وتأكيداته ـ كما اسلفنا ـ ولكن الاقليمية لعبت مع ذلك دورها السلبي في احداث البلبلة التي تحدثنا عنها في المفاهيم ذلك لأن لكل قطر عربي شعراءه ونقادهم والكتاب الذين ينبرون للكتابة عنهم لانهم جميعا ينتمون الى نفس البلد العربي . وقد دشن النقد الاقليمي احيانا كتابا وشعراء غير مجيدين مع الاسف .

٣ ـ كثرة الصحف والمجلات في كل بلد عربي : وقد استوجب هذا توظيف عدد كبير من الصحفيين بينهم كثيرون ينبرون للتحدث عن الشعر والشعراء كل في حدود معرفته ومفهومه الخاص . ولاشك ان ثمة مئات الصفحات يجب ان تملأ كل يوم في هذا الوطن العربي الواسع ، وان ادباء قطر معين يجب ان يكرموا على صفحات الجرائد والمجلات التي تصدر في بلدهم ، مجيدين كانوا ام غير مجيدين وهذا يستدعي السرعة والسطحية واحيانا عدم الاخلاص .

غير ان الشعر المبدع لايحتاج دائما الى النقد لكي يزدهر في بعض العصور . فالغريزة الفنية الراقية كفيلة بان تقود الى الابداع في اي عصر طبيعي . ولكن عصرنا غير طبيعي ، فقد انفتح

على جميع الاراء المتضاربة في كل آفاق الحياة الانسانية بما في ذلك الفن . ووصل الحال الى ان يسود في الشعر زي معين لأن سيادته اقترنت بالعصرية او الثورية او كليهما معا . وهذا الوضع هو الذي احدث الحاجة الماسة الى نقد واع مثقف .

الترجمة . . وموقع الادب العربي

س : بما ان لك تجربتك واطلاعك الواسع على حقيقة موقع ادبنا العربي ضمن الآداب الاخرى فهل ادبنا في اتجاهاته المتعددة قد وصل الى القاريء الاجنبي ، خاصة الغربي منه ؟ وما هو موقعه في الجودة قياسا بالآداب الاخرى ؟
وما هي المشاكل التي تعترض ترجمته . . وما هو المطلوب لتوصيل ذلك الادب الى يدي القاريء غير العربي ؟

جـ : ان ادبنا لم يصل لا الى القاريء الغربي ولا الى القاريء الشرقي ، فكما ان الغرب ، من امريكا الشمالية الى امريكا اللاتينية الى اوروبا واستراليا لا يعرف شيئا عن ادبنا ، فان الهند واليابان والصين وافريقيا كلها تجهله ولا تحمل اية فكرة واضحة عن انجازات الحضارة العربية . ان هذه حقيقة مؤلمة ومحرجة لكل مثقف عربي ولكل مسئول عن الثقافة العربية ان هو ادركها . فنحن الذين نتوسط العالم ، والذين نمثل حضارة كبيرة هي احدى اهم خمس حضارات عالمية ، والذين حملنا رسالة روحية عظيمة للانسانية لا نستطيع ان نجد لنا موطيء قدم في حقل الثقافة العالمية المعاصرة بسبب جهل العالم بنا ، او ان نجد لنا على رفوف المكتبة العالمية ما يكفي من الكتب الراقية الترجمة والتقديم لتعبر بابداع وصدق عن القيمة الانسانية المنضوية في انجازاتنا الادبية والفكرية ورسالتنا الحضارية عبر خمسة عشر قرنا .

كيف حدث هذا ، وكيف يستمر الان ؟ ان اهم هدف يمكن ان يضطلع به وزراء الاعلام والثقافة في هذا الوطن العربي الواسع الكثير الموارد هو ان يعملوا على ايصال هذا الادب والفكر على احسن وجه الى العالم ، وان يعرّفوا العالم بالطراز المتميز الذي بنيت عليه حضارتنا ومعمارنا ونقشنا وشعرنا وكتاباتنا ، فكرنا وموسيقانا ، ادبنا الشعبي واساطيرنا ، صناعاتنا التقليدية المترفة .

رؤيانا للكون والانسان وميزات شخصيتنا الحضارية الخاصة . لذلك كيف يمكن للعالم ان يحترم ويحب امة لا يعرف شيئا عن فكرها

وعبقريتها الفنية ومعاناتها الانسانية كما يصورها ادبها الجيد ؟

اما موقع ادبنا في الجودة قياسا بالآداب الاخرى فانه ادب انساني عظيم فيه قيم كثيرة عبر تاريخه الطويل ـ من الجاهلية حتى اليوم ـ فعندنا كتاب كبار في مجموع انتاجهم وعندنا كتاب تفوقوا في عدد طيب من انجازاتهم الادبية . ولكنهم غير معروفين عالميا . والترجمات القليلة التي تمت لبعض انتاجهم بقيت محصورة في دوائر تدريس العربية ، اجمالا .

وثمة فرق في معنى نقل ادبنا القديم ومعنى نقل ادبنا الحديث الى العالم . فان نقل القديم هو تقديم للحضارة العربية الاسلامية وتعريف للعالم بروحها التي اسهمت في التكوين الحضاري للشعوب الاسلامية جميعها ، وتفسير لمغناها وللدور الذي لعبته في الحضارة الانسانية ، حتى يقدر ابناء الحضارات الاخرى موقعنا من تاريخ الانسانية جميعه . وتقديم ادبنا الحديث هو الدخول الى ميدان الثقافة المعاصرة واخذ مراكزنا مع الانداد والمشاركة (لاسيما مع كتاب العالم الثالث) في اعلاء صوت الانسان المعاصر وفي التعبير عن الوضعية الانسانية في الظروف الخاصة التي يواجهها الانسان في العالم الحديث .

اما سؤالك عن المشاكل التي تعترض الترجمة فان ترجمة الأدب من اية لغة الى اللغات الاخرى تجابه بعض الصعوبات الفنية اهمها صعوبة نقل المصطلح الادبي من لغة الى لغة ثم الفجوة الحضارية التي تجدها بين بعض الحضارات كالحضارة العربية والغربية مثلا . ولذا فان الاختيار للعمل المترجم مهم جدا ، ثم اسلوب الترجمة نفسه ، اذ انه لا يترجم الادب الا اديب في اللغة المترجم اليها .

هذا من الناحية العامة . اما من ناحية ترجمة الأدب العربي فان الصعوبات الخاصة بها هو اننا لم ندرك بعد قيمة نقل تراثنا الى العالم . ان جميع المثقفين العرب يوافقون على اهمية هذا نظريا الا ان هذا الهدف لن يصبح حقيقة الا عند حدوث الوعي الشامل الذي يلهب الخيال ويثير الهمة الى العمل المنظم المخطط الواسع الجوانب الذي يقوم عليه الافراد والمؤسسات التي تحمل الامانة الحضارية اليوم . لقد بدأت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم مشروعا للترجمة انا متأكدة من انه سيسد فراغا ، ولكن الحاجة الى الترجمة الراقية لأحسن انجازاتنا الثقافية واسعة وتحتاج الى مؤسسات كثيرة وتعاون ومخطط شامل .

ان امامنا عملا كثيرا فوضعنا الثقافي حرج للغاية والزمن ضدنا والوقت ثمين يجب ان لا يضيع منه يوم واحد دون العمل نحو هذا الهدف .

أهداف مؤسسة بروتا

س : لقد انهمكت منذ ثلاث سنوات بايجاد مؤسسة تعني بترجمة ونشر الادب العربي قديمه وحديثه فكيف بدأت الفكرة ؟ وما هي الانجازات التي تم تحقيقها ؟ وما هي المشروعات الموضوعة قيد التنفيذ ؟ وما هي ردود الفعل عند القاريء الغربي بعد نشركم لبعض النتاجات ؟

جـ : ولدت الفكرة من الوعي بضعف مكانتنا الثقافية في العالم ـ وهو وعي لا يمكن احتماله اذا شعر الانسان ان في قدرته ان يفعل شيئا . شعرت ان الوضع لن يتغير الا اذا شعر كل مثقف قادر على العطاء مهما كان قليلا بأن عليه ان يسهم في تغيير هذا الوضع .

وقد بدأ المشروع بكتاب واحد كبير جامع هو « منتخبات من الادب العربي الحديث » الذي تنشره دار جامعة كولومبيا للنشر في نيويورك . وساندته وزارة الاعلام العراقية .

وحال تأسيس المشروع انضم اليه عدد كبير من الادباء العرب ومن اساتذة الادب العربي عربا واجانب . واسميناه « بروتا » PROTA أي « مشروع ترجمة الآداب العربية » وكونا له لجنة ادارية وهيئة امناء وهيئة استشارية مرموقة جامعة من حوالي سبعين اديبا واستاذا مختصا بفرع من فروع الادب والثقافة العربية .

وهدف المشروع هو ترجمة ارقى ما انتجته العبقرية العربية من ادب وفكر قديما وحديثا الى الانجليزية اولا ، ثم ، اذا تمكنا من ارساء قواعد المشروع عالميا فاننا نتوجه الى الترجمة الى اللغات الحية الاخرى وعلى رأسها اللغة الاسبانية ، فالاسبانية لغة قارة باكملها تقريبا وتتكلمها شعوب تنتمي الى العالم النامي ، مثلنا ، يشاركوننا همومنا ومطامحنا في التحرر ومن السهل نيل تعاطفهم لو تسنى لهم ان يقرأوا ادبنا الحديث في لغتهم .

ويهدف مخطط المشروع الى ترجمة خمسين كتابا ما بين مجموعات كبيرة وكتب لمؤلف واحد في ظرف خمس سنوات . وقد نتمكن من تحقيق هذا الهدف اذ ان عندنا عددا ممتازا من افضل مترجمي الادب ممن يتقنون اللغتين ويتميزون بحس ادبي راق ، كما ان المؤسسات العربية الرسمية من وزارات الاعلام الى الجامعات الى المؤسسات الثقافية الاخرى قد ابدت اهتماما بالمشروع ، وتفهما لابعاده ورغبة في مساندته وانجاحه . وقد ذكرت اعلاه ان وزارة الاعلام العراقية ساندت مجموعة الأدب العربي الحديث التي انجزناها مؤخرا في سبعمائة صفحة ، كما ساندت وزارة الاعلام في قطر مجموعة الادب العربي القديم التي نعمل عليها الان وهي شقيقة الأولى وستقع في سبعمائة صفحة ايضا وتنشرها كذلك دار جامعة كولومبيا في نيويورك . ان اهتمام هاتين الوزارتين واهتمام جامعة الملك سعود والمجلس الوطني للثقافة ووزارة الاعلام في الكويت سيفسح له المجال لكي يحقق شيئا كثيرا من اهدافه .

اما انجازات المشروع حتى الآن فالى جانب مجموعة الأدب الحديث صدرت لنا رواية اميل حبيبي « الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد ابي النحس المتشائل » عن دار فاينتج في نيويورك . وقد قدمنا للرواية بمقدمة نقدية تاريخية . وقد انجزنا ايضا رواية سحر خليفة « الصبار » وستصدر قريبا مع مقدمة نقدية ايضا ، فجميع كتب « بروتا » تتضمن مقدمات نقدية وهوامش وملاحظات تفسيرية توضح ما قد ينغلق على القاريء الاجنبي .

اما الكتب التي هي الآن قيد الاعداد الى جانب مجموعة الادب العربي القديم فهي اولا « مجموعة القدس الاسلامية في الادب العربي » ومجموعة قصصية لغسان كنفاني ، ورواية محمد يوسف القعيد « الحرب في بر مصر » ، وقصة طويلة لاسماعيل فهد اسماعيل هي « المستنقعات الضوئية » ومجموعة قصصية لجمال الغيطاني ، ومجموعة المسرح العربي وهذه ستكون من اكثر مجموعاتنا جاذبية للقاريء الغربي لاهمية المسرح عنده .

وفي نيتنا العمل على ترجمة مجموعة تضم اهم ما انجزته الجزيرة العربية من ادب ، اذ انه من المهم جدا ان يتعرف الناس على الوجه الثقافي لهذه البلاد الغنية التي اصبحت مركزا ماليا مهما لعالم لا يعرف شيئا عن آدابها ، وابداعها .

المهم في كل هذه الترجمات هو اننا نحرص اولا على انتخاب افضل ما انجزته العبقرية العربية ثم نحرص ثانيا على ان تكون الترجمة في مستوى النص الاصلي ، ولهذا فان كل اعمالنا تعطى بعد ترجمتها الأولى الى شاعر معروف ان كانت قصيدة والى كاتب قدير ان كانت قطعة نثرية لكي يعيد كتابتها فيصقلها ويضعها في المصطلح الادبي الانجليزي الرفيع .

ومن اهم الاشياء ايضا اننا نتعامل مع دور نشر مهمة ولها قدرة واسعة على التوزيع في العالم الناطق بالانجليزية من كندا الى الهند مرورا باستراليا وافريقيا . □□

الإنسان .. والإرادة الشافية

بقلم فيصل الحسن

□ « رغم التقدم العلمي الهائل .. وخضوع كل ظواهر الحياة لقوانين العلم ، يبقي للنفس الانسانية أسرارها وغموضها وأكثر هذه الأسرار غموضا .. مانسميه بالارادة الانسانية » !

في العدد ٣٠٣ من « مجلة العربي » ، وفي باب حديث الشهر ، يعرض الدكتور الرميحي صورة صادقة عن وضع الانسان المعاصر ، الذي يواجه صعوبات حضارية مقلقة مشوشة ، تدفع به الى أتون المرض والأوجاع ، مما يجعله مندفعا الى طلب المعالجة الدوائية .

ويقول الدكتور الرميحي ناصحا بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، « علينا أن نزيد ثقتنا بارادتنا في الحياة وبأنفسنا ، وأن نركز قدراتنا العقلية الدماغية (في مجال البحث) في السيطرة على شتى الأمراض وأعظمها ، في الوقت الذي يجب أن تتناقص تلك الثقة بالأدوية الضارة (وطرق المعالجة التي جرى استخدامها سنوات طويلة قبل أن يتم اكتشاف مضارها) .

وأخيرا يخلص للقول بأن المخرج الحقيقي للشفاء من المرض هو النشاط العقلي ، عن طريق تآزر العوامل البيئية والنفسية . ثم يطرح سؤالا يختتم به المقالة :

« هل تمكننا الحياة العصرية من ذلك ؟ » .

مايطرحه الدكتور في مقالته حول القوة العقلية شيء لايمكن نكرانه ، وأزيد بأنه الموضوع الذي استحوذ على عقول معظم الناس السابقين الذين لجأوا الى السحرة والكهان والمشايخ والقساوسة ، كما اتجهوا الى بعض الرجال الصالحين ، الذين أولاهم الناس ثقتهم ، والذين كانوا - ومازالوا - يؤكدون بوسائلهم الفطرية ، عدم المامهم بمعرفة تلك القوة العقلية الشافية ، الا أن معالجتهم كانت تعتمد الاعتماد الأكبر على تلك القوة .

منذ القدم

فقد أدرك بعض أجدادنا منذ القدم قوة الانسان الدماغية ، التي تستطيع أن تقضي على المرض المداهم للجسد ، الا أن تلك الطاقة الكامنة لاتتحرك الا بموجب نداء خاص تطلقه الارادة التي تستفزها الثقة بالنفس ، ولما كانت قلة قليلة من الناس هم الذين يحتفظون بتلك

الثقة بالنفس (وذلك لأمور لامجال لذكرها في هذه الصفحات القليلة) فان العامة كانت تحتاج الى أشخاص يشحنون تلك الثقة بالنفس ، من أجل أن تقوم بعملها في كل واقعة مرضية تصيبهم ، الأمر الذي دفع بالرجال الصالحين الى القيام بشحن ارادة (الخاطئين) المطفأة .

ولكن تعقيد الحياة وظهور الحضارات ، وزيادة التقنية في شتى المجالات ، وتقسيم العمل الذي أدى الى تفتيت الانسان ، أسهم اسهاما عظيما في سلب المرء الثقة بالنفس ، والقدرة على تحريك تلك الطاقة .

لقد عرف التاريخ الانساني ، على مدى آلاف السنين ، رجالا ذوي قوة خارقة وشافية ، قوة تفتح في الأبدان الانسانية الخامدة وتغذيها بالقوة والثقة ، وبالتالي بالشفاء .

الا أن التاريخ أخذ يلهث تعبا وعجزا ، بحثا عن مثل هؤلاء الرجال ، وذلك لأسباب كثيرة وعريضة ، منها وباختصار : الأوضاع والأنظمة الاجتماعية الاقتصادية التي نزعت الثقة من عامة الناس ، وحولتهم الى أرقام وحروف ضئيلة ومطفأة ، الى جانب ظهور بعض المنافقين الذين أساءوا الى تلك القوة الشافية ، مما ساهم في نزع الثقة المتبقية في ارادة البعض . وهذا ما دعم وجود الأدوية الطبية التي كانت تخطو خطواتها الأولى ، والتي راحت تحرز الانتصار تلو الانتصار ، ليس بواسطة التأثير الكيمياوي ، بل بالاستناد على القاعدة التي استند عليها الرجالات ذوو اللمسة الشافية . . وهي ثقة الانسان بنفسه وبقوته العقلانية ، بمعنى أن تلك المواد الكيمياوية تحرض القوة الداخلية لدرء المرض .

وبالتدريج بدأ زحف الأدوية ، محتفلا بفتوحاته ، مقوضا أركان امبراطورية اللمسة الشافية ، متوسعا في مكاسبه ومستعمراته الجديدة من ثقة الآخرين .

فهل كان ذلك الانتصار لصالح البشرية ؟ أم أنه كان سببا في حدوث أضرار بالغة عنيفة ؟ اذن . . من الواضح تماما أننا لم نختلف في أن الشفاء هو عملية ارادة وثقة بالنفس ، وقوة دماغية مركزة .

فهل يعني ذلك أن تلك القوة مازالت موجودة عند جميع الناس ، متوهجة كانت أو مطفأة ؟ .

ليس هنا مجال البحث في امكانية تلك الطاقة الدماغية العجيبة ، ولكن الشيء الذي يجب أن يطرح على بساط البحث هو ، هل يستطيع ذلك الانسان أن يعتمد على تلك القوة في هذه المرحلة الحضارية ، وبعد أن توصل الى ماتوصل اليه الآن من ادمانات عجيبة على حاجيات الحياة المصطنعة ؟

لقد أيد جميع الناس النتاج العقلاني والعلمي ، وماطرحته التكنولوجيا من علوم وفنون وأدوية وعلاجات ، على مدى سنوات ليست بالقليلة ، وهذا ما قوض أركان ثقة الانسان بنفسه وبقوته الجسدية ، وجعلته يعتمد اعتمادا كبيرا - ان لم يكن كاملا - على النتاج العلمي والعقلي ، مما حوله الى كتلة لحمية مدمنة على تلك المنتوجات المطردة والآخذة في الاتساع والتي تقوم الواحدة بطلب الأخرى ، حتى تحول الناس الى عبيد لمطالبها واولوا ثقتهم بشكل كلي لسلطة التكنولوجيا ، ومنها أصناف الأدوية وأشكال المعالجات الطبية المتعددة والمتنوعة .

فهل تمكننا الحياة العصرية من ممارسة ارادتنا العقلية الشافية ؟

التحدى الصعب

لا . . لن تمكننا الحياة العصرية الراهنة من ذلك ، ولن تسمح لنا تلك الأم التي لا ضرع لها

ـ والتي غدت بحبيها اجسادنا وأرواحنا ـ بالتخلي عنها ، بل لن نسمح لها نحن ـ اطفالها القاصرين الذين لاحول لنا ولا قوة ـ اذا ما هجرتنا أمنا الحضارة الرؤوم ، بذلك البديل الوحيد .. القوة الدماغية .

ان الصراع الطبقي والمفارقات الطبقية ، هي المسؤولة الوحيدة عن صرف أنظارنا بشكل كلي عن قوانا الداخلية ، ذلك الصراع الذي حولنا الى عبيد وسادة ، جائعين ومتخمين . الصراع الذي لا سبب له سوى تلك الحاجات الجسدية التي يعمل الانسان جاهدا في سبيل الحصول عليها ، وينفق ساعات النهار ومعظم الليل في العمل من أجلها . فهل نصد تلك الآلة ، المنقذ الوحيد ، ليس للعبيد والمستخدمين والاداريين فحسب ، بل للتجار والسادة . ذلك أن كلا الطرفين لا يتعم بلذة الحياة الحقيقية .

ليس هنالك من حل أمام الانسان الا أن يساهم في تغذية الآلة التي ستحرره من عبوديته لشتى الادمانات .

ان سلسلة طويلة من البحث يجب أن تؤجل ، ولكني أنوه هنا ـ ولو قليلا ـ بكيفية خلاص الانسان من تلك الادمانات .

اننا نعمل لسد حاجاتنا الجسدية وحاجات الآخرين ، وأجسادنا تتلاءم مع أعمالنا في التكيف ، اذ أن أعمالنا ليست الا من أجل استمرار آلية الجسد ، وأعضائه العامة ، وبالتالي فان حلول الآلة محل الأعضاء ، ومن ثم إنتاج ما يحتاجه الجسد عن طريق الآلة سيقصر عن مطالب حاجيات الانسان الجسدية ، الأمر الذي يدعونا الى تكيف جديد يتلاءم مع الوضع الاقتصادي ، حيث يصبح الانسان حرا من ارتباطاته والتزاماته الجسدية .

وهنا أختلف في النظرة مع الدكتور الرميحي الذي يؤكد بغش الأدوية التي (بعضها لا فائدة منه والبعض الآخر في حقيقة الأمر ضار) .

اذ أننا اذا ما أردنا أن نكون ناصحين للعامة من الناس ، وكثير منهم لا حول لهم ولا قوة في ايقاظ تلك المقدرة العقلية.

فاذا ما فقدنا نحن العامة الثقة بأنفسنا ، التي هي قدراتنا العقلية على الشفاء ، وفقدنا الثقة بمن يشحنون تلك الثقة من ذوي اللمسة الشافية ، ثم يأتينا بعدها من ينزع ثقتنا بالأدوية ، فان ذلك لا يعني الا قطع جميع السبل أمام الانسان العادي ، ووضعه فعلا في حجرة مغلقة مسدودة النوافذ ، بانتظار أن يموت خنقا .

ان المتنفس الوحيد الآن هو ذلك الدواء ، فهل نحن بحاجة الى يد تسد علينا ذلك المنفذ ؟

لقد كان الله هو المتنفس الوحيد لأولئك المضطهدين ، الذين كانوا يفرغون مآسيهم وأحزانهم وشقاءهم وتعاستهم وقدرهم الأليم في صدره الرحيم حتى كان ظهور الأدوية وبعضها ضار ، وكانت النتيجة هي تلك الأمراض الحضارية والعصرية المزمنة من هستيريا .. الى عصبية ... الى أمراض لا توصف ولا تعد .

ان الجوع الحقيقي ، هو جوع الروح الذي يفرز أحاسيس الجوع الجسدي بشتى أشكاله الجسدية والنفسية .

أما الجوع الروحي فهو الذي لا يمكن اشباعه ، الا عن طريق الرضا الداخلي والخارجي للذات الانسانية .

الرضا الذي يظلل جميع ارادات الانسان ، ويفرز جميع أشكال الاشباع الجسدي . الرضا الذي ما زال يلبي حاجات مصطنعة ، لا نستطيع الاستغناء عنها ، حتى نقدم البديل الذي يتجسد تدريجيا بالآلة الحنون .

فهل نحن بحاجة الى من يكتم أنفاس تلك الآلة .. وما تنتجه .. ونحن في هذا الوضع الطبقي المتردي .. والادمان الجسدي المخيف ؟

القسم الطبي
كيف بدأ .. وإلى أين انتهى ؟

بقلم الدكتور : ضياء نوري حسن

قرأت في العدد ٣٠٣ من « العربي » الغراء استطلاعا حول كلية الطب وتوقفت قليلا عند (القَسَم الجديد) الذى رددته الدفعة الأولى من خريجي كلية الطب الكويتية . وقد تمنيت بهذه المناسبة لو قامت جهود على تقديم القَسَم الطبى على نطاق أوسع . ولعل هذا هو مادعانى الى تناول القسم الطبى من البداية حتى وقتنا الحاضر آملا أن يطلع عليه ذوو الرأى الحصيف ، والضليعون في الموضوع حتى يصار الى « الأفضل والأعم » .

يبدو أن الجذور العريقة في القدم للقسم الطبى نشأت في المعابد بين الكهان الذين كانوا يمارسون الطقوس الكهنوتية ، مع العلاج الطبى الروحى ، والتى اعتبرت مقدسة في بلد الرافدين ، وفي وادى النيل ، وفي الهند ، وعند الاغريق ، فكانت لها قدسيتها بين أبناء هذه الشعوب ، ولها أسرارها . والأسرار الخاصة هذه هى التى كانت تحيط الكهانة ـ التى من ضمنها مهنة الطب ـ بهالة من الغموض والقدسية . وقد فصلت الكهانة عن مهنة الطب في اليونان منذ زمن قديم إلا أنها كانت قد استقلت عنها تماما في زمن أبقراط الذي يعتبر بحق (أبا الطب) والذي ينسب اليه (القسم الطبي) الذي اقترن باسمه قبل أن يتوفى في حدود سنة ٣٧٧ (٣٥٧ . ق م) . وقد أدرجه ابن أبى أصيبعة في كتابه (عيون الأنباء في طبقات الأطباء) بما نصه : ـ

قال أبقراط : « انى أقسم بالله رب الحياة والموت ، وواهب الصحة وخالق الشفاء ، وكل علاج ،وأقسم باسقليبيوس ، وأقسم بأولياء الله من الرجال والنساءجميعا ، وأشهدهم جميعا على أنى أفي بهذه اليمين وهذا الشرط : وأرى المعلم لى هذه الصناعة بمنزلة آبائى ، وأواسيه في معاشي ، وإذا احتاج الى مال واسيته وواصلته من مالى . وأما الجنس المتناسل منه فأرى أنه مساو لأخوتى ، وأعلمهم هذه الصناعة إن احتاجوا الى تعلمها بغير أجرة ولا شرط .

وأشرك أولادى وأولاد المعلم لي ، والتلاميذ الذين كتب عليهم الشرط ، . . . بالناموس الطبى في الوصايا والعلوم وسائر ما في الصناعة . وأما غير هؤلاء فلا أفعل به ذلك . وأقصد في جميع التدابير ـ بقدر طاقتي ـ منفعة المرضى .

وأما الأشياء التي تضر بهم وتدني منهم بالجور عليهم فأمنع منها بحسب رأيي . ولا أعطي اذا طلب مني دواء قتال ، ولا أشير أيضا بمثل هذه المشورة . وكذلك أيضا لا أرى أن أدني من النسوة فرزجة تسقط الجنين ، وأحفظ نفسي في تدبيري وصناعتي على الزكاة والطهارة . ولا أشق عمن في مثانته حجارة ، ولكن أترك ذلك

الى من كانت حرفته هذا العمل .

وكل المنازل التي أدخل اليها لمنفعة المرضى ، وأنا بحال خارجه عن كل جور وظلم وفساد ارادي مقصود اليه في سائر الأشياء ، وفي الجماع للنساء والرجال ، الأحرار منهم والعبيد . وأما الأشياء التي لا ينطق بها خارجا فأمسك عنها ، وأرى أن أمثالها لا ينطق به .

فمن أكمل هذه اليمين ولم يفسد شيئا كان له أن يكمل تدبيره وصناعته على أفضل الأحوال وأجملها ، وأن يحمده جميع الناس فيما يأتي من الزمان دائما ومن تجاوز ذلك بضده » .

وعند قيام النهضة العلمية العربية الاسلامية في بداية العهد العباسي ، وما تلا ذلك من قيام المدارس الطبية المختلفة ، كان لزاما على كل من « يباشر » دراسة الطب ـ بعد أن تتوفر فيه مستلزمات تلك الدراسة ـ أن يؤدي قسم (أو عهد) أبقراط . فقد أورد ابن زهر أبو مروان عبد الملك بن أبي العلاء الطبيب الاندلسي الشهير في كتابه « التيسير في المداواة والتدبير » كيف أخذ والده أبو العلاء منه عهد (قسم) أبقراط وهو لما يزل فتى حديث العهد بتعلم الطب عليه ، فالقسم قسم مهنة حتى لو كان بين الوالد وما ولد ، وهكذا كان (عهد الأطباء) أو(قسم الأطباء) « يؤديه طالب الطب » أمام معلمه ولا ثالث معهما سوى الله ، ثم يبقى الالتزام والوفاء به وبمختلف نصوصه وتفاصيله مستمرا تحت مختلف الظروف حتى الموت . ومن العرب انتشر وشاع أمر قسم أبقراط الى كافة الأقطار في مختلف بقاع العالم ، يردده طالب الطب في بداية عهده بتعلم المهنة .

ومع طلائع النهضة العلمية الحديثة وقيام دراسة الطب الجامعية العصرية أصبح أداء (القسم الطبي) شرطاً لازماً ، على طالب الطب أن يؤديه عند اجتيازه الامتحانات الدراسية النهائية الطبية .

وعندما قامت كليات الطب في الأقطار العربية ، أولت القسم الطبي جل اهتمامها ، فكان ـ وما يزال ـ السيد عميد كلية الطب يردد في احتفالات التخرج القسم مع الطلبة الناجحين في حفل مقتضب ، مع أو بعد حفل التخرج الذي يغلب عليه أن يكون جامعيا .

ففي كلية الطب الملكية العراقية التي قامت عام ١٩٢٧ (وأضحت فيما بعد كلية الطب في جامعة بغداد) كان نص القسم الطبي الذي أورده الحكيم راجي عباس التكريتي في كتابه (السلوك المهني للأطباء) كما يأتي : « أقسم بالله العظيم أن أكون شكورا لمن علمني هذه المهنة ، وفيا له ولأولاده ، وأن أجتهد في مداواة المرضى ، وأن أحسن تدبيرهم لا لطلب المال ، بل رأفة بالانسانية ، ولا سيما الفقراء ، لا أبتغي منهم لذلك نفعا . وألا أعطي لأحد دواء قتالا ولا أعطي للنساء دواء مسقطا للأجنة ، ولا أفشي للمريض سرا . متباعدا عن كل دنس وفجور . وأن أكون حسن السيرة مع الزملاء ، محافظا على الآداب الطبية ، وأن أكون مخلصا لمليكي وبلادي : لا أخون عهدها ولا أضحي بمصلحة عامة لمصلحة خاصة ، وأن أحترم القانون » .

وبعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق اختصر القسم الطبي في نفس الكلية ـ التي أصبحت تعرف باسم (كلية الطب) في جامعة بغداد الى ما يأتي : « أقسم بالله العظيم أن أؤدي واجبي ، وأحترم تقاليد مهنتي : أتقي الله في معاملة مرضاي ، فلا أؤذي عن قصد ، ؛ ولا أعتدي على عرض ، ولا أفشي سرا ، وأن أكون برا بأساتذتي ، حسن السيرة مع زملائي ، مخلصا لأمتي ووطني » .

ثم حور القسم لغوياً بعد ذلك ـ بنفس

الكلية ـ الى ما يأتي : « أقسم بالله العظيم ، وبمقدساتي ، أن أكون وفيا لمن علمني هذه المهنة ، عطوفا على المرضى ، مؤثرا مصلحتهم . وألا أفشي سرا لمريض ، ولا أعطي دواء بقصد الاضرار . وأن أكون حسن السيرة مع زملائي ، مخلصا لأمتي ووطني » وهو الذي لا يزال يتردد سنويا الى الآن .

أما في سوريا فقد أدرج الاستاذ الفاضل الدكتور زياد درويش في كتابه (الطب الشرعي) القسم الذي تبنته كلية الطب بجامعة دمشق ، واعتاد خريجوها أن يحلفوه قبل تسلمهم الشهادة بما نصه : ـ « اقسم بالله العلي العظيم ، أن أكون وفيا لواجبات مهنتي ، متبعا أفضل السبل فيما يفيد المرضى ، متحاشيا ما يضرهم أو لا ينفعهم . لن أعطي دواء مجهضا ولا قتالا . ولن أقوم بأية عملية بقصد الاجهاض او الأذى ، ولن استنكف عن العمل عند انتشار الأوبئة والأخطار ، ولن أسمح للخوف أن يدفعني الى الفرارا من الواجب ، وسأظل محافظا على سر المهنة ، منزها نفسي عن كل عمل يناقض الفضيلة ، سالكا سبل الطهارة والاستقامة ، والله على ما أقوله شهيد » .

أما في جمهورية مصر العربية فان خريج كلية الطب المصرية يؤدي الآتي : « أقسم بالله العظيم أن أؤدى اعمالى بالأمانه والشرف ، وأن احافظ على سر المهنة ، وأن أحترم قوانينها »،امام ممثلين عن نقابة الاطباء البشريين ، وفيها بعد قبوله عضوا في تلك النقابة وليس في حفل جامعي .

وعلى الصعيد العالمي ، فقد توثق (بيان جنيف) من قبل الجمعية الطبية العالمية ، والذى ألزم دليل آداب المهنة الطبية العالمى الاطباء في مختلف بقاع العالم الأخذ به والقسم به ، وهو بترجمته العربية ينص على ما يأتي : « في الوقت الذى أصبح فيه عضوافي المهنة الطبية ، فاني أقرر بمهابة نذر نفسي لتكريس حياتي كلها لخدمة الانسانية . سأمنح أساتذتي (الذين علموني هذه المهنة) ما يستحقونه من احترام وامتنان . سوف أمارس مهنتي بكرامة وضمير حي ، وستحظى صحة مريضي باهتمامي البالغ ، سوف أحترم وأصون كل الأسرار التي يودعها مرضاي عندي ، سأحافظ بكل الوسائل وجهد طاقتي على شرف وتقاليد المهنة الطبية النبيلة سيكون زملاء المهنة أخوات واخوانا لي ، سوف لن أسمح للاعتبارات والفروق الدينية والقطرية والقومية والعنصرية والسياسية والاجتماعية أن تحول بين واجبي (كطبيب) وبين مريضي . سأحافظ على الأحترام الفائق للحياة البشرية منذ وقت الاخصاب حتى الموت . سوف لن أستغل معرفتي الطبية ـ حتى تحت التهديد ـ ضد قوانين الانسانية ، سأنفذ هذه المواثيق بمهابة وبكل حرية وطهارة وشرف » .

ولو تمحصنا كل قسم مرّ ، لوجدناه لا يختلف عن غيره الا بفروق طفيفة يغلب عليها أن تكون لغوية ، بينما بقيت المبادىء السامية الأساس للمهنة الطبية واحدة في أجمعها .

انني طرحت ما طرحت لكي يتفضل الأشقاء الزملاء العرب ذوو العلاقة في كافة الأقطار العربية ، فيثبتوا ما يرددونه مع طلبتهم قبل أو بعد التخرج من قسم ، فيضاف الى ما أوردته هنا وما ورد في مقالتكم (استطلاعكم) آنف الذكر وبعد ذلك قد يتم طرح صيغة قسم ، والاتفاق على نص قسم طبي من خلال باب (منتدى العربي) ، يعرض فيما بعد على الهيئة العامة لاتحاد الأطباء العرب من خلال أحد مؤتمراته القادمة لاقراره وتعميمه على كافة كليات الطب في الوطن العربي ، لترديده وقت التخرج . بلغة واحدة ونص واحد . . وربما في وقت واحد يتم تحديده في حينه . □□

عالم المسلمين السوفييت

القابضون على الجمر
في بلاد ما وراء النهر

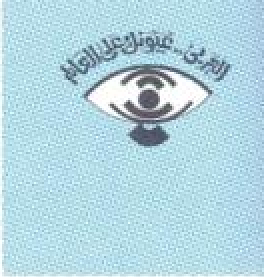

استطلاع : مصطفى نبيل   تصوير : أوسكار متري

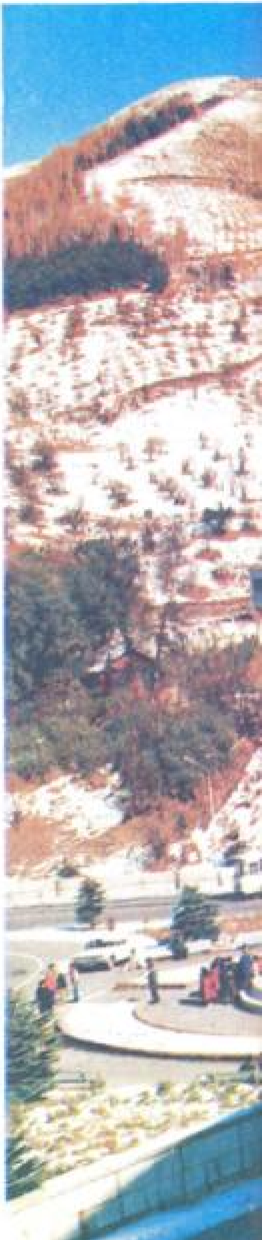

الجليد والدفء فوق جبال قازاخستان .

□ بينما كنت أتجول فوق قمم جبال قازاخستان في صحبة قاضي الاسلام ، عشت الصقيع والدفء معا ، الثلوج تحيطنا ، وأشعة الشمس تبعث الدفء في أوصالنا . .

قلت للقاضي معلقا : إن ما حولي هو صورة رمزية لما نصادفه في الاتحاد السوفيتي ، أليس التعايش بين الدفء والجليد ، هو ذاته التعايش بين الماركسية والاسلام . . ؟!

انه تعايش الأمر الواقع بين متنافسين .

مولودة تخرج من أحد الأبواب العتيقة في مدينة شهرسبز التي شهدت مولد تيمورلنك ومحمد الشيباني .

وفي الما ـ آتا عاصمة قازاخستان ، التقيت بالفارابي الملقب بالمعلم الثاني على غير ميعاد ، لأعيش أحد أهم المشاهد وأكثرها دلالة خلال رحلتي الى عالم المسلمين السوفيت ، التي خرجت منها بصورة تظهر مدى انتعاش الاسلام بين المسلمين السوفيت .

بدأ المشهد عند عودتي الى الفندق ، ووجدت كهلا في انتظاري بادرني بسؤال : هل أنت مسلم . . ؟ وعندما أجبته بالايجاب ، أخذ يبكي على صدري ، ويتساءل : ما الذي يجري في العالم . . ؟ والى متى يتخلف المسلمون في عالم اليوم . . ؟

وأخذتني المفاجأة ، وسألته بريبة : وكيف عرفت بوجودي . . ؟ أجاب : من القاضي ، وذكر اسمه ، ألجان بن جانسبك آلماشاني ، أستاذ في معهد الجيولوجيا ، قادتني دراستي في تاريخ الجيولوجيا الى مؤلفات الفارابي أول من وضع أسس هذا العلم منذ ١١٠٠ سنة ، وأخذتني مؤلفات الفارابي الى عالم الاسلام الرحيب ، فعجبت لأحوال المسلمين الذين لا يدركون قيمة ما بين أيديهم من كنوز ، تحوي الحل الناجع لكل علل الانسان ومشاكل العصر . . .

وأخذ يحدثني حديثا حافلا عما توصل اليه في أبحاثه ودراساته ، ويدلل على ما يقول بأبحاث ودراسات وصور تمتلىء بها حقيبته . .

واذا كان المعروف عن الفارابي أنه من مدينة فاراب من أعمال خراسان ، الا انه يؤكد أن الفارابي من مدينة أوترار في جمهورية قازاخستان ، وكان ما سمعته من الرجل مذهلا حقا ، ويحتاج الى الكثير من البحث والتحقيق .

وكتب الأستاذ آلماشاني ثمانية كتب ، تتناول أعمال الفارابي ونظرياته ، كتبها جميعا باللغة المحلية ، وتحدث بعشق عن بعض مخطوطاته التي لم تحقق ولم تطبع بعد ، وقد فقد بعضها وعثر مؤخرا في مدينة برتسلافا على مخطوطات لم تكن معروفة من قبل . .

وأخذ يدلل على الأهمية الكبيرة لمؤلفات الفارابي ، فما كتبه من ١٢٠٠ سنة يثبته العلماء المحدثون ، فمثلا ما كتبه عن الموسيقا ترجم الى الروسية والفرنسية ، وكتب الموسيقي الألماني كبلر مؤخرا مؤكدا كل حرف فيه ، وكان الفارابي قد أثبت علاقة متوازية بين الموسيقا والفلك ، بين السلم الموسيقي وحركة الأجرام في الكون ، وقدم لي الرسم الذي يبين هذه العلاقة ، و أخذ يشرح لي كيف توصل الفارابي الى علاقة قائمة بين كل من الرياضة والفلك والموسيقا وحروف القرآن الكريم ، في صورة غنية بالدلالة ومفعمة بالاعجاز ، ولا يسعني سوى أن أرفق ما كتبه توضيحا لفكرته .

ان الفارابي يبعث من جديد على أيدي المسلمين السوفيت

وعند الفراق شد على ذراعي مودعا ، وترقرقت عيناه مرة أخرى بالدموع وهو يردد : « لم يعد في العمر بقية ، ولعلك تنقل ما أنفقت عمري في بحثه ، فلو عرف المسلمون حقيقة تراثهم لغيروا وجه الحياة في بلادهم وفي العالم كله . . . »

وأكد لي هذا المشهد ما يبذله أهل آسيا الوسطى لازالة الركام عن أعمال علماء المسلمين ، والاحتفاء بهم واحتضان أعمالهم ، الذي يصل في بعض المناطق الاسلامية مثل فرغانة في أوزبكستان ، الى استمرار أهلها في اتباع اساليب العلاج كما جاءت في أعمال ابن سينا ، قبل التفكير في مراجعة الطبيب .

كما تبين أن المشهد الذي صادفته جزء من ظاهرة عامة ، وأن حركة الانتعاش الثقافي تستمد جانبا من حركتها من علماء هذه المنطقة الذين أثروا الحضارة الاسلامية وهي قائمة حافلة بالعمالقة ، ولا يكاد يعادلها في الثراء أية منطقة أخرى ، تمتد القائمة من الفارابي الى ابن سينا والخوارزمي والبيروني والرازي والفرغاني وأولبغ بك والامام البخاري والنسفي حتى أبي حامد الغزالي .

بعد ٦٧ سنة ثورة

وعندما كنت أطوف بالمناطق الاسلامية ، أتنقل بين مدنها وألتقي بأئمة المساجد والمسئولين ، وأتجول بين آثارها الاسلامية الرائعة ، كنت أسعى للتعرف على حياة المسلمين ، وأتساءل عن مدى ارتباطهم بالاسلام بعد مرور ٦٧ سنة على قيام الثورة السوفيتية . ؟ وبعد تتابع أجيال لم تعرف سوى الحكم السوفيتي ، أبحث عما آلت اليه مناطق لعبت دورا بارزا في التاريخ الاسلامي .

يساعدني ان هذه هي زيارتي الثانية للمناطق الاسلامية في الاتحاد السوفيتي ، يفصل بين الزيارتين عشر سنوات حافلة بالتغيير . .

وبداية لا أزعم أني توصلت الى إجابات قاطعة ، بل ربما توصلت الى مجموعة من الملاحظات والتقديرات أقرب ما تكون للذي يختار بعض قطرات المحيط ويحللها ، فيتبين بعض خصائص تكوين المياه ، عين على الماضي وعين على الحاضر ، وأسلم أن ما أقدمه لا يتجاوز التوصيف ، أقلب صفحات التجربة وأتابعها بعقلي ووجداني ، لا يطغى الماضي على الحاضر ، ولا العقل على الوجدان ، رائدي الحقيقة وحدها من منظور تاريخي ونظرة مستقبلية ، أتجنب ـ ما وسعني ـ الدعاية والدعاية المضادة ، في عالم الحرب الباردة التي وجدت في هذا

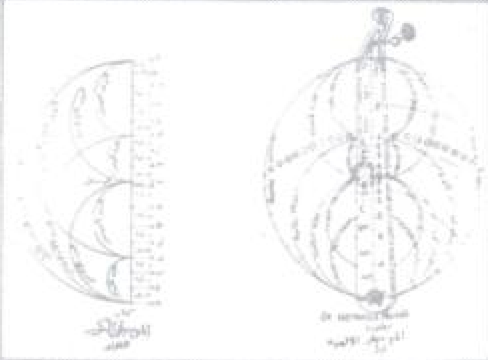

الكون عند ونغم مجموعة المطبوعات التي قدمها الناشر ، وتمثل ما قدمه الفارابي منذ ١١٠٠ وما توصل اليه الموسيقى المعاصر كثير

الموضوع ضالتها . أنصت جيدا وأستخدم البصر والبصيرة لكي أسمع نبض الاسلام الصامت والرابض في قلوب أولئك الذين حافظوا على هويتهم الاسلامية بعد أن عصفت بهم خطوب الزمان .

مكانة رجال الدين

ولنتابع جولتنا ، نقلب مشاهد الحاضر وفصول التاريخ . . أحمل سؤالا أطرحه على كل من ألتقي به في المناطق الاسلامية ، في الشارع وفي السوق وحول الآثار وفي الأحياء القديمة وفي الدوائر الحكومية أسأل كل من ألتقي به . . هل أنت مسلم . . ؟ وكان رد فعل أغلب من التقيت بهم سريعا ، فيظهر البشر على وجوههم ، ويؤكدون أنهم مسلمون ، وقليل من الذين وجهت اليهم السؤال يجيب بعد لحظة صمت ، انه شيوعي ولكنه ينتمي الى عائلة اسلامية . . !

وعندما سألت الشيخ مصطفى بن عبدالملك إمام مسجد « جوجة عبدالدرون » في سمرقند لماذا اخترت التعليم الديني ، وكان أمامك فرصة دراسة الهندسة أو الطب مثلا . . ؟ أجاب : « ان مكانة رجل الدين الاجتماعية تفوق سواه . لو كنت مهندسا او طبيبا ، ما كنت أشعر بذات المكانة كامام مسجد حافظ للقرآن عارف بأحكام الله . . »

وأظن أن مكانة رجال الدين تمثل ظاهرة اجتماعية يمكن القياس عليها . . تبين نجاح المسلمين في الاحتفاظ بروح المجتمع الاسلامي حية في قلوبهم ، يشمل ذلك المتدينين وغير المتدينين على السواء ، ولا يفوتنا أن نلحظ أن بعض المناطق والمدن لها مكانة خاصة ، وقدسية استمدتها من تاريخها ، مثل سمرقند وفرغانة وبخارى ، نرى فيها

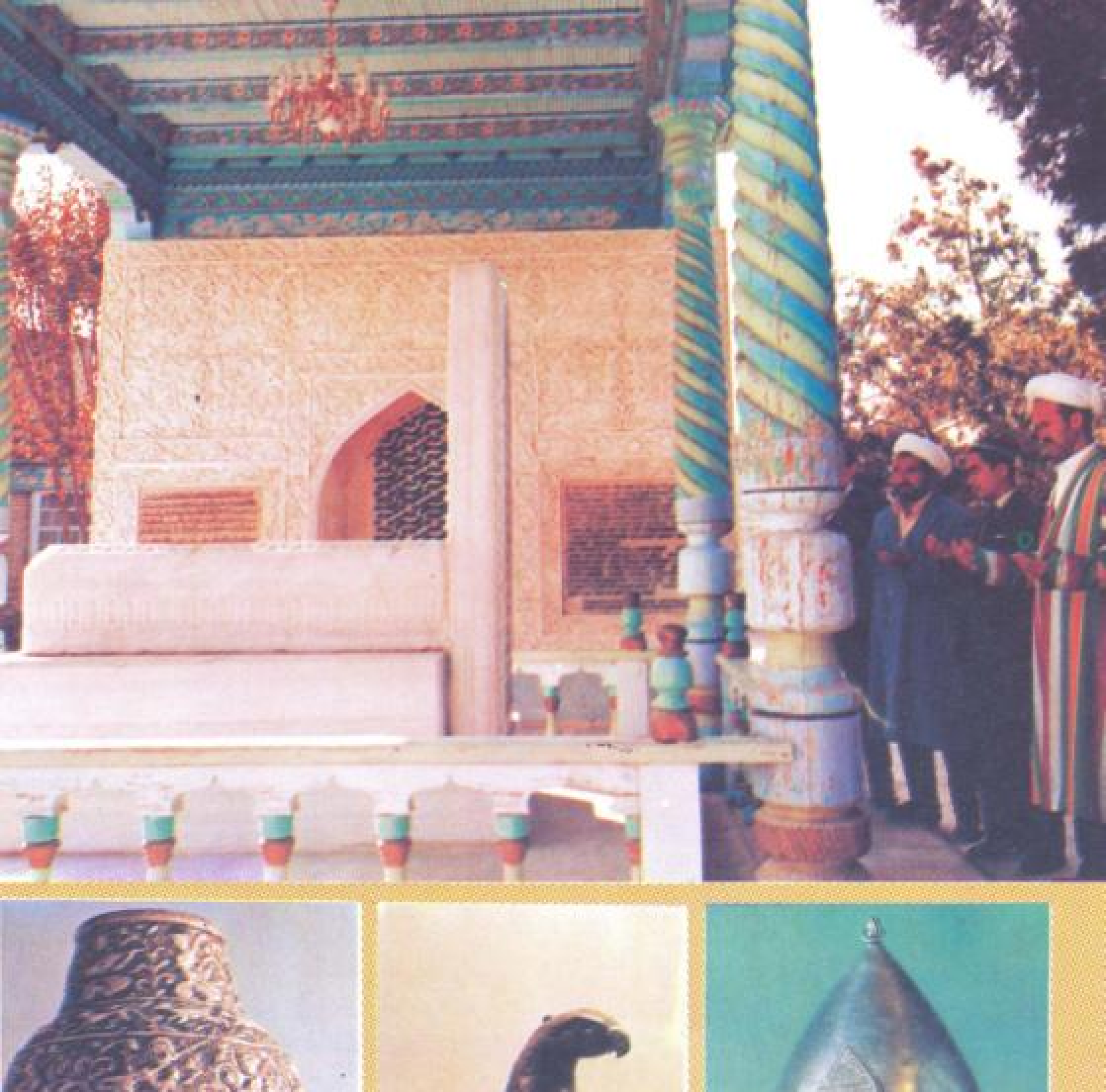

مثوى الامام البخارى فى قرية خرتنك القريبة من سمرقند . (الصورة اعلى الصفحة) وبعض المقتنيات الاسلامية فى متحف الأرميتاج ، خوذة أحد المماليك ، الذى تمتد اصولهم الى آسيا الوسطى ، وحمامة من البرونز حليت بالكتابات العربية ، ومزهرية يمتزج فيها الفن الاسلامى بفن آسيا .

امتلأ المسجد والباحة بالمصلين في سمرقند .

المسلمات في مسجد موسكو .

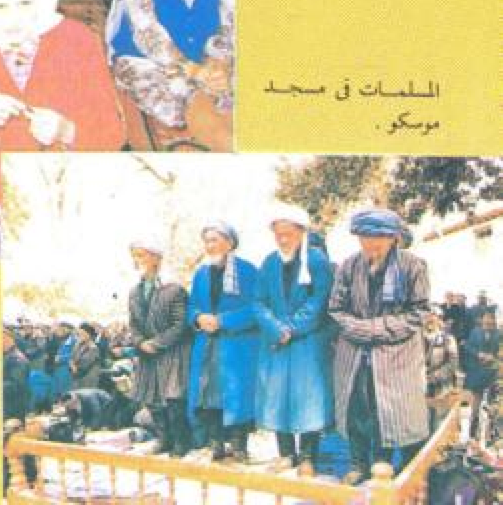

بعد أن ازدحم المكان لم تبق سوى تلك المنصة لتسع المصلين .

ثورليف ممثل الأديان في مجلس الوزراء السوفيتي

مظاهر الاسلام واضحة ، كما تلحظ ذلك كلما ابتعدت عن المدن ، وانتقلت الى الريف أو فوق قمم الجبال . .

فأهل هذه المناطق شرقيون وإن عاشوا في إحدى الدولتين العظميين ، ولأنهم مسلمون ما زال الكثيرون منهم قابضين على الجمر ، هم مسلمون دينا وشيوعيون أحيانا ، أما كيف تمت هذه الصيغة فهي لغز المناطق الآسيوية وقصتها المثيرة التي نسعى للتعرف عليها .

فالجميع حريصون على تقاليد الأسرة وتماسكها ، يتزوجون في الادارة الدينية بعد زواجهم المدني في مراكز الدولة ، ويندر بينهم الزواج المختلط فيما يتعلق بزواج المسلمة من غير المسلم ، وكلما ضرب الحصار حولهم زادت المقاومة ، وكلما زادت الغربة زادت الألفة مع النفس ، وهنا تلمس العديد من المؤشرات على وجود الاسلام الصامت . فما زالت الأسماء إسلامية ، وان كانت تنطق باللهجات المحلية مما يصعب معه أحيانا تبين أصلها ، ويتترس المسلمون خلف الشعائر الدينية كأحد حصونهم المنيعة ، ويحافظون على عادة الختان ، ويحرصون على إقامة الاحتفالات في المناسبات الدينية ، كطريق متاح للتعبير عن تمسكهم بالاسلام وحرصهم على روح الجماعة التي تجد ذاتها في تلك الاحتفالات .

يهتمون اهتماما كبيرا بما يدور في الدول الاسلامية ، يتابعون ويتفسرون بمرارة وألم عما يجري على أرض فلسطين ، وقد تمكنوا من الوصول الى صيغة تساعدهم على الاستمرار والبقاء ، فيسعى رجال الدين الى تسهيل ممارسة الفروض الاسلامية ، ما استطاعوا الى ذلك سبيلا ، وذهب بعضهم الى أن بامكان المسلم أن يمارس شعائر دينه بقدر ما تسمح به الظروف ، فمثلا يستبدل الحج ـ الذي لا يتيسر إلا لعدد محدود ـ باختيار مزارات محلية ذات قيمة دينية خاصة ، كمثوى الامام البخاري .

ولعل التجربة الطويلة التي عاشها المسلمون ، وما تعرضوا له على مدى التاريخ أكسبهم هذه المقدرة . فقد سجل التاريخ ، حدثا تاريخيا ليس له مثيل ، عندما قامت عاصفة هوجاء في وسط آسيا قادها جنكيزخان ، فتمكن المسلمون من استيعابها ، وتحول الفاتحون المنتصرون ليعتنقوا عقيدة المهزومين . . !

الثقافة التحتية !

وغدا الاسلام يمثل ثقافة تحتية لأهل البلاد ، فعندما علم مرافقي في طشقند أن معي بعض الكتب العربية أصر أن يحصل عليها لشدة حاجتهم للمؤلفات العربية ، وعرفت أن العديد من الكتب والمجلات الاسلامية تتداول وتطبع سرا ، وقد تزايدت في المرحلة الأخيرة الجمعيات الاسلامية . فالقانون يسمح بتكوين جمعية دينية إذا تقدم ما لا يقل عن عشرين فردا بطلب الى السلطات ، ويصبح من حق هذه الجمعية الحصول على مقر لها . .

وذكر ممثل مجلس الأديان في سمرقند : « أنه أحيانا تبدأ معزوفة اضطهاد الأديان في الصحافة الأجنبية ، عندما يخالف البعض القانون فيتعرض للعقاب ، فمثلا يقيم السبتيون ـ فرقة دينية ـ الذين لا يتجاوز عددهم ٣٠ ألفا تنظيماتهم بدون الحصول على تصريح ، مستفيدين من أنهم يتحدثون لغة غير معروفة ، ويرفضون العمل أيام السبت ويمتنعون عن ارتداء ربطة العنق ، ويطبعون منشورات ضد الحكومة ، وفي البداية نلتقي بهم ونقدم لهم النصحة ، وعندما لا يستجيبون نبعث بذلك الى موسكو ، ثم يتم عقابهم لا لأنهم سبتيون ولكن لخروجهم عن القانون » . .

قدم هذا المثل كنموذج للتعامل مع الأديان المختلفة .

مزيد من الليبرالية !

يعيش المجتمع السوفيتي ظروفا جديدة ، ويتجه الى المزيد من الليبرالية . ويمر المسلمون من جانب آخر بمرحلة انتعاش خلاقة وسط هذه الظروف ، وقد عادت المطبوعات الرسمية التي كانت تهاجم الأديان وتتنبأ بحتمية اختفائها ، لتؤكد قدرة الدين على البقاء والتكيف مع مجتمعات غيرت الاشتراكية ملامحها .

ولعل من أسباب هذا التغير حرص الدولة السوفيتية على علاقاتها بالدول الاسلامية ، أو لعلها أيضا جزء من المنافسة القائمة بين كل من الاتحاد السوفيتي والصين على قيادة الشرق .

ورغم هذا فلا تزال مساحة الحريات الدينية التي يجب إتاحتها لأفراد أو مجموعات دينية موضع صراع لدى صناع القرار السوفيتي ، وما زال المحللون السوفيت مختلفين حول دور الدين وطبيعة المتمسكين به !

وبدلا من القفز الى النتائج نتابع معا المقدمات من خلال تفاصيل جولتنا .

كان أول لقاء بعد وصولي الى موسكو مع نوروليف مسؤول مجلس الشؤون الدينية في مجلس الوزراء بالميدان الأحمر . .

لقد أخذ يستعرض دور مجلس الشؤون الدينية الذي تتبعه كافة الأديان ، وقال : « يقوم النظام السوفيتي على فصل الدين عن الدولة ، ويتولى مجلس الشؤون الدينية الاشراف على تطبيق القوانين التي تتعلق بالدين ، ويضمن الدستور حق كل مواطن في اعتناقه الدين الذي يختاره ، ويقوم المجلس بإعداد مشروعات القوانين المتعلقة بالدين ، ويسارع المجلس عند ظهور مشاكل بمحاولة حلها ، فمثلا عند بناء مسجد جديد ، تظهر الحاجة الى قطعة أرض ، والأرض يملكها الشعب السوفيتي ، هنا يبدأ دور المجلس الذي يقوم بتدبيرها ، وعند نشر كتاب اسلامي تقوم بتوفير المطبعة وهكذا .

ويسعى المجلس من جانب آخر الى القيام بدور حلقة الوصل بين الهيئات الدينية ومجلس الوزراء ، وبين الهيئات الدينية السوفيتية ، وامتداداتها خارج البلاد ، والتي تشترك مع المسلمين السوفيت في النضال من أجل السلام ، كما تقوم بتسهيل عقد المؤتمرات داخل الاتحاد السوفيتي » .

الدستور السوفيتي

■ وعدت أسأله : هل تقدم بعض النماذج لتلك القوانين التي تنظم أمور المسلمين . . ؟

ـ « ما صدر في التعديل الأخير من الدستور السوفيتي ، عدلت احدى مواده لكي تنص على ضمان الحق في ممارسة الشعائر الدينية وتنص المادة ٥٢ من الدستور : (حرية الاعتقاد لمواطني الاتحاد السوفيتي مضمونة ، أي أن لهم الحق في اعتناق أي دين أو عدم اعتناق أي دين ، وأداء الشعائر الدينية ، أو القيام بالدعاية الالحادية ، وتمنع إثارة العداوات والأحقاد بسبب المعتقدات الدينية .

فالدين في الاتحاد السوفيتي منفصل عن الدولة ، والمدرسة منفصلة عن الدين . ويعاقب القانون كل محاولة لمنع الشعائر الدينية . .

فالدولة لم تعد ضد الدين ، وهي لا تساعد أيضا أي دين مثلما كان عليه الحال أيام القيصر ، عندما كان دين الدولة هو المسيحية الأرثوذكسية . . » .

أحد الآثار الاسلامية التي لم ترمم بعد في شهر سبز ، وهي للامام عبد الجليل الذي بناه الأمير مظفر بك عام ١٨٦٨ م . وتعتمد في زخرفتها على لفظ الجلالة (الله) واسم رسوله (محمد) .

تمثال فى أحد الميادين فى مدينة طشقند ، ولوحة تعبر عن المجد الغابر لمسلمى آسيا الوسطى .

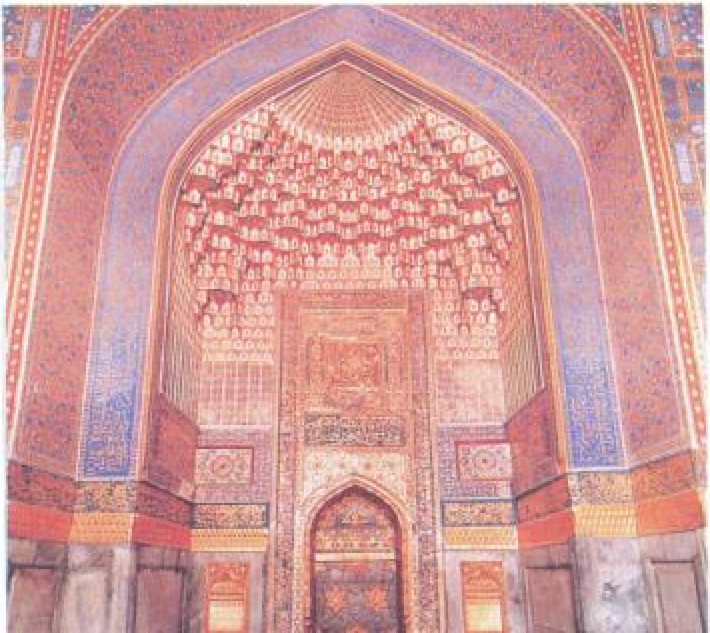

قاعة المدرسة الذهبية فى سمرقند ، والتى احتاج ترميمها الى كيلو ونصف من الذهب الخالص . وتظهر النقوش الاسلامية البديعة .

أهم معالم سمرقند ، ثلاث مدارس اسلامية ، مدرسة شيردار أو عرين الأسد ومدرسة أوليج بيك على اليسار ومدرسة تلاكارى فى الوسط ، والتى كانت جامعة وجامعا حتى قيام الثورة ، وأعيد ترميمها من خلال الرسومات التى سجلت ايام القيصر نيقولا عام ١٨٧٦ ، ويظهر جانب من نقوشها وأحد العمال يقوم بعملية الترميم .

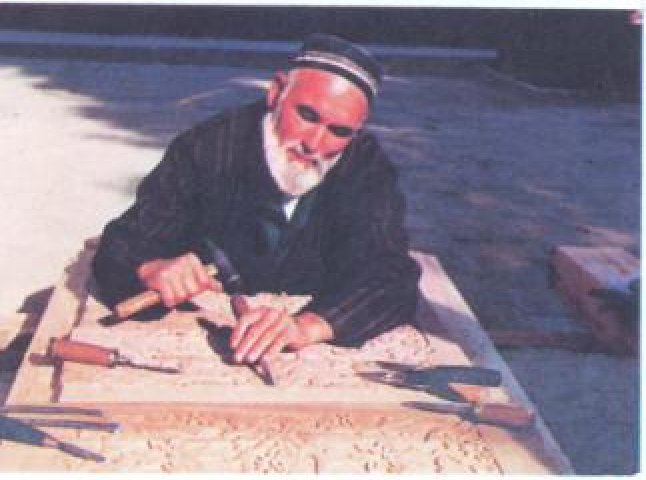

حوار في معهد العلوم الأكاديمية

■ هل معنى ذلك أن هناك تغيرا نحو المزيد من الليبرالية فيما يتعلق بالدين ؟ . .

ـ « لم يتغير الموقف المبدئي ، ولكن ما تغير هو الظروف . فكلما تقدمت الاشتراكية تطورت الديمقراطية ، وانعكس ذلك على مسألة الدين . . . » .

■ وماذا بشأن ما قاله كارل ماركس ، : « الدين أفيون الشعوب » . . ؟

ـ « لقد شاهدت مناقشة اشترك فيها المفتي السابق بابا خانوف حول هذا الموضوع ، والذي أجاب عندما وجه إليه هذا السؤال ، ان هذه الفكرة إحدى قواعد الماركسية ، ولكنها ليست أحد قوانين الدولة . والمواطن يعيش في الاتحاد السوفيتي وفقا لقوانين الدولة التي تضمن تأديتنا لشعائرنا الدينية ونشاطنا الاسلامي . . . » .

وليست هذه هي النغمة الوحيدة التي سمعتها ، بل هناك نغمة مغايرة ، ومنطق مختلف خلال الحوار الذي تم في أكاديمية العلوم والفلسفة في قازاخستان . .

في أكاديمية العلوم

كنت على موعد مع الأساتذة باكوفليف وأحمد توف وبيجاليف وبيجارين ، أساتذة أكاديمية العلوم والفلسفة . . وسألت .

■ ما الذي توصلتم اليه في أبحاثكم حول علاقة الماركسية بالدين . ؟

ـ « ساهم الدين في تكوين الثقافة العامة للمواطنين ، وله قيمة تاريخية من هذا الجانب ، وآمن به المواطنون عندما لم يعرفوا سواه ، أما علاقة الماركسية بالدين فهي علاقة علمية ، تساهم في صبر وأناة على تفسيرها وتوضيحها .

فالاتحاد السوفيتي أول دولة في العالم تتبنى الالحاد ! وكان من حق المؤمنين قبل الثورة الانضمام الى صفوف الحزب ، ولم يتضمن برنامج الحزب أي ذكر للالحاد ، وكان توحيد العمال على الأرض يفوق هدف توحيد الناس في السماء . ! وبعد الثورة تناول المؤتمر التاسع للحزب في مادته الثالثة عشرة علاقة الحزب بالدين ، وأكد احترام الحزب لمشاعر المؤمنين ، ولكنه منع المؤمنين من الانضمام الى صفوفه ، وجعل نشر الالحاد أحد واجباته الرئيسية ! » .

■ هل كان هذا القرار إيذانا بانتهاء مهمة البناء ، وانه لم يبق أمام الحزب سوى ملاحقة المؤمنين . . ؟!

وساد الجلسة جو من التوتر ، وأخذ الأساتذة يتحاورون قبل الاجابة على السؤال ، وأخيرا تحدث مدير المعهد :

ـ « إن الأهمية القصوى في الوقت الراهن هي مشاكل الحرب والسلام التي تتطلب رص الصفوف وتوحيدها ، وهذا أيسر من انضمام المؤمنين الى الحزب . وقد رأى المؤتمر السادس والعشرون للحزب . ان الاسلام لعب دورا ايجابيا في بعض مراحل التاريخ ، لكن الدين ورجال الدين ليس لهم مستقبل في الاتحاد السوفيتي . . ! »

وعدت أسأل :

■ ولكن هناك أحزاب ماركسية ، أقامت ما أطلق عليه المصالحة التاريخية بين الدين والماركسية . . !

ـ « هذا شأن داخلي لتلك الأحزاب ، وأذكرك أنه كان هناك فارق بين موقف الحزب قبل الثورة وموقفه بعدها .

والهدف الرئيسي للنظرية العلمية هو توحيد العمال في العالم . .

■ ألم تكشف الدراسات التي قمتم بها عن الفروق الجوهرية بين التجربة التاريخية في الشرق عنها هي في الغرب . ان هذه الفروق تنعكس على النظرة الى الدين والحياة ، وتنعكس أيضا على العلوم والفنون . . ؟

ـ « نعم هناك تباين ، ولكن مع وجود مسائل مشتركة للانسان في كل مكان ، ترتكز التجربة السوفيتية على أسس التطور الاقتصادي ، ونعتبر التطور التاريخي للفنون في الشرق تطورا موحدا يعبر عن الانسان الشرقي وتطلعاته الى العدالة . وقد احتفظ الفن الشرقي بوجهه الحقيقي ، ولم يؤثر عليه رأس المال مثل العديد من الفنون في الغرب . والتباين والوحدة قائمان ، فمثلا الطب في الغرب يعتمد على الكيمياء . والطب في الشرق يعتمد على الأعشاب . وكلاهما يبحث عن علاج الانسان .

وعاد الغرب اليوم يتأمل تجربة الشرق كإحدى التجارب الثمينة والفاعلة . .

ونرى أن مستقبل الفن والثقافة يعتمد على استخدام الثروات التاريخية . ولا نعرف بالضبط ما الذي ستصل اليه في النهاية . . . »

وكان سؤالي الأخير . .

■ بعد أن تجولت في المدن الاسلامية لاحظت الاقبال الكبير على الدين ، فهل هذا نتيجة لفشلكم أم لنجاحهم . . ؟

ـ « ان الدستور السوفيتي يضمن حرية ممارسة الشعائر الدينية . . » ومرة أخرى يترك سؤالي قدرا كبيرا من التوتر على جو الجلسة ، مما يؤكد أن هذه القضية ما زالت موضع جدل ، ورغم هذا تحرز الحريات الدينية كل يوم مكاسب جديدة . .

علَمٌ الانسانية !

والذي يتنقل في الجمهوريات الاسلامية لا يفوته أن يلحظ الفروق بين الجانب الأوروبي وبين الجانب الأسيوي . فأنت عندما تصل الى مطار طشقند تصل الى مطار شرقي بما يظهر فيه من ملامح آسيوية في الأزياء وغطاء الرأس الاسلامي . والأرض في طشقند صحراوية صفراء في كثير من الأنحاء ، أما مطار موسكو فتحيطه غابات الصنوبر . .

وفي الاتحاد السوفيت لا تكشف ملامحك من أي البلاد جئت ، ففيه الأسمر والأشقر . فقد كانت آسيا الوسطى فسيفساء القوميات والأديان .

وقدظلت فكرة اقامة المجتمع الانساني الواحد حلما طوباويا يداعب أحلام الفلاسفة والمصلحين ، وواجهت فكرة اقامة مجتمع يتخطى الفروق القومية والدينية مصاعب كبيرة داخل الاتحاد السوفيتي ، فبرغم التقدم الاقتصادي الملموس الذي تعيشه المناطق الاسلامية ، وبرغم الخطوات الكبيرة في طريق الغاء الاستغلال الاقتصادي

تمثال أولوغ بيك أكبر الفلكيين المسلمين

(١) صف طويل ينتظر كل دوره ليدخل متحف الأرميتاج .
(٢) يدفع المسلمين الصدقات أمام مسجد موسكو !
(٣) الفنون القديمة الى جانب أحد آثار سمرقند .
(٤) يتزايد المعمرون في آسيا الوسطى .
(٥) حفل زواج في جامع بخارى .

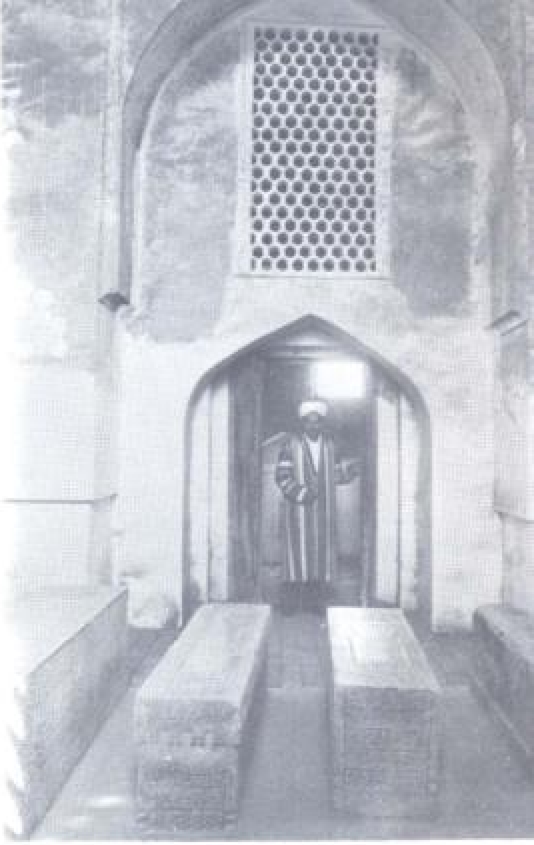

كان تيمورلنك يلاحقنا في كل مكان ، عند المباني الأثرية ، وفي شهرسبز التي ولد فيها ، وهذه مقبرة والد تيمورلنك والتي عثر عليها بالصدفة بينما كان الأطفال يلعبون الكرة .

يشق صوره ، ورغم أن المجتمع الروسي لم يعرف التفرقة العنصريه ظل التطلع الى التخلص من الهيمنة الثقافية قائما ، وتنامى التوجس من وجود هيمنة غربية تتخفى وراء علم الانسانية . .

وارتفعت صيحات عبرت عن ذاتها بصور مختلفة ، تطالب باعادة التوازن بين حضارة الغرب وحضارة الشرق ، في مجتمع يمتد بين آسيا واوروبا ، ومن أكثر الأمثلة التي تضرب على هذه الهيمنة ، التغيرات التي حدثت للأبجدية في مناطق آسيا السوفيتية . التي كانت تستخدم الحروف العربية ، ثم تحولت عام ١٩٢٧ الى الحروف اللاتينية ، وعادت لتتغير مرة أخرى عام ١٩٣٧ إلى الحروف الروسية الكريلية ، عندما تغيرت الحروف العربية في تركيا الكمالية الى الحروف اللاتينية .

وهذا السعي تمتزج فيه الفروق التاريخية مع التطلعات القومية المختزنة في التراث الشعبي ، وفي الوجدان الذي ساهم في صنعه الدين والتاريخ . .

وبينت التجربة السوفيتية أنه لا شيء يعوض الانسان عن حلمه الدائم في حرية الاعتقاد والتعبير عن الهوية القومية ، وتشغل هذه القضية المفكرين السوفيت منذ قيام الثورة حتى اليوم ، فلم تكف عناصر التوحيد في المجتمع الجديد والمتمثلة في التنمية المتكافئة ، ونشر اللغة الروسية في جميع أنحاء الاتحاد السوفيتي ، وتحويل الجيش الى مؤسسة لصهر كل القوميات والأديان ، واستمرت مشاكل عدم الانصهار قائمة ، واعتبر القادة ان ذلك من مخلفات الماضي ، ونتيجة بعض الأخطاء السياسية ، ويرجع البعض فعالية الدين لضعف نظام التعليم متصورين أن استمرار التطور كفيل باستئصال هذه المشكلة . .

واتبع السوفيت سياسات تستهدف توحيد أبناء القوميات والأديان المختلفة ، وتفتيت القومية الواحدة الى مجموعة أقسام ، ومن الناحية الثقافية الاحتفاء بالعلم بدلا من الفقه ، والفلكلور بدلا من التاريخ ، والاحتفاء بالآثار على أمل ادخالها متحف التاريخ ، تقول الموسوعة السوفيتية عام ١٩٧٢ « لقد قوضت الجذور الاجتماعية ، وتحول الاسلام ـ مثل غيره من الديانات ـ الى البحث عن آثاره المقدسة » . . فالى أي حد نجحت هذه السياسات . . ؟

تقول تعامل السوفيت مع القومية بدلا من الدين ، رغم أن العامل المشترك الموحد في آسيا الوسطى هو الاسلام ، ورغم أن ٧٥٪ من سكان هذه المناطق ينتمون الى العنصر الطوراني أي الأتراك ، ويؤكد بروكلمان : « أن مسلمي الاتحاد السوفيتي يشكلون كيانا له روابط لغوية واثنيه مع امتدادات خارجية ، وينتمي معظمهم الى العنصر الطوراني مثل الأتراك ، كما يوجد قلة تنتمي الى أصل مغولي أو صيني . . »

وقسم الأتراك الى تقسيمات قبلية أو لغوية ، خاصة عندما قسمت تركستان التي تمتد من بحر قزوين حتى الصين ، وأصبحت ـ في ظل الحكم السوفيتي ـ تضم خمسة أقسام ، على أسس عشائرية ، اشتقت أسماءها من أبطالها ، وهذه الأقسام هي الأوزبك والطاجيك والقرجيز والتركمان ، يتكلم أربعة منهم لغة ذات أصل تركي

ما وراء النهر . .

وقبل أن نجيب على السؤال الذي طرحناه نمضي قليلا في رحلة مع التاريخ . . إن هذه المنطقة هي التي عرفت في الكتابات العربية ببلاد ما وراء النهر ، التي تعني الرقعة الواقعة في حوض نهر جيحون (أموداريا) وسيحون

(سيرداريا) ، وكانت بها قبل الثورة ثلاث امارات اسلامية هي : بخارى وطشقند وخوقند ..

والأوزبك مثلا ينتمون الى قبيلة تركية ، استولت على الحكم في تركستان ، بزعامة الخان محمد الشيباني خلال القرن السادس عشر . وعملت السلطات على اصطناع تاريخ قومي لكل من هذه الأقسام ، يتغنى الشعب بأبطاله ، ويكون مصدر إلهام في الأعمال الفنية والفلكور الشعبي ..

ليس هذا فحسب بل نجد السوفيت يمنحون كلا من البشكير والتتار على نهر الفولجا حكما ذاتيا مستقلا ، وكان من الطبيعي أن يصبحا دولة واحدة ، وبرغم أن التتار والبشكير محاصرون بالروس من كل مكان ، إلا أن المجتمع الروسي لم يستوعبهم ، ومازالوا يحافظون على ملامحهم القومية ..

وقامت الدولة منذ الأيام الأولى بتشجيع هجرة الروس الى المناطق الاسلامية ، على أمل احداث تغير سكاني على المدى البعيد ، وعلى العكس تشهد اليوم هذه المناطق هجرة معاكسة للروس . واستبدلت شعارات الهجرة الى آسيا بصيحات جديدة تدعوه الى الهجرة الى سيبريا كأرض المستقبل ، فمساحتها تقل قليلا عن نصف مساحة الاتحاد السوفيتي ، وتضم أراضيها المعادن المختلفة وأراضي خصبة .

واهتم السوفيت اهتماما ملحوظا بالمخطوطات الاسلامية ، مع فرزها واخضاعها لانتقاء خاص ، بحيث يفضلون العلمية منها ، مثل كتب الفلك والطب والرياضة ، ويأتي بعدها الجانب الأدبي والتاريخي ، ولا يلتفتون الى ما تحفل به المنطقة من مخطوطات دينية وفقهية اسلامية ..

وبعد أن ذكرت دائرة المعارف السوفيتية طبعة عام ١٩٢٦ ، « أن ابن سينا عربي رجعي ! ، » عادت وحذفت ذلك في الطبعات التالية .

وعندهم مؤلفات ابن سينا والبيروني والخوارزمي ، تراث علمي ينشر ويترجم إلى الروسية ، ويؤثر في تاريخ العلم أكثر مما أثر عند المسلمين خارج الاتحاد السوفيتي .

لم تمت حبة الغلال

ونمضي في جولتنا نبحر في عالم المسلمين السوفيت ..

وصلنا الما ـ آتا فجرا بعد رحلة من باكو استمرت خمس ساعات ، كانت السماء تمطر بردا مثل القطن المندوف . الطريق إلى الفندق يمر عبر الغابات التي تتوزع بينها البيوت الريفية على الطراز الأوروبي ، وقازاخستان التي نزورها تمتد بين الصين والاتحاد السوفيتي ، وتميز قازاخستان الجبال الشاهقة ، وتشمل ٨٥ الف نهر ، وبها ٥٠ الف بحيرة ..

التقينا يوم وصولنا بقاضي قازاخستان ، أكبر الشخصيات الدينية بها ، الحاج راتيك بن نيساناباي ، الذي درس في كلية الشريعة والقانون في ليبيا ، وقد لاحظت أن هناك جيلا من رجال الدين قد درس في جامعة الأزهر بالقاهرة ، وأن الجيل الذي يليه درس في ليبيا والأردن .

يقول القاضي : « ان عدد المساجد في قازاخستان يبلغ ٤٣ مسجدا ، غير الزوايا الكثيرة المنتشرة في القرى ، ويتعلم الأطفال القرآن الكريم من عائلاتهم في المنازل ، ويتردد على المسجد يوم الجمعة حوالي ثلاثة آلاف مصلى معظمهم من كبار السن الذين أحيلوا الى التقاعد ، أما الشباب فيعملون يوم الجمعة ، أو يدرسون في معاهدهم ، وفي الفترة الأخيرة تزايد الاقبال على المساجد وتزايدت التبرعات التي نتلقاها سنويا ، وارتفعت من ٤٠ ألف روبل الى ١٦٠ ألف روبل ، إنها نتيجة تزايد اقبال المسلمين على الاسلام ، أو نتيجة ارتفاع مستوى المعيشة في البلاد .. »

شربنا لبن الفرس

وطلبنا مشاركة القاضي في إحدى المناسبات الدينية التي يحضرها ، وصحبناه الى احتفال بالذكرى العشرين لوفاة

قطعة فنية اسلامية في الأرميتاج

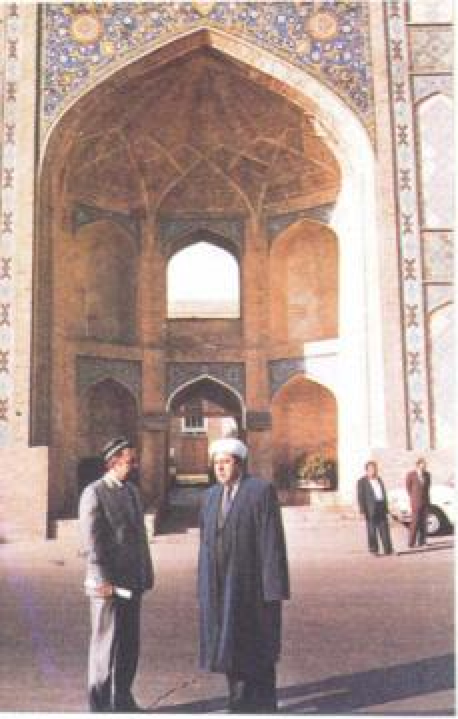

شيخ الجامع فى موسكو يجيب على سؤال احدى المترددات على الجامع . (الى اليمين أعلى)

المفتى شمس الدين باباخان أمام مقر الادارة الدينية فى طشقند . (الى اليسار اعلى)

تقام الولائم ويجتمع المسلمون فى كل مناسبة دينية . (الى أسفل)

وجوه ومعالم الحياة فى آسيا الوسطى . وفى موسم جمع القطن تترك الفتيات والفتيان مدارسهم لجمعه . (الاعلى) والسوق فى سمرقند . (الى اليمين) ولم يعد المسجد يجذب الكهول فقط . (الى اسفل)

أحد المصلحين ، الذي أقام على نفقته في قريته الجبلية مدرسة لتعليم القرآن الكريم ، يعمل ابنه الأكبر طبيبا ، أما الثاني فقد أصبح عضوا نشطا في الحزب ، وكانت سياسة الحزب أن يجذب الى صفوفه أبناء القادة المسلمين . .

وكان الحفل يضم خليطا كبيرا وعددا من أعضاء الحزب ، بينهم رئيس تحرير صحيفة قازاخستان ، وأقيمت المآدب ، وتليت بعض سور القرآن الكريم . .

وختمنا جولتنا في الجبال ، وشربنا لبن الفرس الذي يبعث الحيوية في أهل الجبال ، الذين يحتفظون بتقاليد الفروسية القديمة ويرددون أحد امثالهم : « اكرم ضيفك كأنه أبوك . . »

رأينا كيف تنجح المسلمون في أن يعاملوا كمجموعة بشرية متجانسة ، وليس مجرد أفراد ، ولها زعامة دينية رسمية ، تتمثل في المفتي ومقره طشقند ، بوابة آسيا الوسطى وعاصمة أوزبكستان . .

مع المفتي

ذهبت للقاء المفتي في صحبة أحد أساتذة معهد الامام البخاري . وفي الطريق أخذ مرافقي عبد الحميد تورسون يشرح دور الادارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقازاخستان ، والتي تشمل كل اوزبكستان وقازاخستان وطاجيكستان وقرغيزيا وتركمانيا ، وتشرف على هذه الادارة مؤتمرات تمثل الجمعيات الاسلامية ، ويعتبر المؤتمر أعلى هيئة دينية . .

وأصدرت الادارة طبعات من المصحف الشريف ، وطبعت مؤخرا كتاب السيرة النبوية للامام الترمذي ، وتصدر مجلة « المسلمون في الشرق السوفيتي » .

نقترب من الحي القديم الذي يشبه كل الأحياء القديمة في المدن الاسلامية . يغلب على مبانيه اللون الأبيض ، ومعظمها من طابق واحد ، ويرتدي أغلب الأهالي جبة تركية وقلنسوة صغيرة . .

خلف المفتي الحالي شمس الدين خان أباه ضياء الدين في هذا المنصب ، والذي ورثه بدوره عن أبيه ، على عادة الشرق . !

وفي مقر الادارة الدينية ، بدأ المفتي شمس الدين حديثه قائلا : « دخل الاسلام أواسط آسيا من غير غزو أو اكراه ، وتعلم الأهالي اللغة العربية ، لغة القرآن ، وساهموا في تأليف الكتب الاسلامية ، وأنجبت هذه المنطقة العديد من العلماء ، وقامت حضارة مزدهرة في بعض المدن مثل بخارى وسمرقند .

وسألته :

■ لماذا اختيرت بخاري وطشقند مقرا لأهم معهدين اسلاميين . . ؟

ـ « أقيمت مدرسة مير عرب ، أي أمير العرب في بخارى ، منذ القرن السادس عشر ، وبناها أحد الأمراء العرب من اليمن ، أما المعهد العالي للامام البخاري فقد أقيم عام ١٩٧٠ في طشقند ، التي بها مقر الادارة الدينية ، لأن العاملين في الادارة الدينية هم الذين يدرسون به . . »

■ هناك مناطق تداخل بين الدين والدولة . فمثلا يبيح النظام السوفيتي الدعوة للالحاد ، ويحظر الدعوة الى الايمان ، فكيف تعالجون هذا التداخل . . ؟

ـ « يمكن الدعوة للاسلام في المساجد والتجمعات الاسلامية فحسب ، ليس في الاذاعة والتلفزيون مثلا ، فالدولة السوفيتية ليست إسلامية ولا مسيحية .

واننا سعداء لاننا نعيش في الاتحاد السوفيتي الدولة الكبرى ، صاحبة النفوذ والقوة في العالم ، مما يجعلنا نعيش في أمن ، أما الدول العربية مثلا فهي ٢٢ دولة تعيش متفرقة ، تحت تهديد العدوان الاسرائيلي ، وعندما يسألنا المسلمون حول ذلك في المساجد نخجل ولا نعرف بماذا نجيبهم . !

والمسلمون السوفيت يعيشون بدون تهديد من أية دولة أجنبية ، وأي تدخل أجنبي في شئون أية قومية يعتبر تدخلا في الشئون الداخلية للاتحاد السوفيتي ، وهو قادر على وقفه . . »

■ ما هي التغيرات التي وقعت في حياة المسلمين منذ ثورة أكتوبر حتى الآن . . وهل يمكن القول ان الموقف السوفيتي قد انتقل من العداء الى الحياد . . ؟

ـ « نعم لقد حدثت بعض التغييرات في علاقة الدولة السوفيتية بالمسلمين ، مما يقع مثله في كل مكان ، ولكنها تغييرات طفيفة . والمهم الآن أن الدستور السوفيتي يضمن حرية الاعتقاد ، وممارسة الشعائر الدينية ، وبهذا تنتقل من مجرد السماح الى ضمان ممارسة الشعائر وهو تطور مهم . . »

تعداد ونمو المسلمين

■ أصبح عدد المسلمين السوفيت أحد الالغاز التي تتضارب فيها التقديرات ، والاحصائية الرسمية الوحيدة التي يمكن الاستناد اليها ترجع الى عام ١٨٩٧ والتي تحدد المسلمين بنحو ١٥ مليون نسمة ثم أجرى تعداد عامي ١٩٢٦ و ١٩٣٩ في المناطق الاسلامية ، ووجد عدد المسلمين على التوالي ١٨ و٢١ مليون نسمة .

طلاب من كل أرجاء الاتحاد السوفيتي يدرسون في معهد بخاري الاسلامي ويرتدون القلنسوة التي تميز المسلمين في طشقند .

وسبق أن أعلن والدك المفتي السابق أن عددهم يبلغ ٣٠ مليون نسمة ، وذكر خروشوف في تصريح في الهند أن عددهم ١٥ مليونا . .

وذكرت دائرة المعارف الاسلامية ان عدد المسلمين السوفيت ٥٠ مليون نسمة .

فلماذا هذا التضارب . . ؟ وأي هذه الأرقام صحيح في تقديرك .

ـ « ان كل هذه الأرقام بنيت على التقديرات وحدها ، فلا يذكر الدين في بلادنا ، لا في شهادات الميلاد ولا في جواز السفر ، ولا في أية ورقة رسمية أخرى . .

ومن ناحية أخرى هناك مسلمون بالاسم ومسلمون فعالون ، لهذا تختلف الأجوبة من تقدير الى آخر . . »

■ ما رأيك فيما تذكره هيلين دانكوس الباحثة الفرنسية ، من أن معدل النمو العددي للمسلمين السوفيت يفوق سواهم ، وأنها تتوقع أن يصبحوا في نهاية هذا القرن ثلث سكان الاتحاد السوفيتي . . ؟

ـ « نعم ترتفع معدلات المواليد في آسيا الوسطى في المناطق الاسلامية ، والدولة تحتفي بذلك وتشجعه . . »

■ ماهي المعالم الخاصة للمجتمع الاسلامي في الاتحاد السوفيتي . . ؟

ـ « يختلف المسلمون عما كانوا عليه منذ عشرين عاما مثلا ، فالجميع يعكفون على العمل ، وليس مثل بعض المجتمعات الشرقية الأخرى التي ربما تجدهم يصلون ويؤدون الشعائر ، ولكنهم لايعملون بنفس القدر ، أما عندنا فهم يعملون بجد ، ولهم فعالياتهم في مجتمعهم ، ويتمسكون بتقاليدهم ، وينشئون أبناءهم في المنازل على مبادىء الاسلام الحنيف ، ولاتعثر بينهم على أمي واحد ، فأغلبهم تخرجوا في المدارس والجامعات . . »

■ هل لديكم مطالب لم تستجب لها الدولة . . ؟

ـ « كل مانطلبه عن طريق مجلس الشئون الدينية يتحقق ، فمثلا بدأنا اقامة مبنى ومطبعة لمجلة « المسلمون في الشرق السوفيتي . . »

في معهد بخاري

وقضيت بقية يومي في معهد بخاري . ودارت مناقشات ممتعة مع مدير المعهد الأستاذ محمد صادق وعدد من أساتذة المعهد ، وقدم استعراضا شيقا للتجارب الاسلامية المعاصرة ، ويأخذ على هذه التجارب عدم اهتمامها بالقدر الكافي بعلوم العصر ومنجزاته ، وأنها انكفأت على القشور ، مما صرفها عن جوهر الاسلام ، فالعبادات تهدف الى تهذيب النفس من أجل التقدم في الحياة ، والاسلام جاء بتوازن دقيق بين الدين والدنيا ، وبين العبادات والمعاملات . وتشغل المعهد اعادة كتابة تاريخ آسيا الوسطى ، واعادة الاعتبار لشخصية تيمور لنك الذي كان يهدف في رأي أساتذة المعهد ، الى توحيد عالم الاسلام من أجل مواجهة التحديات الأجنبية . وبصرف النظر عما في هذه النظرة من حقائق تاريخية ، الا أنها تخالف مخالفة تامة رأي المؤرخين السوفيت ، الذين

الاقبال على المآدب
والكتب في الما ـ آتا

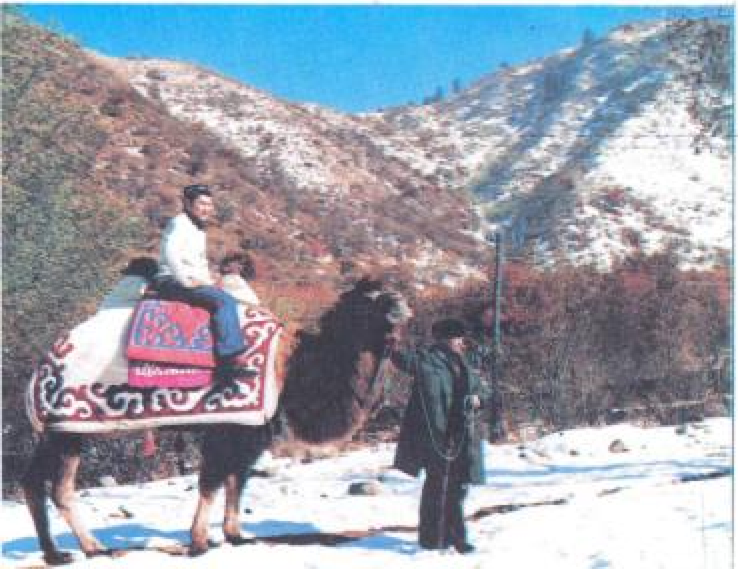

أحد الجمال فوق جبال
قازاخستان .

يأتى الأصدقاء الى الجامع للاحتفال بالعروسين

فى الاتحاد السوفيتى كل الملامح الاشقر . . . والاسمر والتركى والمغولى .

يقدمون تيمورلنك على أنه أحد الغزاة المتوحشين الذي أحرق موسكو . !

كما لاحظت أن اساتذة معهد بخارى على اطلاع بكل الاتجاهات الاسلامية السائدة في العالم الاسلامي ، فاذا كان الاسلام يحتل الترتيب الثاني بين الأديان في الاتحاد السوفيتي ، فله المركز الخامس من حيث العدد بين الدول الاسلامية ، ولديهم مكتبة عامرة بالمؤلفات الاسلامية المعاصرة ، ويشغلهم بالدرجة الأولى الحفاظ على الايمان ، على أن يأتي تحقيق اهدافهم بالتدريج بعد ذلك . .

من السيطرة الى التبعية . .

نتابع مشاهد جولتنا . ونتوقف لنسمع ايحاءات التاريخ الذي يلقي الضوء على الحاضر . فحقا ان ذاكرة الشرق التاريخية اكثر حدة من ذاكرة الغرب . .

عندما وصلنا الى موسكو في نهاية رحلتنا ، أقمنا في فندق راسيا أحد فنادق الاتحاد السوفيتي الكبرى ، والذي يتكون مما يزيد عن أربعة آلاف غرفة ، وعدد كبير من المصاعد ، وعشرات المطاعم ، مطعم في كل طابق . . الفندق جزيرة مليئة بالنزلاء . يطل الفندق على الميدان الأحمر ، ويظهر الكرملين ـ أي القلعة ـ من خلال النافذة ، ترى الكنائس التاريخية بقبابها الذهبية ، تطل علينا كنيسة ايفان الرهيب ، التي أقيمت بمناسبة قضائه على دولة التتار على ضفاف نهر الفولجا ، وعلى الجانب الآخر من الصورة يصطف طابور طويل في انتظار زيارة قبر لينين ، لالقاء نظرة عليه ، ويبدو هذا المشهد للوهلة الأولى بعيدا عن قصة المسلمين في الاتحاد السوفيتي ، ولكنه ليس كذلك لمن يقلب صفحات التاريخ ،فهناك صفحة دامية كان أطرافها الروس والتتر المسلمون فتاتارستان انتقلت من السيطرة الى التبعية ، فبعد أن كان يتبع الخان التتري الأمراء الروس ، هزم التتار عام ١٣٨٠م ، وجاء ايفان الرهيب الذي اتخذ لقب القيصر في منتصف القرن السادس عشر ، واستولى على قازان عاصمة التتار ، ومنذ هذا الوقت أصبح الجيب التتري بؤرة تمرد داخل الجيب القيصري ،

فقد عاش لينين في قازان عاصمة التتار ودرس في جامعتها وبدأ ثورته منها ، فقد قدم المسلمون التتار للمجتمع الروسي أول حكومة مركزية ، وهي التي لها فضل توحيد روسيا ، وقد شملت دولتهم جميع البلاد السلافية (الصقالبة) ، عندما كان الروس مجرد قبيلة صغيرة تعيش حول مدينة كييف ، وذكر عددها الرحالة العربي ابن فضلان . . بمائة ألف تقريبا ،وكان الأمراء الروس تتفاوت ، أقدارهم مابين أمير عظيم وأمير عادي ، تبعا لمدى قربه من الخان ، وفي القرن الرابع عشر استطاع أمير موسكو ايفان الأول أن يقنع الخان بمنحه لقب الأمير فلاديمير العظيم ، وكانت موسكو تتميز بالغابات التي تحيطها ، مما يحصنها ضد المهاجمين ، وحاول الخان ماماي تدمير موسكو التي تزايدت مكانتها ، ولكنه فشل ورد على أعقابه هو والجيوش التي حشدها من آسيا الوسطى ،واتصل الصراع قرابة مائة عام أخرى بين دولة الموسكوف ودولة التتر ،التي كانت تسمى القبيل الذهبي ، واستطاع ايفان الثالث أن يضم اليه عددا من الامارات الاسلامية ،وتوقف عن دفع الجزية للتتار ، ثم استقل عنهم وأعلن نفسه أمير روسيا كلها ، وموسكو عاصمة له ، واعاد تنظيم جيشه واستولى على قازان ، ثم توالى سقوط الامارات الاسلامية

ويرى المؤرخون الروس أن حكم التتار هو المسئول عن التأخر الذي أصاب روسيا التي لم تصبح مثل غيرها من الدول الأوروبية .

، ولم يكن غريبا أن تحتضن قازان لينين أيام الثورة الأولى . .

قبل الثورة

وتتابع الفصول وتمضي الأيام . .

ومن الفصول التي مازالت تحتاج الى كثير من البحث ما مر به المسلمون في آسيا الوسطى قبل قيام الثورة ، عندما كانت بلادهم تربة خصبة لكافة الاتجاهات والتيارات الفكرية ، والتي جاءت ثورة ١٩١٧ لتسدل عليها الستار ، ولم أعثر على أية دراسة عربية حول هذه الفترة ، عندما كانت الأوضاع قبل الثورة ، مثل الأوضاع في غيرها من الدول الاسلامية .

وقامت حركات كان من رموزها سلطان جاليف ، الذي أطلق دعوته لاقامة جامعة شعوب الشرق ، وانشاء جمهوريات اسلامية في آسيا التي كانت تخضع لكل من التأثيرات الثورية في روسيا ، والاتجاهات الاصلاحية في العالم الاسلامي ، ويعالج هذا الموضوع كتاب « الاسلام في الاتحاد السوفيتي » لالكسندر بنجسن ، الذي استعرض المدارس الفكرية التي تتطابق مع مايجري اليوم في العالم العربي ، الصراع بين القومية الطورانية من جانب ، والاسلام من جانب آخر ،صراع التحديث ومدى ما يجوز أخذه من الغرب ، بل قامت حركات اسلامية للمقاومة ، كان على رأسها حركة المريدين بقيادة الامام (شامل)الذي

قام بدور هام في زعزعة دعائم القيصرية .

وبعد الثورة ظهر من القادة « الملا نور فاخيتوف » مع « سلطان جاليف » ونادي الرجلان بأن تحرير البشرية بأسرها سيأتي من الشرق ، عندما يقوم المسلمون المستنيرون ، ويقدمون الى الحضارة ما جاء به الاسلام الى البشرية . ويضيف سلطان جاليف : « أن الصراع الحقيقي الذي يشهده العالم ليس صراعا طبقيا بين الرأسمالية والبروليتاريا . بقدر ما هو صراع بين الغرب والشرق ، الذي فقد استقلاله ونهبت ثرواته ، وعند تحرير طاقات الشرق الخلاقة يتحرر العالم . . . » .

الفراق . . !

وقد انتهى الحال بسلطان جاليف الى الحكم عليه عام ١٩٢٩ بالسجن الذي قضاه في سيبريا ! وفشلت محاولات التوفيق بين الماركسية والاسلام !

بعد أن ساهمت شعوب الامبراطورية القيصرية التي كانت تتطلع الى التحرير في نجاح ثورة ١٩١٧ ، وتوددت الثورة الى الشعوب المضطهدة في آسيا والشرق ، وبعد شهرين من نجاح الثورة في ديسمبر ، صدر بيان موجه الى المسلمين في روسيا والشرق يقول : « ان امبراطورية السلب والعنف والرأسمالية توشك أن تنهار ، والأرض التي تستند عليها أقدام اللصوص الاستعماريين تشتعل نارا .

ونتجه بأنظارنا اليكم ، أنتم يا مسلمي روسيا ويا مسلمي الشرق ، أنتم يا من تشقون وتكدحون وتحرمون من كل حق تستحقونه . . . أنتم يا من انتهكت حرمات مساجدكم ومدارسكم ، واعتدى على عقائدكم وعاداتكم ، وأزيلت قبور موتاكم ، وداس القياصرة والطغاة الروس على مقدساتكم . .

« ستكون حرية عقائدكم وعاداتكم ، وحرية نظمكم القومية وحرية مدارسكم ومعاهدكم الثقافية ، مكفولة لكم ، لا يطغى عليها طاغ ولا يعتدي عليها أحد » .

وتتعاقب الفصول ويمضي التاريخ ويصدر بيان موجه الى المسلمين في العالم بعد ثورة أكتوبر بشهرين : « أيها المسلمون في الشرق ، أيها الفرس والأتراك والعرب والهنود ، يا من وطىء الأوربيون القراصنة أرضكم ، وتاجروا بأرواحكم وأملاككم وحرياتكم قرنا بعد قرن ، يا من يحاول اللصوص الأوروبيون الذين أشعلوا الحرب أن يقتسموا بلادكم . . حذار أن يضيع الوقت وتفلت الفرصة » .

وكان الاسلام في نظر لينين عقيدة مقهورة ، ليس في روسيا وحدها بل في العالم كله ، ويعتبر أن حركة الجامعة الاسلامية من الحركات التحريرية .

وسرعان ما بدأت الأهداف تتضارب عندما اكتشف رجال الكرملين أن الشعوب المضطهدة تهدف الى التحرر القومي قبل الصراع الطبقي فما ان انتهت الحرب الاهلية ضد القوات الأوربية الغازية ، حتى توجه الجيش الأحمر الى الشرق والجنوب ، وهناك برقية « أرسلها لينين إلى أحد القادة العسكريين على جبهة القوقاز تعكس حذره ، يقول فيها : « مرة أخرى ، أرجوك أن تتصرف باحتياط شديد ، وعليك أن تبدي للمسلمين أقصى درجات حسن النية . . . . » .

وتقدم للمؤتمر الثامن للحزب قائلا : « أما بالنسبة لشعوب القرجيز والاوزبك والطاجيك والتركمان ، تلك الشعوب التي ما تزال واقعة تحت سيطرة رجال الدين ، فلابد من أن توليهم عناية خاصة ، ولابد من الانتظار حتى يؤدي التطور بهذه الأمم الى تميز العناصر العمالية من العناصر البرجوازية ، وهو أمر من الضروري أن يتحقق » .

وبدأت السياسة تتغير ، ومنذ تولي ستالين رئاسة مجلس شئون القوميات ، قام بعلاج قضية المسلمين . فأنشأ مفوضية خاصة بشئون المسلمين ، وعهد برئاستها الى حيدروف الذي ألف الحزب الروسي للشيوعيين المسلمين . . . » .

ولم يلبث أن حل ستالين هذا الحزب ، وعهد بمسئولياته الى المكتب المركزي للهيئات الاسلامية ، ثم استبدلت بالهيئات الاسلامية هيئات شعوب الشرق ، واستبعد تماما التعامل مع المسلمين . . . !

أما أثر تلك الأحداث في العالم الاسلامي ، فنجد تعليقا للأمير شكيب أرسلان في كتابه « حاضر العالم الاسلامي » ، يعلق فيه على انضمام الجمهوريات الاسلامية الأربع في القوقاز الى الاتحاد السوفيتي بقوله : « ولما انحلت الحكومة القيصرية الروسية ، وقامت الحكومة البولشفيكية سنة ١٩١٧ محلها ، أعلنت استقلال الأمم المهضومة ، وخيرت الشعوب التي كان القياصرة قد أخضعوها بحد السيف بين أن تبقى منضمة الى الدولة الروسية الأصلية أو تنفصل عنها ، فأعلن أهالي القوقاز استقلالهم التام ، وأوفدت وفودها الى الآستانة لمفاوضة الأتراك والألمان للاعتراف بها ، حتى جرد البولشفيك جيوشا على جمهوريات القوقاز الأربع وألحقوها بحكومة موسكو . ! » .

وأخيرا . . هل ما شهدناه وسمعنا وقرأنا عنه خلال رحلتنا السريعة . . . هو نهاية حقبة أم بداية حقبة جديدة ، هذا ما سيكشف عنه المستقبل .

مستعمرة فضائية

اعداد : سليمان مظهر

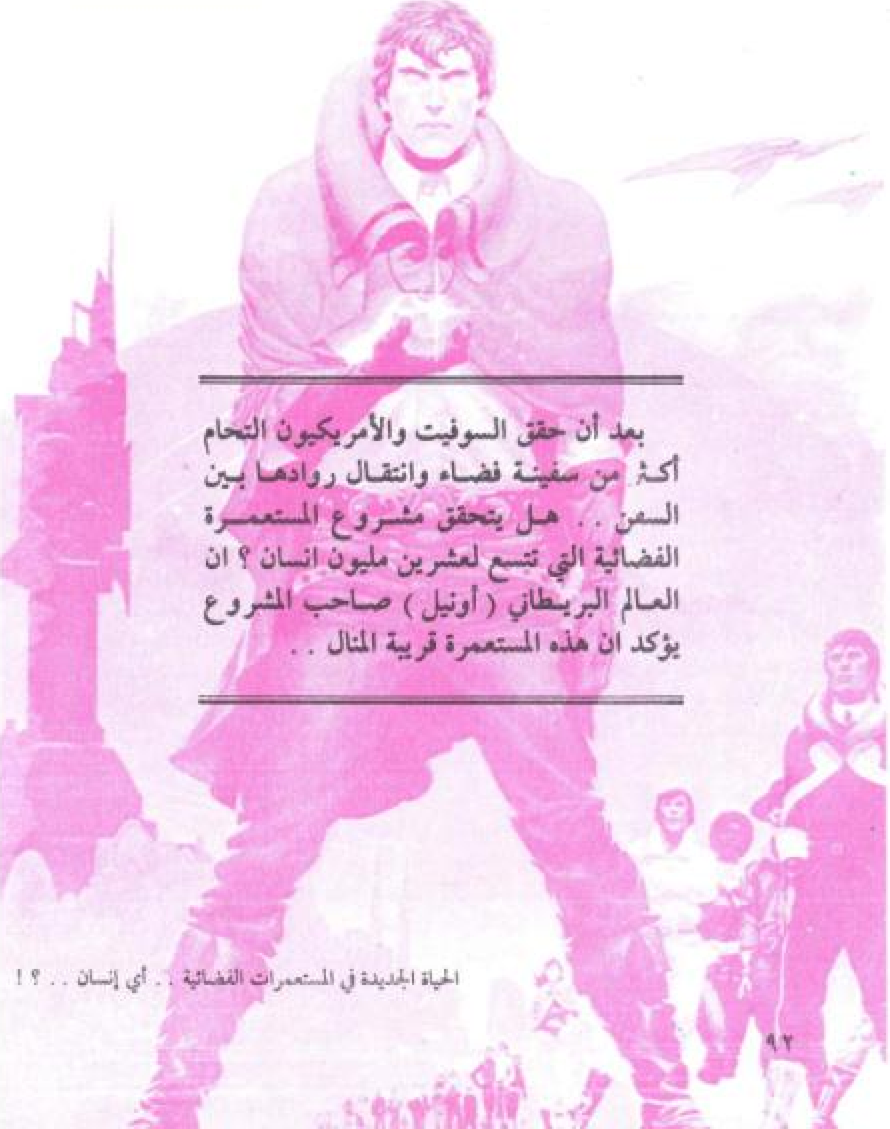

بعد أن حقق السوفيت والأمريكيون التحام أكثر من سفينة فضاء وانتقال روادها بين السفن .. هل يتحقق مشروع المستعمرة الفضائية التي تتسع لعشرين مليون انسان ؟ ان العالم البريطاني (أونيل) صاحب المشروع يؤكد ان هذه المستعمرة قريبة المنال ..

الحياة الجديدة في المستعمرات الفضائية .. أي إنسان .. ؟ !

لعشرين مليون إنسان

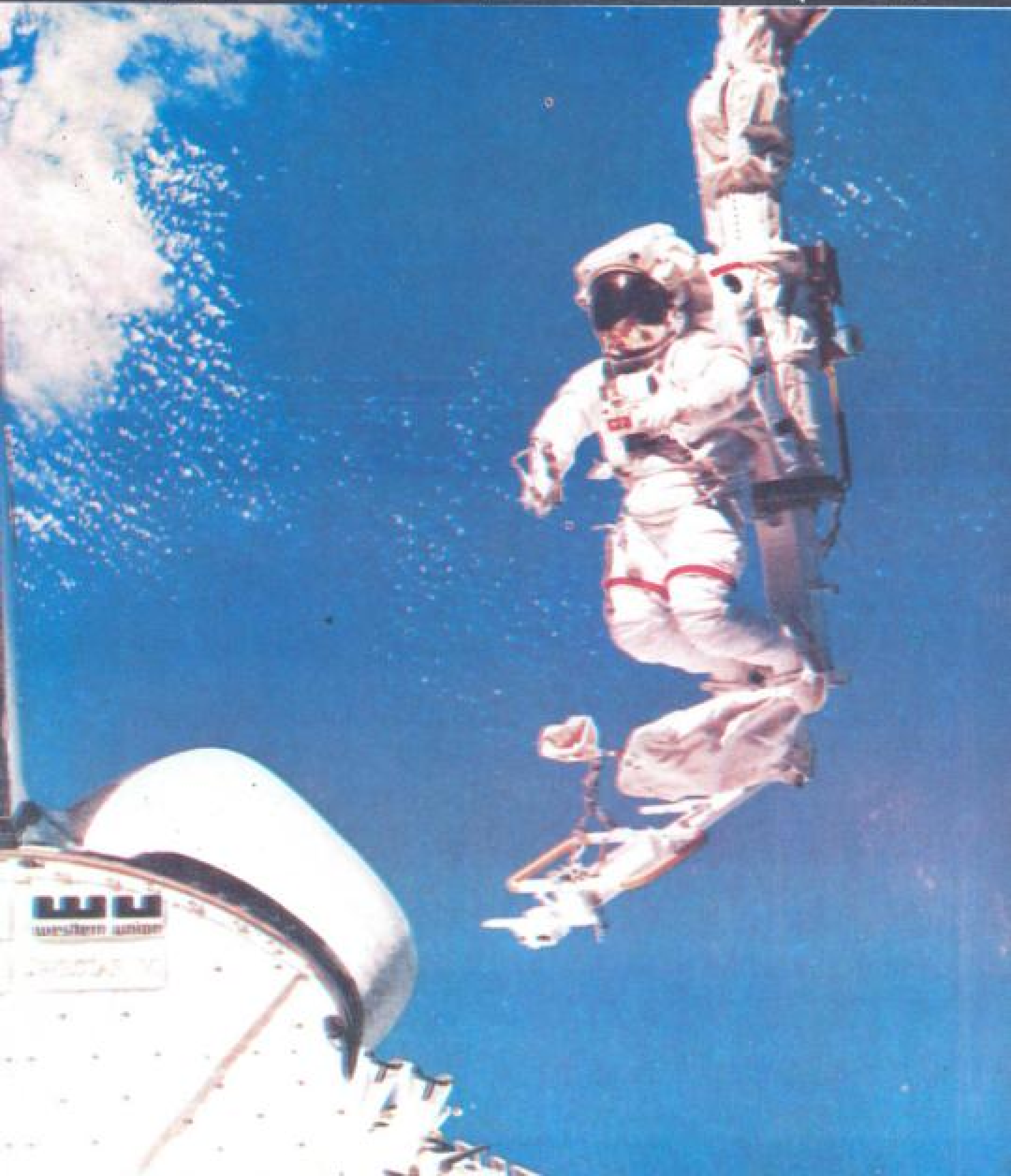

خلال مائة سنة فقط سيصبح في امكان تسعة أعشار سكان الأرض الهجرة الى الفضاء . ولن تكون الرحلة متعبة أو مرهقة كما هي اليوم ، ولن يكون « الركاب » محشورين في القمرات الضيقة المهتزة كما يتوقع ان يكون عليه الحال عام ٢٠١١ ، كما لن يكونوا مضطرين لارتداء هذه الملابس الثقيلة الفضفاضة التي يكاد رجال الفضاء يتعثرون بها وهم يخطون أولى خطواتهم على سطح القمر .

ولكنهم سيهاجرون ضمن مركبة هائلة . انها عالم اصطناعي متكامل ، فيه الحشائش ، والأشجار ، والحبوب ، والأنهار ، والحيوانات ، وحتى السماء الزرقاء والغيوم .

وستتحرر الأرض من ضغوط ازدياد النسل ، والانفجار السكاني وتطور التكنولوجيا الذي قد يكون مدمراً ، وستتحول هي بدورها الى جنة من جنات عدن بعد أن يرحل عنها معظم سكانها .

العالم ذو الخيال الواسع

وهذا البرنامج الفضائي الضخم وضع مخططه وفكرته عالم من علماء الفيزياء النووية يعمل في جامعة برينستون البريطانية ويدعى (جيرارد أونيل) وهو يقول ان في الامكان البدء في الاعداد لهذه الرحلات الجماعية الضخمة منذ الآن ، وبالاستعانة بالوسائل التي تتيحها لنا التكنولوجيا المعاصرة . ولن يتكلف البرنامج كثيراً . فقط ٣٢٠٠ مليون جنيه استرليني ، وهو مبلغ يعادل ما تنفقه الولايات المتحدة على رحلة سفينة واحدة من سفن الفضاء للوصول الى القمر في العام الواحد .

ان هذه الرحلات الجماعية المستقبلية ستكون نقطة تحول في ادراك الانسان ان الفضاء ليس موضوعاً مثيراً يشغله عن مشاكل عالمه الأرضي ، وانما هو في الواقع رد مقنع على هذه المشاكل .

سويسرا فضائية

ونموذج العالم الفضائي الذي سيعيش فيه الانسان بعد مائة عام يشبه الى حد بعيد « سويسرا فضائية مصغرة » يتسع لحوالي عشرين مليون نسمة ، واذا ما لاقى هذا البرنامج تشجيعاً بحيث يمكن اقامة عدة عوالم أو مستعمرات فضائية فانه يمكن تخفيض عدد سكانه الى نسبة العشر مثلاً .

والمستعمرة الفضائية مؤلفة من اسطوانة طولها ١٩ ميلاً ، وقطرها أربعة أميال ، ومصنوعة من معدني الألمنيوم والتيتانيوم ، وتضم ثلاثة وديان تحتوي على التربة والمياه والحقول والمزروعات والحيوانات والمنازل . . . وكل ما يحتاج اليه الانسان .

ولن يختلف شعور واحساس ساكن الفضاء عن شعوره واحساسه وهو على الأرض ، فالتربة ثابتة راسخة تحت قدميه ، والوزن الجاذبي هو ذاته أيضاً .

وسينعم كل واد من هذه الوديان الثلاثة بأشعة ودفء الشمس تطل عليه من نافذة طولها ١٨ ميلاً ، وتعكس هذه الشمس على المستعمرة مرآة بالطول ذاته تنحني عليها وفق زاوية معينة .

أما الجو فسيكون مثالياً ، أقرب ما يكون الى جو الجبال . النسيم رقيق وعليل ، ومع ذلك فالهواء من الكثافة بحيث يسمح بتشكل سماء زرقاء وسحب ومطر أيضاً . ولن يكون هناك تلوث في الجو أو في البيئة ، وهذا شرط أساسي لحياة الانسان والحيوان والنبات في المستعمرة الفضائية .

الشمس أم الحياة ومصدر الطاقة

أما مصدر الطاقة فيكون الشمس ، فطاقتها ستعمل مولدات الكهرباء البخارية ـ البخار سيسخن بواسطة مرآة تعكس أشعة

نموذج لمشروع لاجرانج الفضائي .. حياة تشبه حياة الأرض بتربتها ومناخها

الشمس وتركزها على المراجل المائية ـ وبطاقتها أيضاً تعمل المركبات وأية معدات أخرى . والدراجات والسيارات الكهربائية الصغيرة هي كل ما يحتاجه الانسان لتأمين انتقاله في هذه المستعمرة .

ولضمان استمرار الحياة في هذا العالم الفضائي ، لا بد من أن تظل المستعمرة موجهة باتجاه الشمس ، واذا ما حدث خلل ما وابتعدت عن هذا الاتجاه او انحرفت فسيؤدي ذلك الى كارثة بيئية ـ مناخية . ستدخل المستعمرة في « عصر ثلجي » مفاجيء يقود الى الموت المحتم .

وهذا الخطر ناتج عن فقدان المستعمرة توازنها الفضائي وانحرافها او دورانها حول نفسها . ولتفادي ذلك ، عمد المصمم الى الربط بين كل مستعمرتين اثنتين بواسطة قضيب من الحديد المبروم العظيم المتانة ، وذلك من احدى نهايتيها ، ودعم هذا الارتباط بسلك معدني متين أيضاً يصل بين مقدمتيها

مشروع لاجرانج

ولا شك أن هذا الابتكار الهندسي الرائع فكرة عظيمة لحفظ توازن المستعمرتين التوأمين . وبامكانها الاستمرار على هذه الحالة الثابتة ملايين من السنين تدوران خلالها حول الأرض في مدار يعرف بمدار « لاجرانج » وهو يبعد مسافة متساوية عن كل من الأرض والقمر . ومن هذه النقطة أو المدار ، اشتق البرنامج الفضائي اسمه « مشروع لاجرانج » .

ولكن .. ماذا سيفعل سكان هذه المستعمرة الفضائية وكيف سيقضون حياتهم ؟ !

ان العالم الفيزيائي (أونيل) يقول انهم لن يكونوا اناساً كسالى متعطلين عن العمل ، بل سيشغلون وقتهم كله في بناء عالم اصطناعي آخر وتهيئته لاستقبال مستوطنين جدد قادمين من الأرض . فهدف « مشروع لاجرانج » هو نقل الانسان من عالمه الأرضي الى العالم الفضائي ، أي تجنيب الأرض تلك القنبلة الموقوتة الا وهي الانفجار السكاني .

والمستعمرة الفضائية التي يبلغ طولها ١٩ ميلاً هي في الواقع النموذج الرابع الذي صممه العالم (أونيل) للحياة الانسانية في الفضاء . أما النماذج الأولى للمستعمرات الفضائية فبالامكان تحقيقها واقامتها خلال ٣٠ عاماً اعتباراً من الآن .

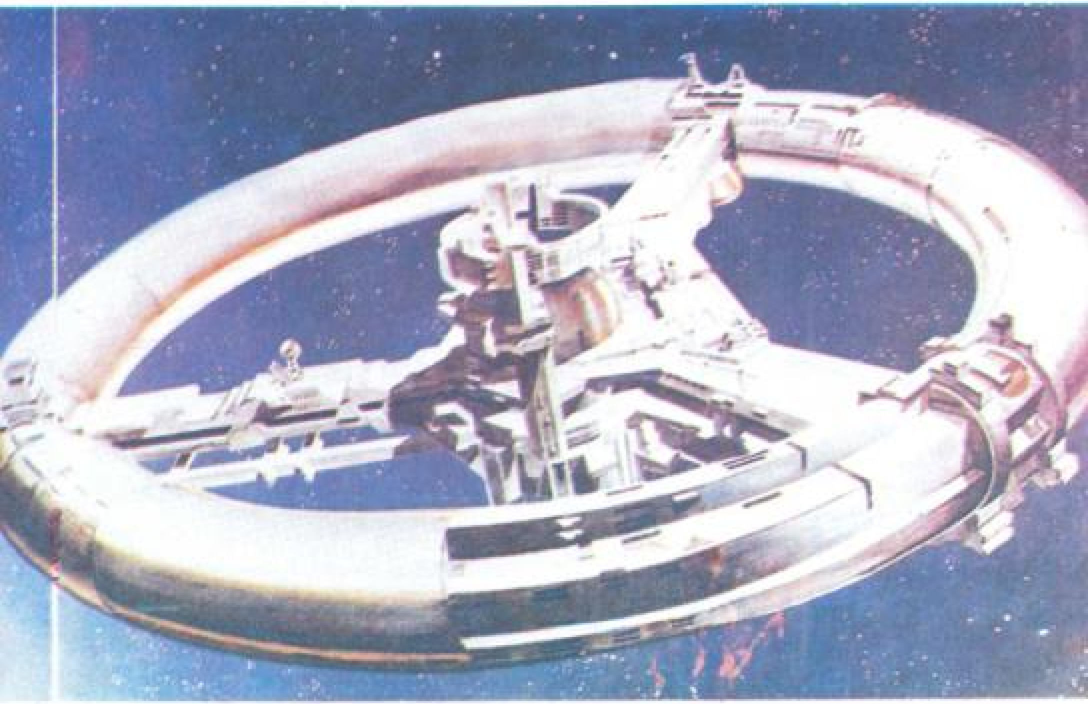

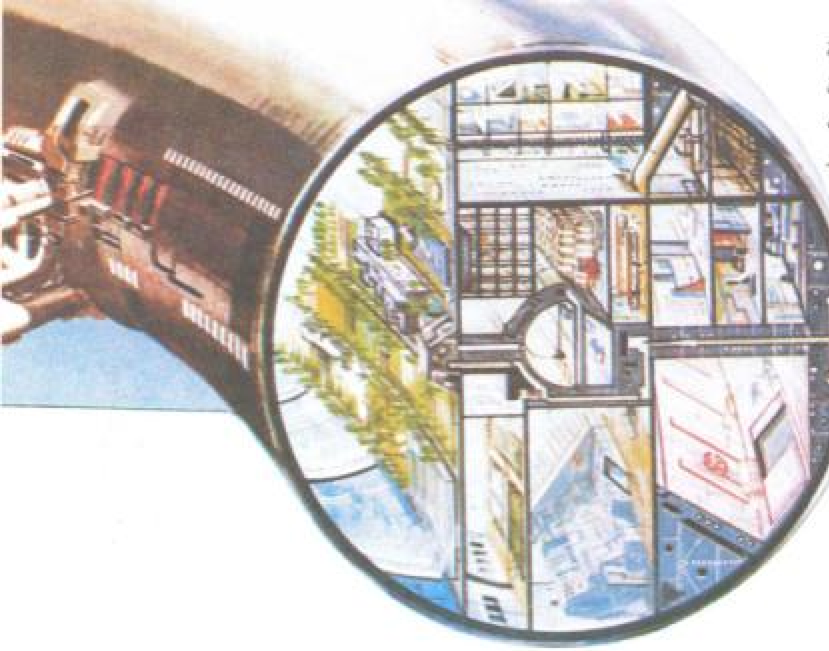

● داخل المدينة الفضائية سيكون هناك منازل ومخازن وبساتين وأنهار وبحيرات

ولكن قبل اقامة هذه العوالم الفضائية الجماعية ، وخلال العقد القادم على وجه التحديد ، باستطاعة الانسان ان يبدأ العمل في اقامة مستعمرات صغيرة يبلغ طول كل منها كيلومتراً ونصف الكيلومتر وعرضها ١٨٠ متراً .

ان كل مستعمرة من هذه المستعمرات الصغيرة تستوعب الفي ساكن . انهم الرواد الأوائل للحياة الفضائية الجماعية . وهذه المستعمرة الصغيرة ستدور حول الأرض خلال ١٤ سنة منذ الآن في عام ١٩٩٨ .

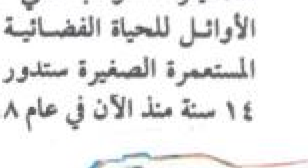

● بناء المدينة الفضائية سيستغرق وقتا طويلا .. قد يمتد عشرات السنين

من هو جيرارد أونيل ؟

والرجل الذي يقف وراء « مشروع لاجرانج » ليس انساناً مخبولاً بهره الفضاء ، فالعالم جيرارد أونيل البالغ من العمر ٥٤ عاماً معروف بين أقرانه من علماء الفيزياء النووية بابتكاره وسيلة جديدة لتحطيم أدق الذرات والنوى في المادة .

وقبل عشر سنوات فقط ، لم يدر في خلد أونيل انه سيكون رائداً لمشاريع استعمار الفضاء . وقد عهد اليه صدفة بتصميم أول مشروع لاقامة مستعمرة فضائية خلال دورة علمية عقدت في السنة التي خطا فيها الانسان أولى خطواته على سطح القمر .

ويقول أونيل : « لقد شعرت آنذاك بأني متأكد من أن فكرة استعمار الفضاء فكرة سطحية وخيالية ومهزوزة » .

ولكنه عندما بدأ العمل في اعداد التقديرات والحسابات وجد أنها امكانات حقيقية وواقعية في

المستعمرة كما تصورها الرسام من وحي مشروع العالم البريطاني جيرارد أونيل

استطاعة الانسان تحقيقها . وفيما يتعلق بحساب التكاليف والنفقات ، فقد دهش لتواضعها وامكانات توفيرها وتدبيرها .

ويضيف أونيل : « كنت عندما أدقق في حساباتي أجد ان المشروع أقرب ما يكون الى الحقيقة والواقع . وهكذا انهمكت في الاعداد له، وهذا المشروع الذي كنت اهتم به في أوقات فراغي يهدد الآن بان يشغلني على سائر اهتماماتي الأخرى » .

رواج المشروع

والواقع أن (أونيل) ليس وحده المتحمس للمشروع ، أو وحده الذي يراه واقعيا وبالامكان تحقيقه وتنفيذه ، فقد لقي استحسان العلماء ورواد الفضاء والمهندسين في مؤتمر علمي عقد في « برينستون » في أوائل العام الماضي . ومنذ ذلك الحين ، بدأ جيرارد يتلقى دعوات لالقاء محاضرات ، وللظهور على شاشة التلفزيون ، ولكتابة مؤلفات وكتب عن برنامجه المثير .

لقد لاقت أفكار أونيل عن استعمار الفضاء رواجاً كبيراً في الأوساط العلمية خصوصاً تلك التي تعنى بالأبحاث الفضائية وتطبيقاتها الانسانية . وحتى أكثر العلماء تحفظاً والذين سبق لهم أن وصفوا « استعمار الفضاء » بمثابة عالم خيالي من صنع خيال واحلام (والت ديزني) عادوا الآن ليعترفوا بأن في الامكان تحقيق ذلك .
وأونيل يعكف على دراسة أدق تفاصيل مشروعه دراسة علمية واقعية . واستناداً الى حساباته فان

كل ساكن للمستعمرات الفضائية الأولى سيتقاضى ٣١ الف جنيه استرليني سنوياً ، وهذا المبلغ أقل بكثير مما يتقاضاه ربان طائرة « جمبو جيت » أميركية .

ومن ضمن اهتمامات أونيل بالنسبة لمشروعه ، القيام بتجارب لتسلق الجبال ، انه يريد ان يعرف كيف يمكن اقامة أو بناء جبال اصطناعية .

تحقيق أماني الانسان

يقول جيرارد ان متسلقي الجبال يجدون ان التسلق يصبح أسهل فأسهل كلما ارتقوا صعوداً في الجبل . وعلى هذا الأساس فان الارتقاء باتجاه مركز الاسطوانة ـ المستعمرة يذلل مشكلة التغلب على الوزن . فعند هذا المركز يصبح الانسان قادراً على الطيران كعصفور يعتمد على جهده العضلي فقط في تحليقه .

ويتجه أونيل بناظريه الى جزيرة « برمودا » ـ وهي بالمناسبة إحدى الجنان الأرضية ـ لتكون مقراً لبناء أولى مستعمراته الفضائية .

وسيكون في مقدور سكان كل مستعمرة ان يتحكموا في المناخ والجو بمجرد تغيير أو تعديل أوقات فتح النوافذ الشمسية . يقول أونيل : « ستستمتع بمناخ بولينيزيا وبأشجار البلح في مكان ما من المستعمرة . وفي مكان آخر لا يبعد عن الأول سوى مسيرة تستغرق ثماني دقائق ، ستستمتع بشتاء « نيو اينجلاند » حيث الثلج والتزحلق على الجليد » .

لقد جعل اونيل استعمار الفضاء يبدو كأنه مشروع قضاء عطلة أو اجازة . لكن لا شك في جديته . فهو يقول : « انه ليس بعيداً ان تتحقق أخيراً كل أماني الانسان الرفيعة مثل الحرية والثروة والمستوى الرفيع للمعيشة وذلك بعيداً عن الأرض التي ولد فيها » .

●●●

يبقى هناك سؤالان رئيسيان كبيران .

أين يبدأ الانسان في الاعداد لمشروع استعمار الفضاء ؟ السؤال الأول يقود بالبداهة الى سؤال آخر :

أين يجد الانسان المواد اللازمة لهذا المشروع العالمي الفضائي ؟

الجواب ببساطة . . . في القمر .

لقد جلب رواد الفضاء الذين نزلوا على القمر معهم من هناك أحجاراً اكتشف فيها العلماء وهم مذهولون نسبة كبيرة من معدني التيتانيوم والألمنيوم ، كذلك فان الأوكسجين الضروري للحياة يتوفر بكثرة في هذه الصخور القمرية .

وبتأمين غاز الهيدروجين ـ وهو المادة الخام الضرورية في الفضاء والتي لا بد من استيرادها من الأرض على الأقل في بادىء الأمر ـ تصبح كل المواد اللازمة لبناء المعدن والزجاج اللازمين لتغليف جدران المستعمرة الخارجية ، وبالامكان توحيد الأوكسجين والهيدروجين كيمائياً معاً لتشكيل الماء الصناعي .

والاستعمار الفضائي يتطلب عمل ٢٠٠ رجل يعملون في قواعد منجمية على القمر ، والطريقتان اللتان ستتبعان في نقل الصخور القمرية الى المستعمرة الفضائية لا تتطلب صواريخ .

وإحدى هاتين الطريقتين تتطلب مقلاعا قاذفاً أشبه ما يكون بالمقلاع الروماني المعروف ، والطريقة الثانية تتطلب حزاماً من الدلاء يتحرك بفعل قوة الجذب المغناطيسية ، ويستطيع أن ينقل المواد الخام الى الفضاء بسرعة خمسة آلاف متر في الساعة .

وعند هذه المرحلة ، بالامكان الاستفادة من إحدى خصائص « نقاط لاجرانج » التي اكتشفها أحد علماء الحساب الفرنسيين في القرن الثامن عشر . فعند هذه النقاط التي توجد على بعد متساوٍ من الأرض والقمر ـ ربع مليون ميل ـ تنعدم الجاذبية بحيث يتشكل واد يمكن ان ينزلق ويسبح فيه أي شيء مادي .

حتى يصيروا ١٦ ملياراً

ان الصخور الجبلية يمكن توجيه سقوطها وانحدارها ببطء باتجاه المستعمرة بشكل يشبه تماماً الانهيار أو الانزلاق الجليدي والثلجي في الجبال . أما المواد التي يتوجب جلبها من الأرض ، فبالامكان نقلها بواسطة السفن الفضائية التي ستكون مستعدة للانطلاق في أوائل التسعينات من هذا القرن .

واستناداً الى الحسابات التي أجراها « مشروع لاجرانج » ، فان عدد سكان الأرض سيرتفع من ٤ مليارات نسمة في الوقت الحالي الى ١٦ مليارا في أوائل القرن الحادي والعشرين . أما بعد ذلك ، فسيتم توجيه الزيادات السكانية الى المستعمرات الفضائية .

الرحلات من والى المستعمرة الفضائية لن تنقطع

وعلى هذا الأساس فان الأرض ستكون في عام ٢٠٨٤ أي بعد مائة عام تتسع لـ ١٥٠٠ مليون نسمة فقط .

هذا هو الجواب على السؤال الرئيسي الأول .

ولكن ماذا عن السؤال الثاني ؟ :

- هل يستطيع سكان الفضاء ان ينعموا بالسلام ؟

- هل سيعيشون في سلام . . أم أن النزاعات والحروب ستجلب الى عالمهم الكوارث والفواجع والمآسي ؟

ان العلماء يتوقعون أن يعيش البشر في المستعمرات الفضائية في مجتمعات عشائرية مرة أخرى . كل عشيرة أو مجموعة انسانية تعيش في مستعمرة .

والحياة العشائرية ليست شراً أبداً في عالم ضيق مغلق . بل ان فقدان الانسان لروح العشيرة التي اشتق منها الانسان القديم هويته المميزة في المجتمعات البدائية هو السبب في شيوع التفكك الاجتماعي الذي أدى بدوره الى جرائم العنف كما يعتقد بعض علماء السلوك من أمثال ديزموند موريس .

ان كل مستعمرة ستكون حرة في اختيار نظامها السياسي والاجتماعي ، بل ان هذه المستعمرات قد تتوصل الى ابتكار واكتشاف أنظمة جديدة ملائمة لحياتها غير معروفة لدينا .

مع ذلك ، فلا يستبعد ان يحدث ما يسمى بـ « الاحتمالات الخطرة » ، فمن السهل أن تقع مثل هذه المستعمرات المثالية في قبضة عصابات مثل عصابات شيكاغو أو بارونات القرون الوسطى ، يتقاتلون ويتصارعون من أجل الفوز مثلاً بكميات من الصخور القمرية .

على أية حال ، فان استعمار الفضاء سيظل لمدة قرون مغامرة خطرة بحيث تتطلب تضافر جهود جميع الذين يقومون به وبحيث يتخلون عن كراهيتهم واحقادهم ونزعاتهم العدائية تجاه بعضهم بعضاً ، والتي يشقى بها عالمنا الحاضر بل وتهدد أمنه وسلامة وجوده أيضاً .

ان استعمار الفضاء قد لا يعني وضع الانسان في بيئة جديدة بقدر ما يعني أحداث تغييرات في طبيعته ومزاجه هو بالذات .

أمامك مائة عـــــام

ومن البديهي ألا تجتذب أفكار ومشاريع أونيل عن استعمار الفضاء كل انسان ، فهناك من يرفض مثلاً أن يعيش في تلك الرقعة الضيقة من الأرض معلقاً بين الأرض والقمر لا يخرج له ولا منفذ .

يقول الدكتور فريمان ديسون أحد زملاء أونيل في جامعة برينستون أن عالماً كهذا من الصعب احتماله العمر كله . فهو محدود جدا حتى بالنسبة لأولئك الذين يحبون الالتصاق بالأرض ، وهو أيضاً عالم لا يستحق المغامرة بالنسبة لأولئك الذين يهوون المغامرات .

ولكن مما لا شك فيه ان « مشروع لاجرانج » يضفي بعداً جديداً وكاملاً على فكرة استقرار البشر في حياتهم بصورة دائمة خارج كوكبنا هذا .

وبالنسبة للمشاريع السابقة القائمة على أساس إطلاق محطات فضائية صغيرة علمية كئيبة فان من المؤكد ان حياة الانسان فيها ستتعرض لدمار نفسي أبشع بكثير من الدمار الذي سيلحق بها في كوكب مزدحم بالبشر كما يتوقع أن يصبح عليه حال كوكبنا خلال عقود ضئيلة من السنين .

يقول أونيل أن ميزة « برنامج لاجرانج » انه يتيح الفرصة للاشتراك فيه لكل من يرغب في الهجرة الى عالم جديد ، أي أنه سيكون مجتمعاً طبيعياً عادياً ، ولن يكون مقصوراً على عالم كئيب . . عالم العلماء والخبراء والاخصائيين من رواد الفضاء . □□

الفيلسوف ابن رشد

مؤسس الفكر الحر

بقلم : قدري حافظ طوقان

ابن رشد مؤسس الفكر الحر ، جريء ومنطقي ، حصر جهده في بادىء الأمر في أرسطو ودرس مؤلفاته دراسة عميقة متحريا دقائقها . وهو لم يقف عند هذا الحد ، بل عمل على شرحها وخرج بشروح لم يسبق اليها . وقد مضى في شروحه على طريقة النقد وفي أسلوب خاص . وبذلك أورث الانسانية علم أرسطو كاملا بريئا من الشوائب على رأي « دي بور » .

امتاز ابن رشد بالنقد . وكان أثره بالغا عند اليهود والمسيحين ، فقد نقد بطليموس في فلكه ، كما نقد شروح اسكندر فردوس وغستيوس . وكذلك نقد ابن سينا وهاجمه ، وردّ على الفارابي والغزالي ، وكان شديدا في نقده وردّه ، قاسي اللهجة ، ولكن القلم سما به في هذا الى أعلى درجات الكمال الفكري .

لقد اقتبس الغرب فلسفة ابن رشد بكاملها . وكان من حسناتها أن حلّت عقال الفكر الاوروبي وفتحت أمامه أبواب البحث والمناقشة على مصاريعها .

انشق ابن رشد على مذاهب الزهد والتصوف . وحارب الغزالي في بعض آرائه الدينية المخالفة للعقل .

وكتب الغزالي كتابه « تهافت الفلاسفة » فرد عليه ابن رشد في كتابه « تهافت التهافت » .

وقد عارض آراء بعض أهل الدين ، فأنكر عليهم ان البحث بالاجسام ، وعد القول بذلك خرافة .

كان مذهبه أن يأخذ بالعقل ، عند البحث ، وعدم الاعتماد على ما وصل الينا في أمور الدين من روايات اذا هي خالفت العقل .

كان ابن رشد مخلصا للحق الى أبعد الحدود ، يسعى للحقيقة ويعمل جادا على الوصول اليها والأخذ بها دون أي اعتبار . وكان يدعو الى قبول الآراء الصحيحة ، سواء جاءت من مسلم أو غير مسلم . فقال في هذا الشأن في كتابه « فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من اتصال » :

« . . يجب علينا أن نستعين على ما نحن بسبيله بما قاله من تقدمنا في ذلك ، سواء كان ذلك الغير مشاركا أو غير مشارك في الملة . فان الآلة التي تصح بها التزكية ، ليس يُعتبر في صحة التزكية بها كونها آلة المشارك لنا في الملة أو غير المشارك اذا كانت فيها شروط الصحة . وأعني بغير المشارك ، من نظر في هذه الأشياء من القدماء ، قبل ملّة الاسلام . واذا كان الأمر هكذا ، وكان كل ما يحتاج اليه من النظر في أمر المقاييس العقلية قد فحص عنه القدماء أتم فحص ، فقد ينبغي أن نضرب بأيدينا الى كتبهم فننظر فيما قالوه من ذلك . فان كان صوابا قبلناه منهم . وان كان فيه ما ليس بصواب نبهنا عليه . . . » .

ويقول ابن رشد في موضع آخر : « . . يجب علينا ـ ان ألفينا لمن تقدمنا من الأمم السالفة نظرا في الموجودات

واعتبارا لها بحسب ما اقتضته شرائط البرهان ـ أن ننظر في الذي قالوه من ذلك وما أثبتوه في كتبهم ، فما كان منها موافقا للحق قبلناه منهم وسررنا به وشكرناهم عليه ، وما كان منها غير موافق للحق نبهنا عليه وحذرنا منه وعذرناهم . . »

وكان ابن رشد يقول : « . . ان النظر في كتب القدماء واجب بالشرع . . »

رأى ابن رشد من دراساته الدينية والفلسفية ، وفي حملة الغزالي على الفلسفة أن الاخلاص للحق يوجب عليه أن يدافع عنها . وهنا برقت له رسالته في الحياة ، فقام يدعو الى الانتصاف للفلسفة ورد الاعتبار لها واحيائها والتوفيق بينها وبين الشريعة .

ويرى ابن رشد أن كل ما أدى اليه البرهان والعقل ، وخالفه ظاهر الشرع ، فان ذلك الظاهر يقبل التأويل « ودون اخلال بعادة لسان العرب في التجوز ، من تسمية الشيء بشبيهه أو سببه أو لاحقه ، أو مقارنه ، أو غير ذلك من الأشياء التي عوددت في تعريف أصناف الكلام المجازي » . واذا كانت الشريعة حقا وداعية الى النظر المؤدي الى معرفة الحق فاننا نعلم ـ يقول ابن رشد : « انه لا يؤدي النظر البرهاني الى مخالفة ما ورد به الشرع ، فان الحق لا يضاد الحق بل يوافقه ويشهد له » . واذا ظهر تناقض بين النظر البرهاني وظاهر الشرع فان التأويل (باتباع أصوله) سيؤدي الى ما يقول به العقل والبرهان .

وليس غريبا أن يخرج ابن رشد بهذه الآراء ، فهو يرى أن الشريعة والحكمة تلتقيان في وحدة جوهرية من حيث هما وجهان لحقيقة واحدة . فالشريعة تحث على اعتبار المخلوقات اعتبارا عقليا ، وتنص على وجوب استعمال القياس العقلي ، وما الحكمة ـ في رأي ابن رشد ـ الا درس الموجودات بالقياس العقلي « وعليه فليس من فرق بينهما في الطريقة » .

ويتبين من الآراء التي بثها ابن رشد في كتبه أنه كان بعيدا عن التصوف ، يتقيد بالعقل ولا يسير الا على هداه ، حتى أنه دعا الى تأويل الاجماع اذا كان الاجماع يخالف العقل والنظر البرهاني . فالتأويل في نظر ابن رشد شرعي ، وقد توسع في استعماله في سبيل التوفيق بين الشريعة والحكمة . وعلى ذلك فقد خطّأ ابن رشد تكفير الفلاسفة . وقد قال في هذا الشأن : « . . ان الفلاسفة ، وان كانوا قد أخطأوا أحيانا في التأويل ، الا أنهم كانوا مخلصين في محاولتهم . ولذلك لا يجوز تكفيرهم بوجه من الوجوه . واذن فللمخطىء من أرباب البرهان أجر واحد ، ولو أصاب لكان له أجران . أما من ليس من أهل البرهان فخطؤه في الفروع بدعة وفي الأصول كفر . وأما الجمهور فلا بدّ من زجره عن تداول المعاني المؤولة . » . .

ومن الطبيعي أن يصطدم ابن رشد بوجهة نظر بعض رجال الدين في بعض المسائل ، فنشأ عداء بينه وبينهم أدى الى اضطهاده في أواخر أيام حياته . .

ان ابن رشد ينظر الى الدين بعين الرجل السياسي (كما يقول دي بور) ، ويرى في الدين وسيلة فعّالة للاصلاح لما يهدف اليه من غايات خلقية سامية . وهو ينفر من حياة العزلة ، ويؤمن بالحياة في ظل الدولة ومع الناس ، لأن حياة التوحد « لا تثمر صناعة ولا علما » . وعلى ذلك فابن رشد يؤمن بالمجتمع ولا يرى السعادة الا فيه ، يؤمن بأن سعادة الفرد في سعادة المجموع . ومصلحة الدولة يجب أن يكون لها الاعتبار الأول وهي فوق مصلحة الفرد . لهذا لا عجب اذا رأيناه ينتهز الفرص ليوجه حملاته على الحكام الجاهلين ، لأنهم لا يقدرون الصالح العام ، ولا يهتمون الا بمصلحتهم الخاصة مهملين مصلحة المجتمع الذي يعيشون فيه .

ويرى ابن رشد أن العمل الخلقي هو الذي يصدر عن رؤية عقلية ، وهو يلاحظ ان عقل الفرد قد يشط في بعض الأحايين ، ويحتاط لهذا فيقول : « . . وينبغي ألا يكون مرجعنا الأخير الى عقل الفرد ، بل الى ما تمليه مصلحة الدولة . . »

ومن هذه الخلاصة يتضح أن الكمال الأعلى ، في رأي ابن رشد ، يُبلَغ بالدرس والتفكير والترفع عن الدنايا والشهوات بعد تكميل العقل المفكر « . . ولا يكفي ما زعمه الصوفيون للاتصال من التأمل العقيم بدون درس ، وهذه السعادة العليا لا ينالها الانسان في هذه الحياة الا بالدرس والاجتهاد والمثابرة . ومن لا ينالها في هذه الحياة يهلك بالموت ويلحقه العذاب الأليم » . .

سمفونية البحر والبحّار

المرفأ البعيد

بقلم : ابو المعاطي ابو النجا

□ ونبحر مع سعيد حزوم إلى المرفأ البعيد في متابعة لسيمفونية البحر والبحّار كما كتبها حنا مينه . .

وحده « سعيد حزوم » نجا من الموت بمعجزة ، تعلق بحطام الزورق الذي مزقته العاصفة العاتية ، لم تكن نجاته حظا خالصا ، قاوم الموج العاتي يومين كاملين قبل أن يلتقطه أحد المراكب . ولعله شعر بالموت مضاعفا حين كان يتصور أن قصة بطولته يمكن أن تغرق معه الى الأبد .

وربما كان شعوره بالحياة مضاعفا ، كذلك وهو يروي القصة الحقيقية لأولئك الذين التفوا حوله في مقاهي « اللاذقية » ، وهم لا يصدقون عيونهم من الدهشة والروع . كانوا قد اخترعوا عشرات القصص عن النهاية الفاجعة لمركب الريس « عبدوش » ، وصدقوها ، أما الآن فهاهم يسمعون الحقيقة من شاهدها الوحيد .

ولكن أي حقيقة يمكن أن يرويها « سعيد حزوم » ؟ هل يمكن أن يروي قصة الحبل الذي قطعة الريس عبدوش ؟ إن ما حدث قبل ذلك من صعوده إلى الدقل وقطعه للحبال ، وهو وحده ما يمكن أن يروى ، لا يأخذه الجميع مأخذ التسليم . أسئلتهم التي تناطحه وتحاصره تقول ذلك . . . فماذا يمنع أنه يختلق بطولة مزعومة ؟

لمن يمكن أن يروي الحقيقة الكاملة التي صنعها وكافح لانقاذها ؟ .

« كاترين الحلوة » ، هي التي كانت تسمع في لهفة وتسأل في اهتمام . وفي النهاية قالت له في حسم وتصميم :

ـ أنت بالفعل من قتل الريس عبدوش .

وقبل أن يفيق من ذهوله عاجلته موضحة :

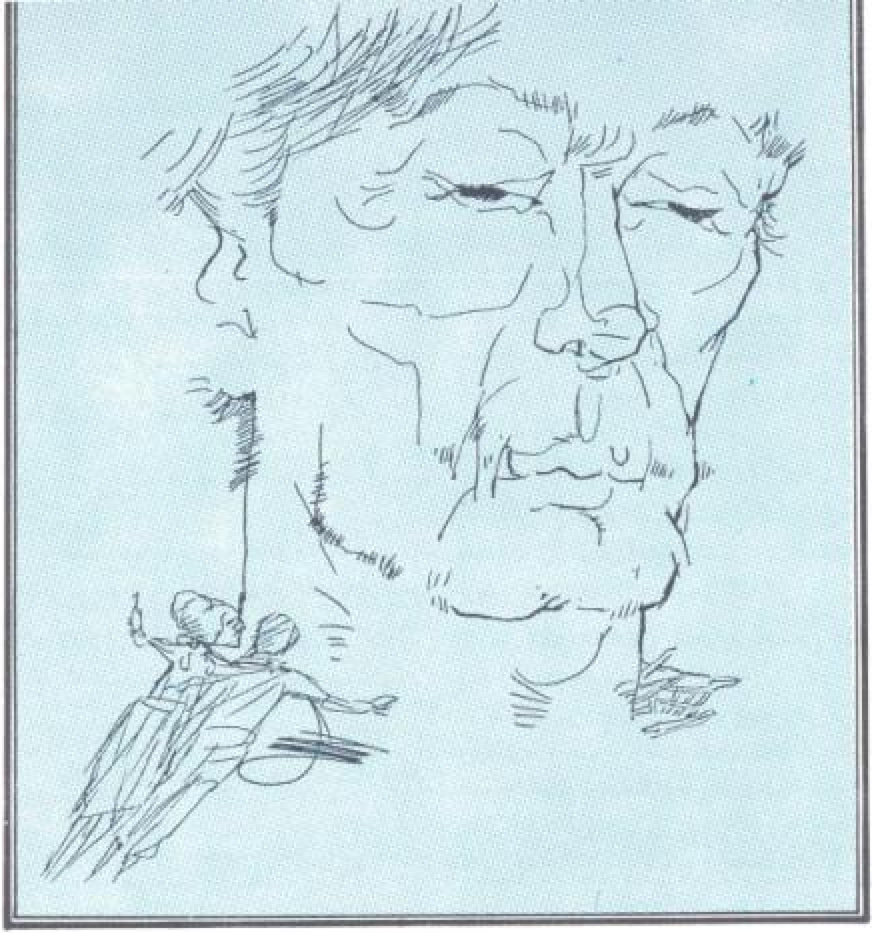

ـ تحديه فقتلته .

وبدا كأن الأمر فوق قدرته على الفهم ، بدا أمامها طفلا ، راحت توضح للطفل ما عجز عن فهمه :

ـ كان يجب أن تظل قامتك دون قامته ، ألاّ تظهر أمامه بكل هذه القدرة على التحدي ، تسمح له دائما بالشعور بأنه الأقوى والأكفأ ، وحين دعاك للنزول من المركب كان يجب أن ترفض ، ألا تبدو راغبا في النجاة بحياتك والعودة الى « كاترين » .

وحين يصرخ سعيد حزوم :

ـ أنت تعرفين أن الريس يجب أن يكون آخر من يترك المركب و . . . تقاطعه عابثة وساخرة :

ـ أعرف . . . ولكني قلت لك كان يجب أن ترفض النزول دون أن تصر عليه حتى النهاية .

وحين يخرج « سعيد حزوم » مدمدما مقسما ألا يعود ، كانت تنظر اليه كما تنظر لطفل غاضب ، وهي على يقين من عودته الى البيت .

أي امرأة ، كاترين هذه ؟ وأين منها عواصف البحر جميعا ؟ كان لقاؤها مع « صالح حزوم » لقاء أنداد حقا ، فمتى يصبح ندا لكاترين أو جديرا بمكانة أبيه عندها ؟ . لا تزال تضع المسافات بينهما لتلزمه حدوده ، أبوه الغائب وحده ، هو الذي لا يزال يسيطر على أحلامها وأشواقها الجامحة . هل لأنه عرف في ساعة الحسم كيف يطردها من حياته ؟ أما هو فلا يزال يتمزق بين الرغبة فيها وعنها . . . دون أن يكون على يقين من موقفها منه أو من أي شأن من

شئونها ، وها هو يسمع في خمارة توفيق بعد أيام من هذا اللقاء العاصف بينهما خبرا عن زواجها من الريس زيدان ، ريس آخر كما يقول « توفيق » مهيب وشجاع ومغامر وصاحب مركب أكبر من مركب الريس عبدوش .

باطل وهم البطولة ، الأريحية لله ، هكذا كان أبوه يقول ويفعل ، لو أن ما فعله على ظهر المركب كان لله . . . لما مزقته الخيبة . . . هل بقي للحقيقة التي صنعها وأنقذها مكان في قلب أحد ؟

« قاسم العبد » بوجهه الهادىء المحايد ، كان يصغي اليه وهو يقول له الحقيقة الكاملة في البحر وفي البر . . . وفي النهاية لا يسمع منه سوى هذا السؤال :

- وماذا تنوي أن تفعل الآن ؟ (كان هذا هو كل ما لديه)

- لا أعرف ، أفضل السفر للعمل في أي مركب .

- سيكون ذلك صعبا ، نحن على أبواب حرب

- أية حرب هذه ؟

- الحرب العالمية الثانية . . .

وحين يبدو عليه أنه لا يفهم ، يبدأ قاسم في هدوء ، حديثا عن عواصف أخرى تجتاح العالم كله ، وتقرر مصير الوطن . وتلقي بالضوء على أشياء كثيرة ، كان سعيد يراها ولا يجد لها معنى واضحا ، وفي نهاية حديثه الطويل يقول له :

- ابحث عن عمل في مصنع الدخان

- ماذا أعمل فيه ؟ حمال ؟

- ولم لا ؟

هكذا ينظر قاسم الى الأمور ، وهكذا تبدو له مأساة سعيد المزلزلة،لا شيء إلى جوار ما يفكر فيه ويهتم له ويؤثر في مصير العالم والوطن . . .

أهكذا تنتهي أوهام البطولة والنضال ؟ طلب منه أبوه أن يكون بحارا ومناضلا فأين هو من أبيه أو من قاسم العبد أو من كاترين الحلوة ؟

وفي هذا الميناء ، يحمل اليه الريس عبدالحميد فرصة العمل على ظهر المركب الوحيد ، الذي يخاطر صاحبها بالابحار رغم نذر الحرب « الريس زيدان هو صاحب المركب » وهو الذي قدم العرض . . . هكذا كان يوضح له الريس عبدالحميد الامور ، دون أن يفطن الى ما يمكن أن يعني هذا التوضيح لسعيد حزوم ، الذي بدأ يلمح شبح كاترين وراء العرض .

وبلا تفكير يرفض سعيد حزوم العرض . . .

ولكن هذه الواقعة نفسها ، كانت إيذانا بحدوث زلزال في أعماق سعيد . . . ما الذي تريده كاترين وما الذي تسعى اليه ؟

هل يمكن أن تتكرر التجربة ذاتها من جديد وبعد كل ما حدث ؟

كاترين تتزوج ريسا آخر ، يعمل على مركبه ويعشق زوجته ، وبعد أن يكون قد تعلم الدرس الذي أرادته كاترين أن يتعلمه .

ولكنه حين راح يفكر في هذا الرفض ، حين راح يستنجد بأسلحة قاسم العبد وأسلحة أبيه ، لدعم رفضه ومنحه التبرير والقوة . . . تحولت هذه الأسلحة في يده أو في عقله من أسلحة دفاع ضد كاترين إلى أسلحة هجوم للوصول اليها . . . لماذا لا تكون عودته هذه المرة انتقاما من كل أصحاب المراكب ؟ لماذا يكون لهم حق إذلاله ولا يكون له حق الانتقام ؟ أليس الريس زيدان واحدا من الملاك الذين لا يكف قاسم عن الهجوم عليهم ؟. وفي حديثه مع الريس عبدالحميد ، يترك الباب مواربا لاحتمال القبول ، ليته يعرف حقا ما الذي يريده ؟ ففي خمارة توفيق وبعد أيام يأتي الريس زيدان بنفسه ويدعوه للجلوس الى طاولته ، وكان هو يجلس في مكان آخر . . . لم يسترح لمنظر الريس زيدان كان يبدو مزهوا ومختالا . . . وكان سعيد سكران ، فرفض تلبية الدعوة . . . ويكتشف سعيد حزوم حين يتأمل في داخله ، أنه لا يرفض الدعوة لأنه يرفض العودة « لكاترين » بل لانه

يرفض الشكل القديم للعلاقة ... يرفض أن يكون مجرد بحار على مركب زوجها ... يريدها هي خالصة له ... هو العاطل الذي يسكر بنقود أمه ، والذي لا يملك غير أوهام البطولة .. وحين تخبره أمه أن كاترين جاءت الى منزلهم وسألت عنه وتريده أن يذهب اليها يكرر الرفض ، يكرره أمام أمه ، ولكنه في أعمق أعماقه كان يدرك أن أمره قد انتهى .

في أول مرة قادته أمه إليها ... أما في هذه المرة فان عقله هو الذي يقوده بهذه التعلات البلهاء ... ثم ذهب الى منزل كاترين ... !

مثلث الزوج والزوجة والعشيق

لم تكن تجربة سعيد حزوم مع الريس زيدان وكاترين تكرارا لتجربته مع الريس عبدوش ، ولا لمجرد تأكيد أن الخيانة في دم « كاترين » بالأصالة وفي دم سعيد بالضعف .

كانت التجربة للكشف عن ابعاد جديدة في شخصية كاترين وبالتالي في شخصية صالح حزوم ، فهي المرأة الممتدة التي في بدنا للتعرف على أبعاد شخصيته الغائبة كما أن العلاقة بين « سعيد حزوم » و « الريس زيدان » كانت مختلفة . وقد أدى هذا الاختلاف الى درجات من التطور في شخصية « سعيد حزوم » .

ولعل درس « كاترين » مع سعيد ، أثمر في أنه لم تكن هناك أية شكوك لدى « الريس زيدان » في « سعيد حزوم » ، بل كانت هناك ثقة متنامية مصدرها ثقة الرجل بذاته وكان سياسيا أكثر منه تاجرا ... كان ينقل مع البضائع الأسلحة الى فلسطين ، ولقد عمقت هذه الثقة من الريس زيدان بسعيد حزوم من شعوره بالذنب ، وكانت ضمن العوامل التي هيأت شخصيته للتطور في مراحل تالية ، كما كشفت عن الأبعاد الرمزية في شخصية كاترين .

كاترين بين الواقع والرمز

في هذا الاطار ، وفي تطوراته اللاحقة ، (حيث تتزوج كاترين مرة أخيرة من ريس يوناني ، بعد أن أغرقت غواصة انجليزية مركب الريس زيدان في البحر المتوسط) ، يبدو واضحا أن كاترين ليست مجرد امرأة جميلة يستبد بها الجنس ، ومع أنها كذلك في جزئها الواقعي ، إلا أن هذه الشخصية في هذا الاطار تكتسب أبعادا فوق الواقع ، ملحمية أو اسطورية تتناسب مع أبعاد شخصية « صالح حزوم » وتناظرها .

وسوف نلاحظ دائما أن هاتين الشخصيتين على مدى الرواية ، تتواجدان معا في عقل « سعيد حزوم » ، وتغيبان معا بالتدريج في عقله عن أزمنة الرواية وأمكنتها .

يقول سعيد حزوم عن كاترين « كانت شيئا لم يعرف اسمه بعد ، وفي فعلها معي كانت تقتنع أكثر فأكثر أنه ليس من زوجة لأي بحار ، بل ليس من امرأة لم تعرف رجلا آخر بالفعل أو بالتمني » .

كاترين في البر هي المقابل للعاصفة في البحر ، واذا كانت مجابهة « سعيد حزوم » للعاصفة في البحر تمثل ذروة المواجهة بينه وبين قوى الطبيعة ، فإن صراعه مع كاترين في كل مراحله وتطوراته كان تكثيفا لصراع الانسان مع نفسه ، مع الحاجات والقوى الداخلية الغامضة الموروثة بشتى أنواعها وألوانها ودرجاتها ، كان هذا الصراع بمختلف مستوياته تحسسا لهذه الحاجات والقوى ، اكتشافا لوجوهها المتعددة كمصدر للخير والشر ، وينبوعاً للسمو والضعة ، للابداع والتدمير ، وهي حاجات وقوى تعرف كيف تحافظ على وجودها واستمرارها بطرقها الخاصة ، فتنجح غالبا وقد تدمر نفسها أحيانا ، وهي لهذا في حاجة للسيطرة عليها . « صالح حزوم » كان رمزا للتعامل معها بحكمة واقتدار ، وللفهم الثاقب لتقلباتها وجنونها ، ان فهم شخصية كاترين كمعادل لهذه الحاجات والقوى الداخلية الغامضة يمكن أن يعطي تفسيرا لجوانب كثيرة في هذه الشخصية .

جانب الارادة القوية التي تحمي بها هامشا من الحرية ، يكفي لكي تظل نارها الداخلية مشتعلة متأججة ، ولكيلا تعرف الفشل أبدا رغم وعورة الطريق . . .

الزهو والكبرياء وروح المساعدة ، وانقاذ مغامرة الجنس في حياتها من كل صفقات البيع والشراء ، هو الوجه الآخر لكاترين الذي كان يتعامل معه صالح حزوم . وحين كانت تدير له الوجه المظلم فلم يكن أبدا يصفعه . . . كان يمضي ولا يعود . .

كانت تقول « لسعيد حزوم » في لحظات ضعفه وحماقته :

« أبوك ما كان يفعل هذا أبدا . . . . ما كان يمن على بحب أو مكرمة »

قالت كاترين لسعيد حزوم في آخر لقاء قبل سفرها مع الريس اليوناني : « سأبحث عنه يا سعيد ، وقد نعود معا إلى أرض الوطن » وقال سعيد حزوم لنفسه عن كاترين وعن أبيه :

« كان وجودها مبعثا لأمل خفي في عودته ، إن لم يكن من أجلنا ، أو من أجل النضال ، فلأجل كاترين الحلوة التي أحبها وما يزال ، تراها وهي ترحل قد يئست من عودة « صالح حزوم » فذهبت للبحث عنه » .

تحولات في المثل الأعلى

وفي الواقع أن رحيل كاترين كان إيذانا بنهاية مرحلة وبداية مرحلة جديدة في حياة « سعيد حزوم » ، كان البحر قد أغلق أبوابه في وجه الملاحة بسبب تطورات الحرب ، ولم تكن العاصفة هي التي أغرقت مركب الريس زيدان بل كانت غواصة انجليزية . . . وكان سعيد حزوم على ظهر المركب ولم تكن النجاة في ذلك اليوم من حظ الأبطال وحدهم .

ورضي سعيد حزوم تحت وطأة البطالة بعد ذلك بأن يعمل حارسا للفنار في بحر بلا سفن ، هو الذي كان يرفض أن يعمل حمالا في مصنع الدخان ، كان يسهر الليل وينام بالنهار ، ويملك وقتا طويلا ليرى ماذا تفعله الحرب بحياة مواطنيه وليرى ماذا يفعله رجال الكتلة الوطنية ، بعد أن أصبحوا في الحكم ضد مواطنيه وليسمع على مهل إلى « قاسم العبد » وهو يشرح له الالغاز التي كان يعيا بفهمها . .

إنه يثق به ويحبه ، وها هو الآن في ساعات الفراغ يسعى الى فهمه ، فينجح أحيانا ويفشل أحيانا أخرى ، ولكنه لا يثق في قدرته هو على المضي في طريقه . .

« السجن أسهل ، الثورة أسهل ، تنتصر أو تموت ، النصر مفهوم ، والموت مفهوم ، لكن الدأب اليومي دون تأفف ودون تراجع ، بدأب النملة ، بصبر الجمل ، فهذا مالا أطيقه ولا أقدر عليه » .

هكذا كان يتحدث سعيد حزوم الى نفسه في تلك الليالي الطويلة ، وهو يرى عالما جديدا

وغريبا وقاسيا يقتحم عزلته ويمزق أوهامه عن البطولة والنضال .

في البحر عاش المواجهة الدائمة للخطر والموت ، والشوق الحارق للأرض والمرأة والناس ، وفي البر اكتشف مع كثيرين عالم الحاجات والقوى الداخلية الغامضة ، وهذه هي كل عدته وعتاده ، فهل يملك بمثل هذه الأسلحة أن يفعل ما يفعله قاسم والعمال الذين يتحرك بينهم ليؤلف النقابات ، وينظم الاضرابات ويوزع المنشورات التي تتضمن الميثاق الوطني لحزبه الجديد وينتظر المستقبل السعيد البعيد وهو يواصل الكدح اليومي في أحد المصانع بدأب النملة وصبر الجمل . .

ويختفي قاسم الذي كان يتوكأ عليه ، ليجدوا جثته بعد أيام وبها عدة طعنات . كان سعيد يشعر أن قاسما مطاردٌ من السلطة ومن رجال الكتلة الوطنية . . وكان أمر اعتقاله أو سجنه واردا ، أما أن يصل الأمر الى هذا الحد ، فهذا ما لم يكن متوقعا .

قاسم أوصاه ألا يتحدث لأحد عن تردده عليه في المنارة ، فهل كان يحدس بما يمكن أن يقع له . . . ؟ ورغم ذلك فلم تكن ثقة قاسم تهتز أبدا بمستقبل حر وشعب سعيد . . كان هذا هو عنوان المنشور الذي قرأه عليه في آخر ليلة قضاها عنده . . رفاق قاسم من عمال الميناء التفوا حول الجثة وتعرفوا عليها ووقفوا يتحدون رجال الشرطة والنيابة ويصرون على أن ما حدث لقاسم هو جريمة سياسية لا بد من التحقيق فيها والبحث عن مرتكبيها . . بينما وقف هو في صمت يبتلع دموعه .

لو فتشوا المنارة لعثروا فيها على كتب قاسم وبعض ثيابه ، وربما اتهموه هو بقتله ليخفوا جريمتهم ، ولكنه هو وقع في جريمة الصمت ولم ينقذه حتى صمته ، فقد فصل بعد أيام من عمله كحارس للمنارة ، وفهم من تلميحات الريس عبد الحميد أنهم كانوا على علم بعلاقته بقاسم . . وكان الريس عبد الحميد ، ممن يرون أن قاسما هذا يستحق الشنق ، وليس فقط مجرد الاعتقال أو السجن ، هل يقوى على مواصلة السير في طريق قاسم ومع رفاقه ؟

تجربة جديدة

إن أحدا لا يتغير لمجرد أنه بدأ يفهم بعض الأمور ، فحين التقى سعيد حزوم « بعمر دندي » ـ وهو بحار في مثل سنه ، ولكن تجربته في البحار أطول وأعرض وأعمق ـ وراح يغريه بالسفر من جديد ، وبخاصة أن الحرب قد انتهت والبحار والمحيطات قد فتحت أمام السفن الكبيرة ، بدا وكأنه يحدثه عن بحر آخر وعالم آخر وتجارب لم يعرفها من قبل ، وفي لحظات تيقظت فيه روح المغامرة الفردية التي كان « عمر دندي » أمام عينيه يمثل نموذجها الناجح ، ولقد تبين لسعيد حزوم بعد أن سافر على السفينة « كاسل » عابرة المحيطات أنه لم يكن يعرف البحر . . كان البحر المتوسط بجانب ما رآه وعرفه مجرد بحيرة . . . وها هو سعيد حزوم يرى العالم الواسع الكبير . . ولمدة خمسة عشر عاما أخرى من التجارب المثيرة في البر والبحر والناس ، بدأ سعيد حزوم يدرك أن العالم على سعته يمكن احتواؤه في بعض كلمات قاسم العبد ، أكان عليه أن يمر بكل هذه التجارب ليرى بعض المعاني الكامنة في كلمات قاسم العبد . . . ؟ إن العالم ليس فقط هو اليابسة والبحر والناس والمدن والسفن ولكنه أيضا عالم من الكلمات . . . !

على ظهر السفينة « كاسل » التقى « بسيد الاسكندراني » ، بحار من الاسكندرية في مثل سن والده . . ومع الأيام يكتشف أن « سيدا الاسكندراني » هو النسخة المصرية من « قاسم العبد » ، ولكنه كان بحارا مثله ، يتكلم بلغة البحارة ، ومن خلال تجربتهم بهدوء أكثر ، بصبر أطول ، أكثر نضجا وخبرة ، في حديثه مع البحارة الآخرين يبحث عن أرض مشتركة ،

ولغة مشتركة ، فهو صديق لقبطان الباخرة الايطالي ارتورا ، وللميكانيكي الانجليزي جيمس الذي لا يطيق القبطان ، وهو يقود سعيد حزوم إلى عوالم هذه الشخصيات البحرية الثرة العميقة ، ويكاد يشعر سعيد حزوم أن سيدا الاسكندراني هو نوع من « قاسم العبد وصالح حزوم » معا ، وأنه التقى أخيرا بوالده الذي كان يبحث عنه ، بالمثل الأعلى الذي يبحث عنه .

هنا يتسع المسرح ، وترحب الآفاق ، وتعمق الرؤية ، إن شخصيات البحر التي يعرفها سعيد حزوم عبر هذه الرحلة لا تقل إثارة في تنوعها عن أسماك البحر التي يريد الميكانيكي جيمس أن يؤلف عنها كتابا .

ويدرك سعيد حزوم - على نحو هادىء وربما غامض عبر سنوات المحيطات والمرافىء وسكونها وعواصفها - أن الناس الذين عرفهم في كل حياته ينتمون رغم اختلافاتهم وكثرتهم إلى نوعين من الناس - نوع مثل « عمر دندي » يمثل روح المغامرة الفردية بدرجاتها المختلفة التي تبدأ من حضيض راغب درويش وتنتهي بمجد القبطان أرتورا ، وتؤمن بأن كل إنسان مسئول وحده عن إنقاذ مصيره الخاص في هذا العالم ، ونوع يؤمن بأن على الناس أن يعملوا معا بدأب النملة وصبر الجمل ، لتحقيق العدالة والحرية لهم جميعا ، وأن هذا هو طريق الخلاص الوحيد .

من النوع الثاني كان « ديبو » الذي التقاه في السجن في بداية شبابه « وقاسم العبد » ، و « سيد الاسكندراني » ، و « جيمس الميكانيكي » ، والفتاة التي كانت تقود المظاهرة في تشيلي .

شجرة واحدة ممتدة في كل الدنيا ، قد تختلف جذورا وطولا وأوراقا باختلاف التربة ، ولكنها تحمل دائما الثمار نفسها والأريج نفسه . .

وتوشك الرواية في أجزائها الأخيرة أن تكون حوارا أخاذا عذبا بين هذين النوعين من البشر ، في عقل سعيد حزوم وفي حياته ، حوارا يؤلف المقاطع الأخيرة من سمفونية البحر والبحار .

العودة الى الوطن

ويعود سعيد حزوم الى وطنه بعد هذه التغريبة في البر والبحر . . . بعد خمسة عشر عاما ! سمع خلالها أن الدنيا تغيرت ، وأن رفاق قاسم العبد الآن هم الذين يحكمون في بلاده ويحققون الأحلام ، ولكنه في وطنه لا يلتقي بوضوح بكل أحلامه . . بل كان لقاؤه الواضح والقاسي مع شيء آخر تماما ، كان يرى شبحه في كل مكان يذهب اليه .

إن أحدا هنا لا يكاد يعرفه ، لقد أصبح « سعيد حزوم وصالح حزوم » جزءا من الماضي ، وأن عليه لكي يعيده الى الذاكرة أن يلجأ الى الأوراق ، الى شهادات تثبت أنه كان هنا وهناك ، البطولات تمضي ، والأوراق وحدها أكثر صمودا وبقاء . حتى أولئك الذين اعتقد أن الثورة في بلاده قد أطاحت بهم وجردتهم من ثرواتهم . . . وجدهم هناك منتشرين في المقاهي التي كان يجلس فيها الفرنسيون في الزمن الماضي . . يثرثرون بصوت مسموع ، ويخططون ويفكرون في الظروف التي يمكن أن يستردوا فيها أوضاعهم وأموالهم ، وينفقوا كما لو كانت أموالهم لم تمس .

أمواله وحدها التي ادخرها من شقاء عمره هي التي كانت تنفد ، وقبل أن يجدوا له وظيفة مشرف على أحد الشواطىء . فالموت أو الجنون هما ما ينتظر الناس في مثل سنه وظروفه ، وفي أحد المستشفيات التي انتقل اليها بعد نوبة عصبية تلم به ، يلتقي بآخر فرع في الشجرة المباركة « وليد ناهض » شاب في مقتبل العمر ومع أنه ينتمي إلى عائلة إقطاعية صودرت أموالها ، فإنه كان ينتمي بفكره إلى شجرة قاسم العبد ، ورغم ثقافته العالية التي وفرتها له أسرته فانه كان مثل « سعيد حزوم » في شبابه نافد الصبر ، لا تعجبه تلك الطريقة التي يحقق بها

الحكام أحلامه في العدالة والحرية ..

وكان لقاء سعيد حزوم مع وليد ناهض في حجرة واحدة، بمستشفى للأمراض العصبية هو أكثر النهايات مرارة وسخرية لهذه السمفونية عن البحر والبحار.

وكان الحوار بينهما يلقى بآخر الأضواء شفافية على المأساة الخاصة لسعيد حزوم، ذلك أنه في أعمق أعماقه كان يحتضن هذين النوعين من البشر اللذين عرفهما في كل حياته.

ولعله بدأ يدرك على نحو غامض أن المأساة الانسانية تنتمي في بعض جوانبها إلى ذلك الجزء من الحاجات والقوى الغامضة التي كانت تمثلها كاترين، وربما كانت الحروب والمظالم، وشتى ضروب القسوة التي عاشها في وطنه وفي العالم، تنتمي الى حاجات وقوى من نفس النوع، وبحجم الدنيا كلها .. وأن السيطرة عليها في حاجة إلى إرادة الجماعة .. الى سلسلة طويلة ممتدة مترابطة من النقابات والأحزاب التي يؤلفها أفراد من النوع الذي يعمل بدأب النملة وصبر الجمل. ورغم هذا الادراك القاسي فإن طفلة على شاطىء مدينة طرسوس سحرته بأسئلتها عن الأسماك الملونة فوعدها بأن يحضر لها واحدة منها ... وكان يعلم أنه لا يقدر على تحقيق الوعد. ومن قبلها سحرته ابتسامة من سيدة القصر لأنها لا تزال تحلم بالقمر ..

وفي قصر هذه السيدة رأى بعينيه كاترين تأتي من البحر ثم تهرب اليه .. ومن جديد يقرر سعيد حزوم السفر الى مرفأ بعيد، ربما هو لا يعرف مكانه، وقبل أن تبحر السفينة، يسمع في المذياع أن ثورة قد حدثت في داخل الثورة في بلاده، ولعله في هذه المرة كان يحلم بأن يلتقي في هذا المرفأ البعيد - أو أن يلتقي الثوار الجدد - بنوع من البشر يحقق العدالة والحرية دون أن تفقد الدنيا ألوانها، ودون أن يكذب الكبار على الصغار، ودون أن يفقد البحارة قدرتهم على رؤية عرائس البحر التي يؤكد جيمس الميكانيكي أنه لا وجود لها في البر ولا في البحر! □□

لوحة .. وفنان

في ظلال تيجان أشجار البريوسكا، ذات الأوراق الحمراء الخريفية، المتوهجة كوجنتي سكان تلك المناطق الباردة في موسكو، قضت الفنانة الكويتية ثريا البقصمي ٧ سنوات في دراسة الفنون التشكيلية، في كلية الفنون بموسكو، المسماة بسير يكوف ولتنهي تلك الرحلة الطويلة، برسالة ماجستير في رسوم كتب الأطفال. وكانت بدايتها في القاهرة، حيث درست الفن لمدة عامين في كلية الفنون

والفنانة ثريا عضو في جمعية الفنون التشكيلية منذ بداية السبعينات، وأقامت معرضا شخصيا في كل من زائير عام ١٩٧٨ وفي الكويت عام ١٩٧٩ وذلك بصالة المرسم الحر، وفي السنغال عام ١٩٨٢ وفي نفس العام بمدينة الحمامات بتونس. واشتركت في العديد من المعارض المشتركة في كل من موسكو، والقاهرة، وبغداد، وبرلين الشرقية، وقد صممت الغلاف والرسوم الداخلية لمجموعة قصصية صدرت لها، تحت عنوان (العرق الأسود).

طغت الرمزية على أعمال ثريا البقصمي، وتبعت المدرسة الواقعية، وفي الفترة الأخيرة، حيث أنتجت مجموعة من الأعمال الخزفية، ومعظمها ذات طابع رمزي.

واللوحة التي أمامنا، تحمل اسم (الحرية السجينة) وهي ترمز لمجموعة من النساء، اللواتي ينظرن بشغف .. وحسرة من خلف قضبان النافذة وعيونهن تعكس رغبة حقيقية، في كسر القيود، ونيل الحرية. ولكن الحرية، التي رمز لها بالحمامة البيضاء، هي أيضا تشاركهن سجنهن، من غير أن يشعرن بوجودها. وهذه اللوحة ترمز للاضطهاد المركب الذي تتعرض له المرأة، وهو اضطهاد الرجل وأنانيته. واضطهاد المجتمع لها في نفس الوقت .. والجديد في هذه اللوحة بالنسبة لأعمال الفنانة هو استخدام تكنيك التصوير الفوتغرافي والرسم بألوان الاكريليك.

الرايـة

أواه يا حلمي الذي نسجت عليه العنكبوت
أواه يا وجع البيوت
أواه ياعبق البيوت
وحدي اذن ... وحدي اذن ... وحدي وقافيتي ... أموت ...

* * *

جرحي وجرحك توأمان
يا أيها الجسد الذي نهشته اغربة الزمان
يا ايها الجسد المضرج بالفجيعة والمكفن بالدخان
ألِأجلِ انك تعشق الشمس الحبيبة .. تعشق الأشجار واقفة ..
يغوص بك السنان .. ! !

* * *

من أين أحضن رقصة الأمواج .. عزف الريح ... موقدنا المجمر في الشتاء . ؟
من اين احتضن النجوم ألـمُّهَا بعد العشاء
واغازل الأزهار في بلدي .. واقطف ما أشاء
من ذا يضمدنا .. ؟ وأين هما اليدان .. ؟
رحلت عصافير المساء ... وجفّ نبعُ الأقحوان
من ذا يعيد براءة الأطفال ؟ صبوتهم الى زمن الحنان ! ؟
من ذا يضيء لنا المرافيء كي يمر العاشقان .. ؟ !
سقط المغني فوق مسرحنا ..
... وفض المهرجان ...

* * *

بالأمس كان لنا مدارات وكان لنا نسور
بالأمس كنا ندفع الأحلام ... نرقصها على شفة العبور
ونعانق الترب المعطر .. تستحم به البذور
بالأمس كنا نطلق البسمات .. نرحل في سماء الله ..
نسطع كالبدور ..

* * *

شعر : محمود مفلح

ماذا أقول اليوم يا ولدي ؟
وها أنذا على كتف الطريق
كالسنديانة بعدما اجتثت وشبَّ بها حريق ..
لا جذرُها باقٍ .... ولا غصن وريق ..

* * *

والناس حولي يهتفون
أشرق بنـــور
أشرق فقد جاء البكور
أشرق فان لك النذور
وأنا على نفسي أدور
مترنحاً بين المزاهر والبخور .
متشبثاً بدمي الذي نشقته أغربة الطيور ...
ماذا أقول ... وما أحور ! ؟
أواه ما أقسى الخناجر في الظهور ! !

* * *

ستشب يا ولدي غداً
ستقول كان لنا زمان
ستقول غاص بنا المكان
ستند من شفتيك قافية تزغرد كالسنان ..
ستقول ما قالته راوية المساء
عن فارس حمل اللواء
وجرى به في وقدة الصحراء .. في زمن العناء .
حتى اذا ما اشتد ساعده وخاض الموج . واكتمل الحداء
حتى اذا ما قبلت عينيه سيدة النساء
وثبوا عليه واثخنوه فمال تصبغه الدماء
لكنما بقي اللواء ، كالنسر مرتعشاً يضج به الإباء
اخذته كف من نزيف الجرح وقدتها ...
ومن رحم الفداء

مستقبل بلا قلب يصنعه

الروبوت

هذا الرجل الآلي !!

بقلم الدكتور عصام محمد عزو

الروبوت .. لا يرفض الخدمة حتى في النوادي الليلية

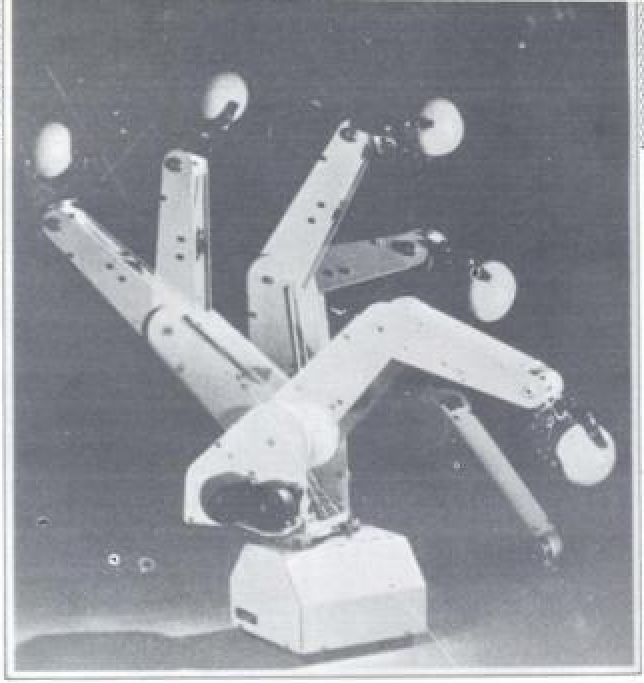

روبوت .. خمس أصابع غير بشرية

☐ قال نقابي فرنسي أرعبته موجة تسريح العمال بعد سيطرة الروبوت : « كان ينبغي أن يخبرونا قبل عدة سنوات عن المستقبل الذي سنواجهه .. فما كنا أنجبنا أطفالا . لقد حسبنا كل حساب للحروب النووية .. لكنتنا لم نحسب حسابا للجيوش المعدنية ذات العقول الجافة .. من العمال الآليين » .

انتبه .. لا تستخف بهذا الخبر ، فهو الحقيقة كل الحقيقة ...

فالروبوت .. أو الرجل الآلي .. بدأ يشكل خطرا كبيرا في المجال العسكري ، بعد أن استطاع ان يغزو كل المجالات السلمية في الميدان الصناعي والعمالي ، واذا كان الرجال الآليون يهددون أوضاع البشر المعيشية ، فان تهديدهم العسكري أصبح أدهى وأمر . ذلك أن الدولتين العظمين دخلتا في سباق سري رهيب لتطوير رجال آليين ، قادرين على الحلول محل المشاة في ساحات القتال ... !

وقد ذكرت مصادر البنتاجون الامريكي ، ان رجالا آليين مزودين باشعاعات الليزار ، سيكونون قادرين على إصابة القوات المعادية بالعمى الدائم . وفي نفس الوقت فان الاتحاد السوفيتي بصدد انتاج حوالي ٥٠ الف روبوت عسكري ، ربما يستخدمها في مطاردة قوات حلف الاطلنطي ، كما يعدها لتفكيك حقول الألغام أمام أي زحف عسكري .. !

فالروبوت .. سيصبح أيضا .. مقاتلا .. !

وهذا الذي يجري في الميدان العسكري يمكن

توقع نتائجه ، اذا تابعنا تفاصيل ما حدث وما لايزال يحدث ، وما هو متوقع حدوثه مستقبلا ، في المجال السلمي .. وفي مجال العمالة والعمال بالذات .

وقد نستطيع تصور ذلك من خلال بوادر الخلاف العميق الذى بدأ يسود قطاعات الصناعة .. بين العمال من جهة ، وبين الرجال الآليين وأرباب الأعمال من جهة أخرى .. فهذه « المخلوقات الوافدة » من بين صفحات الكتب الخيالية .. ومن معادلات فيزيائية حققت ما يشبه الأساطير ـ بدأت في غزو المصانع والسيطرة على قطاعات الانتاج .. على نحو بات يهدد ملايين العمال بالبطالة والتشرد . وهو أمر لا بد أن يقود الى مواجهة ـ قد تكون دموية عنيفة ـ بين نقابات العمال وأرباب الأعمال .. بسبب .. الروبوت .

وقد بدأت مقدمات هذه المواجهة تظهر على السطح . ولكن .. كيف ؟

أنا في خدمتكم .. مستعد للمواجهة

أجيال ذكية من الروبوت

لقد بدأ دخول الرجال الآليين الى المصانع ليحلوا محل العمال ، وبخاصة الاجانب ، المهاجرين من دول العالم الثالث الى الدول المتقدمة صناعيا . وغالبا ما كانت تلك الاجهزة تقوم بالأعمال اليدوية البسيطة التي لا تتطلب أكثر من الجهد العضلي . فلم تتحرك النقابات في تلك الدول لمواجهتها ، لأن البطالة لم تمس آنذاك العمال المحليين والذين هم في غالبيتهم من العمال المهرة ، اضافة الى ذلك كان القادة النقابيون ينظرون الى ذلك الهجوم التكنولوجي على أنه يؤمن فرصة للراحة أمام العمال الذين مابرحوا يكدحون منذ العصر الحجرى .

لكن شيئا فشيئا ، بدأ العمال الآليون ينجبون أجيالا ذكية من الروبوت ، تستطيع أن تحل حتى محل الخبراء والاداريين ، وليس محل العمال المهرة فحسب ، اذ بوسع بعض هذه (المخلوقات) الآلية أن تؤدى ثلاث وظائف في صناعة السيارات ، في وقت واحد ، بفضل ما زودت به من عقول الكترونية فذة . وللتوضيح ، فان من بين هؤلاء الرجال من يملك ٢٢ اصبعا يدويا ، وبعضهم الآخر بحاسة بصرية نافذة ، هي عبارة عن كاميرات تلفزيونية معقدة .

ففي مصانع (كرايزلر) الامريكية للسيارات ، تستطيع هذه « المخلوقات » أن تكتشف أي عطل في أبواب السيارات من النظرة الأولى ، أما في مصانع « تشيز بورج ـ بوندس » لأدوات التجميل فان بامكان الروبوت ، الذي يشرف على وضع الملصقات فوق القماقم والزجاجات المختلفة ، التمييز بين تلك الملصقات بمعدل ٣٥٠ وحدة في الدقيقة ، أي بمعدل يفوق جميع الامكانات البشرية ، كذلك

● مستقبل بلا قلب

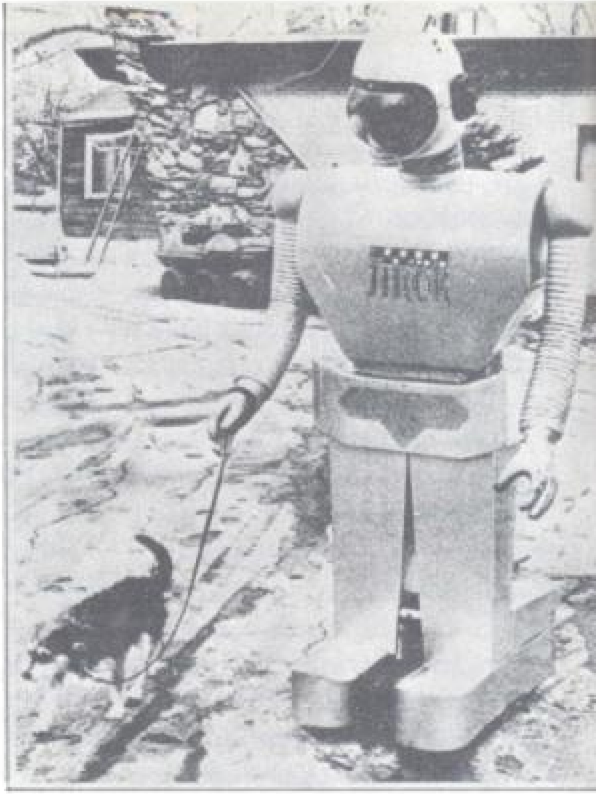

الرجل الآلي .. ينزه كلب العائلة

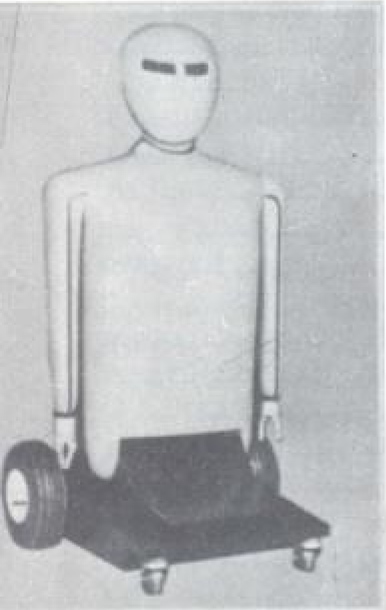

حفيدنا .. الروبوت

فان المستقبل القريب سيشهد ولادة جيل جديد من هؤلاء العمال الآليين يتمتع بنظام ذهني شديد الشبه بالعقل البشرى ، فيما يتعلق بنمط واحد من المهام .

وآخر ما ورد على صعيد التحكم الآلي بوسائل الانتاج ، هو تطوير شركة (أطلس كوبكو) السويدية لنظام آلي يستطيع بلمسة زر واحدة ، أن يستخرج معادن من جوف الأرض من قارة أخرى غير القارة التى يتم التوجيه منها .

ولا تحتاج هذه العملية المعقدة إلا لمراقب بشرى واحد يشرف على لوحة الازرار . أما فى ميدان العمل . فربما تدعو الحاجة لوجود بعض العمال لتزييت مفاصل الرجال الآليين .

وبعبارة أخرى فان نظاما كهذا ، أو سواه من الأنظمة الذاتية التسيير ، قادر على الاستغناء عن اليد العاملة بصورة نهائية . بل ان الاتجاه الحالي فى التقنية الحديثة يؤدى الى اصلاح الروبوت بواسطة زميل من (بنى قومه) ، لم لا ؟ وهناك أحد الرجال الآليين الذى يستطيع أن يقدم ٣٠ نوعا من أنواع الكوكتيل فى النوادى الليلية ، دون مساعدة بشرية !

هذه القفزات الروبوتية السريعة دفعت بفريق من اساتذة جامعة (برادفورد) البريطانية الى تقديم تقرير هام حول امكانات احلال الرجال الآليين محل عمال مناجم الفحم فى بريطانيا كحل لمشكلة الطاقة واكلافها . ويفيد هذا التقرير أنه خلال خطة خمسية واحدة سوف يمكن الاستغناء عن ١٣٥ ألف عامل من أصل عمال مناجم الفحم البريطانيين والبالغ عددهم ١٩٥ ألفا . وأضاف التقرير أنه سيكون بوسع ٤ آلاف عامل ، انتاج كميات من الفحم من منجم (سيلبى) فى مقاطعة يوركشاير ، مساوية لتلك التى ينتجها ١٩ ألف عامل فى الوقت الحاضر . وذلك عند توظيف التقنية الجديدة فى المناجم .

هذا المنحى الجديد آخذ فى الانتشار فى الدول الصناعية الكبرى ، فالتوقعات الاقتصادية تؤكد زيادة الاستثمارات فى نمط الانتاج الآلى فى الولايات المتحدة خلال العام الحالي ١٩٨٤ بنسبة ١٢ بالمئة ، وفى دول السوق المشتركة بنسبة ٢ بالمئة . بيد أن نسبة ١٢ بالمئة فى الولايات المتحدة تمثل ٥٠ بالمئة بالنسبة لبعض المنتجات الالكترونية الروبوتية . وهناك دراسة تتوقع بلوغ اجمالي الاستثمارات الجديدة فى مجال الادمغة ٢٥ مليار دولار خلال العام الحالي ، هذا بالنسبة لامريكا الشمالية وأوروبا الغربية فقط ، أما بالنسبة لليابان فتعتبر أكثر دول العالم استعانة بالرجال الآليين . وما تنتجه هذه الدولة منها يفوق الحاجة المحلية ،فتعمل على تصدير الفائض الى الخارج . . لا سيما الى الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي وبعض دول شرق آسيا .

لا شك أن شراء هذه الأجهزة الجديدة يعنى اقتطاع حصص كبيرة من الرساميل الصناعية . فهل بوسع المصانع تكبد هذه النفقات الباهظة فى هذه المرحلة من الركود الاقتصادى العالمى ؟

مأساة العاطلين عن العمل

المحللون الاقتصاديون ، يرون أن المصانع التى استطاعت أن تمر بمرحلة الركود بسلام ، أى أنها لم تفلس أو لم ترزح تحت أعباء الديون الضخمة وفوائدها ، باتت بحاجة لتحديث وسائل انتاجها بما يكفل منافسة المصانع الأخرى من حيث الكلفة ، واذا أخذنا مصانع السيارات الامريكية كمثل ، لوجدنا أن كلفة ساعة العمل الواحدة بواسطة العمال الاعتياديين فيها تتراوح بين ٢٣ و ٢٤ دولارا ، هذه الكلفة تنخفض الى ٦ دولارات لدى الروبوت . وهذا الرقم يتضمن كلفة الصيانة والتآكل فى قطعه . اضافة الى رصد نسبة معينة من الربح الاجمالي لاستبداله عند تلفه . من هنا ، تتضح لدينا الاخطار التى تهدد اليد العاملة فى رزقها . ذلك أن الادعاء السابق حول تعارض استخدام الرجال الآليين مع توافر فرص العمل بات مرفوضا كليا من قبل الاتحادات النقابية لا سيما في الدول الصناعية ، فاذا كانت دولة كالولايات المتحدة ترغب في تأمين العمل لأكثر من مليون عاطل عن العمل ، أي العودة الى نسبة البطالة التي كانت سائدة عام ١٩٧٩ ، تعين ايجاد وظائف لـ ٢٠ ألف عامل يوميا على مدى خمس سنوات ، هذا قبل ادخال أي رجل آلي الى المصانع .

أما فى بريطانيا فنسبة اليد العاملة تبلغ ٥٣ بالمئة من مجموع السكان ويقدر أن تنخفض الى ٤٩ بالمئة قبل نهاية العقد الحالي ، بسبب زيادة الاعتماد على الآلة . علما بأن هذه النسبة كانت تصل فى مطلع الستينيات الى ٦٣ بالمئة . واذا كان عدد أفراد الطبقة العاملة البريطانية قد تضاعف عامي ١٨٦٠ و ١٩٦٠ مرتين ، فان انتاجها زاد بنسبة ثلاثة أضعاف خلال هذه الفترة . وبمعنى آخر ، فان تطور وسائل الانتاج ساعد على زيادة انتاج اليد العاملة من جهة ، ووفر عليها قسطا هاما من المشقة . فهل يعنى ادخال الروبوت الى المصنع رفع الانتاج ، وتقليص ساعات العمل ، وزيادة العطلات السنوية ، وتوفير الوقت الكافى لأولئك الذين تعبوا عشرات الاعوام لكى يمارسوا هواية ، غير النوم ، بعد العمل ؟

هنالك عنصران هامان يحولان دون تحقيق هذه الأحلام :

الاول : أن العمال لا يملكون وسائل الانتاج أو أسهما فيها . ولو أن زيادة الانتاج كانت تعود عليهم بفائدة تناسبية ، لرحبوا بأي تقدم علمى - صناعى يساعد فى خفض الكلفة طالما أنه سيعوض بواسطة زيادة نسبة الارباح .

الثانى : بالنسبة لليد العاملة الاوروبية ، فقد ساهمت قوة النقابات فى الفصل بين عوامل

السوق والاجور ، فكانت الأجور تزيد ، بصرف النظر عن الاقبال على السلعة أو انخفاض الطلب عليها . ولما كانت التقنيات الحديثة لا تطال جميع القطاعات الصناعية فى وقت واحد . فان مسألة استيعاب العمال المسرحين من القطاع الاكثر تأثرا ، تكون غاية فى الصعوبة .

اذن الصناعة قامت فى الأساس لا لتلبية احتياجات انسانية فحسب ، بل بقصد زيادة الارباح وتكديس الرساميل . وهى غاية بدأت تواجه صعوبات مع نشوء عدة مجتمعات صناعية ينعدم التنسيق فيما بينها . من هنا لا يمكن النظر لعمليات تطعيم المعامل بالرجال الآليين بعين الرضا من قبل العمال على كافة المستويات .

ويقول مسؤول مصانع (وستنجهاوس) الاميركية أن احتمالات حدوث عمليات تخريب باتت واردة من قبل العمال ، ذلك أن غالبيتهم يعتبرون أن أي فشل فى عملية التطعيم من شأنها أن تجعل أرباب العمل يعيدون النظر فى نظام التشغيل الروبوتى .

والجدير بالذكر هنا أن عدد الرجال المستخدمين فى الصناعة الاميركية حتى الآن يصل الى ١١ الفا ، وينتظر أن يتضاعف هذا العدد ست مرات قبل حلول التسعينات . أي أن ٣,٨ مليون عامل سيصبحون دون عمل كنتيجة حتمية لذلك . وهنا يطرح السؤال عن مدى جدية أجهزة التخطيط فى الولايات المتحدة فى السيطرة على البطالة .

احتمالات الصدام

باحثان أميركيان هما فريد فولكيز وجيفرى هيرش قدما دراستين حول مستقبل العلاقة بين العمال والعمل ، ركزا خلالها على النزاعات المنتظرة فى قطاعات الانتاج ، واعتبرا أن احتمالات الصدام مع ادارات المصانع تزداد كلما ارتفعت نسبة ذكاء العقول الالكترونية والرجال الآليين ، أي كلما توسع الأخيرون لاحتلال أماكن خارج نطاق الوظائف (المتدنية) كما أطلقا عليها .

فى ضوء هذا قدم الباحثان اقتراحات للتخفيف من وقع تطبيق الأدمغة الروبوتية على شكل توصيات لأصحاب المصانع مثل : -

أولا : تطبيق تشغيل الرجال الآليين فى الوظائف الشاقة والخطرة ، لأن العمال متحمسون للتخلص منها .

ثانيا : الانطلاق فى الوظائف الجديدة على أسس مستقبلية تراعى التقنية المتطورة ، أى فى اطار خطة معلنة وشاملة .

ثالثا : وجوب مصارحة العمال ورؤساء الاقسام قبل استخدام الآلات الجديدة ، والتشاور معهم حول كيفية توزيع العمل ، فى اطار المعطيات المستجدة ، هذا مع ضرورة التركيز على عدم تبييت النية المسبقة للاستغناء عن العمال الذين سيحل الروبوت محلهم .

رابعا : اخضاع العمال لبرامج دورات تدريبية ، تخولهم توجيه الأجهزة الجديدة أو صيانتها او برمجتها ، ومساعدة العمال المنوى الاستغناء عنهم فى الحصول على وظائف بديلة .

لكن الاقتراحات لم تأت على ذكر سبل تطويق عمليات التسريح واسعة النطاق ، والتى تشمل عادة عشرات آلاف العمال مثلما يحدث فى فرنسا وبريطانيا فى قطاعى الصناعات المعدنية والمناجم . ولقد تحدث فولكيز وهيرش عن كيفية معالجة فائض العمال فى قطاع مطابع الصحف فى الولايات المتحدة ، حيث درب بعضهم ليصبحوا وكلاء دعاية أو مندوبين لها ، وبعضهم الآخر كمراسلين صحفيين . لكن مشكلة مشابهة لها فى بريطانيا أدت الى اضراب الصحف لعدة ايام دون ايجاد حل مرض .

وهكذا تبدو صورة المستقبل مع التطور المستمر فى الاعتماد على الرجال الآليين . اننا اذن .. أمام مستقبل بلا قلب .. والويل لقلوبنا .. ! □□

المجلات الثقافية وأثرها في النهضة الفكرية بتونس

بقلم : الدكتور محمد مواعدة

☐ لم يقتصر دور المجلات على الدعوة الى التجديد في الأدب ، وإثراء الثقافة بل تجاوز ذلك الى المطالبة بالتغيير والاصلاح ومواجهة الفساد والاستعمار . . وذلك بعض ما عرضه الدكتور المواعده في ندوة العربي .

تماما كالكائن الحي سواء بسواء ، فكما أن أحدا لا يستطيع القول أن مجيء كائن حي الى الحياة هو وفق قانون الصدفة ، فانه بات الآن يقينا أن صدور مجلة أو دورية من الدوريات الاعلامية والثقافية لا يكون نتيجة للصدفة أو لظروف وعوامل عرضية ، بل يخضع ـ ذلك الصدور ـ دائما الى تضافر وتفاعل مجموعة من العناصر الفكرية والمادية والبشرية والتاريخية المعنية .

المجلة وسيلة لابلاغ أفكار ومواقف محددة ، والسعي الى نشرها بين الناس بقصد تثبيت واقع ودعمه أو تغييره الى الأفضل . والمجلة بذلك تختلف عن الجريدة اليومية في أنها لا ترتبط بالأحداث المتسارعة ، ولا تتعامل معها تعاملا آنيا ، وإنما تتجاوز الوجه العارض في الأحداث والقضايا الى ما يمكن أن يكون فيها من وجه جوهري وعميق .

لذلك فان كان تأثير الجريدة بارزا في كل ما هو يومي فان تأثير المجلة يحتل قيمته في المستوى الفكري والثقافي ، أي في كل ما هو عميق وذو أبعاد تاريخية ومستقبلية .

ونظراً لذلك فان المجلة ـ هذا الصنف من الدوريات الاعلامية والثقافية ـ تمتاز بمنطلقها النظري العميق وخلفيتها الفكرية والأيديولوجية . وهذا المنطلق من عوامل أخرى هو الذي يفرز بين هذه المجلة وتلك ، فهذه تدوم عشرات السنين وتلك لا يصدر منها الا اعداد محدودة لا تتجاوز اصابع اليد الواحدة في بعض الأحيان .

وقد كانت للمجلة هذه الوسيلة التثقيفية والدور المتميز في النهضة العربية والاسلامية الحديثة منذ القرن التاسع عشر الميلادي . فصدرت مجلات ، تأثيرها في الفكر العربي جلي وسماتها واضحة . ولا يمكن تجاهل العروة الوثقى والمنار . وإذا أردنا متابعة المراحل التي مر بها الفكر الاصلاحي في المجتمع الاسلامي منذ النصف الثاني من القرن الماضي فالسؤال هو كيف كان دور المجلات في تحقيق النهضة والتحديث في تونس ؟

أ ـ الظروف الممهدة

ان الحركة الاصلاحية التي برزت منذ منتصف القرن الماضي بتونس ، ونمت وتطورت خلال النصف الثاني منه قد أبدت عناية مخصوصة بالمطبعة وبالاعلام في مجالاته المختلفة .

وفي هذا الاطار صدرت أول جريدة عربية بتونس سنة ١٨٦٠ ـ إثر تأسيس أول مطبعة بها ـ وهي « الرائد التونسي » وحرص المشرفون على تسيير هذه الجريدة وفي مقدمتهم الوزير المصلح خير الدين على نشر كل ما يساعد على اصلاح حال المجتمع التونسي باعتباره جزءا من الأمة الاسلامية .

ومن المعلوم أن مضمون الفكر الاصلاحي الذي كان سائدا بتونس لا يختلف في جوهره عن مضمون الحركة الاصلاحية العامة التي كانت سائدة في العالم العربي والاسلامي .

وقد كانت هذه الحركة تهدف الى توجيه المسلمين وتنبيههم الى ما آلت اليه حالهم من ضعف وهوان ، في نفس الوقت الذي تقدم فيه الغرب ، وشرع في استغلال هذا التقدم لغزو المجتمعات المتخلفة ـ والمسلمون في المقدمة ـ ونشر هيمنته وحضارته عليهم .

وقد دعا رجال الحركة الاصلاحية الى الاستفادة بثمار الحضارة الاوروبية الحديثة ، والاقتباس منها بما يتلاءم وأصول الشريعة الاسلامية .

ولم يبق الأمر محصورا في جريدة « الرائد التونسي » لنشر النظريات الاصلاحية في مختلف الميادين ، اذ صدرت صحف أخرى ، خاصة بعد دخول الاستعمار الفرنسي لتونس في ١٢ مايو ١٨٨١ ، وسيطرته على البلاد وأهلها وأرضها وممتلكاتها ، واعتماد جريدة « الرائد » لسانا للادارة الرسمية التي أصبحت منذ التاريخ المذكور خاضعة للهيمنة الفرنسية.ودونما إغراق في متابعة حركة الاصلاح بتونس فإننا نورد هنا ملاحظات اساسية على حركة الاصلاح نذكرها في الآتي :

(١) ان رجال الاصلاح بتونس لم يستطيعوا تحقيق ما كانوا يدعون اليه في كتاباتهم ، بسبب عمق ما آلت اليه حالة المجتمع من فساد تفكك في جميع المستويات .

ويمكن القول ان ما بلغه حال المجتمع التونسي المسلم من رداءة وانحطاط ـ وهو حال المسلمين عامة خلال الفترة نفسها ـ لا يمكن معالجته بسهولة . إن الاصلاح أصبح غير ممكن ، لأن الداء قد استفحل فعم الجسم بكل أجزائه . وهذا ما ساعد الاستعمار الفرنسي على الهيمنة على تونس .

(٢) ان هؤلاء المصلحين قد أصابهم التشتت والتفرق ، فهذا بارح البلاد التونسية والآخر واصل المحاولة وان كان ذلك بأساليب غامضة .. هذا عدا الذين أصابتهم المنية وفي قلوبهم حرقة ونفوسهم مملوءة ألما .

(٣) إن تشتت رجال الاصلاح وتفرقهم لم يقض على الأفكار والنظريات الاصلاحية . كما أن أسماء هؤلاء الرجال لم يمحها الاستعمار الفرنسي من الذاكرة .

خلال السنوات الاولى من القرن العشرين ، نرى من الضروري الاشارة الى ما يلي :

(١) ان الصلات الاعلامية والثقافية بين المشرق والمغرب العربيين كانت متينة ومستمرة . فالمجلات التي صدرت بمصر أو بيروت كانت ترد باستمرار الى تونس ويتلقفها المثقفون ، ويوالون مطالعتها ويتأثرون بما يرد فيها من أفكار ونظريات علمية وإصلاحية عامة .

فهذه جريدة « الرائد التونسي » تكتب في عددها (٣٩) (السنة الثانية) عن مجلة « المقتطف البيروتية » « أنها صحيفة لا بد للراغب في تقدم الوطن من مطالعتها . اذ أنها تحتوي من الفوائد العلمية والاختراعية ما يستحسنه كل مطالع » .

وكثيرا ما كانت الصحف التونسية الصادرة في النصف الثاني من القرن الماضي تقتبس أو تنقل نصوصا ومقالات من الدوريات العربية ، وخاصة منها ما يتعلق بالعلوم العصرية والمترجمات الاجنبية . كما وجدت « العروة الوثقى » العناية الكاملة لدى النخبة المثقفة التونسية .

أما مجلة « المنار » فقد كان صاحبها الشيخ رشيد رضا يبدي اهتماما خاصا بتونس وكان ينشر الكثير من أخبارها ، وخاصة منها ما يتعلق بقضايا التعليم والاصلاح الديني والاجتماعي ، مما جعل هذه المجلة ترتبط بالنهضة الفكرية التونسية ارتباطا وثيقا كما أشار الى ذلك العلامة الشيخ محمد الفاضل بن عاشور في كتابه القيم عن « الحركة الادبية والفكرية في تونس » . وقد أشاد صاحب « المنار » نفسه بذلك . ولا يمكننا في هذا المجال ان ننسى حدثا كان له أبعد الاثر في نفوس النخبة الاصلاحية بتونس ، ونعني زيارتي الشيخ محمد عبده الى تونس ونخص منها الزيارة الثانية ، التي امتدت من ٩ سبتمبر الى ٢٢ منه سنة ١٩٠٣ .

فقد كانت حدثا اهتزت له أندية الفكر والادب والثقافة، وأقبل على الترحيب به (بالشيخ عبده) واستضافته عظماء البلاد وعلماؤها » .

(٢) ـ ان النشاط الثقافي قد تزايد خلال العقد الاول من القرن العشرين ، كما تزايد عدد الدوريات الاعلامية .

ويعود ذلك الى مجموعة من الأسباب منها قيمة النخبة المشرقة على بعض الأندية الثقافية ، ونعني خاصة « الجمعية الخلدونية » (تأسست ١٨٩٦) و « قدماء المدرسة الصادقية » (سنة ١٩٠٥) .

وكذلك صدور قانون جديد للصحافة سنة ١٩٠٤ ، يخفف من العراقيل التي كانت السلط الاستعمارية الفرنسية تفرضها على الصحف والمجلات وخاصة من الناحية المالية .

(٣) ـ تزايد الصراع بين الداعين الى الاصلاح وبين المحافظين من علماء جامع الزيتونة ، وقد تزايد هذا الصراع بتكاثر عدد المؤمنين بالفكر الاصلاحي ، والعاملين على نشره ، والاكثار من أنصاره .

هذه العوامل والظواهر المتعددة ـ وغيرها كثير ـ هيأت لبروز المجلة العربية الاولى بتونس ، وافتتاح عهد جديد في المجال الفكرى والثقافي كان له أبعد الاثر في تحديث المجتمع التونسي في مجالات مختلفة .

المجلة العربية الأولى بتونس

إن انتشار مجلة « المنار » بتونس وقوة تأثيرها ، حتى ان الجزء الواحد منها يدار على عشرات من الناس ، كان له نتيجتان بارزتان ومتناقضتان في الوقت نفسه .

١) ـ تزايد المؤمنين بالنظريات الاصلاحية ، وتزايد ارتباط بعضهم ببعض وتكاتفهم مما قوى صراعهم مع المحافظين ، كما أشرنا الى ذلك آنفا .

٢) تصاعد الحمية لدى المحافظين ، والتفافهم حول شخصية علمية من جامع الزيتونة ، وهو المفتي المالكي الشيخ محمد النجار .

وقد عرف هذا الشيخ بردوده العنيفة على مجلة « المنار » لان مسلكها في نظره « مخالف لمذهب أهل السنة » ، وقد شعر هؤلاء المحافظون بالحاجة الى إصدار مجلة ينشرون بها مقالاتهم ، ويعبرون بها عن آرائهم ومواقفهم .

وقد توفر لهم ذلك بصدور مجلة « السعادة العظمى » لصاحبها الشيخ محمد الخضر حسين ، وقد صدر العدد الاول من هذه المجلة العربية الاولى بتونس في شهر محرم سنة ١٣٢٢هـ ابريل ١٩٠٤ . وكانت تبرز في أول كل نصف شهر عربي .

وقد كان الشيخ محمد الخضر حسين يحرر أغلب المقالات الرئيسية . وقد تناول فيها قضايا تتعلق بالأمة الاسلامية وحال المسلمين ، وكيف يعيدون لهذه الأمة سالف مجدها . كما كان يدعوهم الى ضرورة الاتحاد والتعاون والابتعاد عن التواكل والجمود ، ويحثهم على الاهتمام بقضايا العصر والسعي الى مسايرتها في اطار الشريعة الاسلامية .

أما رجال الاصلاح التونسيون المعاصرون لصاحب « السعادة العظمى » فقد شدوا أزره وساندوه ، ومن أبرز هؤلاء الشيخ سالم بوحاجب ، وقد تواصل صدور هذه المجلة الى شهر يناير سنة ١٩٠٥م ثم انقطع بعد ذلك لتولي صاحبها منصب القضاء خارج عاصمة تونس وبعيدا عن مقر طباعتها وتوزيعها ، وكذلك أيضا وبالخصوص لعدم توفر الامكانات المادية اللازمة .

واعتقادنا أن هذا السبب هو الداعي الحقيقي لتوقف هذه المجلة العربية الاولى بتونس عن الصدور . ورغم قصر المدة التي توالى فيها صدور مجلة « السعادة العظمى » وأعدادها التي لم تتجاوز ٢١ عددا شملت ٣٣٦ صفحة من الحجم (١٦ ـ ٢٥) ، فانها تعتبر مكسبا ثقافيا فاعلا ، وذلك لعدة عوامل منها :

ان بروز هذه المجلة رسخ هذا الصنف من الوسائل التثقيفية ، ونعني به صنف المجلات ، بعد أن كان التونسيون لا يعرفون الا المجلات الواردة من الشرق العربي .

لقد قام العلامة الشيخ محمد الخضر حسين بفتح الباب لبروز المجلات الفكرية والأدبية والاعلامية ، ومكن معاصريه بمغامرته تلك من تعرف المشاكل التي قد تعترض كل من يروم القيام بعمل من هذا النوع .

وقد كانت فعلا مغامرة لأن صاحب « السعادة العظمى » كان يحرر جلّ مقالاتها وأخبارها ، ويشرف بنفسه على متابعة طباعتها في مختلف مراحلها ، كما كان يتولى بنفسه أيضا متابعة توزيعها وبيعها .

المجلات والتجديد

ان الدارس لسير الحركة الادبية والفكرية في تونس ، خلال النصف الاول من القرن العشرين ، ليلاحظ بكل يسر أن المصدر الأساسي الذي ينبغي اعتماده للتعرف على هذه الحركة ، هو الدوريات التي صدرت بتونس خلال تلك الفترة من تاريخ تونس الحديث ، وخاصة منها المجلات . وقد جعل هذا الوضع الكثير من الدارسين

يقولون عن الأدب التونسي الذي كتب في النصف الاول من هذا القرن انه ، أدب مجلات .

الا أن اقتصار النصوص الأدبية والفكرية على الصدور في المجلات لا يقلل أبدا من قيمة هذه النصوص ، ولا ينقص من قيمة هذا الادب ، سواء من حيث صيغه وأساليبه ، أو من حيث المضامين التي كان يحملها . ويمكن التأكيد منذ البدء على أن الدور الذي قامت به المجلات في تحديث الثقافة والفكر في تونس هو دور طليعي ، مما جعل عددا من المجلات التونسية تعبر - بتاريخ صدورها وباستمرار ذلك الصدور - عن منعرجات حاسمة في تاريخ تونس الحديث ، وخاصة في اطار التغيير والتحديث .

تبرز مظاهر التحديث - من خلال ما نشرته المجلات التونسية في مستويات متعددة نكتفي باشارة الى بعض منها وهي :

أ - الدعوة الى التغيير والتجديد

فلقد تضمنت المجلات التونسية منذ بداية هذا القرن دعوة ملحة وشاملة الى التجديد .

وقد انطلقت هذه الدعوة من تحليل لواقع الأمة الاسلامية ، وما يعانيه من مظاهر سلبية . وهو منطلق نابع من جوهر الفكر الاصلاحي . وقد ألمحنا في موطن سابق من هذا العمل الى أن التيار الاصلاحي - رغم تشتت رجاله منذ أواخر القرن الماضي - لم ينفك تأثيره يتزايد وينتشر . ومن أبرز الأدلة على ذلك أن المجلة العربية الثانية الصادرة بتونس تحمل اسم « خير الدين » أحد زعماء الاصلاح البارزين ، ومن القلة القليلة التي حاولت ادخال التيار الاصلاحي حيز التنفيذ .

ب - التجديد في الأدب :

أسهمت المجلات التونسية في تجديد الأدب وتطويره في مستوى الأنواع والأشكال الأدبية ، وكذلك في مستوى الأسلوب واللغة والمفاهيم .

من ذلك ما أشرنا اليه عند التعريف بمجلة « السعادة العظمى » فقد نشرت هذه المجلة مقالات لاحد الكتاب التونسيين ، وهو الاديب عبدالعزيز المسعودي ، تناول فيها نقد المقاييس الادبية العربية القديمة ، واقتصار الشعراء على أغراض معينة ، في حين أن الشعر ذو صلة بالشعور ، وهذا يفرض التحرر من الأغراض القديمة ، وتحرير الشاعر من كل قيد .

كما نشرت المجلة قصيدة « الشعر العصري » لصاحب المجلة الشيخ محمد الخضر حسين ، وهو نمط جديد ظهر في المشرق العربي منذ النصف الثاني من القرن الماضي ، وتضمن ما كانت تدعو اليه حركة الاصلاح من نظريات . أما مجلة « خير الدين » الآنفة الذكر قد نشرت أول قصة عربية تونسية وهي « الهيفاء وسراج الليل » للأديب صالح السويسي .

المجلات والترجمة

أولت المجلات التونسية عناية خاصة بترجمة النصوص الأجنبية الى اللغة العربية . وتنتمي هذه النصوص الى مختلف الميادين الاجتماعية والادبية والفكرية والتاريخية .

وكان لعناية المجلات بترجمة النصوص الادبية والفكرية دور بارز في تعريف التونسيين بمضامين جديدة ، وأنماط أدبية جديدة لم يعهدوها من قبل . ولم تكتف هذه المجلات بعملية التعريف بل كانت تدعو الكتاب الى الاستفادة بهذه الأنماط والمضامين والعمل على منوالها .

وتجدر الاشارة في هذا المجال الى أن بروز الشاعر المعروف ابو القاسم الشابي والمصلح الطاهر الحداد والناقد المجدد محمد الحليوي وغيرهم ، لم يكن ممكنا لولا وجود مجلات فسحت لهم المجال للاطلاع ثم للانتاج بصور جديدة ومتطورة . ولم يبق التحديث قائما في مستوى الشكل الأدبي ولا في لغته وأسلوبه فقط ، بل تناول أيضا المفاهيم والافكار والمضامين .

فلئن كان معنى الأدب في بداية القرن العشرين مثلا هو التهذيب والاصلاح ، فقد تغير بعد ذلك وتطور وأصبح معناه الانتاج الابداعي والنقدي .

ولئن كان اعتماد الصور التقليدة والهياكل القديمة الجاهزة هو المظهر المسيطر على أسلوب الكتابة في بداية القرن ، فقد أصبح بمرور الزمن وتطور الكتابة لغة وصياغة ، التدقيق في العبارة ، والتخلص من التراكيب الجاهزة ، والصور المعهودة ، هو الظاهرة المميزة للكتابة الحديثة .

ولئن كانت مفاهيم التواكل والاستسلام والخنوع هي السائدة في حياة المجتمع ، وفي أنماط تعامله ، فقد تغيرت كل هذه المفاهيم وحل محلها الثورة على القديم والارادة في التجديد والتغيير ، والعزيمة على قهر كل قوى الظلم والطغيان والهيمنة . والأشعار التي كان ينشرها أبو القاسم الشابي في المجلات التونسية وغيرها (مجلة أبولو : بمصر) وكذلك المقالات التي كان يكتبها دعاة التجديد والنهضة في هذه المجلات ، والتي تناولت جميع مظاهر الحياة ، كل ذلك ساعد على اعطاء صورة جديدة للحياة الفكرية والثقافية بتونس وأسهم في دفع الشعب التونسي الى العمل على التخلص من الاستعمار والهيمنة الأجنبية والحرص على المحافظة على أصوله العربية المسلمة دون انغلاق أو تحجر . هذه ملامح عامة على الدور الذي قامت به هذه الوسيلة الثقافية : المجلة في تونس العربية المسلمة. □□

● صفحة لغة ●

ثمن الكتاب ثلاثة دنانير لاغير

بقلم : محمد خليفة التونسي

ذكر الاستاذ الجليل (م . أ . م) ـ وهو من كبار قضاتنا هنا ـ أنه وقع خلاف بينه وبين بعض زملائه في جواز استعمال (لا غير) في مثل قولنا (ثمن الكتاب ثلاثة دنانير لاغير) فهو يراه جائزا ، وهم يرونه خطأ ، والصواب عندهم هو (ليس غير) .

ولا يكفي هنا أن نفتي بجواز (لاغير) ، بل لابد من ذكر السند أو الدليل لاقناع المخالفين .

حيثما وردت كلمة (غير) فانها تدل على المخالفة ، وهي اسم ملازم للاضافة في المعنى ، فيذكر المضاف اليه بعده ، كما في الآية (فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه) ويجوز قطع الاضافة (عدم ذكر المضاف اليه) اذا فهم معناه كما في قولنا (في حقيبتي خمسة كتب ليس غير) وهذا ما لا خلاف فيه بين أهل اللغة ، ولكن بعضهم يمنع قطع الاضافة مع (لا) ويعتبر (لاغير) لحنا ، ويجيز (ليس غير) .

وربما كان أقدم هؤلاء المانعين هو العلامة اللغوي أبا سعيد السيرافي ، فقد نقل عنه القاموس (مادة : غير) قوله « الحذف (أي حذف المضاف اليه) انما يستعمل اذا كانت الا وغير بعد ليس ، ولو كان مكان ليس غيرها من ألفاظ الجحد (النفي) لم يجز الحذف ، ولا يتجاوز بذلك مورد السماع » .

ومعنى كلامه أنه يجوز أن نقول مثلا (عندي خمسة كتب ليس الا) و (ثلاثة كتب ليس غير) ولكن لا يجوز أن تستعمل مع غير أي أداة من أدوات النفي مثل : لا ، وما ، ولات . .

وأنه يجب ان نقتصر على ما سمع عن العرب ، والمسموح عنده هنا هو استعمال (ليس غير) وحده ، فلا مجال بعد ذلك لاي اجتهاد .

وقد ذكر القاموس هذا الرأي هكذا « قيل : وقولهم (لاغير) لحن ، وهو غير جيد ، لانه مسموع في قول الشاعر :

جوابا به تنجو اعتمد ، فوربنا
لعن عمل أسلفت لاغير تسأل[1]

وقد احتج به ابن مالك في باب القسم من شرح التسهيل » ثم ذكر قول السيرافي الذي نقلناه قبل .

ويلاحظ أن القاموس يورد قولهم (لاغير لحن) فيذكره بما يدل على أنه يستضعفه وهو (قيل) ثم ينقضه بالمسموع من قول الشاعر .

ويعقب العلامة الزبيدي في معجم (تاج العروس) ـ وهو شرح القاموس ـ فينفي أن (لاغير) لحن ، ويعده صوابا ، فيقول : (هذا هو الصواب الذي نقلوه في كتب العربية وحققوه)

---

(١) المعنى : لا تتق الا بما فيه نجاتك ، فوالله لن تحاسب الا على ما قدمته من عملك وحده .

فهل تشك بعد هذا كله في صحة استعمال (لاغير) ؟

ومعروف في معاملاتنا المالية أننا نسجل مبلغ المال بالأرقام في الوثائق ، ولا سيما الصكوك (الشيكات) ثم نوضح الرقم بالكلمات ، منعا لكل غش في الرقم بزيادة أو نقصان ، مثل « ١٠٠٠ ألف دينار لاغير » فهل يطلب منا ليكون كلامنا صوابا أن نختم الكلمات بعبارة (ليس غير) أو (ليس غيرها) ، ونترك « لاغير » وهي أخف .

ونزيد في تأييد صواب (لاغير) ما يذكره كل النحاة من أن (لا) قد تعمل عمل ليس ، وهم يصوبون فيها هنا أن نقول : (ليس غير) بضم الراء أو فتحها مع التنوين ، أو بغيره مع عدم ذكر المضاف اليه و (ليس غيرها) على النحو السابق أيضا و (ليس غيراً) ، فاذا قسنا (لا) على ذلك أجزنا كل هذه الصور مع (لا) أيضا .

ومثل (لاغير) في التركيب (لابراح) ويستشهد لها النحاة بورودها في قول الشاعر الجاهلي سعد بن مالك (الحماسة ١/ ١٩٧) .

يا بؤس للحرب التي وضعت أراهط فاستراحوا
من صد عن نيرانها فأنا ابن قيس لا براحُ

ثم نزيد أنه قد يقال ان « لا غير » في بيت القاموس ضرورة شعرية ، والصواب جواز ذلك في النثر ، وشاهدنا على ذلك نص نثري أورده أبو علي القالي في كتابه (ذيل الأمالي) ص١٤٢ خلال قصة طويلة مؤسفة يضيق المقام عنها نصا ، وخلاصتها أن عاشقا أضر به عشقه حتى اعتل واعتزل الناس ، فكان اذا سئل عن علته أنشد أربعة أبيات يوضح فيها أن علته العشق ، وأنه صابر عليها ، ولا يذكر اسم المعشوقة ، وبقي كذلك حتى حضره الموت فصرح بسره قائلا :

« ان العلة التي كانت بي من أجل فلانة ابنة عمي . والله ما حجبني عنها وألزمني الضر إلا خوف الله عز وجل لا غير . . » ثم أوصى كل من ابتلي مثله أن لا يحدث أحدا بسره ، وأنه هو لم يبح بسره الا بعد أن أيقن بموته لساعته ، ثم طلب أن يبلغوها سلامه ومات .

وفي رسالة الطرد للباخرزي (ت٤٩٧هـ) ما نصه : « حططنا الرحل بحاشية غدير يربط الطير ، ويشبه الفضة لاغير » .

ثم نزيد أن القالي استعمل جملة لا غير في كتاب الأمالي (١/ ١١) ، ونحن نعلم أن اللغوي أبا عبيد البكري ألف كتابا سماه (التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه) جمع فيه ما عده أوهاما من القالي ، وذكر العبارة التي ذكرت فيها (لاغير) وصحح خطأ في هذه العبارة ولم يعقب على (لاغير) بشيء ، وهذا يدل على أنه يراها صوابا .

ثم نزيد أن اللغوي القالي ليس وحده الذي استعمل (لاغير) في هذا الموضع وغيره ، فقد كنا نلاحظ ونحن نتصفح (القاموس) - أنه استعمل « لاغير » عشرات المرات ، وكذلك غيره من المعاجم وسائر كتب اللغة وسواها ، ولو تتبعنا ذلك وأحصيناه فقد يبلغ مئات ، فلا مسوغ لانكارها مع كل ما قدمناه .

ما هي المروءة ؟

* سئل الامام الشافعي عن المروءة فقال :
« هي عفة الجوارح عما لا يعنيها وأركانها أربعة :
حسن الخلق ، والتواضع ، والسخاء ، ومخالفة النفس » .

من قضايا المسرح العربي المعاصر

بقلم : الدكتورة حياة جاسم محمد

☐ ما نطمح اليه هو مسرح ملتزم ، يحافظ على الفنية ، ولا يسقط في الدعائية ، يقترب من الجمهور ويقرب الجمهور اليه ، من أجل التواصل الاجتماعي المنشود .

هل يمكن أن يكون المسرح تعليميا قبل كل شيء وأن يكون هدفه الأوحد تغيير العالم؟ لقد كان ذلك ما اعتقده (برشت) داعية المسرح التعليمي ومنظره ، باديء ذي بدء ، ولكنه طور رأيه هذا في أواخر حياته الفنية حين كتب « الأورجانون القصير » للمسرح عام ١٩٤٨ ، فأخضع التعليمية للجمالية ، وجعلهما اثنتين لا تنفصلان . يقول برشت : « يتكون المسرح من تمثيل حي لحوادث واقعة أو مخترعة تحصل بين الناس ، ويكون هذا التمثيل من أجل الامتاع . على أية حال ، ذلك ما نعنيه حين نتحدث عن المسرح سواء أكان قديما أم حديثا » ويقول الناقد المصري محمد غنيمي هلال متحدثا عن المسرح المصري وجمهوره ـ والجمهور المصري يشبه الى حد كبير الجمهور في عموم الوطن العربي ـ « نلحظ كذلك في الاتجاهات العامة لمسرحياتنا أن الملاهي أكثر رواجا من المآسي ، وذلك أن جمهورنا في حياته القاسية ، يقصد الى المسرح للاسترواح لا للتعلم . ثم هو قلما يتذوق المأساة الرفيعة ، ولذلك كثيرا ما تتحول المأساة الى ميلودراما تعتمد على اثارة المشاعر بالوسائل اليسيرة ، من عرض أحداث مروعة ومن الاعتماد على الوقائع أكثر من الاعتماد على المواقف الفنية »

معالم على الطريق

ان المهمة الصعبة للمسرح العربي هي تقديم التعليم من خلال الامتاع الفني الى الجمهور العربي الذي ينشد الاسترواح لا التعلم ، وهي مهمة ليست مستحيلة وان تكن عسيرة ، ويلزمها الايمان برسالة المسرح والتزود بالأدوات

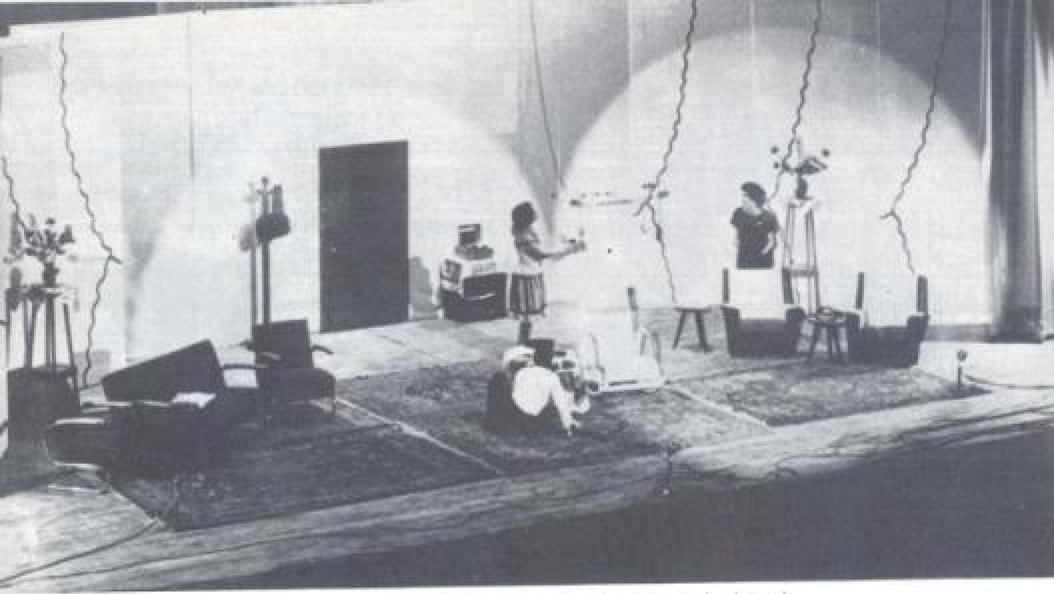

التقنية في المسرح تلعب دورا كبيرا في انجاح العمل المسرحي ..
خاصة عندما يفتقر العرض الى بعض المقومات الفنية

الفنية الكافية ، وفيما يلي بعض المعالم الرئيسية على الطريق :

١ ـ لا يمكن في الأعمال الفنية الجيدة فصل المضمون عن الشكل ، ولا بد للمضمون الجيد من شكل جيد والا فقد فاعليته ، ولكن قد يفلح المضمون ـ في الأعمال الرديئة ـ في اجتذاب الجمهور الذي لايمتلك وعيا فنيا ، لاسيما اذا كان جمهورا عاطفيا كالجمهور العربي ، وقد توجه مسرحنا الى الجمهور العربي مستغلا صفتين فيه ، وهما : ميله الى الضحك والطرب ، وميله العاطفي الى السياسة . لقد فضل مارون النقاش الأوبرا لأن الأوبرا بألحانها أقرب الى ذوق قومه ، فاثقل مسرحياته بالألحان ، مناسبة وغير مناسبة ، وتعكف على الاضحاك الساذج غير الفني .

الجمهور العربي جمهور يتعامل مع المضمون قبل الشكل ، والنقاد العرب يولون جل اهتمامهم الى مضمون الأعمال الفنية دون شكلها عند النقد ، وما دام الجمهور يحرص على مضامين معينة ، فلتقدم له هذه المضامين ، ولكن بفنية ترتفع بذوقه وتحفز ملكاته للتفتح والفاعلية ، وحتى الشعارات تغدو فنية اذا أحسن استخدامها .

٢ ـ تتوجه القصيدة والقصة والرواية الى جمهور يقرأ ويفترض فيه أن يكون على قدر من المعرفة ، ولكن المسرحية تتوجه الى جمهور أوسع قد يكون فيه الكثير ممن لايقرؤون ، ومن هنا صعوبة التوفيق بين المستويات الثقافية المتباينة والحرص على فنية العمل وجماليته ، ولكن هذه الصعوبة لا تشفع في الهبوط بمستوى العمل المسرحي ، ولا بد من الفنية في كل عرض مهما كان مستوى الجمهور الذي يتوجه اليه . وتلزم الاشارة هنا الى عرض مسرحية (في انتظار جودو) لبيكيت في سجن سان كوانتين بكاليفورنيا ، فما أسرع ما فهم جمهور السجناء هذه المسرحية التي حيرت الجماهير المثقفة في لندن وباريس ونيويورك .

قال أحد السجناء : « ان جودو هو المجتمع » . وقال آخر انه الخارج فقال أحد معلمي السجن : ان السجناء يعرفون ما يعنيه الانتظار ، وهم يعرفون أن جودو اذا جاء أخيرا فانه لن يكون الا الخيبة » ، ويتساءل (مارتن أسلن) عما جعل مسرحية تجريبية مثل مسرحية بيكيت ، يفترض ←

فيها أن تكون مكتوبة للخاصة ، ذات تأثير عميق على جمهور السجناء ويجيب : ربما لأنها واجهتهم بوضعية تشبه الى حد ما وضعيتهم ، وربما لأنهم لم يكونوا ذوي ثقافة رفيعة ، ولذلك جاؤوا الى العرض دون مفاهيم مسبقة أو توقعات معينة ، فلم يقعوا فيما وقع فيه النقاد الذين أدانوا المسرحية ، لافتقارها الى العقدة والتطوير والتشخيص والتعليق أو المعقولية .

ولكن قد تستدعي الضرورة ايجاد مسارح تقدم عروضها لجمهور خاص لديه من القدرات الثقافية ما يمكنه من تقبل موضوعات وأفكار وتقنيات مسرحية قد لايتقبلها الجمهور العادي ، ولا يعني ذلك بأية حال التساهل في فنية المسارح التي تتوجه الى الجمهور الاعتيادي ، ان أمثال هذه المسارح الخاصة موجودة في بلدان العالم ، ولا بد من التفاوت الثقافي حتى في الدول المتقدمة ،

التقنية المسرحية

٣ - للتقنية المسرحية دورها في انجاح العمل المسرحي أو فشله ، فالتقنية الرديئة لابد أن تهبط بالعمل ، كما ترفعه التقنية الجيدة . ولكن ينبغي الا يبالغ في تقدير أهمية هذا العنصر ، فالمسرح يتجه الى تبسيط التقنية ويسير في اتجاه المسرح الفقير والمسرح العادي . وفي الولايات المتحدة تلجأ المسارح ، لاسيما مسارح الهواة الصغيرة ، الى تحديد التقنية المسرحية الى أقصى درجة ممكنة ، فحين قدم المسرح المفتوح - وهو مسرح تجريبي من مسارح خارج برودواي أنشىء عام ١٩٦٣ - مسرحية (اهدئي يا أمي) للكاتبة (ميجان تيري) كانت الشخصيات الثلاث تنتقل على مسرح عار بين أدوار مختلفة بدون رابط منطقي ، مما فرض على خيال الجمهور أن ينشط لملء الفراغات ومتابعة التحولات ، وعوض عن المسائل المتبعة في تغيير المناظر

رجاء النقاش . . ومشكلات الانسان

والملابس والاضاءة وقلل عدد الممثلين ، وجاء التطوير المشار اليه نتيجة لتجارب حلقات العمل للمسرح المفتوح الذي كان يبحث عن طرق لتحقيق عرض مسرحي ، دون الحاجة الى الكثير من النقود . كذلك تصنع فرقة مسرح الخبز والدمى (Bread and puppet theatre) التي أسسها بيتر شومان عام ١٩٦٢ - أدواتها المسرحية من مواد تجدها كالملابس القديمة والصحف والقطع الخشبية وغيرها ، وكثيرا ما تقدم عروضها في الشارع .

وكثيرا ما يلجأ المسرح العربي اليوم الى التقنية المعقدة والمؤثرات المسرحية ليبهر الجمهور ويصرفه عن ضعف النص ، أو افتقار العرض الى بعض المقومات الفنية .

مسرح عربي المضمون والشكل

٤ - من الضروري البحث عن مسرح عربي المضمون والشكل ، ولكن ينبغي رفض الأعمال الرديئة التي تجد في قضية الشكل العربي للمسرح جواز مرور يمكنها من ستر ضعفها الى حين قد يقصر وقد يطول ، ومن الأفضل بحث الموضوع من بدايته بايجاز .

يوسف ادريس .. وخلق الشكل المسرحي

نعمان عاشور .. والطابع المصري

هل كان للعرب مسرح ذو شكل متميز ، فتظهر الآن ضرورة الرجوع اليه ونبذ القوالب الغربية ؟ درس كثير من الباحثين العرب والأجانب هذا الأمر ، فنفي بعضهم وجود مسرح عربي ، وبحثوا عن أسباب ذلك ، واتفقوا أو اختلفوا في تحديد المعوقات وتأثيرها ، وذهب آخرون الى وجود الظاهرة المسرحية في التراث العربي ، وأبعد (محمد حسين الاعرجي) من العراق حتى ذكر أنه وجد جذورا في تراث العرب لمصطلح الأخراج بمعناه المسرحي اليوم .

في عام ١٩٦٤ نادي (يوسف ادريس) بضرورة خلق شكل مسرحي ينبع من الموضوع المسرحي المصري ويلائمه ، ويستطيع ابرازه وتقديمه ، وأشار بالتحديد الى المسرح الشعبي في مصر المسمى (بالسامر) باعتباره مصريا أصيلا ، ورأى ضرورة الرجوع اليه . ثم كتب مسرحيته (الفرافير) ، في اطار هذا القالب ـ كما ذكر ـ ولكن مسرحية (الفرافير) جاءت مثقلة بتأثيرات مسرح العبث واللامعقول على وجه العموم ، وبمسرحية (في انتظار جودو) لبيكيت على وجه الخصوص ، وذلك في فلسفتها وشخصياتها وشكلها ، ثم كتب محمود دياب مسرحية (ليالي الحصاد) ضمن هذا الشكل أيضا ، كما أشار اليه هو وكما افترض النقاد ، ولكن المسرحية في الحقيقة تعكس بوضوح تأثير بيراندللو في مسرحياته المعروفة « بالمسرح داخل المسرح » وان تكن مسرحية دياب مصرية عربية في موضوعها وشخصياتها ، فان مسرحيات نعمان عاشور ـ مثلا ـ : « الناس اللي تحت ، الناس اللى فوق » ، « عائلة الدوغري » ، « بلاد برة » وسواها مصرية عربية في موضوعاتها وشخصياتها وتطلعاتها ، وان لم تدع الرجوع الى شكل عربي واستخدمت القالب الغربي ، وكذلك مسرحيات الفريد فرج ونجيب سرور وسواهما .

وفي عام ١٩٦٧ أخرج توفيق الحكيم كتابه المعنون (قالبنا المسرحي) ، وفيه اعتبر « السامر » شكلا غير أصيل ، جاء الى مصر بعد الحملة الفرنسية ، ودعا الى الرجوع الى مرحلة ما قبل « السامر » ، ونادى بشكل مسرحي عربي يقوم على ثلاثة أشخاص : الحاكي ومقلد ومقلده ، ووجد الحكيم أن هذا الشكل العربي يصلح اطارا لكتابة المسرحيات العربية وحتى الغربية ، وأورد نماذج لاعادة كتابة المسرحيات الغربية التالية ضمن هذا القالب : (أجا ممنون) لاسخيلوس ، (هملت) لشكسبير ، (دون

جوان) لموليير ، (ست شخصيات تبحث عن مؤلف) لبير انديللو ، ولكن الحكيم لم يكتب نصا عربيا ضمن هذا القالب ، وهو أمر يدعو الى العجب ، وكذلك لم يحاول كاتب آخر ـ على ما أعلم ـ أن يكتب فيه .

واليوم يدعو (عبد الكريم برشيد) الى مسرح عربي يقوم على الظاهرة الاحتفالية ، وهي ، في كلمات برشيد « الحياة والتعبير عنها ، الحياة داخل الجماعة ، والتعبير بمساعدة الجماعة عن القضايا الجماعية » ويدعو الى أن تراعى في بناء المسارح العربية مستقبلا أن تكون الصالة للمشاركين لا للمتفرجين ، ويرد أصول هذا المسرح الى التجمعات الاحتفالية المختلفة لدى العرب في تراثهم ، والتي كانت تجري في الساحات والشوارع والمساجد وغيرها من الأماكن العامة المفتوحة . (وبرشيد) وان لم يحدد شكلا عربيا للنص المسرحي ، يتابع في عموم دعوته ما سبق أن أشار اليه (يوسف ادريس) ـ في دعوته المشار اليها آنفا ـ من أن المسرح ليس مكانا للرؤية أو المشاهدة ، وانما هو اجتماع لابد أن يشترك فيه كل فرد من الحاضرين ، ولابد من توفر عنصرين فيه : الجماعة والحضور الجماعي ، وقيام الجماعة كلها بعمل ما .

وهذا المسرح الاحتفالي لن يكون عربيا لاحتفاليته ، لأن مسارح الغرب الحديثة سبق أن دعت الى المسرح الاحتفالي ـ بالمواصفات التي يوردها برشيد ـ واستخدمته ، ففي الولايات المتحدة يؤكد « المسرح الحي » (The Living Theatre) بعروضه ذات الطابع الاحتفالي الطقسي على اشراك الجمهور في العرض ، كذلك يفعل « مسرح الحوادث » .

خلاصة هذا العرض الموجز لمحاولات ايجاد شكل عربي للمسرح العربي ان ما نظرت له هذه الدعوات أكثر مما أنجزته ، وان تنظرياتها لم تستطع أن تتجسد في واقع مسرحي يفي بضرورات الواقع العربي وينطلق منه ، لأن هذه النظريات استندت على أسس ، بعضها واقعي وبعضها أحلام ، ربما تشدنا اليها عواطف مشوبة لكنها ليست كافية ـ بالمنطق العلمي ـ لتحويل الحلم الى حقيقة ، والتنظير ـ من جهة أخرى ـ لايسبق المحاولات الأدبية والفنية وانما يتبعها ، فيبدع الأديب أو الفنان بدافع من حاجاته ضمن الجماعة وحاجات الجماعة نفسها ، ثم يظهر بعد زمن النقد الذي يرصد هذه الأعمال في جزئياتها وتفصيلاتها ، ثم يتطور هذا النقد الى التنظير الذي يعنى بالعموميات المشتركة بين الأعمال الأدبية أو الفنية عبر أجيال وأزمان .

الظواهر التراثية والمسرح

ان ما وجد في تراثنا من ظواهر قد تحتوي على بعض العناصر المسرحية ليس مسرحا ، وان الاصرار على اعتباره مسرحا وعلى اعتباره ـ بالتالي ـ شكلا لمسرحنا العربي الحديث قد يسيء الى تراثنا والى مسرحنا أكثر مما يحسن اليه ، لأن البناء على أرض هشة لايدوم ، بل لابد أن يتداعى عاجلا أو آجلا . ولن يضير العرب في شيء أنهم لم يطوروا مسرحا ، فلقد طوروا الشعر والخطابة ، وجودوا فيهما ، وحين انطلقوا الى العالم في العصر الوسيط انفتحوا على ثقافات الأمم الأخرى ، فاطلعوا على فلسفة اليونان وعلومهم وأخذوا منها ما وجدوه ملائما ، وتمثلوه ليتجوا من بعد فلسفتهم وعلومهم ، ولم يشعروا بغضاضة لأنهم لم يكونوا أصحاب علوم أو فلسفة من قبل ، ولكن العرب لأسباب قد يكون الباحثون ذكروها أو لم يذكروها ـ لم يأخذوا عن اليونان مسرحهم ولم يطوروا لأنفسهم مسرحا ، فلماذا نصر اليوم على مسرحة ما لم يكن ممسرحا ؟ وعلى بعث مسرح عربي جديد من مسرح عربي قديم لم يوجد أصلا ؟لقد درس (ويليك) و (أوستين) ، في كتابهما « نظرية الأدب » مثل هذه الظاهرة ، ووجدا أن

أزمانا أو أمما معينة تقتصر على انتاج فن أو فنين فقط ، في حين أن هذه النظرية اما عقيم بالمرة ، أو مجرد مقلدة ومقتبسة في سائر الفنون .

ان القالب المسرحي المتداول قالب عالمي ، وهو حصيلة جهود البشرية في أزمان وأماكن مختلفة ، واستخدامه لايضير المسرح العربي اذا أحسن العرب استخدامه وعرفوا كيف يسيطرون على هذا القالب ليجعلوه وسيلة لعرض هموم الانسان العربي وتطلعاته ، يجد الناقد المصري رجاء النقاش ، وهو يناقش الدراما في مصر ، أن المصرية في المسرح ـ بمعناها الحقيقي ـ ليست شكلا ـ وانما هي روح تملأ المسرحية وتلون أفكارها وعواطفها ، وأن المسرح المصري لن يولد حتى يعبر عن مشكلات الانسان في مصر وهمومه وأن استخدام القالب العالمي استخداما صحيحا لابد أن ينتهي الى تطويره ثم البحث عن بديل له ، وهو ما حصل في تأريخ المسرح ، ولكن تكوين البديل لايتم بالتنظير العاطفي والمحاولات السريعة ، وانما يلزمه الاعداد الفني والتجربة الفنية ، ولا يتم ذلك في جيل ، وانما تطوره خبرة أجيال من الفنيين والمتخصصين يكمل بعضها بعضا .

ان التراث العربي انساني وغني ، وهو قادر على امداد العاملين في المسرح العربي بالموضوعات والشخصيات والأفكار من دون أن يمسرح فيه ما لم يكن ممسرحا . واستخدام القالب العالمي لايحول دون فنية العمل المسرحي وقربه من الجمهور اذا أحسن استخدامه ، كما أن حشد العمل المسرحي بعناصر من التراث لايكفي وحده لجعل العمل ذا قيمة فنية .

الاعداد الفني

٥ ـ ان تخلف المسرح العربي يعود بصورة رئيسية الى أن أغلبية العاملين فيه يفتقرون الى الثقافة الفنية والاعداد الفني منذ أن بدأ المسرح العربي (بمارون النقاش) الذي كان تاجرا ، أتاحت له احدى رحلاته أن يشهد المسرح الغربي فقدم هذا الفن الى العربية . وما زال اقتحام المسرح دون أدوات فنية قائما حتى اليوم ، فمسرح (زياد رحباني) في لبنان ، مثلا وهو مسرح الشخص الواحد ، لأن زياد رحباني مؤلف النص المسرحي وواضع موسيقا العرض وكاتب كلمات الأغاني وملحنها ، بالاضافة الى اخراجه مسرحياته وتمثيله فيها . ومع ذلك كله فهو لا يمتلك ثقافة فنية لأنه كما يقول عن نفسه : « مشاهداتي المسرحية ليست كثيرة ، وخاصة خارج لبنان ، ثم ان قراءاتي المسرحية قليلة جدا ، هل تصدق أني لم أقرأ لشكسبير أكثر من مسرحيتين ؟ لا أذكر منهما شيئا الآن . أنا فعلا لا أقرأ المسرح » كذلك هو لم يدرس الاخراج ولكنه يوجه العرض بأجمعه ويوجه ممثلين لم يمارسوا التمثيل من قبل . أين هذا من ستانسلافسكي واعداد الممثل ، وبرشت ونظريته ومسرحه وجروتوفسكي ومختبره ؟

الاعداد الفني ـ عن طريق معاهد أكاديمية فنية ، وحلقات عمل داخل الفرق ، وبعثات فنية الى الخارج ، واستقدام خبراء متخصصين ، وزيارة الفرق الأجنبية ـ كفيل بالنهوض بالمسرح العربي : اعداد الممثلين ، اعداد العاملين الآخرين في المسرح ، اعداد كتاب المسرح ونقاده ، فللكتابة المسرحية والنقد المسرحي أصولها وأدواتها . فقد يستغرق ذلك زمنا ولكن النوعية مقدمة على الكمية ، ولأن يشهد الجمهور مسرحية جيدة في السنة خير من أن يشهد عشر مسرحيات رديئة تهبط بذوقه .

اعداد العاملين في المسرح اعدادا فنيا صحيحا هو الوسيلة الى تحقيق عروض تحرص على القيم الفنية الجمالية ، وتقدم للجمهور المضامين التي تعنيه ، والأمتاع الذي ينشده ، ومثل هذا المسرح الفني الملتزم سيوجد ثنائية المعادلة في عملية تواصل اجتماعي بين المسرح والجمهور تغني التجربة الانسانية وتضيف اليها . □□

القصر .. بناء عربي اسلامي

قصة القصر

بقلم : الدكتور شاكر مصطفى

أتريد أن أقص عليك قصة هذا القصر ؟

كان البحر مدى أزرق موصولا بالسماء البعيدة ، مد العيون ، والأشجار الملتفة ترقص أو تنوح من حولنا ، وقبة بيضاء تبرز ضمن الخضرة تحسبها النقاء كله ، وشيء من أغوار الماء يهبط شيئا فشيئا ليسمح بانطلاق الأوهام . . .

قال : حين هبط هذه الأرض سنة ١٩٢٥ كان اسمه سيباستيان . لا تسلني عن باقي الاسم فاني أجهله ، ويجهله الآخرون الذين عملوا معه ، وبعضهم لا يزال في القصر . « العروسي » الذي قدم لنا الشاي واحد منهم . هو نفسه كان يريد على ما يظهر أن ينسى اسمه . أن يتركه في الماضي الذي ودعه . يقولون انه سليل ملوك رومانيا المطرودين . ويقولون انه الابن غير الشرعي لبعض الأمراء ، أو إنه ابن غجرية من أحد الموسرين طافت به في انحاء اوروباء ترقص ، تغني ، تبكي . تنسحق على الأوتار والصدور . . . وهو معها . ماذا يهم ؟ دع الأسطورة تأخذ طريقها كيفما شاءت وشاء الخيال . فلا فرق في النهاية الأخيرة بينها وبين الواقع ! الهام أن الفتى عاش التجارب كلها . لا تسلني كيف عاشها فأنا نفسي لست أدرى شيئا آخر سوى أنه كان من تلك الأرواح الهائمة الملعونة . كان فنانا . وكان الرسم والموسيقا ولهفة الحياة في دمه . وكان صاحب أحلام كهذه

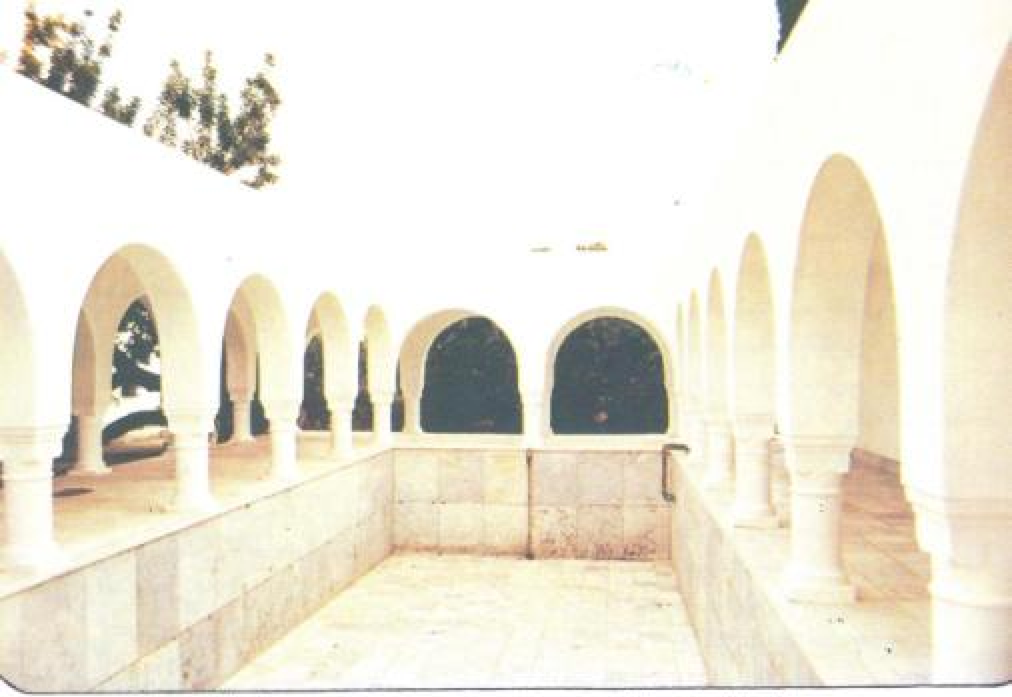

مسبح .. لاحظ المنحنيات والاقواس التي تطل على المدى الرحب « تصوير : سليمان حيدر »

مطرزات شعبية داخل القصر

الأدغال الوحشية الكثيفة حولنا ، وكانت الأقمار تتكسر ما بين جبهته وصدره . .

واختفت الأم فجأة . قل ماتت . والفتى في مطلع الصبا . قالوا:كان في الثامنة عشرة . كل أبعاد الهوى في عينيه ، وكل عنف المغامرة عند أقدامه . وتبنته - كذا قالوا - سيدة انكليزية داخ معها وداخت معه . طاف الدنيا . عرف كل المرافىء وحط به المقام أخيرا هنا ، عند هذا الشاطىء !

قد يكون الدفء هو الذى حط به . وقد يكون الملك . وقد يكون الهرب . من يدرى؟ لقد وصل هذا الخليج الأبدى الصمت ولم تكن عليه سوى تلك القلعة البعيدة التي ترى في أقصى الأفق . أهل هذا البلد كلهم يومذاك يتكومون فيها . عشا من النمل الدائب ، الخائف . واختار الرجل وسيدته أقصى الأرض . اختار الغابة كما ترى . رقعة أرضها لا تعرف الشمس الا مخالسة « ودنانير تفر من البنان »! .

وأتى سيباستيان بالبنائين من البلد القديم الى المكان الذى اختار . أمين كانوا . لكنه استطاع أن يوصل اليهم تصوراته ، واستطاعوا بدورهم أن ينفذوا ماتصور،من هذا وذاك كان هذا القصر ، التحفة الرائعة في بساطتها المطلقة وجمالها الأخاذ في وقت معا . العمود ما بين قاعدته وتاجه أقل من المتر ولكن أى رشاقة معجزة في مجموعة الأعمدة والأقواس التى تحيط بالمسبح ؟ وأى جمال في هذه السقوف المعقودة عقدا في الغرف . وهذه الصالة الممدودة بارتفاعها والتقاء الخطوط في سقوفها . وهذا التوازن الكامل في خطوط النظر بكل اتجاه !

أشرف سيباستيان على كل شيء : على ممرات الحدائق الغابية وعلى غرف الخدم ، وعلى وضع المغسلة في الركن وتسمير الأبواب ، وزرع الدوالي والسروات ذات الظلال . قالوا ان بعض أركان القصر أعيد بناؤها خمس عشرة مرة لكي تأتي مطابقة لمزاج سيباستيان الفنان ، المهووس !

وفتح القصر لفنانى العالم .جعله منتدى لكل مبدع ينزل فيه متى شاء وكما يشاء . وهكذا التقى فيه أروع ما عرف نصف القرن الماضى من كلمة ولحن ولون . آندره جيد . برنانوس . كوكتو . آراغون . مالرو . سترافنسكي . ماتيس ، ليسوا الا بعض القائمة الطويلة التي تمتعت بنكهة القصر الوحشي بحرا وشمسا وظلالا ودفق نبيذ . الراكضون الى لذع الشمس ، والى مذاق الألق الأبيض والى حرارة الأبعاد كانوا يلقون فيه متعتهم الكبرى بين البحر والرمل والأشجار المجنونة وأسراب الطير الخامل . ويقال ان العوالم الزرقاء لم تكن غريبة على القصر ، وأن ألوان الدخان والخدر كانت بدورها تركض بين الغرف وتحمل معها الضيوف المترفين وتخرج بهم من العالم . . .

وأثناء الحرب العالمية الثانية نزل في القصر رومل ، ثعلب الصحراء الرمادي ؛ ، ونزل تشرشل فوقع على طاولة الرخام السوداء احدى وثائق الحرب ، ونزل ديغول . . . ثم نزل المارشال تيتو ، من بعد ، وفالدهايم ، وهمرشولد . . . . قائمة النزلاء تملأ الصفحات من سجل القصر . كتب بعضهم :«لم أحلم في حياتي بأن أنزل في أجمل من هذه الجنة !»

قال صاحبي : وذات يوم ، في الغرفة السوداء . . هل رأيت الغرفة السوداء ؟ لا ! يجب أن تراها . الغرفة « الكحلا » شيء آخر . قم بنا . القصر كله لون واحد . القصر أبيض أبيض كله . حتى الممرات في البساتين بيضاء ساطعة ، وحتى الأرض الرخامية النقية . ويهمس النور دوما في القصر ويتسلل في الدهاليز وفي الصالات حتى في الليل . البياض في القصر هو السيد وحده . بلى ! خيوط من السواد قد تكسره هنا وهناك .

منضدة قطعة واحدة من الرخام الأسود تجاه المسبح . خط أسود يطرق الأبواب . بيانو أسود

في صدر الصالة يطلب عازفو الدنيا أن يجلسوا الى مفاتيحه . مسامير سود مع حلقاتها على الأبواب . . . ولا شيء بعد ذلك الا البياض القاسي الذي يذبح الظلال . لكنك تصعد الى الغرفة السوداء على سلم رخامي أشد سوادا من الليل . أرضية سوداء . حمام أسود . مغسلة سوداء . أسرة سوداء . . .

ذات ليلة ، في هذه الغرفة السوداء قتل سيباستيان سيدته الانكليزية . قتلها وجلس يبكي - كذا يقولون - لماذا ؟ لا يعرف أحد تفاصيل المأساة . اللغز يقطع الطريق على الجميع . بعضهم يقول انه قتلها في الخارج ، وعاد ذات يوم بدونها ليواجه الوحدة المطلقة . على أي حال ، ابتلعت الغرفة السوداء الدم الأحمر بسرعة كبعض الوحش ، وضاعت السيدة بين القصر والخارج ولكن سيباستيان بقي يبكي ! يبكي وحدته ! جريمته ! عبث حياته ! لعله كان يبكي طويلا من قبل ، فقد كان له معتكف « رباط » هو تلك القبة المعزولة بين الشجر والبحر ، يأوي اليها أياما للبكاء ، للتأمل أو للرسم . لكن لوحاته كلها ضاعت ، كما ضاعت المكتبة الواسعة ، وألوان الأثاث ، ومتكآت السندس . اختفت كلها فلا يدري أحد أين استقرت . لكن البكاء رافق سيباستيان بعد ذلك أبدا .

يوم استقلت البلاد سنة ١٩٥٦ ضاق الأفق عليه أكثر فأكثر . شعر بالاختناق . هل أحس أن الأرض ترفضه ؟ هل أيقن أنه غريب أو من عالم ثان ؟ هل ثقلت عليه الجريمة ؟ هل افتقر ؟ ليس يهم أحدا ذلك . المهم أنه عرض القصر للبيع !

وكان لرئيس الدولة مستشار عربي يعرف القصر وقصة رواده الكبار وما أنتجوا فيه من الأدب والفن وما له من ذيل مجرور في كل ناد . فاقترح على رئيس الدولة أن يشتري القصر ليبقى - كما كان من قبل دوما - مثابة الشعراء والكتاب والفنانين العالميين .

وكذلك كان ، وبمبلغ تافه لا يزيد على مائتي ألف دولار !

ويبدو أن سيباستيان ، بعد البيع ، افترسه الندم ، ندم ندامة الكسعي لما . . . ولكن لا عودة ! ويذكرون أنه ذهب فسكن في البلدة - القلعة - على الطرف الآخر من الخليج الساحر يرقب قصره من بعيد صباح مساء . . . ويبكي !

بعد سنتين وقف أمام باب القصر يرجو أن يسمحوا له بالقاء نظرة أخيرة عليه فقد أزمع الهجرة . ودار في ممراته واحدا واحدا ، وفي غرفه والصالات ، حتى الغرفة السوداء ! . كان له تحت كل حجر ذكرى . الذين رافقوه يومذاك يقولون انه لم تدمع عيناه ولكن قلبه كان يبكي بدموع حجرية ، بدموع في الأعماق !

وغاب سيباستيان بعد ذلك . هاجر الى حيث لا يعرف أحد . ضاع في الدنيا الواسعة نكرة من النكرات .

وذات يوم ، هبطت على الدولة رسالة تذكر أن الرجل توفي وأنه أوصى أن يحرق ويدفن رماده في القصر . ورفض مدير القصر الرفات ، لا يريد تحويل القصر الى مدفن . البساتين واسعة جدا حوله . اتسعت فيما بعد لمسرح ضخم لم يأخذ سوى حيز صغير من بعض الأركان ، واتسعت لأبنية عديدة من قاعات الاجتماع والسينما واللقاء لم تأبه لها الأدغال التي تحتل الصعيد كله .

وأصر مدير القصر على موقفه ، ولم يجد منفذو الوصية أمامهم سوى البحر . . . ونثر رماد سيباستيان في مياه الخليج قبالة القصر !

* * *

القصة كلها حقيقة متصلة رويتها كما رويت .

أما البلاد فهي تونس .

وأما البلد فهي الحمامات وخليجها الساحر

وأما القصر فهو المركز الثقافي الدولي ،

القصر المفتوح الأبواب اليوم لكل مبدع ؛

تماما كما كان أيام سيباستيان ، الأمير أو الغجري . □□

المدينة الترفيهية فى الكويت

مدينة تصنع السعادة

وتختبئ فيها البسمات

استطلاع : محمود عبد الوهاب   تصوير : طالب الحسينى

«عندما يكون علينا أن نختار بين أمرين أحدهما يتعلق بالطفولة والتربية ، فلا مجال للتردد ، لأن علينا أن نختار الطفولة لأننا بذلك ننحاز الى المستقبل» .

* صدق أو لاتصدق . . .

هذه مدينة فوق أرض عربية لا تحتاج الى تأشيرة دخول ، ولا تخضع لاجراءات التفتيش والحجز عند أبوابها ، ولا تعانى مثل كل مدننا من الاحباط والتلوث ، مدينة لا تشعر فيها بالضياع والقلق والتوتر والخوف .

لأن مهمتها ببساطة أن تصنع الابتسامة .. وتمنحك الغبطة والفرح . ففى وسط الصحراء وعلى مسافة حوالى ٢٥ كيلومترا من مركز مدينة الكويت ، وفى منطقة « الدوحة »افتتحت فى مارس الماضى مدينة الكويت الترفيهية . وقد كان مجرد اعلان افتتاح المدينة كأنه حدث ساخن فى ايقاع الحياة اليومية لسكان الكويت ومنطقة الخليج . فتوالت أحاديث الناس ، وتعليقات الصحف وتتابع زوار من بلدان الخليج ، يقطعون المسافة بسياراتهم للزيارة والمشاهدة ثم التعليق ، حتى خيال الذين لم يروها .. شارك بالحلم والتوقع .

وهذه رحلة داخل عالم المدينة الترفيهية حيث تختبىء البسمات .

رئة المدينة

فى علم « تخطيط المدن » استقر تماما ذلك التعبير المشهور الذى يتداوله الناس « رئة المدينة » ويقصد به أن تخصص فى المدن أماكن

جدية لتنفيذ المشروع وظهوره الى حيز الوجود ، فتم التعاقد مع احدى شركات الألعاب الامريكية والمتخصصة في هذا المجال ، لاعداد دراسة كاملة للمشروع ، وبدأ سير العمل بطيئا حينا ومتعثرا حينا آخر ، وبدأت سلسلة من المواعيد لافتتاح المدينة من ١٩٨٢ الى اوائل ١٩٨٣ ، حتى افتتحت رسميا للجمهور يوم ١٢ مارس (آذار) الماضي ، وبلغت تكلفتها ١٠٠ مليون دولار .

وقد أنشئت المدينة على مساحة مليون متر مربع ، وصممت العابها بحيث تستوعب ١٢ ألف زائر كطاقة قصوى ، ولكن ما حدث منذ يوم افتتاحها ان عدد الزوار فاق كثيرا هذا الرقم ، ففي خلال شهر واحد زارها ربع مليون زائر .

بين مدينتين

لا احد منا لم يسمع عن « ديزني لاند » مدينة والت ديزني العجيبة ، وعن صاحبها والت ديزني الذي تنتسب اليه الرسوم المتحركة وافلام الكارتون .

وقد عرف العالم المدن الترفيهية من أوائل الخمسينيات عندما ترك والت ديزني (١٩٠١ - ١٩٦٦) عالم الرسوم المتحركة ، التي كان يقدمها في افلام سينمائية واتجه الى نوع آخر من النشاط الفنى ، فأسس فى فلوريدا وكاليفورنيا مدينتيه السحريتين اللتين بهر العالم بهما ، وبدأت مدنه تتكاثر في انحاء العالم ، وتناثر فوق خريطته عدد من المدن المشابهة ، بعضها يتبع شركة ديزني ، والبعض الآخر يتبع شركات أخرى دخلت ميدان المنافسة للشركة الام ، سواء في مجال افلام الكارتون أو في المدن الترفيهية .

وأصبحت « ديزني لاند » واحدة من معالم الولايات المتحدة الامريكية ، التي يحرص زائروها بالاضافة الى المقيمين فيها على زيارتها ،

سيارة من سيارات الفضاء وابتسامة طفلين

للهو والترفيه البريء ، بالاضافة الى مساحات الخضرة ، لتكون كأنها متنفس لسكان هذه المدينة ، بل يذهب الأمر فى بعض البلدان المتقدمة الى تحديد نسب محددة من مساحة المجمعات السكنية ، تخصص كملاعب صغيرة لأطفال المجمع ، ففى الولايات المتحدة مثلا تنص قوانين بعض ولاياتها على تحديد ثلاثين بالمائة من مساحة اي مجمع سكني لهذا الغرض .

وفي ضوء هذا المفهوم وضع اول تخطيط لمشروع المدينة الترفيهية في الكويت في عام ١٩٧٢ بين شركة المشروعات السياحية التابعة للحكومة ، وادارة المشروعات الكبرى في وزارة الاشغال الكويتية ، ولأسباب كثيرة طال زمن التخطيط على الورق ، فاستغرق الفترة من عام ١٩٧٢ حتى ١٩٧٧ ، حيث تم البدء في اتخاذ خطوات

واستثمرت شركات الدعاية والاعلان المدينتين فقدمتها الى العالم من خلال الافلام السينمائية والبطاقات الملونة ، بالاضافة الى عديد من الموضوعات المصورة في الصحف والمجلات .

وغزت « ديزني لاند » بذلك خيال واحلام مئات الملايين ـ أغنياء وفقراء ـ وصارت بالنسبة للاطفال ذلك المكان الرائع الذي يلعبون فيه ، ويلهون دون أي حساب .

وبرغم التنافس الذي اشتعل بين الشركات التي دخلت مجال المدن الترفيهية ، فإن مظاهر هذا التنافس ظلت مقصورة على نطاق ضيق يتمثل في شكل التنفيذ ، وليس في فكرة ألعاب المدن . لأن الفكرة في المدن الترفيهية كما عبر عنها والت ديزني تتلخص في « اننا لا نقدم حاضرا ، لأن الناس تعيش الحاضر وتذكره ، ولكننا نقدم الماضي لنزكي الحنين اليه في نفوس من عاشوه ، ونثير استغراب من لم يعايشوه ، ونقدم مستقبلا كي يشتعل خيال الناس وتمتلىء نفوسهم بالامل » .

وفي اطار هذه الفكرة جاءت مدينة الكويت الترفيهية ، فتم تقسيم المدينة الى ثلاثة أقسام رئيسية فهيا بنا ـ عزيزي القاريء ـ تتجول فيها معا :

العالم العربي :

هذا القسم كما تلاحظ تم تصميمه وفق الطراز العربي في العمارة ، فأحيط ببوابات تشبه بوابات سور الكويت القديم ، والمطعم مصمم على الطراز الشرقي ، وتتوسطه بحيرة صناعية مصغرة ، فيها نموذج « للبوم » (سفينة الصيد الكويتية القديمة) وحول البحيرة مجموعة محلات تجارية بنيت كأنها محلات قديمة .

هل هذه فقط هي اللمسة العربية ؟ لا ياعزيزي القاريء ، فألعاب هذا القسم تتسم ايضا بالصبغة العربية ، فعلى يسار المدخل توجد

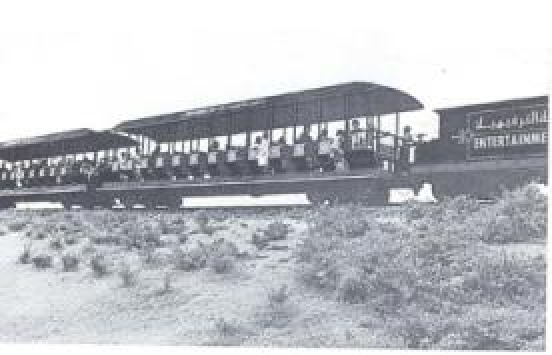

عربات القطار تطوف أرجاء المدينة والى أسفل الكل يشارك في الرماية

لعبة الاحصنة الدوارة ، وهي مجموعة من الخيول المصنعة من مادة (الفيبر جلاس) ومثبتة على دائرة ، وتدور حولها ومزودة بعصا معدنية مثبتة عند الرأس ، تتحرك الى أعلى واسفل ، فتبدو الصورة من بعيد كأن الخيول تقطع المسافة عدواً . اللعبة الثانية هي رحلة السندباد البحري ، وهي رحلة يقوم فيها راكبها برحلة مشابهة لرحلة السندباد البحري ، وعلى مدى سير الرحلة يتطلع الراكب الى المعالم التي شاهدها السندباد ، ووصفها في الكتاب الذي ألفه عن رحلته .

ثم تأتي لعبة مراجيح الهواء السريعة (الرولك كوستر) وهي مراجيح ترتفع الى مدى ٢٥ متراً

واكثر الالعاب اثارة ، وتشهد اقبالا ضخما عليها من الاطفال والكبار ، لعبة (القطار

مراجيح الهواء السريعة وأسفل الصفحة مفجر الذرة وأمام عالم المستقبل وقفتا تترقبان .

مسلة الفضاء .. في
مراحل صعود مختلفة .

قطار الغرب الأمريكي ، أو
أول قطار في الكويت

مدينة الكويت الترفيهية
KUWAIT ENTERTAINMENT CITY

العربي)، ومحطته ايضا بنيت على طريقة القباب وزينت بالنقوش العربية ، ويسير القطار فوق أول خط حديدي في الكويت ، ويطوف القطار بمعالم المدينة الترفيهية في خط دائري .

وامعانا في الخصوصية العربية تقدم لعبة الجمال الحية ، وهي جمال مجهزة بهودج يركبها الزائر في جولة لمدة خمس دقائق ، تنتهي به عند حديقة الحيوان المحلية ، وروعي في حديقة الحيوان ان تقدم للزائر وخاصة الأطفال حيوانات البيئة الأليفة ، صغيرة السن مثل الخراف والغزلان والغنم ويسمح للاطفال بتقديم الغذاء لها .

* عالم المستقبل :

هذا القسم ، عالم خاص بذاته ، تعال بنا نعبر الباب الى داخل القبة . . فهنا سوف تنقطع صلتنا بالعالم الذي أتينا منه ، وهنا كل ما في تقدم العصر من ثورة تكنولوجية ، والعاب القسم كلها اليكترونية ، سواء سيارات الفضاء التي تسير على قضيب واحد او رحلة الصاروخ الفضائي ، او مدار القمر ، او مفجر الذرة .

واستخدم في تصميم الالعاب كل ما في التقدم العلمي من عجائب، سواء في التصميم او الديكور ، او المؤثرات الصوتية ، وخارج القسم توجد اللعبة الأخيرة في هذا العالم وهي سلة الفضاء ، وهي عبارة عن مصعد دائري يرتفع الى مسافة ٢٠٠ متر ، يتيح للزائر ان يرى بانوراما كاملة للمدينة والكويت من خلال دوران المصعد حول نفسه دورة كاملة اثناء الصعود ، واخرى اثناء الهبوط .

* العالم الدولي :

وفي هذا القسم يتجمع كل ما في العالم من معالم عجائب وخيال، فتبدأ العابه باكثر الالعاب اثارة ، وهي لعبة الجندول الاسترالي ، وهي عبارة عن جذع شجرة مجوف من الداخل ، يركب فيها الزائر ، ويتحرك به الجندول في جداول مياه صناعية تدور بطريقة السلم الكهربائي ، ويتخذ مسار الجندول اتجاها دائريا متعرجا ويقطع مسافة ٢٥٠ مترا في حركة صاعدة هابطة بشكل فجائي وحاد ، مما يضفي على اللعبة طعم الاثارة ، ويخرج الزائر منها ليجد نفسه في شارع الغرب الامريكي ، حيث صمم الشارع كله على طريقة افلام الغرب الامريكية ، فالبيوت الخشبية ذات الاسقف ، ومحلات بيع الاسلحة ، وبيت (الشريف) ، وطبيب الاسنان ، وساحة الرماية ، وعربات النقل ذات الخيول . . . اي صورة كاملة للغرب كما صورتها افلام السينما الامريكية ، وتخرج من الشارع الى محطة القطار الامريكي ، الذي يتخذ مسارا يطوف بك فيه حول المدينة .

وعندما تنتهي من رحلة القطار تجد نفسك أمام رحلة السيارات الاوروبية . . وهي مجموعة سيارات صغيرة من طراز سيارات عامي ٢٨ و٣٠ ، وتطوف بك هذه السيارات في رحلة تستعرض فيها اهم معالم اوروبا ، من برج ايفل الى برج بيزا المائل ، الى الطاحونة الهولندية ثم ساعة بيج بن ، فمسجد السلطان احمد بتركيا ، ومعبد الاكروبولوس في أثينا ، واخيرا شاليه في جبال الالب .

وآخر العاب العالم الدولي رحلة بالقوارب الافريقية المصنوعة من القش داخل القارة السوداء ، حيث الاكواخ والطبيعة القاسية ونماذج لحيوانات القارة بالاحجام الطبيعية مصنعة من (الفيبرجلاس) وتصدر اصواتا لدى مرورك بها .

وبالاضافة الى هذه الاقسام فان المدينة تحتوي على حدائق اقليمية للراحة ، وثلاثة مطاعم لخدمة الزوار ، بالاضافة الى بقية الخدمات المألوفة من هاتف ومرافق وموقف سيارات يتسع لـ ٣ آلاف سيارة ومركز اسعاف ونقطة بوليس .

وجهتا نظر

منذ افتتاح المدينة وحتى الآن ووجهات النظر تطرح حولها ، فالبعض يقول ان ترتيب الاولويات لا يضع انشاء مدينة ترفيهية قبل بعض المشروعات العامة ، مثل الاسكان او اي من المشروعات العامة الاخرى . والبعض الآخر يرى ان ترشيد الانفاق ـ خاصة بعد تراجع عائدات النفط نتيجة لانخفاض اسعار البترول عالميا ـ كان يستوجب توجيه هذا الرقم الذي انفق على المدينة ، وما ينفق عليها من باب المصروفات الجارية ، من رواتب ونفقات وتشغيل ، الى وجهة اخرى .

ووجهة نظر اخرى ترد على هذا فتقول ان الاولويات ليست مرتبة ترتيبا عموديا ، ولكنها مصفوفة متوازية ، بمعنى ان اي دولة لديها مشكلة اسكان مثلا ومشكلة مواصلات ، فانها لا تعطي كل الجهد لحل المشكلة الأولى ثم الانتقال الى الثانية ، لأن الزمن الذي سوف يستغرقه الانصراف الى حل مشكلة واحدة سوف تتفاقم فيه الثانية ، بالاضافة الى ان مناحي الحياة ونشاطاتها الانسانية المختلفة تمثل كلا لايتجزأ .

وفيما يتعلق بقضية الترويح واهميتها فان وجهة النظر التي تتولى الدفاع ترى ان الترفيه والترويح قضية اجتماعية ، يجب ان تولى القدر المناسب من الاهتمام ، لأن شعبا لا يعرف اللهو والترفيه هو في النهاية شعب غير قادر على اداء انتاج افضل . وفوق هذا فان القضية هي استثمار للعنصر البشري ، وبرغم وجهتي النظر

تتطلع بانبهار كيف تسير السيارة والى أسفل تحتضن العمود خوفاً .

هاتين فان المحك العملي كان الاقبال الشديد على المدينة ، وفي الوقت الذي كانت كل من وجهتي النظر تجد انصارا من هذا الفريق او ذاك ، كان رواد المدينة يتنافسون في ايهم يلحق مكانا في اللعبة .. وتساوي في ذلك الجميع .. اطفالا ورجالا ونساء .. وهذا وحده كان الرد .. وهذا ما يحتاج الى التفسير والفهم .

محاولة للتفسير

امام د . قاسم الصراف مدرس علم النفس التربوي بجامعة الكويت ـ القيت اوراقي وطلبت تفسيرا وتحليلا ، يقول د . الصراف :

الى اليمين عربة الأحصنة وأسفل
الجندول الاسترالي حيث المغامرة
والخطر والى اليسار يشارك
الكبار الأطفال في ركوب العربات .

الكل في الهواء

مدينة الكويت الترفيهية
KUWAIT ENTERTAINMENT CITY

« العملية التربوية في البلاد العربية للاسف عملية مبتورة ، لأنها تنصب فقط على الجانب المعرفي ، وتتجاهل الجانب السلوكي والوجداني والانفعالي ، وهي بذلك تتجاهل ان كل مرحلة عمرية لها خصائصها ، واللعب أوالترويح هو احدى خصائص مرحلة من اهم مراحل النمو ، وتجاهلها يؤدي الى ان تصطدم في النهاية بانسان فاقد لعناصر كثيرة من عناصر النضج .

وفي الحقيقة . . . هناك حلقة مفقودة في الثقافة العربية ، واعني الثقافة هنا بمدلولها في علم الاجتماع ، من حيث كونها تراثا من العادات والتقاليد ونسق قيم ونمط تربية ، فالتاريخ يحكي لنا ان العرب عرفوا اللعب والترويح قديما ، وهناك العاب مازالت تعود بجذورها الى التراث العربي ، ولم يكن موقف المجتمع ومؤسساته من اللعب موقفا معارضا ، ولعل خير دليل على ذلك القول المأثور ، والذى معنى نصه « روحوا عن انفسكم فان النفوس اذا كلت عميت » ثم فجأة نجد المجتمع الآن يقف موقفا متزمتا من قضية الترويح واللهو ، وهناك أسباب عديدة تكمن فى داخل المجتمعات وراء هذا الموقف ، ولعل أبرز الأسباب تدور حول البعد الاقتصادى وعدم الوعى ، ففى البادية يصبح الطفل بعد أن يصل الى سن التاسعة رجلا مسئولا ، ويعامل معاملة الرجال ، وفى بعض المجتمعات العربية الزراعية يصبح الطفل فى مثل هذا السن أيضا أحد عناصر الانتاج فى الأسرة ، وصحيح أن المجتمع فى البادية وفى بعض المجتمعات الزراعية المحدودة . . مجتمع بسيط والتعامل داخله لا يحتاج الى التكامل المعرفى ، الا أن الأمر يختلف تماما داخل المجتمعات المتحضرة ، حيث المجتمع أكثر تعقيدا ، ويحتاج الى خبرة معرفية متكاملة ، ولذا فاننا نستطيع أن ندرك هذا الفرق وهذه الفجوة عندما يندفع انسان البادية أو الريف الى المدينة أو المجتمع المتحضر ، وبرغم هذا فاننا أيضا نهمل قضية الترويح واللهو فى المدينة ، وبذلك فاننا نقول ان هناك أيضا حلقة تربوية مفقودة ، لأن الطفل لا بد أن يمر بكل مراحل نموه وتطوره ويعيشها ويشبعها ، وفوق هذا فان الترويح هو إحدى أدوات التوجيه والتربية والتثقيف بالنسبة للطفل فهو بذلك مكمل للعملية التربوية .

ومن هنا فاننى أرى أن واقع الطفولة فى البلدان العربية واقع متخلف ، ولا بد من صدور قوانين لحماية الطفولة وتنظيم ضمانها لحقوقها ، ولو شاءت الصدفة ووضعت طفلين أحدهما عربى والآخر من احدى الدول التى تهتم بالطفولة وراقبتهما فى موقفهما أمام الالعاب المختلفة وطريقة التعامل مع اللعبة ، لأدركت الفجوة الحضارية الهائلة ، وأركز انها فجوة حضارية لأن شعبا لا يعرف كيف يلعب ويلهو هو شعب غير قادر على الانتاج .

مزيد من الايضاح

فى دراسة منشورة للدكتورة فيولا البيلاوى عن الأطفال واللعب تفصيل أكثر عن أهمية اللعب والترويح بالنسبة للاطفال ، تقول د . فيولا « الطفل لا ينمو من تلقاء نفسه وهو يتشكل ويتغير ويرتقى كشخصية سوية بقدر ما توفر له فى الوسط الانسانى الاجتماعى الذى يعيش فيه من عوامل التربية ومقوماتها . وتخلص الدكتورة فى دراستها الى أن أبرز المقومات التربوية فى سنوات الطفولة خاصة اللعب كنشاط يميز لحياة الاطفال ، ونحن لا نعطى هذه المقومات وخاصة اللعب ـ القدر الذى تستحقه فى تربية الطفل ، فالدراسات والبحوث الكثيرة والمتنوعة تؤكد على أن اللعب هو مدخل وظيفى لفهم الطفولة ، ووسيط تربوى فعال لتشكيل شخصية الفرد فى سنوات الطفولة » .

وترصد الباحثة فى بحثها ظاهرة تربوية هامة تقول عنها « اللعب كلمة كثيرا ما نستخدمها فى حياتنا اليومية الى درجة يكاد معها هذا المدلول أن يفقد معناه الحقيقى ، فاللعب قد نربطه بأى نشاط يمارسه الفرد ، لكى يبعث فى نفسه الهدوء والارتياح ، ووفقا لذلك فقد نفهم اللعب على أنه نشاط هدفه اللهو واستهلاك الوقت والجهد ، بدون أن تكون هناك قوى أو دوافع خارجية توجهه . بل ان اطفالنا كثيرا ما يفرقون بين العمل واللعب على أساس الشروط الخارجية التى يفرضها المجتمع ، فالعمل بالنسبة للطفل هو العمل المدرسى أساسا ، بينما يعنى اللعب أى نشاط آخر يبعث على اللهو ، وغالبا ما يفهم الأطفال وتشجعهم نحن الكبار بأن العمل نشاط مفيد ، بينما اللعب لهو لا فائدة منه » وتعلق د . فيولا البيلاوى حول هذه الظاهرة ـ فى لقاء معها بجامعة الكويت حيث تعمل مدرسة لعلم النفس ـ فتقول : هذا المفهوم الذى علقت عليه فى دراستى هذه ما زال للأسف مسيطرا على تركيبة العقل المجتمعى ، فمازلنا نرى أن اللعب لهو لا فائدة منه ، وكثيرون منا يستغربون اذا رأوا أشخاصا كبار السن يلهون ويلعبون ، ويمتلىء تراثنا اللغوى بكثير من الأمثال والتعليقات الساخرة على مثل هذا السلوك ، وفى رأيى أن جذور هذه السخرية تعود الى الفترات التى وقعت فيها بلادنا تحت الحكم الأجنبى ، فقد كانت الألعاب الموجودة وقتئذ كلها ذات صلة بالتربية العسكرية مثل العدو والمصارعة وركوب الخيل والمبارزة وهى نشاطات تهدف الى التربية البدنية ، والاعداد الجسمانى لتحمل القتال ، ولم يكن هذا مطلوبا من شعوبنا فى وقت من الأوقات، فتم قتل هذا الاتجاه داخل مجتمعاتنا ، خاصة وأن نظم التربية وأدوات الثقافة والاعلام والتوجيه كانت وما زالت حتى اليوم مستوردة من بلدان لها مصلحة فى استمرار التخلف ، فتقوم بترويج قيم وسلوكيات مجتمعاتها التى تختلف تماما عن قيم وسلوكيات مجتمعاتنا وثقافاتنا .

منذ ٤٤ عاما وفى مجلة الرسالة كتب الأستاذ عباس محمود العقاد مقالا عن أهمية اللعب بالنسبة للأطفال ، وقال ضمن ما قاله:ان اللعب يشحذ الخيال وينمى القدرة على الابداع ، وشعوب لا تربى أطفالها على هذا ، هى شعوب محكوم عليها بالتخلف ، فليس صدفة أن الأمم المتقدمة فى العلوم والصناعة هى نفس الامم المتفوقة رياضيا ، لأن تقدم الأمم هو تقدم جماعى لمجتمع ، وليس طفرات لأفراد .

وفى كتب التنمية أيا كانت مدارسها هناك اجماع على أن أفضل وأهم قطاعات الاستثمار هو الاستثمار البشرى ، سواء بالتربية أو التثقيف أو الاعداد الجيد ، ليواكب هذا الجيل الذى يتم اعداده متطلبات تنفيذ خطط التنمية والتطور الذى ينشده أى مجتمع .

ودعونا نأمل جميعا أن تتكاثر فوق خريطتنا العربية مدن أو مجرد ساحات خضراء مزودة بالألعاب . . كى نصنع الغبطة لجيل نتمنى أن يكون أسعد حظا منا . ويحقق لنا ما عجزنا نحن عن تحقيقه . . من أمنيات وأحلام . □□

سلامة البشرية

في سلامة البيئة

١

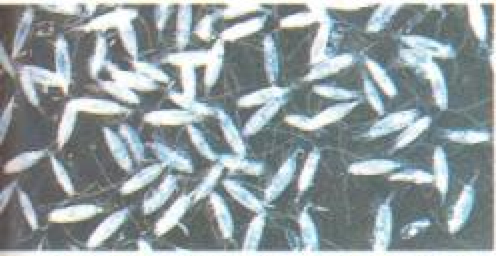

٢

سنة الله في خلقه .. فإما آكل أو مأكول

تلك هي سنة الله في خلقه .. فاما قاتل آكل ، واما مقتول مأكول ... فالأكبر الأقوى يأكل الكبير القوي .. وهذا يأكل بدوره الصغير الضعيف .. ويجد هذا من هو أصغر منه وأضعف ، فيأكله .. وهكذا .. والصور الخمس التي ترافق هذا الكلام انما تروي لنا مأساة من مآسي الحياة هذه ، كما تتمثل في حياة البحر وفي فئة واحدة من مخلوقاته .

فهذه الطحالب (صورة رقم ١) التي تعرف باسم دياتوم **Diatom** والتي لا ترى الا بالمجهر ، كائنات دقيقة بالغة الصغر .. فهي اذن الغذاء الطبيعي لكائنات أخرى صغيرة ، ولكنها أكبر منها وأقوى .... هي البلانكتون .

والبلانكتون هذه (صورة رقم ٢) مخلوقات نباتية أو حيوانية تعيش في البحر عائمة على سطحه ، أو هائمة مع أمواجه وتياراته .. ولعلها هي الحلقة الأساسية في سلسلة الحياة في البحار .. ولعلها الغذاء المفضل لأكثر مخلوقاته ، فالبلانكتون اذن آكل ومأكول في آن معا .

والحيوانات القشرية (صورة رقم ٣) هي من بين الحيوانات التي تقبل على أكل البلانكتون .. ومن طريف ما يذكر عن هذه القشريات التي تشبه الجمبري أنها مضيئة .. فهي مجهزة بسبعة أزواج من أجهزة الضوء ـ أو

٥

٣

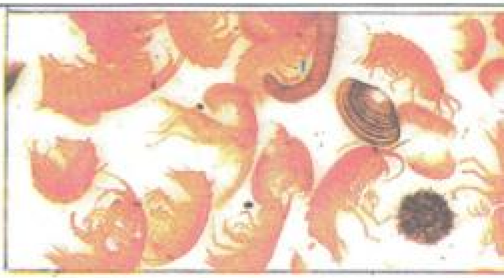

٤

القناديل . . وتجمع بين لونين : البرتقالي من فوقها والأخضر من تحتها . . ولما كانت كبيرة نسبيا - وقد تبلغ من الطول ٦ سنتيمترات - كان من الطبيعي أن تكون من آكلات البلانكتون . . .

وتأتي بعد ذلك صنوف من الكائنات الرخوية ، يسمونها السيدج **squid** (صورة رقم ٤) . . انها حيوانات كبيرة وقد تبلغ ١٥ مترا بالطول ، وتتعملق أحيانا فتبلغ ٥٠ مترا أو تزيد . . ومع ذلك فهي غذاء لحيوان أكبر منها وأقوى . . الحوت .

والحيتان (صورة رقم ٥) هي أكبر حيوانات البحار طرًا ، بل قل أكبر الحيوانات البحرية والبرية التي عرفتها الكرة الأرضية ، على مدى تاريخها الطويل كله . . ولعلك تحسب أنها في مأمن . . وتظن أنها قاتلة آكلة دون أن تكون مقتولة مأكولة . . نظرا لأنها الكبرى . . ولكنك تنسى نفسك في ظنونك هذه . . تنسى الانسان الذي أثبت على مدى التاريخ أنه أقوى مخلوقات الله جميعا . . فهو أقواها بعقله وعلمه لا بحجمه . وهو الذي يقتل الحيتان ويفتك بغيرها إمّا لحاجة أو بدافع الهواية . . وهو الذي يعرّض بعض الأنواع للانقراض كما يعرض توازن الطبيعة والبيئة للاختلال والتلف .

المدخنون . . يتناقصون في بلادهم ويتزايدون في بلادنا .

نشرت كلية الأطباء الملكية (البريطانية) **The Royal College Of Physicians** تقريرها الأخير عن التدخين وأضراره . ويتضمن تقريرها الرابع هذا أعنف حملة تقوم بها الجمعية المذكورة ضد التدخين وضد الحكومة البريطانية ، لتقصيرها في مكافحته . وهو على كل حال أخطر تقاريرها جميعا . .

صدر أول هذه التقارير سنة ١٩٦٢ . . فكان أول ادانة مسؤولة ومدعومة تعرض لها التبغ وتدخينه . . وقد كشف النقاب عن العلاقات الوثيقة بين سرطان الرئة وبين التدخين .

يدخن ويستمتع فيما يدخن ، ولكنه لا يدري أنه يعرض صحته لمخاطر تفوق مخاطر الدخان المتصاعد من المصانع الكيماوية .

وصدر التقرير الثاني سنة ١٩٧١ . . واذا به يؤكد صلة التدخين القوية بأمراض أخرى غير سرطان الرئة . . وخاصة أمراض القلب والحنجرة . .

ثم كان التقرير الثالث وقد نشرته الكلية سنة ١٩٧٧ . . وبينت فيه الأضرار المترتبة على ما يحتويه التبغ من نكوتين وقطران وأول أكسيد الكربون . . وحذرت من مخاطر هذه السموم ودعت الى ضرورة تقيد مصانع السجاير بحد أعلى لتلك المحتويات . . وتحديد تلك المحتويات في منتجاتها وعدم التستر عليها . . وقد ترتب على ذلك تفاوت في أسعار السجاير تبعا لتفاوتها في مقدار ما تحتويه من نكوتين وقطران وأول أكسيد الكربون . . .

دخان المصانع الكيماوية هو أسوأ أنواع الدخان الذي يضر بصحة الانسان . . وقد ثبت أن عددا لايستهان به منها يسبب السرطان . . على أن دخان مصانع المواد البلاستيكية ، وخاصة صنوف PVC ، هو بلاريب أسوأ صنوف الدخان جميعا . . غير أن هذا الدخان ليس أكثر ضررا من السجاير . . فلو كنت من المدخنين المزمنين ، لكنت معرضا لمثل الضرر الذي تلحقه بك المقادير الكبيرة والمركزة من دخان مصانع البلاستيك . . هذا بالرغم من أنك لاتدخن أكثر من ٣ سجائر في اليوم .

وأوصت الكلية في تقريرها الثالث بوقف دعاية التدخين على شاشة التلفزيون ، وبتقديم برامج تثقيف وتوعية تستهدف تنفير الفتيان من التدخين . .

وأصدرت كلية الأطباء تقريرها الرابع والأخير في مطلع شهر نوفمبر الماضي ١٩٨٣ واذا به يقوم بأعنف حملة على التدخين وعلى الحكومة البريطانية كما ذكرنا ، وذلك نظرا لتراخيها في العمل ضد هذه العادة القاتلة . .

فالتدخين يسبب الوفاة المبكرة لحوالي ١٠٠,٠٠٠ نسمة من سكان انجلترا وويلز ، والرقم المذكور لا يمثل سوى الحد الأدنى . . فالتدخين اذن لا يقل خطورة عن الأوبئة والأمراض القاتلة كالكوليرا وشلل الأطفال والسل والسعال الديكي . . فهو اذن جدير بمثل الاجراءات التي التزمت بها الحكومة من أجل الحد من هذه الأمراض والقضاء عليها .

ويبين التقرير أن الوفيات المبكرة تكثر بخاصة بين شباب المدخنين . لا سيما الذكور . . فهي تبلغ ٢٥٠ وفاة بين كل ألف نسمة من مجموع السكان ، علما بأن ستة فقط من هذه الألف يموتون في حوادث الطرق وواحدا فحسب يموت اغتيالا !

أما التوصيات التي يرفعها التقرير المذكور فتشمل فيما تشمل وقف دعاية السجاير بكافة صورها وقفا تاما . . وزيادة الضرائب المفروضة على السجاير وسائر منتجات التبغ . . ويطالب التقرير كذلك بالعمل على مزيد من الحد أو التخفيض لما تحتويه السجاير من النكوتين والقطران وأول أكسيد الكربون . .

وتجدر الاشارة الى أن تقارير كلية الأطباء كان لها أبلغ الأثر في اقلاع الكثيرين عن التدخين . . وقد بلغ عددهم في بريطانيا وويلز ما يعادل ٢٣٪ من مجموع المدخنين في القطرين المذكورين .

هل ترغب في زيارة العاصمة المكسيكية . . . ؟

من المعروف أن مكسيكو ـ سيتي هي عاصمة المكسيك . . . ولكن من غير المعروف أن العاصمة المكسيكية هي في الطليعة بين عواصم العالم جميعا من حيث الكثرة والكثافة السكانية . . اذ يبلغ عدد سكانها ١٦ ـ ١٧

التلوث الجوي يدمر الصخور والرخام بدليل ما احدثه في نقوش هذه المسلة التي نراها قبل التلوث وبعده .

مليون نسمة .. وهم مكدسون في مساحة لا تزيد على ٥٩٠ ميلا مربعا .. والأمرُ من ذلك أنهم سيتضاعفون ضعفين بحلول عام ٢٠٠٠ ليصبح تعدادهم ٣٥ مليون نسمة .. هذا اذا بقيت العاصمة وسكانها على قيد الحياة .. !

ذلك أن مكسيكو سيتي هي الأولى بين مدن العالم تلوثا .. فقد بذّت في هذا الصدد أثينا ومختلف المدن الصناعية الأمريكية الكبيرة التي طالما اشتهرت بتلوث جوها البالغ كمدينة بتسبورغ مثلا ... وحسبك أن مقدار التلوث في مكسيكو سيتي يفوق المقدار الذي تعتبره الهيئات الدولية المختصة الحد الأعلى المقبول ، بل قل يبلغ ٧٥ ـ ١٠٠ ضعف هذا المقدار .. وقد بلغ من تلوث هذه العاصمة ان اختفت جبالها الشاهقة الجميلة بقممها المعممة بالثلوج.اختفت أو ، ان شئت ، احتجبت ، بسبب تراكم الملوثات في جوها وهوائها .. ذلك أن مجمل وزن هذه الملوثات التي تتسرب الى جو مكسيكو سيتي يبلغ (١١٠٠٠) طن يوميا .. ترى أي فراغ يمكن أن تتركه هذه الكميات الهائلة للاوكسجين .. الاوكسجين الذي يتنفسه كل انسان .. والذي لولاه لمات كل انسان .. ؟ !

هل من عجب بعد هذا ان كان المسافرون القادمون الى العاصمة المكسيكية يصاب أكثرهم ان لم نقل كلهم ، بالتهابات حادة ومزمنة في الحلق والقصبات الهوائية ، منذ اللحظة الاولى التي تطأ فيها أقدامهم أرض المطار ... مطار مكسيكو سيتي .. ويؤكد العلماء المختصون ان التلوث الذي يصيب زوار هذه المدينة ويتسرب الى رئاتهم من جراء تنفس الهواء فحسب ... هذا التلوث يعادل التلوث الذي يترتب على تدخين ٤٠ سيجارة في اليوم الواحد .. فهم اذن في غنى عن شراء السجاير .. وشراء تلوثها ... ما دام هذا التلوث متاحا لهم بالمجان ..

وغني عن البيان ان المصانع والسيارات هي مصادر التلوث الأولى في مكسيكو سيتي وقد بلغ تعدادها في المنطقة ١٣٠،٠٠٠ مصنع ، و ٢،٧ مليون سيارة على التوالي . غير أنها ليست مصادر التلوث الوحيدة ... فهناك نفايات المنازل التي تتراكم فيها بمعدل ٨٠٠ طن يوميا ... وهناك الفضلات البشرية التي تتجمع في الضواحي المحيطة بالعاصمة ... حيث لاوجود للمراحيض .. وقد بلغ ما يتجمع من هذه الفضلات حوالي ٧٥٠ طنا في اليوم الواحد ..

أضف الى ذلك كله ـ ومن أجل توازن الصورة فحسب ـ السكر والعربدة .. سكر سائقي التكسي على وجه التحديد .. فحوادث الطرق التي تتسبب بوفيات تبلغ نسبتها ٣ر٩ لكل ١٠ر٠٠٠ سيارة في نيويورك وشيكاجو وسان فرانسيسكو وهي من أكثر مدن العالم ازدحاما بالسيارات .. هذه الحوادث تتضاعف نسبة وفياتها في مكسيكو سيتي أضعافا حتى تبلغ ٥٦ وفاة لكل ١٠ر٠٠٠ سيارة .

بقي أن نذكر أن زوار مكسيكو سيتي قد يصابون بمرض التهاب الكبد (الكباد) .. لمجرد تنفس هواء تلك المدينة .. فلعلها المدينة الوحيدة في العالم الذي ينتقل فيها هذا المرض اللعين بالعدوى عبر الهواء ..

قصة قصيرة مترجمة :

الحلم*

بقلم : فرانك تيلسلي

ترجمة : طارق يوسف أسعد

هل من الممكن أن تحذرنا الأحلام مما قد نواجهه من أخطار ؟ أعتقد أنه من الصعب تصديق هذا القول . ذلك أننا اذا شاهدنا المستقبل في حلم أو عن أي طريق آخر ، فلن يعود للمستقبل وجود حقيقي بالتأكيد . واذا كان هذا صحيحا ، فاننا بهذا نفقد حرية التصرف ، ولن نكون مسئولين عما سيحدث لنا في حياتنا مستقبلا . وكيف إذن سنهتم أو يهتم غيرنا بأفعالنا مادمنا مسوقين للقيام بها ؟

على أية حال قبل أن أسترسل في سرد ما شاهدته في حلمي يجب أن أقوم بتوضيح بعض الأشياء أولا .

وقعت هذه القصة في الصيف منذ أربعة أعوام عندما كنت أقود سيارتي عائدا مع أسرتي من ايطاليا عن طريق جنوب فرنسا . لم يكن ابني قد تعلم القيادة بعد ، كما أن ابنتي أصغر من أن تتعلم القيادة ، وكذا فان زوجتي لا تحسن القيام بذلك ، فكنت أنا الذي أتولى قيادة السيارة معظم الوقت طيلة ثلاثة أسابيع . ربما كنت مجهدا ، أو ربما لم أكن أستطيع التفكير في شيء

الا السيارات ، وكانت المدينة التي قضينا فيها الليلة التي شاهدت فيها هذا الحلم تسمى تين لرميتاج .

والآن سأقص عليك هذا الحلم . كنت جالسا في سيارة ضخمة وقوية . كان لونها أصفر . كنت أقود بسرعة هائلة خلال اختراقي للطريق الزراعي . اقتربت من منحنى خطر بينما كانت تسير أمامي شاحنة ضخمة . مددت قدمي ناحية الفرامل ، ولكني لم أعثر على شيء لألمسه بقدمي . نظرت الى أسفل ، فلم أجد أية فرامل . وأسوأ من ذلك لم أجد بين يدي إلا الهواء . ولا أثر لعجلة القيادة .

لم يكن بمستطاعي بالطبع أن أسيطر على السيارة وهي تتجه بسرعة مخيفة باتجاه مؤخرة الشاحنة . صرخت مرتعدا . ولكن سرعان ما جاءني صوت هادىء من يساري . تلفت فوجدت شخصا غريبا جالسا الى جواري . كان منبسط الأسارير وفي أواسط العمر . كان يرتدي قميصا حريريا وقبعة حمراء . لم أستطع فهم العبارة التي فاه بها . كان يتكلم الفرنسية بطلاقة وسرعة ، ومعرفتي بالفرنسية ضعيفة . وبرغم ذلك لم أهتم بما قاله .فقد كانت عيناي مثبتتين على

يديه الممتلئتين النظيفتين اللتين تمسكان بعجلة القيادة . فقد كانت عجلة القيادة الى اليسار وفوجئت بأنه هو الذي يقود السيارة .

مررنا بأمان في المنحنى ، ثم أدار عجلة القيادة مرة أخرى لكي يعيد السيارة الى وسط الطريق . كان واضحا أنه ينوي تخطي الشاحنة . الطريق ممتد أمامنا لامعا في ضوء الشمس وخاليا من السيارات . لم يكن هناك سوى شخص واحد على جانب الطريق . . كانت امرأة جالسة خارج كوخ مطلي باللون الأبيض .

كان هذا الكوخ أمامنا مباشرة والمرأة جالسة الى مائدة وهي منشغلة بتصفيف بعض الزهور . كانت تريد بيع بعضها فأشارت بالزهور نحونا . لست أدري لم شعرت بالرعب لدى مشاهدتي لها وهي تشير نحونا . وفي هذه اللحظة لاحظت أن الزهور مصفوفة في شكل دائرة ، تماما مثل الزهور التي نضعها على المقابر ، فذكرتني على الفور بالموت .

في هذه الأثناء كنا بمحاذاة الشاحنة ، وفي ثوان كدنا نتخطاها . ولكن في هذه اللحظة انحرفت الشاحنة من جانب الطريق الذي تشغله في اتجاهنا . كان من الواضح أن سائق الشاحنة يفعل ذلك عامدا متعمدا . حاول الشخص الغريب الجالس بجانبي أن ينحرف بسيارتنا مبتعدا عن الشاحنة . ولكن العجلات الخلفية أصدرت صوتا مرتفعا تبعه صوت انفجار مدو . أحسست أن الأرض تنقلب فوقنا وقد طغى صوت لهيب النار في أذني على بقية الأصوات .

استيقظت في تلك اللحظة والعرق يتصبب متدفقا على وجهي ، وقد أزعجني هذا الحلم بشدة لدرجة أني لم أستطع اغماض عيني حتى الصباح . فقد أحسست أن هذا الحلم بمثابة تحذير من شيء ما لا أستطيع تبينه . ولكن حتى لو كانت الأحلام تشير الى المستقبل فان هذا الحلم لا يحمل أي معنى . فأنا لا أدري من أي شيء يحذرني هذا الحلم هل يجب عليّ أن أتجنب

المؤلف :

ولد فرانك تيلسلي FRANK TILSLEY في عام ١٩٠٤ في شمال انجلترا ، ومارس وظائف كثيرة خلال حياته . خدم في سلاح الجو الملكي البريطاني خلال الحرب العالمية الثانية . وهو يعيش الآن في جنوب انجلترا . له أحاديث إذاعية في شتى المواضيع . ظهر كتابه الأول عام ١٩٣٣ . ومنذ ذلك الحين ألف قصصاً كثيرة نذكر منها على سبيل المثال « أكره أن أكون ميتاً » I'd hate to be dead نشرت عام ١٩٣٨ ، و « قصة حب جيلبرت » Love Story of GILBERT نشرت عام ١٩٤٠ ، و « السيدة ذات المعطف الفرائي » The Lady in Fur Coat نشرت عام ١٩٤١ وغيرها .

تخطي أية شاحنة في أثناء قيادتي للسيارة حتى لو كان الطريق خاليا ؟ إن الطريق الى باريس مملوء بالشاحنات دائما ، ومعظمها قادم من مرسيليا . ويتحتم عليّ تخطيها عندما يكون الطريق خاليا والا فسأضطر الى القيادة ببطء خلفها الى ما لا نهاية . لا . . بالتأكيد ليس هذا ما يعنيه الحلم . لابد أن لهذا الحلم جذورا من الخوف في داخلي . وعلي أن أعرف مصدر هذا الخوف . وحينئذ يمكنني أن أنسى هذا الحلم .

استعرضت قيادتي للسيارة طوال الأسابيع الثلاثة الماضية . وحاولت أن أتذكر كل الشاحنات وجميع الأكواخ البيضاء التي صادفتها في طريقي ، وأخذت أستجمع في ذهني جميع السيارات ذات اللون الأصفر . وبرغم ذلك لم أستطع تذكر أي شيء يثير الاهتمام . لقد ظننت أن ذلك الطريق الذي رأيته في الحلم كان في فرنسا ، فقد كان طويلا وخاليا ومستقيما .

بيد أني تذكرت أننا حاولنا في الحلم أن نتخطى الشاحنة من الجانب الأيمن . إذن فالحلم

يتعلق بأحد الطرق بانجلترا وليس بفرنسا وذلك لأن السيارات في انجلترا تسير على الجانب الأيسر من الطريق . وعلى الفور تذكرت شيئا آخر . فمنذ عامين كنت مسافرا في شمال انجلترا مصطحبا معي رجلا أمريكيا كنت أقوم باعداد بعض البرامج الاذاعية معه . وكان قد أحضر معه سيارته من أمريكا . وكانت عجلة القيادة بالطبع موجودة بالجانب الأيسر من السيارة كسائر السيارات الأمريكية . وبالتالي فقد كانت باقي أجهزة القيادة موجودة الى اليسار . ولكن تلك السيارة لم تكن صفراء .

كان ذلك الرجل الأمريكي يقود سيارته بتهور متخطيا جميع السيارات مخالفا بذلك نصائحي له . ذلك أني كنت جالسا الى يمينه في وضع أصلح للقيادة بانجلترا كما أن رؤيتي للطريق كانت أفضل . وبعد أن مررنا بنوتنجهام أخذ صاحبنا يلعب لعبة الدجاجة . وهذه اللعبة الخطيرة انتشرت بشكل واسع النطاق في الولايات المتحدة . وساعد على انتشارها أن الرحلات الطويلة تسبب الملل . ولكي تلعب هذه اللعبة فان عليك أن تجعل سيارتك تسير في منتصف الطريق حال ظهور سيارة أخرى في مواجهتك وهي تسير في منتصف الطريق أيضا متجهة اليك بسرعة فائقة . فالسائق الذي تخونه أعصابه أولا وينحرف تاركا منتصف الطريق للسائق الآخر يسمى الدجاجة . وفي كثير من الأحيان يتمسك السائقان بمنتصف الطريق فيحدث الصدام بينهما وتزهق بسببه الأرواح . قلت لهذا الأمريكي رأيي في هذه اللعبة الخطرة باللهجة العنيفة التي يتصف بها أهل شمال انجلترا . لهذا فانه لم يمارس هذه اللعبة مرة أخرى ، ولكنها كانت قد حفرت أثرها السيء في ذاكرتي . ولذا فقد رأيتها من جديد في الحلم أثناء نومي . وقد تذكرت شيئا آخر ، وهو أننا في صباح اليوم الذي لعبنا فيه لعبة الدجاجة كانت الرياح شديدة أثناء تناولي لطعام الافطار بدرجة غير عادية . وقد توقفنا عند كسترفيلد حيث اشترى الرجل الأمريكي قبعة سوداء (ولم تكن حمراء اللون كما شاهدتها في الحلم ، فالتفاصيل في الأحلام تكون مشوهة في الغالب) .

وبعد ذلك نسيت كل ما يتعلق بهذا الحلم حتى فترة ما بعد الظهيرة . كانت الشاحنات الفرنسية الضخمة تعبث بطريقتها الخاصة . فقد كان سائقوها يسيرون في منتصف الطريق تماما بحيث لا يستطيع أحد تخطيها بسيارته . ولذا يجب عليك السير خلفها بالسرعة التي يفرضونها عليك ، وقد يستمر ذلك أميالا لا نهاية لها رغم أن الطريق قد يكون خاليا .

وفي هذه الأثناء كنت أقود سيارتي متتبعا إحدى الشاحنات التي كانت تصدر أصواتا مزعجة وكأنها مملوءة بالبنادق الكبيرة . وعندما أطلقت نفيري التزم السائق جانب الطريق ، ولكنه كان الجانب الخطأ . فقد التزم الجانب الأيسر بدلا من الجانب الأيمن . وكان هناك مكان يتسع لمروري على الجانب الأيمن . ولكني اذا حاولت المرور فسيكون ذلك مخالفا لقواعد المرور . ولذا لم أغامر وظللت أسير وراءه مسافة ميلين . وطوال هذا الوقت كنت أحاول إقناع نفسي بألا أقدم على محاولة تخطيه . وراجعت الموقف من جميع جوانبه . فأنا لا أستطيع بالتأكيد أن أنحرف بسيارتي بسرعة أكبر مما يستطيع هو بشاحنته . فقد كانت شاحنة ضخمة وثقيلة . فهل استطيع المرور قبل ان يتمكن من فعل أي شيء ؟ إنه اذا انحرف بسيارته ناحية اليمين في أثناء مروري ، فان هذا سيودي بحياتنا جميعا ، وسيكون القانون في صفه فيما فعل لأنه يجب أن يلتزم الجانب الأيمن ، بينما يجب عليّ أن أمر من الجانب الأيسر . ربما يكون كل مبتغاه أن يمزح ، ولكن من الممكن أيضا أنه يرغب في ارتكاب حادثة . فهو اذا قتلنا فلن يعلم أحد الحقيقة ولن يوجه اليه أي لوم . ثم أعود فأقول

لنفسي إنها شاحنة ثقيلة أستطيع تخطيها بسهولة ولن يتسع وقته للانحراف تجاهنا .

كان الطريق أمامي خاليا تماما ، ولا تزال أمامي أميال كثيرة . فعزمت على تخطيها ، فأبطأت من سرعة سيارتي حتى اتسعت المسافة بيننا . وعندئذ زدت من سرعتي بقدر ما أستطيع بإتجاه الفراغ بجوار الشاحنة . كانت سرعة سيارتي حوالي سبعين ميلاً في الساعة ، وتوازت مقدمة سيارتي مع مؤخرة الشاحنة . وفي تلك اللحظة شاهدت ما جعل الدم يجمد في عروقي . شاهدت امرأة جالسة الى مائدة مغطاة بالزهور خارج كوخ أبيض اللون ، وقد ارتكزت تلك المائدة على العشب بجانب الطريق . ولأول مرة في حياتي تراجعت عن قراري عندما كنت أحاول تخطي سيارة أخرى . ضغطت على الفرامل بكل ما أوتيت من قوة واهتزت السيارة ودارت حول نفسها . وسمعت خلفي صوت نفير . كانت سيارة أخرى قادمة بسرعة هائلة ، وقد كنت رأيت تلك السيارة من قبل . كان لونها أصفر ، وكانت قدمي لا تزال على الفرامل . وأدرت عجلة القيادة بشدة بحيث استطعت بصعوبة أن أجعل سيارتي خلف الشاحنة مرة أخرى دون أن أمسها . ومرت السيارة الأخرى بجوارنا وقد أطلق سائقها في أثناء مرورها نفيره بصوت مزعج حتى لحق بالشاحنة وسار في محاذاتها . وعندئذ انحرفت الشاحنة تجاه السيارة . ولأول وهلة ظننت أن السيارة الصفراء ستتمكن من المرور بسلام . فقد كانت تسير بسرعة هائلة . ولكن حدثت المفاجأة .

لمست مقدمة الشاحنة مؤخرة السيارة . كانت صدمة بسيطة ولكنها كانت كافية لتلقي بالسيارة الى جانب الطريق فاتجهت مقدمتها ناحية المرأة الجالسة الى المائدة واندفعت نحوها بسرعة .

ولكن من حسن الحظ كان قائد السيارة بالغ المهارة ، فاستطاع بحذق شديد أن يعيد السيارة بأمان مرة أخرى الى منتصف الطريق . واعتقد أنني لو كنت في مكانه لم أكن لأستطيع أن أفعل ما فعل . فقد كان تحكمه رائعا ، وقد أخذ يشير بغضب الى سائق الشاحنة ، ثم اندفع مسرعا وقد خلّف وراءه ستارا كثيفا من الغبار واختفى عن الأنظار .

قضيت مع أسرتي تلك الليلة في فندق فونتين بلو ، وكانت هناك سيارة كبيرة خارج الفندق ، وقد ظهر على مؤخرتها أثر صدمة حديثة ، وكان لونها أصفر . وعندئذ حاولت معرفة مكان السائق . وعندما وجدته لم يكن مرتديا قبعة حمراء ولا قميصا حريريا . كان شابا يافعا من باريس . ولم يكن يشبه السائق الذي رأيته في الحلم . كان يتحدث الانجليزية بطلاقة مدهشة وسألته اذا كان يريد معرفة رقم الشاحنة التي احتكت به لأني كنت قد دونته ، ولكنه ضحك وقال إن القانون لن يساعدك اذا حاولت أن تتخطى إحدى السيارات من الناحية الخطأ . وقد تناول الموضوع بأكمله كأنه بازاء لعبة . وقال لي أنك بهذه اللعبة تختبر مهارتك . واذا كانت سيارتك قوية بدرجة كافية فانك ستتمكن من النجاة . ولكن لو أنك كنت قد حاولت ذلك بسيارتك هذه فمن المؤكد أن الفشل كان من نصيبك .

لم أخبره عن سبب ترددي . فلم يكن هناك وقت للتحدث . فقد كان على عجل ويرغب في الوصول الى باريس بغير تأخير .

دعنا نفترض أنني لم أتردد . حسن . . . أنا في الواقع لا أومن بالأحلام . ولكن من المؤكد أن هناك شيئا ما قد أنقذنا جميعا من موت محقق !□□

● Modern Short Stories, Ed., G.C. THORNLEY, Long man, Hong Kong,1979

اعداد : يوسف زعبلاوي

مرض السكري .. هو المرض الخبيث

لعل مرض السكري هو أوسع الأمراض انتشاراً .. فالمصابون به موجودون في كل بقاع العالم ويعدّون بالملايين .. وقد بلغت نسبتهم ٢٪ أو تزيد من مجموع السكان في الولايات المتحدة الأمريكية .

ويختلف مرض السكري عن أكثر الأمراض في أنه يصيب الكثيرين خلسة من حيث لايدرون .. فهو غير مصحوب بألم واعراضه غير واضحة وغير مميزة ، وتشاركه فيها أمراض أخرى مختلفة . وغالباً ما يكتشفه المصابون صدفةً ، حتى قدر عدد الذين لا يدرون أنهم مصابون بمرض السكر عدد ضعف الذين يدرون ، أو يزيد . وقد لا يكتشف المصاب أنه يعاني من مرض السكري الا بعد استفحاله وفتكه به .. وقد لا يكتشف أمره الا وهو على فراش الموت ..

فالمرض الخبيث اذن ليس السرطان وانما هو مرض السكري . فالأورام الخبيثة فتاكة ولا ريب.. وغالبا ما لا يرجى منها شفاء .. ولعل هذا هو المقصود بوصفها بالخبيث .. فهي خبيثة

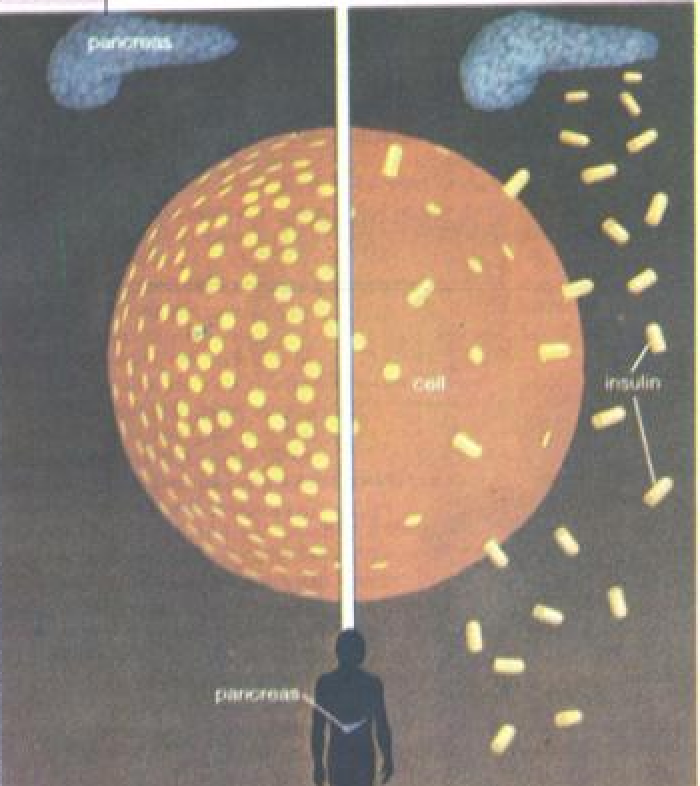

يوضح الرسم الفرق والشبه بين نوعي مرض السكري ، النوع العنيد المستعصي (رقم١) والنوع الوديع المستجيب (رقم٢) . فالدائرة الكبيرة الحمراء تمثل خلايا الدم في كلا النوعين .. أما الدوائر والعصي الصغيرة الصفراء فتمثل المقبّلات الكيماوية (receptors) والانسولين بالتوالي .. لاحظ كثرة المقبلات وانعدام الانسولين في النوع الأول ... ووجود الانسولين وانعدام المقبلات في النوع الثاني .

اذن مجازاً لا بالمعنى الدقيق .. أما اصابة المرء من حيث لا يدري .. والفتك به أيضاً من حيث لا يدري .. والقضاء على حياته كذلك من حيث لا يدري .. فتلك هي دلائل مرض السكري ... المرض الخبيث بالمعنى الدقيق ...

ولكن مرض السكري فتاك أيضاً .. فهو يجمع بين الخبث والفتك ليصبح في طليعة الأمراض غدراً ... فقد يفاجيء المرء بفقدان بصره والعمى الكامل ، وقد يصيبه بالشلل الجزئي او الكلي ... أو يتسبب بتلف بعض أعضائه الحيوية كالكلى مثلاً .. وقد يبطش المرض الخبيث المتسلل بغريزة المرء الجنسية فيحيل حياته الزوجية الى جحيم .. وقد يحكم مرض السكري على المصاب بالغنغرينا اثر عملية جراحية .. ولا يكتشف أحد أن السكري هو العلة الحقيقية في هذه الآفات جيماً ... أو لا يكتشفها الا في نهاية المطاف ، حين لا يجدي طب ولا اسعاف ...

وتدل آخر الاحصاءات والدراسات التي أجراها اتحاد السكري الامريكي (ADA) ان احتمالات اصابة مرضى السكر بالآفات التي ذكرنا تبلغ أضعاف احتمالات اصابة الأسوياء المعافين بها .. فهي تبلغ ٢٥ ضعفا فيا يتصل بتلف شبكية العين وفقدان البصر ، و١٧ ضعفا فيا يختص بأمراض الكلى .. أما الغنغرينا فاحتمالات التعرض لها تبلغ في مرضى السكر (٥) خمسة أمثالها في المعافين .. وقل مثل ذلك في أمراض القلب والسكتة القلبية .. فعدد الذين يصابون بهذه الآفات من مرضى السكر يبلغ ضعفي الذين يصابون من المعافين من هذا المرض .

وتؤكد الدراسات الجديدة أيضا أن المخاطر التي تتعرض لها النساء الحوامل من المصابين بمرض السكري تفوق بكثير كل ما عرف من تقديرات .. ذلك أن ٥٪ منهن يضعن مواليد ميتة .. وأن بعض هذه المواليد يموت قبيل الولادة وبعضها الآخر يموت بعدها بقليل .. هذا الى جانب احتمالات تعرض المرأة الحامل نفسها لغيبوبة مرضى السكري ناهيك بالموت بسببه .. اما احتمالات تلف البصر فهي تبلغ في المرأة الحامل أضعاف ما تبلغه في سواها من مرضى السكري ...

والأغرب من ذلك كله هو أن مرض السكري يجمع بين الأضداد.فهو خبيث وفتاك بقدر ما هو وديع مسالم ... فما عليك الا أن تحلل دمك بين حين وآخر ، لا سيما بعد بلوغ الأربعين ... وما عليك الا الالتزام بالحمية والحركة وتناول الدواء الذي يصفه لك الأطباء ..وعندها يصبح المرض وديعاً طيّعاً بعد أن كان غادرا فتاكاً ... أو كاد ...

لا عجب اذن أن ركز بعض العلماء والأطباء جهودهم على تطوير علاج ناجح لمرضى السكري .. يبشر بالقضاء على هذا المرض الخبيث نهائيا والشفاء منه شفاء تاما .. فمضخة الانسولين لا تفي بهذا الغرض ولا تضمن تجنيب المصابين به شر الامراض التي تترتب عليه .. بخلاف عملية زرع البنكرياس الطبيعي .. وهي التي وجد فيها أولئك العلماء والاطباء ضالتهم المنشودة .

عملية زرع البنكرياس

تحدثنا في عدد سابق (رقم ٣٠١ شهر ديسمبر ٨٣) عن عملية زرع البنكرياس الطبيعي ، وعن الآمال الكبيرة التي يعلقها مرضى السكري على هذه العملية . فهي تبشر بالخلاص والشفاء التام من مرض خبيث فتاك ، طالما ساد الاعتقاد بأنه عضال ...

ولم لا ... ؟ فهي عملية استبدال بنكرياس تالف بآخر سليم .. سوى يمد الجسم

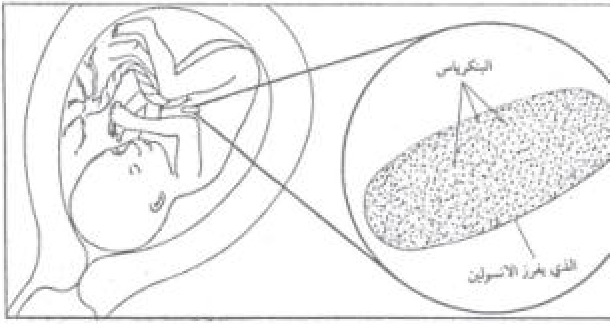

تبين هذه الصورة بنكرياس الجنين الذي حلّ مشكلة رفض الجسم للبنكرياس المزروع

بالهرمون الحيوي ـ الأنسولين ـ وذلك بالمقادير وفي الأوقات وفق حاجة الجسم تماما ، دون زيادة قد تؤدي الى هبوط خطير في مستوى السكر في الدم أو نقصان قد يؤدي الى ارتفاع خطير أيضاً في ذلك المستوى . . . فهو اذن يقضي على مرض السكري ويستأصله من جذوره ، ويحقق الشفاء التام منه . . . ويعود بالمريض الى سابق عهده من الصحة وانتظام عملية الهضم . . . هضم النشويات والسكريات . . . فالبنكرياس المزروع اذن بنكرياس طبيعي . . . ويعمل بصورة طبيعية ١٠٠٪ شأنه في ذلك كشأن الكلى المزروعة . . . فهي طبيعية وتعمل بصورة طبيعية ، كما يعرف الجميع . .

والسؤال الذي يتبادر الى الذهن هو : لم لم يلق زرع البنكرياس مثل الانتشار الذي لقيه زرع الكلى . . ؟ لم لم يتوقفوا عن التداوي بحقن الأنسولين . . . ويوقفوا التجارب القائمة حالياً على مضخة الأنسولين ، التي سبق الحديث عنها . ؟ بعبارة أخرى : لم لا يتصرفون عن أنصاف الحلول الى الحلول الكاملة ؟ !

ينبغي التأكيد هنا على أن عملية زرع البنكرياس ما زالت في مراحلها الأولى ، وقد اعترضت سبيلها العقبة الكأداء ، عقبة الرفض . . . رفض الجسم للبنكرياس المزروع ، باعتباره جسماً غريباً . . . فتلك هي العقبة التي عرقلت وما زالت تعرقل عمليات زرع الأعضاء في الجسم البشري عامة . .

حقاً لقد خطا أطباء السكري وجراحوه خطوة واسعة جداً في هذا السبيل . . اذ نجحوا في زرع بنكرياس يقبله الجسم ولا يرفضه . . ذلك ان البنكرياس الذي زرعوه كان بنكرياس جنين غير مستوفي النمو ، لا بنكرياس رجل كامل النمو . . . فقد اكتشف أولئك الجراحون ان الجسم انما يرفض البنكرياس بسبب أحد شطريه . . . الشطر الذي يفرز الانزيمات الهاضمة . . لا الشطر الذي يفرز الأنسولين والذي يسميه الأطباء **(Langerhans islets)** ولما كان بنكرياس الجنين لا يحتوي الا على هذا الشطر الذي يفرز الأنسولين ، وهو الشطر الذي يحتاجه جسم مريض السكري ولا يحتاج غيره ، كان النجاح الذي تكللت به عمليات زرع البنكرياس التي أجريت في أمريكا في أواخر السنة الماضية .

وتجدر الاشارة الى أن ذلك البنكرياس المزروع لم يتقبله جسم المريض فحسب ، بل أدى وظيفته وقام بافراز الأنسولين على أكمل وجه ممكن ،والعملية مازالت في مراحلها الأولى . . . وأن الجراحين المختصين ، سواء في أمريكا أو استراليا أو غيرها مازالوا يبذلون الجهود من أجل تطويرها وتذليل العقبات الأخرى التي مازالت تعترض سبيلها . . ولعل من المؤكد انهم سيصيبون ، ان آجلاً أو عاجلاً ، مثل النجاح الذي أحرزه زملاؤهم فيما يتصل بزرع الكلى . . . وليس ثمة ما يمنع تحقيق ذلك في مستقبل قريب . . حين تصبح عملية زرع البنكرياس عملية عادية ، وفي متناول الجميع . . .

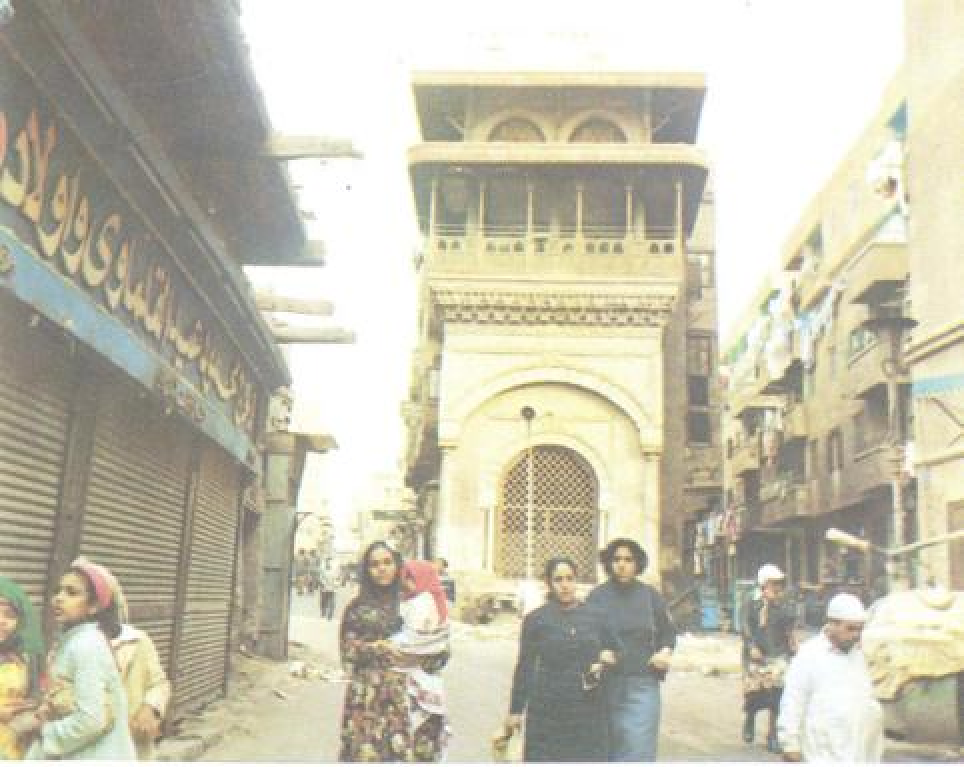

ما زالت الوسيلة القديمة في بعض أحياء القاهرة، ولكنها تحتاج الى من يعتني بها، ويكشف عنها كقطع فنية بديعة.

أسبلة القاهرة

بقلم : جمال الغيطاني

اذا تجولت في شوارع القاهرة . . ستجد أنها مدينة عامرة بأسبلة الماء . . وهو نظام اقتضته فلسفة المدينة الاسلامية لتوفير مياه الشرب للمارة في الطريق . . ونصت وثائقها على أن يكون الماء عذبا ومن النيل . . وأن يتوفر طوال العام . . في الصيف والشتاء . .

عناصر عديدة قامت عليها المدن العربية والاسلامية ، أبرزها الرحمة بالخلق . في العصور البعيدة كان تزويد المدن بالمياه يمثل مشكلة لابد من حلها عن طريق تنظيم قوي ، وتكفلت طوائف السقائين بذلك ، ولكن لم يقتصر الأمر على امداد البيوت ودور العبادة بالمياه . وانما اقتضت فلسفة المدينة الاسلامية توفير مياه الشرب لكل مخلوق حي ـ الانسان والحيوان ـ بحيث يكون الماء في متناول الجميع أينما ولى الخلق وجوههم ، هكذا ظهر السبيل كمبنى مدني ديني حيوي ، وكعنصر من عناصر الرحمة التي تميز المدينة الاسلامية ، فتقام البيوت بحيث تراعي ظروف البيئة ، والطرقات لا تمضي في خط مستقيم حاد كالشوارع الحديثة تخفيفا للاحساس بطول المسافة على السائر ، والسقوف تظلل الأسواق ، تحميها من الحر ، وتكسر من حدة الرياح الباردة المغربدة ، غير أن أبرز عناصر الرحمة هي الأسبلة ، وكلمة سبيل مشتقة من (أسبل الماء) أي صبه صبا . في القرن الخامس عشر قال أحد الرحالة الأوروبيين : (ان ما نراه من الأسبلة الكثيرة في أي مدينة اسلامية ، دليل على سمو خلق أهل هذه المدينة) .

والقاهرة العربية تحتفظ بعدد كبير من الأسبلة التي تنتمي الى عصور تاريخية مختلفة . في الزمن المملوكي كان يوجد في القاهرة أكثر من ثلاثمائة سبيل ، وعندما جاءت الحملة الفرنسية الى مصر ، أحصى علماؤها ٢٦٦ سبيلا . وعندما وضع علي باشا مبارك كتابه الموسوعي (الخطط التوفيقية) في منتصف القرن التاسع عشر أحصى ١٤٥ سبيلا . أما المرحوم العلامة الدكتور عبد الرحمن زكي فقد أحصى أسبلة القاهرة الباقية حتى يومنا هذا . ويبلغ عددها ٦٥ سبيلا . كثير منها يعاني من الاهمال . وفي طريقه الى الاندثار ، وبعضها شملته حركة احياء وترميم الآثار الاسلامية والتي تجري خلال العامين الأخيرين .

أسبلة مملوكية

يعتبر سبيل الناصر محمد بن قلاوون والموجود بشارع بين القصرين أقدم هذه الأسبلة ، ويرجع تاريخ انشائه الى عام ٧٢٦هـ ـ ١٣٢٦م ، وهناك أسبلة أخرى تنتمي الى العصر المملوكي وهي : سبيل الأمير شيخو بالصلبية ، وسبيل الوفائية بالخليفة ، وسبيل مسجد تمراز الأحمدي ، وسبيل السلطان قايتباي بالأزهر ، ويوجد سبيل آخر بناه السلطان قايتباي أيضا بالصلبية . ويوجد سبيلان آخران ينتميان الى نهاية العصر المملوكي ، يوجد الأول داخل مسجد السلطان الغوري ، والآخر داخل قبته المبنية أمام المسجد .

سلاطين المماليك هم أول من اهتم ببناء الأسبلة ، وأولوها عنايتهم ، وأوقفوا عليها الأوقاف الواسعة .

وفي وثيقة السلطان الغوري نجد :

(وأما السبيل فوقفه للانتفاع به في تسبيل الماء على المارة في الطريق) . وقد نصت وثائق الأوقاف في معظمها على أن يكون الماء عذبا ومن النيل ، وأن يتوفر الماء طوال العام صيفا وشتاء ، خاصة في الصيف حيث يتزايد استهلاك المياه .

وتتضمن وثيقة وقف السلطان قايتباي ماياتي :

(يصرف في كل شهر من شهور الأهلة من الفلوس ألف درهم ، أو ما يقوم مقام ذلك من النقود عند الصرف ، يشترى بذلك ماء عذب من ماء النيل المبارك ، موزعا في طول أيام الشهر بالسوية يسبل ذلك مزملاتي هذا السبيل لجميع من يرد على ذلك من الناس في أواني السبيل المذكور ، سفل الربع الظاهري ، في زمن التسبيل المعين بسبيلي الجامع المذكور ، على ما تقدم شرطه وبيانه ، واذا رأى الناظر على ذلك أن القدر المعين صرفه في كل شهر لثمن ماء السبيل الكائن تحت الربع الظاهري يفضل منه شيء في أيام الشتاء لقلة شرب الناس فيه ، فيدخر

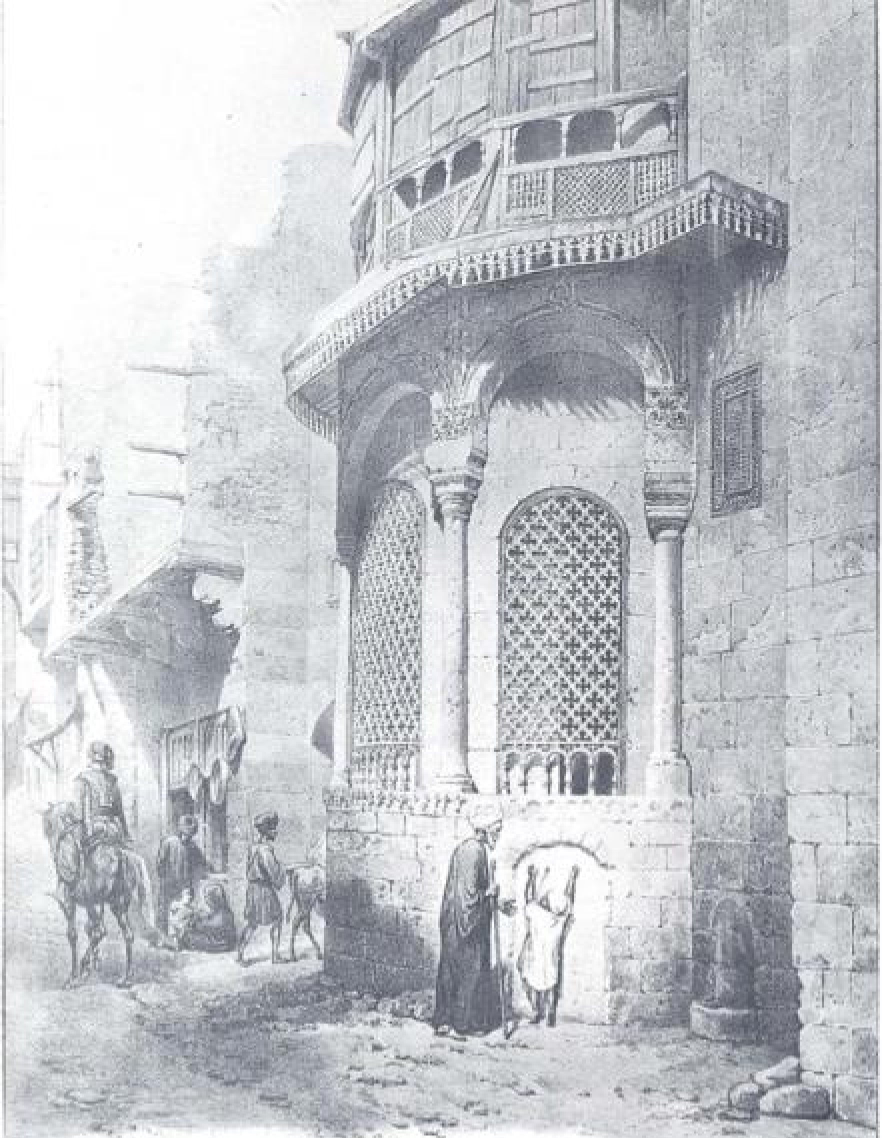

سبيل مرجوش .. للفنان بريس ديفي .. لوحة تنشر
لأول مرة بتصريح من المعهد الفرنسي للآثار بالقاهرة

الفاضل من أيام الشتاء لأيام الصيف ، ويزيده في ثمن الماء المسبل في أيام الصيف ، فيصرف الناظر في ذلك بما يرى فيه الحظ والمصلحة بحيث لا يفرط في ذلك ولا يفرط ، ولا يخرج في سلوكه عن السنن المتوسط) .

والمزملاتي هو الشخص المسؤول عن تزويد السبيل بالمياه ، وقد وضعت شروط عديدة لمن يتولى هذه الوظيفة نصت عليها كتب الحسبة وكذلك وثائق الأوقاف ، منها أن يكون المزملاتي نظيفا ، جميل الهيئة ، سليم البدن من العلل والأمراض المعدية ، خال من العاهات ، وموضع ثقة ، وأن يعامل الناس بالحسنى ، والرفق ، ليكون سبباً في ادخال الراحة على الواردين والقاصدين السبيل ، كذلك يتولى

نظافة السبيل ، والعناية بالأدوات اللازمة له ، مثل الكيزان ، وأوعية الشرب ، وأدوات التنظيف ، نفس العناية الموجهة لتسبيل المياه ، كانت أيضاً تحيط بالأدوات المستخدمة ، مثل الليف اللازم للتنظيف والمكانس ، ودلاء الجلو ، وأواني الشرب ، والأسطال النحاسية ، والأباريق ، وقلل الفخار ، والسفنج ، وفوط المسح ، وخصص أصحاب الأسبلة أماكن لحفظ هذه الأدوات ، كان المكان يعرف باسم الخوستان أو الخرستان أي الخزانة الخشبية .

في شهر رمضان

وكان تزويد الأسبلة بالمياه يتم طوال ساعات النهار . أما في شهر رمضان فتتغير المواعيد . حيث يبدأ تسبيل المياه بعد الغروب الى ما بعد صلاة التراويح ، وتنص وثيقة وقف السلطان الغوري على تسبيل المياه في جميع أوقات النهار من شروق الشمس الى غروبها ، وحتى نزول الليل ، وايواء الناس في بيوتهم وانقطاع الرِّجل عن الطرقات . يسري هذا في جميع الأيام ، عدا شهر رمضان ، حيث نصت الوثيقة على ضرورة بدء تسبيل المياه أول وقت الغروب الى أن يأوي الناس الى مساكنهم . بعض الواقفين اكتفوا بالنص على فتح السبيل في أوقات الحر الشديد ، من الظهر الى العصر ، فيما عدا شهر رمضان فيفتح السبيل من المغرب الى العشاء ، وعندما ينزل الليل ، كان المزملاتي يملأ أحد الأوعية ويضعها عند مقدمة السبيل ، والى جوارها كوز ، حتى اذا احتاج أحد المارة في أي وقت من الليل الى شربة ماء أمكنه أن يجدها .

لم يكن الاهتمام بتقديم المياه العذبة الى الناس فقط ، بل شمل ذلك أيضا الحيوانات ، وقد عرف العصر المملوكي كثيرا من أحواض المياه الموقوفة سبيلا لله لسقي الدواب ، تقول وثيقة وقف السلطان الغوري .

(ووقف حوض السبيل المذكور أعلاه ، بالقرب من الجامع المذكور فيه ، وفسقية الحوض المذكور المجاورة له لاستقرار الماء الذي يجري اليها من بير الساقية المذكورة أعلاه المعلقة بذلك . لينتفع به في سقي الدواب المارة على ذلك ، والمترددة اليه ، وفي غير ذلك من الانتفاعات الشرعية على العادة ، في ذلك ، وجعله سبيلا الى الله) .

وأذكر أنني رأيت أحد الأحواض المخصصة لسقي الدواب في الجمالية ، وما زال قائما حتى يومنا هذا أمام مبنى قسم الجمالية في ميدان بيت القاضي ، حوض مستطيل بني من الحجر . كانت الأحصنة والبغال والحمير تصطف حوله لتعب الماء بينها يتناثر فوق مياهه ذرات التبن ، وكان يزود بالماء من الحنفية العمومية المجاورة له ، ولكن في السنوات الأخيرة رأيت هذا الحوض جافا . خاليا من الماء ، نضب كما نضبت الأسبلة ، واختفت بذلك علامة من علامات الرحمة . .

جولة في شوارع القاهرة

تعال بنا نتجول في شوارع القاهرة القديمة لنتابع معا أسبلتها التي أقيمت في العصر المملوكي .

اذا بدأنا جولتنا بشارع شيخون فسنجد أنفسنا أمام سبيل السلطان قايتباي . انه واحد من أجمل أسبلة الزمن المملوكي . وعلى واجهة السبيل تطالعنا واجهتان شامختان كسيتا بالرخام الملون ، تعلوه لوحة عليها كتابة تقول :

(أمر بانشاء هذا السبيل المبارك السعيد من فضل الله تعالى وجزيل عطائه العميم مولانا المقام الشريف السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر قايتباي بتاريخ شهر ذي الحجة سنة أربع وثمانمائة) .

يعلو هذا السبيل كتاب لتعليم الأطفال

سبيل اسماعيل باشا .. للفنان باسكال كوست

وتحفيظهم القرآن الكريم ، ويعتبر السلطان قايتباي أول من خصص هذا الجزء للتعليم في الأسبلة .

اذا مضينا الى شارع المعز لدين الله ، حيث تتجاور الآن عصور متباعدة ، واذا بدأنا المشي من بوابة الفتوح وحتى بوابة زويلة فسنرى عددا كبيرا من الأسبلة ، لا يتجمع مثلها في أي مكان بمصر ، قرب حارة بير جوان ، ومدخل الدرب الأصفر ، حيث نرى سبيل سليمان السلحدار الملاصق لمدرسته ، وينتمي الى القرن التاسع عشر ، واذا تقدمنا قليلا .. وتجاوزنا مسجد الأقمر الفاطمي ، وشارع الخرنفش ، ثم أولينا ظهورنا للصاغة وتطلعنا ، فسيواجهنا أجمل أسبلة القاهرة على الاطلاق في رأيي ، سبيل وكتاب بين القصرين ، الذي أنشأه الأمير عبدالرحمن كتخدا (١٧٤٤) والأمير عبدالرحمن كتخدا من بناتي القاهرة العظام ، اذ شيد ثمانية عشر مسجدا ، وأجرى توسعات هامة في الأزهر ، وأقام العديد من الأضرحة ، وأصلح عدداً كبيرا من المساجد والمدارس المملوكية ، ولقد احتفظ هذا السبيل بتقاليد العمارة المصرية وشخصيتها الأصيلة رغم أنه بني في العصر العثماني وهو يقع في مفترق الطريقين المؤديين الى شارع التمبكشية ، والى الخرنفش ، ويطل على شارع المعز لدين الله بواجهتين ، واحدة أمامية ، والأخرى جانبية ، وعلى الشارع الآخر بواجهة ثالثة ، كل واجهة من الثلاث لها فتحات وعقودها من الرخام الملون . عليها شبابيك من النحاس الجميل ، ويعلو السبيل كتاب تحيطه مظلات وحواجز خشبية جيلة الصنع ، وقد نقشت على الحواجز الخشبية كتابات بها اسم المنشيء وتاريخ الانشاء .

(أنشأه الأمير عبدالرحمن كتخدا مستحفظان ابن المرحوم حسن كتخدا القازغلي غفر الله له سنة ١١٥٧ هـ .) .

اذا توقفنا أمام احدى هذه الواجهات .

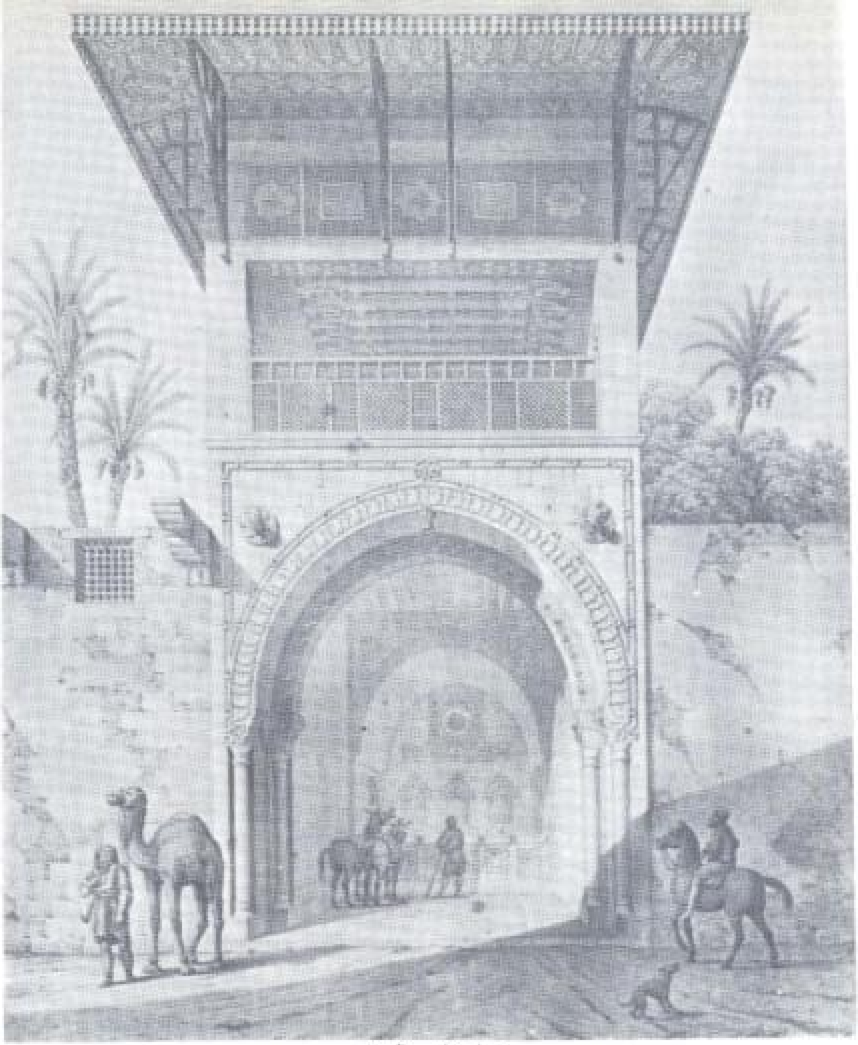

سبيل خاص بالدواب

ونظرنا الى داخل السبيل فنرى الجدار مزينا ببلاطات القيشاني المزخرفة . وفي الوسط صورة الكعبة الشريفة على البلاطات المربعة ، وقد تم تنظيف هذا السبيل والعناية به أثناء احتفالات القاهرة بعيدها الألفي عام ١٩٦٩ . لقد لفت هذا السبيل أنظار الفنانين الأوروبيين . فرسمه أكثر من فنان ، رسمه المهندس أوين كارتر سنة ١٨٣٠ ، ثم سجل رسم آخر له في كتاب جورج ايبرس ، سنة ١٨٧٩ ، والتقطت أول صورة فوتوغرافية له عام ١٩٠٠ ، واذا مضينا في اتجاه الصاغة فنرى أمام مسجد الناصر محمد بن قلاوون سبيل محمد علي باشا ، الذي أنشأه سنة ١٨٢٩ صدقة على روح ابنه اسماعيل باشا الذي توفي في السودان ، وهو سبيل ذو واجهة مكسوة بالرخام وتعلوه شرفة دائرية من الخشب . والواجهة محلاة بكتابات عربية وتركية ، وهي تتكون من أربعة أضلاع ، يغطي كل منها شباك نحاسي مصبوب به رسوم بيضاوية يتخللها زخارف مورقة ، أضلاعه كسيت بالرخام من أسفلها الى أعلاها وحليت خواصر عقود

الشبابيك بزخارف مورقة ، ويعلو كل شباك لوحة مكتوبة باللغة التركية . ويعلوها عقد بداخله زخارف ، ويغطي الجميع زخرف خشبي حلي بزخارف مذهبة ، وقد رسم هذا السبيل الفنان ليفر . أما سبيل الناصر محمد بن قلاوون . فملاصق لواجهة مدرسة قلاوون ، وهو صغير ودقيق ، أنشيء عام ٧٢٦ هـ - ١٣٢٦ م . وقد أنشيء كصدقة على روح والد الناصر محمد .

في أول شارع النحاسين ، وفي مواجهة مدخل مستشفى قلاوون للرمد (بيمارستان قلاوون في الأصل) ، نرى سبيل خسرو باشا ، أنه أول سبيل أنشيء في العصر العثماني ١٥٣٥ . (كان خسرو باشا واليا من ولاة مصر . سنرى واجهتين للسبيل . تحليهما الزخارف ، يعلوه كتاب لتحفيظ القرآن الكريم ، وعلى حواف شبابيكه ألواح من الرخام مكتوب عليها اسم المنشيء وألقابه وتاريخ الانشاء .وسقف السبيل من الداخل منقوش بالذهب والألوان وأرضية من الرخام . عليها كتابة نصها :

(أمر بانشاء هذا السبيل المبرور اغتنام الثواب والأجور في أيام مولانا الامام الشريف ظل الله الوريف الخنكار الأعظم مالك رقاب الأمم ملك ملوك العرب والعجم السلطان سليمان خان بن السلطان سليم خان بن السلطان بايزيد . . منشيء هذا السبيل مولانا الباشا الأعظم والكافل المفخم مدبر مصالح الأمم ناظم مناظم العالم خسرو باشا كافل الديار المصرية والأقطار الحجازية غفر الله له ولمن دعا له بالمغفرة بمحمد وآله ، وكان الفراغ من ذلك في شهر جمادى الآخرة سنة اثنين وأربعين وتسعمائة من الهجرة النبوية) .

تتقدم في شارع المعز لدين الله . وعند التقاء الصاغة بشارع جوهر القائد سنرى سبيلا بناه الأمير عبدالرحمن كتخدا عام ١٧٤٤ م ، بجوار ضريح الشيخ مظهر . ويعرف السبيل الآن بسبيل الشيخ مظهر . واذا عبرنا شارع الأزهر ، فاننا سنمر بسبيلين ينتميان الى نهاية العصر المملوكي ، لكنهما بداخل مسجد السلطان الغوري وقبته .

الأسبلة العثمانية

بعد انتهاء الزمن المملوكي إثر هزيمة الجيش المصري في مرج دابق ، وقتل السلطان الغوري ، تمكن العثمانيون من مصر حامية الحرمين ، وحارسة البحرين ، وبدأ العصر العثماني ، وشملت القاهرة تغيرات عديدة ، اذ ظهر الطابع العثماني في العمارة ، وانتصبت المآذن النحيلة في الفراغ فوق المساجد التي أقيمت في هذا الزمن ، تلك المآذن الخالية من الزخرف ، وبرغم التدهور والتخلف الذي أصاب مصر ، فان ثمة عناصر قد بقيت من الزمن المندثر ، منها اهتمام عدد من الأمراء بالبناء ، وأعمال الخير ، وبعد عام ١٥١٧ - عام الانكسارة العظمى ، والمصيبة التي طمت ، والكارثة التي حلت - استمر بناء الأسبلة لأنها ضرورة لاستمرار الحياة في المدينة ، ونلاحظ أنه لحق بعمارتها بعض التغير ، كان السبيل في العصر المملوكي ملحقا بالمسجد أو يشغل ركنا منه ، أما في العصر العثماني فقد استقل بأن أصبح وحدة معمارية منفصلة ، وكان مربع الواجهة ، تزينه نوافذ نحاسية جميلة ، ويمكن للمار أن يمد يده من خلالها ليشرب الماء من الحوض الرخامي الناصع البياض الذي يلي النافذة ، وكان الصهريج الذي يتم تخزين المياه فيه يوضع في مستوى أقل من مستوى الأرض ، وفوق الجزء الأوسط المخصص لتقديم مياه الشرب يقع الكُتّاب ، ويتم الصعود اليه بواسطة سلم يؤدي الى غرفة الدراسة الرحبة والمحاطة بشرفة تتيح تجدد الهواء ، وقد أقيمت فيها الأعمدة التي تتوسطها قطع من المشربيات الخشبية الأنيقة ، وتحت الأعمدة توجد الكوابيل الخشبية المزخرفة ، ومثل هذه الاسبلة يمكننا أن

نراها في الشام ، واستانبول ، حيث يوجد أقدم سبيل عثماني وصل الينا . سبيل وكتاب خسرو باشا بالنحاسين ، أي أنه بني بعد الغزو العثماني بربع قرن ، يليه سبيل يوسف الكردي في القرن السادس عشر ، ثم سبيل الأمير محمد ، ثم سبيل القزلار ، ثم سبيل مصطفى سنان .

ويمكننا أن نلاحظ عناصر الصراع في المعمار ، بين طراز الأسبلة المصري الأصيل كما عرف في العصر المملوكي ، وطراز الاسبلة العثمانية الوافد ويمكن القول بأن عناصر العمارة المصرية كانت هي الغالبة ، وكان التمسك بالجذور قويا ، نفس هذا الصراع يمكننا أن نلحظه في طراز المساجد أيضا . ولكن مع بداية القرن التاسع عشر ، نلاحظ أن عناصر العمارة العثمانية قد بسطت سطوتها . مع عدم اختفاء عناصر الصراع والمقاومة ، لقد استدارت واجهة السبيل وأصبحت تشتمل على تقويسات تعلو نوافذه ، وصارت له قاعدة تلف حوله بدرجات من المرمر ، وأوضح مثال على هذا الطراز ، سبيل محمد علي بالنحاسين الذي يقع في مواجهة مجموعة آثار قلاوون ، وسبيله بالعقادين ، الذي يقوم في مواجهة مسجد المؤيد ، وسبيل أم عباس الشهير بشارع الصليبة . وسبيل رقية دودو .

لقد احتاجت العمارة العثمانية الدخيلة أكثر من ثلاثمائة عام لتقهر عناصر العمارة المصرية ، وعندما قهرتها كان العصر كله ينبيء بالزوال ، وعلى الرغم من وجود هذه النماذج المحدودة فان التقاليد المعمارية المصرية القديمة كانت لها الغلبة .

سبيل أم عباس

مرة أخرى تعال نتابع جولتنا . .

على ناصية حارة الروم ، نرى سبيلا آخر بناه محمد علي باشا ، وهذا السبيل أقيم قبل السبيل الموجود في النحاسين ، اذ بني عام ١٢٣٦ هـ - ١٨٢٠ م ، صدقة على روح الأمير طوسون المتوفي عام ١٢٣١ - ١٨١٦ ، وملحق به كتاب لتعليم الأطفال ، وهو يشبه سبيل محمد علي بالنحاسين ، وواجهته مكسوة بالرخام الأبيض ، بها خمسة شبابيك من النحاس المصبوب في أشكال زخرفية ، كل شباك تعلوه لوحة رخامية بها كتابات تركية تعلوها زخارف مورقة يتوسط بعضها طرة ، والأخرى عبارة (ماشاء الله) ، ويغطي الجميع رفرف خشبي بارز محلى بالنقوش ، أما حجرة السبيل فمغطاة من الخارج بألواح من الرصاص أما داخلها فمغطى بالنقوش الملونة .

من أشهر أسبلة القاهرة ، سبيل أم عباس ، بشارع الصليبة ، انه عثماني الطراز تماما ، أنشيء عام ١٢٨٤ هـ - ١٨٦٧ م ، مبناه فسيح ، مشع ، أرضه منقوشة بالرخام وسقفه منقوش بالأصباغ الذهبية ، شبابيكه من النحاس الأصفر ، تتخللها دوائر عليها آيات قرآنية . أمرت بانشائه والدة الوالي عباس الأول ، انه أحد آخر سبيلين تم بناؤهما في القاهرة ، أما السبيل الآخر فهو سبيل أم حسين بك ، ويقع في نهاية شارع الجمهورية قرب نهايته من ناحية ميدان رمسيس ، أنشيء عام ١٢٨٦ هـ - ١٨٦٩ م . بعده لم يقم في القاهرة سبيل آخر ، فقد بدأت شركة المياه تمد مواسيرها الى أحياء القاهرة ، ووصلت الحنفية العمومية مكان السبيل ، ثم دخلت مياه الشركة الى معظم البيوت ، وأصبحت الأسبلة مجرد أبنية أثرية ، تتوارى الآن في معظمها تحت طبقات من النسيان ، يعاني بعضها الاهمال ، ويغطي واجهات بعضها الآخر بضاعات الباعة الجوالين ونرجو أن تشمل هذه الأسبلة عناية مصلحة الآثار ، ولن يحتاج الأمر الا لحملة تنظيف ، واخلاء واجهات الأسبلة من شاغليها ، عندئذ تسترد القاهرة أكثر من ستين عملا فنيا معماريا فريدا لن تعرف الأزمنة المقبلة مثلها . □□

طبيب الأسرة

... التهاب الكبد والتبرع بالدم

● تقدمت للتبرع بالدم استجابة لنداء الانسانية والوطنية ، ولكني فوجئت برفض المختصين في بنك الدم قبول تبرعي ، معللين رفضهم بمرض التهاب الكبد الذي سبق لي الاصابة به بالرغم من شفائي منه منذ فترة طويلة .

اني أتساءل عمّا اذا كنت لا أزال مصدر عدوى بالرغم من شفائي ؟ وهل يعاودني المرض مرة أخرى ؟

م . م س/ الاسكندرية

التهاب الكبد مرض معد ، ينشأ من الاصابة بفيروس خاص ، ينتقل من المصاب الى السليم بأكثر من طريقة ، ليعطي صورة مميزة أبرزها اليرقان ، الذي يصاحبه هبوط واجهاد عام مع توعك واضطراب في المضم .

لقد سبق للعلماء أن اكتشفوا شكلين من هذه الفيروسات المسببة لالتهاب الكبد ، لكل منها مسلك خاص في العدوي وان تشابها في الصورة المرضية الى حد ما .

أولهما فيروس التهاب الكبد المعدي infectious hepatitis وهذا يسلك في عدواه طريق الجهاز المضمي ، لهذا فهو ينتقل من الطعام والشراب الملوث بافرازات وفضلات مريض اما مباشرة أو بواسطة الحشرات .

ثانيهما فيروس التهاب الكبد المصلي Serum hepatitis وعدواه تسلك طريق الدم ، لهذا فالفيروس ينتقل بواسطة الحقن المشتركة ، أو عمليات الدم أو بين متعاطي المخدرات بواسطة الحقن ، وقد وجد أن الاتصال الجنسي أيضا يساهم في نقله ، وربما كانت لدغة بعوضة أيضا .

لقد اتفق الأطباءعلى اطلاق اسم فيروس أ (Virus A) على النوع الأول لالتهاب الكبد المعدي واسم فيروس ب (Virus B) على النوع الثاني المسبب لالتهاب الكبد المصلي ،

طبيب الأسرة

ولكنهم مؤخرا فوجئوا بنوع ثالث من الفيروسات المسببة لالتهاب الكبد لاينتمي الى هذا ولا الى ذاك ، لهذا أطلقوا عليها اسم الفيروس ليس أ وليس ب (Non A Non B Virus) .

ان التهاب الكبد قد يكون عدوى عابرة عند البعض لاتخلف مضاعفات خطيرة ، ولكنه عند البعض الآخر وخاصة فيروس ب قد يدمر خلايا الكبد ويؤدي الى تليفها وتلفها .

ان تخلص الجسم من هذا الفيروس قد يطول ، بل ربما رافق صاحبه مدى الحياة بالرغم من شفائه وعدم شعور حامله بأية أعراض مرضية ، واكتسابه مناعة طويلة ، الا أن احتمال انتقال عدواه عبر الدم يبقى قائما ، ومصدر خطر كامن على الآخرين .

ومن سوء الحظ أن الطب لم يصل بعد الى عقار محدد قاتل لفيروسات التهاب الكبد ، لهذا فان الالتزام بأسباب الوقاية هو الطريق الأكثر أمنا وسلامة .

ومن هنا كان الحرص الشديد على عدم استعمال الحقن المشتركة ، واستعمال الحقن البلاستيكية التي تستعمل مرة واحدة فقط ، هذا الى رفض قبول التبرع بالدم من متبرع سبق له الاصابة بمرض التهاب الكبد ، واجراء التحاليل المخبرية لضمان خلو الدم من أية عدوى سابقة .

ان علاج المرضى بالتهاب الكبد يعتمد أساسا على اعطاء الفرصة لمناعة الجسم الذاتية كي تتغلب على الفيروس الغازي وخلق أجسام مضادة تقف بالمرصاد أمام غزو جديد .

الرمد الربيعي

● أعاني منذ سنوات من مرض الرمد الربيعي ، مما يؤدي الى شعور بالألم والضيق الشديد من الضوء الساطع .

فهل لي في جواب عن كيفية الخلاص من هذا المرض الذي يلازمني ، ولا أعرف منه خلاصا . ؟

عماد ناصر

السويداء ـ سوريا

الرمد الربيعي هو صورة من صور الحساسية التي تداهم بعض الناس ممن يستجيبون لبعض المؤثرات الطبيعية في البيئة على شكل غير طبيعي .

ان الحساسية هي ترجمة لرد فعل غير طبيعي لدى البعض ، تتشكل بصور شتى ، ويقع ضحيتها عضو من أعضاء الجسم ، فالصدر مثلا قد يصاب بالربو ، والجلد قد يعاني من الأكزيما وكذلك العين قد تكون هي الضحية فتعاني من التهاب الملتحمة واحرارها بسبب تعرضها لشكل ما من أشكال المؤثرات التي منها لقاح الأزهار ، أو بعض الفطريات العالقة في الجو ، أو نوع من الأتربة الخاصة ، وربما بعض مخلفات الحيوانات .

والملتحمة وهي الغشاء المبطن للجفون والعين تصاب بالاحرار ، والعين تعاني من كثرة الدموع ، والبصر يتأثر من حدة الضوء ، هذا الى جانب الشعور بالألم والحكة .

هذه الحالة قد تكون طارئة حادة ، وقد تكون مزمنة ، ولكن الملاحظ أنها تتفاقم أيام الربيع ، وهو فصل الأزهار ، لهذا أطلقوا عليها اسم الرمد الربيعي .

من الصعب أن تضع حدا فاصلا بين العلاج والوقاية ، لأنهما وجهان لعملة واحدة والأساس فيهما هو تفادي السبب المهيج للمرض بقدر المستطاع .

ان هناك وسائل مستحدثة لازالة التحسس يعرفها المختصون ، تعتمد على حقن الجسم بجرعات متزايدة من المادة المهيجة للحساسية حتى يعتاد عليها الجسم .

أما في أحوال حدة نوبة الرمد الربيعي فالقطرات التي تحوي مادة الكورتيزون قد تريح المريض مؤقتا ، ولكنها لاتشفيه ، كذلك القطرات التي تخدر الشعور بالألم والحكة .

هذا وينصح المريض عادة باستعمال نظارات واقية من وهج الشمس حتى لا تستثار العين بفعل الضوء الساطع .

الأذن البارزة وجراحة التجميل

● أعاني من ميل أذني الى الأمام الى درجة تسبب لي حرجا كبيرا أمام زملائي .

أملي كبير أن تدلوني على حل شاف لمشكلتي التي أتحرج منها وأنا على أبواب دخول الجامعة .

ن . ع . س

القاهرة

ان الجزء المنظور من الأذن الخارجية للانسان يدعونه الصيوان ، وهو اشبه ما يكون بقمع ، مهمته تجميع الموجات الصوتية وتقلها الى قناة الاذن .

ان هذا الصيوان الذي يتميز عند الانسان بصورة مميزة ، يتركب أساسا من غضروف لين الى حد ما يغلفه الجلد ويلتصق بجانبي الجمجمة ، مكونا زاوية حادة قليلة قد تختلف من انسان لآخر .

غير أنه لأسباب ربما تكون خلقية أو ربما تكون وراثية ، يتخذ صيوان الأذن وضعا بارزا يشكل مع الجمجمة زاوية أكبر من المقبول والمألوف ، مما يلفت اليها النظر ، بل ربما وصل الحال عند البعض أن يكون الصيوان عموديا مع جانب الرأس .

ان مثل هذا العيب الخلقي لايؤدي الى أي انتقاص من قدرة سمع صاحبه اطلاقا ولايشكل أي خطر على سلامة الجسم ، سوى ردود فعل نفسية ، نظرا لما يلقاه صاحب هذا العيب من سخرية أو استهزاء بعض صغار النفوس ، ممن قال فيهم سبحانه وتعالى (يا أيها الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم) صدق الله العظيم .

على أي حال فان علاج مثل هذا الوضع ميسور جدا ، يتولاه عادة جراح التجميل المختص بعملية بسيطة ، تحت تأثير التخدير الموضعي .

والجراح يقوم عادة باجراء شق الجلد خلف صيوان الأذن ويزيل بعده قدرا من غضروف الأذن ، وقدرا من الجلد المغلفه بالقدر الذي يراه مناسبا ، ثم يعود بعدها الى رتق الجلد واعادة الصيوان الى وضعه الجديد المناسب ، ومن بعد هذا يعمد الى ضماد الجرح بقوة حتى يلتئم الجرح في مدة تتراوح ما بين العشرة أيام والأسبوعين .

ان هذه العلمية قد أثبتت نجاحا كبيرا ، وخلصت الكثيرين من الحرج الذي يلقونه من جراء بروز الأذن على صورة ملفتة للنظر .

ولعل من الجدير بالذكر أن الجرح لايخلف ندبة ظاهرة تحرج صاحبها ، حيث أنها تتوارى خلف صيوان الأذن ولا تبدو للناظر اطلاقا .

الخبز والمدافع
.. وأزمة الاقتصاد العالمي

بقلم : مجدي نصيف

□ هذا كتاب اقتصادي جديد بمعنى الكلمة ، في سلسلة كتب « بيليكان » ، وهو جدير بالقراءة والنقد رغم اننا قد نختلف مع المؤلف في الكثير من الأفكار الجديدة المثيرة التي يقدمها الكتاب، عنوان الكتاب هو « عن الخبز والمدافع : الاقتصاد العالمي في أزمة »

والمؤلف اسمه نيجيل هاريس Nigel Harris وهو مدرس بجامعة لندن ، ويعمل بشكل مكثف واساسي في الدول النامية . من هنا فان وجهات نظره عن العالم الثالث جاءت نتيجة دراسات حقلية وواقعية . وهو في نفس الوقت أحد مؤسسي « حزب العمال الاشتراكي » (حزب بريطاني له اتجاهات تروتسكية) ، وهو رئيس تحرير سابق أيضا لمجلة « الاشتراكية الدولية » . والكاتب له العديد من الكتب والدراسات أهمها « المنافسة والمجتمع المشترك » (١٩٧٢) ، و « الهند - الصين : التخلف والثورة » (١٩٧٤) ، « ماركس وماو في الصين الحديثة » (١٩٧٨) « التنمية الاقتصادية : المدن والتخطيط » (١٩٧٨) .

والكتاب يتناول تحليلا للاقتصاد العالمي وأسباب الأزمة التي يمر بها ، وحلا مقترحا لمشاكله . وهو يقدم ذلك من خلال تحليل لمشاكل الانتاج الاقتصادي العالمي كسبب يدعو الى الثورة الاشتراكية على نطاق العالم . فمن رأي المؤلف ان الانتاج الرأسمالي يتخلل العالم كله ، ولايترك أصغر القرى دون أن يؤثر فيها . وسوء الادارة الرأسمالية هو الذي يتسبب في الحرب والمجاعة . لذا فان اعادة تنظيم الاقتصاد على خطوط اشتراكية ، هو مسألة ضرورية على المستوى العالمي ، لكي نمنع البديل الأوحد : البربرية .

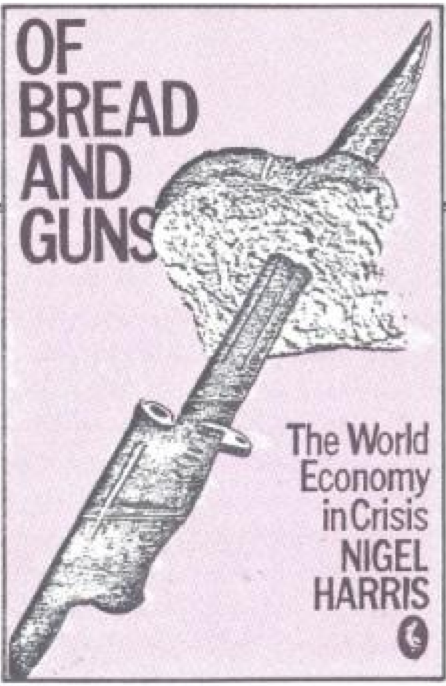

لعبة التنافس الدولي

يبدأ هاريس كتابه بتحليل نمطي الى حد كبير للرأسمالية ، وهو يعترف أنه يدين فيه بالكثير للاشتراكية العلمية . وهو منذ البداية ينتقد الاعتقاد السائد ، بأن الدولة الأمة هي التي تحكم حياة الناس ، وفي رأيه ان الاقتصاد العالمي هو الذي يتحكم في حياتهم . ان الدولة قد قامت لمجرد ان تكون « مؤسسة للادارة الجماعية لشؤون الطبقة الحاكمة لاقليم بذاته . لكن « الدول لاتتحكم في العالم ، ولاتخلق مايحدث . اذ لايمكن للدولة تحديد أوقات الانتعاش أو الركود او تحديد عدد الذين سيعملون وعدد الذين سيجوعون (الفصل الاول ـ صفحة ١٤) . وفي الظروف العادية ، فان الدول توجد في حالة تنافس وتعاون بينها . لكن تلك الحالة يمكن ان تنهار . ذلك أن الحرب هي العقوبة النهائية للحفاظ على نصيب من الانتاج العالمي ، يتملكه أو يدعي تملكه نظام حكم معين » .

وبكلمات أخرى ، يقول نيجيل هاريس ان الحرب بين الأمم تشتعل عندما تشعر الطبقة الرأسمالية في دولة من الدول أو في مجموعة من الدول ، ان نصيبها من الأرباح يتآكل الى مستوى لايمكن أن تتحمله من خلال تنافس نظام حكم آخر .

لكن الفكرة الأساسية التي يقدمها هاريس ، انه يوجد في مستوى فوق مستوى الدولة ، طبقة حاكمة دولية ! ذلك ان النظام الاقتصادي العالمي يتكامل يوما بعد يوم بطريقة متزايدة ، ليصبح كقرية واحدة . ويعلن هذا التكامل عن نفسه من خلال أشياء مثل البذلة الاوربية ، والمكتب المكيف الهواء ، وطراز السيارة .

وبذلك الاسلوب ، فان حكام العالم يقبلون بالنمط الثقافي للقطاع الأكثر سيادة » .

وبتلك الطريقة ، فان لدى أفراد الطبقة العالمية الحاكمة أشياء مشتركة عديدة ، أكثر مما يجمع بينهم وبين أفراد الطبقات الكادحة العاملة في بلادهم ، هذا رغم أن ارباح الطبقة الحاكمة هي نتاج عمل افراد الطبقات العاملة .

ثم يخرج نيجيل هاريس عن الماركسية الأرثوذكسية عندما يناقش الاوضاع الاقتصادية في دول الكتلة الشرقية . فهو يقول ان اقتصادياتها مخططة مركزيا ، أكثر من كونها ذات اقتصاد اشتراكي أصيل . فتلك الدول بدورها جزء من النظام الاقتصادي العالمي ، وليست معادية للدول الرأسمالية أو منفصلة عنها .

ومثل الغرب فان معدلات النمو الاقتصادي لدول الكتلة الشرقية بدأت في الانخفاض منذ أواخر السبعينيات . ولقد قررت تلك الدول ان تعالج ذلك بالانفتاح على التجارة الخارجية وكان الوفاق هو الواجهة السياسية لذلك التحرك الاقتصادي . لذلك تحولت الدول الاشتراكية

عن « البناء الذاتي » الى النمو المعتمد على الاستيراد ، هذا في الوقت الذي يتعرض فيه اقتصادها الداخلي لتخطيط بيروقراطي فوضوي واقتصاد سوق سوداء متزايدة نامية .

لقد قام الاتحاد السوفييتي بزيادة ضخمة في الانفاق العسكري ، لكي يتمشى مع قوة دول حلف شمال الأطلنطي ، بينما يعتمد اعتمادا ثقيلا على الغذاء المستورد .

ان الدخول الحقيقية في بلاد الكتلة الشرقية في حالة ركود ، ويجري تفضيل الانتاج الاقتصادي ليقابل احتياجات الغرب ، بينما تستمر طوابير المواطنين للحصول على المواد الغذائية .

ويجادل نيجل هاريس بأن مايطلق عليه « الدول الاشتراكية » لاتقدم بديلا اشتراكيا حقيقيا من الرأسمالية الغربية . وحتى لو تمكنت « الدول الاشتراكية » من التغلب على مشاكلها الداخلية الناتجة عن سوء الادارة ، فان تلك الدول لايمكنها ان تصل الى اقتصاد اشتراكي مخطط بعقلانية ، دون قيام ثورة موازية في الغرب، حيث ان اقتصاد الكتلتين متكامل ، بذلك العمق .

أسوأ الضحايا

ويرى « هاريس » أن الطبقات الكادحة والعاملة في بلدان العالم الثالث هي أبرز ضحايا الاقتصاد العالمي المدار بذلك السوء .

لقد كان مؤتمر باندونج عام ١٩٥٥ هو الذي خلق فكرة كتلة بلاد العالم الثالث ، التي يعمل اقتصادها كبديل عن الرأسمالية والاشتراكية .

ويحاور هاريس بأن ذلك أبعد مايكون عن الصحة ، فمنذ ذلك الحين ، أدمجت الدول الأكثر فقرا بطريقة متزايدة في النظام العالمي . ولأن هذه الدول هي الأفقر ، فانها هي التي تعاني أكثر عند هبوط النمو الاقتصادي العالمي ، ويقول « هاريس » ان معظم دول العالم الثالث حاولت في الخمسينيات والستينيات أن تحسن اقتصادياتها من خلال برامج « احلال الواردات » ، أي « التصنيع الوطني » الذي تحميه التعريفة الجمركية . لكن في نهاية الستينيات وبداية السبعينيات ، استغلت بعض بلدان العالم الثالث فرصة موازنة حساباتها الخارجية عن طريق تشجيع الصادرات . وبهذا سارت الدول الأقل نموا في نفس الطريق الذي سارت فيه الدول المصنعة فعلا : ومعنى هذا أن تلك البلدان حققت نموا عن طريق الصادرات قادها الى تكامل متزايد مع الاقتصاد العالمي : لقد جاء نتيجة لحاجة رأس المال الدولي لايجاد مواقع جديدة رخيصة للانتاج وكمثال على ذلك بناء « شركة فورد » الأمريكية للسيارات مصنعا جديدا في أسبانيا ، وذلك لأن اجور العمال الاسبان أقل بكثير من أجور نظرائهم الأمريكيين .

وفي هذا المجال قدم هاريس بيانا مثيرا للاهتمام عن أجور العمال في بلدان مختلفة . فبينما يبلغ متوسط أجور العمال عن كل ساعة عمل (خلال ثلاث دوريات بالدولار الأمريكي في عامي ١٩٧٨ / ١٩٧٩)ما قيمته ١٩ , ١٠ في ألمانيا الغربية ، يبلغ ٦,٠٨ في الولايات المتحدة الامريكية، و ٤,٨٢ في بريطانيا ، أما في دول العالم الثالث فالمتوسط ١,٧٢ في هونج كونج ، ٠,٥٣ في الهند ، و ٠,٣٥ في مصر . وبالاضافة الى هذا فان متوسط طول أسبوع العمل أكبر في الدول الأشد فقرا .

ولقد ساعد تأسيس مناطق التجارة الحرة على اعادة توطين رأس المال . ونتيجة لذلك فان الدول الأقل نموا تقاعست عن بذل مجهودها للاكتفاء الذاتي الوطني ، لتتحول الى اتجاه التكامل المتزايد مع الاقتصاد العالمي ، هذا برغم أن الدول ذات الدخل المنخفض ، حافظت في الخمسينيات والستينيات على معدل نمو مرتفع ولكي تحافظ الدول الأشد فقرا على معدل نمو صادراتها ، كان عليها أن تتماشى مع طلبات الدول الأشد غنى . فنتج عن ذلك التخصص

المتزايد ، وليس التنوع المطلوب في الانتاج القومي .

وفي البداية استطاعت الدول الأشد فقرا الحفاظ على معدل نموها عن طريق الاقتراض المتزايد . فمنذ عام ١٩٧٠ وحتى عام ١٩٨٢ ، قفزت ديون البلاد الأقل نموا من ٦٤ بليون دولار أمريكي الى أكثر من ٥٠٠ بليون (رقم تقديري) ، وقاست البلاد الأشد فقرا من ارتفاع الفوائد على ديونها ، أكثر مما قاست من ارتفاع اسعار البترول . وضرب التضخم أيضا الدول الآخذة في النمو ، حيث قامت الدول الأكثر نموا برفع اسعار صادراتها التي تحتاج اليها الدول النامية بشدة .

يقول هاريس (في الفصل الثاني بعنوان « الازدهار الاقتصادي العظيم »)ان كل زيادة في الأسعار مقدارها ١٪ في الدول الأكثر نموا ، كان يقابلها زيادة في الأسعار قدرها ٢٪ في الدول الأشد فقرا » . وعموما فان الدول المصدرة للبترول هربت من آثار التضخم ، حيث انخفضت معدلات تضخمها عموما من ١٨,٨٪ عام ١٩٧٥ الى ١٠,٥٪ عام ١٩٨٢ .

وهكذا يقدر « البنك الدولي » ان الدول الفقيرة تحتاج الى ٧٤٦ عاما حتى يصل معدل دخل الفرد فيها الى معدل دخل الفرد في الدول الغنية ، هذا اذا توقفت الدول الغنية عن النمو تماما على ماهي عليه الآن .

ويقول هاريس ان النتيجة السياسية للركود الاقتصادي العالمي ، كانت حالة من عدم الاستقرار العام ، والاتجاه نحو تشكيل حكومات أكثر يمينية ، وحكومات ذات صبغة عسكرية ، وخاصة في بلاد العالم الثالث .

المجاعة والحرب

ثم يناقش نيجيل هاريس عندئذ ، مايعرضه كأسوأ النتائج للتدهور الاقتصادي العالمي : المجاعات والحروب . فهو يجادل بأن المجاعات غير ضرورية ، وانما ظهرت في عصرنا لأن الأزمة الاقتصادية العالمية نزعت من قطاعات من سكان العالم القدرة على شراء الحبوب ، كما نزعت من حكوماتهم العزيمة والقدرة على شراء المواد الغذائية واستيرادها من الدول الأكثر غنى .

ويقدر هاريس ان جزءا واحدا من عشرين ، من كمية الحبوب التي أطعمتها الدول الأكثر نموا لمواشيها ، كانت كافية لانقاذ أولئك الذين هلكوا من الجوع في بلدان العالم الثالث الفقيرة .

ان الزراعة عملية ضخمة ، وتتحكم الشركات الدولية الكبيرة في ربع انتاج الصناعات الغذائية في البلاد الفقيرة . وذلك يؤدي الى حالة غريبة قوامها شيئان متناقضان الانتاج المتزايد والجوع المتزايد .

ويورد هاريس مثلا على ذلك فيقول ان حكومة البرازيل قدمت دعما لـ ٨/١ فلاحيها (الذين يبلغ عددهم أحد عشر مليونا) لمساعدة الانتاج التصديري عالي القيمة ، هذا في الوقت الذي كانت فيه أغلبية صغار الفلاحين توفر لنفسها الضروريات من أجل الاستهلاك المحلي .

ان الغذاء الكافي عادة مايكون متوفرا ، ولكن ليس بالأسعار التي يتحملها فقراء العالم الثالث .

وتحدث المجاعة ايضا عندما تحافظ الدول الأكثر نموا (الغنية) على أسعار مرتفعة لصادراتها الغذائية . ففي عام ١٩٧٤ أرادت الولايات المتحدة الامريكية تقليص سلطة دول « منظمة الأوبيك » ، وحتى « تشفى » اقتصادها من آثار الزيادة - آنذاك - في أسعار البترول ، رفضت تخفيض أسعار الحبوب ، هذا في الوقت الذي تمد فيه السوق العالمي للحبوب ، بنصف الكمية المعروضة فيه . وهكذا شهدت نفس الفترة مجاعات في بنجلاديش واثيوبيا .

ويلاحظ هاريس نقطة هامة ، هي ان النظام الاقتصادي العالمي يسمح للركود الاقتصادي في أي قطاع ، الا القطاع العسكري الذي ينمو نموا لاينتهي (الفصل السابع بعنوان « عن الخبز والمدافع » الذي اتخذه عنوانا لكتابه) .

لقد تزايدت القيمة الحقيقية للانفاق العسكري أربع مرات عام ١٩٤٥ ، حيث بلغت ٥٠٠ بليون دولار عام ١٩٨٠ . ويقول المؤلف في الفصل السابع أيضا) ان ٧٠٪ من هذا المبلغ أنفقته الدول الأعضاء في حلفي شمال الاطلنطي ووارسو . وخلال الركود الاقتصادي الذي ساد منتصف السبعينيات احتفظت شركات السلاح بأرباحها المتزايدة . وكان الطلب على الأسلحة قويا مع الزيادة السنوية في الانفاق العسكري للدول المصدرة للبترول ، وتقدر هذه الزيادة ب ١٥٪ .

والملفت للنظر ان الدول الأشد فقرا هي التي تنفق نسبة أكبر من دخلها القومي على التسليح . وفي الوقت الذي نجد أن كلا من الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة يصف كل منهما الآخر بأنه المعتدي ، تشكل الولايات المتحدة خطورة بمدى كبير ، فلو لم يكن الاتحاد السوفيتي موجودا ، لكانت الولايات المتحدة الامريكية قد اخترعته بالضرورة .

ولاتهتم الدول عادة بنوعية مصدر السلاح الذي تشتريه ، ويتم الحفاظ على نمو الترسانة الدولية للأسلحة من خلال ثلاث مسائل :

الاولى : من خلال التنافس بين الدول .

والثانية : من خلال تقنية التسليح التي تجعل الدول الأقل مرتبة تعتمد على الدول القائدة في مجال التسليح .

والثالثة : من خلال حقيقة ان الأسلحة تُهدّد كل مكان على سطح الأرض ، ولذلك لايمكن ان يكون هناك حياد .

« ان كل الخيوط السابقة ـ وهي : البطالة ، والتضخم ، والمجاعة ، وسباق التسلح ، تؤدي الى رابطة مركزية هي السوق العالمية التي لايمكن التحكم فيها ، وكذا التنافس بين الدول المتسيدة .

البدائل

بعد أن يكشف نيجيل هاريس الاقتصاد العالمي كشبكة عالمية متكاملة ، يقدم البديل للوضع الحالي .

ان الاقتصاد العالمي أولا انما يقوم على ناتج عمل العمال والقوى الاخرى ، انها مجموعة تغطى سطح الأرض من العلاقات : بين أولئك الذين يبيعون قوى عملهم او يفلحون الارض .

ثم يورد هاريس أمثلة لثورات وتمردات حدثت في السبعينيات ، يقول انها فشلت ، وأجمل اسباب الفشل في التالي :

أولا : ان هذه الثورات لم يكن لها برامج .

وثانيا : ان هذه الثورات تعرضت لسوء التوجيه من قبل الاشتراكية الديمقراطية ،

ثالثا : ان تلك الثورات لم تكن تريد توسيع نطاقها خارج حدودها .

هاريس اذن يردد الدعوة القديمة للثورة العالمية لانهاء المجاعات والحروب . حقيقة الأمر اذن أنه لم يقدم بدائل جديدة . وانما الجديد في الكتاب هو كمية الحقائق والأرقام والمقارنات التي تجذب الاهتمام ، وتعمل على تأكيد مقولاته الأساسية التي استعرضها ـ واستعرضناها معه ـ في الفصول الأولى . وهو في نفس الوقت يقوم بعمل صلات بين الظواهر الاقتصادية والسياسية ، وهو مايتجاهله في أحيان كثيرة الأكاديميون المنظرون الذين يميلون الى عدم الخروج عن الموضوع ، ويغطي الكتاب أرضية كبيرة ، ويحتوي على قدر هائل من المعلومات المفيدة حتى لأولئك الذين لايقبلون افتراضات هاريس المبدئية . □□

من مكتبة العربي

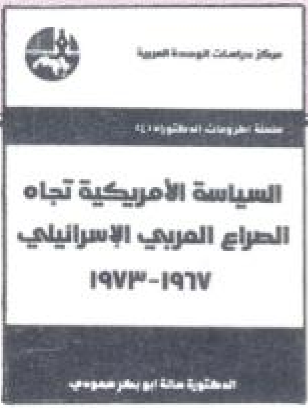

السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الاسرائيلي عام ١٩٦٧ ـ ١٩٧٣

الكاتب : د. هالة ابو بكر سعودي

الناشر : مركز دراسات الوحدة العربية ـ بيروت

سنة النشر : ١٩٨٣م .

يستأثر الموقف الأمريكي من الصراع العربي الاسرائيلي بأهمية خاصة ، نظراً لأن انحياز هذا الموقف الى طرف من أطراف الصراع كان وما زال يرجح كفته ، ويجعله متفوقاً ، في الحربين اللتين تتعرض لهما الكاتبة ١٩٦٧ ـ ١٩٧٣ .

وتقدم الكاتبة في كتابها الذي هو أطروحتها لنيل الدكتوراه خلفية عامة عن تطورات الصراع العربي الاسرائيلي ، وتحلل فيه ابعاد السياسة الأمريكية ، وعملية صنعها والمراحل التي تمر بها .

وتناولت أيضاً محددات معينة في آلية الصراع الأمريكي السوفياتي والمصالح الأمريكية في المنطقة العربية ، والعلاقات الأمريكية بكل من طرفي النزاع : العرب و « اسرائيل » وتأثيرات القوى الداخلية في أمريكا كجماعة المصالح وقوى الضغط والصحافة والرأي العام . وحللت تركية مؤسسات الرئاسة ووزارة الخارجية والدفاع والكونغرس ، ثم عرضت لتفاعل هذه المؤسسات مع بعضها البعض ، وحصيلة هذا التفاعل على أرض الواقع من رسم السياسات وتنفيذها وتطبيقها .

قاموس المسرح : مختارات من قاموس المسرح العالمي

إعداد : جون غاسنر وادوارد كون

ترجمة : مؤنس الرزاز

مراجعة : رشاد بيبي .

الناشر : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت ـ ودار المهد ـ عمان ـ الأردن .

سنة النشر : ١٩٨٢ .

الفهرسة والتسجيل والتكشيف من الأعمال القليلة في حياتنا ، وقلما تحظى بالاهتمام الدؤوب المتتابع ، ومع أن بعض المجلات والكتب المتخصصة صدرت لمتابعة هذا المجال ، الا انه ما زال يحتاج الى المزيد من المتخصصين .

وقد صدر كتاب قاموس المسرح ليكمل جانباً من جوانب الحياة الدرامية منذ أن عرف الانسان الدراما تم ترتيبه ترتيباً هجائياً ، يقول مترجم الكتاب :

« قاموس المسرح هذا يسلط الضوء على عشرات المسرحيات العالمية وعشرات المؤلفين المسرحيين ،

من مكتبة العربي

ويلخص كثيراً من الأعمال المسرحية ، ويسلط الأضواء على حياة المؤلف المسرحي وأعماله ويتضمن رصداً لعدد كبير من المسرحيات المترجمة الى اللغة العربية ، لتعريف القارىء بأغلب ما عرب من مسرحيات ».

وقد أضاف المترجم عشر صفحات عن الدراما العربية إضافة الى الصفحات المترجمة . واذا ما اعتبرنا أن التفاتة هذه مهمة ، فان الأهم منها هو أن يتم وضع قاموس يتناول الدراما العربية بمؤلفيها وكتابها ومسرحياتها .

الفريضة الغائبة

الكاتب : د. محمد عمارة

الناشر : دار الوحيد ـ بيروت

سنة النشر : ١٩٨٣ .

تسود أسماء وتنتشر ، وتتداول أقاويل وكلمات هامسة ، حول هذا الطرف أو ذاك من التنظيمات السرية .

وحادث المنصة الذي أودى بالرئيس المصري أنور السادات سنة ١٩٨١ قام به نفر من تلك التنظيمات السرية .

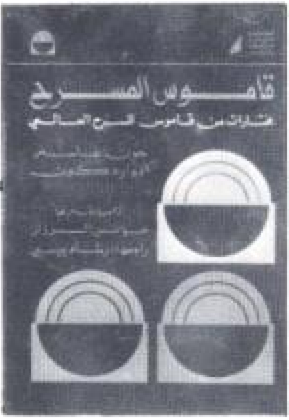

فما هي المنطلقات النظرية ، ودروس الوعظ والارشاد التي استند اليها منفذو العملية ؟

يتساءل الكاتب « من الواجب أن نتساءل : ما هو الفكر الذي صنع هذا الحدث الكبير والخطير ؟ وما مدى اتساق هذا الفكر الاسلامي لهؤلاء الفتية المسلمين الذين اعتصموا بـ « الجهاد » الاسلامي لتغيير واقع أمتهم ؟ وما مدى اتساق هذا الفكر مع رؤيتنا للاسلام ، ورأينا في فكره السياسي ؟ وما مدى التوفيق الذي حالفهم وهم يستلهمون أدلتهم من تراث الاسلام ؟ » .

عن هذه الأسئلة وغيرها يجيب الكاتب ، وفيه يعرض لمحتوى الكتيب الذي سارت على نهجه تلك الجماعة ، ويناقش ويحاور ويقوّم الكثير من الآراء الواردة فيه .

خيارات صعبة

مذكرات سايروس فانس .

الناشر : المركز العربي للمعلومات ـ بيروت .

سنة النشر : ١٩٨٤ .

كثرت في الفترة الأخيرة كتابة المذكرات ، الصحف تثير الغبار حول مذكرات هذا الزعيم أو ذاك ، والمجلات ودور النشر والحكومات والأحزاب ، الكل يود أن يصل الى عقل الجمهور والى إقناعه بصواب ما صنع وما يصنع ..

وفي المذكرات يختلط الحقيقي بالمتخيل ، وتختلط التفسيرات القائمة على المصالح بالحقائق المجردة كما هي .

لا شيء حقيقي . . ولا شيء صادق وقد يكونان في بطون وأعماق الأيام والتاريخ والأوراق غير المنشورة . . . أما المتداول فهو مزيج من التزييف والوهم والأماني والتخيلات وبعض . . . بعض الحقائق !

لنتمعن جيداً في هذا المقطع من مذكرات سايروس فانس وزير الخارجية الأمريكي أثناء رئاسة الرئيس كارتر :

« وعند صياغة علاقاتنا مع البلدان النامية . كما هو الحال مع غيرها يجب ان نحافظ على التزامنا بتقدم حقوق الانسان ، ان هذا الالتزام لا ينبع فقط من قيم أمتنا ، بل ينبع ايضا من تقدير عملي ولدته التجربة . فنحن نعرف ان الحكومات التي تحترم الحقوق الانسانية لمواطنيها ، والتي تستطيع التكيف مع التغير والقادرة على الاستماع الى مختلف آراء شعبها وان تتصالح معها ستكون هذه الحكومات اصدقاء وشركاء اكثر استقرارا في المدى الطويل .

وهذا لا يعني أن علينا أن نفرض قيمنا أو شكل حكومتنا على الآخرين انما يعني أن علينا أن ندعم الجهود الساعية الى التحرك بعيداً عن الحكم التعسفي والقمعي ، وعلينا أن نسعى الى تحقيق هذا قبل أن تتآكل العلاقة بين حكومة ما ومواطنيها ، بما ينتج عن ذلك من معاناة واضطراب » .

حسناً . . هذا هو كلام المذكرات . . . فهل التطبيق العمل التنفيذي لسياسة الولايات المتحدة الأميركية في كل عهودها يتوافق ويتفق مع كلام المذكرات السابقة ؟

الابتسام في الأيام الصعبة

الكاتب : فاضل السباعي .

الناشر : الدار التونسية للتوزيع ـ تونس .

سنة النشر : ١٩٨٣ .

هذه مجموعة قصص احتوت على ثمان قصص للكاتب فاضل السباعي ، الذي صدرت له عدة مجموعات قصصية من قبل .

وهو من الكتاب المخلصين لهذا الفن ، والمجودين فيه ، والباحثين له عن كل ما يغنيه ويثريه .

وهو لم يجار الموجة الجديدة في كتابة القصة ، ولم يتعلق بصرعاتها أو تعمياتها ، وبقي عند حدود الموضوعات المكتوبة بأسلوب واضح ، واعتمد على المفارقة والسخرية كمادة أساسية في قصصه ، وهو يتناول اليومي من حياة الناس ، ويرصد المتفارق فيه والمتناقض ، فيغزل عليه حبل كلامه وفنه ، ويستخرج منه العبرة أو العظة ، أو ينقده نقداً هادفاً ، بالرغم من الاسهاب والتطويل في البعض منه .

واللافت للنظر أن الكاتب هو من القطر العربي السوري . . بينما دار النشر دار تونسية ، وفي هذا التوجه اختزال للكثير من الشعارات التي تؤكد على الوحدة والتعاون بين الأقطار العربية ووضعها موضع التطبيق . والخطوة تجاوز للاقليمية الضيقة وانفتاح على المدى القومي الرحب .

المسابقة الثقافية ٣٠٨

يوليو ١٩٨٤

تعمدنا السهولة في وضع هذه الاسئلة نظرا لفصل الصيف وحاجة المرء الى ما يروح به عن نفسه أثناءه .. على أن سهولتها الظاهرة ينبغي ألا تخدعك .. فرجوعك الى المصادر والمعاجم .. لا مفر منه إن كنت ترغب بالفوز باحدى الجوائز التي ستوزع على الفائزين .. وعليك أن تذكر الشروط التي تحكم المسابقات الثقافية جميعا .. وندعو لك بالتوفيق .

١ ـ يقول العرب في أمثالهم : ما وراءك يا عصام ..؟ فما المقصود بهذا المثل .. وما قصة عصام هذا ..؟

٢ ـ الفايكنج هم سكان اسكندنافية الاصليون ... ويؤكد المؤرخون أنهم كانوا على صلات وثيقة بالحضارة العربية الاسلامية ... ترى في أي بلد ترعرعت تلك الصلات .. وإبان حكم أي من حكامهم ..؟

٣ ـ كتاب جغرافي من أشهر كتب السلف الصالح في الجغرافيا ... توفي مؤلفه سنة ١٣٣١م وقد قسم كتابه المذكور الى ٢٨ جدولا ومقدمة وضمنه تفاصيل وافية عن ٦٢٣ بلدا من البلدان الاسلامية .. فما اسم الكتاب وما اسم مؤلفه ...؟

٤ ـ أيها أصح لغة : قولك ذهبا معا .. أم ذهبا سوية ...؟

٥ ـ يذكر التاريخ العربي ضريرين نابغين .. نبغ أحدهما في الشعر وهو أبو العلاء المعري .. ونبغ الثاني في العلوم اللغوية ووضع معجما يعتبر من أهم المعاجم العربية ، ان لم تقل أهمها دون استثناء .. فمن هو هذا الضرير الثاني وما اسم معجمه ...؟

٦ ـ ما هو الصفر المطلق ...؟

- العدم أو اللاشيئية .
- أدنى درجة حرارة ممكنة نظريا وتبلغ ١٥ ,٢٧٣ درجة مئوية تحت الصفر .
- أعلى درجة حرارة ممكنة ..

جوائز العربي لقرائها أكثر من

ألفي دينار سنويًا

جوائز المسابقة

الجائزة الأولى	٥٠ دينارًا
الجائزة الثانية	٣٠ دينارًا
الجائزة الثالثة	٢٠ دينارًا

و ٨ جوائز تشجيعية قيمة كل منها ١٠ دنانير

٧ ـ أي فصائل الدم (أو زمره) هي الأكثر شيوعا في العالم . . . ؟

٨ ـ كثر رجال الدين في أحد شعوب العالم حتى بلغوا ($\frac{1}{5}$) خُمس مجموع أفراد ذلك الشعب تقريبا . . ترى أي شعب هذا ؟

- الشعب الروسي قبل الثورة .
- الهندوس .
- شعب التبت .

٩ ـ الفولاذ الذي لا يصدأ . . ما حقيقة مقاومته للصدأ . . . ؟

- الفولاذ أنواع . . وأحد هذه الأنواع لا يصدأ بطبيعته ، ولا وجود لهذا النوع الا في ألمانيا . .
- يكتسب الفولاذ مقاومته للصدأ تبعا لعملية صناعية يضيفون اليه فيها معادن أخرى بنسب معينة .

١٠ ـ تغوص الحيتان في البحر ثم تطفو على سطحه ، كما هو معروف . . . ويتصاعد من رأسها حينما تطفو ، ما يشبه النافورة . . . ترى ما هو هذا الشيء على وجه الدقة . . ؟

١١ ـ من هو مؤلف كتاب « تهافت التهافت » . . ولماذا ألفه . . . ؟

١٢ ـ البترول هو ثروة العرب المعدنية الأولى . . فما هي ثروتهم المعدنية الثانية . . . ؟ وأي البلاد العربية هي الأولى في انتاج هذه الثروة الثانية . . ؟

كوبون مسابقة العدد ٣٠٨

حل مسابقة العدد (٣٠٥)

المنشورة في عدد ابريل ١٩٨٤

١ ـ الحلاج هو الصوفي المسلم الذي جلد وعذب وصلب سنة ٩٢٢ م . . اسمه بالكامل أبو المغيث حسين البيضاوي وقد ولد في الطور (قرب البيضاء) في فارس سنة ٨٥٨ وتوفي في بغداد . . ولم يبق من مؤلفاته الا كتاب الطواسين ، الذي حققه ونشره المستشرق الفرنسي ماسنيون سنة ١٩١٣ .

٢ ـ ابن الهيثم (علي الحسن) هو العالم العربي الذي حاول التحكم بفيضان النيل . . . ولد في البصرة سنة ٩٦٥م وتوفي عام ١٠٣٩ . . ويعتبر من أبرز علماء الرياضيات والفيزياء في التاريخ العربي .

٣ ـ ابن طفيل هو الذي ألف قصة حي بن يقظان . . وقد عاش ابن طفيل في الاندلس ومراكش في مطلع القرن الثاني عشر الميلادي ، وقصته (حي بن يقظان) قصة فلسفية ذات طابع رومانسي ، وتعتبر أروع ما ظهر من قصص في القرون الوسطى إطلاقا . . . . وقد ترجمت إلى عدة لغات أوروبية .

٤ ـ ابن رشد هو الفيلسوف العربي الوحيد الذي يظهر في لوحة روفائيل الشهيرة ، (مدرسة أثينا) . . وابن رشد هو أبو الوليد محمد بن أحمد من مواليد قرطبة سنة ١١٢٦م . وهو فيلسوف الأندلس الأول الذي كان له أكبر الأثر في نهضة أوروبا الحديثة ، وكانت وفاته في مراكش سنة ١١٩٨م .

٥ ـ فنسنت فان جوخ (١٨٥٣ ـ ١٨٩٠) هو الفنان الذي قطع أذنه بيده بسبب خصومة عنيفة نشبت بينه وبين صديقه وزميله الفنان جوجان . وقد أمضى فان جوخ آخر سني حياته في مستشفى المجانين وأنهى حياته منتحرا .

٦ ـ توماس كارلايل (١٧٩٥ ـ ١٨٨١) هو الأديب البريطاني (الأسكتلندي) الذى ألف كتاب الأبطال .

٧ ـ سيمون بوليفار (١٧٨٣ ـ ١٨٣٠) هو البطل الذي كان له أكبر الفضل في تحرير فنزويلا وكولومبيا والاكوادور والبيرو وبوليفيا . . وكان اسم هذه الأخيرة (بيرو الشمالية) ولكنها سميت بوليفيا نسبة إلى بطل التحرير بوليفار وتكريما له .

٨ ـ فرفوريوس هو مؤلف كتاب (الربوبية) وليس آرسطو . . . كما ساد الاعتقاد في السابق . . . . وفرفوريوس هو من أتباع الأفلاطونية الجديده . . وقد جمع في كتابه المعروف باسم التساعيات آراء أستاذه ومؤسس الأفلاطونية الجديدة واسمه أفلوطين . . ثم اقتبس من هذه الآراء ما أخرجه في كتاب الربوبية (أو الايثولوجيا) . . والغريب أن حقيقة هذا الكتاب قد استغلقت على الفلاسفة العرب جميعا . . حتى على الكندي ، الذى تولى شرح الكتاب .

٩ ـ أفلاطون هو الفيلسوف الذي وقع أسيرا في قبضة القراصنة . وكان ذلك في طريقه الى سرقوسة في صقلية ، بقصد القيام بمحاولة تأسيس الدولة الأنموذجية التي تحدث عنها في كتابه الجمهورية . . ولم يطلق القراصنة سراحه الا بعد قبض الفدية التي دفعها حاكم سرقوسة .

١٠ ـ الخليفة المأمون هو الذي زج بالامام أحمد بن حنبل في السجن .

١١ ـ الموناليزا والجوكندا اسمان للوحة واحدة ، رسمها الفنان الشهير ليوناردو دافنشي (١٤٥٢ ـ ١٥١٩) أما الاسم الثاني فهو الاسم الحقيقي للفتاة التي تظهر في اللوحة . . بل اسم زوجها بالتحديد .

١٢ ـ الادريسي (١٠٩٩ ـ ١١٥٣) هو مؤلف كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق . . ولهذا الكتاب عنوان آخر هو (كتاب روجار) . . وروجار هذا روجر الثاني ملك صقلية ، وهو الذي دعا الادريسي الى زيارة صقلية ، فرسم له العالم العربي بلدان العالم على كرة من فضة .

الفائزون فى المسابقة

الجائزة الأولى : دلال جميل رضا ـ ص . ب ٢٠٢١ دمشق ـ سوريا

الجائزة الثانية : زاهد طاهر سعيد ـ قضاء المحاويل ـ الحى الجمهورى ـ بابل ـ العراق .

الجائزة الثالثة : صالح محمد جهيمى ـ مستشفى توزر ـ تونس

الجوائز التشجيعية الثمانى

١ ـ سعيد الجابرى : ١٧ زنقة روجى هارتمان ـ حى ريفيره ـ الدار البيضاء ـ اسفا ـ المغرب .
٢ ـ ثامر خالد فهد البسام : النزهة ق ٢ ش ٢٦ منزل ١٨ ـ دولة الكويت .
٣ ـ نوال عبدالله احمد : ص . ب ١٣٢ المنامه ـ دولة البحرين
٤ ـ سليمان محمد السادة : جامعة البترول ص . ب ١٤٤ ـ الظهران
٥ ـ السيد بدير على ابراهيم : شارع درب الويشى منزل ٩ الدور الرابع المنصورة ـ ج . م . ع
٦ ـ مأمون عبدالقادر عرفه : ص . ب ٣٠٨٧ مصفاة أم النار ـ ابو ظبى ـ دولة الامارات العربية المتحدة
٧ ـ فرات رشدى عبد الغنى : ص . ب ٨٠ الدوحة ـ قطر
٨ ـ مبارك سلمان محمد احمد : وزارة الرى ـ قسم د/ هـ ودهدنى ـ السودان

معركة بلا سلاح

من مباريات التصفية التمهيدية

اخترنا لك في هذا العدد واحدة من أبرز مباريات التصفية التمهيدية التي جرت في هولندا (١٩٨٣) بين اللاعب البريطاني « توني كوستن » أبيض واللاعب الهولندي « بول فان درسترن » أسود .

١) هـ ٤	د ٦
٢) د ٤	ح - و ٦
٣) ح - جـ ٣	ز ٦
٤) ح - و ٣	ف - ز ٧
٥) ف - هـ ٢	ت
٦) ت	ف - ز ٤
٧) ف - هـ ٣	ح - جـ ٦
٨) و - د ٢	هـ ٥
٩) د × هـ ٥	د × هـ ٥
١٠) ر أ - د ١	و - جـ ٨
١١) و - جـ ١	ر - د ٨
١٢) ر × د ٨	و × د ٨

كان من الأفضل أن يأخذ الأسود بالحصان لأن الدور بدأ يتحول لصالح الأبيض ابتداءً من هذه النقلة .

١٣) ر - د ١	و - و ٨
١٤) حـ ٣	ف × و ٣
١٥) ف × و ٣	ر - د ٨
١٦) ح - ب ٥	ر × د ١
١٧) و × د ١	و - ب ٤
١٨) ح × أ ٧ ! (رائعة)	ح - د ٤

يبدو ان الأسود كان يتوقع
١٨) ح × جـ ٧ فيردّ عليها و - ب ٥
ولكنه يجد نفسه مضطرّاً لتعديل خطته والتخلّي عن البيدق .

١٩) جـ ٣	ح × و ٣ +
٢٠) ز × و ٣ ! (رائعة)	و - هـ ٧
خوفاً من ٢١ .	و - د ٨ +
٢١) و - ب ٣	جـ ٦
٢٢) أ ٤	ح حـ ٥
٢٣) أ ٥	و - د ٧
٢٤) أ ٦ ! (بديعة)	ب ٥

لو لعب الأسود ب × أ ٦
لَرَدّ عليها الأبيض ٢٥ . و - ب ٨ +
ومن ثَمّ ف - جـ ٥ مُنْهياً بذلك الدَوْر

٢٥) ح × ب ٥ ! (مدهشة)	جـ × ب ٥
٢٦) أ ٧	

وهنا لا يجد الأسود بدّاً من التسليم لأنه لو لعب و - جـ ٨ لَرَدّ عليها الأسود ٢٧ . و - د ٥

ولا يوجد عندها ما يحول دون ترقية أ ٧ الى وزير .

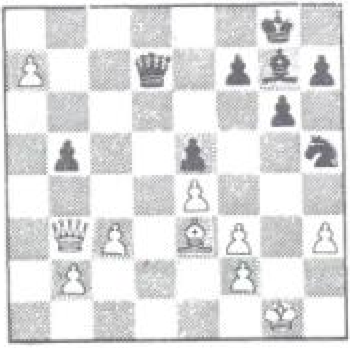

الموقف بعد النقلة ٢٦

مسابقة العدد
(مسألة رقم ١٩)

الأبيض يلعب ويكسب الدور
(نقلة واحدة)

بريد الباب

القاريء حسان ملحس من لبنان يسأل ان كان البطل الرّوسي أناتولي كاربوف لا يزال يتربع على عرش العالم للشطرنج

العربي :

أناتولي كاربوف حتى كتابة هذه السطور لا يزال يتربع على عرش العالم للشطرنج ولكن هذا العرش قد بدأ يهتز تحته بشدة اذ لم يعد كاربوف اللاعب الأول في العالم حَسْب معايير وتقديرات الاتحاد الدولي للشطرنج بعد أن تفوق عليه منافسه الروسي الشاب كاسباروف بعشر نقاط إثر تغلّبه على فيكتور كورشنوي السويسري الجنسية والروسي الأصل وأصبح بذلك المرشح الوحيد لملاقاة كاربوف ومنافسته على بطولة العالم للشطرنج التي ستعقد في وقت قريب من هذا العام .

وفيما يلي تصنيف الاتحاد الدولي للشطرنج لأبطال العالم حسب تقديرات شهر يناير الحالي :

كاسباروف	٢٧١٠ نقاط
كاربوف	٢٧٠٠ نقطة
كورشنوي	٢٦٣٥ نقطة
ليوبوجفك	٢٦٣٥ نقطة
اندرسن	٢٦٣٠ نقطة

(حل المسألة رقم (١٧)

١) ف - و٣   م - و٥
٢) ف - ز٤ ≠
أو
١) و٦
٢) و - د٥ ≠
أو
١) و٥
٢) ف - د٥ ≠

الفائزون بحل مسابقة شهر ابريل ١٩٨٤

الفائزون باشتراك سنة كاملة :

(١) أشرف الشرقاوي/ كفر الزيات/ مصر
(٢) طلال زيدان/ معان/ الاردن
(٣) عمر عطيه/ عين شمس/ مصر
(٤) اياد مقداوي/ عمان/ الاردن
(٥) دلير صديق عبدالله/ السماوة/ العراق

الفائزون باشتراك نصف سنة :

(١) محمد عفيفي السيد/ القاهرة/ مصر
(٢) صالح ابو زيد/ درعا/ سورية
(٣) سامر المصري/ قطنا/ سورية
(٤) عماد خالد صلاح/ عمان/ الاردن
(٥) بومسعد سمير/ حجوط/ الجزائر

حوار القراء

البربر .. عرب

في أحد اعداد مجلة العربي ، وفي ركن حوار القراء قرأت ما كتبه أحد القراء من السعودية ، يعترض فيه على اطلاق كلمة « بربر » وكذلك حضارتها ، ولقد فوجئت بمثل هذه المقولة ، فكيف يريد هذا الأخ أن يسمى « البربر » هل تسميهم عربا وهم ليسوا كذلك ، ولماذا ينكر حضارتهم ولغتهم والتاريخ يؤكد وجودها ، ثم ان القول بأن الاستعمار هو السبب في هذه التفرقة ، فأقول لهذا الأخ هناك من العرب من يغذي ويساهم في تزكية روح التفرقة بين المسلمين ، وذلك بالدعوة الى القومية العربية التي لا يقرها الاسلام حيث لا فرق بين عربي وأعجمي الا بالتقوى ، والمسلمون اخوة وأمة واحدة فلا قومية ولا عصبية .. فالدين لكل المسلمين ولا فرق بين غني وفقير ، ولا أبيض واسود ولا لجنسية دون أخرى .

موسى بو طالبي - جعافرة - الجزائر

الجانب العلمي - في العربي

اطلعت على مجلة العربي ، وكنت - ولا أزال - أحد قرائها الملتزمين معها ، لكنني أرى أن الجانب العلمي منها لا يزال ناقصا ، خاصة وأن العالم يتجه الآن الى العلم ، ولا أنكر ما للشعر والأدب من أثر كبير على حياتنا ، التي هي عجلة اختراعات وليست عجلة مقالات أدبية وقصص وغيرها .. لذلك أرجو زيادة الاهتمام بالجانب العلمي في العربي تحقيقا للفائدة بين أبناء العروبة .

أيمن العربي -
جامعة الكويت - الكويت

العربي :

الاهتمام بالجانب العلمي كان - ولا يزال - موضع اهتمام المجلة ، والمتتبع لاعداد المجلة يرى كيف أن المجلة تولي اهتمامها الى هذا الجانب الهام في حياتنا اليومية . لكننا أيضا لا يجب أن ننكر ما للأدب والشعر من أهمية في حياتنا فكلا الجانبين يكمل الآخر .

نداء ..

الى عالم مثالي

اطلعت على مقال الدكتور محمد خير عثمان ، على صفحات « العربي » في عددها الصادر في ابريل ١٩٨٤ م والذي كان موضوعه رواية (١٩٨٤) للكاتب « جورج أورويل » فقد القى الضوء على رواية يعتبرها العالم دفاعا عن الديمقراطية والاشتراكية - وبحثا عن السلام والحرية في عالم مثالي منشود نتطلع اليه جميعا .

ومن أهداف الرواية أيضا - كما يقول مؤلفها - انها تهدف الى ابراز مغزى تقسيم العالم الى

أزيلوا الغبار عن تراثنا

فقدت التنمية العربية معناها ، لقد داستها الأقدام ولاكتها الأفواه فنحن العرب قد أفقدنا الكلمة معناها ، حتى صارت كلمة « تنمية » سُلّماً ترتقي به الى المراكز العليا لتشبع نهمنا وجشعنا الفردي . فسيطرة الأنانية وحب الذات جعلت من كلمة التنمية بمفهومها الواسع الشامل وسيلة للوصول الى ما يريده أحدنا من شهرة براقة ، ومال لا يحصى ، ثم نلتقي بعد أن نصل ونحصل على ماتريد بتلك الكلمة التي طالما نادينا بها شعارا لنا .

ومن هذا المنطلق نطرح ما يمليه علينا العقل والضمير أمام من يمسك بزمام أمورنا ، ومن خلال منبر مجلة العربي ، ونقول لمن يمسك بزمام أمورنا أن يطرح حب الذات والأنانية جانبا ، وأن يعمل بشكل جماعي على تطوير وتطبيق التنمية العربية بمفهومها الواسع ، على أن لا تكون مرتبطة بالخرافات السابقة التي عافها رجل الشارع ألا وهي الارتباط بعقدة « العالم الثالث » ونحن العرب ـ وان غفونا في القرن العشرين ـ لنا أمجادنا ومفكرونا والتاريخ خير شاهد على ذلك .

نحن كعرب علينا أن نزيل الغبار عن تراثنا المليء بالحكمة ، ونحاول من خلاله أن نستهدي الطريق السليم والقويم المبني على أسس متينة ، أساسها الايمان بالله وسنة رسوله ، والتمسك بالفكر العربي والتنمية العربية ، على شعار الاخاء والمساواة في الحقوق والواجبات وحب الخير للجميع .

وان نحن أنكرنا الذات والأنانية ، وسرنا فيما هدانا اليه الله في كتابه العزيز ، فان كافة مشكلاتنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية سوف ترى طريق الحل بعون الله .

عبدالمجيد خالد الزعبي ـ
اربد ـ الأردن

مناطق نفوذ ، والى الهجوم على المذاهب الشمولية .

ان « أورويل » في روايته (١٩٨٤) قد تأثر بالكتاب الانجليز مثل « ألدوس هكسلي » والأمريكان مثل « جان لندن » والروس مثل .. د . ستيوفيسكي وما رواية « ١٩٨٤ » الا نداء ملح للعالم أجمع ، الى عالم مثالي كي يتحسس طريقا للانتصار على الديكتاتورية بسيادة الديمقراطية .

صالح ابراهيم الشلبي
جامعة عين شمس ـ القاهرة

المشكلات المشتركة

تبرز في مجتمعنا الخليجي العديد من المشكلات المشتركة والخطيرة ، ومن اهمها مشكلة العمالة الأجنبية ، وخدم المنازل ، والمربيات الأجنبيات ... فأرجو التركيز على مثل هذه المشكلات ونشر الدراسات والأبحاث الأكاديمية والميدانية ، وابراز اخطارها ، لتساهم « العربي » مساهمة كبيرة في خدمة شعوب منطقتنا .

أحمد عبدالله بن توبه ـ دبي ـ
الامارات العربية

حوار القراء

اللغة العربية .. والمعاجم

كثر الاهتمام في السنوات الأخيرة باللغة العربية في مواطن كثيرة من العالم ، وخاصة « العالم العربي » اذ ألفت المعاجم والقواميس لفهمها والنفاذ الى لبها ، ومن ثم لاستعمالها كعون مساعد لقراءة القرآن الكريم أولا وتفهم حضارة العرب ثانيا - ولا يقتصر مؤلفو المعاجم حاليا على ترجمة اللغة القديمة ، بل تجاوزوا ذلك الى النقل عن اللغة المعاصرة ، ومن ذلك قاموس دانيال الذي قدمه « مكسيم رودنسون » المستشرق المعروف ، وقد صدر في ركن « اقرأ » وفي صفحة « أفكار » عن صحيفة « لوموند » الفرنسية في عددها الصادر بتاريخ ٢٢ مارس ١٩٨٤م والذي يقول فيها :

« انه من الصعب علينا أن نعتقد بأنه لا يوجد الى الآن قاموس عربي - فرنسي ، وفرنسي - عربي يمكن استخدامه حاليا . ويأخذ بعين الاعتبار اللغة العربية المعاصرة أي اللغة المستخدمة من قبل الصحافة والأدب العالمي والوثائق الرسمية والخطب وذلك انطلاقا من العراق الى المغرب الأقصى .

مصطفى بن منصور
كلية الآداب بنونت - فرنسا

أتاتورك .. زعيم تركيا

يسرني أن أبعث لكم هذه النبذة عن حياة الزعيم التركي مصطفى رضا تعميما للفائدة لكل من يجهل حياة هذا الزعيم .. فقد ولد في سالونيك عام ١٨٨٠ م ، وأظهر نبوغا في المدرسة الابتدائية ، وأثناء دراسته في المدرسة العسكرية في مكدونيا ، أعجب أحد أساتذته بسمو أخلاقه فأطلق عليه لقب كمال - كامل ، فأصبح اسمه مصطفى كمال - وعرف بهذا الاسم واشتهر .

لعب مصطفى كمال - أو مصطفى رضا - دورا رئيسيا في الاجهاز على الدولة العثمانية ، وانهاء الخلافة ، وتأسيس الجمهورية التركية ، ووضع القوانين الحديثة الغربية للمجتمع التركي الشرقي - وجعل عاصمة البلاد - أنقرة - بدلا من « استانبول » وطرد من بلاده بمعارك حربية طويلة وصعبة كُلاً من القوات الفرنسية والايطالية واليونانية - وأخمد ثورات الأكراد والأرمن - وكان أول رئيس للجمهورية التركية حتى وفاته عام ١٩٣٨ م ، ومنحه الشعب لقب « غازي » كما منحه لقب « أتاتورك » أي « أبا الاتراك » - وهو نفسه منح نفسه لقب « دكتاتور » في أواخر أيامه .

أمجد القاضي

العربي :

شكرا للقارىء ونضيف أن تسمية « مصطفى » جاءت من والدة هذا الزعيم التركي تيمنا بالرسول عليه الصلاة والسلام - كما أن « أتاتورك » أو أبا الاتراك كان يحمل ملامح والدته .

من المسرح العالمى

سلسلة ثقافية

تصدرها فى مطلع كل شهر

وزارة الإعلام فى الكويت

أول يوليو ١٩٨٤

١٧٨

انحراف فى قصر العدالة

تأليف : أوجو بتى

ترجمة وتقديم : سعد أردش

مراجعة : د. سلامه محمد سليمان

تصدرها
جامعة
الكويت

مجلة العلوم الاجتماعية

مجلة فصلية أكاديمية تعنى بنشر الابحاث والدراسات في مختلف حقول العلوم الاجتماعية .

رئيس التحرير : د . خلدون حسن النقيب

مدير التحرير : عبد الرحمن فايز المصري

منبر بارز للأكاديميين العرب .

توزع أكثر من (٨٠٠٠) نسخة .

الاشتراكات

للمؤسسات : ١٢ ديناراً في الكويت ،
٤٥ دولاراً أمريكياً في الخارج

للأفراد : ٣ دينار في الكويت ، ٢ دينار للطلاب
٣،٥ دينار أو ما يعادلها في الوطن العربي .

١٥ دولاراً أمريكياً في الخارج .

الموزع في الكويت والخارج : مجلة العلوم الاجتماعية

توجه جميع المراسلات الى : رئيس التحرير
مجلة العلوم الاجتماعية - جامعة الكويت ص . ب ٥٤٨٦ صفاة - الكويت
هاتف : ٢٥٤٩٤٢١ « مباشر » ٢٥١٠١٨٨ / ٣٧٣ / ٢٥٠ تلكس ٢٦١٦ كويت

هناك مجموعة مصرفية واحدة فقط في العالم تساهم فيها الدول العربية جميعاً

كانت المراسلات المتبادلة بين الخليفة العباسي الكبير هارون الرشيد وشرلمان مبادرة عربية رائدة في اقامة الصلات بين الشرق والغرب

دينار هارون الرشيد - ٧٨٩ ميلادية

ان مجموعة بنوك اليوباف Al Ubaf Banking Group هي المجموعة الوحيدة التي احرزت نجاحا في اقامة الصلات بين الشرق والغرب عن طريق انشاء بنوك مشتركة في جميع المراكز المالية الدولية .

والدول العربية بأسرها البالغ عددها اثنتان وعشرون ممثلة كلها في المجموعة من خلال ٢٦ مؤسسة عربية .

وبالاضافة الى ذلك فان ٢٢ مؤسسة مصرفية من كبريات المؤسسات الدولية تساهم في بنوك المجموعة الى جانب المؤسسات العربية بغية تحقيق أهدافنا المشتركة .

وفضلا عن هذا فان تنوع عمليات البنوك المساهمة في المجموعة وانتشارها الجغرافي على الصعيدين المحلي والدولي ، يجعلنا في وضع متميز يتيح لنا النفاذ بيسر الى كافة أرجاء المعمورة .

وتقدم المجموعة للعملاء الخدمات المالية والمصرفية على نطاق بالغ الاتساع بفضل ما لديها من خبرات مهنية رفيعة المستوى تدعمها أحدث مبتكرات التكنولوجيا ، ومن دراية لا تضارع بالأوضاع المحلية .

اليوباف

AL UBAF
BANKING GROUP

البحرين	بنك اليوباف العربي الدولي
هونج كونج	يوبان انترناشونال ليمتد
لندن	يوباف بنك ليمتد - شركة اليوباف المالية المحدودة
لوكسمبورج	يوباي البنك العربي الالماني وفرع في فرانكفورت
نيويورك	البنك العربي الامريكي - يوباف وفرع في جزر كايمان
باريس	اتحاد المصارف العربية والفرنسية (يوباف) فروع في البحرين . سيول . سنغافورة . طوكيو
روما	يوباي البنك العربي الايطالي ومكتب تمثيل في ميلانو

بيروت	مكتب تمثيل
القاهرة	مكتب تمثيل

كتاب العربي

الثالث

ندوة العربي
في يوبيلها الفضي

المجلات الثقافية والتحديات المعاصرة

دراسات شارك فيها نخبة من المفكرين العرب

د. فؤاد زكريا
د. محمد جابر الأنصاري
د. عبدالله العمر
الأستاذ كامل زهيري

يصدر في ١٥ يوليو ١٩٨٤

المجلة العربية للعلوم الإنسانية

مجلة فصلية محكمة ، تقدم البحوث الاصيلة والدراسات الميدانية والتطبيقية في شتى فروع العلوم الانسانية والاجتماعية باللغتين العربية والانجليزية .

تصدر عن جامعة الكويت

صدر العدد الأول في يناير ١٩٨١

رئيس التحرير د. عبدالله العتيبي

مدير التحرير عبدالعزيز السيد

- تتناول المجلة الجوانب المختلفة للعلوم الانسانية والاجتماعية بما يخدم القارىء والمثقف والمتخصص .
- تعالج موضوعات المجلة الميادين التالية :

اللغويات النظرية والتطبيقية – الآداب والآداب المقارنة – الدراسات الفلسفية الدراسات النفسية – الدراسات الاجتماعية المتصلة بالعلوم الانسانية – الدراسات التاريخية – الدراسات الجغرافية – الدراسات التربوية – الدراسات حول الفنون (الموسيقى – التراث الشعبي – الفنون التشكيلية – النحت ... الخ) – الدراسات الاثارية (الاركيولوجية) .

- تقدم المجلة معالجاتها من خلال نشر :

البحوث والدراسات – مراجعات الكتب – التقارير العلمية – المناقشات الفكرية .

- مواعيد صدور المجلة : كانون ثاني – نيسان – تموز – تشرين أول .
- تنشر المجلة ملخصات للبحوث العربية بالانجليزية ، وملخصات بالعربية للبحوث الانجليزية .

ثمن العدد : للأفراد ٤٠٠ فلس

للطلاب ٢٠٠ فلس

الاشتراكات السنوية

	داخل الكويت	في الخارج
– للمؤسسات	١٠ د.ك.	٤٠ دولاراً أمريكيا
– للأفراد	٢ د.ك.	١٥ دولاراً أمريكيا
– للاساتذة والطلاب	١ د.ك.	١٠ دولارات أمريكية

- تقبل الاشتراكات في المجلة لمدة سنة أو عدة سنوات .
- قواعد النشر تطلب من رئيس التحرير .
- جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير :–

ص.ب : ٢٦٥٨٥ (الصفاة)

الكويت – الشويخ – ت : ٨٢١٦٣٩ – ٨١٧٦٨٩ – ٨١٥٤٥٣

مجلة
دراسات الخليج والجزيرة العربية

تصدر عن جامعة الكويت

رئيس التحرير
الدكتور عبد الله الغنيم

صدر العدد الأول في كانون ثاني (يناير) ١٩٧٥
تصل أعدادها الى أيدي نحو ١٢٥٫٠٠٠ قارئ

يحتوي كل عدد على حوالي ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير تشتمل على : -

- مجموعة من الأبحاث تعالج الشئون المختلفة للمنطقة بأقلام عدد من كبار الكتاب المتخصصين في هذه الشئون .
- عدد من المراجعات لطائفة من أهم الكتب التي تبحث في النواحي المختلفة للمنطقة .
- أبواب ثابتة : تقارير - وثائق - يوميات - ببليوجرافيا .
- ملخصات للأبحاث باللغة الانجليزية .

ثمن العدد : ٥٠٠ فلس كويتي أو ما يعادلها في الخارج .
الاشتراكات : للافراد سنويا ديناران كويتيان في الكويت ، ١٥ دولارا أمريكيا في الخارج (بالبريد الجوي) .

للشركات والمؤسسات والدوائر الرسمية : ١٢ دينارا كويتيا في الكويت ، ٤٠ دولارا أمريكيا في الخارج (بالبريد الجوي) .

منشورات المجلة :

تصدر المجلة أيضا دراسات مستقلة متعلقة بشئون المنطقة صدر منها

١ - كتاب التكامل الاقتصادي في الخليج العربي (د . محمد هشام خواجكية) . ١٩٧٩ .
٢ - كتاب آفاق التنمية الصناعية في دول الخليج العربي (د . عبد الاله أبو عياش) . ١٩٧٩ .
٣ - كتاب حقوق الطفل في دولة الكويت (د . بدرية العوضي) . ١٩٧٩ .
٤ - كتاب الاحصاءات الاقتصادية في المملكة العربية السعودية (بدوي خليل) ١٩٨٠ .
٥ - دور جريدة فتاة الجزيرة في أحداث عام ١٩٤٨ بصنعاء (سلطان ناجي) ١٩٨٠ .

سلسلة وثائق الخليج والجزيرة العربية لعام صدر منها
الكتاب الأول وثائق الخليج والجزيرة العربية لعام ١٩٧٧ . ١٩٧٩ .

العنوان : جامعة الكويت - كلية الآداب والتربية - الشويخ - دولة الكويت .
ص . ب : ١٧٠٧٣ - الخالدية
الهاتف : ٨١٦٨٠٧ - ٨١٦٧٩٩ - ٨١٦٨٢

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير .

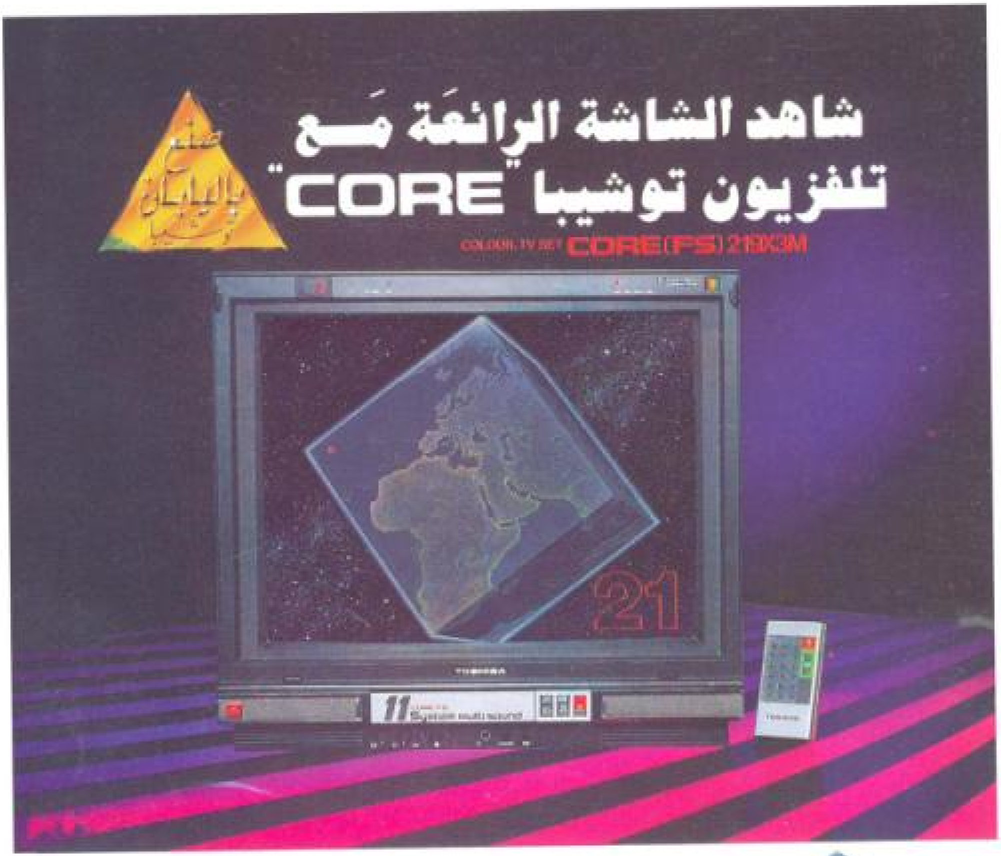

لأن الصورة الأنبوبية السبّاقة
FLAT SQUARE التي يتميز بها
تلفزيون TOSHIBA CORE (FS)
تتخلص من الزوايا المستديرة
التي تواكب شاشة جهاز
التلفزيون العادي فتعرض صورة بدون تشويش
بحجم ٢١ إنشاً بالكامل. أما التحكم لاسلكياً عن بعد
بـ ٢١ وظيفة فيوفر لك تحكماً كاملاً وملائماً بأداء
التلفزيون CORE (FS) الذي يتميز بنظام صوت فريد
يعتمد مكبرين للصوت باتجاهين.
كما بالإمكان وصل الجهاز بمكبرات
صوت مستقلة أو بسماعات الرأس.

ويتوافق الجهاز مع ١١ نظاماً تلفزيونياً بما يجعل
CORE (FS) جهازاً أساسياً ضمن أي نظام سمعي مرئي.
ولا فرق إذا كان إختيارك هو جهاز CORE (FS) أو
أي من أجهزة (CORE) الأخرى بقياس ١٤ أو ١٨
أو ٢٠ إنشاً فستكون أكيداً من الجودة كونه إنتاج
TOSHIBA في اليابان. • 21" FS صورة (مربع مسطح)
أنبوبية • تحكم عن بعد بـ ٢١ وظيفة • MSSS (نظام
صوتي خاص) مع نظام مكبرين للصوت باتجاهين
• فتحات توصيل للسماعات المستقلة وسماعة
الرأس • يتوافق مع ١١ نظاماً تلفزيونياً.

COLOUR TV SET
CORE 147X3M

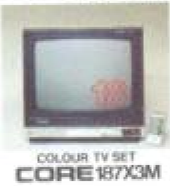

COLOUR TV SET
CORE 187X3M

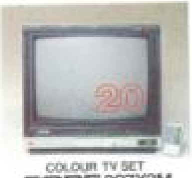

COLOUR TV SET
CORE 207X3M

Toshiba **TOSHIBA** TOKYO JAPAN

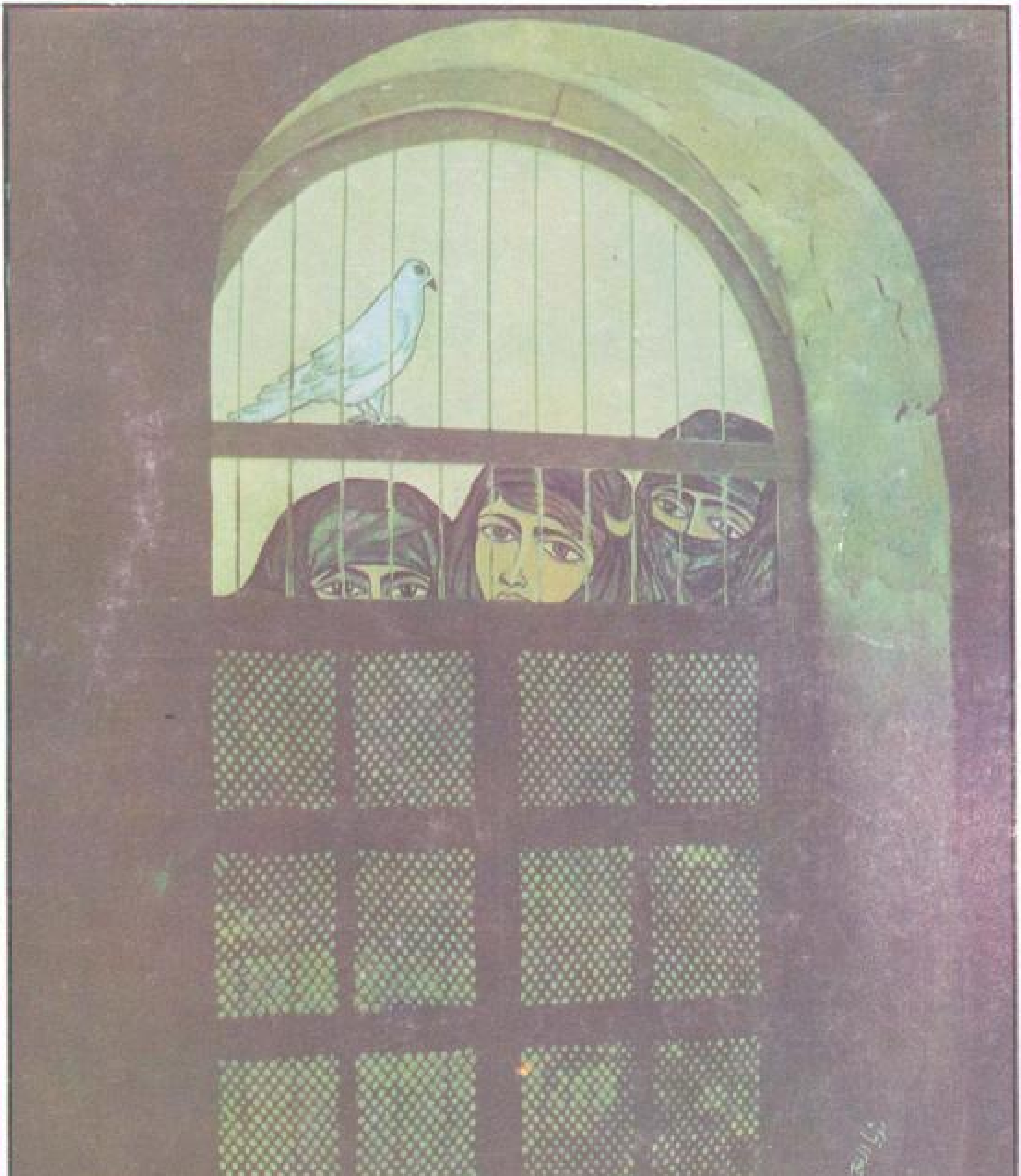

■ الحرية السجينة ■ إقرأ "لوحة وفنان" داخل العدد

ذو القعدة ١٤٠٤هـ - أغسطس (آب) ١٩٨٤

العربي

عباسيون.. في تركيا !

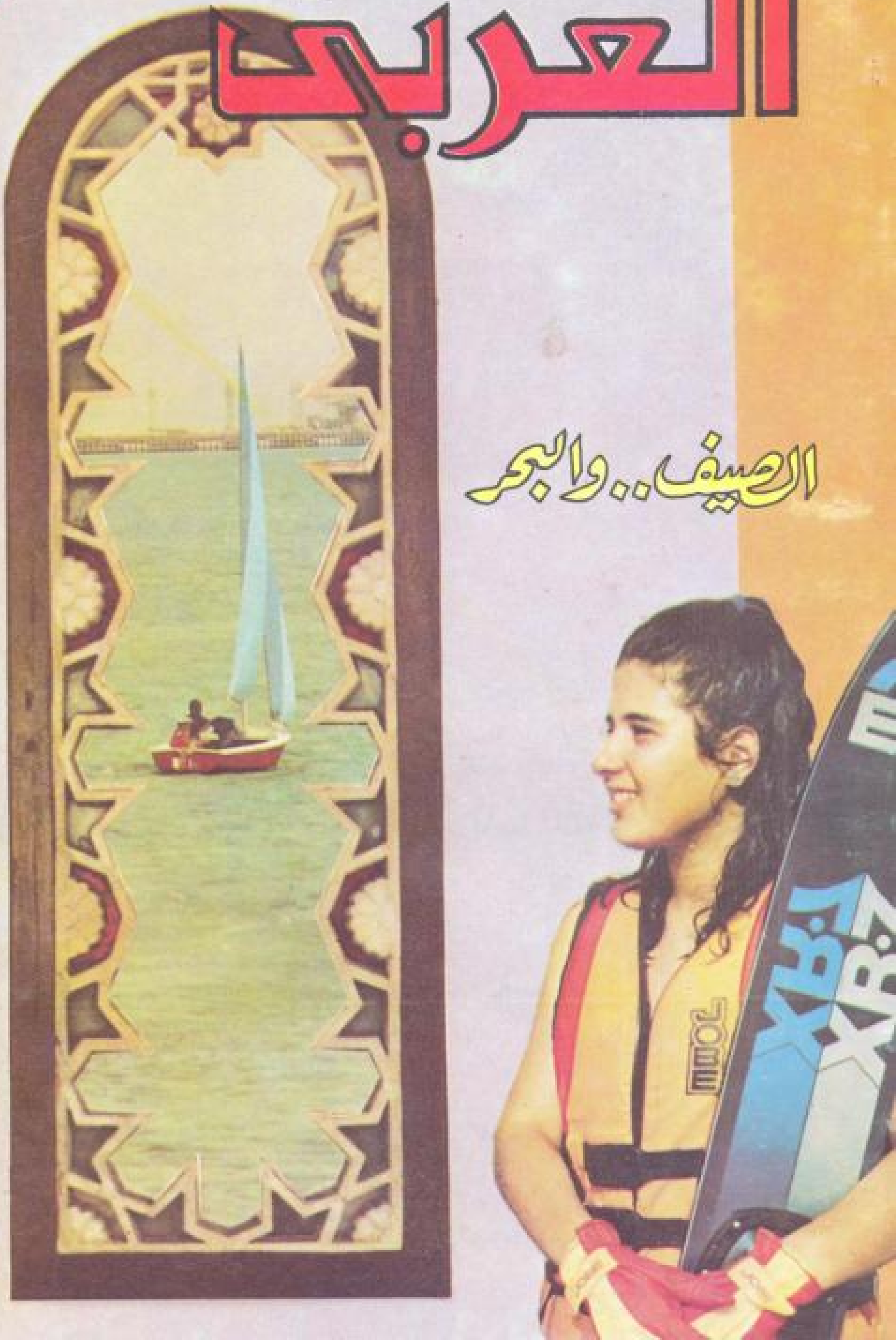

الصيف.. والبحر

NBK. Now in the West End.

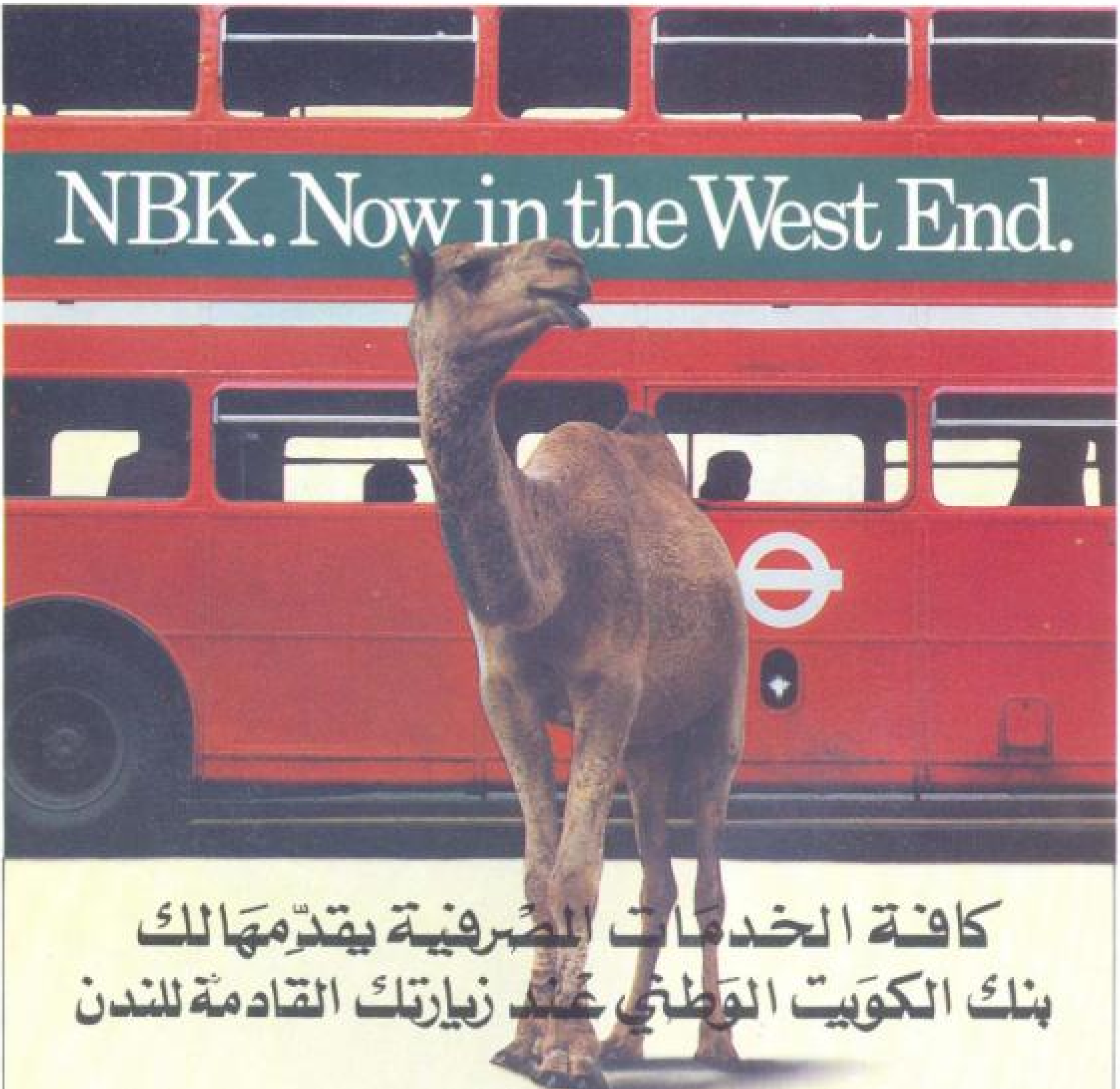

كافة الخدمات المصرفية يقدمها لك
بنك الكويت الوطني عند زيارتك القادمة للندن

بنك الكويت الوطني، اقدم واكبر بنك في الكويت، افتتح فرعه الثاني في قلب الوست اند من لندن. هذا الفرع الجديد الذي يقع بمحاذاة شارع اوكسفورد على مقربة من ماربل آرش فتح خصيصا ليساعد الزائرين الكويتيين ويجعل اقامتهم في لندن ممتعة، وذلك بتقديم النصح لهم وتوفير مجموعة شاملة من الخدمات المصرفية الشخصية.

اوقات الدوام كالآتي: من الاثنين الى الجمعة ٩٫٣٠ الى ٣٫٣٠ بعد الظهر، يوم السبت من ٩٫٣٠ حتى ١٢٫٣٠ بعد الظهر.

ـ فرع وست اند: ١٨ اورشارد ستريت، لندن W1، مقابل محلات سيلفردجز تلفون ٦٨١١ ٩٣٥ (٠١)

ـ لندن ـ فرع السيتي: ٩٩ بيشوبس جايت، لندن EC2، تلفون ٢٦٢٠١٩٢٠(٠١)، تلكس ٨٩٢٣٤٨

بنك الكويت الوطني (ش.م.ك)
The National Bank of Kuwait SAK
بنك تعرفه وتثق به.

مكتب الكويت الرئيسي: ص.ب ٩٥ الصفاة، الكويت، تلفون [illegible] تلكس [illegible] غرفة تداول العملات: تلفون [illegible] تلكس [illegible]

العربي

مجلة ثقافية عربية مصورة

رئيس التحرير

د. محمّد الرميحي

تصدر شهرياً عن وزارة الإعلام
بدولة الكويت للوطن العربي
ولكل قارئ للعربية في العالم
المجلة غير ملتزمة بإعادة أي مادة تتلقاها
للنشر والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

المراسلات

باسم رئيس التحرير

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة
قسم الإعلانات

الاشتراكات

ترسل الطلبات إلى : قسم الاشتراكات
المكتب الفني - وزارة الإعلام
ص.ب ١٩٣ الكويت

على طالب الاشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة
مصرفية ، أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الإعلام
طبقاً لما يلي :
الوطن العربي ٤ د.ك - باقي دول العالم ٦ د.ك

ثمن العدد

الكويت	٢٥٠	فلساً	السعودية	٥	ريالات
العراق	٢٥٠	فلساً	اليمن الشمالي	٣	ريالات
الأردن	٢٠٠	فلس	قطر	٥	ريالات
البحرين	٣٠٠	فلس	لبنان	٣	ليرات
اليمن الجنوبي	٢٥٠	فلساً	سوريا	٣	ليرات
مصر	٢٥٠	مليماً	الامارات	٥	دراهم
السودان	٢٠	قرشاً	المغرب	٣	دراهم
تونس	٤٠٠	مليم	ليبيا	٣٥٠	درهماً
الجزائر	٤	دنانير	سلطنة عمان		ربع ريال
بريطانيا		جنيه استرليني	أوروبا	دولاران	أو جنيه استرليني
فرنسا	١٥	فرنكاً	أمريكا		دولاران

العدد ٣٠٩
اغسطس ١٩٨٤

عنوان المجلة بالكويت
ص.ب ٧٤٨ صفاة
ت ٤٣٩٧٣٨-٤٤٦٨٤١٢-٤٤٧١٤١
برقياً "العربي" الكويت
تلكس : MITR-44041 KT

AL — ARABI
ISSUE No. 309 Aug. 1984.
P.O.Box KUWAIT

A Cultural Monthly
Arabic Magazine
in Colour
Published by:
MINISTRY OF
INFORMATION
STATE OF KUWAIT.

عزيزي القارئ

الاعلام سلاح فتاك في عصرنا هذا . . عصر ثورة المعلومات . . فهو يمكن أن يشكل الرأي العام ويضغط على متخذي القرار باتجاه أو آخر ، أو حتى يهيء لصراع تكون فيه للمهيمنين عليه مصلحة .

هذا ماقامت به وسائل الاعلام الغربية في الشهرين الاخيرين ، تجاه تصعيد القضايا السياسية المطروحة على الساحة العربية ككل ، وعلى منطقة الخليج العربي بالتحديد .

لقد بدا هذا الاعلام وكأنه يهيء المنطقة الى صراع جديد ، ولايهتم بالأمور الظاهرة ، والتي من المنطق أن يهتم بها أي اعلام . . ولكنه يغوص في التحليل والتوقعات ، ومن خلالها يدس السم في الدسم كما يقال .

من هنا فان حرص القاريء العربي على تمحيص ونقد مايسمع أو يقرأ من منظور المصلحة الوطنية العربية العليا ، ومصلحة الأمن القومي والسلامة الوطنية هي من أهم واجبات المواطن .

ليس المطلوب بالطبع إغلاق الأبواب والنوافذ . . ولكن المطلوب هو محاكمة ما نسمع ونقرأ من منظور العقل ، ومن منظور المصلحة العامة .

« العربي » عندما تقدم وجبتها الثقافية لهذا الشهر للمواطن العربي في أعقاب الشهر الفضيل ـ وفي موسم الاجازات ـ تحرص أن تقدم له وجبه ثقافية مفيدة للعقل والوطن على السواء .

المحرر

في هذا العدد

عباسيون في تركيا !

المعروف تاريخيا أن السلطان سليم الأول التركي اصطحب معه الخليفة العباسي المتوكل على الله الى استانبول ، بعد أن احتل بلاد الشام ومصر في بداية القرن السادس عشر .

فهل يمكن اعتبار العائلة الموجودة في تركيا الآن ، والتي تشير الى أن نسبها يعود الى العباسيين ، هي من سلالة الخليفة العباسي الأخير ؟ أم أنها تنتسب الى فرع آخر ؟ . . .

اقرأ الاستطلاع المصور بالألوان ص ٦٨

مشاهد من الكعبة والحج :

الكعبة . . . كيف بنيت ؟ . . ولماذا يتم الحج اليها ؟ وما هي حكايتها مع سيدنا ابراهيم ؟ . .

وحكايتها مع الذين لم يتورعوا عن قذفها بالمنجنيق ؟

أو الذين خلعوا الحجر الأسود من مكانه ونقلوه الى مكان آخر ؟

انها مشاهد حوارية مملوءة بالأحداث والمعلومات .

اقرأ ص ٣٥

السيخ معابد ورهبان . . ذهب . . . وعنف !!!

في شهر يونيو الماضي . حدثت معركة مواجهة بين القوات الحكومية الهندية ، وبين السيخ ، وتم اقتحام معبدهم الذهبي في مدينة امريتسار مما جعل هذا الحدث يحتل واجهة الاحداث في الصحافة العالمية .

فمن هم السيخ ؟ وما هي عقيدتهم . . ولماذا لجأوا الى العنف ؟

اقرأ ص (٣٠)

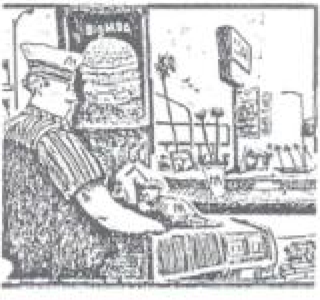

رسالتان :

من القاهرة :

أخذ الفلكلور ينال بعض الاهتمام في وطننا العربي . بل أن الكثير من الدراسات والندوات عقدت وسيتم عقدها ، لمناقشة الكثير مما يتعلق به . وأكثرها في جمهورية مصر العربية .

اقرأ الرسالة ص ١٠٢

من باريس :

الطلبة والشباب خيرة مستقبل الشعوب والامم ، فلماذا هم غاضبون في أوروبا ؟ وكيف ينظر فلاسفة الغرب الى ما يحدث في بلادهم ؟ اقرأ رسالة باريس ص ١٠٧

محتويات العدد

قضايا عامة

■ حديث الشهر : دروس التاريخ .. هل تستوعبها ؟
ـ د . محمد الرميحي ٨
■ عالم الأقوياء .. ودنيا الضعفاء
ـ عبدالحميد الكاتب ١٦
■ السيخ .. معابد .. ورهبان وذهب .. وعنف أيضاً ! !
د . شاكر مصطفى ٣٠

عروبة واسلام

■ السلطة السياسية في الاسلام .
ـ د . أحمد كمال أبو المجد ٢٢
■ مشاهد عن الكعبة .. والحج : لبيك .. لا شريك لك ..
ـ سليمان مظهر ٣٥
■ من ندوة العربي :
الشهاب ودورها في نهضة الجزائر وأقطار المغرب العربي الحديث .
ـ د . تركي رابح ٩٨

منتدى العربي

■ ثلاثية عصر الاستهلاك العربي
ـ د . السيد عليوة ٦٢
■ حتى لا يكون نقل التكنولوجيا سرابا
ـ زهير جرجاني ٦٥

طب وعلوم

■ ملح الطعام في قفص الاتهام
ـ د . حسن فريد أبو غزالة ٥٤
■ سلامة البشرية في سلامة البيئة ٨٥
■ طبيب الأسرة ١١٠
■ عيون الأسماك والضفادع هل تختلف عن عين الانسان ؟
ـ د . سرى فايز سبع العيش ١٣٢
■ الجبال المهاجرة
ـ مهندس سمير شعبان ١٤٠
■ الجديد في الطب والعلم
ـ يوسف زعبلاوي ١٦٦

آداب وفنون

■ الجبل والحصاة (قصيدة)
ـ فتحي سعيد ٥٢
■ قصة من الأدب التركي : العقدة ـ تأليف : عزيز نسين
ـ ترجمة : صفوان الشلبي ٨٨
■ رسالة القاهرة :
عام الاهتمام بالفولكلور
ـ فاروق خورشيد ١٠٢

■ حول كتاب من البيت الى القصيدة ـ دراسة في شعر اليمن الجديد .
ـ عبدالرزاق البصير ١١٣

■ لوحة وفنان
ـ ثريا البقصمي ١١٧

■ القطار يصفر ثلاث مرات « قصة »
ـ يوسف القعيد ١٢٢

■ صفحة لغة :
محبتك الغير فضيلة .
ـ محمد خليفة التونسي ١٣٠

■ اشتعال الجليد (قصيدة)
ـ غنيمة زيد الحرب ١٦٩

■ كتاب الشهر :
قراءة في كتاب الموت للكاتب الياباني يوكيوميشيما .
ـ نوح حزين ١٧٠

تربية وعلم نفس

■ الأخبار وجمهور الأطفال
ـ د . زكي الجابر ١٤٦

اجتماع

■ أرقام : المرأة ومصير العالم
ـ محمود المراغي ٢٨

■ المرأة والأسرة :
أيام ولت . . هل تعود ؟
ـ منير نصيف ٢١٨

تاريخ واشخاص

■ أوروبا وعصر الفراغ
ـ جليل العطية ١٠٧

■ حقائق عن علم الفلك عند العرب
ـ د . سالم الأنصاري ١٥١

استطلاعات مصورة

■ عباسيون في تركيا ! !
ـ سليمان الشيخ ٦٨

■ الصيف والبحر . . مياه زرقاء . . ورمال ناعمة وجليد في الصحراء
ـ وفاء طه ناجي ٩٦

■ افتح لنا أبواب مكتبتك ! جولة داخل المكتبات الخاصة .
ـ ريم الكيلاني ١٥٦

أبواب ثابتة

■ عزيزي القارىء ٣
■ العربي من ربع قرن ٦٠
■ من مكتبة العربي ١٧٦
■ مسابقة العربي الثقافية ١٨٠
■ حل المسابقة (٣٠٦) ١٨٢
■ معركة بلا سلاح (الشطرنج) ... ١٨٤
■ حوار القراء ١٨٦

دروس التاريخ..

لماذا يتعصب الناس لفكرة ما ، ويختلفون حولها ، الى درجة العداء والبغضاء ، وربما الى درجة القتل والاحتراب . . كل يريد أن يثبت أن وجهة نظره وحدها هي الصحيحة في الموضوع ؟ !

وما أكثر الأمثلة في عصرنا الحديث . ففي النصف الأول من هذا القرن ، اختلفت دول أوروبا الى درجة أن قامت بين شعوبها حربان سميتا « عالميتين » ، وكان أساس ذاك الاختلاف وتلك الحروب ، اعتقاد كل معسكر أن طريقته في التفكير وحلوله لمشاكل البشرية هي الأصح دون حلول الآخرين .

وينقسم عالمنا اليوم الى معسكرين كبيرين ، أساس اختلافهما مبني على اعتقاد كل معسكر منهما أن لديه الحل الناجع لآلام البشرية ، وأنه هو على حق ، والآخر على خطأ .

والواقع ، أن الحقيقة التي لا تزال قائمة الى اليوم ـ حتى يثبت عكسها ـ تقول : « ان الاختلاف سنة من سنن الحياة ، وبدونه لا يستقيم أمر الحياة الدنيا » ، فمن خلال هذا الاختلاف بين الأمم والشعوب وعلى المستوى الفردي ، تسير الحياة وتتطور .

وإذا كانت شقة الخلاف في وجهات النظر حول الموضوعات التي وصل العلم الى حسم نسبي فيها ، قد ضاقت اليوم ، بصرف النظر عن رغبة الانسان الفرد أو المجموعات الانسانية المختلفة ، أو رغبة هذه الدولة ، أو تلك ، في تفسير هذه المعلومات أو استخدامها . . الا أن

هل نستوعبها ؟

بقلم : الدكتور محمد الرميحي

هناك من جهة ثانية موضوعات أخرى كثيرة ، لا زالت وجهات النظر فيها متباعدة . وبالتأكيد لو أننا وصلنا الى حل علمي ونهائي لها ، لكان عالمنا قد أصبح أفضل مما نحن عليه اليوم ، ولكن ليس كل ما يتمناه الانسان يدركه .

كلما قربنا من الموضوعات السياسية والاجتماعية ، وجدنا أن وجهات النظر وشقة الخلاف تتسع ، لا لشيء إلا لأن رغباتنا كأفراد ومجموعات بشرية تؤثر تأثيراً كبيرا فينا ، فنقتنع بما نريد ونتمنى ، لا بما يقوله لنا الواقع ، وتؤكد عليه الشواهد .

التأثير الذاتي والهوى الشخصي في هذه الموضوعات كبير . . وكبير جداً ، يصل فيه الانسان في بعض الأوقات الى نفي العقل والتشبث بالتمني . مثال ذلك شخص فقد بصره وطال تردده على الأطباء دون جدوى ، ولكنه يظل يبحث عن علاج في كل شاردة وواردة ، يجرب أطباء سمع بهم ، أو وصفات شعبية يعتقد أن فيها العلاج الناجع . . هذا الشخص يكون تأثير تمنياته أكبر بكثير من قناعاته العلمية ، مثله مثل المجموعات الانسانية والدول ، فرغم أنها ليست ذاتاً واحدةً ، الا أن ضميرها العام يبحث أيضاً عن مخرج وتبريرات ، حتى لو كانت غير منطقية أو علمية . ويشتد هذا البحث في أوقات الأزمات .

هل التاريخ يعيد نفسه ؟

أحد الأفكار الرئيسية التي يشتد الخلاف حولها بين المجموعات البشرية في عالمنا الحاضر ، هو ما اذا كان التاريخ يعيد نفسه أم لا ؟ وهل يستفيد الانسان والدول من دروس التاريخ أم العكس ؟

الاختلاف على هذه الفكرة المركزية ، لو أمكن حله ، لتغير مصير البشرية ومسيرتها . ولكنه ـ حسناً كان ذلك أو سيئاً ـ ما زال مجال بحث وأخذ ورد .

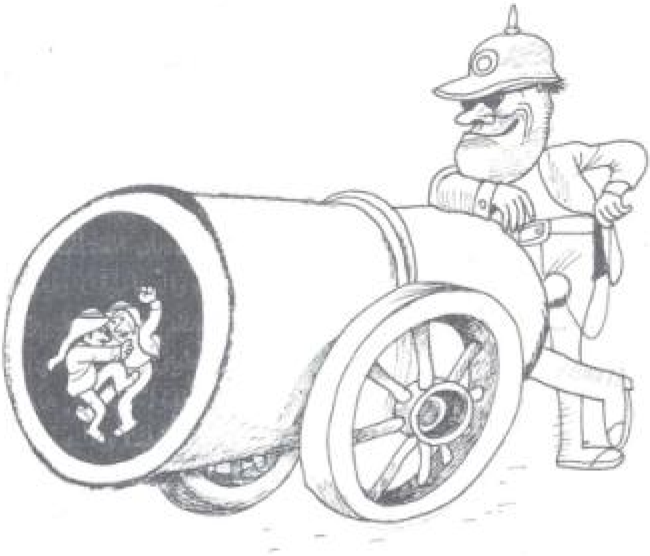

وكـل من يقنع بفكـرة أن للتاريـخ دروسـاً يمكن فهمهـا واستخلاصها ، يتوجه في حياته وفلسفته باتجاه معين . . وكل من يقنع بالفكرة النقيضة - بأن التاريخ مجرد حوادث تمر على الانسان والبشرية دون أدنى ربط بين حلقاتها وبين مقدماتها ونتائجها - يتوجه أيضاً في حياته وفلسفته الشخصية والاجتماعية في اتجاه آخر .

ولكل من الفكرتين - المتناقضتين ظاهرياً - أنصارها والمدافعون عنها بحجج قوية ، بعض منهم يقبل فيها الحل الوسط ، والبعض الآخر يرفض ذلك الحل بتعنت وعناد .

هناك من يقول إن التاريخ لا يعيد نفسه ، وانه ليس هناك شواهد عملية تجعلنا نؤمن بالتكرار التاريخي ، مثل تكرار شروق الشمس من المشرق ، أو مثل تكرار زيادة طول قضيب من الحديد من جراء تسخينه الى درجة حرارة معينة ، أو أن هتلر ليس مثل نابليون ، أو أن الدولة العربية في الأندلس ليست مثل الدولة العربية في بغداد أو القاهرة . . أو أن هزيمة العرب في عام ١٩٦٧ ليست كمثل هزيمة فرنسا ابان الحرب العالمية الثانية . . وحتى الثورات العربية الحديثة ليست متماثلة . . فما

حدث في مصر في سنة ١٩٥٢ غير ما حدث في بغداد سنة ١٩٥٨ ، وليس كما حدث في اليمن سنة ١٩٦٢ على سبيل المثال .

●●●

ولكن الرأي المقابل يقول ان ذلك صحيح ، ولكن فقط في ظاهره ، فالتاريخ لا يعيد نفسه بحذافيره ، ولكن الجوهري والمشترك منه يعيد نفسه ولو بشكل غير ظاهر ، فالثورات العربية الحديثة مثلا ليست متماثلة في تفاصيلها ، ولكن أسبابها والظروف التي قادت اليها وحتى نتائجها ، فيها شيء كثير من التشابه ، فالتاريخ إذن يعيد نفسه ، وقد لايكون في التفاصيل الدقيقة ولكن في المسار العام .

ولقد تم ترديد هذه الحقيقة الاجتماعية منذ أن توصل اليها المفكر العربي ابن خلدون ، عندما تناول في مقدمة تاريخه المشهورة تصوره لقوة الدولة وضعفها ، من بداوة غليظة وعلاقات مباشرة تكون فيها الدولة على أشدها ، الى نعومة وطراوة تؤدي الى ضعف الدولة ، والى هزال يكون مجال طموح للبدو المحيطين ، يغريهم بالانقضاض عليها وتكوين الدولة الجديدة .

هذه الملاحظات الدقيقة التي توصل اليها ابن خلدون ، تبعه فيها آخرون عن قصد أو بمحض الصدفة ، لتأكيد دورات التاريخ .

هؤلاء الفلاسفة جميعاً اشتركوا في تأكيد فكرة الدورات التاريخية . . وبالتالي دروس التاريخ ، ولكن ـ كما قلنا ـ في القضايا الجوهرية والعامة ، وليس بالدقة العلمية المطلقة أو حتى شبه المطلقة . .

لماذا ؟

البحث عن الانسان :

عدم دقة نظرية تأثير التاريخ الحتمي على مسيرة البشرية وعلى تطور المجتمعات ، يأتي في أن أحد أهم مدخلات هذا الموضوع ـ أو

أحد عناصر التأثير فيه ـ هو الانسان . . الذي ليس آلة أو شيئاً يمكن التحكم فيه دون ارادته . فالانسان له ارادة ، ويستطيع أن يتحكم في مسيرة الحوادث ، ويؤثر فيها بهذا الاتجاه أو ذاك .

ولكن على الرغم من أن هذه حقيقة بسيطة وواضحة ، إلا أن على الانسان أولاً ـ كي يتحكم في مسيرة التاريخ أو يؤثر عليه ـ لا بد أن يعرف ويفهم دروس التاريخ . فإن فشل في فهمها أصبح تحكمه فيها وتأثيره عليها ناقصاً ، ان لم يكن شبه معدوم .

لذلك نجد أن مخزون الخبرة البشرية ـ التي نسميها في وقت ما حكماً وأقوالاً مأثورة أو نسميها في وقت آخر تعاليم المصلحين ـ تحثنا دائماً على فهم مسيرة التاريخ والتأثير فيه كلما استطعنا . . ونحن لا نستطيع أن نؤثر فيه دون أن نفهمه .

على سبيل المثال لا الحصر . . عندما نقول في مأثوراتنا العربية « العدل أساس الملك » ونعلق تلك الحكمة في أماكن ظاهرة من مؤسساتنا ، فاننا نعني أن التاريخ قد أثبت ـ من خلال تجاربه العديدة وعلى مر عصوره ـ أن دوام الحكم أساسه العدل بين الناس .

صحيح أن كلمة العدل أو مفهوم العدل يتغير مع الزمان والمكان ، ولكن روح العدل هنا هي المقصودة ، ومتى زالت تلك الروح وتعمدت السلطة الاخلال بالعدل بين الناس ، أصبح ملكها ودوامه في مهب الريح .

ومثل ذلك أمثلة أخرى كثيرة . . فالضعف والفرقة والتشتت الذي تبتلى به الأوطان ، يقود في النهاية إلى ضياع الأوطان . هكذا علمنا تاريخنا نحن العرب في الأندلس ، وتاريخ غير العرب في أماكن أخرى من العالم .

ومع ذلك نجد أنفسنا اليوم كعرب ، نجتر الفرقة والتشتت والخصام . والنتيجة المتوقعة بعد ذلك ـ كما يقول لنا التاريخ ـ إما فقد الأوطان ، أو الهوان على أرضها .

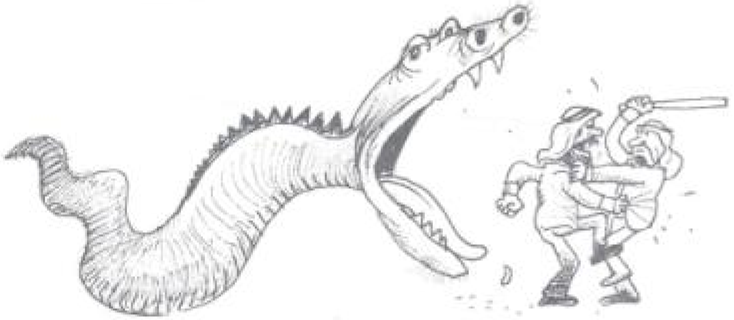

في الوقت نفسه نعرف أن القوى المعادية للأمة العربية ـ وهي تتغير بتغير التاريخ ـ لا تريد أن ترى هذه الأمة قوية موحدة الكلمة والهدف . وفي تاريخنا الحديث أمثلة كثيرة . فكلما تقاربنا أكثر وقربنا الى النهضة . . تكالب علينا الأعداء وأجهزوا على قوانا ، نتيجة ما بيننا من اختلاف ، قبل ان يكون نتيجة ما لديهم من قوة .

الاستفادة من التاريخ :

عرب الثمانينيات مطلوب منهم أن يستفيدوا من دروس التاريخ . فالاختلاف والفرقة والتطاحن لا تتيح لفريق أن يخرج منتصراً والآخر مهزوماً . . الخلاف والفرقة تعني في نهاية المطاف أن نخرج جميعاً مهزومين .

وتلك هي مآسينا العربية شاهد على كل ذلك :

وطن سليب هو فلسطين ، وآخر ممزق هو لبنان ، يعاني فيه الفرد العربي اللبناني الأهوال كل يوم ، بل كل دقيقة ، بسبب الخلاف والتطاحن .

بل إن نذر الشر أيضاً بدأت تتجه الى الخليج ، الذي أراد له أبناؤه أن يقف صامداً موحداً في مواجهة التحديات ، ويريد له أعداؤه

دخول شبكات الصراع غير الحميد ولا المؤدي الى هدف إيجابي .

والأساس في كل هذه المآسي هو فرقتنا نحن العرب ، واختلافنا على القضايا ـ الرئيسية منها والفرعية ـ وعلى رأسها الأمن العربي الذي يعرض الجميع لمخاطر ، قد يعرف أولها ولا يعرف آخرها .

قراءة التاريخ العربي الحديث تكشف لنا أن واقع التفتت والتجزئة المشاهد حاليا ، هو أحد الأسباب الرئيسية لكل ما تتعرض له أجزاء الوطن العربي من عدوان .

ودرس التاريخ المستفاد أنه بدون حدوث تغيرات في العلاقات الداخلية والخارجية لأقطار الوطن العربي بعضها ببعض ، سنظل تحت رحمة الآخرين . وليس المخرج صعباً أو مستحيلاً . . فان لم تكن فدرالية تضم معظم الأقطار العربية ـ بمعنى وجود سياسة خارجية واحدة ، وجيش عربي واحد ، وعملة واحدة ، ونظام تربوي واحد ـ كحد أدنى . . .

اذا لم يكن ذلك ، فليكن على الأقل وجود أشكال من التنسيق والتعاون تعتمد على معطيات ثابتة ، منها الادراك التام لخطورة التهديدات الخارجية على المصالح العربية ، وعلى شرعية هذه الأقطار الداخلية والخارجية ، والادراك التام لمدى ما تواجهه آفاق التنمية القطرية من طرق مسدودة في معظم أقطارنا ، بسبب ضيق الأسواق أو نقص الموارد المحلية ، والذي أدى الى تردي الأداء الاقتصادي والسياسي ، وزيادة التبعية لطرف أجنبي هنا أو هناك .

واذا لم يكن كل ذلك دافعاً لنا الى استجابة عقلانية لدروس التاريخ ، لحفظ ما بقي لدينا من كرامة وأرض ، ولبناء مستقبل معقول . .

فمتى نعي ـ إذن ـ دروس التاريخ ؟ !

محمد الرميحي

عالم الأقوياء .. ودنيا الضعفاء

بقلم : عبد الحميد الكاتب

□ يتردد الحديث فيما يكتبه المحللون السياسيون عن تقسيم بعض البلاد ـ أو حتى بعض الأقاليم ـ تقسيما جغرافيا ، أو تقسيما سياسيا ، بين المعسكرين الدوليين الكبيرين . . وهم يبدئون ويعيدون أن هذا هو الحل العملي للمشاكل المعقدة ، التي تعيش فيها هذه البلاد والاقاليم . . فهل هذه هي الحقيقة ؟

بعض البلاد العربية ـ وليس لبنان وحده ـ في مقدمة البلاد المرشحة للتقسيم الجغرافي بين الطوائف والملل والاجناس.

بل ان منطقة الشرق الأوسط كلها ـ امتدادا من أفغانستان وايران في الشرق ، ومرورا بمنطقة الخليج العربي التي تمتد اليها الحرب الايرانية العراقية ، ثم المنطقة التي أغمدت فيها اسرائيل كما يغمد الخنجر في قلب الكائن الحي ـ كل هذه المنطقة الفسيحة التي تتوسط العالم مرشحة ـ فيما يقوله المحللون السياسيون الكبار ـ للتقسيم السياسي الى مناطق نفوذ تدور في فلك أحد المعسكرين الدوليين الكبيرين . .

هل هذا ممكن ؟ . . بل هل هذا معقول ؟

هل يمكن أن تقسم الدول في عصرنا هذا الذي شهد تصفية الاستعمار وانتهاء الامبراطوريات واستقلال الشعوب . . عصر الأمم المتحدة التي ترفرف فوقها أعلام مائة وثمان وخمسين دولة ، بعد أن كان عدد هذه الاعلام يوم قامت الأمم المتحدة منذ أقل من أربعين سنة خمسين علما ، ترمز الى أن هذا هو عدد الدول المستقلة في العالم ؟

صحيح أن عصرنا هذا شهد تقسيم بعض الدول . . وكان التقسيم أحيانا برضى الشعب ، لأنه كان الحل الوحيد لاستحالة

تعايش الطوائف المختلفة في أمن وتعاون ، فانقسمت الهند القديمة الى دولتين هما الهند وباكستان ، ثم انقسمت باكستان فيما بعد الى دولتين هما باكستان وبنجلاديش . . ولكن غالبا ماكان التقسيم مفروضا على الشعب بقوة السلاح ، أو على الأصح وفقا للخطوط التي وصلت اليها الجيوش المتحاربة في أثناء الحرب العالمية الثانية . . فهكذا قسمت المانيا بما فيها مدينة برلين ، عند الخطوط التي وصل اليها الجيش السوفيتي من ناحية ، ووصلت اليها القوات الاوروبية والأمريكية من ناحية أخرى . . وكذلك كان تقسيم كوريا . . وتقسيم فيتنام .

تقسيم فلسطين

أما تقسيم فلسطين فقد فرض على أهله قهرا وعدوانا . . وفرضته قوة مزدوجة ، هي قوة الدول الكبرى التي فرضت قرار التقسيم وقوة الارهاب الصهيوني التي نفذت قرار التقسيم . . ونفذته على الوجه الذي أرادته ، فالتهمت القوات الصهيونية ـ حتى قبل أن تقوم اسرائيل ـ جزءا كبيرا من القسم الآخر وضمته الى نصيبها من الغنيمة . . ثم قامت اسرائيل وتقوت والتهمت ماكان باقيا من ذلك القسم الآخر . . التهمت فلسطين كلها والتهمت أجزاء أخرى من الدول العربية المجاورة . . تنفيذا لاهداف سياسية حددتها الحركة الصهيونية منذ البداية ، وسعت اليها بالتدريج وستظل تسعى ! . . ورغم أن اسرائيل انتهكت قرار التقسيم منذ البداية ، فقد ظلت تملأ أسماع العالم حتى أصابته بالصمم ، بأنها أيدت قرار الأمم المتحدة بتقسيم ، فلسطين ، وأن العرب هم الذين رفضوا قرار التقسيم . . وصدق العالم هذا الافتراء ، بل أن العرب أنفسهم صدقوه ! . . والسبب في هذا الوهم الكبير أن الحكام والزعماء العرب في ذلك الوقت ، والى عهد قريب كانت لهم ألسنة طويلة تقول أنهم يرفضون التقسيم ، بينما كانت أيديهم قصيرة لاتستطيع أن تحصل على نصيبها من ذلك التقسيم !

ان تقسيم بعض الدول والأقاليم صار سمة من سمات العصر الحديث ، وكل ماهناك من فرق بين ماحدث في ألمانيا هذه وبين ماكان يحدث منذ قرن من الزمان . . انه في الماضي كانت البلاد والأقاليم تقسم الى مستعمرات ومحميات وممتلكات تستولى عليها الدول القوية . . أما في الحاضر فلا استعمار ولاحماية ولاوصاية أجنبية ، وانما تقسم البلاد التي تمتد اليها أطماع الدول الكبرى أو تدخل في استراتيجيتها الى مناطق نفوذ !

الفرق بين « المستعمرة القديمة » وبين « منطقة النفوذ » الحديثة . . ان المستعمرة كانت غير مسئولة عما يتعرض له شعبها من استبداد واستغلال ، فهذا من فعل الأجنبي المستعمر الغاشم . . أما منطقة النفوذ فهي مسؤولة أمام نفسها وأمام العالم عما يقع فيها من فساد وتخبط وفوضى ، وهي المسؤولة عما تتعرض له من استغلال وابتزاز ، لأن لها حكومة وطنية من أهل البلاد . . وان كانت السلطة الفعلية في يد الدولة الكبرى صاحبة النفوذ . .

ولندع بلاد العالم الثالث التي أصابها التقسيم الجغرافي أو التقسيم السياسي . . لندع الهند وباكستان وكوريا وفيتنام وفلسطين . . ولننظر الى عدد من الدول الاوروبية ، التي صارت خاضعة لنفوذ احدى الدولتين العظميين ، وصارت كل منها ، جزءا من المعسكر الشرقي ، وعلى رأسه الاتحاد السوفيتي ، أو جزءا من المعسكر الغربي ، وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية .

ان الدول الاوروبية الصغيرة والمتوسطة أكثر تقدما من مثيلاتها في القارات الأخرى . . فهي أرسخ قدما في الحضارة العلمية الصناعية

الحديثة ، وهي أكثر نصيبا من النمو الاقتصادي وارتفاع مستوى المعيشة . . وشعوبها تكاد تتقارب حضاريا واجتماعيا . . وهي لهذا كله أقدر على أن تتعايش معا في سلام ، وان تتعاون في أسواق مشتركة تربط دول أوروبا جميعا ، بل هي قادرة على ان تتجمع معا في برلمان واحد ، ينسق أمورها ، ويقوى روابط التعاون والتكامل بينها .

معسكران في أوروبا

ولكن ماذا حدث ؟ . . ان وجود دولتين أكبر وأقوى من هذه الدول الاوروبية ، ودخول هاتين الدولتين الى قلب أوروبا بقواهما العسكرية والسياسية والاقتصادية ـ رغم ان احداهما تقع على بعد آلاف الاميال من أوروبا ، ورغم أن الاخرى جذورها آسيوية ولم تدخل نطاق العالم الاوروبي الا منذ عهد قريب ـ ثم تصارع هاتين الدولتين فيما بينهما من اجل السيطرة على أكبر عدد من الدول الاوروبية . . هذا هو الذي قسم أوروبا الى قسمين كبيرين ، قسم يسمى أوروبا الشرقية ، وقسم يسمى أوروبا الغربية . . وهذا هو الذي أقام بينهما حاجزا فاصلا يسمونه الستار الحديدي . . وهو ليس بستار وهمي ، بل هو حاجز حقيقي . . فعلى جانبيه انتشرت قواعد وحاميات عسكرية ، حاشدة بالجنود والأسلحة من جميع الاصناف . . وتحيط بكل منطقة منها أساطيل حربية ، تحمل سفنها طائرات وقاذفات قنابل وصواريخ ، ومنها صواريخ لها رؤوس نووية . . وهكذا تحولت القارة الاوروبية الى معسكرين ، يواجه أحدهما الآخر . . ويتربص به ، ويهدده بالحرب والدمار !

من يالتا الى بوتسدام

كانت قصاصة من ورق . . ثم صارت القصاصة اتفاقية اسمها اتفاقية « يالتا » ثم تبعتها اتفاقية أكثر تفصيلا وتحديدا اسمها اتفاقية « بوتسدام »

لم تكن الشعوب الأوروبية وممثلوها موجودين هناك عندما كتب تشرشل قصاصة الورق هذه ، وانما كان رجلان اثنان حول المائدة هما تشرشل وستالين . . ومعهما وزيرا الخارجية انطوني ايدين ومولوتوف . . ومعهم مراقب من أمريكا ما زال على قيد الحياة هو افريل هاريمان . .

لنقرأ ما كتبه تشرشل وهو يحكي قصة هذه الورقة ، التي كتبها بخط يده فقسم بها عددا من الدول الأوروبية على الوجه الذي تراءى له في تلك الأيام . . وقد حكى تشرشل هذه القصة التي تبين ما تفعله الدول القوية بالدول والشعوب الضعيفة ، في الجزء السادس والأخير من كتابه الضخم عن الحرب العالمية الثانية . . فقال ما أترجه حرفيا :

« هبطنا موسكو بعد ظهر يوم ٩ أكتوبر ١٩٤٤ ، واستقبلونا استقبالا حارا . وكان هناك مولوتوف وعدد من الشخصيات الروسية المهمة ، ووفروا لنا كل أسباب العناية والراحة فخصصوا لي منزلا ، ومنزلا لانطوني ايدن ، وتركونا نتناول العشاء معا على انفراد .

« وفي الساعة العاشرة مساء عقدنا أول اجتماع لنا في الكرملين ، وكان هناك ستالين ومولوتوف وهاريمان ممثلا للرئيس روزفلت ، وايدن وانا . . واثنان من المترجمين . . ووافقنا فورا على دعوة رئيس وزراء بولندة ووزير خارجيتها في الحكومة البولندية القائمة في لندن . . لأن هذا الاجتماع كان خاصا بتقرير مصير بولندة »

« ووجدت ان الفرصة ملائمة للكلام في مسائل أخرى مهمة . . فقلت لستالين : دعنا نتفق الآن على البلقان . . ومستقبل دول البلقان .

« ان جيوشك موجودة حاليا في رومانيا وبلغاريا .. ونحن لنا ارتباطات ومصالح ببلاد أخرى ولنا فيها بعثات عسكرية .. فدعنا نتفق .. واذا كانت بعض أهدافنا متعارضة فيجب ألا ندع المسائل الصغيرة تقف في طريقنا .

فما رأيك ـ مخاطبا لستالين ـ في أن تتفق على أن لك تسعين في المائة من رومانيا ، مقابل أن يكون لنا تسعون في المائة في اليونان ؟ .. ونتفق أيضا على يوغوسلافيا ، خمسون في المائة لكم وخمسون في المائة لنا »

ويمضي تشرشل في كتابه فيقول :

« وبينما كان المترجم ينقل ماقلته الى اللغة الروسية أخذت ورقة صغيرة وكتبت عليها مايلي :

رومانيا	٩٠٪ لروسيا
	١٠٪ لنا
اليونان	٩٠٪ لبريطانيا
	(بالاشتراك مع أمريكا)
	١٠٪ لروسيا
يوغوسلافيا	٥٠٪ لروسيا
	٥٠٪ لنا
المجر	٥٠٪ لروسيا
	٥٠٪ لنا
بلغاريا	٧٥٪ لروسيا
	٢٥٪ لنا

« ورفعت الورقة الى ستالين .. وقرأها .. ومضت لحظة قصيرة .. ثم أخذ قلما أزرق وأشر على الورقة بعلامة « صح » .. ودفع بالورقة الى . وانتهى الأمر في بضع دقائق !

« طبعا كنا قد فكرنا طويلا في موقفنا من مشاكل البلقان بعد ما تنتهي الحرب ، وكنا نريد أن نتفق على المشاكل المباشرة التي ستنشأ عندما تتوقف الحرب ، أما المشاكل الأخرى فقد تركناها الآن لكي تبحثها جميع الأطراف المعنية في مؤتمر للسلام يعقد بعد الحرب .

« وبعد هذا كانت هناك فترة صمت طويلة .. وكانت الورقة التي كتبتها وعليها تأشيرة ستالين بالموافقة وسط المائدة بيننا .. فقلت لستالين : ألا يمكن أن تعد هذه سخرية بالغة ، اذا تبين العالم فيما بعد أننا اتفقنا على هذا الحل الذي يقرر مصير ملايين من البشر بمثل هذه البساطة .. وبهذه الطريقة المرتجلة ؟ دعنا نحرق هذه الورقة » ..

فقال ستالين : لا .. احتفظ بها .. لقد اتفقنا على هذا »

هكذا تحدد المصير !

هذا ماسجله تشرشل في كتابه المفصل عن الحرب العالمية الثانية .. وهكذا جلس الزعيمان البريطاني والروسي ، ومعهما المشاهد أو الشريك الأمريكي ، وقرروا في بضع دقائق مصير خمس دول أوروبية .. هذه لكم ، وهذه لنا ، وتلك مناصفة بيننا !

وكانت هناك دول أخرى لا داعي حتى لمجرد الكلام عنها ، فمصيرها قد تقرر وانتهى فعلا ، فدول البلطيق التي كانت منذ عهد قريب دولا مستقلة قد صارت أجزاء من الاتحاد السوفيتي .. وبلاد آسيا الوسطى التي يعيش عشرات الملايين من المسلمين ، والتي وعدتها موسكو في بداية العهد الشيوعي بأن تكون حرة مستقلة ، صارت مستعمرات روسية تحمل أسماء « جمهوريات سوفيتية » .. أما الدول الأوروبية التي تقع في غرب القارة ، فمصيرها أن تكون في دائرة النفوذ البريطاني الأمريكي .. وحتى ذلك الوقت ، أكتوبر ١٩٤٤ ، كان تشرشل يحلم بأن يكون النفوذ الأول والأكبر لبريطانيا وليس لأمريكا ، وكان يحلم بأن ينتهي دور أمريكا عند كسب الحرب بقوتها الصناعية

المماثلة .. أما بعد الحرب فسيعود الأمريكان الى بلادهم وراء المحيطات .. ولن يعنيهم من أمور العالم أكثر من الاشتراك في المنظمة التي اتفقوا على اقامتها واختار لها روزفلت اسم : الامم المتحدة » !

هذا ماحدث في أوروبا .. جلسة بين زعيمي الدولتين الكبيرتين في ذلك الوقت ، بريطانيا وروسيا ، وبحضور ممثل الولايات المتحدة .. ثم مؤتمر في مدينة « يالتا » من مدن الاتحاد السوفيتي ، يوقعون فيه على اتفاقية تقسم دول أوروبا .. هذه مجموعة شرقية من ست أوسبع دول تخضع لسيطرة موسكو ، وهذه مجموعة غربية من اثنتي عشرة دولة تدور في فلك لندن ... أو في فلك واشنطون ، التي سترث لندن بعد قليل في زعامة العالم الغربي » !

اذا كان هذا هو مافعلوه بالدول الأوروبية وهي أهم بكثير من غيرها من الدول صناعيا واقتصاديا ، وأرقى سياسيا واجتماعيا .. فما بالك بباقي مناطق العالم ؟ .. هذه جميعا كان مصيرها معروفا ، فلا داعي لاجتماع يعقده الزعماء الكبار ، ولالمؤتمر يضم الدول الكبرى ، لتحديد نصيب كل منها في سائر قارات العالم وأقاليمه » .

فالأمر واضح فيما يتعلق بدول أمريكا اللاتينية الجنوبية منها والوسطى على السواء ، فهي طبعا من نصيب الولايات المتحدة الأمريكية .. ان ستالين معترف وموافق تماما على أن هذه القارة كلها هي « مستعمرة » أمريكية وان كانت تقوم فيها حكومات من أهل البلاد وترتفع فيها أعلام تعطيها مظهر الاستقلال ! وقد اندهش ستالين واستنكر أن تقترح الولايات المتحدة أن تكون دول أمريكا اللاتينية أعضاء في الامم المتحدة ، وقال ان هذه ليست بلادا مستقلة .. ولكنه من باب التسامح والتساهل يقبل أن تنضم جميعا لكتلة واحدة يكون لها صوت واحد في الأمم المتحدة ! .. ولم يقبل أن تنضم بلاد كبيرة مثل البرازيل والارجنتين والمكسيك ، الا بعد أن قبلت بريطانيا وأمريكا أن تنضم قطعتان من الاتحاد السوفيتي اسمها أوكرانيا وروسيا البيضاء الى الأمم المتحدة كدولتين مستقلتين ، مع أنه ليس لأي منها حكومة ولا وزارة خارجـ ولاحتى علم خاص بها !

لاخلاف على آسيا وأفريقيا

أما القارة الأسيوية ، ومثلها القارة الأفريقية ، فما هما الا مجموعة من المستعمرات الأوروبية .. انجليزية وفرنسية وهولندية وبلجيكية وبرتغالية .. وهذه أيضا لاخلاف عليها .. فهي باقية في أيدي الدول الأوروبية التي استعمرتها منذ قرن وقرنين من الزمان .. وماكان يخطر في بال تشرشل ولاستالين ولاحتى روزفلت ومن بعده ترومان ، ان هذه المستعمرات يمكن أن تصير دولا مستقلة في المستقبل المتطور .. فان الدول الأوروبية لم تخض غمار الحرب العالمية الثانية التي مات فيها ملايين وملايين من الأوروبيين ، ودمرت فيها المصانع والمدن والمرافق الأوروبية ، لكي تتحرر وتستقل شعوب وأقوام في آسيا وافريقيا ! .. ان الاستعمار باق وان كان قد ينتحل اسما جديدا هو نظام الوصاية الذي تحدث عنه ميثاق الأمم المتحدة .. أو هو نظام تقسيم العالم الى مناطق نفوذ الدول الكبرى !

أما اذا انهزمت احدى الدول الأوروبية المستعمرة في الحرب ، كما حدث لايطاليا ، فان مستعمراتها تؤول الى احدى الدول الأوروبية الأخرى ! .. فمثلا كادت بريطانيا أن ترث ليبيا وأن تعطى قطعة منها اسمها فزان لفرنسا ! ولم « يعسر » هذه العملية الا أن روسيا طالبت بأن يكون لها نصيب في هذا الميراث ، وان تأخذ هي أيضا جزءا من ليبيا ! وكاد أن يحدث مثل هذا

بالنسبة لارتيريا والصومال ، وكادت أن تنتقل السيادة عليها من ايطاليا المهزومة الى دول أخرى منتصرة .. وكذلك كان الأمر في الشرق الأقصى ، فكوريا كانت مستعمرة يابانية .. فلما انكسرت اليابان كان الحل الطبيعي هو تقسيمها بين الدولتين الكبيرتين ، فتأخذ روسيا منطقة الشمال وتأخذ أمريكا منطقة الجنوب .. ولم يكن هناك خلاف على هذا التقسيم والتوزيع سوى تحديد خط العرض الذي يفصل بين ماتملكه روسيا وماتملكه أمريكا .. !

هذه اذن مناطق لاخلاف عليها بين الأقوياء المتصرين .. ولاحاجة للامريكيين ولا للسوفيت أن يعقدوا مؤتمرا أو يكتبوا معاهدة لتحديد مناطق النفوذ لكل منها .. أما اذا حاول أحدهم أن يدخل منطقة نفوذ الآخر ، فان هذا يعتبر اخلالا خطيرا بالسلم الدولي !

الصراع حول النفوذ

اذا حدث ان تدخلت أمريكا في منطقة النفوذ السوفيتي ، أو حاول السوفيت أن يتدخلوا في منطقة النفوذ الأمريكي ، فهذا هو الحدث الجلل الخطير الذي يجب أن يهب العالم كله ، ممثلا في الأمم المتحدة ومجلس الأمن فيها ، لاستنكاره ومعارضته ، لتوقيع العقوبات اذا أمكن ، بل الى المشاركة بالجيش والأسطول والطائرات لمحاربته ... كما فعلت عدة دول ارسلت جنودها من أقصى الأرض لتشارك أمريكا في محاربة كوريا الشمالية لانها اعتدت واخترقت الخط الفاصل بينها وبين امريكا الجنوبية .. !

وعندما تدخل السوفيت في منطقة النفوذ الأمريكي فنصب صواريخه في كوبا ، قام العالم في مجلس الأمن يندد بهذا العمل ويستنكره !

واتهم السوفيت الأمريكان بان لهم يدا في ثورة المجر سنة ١٩٥٦ ، وفي ثورة تشيكوسلوفاكيا سنة ١٩٦٨ ، وفيما يجري في بولندة الآن .. فقالوا ان هذا اخلال خطير بالأمن والسلم الدولي .. فهذه البلاد من نصيب الاتحاد السوفيتي ، فلا يجوز لأحد سواه أن يقترب منها ، ولاحتى أن يوجه اليها عبر الاثير كلمات مثيرة .

تبقى بعد هذا بضع دول في العالم غير واضحة « الهوية » لاهي سوفيتية ولاهي أمريكية .. فيريد كل من الجانبين أن يستحوذ عليها ويضمها الى جانبه .. أي يدخلها في منطقة نفوذه .. وكل هذه الدول التي يتقرر مصيرها النهائي في مؤتمرات الدول الكبرى في يالتا وفي بوتسدام هي من دول منطقة الشرق الأوسط !

ومن هذه الدول التي لم يتفق الكبار على تحديد هويتها ومصيرها في ذلك الوقت ايران وأفغانستان .

ومن هذه الدول التي لم يتفق الكبار على تحديد هويتها ومصيرها دول المشرق العربي .. وكلها دول مستقلة ، فيما عدا فلسطين التي التهمتها الصهيونية .. ولكن الاستقلال السياسي لايحمي الدول الصغيرة الضعيفة من أطماع الدول الكبرى ومن محاولات فرض السيطرة والنفوذ .

ولهذا كان من الطبيعي أن تكون هذه المنطقة في مهب حرب مستمرة بين الدولتين العظميين اللتين تحكمان الشرق والغرب . هذه الحرب التي اصطلحوا على تسميتها بالحرب الباردة ..

ولهذا عاشت منطقتنا طوال السنين الأخيرة ، ومنذ مايقرب من أربعين عاما ، وسط الحرب الباردة بين المعسكرين الكبيرين .. بل تولدت منها حرب باردة خاصة ببلادنا العربية .. تلتهب فتصير حربا دامية طويلة بين ايران والعراق .. وتتفجر فتصير معارك طائفية دموية في لبنان .. وتفجرت من قبل في اليمن .. وتأخذ صورة المحاور العربية التي تفكك وتفتت العالم العربي الى بلاد متنافرة متقاطعة ومتحاربة أحيانا .. بينما يجلس الكتاب والصحفيون في أمريكا وأوروبا فيكتبون مقالات ويكتبون كتبا عنوانها « الحرب الباردة العربية » □□

السُّلطة السِّياسيّة في الإسْلام

بين "الحكم الديني" و"العلمانية"

بقلم : الدكتور أحمد كمال أبو المجد

☐ اذا كان أول سيف سُلّ في الاسلام قد سُل على أعتاب قضية الخلافة ونظام الحكم ، فان حجر الزاوية في الخلافات الكبرى حول هذه القضية ، هو تحديد أساس شرعية السلطة التي تتمتع بها حكومة المسلمين . .

وفي تقديرنا أن خلطا كبيرا قد وقع عند الفكر السياسي الاسلامي ، تداخلت بسببه قضيتان ينبغي التمييز بينهما . .

الأولى . . قضية « سند شرعية » السلطة ، وأساس الطاعة التي يستحقها الرعاة على الرعية . . وهو ما يدرسه كثير من الباحثين تحت عنوان . . « طبيعة الحكومة الاسلامية » .

والأخرى . . قضية النظام القانوني ، الذي يخضع له المجتمع المسلم ، بحكامه ومحكوميه وهو نظام « الشريعة الاسلامية » .

والمقولة التي نسوق هذه السطور دفاعا عنها مقولة مزدوجة ، مؤداها أن سند شرعية السلطة في المجتمع المسلم هو «رضاء المحكومين » ، وان الحكومة الاسلامية - لهذا - حكومة مدنية وليست حكومة دينية . . أما النظام القانوني الذي يخضع له المجتمع المسلم نظام قانوني « الهي المصدر » لأن مصادره العليا والأساسية مصادر دينية ترجع الى الوحي . وبسبب الخلط بين هذين الأمرين . . سند السلطة ، وطبيعة النظام القانوني ، وقع الخلاف الطويل الممتد حول « طبيعة الحكومة الاسلامية » ودارت معارك ما كان ينبغي أن تدور . . وفتح ملف كبير لا يزال مفتوحا لما يسميه أصحابه « العلمانية » ، وهي مصطلح غامض، سيىء الحظ شديد الغموض ، تدثرت بعباءته الفضفاضة دعوات شتى . . وآن الأوان - فيما نرى - لنزع هذه العباءة عنه ، ومناقشة مكوناته ، وبواعث الدفاع عنه ، في صراحة ، وتحديد للمفاهيم ، ووضوح .

أولا : الاسلام لا يقيم « حكومة دينية » ، « ورضاء الشعب » هو مصدر شرعية السلطة في المجتمع الاسلامي :

ولعل الخفاء الذي أحاط بهذه الحقيقة ، راجع الى أن الحكم الاسلامي قد بدأ في حياة النبي (ص) ، وأنه (ص) كان حاكما سياسيا ، ولكنه - قبل ذلك - كان رسولا نبيا ، لا ينطق عن الهوى ، وانما يوحي اليه : ويحكم بين رعيته بما

أراه الله ومهما كان من أمر بشريته ، التي حرص القرآن على توكيدها كما حرص هو (ص) على تذكير الناس بها ، فان نبوته واتصاله بالملأ الأعلى وتلقيه الوحي عن الله تعالى ، وعصمته (ص) هي حقائق لا يجادل فيها مسلم مؤمن .

لهذا لم يكن غريبا أن يتصور كثيرون ، أن يكون حكم خلفائه من بعده امتدادا لحكمه (ص) بجانبيه هذين . . والذي نعتقده ونؤمن به أن خلفاءه (ص) جميعا متبعون له ، وليس لأحد منهم عصمة ولا مرتبة خاصة ، إلا شرف صحبته (ص) والتلقي عنه . واذا كان لقب « الخليفة » الذي أطلق على من تولوا الرئاسة بعده (ص) ، قد يوحي باستمرار الصفة الدينية للحكم ، استنادا الى ما وصفها به البعض من أنها رئاسة عامة في أمور الدين والدنيا ، أو أنها « نيابة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به » فان التأمل في هذه العبارات يكشف عن أن مسئولية الحاكم عن حراسة الدين جزء من « مضمون وظيفته » وليست تحديدا لسند شرعية حكمه وسلطته . . ولقد حسم الامام محمد عبده هذا الأمر بعبارات واضحة حيث يقول : « ليس في الاسلام ما يسمى عند القوم بالسلطة الدينية بوجه من الوجوه » « ولا يجوز لصحيح النظر أن يخلط الخليفة عند المسلمين ، بما يسميه الافرنج (تيوكراتيك) فان ذلك عندهم هو الذي ينفرد بتلقي الشريعة من الله . . وله في رقاب الناس حق الطاعة لا بالبيعة وما تقتضيه من العدل وحماية الحوزة ، بل بمقتضى حق الايمان »[1] .

هذا هو الرأي الواضح الجلي ، الذي عليه اجماع أهل السنة والجماعة ، وما ورد عن أقوال لبعض الخلفاء والولاة تفيد غير هذا ، فهو إما مؤول ، أو واجب رده على أصحابه . فمما يجب تأويله قول عثمان رضي الله عنه حين طالبه الثائرون عليه بعزل نفسه « لست خالعا قميصا كسانيه الله » اذ يجب حمل عبارته على معنى انكاره حق الثائرين ـ وحدهم ـ في نقض بيعته التي وثقها ـ حين أبرمت ـ جمهور المسلمين .

ومعروف بعد ذلك أن الامامة عند الشيعة لا تثبت بالاختيار ، وانما تثبت بالنص عن النبي (ص) ، وأنها « منصب الهي يختاره الله بسابق علمه بعباده كما يختار النبي ، ويأمر النبي بأن يدل الأمة عليه ويأمرهم باتباعه[2] ، ويعتقدون أن الله سبحانه أمر نبيه بأن ينص على علي ، وينصبه علما للناس من بعده » . . وأنه كذلك « أوحى الى ولده الحسن وأوصى أخاه الحسين ، وهكذا الى الامام الثاني عشر المهدي المنتظر »[3] .

وهذا جوهر الخلاف بين السنة والشيعة ، ولا نظن أنه خلاف يمكن حسمه ، وان كنا نؤمن بضرورة تجاوز آثاره ، كما نؤمن بأن تلك الآثار تتضاءل عمليا في المرحلة القائمة حسب الاعتقاد الشيعي ، وهي مرحلة الغيبة الكبرى للامام ، بحيث لا يستحيل التقريب العملي ، مع بقاء الخلاف الاعتقادي .

---

(١) من كتابه « الاسلام والنصرانية » الطبعة الثانية ص ٧١ .

(٢) من كتاب « أصل الشيعة وأصولها » ، للامام محمد الحسين آل كاشف الغطاء ، طبعة مؤسسة الأعلمي للمطبوعات . بيروت ص ٦٥ .

(٣) المرجع السابق ص ٦٧ ـ وهذا هو رأي الشيعة الامامية (الاثنا عشرية) ـ أما الشيعة الزيدية فهم وان عدوا الامامة بعد علي حقا لأبنائه من فاطمة بنت الرسول (ﷺ) فانهم يختلفون عن الامامية في أنهم يرون أن الخلافة تكون بالاختيار أو اختيار الشيوخ كما يقولون ، أما وصية النبي (ﷺ) فهي عندهم ليست وصية بالاسم ، وإنما هي وصية بالوصف ، وهي « أن يكون هاشميا ورعا تقيا عالما سخيا يخرج داعيا لنفسه » .

ونحن من جانبنا لا نرى في هذه الخلافات كلها ـ مهما ضربت جذورها في الأرض ـ الا خلافات سياسية ، نشأت في ظروف تاريخية معروفة . . . وزادها مرور الزمن وتعاقب أجيال الاتباع رسوخا في أرض الواقع الاسلامي . . . علينا أن نتعايش معها وأن نعرف ملابسات نشأتها ، ولكن علينا ـ مع ذلك ـ أن نقرب بين أتباعها ، وأن نكون ـ في معالجتها ـ على مثل الصراط احتراسا والتزاما بأدب الاسلام في الحوار ، حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين لله .

أما عند أهل السنة والجماعة ، سلفهم وخلفهم فليس للحاكم صفة دينية أو عصمة كعصمة الأنبياء . .

ويترتب على هذا الأصل نتيجته اللازمة ، وهي أن « سلطة الحكم » تستند الى الشعب وتستمد من عقد البيعة ، أيا كانت صورة تلك البيعة ووسائل تنصيب الحاكم استنادا الى رضاء الرعية .

ومع ذلك فقد عاد شيء من الخلط والغموض الى هذه القضية ، مع ما رفعه بعض الباحثين من المحدثين ، من أن السيادة في الدولة الاسلامية ليست للشعب ولا لمجموع المسلمين ، وانما هي لله وحده . . وان اختاروا لقولهم هذا عبارة « الحاكمية » . . وهي عبارة لا نستريح لها والمحاولة كلها من جانب صاحبها ، وهو العلامة أبو الأعلى المودودي تحاول اختصار طريق البحث بادماج القضيتين معا : قضية سند السلطة السياسية وشرعيتها من ناحية ، وقضية طبيعة النظام القانوني الذي تخضع له الجماعة من ناحية أخرى ، ولذلك قال ـ رحمه الله ـ إن النظام السياسي الاسلامي ، ليس ثيوقراطيا (أي دينيا) خالصا ، وليس ديمقراطيا خالصا ، ولكنه (ثيو ديمقراطي)[٤] . . وهذا مزج لا ضرورة له ، وضرره ـ فيما نرى ـ أكبر من نفعه ، ونتمنى لو عدل الجميع عنه ، وحرصوا ـ بدلا من ذلك ـ على معالجة كل من القضيتين معالجة مستقلة ، رفعا للبس ، وازالة لكل خلط . .

ولقد ساهم في وقوع هذا الخلط ، الاستدلال ـ في هذا السياق المتداخل المركب ـ بقوله تعالى : ﴿ إن الحكم إلا لله ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ ألا له الحكم والأمر ﴾ ان هذه النصوص وأمثالها دالة على مصدر التشريع الذي تخضع له الجماعة ، ولا تعلق لها بالأمر الثاني ، وهو أساس السلطة السياسية . .

والحق أن شعار « لا حكم إلا لله » منذ رفعه الخوارج في وجه علي كرم الله وجهه ، الى يومنا هذا كان مبعث فتنة ومدخل تشرذم وتفرقة بين المسلمين ، اذ ترى كل فئة نفسها قيمة على حكم الله تعالى في الصغيرة والكبيرة ، فتسعى الى تنفيذه فتتفرق الجماعة ، ويقتل بعضها بعضا »[٥] .

ونحب هنا أن نؤكد أن « الرضاء » هو سند شرعية الحكم في المجتمع الاسلامي ، أما « البيعة » فهي احدى « الصيغ التنظيمية » التي تعبر عن هذا الرضاء . . ولهذا آثرنا ألا نتوقف كثيرا ولا قليلا عند تعدد « صيغ » اختيار الخلفاء بعد وفاة الرسول (ص) ، وذلك تمييزا بين المبدأ من ناحية ، ووسائل وضعه موضع التنفيذ من ناحية أخرى . . وتحرزا من أن يتعلق بعض الناس بصيغة واحدة يرونها جزءا من أجزاء المبدأ وركنا من أركانه . .

العلمانية . . ما هي ؟ ولماذا ؟

أخطر ما في هذا المصطلح في صيغته العربية ، أنه ينطوي على زيف كبير ، بما يحمله من تداخل مع مصطلح « العلمية » وهو تداخل بلغ من انتشاره أن أوشك على الاستقرار لدى كثير من الباحثين ، حتى صاروا يستعملون « العلمانية » و « العلمية » كمترادفين ، مع أن هذا من شأنه ، بمفهوم المخالفة « أن يصم الوصف المقابل لنظام الحكم » وهو الحكومة

(٤) انظر رسالة « نظرية الاسلام السياسية » ضمن كتابه « نظرية الاسلام وهديه » في السياسة والقانون والدستور ـ دار الفكر بدمشق ـ الطبعة الأولى ١٩٦٤ ـ ص ٣٤ ، ٣٥ حيث يصرح بوصف النظرية الاسلامية تارة بأنها حكومة الهية ثيوقراطية وتارة بأنها ثيوديمقراطية .

(٥) هذا قول المرحوم الأستاذ حسن العشماوي في بحث له بعنوان : « الفرد العربي ومشكلة الحكم » بيروت ١٩٧٠ ص ١٣٥ أورده الدكتور محمد سليم العوا في كتابه « النظام السياسي الاسلامي » ص ١٦٠ .

«الدينية» بتهمة مخالفة العلم والعلمية .. وفوق ذلك ، فان المصطلح ينطوي على مكونات عديدة ، لم يعن أحد بحصرها . وكثير من الذين يدافعون عن « العلمانية » لا يقصدون في الحقيقة الا الدفاع عن واحد أو أكثر من تلك العناصر ، ولكنهم يتحملون ـ غير ملتفتين ـ موقف الدفاع عن سائر العناصر التي ربما لم تخطر لهم على بال .

كذلك فان المصطلح قد حل في ظروف تاريخية خاصة ، ووسط ملابسات سياسية خاصة ، مدلولات معينة ، وأحاطت به ـ بسبب تلك الملابسات ـ مشاعر نفسية معينة ، عقدّت الحوار حوله الى درجة أوشك معها أن يصير مستحيلا .. وحسبي تدليلا على ذلك كله أن أورد بعض ما قيل ـ حديثا ـ عن العلمانية :

يقول أحد الباحثين : « ان العلمانية ـ بشكل أو بآخر ـ هي مرادف للاعلان العالمي لحقوق الانسان ، ووقوفنا ضد العلمانية هو وقوف ضد الاعلان العالمي لحقوق الانسان »[٦] .

ويرى آخرون في اطار دراسة الوضع الطائفي القائم في لبنان ، أن العلمانية سلاح رئيسي في القضاء على « الطائفية » ويعرف الطائفية بأنها « نظام سياسي على أساسه يقوم التمثيل النيابي ، وتؤلف الحكومات وتوزع القوى السياسية .. وأنها كذلك نظام اداري على أساسه تسند وظائف الادارة .. وأنها في النهاية حالة نفسية قوامها شعور (المواطن) أنه ابن طائفته قبل أن يكون (مواطنا) ، وشعوره بالتضامن مع أبناء طائفته والتباعد عن باقي مواطنيه[٧] » لذلك تبدو الدعوة الى العلمانية سلاحا فعالا في محاربة هذه الطائفية البغيضة ، ويبدو الاعتراض على العلمانية كما لو كان دعوة لتثبيت الطائفية والدفاع عنها[٨] ، وهي دعوة من الصعب أن يدافع عنها مفكر مستنير .

ويرى كثير من قادة وأعضاء المقاومة الفلسطينية أن « اقامة الدول العلمانية » التي يتعايش فيها المسلمون والمسيحيون واليهود في بلد واحد مستقل هي البديل المقبول لاستمرار « الدولة الصهيونية » ذات الأساس العنصري والديني .. وفي هذا المفهوم قد يبدو الاعتراض على « العلمانية » كما لو كان دفاعا عن استمرار « صهيونية الدولة » ، وان لم يكن دفاعا مقصودا بطبيعة الحال ..

وهكذا لا يستطيع الباحث اليوم في « العلمانية » أن يتجاوز الخصوصيات البيئية والزمانية التي أحاطت بها ، اذ قد تكون قضية « العلمانية » مثارة بشكل حاد في قطر معين لأسباب تتعلق بتكوينه وظروفه ، بينما لا تكون على المستوى نفسه من الأهمية في قطر آخر »[٩] .

ومع ذلك فنحن لا نملك هنا أن نناقش هذا العدد اللانهائي من تلك الخصوصيات ، وإنما نحاول مناقشة قضية « العلمانية » في اطار أرسع من حدود تلك الخصوصيات ، وأوسع ـ بصفة خاصة ـ من حدود « المشكلة اللبنانية » ، و « المشكلة الفلسطينية » .

١ ـ ان البعض يتحدث عن « العلمانية » وفي ذهنه عنصر واحد من عناصرها هو « الدولة الدينية » ـ والأساس في هذا التمييز هو تحديد مصدر السلطة السياسية في الدولة ، فإن كان مصدرا دينيا فالدولة ثيوقراطية دينية ، والا فهي مدنية أو « ديمقراطية » اذا كان رضاء المحكومين هو أساس السلطة السياسية فيها . ومن تحليلنا

---

(٦) من تعقيب للأستاذ عصام خليفة في ندوة القومية العربية والاسلام التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية ـ بيروت ١٩٨١ ـ ص ٥٤٢ .

(٧) جوزيف مغيزل « العروبة والعلمانية » ـ دار النهار للنشر ـ بيروت ١٩٨٠ ص ٣٤ .

(٨) تعقيب الأستاذ عصام خليفة السابق ذكره ص ٥٤٣ حيث يقول ان من « ينصحنا أن نتوقف عن الدعوة للعلمانية ... يشجع ـ بشكل غير مباشر وغير ارادي بالطبع ـ استمرار الحرب في بلادنا .

(٩) من تعقيب الدكتور علي الدين هلال ـ من أعمال الندوة السابق ذكرها ص ٥٤٠ .

لطبيعة السلطة السياسية في الدولة الاسلامية ، لا تجد لنا تحفظا على هذا العنصر من عناصر « علمانية » الدولة ، ولا نظن أنه يشكل نقطة تصادم مع الدعوة الى الاسلام ، أو مع اقامة نظام سياسي اسلامي .

٢ ـ كذلك ينعقد اجماع الباحثين على أن من عناصر « العلمانية » بل ومن أهدافها ، تحقيق مساواة أساسية بين أتباع الأديان المختلفة في الحقوق الشخصية ، والمدنية والسياسية ، ولعل هذا هو المعنى الذي حمل البعض على الربط بين « العلمانية » وبين اعلان حقوق الانسان . . . وفي تقديرنا أن « اسلامية » الدولة لا تمس هذه المساواة ، وأن قاعدة « لهم ما لنا وعليهم ما علينا » هي الأصل في معاملة غير المسلمين ، كما أن كثيرا من الاستثناءات التاريخية على هذا الأصل لم تكن الا حلولا لجأ اليها المسلمون لمواجهة ظروفهم الموضوعية الخاصة . . خلافا للأصل الثابت الذي قررناه ، ويبقى مع ذلك أن المساواة لا تحول دون التصنيف ، حين يكون اختلاف الدين مستوجبا ـ موضوعيا ـ لمعاملة خاصة . . . وذلك صحيح في جميع صور المساواة ، وليس خاصا بحدود المساواة بين اتباع العقائد الدينية المختلفة . ومن الضروري فوق ذلك أن نذكر بأن « علمانية الدولة » حتى اذا تقررت وأعلنت ، فانها لن تمنع عمليا من الاستبداد بالأقلية ، وهو استبداد وقع في التاريخ العام لأسباب عديدة منها التطرف الديني ومنها التعصب القومي ومنها الاستغلال الاقتصادي .

٣ ـ أما الذي يرفضه الاسلام من « العلمانية » فهو أساسا علمانية المجتمع ، أو محاولة فرض عزلة بين الدين وتنظيم أمور المجتمع . . إن هذه العزلة مناقضة لطبيعة الاسلام ، والدعوة اليها ايذان بخصومة لا مفر منها ، بين هؤلاء الداعين وبين التيار الاسلامي بروافده كلها[١٠] .

إن الدعوة إلى « علمانية المجتمع » لا تمثل في الحقيقة موقفا حياديا بين الأديان ، وهو الركن الأساسي في « العلمانية » ، اذن هي من وجهة نظر مسيحية خالصة ، تتفق مع قاعدة « أعطوا ما لله لله وما لقيصر لقيصر » ولكنها تضع العربي المسلم في تناقض حاد مع قاعدة شمول الاسلام وتنظيمه الواضح ـ اجمالا أو تفصيلا ـ لأمور المجتمع ، وبذلك تكون الدعوة الى « العلمانية » بهذا المعنى منحازة في الواقع لرؤية الأقلية على حساب رؤية الأغلبية .

ان الدعوة الى العلمانية في اطار التوجه القومي ، تبدو ـ للوهلة الاولى ـ حلا سعيدا لمشكلة الاغتراب الثقافي ، التي قد تعاني منها بعض الأقليات الدينية في العالم العربي . . ولكنها ـ عند التأمل ـ تخلق من المشاكل والصعاب أكثر كثيرا مما تحل كما أنها تستعير ـ لحل مشكلة الاغتراب المقول به ـ صيغة قائمة على فروض مرتبطة بتاريخ الصراع بين الكنيسة والدولة في

(١٠) رغم قيام النظام السياسي والدستوري للولايات المتحدة على الفصل بين الدين والدولة ، فصلا عبر عنه التعديل الاول على الدستور الاتحادى ، وكان له في الفكر القانوني الامريكي ، وفي قضاء المحكمة الاتحادية العليا تاريخ طويل ، في ظل المبدأ المعروف بجدار الفصل بين الكنيسة والدولة . . . فان أصواتا قوية قد ارتفعت طوال المائتي سنة التي أعقبت العمل بالدستور ، تذكر بأن المبالغة في تطبيق مبدأ « الفصل » من شأنها ـ في الواقع العملي ـ تحويل الدولة الى دولة لا دينية أي معادية للدين ، وهو ما لم يقصده أبدا واضعو الدستور . . . وقد اشتد ساعد هؤلاء المعترضين خلال السنوات الأخيرة . . . وقُدِّم خلال العام الماضي مشروع لتعديل الدستور ، على نحو يمنع حرمان طلاب المدارس من حقهم في التفرغ لقراءة الكتاب المقدس لفترة معينة خلال اليوم الدراسي . . وكان الرئيس ريجان من أشد المتحمسين لهذا الاقتراح . . وبدا لنا من ملاحظة الكتابات حوله أنه أثار انزعاجا في دوائر عديدة من بينها الدوائر الثقافية الصهيونية ، التي شنت عليه حملة رفيعة المستوى في ذكائها . . ولم يفز المشروع في النهاية بالأغلبية اللازمة . .

ولأستاذنا بول كوبير أستاذ القانون الدستوري بجامعة ميتشجان كتابات عديدة في نقد التفسير السائد للدستور ، وفي الدفاع عن جواز ـ بل وجوب ـ ادخال التعليم الديني في المدارس والجامعات .

أوروبا ، وتحاول فرضها على مجتمع لا يعرف تاريخه صراعا مشابها . . . انها ـ عند التأمل ـ تفتح ملف الطائفية ولا تقفله . . . وذلك بما تثيره من استقطاب ناشيء عن احساس « الأغلبية » بمحاولة فرض مبدأ أساسي في المجتمع يتعارض تعارضا جوهريا مع أصل من أصول عقيدتها الدينية . .

ان المسلك الصحيح والمباشر لحل مشكلة « الاغتراب » الذي تواجهه بعض الأقليات غير المسلمة هو في تقديرنا ، وتقدير كثير من الباحثين رفض الكهانة والدولة الدينية ، وما دامت السلطة السياسية في الاسلام سلطة مدنية ، فلماذا لا نحارب « السلطة الدينية » بالاسلام . . . . ونحاربها ـ بدلا من ذلك ـ بالعلمانية(١١) ؟

ان المقولتين اللتين دافعنا عنهما في هذه السطور ، من شأنهما ـ فيما نرى ـ أن يرفعا التناقض في نفوس المسلمين بين الاسلام والديمقراطية ، وأن يزيلا مخاوف غير المسلمين من سلطان الدولة الدينية ، بعيدا عن مصطلح غامض تختلط بسببه عناصر الموقف وتستمر في ظله المخاوف المتبادلة .

٤ ـ ونعود في النهاية مرة أخرى ، الى ما يتصوره البعض من أن « علمنة المجتمع » قد لا تكون مجرد ضمان للأقليات الدينية ، ولكنها ـ فوق ذلك ـ ضمان لتحكيم العقل في الأمور الاجتماعية والسياسية بما يضمن التقدم . . وهنا نقرر ـ مرة أخرى ـ أن العلمنة في هذا الاستخدام ، ليست هي العلمنة المقصودة بكلمة **Secularism**، وانما في الحقيقة « العلمية » التي يمكن ـ نظريا وعمليا ـ أن تلازم العلمانية ويمكن أن تنفصل عنها . . كما يمكن أن تكون ملازمة لمنهج معين في تطبيق المبادىء الدينية ، ويمكن كذلك أن تنفصل عنه . . . تعالوا اذن نطرح جانبا من الشعارات والمصطلحات المحملة بكل صور التزييف الموضوعي . . ولنعلن صراحة ما نريد . .

إن ما نريده أمور ثلاثة :

١ ـ سلطة سياسية تستند إلى رضاء المحكومين ولا يستند الحكام فيها إلى حق الهي . . . أو أساس ديني . . وهذا ـ على الحقيقة ـ هو تصور الاسلام . . وتصور الديمقراطية ، جميعا لأساس شرعية الحكم في الجماعة .

٢ ـ ضمانات قانونية وسياسية لحقوق الأقليات الدينية ، ومساواة بين أتباع الأديان المختلفة في التمتع بالحقوق المدنية والشخصية والسياسية ، إلا ما يدخل في اطار التصنيف القائم على أسس موضوعية على ما قدمنا .

٣ ـ مجتمع يهتدي في حركته بالعقائد والأخلاقيات الأساسية لأغلبية سكانه . . ويحكمه نظام قانوني مستمد من شريعة هذه الأغلبية . . وهذا معنى استمداد التشريع من مصادره الاسلامية .

٤ ـ وأخيرا . . . منهج عقلي يتم به تدبير أمور الحكم وسياسة الناس وتلبية حاجات المجتمع . . وهذا توجه يحتاج الى غرس وإلى تربية وتزكية . . . ولا ارتباط له « بالعلمانية » على ما بينا . . . ولا يحجبه التزام « باسلامية » المجتمع ، لأن الايمان بالغيب في « السمعيات المغيبة شيء » ، والاعراض عن المنهج العلمي النظري والتجريبي في أمور الدنيا شيء آخر . . والاسلام حاسم أشد الحسم في اصراره على المنهج العلمي في فهم الطبيعة وترتيب أمور المجتمع .

إن هذه الأمور كلها ، يمكن أن تتحقق من خلال سعي دءوب وحوار متصل ، حول المشاكل الحقيقية للمجتمع ، يشارك فيها أهل الرأي وأصحاب المصلحة بعيدا عن المصطلحات المحملة بأكداس من رواسب التاريخ ومحركات الفتنة والشقاق □□

(١١) محمد عمارة . من تعقيبه في ندوة القومية العربية والاسلام السابق ذكرها ص ٥٥٤ .

المرأة ومصير العالم

هل تحدد المرأة مصير العالم ؟

خبراء دوليون كثيرون يقولون هذا الرأي ، ويستشهدون بدراسات علمية تحدد . . كم تلد المرأة في كل بلد . . ويضيفون : إن التوازن بين السكان والموارد هو الذي يحدد في النهاية إذا كان العالم مقدما على كارثة ! أو أنه سيمر بعنق الزجاجة التي تحدد أجلها بنهاية القرن الحادي والعشرين .

في ذلك الموعد المضروب يأمل العلماء والخبراء المشتغلون بقضايا السكان ، أن يتم تثبيت عدد سكان العالم ، فلا يزيدون ولا ينقصون ، وإنما تساوى الزيادة السنوية مع حجم الوفيات ، بينما تستمر الموارد الاقتصادية في التزايد فتنقلب نتائج المعادلة لصالح الانسان .

وهناك فرق بين النهايتين : نهاية القرن العشرين ونهاية القرن الحادي والعشرين . . وبينما تذهب توقعات منظمة الأغذية والزراعة لاحتمال وقوع خلل وجوع في بعض البلدان في نهاية القرن الحالي ، يأتي الأمل في موقف أفضل في القرن المقبل . وعندما يجتمع المؤتمر العالمي للسكان في المكسيك خلال هذا الشهر - أغسطس ١٩٨٤ - فانهم سيجدون بوادر هذا الأمل وقد بدأت تلوح في الأفق قادمة من البلدان الأصعب مراسا . . . وهي البلدان النامية .

في آخر تقرير لصندوق الأمم المتحدة للنشاطات السكانية خبر هام سوف يضعه الصندوق أمام خبراء المؤتمر . الخبر يقول إن معدل نمو السكان في البلدان النامية - وبعد عشر سنوات على انعقاد مؤتمرهم الأول في بوخارست - قد انخفض بما يفتح الطريق لتطور هام في مستقبل العالم .

بالارقام يقول التقرير : إن معدل التزايد السكاني في البلدان النامية خلال الفترة (١٩٦٥ - ١٩٧٠) كان ٢٤ في الألف فأصبح عشرين في الألف في الفترة التي تلت عام ١٩٨٠ وحتى الآن .

التطور هام لأنه يوفر نصف المعركة التي يخوضها الانسان من أجل موارد أكثر ، توفر له الغذاء والكساء والمسكن والحياة اللائقة . . لكن هذا التطور - والذي بدأت تباشيره - مرهون بقرار تتخذه المرأة ، فأي نوع من القرارات ما زال ساري المفعول ؟

رغم الانخفاض العام في معدل تزايد السكان بالدول النامية ، فإن موقف المرأة من الانجاب ما زال محل مناقشة . في كينيا - ووفق دراسة للأمم المتحدة - بلغ حجم الأسرة (٨,٣) فردا في المتوسط . . ولكن - وفي بلد آخر من العالم الثالث هو سري لانكا - فإن عدد أفراد الأسرة قد انخفض الى ٣,٨ فردا . . و . . . بما يجعل متوسط عدد الأطفال طبقا لتقديرات الأمم المتحدة عن فترة (١٩٧٥ - ١٩٨٠) مرتفعا . على أي حال . وبتحديد أكثر - وفي أواخر السبعينيات - بلغ عدد الأطفال الذين تنجبهم امرأة العالم الثالث (٤,٦٤) طفلا في المتوسط . . بينما بلغ هذا

بقلم : محمود المراغي

المتوسط لامرأة العالم المتقدم طفلين فقط .

و . . بحساب الوفرة الاقتصادية في العالم الأول والأزمة الشديدة في العالم الثالث مع هذه المتوسطات المتفاوتة ، يبدو جليا : كم يصبح نصيب إنسان العالم الثالث من الدنيا .

ولكن . .

ورغم الانعكاسات الضارة لزيادة عدد السكان مع ندرة الموارد ، فإن عوامل كثيرة تدفع المرأة للانجاب ، بل وان عوامل أخرى تجعل خبراء السكان يؤثرون أن يتركوا للابوين « حرية اتخاذ القرار » في العدد الذي يرغبانه من الأبناء .

وعندما أجريت دراسة أخيرة عن العدد الذي تفضل انجابه كل أم ، قالت المرأة الأوروبية والمرأة الكينية والعديد من نساء العالم الثالث إنهن يفضلن انجاب أكثر من ستة أطفال ، وزاد العدد عند بعضهن الى ثمانية وتسعة أطفال ، ولاحظت الدراسة أن الرغبة - على عكس ما يتوقع البعض - تفوق أحيانا العدد الفعلي الذي تنجبه المرأة .

عند التفسير نجد العديد من الأسباب التي تجعل المرأة - وربما الأسرة كلها - تفضل الأولاد الأكثر . . فارتفاع نسبة الوفيات بين الأطفال الرضع يزيل الاحساس بالأمان عند الأم فتنجب « على سبيل الاحتياط » . أيضا فإن التقاليد الاجتماعية - التي تجعل للذكر مكانا وللأسرة الكبيرة مكانة - تساهم في إذكاء نفس الشيء . فإذا أضفنا أن للطفل في الكثير من بلدان العالم الثالث قيمة اقتصادية ، ويلعب دور القوة العاملة ومصدر الدخل ، فإننا ندرك لماذا تتمسك المرأة بانجاب عدد أكبر من الأطفال ، يعوضون من يحصدهم المرض ، ويضيفون لمن يجلبون الرزق ويستكملون المكانة الاجتماعية .

مع ذلك فإن المؤشر لنمو السكان يتجه - كما أشارت الأرقام - إلى التراجع ، وهو مؤشر يحمل العديد من المعاني والدلالات .

فهناك دلالة أولى للرقم وهي أن جهود تنظيم الأسرة ، والتي أصبحت تأخذ شكل الحملة الدولية لم تذهب سدى ، فقد ارتفع الوعي بأهمية تحديد حجم الأسرة وانجاب عدد مناسب من الأطفال .

الدلالة الثانية أن ظروفا موضوعية قد تغيرت وجعلت قرار تخفيض الانجاب موضع قبول في كثير من المناطق الحضرية والريفية بالعديد من البلدان . ومن هذه الظروف : انتشار التعليم ، وازدياد الانتقال من الريف الى الحضر ، وتغير طبيعة العملية الاقتصادية ، ودور كل من الرجل والمرأة والطفل في الكثير من بقاع العالم . وهذا التطور الأخير يعني خروج الطفل من دائرة الانسان المنتج الى الانسان « تحت الاعداد » بالتعليم وبالتدريب ، وبالتالي فهو يخرج من دائرة أنه مصدر رزق للاسرة الى دائرة أنه عبء إقتصادي تتحمله الأسرة .

وترتبط الدلالة الثالثة بالدلالة السابقة ، فالعنصر الاقتصادي - وما يخلقه من ردود فعل اجتماعية - حاسم في سن الزواج ، حيث يتأخر الآن سن الزواج في كثير من البلدان مما يقلل فرص الانجاب .

ثم تأتي الدلالة الرابعة : وهي أن مستويات الصحة العامة تتقدم ، ومتوسط الأعمار يتزايد ، ومما يجعل عنصر الأمن عند الأسرة أكثر ، وقلقها من المستقبل أقل . .

و . . بالتالي : اقبالها على الانجاب ليس بنفس الاندفاع السابق .

كل هذه الدلالات يجملها الرقم الأساسي الذي يقول : إن معدل نمو السكان قد تراجع . . . ومع ذلك يبقى معدل إنجاب الفقراء أكثر من ضعفي إنجاب أغنياء العالم المتقدم ، وتبقى نصيحة الخبراء : لا الزام في خطط السكان ، وإنما الوعي وتغير الظروف الموضوعية ، هما الكفيلان باحداث التحول المنشود . . و . . هذا ما يعنونه بحرية اتخاذ القرار ، فارادة المرأة والرجل هي الحاسمة في النهاية ، وهي التي تسبق أي قرارات سياسية ، أو مؤتمرات علمية ، أو سياسات تضعها الأمم المتحدة ومنظماتها المعاونة ، وإذا نجحت هذه الارادة في وضع سدود أمام سيل الأطفال استطاع العالم أن يواجه جزءا كبيرا من معضلته الاقتصادية . □□

العربي ـ العدد ٣٠٩ ـ اغسطس (آب) ١٩٨٤

السيخ

معابد .. ورهبان .. وذهب .. وعنف أيضاً !!

بقلم : د . شاكر مصطفى

☐ المواجهة التي حدثت في المعبد الذهبي في مدينة امريتسار الهندية في شهر يونيو ـ حزيران الماضي وما تلاها من احداث ، دفعت السيخ بقوة الى مراكز الاهتمام والتساؤل في العالم كله .

فمن هم السيخ ؟ وما هي مطالبهم ، ولماذا لجأوا الى العنف ؟

الهند ! كلمة من ثلاثة أحرف ، ومع ذلك فالقدم كله ، والتعقيد كله والتنويع كله .. والعنف أيضا كله في ذلك العالم الهندي العتيق . ليس ثمة رقعة أرضية في العالم ، أبعد قدما في مجموعتها البشرية أو أشد تعقيدا في العلاقات ، أو أكثر تعددا في العروق واللغات والأديان والافكار والتقاليد ، من تلك الرقعة الارضية ، التي تحوي سدس سكان الدنيا ، وفيها ستون لغة ولهجة وأكثر من ثمانين ديانة ومذهبا ، تنتشر عليها الآلاف بعد الآلاف من المعابد ، وفيها ومعها ملايين السحرة والثعابين والبقر السائب وأطنان البخور والبهار . . . والتي نجملها في كلمة واحدة : الهند !!

وحين تطفو على الأخبار كلمة (السيخ) ، في هذه الأونة الأخيرة ، وتتردد صباح مساء ، مع حديث الدماء والحصار والمذابح ودور المعابد ، يتفتح عليك شق من هذا العالم المواربكل غريب ، وتجد نفسك أمام السؤال اللهيف : من هؤلاء ؟ من هؤلاء ؟ . .

آخر الملل

انهم من أقل العقائد أتباعا في الهند ، ومن أحدثها وجودا أيضا . انهم حوالى ١٣ ـ ١٤ مليونا (٢٪ من السكان) وهم آخر الملل ظهورا

فى الهند لا يصل عمرهم الى ٥٠٠ سنة ، وأقل النحل أو من أقلها توزعا وانتشارا ، فان ٨٥ بالمائة منهم يتجمعون فى أقليم البنجاب وفى منطقة هاريانا ودلهى منها ، ويشكلون مع ذلك ٥٥٪ من سكانها ، وان وجد بعضهم فى ماليزيا وسنغافورة أو شرقى افريقيا أو فى الخليج العربي وفى انكلترا وكندا والولايات المتحدة . وانك لتعرفهم بسيماهم ، فاما رأيت هنديا قد أطلق شعره لا يقص شعرة منه ، فأنت أمام واحد من السيخ . أحد الاركان الخمسة لتطبيق العقيدة السيخية هى (الكيسا) أى أن لا يمس المرء شعرة منه بمقص ، الاركان الاربعة الاخرى هى المشط (كانغا) ، والسروال العسكرى (الكاتش) ، والسوار الفولاذى فى اليد اليمنى (كارا) والسيف ذو الحدين (الكيربان) أو المدى . هذه الكافات الخمسة هى أركان المذهب السيخى وهل يخطر فى بالك أنها أركان أقرب الى السخف والهزء ؟ قد تكون ولكنها بعض أسباب ودلائل الترفع الذى تشعر به هذه المجموعة المتعالية على الناس هي امتيازها الخاص على الآخرين .

الاسلام والسيخ

والسيخ فى الاصل بعض من الهندوك ، هم جزء منهم عقيدتهم تفريعة من الهندوكية البرهمية ، احدى الديانات الخمس الكبيرة ، المنتشرة فى الهند مع الاسلام والبوذية والمسيحية والجينية . وتحت تأثير الاسلام وانتشاره فى الهند منذ القرن الرابع الهجرى ، وسيطرته على معظمها فى القرون التالية ، بعد ذلك ظهر السيخ .

هم نبت اسلامى فى أرض هندوكية و « ناناك » ، مؤسس المذهب ، (ولد ١٤٦٩ - توفى ١٥٣٩) مصلح اجتماعى دينى ، رفض ما تراكم على الديانة الهندوكية من وثنيات ، ورفض تعدد الآلهة ، ورفض سيل الخرافات الموروث ودعا الى فكرة توحيدية تتصف بالبساطة والنظام ، لكنه لم يرفض المعتقدات الأساسية الاخرى ، كالتناسخ ووحدة الكون . ظل ضمن الاطار العام للديانة وان دعا الى وحدة الله ومنع تمثيله فى صنم او صورة ، لكن هذا يقوم على مفهوم الفيدا الهندوكي (الاوم) وهو مفهوم روحى صوفى يرمز الى الله . وقد أضاف اليه « ناناك » صفات الوحدانية والخلق فصار هو الرمز (ايك) أى الواحد . (أوم كار) أى الله الواحد الخالق ، وهو أيضا الحق والخالد والذى لا تدركه الابصار . ويستخدم السيخ أسماء اسلامية وهندية للاله ولكن صاحب العقيدة الاول يفضل اسم (سات كارتار) الذى يعنى الحق المبدع أو (اسم سات نام) اى الاسم الحق .

من بعد ناناك صارت كلمة (هايل غورو) هى الكلمة المرادفة حتى اليوم لاسم الله . . هاهنا ينتهى الاسلام لدى السيخ . فيما عدا هذا التقارب يتعدون ، ويتعدون كثيرا عن كل ما هو اسلامى ليوغلوا فى الوثنيات الهندوكية .

ثم جاء الشاعر الصوفي «كبير» (١٤٤٠-١٥١٨) الذي كان صلة الوصل بين البهاكتى الهندوكية والصوفية الاسلامية التى كسبت فى تلك الفترة الكثير من الاتباع بين الهنود المسلمين . وفى هذه الصوفية التى حاول فيها (كبير) جمع مختلف الاديان بعضها مع بعض ، يجب أن نرى أسس الفكر الدينى لدى السيخ من تأملٍ ونشيد وترداد لاسم الله ، ومن طقوس فى دخول الأخوية الدينية . والسيخية توصف أحيانا بأنها (النامارغا) أى طريقة (الناما) لانها تقوم على ترداد اسم الله والنشيد له والتأمل .

المعلمون

لدى السيخ عشرة معلمين (غورو) و « ناناك » كان رأس القائمة . كان الغورو

الاول فى مطلع أمره ، عمل محاسبا فى ديوان سلطانبور وتصادق مع خادم مسلم اسمه ماردانا فألفا فرقة انشاد . كان ناناك يؤلف الأناشيد الصوفية ، وماردنا يلحنها ثم أسسا مطعما تعاونيا مسلما هندوكيا لمختلف الطبقات . ويزعم ناناك أن الله تجلى عليه فى سلطانبور وأمره بالدعوة . وقد اختفى ذات مرة وهو يستحم فى بعض الأنهر ثلاثة أيام ثم ظهر معلنا ان (لاهندوك ولا مسلمين) لقد اهتدى الى الدين الصحيح . . . !

السيخ يعتقدون أن « ناناك » قام بعد ذلك بأربع رحلات فى الاتجاهات الاربعة : الى سيلان فى الجنوب والى مكة مع بغداد فى الغرب ، والى التيبت فى الشمال والى آسام فى الشرق . وقضى أيامه الاخيرة فى كارتاربور (فى الباكستان اليوم ، حيث أقام أول معبد للسيخ قبل موته سمى لخلافته تلميذه : أنغاد .

توالى بعد « ناناك » تسعة معلمين حمل كل منهم لقب غورو ، كل منهم عند السيخ ظل وراء ظل الله . وينتقل الروح من أحدهم الى الآخر انتقال النور ، وتنسب اليهم المعجزات والقوى الخارقة ، ففى موقع كل معجزة معبد يبنى ، ورهبان يصلون ، وذهب يغطى القباب ، أما قصص الخوارق فتحولت اناشيد للالوهية اشهرها الحكايات المائة (ساوساكهى) . والمعابد لاحصر لها وان كان الاول فيها هو معبد هاريماندير (المعبد الذهبى) فى امريتسار . ثم يأتى بعده معبد « نانكانا » (حيث ولد الغورو الاول) وهناك الى جانب ذلك أربعة عروش .

قتل الغورو العاشر هارغوبند سنة ١٧٠٨ فى (مهاراشترا) بعد أن اعلن انه خاتم المعلمين (وان لم تقبل ذلك بعض فرق السيخ فلديها دوما غورو حى موجود) . أغلق الباب من بعده ولكنه فتح على العقيدة فتحا جديدا لا يعرفه غيرها من عقائد الهند ، هو باب القتال العسكرى . كان ذلك يوم عمد بالرحيق الالهى فى عيد الفصح خمسة من السيخ محاربين ، واضعا بهذا الشكل نواة أخوية جديدة سماها (الخالصة) اى الاطهار . واعطى كلا منهم لقب سينغ (أى أسد) . ولذلك تسمى نساء السيخ جميعاً باللبؤات .

الدولة

وتطورت اخوة الخالصة بزعامة بانغاسينغ بهادر (١٦٧٠ ـ ١٧١٦) الذي تحدى أباطرة المغول المسلمين ، وحزب شرقي البنجاب ثماني سنوات حتى اعتقل مع ٧٠٠ من اتباعه واعدم . . . غاب الخالصون بعده في طوايا التلال ثم نظموا أنفسهم في (أمثلة) (أي المتماثلين) وأخذوا يبتزون الناس في المدن والقرى الى أن سمحت فترة من فراغ القوى بوصولهم الى الحكم في البنجاب وصارت لهم دولة وكان هذا هو الذي أعطى السيخ نوعاً من الهوية الخاصة كما أعطاهم القوة للصراع على احتلال لاهور من الحاكم المغولي سنة ١٧٦١ وقد احتلوها سنة ١٧٩٩ وتوجوا بعد سنتين (رانفيت سينغ) مهراجا عليها . واذا كان الانكليز الذين احتلوا جنوب بلاده في تلك الفترة قد منعوه من التوسع باتجاههم ، فقد استطاع احتلال الملقان وما وراءها واحتلال كشمير سنة ١٨١٩ وحين توفي المهراجا سينغ سنة ١٨٣٩ كان جيشه قد تحدث ، وكان حكمه قد وصل ممر خيبر ، لكن مملكته تمزقت من بعده وأجبرها الانجليز بالقوة والمعارك على التقلص سنة ١٨٤٥ ثم سنة ١٨٤٩ .

وسرعان ما تحول السيخ أعواناً للانكليز خدموهم في الادارة . . . أعانوهم في الحكم تجندوا خاصة في الجيش . لم يثوروا حين ثارت الهند جميعاً سنة ١٨٥٧ سمعتهم العسكرية جعلتهم جنود الاحتلال المفضلين . كانوا يشكلون ٢٠ بالمائة من جيش الهند الانكليزي خلال الحرب العالمية الأولى ونال السيخ بالمقابل من الانكليز كل الرعاية والامتيازات في التعليم

والمشاريع الزراعية والوظائف العامة . وجدت انكلترا فيهم الأقلية التي تخدمها ووجدوا في انكلترا الحامية وسط البحرين الاسلامي والهندوكي الواسع ، هكذا نشأت لهم هوية مستقلة بذل الانكليز كل ما في وسعهم لابرازها وذلك لأسباب عديدة ليس أقلها تمزيق النسيج الهندي وايجاد ركائز محلية للمصالح البريطانية في (جوهرة التاج) البريطاني !

لكن جماهير السيخ ما لبثت أن استيقظت بعد حركة غاندي عقب الحرب العالمية الأولى واتجهت اليها وتقلصت امتيازاتهم الانكليزية مع ازدياد تعاونهم مع باقي المسلمين والهندوس للحصول على الاستقلال وحين استقلت الهند منقسمة الى قسمين : الهند والباكستان انقسم السيخ بين البلدين لوجودهم على الحدود لكن المذابح التي نشبت بينهم وبين المسلمين في الباكستان اضطرت مليونين ونصف المليون منهم الى النزوح الى البنجاب الهندية تركوا اراضيهم الخصبة في حوض السند الى أراض جديدة واستقبلتهم الهند مواطنين فيها . . .

العنـــف

ومضت أربعون سنة على ذلك . فلماذا لجأ السيخ الى العنف اليوم ؟ ولماذا التمرد حتى العصيان والمذبحة ؟ ان المتطرفين أقلية فيهم ولكنهم طرحوا قضيتهم في الساحة وبعنف شديد .

غالباً ما تتحول الخلافات في هذه القارة الملأى بالغرائب الى مذابح وثورات ودماء مسفوكة . الانكليز كانوا يشجعون الانقسامات ويستغلونها ويعيشون على أنقاض الناس ولكن الحكومة الهندية هي التي شقيت من بعد بذلك التراث الطويل من العنف والعنف المضاد حفاظاً على الفسيفساء الدينية والعرقية وألوان المصالح التي تشكل الهند من أن تتمزق فتاتاً وتصبح عدة هنود . لو اقتصرنا على ما بعد الحرب العالمية الثانية فقط لوجدنا على الأقل

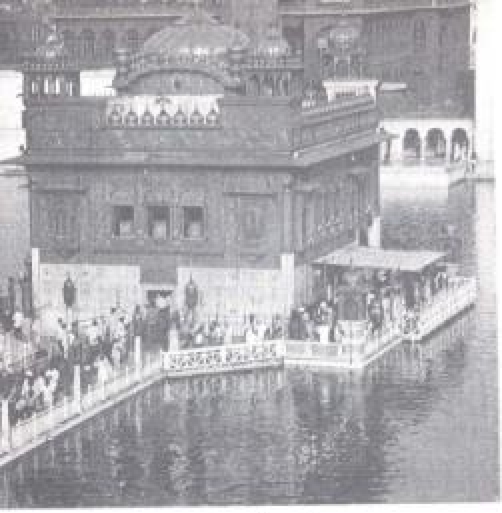

المعبد والسيخ قبل المعركة

عشرات المذابح لعل أشهرها المذبحة الكبرى سنة ١٩٤٦ يوم دعا محمد علي جناح الى التظاهر من أجل انشاء الباكستان وسقط في أقل من ٧٢ ساعة أكثر من خمسة آلاف قتيل و ٢٠ ألف جريح وتشرد مائة ألف دون مأوى .

وأتت بعدها مذبحة التقسيم سنة ١٩٤٧ يوم تحرك أكثر من عشرة ملايين مسلم وهندوكي من مواقعهم ليلتحقوا بجماعاتهم الدينية واصطدمت جموعهم بعضها ببعض بكل مكان وتبادلت العذاب والقتل والدمار واحراق كل شيء . في عدة أشهر كان الحصاد مليون قتيل وفي سنة ١٩٧١ تمزقت الباكستان قسمين ونجم عن ذلك قيام دولة بنغلادش لكن الثمن كان بعد اسبوعين من القتال عشرة آلاف قتيل وعدة ملايين من اللاجئين الهندوك من البنغال الى الهند .

وفي سنة ١٩٨٣ في آسام شمال شرقي الهند تحرك الهندوس ضد المسلمين الهاربين من بنغلادش ولاقوهم بالرصاص والأقواس والمدى والسكاكين وكل جارح وقاتل ، ودافع المسلمون عن انفسهم وكانت النتيجة دمار مئات القرى وتشرد عشرات الألوف دون مأوى وخمسة آلاف قتيل !

ومنذ أشهر فقط سقط في معارك البغض

والحقد في بومباي من الهندوس والمسلمين ٢٠٠ قتيل . ان معركة المعبد الذهبي الأخيرة ، التي غطت على معارك أخرى عديدة رافقتها في أكثر من ٤٠ معبداً آخر اعتصم بها السيخ ، انما هي حلقة في السلسلة الطويلة من الأحقاد الكامنة التي تنتظر التأجج عند كل عاصفة . . .

المطالب والأخطار

وقضية السيخ اليوم ، التي أثارت هذا العنف ، انهم يطالبون بدولة خاصة بهم أو يطالبون على الأقل بالاستقلال الذاتي ، قبل المعركة كانوا قد احرقوا المباني الرسمية ، نهبوا الأسواق ، نزلوا بالرصاص على قوات الحكومة ، قتلوا الكثير وقتل منهم الكثير ، رواسب الامتيازات الاستعمارية ما تزال حية فيهم تثير فيهم التميز وتبعث الكبر وتغذي مشاعر الانفصال .

والمشكلة بالنسبة للهند ليست فقط في أن هذا المطلب يهدد بتقسيمها ولكنها مشكلة عديدة الوجوه بالمعايير الاقتصادية والدينية والجيو ـ سياسية ولها في كل وجه شأن خاص . فالبنجاب حيث يسيطر السيخ تنتج القمح لحوالي ٧٠٠ مليون هندي . هي سلة الخبز للهند ، ثم انها خط الحياة الواصل بين الهند وبين كشمير . وكشمير مشكلة الهند انها مسلمة وبجوار الباكستان في الشمال ولكن امارتها الهندوكية الحقتها بالرغم عنها بالهند .

ان النزاع بهذا الشكل الدموي بين السيخ والهندوس قد قوض ـ أو يكاد ـ قاعدة التعايش الوطني بين طوائف الهند ، ومن ذا الذي يضمن ألا تكر المسبحة وألا تطالب الطوائف الأخرى بما يطالب به السيخ ؟ وعند ذلك فماذا ستصبح الهند ؟ ومن ذا الذي يستطيع الحديث في التعايش اذا كان السيخ وهم الذين ظلوا أكثر من ٤٠٠ سنة مختلطين بالهندوك عملاً وحياة وزواجاً وتقاليد ومعابد ـ يطالبون بالانفصال ؟ وأخيراً فان في يد السيخ ورقة رابحة خطرة . انهم متوغلون في نخاع القوى المسلحة الهندية ، الكثيرون جداً من عسكر الهند هم من طائفة السيخ ، التقاليد العسكرية قائمة فيهم منذ ما قبل العصر الاستعماري فكيف يطمئن النظام الهندي الى قوته العسكرية المدخولة ؟

في الهند اليوم ما زال البحث عن معنى الوجود السياسي بمعايير اللغة والعرق والدين مستمراً ، وقادة السيخ أدركوا ذلك وتركزت مساعيهم في ضرورة تعزيز سيطرتهم على الجيش والسيطرة بشكل كامل على شانديغار التي يتقاسمونها الآن مع ولاية هاريانا . لكن من حظ الهند أن أولئك الذين يقودون هذه المساعي ويلحون فيها ويقاتلون من أجلها ليسوا بعد أكثرية في السيخ ، الارهاب الذي تمثل في عصيان المعبد الذهبي ومعركته الخاسرة ، لا يجد الكثير من الأنصار السيخ في صفه وان هز سقوط المعبد مشاعر الكثيرين وصب المرارة ملحاً وصبراً في حلوقهم وقذف بهم الى الشوارع والحجارة والرصاص في شوارع دلهي ولندن وفرانكفورت وواشنطن . . .

ان رئيس جمهورية الهند زايل سينغ هو نفسه من السيخ . والقائد الذي قاد الهجوم على المعبد الذهبي رانفيت سينغ دايال هو من هذه الطائفة أيضاً وكثيرون في مقاعد الهيئات التشريعية وفي المراكز الوظيفية في الجيش ، ومع ذلك فلا يمكن للسيدة غاندي أن تحلم بالهدنة مع السيخ ما دام هارشاند سينغ لونغوال الزعيم المعتدل لحزب السيخ السياسي (عقلي دال) أسيراً وما دامت جثة بيندار نوبل تمسح بدمائها قاعة هاريمان في المعبد الذهبي . ان المعركة ما تزال في الميزان ، التحدي والتحدي المضاد يتطحنان وتاريخ العنف في الهند طويل طويل وحمام الدم في معركة المعبد الذهبي ليس بالأول ولن يكون الأخير . فهل يكون السيخ بعماهم الطائفي هم الذين يفتحون الطريق لتقسيم الهند . . .

أم أن ذلك حلم ليلة صيف ؟ □□

لبيك لا شريك لك

بقلم : سليمان مظهر

□ كانت رحلة التوبة والغفران ..

وكان قرار الرحالة الاندلسي ابن جبير الانطلاق في رحلته الى الاراضي المقدسة .. قد نبع في أعماقه بعد تلك الليلة الليلاء ، التي ارغمه فيها ابو سعيد صاحب غرناطة على شرب الخمر ، بعد أن غرق وقاره في حيا النشوة والضحكات .. وفي ذلك الصباح من آخر شوال عام ٥٧٨ هجرية داهمته ذكرى ليلته الآثمة بالهم والشجن .. فبكى واستغفر واناب ، ومن خلال دموع التوبة انبثق في رأسه خاطر مضيء .. حمل الى نفسه بعض العزاء .

« فليكن الحج الى بيت الله الحرام .. والمضي الى ارض الرسول »

وبدأت رحلة ابن جبير ...

ولعل هذه المشاهد التي يتخيلها الكاتب .. هي بعض ما خطر ببال الرحالة العربي .. وهو يطل من فوق جبل ابي قبيس المشرف على مكة المكرمة .. ويتذكر قصة البيت العتيق على مدى التاريخ ..

المشهد الأول

« أمام الكعبة المشرفة .. الرحالة ابن جبير مستندا الى ذراع مرافقه الشاب .. يقف عند مقام ابراهيم متطلعا بعينيه في رهبة وخشوع الى بناء البيت .. بينما الطائفون حول البيت يبتهلون ويلبون » .

ابن جبير : ها قد بلغت مأمنك يا ابن جبير .. هنا الأمن والأمان .. التوبة والغفران .

الطائفون : لبيك اللهم لبيك .. لبيك لا شريك لك لبيك .. ان الحمد والنعمة لك والملك .. لا شريك لك .

ابن جبير : (داعيا) يا رب هذا البيت .. يا نور كل نور .. بك تحصنت فاحمني .. ولبيتك لجأت فلا تكلني .. وإياك أسأل فلا تخيبني .. وببيتك ألوذ فلا تطردني .. يا رب .. هذا ذنبي ظاهر بين يديك .. وهذا حالي لا يخفى عليك .. منك أطلب الوصول اليك .. وبنور بيتك أستدل عليك .. فاهدني يا رب بنورك اليك .. وأقمني بصدق عبوديتي بين يديك ..

الفتى : (بتنبهه) مضى الليل وأشرقت الشمس .. ومازلت عند موقفك امام بيت الله .. أفلا اكتفيت واسترحت .. وقد استغفرت وأنبت ؟

ابن جبير : وهل اكتفيت حين نهاني عن المعصية وخالفته ، فلم يسلبني عافيته ؟
وهل استرحت حين أسبغ على نعمته وعصيته ، فلم يزل عني نعمته ؟
ألم يستر عيوبي ويظهر محاسني ، حتى كأني لم أزل أعمل بطاعته ؟
أما أرضيت العباد بسخطه ، فلم يكلني اليهم ، وأغناني من سعة فضله ورحمته ؟

الفتى : حمدا لله أن هداك الى حج بيته .. وكتب لك الوقوف على باب كعبته .

ابن جبير : أحقا أقف عند باب الكعبة .. وتحت ظل البيت .. قبلة كل مؤمن تائب الى الله .. مستجيب الى ندائه القدسي الأطهر ؟

الفتى : وانك لتقف الآن عند مقام ابراهيم .. ولدى حجر اسماعيل .. وعلى ماء زمزم المباركة ..

ابن جبير : ما أقدس المكان وأشد بركته .. لو دريت كيف انبثق ماء زمزم من الأرض القفر نفحة من الرحمن ؟

الفتى : أدري أن هاجر المصرية كانت تسعى في شبه جنون بين الصفا والمروة .. واني لأتصورها وأمامها الرضيع يكاد يموت من العطش .. بعد أن تركها ابراهيم ومضى .

ابن جبير : لم يكن ابراهيم قاسيا .. ولكن كان أمر ربه .
الفتــى : (في استغراب) كيف طوع له قلبه أن يترك الزوجة والولد في بلقع .. لا ماء ولا شجر ولا أنفاس حياة ؟
ابن جبير : أوحى اليه ربه أن اخرج بهما الى حيث اريك .. وكان هنا المكان الذي بارك فيه للعالمين .
الفتــى : ولكنه تركها وانطلق .
ابن جبير : وضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء .
الفتــى : ولكنه لم يستجب لها حين هرولت خلفه تقول .. اين تذهب وتتركنا في هذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء .. ؟
ابن جبير : قال لها .. الله أمرني بهذا .. وأجابته .. فاذن لن يضيعنا .
الفتــى : ولم يضيعها الله .
ابن جبير : (يسرح بعيدا) مضى ابراهيم وهو يرفع يديه الى السماء ويقول .. « ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم . ربنا ليقيموا الصلاة ، فأجعل أفئدة من الناس تهوي اليهم .. وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » .
الفتــى : يا للأرض المباركة !
ابن جبير : أول البركة بئر زمزم .. حيث المكان الذي بكى فيه اسماعيل بعد أن نفد الزاد والماء .
الفتــى : يالحر قلب الأم .
ابن جبير : انبثق الماء من الأرض ، حيث كان الرضيع يضرب بقدمه .. وسمعت هاجر صوت الملاك يقول .. لا تخافي الضيعة .. فان هذا هو بيت الله الحرام . يبنيه هذا الغلام وأبوه ..
الفتــى : ان الله لا يضيع أهله .
ابن جبير : معجزتان كتبهما لاسماعيل .
الفتــى : انبثاق الماء من الأرض الجرداء ..
ابن جبير : والتسليم بأمر الله في التضحية والفداء ..
الفتــى : الفداء .. فما قصة الفداء ؟
ابن جبير : معجزة السماء .. والله إني لأتصور الآن تفاصيلها .. أكاد أشهدها منذ البداية وهي تجري من بعيد .. هناك .. حين غشى النعاس ابراهيم .
الفتــى : (وهو يتابع نظرات ابن جبير) أو كان يعود ؟
ابن جبير : ما اكثر ما كان يعود ليطمئن على امرأته وولده . وما كان أسعده حين وجد اسماعيل وقد احتضنته جرهم ، بعد أن استأذنوا هاجر لينقلوا بيوتهم حول البئر . وتنشأ بينهم الصبي وتعلم منهم العربية . وحين اطمأن ابراهيم على ولده وقد بلغ الثالثة عشرة .. استلقى هادىء البال .. فغشاه النعاس .. !!
الفتــى : والله اني لأراه مثلك .. مستلقيا اذ قرت عيناه فنام .
ابن جبير : (في سرحة بعيدة) أرى ابراهيم ينهض من نومه فزعا .
الفتــى : لعله رأى حلما أفزعه .
ابن جبير : رأى في المنام انه يذبح ولده .. فهب من نومه .. ولكنه عرف انه أمر ربه .. أن يقدم ابنه البكر قربانا لله .
الفتــى : أكان حتما ان يحقق الحلم ؟ أما كان يستطيع ان يرجع حلمه الى نزغات من الشيطان ؟
ابن جبير : ان ايمانه بربه بغير حدود .. وانه ليصدع بأمر ربه أيا كان ذلك الأمر .
« يظهر نور الفجر .. ابن جبير والفتى يطلان من فوق التلة » .
الفتــى : ان ابراهيم يصلي بالناس الفجر عاجلا .
ابن جبير : انه يدنو من ولده ويعطيه حبلا وسكينا .
الفتــى : لقد انطلقا معا الى شعاب الجبل .
ابن جبير : قلب الوالد يتفطر .. بروحه حزن ثقيل .
الفتــى : أرأيت ما يجري هناك ؟
ابن جبير : أصغ بأذنيك .. ستسمع الكثير .

« يواصلان النظر الى حيث يمضي ابراهيم ومعه اسماعيل .. ابراهيم يسير وهو يكاد يتحاشى النظر الى ولده .. يدنو منه رجل غريب الشكل » .

الرجــل : ما تريد بالغلام يا ابراهيم ؟
ابراهيم : أريد أن أذبحه
الرجــل : تذبح غلاما لم يعص الله طرفة عين ؟
ابراهيم : ذلك أمر ربي .
الرجــل : ربك ينهاك عن ذلك .. انما أمرك الشيطان .
ابراهيم : ويلك .. ان الذي بلغني هذا المبلغ هو الذي أمرني به .
الرجــل : أنت قدوة للناس . وانك لو ذبحته ذبح الناس اولادهم .
ابراهيم : (ينتبه) عرفتك يا شيطان .. تريد ان تثنيني عن أمر ربي . « ينحني فيتناول حصى يرجم به الرجل » .

الرجـــل : لا ترمني بحصاك يا ابراهيم
ابراهيـم : اليك عني يا عدو الله .. فلتسخ في الأرض يا شيطان فوالله لأنفذن أمر ربي .

« يسرع ابراهيم الخطا ، يستدير الرجل هامسا لأسماعيل » .

الرجـــل : ان أباك يريد أن يذبحك .. ويزعم أنه أمر ربه .. هلم فاهرب

اسماعيل : (يرميه بالحصى) اذهب يا شيطان .. فليفعل أبي ما أمره به ربه .. وسمعا له وطاعة

« يمضي الشيطان هاربا .. وهما يواصلان السير »

ابراهيم : (يتوقف) « اسمع يا بني .. اني ارى في المنام أني أذبحك .. فانظر ماذا ترى » .

اسماعيل : « يا أبت .. افعل ما تؤمر .. ستجدني ان شاء الله من الصابرين » .

ابراهيم : (بحزن شديد) الآن يا اسماعيل .

اسماعيل : يا أبت .. خر وجهي وشد وثاقي .
ابـراهيم : أوثاق مع الـذبـح .!؟ لا والله لاأجمعهما عليك .
اسماعيل : فأضجعني وأنا ساجد . لا تنظر الى وجهي فتلحقك رقة الآباء ، وتثنيك عن أمر ربك .

« ابن جبير والفتى من فوق التلة »

الفتـــى : ما أصبرك على حزنك يا ابراهيم .
ابن جبير : قلبه يعمره الايمان بأمر ربه .
الفتـــى : انظر .. مضى ابراهيم وأمسك بالسكين .. انه يضجع ولده ووجهه الى الأرض
ابن جبير : انه ينفذ أمر ربه
الفتـــى : رأيت ما أرى يا معلم ؟
ابن جبير : الكبش .. الذبح العظيم .

الفتـــى : ابراهيم يصغي الى وحي من السماء .
ابن جبير : هو صوت ربه يناديه .. « أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا ، إنا كذلك نجزي المحسنين . ان هذا لهو البلاء المبين .. وفديناه بذبح عظيم » .

المشهد الثاني

«ابن جبير يصلي ركعتين متجها بقبلته الى الكعبة . الفتى يتابعه حتى ينتهي من صلاته . يستمر في التسبيح وقد طالت سرحته » .

الفتـــى : يا لليت القدسي .. اني لأتخيل هذا المكان كيف كان قبل ان يقوم عليه بيت الله .
ابن جبير : تمعن يا ولدي جيدا .. ثم أغمض عينيك .. سترى كيف كان .
الفتـــى : (يغمض عينيه) لا ارى شيئا . صحـراء جرداء . ولا ماء غير زمزم .
ابن جبير : استغرق جيدا في التفكر وتأمل .. الا ترى ذلك الشيخ الذي يقف فوق الحجر .
الفتـــى : اجل .. أجل وراءه فتى يناوله الأحجار .
ابن جبير : ابراهيم واسماعيل يقيمان القواعد من البيت .
الفتـــى : الصورة تتضح أمامي .. الآن أرى كل شيء ..
ابن جبير : تعال نقترب .. نشهد ونسمع .

« يقترب ابن جبير وفتاه الى حيث جموع تحيط بابراهيم واسماعيل ، وهما يقيمان بناء البيت .. الجدران ما تزال في مراحلها الأولى .. ابراهيم منتصب بقامته يسوي الأحجار ليستكمل الجدار . الرجال ومعهم زوجة اسماعيل يجيئون بالحجارة من بعيد ويقتربون » .

اسماعيل : ألا تستريح قليلا يا أبت ؟
ابراهيم : لاراحة قبل تنفيذ أمر ربي .
زوجة اسماعيل : مازال امامك الكثير .
ابراهيم : لم يعد في العمر بقية .. فلتكمل البناء حتى يأذن الله .
اسماعيل : (للرجال) بيت الله الحرام لا يؤخر قيامه جهد ولا نصب . واصلوا قطع الحجارة يا بني جرهم .
زوجة اسماعيل : لا تعجل عليهم .. انهم يقطعونها من

جبل حراء وجبل أبي قبيس ..
والوقت لن يضيع .

اسماعيل : ان الله لا يضيع أهله .

ابراهيم : (يدعو) « رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق اهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر » .

زوجة اسماعيل : قد ارتفع الجدار او كاد .

اسماعيل : دعني اكمل العمل يا ابت .. فان يدك تعجز عن ان تنال اعلى البناء .

زوجة اسماعيل : انت يا سيدي أضعف من ان ترفع الحجارة الى هذا العلو .

ابراهيم : يا بني اطلب لي حجرا ، أضعه تحت قدمي لعلي استطيع اتمام ما بدأت .

« اسماعيل يبتعد مسرعا للبحث عن حجر كبير . يعود بعد فترة وقد أعياه التعب فيفاجأ بحجر أسود بالقرب من أبيه » .

اسماعيل : من جاءك بهذا الحجر يا أبت ؟

ابراهيم : من لم يكلني اليك ولا الى حجرك .

اسماعيل : ذلك حجر لم أشهد مثله .. لعله من باطن جبل أبي قبيس .

ابراهيم : (كالمحدث نفسه) اني لأعرف من أين جاء ، ورب ابراهيم .

اسماعيل : انه يتلألأ نورا حتى ليضيء بنوره شرقا وغربا

ابراهيم : لأجعلنه علامة في جدار البيت تبدأ من عنده أشواط الطواف حول الكعبة .

اسماعيل : انه مميز مخالف لسائر الأحجار .. سيعرفه الطائفون بمجرد النظر اليه .

ابراهيم : سيصير الطواف بنظام لا يضطرب فيه الطائفون .

زوجة اسماعيل : الآن قد بلغ علو الجدران تسعة أذرع .. وطولها في الارض ثلاثون ذراعا وعرضها اثنان وعشرون

اسماعيل : ألا تجعل على بيت الله سقفا ؟

ابراهيم : أبدا .. لا أضع حاجزا بينه وبين السماء ..

اسماعيل : الحمد لك اللهم .. قد تم البناء .

ابراهيم : (يدعو) ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم .. ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك . وأرنا مناسكنا ، وتب علينا انك انت التواب الرحيم » .

اسماعيل : فلنمسح الكعبة الآن يا أبت .. ولنطهرها للطائفين والعاكفين والركع السجود .

الزوجة : سآتيكم بماء من زمزم .

« ابراهيم يستكمل مسح الكعبة بماء زمزم ثم يجلس للحظات »

ابراهيم : ليكن البيت مثابة للناس وأمناً .

اسماعيل : أراك أجهدت يا أبت ، وعيناك تنظران الى بعيد ، وقد طال استغراقك .

ابراهيم : تلقيت حديث ربي . أوحى الي به جبريل الأمين .

اسماعيل : وبم أوحى اليك ؟

ابراهيم : (كالمحدث نفسه) دلّني على الحج ومناسكه وعلمني ميقاته .. وقال لي طف حول البيت .. فطفت مستلما الأركان سبعا . فلما اكملت صليت خلف المقام ركعتين .. وقام معي جبريل وأراني المناسك كلها .. الصفا والمروة ومنى ومزدلفة . فلما دخلت منى وهبطت من العقبة . مثل لي ابليس عند جمرة العقبة .

اسماعيل : ابليس عدو الله ؟

ابراهيم : قال لي جبريل : ارمه . فرميته بسبع حصيات فغاب عني .
ثم برز لي عند الجمرة الوسطى فقال لي جبريل : ارمه . فرميته بسبع حصيات فغاب عني . ثم برز لي عند الجمرة السفلى فقال لي جبريل : ارمه . فرميته بسبع حصيات مثل حصى الخذف . ثم مضيت وجبريل يعلمني المناسك حتى انتهيت الى عرفة . فقال لي : أعرفت مناسك ؟ وحين أجبته بالايجاب .. قال : فلتبلغ ذلك للناس .

اسماعيل : فليكن أمر ربك .

ابراهيم : قال ربي .. « واذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات » .

« يصعد ابراهيم فوق الحجر .. يهتف وهو يقف عليه ويداه الى السماء » .

ابراهيم : لبيك اللهم لبيك .. لبيك لا شريك لك لبيك . يا أيها الناس . أن ربكم كتب عليكم

الحج الى البيت العتيق .

أصوات : (من كل مكان) لبيك اللهم لبيك .. لبيك لا شريك لك لبيك .. ان الحمد والنعمة لك والملك .. لاشريك لك .

المشهد الثالث

« في صحراء مكة .. الفتى يجلس فوق تلة يطل منها الى بعيد حيث يبدو بيت الله وحوله بيوت مكة .. يظهر ابن جبير قادما من ناحية الكعبة » .

الفتى : استيقظت فلم أجدك يا معلم .

ابن جبير : ألح علي هاتف أن أذهب الى مقام ابراهيم .

الفتى : فلعلك عاينته .. ودققت فيه وهو الى جوار البيت الكريم .

ابن جبير : والله ان للمعاينة هولا يشد النفوس من الذهول .. ويطيش الأفئدة والعقول .. فلا تبصر الا لحظات خاشعة ، وعبرات هامعة .. ومدامع باكية .. وألسنة الى الله عز وجل ضارعة داعية .

الفتى : كان أملي أن أذهب معك .. وأجد فرصة يخف فيها زحام الطائفين لأتأمل المقام الذي وقف عليه ابراهيم وهو يبني البيت .

ابن جبير : هو حجر مغشي الآن بالفضة .. ارتفاعه مقدار ثلاثة أشبار .. وسعة مقدار شبرين .. وأعلاه أوسع من ... تبركت بلمسه وتقبيله .. وصب ... القدمين المباركتين ماء زمزم ... فسبحان من ألانه لواطئه حتى أثرت ... تأثير القدم في الرمال الناعمة .

الفتى : سبحان من جعله من الآيات البينات .

ابن جبير : وسبحان من جعل ابراهيم للناس اماما .. وجعل الامامة لذريته من الصالحين دون الظالمين .

الفتى : هذا حج اسماعيل بالناس بعد عودة ابراهيم الى فلسطين .. وصار الحج فريضة الى أبد الآبدين ..

ابن جبير : بعد اسماعيل انتقلت الامامة الى أولاده .. ثم الى أخوالهم من جرهم دون أن ينازعوهم ، احتراما للكعبة وتنزها عن نقض حرمتها بقتال .

الفتى : ولكن خزاعة أدخلت الوثنية في البيت .

ابن جبير : تولت خزاعة أمر مكة وولاية الكعبة طوال خمسة قرون .. لم يدخل فيها شيء من الوثنية .. والشرك إلا على أيديهم .

الفتى : فمن أدخل الأوثان في الكعبة ؟

ابن جبير : فعلها عمرو بن لحي الخزاعي .. وقد انحرف عن سنة التوحيد الى الشرك .. وغير ملة ابراهيم واستبدل بها الوثنية .

الفتى : كيف فعلها .. ولماذا كان الزيغ عن التوحيد ؟

ابن جبير : كان ابن لحي قد ذهب الى الشام .. ووقف على دياناتهم الوثنية وعباداتهم للأصنام .

« تبدو ساحة على جوانبها مجموعات من الأصنام والتماثيل يجلس عمرو في أبهة يحيط به ناس من أهل الشام ، بينما يتقرب رجلان من تمثال كبير ويتعبدان اليه » .

عمرو : ما هذا الذي تعبدون من دون رب ابراهيم ؟

شامي : أرباب نعبدها .. ونستجلب من ورائها الجاه ...

عمرو : ... صنعتها من خشب وحجارة .

شامي : هذا فاتنا نستنصرها فتنصرنا .. نستمطرها فتمطرنا .

عمرو : عندنا في مكة اله نعبده ولا نراه .

الشامي : ولكن آلهتنا أمامنا وتحت أبصارنا في أي وقت نريد .

عمرو : (في حيرة) دين ابراهيم يخفي ربه عن أنظارنا .. فلأجعل للرب دينا جديدا أكون أنا رائده ونبيه .

الشامي : ان كان أعجبك واحد من أربابنا .. فانا نهديه اليك .

عمرو : أجل .. أجل .. هو ذاك « يشير الى أحد التماثيل » .

الشامي : انه هبل .. فهو هدية منا لك .

عمرو : سأعود به الى مكة .. وأضعه في جوف الكعبة .

« أصوات ضجة واستنكار ..
الجموع عربية من أهل مكة ..
يواجهون عمرو بن لحي والى جواره
تمثال هبل » .

الجموع : لا .. لن نضع هذا الصنم في بيت الله .

عمرو : (باستكبار) أنا الملك .. وذلك صنمي .. وربي .

الجرهمي : انه الزيغ عن الحنيفية .. دين سيدنا ابراهيم .

عمرو : أنا لن أحرمكم من دينكم .. فلكم دينكم .. ولكن هذا لي .. ولخزاعة .

الجرهمي : بيت الله لكل العرب .

عمرو : افعلوا ما بدا لكم .. ولكن هذا البيت سيظل موئلا لهبل .. ولكل رب آخر تأتي به قبائل العرب ..

رجل : العرب يحجون الى بيت الله .. تقربا الى رب ابراهيم .

عمرو : لكل قبيلة أن تتقرب الى الله زلفى بما تملك من أصنام .

الجرهمي : يا عمرو لا تظلم بمكة
انها بلد حرام
سائل بعاد أين هم
وكذاك تخترم الأنام
وبني العماليق الذين
لهم بها كان السوام

عمرو : أنا لن أناقش .. ولن أقبل معارضتكم أيها الحنيفيون .

الجرهمي : ياعمرو . انك قد أحدثت آلهة
شتى بمكة حول البيت أنصابا
وكان للبيت رب واحد أبدا
فقد جعلت له في الناس أربابا
لتعرفن بأن الله في مهل
سيصطفي دونكم للبيت حجابا

« من فوق التلة .. ابن جبير
والفتى يواصلان الاطلال الى
بعيد » .

الفتى : بالظلم عمرو بن لحي .. وبالسواد قلبه .

ابن جبير : بعد الوثنية التي فرضها ابن لحي على مكة .. حدث تغير شامل في العقيدة والعبادة .. فلم يعد الحج عبادة توحيد .. بل انقلب الى عبادة وثنية بجميع مناسكه وشعائره وتلبيته .

الفتى : ضاعت أصوات الحنيفيين في صخب الوثنية الجديدة .. حتى في ظل قريش .

ابن جبير : هو ما قلت .. فحين انتزع قصي بن كلاب حكم مكة من خزاعة .. سن سنتا حسنة لحجاج بيت الله .. وعادت ولاية الكعبة الى ذرية اسماعيل بولاية قصي .

الفتى : ولكن الوثنية ظلت هي السائدة .

ابن جبير : (في سرحة ضيق) ظل حول الكعبة وداخلها أوثان كمثل اللات والعزى ومناة وآسف ونائلة .

الفتى : فما بال قصي وهذا الشرك .. رغم انه نظم السقاية والحجابة والرفادة لحجاج بيت الله ؟!

ابن جبير : كان العرب من حنفاء ومشركين .. يحجون ويعتمرون ويطوفون ويسعون ويعرفون التلبية ..

الفتى : ولكن التلبية ما عادت هي التلبية .. والتوحيد انقلب شركا ووثنية .

ابن جبير : ومع هذا .. فالكعبة ظلت هي الكعبة .. بيت الله القائم أبدا .

الفتى : لكن هدمها سيل غزير

ابن جبير : تصدعت .. ولم تهدم .. وعمل القرشيون على اعادة بنائها .. وكان ذلك قبل ظهور الاسلام .. وحين كان محمد مازال يافعا بعد .
وحكايته مع الحجر الأسود وزعماء قريش حين اختلفوا عليه لا تخفى على أحد ..

الفتى : فما فعلت قريش بالكعبة بعد تجديدها ؟

ابن جبير : رفعوا حوائطها الى ارتفاع ١٨ ذراعا من مداميك من خشب وحجر بالتبادل ، وجعلوا لها بابا على ارتفاع أربعة أذرع ، لمنع السيول

من الدخول اليها .. بعد أن كان لها بابان ملاصقان للأرض حين بناها ابراهيم .

الفتى : ولكن ابراهيم لم يجعل لها سقفا ..

ابن جبير : جعلت قريش لها سقفا من خشب الدوم وجريد النخل .

الفتى : لعلهم جددوا البناء بما أخذوا من النذور والقرابين المحفوظة في بئر الكعبة .

ابن جبير : لم يجرؤ على فعلها أحد .. مخافة عقاب رب البيت .

الفتى : سمعت أن سارقا اسمه دويك سرق من مال الكعبة في زمن جرهم .

ابن جبير : كانت محاولة حين دخل الرجل البئر التي فيها كنز الكعبة .. ولكن سقط عليه حجر فحبسه فيها ، حتى اخرج منها وانتزع المال من بين يديه .

الفتى : ولكن زمزم اختفت في عهد جرهم .

ابن جبير : كانت زمزم معينا لا ينضب حتى بغى الجرهميون وأساءوا واستخفوا بالبيت .. فنضب معينها بأمر الله .. ولم يعرف مكانها ولا ظهرت الا على يد عبدالمطلب بن هاشم .. جد النبي .. أتذكر .. أن قد جاءه هاتف في المنام .

« ابن جبير في سرحة طويلة يتذكر .. يبدو عبدالمطلب في استلقاءته قرب الكعبة » .

صوت من بعيد : احفر زمزم .. احفر زمزم ياعبدالمطلب .

عبدالمطلب (ينهض فزعا) : من المنادي ؟ من يناديني ؟

الصوت : احفر زمزم يا عبدالمطلب .

عبدالمطلب : (باستغراب) أبعد ستة وعشرين قرنا استطيع أن أجدها .

الصوت : الله يريد .. والله يفعل ما يريد .

عبدالمطلب : ولكن .. لماذا أنا بالذات ؟

الصوت : ان لك ولأبنائك لشأناً .. فاحفر زمزم .. ان موضعها تحت قدميك .

« ينهض عبدالمطلب في حيرة .. تتحول حيرته الى اندفاع . ينادي ولده الحارث ليأتيه بفأس ومعول . يحفر بقوة تحت مواطىء قدميه ويعينه ولده » .

عبدالمطلب : اضرب بقوة يابني ..

الحارث : لا شيء يا أبت .. فلعله الشيطان وسوس لك .

عبدالمطلب : والله انه لهاتف من السماء .. اضرب ياحارث .. اضرب بقوة

« جموع من قريش تحيط بهما وهما يحفران » .

القرشي : ما هذا الذي يفعل عبدالمطلب وولده ؟

الراعي : يريد أن يعيد ماء زمزم .

القرشي : بعد كل هذه القرون يريدها عبدالمطلب أن تعود .. !؟

انه واللات ليخدع نفسه ...

عبدالمطلب : (دون أن يلتفت) ولو سخرتم . سأستمر في الحفر ، ولأجدن ماء زمزم .

القرشي : (ساخرا) لن تجد شيئا يا عبدالمطلب .

الحارث : أهو التحدي اذن ؟

القرشي : لا نتحدى .. إنما يخدعكم شيطانكم يابني هاشم .

عبدالمطلب : (بتصميم) واذا انبثق الماء ؟!

القرشي : لكل حادث حديث .

عبدالمطلب : لو انبثق الماء .. فهو حقي .

القرشي : لن ينبثق .. ولو حدث فستشركك فيه .

الحارث : بأي حق ؟

القرشي : زمزم هبة رب البيت لأبينا اسماعيل .

الحارث : الماء لمن حفر .

القرشي : واللات .. لو حدث .. لنكاثرنّكم فيه .

عبدالمطلب : ورب الكعبة .. لو انبثق ماء زمزم .. وهو حق لمن حفر .. لأجعلنه مباحا لكل شارب .. ولتكونن السقاية لي .. ومن بعدي لابنائي .

« الفأس يضرب معدنا .. ينحني الحارث فيمسك بغزالين من ذهب » .

الحارث : انظر .. غزالان من ذهب في الحفر .

عبدالمطلب : هما من دفن جرهم .. في بئر زمزم

الحارث : الذهب لنا .

عبدالمطلب : لا تفعل ياحارث .. الذهب لرب الكعبة .. ولاضربها ليكونا في باب بيت الله .

الحارث (ينظر تحت قدميه) : الماء .. الماء ينبثق من تحت موضع فأسك يا أبتاه .

عبدالمطلب : الماء .. ماء زمزم .. تباركت اللهم .

« يندفع عبدالمطلب في الحفر بقوة .. يندفع رجالات قريش فيحيطون به وهم يتابعون الماء المنبثق من البئر » .

القرشي : عاد ماء زمزم .. عاد لكم ماء زمزم يا آل قريش .
الحارث : الماء لمن حفر .. والحافر عبدالمطلب .
القرشي : الماء لقريش كلها .. الماء هبة من رب هذا البيت .
المجموع : أجل .. أجل .. الماء لقريش .
عبدالمطلب : أتتكاثرون علي .
القرشي (ساخرا) : فما تستطيع معنا .. وليس لك سوى الحارث ولد ؟
عبدالمطلب : (يدعو) اني نذرت .. لو رزقت بعشرة من الأبناء .. لأضحين بأحدهم .. بحق رب هذا البيت .

المشهد الرابع

« ابن جبير وفتاه يتابعان الناس وهم يطوفون .. تستقر عيونهما على بناء الكعبة » ..

الفتى : يالمكرمات البيت .. ورب البيت .
ابن جبير : حمى الله بيته .. وجعله للناس مثابة وأمنا .
الفتى : لعن الله كل من يحاول العدوان على بيت الله .
ابن جبير : هو ماقلت .. وقد حلت اللعنة على كل من فعلها على مدى التاريخ .
الفتى : تعني أبرهة الحبشي ؟
ابن جبير : هو أولهم .. وان سبقه آخرون في محاولة العدوان .
الفتى : فمن تقصد يا معلم ؟
ابن جبير : تبع أبو كرب ملك حمير . أراد التعرض للكعبة يبغي هدمها قبل بعثة الرسول بمائتي سنة . واذ نزل وجيشه على مسافة من الكعبة .. هبت ريح صرصر عاتية أطاحت بخيامهم .. فعرف أنه النذير .. وعدل عن الشر الذي كان نواه .
الفتى : خاب ظنه .. فتاب وأناب .
ابن جبير : وخاب ظن كل من بغى بعدوان من الحكام الذين لم يكن يرضيهم ان يذهب رعاياهم الى مكة حاجين يدينون لكعبتها بالطاعة والولاء .
الفتى : ان مثلهم .. أبرهة الحبشي .
ابن جبير : (في سرحة) اني والله لأراه في عنفوانه .. وأسمع اليه يرغي ويزبد .

« على البعد يبدو أبرهة ملك اليمن من قبل نجاشي الحبشة وحوله رجال وضباط » .

أبرهة : أنا لا أصدق .. ما تقولون كذب .. كذب .
سام : نقول ما رأينا يامولاي .. كل الناس يقصدون مكة .. يجذبهم بيتها الحرام وكعبتها المقدسة .
أبرهة : (يغضب) والقليس .. بيت الرب الذي تبنيه هنا في صنعاء اليمن .. لماذا لا يحج اليه الناس .. رغم كل تلك الزينة التي تبهر الأنظار .. ورغم الفاخر من الأثاث والرياش ؟
سام : العرب لا تتجه الا الى البيت العتيق في مكة .
أبرهة : (ثائرا) اذن لأغتصبن ذلك الاكليل الذي ازينت به قريش .. لن يكون بيت يحج اليه الناس في مكة .. في الوقت الذي يهربون فيه من بيت أقمناه .
سام : لتهدمه يا أبرهة .
أبرهة : لأهدمنه .. ولتجهزوا لحرب مكة .. وتحطيم بيت قريش .
أصوات : الى الحرب .. الى مكة .. الى الامام يا جيش الحبشة واليمن .

أبرهـة : لنهدم الكعبة .. لندمر بيت ابراهيم واسماعيل .

« ترتفع أصوات ضجة وسلاح .. في جانب آخر عند ساحة الكعبة يجلس عبدالمطلب وحوله بعض قريش . يقترب فارس يلهث ووراءه القائد الحبشي حناطة » .

حناطة : أين عبدالمطلب .؟ نريد سيد قريش .
عبدالمطلب : أنت وما تريد .. مالك ؟
حناطة : أنا رسول أبرهة .. أبلغ رسالة الى سيد مكة .
عبدالمطلب : بلغ رسالتك .
حناطة : يقول لك أبرهة وقد جاءكم على فيل عظيم وجيش لاقبل لكم به .. انه لم يأت لحربكم .. انما جاء ليهدم هذا البيت .
عبدالمطلب : ماله وبيت الله ؟
حناطة : يقول أبرهة .. اذا لم تتعرضوا له بحرب .. فلا حاجة له في دمائكم .
عبدالمطلب : فان لم نود الحرب ؟
حناطة : تجلس معه وتسمع ما يريد .
عبدالمطلب : (لقريش) فما ترون ؟
بعض القوم : ما نقدر على حرب أبرهة .
آخرون : لا طاقة لنا بجيش الحبش .
عبدالمطلب : (للحبشي)اذن .. فليكن لقاء بأبرهة .

« يخرج القائد ويتبعه عبدالمطلب وبعض رجال قريش . يسيرون بين قعقعة سلاح وضجيج جنود . أبرهة يستقبل عبدالمطلب بتكريم واضح » .

أبرهة : مرحبي بشريف قومه .
عبدالمطلب : علمنا طلبك يا أبرهة .. وما أطلب سوى رد ما اغتصبت جيوشك من ابلي .
أبرهة : (باستغراب) ماذا ؟! الابل ؟!
عبدالمطلب : (بثبات) مائتان من الابل .. ولا شيء أكثر .
أبرهة : (ساخرا) لست حريا بمكانك يا عبدالمطلب .
عبدالمطلب : ما ساءك مني ؟
أبرهة : تكلمني في مائتي بعير أخذتها منك .. وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك جئت لأهدمه .. فلا تكلمني فيه ؟!

عبدالمطلب : أنا رب هذه الابل .. أما البيت فله رب يحميه .
أبرهة : لن يمتنع علي .
عبدالمطلب : أنت وما تريد .
رجل : (متدخلا) يا ملك الحبشة . فنحن بعض القوم نطلب منك أن ترجع عن هدم الكعبة .. وننزل لك عن ثلث ثروتنا .
أبرهة : سأهدم البيت ، فلن أسمح ببيت يحج اليه الناس بمكة .. بينما يبقى في اليمن لا يحج اليه أحد .
رجل : في مكة بيت الله ... بناه جدنا ابرهيم .
أبرهة : أنتم تدعون .. ذلك بيت بناه الملائكة .. والملائكة لنا جميعا .. فلستم وارثيه .
رجل : الله أمر ابراهيم ليقيم قواعد البيت .. وهو أول من بناه ..
ابرهة : بيت الله الحقيقي سابق بيتكم .. أمر الله ملائكته من سكان الأرض أن يبنوه على مثال عرشه في السماء .. وأمر من في الأرض أن يطوفوا به كما يطوف حول عرشه أهل السماء .
عبد المطلب : ولو كان .. فهنا الأرض التي باركها الله .. وهنا مكان بيت الله .
أبرهة : وما يدريكم أن مكان بيت الله ليس هو المكان الذي أقمت عليه البيت الآخر في اليمن ؟
عبد المطلب : هدى الله نبيه ابراهيم الى هذا المكان القدسي في مكة .
أبرهة : الرب هدى آدم من قبله وقال له : اذهب فأبن لي بيتاً تطوف به ، وتذكرني حوله ، كنحو ما رأيت الملائكة تصنع حول عرشي .. فاذا كان بيتكم قد بناه ابراهيم فلا بد أن البيت في اليمن هو ما بناه آدم ..
عبد المطلب : بيت اليمن أنت بنيته ولا قواعد له .
أبرهة : أقمته حيث أستقر بيت آدم ، بعد أن أغرقه طوفان نوح وغير مكانه . فذلك بيت الله الذي على الناس أن يحجوا اليه .
قرشي : لا حج الا لبيت الله في مكة .
أبرهة : سأهدم الكعبة .. وأدمر بيت ابراهيم واسماعيل .

« ينطلق ابرهة مبتعداً في ضجة .. « تعود قعقعة السلاح وضجيج الحرب » .

عبد المطلب : (منادياً) يا أهل مكة .. اخرجوا الى شعاب الجبل .. أبقوا على انفسكم واحفظوا أرواحكم .

الناس (تجري) الى الجبل .. الى الجبل .

عبد المطلب : (يدعو) يا رب الكعبة .. يا صاحب هذا البيت الكريم .. انصر بيتك على ابرهة وجنده .. امنع الكعبة يا رب ابراهيم

« ترتفع أصوات حوافر جياد مسرعة من بعيد » .

القرشي : (برعب) جيوش ابرهة تسرع نحو الكعبة .

الناس : اللعنة على الطاغية .

القرشي : يا رب ابراهيم .. احم كعبتك .

« أصوات صخب من بعيد » .

القرشي : انهم يوجهون الفيل نحو الكعبة .

رجل : الفيل يبرك .. يأبى أن يطأ حرم الله بغيا .

القرشي : انهم يوجهونه شطر غير الحرم .. فيسرع .

رجل : كلما أعادوا توجيه الفيل الى بيت الله أبى وبرك .

القرشي : انهم يحاولون أكثر من مرة ويفشلون .

رجل : هي المعجزة ورب ابراهيم .

« أصوات ضجيج من حيث معسكر ابرهة » .

حناطة : توقفوا .. انظروا فوقكم .

أبرهة : ما هذا الذي يحدث .. لم لا تتقدمون يا جند الحبشة .

حناطة : انتبهوا .. انظروا الى السماء .

أبرهة : سحاب هائل .. عظيم

حناطة : سحاب من طير السماء يتقدم ويغطي قرص الشمس .

ضابط : الطيور تزحف لتنقض علينا .

الجنود : الغوث .. حجارة من سجيل .. الطيور تقذفنا بالحجارة .

أبرهة : الأمر رهيب .. احذروا الطير .. القوا بأنفسكم على الأرض .

أصوات : القتل كثير .. الدم .. الدم .

أبرهة : ما هذا ؟ الموت .. أين جيشي .. ؟

حناطة : الكل جثث هامدة .. السماء تحمل الجيش أشلاء .

الناس : (يرفعون أيديهم الى السماء بجوار الكعبة) اسجدوا لرب ابراهيم .. حمى بيته .. ونصر كعبته .

ابن جبير : أبرهة أصيب .. الهاربون يحملونه معهم وهو ينهار .. سيذهبون به الى اليمن وهو مثل فرخ الطائر ليهلك بين قومه .

عبد المطلب : حفظ الله بيت الله .

رجل : أيها الناس .. ارتد أصحاب الفيل على أعقابهم خاسرين .

عبد المطلب : ليكن عام الفيل .. هو يوم النصر لرب ابراهيم .

الناس : لا اله الا الله وحده .. لا شريك له .

ابن جبير : « ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل . ألم يجعل كيدهم في تضليل ، وأرسل عليهم طيراً أبابيل .. ترميهم بحجارة من سجيل ، فجعلهم كعصف مأكول » .

« صدق الله العظيم »

المشهد الخامس

« ربوة قرب جبل الصفا .. ابن جبير وفتاة يطلان ناحية الكعبة حيث أفواج من الناس يطوفون حول بيت الله » .

الفتى : الطائفون لا ينقطعون عن الطواف .

ابن جبير : معجزة السماء .. ومن نعم الله على بيته أن الطائفين لا ينقطعون عنه آناء الليل وآناء النهار .. لا يتوقف الناس أبداً عن الطواف حول البيت .

الفتى : من يطوفون اليوم ليسوا كلهم من أهل مكة .

ابن جبير : (في سرحة) أهل مكة .. اني والله لأذكر أهل مكة وهم يحيطون بالكعبة ذات يوم عظيم .. ولكنهم لم يكونوا يطوفون .

الفتى : فما أوقفهم عن الطواف حول البيت ؟

ابن جبير : كانوا يرسلون ابصارهم الى بعيد وكأن على رءوسهم الطير .

الفتى : عن رهبة أم رغبة ؟ أم أمل ما بعد الانتظار ؟

ابن جبير : انظر الى أهل مكة .. وتصور كيف كانت وقفتهم .. وهم ينتظرون وصول رسول الله .. وقد جاء لفتح مكة .

الفتى : الفتح المبين .. بعد ثماني سنوات من الهجرة .. فتحت مكة بغير قتال .

ابن جبير : من هذا المكان .. خرج محمد الى مصير مجهول .

الفتى : وعاد يوم الفتح .. ظافرا .. فاتحاً .

ابن جبير : صدق رسول الله .. قال ستنزل من على جبل الصفا الى الكعبة .

الفتى : من فوق الصفا .. ارتفعت دعوته .

ابن جبير : كان معه اربعون رجلاً وامرأة .. وحدث قريشاً عن الوحي .. فقالوا كاذب .

الفتى : أبلغهم القرآن .. فقالوا ساحر .

ابن جبير : دعاهم الى الله الواحد .. فقالوا مجنون .

الفتى : بالقسوة ما احتملت يا رسول الله .

ابن جبير : اراد ليهدي الى دين رب البيت الكريم .. من تفتحت قلوبهم للايمان .

الفتى : لكأني الآن أشهد يوم الفتح العظيم .

ابن جبير : اتسمع من بعيد ذلك الصوت الذي سبق النبي الى الكعبة ؟

« ضجة بين الناس حول الكعبة وهم يتلفتون يميناً ويساراً ، يصيخون السمع الى صوت المنادي » .

المنادي : يامعشر قريش .. هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به .. فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن .. ومن دخل المسجد فهو آمن .. ومن أغلق عليه بابه فهو آمن .

أصوات الجموع : محمد في جيشه يدخل مكة .. النجاة النجاة .. الى المسجد .. الى البيوت ..

المنادي : أيها المؤمنون .. محمد يقول لكم .. لا تقاتلوا الا من قاتلكم .. ولو قاتلوكم فلا تجهزوا على جريح .. ولا تتبعوا مدبرا .. ولا تقتلوا أسيرا .

أصوات : (من بعيد) لا اله الا الله وحده .. صدق وعده .. ونصر عبده .. وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده .

ابن جبير : (من فوق التلة) أرى الرسول الكريم وقد بلغ الكعبة .. يستلم الحجر ويطوف حول البيت .

الفتى : أول طواف له منذ الهجرة .

ابن جبير : لقد رفع يده .. وأمر في الكعبة بشيء .. انه يشير الى الأصنام .

أصوات : (من بعيد) الله أكبر .. الله أكبر .. الله أكبر .

صوت رجل : سقط هبل .. الله أكبر .

أصوات : يقول لكم محمد .. حطموا أصنام الكعبة .. لا أوثان بعد اليوم .

أصوات أخرى : وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا .

ابن جبير : طهر الله الكعبة ومكة والمشاعر كلها من الشرك والوثنية .. ولم يعد في هذه البقاع المقدسة الطاهرة غير دين الاسلام .

الفتى : رسول الله يتكلم في الناس .

ابن جبير : هو يقول .. يا معشر قريش ويا أهل مكة .. ما ترون أني فاعل بكم ؟

أصوات : (من بعيد) أخ كريم .. وابن أخ كريم .

ابن جبير : يقول محمد .. اذهبوا .. فأنتم الطلقاء .

الفتى : كل أهل مكة يحيطون بالنبي .

ابن جبير : انه يقول لقريش .. ان الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظيمها بالآباء .. الناس

من آدم .. وآدم من تراب .

الفتـى : لقد تم نصر الله لك يا رسول الله .

ابن جبير : « اذا جاء نصر الله والفتح .. ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا .. فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا » .

الفتـى : ساحة الكعبة امتلأت بأهل مكة .

ابن جبير : انهم يحيطون بمحمد .. هل تسمعهم يا بني ؟

« يصيخان السمع الى حيث زحام الناس عند الكعبة » .

الفتـى : أليس هذا ابن ابي قحافة .. ؟ انه يقود اباه الى رسول الله .

ابن جبير : ما أعزك يا محمد .. انه يقول لأبي بكر .. هلا تركت الشيخ في بيته حتى آتيه فيه ؟

الفتـى : ان أبا بكر يجيبه .. يا رسول الله .. هو أحق أن يمشي اليك من أن تمشي أنت اليه .

ابن جبير : أجلس الرسول أبا قحافة بين يديه ومسح صدره .

الفتـى : قد أسلم أبو قحافة .. وشهد الا اله الا الله وأن محمداً رسول الله .

صوت رجـل : يا رسول الله .. أنا عثمان بن طلحة .. يريد علي بن أبي طالب أن ينتزع مني مفتاح الكعبة ..

صوت آخـر : يقول محمد .. يا علي ليبق مفتاح الكعبة مع عثمان بن طلحة .. « ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها » .

ابن جبير : أدى علي الأمانة ورد مفتاح الكعبة ...

الرجـل : محمد يقول .. « خذوها يا بني طلحة بأمانة الله سبحانه .. واعملوا فيها بالمعروف خالدة تالدة لا ينزعها من أيديكم الا ظالم » .

ابن طلحة : ما أجدرك برسالة ربك يا رسول الله .. كنت دائماً على من ظلم حتى ترد اليه مظلمته .. حتى قبل الرسالة فعلتها مشاركاً في حلف الفضول .

الفتـى : الظلم .. لعن الله الظلم والظالمين .

ابن جبير : والعن الظالمين من حاول العدوان على الكعبة من الأدعياء والمنافقين .

الفتـى : الحق قلت يا ابن جبير .

ابن جبير : أظلمهم من أحرق الكعبة ورماها بالمجانيق .

الفتـى : ما أبشع انتهاك حرمة بيت الله .. انها لوصمة على جبين كل من حاولها واقترف إثمها .

ابن جبير : (في سرحة) اني أراهم كلهم .. هنا وهناك .. يجيئون من يمين الكعبة وشمالها ..

الفتـى : ان الشيطان ليدفعهم .

ابن جبير : أرى هناك مسلما المري قائد يزيد بن معاوية .. واني لاسمعه يرغي ويزيد في الناس ومن حوله جيشه .

« من بعد .. يبدو محاربون وهم يضجون بالسلاح وعلى رأسهم القائد مسلم المري » .

مسلم المري : يا جند يزيد .. لا نجاة اليوم لابن الزبير وقومه .. اقتلوهم .. اذبحوهم .. خربوا ديارهم .. أذيقوا أهل مكة كما أذقتم أهل المدينة كل ما تملكون من صنوف الشر الذي لا شر مثله .

صوت ابن الزبير : أتفعلها حتى بعد أن استبحت مدينة رسول الله ؟

مسلم المري : القتل لكل من لا يبايع على أنه عبد يزيد .

صوت ابن الزبير : ولو كان من صحابة رسول الله ؟

مسلم المري : لا نجاة لهم حتى لو اختفوا وراء الكعبة نفسها .

أصوات : فلنواصل الزحف الى مكة

مسلم المري : انطلقوا .. اسرعوا .. وليحل بمكة ما حل بالمدينة .

صوت ابن الزبير : اسرع اليك الموت يامري .. قد هلكت قبل أن تبلغ كعبة الله .

« يظهر الحصين بن نمير وقد تولى القيادة بعد المري » .

الحصيني : أنا الحصين بن نمير .. واني لها وحق يزيد .

صوت ابن الزبير : ما هذا الذي تفعله يا ابن نمير ؟

الحصين : انصبوا المجانيق والعرادات على مكة والمسجد من الجبال والفجاج .

صوات ابن الزبير : ألا تستحي ؟ أبيت الله تريد ؟

الحصين : لا تكتفوا بالحجارة .. ارموا بالنار والنفط ومشاقات الكتان .. اطلقوا على من تستروا وراء الكعبة كل ما بين أيديكم من المحرقات .

أصوات (مستغيثة) : النيران تحرق كسوة الكعبة .

صوت : جدران البيت تنهار .

صوت ابن الزبير : أهكذا تهدمون بيت الله ؟

صوت : لقد وهت الكعبة .. انهارت جدران بيت الله .

الحصيـــن : استمروا في الضرب . . لا تتوقفوا حتى يسلم لكم ابن الزبير .

رجـــل : انه يلوذ بالكعبة ويحتمي خلفها .

الحصيـــن : فلتصيبوه من ورائها . . أو يبتعد عنها . . وإثمها عليه

صوت (من بعيد) : يا جيش يزيد . . مات الخليفة .

الحصين(يفاجأ) : يزيد مات . . ؟ فمن جاء بالأنباء ؟

صـــوت : رسول من الشام .

أصـــوات : فيا قتالنا وقد سقطت بيعته ؟

رجـــل : يا ابن نمير . . . أتقاتل في غير غاية ؟

الحصين (بعد تفكير) : أوقفوا الضرب . . لا قتل ولا تدمير .

ابن الزبير (من بعيد) : فارحل عنا يا ابن نمير . . . فلا شيء يدعوك للبقاء .

الحصيـــن : صدقت يا عبد الله . . وان كان هذا الرجل قد هلك . .

فأنت أحق الناس بهذا الأمر .

ابن الزبيـــر : فلم كان القتال يا ابن نمير ؟

الحصيـــن : الطاعة لولي الأمر . . . أما وقد نعاه الناعون فهلم وارحل معي الى الشام . . فو الله لا يختلف عليك اثنان .

ابن الزبيـــر : أخداعاً تريد يا ابن نمير . . لتحمل خصمك غنيمة باردة لسيدك الجديد ؟

الحصيـــن : ان أبيتها فلن أرغمك عليها . . أما أنا فلا حاجة لي في قتال لا أعرف له غاية .

ابن الزبيـــر : ففك الحصار عن الكعبة . . فو الله إن إصلاح شأنها بعد الذي كان . . لأحق بكل جهود المسلمين .

المشهد السادس

« من فوق الصفا . . ابن جبير وفتاه ينظران الى ناحية الكعبة . . » .

الفتـــى : يالشقوة من هدموا الكعبة . . إثمهم عليهم الى يوم الدين .

ابن جبيـــر : ومن أعاد بناءها . . وأقامها على قواعدها . . يدخله الله جناته شهيداً من الشهداء . . واني والله لأراه الآن على الطريق . . الى جنة ربه ورضوانه .

« يبدو ابن الزبير يحيط به الناس عند الكعبة وقد تهدمت جدرانها »

ابن الزبير : أيها الناس . . أشيروا علي في الكعبة .

ابن عباس : فيا بغيتك ؟

ابن الزبير : أنقضها ثم أبني بناءها . . أو أصلح ما انهار من جدرانها .

ابن عباس : أتنقض بناء الكعبة وقد بعث عليها النبي ؟

ابن الزبير : وهل يستقيم أمر بناء صدعته المجانيق وأحرقته النيران ؟

ابن عباس : أرى أن تصلح ما وهي منها . . وتدع بيتا ، أسلم الناس عليه . .

ابن الزبير : لو كان أحدكم احترق بيته . . فيا كان يرضى حتى يجدده . . فكيف بيت ربكم ؟

أصـــوات : الحق يقول ابن الزبير .

ابن الزبير : قد استخرت ربي ثلاثا . . واجتمع رأيي على أن أنقضها . . ولأبدأن الآن . . وأهدم ما بقي من الجدران . .

أصـــوات : لا . . لا تفعل أنت يا ابن الزبير . . دع غيرك يصعد فوق الجدار لينقض . .

ابن عباس : لينزلن بأول من يصعد من الناس أمر من السماء .

ابن الزبير : فأنا أولهم . . ولأرتقين جدار الكعبة إذ هدم لأعيد البناء .

« الناس بين مؤيد ومستنكر . عبد الله بن الزبير يبدأ إسقاط ما تداعى من حجر الجدار . ابن جبير والفتى فوق التلة » .

الفتـــى : حياك الله يا عبدالله .

ابن جبير : حين وجد الناس انه لم يصبه شيء . . تتابعوا

خلفه وراحوا ينقضون حتى بلغوا بالبناء الارض .

ابن الزبير : (في الناس) : لا تضيعوا حجرا من حجارة الكعبة .. اعزلوا منها ما هو صالح يعاد الى البناء .. أما ما بقي من حجر وردم فاجمعوه واحفروا له حفرة في جوف الكعبة .. فضعوه وادفنوه .

الناس : تريد الطواف حول البيت ... فما تفعل يا ابن الزبير ؟

ابن الزبير : نقيم ستارا من خشب حول ما كان من جدران الكعبة .. وليواصل الطائفون طوافهم حتى نعيد البناء .

ابن عباس : أنعيد البناء على بقايا الجدران .. وندع حجر اسماعيل في مكانه خارج الكعبة ؟

ابن الزبير : اني سمعت خالتي عائشة أم المؤمنين تقول : ان النبي قال : « لولا حداثة عهد الناس بالشرك .. وليس عندي من النفقة ما يقويني على بنائه .. لكنت أدخلت فيه ما استقصر قومك من بنيان البيت : ولأدخلت فيه من الحجر خمسة أذرع ، ولجعلت فيه من الحجر خمسة أذرع .. ولجعلت له بابا يدخل الناس منه وبابا يخرجون منه » .

ابن عباس : وتفعلها يا عبد الله .. وتغير ما بين الجدار والجدار ؟

ابن الزبير : لأتبعن قواعد ابراهيم من ناحية الحجر ، ولن أقيم الجدران إلا على القواعد التي أقام عليها بيت الله .

ابن عباس : (مناديا) واصلوا الحفر أيها الناس .

رجل : هلم الينا يا ابن الزبير .

ابن الزبير : أأدركتم قواعد ابراهيم ؟

الرجل : هي تلك .. صخر مثل الخلف من الابل .

الناس : الله أكبر .. الله أكبر .

ابن الزبير : هلموا يا أهل مكة .. حركوا القواعد بالمعقل .

الرجل : أنظروا .. قواعد البيت كأنها بنيان مربوط بعضه ببعض .

ابن الزبير : اشهدوا يا قوم .. تلك قواعد ابراهيم الخليل ، أعيد عليها بناء الكعبة من جديد .

« الطائفون يواصلون الطواف والتلبية .. ابن جبير والفتى فوق التلة يتابعان ويشاركان في التلبية » .

ابن جبير : بدأ عبدالله البناء في جمادي الآخرة ـ سنة أربع وستين .. وتم الفراغ منه في السابع عشر من رجب سنة خمس وستين من الهجرة .

الفتى : هل قامت الكعبة حقا على قواعد ابراهيم ؟

ابن جبير : بناء ابن الزبير هو البناء الصحيح على قواعد ابراهيم .. لم يسبق لأحد أن بنى بناءه .. ولم يأت لاحق ..

الفتى : وكان حجر اسماعيل داخل البناء الجديد ؟

ابن جبير : الحجر من الكعبة المشرفة .. ولكن قريشا حين أعادت البناء بعد السيل تركت الحجر خارج بناء الكعبة .. فقد قصرت النفقة بقريش .

الفتى : لهذا يطوف الطائفون من وراء الحجر المحسوب من الكعبة .

ابن جبير : عندما اعتمر رسول الله عمراته وحج حجة وداعه .. كان كل طوافه من خارج الحجر .. والمسلمون يأخذون مناسكهم عن رسول الله .

الفتى : فأدخال ابن الزبير الحجر في الكعبة حق ..

ابن جبير : ان مساحة الكعبة هي ما قام عليه البناء والحجر .

الفتى : فما بال الحجر اليوم بعيدا عن البناء ؟ رغم ما بناه ابن الزبير ؟

ابن جبير : (متنهدا) : كان ما فعله حقا كله .. وإخراج الحجر من البناء ليس من الحق في شيء .. وعفا الله عمن فعلها .

الفتى : فمن فعل ذلك ؟

ابن جبير : فعلها الحجاج بن يوسف الثقفي .. وتلك قصة أخرى لا أستطيع أن أنساها .. كانت بدايتها من هناك .. من فوق جبل أبي قبيس .

« فوق الجبل يبدو الحجاج بن يوسف بين بعض رجاله .. والمجانيق مصوبة نحو الكعبة » .

الأموي : ألا أنذرت عبدالله بن الزبير قبل أن تضرب بالمجانيق عند بيت الله ؟

الحجاج : وأعصي أمرا أمر به الخليفة عبد الملك ؟

الأموي : كان عبد الملك ينكر ذلك أيام يزيد .

الحجاج : أمرني أن أستأصل الزبيريين من منابتهم في مكة .. وسأفعلها ما بقيت سيفا له على عدوه .

الرجل : أهل مكة يستغيثون وقد أنهكهم الحصار . فالحجيج لا يستطيعون دخول مكة لاتمام

مناسكهم .. وأهالي مكة عاجزون عن الخروج الى عرفات يوم النحر ..

الحجاج : فلتهن الحصار .. وبالقوة تفتح مكة أبوابها للداخلين والخارجين .

الأموي : أتأمر الجند بابعاد المجانيق ؟

الحجاج : بل لينصبوها .. وليرموا بها المتحصنين داخل مكة .. (ينادي) اضربوا ولا توقفوا الضرب حتى يستسلم الزبيريون .

« المجانيق تضرب بالحجارة من فوق أبي قبيس .. أصوات المستغيثين والحجيج ترتفع » .

الجموع : اتق الله يا حجاج في بيت الله .

صوت : الأحجار تنال الكعبة وتقع على جدارها .

رجل : انظروا أيها الناس .. قد أبرقت السماء وأرعدت .. وعلا هزيم الرعد على صوت الحجارة .

الحجاج : (باستغراب) لم أمسكتم أيديكم يا رجال ؟

أصوات : نخاف غضب الله يا ثقفي .

الحجاج : بيدي سأرمي معكم .

أصوات (من بعيد) : أتنتهكون حرمة بيت الله وتدعون الاسلام ؟

صوت : الحجارة تنهال فتصيب مع الكعبة المصلين والطائفين والركع السجود .

أصوات : الغوث .. الغوث .. الصواعق تقتل أصحاب الحجاج .

الحجاج : لا تخافوا . المصعوقون اثنا عشر رجلا فحسب ..

الأموي : فلتوقف الضرب يا ثقفي .

الحجاج : والله لا أوقف الضرب حتى يخرج ابن الزبير .. مستسلما أو مقتولا .

ابن الزبير : بئس ما قلت يا حجاج .. ابن الزبير لا يستسلم الا للموت .

صوت : فما تفعل والحجارة تنهال على الكعبة يا عبدالله .. ؟ أفلا تكلمهم في الصلح ؟

ابن الزبير : والله لا أسالمهم ذلك أبدا .. وسأقاتل ما دمت على الحق .. أيها الناس .. شدوا على من بغى وظلم .

« يرتفع ضجيج القتال »

ابن عباس : قد أصابك حجر في رأسك يا عبدالله .. فأجلس أضمد اصابتك .

ابن الزبير : لا وقت بعد ..

ابن عباس : فضع رأسك على صدري .. أزيل الدم الذي غطى وجهك .

ابن الزبير : ولسنا على الأعقاب تدمى كلومنا . ولكن على أقدامنا تقطر الدما .

ابن عباس (صارخا بحزن) : يا أهل مكة .. استشهد عبدالله بن الزبير .

أصوات : حققت أملك يا عبدالله .

ابن عباس : كتبت له على يد الظالمين جنة الشهداء .. كما كتبت من قبله على أيديهم للحسين سيد الشهداء .

« الجميع يبتعدون .. ابن جبير والفتى وفي عيونها دموع الحزن مازالا يطلان الى حيث الكعبة » .

الفتى : رضي الله عنك يا ابن الزبير .. أعدت بناء الكعبة .. واستشهدت عند الحجر تحت جدرانها .

ابن جبير (في سرحة) : منذ تلك اللحظة .. خرج الحجر من البناء .

الفتى : أو فعلها الحجاج ؟

ابن جبير : أرسل الى عبدالملك يخبره أن ابن الزبير قد أقام البناء على قواعد أشهد عليها العدول من أهل مكة .

الفتى : فما كان رد الخليفة ؟

ابن جبير : قال ... أما ما زاده ابن الزبير في طول البناء فأقره .. وأما ما زاد فيه من الحجر فرده الى بناء قريش .. وسد الباب الذي فتحه .. أنقضه وأعده الى بنائه ..

الفتى : أصم الخليفة سمعه عن الحق .

ابن جبير : امتد الى بيت الله عبث العابثين .. وحير خروج الحجر من البناء طواف الطائفين .. ونقض إرادة أوصى بها خاتم الأنبياء والمرسلين .

الفتى : أعبث بالكعبة .. وبحجر اسماعيل ؟

ابن جبير : بل عبث حتى بالحجر الاسود .. ونزعه بالقوة من جدار البيت .

الفتى : فمن فعلها من الآثمين ؟

ابن جبير : فعلها القرامطة ... بعد ذلك اليوم بمائتين وخمسين من السنين .

الفتى : لعنة الله عليهم أجمعين .

ابن جبير : كانوا بعض الباطنية ممن خرجوا على الدولة العباسية ... وأسس ملعبهم حمدان قرمط من أولاد المجوس المسالين الى دين أسلافهم .. ولكن لم يجسروا على إظهاره خوفا من سيوف المسلمين .

الفتـى : فما لهم وبيت الله ؟

ابن جبير : تأول القرامطة أصول الدين على الشرك ، واحتالوا لتأويل الشريعة إلى مثل أحكام المجوس .. فعملوا على وقف قوافل الحجاج ، إذ اعتبروا الحج من شعائر الجاهلية وعبادة الأصنام .

الفتـى : ألا إنهم لبغاة ظالمون .. ولبئس المنافقون .

ابن جبير : لم يتورع زعيمهم أبو طاهر سليمان الجنابي عن التصدي لبيت الله الحرام .

الفتى : وانتهكوا حرمة البيت ؟

ابن جبير : لبئس ما فعل القرامطة ببيت الله .

« أصوات رعب وضجيج عند الكعبة .. الناس يتراكضون .. والبعض يتعلق بأذيال البيت » .

الجمـوع : الغوث الغوث يا رب البيت .. انهم يقتلون ويدمرون .. ويفعلون بالناس كل الموبقات .

أبو طاهر : يا أتباع قرمط .. أجهزوا على الكفار وعبدة الأحجار .

القرامطـة : لك الأمر وعلينا الطاعة يا مهدي .

أبو طاهر : لا ترحموا رجلا ولا طفلا ولا امرأة .. اسقوا سيوفكم بدمائهم أدخلكم الجنة .

القرامطـة : لن ندع أحدا حيا .. القتل القتل .

الجمـوع : الغوث .. الغوث

أبو طاهر : اضربوا الاعناق .. اعملوا سيف الفتك بمن تعلقوا معتصمين بأستار هذه الكعبة .. لا رحمة بعد ..

رجـل : تجاوز القتل ثلاثة آلاف .. وهم حجيج بلا سلاح .. فهلا اكتفينا .. ؟

أبو طاهر : اقتلوهم في المطاف .. اتبعوهم في رحاب المسجد .

رجـل : ما هذا الذي تفعل يا أبا طاهر ؟

أبو طاهر (يصفر بفمه) : ادخل بفرسي المطاف وأصفر لها .. حتى تبول فيه .

أصـوات : اللعنة على الكافر الزنديق .. أجرأة على تلويث بيت الله ؟

رجـل : تعجز الخيول عن مواصلة الخوض في جثث القتلى .

أبو طاهر : ألقوا بالجثث في بئر زمزم .. املئوها حتى تردم .. صولوا وجولوا بخيولكم في الساحة والأبهاء .

أصـوات : ابتعدوا يا قتلة .. لا تلمسوا الحجر الاسود .

أبو طاهر : فلتقتل أنت أيضا يا عابد الحجر (يقتله بالسيف) .

صـوت : إنه حجر قدسي .

أبو طاهر : لا حجر ولا قداسة .. والله لأنتزعه من مكانه ..

الرجـل : أخشى عليك اللعنة يا مهدي

أصـوات : اللعنة على الظالمين ... اللعين أبو طاهر يضرب الحجر الأسود بدبوسه فيفلقه .

أبو طاهر : ولن أتركه لكم .. سآخذ حطامه معي .. وآخذ أيضا باب كعبتكم بكل ما علقتم عليه من فضة وذهب .

« القرامطة يبتعدون في ضجة وصخب ... من فوق التلة يتابعهم ابن جبير والفتى في ذهول » .

الفتـى : أبعد تدنيس بيت الله .. وقتل حجيجه .. يسرقون حجره ؟

ابن جبير : طوال عشرين عاما .. ظل الحجر الأسود بعيدا عن الركن في جدار الكعبة .

الفتـى : فما فعل به الآثمون .. ؟

ابن جبير : ظل ملقى في هجر الاحساء .. فما أعادوه الا بعد أن أمرهم الخليفة المنصور الفاطمي أن يردوه .

الفتـى : ودولة بني العباس ... كيف تركتهم يقيمون الفساد في أرض الاسلام ؟

ابن جبير : وما تفعل دولة .. تمزقت روابطها ، وانفرط عقدها ، وتطاحنت دويلاتها ... وانطلقت يضرب بعضها بعضا .. أفلا يباح للذئاب والضواري أن ينهشوا جسدها ويبددوا ريحها ؟

الفتـى : الاثم إثمنا ... والبغي بغينا .. وبأيدينا وحدنا نستطيع أن نصلح كل شأننا .

ابن جبير : ومع هذا ... فمهما بغى الباغون ... وطغى الطاغون .. سيظل المسلمون المؤمنون عباد الرحمن .. وستظل الكعبة بيت الله أبدا .. لا يغيب عن الطواف حولها الطائفون والمؤمنون والركع السجود .. وسيظل الموحدون في كل زمان ومكان يلبون نداء السماء .

الحجيـج : لبيك اللهم لبيك .. لبيك لا شريك لك لبيك .. إن الحمد والنعمة لك والملك .. لا شريك لك .

□□

الجبل.. والحصاة

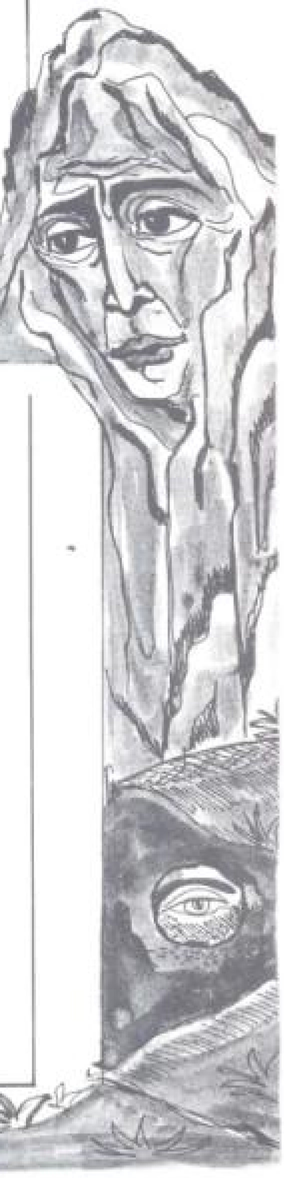

وحدي مع الليل .. لا نجوى ولا املُ
وانت عني بعيد .. كيف احتملُ ؟
قد كنت ليلي وفجري كلما هتفت
قوافل العشق تحدوني فابتهل
كأنني الريح في بيداء دوحتها
خلف الغمام لصوب الشرق ترتحل

● ● ●

اطلال حبك في عيني شاخصة
كأنها الوشم والأهلون قد رحلوا
قالوا .. أحبك نادى الحي فانتبهوا
فقلت بالرغم منهم : عاشق وجل
لكن برئت وما عادت تؤرقني
ليلات شوقك أو ايامنا الأول
نسيت حتى عيوناً كنت فارسها
جن الجواد ... فغنى شاعر غزل
كنت الأثير لديها كلما اشتعلت
مجامر الوجد تكويني فأشتعل
هل تذكرين ؟ أم العشاق قد جثموا
فوق العيون فما عادت ترى المقل ؟
تلك الليالي التي قد كنت نجمتها
وبحة الطل حين الفجر يكتحل

شعر : فتحي سعيد

بمقلة الوصل .. اذ تدنين لا وتر
طي القياثر الا واثب عجل
الا وعانقت فيه كل غادية
حبلى .. وسارية تهمي فأغتسل
ابحرت في لجة النائي فمن سفر
فيه الى سفر منه .. ولا أصل !

●●●

قصائدي منك في ابياتها خلل
فيها الزحاف وفيها الخبن والعلل
اشلاء جرحك في اعراق قافيتي
هن الروي فكيف الجرح يندمل ؟
انت التي بدأت في الحب لعبتنا
اذ قلت لي مرة : أهواك يا رجل
والآن انت التي اسدلت حبكتها
فليس لي ناقة فيها .. ولا جمل !
لا تكذبيني وقولي من ترى علقت
عيناك بعدي ومن آلت له القبل ؟
اوصيك إن عشقت عيناك فالتمسي
في العشق مثلي أنا العشاق والمثل
ان كنت عاصفة فالنار ملحمتي
او كنت ريحاً واعصاراً انا الجبل !
يذروك مثل حصاة راح ينقلها
عبر الفلاة غلام عابر ثمل !

ملحُ الطعام في قفصِ الإتهَام

بقلم : الدكتور حسن فريد ابو غزالة

□ في قفص الاتهام يقف ملح الطعام هذه الأيام بوصفه المتهم الأول بتهمة خطيرة هي مرض ضغط الدم المرتفع . وما اشبه اليوم بالأمس ، حينما ارتفعت منذ سنوات أصوات تتهم السيجارة بتهمة السرطان ، والكلوليسترول بتصلب الشرايين .

لم يشفع لملح الطعام أبدا رصيده الضخم الحافل في تاريخ الانسان ، ولا احترام عميق عبر العصور وصل احيانا حد التقديس ، للحيلولة دون ان ترفع الشعارات وتعد النشرات تنادي بالملح القاتل ، وسحقا لمادة ملح الطعام ، وتطالب بطعام دون ملح . !

لا . . . بل لقد وصل الحال ببعض الاوساط العلمية المغالية في عدائها للملح ، ان راحت تطالب بمعاملة ملح الطعام بمثل ما تعامل به السجاير ، فتدمغ أكياس ملح الطعام بالعبارة التالية :

وحتى الاوساط العلمية المعتدلة المحافظة في الجمعية الطبية الاميركية ، وجمعية القلب الاميركية ودار الأغذية والعقاقير (.F.D.A) ، كلها طالبت بالاشارة الى نسبة معدن الصوديوم (وهو احد شقي ملح الطعام ، والآخر هو الكلور) في الاطعمة المحفوظة ، لتنبيه المستهلكين لكمية ما يتناولونه منه ، مع تحذيرهم من الاسراف في تناوله .

وحتى نستوعب هذه القضية الحيوية المطروحة على بساط البحث والنقاش العلمي لا بد أن نبدأ القصة من اولها .

من اعماق التاريخ

لا احد يعرف متى بدأت صُحبة الانسان لملح الطعام ، ولكن المرجح ان الانسان عرف في الملح طعاما ، بعد ان تحول عن الصيد والاعتماد

هناك توافق احصائي مؤكد بين كمية ملح الطعام الذي يستهلكه الفرد وبين ارتفاع ضغط دمه .

بللورات ملح الطعام او كلوريد الصوديوم كما تبدو تحت عدسة المجهر

على لحم الحيوان ، الى مهنة الزراعة التي استبدلت اللحم بالنبات . والنبات ، على ما هو معروف ، اقل احتواء للملح من اللحم . لهذا فقد اقتفى الانسان الأول ، اثر الحيوانات الى الملاحات الأولى في التاريخ .

من المؤكد ان الحضارات الأولى عرفت الملح ، واعتمدت عليه في عمليات حفظ الاطعمة ، وذلك قبل استعماله طعاما منفردا على نحو ما هو معروف في يومنا هذا .

لقد ذكره هوميروس في القرن الثامن قبل الميلاد ، وهو الشاعر الاغريقي المعروف ، بأشعاره ، واطلق عليه اسم ديفين (Devine) ، وتعني المقدس او السماء . غير ان الرجل الذي افاض في ذكر الملح ، وترك لنا اثراً ، هو المؤرخ الروماني هيرودوتس ، فأكد أن ليبيا هي اصل الملح ومنبعه الأول ، حيث كان الناس يبنون بيوتهم من الملح على نحو ما يبنى الاسكيمو بيوتهم من الثلج .

لقد وصف هذا المؤرخ قوافل الملح المرتحلة من شمال افريقيا وآسيا وهي تحمل هذه الثروة العظيمة التي كانت تقدر الحفنة منها بما يساويها ذهباً ! لهذا لا غرابة ان كانت مرتبات الجنود الرومان تدفع كميات من الملح يشترون بها ويقايضون . حتى انه قيل ان كلمة مرتب بالانجليزية (سالاري) **Salary** انما جاءت من لفظ ساليريوم **Salarium** ، اللاتيني ، وهو الاسم القديم الذي اطلقه الرومان على الملح ، واشتقت منه كلمة سولت(**Salt**) .

كما ان اطرف ما رواه ماركو بولو الرحالة الايطالي ، عقب عودته من الصين عام ١٢٩٠ هو خبر عملة الملح التي كانت متداولة في الصين وكانت تحمل خاتم الخان الاكبر !

لقد كان الملح في القديم ثروة كالذهب في عصرنا هذا . وعليه فقد قرر الامبراطور الروماني انثيموس **Anthemius** ان يوفر للرومان اكتفاء ذاتيا من هذه الثروة ، تغنيهم عن استيرادها ، فأمر بحفر بحيرات قرب الشاطيء تملأ بماء البحر ثم يسد عليها وتجفف . كما امر بفرض ضريبة على انتاج الملح واستيراده، أطلق عليها اسم ضريبة الملح .

لقد سارت اكثر الدول على هذا النهج واصبح لهذه الضريبة موقعها في ميزانيات الدول ، بل انها احيانا كانت عاملا خطرا من عوامل الأحداث التاريخية . فهم يعدونها من العوامل التي عجلت بالثورة الفرنسية ايام لويس السادس عشر ، حين فرض ضريبة ملح باهظة لم يحتملها كاهل الشعب الفرنسي .

ومما يذكر ان الحكومة البريطانية فرضت ضريبة ملح كبيرة على الهنود عام ١٩٣٠ مما دفع بالزعيم غاندي ان يعلن العصيان المدني ، وقاد جماهير الهنود الى شاطيء البحر ليقيموا الملاحات لأنفسهم .

مصادره واستهلاكه

ان اول مناجم الملح على ما يروي المؤرخون تعود الى العصر البرونزي ، حوالي عام ١٠٠٠ قبل الميلاد وذلك في مناطق التيرول النمساوية اما ما عرفته الحضارات الأولى فهي ملاحات سطحية على وجه الارض ، اشهرها ملاحات شمال افريقيا . ولما لم تكن هذه تكفي لسد حاجة الانسان ، فقد عزّ ملح الطعام وارتفع ثمنه ، ثم تفتق ذهن البشر عن طرق تجفيف ماء البحر واصطناع البحيرات والملاحات .

ان العالم اليوم يستهلك ما يقدر بمائة مليون طن من ملح الطعام كل عام ، يستعمله في شتى مناحي الحياة من حفظ الاطعمة تجفيفا او تمليحا ، ومن استخراج عنصري الصوديوم والكلور ، ومن اضافته الى الاطعمة المختلفة .

والانسان العادي يستهلك في يومه من ملح الطعام ما يتراوح بين خمسة جرامات وعشرين جراما . . لهذا فهم يقدرون استهلاك الفرد في العالم بحوالي ثلاثة كيلو جرامات كل عام ، قد تقفز الى ستة لدى الشعوب المغرمة بالملح . وتتفاوت الشعوب في تعاملها مع ملح الطعام . فالأسكيمو مثلا لا يعرفون استعمال الملح ، كما ينفر منه اهل سيبريا . !

وعلى نقيضهم بعض القبائل الافريقية التي تمص اعواد الملح بمثل ما يمص اطفالنا اقماع الحلوى والايس كريم . . وهذا رد فعل فطري على افراز الملح مع العرق ، وهو رد تفرضه الاجواء الحارة . فكأنه عملية تعويض ووقاية من نقص الملح في الجسم .

هذا لا يعني ان بعض الناس لديهم قدرة الاستغناء عن ملح الطعام ، بل العكس هو الصحيح ، لأن ملح الطعام هو الاساس في تزويد الجسم بعنصري الصوديوم والكلور .

ذلك ان ٩٠٪ من املاح الدم التي تعطيه قلويته **Blood alkalinity** وضغطه (الاسموزين) تعود الى الصوديوم ، كما انه لا غنى لانسان عن حامض المعدة (حامض الهيدروكلوريك **Hc1**) في عمليات هضم الطعام واساسه عنصر الكلور **chlorine** . ان المصدر الاساسي لملح الطعام هو الطعام وخاصة اللحوم والخبز والاطعمة المحفوظة ، فضلا عن الماء الذي نشربه . لهذا فان الجسم يمكنه ان يحصل على حاجته منه مما يؤكل ، دون حاجة لاستعمال ملاحة الطعام في المطبخ او على المائدة .

والجسم البشري البالغ يحوي من ملح الطعام

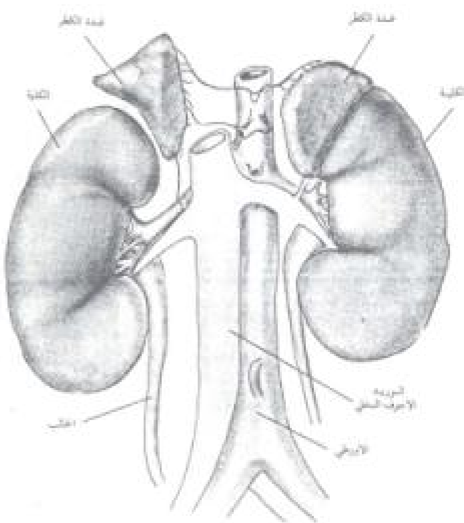

تعمل الكليتان على تنظيم مستوى ملح الطعام في الجسم خلال افراز البول وتتحكم في هذه العملية هرمونات الغدة فوق الكلوية او الكظر ويعتقد ان مرضى ضغط الدم لديهم قصور موروث في الكلى يحول بينها وبين تصريف الفائض من الصوديوم .

بما قدر بـ ٢٦٥ جراما وذلك على هيئة مركبيه : الصوديوم والكلور . . وتقوم الكلى بمهمة تنظيم هذا المحتوى بما تفرزه مع البول ، او تحجبه ، بفضل هرمونات خاصة تفرزها الغدّة فوق الكلوية (**Adrenals**) المعروفة باسم الكظر . وبهذا تصبح الكلى مقياسا للتحكم في نسبة هذه المادة الحيوية .

تركيب ملح الطعام

ملح الطعام هو مادة كيماوية تتركب على ما هو معروف من عنصرين ، هما الصوديوم والكلور كما ذكرنا . لهذا سمي ملح الطعام علميا باسم كلوريد الصوديوم **Sodium chloride** .

والصوديوم معدن فضي خفيف الوزن يعتبر سادس العناصر المتوفرة في القشرة الارضية ، ويسمى في اللاتينية باسم صوليدا (**Solidus**) . كانوا يطلقونه على كربونات الصوديوم وقد جاء ذكر هذا المعدن في التوراة وباسم قبطي ، لهذا يسميه الالمان نطريوم **Natrium** . ومن هنا جاء الرمز الدارج **Na** في الكيمياء مشتقا من نطريوم .

ولما كان الصوديوم شديد التفاعل مع الماء فانه يكون معه هيدروكسيد الصوديوم الذي كان يطلق عليه قديما اسم القلي . ومنها جاء اصطلاح قلوية الدم،والصوديوم في الدم يوجد على هيئة ايونات موجبة هي التي تتحكم في مرور السوائل عبر اغلفة الخلايا الحية ، وتحفظ توازن السوائل بين داخلها وخارجها . لهذا يعتبر اساسا لسلامة انقباض العضلات وعمل الجملة العصبية .

اما افراز الصوديوم فانه يعتمد اساسا على عملية رشح البول من الكلى ، حيث يتراوح افراز الصوديوم في البول يوميا ما بين ٥ر٢ ـ ٥ر٣ جرام . وبهذا يكون الصوديوم في حركة دائمة في الجسم الحي ما بين الداخل منه مع الطعام والخارج مع البول ، بحيث يحتفظ الجسم دائما بما يوازي ٩٢ جراما تقريبا تتوزع بين داخل الخلية (١٠جرامات) وخارجها (٥٠ جراما) او

تدخل في تركيب الطعام (٣٢ جراما) .

ان النظرية الحديثة في تفسير ارتفاع ضغط الدم لدى بعض الناس هو تراكم الصوديوم هذا ، بحيث تفشل الكلى ، لسبب او لآخر ، في حفظ توازنه . . غير ان تفسير دور هذا الصوديوم المتراكم في رفع ضغط الدم ، ما زال قيد البحث والجدل الطبي .

من هنا نجد ان الطبيب المعالج ، لحالات ضغط الدم المرتفع ، يعمل على خفض مستوى الصوديوم عند المريض بالعقاقير المدرّة للبول ، مشفوعه بالنصيحة للاقلال من ملح الطعام ما امكن .

على ان تحديد الصوديوم خاصة والملح عامة ، لا يعني مجرد الابتعاد عن المخللات والمملحات والقاء ملح الطعام جانباً فقد يكون في لوح الشيكلاته مثلا وهي الحلوة المذاق ، ضعف ما في كيس البطاطس المحمرة من الصوديوم ، ولعل ما يوجد من هذا الصوديوم في وجبة من الجبن الأبيض يبلغ ثلاثة اضعاف ما يوجد منه في حفنة من المكسرات وهكذا . .

ان المصدر الاساسي الأول للصوديوم هو الخبز والعجائن ، كما ان اشهر المواد الحافظة للاطعمة هي مركبات الصوديوم مثل بنزوات الصوديوم ونترات الصوديوم وقد يبدو غريبا ان فيتامين ج الذي يضاف للطعام احيانا ما هو الا اسكوربات الصوديوم **Sodium Ascorbate** .

ان علبة معجون الطماطم الصغيرة التي تزن ١٥٠ جراما تحوي من الصوديوم ما يقدر بحوالي ٦١٠ ميللجرامات . . ! والبقول المحفوظة في العلب تحوي من ملح الطعام ٢٥٠ ضعف ما تحويه نفس الكمية من البقول الطازجة .

من هنا جاءت الدعوة الجديدة الى اجبار الشركات والمؤسسات الغذائية على تحديد محتوى منتجاتهم من عنصر الصوديوم وذكر ذلك على العلب حتى يتبين المستهلك ما الذي يلتهمه في يومه من هذا العنصر .

ملح الطعام وضغط الدم

لقد اصبح في حكم المؤكد ان هناك علاقة ، ما بين نسبة الاصابة بارتفاع ضغط الدم وبين مقدار استهلاكنا لملح الطعام .

وتؤخذ اليابان مثلا على ذلك . اذ يزيد هناك استهلاك السمك المملح والمخللات والصلصات والخضروات الحادة ، وقد قدروا استهلاك الياباني العادي من ملح الطعام بما يتراوح ما بين ٣ - ٦ ملاعق شاي يوميا . ولهذا نجد ان نسبة الاصابة بارتفاع ضغط الدم بين اليابانيين تصل الى ٤٠٪ . . !

واذا قورنت اليابان بتراكيب اجتماعية اخرى يقل استهلاك ملح الطعام عندهم ، كما في حوض الامازون مثلا ، او قبائل غينيا الجديدة او مرتفعات ماليزيا ، نجد ان ضغط الدم المرتفع لا يشكل في هذه البيئات قضية صحية هامة وملحة . . . وان الجموع الغفيرة من كبار السن فيها تتمتع بضغط دم طبيعي لا ارتفاع فيه .

لقد قام فريق من جامعة هارفارد بالولايات المتحدة الاميركية بقيادة الدكتور لوت بيج باستقصاء في جزر سليمان فيما بين ١٩٦٦ - ١٩٧٢ لدراسة قضية ضغط الدم عند ست قبائل تتمتع بنمط معيشي بدائي « لا طرقات ولا تلفونات ولا مصانع ولا تلوث هواء او اي عامل آخر قد يسبب ارتفاع ضغط الدم » فتبين ان ثلاثا من هذه القبائل الست لا تتعامل مع ملح الطعام ، وكان طعامها خاليا منه تقريبا ، وعلى نقيضها كانت الثلاث الاخرى ، اذ كانت تهوي الغذاء المملح والمعلبات التي يزودها بها التجار الصينيون . وكانت تحرص على طبخ الطعام بماء البحر ، جرياً على عادة قديمة مستحكمة .

ولم يجد الفريق الطبّي اي فروق تذكر بين افراد هذه القبائل وتلك ، سوى انتشار ظاهرة ارتفاع ضغط الدم بين افراد القبائل الثلاث الاخيرة التي يستهويها الطعام المملح .

مناجم ملح الطعام هي اهم مصادر ملح الطعام ويعتقد ان اول المناجم التي عثر عليها الانسان كان في التيرول النمساوية منذ عام ١٠٠٠ قبل الميلاد

مرة اخرى قام الدكتور جون فاركوهر في مطلع عام ١٩٧٢ من جامعة ستانفورد بدراسة تأثير خفض ملح الطعام على ١٥٠٠ مصاب بضغط الدم المرتفع ، على مدى ثلاث سنوات وشملت الدراسة مرضى اختارهم عشوائيا من ثلاث مدن في كاليفورنيا . ثم خفض استهلاك ملح الطعام بنسبة ٣٠٪ في فئتين من تلك الفئات الثلاث . وتركت الفئة الثالثة على حالها . . . فكانت النتيجة انخفاض ضغط الدم لدى مرضى الفئتين الأوليين بنسبة ٦,٤٪ . . !

وتجدر الاشارة الى تجربة اخرى اجريت في بريطانيا لحسم الجدل حول علاقة ملح الطعام بارتفاع ضغط الدم ، وقد قام بالتجربة فريق من الاطباء باشراف الدكتور جريم ماكريجور في مستشفى « تشارنج كروس » اذ اختار مجموعات من المرضى الذين كانوا يعانون من مرض ضغط الدم المرتفع ، وتمت هذه التجربة على ثلاث مراحل :-

المرحلة الأولى : تم تدريب المرضى على قياس ضغط دمهم بانفسهم آليا ، وذلك لتجنب التوتر العصبي الذي يصاحب قياس الطبيب لضغط الدم .

المرحلة الثانية : تم خفض نسبة ملح الطعام في غذاء المرضى ، وترشيدهم لتفادي الاطعمة ذات المحتوى العالي من الصوديوم ، فكانت النتيجة انخفاض مستوى ضغط الدم لدرجة ان استغنى بعضهم عن اقراص العلاج .

وعلى صعيد آخر قام فريق من الاطباء المصريين بالتعاون مع مكتب منظمة الصحة العالمية في الاسكندرية باستقصاء لدراسة ضغط الدم بين سائقي سيارات النقل العام (الاوتوبيسات) في القاهرة ، واغلبهم من الشباب الذين تقل احتمالات اصابتهم بضغط الدم المرتفع ، فثبت ان هناك ٢٢٪ منهم يعانون من ارتفاع ضغط الدم دون ان يشعروا . ويعلق المختصون في منظمة الصحة العالمية على هذه النتيجة بقولهم ان المصريين هم من اكثر الشعوب اسرافا في تعاطي ملح الطعام واكثرهم غراما بالاطعمة المملحة .

لقد تأكدت العلاقة الوثيقة بين ارتفاع ضغط الدم عند الناس ، وبين ازدياد استهلاكهم لملح الطعام . غير ان الدور الحقيقي الذي يلعبه ملح الطعام عامة او الصوديوم خاصة لم يكشف عنه النقاب بعد ، وان كان الاطباء يميلون الى الاعتقاد بان ثمة استعداداً شخصياً ، ربما كان وراثياً او عرقياً ، قد يتميز به شعب دون شعب آخر من حيث التعرض لارتفاع ضغط الدم تبعاً لاستهلاك الملح . . كما نجد الحال عند الزنوج مثلا .

غير ان السؤال الحائر الذي لم يعثروا له على جواب بعد ، هو : كيف لنا ان نحدد هؤلاء الاشخاص الذين لديهم الاستعداد لفشل الكلي على التخلص من فائض ملح الطعام في اجسامهم . . .

واذا كان علينا ان نمضي في البحث عن الجواب فليس لنا الا ان نردد قوله تعالى : « وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين » □□

صدق الله العظيم

العربي

الدين والحياة

بقلم : أمين الخولي

الاسلام دين عام الدعوة .. أبدي البقاء .. جعل رسالته آخر عهد الأرض بتوجيه السماء .. ولعله بذلك المعنى في ختم الرسالات انما يقرر أن البشرية قد بلغت لعهد ظهوره مبلغا من التدرج والتقدم يهيىء لها أن تنفرد باستعمال قواها الادراكية في تنظيم حياتها ، مكتفية بها في الاهتداء الى المرامي الحيوية التي قصدت الرسالات السماوية والدعوات الدينية الى تحقيقها بتوجيه السماء ..

فالانسانية عنده مستطيعة أن تكتشف بما لديها من أصول تلك الأديان ، حلولا لكل مايعرض لها من مشكلات وصعوبات وأن تستقل وهي مطمئنة وموثوق بها ، في استخراج تلك الحلول ، واجراء التطبيقات ، واستنباط التوجيهات .

وهذا الذي يوحي به ختم النبوات وانهاء الرسالات بالاسلام ، مما يحتسب أصلا كبيرا في الثقة بقدرة الانسان ، واعلان الاطمئنان لادراكه ، وتقرير مبدأ حريته .

وانه كذلك لأصل كبير في امكان تحرير الآدمية من قيود الغيبية اللاهوتية ، ورفع الحواجز من طريق محاولاتها للمعرفة ، وجهدها في تنظيم الحياة تنظيما صالحا موفقا ..

وهي نتائج نحسب أنه لابد أن يقرها ويسلم بها من يختم الرسالات وينهي عهودها ، بدعوة باقية على الأرض الى نهاية الحياة على هذا الكوكب .

وتقرير هذا الأصل الذي تترتب عليه هذه النتائج في قرب ووضوح ، يوجب أن يكون للدعوة التي تقرره خصائص معينة ، ومزايا خاصة ، تلائم هذا التقرير وتحققه ، وتبدو واضحة في تفسيرها للحياة وتدبيرها اياها .

فمن هذه الخصائص :

١ ـ تقدير تجدد الحياة المستمر ، والحاجة الى ما يفي بمقتضيات هذا التجدد الدائم .. وهو ما نجده واضحا في مثل لفت الرسول ـ صلعم ـ لمن كان يوليهم الحكم على الجهات النائية عن الحجاز ، بعدما تكون المجتمع الاسلامي ، اذ كان يسألهم كيف يتصرفون فيما لا يجدونه مما تعلموه من شريعته ، حتى يجيبوا بأنهم سيأخذون بفهمهم الحلول مما عرفوه .. وكذلك كان يفعل الذين خلفوه في الدولة ، فيكتبون لولاتهم بأن يفهموا ويستعملوا عقولهم في استخراج الحلول لما لا يجدون فيه نصا .

وامتد هذا الشعور بالتجدد المستمر ، وعروض الأقضية الجديدة ، الى حد تقدير جمهرة علماء الأمة انه لا يخلو أي عصر من مجتهد ، يبين للناس ما يحتاجون اليه من متجددات حياتهم .

فتح باب الاجتهاد

ومن خصائص التفسير والتدبير الاسلامي أيضا :

٢ ـ احترام المحاولات الانسانية التي يبذلها الناس في استنباط حلول المشكلات العارضة والحاجات

المتجددة . . على هدي التوجيه الديني .

ويتضح هذا جليا في تقرير أصحاب الأصول القانونية الاسلامية أن من يجتهد في استخراج هذه الحلول له أجران اذا أصاب ، وله أجر كذلك اذا أخطأ ، فليس عليه بهذا الخطأ ، بعد بذل جهده الممكن ، أي لوم أو أثم . . بل قال قائلون : ان كل مجتهد مصيب . .

ومن خصائص التفسير والتدبير الاسلامي كذلك :

٣ ـ الاعتراف بحق القوى الانسانية في تفسير الحياة وتدبيرها تفسيرا مستقلا منطلقا ، يعتمد على طاقة تلك القوى في المعرفة والاستبانة للحقائق بوسائلها البشرية الخاصة ، لا بتوجيه ديني معين في هذه الشئون الدنيوية البشرية . . وهو اعتراف ينتهي الى أفراد تلك القوى بمعرفة الشئون العملية الدنيوية . .

ويتضح ذلك في تقرير : أن الناس أعلم بأمور دنياهم . . سواء أكان هذا التقرير بتلك العبارة أو ما في معناها ، حديثا يعزي للرسول نفسه ـ صلعم ـ أم كان أثرا لا يعزي الى الرسول بخاصة . . أم كان طابعا عاما واضحا يحس من روح التدبير الاسلامي في جملته لشئون الدنيا .

٤ ـ تخصيص التفسير والتدبير الاسلامي للحياة بالشئون الخلقية المصلحة لنفوس الناس وقلوبهم ، والمقومة لسلوكهم حتى يكونوا أخيارا طيبي القلوب ، يمارسون الحياة ممارسة شريفة جادة ، متعاونة على البر والتقوى .

ويتضح هذا التخصيص بالجانب الخلقي من الاعتراف بأنهم أعلم بشئون الدنيا من حيث حقائقها وتجاربها . . فيكون الدين بعد ذلك اصلاحا عاما يمس الناحية النفسية والاجتماعية .

ومما يعد من خصائص التفسير والتدبير الاسلامي العامة :

٥ ـ عدم خوض هذا التفسير الاسلامي في شئون غامضة عن أصل الحياة ، في الأرض أو نشأتها ، وتدرجها أو كيفية انتهائها ، وما إلى ذلك من الحقائق التفصيلية عن مثل هذه الجوانب ، بل لا يكاد يجاوز الأصل الاعتقادي التأليهي العام ، من رد أصل الحياة وتدرجها ونهايتها الى تلك السيطرة الالهية ، بصفة عامة ، وان ذلك كله بتدبير قوة عليا ، تسيطر على الكون ، وتنظم سيره ولكنه مع ذلك لا يلهي العقل الانساني بتلك المقررات عن أن يبحث ويعرف ولا يقيده بها .

٦ ـ عدم خوض التدبير الاسلامي في أمور جزئية ،ولا تنظيمات تفصيلية ، لما يعرض له من الشئون الدينية والدنيوية جميعا ، فلا هو يخوض في تلك التفصيلات من الشئون الدينية بمعناها الخاص كالتعبديات مثلا . . ولا هو يخوض في النظم التفصيلية للشئون الدنيوية العملية حين يتحدث عنها من الناحية التي تعنيه .

ويتضح هذا جد الوضوح لمن يطلع على القرآن كتاب الاسلام الأكبر ، والأصل الأساسي الأول لتدبيره الحيوي والذي يعرض عليه ، ويرد اليه ، ما عداه من سنن الرسول ، أو اجماع المسلمين ، أو قياسهم . . في هذا الأصل الأهم لن ترى تصديا للاشياء الجزئية ، ولا عناية بتنظيم تفصيلي لأهم الأركان الدينية ، كالصلاة نفسها ، أو الزكاة . . أو الحج أو الصوم ، بل أكتفى فيها بالأمر الشامل ، ومع الزمن عرفت تفصيلاتها بالرياضة الفعلية من الرسول ـ صلعم ـ وكذلك الشئون العملية لن تجد في القرآن ـ غالبا ـ شيئا من جزئياتها ، بل ستجدها في جملة أمرها قد ربطت بأصول عامة يحتاج اليها في كل زمن : كتقدير المصالح ، ورفع الحرج عن الناس ، ومنع الضرر والضرار ، واعفاء المضطر وما الى ذلك ، وهو ما يليق بدعوة دائمة ، عامة ، منهية للرسالات السماوية . .

ومن هنا نعتقد أن القارىء يستطيع بعد الذي بيناه أن يتابع معنا السير لنفهم تمثل المسلمين لدينهم منذ أول ظهوره الى الآن ، ثم الى المستقبل القريب والبعيد ، مع استطاعته الحكم على مدى صلاحية هذا التمثل ومطابقته للغايات التي أعلن الاسلام اضطلاعه بتحقيقها . .

ثلاثية عصر الاستهلاك العربي

بقلم : الدكتور السيد عليوه

☐ يحار المرء كثيرا أمام الأفق العربي المُلبّد بالغيوم الكثيفة ، الذي تلمع في جنباته شرارات البرق ، وتقصف طبول الرعد منذرة بالخطر . وعن هذا الزمن تحدث المتحدثون ، فاعتبروه مرحلة من مراحل التدهور العربي ، وأسموه الاحباط القومي .

ماذا جرى . . ؟ لقد اعلن الساسة عن حزنهم ـ وأحيانا عن ذعرهم ـ من انصراف الجماهير العربية عن القضايا المصيرية ، ودق المفكرون اجراس الانذار ، واذن المؤذنون أنْ حي على الجهاد . . ولكن لا حياة لمن تنادي ! ودعا مهندسو الادارة ومخططو الاقتصاد الى العمل والانتاجية ، ولكن هيهات هيهات ، لاشيء ـ على الساحة ـ غير النهم والاستهلاك .

ما هو السر اذن في هذا الخمول وتلك اللامبالاة التي تجاوزت حدود المنطق والمعقول ؟

هذه اللامبالاة يمكن ان نعزوها الى هذا العصر الاستهلاكي ، الذي حولّنا الى مستهلكين شرهين ، لكل نتاج الحضارة الصناعية ، وثمار شجرة التكنولوجيا ، التي تُلقىَ الينا عبر أسوار التخلف التي نقبع داخلها .

انه بصدق . . عصر الاستهلاك العربي الذي يخيم على سماء حياتنا ، ومن ثم طبع جوانبها النفسية والعقلية والسياسية بثلاث بصمات بارزات ، وهي : عدم التكيف ، وعدم المصداقية ، وعدم الانتماء

عدم التكيف

نعاني نحن جيما ـ على مستوى الفرد والمنظمة والدولة ـ من عجز ملحوظ عن التكيف مع التغيرات الكاسحة الجارية على الساحة . وهذا العجز ليس كامنا فينا ، وانما هو نتاج الظروف التي كونت الناس وربتهم ودربتهم .

فالأسرة الاستبدادية القائمة على الطاعة العمياء ، غرزت في الفرد الخوف من الجديد ، او هي علّمته ـ على الأقل ـ كيف يبني صدفةً ذاتية يقي بها نفسه من كافة التطورات الطارئة خارج حدود جلده .

ومؤسسات التنشئة والتعليم من المدرسة حتى الجامعة ، بمناهجها التقليدية في التلقين والاستظهار ، أخفقت في مساعدة الفرد على

التكيف النفسي والعلمي والتقني والمهني ، بشكل صحيح ، يتلاءم مع التغيرات المذهلة في مستويات الانتاجية والاداء ، وتدفق المعلومات ونمو المعرفة . .

واذا انتقلنا الى منظماتنا الاجتماعية والادارية والاقتصادية ومؤسسات السلطة والحكم لوجدنا نفس الظاهرة . فهي تعمل بأساليب بالية . ولعل من الامور المحيرة حقا في بلادنا ـ شأنها في ذلك شأن الاقطار النامية ـ ذلك الفرق الشاسع بين سرعة التغير الاقتصادي والتكنولوجي ، وبين الاتجاه المحافظ لحماية الخواص الداخلية للمؤسسات الثقافية والمنشآت الاقتصادية والمنظمات الاجتماعية . ان نظرة واحدة الى الجامعات او الجيوش او الاذاعات او الشركات او المصانع او المزارع او المتاجر ، من حيث طرائق العمل ، واساليب الاتصال ، والعلاقات الداخلية ، ومناهج الاقتراب من البيئة المحيطة ، وانماط التنظيم والادارة ، تقطع بمدى ذلك الجمود الشديد الذي يكتنف مؤسساتنا .

هكذا اصبحت مؤسساتنا ومنظماتنا تعاني من عجز شديد عن التكيف مع الظروف المتغيرة . هذه الظروف التي في مقدمتها التضخم والخلل الذي اصاب هيكل الاجور ، وما تبعه من اضطراب شديد في سلم القيم الاجتماعية (لأيها تكون الأسبقية . الملكية ام العمل . . . المال ام الوظيفة . . الثروة ام الجاه . . الحياة الناعمة ام الاعتبار الادبي . . الاقتناء ام الاشباع . . الخ) . لقد اخذ السماسرة والوسطاء والطفيليون طريقهم الى القمة ، في حين ينزلق اهل الفكر وارباب العلم ، ومن على شاكلتهم من الموظفين والعمال والمنتجين نحو القاع .

التيجة اذن هي ان فاقد الشيء لا يعطيه . لقد عجزت الاسرة والمنظمات والمؤسسات عن ان تهيىء الناس ، وبالذات الشباب ، للتغيرات الطافحة ، وان تزودهم بالمهارات اللازمة للتأقلم مع الاوضاع المتجدّدة .

عدم المصداقية

هذا الطابع الذي طبع حياتنا العقلية . . فأدى الى ذلك الانفصام في الشخصية ، والازدواج في السلوك حتى من كبار علمائنا ، فتفكيرهم المنطقي في المعامل يناقض سلوكهم القدري في الاسواق . بل ان الفلاح البسيط الذي يشاهد التلفزيون ويستمتع بأمسياته ، لا يصدق ما يجري على شاشته السحرية ، واذا اضطر ازاء الالحاح الاعلامي المتكرر الى قبول ما يراه ، فانه يسلم به على مضض دون اقتناع ، اذ انه لا يملك العقل العلمي الذي يعرف الاسباب والنتائج ، وذلك بسبب الفجوة الواسعة لظاهرة الأميّة المُركبة . . الابجدية والثقافية والتكنولوجية .

وانسحب موقف عدم المصداقية الى اجهزة الاعلام والصحافة والدعاية ، والى تصريحات الساسة واقوال الزعماء . فكلها للاستهلاك المحلي (مكانا) والاستهلاك اليومي (زمانا) ومعظم ما تلتقطه آذاننا وعيوننا ليس الا أوهاما واحلاما ووعودا وردية ، او هي كلمات طنانة ضخمة عن المراحل المصيرية والحاسمة ، ولا شيء وسط البتة !!

ان التقدم المشهود في تكنولوجيا الاتصال ، وصناعات التسلية باستخدام الخدع السينمائية ، والمؤثرات الصوتية والضوئية ، ترسخت في وجدان المشاهدين ، وانعكست على الحياة العامة . وبذلك يمكنها ان تصنع من الاقزام والمغمورين عمالقة ونجوما . كما ان المساحيق وعمليات التجميل تزيف ملامح الوجه ووقائع التاريخ .

وكان لظاهرة (عدم التكيف) التي سبق الحديث عنها ، أثرها في تعميق (عدم المصداقية)، حيث ادى تفاقم ظاهرة عدم التكيف من جانب مؤسساتنا الاجتماعية ومنظماتنا الادارية والسياسية ، الى ضياع جدواها وصلاحيتها في نظر الناس ، اي انها فقدت مصداقيتها لدى الامة . وأضحت (عدم المصداقية) هذه هي العلامة التجارية الخفية على كل ما يطرح في الأسواق من سلع وخدمات وافكار ونداءات .. حتى الممارسات الجماعية كالانتخابات النقابية والاستفتاءات العامة .

حري بنا القول ، ان شيوع عدم المصداقية هذا ، ليس انحطاطا اخلاقيا او عيبا اجتماعيا ، انه استجابة طبيعية لنمط التنمية والتحديث الذي اختارته الأقطار النامية عموما . فهي تسرع الخطا نحو حضارة مادية استهلاكية ، كل شيء يقاس فيها بالكم والمصلحة العاجلة ، بعد تزكية معتمدة من الاعلانات التجارية .

عدم الانتماء

اصبح السمة العامة لحياتنا السياسية وما يرتبط بها . فقد انهارت الولاءات التقليدية المحدودة والضيقة . ولم تتأسس بعد الولاءات الجديدة على مستوى الوطن او القومية . واهتز المسرح كله تحت رياح التغيير التي تعبر عن روح العصر ، فثمة اتجاه جارف يعتري مختلف النظم والبلدان والشعوب . انه النزوع صوب حضارة عالمية شاملة ، فالناس يولدون في المناطق المعتدلة ، ويتعلمون في المناطق الباردة ، ويعملون في المناطق الحارة . وحين ينظر المرء فينا الى طعامه وشرابه ولباسه وادواته ، يجدها واردة من كل صقع ، قادمة من كل ربع .

كذلك صدق المثل الشعبي (مطرب الحي لا يشجي). فالبلاد والمؤسسات تستقبل بترحاب كبير كل اجنبي وافد ، والظروف الداخلية تطرد الآلاف الذين تجتذبهم فرص افضل واسخى .

أضف الى ذلك السيولة والمرونة بين الوظائف والأعمال ، فالرجل يقفز من الأستاذية الى كرسي الوزارة ، ومنه الى منصب الادارة والاستشارة ، والمحافظ يؤسس مصرفا ليتولاه بعد أن يخرج ، والضابط ينشيء متجرا ، والطبيب يشتري ضيعة . هكذا تلاشى الولاء المؤسسي والمهني القديم . فالاوضاع كلها مؤقتة ، وهي ليست الا سلالم حلزونية الى قمة كاذبة . والمحصلة العامة هي احساس عميق بالاغتراب ، وعدم الولاء لدى كل الاطراف .. المقيمين والوافدين ، والمهاجرين والعائدين ، القاعدين والمسافرين .

صحيح ان الواحد منا مازال ينتمي وجدانيا الى مجتمعاته الصغرى .. القبيلة او القرية او المدينة او القطر في احسن الاحوال ، هذه الولاءات التقليدية مازالت تعشش في داخلنا . ولكن تكنولوجيا النقل ، وثورة الاتصالات وجاذبية الفرص الثانية ، ومرونة التحرك بين الاعمال والامصار ، تجاوزت الحدود الضيقة ، وصرنا نتتمي فعلا وعملا ومصلحة الى مجتمع اوسع ، ودائرة اشمل من تلك الدائرة القديمة . هذا التنازع الذي يتجاذب الناس بين هاتين الصورتين من صور الولاء .. القديمة والجديد ، يُضاعف من أزمة الأغتراب وتمزق الهوية .

*****

اذن ما هي الحلول المقترحة لمواجهة هذه العلل الثلاث .. عدم التكيف ، وعدم المصداقية ، وعدم الانتماء ؟؟

لمواجهة عدم التكيف .. المطلوب تطوير مؤسساتنا ومنظماتنا في كل قطاع ، حتى تستطيع مساعدة الفرد على التكيف ، ولتكون هي على اتصال اوثق بنبض المجتمع والتغيرات العاصفة التي تعتريه .

ولمواجهة عدم المصداقية . . يستلزم الامر اضفاء الواقعية والصراحة على مناهج حياتنا ، وتنظمنا الاجتماعية والادارية في التخطيط والمتابعة والتقويم .

ولمواجهة عدم الانتماء . . وهي ظاهرة نابعة من حالة وجدانية ، مردها قصور ثقافتنا التقليدية عن بناء انماط جديدة من الولاء اوسع وارحب . والسبيل الى ذلك هو الاهتمام بفهم الحضارات المقارنة ، حتى ندرك مدى الترابط الاقتصادي الدولي ، وحتى نقف على ثقافات الامم والشعوب الاخرى ، وحتى نستوعب روح الحضارة الانسانية المعاصرة التي تضم الجميع تحت عباءتها الفضفاضة ، واصبحنا نتعامل مع نظمها وادواتها وقيمها في كل مكان صباح مساء .

قصارى القول ان عصر الاستهلاك العربي الذي نعيشه ـ والذي يبدو انه سيمتد لسنوات طويلة ـ يستمد ايقاعه من معزوفة ثلاثية : عدم التكيف . . عدم المصداقية . . عدم الانتماء . او قل ثلاثة اغلال تكبل حياتنا الوجدانية والعقلية والسياسية .

المطلوب اذن هو تفكير مبتكر ، وسلوك جديد لمواجهة التغيرات الجارفة ، التي يولدها النزوع نحو حضارة عالمية . المطلوب مثل اعلى جديد لمؤسساتنا ومنظماتنا ، وبالاخص الطليعية منها ، كالجامعات والاكاديميات والمصانع ومشروعات الاستثمار والمجتمعات الجديدة ، وذلك حتى نتمكن من تحويل مجتمعاتنا ونحن على مشارف قرن جديد . . وحتى نستطيع ان نبدأ زمنا عربيا جديدا . . . للانتاج والابداع .

حتى لا يكون

نقل التكنولوجيا سرابا

بقلم : زهير جريجاني

دول العالم الثالث في سباق غير متكافىء مع الزمن ، من أجل تأمين حد أدنى في الأساسيات ، والسير في طريق التنمية ، ولكن تقف في وجهها مشكلات كثيرة تبحث عن علاج .

ان موضوع نقل التكنولوجيا من الدول التي تملكها الى الدول التي لا تملكها ، أو بمعنى آخر الى دول العالم الثالث أو البلدان النامية كما اصطلحت الدول الصناعية على تسميتها ، أصبح من عبارات الأدب الدارج لكثرة ما تحدثت عنه الألسنة ، وغزارة ما كتب حوله .

وليس رائدنا في هذا المقال تكرار ما قيل حول الموضوع ، أو مناقشة صحة هذا النقل أو عدمه ، وانما الغاية تحريض ذهن القارىء للنظر في أبعاد هذه المقولة ، ومناقشتها بهدوء لفهم أبعادها وسبر مقومات نجاحها ،

ان معظم دول العالم الثالث تسودها بحسب

موقعها الجغرافي وتركيبها الاجتماعي ومواردها الطبيعية ، أنماط معينة من التركيب الاقتصادي ، تحول دون انطلاق هذه الدول للسير في طريق التنمية ، وكسر طوق الجمود المحيط بها ، ولئن استطاعت بعضها كسر هذا الطوق والانطلاق في طريق التنمية ، فقد وجدت نفسها بعد مدة في مواجهة مجموعة كبيرة من المشكلات ، من أهمها تراكم مبالغ كبيرة عليها من الديون الخارجية .

وقد يكون من المفيد في هذا المقام تعداد المشاكل الرئيسية التي تعاني منها هذه الدول لمعالجتها كل على حدة .

المشكلات . . والعلاج

وتأتي في رأس قائمة هذه المشاكل المسألة السكانية بكل أبعادها . فمعظم الدول النامية تتميز بمعدلات مرتفعة لنمو سكانها ، ودخول منخفضة اجمالا ، بحيث تستنفد هذه الزيادات السكانية معظم الموارد التي يمكن تخصيصها للتراكم ، وذلك تأمينا للانفاق على الخدمات

ثانية هذه المشاكل تخلف في البنية الأساسية وصغر في حجمها ، وهنا لابد من الاستثمار في زمن قصير نسبيا ، في انشاء هذه القاعدة من شبكات للطرق والسكك الحديدية ، وشبكات الكهرباء والمياه ، وشبكات الاتصالات اللاسلكية والمرافىء والمطارات ، وكل ذلك يتطلب استثمارات باهظة ذات مردود مؤجل بطيء .

ثالثة هذه المشاكل ضعف التركيبة السلعية التي يقوم عليها اقتصاد القطر ، واقتصارها على عدد قليل من المنتجات (في غالب الأحيان زراعية أو منجمية) والاعتماد في استثمارها في حالات كثيرة على شركات أجنبية .

رابعة هذه المشاكل تخلخل الوضع السياسي في أغلب هذه البلدان ، والوصول الى المراكز القيادية فيها عن طريق الانتماء والقفزات السريعة لا عن طريق الكفاءة والخبرة والمراس .

خامسة هذه المشاكل عدم توفر رصيد تراكمي من الخبرات والمعارف الموثقة ، يمكن الانطلاق منها والاضافة اليها بتقدم الزمن ،

سادسة هذه المشاكل ضعف التربية الاجتماعية والانضباط لدى كثير من أفراد هذه الدول ، وتفضيل المصالح الفردية على المصلحة العامة في كثير من الأمور .

سابعة هذه المشاكل ضعف جهاز الاشراف والمحاسبة ، وتبديد الكثير من الأموال العامة في مشاريع فاشلة .

نستنتج مما سبق بأن الأرضية اللازمة في معظم هذه الدول لتقبل التكنولوجيا الحديثة ونموها ضعيفة وواهية ، ولابد من معالجة معظم هذه المشاكل لتمهيد الطريق اللازم للسير نحو مجتمع متقدم .

هذا من جهة الدول الآخذة أو المستوردة للتكنولوجيا ، ولو اقتصر الأمر على هذا الجانب لكان في ذلك بعض الأمل ، الا أن المشكلة الأخرى الرئيسية هي مشكلة الجانب المعطي أو المصدر للتكنولوجيا . ومن الواجب التأكيد هنا بأن لهذه الدول مصالح حيوية لابد لها من المحافظة عليها ، سواء في أسواق صادراتها ، أو في تنوع منتجاتها ، أو احتكارها لتقنيات معينة ، وفي ضوء هذه المصالح تزن هذه الدول مدى تقبلها لموضوع نقل التكنولوجيا ، وبما أن تراكم المعارف وتعدد الاختراعات والابتكارات في تقدم مستمر في هذه الدول ، كما أن القطاعات الجديدة يجب أن تحل محل القطاعات القديمة لديها . نتيجة لسياسة الترشيد ، لكي تبقى في مركز قوي في معركة التنافس في مجموعة الدول المتقدمة ، فان هذه الدول تلجأ في كثير من الأحيان لبث التكنولوجيا القديمة ، والتنازل عنها الى الدول النامية ، والتركيز على الصناعات

الجديدة ، وهي بذلك تحقق غرضين في آن واحد تظهر بمظهر الدولة الرحيمة بتقدم الدول النامية ومساعدتها ، وتقوم بنفس الوقت بتخفيض عبء اعادة هيكلة اقتصادها على حساب هذه الدول .

وحتى في الحالات التي تقوم فيها دولة متقدمة بنقل تكنولوجيا متطورة وحديثة الى دولة نامية ، فانها تقيدها في أغلب الأحيان بشروط وامتيازات تضمن للدولة المعطية السيطرة على انتاج هذه الصناعة التي اقيمت خارج حدودها لاعتبارات خاصة .

ويحق لنا هنا أن نسأل : هل نقل التكنولوجيا سراب ؟ ربما كان ذلك بالنسبة لبعض الدول ، ولكنه حتما غير ذلك لدول أخرى وعت شروط هذا النقل وعملت على تحقيقها بأناة وصبر .

الطريق الى المستقبل

وباعتبار أن عالمنا العربي يشكل في مجموعه كتلة اقتصادية وبشرية كبيرة ، ويمتد جغرافيا على سطح قارتين ، ويتمتع بميزات طبيعية ومادية مناسبة ، فلا أقل من أن يحزم أمره ويرسم خطا للسير في هذا الطريق ، بعد أن يعد العدة ويوفر الزاد ويستشف آفاق المستقبل ، وقد تكون النقاط التالية هي زاده لرحلة التقدم والمستقبل :

١ ـ ترشيد سبل المعرفة ونشرها في البلدان العربية عن طريق التعاون والتنسيق بين المؤسسات العلمية والجامعات ومراكز الأبحاث .

٢ ـ تنشئة جيل واع ومقدر للمسؤوليات العلمية والثقافية ، عن طريق توفير الأجواء المناسبة ورفع مكانة العلم والعلماء واحترام آرائهم ومنجزاتهم .

٣ ـ اعادة النظر في أساليب وطرق التدريب والتأهيل . واعتبار التلمذة الصناعية من المتطلبات الأساسية في تكوين الكوادر المؤهلة ، وتوفير المناخ الملائم لهذه الكوادر للاستقرار والاستمرار .

٤ ـ التركيز في نقل التكنولوجيا على نقل التقنيات الحديثة ما أمكن ، والسعي للحصول عليها من الدول النامية التي اجتازت مرحلة الانطلاق ، والاستفادة من تجربتها في استيعاب هذه التكنولوجيا .

٥ ـ اعادة النظر في الأجهزة الادارية والقيادية ، واخضاعها لمفهوم علم الادارة الحديثة ، والحكم على أعمالها من نتائج أدائها مع مراعاة البيئة والظروف المحلية في التطبيق .

٦ ـ محاولة البدء في اكتساب الخبرة بالتقنيات المبسطة ، والانتقال منها الى التقنيات الرفيعة ، مع مراعاة التخصص الاقليمي والجغرافي بين البلدان العربية المختلفة في نشر هذه التقنيات وتوجيهها .

٧ ـ العمل على ايجاد ضوابط للحد من هاجس الاستهلاك ، الذي يطل بشبحه على دول العالم الثالث ، من خلال النوافذ والأبواب المفتوحة والاغراءات المتنوعة ، مما يجعل دول هذا العالم في سباق مستمر مع نفسها ومع مواردها ، من أجل الحصول على السلع الجديدة ولو على حساب السلع الأساسية والضرورية .

٨ ـ خلق المناخ الملائم في العالم العربي ، تشجيعا لأبنائه من العلماء والباحثين على البقاء في أوطانهم ، واعطاء نتاج أفكارهم وعقولهم لبلادهم ، مع ما يستدعي ذلك من تشجيع مادي ومعنوي لهؤلاء الأفراد .

٩ ـ خلق نواة بحث وتطبيق في كل مؤسسة صناعية على مستوى معين ، يعهد اليها باجراء التطبيقات العلمية والعملية على آلية هذه الصناعة ، وطرق تحسين منتجات جديدة .

هذا وقد يكون الاستمرار في تعداد هذه النقاط في غير موضعه ، اذ المقصود التنبيه الى الموضوع والتحريض على مناقشته ، وأرجو أن أكون قد وفقت الى ذلك . □□

العربي.. عيونك على العالم

عباسيون..

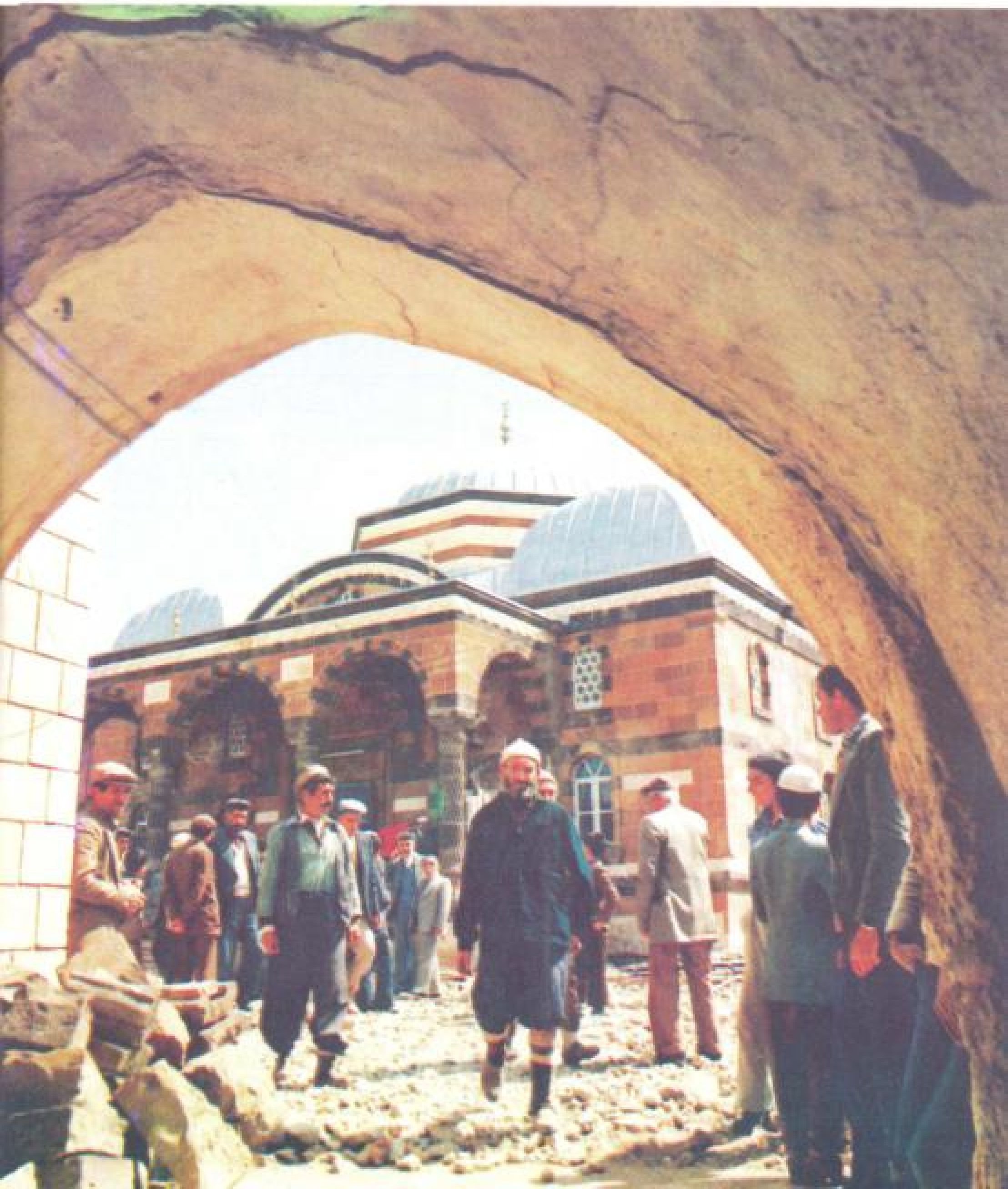

في تركيا !

استطلاع : **سليمان الشيخ**

تصوير : **اوسكار متري**

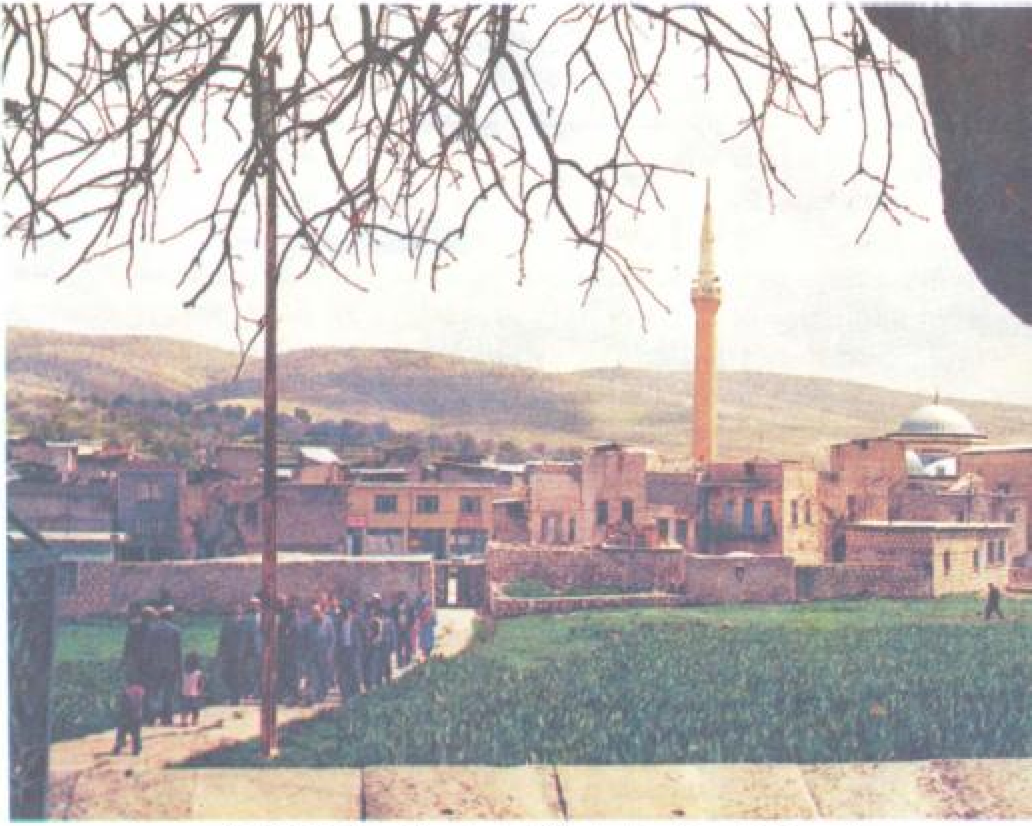

جانب من قرية تيلو ـ ويظهر فيها بعض الأفراد وهم يتجهون نحو مزار الشيخ فقير الله

□ ان تجد سلالة من سلالات العباسيين في العراق أو مصر أو الجزيرة العربية أو بلاد الشام ، فان ذلك يعتبر من الأمور العادية والطبيعية .

لكن أن تجد من يقول لك بأنه من سلالة العباسيين في تركيا فهذا هو ما بعث الدهشة في نفوسنا ، وحفز حاستنا الصحفية للعمل .

لذلك كان هذا الاستطلاع .

* عباسيون . . وفي جنوب شرق تركيا ؟
- نعم عباسيون . . أبا عن جد .
* لكن كيف وصلتم الى هنا ؟ وما الذي أتى بكم ؟ ومنذ متى ؟ وما هي الوثائق والمستندات التي تؤكد ذلك ؟
- تمعن في مليا ، وتفرس قسمات وجهي ، وسبرغور دخيلتي . . ثم أطلق تنهيدة الصبر والحلم .
* اعـذرني . . . فـأنـا قـطعـت آلاف الكيلومترات كي أبحث عن الحقيقة . . . ، ولا يمكن أن أصل اليها بدون اسئلة .

قال : لذلك قصة طويلة .

سار أمامنا وتوجه نحو مبنى فخم نسبيا ، يقع على ربوة تطل على القرية ، كانت تحف بالطريق القبور والأجداث والشواهد . . وأشجار ما نسميه بالفستق ـ الحلبي ـ تملأ المكان ، يخيل لمن يراها أول مرة أنها لا تثمر ، فهي جدباء سوداء قرعاءطلقتها الخضرة ، ويبدو أن اثمارها يكون في فصل غير الفصل الذي كنا فيه ـ الأسبوع الثاني من شهر نيسان ـ ابريل .

تـوافد عـدة زائرين ، وبـدأوا ينتقلون من مكان الى آخر .

انضم الينا رجلان . . قال مصباح المنير مدير المدرسة الابتدائية في القرية : همـا من أبنـاء عمومتي .

- بدري ايدن وسعادة ممدوح أوغلو

تساءلت : أحفاد الشيخ اسماعيل فقير الله ؟

قال : نعم .

قلت : يعني أحفاد العباسيين ؟

أجاب ثلاثتهم : نعم . . نعم .

ثم أحاطوا باربعة شواهد ، وبـدأوا بتلاوة الفاتحة فشاركتهم في ذلك .

* سألت : لمن تكون هذه الشواهد ؟

قال مصباح المنير : انها لجدودنا . . هذا مزار مولانا ملا علي جدنا الأكبر ، ثم مولانـا ملا محمد ، ثم مولانـا ملا جمال ، ثم مولانـا ملا قاسم .

وهذه وتلك مزارات أخرى لبعض الرجال ، الذين ينتمون الى أحفاد صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

- هذا المزار الذي تراه فوق مثلا . . . للشيخ حمزة الكبير ، والشيخ مجاهد من ذرية خالد بن الوليد .

- والذي تراه أسفـل هذا المكـان هو لشيخ الفاطرين من ذرية عمر بن الخطاب ، اما ذاك المبنى فهو مزار الشيخ اسماعيل فقير الله الـذي ننتمي اليه وهو من أحفاد العباسيين ، وفيه مزار الشيخ ابراهيم حقي تلميذ الشيخ اسمـاعيل ، الذي يعتبر من أكابر المتصوفة وصاحب المعرفة بالفلك وغيره من العلوم وقد جاء من أرزروم .

* تتكلمون العربية بلهجة خاصة ؟
- هذه لهجتنا في هذه المنطقة .
* والتركية ؟
- نتكلمها أيضا .
* هـل تستعملون اللغتـين في حـديثكم اليومي ؟
- نعم هو كذلك .

خلفية تاريخية

عزيزي القارىء :

القرية التي نتكلم عنها هي قرية ايدنلر ـ تيلو سـابقا ، وتبعـد عن مدينة سيرت حـوالي ١٠ كيلومترات ، وسيرت ـ أو سعرت ـ كما وردت في عدة مصادر تاريخية ، وكما يلفظهـا اهلها ، خاصة الكبار منهم ـ هي عاصمة محافظة سيرت التي قال لنا محافظها السيد رجب بيرسن اوزان انها مدينة قـديمة تـاريخيا ، وعـدد سكانها يبلغ حوالي ٥٠ ألفا حـاليا ، وهي عـاصمة محـافظة سيرت التي يبلغ عدد سكانها حوالي نصف مليون نسمة .

وتقع منطقة سيرت في جنوب شرق تركيا ، وهي قريبة من الحدود السوريـة والعراقيـة ، وتبعـد حـوالي ٢٠٠ كيلو مـتر عن حـدود

القطرين ، ويمكن الوصول اليها من خلال معابر حدود البلدين ، أو الذهاب الى «استنابول» بالطائرة ، ومنها الى مدينة ديار بكر بالطائرة أيضا (تستغرق الرحلة حوالي ساعة و٤٥ دقيقة) ومن ثم بالسيارة (تبعد سيرت عن ديار بكر حوالي ٢٥٠ كيلو مترا تقريبا) .

* وقبل أن نتابع حوارنا مع محافظ مدينة سيرت والناس في تيلو ، فانه يجدر بنا الاجابة على سؤالين مهمين :

ـ لماذا يتكلم أهل سيرت والقرى المحيطة بها اللغة العربية ؟

ـ ما هي قصة انتماء بعض العائلات الى العباسيين والخالديين (نسبة لخالد من الوليد ، أو العمريين (نسبة لعمر بن الخطاب) أو السادة (نسبة للحسن والحسين) رضي الله عنهم ؟؟

ـ اجابة على السؤال الأول ، فاننا يجب أن نسجل حقيقة جغرافية تفيد بأن المنطقة التي توجد فيها سيرت وديار بكر وغيرها من مدن وبلدان : كماردين ونصيبين وأورفة وحران وميافارقين وعينتاب وغيرها من مدن في تركيا الآن أو في الاراضي السورية والعراقية كان يطلق عليها اسم الجزيرة أو مضارب قبيلة بني بكر (من هنا جاء اسم مدينة ديار بكر ، واسمها التاريخي السابق عليه هو آمد) وربيعة ومضر وأحيانا طيء ، وهي من القبائل العربية التي سكنت المنطقة قبل الفتوحات العربية الاسلامية ، وهذه المناطق تقع بين نهري دجلة والفرات ، وربما نتيجة لوقوعها بين النهرين سميت (الجزيرة) .

يقول العلامة ياقوت الحموي في الجزء السابع من كتاب معجم البلدان : ديار بكر : هي بلاد كبيرة واسعة تنسب الى بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن افصى بن دعمى بن جدلية بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان ، وحدّها ما غرب من دجلة الى بلاد الجبل المطل على نصيبين الى دجلة ، ومنه حصن كيفا وآمد وميافارقين ، وقد يتجاوز دجلة الى سعرت وحيزان وحيني وما

خريطة جنوب شرق الجمهورية التركية وتظهر فيها مدينة سيرت وقرية ايدنلر

تخلل ذلك من البلاد على الا يتجاوز السهل) .

ديار ربيعة : بين الموصل الى رأس عين نحو بقعاء الموصل ونصيبين ورأس عين ودنيسر والخابور جميعه وما بين ذلك من المدن والقرى ، وربما جمع بين ديار بكر وديار ربيعة ، وسميت كلها ديار ربيعة لأنهم كلهم ربيعة ، وهذا اسم لهذه البلاد قديم ، كانت العرب تطلقه قبل الاسلام في بواديه واسم الجزيرة يشمل الكل .

ديار مضر : ومضر ، بالضاد المعجمة : وهي ما كان في السهل بالقرب من شرقي الفرات نحو حران والرقة وشمشاط وسروج وتل موزن) .

اللسان العربي

اذن . . وبناء على هذا المصدر وغيره من مصادر كثيرة ، فان اللسان العربي غير غريب في المنطقة ، وله جذوره التاريخية القديمة ، واستمر يرفدها بالمجرات ، وقد سيطرت على الاقليم قوى متعددة أهمها : العرب والأكراد والترك ، وقوى أخرى غيرهم ، حتى السكان الحاليين في المنطقة فان غالبيتهم موزعون على هذه الأصول حتى الآن .

مزار الشيخ اسماعيل فقير الله والشيخ ابراهيم حقي

المزار من الداخل

الأحفاد يقرأون الفاتحة على أرواح الأجداد ـ مصباح المنير وسري ايدن وسعادة ممدوح اوغلو

أما بالنسبة للهجة العربية السائدة في المنطقة ، فانها أقرب الى لهجة أبناء السواحل السورية اللبنانية ، تخالطها مفردات وكلمات من اللهجة العراقية او اللغة الكردية ، او التركية ، وحتى السيريانية ، لأن للسيريان وجودا تاريخيا أيضا في المنطقة .

ويمكن ايراد بعض الكلمات زيادة في التوضيح :

لاحظت في لهجتهم القلب والابدال . .

مثل :

كلمة الثغور . . يلفظونها الفغور
والثور يلفظونها الفور وغيرها
أو ضرب فتصبح درب
نعم = بلى
لبيك = لبى
هنا = هون
أنا = آني
نحن= نحنى

العين الأخرى = العين اللاخ،وغيرها من كلمات وجمل .

وهكذا فان استعراض واستنطاق المصادر التاريخية لا يترك مجالا للشك بأن المنطقة كانت وما زالت موطنا لكثير من القبائل العربية قبل الاسلام وبعده .

لكن هل يوجد في المصادر التاريخية ما يمكن أن يفيدنا عن صحة انتساب بعض العائلات في المنطقة الى العباسيين والخالديين والعمريين وآل البيت ؟؟

من خلال اطلاعي على بعض المصادر التاريخية ، ومراجعاتي لبعض اساتذة التاريخ عربا وأتراكا ، لم أجد اجابات واضحة ومحددة يمكنها أن تجلو وتؤكد ما يذهب اليه بعض الأفراد .

وهكذا كان على أن اسجل ما يقوله الأفراد ، ثم ألجأ الى مقارنة ذلك بالمصادر التاريخية التي كتبت عن المنطقة وأحداثها وشخصياتها .

شيوخ التصوف

عندما سألنا محافظ مدينة سرت السيد رجب بيرسن اوزان عن الأماكن التاريخية والمواقع الأثرية المهمة في المدينة والقرى المحيطة بها ، فانه أشار علينا بزيارة الجامع الكبير ، وجامع الجند (تم بناؤهما زمن السلاجقة)

وأشار علينا كذلك : بزيارة مقام الشيخ محمد الحزين في قرية فيرساف ، لأن المقام بني في نفس المكان الذي أقام فيه خالد بن الوليد خيمته .

* سألت : وهل وصل خالد بن الوليد الى هذه المنطقة . . . وكيف تم التعرف على المكان الذي أقام فيه خيمته ؟

قال المحافظ وشاركه الرأي بعض موظفيه : ان خالد بن الوليد هو الذي فتح هذه البلاد ، وأضافوا لكننا لا نعرف كيف تم تحديد مكان خيمته .

* وغيرها من الأماكن . . ما الذين يمكن أن نزوره ؟؟

ـ يمكنكم زيارة مزار الشيخ اسماعيل فقير الله ، والشيخ ابراهيم حقي في تيلو ـ ايدنلر ـ (تبعد عن سيرت حوالى ٧ كيلومترات .)

وهناك ستجدون بعض العائلات التي تنتسب الى العباسيين والخالديين والعمريين وغيرهم .

وقال السيد محمد علي عاري ـ مدير السومر بنك في مدينة سيرت الذي يتكلم العربية الفصحى بطلاقة ان في سيرت من ينتسب الى آل بيت الرسول كالحسنيين والحسنيين « سنة » وتوكيدا لكلامه فانه اطلعني في وقت لا حق على شجرة عائلته التي يعود نسبها الى الحسين رضى الله عنه .

وحتى نضع الكلام السابق في سياقه التاريخي ، فاننا نذكر المعلومات التالية : ذكر الواقدي في كتاب (فتوح الشام) الجزء الثاني ص ١٧٢ ما يلي :ـ

« قال فعوّل على العبور الى جانب اسعرد ـ سرت ـ ويهرد ، اذ قدم عليه اهل حصن طنز للصلح ، وان يكونوا طوعا للمسلمين . فقال خالد ـ المقصود خالد بن الوليد ـ من أسلم منكم قبلناه ، وكان له مالنا وعليه ما علينا ، ومن بقي على دينه كانت عليه الجزية من العام القابل ، فأجابوه الى ذلك ، فكتب لهم عهدا وعبر الى طنز ويهرد وأسعرد والمعدن وارزن ، وقرروا صلحا ورضوا به) .

هذا هو المصدر الوحيد الذي استطعت الوصول اليه والذي يشير الى أن خالد بن الوليد هو الذي فتح المنطقة ، في حين أن المصادر الأخرى الكثيرة تشير الى ان عياض بن غنم كان أحد القادة الذين اشتركوا في فتح المنطقة ، وأنه كان أحد قادة خالد بن الوليد ، وليس العكس كما ذكر الواقدي .

بل ان الواقدي يعود في ص ١٨٢ من نفس الكتاب ، ليؤكد أن الذي فتح اسعرد هو عياض ابن غنم وليس خالد بن الوليد (وأما عياض فانه سار على طريقه التي ورد عليها الى ارزن الروم ، وخرج منها الى اسعرد الى جبل مارون .

قال الواقدي : كان الذي أسسها السموأل بن عاديا ، وكان قد سبق قبل ذلك الأبلق الفرد من أرض تيماء ، ولما جاء وزير كسرى وطلبه هرب الى هذه الأرض ، وبنى له فيها هذا البلد ، فلما نزل عياض عليها دعاهم الى الاسلام ، فأجاب العقلاء منهم ، ومن أبى أقر عليه الجزية وكتب لهم عهدا ورحل) .

استأذنا المحافظ بزيارة القرى والأماكن التي أشار اليها ، وتوجهنا الى قرية فيرساف . . التي ذكر السيد محمد متين أحد أحفاد الشيخ محمد الحزين أنها تبعد عن سيرت حوالى ١٠ كيلو مترات ويبلغ عدد سكانها حوالى ٥٠٠ نسمة ، وعلى ربوة تطل على القرية شاهدنا بناء ابيض مميزا . . الذي حدد المكان الذى نصب فيه خالد بن الوليد خيمته فيه .

سألت : كيف أمكن للشيخ تحديد ذلك ؟

أجاب محمد المتين : لقد وجدوا في هذا المكان

جثة فارس من فرسان العرب ، أسمر وشعره أكرت ، ويلبس ملابس القتال التي يرتديها الفرسان العرب الأوائل ، ومن خلال ذلك استدل الشيخ أن المكان كان مكان معركة .

* وهل بقيت الجثة والملابس سليمة الى زمن الشيخ المسكين؟

- اجاب محمد وأيده الحاج محمد علي عاري : المتداول عندنا في المنطقة أن جثة الفارس وجدت سليمة وكذلك الملابس ، هكذا سمعنا .. وهذا ما كان متداولا زمن الآباء والأجداد .

انتهينا من زيارة فيرساف وتوجهنا نحو قرية تيلو - ايدنلر - فسألت عن القرى الأخرى التي تحف بالطريق ، أو يمكن رؤيتها بالعين المجردة ؟

فقيل لي انها قرى تتكلم العربية كحلنزية - التي يوجد فيها من ينتسب الى البدويين ، نسبة الى السيد البدوي في طنطا - وطوم وسنيب وفسكن وغيرها .

وصلنا الى قرية تيلو - ايدنلر ، وتوجهنا الى مزار الشيخ اسماعيل فقير الله ، رافقنا حفيده مصباح المنير الذي يعمل مديرا للمدرسة الابتدائية في القرية ، وقال عن نفسه انه خادم لمزار الشيخ منذ ١١ سنة .

بعد أن قرأنا الفاتحة على روح الشيخ وعلى أرواح غيره ممن دفنوا في المزار أو بجانبه ، سألت مصباح المنير وأبناء عمومته : - هل أنتم من سلالة آخر خليفة عباسي ؟ . أي الخليفة محمد المتوكل على الله الذي أحضره السلطان سليم الأول الى استانبول ، عندما فتح الشام ومصر سنة ١٥١٧ م من القاهرة ، أو من سلالة أقاربه ؟

نفى مصباح المنير ذلك ، وأيده أبناء عمومته وأضافوا : لقد جئنا من الجزيرة العربية مباشرة .. ويقال ان أجدادنا سكنوا جزيرة ابن عمر (بلدةقريبة من الحدود العراقية ، واسمها جزيرة ألان) ثم انتقلوا الى سيرت وبعدها جاءوا الى تيلو .

* سألت مصباح المنير : لقد لاحظت في مزار الشيخ أن هناك نصين بالعربية يقابل أحدهما الآخر .

قال : عندما التحق الشيخ ابراهيم حقي بالشيخ اسماعيل ، فان كليهما قال النص الذي رأيته .. وقد جاء في نص الشيخ اسماعيل :-

(ادخل من ابراهيم الى اسماعيل ، ادخل من العاشق الى الجميل ، ادخل من الباب الى خلوتي ، ادخل من الأصحاب الى صحبتي) والنص طويل .

أما الشيخ ابراهيم حقي فانه أجابه (السلام عليك يارحمي ، السلام عليك يانوحي ، السلام يا سفينتي ، السلام عليك يا دفينتي) الى آخر النص .

بعد أن خرجنا من المزار فان مصباح المنير وجهني لرؤية شجرة تقع على يمين المزار .. قال تمعن بها .. وأضاف ان هذا الفرع يمثل وجه أسد ، وهذا القطع هناك يمثل وجه أسد ايضا .

تمعنت مليا .. ثم سألت : وماذا يعني ذلك ؟

قال : لكل ولي مُدافع - أي حارس .. ومدافع فقير الله هو الأسد ، هكذا قال الشيخ .

* بقيت أسئلة عديدة في ذهني .. وعندما قيل ان للشيخ ابراهيم حقي بعض المؤلفات .. والمخلفات أبديت رغبة في رؤيتها.

المؤرخ والعالم

توجهنا نحو بيت خطيب الجامع الكبير في البلد الشيخ سعد الدين محمد سعدالله ، المعروف بطوبراق ، وقبل أن نصل إلى البيت شاهدت بعض النسوة يتحلقن حول ماسورة ماء ، وتلبس كل واحدة منهن النقاب والشرشف الأسودين .

دخلنا بيت الشيخ ، خزانته مليئة بالكتب .

قال : أنا حفيد الشيخين : اسماعيل من ناحية الأب ، وابراهيم حقي من ناحية الأم .

« الى أعلى » ـ مزار الشيخ الحزين ـ غيرساف
هل خاض خالد بن الوليد معركة في هذه المنطقة ؟ . (والى اليمين) امرأة في قرية تيلو تنقل الماء ـ مازال الشرشف والنقاب سائدين .

سألت : هل هذه المؤلفات هي مؤلفات الشيخ ابراهيم حقي . . ؟ وهل هذه هي مسابحه وأدوات عمله في الفلك وغيره من علوم ؟؟

نعم هي كلها كانت للشيخ . . وهذه الخزانات تحتوي على آثاره ، من مؤلفات وأدوات بحث ومسابح وغيرها ، وبعض المؤلفات مكتوبة بالعربية ، وبعضها مكتوب بالتركية .

* ما هي الموضوعات التي كتب الشيخ ابراهيم حقي عنها يا شيختنا ؟

ـ لقد ألف في علوم مختلفة ، في التصوف والدين والفلك والهندسة والحساب وغيرها ، ومن كتبه : نخبة الكلام ، تذكرة الأحباب ، عروة الاسلام ، مجموعة المعاني ، تحفة الكرام ، كنز الفتوح ، دفينة الروح ، الأعمال الفلكية ، شرح البسيطة ، مرشد المتأهلين ، كتاب العالم ، مجموعة الوحدانية ، رزنامة التوقيت ، وصيتنامة ، معرفة نامة ـ الخ .

تيلو ـ منارة وقباب ..
وبعض البيوت .

* وهل بينها ما هو مطبوع ؟

- كتاب معرفة تامة طبع خمس مرات أولها سنة ١٨٣٦ في القاهرة ، وآخرها سنة ١٩١٤ في استانبول .

* سألت الشيخ سعد الدين : هل يوجد ما يؤكد نسبكم العباسي ، ومتى جاء أجدادكم الى هذه الأرض ، ولماذا ؟؟

- بحث الشيخ بين اوراقه .. ثم قدم لفافة .. وقال هذه صورة عن شجرة عائلتنا ، اننا نعود في نسبنا الى عبدالله بن العباس رضي الله عنهما .

- وقد سجل الشيخ ابراهيم حقي في كتابه (تذكرة الأحباب) ما يلي : -

(في بيان حضرة الشيخ اسماعيل فقير الله) .

(وهو شافعي المذهب ، وعربي الأصل واللسان ، واجداده العظام كانوا من نسل حضرة العباس رضي الله تعالى عنه ، ثم هاجروا من المدينة الى جزيرة الاكراد (اي جزيرة ابن عمر ؛ والتي تسمى الآن الجزيرة او جزره) وأقاموا فيها ، وخلفوا أولادا علماء ، فلما بلغ تاريخ الهجرة النبوية الى ٩١٠ خرج من الجزيرة (اي جزيرة ابن عمر او الاكراد) رئيس علمائها مولانا علي رحمة الله تعالى عليه ، مهاجرا منها ، وأتى بأولاده عبر طريق مسافتها ثلاثة ايام صوب الشمال ، فلما جاء ودخل قرية تلو وجدها في مكان مرتفع ، بجانب مشرق بلدة سيرت ، قريبة من البلد مسافة ساعتين سيرا على الأقدام ، لطيفة الهواء كثيرة الكروم والأشجار وقليلة الماء ، وكثيرة الصهاريج والأبيار ، وفيها اكثر من ٢٠٠ دار ، وجامع للخطبة وثلاثة مساجد وحمام ودكاكين وخان ، وجميع بيوتها جص وحجر متين ، ولسان اهلها عربي مبين ، فأعجبته وتوطن فيها) .

ويذكر الشيخ ابراهيم حقي بعد ذلك أبناء وأحفاد الشيخ علي ، وصولا الى الشيخ اسماعيل فقير الله ، والكتاب في ٣٥ صفحة من القطع المتوسط ، ، وتم تحريره سنة ١١٨٧هـ .

الشيخ سعد الدين - امام جامع تيلو

* وهل استند الشيخ ابراهيم حقي على مصادر معينة في توكيد ما ذهب اليه ؟

- لا يوجد في الكتاب ما يشير الى ذلك ، وأخمن أنه اعتمد على ذاكرة استاذه الشيخ اسماعيل وما كان يرويه له ، وقد ذكر الشيخ ابراهيم حقي ايضا في مؤلفات أخرى انه قد وصل الى المنطقة بعض احفاد خالد بن الوليد وعمر بن الخطاب والحسن والحسين رضي الله عنهم . وهناك في ديار بكر مزار لسليمان بن خالد بن الوليد ، ويقال انه استشهد هناك وان المزار اقيم فوق المكان الذي استشهد فيه ، ومعه ٢٧ من المقاتلين والصحابة .

* هل يوجد مصدر تاريخي يذكر ذلك .؟ وعلى ماذا تستندون في هذا القول يا شيخنا ؟؟

- الحقيقة اني لم اقرأ مصدرا تاريخيا يذكر ذلك ، لكن هذا ما هو متداول على ألسنة الناس .

* هل ذكر الشيخ ابراهيم حقي الأسباب التي جعلت أجدادكم ينتقلون الى هذه المنطقة ؟؟

- ما اتذكره من خلال قراءاتي لكتب الشيخ ابراهيم حقي هو ان جدنا الاكبر ترك الجزيرة العربية مع غيره بوازع جهادي ، يقوم على صد هجمات الشاه اسماعيل الصفوي في ايران ، والذي كانت قواته تهدد المنطقة .

● ولأن الشيخ سعد الدين كان يتذكر الأحداث من الذاكرة او استنادا الى ما خطه الشيخ ابراهيم حقي فقط ، لذلك فانني قابلت كل ما ذكره من احداث وتواريخ بالمصادر التاريخية التي أفادت :

الثابت قطعا انه كان لخالد بن الوليد ابن يسمى سليمان ، وكان يكنى به ، الا ان المصادر لم تذكر شيئا عن جهاده او مكان استشهاده .

وقد جاء في كتاب (جمهرة انساب العرب) ص١٤٧ ـ ١٤٨ لابن حزم ما يلي : (وروي عن الزهري : وكثر ولد خالد بن الوليد حتى بلغوا اربعين رجلا ، وكانوا كلهم بالشام ، ثم انقرضوا كلهم في طاعون وقع فلم يبق لأحد منهم عقب) وذكر الزبيري في كتابه (نسب قريش) ج ٩ ص٣٢٨ ما يلي :

(وقد انقرض ولد خالد بن الوليد فلم يبق منهم احد ، وورث ايوب بن سلمة دارهم بالمدينة) .

اما في سيرة سليمان فقد جاء في نفس المصدر السابق ص٣٢٧ (وسليمان بن خالد وبه يكني ، وامه كبشة بنت هوذة بن ابي عمرو من ولد رزاح بن ربيعة) .

اما بالنسبة للأحداث والوقائع الخاصة بهجوم اسماعيل الصفوي على المنطقة ، فانه جاء في دائرة المعارف الاسلامية ـ المجلد الحادي عشر ص٤٢٣ ما يلي : (وقد شاركت سعرد بصفة عامة ديار بكر وحصن كيفا تاريخها السياسي ، ومن ثم كانت في القرن الحادي عشر في يد بني مروان ، وانتقلت في القرن التالي الى يد بني ارتق اصحاب حصن كيفا ، واستولى عليها عماد الدين زنكى سنة ٥٣٨ هـ ، ونهبها المغول بعد هزيمة جلال الدين خوارزم شاه ، الا انها فيما يظهر عادت سريعا الى ازدهارها ، ذلك ان المستوفي وصفها بقوله انها مدينة كبيرة ، كثيرة الموارد ، ثم قاست من حكم الايلخانية والآن تيمورلنك ، وانتقلت الى يد الصفويين سنة ١٥٠٠م) .

وسنة ١٥٠٠ في التاريخ الميلادي توازي ٩٠٦ في التاريخ الهجري ، وهذا يعني ان التاريخ الذي حدده الشيخ ابراهيم حقي ٩١٠هـ لتحرك فئات من الناس ومن بينهم جدود الشيخ سعد الدين هو تاريخ صحيح ، وعلينا ان لا ننسى ان معركة جالدران قد حدثت سنة ١٥١٤م بين الشاه اسماعيل الصفوي وبين السلطان سليم الأول ، والتي انتصر فيها الثاني واحتل بعدها تبريز عاصمة ملك الأول .

فرمانات سلطانية

تابعت حواري مع الشيخ سعد الدين .. فسألته : يقال حضرة الشيخ ان احد سلاطين آل عثمان قد منح جدكم اسماعيل اراضي .. وضيعة بعد ان تعرف الى نسبه .. فهل تذكرون شيئا من هذا القبيل ؟؟

● لا أذكر اني سمعت شيئا عن هذا ، أو قرأته ، لكنني اذكر ان الشيخ ابراهيم حقي سجل في كتابه (معرفة نامة) بأن السلطان محمود الثاني قد استدعى الشيخ ابراهيم الى استانبول واستضافه لمدة ثلاثة ايام ، وذلك سنة ١٧٧٠ ، تقديرا لعلمه ، وتقديرا لانتماء الشيخ اسماعيل للعباسين ، وقد اصدر هذا السلطان فرمانا اعفى بموجبه جميع افراد عائلتنا وعائلات الصحابة من المكوس والضرائب والخدمة العسكرية ، وبعث بهدية للشيخ اسماعيل فقير الله ، تمثلت بمقدار من الذهب وعبد وجارية ، فقبل الشيخ الهدية شاكرا ، الا انه رد الذهب الى بيت المال واعتق الجارية والعبد وزوجهما الى بعضهما البعض ، وما زال احفادهم في قريتنا ويطلق عليهم عائلة المملوك ، وقد بقي أمر الاعفاء ساريا الى قيام الجمهورية سنة ١٩٢٣م .

● اعذرني يا شيخنا ان سألت : هل السلطان استدعي الشيخ ابراهيم نظرا لعلمه ودرايته

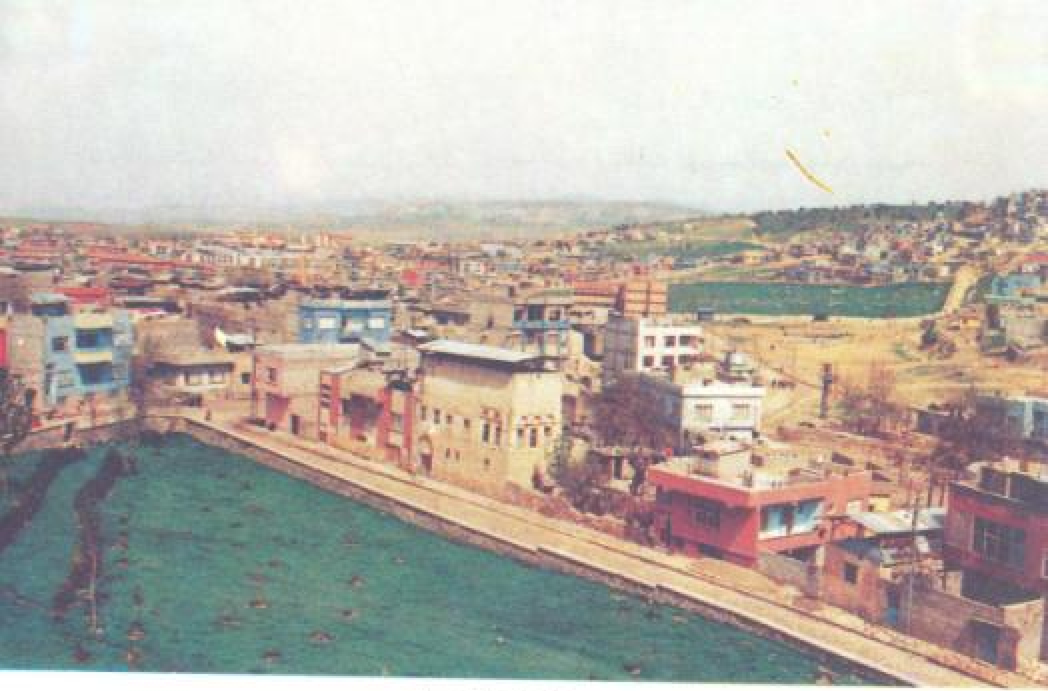

جانب من مدينة سيرت

بالفلك وغيره ام نظرا لعلاقته بالشيخ اسماعيل ونسبه العباسي ؟

- اعتقد ان الأمر قد تم نظرا لنسب الشيخ اسماعيل العباسي ، والا لما شمل أمر الاعفاء العائلات الأخرى التي تنتمي للصحابة في المنطقة كلها .

* ربما تم الأمر بسبب دورها ومكانتها في الطرق الصوفية ؟

- اجاب الشيخ تافيا : لا اعتقد ذلك .

* واعود الى امتحان المعلومات السابقة ومقارنتها بما ذكرته الكتب التاريخية .

تذكر اللوحة المسجل عليها تاريخ ولادة

محافظ مدينة سيرت ممسكا بيد ابنته ويمارس الرياضة الصباحية كل يوم أحد مع جماهير المواطنين

فلاحون يحرثون الأرض .. تحت شجرة فستق

الشيخ اسماعيل فقير الله والشيخ ابراهيم حقي في قرية تيلو أن :-

- الشيخ اسماعيل فقير الله ولد سنة ١٦٥٧م وتوفي سنة ١٧٣٤م يقابل ذلك في الهجري انه ولد سنة ١٠٦٧ وتوفي سنة ١١٤٦هـ .

- والشيخ ابراهيم حقي ولد سنة ١٧٠٣م وتوفي سنة ١٧٨٠م يقابله في الهجري سنة ١١٤٣هـ وتوفي سنة ١٢٠٠هـ .

وتذكر المصادر التاريخية ان سلاطين آل العثمان الذين حملوا اسم محمود هم :

١ - محمود الأول وحكم من سنة ١٧٣٠م الى سنة ١٧٥٤م

٢ - محمود الثاني وحكم من سنة ١٨٠٨م الى سنة ١٨٣٩م .

وبما ان الشيخ اسماعيل فقير الله توفي سنة ١٧٣٤م والشيخ ابراهيم حقي توفي سنة

١٧٨٠م ، لذلك فانني أرى ان أمر الاتصال اذا ما تم فانه تم زمن ولاية السلطان محمود الأول وليس الثاني ، لأن الشيخين عاصرا حكم هذا السلطان الذي اشتهر بتشجيعه للعلم والعلماء ، اما بالنسبة للخلل في التاريخ الذي ذكره الشيخ سعد الدين (١٧٧٠م) فاما ان ذاكرته لم تثبت التاريخ الصحيح ، او ان الشيخ ابراهيم حقي لم يضبط التواريخ التي دونها .

خيمة خالد بن الوليد

● سألت الشيخ سعد الدين : يقال يا شيخنا ان خالد بن الوليد قد وصل الى منطقة سيرت ، وانه اقام خيمة له في قرية فيرساف ، وأن مزار الشيخ محمد الحزين يقوم في نفس المكان ، فهل تعتقد بصحة ذلك ؟

ـ لا استطيع ان انفي او اؤكد ذلك ، وكل ما في الأمر ان الناس في فيرساف يقولون مثل هذا القول . (تم هذا الحديث بحضور محمد متين حفيد الشيخ الحزين ، ولم يعلق على ذلك بشيء) .

● شيخنا لاحظت أنك القيت خطبتك يوم الجمعة بالعربية ثم ترجمتها للتركية . . فهل الامر كذلك في كل انحاء تركيا ، وهل يوجد مدارس تعلم العربية ؟؟

ـ المعروف ان الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة والأذان كلها تقال بالعربية في كل انحاء الجمهورية ، وفي سيرت . ولأن الكثير من الناس يتكلمون العربية ، فان الخطبة مسموح بها في العربية ، كذلك فانه توجد بعض المدارس الخاصة في المنطقة تعلم علوم الدين واللغة بالعربية .

ملابس وعادات

● المعروف يا شيخ سعد الدين ان اللون الأسود كان الشعار التاريخي للعباسيين ، الا أنني لم اجد ذلك في لباسكم او بعض خصوصياتكم الأخرى ؟

ـ قال الشيخ : الأزياء تتغير وقد غيرنا أزياءنا .

● والنساء أرى أنهن ما زلن يلبسن النقاب والشرشف الأسودين ؟

ـ انه لباس شائع منذ ايام السلطنة حتى الآن .

● لكنني لم الحظه بكثرة الا في منطقتكم ، وبعض القرى بجانبكم تلبس نساؤها النقاب الأبيض والملابس المزركشة اي غير السوداء (قيل لنا ان معظمهم تعود اصولهم الى الأكراد) .

ـ أجاب الشيخ : لا يوجد عندي أي تفسير .

● هل توجد اكلات خاصة بالمنطقة يا شيخنا ؟

ـ ربما كانت لنا اكلاتنا الخاصة من قبل ، لكن بعد المخالطة والتعامل مع الآخرين فان الكثير من أكلاتنا اصبحت متشابهة بأكلات غيرنا .

مع ذلك فانه ما زال لنا بعض اكلاتنا المميزة كالكتل ، والبردا بلاف . وعندما سألت الشيخ ان يصفها لي ويذكر لي محتوياتها ، فانني وجدت ان الأولى لا تختلف كثيرا عن الكبة ، والثانية لا تختلف عن المطبق في منطقة الخليج ، او المنسف والمقلوبة في بلاد الشام . هذا وقد ذكر لي الشيخ سعد الدين بأن مزار الشيخ اسماعيل فقير الله والشيخ ابراهيم حقي قد تم بناؤه بشكل فخم اعتبارا من سنة ١٩٦٢ من قبل دائرة الأوقاف الحكومية وهي ما زالت تصرف على ترميمه والمحافظة عليه ، في حين ان الأحفاد والأهالي كانوا يتولون ذلك من قبل .

● وذكر لي الشيخ ايضا بأن السلطات الرسمية قد حظرت عليه السماح بتصوير وثائق الشيخ ابراهيم حقي ومؤلفاته .

شكرت الشيخ سعد الدين على سماحته واستضافته لنا ، وحلمه في الاجابة على اسئلتنا وغادرنا القرية الى مدينة سيرت .

الشيخ محمد كاظم الحزين

مع الشيخ الحزين

مادام ان الأمر في الكثير من جوانبه يمكن ان يساعد في الاجابة عليه الشيخ محمد الكاظم الحزين ، لذلك فانني ابديت رغبتي بمقابلته من قبل ، الا ان ابنه محمدا أخبرني بانه على سفر وسيعود في نفس اليوم الذي كنا فيه في تلو .

وهكذا وقبل مغادرتنا لسيرت ، فاننا زرنا الشيخ ، وطرحنا عليه بعض ما شغلنا . . . الرجل تجاوز السبعين ـ مد الله في عمره ـ يبجله الأتباع والمريدون بشكل واضح ، على اطلاع واسع ومتبحر في شتى ضروب المعرفة ، وخاصة في الفقه والشرع واللغة والتاريخ وغير ذلك ، مكتبته واسعة ومليئة بشتى الكتب ، ومصنفة تصنيفا دقيقا .

حدثنا في البداية عن مشايخ الطرق الصوفية وتاريخها في تركيا ، ثم حدثنا عن الشيخ حسين النجار المتصوف من اهل السماح ، الذي امتاز برقصة صوفية خاصة ، فذكرت له انها رقصة اموية قديمة ، ووصفت له الحركات الخاصة بها ، فعلق انها قد تكون نفس الحركات التي كان يأتيها الشيخ النجار وبطانته .

ثم سألت الشيخ عما يشغل ذهني . . قلت : هل لك من تعليق على ما يذكره بعض الناس من انتسابهم للصحابة . . وابرازهم للوثائق والمستندات ؟

قال ان بعضها ليس له أصل ، والله ورسوله اعلم .

قلت :وأنعم بالله ورسوله ، لكن الا تزيدنا توضيحات اخرى ؟

قال : الانسان هو في نفسه ، والأصيل هو جوهرة في ذاتها ، اذا كان الانسان على خلق ، متبعا لدينه قائما بالتكاليف فهو في نظري أصيل .

ثم تحدث الشيخ عن فتح عياض بن غنم للمنطقة . . الا انه عاد وذكر وصول خالد بن الوليد ووجود مزار ابنه سليمان في ديار بكر .

● سألت الشيخ عن المصادر التاريخية التي تؤكد ما يذهب اليه او ما يذكره الناس ؟

ـ قلّب في الكتب . . واستعان بعدة مصادر ، ثم ذكر الواقدي .

● قلت يا شيخ . انه لا يذكر شيئا عن سليمان بن خالد بن الوليد .

ـ بعد ان قلب عدة صفحات . . قال : نعم انه لم يذكر شيئا .

● والقصة المتداولة ، والمزار ؟

ـ قال : لست ادري ان الناس يتداولون ذلك .

● قلت : وهل صحيح ان خالد بن الوليد وصل الى فيرساف واقام خيمته في نفس المكان الذي يوجد فيه مزار جدكم الشيخ الحزين ؟؟

ـ قال : لم أجد شيئا مدونا يا بني ، وكل ما في الأمر ان الناس وجدوا جثة رجل يتزيا بأزياء العرب الأوائل ، فتم التأكد من ان حربا وقعت في ذلك المكان او بقربه . اضافة الى ان الواقدي ذكر ان خالد بن الوليد وصل الى المنطقة .

● لكن يا شيخنا : ان الواقدي يناقض نفسه . . ولم يذكر ذلك من المؤرخين الا هو ؛

المرأة وملابسها في تيلو

غازلة الصوف على طريق تيلو

كما ان حدوث موقعة في المكان لا يعني انها الموقعة التي اشترك فيها خالد بن الوليد !

ـ قال يابني . . . هذا ما يذكره الناس وما يعتقدون به .

* ونسبكم أنتم يا شيخ . . الى من تنتسبون ؟؟

ـ لا يوجد بين يدي شيء ثابت ، شجرة عائلتنا احترقت ، لكن يقول البعض ان جدنا الأول جاء من بغداد ، ويقال ان نسبه يعود الى الشيخ عبدالقادر الجيلاني . مع ذلك فنحن في الطريقة ننتسب الى شاهي نقشبند المدفون في بخارى .

ثم اكد على ان الطرق الصوفية حسب اجتهاده ما هي الا علم تزكية النفس من العيوب واصلاح القلب .

شكرنا الشيخ الحزين وغادرنا سيرت .

عزيزي القاريء : هذا ما كان من رحلتنا الى منطقة سيرت في جنوب شرق تركيا ، معلومات وقصص وحكايات وحقائق غلفها غبار السنين ، بتراكمات موزعة بين الحقيقة والخيال ، وتحتاج الى الكثير الكثير من جهد الرجوع الى المصادر التاريخية الموثوقة ، لامتحانها وازالة الأتربة التي علقت بها .

سلامة البشرية

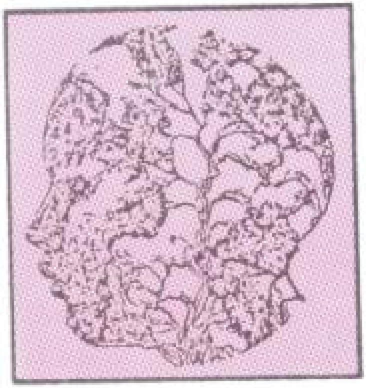

في سلامة البيئة

حتى جبال هملايا ..
باتت مهددة

يقول السيد أدموند هيلاري .. وهو أول من نجح في تسلق جبل أفرست قبل أكثر من ثلاثين عاما ، سنة ١٩٥٣ .. وقد زار المنطقة في أواخر السنة الماضية .. يقول « كانت مورقة خضراء في الأمس القريب ، واذا بها تصبح منطقة كالحة جرداء في الوقت الحاضر » .

ويقول عالم البيئة الجبلية ، جين واترن **G.Watrin** وقد قام بدراسة مطولة لمنطقة جبال الهملايا .. ومملكة نيبال بخاصة .. يقول : « فقدت نيبال ٧٠٪ من أحراشها في ربع القرن الماضي .. والأمل ضعيف في احتمال انقاذها من المصير الذي يتربص بالمملكة » .

هذا هو جبل افرست .. وتلك هي صومعة فيانجبوش متوارية في بطن الغابة ..

أحد المواقع على الطريق ، طريق تسلق افرست

ولكن وكالة الولايات المتحدة للتنمية الدولية .. تذهب مذهبا آخر .. فهي ترى أن الوضع ليس يائسا وان كان خطرا ، بالغ الخطورة .. وما على أهل المملكة الا مراعاة صالح بيئتهم ، بحزم وأمانة .. حتى يضمنوا انقاذ وطنهم .

ونيبال مملكة تقع في صميم منطقة جبال هملايا .. فهي اذن جبلية يبلغ عدد القمم الشاهقة فيها ٢٧٣ قمة ، حسب الاحصاء الأخير .. ولا يسمح للأجانب بزيارتها كلها ، وانما ١٢٢ قمة منها فقط ... أما جبال التسلق المنخفضة نسبياً فلا تزيد على ١٨ جبلا بارتفاع ٢١,٥٠٠ قدم أو دون ذلك ... (يبلغ ارتفاع افرست ٢٩,٠٢٨ قدما) .. ويبلغ عدد سكان النيبال نحو ١٥ مليون نسمة .. وعاصمتها هي كاتماندو ..

وقد راجت كثيرا صناعة السياحة في نيبال في المدد الأخيرة .. بحيث بلغت ايراداتها سنة ١٩٨٣ نحو ٥٢ مليون دولار .. وهي لم تجاوز ٢,٢ مليون دولار قبل عشر سنوات .. لا جدال اذن في أن السياحة هي الصناعة الأكثر نموا في النيبال .. ولكنها في الوقت نفسه الصناعة الاولى من حيث التهديد الذي تتعرض له .. اذ لا يعقل أن يستمر سيل السياح في تدفقه الى المنطقة ، وقد فقدت أشجارها وخضرتها وأصبحت كالحة جرداء .

وتعزي الكارثة التي تهدد أهل النيبال .. الى أهل النيبال أنفسهم .. فقد مضوا في التحطيب وقطع الأشجار لاستعمالها وقودا ولاغراض التدفئة ، وغاب عنهم أن الأشجار هي التي تضمن تثبيت التربة في مكانها ، وتحول دون تعريتها .

ومضوا في رعي ماشيتهم ، وأفرطوا في رعيها ، ومضوا كذلك في انتزاع التربة الزراعية انتزاعا من سفوح الجبال .. وكانت نتيجة هذا وذلك الانهيارات المتلاحقة التي تعرضت لها الأرض هناك ، والتي جرفت معها التربة الزراعية .. وانطلقت هذه السيول الحجرية الى نهر هوغلي .. فطمرته ، كثيرا أو قليلا ، ثم تابعت سيرها الى المحيط لتستقر هي وتربة النيبال الزراعية في أعماقه .

عشبة بحرية عجيبة

من أخبار العالم الطريفة نبأ عشبة بحرية يابانية الأصل ظهرت فجأة في مياه سواحل بريطانيا الجنوبية .. وذلك قبل عشر سنوات .. وطاب للعشبة اليابانية **Sargas-sum muticum** المقام في القنال الانجليزي فراحت تنمو بسرعة كبيرة ، ان لم نقل خارقة .. بلغت حوالي قدم في اليوم الواحد .. !

ولما كانت هذه العشبة سبب ازعاج ومضايقة للقوارب الصغيرة انطلق العلماء يبذلون الجهود بقصد احتوائها أو القضاء عليها .. ولكن محاولاتهم باءت بالفشل .. وواصلت العشبة نموها وراحت تمتد وتتفرع في شتى الاتجاهات في تحد وعناد .

ويقول المستر بيتر جرانت ، وهو العالم الذي كلفته دائرة البيئة البريطانية باجراء أبحاث حول العشبة المذكورة ، يقول : لا أعتقد اننا نستطيع عمل شيء وذلك لعدم وجود شيء يمكن عمله .. فالعشبة ستواصل نموها حتى تلفّ سواحل بريطانيا ، سواء شئنا أو أبينا .. وعلينا أن نتعايش مع العشبة اليابانية .. » .

وتجدر الاشارة الى أن هذه العشبة لا تفيد ولا تصلح لأي شيء يذكر .. حقا قد تصلح سمادا للنبات ولكن ثمة اعشابا بحرية أخرى تمتاز عليها في هذا الصدد .

١

٢

٣

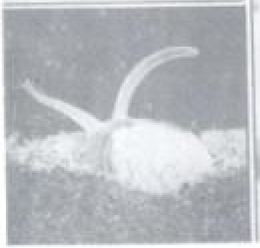

أحياء مائية تكاد تختنق من بقعة الزيت التي غمرتها .. فهذا الجمبري (القريدس) ، الذي يعرف بالرملي ، يقاوم التلوث ، من أجل الحياة (صورة ١) . وهذا المحار (صورة ٢) يتلمس الاوكسجين والغذاء من ماء البحر بواسطة مجسيه المجوفين .. ولا مفرلة من ابتلاع النفط معهما . أما البلحة البحرية (صورة ٣) فتمتص الصبغة من الأنبوب .. ثم تقذف تلك الصبغة الى ماء البحر ، سحابة وردية اللون .. فيتمكن العلماء من تحديد معدل امتصاصها للغذاء .

العربي - العدد ٣٠٩ - اغسطس (آب) ١٩٨٤

قصة مترجمة عن التركية

العقدة

تأليف : عزيز نسين

ترجمة : صفوان الشلبي

آه نحن الحمير . . . . . . فنحن ـ معشر الحمير ـ كان لنا مثلكم يامعشر الانس لغة نتحدث بها . كانت لنا لغتنا الخاصة وشعرنا وادبنا الغنيان ، كانت لنا اغانينا الجميلة واناشيدنا الحماسية ، لم نكن ننهق في الماضي كما هو الحال الآن نعبر عن رغباتنا وأحاسيسنا ، آلامنا وافراحنا بكلمتي ها . . . . هو .

نعم لم يبق من لغتنا الجميلة سوى هاتين الكلمتين . الا ينتابكم الفضول لمعرفة كيف ماتت لغتنا الغنية ولم يبق منها سوى الـ ها هو ؟ باختصار لساننا قد انعقد ، حادثة مخيفة اطارت صوابنا وأرعبتنا ، فعقدت لساننا وانستنا لغتنا . منذ ذلك اليوم لم نعد نتذكر سوى هاتين الكلمتين ها . . . . هو . . . .

عقدة اللسان هذه ، حادثة قديمة جدا ومن مئات السنين يوم كان جدنا الاكبر يرعى في أحد سهولنا مطمئنا ويغني بحماس ، اشتم رائحة غريبة . لم تكن رائحة جميلة . كانت رائحة ذئب .

رفع جدنا أنفه الى اعلى وتنشق بعمق . رائحة الذئب قوية . قال جدنا مخاطبا نفسه ومواسيا :

ـ ليست هذه برائحة ذئب . . . .

لكن رائحة الذئب ازدادت زخما . كان واضحا ان هناك ذئباً يقترب . واقتراب الذئب من أراضينا معناه قدوم الموت لا محالة .

حاول جدنا أن يقنع نفسه ان لا ذئب في المنطقة .

ـ أرجو الله ألا يكون هناك ذئب . . . . . وان كان حقا في المنطقة ، فكيف وأين سيجدني ؟

استمر جدنا على هذه الحالة يواسي نفسه حتى سمع صوتا غريباً لم يكن صوتا جميلا . بل كان صوت ذئب !

انتصبت أذنا جدنا الحمار واسترق السمع . نعم هو صوت ذئب . . . .

ولكن قلبه لم يكن براض عن مجيء الذئب .

ـ لا أعتقد أن هذا صوت ذئب . لا بد أني لم أعد أسمع جيدا واستمر في التهام الاعشاب . غير مبال بالخطر .

ازداد الصوت وضوحا وقربا ولم يزل جدنا يواسي نفسه ويخدعها .

ـ ليس ذئبا . ليس هذا بصوت ذئب

وازداد الصوت المخيف اقترابا ، وظل جدنا الحمار على عناده .

كلا . . . . كلا . . . . . ليس هناك ذئاب في المنطقة . ثم رفع رأسه ونظر حوله فرأى على قمة

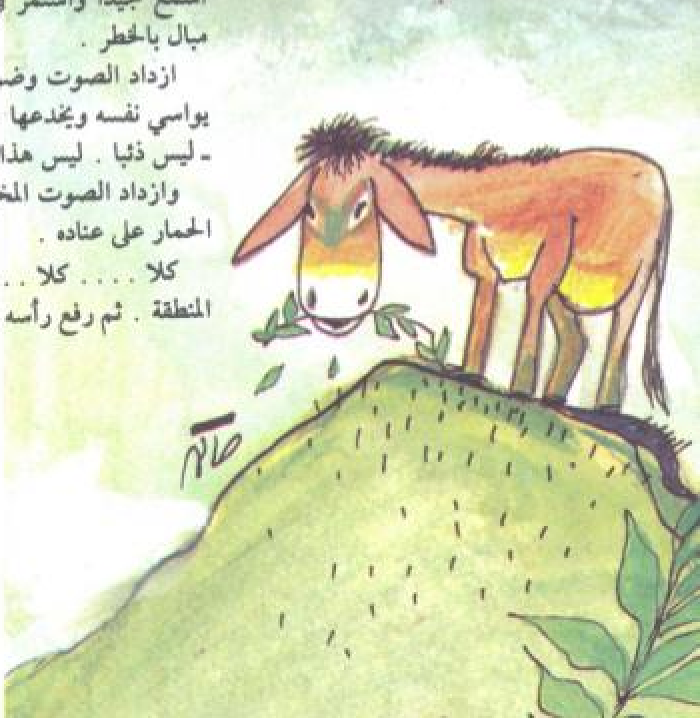

الجبل ذئبا قد بدا من وسط الضباب . شعر الحمار برعشة خوف تنتاب أوصاله ،

- آ . . . لا . . . . . . لا أعتقد ان ما أراه ذئب لا بد انه شيء آخر . . . .

وادخل رأسه بين الأعشاب مكملا :

- أعتقد أن ما اراه سراب . بل - بالتأكيد - هو سراب ليس الا . . . .

وبعد برهة من الزمن ، لمح ذئبا يعدو خلف الشجر ، فازداد خوفه ، لكنه استمر في خداع نفسه ،

- ليس ذئبا . أرجو الله ألا يكون ذئبا ، ولماذا يأتي الذئب الى هنا ؟

لا بد أني لم أعد أرى جيدا ، فظننت ظل الشجر ذئبا .

ازداد الذئب اقترابا ، ولم يبق بينهما سوى ثلاثة مئة الى أربع مئة خطوة حمار .

- العون ياربي . أحقيقة ان هذا القادم ذئب ؟ . . . . كلا يجب ألا يكون كذلك . . . . . العون ياربي ، لا تجعله ذئبا !

ولما لم يبق بينه وبين الذئب سوى خمسين خطوة ، عاد لمواساة نفسه قائلا :

- بمشيئة الله لن يكون ما أراه أمامي ذئبا . ولماذا يكون ذئبا ؟ قد يكون جملا أو ربما فيلا ، او اي شيء آخر .

او ربما ليس هناك شيء على الاطلاق . لقد بدأت أخلط بين الاشياء وارى كل شيء حولي على هيئة ذئب .

وعلى بعد خطوات قليلة بدا الذئب زاحفا نحوه

- أعرف تماما أن هذا القادم ليس ذئبا ، ولكن من المستحسن ان ابتعد عنه قليلا . . . . . .

مشى جدنا وهو ينظر خلفه ، فبدا له فم الذئب واللعاب يسيل منه . . فقال متضرعا :

- ياربي ! ياعظيم ! لا تجعل هذا القادم ذئبا ، فانت قادر على كل شيء . . . . . .

ازداد خوف الحمار فبدأ بالعدو قائلا :

- كم أنا غبي . . . أأخاف من قطة برية واهرب منها متوهما انها ذئب ؟

اندفع بكل قواه يركض وهو ينظر خلفه . رأى بريق عيني الذئب تتبعانه ، وأحس بنفس الذئب الساخن يلسع مؤخرته فواسى نفسه قائلا :

- ان هذا المخلوق الذي شعرت بنفسه يلسع مؤخرتي ليس ذئبا .

وحين أحس الحمار بأنف الذئب الرطب يلامس مؤخرته ، ازداد فزعه ، واستدار خلفه ليرى الذئب يتأهب للوثوب عليه ، فخارت قواه وسقط على الأرض من شدة الخوف ، وأغمض عينيه لكي لا يرى الذئب وتأتأ قائلا :

- بمشيئة الله لن يكون ذئبا .

أحس جدنا بمخالب الذئب تنغرز في فخذه فصاح

- أنا اعلم جيدا انك لست ذئبا . انا لا احب المزاح فدعني وشأني فانك تدغدغني .

أعمل الذئب الجائع انيابه نهشا في جسد جدنا ، فبدأت دماؤه تسيل بغزارة ، وانعقد لسانه من شدة الالم والخوف .

وأخذ بالصياح مستدركا :

- ها . . . هو ذئب . . . ها . . . . هو . . . .

أستمر بالأنين والصراخ ها . . . . . هو . . . .

ودوى نحيب جدنا الأليم في الوديان وسمعناه يصيح :

ها . . . هو . . . . ها . . . هو . . . . .

منذ ذلك اليوم وعلى أثر شدة حزننا وخوفنا نسينا نحن - معشر الحمير - لغتنا الجميلة ، واخذنا نردد مثل جدنا ها . . . هو . . . . . . ها . . . . هو .

ولو لم يحاول جدنا خداع نفسه حين شعر بالخطر لما سقط في براثن الذئب ، ولدامت لنا لغتنا الجميلة ! . □□

الصّيف .. والبحر

مياه زرقاء .. رمال ناعمة .. جليد في الصحراء

استطلاع : وفاء طه ناجي

تصوير : أوسكار متري

□ (للوهلة الاولى لا يصدق أحد ، انه في وسط الصحراء حيث الحرارة العالية التي لا يقل متوسطها عن ٥٠ درجة مئوية .. استطاع الانسان أن يوجد فرصا للاستمتاع والجمال) .

الناس هنا .. بينهم وبين البحر علاقة ارتباط .. من نوع فريد . ففي زمن ما ليس ببعيد .. كان البحر هو أحد أهم مصادر الرزق .. ان لم يكن أهمها على الاطلاق ... وفي زماننا هذا .. أصبح البحر .. هو الرئة التي تتنفس منها الكويت ـ جوهرة الخليج .

فالكويت كما يقول الجغرافيون (دولة بحرية) تمتد سواحلها على الخليج .. ويبدو أن هذا نوع من توازن الطبيعة .. فعندما أعطتها جوا حارا .. وأرضا صحراوية .. منحتها في نفس الوقت شريطا ساحليا يخفف من قسوة الطقس والمناخ .

ولأن صراع الانسان مع الطبيعة مستمر ودائم ، فقد خاض انسان الكويت رحلة طويلة لترويض الطبيعة والانتصار عليها والاستمتاع بها .

الحاجة أم الاختراع

تختلف المجتمعات وتتباين في طبيعة تركيبها وسكانها وأعمالهم . وفي الكويت تأتي ظاهرة

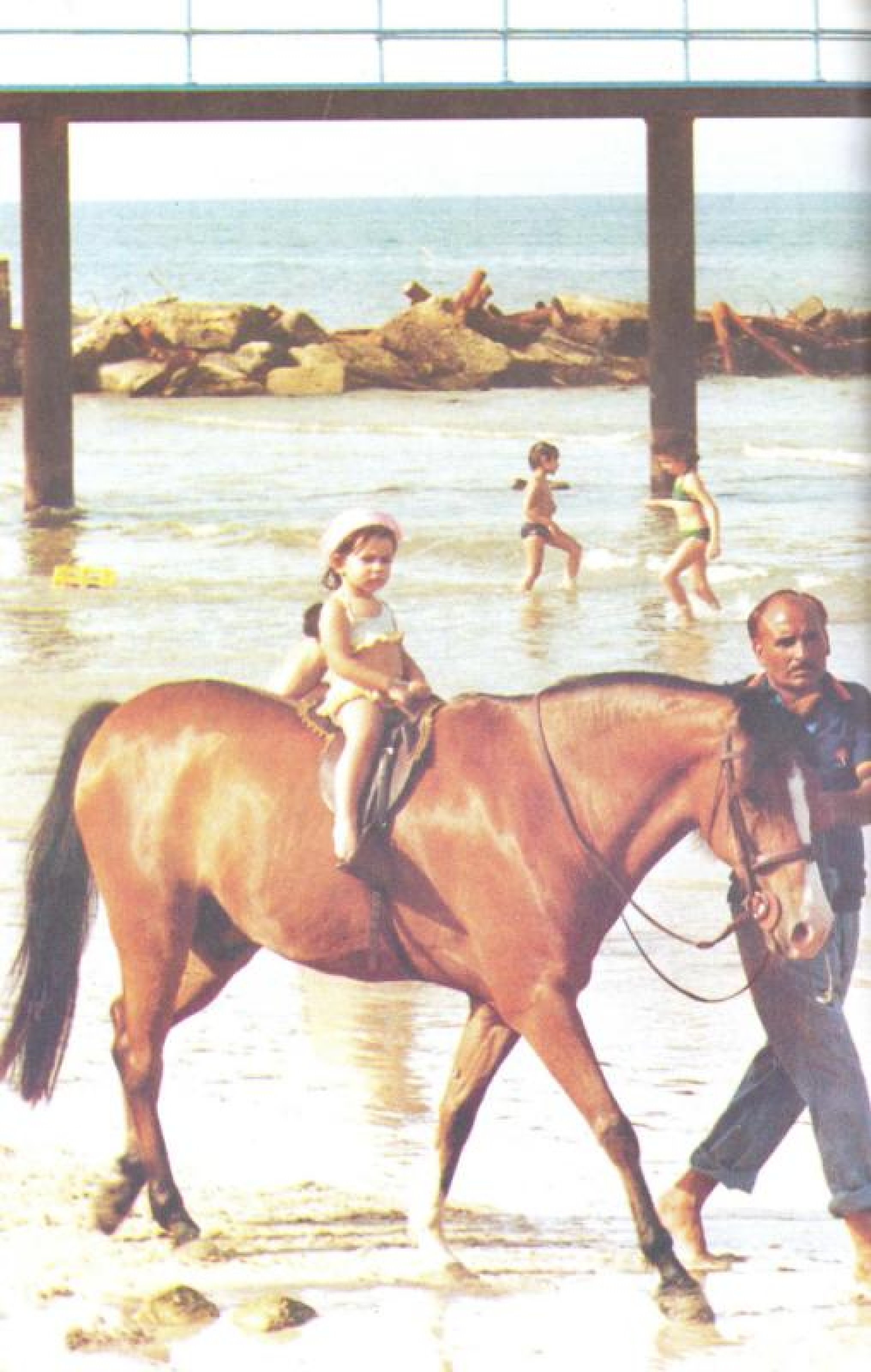

التمايز أكثر وضوحا . فالمجتمع في تركيبه خليط من المواطنين والوافدين عربا وجنسيات أخرى متعددة . . . والكل هنا يحكم وجوده فوق أرض الكويت قانون المنفعة المتبادلة . . الوافدون يعطون من قوة عملهم وخبرتهم مقابل أجور أفضل . . والكويت تستفيد من قوة العمل لدفع عجلة البناء . . وبالتالي فهي تحرص على تقديم خدمات أفضل .

وبحلول موسم الصيف تشهد الكويت حركة نزوح ضخمة ، سواء من الوافدين الذين يسافرون الى بلادهم لقضاء اجازاتهم ، أو من أهل البلد أنفسهم الذين يسافرون لقضاء فترة الصيف بعيدا عن شدة الحر وقسوة المناخ .

وسط هذا يبقى داخل الكويت عديد من الأسر والعائلات . . مواطنين ووافدين . . . يمضون الصيف فيها . . فماذا يفعلون ؟

هذه سياحة صيفية نحاول أن نكشف فيها بالكلمة والصورة . . كيف يستمتع الجميع بأيام الصيف القائظ .

الواجهة البحرية

مثل المستحيل . . كانت الخواطر البشرية التي تحولت الى حقيقة ملموسة ، فقد أصبح ممكنا أن تقضي يوما رائعا بصحبة عائلتك في واحد من الأماكن العديدة المنتشرة على ساحل الكويت .

ووراء هذه الأماكن التي تولد لديك احساسا بالمتعة والراحة والترفيه . وعلى مدى الأعوام القليلة الماضية شهدت الكويت حركة تشييد ضخمة على طول ساحلها ،

فانتشرت النوادي البحرية والمقاصف ، وتعددت المناطق المعدة لجلوس أفراد العائلة على شاطىء الخليج . . وفي خلال هذا كان يسير بخط متواز تنفيذ خطة لانجاز مشروع الواجهة البحرية ، الذي يضم مجمعا سياحيا هائلا متكامل الخدمات ، ووسائل الترفيه والتسلية المتعددة .

أين يذهب الناس ؟

أثمرت مشروعات التطوير المختلفة أماكن متعددة لقضاء الليل والنهار . فكما يقول وكيل وزارة الشئون المساعد لشئون الشباب . فان الدولة ترصد مبالغ كبيرة لانشاء الأندية البحرية ، ومراكز الشباب ، وحدائق الاطفال ، على أحدث النظم المعدة لذلك .

ففي الكويت خمسة أندية بحرية يستمتع أعضاؤها من الكبار والصغار بممارسة رياضاتهم المفضلة في ساحات الألعاب الواسعة ، والمشاركة في المسابقات والنشاطات الثقافية والاجتماعية ، وقضاء أحلى الأوقات في السباحة داخل أحواض ذات مواصفات أولمبية .

ويعنى المسئولون بالسباحة عناية خاصة لما لها من فوائد تعود على الفرد والمجتمع ، وأنشئت لهذا الغرض أحواض سباحة متطورة لكل أفراد العائلة . . في النوادي وعلى الشواطىء ، حيث البلاجات النموذجية في مختلف أنحاء الكويت .

ومنها ما هو مخصص للعائلات ، وما هو مخصص للرجال .

وفي أحواض السباحة الصغيرة يستمتع الأطفال بركوب القوارب الصغيرة . . وبممارسة ألعاب الماء الملونة . . والاستلقاء . . وبناء البيوت على الرمال الذهبية .

كذلك تفتح مراكز الشباب أبوابها لاستقبال الرواد طوال اليوم ، فيجدون فيها كل وسائل التسلية وتنمية المهارات والقدرات الخاصة . كما أنها تتيح للشباب المساهمة في خدمة البيئة والمحافظة على نظافة الشواطىء .

وفي حدائق الأطفال كما تقول (نوال الصلال) مراقبة الطفولة في وزارة الشئون الاجتماعية : يجد الصغار مجالا رائعا لاستثمار

مواهبهم ، وممارسة الالعاب المختلفة بين الأعشاب والزهور الملونة .

رحلات صيفية للعائلات

ليس هذا فقط هو المتاح أمام المواطنين المقيمين في الصيف ، فهناك الرحلات البحرية فوق مياه الخليج يتمتع بها الجميع ، وقد خصصت لهذا الغرض . ست بواخر تنقل المصطافين من المواطنين والمقيمين من ميناء رأس الأرض البحري الى اتجاهين ، الأول : ميناء الشويخ ، والثاني ، جزيرة فيلكا السياحية الشهيرة .

ويقضي الجميع وقتا ممتعا حيث حفلات الترفيه والخدمات النموذجية طوال الرحلة .

فاذا ما وصلنا الى جزيرة فيلكا حيث المياه أعمق زرقة . . . والرمل أكثر نعومة ، فهناك ما يقرب من ٥٠٠ شاليه تفتح أذرعها لاستقبال المواطنين طوال فصل الصيف . وكلها مجهزة تجهيزا كاملا ، ومعدة لاستقبال العائلة كلها .

حيث المطاعم . . ودور السينما . . والملاعب الواسعة . . وملاهي الاطفال . أقيمت جميعها على مساحة خمسة ملايين متر مربع .

وقريبا ينتهي العمل في مجمع خيران السياحي . . وهو بناء على أحدث طراز ، ويضم ١٤٨ شاليها و ٤٨ موتيلا ، كلها للعائلات .

جليد في الصحراء

ويعتبر انشاء صالتين للتزلج على الجليد في مناخ الكويت الصحراوي من الاعاجيب التي تحققت ، ولاقت اقبالا رائعا من المواطنين والوافدين والزوار .

فقد انشئت صالة للشباب على مساحة ١٨٠٠ متر مربع ، وتسع مدرجاتها ١٦٠٠ مشاهد ، وأخرى للفتيات مساحتها ١٢٠٠ متر مربع ، تستوعب ٥٦٠ مشاهدة . وتستهوي تلك الرياضة أعدادا كبيرة من الشباب والشابات .

وتقام على صالات التزلج مهرجانات سنوية للموسيقا وعروض أجنبية ومحلية للرقص .

وعندما يقبل الليل . . تبدو الكويت مثل عروس خليجية تزينها الأضواء اللامعة في كل مكان . . حيث السهرات الصيفية الجميلة على امتداد الساحل في الأندية والمقاهي الشعبية .

أبراج الكويت . . جمال بالنهار والليل

وتعتبر منطقة أبراج الكويت الثلاثة . . من أجمل المناطق السياحية ، فهي تتميز بموقع فريد على الخليج ، وتم تصميم بنائها على أحدث طراز للعمارة الفنية الجميلة .

فيستطيع الزائر . . خاصة في الليل أن يستمتع بقضاء وقت ممتع في قاعاتها الفسيحة ، والتمتع بالنظر الى الكويت في عرسها ، من خلال الكرة الكاشفة التي تطل على الساحل من ارتفاع ١٧٨ مترا وهو ارتفاع البرج الأول .

أما البرج الثاني فيبلغ ارتفاعه ١٤٧ مترا ، والثالث ١١٣ مترا . . كلها تذكرك بالطابع الشرقي العربي الأصيل .

ولان الكويت بلد متميز بموقعه الفريد على ساحل طويل ، فالدولة تحشد كل الطاقات للنهوض بمشروعات جديدة متطورة .

وليس عجيبا أن تولي الكويت البحر كل هذا الاهتمام ، فالعلاقة بينهما عميقة قديمة قدم عمريهما . . حيث ظلت مياه الخليج وأعمال الصيد لسنوات طويلة مصدرا للرزق والخير .

ويبقى البحر رمزا لتلك العلاقة الأصيلة بين الماضي والمستقبل . □□

«الشهاب» ودورها في نهضة الجزائر وأقطار المغرب الحديث

بقلم : الدكتور تركي رابح

□ « رغم كثرة الحديث عن دور المجلات العربية في حركة التنوير والاستفادة ، أو ما نسميه مجازا بعصر النهضة والاحياء العربي ، فان دور مجلة الشهاب في الجزائر يبقى مميزا وذا خصوصية شديدة ، لا تتوفر لغيرها من المجلات العربية على مدى المنطقة كلها » .

لعله يحسن بنا أن نلم بالظروف الموضوعية التي صدرت فيها الشهاب ، كما يتأكد لنا صدق هذا القول، فقد بدأ صدور الشهاب في عام ١٩٢٥ ، أي بعد مرور أكثر من ٩٠ عاما على الاحتلال الفرنسي للجزائر ، وسعى الادارة الفرنسية الحثيث الى فرنسة الجزائر في ظل المفهوم الاستعماري الفرنسي القائل بأن الجزائر جزء من فرنسا ، ويأتي صدورها في عام ١٩٢٥ بعد انتهاء الحرب العظمى الثانية بسبع سنوات ، واستقرار مبادىء مؤتمر الصلح في (فرساى) ١٩١٩ ، وبدء عصر التقسيم الاستعماري العالمي ، وسيطرة الحلفاء المنتصرين على خريطة العالم .

وسط هذا المناخ الذي لا يوحي بأي بادرة حركة ولا يأمل الانسان وسط هذا كله في أن يسمع صوتا يقول « لا » أو يتولى مهمة تنوير الشعب ، وسط هذا كله صدرت الشهاب .

الشهاب وابن باديس

« الشهاب » هي الجريدة الثانية التي أنشأها الشيخ عبد الحميد بن باديس (١٨٨٩ ـ ١٩٤٠) بعد اتجاهه الى « عالم الصحافة العظيم » حسب تعبيره .

وقد صدر العدد الأول منها بتاريخ ١٢ نوفمبر ١٩٢٥ ، في مدينة قسنطينة مسقط رأسه ، ومركز حركته الاصلاحية والتربوية (١٩١٣ ـ ١٩٤٠) والصحافية كجريدة اسبوعية ، وذلك بعد أن منعت فرنسا أول جريدة أصدرها ابن باديس بعد الحرب العالمية

الثانية ، وهي جريدة « المنتقد » لانها كانت حارة الاسلوب ، ملتهبة الوطنية ، شديدة الانتقاد لادارة الاحتلال وعملائها ، وصنائعها من بعض الجزائريين وغيرهم وذلك بعد ظهور ثمانية عشر عددا فقط منها . كانت كما يقول ابن باديس « في بنيان النهضة » « ثمانية عشر سندا » .

وقد جاء في افتتاحية العدد الاول من جريدة المنتقد التي كتبها ابن باديس تحت عنوان « مبادئنا » وغايتنا وشعارنا . . قوله : « بسم الله ، ثم باسم الحق والوطن ، ندخل عالم الصحافة العظيم ، شاعرين بعظمة المسؤلية التي نتحملها فيه ، مستسهلين كل صعب في سبيل الغاية التي نحن اليها ساعون ، والمبدأ الذي نحن عليه عاملون ، وها نحن نعرض على العموم مبادئنا التي عقدنا العزم على السير عليها لا مقصرين ، ولا متوانين ، راجين أن ندرك شيئا من الغاية التي نرمي اليها بعون الله ، ثم بجدنا وثباتنا ، واخلاصنا واعانة إخواننا الصادقين في خدمة الدين والوطن » .

ثم أوجز تلك المبادىء في ثلاثة أمور هى كما يلي :

١ ـ مبدؤنا السياسي .
٢ ـ مبدؤنا التهذيبي .
٣ ـ مبدؤنا الانتقادى .

وشرح كل مبدأ على حدة بالتفصيل .

برزت جريدة « المنتقد » تحمل هذا وتلفت الجزائريين المسلمين الى حقيقة وضعيتهم بين الأمم ، بأنهم أمة (شعب) لها قوميتها ، ولغتها ، ودينها ، وتاريخها . فهي بذلك أمة ـ تامة الأمية لا ينقصها شيء من مقومات الأمم .

مضت الجريدة على خطتها حتى سقطت في الميدان بقرار التعطيل ، بعد ما برز منها (١٨) ثمانية عشر عددا ، كانت في بنيان النهضة ثمانية عشر سندا .

ثم ينتقل الى الحديث عن صدور « الشهاب » فيقول : « صدرت جريدة « الشهاب » اثر تعطيل « المنتقد » على مبادئه وخطته ، فلاقت مالاقت في سبيلها من العناء والبلاء ، فثبتت ، وصبرت ، وصابرت ، وثابرت على العمل ، تشتد مرة ، وتلين أخرى » .

اذن فان جريدة « الشهاب » الاسبوعية تبنت نفس المبادىء التي كانت « المنتقد » تدافع عنها ، وتناضل من أجلها ، وهي المبادىء التي حددها ابن باديس في أول افتتاحية يكتبها في « المنتقد » .

من اسبوعية الى شهرية

وقد استمرت « الشهاب » في الصدور مرة كل أسبوع ، ثم تحولت الى مرة كل أسبوعين وذلك من عام ١٩٢٥ الى عام ١٩٢٧ ، حيث صدمتها في سنتها الرابعة أزمة مالية كادت أن تقضي عليها ، تحولت بعدها الى « مجلة » شهرية تبحث في كل ما من شأنه أن يرقى بالمسلم الجزائري ، وذلك ابتداء من شهر رمضان المعظم سنة ١٣٤٧ هـ ، الموافق أول فبراير سنة ١٩٢٧ .

يقول ابن باديس : في مقال آخر عن الضائقة المالية التي ألمت « بالشهاب » حتى أجبرتها على التحول الى « مجلة » شهرية ولقد غالبته الظروف (الشهاب) بما لها من قوة وسلطان ، ولقد قاومها بما له من حق وايمان ، ولو حاربته بغير سلاح المال ، لخرج كعادته غالبا منصورا ، ولو أراد الاستكثار من هذا السلاح من كل وجه ، لكان نصيبه منه نصيبا موفورا ، ولكنه عف ،

وتكرم ، فكانت الغلبة عليه » ثم يسجل مبدأه الذي سيسير عليه في « الشهاب » وغيره في الفقرة الحكيمة التالية : « تستطيع الظروف تكييفنا ، ولا تستطيع باذن الله اتلافنا » .

ولقد حملت « الشهاب » منذ عددها الأول ـ لواء الدفاع عن حقوق الشعب الجزائري المهضومة ، والشخصية الجزائرية التي تتكون في رأي ابن باديس من « الاسلام » و « العروبة » و « الجزائر » حيث كانت لاتتسامح مطلقا مع أي شخص كان يحاول المساس بها ، أو النيل من أحد أركانها ، كتب ابن باديس يعلق على مناقشة جرت بين بعض النواب الجزائريين ، والنواب الاوروبيين في مجلس النيابات المالية بعاصمة الجزائر سنة ١٩٣٧ ، اتهم فيها أحد النواب الاوروبيين مجلة « الشهاب » بأنها تمثل القومية الجزائرية ـ وكان يهدف من ذلك الى تحريض ادارة الاحتلال لكي تعمل على مصادرة الشهاب ،ومنع صدورها .

كتب يقول : « ان الشهاب معتز بخطته ، ثابت على مبادئه ، وهو يتشرف بأن يكون ممثلا للقومية الاسلامية الجزائرية » ثم يضيف ، وان هذه القومية الجزائرية التي لن تفني ولن تزول ، ليست بالحركة الهدامة ، ولاهي بالحركة المثيرة ، المهيجة، كلا ! بل انما . . هي حركة أمة تريد أن تحفظ نفسها وتصون ذكرى أسلافها ، وتحتفظ بمميزاتها ، وتراثها العتيق ، وتمد يد الصداقة والولاء ، والانعطاف ، والارتباط المتين لدولة الجمهورية ـ ان هي مدت لها يد الصداقة ، والولاء ، والانعطاف ، وعاملتها معاملة الصديق لصديقه ، أو الأخ لأخيه ، أو الوالد لابنه ، لامعاملة السيد لعبده ، أو المخدوم لمخدومه .

ثم يعلن بكل جرأة وقوة لذلك النائب الفرنسي الاستعماري وأمثاله . . « فان كانت لغيرنا كرامة ، فليعلم ذلك الغير أن لنا نحن أيضا كرامة ، نغار عليها ، وان كان لغيرنا شرف لايريد أن تمتد اليه يد ، فليعلم ذلك الغير ان لنا نحن أيضا شرفا رفيع العماد ، لانسمح بأن يدنسه أحد . . . »

بهذه القوة والصلابة ، وهذا الوضوح كانت « الشهاب » تدافع عن القومية الجزائرية ـ الاسلامية العربية ، والكرامة الوطنية في وجه كل من يحاول المساس بها أو التهجم عليها مهما كان مركزه .

استمر الشهاب يؤدي رسالته الوطنية ، والاسلامية ، والعربية بكل صدق وتفان واخلاص ، يشتد تارة ، ويلين تارة أخرى ، حسب مقتضيات الظروف الاستعمارية التي كانت ترزح تحتها الجزائر حتى عام ١٩٣٩ حيث توقف عن الصدور نهائيا قبل بداية الحرب العالمية الثانية بقليل ، بأمر من الوالي العام الفرنسي على الجزائر وكان عدد أغسطس ١٩٣٩ هو آخر عدد صدر منه

ولايمكن فهم الدور الكبير الذي لعبه « الشهاب » في النهضة العربية الحديثة ، سواء على المستوى الجزائري أو على مستوى المغرب العربي برمته ، الا اذا عرفنا طبيعة المناخ السياسي ، والاجتماعي ، والثقافي ، الذي كان سائدا في الجزائر عند نشأتها .

مقاومة الاستعمار الفرنسي

لقد ظهر « الشهاب » عقب نهاية الحرب العالمية الأولى بحوالي خمس سنوات ١٩٢٥ ونحن نعلم بأن فرنسا قد خرجت من الحرب المذكورة ظافرة منتصرة ، وأنها اقتسمت مع بريطانيا بلاد الهلال الخصيب . وهي سوريا ، وفلسطين ، والأردن ، والعراق ، ولبنان ، بحيث امتد اخطبوط الاستعمار الفرنسي من بلاد المغرب العربي وأقطار أفريقيا الغربية الى بلاد الشام وهي سوريا ولبنان .

وقبل بداية الحرب العالمية الأولى بسنوات قلائل ، كانت فرنسا قد نجحت في اخماد كافة

الثورات الجزائرية ، التي قامت ضدها هنا وهناك ، كما فرضت حمايتها على المغرب الأقصى سنة ١٩١٢ ، وبذلك أحكمت الطوق حول الجزائر من الشرق باحتلال تونس ١٨٨١ ، ثم من الغرب باحتلال المغرب الأقصى١٩١٢ .

وأكثر من ذلك كانت فرنسا قد فرضت التجنيد الاجباري على الجزائريين في الجيش الفرنسي في عام ١٩١٢ ، عندما بدأت نذر الحرب العالمية الاولى تلوح في الأفق ، حيث قادت عشرات الآلاف من الجزائريين في عام ١٩١٤ الى ساحات القتال في المانيا وايطاليا ، حيث مات الكثيرون منهم بدون ارادتهم في أوروبا . كما ساقت الكثيرين منهم الى حروبها الاخرى في جنوب شرق آسيا في الفيتنام وكمبوديا ولاوس وفي المشرق العربي في سوريا ، ولبنان .

الواقع ان الاستعمار الفرنسي بعد الحرب العالمية الأولى ـ وهي الفترة التي ظهر فيها الشهاب الى الوجود في سماء الجزائر بعد موت « جريدة المنتقد » التي لم تعمر طويلا . ـ كان قد بلغ الذروة في الجبروت والطغيان والعنفوان .

وكانت الجزائر في هذا الوقت تخضع لقوانين الانديجينا ـ (القوانين الخاصة بالسكان الوطنيين) الرهيبة . التي كانت تحصى على الجزائريين حتى أنفاسهم ، وتجعلهم عبيدا أذلاء في وطنهم . ولاتسمح لهم بأي نشاط فكري ، أو سياسي ، أو ثقافي ، مهما كان نوعه . كما تحظر عليهم حرية التنقل في بلادهم الا برخصة من حكام الأقاليم الجزائرية الفرنسيين .

وقد كانت الأحزاب السياسية والجمعيات والاجتماعات العامة محظورة على الجزائريين بمقتضى القوانين المذكورة .

هذا بالاضافة الى الامية التي كانت واسعة الانتشار بين مختلف طبقات الشعب ، نظرا لعدم وجود المدارس الكافية لتعليم أبناء الجزائر ، سواء باللغة العربية التي كانت مضطهدة اضطهادا عنيفا . أو باللغة الفرنسية حيث كانت نسبة التعليم بين أطفال الجزائر في المدارس التابعة لحكومة الاحتلال لاتتجاوز ٨٪ من عدد الأطفال الذين هم في سن الدراسة الابتدائية ، وتقل هذه النسبة بشكل واضح كلما ارتقينا في سلم الهرم التعليمي حتى الجامعة .

في مثل هذا المناخ الخانق ظهرت « جريدة المنتقد » للشيخ عبد الحميد بن باديس التي سرعان ماسقطت صريعة في الميدان ، بقرار اداري باغلاقها ، ثم أعقبتها جريدة « الشهاب » التي سارت في مثل هذه الاشواك القاتلة ، تلين تارة ، وتشتد تارة أخرى في القيام بواجبها الوطني كما يقول ابن باديس .

ومن هنا تظهر الأهمية التاريخية والاسلامية ، والعربية ، والوطنية « للشهاب » حيث تعتبر اليوم سجلا حافلا بكل هذه القيم الشامخة التي ناضلت من أجلها أقطار المغرب العربي الثلاثة نضالا صامدا فيما بين الحربين العالميتين ، وسجلتها « الشهاب » في صفحاتها بكل أمانة وصدق ، ووطنية ، وروح نضالية عالية . ويلخص الشيخ عبد الحميد بن باديس هذا الدور بقوله :

« وليس ماندعو اليه ، ونسير على مبادئه من الاصلاح بالامر الذي يخص المسلم الجزائري ولاينتفع به سواه ، كلا ! ، فان صحة العقيدة واستنارة الفكر وطهارة النفس وكمال الخلق واستقامة العمل . ـ وهذا هو الاصلاح كله ـ مما يشترك في الانتفاع به جميع المسلمين ، بل جميع بنى الانسان ، وانما نذكر المسلم الجزائري لانه هو الذي قدر أن يكون منا . ونكون منه كما يكون الجزء من كله والكل من جزئه ، فحاجته أشد وحقه أوجب . فكان المقصود بالقصد الأول على أنه لم يذكر لتخصيصه ، وانما ذكر ليشعر بنفسه ، فيعمل لاسلامه وجزائريته ، فيكون ذا قيمة ومنزلة في المجتمع . □□

رسالة القاهرة : من فاروق خورشيد

عام الإهتمام بالفولكلور

☐ تزايد الاهتمام هذا العام بالفولكلور والدراسات الشعبية تزايداً واضحاً ، ويبدو أن هذا الاهتمام سيظل في تصاعد الى نهاية هذا العام وأوائل العام القادم أيضاً .. اذ سيدخل الفولكلور ضمن احتفالات أكاديمية الفنون بالقاهرة بعيدها الفضي ، والتي ستقام في نوفمبر « تشرين ثان » وديسمبر « كانون أول » من هذا العام ، ويتضمن الاحتفال عروضاً تقدمها معاهد الأكاديمية المختلفة ، وهي معاهد المسرح ، والسينما ، والموسيقا العربية والكونسرفتوار ، والباليه .

ضمن احتفالات أكاديمية الفنون يعقد مؤتمر علمي بعنوان « الفنون والهوية » ويشارك المعهد العالي للفنون الشعبية التابع للأكاديمية بندوة خاصة عنوانها « الفولكلور والهوية » .. يدعو اليه عدداً من المتخصصين في الدراسات الفولكلورية في العالم العربي ، وبعض الفولكلوريين العالميين المهتمين بالفولكلور العربي .. وقد دعت أكاديمية الفنون عدداً من الفرق العربية الرسمية ، وخاصة في ميادين المسرح والموسيقا ، للاشتراك بعروضها في الاحتفال . وقسمت الأكاديمية موضوعات مؤتمرها العلمي الى وحدات دراسية رئيسية ، وهي مفهوم الهوية في الفنون ، وتعليم الفنون وأثره في تأكيد الهوية ، واللقاء الحضاري بين الشعوب وأثره في الفنون ..

السير الشعبية العربية

وفي نفس الوقت ستشترك أكاديمية الفنون ممثلة في المعهد العالي للفنون الشعبية ، في الندوة العالمية التي ستعقد في شهر يناير « كانون ثان » من عام ١٩٨٥ .. ، وهو المؤتمر الذي تقيمه جامعة القاهرة ، بالاشتراك مع الجمعية الدولية لدراسة حضارات البحر المتوسط ، ومقرها

الدكتورة ميشلين غالي

الدكتور عبد الحميد يونس

باريس ، والذي سيكون موضوعه « السير الشعبية العربية » . . ويتناول هذا المؤتمر قضية السير الشعبية ، رواية ودراسة ، واستلهاماً وانتشاراً . مع اتاحة الفرص أمام الدارسين المشاركين في المؤتمر ، للالتقاء مع البقية الباقية من رواة السير الشعبية في بيئاتهم ، والاستماع الى رواياتهم لها ، سواء منهم الشعراء ـ وهم رواة السير الهلالية ـ أو المحدثون ـ وهم رواة سيرة علي الزيبق وذات الهمة والظاهر بيبرس ـ أو العناترة ـ وهم رواة سيرة عنترة بن شداد ـ وقد وجهت الدعوة بالفعل الى عدد كبير من الباحثين المهتمين بالمأثورات الشعبية من كل بلاد العالم العربي ، كما وجهت الدعوة أيضاً الى بعض الباحثين العالميين المهتمين بالسير الشعبية العربية . .

وقد تم الاتفاق بين الدكتور أندريه ماندوز رئيس الجمعية الدولية لدراسة حضارات البحر المتوسط ، وهو أستاذ في السوربون ـ وبين جامعة القاهرة والأكاديمية ، على الموعد الذي سيعقد فيه المؤتمر . كما وصلت الى القاهرة الدكتورة ميشلين غالي السكرتير العام لهذه الجمعية للاعداد لهذا المؤتمر ، فعقدت اجتماعات مع الدكتور عبد الحميد يونس عميد الدارسين العرب للفن الشعبي ، ومقرر لجنة الفنون الشعبية بالمجلس الأعلى للثقافة ، والدكتورة نبيلة ابراهيم أستاذة الأدب الشعبي بجامعة القاهرة ، والدكتور أحمد مرسي عميد معهد الفنون الشعبية بأكاديمية الفنون والعديد من الدارسين للأدب الشعبي والمهتمين به ، وخاصة من لهم اهتمام بالسير الشعبية . والدكتورة ميشلين لها دراسات حول السيرة الهلالية .

جائزة اعادة صياغة السير الشعبية

والواقع أن اهتمامات الجامعات الاقليمية في مصر بالأدب الشعبي قد أخذ يتزايد هذا العام بشكل ملحوظ وواضح ، فقد منحت جامعة المنيا جائزة هذا العام لاستلهام السيرة الشعبية

بشكل عصري روائي . . وذلك في اطار مهرجان طه حسين الرابع ، الذي احتفلت به جامعة المنيا هذا العام ، وخصصته للرواية العربية ، وأعطت فيه جائزتها التقديرية للروائي الكبير نجيب محفوظ . . وهذه في الحقيقة لفتة هامة ، اذ هي ترتبط بين تحية الانتاج المعاصر ، وبين تحية محاولات استلهام التراث الشعبي ، أو بمعنى آخر تأكيد الأصالة . .

الفولكلور والمجتمع

ونظمت لجنة الفنون الشعبية بالمجلس الأعلى للثقافة حلقة بحث ، بعنوان « الفولكلور والمجتمع » بقاعة المركز المصري الدولي للزراعة ، وقد افتتحها الدكتور عبد الحميد يونس ـ رئيس الحلقة ـ بكلمة عن عضوية التلاحم بين الفولكلور والمجتمع ، فالفولكلور هو الناتج الثقافي لمجتمعه . ولا يمكن أن تتضح الرؤية الحقيقية لمكونات مجتمع ما ، ولأثر القوى الفاعلة فيه ، والمؤثرة في مساره ، الا بدراسة ابداعه الفولكلوري بشتى صوره القولية أو الحركية التشكيلية أو الحرفية أو الموسيقية . . ومن هذا المنطلق تقسمت جلسات الحلقة بعد افتتاحها ، الى جلسة حول الفولكلور ككلمة ومصطلح ، وجلسة عن الدراما الشعبية ، وجلسة عن الفن التشكيلي الشعبي ، وجلسة عن المشغولات الشعبية ، وجلسة عن الموسيقا الشعبية .

ورأس الجلسة الأولى الدكتور عبد الرزاق صدقي ـ رئيس جمعية الفنون الشعبية ـ وتحدث فيها الدكتور أحمد مرسي ملخصاً بحثه حول مفهوم الفولكلور ، وأثار في هذا التلخيص قضية المصطلحات المستعملة في مجالات الدراسات الفولكلورية ، وضرورة الاهتمام بتوحيد مضامينها ودلالاتها عند الدارسين العرب للفولكلور في كل الوطن العربي . . كما قدم

الدكتور أحمد مرسي

الأستاذ صلاح الراوي دراسة حول المأثورات الشعبية العربية (تكامل أم وحدة) . . اتجه فيه الى ضرورة القول بوحدة عناصر المأثورات الشعبية ، لأنها كما يقول الباحث (تمثل الرصيد العربي الممتد أفقياً على اتساع الأرض التي يعيشها ـ لا مجرد ـ يعيش عليها الشعب العربي . . وقد وقع هذا البحث في مأزق الايدلوجيات ، فقدم تفسيراً طبقياً لمعنى الشعب باعتباره الطبقة التي لا تملك أدوات الانتاج ، ومن ثم لا تملك الحكم في تحديد نمط الانتاج وعلاقاته ، وهي بالتالي تقع تحت سيطرة طبقة تملك مقدرات المجتمع الاقتصادية . . مما جعل البحث محاولة لاستغلال الفولكلور والاهتمام به استغلالاً سياسياً ، يدخله في معارك الطبقات ، وهو كلام مرفوض . . والرفض هنا ينبع من أن استخدام المصطلح قد تم بطريقة خاطئة لا تقوم على أساس علمي . . فلم يقل أحد أبداً ان مصطلح الفن الشعبي يعني منتوج طبقة معينة من الناس ، بالضرورة الطبقة الكادحة منه . .

وقد أثار هذا البحث جدلاً طويلاً بين المشاركين في الندوة ، وقد كان من المهم أن

يتضح تماماً مضمون كلمة الشعب في الاستعمال العلمي هنا في دائرة البحث الفولكلوري ، وقد حدد النقاش أن هذه الكلمة تطلق على شعب الأمة كلها ، بكل طبقاتها وأقسامها ، وأن المنتوج الشعبي لا تشارك في صنعه طبقة واحدة من أبناء الشعب ، وانما هو منتوج أبناء الشعب كله .. وبالنسبة للفولكلور العربي بالذات ـ وان كان الأمر أيضاً ينطبق على الفولكلور العالمي ككل ـ فان الموروث الفولكلوري القولي الذي وصل الينا ضم حكايات الأبطال من كل الطبقات ، فمن أبطاله الملوك والأمراء والتجار والكبار والصغار ، والحرفيون والزراع والفلاحون والجنود وعامة الناس من أصحاب كل ثقافة ومكانة صغرت أو كبرت في المجتمع العربي الذي حكت عنه .. كما أن القيم التي قدمتها هذه السير كانت قيم المساواة والعدالة والحب ، والموروث الشعبي الفولكلوري العربي يعكس بالدرجة الأولى القيم الاسلامية ، والا ما عاش في حضن الفكر الاسلامي ، وما بقي في ضمائر أبناء الشعوب الاسلامية المرتبطين بدينهم ارتباطاً عقائدياً واضحاً ومتوارثاً .. فكلمة الشعب هنا لا تعني الطبقة الكادحة وحدها ، اذ هي تعنيها ومعها كل طبقات الشعب الأخرى ..

وقد أثار البحث جدلاً مرة أخرى ، حين تعرض للمنتوج الثقافي للكادحين ، باعتباره انعكاساً للاحساس بالقهر والعبودية .. وكانت هذه المقولة مثار نقاش حاد . فاعتبار الفولكلور منتوج طبقة مقهورة ، مقولة لم توضع في اعتبار أحد من الدارسين .. اذ هي مقولة لا أساس لها ، فان ابداع الفنان الشعبي يعكس أنه يملك ارادته وحريته .. فلحظة الابداع لحظة تحرر كامل من كل أسر أو عبودية ، لأنها لحظة احتجاج صادق جريء ، واستشراف حقيقي عميق .. ان الفنان الشعبي ـ مثله مثل كل فنان مبدع ـ ينطلق من حاجة انسانية الى التعبير عن موقف وتجربة ، وهذا الانطلاق يعني ارادته الحرة ، ويعني حرية الاختيار والتعبير .. فالابداع عمل مرادف للحرية .. وأياً كانت القضية التي تثير الفنان للابداع ، وأياً كان الموقف الذي يأخذه العمل الابداعي .. فهما انعكاس لثقافة المبدع وموقفه الاجتماعي ، ولكنهما معاً يعنيان تحرره لحظة الابداع من أي عبودية أو عسف من أي نوع .. وحتى لو كان الفنان سجيناً ومقيدا ، فان لحظة ابداعه تخرج من نفس حطمت السجن ، ومزقت القيود ..

وعدم القدرة على فهم عملية الابداع الفني أوقعت الكثير من المنظرين ـ وخاصة من أصحاب النظريات السياسية الشمولية ـ في مأزق الخطأ الفادح ، الذي أخرج منهم نظريات نقدية معوقة للابداع الفني،وفاعلة في شله وابعاده عن رسالة الابداع الحقيقية .

وشملت هذه الجلسة أيضاً بحثاً عميق الرؤية ، عن رمز الحيوان في المعتقدات الشعبية ، للأستاذة سوسن عامر ، تحدثت فيه عن الطموطمية وجذورها وفلسفتها ، وصورها العالمية والعربية على السواء . كما تحدثت الدكتورة نبيلة ابراهيم عن موضوعات اجتماعية في أدبنا الشعبي . وشارك الأستاذ صفوت كمال ببحث قيم عن وحدة الأصول الفولكلورية في أدبنا الشعبي العربي .. أما الجلسة الثانية فقد قدمت فيها أبحاث عن المسرح الشعبي ، فتحدث الأستاذ حسن عطية عن المسرح الشعبي (المفهوم بين الموروث والمطلوب) وتحدث الأستاذ أمير سلامة عن الدراما والتراث الشعبي . كما تحدث الأستاذ صالح سعد عن مسرح السرادق .. وهي أبحاث اعتمدت في معظمها على صور المسرح الشعبي من المسرح المرتجل ، ومسرح السرادق وخيال الظل وصندوق الدنيا ، بادئة من لحظة ظهور هذه الصور المسرحية في حياتنا العربية .. وكانت الجلسة الثالثة مخصصة للفن التشكيلي الشعبي ، فتحدث فيها الأستاذ محمود النبوي الشال عن مستقبل الفن التشكيلي في مجتمع متغير ، مؤكدا

أن التغير في الفن يحتاج بالضرورة الى عودة الى قاع الزمن البعيد ، الى الجذور من الموروث الشعبي الفني ، فاحترام التراث مدد دائم ، وذخيرة لا تنفد للفنان الشعبي في تطويره لانتاجه عبر الزمن . . وتحدث الأستاذ سيد زيان عن كيفية اثراء الفن الشعبي التشكيلي ، وهو بحث في العمل الميداني في كيفية استلهام التراث الشعبي من ناحية ، ورعاية الفنانين الشعبيين التلقائيين من ناحية أخرى . وكانت الدراسة الثالثة في هذه الجلسة عن العلاقة بين التصميمات الزخرفية للمشربيات المخروطة وبين وظائفها الاجتماعية والبيئة الاقتصادية ، كنموذج من الفن الاسلامي للأستاذ مصطفى الرزاز . . وقد خصصت الجلسة الرابعة للمشغولات أيضاً ، فتحدثت الدكتورة آمال حمدي عن مشغولات الحصير والسلال في صعيد مصر والنوبة ، وتحدث الأستاذ علي زين العابدين عن الحلي النوبية والعادات المميزة للتزين بها . وهي كلها أبحاث ميدانية تضيف رؤى جديدة لجوانب من الموروث الشعبي العملي ، أو النفع الجمالي كما يسميه الفولكلوريون . . وخصصت الجلسة الخامسة للموسيقا الشعبية . . فقدم الأستاذ فرج العنتري بحثاً عن جذور الموسيقا الشعبية في التيار القومي للتأليف ، معمقاً بدايات دخول الموروث الشعبي الى سيمفونية بيتهوفن الثالثة أيام الثورة الفرنسية ، حيث استمد التأليف الموسيقي عناصره من مأثورات الفلاحين وأصحاب الحرف التي كونت مع الزمن ثروة ضخمة من ألوان التعبير ، الى أن ظهر التيار القومي الثوري ، فأصبحت عناصر رئيسية في التأليف الموسيقي ، ويتحدث البحث عن دور سيد درويش في الارتباط بهذا الموروث الشعبي ، مع اندلاع الحس الوطني الثوري في ثورة ١٩١٩ . وتحدث الأستاذ محمد عمران عن خصائص موسيقا الأطفال حيث قسمها الى قسمين ، قسم يؤدى للأطفال ـ وعادة ما تؤديه الأمهات في المناسبات كالسبوع والطهور وغيرها ، أو في تهنين الأطفال وتنويمهم ـ والقسم الآخر يؤديه الأطفال أنفسهم ، وغالباً ما ترتبط أغانيهم باللعب ، والبحث مزود بالأمثلة الكلامية والنوت الموسيقية المصاحبة لها . . وكان آخر حديث في هذه الجلسة عن الزار والسيكودراما الشعبية للأستاذ عادل العليمي . والسيكودراما رغم استعمالها كمصطلح في عالم المسرح . . فهي اصطلاح أطلقه علماء العلاج النفسي كشكل من أشكال العلاج الجمعي . مصمم من أجل علاج المريض ، بحيث تتاح له فرصة أكبر للتعبير عن ذاته ، لكشف المواقف التي سببت له المرض بشكل تلقائي . . وقد استعمل المسرحيون المصطلح للدلالة على نوع من الدراما ، يركز على تعبير الفرد عن ظاهرة نفسية لها جذورها ، وان توسع في الاستعمال للمصطلح بعد هذا توسعاً كبيراً . الا أن البحث يركز على الزار باعتباره ظاهرة سيكودرامية ، عرفها الموروث الشعبي العربي من قديم ، واستخدمها في العلاج النفسي للحالات المرضية ، في اطار احتفالي جمعي يضم الطقوس والحوار والأداء الموسيقي الراقص الغنائي معاً . .

عام الفن الشعبي

وحق لنا بهذا أن نقول بأن هذا العام كان عام الفن الشعبي ، بما حفل به من اهتمامات وندوات ومؤتمرات واحتفالات . . وهو اتجاه جديد في دنيا الدراسات العربية ، اذ هو يعني الاتجاه الجاد الى البحث عن الجذور التراثية الشعبية لانساننا العربي اليوم ، والاتجاه الجاد للبحث عن الأواصر الحقيقية التي تربط الانسان العربي في كل مكان ، وتكون له وجوده المتجدد الدائم المرتبط بجذوره الشعبية ، وتكوينه الشعبي عبر العصور ، وتكامله الشعبي اليوم . . ككائن لشعب أصيل عريق واحد. □□

الحياة الاوروبية في تخطيط ساخر ....!

أوروبا وعصر الفراغ

بقلم : جليل العطية

□ طوال العشرين عاما .. يواصل الطلبة والشباب في كل من فرنسا وألمانيا اعلان سخطهم وثورتهم على واقعهم .. ويؤكد الفلاسفة الجدد أن المواطن الأوروبي يعيش اليوم .. عصر الفراغ .. والهزيمة ..

أحدثت « الحركة الطلابية » شرخا عميقا في المجتمعات الأوروبية ومنذ بداية الوقت ـ عام ١٩٦٨ وتيار الكتب النقدية لم ينقطع في : نقد هذه المجتمعات والحياة الغربية المعاصرة عبر منظور ثقافي ، أو في نقد الثقافة نفسها بواسطة فكر ثقافي جديد يكوّن نفسه في ظل مجتمع متمزق ، مأزوم ، يحاول أن يفلت من نطاق الأزمة .

وقد أخذت هذه الأفكار والتيارات الجديدة أهمية خاصة في الدراسات والبحوث الجامعية ، فبعد التأكيد على أن الفارق الأساسي بين الأيديولوجيات المعاصرة هو اهتمام البعض منها بمصير أنظمة الغرب ، فقد اهتم البعض الآخر بتحليل بنية الشعوب .

برز تيار : الفلاسفة الجدد ، وقد قاده عدد من المفكرين الساخطين ألمعهم : هنري ليفي ، أندريه كلكسمان ، ليبوفتسكي وغيرهم .

لقد أعلن هؤلاء « الشباب » انسلاخهم عن كل الاتجاهات السابقة ، وصاغوا فكرا جديدا يخدم المتطلبات الجديدة للانسان الأوروبي المعاصر ، وباختصار هشموا « الأيديولوجيات » والفلسفات الكلاسيكية ، وكثفوا دراساتهم الخاصة بالانسان كقيمة مستقلة .

وراحت معاولهم تعرّي « البنية الاستهلاكية الصاعدة » و « نظم التعليم » و « البنية الاقتصادية للمجتمع » .

ولم يكتف « الفلاسفة الجدد » بهذا بل عمدوا الى تشريح الفرد الاوروبي فاكتشفوا أن : النرجسية هي أخطر مرض يحمله المجتمع الحالي ، مجتمع ما بعد الحداثة !

وأن المواطن الأوروبي يعيش اليوم : عصر الفراغ ، بل عصر الهزيمة !

يقف « أندريه كلكسمان » في طليعة هؤلاء الغاضبين ، وتحظى كتاباته باهتمام واسع في أوساط المثقفين .

عالج « كلكسمان » في كتابه الأخير « قوة التيه » : مشكلة الحرب واحتمال اندلاع حرب كونية ثالثة تسحق البناء الحضاري للانسان .

يرى « كلكسمان » أن الصواريخ النووية لا تخلق الرعب ، بل الرعب هو الذي يخلق الصواريخ النووية ، فالصواريخ يمكن أن تسقط في أي وقت لأن الوضع العالمي يوحي بالانفجار حتى لو وقعت قشة ما ، والتصادم سيحدث ، بل ان عدم حدوثه انتظار غير مؤكد .

إن « كلكسمان » يتجاوز المعطيات المباشرة ، فالحرب في مقوماتها المادية الماثلة أمامنا هي حضور دائم وقابل للانفجار ، هذا هو الصحو الذي علينا ان نعيشه .

ان المسألة تتجاوز في رأيه حدودها الايديولوجية عند المعسكرين : الشرقي والغربي : انها ستحتم الدمار نفسه ، فالموقف المطلوب هو : مواجهة هذا التسلح النووي المتحفز للانفجار .

أثار هذا الموقف المتشائم الكثير من النقد ، خاصة من علماء الاستراتيجية الذين لا يفهمون الاجراءات العسكرية العالمية إلا عبر منظور الموازنة الدولية أو معادلة التسلح .

وتلقى الشباب الأوروبي الكتاب بكثير من التأييد ، ولا عجب في ذلك فالجيل الجديد خائف من انفجار نووي تكون أوروبا مسرحا له .

ومن الدراسات الجادة في معالجة أزمة الفرد الأوروبي كتابان نقديان صدرا حديثا هما : « عصر الفراغ » للفيلسوف جيل ليبوفتسكي ، « وبحث في الفردية » لعالم الاجتماع لويس دومو ـ وهو فيلسوف أيضا .

الكتابان اذن دراستان فلسفيتان ، فالفلسفة هي التي تأخذ المبادرة النقدية ، على الرغم من أنها لم تنج من مطرقة الموجة النقدية في السابق ، ولكنها تنجح الآن في تقديم الأسس الجوهرية للأزمة ، وهي الوحيدة القادرة « في امكاناتها غير المستنفذة » على احتواء مسائل الاغتراب والفردية ضمن مفاهيمها الشمولية .

ويرى الفيلسوف « جون بوليارد » أن غياب الترابط الاجتماعي بين أفراد المجتمع الاوروبي قد يقود الى كارثة ، وان تنمية « الروابط الاجتماعية » أصبحت ضرورة ملحة .

أما « ليبوفتسكي » فيذهب الى أبعد من ذلك عندما يصف المجتمع الحديث بكلمة واحدة هي : النرجسية !

فالعزلة التي يعانيها الفرد وإنعدام الفرص الاجتماعية للتعامل بشخصيته أو أحاسيسه وعواطفه الحقيقية ، تجعله ينسج حول كيانه الخاص خيوط عالمه الشخصي في عبادة نفسه .

هذه « النرجسية » لن تكون غير مرحلة أولى من التطور والتقدم الفردي العام للفرد باتجاه نفسه !

ان جوهر المسألة يكمن في « اللامبالاة العامة » التي تستحوذ على كل المجتمع الغربي ، وهي قبل كل شيء « ابتعاد عن عامة الناس » فالشخصية التقليدية التي تنتمي الى العقد الأول من القرن العشرين ، أو الفرد الذي عاش فترة ما بين الحربين في أوروبا يجد نوعا من الخلاص في العالم الخارجي .

ان نزعة « اللامبالاة » الراهنة هي هروب من المجتمع وخروج على كل تقاليده وقيمه الموروثة ، وانتشار المخدرات في المجتمعات الاوروبية من شواهد هذه النزعة الشاذة .

العدوانية ورفض المجتمع

ومن الطبيعي أن تصاحب نزعة « اللامبالاة » نزعة أخرى معادية للمجتمع « تعبّر عن نفسها عن طريق ممارسة العنف ، ويأخذ العنف أشكالا متعددة ، ولكنه يطرح المشكلة

الاجتماعية نفسها . .

فهو عنف « اللامبالاة » ورفض المجتمع فيكون بذلك سياسيا وارهابيا مثل جماعة « العمل المباشر » في فرنسا و « الألوية » في ايطاليا .

هذه الظاهرة تهدم أوروبا اليوم وتستنزف الكثير من طاقاتها .

ان الأزمات آخذة بالتصاعد في مجتمع « الرأسمالية الليبرالية » . . كما يدعوه ليبوفتسكي ، فبتطور « الذاتية الفردية » عبر ظرف تاريخي سياسي ثقافي تتولد « النرجسية المعاصرة » . .

وهكذا تتعمق الهوة بين الفرد والمجتمع ، وتنشأ جدران وأطواق يبنيها الفرد حول نفسه ، وتقوم علاقة جديدة في التعامل بين الفرد والمجتمع هي « العدوانية » .

فالنرجسية في تضخمها الطردي تصبح غير مدركة لما يحيط بها من أنماط ذاتية . فالفردية النرجسية ، لا تعي مجتمعها كوجود موضوعي منفصل عنها ، بل كموضوع يجسد وجودها ويعترف بنرجسيتها ويمنحها الشرعية ، وبما أن تحقيق مثل هذا الهدف الذاتي يصبح مستحيلا في مجتمع يقوم على الفردية ، فالنرجسية هنا تؤكد خطأ آخر من التعامل مع الآخرين ، أي الجماعة التي لا تعترف بها . . إنها ترد على هذا التجاهل بسلوكية عدوانية متحفزة !

الفرد يحاول ان يؤكد وجوده بالنسبة لنفسه وبنفس المستوى يؤكده في المجتمع الذي يتجاهله وهذاهو الوجود الضائع في المحيط الاجتماعي.

لذلك يصبح الحس العدواني المحور الذي يوجه سلوكه كله ، وبهذه « العدوانيات الفردية المتعددة » ، نجد أن هناك نمطا جديدا يأخذ بالنشوء هو سلوكية عدوانية عامة لمجتمع كامل ، فتغدو العدوانية السمة الرئيسية التي يفرزها المجتمع الاوروبي المعاصر .

ونقطة الانطلاق للكتاب : تحليل الظواهر الملموسة ، داخل الجذور التاريخية لظواهر الأزمة الحالية . ثم يبنى عليها نتائج مستقبلية آتية بشكل ما . ومن ناحية اخرى يحلل المؤلف ما يسميه بظهور « المجتمع المرح » وهو يمثل نوعا من التلاشي في الانسجام الداخلي للمجتمع . . فالجميع يسخر من الجميع ومن كل شيء !

فالمجتمع يفقد الثقة بتقاليده وقيمه دون انتاج قيم جديدة ، فيبتعد عن تراثه وواقعه دون التعلق بما يعوض ذلك التراث ، أو البحث عنه أو التفكير فيه .

ان النشاط الفكري يتلاشى إلى موضوعات التسلية (التلفزيون - السينما - المسرح) الى درجة أن الثقافة تصبح نقيضا مزعجا للتسلية والمرح بالنسبة للأجيال الجديدة .

فكرة الفردية

أما كتاب لويس دومو : « بحث في الفردية » ، فانه يتتبع الجذور الأولى للأيديولوجيات التي اتخذت من الفرد محورا لها في العالم الغربي ، ويدرس الظرف التاريخي الذي ساعد على تطور هذه المعتقدات والعوامل الاقتصادية والاجتماعية المساعدة لها ، وكذلك الأنظمة السياسية الليبرالية التي قامت باحتضانها وتغذيتها من خلال ايجاد جانب يتطلب مثل هذه « الأيديولوجيات الفردية » فيتعمق المؤلف في دراسة الجذور الأولى للعنصر الفردي في الأدب ، والمجتمعات الكلاسيكية الاوروبية ، ويعتبرها ممثلة للفردية في كل صورها الا أنها لم تكن بعد قد تحولت الى نظام فكري متكامل أو حركة لها مواصفاتها ، كما تتجلى في الوقت الحاضر .

كتاب « دومو » هو متمم لكتاب « ليبوفتسكي » الذي يتناول الفردية كأزمة حضارية تعيشها المجتمعات الغربية حاليا .

ومجمل القول أن مفكري الغرب شخصوا مآخذ مجتمعاتهم وشعوبهم ، غير أنهم لم يطرحوا البديل لمحنة الانسان المعاصر ! □□

طبيب الأسرة

الثلاسيميا Thalassemia

مرض ولدي الصغير ، وأصبح بطنه منتفخا ولونه شاحبا وجسمه ضعيفا ، وبالفحص الطبي تأكد تضخم طحاله مع فقر شديد في دمه .

لقد شخص الأطباء مرض طفلي على أنه (الثلاسيميا ـ ماجر) أرجو تعريفي بهذا المرض وعلاماته الدقيقة ، وهل هناك أمراض مشابهة يمكن أن تختلط على الطبيب ؟

ق . ن

حلب ـ سوريا

ان كلمة الثلاسيميا جاءت من اليونانية القديمة حيث إن كلمة ثالاسا Thalassa تعني البحر الأبيض المتوسط ، وكلمة أنيميا Anemia تعني فقر الدم وعلى هذا يعرّب اسم المرض الى فقر دم البحر الأبيض المتوسط ، وقد سمي بهذا الاسم حيث قيل انه شائع بين السكان القاطنين حول حوض البحر المتوسط ، وان كنا نجده اليوم في أمريكا واستراليا وبقية أنحاء العالم نظرا لسهولة الترحال والهجرة واختلاط الشعوب .

ان سبب المرض هو عيب وراثي ينتقل من الآباء الى الأبناء ويمثل عجزا في انتاج خضاب الدم (الهيمو جلوبين) على صورة تامة متكاملة .

هناك صورتان متميزتان من مرض الثلاسيميا هما : الثلاسيميا الكبرى والثلاسيميا الصغرى ، أما الأشكال الأخرى فلا وجود لها بين الأطفال ، لأنها تؤدي الى الاجهاض في المراحل الاولى من الحمل .

والثلاسيميا الكبرى هي المرض المقصود ، حيث هي الأخطر ، اذا ماقورنت بالثلاسيميا الصغرى التي لاتهدد حياة صاحبها ، ولعل أول من وصف هذا المرض وفصل فيه هما الطبيبان الاميركيان الدكتور كولي Cooley والدكتور لي Lee لهذا شاع اسم انيميا كولي بديلا لاسم ثلاسيميا .

ان اهم مايميز هذا المرض من معالم عن غيره من أمراض شبيهة هو : ـ

فقر دم شديد يبدو معه الوجه كالحا ، والجسم ضعيفا ، وعضلات الطفل قد أصابها الوهن والهزال .

ويصاب الطفل باليرقان واصفرار الجلد ، كما يبدو البطن منتفخا نتيجا تضخم الطحال والكبد بدرجة كبيرة .

ونتيجة خلل في نخاع العظام يكتسب وجه الطفل ملامح الطفل المنغولي المستدير ، ذي العيون المنحرفة ، ومع تحليل الدم تبدو كرات الدم الحمراء صغيرة الحجم باهتة اللون ، كما يزيد عدد خلايا الدم البيضاء زيادة واضحة .

ان تكسر كرات الدم الحمراء الهشة ، وانطلاق الهيموجلوبين ، يؤدي الى ترسب الحديد ، وخاصة في عضلة القلب ، التي تتضخم نتيجة لفقر الدم ، فينتهي الأمر الى هبوط القلب ، وربما كان هذا هو السبب الأهم في وفاة الطفل المصاب ، وعليه فان العلاج لمرض الثلاسيميا يعتمد على : -

١ - ازالة الطحال جراحياً اذا كانت تساعد على تكسر كرات الدم .

٢ - اعطاء الطفل اقراص حامض الفوليك ، على أمل الاقلال من عملية خزن الحديد في العضلات .

٣ - عمليات نقل الدم لتعويض الطفل مايفقده من دم مع تكسر الكريات الحمراء

ان الأمراض المشابهة لهذا المرض عديدة ، واكثر من أن تحصى في هذه العجالة ، ولكن الأمر لايخفي على الطبيب المختص ، كما يكشفه التحليل المخبري بسهولة .

عصاب الوسواس القهري
Compulsive Obsessional Neurosis

مع تحياتي وتقديري واعجابي بمجلتكم الغراء فاني آمل أن أجد جوابا لتساؤلي عن مرض (عصاب الوسواس القهري) . . وماهي العقاقير الشافية وطرق العلاج الأخرى ؟

أحمد منصور علي
طالب بكلية الطب / مصر

العصاب هو المرض النفسي الذي لايصاحبه تلف عضوي في المخ ، أو اختلال وظيفي فيه ، مما يدعي بالذهان أو المرض العقلي .

والوسواس هو من أمراض العصاب الذي يكون فيه المريض تحت سيطرة فكرة تلازمه ولاتفارقه ، بشكل غير عادي ، وتتردد عليه بصورة مبالغ فيها ، أو ربما تتولد رغبة في القيام بعمل مابصورة غير طبيعية ، لاتتفق مع المنطق المقبول ولا العرف السائد ، والمريض في هذا مدرك لحاله ، ولكنه لايستطيع مقاومة الفكرة الملحة ، أو الفكاك من اسار العادة الملازمة ، لهذا اسمى المرض باسم عصاب الوسواس القهري .

ومن الأمثلة العديدة والشائعة ، ذلك المريض الذي يتوهم ملاحقة أعداء معينين يكيدون له ويتربصون به ، أو ربما يتوهم مراقبة الشرطة ومتابعتهم . لحركاته وسكناته .

ومن الأمثلة الشائعة ، ذلك الفريق من الناس الذين يسرفون في الحرص على النظافة وغسل الأيدي ، بمناسبة وغير مناسبة ، بحجة التلوث ، فاذا سلم على أحد غسل يديه عقبها ، ولايعد نقودا الا توجه الى صنبور الماء والصابون لتعقيم يديه .

بعض الأفكار قد تكون على شكل يناهض تقاليد المجتمع ، لهذا يصبح المريض في حرج كبير ، ولعل أشهر هذه الوساوس القهرية هي السرقة القسرية ، حيث يجد المريض نفسه مدفوعا الى السرقة ضد رغبته بالرغم من مركزه الاجتماعي والمالي .

هناك شخصيات وسواسة ، تتميز بالحيطة والحذر الزائد ، والتزام عادات محكمة لامنطق فيها ، مثال على ذلك من يلتزم بالنظام والنظافة بصورة زائدة عن الحد المقبول ، كما أن هناك من

طبيب الأسرة

يوالي التأكد من أفعاله ، مثل الذي يعد النقود مرارا وتكرارا أو يوالي مراجعة احكام قفل الأبواب والنوافذ .

بعض هذه الشخصيات الوسواسة قد تهتم مثلا بالالتزام بلبس الحذاء الأيمن قبل الأيسر ، أو ترتيب الأشياء بصورة معينة يتشاءم لو تبدلت وتغيرت .

هناك جدل بين المختصين حول سبب الوسواس القهري ، فمنهم من ينظر لنظرية فرويد التي تعزو الوسواس الى تجربة جنسية فاشلة في فترة الطفولة .

كما أن هناك فريقا آخر يرى أن الوسواس يعود الى قلق ناجم عن الصراعات النفسية التي تنتاب الفرد ، فتبرز على صورة الوسواس القهري .

هناك استعداد لدى كثير من المرضى أن يسيروا نحو الشفاء تلقائيا ، ولكن الأمر قد يطول ، لهذا لابد من مراجعة ومعونة الطبيب النفسي الذي يعتمد على طمأنة المريض واعادة تأهيله ، بالاضافة الى بعض العقاقير المهدئة للنفس ، والتي تكبت القلق ، أما اذا صاحب الوسواس بعض أشكال الاكتئاب فهنا لابد من علاج الاكتئاب حتى لايتحول الأمر من مرض نفسي الى مرض عقلي يصعب علاجه .

الغدة النخامية Pituitary Gland

أسمع عن غدة يدعونها النخامية ، فما هي هذه الغدة ولماذا سموها بهذا الاسم ؟

س . صالح
صنعاء ـ اليمن

الغدة النخامية هي احدى مجموعة الغدد الصم التي اكتسبت هذا الاسم ، نظرا لأن افرازاتها تسري في الدم مباشرة ، دون وجود قنوات تنقلها ، مقارنة بالغدد الأخرى ذات القنوات ، وافرازات هذه الغدد الصم تسمى بالهرمونات ، ومعناها الرسول لأنها تنقل الاشارات التي تتحكم في توازن الجسم الفسيولوجي .

ان الغدة النخامية تقع في موقع القيادة من هذه الغدد الصم ، بالرغم من أنها الأصغر فيها ، إذ لا يزيد وزنها عن نصف جرام فقط ، افرازاتها متخصصة في التحكم في نشاط الغدد الصم الأخرى ، لتحفظ التوازن فيما بينها .

ان اسم النخامية يعزى الى عالم التشريح المشهور فيزاليوس Vesalius البلجكي عام ١٥٤٣ الذي وصفها ، وظن أن وظيفتها هي افراز الأفكار السوداء على هيئة مخاط من الأنف ، ولهذا نصح باستعمال الشوق لتصفية المخ ، وعلاجا للأفكار السوداء .

ان الغدة النخامية تقع في موقع يدعى السرج التركي Sella turica يتصل بقاعدة المخ فوق موقع الأنف ، وهي في شكل حبة الحمص الصغيرة وتتكون من فصين أحدهما أمامي غددي ، مهمته افراز العديد من الهرمونات المنشطة للغدة الدرقية والغدة الجنسية والغدة فوق الكلوية ، بالاضافة الى هرمون النمو والهرمون المدر للحليب وهرمون الميلانين الملون للجلد .

أما الفص الخلفي فهو عصبي يرتبط بالمخ ، ويفرز هرمونين فقط ، أحدهما خاص بانقباض الرحم ، والثاني يتحكم في افراز البول ، ونقصه يؤدي الى مرض يدعى السكري الكاذب ، نظرا لافراط المريض في التبول .

حول كتاب (من البيت الى القصيدة)

للدكتور عبد العزيز المقالح

دراسة في : شعر اليمن الجديد

بقلم : عبد الرزاق البصير

ذهبت الاجتهادات في بروز الشعر الحديث منذ أربعين سنة تقريبا مذاهب شتى .

وقد اجتهد الدكتور عبد العزيز المقالح اجتهادا في هذا المجال ، وجعل جل تركيزه على موجة هذا الشعر في اليمن .

واجتهاده هذا خضع للعرض والمناقشة .

أدب كل أمة نابع من طبيعتها الخاصة :

عندما نتأمل ما ترجم من مختلف اللغات الى اللغة العربية أيام سيادة الامة العربية الاسلامية ، نجد المترجمين اقتصروا على نقل العلوم والفلسفة مبتعدين عن الفن الأدبي ، لان تذوق الفن الأدبي يحتاج الى معايشة حياة أهله ، لذلك نجد الترجمة في هذا العصر شملت الفنون الأدبية ، لان العلم قصر المسافات فصارت الرحلة من البلاد العربية الى الغرب ومن الغرب الى بلادنا سهلة ميسورة ، بالاضافة الى تبادل البعثات العلمية أو التعليمية والتجارية الواسعة . لهذا أصبحنا قادرين على تذوق الفنون الادبية ، أو قل أصبحنا قادرين على تذوق الكثير منها ، ولكن الادباء أو قل فئة من الادباء رأت أن تقلد شعراء الغرب في نسقها محتجين بالتغيير الذي طرأ على جميع جوانب حياتنا ، وهو أمر يكون حجة فيها كثير من القوة ، الا أن المسألة تجاوزت هذا الحد ، ويتجلى في ذلك امران أحدهما ما يكتنف آثارهم الشعرية - وحتى النثرية - من غموض بحيث تحتاج لان تجد لك مفتاحا لفهم ما يقال ، ولكن ذلك لا يشملهم ، وانما يشمل الكثير منهم ، فالمبدعون القادرون على التعبير بوضوح قليلون جدا كنازك والسياب ، وقليل من أشباههما ،

والشواهد على ذلك كثيرة .

أما الامر الثاني : فانهم يقولون أن الشعر القديم يعني بأن القصيدة هي عدة قصائد ، كل بيت فيه قصيدة . وهو امر صحيح ، ولكن يخيل الى أن ذلك ينسجم مع طبيعة المزاج العربي ، فان الفرد قد يستشهد حتى بنصف بيت من الشعر مثل قولهم :

ما كل ما يتمنى المرء يدركه . . .

وقولهم :

ولا بد دون الشهد من ابر النحل

الى غير ذلك كثير ، ويكتفي السامع أو قل ، يفهم السامع بهذا الاستشهاد لانه يعرف المراد ، وهذا لا يعني بأني أرفض كل الشعر الحديث ، ولكنى أرفض الغامض منه ، شأني في ذلك شأن كثير من النقاد ، ولعلي كتبت في مكان آخر ما قاله النقاد في هذا الصدد ، وليس يخطئنا من يقول أن خير برهان على تمازج أسلوب الشعر القديم مع المزاج العربي هو وروده على ألسنة الناس العاديين ، أعني أنهم يحفظون الكثير منه عن ظهر قلب ، في حين أن الشعر الجديد يصعب الاستشهاد به ، وأنا أوافق المؤلف في قوله أن الذوق لا يكون القاعدة للابداع الفني ، فان الشاعر يسبق مجتمعه ، ولكنني لا أوافقه على قوله بأن العقل العربي لا يفرق بين العلم والفن . اذ كان على المؤلف أن ينتبه الى أن العقل العربي ، أو التفكير العربي طرأ عليه تغيير كما طرأ على كثير من الاشياء ، فلا يوجد أحد يتغنى بالطلول أو السيف أو الرمح ، وان وجد فهو من المنسلخين عن عصرنا الحاضر ، وأن العقل العربي والفكر العربي ليس أقل من غيره عند الامم .

اهتمام المؤلف بالشعر اليمني :

ثم نأتي بعد ذلك الى أن المؤلف لم يقف الا على الشعر اليمني الجديد مقدما في ذلك بمقدمة طويلة فيها آراء للدكتور عز الدين اسماعيل وأودنيس،وحديث من المؤلف هو في واقع الأمر انتصار واضح للشعر الجديد مثل قوله : أن الشعر القديم كان يلقي بصوت مسموع ، أما الحديث فانه يقرأ قراءة صامتة ، متعمدا الابتعاد عن الاستشهاد بالشعر في الحديث والحوار ، حين يجتمع جماعة من الادباء في مجلس يتحاورون فيما بينهم ، أو حين يتحدث محدث في قضية اجتماعية أو سياسية ثم يخطر له أن يؤيد رأيه ببيت من الشعر ، هذه كلها ليست من القراءة الصامتة ، كما لا يخفى ، وهناك أمر له أهميته ، وهو استخدام الشعر في الغناء ، فعل هذا من القراءة الصامتة ؟ وهل يصلح الشعر الجديد لهذه العملية ؟

لا أدري ، ولكن الذي أدريه هو أن الفرد العربي ، يستشهد دائما ببعض الاشعار في مختلف القضايا التي يطرقها في أحاديثه . أما القول بأن نظم المتنبي والمعري ليس من الشعر في شيء لانهما لم يجريا على أساليب العرب فيه ، كما نقله أحد المستشرقين عن ابن خلدون ، فانه نقل يحتاج الى تأكيد أولا ، واذا تأكد ذلك فانه يعد رأيا شاذا لان معظم الناس من أدباء وغير أدباء لا يستغنون عن شعر هذين الشاعرين ، بل أنهم ليعدونهما أعظم شاعرين أنجبتهما هذه الامة .

ومن المؤكد أن المؤلف يعرف ذلك معرفة تامة ، لكن انتصاره للجديد من الشعر دفعه الى السكوت أو اغفال هذه القضية المعروفة ، وقد كان الأحرى به وهو الاستاذ البارع ، ألا ينحاز هذا الانحياز ، علما بأنه كان منصفا جدا،لانه أشار الى أن كثيرا من جديد الشعر انما هو هراء .

ولا يفوتنا هنا أن نشير الى أن المؤلف لم يقف عند الريادة في هذا الشعر ، وحسنا فعل،لان هذه دعوة غير مهمة .

وقد فاتني أن أشير الى أن المؤلف يركز اهتمامه على الشعر اليمني لانه لم يحظ باهتمام النقاد ، وهو أمر له أهميته ، لان المثقفين في أرجاء الوطن العربي في حاجة الى من يعرفهم بما يحدث من نشاط وتطور في جميع الجوانب ، ولكن الحاجة الى تعريفنا بالجانب الثقافي أشد ، لان الناحية

الاقتصادية والسياسية تجد من يعنى بها لما لهاتين الناحيتين من صلة اعلامية ، أما الناحية الثقافية فانها تبقى مهملة الى أن يأتيها باحث حصيف مثل الدكتور عبد العزيز المقالح .

أما أسباب التجديد في الشعر فان المؤلف يرى بأنها تعود في جملة ما تعود الى ما حدث من تجديد في الحياة السياسية ، فان كثيرا من البلاد العربية استقلت وأصبحت مالكة أمرها . بعد ذلك يتناول المؤلف الشاعر أحمد محمد الشامي ، فهو يثني على قصائده التي سلك فيها طريقة الشعر الحديث ، ثناء عاطرا ، كما ينتقده انتقادا مريرا لتركه الجديد الى الشعر القديم ، فقد أصبح الشامي شاعرا سياسيا يساير ويبرر بعد أن كان شاعرا ثائرا يرفض ويتمرد . ويرى المؤلف أن مسرحية الشامي (محكمة في جنة الشعراء) مسرحية هزيلة قصد مؤلفها من ورائها محاكمة الشعر الجديد ، ومن طبيعة السياسي أن يتقلب حسب الظروف ، اذ أن الشامي أصبح عضوا في المجلس الجمهوري .

نماذج من شعراء اليمن :

على أن المؤلف ينقل قارئه بعد ذلك الى الشاعر لطفي جعفر أمان ، ولقد كان المؤلف محقا في تقديره لهذا الشاعر ، وتنويهه به ، لما يتمتع به لطفي من طاقة مبدعة ، فهذه القطعة تشهد له بذلك . . . حيث يقول :-

كالبرق في لمحه الخطاف تزعجه
ذكرى اذا عربدت أشباحها خفقا
كأنها في ضجيج الصمت عاصفة
مجنونة لو تحاج الأرض والأفقا
تبدي نواجذها في هيكل خرب
اذا تطلّع في أكنافه شهقا
رعناء في خطوها تمتد طافرة
ترتد دائرة . . . تهتاجه فرقا
دم . . ونار . . خطايا ليس يغفرها
رغم الزمان ضمير لم يزل قلقا

والحق أن هذه الخطوة تعزز بقوة أنصار الشعر العمودي الذين يقولون بأن الشعر المقفى اذا نظمه شاعر متطور مبدع ، فانه لا يشبه الشعر القديم الا من حيث الشكل ، أما من حيث المضمون فانه يعلن عن نفسه بأنه شعر معاصر كما في هذه القطعة ، لهذا كان استاذنا المقالح محقا حينما رفع من شأن الشاعر في قصائده العمودية . ثم يخبرنا أن الشاعر لطفي انتقل الى الخرطوم ، الامر الذي ساعده على تكوين الوعي المبكر بأهمية الخروج على البناء التقليدي للقصيدة . وقد أتاحت له الدراسة في مناخ الخرطوم الاطلاع على نماذج شعرية في الادب الانجليزي ، ومن المؤكد أنها ساعدته على الوقوف عند أحدث الاساليب في الكتابة الشعرية .

وكنت أتمنى لو أن المؤلف فصل هذه الفكرة الجديدة . فنحن لا نعرف فترة سدت فيها المنافذ على القصيدة الجديدة في القاهرة ، على الرغم من وجود من رفضها من الادباء الا أنها ـ القصيدة ـ كانت تجد صحيفة تتربع فوقها . وعلى كل حل فان الشاعر لطفي أمان أديب يملك قدرة على التكيف ، فهو قوى في الشعر العمودي كما رأيناه في القطعة المتقدمة،فلنسمع اليه كيف يعبر عن مشاعره في اللون الجديد من الشعر فهو يقول :

يا اخوتي
يل كل ما أتركه بعد الرحيل
هذي حروفي . . لن تموت . . لن تموت
مستحيل
لأنها أنتم . . . تواكب الزمان . . . لم تزل
توزع الغلال للأجيال جيلا بعد جيل
وتفرش الطريق بالأمل
وتزرع النجوم في ليل السراة التائهين
وتصنع السطورجسرا للحيارى المتعبين
لأن أيامي التي حرثتها
وما حصدت من مواسم السنين
لكم . . لكم يا اخوتي
على مناكب الشموس صاعدين

ثم يدعونا المؤلف الى لقاء شاعر موهوب

آخر ، رضي أن تغتال موهبته ، أو شارك في اغتيال موهبته كما يقول المؤلف . ذلك هو (محمد أنعم غالب) ، حيث أسلم نفسه من وظيفة الى أخرى ، ومن رحلة الى رحلة ، وكان ضالعا في تحويل الامكانيات الشعرية الى امكانيات ادارية واقتصادية ، وربما بذلك نكون قد كسبنا موظفا جديدا ولكننا بكل تأكيد خسرنا شاعرا كبيرا،وأهلنا التراب على موهبة عظيمة أوتيت من المقومات وعناصر الفن ما لم يكن لموهبة أخرى .

حوار مع الدكتور المقالح :

وقد بلغ من انبهار أستاذنا المقالح بهذا الشاعر أنه بعد قراءته لبعض آثار هذا الشاعر أن (قرر طلاق القصيدة البيتية والاتجاه نحو الجديد بكل ما كان يعتمل في النفس يومئذ من أشواق وأحلام) .

وأنا أعترف أولا أنني لست ممن أنعم الله عليهم بالقدرة على غرس أزهار الشعر ، لكن الذي أعرفه أن الحالة النفسية هي التي تدفع الشاعر الى صياغة ما يهبط عليه من عرائس الشعر بالشكل الملائم ، أما أن يكون الاعجاب بشاعر من الشعراء سببا لطلاق أديب لونا من ألوان الشعر ، فهذه مسألة يحكم فيها الموهوبون من الشعراء .

والاغرب من ذلك كله أن يكون النظم بالشعر العمودي اثما من الاثام ، لأن الشعر العمودي ما زال لونا يفرض نفسه على الشاعر في بعض الأحيان . فلتصفح دواوين بعض شعرائنا المشهود لهم بالموهبة الشعرية لتجدهم يعبرون عن أنفسهم بالشعر العمودي حينا كما نجدهم يعبرون عن أنفسهم بقول الشعر الحديث حينا آخر .

فهذا الاستاذ أحمد العدواني ، وخليفة الوقيان ، وخالد سعود الزيد ، ونزار قباني ، ونازك الملائكة ، وغيرهم كثيرون ينهجون هذا النهج ، إذن كيف اندفع الدكتور المقالح بأن يصرح قائلا (لعل الشاعر محمد أنعم غالب الوحيد بين كل شعراء الجديد الذي لم يقترف اثم كتابة العمودي ، ولم تشتهر أو حتى تروى عنه قصيدة عمودية ، أليس غريبا أن يكون نظم الشعر العمودي اثما يقترفه الأديب حين يصوغ شعره في هذا القالب .

لا تعجبوا أيها القراء اذا وقفت هذا الموقف من الدكتور المقالح ، فأنا أعرفه أديبا رصينا واسع الصدر لا يبدي رأيا الا بعد أن يتثبت منه ، لهذا أدعوه مخلصا أن يفسر هذه الفكرة التي أدهشتني حقا ، وأظنها أدهشت الكثيرين . على أنني بدون مجاملة أو ارضاء لاستاذنا الناقد ، قد أعجبت بالنماذج التي أوردها لنا في قراءته لشعر (محمد أنعم غالب) لاني وجدت في تلك النماذج تعبيرا يؤثر في صاحب كل ذي ذوق سليم وهذا هو برهاني على ذلك في هذه القطعة .

النجمة في كفي
بلا لمعان
هوت النجمة والنور خبا
ضاع السحر
ماذا يبقى في الأفق
بعد أفول النجم
بعد خبو النور
والنجمة في كفي ميتة
لا ومض لها . . . ولا نبض

ففي هذه القطعة صورة تشهد بأن شاعرنا محمد أنعم غالب لا يسطر شعرا وانما ينزف قطعا من مهجته ، فهي بحق آية من آيات الشعر الحديث ، وكل النماذج الشعرية تجري على هذا المستوى الممتاز .

ولم أعجب حينما قدم لنا المؤلف شاعرا يحمل كل هذه الطاقة ، وذلك أن أستاذنا الناقد لا يتقدم الى قرائه الا بعد أن يبرهن على أن ما قدمه شيء يستحق أن ينوه به ، ثم أن من عادة المؤلف أن يبرز ما اختزنه من دراسات واسعة ، فقد حدثنا عن الخصومة العنيفة التي جرت بين الشعراء المحدثين ، والتي دارت حول أيها كان السابق الى هذا اللون ، وأن القول الفصل ما

قاله الشاعر المرحوم بدر شاكر السياب من أن المسألة ليست مسألة من سبق في الكتابة وانما هي ، هل أبدع الشاعر وأجاد فيما كتب ؟ أم لم يبدع !

والحق أن المرحوم السياب كان موفقا فيما ذهب اليه ، لذلك أراني قد استفدت كثيرا من وقفة الدكتور المقالح في تعزيزه لفكرة السياب حول الاجادة والابداع ، وقد كان حديثه يدور حول الشاعر اليماني ابراهيم صادق الذي كان مستواه في الاجادة مثل مستوى محمد أنعم غالب ، غير أني أجدني لا أتفق مع الدكتور المقالح حين قال (يبدو أن القالب الموروث قد أعاق المضامين الجديدة لشاعرنا وحال بينها وبين التفجر الشعري الذي تجيش به نفسه الغاضبة) . وقد رمى بهذا السهم النقدي الحاد بعد أن روى هذين البيتين للشاعر ابراهيم صادق وهما :

يتنادى هذا (حديدي) وهذا من (تعز) وذاك من (صنعاء)

مات زيد والشافعي وعشنا نصطلي نار تلكم البغضاء

فأنا أجد في هذين البيتين تعبيرا عما نقاسيه من تفضيل هذا الامام على ذاك ، فالمسألة لا تقف عند التفضيل وانما تتجاوزها الى عداوة تفرق بين المواطن وأخيه ، تفرقة فيها كل الخطورة ، وكان على الناقد أن يورد من هذه القصيدة أبياتا أخرى لتبين اذا كان القالب الموروث قد أعاق الشاعر عما يريد أن يقول ، ومهما يكن من أمر فان انحياز الاستاذ المقالح الى الشعر الجديد دفعه الى رواية باقات شعرية نضرة تؤكد ما يتمتع به الشاعر من موهبة شعرية .

وبعد فان هذا الكتاب نافذة واسعة فتحها لنا المؤلف ليهب علينا منها نسيم عطر من قطر نبتت في دوحة عربية باسقة تفرعت منها أشجار كثيرة، لعلي لم أقف الا على القليل من أغصانها اليانعة ، فعلى القارىء المتشوق أن يروى ظمأه بقراءة هذا الكتاب . □□

لوحة ـ وفنان

انشقت عباءة الفجر ، عن حلم شفاف يمتد خيوطا ولفائف تصبغ كل ما حولها بالشفافية والدقة ، سريالية جميلة ، مطعمة بعناصر من البيئة العربية ، تزيدها التصاقا بشرقيتها .

والفنان الكويتي « عبد الرسول سلمان » مازال يضرب بمجاذيفه الفنية في بحر السريالية ، ليترك في موانىء الحركة الفنية التشكيلية أعمالا ابداعية ، أغنت الحركة الفنية الكويتية ، وجعلته يحمل بجدارة لقب « حاصد الميداليات الذهبية » فقد حصل على عشر ميداليات ذهبية في معارض الجمعية العامة منذ عام ١٩٧٤،وحصل على ثماني ميداليات ذهبية في معارض الجمعية الخاصة منذ عام ١٩٧٥ ، وحاز على ثلاث جوائز والشراع الذهبي في معارض الفنانين العرب لأعوام ١٩٧٥ ، ١٩٧٧ ، ١٩٨١ .

ولعبد الرسول « بيوغرافية » غنية تدل على غزارة عطاء هذا الفنان المبدع ، فهو من مواليد الكويت لعام ١٩٤٦ ـ وحاصل على دبلوم دار المعلمين في الكويت ، وقد اشترك في معارض دولية وعالمية . ومثل دولة الكويت في معارض خارجية .

ولوحة الفجر الجديد ، تحمل هرمونية لونية وشفافية روحية ، والطائر هو رمز للبشارة ، والتنبؤ بمستقبل زاهر ، وهذا الطائر مرتبط بالأرض والتراث ، ويرمز الى ذلك بنسيج « السدو » المنتمي لأهل البادية . والجو المسيطر على اللوحة ، يوحي بانبثاق الفجر ، وتغلغل خيوطه الوردية ، الى روح المشاهد الذي يتمنى مشاركة هذا الموكب الضوئي . بشائره وانبثاقه

ثريا البقصمي

أيام ولّت .. هل تعود ؟

بقلم : منير نصيف

☐ احتواه شعور غريب .. بدأ يحس أنه يعيش فى نفس السجن الذى حاول أن يخرج منه .. وعندما خيل اليه أنه استعاد حريته فوجىء بسجان جديد يضعه وراء القضبان ! وقرر أن يهرب من الحياة ومن الناس ، حتى من الذين أحبهم ، وتمنى أن يمضى حياته معهم .. انها قصة من واقع الحياة ، ابطالها ما زالوا يعيشون بيننا !

كانت اوراق الشجر الجافة تملأ أرض الحديقة التى شهدت مجيئه الى هذا العالم الغريب الذى كان كل شىء فيه يثير فضوله .. هنا فى هذا البيت أطلق صرخته الأولى .. كان ثمرة حلوة لزواج سعيد ، وراح يكبر مع الاشجار التى امتلأت بها حديقة البيت ويتفتح عقله الصغير مع الزهور الجميلة التى امتدت جذورها فى الأرض التى أحبها ..

لقد جاء الخريف كما يجىء كل عام .. ووقف الطفل الصغير الذى لم يكمل بعد عامه الخامس ينتظر ، كما تعود أن يفعل فى عطلة نهاية كل أسبوع ، اليوم الذى سيأتى فيه والده ويحمله بين ذراعيه ويجلس بجواره بين اوراق الشجر والزهور التى جفت مع الصقيع ، ويقدم له الهدايا التى اشتراها له ، ويحكى له قصة جديدة .. لا بد أن تكون دائما جديدة ، ثم يودعه ويذهب .

ولكن الأب لم يأت .. وأحس الطفل

عندما يكتشف أن أباه لا يسمعه !

وفجأة تصطدم الأم بمفاجأة حملها اليها طفلها فى احدى ليالى الصيف . . لقد جاء اليها حيث كانت تجلس أمام مرآتها الصغيرة تتأمل وجهها الذى بدأت آثار السنين ترسم عليه قصة التجربة القصيرة القاسية التى عاشتها . . قال الطفل يحدث أمه : « إنه لم يعد يأتى ليرانى يا أمى . . ما رأيك لو اصطحبتنى أنت اليه . . اننى اريد أن أراه . . أريد ان أرى أبى ! » قالها فى توسل ، وقد خرجت كلماته مليئة بكل الدفء والحنان والبراءة التى يحملها قلبه الصغير الرقيق . .

وكان قد انقضى على آخر زيارة قام بها الأب لطفله اكثر من ثلاث سنوات . .

وقالت الأم بلا تردد : « غداً سوف نذهب اليه . . سوف نقف فى الشارع أمام مقر عمله . فاذا شئت بعد ذلك أن تدعوه الى المجىء اليك وقضاء بعض الوقت معك ، فهذا شأنك . . ما رأيك ؟ »

وفى مساء اليوم التالى ، وفى موعد انتهاء الأب من عمله ، كانت الأم وطفلها يقفان على بعد خطوات من باب الشركة التى يعمل فيها والد الطفل مهندسا منذ تخرجه وزواجه بها قبل اكثر من عشر سنوات . .

ورأى الطفل والده يهبط الدرج فى طريقه الى الشارع الفسيح الذى كان يزدحم بالناس والسيارات . . وفى هدوء سحبت الأم يدها التى كانت تحتضن يد صغيرها لتترك له فرصة الذهاب اليه . . وتقدم الطفل بضع خطوات . . ولكنه لم يلبث أن عاد الى حيث كانت تقف وراح يبحث عن يدها ويمسك بها ، ويقف فى مكانه دون أن يتحرك . . كان الأب يسرع الخطا ، كان متجهم الوجه بادى التعب ، وكأنه يحمل فوق رأسه حملا ثقيلا . . كانت عيناه تسبقان خطواته على الطريق ، ولكن فى اتجاه واحد نحو موقف السيارات الذى ترك فيه سيارته الصغيرة . . . .

وبقيا فى مكانها حتى تحركت السيارة

بقلق . . ترى لماذا لم يحضر . . ما الذى منعه من المجىء . . وأسرع الى أمه يسألها . . ولكنه لم يجد عندها شيئا تقوله . . أو ربما وجد ولكنه لم يقتنع . . « ربما لم ينته من عمله يابنى . ربما اضطر الى السفر فجأة فى مهمة عاجلة . . »

« لا بد أن يتصل بنا والدك . . انه يحرص على لقائك دائما كما تعلم كل اسبوع . . أليس كذلك ؟ »

ولم تكد الأم تكمل حديثها حتى سمع الصغير جرس التليفون يدق فأسرع برفع السماعة ، وجاءه صوت أبيه من بعيد : « سامحنى يا بنى . . فقد شغلت عنك بعمل هام . . غداً سوف أحضر لأراك » وبعث اليه بقبلة طويلة . .

ودمعت عينا الطفل ولكنه ما لبث أن عاد الى هدوئه ، وحملته أمه الى فراشه لينام . وجاء الغد . . ولم يأت الأب ومضت أسابيع طويلة وبدأت أسئلة الطفل الصغير عن الأب الغائب تقل تدريجيا . ولكنه لم ينس والده . .

كان يقف أمام صورته التى بقيت فى مكانها منذ أن انفصل عن أمه قبل ثلاثة أعوام . . ويحدثها ويسألها ثم لا يلبث أن ينصرف عنها

وانطلقت به بعيدا .. وعادت الأم وطفلها الى البيت . كانت حريصة طوال رحلة العودة على ألا تحدثه عن والده ، فقد قرأت فى وجهه الصغير أكثر من معنى لم تستطع أن تجد لها تفسيرا ، الا عندما بدأ يستعد للنوم ، قال يحدث أمه وهو يتمنى لها ليلة سعيدة : « لقد نسيتى أبى يا أمى .. انه لم يعد كما تعودت دائما أن أراه . كنت أريد أن أذهب اليه وأقبله وادعوه الى المجىء معنا الى البيت .. ولكننى لم استطع .. ماذا حدث لأبى ؟ ! »

لا شىء يا بنى . « ثم احتضنت رأسه الصغير بين يديها وقبلته ، وحبست دمعة حائرة كادت تفلت منها ، وتكشف عما كان يعتمل فى صدرها فى تلك اللحظة !

***

وعندما ذهبت الأم الى فراشها لتنام فى تلك الليلة الدافئة كانت هى وحكايات السنين القصيرة التى عاشتها مع زوجها على موعد . لقد راحت الذكريات تمر فى مخيلتها سريعة متلاحقة ، حائرة وهى لا تذكر من أين بدأت ولا كيف انتهت ..

انها الآن مع ذلك اليوم البارد من أيام الشتاء ، عندما صحت من نومها فى ساعة مبكرة من الصباح ، قبل أن تشرق الشمس لتجد زوجها ووالد طفلها يجمع ملابسه فى الحقيبة الجديدة التى اشتراها منذ بضعة أيام .. وتملكتها الدهشة . ! انها لا تزال تذكر الحوار الذى دار بينهما فى هدوء غريب .. !

ـ « أنت لم تقل لى انك تنوى السفر يا عزيزى ! »

ـ « لأننى لا أنوى السفر فعلا .. لقد كنت أريد أن أحدثك قبل الآن فى القرار الذى اتخذته بينى وبين نفسى ، ولكننى اشفقت عليك من الصدمة .. لقد قررت أن ابتعد عن حياتك .. ان اتركك تعيشين وحدك مع ابننا . لا أعرف بالضبط ماذا اريد الآن .. ولا كيف سأبدأ حياتى وحدى من جديد .. ولكن الذى أعرفه انك تختلفين عنى كثيرا .. ليس بيننا شىء واحد مشترك .. أنت امرأة مرحة تحبين الحياة وتريدين أن تعيشى كل لحظة فيها .. وأنا رجل ما زلت أبحث عن نفسى فى مفترق الطرق ، لا أعرف على وجه التحديد فى أى اتجاه يجب أن أسير .. اننى أبحث عن الجاه والمال .. هذه حقيقة يجب الا أحاول أن أنكرها .. ان عملى يستوعب كل وقتى وكل تفكيرى .. لم أعد أجد فى حياتى مكانا يمكن أن اضعك فيه أنت وطفلنا الصغير الذى كان يمكن أن يملأ كل حياتى .. أنا لا أكرهك .. ولكننى لا استطيع ان اتخلص من تلك الرغبة الملحة التى تستبد بى وتؤرقنى .. الرغبة فى أن أصل وأنجح وأحقق طموحى فى الحياة .. اننى أشبه ما أكون بسجين يعيش وراء قضبان تقف حاجزا بينه وبين الانطلاق .. أرجو أن تغفرى لى ، وثقى أننى لن اتخلى عنكما ابدا .. سوف يصلك ما يكفيك من مال فى أول كل شهر لتنفقى منه على تربية طفلنا .. والله يرعاك وتأكدى يا عزيزتى أننى ما أقدمت على هذه الخطوة الا بدافع من حرصى على الا اكون سببا فى تعاستك فلم أعد احتمل رؤيتك وأنت ساهرة كل ليلة فى انتظار عودتى من عملى .. لم اعد احتمل رؤية الضيق الذى تعيشين فيه مع رجل لم يعد يشعر بوجودك بجانبه بعد أن غرق بفكره وكيانه كله فى عمله ! »

وانتفضت واقفة ، واتجهت الى الصورة الصغيرة التى تضعها فى حجرة نومها .. لقد كان شابا مرحا بسيطا عرف كيف يخرجها من عزلتها ومن الحياة الرتيبة التى كانت تعيشها فى بيت والديها .. ليته بقى على ما كان عليه ..

وقامت من فراشها واتجهت الى غرفة نوم طفلها الصغير وانحنت تقبلة فى حنان .. ثم عادت الى غرفتها وحاولت أن تغمض عينيها وتنام !

ومرت السنون ، والأم ساهرة على تربية ابنها

حتى صار شابا . . لقد أصبح طالبا فى الجامعة ، ان زملاءه كلهم يحبونه . واساتذته يشيدون بذكائه . . وهى فخورة به ، تعيش له ومن أجله . .

ويدخل الشاب يوما وهو فرح ، وقد أمسك بيده صحيفة الصباح « اقرئى يا أمى . . لقد أصبح والدى رئيسا لمجلس ادارة الشركة التى كان يعمل فيها . . ! وتقرأ الأم الخبر وتبتسم فى هدوء . .

ويقول الابن : « غدا سأذهب للقائه فى مكتبه . . لقد انقضت سنوات طويلة لم أره فيها ، ولم يفكر هو فى المجىء الينا . . لا بد أنه سوف يسعد بلقائى . . ما رأيك ؟ »

- « لم لا . . ؟ اذهب إليه يا بنى وقل له انك أنت ايضا قد اصبحت شابا ناجحا فى دراستك ! »

وذهب . . ولكنه لم يجده فى مكتبه ، فهو ما كاد يقترب من مقر الشركة حتى رآه يهبط الدرج تماما كما رآه منذ سنوات بعيدة مضت لآخر مرة قبل ان ينقطع عن زيارته فى البيت . . ولكنه فى هذه المرة كان رجلا آخر غير الذى عرفه ، كان يبدو متعبا منهوكا شاحب الوجه ، أحنت السنون ظهره ، وبدا كما لو كان قد أصبح عجوزا جاوز السبعين . كان يبدو اكبر من سنه بعشرين عاما على الأقل !

وفى خطا ثابتة وبلا تردد . . قصد الشاب الى حيث كان يقف والده فى انتظار سيارته التى ستقله عائدا الى بيته ، والقى الابن بنفسه بين أحضان أبيه الذى وقف مشدوها يتساءل :

« ومن تكون أنت يا بنى ؟ ! »

ولكنه لم يكن فى حاجة لأن ينتظر الاجابة على سؤاله ، فقد عرفه . . عرفه ابنه الذى تركه طفلا . . وبكى كما لم يبك يوما فى حياته . .

وقال الابن وهو يجفف له دموعه : « أنا قادم يا أبى لأدعوك الى مرافقتى فى رحلة نظمتها لنا الجامعة . . سنمضى بضعة أيام على شاطىء البحر ، وسننام فى خيام صغيرة قريبة من المياه التى كنت تصطحبنى اليها أحيانا عندما كنت طفلا صغيرا . . ما رأيك ؟

وترك الأب عمله ومكتبه وذهب . . ذهب ليعيش الحياة التى هرب منها منذ أكثر من عشر سنوات مع الطفل الذى اصبح اليوم رجلا . .

وعلى الشاطىء ومع هدير الموج وهو يصطدم بالصخور تكلم الأب : « هل ترى هذا اللقاء الأبدى بين الماء والشاطىء يا بنى . . هكذا سيكون لقاؤنا ، ولن يكون هناك فراق بيننا بعد اليوم ارجو ان تسامحنى يا بنى . . فقد افتقدت أجمل ما فى الدنيا من متع الحياة ، افتقدت حديثك الحلو فى طفولتك . . وصورتك الجميلة وأنت تكبر مع الأيام . . افتقدت الحياة التى كان يمكن أن تستمر فى سعادة مع أمك . . مع المرأة التى وهبت لنا - نحن الاثنين - أنت وانا أجمل سنى عمرها . . لقد أعمانى طموحى . . تصورت انى فى المال وحده سوف أجد السعادة التى ابحث عنها . . وعندما أصبح عندى الكثير منه ، تمنيت لو اننى عدت فقيرا ، فقد وجدت مع امك أسعد لحظات حياتى .

« من حقك بعد هذا أن تعرف يا بنى أننى كنت أعيش فى سجن قبل أن التقى بأمك واتزوجها . . لقد كان سجنا صغيرا شيدته أمى أنا فى غرفة نومى . . كنت أفعل كل شىء بحساب . . والويل كل الويل لمن لا ينصت فى خنوع لأوامرها وتعليماتها .:. حتى عندما كنت اكسب رزقى البسيط بعد تخرجى فى الجامعة . . كانت دائما هناك لتلتقطه قبل أن تصل اليه يد غير يدها ! لقد انتشلتنى يا بنى من « السجن » الثانى الذى اخترت أنا أن أدخله بقدمى ولن اعود اليه ! »

وعندما انتهت أيام الرحلة على الشاطىء . . كان الأب وابنه يتجهان الى البيت . . نفس البيت الذى تركه قبل اكثر من عشر سنوات . . وترك فيه زوجة وفية وطفلا يحبو ويبحث عن الأب الذى داس بقدمه على سعادته وأسرته من أجل الجاه والمال !

□□

قصة قصيرة

القطار يصفر ثلاث مرات

بقلم : يوسف القعيد

منذ أن صحا الولد قطب من نومه ذات صباح بعيد ، ومسح بعينيه فرشة والده ، ولم يجده ، لم يصدق نفسه ، مد يديه ، تحسس بهما التجويف الذي كان ينام فيه أبوه ، شعر ببقايا الدفء الذي تركه والده في الفرشة ، وأنفه شم رائحة والده التي كانت ماتزال معلقة فوق الفرشة . التي كانت مفروشة على الحصيرة ، التي كانت موضوعة على الأرض .

اندفعت الأسئلة من فمه كالمطر ، وتناوبت الكلمات مع الرذاذ المتساقط من فمه ، كان غزير الأسئلة ، وكانت أمه ضنينة بالكلمات ، تناوبت قطرات الدمع مع الكلمات الخارجة من فمها وفي كل مرة كان يسأل قطب عن والده ، الذي كان اسمه قطبا أيضا . السؤال تلو السؤال ، ومن كثرة التساؤلات اختفت علامات الاستفهام بينها،وشوهت التساؤلات ملامح وجهها ، وتعكر الوجه عند البحث عن الاجابات .

ردت عليه أمه بردود تختلف في كل مرة ، أسلمته الاجابات المختلفة الى حيرة كان من الصعب عليه فهمها ، مرة قالت انه سافر ، وعندما قال لها ان من يسافر لابد أن يعود ، قررت أنه هرب ، سأل نفسه وسأل جدران البيت وسألها :

ـ وممّ يهرب ؟

عادت تقول :

ـ كانوا يهددونه دائما .

ينبت السؤال من الاجابة نفسها :

ـ من هم ؟

قالت ان الحال لم يعجبه أكدت أن هناك حكايات كثيرة لم يئن الأوان لكي تحكى له فهو صغير ، رد عليها بأنه لابد وأن يفهم الموضوع وأنه ليس صغيرا .

نظرت له أمه وقالت :

ـ منذ أن سماك قطبا على اسمه وأنا أعرف أنه راحل .

هرب أبوه ، انخلع الفؤاد من مكانه ، ولكن الهموم لم تنخلع معه . سكن الهم مكان القلب الذي كان . غربل ما سمعه منها في ذهنه ووصل الى قناعة تخصه وحده .

ان كان قطب الكبير ـ هكذا كان يحلو له أن يسميه ـ قد هرب ، فلابد وأن يعود يوما ما ، مهما حدث سيعود . كان قطب الصغير متأكدا من ذلك ولا يقبل مناقشته مع أحد .

قطب الصغير وأمه يعيشان في مركز صغير ، رقصا على السلم ، كانت أمه تقول ، تركا المدينة ولم يصلا بعد الى المدينة ، لا يعرف قطب الصغير ، للبلد الذي يعيشان فيه اسما ، مرة

يسمع الناس تقول البندر ومرة أخرى تقول المركز ، ولكنه عرف أمرا واحدا إن من يعودون الى البلد ، لهم مكان واحد يصلون من خلاله ، محطة السكة الحديد . وإن من يسافرون أيضا لابد وأن يسافروا منها .

سأل أمه عن مكان المحطة ، فزعت من السؤال وبدلاً من أن تجيبه راحت في غيبوبة بكائية ، كان من الصعب أن تفيق منها ، الولد ورث أباه . ومرض الرحيل يأكله من الداخل . ولن تراه في الغد ، اكتشفت أن مواصلة البكاء أسهل وأضمن من أي محاولة لاقناعه بعدم السفر .

تساءلت عن السبب الذي يدفعه الى التفكير في الرحيل . إنها لم تكلفه أي عناء بسبب غياب والده ، تعمل في البيوت وتتاجر ، وتوفر له كل ما يحتاجه فلماذا يفكر في الرحيل ؟

سأل قطب ولدا في عمره عن محطة السكة الحديد ، وعن القطار الذي يمشي على عجل من الحديد ، يركب على قضبان من الحديد ، ولحظة احتكاكها يتولد الشرار الذي يصبح نارا . أخذه الولد من يده ، يسكن قطب في الشوارع الخلفية لبندر صغير ، ومحطة السكة الحديد هي واجهة البندر ، ولهذا كانت الرحلة من البيت الى المحطة مثيرة . وكان قطب يقوم بها للمرة الأولى في حياته ، ولكنها لم تكن الأخيرة . مرا على علاف ومربط للخيول ومكان لانتظار الحمير القادمة من الريف مع أصحابها ، الذين يقضون حاجاتهم من البندر . وموقف للعربات الكارو ، وسوق الخضار ، بعد سوق للسمك حولها مقاه ومطاعم . المطاعم أمامها طاسات واسعة ، سوداء اللون فيها سائل أسود يقلون فيه الطعمية . رغم سواد الألوان ، كانت الرائحة محببة الى نفسه ، ومبنى المركز العالي . يقف أمامه العساكر ، مرهقين ومتعبين يبدون وكأن احدا وضعهم هنا ونسيهم ولم يعد اليهم . البنادق معلقة في أكتافهم . . . ثم ميدان واسع ، وفي آخر الميدان نهر النيل ، وفوق النهر كوبري يفتح لكي تمر المراكب والسفن ثم يغلق فتمر من فوقه العربات والدواب والحشرات والناس .

كان الكوبري مفتوحا . وكان الجنزير يسد الطريق . وقف قطب بجوار الصبي . وأسندا جسديها للجنزير الحديدي الذي كان باردا وكانت مياه النهر تلمع تحتها مباشرة . وسرت برودة في جسم قطب من علو المكان . كان النيل عميقا أسفله . ومن يومها وهو يتجنب النظر الى أسفله ان كان الكوبري مفتوحا . مر وقت طويل ، حتى أعيد الكوبري الى مكانه . وعبروا النهر الى الناحية الأخرى . لم يكن فيها سوى السكة الحديد . خطان فقط ، واحد طالع والآخر نازل . سأل قطب :

ـ طالع ونازل ؟

قال له الصبي ، الخط الطالع هو المسافر الى مصر ، أم الدنيا ؛ والخط النازل هو الذي يذهب الى الاسكندرية . حيث المالح ، والمالح بحر ليس له شاطىء آخر سأل قطب نفسه : ومن أين يحضر الغائب ؟ من الطالع أم من النازل ؟ لو عرفت من أين يأتي لكان الأمر سهلا .

تحركت عصافير الدهشة في صدر الولد قطب . وتقافزت الاسئلة في يافوخه واندفعت الى رأسه مثل الدم الحار . سأل عن القطارات والمواعيد ومن أين تظهر عندما تراها العين لأول مرة . كم من الدقائق يقف القطار ؟ هل يكفي وقت الوقوف حتى ينزل قطب الكبير من القطار ؟ وينزل ما سيحضره معه له من هدايا ولعب وملابس ؟ أم قد ينزل قطب الكبير ثم يتحرك القطار بما فيه . عموما ليس هذا مهما ، المهم أن يعود قطب الكبير . قال الصبي ، ان القطارات أنواع . هناك قطارات لا تقف في البندر يسمونها (المستعجلة) تجري ، تهز أركان المحطة وتجعل المياه في النيل تتموج وتهتز ويفر السمك مرعوبا الى الشاطىء الآخر . وتخلخل الهواء في جو المحطة . القطار الذي يحضر وقت

الفجر . نازلا الى الاسكندرية يسمونه الصحافة لأن الجرائد والمجلات تحضر فيه . قطار الثامنة صباحا يسمونه قطار الموظفين والطلاب ، يحضر فيه الموظفون من البنادر الكبيرة الذين يعملون في البلد ، ولا يرغبون في الحياة فيها . ويسافر فيه أبناء البلد الذين توظفوا في مدن بعيدة . ولم يتمكنوا من السكن فيها . العين بصيرة ولكن اليد قصيرة . ويسافر فيه الطلاب الى المدن الكبيرة . حيث توجد المدارس والكليات والمعاهد . وقطار الثانية والنصف بعد الظهر يعود فيه الطلاب ويعود فيه الموظفون . ويسافر فيه الموظفون والعساكر المجندون الى وحداتهم . تساءل قطب :

ـ والعائدون ؟

العائدون من الغربة ـ قال الصبي ـ اما ان يعودوا في قطار الخامسة مساء . وقت العصاري الرطب أو في قطار الثامنة والنصف مساء . وقت اذاعة نشرة الأخبار . ان الليل يكون مؤكدا ويبدو القطار من بعيد مجموعة متناثرة من الأضواء المتحركة في عتمة الليل .

يقف القطار دقيقة واحدة . أكد الصبي ذلك وعندما يضرب الناظر الجرس ثلاث مرات ، فان القطار يصفر ثلاث مرات أيضا . كنوع من تهيئة المسافرين وكرسالة الى ملاحظ السيمافور لكي يفتح له الطريق . أشار له الصبي من الناحيتين سواء الطريق الطالع الى مصر أو النازل الى الاسكندرية . يوجد عمود عال بعد المحطة بقليل في أعلاه قطعتان كبيرتان من الزجاج . واحدة زرقاء والاخرى حمراء . وخلف الزجاج لمبة جاز . يشعلها الملاحظ وقت الغروب ، يحرك السيمافور ان كان اللون الأحمر في اتجاه الضوء . فمعنى هذا ان الطريق مغلق . وان كان اللون الأزرق في مواجهته فمعناه ان الطريق مفتوح . وانه من حقه السير . وفي النهار يعرف سائق القطار ذلك من مجرد مكان الزجاجة الحمراء او الزرقاء . التي تبدو باتجاه اللمبة المطفأة .

كانت الكلمات تسقط فوق ذهن الولد قطب فتحضر فيه أماكن من الصعب طمس معالمها او حتى نسيانها كان يسمع بكل جوارحه ، كان يشرب الكلمات بأذنيه والمرئيات بعينيه ، وكانت الأشياء تتسلل اليه عبر مسام الجلد ومنابت الشعر والأذن والعين والأنف . ناقش الولد قطب الموضوع مع نفسه ، قطب الكبير لن يعود إلا في قطار من اثنين . أما في قطار الخامسة أو الثامنة والنصف . من غير المعقول ان يعود صباحا ، وسيحضر قطب كل يوم . قبل الخامسة بقليل . ولن يترك المحطة إلا بعد تحرك قطار الثامنة والنصف . احدهما يأتي من مصر . والثاني يأتي من الاسكندرية ولا بدّ من وصول قطب الكبير من أحدهما ، وثلاث ساعات ونصف كل يوم ليست كثيرة على قطب الكبير بل ان العمر كله لا يساوي لحظة وصوله .

وفي كل يوم ، ما ان تميل الشمس ناحية الغرب وتبدأ ظلال بيتهم في الامتداد ناحية الشرق حتى يذهب الى مكان (الترزي) القريب من بيتهم يجلس أمامه . يستمع الى الراديو المفتوح طول النهار . حتى يستمع الى دقات الساعة الأربع . يذهب الى البيت يغير جلبابه العادي الذي يرتديه كل يوم بجلباب العيد الابيض الزاهي والذي يحتفظ به للحظة لقاء قطب الكبير . ويأخذ من أمه نصف فرنك ويضع قدميه اللتين يتحرك بهما حافيا طوال اليوم في مداسه ، الذي ما يزال محتفظا بلمعته من ندرة استعماله ويضع الطاقية الخضراء على رأسه ، وفي جيبه منديل لا يزال محتفظا برائحة الكولونيا التي كان يتعطر بها قطب الكبير قبل رحيله .

يخرج . . . يتجه الى السوق يقف امام المطعم ، يشتري رغيفا واحدا من الخبز الأبيض الطري ويفتحه يضع فيه قرصين من أقراص الطعمية الكبيرة المستديرة والمغطاة بطبقة من السمسم ويأخذ من صاحب المطعم ورقة صغيرة فيها ملح وفلفل وكمون . ويلف له البيعة كلها في ورقة قديمة منزوعة من كراس طالب في

المدرسة الاعدادية ويذهب الى المحطة يجلس على الرصيف .

في بعض الأيام كان يحضر ولديه توقع أنه سيقابل والده ، يلدغه الجوع في بطنه يفتح ورقة طعامه ولكنه لايستطيع تناوله . ان حلقه مسدود . يمضغ الطعام يبلعه بصعوبة لديه ايمان طافح أن والده سيعود اليوم لذلك من الصعب عليه حتى أن يأكل في يوم العودة . يتصور أنه فرحان يفتش بداخله عن مزاجه المرح فلا يجده يبحث عن هذه السعادة فيصعب عليه العثور عليها . ينساب خاطر ما في دهنه . . . اليوم هو يومي الذي قد يصبح يوما جميلا .

مكان جلوسه لايتغير بتغير الأيام ، يجلس تحت شجرة وفوق حجر صغير وبالقرب من حنفية مياه وفي أقرب مكان ممكن الى المكتب المعلق في الهواء والمصنوع من الزجاج . والذي يجلس فيه الملاحظ في هذا المكتب تأتي البشائر الاولى بوصول القطار عندما يرن التليفون الوحيد في المحطة ويرفع الملاحظ ، السماعة : يتكلم يشاهده الولد قطب بوضوح من الزجاج الذي ليس نظيفا . الملاحظ يتكلم في التليفون ، في هذه اللحظة يكون القطار قد تحرك من المحطة المجاورة باتجاه البلد بعد بعد أن يضع الملاحظ سماعة التليفون يبدأ في عمل اللازم لفتح الطريق امام القطار . قال له الصبي ، الذي يعرف الكثير عن العالم . انهم يسقون القطارات من الحنفية لأنها تحضر وهي عطشى . يروون جوف القطارات المشتعل من صعوبة الرحلة وطولها .

الولد قطب حريص على الجلوس في هذا المكان لعله يشاهد عملية سقيا القطارات ولو مرة واحدة . وان كان ذلك لم يحدث ابدا . هكذا كان يحضر كل يوم قبل الخامسة ويظل حتى ماقبل التاسعة بقليل يجلس في مكانه يشعر بحالة من العذوبة المبهمة . تسرى في نفسه بهجة لايعرف مصدرها ولاسببها ولا الى متى تدوم عندما يقرصه الجوع في هذه الساعات يأكل مامعه وان شغلته المحطة ومافيها عن الأكل يعود ومعه الرغيف والطعمية المغطاة بالسمسم وورقة الملح والكمون لكي يقتسم طعامه مع أمه ، خلال وقت الانتظار كان توتره يصل الى أقصاه مرتين ، الأولى عندما يصل قطار الخامسة النازل من مصر المحروسة الى الاسكندرية عروس المالح . كان يقف ينظر في النازلين من القطار واحدا واحدا يتبعهم بنظرة حتى يخرجوا من المحطة يسأل نفسه : بأي الوجوه ينظر الى والده بعد قليل ؟

يحضر قطار الثامنة والنصف الطالع من الاسكندرية الى مصر ، عند حضوره يكون الليل قد حل ويقف على الرصيف المقابل يقوم الولد قطب من مكانه ينتقل الى الناحية الأخرى يقف على السلم الذي ينزل من فوقه الركاب الى الرصيف . السلم صغير وضيق . لهذا ينزلون من فوقه واحدا واحدا . وقد سعد قطب بضيق السلم لأنه يضمن له مشاهدة وجوه النازلين جيدا وبعد نزول آخر راكب يعود قطب يمسح المحطة كلها بنظراته ، ويكون ذلك صعبا فالاضاءة باهتة وقليلة وضعيفة أمام ظلام الليل الذي يحاصر المحطة من كل ناحية . ومع ذلك يحاول اختراق الظلام بعينيه . يعود الى البيت يكون البندر قد نام لايجد في هذا الوقت سوى العسكري الواقف على باب المركز يتحرك مبددا الصمت فتتحرك ظلاله معه . وعيون القطط التي تبرق في الظلام ونباح الكلاب التي تحرس بيوتا لايوجد فيها مايستحق الحراسة .

في أيام ذهابه الأولى كان يعود ليجد أمه تنتظره بلهفة والدمع ملء عينيها ، لهفتها عليه أكثر من سؤالها عن عودة الغائب تعرض عليه أن يأكل وعيناها أصبحتا مثل كاسات الدماء من كثرة البكاء يسألها : لماذا لاتنام تقول له : ومن أين يأتيها قلب يستطيع النوم . ووحيدها في هذا العالم - تقصد قطبا الصغير - لم يعد الى البيت يقول لها : انه ليس وحيدها فهناك قطب الكبير العائد لهم . . . تساءلت : ومن قال ان الغائب يعود ؟ هاج فيها لأول مرة طلب منها السكوت .

وقال أن قطبا الكبير لابد وأن يعود ومن ليلتها لم يعودا الى الكلام في هذا الموضوع ابدا . وعندما كان يعود الى البيت متعبا في الليالي المستطيلة الوجه كانا يتكلمان ، يحاولان الهروب والاحتماء بالصمت ، يهربان في دروب الصمت الوعرة .

وهكذا اخذ اليوم شكله بالنسبة لقطب . يدور اليوم حول ساعات المحطة بدايته هي لحظة الذهاب اليها ونهايته هي وقت العودة منها وألذ أوقات اليوم هي ساعات الانتظار . وحتى تقع خارج خريطة اليوم يقضيها في انتظار الذي يأتي ويبدو أنه لن يأتي .

،ساعات اليوم الرئيسية تمر على قطب قاسية ولكن أوقات العذوبة تبدأ بتليفون خشن الصوت يرن في مكتب ملاحظ السيمافور العالي . بعد المكالمة القصيرة يفتح الطريق امام القطار لكي يدخل الى المحطة بعدها يخرج الناظر من مكتبه . ويفتح موظف التذاكر شباكه الصغير ويبدأ في قطع التذاكر للمسافرين ، يقف الحمالون صفا على الرصيف . . . يقف ساعي البريد حاملا كيس البريد وبه الأسرار والرسائل والحكايات،لايهتم الولد قطب بكل هذا عيناه هناك عند نقطة الأفق البعيدة . ما ان يشاهد النقطة السوداء الصغيرة المتحركة حتى يبدأ القلب في دقاته السريعة ، يصل القطار والدخان فوقه والنار تنبعث من جوفه وأصواته المعهودة

العالية تز-ىم المكان . والدخان الأبيض الذي لايخرج منه سوى في لحظات التوقف يملأ المحطة، يمتلىء جو المحطة بالبخار الأبيض تصبح الرؤية صعبة لجزء من الدقيقة،يصطدم بعض الناس ببعضهم تبدو المحطة مثل الجنة . والناس كأنهم يعومون في البخار الأبيض او يطيرون بين السحاب أجزاء صغيرة هي التي يراها قطب من الناس المتحركة ينظر قطب اكثر . وجهه المتعب يفيض بمشاعر غريبة . . . لحظة اللقاء . . . لحظة اللقاء . . . لحظة اللقاء . سيشرب دمعة كبيرة من عيني قطب الكبير يحملها بين شفتيه ويشربها ويتذوقها على مهل رغم أنها ستكون دمعة مالحة الطعم يقف القطار يقف قطب ، يوشك قلبه أن يحطم صدره من شدة الضربات يصيب التنميل أطراف اصابع قدميه وأصابع يديه ، يجف ريقه تنبت حبات عرق من منابت الشعر في رأسه . تعتم الرؤيا أمام عينيه تدور به الارض فيخيل اليه أنها فوق ، وأن قدميه مربوطتان الى الارض ووجهه الى أسفل يتماسك يستند على الأشجار والحديد والناس ، يمد يده يفتح بها عينيه يرى الناس المسافرين والعائدين ، والكل يعود ماعدا قطبا الكبير . يفتش في ذهنه باحثا عن ملامحه يحاول تثبيت هذه الملامح في الذهن بكل وسيلة يسأل نفسه عن قطب الكبير . . . لون وجهه ، آخر جلباب كان يرتديه طريقة وضع السجارة بين شفتيه . الطاقية فوق رأسه ، طريقة خطواته حركة يديه مع السير . بمجرد حضور القطارات من الأماكن البعيدة يبدأ في اعادة خلق الصور والمرئيات بداخله يطل عليها وكأنها شاشة تعرض عليه مابداخلها . يتوقف أمام بعض الجزئيات ويتساءل يتوقف في مواجهة البديهيات الصغيرة ويسأل نفسه كان يخاف أن يذوب قطب الكبير . أن يتوه في ذهنه ، تحت ركام مايطرأ على الانسان في حياته وكان يبدو متشبثا به في ذاكرته .

يتوقف القطار ينفث دخانه يقف سائق القطار في مقدمته كائن مغطي بالشحم والزيت ، يلوح

بيديه لناظر المحطة والحمالين ، وفي غمضة عين يسمع دقات ناظر المحطة الثلاث يليها دقات القطار . يشاهد قطب المنظر جيدا . يدخل سائق القطار الكابينة الامامية يمد يده يمسك شيئا يتدلى من سقف الكابينة يشد الى أسفل تنطلق الصفارة ، ومع صوتها العالي تنطلق شحنة من الدخان ثلاث مرات ، ثم تبدأ طقوس التحرك ، ينطلق الصوت مرة اخرى ولكنه ليس للصفارة ولكن للقطار نفسه . وتخرج كمية ضخمة من البخار الأبيض حول الاطارات وتبدأ الحركة البطيئة .

كان يحب هذه القطارات ويكرهها . يحبها لأنها تسليه ويكرها لأنها توشك ان تشغله عن قطب الكبير الذي ينتظره ولحظة وصوله تساوي العمر كله . لحظة يحسب حسابها ، يتخيل لحظة نزول قطب الكبير من القطار بعد أن يكون القطار قد صفر صفرته الأولى فقط . ولم يصفر الثانية بعد . المشهد واضح جلي في ذهنه لدرجة أنه يشعر بحرارة انفاس والده لحظة أن يقبله وعندما يتلامسان سيكون ذقن والده خشنا . واليد التي سيصافحها سيشعر بحبات العرق بين منابت الجلد والشعر . أما ارتعاشة الفرح فستكون من نصيبه هو .

حاولت أمه في احدى الليالي أن تشرح له ، أن تقول له ان حضور الغائب الى البلد ، اما ان يتم بالقطار او السيارة او الاتوبيس او السفن والمراكب . القطار له محطة والاتوبيس له موقف . والسيارات لها محطة وفي آخر البلد من ناحية قبلي يوجد مرسى مراكب وهو لايعرف بأي وسيلة يعود قطب الكبير . هل يعود بالسيارة أم بالاتوبيس أم بالسفن . ام بالقطار ؟ انه ينتظره في مكان واحد فقط . ومن يدريه أنه قد يحضر بوسيلة أخرى .

رفض الولد قطب كلامها ، قال لها : ان ما بداخله يضمن ان قطبا الكبير لن يعود الا بالسكة الحديد . ولن يحضر الا في قطار من قطارين يحضران الى البلد يوميا . اما قطار الخامسة وقت العصارى ، أو قطار الليل ، قطب الكبير اما ان ينزل من مصر آتيا من المطار أو يطلع من الاسكندرية صاعدا من الميناء البحري .

كان يرغب في الحديث عن القطارات التي تحضر والعربات الكثيرة التي يجر بعضها ، وسائقى القطارات الذين أصبح يعرفهم . وناظر المحطة الذي أصبح يعرف حالته من لبسه وطريقة كلامه . والسيمافور وملاحظ السيمافور الذي يفتح الطريق أو يغلقه.كاد أن يطلب منها الحضور معه . ومساعدته على تنظيف زجاج السيمافور حتى تبدو الرؤية واضحة من خلفه ولكنه كان متأكدا أنها سترفض . تمنى لو تكلم معها لو قال لها أنه يتصور ان والده عندما يعود لن يراه الا مع المرة الثالثة التي يصفر فيها القطار وهو يخطوالخطوة الأولى على الرصيف؛ عندئذ يرتفع اللهب في صدره يشعر بحرارة في حلقه ومع الخطوة الثانية تمتلىء العينان بمشروع دمعتين . ومع الخطوة الثالثة يمسح مشروع الدمعتين ويحاول اطفاء الصهد الخارج من صدره ويبدأ في التحرك نحو قطب الكبير .

ولكنه لايعود لاتهدأ حرارة الولد قطب بالهواء الذي تحركه عربات القطار عندما يصل الى سرعته .

الى أن كان يوم ، فاتت القيالة وانسحبت الشمس الى غربي البيت ورمى البيت ظلاله الى الناحية الشرقية ولم يتحرك قطب ، كان نائما على ظهره وعيناه مثبتتان في السقف دخلت أمه عليه ، فاكتشفت فجأة انه كبير وانه اصبح رجلا وانه ملأ في نومته هذه فرشة والده عن آخرها . ذكرته بموعده قالت انه يذهب في مثل هذا الوقت من كل يوم الى مكان الترزي لمعرفة الساعة ثم يعود ليستعد للذهاب الى المحطة ، قال لها انه لن يذهب لا الى دكان الترزي ولا الى المحطة ابتداء من اليوم دون أن تسأله . اعتدل في جلسته متربعا وقال لها

ـ لقد غيروا القطار

لم تفهم كلماته :

- القطار الوحيد الذي كان سيحضر فيه قطب الكبير أحالوه الى المعاش أمس .

أدار وجهه للحائط . فرحت في نفسها . . . قطب كبر ، قطب أصبح رجلا ولهذا لا يجب أن تراه وهو يبكي فدموع الرجال عار وضعف اقتربت منه وبدأ يحكي ، كانت عيناه مشدودتان للسقف وهو يتكلم ، كان القطار القديم قد أصبح صديقه وكان يعرف أن قطبا الكبير لن يقبل العودة من الغياب الا فيه ، قطار أسود اللون يخرج الدخان من أعلاه والبخار الأبيض من أسفله وتبدو النيران في بطنه يقف ليشرب من بعض المحطات عندما يعطش يتجشأ ويسعل ويهضم ما بداخله يعطونه الزيت والفحم والماء وكان يمشي متمهلا .

بالأمس ، أحضروا قطارا آخر ، علبة من الحديد الرمادي اللون مغلقة تجر وراءها أربع عربات فقط . مغلقة الأبواب مغلقة النوافذ والزجاج . أبوابها تفتح وتغلق بأزرار عند السائق .

وحتى السائق الذي لايبدو منه سوى وجهه من وراء نافذة صغيرة . أفندى نظيف يضع نظارة على العينين فكيف يسوق قطارا فيه اعداد كبيرة من خلق الله كان يجري بأقصى سرعة ، وفي المحطة توقف مرة واحدة فانكب الناس على بعضهم بداخله أما قطار قطب الكبير فكان يهدىء سرعته من بعيد ويدخل المحطة على مهل كأنه عاشق يلاقي معشوقته .

انه لايصفر تصوري ؟

قال لها قبل أن يتحرك القطار الجديد أطلق بوقا مثل صوت الأوتوبيس القديم الذي يحضر من القرى البعيدة . . . صوتا واحدا طويلا ثم تحرك وفي لمح البصر كان يسابق الريح لدرجة أن الهواء تحرك معه . فتسبب في وقوع بعض الناس على الرصيف جرى القطار وكأنه يهرب من المحطة ومن الناس .

- قطب الكبير لن يقبل العودة في هذا القطار ابدا .

سألته أمه وقد شدتها حكايته :

- والقطار القديم ألم تسأل عنه ؟

أجابها :

- قالوا لى أخذوه الى مخازن الخردة ، معاش يعني ؟

قالت أمه :

- ياخسارة

أما هو فأكمل

- بصقت عليهم جميعا . القطار الجديد وناظر المحطة وملاحظ السيمافور .

- ماذنبهم ؟

- خانوا قطبا الكبير وخانوا قطبا الصغير وخانوا قطارنا .

خرجت أمه ناوش الخوف قلبها على وحيدها لأول مرة كان لايحلو له الحديث الا عن القطار الذي تآمر الجميع عليه . وعن علب الكبريت التي يسمونها خطأ القطار الجديد وهي لاتصلح اكثر من ان تكون لعبة في يد طفل صغير يلهو بها وفي ختام أحاديثه كان يقول ان قطبا الكبير لن يقبل الحضور فيه وسيفضل البقاء حيث هو مادام القطار قد تغير .

فزعت عليه عندما قال لها ذات مرة ان قطبا الكبير هو الذي أبلغه بذلك بنفسه عندما رآه آخر مرة .

وفي صباح اليوم التالي قال قطب للمرة الأولى :

- قطب الكبير غاب

اما امه فقد قالت ، ولكن في نفسها ، ان قطب الكبير لن يعود ولكن من يضمن لها عودة قطبا الصغير مما هو فيه .

قالت أمه :

- من الذي اخترع الصمت ، ومن الذي أوجد الكلام ؟

سألها عن كلامها انتبهت الى وجوده قالت انها كانت تكلم نفسها ، همس في خاطره حتى أنت تكلمين نفسك يا أمي وان كانت كلمة واحدة مما قالته أمه قد ظلت عالقة في أذنيه كالرنين :

- الصمت .

□□

صفحة لغة

محبتك الغير فضيلة

بقلم : محمد خليفة التونسي

في صفحة اللغة من العدد الماضي (٣٠٨) وضحنا جواز استعمال (لا غير) كما في قولنا (ثمن الكتاب ثلاثة دنانير لاغير) ، وأقمنا الأدلة على فصاحته ، فاتضح ان من ينكرونه يتعنتون بلا حجة .

وهنا نتصدى لمن ينكرون قبول (غير) للتعريف سواء باضافتها الى معرفة ، أو بدخول أداة التعريف « أل » عليها .

وقبل مناقشة هذا الرأي بخاصة ينبغي ان ننبه وننبه الى رأي نراه ، وهو ان علماء اللغة عندنا لو كانوا ـ الى جانب اشتغالهم باللغويات ـ يشتغلون بالكتابة تأليفا أو ترجمة في الموضوعات الأدبية او الفلسفية او العلمية او الصوفية لعرفوا مضايق الكلام ، والمحاولات المجهدة التي يعانيها كتاب هذه الموضوعات للنفاذ خلال هذه المضايق واحتياجهم ببعض التجوزات التي لا تخل بسلامة اللغة ، لكي يؤدوا ما يريدونه من معان دقيقة او عميقة او عالية أو مركبة ، ولعرفوا ايضا ان هذه التجوزات التي تمليها الحاجة او الضرورة تنمي اللغة وتزيدها جمالا واقتدارا على اداء وظائفها المختلفة . ولو وقفت كما تركها الجاهليون ، او من بعدهم حتى نهاية القرن الثاني ـ وهي فترة الاحتجاج عند لغويينا ـ اذن لاصابها الجمود والبوار .

ولكن لغويينا او معظمهم ينكبون على كتب اللغة وحدها او يضيفون اليها كتب الرواية فيستوعبونها آليا ، ولا يشاركون في أي نوع من انواع الكتابة حتى الأدبية ، وهي اليهم اقرب من سواها ، فاذا اضطروا الى الكتابة ففي اللغويات ، وكل سبلها ممهدة ، وكل عباراتها بسيطة ، وكل الفاظها متناقلة من سابق الى لاحق ، واذا تعرضوا للروايات المأثورة اكتفوا بالنقل ، ويندر ان يتعرضوا بالدراسة او النقد لما ينقلون .

ولهذا لا نجد بين اللغويين أديبا ولا شاعرا ولا فيلسوفا ولا فقيها ولا ناقدا ولا عالما في العلوم الانسانية أو الكونية .

ولا نريد ان نغض من فضلهم العظيم في خدمة لغتنا ، ولا قدرهم بين اهل الفكر عندنا ، ولكن نريد ان نعرف حدود ما يحسنونه وما لا يحسنونه ، ولهذا كان مما ينبغي لأصحاب الاقلام ان لا يتركوا قضايا اللغة حكرا في أيدي اللغويين ولا سيما المتشددين يبيحون ويمنعون كما يجتهدون او يشتهون ، وكذلك ينبغي لكل لغوي من اصحاب الاقلام عندنا ان ينظر الى ما خلفه اللغويون السابقون واللاحقون نظرات واعية ناقدة ، دون أن يغفل فضلهم في نياتهم الطيبة ، وجهودهم المثمرة .

نقول هذا لما وجدناه من تخبط في بحث (غير) بين اللغويين المتشددين ولاسيما المتأخرين كما سنرى .

متى تعرف غير بالاضافة

حيثما وردت (غير) فهي تدل على المخالفة ، وهي نكرة ، كما انها في ذاتها تبدو مبهمة بل شديدة الابهام حتى كأن مدلولها لا يقبل التعين ، وهذا وهم فاتنا اذا نظرنا اليها في سياقها في كثير من الجمل وجدنا ابهامها يضعف او يزول ، ومن ذلك ان تقع بين ضدين كما في قولنا (الكرم

غير البخل) و (البياض غير السواد) وكما في الآية الكريمة (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم) .

يرى العلامة الأخفش سعيد بن مسعدة في تفسيره لهذه الآية[1] ان (غير) هنا تعرب نعتا (للذين) او بدلا ، ويقول : ان « غير ومثل » تكونان صفتين للنكرة ، ولكن يحتاج اليها فيجريان صفة للمعرفة كما في الآية .

ويرى صاحب المصباح المنير[2] ان غير في الآية وصفت بها المعرفة لأنها اشبهت المعرفة باضافتها إلى المعرفة ، فعوملت معاملتها .

كذلك يرى العلامة ابن الحاجب ان « غير » اذا وقعت في تقسيم حاسم فهي معرفة[3] كما في هذه الآية ويتابع الزبيدي هؤلاء فينقل في معجمه (أن غير قد تتعرف في بعض المواضع) وينقل عن الأزهري قوله في الآية (خفضت غير هنا لأنها نعت للذين ومن هنا جاز ان تكون نعتا لمعرفة).

ولسنا نريد ان ننقل كل ما قاله من ينكرون تعريف غير بالاضافة ولكننا نكتفي بمثل واحد من أقوالهم المتهافتة .

يقول بعضهم : ان (غير) في الآية نكرة وانها نعت للذين وهذه نكرة ايضا ، فاذا سألناهم وكيف تكون (الذين) نكرة وهي ضمير موصول بعده صلة تعرفه ، أي أنه معرفة ؟ وحينئذ يجيبون أن كلمة الذين كانت نكرة قبل ان توصل بالجملة ولهذا جاز نعتها بالنكرة (غير) .

هذا ونحوه ما يتمسكون به من اقوال واهمة متضاربة ، فهم يحكمون على موجود (جملة الصلة) بأنه معدوم ، ويحكمون على معدوم بانه موجود .

الغير

وهل يجوز ان نقول (الغير) بدخول ال .

نقول : نعم ، فانما الألفاظ أوعية المعاني ، وهذه مهمتها ، فعلى المتكلم ان يبذل كل قوته وحيلته لأداء معانيه سواء الف او ترجم ، يقول علامتنا الكبير الفيلسوف ابن رشد وهو يلخص كتاب الخطابة لأرسطو في الكلام على الفضيلة « الانعام على الغير ـ اذا لم يستفد المنعم منه شيئا ـ هو مما يمدح به . ومن الشرف ان لا يحتاج الانسان الى الآخرين بل يكون مكتفيا بنفسه » ويقول في آخر تلخيصه « مقايسة الانسان نفسه مع غيره لا تصح الا من الرجل الفاضل » .

فنحن نرى هنا ثلاث كلمات (الغير) و (الآخرين) و (غيره) وكلها بمعنى واحد وكلها فصيحة وحين تكون (غير) بمعنى الضد يصح ادخال أل عليها[5] فيقال (الغير) كما هنا .

ونحن حين نترجم او نؤلف في الموضوعات الصوفية او الفلسفية او النفسية او الاخلاقية قد نضطر او نحتاج الى استعمال (غير) ومرادفها (سوى) مع (ال) فنقول (الغير) و (السوي) وهكذا سار قدماؤنا ، فالصوفية مثلا في تنزيههم الله وتوحيده ينزعون الى التجريد **Abstruction** وهو عندهم هنا تنحية السِّوَى او الغير عن القلب ، واسقاط الاضافات جميعا ، باعتبار ان احدية الذات في كل الحالات: هي التوحيد الحقيقي ، وينادون بطرح « السوى » و « الغير » بمعنى ما سوى الله ، وغير الله ، اي الكون كله .

ونحن نقول في الاخلاق مثلا : (في فلان أثرة) بمعنى اسقاطه كل حقوق غيره عليه ، ونقول (في فلان ايثار) بمعنى الشعور بحقوق غيره وتأديتها ، ونستطيع ان نقول (الغير) و (الآخرين) بدلا من (غيره) كما في عبارة ابن رشد لأن المعنى واحد ، ونحن اليوم نضع كلمة (الغير) و (الآخر) ترجمة لكلمة (**other**) والغيرية في ترجمة **otherness** أو **Alterity** أو **Altruism** وفي مقابل كلمة الانانية اي **egoism** وأما **egotism** فإنها تعني « الاثرة » **selfishness** .

وربما كان من المفيد أن نذكر كلمة ابن جني : ان العرب كانوا اذا حصنوا المعاني تسامحوا في العبارة .

---

(١) انظر تفسيره (معاني القرآن) سورة الفاتحة ١ / ١٦ تحقيق الدكتور فايز فارس

(٢) المصباح المنير : مادة (غير)

(٣) انظر كتابه (الايضاح في شرح المفصل) ١ / ٣٧ تحقيق الدكتور موسى بناى العليلي .

(٤) و (٥) معجم « تاج العروس » / مادة « غير » .

عيون الأسماك والضفادع

هل تختلف عن عين الإنسان ؟

بقلم : الدكتور سرى فايز سبع العيش

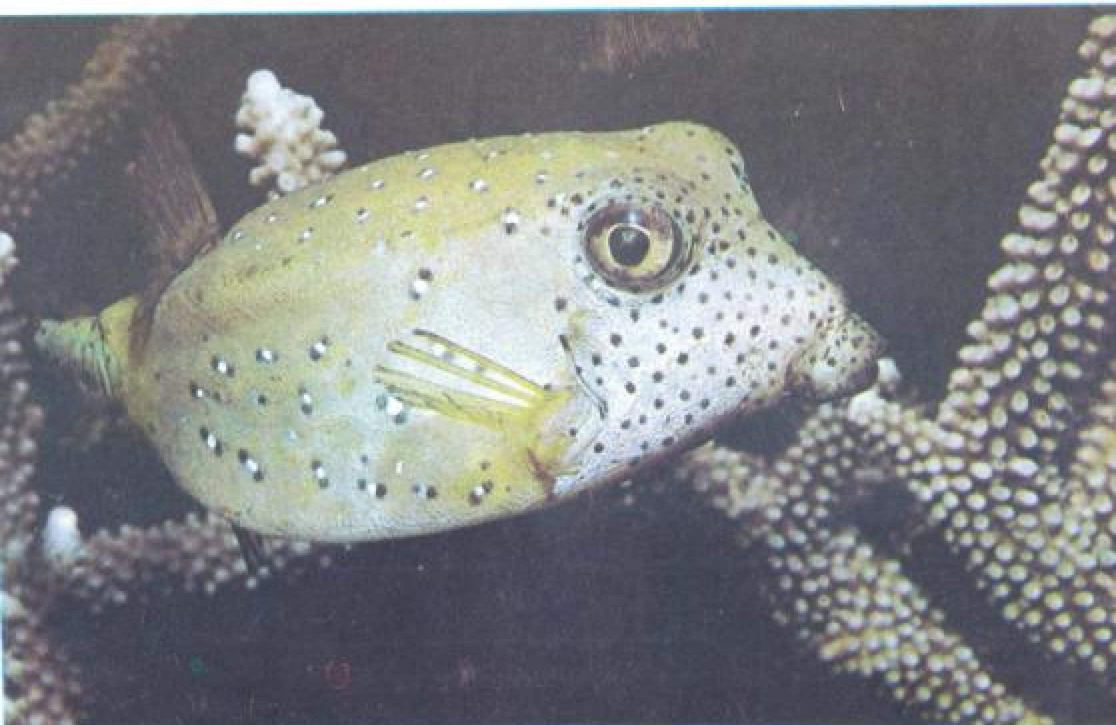

عين السمك كبيرة جانبية ، ليس لها أجفان

□لعل حاسة البصر هي أرقى الحواس وأوثقها صلة بين الانسان والعالم حوله ، وأدقها كشفا لليقين في الحياة ، ويكفيها سموا وروعة أن القرآن أكثر من ترديدها في معظم السور ، وأشار اليها انابة وبرهنة على النور واليقين والصدق والعلم والهدى والحقيقة المثلى ، لأنها الدرب المباشر للادراك العقلي .

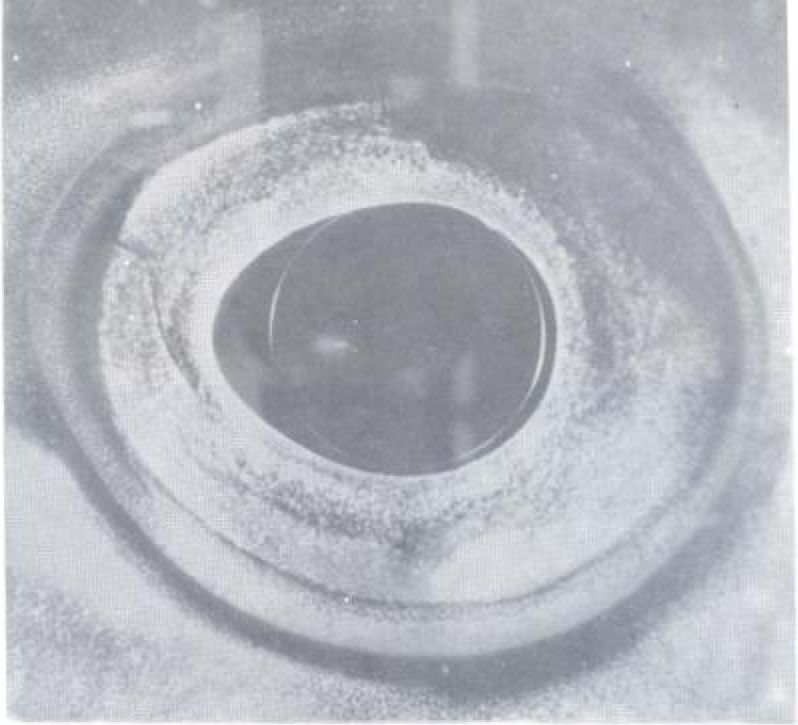

عين سمك السالمون البني : القرنية كبيرة بيضاوية الشكل ، والبؤبؤ واسع بيضاوي ، تبدو خلفه العدسة البلورية . أما الصلبة فتحتوي على غضاريف

العينان هما ابداع الخالق في خلقه ، وهما في الوجه الأعلى والأروع والأحلى . وذلك البصر المنبث فيهما هو النعمة الكبرى .

الحيوانات الدنيا لاتبصر ، والديدان تكاد لاترى حتى وان امتلكت عيونا بدائية ، والأفاعي تعرف فريستها وتهاجمها معتمدة على حس الاهتزازات الأرضية ، التي تنقل الى اذنها الداخلية عبر الفك السفلي ، والأفاعي السامة تعرف أين تتوقع فرائسها من ذوي الدم الحار بدقة عالية ، بالرغم من أنها عمياء ، بواسطة الاشعاع الحراري ، حتى في الليل وفي الظلام الدامس .

الأسماك وتصيد الغذاء

أما الأسماك فيتفاوت مدى اعتمادها على البصر حسب أنواعها ، والعمق المائي الذي تعيش فيه ، ففي أعماق المحيطات ، حيث يشتد عكر الماء ويكاد نفاذ الضوء فيها أن ينعدم - تعتمد الأسماك على حواس الذوق والشم واللمس والسمع والاهتزازات ، فمثلا سمك القرش يتصيد غذاءه من الحيوانات المائية ، معتمدا على حاسة الشم . وهناك أسماك كثيرة تعتمد على حاسة اللمس ، وعلى الجهاز الحسي الجانبي في أجسامها .

وعلى أية حال . . ففي الأسماك المفترسة يكون البصر على درجة قصوى من الأهمية . ولنأخذ سمك السالمون مثلا ، حيث تكون العين كبيرة ، فالرؤية تحت الماء تتطلب عينا مديدة البصر . وعلى النقيض من عين الانسان ، ليس للقرنية عمل في الانكسار الضوئي عند الأسماك ، فالوظيفة الكاسرة للضوء تعتمد على العدسة الكبيرة الكروية ، والتي تتحرك عند

عين الضفدع ليلا : العين كبيرة جدا بالنسبة للرأس ، لايكاد المحجر يحتويها فهي جاحظة جدا .. والبؤبؤ واسع دائري .. والصلبة تحتوي على غضاريف ، والجفن العلوي قصير لايتحرك ...

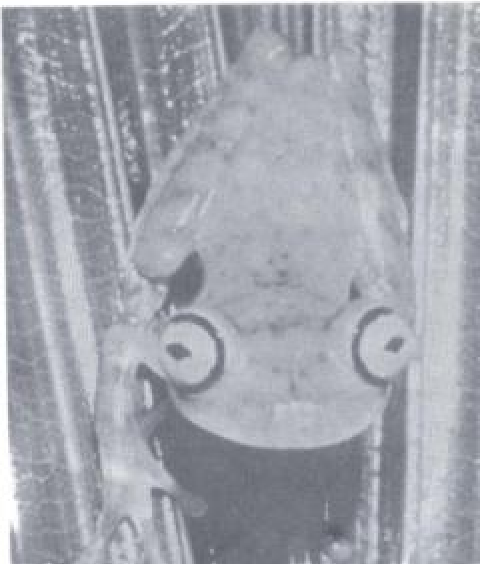

عين الضفدع نهارا :
البؤبؤ صغير معيني الشكل ، يحجب الكثير من أشعة الشمس المؤذية الوهاجة .

المطابقة الى الأمام أو الوراء ، خلافا للعدسة عند الانسان ، التي تغير تكور سطحها الأمامي أثناء المطابقة دون أن تنزاح عن موضعها . وفي عيون بعض الأسماك خاصية التألق ، كما هو الأمر عند القط ، اذ تشع عيونها تحت الماء بواسطة البساط المشع تحت الشبكية ، الذي يحوي بلورات من مادة الغوانين تعمل كمرآة عاكسة . والعين في سمك القرش كبيرة اسطوانية ، بيضاوية القرنية ، تحوي غضاريف في صلبتها ، ولها بؤبؤ واسع مستدير وعدسة كروية كبيرة ، وتتمتع عين السمكة بزاوية بصرية واسعة ، اذ تستطيع الرؤية على مدار ٣٦٠ درجة ـ فتبصر كل ما في

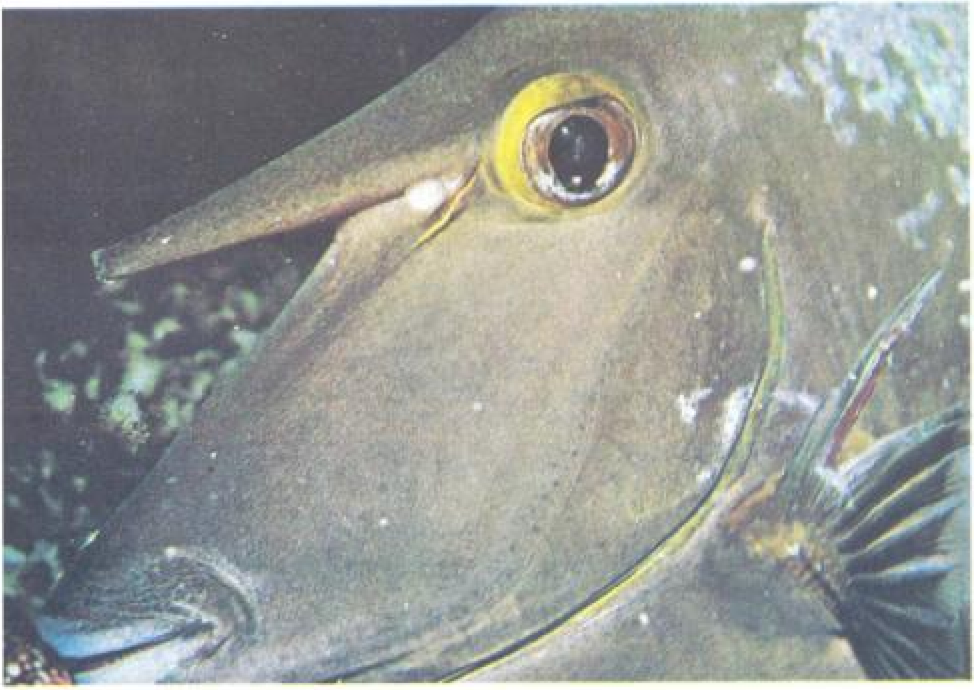

الماء تحتها ، حيث يعمل سطح الماء كمرآة تعكس صور الأحياء والأشياء المائية ، وترى فوقها كل ما يمتد بين الأفق وكبد السماء .

عيون البرمائيات

أما عيون البرمائيات كالضفدع فهي أكثر تطورا وتطابقا مع الرؤية في الهواء ؛ فالعين كروية الشكل، والقرنية تشارك العدسة في عملية الانكسار . ولكن العدسة مازالت كروية كبيرة ، تتحرك للأمام والوراء ، كما هو الحال في الأسماك عند المطابقة .

وهناك غضاريف في صلبة العين ، بينما القرنية كبيرة بجميع طبقاتها المميزة كما في الانسان ، ولعين الضفدع بعض من خاصية التألق كما في الأسماك ، والبؤبؤ دائري واسع في الليل ، أو بشكل معين ، أو قلب ، ويضيق في النهار فيصبح بشكل شق عمودي أو أفقي ، وللضفدع أجفان لايحتاجها السمك الموجود في الماء ، فهي تحمي القرنية وتبقيها رطبة في الهواء ، ولكن الجفن العلوي لايتحرك ، بل يتحرك الجفن السفلي منها بواسطة غشاء شفاف .

وللضفدع غدة دمعية ، وغدد أخرى تفرز مواد مزلجة للقرنية ، وله قناة دمعية أنفية ، وأغلب حركات العين عند الضفدع هي ارتداد للوراء واندفاع للأمام ، مع انغلاق الجفن وانفتاحه . وارتداد العين للخلف يساعد الضفدع في عملية البلع ، اذ ليس هنالك الا غشاء رقيق يفصل بين العين والفم .

والضفدع ليس له أسنان ، فهو يبتلع فرائسه الحشرية كلية . والكرة العينية تساعد في عملية البلع عندما تنسحب للداخل بواسطة عضلات

يتفاوت مدى اعتماد الأسماك على البصر حسب أنواعها .. وحسب العمق المائي الذي تعيش فيه .

نمر البحر : عينان كبيرتان واسعتا البؤبؤ .. تنساب دموعه على خديه (لانعدام القناة الأنفية الدمعية عنده) فتكسبه نظرة انسانية تدعو للاشفاق

عين صوري الطين نهارا ، يضيق البؤبؤ بفعل الانعكاس الضوئي الشديد ، فبدا بيضاويا طولانيا .

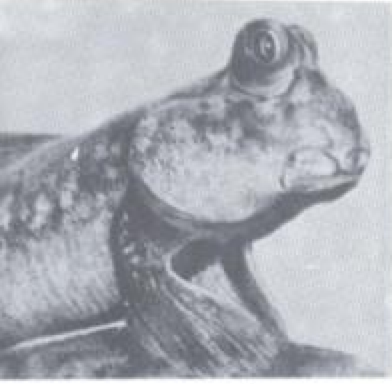

صوري الطين أو القافز بالطين ، سمكة برمائية ، عيناها كبرج مراقبة ، وهي تتطلع باحثة عن الغذاء .

خاصة . وهكذا تدفع الحشرات للولوج الى المعدة .

وهنالك أسماك برمائية ـ نأخذ مثلا عليها نمر البحر وأسد البحر .

الحياة بين الماء واليابسة

هذه الزمر من الحيوانات هي أكثر تكيفا للحياة المائية منها للحياة الترابية ، فهي على اليابسة تبدو بليدة بطيئة الحركة ، بينما تكون رشيقة نشيطة الحركة تحت الماء . بعضها لا يأكل الا الأسماك أو السرطانات البحرية ، وبعضها شره آكل للحوم ، ولها عيون كبيرة متجهة للأمام والأعلى . ولأنها لا تملك قناة بين العين والأنف ، أي قناة دمعية أنفية ، ترى دموعها دائما منسكبة على وجهها ، فيثير المنظر شعورا بالاشفاق .

الرؤية عند نمر البحر جيدة سواء في الماء أو في الهواء وكما في الأسماك ، فان له عدسة كروية كبيرة تتحرك للأمام عند المطابقة .

وهناك من الأسماك البرمائية : الأسماك القافزة في الطين . وهي زمرة خاصة من الأسماك تعيش معظم حياتها خارج الماء ، تقفز وتتحرك بسرعة غريبة في المستنقعات وفي الأخاديد الطينية بواسطة زعانفها الصدرية ، وتتميز بعيون طريفة غريبة الشكل ، اذ أن عينيها تنتصبان على قمة الرأس كبرج مراقبة ، تتمتعان بحركة دائرية واسعة وهي تستطيع أن تحمي قرنيتها من الجفاف بواسطة جلد شفاف يغطي العينين عندما ترتدان الى الداخل .

هذه هي قصة العين والبصر عند بعض الحيوانات ، تكاد تنحصر بوظيفة الحياة والبقاء والسلامة . والانسان هو المخلوق المميز الذي دقت فيه وظائف العين ، وارتقى في عينه البصر ، فأصبحت له وظائف أخرى أهم فاشتقت منه وارتبطت به البصيرة . □□

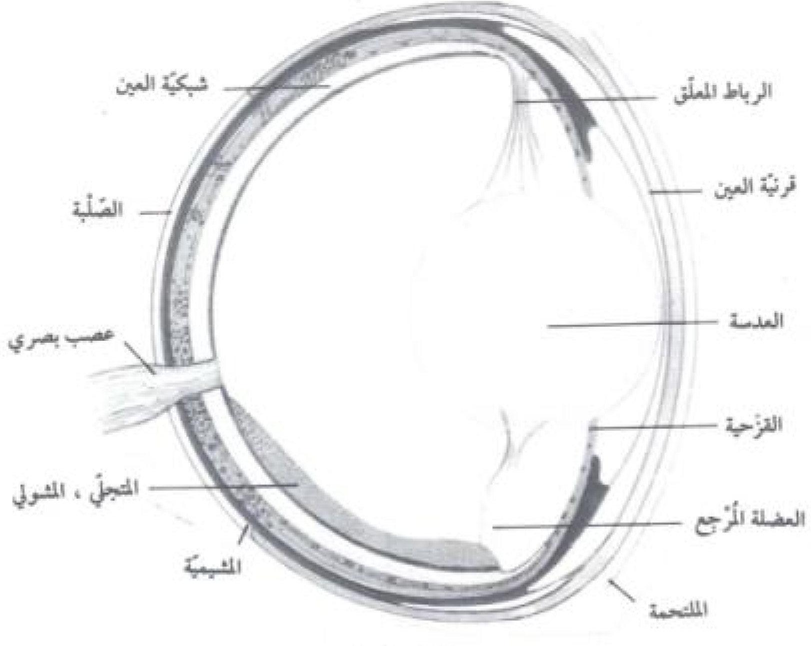

عين سمك الاطروط النهرى

مقطع لعين سمك السالمون البني : القرنية شديدة التبسط ، ليس لها قوة كاسرة مؤثرة ، كما هو الأمر عند الانسان ، والعدسة كبيرة كروية ، اقتربت كثيرا من القرنية ، تكاد تمسها وهي في حالة المطابقة .

أسد البحر : ينطلق من مخبئه وثبا لينقض على فريسته الهاربة بعد أن رصدها بعينيه الحادتين .

العربي - العدد ٣٠٩ - اغسطس (اب) ١٩٨٤

الجبال المهاجرة

بقلم : سمير شعبان

□ في العقد الثاني من القرن الحالي فاجأ عالم الأرصاد الجوية الألماني (الفرد فيفنر ALFRED WEGEBER) العالم بنظريته حول (انزياح القارات CONTINENTAL DRIFT) بأن يابسة كوكبنا الأرضي كانت قارة وحيدة ثم تمزقت إرباً وتباعدت لتشكل القارات المعروفة حالياً ، وكما هو الحال دائماً مع النظريات الجديدة،قوبلت نظرية الألواح المتحركة بالتزمت والرفض القاطع .

بعد كفاح استمر حوالي نصف قرن نجح انصار هذه الفكرة في تقديم الأدلة الكافية ، فتقبلها العلماء - مع بعض التعديل - وهكذا أصبحت نظرية (الألواح المتحركة PLATE TECTONICS) - الى حين - النظرية المتحدة الوحيدة التي بمقدورها تفسير كل شيء يخص علوم الأرض ، ولكنها عجزت عن تقديم تفسير مقنع لبعض المشاهدات المحيرة .

لم تنعم هذه النظرية بالراحة الا سنوات معدودات فحسب ، اذ سرعان ما بدأت الآراء الثورية الجديدة تناوئها متسلحة بالاكتشافات الحديثة ، وعلى رأسها الاكتشاف بأن حوالي ربع قارة أمريكا الشمالية (ليس مصنوعاً في أمريكا) وبأن آلاسكا المتجمدة تمثل (مخيماً للجبال المهاجرة) اليها من المناطق الاستوائية والمدارية الحارة .

نمو القارات

تنص نظرية (الألواح المتحركة) أن قارات الأرض اليابسة تمتطي متن الواح كبيرة من قشرة الأرض ، دائبة الحركة بالنسبة لبعضها بعضاً ، اما متباعدة أو متصادمة الى حد يجعل بعضها (يغوص) تحت الآخر . وساد الاعتقاد لدى العلماء - بعد قبول هذه النظرية منذ حوالي عشرين سنة - بأن القارات تنمو ببطء وباستمرار ، بصورة مشابهة لنمو ساق الأشجار حيث تضاف كل سنة حلقات جديدة على محيطها الخارجي .

الا أن الدلائل الحديثة توصي بأن نمو القارات كان (فجائياً) وليس بطيئاً ، وأن نمو أمريكا الشمالية حدث خلال وقت قصير نسبياً - بمقياس الزمن البيولوجي - لا يتعدى ٢٠٠ مليون سنة الماضية فحسب . فقد تبين للعلماء أن كامل شاطيء أمريكا الشمالية المطل على المحيط الهادىء والممتد من باجا بولاية كاليفورنيا جنوباً حتى رأس ألاسكا شمالاً ، والذي يقارب عرضه

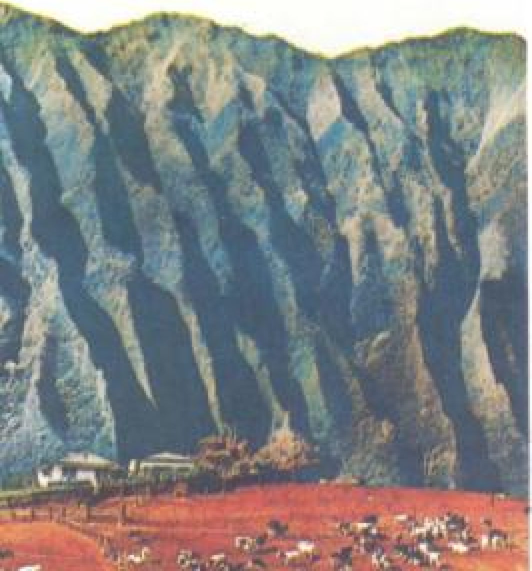

الوسطى ٥٠٠ كيلومتر ، قد تم رصفه على القارة الأصلية بإضافة (هضاب كبيرة مسبقة الصنع من قشرة الأرض ، هاجر معظمها آلاف الكيلومترات شمالاً وشرقاً ، بعيداً عن موطنه الأصلي في أواسط المحيط الهادىء وغربه . وقد بينت المشاهدات أن عرض هذه الهضاب المهاجرة يتراوح بين مئات وآلاف الكيلومترات .

ما هو مصدر هذه الهضاب المهاجرة ؟ الجواب أن مصدر العديد منها هو القشرة الأرضية البحرية نفسها ، أو الهضاب البحرية المغطاة بالماء أو الجزر ، لكن فئة قليلة منها فقط كانت (شظايا) واضحة لقارات أخرى . بعد بلوغ أمريكا الشمالية وملامستها تعرضت هذه الهضاب لقوة شديدة قصتها وحولتها الى (أشرطة) ضيقة العرض ، ثم لصقتها على خطوط موازية لحافة القارة . وقد كانت القوى كبيرة جداً أحياناً ادارت العديد من الهضاب أثناء الاصطدام أو بعده . وهكذا أضحى الجزء الغربي من أمريكا الشمالية ملجأ للهضاب التي التحقت بالقارة واحدة تلو الأخرى خلال ٢٠٠ مليون سنة الماضية ، بتأثير حركة القشرة المحيطة للمحيط الهادىء .

يطلق العديد من العلماء على هذه النظرية الجديدة التي تفسر تغير ملامح القارات اليابسة نتيجة انتقال كتل كبيرة من قشرة الأرض ، وتدويرها ولصقها ، اسم حركة الألواح الميكروية «MICRO PLATE TECTONICS» وقد نجحت هذه النظرية الجديدة المناوئة في تفسير بعض الظواهر التي اخفقت النظرية الأصلية للألواح المتحركة في تفسيرها مثل نمو القارات وتشكل الجبال .

جولة مع التاريخ

في ١٩٦٣ كان (هاملتون W. HAMILTON) يتجول بالقرب من جبل (سفن ديفيلز) في غربي ولاية ايداهو الأمريكية . أصيب العالم الشاب بالحيرة : فقد كانت (طبيعة الصخور) في شرقي الحقل الذي يدرسه ـ والذي بلغت مساحته حوالي ١٠٠٠ ميل مربع ـ متباينة بشكل جذري عن طبيعة الصخور الشرقية عبارة عن صخور قارية وطينية ، أما الصخور الغربية فقد كانت بحرية المنشأ . شعر (هاملتون) باستحالة هذا الأمر ، اذ كانت أقرب الشواطىء البحرية تبعد عن حقله حوالي ٦٠٠ كيلومتر ، لذا لم يجرؤ على نشر مكتشفاته وقتها ، حتى كاد يطويها النسيان .

لكن في ١٩٦٩ بدأ هاملتون بالحديث عن تصوراته ، بعد أن لاحظ تبايناً مشابهاً في طبيعة الصخور في جنوبي ولاية كاليفورنيا . لكن اعتقاده كان هذه المرة جازماً ، بأن تلك الصخور لا بد أن تكون جزءاً من جزيرة مدارية حارة الطقس ، هاجرت آلاف الكيلومترات للالتحاق بأمريكا الشمالية . لكن رأيه هذا سبب له بعض الحرج ، لأنه كان معارضاً لنظرية الألواح المتحركة التقليدية المتحدة من معظم العلماء . لكن سرعان ما اعتراه شعور من الارتياح ، عندما علم أنه ليس الوحيد الذي يفكر بهذه الطريقة الثورية .

ففي ذلك الوقت كان (مونجيو) من هيئة المسح الجيولوجي الكندية و (روس C. ROSS) من جامعة ولاية واشنطن يستغربان العثور على بعض الصخور في ولاية (بريتيش كولومبيا) الكندية ـ المطلة على المحيط الهادي ـ الحاوية على مستحاثات (حفريات) غريبة عن مستحاثات جيرانها في تلك المنطقة الباردة : فقد احتوت هذه الصخور بقايا كائنات وحيدة الخلية يقارب طولها سنتيمتراً واحداً ، لم يعرف لها وجود قبلها الا في المياه الدافئة التي كانت تحيط بما يعرف في يومنا هذا باسم الصين واليابان واندونيسيا .

رفض العلماء المحافظون هذا الرأي بعصبية مدعين أن التيارات البحرية هي التي حملت هذه

المستحاثات الى أقاصي أمريكا الشمالية لكن (مونجيه وروس) أصرا في ١٩٧١م على أن جبال ولاية (بريتيش كولومبيا) هذه كانت - يوماً ما - جزءاً لا يتجزأ من الصين أو اليابان أو اندونيسيا .

في ١٩٧٢م وجد علماء آخرون أدلة توحي بأن جزيرة (فانكوفر VANCOUVER- القريبة من الحدود الفاصلة بين كندا والولايات المتحدة في المحيط الهادي - كانت جزيرة استوائية قبل حوالي ٢١٥ مليون سنة ، على بعد يقدر بآلاف الكيلومترات عن موقعها البارد الحالي ، وأن انتشار الغابات الاستوائية فيها حتى الآن يؤيد ذلك .

في عام ١٩٧٤م استنتج علماء آخرون يعملون في ولاية (آلاسكا) المتجمدة أن معظم القسم الجنوبي من تلك الولاية كان متوضعاً في الماضي السحيق على خط عرض دافىء مقارب لولاية (أوريغون) وأن هذا القسم لم يلتحم مع القارة الأمريكية الا قبل حوالي ٧٥ مليون سنة .

في ١٩٧٧ استخلص (جونز D. JONES) من هيئة المسح الجيولوجي الأمريكية أن أجزاء أخرى من شمال غرب أمريكا الشمالية ، إنما كانت قطعاً مبعثرة قرب خط الاستواء ، قبل فترة غير طويلة من الزمن .

وخلال عقد واحد تقريباً بدا من الواضح أن حوالي ربع أمريكا الشمالية ليست أمريكية أصيلة ، فولايات (واشنطن ، أوريغون) وجزء كبير من ولاية كاليفورنيا ليست مصنوعة في الولايات المتحدة نفسها ، وأن حوالي نصف ولاية بريتيش كولومبيا الكندية مستورد أيضاً .

وقد شبه أحد العلماء ولاية آلاسكا بمخيم للمهاجرين من اصقاع متباعدة اذ تشكل القطع متباينة المنشأ الجيولوجي ، أكثر من ٥٠ بالمائة من مساحتها .

وفي الحقيقة فان الجزء الأصلي الوحيد في تلك الولاية هو عبارة عن مثلث صغير يحاذي نهر (يوكون YULON) قرب الحدود الكندية . واذا نظرنا الى الحافة الغربية لأمريكا الشمالية ، والتي يقارب عرضها ٥٠٠ كيلومتر ، بدءاً من (آلاسكا) شمالاً حتى كاليفورنيا جنوباً ، وجدناها مكونة حصراً من الجبال المهاجرة اليها من بقع أخرى من العالم ، معظمها من المناطق الاستوائية الحارة في المحيط الهادىء .

هل تقف حدود هجرة الجبال على أمريكا الشمالية وحدها ؟ لا . اذ يعتقد بعض العلماء أن أمريكا الوسطى برمتها ، ومعظم أجزاء الصين واليابان ، وحواف أمريكا الجنوبية ، والاتحاد السوفياتي ، وجزء كبير من اليابسة المطلة على المحيط الأطلسي ، لا تعدو كونها تجمعات من الهضاب المهاجرة .

نظريات في صراع

في بواكير السبعينات ، جوبهت فكرة الجبال المهاجرة بالرفض القاطع ، وتعالت الأصوات المنادية : القارة قارة فحسب ، ولا يجوز إضافة أي جزء دخيل اليهانظرية الألواح المتحركة تفسر كل شيء ، وهي النظرية الموحدة لجميع العلوم الجيولوجية . لم تثبت ثورة نظريات انزياح القارات أقدامها الا منذ سنوات معدودات فحسب ، ولم يتلاش عبق أريجها من قاعات المحاضرات الجيولوجية بعد ، فكيف نسمح لثورة مضادة بمزاحمتها ؟ .

تتكون قشرة الأرض - حسب نظرية الألواح المتحركة التقليدية من موزاييك مكون من العديد من الألواح الصلبة تتباعد عن بعضها أو تتقارب فتتطاحن عند تلامسها مع بعضها . تحمل بعض الألواح على متنها مسافرين مقيمين دوماً هم القارات خفيفة الكثافة ، بينما تحمل الألواح الأخرى القشرة البحرية عالية الكثافة . بعض الألواح يكتفي عند التلامس بالانزلاق فحسب : فاللوح تحت المحيط الهادىء ينزلق ازاء لوح أمريكا الشمالية فحسب ، ويفصل

بينها انهدام (سان اندرياس SAN ANDREAS) . وهناك الواح أخرى (تتصادم مما يجبر أحد اللوحين على الانحناء والغوص تحت اللوح العائم : فالى الشرق من اليابان والفلبين يغوص اللوح الهادىء تحت اللوح الحامل لقارة آسيا .

تتشكل الجبال ـ حسب نظرية الألواح المتحركة التقليدية ـ نتيجة ركوب لوح فوق لوح آخر ، واذا كان كل من اللوحين المتصادمين يحمل قارة يابسة ، عندها تتشكل سلسلة جبلية . ومن أشهر الأمثلة على ذلك سلسلة جبال هيمالايا ، الحاوية على أعلى قمة في كوكبنا الأرضي (جبل افرست) . وقد نشأت عن تصادم اللوح الحامل لشبه القارة الهندية وانغماسه تحت اللوح الأسيوي . وتقول هذه النظرية التقليدية بأن نشوء الجبال ممكن أيضاً ، عند تصادم لوح بحري مع لوح قاري مثل تصادم اللوح الهادي مع لوح أمريكا الجنوبية وغوصه تحته لتوليد جبال الأنديز ، ويعتمد التفسير هنا ببساطة على مبدأ العتلة (القارص) حيث يوضع طرف قضيب تحت وزن ثقيل لرفعه الى الأعلى بالضغط على الجانب الآخر للقضيب ، وهكذا فان الضغط الناتج عن غوص اللوح الهادىء سيؤدي الى تحدب أمريكا الجنوبية .

بدت الأمور للوهلة الأولى وكأن نظرية الألواح المتحركة قادرة بالفعل على تفسير كل شيء : فالبراكين تكثر في اليابان مثلاً لأن لوح المحيط الهادي يغوص تحت اللوح الأسيوي ، فيسخن وينصهر في باطن الأرض الحار ، فتنطلق بعض الصخور المصهورة الى الأعلى . . وهذا هو البركان .

كانت نظرية الألواح المتحركة ظافرة بدون منازع حتى حين ، بعدها بدأت الاشكالات والاعتراضات بالظهور ، فقد اعترض بعض الجيولوجيين على تفسير نشوء جبال الأنديز نتيجة انغماس لوح تحت آخر : فقد كان من المفروض ـ حسب اعتقادهم ـ أن يتمدد اللوح الأعلى ويتطاول لا أن يتحدب وينتفخ ، ويشبهون ذلك بما يلي : عندما يضغط لوح بحري على آخر قاري . وحيث ان الجبال لا تنشأ نتيجة التمدد والاتساع ، فقد رفض هؤلاء العلماء أن تنشأ نتيجة انغماس لوح تحت آخر .

قويت المعارضة بعد اكتشاف صخور ذات طبيعة مخالفة للظروف الجيولوجية السائدة في موقع العثور عليها ، مثل تلك الصخور التي اكتشفها (هاملتون) ولم يجرؤ على الحديث عنها ، أو تلك المكتشفة في ولاية بريتيش كولومبيا الكندية الحاوية على مستحاثات (حفريات) آسيوية المنشأ . وقد وجد العلماء الكثير من الصخور المخالفة لما حولها من حيث طبيعتها أو عمرها حتى أصبح العلماء معتادين على ذلك ـ حسب رأي هاملتون .

عندما بدأ العلماء المناوئون للنظرية التقليدية ـ مثل (مونجيه وجونز) يعتبرونها صخوراً مهاجرة من الجنوب ، كانوا يعتمدون ـ في كل مرة ـ على نوع وحيد من الأدلة : اما من المستحاثات (الحفريات) أو من الحقل المغناطيسي القديم المحفوظ في الصخور منذ لحظة تحولها من الحالة المصهورة الى الصلبة لكن ذلك سهّل على المتزمتين التشكيك في قوة أدلتهم وقصورها .

وهكذا ساد الضياع . . حتى اكتشاف الأدلة الكافية التي تقطع الشك باليقين . .

ومنذ ١٩٧٧ بدأ (جونز ومونجيه) بدراسة الصخور المشبوهة الكندية في بريتيش كولومبيا بثلاث طرق مختلفة في كل مرة ، وقد تبين لهم ما يلي :

أ ـ أن طبقة الصخور المدروسة ونوعها تختلف عن طبقات الصخور والأنواع التالية لها مباشرة .

٢ ـ أن رسوبيات الجانب الغربي من الانهدام حاوية على رسوبيات مصدرها جنوب شرق آسيا ، بينما احتوت الصخور المجاورة الى شرق الانهدام مباشرة على مستحاثات القطب الشمالي .

٣ ـ انطلاقاً من اتجاه الحقل المغناطيسي المحفوظ في الصخور منذ تصلبها يتضح أن أحد جوانب الانهدام تشكلت قبل حوالي ١٠٠ مليون سنة ، أما صخور الجانب الغربي فقد تشكلت قبل حوالي ٣٥٠ مليون سنة على بعد يقارب ٦٠٠٠ كيلومتر جنوبي موقعها الحالي .

وضع هذا الاثبات حداً للنقاش بين الفئات المتعارضة ، وقد تم التوصل الى أن أمريكا الشمالية قد نمت بمقدار يقارب ٣٠ بالمائة ، خلال ٢٠٠ مليون سنة الماضية .

هل وضعت الحرب أوزارها ؟ لا . لقد استمر الخلاف حول تفسير نشوء الجبال فكيف حسمت هذه الفكرة ؟

كيف نشأت الجبال ؟

وهكذا وجد العلماء أنفسهم أمام تفسيرين مختلفين لنشوء الجبال :

١ ـ غوص لوح محيطي تحت آخر قاري .

٢ ـ هجرة الجبال نفسها .

اطلع نور NUR ومساعدوه على تقارير تتحدث عن الصخور المشبوهة في كل من الاتحاد السوفياتي ، والصين ، واليابان ، مما جعلهم يعتقدون أن مثل هذه الصخور موجودة على حواف المحيط الهادىء كافة . لفت نظرهم أيضاً وجود مرتفعات مغمورة بمياه المحيط الهادي يطلق عليها اسم الهضاب البحرية . ولم يخطر ببال أحد من العلماء تسخير هذه المشاهدة لأي تفسير ، علماً أن الدراسات بينت أن كثافة صخور هذه الهضاب هي أصغر من كثافة قشرة المحيط المجاورة كذلك فقد بدا بعضها أقرب الى شظايا قارية يابسة مغمورة بالماء . وفي ١٩٧٧م جمع (نور) هذه الشظايا في خريطة ، علق بعض الصحفيين عليها بقولهم : لقد عثر الانسان أخيراً على قارة أو قيانوسيا المفقودة .

وهنا خرج نور بفكرة جديدة كلياً : فحيثما وجدت الصخور المهاجرة ، وجدت الجبال معها وبغض النظر عن طبيعة مكونات الجبال : شظايا القارات اليابسة المفقودة ، أو الهضاب البحرية ، أو مخلفات الجزر البركانية ، فانها تشترك جميعاً في صفة مميزة : كثافتها أصغر من كثافة قشرة البحر التي تمتطيها .

هذه القطع خفيفة جداً ، الى حد يمنعها من الغوص مع اللوح الذي يحملها تحت اللوح القاري ، لذا ينغمس اللوح البحري وحده وتنقلع الهضاب عنه ، مصطدمة بيابسة اللوح القاري ، وملتصقة به ، مشكلة الجبال ، بعض هذه الشظايا كبيرة ، مثل شبه القارة الهندية أو صغيرة جداً مثل القطع الـ ٢٠٠ الموزعة في أمريكا الشمالية بين نهر (يوكون) شمالاً حتى أمريكا الجنوبية جنوباً . وحالما تلتصق هذه القطع بالقارات تتشكل الجبال .

وفي ١٩٨١م نشر مجموعة من علماء جامعة ولاية (ستانفورد) بينهم (جونز و نور) ـ استخلاصاتهم النهائية بدون تحفظ :

تتشكل الجبال نتيجة اصطدام قارة يابسة مع كتل أخف كثافة بكثير أعجز من أن تتمكن من الغوص تحت القارة .

وهكذا حل العلماء هذه الازدواجية ، وتوصلوا الى تفسير وحيد مقبول لنشوء الجبال .

ورغم حداثة نظرية الألواح المتحركة الميكروية فان عدد العلماء الذين يعتمدون عليها يتزايد بصورة مطردة رغم أن هذه النظرية تجعل تفسير حركة الواح القشرة الأرضية أكثر تعقيداً . ومن الأصح أن نقول ان النظريتين لا تتناقضان بل تتممان بعضهما بعضاً بشكل جيد ومتلائم .

لم تساهم نظرية الألواح المتحركة الميكروية بحل بعض اشكالات هذه النظرية الموحدة فحسب ، بل حلت أيضاً اشكالاً أقدم من نظرية الألواح المتحركة نفسها ، اذ نجحت في الاجابة على التساؤل حول نمو القارات ووضحت طريقته وأجابت على الكثير من النقاط الغامضة التي كانت تعصف به . □□

الأخبار وجمهور الأطفال

بقلم الدكتور زكي الجابر

□ كيف يتلقى الطفل نشرات الاخبار التي تبثها الاذاعات المرئية والمسموعة . . وما هي خصائص الخبر الذي يستثيره ويؤثر فيه ؟ وماذا تبين نتائج البحث الميداني حول مدى استجابة الاطفال للاخبار ؟

يشمل الاطار الخلفي لهذه المقالة جانبين يتمثل الاول في الطفل وخصائصه ، ويتمثل الثاني في الخبر ومميزاته . . وتحاول هذه المقالة بعد ذلك الربط بين الجانبين ، مستعرضة الجديد في البحث الاعلامي ، مما له صلة بالأخبار وجمهور الأطفال ، وكذلك تقديم المقترحات .

أولا : في الطفل وخصائصه

أ - اذا كان للطفل رصيد محدود في الكلمات والرموز ، فان له ثروة كبيرة من لغة « الاحساس » ويتحمل التلفزيون مسؤولية حمل الأطفال على العيش في عالم الكبار ، بآلامه وأفراحه وتعقيداته ، دون مراعاة ان الطفل اكثر « عاطفية » من الكبير . فالتجارب المعتدلة فكريا أو عاطفيا لدى الكبير يتلقاها الصغير بالعميق من الفرح أو الحزن ، وربما مررت بطفل يشارك الكرسي المكسور أحزانه ، فهو يصفه بالمسكين مثلا ، عما يحس به تجاهه .

ومشاهدة التلفزيون ماهي الا عملية تعلم ، وحيوية التلفزيون وعاطفيته تجعل منه سلاحا هاما في تكييف مدركات الطفل .

ب - ونظرا لحساسية الطفل ، فان اثارة الفرح والغضب والخوف لديه أكثر سهولة من اثارتها لدى الكبير ، وتتميز حالاته الانفعالية بقصر أمدها ، فهو لايستطيع أن يحمل حسدا أو يخفي شكا لمدة طويلة وتبدو مشاعره هادئة أو غاضبة ، ولاتكون الا نادرا ضعيفة الهياج ، وكلما تقدم به العمر تشتد سيطرته على مشاعره ويغدو اكثر قدرة على « ارخاء الستائر » عليها .

ج - وتشتد رغبة الطفل في برامج التلفزيون حين تثير هذه البرامج مشاعره ، ولتحقيق هذا الغرض يتبع التلفزيون طريقتين :

الاولى : تقديم المواقف المثيرة من غير عرض قصصي حيث ان منظر الأسد الضخم المزمجر يجعل الطفل خائفا بصورة مباشرة .

الثانية : اظهار البطل قصصيا في مواقف تثير العواطف .

د ـ وتختلف القصة التي تثير رغبة الطفل فيها اختلافا بينا . فهي مختلفة لأطفال مختلفين ، ولكن الطفل بشكل عام يميل الى الموضوعات التي يواجهها في حياته ، ويمزج فيها الخيال بالحقيقة .

ثانيا في الخبر ومميزاته

أ ـ من أهم مبررات انتقال الأخبار ، هو هذا التعطش للمعلومات . فالبشر تواقون لمعرفة مايجري حولهم بسرعة وبدقة .

ب ـ كما ان الناس لايتناولون الطعام كله في آن واحد ، فان التعطش للمعلومات لايمكن ارواؤه في وقت واحد ، ومن هنا فقد بات من المفضل اتباع اسلوب « الانعاش » وذلك بتمكين المشاهد من متابعة الأخبار على فترات قصيرة نسبيا .

ج ـ ان درجة استيعاب المستمع للمعلومات ليست كبيرة ، وكثرة الأخبار لاتساعد على تذكرها جميعا ، ولذا فمن المفضل تقديم المواد الخبرية على شكل جرعات على مدى اليوم وباسلوب يختلف عن اسلوب التقديم الرتيب للنشرات المطولة بتفاصيل متشعبة ، وتشكل هذه الجرعات من فقرات اخبارية قصيرة وتعليقات وتحقيقات ومناقشات عن اهم مايجري في العالم .

د ـ وتقديم الأخبار للجمهور يقتضي معرفة جيدة بالجمهور وخصائصه ومتابعة لاتنقطع لمواقفه .

هـ ـ والخبر قصة ، ولكنه ليس بالقصة المعروفة بين فنون الادب الاخرى من شعر ومقالة ، ان الخبر قد تمت صياغته بصورة تجعله مفهوما عند الانسان الاعتيادي في قدراته الادراكية .

و ـ والقول بتعريف الخبر على أنه قصة تحدد الحدث وتعرف به ، قد يتضمن الايحاء بان القصة الخبرية يمكن أن تكون غير حقيقية وليست بموضوعية يضاف الى ذلك ما يتصف به الخبر من « خبرة » .

ثالثا : في الخبر والطفل

ان العديد من الدراسات التي دارت عن مشاهدة الأطفال لبرامج التلفزيون ، ومدى تأثير هذه البرامج في سلوكهم قد تركز في البرامج الترفيهية ، أما الدراسات المتعلقة باستجابة الأطفال للاخبار فهي قليلة نسبيا ، وقد تم معظمها في الولايات المتحدة الاميركية. من هذه الدراسات البحث الذي قام به ماكلود وأتكن وجافي على عينة من طلبة الصف السادس ، وقد توصلوا الى أن ثلث العينة كانوا يشاهدون اخبار التلفزيون ، وأن عدد البنين المشاهدين كان اكثر من عدد البنات المشاهدات .

ومن هذه الدراسات البحث الذي نهض به ماكينتر وتينان Mcintyre & Teenan اللذان وجدا أن نصف عينتهما من طلبة الدراسة المتوسطة يشاهدون أخبار التلفزيون مرتين أو ثلاث مرات في الاسبوع ، وقد وجدا أيضا أن عدد البنين المشاهدين أكثر من عدد البنات المشاهدات ، والسود منهم اكثر من البيض .

وقد توصل ماكلود واتكن وجافي في دراستهم الى أن سلوك الأبوين في المشاهدة له أثر فعال في نمط مشاهدة الأبناء للاخبار ، ولقد وجدوا ارتباطا متوسطا بين كمية الاخبار التي يشاهدها الآباء ، والكمية التي شاهدها أبناؤهم ممن هم في الصف السادس والسنة الاولى من الدراسة المتوسطة .

نتائج الاستطلاع

وتعتبر دراسة أتكن (١٩٧٣) أوسع هذه الدراسات وأشملها ، فقد استخدم طريقة

الاستطلاع على عينة واسعة من الأطفال ، وأجرى مقابلات مع ثلث أمهات الاطفال الذين تم استطلاعهم ، كذلك قامت العينة من الاطفال بتدوين مذكراتهم اليومية عن مشاهدة الأخبار وقد بلغ مجموع الاطفال الذين تمت دراستهم ٧٠٣ ، تقع سنهم الدراسية بين الروضة والصف الخامس الابتدائي .

وقد كشفت النتائج عما يلي :
اختلفت الاجابة حول مشاهدة النشرات الاخبارية وفقا للمصدر وطريقة القياس ، وقد بنيت الاجابات عن السؤال العام « كم مرة تشاهد نشرات الاخبار ؟ » ان الاطفال يشاهدون هذه النشرات كثيرا ، ولكن حين تحدد الاسئلة أحداثا معينة تكشف الاجابات عن نسبة أقل في المشاهدة ، كما أن اجابات الأمهات قد كشفت عن نسبة أقل مما سبق .

أعرب الثلث من العينة أنهم يشاهدون نشرات الأخبار الموجهة للكبار كل يوم تقريبا ، وأجاب ثلث آخر بانهم يشاهدونها أحيانا ، وكلما تقدم الأطفال في السن ازدادت نسبة مشاهداتهم .

- وهناك القليلات من الأمهات اللواتي أجبن بأن اطفالهن يشاهدون التلفزيون يوميا ، وقد اعرب النصف منهن عن ان المشاهدة تقع في بعض الاحيان .

وعند التساؤل عن شدة الانتباه كشف الربع من الأمهات عن أن أطفالهن يمنحون انتباها شديدا ، والنصف منهن قلن ان أولادهن ينتبهون بعض الانتباه .

وقد تبين أن تغطية الأحداث المحلية تلقى اهتماما من الصغار ، لقد أجاب ثلث الذين تم استطلاعهم بنعم عندما وجه اليهم السؤال العام حول مشاهدة الأخبار المحلية ، وكان الاهتمام بالاخبار التي تشمل البيئة المحلية اكثر من تلك التي تشمل أخبار الوطن ، وقد ازدادت مشاهدة الأخبار المحلية بشكل طفيف مع تقدم العمر .

وقد أعربت نصف الامهات عن ان أطفالهن يشاهدون الأخبار المحلية وقالت ١٣٪ منهن ان المشاهدة تقع يوميا .

وكان اهتمام الأطفال ملحوظاً بالأخبار التي تخص الطقس والرياضة ، وقد أجاب ٣٩٪ منهم بأنهم يشاهدونها كل يوم ، و ٣٩٪ أجابوا بانهم يشاهدونها أحيانا . أما عن أخبار الرياضة فقد أجاب ٣١٪ منهم بانهم يتابعونها يوميا ، و٤٣٪ يشاهدونها بعض الاحيان .

أما عن نشرات الأخبار المخصصة للصغار والتي تبث صباح السبت بصورة متقطعة ، على أن لاتزيد النشرة الواحدة عن دقيقتين - فقد أعربت نصف العينة عن مشاهدتهم ، ويزداد ذلك الاهتمام بتقدم المستوى الدراسي .

وقد أعربت ثلاثة أرباع الأمهات عن أن صغارهن يشاهدون تلك النشرات . اما عن درجة الانتباه فان ٥٦٪ اجبن بان درجة انتباه اولادهن عالية في حين ان ٣٤٪ منهن قلن بأن اولادهن ينتبهون بعض الانتباه

وعند التساؤل عن مدى ادراك هذه الاخبار فان ثلاثة أرباع الامهات أجبن بان اطفالهن يفهمون النشرة ، وتزداد نسبة ادراك هذه الاخبار وفهمها مع تقدم السن .

ولقد اجاب ٤٣٪ من الأطفال بأنهم يحبون تلك النشرات كثيرا ، و٤٤٪ منهم أجابوا بانهم يحبونها قليلا ، وكان المتقدمون بالسن من أولئك الاطفال يظهرون حبا أكثر لتلك النشرات من الأصغر منهم .

وقد حاولت الدراسة أن تتساءل عن مدى الاستماع لأخبار المذياع وكان هناك سؤال فقط يدور حول ما اذا كان الطفل يستمع الى نشرات أخبار الاذاعة ، وقد أجاب ٦٦٪ منهم بنعم ، و٣٤٪ أجابوا بلا ، وفي المذكرات اليومية أجاب ٦٠٪ بأنهم لم يستمعوا الى نشرة أخبار اذاعية يوم أمس ، وقد أجاب ١٤٪ منهم بأنهم استمعوا الى نشرة واحدة ، ٧٪ أجابوا بأنهم استمعوا الى اثنتين ، و٦٪ اجابوا بالاستماع الى ثلاث ، و

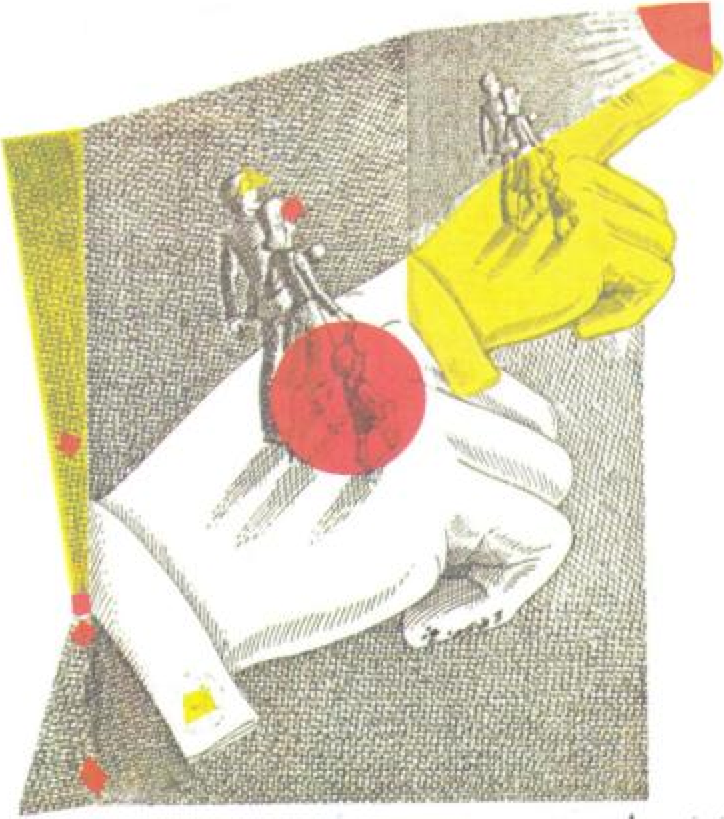

٧٪ الى اربع ، و٦٪ الى خمس او أكثر ، وكانت هذه النسب تزداد بتقدم العمر .

ـ وقد كشفت الدراسة ان اقوى مؤثر لمشاهدة اخبار التلفزيون هو الميل الشخصي للاخبار ، اما المؤثر الثاني فهو مناقشة الاخبار مع الآباء والزملاء ، وقد اعرب ثلثا المشاهدين بانهم يشاهدون الاخبار مع آبائهم

ـ وقد لاحظت الدراسة أن الأولاد يشاهدون الأخبار أكثر من البنات ، كما لاحظت أيضا أن الذين يشاهدون برامج التلفزيون أكثر من غيرهم ، وأن الذين يشاهدون الأخبار أكثر من أولئك الذين يشاهدون برامج التلفزيون بقلة .

ـ وقد أشارت الدلائل حول تدفق المستمعين Audience Flow الى أن ٣٣٪ من الاطفال الذين شاهدوا برامج ترفيهية قبل نشرة الأخبار واصلوا مشاهدة الأخبار ، كما أن ٥٤٪ من الأطفال الذين شاهدوا الأخبار المحلية التي تتصدر نشرات الاخبار استمروا على المشاهدة ، ليراقبوا الأخبار الوطنية .

وفي المذكرات اليومية كشفت الدراسة أن مشاهدة أفلام الكارتون السابقة لفقرات الاخبار التي يجري بثها صباح السبت تقود الى مشاهدة تلك الفقرات ، لقد لوحظ أن ٤٢٪ من مشاهدي أفلام الكارتون استمروا في مشاهدة فقرات الأخبار .

ـ وقد كشفت الدراسة ضعف الارتباط بين استماع الاخبار الاذاعية وجملة من خصائص الطفل ، مثل الدرجات المدرسية والجنس والمكانة الاجتماعية ، أما أقوى ارتباط فيبدو بين قراءة الاخبار الجادة المنشورة في الصحف ، وبين الاستماع الى الاخبار الاذاعية ، كما كشفت الدراسة عن ارتباط معتدل بين الاستماع الى نشرات الاخبار الاذاعية ونقاش الأخبار مع الآباء والزملاء .

خلاصة ومقترحات

تعتبر دراسة اتكن التي استعرضناها أول دراسة شاملة لقياس أنماط التعرض الى برامج الأخبار عند الصغار .

ولعل اهم ما ذهبت اليه الدراسة هو اعتبار المذكرات اليومية أدق مؤشر للسماع والمشاهدة ولقد لوحظ ميل النتائج المبنية على الأسئلة العامة الى التطرف . ان الذين شاهدوا البرامج بصورة نادرة جدا يختارون عبارة « بعض الوقت » بدلا من « لا شيء تقريبا » ، والطفل الذي يشاهد الاخبار غالبا ما يقول انه يراها « كل يوم تقريبا »

وقد عللت الدراسة اعتبار حب الأخبار ونقاشها ومشاهدة ماقبل النشرات أهم المؤشرات لمشاهدة الاخبار ، ومما ذهبت اليه الدراسات من أن الاهتمام بالرسالة الاعلامية ماهو الا حصيلة قيمة الثواب على الجهد المبذول

إن تقديم أخبار صباح السبت بشكل مبسط ومشوق تسبقه برامج ترفيهية ، يجعل الجهد قليلا والثواب كبيرا .

وكللت الدراسة ميل البنين الى مشاهدة الأخبار اكثر من البنات ، الا أن الأخبار اكثر تسلية للبنين ، وانها تساعد على تأهيلهم ليمارسوا دورهم كرجال في صنع الأحداث ، ومن ثم صنع العملية الاخبارية .

واذا كانت نشرات الأخبار في التلفزيون لم تلق اهتماما من الصغار ، فلا بد من وجود خطأ فيها ولعل أهم مايمكن عمله هو تقديم فقرات اخبارية خاصة بالصغار في أيام العطل ، على أن هذه الفقرات تبقي في نطاق محدود من المشاهدين اذا لم تكن جيدة العرض والصياغة وبما يناسب جمهور الاطفال . وفي العملية طرفان : المرسل والمتسلم ، ولن تتحقق بغياب أي منهما والانصراف عن تقبل الرسالة قد يرتبط بالرغبات أو طريقة الأداء أو الوقت،اذن لابد هناك من سبب يمكن اكتشافه بالمتابعة والدراسة .

يعتبر التلفزيون مصدرا من مصادر المعلومات عن العالم والعلاقات القائمة فيه وعن بنائه الاجتماعي ولكنه كأي مصدر آخر للأنباء لايكون مرآة وانما مؤشر يختار ويركز الانتباه حول قيم واتجاهات معينة ، وهو في عرضه الدرامائي يعكس رموزا لما تم اختياره من الواقع ، فالأخبار التي تختار وتنقل عن قطر أو شخص معين ، وهي تسم هذا القطر أو ذلك الشخص بالعدوان انما تضعها في اطار العدوان وتطبع في الأذهان صورة غير محببة عنها .

ولقد تركزت الكثير من الابحاث عن التلفزيون حول أثر أفلام العنف في نفوس الأطفال في حين أغفلت جوانب عديدة أخرى من السلوك الاجتماعي التي يتم تعلمها عن طريق التليفزيون ، والحاجة قائمة لدراسة أنماط الاتجاهات التي كونتها التلفزة والاذاعة تجاه مايجري في العالم .

لقد كشفت الدراسات المتوفرة لدنيا أن الأطفال قد تعلموا كثيرا من الأفكار عن طريق البرامج الاجتماعية ، وقد أشارت دراسة فردريك وستاين (١٩٧٥) أن الأطفال الذين شاهدوا برنامجا محبذا للعلاقات الاجتماعية الايجابية اظهروا اتجاهات ايجابية ايضا مثل التعاون والمساعدة ، ان تلك الدراسة وغيرها من التي عنيت بدراسة اثر البرامج الاجتماعية دلت على ان هذه البرامج لها اثر في تكوين سلوك اجتماعي ايجابي وفي ضبط النفس والتخيل .

ان البرامج الاخبارية المصححة والموجهة لجمهور الأطفال يمكن عن طريق عرضها الدرامائي أن تؤدي دورا في عملية تطوير الاتجاهات الايجابية بما يخدم سير الانسانية نحو المستقبل الافضل ، ويصبح عرض الفقرات الاخبارية القصيرة أيام العطل أمرا محبذا . □□

حقائق من علم الفلك عند العرب

بقلم : سالم الأنصاري

أسهم العرب اسهاماً كبيراً بجهودهم فى مجال علم الفلك ومراقبة النجوم ، وهى مقدمات علوم الفلك المتطورة فى العالم الحديث . . فما هي قصة هذا العلم عند العرب ؟

لم يكن لدى العرب في باديء الأمر مراصد فلكية متخصصة لمراقبة النجوم ولمعرفة الحركات السماوية ، لكن ذلك لم يقف حائلاً دون اهتمامهم بالفلك . ومنذ القرون الوسطى بدأ اهتمام العرب بصناعة بعض الأدوات الفلكية التي ما يزال أثرها ظاهراً حتى عصرنا هذا في المراصد الفلكية .

وهناك ما يدل على ان العرب ربما استعملوا في بعض الأحيان المنائر في المساجد كوسيلة لمراقبة النجوم ، كما تدل عليه منارة (جيرالدا) في أشبيلية (الأندلس) .

ومع ذلك ، فقد بدأ العرب ببناء مراصد فلكية متخصصة منذ العصر العباسي : فقد أنشأ الخليفة المأمون أول مرصد فلكي في بغداد ضمه الى بيت الحكمة المعروف ، وجعل ادارته الى كل من سند بن علي ويحيى بن أبي منصور ، وكان ذلك في اوائل القرن التاسع الميلادي . وقد استطاع الفلكيون العرب في هذه الفترة من تحقيق ما ورد في كتاب المجسطي لبطليموس الذي كان قد نقل الى العربية . فتتبعوا انحراف دائرة البروج ومواقيت اعتدال الليل والنهار وطول السنة الشمسية ... الخ .

وشيّد مرصد آخر في عهد المأمون في جبل قاسيون بدمشق وجهزت هذه المراصد بأدوات منها (الاسطرلاب) الذي كان ابراهيم الغزاري (المتوفى نحو ٧٧٧م) قد صنعه على غرار اسطرلاب يوناني .

ثم أنشأ ابناء موسى بن شاكر في منزلهم ببغداد مرصداً آخر (نحو ٨٥٠ ـ ٨٧٠م) ، كما أنشأ السلطان شرف الدولة (٩٨٢ ـ ٩٨٩) واحد

الصاغاني وأبو الوفاء .. الخ مراصد أخرى .

وفي القاهرة أسس مرصد خاص بالفلكي المعروف ابن يونس ، لكنه لم يكتمل انشاؤه في حياته ، فأطلق عليه اسمه .

وفي سنة ١٢٥٩م أسس أول مرصد كبير بفارس سمّي مرصد (مراغة) وفي عام ١٣٦٠م أنشيء مرصد في (سمرقند) تحت اشراف (اولغ بيه) الذي حاول تقليد مرصد مراغة .

واخر تلك المراصد أسس في اسطنبول في سنة ١٥٧٥م .

الاسطرلاب العربي

ومن الجدير بالذكر ان المراصد التي انشئت في أوروبا في العصور التالية كانت مبنية على النمط العربي ، واستعملت ادوات فلكية من اختراع عربي .

ومن المعروف ان الاسطرلاب الذي صنعه العرب لم يكن أداة فلكية فحسب ، بل كان عملاً فنياً ودقيقاً ، وللاسطرلاب نحو الف طريقة للاستعمال في مجال القياسات الفلكية ، فهو

يستخدم لقياس الحركات السماوية ، ولضبط الوقت ، ولقياس ارتفاع الجبال وغير ذلك . . الخ . .

ولا يزال الاسطرلاب مستعملاً حتى الوقت الحاضر في بعض المراصد الفلكية التي تعد من المراصد المتطورة في أوروبا .

أما قياس الدرجة فقد استعمل العرب اداة تعرف باسم (ذات الربعين) وقد استعمل هذه الأداة العالم الدانماركي (تيخوبراهي) في مرصده بالدانمارك في القرن الخامس عشر تحت اسم آخر هو (**Theodolit**) وهي آلة لا تزال مستخدمة حتى الوقت الحاضر .

لقد عنى العرب برصد النجوم ، وقد قام بعض الفلكيين العرب برسم خرائط للسماء ، ووضع قياسات مراتب للنجوم تبعاً للمعانها ، كما فعل أبو الحسين الصوفي .

ومنذ العصر العباسي قام الفلكيون بكتابة (الزيج) - وهو عبارة عن حسابات فلكية لرصد الحركات السماوية التي توصلوا اليها .

وقد كان من أهم الغايات التي يقصد اليها الفلكيون العرب القدامى من مراقبة حركات الفلك ، ضبط الوقت لأداء الصلاة ، فنشأ علم جديد سمّي بـ (علم الميقات) . وكان العالم (الموقّت) يقصد الى غايتين أساسيتين هما : -

١ - ضبط ميقات الحركات الفلكية لمعرفة الأوقات بعامة .

٢ - ضبط ميقات أداء الصلوات بصورة خاصة .

والمعروف أن التقاويم الفلكية التي صنعها العرب حلت محل التقاويم اليونانية والهندية التي سبقتها ، فأخذ الناس بها حتى في بلاد الصين .

ورغم أن العرب قد نقلوا كثيراً من حسابات علم الفلك عن الهند فان الحساب الفلكي العربي يختلف بعض الاختلاف عن الحساب الهندي . ففي الحساب الهندي قسمت حركة القمر بين الأبراج السماوية الى سبعة وعشرين (٢٧) منزلاً - مع العلم ان البرج يعادل منزلتين وربع المنزلة على الكرة السماوية .

أما العرب فقد قسموا تلك الحركات القمرية الى ثمانية وعشرين (٢٨) منزلاً ، وكل برج يعادل منزلتين ونصف المنزلة .

وقد توصل العرب برصدهم لحركات القمر ، الى التنبؤ بالأحوال الجوية ، والى معرفة الفصول الأربعة . ولقد كان لمراقبة العرب لظاهرتي الكسوف والخسوف أثر واضح في تطور معرفة الفلكيين الأوروبيين الذين جاءوا بعدهم ، في دراسة مثل هذه الظواهر .

بغداد مركز الأرصاد

ويقال ان الخليفة المنصور حينما عزم على بناء مدينة بغداد ، قرر استشارة الفلكيين ، فأسست المدينة تبعاً لقوانين فلكية محددة ، بحيث أصبحت فيما بعد مركزاً لمعظم الأرصاد الفلكية التي قام بها الفلكيون المسلمون .

ومن الجدير بالذكر أن العرب حاولوا (منذ عصر الخليفة العباسي المأمون) ان يحددوا مقدار الدرجة ، فجعلوا الدرجة الواحدة تعادل مقدار ستة وخمسين ميلاً وثلثي الميل (٣/٢ ٥٦ ميلاً) .

وحينما انتقلت المعارف الفلكية العربية الى أوروبا في القرن الرابع عشر والقرن الخامس عشر ، استخدم الأوروبيون هذا القياس دون ان يدركوا أن مقدار الميل العربي يختلف عن مقدار الميل الأوروبي .

ومن النتائج الطريفة لهذا الخلط بين القياسين أن (كريستوفر كولومبس) حاول ان يقيس المسافة التي تفصل شواطيء أوروبا عن شواطيء آسيا مستخدماً حساب الدرجة العربي ولكنه قاس الدرجة العربية بالميل الايطالي الذي يزيد

على الميل العربي بنحو ٣٨٤ متراً . ولما انتهى من قياساته قدر أن بإمكانه ان يصل الى شواطيء آسيا بسفن صغيرة يحمل عليها القليل من الزاد والمتاع . . الخ . فقصد الملكة (ايزابيلا) ملكة أسبانيا وأقنعها بامكان الوصول الى شواطيء آسيا ابتداءً من غربي أوروبا ثم العودة من اسيا عن طريق شرقي أوروبا ، ليبرهن للعالم أن الأرض كروية ، ووافقت الملكة ايزابيلا وقدمت له سفناً صغيرة لا تحمل الا القليل من المعدات التي استعملها . ولكن هذه السفن لم تصل به الى ابعد من الشواطيء المقابلة لشواطيء أوروبا الغربية .

وهكذا أدت غلطة (كولومبس) في حساب الدرجة الى اكتشاف قارة جديدة ، هي القارة الأميركية .

أشهر الفلكيين

لقد اشتهر جملة من الفلكيين العرب كانت لهم اسهامات عظيمة في تطور هذا العلم عبر العصور التالية . ولعل من أشهر هؤلاء الفلكيين العرب :

ثابت بن قرة (٨٣٨ ـ ٩٠١م) ، وهو صابئي من أهل حران عاش في خلافة المعتضد ولقي رعاية كبيرة منه . وكان ثابت طبيباً وفلكياً .

من أهم ما قام به في علم الفلك ، مراقبة الشمس ، حيث قاس السنة الشمسية ووضع أسس حركات النجوم في السماء ، وقد كتب ثابت بن قرة كثيراً عن أشكال حركات النجوم ، كما كتب عن الخسوف .

أما البتاني (أبو عبد الله محمد بن جابر) (نحو ٨٧٨ ـ ٩١٨م) فيعد من أعظم الفلكيين العرب الذين عرفتهم أوروبا من بعد . وقد اشتهر في أوروبا بلقبه اللاتيني (الباتغينوس) .

وكان من العلماء المبدعين في مجال علم الفلك ، وأصلح كثيراً مما جاء عن بطليموس ، وضبط حساب الأفلاك التي يدور فيها القمر وبعض النجوم السيارة . وقاس اختلاف الدائرة الظاهرية لمسير الشمس بدقة فائقة وطول السنة في الأقاليم الحارة ، وطول الفصول الأربعة . واليه يرد وضع أسس (الجيب التمام) .

أما علي بن يونس المصري (المتوفى سنة ١٠٠٩م) فيعد من الفلكيين البارزين في فترة حكم الفاطميين ، ويعد من أشهرهم بعد البتاني . ولابن يونس زيج ويعرف باسم (الزيج الحاكي) ـ نسبة الى الحاكم الفاطمي . وقد أصلح فيه الزيوج الشائعة في عصره بأرصاد مبتكرة قام بها بواسطة الآلة ذات الحلق ودوائر السموت . ويعد من أهم ما كتب عن الدوائر الفلكية .

ومما يحتوي عليه هذا الزيج .

١ ـ جداول لضبط الوقت فيما يتعلق بارتفاع الشمس .

٢ ـ جداول عن زاوية السمت للشمس .

٣ ـ جداول عن مواقيت الصلاة . ومن ذلك تحديد وقت اليوم الواحد ضمن سنة واحدة .

وأخيراً (وليس آخراً) ، البيروني (أبو الريحان محمد بن احمد) (٩٧٣ ـ ١٠٤٨م) الذي اشتهر بعلمه الواسع في الفلسفة والتاريخ والرياضيات وعلم الفلك . . وللبيروني كتب عديدة في جميع هذه الحقول ، ما تزال المكتبات العالمية تحتفظ بكثير منها حتى عصرنا هذا .

لقد تصدى البيروني للنظرية القائلة بأن الأرض تدور حول محورها وبحثها بعناية كبيرة كما ضبط أبعاد وخطوط الطول والعرض .

لقد استطاع البيروني ان يتوصل الى الأسس التي يقوم عليها تحديد اتجاه القبلة للمسلم المسافر من أي بلد في العالم . وما تزال تلك الأسس تستعمل في الأسفار البرية عند المسلمين حتى الوقت الحاضر .

افتح لنا أبواب مكتبتك . . !

جولة داخل

المكتبات الخاصة

في بيوت خمسة من رجال الفكر بالكويت

اعداد : ريم الكيلاني

ماذا في مكتبتك ؟

سؤال طرحناه على خمسة من رجال الفكر في الكويت . . قبل أن يفتحوا لنا أبواب مكتباتهم الخاصة . . لنشهد ما تزخر به من صنوف الكتب في مختلف جوانب الثقافة والمعرفة . . ونتلقى الاجابة بالكلمة . . والصورة . . والحوار . . وتقليب الصفحات .

محمد الصانع : كلما أعدت قراءة الكتاب كلما وجدت فيه جديدا .

يهتم سيف الشملان بقراءة أمهات الكتب التي تعتبر الركيزة التي يعتمد عليها .

مكتبة في البيت .. تعني فكرا وعلما وأدبا وثقافة . وحتى يكون كل ذلك متاحا بين جدران البيت لقراءات الكبار والصغار .. فالنتيجة التي لابد منها . هي تفاعل واستجابة مستمرة ، لمواكبة عجلة التطور والتقدم ، واكتساب كل جديد في ميدان المعرفة ، والاطلاع على كل قديم وجديد في عالم الفكر ، والاغتراف من بحار التراث الزاخرة بكنوز العلوم والآداب مما تركه الأولون .

ولكن .. وأنت تستغرق معنا في تقليب الصفحات .. وقراءة عناوين الكتب وأسماء الكُتّاب .. لا تنسَ أن تتمعن جيدا في حصيلة ما تسمعه من معلومات وأخبار ، وما تخرج به من آراء وأفكار ، وما تطلع عليه من نصائح ومقترحات .

ماذا يقولون ؟

وقبل أن ندخل في التفاصيل .. ما رأيك فيما تسمعه وأنت تتأمل كتب القانون في مكتبة المحامي حمد العيسى . حين يقول لك : كل كتب القانون تؤكد حقوق الانسان .. ولكن الحقيقة تؤكد أيضا أن هذه الحقوق ليست أكثر من كلام جميل في الكتب .. أما الممارسات في عالم اليوم فتكشف أن هذا القانون في اجازة .. واستشهد بالمثل المشهور « أسمع كلامك يعجبني ، وأشوف أمورك أستعجب .. ! »

وحين تمر عيناك على عناوين المئات من كتب التراث والمخطوطات ، التي تزخر بها مكتبة محمد صالح الابراهيم .. ألا تتساءل عن سر هذه المخطوطات المحبوسة بين جدران مكتبته ؟ .. ألا يستوقفك ما يقوله من أن هذه الكنوز من مخطوطات التراث في انتظار علماء يبذلون ما يستطيعون من جهد ووقت ، ليحيطوا بجوانبه ويعرفوا مكامن القوة والضعف فيه وعندها نستطيع تنقية شوائبه ، وتنمية المبدع منه ، وتقديم روائعه وابداعاته ..

وعندما تستعرض كتب التصوف الخمسمائة في مكتبة خالد سعود الزيد . . وهو من لم يكن على وفاق من قبل مع التصوف الاسلامي . . ألا تثيرك اجابته على تساؤلاتك ، حين يقول أنه أصبح اليوم تلميذا للفكر الصوفي ، الذي يجب أن يفطن اليه الناس . . وان التصوف ليس طريقا واحدا ، وانما طرق الى الله شتى ؟ وماذا تقول حين يوجز الأمر كله في ان التصوف تطهير للنفس من أدران وثنيتها ؟

ثم . . ما رأيك فيما يتدرك به محمد الصانع من أنه من الناس الذين تعودوا أن تكون الدراسة والقراءة عندهم موسمية ، أبرزها شهر رمضان . . وأن القارىء العربي لم تعد اهتماماته تتعدى قراءة الصحف والمجلات ، وخاصة بعد سيطرة التلفاز والفيديو ، وشغل الكثيرين عن المتابعة والبحث والاطلاع . . وأن اهتمامات هذا الجيل باتت تتأثر باهتمامات الآباء والمربين . . وما من نبت يظهر بغير جذور . . .

وسيف مرزوق الشملان . . المؤرخ . . ألا يستهويك حين يقول أنه من عشاق الطبيعة . . وأنه يفضل التجول بين المظاهر الطبيعية والكتابة عنها وفيها ، أكثر من الجلوس في غرفة بها كتاب جديد من الكتب التي يبحث عنها ؟!

نقطة البدء

ولكن . . تعال بنا نعود الى جولتنا منذ البداية . . ولابد قبل أن ندخل هذه المكتبات الخاصة لبعض المثقفين الكويتيين الذين وضعوا الكلمة والكتاب نصب أعينهم ، أن نتعرف على متاعب البدايات في اقتناء الكتب والحصول عليها ، في المرحلة الأولى من تاريخ الكويت . .

ففي ذلك الوقت كان الكويتيون يجاهدون جهادا صعبا ، من أجل الحصول على لقمة العيش ، واليسير من الرزق الحلال ، وبالرغم من العمل المجهد الذي يتطلب جهدا بدنيا كبيرا فان القليلين جدا ممن اتيحت لهم فرصة تلمس الطريق في الظلام من أجل البحث عن الحقيقة في حنايا الكتب التي تصل الى أيديهم ، سواء من مصر أو العراق أو سوريا . . وكانوا يتلقفون الصحف التي تصلهم من تلك البلاد على فترات زمنية متباعدة . . كالمقتطف والرسالة .

كان الكويتيون في ذلك الوقت يتابعون حركة النهضة الأدبية في أرجاء الوطن العربي بشغف كبير ، ويتابعون أخبارها بهم يفوق همهم للقمة العيش ، وكنت تجد برغم كل الصعوبات بعض المكتبات عند القليل من الأفراد ، تحوي مجموعات قليلة من الكتب التي تتحدث في شئون المنطقة .

حمد العيسى ونظرة تأمل

من بين تلك المكتبات ، مكتبة الاستاذ عبدالله العلي الصانع ، التي كانت تضم عددا كبيرا من الكتب التاريخية . وفي أواخر الأربعينيات ـ وحين أنعم الله على الكويت بالثراء ـ انتشرت المكتبات في المنازل وفي الأماكن العامة انتشارا كبيرا . وعملت وزارة التربية على تزويدها بالنافع النفيس . وأصبح الناس يحصلون على المجلات والكتب في يسر وسهولة مع مطلع الخمسينيات .

ومن هؤلاء الذين وسعوا مكتباتهم وأثروها بأندر الكتب وأثمنها السيد محمد صالح الابراهيم ، أحد رجالات الكويت الضليعين في مجال الثقافة ، والذي يملك مكتبة ضخمة بالفعل ، فهي لا تلفت انتباه الناظر اليها فحسب ، بل تولد في داخله رغبة قوية وأكيدة للاطلاع على الكتب التي تملؤها ، كما تتولد الرغبة لديه في التمعن فيها أيضا .

في مكتبة الابراهيم

من هنا . . وفي مكتبة السيد محمد صالح ابراهيم . . تبدأ جولتنا . . ونسمع ماذا يقول :

نمت الرغبة في القراءة مع متابعة حروف الكلمات التي تكتب تحت الصور . . وبعدها بدأت أتدرج في القراءة بشكل عام . وخاصة القراءة المسموعة ، التي كانت تعبر عن حكم ومعان ، لها في النفس وقع وأثر مما يساعد على حفظها . . وكان أول ما حفظته بيتا من الشعر يقول :

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعا
أبشر بطول سلامة يا مربع

ويمضي السيد الابراهيم في حديثه قائلا : حينما يتعلم المرء القراءة لأول مرة ، يصبح الاهتمام موجها الى معرفة الكلمات أولا ، ثم يلي ذلك الاهتمام بمعرفة المعاني . وبعد تلك الفترة تأخذ القراءة مجراها الطبيعي ، وهكذا في حوالي الحادية عشرة من العمر أخذ اتجاه القراءة عندي ينصب على النواحي الأدبية والتاريخية . وعندها بدأت مرحلة اقتناء الكتب . وقد تركزت الرغبة عندي على الكتب الأدبية المهمة ، مثل : شرح التنوير للمصري ، وديوان المتنبي ، وكان « مروج الذهب » من الكتب التي قرأتها واقتنيتها . وبالرغم من أن تاريخ ابن خلدون كان في ديوانية أسرة الابراهيم ، الا أنني لم أقرأه ، حيث أن سرد المسعودي يجذب انتباه الشباب أكثر من سرد ابن خلدون .

يتحدث السيد الابراهيم بعد ذلك عن بقية الكتب التي اقتناها ومن بينها كتاب يتيمة الدهر ، وتاريخ عبدالعزيز الرشيد ، وكان اهتمامه أشد بما كان يكتب من الشعر والأدب ، أما اليوم فهو يهتم بكتب القرآن والحديث والشعر ، وما يتصل بالثقافة ، وما يدور حول القضايا الفكرية والانسانية . ومكتبة السيد الابراهيم غنية بالكتب المطبوعة والمخطوطة ، وهي تبلغ عشرات الآلاف من الكتب المطبوعة ، والألف من الكتب المخطوطة ، الى جانب الكتب الاقتصادية والعلمية .

وأحب الكُتّاب عنده من الأقدمين الجاحظ وابن قتيبة والثعالبي والتوحيدي وابن جرير الطبري والمسعودي ، ومن المحدثين الرافعي والعقاد والمازني والزيات وبعض الكتاب الذين يمتلكون ناصية القول ، سواء في كتبهم أو بحوثهم مثل كرد علي والكتاني والفاضل بن عاشور والفاسي وأمين نخلة وفولتير وجوته وبرنارد شو وبرتراند رسل فيما ترجم لهم .

ولكن ما رأيك في الكتاب العربي الحديث ؟ وماذا عن القارىء العربي ؟ لاشك أن هناك قراء في الوطن العربي ولكنهم قلة ، ومن المؤسف أن تضيع قراءاتهم هدرا دون تركيز مفيد او اتجاه ذي قيمة . والكتاب العربي في تقدم وفي تأخر ، أما التقدم فيه فلتخبة ضئيلة تعد على الأصابع ، ولو نظرنا الى آلاف الكتب التي تقذفها المطابع ، لما وجدنا فيها شيئا طيبا ذا فائدة الا ما ندر وكمثال على ذلك نجد أن الكتب التي خرجت من المطابع في السنوات الماضية قد ملأت ذهن القارىء العربي ضوضاء ، دون أن تمده بالعطاء الفكري المفيد وفي هذا خسارة كبرى على الذهن العربي . فكم من وقت ضاع هباء بين مفكرين ينتجون مالا طائل تحته او من ورائه ، وبين وقت يقضيه المجتمع العربي في قراءة هذه المصنفات ، وكان الأجدى ان تختصر الفكرة ، وأن ينفذ البحث الى مكامن النفع الثقافي ، والى تحرير الأذهان والعقول من الشكليات والرواسب والاطالات ، التي تخلخل العقول ، دون أن تقدم لها ما يفيد وما ينفع .

ويضيف السيد الابراهيم .. أنه لا يستعير كتبا من المكتبات الأخرى الموجودة في الكويت ، فمكتبته تحتوي على الكثير من الكتب التي لم تقرأ بعد ، أما بالنسبة للمراجع فان معظم ما يحتاجه فهو المخطوطة التي لم تطبع بعد ، وهي اما أن تكون في الغرب أو في الشرق أو في بعض الدول الأخرى ، وفي دول المغرب العربي .

أما في مصر فان مكتبة دار الكتب فيها تحتاج الى مراجعة ، حيث لا يوجد لديها الجهاز الشخي الموجود في دول الغرب ، وكذلك مكتبة الظاهرية في دمشق ، وهذا ما يجعل الاستعانة بهاتين المكتبتين غاية في الصعوبة .

التراث

وتدور عيوننا من جديد على المخطوطات من كتب التراث ، على أرفف المكتبة ، ونسأله حول رأيه في التراث ، وكيف يمكن أن نحافظ عليه ، ونستفيد من مخطوطاته ، ونجتذب القراء الى قراءته ؟ وتكون الاجابة :

لكي نجذب القارىء الى التراث يتوجب قبل ذلك أن نؤهله الى القراءة جذريا ، وذلك يتطلب جذبه منذ طفولته الى حب القراءة ، وارشاده الى ما فيها من فوائد جمة . والطرق التي يمكننا بواسطتها ادخال حب القراءة الى الجيل الصاعد ثلاث : البيت والمدرسة والأعلام . والبيت قد يكون مؤهلا لذلك ، وقد لا يكون ، أما المدرسة فمن المفروض أن تُؤهل الطالب لذلك نفسيا وتربويا وعلميا ، فمثلا لو أن أحد المدرسين سأل طلابه الصغار : هل منكم من استطاع أن يقرأ كلمة وكلمتين على لوحة في طريقه وهل فهم المعنى ؟ ولو أجاب أحد الطلبة أنه قرأ لوحة مكتوبا عليها (الجمعية التعاونية) وأنه لا يعرف معنى هاتين الكلمتين ، الا أنه يعلم أن هذا المكان مقر لشراء الحاجات ، فعند ذلك سيشرح المدرس معنى هاتين الكلمتين ، فيفهم الطلاب معنى الجمع والتجمع والاجتماع ، ومعنى العون والاستعانة والتعاون بقدر طاقة أذهان طلابه . ان هذا العمل سيعلم الطالب الافادة العظيمة التي اكتسبها من قراءاته ، والمعرفة القيمة التي

في مكتبة سيف الشملان الكثير من المراجع والمخطوطات النادره التي تضم كتبا عديدة في التاريخ والشعر . .

التي اختزنها ذهنه ، والثقافة العلمية التي أمدته بها القراءة . ان مثل هذا الاتجاه في نواح متعددة من التربية هو الذي سيغرس في نفوس الجيل الصاعد الاطلاع والمعرفة .

الاعلام

أما عن الأعلام فهو في ثوب مهلهل واهٍ ، فبينما نراه في ظاهره يدعو الى الثقافة والعلم ، نراه في مسلكه يحاربها ، وهذا ناتج عن سوء المناهج والبرامج ، فلا نرى تركيزا صحيحا للثقافة ، ولا عناية مدركة للفكر ، ولا نظرة صادقة للقيم ، ولا منزلة خاصة للكتاب . وعندما نلاحظ الاهتمام الشديد بالأمور الاعتيادية ، نرى الاهمال المقصود للثقافة الحقة ، والفكر الصحيح ، والقيم المثل ، وهذا الاهمال المقصود هو من بقايا الاستعمار الفكري .

فمثلا في الاعلام المرئي لا نجد مكانا للكتاب ، ولا تركيزا على المنهج الموصل الى المعرفة والعلم ، وكان من المفروض أن لا يعرض مسلسل او تمثيلية الا وفيها ركيزة ثقافية مدروسة ، على ضوء من العلم والثقافة والدراسة النفسية ، كأن يكون جانب من المسلسل او التمثيلية مُهيئاً لمناقشة قطعة أدبية ، أو مثل ذي قيم ، أو ذكر لجوانب من المعرفة ، أو عرض لكتاب ومواضيعه ، على ان لا يكون اقحاما . ومن السهل على دوائر الاعلام اشتراط هذه الجوانب في أي عمل تأخذه ، على أن يكون الجانب منسجما وطبيعيا مع العمل التمثيلي ، وعلى الاعلام التهيئة والمساعدة على إدخال هذا الجانب بالطرق العلمية التربوية ، وليس هذا هو المجال الوحيد في الاعلام المرئي ، لتركيز الثقافة والعلم والقيم في النفوس ، بل هناك مجالات عديدة تُعرض دون أن تدرس من جوانبها المتكاملة ، والواجب يدعو لتقويمها ، وادخال ما يفيد وما ينفع فيها ، ونبذ ما يسيء ويخرج منها .

وما قلناه عن الاعلام المرئي ينطبق على الاعلام السمعي والمقروء ولا داعي لذكر الأمثلة والاطالة .

اننا بعد تثبيت حب القراءة في نفس المواطن ، نستطيع أن نتساءل عن جذب القاريء الى التراث ، والمسألة ترتبط بمن يقدم التراث وبمن يقرؤه .

وكثير ممن يقدمون التراث لا يملكون جميع المؤهلات الوافية لاستيعابه ، وفاقد الشيء لا يعطيه . أما قارئه فأثنان : باحث ومستطلع . فالباحث مجذوب ، يعرف المعاجم لا يعرف الصوفية . وان جاز أن نطلق العرفين على بعض الباحثين . أما القاريء المستطلع فأننا نحتاج الى دراسة نفسيته ، ومعرفة قدراته ، وتقدير ثقافته وفكره ، لنقدم اليه ما يجذبه ويفيده ويلائمه ، وأما تراثنا فعلى عظم جلالته ، وكبير منفعته ، ونبيل أصالته ، وعلى حاجة

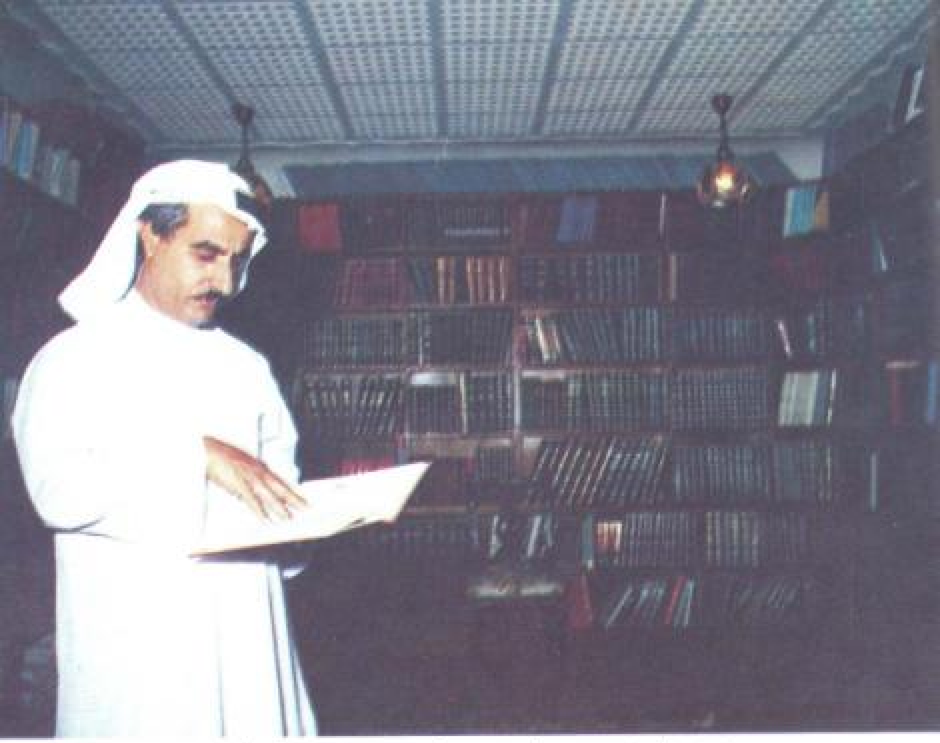

قراءة الكتاب عند خالد سعود الزيد نزهة مع الطبيعة

الانسانية مع تقدمها العلمي والفكري والثقافي العظيم الى الاستفادة من كنوزه وابداعاته في هذه المجالات ، فانه تداخله شوائب وتصاحبه هوامش . فإذا أردنا أن نقدمه ، فعلينا أن نعد له علماء يبذلون ما يستطيعون من جهد ووقت ، ليحيطوا بجوانبه ، وليعرفوا مكامن القوة والضعف فيه ، وعندها نستطيع تنقية شوائبه ، وتنحية هوامشه ، وتقديم روائعه وابداعاته .

في مكتبة الصانع

وننتقل الى مكتبة الصانع الخاصة ......

والسيد محمد الصانع رئيس المركز العربي للبحوث لدول الخليج العربي ، يعتز بالكتاب أشد اعتزاز ، ويرى فيه البؤرة التي تطلعه على العالم من حوله .. هو يقرأ لأن القراءة تعطي للحياة قيمة وتجعلها أمتع ..؟

كان والده (عبدالله العلي الصانع) من كبار أدباء الكويت ، شاعرا وأديبا ومحققا ، وكانت المكتبة موجودة في المنزل في مطلع الاربعينيات وطبيعي أنه كان يهتم بها قبل هذا التاريخ . وقد كان السيد الصانع يدخل المكتبة ، ويتعرف على بعض عناوين الكتب فيها ، دون أن يكون له هدف واضح من النظر في هذه الكتب . وفي بداية الخمسينيات كان والده يوجهه لقراءة أمهات الكتب التاريخية ، ككتاب الطبري وابن الاثير وابن خلكان والمبرد وكثير من كتب الشعراء في الجاهلية والاسلام ، أو الدولة الاموية أو العباسية .

يقول محمد الصانع : كانت تستهويني في تلك الفترة بعض كتب السيرة ، ويمكن أن أقول أن أول كتاب ضخم حاولت أن اقرأه ـ رغم أنني لم أكن أفهم الكثير من معانيه ، هو كتاب سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن هشام وهو يتكون من أربعة أجزاء ، وكنت أنتقل من موضوع لآخر ، دون أن أكمل الموضوع الأول .

وأنا من الناس الذين تعودوا منذ فترة طويلة ، أن تكون الدراسة والقراءة عندهم موسمية . ويطيب لي أن أتنقل بين كتب السيرة وكتب التراجم للخلفاء الراشدين وأصحاب النبي ، والكتب التاريخية التي تتناول قضايا الاسلام في فترة رمضان ، فهذا الشهر الكريم يوحي بكثير من الخير للانسان ، ويتيح فرصة كبيرة للتأمل ، فالوقت الطويل الذي يتواجد فيه الانسان في منزله في رمضان تجعله ميالا للبحث والاطلاع في الكتب الاسلامية . أما في الأشهر الأخرى فملاحظة العمل وكثافته ، لا تتيح للانسان الفرص الكافية ليقرأ ما يريد ، وما يُقرأ يكون في مجال العمل . وكثيرا ما قرأت الكتاب الواحد أكثر من مرة ، وفي كل مرة أجد فيه جديدا . كما أقرأ بعض الكتب

السياسية في فترات الاسترخاء ، وان كنت أميل لقراءة الترجمات ، مثل كتاب كفاحي لهتلر ، أو مذكرات تشرشل ، أو مذكرات كندي ، أو غيرها من مذكرات للساسة ، والمشكلات السياسية المعاصرة .

مكتبة السيد الصانع مكتبة ضخمة مبوبة ، ولها تصنيف ثابت ، وهو تصنيف (ديوي) والكتب كلها مسجلة فيها ، ولكن مع الوقت دخلت كتب جديدة الى المكتبة ، مما جعله غير قادر على الاستمرار في تسجيل كل الكتب بالشكل السابق ، خاصة في الآونة الأخيرة ، وهذا يعد من السلبيات ، حيث أن عملية البحث عن كتاب ما ستأخذ وقتا طويلا . هذه المكتبة تضم بين ٣٥٠٠ و ٤٠٠٠ كتاب ، في مختلف التخصصات .

القاريء والكتاب

وعن القاريء العربي ومستوى الكتاب العربي يقول السيد الصانع : « مجالات المعرفة في القدم كانت محدودة ، تنحصر في الدراسات الاسلامية والأدبية ، وكان المؤلفون في مستوى ممتاز جدا ، وقد ساعد على هذا الوضع طبيعة الحياة في تلك الفترة ، حيث أن الفراغ موجود عند الكثير من الناس ، ومجالات التسلية الأخرى تكاد تكون معدومة ، فلم يكن أمام الشباب سوى قراءة الكتب ، أما الآن فقد اتسعت مجالات المعرفة ، حتى أصبح الانسان غير قادر على ملاحقتها تماما ، ومن هنا أصبح الكتاب العربي كتابا مترجما ، يأخذ الكثير عن الكتب الغربية . وللأسف حتى في هذه الترجمات لم تكن دقيقين في التعبير عنها أو النقل منها .

ولذلك فان القاريء العربي في الكثير من مجالاته لا يرقى للمستوى المطلوب ، مما جعل الكثير من الكتاب والعلماء في وطننا العربي يعزفون عن الاستفادة منه ، والاتجاه للاستفادة من الكتب الأجنبية الى حد بعيد ، وهذا فيما يتعلق بالكتاب ، أما القاريء العربي فلم تعد اهتماماته مع الأسف تتعدى الاهتمام بالصحف والمجلات وهناك فئة من الناس وهي في نفس الوقت ليست قليلة العدد ، تهتم بمتابعة الجديد أينما كان ، ولكن دخول التلفاز والفيديو والأجهزة العلمية الأخرى بكثافة شغل الكثيرين عن المتابعة والبحث والاطلاع ، وباتت اهتمامات هذا الجيل تتأثر باهتمامات الآباء والمربين في هذه المنطقة ، فما من نبت يظهر بدون جذور ، فاهتمامات الأجيال تتشكل حسب اهتمامات قادة الرأي في المجتمع ، فهم الذين يوجدون المجالات الحيوية الرئيسية التي يتعود الشباب عليها منذ الصغر ، سواء في البيت أو في المدرسة .

وينتقل الحديث مع السيد الصانع الى مكتبته الخاصة في منزله فيقول : « مكتبتي في المنزل خاصة ، وينقصها الكثير من الكتب في مجالات عديدة ، ولا شك أنني أستفيد استفادات كبيرة من المكتبات الأخرى ، الا أنني لا أذهب للمكتبات العامة المنتشرة في الكويت لأستعير منها كتبا ، ولكني أستطيع أن أؤكد أن مكتبة المركز العربي غنية بالكتب في مجالات التربية والدراسات الاجتماعية ، ولا شك أنني أستفيد منها ومن مكتبة الجامعة ، والمكتبات المماثلة .

السيد الصانع يرفض اعارة كتبه لاي صديق ، فالكتب بالنسبة له عظيمة القيمة ، لأنه يعرف أن الكتاب حين يخرج من مكتبته عليه أن يودعه ، فهو لذلك شحيح في إعارة الكتب ، خاصة القيمة منها ، وهو يستشهد بأن برنارد شو سئل يوما عن مصادر الكتب التي أثرى بها مكتبته الضخمة النادرة ، فأشار الى أن أهم مصدر من هذه المصادر هو استعارة الكتب من الأصدقاء .

مع المحامي حمد العيسى

أما المحامي حمد العيسى فمكتبته عامرة بمختلف كتب القانون التي ترتبط بمهنته وهو يقول :

لا أستطيع أن أحدد أول كتاب أدبي أو فكري قرأته ، ولكن ما اذكره أن بين اولى قراءاتي كتاب « من أين نبدأ » للشيخ خالد محمد خالد ، وأغلب قراءاتي حاليا في مواضيع قانونية بحتة ، اضافة الى ما تنشره الصحف المحلية من آراء وأفكار ، كما ذكر أنه قرأ في الخمسينات جميع الكتب التي ألفها ساطع الحصري في القومية العربية ، وكذلك كل الكتب الأخرى المتصلة بهذا الموضوع » .

ويبدو أن الارتباط بالعمل ومسئولياته قد حالت بين السيد العيسى وبين القراءة ، باستثناء افتتاحيات الصحف وبعض المقالات الأدبية أو الفنية ، اضافة الى اهتماماته الرئيسية في الأمور السياسية . ويعتقد المحامي العيسى أنه لا توجد أي ظروف تمنع الشخص من اقتناء الكتب ، فهو يمتلك مكتبتين ، احداهما أدبية والأخرى قانونية في البيت ، وكذلك مكتبة قانونية وشرعية في المكتب ، فضلا عن اقتنائه لكافة مجموعات القصص العالمية ، وترجمات الأدب الروسي ، ومجموعات أخرى متصلة بفن السينما والمسرح ، وهو يطمح دائما الى تطوير واقتناء الأفضل والأندر من الكتب ويكرس المحامي العيسى وقته اليوم لقراءة كتاب « دليل المسلم الحزين » للأستاذ حسين أحمد

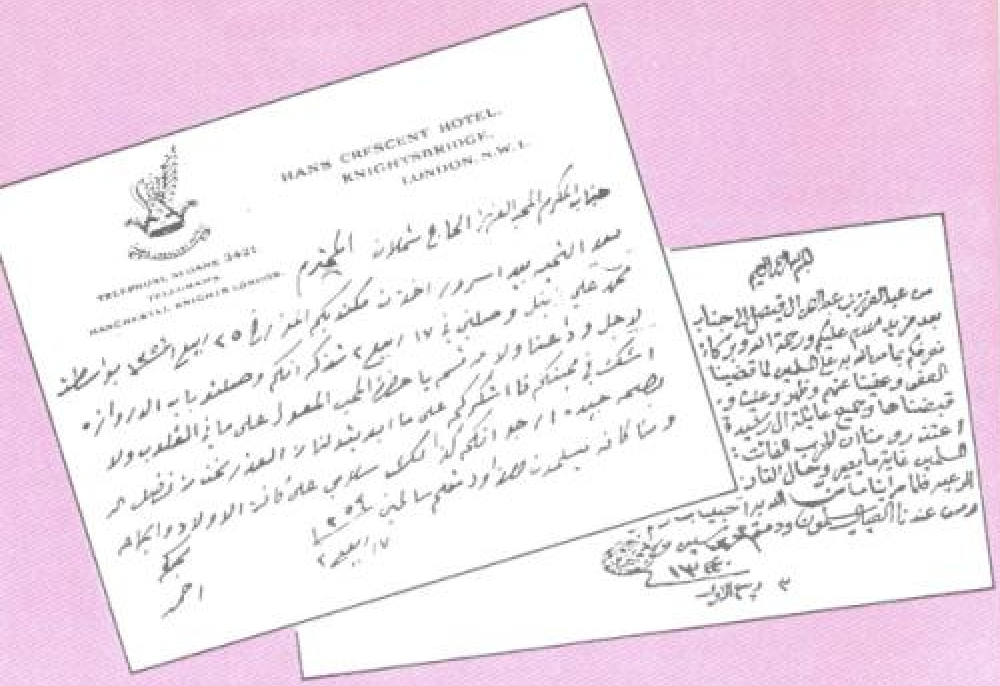
HANS CRESCENT HOTEL,
KNIGHTSBRIDGE,
LONDON, S.W.1.

TELEPHONE SLOANE 3421
TELEGRAMS
HANCRAHLL KNIGHTS LONDON

رسالتان تاريخيتان احدهما من الشيخ أحمد الجابر حاكم الكويت الى شملان بن علي آل سيف .. والرسالة بخط يده .. أما الثانية من الملك عبد العزيز آل سعود الى حسن بن علي آل سيف سنة ١٩٢١ عن سقوط مدينة حائل عاصمة آل رشيد .

أمين واجزاء من « فجر الاسلام » لأحمد أمين ، والكتب المؤلفة عن أبي بكر وعمر بن الخطاب ، سواء ما كتبه العقاد أو هيكل .

أما عن مستوى الكتاب فيقول السيد العيسى أنه في تقدم ، أما مستوى القارىء فهو في تراجع بسبب عدم الاستقرار السياسي والنفسي في الوطن العربي ، الذي لم يوفر الوقت الكافي للشباب ليقرأوا ، فيكتفي معظمهم بقراءة الصحف دون الكتب ، اضافة الى ما تقدمه محطات التلفزيون من برامج تستوعب معظم أوقات الشباب .

ويبدو أن الفراغ من جهة وعملية الصراع من أجل العيش من جهة أخرى فضلا عن الاحباط السياسي والهزائم المتتالية لقضايا الأمة ـ قد أوجدت خللا في تفكير أبناء هذا الجيل ، فمنهم من فقد الأمل واستسلم للواقع الجديد ، ومنهم من نزع الى الحضارة الغربية المترهلة فأخذ منها قشورها دون مضمونها ، فانفصل عن بيئته وجيله ، ومنهم من ظن أن الخلاص لقضايا الأمة هو في الرجوع الى الله تعالى ، فنشأت حركة دينية نشطة ، ولكن هذه الحركة لم تضع لنفسها أو للناس أية حلول خاصة [illegible] العصر ، بل اكتفت بالقول بأن الاسلام صالح لكل [illegible] ومكان ، دونما تحديد لوضع هذا العنوان موضع التطبيق في القضايا اليومية المتصلة بالانسان العربي » .

ونلقي نظرة على المكتبة ، فتطالعنا كتب في القانون تحمل عناوين متباينة حول حقوق الانسان .. ويكون ذلك مجالا للسؤال .. وتأتي الاجابة :

« حقوق الانسان ليست اكثر من كلام جميل جدا في الكتب وفي الخطب وفي السياسة فقط . فبين المبادىء والمثل التي تنادي بها لحفظ حقوق الانسان ، وبين ما يجري من ممارسات في عالم اليوم بون شاسع ، وينطبق على ذلك المثل المشهور « أسمع كلامك يعجبني وأشوف أمورك استعجب » . فعلى الرغم من حرص قوانين ودساتير أغلب الأمم على المناداة بحقوق الانسان ، فالفرق شاسع بين النظرية والتطبيق .. وبصراحة .. القانون في اجازة وامتع منه ، قانون عينه صالح » !!

في مكتبة سيف الشملان

أما المؤرخ سيف مرزوق الشملان أحد كبار المهتمين بشئون التاريخ والأدب ، والذي كتب الكثير عن تاريخ الكويت ودول الخليج العربي ، فمكتبته عامرة بالكثير من المراجع والمخطوطات النادرة ، وكانت بداياتها في مكتبة

والده ، التي ضمت العديد من الكتب التاريخية والأدبية والمجلات ، ومنها مجلة الكويت للشيخ عبدالعزيز رشيد ، ومجلة الشرق الأدنى المصرية لصاحبها أمين سعيد .

كان أول كتاب تاريخ قرأه السيد / الشملان كتاب « مُروج الذهب » للمسعودي عام ١٩٤٠ ثم كتاب المستطرف للابشيهي ، ثم كتاب « تنبيه الغافلين » في الحديث الشريف ، وكتاب « تفريح المهج بتلويح الفرج » .

وقال السيد الشملان : « منذ مطلع عام ١٩٤٠ وأنا أجمع الكتب ، خاصة القصص العربية القديمة ، ومكتبتي اليوم كما ترين تزخر بالمراجع الدينية والأدبية والتاريخية واللغوية ، وليس عندي وقت محدد للقراءة ، فأي وقت يمكن أن أقرأ فيه ؟ أما أحب الكتّاب الى نفسي فهم : «العقاد والرافعي والزيات والدكتور مصطفى جواد والدكتور جواد علي ، الى جانب ميخائيل نعيمة ، وجبران خليل جبران من الشعراء » .

وعن القارىء والكتاب العربي قال السيد الشملان : « يبحث القراء عن الكتب البسيطة كالقصص والروايات ، والقليل جدا منهم يهتم بالكتب القديمة الدسمة ، التي تعتبر هي المرجع والأساس . فكيف للأديب أن يكون أديبا اذا لم يقرأ أمهات الكتب العربية القديمة في شتى المجالات . أما عن مستوى الكتاب العربي اليوم فيبشر بالخير ، حيث بدأت تصدر منذ سنوات كتب ذات قيمة كبيرة في مختلف الفنون ، أضف الى هذا صدور المجلات الأدبية في كثير من البلاد العربية » .

والسيد / الشملان من عشاق الطبيعة ، ويفضل التجول في الطبيعة والكتابة عنها وفيها ، أكثر من الجلوس في غرفة بها كتاب جديد من الكتب التي يبحث عنها ، كأن يكون الكتاب من مذكرات أحد الأعلام عن سيرة حياته ، أو عن الحرب العظمى عام ١٩١٤ ، أو الثورة العربية عام ١٩١٦ ، وحلول الاستعمار في البلاد العربية .

أول مقال كتبه كان مقالا تاريخيا لم تتح له الفرصة لنشره ، تحدث فيه عن سيرة رحمة بن جابر الجلاهمة . ثم كتب مقالا تاريخيا آخر عن دخول الدولة العثمانية الحرب العظمى ، ولم ينشر أيضا . وتوالت بعد ذلك مقالاته الأدبية والجغرافية الى أن صدر له أول كتاب بعنوان « من تاريخ الكويت » ثم كتاب « الألعاب الشعبية الكويتية » وأخيرا كتاب « تاريخ الغوص عن اللؤلؤ في الكويت والخليج العربي » .

ويمتلك السيد الشملان بعض الكتب المخطوطة والمطبوعة طبعات قديمة ، على رأسها تفسير القرآن الكريم للبيضاوي ، مخطوط في استانبول سنة ١١٢٥هـ . وكان الكتاب المذكور للشاعر الخليجي المعروف السيد عبدالجليل الطبطبائي ، المتوفي في الكويت عام ١٨٥٣م . والشاعر ولد في البصرة ، ثم غادرها الى قطر والبحرين وعاش بهما سنين عديدة ، وفي آخر حياته سكن الكويت .

وكان بعض أصحاب الكتب في ذلك الحين يكتبون عليها أنها ملكهم ، أو أنهم أوقفوها لطلاب العلم .

والسيد عبدالجليل اشترى الكتاب عام ١٨١٣م .

أما بالنسبة للكتب المطبوعة طبعات قديمة فلديه منها القاموس المحيط للفيروز أبادي ، وهو مطبوع على الحجر بالهند في مدينة بومباي سنة ١٢٥٩هـ ١٨٤٣م . ويقع في مجلد كبير ، عدد صفحاته ٩٢٢ صفحة كبيرة . وعلى أولى صفحات القاموس أربعة أبيات من الشعر ، تبين رموز القاموس ، بقلم عبداللطيف ، ولم يذكر اسمه الكامل .

وكل ما يملك السيد الشملان من رسائل قديمة وأوراق وقوائم حسابات وبرقيات سياسية وتجارية ونحوها تحكي تاريخ الكويت منذ مئة سنة ، وفيها معلومات عن تاريخ نجد والبحرين وقطر والاحساء وعربستان والأهواز .

ومن اهمها رسائل آل صباح من عهد الشيخ مبارك الصباح الى الشيخ عبدالله السالم ، وقد أهدى مكتبة جامعة الكويت صورة عن هذه الرسائل ، كذلك ملف رسائل الملك عبدالعزيز آل سعود من سنة ١٩١٠م . الى ١٩٤٢م وفيها الكثير من أخبار وحروبه ، وقد أهدى دائرة الملك عبدالعزيز بالرياض صورة من هذه الرسائل ، وهناك ملف رسائل الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني ، حاكم قطر المتوفي سنة ١٩١٣م ، وأعطيت صورة عن هذه الرسائل للجنة تدوين تاريخ قطر .

وملف رسائل الشيخ محمد بن عيسى آل خليفة ، حاكم البحرين المتوفي سنة ١٩٤٢م ، وملف رسائل لأمراء دبي ولرؤساء العشائر .

وملف رسائل الشيخ خزعل حاكم عربستان ، الذي قضت ايران على حكمه سنة ١٩٢٥ ، وسجنته في طهران ، ومن بينها رسالة عندما كان سجينا .

ولدى الأستاذ الشملان ملف رسائل المرحوم الشيخ يوسف بن عيسى القناعي ، وفيها الكثير الكثير عن تاريخ الكويت ، وكذلك ملف رسائل المرحوم الشيخ عبدالعزيز الرشيد ، أول مؤرخ كويتي وأول صحافي ، ورسائل كثيرة لشخصيات كويتية وخليجية وعربية .

في مكتبة خالد الزيد

ونختتم جولتنا بزيارة لمكتبة خالد سعود الزيد . . مؤلف كتب « أدباء الكويت في قرنين » و « صلوات في

معبد مهجور » و « الكويت في دليل الخليج » بخلاف مقالات ووثائق عن المسرح في الكويت وسير وتراجم خليجية في المجلات الكويتية : وهو أيضا عضو رابطة الأدباء الكويتية ، وأحد كبار المهتمين بالكتب الدينية والتفاسير الشرعية .

يحدثنا السيد الزيد وهو ينظر الى الكتب التي تعمر بها مكتبته في اعتزاز ويقول :

في مكتبتي أكثر من ٥٠٠٠ كتاب . . . أما المراجع فأقل من هذا العدد بكثير ، وتحتوي المكتبة على كتب شتى في أنواع المعرفة ، فلا يخلو نوع من أنواع المعرفة منها ، لكن للأدب فيها الحظ الوافر ، ويليه كل ما يتعلق بالقرآن والحديث من تفاسير ودراسات وشروح قد تتجاوز المئات ، فلدي في التفسير فقط ٣٥ تفسيرا ، تمثل كل مدارس التفسير عبر كل القرون ، ولا تكاد مكتبتي تخلو من أي كتاب صدر عن الامام البخاري . . أو أي دراسات عن صحيحه أو عن حياته ، ويلي ذلك الكتب التي في التصوف الاسلامي وهي تتجاوز الخمسمائة كتاب .

وأسأل الاستاذ الزيد : ما هي قصتك مع التصوف وكتب الصوفية ؟

« بادىء ذي بدء لم أكن على وفاق مع التصوف الاسلامي ، وكنت أنظر اليه نظرة عداء ، متأثرا بما كتبه عنه مناوئوه . وبما كتبه المستشرقون الذين ظنوا أنه من مخلفات المسيحية والوثنية الأولى . لذلك جفوته . ولما ذهبت أسأل عن حقيقة ذاتي ، لم أجد جوابا الا في هذا التراث العظيم ، لما يحمله من تجربة انسانية . . . فكان لقاؤنا معا منذ عام ١٩٧٠ . واليوم ، أنا تلميذ لهذا الفكر الذي أرجو أن يفطن له الناس ، فالتصوف ليس طريقا واحدا ، انما طرق الى الله شتى . كل طريقة من هذه الطرق تؤدي الى الله ، لقد عرّفه أبو نعيم في كتابه « الحلية » بما يفوق الثمانمائة تعريف ، لكل شيء طريقته ومنهجه .

ويوجد اليوم بلا شك متصوفون والمتصوف انسان عادي لا يتميز عن الآخرين بأية ميزة . فربما تراه حليق الشارب واللحية . وربما يكون عازف عود من الطراز الأول ، وأنت لا تعلم خفاياه ولا نواياه .

ومن المتصوفين المعروفين عبر التاريخ : الحلاج ، والشاذلي ، وهما معروفان لدى المريدين . كذلك ابن عربي ، الجامع للفلسفة الصوفية منذ بدايتها في الاسلام ، وحتى عصره ، وهو يعتبر خلاصة للثقافة الانسانية حينئذ . ومؤلفاته تمهيد للفكر الانساني ، وهو في موسوعته « الفتوحات المكية » جمع وأوفى ، فلم يترك كبيرة ولا صغيرة الا وذكرها . وخلاصة القول أن التصوف تطهير للنفس من أدران وثنيتها » .

الكتاب

عن الكتاب العربي اليوم يقول خالد الزيد : « ان الدول العربية لم تهتم بالكتاب بعد ، لذلك فالتوجيه منصب على الجسم أكثر منه على العقل ، فالمدرسة تحشو المعلومات في ذهن الطالب حشوا ، حيث لا يجد متسعا للقراءة ، لذلك تجد هذا الطالب يقضي بقية وقته في التسلية ، للتنفيس عن طاقاته ورغباته المكبوتة بداخله . والانسان العربي كأي انسان على وجه هذه البسيطة ، اذا وجهته للقراءة توجيها سليما أعطى فيها كما يعطي الآخرون ، أما اذا أهملت هذا الجانب فيه فانه يخسر نفسه ويخسره الآخرون ، وعموما ما زلت ، اظن بالقارىء العربي خيرا ، فما زالت المكتبات عامرة بالرواد » .

والسيد الزيد يحب أن يحيط بالموضوع الذي يكتب فيه من كل جوانبه ولهذا فهو يستعير كل ما يحتاجه من كتب الأصدقاء ، أو يشتري مالا يتوفر في المكتبات العامة ، حتى تتسنى له فرصة الأعداد لدراساته وبحوثه . وهو يسعى دائما للتغيير والتجديد في مكتبته ، فالوقوف سقوط كما تقول الصوفية ، ويرى أن الوقوف والاحتفاظ بالقالب التقليدي للمكتبة موت محقق ، فالمكتبة ليست له وحده ، بل لابنائه أيضا ، ولابد من اتاحة الفرصة لهم للقراءة ، أما الثبات على أمر لا يتغير فمحال . ومواكبة الوقت شيء ضروري جدا ، والا فالموت في الوقوف ، ومن وقف سقط كما قال الحلاج .

والنزهة في الطبيعة أو مع الكتاب رحلة في نظر السيد الزيد ، فهو يرى أن كليهما متعة وغذاء لمن كان ذا قلب وبصر .

تلك هي حصيلة لقاءاتنا ومحاوراتنا مع نخبة من المثقفين والكتاب الكويتيين ، الذين تعتبر مكتباتهم مرجعا لكل طالب علم ، أو باحث عن حقيقة تاريخية أو أدبية أو دينية .

أنهم مجموعة من الأدباء ، أحبت الكتاب . . فقرأت ، ولم تتأثر بضوضاء العصر ، ولم تسمح لأجهزة التلفزيون والفيديو وللصحف اليومية أن تستهلك جهودها ، أو تحد من شغفها بالقراءة وحبها للمتابعة . فالحياة الحديثة بمدنيتها وتقدمها العلمي ـ وبرغم المساوىء الاجتماعية والاقتصادية التي جرتها ذيول هذا التقدم ـ قد زادت من حركة النشر ووسعتها ، وجعلت عملية الكتابة والطباعة والتوزيع اكثر انتشارا ، فكيف لهذا النفر من أهل الفكر والادب والمعرفة ان يترك ضوضاء العصر لتحدّ من توثب نفوسهم أو تثبّط من صحة عقولهم فلا يتابعون بعدها كتابا أو مقالة ؟ □□

الجديد في العلم والطب

معالجة الأطعمة بالأشعة

من المعروف أن تجميد الأطعمة وتعليبها هما الطريقتان المتبعتان حتى الآن في حفظ الأطعمة ووقايتها من التلف .. على أن هذه الوقاية لم تجاوز ٧٥٪ .. أي أن حوالي ربع الأطعمة المعلبة والمجمدة تتعرض للتلف سنة بعد سنة ..

من هنا كانت أهمية الطريقة الجديدة .. طريقة المعالجة بالأشعة .. انها جديدة ولا ريب نظرا لأنها لم تظهر في الأسواق بعد .. ولكنها قديمة ، في الوقت نفسه ، نظرا لأنها كانت موضع تجارب واعادة نظر طيلة الثلاثين سنة الماضية .. وسبب هذا التأخير هو أن المعالجة بالأشعة قد تحدث تغيرات في صميم تركيب الأطعمة المعالجة ، وأن بعض تلك التغيرات قد تكون ضارة بصحة الانسان .. والظاهر أن التجارب والدراسات المتواصلة قد أكدت للعلماء والمسؤولين .. حتى الآن ، أن مثل تلك المعالجة لا تحدث مثل تلك التغيرات ، بدليل أن وكالة الغذاء والدواء (F D A) في واشنطن باتت على وشك اقرار الطريقة الجديدة في مستقبل قريب .

ولكن ما الذي تفعله الأشعة بالطعام حتى تكسبه ميزة مقاومة التلف ..؟ وما هي الأشعة المستعملة في هذه الطريقة ..؟

أما الأشعة فهي أشعة جاما **gamma rays** التي تصدرها النظائر المشعة **radioactive isotopes** .. أو الالكترونات التي تطلقها أجهزة التسارع .. وأما أثرها في الطعام فمزدوج .. فهي تتلف مادة **D N A** داخل خلايا الطعام .. فتمنع أو تعيق عملية انقسام الخلايا .. وتؤخر بالتالي عملية نضج الفاكهة والخضروات .. أضف الى ذلك أن هذه الأشعة من شأنها أن تعقم الطعام الذي تعالج .. ويكون تعقيمها اما جزئيا كالبسترة أو تعقيما كاملا ، وذلك تبعا للكمية أو جرعة الأشعة المعطاة .. فان أردنا التعقيم الجزئي جعلنا جرعة الأشعة أقل من (١ مليون) راد **Rad** ، وأن أردناه كاملا جعلنا الجرعة أضعاف ذلك لتصل الى ٥ ملايين راد .. دون أن تتجاوز هذا الحد . والتعقيم الجزئي يقتل أو يبيد البكتريا وسائر الميكروبات التي تفسد الطعام .

ويمكّننا من شحن السمك ، على سبيل المثال ، دون تجميد ، ومن الاحتفاظ بالدجاج مبردا غير مجمد ، أسابيع وأسابيع .. وهو يقي الفريز والتوت وما اليها من الآفات الفطرية طيلة أسبوعين ...

أما التعقيم الكامل فيقضي على (تكسين) تسمم الأطعمة القتال **Botulism Toxin** ويمكن من خزن الأطعمة سنوات عديدة خارج الثلاجة ..

والمرجح ألا تحظى هذه الطريقة في المعالجة بالأشعة .. طريقة التعقيم الكلي ، بموافقة وكالة الغذاء والدواء في مستقبل قريب ، كما هو متوقع بالنسبة الى طريقة التعقيم الجزئي ..

يقول ستانفورد ميلر أحد كبار المسؤولين في وكالة الغذاء والدواء .. « لا اشكال في التعقيم بالأشعة ، بمليون راد أو حتى أكثر من ذلك .. ولكن مسؤوليتنا عن أرواح ٢٢٥ مليون نسمة تحملنا على أن نكون معتدلين ومحافظين .. »

وهنا وتجدر الاشارة الى أن طريقة المعالجة بالأشعة تمتاز على سائر الطرق .. التعليب

اعـداد : يـوسـف زعبلاوي

والتجميد ، بخاصة فهي تغني عن المواد الحافظة (nitrites) التي تنطوي على قابلية تسميم الأطعمة والتي تضاف الى الأطعمة في كلتا الطريقتين .. أضف الى ذلك أنها قد تسبب السرطان في الحيوانات .. كذلك يغني تعقيم الأطعمة عن رشها بالمادة الكيماوية **Ethylene dibromide** وهي مادة تقتل الحشرات في المنتجات الجديدة ، ولكنها موضع شبهة بأنها سرطانية . وقد قررت وكالة البيئة (الأمريكية) حظرها نهائيا اعتبارا من شهر يوليو الماضي .

ابتكار جديد يهم البشر جميعا

يبدو أن تطوير سيفونات المراحيض واختراعها وقف على العلماء الانكليز .. فقد نجح احدهم (جُلِنْ روبرتس) في مطلع السنة الحالية في اختراع تصميم جديد مبتكر لهذا السيفون ... يقال أنه سيكتسح الاسواق عما قريب .. وقد باشرت احدى الشركات البريطانية الشهيرة في هذا الميدان (DPM) ، باشرت صنع السيفون الجديد وتسويقه على أوسع نطاق ..

أما السيفون الأول الرائد في التاريخ فقد اخترعه السير جون هارنجتون ، ابن الملكة اليزابث الاولى بالمعمودية (**Godson**) وذلك سنة ١٥٨٩ .. ومن طريف ما يذكر أن المخترع المذكور أوصى بعدم استعمال السيفون أكثر من مرة واحدة فقط في اليوم .. ولكنه أباح استعماله مرتين في حالات الضرورة القصوى . وكان هذا السيفون الاول بدائيا ولم يكتب له الانتشار .

الجديد في العلم والطب

السيفون الجديد (ف - كون) ..

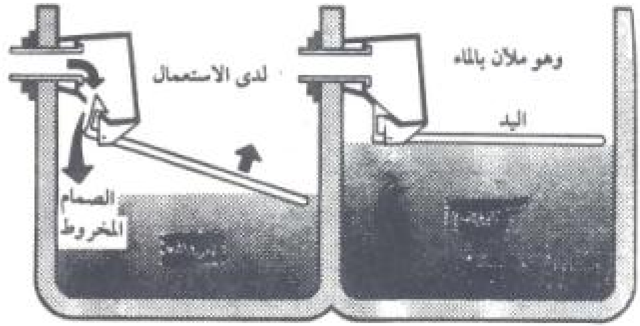

وجاء بعد ذلك سيفون الكسندر كومنجز (Cummings) سنة ١٧٧٥ .. وكان المخترع انكليزيا ايضا ويحترف تصليح الساعات ... ويمكن القول بأن السيفون الثاني هذا هو نفسه السيفون الذي ألفناه منذ صغرنا والذي شاع استعماله في شتى بلاد العالم طوال القرنين الماضيين .. فهو سيفون (العوامة) أو الكرة النحاسية العائمة .. التي تفتح من جهة صمام طرد الماء في السيفون .. وتفتح من جهة ثانية وتلقائيا صمام استقبال الماء البديل ... وذلك لدى الضغط على يد السيفون ، ان كان من طراز السيفونات القائمة فوق المراحيض مباشرة ... أو شد سلسلته ، ان كان من طراز السيفونات المعلقة على الجدار ، على ارتفاع متر أو يزيد فوق المرحاض (نياجرا).

وطرأت تحسينات هامة على سيفون كومنجز .. وقد اجراها الانجليز في كل الحالات ، وذلك سنة ١٧٧٨ وسنة ١٨٧٠ وسنة ١٨٨٩ .. الا أن هذه التحسينات لم تحدث أي تغيير جذري في عمل السيفون المذكور واعتماده على العوامة ...

ولا تخفى مواطن الضعف في سيفون العوامة هذا .. فهو سريع التلف ويسمح بتسرب الماء منه قليلا أو كثيرا .. ولا يسمح بملء خزانه بالماء البديل على الفور أو بالسرعة المطلوبة .

هذا بخلاف السيفون الجديد الذي سبقت الاشارة اليه والذي تم اختراعه وتطويره والمباشرة في انتاجه على نطاق واسع في مطلع السنة الحالية سنة ١٩٨٤ . فقوام هذا السيفون يد طويلة مصنوعة من البلاستيك ومخروطية الشكل في أحد طرفيها ... فاذا امتلأ السيفون بالماء تأخذ اليد مكانها الأفقي على سطح ويأخذ طرفها المخروط مكانه أيضا ، فيحكم اغلاق الفتحة التي يمر منها الماء البديل ليملأ خزان السيفون .

وفي حالة الضغط على يد السيفون تنحرف هذه اليد عن مستواها وينحرف طرفها المخروط عن مكانه .. فيتدفق الماء الى المرحاض ، ويفرغ خزان السيفون من مائه .. ولكن الماء البديل لا يلبث أن يحل محله على الفور عبر الفتحة الموجودة في أعلى الخزان ... (انظر الرسم) .

ويتميز السيفون الجديد الذي اسموه (صمام في - كون) (Ve Cone Valve) بقلة قطعة ، واحكام اغلاقه بحيث يتعذر تسرب الماء منه .. لا يتعرض للتلف كالسيفون القديم ..

إشتعال الجليد

شعر : غنيمة زيد الحرب

تخذ الريح الى المهرب جسراً
لبس الليل رداء وتعرى
من صقيع الكفن المنثور تبرا
هرب الميت من القبر الموشى بالذهب

●●●

قال للأشباح : ان حل الزوال
وصدى التابوت يدعوني: تعال
فأنا من تحت موج الانفصال
شربت روحي مياه الاحتلال
فتفشى في لظى روحي التعب

●●●

جئت للاكفان للنعش* الحرير
حين دبت في لظى الروح الغرير
غفوة الذكرى وصمت الزمهرير
فطغى في اللحد عمري ورسب

●●●

غير أني من ثلوج الاحتضار
وجليد اللحظة السكرى بباب الانتظار
بزغت في الليل أحداق النهار
فسرى في ثلج انفاسي اللهب

●●●

كدت من قبري الى الآتي أطير
حين أطفأت اشتعال الزمهرير
ونحرت الليل في الأمس الضرير
وعلى الحاضر أشعلت الغضب

قراءة في

كتاب الموت

للكاتب الياباني : يوكيوميشيما

بقلم : نوح حزين

☐ من المبالغة القول بأن كتابا قد يتسبب في مصرع إنسان . . ولكن من المؤكد أن هذا الكتاب كان بالنسبة لميشيما كالتعويذة التي تقود إلى الموت بدل أن تهب الحياة .

في صباح الخامس والعشرين من نوفمبر ١٩٧٠ اقتحم الروائي الياباني يوكيو ميشيما و ١٠٠ من أتباعه وتلامذته ، مقر القيادة العامة لقوات الدفاع الذاتي اليابانية ، وخرج الى الشرفة مرتديا اللباس الياباني التقليدي معصوب الرأس ، وألقى في الجموع المصعوقة بفعل المفاجأة ، خطابا مؤثرا حول مجد اليابان والبطولة والموت ، ثم قام هو وأحد تلامذته بغرس سيفين في جسديهما على مرأى من الجموع التي وقفت تشهد طقس الانتحار الرهيب ، الذي يذكر بمشاهد مسرحيات أديب اليابان الكبير التي

استوحاها من فنون الفرجة القديمة . ومنذ ذلك التاريخ لم تنقطع الدراسات حول الأديب الكبير الـذي تحول من جمـالي مرهف الحس ، إلى زعيم لجماعة مسلحة تؤمن بالعنف والقـوة ، وتنادي بالعودة الى ماضي البطولة المطلقة ، التي وجـدت تجسيدهـا الحي في نمـوذج محـاربي الساموراي اليابانيين وأسلوبهم في القتال والحياة والموت .

الهاغا كوري والروح الفريدة

بهذا المشهد الدامي كان ميشيما يؤكد انتمـاءه لتقاليد الساموراي على طريقته الخاصة . فقد آثر أن يتبع الموت باعتباره طريق السـامـوراي الوحيد . ولـدى إنزال جسـده استطاع أفـراد الجمع المحتشد أن يميزوا جملة كتبها على عصابة الرأس التي ارتداها ليكمل طقس الموت . تقول الجملة : « ان الرجال يجب أن يكون لهم لون أزهـار الكرز حتى عنـد مـوتهم » . وهي جملة أخذها ميشيما من كتاب بعنوان « الهاغاكوري » الذي كان أكثر الكتب تأثيرا على الأديب خلال حياته وعند مصرعه .

ومن المؤكد أن مؤلف كتاب « الهاغاكوري » أراده فلسفة للحياة ، إلا أنه كان بالنسبة لميشيما كتاب الموت ، الذي واصل قراءته طـوال ربع القرن الأخير من حياته القصيرة .

يعود تأليف هذا الكتاب الى عام ١٧١٠ عندما اعتزل السـاموراي جوشو يامـاموتـو الحياة بعـد موت سيده الاقطاعي ، وبنى لنفسه كـوخا من الأعشاب ، وخلد الى التأمل بعيدا عن صخب الحيـاة . وبعد عشـر سنوات حضر اليه أحـد محاربي السـاموراي الشبان ـ ويدعى تسومراماتوتا تاشيرو ـ وبدأ بكتابة التعاليم والأفكار الفلسفية التي خرج بها الساموراي القديم . وخلال سبع سنوات جمع التلميذ مادة ضخمة متنوعة وصنفها وبوبها وضمنها كتابا من أحد عشر مجلدا أطلق

عليه اسم « سجل الكلمات لسيد الهاغاكوري » . وقد أمر ياماموتو تلميذه باحراق الكتاب ، إلا أن التلميذ لم يطع معلمه واحتفظ به لنفسه .

وسرعان ما بدأ محاربو الساموراي في تلك المنطقة في استنساخه وتبادله سرا فيما بينهم . وبقي كذلك حتى جرى تعميمه وتوزيعه علنا بعد نحو ١٥٠ سنة من تاريخ كتابته .

وخلال الثلاثينيات من هذا القرن ، وبينما كانت الروح العسكرية اليابانية تتأجج في المجتمع الياباني ، أصبح الكتاب الذي اختصر اسمه الطويل الى كلمة « الهاغاكوري » من أكثر الكتب رواجا ، ووصفه المهتمون باستنهاض روح اليابان العسكرية بأنه « روح اليابانيين الفريدة » . وفي وأثناء الحرب العالمية الثانية بيعت منه أعداد هائلة ، وأعيدت طباعته مرارا ، واستعملت جمل منه شعارات لاحياء روح الحرب في ذلك العقد المضطرب ، وأصبحت الجملة التي تقول : « لقد وجدت ان طريق الساموراي هو الموت » شعارا يسير به طيارو الكاميكازي الانتحاريون نحو حتفهم . وبعد انتهاء الحرب اعتبر الكتاب خطرا وهدّاما ، ومُنِع من التداول وأتلِفت نُسَخُه ، واختفى عن عيون سلطات الاحتلال الامريكية .

لكن كتاب الهاغاكوري ليس كتابا عن البطولة والموت فحسب ، بل يحتوي الى جانب ذلك على نظرات وتأملات فلسفية تشمل كثيرا من أمور الحياة اليومية ، وتحمل عناوينه الفرعية ، عبارات مثل « القدرة على التحمل » و « اتخاذ القرار » و « الاخلاص في العلاقات الانسانية » و « تعليم الطفل » و « التصرف في الحفلات » و « أدوات التجميل » و « كيف تعقد اجتماعا » . . . الخ . ولم تكن مثل هذه العناوين هي ما جذبت ميشيما إلى قراءته . بل كانت أفكار الموت والقتال والبطولة هي التي جذبت الكاتب الذي عاش طفولته في فترة الغليان السياسي في الثلاثينيات ، وعندما أصبح في مقتبل العمر كان الموت هو الحدث الرئيسي حوله ، وعند انتهاء الحرب رأى ميشيما المجتمع الياباني كله يفقد حيويته وبطولته ، ويسير نحو موت معنوي يجرده من تقاليده وخصوصيته ، ويلحقه بالنموذج الغربي الذي خرج منتصرا من تلك الحرب المهلكة .

الساموراي

يذكر ميشيما أنه قرأ هذا الكتاب لأول مرة في أثناء الحرب العالمية الثانية . ومنذ ذلك التاريخ - يقول ميشيما - « كنت أعود إليه باستمرار لأعيد قراءة أجزاء منه بين آن وآخر حسب المناسبة ، وفي كل مرة كنت أجد فيه ما يدهشني » وفي عام ١٩٦٧ أي قبل مصرعه بثلاث سنوات كان ميشيما قد هضم تماما الأفكار التي داوم على قراءتها طوال أكثر من ربع قرن ، ووضع حوله كتابا من أهم كتبه ، عرض فيه فهمه الخاص لأخلاقيات وسلوك رجال ساموراي كما جاءت في هذا الكتاب . وبعد الانتحار المدوي لكاتب اليابان الأول مباشرة ، أصبح هذا الكتاب أكثر كتب ميشيما مبيعا . اليه هرع المعجبون بفنه ، وأولئك الذين كانوا يحتقرون أفكاره اليمينية المتعصبة ، ليتعرفوا على خلفية المشهد التراجيدي الأخير في حياة هذا الكاتب . .

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية كانت صورة جديدة لليابان قد أخذت في التشكل . وقد خلت هذه الصورة الجديدة من ملامح أساسية ميزت مجتمع اليابان القديم . وكانت أهم هذه الملامح المفقودة فلسفة الحرب والحب والموت عند محاربي الساموراي ، ومعاني البطولة والشرف العسكري لديهم . وفي الوقت نفسه كانت اليابان الحديثة تلك ، تعلن انتماءها لعالم الغرب الليبرالي بالدخول في دائرة التحالفات

الغربية الامريكية . وسيطرت على مجتمع اليابان - بالتالي - قيم الغرب المادية . واختفت صورة الساموراي إلا عن ذهن ميشيما الذي وجد نفسه يتوزع في فنه وحياته على مسارين مختلفين ، أحدهما مع المجتمع وبقوة فعله نحو التغريب ، بينما واصل الآخر سيره عبر الزمن نحو قيم البطولة المفتقدة . ومع مرور الزمن كان هذا الجانب من ميول ميشيما يتعزز من خلال ارتباط الكاتب ببقايا الملامح المنهارة التي لم تندثر بعد . فبقيت ، وكان كتاب « الهاغاكوري » بمباشرته وقوة تأثيره ، وعاء حافظا لهذه الملامح . ولم تكن قراءاته المستمرة لهذا الكتاب غير محاولات مستمرة لتثبيت هذه الملامح التي شهدها الكاتب تتداعى من حوله . وحين كتب قراءته للهاغاكوري عام ١٩٦٧ كان يهدف الى إيجاد صلة حية بالتقاليد والأفكار التي احتواها الكتاب .

حمل كتاب ميشيما عنوان « حول الهاغاكوري » وتبعه عنوان فرعي آخر هو « أخلاقيات الساموراي واليابان الحديثة » ، ومع أن هذا الكتاب كما ذكرنا لم يكن كتابا عن البطولة والموت فقط ، إلا أن ميشيما عند دراسته له لم يناقش سوى الفصول الثلاثة الاولى منه ، وهي فصول تتحدث عن القوة والموت في معظمها . فخلال انجذابه لروح اليابان القديمة ، وجد ميشيما نفسه مسحورا بفكرة الموت كما جاءت في فلسفة الساموراي . ويجب أن نتذكر أنه ظل مسحورا بهذه الفكرة حتى النهاية . وعندما جاءت لحظة الاختيار بين الموت والحياة التي لا تأتي غير مرة واحدة في الحياة كما يقول الساموراي القديم ، لم يتردد في اختيار الموت باعتباره طريق الساموراي وحرفته الأساسية .

وينتبه ميشيما الى حقيقة هامة يتخذ منها وشيجة تربط عصر ياماموتو بعصره ، أي بين الساموراي القديم وميشيما الذي لم تفارق ذهنه صورة الساموراي الحديث ، فقد تنبه ميشيما الى رنة الخوف التي تسيطر على كتاب ياماموتو الذي يؤكد على التمسك بمبادىء الساموراي في مواجهة المجتمع الياباني الذي رأى أنه أخذ في التحلل وفقدان الاخلاقيات البطولية .

وخلال عملية القراءة التي قام بها ميشيما لياماموتو ، وجد نفسه يعلق ويشرح ويضيف لما جاء في كتاب الأخير . وبدا الاثنان داعيتين للتكامل الروحي والجسدي داخل النفس ، والارتقاء بها الى تحقيق الذات على الصعيد الفردي ، بدل الاندماج في حركة المجتمع . لقد وجد كل منهما نفسه مخذولا من مجتمعه فتقوقع على أفكار البطولة المفتقدة الخاصة به .

القديم والجديد

يقول ياماموتو معبرا عن غربته الروحية في مجتمع يموج بالتغيرات : « والان عندما يجتمع محاربو الساموراي الشبان معا ، فإنهم يتحدثون عن المال والربح والخسارة وكيفية تسيير شؤون البيت بشكل جيد وكيفية الحكم على قيمة الملابس . كما أنهم يتبادلون الاحاديث حول الجنس » .

أنها نفس الصرخة التي ردد صداها ميشيما حين اجتمع مع بعض الشبان الراديكاليين قبل مصرعه بعام ، طالبا منهم تأييد الامبراطور والالتحاق به لتكوين فصيل لخدمته . لكن أحدا لم يكترث لصوته المدوي . ففي مقابل الشبان الساموراي المفسدين في عصر ياماموتو ، كان شباب اليابان الحديثة يتوزعون على التيارات الليبرالية والراديكالية التي وردت اليهم من الغرب ، ويتظاهرون ضد البطولة ورمزها الامبراطوري ، ويرون في انبعاث العسكر اليابانية قوة تدميرية رهيبة . وفي هذا الجو المضطرب واصل ميشيما طريق الساموراي الذي قاده الى نهايته المروعة .

عند انطلاق الدعوة لتحويل اليابان الى بلد عسكري في الثلاثينيات كان ميشيما على رأس الدعاة الا أنه لم يبد حماسا كبيرا للحرب عند اندلاعها ، ولم يسارع الى التطوع للقتال ، ولم يهتم بتصحيح خطأ في تشخيص حالته الصحية اعتبر على اثرها غير صالح للخدمة العسكرية . لكن ميوله اليمينية لم تتغير بمرور الزمن بل ظلت الروح العسكرية اليابانية هدفا رئيسيا لفكرة ، وظلت صورة الشبان اليابانيين في الثلاثينيات وطياري الكاميكازي الانتحاريين مثالا للبطولة والاستعداد للموت في سبيل الامبراطور . بل إنه اعلن يوما عن اعتقاده بأن الامبراطور معصوم عن الخطأ .

وقد كان أمرا ذا دلالة أن يقوم عام ١٩٦٧ ، عام كتابة دراسته حول الهاغاكوري ، بالالتحاق سرا بقوات الدفاع الذاتي اليابانية حيث تدرب لمدة شهر . وفي عام ١٩٦٨ شرع بتكوين جيش خاص هدفه خدمة الامبراطور . وبهذا الجيش اقتحم ميشيما مقر القيادة العامة لقوات الدفاع الذاتي اليابانية في طوكيو ، حيث أعد مشهد انتحاره الذي روع العالم .

فلسفة الموت والحرية !

لقد وجد ميشيما نفسه يحيا من جديدمأزق الساموراي القديم ياماموتو ويقف على حافة الموت التي وقف عليها . وحين قرأ ما كتبه الساموراي المعتزل ، سحرته فكرة الموت باعتباره تتويجا للحياة . فوجد نفسه يسهم في صياغة فلسفة الموت التي بدأها ياماموتو . ووجد فيها خلاصا من ذلك التناقض الذي وجد نفسه فيه ، والذي كان بدوره انعكاسا لما يمور به مجتمع اليابان في فترة الحرب العالمية الثانية . لقد كان ميشيما بفنه وفكره وسلوكه تجسيدا للتناقض بين ماض تقدس فيه البطولة الفردية والموت ، وبين المادية التي دخلت اليابان مع التحديث وعملية الانتماء للغرب . ولم يكن العودة الى الوراء . فوجد خلاصه في الانتحار حسب الطقوس القديمة .

في دراسته حول الهاغاكوري يصل ميشيما الى أن فكرة الموت ـ كما صاغها الفلاسفة اليابانيون القدماء ومقاتلو الساموراي ـ هي فكرة الحرية نفسها . فالارادة الحرة كما يرى ميشيما « هي إرادة الموت بحرية » ، وعندما يختار الساموراي الموت فانه يؤدى عملا من أعمال الحرية . وقد اختصر ذلك في عبارة تقول « أن معادلة الموت تساوي الحرية وهي المعادلة المثالية للساموراي » . ويبني على ذلك استنتاجات تفصح عن توجهاته العدمية المسكون فيها حس الموت فيقول :

« ان الرؤية اليابانية التقليدية للموت التي ترى أن الموت قتل في المعركة والانتحار الطقوسي مشرفان بنفس الدرجة » . ويضيف « أن الصيغة الايجابية للانتحار المعروفة بالماراكيري ليست علامة هزيمة كما ينظر اليها في الغرب . انها التعبير الأسمى عن الارادة الحرة لحماية الشرف » .

لكن الحقيقة المنسية لدى ميشيما هي أن تكوينه الذهني والثقافي لم يكن يابانيا خالصا ، بل كان مزيجا من الفلسفة اليابانية القديمة والفكر والثقافة الغربيين . فقد عُرف عنه تأثره بريمون راديغيه وتوماس مان ودوستويفسكي .

وقد كتب روايته « ضوضاء الأمواج » عام ١٩٥٤ التي تعتبر صياغة يابانية للأسطورة اليونانية القديمة « دافني وخلويه » . ويشبه بعض النقاد روايته « السرادق الذهبي » برواية « الجبل السحري » الذي تأثر به ميشيما كثيرا . وفي هذا المجال هناك أمر لا يخلو من دلالة . فقد كان مدخل ميشيما للكتابة عن « الهاغاكوري » هو الحديث عن كتاب للروائي الفرنسي ريمون راديغيه بعنوان « حفلة الكونت دورغيل » الذي كتبه مؤلفه قبل أن يموت في سن العشرين ، تاركا

هذا الأثر الأدبي المهم كما يقول ميشيما . ولا شك أن موت راديغيه كان من التأثير على ميشيما بقدر تأثير الكتاب الذي يذكر أنه قرأه قبل التعرف على كتاب الهاغاكوري مباشرة . وبعد الحرب العالمية الثانية ذهب الى الولايات المتحدة حيث حل ضيفا على وزارة الخارجية وعمل محررا في صحيفة (بارتيزان لنيو) .

لذا ، فعند ترديده لفكرة الموت لم تغب عن ذهنه تلك المقارنة الحتمية بين فهم الغرب للموت ، وبين يقظته على إيقاعه في أثناء الحرب ، ثم حملها معه الى أن وجد نفسه في لحظة الاختيار التي انتظرها طويلا ينحاز دون تردد للموت الطقوسي على الطريقة اليابانية .

ولا شك أن ميشيما صرف جزءا كبيرا من وقته يناقش الموت ، لا كفكرة فحسب ، بل كاحتمال ظل ملازما له باستمرار . وكانت المشكلة بالنسبة له هي اختيار طريقة الموت ولحظته . ولا شك أن فكرة الانتحار كانت الأكثر إلحاحا فهي الطريقة الوحيدة التي يستطيع بواسطتها أن يكون ساموراياً حقيقيا في عصر أصبح الساموراي فيه فارسا قديما في غير عصره . لقد حقق ميشيما خلال حياته القصيرة الكثير من الأمجاد والرغبات واحدة بعد الأخرى ، لكن الرغبة الوحيدة التي لم تتحقق هي رغبة الموت . والموت كما يفهمه ليس موتا عبثيا ، فليس هناك موت عبثي للساموراي كما يقول حتى لو كان ذاك انتحارا مأساويا في نظر الغرب . وقبل أن يصل الى قرار الانتحار كان قد ناقشه مرارا . وما الترديد الملح لفكرة الموت والغوص في تفاصيلها واحتمالاتها في كتابه هذا على وجه الخصوص ، سوى تغليب لفكرة الانتحار الذي كان يجد صورته كلما فتح كتابه . ولم ينس ميشيما أن يناقش الانتحار باعتباره إحتمالا لحياة جوشو يامامونو . فقد تخيل ميشيما نفسه في صورة الساموراي القديم الذي انتهى بزفرة على فراشه وهو في الحادية والستين . وفكر ميشيما بأي حزن واجه المحارب العتيق موته الاعتيادي على فراش بسيط في كوخ ناء . وطرح احتمال قيام يامامونو بالانتحار . وهو في واقع الحال يطرح احتمال انتحاره هو . وخلص الى استحالة ذلك باعتبار أن العائلة في تلك الأيام كانت فوق الفرد ، فلم يكن باستطاعة جوشو الانتحار . فقرر الخلود الى حياة العزلة . أما ميشيما ـ الساموراي الحديث ـ فلم يكن في المجتمع الذي عاش فيه ، سلطة لعائلة أو نبيل إقطاعي أو امبراطور ، فوقف في الشرفة ينعي للعالم البطولة المفقودة ، وأجهز بسيفه على نفسه المعذبة .

لقد كانت إحدى تصورات ميشيما المتعددة لنفسه ، أنه ساموراي حديث ، وفي انتحاره الطقوسي السريع إنما كان يمارس حرفة الموت التي اختارها لنفسه كساموراي تراجيدي في عالم اختفت منه أخلاقيات الساموراي . □□

■ اذا استسلمنا إلى التيار الانتحاري الناشيء عن صيغة النمو القائمة اليوم ، فإن الامر سينتهي بتوفير إمكانات تقنية هائلة تدمر كل مظاهر الحياة . وبذلك تنتهي ثلاثة ملايين سنة من التاريخ الانساني .

الفيلسوف الفرنسي جارودي بعد اسلامه

من مكتبة العربي

المناخ والحياة

الكاتب : محمد عزو صفر
الناشر : الادارة العامة للطيران المدني ـ إدارة الأرصاد الجوية ـ الكويت
سنة النشر : ١٩٨٤

يبحث هذا الكتاب العلمي في علاقة المناخ بالانسان . وتأثيره على نشاطاته الحياتية ، ويتعرض فيه أيضا نشأة الأرصاد الجوية في الكويت والتطورات التي دخلت عليها .

يقول المؤلف : (الطقس يؤثر في حياة الانسان ، كما يؤثر في شتى مجالات النشاط البشري ، وعليه فان استخدام البيانات والمعلومات المناخية أصبح أمرا لا غنى عنه عند وضع أية خطة للتنمية أو عند التخطيط لتنفيذ مشروع من المشاريع) .

هيكل والسياسة الاسبوعية

الكاتب : د . محمد سيد محمد
الناشر : دار الرفاعي ـ الرياض
سنة النشر : ١٩٨٣

يمكن القول بأن الصحافة ظاهرة اجتماعية حضارية ، تواكب تطور المجتمعات وتعكس صورها ، مؤثرة ومتأثرة بحركة هذا التطور . وكذلك كان تاريخ الصحافة في مصر .

هكذا يمهد الكاتب لكتابه الذي تناول فيه التفصيلات الخاصة بمجلة السياسة الأسبوعية . وتتبع مراحل حياة صاحبها الدكتور محمد حسين هيكل ، ثم درس تاريخ هذه الصحيفة (١٩٢٦ ـ ١٩٤٩) والمادة التحريرية فيها وادارتها وطريقة اخراجها وتوزيعها ، ودورها وانجازاتها وأثرها .

واستخدم في رصد مادته المنهج التاريخي مع التحليل والربط والاستدلال ، ولم يفته المنهج المقارن أيضا ، خاصة مقارنة السياسة الأسبوعية بغيرها من الصحف الأسبوعية كالبلاغ الأسبوعية وغيرها .

مـالك الحـزين

الكاتب : ابراهيم أصلان
الناشر : دار التنوير ودار أبعـاد للطباعـة والنشر ـ بيروت
سنة النشر : ١٩٨٣

هـذه هي الـروايـة الاولى للكـاتب ، بعـد مجموعته القصصية الاولى (بحيرة المساء) التي صدرت سنة ١٩٧١ . وابراهيم أصلان أحـد كتاب القصة الذين برزوا في الستينات ، إلا أنه كان ومازال مقلا في انتاجه .

فبعد حوالي ١٣ سنة على صـدور مجموعته القصصية الأولى ، ها هو يصدر روايته الاولى ، ومع أنه نشر بعض القصص خلال تلك الفترة الماضية في بعض المجلات العربية ، الا أنه لم يبادر الى نشرها في مجموعة ثانية ، بل أصدر هذه الرواية التي تسجل ما تتمخض عنه الحياة في حي أمبابة الشعبي في القـاهرة ، وتباين القيم بين نماذج بعض سكانه ، نتيجة لاختلاف انتماءاتهم وأماكن قدومهم .

وقـد تميزت الـرواية بحس سـاخر متفـارق مشحون بالكوميديا . وكان يمكنه الاستغناء عن الكثير من الشخصيات والتركيز عـلى المحوري فيها .

الاعجاز النحوي في القرآن الكريم

الكاتب : د . فتحي عبدالفتاح الدجني
الناشر : مكتبة الفلاح ـ الكويت
سنة النشر : ١٩٨٤

المعروف ان كلمة (العجز) لها عدة دلالات ومعان ، فعلماء الكلام عرفوها بانها إتيان ما هو خارق للعادة وخـارج عن المألـوف ، ومقرون بالتحدي .

وكلمة معجزة تستعمـل في الآداب والفنون عـلى سبيل المجاز لا الحقيقـة ، لأن الاعجـاز الحقيقي حسب رأي الكاتب لا يستطيع البشر أن يقوم به .

هذا وقد ركز الكاتب في كتـابه عـلى دراسة الـظواهر الاعجـازية التي بـرزت في الـتركيب القـرآني ، ونشـأة النحـو ، والأفعال : المـاضي والمضـارع والأمـر ، كـما وردت في القـرآن الكريم ، ورأي بعض النحاة فيهـا ، وأخضع ذلك للنقاش والمراجعة .

من مكتبة العربي

تطور اللهجة الكويتية

دراسة وتحليل

الكاتبة : ليلى السبعان

الناشر : شركة الربيعان ـ الكويت

سنة النشر : ١٩٨٣

دراسة اللهجات أصبحت جزءاً لا يتجزأ من فروع علم اللغة .

ودراسة الباحثة دراسة دلالية وصفية في لهجة عربية معاصرة ، ارتكزت فيها على دراسة منطقة البحث جغرافيا وتاريخيا وثقافيا ، وتعتبر من دراسات علم اللغة الاجتماعي .

واللهجة المقصودة هنا هي لهجة أهل الحضر في الكويت . هذا وقد تتبعت الكاتبة الكثير من الألفاظ ورصدت تنقلاتها بين الأجيال ثم درست الترادف والاشتراك اللفظي ، ثم عقدت مقارنة بين الألفاظ والمعاني المستعملة في اللهجة وحددت العلاقات بينها ، ثم درست الفروق المعنوية بين الألفاظ في الاستعمال ، وطرق تنمية الألفاظ في اللهجة أو مولدها ووفاتها . . وغيرها من موضوعات .

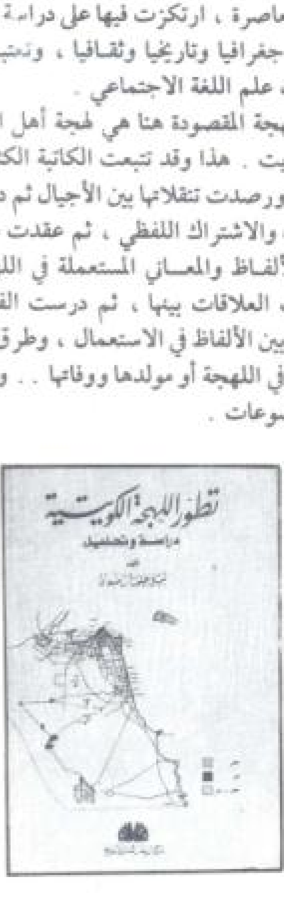

السياج

الكاتب : محمد عبدالملك

الناشر : المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ـ بيروت

سنة النشر : ١٩٨٢

تسع قصص وعشرات القضايا ، ولغة وكلمات صافية منتقاة بدقة وعناية ، مصبوبة في قالب قصصي يجمع الجزالة والدقة وفطنة التكثيف دون إخلال ، والتخلص من زوائد السرد والاطناب .

يغوص محمد عبدالملك في دواخل شخصياته ، يرصد الدقيق ، الشفيف ، الذي يستعصي على البوح .

شخصيات مختارة منتقاة ، تعج رؤاها وواقعها بالصبوات والاحلام والكوابيس ، تتوق لكسر قيود الكثير من الحواجز والموانع ، أحيانا تفعل . . وأحيانا أخرى يتركها الكاتب في حمأة اتيان الفعل . . يلتقط من مجتمع البحرين ـ مجتمعه ـ بعض الملامح ويبني ويفرع . . ويستعمل الرمز والايحاء .

فيدغم الخاص بالعام . . ليصل الى محطة الرؤى الانسانية . قادر وقدير في التعبير عن الخبايا الداخلية للنفس الانسانية . تسع قصص ، عشرات القضايا ، تلك هي المجموعة .

أوقاف وأملاك المسلمين في فلسطين

تحقيق وتقديم : د . محمد ابيشرلي ومحمد داود التميمي

الناشر : مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الاسلامية ـ استنابول

سنة النشر : ١٩٨٢

الكتاب الذي نعرض له هو الكتاب الأول الذي صدر عن المركز التابع لمنظمة المؤتمر الاسلامي .

وهو عبارة عن وثيقة تاريخية تم تدوينها في أواسط القرن العاشر الهجري عقب الاحتلال العثماني لفلسطين والتي تم الاحتفاظ بها في الأرشيف العثماني باستنبول ، تحتوي على (دفتر تحرير الطابو رقم ٥٢٢) وتشتمل على معلومات مهمة حول أملاك وأوقاف المسلمين خاصة في عهد الأيوبيين والمماليك وبداية عهد العثمانيين .

وقد تم تحقيق الوثيقة ونشرت صورة كاملة لاصولها ، مما ألقى أضواء وقدم معلومات وافية للتاريخ الاجتماعي والثقافي والاقتصادي لفلسطين وسكانها ونشاطاتهم في تلك المرحلة .

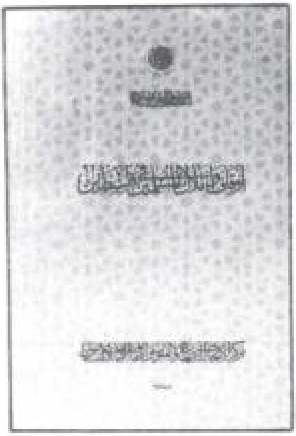

اللغة العربية والوعي القومي

بحوث ومناقشات عدة كتاب

الناشر : مركز دراسات الوحدة العربية ـ بيروت

سنة النشر : ١٩٨٤

يجمع هذا الكتاب بين دفتيه بحوث ومناقشات الندوة الفكرية ، التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية ، بالاشتراك مع المجمع العلمي العراقي ، ومعهد البحوث والدراسات العربية التابع للجامعة العربية .

تشكل اللغة العربية احد المقومات الأساسية ، في وحدة الأمة العربية وتحقيق تطلعاتها القومية .

إلا أن اللغة الفصحى تثور حولها وعليها بعض العواصف بين حين وآخر ، لذلك فقد اقيمت الندوة لمناقشة شتى العقبات والصعوبات والتسهيلات التي تتعلق باللغة العربية وعلاقتها بالوعي القومي وقد جاء في مقدمة الكتاب :

(اللغة كالوطن يجب أن يكون الدخول اليه مقننا ومرتبطا بالمصلحة العامة ، لا أن تكون الحدود مفتوحة للاستيطان الأجنبي والمجرات الوافدة بدون رادع ولا قيود . فكما أن الأمة المستقلة هي التي لها حدود آمنة ، كذلك فاللغة الحية المستقلة هي التي لها حدود تحميها .

المسابقة الثقافية

رقم ٣٠٩

اغسطس ١٩٨٤

راعينا في اسئلة هذه المسابقة التنويع .. والتبسيط الى حد ما .. وذلك بأمل اقبالكم على الاشتراك فيها ... والاستمتاع في الرد على اسئلتها .. نرجو لكم التوفيق والظفر باحدى الجوائز . وذلك بالرد على عشرة اسئلة من اسئلتها رداً صحيحاً ..

ترسل الاجابات على العنوان التالى : مجلة العربي - صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العربي الثقافية » العدد ٣٠٩ - وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو أول اكتوبر ١٩٨٤ .

١ - اشترى رجل ثلاث اقز من الدقيق .. فما هو وزن ما اشتراه بالأواقي ..

٢ - ثمة موضع طرى متحرك في رأس الطفل .. ما اسمه ؟
* نافوخ
* يافوخ
* يأفوخ

٣ - البريد لفظ قديم ومعناه الرسول ، وجمعه بُرُد .. وهو المسافة التي يقطعها الرسول وتساوى ١٢ ميلا .. هل هذا الكلام خطأ أم صواب ؟

٤ - تدور الشمس حول نفسها في ٢٥ يوما .. وتدور حول مركز المجرة - مجرة درب اللبانة التي هي جزء منها - بسرعة ٧٠,٠٠٠ كم في الساعة .... فكم تحتاج الشمس من الوقت لتكمل دورتها الثانية هذه :
* سنة واحدة .
* ١٢٥ مليون سنة .
* ٢٢٥ مليون سنة .

٥ - ما هو ثاني أعلى جبل في العالم ...؟

٦ - عاصمة التبت ، لهاسا ، يبلغ ارتفاعها ١٢٠٠٠ قدم فوق سطح البحر .. فأى عواصم أمريكا الجنوبية تبلغ مثل هذا الارتفاع .. ؟

جوائز العربي لقرائها أكثر من
ألفي دينار سنويا

جوائز المسابقة

الجائزة الأولى	٥٠ دينارا
الجائزة الثانية	٣٠ دينارا
الجائزة الثالثة	٢٠ دينارا

و ٨ جوائز تشجيعية قيمة كل منها ١٠ دنانير

٧ ـ الصوف والقطن كلاهما يمتص الماء بنسبة معينة . . فأيها يمتصه بنسبة ١٦٪ وأيها يمتص الماء بنسبة ٩٪ . . ؟

٨ ـ ما هو ثاني أطول نهر في العالم ؟

٩ ـ أيها اكبر مساحة . . . استراليا أم سطح القمر ، الذي تراه في صوره الفوتوغرافية ؟

١٠ ـ أي شيء من المخلوقات الحية في الوقت الحاضر يبلغ من الطول ٨٣ مترا ومن العمر ٣٥٠٠ ـ ٤٠٠٠ سنة ؟

١١ ـ من الظواهر الملفتة للنظر وجود المياه العذبة في عرض المحيط الأطلسي ووسط مياهه المالحة . . ولطالما يقصدها البحارة ليشربوا منها . . . فأين تقع منطقة المياه العذبة هذه من المحيط الأطلسي ؟ وكيف تفسر ظاهرتها الغريبة . . ؟

١٢ ـ ما المقصود بالأمراض المعدية . ؟
- هي التي تنتقل من فرد الى آخر بالاتصال المباشر والملامسة . .
- هي التي تنتقل من فرد الى آخر بواسطة التنفس ، ولدى اقتراب أحدهما من الآخر . .

كوبون مسابقة العدد ٣٠٩

حل مسابقة العدد

(٣٠٦)

المنشورة في عدد مايو ١٩٨٤

١ ـ المادة التي يضيفونها الى ماء الشرب بقصد تأمين الوقاية من التسوس هي الفلورين أو الفلورايد . . . ومادة فلورايد الصودا بالتحديد هي المادة الأكثر استعمالا لهذا الغرض . وهي تضاف بنسبة ضئيلة جدا . . جزء واحد لكل مليون جزء من الماء . .

٢ ـ كريات الدم الحمراء هي الأكثر . . فعددها يبلغ (٥,٠٠٠,٠٠٠) تقريبا ، بينما عدد الكريات البيضاء يعادل ٧٥٠٠ تقريبا في المليمتر المكعب الواحد .

٣ ـ تتصلب عضلات الميت أو تتيبس بعد وقوع الموت ببضع ساعات ، ويعرف ذلك في المصطلح الطبي بعبارة ريجو مورتس (**Rigo Mortis**) .

٤ ـ تأبط شرا هو ثابت بن جابر بن سفيان الفهمي . . من شعراء الجاهلية ، توفي سنة ٥٣٠ م . . وقد غلب عليه لقبه نظرا لأنه أتى أصحابه ذات صباح وهو يحمل تحت أبطه أسدا ، وقيل غولا ، كان التقى به في الليلة التي سبقت وظفر به . . تلك هي رواية الأصمعي وهي احدى روايات عديدة . .

٥ ـ فيتامين ك . . يضمن للدم التخثر السوي المطلوب . .

٦ ـ سميت بالعملية القيصرية نظرا لأن يوليوس قيصر سن قانونا حمل الأطباء على اجراء العملية ، اذا تعرضت الحامل لخطر الموت أثناء الوضع . .

٧ ـ الأنسولين هو الهرمون الذي تفرزه غدة البنكرياس وبدونه يتراكم السكر الموجود في الدم ، ويصاب المرء بمرض السكري . .

٨ ـ كان باستور أول من نجح في تلقيح الماشية ضد مرض الجمرة .

٩ ـ الاسم الصحيح هو غنغرينا . . فاللفظ تعريب للأصل الأجنبي (Gangarene) .

١٠ ـ قائل البيت هو البابي وهو من قصيدة رثى فيها ضرسه بعد خلعه . (راجع مجاني الأدب الجزء السادس صفحة ١٥٣) .

١١ ـ الفلّين يستخرج من الشجر ، بل من شجرة معينة هي شجرة البلوط ، ومن لحاء تلك الشجرة الباطني بالتحديد .

١٢ ـ ثابت بن أوس الأزدي من شعراء اليمن في الجاهلية ، وقد اشتهر باسم الشنفرى ، أي عظيم الشفتين ، كما يقول الميداني . .
(راجع مجاني الأدب الجزء السادس صفحة ٢٩٣) .

الفائزون بالجوائز الثلاث الأولى

الجائزة الأولى : بانورشيد / لامبيز / ولاية باتنة / الجمهورية الجزائرية
الجائزة الثانية : عبد المجيد خالد يوسف / أربد ، خرجا / الأردن
الجائزة الثالثة : وفاء علي مرسي / عيادة المنصورية / الخدمات الطبية / وزارة الداخلية / الكويت

الفائزون بالجوائز الثماني التشجيعية

بلعربي سلوى / ١١٥ حي السلام / سيدي سعيد / مكناس / المغرب
مروان عبد الجواد منصور / كلية الآداب / جامعة دمشق / دمشق / سوريا
بهجت عبد الكريم النجار / المنوفية / الباجور / ادارة تموين الباجور / ج م ع
محمد سالم سعيد طرشوم / ص ب ١١١٥ مقديشيو / الصومال
نبيل أحمد محمد العثمان / شارع ١٤ قطعة واحد منزل ٥ / الدعية / الكويت
علاء الدين البيانوني / ص ب ٣٥٢ / أم القيوين / الامارات العربية المتحدة
شيرنو ديوب / دكار / السنغال
الدكتور حسين محمد / بوخارست / رومانيا

قانون اللمس

قانون اللمس والذي يقضي بأن القطعة التي تُلْمس تلْعب من القوانين العامة الواجب على اللاعبين احترامها وعدم التساهل فيها حتى في المباريات الودّية كي يعْتادوا عليها ويُجنّبوا أنفسهم ما يؤدي اليه التساهل فيها من إحراج وجَدل قد يؤدّي أحياناً إلى تَعْكير صَفْو اللعبة وتوتّر العلاقات بين اللاعبين . والدَّوْر التالي من الأمثلة الحديثة البارزة على تقيد اللاعبين الدّوليين بأحْكام هذا القانون وإن أدّى ذلك الى خسارة الدور . والدور التالي من أدوار مباراة برايتون ١٩٨٣والتي أقيمت تحت رعاية شركة ألعاب الكومبيوتر البريطانية وهو بين اللاعبين البريطانيين الكبيرين ويليام واطسن (٢٤٣٠ نقطة) ونيجل شورت (٢٥٠٠ نقطة) .

الدفاع الفرنسي

واطسون (أبيض)	شورت (أسود)
١) هـ ٤	هـ ٦
٢) د ٤	د ٥
٣) ح - د ٢	ح - و ٦
٤) هـ ٥	ح و - د ٧
٥) و ٤	جـ ٥
٦) جـ ٣	ح - جـ ٦
٧) ح د* - و ٣	و - ب ٦
٨) ز ٣	جـ × د ٤
٩) جـ × د ٤	ف - ب ٤ +
١٠) م - و ٢	ز ٥
١١) ف - هـ ٣	و ٦
١٢) ف - حـ ٣	ز × و ٤
١٣) ز × و ٤	و × هـ ٥
١٤) و × هـ ٥	ر - و ٨
١٥) ح - هـ ٢	ف - هـ ٧
١٦) و - د ٢	ح د - ب ٨
١٧) ر حـ - و ١	ح - أ ٦
١٨) م - ز ٢	ف - د ٧
١٩) ح - ز ٥	ر - ز ٨
٢٠) م - حـ ١	ح - أ ٥
٢١) ب ٣	ر - ز ٧
٢٢) ف × هـ ٦	ف × هـ ٦
٢٣) ح × هـ ٦	و × هـ ٦
٢٤) و × أ ٥	

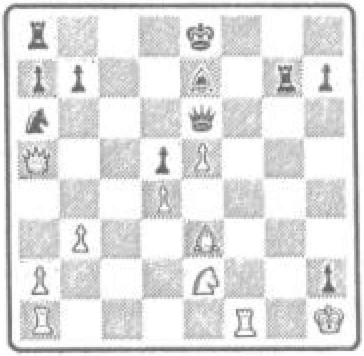

وهنا ينتهي الدور بطريقة غريبة اذ ان الأسود ينْقل ملكه الى المربّع جـ ٨ ثم يمد يده لينقل الرّخ بهدف التبييت الطويل ولكن الأبيض يشير باصبعه الى وزيره الذي يحتل المربع أ ٥ مانعاً التبييت نظراً لان ملك الأسْود يمر أثناء نقْله التبييت بمربّع مَضْروب باحدى قطع الخصم وهو هنا الوزير . عندها اضطرّ الأسود لاعادة ملكه الى خانته الأصْلية وحيث أن قانون اللمس يمْلي عليه أن يلعب بالملك الذي لمسه فالنقلة الوحيدة المتاحة له هي

٢٤) . . . . . . م - د ٧

ولكنه ما ان رأى رد الأبيض الساحق

٢٥) ح - و ٤

لم يجد أمامه سوى الاستسلام .

---

* الحصان الذي يحتل العمود (د) .

مسابقة العدد

المسألة رقم (٢٠)

الأبيض يلعب ويكش مات في ثلاث نقلات
(الحل في عدد اكتوبر ١٩٨٤)

بريد الباب

ردًا على سؤال القاريء فتحي ابراهيم من تونس والذي يَسْتفسر فيه عن الحالات التي ينتهي فيها دور الشطرنج بالتعادل نقول بأن الدور ينتهي بالتعادل أو الباطة في الحالات التالية :

ا ـ عدم وجود قطع كافية لاحداث كش مات كملك وفيل أو ملك وحصان مَثلاً .

ب ـ عندما يكون ملك اللاعب الذي عليه نوبة النقل خبيثاً أو مُجَمَّداً (Stalemate) دون ان يكون مُعَرَّضاً لضربة كش وليس لديه قطع أخرى يلعب بها كما هو الحال في الشكل التالي عندما تكون نَوْبة النقل للأسود .

جـ ـ بالاتفاق بين اللاعبين .

د ـ عند طلب أحد اللاعبين لدى تكرار نفس الموقف ثلاث مَرّات شريطة أن تكون نوبة النقل للاعب طالب التعادل .

هـ ـ اذا أثبت اللاعب صاحب نوبة النقل بأن كلاً من اللاعبين قد قام بخمسين نقلة على الأقل دون أخذ أية قطعة أو تحريك أي بيدق من البيادق .

حل المسألة رقم ١٨
(يونيو ٨٤)

(الحل بالطريقة الوصفية)

١) م – قم ٨   ب ف – قم ٣
خشبة ر – حم ٨ ≠
٢) ر – ر ٦ ≠

(الحل بالطريقة الجبرية)

١) م – و ٨   ف ٣
(خشبة ر – ز ٨ ≠)
٢) ر – حـ ٦ ≠

الفائزون بحل المسابقة (١٧)

الفائزون باشتراك سنة كاملة :

١ ـ أحمد رفيق حمزة ـ كيفان / الكويت .
٢ ـ مدحت علي جاويش ـ دسوق / ج م ع .
٣ ـ طارق زخويا ـ عمان / الأردن .
٤ ـ مقصودي أحمد ـ الدار البيضاء / المغرب .
٥ ـ مصطفى سعيد مصطفى ـ الخرطوم / السودان

الفائزون باشتراك نصف السنة :

١ ـ أحمد أبو المجد السمان ـ القاهرة/ج م ع .
٢ ـ احسان فوزي نصار ـ عمان / الأردن .
٣ ـ حسين معيوف جاسم ـ السماوة / العراق .
٤ ـ عمرو عطية عبد الله ـ القاهرة / ج م ع .
٥ ـ بريكي عمر ـ الجلفة / الجزائر .

حوار القراء

الكلمة الصادقة

ليست كل الكلمات تصنع تاريخا للأمم وسلاما للبشرية . . لكن الكلمة الصادقة التي تأتي من ذوي القلوب الخافقة بالايمان ، هي وحدها التي تؤتي ثمارها ، فالكلمة هذه هي التي يدون بها التاريخ ، وكم أشعلت حروبا بين البشرية ، وكم أنصفت مظلوما وظلمت بريئا ، كم أحيت ميتا وأماتت حيا . نحن بحاجة الى الكلمة الصادقة المدوية لنصحو من سباتنا ، ونوحد صفوفنا بعد طول شتات وفرقة ، لنسير في طريق العزة والكرامة .

لقد أطلقت المرأة العربية كلمة . . وامعتصماه . فتلقفتها نخوة رجل شجاع اقتحم بها حصن الحصون وأحرز فتح الفتوح .

قال تعالى « ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة ، أصلها ثابت وفرعها في السماء ، تؤتي أكلها كل حين باذن ربها » صدق الله العظيم

هيا يوسف العجلوني ـ
المملكة الأردنية ـ عمان

الدورات الأولمبية

اعتدنا أن نسمع ونرى وقائع الألعاب الأولمبية الدولية التي تقام عادة كل أربع سنوات ، وتضم مجموعة فرق رياضية تمثل دول العالم التي تصل الى تصفياتها ـ ولأن الدورة الأولمبية التي تقام هذا الصيف في « لوس انجلوس » بالولايات المتحدة الأمريكية ، وتشترك في هذه الدورة ولأول مرة ثلاث فرق عربية بكرة القدم هي العراق وقطر والمملكة العربية السعودية ، بعد حصولها على المراكز المتقدمة في تصفيات سنغافورة ، فاننا نود أن تعطينا مجلتنا العربية نبذة مختصرة عن ميلاد الدورة الأولمبية وكيف ظهرت الى الوجود . .

حصة عبد الوهاب ـ الكويت

العربي :

كانت الألعاب الأولمبية الرئيسية في اليونان ، وكانت تقام كل أربع سنوات تكريما للاله الأولمبي « زوس » ، بدأت عام (٧٧٦ ق م) ثم أوقفت بأمر من « تيودوسيوس » الأول امبراطور روما في أواخر القرن

رسالة ابن ـ الى أسرته

كان لحرب لبنان أكبر النتائج السلبية علينا نحن أبناء هذا الشعب ، وقد أدت هذه الحرب الى نزوحي عن بلادي لبنان الى تركيا ، هربا من جحيم الحرب وبحثا عن الحياة الهادئة الكريمة ـ لكن الظروف أيضا ساقتني الى السجن في تركيا ، وما زلت أقضي فيه عقوبتي التي مضى عليها زهاء سنتين ، وكنت خلالها أرسل رسائل الى الأهل في لبنان ، لمعرفة أخبارهم حتى يطمئنوا علي ، لكنني وللأسف لم أتسلم منهم أي رد يزيح عني كابوس هواجس

الـرابع بعـد الميلاد . كـانت الدول اليـونـانيـة تفخـر بانتصاراتها في مثل هذه الدورات بقدر يفوق انتصاراتها العسكرية ـ وكانت الألعاب محصورة في البداية في الجري فقط ـ وأدخلت بعـد ذلك مبـاريات أخـرى ، وكـان الرياضيون يبقون مدة ثلاثين يوما تحت رقابة أهل مدينة « ايليس » الذين كان يُعهـد اليهم بتنظيم الألعـاب ، وبعد ذلك عليهم أن يؤدوا القسم الذي يثبت قيامهم بالتمرين المطلوب بكل أمانة واخلاص ـ وحين بدأت الألعاب عام (٦٣٣ ق م) لم يسمح للنساء بالاشتراك فيها ولا حتى مشاهدتها ـ وكان الفائز في هذه الألعاب يتوج بتاج من الزيتون البري .

والألعاب الأولمبية الحديثة بدأت عام ١٨٩٦ بقيام أول دورة أولمبية في اليونان ، بعد جهود قدمها الفرنسي « البارون بيير » ثم أقيمت دورة ثـانية عـام ١٩٠٠ في باريس ، وثالثة في سانت لويس عام ١٩٠٤ م وكانت تفتقر الى التنظيم ، وقد أقيمت عام ١٩٠٨ أول دورة نـاجحة في لنـدن ، ثـم في استـوكهـولم عـام ١٩١٢ م واستمرت كل أربع سنوات ، وفي هذا الصيف تقام في لوس انجلوس أيضا .

الشك التي تلاحقني طوال ساعات النهار وأنا في هذا السجن ... ولذا فأرجو من العربي أن تكون جسرا بيني وبين الأهل في لبنان .

فادي ابراهيم سكلاوي ـ تركيا

العربي :

ها نحن نشرنا رسالتك مشاركة من العربي في ايصال أخبارك الى الأهل ـ ونـرجو أن تعـود الى أهلك سالما ويتجدد اللقاء بينكم جميعا فما أسعد هذه اللحظات بعد طول غياب ..

جبل العرب .. واستراليا

منـذ صـدور العـربي وانتم تحرصون على باب الاستطلاعات العربية والتي أعطت الكثير من الثقـافـة وغيرهـا من النـواحي المختلفة عن هذه المناطق المنتشرة في أرجـاء الـوطـن العـربي والاسـلامي .. ولان جبـل العرب أحد الاماكن العربية التي تحتاج الى تسليط الضوء عليها فـإننـا نقترح عليكم القيام باستطلاع عن هذا الجبل . كما نأمل منكم القيام باستطلاع عن الجالية العربية في استراليا ومعرفة الدور الذي تقوم به هذه الجالية سـواء أكـان دورا تجـاريـا أم ثقافيا ..

أكرم برجس المغوش .. سدني ـ استراليا

العربي

فيما يتعلق بجبل العرب فقـد قمنا بـاستطلاع عنه مؤخـرا ، وبخصـوص استـراليا فـان الاستطلاع عنها وارد لقناعتنا بضرورة تسليط الضـوء على هـذه القارة البعيدة عنا ...

الأشنيات . . . نباتات بلا ساق

في العدد (٣٠٥) قرأت من جملة ما قرأت مقالا بعنوان «غدا . . . اللحوم من الطحالب» بقلم فوزي الفيشاوي، وأعتقد بأن ما قصده الكاتب في مقالته هو نوع من النباتات اللازهرية الدنيا التي تسمى في التصنيف النباتي بالاشنيات، وأشهرها الاشنه الحلزونية الخضراء (سبيروجيرا) التي تظهر على سطح المستنقعات والمياه الآسنة، بشكل حزم طافية من خيوط خضراء اللون.

والكاتب يقول في سياق مقاله «الطحالب في لغة العلم نباتات ثلاثية أي أنها نباتات خضراء بلا ساق أو أوراق أو جذور» وهذا التعريف لا ينطبق على الطحالب بل ينطبق على الاشنيات فقط، بينما الطحالب هي نباتات لازهرية خضراء لها سيقان وأوراق خضر . . . ولكن لا تميز فيها جذور، وليس لها أوعية ناقلة . . ومثلها طحلب «الفيوناريا» هذا إضافة الى أن كل ما جاء في المقال ينطبق على الاشنيات لا على الطحالب.

شكري أحمد الزغبي -
دمشق - ثانوية الطيبة

العربي - تراث الانسان العربي

تحمل كلماتي اليكم مشاعر الاعتزاز والتقدير لكل القائمين على هذه المجلة، فهي بحق رفيقة الدرب للشباب الصاعد وللجيل القادم، وكانت كذلك لوالدي الذي انتقل الى جوار ربه لتكون «ورثتي» منه، ولقد أثرت العربي في سلوكي وثقافتي وخلقي، وفيها أجد المعرفة والعلوم،وفيها أيضا أطالع قضايا هذا العالم المختلفة ذات العلاقة بنا.

لقد أصبحت العربي تراثا عربيا لكل عربي يذكر مفاخرها ويثني على عطائها المستمر لبناء جيل عربي واع يخدم أمته وعروبته.

المهندس: نعيم محمد قلعجي -
المملكة العربية السعودية - حائل

العربي:

الدور الذي تؤديه المجلة هو جزء من واجباتها تجاه أبناء العروبة والمسلمين، وما يهمنا هو بناء الانسان العربي الذي يدرك دوره في الحياة . . . وشكرا للقارىء العزيز على مشاعره نحو مجلته العربي . .

أقوال المفكرين العرب

اقرأ باستمرار ما تقدمونه من اقوال معاصرة على صفحات العربي. والذي يستوقفني انكم تأتون بأقوال لمفكرين اجانب - ورغم أننا لا نقلل من دورهم،الا اننا نرى أن هناك مفكرين وعلماء عربا لهم دور كبير في نشر العلم والادب والثقافة، وهؤلاء يحتاجون من العربي نقل ما قدموه لنا من علم وثقافة وأدب . . .

أحمد محمد عبدالفضيل . . الشويخ - الكويت

العربي:

لم نغفل هذا الجانب في صفحاتنا . . والمتتبع للعربي يرى أبعاد هذا الاهتمام بالعلماء والادباء والمثقفين العرب . .

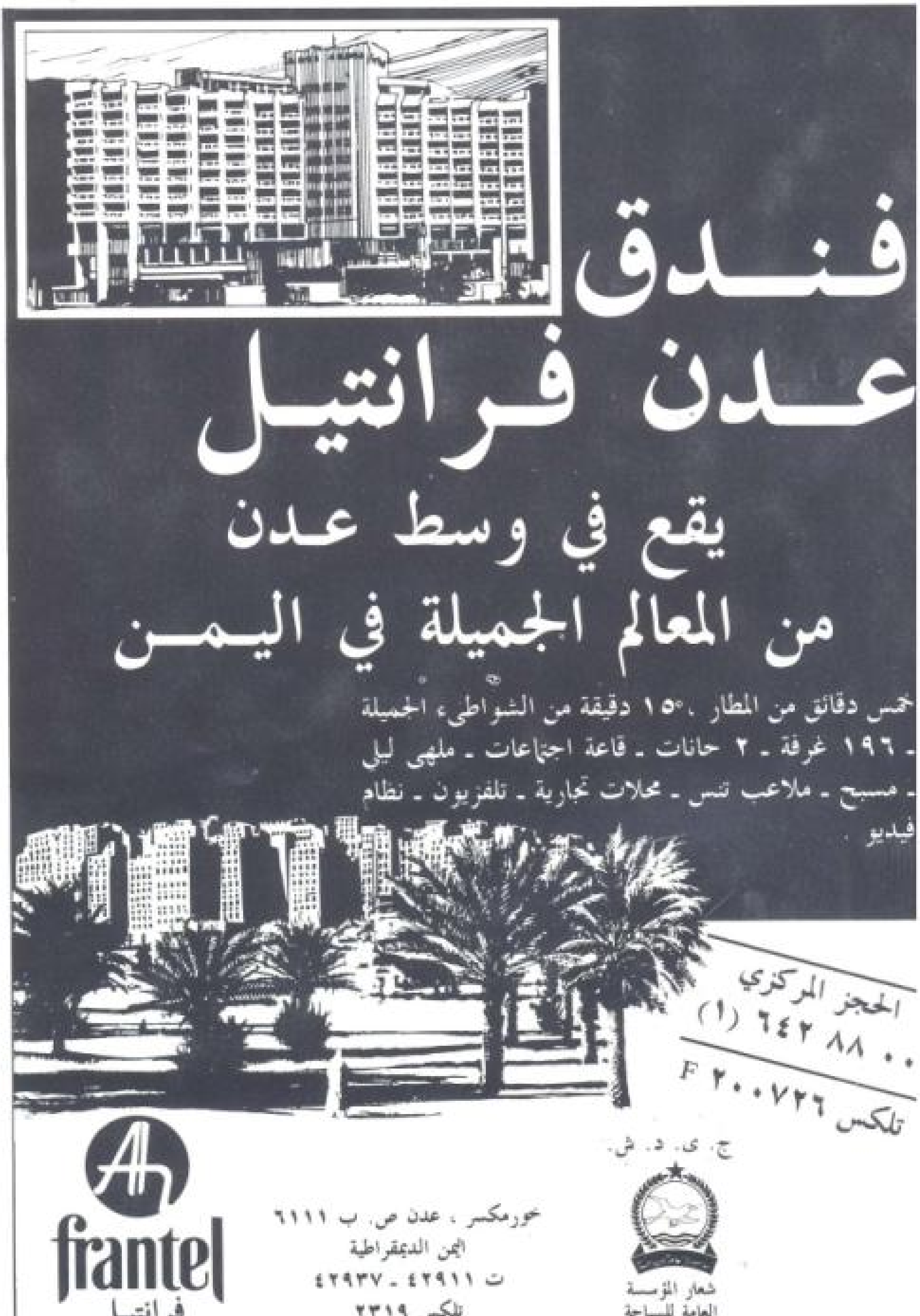
فنـدق
عـدن فـرانتيـل
يقع في وسط عـدن
من المعالم الجميلة في اليمـن
خمس دقائق من المطار ،١٥٠ دقيقة من الشواطئ الجميلة
- ١٩٦ غرفة - ٢ حانات - قاعة اجتماعات - ملهى ليلي
- مسبح - ملاعب تنس - محلات تجارية - تلفزيون - نظام
فيديو
الحجز المركزي
٠٠ ٨٨ ٦٤٢ (١)
تلكس F ٢٠٠٧٢٦
ج. ي. د. ش.
شعار المؤسسة
العامة للسياحة
خورمكسر ، عدن ص. ب ٦١١١
اليمن الديمقراطية
ت ٤٢٩١١ - ٤٢٩٣٧
تلكس ٢٣١٩
frantel
فرانتيل

عالم المعرفة
سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

أغسطس ١٩٨٤م

الزواج عند العرب في الجاهلية والإسلام

تأليف
الدكتور عبد السلام الترمانيني

الكتاب الثمانون

٥٠٠ فلس

المراسلات :
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

مِنَ المسرح العَالَمِىّ
سِلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع كل شهر
وزارة الإعلام في الكويت

أول أغسطس ١٩٨٤

١٧٩

أغسطس من أجل الشعب

تأليف : نيجل دنيس
ترجمة وتقديم : د. أحمد النادي
مراجعة : د. طه محمود طه

تصدرها
جامعة
الكويت

مجلة العلوم الاجتماعية

مجلة فصلية أكاديمية تعنى بنشر الأبحاث والدراسات في مختلف حقول العلوم الاجتماعية.

رئيس التحرير: د. خلدون حسن النقيب

مدير التحرير: عبد الرحمن فايز المصري

منبر بارز للأكاديميين العرب.

توزع أكثر من (٨٠٠٠) نسخة.

الاشتراكات

للمؤسسات: ١٢ ديناراً في الكويت، ٤٥ دولاراً أمريكياً في الخارج

للأفراد: ٢ دينار في الكويت، ١ دينار للطلاب ٢,٥ دينار أو ما يعادلها في الوطن العربي.

١٥ دولاراً أمريكياً في الخارج.

الموزع في الكويت والخارج: مجلة العلوم الاجتماعية

توجه جميع المراسلات إلى: رئيس التحرير

مجلة العلوم الاجتماعية - جامعة الكويت ص.ب ٥٤٨٦ صفاة - الكويت

هاتف: ٢٥٤٩٤٢١ «مباشر» ٢٥١٠١٨٨ / ٣٧٣ / ٢٥٠ تلكس ٢٦١٦ كويت

المجلة العربية للعلوم الانسانية

تصدر عن جامعة الكويت ، فصلية محكمة ، تقدم البحوث الأصيلة والدراسات الميدانية والتطبيقية في شتى فروع العلوم الانسانية والاجتماعية باللغتين العربية والانجليزية .

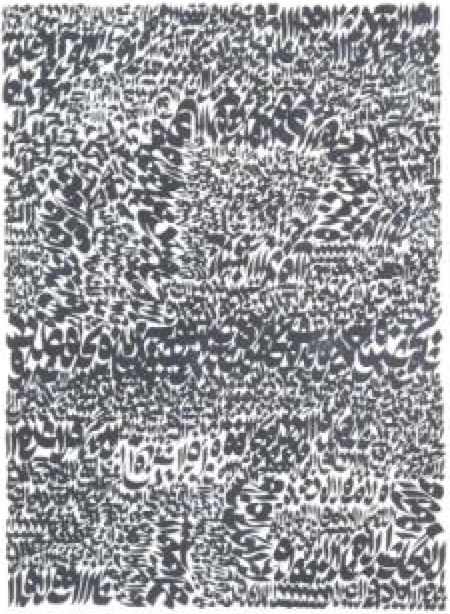

رئيس التحرير
د. عبدالله العتيبي

مديرة التحرير
آمال بدر الغربللي

جميع المراسلات توجه الى رئيس التحرير : ص . ب : ٢٦٥٨٥ الصفاة - الكويت
هاتف : ٨٢١٦٣٩ - ٨١٥٤٥٣ (الشويخ) - تلكس ٢٢٦١٦ KUNIVER

مجلة
دراسات الخليج والجزيرة العربية

تصدر عن جامعة الكويت

رئيس التحرير
الدكتور عبد الله الغنيم

صدر العدد الأول في كانون ثاني (يناير) ١٩٧٥

تصل أعدادها الى أيدي نحو ١٢٥٫٠٠٠ قارئ

يحتوي كل عدد على حوالي ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير تشتمل على : -

- مجموعة من الأبحاث تعالج الشئون المختلفة للمنطقة بأقلام عدد من كبار الكتاب المتخصصين في هذه الشئون .
- عدد من المراجعات لطائفة من أهم الكتب التي تبحث في المناحي المختلفة للمنطقة .
- أبواب ثابتة : تقارير - وثائق - يوميات - ببليوجرافيا .
- ملخصات للأبحاث باللغة الانجليزية .

ثمن العدد : ٠٠ فلس كويتي أو ما يعادلها في الخارج .

الاشتراكات : للأفراد سنويا ديناران كويتيان في الكويت ، ١٥ دولارا أمريكيا في الخارج (بالبريد الجوي) .

للشركات والمؤسسات والدوائر الرسمية : ١٢ دينارا كويتيا في الكويت ، ٤٠ دولارا أمريكيا في الخارج (بالبريد الجوي) .

منشورات المجلة :

تصدر المجلة أيضا دراسات مستقلة متعلقة بشئون المنطقة صدر منها

١ - كتاب التكامل الاقتصادي في الخليج العربي (د . محمد هشام خواجكية) . ١٩٧٩ .
٢ - كتاب آفاق التنمية الصناعية في دول الخليج العربي (د . عبد الاله أبو عياش) . ١٩٧٩ .
٣ - كتاب حقوق الطفل في دولة الكويت (د . بدرية العوضي) . ١٩٧٩ .
٤ - كتاب الاحصاءات الاقتصادية في المملكة العربية السعودية (بدوي خليل) ١٩٨٠ .
٥ - دور جريدة فتاة الجزيرة في أحداث عام ١٩٤٨ بصنعاء (سلطان ناجي) ١٩٨٠ .

سلسلة وثائق الخليج والجزيرة العربية لعام صدر منها :

الكتاب الأول وثائق الخليج والجزيرة العربية لعام ١٩٧٧ . ١٩٧٩ .

العنوان : جامعة الكويت - كلية الآداب والتربية - الشويخ - دولة الكويت .
ص . ب : ١٧٠٧٣ - الخالدية
الهاتف : ٨١٦٨٠٧ - ٨١٦٧٩٩ - ٨١٦٨٢

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير .

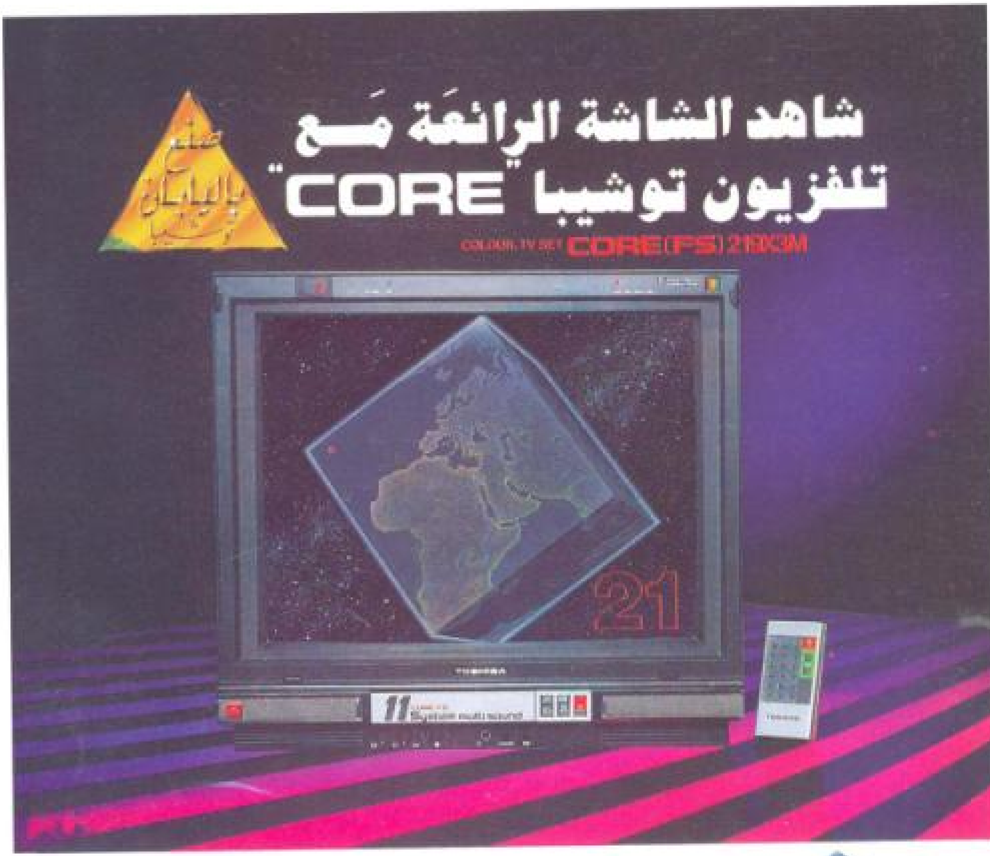

إن الصورة الأنبوبية السباقة FLAT SQUARE التي ينفرد بها تلفزيون TOSHIBA CORE (FS) تتخلص من الزوايا المستديرة التي تواكب شاشة جهاز التلفزيون العادي مما يؤمن صورة بدون تشويش بحجم ٢١ إنشاً بالكامل. أما التحكم لاسلكياً عن بعد بـ ٢١ وظيفة فيوفر لك تحكماً كاملاً وملائماً بأداء التلفزيون CORE (FS) الذي يتميز بنظام صوت فريد يعتمد مكبرين للصوت باتجاهين، كما بالإمكان وصل الجهاز بمكبرات صوت مستقلة أو بسماعات الرأس.

ويتوافق الجهاز مع ١١ نظاماً تلفزيونياً بما يجعل CORE (FS) جهازاً أساسياً ضمن أي نظام سمعي مرئي. ولا فرق إذا كان إختيارك هو جهاز CORE (FS) أو أي من أجهزة (CORE) الأخرى بقياس ١٤ أو ١٨ أو ٢٠ إنشاً فستكون أكيداً من الجودة كونه إنتاج TOSHIBA في اليابان. • "21 FS صورة (مربع مسطح) أنبوبية • تحكم عن بعد بـ ٢١ وظيفة • MSSS (نظام صوتي خاص) مع نظام مكبرين للصوت باتجاهين • فتحات توصيل السماعات المستقلة وسماعة الرأس • يتوافق مع ١١ نظاماً تلفزيونياً.

COLOUR TV SET
CORE 147X3M

COLOUR TV SET
CORE 187X3M

COLOUR TV SET
CORE 207X3M

Toshiba TOSHIBA

TOKYO JAPAN

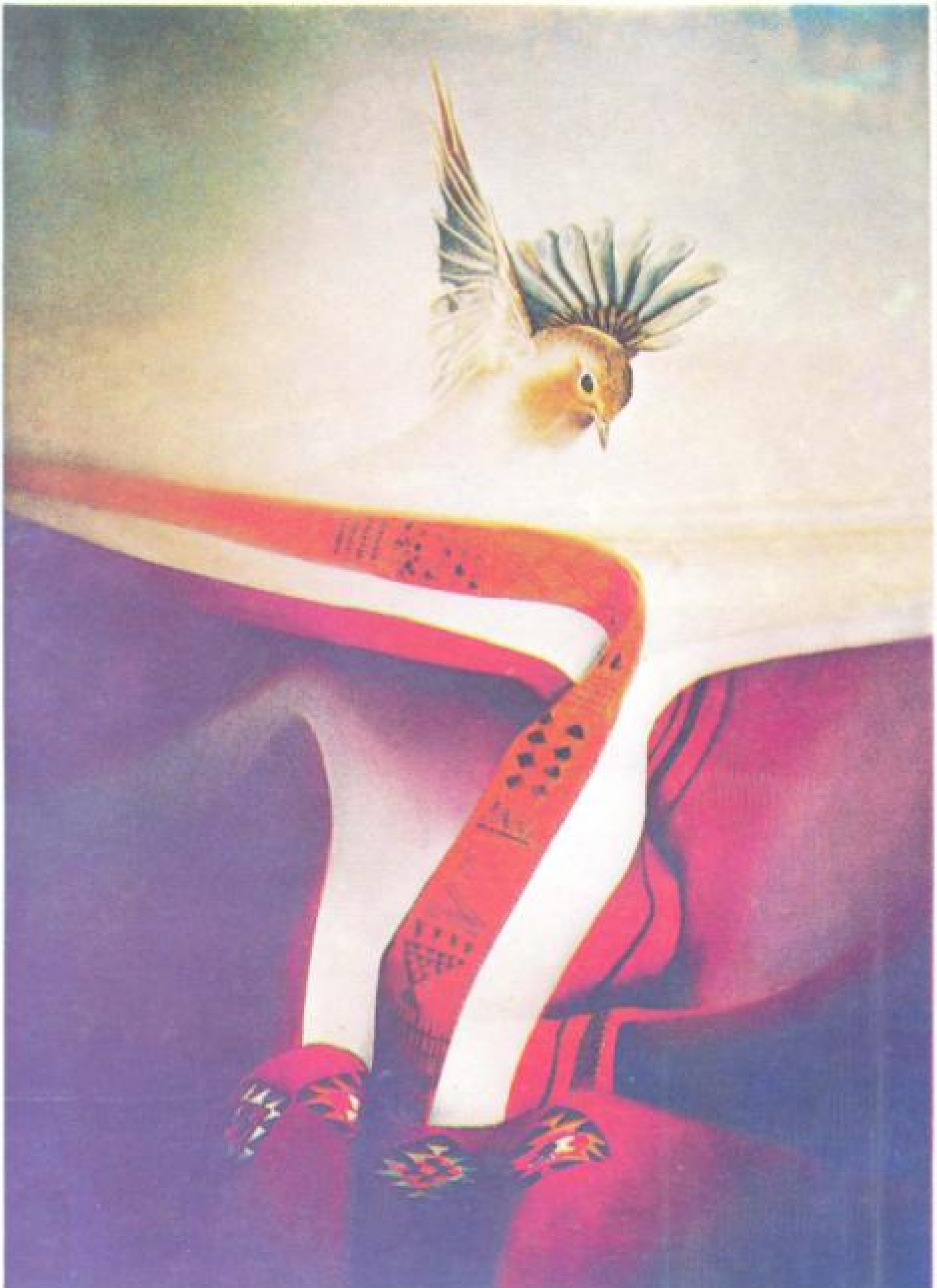

■ نحو النور ■ إقرأ "لوحة وفنان" داخل العدد

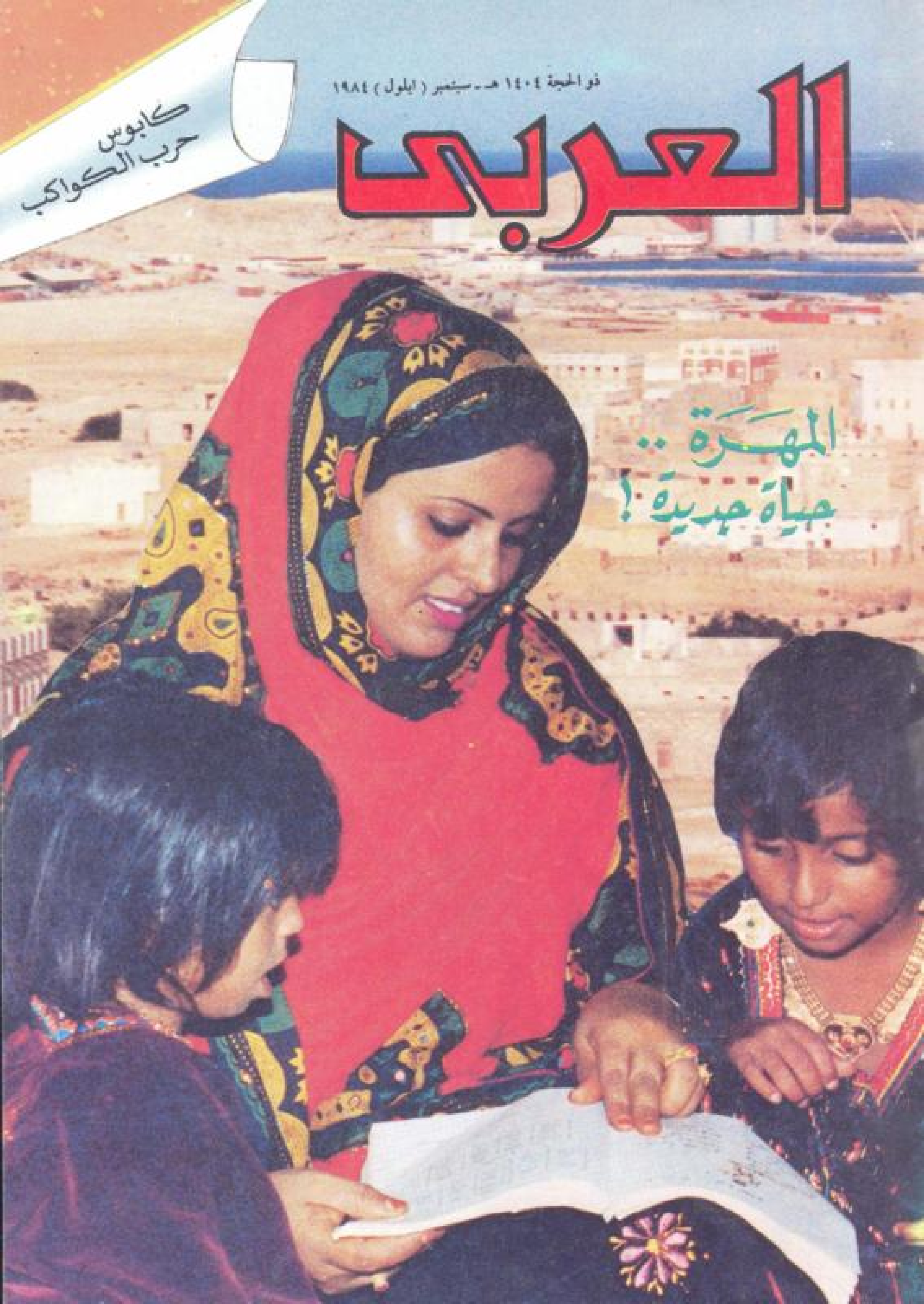
ذو الحجة ١٤٠٤ هـ - سبتمبر (أيلول) ١٩٨٤
العربي
كابوس
حرب الكواكب
المهرة..
حياة جديدة !

نتميّز عن سوانا

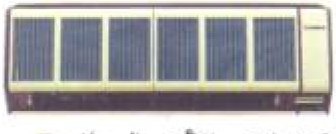

الفرق شاسع بين الشيء العادي والمميز، تماماً كالفرق بين الساخن والبارد... فيشر تدخل إلى حياتكم فرقاً ملموساً... تبريد هادئ* ذو طاقة هائلة... فيشر تقدم

مكيفات هواء داخلية منفصلة بأنواع مختلفة للسقف والأرض والجدران، لتنعشكم بهمسات من النسيم البارد... حتى المكيفات الخارجية فإنها تعمل بهدوء تام بفضل ضاغط الهواء الدوار الذي يتميز بنعومة فائقة في الاداء وارتجاج أدنى... ان الوسائل التقنية الحديثة مثل جهاز الترموستات "IC" تؤمن تحكماً دقيقاً ومضموناً لدرجة الحرارة ومستوى ثابت من التبريد... فيشر الإسم المعروف في عالم التقنية الصوتية بتجديده المستمر وكفاءته العالية، يقدم لكم الآن تشكيلة بارزة من الأجهزة المنزلية... أدخل فيشر إلى منزلك واخرج عن المألوف...

فيشر

FISHER

The symbol of quality throughout the home

العربي

مجلة ثقافية عربية مصورة

رئيس التحرير

د. محمّد الرميحي

تصدر شهرياً عن وزارة الإعلام
بدولة الكويت للوطن العربي
ولكل قارئ للعربية في العالم
المجلة غير ملتزمة بإعادة أي مادة تتلقاها
للنشر والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

المراسلات

باسم رئيس التحرير

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة
قسم الإعلانات

الاشتراكات

ترسل الطلبات إلى : قسم الاشتراكات
للمكتب الفني – وزارة الإعلام
ص.ب ١٩٣ الكويت

على طالب الاشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية، أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الإعلام طبقاً لما يلي :

الوطن العربي ٤ د.ك – باقي دول العالم ٦ د.ك

ثمن العدد

الكويت	٢٥٠	فلساً	السعودية	٥	ريالات
العراق	٢٥٠	فلساً	اليمن الشمالي	٣	ريالات
الأردن	٢٠٠	فلس	قطر	٥	ريالات
البحرين	٣٠٠	فلس	لبنان	٣	ليرات
اليمن الجنوبي	٢٥٠	فلساً	سوريا	٣	ليرات
مصر	٢٥٠	مليماً	الامارات	٥	دراهم
السودان	٢٠	قرشاً	المغرب	٣	دراهم
تونس	٤٠٠	مليم	ليبيا	٣٥٠	درهماً
الجزائر	٤	دنانير	سلطنة عمان		ربع ريال
بريطانيا		جنيه استرليني	أوروبا		دولاران أو جنيه استرليني
فرنسا	١٥	فرنكاً	أمريكا		دولارات

العدد ٣١٠
سبتمبر ١٩٨٤

عنوان المجلة بالكويت
ص.ب ٧٤٨ صفاة
ت ٤٣٩٧٢٨-٢٤١٨٢٤٢-٤٣٧١٤١
برقياً "العربي" الكويت
تلكس : MITR-44041 KT

AL-ARABI
ISSUE No. 310 Sep. 1984
P. O. Box 748 KUWAIT

A Cultural Monthly Arabic Magazine in Colour
Published by: MINISTRY OF INFORMATION STATE OF KUWAIT.

عزيزي القارئ

مجلة الشئون الخارجية ''Foreign Affairs'' الأمريكية واسعة الانتشار . . . نشرت في عددها الأخير مقالاً بقلم ديفيد وبستر ـ عضو مجلس ادارة هيئة الاذاعة والتلفزيون البريطاني ـ تناول فيه المشكلات التي ستواجه الاعلام العربي حين يبدأ البث التلفزيوني عبر الأقمار الصناعية في اختراق الحدود من دولة الى أخرى . .

نفس القضية سبقت بها العربي قبل أربعة شهور . . وطرحتها في عدد يونيو الماضي . وكان السؤال الرئيسي لمنتدى العربي : كيف ستتصدى للبث التلفزيوني الأجنبي بالأقمار الصناعية حين يخترق حدودنا العربية ؟ وماذا أعددنا لمواجهة هذا التحدي قبل فوات الأوان ؟

وحين تفعل « العربي » ذلك ، من خلال إدراكها ومتابعتها المستمرة للقضايا العربية المصيرية ـ وبخاصة في مجال الثقافة والاعلام ـ فانما تفعل لتنبه وتذكر ، وتدق ناقوس الخطر في وقت مبكر .

وإذا كانت « العربي » قد طرحت قضية المد الاعلامي الاستعماري ضمن ما تقدمه من غذاء ثقافي وما تناقشه من قضايا . . فانما لتؤكد أن القضية العربية هي شغلها الشاغل . . فهي لا تنسى أن « العربي » مجلة كل العرب . . وأن عليها مهمة لا تستطيع أن تتخلى عنها أبداً . . مهما كانت التحديات . . وأياً كانت المشكلات . . وبخاصة اذا كانت المشكلة لا تتعلق بمشكلات التكنولوجيا وحدها . . بل بالمشكلات السياسية والثقافية . .

إن « منتدى العربي » ما يزال يواصل متابعة القضية كما يتابع غيرها من القضايا التي تهم وطننا العربي . وفي هذا العدد رأي آخر من المغرب . . يؤكد أن القضية ليست الا الحلقة الكبرى ضمن مخطط مدروس ، وأن الحل يكمن في إطلاق وتحرير طاقات الانسان العربي من خلال ديمقراطية الاعلام . . كمدخل جدي للتصدي ومحاربة المد الاعلامي الاستعماري . .

وما زالت القضية مطروحة . . وصفحات العربي مفتوحة لكل صاحب رأي . . يمكن أن يسهم به في الاعداد لهذه المواجهة . .

وسنظل دائماً ـ عزيزي القارىء ـ معاً على الطريق . .

المحرر

في هذا العدد

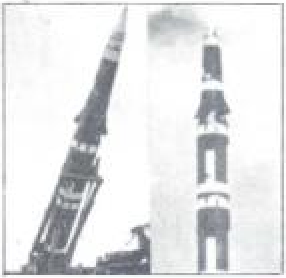

أشعة الموت .. وحرب الكواكب !

هل يجيء اليوم الذي يدمر فيه الانسان نفسه بنفسه ؟ ان اسلحة الفناء تقف اليوم على استعداد للانطلاق وتدمير العالم بما فيه وما عليه .. وتطلع الانسان لحوزة السلاح الأخير الذي لادفاع ضده ليس جديدا فهو قديم قدم صراعه مع الطبيعة ومع البشر .. ترى أين المفر .. والى أين نحن سائرون ؟ (اقرأ المقال ص ١٧)

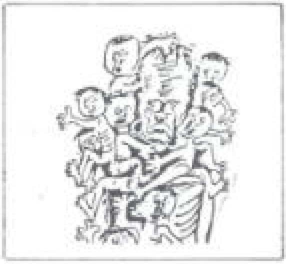

كارثة الديون الخارجية فى دول العالم الثالث

كارثة الديون الخارجية على دول العالم الثالث تتفاقم . لقد ناقش الموضوع رئيس تحرير « العربي » فى حديث الشهر وعدد الآثار المترتبة على هذه الكارثة . وفى هذا المقال يتحدث الكاتب عن بعض أسبابها .. فالكساد التضخمي الذى يجثم على الاقتصاد الرأسمالى العالمى يعتبر فى مقدمة العوامل التى أدت الى هذه الكارثة .. السبب اذن عندهم .. ولكن الدول النامية ما زالت قابعة فى « فخ الاستدانة » .. ترى كيف نخرج من هذا المأزق الاقتصادى الخطير ؟ (اقرأ ص ٢٦)

الموسيقا علاج طبي

ماذا تصنع الموسيقا بنا ؟ الأنغام الهادئة الحالمة التى تنبعث من الآلات الموسيقية وتلتقطها آذاننا ، ما أثرها على نفوسنا ؟ العلماء يؤكدون أن الموسيقا علاج طبى .. فهل هو اكتشاف جديد ؟ الباحثون يقولون لا . فقد اكتشف « المحتب » الطبيب الفنان المصرى القديم أن فى الموسيقى علاجاً لكثير من الأمراض .. وقد كان هو أول من انشأ معهدا طبيا للعلاج بالموسيقا ! (اقرأ قصة الموسيقا والانسان ص ٤٥)

المهرة .. حياة جديدة

قامت العربي هذا الشهر برحلة الى بلد عربي شقيق .. الى جمهورية اليمن الديموقراطية .. وكان هدفها البحث عن الوجه الجديد للحياة فى منطقة ظلت تعيش وراء رمال النسيان قرونا طويلة .. الى بلاد المهرة كانت رحلة العربي .. نفس الأرض التى عاش سكانها ردحا من الزمن فى جحور وأكواخ شيدت بالآجر والخوص .. وكانت مفاجأة .. فقد تغير وجه الحياة تماما فى هذه المنطقة من وطننا العربي .. ورأينا المهرة يقفون على عتبة الحياة فى العقد الأخير من القرن العشرين (اقرأ الاستطلاع ص ٦٨)

محتويات العدد

قضايا عامة

■ حديث الشهر :
من القادم الى البيت الأبيض ؟
ـ د. محمد الرميحي ٨
■ من حلم أشعة الموت
الى كابوس حرب الكواكب .
ـ د. أسامة أمين الخولي .. ١٧
■ كارثة الديون الخارجية
لدول العالم الثالث .
ـ د. رمزي زكي ٢٦

عروبة واسلام

■ روعة الخلق وتفرد الخالق .
ـ د. نعمات أحمد فؤاد .. ٩٦
■ من التراث : مصاحف مملوكية .
ـ جمال الغيطاني ١٣٢

منتدى العربي

■ إزدهار الاقليميات العربية
بين الحقيقة والمبالغة .
ـ توفيق أبوبكر ٦١
■ حول المد الاعلامي الاستعماري
(بضدها تعرف الأشياء) .
ـ ج . عبد المجيد ٦٤
■ الترجمة وعلم الترجمة .
ـ مصطفى فوده ٦٦

طب وعلوم

■ الموسيقا علاج طبي .
ـ د. نبيل سليم ٤٥
■ الجغرافيا الاقتصادية للطاقة .
ـ د. عبد الحليم منتصر .. ٥٢
■ سلامة البشرية في
سلامة البيئة ٩٠
■ احذروا الغازات السامة .
ـ د. عصام محمد عزو ... ١٠٢
■ طبيب الأسرة ١٠٨
■ الجديد في الطب والعلم .
ـ إعداد :
يوسف زعبلاوي ١٢٩
■ العين العجيبة .. مناظير
تكشف أسرار جسدك من
الداخل ! .
ـ د. سامي عزيز ١٤٠

آداب وفنون

■ العصر والحب (قصيدة) .
ـ د. عبده بدوي ٢٤
■ شاعر العدسانيات .
ـ عبد الله زكريا الأنصاري ٣٤
■ وجه في المرآة : ممثل وحيد .
ـ أبو المعاطي أبو النجا ٣٨
■ من سجلات المحاكم :
وطحنت الأحجار في الحكم !
ـ منصور المحامي ٥٦
■ الصمت (قصة) .

- خليل قنديل ٩٣

■ رسالة باكستان : العربية لغة ثانية في باكستان .
- محمود احمد غازي ١١٠

■ المتشابهون (قصيدة) .
- محمد الفايز ١١٢

■ صفحة لغة : هام ومهم ، ومهام ومهمات .
- محمد خليفة التونسي ١١٤

■ الجرذ (قصـــة) .
- تأليف بول ابردم
- ترجمة : د. حسين جمعة . ١٢٤

■ كتاب الشهر : أصوات المـادا أو مهزلة الانتحار الجماعي .
- سليمان مظهر ١٦٧

فلسفـــــة

■ دراسات في الفلسفة السياسية عند هيجل (بومة منيرفا) .
- د. إمام عبد الفتاح إمام . ١١٦

اجتمـــاع

■ أرقام : الادارة .. مقياس تقدم .
- محمود المراغي ٣٢

تاريخ وأشخاص

■ حكايات بشر الحافي .
- د. أديب نايف ذياب ٤٠

■ حوار مع الكاتب التركي عزيز نسين .
- سليمان الشيخ ١٦١

استطلاعات مصورة

■ المهرة .. حياة جديدة ..
- منير نصيف ٦٨

■ الابحار .. داخل الزمن والخيال في متحف خاص للحضارة الاسلامية .
- ثريا البقصمي ١٤٨

أبواب ثابتـــة

■ عزيزي القاريء ٤
■ العربي من ربع قرن ١٢٢
■ من مكتبة العربي ١٧٥
■ مسابقة العربي الثقافية ١٧٨
■ حل مسابقة العدد (٣٠٧) . ١٨٠
■ معركة بلا سلاح (الشطرنج) ١٨٢
■ حوار القراء ١٨٤

حديث الشهر

من القادم إلى

في نوفمبر القادم - أي بعد حوالي شهرين من الآن - يتقرر بشكل نهائي من سوف يدخل البيت الأبيض في واشنطن كرئيس للولايات المتحدة الأمريكية للسنوات الأربع القادمة ، هل هو الرئيس الحالي رونالد ريجان ؟ ويستمر باعتباره الرئيس التاسع والثلاثين حتى نهاية الثمانينيات تقريبا ،وتستمر معه سياسة الولايات المتحدة التي خبرناها في السنوات الأربع الماضية تجاه المشكلات العالمية الحادة بشكل عام ، وتجاه قضايانا العربية ؟

أم يدخل البيت الأبيض ديمقراطي آخر هو والتر مونديل ، ويصبح الرئيس الأربعين للولايات المتحدة ، حيث من المتوقع أن تتغير معه سياسات الولايات المتحدة تجاه القضايا العالمية العلقة ، ويتغير - ولو بشكل ضئيل - موقف الولايات المتحدة تجاه القضايا العربية ، وخاصة أنه كان الرجل الثاني قبل أربع سنوات في ادارة جيمي كارتر التي حاولت التدخل بشكل أكبر ومباشر في القضايا السياسية في منطقتنا العربية ؟

الاجابة على التساؤل حول من سوف يدخل البيت الأبيض ، وما هي سياسته القادمة ، يبدو في هذا الوقت المبكر كالرجم بالغيب خاصة ونحن بعد على فترة ليست بالقصيرة من الانتخابات الأمريكية القادمة .. ولكن الاعلام العالمي والعربي سوف يهتم من الآن فصاعدا حتى نهاية نوفمبر القادم بمتابعة أخبار الحملة الانتخابية .

ومن المنطقي - بالنسبة لنا نحن في الوطن العربي - أن نهتم بالأمر .. فمنطقتنا تتأثر بالسياسات التي يتبناها ما اصطلح على تسميته في تعريفات السياسة الدولية(بالقوتين العظميين) الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة ، وقد أصبحت سياسات الأخيرة - الولايات المتحدة - منذ فترة ليست بالقصيرة مؤثرة بشكل مباشر في مسيرة الأحداث في منطقتنا .

فسياسات الولايات المتحدة اليوم مؤثرة سياسيا واقتصاديا - بل عسكريا أيضا - في أكثر من نقطة على أرضنا العربية . في وقت ما ، في مكان ما - على ساحتنا

البيت الأبيض ؟

بقلم : الدكتور محمد الرميحي

العربية من المحيط الى الخليج ـ نجد أن تأثير ونتائج سياسات الولايات المتحدة وكذلك تأثير وزنها السياسي بالنسبة للقوة الأخرى ـ الاتحاد السوفيتي ـ قد ازداد في سنوات السبعينيات وبداية الثمانينيات . لذلك فان نتائج الانتخابات الأمريكية القادمة تعنينا جميعا بلاشك .

على الرغم من هذا التأثير والتأثر ، فان معرفتنا بالقوى السياسية الأمريكية الداخلية المؤثرة على مسيرة الانتخابات الأمريكية ، ومعرفتنا بالقضايا المطروحة على الساحة السياسية الأمريكية ، وتركيب المجتمع السياسي الأمريكي لازالت غامضة أو غير دقيقة على أقل تقدير . فنحن ننظر اليها على البعد وكأنها دولة تشابه معظم الدول الأخرى المعروفة لدينا في العالم القديم ، الا أنها بالتأكيد مختلفة ، وما يؤثر في صناعة القرار السياسي فيها أيضا مختلف ، أو على الأقل ليس تقليديا .

ثلاثة عناصر

عصب اللعبة السياسية الأمريكية يتكون من ثلاثة عناصر رئيسية .. وتختلف هذه العناصر الرئيسية في قوة التأثير ومداه على تكوين الشكل النهائي لسياسات الولايات المتحدة داخليا وخارجيا .

أول هذه العناصر الرئيسية هو : المنشأ العرقي أو القومي لمجموعات الأفراد المكونين لشعب الولايات المتحدة .

وثاني هذه العناصر هي المؤسسات الديمقراطية أو الوضع الديمقراطي المتمثل في تلك المؤسسات والذي يشار اليه في بعض الأوقات بشكل مثالي بالحرية والعدالة الاجتماعية .

وثالث هذه العناصر هي المصالح الاقتصادية للدولة الأمريكية ككل .

هذه العناصر - بجانب عناصر أضعف منها - تلعب أدوارا مختلفة وبأوزان نسبية مختلفة ، ولكنها في النهاية هي العناصر المؤثرة على تشكيل المبادىء الرئيسية لسياسة الولايات المتحدة .

ولنناقش هذه العناصر كلا على حدة .

أولا : التأثيرات العرقية في السياسة الأمريكية :

تاريخيا تلعب الخلفيات العرقية والقومية والدينية - أو ما يسمى بـ (Politics Of Ethnicity) أي تأثير التفاعل بين المجموعات العرقية ذات المنشأ القومي أو الديني أو العرقي - على الساحة السياسية الأمريكية .

وعلى الرغم من أن التعددية العرقية المكونة لشعب الولايات المتحدة معروفة منذ فترة ، فالشعب الأمريكي مؤلف من مجموعة من المهاجرين من العالم القديم تركوا ذاك العالم (أوروبا في الأساس) لأسباب اقتصادية أو اجتماعية أو دينية ، أو من المهجرين بالقوة لأسباب اقتصادية أيضا كالسود من أفريقيا للعمل في الحقول .

على الرغم من تلك الحقيقة ، الا أن اتجاه الدراسات العلمية لتحليل تلك العلاقات العرقية لم يظهر بوضوح تام الا في الفترة الأخيرة . فأصبحت دراسة العلاقات العرقية - التي كانت الساحة السياسية الأمريكية الداخلية تحت تأثيرها دائما - محط دراسات مستفيضة ، فقد ذكرت موسوعة هارفرد لدراسات المجموعة العرقية الأمريكية ، أن هذا النوع من الدراسات قد زاد بشكل كبير في السنوات الأخيرة ، وبعد حصر ماكتب عن موضوع (السياسة والمجموعات العرقية في الولايات المتحدة) خلال الثلاث والسبعين سنة منذ بداية القرن (أي ما بين ١٨٩٩ - ١٩٧٢) ، فقد تبين أن نصف الأطروحات الجامعية التي كتبت حول هذا الموضوع في تلك الفترة ، قد كتبت فقط في فترة العشر سنوات الممتدة بين ١٩٦٢ - ١٩٧٢ . أو مايسمى بعقد الحقوق المدنية ، ولا زالت هذه الدراسات في تزايد حتى اليوم .

هذا يعني الاهتمام الضخم والكبير بالاصول العرقية للسكان ، ونذكر جميعا رواية « الجذور » للكاتب الزنجي اليكس هيلي ، التي تبحث في أساسها عن جذور بعض الزنوج الأمريكان ، ونجاحها الأدبي الكبير يمكن أن يؤخذ كمؤشر على هذا الاهتمام في البحث في الاصول العرقية في المجتمع الأمريكي .

يقودنا هذا الفهم الجديد الى التأكيد على أن أحد أهم المداخل الأساسية لفهم السياسة الأمريكية ـ على تعقيدها ـ هو فهمنا الحقيقي للتكوينات العرقية ، القومية ، الدينية ، المكونة لشعب الولايات المتحدة .

التعددية العرقية :

ولكن كيف تلعب تلك التكوينات القومية ، العرقية ، الدينية ، أدوارا مختلفة ، صغيرة أو كبيرة ، ضمن المجتمع الأمريكي التعددي في تشكيل المبادىء الرئيسية للسياسة الأمريكية ؟

المهاجرون الأوائل الى الولايات المتحدة أصبحوا مواطنين أمريكيين ـ بمعنى أنهم قدموا الى أمريكا واستقروا فيها ـ أي مواطنين بالمعنى السياسي ، أما بالمعنى الثقافي أو الديني أو العرقي ، وحتى في وقت ما بالمعنى اللغوي (كما كان حال الألمان في الولايات الشمالية الشرقية في القرن التاسع عشر ، أو حال العناصر التي تتحدث الاسبانية في ولاية نيو مكسيكو اليوم) تقول بالمعنى الثقافي أو الديني أو العرقي استمروا كما هم لفترة طويلة ، إما ألمانا أو سويديين أو بولنديين أو ايرلنديين ، كاثوليكا أو يهودا (أو سودا) .. الخ من التكوينات العرقية والقومية والدينية المختلفة ، على الرغم من تمازج البيض البروتستنت الى حد ما ، الا أن الولايات المتحدة ـ خاصة بعد النصف الثاني من القرن التاسع عشر ـ لم تعد مجتمعا أحاديا كما توقع لها المستعمرون الأوائل ـ الانجلو ساكسون ـ ومع تزايد الحريات المدنية وحصول الأقليات وبخاصة السود على حقوقهم السياسية ، مع المزيد من المشاركة في العمل السياسي ، أصبح مجتمع الولايات المتحدة مجتمعا تعدديا ، كما أصبح للمجموعات العرقية مصالحها التي تعبر عنها خاصة في العقدين الأخيرين .

مصالح الأقليات هذه في بعض الأوقات تعبر عن نفسها وكأنها ذات فائدة لأقلية ما ، ولكنها ربما مضادة ، للمصالح العليا للولايات المتحدة . وهذه الظاهرة تعددت وما زالت تظهر في تاريخ الولايات المتحدة الحديث .

ولنضرب على ذلك بعض الأمثلة :

المثل الأول :

حدث أخيرا ـ في الصيف الماضي على وجه الخصوص ـ عندما استطاعت مجموعات الضغط ذات الأصول الأسبانية بخاصة والقادمة من أمريكا الجنوبية ، أن تضغط وتحصل على قانون عام سمي بقانون العفو العام عن المهاجرين غير القانونيين ، الذين وصلوا الى الولايات المتحدة قبل سنة ١٩٨٢ . (ويقدر بعض

الخبراء أن عدد هؤلاء المهاجرين غير القانونيين يصل الى عشرة ملايين شخص) .
أسباب الضغط هذه معروفة ، فمعظم المهاجرين غير القانونيين هؤلاء كانوا من أقطار أمريكا الجنوبية ـ ويشار اليهم (بالهسبانك) وهم في النهاية اضافة لذوي الأصول الاسبانية ، وأصوات انتخابية جديدة لهم .

والمثال الآخر :

مثال معروف لدينا نحن العرب ـ وبشكل واضح ـ وهو موقف الادارات الأمريكية المختلفة ـ تحت ضغط الأقلية اليهودية النشيطة والمنظمة ـ وهو متعاطف دائما مع « اسرائيل » .

الأمريكان السود :

من الأقليات المهمة والنشيطة أيضا الأمريكان السود ، وهؤلاء يمكنهم ثقلهم العددي من التأثير الأكبر في السياسات الأمريكية ، الا أن هذه المجموعة ـ الأمريكان السود ـ أمامهم من العقبات الموضوعية والذاتية ما يجعل تأثيرهم السياسي حتى الآن محدودا ، فهم ما زالوا يواجهون أزمة هوية ، كما أن وضع معظمهم الاقتصادي والثقافي هابط كمجموعة ، كما أنهم مختلفون بين بعضهم وبعض . . وكثير منهم لايهتم أو يؤمن بالقنوات السياسية المتاحة .
يقود المجموعة الكبرى اليوم من الأمريكان السود والنشيطين سياسيا ، داعية الحقوق المدنية القس جيسي جاكسون المسيحي البروتستنتي المستنير والذي سجل انتصارا في الصيف الماضي عندما أصبح الرجل الثالث في سباق الحصول على ترشيح الحزب الديمقراطي للرئاسة الأمريكية . صحيح أنه فشل في الحصول على الترشيح ، الا أنه فتح لأول مرة طريق العمل السياسي لأكبر وظيفة في الولايات المتحدة (رئيس الجمهورية) للسود من أمثاله ، كما أنه سجل نصرا دبلوماسيا آخر عندما توسط للافراج عن معتقلين أمريكان في كوبا في يونيو الماضي ، كما كان قبل ذلك قد زار سوريا من أجل اطلاق سراح الطيار الأمريكي الزنجي الذي أسقطت طائرته فوق الأراضي السورية .
جيسي جاكسون اليوم هو القدوة السياسية للشباب الزنجي الأمريكي في تحقيق ذاته .
من القوى السياسية النشيطة في أوساط الأمريكان السود حركة المسلمين السود ،ولكن هذه الحركة ، على الرغم من وجودها على الساحة السياسية الأمريكية منذ أكثر من خمسين سنة وحصولها في السنوات الأخيرة على تأييد متزايد من الزنوج السود الفقراء ، الا أنها أيضا حركة منقسمة على نفسها ، وهي اليوم تحت قيادتين ، أو هي منقسمة الى حركتين :
الأولى : وتسمى نفسها بالارسالية الأمريكية الاسلامية ، يقودها ولي الدين محمد ، وهو ابن القائد الاسلامي الراحل المشهور باسم الحاج محمد . يتولى ولي

الدين قيادة الحركة منذ وفاة والده سنة ١٩٧٥ وهي أكبر المجموعات الاسلامية عددا .

أما المجموعة الثانية المسماة (أمة الاسلام) فقد انشقت عن حركة الارسالية الاسلامية سنة ١٩٧٧ ويقودها السيد لويس فركان .

على الرغم من ذلك فان الزنوج الأمريكان اليوم ـ وقد حقق بعضهم تقدما في العمل السياسي المحلي ـ ما زالوا غير قادرين على تنظيم أنفسهم بفعالية كبيرة ، لذلك فان جيسي جاكسون يدعو الى ما تسميه تحالف (قوس قزح) المؤلف من السود والسمر والفقراء البيض .

الواقع أن المجتمع الأمريكي تعددي وليس قوميا بالمعنى التقليدي للمفهوم القومي ، وما يخصه جزئيا في حقيقة الأمر من الحركات والدعوات الانفصالية ـ والتي تكون طبيعية في المجتمعات الأخرى ـ هو طبيعة تكوين المجتمع الأمريكي ذاته ، فلا يوجد لأي من المجموعات العرقية والدينية المختلفة التي ذكرناها حق تاريخي في أرض بعينها أو في حدود سياسية محددة ، كما لاتوجد كثافة سكانية غالبة عرقية أو لغوية أو قومية في ولاية بعينها .

ثانيا : الوضع الديمقراطي والتعددية :

العنصر الثاني الذي يشكل أحد مدخلات السياسة الأمريكية هو الوضع الديمقراطي ، والوضع الديمقراطي في حقيقة الأمر هو نتاج للتعددية العرقية والدينية والقومية في الحياة الأمريكية وليس سببا ، فبدون الحد الأدنى منه يتحول الوضع الى فوضى ، والطريقة الوحيدة لايجاد وحدة قومية في بلد تعددي كالولايات المتحدة وتأكيد التعددية العرقية دون الاضرار بالجسم السياسي ، هو اعادة تثبيت الفكرة المثالية ـ أو ما يسمى بالحلم الأمريكي ـ بأن المواطنين متساوون في الحقوق والواجبات . وقد استخدمت هذه الفكرة العامة (الديمقراطية) للتغلب على مشكلة التعددية . ويقال أن توماس جيفرسون عندما كان يقرأ اعلان الاستقلال ـ والذي ينص ضمن ما ينص عليه أن المواطنين سواسية ـ كان يقف خلفه أثنان من العبيد !

على كل حال . . المشاركة السياسية والمساواة بين المواطنين هي الصيحة التي أخذ بها مؤسسو الولايات المتحدة الأوائل بدلا من الدين والعرق بالتصويت والديمقراطية ، وكان تأكيد المؤسسين الأوائل على الفصل بين الدين والدولة وجعل (المواطنة) دين الوطن الجديد ، ومقر الانتخابات هو (معبد) المؤسسات الدستورية الأمريكية ، كانت تلك الخطوة هي الوسيلة الوحيدة للقفز على الخلافات القومية العرقية والدينية المذهبية بين المواطنين الجدد في العالم الجديد .

ولقد كتب ديفيد برور احد المفكرين القانونيين الأمريكان في مطلع القرن يعزز تلك الفكرة فقال : (لاعائلة أو قبيلة قد أختيرت لمراقبة استمرار اشتعال النار المقدسة . . كل فرد منا هو قسيس) ذاك القول هو كناية عن أن المؤسسات

الدستورية التي تكفل حقوق الأفراد الأمريكيين ، وكل مواطن مسئول عن حمايتها واستمرارها .

ولم تكن أفكار الحرية والمساواة على كل حال متاحة في التطبيق للجميع . لقد كانت فقط متاحة نسبيا للافراد الأوروبيين المهاجرين الى العالم الجديد والذين يرغبون في ممارسة معتقداتهم الدينية والمذهبية دون تدخل الدولة مادام ذلك يضمن لهم استمرار مؤسسات العبودية واستغلال العبيد ، كما أنهم اعتقدوا أنه في نهاية الأمر لابد للثقافة الانجلو أمريكية أن تسود .

ولكن ما لبث أن تبين أن فكرة الصوت الواحد للرجل الواحد ، ليست واقعية ولا تعني الاستيعاب أو القفز على الاختلاف العرقي والقومي ، خاصة بعد تدفق المهاجرين الأكبر في منتصف القرن التاسع عشر وحصول السود على حقوقهم السياسية .

ولقد ظهر على سطح السياسة الأمريكية ما يسمى « الأصوات الجماعية » (Block Voting) والتي بدأت تمثل مصالح المجموعات العرقية والقومية والدينية المختلفة ، وكان للخوف الشديد الذي صاحب تلك الظاهرة مامنع المهاجرين من القدوم بمجموعات كبيرة الى (أرض الفرص الجديدة) وكان قانون منع الهجرة الجماعية الذي صدر في العشرينيات من هذا القرن محاولة للتقليل من التعددية العرقية والدينية ، وأصبحت الهجرة الى العالم الجديد انتقائية على أمل تذويب ما وصل منها في المجتمع الأمريكي .

لحل التناقض الجديد ، لجأ المشرع الامريكي من جديد ، الى حل وسط جرب في السابق ، وهو الاحتفاظ بالأصول القومية على أساس فصل السياسة في هذه المرة عن القومية والعرق ، وكما حدث في البداية عند فصل الدين عن السياسة .

ثالثا : الوضع الاقتصادي والتعددية :

العنصر الثالث الذي يتيح فهماً أفضل لمعطيات السياسة الامريكية هو العنصر الاقتصادي ، فلا شك أن الدارسين للوضع السياسي والاجتماعي للمجموعات العرقية والقومية والدينية المختلفة التي تشكل شعب الولايات المتحدة ، يضعون في حسابهم عاملا هاما يربط هذه المجموعات بعضها ببعض الى جانب النظام والمؤسسات الدستورية .. هذا العامل هو وجود نظام اقتصادي واحد تسيطر عليه قيم اقتصادية واحدة .

ولا يمكن فصل النظام الاقتصادي والقيم المسيطرة عليه في الولايات المتحدة اليوم - وهو النظام الداعي الى المنافسة وحرية رأس المال ، والحد الأدنى من تدخل

الدولة ـ لا يمكن فصل هذا النظام وقيمه عن التركيب العرقي والديني والقومي الذي تشكله مجموعات المواطنين .

فالاقتصاد الحر والمنافسة تؤكدها التعددية ، والعكس صحيح أيضا ، فالتعددية تفضل المنافسة والاقتصاد الحر . الا أن المنافسة والتعددية لا تعمل بشكلها النظري في الواقع العملي . مجتمع الفرص المتساوية لا يعني بالضرورة تكافؤ الداخلين في التنافس ، فالمجموعات العرقية المتعددة غير متكافئة في الثروة والتعليم والقوة الاقتصادية ، لذلك نجد أن المجموعة المهيمنة على الوضع الاقتصادي ـ وبالتالي السياسي ـ هي مجموعة الانجلو ساكسون ، أو البيض الأوربيين البروتستنت في الأساس .

الوضع الاقتصادي العام له تأثير عميق على نتائج التصويت والعمل السياسي ، وقد أثر الوضع الاقتصادي مرتين في تحول الأصوات من حزب الى آخر بشكل كبير في التاريخ الحديث للولايات المتحدة ، المرة الاولى في نهاية القرن التاسع عشر وبداية هذا القرن عندما استفاد الجمهوريون من تدني الأوضاع الاقتصادية في نهاية القرن وحكموا لمدة ثلاثين سنة متواصلة (اخترقها فقط ودرو ولسون الديمقراطي في سنة ١٩١٢) وكانت المرة الثانية عندما صوت الناخبون بأعداد كبيرة لصالح فرانكلين روزفلت الديمقراطي سنة ١٩٣٦ بعد تأثير الأزمة الاقتصادية الكبرى في الثلاثينيات ، وبرنامج روزفلت الاقتصادي (العهد الجديد) .

فالوضع الاقتصادي العام في الولايات المتحدة له تأثير كبير بجانب تأثير الوضع العرقي والديني والقومي .

من هنا فان القضايا الاقتصادية المطروحة وفروق التعامل معها في برنامج الحزبين الكبيرين لها أهمية خاصة على أصوات الناخبين في نهاية الأمر .

المصالح العربية

في هذا الوضع المعقد اين تكمن المصالح العربية ؟ وما موقفنا تجاه هذه المصالح ؟

واضح أن أفضل طريق للتأثير على السياسة الأمريكية من الداخل هو مجموعات الضغط ، والأمثلة على ذلك كثيرة .

فلو أخذنا مثلا ـ الايرلنديين الكاثوليك ـ كقطاع من المجموعات العرقية ، لوجدنا أنهم نشيطون وناجحون في التأثير السياسي ، وأفضل مثال على تأثير هذا القطاع الضاغط عندما وقفت الولايات المتحدة ضد سياسة بريطانيا في قضية استقلال ايرلندا في عشرينيات هذا القرن ، وقد حاول الجمهوريون وقتها جلب

أصوات الايرلنديين الامريكان لحزبهم بعيدا عن الديمقراطيين ـ حزب الايرلنديين التقليدي ـ عن طريق رفع شعار (لَيُّ ذيل الأسد البريطاني) كناية عن اجبار بريطانيا لاعطاء ايرلندا استقلالها .

ولقد نجح أول رجل كاثوليكي من أصل ايرلندي بعد ذلك في الوصول لسدة الرئاسة لأول مرة ، وكان ذلك هو جون كيندي في سنة ١٩٦٠ ، ولا زالت المجموعات الأمريكية ذات الأصول الايرلندية في الولايات المتحدة نشيطة في تقديم المساعدات للحركات السياسية المضادة للتواجد البريطاني في ايرلندا الشمالية .

مثال آخر على مجموعات الضغط تأتي من البولنديين ، الذين يظهر تأثيرهم في اثارة الجو السياسي تجاه ما يحدث في بولندا .

وبالطبع فان الأقلية اليهودية من أهم المجموعات النشيطة من الأقليات الصغيرة .

تأثير الأقليات في السياسة الأمريكية لا يأتي فقط بوجود هذه الأقليات ، ولكن بنشاطها وقوة استمرارها ، والطاقة والحماس والاستعداد للعمل الكامن في أفرادها .

والمجموعة العربية ـ كأقلية ـ لازالت غير فاعلة اذ تتجاذبها الاختلافات الموجودة في الوطن العربي من جهة ، وضعفها في التنظيم من جهة أخرى .

الأقلية العربية في المجتمع الأمريكي لم تنظم نفسها على أساس حديث الا في وقت متأخر في وسط السبعينيات على وجه التقريب . ومن أنشطتها تنظيمان رئيسيان : الأول هو التنظيم العربي القومي (NAAA) والثاني هو رابطة الخريجين العرب الأمريكان (AAUG) وقد أصبح لبعض هذه المجموعات نشاط ثقافي تجاه تنوير الرأي العام وطرح القضايا العربية ، الا أن الحجم الصغير نسبيا والتنظيم المحدود ، قد عطلا من وجود أية فعالية حقيقية لهم حتى الآن على الساحة السياسية الأمريكية .

وبعد ،

فلا يجوز أن نتوقع تغيرا جذريا في السياسة الأمريكية تجاه القضايا العربية الرئيسية بعد الانتخابات القادمة ، ولكن الاستراتيجية البديلة التي يمكننا عن طريقها أن نؤثر كعرب في اتجاهات الرأي العام الأمريكي ـ بشرط ان نبدأ بانفسنا في توحيد مصادر القرار العربي ـ تكمن في : أولا تنشيط المجموعات العربية الأمريكية ، وثانيا الاستفادة من توثيق علاقات على مستوى عال مع القيادة الأمريكية السوداء ، وثالثا الاستفادة من العلاقات الاقتصادية الرسمية للتأثير ان أمكن في اتجاه بعض تلك السياسات .

محمد الرميحي

من حلم "أشعة الموت" .. إلى كابوس "حرب الكواكب"

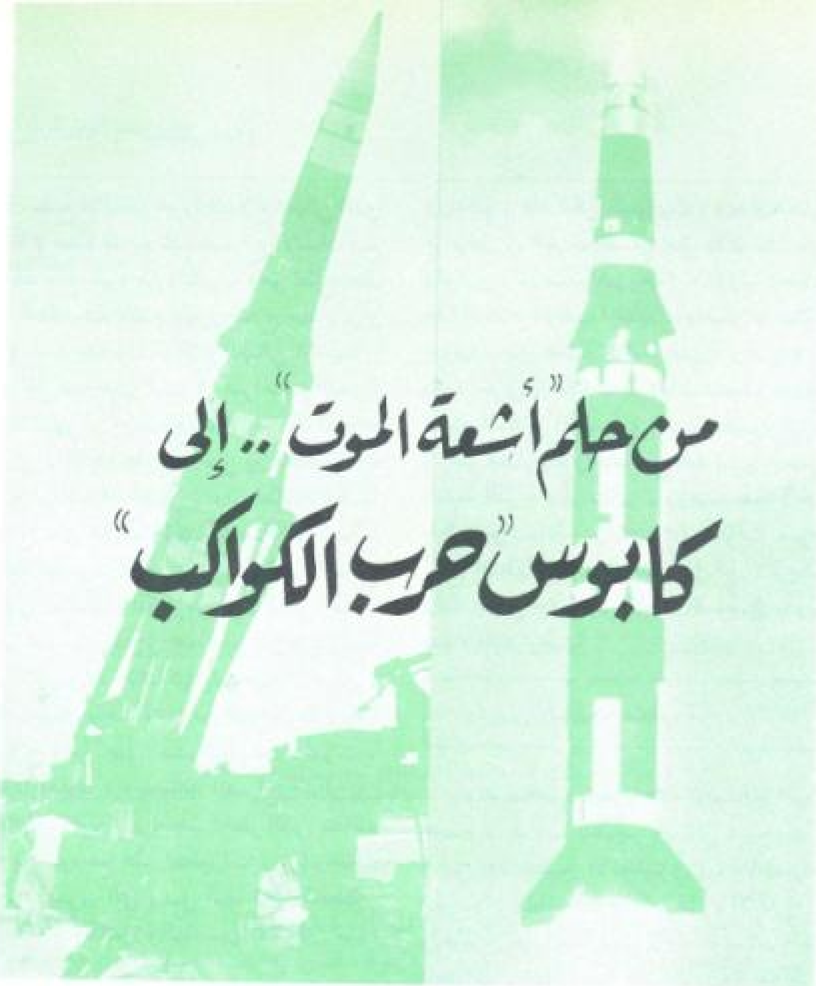

بقلم الدكتور : أسامة أمين الخولي

☐ كانت أشعة الموت ، في طفولتنا ، حلما يداعب خيالنا في قصص البطولات الخارقة ، باعتباره السلاح النهائي الذي يحقق لمالكه الانتصار على كل أعدائه . ثم دار الزمن قدرا من دورانه ، فانتقل الحلم الى مكان أقرب الى الواقع في القصص العلمي ، الذي كثيرا ما تحققت تخيلات كتابه في واقع ملموس بعد سنين معدودات . ومع استمرار دوران الزمان أصبحنا نرى حلم الطفولة وخيال الروائيين يتجسد في سلاح يجرب فيدمر المركبات والطائرات والقذائف ، ولو على نطاق التجارب الأولى .

إن تطلع الانسان لحوزة السلاح النهائي الذي لا دفاع ضده قديم قدم صراع الانسان مع الطبيعة ومع غيره من البشر ، وهو تطلع حال دون تحقيقه منذ القدم ظهور سلاح مضاد ، أو دفاع يفسد مفعول السلاح النهائي الجديد . ولقد ظل هذا حال البشر في صراعاتهم الدموية التي لا تنتهي ، حيث وصلنا الى مرحلة السلاح النووي ، اذ بدا هذا التفاعل بين الفعل ورد الفعل وكأنه قد اختل ، وان استخدام هذا السلاح يعني هلاكا مؤكدا للحياة على سطح كوكبنا التعيس - الأرض . ومع أن قضية السلاح النووي قد شغلت الكثير من دول العالم ، فإننا - معشر العرب - نبدو في مجملنا إما غير عابئين بهذا الأمر الذي يهدد حياتنا كما يهدد حياة الآخرين ، أو غير ملمين بالحد الأدنى من الدراية بتطور هذا السلاح وأثره على استراتيجيات الحرب ، هجوما ودفاعا ، وبتصاعد الصراع الدائر بين العملاقين حوله ، وبحجم الخطر الذي يتعاظم يوما بعد يوم مع هذه التطورات ، وبدرجات الهوس الجنوني التي وصل اليها فكر المخططين العسكريين والعلماء والمهندسين المشتغلين بهذه الأمور .

ولست أهدف هنا الى شرح تقنيات الحرب النووية ، وان كان من الضروري أن أتعرض الى شيء من هذا ، وانما أريد أن أوضح مدى تورط العالم في دوامة عاصفة تجذبه بسرعات مخيفة الى مستويات أعجز عن وصفها بالكلمات ، من الجنون وفي محاولات يائسة لمواصلة السعي لتحقيق حلم امتلاك السلاح النهائي منذ أن سبق الحلفاء ألمانيا النازية إلى تصنيع القنبلة الذرية ، ثم اسقاطها فوق هيروشيما في نهاية الحرب العالمية الثانية . ولقد سارع هذا باستسلام اليابان ، الدولة المعادية التي بقيت في حلبة الصراع ، مهينا الاعتقاد بأن الحلفاء ، أو على الأصح الغربيين منهم ، قد امتلكوا السلاح النهائي أخيرا . الا أن الشرق لم يتخلف كثيرا وراءهم ، فقد تمكن السوفييت (وبمعاونة علماء مرموقين في الغرب نفسه - مثل آلان نان ماي وفوكس - ناء ضميرهم بحمل مسؤولية احتكار هذا السلاح المرعب الجديد ، واتهموا بالخيانة) بدورهم من تصنيع القنبلة الذرية وتجربتها . ومرة أخرى ، حشدت الولايات المتحدة علماءها لصنع السلاح الأبشع ، القنبلة الهيدروجينية (رغم معارضة واحد من قادة فريق تصنيع القنبلة الذرية - أو بنهايمر - ووصمه هو الآخر بالخيانة والعمالة ، واضطهاده لسنوات طوال أبشع اضطهاد) . وكما حدث من قبل ، لم يمض وقت طويل حتى فجر الاتحاد السوفييتي بدوره قنبلته الهيدروجينية .

أسلحة متطورة

ولقد صاحب تطور هذه الأسلحة المبيدة اهتمام لا بد منه بتطوير وسائل « تسليمها » (على حد التعبير الانجليزي) . فانصرف الغرب الى الطائرات القادرة على « الاختراق » وأحاط الاتحاد السوفييتي وحلفاءه بسلسلة من المطارات ، تنطلق منها طائرات بعيدة المدى ، وثقيلة ومدرعة ومزودة بأجهزة الكترونية للملاحة وتحديد الهدف والتصويب . أما الشرق فقد انصرف ، من واقع الحصار المضروب عليه وبعده عن « القلب » في الولايات المتحدة ، الى تطوير الصواريخ بعيدة المدى لنقل قذائفه النووية الى المراكز الحساسة في الغرب .

التوازن النووي

ومع امتلاك العملاقين (ومعهما بريطانيا ثم فرنسا) للأسلحة النووية ، وتكاثرها بما يكفي لافناء الحياة على الأرض عدة مرات ، ظهرت حاجة كل منهما الى تحقيق نوع من التفاهم حول استخدام هذه الأسلحة ، فكان اللقاء التاريخي

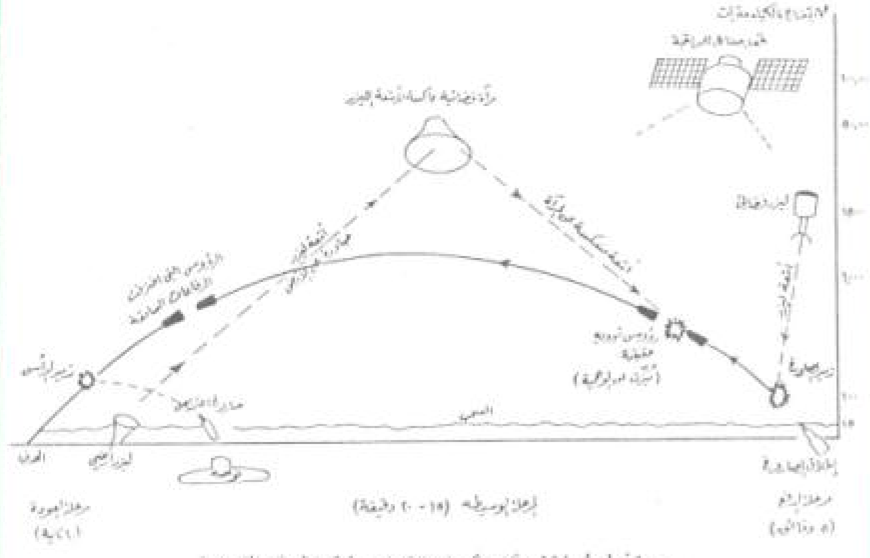

رسم تخطيطي لمسار صاروخ عابر للقارات وطبقات الدفاع المتتالية

عام ١٩٥٥ في جنيف بين ايزنهاور ، من ناحية ، وبولجانين وخروشوف من الناحية الأخرى ، إيذانا بنهاية عصر الحرب الباردة . وسادت أنئذ عقيدة الضربة الأولى أو التفريغية ، والتي يبادىء بها طرف الطرف الآخر ، ليشل حركته قبل أن يهاجمه ويقضي عليه . وعاش العالم كله حينئذ في حالة توازن نووي دقيق ، بل هش وحساس ، على الرغم من كل الاحتياطات التي اتخذت لضمان عدم انطلاق هذا المارد من قمقمه ، بسبب خطأ انساني وارد دائما .

ثم انتقلنا من مفهوم الضربة الأولى الى وسائل تحقيق الضربة الثانية ، لنصل بهذا الى عقيدة عسكرية جديدة (ظهرت أيام أن كان روبرت مكنمارا وزيراً للدفاع ، وقبل أن يتحول ، في سخرية الأقدار اللاذعة ، الى واحد من دعاة مكافحة الفقر في العالم الثالث ، عندما أصبح رئيسا للبنك الدولي) سميت « الدمار المتبادل المؤكد » (MAD) والتي بموجبها يتمكن الطرف الذي يتعرض للضربة الأولى من توجيه ضربة انتقامية ثانية ، لا تحميه من الدمار بفعل الضربة الأولى الموجهة له ، وانما تضمن قدرته على الرد بضربة أخرى تدمر الجانب الذي وجه الضربة الأولى ليتأكد بهذا الدمار الشامل للطرفين . وأسهمت في تحقيق امكانية توجيه الضربة الثانية تطورات تقنية كثيرة ، منها القذائف متعددة الرؤوس النووية « ميرف » (MIRV) واستخدام منصّات الاطلاق المتنقلة (ومن أهمها الغواصات المزودة بصواريخ نووية عابرة للقارات) ، وأجهزة الكشف عن اطلاق الصواريخ النووية في وقت مبكر ، يسمح بالرد عليها باطلاق صواريخ الطرف الآخر قبل تدميره بفعل صواريخ العدو ، وتحصين مواقع تخزين الصواريخ في صوامع تحت الأرض لاطلاقها ، بينما تكون قذائف

الطرف المهاجم قد أبادت مدنا بأكملها ، وحصدت أرواح الملايين من البشر ، وأخيرا القذائف « الذكية » (Cruise) التي تنطلق قريبا من سطح الأرض بسرعة بطيئة نسبيا ، والتي تختزن في ذاكرة الكترونية معالم المسار الذي تتخذه وتسلك اليه ، بفضل حاسب الكتروني يقارن بين المعالم المختزنة في الذاكرة وبين ما « يراه » أثناء طيرانه ، سلسلة من الطرق المتعرجة تتهرب بها القذيفة من ملاحقة رادارات العدو ومن دفاعاته حتى تصل الى هدفها بدقة كبيرة .

نقلة اللامعقول !

ولقد شهد العالم في العام الماضي نقلة نوعية جديدة في عالم الحرب النووية اللامعقول . ففي مطلع العام حين كان الجدل دائرا على أشده حول الطريقة المثلى لتحديد مواقع القذائف النووية الجديدة (MX) ، والتي تتميز بمستوى مرتفع في دقة التصويب ، طرحت أفكار ممعنة في الشطط والغرابة على أعلى مستويات السلطة ، ونوقشت بجدية وبرود يبعثان على الملع . البعض يقترح تجميعها قريبا من بعضها البعض في موقع واحد لتكوّن حشدا مركزا (dense pack) يمكن تحصينه ضد هجوم العدو ، ويضمن بقاء عدد كاف لتحقيق الضربة الثانية في مفهوم الدمار المؤكد المتبادل . والبعض يرى حفر تيه من السراديب الهائلة تحت الأرض تتحرك داخلها القذائف طول الوقت ، وبما لا يسمح للعدو بتحديد مكانها ، بينما يسمح باطلاقها في الضربة الانتقامية . وفريق ثالث يقترح تطوير منصات إطلاق ديناصورية تتحرك فوق سطح الأرض وتنصب بسرعة لتوجيه هذه الضربة . ولقد دعا هذا الرئيس ريجان الى تشكيل لجنة رفيعة المستوى (blue rib-bon) برئاسة الجنرال سكوكروفت مساعد الرئيس لشؤون الأمن القومي سابقا لدراسة الموضوع ، فطلعت علينا اللجنة بشيء آخر جديد يضاف الى المقترحات السابقة ، ألا وهو تطوير قذيفة (MX) مصغّرة ذات رأس نووية واحدة ، لها دقة فائقة في التصويب ، لتتعقد الصورة أكثر فأكثر ، في نفس الوقت الذي وقف الكونجرس الأمريكي معارضا ، أو على الأقل مترددا ، لموازنة التسليح المقترحة ، والتي بلغت قدرا لا مثيل له في تاريخ الولايات المتحدة . وفي نفس الوقت بات واضحا أن مفاوضات خفض الأسلحة الاستراتيجية « ستارت » (START) التي بدأت بعد رفض الكونجرس التصديق على معاهدة تحديد الأسلحة الاستراتيجية الثانية (سولت ـ ٢)(salt تتعثر ولا يتوقع لها النجاح إزاء اصرار الولايات المتحدة ، والغالبية العظمى من حلفائها في حلف شمال الأطلسي ، على تركيب صواريخ « كروز » و « برشينج » في أوروبا ، ردا «مزعوما » على نشر الاتحاد السوفييتي لصواريخ إس إس ـ ٢٠ في أوروبا الشرقية .

قنبلة اعلامية

في هذا الجو المشحون بالجدل العنيف والآراء المتناقضة حول العقيدة العسكرية المناسبة في الحرب النووية وحول ميزانية التسليح ، طلع علينا الرئيس ريجان في ٢٨ مارس ١٩٨٣ ، بدعوة الى بذل جهد رائد على نطاق عريض من الخيارات التقنية ، بحثا عن « دفاع » ضد القذائف عابرة القارات المسلحة برؤوس نووية . وكانت هذه « القنبلة » الاعلامية مثار دهشة كثيرين ، لأن هذا التحول ـ الذي لو تحقق ، لكان عزوفا تاما عن مفهوم الردع المؤكد المتبادل ـ ظل سرا مكتوما حتى على كبار المسؤولين في وزارة الدفاع « البنتاجون » الى صباح يوم اعلانه . والأمر الذي زاد من دهشة الكثيرين في الولايات المتحدة أن الاعلان لم يصاحبه أي تصور عملي لخطة تحقيق هذا

التحول . بل ان الأمر وقف عند حد طرح فكرة خلابة على نفس مستوى اعلان جون كنيدى فى مطلع الستينيات عن مشروع « وضع رجل على القمر فى الستينيات » والذى ألهب حماس الشعب الأمريكي ، ورد اليه ثقته بالنفس التى تزعزت بإطلاق السوفييت لسبوتنيك الأول عام ١٩٥٧ ، ودوران جاجارين حول الأرض عام ١٩٦١ ، وتعثر المحاولات الأمريكية الأولى لتحقيق شيء من هذا . وملخص هذه الفكرة الجديدة هو « قتل » الصواريخ وقذائفها النووية فى اللحظات الاولى من اطلاقها ، بل وربما فوق أرض مطلقيها ، وقبل أن تصل الى أهدافها فى الولايات المتحدة .

والطريف فى الأمر هو أن هذا المدخل الجديد ربما استهوى بعض العناصر المناوئة للتسليح النووى ووضعها فى موقع واحد مع غلاة المتطرفين من دعاة التسلح ، باعتبار هذا المدخل منفذا للعالم بأسره من مأزق الدمار المتبادل المؤكد ، قد يفقد الأسلحة النووية المهددة بفناء العالم قيمتها ، ويعود بنا الى مستويات أقل من القدرات التدميرية . وسرعان ما عينت لجنة رفيعة المستوى للنظر فى الأمر برئاسة جيمس فليتشر ـ الرئيس السابق للادارة الوطنية لبحوث الطيران والفضاء « ناسا » (NASA) خرجت بتقرير يؤيد الفكرة . وتسارعت الأحداث ، فخصصت الموارد رغم بعض الاعتراضات فى الكونجرس ، وعين الجنرال ابراهامسون ، الذى لمع اسمه ابان ادارته لبرنامج مكوك الفضاء ، وما حققه من نجاح لرئاسة الجهاز الجديد الذى سيحقق هذا الحلم .

الصراع النووى

ولا بد لنا هنا من وقفة نستعرض فيها ، بايجاز ، التصورات الكامنة وراء هذه العقيدة ، قبل أن نتطرق للحديث فيا يدور حولها من آراء متلاطمة ، وما يتصور أن تؤثر به فى الصراع النووى الدائر منذ أربعين عاما خلت . تتدرج عملية اطلاق الصواريخ عابرة القارات ، حاملة الرؤوس النووية المتعددة تحت مراحل ثلاث : ـ

● مرحلة الدفع الأولى من سطح الأرض ، واختراق الغلاف الجوى الى الفضاء الخارجى الخالي من مقاومة الهواء . وتستغرق هذه المرحلة ما بين ٤ ـ ٧ دقائق يصل الصاروخ فى نهايتها الى ارتفاع يبلغ عادة مئة أو اكثر قليلا من الكيلومترات فوق سطح الأرض .

● المرحلة الوسيطة ، والتى هى أطول المراحل جميعا ، اذ تمتد الى حوالي خمسة عشر أو عشرين دقيقة . وفيها تنفصل الرؤوس النووية عن الصاروخ لتسلك كل رأس مسارا خاصا قد يصل بها الى ارتفاعات تفوق الألف كيلومتر فوق سطح الأرض ، قبل أن تتكفىء عائدة الى أسفل فى اتجاه الهدف .

● مرحلة دخول الغلاف الجوى لاصابة الهدف ، والتى تبلغ حوالي دقيقة واحدة ، تتعرض فيها الرؤوس الى ارتفاع شديد فى درجة حرارة السطح الخارجى ، نتيجة لاحتكاكها بالهواء وهى تتحرك بسرعات عالية جدا .

وواضح من الفترات الزمنية لكل من هذه المراحل ، أن المرحلة الأخيرة لا تترك فرصة تذكر لاعتراض الرؤوس المهاجمة وتدميرها . وفى عقيدة الردع المتبادل المؤكد ، كان التركيز على حماية الرؤوس التى ستستخدم فى الضربة الثانية الانتقامية ، لا البشر والمنشئات الحضرية . ومن ثم ، الاهتمام بتحصين مواقع السلاح الانتقامى أو تحريكه تحت الأرض ، الى آخر المقترحات الخيالية التى طرحت لحماية الصواريخ المضادة لتأكيد الدمار المتبادل ، لا لحماية الوطن من الدمار ! وهكذا انصرف التفكير الى النظر فى اجراءات ابطال مفعول الهجوم فى المرحلتين السابقتين .

ولكل من هاتين المرحلتين مزاياه وصعوباته فتدمير الصاروخ بما يحمله من رؤوس نووية فى المرحلة الأولى يضمن عدم تسرب أى من

الرؤوس النووية قبل أن تتناثر في الفضاء الخارجي ، ويقتضي الأمر ملاحقة كل واحدة منها . بينما الصعوبة الواضحة هنا هي الكشف عن انطلاق الصاروخ وتحديد موقعه ومساره بدقة وتدميره - كل ذلك خلال ٤ - ٥ دقائق فقط ، ومن على بعد آلاف الكيلومترات من مواقع اطلاقه في عمق أرض مطلقيه . واذا ما كانت المرحلة الوسيطة تتيح فسحة نسبية من الوقت للتعامل مع الرؤوس المهاجمة ، فان المشكلة هنا هي أن كل صاروخ يحمل عدة رؤوس نووية ، وأن المهاجم قد يطلق عددا كبيرا ، قد يصل الى المئات من الصواريخ في وقت واحد . بل انه قد يضيف الى الرؤوس الحقيقية اعدادا أكثر من الرؤوس الوهمية للتضليل ، بحيث يواجه الدفاع عشرات أو مئات الألوف من الأجسام المندفعة في الفضاء بسرعات عالية وارتفاعات شاهقة . وعليه أن يميز القذائف الحقيقية من بينها ، وأن يبطل مفعولها . وهو ما تتضح صعوبته دون عناء تفكير كبير .

أشعة الموت

وقاد هذا المخططين العسكريين ومن معهم من العلماء الى مفهوم الدفاع « متعدد الطبقات » (انظر المخطط) ، والذي يتكون من مجموعة من الاجراءات المناسبة للتعامل مع الصواريخ المهاجمة ورؤوسها النووية ، في كل واحدة من المراحل الثلاثة . وهنا تدخل « اشعة الموت » في الصورة ، اذ أن اطلاق قذائف مادية مضادة وتوجيهها لتدمير القذائف المهاجمة يستغرق وقتا يناظر الوقت الذي تستغرقه هذه القذائف المستهدفة . ولما كان الرد سيجيء بحكم التعريف بعد اطلاق القذائف المهاجمة ، فإن الزمن المتاح لرد الفعل سيكون قصيرا . وهنا تبرز قيمة الاشعاعات بأنواعها ، اذ أنها تنتقل بسرعة الضوء التي تبلغ ٣٠٠٫٠٠٠ كيلومتر في الثانية الواحدة . وتتركز المسألة الآن في أمرين : أولهما ، الكشف المبكر عن انطلاق الصاروخ المهاجم ، والثاني هو توجيه « أشعة الموت » نحوه لتدميره . ويتصور المخططون والعلماء العسكريون أن تحقيق الأمر الأول يمكن أن يتم عن طريق أقمار تجسس ، تحلق فوق مواقع اطلاق الصواريخ ، أو حتى تغطية أرض العدو بأسرها ، على ارتفاعات تصل الى عشرات الآلاف من الكيلومترات . أما الأمر الثاني فيكون عن طريق توجيه أشعة الليزر المكثفة لتدمير الصواريخ والرؤوس المهاجمة . والجدال محتدم في الأوساط العلمية حول أفضل أنواع الليزر وحول طرق توليدها وتصويبها نحو الأهداف . وهناك صعوبات تقنية مهولة تقف في وجه كل واحدة من هذه الطرق . فمولدات اشعة الليزر بالكثافة المطلوبة يصل وزنها الى مئات الأطنان وتحتاج الى طاقة عالية لتشغيلها ، الأمر الذي يجعل اطلاقها في الفضاء قريبا من الأهداف أمرا ما زال بعيد المنال . أما اذا تركناها على سطح الأرض ووضعنا في الفضاء مرايا ضخمة تستقبل هذه الأشعة المدمرة وتوجهها نحو الأهداف ، فان الدقة المطلوبة في صقل المرايا ليست ممكنة حتى الآن . ولنتذكر هنا أن هذه ليست المرة الأولى التي يواجه فيها التطور التقني مثل هذه الصعوبات . والخبرة التاريخية تشير الى أننا نتغلب عليها دائما في نهاية المطاف ،

التجسس بين العملاقين

ولا بد هنا من الاشارة الى أمرين آخرين لتكتمل صورة الهوس العلمي الذي نعيشه . فهناك أولا نوع آخر من « أشعة الموت » أبعد منالا من أشعة الليزر ، وهو أشعة « الجسيمات الدقيقة » بأنواعها المختلفة . والطريق الى استخدام هذا النوع أشق وأطول بكثير . وفيه أيضا قصة طريفة من قصص التجسس العلمي بين العملاقين . فلقد اكتشفت أقمار التجسس

الصناعية منذ عام ١٩٧٥ ظواهر تشبه تلك المرتبطة بالتفجيرات النووية . واختلفت الآراء حول مصدر هذه الظواهر ، فانفرد الجنرال جورج كيجان رئيس مخابرات القوات الجوية بالرأى القائل أن هذه الظواهر مرجعها تجارب سوفيتية لتطوير اشعة الجسيمات الدقيقة ، بينما خالفته بقية اجهزة المخابرات العلمية فى البنتاجون ، فاستقال احتجاجا على عدم الأخذ بتحذيره لضرورة مواجهة هذا التطور الجديد فى التسليح السوفييتى . واعترفت هذه الأجهزة بعد ذلك بثلاث سنوات بصحة تفسير كيجان ، بعد أن كشف العلماء السوفييت الأمر فى مؤتمر علمى . أما الأمر الثانى فهو تطوير القذائف المضادة للأقمار الصناعية والصواريخ عابرة القارات (ASAT) فقد نجحت الولايات المتحدة فى شهر يونيو من العام الحالي فى اعتراض صواريخ وقذائف عابرة للقارات بقذائف مهاجمة فى الفضاء الخارجى ، أطلقت مرة من طائرة فى الغلاف الجوى ، ومرة أخرى من على سطح الأرض . أما الاتحاد السوفييتى فقد أطلق منذ عدة سنوات أقمارا صناعية « قاتلة » تسعى وراء الأجسام السابحة فى الفضاء وتدمرها .

والآن ، وبغض النظر عن الجهد والوقت والكلفة اللازمة لتحقيق حرب الكواكب المتعددة الطبقات (وهى حوالي عشرين سنة ومائة بليون دولار لأعمال البحث والتطوير وحدها) ، فهل نستطيع القول بأن السلاح النهائى المبطل لمفعول الصاروخ النووي متعدد الرؤوس قد أصبح فى متناول اليد ؟ يبدو أننا سنظل ندور فى الحلقة المفرغة أو الدوامة المتصاعدة ، التى عرفها الانسان منذ أن واجهت الدروع السيوف والرماح . فلقد خرج مكتب تقييم التكنولوجيا (OTA) التابع للكونجرس الأمريكى ، والذى سعى لانشائه السناتور ادوارد كنيدى ليتولى دراسة القضايا التكنولوجية المعقدة ، بدراسة متعمقة تساند الهيئة التشريعية ، علينا بتقرير ينتقد مفهوم حرب الكواكب ويسفهه وانبرت وزارة الدفاع تنتقد التقرير وتطالب بسحبه لما تراه فيه من أخطاء فى التقديرات التى استخلصت منها النتائج . وعلى أية حال ، فمداخل افساد « حرب الكواكب » معروفة الآن ، وليست أبعد منالا من تحقيق أدوات هذه الحرب الجديدة ذاتها . فمن الممكن أن يطلق الاتحاد السوفييتى أقمارا قاتلة مجربة ، قريبا من أقمار التجسس التى تحدد مواعيد انطلاق الصواريخ ومواقعها « لتقتل » أقمار الاستطلاع هذه قبل اطلاق صواريخه بلحظات . ومن الممكن اطلاق حشد هائل من الأجسام لتغطى مساحات شاسعة فى الفضاء ، فتعمى أبصار أقمار الرصد والتجسس ، كما تفعل اليوم مع أجهزة الرادار الأرضية والمحمولة جوا منذ الحرب العالمية الثانية . أو من الممكن وقاية القذائف من أشعة الليزر بعدة طرق .. الخ أفكار أخرى كثيرة أسهل منالا من تحقيق معدات حرب الكواكب .

وليس من الغريب ، اذن ، أن نسمع أن الاتحاد السوفييتى قد وجه الدعوة الى الولايات المتحدة فى نهاية شهر يونيو لابرام معاهدة تحرم وضع أسلحة من أى نوع فى الفضاء ، أو أن الولايات المتحدة مستعدة للتفاوض حول هذا الأمر فى الوقت الذى لا تتراجع فيه عن موقفها فى جنيف ، والذى أدى الى انسحاب الاتحاد السوفييتى من مفاوضات خفض الأسلحة استراتيجية .

وقد يسأل سائل ـ وعن حق ـ أين نحن فى العالم الثالث من هذا كله ؟ وماذا نملك ازاءه ؟ وما هو الوجه الأكثر صلة بواقعنا نحن فى مسألة السلاح النووى ، خصوصا وأنه قد أصبح من المسلم به أن « اسرائيل » تملكه ، وأنها كادت أن تستخدمه عام ١٩٧٣ ، وأن دولا أخرى كثيرة فى العالم الثالث تملك السلاح النووى فعلا ، أو أنها قادرة على تصنيعه فى وقت قصير نسبيا ؟ هذه مسألة أخرى تستحق أن يفرد لها نقاش مفصل فى مناسبة اخرى . □□

العصر والحب

شعر الدكتور : عبده بدوي

أبصرتهم في الشارع الخلفي تحت هدأة الشجر
على المقاعد التي من الدخان والحجر
وتحت خيمة من البكاء والمطر
وسكتة الخطر
للحظة .. للحظتين
لساعة .. لساعتين
.. لاينظرون للنوافذ المؤجرة
لايبسمون للحدائق المدورة
لايلحقون بالحديث آخره
.. لا يعرفون أنه أتى الربيع بالزهر
وأن قرب هدبهم حديقة القمر
وأن في الزمان ما يريح مقلتين
وأن في المكان ما يضيف جنب عاشقين مجهدين
واللحظة التي يقال لن تجيء مرتين
.. فكل ما يرونه صور
وكل ما في الجيب والحقيبة .. الصور !

•••

فان أتت هنيهة الوداع
والكون صار مركبا يغوص بالشراع
لم يبك حرف في الحديث .. لم يئن
لم تنكسر في الوجه دمعتان
لم تنشبح اليدان
لم يعتبوا على القدر

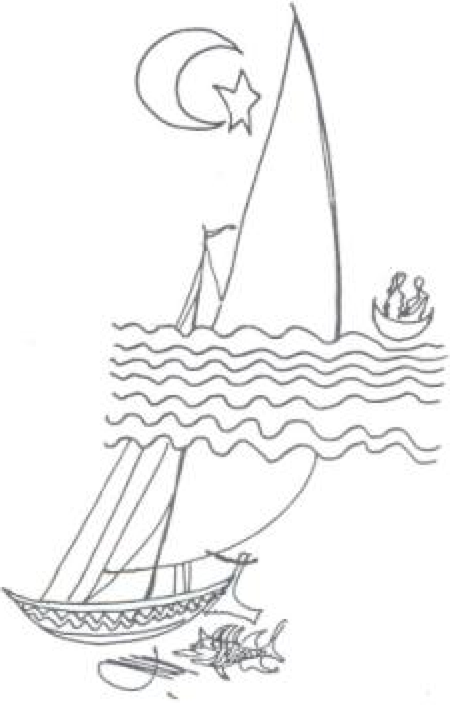

لم ينظروا على حذر
ففجأة صاروا كما عاشوا جزُر
ستختفي عما قليل . . لا مفر
لا مفر !

• • •

حتى اذا ما عاد من ينظف المدينة الحزينة
بعد رحلة الخطر
ـ من هؤلاء القادمين من رجال العالم الثالث ـ
في حافة السكون والسّحر
شكا ، وشد ساعديه ، ثم ساق للحفر

أكوام زهر من (البلاستيك)

مليون قلب معدني

وألف قبلة من الرخام
وذلك اللغو الذي يكون في الكلام
وشهوة في علبة من أضعف الكرتون
والعطر أبغض ما يكون
والخوف والحذر
وقال ـ في ضجر ـ
تحولوا الى حجر
. . تحولوا الى حجر

كارثة الدّيون الخارجية لدُول العَالم الثالث

بقلم : الدكتور رمزي زكي

□ناقش الدكتور محمد الرميحي في « حديث الشهر » في العدد رقم ٣٠٧ يونيو ١٩٨٤ الماضي أزمة الجوع في العالم . . ولا شك أن كارثة الديون الخارجية لدول العالم الثالث ترتبط بأسباب هذه الأزمة ونتائجها معا . . وهو ما يقدمه هذا البحث متناولا بعض جوانب هذه القضية .

أصبحت كارثة الديون الخارجية المستحقة الآن على دول العالم الثالث ، والتي تراكمت بسرعة فلكية في السنوات الأخيرة ، من أكثر القضايا التهابا في العلاقات الاقتصادية الدولية ، نظرا لما نجم عنها من أخطار ومشاكل تهدد الآليات الهشة ، التي يكاد يسير بها الاقتصاد الرأسمالي العالمي حاليا من ناحية ، وبسبب ما نتج عنها من عراقيل وصعاب أمام تحقيق التقدم الاقتصادي والاجتماعي لشعوب البلاد المدينة من ناحية أخرى . وقد قفزت هذه الديون من ٦,٧ مليار دولار في عام ١٩٧٣ الى حوالي ٧٣٠ مليار دولار في عام ١٩٨٣ . وهذا يعني أنها قد تزايدت بنحو يزيد قليلا عن خمس وسبعين مرة خلال السنوات العشر الأخيرة . وهو نمو فلكي بكافة المقاييس . وفي ضوء الطاقة الراهنة للدول المدينة على السداد ، يمكن القول بدرجة عالية من اليقين -

أن الجزء الأعم من هذه الديون غير قابل للسداد . يكفي أن نعلم أن حجم الاحتياطيات الدولية (بدون الذهب) الذي تملكه الدول المتخلفة غير المصدرة للنفط - وهي تمثل الدول المدينة - يقدر بحوالي ٧٧ مليارا من وحدات حقوق السحب الخاصة . وهذا يعني ببساطة شديدة ، أن المقدرة الحقيقية لهذه الدول على الوفاء بتلك الديون في الأونة الراهنة ، لا يتجاوز في أحسن الأحوال ما نسبته ١٠٪ من جملة هذه الديون . ولا يوجد حتى الآن ، ما يدل على أن طاقة هذه الدول على السداد سوف تتحسن في المستقبل ، أو أن حاجتها للاقتراض الخارجي ستقل ، بل على العكس من ذلك ، من المتوقع في ضوء الظروف الآنية أو التي يمكن التنبؤ بها في الأجل المنظور القريب ، أن قدرة هذه الدول على السداد سوف تتدهور في الوقت الذي ستتزايد فيه حاجتها للاقتراض . وتلك في الحقيقة ورطة عالمية .

والحقيقة ، أن مفتاح الفهم الحقيقي لهذه الكارثة هو أزمة الكساد التضخمي التي تخيم على الاقتصاد الرأسمالي العالمي ، منذ مطلع حقبة السبعينيات من هذا القرن وحتى الآن . فقد أثرت هذه الأزمة أيما تأثير على سوق الاقراض الدولي ، وأفرزت فيه ظواهر جديدة . لهذا نستطيع ان نقول - بقدر كبير من الثقة - أن كارثة ديون العالم الثالث من نبت تلك الأزمة وهي نتاج طبيعي لها . فقد أثرت هذه الأزمة على مجموعة الدول المتخلفة تأثيرا سيئا للغاية ، بحكم ما تحتله هذه الدول من واقع ضعيف وتابع وغير متكافىء في الاقتصاد الرأسمالي العالمي . ولهذا ما ان اندلعت أزمة الكساد التضخمي في الدول الرأسمالية المتقدمة حتى سمعت أصداؤها بقوة في الاقتصاديات المتخلفة . فمن ناحية أولى نجم عن تلك الأزمة حدوث نقص وتراخ شديد في الطلب العالمي على الصادرات من المواد الأولية وغير الأولية ، التي تصدرها تلك الاقتصاديات ، بسبب الركود الاقتصادي الذي خيم على الدول الرأسمالية المتقدمة ، وبسبب ركود حركة التجارة الدولية ، وضاعف من وطأة الأزمة لجوء عدد كبير من الدول الرأسمالية الى تطبيق سياسة الحماية التجارية ، وهو الأمر الذي أضاف عقبة جديدة أمام صادرات الدول المتخلفة . وكان من شأن ذلك أن موارد النقد الأجنبي الذي يأتي من التصدير قد تعرضت لهبوط شديد ، الأمر الذي انعكس في وجود أزمات حادة في السيولة النقدية للاقتصاديات المتخلفة . ومن ناحية ثانية اتجهت أسعار الواردات الضرورية التي تستوردها تلك الاقتصاديات نحو الارتفاع الشديد نتيجة للتضخم الكسادي الذي أصاب الاقتصاد الرأسمالي العالمي . ومعنى ذلك ، أنه في الوقت الذي تدهورت فيه موارد النقد الأجنبي لتلك الدول ، زادت الحاجة الى هذا النقد لتمويل فاتورة الواردات المرتفعة .

حلول قاتلة

وقد حاولت الدول المتخلفة أن تواجه الموقف المتأزم لسيولتها النقدية من خلال عدة محاور ، بيد أن هذه المحاور ما لبثت سريعا أن استنفدت فاعليتها ، لتقع بعد ذلك في « فخ الاستدانة المفرطة » . فهناك دول لجأت الى استخدام احتياطياتها النقدية من الذهب والعملات الأجنبية . ولكن نظرا لضآلة هذه الاحتياطيات أصلا ، فانها سرعان ما نفذت ، أو وصلت الى مستويات خطيرة . وهناك دول لجأت الى الضغط على وارداتها لكي تقلل من حاجتها للنقد الأجنبي ، بيد أن هناك حدودا معينة لا يجوز أن يتجاوزها الضغط على الواردات ، نظرا لوجود علاقة ارتباط قوية بين مستوى الواردات من ناحية . وبين مستوى الاستهلاك الجاري ومستوى الناتج المحلي ومستوى الاستثمار من ناحية أخرى . ولهذا فان الدول التي سارت على هذا الطريق وجدت نفسها منزلقة بسرعة الى

طريق انكماشي خطير ، مليء بالأشواك والمثالب ، مثل تدهور مستوى المعيشة ، وتعطل الطاقات الانتاجية ، ونمو معدل البطالة ، وتأخر برامج الاستثمار ، وتعطيل عجلات النمو الاقتصادي .

وهكذا ، فانه في ظل تدهور موارد النقد الأجنبي الذي تدره الصادرات ، وفي ضوء المحافظة على الحد الأدنى الضروري للواردات ، بدأ العجز في الحساب الجاري بموازين مدفوعات الدول المتخلفة يتجه نحو الاتساع المستمر . ونظرا لتفاهة الدور الذي يلعبه صندوق النقد الدولي في امداد الدول المتخلفة بموارد السيولة الميسرة ، ونظرا لاتجاه حجم القروض والمساعدات الميسرة التي توفرها الدول الرأسمالية المتقدمة للدول المتخلفة نحو الانخفاض ، بفعل تأثير الكساد التضخمي ، فان جهود المسئولين بالدول المتخلفة ـ في ضوء توجهات وطبيعة الأنظمة الاقتصادية الاجتماعية بها ـ قد تركزت على الاقتراض الخارجي كمخرج رئيسي لمجابهة عجز الحساب الجاري . هكذا اذن ظهرت الحاجة الى الاقتراض المتزايد .

الديون ونظام النقد الدولي

والحق ، أنه خلال عقد السبعينيات من هذا القرن ، وبالذات في أعقاب عام ١٩٧٣ ، كانت ظروف الأسواق النقدية بالاقتصاد العالمي الرأسمالي تسمح لها بتلبية هذه الحاجة . أي بالتوسع في الاقراض . فقد حدث في هذه الأسواق افراط ، أو بتعبير أدق ، تخمة في السيولة من جراء نجاح تلك الأسواق في اعادة تدوير الفوائض البترولية من ناحية ، ومن جراء ماركمته الشركات والبنوك الدولية النشاط من حجم هائل من رؤوس الأموال الساخنة (سوق الدولار الأوروبي) من ناحية أخرى . وفي الوقت الذي زادت فيه تخمة السيولة الدولية ، فان الطلب على هذه الأموال من قبل الدول الرأسمالية المتقدمة كان ضعيفا بسبب أحوال الكساد فيها . وازاء هذا الوضع ، فقد لعبت المصارف التجارية والمؤسسات المالية الخاصة ، دورا لا يستهان به في تزويد البلاد المتخلفة بالسيولة المطلوبة ، عن طريق الاقراض الخاص ، لكي تواجه تلك البلاد مأزق العجز المتنامي في موازين مدفوعاتها ، وهو دور لم تكن له أية ضوابط أو قيود .

كان ما يهم هذه المصارف والمؤسسات هو الاقراض بسعر فائدة مرتفع ، سعيا وراء أرباح خيالية ، دون أن تنظر الى مقدرة هذه البلاد على الدفع مستقبلا . لقد حدث نمو انفجاري في الائتمان الدولي القصير الأجل ، الممثل في القروض المقدمة من البنوك التجارية ، وفي التسهيلات الائتمانية التي قدمها بعض الموردين ، وفي نمو أسواق السندات الدولية . ويكفي أن نعلم في هذا الخصوص ، أن مساهمة القروض المصرفية في تمويل عجز الحساب الجاري للبلاد المتخلفة ، قد غطت ما نسبته ٥٠٪ من اجمالي هذا العجز خلال الفترة ما بين ٧٣ ـ ١٩٨٠ .

نحن اذن ازاء تطور كيفي ، بالغ الخطورة في نظام النقد الدولي . فخلال العقد الماضي ، أصبحت البنوك التجارية والمؤسسات المالية الخاصة هي المصدر الرئيسي في خلق السيولة الدولية ، لأنها وفرت الاحتياطيات الدولية للهيئات الرسمية . ويمكن القول أن نظام النقد الدولي الآن يتكون أساسا من هذه الشبكة الواسعة من البنوك التجارية ، وأسواق النقد الدولية ، وهي شبكة تخرج عملياتها عن نطاق السيطرة المباشرة لأية جهة مركزية مسؤولة عن نظام النقد الدولي . فالبنوك التجارية المحلية تخضع للرقابة النهائية للبنك المركزي في الدولة التي يتبع لها . والبنك المركزي يستطيع أن يفرض قدرا كافيا من الرقابة والقيود على النشاط الائتماني للبنوك التجارية ، من أجل المحافظة على الحدود الصحية والمعقولة للائتمان

المصرفي . أما اذا نظرنا الآن الى البنوك التجارية الدولية (وهي بمثابة شركات متعددة الجنسية) فانها تتحرك بحرية مطلقة ، بلا رقيب أو سلطة مركزية في خلق ما يحلو لها من ائتمان .

ومع ذلك لا يجوز أن ننظر الى البنوك التجارية الدولية على أنها بمثابة « نظام مستقل » يعمل بطريقة ذاتية الحركة ، فهناك كما نعلم تكامل بين حركة النقود وحركة السلع ، ومن هنا فان ثمة رابطة موجودة بين أزمة تخمة السيولة الدولية التي حاولت هذه البنوك أن تحلها ، وبين أزمة تصريف السلع بالبلاد الرأسمالية ، والتي لعبت حركة الاقراض الدولي دوراً هاماً في التخفيف منها . ومن المعروف جيدا ، أن غالبية القروض التي تحصل عليها البلاد المتخلفة هي قروض مقيدة ، بمعنى أنها لا تعطى في شكل نقدي ، وانما في شكل تمويل واردات سلعية . أي أن عطاء القروض يرتبط في نفس اللحظة والمكان بزيادة التصدير الى البلد الذي يقترض . من هنا فقد ارتبطت زيادة مديونية العالم الثالث بزيادة حجم الصادرات التي انسابت اليها من الدول الرأسمالية الصناعية ، وهو أمر خفف من أزمة الكساد التضخمي بالدول الأخيرة .

وهكذا فان النمو الذي حدث في صادرات العالم الرأسمالي الى البلاد المتخلفة قد تم أساسا في ضوء الافراط الذي تحقق في حجم الائتمان الدولي ، فلولا هذا الافراط ما كان بالامكان لهذه البلاد أن تستورد ما استوردته من الدول الرأسمالية الصناعية . ولولا هذا الائتمان لكان وقع أزمة الكساد التضخمي في الدول الأخيرة أشد وطأة وخطورة ، وبخاصة على معدلات البطالة والنمو الاقتصادي .

التوريط

وهكذا نخلص من ذلك الى القول ، بأن الاقتصاد الرأسمالي العالمي قد حاول أن يحل جانبا من أزمته الهيكلية ، من خلال توريط البلاد المتخلفة في بحر عميق من الديون ، أي من خلال تطبيقه « نظام البيع بالتقسيط » على الصعيد العالمي . بيد أن نظام البيع بالتقسيط - كما نعلم - الذي يستند على الائتمان الاستهلاكي ، لا يمكن له أن ينجح الا اذا كان في حدود معقولة تتناسب مع المقدرة المستقبلية للمشترين ، وإلا حدث افلاس للشركات البائعة .

ومما لا شك فيه ، أن سهولة الحصول على الموارد المقترضة خلال حقبة السبعينيات من هذا القرن ، أصبح يغري المسؤولين في دول العالم الثالث بشراء الواردات ، بشكل متزايد وبالتقسيط ، وبالتراخي في تعبئة الموارد المحلية الممكنة ، وبعدم الاهتمام بتطبيق السياسات المالية والنقدية والتجارية لمواجهة أزمة العجز المتنامي في موازين مدفوعاتها ، والانزلاق الى وهم استمرار هذا الوضع دون حدوث مشاكل في السداد في الأجل المتوسط أو الطويل .

وعلى أية حال ، ثمة قائمة طويلة من الآثار التي نجمت عن تفاقم كارثة الديون الخارجية في العالم الثالث . وهي قائمة تتضح بما لهذه الآثار من مسؤولية كبيرة في ترسيخ التخلف والتبعية وحصار عملية التنمية والتقدم . لقد تعلمنا في الجامعات ، أن الدخل القومي يستخدم من حيث توزيعه الوظيفي فيما بين الاستهلاك والاستثمار ، بمعنى أن دخلا قوميا مقداره ١٠٠ وحدة يوزع مثلا على الاستهلاك بمقدار ٨٥ وحدة ، ويأخذ الاستثمار ١٥ وحدة . أما الآن فان ادخال محور الديون الخارجية في الصورة ، يجعلنا نضيف استخداما ثالثا للدخل ، وهو الوفاء بأعباء خدمة الديون . وبحكم المنطق ، نعلم أن زيادة نصيب أحد هذه الاستخدامات الثلاثة ، لا بد أن يكون على حساب النصيبين الآخرين . ومن هنا نقول ، ان زيادة مدفوعات خدمة الدين ، انما تتم على حساب امكانيات زيادة الاستهلاك ، أو زيادة الاستثمار ، وفي

ضوء ذلك يمكننا أن نرصد - بشكل سريع - أهم الآثار التي نجمت عن كارثة الديون الخارجية .

* ان قدرة هذه الدول على تمويل وارداتها ذاتيا - أي من حصيلة صادراتها - قد أخذت في التدهور على نحو سريع . حيث أصبحت أعباء خدمة الدين (الاقساط والفوائد) تفترس نسبة هامة من حصيلة صادرات السلع والخدمات . وقد ارتفع معدل خدمة الدين - أي نسبة ما تمتصه مدفوعات الأقساط والفوائد من حصيلة الصادرات - من ١٢٪ في عام ١٩٧٣ الى ٢٣٪ في عام ١٩٨٣ ، بالنسبة لكل الدول المتخلفة المدينة . وهناك بعض الدول المدينة التي أصبحت فيها كل حصيلة صادراتها لا تكفي لدفع أعباء الاقساط والفوائد . وتلك هي حالة البرازيل والمكسيك والأرجنتين وفنزويلا و « اسرائيل » .

* ان إضعاف القدرة الذاتية على الاستيراد ، قد دفع بعدد من الدول المدينة إلى استنزاف الجزء الأكبر من احتياطياتها من الذهب والعملات الأجنبية . وقد عرضها ذلك لأخطار وخيمة ، على اعتبار أن تلك الاحتياطيات بمثابة صمام أمن ينبغي المحافظة عليه ، للجوء اليه في أحوال الطوارئ .

* مع استعمال أزمات النقد الأجنبي المصاحبة عادة لتفاقم مشكلة الديون ، لجأ عدد من الدول المدينة الى الضغط على وارداته لكي يواجه مشاكل السيولة الخارجية . وهذه الدول وجدت نفسها منزلقة في طريق انكماشي خطير ، أهم معالمه هي : تدهور مستوى المعيشة ، وارتفاع معدل التضخم بالداخل ، وتعطل الطاقات الانتاجية ، وزيادة البطالة وانهيار معدلات النمو الاقتصادي .

* إن عددا من هذه الدول بدأ يتعثر في سداد ديونه في مواعيدها المستحقة ، ومن هنا اهتزت الثقة الدولية فيها داخل أسواق الاقتراض الدولي ، ولهذا بدأ الدائنون يتشددون في شروط الاقراض الجديد ، وفي رفع أسعار الفائدة ، المطالبة بضمانات متنوعة .

الدائرة الخبيثة

ومع استمرار تفاقم عجز الحساب الجاري ، ومع تزايد صعوبات الاقتراض الجديد ، بدأ عدد من الدول المدينة يلجأ الى الدائنين لطلب اعادة جدولة الديون ، وتأجيل السداد ، وبذلك تعرضت هذه الدول لضغوط صندوق النقد الدولي ، الذي عادة ما يتضامن مع الدائنين ، ويطلب من الدول المدينة التي تلجأ اليه للاقتراض منه خارج حدود التسهيلات غير المشروطة ، ضرورة وضع وتنفيذ برنامج صارم للاستقرار الاقتصادي . وهو برنامج تعسفي ، ترغم الدول على قبوله ، وتتعهد فيه باجراء تعديلات جوهرية في سياساتها وتوجيهاتها الاقتصادية والاجتماعية . ويعتبر عقد مثل هذا البرنامج مع الصندوق ، أحد الشروط الأساسية التي يطلبها الدائنون . قبل أن يوافقوا على عملية اعادة الجدولة .

ومع الاذعان لمطالب الدائنين وصندوق النقد الدولي ، تعرضت الدول المدينة ذات المديونية الثقيلة لاضطرابات داخلية مختلفة ، بسبب محاولات الحكومات القاء تكاليف مواجهة هذا المأزق على عاتق الفئات الاجتماعية ذات الدخل المحدود والمنخفض (رفع الأسعار ، الغاء الدعم ، زيادة الضرائب ، تقليل الاعانات الاجتماعية ، تخفيض التوظف الحكومي ، الى آخره) . . ولهذا ليس من قبيل الصدفة أن يكون الاصرار على تنفيذ هذه السياسات مرتبطا أيما ارتباط بتزايد معاداة الحريات ، وصدور القوانين الاستثنائية ، وتزايد القمع والاضطهاد في هذه الدول .

وأخيرا وليس آخرا ، ثمة أثر هام نجم عن تفاقم مشكلة الديون الخارجية ، ولم يحظ باهتمام

كبير ، وأعني بذلك ، هو أن نمو أعباء خدمة هذه الديون قد تحول بأن أصبح أحد الأسباب الجوهرية في استمرار اتساع العجز بموازين مدفوعات هذه الدول ، من خلال تزايد مدفوعات الفوائد (في الحساب الجاري لميزان المدفوعات) وتزايد أعباء الأقساط (في ميزان العمليات الرأسمالية) وبذلك انفتحت حلقة تراكمية وخبيثة أمام هذه الدول . ذلك أن عجز موازين المدفوعات أصبح يتطلب باستمرار الاقتراض ، كما أن الاقتراض المتزايد - من خلال نمو أعباء خدمته - أصبح يزيد من العجز ، وهكذا دواليك .

أما على صعيد جبهة الدائنين ، فقد بدأ القلق يساورهم بشأن مدى قدرة الدول النامية على الوفاء بأعباء ديونها الخارجية ، وبخاصة بعد أن تعثر عدد كبير منها في تسديد ما عليه من فوائد وأقساط في مواعيدها المستحقة . وزاد من حدة القلق زيادة عدد الحالات التي تمت فيها عمليات اعادة جدولة ديون بعض البلاد المتخلفة . وطبقا للبيانات المتاحة فقد ارتفع عدد الحالات التي طلب فيها اعادة جدولة الديون من حالتين في عام ١٩٧٥ - وكانت المبالغ المعاد جدولتها تقدر بحوالي ٤٧٨ مليون دولار - الى ٢٢ حالة في عام ١٩٨٢ ، وكانت المبالغ المعاد جدولتها تقدر بحوالي ٤٠ مليار دولار . وليس هناك شك في أن زيادة عدد حالات الجدولة ، يمثل مؤشرا خطيرا لعدم قدرة الدول المدينة على الدفع .

الكارثة

وأستطيع الآن أن أزعم بأن خطر الافلاس الذي يدنو من بعض البلاد المتخلفة المدينة ، أصبح يمثل شبحا خطيرا يهدد النظام المصرفي في العالم الرأسمالي ، اذ يكفي أن يفلس أحد المصارف الكبرى الدائنة لهذه الدول ، من جراء توقف بعض المدينين الكبار عن السداد ، لكي تسري موجة ذعر خطيرة في كافة المصارف في مختلف أنحاء الاقتصاد الرأسمالي العالمي . ناهيك عن أن بعضا من المصارف قد تعرض بالفعل لتدهور واضح في معدلات الربح ، بسبب ما تورطت فيه من اعطاء ديون كبيرة لبلاد معسرة في السداد . هذا في الوقت الذي ما زال فيه النظام المصرفي العالمي يفتقر الى وجود مقرض أخير يمكن اللجوء اليه ، كملاذ أخير في مثل هذه الظروف الصعبة .

بناء عليه نستطيع الآن أن نصور ، سيناريو الواقع الراهن لأزمة الديون الخارجية في مشهدين رئيسيين :

- المشهد الأول خاص بالبلدان المتخلفة المدينة ، التي أصبحت تتقاعس عن الوفاء بدفع أعباء ديونها الخارجية ، وتواجه من ثم ، أزمات حادة في السيولة الدولية ، نتيجة عجزها عن المواءمة بين دفع الأقساط والفوائد ، وبين تمويل وارداتها الضرورية . وهو وضع حرج ، نرى ملامحه من خلال تعثر عملية التنمية فيها ، وتزايد مشاكل البطالة والغلاء ، ونقص السلع ، وعدم اشباع الحاجات الأساسية للناس .

- والمشهد الثاني خاص بالدائنين ، وعلى وجه الدقة خاص بالبنوك التجارية الدولية النشاط ، التي أصبحت تواجه خطر عدم التمكن المتزايد للمدينين من الوفاء بديونهم ، وهذا الخطر الذي ينمو عاما بعد عام سوف ينفجر في شكل انهيار عام لنظام الائتمان الدولي والمدفوعات الدولية . وربما يشهد العالم انهيارا مماثلا للانهيار الذي حدث في أزمة الكساد الكبير (١٩١٩ - ١٩٣٣) حينما دب الذعر في بورصة الأوراق المالية بنيويورك ، وأعقب ذلك حركة افلاس واسعة المدى للبنوك والأسواق المالية في أمريكا وأوروبا والبلاد التابعة . ويصبح العالم بذلك أمام وضع قابل للانفجار ، من جراء تفاقم كارثة الديون . □□

الإداره .. مقياس تقدم

بقلم : محمود المراغي

نحن بحاجة دائمة الى مقياس جديد للتقدم والتخلف ، فالجديد ـ بعد فترة ـ يصبح قديماً ، والقديم ـ بدوره ـ يصبح تخلفاً ويدخل متحف التاريخ ، أو يصبح تراثاً ينبغي الحفاظ عليه .

النظرة تختلف ، والمقاييس لا يمكن الا أن تكون نسبية .

وعندما قال أحدهم كلمة (الحاجة أم الاختراع) كان يعبر في الواقع عن أحدمؤشرات تقدم الانسان نحو الوفاء بحاجياته عبر إبتكار أو اختراع أو فكرة جديدة .

ويقولون انه عندما وجدالانسان إحتياجاً لأن يصنع مما يكتبه نُسخاً ، اخترع الأختام واخترع النقش على الخشب ، الذي تحول بدوره الى آلة بدائية لنقل الحروف والكلمات .. ثم .. اخترع المطبعة التي شهدت تطورات هائلة عبر القرون الستة الأخيرة .

أيضاً ، وكما يقولون في أمريكا ، أنه عندما أحس صبي يدعى تشيستر جريتوود بأن لون أذنيه قد تحول الى اللون الأزرق بفعل البرد ، وأحس بالمهانة من تهكم أصدقائه اخترع جهازاً للتدفئة .. و .. على النقيض عندما شاهد آخر سكان الأسكيمو يحفظون طعامهم عن طريق تجليده .. اخترع الثلاجة .

وهكذا كان الاختراع دائماً أحد مؤشرات التقدم .

في أمريكا تقول الأرقام التي أذاعها مفوض براءات الاختراع والعلامات التجارية والتي تناقلتها وكالات الأنباء أن الولايات المتحدة الأمريكية تشهد عشرة آلاف اختراع كل عام .. وانه خلال عام ١٩٨٣ حصل (٥٩٧١٥) شخصاً على براءات لاختراعات جديدة ، وكان عدد الذين طلبوا براءة اختراع يفوق المائة ألف .

ولكن ، وعن نفس العام وهو ١٩٨٣ يأتي تقرير من البنك الدولي بعنوان « التنمية في العالم » ، ويقدم نتائج بحث هام .

البحث حول الطرق في البلاد النامية ، وأهم نتائجه ان التقدم الذي حدث في بناء شبكات للطرق في هذه البلدان خلال الستينيات والسبعينيات قد أصبح مهدداً بأزمة صيانة تشهدها الثمانينيات ويقول : ان الصيانة بعد إهمال طويل قد أصبحت أكثر تكلفة وأن خسائر السيارات ووسائل النقل من الطرق الفاسدة أكثر من تكاليف صيانة هذه الطرق عدة مرات .

هذه هي النتيجة العامة للدراسة التي قام بها البنك الدولي ، لكن الأكثر دلالة ما يشير اليه نفس التقرير حول بحث آخر محوره : معدل استخدام هذه البلدان للآلات التي تملكها وأثر ذلك على صيانة الطرق . العينة ـ التي دار حولها البحث ـ (١٧) بلداً نامياً ، والنتيجة ان معظم هذه البلدان (عشرة من سبعة عشر) يهبط فيها معدل استخدام ما تملكه من الات الى أقل من ٣٥٪ من طاقتها الانتاجية ، ويصل المعدل الى ٥٠٪ في ثلاث دول ولا يصل الى ٧٥٪

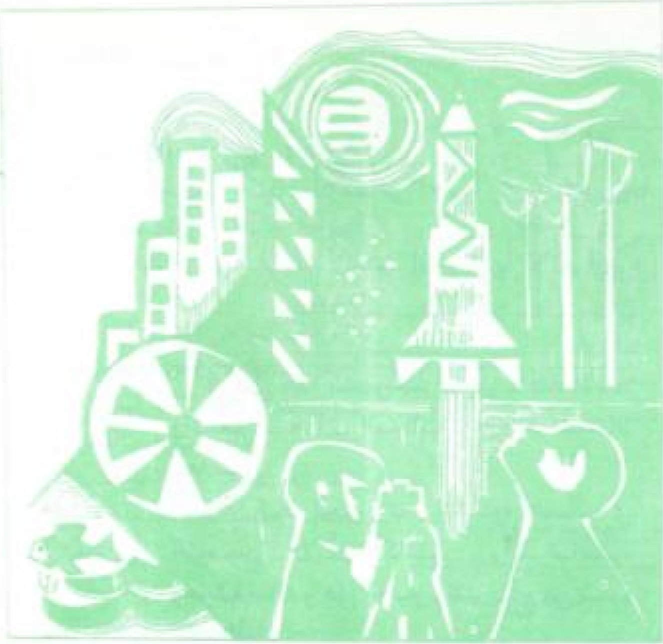

سوى دولة واحدة هي مالاوي .

الأرقام هنا تبرز حقيقة هامة هي طبيعة العلاقة بين انسان العالم الثالث .. والآلة ، وبينما يتبارى انسان العالم الأول في تقديم جديد على شكل اختراع - كما تشير الأرقام الأمريكية - ، وبينما يتدفق انتاج هذا العالم المتقدم من الآلات التي احتلت بدورها جزءاً كبيراً من تجارته الخارجية .. فإنه على النقيض من ذلك يقف إنسان العالم الثالث من الآلة موقف العجز . ليس عن اختراعها أو انتاجها ... وإنما عن مجرد استخدامها .

قد نفسر ذلك على أنه الفارق بين البيئة الصناعية والبيئة الزراعية أو الصحراوية . وقد نفسره بأنه فرق بين عقليتين ونمطين في التفكير وفي الحياة . وقد نقول : ان قصة الطرق المهملة وما يكلف أكثر ، وقصة الآلات بما تعنيه من إساءة استخدام الموارد المتاحة .. قد نقول ان كلا الأمرين مشكلة إدارة . فليست كل مشاكلنا .. نقصاً في الموارد ، ولكن جزءاً كبيراً منها عجز وسوء إدارة هذه الموارد .

في مصر - على سبيل المثال - يعكف الخبراء على دراسة مشكلة الوقت الضائع والتكلفة الأكثر في تشغيل السيارات بسبب ازدحام الطرق وعدم ملاءمتها لحجم الحركة . في السودان - كمثال آخر - تلعب مشكلة الطرق دوراً حاسماً في التقدم والتنمية الاقتصادية،وبينما ترتفع أسعار اللحوم والأخشاب في العالم تلقى في مناطق بالسودان الى سلة المهملات بسبب عدم وجود طريق ووسيلة نقل مناسبة .

ويأتي مثال ثالث من دراسة أخرى للبنك الدولي تقول ان الدول النامية قد أنفقت (١٥) مليار دولار بين عامي ١٩٦٠ و ١٩٨٠ في مد واصلاح شبكات الري ، لكن عوائد ذلك كانت أقل بكثير مما تم إنفاقه ، والسبب هو انخفاض كفاءة نظم الري وارتفاع الفاقد من المياه .. و .. قد وجد ذلك حله في العديد من البلدان بحل بسيط هو (تبطين) القنوات بالأسمنت بما يمنع تسرب المياه .

الادارة اذن قضية أساسية في العالم الثالث .. وعندما نشأ علم الادارة الحديثة في أوروبا كان أحد مداخله دراسة (الوقت والحركة) وكان ذلك من وحي المجتمع الصناعي الذي بدأت تغزوه الآلة وبدأ التفكير فيه لدى العلماء ؟ : كيف تصبح الآلة أكثر كفاءة وكيف تنتظم العلاقة بين الانسان والآلة .. ليعطي أكثر .

كان ذلك هو المدخل في أوروبا ، لكن أزمة الموارد التي يعيشها العالم الثالث تجعلنا نبحث عن نفس الشيء ، وندرك أن القضية ليست باستمرار نقصاً في الموارد وانما نقص في الوسائل المناسبة لادارة هذه الموارد .

وقبل ذلك علينا أن ندرك أن مقياساً جديداً للتقدم والتخلف ينبغي اعتماده وهو : كفاءة الادارة . وعندما نتحدث عن الادارة ندرك أنها الادارة بكل أنواعها وفي مقدمتها ادارة الموارد المتاحة ، سواء كانت هذه الموارد بشرية أو مالية أو طبيعية .. وسواء كانت آلات مملوكة أو أفكاراً للتقدم مطروحة ، هذه هي ثروتنا .. فهل نحسن ادارتها ؟ □□

المرحوم خالد العدساني

شاعر العدسانيات

بقلم : عبد الله زكريا الانصاري

□ في مثل هذا الشهر منذ عامين ، فقد الأدب والشعر - بجانب السياسة - خالد سليمان العدساني . .

وإذا كان الكثيرون لم يتتبعوا أعماله في الشعر . . الا أن الكاتب . . وقد عاصره وعايشه - أقدر على اختيار ونقد نماذج من شعره الجيد القليل .

إنه خالد سليمان العدساني الذي شغلته السياسة ، وانحرفت به التجارة عن الأدب والشعر ، لهذا جاء شعره ضعيفاً يعتمد على عكازين ، ومع ذلك فقد أخذ هذا الشعر في التجول في بعض المجالات ، وكان القدح المعلّى للغزل ، الذي يحبه ويحب التجول فيه ، والسبب أن رياض الغزل ملأى بالزهور المتفتحة ، والورود الموردة ، والطيور المغردة ، والغزل منزلته في الشعر منزلة الربيع من الزمان ، والربيع تكثر فيه الطيور القادمة من كل مكان . وليس معنى ذلك أن شاعر العدسانيات لا يتغنى بالغزل إلا في فصل الربيع لا نقول ذلك أبداً ولا نعنيه ، ذلك أن الفصول الأخرى لها طيورها التي يتغنى بها هنا أو هناك ، فإذا صوحت رياض الغزل في الكويت ، وماتت زهورها ، وذبلت ورودها ، راح يبحث عن رياض أخرى خارج الكويت في لبنان مثلاً ، أو في القاهرة ، أو في سورية ، أو في غيرها من بلاد الله الواسعة العريضة ، حيث الرياض ، وحيث طيور الرياض بين أزهارها وورودها .

في القاهرة مثلاً قال قصيدة أثبتها في عدسانياته ، وجعلها في طليعة قصائده بعنوان (تكلمت عيناك) ، والعينات تتكلمان تماما مثلما تعشق الأذن ، فلا الأذن تبصر ولا العين تتكلم ، إذن كيف تكلمت العينان ، وكيف عشقت الأذنان ؟ فبشار سمعت أذناه وعشقتا ، وخالد العدساني أنطق عيني فتاته ، فماذا قالت أذن بشار ، وماذا قالت عينا فتاة صاحبنا العدساني ؟ يقول بشار ، وهو شاعر أعمى تركز بصره في أذنه :-

يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة
والأذن تعشق قبل العين أحيـ
قالوا بمن لا ترى تهذي فقلت لهم
الأذن كالعين توفي القلب ما كانا

والأذن إذا سمعت أبصرت ونطقت وأعطت القلب ما كانت تعطيه العين .

ويقول خالد العدساني وهو شاعر حديد السمع والبصر لكن عيني فتاته هما اللتان تتحدثان ، لكنهما تتحدثان على لسانه وبلغته الشعرية :-

تكلمت عيناك في ومضة
تاه لها القلب ولم يهتد
تقول أسرار الهوى جمعت
وتنتهي حولي كما تبتدي

وهل سمعت قول ذلك الشاعر العربي الذي تحدث عن أحاديث العيون ؟ إنه لم يتحدث عن أحاديثها فحسب ، وانما قال أن العيون تتفاوض وتتحدث وتبث شجوها وشثوها وان كانت الأفواه صامتة لا تنبس ببنت شفة ؟ إن كنت لم تسمع ولم تقرأ ما قال ، فاسمع واصغ قبل أن تسمع ، واقرأ ما قال :-

إن العيون على القلوب شواهد
فبغيضها لك بين وحبيبها
واذا تلاحظت العيون تفاوضت
وتحدثت عما تجن قلوبها
ينطقن والأفواه صامتة فما
يخفي عليك بريشها ومريبها

ليس كل شعر شعرا

أنت تقرأ الشعر فتعجب للشعراء ، تشيد بذكر بعضهم ، وتهزأ بشعر بعضهم ، وتطرب لشعر هذا ، وتمج شعر ذاك . إنه كله شعر ، وهذا هو المؤسي والمؤلم ، أعني أن المؤسي والمؤلم أن يسمى كل شعر شعراً ، وكان لا بد أن يكون للشعر المجوج اسم آخر غير اسم الشعر ، حتى لا يختلط العسل الصافي بالعسل المخلوط ، وشتان بين العسل والشعر ، فالعسل يغش ويخلط ولا تحس به ، بينما الشعر يغش ويخلط فتشعر فيه بالغش ويتبين لك الخلط والخبط .

الذين يتذوقون الشعر ، ويقدرون قيمته يدركون من أول مذاق مدى العبث ومدى الخلط والخبط ، ومدى الغش بالشعر ، ونرفع الشعر من أن ينزل إلى حضيض العسل حتى ولو كان عسلا صافيا مصفى .

نعم نقرأ الشعر المصفى فنطرب له ، ونتغنى به ، ونرقص على نغماته ، وتصفق له قلوبنا وأرواحنا وأفئدتنا من سويدائها ، ونقرأ الشعر المتكلف فتمجه أذواقنا ، وتثقل كلماته بألسنتنا فنطرحه جانباً . . . ونكرهه ونزدريه ، ونظل نردد الشعر المصفى قائمين وقاعدين وعلى جنوبنا .

وهناك كثير من الكلام يقال ويقال حول هذا الشعر الساقط ، وكثير من الكلام يقال ويقال حول الشعر المصفى الرفيع . . وهذا الشعر يتنزل من السماء وينبع من القلب والوجدان ، وذاك ينحت نحتاً من الكلمات الجامدة جمود الصخر يتصبب ناحت هذا عرقاً من الجهد المبذول ، ويلهث تعباً من النحت ومن رفع المعول والهوي به على الصخر الأصم من الكلمات ، وتنفرج اسارير ذاك الذي تنزل عليه الشعر من عليائه ، وراح يمليه ويكتبه من كل جوارحه ، بدون تكلف وبدون تشنج ولا زحار ، وبدون عناء ، بل بكل سهولة وبكل يسر ولين .

شعراء ونقاد

إذن فلندع الحديث عن الشعر لحي والشعر الميت لمناسبة أخرى لا بد منها ، بعد أن طال العناء ، وتمادت صحفنا في نشر الهذيان من الشعر ، وتمادى مدعو النقد بالاساءة إلى النقد ، وظن هؤلاء أنهم نقاد ، وظن أولئك أنهم شعراء ، وليسوا من الشعر في شيء ، وليس أولئك من النقد في شيء .

لندع الحديث عنهم ولنعد إلى شاعرنا العدساني في عدسانياته ، ونستعرض نماذج من شعره الذي يعبث به أحياناً في الغزل كما قلنا ، والغزل لا يقال إلا في الجمال ، والغزل لا يقوله الشاعر إلا في من تهواه نفسه ويراه جميلًا ، حتى ولو رآه سواه غير ذلك ، وحينما قال شاعرنا قصيدته في القاهرة ، لا بد وأن تكون وراء هذه

القصيدة جميلة رآها بعينيه ، وربما شاركت عينيه أذناه ومن ثم قلبه ، أعني لا بد أن تكون قصيدته هذه تنطق عن واقع ، وتعبر عن حقيقة ، وترسم لوحة لها وجود في نفسه ، وإلا لما قال :-

وكدت من فرط افتتاني بها
والوجد يغريني إلى أبعد
أقول : ما حظ امرىء واله
في جلسة منك ، ولو في غد
جلسة ود عابر ، علها
تسعده حينا ، وكي تسعدي

ولنقف عند هذا البيت :-

جلسة ود عابر ، علها
تسعده حيناً ، وكي تسعدي

ماذا يعني ، « وكي تسعدي » ؟ هل هو حشو لاكمال البيت ؟ أم شيء آخر ؟ وما هو هذا الشيء ؟ ومن يقول أن الجلسة ، أو جلسة الود التي يدعو إليها تسعدها ؟ قد تسعده هو ، بل إنها تسعده بلا جدال ، لكن من يقول أنها تسعدها أيضا مثلما تسعده ؟ أم أن هناك إغراء وراءها ؟ وما هو هذا الاغراء ؟ هل هو إغراء مادي أو اغراء أدبي ؟ أم أنها شباك الشاعر التي كثيرا ما يغوي بها صيده ؟ إن صح أنه صيد !!

على كل حال ، فإن هذه القصيدة من قصائد الشاعر الجميلة ، ولهذا رأينا أن نفسح لها المجال في هذا المقال .

ويمضي شاعرنا ، شاعر العدسانيات ، فيقول :-

وفسرت عيناي ما كدته
وخلت عينيها جلت مقصدي
فشعت البسمة في وجهها
وابتسمت عيني لها تقتدي

بين الشاعر والرسام

هل الشاعر يتلاعب بالألفاظ ؟ وهل يجوز للشاعر مالا يجوز لغيره ؟ وما مدى هذا الجواز ؟ إذن ما هي مهمة العين ، هل لها مهمة غير النظر ؟ هنا نرى الشاعر يعطي العين مهمات أخرى كثيرة ، غير مهمة النظر ، أم أنه يفسر النظر بمعان أخرى يدركها هو وحده ؟ أم أن الادارك يتعداه إلى الذين ينفذون إلى لب الموضوع في مختلف الأشياء ؟ وهل أنت بعيد عن الرسامين التشكيليين ، وتلوينهم بعض اللوحات بألوان غير الألوان التي يحسبها الآخرون ألوانا طبيعية ؟ فهناك ألوان قد يراها البعض سوداء ويراها هؤلاء التشكيليون غير ذلك ، وقد يرى التشكيليون الألوان الحمراء خضراء مثلا ، ولا يراها غيرهم كذلك ، وهكذا .

الشاعر هنا طوع عيني فتاته يخاطبها في مصر ، وجعلها تفسران قصده ، وتفهمان مرماه ، وتجلوان ما يدور بخلده ، وطوع عينيه هو نفسه أيضا ، وجعلها تبتسمان بعد أن جعل وجهها هي يشع بسمة ، أو جعل البسمة تشع في وجهها ، فراحت عيناه تقتديان بها بابتسامتها .

بين الوهم والحقيقة

قد يقول قائل إنها أوهام تعتري الشاعر ، وما هي بأوهام ، إن هي إلا حقائق الشاعر ، فما تراه وهما يراه الشاعر حقيقة ، وما تراه حقيقة يراه الشاعر وهماً ، وهكذا ، وقد يتسائل ، لماذا ؟ نقول لأن الحال الذي عليه الشاعر في حينه غير الحال الذي عليه الآخرون ، حتى ولو كانوا في حينهم أو غير حينهم أيضا ، والشعراء ليسوا على حال سواء حتى ولو كانوا في حينهم الشعري أو نشوتهم الشعرية ، إنهم أشبه بالمتصوفين في تصوفهم أو في نشوتهم الروحية الصوفية ، وهم درجات بعضها فوق بعض ، فما يصل إليه هذا قد لا يصل إليه ذاك ، وكذلك الشعراء فالمدى

الذي يصل إليه بعضهم قد لا يصل اليه البعض الآخر .

وهكذا يجرنا الحديث عن الشعر ، ويخرجنا عن الموضوع الذي نحن بصدده ، ونحن في هذا المقام تعالج الشعر مع المرحوم خالد العدساني الذي ألهته التجارة وشغلته السياسة ، فهذه أخذت منه الشعر ، وتلك أخذت منه الأدب ، أو أنها استلبتا منه الأدب بتاجه المرصع بالدر والجوهر ، أعني الشعر ، ومن ذا الذي يشك أو لا يصدق بأن الشعر إنما هو تاج الأدب الذي يزهو به ويختال ، ويسمو به ويرتفع ؟ وان وجد نفر من هؤلاء فليسوا من الأدب في شيء ، ولا يبصرون الشعر بعلوه وارتفاعه عن أبصارهم وبصائرهم .

ثم يمضي شاعر العدسانيات المرحوم خالد سليمان العدساني فيقول مستطعما حوار العيون والقلوب ، متلذذا بالحديث عنها مستعيدا نفسه أو أنفاسه بعد تجاوب فتاته معه ، الذي لحظه في وجهها وفي عينيها ، بل وعلى ملامحها كلها :-

الله . ما أحلى لقاء بها
وأمتع الجلسة في مقعد
ومن لمى في مبسم زاهر
يفيض بالدر وبالعسجد
قطرٌ في روحي أطايبه
فزاد من شوق إلى مورد
فتنة حسن غامر زانها
من جودة الفكر بعطر ندى

هذا هو نفسه الذي يأخذه بعد الجلسة والحوار ، فيصور لك اللقاء الجميل ، والجلسة الممتعة ، ويروح يتخيل لماها في مبسمها ويراه زاهرا يشع بالنور ، ويفيض بالدر ، ويمتلىء بالعسجد ، هذه هي رؤيته ، ولو رأيتها أنت فقد لا ترى هذا الذي يراه هو ، لأن رؤيتك أنت بالنظر ، ورؤيته هو بالنظر وبالجوارح والوجدان ، والدليل على ذلك قوله :-

قطر في روحي أطايبه . . . . فهل قطر في روحك أنت أطايبه ؟ طبعا لا ، إذن فقد زاده شوقا إلى شوق إلى الورود والنهل من الأطاييب الزاخرة في المبسم الزاهر ، أليس كذلك ؟ نعم هو كذلك . وخرجت نفثة معبرة من شاعرنا أو همهمة لها معنى في قلبه :-

فتنة حسن غامر زانها
من جودة الفكر بعطر ندى

هل هو الهذيان ؟

بعد هذه النفثة الحارة التي لها معنى في قلبه ، راح يهذي بهذه الأبيات التي يكمل بها قصيدته ، فهل هو هذيان حقا ؟ فإن كان غير معقول بالنسبة لك ، فهو معقول بالنسبة للشاعر ، وهو هذيان من نفس شاعرة في وقت غيبوبة الشاعر عن عالمه الذي يبتعد به عن وحي الشعر أو إلهامه ، وهذا الذي تراه هذيانا يراه الشاعر ويراه الذين يفهمون روح الشعر ، صفاء الذهن وانطلاق الروح من عقال اللهو والهذيان ، كما تصورهما معاجم اللغة بعيدا عن منطق مفهوم الشاعر ومفهوم معنى الحياة عنده .

فيقول ويهذي بالقول :-

تموج الليل على شعرها
وأسفر الصبح على نضد
وفتح الرمان عن برعم
تخاله بكر في الموعد
يهيج في الصدر على نشوة
تراه قد ثار على مرقد
فخلت نفسي والهوى ماكر
أخو بلا رشد ولا مرشد
وغبت في دوامتي هائما
ياليتني تهت ، ولم أهتد

تلك صور شعرية في قصيدته هذه التي جاءت في مطلع عدسانياته ، وهي من قصائده الغزلية الجميلة ، ولعلها أجملها ، وهو شاعر مثل قلنا أن شعره ضعيف ، ولكن مع ذلك فله بعض الأبيات والقصائد الجميلة ، وهذا نموذج من شعره القوى الجيد القليل . □□

ممثل وحيد !

بقلم : أبو المعاطي أبو النجا

كان يبدو وكأنه روح المجلس ، منه يبدأ الحديث ، ومن خلال تعليقاته الساخرة تتغير دفة الحديث من موضوع لآخر ، وعن كل موضوع لا تخلو جعبته من حكاية أو طرفة أو واقعة يجيد روايتها بصوته القوى الواثق المعبر ، وعادة ما يندمج في الحكاية ، فيتلون صوته ويتنوع إيقاعه بما يجد الشخصية أو الموقف ، وتشارك اليدان والرجلان والعينان ، وربما الجسد كله في التعبير ، وينشأ لديه شعور خفي مستبد بأنه المسئول الأوحد عن إحياء الحفل ، ونجمه الوحيد ، وبقصد أو بلا قصد يقطع على الحضور أية محاولة للمشاركة أو التسلل . . . وينشأ لدى الحضور نوع من التبلد الناجم عن الرغبة في الاعتماد والتسلية المجانية ، وربما شعور خفي بالعجز عن مجاراة تلك الطاقة المتفجرة والمتدفقة . وخلال الجلسة يتنامى شعوره بالتفوق والتفرد ، في مقابل شعور الآخرين بالخوف من الفشل في اقتحام تلك المباراة غير المعلنة ، فكلماته وحدها أصبحت لها القدرة على تفجير الضحكات ، وقبل أن ينطق بها ، وكلماتهم تتحول إلى نوع من حديث النفس يجربون أثرها في أذهانهم قبل النطق بها ، فتبدو باهتة وعاجزة عن مسايرة ذلك التيار الدافق أو اللحاق به .

وشيئا فشيئا تموت روح الحوار . . . والمشاركة ، ويتحول « الصالون » إلى مسرح صغير ، يقف على خشبته ممثل وحيد متفرد ، في مواجهة جمهور مستسلم ووحيد كذلك . .

ممثل بلا نص ، ولا عقد ، ولا حتى مجرد اتفاق على شيء . . في البداية كانت تجتذبهم الرغبة في المشاركة ، ثم استدرجتهم روح الفرجة ، ثم ألفوا أنفسهم محاصرين في مقاعد المتفرجين ، دون أن يملك العرض المرتجل أدنى قدرة على تحريرهم من أنفسهم أو من مقاعدهم . . لقد تسللوا واحدا وراء الآخر ، من خلال عيونهم نصف المفتوحة ، وأفواههم نصف المطبقة ، وخلفوا في المجلس بعض الضحكات والتعليقات لتضليل الممثل الوحيد ، وحتى لا يعرف المكان الذي ذهبوا اليه . . !

وفجأة يجيء الصمت ، لا أحد يعرف متى يجيء ولا كيف ؟ يلتقي صمت الممثل بصمت النظارة ، ويبدو الأمر لمن بقي متابعا في المجلس وكأن بئرا عميقة انفتحت فجأة تحت أقدام الممثل الوحيد ، فهوى في أعماقها بلا صوت أو أثر . .

وبالنسبة للممثل يبدو الأمر وكأن الآخرين هم الذين اختفوا فجأة في أعماق البئر . . .

أصبح لا يراهم ولا يحس بوجودهم ، وعادة

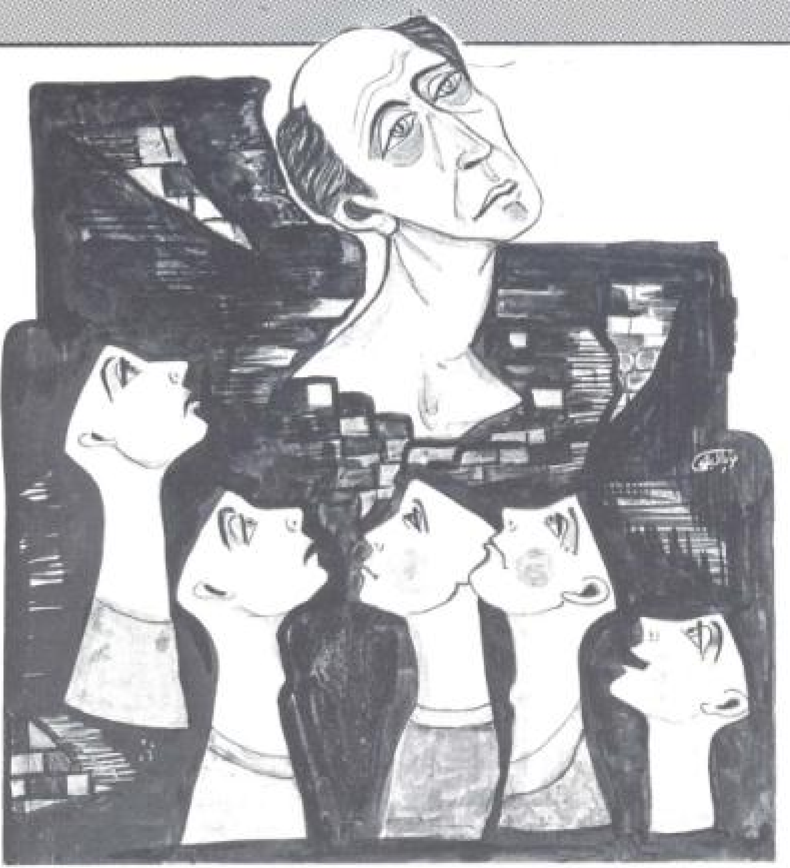

ما يسبقونه إلى إدراك الموقف ، فيحاولون ستره بكلمات متفرقة من هنا ومن هناك ، وضحكات كسول باهتة وكأنما أدركوا جزءا من مسئوليتهم فيما انتهت إليه الأمور ، وهو في ذهوله المفاجيء ، لا يرى ولا يسمع ولا يحس ، تنكسر النظرة في العينين ، وتنطبق الشفتان في تبلد كظيم ، وأحيانا تتراخى أسارير الوجه كله ، وتموت الحركة ، وتتسرب الطاقة المادرة في شقوق مجهولة ، يبدو بعضها في تلك التجاعيد التي تظهر فجأة في صفحة الوجه الراكد الخامد .

كأن ستارا من الكآبة هبط فجأة فغطى على ذلك العرض الصاخب ، فبعض الحضور قد يتصور أن هذه الكآبة المفاجئة ، ربما كانت مجرد استراحة بين الفصول ، وأن الممثل سيعود الى تقديم فقرة جديدة من العرض ، وهكذا يظل مستسلما لحالة التبلد التي كان فيها في انتظار أن يرتفع الستار . .

وهؤلاء قد يطول انتظارهم ، أما الاخرون فإن عيونهم تتبادل في صمت هذا السؤال :

ـ هل تكون حالة الكآبة هي الستارة التي نزلت فجأة لسبب مجهول فغطت على العرض ؟

أم أن هذه الكآبة هي العرض الأصلي الدائم في حياة هذه الشخصية . . ولم يكن ما يقدمه منذ لحظات سوى مجرد ستار . . □□

حكايات

بشر الحافي

بقلم : الدكتور أديب نايف ذياب

□ حكايات الصوفي بشر الحافي . . لم تقع في أيامه قبل ألف ومائتي عام . . انما هي تخيل لحكاياته لو عاش في هذا العصر . . وتنقل هنا وهناك في وطننا العربي .

عمارة الدنيا

في العاصمة « لام » ، نزل بشر الحافي في فندق « العمارة » ، وهو نزل صغير يشغل الطابق الثالث من بناية قديمة في سوق الخضار . يرتاد الفندق العمال والمتعطلون وباعة أوراق اليانصيب وتجار الملابس المستعملة وزوار المدينة من صغار المزارعين . مكث فيه بشر ليلة وخرج منه مطرودا قبل شروق الشمس . وهو فندق شعبي تحتوي الغرفة الواحدة فيه على ثلاثة أسرة فأكثر . وكان نصيب بشر غرفة شرقية شاركه فيها أربعة أشخاص . وحين تعشى معهم عرف أن ثلاثة منهم يشتغلون ببيع الملابس الرخيصة ، بينما الرابع قصار يبحث عن عمل ويقطع الوقت بلعب الورق مع خادم الفندق .

مع أذان الصبح نهض بشر كعادته فتوضأ وصلى ، ثم جلس في الصالة الصغيرة وأخذ يرتل آيات يحفظها من القرآن . من ذلك الركن المعتم في المدينة طاف صوت بشر الحافي مع نسائم الصباح المفعمة بالطراوة يداعب هجعة النوم المستحوذة على الناس والبنايات والشوارع والأرصفة . قرأ : « له ما في السموات وما في الأرض وهو العلي العظيم . تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض ، ألا إن الله هو الغفور الرحيم» وقرأ : « يا ايها الانسان إنك كادح الى ربك كدحا فملاقية » . . .

ارتفع صوت أحد النزلاء : « اخفض صوتك » ، فخفض بشر من نبرة صوته لكنه لم يتوقف عن الترتيل . وبعد لحظات أخذ آخرون يتململون في فراشهم ، وتعالت أصوات أخرى تطلب من بشر السكوت . لم يقطع بشر تلاوته ولم يلتفت الى احتجاجاتهم . وقف خمسة أشخاص على أبواب غرفهم المؤدية الى الصالة

يرقبون الموقف بتذمر وامتعاض . قال احدهم : « ليس لنا الا هذه الساعات القليلة نستريح فيها من التعب » . وقال آخر : « حياتنا كد وشقاء وهما جوهر العبادة » . واستيقظ رجل في الغرفة الغربية ليسهم في الاحتجاج وقال : « الرجل حر فيما يفعله لكن ليس له أن يزعج النائمين » .

وتجرأ آخر كان قد أنهى تدخين سيكارة على الريق : « ما نجح أحد بالتقوى والعبادة ياشيخ ، وإنما فاز في الدنيا أهل الشطارة والحيلة » . ثم التفت إلى زميل له مستيقظ ، لابد تحت أغطية السرير المجاور وقال : « صاحبنا شحاذ نشيط يشتغل » « أفرتايم » ! لكن خادم الفندق الذي كان مستيقظا منذ الفجر دافع عن بشر وقال « الرجل يذكرنا بطريق النجاة وربما دخلت كلمات الله في ضمير الانسان فكانت له عزاء أو تذكرة . فرد اثنان من الفريق الآخر : « إخرس وجهز لنا القهوة . لكن الخادم لم يفعل واستمر في دفاعه ، وأيده بعض زملاء الحافي في الغرفة . أما بشر نفسه فقد ظل يقرأ ، بهمهمة خافتة ، ضاعت في خضم هذا النقاش .

وتعالى الهرج بين النزلاء وتحول الى شجار وعراك استعملت فيه الأيدي والكراسي . ونالت خادم الفندق ضربة من أحدهم فجرح وسال الدم من جبهته . وفي النهاية وجد بشر نفسه مطرودا من الفندق ، فجلس على الرصيف المقابل ، ينتظر شروق الشمس .

وبينما هو كذلك جاء خادم الفندق معصوب الرأس وجلس الى جانبه . قال الخادم : « لو تدعو الله على هؤلاء السفلة حتى يزيد ما هم فيه

من شقاء » .

قال بشر : « الأفضل أن لا تحسن الاعتقاد بي أو بنفسك فتظن أننا مع الله ، بينما هؤلاء الناس بعيدون عنه . إنهم يقومون بعمارة الدنيا وتيسير حاجات الناس الأساسية . وقد دعوت لهم . دعوت الله أن يزيل من قلوبهم أحلام الثراء لأنها تشوه نفس الانسان ، وتختم على مسالك الروح . ودعوت الله أيضا أن يخفف لهم في أعباء أعمالهم حتى يجدوا وقتا للأغراض الأخرى في الحياة . » .

وأشرقت الشمس ، فدعا بشر للخادم ، ومضى في الشارع الذي بدأ يشهد بواكير الحركة في يوم جديد .

موت طفل

أقام بشر الحافي شهرين يعمل في تعبيد طريق ريفي ويسكن مع زملائه العمال في مخيم خاص قرب موقع العمل . وكان من عادة العمال السفر الى مدينة « صاد » القريبة مساء الخميس وصباح الجمعة للتسوق . وبشر يشاركهم أحيانا في هذا المشوار . في مساء خميس خريفي صلى في مسجد المدينة الغربي . وشاهد قبل الصلاة نعشا يوضع قرب المحراب . لم يسأل عن الميت أو عن أهله ، انما أدرك حين شارك في حمل النعش ورأى حجم القبر أن الميت طفل في حوالي العاشرة من عمره . تمت مراسم الدفن ، وانصرف المعزون . تلكأ أهل الميت قليلا لكنهم أيضا لحقوا بالآخرين . وبقي منهم رجل يتجاوز الخمسين من عمره جالسا الى جانب القبر الجديد .

تخلف بشر أيضا . بقي هناك يتأمل شواهد القبور المحيطة ، ويزيل الأغصان والأوراق الجافة عنها . أخذ يتجول في المقبرة ، ويتمتم بكلام خافت كأنما يحادث أرواح الأموات . اقترب من العجوز ، فرآه دامع العين ينكث التراب بعود من الحطب . جلس بشر الى جانبه صامتا . التفت اليه العجوز ، وسأله بألفة وكأنه يعرفه منذ زمن طويل : « هل تراني صابرا على هذا الامتحان ؟ » . جاءت ذبابة خضراء على القبر الصغير . ابتسم بشر : « الصبر يا أخي هو أن ترى وسط القوم حين وقوع المصيبة وكأنك واحد منهم ، فلا يعرفك غريب مثلي » .

توترت عضلات وجه الرجل وجاش صوته بحزن مهيب : « لكنه ولدي » .

قال بشر : « أراد له مولاه أن يستريح » .

« كان طفلا » .

- « أحب له أن يكون الى جواره » .

بكى الرجل : « رزقت به على كبر ، وفقدته الى الأبد » .

- « أكنت تملكه حتى تقول فقدته ؟ » .

- « رأيته يشب ويشارف مواقع الرجال فقلت ، يكون قرة عيني وسبب أنسي » .

- « يريدك أن تأنس به وحده » .

التفت الرجل الى بشر وقال كأنما يكشف له من خلال الدموع عن سر خاص « هذا الامتحان فوق طاقتي » .

قال بشر « ان الله امتحن الأنبياء بمثله » .

نهض بشر ونهض الرجل . مضيا صامتين بين القبور . وعند مدخل المقبرة ، مد بشر يده مودعا فاستبقاها الرجل وثنى عليها بضغطة من يده الثانية وقال : « لو تأتي معي الى بيت العزاء » .

قال بشر : « قلت شيئا يعزيك إذا ذكرته . والعزاء صعب ومر ، فاذا أذنت لي فاني ماض في سبيلي » . ترك بشر الرجل متجلدا باسما . لاحت غيوم داكنة في الغرب ، وهبت ريح رطبة .. أسرع الخطى على طريق الرجوع الى المخيم وحين طرق سمعه شيء مثل النواح في الأشجار المحاذية للطريق ، دمعت عيناه .

الرؤيا

يتذكر بشر الحافي حلما عجيبا وقع له في ليلة

من الليالي التي قضاها في دير للرهبان.حدث عن هذا الحلم في مناسبتين مختلفتين . الأولى حينما صادف حراثا يستريح إلى جانب حقل في قرية « طاء » الثانية : وكان الحراث آنذاك يحاول تشغيل مذياع قديم يحمله في يده ، عاجزاًعن نقل الأخبار بوضوح رغم إضافة بطاريتين جانبيتين ألصقتا بجانبه . والمناسبة الثانية كانت حين جلس بجانبه خوري شرقي وكان بشر آنذاك راكبا في باص ينقل أهل القرى من مدينة « دال » وإليها . بعد أن جلس الخوري عرض على بشر سيكارة ، فشكره بشر وقال « لا أدخن » ثم امتدت بينهما أسباب الحديث ونسيا خضخضة الباص . حدث بشر الحاقي ذلك الخوري ، فقال :

سكنت في دير للرهبان ، في جبل لبنان ، قرابة شهر ، وتوثقت بيني وبين أهله عرى الصداقة . وكان حصار بيروت قد انتهى بما هو معروف ، أما الأخبار الجديدة فكانت تدور حول مذبحة سكان المخيمات وتكشف خباياها . أخبرني عن المذبحة راهب يوناني ، غزير الدمعة دائم الفكرة ، يتكلم العربية الفصحى لكن بصعوبة . كان ذلك في الهزيع الأول من ليلة في أواخر آب . وأخذنا الحديث الفاجع فكدت أنسى القيام لصلاة العشاء . وبعد خروج الزائر صليت وأنا مشتت البال وكنت في غاية الاضطراب . أعدت قراءة الفاتحة عشر مرات في الركعة الأولى لأنني لا أتجاوزها إلا إذا كنت على وعي بمعانيها . أطلت في القنوت وسجدت مرتين للسهو . استولى علي وهن قاهر في السجدة الثانية فمكثت عليها . غلبني الوجد وأنا ساجد فبكيت . ثم اضطجعت اطلب الراحة والنوم . وكنت بين النوم واليقظة ، وفي القلب وجيب مسموع وثمة ضيق في التنفس . . ثم إني رأيت طائرا أخضر ينزل من عقد تلك الغرفة القديمة ، ينزل ويأخذ يدي بمنقاره . أحسست وكأنني فقدت جسمي أو أن الجاذبية الأرضية تلاشت . طرت مع الطائر الأخضر في سماء تلونت بالأخضر والأصفر ، بلا انتهاء . رأيت مالا عين رأت . ثم هبط الطائر بي وتركني على غصن شجرة عارية ، تنبت على شفا حفرة عميقة الغور . ارتعبت وانتفض بدني كأنني أسقط في هاوية . ثم سكن جأشي حينما تبينت أنني ريشه لاصقة على الغصن . ريشة ترى النور وتخترق المسافات . ثم رأيت شيئا يهتز ، قريبا من جذع الشجرة ، ويخرج المسيح بن مريم فجأة من باطن الارض ، في أجمل سوره ويسير على منحدر الجبل ، وحيدا بدون ملائكة وبدون موكب . كان رجلا ملتحيا يمشي وفي عينيه أحزان كثيرة . وقف في شرقي بيروت ساهما ضائعا وكأنه ينشد بيت صديق معين . دق على الأبواب ولم يتلق جوابا من أحد . ثم رأيته يسرع في مشيته . فيلاقيه قوم مسلحون بمهرجان صاخب تتقدمه فتيات جميلات بملابس قصيرة يمشين على أنغام مارش عسكري ، وثمة لافتات بمختلف الألوان ترحب بمقدم السيد ، ورصاص ينطلق في الهواء وزجاجات خمر تهرق في الشوارع وصياح يشق ارجاء المكان والفضاء : « المجد لك في الاعالي ، والرخاء لمؤسساتنا على الارض » مرّ المسيح صامتا ولم يكلم احدا في المهرجان . عبر من وسط الجموع ، فوجم الناس لحظات ، عبر شارعهم وكأنه شبح معذّب . ناداه بعضهم فما التفت اليهم . . مضى الى الغرب حتى وصل مخيما للاجئين . تجمع حوله الفاقدون ومن بقي حيا هناك . قال لهم : « لحم جسدي هو لحم اجسادكم » . وفتح لهم عن صدره ، فظهر صدر المسيح يتوهج بجروح طازجة يسيل منها الدم . بكي البؤساء بين يديه ، ورأيته ينظر للشمس ويتنهد . ثم نهض ونهض معه سكان المخيمات ، الاطفال والنساء والجرحى . حتى القتلى خرجوا من قبورهم ، والجرحى من مستشفياتهم . وكان المسيح يحمل بندقية يشير بها ويخاطب الجموع : « من هنا تبدأ رحلة السلام والعدل » . ورأيته يقود الناس

ويتجه الجميع نحو الجنوب .

الساعة

رافق بشر الحافي سائق شاحنة تعبر الصحراء من بلد الى آخر ، في سفر طويل منهك يدوم حوالي خمسة ايام حتى يصل الى غايته . كان الجو قاتما مغبرا في اليوم الثالث . ثارت فيه رمال ناعمة وعلقت بهواء الجو باصرار فاخفت زرقة السماء ومعالم الطريق . قاد السائق شاحنته المحملة بالفواكه بحذر واضاء مصابيحها الى ان برز فجأة بناء صغير يجثم الى جانب الاسفلت . وقفت الشاحنة الى جانبه . وتهجى بشر على حائط البناء كلمات كبيرة غير متناسقة الخط : « استراحة الساعة » . وجدا في داخل الاستراحة منضدتين قديمتين وعددا قليلا من الكراسي وزير ماء . شربا منه وغسلا الوجه واليدين وجلسا الى طاولة مسح الغبار عنها فتى اسمر ساهم النظرة يرتدي وزرة حائلة اللون وقميصا مفتح الازرار . قدم لهما طعاما معلّبا وابريق شاي من مطبخ صغير ملحق بالغرفة . اكلا بصمت في جو خانق تكاد تخمد فيه الانفاس من آثار الحر والغبار المستثار في الخارج .

انتبه بشر وصاحبه الى ساعة يابانية كبيرة علقت قرب الباب . كان بندولها ينوس بايقاع رتيب مسموع القى ظلالا من الرهبة على جو هذا المكان النائي اختفى صبي المطعم واخذ السائق يدخن سيكارة مع الشاي ، اما بشر فاخذ يتأمل هذه الساعة الحائطية باهتمام . قال السائق : « اني لاعجب كيف يطيق هذا الصبي الحياة في هذا المكان البعيد عن العمران » . ظهرت على وجه بشر ابتسامة متعبة وعاد السائق يقول : « يأتيني الملل اذا جلست هنا اكثر من ساعة » . وقال يستحث بشرا على الحوار : « متى تتوقف هذه الساعة عن حركتها ؟ » .

قال بشر : « الم يدر في خلدك ان الدقائق تقطعنا قبل ان نقطعها » .

ـ « لا افهم عليك »

ـ « الا يجب ان نقطع الدقائق في عمل نافع كي ندعي اننا نقطعها في سبيل تحقيق الغاية التي من اجلها خلقنا » .

ورانت لحظات صمت ، برزت فيها حركة البندول في صندوق الساعة ورن صوت الدقات قويا . وترامي صوت الفتى الاسمر وهو يصيح من الخارج « ماء ، اريد ماء » وبدا بعد ذلك انه يتكلم مع سائق سيارة مارة .

وتساءل بشر « الا ترى الثواني والدقائق تمضي على نفس الوتيرة بيننا في هذه اللحظة وقد ووري انسان التراب في مكان ما ، وصرخ وليد في مكان آخر معلنا عن مجيئه الى هذه الحياة » .

قال السائق : « صحيح وحق الله » .

ـ « وهل تضمن اننا نخرج من هذا التيه سالمين بعد ساعة »

ـ « الموت معك رحمة لي » .

ـ « يجب ان لا نطلب الرحمة هربا من تكاليف الحياة . وقد لا نكون من مستحقيها انما اطلب العافية كي تصلح ما فاتك وترعى اطفالك وتتوفر لك فرصة العمل الصالح فيما بقي من ايامك » .

غمغم السائق وهو يعود مع بشر الى السيارة « هذه نصيحة لا تنسى » وامسك بمفكرة ودون فيها بعض الكلام قبل ان يدير مفتاح السيارة . انسابت الشاحنة يبطء على ذلك الطريق الغامض . وانجلى الغبار بعد ساعتين وظهر الاسفلت الاسود يمتد طويلا عبر الرمال . التفت السائق الى بشر وقال : « اتدري ! حلمت يوما انني القى صبية حلوة عند جذع نخلة في هذه الصحراء ، فاستريح في خيمتها وتسقيني لبنا ورطبا جنيا . ومرت اربع سنين وانا ارتاد هذا الطريق ، واعجب من ذلك الحلم » وبدا السائق ممتنا وهو يقول : « ثم وجدتك اليوم رفيقا ، ورفقتك انس يا شيخ ، احس انني عرفت تأويل ذلك الحلم البعيد » . □□

الموسيقا علاج طبي ..

بقلم : الدكتور نبيل سليم

□ حقيقة هامة أعلنها فريق من علماء جامعة « أوهايو الأمريكية » وهي أن الاجسام أثناء سماع الموسيقا ، تفرز كمية أكثر من مواد طبيعية ، أو هرمونات من بعض مراكز المخ ، تعد نوعا من المورفين أو الأفيون الطبيعي ، الذي يفرز عند الشعور بألم لتخفيف الاحساس به .

لاشك أن الموسيقا هي أقدر الفنون على خدمة الانسان ، وهي أرقى أنواع منشطات الحياة والصحة النفسية والعضوية ، فالصحة النفسية والعضوية ، هي تناسق الشيء مع كل شيء ، الخلية مع الخلايا ، والروح مع الأرواح ، والأنسان مع الكون ، كما تتناسق النغمة مع النغمات ، والآلة مع الآلات .

إن قضايا الموسيقا تستمد أهميتها من أهمية الموسيقا ذاتها ، كفن يعتبره أفلاطون أرفع الفنون وأرقاها .. لأن الايقاع والتوافق في يقينه يؤثران في النفس الباطنة ، والحياة الانفعالية للإنسان ، بما ينعكس أثره على أعضاء الجسم وأجهزته .

واذا عادت بنا عجلة التاريخ الى الوراء ، فيجب أن نذكر - ولا ننسى أبدا - الطبيب الحاذق والفنان البارع ، المصري القديم « أمحتب » الذي كان أول من استخدم الموسيقا في العلاج ، والذي انشأ أول معهد طبي في التاريخ للعلاج بالذبذبات الموسيقية .

لقد اثبت العلم الحديث أن ذبذبات الموسيقا تؤثر تأثيراً مباشراً على الجهاز العصبي ، اذ يمكن لكل ذبذبة أو أكثر أن تؤثر على جزء ما بالمخ ، خاص بعصب ما ، فتخدره بالقدر الذي يتيح فرصة الاسترخاء ، واستجماع الإرادة ، للتغلب على مسببات الألم ، فيبدأ الجسم في تنشيط المضادات الطبيعية والإفرازات الداخلية التي تساعد الجهاز المناعي وغيره على التغلب على مصدر الداء ومكانه ..

وهذا الاتجاه العلمي في استخدام الموسيقا يسعى العالم كله اليه الآن ، رغم أن المصري القديم استخدمه منذ اكثر من ٢٠٠٠ عام ، أما الحقيقة التي أعلنها فريق من علماء جامعة « أوهايو الأمريكية » هي ان العدائين يبذلون جهدا أقل أثناء العدو اذا مارسوا تلك الرياضة على أنغام الموسيقا ... تجربة هامة اكدت هذه الحقيقة ، حيث وضع العلماء « سماعات » تنقل الموسيقا لآذان عدد من أجريت عليهم التجارب ، بينما مارس البعض الآخر الرياضة بدون موسيقا .

وكانت النتائج واضحة ، وتشير الى أن الغدد النخامية للعدائين اثناء سماع الموسيقا ، كانت تفرز كمية اكبر من مادة اسمها « الاندورفين » **Endorphine** وهي مادة تفرزها مراكز معينة في المخ عند بذل جهد كبير ، أو الشعور بألم ، الأمر الذي يشير الى ان احساسهم بالتعب اثناء الجري ، كان اقل من الفريق الثاني ... الذي لم يستمع الى الموسيقا اثناء ممارسته للجري ، بل اكثر من هذا فقد اكد فريق من المزارعين ان انتاج ابقارهم من الحليب ، يزيد بشكل واضح ، اذا تمت عملية الحلب على انغام الموسيقا !! .

الشفاء دون دواء

من هنا انطلقت ابحاث العلماء تجري على قدم وساق الى ان نجحوا .. واصبح شفاء المرضى ممكنا دون اقراص الأدوية او غيرها . فذلك ما يبرهن عليه البروفيسور الدكتور جيفري رودي صاحب احدث طريقة للاستشفاء « بجامعة اوهايو » الأمريكية ، وهو يرسل بمرضاه ليقوموا بالوان من التمارين النفسية والتدريبات الذهنية مع نغمات الموسيقا في الهواء الطلق وعلى العشب الاخضر ، وقد قام الامريكيون بخطوات هامة في مجال العلاج بالموسيقا وعلى رأسهم البروفيسور رودي هذا .

لقد تابعت احدى طرق العلاج التي مارسها هذا الطبيب .. رأيت مجموعة من (٥) نساء و(١٢) رجلا يقفون على العشب ، وقد تبللوا بندى الصباح الباكر وهم ينظرون نظرة الأمل الى الطبيب القادم بخطوات ثقيلة ، تتناسب مع جسمه العملاق ، وتتناسب كذلك مع ما يخطر على افكار تلك المجموعة الواقفة بانتظاره ... والذي يقال عنه انه يحقق ما يشبه المعجزات في

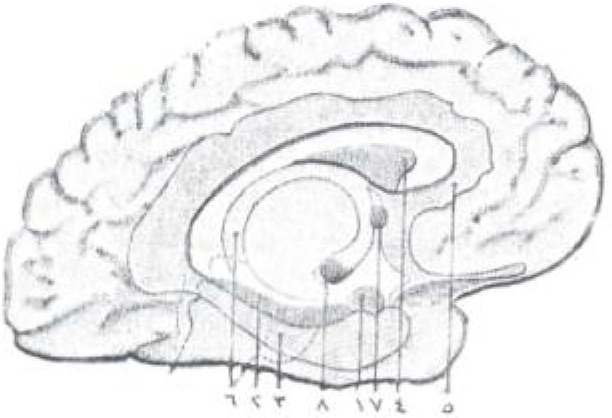

١ ـ الأجسام اللوزية المختصة بتنظيم العواطف وبالذات العدوانيه .
٢ ـ حصان البحر .. يختص بالذاكره والتعلم .
٣ ـ قنوات عصبية لانتقال الذكريات .
٤ ـ مركز السعاده
٥ ـ الحزام .. حزمة عصبية
٦ ـ الرواق .. قناة عصبية
٧ ـ الوصلة الامامية .. حزمة عصبية تصل مركز العواطف بما حوله .
٨ ـ الجسم الحلمي .. محطة اتصال لمركز العواطف مع أجزاء المخ المختلفة .

شفاء المرضى دون استخدام العقاقير الطبية اصلا ، ويقال ايضا ان هذا العلاج الجديد يحول الخاملين الى متسلقي جبال ، والمترددين الى شجعان اشداء ، وكثيرا ما نجح البروفيسور رودي خلال اسابيع معدودة ، في تحويل مرضى سادت التعاسة حياتهم ، الى اصحاء تغمرهم البهجة ، ولا يعكر صفوهم شيء .

ولكنه في هذا التدريب الأول لهذه المجموعة الجديدة ، لا يبدو عليه الاستعجال في تحقيق مثل تلك الغايات ، فتراه متكئا بكلتا يديه على عصا غليظة ، ناظرا نظرة من سرحت افكاره في عالم آخر ، الى احدى ورود الحقل .. ولا ينطق بكلمة ، ويقف على هذه الصورة دقيقة طويلة سرت بطيئة مملة على افراد المجموعة وهم يتململون ، وقد بدأ بعضهم يتسم ابتسامة عصبية ، والآخر يتمتم بنغمات وكلمات غير مفهومة ، ولكنهم يتحرجون من التعبير عما في نفوسهم ... وهو مستمر على وقفته ونظرته . حتى اذا بلغ التساؤل مداه ، إلتفت اليهم فجأة ، ومد لسانه في حركة مضحكة يرافقها صوت موسيقي اشد اثارة للضحك ، ولم تملك المجموعة نفسها ، فاذا بها تنتقل بـ « تحية الصباح » هذه الى الجو الضاحك الذي اراد ايجاده قبل ان يتوجه الى مرضاه بنفس مرحه ، يدعوهم الى البدء معه بالتمارين المطلوبة وبالاستماع الى مقطوعات موسيقية ... هادئة ... ناعمة ثم صاخبة قليلا .. ثم هادئة كثيرا ... حتى تخلق معهم حوارا فكريا خياليا ..

وهذا الامر ليس مطلبا سهلا .. ولا سيما انه بين المرضى توجد « ممرضة » تعمل في مستشفى كرئيسة للممرضات .. اشتهرت بجديتها وكثرة

عملها ، حتى انها اصيبت بارهاق واضطراب في الدورة الدموية ، فأرسلت الى الدكتور رودي للعلاج . ومن بين افراد المجموعة ايضا رجل خرج لتوه من اصابة شديدة بالذبحة الصدرية ، ويمر بفترة الاستشفاء والنقاهة .

وأول التمرينات المطلوبة من هؤلاء هو « دوران الحوض » . . واثناء محاولة الحاضرين ان يقلدوه في حركته ، وهو يدير نصف جذعه الاسفل ، يرفع يده اليمنى الى اعلى ، ثم يتركها تسقط سقطة طبيعية على راحتها . . ويطلب منهم فعل ذلك معه ، وهم يحاولون كل ذلك على نغمات موسيقية ناعمة جدا . . . وتمر فترة طويلة ، قبل ان تصبح حركة السقوط طبيعية بالفعل ، لا أثر للعصبية أو التصنع فيها .

إنعاش النفس والجسم

لقد بلغ الدكتور رودي السبعين من عمره ، وتقاعد عن العمل من الناحية الرسمية ، وكان حتى عام ١٩٧٣ ، رئيسا لاطباء دار الاستشفاء بمنشجان ، ويعتبر الآن صاحب طريقة الاستشفاء التي بلغت شهرة عالمية ، وتستهدف في الدرجة الأولى ، اعادة عمل اجهزة الدم والتنفس الى طبيعتها ، بعد الإصابات المرضية بأساليب ممارسة الحركات الرياضية الموسيقية ما بين اشدها واعلاها صعوبة ، وبين حركات راقصة خفيفة ، مما يساهم مع بعضه في انعاش النفس ، وصحة الجسم في وقت واحد .

وقد نشأت هذه الطريقة عن طريق ممارسة تركيز الذهن والمشاعر ، وحصرها لسماع نغمات الموسيقا ، والتفاعل الحسي والحركي مع ذبذباتها تحت الرقابة الطبية ، ثم اضيفت عليها تدريبات مدروسة ، مما جعلها طريقة علاج طبية متكاملة تنفذ باشراف الاطباء . وخلف هذه الصياغة « الاكاديمية » يمكن انجاز حياة طبية كاملة في خدمة الصحة البشرية والمصابين باضرار التقدم الحديث ، وبين المرضى يوجد الكثير من المسنين الذين يملكون عوامل حياة مريحة ، ولكنها بقيت عوامل ضائعة او مضاعفة ، واحياء هذه العوامل من جديد ، يتطلب وسطا معينا وجهدا طبيا كبيرا .

ويمكن معرفة كيف يتحقق هذان الأمران من خلال مثالين يوردهما الدكتور رودي :

المثال الأول

هو أحد الرجال من ولاية بوسطن ، والذي بلغ من العمر ٦٣ عاما ، واصيب اصابة قلبية خطيرة ، جعلته يتقاعد عن العمل في وقت مبكر ، وبهذا انهيت حركته - على حد تعبير الطبيب - واصبحت النظرة اليه ، على أنه رجل عجوز ، فتحول هو بنفسه الى ممارسة حياة العجائز ، حسب النظرة العامة اليه ، ويحاول الدكتور رودي اخراجه من هذا الجو الى جو آخر ، يتدفق بالنشاط والحيوية ، ويجعله يعيش حياته بين الاحياء من جديد ، كما كان من قبل .

وكانت النتيجة كمثال : أن « عجوز بوسطن » الذي لم يكن يجرؤ على أن يخرج مسافة ثلاث خطوات من منزله ، يجري مشيا على الاقدام ، مسافة عشرة كيلو مترات بين ثنايا المروج .

المثال الثاني

من كولومبيا ، عن رجل بلغ ٦١ عاما من عمره ، وكانت مهنته مستشارا صناعيا حرا ، واصيب في غدده الليمفاوية ، مما سبب له الاضطراب الدائم ، وعدم القدرة على التركيز ، وتأرجح وضعه بين توتر اعصاب شديد وبين انقباض كبير اشبه بمن تناول حبوبا منومة ، مع فنجان ثقيل من القهوة .

وكان وضعه حين اتى الى دار الاستشفاء سيئا الى درجة رفضه ان يسير على قدميه مسافة ٣٠ مترا فقط . وكان يخشى المرض ، ويخشى وجوده اصلا . لضعف ثقته بنفسه الى حد كبير ، هذا فضلا عن تعاطيه العقاقير الطبية بلا حساب .

يوضح البروفيسور رودي هذه الحالة بقوله : « انها تشبه حالة شخص لا يشعر بمرض ، ولا يشكو من ألم ، يأتي الى الطبيب لفحصه فيجد ان نسبة الكولسترول **Cholestrol** في دمه عالية فيعطيه عقارا طبيا مضادا .. ومنذ تلك اللحظة ، يبدأ الرجل يشعر بأنه أصبح مريضا .. فهل هو مريض بالفعل ام لا ؟»

انه سؤال تصعب الاجابة القاطعة عليه بالتأكيد .

هناك الكثير من هذه الحالات ، لأناس يأتون لفحوص عامة ، ويبدأ الطبيب باعطائهم الأدوية ، فيدخلون في حلقة لا يخرجون منها فيما بعد بقدرتهم الذاتية ، وهم بين الشعور بالمرض وتعاطي الأدوية ، وعدم القدرة على الاستغناء عنها .

والطب الجامعي يثبت مثل هذه الأوضاع بالارقام ، فعدد الذين يذهبون الى الاستشفاء الطبي سنويا ، يصل الى ٤,٣ مليون شخص . ولكن ٧٥٠ حالة فقط ، تحصل على المعالجة الاستشفائية الطبية بالفعل ، وهنا يجب الاشارة الى ان مجموع النفقات الزائدة بهذه الطريقة يصل الى اكثر من اربعة مليارات دولار .

التفسير العلمي للعلاج

لقد احرز العلاج بالموسيقا ـ نجاحا باهرا ، لم

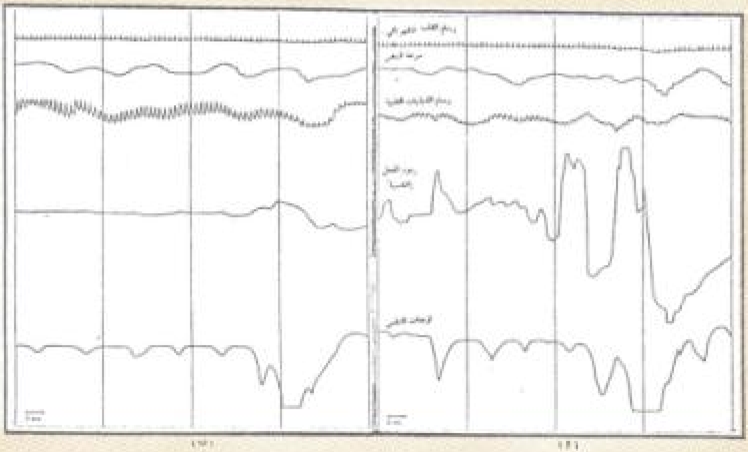

أ ـ ردود الفعل اللاارادية لمستمع الى الحان بيتهوفن ولكن في ظروف الاضطراب النفسي لمريض ، ويلاحظ التجاوب الواضح في شتى اجهزة الجسم بالمقارنة مع التسجيلات لمستمع عادي .

ب ـ ردود الفعل اللاارادية سجلتها الاجهزة المختلفة لمستمع (ب) وهو تحت تأثير عقار مهدىء (بنزوكتامين **Benzoctamine**) بالمقارنة مع المستمع العادي(أ) الى موسيقى بيتهوفن ، يلاحظ أن سرعة النبض قد زادت ، وزادت حدة رسام القلب بينما خفتت ردود الفعل النفسية .

يكن في الامكان تحقيقه باستعمال الادوية الاخرى ، التي تستعمل في مثل هذه الحالات .

وكانت اولى النتائج التي حققتها التجارب التي اجراها الباحثون - وعلى رأسهم الدكتور رودي - على الانسان لاكتشاف فعالية الموسيقا واثرها في تنشيط افراز مجموعة من المواد الطبيعية التي تتشابه في تركيبها مع المورفين ، وهي ما تسمى بالاندورفينات ، ويعتقد هؤلاء الباحثون وهم اشهر العلماء في الولايات المتحدة ، انهم اصبحوا قاب قوسين او ادنى من تحقيق وتعميم هذا الاكتشاف الخطير الذي سيحدث تغييرا جذريا في الآراء المعروفة عن « كيمياء الألم » بفضل الاندوروفينات التي هي احد انواع البيتيد **Peptid** ، أي الهرمونات التي تفرزها الغدة النخامية ، وابرز مراكز تجمعها في اللوزتين ، وفي الجهاز الليمفاوي ، حيث يحتويان على مجموعة كبيرة من الخلايا التي تفرز الاندورفينات .

ولم يعد ثمة شك في أن الألم والمتعة والانفعال ، وكثيرا من الأمراض لها اتصال بعمل الأندورفينات التي اكتشفت منذ اثني عشر عاما ، والتي اتضح ان الموسيقا تساعد مساعدة جبارة على زيادة افرازها وبالتالي على علاج الجسم وشفائه من الأمراض . وبصفة عامة فان التجارب اثبتت حتى الان ان زيادة تلك المواد لا تمثل اية خطورة على المريض ، فضلا عما لتلك الاندورفينات من ميزة يجب ان تؤخذ في الاعتبار ، وهي انها - وبمقارنتها بالادوية الاخرى - عبارة عن مادة طبيعية يفرزها الجسم ، ومن المأمول الا تكون لها اية اثار جانبية ، كما هو الحال بالنسبة للادوية الأخرى التي يتعاطاها المرضى .

اذن فالعلاج بالموسيقا علاج يسير .. رخيص .. سهل .. ليس له اي مضاعفات على الاطلاق ، يمارس في كل زمان وكل مكان .. سواء كانت الشمس ساطعة مشرقة ام المطر ساقطا ، صيفا او شتاء ، يستخدمون ادوات وآلات موسيقية في الهواء الطلق ، وعلى اختلاف انواعها . ومنذ ان بدأ هذا العلاج الجديد والذي سيشعل في سنوات قادمة ثورة عارمة في عالم الطب . اتضح ان الذين استخدموا هذا الأسلوب أصبحوا الآن يشعرون بانهم في وضع صحي وحياة افضل ، لا يكادون يستخدمون اي دواء . وكثير منهم اقلع عن عادة التدخين ، كل ذلك بفضل الموسيقا .

الموسيقا تبني الانسان

إن الموسيقا بعموميتها تبدأ حيث تنتهي الكلمة ... انها عنصر جوهري في البناء الروحي للانسان ، توقظ فيه الشعور بالمعاني الكبيرة . المعاني السامية ... كالحق .. والخير ... والجمال ... وتحرك وجدانه ... وترهف شعوره وتساعده على تحقيق الوئام مع نفسه والتوافق مع الحياة من حوله ، وبالتالي فالموسيقا اقدر الفنون على خدمة الانسان .. كما انها قادرة على خدمة قضايا السلام والديمقراطية والتقدم .

ان شوستا كوفيتش عندما يطرح مقولته الخالدة :

« يجب ان يتساءل المؤلف الموسيقي دائما .. كيف اخدم بفني قضايا البشرية والسلام والتقدم ؟» . يضيء الطريق امام كل مؤلف موسيقي، حتى لا ينحرف او يتعثر ، لأن المؤلف الموسيقي فنان يسخر ادواته الموسيقية وصنعته الفنية للتعبير عن نفسه ومجتمعه ، على ان يكون هذا التعبير تعبيرا غير مباشر .. وكلما كان التعبير غير مباشر كان اقدر على البقاء .

ان لدينا من المؤلفين الموسيقيين العرب قلة نادرة تؤدي رسالة ثقافية علمية كبرى وهي وضع الوطن العربي الحديث على خريطة العالم الموسيقية ، بتأليف موسيقا نابعة ومستوحاة من ضمائر شعوبنا ، ومعتمدة على موروثاته ..

مركز العواطف والذكريات .

يفهمها ويتقبلها . . وبالتالي تسمو بها احاسيسه وافكاره مما ينعكس على قوة صحته وسلامة نفسيته . . ولكي يؤدي المؤلفون الموسيقيون العرب دورهم الحقيقي مع معركة التحدي الحضاري التي نخوضها الآن بعنف ، لابد لهم ان يجدوا متنفسا لفنهم وصدى لأعمالهم عند مواطنيهم . . . ولكن للاسف فان الحياة الثقافية في الوطن العربي الآن لا تتيح ذلك للمؤلف الموسيقي العربي ، وان كان لدينا بالتأكيد تيار قومي في الموسيقا بالمعنى العلمي للقومية .

لدينا اجيال ثلاثة من المؤلفين الذين يعبرون عن انفسهم بلغة موسيقية حضارية ، ويستلهمون عناصر شعبية وتقليدية لحنا وايقاعا ، بل ان من مؤلفينا المعاصرين من يمضي لأبعد من مجرد الاستلهام ، فيبتكر لنفسه اسلوبا هارمونيا وبوليفونيا نابعا من خصائص مقامات الموسيقا العربية . . وقد تأصل هذا الاسلوب ، فاصبح بشكل مدرسة في الموسيقا العربية القومية ، تكتب عنها الآن رسائل ودراسات ولكن رغم كل هذا الجهد فان التيار القومي يعاني من العزلة .

وبكل الاسى والألم فان موسيقانا الان موسيقا « مقاهي » . . موسيقا سلبية لا تخدم الانسان العربي بمساعدته على تطوير نفسه . . ان لدينا موسيقا عربية مليئة بالالحان الجميلة ، لكن فنانينا الدارسين لم يستخدموا حتى الان الحاننا التراثية بشكل يصل بها الى العالمية ، كي تجد طريقها في مؤازرة فروع العلم الاخرى . . لو استطاع موسيقيونا ان يصلوا بموجة الموسيقا العربية الى نفس المستوى الذي وصلت اليه موجة الموسيقا العالمية الاوربية ـ والتي اصبحت من معالم العلوم الطبية والهندسية حتى الاقتصادية والزراعية ـ لاستطاع العالم كله ان يفهمها . . وكما يحتاج هذا الامر الى المؤلف الموسيقي الذي يجمع بين الدراسة والموهبة . . يحتاج ايضا الى العازف الذي يعزف النغمة واللحن بأداء تكنيكي عالمي .

ليست ترفا بل ضرورة

ولو ان في كل اسرة عربية فرداً واحداً يعزف على آلة لاستطاعت كل اسرة ان تحل مشاكلها وتنطلق ، لأن الموسيقا تحل لنا مشاكلنا النفسية . وبالتالي مشاكلنا الصحية العضوية . بل لقد اقتحمت الموسيقا المجال الاقتصادي وساعدت على زيادة الانتاج .

● ان الموسيقا الرفيعة من عالمية وعربية تشكل كالكتاب والفن والمسرح ، الغذاء الروحي للشعوب ، وبالتالي فهي ليست ترفا بل « ضرورة » تكاد تكون مادية يتعين ان توفرها كل دولة لكل فرد ، وان تبدأ في تقديمها له منذ الطفولة وطوال حياته حتى نهاية مرحلة العمر .

فالموسيقا ـ ولا شيء غير الموسيقا ـ هي السبيل الوحيد لاصلاح النفوس ومن ثم اصلاح العقول التي تبني الامة العربية وتنشىء حضارتها من جديد . . انني ادعو من على منبر « العربي » الغراء كل المسئولين في وزارات الثقافة والتربية والتعليم وكل الهيئات المعنية في الوطن العربي الكبير الى انشاء هيئة عربية يكون من شأنها توحيد واثراء المفاهيم الموسيقية العربية ، والعمل على انتشارها بين كل افراد الشعب ، لتصبح موجودة في كل بيت وكل جزء من شخصية كل عربي . □□

الجغرافيا الاقتصادية للطاقة

بقلم : الدكتور عبد الحليم منتصر

□ « تنعكس استعمالات الانسان للطاقة على بيئته وأرضه ، كما تبدي النتيجة النهائية على أنشطته وبذلك يلعب الموقع الجغرافي دوره في توزيع الطاقة واقتصادياتها

منذ فجر التاريخ ، كانت النارّ مصدر الطاقة الأولَ في متناول كل الناس فكان الذين يعيشون بعيدا عن الوقود يمكنهم الحصول على الحرارة بوفرة ودون عناء .

ولقد كانت استعمالات الانسان الأول للطاقة هي التي أوجدت نوعا من التمايز بين مجموعات البشر في بداية مسيرة الانسان الطويلة ، فكان القادرون على تحويل الحرارة وغيرها من صور الطاقة الى شغل ، والذين يستطيعون توجيه هذا الشغل وجهة صالحة ، كان هؤلاء هم الذين يمكنهم الارتحال في أرجاء الأرض . لأن عقدة المشكلة كانت وما زالت هي انتاج الشغل وتحويل الطاقة وتسخيرها لصالح المجتمع ، وسنحاول في هذا الحديث الكشف عن العلاقة بين مصادر الطاقة وتيسير تكلفتها وتقنية تحويلها ونقلها .

نقاط تحول

شهد العالم خلال القرنين الماضيين ثورات متتابعة في استغلال الطاقة ، وتعد هذه الثورات بمثابة ثلاث نقاط تحول في تاريخ استخدام الانسان لها . فكانت الآلة البخارية التي ابتدعت في انجلترا واستغلت في ضخ الماء الأرضي من مناجم الفحم العميقة ، الأمر الذي لم يكن من اليسير اتمامه بجهود الانسان والحيوان أو أي الات رفع أخرى . واستطاعت الآلة البخارية في القرن التاسع عشر أن تحل المشكلة وتيسرها الى أبعد الحدود ، وذلك بعد أن تطورت تقنية الماكينات البخارية التي تحمل حاجتها من الوقود الى أي مكان لتؤدي ما يراد منها من عمل .

ثم كانت الخطوة الثانية مع كشف المولد الكهربائي والمحرك الكهربائي الذي حرر الآلة مما تتطلبة الماكينة البخارية من متطلبات، وأصبح من الممكن انتاج الطاقة والشغل في أي مكان وبأي كمية، وكانت الفقرة الأخيرة في هذا المجال هي تلك الآلة التي تعمل تلقائيا في السيارة وغيرها.

ويتضمن استغلال الانسان للطاقة سبع خطوات، أولا كشف المصدر ثم طريقة جنيه ثم نقله ثم تخزينه ثم تحويله ثم استعماله، ثم التخلص من نفاياته وقد يكون كشف المصدر ميسرا جاهزا، كما في منجم الفحم أو آبار البترول وقد يحتاج الى تدبير وتقنية كالطاقة الشمسية، وأحيانا يكون الكشف عن طريقة التحويل كما في النار والآلة البخارية وانشطار اليورانيوم، وفي أحيان أخرى يحتاج الأمر الى سلسلة من التقنيات والتحسينات كما في استنباط واستغلال زيت المحارث والأصواف.

من الخشب الى الزيت

ماذا عسى أن يكون كشف هذه المصادر للطاقة قد لعب دوره في الحياة السياسية والاقتصادية والجغرافية للانسان. لقد استنزفت الولايات المتحدة الوقود الخشبي الى درجة كبيرة حتى لقد احرقت الغابات حتى منطقة البراري.

وقد فعلت انجلترا وأوروبا نفس الشيء، وعندما أفنى هؤلاء وأتلك نسبه من أشجار الغابات، لجأوا الى الفحم، ولقد شكوا لأنهم كانوا يفضلون رائحة ودخان الخشب عن الفحم، ولكنهم نعموا بالدفء على أي حال.

وقد استغل الغاز والزيت بصورة أخرى حتى ليقال أن الصين قد حفرت الآبار بحثا عن الغاز الطبيعي الى عمق ثلاثة آلاف قدم ثم نقلوه عبر أنابيب من البامبو (الغاب الهندي) واستعملوه للاضاءة ولتبخير الماء المالح للحصول على الملح، كما ظل استعمال الشموع شائعاالآلاف السنين، واستبدلت بها مصابيح الزيت منذ تاريخ بعيد، وقليلا ما يستعمل الفحم للاضاءة، ولكن عملية تكويك الفحم ينتج غازا كما ينتج الكوك، كما أن استعمال الغاز يحتاج الى معرفة بالكيماويات وكيماويات القرن التاسع عشر، وفي انجلترا أثر انتشار استعمال الغاز في التدفئة والطهو على سعر الزيوت المستعملة في الاضاءة بالمصابيح في المصانع، وفي الولايات المتحدة في المناطق الأقل تحضرا بقيت مصابيح الزيت حتى عرف الكيروسين في منتصف القرن التاسع عشر.

مشكلات النقل

لقد كان الكشف عن المصدر هو الخطوة

الأولى ، ثم تتابعت الخطوات السبع التي ذكرنا ، وان اختلف هذا التتابع حسب الموقع والنوع ، فقد يتعين اجراء عملية تحويل أو تكرير أولا ، ثم النقل عبر البحار والمحيطات في الناقلات والشاحنات ، ثم التخزين ، حتى يمكن الاستفادة من كل نقطة دون نفقة كثيرة أو ضياع وقت طويل . لقد كان يسيرا على الانسان عمل الاخشاب ونقل الفحم ، الا أن السوائل والغازات تحتاج الى وسائل وأدوات وأنابيب ، وهناك الصعوبة في نقل الكهرباء عبر مسافات طويلة أو عبر البحار ، من حيث شدة التيار والفولت والأسلاك ، مما يؤثر على كمية الفاقد ، والآن زاد عدد محطات القوى وبعدت عن المدن .

ان الكهرباء تنتج عندما تكون هناك حاجة اليها ، ونقلها الى مسافات بعيدة ليس رخيص التكاليف ، كنقل الزيت أو الغاز أو الفحم ، ومع ذلك فهناك محطات قوى كهربائية كبيرة تنقل منها الكهرباء الى المنتفعين بها على بعد مئات الأميال ، ومع ذلك فما زال الضغط والبحث في سبيل التجديد وتقليل الفاقد مستمرا ، فان أي تجديد قد يوفر الآف الدولارات يوميا . ولذلك فان الشركات المختصة تعني بتشجيع أي بحث يؤدي الى التحسين وتقليل التكلفة من حيث العمل على راحة الزبائن وتلبية طلباتهم في أي وقت وفي أي فصل من فصول السنة ، وكذلك تلبية ما قد ينشأ من عمليات مفاجئة وغير متوقعة ، فلا بد من وضع نظام وتهيئة ناقلات تكون مستعدة لتلبية طلبات القمة والذروة في أسرع وقت وأقل تكلفة ، مهما بعدت المسافة لنقل الطاقة في أي صورة دون فاقد يذكر وخاصة في الكهرباء ، سواء كان تيارا مباشرا أو متبادلا ، ومهما تكن قوة الفولت حتى ٧٥٠٫٠٠٠ فولت . (EHV) .

ومن المعروف أن كل الفلزات عندما تبرد الى درجة غليان الهليوم تغدو موصلة فائقة التوصيل للكهرباء ، أو على الأقل عديمة المقاومة لانسياب التيار فيها ، ولاشك أن استعمال المواد فائقة التوصيل يمكن أن تغير من تقنيات عملية نقل التيار بشكل أساسي ، وتقلل الفاقد من الطاقة على صورة حرارة الى تشغيل ثلاجات الى درجة حرارة فائقة الانخفاض . وأول تطبيق تجاري واقتصادي للنقل بالمواد فائقة التوصيل لنقل الطاقة الى الحضر المزدحم بالسكان عبر دهاليز تلزم للخطوط عالية الفولط .

تخزين الطاقة

كما أن تخزين الطاقة له متاعبه ، فمن الصعب تخزين الكهرباء بكميات تجارية ، وبدلا من ذلك فأننا نبتكر خدعة بأن نبني خزانات صناعية يمكن أن يضخ منها الماء كهربائيا ، ويمكن أن تسترجع الكهرباء بعكس اتجاه الماء ، وجعل المحركات والمضخات تعمل كمولدات وموتورات ، ورغم أن ذلك ذو كفاءة ممتازة ، الا أنه أحسن ما يمكن أن نصل اليه ونفيد منه . وبطاريات التخزين ليست بديلا لأنها غالية ومكلفة وقليلة السعة ، وقد يظن المرء أنه يمكن تخزين الكهرباء في البطارية كما يمكن تخزين الزيت في صهريج حيث تستعمل نفس القوى ، ومن سوء الحظ أن بطاريات التخزين التي يمكن أن يعتمد عليها ثقيلة جدا ، لأنها تستعمل عناصر كيمياوية ثقيلة ، ومن الطرف الثقيل من جدول العناصر وخاصة الرصاص ، ومع ذلك تنتج من الطاقة ما ينتجه عدد مماثل من الذرات من الطرف الخفيف من جدول العناصر . والواضح أن المطلوب انما هو بطارية تخزين جيدة ، حيث يؤكسد الليثيوم ويختزل بدلا من الرصاص . ونفس الظاهرة تعطي السيارات الكهربائية تشغيلا غير مربح ، وعرضة للازمات اذا ما قورنت بالسيارات التي تعمل بالوقود الحفري .

ويحتاج تخزين الكهرباء الى تقنية دقيقة

واحتياطات شديدة في استخدام الكهرباء ، وقد حذق سكان بعض المدن في الولايات المتحدة هذه التقنيات والاحتياطات ، لأنه عندما يزيد السكان في متطلباتهم من الكهرباء للاضاءة أو التدفئة أو الطهو أو تشغيل موتورات فلا بدأن يزاد انتاج الكهرباء مقابل هذه المتطلبات وذلك يتطلب ملاحظة دقيقة مستمرة للابقاء على التوازن بين العرض والطلب دون ابطاء .

فالمشكلة بالنسبة للغاز أيسر كثيرا ، فاذا احتاج الزبون الى فيض اكبر من الغاز ، فما عليه الا ان يفتح الطريق الى الغاز ليتمدد وينساب في الانبوب ليلبي احتياجاته المتزايدة .

تحويل الطاقة

لقد يسرت الأجهزة الحديثة والتقنيات المختلفة في تيسير أمور التخزين والتصريف في هذه الصور المختلفة من الوقود واقتصادياته ، والمعروف ان الطاقة لا تجيء في الصورة التي يستعمل بها ، اذ لا بد أن تدخل في سلسلة من التحولات قبل أن تستغل ويستفاد منها ، ومن أهم هذه التحولات انما هي تحويل الطاقة الكامنة الى حرارة عن طريق الاحتراق أو الكهرباء فاذا ما حولت الطاقة الى كهرباء ، لقد فتحت كل الابواب لاستعمالها حتى كانت مغاليق بعض البوابات مفرطة في التعقيد .

ان قرونا متعاقبة من العمل الدؤوب في التطوير والبحث قد يسرت كثيرا من وسائل استغلال مصادر الطاقة وتحويلها في مواقع استنباطها واستغلالها وغدت هناك نماذج متعددة متطورة لاستنباط الطاقة من مصادرها ونقلها الى المنازل ، وأماكن استغلالها لدى السكان الذين يتزايدون يوما بعد يوم في مختلف الاوقات ، وبكميات مختلفة وبصور متباينة حسب الحاجة .

ويرى البعض أن الانسان قد غدا ملكا في هذا العصر ، انه يحصل على حاجته من الطاقة في الوقت الذي يطلبها ، وفي المكان الذي يلائمه وبالصورة التي تناسب احتياجاته قد يقال أن بعض الصور غالية ومكلفة ، ولكن الواقع أن العبرة بالنتيجة ، ففي الولايات المتحدة الاميريكية يدفع المواطن ثمن ترفه ورفاهيته في ان يحصل على حاجته من الطاقة أن شاء وفي أي وقت يشاء ، وبالصورة التي يفضلها . ولكن المشكلة أنه يريد أن يتمتع بكل هذه الاسباب دون أن يدفع التكاليف من دخله .

الفاقد والاقتصاد

وعلى المرء المستفيد من هذه الطاقة والمستغل لها ، أن يتذكر أن ثلثي استغلاله ، انما يقدم له في الصناعة والتجارة والمواصلات بالاضافة الى استهلاكه الشخصي ، مما هو بعيد عن تحكمه المباشر وليس من السهل التحكم في مشترياته الصناعية والمنتجات المختلفة والخدمات العامة ، ولعل أحدا لايستطيع أن ينكر حرص الانسان على اطفاء النار أو الأنوار أو الأفران في منزله مادام في غير حاجة اليها ، أو حرصه على عدم شراء ما لايفيده كثيرا من صور الطاقة ، وان تصرفه لمختلف بالنسبة لرغبة في الاستفادة الى أقصى حد من الخدمات العامة التي تقدمها الدولة له . ومع ذلك فانه يسرف في استعمال الكهرباءكوقود حتى لو كانت أكثر تكلفة ، وما أظنه يفصل مادام شابا يبدي حرصا على اطفاء الموقد أو المصابيح عندما يكون في غير حاجة اليها .

ماذا عسى أن تكون الحال في سائر بقاع الدنيا ، حيث تتوزع مصادر وموارد الطاقة جغرافيا قريبة من البعض بعيدة عن البعض الآخر ، حيث تتوزع المعرفة والعلم والتقنية فتتوافر لدى بعض الدول المتقدمة فتنهض نهضة سامقة ، وتشتري الطاقة وتنفق الكثير على تصنيعها وتوزيعها واستغلالها في تيسير أسباب الحياة . □□

من سجلات المحاكم

وطعنت الأعجار في الحكم !

بقلم : على منصور المحامي

□ أوصاه قبل أن يدخل السجن نيابة عنه .. أن يقوم عنه بكل شيء .. بجميع الأعباء .. في السرجة .. وفي الدار .. ثم وللأمانة .. بمسألة ثالثة ... كان فيها النهاية .

كان مأمون ومحروس شريكين في ملكية وادارة سرجة تقوم على عصر البذور ، فيصير رحيقها زيتا وقشورها ما يشبه العجينة التي تسمى « بالكسب » وتستعمل غذاء طيبا للماشية .

ووثق الصالح المشترك ومستقبل السرجة بين الرجلين توثيقا أخذت تشتد عراه كلما زاد نجاح العمل وتضخم ما يدر من أرباح ، غير أن شيئا من الثقة وتوثيقها لم يفلح في أن يغير من طباعهما الشخصية أو يقرب بينهما ، وان لم يدفع عدم وحدة الطباع الى اي اختلاف في مسيرة الشركة ، اذ كان كل منهما مؤمنا بان « ما للسرجة للسرجة،وما لله لله » .

وكان من ملامح الاختلاف أن محروسا كان يمثل دور الزوج كلما صادف صيدا صالحا ، أما مأمون فبكر بالزواج وان كان بواحدة من فاتنات الحي .. لعوب كعوب لم يرده عن زواجه منها ما كان يتناثر حول سلوكها من اقاويل ، ولكن لم يرد هذا الزواج الثقة مع شريكه محروس ، بل اتسعت الألفة فباتت بين ثلاثة ، وان كان اثنان من اعضائها « شركاء متضامنين » .. وهما الزوجان .. لهما حق التوقيع والادارة والتنفيذ ، والثالث وهو محروس شريك موصي لا يتدخل في شيء مما لا يحق الا للمتضامنين .

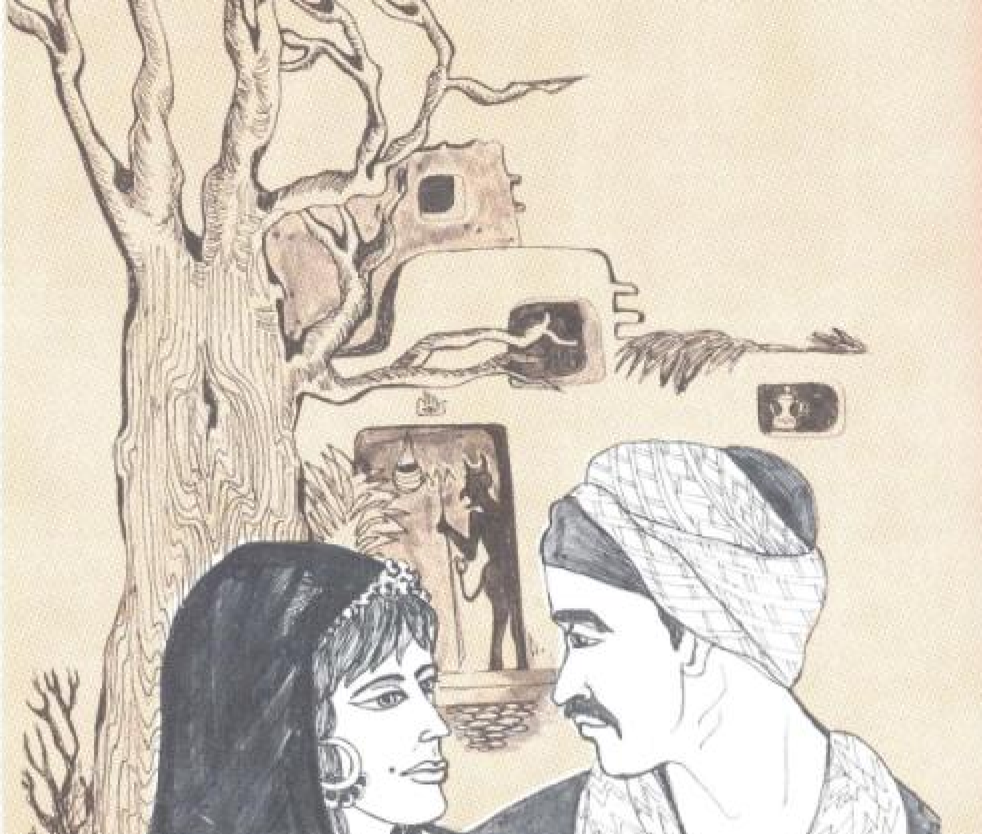

وسارت الأيام رخاء .
كل شيء يتقدم . . .
أعمال السرجة تطفر من ازدهار الى ازدهار ، وربيع الزوجية تتلألأ في جنباته الفرحة دائما ، وكان مأمون قد بنى له ولزوجته شقة صغيرة اعلى مبنى السرجة ، تخلصا من ازمة الاسكان ، وبعد ان وافق الجناح الثاني في السرجة - ملكية وادارة - بل ورحب . . فالعشرة عشرة عمر كما كان يقول دائما .

ورغم كثرة الاعمال فقد تحددت الأرباح بسبب القوانين الاستثنائية للسعر الجبري للسلع وحظر نقلها احيانا ، واحيانا تخزينها ، واحيانا محظورات اخرى مما تفرضه حاجة الاقتصاد او حالة السوق ، وكلما كان القانون استثنائيا لجأ من ارادوا الاغراق في الربح الى الثغرات والأبواب الخلفية والتحايل على أحكام القانون ، وكانت رخصة هؤلاء في مقولهم أو مظنونهم انهم لم يأتوا حراما . . » المال مالي . . . والتجارة حلال . .

والشطارة في التجارة .. فليس لأحد أن يتدخل ما دمت لا آكل مال اليتيم ولا احض على طعام المسكين » ..

السجن للرجال

وسلك الشريكان بعضا مما يسلكه أشباههم عملا وفهما ومباديء ، وأربى المال .... حتى كان اليوم الذي مر بالسرجة ـ ضمن ما مرت عليه ـ « حملة تموينية » ... فتشت السرجة واوراق تعاملها ، واثبتت بعض المخالفات المجرّمة ، فلما سألت عن المسئول عن الادارة تصدى مأمون بكل شجاعة وتحمل متفردا المسئولية .. مسئولية الجريمة ، وابعد سهامها عن شريكه ونفى عنه حتى مجرد علمه بها .

وكان مما همس به في أذن محروس الذي راح مشدوها لتصرف شريكه .. « واحد منا فقط يتحمل أعباء الحبس لو قدر ، وليبق الآخر طليقا ليحمل اعباء ما في الخارج .. من سرجة ودار وسمعة ».

وانصرف مأمون مقبوضا عليه ليعرض على النيابة ، ومنها الى المحكمة فالسجن ، حيث قضي بحبسه لعام .

ولم يفته ـ وهو يبتسم ويداه مكبلتان بالقيد الحديدي مأخوذا من دار المحكمة الى عربة السجن ـ أن يقول لمودعيه .. « السجن للرجال .. أما رجلكم حتى اعود اليكم .. رجلكم في كل الشؤون هو شريكي محروس .. والله يعينه ».

وتعانق الرجلان وكأنهما يتعاهدان ، وافترت الابتسامة تحيي الرجولة ثم افترق الطريق .

ومنذ الساعة الأولى لغياب مأمون عن المعصرة وعن الدار ، بدأ محروس يتزمت في تنفيذ وصية مأمون ، ويفرط في تزمته ، حتى لايفرط في واجب ، فهي ـ وكما كان يردد كثيرا بمناسبة وبغير مناسبة ـ اخوّة .. وذمة .. وأمانة .

وعكف على الاهتمام بالسرجة وان لم يهمل الدار ..

ومع الأيام بدأ اهتمامه بالسرجة ، يلقى بالاوامر ، على من فيها من رجاله ، وبالتوجيهات اليهم ، اما اهتمامه بالدار فيتركز في سيدة الدار ، وبدأ يكثر من الجلوس اليها ، ويحاول ان يسمعها بين كل عبارة وعبارة .. إن وصية شريك عمره التي حمّله اياها .. ان يقوم عنه بكل شيء .. بجميع الأعباء في السرجة وفي الدار .. ويضيف احيانا وللأمانة ... بمسألة ثالثة نسيتها ثم يغرق في الضحك .

ومع التكرار ـ اخذت الزوجة اللعوب بوادر الحنين .. فبدأت تبتسم لحديث محروس وتستزيده ثم تطربه ، ثم بدأت تعيب عليه انه لا يصلح الا للكلام .. فسكت عن الكلام الى الغزل المستور . ثم الى الغزل المكشوف ثم الى تجاوز هذا وذاك .. وراح وغزلانه يفترعان الليل كله .. واحيانا من النهار بعضه ..

وعاد مأمون .. ولكن

وذات ليلة حين سقطت عن أجسادهما حتى اوراق التوت ، فاجأهما مأمون الذي أفرج عنه على غير توقع من احد .. حتى منه .. كان ذلك بمناسبة صدور قانون أباح الفعل الذي اتهم باقترافه وادين من اجل ارتكابه .. وكان الحكم ما يزال يتعثر في مرحلته الاستئنافية .

وخف الى بيته ليفاجيء زوجته بسعيد مقدمه ، ثم الى السرجة ليفاجيء بالمقدم السعيد شريكه فيتنصف معه الفرحة .

وهونت عليه الظروف فقد وجدهما معا فوق السرير .. وهم بالحديث فسبقه محروس بمنطق

الداعر وعلى امل ان يمتص غضبه . . « ألم تكلفني أن أقوم مقامك في كل شيء . . السرجة والدار ؟؟

فلما سكت محروس قال مأمون في استخفاف . . والسمعة يا محروس ألم أوصك بها كذلك ؟؟

قالها وهو يخرج سلاحا من درج بالحجرة وهم بطلقة علت الرءوس ، وقبل ان يعقبها باخرى . . كان محروس قد التقط بدوره مسدسه من ثيابه التي تبعثرت بجوار السرير ، وبادر مأمونا بطلقة . . كانت القاضية . .

ولفتت الطلقات جنح الليل وسماره ، فتقاطر على مسرح الواقعة الكثيرون . . وعندما اشتد التكاثر وكانت ملامح ما اقترف من فصول للمسرحية ما تزال ماثلة رغم توالى « الفصول » ، سارع من حال دون محروس والفرار ، ومن أبلغ رجال الاسعاف الذين رفضوا حمل مأمون بعد ان اوقعوا الكشف عليه وانتهوا في يقين الى انه لفظ انفاسه ، ومن ثم بات الاختصاص بنقله لعربة اخرى غير عربة الاسعاف ، ثم من ابلغ الشرطة ، فجاء نفر من رجالها « لضبط الواقعة » ، فعاين المكان وما به من آثار وخاصة ما كان منها على فراش النوم ، ثم ضبط المسدسين تمهيدا لتحريزهما ، ثم اصطحب محروسا وغزلانة الى حيث بدأ التحقيق ، وسأل عن شهود للحادث فتغامز الناس بما معناه ان ما جرى لا يقوم عليه شهود .

وفي الطريق صادف العاشقين بعضاً من اقارب مأمون ، كان قد اتصل بهم نبأ مصرعه . . فلما وردوا الدار ترامت الى اسماعهم اقاويل الرواة فتابعوا الركب حتى بلغ دار النيابة ، واشار دارس قانون من بينهم ان يسألوا الادعاء مدنيا قبل « المتهمين » ، سواء في واقعة القتل او واقعة الزنا . . وكانت المبادرة ـ على ما افتى المفتي ـ على ان يتابعوا اجراءات التحقيق منذ خطاها الأولى . .

وبدأ التحقيق . . وادعى اصحاب الدم المسفوك والعرض المثلوم ـ كما سموا انفسهم ـ بمبلغ رمزي وهو قرش واحد تعويضا مؤقتا .

وأخذ التحقيق مجراه . . وأقر محروس بأنه اطلق الرصاص على مأمون . . ولكنه كان في حالة من حالات الدفاع الشرعي عن النفس حيث بادره مأمون بالاعتداء . . ولولا لطف الله ـ كما قال نصا ـ وانه مكتوب لي عمر ، لما فوتت الطلقة فتمكنت من سحب مسدسي والاطلاق عليه . . ولو لم افعل لكان هو الذي يتكلم الآن ، وكنت انا المحمول على الاعناق » . .

وتم التحقيق . . في واقعة القتل وقيدت الواقعة جناية قتل عمد من غير سبق اصرار او ترصد مما يقع عقابه تحت طائلة المادة ٢٣٤ من قانون العقوبات (المصري) . والتي تعاقب القاتل بالأشغال الشاقة المؤبدة او المؤقتة .

واقتصر قرار الاحالة على محروس وحده ورغم ما حاوله « المدعون بالحق المدني » من ادخال غزلانة شريكة بالاتفاق والتحريض والمساعدة او بوسيلة من وسائل الاشتراك الثلاث .

وقدم محروس الى محكمة الجنايات فكرر ما اقر به امام النيابة ، وتولى عنه محاميه شرح موقفه القانوني من الدفاع الشرعي ، وكيف انه قد توافرت له كل مقوماته . . فقد حصل على المتهم بالفعل اعتداء على النفس ، وكان يكفي ان يكون قد صدر من المجني عليه فعل خشي معه المتهم وقوع هذا الاعتداء ، ليواجهه بالفعل الكافي لرده وبقدر ما تسمح به ظروف الحال . . فالمتهم بذلك يستعمل حقا قرره القانون وجعله سببا للاباحة بحديث المادة ٦١ عقوبات ، وهي تنص على انه « لا عقاب على من ارتكب جريمة الجأته الى ارتكابها ضرورة وقاية نفسه او غيره من خطر جسيم على النفس على وشك الوقوع به او بغيره ، ولم يكن لارادته دخل في حلوله ولا في

قدرته منعه بطريقة اخرى .

وصال المحامي وجال في وصل القاعدة بالتطبيق .

واختلت المحكمة للمداولة ثم انعقدت للنطق بالحكم . براءة المتهم مما اسند اليه .

وحتى دعوى الزنا

وكان التحقيق قد تناول فيما تناول بصدد واقعة القتل واقعة الزنا . ومع التصرف في واقعة القتل امر المحقق ان تنسخ صورة من التحقيقات وتحال الى النيابة الجزئية المختصة لتحقيق واقعة الزنا .

وتولت النيابة المختصة الأمر ، وكان اقتراف غزلانه ومحروس الجريمة امرا ثابتا رغم محاولتها الانكار . . . « على استحياء » .

ومع هذا وقف دون النيابة وتحريك الدعوى العمومية افتقاد الأوراق للشكوى من صاحب الحق ، وهو الزوج ، أخذا بقاطع نص المادة ٢٧٣ عقوبات من انه « لا يجوز ان ترفع الدعوى الجنائية في جريمة الزنا . . الا بناء على شكوى من الزوج المجني عليه أو من يمثله » ، وما جاء في المادة الثالثة من قانون الاجراءات الجنائية في صدد عدم جواز رفع الدعوى الجنائية عن بعض الجرائم ـ ومنها جريمة الزنا ـ « إلا بناء على شكوى شفهية او كتابية من المجني عليه او وكيله الخاص الى النيابة العامة او احد مأموري الضبط القضائي » .

وجهد الدفاع عن المدعين بالحق المدني في ان تكون الشكوى او الاذن من الورثة ، ولكن حال دون ذلك ان الشكوى حق للزوج لا ينتقل عنه الى سواه لانه من الحقوق الشخصية التي تنقضي بوفاة المجني عليه ، وعلى خلاف حق التنازل عن الشكوى في دعوى الزنا ، فانه استثناء من القاعدة العامة وبنص القانون ينتقل لكل واحد من اولاد الزوج الشاكي من الزوج المشكو منه . . وفلسفة الشارع في حجب انتقال الحق في الشكوى واجازته في التنازل مع ان كليهما حق شخصي ينقضي بالوفاة وحدة الغاية . . وهي الحفاظ على كيان الأسرة كما يرى اصحاب هذا الفكر .

وهكذا انطوت دعوى الزنا . .

وطعنت الأحجار

وخرج محروس وخرجت غزلانة . .

وعادا الى السرجة . . هو في ساحة « الاحجار » التي تدير العمل وهي في برجها « العاري » . .

ووقف ذات مرة يبرم « شنباته » على وقع صوت الأحجار في دورانها وخياله يستعرض الجريمتين وكيف خرج منهما ، كالشعرة من العجين . . « ووقفت غزلانة في النافذة التي تطل على الساحة ، وارسلت ضحكة لبعض رجلها في الماضي وكل رجلها بعد ان تنقضي مدة العدة .

وألفتته الضحكة فاستدار لموقع يرى منه صاحبتها في وضوح لما يرفع اليها رأسه ، ولكنه في لفتته كان حجر الطاحونه اسرع الى اطراف جلبابه فاخذت الجلباب وما به لتطويه وتسلمه للحجر الآخر الذي يرتكز عليه في دورانه ليهرسا ما بينهما . . ليهرسا البذور . . وكان ما هرسا هذه المرة محروسا احد اصحاب الحجرين ذاتهما . .

وصرخت غزلانة لما روعت بالمنظر فاهتزت واختل توازنها وسقطت من النافذة . وكان سقوطها على الحجر بعد ان أتم دورته ليبدأ دورة اخرى ، كان الذي يهرس فيها هذه المرة غزلانة .

وكأن بالأحجار قد طعنت في الحكم . . فألغته . . . . □□

إزدهار الاقليميات العربية بين الحقيقة والمبالغة

بقلم : توفيق أبو بكر

☐ لماذا انحسر التيار الوحدوي القومي وبرزت الروح الأقليمية في السبعينات والثمانينات ؟

لا شك أن من أهم نتائج فشل محاولات (الوحدات العربية المتتالية) في الخمسينات والستينات ، كان ازدهار الاقليميات العربية في السبعينات والثمانينات ، في السياسة والثقافة والاقتصاد والبناء الاجتماعي وعلى كل الأصعدة . وفي حياتنا اليومية ، ظواهر لا حصر لها تشير الى ترعرع ظاهرة الاقليميات العربية وازدهارها ، وتشير الى تراجع العوامل الفاعلة في العمق ، باتجاه حتمية التوحيد للأمة العربية ، أمام هذا المد الاقليمي أو القطري كما يرغب البعض في تسميته .

من هذه الظواهر : البحث في التراث القطري - بكل مستوياته - دون ربطه بالتراث القومي العام ، بحيث يبدو جزءاً من كل متكامل . ففي السبعينات ومطالع الثمانينات ، صدرت في كل قطر عربي دراسات ومؤلفات عديدة تتحدث عن تاريخ ذلك البلد ، وتراثه وتقاليده وعاداته وعلاقاته مع الشعوب الأخرى ، وشخصيته المتميزة ومكوناته الاجتماعية - النفسية . واذا كانت مثل هذه الدراسات أموراً مطلوبة لبعث الاعتزاز في نفوس أبناء الشعوب العربية ، فانها تغذي الاعتزاز القطري وحده ان لم تكن مرتبطة بالتراث القومي العام ومكوناته وأصالته .

ومن هذه الظواهر : الاقليمية المتفشية في مناهج التعليم العربية ، فرغم كل نشاطات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم التابعة للجامعة العربية ، وغيرها من المنظمات القومية العربية التي تتخصص في البحث عن تكامل ثقافي وتعليمي عربي ، فان التركيز على كل ما يخص البلد المعين في مناهجة التعليمية ، يفوق مئات المرات ، وليس عشرات المرات ، كل ما يخص الأمة العربية وقضاياها . لقد قدم الوفد الفلسطيني للعديد من اجتماعات رسم استراتيجية التربية العربية ، وللعديد من

اجتماعات الاطارات القومية للتعليم العربي ، قدم ـ على سبيل المثال ـ حقائق مذهلة عن مدى تدني الإهتمام بقضية فلسطين ، باعتبارها قضية قومية جامعة لكل العرب . في بعض مناهج التاريخ هناك عدة سطور فقط عن قضية فلسطين .

ليست لدينا الآن إحصاءات محددة ، لنبحث في عدد الكتب المطبوعة في كل قطر عربي ، حول قضايا الثقافة والفكر والتاريخ وغير ذلك . لكن الانطباع العام ، أن هناك من بين مئات الكتب الصادرة في كل بلد عربي ، بضع دراسات فقط تعنى بالهموم القومية ، وما تبقى من مئات الكتب يبحث في الثقافة القطرية والمسرح القطري والفكر القطري والأدب القطري ، والاقتصاد القطري ، والاجتماع القطري ، والسياسة القطرية . وما صدر من بضع دراسات نادرة عن بعض الندوات المتخصصة حول الأمن الثقافي العربي ، أو الأمن الغذائي العربي ، أو الأمن القومي العربي العام ، أو (البحث عن الديمقراطية العربية) بقيت دراسات في متناول المتخصصين ، ولم تتحول الى سلاح بيد أوسع قطاعات الشعب لبث الروح القومية العامة .

مشكلة الجامعة العربية ومؤسساتها المتفرعة أنها تأخذ قراراً قومياً من حيث الشكل ، في السياسة أو الاقتصاد أو الثقافة أو غيرها ، ويجري تطبيقه بشكل إقليمي وحسب المصلحة القطرية المحضة . والإشكالية الأخرى أن هذه القرارات تتخذ من فوق ، ولذلك تبقى في كثير من الحالات حبراً على ورق ، ما لم تتطلب مصلحة هذه الدولة أو تلك ، بعث الحياة في تلك القرارات . الحركات الشعبية العربية ، والمنظمات الاجتماعية والمهنية والانسانية ولجان العمل في كل مكان والأحزاب العربية ـ في الحكم أو المعارضة ـ كلها تتجه في عملها نحو التركيز على كل ما هو قطري واقليمي ، ولا بأس من بعض الديكورات القومية ، حين يتطلب الأمر ذلك .

نظرة إلى البرامج التي تتقدم بها هذه القوى لناخبيها في الأقطار العربية المتعددة ، تراها عن المشكلات المباشرة : الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، دون أن يكون في برامجها سوى اشارات مقتضبة وعلى حياء للمسائل القومية ومسائل التكامل العربي . واذا كان من المنطقي أن تخاطب هذه القوى جمهورها في مشاكله الحياتية المباشرة ، وتبحث له عن حلول لها . فان من واجب هذه القوى ، أن تعرف كيف تقنع المواطن بالربط الكامل بين الحلول الممكنة لحصوله على رغيف الخبز وعلى عمل مريح وعلى حياة كريمة ، وبين الحلول القومية العامة لمشكلاته ، ومن واجبها أن تقنع المواطن العربي في هذا القطر العربي أو ذاك بأن أمنه المباشر وأمن أبنائه وعائلته ، يرتبط بالأمن القومي العام ، وأن هذا الخطر الذي يراه بعيداً عنه إنما هو خطر حقيقي ماثل .

ما هو حاصل مع الأسف ـ اذا أردنا أن نقف موقفاً نقدياً صارماً مع النفس ومع الغير . . هو عكس ذلك تماماً ، فيما عدا بعض الاستثناءات التي لا تكسر القاعدة . كثيرة هي القوى التي لا تريد أن تزعج جمهورها بالحديث عن الهموم القومية ، وعن فلسطين وما أدراك ما فلسطين ،

لتثبت له أنها معنية به وبمشكلاته فقط ، وأن كل جهودها مركزة على حل مشكلاته . أليس أمرا مثيراً للألم والدهشة معاً ، ان واحداً من الفصائل الوطنية العربية قد تقدم لجمهوره الانتخابي ببرنامج ليس فيه كلمة واحدة عن فلسطين ، ولو على سبيل رفع العتب ، أو « الديكور » الذي اعتاد البعض استخدامه !

هذه الظواهر لازدهار الاقليميات العربية ، هي نتائج مباشرة لفشل المحاولات الوحدوية - السريعة - التي جرت في الخمسينات والستينات . ذلك الفشل كان سببه محاولات حرق المراحل ، ومحاولات القفز على التفاوت الاقتصادي الاجتماعي ، في قطر عربي عن الآخر ، لأن البناء الاقتصادي الاجتماعي ، هو الأساس الذي ستقوم عليه البناءات الوحدوية . ولذلك كان تعبير (الوحدة المدروسة) الذي طالما سمعناه في نهاية الخمسينات وبداية الستينات ، مثارا للسخرية وللاتهامات السريعة من دعاة (الوحدة الفورية) ، وأظن أن الكثيرين ما زالوا يذكرون السجالات الحادة بين دعاة الوحدة الفورية ، وأصحاب مدرسة .. (الوحدة المدروسة) . تلك السجالات التي تشكل جانباً لابأس به من أرشيف المحاولات الوحدوية القومية .

الانقلابات العسكرية العربية ، التي شهدناها في الخمسينات والستينات كانت تعبيراً عن قيام الجيش - كممثل للطبقة الوسطى النامية والمتحمسة - بإسقاط السلطة القديمة التي فشلت في ادارة الصراع مع العدو القومي ، ولذلك كان البلاغ رقم واحد من كل الاذاعات العربية التي سيطرت عليها القوات المسلحة في هذا القطر أو ذاك ، تتحدث عن فلسطين وعن فشل السلطة القديمة في تحريرها . وكانت تلك الانقلابات من ناحية أخرى ، تعبيراً عن رغبة الطبقة الوسطى النامية في حرق المراحل ، وإقامة وحدة عربية سريعة طريقاً الى القدس ، ولكن وحدة بعيدة عن البناء التحتي المناسب ، وبعيدا عن الشعوب وحركاتها السياسية والاجتماعية ، وحدة من فوق وبأقصى سرعة ممكنة .

هذا الفشل الذي أصاب تلك المحاولات المبكرة ، في الحركة القومية الشاملة لتوحيد الأمة العربية ، وهو فشل كانت له أسبابه الموضوعية القومية ، بغض النظر عن الاندفاع القومي العربي الذي لم يكن هناك أي غبار عليه لكثير من قادة تلك الحقبة ، أدى الى نقيضه تماماً . وهو الانكباب على (الاقليمية) وتنمية مظاهرها ، بحجة أن الظروف الموضوعية التي أفشلت المحاولات الوحدوية ، ظروف قوية وقاهرة وما زالت قائمة .

وفي كل يوم يمر ، تزداد بناءات الأقليمية الجديدة ، وتنحسر عوامل التوحيد القومي ، أو تواجهها صعوبات أقوى . ولا يفيد كثيراً في هذا المجال ، تعزية النفس بالحديث عن (الحتمية التاريخية للتوحيد العربي) ، وبالحديث عن وجود عوامل كامنة تدفع باتجاه الوحدة ، ولكنها تعمل ضدها - على السطح - عوامل الأقليمية والطائفية والتفتت وغيرها .

الحركات المنظمة للشعوب ، لها وظيفة أساسية واحدة : هي اختصار الزمن ، وليس القفز من فوقه ، أو انتظاره في نهاية الطريق ، بحجة الحتمية التاريخية .

أي هل كان « أيفن توفلر » في كتابه « الموجة الثالثة » وهو يتحدث عن التفتيت ، يقرأ ما يدور من أحداث في هذا الوطن الكبير من المحيط الى الخليج . ؟

حول المد الإعلامي الإستعماري "بضدها تعرف الأشياء"

المغرب ـ ج . عبدالمجيد

أفردت مجلة « العربي » في عددها (٣٠٧) الصادر بتاريخ يونيو ١٩٨٤ ، موضوعاً بعنوان « ماذا أعددنا لمواجهة البث التليفزيوني الاجنبي بالاقمار الصناعية « لتنبيه الغافلين » لما يجري الاعداد له في المختبرات الغربية خاصة ، من مخططات محكمة دقيقة وبالغة التعقيد في مجال التكنولوجيا الاعلامية ، تستهدف بالاساس احتواء وتدجين كل الثقافات الاخرى ومن بينها الثقافة العربية ، وتحقيق المزيد من تضخيم صورة « الأداء » الغربي في وجدان وعقل الانسان غير الغربي . .

وشعوراً من كاتب هذه السطور ، بمخاطر هذا التوجه الغربي وأبعاده السلبية ، واسهاما منه في هذه الدعوة التي اطلقتها العربي « لكل صاحب رأي » وحتى لا تظل هذه الصرخة كسابقاتها « صرخة في واد » فانني اود ان اعرض ولو بتركيز شديد وجهة نظري في الموضوع .

وهنا لا يفوتني ان اسجل ملاحظة جد اساسية ، وتتعلق بمنهج في التفكير اصبح هو السائد لدينا . . بل واصبح يشكل ثابتا من ثوابتنا المعرفية . . ذلك ان شكل وطبيعة طرحنا لمشاكلنا التقليدية منها والمستبعدة ، غالبا ما يتخذ طابعا عاطفيا يقف في حدود الرفض القائم على رد الفعل السلبي الذي لا يقدمنا في شيء ، ذلك اننا اعتدنا ان لا نتحرك او ننتفض الا عندما نحس بان مصيرنا أو وجودنا أصبح مهددا وموضع تساؤل ، وبعد ان يكون الخطر قد استفحل واصبح نصب اعيننا ، حينها فقط نسعى الى خلق اجراءات مستعجلة تكون وقائية ودفاعية في معظمها ، اجراءات تقوم على رد الفعل اكثر مما تفعل . . وكثيراً ما تأتي دعواتنا وتحذيراتنا جد متأخرة ، وحتى وان جاءت سابقة فهي غالبا ما تتخذ سمة الوعظ . . ليس إلاّ .

ونعود فنجتر الاسئلة اجترارا . . وهكذا نتساءل : ماذا اعددنا لمواجهة هذا الزحف التكنولوجي الغربي ؟! وما السبيل الى ايقاف وتحجيم غطرسة الصناعة الغربية في مجال الاعلام ؟؟

ان هذه الأسئلة لا تخلو من قلق . . والأجوبة قد تتعدد وتتباين ، وقد تصيب احيانا وتخطيء في احايين اخرى . . ولكن كيف نقارب جادة الصواب ؟؟ قد نجد في تراثنا ما ينولنا السبيل . . وقديما قالت العرب « بضدها تعرف الأشياء » . . . ولكن حين ينبغي هذا الضد ، ويصبح الاعلام العربي والغربي وجهان لعملة واحدة ، وحين لا يقتصر هذا الاعلام الغربي

على التدخل من وراء الحدود فقط ، بل يتعداها لينشيء له محطات بث واذاعة فوق اراض عربية كما هو الحال لاذاعة « ميدي ١ » في المغرب والتي تملكها جهات غربية استعمارية معروفة بمعاداتها لقضايانا القومية . .

بل وستتبع هذه الخطوة بمشروع شبكة ارسال تلفزيونية على ارض المغرب ايضا ، يجري الاعداد حاليا لوضع اللمسات الأخيرة ليشرع في استخدامها من قبل نفس الجهات وبمباركة الدوائر الرسمية . . !!

وحين تفرد الصفحات ثم الصفحات في نشرات الاخبار اليومية للحديث عما يجري في البلاد الغربية ، في حين ان قضايانا المصيرية وعلى رأسها القضية الفلسطينية لا تعطاها حقها من اهتمام المسؤولين . . !!

أقول ، أمام واقع كهذا ماذا بوسع صيحاتنا مجتمعة ان تفعل ؟ علما بانه حيث يكثر الصراخ يهرب الفعل وتنتفي المعرفة . . ولكن مع ذلك لا يسعنا الا ان نصرخ ، لأن الصراخ قدرنا . .

أو ليس الفعل صرخة ؟؟

ولا يسعني من وراء سوق هذه الأمثلة الخيرة ، الا ان اسجل ملاحظتين هامتين :

أولاهما : إن هذا الخطر الاعلامي الذي يجري التنبيه اليه ، ليس وليد اللحظة كما يتوهم البعض ، بل انه مخطط شامل ومؤوب يدخل ضمن استراتيجية عامة ترمي الى تكريس الهيمنة والغزو الاستعماريين عبر حلقات ، وليس استخدام الاقمار الصناعية في البث التلفزيوني الا الحلقة الكبرى ضمن هذا المخطط . .

ثانيهما : ان الدول العربية ، ودول « العالم الثالث » بصفة عامة تسعى في اطار علاقاتها اللامتكافئة مع المركز الامبريالي ، الى تقديم المزيد من التنازلات والتسهيلات للغرب الاستعماري ، وحيث ينفرد بحصة الأسد في برامج وسائل البث المحلية . . (ويمكن الرجوع في هذا المجال الى الاحصائيات التي اوردها السيد محمود المراغي في مقاله بنفس العدد من المجلة) . .

ومن هنا يمكن اكتشاف نزيف الاطروحات التي تدعو الى مواجهة هذا الاعلام الغربي بواسطة التشويش او عن طريق التصدي له بنفس السلاح ، اي بالتكنولوجيا . . ان هذه الاطروحات او ما شابهها ليست سوى حلول سطحية ، وأبعد من ان تمس جوهر المشكل . . ان المسألة ليست مسألة تقنيات او اجتياح بالقوة ، بل هي مسألة اختيارات .

وان تحررنا من ضغوط الاعلام الغربي الامبريالي وما يشه من سموم ، لن يتم الا بتحررنا من اضطهاد الاعلام الداخلي ، اي باطلاق سراح الفكر والحد من عنجهية وسائل الاعلام الرسمية ، واجتثاث الرقابة المتطاولة على كل صوت حر من جرائد ومجلات ومنابر ثقافية واعلامية ، ومخاطبة الوجدان الشعبي والجماهيري الذي يجب ان يحترم وان لا يسقط من حسابات كل مشروع تنموي وتحريري . . وباطلاق الطاقات المبدعة والخلاقة للانسان العربي وتحريرها ، وكذا تعريفه بمشاكله وهمومه وبقضاياه المصيرية بدل ذر الرماد في العيون . . وتحقيق برامج تستجيب لحاجياته وطموحاته . . وبما يخدم مصلحة الكائن العربي في التحرر والتقدم . .

وان تحقيق هذه الأولويات الضرورية ، وعلى رأسها ديمقراطية الاعلام ، ستكون في نظري بمثابة مدخل جدي وصحيح للتصدي ومحاربة هذا المد الاعلامي الاستعماري ، الذي يتهددنا في كل آن وحين .

الترجمة .. وعلم الترجمة

بقلم : مصطفى فوده

تعقيبا على تعقيب الدكتور صفاء خلوصي حول علم الترجمة . أرجو أن يسمح لي المعقب بأن أوجه عنايته الى النقاط التالية :

١ ـ كتبت في مقالي المشار اليه : « لم يظهر في الوطن العربي بأسره عن علم الترجمة سوى كتاب واحد مترجم هو كتاب العلامة نيدا . . . » وردّ الدكتور صفاء خلوصي قائلا انه نشر هو وغيره كتبا في هذا الموضوع . والواقع أني قلت أنه لم تظهر كتب في « علم الترجمة » ، ولم أقل كتبا عن « الترجمة » ، ورغم تقديري لكتب سيادته ولكتب الأستاذين الجليلين عبدالغني حسن والدكتور عوض ، فاني أقول إنها كتب عن « الترجمة » وليست كتبا في « علم الترجمة » . و « علم الترجمة » هذا علم حديث نشأ في أوائل الستينات ، واعتبرت مؤلفات العالم الروسي فيدروف Fealorovv، والأستاذان الكنديان Darbelnet, Vinay، أول محاولات في هذا السبيل ، ويمكن الرجوع الى تفصيل ذلك في كتاب اللغوي الفرنسي الأستاذ مونين Mounin وعنوانه « المشاكل النظرية للترجمة » طبعة جاليمار ، باريس ١٩٦٣ ، ويفصّل مونين في هذا الكتاب كيف انسلخ « علم الترجمة » عن غيره من العلوم الانسانية وأصبح علما قائما بذاته .

٢ ـ وجه د . خلوصي نقدا عنيفا لنيدا Nida العالم اللغوي الأمريكي ورئيس « جماعة الكتاب المقدس الأمريكية » . وهذا العالم قد أشرف على ترجمة الكتاب المقدس الى أكثر من ١٢٠٠ لغة . كما أنه ألف أربعة كتب في علم الترجمة من بين خمسين كتابا هي كل ما كتب في العالم بأسره عن ذلك العلم (أنظر ببليوغرافيا الترجمة من مطبوعات جامعة أوتاوا بكندا عام ١٩٧٩ . ص . ٣٢) .

٣ ـ يأخذ عليّ الدكتور خلوصي قولي ان « كلمة الترجمة الفورية كانت شيئا مجهولا لدى العرب » ، وقصدي من ذلك « لدى العرب المعاصرين » . ويقول : « هذا أمر لا يقره عليه تاريخ التراث العربي فقد كان هناك بين علمائنا من يجلس وسط طلاب من العرب على يمينه ومن الفرس على يساره فيفسر القرآن الكريم بالعربية للعرب وبالفارسية للفرس بنفس السهولة واليسر . . » وأنا أقول للدكتور الفاضل أن العملية التي يتحدث عنها لا تمت الى الترجمة الفورية بسبب . فالترجمة الفورية لم تظهر في العالم الا في سنة ١٩٤٥ خلال محاكمة نورمبرج لمجرمي الحرب النازيين . ولم تستخدم قبل ذلك ، وحتى في عصبة الأمم ـ التي أنشئت في عام ١٩٢٠ وحلت محلها الأمم المتحدة في

١٩٤٦ ـ لم تستخدم الترجمة الفورية بل كانت تستخدم « الترجمة التتبعية » ، ولعل من حسنات « علم الترجمة » أنه يفرّق بين أنواع الترجمة المختلفة من تحريرية ، وفورية ، وتتبعية ، ومنظورة ، وترجمة الوشوشة » ، ويعرّف كلا منها تعريفا دقيقا . فالترجمة الفورية هي :

« عملية نقل رسالة شفوية في نفس الوقت الذي تصدر فيه بلغة ما عن طريق أجهزة اليكترونية توصلها الى مترجم فوري منعزل في مقصورة ، ويقوم بدوره بنقلها الى لغته الأصلية فور استماعه لها ويصدرها أمام ميكروفون يوصلها لمن يريد الاستماع اليها بلغة المترجم الفوري » . فالترجمة الفورية اذن عملية لم يعرفها العرب أو العجم ولم يعرفها أي شعب قبل عام ١٩٤٥ . واني لا أظلم العرب عندما أقرر ذلك . فاذا قلت أن العرب لم يعرفوا التلفزيون فليس في ذلك ظلم لهم .

ورماني دكتور خلوصي بتهمة « عقدة الخواجة » وأنا بريء منها فما قلت شيئا يعلي قدر الغربيين ويغض من قدر العرب . وماذا يقول د . خلوصي اذن لو قرأ ما كتبه أبو سعيد السيرافي الذي ذكر في مناظرته المشهورة مع متى بن يونس عن المترجمين العرب : « ترجموا لغة هم فيها ضعفاء ناقصون بترجمة أخرى هم فيها ضعفاء ناقصون . . . » (أنظر ابن حزم الأندلسي تأليف د . زكريا ابراهيم ص ١٠٩ ، وقد أشار الى هذه العبارة المأخوذة عن ابو حيان التوحيدي : الامتاع والمؤانسة) . بل ان ابن حزم نفسه قد وجه النقد للمترجمين العرب الذين عمدوا الى « اغماض الألفاظ وتوعيرها وتخشين المسلك نحوها » (ص . . ١٠٩ نفس المؤلف للدكتور زكريا) . وفي هذا النقد دروس في الترجمة قيّمة أعظم القيمة وليست دروسا في « علم الترجمة » .

٤ ـ علم الترجمة علم وليد ، نشأ كما سبق القول في بدء الستينات من القرن الحالي ، وهناك عدد من كبار المترجمين يوجهون النقد الى هذا العلم ويظهرون عداءهم الشديد له مثل المترجم الفوري والتحريري الشهير Cary وله مؤلفات قيمة في الترجمة وليس في « علم الترجمة » . وعلم الترجمة يدرّس في أقسام اللغات الأجنبية بكلية الألسن بالقاهرة،وقد أدخل ضمن برامج الدراسات العليا منذ أربع سنوات وعهد الى العبد الفقير كاتب هذه السطور بتدريسه باللغة الفرنسية لطلاب الماجستير ، ولا أدعي أني من حملة ذلك العلم ، انما درّست لطلبتي بعض مبادئه . وقد قصدت من مقالتي القصيرة المبسّطة والتي تفضلت العربي بنشرها والتي جلبت اليّ تهمتي « عقدة الخواجا » و « عدم انصاف العرب » ، أقول قصدت منها أن أوجه اهتمام شباب المترجمين العرب الى الاستفادة من بعض ما أتى به ذلك العلم مما يفسّر بعض الأمور المستغفلة في عملية الترجمة وهي أمور قد راودت ولا شك كل من تعرض لترجمة الأدب والشعر .

وشكرا للدكتور خلوصي على نقده لمقالي وعلى غيرته على العرب ، وعتابا رقيقا له على ما رماني به ، واني لأؤكد له أني عربي لحما ودما وثقافة ودينا □□

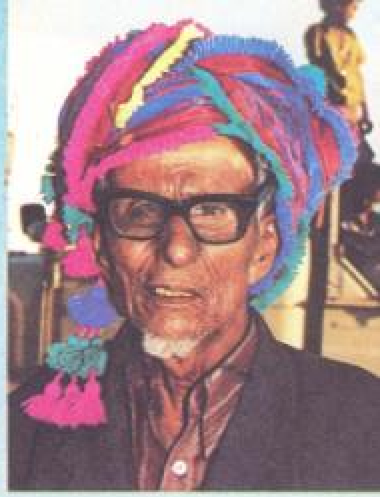

العربي.. عيونك على العالم

المهرة ..

حياة جديدة !

استطلاع : منير نصيف

تصوير : طالب الحسيني

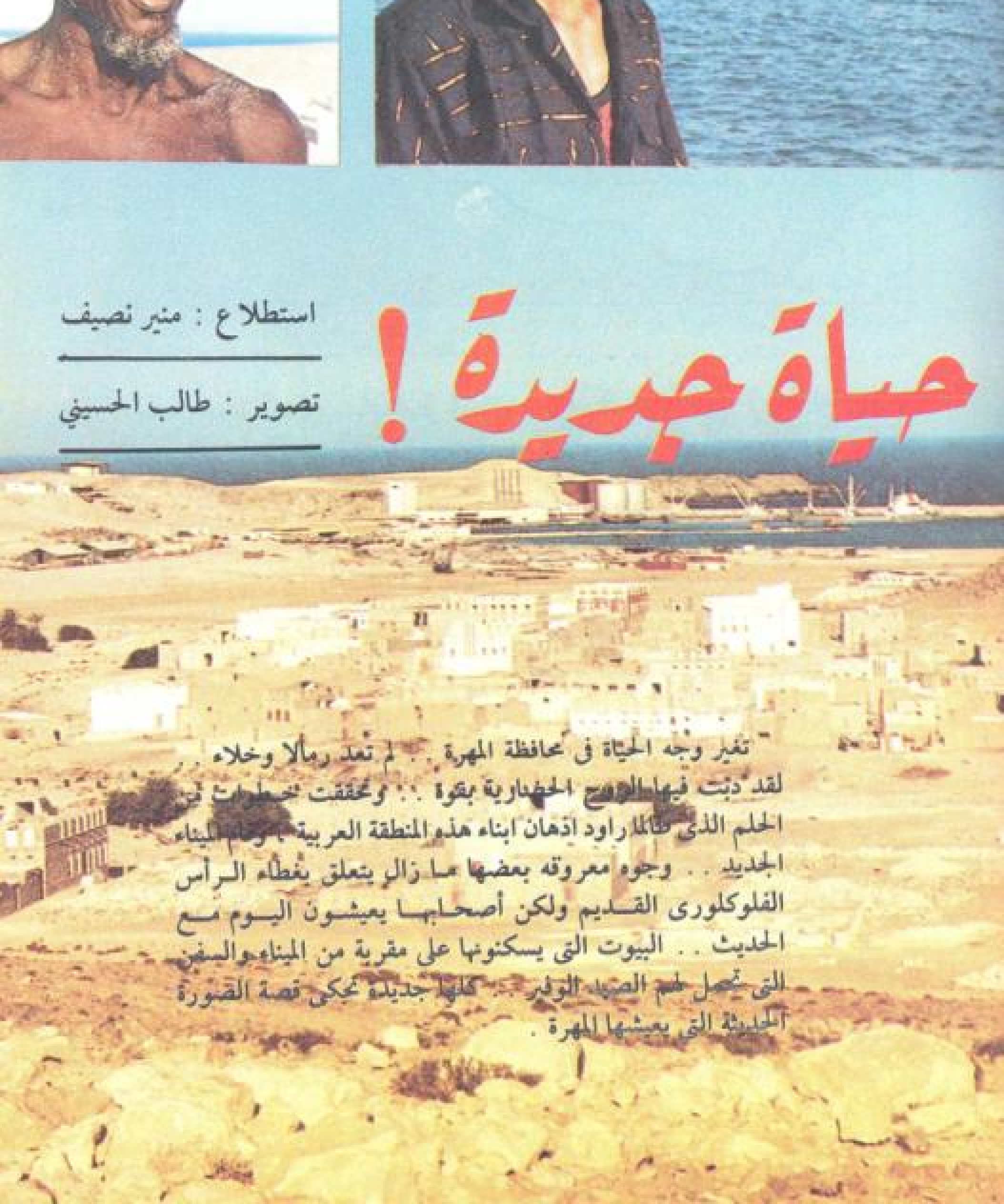

تغير وجه الحياة فى محافظة المهرة .. لم تعد رمالا وخلاء لقد دبت فيها الروح الحضارية بقوة .. وتحققت خطوات فى الحلم الذى طالما راود اذهان ابناء هذه المنطقة العربية بقيام الميناء الجديد .. وجوه معروقه بعضها ما زال يتعلق بغطاء الرأس الفلوكلورى القديم ولكن أصحابها يعيشون اليوم مع الحديث .. البيوت التى يسكنونها على مقربة من الميناء والسفن التى تحمل لهم الصيد الوفير .. كلها جديدة تحكى قصة الصورة الحديثة التى يعيشها المهرة .

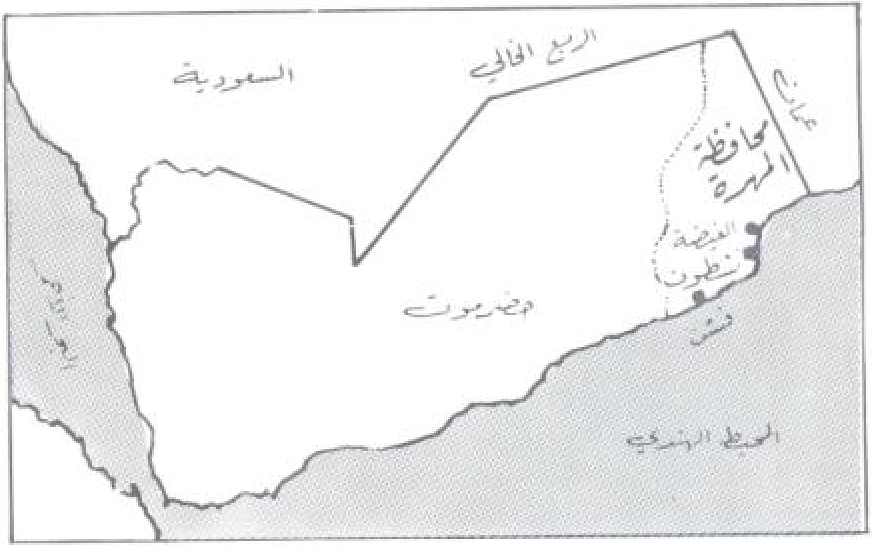

محافظة المهرة في جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية .

بدت المدينة الصغيرة وكأنها تعيش أسعد أيامها .. الرجال والنساء والأطفال يحتشدون في الساحة الفسيحة ، التي تشرف عليها بيوت الحي ، الذي تحول كل شيء فيه الى نغم جميل ..

النساء يرقصن على دق الدفوف .. يتمايلن في خطى رقيقة على الايقاع بتقدمن مرة ويتأخرن أخرى ، ثم تهتز الرؤوس .. كل حركة .. كل خطوة تتجاوب مع النغم الذي تصنعه أيدي الرجال مع الدفوف ، وقد اصطفوا على شكل نصف دائرة ..

الوجوه سمراء جميلة ضاحكة لفحتها الشمس .. الجو حار .. ولكن نسمات الهواء البارد بدأت تهب ، فقد أوشكت شمس النهار الذي جئنا الى المدينة مع نهايته ، على الغروب !

وينتهي دور النساء في هذا (المهرجان) .. ولكن قارعي الدفوف ما زالوا هناك .. فقد بدأ دور الرجال .. ويرتفع الدق عاليا قويا .. ويرقص الرجال .. انهم يرقصون فرادى .. يدخل الرجل الحلبة ويقفز في الهواء ثم يعود الى الأرض على ساق واحدة ، ويعاود القفز مرة ثانية وثالثة .. يندفع الى الأمام أحيانا ثم يتوقف ، ويدوي دق الدفوف ويعود يقفز من جديد .. ويتبعه راقص وراقص .. انهم ليسوا محترفين .. والحلبة مفتوحة لكل من يريد أن يعبر عن فرحته !

أين هذا كله ؟؟ وأي مدينة تلك التي ذهبنا اليها ..!؟ وأي حفل هذا الذي شاهدناه وكأننا معه على موعد !؟

عالم جديد

ألم يكن في وسعنا أن نقدم لهذا المكان الذي ذهبنا اليه قبل أن نمضي في رحلتنا مع الفرحة التي يعيشها أهلها ، بدلا من أن نبدأ القصة من نهايتها ؟ . ربما ! ولكن ربما أيضا كان هذا الاحساس الذي يشعر به الغريب عندما يلتقي بأول شيء تقع عليه عيناه في (العالم الجديد) الذي يراه لأول مرة هو السبب !

والمدينة التي كانت عالمنا الجديد هي (الغيضة) عاصمة محافظة المهرة بجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية . . أو القطر الجنوبي من اليمن ، ولم يكن المهرجان الذي كنا معه على موعد ، وحده ، هو المفاجأة التي كانت في انتظارنا . . فقد كان كل شيء . . نعم كل شيء في هذه البقعة البعيدة القريبة من الوطن العربي ، مفاجأة لنا منذ لحظة هبوط الطائرة التي أقلتنا الى أرض المهرة . . ولكن قبل أن نسترسل في الحديث عن المفاجأة وأسبابها . . نتوقف قليلا عند هذا الحفل الذى رقص فيه الجميع على دقات الدفوف . .

لقد كان عرسا . . وفي العرس . . أي عرس يأتي أبناء البلدة . . وكل القرى المجاورة ليشاركوا فيه . . انهم لا ينتظرون دعوة العروسين . . فالعرس عرسهم ، والفرحة فرحتهم . . فهم جميعا أفراد في أسرة واحدة . . وتستمر الاحتفالات ثلاثة أيام وثلاث ليال . . وكان لقاؤنا (بالأسرة الكبيرة) وأفراحها في الليلة الأخيرة . .

وتغيرت الصورة

ونعود الى حديثنا الأول عن المفاجأة ، ولماذا توقعنا أن نرى صورة غير تلك التي طالعتنا منذ اللحظة الاولى التي رحنا نجول فيها أرجاء هذه المنطقة ، التي عاشت وعاش أهلها في عزلة عن العالم قرونا طويلة . .

لقد ذهبنا اليها وفي أذهاننا تلك الصور الغريبة التي قدمتها بعثة مجلة العربي منذ أكثر من اثني عشر عاما . . قالت العربي يومها وهي تصف الرحلة الى بلاد المهرة : (رحلة الى أرض مجهولة في وطننا العربي ، لو - لخصنا - حياة أهلها لكانت سمكا ونياقا !) . . ثم انتقل المستطلع يصف حياة أهلها كما رآها وكما سجلتها عدسة زميله المصور : (رمال وجمال . . وأناس

الزى الوطنى والصناعات التقليدية فى الاتحاد النسائى .

يعيشون في جحور . . ولا شيء أكثر من هذا !!)

والرمال ما زالت هناك . . والابل أو الجمال أيضا هناك . . فالطائرة التي أقلتنا الى الريان في منتصف المسافة بين عدن والغيضة ، هبطت في ممر رملي . . انها تقوم اليوم برحلات منتظمة الى محافظة المهرة بمعدل رحلتين في الأسبوع . . حقيقة هي طائرة صغيرة لا تتسع لاكثر من أربعين راكبا ، ولكنها سوف تتوقف قريبا عن القيام بهذه الرحلات ، عندما ينتهي العمل في الممر الجديد المرصوف ، وتصبح الطائرة الكبيرة التي تبدأ رحلتها من عدن ، قادرة على الاستمرار في رحلتها والهبوط في مطار الغيضة الجديد . .

والنياق أيضا هناك . . ولكنها لم تعد وسيلة المواصلات التي كانت منذ اثني عشر عاما . . فقد كان المهرة يتنقلون بها من قرية الى أخرى ، ويشربون حليبها . . وتعيش بينهم وترعى في أرضهم الرملية الجدباء على النباتات البرية التي تنمو في الخريف ومع الأمطار . .

المرأة المهرية الحديثة .. هى ايضا ما زالت
ترفل فى زيها الوطنى .. فى المدرسة المختلطة وفى
معهد التدريب على الآلة الكاتبة وفى الاتحاد
النسائى .. ان الجبل وحده هو الذى يقول لنا أننا
لم نبرح أرض المهرة .. فهو باق فى مكانه يتحدى
الزمن وكل ما يأتى به من جديد !

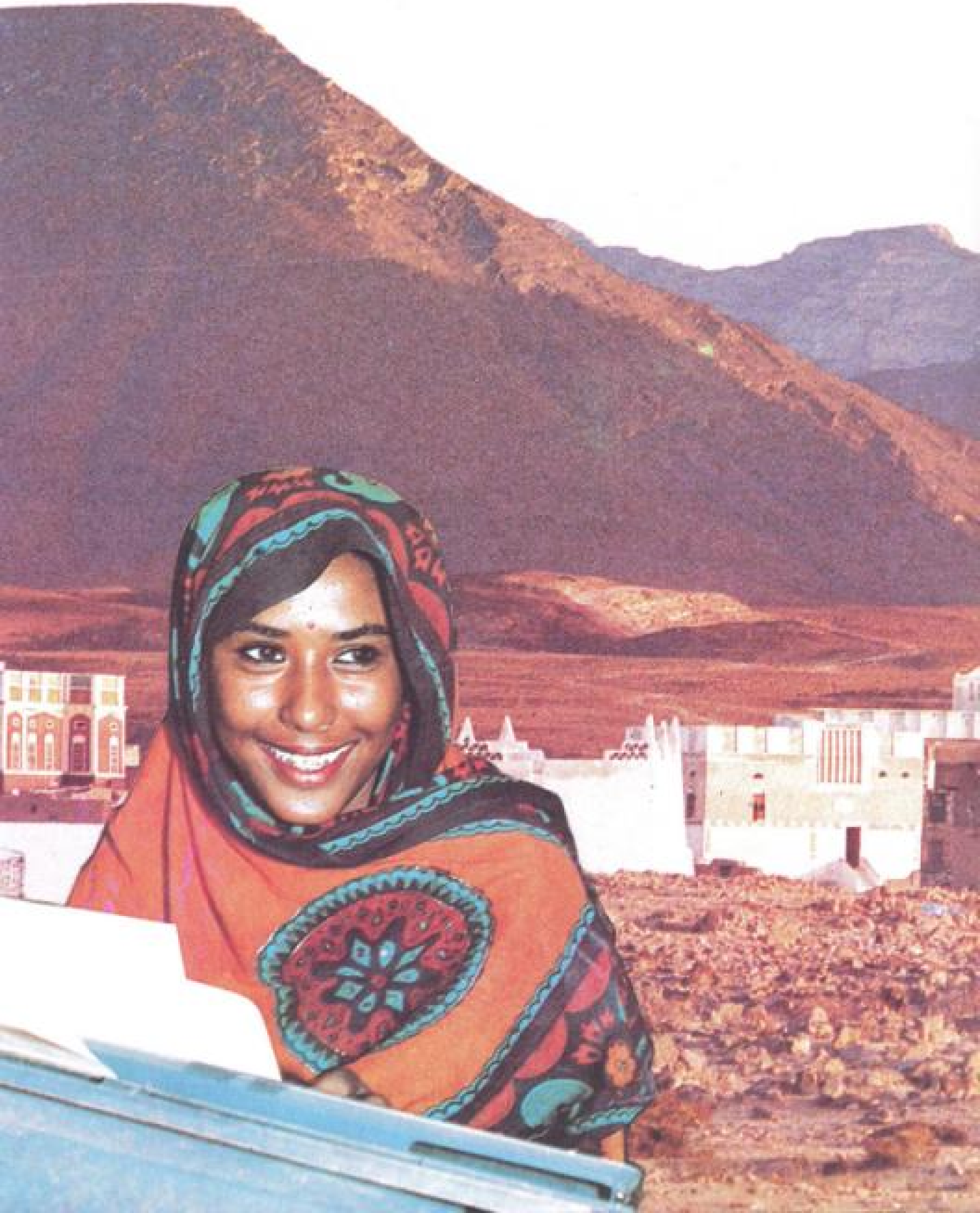

التعليم مختلط في المدرسة الثانوية . . الشبان بالملابس الافرنجية ،
ولكن الفتيات ما زلن يحتفظن بزيهن الوطني .

سفينة الصحراء الجديدة

لقد دخلت السيارة أرض المهرة . . وأصبحت اليوم وسيلة المواصلات الرئيسية اللاندروفر التي تقهر الرمال ، وتنطلق فوق الصخور وتصعد الجبال . . فهذه هي طبيعة أرضهم . . سهول ترتفع وتنخفض ومن حولها الجبال تحتضنها في رفق وحنان . . لقد عاش الجبل معهم وأحبوه وبنوا بيوتهم عند سفوحه . . فعند السفح تكثر المياه . . مياه الأمطار التي تهطل بغزارة وتجري فوق صخوره ، ويختزنونها لموسم الجفاف ، وتختزنها الأرض أيضا في جوفها . . وبفضل هذه المياه تمكنوا من استصلاح مساحات من الأرض زرعوها وأكلوا ثمارها . . خضروات وفواكه استوائية . .

كنا كلما مضينا في جولتنا محاولين البحث في هذا الوجه الجديد لمحافظة المهرة ، أحسسنا أننا نعيش معهم حياة جديدة . .

أين الأمس من اليوم ؟ كل شيء تغير في أرض المهرة . . موجة التحديث بدأت تزحف على البلد الذي خرج من عزلته ، وبدأ يبحث لنفسه عن مكان تحت الشمس ، أشياء كثيرة تغيرت منذ أن حمل المستعمر الانجليزي عصاه ورحل عن هذه المنطقة الاستراتيجية ، التي كانت تمثل واحدة من أهم القواعد البريطانية في الوطن العربي ، كان شغلهم الشاغل هو المحافظة على موضع قدم في هذه المنطقة الحيوية ، التي دام استعمارهم لها لأكثر من قرن وربع قرن من الزمان . . وخلال هذه السنوات الطويلة عاش شعب اليمن الجنوبية محروما من كل مقومات الحياة فلما ذهبوا في عام ١٩٦٧ . . نظر أبناء اليمن الذي لا يزيد تعدادهم اليوم عن مليوني نسمة . . فلم يجدوا شيئا . . وكان عبئا هائلا على الدولة . . من أين تبدأ وكيف تمضي في مسيرة التقدم وسط هذا الوحل الذي خلفه المستعمر وراءه . . وبدأ العمل في هدوء . . عمل جاد مستمر لا يهدأ من أجل بناء اليمن من جديد على أسس تذوب فيها الفوارق بين طبقات

الفتاة المهرية المتعلمة في معهد التدريب على الآلة الكاتبة وأعمال السكرتارية في مدينة (الغيضة) العاصمة .

الشعب ، وتسود من خلالها العدالة الاجتماعية .

٨٠ ألف مهري !

في عدن نفسها . . العاصمة التي كانت مقرا للانجليز ، ومرسى لسفنهم وبوارجهم وطائراتهم الحربية ، كان الأمر أقل صعوبة ، فقد كان اهتمام البريطانيين بمرافقها الحيوية يفوق كل اهتمام . . أما باقي أنحاء البلاد التي تزيد مساحتها على مائتي ألف كيلومتر مربع ، فقد كانت تغط في التخلف والاهمال . .

ست محافظات تتاخم حدودها الشرقية حدود سلطنة عمان . . أكبرها مساحة ولكن أقلها سكانا ، محافظة المهرة التي تنتشر فوق أرض تزيد مساحتها على ربع مساحة الجمهورية كلها . . ٦٦ ألف كيلومتر مربع يعيش فيها ما يقرب من ثمانين ألف مواطن مهري . .

قلنا أشياء كثيرة تغيرت . . صحيح أن عاداتهم وتقاليدهم هي هي لم تتغير . . عروبتهم وإيمانهم بالله وانتماؤهم الى الارض التي نبتوا فيها فوق كل شيء ، وقبل أي شيء . . هناك في بقعة ما في قلب شبه الجزيرة العربية نشأ المهرة ، ثم نزحوا منها بعد الاسلام الى الجنوب . . ولكن العزلة التي عاشوا فيها تلك القرون الطويلة نتيجة لموقع أرضهم * البعيد عن بقية أجزاء البلاد ، وكذلك الدور الذي قام به المستعمر لابقائهم في عزلتهم كانت من بين الأسباب الأساسية التي ساهمت في استمرار تخلفهم ، يقول ابن بطوطه : « إن المهرة كانوا على اتصال بأهل الخليج العربي وحوض البحر المتوسط ، أكثر من اتصالهم بيقية أنحاء اليمن . »

شاركوا في الفتح الاسلامي

ويؤكد بعض المؤرخين أن المهرة انضموا الى الجنود المسلمين بقيادة عمرو بن العاص عندما قصد الى مصر في سنة ٢٧ هجرية ، وكان هناك

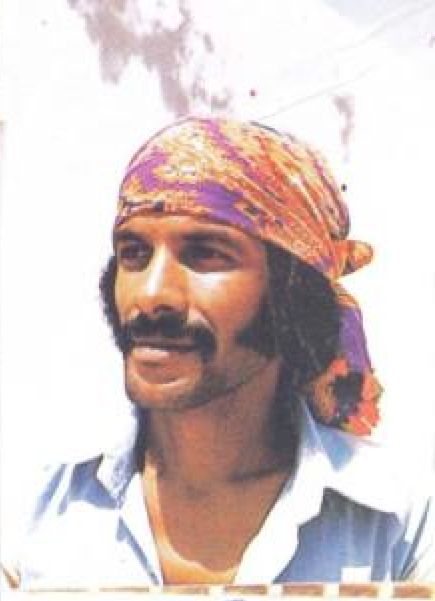

وجوه الرجال فى بلاد المهرة تحمل ملامح الماضى والحاضر . . تبحث عن تاريخهم فى الكتب فلا تجد الا النذر اليسير . . هل لأنهم عاشوا بعيدا عن بقية أجزاء وطنهم العربي الكبير ؟ . . المؤرخون يقولون غير هذا . . انهم يؤكدون ان ابناء المهرة كانوا دائما قريبين منا . . فى فتح المسلمين لمصر كانوا بين جنود عمرو بن العاص . . وفى كل جهاد وطنى كانوا دائما فى المقدمة . . والمهرة بعد هذا يعرفون دورهم ويبحثون عن ذاتهم .

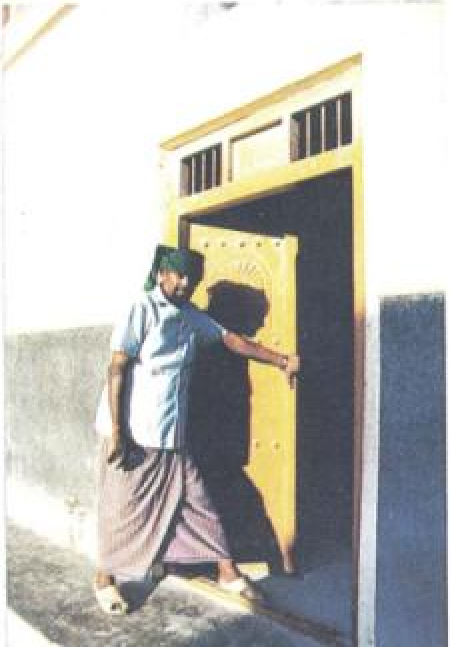

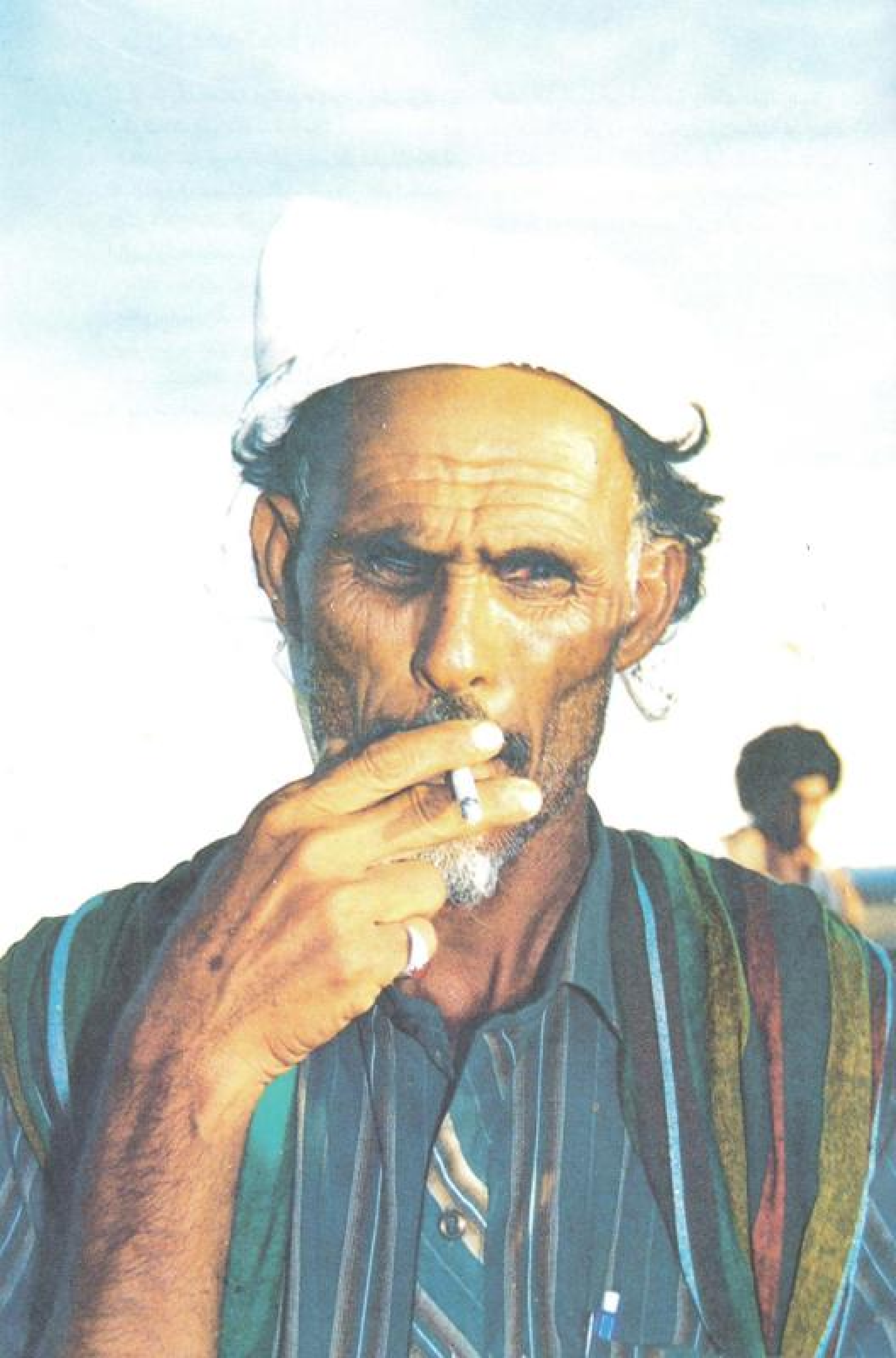

أكثر من تسعمائة جندي مهري يحاربون في صفوف المسلمين ضد الرومان .

الذي تغير في حياة المهرة هو نظرتهم الى الحياة نفسها ورؤيتهم للمستقبل ، وهي نظرة تختلف كثيرا عن تلك التي كانت تعشش في رؤوس آبائهم وأجدادهم منذ قرون طويلة خلت .

لقد وجدت الدولة أن هناك رجالا يعملون بجد في سبيل النهوض ببلدهم ، والانتقال بها الى حياة القرن الذي يوشك أن ينتهي ويبدأ بعده قرن جديد حافل بمفاجآت وبصور جديدة لحياة لا يعرف أحد على وجه التحديد كيف سيكون شكلها . . ووقف المسؤولون يرقبون العودة . . عودة أبناء المهرة من المهجر ومعهم أموالهم التي ادخروها على مدى السنوات الطويلة التي أمضوها بعيدا عن أرضهم وأهلهم وبلدهم . . ثم مساهمة هؤلاء العائدين في عمليات البناء والتنمية ، وعلى الفور بدأت الدولة تقوم بدورها . . لم تتركهم يبنون وحدهم بل سارعت تشارك في البناء وبنصيب أكبر وأوفر . .

الصورة الجديدة

ـ وقامت البيوت الجديدة مكان القديمة الآيلة للسقوط . .

ـ وأنشئت المدارس التي انتشرت في جميع أنحاء المحافظة من روضة الأطفال حتى الثانوية العامة .

وفي ثانوية حسان رأينا الفتاة المهرية الحديثة تجلس مع زميلها في الفصل . . فالدراسة مختلطة ، ويقول المدرسون ان التجربة نجحت . . فالمرأة لم تخرج من البيت لتتعلم وتسهم في بناء مجتمعها الجديد فحسب ، ولكنها اقتربت من الرجل ، ووجدت فيه أخا وصديقا ومنافسا في كثير من الأحيان ، ومع هذا فهي ما زالت تتمسك بتقاليدها . . فهي محافظة ، وربما كان اصرارها على الذهاب الى المدرسة في زيها الوطني من أبرز مظاهر الالتزام بالعادات والتقاليد .

وفي مكتبة المدرسة شاهدنا عينة من الكتب التي وفرتها لهم الدولة . . كانوا يقرأون في التاريخ الاسلامي والعروبة والأدب المعاصر والعلوم ، ثم مجلة العربي التي تصلهم كل شهر . . ولكن صاحب المكتبة العامة خارج أسوار مدرسة حسان يشكو . . (أنهم يرسلون لي ثلاثين نسخة من العربي كل شهر ، وأنا أبيع النسخة الواحدة بنصف دينار يمني ، أي ضعف ثمنها تقريبا ، والمطلوب مني شهريا ثلاثمائة نسخة . والنتيجة أن عدد قراء كل نسخة يصل في بعض الأحيان الى عشرين قارئا . !)

(سوبر ماركت) صغير في سوق المدينة . . ومواد غذائية محفوظة ومستورده .

المهرة تجار القمشة . هكذا عرفهم اخوانهم العرب في كل مكان حطوا فيه حتى عندما عادوا الى ارضهم وبلدهم .

ـ ويجري العمل الآن في بناء مسجد جديد يتسع لأكثر من ثلاثمائة مصل .

ـ وأنشأت الدولة مركز تنمية المجتمع ، أو مشروع تطوير البدو . . وأصبحت الفتاة البدوية المتعلمة تتدرب على الكتابة على الآلة الكاتبة ، لتوفير احتياجات المحافظة من الموظفين الكتبة . .

ـ وانتشرت الأسواق الحديثة في قلب المدينة ، والمهري بطبيعته تاجر . . وقد عاشوا في دول الخليج ، وفي بعض الدول الافريقية أعواما طويلة مع التجارة التي يجيدون التعامل بها .

ـ ودخلت الكهرباء والمياه العذبة كل بيت في العاصمة (الغيضة) وهي في الطريق الآن الى القرى الصغيرة .

التقينا بالأخ محمد سالم بادينار المحافظ ورئيس المكتب التنفيذي لمجلس الشعب المحلي . . لقد جاء يرحب بمجلة العربي في البيت الذي استضافنا فيه ، بعد أن اعتذرنا عن قبول دعوة صاحب الفندق الصغير الذي أنيم في قلب المدينة . . والسيد بادينار تلقى علومه في الكويت ، وعاش فيها سنوات طويلة قبل أن يعود الى بلده وهو يحمل للكويت وأهلها أجمل الذكريات .

انهم يعيشون المستقبل

وتحدث الرجل قال : (نحن هنا في محافظة المهرة بدأنا نسير على طريق المستقبل . . لقد خرجت البلاد من العزلة التي كانت تعيش فيها لأسباب ليست بخافية عليكم . . فقد لعب الاستعمار دوره ، وكذلك موقعها الجغرافي الذي نأى بها عن بقية أنحاء الوطن الأم . . لقد جئتم بالطائرة الى الغيضة (العاصمة) ، ولكن هل تعلمون كيف كان يتم الانتقال في الماضي بين الغيضة ، أو أي قرية أخرى من قرى المحافظة الى بقية مديريات المحافظة ـ وعددها أربع * ـ بما فيها مديرية العاصمة ؟ لم يكن هناك من وسيلة للمواصلات بين أرجاء المحافظة الواحدة غير القارب الصغير الذي يبحر بمحاذاة الشاطيء . . كان ذلك قبل الاستقلال . . ثم تغير الحال بعد عام ١٩٦٧ عندما انتزعت اليمن حريتها واستقلالها ، وأنشأت الدولة شبكة من الطرق الترابية تربط بين مختلف أرجاء المحافظة وبقية محافظات الجمهورية ، ويجري العمل الآن في مد طريق معبد بالأسفلت بين محافظة حضرموت ومديرية سيحوت .)

ويكمل المحافظ حديثه : (إنني أحاول أن أعيش معكم المستقبل في هذه الرحلة السريعة التي تقومون بها . . ومشروعات شق الطرق ورصفها لن تتوقف عند طريق الشحر ـ سيحوت ، فهناك اليوم دراسات تجري لمسح طريق سيحوت ـ الغيضة يليها دراسات أخرى لانشاء طريق آخر بين الغيضة وحوف ، كما يجري العمل بالفعل في تنفيذ شق الطرق الداخلية في مديريتي قشن وسيحوت . فليس من المعقول أن نظل نعتمد على النقل بطريق الجو وحده بين أرجاء البلد الواحد . . لأن معنى هذا أن يبقى حجم المنقولات محدودا والتكلفة باهظة .

لقد هبطت بكم الطائرة الصغيرة التي أقلتكم في هذه الرحلة ، في مطار ترابي كما رأيتم ، ولكن العمل أوشك على الانتهاء من بناء مطار مرصوف بالأسفلت يسمح بهبوط الطائرات الكبيرة ، وسوف ينتهي العمل فيه في العام المقبل ١٩٨٥ باذن الله)

الخروج من العزلة

ويمضي المحافظ : (هذه المشروعات وغيرها كانت وراء خروج أرض المهرة من العزلة التي

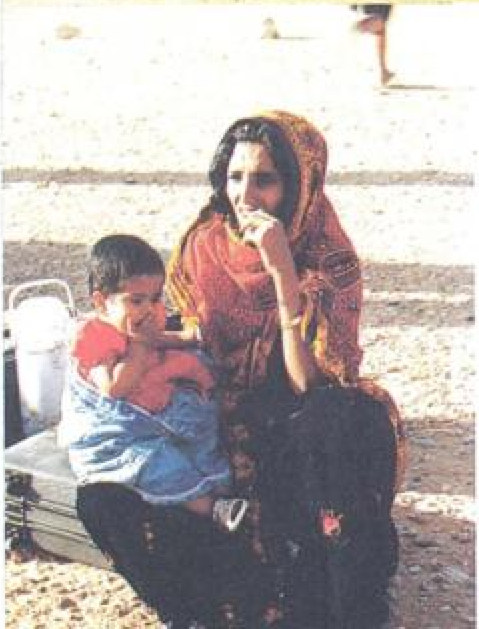

الرحلة الى محافظة المهرة لم تعد ضربا من المغامرات كما كانت منذ سنوات قريبة مضت .. الطائرة تنقلك اليوم الى (الغيضه) العاصمة .. والمطار خلاء فى قلب الصحراء .. ولكن السفينة التقليدية أو الناقة وسيلة المواصلات التى عاصرت عرب الصحراء ، اختفت .. لقد حل محلها السيارات التى تستطيع الانطلاق فى كل الطرق حتى الوعرة منها . انها ذكريات الرحلة الى محافظة المهرة فى صور غربت عليها شمس الماضي القريب لتشرق من جديد مع وجه جديد لحياة جديدة !

كانت تعيش فيها قرونا طويلة .. وقد أدت ظروف الحياة الجديدة وعملية التحديث التي رأيتم بعض مظاهرها الى عودة أعداد كبيرة من أبناء المهرة الذين كانوا يعيشون ويرتزقون في المهجر .. وأعني بالمهجر ، دول الخليج العربي الشقيقة ودولة الكويت بصفة خاصة ، وكذلك الذين كانوا يعملون في بعض دول شرق افريقيا .. وقد ساهم هؤلاء جميعا بنصيب كبير في عملية التنمية والمشاريع الخاصة بتوصيل مياه الشرب الى المنازل وكذلك التيار الكهربائي وبناء المدارس والمعاهد .. لقد تقدم أبناء المهرة تلقائيا وبدافع من حبهم لبلادهم وولائهم لها ، وأسهموا ، كل على قدر طاقته ، في هذه المشروعات التي تستهدف النهوض بالحياة في شتى المجالات بين ربوع البلاد) .

وسط أمواج الصحراء

ولكن حديث الأخ المحافظ لم ينته بعد .. فقد احسسنا فجأة أنه يريد أن يحدثنا عن شيء آخر .. قال : « لا تنسوا (نشطون) .. هناك سترون أحد المشروعات الحيوية التي ستسهم في تغيير صورة الحياة في محافظة المهرة .! »

وفي مساء نفس اليوم كنا نستقل السيارة اللاندروفر التي راحت تنطلق بنا الى نشطون .. الطريق اليها جبلي وعر .. ولكن أين هو الطريق ؟ سألنا سائق السيارة وهو يصعد بنا المرتفعات ويهبط ليصعد من جديد وسط الرمال وقطع الطوب والحجارة .. والسيارة منطلقة في قلب الأرض الصحراوية الجدباء .. لاشيء من حولنا يحدد معالم هذا الطريق الذي كان السائق يسير فيه بثقة ، ويبتسم في سخرية كلما سألناه : (هل أنت واثق من أنك تسير في الاتجاه الصحيح ؟) وكأنه يريد أن يقول : (كل الطرق تؤدي الى نشطون!) أما نحن في داخل السيارة ، فقد كنا أشبه بركاب قارب صغير تتلاطمه

مجلة العربي وطالب في المدرسة الثانوية .. انها تصل بانتظام كل شهر ولكن باعداد محدودة .. متوسط قراء النسخة الواحدة يزيدون على الخمسين .

الأمواج ويوشك على الغرق .. ولكن الرحلة لم تكن كلها عذاب الى (نشطون) التي تبعد حوالي ستين كيلومترا فقط عن الغيضة ، قطعتها السيارة في ساعة ونصف الساعة .. فقد وجدنا أنفسنا فجأة نتنقل الى طريق ممهد بالأسفلت يسير بمحاذاة الشاطيء ، ويخترق الجبال التي وقفت تتحدى الزمن .. وهدأ الاعصار !

لقد قطعوا في تمهيد الطريق الى (نشطون) شوطا لا بأس به .. حوالي ثلث المسافة تقريبا .. ثم توقف العمل ، لأن جهة التمويل بدورها توقفت .! ستة وثلاثون كيلومترا من الطريق ما زالت تنتظر ..

الميناء الجديد

ووصلنا أخيرا الى نشطون .. ومن الطريق الذي يعلو عن سطح البحر ، استطعنا أن نشاهد

المكتبة .. في المدرسة الثانوية المختلطة بالغيضة .

المشروع الجديد الذي شاء المحافظ ألا يتحدث عنه ، وترك لنا نحن مهمة نقل الصورة كما نراها .. المدينة الجديدة الحديثة ، والميناء .. أما المنازل الحديثة التي تتألف منها المدينة فهي لصيادي السمك وأسرهم .. وكذلك الميناء الذي شيد لاستقبال قوارب الصيد ..

والميناء والمدينة السكنية يشرفان على بحر العرب ، وهناك فوق التل الذي يشرف بدوره على الميناء تقع قرية صغيرة من قرى المهرة اسمها (نشطون) لا يزيد تعداد سكانها على أربعة آلاف نسمة ، وقد سمي الميناء باسمها ، وحول القرية الرئيسية كانت تتناثر عدة قرى صغيرة يسكنها الصيادون الذين يصل عددهم الى ألف صياد .. انتقلوا جميعا الآن للعيش في الوحدات السكنية التي شيدت لهم بالقرب من الميناء الجديد .

أضخم مشروع للتنمية

أما الميناء نفسه الذي شاركت في بناءه ثلاث جهات ، هي البنك الدولي ، وصندوق أبو ظبي للتنمية ، ثم الدولة ، ونفذته احدى الشركات الدانمركية ، فقد شيد فوق مساحة تبلغ ثلاثة كيلومترات ونصف ، وهو يشتمل على كاسر للأمواج طوله ٢٤٥ مترا ، وأرصفة لاستقبال قوارب الصيد المتوسطة والصغيرة ، وأرصفة أخرى خاصة باستقبال قوارب التعاونيات السمكية ، وثلاجة كبيرة تتسع لحفظ ثمانمائة طن من الأسماك ، ثم مركز لتسلم الأسماك ، ومعمل لصناعة الثلج ، وورش لصيانة واصلاح قوارب الصيد ، ومحطة لتوليد الكهرباء ، ومحطة أخرى لتحلية مياه البحر وتحويلها الى مياه عذبة صالح للشرب .

قال لنا المسؤول عن الميناء وهو يشرح لنا أبعاد

ميناء نشطون (الى اليسار) في أربع صور تحكي معركة الانسان المهري مع الطبيعة من أجل مستقبل افضل ، خزانات البترول يليها سفينةصيد السمك تدخل الميناء .. ثم سفن اخرى راسية ، وأخيرا غرفة التحكم في أجهزة تحلية مياه البحر .. (والى اليمين) الصياد والاسماك احدى الثروات التقليدية في اليمن كله وقد دخلت الآلة صناعة صيد السمك .

الثورة التي سوف يحدثها في حياة أبناء محافظة المهرة : (لقد تكلف المشروع حوالي خمسين مليون دولار ويعتبر من أكبر وأهم مشاريع التنمية في الخطة الخمسية الثانية (١٩٨١ - ١٩٨٥) وأكبر مشاريع التنمية على الاطلاق في محافظة المهرة ، ان ميناء نشطون بحكم موقعه المتاخم لمناطق غنية بالأسماك سوف يقدم خدمات جليلة لهذه القوارب ، فسوف يزودها بالماء والوقود ، وستتم جميع عمليات الصيانة والاصلاح في الورش التي أقيمت على أرصفته . ثم هو بعد ذلك سوف يصبح ميناء تجاريا هاما من خلال استقبال السفن التجارية وشحن وتوزيع البضائع المصدرة والمستوردة . .) وباختصار سوف يحدث الميناء الجديد نهضة كبرى في محافظة المهرة التي رزحت قرونا على هامش الحياة ووراء رمال النسيان !

ثم ماذا ؟ بقي أن نتحدث عن المهرة أنفسهم . . المهري التاجر الذي استقر به المطاف في أحد الأقطار العربية الشقيقة من الخليج الى المحيط . . في الخليج بصفة خاصة انتشروا في الأسواق يبيعون ويشترون . . وعاشوا وسط أخوانهم الذين عرفوا فيهم رجالا اشتهروا بخلقهم الكريم ، وأمانتهم وشجاعتهم واستعدادهم الفطري لتقبل كل جديد في العلم والمعرفة ، وقدرتهم على اقامة علاقات صداقة مع كل الناس . .

بين الفرقة . . والوحدة

عندما كانت بلادهم تعيش مغلقة على نفسها . . كانت تتنازعها عدة قبائل متناحرة ، لكل منها عاداتها وتقاليدها ومناطق نفوذها . . سلطانها جميعا عامر بن طوعري بن عفرار ، ولكنه قتل في المعركة التي دارت بين البرتغاليين والمهرة في عام ١٥٠٧ ، نتيجة للتمزق الذي عانت منه أرض المهرة . .

وأحس المتناحرون بالكارثة تطبق عليهم ، فجمعوا صفوفهم ونسوا أحقادهم ، وعادوا يستأنفون القتال ضد البرتغاليين الذي كانوا يتمركزون في جزيرة سوقطرة ، وانتصر المهرة وخرج المستعمرون في عام ١٥١٢ ، وعاد الحكم مرة أخرى الى آل عفرار . . أما الجزيرة القابعة في بحر العرب في مواجهة شواطيء محافظة المهرة ، فلم تعد تتبع المحافظة اليوم . إنها الآن تحت ادارة محافظة عدن عاصمة الجمهورية ، وقد بدأت هي الأخرى تخرج من حياة التخلف والبداوة ، بعد أن مدت اليها الدولة يد الرعاية والاصلاح . . لقد احتل الاغريق الجزيرة التي لم تشرق على أرضها شمس الحضارة قرونا طويلة عاشتها في الظلام ، ثم رحلوا عنها في عام ٣٠ قبل الميلاد ، وأسموها سوقطرة ومعناها جزيرة (السعادة) !!

كانت معركة النصر التي خاضها المهريون ضد المستعمرين البرتغاليين هي بداية الوحدة التي صهرتهم في بوتقة واحدة ، أصبحوا معها يعيشون أسرة واحدة في أفراحهم وأتراحهم . .

الاسماك في بحر العرب

وقد تأثر المهرة بأبناء الهند الذين عاشوا بينهم

وتبادلوا التجارة معهم ، وارتدوا (الوزرة) ، حتى وجبتهم الشعبية المفضلة اصبحت سمكا وأرزا . . فالسمك ثروتهم الغذائية الأولى ، وهو يتكاثر في مياههم الهادئة القريبة من الشاطىء . . والمهري في بلده اليوم مضياف . . هادىء هدوء مياه بحره العربي ، قانع بحياته . . وقد حمل هذا الاسم نسبة الى مهرة بن حيدان ، الذي نزح من مأرب عاصمة سبأ ، هو وجماعته ، أما أصلهم ، فتقول كتب « تاريخ الشعوب » ، أنه يرجع الى قبيلة قضاعة ، وينسب اليه الابل المهرية المشهورة بسرعتها وجمالها .

ولكن ماذا تعني كلمة مهرة ؟ في اللغة العربية القديمة بجنوب اليمن نجد أن مهرة تعني الساحل ، وهو المكان الذي استقرت فيه القبائل النازحة من شبه الجزيرة العربية منذ ألف سنة قبل الميلاد . أما اللغة المهرية نفسها فهي خليط بين اللهجات التي كان يتحدثها قدماء أهل اليمن . . أي المعنيون والسبأيون والحميريون .

وفي العام الماضي ١٩٨٣ وصلت الى عدن بعثة فرنسية جاءت خصيصا لدراسة اللغة المهرية بمقتضى البروتوكول الموقع بين جامعة عدن وجامعة السوربون الجديدة (باريس) ، ومدة برنامج الدراسة خمس سنوات ، يبدأ بالمهرية ثم يستمر ليشمل اللغة السقطرية ، نسبة الى جزيرة سوقطرة.

وتتألف البعثة من باحث وباحثة هما أنطوان لونيه وماري جان سيمون . . ماذا قالا عن اللغة المهرية ؟ انهما ينويان التوصل الى وضع قاموس كامل للغة المهرية . . وقد اكتشفا أن بعض الحروف والصوتيات الموجودة في هذه اللغة غريبة ومختلفة عن الحروف العربية ، ثم هي أيضا نادرة في لغات شعوب العالم . وقد كانت

محمد سالم باديبار المحافظ . . « نحن هنا بدأنا نعيش المستقبل » .

أبرز النتائج التي توصلت اليها البعثة حتى الآن هي اختلاف لهجات اللغة المهرية ، فالبدوي يختلف في لهجته عن المدني ، ولهجة الصحراوي تختلف عن لهجة الساحلي . . وكلهم يتحدثون المهرية . .

والى الغيضة وسيحوت وقشن ، سافرت البعثة لاستكمال دراساتها .

ولكن ابن المهرة الجديد لم يعد يهتم كثيرا بلغة أجداده . . انه اليوم يدرس العربية ويأكل السندوتش ، ويشرب الحليب في زجاجات معقمة ، ويذهب الى المدرسة في سيارة لاندروفر ، ويرتدي الشاب الملابس الافرنجية ، وان كانت الفتاة ما زالت تفضل الزي الوطني . . لقد اختفت الابل من الشوارع والطرقات ، واذا شاهدتها صدفة فهي لابد عائدة من الحقول بعد الغروب . . وحدها وبلا راع يرشدها الى الطريق . . تماما كما اكتشف اصحابها طريقهم الى الرمال الناعمة على الساحل الهادىء منذ عشرات القرون . . . □□

النياق الآن في المزارع حيث بدأ المهري يفلح الارض ويستزرعها . . (والى اليسار) نماذج من العمارة الحديثه بناء ، القديمة طرازا وتصميما ، الصورة العليا لاول مكتبة في (الغيضة) تبيع الكتب التي ترد من شتى انحاء العالم العربي . . وفي الوسط بيت مهري مغترب عاد بماله ليبني في بلده ، و(تحت) نماذج للبيوت التي شيدت للمهندسين المقيمين في ميناء نشطون .

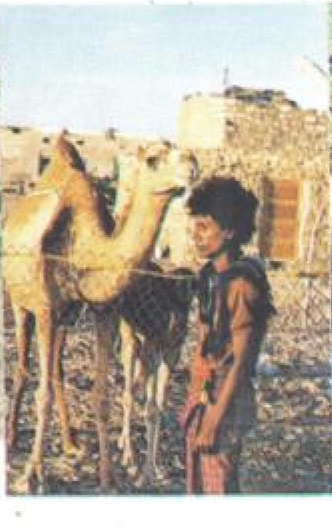

سد جديد في أمريكا الجنوبية

انه ولا ريب أضخم سدود العالم جميعا .. فهو يولد من الطاقة ١٢٦٠٠ ميجاواط ، أي(٦) أضعاف ما يولده السد العالي في أسوان ... وضعفي ما يولده سد جراند كولي في الولايات المتحدة .. وهذا السد الأخير هو الذي تربع علي عرش الأولوية في هذا الصدد حتي الآن ... وتزيد حصيلة السد الجديد من الطاقة علي مجموع ما تولده أكبر ست محطات توليد في بريطانيا ... وهي كفيلة بأن تغني البرازيل في مستقبل غير بعيد عن استيراد الجانب الأعظم من البترول الذي تستورده حاليا .. أو ما يعادل حوالي(٦٦٠,٠٠٠) برميل يوميا ... من أصل ٧٥٠,٠٠٠ برميل يوميا . ولا يخفى ان طاقة هائلة كهذه لا بد لها من توربينات عملاقة لتوليدها .. فقد بلغ التوربين الواحد من الوزن نحو ٣٠٠ طن .. ومن الحجم ما اتسع لفرقة الاوركسترا السمفونية البرازيلية بكامل اعضائها الستين أو يزيد .. بالجلوس داخل التوربين ، وباحياء حفلة موسيقية بين جدرانه .. وهذا واحد من التوربينات الثمانية عشر التي يعتمد عليها انتاج الطاقة في السد الجديد .

ولعل ضخامة هذا السد تتجلى لنا أيضا في كمية الأسمنت التي استعملت في انشائه ، وقد بلغت ١٥,٦ مليون ياردة مكعبة .. وهي كمية هائلة تكفي لبناء(٨)ثماني مدن بحجم متوسط . . وقد لا يعجب المرء لهذه الكمية لو علم أن جدار السد يرتفع(٦٤٠) ويمتد عرضا(٤٠٥٩) قدما .. اما كتلته الأسمنتية فتترامى بجملتها مسافة ٥ أميال !

وحسبك أن مياه خزان السد الجديد قد أغرقت ٥٦٣ ميلا مربعا من أراضي الغابات ...

بقي أن نذكر أن تكاليف انشاء هذا السد قد بلغت ١٨,٥ ألف مليون دولار .. علما بأن أكبر السدود الأوروبية(سد كلايدز في شمال بريطانيا) لم تزد تكاليفه علي ٢٥٠ مليون دولار ... وقد أسهم في بنائه ٤٠.٠٠٠ عامل ... وذلك ابتداء من سنة ١٩٧٣ وحتي افتتاحه في أوائل شهر نوفمبر من سنة ١٩٨٢ .

هذا هو السد الكبير .. أكبر سدود أمريكا الجنوبية ، والعالم أجمع ..

أما اسم السد فهو أيتايبو Itaipu وقد أقيم على أكبر انهار امريكا الجنوبية ، بعد الأمزون ، نهر بارانا Parana ، وهو النهر الذي يجري على الحدود بين الدولتين اللتين اشتركتا في انشاء سد أيتايبو : البرازيل والباراغواي . ومن طريف ما يذكر أن البرازيل قد اشترت معظم نصيب الباراغواي من طاقة السد باسعار متدنية . . ويقال انها اكتشفت مؤخرا أن ما يولده السد من طاقة قد فاق كل تصوراتها وكل حاجاتها . .

حرش من أحراش المانغروف . . وقد أصبح حطبا بلا حياة .

تلوث البحر الكاريبي المأساه . . والقدوة الطيبة

كانت منطقة البحر الكاريبي ومازالت في طليعة المناطق السياحية في العالم أجمع . . ولطالما أمها الكثيرون في رحلات بحرية جماعية ، تنظمها شركات السفن . . أو رحلات اخرى تتولاها الشركات السياحية ، وتنقل سائحيها فيها الى شتى دول المنطقة وجزرها ، للاستجمام والاستمتاع بجمال الطبيعة الساحر ، سواء على شواطيء المنطقة أو داخلها . . في مختلف مدنها وقراها . . ولانبالغ ان قلنا بان المنطقة بدت للكثيرين . . لاسيما الأمريكيين . . وكأنها قطعة من جنة النعيم ، وحسبك أن مجموع من ظفرت بهم المنطقة من سواح ، لم يقل عن ١٠٠ مليون سائح سنويا !!

ولكن التشبيه بجنة النعيم أصبح غير ذي موضوع . . وقد باتت المنطقة أقرب كثيرا الى الجحيم ، وباتت صناعة السياحة فيها مهددة الى حد كبير . . . وما ذلك الا بسبب التلوث الذي امتدت السنته حتى لفّت المنطقة كلها . . ببحارها وجزرها وشواطئها وغاباتها . . وشتى مدنها وقراها . .

فقد كثرت أدخنة مصافي البترول ، وكثرت البلاليع والمجاري التي قذفت الفضلات الانسانية والنفايات في مياه الشواطيء . . فتصاعدت الروائح الكريهة في كل مكان ، وغطت الشوائب سطح ماء البحر بكثرة تعذرت معها السباحة . . أضف الى ذلك الناقلات العملاقه وغير العملاقه . . فبترول فنزويلا والمكسيك كله ينتقل عبر البحر الكاريبي . . فيذهب أكثره الى الولايات المتحدة ، والقليل منه الى سائر بلدان العالم . . وحيثما مرت ناقلات البترول كثرت بقع الزيت كما هو معروف . .

ولم تكن اليابسه أسعد حظا من مياه البحر الكاريبي . . فقد كثرت المصانع ، مصانع الاسمنت التي تنفث من سمومها في الجو ما تنفث . . ومصانع البتروكيماويات التي تزيد الجو تلوث ، والتي غالبا ما تقام بالقرب من الشواطيء ليسهل التخلص من نفاياتها بالقائها في ماء البحر . . .

وشهدت المنطقة مأساة الأحراش التي شهدتها البرازيل وغيرها من الدول الاستوائية . . فقد أقبل أهلها على قطع الأشجار والقضاء على الاحراش والغابات ، وذلك من أجل زراعة الموز وقصب السكر والتبغ والبن والكاكاو . . فهذه الاشجار مردودها النقدي سريع ، وهي مفضله على الأحراش الساحلية ، التي تقتصر فائدتها على البيئة ككل . . وهي فائدة غير مرئية على كل حال ولاتهم الأفراد من قريب أو من بعيد . . .

وشملت أعمال التدمير هذه فيما شملت . . شجر المانغروف Mangrove ، الشجر الاستوائي الذي تنبثق من أغصانه جذور حيه ، والذي يعطي ثمارا لها مثل نكهة الاناناس . . . فغابات المانغروف المنتشره على شواطيء الكاريبي ذات قيمة بيئية كبيرة . . فثمة أحياء تعيش على جذورها ، وبخاصة تلك التي تنبثق من أغصانها وتمتد الى الأرض لتضرب في أعماقها . . وثمة احياء اخرى تأتي من

شواطىء جزيرة سانت لوسي ، احدى جزر الكاريبي . .

البحر الى غابات المانغروف لتتخذ من شجرها ملجأ وغذاء . . فالقضاء على هذه الأشجار كفيل بالقضاء على فصائل بكاملها من المخلوقات الحيه . . وبإتلاف منظومات البيئة وتوازنها . ولو ذكرنا أن القضاء على الغابات في أمريكا الوسطى يجري بمعدل ٤ ، ٤ مليون فدان سنويا . لأدركنا مدى المخاطر الكبيرة المترتبة عليه والتي تشتمل أيضا تعرية التربة . . وسلب خصوبتها . . وافساح المجال للانهار ، لتجرف التربة وتقذفها طميا في مياه البحر . . والذي بدوره يهدد باتلاف الجزر المرجانية وهي كثيرة في البحر الكاريبي وتعج بالأحياء والأعشاب والأسماك الملائكية الرائعة . .

وتدل الدراسات على أن الببغاوات التي اشتهرت بها المنطقة نفقت ولم يعد لها وجود ماخلا عدد قليل من أنواعها . . مائة أو دون ذلك . . وتدل أيضا على أن نصيب منطقة الكاريبي من الفقاريات التي انقرضت في العالم ككل لا يقل عن ٤٠٪ من مجموع تلك الفقاريات المنقرضه . .

على أن دول المنطقه (٢٧ دولة) ما لبثت أن صحت من غفوتها . . وتخطت أسباب العداء المستحكم بينها ، وتجاوزت الحروب التي لا تنقطع بين دول أمريكا الوسطى و كذلك الحرب البارده القائمة منذ عدة سنوات بين كوبا والولايات المتحدة . فقد أدركت تلك الدول جميعا ، أن مصلحة البيئة مشتركة فيما بينها ، وتستوجب التسامي فوق الخلافات السياسية ، ووضع حد للحرب والقتال . . وتقتضي التخطيط والعمل الموحد الفعال ، من أجل انقاذ بيئة المنطقة وضمان حمايتها . .

وهكذا عقدت الاجتماعات في كارتاجينا في كولمبيا ، برعاية برنامج البيئة التابع لهيئة الامم المتحدة (ويقوم على ادارة البرنامج مصطفى طلبه كما هو معروف) . ودارت المناقشات بين ممثلي الدول السبعة والعشرين كلها ، حتى توصلوا الى التوقيع على معاهدتين : إحداهما خاصة ببقع الزيت ، والأخرى عامة تشمل شتى أنواع التلوث وأسس مكافحتها . . وأعطى سكان المنطقة في تلك المعاهدات التي تم توقيعها في شهري مارس وابريل سنة ١٩٨٣ مثلا صادقا على روح التعاون البيئي ، الذي يجدر بمناطق أخرى عديدة تشبه منطقه الكاريبي أن تحذو حذوه وتتخذ منه عبرة وقدوة . .

قصة قصيرة

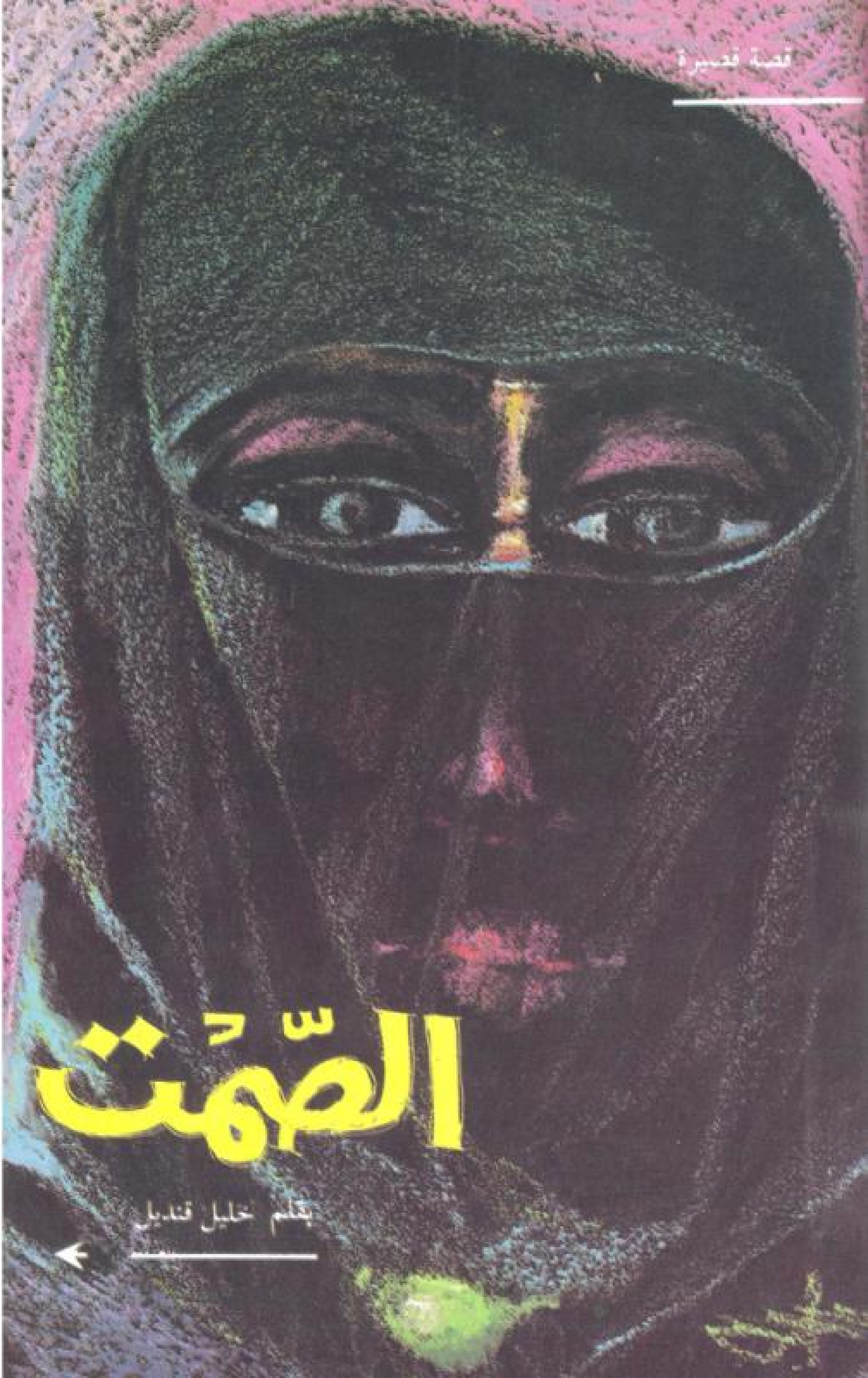

الصّمت

بقلم خليل قنديل

لم يكن خارقا للعادة ، ولا خارجا عن المألوف أن يقف الرجل في الحوش ذي الجدران المرتفعة بشكل مقصود .. ويبدأ يحرك سبابته في الهواء ، وهو يشتم ويبصق ويضم كل هذا ، في ملامح منكمشة منقبضة ، ويصب كل هذا الغضب على الزوجة التي تقف بباب الغرفة الكبيرة ، جامدة ، صفراء ومترهلة ، ذلك الترهل الذي يوحي ببقايا سمنة غابرة ، منحنية الرأس تتطلع اليه بعينين يتجلى فيهما التخاذل والاستجداء . وبالطبع لم يكن لديها أية نية في أن تجيبه أو ترد عليه . اذ أنها تدرك بأن ذلك يعني في النهاية أن الامور سوف تتفاقم .. وما زالت تذكر كيف أنها - وقبل عشر سنوات بالضبط - وهو يقف لها نفس هذه الوقفة . قصيرا وكل شيء فيه صغير ما عدا صوته الذي يجلجل في الحوش وحين قال لها : -

- ملعون ذلك اليوم .. وملعون ذلك الشيخ الذي كتب الكتاب ،وردت بصوت مكسور ومخبأ : ليته لم يكن .

مازالت تذكر كيف تناول أبريق الوضوء وضربها بكل ما أوتي من قوة ، موجها الابريق ناحية وجهها .

وصباح هذا اليوم ، كان الخطأ الأثم الذي اقترفته الزوجة هو أنها ناولته كوب الحليب باردا . وكان من الممكن جدا أن يكرع كوب الحليب في جوفه ويذهب الى دكانه المحاذي للغرفة الكبيرة .. ويبدأ يومه كالمعتاد ، أو من الممكن حتى أن يفتعل شجارا مثل عادته في كل يوم تقريبا ، وتقف هي نفس هذه الوقفة .. ومن ثم يختتم صراخه ببصقة وبعبارة يرددها : - ستنتهي هذه الحياة . ألن تنتهي ؟؟ ستنتهي .

لكنه هذه المرة أبى الا ان يغير في نمط الشجار ، كان يقول لها بطريقة استدراجية : - هيا ردي علي .. قولي أي شيء .. أعرف هذا الصمت .. أعرف كل شيء في داخلك يكرهني .. أو حتى يرغب في دفني حيا في أكبر مزبلة في المدينة .. تمتماتك أسمعها في الليل .. ثلاثين عاما وانت على صدري علة صامتة ، لن تقولي شيئا ، هه ... ساكته .. مثل هذه الجدران .. مثل هذه الأرض .. أعرف ولكن على غش .. نعم ساكتة على غش .. تفو .. تفو ..

وهي تحاول أن تنطق ، أن تقول له أي شيء ، لكن داخلها حالك السواد .. لابل كتل سوداء متراكمة ، سميكة تبدأ بقاع معدتها وتنتهي عند نقطة ابتلاع ريقها .. شتائم وصراخ ، وبصاق . وفي الليل نفخ وتنهد .. وحملقة في السقف .. صور بائسة .. معتدية .. تحسها متكومة في داخلها .. فقط حالة واحدة ثابتة .. تعرفها .. تعرفها تماما .. ذلك اليوم .. ذلك الفرح الذي تحسه الفتاة البكر وهي تودع بيت أبيها .. والتفاف فتيات الحي حولها .. وهن يتغامزن ويقلن : - تصيبك سيد الرجال والله .. ظل مضربا عن الزواج حتى الثلاثين .. لم تعجبه أية واحدة .. انه نوع آخر من الرجال .. رفعة وعفة .. وغطرسة جميلة رائعة .. وتأنق،محظوظة .. والله محظوظة ...

ولقد فرحت لذلك ، فرحة الانسان حين يحس بأن الغيب قد خصصه بتميز معين ، وحين ذهبوا بها اليه .. كانت تتصوره بطريقة لم تعد تذكرها الآن .. وتلك الحالة الثابتة الأكيدة .. مازالت أمامها حين دخلت هذه الغرفة ، التي تقف ببوابتها الآن .. أغلق الباب .. ومن دون أن يكلمها تناول عصا رفيعة من خلف الفراش المطوي وأخذ يضربها .. يضربها بكل ما أوتي من قوة لكي تخلع ملابسها ولم تدر الا وهو ينقض عليها مثل كلب مسعور .

ومن يومها .. انخرست . توقف نبض الحياة فيها . وقد قال لها ذات مرة ..

علي ومن ديني لولا العيب لطلقتك ... لكن أين وجهي من الناس ؟ سيقولون طلقها لم يقدر

عليها .. الناس لايرحمون .

تستمر المرأة في التذكر .. واقفة بباب الغرفة .. تاركة شمس الصباح تنطبع فوق ملامحها الباهتة ، بينما الأشعة النافذة الى الغرفة ، تلون جو الغرفة ببصيص ضوء صباحي متكاسل . والرجل في وسط الحوش مازال يصرخ .. بدون كلل أو تعب .

ـ هل أضرب رأسي بالجدار . هل أختق نفسي بعقالي .

كان يقول هذا ، ويحاول برغبة غامضة في التوازن النفسي أن يكف عن الصراخ .. يود لو أنها تدخل الغرفة . تذوب في تلك العتمة كعادتها كلما حدث بينهما شجار . ويذهب هو الى دكانه .. يصنع شايا ويشربه ويدخن ، ويقلب مفتاح الراديو الكبير على كل الاذاعات ويتأمل صبيان الحي الذي أصبحوا رجالا .. يعرفهم منذ كانوا صغارا .. حين كان يفك قبضتهم عن القروش ويعطيهم شيئا . ويضحك وهو يراقب ذلك الشعور الذي يتجلى في وجه الطفل حين يدفع ثمن أي شيء . كان يرى الخسارة والربح معا تنفرج وتتمدد فوق شفاههم باللذات . والصبايا . كبرن .. تزوجن ولم يعدن يأتين الى الدكان .. صرن يبعثن أولادهن .

كان الرجل يرى نفسه وهو يغرق في أفكار

متسارعة بشكل جنوني ، ويحس بأن شيطانا جهنميا يدفعه للصراخ . وقف للحظة .. تشنجت ملامحه .. وتطلع اليها .. كانت تتطلع اليه . هذه هي المرة الأولى التي يرى عينيها بوضوح .. هذا الوجه الآفل المتجعد وتلك الشفة السفلى الكبيرة المرتخية . وذلك الأنف المتقارى .. وذلك الشعر الذي يختلط فيه السواد بالبياض بشكل أهوج . لكن هاتين العينين تدفعانه للصراخ . فقط عيناها بقيتا كما هما . ذاك البريق الذي ينبيء عن تحد مكبوت . لكنه لم ير عينيها مثلما يراهما هذه المرة .

وهي تركت يدها التي كانت تستند بها على حافة الباب ، تنضم مع يدها الأخرى في تشابك ازدرائي وتقدمت خطوة الى الأمام كأنها تريد أن يرى ذلك التحدي المكبوت في عينيها بوضوح .

مرت فترة صمت . وبعدها .. وبحركة سريعة قوية ضرب رأسه بالجدار . ومن ثم نام على الأرض ، بينما الزبد يخرج من زوايا فمه ، وهو يصرخ : ـ

ـ يا الهي .. ما الذي حدث لي .. بسم الله الرحمن الرحيم .. آية الكرسي الفاتحة ... إقرئي فوق رأسي اي شيء .. !!!

وهي ثابتة في مكانها تتطلع بقوة ، بتمرد .. وهو يتلوى .. ويضرب برأسه في الأرض ضربات قوية متسارعة وفجأة .. همد مرة واحدة في وسط الحوش . والشمس بدأت ترتفع ... وهي .. تتطلع اليه وتقترب منه بوجل .. تمد يدها اليه ، تلمس وجهه تحس بأنها تلمسه لأول مرة . تهز جسده .. فيتحرك الجسد حركة طيعة . وتنهض المرأة بهلع .. ناحية بوابة البيت تفتحها وتصرخ بصوت كأنه الزغرودة :

ـ لقد مات ... لقد مات .. مات .

كانت تقول هذا فيما جسدها يهتز .. من هول النطق كأنها تنطق لأول مرة .

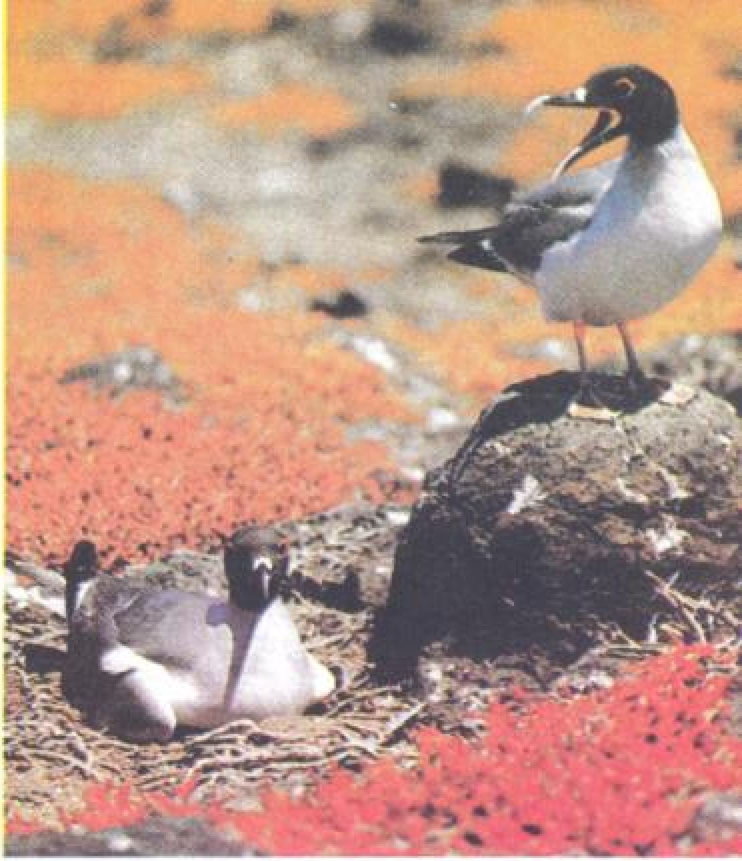

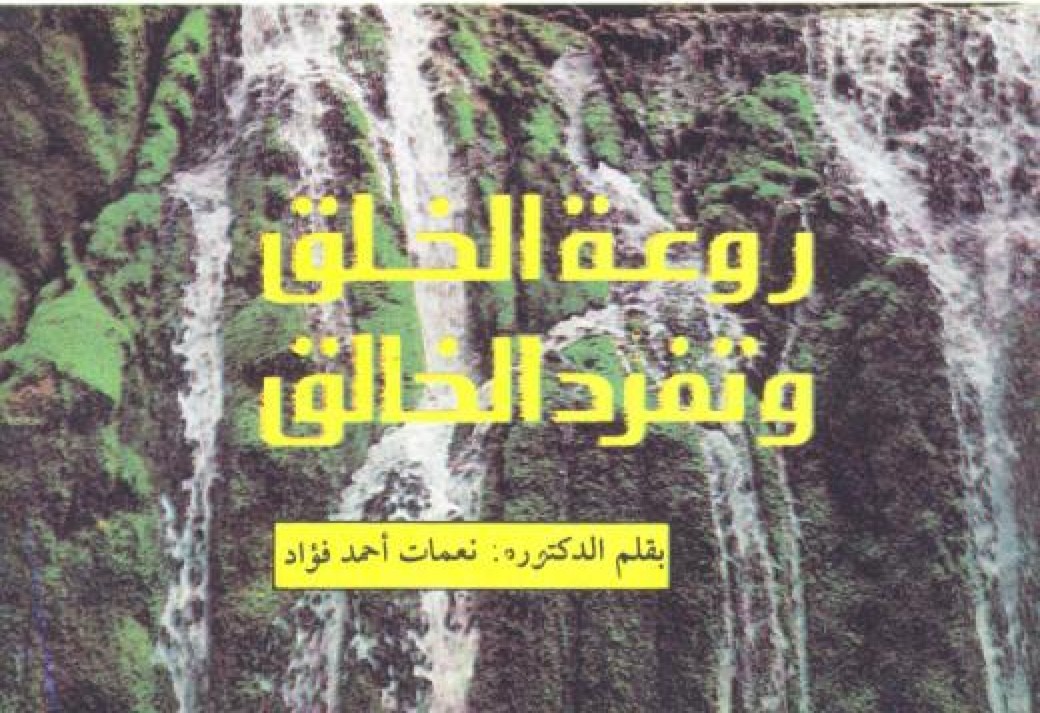

روعة الخلق وتفرد الخالق

بقلم الدكتوره: نعمات أحمد فؤاد

□ السماء بشمسها فى النهار ، ونجومها فى الليل خلقها الله .

والارض بما فيها من جبال ، جعلها الله رواسى تحفظها أن تميد بنا ، وما فيها من معادن وكنوز ،الجبال التى تشق فيها الآن الانفاق حتى تحول بعضها الى مدن سفلى .

والانهار جعل الله من مائها كل شيء حى ، والبحار والسهول والوديان ، كل منها عالم عريض خلقه الله .

المطر ينزل من السماء فيجرى أنهارا على السفوح وفى الوديان . .

السمك يعيش فى الماء وفيه لك رزق طرى ، وطعام شهى .

والخيل والبغال والحمير تركبها وفيها متاع لنا . . وفيها جمال أيضا حتى الحيوانات والزواحف المفترسة طوعناها لمصلحتنا ، ففراء الدب والثعلب ثراء وثياب فاخره ، وجلد النمر والتمساح والثعبان أحذية وحقائب ، وسن الفيل فى عداد المقتنيات الثمينة .

والبحار يخرج منها اللؤلؤ والمرجان والاصداف ! بل ان ماء البحر حوّله العلم الآن الى ماء صالح للشرب والزرع .

والانهار بما فيها وطميها نقلت الانسان من مرحلة الصيد وحياة الغابة الى مرحلة الزراعة وحياة البيت والاسرة والاستقرار والغنى والوفرة . . أى الحضارة .

حتى الدودة تأخذ منها الحرير بل أغلى أنواعه ، الحرير الطبيعى ، والنحله يخرج من بطونها شراب فيه شفاء للناس ، وهو العسل الأبيض الذى تستخلصه من رحيق الازهار ، فى عملية ذات مراحل متعددة ومنظمة وشاقة .

النمله الصغيره التى قد لا نعبأ بها ، عالم عجيب من الصبر والنظام والعمل المحسوب الدءوب . وهى فى تكوينها الصغير البالغ الدقة أدل على القدرة من الديناصور ، ذلك الحيوان الضخم المنقرض ، الذى لا نراه ولكن نسمع عنه فى الحكايات والأساطير .

والكون الرحيب . . هذه الشمس تعطى الحراره والضياء ، تساعد الزرع على النضج ويقتبس القمر منها نوره فيضيء فى الليل . ويستمد الانسان منها طاقة يسميها الطاقة الشمسية ، يستعين بها فى طبه وفى صناعاته المختلفة ، ويتخذها بديلا من البترول فى مجالات شتى .

هذه الشمس قطرها يعادل قطر الأرض مائة مرة وعشرة (١١٠ مرات) واذا حسبته بالكيلو فانه يبلغ كما يقول العلماء مليونا وأربعمائة الف .

أن حجم الشمس بالنسبة الى الارض يبلغ مليونا وثلاثمائة وخمسة آلاف ١,٣٠٥,٠٠٠ مرة لا يملكك البهر أو الفزع من أمريكا أو روسيا .

ما هى أمريكا أو روسيا بالنسبة الى الارض ؟ ثم ما هى الارض بالنسبة الى الشمس ؟ ثم ما هى الشمس بالنسبة الى عالم الافلاك والنجوم ؟ ثم ما هذا كله مجتمعا ومتفرقا بالنسبة الى الله ؟

ما أعظمك يا الهى ما اعظمك !!

ما اعظمك يا الهي خلقت النهار معاشا ، وخلقت الليل سكنا وراحة ، وجعلتهما متعاقبين ومتداخلين !!

تولج الليل فى النهار ، وتولج النهار فى الليل !!

تعطى من الطين ، الوردة والعنبة ، تخرج الحى من الميت ، وتخرج الميت من الحى !!

يقول كتاب الاسلام القرآن الكريم :

(وجعلنا من الماء كل شىء حى)

ويحكى لورين ايزلى مؤلف كتاب (الرحلة الكونية) أن « ثورو » عندما نظر الى سمك الكراكى الزمردى اللون ، فى البركة ، فى احدى لحظات التأمل العميق قال عن هذه المياه : أنها (الماء المتحول الى حيوان) ولو كانت لديه المعارف الجيولوجية التى حشدتها جهود العلماء منذ أيامه حتى اليوم لكان يمكن أن يذهب الى ابعد من ذلك ، أعنى الضغط الداخلى الذى رفع قيعان البحر الى ارتفاعات شاهقة كالجبال .

(لقد انتشرت الحيوانات البرمائية وانتعشت فى المستنقعات الواطئة الموجودة على سطح القارات ، وعندما جاء دور قوة الدفع الى أعلى فى عملية رد فعل متعادل للقشرة الأرضية ، ظهر الى الوجود عصر الارض المعشوشبة الآخذة فى البرودة ، وبدأت حياة الحيوانات الثديية .

أن مبدأ « التنظيم » الذى يفوق أسرار الحياة نفسها ، والذى وجد قبل الاحياء ، موجود فى أعماق الماء .

أن ما نعرفه عن أعماق البحار الدافئة ، قليل جدا ، بل نحن ، الذى قلناه ، لا نعرف شيئا يذكر عن الأعماق السحيقة .

وكما يقول « أيزلى » عالم الملامس الطويلة التى تتلمس طريقها برقة ، أو عالم العيون الكبيرة المحدقة التى تستطيع تبين ومضات النور الضعيفة عن بعد وتتبعها فى الظلمة الحالكة .

أن سحر الأعماق السحيقة شغل بال الانسانية أزمانا طويلة ، ودرس الانسان المجرات ، وحسب السنوات الضوئية ، ولكنه

لم يسبر بعد غور الأعماق . . هناك حيث استقرت كنوز القراصنة وضحايا المعارك البحرية مما غاص فى الظلمة الخضراء . .

ويتطوح خيال الانسان ويقص الطرائف عن عرائس البحر التى يزعم أنها تظهر فى السماء ، أو أن نصفها انسان والنصف الثانى سمكة . . ويمضى خياله ممعنا فى التحليق ، فيسمع صوت غادة فاتنة من بنات الماء ، تغنى فوق احدى الجزر ، ما تلبث ان تغيب فى اللجة عندما يسفر الصباح .

(وجعلنا من الماء كل شىء حى)

ومع هذا اعتبروا تشارلز طومسون جريئا حين قال فى كتابه (أعماق البحر) أن « مدى عمق المجموعات المختلفة الموجودة فى البحار الحالية يطابق بصورة مدهشة المدى العمودى فى الطبقات الارضية القديمة » .

أنه عالم القاع الفسيح بفوانيسه أو عيونه المجمعة للضوء ، تلك التكيفات الماهرة الميسرة ـ للفقاريات العليا .

أنه عالم « سهل الهاوية » حيث الزمن فيه يلتقى الماضى بالحاضر ذلك المكان كما يقول « أيزلى » (كان بالطبع عالم الأعماق القصوى الذى لم ير النور منذ البداية والذى يبلغ مداه من السعة ما يستحيل أن تملأه أى قارة فوق سطح الماء .)

ويمضى « أيزلى » فى خياله أو يقينه لست أدرى ، فيعلن رأيه فى (البداية) بدايته أو بداية الانسان من خلاله « بدأت كما تبدأ مثل هذه الاشياء ، يعنى الأسماك ، فى طين بعض المستنقعات البعيدة عن الأنظار ، فى حلكة أوثات الخسوف . لقد بدأت بلهاث مختنق طلبا للهواء »

كانت البركة مكانا للهواء الفاسد والعفونة ، الروائح الكريهة والسمك الذى يكاد يموت من قلة الاوكسجين ، والذى يتنفس بواسطة خياشيم مجهدة . كانت دائرة الماء المتقلصة شيئا فشيئا تخلف وراءها أحيانا مجموعات من السمك الصغير ، الذى كان يقفز فوق سطح الماء ، يائسا محاولا الهرب من حرارة الشمس ، ولكنه هلك على الرغم من هذا فى الطين الكثيف الدافىء . لقد كان ذلك مكانا للحياة البدائية الدنيا ، وفيها كانت بداية الدماغ الانسانى .

أنه سهل الهاوية ، أو عالم الهاوية الوحيد من بين عوالم الحياة ، الذى بقى على حاله لم يتغير ، وهو المكان الوحيد على هذا الكوكب الذى لا تزال الاحوال فيه على ما كانت عليه ، لم يتغير فيه ضغط الابعاد الخمسة ولم تسطع فيه شمس ، وتتساوى البرودة فيه عند القطبين وخط الاستواء ، ولا تتبدل فيه الفصول ولا تتعاقب ، وليس فيه ريح ولا موج يحرك الطين الذى يرتفع فوقه الاسفنج الاسكوتى ، على سوق رشيقة ، او تطفو فوارات الماء كأنها بالونات (نفاخات) مربوطة بخيوط . هو المكان الوحيد على هذا الكوكب الذى لا تستطيع أن تصل اليه الا بجهد هائل من التصور والخيال ، لم يزد عليه من اجهاد الفكر والخيال الا واحد ـ هو محاولة علم الاحياء فى القرن التاسع عشر ، الذى اسكره ما أحرزه من نجاح ، ان يلاحظ الحياة أثناء عملية تكوينها فى قاع البحر ، وأن يلمح نقطة الاتصال بين الحياة والموت فى طين الاعماق .

ان العالم يدور ويدور فلا يزيد شيئا فى الآية الكريمة التى استقطبت المعنى فى بلاغ يعجز عنه الكاتبون والعالمون معا : (وجعلنا من الماء كل شىء حى) .

وحين يتحمس علماء الاوقيانوغرافيا للبحر ، يتحمس علماء الجيولوجيا ، وبالقدر نفسه للعالم الأرضى بطبقاته ، فيقدرون عمر كوكبنا ـ أى الأرض ـ بأربعة مليارات من السنين ، وأنه منذ مائة مليون سنة لم يكن النظر يرى ـ ابتداء من القطبين حتى خط الاستواء ـ الا خضرة داكنة باردة على وتيرة واحدة ، وأنه قبيل نهاية عصر الزواحف وفى مكان ما ، حدث انفجار صامت عنيف ، دام ملايين من السنين ، ولكنه مع ذلك كان انفجارا ، وقد عين ظهور النباتات وعائية

البذور أي النباتات المزهرة ،وحتى «دارون» وهو من أعظم القائلين بالتطور ، وصف هذه النباتات بأنها (لغز بغيض) لانها ظهرت بصورة مفاجئة وانتشرت بسرعة هائلة .

وكلمة نقولها لابنائنا : ان الحياة مرت بمراحل طويلة حتى استوت كما تشاهدها جذابة مثيرة رائعة .

أرع الحياة على الارض حولك يا بنى ، لا تقطف زهرة من منبتها ، لا تحرمها من أسرتها العطرة ، أن الاقتطاف قتل لهذه الحياة الجميلة التى تضوع ، فارحمها أن تضيع .

يقول الشاعر الانجليزى فرنسيس طومسون (ان المرء لا يستطيع أن يستأصل زهرة دون أن يفزع نجما من النجوم)

هذا قول شاعر : أما العلم فانه يقول : (لقد غيرت الازهار وجه هذا الكوكب ، فلولاها لما وجد هذا العالم الذى نعرفه ابدا ـ ولا وجد الانسان نفسه) ولا يهولنك هذا القول . فكر معى قليلا ، تصل الى السبب .

ان الازهار يا بنى تستنشق فى النهار ثانى اكسيد الكربون ، فتوفر لك الاكسجين خالصا ، وهو الذى يمدك بالبقاء طويلا . (والدماغ النشط لذوات الدم الحار من الطيور والثدييات يتطلب استهلاكا عاليا للأكسجين والغذاء فى أشكال مركزة ، والا فانها لا تستطيع المحافظة على نفسها طويلا . وقد كانت النباتات المزهرة هى التى امدتها بالطاقة ، وحولت طبيعة العالم الحى . وان ظهور النباتات المزهرة يوازى بصورة مدهشة تماما ظهور الطيور والثدييات .)

أرأيت يا بنى كيف تتشابك حياة الاحياء ؟ ولكن الحضارة المادية للانسان تفضى به الى حافة الغرور ، حيث نرى أنفسنا (أعلى منزلة فى التطور يمكن أن تبلغها الحياة ، كما نرى انفسنا نهاية الحياة وغايتها ، واذا ما فكرنا فى انقضائنا ، فنحن نرى كذلك أن ضياء الشمس سيقضى بانقضائنا ، وأن الأرض سيسودها الظلام من بعدنا . فنحن النهاية ، ومن أجلنا ارتفعت قارات وغاصت قارات ، من أجلنا تمت السيطرة على المياه والهواء ، من أجلنا نبض ذلك الغشاء الحى الهائل وأضحى أكثر تعقيدا) .

ولو استمر هذا الغرور ، لا تحدرنا الى قاع الهاوية ، ولكننا لحسن الحظ يعيش بيننا فى كل عصر حكماء : علماء أو مفكرون ، يتمتعون بتواضع العارفين ، فيمسكون علينا الحياة ، نفتح عيوننا على الحقيقة التى تعرف من خلالها أين نقف وكيف نسير فيرتفع صوت يقول : (اننا نبحث الآن وعلى الدوام ونتقصى ، ونختلف ، ولكن الشكل الأبدى الخالد يروغ ولا نستطيع ادراكه وتحديده .. الشكل الذى نتخيل أنه شكلنا . أننا واحد من مظاهر كثيره للشيء الذى يدعى « الحياة » ولسنا نحن مثالها الكامل ، لانه لا مثال الا الحياة نفسها ، والحياة متعددة الصور كما أنها طارئة على مجرى الزمان) .

وتسرى الى السمع حروف مقدسة قدسية ، حروف قليلة العدد ، كثيرة المعنى ، قريبة الفهم ، بعيدة الاثر : (وما أوتيتم من العلم الا قليلا .)

ان شجرة واحدة من ملايين الاشجار المنتشرة فى الطبيعة ، تجعلنا نتأمل روعة الخلق فى كل ورقة وكل غصن .. وموسيقا الالوان أو موسيقا التعبير ، .. ماذا يستطيع الانسان ازاء هذا كله ؟ قصاراه أن يقلد وقد يتقن التقليد .. وهذه أيضا محاولة واجتهاد يحسب له ويشكر عليه ، فالتقليد تحيه أهل النبوغ لاهل العبقرية . ولكنه بعد هذا كله لا يشابه ما خلق الله ولا يضاهيه ، حتى وان بدت الوردة ـ الصناعية كأنها طبيعية ، تظل ينقصها الكثير .. ينقصها النبض والرفيف والشذى . تنقصها الحياة أي ينقصها كل شيء . هنا تتجلى روعة الخلق وتفرد الخالق . وهنا لا يملك المخلوق الا أن يقول : أنت أنت الله . □□

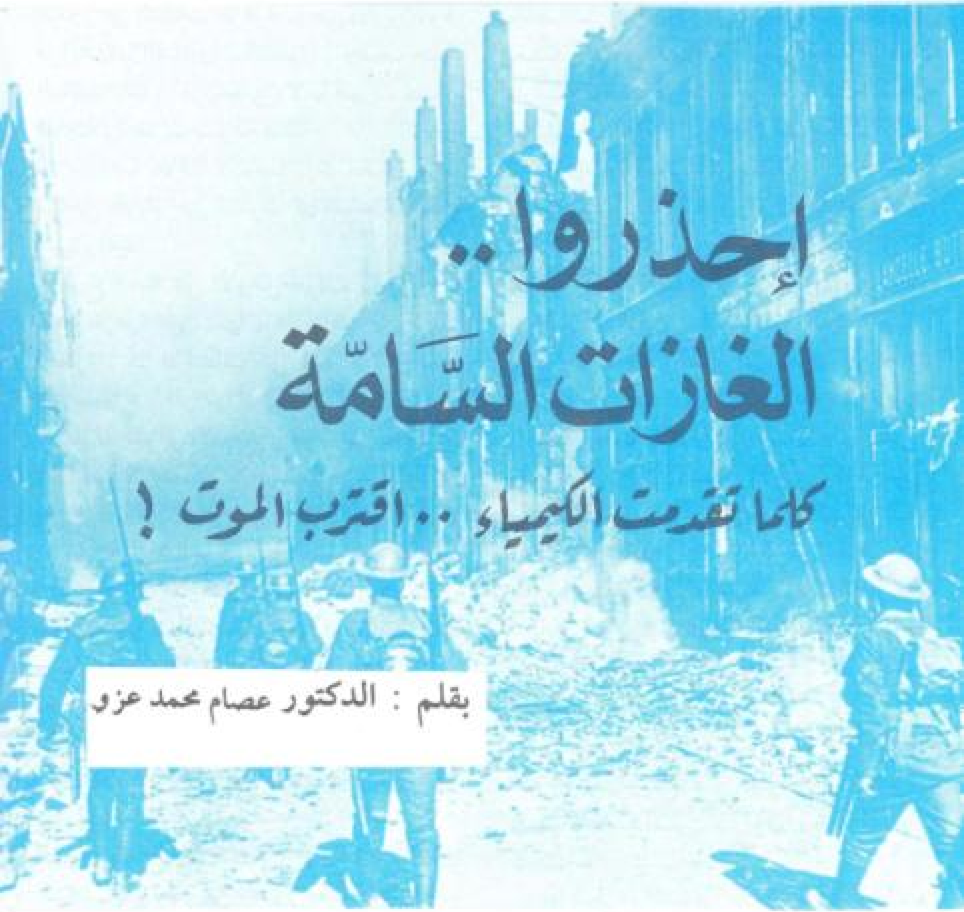

إحذروا.. الغازات السّامّة

كلما تقدمت الكيمياء .. اقترب الموت !

بقلم : الدكتور عصام محمد عزو

☐ انتبهوا . . لاتستهينوا بالغازات السامة . . انها سلاح رهيب للحرب الحديثة ، لاتقل فتكا عن القنابل الذرية . واذا كان استخدامها يستهدف في الأساس القضاء على حياة مئات الآلاف من بني الانسان . . فان التجارب التي تسبق انتاجها تعني التضحية بحياة عشرات الآلاف من بني الحيوان . . ويالها من تضحية . . تطرب لها قلوب العلماء . . !!

● انها ليست حرب المستقبل .. بل حرب الحاضر .

كل الأدلة والأرقام تؤكد أن هناك سباقا سريا رهيبا بين دول العالم الكبرى ، لانتاج وتصنيع أكبر قدر من المواد القاتلة والغازات السامة .. بل ان تقارير البنتاجون تكشف دون مواربة ، أن الصناعات في الولايات المتحدة قد اتجهت بشكل سافر نحو انتاج أنواع ذات فعالية خطيرة من الغازات السامة .

وتشير الأرقام الى أن الولايات المتحدة كان لديها قبل الحرب العالمية الثانية ، مركز واحد لصناعات المواد السامة .. واتسع ذلك بعد الحرب لتصبح لديها ثلاثة مراكز رئيسية بلغت تكلفتها ٩٥٠ مليون دولار . وتنتج أميركا حاليا ٥٦٠ ألف طن من المواد السامة في السنة ، بينما بلغ الانتاج العالمي في بداية الحرب العالمية الأولى ١٦٠ ألف طن .

ومن يتابع الأرقام التي تتسرب من مصادر البنتاجون ، يستطيع أن يعرف أن العلماء استخدموا خلال عام ١٩٦٥ أكثر من ٨٠ ألف حيوان في تجاربهم على الأسلحة الكيميائية ، كما أن البريطانيين قاموا بتجارب مماثلة ، ولكن على نحو ألفي حيوان . أما في الاتحاد السوفيتي فقد أجريت تجارب على أكثر من عشرين ألف حيوان .

والذي يؤكده العلماء المتخصصون في تطوير القنابل الكيميائية هو أن جهودهم قد جعلت بامكان عدد محدود منها قتل عشرات الملايين من البشر فيما تقل نفقات صنعها كثيرا عن نفقات صنع القنابل الذرية . وهناك أكثر من خمسين جامعة وكلية في الولايات المتحدة تجري دراسات وأبحاثا على الأسلحة الكيميائية بمساعدة مالية من وزارة الدفاع . وفي احدى الولايات الامريكية ، كلف حوالي ٦٠٠ عالم بتطوير الأسلحة الكيميائية ، وأجروا تجارب على ١٠٠ ألف حيوان ليعرفوا مدى فعاليتها في حال نشوب حرب عالمية بصورة مفاجئة .

تدمير الحياة

وهذه المواد السامة ، عبارة عن مركبات كيميائية ، قادرة على تدمير القوى الحية غير المحمية ، أو تضعف قدرتها القتالية . وتتميز هذه المواد عن الوسائط الحربية الأخرى ، بقدرتها على النفاذ من الهواء الى مختلف المنشآت الهندسية ، والدبابات والآليات الحربية الأخرى غير المجهزة بوسائط الوقاية الخاصة ، وهي تدمر بالتالي الأفراد الموجودين فيها ، كما أنها تحافظ على فعاليتها التدميرية في الهواء وعلى الأرض وعلى مختلف الأغراض لفترات معينة . كما يمكن لأبخرة المواد السامة أن تنتشر الى مسافات بعيدة جدا عن المناطق التي استخدمت المواد السامة فيها .

وفعالية هذه المواد التدميرية تتم بقيامها بتدمير العمليات البيوكيميائية الأساسية للحياة الطبيعية للانسان . وأهم طرق نفاذها الى عضوية الانسان ، هو جهاز التنفس وسطح الجلد وجهاز الهضم وبصورة غير مباشرة ، عبر دوران الدم عند دخول المواد السامة الى الجروح .

وتنقسم المواد السامة الى مواد سامة ثابتة ، وأخرى غير ثابتة . ويتمثل ثبات المواد الثابتة في محافظتها على فعالية التدمير خلال وقت معين بعد استخدامها . ويحسب هذا التوقيت بالساعات والأيام والأسابيع وحتى بالأشهر . ويتوقف ثبات المواد السامة على خواصها الكيميائية والفيزيائية . وطرق الاستخدام . والشروط الجوية وطبيعة الأرض التي استخدمت فوقها هذه المواد .

وتحافظ المواد السامة على فعاليتها التدميرية من بضع ساعات حتى بضعة أشهر ، وهي تتبخر ببطء وتتأثر قليلا بالهواء والرطوبة : أما المواد السامة غير الثابتة أو التي تعرف بالسريعة الزوال ، فتحافظ على فعاليتها التدميرية بضع دقائق غالبا . أما في أماكن تشكل البؤر الملوثة . (الغابات والوديان والمنشآت الهندسية) فانها تحافظ على فعاليتها لمدة ساعة أو أكثر .

الغازات السامة عبر التاريخ

ولكن . . لماذا لانتتبع تاريخ الغازات السامة منذ البداية . . ؟

يقول الباحث هلال أصغري في أبحاثه في هذا الموضوع ، انه في عهد القبائل الأولى التي كانت تسكن المغاور والكهوف ، كان المتحاربون يلجأون الى خنق خصومهم بالدخان وفي الكتابات الأشورية القديمة ، والمحفوظة في دار الآثار البريطانية ، وصف لاستخدام المواد السامة في البر والبحر .

ولقد استعمل قدماء اليونان الغازات السامة في سنة ٤٣١ ق . م بشكل لهيب يحدثه خليط من الكبريت والفحم والقطران ، ويطلق بواسطة قاذفات كبيرة (منجنيق) . وكذلك حدثنا المؤرخ ثيوسيديس عن استخدام الاسبارطيين للنيران الموقدة بحطب مشبع بالكبريت تحت أسوار بلاتيا ، فكانت تميت المحاصرين بروائحها ، كما استخدمت هذه الطريقة في حصار ديليوم ، وبعد ذلك استخدموا الأسهم

المغموسة في خليط الكبريت والفحم ، يشعلونها ثم يطلقونها صوب الأهداف القابلة للاشتعال قرب العدو ، فتلتصق بها الأسهم وتحدث أثناء احتراقها غازات تنتشر في الجو ، وكان الأعداء يتقون ذلك بتغطية الأهداف اما بالتراب أو بقماش مغموس في الخل .

وأخذت الحرب الكيميائية أهمية خاصة لدى استعمال النار اليونانية . وقد عرف تركيبها السري ، المهندس السوري اليهودي كالينيوس في سنة ٦٦٨ بعد الميلاد عندما فر من عين شمس الى القسطنطينية ، وأفشى هذا السر الى حكام الامبراطورية البيزنطية ، وقال إنها مركبة من فوسفور مذاب في ثاني كبريت الفحم ، وكان أشهر تركيب لها هو ذلك المكون من الكبريت والنفط والشمع والتربنتين والجير الحي ، وكانت تلقى بالمنجنيقات أو من أنابيب مركبة على جوانب السفن .

وفي عام ١٤٥٦ م ، أنقذ عالم كيميائي بلغراد من الوقوع في يد العثمانيين باشعال خرق مغمسة بمادة تنشر غازات سامة عند اشتعالها .
وفي العصور الحديثة تم استخدام الغازات في الحرب : في الحرب الاميركية سنة ١٨٦١ عندما حاصر الشماليون تشارلستون ، فقد كانوا يشعلون أخشابا مشمعة بالكبريت الملح والفحم عند نقاط الدفاع القوية ليجبروا المدافعين عنها على الخروج منها خشية الاختناق ، ثم استخدمت في الحرب ذاتها قذائف من مركب فوسفوري محترق ، وقد استخدمت في عدة ظروف بعض المركبات الكيميائية لمحاربة قرصان البحر ، كما استخدمت في حرب البوير من قبل الانكليز الذي شحنوا قذائف المدفعية بحمض البكريك الذي ينشر عند احتراقه غاز الليدايت السام .
ثم تقدمت الكيمياء وتقدم معها الموت ، فقد تم الاهتداء الى مواد تؤثر في أعضاء الانسان المختلفة مثل الزرنيخ ، فاستخدمت في الحروب ، لكنها لم تأت بنتائج تذكر لعدم توافر كميات كبيرة منها . وكان ذلك يعود الى صعوبة تحضيرها في ذلك الوقت . وعندما اندلعت الحرب العالمية الأولى ، اندفعت جميع الامم في الأبحاث والتجارب التي توصلت على أثرها الى نتائج « باهرة » وقد ساعد في ذلك تقدم الصناعات والعلوم كافة . وكانت معظم المواد التي أجريت عليها التجارب والأبحاث في تلك الفترة معروفة للعالم كله قبل نشوب الحرب . وكان يستعمل الكثير منها ابان السلم في بعض الصناعات ، كما أن خواصها كانت أيضا معروفة لدى الكيميائيين . وكثيرا ماوقفت حجر عثرة في سبيل أبحاثهم اما لرائحتها الكريهة أو لتأثيرها المهيج السام .

ثلاثة آلاف صنف

ولقد بلغ عدد المواد السامة التي أجريت عليها التجارب زهاء ثلاثة آلاف صنف ، لم يصلح منها في الحروب غير ثلاثين مادة ، فقط كانت بينها اثنتا عشرة مادة جاءت بأحسن النتائج المطلوبة في ميادين القتال ، اذ لايكفي أن تكون المادة شديدة التأثير ، بل يجب أن تكون أيضا مستوفية لشروط كثيرة تجعلها صالحة في هذا المجال .

وقد استخدمت فرنسا الغازات المسيلة للدموع في آب (اغسطس) ١٩١٤ لاعاقة زحف القوات الألمانية ، فكان ذلك ذريعة للألمان الذين استخدموا غازا مهيجا (أحد مركبات البروم) في «نوف شابل» وحققوا نتائج محدودة . ثم استخدموا قنابل مسيلة للدموع على الجبهة الروسية لكنها لم تنجح نظرا لبرودة الجو ، وفي ٢٢ ـ ٢٤ نيسان (ابريل) ١٩١٥ ،

فاجأ الألمان الحلفاء بأن وضعوا الكلور في اسطوانات من الصلب عددها ٦٠٠٠ في منطقة « ايبر » على جبهة عرضها ٨ كيلو مترات لمدة خمس دقائق أطلق فيها ١٨٠ طنا من غاز الكلور الذي انتشر على عمق ٥ - ٨ كيلو مترات. وشكل سحابة كثيفة وجهتها الريح الى أماكن تمركز العدو الذي لم يكن يملك وسائط وقاية. وكان لهذه المفاجأة تأثير عظيم على معنويات الجيوش الفرنسية بعد سقوط خمسة آلاف قتيل وعشرات الآلاف من المصابين ومعظمهم من الجزائريين. ويمكن اعتبار هذا الاستخدام أول استخدام فعلي للسلاح الكيميائي ولأسلحة التدمير الشامل في التاريخ.

واستخدم الألمان غاز الفوسجين في ١٩/١٢/١٩١٥ ضد القوات الانكليزية، لكنه فشل بسبب عدم اختراقه للأقنعة الواقية الانكليزية المصممة للوقاية من غاز الكلور، واستخدم الالمان ذلك الغاز مع غاز آخر يسبب القيء والغثيان هو « ديفينيل كلوراسين » فكان الجنود يرفعون أقنعتهم للتقيؤ فينفذ غاز الفوسجين وهو أقوى من الكلور بكثير. وتعود أسباب وفاة ٨٠ في المئة من القتلى بالغازات السامة في الحرب العالمية الأولى الى هذا الغاز، وكان يطلق في معظم الأحيان، بواسطة قذائف الهاون.

غاز الخردل . . .

وفي آب (اغسطس) من عام ١٩١٦، استخدم الروس غاز « الكلور كبريت » الذي لم تؤمن الأقنعة الوقائية منه، وفي ١٢ تموز (يوليو) ١٩١٧، اكتشف الألمان غازا جديدا هو غاز الخردل وكانت نسبة الاصابات بهذا الغاز في صفوف الحلفاء : ١٦ في المئة بين الانكليز، و٣٣ في المئة بين الأميركيين، وقد استعمل في قذفه ٤٠٠ ألف قنبلة كانت السبب في اصابة ٤٠٠ ألف جندي واخراجهم من المعركة. وكان قد استخدم لكل كيلو متر في الجبهة مابين ٢٥ و٣٠ طنا من المواد السامة. وكان انتشار الغاز في العمق يزيد عن ٢٥ - ٣٠ كيلو مترا عن مكان الاستخدام، واستعملت لهذه الغاية قاذفات الغاز والمدافع عيار ٧٥ - ١٥٠ ملليمترا.

وتذكر الاحصاءات أن ٨٠٠ ألف جندي أصيبوا في الحرب العالمية الأولى وخرجوا من المعركة بسبب المواد السامة التي استخدمت فيها، وهناك احصاء آخر يرفع العدد الى أكثر من مليون شخص، ورغم البروتوكولات الخاصة بتحريم السلاح الكيميائي، وأهمها بروتوكول جنيف عام ١٩٢٥، فقد استخدمت ايطاليا عام ١٩٣٦ غاز الخردل ضد الشعب الاثيوبي في « مكالا » وبسبب فقر الاثيوبيين وعريهم وسيرهم حفاة، كان هذا الغاز سريع الفتك بهم عن طريق الأرجل، ثم استخدمته اليابان ضد الصين في عام ١٩٤١.

لكن الأسلحة الكيميائية لم تستخدم في الحرب العالمية الثانية ورغم اكتشاف الألمان للغازات المؤثرة على الأعصاب، وهي سلسلة من الغازات من أهمها التابون والزارين ومشتقاتها كالزومان وغيره.

وفي الحرب الفيتنامية استخدم الاميركيون الغازات والمواد السامة وكذلك فعل الاسرائيليون في جنوب لبنان عام ١٩٧٨ خلال حربهم ضد الفدائيين الفلسطينيين التي بدأت في ١٥ آذار (مارس) من ذلك العام.

والآن ماتزال الغازات السامة موقع تهديد مستمر وتبادل للاتهامات بين كل دولة وأخرى من المشاركين في أي حرب مشتركة . .

ولكن . . ستظل الغازات السامة وصمة عار في جبين البشرية . . وفي جبين علم الكيمياء □□

كتاب العربي

الرابع

يصدر في ١٥ اكتوبر ١٩٨٤

مراجعات حول

العروبة .. والإسلام .. وأوروبا !

د. محمود السمرة

طبيب الأسرة

فرشاة الأسنان ودواعي استعمالها

كثيرٌ من الناس يسألون ؟ هل نستطيع أن نحفظ أسناننا سليمة اذا داومنا على استعمال الفرشاة والمعجون بعد كل وجبة طعام ؟؟

الجواب .. بكل بساطة لا لأن تفريش الأسنان هو سبب لازم وغير كاف لمنع حدوث نخر الأسنان لاسيما وأن هناك ثلاثة أسباب توضح بعض العوارض التي تعتبر فرشاة الأسنان منها ضربا من اللهو والمزاح اذا ما توفرت عند المرضى . وسنستعرض هذه العوارض الثلاث،والتي تعتبر حقا أول أصول وبدائيات المعالجات السنية المطروحة في المجال الطبي السني بشكل عام .

أولا : العامل الوراثي :

أوضح العالم الأمريكي كول باسكار بأن أسنان بعض الأطفال ما بين سنة واحدة وست سنوات وما بين عشر سنين وأربع عشرة سنة من العمر ـ ومن خلال دراسته للصور الشعاعية للفترتين المذكورتين عند هؤلاء ـ تتعرض هذه الأسنان للنخر السني ، كما تتعرض البراعم السنية المؤقتة وبراعم الاسنان الدائمة لنفس المرض ، وذلك بسبب ارثي بحت ، حيث درس هذا العالم أسنان الأهل ، ومن بعدهم راقب أسنان أطفالهم خلال ثلاثة أجيال في كل مناطق أمريكا الشمالية والدول الاسكندنافية ، وقرر تأثير العامل الوراثي في نخر الأسنان منذ عام ١٩٣٥ .

ثانيا : العامل الدموي ـ أو العامل الانحلالي .. ومعناه أن اختلافا يحصل في رمز دم كل من الأبوين ، يؤدي الى ما يسمى انحلال الدم الجنيني ، مما يؤدي الى انتاج عاج سني متلين ومائل الى اللون الأزرق المسود ، مما يعطينا أسنانا متآكلة ومعرضة للتهدم والانكسار ، كما أن هناك عاملا يتبع العامل الدموي ، وهو انتقال مادة التراسيكلين من الأم الحامل الى الجنين ،وتوضعها في براعم أسنان هذا الجنين ، مما يؤدي الى تآكل هذه البراعم السنية ، وتصبغها ، لذا حرم الأطباء استعمال هذه المادة ، وخصوصا من قبل الأمهات الحوامل والمرضعات على السواء .

ثالثا : الترسب الغريزي للمواد العضوية المعدنية الموجودة في اللعاب أصلا،والناتجة عن ترسب بقايا الفضلات الطعامية بشكل غريزي في مناطق معينة من الأسنان ، مما يؤدي الى تغير لون الأسنان ، في هذه المناطق على شكل سير أسود في المسافات المجاورة للثة ، حتى لو لم يكن المريض من المدخنين بجميع أنواع التبوغ .

ان فرشاة الأسنان ولاشك مفيدة دائما ، وفي كل الحالات ، وذلك لأنها تعمل على ازالة بقايا الفضلات الطعامية من الفم ، ذلك اذا أحسن استعمالها حسب ارشادات طبيب الأسنان .. واستعمال المعاجين السنية وخصوصا المعاجين المحتوية على مادة الفلور هي معاجين جيدة ولكن ...

أكرر في كل مرة بأنه على كل انسان مراجعة طبيب الأسنان وبشكل منتظم مع أطفاله كل ستة أشهر ، وذلك لأن الطبيب يقدم للناس المعالجات السنية المفيدة ، بما فيها تنظيم الأسنان حسب الأصول الطبية المستحدثة ، وخصوصا الأماكن التي لاتصل اليها الفرشاة أبدا ، ولا يصل اليها حتى نظر المريض اطلاقا .. كما أن هذه المناطق بالذات هي ما أقصده بالنسبة لترسب الفضلات الطعامية فيها ، وهي أيضا المناطق الأكثر تعرضا لنخر الاسنان بلا أدنى ريب .

وأخيرا من المفيد أن نذكر بأن فرشاة الأسنان تزيل روائح الفم الناتجة عن ترسب الفضلات الطعامية فيه ، وأن تفريش سطح اللسان مرتين في اليوم بواسطة الفرشاة نفسها يؤمن للمدخنين وضعا أكثر راحة ، وأن تدليك اللثة بواسطة الأصابع المرطبة بالماء العادي كل يوم مرة صباحا وأخرى مساء يؤمن لها تروية دموية جيدة لكل الناس على السواء ، وان اتباع نصائح الطبيب لاغنى عنها في كل الأحوال .

حجر جهنم

Lunar Canstic

● قرأت فيما أقرأ من كتب الطب القديمة ـ لهواية في نفسي ـ عن علاج يدعى حجر جهنم ، ولما لم أجد من يدلني على حقيقة هذا العلاج ، رأيت أن أكتب لكم لعلكم تملكون الاجابة الشافية ولكم وافر شكري .

م . ص .
الدار البيضاء ـ المغرب

حجر جهنم هو الاسم الذي أطلقه العرب من رواد علم الكيمياء الاوائل من أمثال جابر ابن حيان على معدن نترات الفضة (Siaver Nitrqte) لما له من تأثير حارق كاوٍ يؤثر على الجلد وأنسجة الجسم الاخرى ، كما يؤثر على المواد التي يلامسها ، وله في اللغة الانجليزية اسم قريب الى حد ما وهو (Lunar Canstic) أو الحارق الفضي أو الحارق القمري .

ونترات الفضة تعتبر في الطب من المواد الكيماوية القابضة والمطهرة لأنها ترسب بروتينات الجسم ، لهذا فهي تستعمل احيانا بنسبة ١٪ في معالجة الحكة الشرجية أو المهبلية ، كما استعملت قطرات منها لمدة طويلة وبنسبة خفيفة لوقاية عيون الاطفال حديثي الولادة من الالتهابات المعدية ، ولكنها استبدلت مؤخرا بالمضادات الحيوية .

وقد استعملت بعض مستحضراتها التي تدعى أرجيرول (Argyrol) وبروتارغول (Protargoi) لمدة طويلة كقطرات للأنف مطهرة ، وان كان أثرها في هذا المجال ضعيفا محدود الفعالية .

ولعل من أشهر ما استعمل في الطب من اشكال نترات الفضة ما تم تصنيعه على شكل أقلام أو عصي ، وهذا ما أعطى لهذه المادة اسمها المميز وهو حجر جهنم حيث استعملت في كي الاورام والقروح في الجلد والانسجة المخاطية على شكل مس سطحي يدمر الانسجة المريضة ويسرع في التئامها .

العربيّة .. لغة ثانية في باكستان

□ هل تتحقق أمنية الباكستانيين بنشر اللغة العربية في بلادهم على أوسع نطاق ؟ الآمال كثيرة بعد دعوة الرئيس ضياء الحق لدى القائمين على أمور التعليم للعمل على تحقيق فكرة جعل اللغة العربية لغة ثانية في باكستان . .

تأسست باكستان كدولة اسلامية نادى بتأسيسها مسلمو شبه القارة ليطبقوا فيها شريعة الله ويتخذوا فيها الاسلام منهج حياتهم . ولا شك أن للغة العربية دورا لا ينكر ولا يستهان به في كل مجهود يبذل لتطبيق الشريعة الغراء ، فمنذ أن استقلت باكستان وفي نية زعمائها أن يجعلوا اللغة العربية لغة البلاد الثانية ، ولكن مع المشاغل المعقدة الكثيرة مع جيرانها التي شغلتهم عن الالتفات إلى هذه الناحية ، لم ينسوا أمنيتهم لنشر اللغة العربية على أوسع نطاق ممكن ، واتخذت عديدا من القرارات الهامة في سنوات مختلفة بعد استقلال البلاد .

منها على سبيل المثال :

● جعل جامعة اسلام اباد الاسلامية جامعة عربية بكل مافيها من وسائل وامكانيات ، اذ تم تسليمها الى أيدي فريق من الأساتذة المصريين كلهم أو جلهم من خريجي جامعة الأزهر ، وبعض الأساتذة أيضا من جامعات أمريكا وانكلترا وغيرها من البلاد الغربية .

● تم تعيين عالم مصري لادارة هذه الجامعة .

● اقامة علاقات وصلات علمية وثقافية بين الجهات المعنية في الباكستان والجهات العربية المعنية . وصولا لتحقيق فكرة جعل العربية لغة البلاد الثانية .

زيارات علماء المسلمين

وفي العام الماضي دعى كل من رئيس جامعة الأزهر ورئيس جامعة القاهرة وعميد كلية الآداب لزيارة باكستان كما زارها غيرهم ، غير ان اقامتهم كانت مؤقتة وعابرة . ولم تستطع البلاد ان تستفيد خلال زياراتهم القصيرة من خبرتهم وعلمهم ولغتهم الفائدة الكافية ، وقد دعى في العام الماضي الدكتور احسان حقي والقى محاضرات في خمس جامعات . والدكتور

حقي ليس غريبا عن باكستان ، بل انه يعد واحدا من رجالها ، وقد كانت حكومة باكستان قد دعته سنة ١٩٧٣م لكتابة كتاب عن باكستان فكتب كتابا جامعا هو من أفضل ما كتب عن باكستان ، حتى ان سفراء البلاد العربية الذين يعينون لدى باكستان لا يجدون غير هذا الكتاب لمعرفة كل شيء عن هذه البلاد ، وقد استضافته هيئة الجامعات نحو شهرين ، فوضع لها برامج لنشر اللغة العربية وتعميمها بطريقة عملية وممكنة التنفيذ .

وإذا كان الذين زاروا باكستان وسيزورونها من العلماء كثيرين لدوام هذه الصلة بين العالم العربي وباكستان فان للدكتور حقي تبقى المنزلة الأولى بين الزائرين لأسباب كثيرة ، منها: ان الدكتور يتكلم لغة البلاد (الاردية) كأحد أبنائها ، ثم إنه سبق له أن عاش في شبه القارة الهندية الباكستانية سنوات عديدة عمل فيها استاذا في جامعة (عليكرة) الاسلامية ، ثم إن له صلات صداقة مع كثير من زعماء البلاد الغابرين أمثال المرحومين العلامة محمد اقبال والعلامة عناية الله المشرقي زعيم حركة خاكساران ومولانا سليمان الندوي والاستاذ ابي الأعلى المودودي ، كما ان له صلات صداقة مع كثير من الجيل الحاضر من علماء وقضاة وحكام .

وقد كتب الدكتور حقي كتابا عن مأساة كشمير المسلمة ، وله كتاب يبحث تاريخ شبه القارة الهندية الباكستانية منذ خمسة آلاف سنة الى يوم استقلالها .

وقد توج أعماله كلها بترجمة أحد كتب الهنادكة المقدسة وهو كتاب (منوسمرتي) أو الطقوس والعادات ، أو هو شريعة منو أحد آلهة الهنادكة ، وقارن موضوع هذا الكتاب بكتب ديانات العالم الثلاث: الاسلام والمسيحية واليهودية . وكتب أيضا كتبا لتعليم اللغة العربية على الطريقة الشخصية ، وهو بالاضافة الى هذا كله يعرف البلدين : هندوستان وباكستان معرفة تامة بتاريخها وجغرافيتها ودياناتها .

وسام ستارة امتياز

تقديرا لخدمات ولمساعي الدكتور حقي في نشر اللغة العربية فقد منحه رئيس البلاد وساما هو وسام (ستارة امتياز) وقد أعلن منح هذا الوسام في العام الماضي لثلاثة من العلماء من خارج باكستان ، الأول هو الدكتور احسان حقي ، والثاني هو الدكتور الاستاذ دونالد ليتل مدير معهد الدراسات الاسلامية في جامعة مكجيل في كندا والثالث هو الكاردينال كورديرو .

وأما الدكتور دونالد فقد منح هذا الوسام لما قام به من دراسات في التاريخ الاسلامي ، ويعتبر حجة في تاريخ العصر المملوكي ، وعلى اعتبار أنه استاذ في الجامعة ومدير لمعهد الدراسات الاسلامية الذي يعنى بالأمور الاسلامية . وقد عمل كثيرا لتعريف العالم الاسلامي على الوجه الصادق لابناء قومه . وأما الكاردينال فهو من أصل طلياني ومن أسرة معروفة ، وقد استوطنت أسرته حيدر آباد منذ سنة ١٨٧٤م وقد عمل الكاردينال كثيرا في مجال التعليم ، وأدى خدمات للبلاد من الناحية العلمية الخالصة ، فقدر له الرئيس جهوده ومنحه هذا الوسام .

هذه صفحة واحدة من صفحات باكستان في خدمة الاسلام والعروبة ، والامل كبير في ان يتم اعلان اللغة العربية لغة ثانية بعد الأردية ، فلا شك ان ذلك سيزيد من إمكانية التفاعل مع العالم العربي والاسلامي . . . فالعالم الاسلامي لا ينقصه شيء الا التكاتف والتعاون والتآلف ، ولا سيما أن عالم اليوم لا يقوم على الجهود الفردية ولا على التمني والعواطف . □□

محمود احمد غازي

المتشابهون

حـذفـوك بـالأضـداد ثم تقحمـوا
واستنفـروا الـزمـن الـذي لا يـرحم
تتقمص الأسـرار ثـم تحيلـهـا
عطشـاً يـنـاغـى نـهـرهـا ويسلـم
جثث الـغـزاة عـلى سـواحلـه كمـا
يبسـت قـراب والمياه بـهـا دم
لـم تـدر مـا يـأتي وألف خـريطـة
رسمت لمـا يـأتي بمـا لا تـعلـم
ولقـد أتـوا من قبـل أن يـأتـوا بمن
يتشـابـهـون بـهـم ، وبـعض منـهـم
وتقمصـوا الأشيـاء وانتشـروا بـهـا
وتجـهمـوا فـاذا بـهـا تتجـهـم
واذا بهـا من بـعـد مـا سكنـوا لهـا
مـدن عـلى انسـانـهـا تتـهـدم
جعلـوا الحلـولَ الحـربَ وابتكـروا لهـا
نـاراً تشـب بـآخـريـن وتضـرم
رفعـوا العـواصم ثم دسـوا تحتـهـا
زلـزالـهـا ولكـل خسـف مـوسـم
وتـداخلـوا في الآخـريـن كـأنـهـم

شعر : محمد الفايز

شر يؤلف بعضه ويتمم
وكأنهم لم يكتفوا فتسربوا
في الفكر حتى أوهموا من أوهموا
وتوغلوا من حيث لا يدري بهم
احد وقد يدري ولا يتكلم
متجهم في ظاهر متمزق
في باطن وبه الصراع المبهم
ومشوه طمست خرائط وجهه
فكأنه ينهار أو يتقسم
وكأنما الأيام تنمو مثلما
تنمو ونهرم مثلما هي تهرم
هرمت لعمرك ، أو كما قالوا لها
هزلت ، والا قد بدت تتعتم
وكأن هذي الأرض إنسان له
نزعاته ، وكأنما هي تفهم
نسفت ظواهرها بلاهب جوفها
فتحدثت أو أن صوتاً يرسم
وتقاربت أشباهها من بعضها
نصف به نور ونصف مظلم

● صفحة لغة ●

هام ومهم ، ومهام ومهمات

بقلم : محمد خليفة التونسي

أيهما صواب : هذا أمر هام أم هو مهم ؟

الوصفان « هام ومهم » كلاهما صواب ، الوصف الأول « هام » فعله ثلاثي مجرد هو « همّ » يقال « همّني الأمر » فهو هام .

والوصف الثاني فعله ثلاثي مزيد بالهمزة وهو « أهمّ » يقال : « أهمّني الأمر » فهو مهم .

وقد ورد الفعلان في القرآن الكريم ، ورد الأول مرات كما في الآية « وهموا بما لم ينالوا[1] » والآية « ولقد همت به وهم بها ، لولا أن رأى برهان ربه » . وورد الفعل الثاني مرة كما في الآية « وطائفة قد أهمتهم أنفسهم » .

وتأتي كلمة « الهم » لمعان كثيرة كلها تدل على انشغال النفس بأمر ما ، ويكون الانشغال به على درجات ، اذ قد يكون عبوره خفيفا ، سريعا أو بطيئا ، كما يمر ظل الطائر في الجو دون أن يدفع صاحبه الى أي عمل ، وقد يكون التوقف عن العمل حينئذ لضعف الباعث أو لمانع خارجي .

وقد يكون من القوة بحيث يزلزل النفس ويستبد بها حتى يدفع بصاحبه الى اقتحام الأخطار دون مبالاة بالعواقب ، وبين هاتين الدرجتين المتطرفتين درجات ، وهذا ما تدل عليه كلمة « الهم » في تراثنا الأدبي ، ومن شواهدها الآية « اذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم » والآية « ولولا فضل الله عليكم ورحمته لهمّت طائفة منهم أن يضلوك » والآية « ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول ، وهم بدأوكم أول مرة » ومنه قول الأعشى (جاهلي) في توصية :

مهلا ، بنى ، فان المرء يبعثه
هم اذا خالط الحيزوم والضلعا

وقول الحطيئة (مخضرم) في المدح :

اذا هم بالأعداء لم تثن همه
كعابٌ عليها لؤلؤ وشنوف[2]

وقول الأحوص في التوجع :

ومن يبت مضمرًا همًا ، كما ضمنت
مني الضلوعُ ، يَبِت مستبطنا غِيَرا

ومما يدل على امتلاك الشاغل للنفس في عزم الأمور ،

(١) الآية تشير الى طائفة كانوا يعتزمون اغتيال النبي عليه السلام في أثناء رجعته من غزوة ، فرصدوا له في طريقه ، ولكنه فطن لهم فحين بلغهم أمر بازالتهم عن طريقه ، فتمت له النجاة ، وكان يعرف أسماءهم وقد سماهم رجلا رجلا لبعض خلصائه .

دون نظر الى العواقب قول سعد بن ناشب التميمي (أموي):

اذا هم ألقى بين عينيه عزمه
ونكب عن ذكر العواقب جانبا
ولم يستشر في أمره غير نفسه
ولم يرض الا قائم السيف صاحبا

ومن معاني الهم التي تصاحب هذه الدرجات في نفس الانسان: القلق، والحزن، والغم، ومنها الغليان والذوبان، «وفي اللسان» همه الأمر هما ومهمّة، وأهمه فاهتم واهتم به: «والاسم: الهمة وجمعه همَمٌ ويقال هو بعيد الهمة أو عالي الهمة، أي ذو غاية أو مطلب عزيز عظيم يحتاج الى جهاد شاق طويل، وصاحبه قادر على بلوغه لعزة نفسه وقوته، وذلك هو عزم الأمور. أو كما قال المتنبي:

واذا كانت النفوس كبارا
تعبت في مرادها الأجسام

الهِمّة والهَمّة ما يهم المرء ليفعله.

والهُمام: الملك البعيد الهمة، أو كل بعيد الهمة ملكا كان أو لم يكن، أو لو كان صغير النفس لأن المفروض أن يكون كبير النفس، ويقول المتنبي في مدح سيف الدولة:

همامٌ اذا ما همَّ أمضى همومه
بأرعن[3]، وطء الموت فيه ثقيل

وفي لسان العرب: «الهمام: السيد الشجاع السخي، ولا يكون ذلك في النساء» ولو قال: إن ذلك أقل في النساء منه في الرجال لأصاب، فالتاريخ يذكر كثيرا من بنات حواء كن من ذوات الهمة في السيادة والشجاعة والسخاء، ويمكن أن توصف المرأة من هؤلاء بأنها «همامة».

ويقال: همه المرض يهمه هما أي أنحفه أو أذابه، أو أذهب لحمه، وهمت الأحمال البعير أي أجهدته وأذابته.

والهامة والهوام: الحشرات وأمثالها من كل ما يدب على الأرض لأنها اذا دبت على الجلد أثارته أو آذاته، ومنها الحيات والعقارب والبعوض، ومنها القمل والبراغيث، وقد تطلق الهامة على كل دابة من الحيوان.

ونقول أمر هام أو مسألة هامة أو مهمة وكل هذه أوصاف، ولكن الوصفان: مهم ومهمة قد يستعملان استعمال الأسماء، فيدل كل منها على مسمى، ومن ذلك قول تأبط شرا:

قليل التشكي للمهم يصيبه
كثير الهوى شتى النوى والمسالك

والمهم هنا بمعنى الأمر الشديد، وفي الأساس للزمخشري «نزل بهم مهم ومهمات» والمهمة بالمعنى نفسه، وجمعها مهمات، وفي لسان العرب، «المهمات من الأمور: الشدائد المحرقة».

أي أن كلا من الكلمتين مهم، ومهمة هنا تجمع جمع مؤنث سالما، فهل يجوز أن تجمع كل منها جمع تكسير أي «مهام»؟

ان ذلك شائع الاستعمال اليوم حين تستعمل الصفة كما هنا استعمال الأسماء، ومثلها مشكل أو مشكلة، والجمع مشكلات أو مشاكل، وكذلك: مرضع ومرضعة، ومرضعات ومراضع.

والصفة التي تستعمل اسما تسمى «صفة غالبة» وهي تقبل أن تجمع جمع تكسير الا أن يخاف اللبس فتجمع جمع مؤنث سالما، مثل معجزة ومعجزات. □□

---

(٢) الكعاب: الفتاة إذا برز صدرها، وشنوف مفردها: شنف: هو القرط، أو ما يلبس في أعلى الأذن.

(٣) الأرعن: الجيش المضطرب لكثرته.

دراسات في الفلسفة السياسية عند هيجل

بومة منيرفا

بقلم : الدكتور امام عبد الفتاح امام
استاذ الفلسفة المساعد / جامعة الكويت

□ البومة طائر معروف يتخذ منه الشرق رمزاً للخراب والدمار ، وبالتالي للنحس والتشاؤم ، في حين يتخذ منه الغرب رمزاً للحكمة فما علاقة ذلك بمنيرفا .. والفلسفة ؟

الحق أن البومة طائر لا يبعد عن دنيا الناس حباً في الأماكن الخربة ، ولا ميلاً لنزعة الدمار والخراب المتأصلة فيه كما يقول الشرق ، ولا شغفاً بالتأمل والتدبر والتفكير كما يقول الغرب ، ولكنه يبتعد لأسباب بيولوجية خالصة ؛ فهو لا يستطيع الرؤية بوضوح في ضوء النهار، اذ تصاب عيناه بغشاوة من آثار ضوء الشمس ، ومن ثم لا يستطيع الطيران . ولما كانت أصوات الناس مؤذية ، والحركة والضوضاء ، بصفة عامة ، مصدر خطر لا يستطيع أن يتبينه بوضوح ، فانه يؤثر السلامة ويبتعد عن الناس في تلك الأماكن الخربة الهادئة ، حتى اذا ما جن الليل شرع في الطيران ، فهو لا يعمل الا ليلا .

وأما منيرفا Minerva فهي إلهة الحكمة عند الرومان - وهي نفسها عند الاغريق الالهة أثينا وأما عبارة « بومة منيرفا » ، فهي اصطلاح خاص عند هيجل يرمز به الى الفلسفة بصفة عامة .

هدفنا من هذه الدراسة هو أن نعرض بايجاز لموضوع الفلسفة السياسية عند هيجل أو الدور الذي تقوم به « بومة منيرفا » في ميدان السياسة . ولكي نفهم هذا الدور فهما جيداً ، فان علينا أن نفهم أولا ما يعنيه هيجل بالفلسفة بصفة عامة ..

يصف هيجل الفلسفة ، في بعض الأحيان بأنها « فكر ثان » أو أنها « فكر لاحق » . فما

الذي يقصده بهذا الوصف ؟ . أنه يقصد بالطبع أن هناك فكرا أول هو الذي ينشأ في حياة الناس اليومية في شتى المجالات ، ثم تأتي الفلسفة لتجعل من هذا الفكر الأول موضوعا للدراسة .

فكر الفكر

لا تتعامل الفلسفة أبدا إلا مع الأفكار في أي فرع من فروعها المتعددة ، ولما كانت هي نفسها فكرة ، فهي لهذا السبب توصف بأ نها فكر ثان ، أو فكر لاحق ، « أو فكر الفكر » وعلينا أن نوضح ذلك بقليل من الأمثلة :-

خذ مثلا « فلسفة العلم » - فما الذي نقصده بهذا اللون من التفلسف ؟ ان عالم النبات يدرس مملكة النبات ، وعالم الحيوان يدرس المملكة الحيوانية ، وعالم الجيولوجيا يدرس طبقات الأرض ، ويدرس عالم الفلك الأجرام السماوية ومسارها . . الخ . أي أن كل علم يدرس « جزئيات » هي وقائع العالم المباشرة . لكن فيلسوف العلم لا يدرس أيا من هذه الوقائع أو المعطيات ، وانما هو يأتي ليدرس « فكر » هذا العالم نفسه . انه يدخل في رأسه ، إن صح التعبير ،ليرى طريقته في التفكير ، منهجه ، وفروضه ، تحققه من الفروض ، تجاربه المختلفة . . الخ الخ . فالفيلسوف هنا يفكر في « فكر العالم » - فالفلسفة هي « فكر الفكر » .

خذ مثلا آخر : « فلسفة الأخلاق » لتجد أن السلوك الأخلاقي ينشأ بالفعل مع نشأة العلاقات الاجتماعية المختلفة . فتظهر ألوان من السلوك توصف بالأمانة ، أو الخيانة أو الصدق أو الكذب أو السرقة أو الشجاعة . . الخ أي تصورات أو أفكار أخلاقية كثيرة تنشأ بفعل العلاقات الاجتماعية ، ثم يأتي العلم ليدرس هذا الفكر الأخلاقي الذي يمثل المرحلة الأولى من الفكر ، أو « الفكر الأول » أو « المادة الخام » للتفلسف ، في حين أن الفلسفة تمثل المرحلة الثانية التي هي غوص وراء الفكرة الأخلاقية لتعرف جذورها ولتقيم عليها نظرية أخلاقية .

وما يقال في « فلسفة العلم » وفي « فلسفة الأخلاق » يقال كذلك في الفلسفة السياسة فالحياة الاجتماعة وما فيها من تنظيمات سياسية وقوانين ، ونظم ، وشرائع ، وحقوق ، وواجبات . . . الخ - تنشأ أولا ، وتدب الحياة السياسة بين الناس بالفعل ، وتتشكل ألوان من النظم ، وتظهر كثير من الأفكار السياسة ، ثم تأتي الفلسفة لتجعل من هذه النظم والقوانين والشرائع (أو الأفكار السياسية بصفة عامة) موضوعا لها ، ولتدرس ما يسمى بعلم الدولة (على إعتبار أن موضوع « الحقوق » هو الموضوع الأول في الحياة السياسية .

معنى ذلك أن الفلسفة السياسية عند هيجل ، لا تدرس موضوعا بعيدا عن دنيا الناس ، ولا تحاول أن تضع الأسس التي تبني عليها الدولة المثالية . انها ليست يوتوبيا Utopia جديدة كالتي حاول أفلاطون قديما وتوماس مور حديثا أن يؤسسها ، لكن هيجل على العكس من ذلك ينشب أظافره الحادة في عالم الواقع الذي يعيشه

الناس لكي يحلله ، ويدرسه وينقده ويرى مدى إتفاقه ، أو إختلافه مع العقل ، ولهذا فهو يقول في فاتحة كتابه « فلسفة الحق » محددا الموضوع الذي يدرسه :

« هذا الكتاب اذن ـ وهو يحتوي على علم للدولة ـ لا يريد أن يكون أكثر من محاولة لفهم الدولة ، ورسم صورة لها بوصفها شيئا عقليا في ذاته ، ولا بد له بوصفه عملا فلسفيا ، أن يكون بعيدا عن محاولة بناء دولة على نحو ما ينبغي أن تكون عليه الدولة ، والدرس التعليمي الذي يمكن أن يتضمنه ، لا يمكن أن يعتمد على تعليم ما ينبغي أن تكون عليه الدولة ؛ انه لا يبين إلا الكيفية التي ينبغي أن تفهم بها الدولة ، بوصفها عالما أخلاقيا . . فمهمة الفلسفة هي أن تفهم ما هو موجود ، لأن ما هو موجود هو العقل . . .

إذا كانت الفلسفة السياسية تجد متعتها في دراسة الواقع الحي الذي يعيشه الناس،فان ذلك دليل قوي على أن فيلسوفنا لا يعرف شيئا اسمه « الدولة الخيالية » أو « الدولة الفاضلة » التي لا وجود لها ، ولم يحاول أن يقدم للناس أرض الميعاد . . . . . Promised Land التي لا يخاف فيها المرء ولا يشقى ! . فهيجل لا علاقة له بالفلسفة السياسية التي يتتجها صاحبها من رأسه ، فهو لا يؤمن بما نسميه نحن « بحك القريحة » لكي يخلق الفلسفة ! كما أن الفلسفة السياسية عنده ليست « تفكيرا بالتبني » وانما هي دراسة للواقع السياسي المعطي ، والفيلسوف الهيجلي ليس هو ذلك الرجل الذي يقبع في « برج عاجي » بل ليس في استطاعة الفيلسوف أن ينفصل ، في رأي هيجل ، عن عالمه الذي يعيش فيه .

مهمة الفلسفة السياسية اذن هي دراسة هذا الواقع الفعلي القائم أمامنا ، وليس في استطاعة الفيلسوف أن يخرج عن هذا الواقع ، أو أن يخلق في سماء الخيال ، أو أن يخلق عالما من الأوهام لا يعيش فيه أحد الا هو نفسه . ذلك كله يخرج عن نطاق التفلسف الحق الذي يجعل همه فهم هذا الواقع الموجود أمامه في العالم . ولو أنه تعمق في دراسة هذا الواقع ، على نحو ما سوف نرى بعد قليل ، لما وجده شيئا آخر سوى العقل وقد تموضع ، أعني الأفكار العقلية وقد تحققت في موضوعات خارجية بالفعل .

المثل الأعلى

وليست مهمة الفلسفة السياسية أيضا ، فيما يقول هيجل ، أن تعلم الناس أو تعظهم ، أو تقدم لهم مجموعة من النصائح والارشادات عن كيفية بناء الدولة أو تنظيم حياتهم السياسية ، بل مساعدتهم على فهم الواقع السياسي الذي يعيشون فيه ، ان الفلسفة اذا ماتخيلت أن مهمتها أن تعلم الناس ، أو تعطيهم دروسا تهذيبية » في كيفية الحياة السياسية أو الطريقة المثلى للنظم السياسية ، أو أن تشرح ماينبغي أن يكون عليه العالم ، فانها في هذه الحالة تكون قد ظهرت متأخرة جدا . ذلك لانها في الحقيقة تمثل قمة النضج الفكري الذي يصل اليه المجتمع . وعندما يظهر الفيلسوف فان الواقع يكون قد تم بناؤه تماما ، وهاهنا يكون ظهور الفيلسوف لا ليبني الواقع من جديد وانما ليبني مذهبا يعبر فيه عن هذا البناء المكتمل ، فهو في فلسفته يلخص الهيكل العظمى العقلي للبناء المتحقق بالفعل ـ يقول هيجل : ـ

« يبدو أن الفلسفة تصل متأخرة أكثر مما ينبغي لكي تقوم بهذه المهمة ، فهي بوصفها فكر العالم لاتظهر الا حين يكتمل الواقع الفعلي ويتم بناؤه . ان الدرس الذي تعلمه لنا الفكرة الشاملة عن الفلسفة ، وهو أيضا الدرس الذي لامحيص عنه ، والذي نتعلمه من التاريخ : هو أنه حين ينمو الواقع الفعلي ويصل الى تمام نضجه فها هنا فقط ـ يبدأ المثل الأعلى في الظهور ليجابه عالم الواقع ويبني لنفسه في صورة مملكة عقلية ، ذلك

العالم الواقعي ذاته مدركا في وجوده الجوهري . . . » .

وهو في هذا النص يشير الى الفلسفة بهذا « المثل الأعلى » الذي يظهر ليواجه عالم الواقع ويشكل لنفسه مملكة عقلية ؛ هي نفسها هذا العالم الواقعي مدركا في الفكر وعندما تبدأ الفلسفة رسم هذه الصورة فان ذلك يعني أن عالم الواقع قد انتهى تكوينه ، واكتمل نموه ، ووصل الى مرحلة الشيخوخة ، وكل محاولة لتجديد شبابه انما هي محاولة محكوم عليها بالفشل مقدما ، يقول :

« حين ترسم الفلسفة لوحتها الرمادية : فتضع لونا رماديا فوق رمادي ، فان ذلك يكون ايذانا بأن صورة من صور الحياة قد شاخت (أو أن شكلا من أشكال الحياة قد أصبح عتيقا) . لكن ماتضعه الفلسفة من لون رمادي فوق لون رمادي لايمكن أن يجدد شباب الحياة ، ولكنه يفهمها فحسب . ان بومة منيرفا لاتبدأ في الطيران الا بعد أن يرخي الليل سدوله . . . » .

وهيجل في هذا النص الشهير يقدم بوضوح فكرته عن موضوع الفلسفة السياسية ، ان من يظن أنه جاء ليعلم الناس كيف يقيمون القوانين يكون قد أخطأ جدا لانه تأخر عن موعده كثيرا ، فالقوانين قائمة بالفعل ، والنظم موجودة بالفعل.وكل من حاول أن يجدد شباب بناء متداع يكون قد جاء متأخرا أيضا ، لأن الفلسفة التي تمثل قمة التطور الحضاري ، لاتظهر الا بعد أن يكمل الواقع بناءه وهي لهذا تصل بعد أن تكون النظم « شاخت » بالفعل ، وكل محاولات احيائها فاشلة . وهيجل يستعير من « جوته » قوله في فاوست على لسان شيطانه مفيشوفوليس :

« كل النظريات ياصديقي رمادية اللون
شجرة الحياة الذهبية هي وحدها الخضراء » !

واللون الرمادي يرمز بالطبع الى الحياة الباهتة الذابلة التي تعبر عنها النظريات الفلسفية . والمقصود هو أن الفلسفة تعبر عن قمة البناء الذي هو القمة والنهاية في آن معا ، فبناء الواقع لأنه وصل الى القمة وبدأت النظريات الفلسفية تلخصه في الفكر فان ذلك يعني أنه على وشك الأفول ! وحين تقوم الفلسفة برسم لوحتها فانها لن تستطيع تجديد شباب هذا البناء الهرم ! فاذا كان البناء السياسي « شائخا » أوباهتا » فمهما وضعت الفلسفة من ألوان رمادية ، ومهما لونته من نظريات فلابد له أن ينهار ، ومهما دافعت عنه الأفكار الفلسفية فانها لن تعيده شابا من جديد بل أنه حين يوضع في نظريات فلسفية فان ذلك يعني في الحال أنه وصل الى « تمامه » وأنه على وشك الأفول ! .

بناء المجتمع

هيجل يستخدم في هذا النص تلك العبارة الشعرية المشهورة فيمثل الفلسفة ب « بومة ميرفا » التي لاتبدأ في الطيران الا بعد أن يرخي الليل سدوله ! وكذلك الفلسفة لاتبدأ عملها الا بعد أن يكون الواقع السياسي قد تم بناؤه !

والحق أن هذه الفكرة تبدو أكثر وضوحا في ميدان الفلسفة السياسية ، فلا يمكن أن يقال ان فيلسوف السياسة يأتي لكي يضع بناء سياسيا أو يخلق نظاما سياسيا من العدم ، فالناس يدخلون في علاقات اجتماعية متنوعة ، ويشكلون جماعات ومنظمات . ويقيمون مؤسسات سياسية مختلفة من الأسرة الى المجتمع الى الدولة قبل أن تظهر الفلسفة وهم لاينتظرون ظهور الفلسفة لكي تعلمهم كيف يقيمون « النظم السياسية » ، أو كيف تبني الدول : » فالقانون والحق ، وكذلك الأخلاق ، والدولة قديمة قدم معرفة الناس بها ، وقدم صياغتهم لها في قانون عام ، وقدم أخلاق الحياة اليومية ، وقدم الدين . . » وتأتي الفلسفة لتجد أن الواقع الاجتماعي قد اكتمل بناؤه ، وهي عندما تعبر عن هذا الواقع في صورة مذهب فلسفي فهي انما تعبر عن الافكار السائدة التي تعتبر « محاور »

أساسية يرتكز عليها بناء المجتمع . واذا تساءلنا : وما الدور الذي تقوم به الفلسفة في هذه الحالة ؟ لكانت الاجابة : ان مهمة الفلسفة « الكشف » عن الأفكار الأساسية أو الركائز العقلية التي يقوم عليها هذا البناء ،وكثيرا مالا يعيها الناس في حياتهم مع أنهم يسلكون بناءً عليها ، تماماً كما تكتشف أن فلاناً من الناس يؤمن بفكرة السببية من تساؤلاته المستمرة عن أسباب للأحداث دون أن يكون هو نفسه على وعي بالايمان بهذه الفكرة ! فكما لو كانت الفلسفة تبحث عن « نافورة » السلوك البشري التي تكون عادة مختبئة خافية عن الأعين ، تماماً مثل « نافورة الماء » التي تكمن في باطن الأرض ولا يُرى الا الرذاذ الذي ترسله ! وها هنا أيضا تكشف الفلسفة مدى اتفاق الأفكار التي يقوم عليها هذا البناء مع العقل ، أو عدم اتفاقها ، وهل هذا البناء بناء ضروري . . ؟ !

توصف الفلسفة السياسية أيضاً بعدة مصطلحات ينبغي علينا أن نفهمها جيداً فهي توصف مثلاً بأنها دراسة للعقل الموضوعي أو الروح الموضوعي . . . . **Objective Spirit** فماذا يعني هذا المصطلح الذي يتكرر مراراً عند هيجل ؟ !

لا شك أننا نستطيع أن ندرس الروح من الناحية الذاتية ، أعني الروح أو العقل منظوراً إليه من الداخل على أنه عقل الذات الفردية ، فندرس فيه الادراك الحسي والشهوة أو الخيال والذاكرة . . . الخ . . وهذا ما يدرسه بصفة عامة علم النفس . لكننا نستطيع أن ندرس العقل عندما يخرج من جانبه الداخلي الى الخارج بحيث يتحقق في العالم الخارجي ، وهذا العالم الخارجي ليس هو بالطبع عالم الطبيعة ، إذ أن العقل يجد عالم الطبيعة قائماً أمامه بالفعل ، لكن العالم الموضوعي هو العالم الذي يخلقه العقل لنفسه لكي يصبح موضوعياً ، أعني لكي يوجد ويؤثر في العالم الفعلي ، وهذا العالم الذي يخلقه العقل هو بصفة عامة عالم المنظمات ، والمؤسسات : كالقانون والمجتمع ، والدولة والعرف والعادات والحقوق والواجبات ، وكذلك الأخلاق الذاتية . . . الخ .

العقل الموضوعي

لكن كيف يمكن للعقل الذاتي أو الروح الذاتي أن يتحول الى عقل موضوعي متحقق في العالم الخارجي ؟! كيف يمكن للفكر الذاتي أن يكون موضوعيا أي يتحول الى موضوعات خارجية ؟! ألسنا نقول أحيانا أن الواقع الخارجي « يقيدني » أو يتحكم في أو يحددني . . . الخ فكيف نفسر ذلك . . ؟!

تظل الفكرة العقلية « ذاتية » طالما بقيت في رأس صاحبها لكنها ما أن تخرج وتتحقق في العالم الخارجي حتى تنفصل عنه وتتموضع Objectified وهذا التموضع Objectification يعني أن الفكرة قد تحققت وأصبحت موضوعاً ، خارجيا ينفصل عن صاحبها بل ربما يعود فيقيد حركته ويحد من تصرفاته ، يتحول الى قيد عليه . خذ مثلا فكرة تكوين الأسرة انها تظل فكرة ذاتية في رأس صاحبها عاما أو أكثر وتكون الى هذا الحد ذاتية . لكنه عندما يشرع في الزواج بالفعل ، تتحول الفكرة من الداخل الى الخارج ، من العالم الداخلي الذاتي عند الفرد الى العالم الخارجي الموضوعي ، وتصبح مؤسسة اجتماعية موجودة بالفعل ، بل تتحول الى ألوان من القيود تحد من تصرفات صاحبها وتتحكم في سلوكه ! هاهنا تتحول الفكرة الذاتية الى مؤسسة موضوعية موجودة في العالم الخارجي،تتشكل في زوجة وأولاد ، ونفقات التزامات . . الخ ولم يعد صاحبها في استطاعته أن يتصرف على نحو ما كان عليه في السابق ، وقبل أن تتموضع الفكرة التي أصبحت غريبة عنه ومستقلة تماما عن ذاته !

وحدة الشكل والمضمون

توصف الفلسفة السياسية عند هيجل أيضا بأنها وحدة الشكل المضمون ، فما المقصود بهذا الوصف . . ؟!

لقد سبق أن ذكرنا أن مهمة الفلسفة هي دراسة ماهو موجود ، وانتهينا الى أن ماهو موجود هو العقل ، لأن الفكر الذاتي قد تحقق في موضوعات خارجية فأصبح فكرا موضوعيا ، وهكذا نستطيع أن نقول انه « عقل » موضوعي . كما أننا قلنا ان مهمة الفلسفة هي ، ادراك العقل على أنه وردة في صلب الحاضر ، بالتالي التموضع بالحاضر ، وتلك هي الرؤية العقلية التي توفق بيننا وبين الواقع الفعلي ، وهو توفيق وانسجام تمنحه الفلسفة لأولئك الذين ارتفع بداخلهم ذات يوم صوت باطني يحثهم على فهم العالم . .(1) .

ونحن في دراستنا للواقع الفعلي بوصفه عقلا موضوعيا يمثل جوهر الواقع فاننا نصل بذلك الى مايسميه هيجل « بوحدة الشكل والمضمون » ، فالموضوع الأساسي الذي تدرسه الفلسفة السياسية هو العقل على نحو مايتحقق في موضوعات خارجة أعني أنه « العقل الموضوعي » كما سبق أن ذكرنا . واذا فهمنا هذه العبارة كان من السهل أن نفهم قوله انها وحدة الشكل والمضمون : « لأن الذات العارفة ذات عاقلة ، وهي في مثل هذه الحالة تمثل العقل حين يكون ذاتا » أو هي الشكل ثم هي من ناحية أخرى تدرس « العقل القائم في العالم بالفعل » أعني تدرس العقل على نحو مايكون موضوعا أو مضمونا

هناك أخيرا ، عبارة هيجل الشهيرة « ان ما هو عقلي متحقق بالفعل ، وما هو متحقق بالفعل عقلي » ، وهي العبارة التي أسيء فهمها واقتبسها « انجلز » خطأ عندما بدأ بالشطر الثاني وصورها على أنها تعني عقلانية الواقع ومن ثم عبادته ! والحق أن العبارة تلخص ماسبق أن ذكرناه في هذا المقال ، وهو أن العقل ليس من الضعف والوهن بحيث يظل قابعا في أعماق الذات (أي أن يظل ذاتيا) وانما لديه من القوة مايجعله يتحقق في العالم ، ومن ثم فان ماهو عقلي من أفكار يتحقق فعلا في عالم الواقع ، ثم يأتي الشطر الثاني من العبارة ليكون نتيجة مترتبة على الشطر الأول ، فاذا ماتحقق العقلي ، ففي هذه اللحظة وحدها ، يصبح ماهو متحقق بالفعل عقليا !

ومعنى ذلك أن الواقع الموجود أمامنا مليء بالعناصر العقلية واللاعقلية ، وما في المجتمع من نظم وقوانين وعادات وأخلاق . . . . الخ ، يتفق بعضه مع العقل ، ويرفض العقل بعضه الآخر ، فالظلم والعذاب والشقاء والتسلط ، والحكم الدكتاتوري (لأنه ذاتي يعبر عن ارادة الحاكم الذاتية وحدها) وكبت الحريات (لاحظ أن الحرية هي جوهر العقل عند هيجل) ، والغاء ما يسميه هيجل بالشخصية الحرة اللامتناهية . . الخ ، كل ذلك عناصر لا عقلية موجودة في عالم الواقع ومهمة الفلسفة السياسية ابراز هذه العناصر وتفنيدها . . !

***

ترى لو أننا استعرنا المنظار الهيجلي لنبحث به في مجتمعنا العربي عن العناصر العقلية وعن القوانين والأوضاع التي تتفق مع العقل والنظم « المعقولة » التي تعبر عن العقل الكلي . . . الخ ، فكم من هذه العناصر يمكن أن نجد ؟ واذا أردنا أن « نفند » و « نرفض » كل مالا يتفق مع العقل » ، وجميع العناصر اللامعقولة ، فما الذي يتبقى عندنا ؟ ! □□

زمان متغير .. فأين موقعنا فيه ؟

من أهم مظاهر العصر الذي نعيش فيه أنه عصر تسير فيه الأشياء بسرعة عظيمة ، وتتبدل فيه معالم الحياة المادية والاجتماعية والفكرية باستمرار ، حتى ليمكننا أن نصف هذا العصر - فيما نصفه به - بأنه عصر التغير السريع .

ويواجه هذا العصر الأفراد والمجتمعات بسؤال كبير لا مفر من الاجابة عليه . وهو : كيف نعيش وسط هذا التغير ؟

ان التغير يخلق أعدادا لا حصر لها من المشاكل . فاذا بذلت الجهود لحل هذه المشاكل أو بعضها ، وبدا أننا مقتربون من الحل أو واصلوه ، نشأ وضع جديد ، وأصبح الحل بل المشكل ذاته غير ذي موضوع ولكن ليس هناك حل نهائي ، لأنه ليس هنالك وضع نهائي ، بل ثمة حلول مؤقتة أو محاولات لايجاد حلول لمشاكل تتغير يوما عن يوم بتغير الأوضاع . ولذلك يصعب تحديد المشاكل تحديدا جامعا ، ويستحيل تحديد الحلول التفصيلية لهذه المشاكل .

الا أنه من غير الصعب تحديد نقاط التوتر التي تنشأ عن عصر التغير بشكل عام ، والقول بصفة اجمالية بأن المشاكل تنشأ في الغالب في هذه النقاط . وسنحاول فيما يلي اعطاء وصف لبعض هذه النقاط المهمة .

ان نقطة التوتر الاولى تنجم عن مفهومنا لقيمة التغير ذاته . ومدى كونه شيئا مرغوبا فيه . فهنالك من يتساءل قائلا : لماذا هذا الاندفاع الى التغير أصلا ؟ أليس أفضل منه التشبث بما نحن عليه - أي بنظامنا وقيمنا في الحياة ووسائلنا بالعيش ؟ وقد يكون سبب هذه النظرة الاقتناع الجامد بنمط معين من الحياة ؟ أو عدم الرغبة في بذل الجهد اللازم للتغير ، أو التهيب من المجازفة . أضف الى ذلك أن كل نمط من أنماط الحياة لا بد وأن يصنف الناس الى « محظوظين » ، و « أقل حظا » . والمحظوظون يعملون دائما على استبقاء مراكزهم الممتازة ، ولذلك فهم عادة أكثر الناس تمجيدا « للواقع » ، وأكثر الناس تشبثا بالآراء والمؤسسات التي تدعو الى بقاء ما كان على ما كان . الا أن دعاة المحافظة ليسوا دائما من الفئات الممتازة ذات الغرض الخاص ، بل ان بينهم بعض المثاليين الذين تختلف مفاهيمهم حول أغراض الحياة ومعانيها عن مفاهيم العصر . وبين هؤلاء من يهفو الى « فترات ذهبية » عفى عليها الزمان ، دون أن يدركوا أن تغير الظروف قد استلب من تلك الفترات محتواها .

غير أن الجدل حول استحسان التغير أو عدم استحسانه ، هو جدل عقيم ، فالتغير حاصل شئنا أو أبينا . والقوى التي تعمل في سبيله عظيمة لم تستنزف طاقتها ولا اندفاعها .

العدد العاشر
سبتمبر ١٩٥٩

وحتمية التغير مسألة مفروغ منها تماما ، وليست موضع اختيار . والمجتمع الذي يبذل قواه في سبيل منع التغير ، انما هو مجتمع مبعثر لقواه مهدر لها . ومجال الاختيار محصور فقط في نوع التغير المطلوب . والمجتمع المقتصد في قواه هو ذلك المجتمع الذي يحاول ضمن ظروفه الخاصة ، أن يكتشف أفضل أنماط التغير ووسائله ، وأن يوجه قواه كلها في سبيل تحقيقها .

ونقطة التوتر الثانية تنجم عن مدى ادراكنا للترابط الشامل المتغلغل في عملية التغير ذاتها . من هنا نرى أناسا يقبلون التغير في بعض نواحي الحياة ، ويرفضونه في نواح أخرى غيرها . قد تسمع مثلا من ينادي بتقبل العلم والحضارة الحديثة ، مع استبقاء جميع المؤسسات القديمة ، أو مع رفض استحداث المؤسسات الجديدة التي تتطلبها هذا الوضع . وهذا لعمري من مستحيلات الأمور ، فمن قبل الصناعة مثلا ، فقد قبل نمطا اجتماعيا كاملا في الحياة . وقد قبل معها ، شاء أو أبى ، تقسيم العمل ، وهجرة الناس من الأرياف وتمركزهم في المدن ، وزوال العصبية العائلية (لا العائلة نفسها طبعا) ، ونشوء عصبيات جديدة كالنقابة والحزب . وقد قبل معها أيضا زوال اقطاع الأرض ، واقتصاد الزراعة ، ونشوء الطبقة الوسطى ، وطبقة العمال وتغير توازن القوى المجتمعية . وقبل تبديل نمط التعليم ، ونشوء أنماط جديدة من الأفراد ، وقيام تباينات كبيرة بين الآباء والأبناء ، وتعديلات كبيرة في مركز المرأة المجتمعي وفي حرية تصرفها ، وبروز مفاهيم جديدة ، عما هو أخلاقي وما هو غير أخلاقي . وقد أقرّ الى جانب ذلك للحكومة بدور جديد في الحياة ، وقبل تطوّر شكل الحكم وطرائقه ، وضرورة وضع تشريعات جديدة . وقد استسلم لبعض التشريعات التي تخدش نقاطا حساسة من أفكاره ، لضرورتها الاجتماعية .

وهذا ينقلنا الى نقطة التوتر الثالثة وهي نوع التصرف ازاء التغير الحاصل . وعلينا هنا أن نفرق بين الاستسلام لقوى الدفع والجذب ، وبين التغير الارادي . بين المحاكاة ، والابداع . بين التغير المنفعل والتغير الفاعل . بل في النهاية بين الأسر ، والحرية . فقد يصبح الانسان عبدا للتغير ، اذا لم يكتنه مغزاه ، وقواه الدافعة ، واتجاهاته ، واذا استسلم له استسلاما كليا منفعلا . وقد يصبح المجتمع أسيرا لنمط معين من التغير اذا لم يبدع نمطه الخاص المنبثق من حاجاته وظروفه . فأنماط الحياة قد تستورد ، بل قد تفرض . والسير مع التغير كالسباحة في النهر الصاخب العنيف . فمن لم يختط لنفسه الاتجاه ، ومن لم يكتسب المعرفة بالسباحة ، ولم يبذل الجهد اللازم ، فقد أصبح أسير التيارات الطبيعية توصله أنى اتجهت ـ وقد تؤدي به الى الموت . واذا تعب فركن الى قارب عابر أصبح أسير ذلك القارب وأصحابه . واذا سها فالتقطه قارب سائر ، عنوة أو استسلاما ، فقد أصبح أيضا أسير ذلك القارب .

برهان الدجاني

قصة قصيرة

الجرذ

تأليف : بول ايروم (الدنمارك)

ترجمة : د . حسين جمعة

هبطت الدرج والمفتاح في يدي . ويبدو أن ذلك كان يوم سبت ، وأن الوقت قد تجاوز الظهيرة ، لأن مارتا الخادم العجوز ذات الملامح الغامضة الذاوية ، واليدين الغليظتين ، كانت آنذاك تنظف احدى سقائف المنزل . ومارتا عندما تكون ممسكة بالمسحة ، فان يديها الكالحتين المعقدتين ترفرفان كأجنحة حشرة مقبوض عليها . انها تعمل من الصباح الباكر وحتى المساء الأخير ، باصرار عجيب صادر عن امرأة مشاكسة لاتطلب من أحد أن ينوه بعملها . ولم يكن يدور بذهن أي واحد من السكان أن مارتا ذات الحركات الهوج المتسارعة كانت تطرد الحقد اللاواعي .. حقد الخادم الغاضب على نظام العبودية الذي يلاحقه طوال أيام حياته .

كانت مارتا لاترفع رأسها أبدا عندما تمر راكضا فوق بلاط الغرفة المبتلة ، فهي لاتسمح لأية عقبة مهما كانت بأن تعيقها عن عملية استنفاد قواها . كنت اجتاز الفناء المشمس وأفتح باب السراى ، وأدخل مغمض العينين في ممر ضيق معتم تحيط به جميع المنافع الأربعة . وكانت الريح تصفق الباب ورائي ، فأقوم بفتح باب الحمام على عجل بمرفقي والخوف يتغلغل في مفاصلي بسبب الظلام الدامس . وبعد ذلك أنطلع الى الفناء ، فاذا لم أر أي غلام هناك تكون فرحتي غامرة ، لأنني أمقت صياح الأولاد أكثر مما أخشى الظلام . وأقوم بوضع عصا تحت درفة الباب حتى لاينغلق .

وما أن فتحت باب حمامنا هذه المرة حتى ألفيت هناك جرذا يقف الى جانب فوهة المرحاض . رأيت كيف أن الجرذ يحدق الى بصلف بعينيه السوداوين اللامعتين كالخرز .

وعندما واجهته ببصري أحسست أن غشاوة عيني قد سقطت ، وتبدى لي أن نورا حادا قد برق فجأة ، وكأنه صادر عن عود ثقاب ،

وتراءى لي الجرذ بكل جرمه ، وبكل وجوده .. البوز البشع .. حفرتا أذنيه السوداوين .. الرقبة المسلوخة .. الظهر الأجرب .. الذنب الممعوط .. القائمان الأماميان الشبيهان بأفعى ملتفة حول نفسها .. انتصب كل هذا أمام ناظري بوضوح تام .

ولكن من رضا الرب أن منّ علينا ـ من أجل السكينة الروحية ـ برؤية ضبابية تستغل للاستعمال اليومي العابر ، ويكون بامكانها ادراك الأشياء جزئيا ، وليس بكليتها المرعبة .

قفزت للخلف ، وصفقت الباب خلفي ، وصحت بأعلى صوتي :

ـ مارتا ، مارتا .. ثمة جرذ في الحمام !

هرعت مارتا على عجل عبر فناء البيت .

ـ ماذا تقول ! أين هو ؟ ـ صاحت وهي تركض ورنة صوتها الغاضب تتهمني باشاعة الفوضى في المنزل .

أشرت بيدي الى الباب ، وأنا أرتجف فرقا . وضعت مارتا يديها المحمرتين الى جنبيها ، وأخذت تقوم الموقف بنظرتها .. ومن ثم أشارت الى ثقب في أرض الحمام على مقربة من الباب ، وأمرت قائلة :

ـ حذار أن يهرب من خلال هذا الثقب ، وأنا الآن .. أغلق الثقب بقدمك جيدا ! ذهبت مسرعة ، وهي تقول : أغلق الثقب بقدمك !

لم أجرؤ على عصيان الأمر لقد كانت كلمة مارتا في المنزل بمثابة القانون ولا أستطيع أن أتصور ماذا سيحدث لو أنني لم أنصع لأمرها . الأفضل في هذه الحالة أن تؤثر الموت المحتم أو أن تواجه الشيطان بذاته .

التصق الجرذ بالباب فتنبهت لكلمات مارتا : أغلق الثقب بقدمك ! استعددت للموت الزؤام أو لملاقاة الشيطان نفسه ، أقدمت على وضع قدمي على فتحة الثقب .

أسرعت مارتا لاحضار المكنسة .. وعندما عادت أخذت أحس بحركة الجرذ ، وشعرت بصرير أسنانه عند الفخذ ، وبعضلات كرشه المتوثبة ، وبجلدة رقبته المقشعرة .. وشرع الجرذ بقرض أخمص قدمي .

لا أرفع قدمي ولا أجرؤ على فعل ذلك لأن مارتا لاتزيح عينيها عني ، وهي تركض نحوي عبر باحة المنزل بقبقابها الخشبي طفقت أبكي دون أن أحس بذلك ، مع أنني أسمع أنات شاكية هادئة . وظهر فيما بعد أن هذا كان صوت بكائي . ـ ومع هذا الدهاء ، . صاحت بي مارتا آمرة . كانت تقف وهي تفتح رجليها على وسعهما ، وترفع المكنسة بيديها وكان وجهها غير معبر كالعادة ، ومشحونا باصرار غبي .

قفزت للأعلى ، وأدرت الباب ورائي . لم أر الضربة الموجهة الى الشق ، الا أنني سمعت صوتها الأصم الذي تردد صداه في كل أجزاء جسمي . تراجعت مارتا خطوة واحدة ، ووضعت يدها الى جنبها كعادتها . الا أن يدها

هوت خائرة من على فخذها ، وتهدل كتفاها ، وتجمدت ملامح وجهها باندهاش . ـ ألا يعجبك ؟ ـ تساءل وكأنها لاتعي شيئا .. تتراجع خطوة أخرى ، الا أن الجرذ توجه اليها ، وهو يضرب بمخالبه الأرضية الأسمنتية . لقد فقئت احدى عيني الجرذ ، وتهشم أحد قائميه الأماميين . أخذ الجرذ يتقلب ، وقد لمس حذائي الا أنني لم أتحرك .

ـ ألا يعجبك ؟ ـ صاحت مارتا ثانية ، وهي تضرب الجرذ مرة أخرى .. وتضرب بحقد ، وأرادت ان تضربه مرة ثانية ، الا أنها رفعت المكنسة فجأة ، وقامت بحركة بطيئة ، وكأن هذا كان ضد ارادتها ، سقطت المكنسة من بين يديها ، ورأيت كيف انها اندفعت خارجة ، وهي تثني قبضة يدها الى صدرها ، وتراءي لي أن شيئا ما قد كسر في جسمها .

بقيت وحيدا في السراي مع الجرذ . مررت

بالقرب منه ، وأبت عيناي النظر اليه .. أذناي أصيبتا بالصمم ، ولم أسمع سوى صوت واحد يدوي في أم رأسي .

تعثرت لدى الباب بالمكنسة .. وتوقفت منخذلا لا أدرك ما يجري معي وأحسست بقوة غلابة ما ترغمني على أن أحني ظهري وأتناول المكنسة ، وأعدها للضرب .

ـ ألا يعجبك ؟ ـ همست مرتعدا للجرذ القتيل ـ ألا يعجبك ؟ يتحرك الجرذ ، وتتسلل الانتعاشة الى ذنبه ، ومن جراء ذلك بدا وكأن كرشه قد ارتفع وهبط ، شعرت بالغثيان عند رؤيتي الدم النازف من طرف الفم على الرقبة . ألقيت المكنسة وهربت . وما ان اقتربت من احدى الزوايا القريبة من المغسلة حتى بدأت أتقيأ .

يزورني الجرذ الميت في الليل ، ويرقد على صدري . انه يأتي كل ليلة تقريبا،اما ان يرتد باب غرفة النوم علي ، ويتلاشى الضوء المشتعل في صالة الضيوف حتى يبدأ الجرذ بالاقتراب مني . أرقد وعيناي مفتوحتان تحدقان في الظلام . وأقول لنفسي : لاتنم . الجرذ . لاتنم . الا أن جفني تثقلان ، ويخف الظلام من حولي . لاتنم . لا ....

وأسمع صوت مخالب الجرذ تدق أرض الغرفة . لا أستطيع أن أتحرك . يتسلل الجرذ بهدوء الى أعلى التخت . وأمد يدي المتجمدتين فوق اللحاف . أستسلم ، وأرقد وأنا أقبض ذقني براحتي ، وكأنني بذرة في جوف كابوس ، ويتراءي لي الجرذ المفقوء العين ، والملطخ بالدم النازف من فمه ، وهو يتشمم صاعدا الى سنادة التخت ، ومن ثم يقفز بيسر الى الفراش ويزحف ببطء شديد الي ، وهو يلوح بقائمه الامامي المهشم . ويتنامى ... يتنامى الى أن يصبح حجمه بمقدار حجمي ويلقي بكل ثقله الى صدري ، ويحدق الي بعينيه السوداوين الخرزيتين ، وينفث في وجهي نفسه الدافيء الذي تتبخر منه رائحة القيء .

أصحو على صوت ندب متقطع . وأدرك بعد مرور عدة دقائق أن هذا الصوت كان نحيبي .

يحدث أحيانا أن يفتح الباب ، ويندلق الضوء الآتي من الصالة الى الظلام الذي يحيط بي .

ـ لقد تراءي لي أنني سمعت صوت بكائك . ماذا حدث ؟

ـ شاهدت رؤيا ما .

ـ ما هذه الرؤيا . أهي مرعبة ؟!

ـ تراءى لي . .

كلا ، انني لا أجرؤ على الحديث عن الجرذ . فأنا اذا خنته هذه المرة فلا أدري مذا سيفعل بي .

ـ لقد نسيت .

ـ ها ، كما ترى لايوجد مايرعبك . نم هانئا راضيا .

ـ اتركي الضوء مشتعلا اذا كان ذلك ممكنا ؟

ـ كلا،انك فتى يافع . تصبح على خير .

ويسود الظلام . أرقد بعينين مفتوحتين . لاتنم . فالجرذ يتسلل الى ستادة التخت ـ أكرر لنفسي .

هل أنادي أحدا ما ؟

كلا ، انني أخشى أن أخون الجرذ ، وما علي الا أن أصبر وأنتظر . وهكذا توالت الليالي .

إذا أردت أن تجرب الرعب ، فما عليك الا ان ترقد وحدك في الظلام وتنتظر الجرذ .

انه لم يخيب ظني ويفارقني ولو مرة واحدة . انه صديق وفي .

عندما كنت أعبر باحة المنزل وأمر من جانب مارتا ، كانت تنظر الى وكأنني غير موجود . ويقول سكان المنزل انها بدأت تضمر . وأضحت مارتا شاردة الذهن ، وأخذت الآن تسرح بخيالها أثناء العمل ، وهناك شيء ما تهشم في جسدها في ذلك اليوم المشهود ، وبقي على حاله حتى الآن . وغدا وجهها شبيها بالعقدة المحلولة ، وتدلت زوايا فمها الى الأسفل ذاوية . ان فمها يذكر بفم الجرذ ، اذ كنت أضطر الى غض الطرف عند رؤيتها .

لكن حدث مرة أن التقيتها بنظراتي . كنت ألعب في فناء المنزل ، وكان ذلك يوم سبت كما يبدو ، وقد زال الوقت بعد الظهيرة لأن مارتا خرجت الى السطح بالدلو والمكنسة . ولما استدرت صدفة كانت مارتا تقف وهي ترميني بنظرة جانبية حادة . توقفت ، وشعرت بانقباض فرائصي ، لأنه تراءى لي وكأن الظل الزاحف قد بدأ ينهش حذائي . لقد كانت مارتا تنظر الى ، وكأنني أنا ـ الجرذ . □□

أصدقاء الانسانية

قالت هيلين كيلر المرأة التي تحسست طريقها الى الحياة بأناملها ، بعد أن فقدت نور عينيها ، وسمع أذنيها ولغة لسانها . . قالت السيدة المعجزة التي عاشت مع الخير للخير : « كنت أشعر كلما واروا جثمان صديق أحببته ، التراب ، أن قطعة مني دفنت معه ، ولكن عزائي كان يكمن في الدور الذي قام به هؤلاء الاصدقاء من أجل اسعادى قبل أن يرحلوا الى العالم الآخر . . وهو دور سيبقى حيا ابداً في هذا العالم المتغير . »

الجديد في العلم والطب

اعـداد : يـوسـف زعبلاوي

الجديد في علاج الروماتزم

لايخفي أن عقاقير الروماتيزم تستهدف تسكين الالم ، ولاتطمح الى الشفاء منه .. ولايخفي أيضا انها ذات آثار جانبية .. كلها دون استثناء .. فالفرق بين عقار وآخر من هذه العقاقير انما هو في مدى فاعلية العقار .. ومدى خلوه من الاثار الجانبيه ..

ويجب الا نستخف بالاثار الجانبية التي قد تترتب على عقاقير الروماتيزم .. وحسبنا ذكر عقاقير الـ Oxyphenbutazone (أو ان شئت الاسماء التجارية بوتازون Butazolidin و buta-zone وبوتاكوت Butacote .. الخ) فهذه كلها سحبت من الاسواق بسبب الاضرار البالغة التي ترتبت على استعمالها .. وقل مثل ذلك في عقاقير أخرى للروماتيزم سحبت من الاسواق بسبب أضرارها ..

من هنا كان لامفر للمرء من أن يتنفس الصعداء لظهور عقار للروماتيزم يجمع بين الفاعلية وقلة الاثار الجانبية .. انه الفلدين Feldene وهو نوع من أنواع البيروكسيكام Piroxicam . ذلك أن الملايين من الناس يعانون من الأمراض الروماتيزمية ، وهي أمراض عديدة ومختلفة قليلا أو كثيرا .. فلعلهم يجدون في الفلدين ضالتهم .. كما وجدها الكثيرون غيرهم .

وما كنا لنسلط الضوء على الفلدين لولا أن تردد ذكره كثيرا في المجلات العلمية في السنة الاخيرة .. من تلك المجلات مجلة الاتحاد الطبي الامريكي (Journal of the Am . Med . Am.) .

فقد نشرت هذه المجلة مؤخرا نتائج الابحاث والتجارب التي أجراها الدكتور جيمس جودوين Goodwin أحد كبار الباحثين في مدرسة الطب في نيومكسيكو .. وقد شملت تلك الابحاث عشرين مريضا واستغرقت عشرة أسابيع ، تناول المرضى أثناءها الفلدين بالمقادير المناسبة (٤٠ ملغم يوميا) . فماذا اكتشف الطبيب الباحث ...؟

اكتشف خصائص في الفلدين عامل الروماتيزم ، وهو ضرب

تأثير فالدين في التهاب المفاصل الروماتيزمي

تأثير فالدين في النقرس الشديد

من البروتين غالبا مايوجد في دم المصابين بالامراض الروماتيزمية ، وبخاصة Rheumatoid arthritis واكتشف الدكتور جودوين أيضا زيادة في مناعتهم ، بل قل في استعداد خلاياهم للمقاومة ..

وهو الذي غالبا مايعمل مرضى الروماتيزم على الحد منه .

ويتميز الفلدين بسرعة مفعوله وطول أمده .. وهناك من يقول أنه لايسكن الالم فحسب بل يشفيه .. لاسيا في روماتيزم الايدي والاصابع .

دراجات نارية صغيرة لكنس الشوارع

لاريب أن هذه الكائنات الصغيرة تمتاز على السيارات التقليدية الكبيرة .. فهي أسهل تناولا وأقل تكلفة وأكثر فاعلية في الابقاء على نظافة الشوارع ..

ولو قارناها بعمال التنظيف الذين يكنسون الشوارع بأيديهم لبدا الفارق كبير جدا .. ولعل دراجة واحدة تغني عن عشرين عاملا .. ولعلها تقوم بعملهم في نصف الوقت الذي يصرفونه للقيام به ... والأهم من ذلك نوعية التنظيف فهذه الدراجات كفيلة باتقان التنظيف بقدر يتعذر على العمال ..

لقد حلت هذه الدراجات البيئية مشكلة باريس المستعصية . فلطالما لاحظ السواح أن العاصمة الفرنسية ليست نظيفة كما ينبغي .. وأن الكلاب مسؤولة عن ذلك .. فهي كثيرة في باريس ولايقل عددها فيها عن ربع مجموع سكان العاصمة .. وهي تلقي بفضلاتها حيثما شاءت .. وقد لايرى أصحابها في ذلك غضاضة ولكن السائح يرى .. الا أن هذا الوضع قد تغير في السنة الماضية حين أنشأت سلطات البلدية في باريس اسطولا من دراجات التنظيف النارية .. وتدل الدراسات التي أجريت في هذا الشأن على أن باريس أصبحت نظيفة بنسبة ٨٥-٩٠٪ بفضل تلك الدراجات ، وبفضل مبلغ ٢,٥ مليون دولار .. تدفعه سلطات البلدية في هذا السبيل سنويا .

والدراجات الجديدة من صنع فرنسي ، كما قد يتوقع المرء .. وقد سمتها الشركة المنتجة « دراجات الكلاب » نظرا لأنها صنعت أصلا لانقاذ باريس من فضلات الكلاب ..

الا أن الدراجات فعالة في تنظيف الشوارع من شتى الشوائب والاقذار وليس من الفضلات فحسب .. وقوامها أربع فراش دوارة تعمل بسرعة بالغة .. ويؤوي هذه الفراشي صندوق يهبط بها الى الارض أو يرتفع ، لدى الضغط على زر .. لاعجب اذن أن كان لهذه الدراجات ميزات كبيرة على الوسائل التقليدية في تنظيف الشوارع .. عمال التنظيفات وسيارات القمامة الكبيرة ...

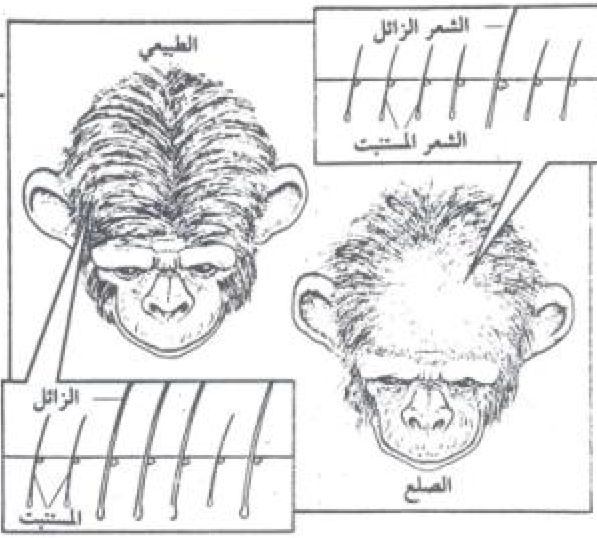

الجديد في علاج الصلع

نعود الى الحديث عن الصلع ، وعن العلاج الناجح الذي اكتشفوه له مصادفة ، مينوكسيديل Minoxidil (راجع هذا الباب في عدد يوليو ١٩٨٣) .. أما باعثنا على ذلك فالرسائل العديدة التي وردتنا حول هذا الموضوع من شتى أرجاء العالم العربي .. وكذلك الخطوات الجديدة التي خطاها العلم في هذا الشأن في المدة الأخيرة ..

فقد وضعت الشركة المنتجة للمينوكسيديل برامج أبحاث وتجارب واسعة .. والشركة هي أبجون ، وقد مضت منذ سنوات في صنع حبوب المينوكسيديل باعتباره علاجا لتخفيض ضغط الدم ، ثم اكتشفت له أثرا جانبيا قد يكون أهم وأخطر من أثره الاساسي .. اذ ثبت أن المرضى الذين تناولوا حبوب المينوكسيديل لمدة ثمانية أسابيع فقط وكانوا صلعاء .. فوجئوا بنمو شعر جديد وكثيف في رؤوسهم الصلعاء اللماعة . من هنا أخذت الشركة تجري التجارب المخبرية على حبوب المينوكسيديل .. وكذلك على المحلول الذي استحضرته خصيصا لمعالجة الصلع .. ومن هنا أيضا كانت التجارب الميدانية الواسعة التي أجريت على محلول المينوكسيديل في المدة الاخيرة .. وقد شملت هذه التجارب القردة فضلا عن الانسان .. وأسهم فيها عشرات من الاطباء الباحثين في شتى مدن الولايات المتحدة الامريكية ..

ويكلف المتطوعون في هذه التجارب بمسح البقع الصلعاء في رؤوسهم بمحلول المينوكسيديل .. مرتين في اليوم ، ويقوم الاطباء المشرفون على هذه التجارب بعّد شعور الرأس تباعا في نهاية كل شهر .. ليحددوا بالضبط عدد الشعرات التي ظهرت ونمت في ذلك الشهر .. ويعطي المتطوعون في الوقت نفسه الفحوص الخاصة بالاثار الجانبية . ذلك أن حبوب المينوكسيديل الأولى كان لها آثار ضاره على انتظام ايقاع القلب وكذلك على وظائف الكلى .. بخلاف محلول المينوكسيديل الذي صنعوه لمعالجة الصلع بالتحديد وحرصوا في صنعه على تجنب تلك الاضرار التي عرفت عن الحبوب .

ويمكن القول بأن النتائج التي أمكن التوصل اليها حتى الآن تدل على خلو المحلول من تلك الاضرار الجانبية كما تدل على فاعليته القوية وقدرته على استنبات شعر كثيف .. في مدة من الزمن قد لاتزيد على بضع اسابيع .. وقد لاتقل عن بضع شهور ..

ومع أن العلماء عامة مازالوا في حيرة من أمر الكيفية التي يقضي المحلول بها على الصلع .. الا أن لبعضهم اجتهادا في هذا الشأن .. من هؤلاء العالم هيديو أونو (Hideo Uno) أحد كبار العلماء العاملين في مركز أبحاث القردة في وسكونسين في الولايات المتحدة الامريكية .. اذ يقول : « يبدو أن محلول المينوكسيديل يتغلغل في فروة الرأس .. ويتجاوز بصيلات الشعر الميت ليستنبت من تحتها الشعور الجديدة ».

من التراث

مَصَاحِفْ

مصحف السلطان فرج بن برقوق ▲

مصحف الأمير صرغتمش ▼

مَمْلُوكِيَّة

بقلم : جمال الغيطاني

مصحف مكتوب على رق غزال بطريقة أبي الاسود الدؤلي
والى الاسفل مصحف بخط الامام جعفر الصادق

□ في دار الكتب المصرية بالقاهرة مجموعة من أندر المصاحف الشريفة ، يرجع بعضها الى القرن الأول الهجري ، كتب بعضها على رق الغزال ، والبعض الآخر على قطع عريضة من عظام الجمال ، تتميز بينها هذه المصاحف التي خطت في الزمن المملوكي ، والتي تجلت فيها

آيات من الجمال ، وروعة الفن العربي .

كان سلاطين المماليك يوقفون الأموال الطائلة على نسخ المصاحف وتذهيبها ، خاصة المصاحف التي خصصت للمساجد التي تحمل أسماءهم ، والتي شيدوها أيضا لتكون مقرا لمثواهم الأبدي ، كانت زخرفة وتذهيب هذه المصاحف ذروة الفن العربي ، الذي عرف في تجميل المخطوطات وزخرفتها ، وكان تلوين وتذهيب المصاحف يتم بداية في حدود معينة ، اقتصر على أجزاء من الصفحات ، مثل الأشرطة التي تفصل بين السور بعضها وبعض ، والفواصل بين الآيات القرآنية . ومثل بعض العناصر الزخرفية التي تدل على أجزاء المصاحف وأقسامه كالنص والربع . كان الشريط الذي يحيط بالصفحة الواحدة أهم هذه الأجزاء ، حيث زينت بعناصر زخرفية مختلفة ، فيها الجدائل والأشكال المتشابكة ، أو رسوم هندسية من دوائر أو أجزاء من دوائر ، أو مربعات صغيرة تتداخل وتتفرق ، تتلاقى وتتباعد ، تتماس ، أو تتقاطع ، تماما كالمصائر الانسانية والمعاني .

أما فواصل الآيات فكانت في معظمها دوائر ، أما علامات الأجزاء فدوائر في داخلها مربعات ، تتداخل مكونة ، أشكالا نجمية ، في موضع البؤرة منها يكتب ما يدل على الجزء ، في هذه الزخارف استخدمت الألوان الذهبية والزرقاء والخضراء ، وأحيانا الحمراء ، وكانت الرسوم تحدد باللون الأسود .

في بداية القرن الثاني الهجري ـ الثامن الميلادي ـ بدأت كتابة أسماء السور داخل الأشرطة بحروف مذهبة ، وبدأت الزخارف تصبح أكثر تعقيدا ، ثم اتجهت العناية الى الصفحات الأولى ، خاصة المساحة الخالية التي كانت تحيط بسورة الفاتحة ، وفي الصفحة المقابلة أول سورة البقرة ، حيث استخدمت الزخارف النباتية ، والأشكال الهندسية المعقدة ،

ذروة هذا الفن تجدها في العصر المملوكي ، ومنه وصلت الينا مجموعة من المصاحف الشهيرة النادرة بعضها معروض في متحف خصص لها الآن بمبنى دار الكتب المصرية ، افتتح في ليلة القدر من شهر رمضان المعظم عام ١٣٨٧ هـ ، بمناسبة مرور أربعة عشر قرنا على نزول القرآن الكريم ، والبعض الآخر محفوظ في خزائن دار الكتب لما يعرض بعد ، يوضح المعرض صورا مختلفة لتطور فن نسخ المصاحف ، اذ يضم نماذج مختلفة ، ربما كان أقدمها هذا المصحف الذي ينسب الى سيدنا عثمان ، وقد أحضر الى دار الكتب المصرية من مسجد سيدنا عمرو بن العاص ، وذكره المقريزي في خططه (ج ٢ ـ ص ٢٤٦ ـ طبعة بولاق) أنه أحد المصحفين اللذين أحضرا الى مصر ، وأنه مصحف سيدنا عثمان الذي كان بين يديه يوم استشهاده ، وأنه استخرج من خزائن الخليفة المقتدر ، فأخذه أبو بكر الخازن وجعله في مسجد سيدنا عمرو بن العاص .

وتوجد صورة طبق الأصل من مصحف آخر ينسب أيضا الى سيدنا عثمان ، وكان أصله في سمرقند ، ثم نقل الى بطرسبرج عاصمة روسيا القيصرية ، وبعد ثورة ١٩١٧ نقل الى تركستان ، ويوجد الآن في طشقند ، قد نشرته جمعية الآثار القديمة ، على يد الخطاط المصور الروسي بلوسافيكس وتم طبع خمسين نسخة منه ، والنسخة الموجودة حاليا في القاهرة ، أهديت الى الرئيس الراحل جمال عبد الناصر في منتصف الستينات .

ويوجد مصحف آخر مكتوب بخط كوفي على الرق ، في آخره أنه كتب بخط أبي سعيد الحسن البصري ، سنة ٧٧هـ ، وثمة مصحف بخط الامام جعفر الصادق ، مكتوب في القرن الثاني الهجرى على ورق ، ومصحف مكتوب في أوائل القرن الثالث الهجري على رق غزال ، بالقلم الكوفي ، على طريقة أبي الأسود الدؤلي

ثمة مجموعة أخرى من المصاحف المكتوبة بخط كوفي ، مجهولة التواريخ على وجه الدقة ،

وان كانت تمت الى القرنين الأول والثاني للهجرة .

ثم نتوقف طويلا أمام مجموعة المصاحف التي نسخت في العصر المملوكي ، التي تعد بحق ذروة الفن العربي في كتابة المصاحف .

مصحف السلطان محمد بن قلاوون

انه مصحف متوسط الحجم . تخلو صفحاته من المستطيلات المزخرفة عدا فواتح السور ، والصفحة الاستهلالية التي تسبق سورة الفاتحة . المصحف كله مكتوب بماء الذهب ، بالخط الثلث ، انه من المصاحف النادرة التي كتبت كلها بماء الذهب ، مضبوط بالشكل الكامل ، كتب في سنة ٧٦٤ هـ ، وبالرغم من ذلك تبدو صفحاته بسيطة ، دقيقة ، تجبر الناظر على طول التأمل والتمعن .

ان العصور العظيمة تنتج فنا عظيما وبسيطا . لايقدم نفسه من خلال ترف المادة وحشدها ، هذا ما نعيه اذ نطيل تأمل هذا المصحف الرقيق الجميل . لقد انفرد الناصر محمد بن قلاوون بين سلاطين المماليك بطول مدة حكمه ، فقد استقر على عرشه ما مجموعه أربعون سنة كاملة . خلع مرتين ، وعاد ، واستمرت سلطته الثالثة وحدها اثنتين وثلاثين سنة ، طرد آخر بقايا الصليبيين من عكا ، ونقل باب كنيستهم ليضعه في واجهةمسجده الباقي حتى الآن بالنحاسين ، بالقاهرة القديمة .

وخلال فترة حكمه شهدت البلاد نهضة عمرانية كبرى . انشاء الميدان العظيم ، والقصر الأبلق والأيوان ، ومسجد القلعة . والمصحف الذي نراه اليوم كتب خصيصا من أجل هذا المسجد ، أوقفه عليه ، وظل به حتى نقل الى دار الكتب المصرية . انشأ الايوان بالقلعة ،وأعاد بناء قناطر السباع التي بناها الظاهر بيبرس ، وأنشأ ميدان المهار ، وفي باب اللوق أنشأ بستانا عظيما ، وحفر الخليج الناصري ، وفي الريف مد قناة مياه من القاهرة الى سرياقوس ، وخانقاه للصوفية في المكان الذي يعرف الى اليوم باسمها (الخانكة تحريف خانقاه) وأقام في كل بلد جسرا أو قنطرة ، وطور وسائل الري ، ووصلت جهوده الى الشام حيث أقام العديد من المنشآت ، لكن معظمها اندثر ، أو وصل الينا ناقصا أو مشوها . تآكلت الجدران ، وردمت الخلجان ، كما ردمت القصور التي عمرها ، والايوان الذي كان فيه تخت ملكه ، شيء واحد فقط وصل الينا من عصره سليما ، كأنه لم يكتمل الا البارحة ، شيء واحد ظل زاهيا . . . تراه الآن فكأن يدا لم تمسه عبر القرون كلها . . . . انه مصحف السلطان ، حقا . . .

« انا نحن نزلنا الذكر ، وانا له لحافظون » . .

برقوق

السادس من ذي الحجة ، سنة ٨٠١ هـ . في هذا اليوم ، بلغ نهر النيل ستة عشر ذراعا ، هكذا سجل مقياس الروضة ، وهذا يعني أن النيل قد أوفى ، انطلق المنادون يبشرون المصريين .

في نفس هذا اليوم ، انتهى الخطاط الشهير عبد الرحمن الصائغ من كتابة المصحف الذي أمر السلطان برقوق بكتابته . فرغ الخطاط عبد الرحمن الصائغ ـ المشهور بابن البتون ـ بعد عمل متصل استغرق ستين يوما فقط ، وبقلم واحد لم يغيره .

المصحف مكتوب بالخط الثلث الواضح . منقوش بالذهب والألوان الزاهية ، ذات اللون الذهبي الرائع ، الذي استخدم فيه الذهب الخالص ، والأزرق اللازوردي والأحمر الياقوتي ، وتتخلل الألوان مساحات من البياض التي تضفي على الالوان عمقا وجمالا ، أما الزخارف ذاتها فتتكون من وحدات هندسية

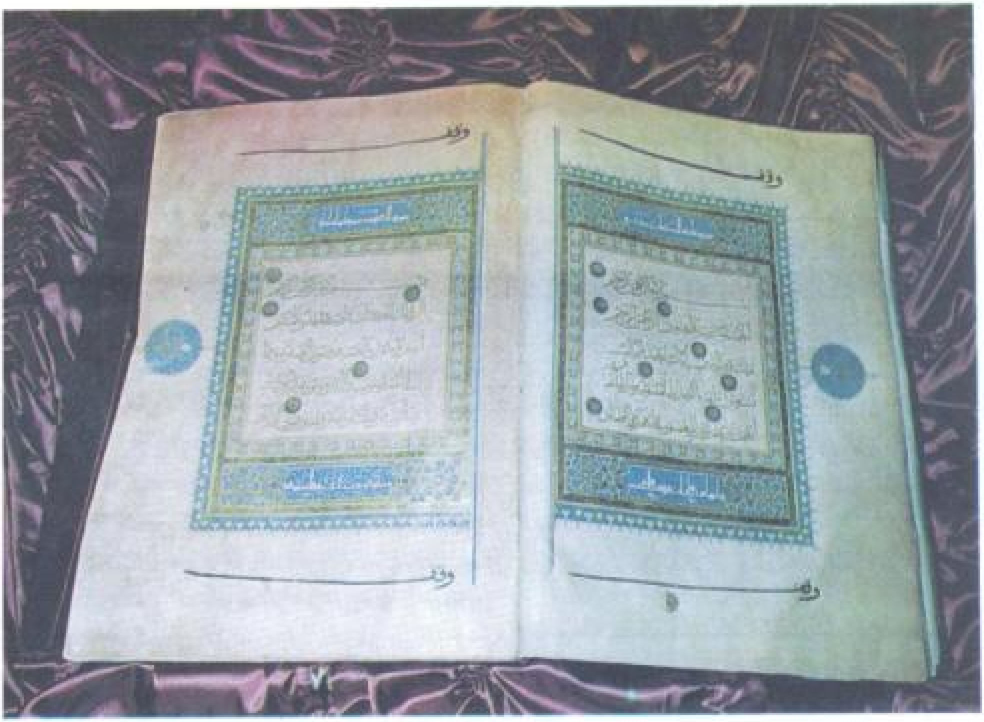

مصحف السيدة خوند بركة والدة السلطان شعبان

وأوراق نباتية ، تغطي الصفحتين الاستهلاليتين ، والصفحة التي كتبت بها سورة الفاتحة ، والصفحة التي بها بداية سورة البقرة ، أما فواتح السور فقد كتبت في اطارات مزخرفة مستطيلة ، محفوفة بالألوان المتناغمة .

كان السلطان برقوق محبوبا من عامة الناس . وساعدت فترات حكمه الطويلة على الاستقرار ، وانعكس ذلك على ما وصلنا من فنون ، سواء تمثلت في هذا المصحف الذي نراه معروضا الآن في دار الكتب المصرية ، أو في مسجد برقوق بالنحاسين . الذي يعد تحفة معمارية فريدة في تراث العمارة الاسلامية ، وقد كان المصحف موقوفا على هذا المسجد ، وقد حفظ لنا التاريخ اسم الخطاط والفنان الذي أشرف على تنفيذه ، رحم الله الفنان القدير عبد الرحمن الصائغ ، الذي لا نعرف عنه الا اسمه ، ولكن نتاج عمله سيظل درة خالدة في تاريخ الفن الاسلامي .

الابن

عندما توفي السلطان برقوق لم يدفن في مدرسته التي أنشأها بقلب القاهرة ، انما أوصي

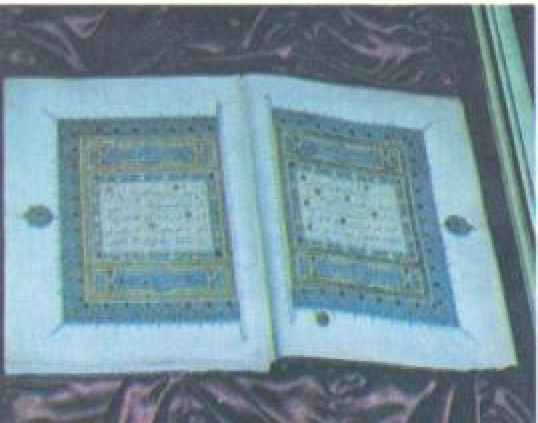

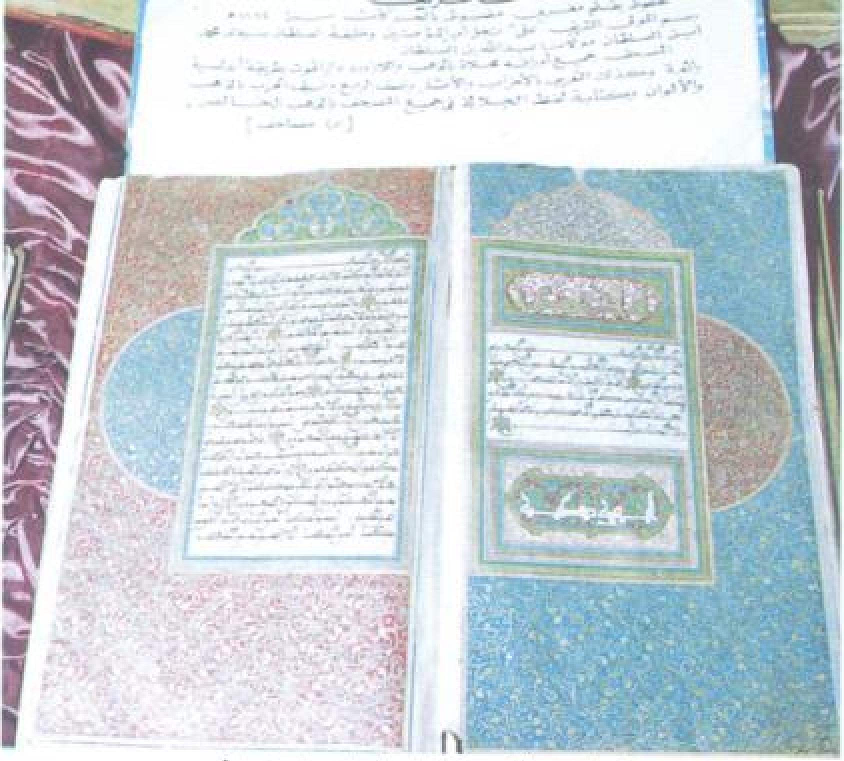

مصحف نادر من المغرب بخط المولى الشريف « علي » نجل أمير المؤمنين وخليفة السلطان سيدى محمد

بأن يدفن تحت أقدام المتصوفة والفقراء بالصحراء ، وأوصى ابنه فرجا أن يبني فوقهم تربة ، ونفذ فرج وصية والده ، وبدأ في بناء تربة ومسجد وخانقاه ، كذلك بنى حولها مدينة عامرة بالأسواق ، وأوقف مالا لكتابة مصحف شريف يوضع في الخانقاه ، انه المصحف الذي نراه في دار الكتب المصرية ، والموضوع على بعد خطوات من مصحف والده .

مصحف السلطان برسباي

مصحف بديع ضخم في دقته هادىء الحضور ، اتسمت زخارفه بالوقار الجميل ، الزخارف الدائرية المتعانقة المتشابكة ، والاطار المذهب الذي يحيط بالصفحتين ، الأولى والثانية ، ثم تتابع الصفحات بدون اطارات مذهبة أو مزخرفة ، حيث الخط يمضي سلسا عبر صفحات وردية اللون ، كأنه رحيق الزمن النائي . خط الثلث الواضح . في كل صفحة يمنى وحدتان زخرفيتان فقط ، العلوية دائرية مستوحاة من شكل قرص الشمس بأشعته ، وداخلها دائرة ملونة أصغر حجما ، والوحدة الزخرفية الموجودة الى أسفل تتخذ شكل ورقة شجر منسقة الحواف . يوجد داخلها اطار به دوائر متداخلة . فواتح السور وعناوينها داخل مستطيل تتخلله أشكال دائرية ، والى جانب الألوان الهادئة التي تتخلله نرى حروفا بيضاء تشكل أسماء الآيات .

الطابع العام للزخارف يتناسب مع الأثر المعماري ـ خانقاه فرج بن برقوق ـ الذي وضع فيه المصحف وأعيد ترميمها في العام الحالي بواسطة هيئة الآثار المصرية ، بدأ الناصر فرج في انشائها سنة ٨٠١ هـ ـ ١٣٩٨ ميلادية ، واستغرق بناؤها أربعة عشر عاما ، انه من أضخم مباني العصر المملوكي وأجلها ، ولا يستطيع الانسان عند وقوفه في الصحن المكتوف إلا أن يتنفس بهدوء ، وأن يصغي الى الزمن الساري ، وأن يتخيل هؤلاء الصالحين العاكفين الزاهدين ، الذين طالعوا سطور هذا المصحف بعيونهم ، وحفظوا منه ، ورتلوا آياته ترتيلا .

برسباي

انه ثامن ملوك الجراكسة ، تولى السلطنة يوم الأربعاء ، ثامن ربيع الآخر من تلك السنة ، فتح جزيرة قبرص وأسر ملكها ، وما تزال خوذته معلقة في أعلى مدخل مسجده بشارع المعز لدين الله ، بدأ بناء هذا المسجد في العام الأول لتوليه الحكم عام ٨٣٦ هـ ، اختار موقعها حيث « كان ثمة فندق وعدة حوانيت اشتراهم السلطان بدون اجبار ، وأرضى أصحابهم في الثمن » كما يقول ابن اياس المؤرخ العظيم . وفي نفس اليوم الذي أرسى فيه أساس مدرسته ، بدأ بكتابة المصحف الذي قرر أن يوقفه ليقرأ الناس فيه القرآن الكريم .

هذا المصحف نراه الآن في دار الكتب المصرية : انه يتكون من مجلدين ضخمين ، طول الصفحة سبعون سنتيمترا ، وعرضها خمسون ، وهو بذلك يختلف عن المصاحف الأخرى التي تقع في مجلد واحد ، المصحف بمجلديه في حالة جيدة على الرغم من انقضاء أربعمائة وتسعة وخمسين عاما على كتابته واعداده .

في الصفحة الاستهلالية زخارف عربية جيلة باللازورد الأزرق والذهب الخالص ، صيغت في هيئة دقيقة لاتبرز احساسا بالبذخ بقدر ما تبرز رقة واحساسا مرهفا خاشعا ، يتوسط الزخرفة شكل دائري مستوحى من الشمس ، وتتفرع الأشعة لتتقاطع وتتعانق في وحدة وتنوع أخاذين ، وبدءا من الفاتحة وحتى آخر صفحة من المصحف ، نجد كل صفحة تحتوي على ثلاثة اطارات متداخلة ، تشكل الاطار المحيط بالسور المكتوبة بخط نسخ جيل ، تتخلله شعيرات ذهبية ، أما الفواصل بين الآيات فعبارة عن وحدة زخرفية مستوحاة من أوراق الشجر .

ثلاثة اطارات متجاورة متباينة منسجمة ، الاطار الخارجي من اللازورد الأزرق المشعر بالذهب ، يحتوي على أشكال هندسية زخرفية متعانقة ، وحواف هذا الاطار خطوط دقيقة مستوحاة أيضا من أشعة الشمس ، ثم يلي الاطار فاصل أبيض نحيل ، ثم اطار من الذهب يتخلله شكل هندسي أزرق اللون ، مزيج من المستطيل والدائرة ، يتخلل اللون اللازوردي الأزرق اسم السورة مكتوبة باللون الذهبي ، نرى مساحات بلون أحمر شفقي موزعة خلال الاطار الذي يليه فاصل أبيض نحيل ، ثم اطار من اللازوردي الأزرق أقل مساحة من الاطار الثاني ، وبه أشكال هندسية تقارب الأشكال التي يحتوي عليها الاطار الخارجي ،

المجلد الأول يبدأ بفاتحة القرآن الكريم ، وينتهي بسورة الكهف ، أما المجلد الثاني فيبدأ بسورة مريم ، حيث نقرأ في الصفحتين الأوليين :

بسم الله الرحمن الرحيم

« ـ كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا ، اذ نادى ربه نداء خفيا ، قال رب اني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ، ولم أكن بدعائك رب

شقيا ، واني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرا ، فهب لي من لدنك وليا ، يرثني ويرث من آل يعقوب ، واجعله رب رضيا » .

وتتوالى الصفحات ، غنية بدقة زخارفها عميقة برقتها . وبهذا الحس المرهف الكامن خلف اختيار الألوان وتناغمها .

قايتباي

للسلطان قايتباي مصحفان رائعان تحتفظ بهما دار الكتب المصرية ، الأول في قاعة العرض المتاحة للجمهور ، نقل اليها عند انشائها في القرن الماضي من مسجد قايتباي ، في الصحراء الواقعة خارج القاهرة ، والذي يضم تربته حيث دفن . بدأ في تشييده في شوال ٨٤٧ هـ ، وقد جاء فريدا في معماره وزخارفه ، وتؤدى به شعائر الصلاة حتى يومنا هذا ، ويضم عدة منشآت : التربة والمسجد والسبيل والصهريج ، وخلاوي الصوفية ، أقيمت فيه شعائر الصلاة لأول مرة في رجب ٨٧٩ هـ .

اذن ، كتب المصحف الذي نراه في قاعة العرض خلال هذه الفترة التي تقع بين عام ٨٧٤ هـ و ٨٧٩ هـ ، وقد عين له الشيخ ناصر الدين الأخيمي كقارىء متفرغ . المصحف محلى بالذهب واللازورد مكتوب بخط نسخ ، وفواتح السور محلاة بزخارف نباتية ، وأخرى مستوحاة من نجوم السماء .

أما المصحف الثاني فمحفوظ في مكتبة مخطوطات الدار ، تحت رقم « ١٩ » يبلغ حجمه ضعف حجم المصحف الأول ويقع في مجلدين ، كتبه أحد كبار الدولة ، الأمير جانم السيفى بك الدوادار الكبير .

ولا شك أن هذين المصحفين يعكسان في روعتهما ودقة زخارفهما رسوخ عصر السلطان قايتباي واستقراره . وذلك أن قايتباي كان راعيا للفنانين . والقراء والرياضيين ، عرف في عصره الشيخ جعفر السنهوري كواحد من أعظم قارئي القرآن . كان يقرأ بأربع عشرة رواية .

ولا شك أن العديد من المصاحف الرائعة تم نسخها في عهد السلطان قايتباي ، ولا يمكننا تحديد عددها بالضبط ، لكن هذين المصحفين الرائعين يقدمان لنا دليلا وعلامة .

مصاحف أخرى

من أشهر المصاحف التي كتبت في العصر المملوكى ، مصحف السلطان شعبان ، الصفحة الأولى منه محلاة بالذهب واللازورد والنقوش العربية البديعة الرائعة ، كتب سنة ٧٦٤هـ .

ومصحف السلطان المؤيد ، الذي كتب في عام ٨١٥هـ ، والمعروض منه مجلد واحد يمثل نصفه فقط ، وآخره سورة الكهف .

مصحف السيدة خوند بركة ، أم السلطان شعبان كتب عام ٧٧٥هـ . ومصحف الأمير صرغميتش (٧٧٦هـ) ، وفيه نرى ظاهرة فريدة ، اذ التزم كاتبه العبقري ، أن يبدأ كل صفحة بكلمة قرآنية ، تبدأ بحرف أ ، ومصحف السلطان خشقدم ، (٨٦٦هـ) ، يحتفظ حتى الآن بزهاء الوانه ، كأنه كتب بالأمس ، ورقه من الكتان المعالج بمواد أخرى ، وردي اللون ، وعلى الرغم من ضخامته ، اذ يتجاوز طول صفحاته المتر وعشرين سنتمترا ، الا أن نقوشه بسيطة ، رقيقة ، جميع السور مكتوبة بخط نسخ كبير ، عدد كلمات كل سطر تسع أو عشر كلمات ، ولا توجد أي اطارات زخرفية تحيط بالسور داخل الصفحات ، انما يحيطها الفراغ الوردي الجميل .

تحتفظ دار الكتب المصرية ، بعدد كبير من مصاحف أخرى تمت الى أزمنة شتى ، ومن مختلف أنحاء العالم الاسلامي ، تمثل في مجموعها ذروة الفن الاسلامي وتفرده ، واقتدار الفنانين المسلمين الذين بذلوا أقصى جهودهم الابداعية ، في كتابة وتذهيب هذه المصاحف الشريفة . □□

العين العجيبة

منظـــار المريء

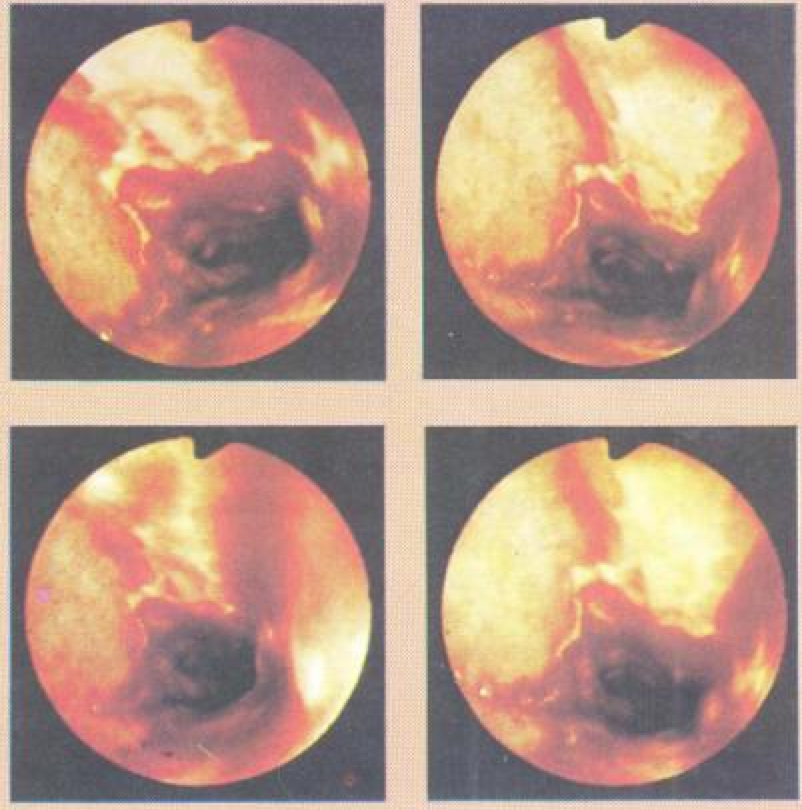

صورة التقطت لقرحة بمنتصف المريء عن طريق منظار فحص المريء الضوئي القابل للثني .. لاحظ الالتهاب المحيط بالقرحة

مناظير تكشف أسرار جسدك من الداخل

بقلم الدكتور سامي عزيز

منظار الجنين

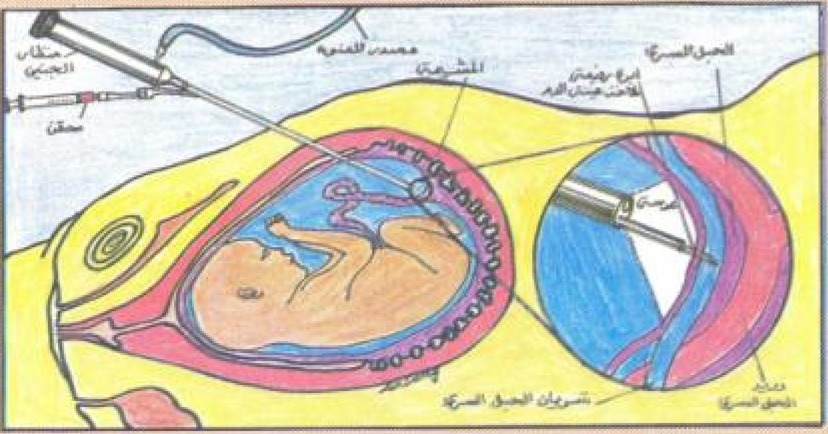

أفضل فترة لعمل فحص بمنظار الجنين هي الاسبوع ١٥ ـ ١٧ لبداية الحمل ويمكن بواسطة منظار الجنين تشخيص العديد من العيوب الخلقية بالاضافة إلى أخذ عينة من دم الجنين بابرة رفيعة مركبة على طرف المنظار (التشخيص المبكر للمرض)

☐ أصبح جسم الانسان من الداخل مكشوفا تماما للأطباء . . وتمكنت المناظير الطبية وهي تقوم بمهنة العين العجيبة من الوصول الى كل جزء مهما صغر حتى تتيح الفرصة للتشخيص المبكر والعلاج الدقيق . . وما زال الطب في انتظار كل جديد يمكن أن يحقق أقل قدر ممكن من آلام الانسان .

لما كانت الرؤية من أفضل وسائل المعرفة ، لذلك أمكن فحص الأجزاء القريبة من نهايتي القناة الهضمية خلال المناظير المعدنية (التي ظهرت في أوائل الثلاثينات) مثل : منظار المريء ومنظار الشرج والقولون . . ولكن هذه المناظير المعدنية غير قابلة للثني ، لذلك لم يكن من الممكن فحص داخل القناة الهضمية الا لأبعاد قصيرة جدا ، نظرا لالتواءات القناة التي تحد من ادخال هذه المناظير . وبقيت هذه المشكلة الى أن اكتشفت مناظير الألياف الضوئية المرنة سنة ١٩٦١ حيث يمكن ثنيها ثنيا كاملا وفي جميع الاتجاهات بحيث تصل الى كل مكان تقريبا داخل القناة الهضمية .

ويتكون المنظار الضوئي من ألياف زجاجية تستطيع نقل الصورة والضوء بواسطة الانكسارات الداخلية . والمنظار الضوئي عبارة عن ٢٥٠ ألف مرآة عاكسة من الالياف الزجاجية وسمك الواحدة لا يزيد عن الميكرون (الميكرون = ١٠٠٠)ويحيط بحزمة الألياف الزجاجية من الخارج غلاف من مادة تشبه البلاستيك ومزودة عند طرفيه بالعدسات لتوضيح الرؤية . ولما كان التشخيص الدقيق للأورام لا يعتمد فقط على الشكل الخارجي بالرؤية بل يعتمد أساسا على الفحص الميكروسكوبي الباثولوجي للأنسجة المصابة . . لذلك زودت المناظير الضوئية بجفت خاص لأخذ عينات من المنطقة المشتبة فيها . وهذه العينات يتم فحصها بواسطة الميكروسكوب لتحديد نوع المرض .

ويمتاز هذا النوع من المناظير :

١ - بسمكه الصغير حيث يتراوح قطره بين ٩ - ١٢ ملليمترا .

٢ - يمكن التحكم في توجيه طرفه الأمامي في أي اتجاه وبذلك يستطيع الطبيب الفاحص أن يوجهها الى كل ركن وزاوية من الأعضاء التي يفحصها .

٣ - سهولة استخدامها .

٤ - لا يحتاج المريض الى مخدر عام . . بل يكتفي عادة باعطائه حقنة مهدئة .

لذلك فالمناظير المعدنية انتهى استعمالها تقريبا في الأغراض التشخيصية نظرا لصعوبة استخدامها . . وما تسببه من ضيق للمريض . . فضلا عن عجزها عن استكشاف كثير من أجزاء المعدة والاثني عشر والقولون وغيرها . . ولكنها ما زالت تستخدم في بعض المجالات المحدودة مثل اخراج الأجسام الغريبة من المريء .

مناظير الجهاز الهضمي

أولا : منظار فحص المريء والمعدة والاثني عشر .

يستخدم هذا النوع من المناظير في التشخيص المبكر للمرض خصوصا اذا كان ورما سرطانيا ، بالاضافة الى تحديد نوع المرض حيث يمكن الرؤية المباشرة والقيام بأخذ العينات من الأماكن المشتبه فيها وفحصها تحت الميكروسكوب لتحديد نوع المرض بدقة .

استخدامات منظار المريء والمعدة والاثني عشر :

١ - دوالي المريء : وهي منتشرة في مصر لأنها من أهم مضاعفات مرض البلهارسيا وينتج عنها قيء دموي غزير قد يسبب الوفاة اذا لم يسعف المريض بسرعة .

٢ - ضيق المريء : نتيجة تناول بعض المواد الكيماوية ، أو نتيجة وجود ورم خبيث بجدار المريء .

٣ - فتق المعدة : وهنا يعاني المريض من قيء مستمر وألم في أعلى منطقة البطن وارتجاع الطعام من المعدة الى المريء عند الانحناء الى أسفل .

٤ - التهاب وقرحة المعدة والاثني عشر : يمكن التفرقة باستخدام منظار الألياف الضوئية بين القرح الحميدة والقرح الخبيثة .

٥ - انسداد فتحة البواب : قد يكون هذا

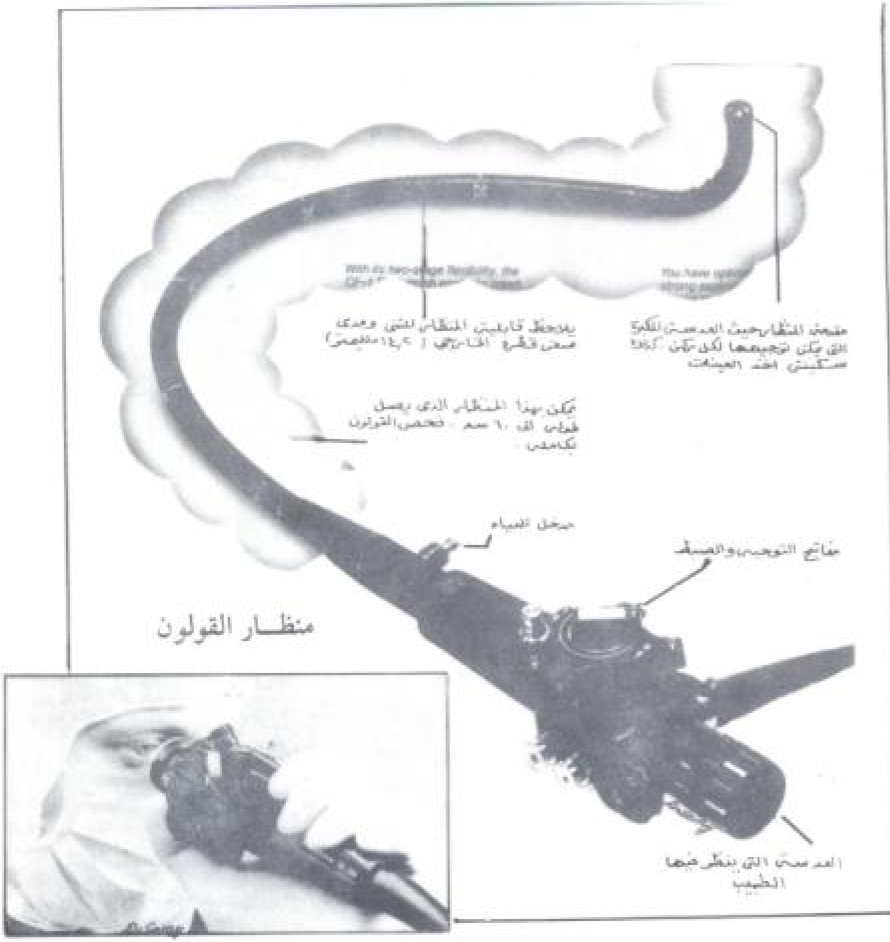

اصبح استخدام المناظير الضوئية القابلة للثني من الوسائل الهامة في التشخيص

الانسداد أحد مضاعفات قرحة الاثني عشر أو نتيجة لوجود ورم في المعدة .

ثانيا : منظار البنكرياس والمرارة :

أهم استخدامات هذا النوع من المناظير هي :

١ ـ تشخيص أماكن وأسباب انسداد القنوات المرارية الموجودة خارج الكبد .

٢ ـ التفرقة بين انسداد القناة المرارية الناتج عن حصوات المرارة وهذه الناتجة عن سرطان البنكرياس .

ويمتاز هذا المنظار بمدى رفعه . . اذ أنه يدفع حتى منطقة الاثني عشر حيث تصب العصارة المرارية وعصارة البنكرياس . . ويمكن بواسطة هذا المنظار رؤية ما يصيب هذه المنطقة من أورام وأخذ العينات المطلوبة . . كما يمكن حقن مواد ملونة باستخدام أنبوبة رفيعة وبذلك تظهر القنوات المرارية وقناة غدة البنكرياس عند تصويرها بالأشعة السينية .

ثالثا : منظار القولون :

في دراسة أجريت حديثا ، وجد أن استخدام المناظير الضوئية لفحص القولون له قيمة تشخيصية ، تفوق مرتين الى ثلاث مرات النتائج التشخيصية التي تتوصل اليها باستخدام المنظار المستقيم المعدني . هذا بالاضافة الى أن استخدام المناظير الضوئية القابلة للثني لا يسبب أي ضيق أو مضاعفات للمريض . أما أهم دواعي

استخدام منظار القولون فهي :
١ - نزيف الشرج .
٢ - آلام البطن المزمنة .
٣ - الاسهال أو الامساك غير قابل للعلاج .
٤ - الانيميا الشديدة .
٥ - فقد الوزن في فترة قصيرة .
٦ - اشتباه في ورم القولون .

ويعتبر القولون من أعضاء الجسم التي تكثر اصابتها بالأورام الحميدة والخبيثة على السواء ولحسن الحظ فان ما يصيب القولون من أورام يقع في المنطقة الأخيرة منه حيث يمكن رؤيته بالمنظار .. ولذلك فالفحص بمنظار القولون يعتبر من الفحوص الهامة في تشخيص أمراض هذه المنطقة من الجسم . وهنا يمكن استخدام منظار المستقيم المعدني (طوله ٢٥ سم) اذ أنه رخيص الثمن ... ولكن في الحالات التي يشتبه فيها وجود أورام على مسافات بعيدة عن فتحة الشرج ، فيجب فحصها باستخدام منظار الألياف الضوئية (طوله ٦٠ سم) ويمكن باستخدام هذا المنظار الوصول الى نهاية القولون وحتى الجزء الأخير من الأمعاء الرفيعة بصرف النظر عن كل الالتواءات والثنيات المعروف بها القولون بين صاعد ومستعرض ونازل . كما يمكن الحصول على أكثر من عينة من المناطق المشتبه فيها .

الاستعمال العلاجي لمناظير الجهاز الهضمي :

لم يقف استعمال مناظير الجهاز الهضمي في تشخيص أمراض الجهاز الهضمي فقط بل أصبح الآن يستعمل في علاج كثير من الأمراض .

١ - يمكن باستخدام المناظير حقن دوالي المريء بمادة كيميائية معينة تحدث تجلطا وتليفا في الأوردة وتمنعها من النزيف .. وهذه الطريقة لا تحتاج الى مخدر عام كما أن المضاعفات التي قد تصاحبها تعتبر ضئيلة للغاية .

٢ - تمكن العلماء في الوقت الحديث من علاج قرحة الاثني عشر بحقنها بمواد معينة الا أن ذلك ما زال في طور البحث والدراسة .

٣ - يمكن وقف نزيف قرحة المعدة بواسطة المنظار باستخدام الكي الكهربي أو باستعمال أشعة الليزر .

٤ - يمكن باستخدام المنظار اخراج بعض الأجسام الغريبة مثل : الابر ، والدبابيس وغيرها من الأشياء التي ابتلعت بطريق الخطأ (تكثر هذه الحالات في الأطفال) .

٥ - أمكن باستخدام مناظير القنوات المرارية والبنكرياس توسيع الفتحة المؤدية بين القناة المرارية والاثني عشر حتى تسمح للحصوات المرارية الصغيرة بالمرور .

٦ - الزوائد القولونية (التي قد تنتج عن بلهارسيا المستقيم) أمكن ازالتها بسهولة وبدون مضاعفات باستخدام منظار القولون .

منظار تجويف البطن :

يتم ادخال هذا المنظار من ثقب صغير في جدار البطن بعد حقن جدار البطن بمخدر موضعي وحقن كمية من الهواء أو غاز آخر مناسب في فراغ البريتون لتوضيح الرؤية وابعاد جدار البطن عن الأحشاء .

أما استخدامات منظار تجويف البطن فهي :
١ - تشخيص أمراض الكبد المختلفة : تليف الكبد ، سرطان الكبد .. الخ .
٢ - تشخيص أمراض الحويصلة المرارية .
٣ - الاكتشاف المبكر للاستسقاء ومعرفة السبب ومعالجته .
٤ - اكتشاف حالات السرطان في مراحلها الاولى .
٥ - تشخيص آلام البطن الحادة والمزمنة .
٦ - تشخيص الحميات غير معروفة السبب .
٧ - تشخيص أسباب العقم عند النساء

صورة التقطت للكبد عن طريق منظار تجويف البطن
التشخيص : التهاب كبدي مزمن نشط

صورة التقطت للكبد عن طريق منظار تجويف البطن .
التشخيص : تليف بالكبد

الخاصة بأنابيب فالوب .

٨ ـ أخذ عينات من المبيض لفحصها تحت الميكروسكوب في حالات العقم .

أما الاستخدامات العلاجية لمنظار البطن فهي :

١ ـ ربط الأنابيب للسيدات الراغبات في تحديد النسل .

٢ ـ ازالة الالتصاقات الناتجة عن الالتهابات المزمنة .

٣ ـ يستخدم حديثا لرفع البويضة المراد تلقيحها خارج الجسم (أطفال الأنابيب) واستخدام منظار تجويف البطن لا يحدث عنه أية مضاعفات تذكر ، وبواسطة هذا المنظار يمكن أخذ عينات من الجزء المصاب وفحصه تحت

الميكروسكوب وبالتالي الاكتشاف المبكر للمرض وعلاجه . كما يمكن تصوير الجزء المصاب داخل الجسم وذلك باستخدام كاميرا خاصة مع المنظار . وتستغرق عملية الاستكشاف بالمنظار البريتون حوالي عشرين دقيقة وبعدها يستطيع المريض مزاولة عمله الطبيعي .. لأن عملية المنظار لا تحتاج الا التخدير الموضعي مع فتح حوالي ١,٥ سنتيمتر بالبطن لادخال المنظار فيه .

منظار القصبة الهوائية والشعب الرئوية

الأجسام الغريبة في الحنـ أو القصبة الهوائية تشكل خطرا داهما وقد تؤدي الى الاختناق أو مضاعفات شـ يدة في الرئة ... وتدخل الأجسام الغريبة (القرش أو الأزرار أو الفول السوداني .. الخ) الى الحنجرة أو القصبة الهوائية نتيجة خطأ في التنفس بينما الجسم الغريب موجود في الفم ... وهذه الحالات يتم علاجها بنجاح تام باخراج الجسم الغريب بمنظار القصبة الهوائية .

كما أمكن حديثا بواسطة مناظير الألياف الضوئية القابلة للثني والتي لا يزيد قطرها الخارجي عن ٤ ـ ٦ ملليمترات .. فحص الشعب الرئوية الرفيعة المتناهية في الدقة ، وهذا النوع من المناظير يختص بالأمراض الرئوية ، ويمكن استخدامه بسهولة ، اذ أن استخدامه لا يحتاج الى مخدر عام ، ويستطيع الطبيب الفاحص الحصول على عينات يتم فحصها تحت الميكروسكوب للتوصل الى التشخيص السليم .
أما أهم دواعي استخدام هذا النوع من المناظير فهي :

١ ـ سرطان الرئة .
٢ ـ البلغم المدمم لفترة طويلة .
٣ ـ الدرن الرئوي .

حتى المفاصل ... لها منظار :

بفضل التقدم الهائل في العلوم الطبية الحديثة ... أمكن اختراع منظار المفاصل .. ولا شك أن الحاجة الى مثل هذه المناظير كانت بمثابة الحلم ... اذ أن الكثير من أمراض المفاصل تحتاج الى بحوث خاصة كالتحاليل المعملية والأشعات .. للوقوف على طبيعة المرض الروماتزمي وبالرغم من ذلك ـ في كثير من الحالات ـ يصعب التأكد من طبيعة المرض . لذلك كانت الحاجة ماسة الى مثل هذه المناظير .

ومناظير المفاصل عبارة عن ابرة طويلة تنتهي بعدسة لديها القدرة على الرؤية في جميع الاتجاهات وتتصل هذه الابرة من الطرف الآخر بمنظار ينظر منه الطبيب .. كما تتصل بما يشبه الخرطوم تجري بداخله الألياف الضوئية القادرة على نقل الضوء من مصدر ضوئي خارجي الى داخل المفصل ، فيتم نقل صورة واضحة عن داخل المفصل الى عين الطبيب . والمناظير الجديدة تطورت وأصبحت ابرتها رفيعة الى الحد الذي يمكنها من الدخول لفحص أصغر المفاصل بعد أن كانت مقصورة على فحص مفصل الركبة في البداية .

كما أمكن اجراء بعض العمليات الصغيرة كعملية ازالة الغضروف باستعمال منظار المفاصل . ولا يحتاج الفحص الى استخدام مخدر عام ... بل يكتفي بالمخدر الموضعي .. كما لا يحدث المنظار أي جرح يحتاج الى غرز وبالتالي يمكن للمريض بعد اجراء المنظار أن يقوم ويمشي ويعود الى عمله .

أحدث المناظير .. منظار الجنين :

تحدث التشوهات الخلقية بنسبة ٣ ـ ٥٪ بين

المواليد . . وبفضل التقدم العلمي الحديث أمكن تشخيص العديد من هذه التشوهات أثناء وجود الأجنة في الرحم (الاكتشاف المبكر للعيب الخلقي) . . ومن هذه الوسائل الحديثة استخدام منظار الجنين .

ولا يحتاج استخدام منظار الجنين الى مخدر عام بل يكتفي باعطاء أحد العقاقير المهدئة للأم المراد فحصها . ويجب في البداية عمل أشعة لبطن الأم باستخدام الموجات فوق الصوتية لتحديد مكان الجنين والمشيمة حتى يتسنى اختيار أفضل الأماكن لدخول المنظار مع أقل المضاعفات للجنين والمشيمة . ويتم حقن مخدر موضعي في المكان المناسب وعمل قطع بالمشرط حوالي ٣ ملليمترات حيث يتم ادخال المنظار خلال جدران البطن حتى الرحم لينتهي في التجويف الأمنيوسي .

وأفضل فترة لعمل فحص بمنظار الجنين هي الأسبوع ١٥ ـ ١٧ لبداية الحمل لأن السائل الأمنيوسي في هذه الفترة يكون صافيا ، رائقا مما يسهل الرؤية خلاله . ويمكن بواسطة منظار الجنين تشخيص العديد من العيوب الخلقية مثل :

الشفة الأرنبية ، الأصبع الزائدة ، التصاق الأصابع ، بالاضافة الى تشوهات صيوان الاذن وتشوهات الأعضاء التناسلية .

ويتم أثناء الفحص أخذ عينة من دم الجنين ويفضل أخذ عينات الدم في الاسبوع ١٨ ـ ٢٠ لبداية الحمل . يتم ذلك باستخدام ابرة رفيعة مركبة على المنظار . . تسحب ١ ـ ٢ مللي لتر من شريان أو وريد الحبل السري ـ حسب الحاجة ـ وتستغرق العملية كلها حوالي ٥ ـ ١٥ دقيقة . ويفيد تحليل عينة الدم هذه في تشخيص العديد من أمراض الدم كالهيموفيليا ، والخلايا المنجلية ، والثلاسميا وغيرها .

كما يمكن تشخيص اصابة الجنين بفيروس الحصبة الألمانية أو غيرها من الفيروسات حيث ترتفع الأجسام المضادة من النوع I/M في بلازما دم الجنين . كما أن دراسة مستوى الكريتينين كيناز والكربونيك انهيدراز في الأجنة المعرضة للاصابة بمرض ضمور العضلات أو داء رصص تفيد في علاج هذه الحالات بنقل الدم لهم ـ بطريقة متكررة ـ أثناء وجودهم في الرحم .

وتشير النتائج التي نشرتها أخيرا الكلية الملكية البريطانية بلندن بعد فحص ١٠٠٠ حالة . . . الى أن المنظار لا يسبب أي مضاعفات للأم أو للجنين طالما انه استخدم بواسطة مختص متدرب في هذا المجال .

وهكذا أصبحت مناظير الألياف الضوئية وسيلة هامة في التشخيص والعلاج أيضا . . . في مختلف التخصصات الطبية ، واستطعنا بفضل هذه المناظير التوصل الى نتائج أفضل . . ولكننا ما زلنا ننتظر المزيد والمزيد من هذه المناظير لتقديم طرق علاجية وتشخيصية أفضل مع أقل قدر ممكن من الألم والتعب للمريض . □□

الهدم والبناء !

تصحيح الخطأ يصنع الكثير ولكن التشجيع يصنع المعجزات ، فالوقوف بجانب المرء الذي أخطأ حتى يستقيم أمره ، يصنع به ما تصنعه أشعة الشمس الدافئة بجسمه بعد حمام بارد !

« الشاعر جوته »

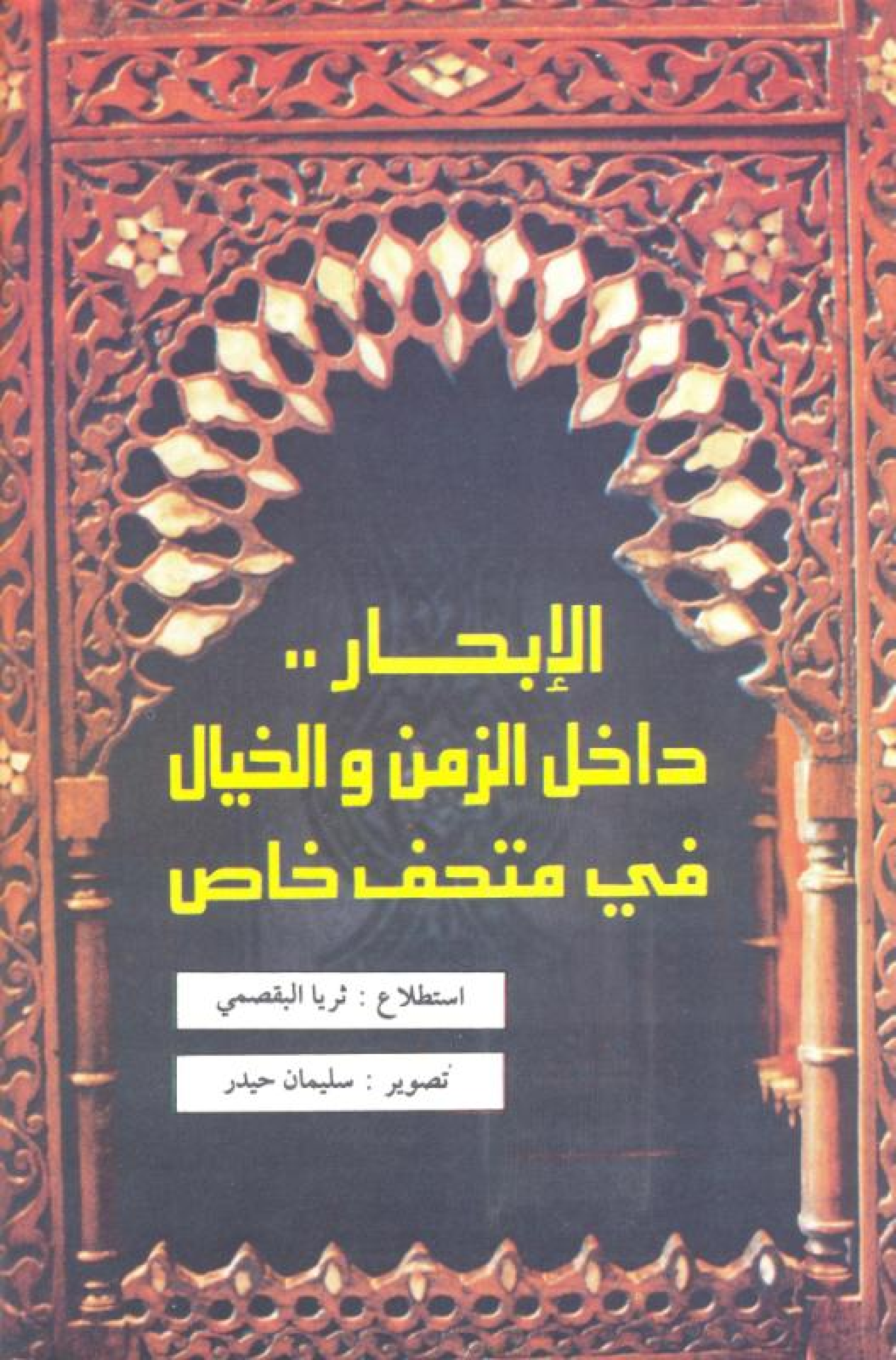

الإبحار.. داخل الزمن و الخيال في متحف خاص

استطلاع : ثريا البقصمي

تُصوير : سليمان حيدر

مدخل المتحف الغنى بالتحف الاسلامية .

عرض مبتكر لحلى من مختلف الدول الاسلامية .

☐ للماضي سحر أخاذ ، وللقديم قيمة تفوق الجديد ، وقد لا يخطر ببالك أن الأطباق التي ترص على مائدتك كل يوم ، ستحتل بعد قرن من الزمان واجهات زجاجية ، وستدخل ضمن مقتنيات الأغنياء والموسرين ، وتباع في المزادات العالمية ، كقطع أثرية نادرة .

هناك شعوب كثيرة لم تقدر القيمة التاريخية لما تملك ، فعندما اقتحم الجيش الأحمر ـ بعد ثورة أكتوبر الروسية ـ قصور القياصرة قام الجنود بتحطيم كل ما تصل اليه أيديهم ، من تحف ونفائس ، وذلك تعبيرا عن حقدهم على النظام السابق ، وقد قام الفلاحون الروس باستغلال مزهريات « السيفر » الخزفية ، المذهبة الباهظة الثمن إلى أو ان لحفظ الأطعمة استغلالا سيئا !!

وفي مدينة أصفهان الأثرية ، قام سكانها بعد انتهاء حكم القاجار ، ببيع القطع الأثرية ، فقد امتلأت أرصفة وطرقات المدينة بالعاديات ، ثم جاء السياح الأجانب ليتباعوا بقايا حضارة عظيمة ببضعة قروش .

.. ولن يغفر التاريخ لبعض حكام مصر تفريطهم بآثار الحضارة الفرعونية ، وكيف جاءت السفن الفرنسية ، لتحمل مسلات الفراعنة ، والتماثيل المجنحة ، لتجمل بها ـ بعد ذلك ـ ميادين المدن الفرنسية ، وكأنها ملك خاص بها .

والواقع أن انتشار لصوص الآثار في شرقنا العربي يعود سببه الى اهمالنا وجهلنا المفرط بقيمة ما نملك ، بينما في المقابل يزداد اهتمام الغرب بهذه النفائس ، حتى لقد وجهت كبريات البنوك الامريكية نداء لعملائها لاستثمار أموالهم في اقتناء التحف « الانتيك » ، والذي يحز في النفس ، أن بعض الدول العربية تعتبر القديم عنوان التخلف ، وعدم مواكبة روح العصر ، فتتخلص من الأحياء القديمة والمباني التاريخية ، بهدمها ، غير مدركة لأهمية الاحتفاظ بخيوط تربطها بتاريخها ، لينسج عليها الجيل الجديد تصوراته لحياة أسلافه .

أغنى متحف خاص بالخليج

غالبا ما تكون المتاحف تابعة لحكومات ودول ، وذلك لأن المتحف يتطلب ، امكانيات مادية ضخمة ، واستعانة بعدد من الخبراء وذوي الاختصاص .

ونادرا ما نقرأ أو نشاهد متاحف خاصة بأفراد ، ولكن هنا في الكويت ، وفي منطقة الجابرية ، ومنذ ست سنوات ، افتتح السيد « طارق السيد رجب » متحفه الخاص الاسلامي والذي يعكس مدى حبه لهذا النوع من الفنون ، فأغلب من يقتنون العاديات ، يقتنونها ليتاجروا بها ، أو يجملوا بها قصورهم ، ونادرا ما تلتقي بانسان يُكِنّ ذلك الحب الكبير للتاريخ ، والوفاء الذي لا يضاهى للحضارة الاسلامية ، فيقضي عمره في الطواف ببلاد العالم ، ويخصص جل

باب المتحف . . جلب من الهند . . وهو من خشب الساج المحفور .

ثروته من أجل جمع ما يتصل بالحضارة الاسلامية . وذلك لكي يعرف شعبه ، بمنابع حضارية . فإنك عندما تدلف إلى قاعات المتحف ، تشعر بأنك ضيف أحسن استقباله ، فكل شيء معد بعناية فائقة ، ومدروس بدقة ، فالمخطوطات القديمة مصحوبة بعدسات مكبرة لكي تسهل قراءتها . . والمعروضات موزعة حسب تسلسلها التاريخي ومصنفة حسب نوعها . فالمجوهرات والحلي التي يزخر بها المتحف مصحوبة بصور ملونة للشعوب التي ترتديها . ويثير عجبك أنها لا تقتصر على الدول العربية فقط ، فبعضها جمع من أواسط الصين ، أو من مناطق التبت النائية ، وعندما ترى الخناجر المنغولية بجانب الخناجر اليمنية ، تبدأ في اجراء عمليات المقارنة بينها ، وكذلك الأمر بالنسبة للنقاب السعودي من قرية بني سالم ، والقبعة الفلسطينية الموشاة بالعملات الفضية القديمة .

وتقف مشدوها أمام واجهة زجاجية كبيرة تحوي وتريات وآلات موسيقية من مختلف الدول العربية والاسلامية ، وتعود للمقارنة بين وتريات هندية ومثيلاتها من منطقة الخليج العربي . وفي ركن أنيق رصت أوان ، وعلب عطوس فضية ، تنتمي لفترة الحكم الملكي في العراق ، وهي موشاة برسوم جميلة ، تمثل الطبيعة الساحرة في بلاد الرافدين . وفي مدخل المتحف قطع من السجاد عبارة عن لوحات نادرة ، فأحدها نسج عليه لوحة بانورامية لشخصيات تاريخية وفلاسفة وحكام وشعراء ، مسجل على كل منها رقم ، وفي حواشي السجادة

أواني خزفية من الصين تعود الى القرن الخامس عشر والتاسع عشر .

خناجر يمنية ومنغولية تتصدر قاعة المعرض .

حلي ذهبية يمنية ، ترتدى في الأعراس

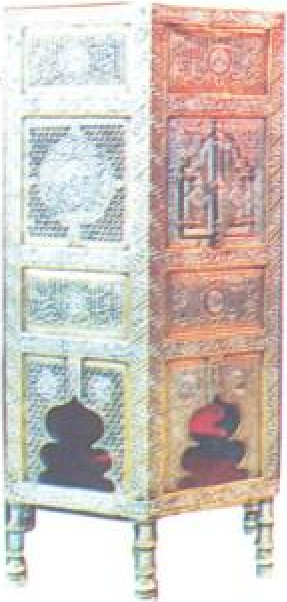

تعويذة هندية من الفضة تعود الى أواسط القرن التاسع عشر .

مبخرتان مصريتان مطعمتان بالفضة
تعودان الى أواسط القرن التاسع عشر .

فهرس للأرقام ، وأسماء الشخصيات باللغة الفارسية ، والوجوه رسمت بطريقة كاريكاتيرية ساخرة .

أما الأواني الخزفية فقد حظيت بعناية خاصة ، فمعظمها يعود الى القرن الثالث عشر والسادس عشر ، وهي تعكس مواضيع اسلامية ومزخرفة بالنباتات والآيات القرآنية .

وفي أرجاء المتحف تنتشر قطع الأثاث القديمة ، وتزين الحوائط الأسلحة والبنادق .

عرض للملابس والوسائد البدوية الجميلة .

وهناك مجموعة نادرة من اللوحات الزيتية الأصلية للمستشرقين ، ومعظمها يتناول حياة النساء « الجواري » في قصور السلاطين ، وحتى باب المتحف عبارة عن باب خشبي مزخرف ، أحضر من الهند ، وهو شبيه بباب « أبو خوخة » الكويتي .

ولع قديم

وتحس بأن هناك عين فنان نسقت هذا الكم الهائل من التحف ، وتزول دهشتك عندما تعلم بأن صاحب المتحف فنان تشكيلي ، اشترك في العديد من المعارض الفنية ، وله لوحات تأثيرية معظمها من البيئة ، وتحدث طارق السيد رجب عن ولعه القديم بالعاديات والتحف ، فيذكر لك أنه عندما كان في الخامسة عشرة من عمره ، توجه الى العراق وفي جعبته مائة روبية ، وهو مبلغ كبير في ذلك الوقت ، وابتاع بنصف هذا المبلغ أربع مخطوطات نادرة ، وهي حاليا لا تقدر بثمن .

وقد كان هاويا لجمع المخطوطات ، وكانت تستهويه مقتنيات السيد عبد الرسول ، صاحب محل العاديات ، الذي يتصدر باب محله رأس ذئب محنط .

وقد أتاحت له الحكومة الفرصة لدراسة التاريخ ، وذلك بأن أوفدته في بعثة الى انجلترا ، وكان أول كويتي يبعث إلى الخارج لهذه الدراسة ، وعند عودته عين مديرا لمتحف الكويت ، وشارك في الاشراف على الحفريات الاغريقية بجزيرة فيلكا ، ومن ثم أرسل الى دورة تدريبية لمدة عام في الدنمارك ، لدراسة كل ما يتعلق بالمتاحف .

الحلم والتنفيذ

« ما أسهل الحلم وما أصعب التنفيذ » هذه

حب مشترك للتراث الاسلامي جمع بين طارق رجب وزوجته جيهان .

الجملة لم تقف عائقا في طريق طارق ، فقد ظل حلم المتحف الشخصي يراوده لعدة سنوات ، وعندما تجمعت لديه كمية كبيرة من التحف ، قام هو وزوجته جيهان ـ وهي انجليزية الاصل ولا تقل عنه ولعا وشغفا بالآثار الاسلامية ـ بتصميم المتحف ، وتصنيف المعروضات ، طبقا لدراسة دقيقة ، وقد صمما ديكور المتحف ، ولم يستعينا بأي شخص من الخارج حتى الاضاءة والخزائن ، والرسوم والصور التوضيحية كانت كلها من تصميمها وتنفيذهما ، يقول طارق السيد رجب : « أنا لم أستعن بأي خبير أجنبي ، وذلك لأني مغرم بتنسيق المعروضات ، وهذا من أساسيات عملي ، وهذه التحف عزيزة علي ، حتى عملية تنظيفها أقوم بها مع زوجتي ولا نسمح لأحد غيرنا بلمسها . وعن كيفية جمعها قال : لقد ابتعت بعضها من المزادات العالمية ، وبعض القطع جمعناها من القرى ، أو من الناس البسطاء .

وان عملية الجمع ما زالت مستمرة ، ولن أتوقف ، وسأحاول مستقبلا توسيع صالات المتحف واضافة مبنى جديد . وأنا مغرم بالتصوير الفوتوغرافي ، وأُعدُّ حاليا البوما ضخما ، يحوي صورا لمنطقة الخليج في نهاية الخمسينيات ، وهي صور نادرة لأماكن اندثرت أو هدمت . . !!

ولزوجته جيهان اهتمام كبير ، بجمع الملابس والحلي الشرقية ، وقد أقامت لمجموعتها متحفا منفصلا في الطابق العلوي من مبنى المتحف ، وفيه عرضت مجموعة من الملابس القديمة ، ذات القيمة التاريخية الكبيرة ، وبعضها يعود الى العصر العباسي والعثماني ، وقد قالت :ـ

كرسى مصرى مطعم بالصدف
، من القرن التاسع عشر .

سجادة فارسية من القرن الثامن عشر تمثل اجتماع عظماء
وشعراء وملوك العالم تحت سقف الدنيا .

مجموعة غنية من الأوانى الفخارية من مختلف الدول الاسلامية .

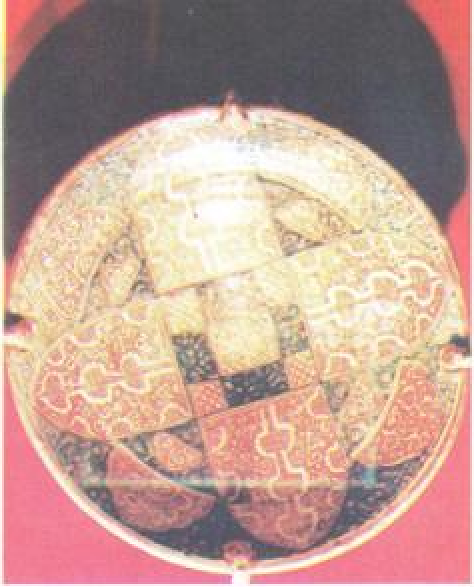

طبق خزفي ، مراكشي ، يعود تاريخه الى سنة ١٤٠٠ ميلادية .

اناء نحاسي لشرب الماء ، من القرن التاسع عشر .

مصباح مسجد نحاسي ، من القرن الخامس عشر ـ دمشقي الصنع .

تمثال برونزي ، لمحارب جزائري ، من صنع نحات فرنسي .

إطلالة من النافذة ، لوحة زيتية لفنان مستشرق تعود للقرن التاسع عشر .

نحن نلبس ملابس باهتة ، لا تناسب طبيعة بلادنا وشخصيتنا ، وذلك لأننا نعتمد على الغرب في تصميم ملابسنا ، وهم ربما يأخذون من تراثنا ، ولكن يصدرونه لنا بلردا ، بلا احساس وبلا حياة ، وليدرس شبابنا التصميم هنا في بلادنا ، ويقوم مصممونا العرب ، بتصميم ملابس تناسب ألوان بشرتنا ، وطبيعة أجواء بلادنا .

وقد جمعت السيدة جيهان هذه الملابس النادرة ، بالتطواف بالقرى وخلال جولاتها في البلاد المختلفة ، وقد ذكرت بأنه قبل ١٩ عاما قطعت رحلة « بالكرفان » من انجلترا الى الكويت ، وكانت حصيلة هذه الرحلة مجموعة رائعة من الملابس الشرقية ، وخاصة التركية ، وفي رحلتها هذه كان يصحبها أطفالها الثلاثة وكلب بوليسي ، وهذا خير دليل على شجاعة وعصامية السيدة جيهان ، وتفانيها من أجل تحقيق هدفها .

الهدف من المتاحف

يقول السيد طارق : « ان المتاحف يجب أن لا تتحول الى مخازن لتكديس التحف فيها ، بل يجب أن تتوفر فيها عناصر الجاذبية ، وأن تكون هناك لغة مشتركة بين المعروضات والزوار ، أن تزيل عنها طابع الملل فلا تبحث عيناك عن باب الخروج بعد أن تدخل المتحف بدقائق ! كما يجب أن يكون للمتاحف هدف تعليمي ، تثقيفي ، وأن تعطي صورة صادقة للماضي ، وتعلم الناس أن يعشقوا القديم ويزدادوا التصاقا به ، فهناك انفصال واضح بين الناس وماضيهم ، وأن أكثر رواد المتاحف من الأجانب الذين يفوقوننا اهتماما بالتراث والماضي .

انه من الخطأ عند بناء المتاحف ، استدعاء شركات ديكور ليس لديها أدنى فكرة عما سيعرض ، فتكون النتيجة أن تأتي المعروضات منفصلة عن المكان الذى توجد فيه ، وربما كانت المتاحف الضخمة ، الفخمة المباني ، توحي بالرهبة لكنها في الحقيقة ، لا تعكس صدق الغرض الذي وجدت من أجله ، ويجب أن لا تكون المتاحف للتباهي وعرض العضلات ، بل أن تكون لنشر الثقافة بين عامة الناس .

وعن اقتناء التحف يقول : « ان كثرة تداول القطع الأثرية بين الناس تعطي احساسا قويا بها ، ويعتاد الناس على رؤيتها وحبها ، وان وجودها في بيوتهم من أجل أن تكون جزءا مكملا للديكور سيعود العين على رؤيتها ، وأتمنى لو أن الناس حاولوا معرفة القيمة التاريخية للتحف التي يملكونها ، فان هذا سيكون جسرا تعبر عليه الثقافة لتصل الى الناس .

لا طبقية في المتحف

ان السيد طارق لم يخضع متحفه لمبادىء الطبقية ، فهو لم يركز على اقتناء تحف تنتمي الى طبقة معينة على سبيل المثال فان الحلي البدوية الفضية والتي صنع بعضها من مواد رخيصة ، ذات قيمة أكبر من الحلي الذهبية المرصعة بالأحجار الكريمة ، وهناك بعض المخطوطات التي تخص طبقة الفقراء ، تفوق قيمتها التاريخية المخطوطات التي كانت في مكتبات المترفين والأغنياء . . ويلاحظ بأن المقتنيات الاسلامية تحظى باهتمام الأوروبيين أكثر من العرب ، فهذه القطع وصلت أسعارها مؤخرا في المزادات العالمية الى أسعار خيالية ، ومعظم زبائن صالات المزاد من الاجانب . والدول العربية لا تفكر باقتنائها ، او دفع مبلغ كبير للحصول على جزء بسيط من قطعة فنية تعكس حضارتنا ، وعندما نجمع التحف الاسلامية ونعرضها ، فاننا نثبت للغرب اهتماماتنا الحضارية والتاريخية ، وأنه لا فضل لهم علينا ، وليكفوا عن النظر الينا بنظرات العطف ، وكأن كل حضارتنا تبحث من عندهم .

ان هذا المتحف كان حلما ، سعيت من أجل تحقيقه ، وسوف أستمر في عملية البحث وجمع التحف ، فتاريخنا عظيم ، ويجب أن نجند ثقافتنا وأموالنا من أجل الوفاء له واحيائه ، وانقاذه من بين براثن الزمن ، ومسح هالة الاهمال التي حاطت بوجهه الحزين . .

زوارق الحلم

ومع انتهاء جولتك بالمتحف . . . تحس أنك اكتشفت أشياء كثيرة كنت غافلا عنها . . وتشعر أن الجو أليف ، يشعرك بأن كل الأشياء تنتمي اليك وتلتصق بك . . . ورغم أن القاعات غير فسيحة ، والمكان لا يشبه القصور الفخمة . . فان المعروضات وحدها تنطق بالفخامة ، وبعضها ، زورق حلم يسبح في بحر الخيال اللانهائي . □□

لوحة زيتية لمستشرق فرنسى ، تمثل مجموعة من الراقصات فى أحد أزقة القاهرة القديمة .

وتريات شرقية تنتمى لمختلف الدول الاسلامية .

حوار مع الكاتب التركي

عزيز نسين

اجرى الحوار : سليمان الشيخ

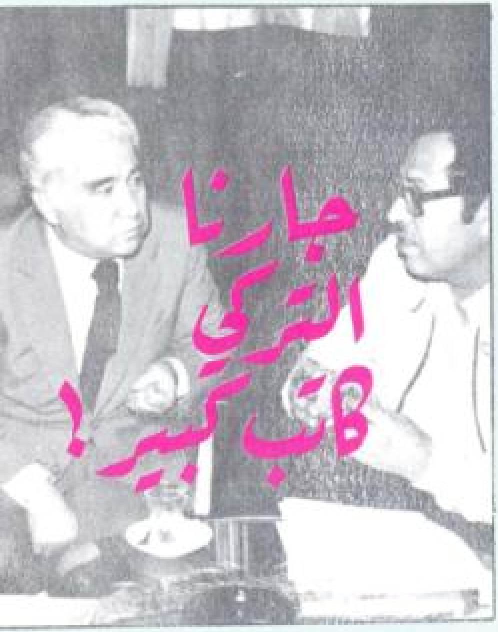

★ ثقافتنا الحديثة منفتحة على ثقافات العالم

★ اكتسبت السخرية من تراثنا العريق

★ يملؤني الشك في منح جائزة نوبل لكاتب تركي

* اقامة علاقات شخصية ، وتخريج مترجين أكفاء ، يمكن أن يعيدا الوصل المقطوع مع أدبكم الحديث .

* رواية لمحفوظ ، ودواوين قليلة لدرويش وبسيسو ، وبعض القصص لكنفاني . هذا ما تعيه ذاكرتي من ترجمات قرأتها لأدبكم الحديث .

☐ جارنا الكاتب التركي « عزيز نسين »* كاتب كبير له عشرات الكتب في شتى أنواع الفنون الأدبية ، ترجمت الى عشرات اللغات العالمية . . فهل نعرفه ؟ . . وهل يعرفنا ؟
. . هذه محاوره مع رائد من رواد الأدب الحديث في تركيا . . أجريناها معه في استنابول . .

لمحة عن فنه :

قبل أن تغوص في المجموعة القصصية التي احتوت على تسع عشرة قصة ، تذكر أن دافعك لاقتنائها كان الاسم الذي قرأت عنه وليس له ، وصورة تشبه الى حد كبير الكاتب الأمريكي هيمنجواي . . وعنوان لا يوجد فيه ما يغري (مختارات قصصية)

لكن عندما تفض الصفحات ، وتصافح عيناك الحروف والكلمات ، وتمضي قدما مع القصة الأولى والثانية . . والثالثة حتى التاسعة عشرة . . فانك لا تملك الا التسليم والاقرار بانك في حضور كاتب ساخر من الدرجة الأولى ، سخرية لاذعة ، تلتقط وجع الناس وآلامهم ، وتبني عليها غزل الفراشات الذي يتحول الى حرير ، أو جهد النحلات الذي يتحول الى عسل مصفى .

حساسية دقيقة وفائقة في التقاط المفارقة الكامنة في الكثير من تفصيلات الحياة ، فيبني عليها معمار بنائه الموزع بين طرفي معادلة المضحك المبكي ، الكوميدي التراجيدي .

*نشرنا له قصة « العقدة » في العدد رقم ٣٠٩ - آب - اغسطس عام ١٩٨٤ .

عزيز نسين

- من مواليد سنة ١٩١٥ في احدى الجزر القرية من استانبول .
- نشر أول كتبه سنة ١٩٥٥ وهو في الاربعين من عمره .
- نال الجائزة الأولى مرتين في عامي ١٩٥٦ و ١٩٥٧ في المسابقة العالمية للكتابة الساخرة التي جرت في ايطاليا باسم (بودغيرا) .
- وفي عام ١٩٦٦ حصل على جائزة (القنفذ الذهبي) التي اعطيت لافضل كتابة ساخرة في مسابقة دولية اقيمت في بلغاريا
- حصل سنة ١٩٦٨ على الجائزة الأولى في المسابقة التي أجريت تخليدا لذكرى (قاراجان) على ثلاث مسرحيات اراجوزية كتبها في تلك المناسبة
- حاز على جائزة التمساح الدولية للكتابة الساخرة التي اقامتها مجلة (التمساح) السوفيتية الاسبوعية الساخرة في موسكو سنة ١٩٦٩ .
- نال جائزة المجمع اللغوي التركي سنة ١٩٦٩ على مسرحيته المعروفة باسم (تشيتشو) .
- يكتب القصة والرواية والمسرحية والمقالة الصحفية وله عشرات الكتب في هذه المجالات
- ترجم نتاجه الى عشرات اللغات في العالم .
- كان رئيسا لاتحاد الكتاب الاتراك المنتخب قبل حله سنة ١٩٨٠ .

تداخل محكوم بدقه ، وتسلسل موزع بسلاسة واقتدار .

أوجاع عامة تتحول الى مادة كوميدية ساخرة هازئة متفارقة ، ليس منها أو من أصحابها ، بل ممن أوجدوها وزرعوها وعمموها .

ولكن . . . أخشى أن تأخذني الانطباعات الشخصية عن تسجيل آراء الرجل في ما طرحناه عليه من أسئلة : لكن قبل أن أصل الى ذلك علينا الاجابه على هذا السؤال :

هل تزودنا بمصادر أخرى تفيدنا عن الرجل غير المجموعة القصصية التي صدرت عن وزارة الثقافة والارشاد القومي في سوريا سنة ١٩٨٣ وترجمها فاضل جتكر ؟ . نعم . . . « هناك زاد آخر أو مصدر آخر أضاف الى معلوماتنا عن الرجل اضافات جديدة ، تمثل في الدراسة المنشورة عن (الأدب التركي) في مجلة عالم الفكر التي تصدر فصلية عن وزارة الاعلام في الكويت ، وقد جاء في العدد (١) من المجلد الثالث عشر من سنة ١٩٨٢ عن كاتبنا ما يلي (كاتب الدراسة هو الدكتور ابراهيم الداقوقي)

« لم يولد تيار الواقعية الحديثة في القصة التركية إلا بريادة القاص التقدمي صباح الدين علي وادباء الولايات الذين بدأوا بمعالجة مشاكل انسان الأناضول وصراعاته أمثال يلباشار ، الهان كاروس ، صميم قوجاكوز ، سماك هاليكارناس ، كما استطاع كل من عزيز نسين وخلدون تانر ، المزج بين الحكاية والنكته الظريفة في قصص قصيرة استأثرت باهتمام القراء » ص ١١٣ .

وفي الصفحة ١١٥ يذكر الدكتور الداقوقي :

« ان الأدب التركي الذي يمتلك ماضيا عريقا في حقل القصة القصيرة بدأ في العهد الجمهوري يمتلك ناصية الرواية أيضا ، بحيث خرجت الرواية التركية من اطارها المحلي الى الاطار الانساني العالمي بفضل الروائيين العظام أمثال : كمال طاهر ، ويشار كمال ، وعزيز نسين ، ومحمود مقال ، وفقير بايقورت ، وييلماز كونة ، وجيتين آلتان ، ونزيهة مريج . حتى ان روايات بعض هؤلاء الروائيين ترجمت الى أكثر من ٥٠ لغة من لغات العالم ، مثل رواية (قريتنا) لمحمود مقال ورواية (محمد النحيف) ليشار كمال (ترجمت الى العربية) ، ورواية (الدولة الأم) لكمال طاهر و (التعالي) لفقير بايقورت ، ومعظم روايات عزيز نسين وغيرهم . . »

فهل هذا الزاد يكفي عن كاتب له ٧٦ كتابا مطبوعا ؟

يبدو اننا نملك أقل القليل . . ولذلك أسبابه

وحيثياته وليس المجال الآن مناسبا للخوض فيها .

السخرية

استناداً على ما قرأت ، وعلى الاشارة التي وردت في الدراسة أسأل عزيز نسين :

○ في أدبك سخرية لاذعة ، وفيه ظرف الحكاية المنتزعة من واقع انساني مأزوم . . ، فمن اين استقيت اسلوبك هذا ؟

ـ موضوعاتي كلها أستقيها من الحياة التي عشتها وأعيشها ، هناك أوضاع انسانية لا يمكنك المرور عليها مرور الكرام ، أوجاع وآلام ومشاكل ، صخب حياة وظلم وتخلف ، وأمراض عديدة ، ودوري ككاتب هو تكثيف هذه الحالات والتفاعل معها ، وصبها في قوالب أدبية ، علها تبقى في وجدان القارىء ، كي توجهه نحو خلاصه وخلاص غيره من الناس .

لقد عايشت وعشت أوضاعا كثيرة ، وتعاملت مع مجمل طبقات المجتمع التركي ، وعملت في عشرات المهن ، دخلت الجيش ، ووقفت على حياة الجندي فيه ، وتنقلت بين عدة سجون في بلادي . . وسمعت ورأيت وعايشت وعشت ، هذا من ناحية التجربة والمعايشة ومادة الموضوعات .

أما من حيث الأسلوب فان تراثنا التركي مليء بالأدب الساخر .

جحا والتراث

* يبدو أن للكثير من البلدان (جحاها) الخاص ، فالقصص المتداولة على لسانه أو عنه كثيرة ؟

ـ ناصر الدين خوجا الذي يقابل جحا عندكم شخصية حقيقية عندنا ، وهناك تاريخ معلوم لحياته ووفاته ، وقبره موجود في اكساهير ، وعلي أن أشير الى أنني قرأت الكثير من الكتب في صباي لكتاب أتراك كرفيق خالد وحسين رحمة وغيرهم . ومن الكتاب غير الأتراك : تشيخوف ، تشدرين ، تشينكون ، مارسيل ايميه ، مارك توين وغيرهم .

وعندما كبرت ووعيت فانني اهتممت بإقتناء الكتب ، وعندي الآن منها حوالي ٢٥ ألف كتاب .

* ألم تقرأ كتبا لكتاب عرب ؟ وألا تمثل (كليلة ودمنة) و (ألف ليلة وليلة) شيئا في ثقافتك . . خاصة وان فيهما زادا روائيا وقصصيا يحتوي على الكثير من السخرية ؟

ـ قرأت للفردوسي ، ودواوين شعرية كثيرة لأشهر الشعراء العرب . وقرأت كليلة ودمنة والف ليلة وليلة ، واستفدت الكثير منها ، ومع ذلك فهناك مشكلة تتعلق بترجمة الأثر العربي الى التركية ، والمترجم قليل في هذا المجال .

هل تصدق أنني لم أصادف في بلادنا الا رواية واحدة مترجمة لنجيب محفوظ وبعض الدواوين لمحمود درويش ومعين بسيسو ، وبعض القصص المترجمة المنشورة في الصحف لغسان كنفاني ، والقليل القليل غيرها ؟ !

ضحكت بمرارة لملاحظته . . فسأل عما يضحكني . .

فقلت : الحال من بعضه ياعزيزي ، وما ترجم للعربية من الأدب التركي الحديث قليل جدا ، قد لا يصل الى عدد ما ذكرت من الكتب الأدبية العربية الحديثة المترجمة الى التركية .

العلاقات بين الكتاب

* وكيف يمكن التغلب على عقبة هذا الانقطاع ؟

ـ لا شك أننا بحاجة الى تدعيم العلاقات ، ولو انتظرنا خطوات ومشروعات الحكومات

فاننا قد لا ننجز شيئا ، لذلك فانني أدعو الى إقامة علاقات شخصية بين الكتاب ، والقيام بزيارات شخصية ، لقد زرت مصر والعراق والتقيت ببعض الأدباء هناك .

وقد كتبت في مقدمتي للمجموعة القصصية التي نشرتها وزارة الثقافة السورية مايلي : (كلا الشعبين العربي والتركي على حد سواء كان ضحية المؤامرات الامبريالية ، وقد عانى الكثير من جراء ذلك . وعلى الرغم من كوننا قد تأخرنا كثيرا فقد آن لنا أن نفهم كوامن هذه المؤامرة ، لنعمل معا على اقامة علاقات الود والأخوة ، التي يفرضها تاريخنا وجغرافيتنا وثقافتنا المشتركة ـ خارج اطار العلاقات الرسمية) .

● لماذا خارج اطار العلاقات الرسمية ؟

ابتسم بمرارة . . وقال :

ـ لانها متأرجحة وغير ثابتة .

● ألا يمكن أن تقوم اتحادات الكتاب بهذه المهمة ؟

ـ يمكن أن تقوم بذلك بشرط أن لا تكون جزءا من آلة الدولة ، أو احدى اداراتها ، أي أن تكون مستقلة ومعبرة تعبيرا حقيقيا عن الكتاب ومنتخبه من قبلهم ، وربما تعرف أن اتحادنا تم اغلاقه منذ سنة ١٩٨٠ ، والقضية لازالت معروضة على القضاء (تمت المقابلة في ١٦/ ٤/ ١٩٨٤) ولازلت ممنوعا من السفر الى خارج البلاد منذ ذلك الحين حتى الآن .

جائزة نوبل والشرق الاسلامي

● منذ عدة أعوام يتردد اسم زميلكم الروائي ياشار كمال وأحيانا اسمكم بين المرشحين لجائزة نوبل ، لكن عندما يصل الأمر الى الغربلة النهائية فانها تذهب الى غيركما . . فما هو تعليقك ؟

تدفقت السخرية من عينيه وبانت على تعابير وجهه . . وحملها صوته وحركات يديه . .

قال : اسمع ياعزيزي . . انني اشك بأنها يمكن أن تمنح لكاتب تركي وذلك لعدة أسباب ألخصها في سببين أولهما :

أن السلطنة العثمانية وغزوها لاوروبا زرعت أحقادا كثيرة ، ومازالت هذه الاحقاد تفعل فعلها حتى الآن . . وثانيهما أنه توجد في بعض الأوساط الاوروبية عقلية صليبية لازالت تتحكم في بعض مصادر القرار ، لذلك فان منح الجائزة لكاتب من الشرق أو من الشرق الاسلامي خصوصا ، فيه صعوبة كبيرة .

● لكنها منحت من قبل لبعض الكتاب من الشرق ، وها هو الكاتب الكولومبي ماركيز ـ من العالم الثالث ـ قد نالها عام ١٩٨٢ .

ـ باعتقادي ان ماركيز يستحقها تماما ، لكن الجائزة في الكثير من الأحيان تمنح لاعتبارات سياسية ، وليس لاعتبارات الكفاءة والجدارة .

● وجولدنج الانكليزي (منح الجائزة سنة ١٩٨٣) فما رأيك في أدبه ؟

ـ لقد قرأت بعض نتاجاته . . انه لا يستحقها ، وهو كاتب غير مهم .

قبل أن انتقل الى سؤالي التالي . . قال السيد نسين :

ـ اسمع ياعزيزي . . أود أن تسجل على لساني بأنني عندما أكتب ، فانني لا أفعل ذلك من أجل الحصول على جائزة . . أية جائزة كانت ، انا اكتب لان دوري في الحياة هو الكتابة ، والكتابة عن حالات انسانية تقتضي أن يكون موقفي في الحياة متوافقاً مع ما أكتب ، أي أن يكون ضد الظلم والكبت ومصادرة الحقوق والحريات ، لكن الكاتب لا يكتب ولا يعيش دوره وحياته من أجل الحصول على جائزة .

مهن وطلاق

● في سيرة حياتك المنوه عنها في مجموعة (مختارات قصصية) المترجمة للعربية ،

معلومات عن أنك عملت في عشرات المهن ، صحافي ، صاحب مكتبة ، جندي ، ضابط ، بقال وغيرها ، فهل أجدت كل هذه المهن ؟

- لم أتقنها كلها بالطبع ، لكنها كانت توفر لي بعض العيش ، وتوفر لي مادة غنية للكتابة ، وأختفي بواسطتها عن عيون السلطات التي كانت تلاحقني .

* ما هو تأثير اعتقالاتك المتكررة على حياتك الأسرية ؟

نظر الي ساخرا ضاحكا ، وقال : لقد طلقتني زوجاتي الثلاث ، كان حلمهن الاستقرار ، وكان حلمي أن أرى العدل والحريات موزعين بالقسطاس على الناس ، لذلك سجنت ، وعرفت الكثير من السجون في بلادي ، وعرفت نماذج انسانية كثيرة ، ايضا فيها .

* والأولاد ؟

- لي ثلاثة أولاد وابنه واحدة .

أحدهم استاذ مساعد في أمريكا والثاني مزارع درس المسرح ، والثالث كاتب ، والابنة متزوجة .

* والعلاقات معهم ؟

- جيدة كأية علاقة بين أب وأولاده .

الساخر الأثير

* هل كتبت بأساليب أخرى غير اسلوبك الساخر المميز ؟

- ان كتاباتي موزعة على القصة (٣٢ كتابا) والرواية (١٠ روايات) والمسرح (٨ مسرحيات) اضافة الى حوالي ١٦ كتابا في النثر وكلها مطبوعة ، ومن الطبيعي أنني استعملت في كتابتها أساليب عدة ، منها الساخر أو الكوميدي كما يحلو للبعض تسميته . . لكن لو سألتني أيها أقرب الى نفسي فانني أفضل الكتابة الساخرة .

* ما هو تأثير الثقافات والأساليب الادبية التي تسود في العالم على الكتاب الأتراك ؟

- ان ثقافتنا في تركيا منفتحة على كل الثقافات في العالم - الى حد كبير - وقد استفاد كتابنا من شتى الأساليب السائدة في العالم ، والكثير من كتابنا يستوحون من ثقافتهم التقليدية ويمزجونها بالثقافة المعاصرة ، لتوليد أدب وطني له مميزاته الخاصة ، وأنا أميل الى هذا الأدب الأخير .

وهناك أسماء بارزة وصاعدة في هذا المجال شعرا وقصة ورواية . . مثل : دمرداش جيهوم ، عدنان ايزا يليتشتر ، اورخان كمال ، خلدون تنر ، فاضل يوشناردا ، فريد ايدكر ، اضاليت اوغلو ، ليلى اربيل ، نزيهة ميريديش وغيرهم وغيرهن .

فلسطين . .

* مادمت قد تحدثت عن الظلم والتحرر والعدل . . فأين تضع القضية الفلسطينية في هذا المجال ؟ وما هو موقفك منها ؟

- انا ضد الصهيونية ، لكنني لا أكره اليهود كشعب من حقه العيش ، وأنا أفرق أيضا بين حكام (اسرائيل) وبين قطاعات الشعب الأخرى .

مع ذلك فانني أتساءل : ما هو دور الأمم المتحدة وفائدتها عندما تغمض عيونها عن اقتلاع شعب بكامله من أرضه واخضاعه للظلم والمعاناة والحرمان ؟!

وموقفي هذا لا يختلف عن موقف بعض قطاعات الشعب التركي التي تشارك الشعب الفلسطيني آلامه وأحزانه . وتطالب بحقوقه السياسية والاجتماعية . تحفزت لطرح بعض الاستفسارات ، إلا ان الكاتب اعتذر بسبب ارتباطات سابقة ، فانفضت جلسة الحوار □□

أصوات المسادا

أو مهزلة الإنتحار الجماعي

عرض وتلخيص : سليمان مظهر

□ انتبهوا . . .
فمازال الكتاب الصهاينة يلجئون الى أساليبهم المعروفة في إحياء القديم بصورة مزورة .
وهذه الرواية الجديدة . . خير مثال على ذلك . .

ان رواية « أصوات المسادا » لدافيد كوسوف ، تقول لنا - بلا خجل - ان اليهود كانوا وحدهم في فلسطين أثناء الاحتلال الروماني ، متجاهلة تماما غالبية سكانها العرب الأصليين .

وقبل أن نحكي التفاصيل كما جاءت في « أصوات المسادا » نذكر أن مسادا - كما يشير الى ذلك الدكتور عبدالوهاب المسيري في كتابه « اليهود والصهيونية واسرائيل » - هي كلمة آرامية تعني القلعة . . وهي آخر قلعة من قلاع اليهود تسقط في أيدي الرومان أثناء التمرد اليهودي في القرن الأول الميلادي . . وتقع المسادا على صخرة مرتفعة منعزلة عند البحر الميت ، على حافة الصحراء ، وتؤدي اليها عدة ممرات ، أحدها يسمى « ممر الثعبان » وآخر يسمى « الصخرة البيضاء » ولا يزال هذان الممران باسميهما حتى وقتنا الحاضر . وتشير الكتابات الصهيونية مثل كتاب جرايزيل « تاريخ اليهود » الى أن اليهود ثاروا ضد أعدائهم الرومان وقاوموهم وتحصنوا بالقلاع الموجودة على نهر الأردن ، التي ما لبثت أن تساقطت الواحدة تلو الأخرى . لكن قلعة مسادا أو « مسعدة » كانت أشجعها ، اذ حاربت بضراوة تحت قيادة بطل يهودي من نسل عائلة قديمة يسمى أليعازر . . غير أن المقاومة الباسلة كان محكوما عليها بالفشل . . بل كان المحاصرون يعلمون ذلك تمام العلم . . لهذا حين اخترق الرومان جدران القلعة لم يجدوا ما يحييهم سوى سكون الموت . . فقد آثر المحاربون الانتحار . . وقد حول الصهاينة هذه الواقعة التاريخية الى اسطورة ، ثم أحاطوها بالهالات ، وجعلوا منها رمزا للشعب الذي يفضل القتال والانتحار على الاستسلام . . وأصبحت هذه القلعة تجسيدا لفكرة « الشعب الواحد » الذي يختار دائما أن يعيش في عزلة . . فاذا مُست « مقدساته القومية » يثور بثورة عارمة لا تبقي ولا تذر » !! وتساهم « اسرائيل في اشاعة هذه التصورات الرومانسية عن الذات اليهودية ، فتقوم أسلحة الجيش الاسرائيلي بترديد يمين الولاء على قمة « المسادا » ويُقسم الجنود أن « مسادا » لن تسقط ثانية . . كما يتم تنظيم رحلات لأفواج من السياح اليهود وطلبة المدارس الاسرائيلية للحج الى القلعة . . وتحرص السلطات على أن تدرج القلعة ضمن برنامج زيارة كل زعيم سياسي أجنبي يذهب الى اسرائيل . . بل ان الحكومة الاسرائيلية أعادت رسميا عام ١٩٦٩ « دفن المتحرين » حتى تضرب الأسطورة جذورها في الوجدان اليهودي . . !!

الرواية والراوية

وعودة الى « أصوات المسادا » .

في الفصل الأول من الرواية يقدم لنا المؤلف دافيد كوسوف امرأتين وخمسة أطفال يتامى ، هم كل من بقي على قيد الحياة في آخر معركة حارب فيها اليهود أمام الرومان . . المرأتان هما « روث » و « سارة » .

روث تقول : انتهت المسادا . . وسيظل الصمت عالقا بذاكرتي ماحييت . . وسيمتد بي العمر كثيرا . . ذلك أن لدي قصة أبلغها . . فالمسادا أعطتني الكثير من الذكريات . حيث إن أصدقائي في ذلك الصباح كانوا يرقدون في نظام تام . . الدماء فقط . . دماء غريزة تؤكد أنهم في رقدة الموت . . لا في رقدة النوم التي كانوا في حاجة اليها . . !

بعد العشاء يتفق سيلفا مع روث أن يقابلها في اليوم التالي . ليعرف منها بعضا من قصة المسادا . . عن تاريخ الجبل . وحين تخبر روث سارة بحديثها مع سيلفا وما سوف يسهم به في كتابة قصة المسادا ، ترد عليها قائلة : « ليكن معنا الله ، فاني لا أرى سوى شهود من اليهود فقط . . والطرف الآخر مهم أيضا . . وهو طرف لم أره » .

وتقابل روث سيلفا ثلاث مرات في ثلاثة أيام على التوالي . . كل مرة لمدة ساعة . . وتقول روث عن سيلفا : « علمني كثيرا ، وقال ان من يسجل الحدث عليه أن يجرب أن يشارك ، أن يلغي الذاتية ـ وليس بالضرورة أن يلغيها تماما ـ فالتجرد هو الأمر الجوهري الأول لكي يكون المرء مسجلا للتاريخ . . ولا ينبغي أن تتدخل العواطف » .

ومن سياق الرواية نشعر أن حب سيلفا للتاريخ جانب آخر من الجوانب المدروسة بعناية لخدمة خطة المؤلف ، في بنائه القصصي الذي اختار له شكل وصية الى روث بكتابة التاريخ .

في اللقاء الأخير مع سيلفا ، يعرفها على روبين ـ وهو أحد اليهود من أسراه ـ حتى يمكنهما معا تذاكر الأحداث والوقائع لتسجيلها . وتترك روث سيلفا الذي غادر المعسكر الى مكان آخر .

وجاء جيبس في الموعد . واستمعت روث وسارة الى بعض مما عنده . وقد حكى عن نفسه كيف انه يعمل مع الرومان ويتعاون معهم ويبتز أموالهم . ثم بدأ بعدها يقص بعضا مما عنده عن جوزيفوس ـ يوسف ـ الذي انحاز الى الرومان ، وادعى أن له صلة بالرب الذي يكشف له من خلالها الغيب . . وانه قد جمع بينه وبين جوزيفوس التطلع للصعود الى القمة . . ! وقد سبقه جوزيفوس الى القمة بالنفاق وخطورة التأثير بادعاء أن له قوة روحية تتشوف المستقبل وتتنبىء بالغيب .

كان جوزيفوس ـ يوسف ـ يهوديا ، انتخب في اجتماع يهودي عام عقد في المعبد ، وكانت الانتخابات مزيفة ، وكانت منطقة الجليل من نصيب يوسف .

ثم يواصل جيبس حديثه عن الحرب ، وما صاحبها من تغييرات سياسية في المناصب والأساليب من قبل الرومان .

العودة من القلعة . . . بعد تأكيد مهزلة الانتحار الجماعي . . !

الخديعة

من حين لآخر كانت روث تلتقط الخيط ، لتكمل حلقة من حلقات الأسطورة التي تقول ان نيرون أرسل فيسباسيان لحكم المنطقة ، ودعمه بالجيوش اللازمة لتحطيم المقاومة اليهودية .

ويقص جيبس عليهم كيف تظاهر جوزيفوس بأنه على اتصال بالرب ، وأنه يستوحي أفعاله منه ، وكيف قاد مجموعة من الثوار الى مخبأ ، ثم تعمد تسريب أنباء الى الرومان ، حول مكان المخبأ ، حتى جاءهم من الرومان من يطالبهم بالاستسلام ، ثم كيف

تظاهر بأن الله أمره بالاستسلام للرومان ، وبأنه عرف الآن أن الرب في جانب الرومان تبريرا لخيانته . وكاد الثوار أن يقتلوه وقد كشفوا خديعته لهم ، وشجعه أربعون ثائرا كانوا معه على الانتحار في سبيل الشرف ، بأن يموت جنرالا يهوديا خير من أن يحيا عبدا رومانيا ، ولكن يوسف يثبط همتهم قائلا « بالقطع انه المجد أن يموت من أجل الحرية ولكن في الحرب ، لا بعد أن تكون قد انتهت أو خسرت . فالانتحار ضد غرائز جميع الأشياء الحية . انه عقوق وضد الرب .. فالرب هو الذي يقرر متى يأخذ هذه النعمة » .

ويعترف جييس خلال حديثه أنه كان شريكا متضامنا مع يوسف في الخيانة ، وانهما خدعا من معهما في المخبأ ، وأقنعاهم حتى أصروا على الموت باجراء قرعة .. ثم وضعا - هو ويوسف - قطعتين من ورق أبيض ضمن أوراق القرعة ، حتى يخدعا رفاقهما ويتخلصا منهم دون أن يموتا ، لأنهما سحبا الورق الأبيض ..!

ويحكي جييس بعد هذا الاعتراف كيف خرج يوسف وجييس من المخبأ واستسلما للرومان . فيقودونهما مكبلين للقاء مع قائد الحملة ، فيسباسيان وولده تيتوس . وهناك يحرك يوسف في فيسباسيان الرغبة في أن يصبح امبراطورا ، مدعيا أن الله قد أوصى اليه بذلك . وهكذا يلقى معاملة طيبة بعد أن ضربت كلمات يوسف على أوتار طموح الحاكم وأحلامه .

ورغم ما لاقاه يوسف وجييس من رعاية ، إلا أنهما ظلا تحت حراسة مشددة . مكبلين بالسلاسل . وقد نجحا في أن يكوّنا صداقات مع الضباط الرومان .. وفي هذه الظروف يتزوج يوسف ، وتتسع شهرته كمنجم وقارىء للطالع .

ويقتل نيرون ، وتحدث من بعد موته اضطرابات خطيرة ناشئة عن النزاع حول العرش ، وخاصة بين الجنرالات . وهنا تثور في نفس فيسباسيان أحلامه وطموحه تغذيها نبوءة يوسف . فيدبر للسفر الى الاسكندرية للتحضير لمواجهته مع روما والامبراطور الجديد فيتيليوس الذي تمكن من العرش وأصبح امبراطورا .

تيتوس والحملة ضد اليهود

كانت مصر مخزن الغلال لروما . وبها يرابط فيلقان من الجيش يمكنه ضمهما الى قواته . ويهزم فيتيليوس في روما في مواجهته مع قوات فيسباسيان . ثم يتابعها تيتوس ابن الامبراطور الجديد مرة أخرى . ويقود بنفسه الحملة الى أورشليم .

ويتم حصار أورشليم ومحاولة اختراقها . ويتفنن الرومان في صنع أدوات الحرب اللازمة لهدم اسطورة المدينة ، وفتح خمس فجوات فيها ينفذون منها .

ومرة أخرى يتبادل جييس وسارة الرواية .. ومن حين لآخر يتدخل شاؤل ليضع لمسة أو يضيف بعض التفصيلات ، وتواصل روث الاستماع وتدوين أحداث المقاومة . الأمل .. الدم .. الجثث .. الصراع .. الخراب .. اليأس .. الجوع .. الى أن ينتهي الأمر باقتناع المقاومة اليهودية بأن لا فائدة ترجى من الدفاع عن المدينة .. وانها ساقطة لا محالة في أيدي الرومان .. ويجمع اليعازر المقاتلين ليقول لهم : لقد انتهت أورشليم .. ولكن ماذا كان في أورشليم ؟ كان هنا دائما الايمان بأن ملكنا الوحيد هو الرب ، وسيستمر .. لهذا ستستمر المقاومة .

ويخبر اليعازر المقاتلين بخطته للخروج من المدينة لكي يتخذوا لهم مواقع أخرى لمعاركهم القادمة .

ويتناول شاؤل في الرواية قصة ما بعد الهزيمة مباشرة فيقول :

ماتت قلوبنا في المعبد . لقد انتهى الأمر . وأخذ الرومان آلافا من الأسرى . وقتل من بدا

في المراحل الأولى للتجنيد . . . الشباب اليهودي . . في الطريق الى قلعة المسادا . .

وكأنه قد قاوم . وسيق أكثر الأسرى طولا ووسامة لمواكب النصر في روما . وبالنسبة للآخرين ، كبل من هم فوق السابعة عشرة وارسلوا الى السُخرة في مصر ، ومن هم تحت السابعة عشرة احتفظ بهم لكي يباعوا عبيدا .

كانت قد بقيت ثلاثة من مواقع ـ كما يحكي جيبس ـ تقاوم ، ومنها المسادا . ثم انتهت المقاومة في موقعين اجتاحها الرومان ، هما قلعة هيروديام التي سقطت دون مقاومة ، وقلعة مكايروس بعد مقاومة بسيطة ، وبقيت المقاومة في المسادا . ومن هنا تبدأ سارة حكاية الرحلة الى المسادا . . واستعدادات المقاومة في القلعة المعلقة . . ثم كيف جاءت الأخبار بأن الجنرال سيلفا يعد العدة لحصار المسادا .

وتأخذ كل من روث وسارة في رواية قصة الحصار . فتصف زحف القوات الرومانية حول القصر المعلق لاحكام الحصار عليه . والاعداد للهجوم ، وأهم ما تذكره أن الأسرى اليهود

كانوا هم القوة الرئيسية التي أقامت المعسكرات ، ونصبت معدات الحرب وتغيير الطرق ، وتمهيد كل شيء لاقتحام المسادا وقد قصد بهذا بالتحديد تبرير مقنع لكلمات اليعازر وأوامره الأخيرة .

ليلة السقوط

يتحدث جيس الى روث وسارة ويخبرهما أن يعدا أنفسهما للقاء مع جوزيفوس - يوسف - ليمداه بالوقائع المتعلقة بالمسادا . ذلك أنه بأمر من الامبراطور ، يقوم بجمع الحقائق المتعلقة بالحرب ليقوم بتدوينها تاريخيا . يخبرهما جيس بأنهما ذاهبتان لا محالة . ان طوعا أو كرها ، بناء على أوامر من الامبراطور أكدها سيلفا ، وأن أمر ذهابها للقاء جوزيفوس قد تم بناء على تدبير بينهما . وتوافق روث وسارة وتذهبان مع جيس .

يقودهما جيس الى حيث جلس جوزيفوس ومن حوله الحرس والكتبة الذين سيقومون بكتابة ما ترويه روث .

وتجلس كل منهما في المقعد المخصص لها . ويطلب جوزيفوس من روث أن تتحدث وأن تنتظر سارة أن يطلب منها اضافة جزء من التفصيلات أو سد فجوة في الرواية .

وتتردد روث ، ويلجم لسانها . وتتدافع الذكريات وتعصف بها آلام الذكرى وتتعثر حتى تأخذ سارة في مساعدتها ، وتشجيعها لأنها ترى أن « يد الرب في ذلك » . انها فرصة لتدوين التاريخ .

وبعد تردد تروي روث قصة الليلة الأخيرة لسقوط المسادا . وتحكي عن اليعازر وقد جمعهم بعد مقاومة ضارية . واقترح عليهم أن يضعوا بأيديهم نهاية لحياتهم خير لهم من أن يروا بعيونهم هوان الأسر ومذلته . العبودية . . واغتصاب النساء . . وقتل الأطفال « وكيف نموت لو وقعنا في أسرهم ، هذا أمر سيتم حسبما يقررون ، لو وقعنا في أسرهم . . اننا لن نمنع استيلاءهم على جبلنا في الصباح بأي حال . ولكن حتى يحل الصباح فان أمر موتنا في يدنا تماما ، لقد ولدنا لنموت ونحن ومن جئنا بهم الى هذا العالم ، يستوي في ذلك أتعس الناس وأسعدهم حظا . . الغني والفقير . . المتعلم والأحمق . . الجبان والشجاع . . انه قانون الطبيعة . . شريعة الرب . . ولكن أن نرى نساءنا وأطفالنا مدفوعين الى العار والاغتصاب والعبودية . . فهذا ليس قانون الطبيعة » .

الانتحار الجماعي

وكان هناك رأي بالمقاومة والقتال حتى آخر مقاتل . . حتى النفس الأخير . . ولكنه خفت أمام قوة الاقناع من منطلق اليعازر .

ثم تحدث اليعازر عن الطريقة التي سينهون بها حياتهم ، كل أب يقتل أبناءه وكل زوج يقتل زوجته . . والرجال الذين ليس لهم زوجات وأطفال يقتلون الأزواج والآباء . . والرجال والنساء غير المتزوجين وغير المتزوجات ، يقوم هو وحراسه العشرة بقتلهم . . ثم تجري القرعة بعد ذلك حتى الرجل الأخير فيقوم بقتل نفسه .

يلاحظ أن هذه القرعة ، في مقابل القرعة التي أجراها جوزيفوس ليخدع بها رفاقه الثوار في المخبأ . . تخدم بصورة كبيرة تحرك الحدث الروائي نحو نهايته . . فبينما تروي روث قصة القرعة . . لا تفوت سارة الفرصة لأن توجه كلمات قاتلة الى مسامع جوزيفوس . فبطل القرعة الأولى يجلس الآن في المشهد الأخير ممثلا لمعسكر الأعداء . . وبطل القرعة الثانية يرقد خالدا بين الأموات وعلى صفحات التاريخ . التناقض بين الغدر والخيانة والعار من ناحية . . وبين البطولة والشرف والنبل من الناحية الأخرى . . ففي هذه النقطة يتركز صراع القيم

على طول الرواية .

وبينما كان يجري الترتيب لحرق الأمتعة قبل انجاز هذا الموت الاختياري ، يلتقي اليعازر بروث ، ويخبرها أنها وسارة والأطفال الخمسة ليسوا ضمن من سيموتون . ويشير عليها بالاختباء في مكان معين ، ويوصيها بأن تكتب قصة المسادا .

ويحدث ما رآه اليعازر ببصيرته . وتصف سارة بعد أن تتوقف روث عن الرواية لكثرة المعاناة والألم . . تصف مشهدا من أكثر المشاهد مأساوية في الرواية كلها على كثرة ما حفلت به من مآس تجل عن الوصف كما أراد المؤلف . . مشهد الموت الاختياري . . الأزواج يقتلون الزوجات . . والآباء يقتلون الأبناء . . وهكذا . . الدم . . والألم . . والأجساد . . تطلق للأرواح العنان . . والأرواح تنطلق مسترخية . . حرة . . ثم قصة آخر القتلى . . أليعازر .

كم تعذب اليعازر . . فلم تكن طعنته لنفسه كافية لتحرير روحه . . ويئن ويصرخ . . فتسرع اليه روث فيقول لها هامسا مثل طفل متعب :

ـ لقد انزلق النصل في الدم . . لقد تمت بصورة سيئة . . ساعديني ساعديني . . الألم يقف في الطريق . . ساعديني أمسكيني . . اعثري على واحدة . . افعلي كما رأيت الآخرين يفعلون . . ساعديني . . اقتليني . . الألم يحول بيني وبين الرب . . اقتليني .

وتضيف لاهثة : ومر الوقت . . وزحفت بعيدا لأبحث عن سكين . . وتبعتني عيناه . وهنا يصرخ جوزيفوس في روث بصوت وكأنه آت من واد سحيق .

ـ لعله من الأفضل تجنب التفصيلات غير المفيدة وتصيح سارة في وجهه :

ـ اهدأ أيها الأحمق .

ـ ويقول لسارة وهو ينهض :

ـ تبدو صديقتك مضطربة . . اشكريها نيابة عني . وتقول سارة :

ـ هل تظن أنها كانت تتحدث اليك ؟!

الأسطورة الحقيقية

عند هذا الحد تنتهي الرواية أو الدراما الصارخة ، التي حاول الصهاينة من خلالها أن يستغلوا حادثة صغيرة ، ويصوروها كما لو كانت تاريخ الانسانية كله في حقبة من الزمن . .

لكن النظرة الفاحصة تؤكد أن المؤرخين الصهاينة تجاهلوا أشياء كثيرة هامة ، لأنها لا تتلاءم مع رؤيتهم المخادعة . فالثورة اليهودية التي تشكل الخلفية التاريخية الاجتماعية لواقعة المسادا . . لم تكن « قومية » كما ادعوا . . بل كانت اجتماعية كما تؤكد ذلك مصادر التاريخ ، وكان سبب قيامها ذلك الشقاء الذي عاناه فقراء اليهود على أيدي أثريائهم ، ممن تعاونوا مع الرومان الذين كانوا يحكمون فلسطين لصالح الامبراطورية ، ولصالحهم الشخصي . وفي ذلك يقول المؤرخ العربي عبدالوهاب المسيري : ان الصراع قد استمر بعد ازدياد استغلال الرومان لمستعمراتهم في الشرق ، فتشكل تحالف بين الفريسيين والقرائين . لكن انتماء الفريسيين للثورة كان متخاذلا . أما القراءون فكانوا عصبها الحقيقي ، لأن أعضاءها أتوا أساسا من الصفوف الفقيرة . وقد وصل ذلك الصراع الى درجة كبيرة من الحدة ، حتى ان الثوار اليهود قتلوا ألوفا من أثرياء اليهود الذين تحالفوا مع الرومان .

وتتجاهل الرواية أيضا كيف استولى اليهود على قلعة المسادا التي احتموا فيها وقاوموا الرومان . وحتى الموسوعات اليهودية تقول ان الثوار اليهود استولوا على القلعة من الحامية الرومانية التي كانت تحتلها عن طريق « الحيلة » دون ان توضح هذه الحيلة . لكن واقعة الانتحار لا يمكن تفسيرها دون أخذ طبيعة هذه الحيلة

بعين الاعتبار . . اذ يبدو أن الثوار اليهود أقنعوا الحامية الرومانية الصغيرة بالاستسلام ، وبالقاء السلاح مقابل الأمان . وكما تعود اليهود ألا يرعوا عهدا ، فانهم عندما استسلمت الحامية أبادوهم عن بكرة أبيهم . .

ولا شك أن هذه الحيلة الغادرة كانت ما تزال راسخة في ذهن يهود المسادا . وتوقعوا انتقاما من نفس النوع ، يقوم به الرومان ضدهم لو أنهم استسلموا احياء . . فيكون الرد الطبيعي على غدرهم هو قتلهم جميعا عن بكرة أبيهم . . فكان اللجوء الى الانتحار الجماعي من خشية المعاملة بالمثل .

ولماذا لا يكون التصور أيضا هو الانتحار الجماعي . . فهناك احتمال آخر أن يكون الفاتح الروماني قد قام بذبح اليهود داخل القلعة ، كما فعل هؤلاء بالحامية الرومانية قبل ستة أعوام . . لكن جوزيفوس حوّل المذبحة الى انتحار جماعي لأسباب خاصة . . وهو أمر تؤكده أغلب مؤلفات جوزيفوس التي حاول فيها أن يدافع عن اليهود وأعمالهم ضد الرومان ، محاولا أن يتلمس الأعذار لنفسه لانشقاقه على بني جلدته » .

وهكذا حول الصهاينة هذه الواقعة الى أسطورة ، ثم أحاطوها بالهالات ، وجعلوا منها رمزا للشعب الذي يفضل النضال والانتحار على الاستسلام .

ولكن التجديد المستمر لابراز هذه الأسطورة . . وآخر ذلك اصدار هذا الكتاب عن « أصوات المسادا » انما هو استمرار لاحياء القديم الذين يحاولون من خلاله تأكيد أنهم أصحاب الأرض الحقيقيين ، حتى يفتدوها بالأرواح . . كما أنهم يحاولون أن يغطوا على جرائمهم التي تلطخ أيديهم في فلسطين . .

ان « مسادا » العصر الحقيقية هي المسادا الفلسطينية التي لم تجبن أبدا » أمام العدو . . والتي لا تؤمن بالطريق الذي سلكه اليهود في الانتحار الجماعي الذي يهللون به . . ولكنها تقاوم لاستعادة الأرض التي حاولوا اغتصابها بالتاريخ الزائف . . والجريمة . . وحمامات الدم » .

ثم . .

انها دعوة الى المؤرخين العرب لتكريس - ولو جزء قليل من وقتهم وجهدهم - لفضح عمليات تزييف التاريخ اليهودي . . في فلسطين □□

الحفل الكبير

يقول الكاتب الروسي تشيكوف في وصفه للحياة : (انها حفل كبير يصل اليه البعض متأخرا ويتركه البعض قبل أن ينتهي بينما يبقى البعض حتى بعد أن ينصرف كل المدعوين . . وفي الحفل تتركز الأضواء على النجوم بينما نجد الكثيرين يختفون بعيدا عن عيون الناس فلا يشعرون بأحد ، ولا يشعر بهم أحد ، ولكن الجميع بعد هذا يستوون عندما تطفأ الأنوار وتهدأ الموسيقا ، وينصرف المدعوون !)

من مكتبة العربي

شخصيات جزائرية

الكاتب : د . عمر بن قينة
الناشر : دار البعث ـ قسنطينه ـ الجزائر
سنة النشر : ١٩٨٣ م

المعروف أن الكفاح المسلح هو أعلى مراتب النضال . لكن وقبل الوصول الى هذه المرحلة المتقدمة فان هناك اساليب وطرقا أخرى تكون قد سبقت ومهدت لهذه المرحلة .

والجزائر كغيرها من بلدان العالم لم تكن خارجة عن تأثير هذا القانون أو القاعدة ، بل إن حالة الجزائر اكدت القاعدة وثبتتها .

لقد سبق مرحلة الكفاح المسلح نضالات المحافظة على الهوية والتوكيد على اللغة والتراث الوطني ، وعظا وارشادا ومحاضرات ، ومن ثم توحدا مع الثورة .. وقام بهذه المهمة عشرات ، ان لم نقل مئات من الشخصيات اختار من بينهم المؤلف : المجاوى ، ابن العنابي ، ابن باديس ، الابراهيمي ، الحفناوي ، الشاذلي ، حمود ابن نبي ، محمد العيد ، ومولود فرعون ، وقد ذكر المؤلف في مقدمته « هذه شخصيات ربما اختلفت مشاربها ، لكنها تلتقي جميعها بمستويات مختلفة حول التعلق بالجزائر وشخصيتها العربية الاسلامية ، التي عمل أغلبهم كثيرا من أجل رموزها الحضارية ، التي تستوحي العنصرين السالفي الذكر » .

الكف والمخرز

دراسة ومختارات ـ للادب الفلسطيني بعد عام ١٩٦٧ في الضفة والقطاع .
الكاتب : خيري منصور .
الناشر : وزارة الثقافة والاعلام ـ العراق .
سنة النشر : ١٩٨٤ .

اثر حرب سنة ١٩٦٧ فان فلسطين بأكملها أصبحت تحت قبضة الاحتلال الصهيوني . فما هو تأثير الاحتلال على الكتاب والأدباء ، خاصة في الضفة الغربية وغزة ؟ وما هي نوعية الكتابات والابداعات التي كتبت منذ ذلك الحين حتى هذه المرحلة ؟ عن هذين السؤالين وغيرهما يجيب هذا الكتاب مرفقا اجاباته بالامثلة والاستشهادات والنصوص .

من مكتبة العربي

وقد مهد المؤلف لذلك بمقدمة جاء فيها :

(وقد رأيت من المناسب ـ بل من الضروري ـ ان أقدم للمختارات من أدب هذا الجيل باضاءة مناخ الاحتلال القائم ، من خلال التعريف بأوضاع الشعب الفلسطيني الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في ظل الاحتلال ، وما طرأ على هذه الأوضاع بعد الاحتلال الثاني عام ١٩٦٧ .

وقد استند الكاتب في وضع عنوان كتابه على المثل الشعبي الذي يقول (الكف ما بتلاطم مخرز) الا أن تحدي الاحتلال افرز مثلا مغايرا . . .

هو كما جاء في قصيدة للشاعر أحمد دحبور :ـ

(لان الكف سوف تلاطم المخرز

. . . ولن تعجز)

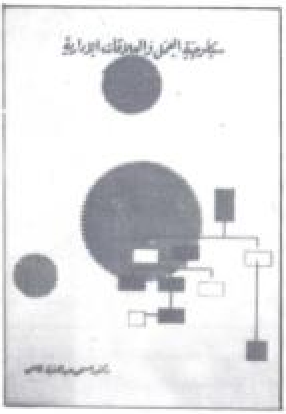

سيكولوجية العمل والعلاقات الادارية .

الكاتب : د . صبحي عبد الحفيظ قاضي .

الناشر : مكتبه الانجلو المصرية ـ القاهرة

سنة النشر : ١٩٨٤ .

العلاقات الادارية عبارة عن شبكة معقدة من الاتصالات ، يسهل فهمها نسبيا عند اخضاعها للمفاهيم السيكولوجية . هكذا يقول المؤلف في مقدمته .

فكيف ترجم هو هذا الأمر في كتابه ؟

أجاب مختصرا : (ان الفكرة التي يرتكز عليها هذا الكتاب ليست اعادة سرد النظريات والمعلومات المتوفرة في معظم كتب (علم النفس) وكتب (الادارة) بطريقة مختلفة ، ولكنها عملية دمج متكامل للحقلين . وبدمج الحقلين يمكننا أن نفهم أنماط السلوك داخل المنشآت بين الرئيس والمرؤوس ، وبين الزملاء وبين موظف وآخر في منشأتين مختلفتين . واذا فهم الانسان سلوك غيره سهل عليه التعامل معه ، وتحسنت الانتاجيه في المنشأة أيا كان نوعها وحجمها) .

الاقتصاد التعاوني :

الكاتب : د . محمد مصطفى وتي

الناشر : جامعة حلب ـ كلية الاقتصاد والتجارة

سنة النشر : ١٩٨٤ م

يشير المؤلف الى أن التعاون ظاهرة معقدة للغاية من بين ظواهر الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مختلف مراحل تطور المجتمع البشري . ويختلف جوهر التعاون ودوره الاجتماعي باختلاف التكوينات الاقتصادية والاجتماعية وعن هذا الاختلاف فان المؤلف يستعرض ويحلل النظريات والافكار التعاونية ، ومكانتها في الفكر الاقتصادي ، في عدة بلدان ذات أنظمة اجتماعية مختلفة .

الشورى والديمقراطية

الكاتب : علي حمد لاغا

الناشر : المؤسسة الجامعية للدراسات ـ بيروت

سنة النشر : ١٩٨٣

هـذا الكتـاب عبـارة عن بحث مقـارن في الأسس والمنطلقات النظرية لتعبيري الشورى والديمقراطية ، ومتابعة ذلك عبر المراحل التاريخية التي مرا بها ، وتسجيل اجتهادات عدد من المفكرين في هذا المجال ، وقد ذكر المؤلف :

(ان التطور السياسي في عالمنا المعاصر وما يعكسه من سلب وايجاب على حضارتنا ووجودنا بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى ، جعل من الضروري أن نواجه حقيقة الفكر السياسي الاسلامي ، ونغوص في خبايا اهدافه ، واتجاهاته ، وعدم الاكتفاء بالشعارات العامة التي لا تغير من الواقع المرير شيئا) .

فهد الدويري حياته وآثاره .

الكاتب : خالد سعود الزيد .

الناشر : مكتبة دار العروبة ـ الكويت

سنة النشر : ١٩٨٤ .

قد لا تسعف بعض الأسباب عددا من الكتاب في جمع نتاجاتهم في بعض مراحل عمرهم ، وقد تصدى لهذه المهمة الكاتب ، خاصة في الكويت ومنطقة الخليج العربي ، فأصدر عدة كتب في هذا المجال ، وذكر في مقدمته للكتاب (لن نفقد الاعمال ونقدم اعمال كل شخصية دون تكييف منا للقارئين) . ولذلك فانه جمع نتاجات الكاتب فهد الدويري منذ فترة الاربعينات التي كتبها عن بعض القضايا العامة ، وقصصه في هذا الكتاب .

وميزة الدويري في قصصه انه طور ادواته الفنية واستطاع نقلها من حكاية وعظية الى عمل فني فيه طلاوة في الأسلوب وعمق في الرمز .

وربما لهذا السبب فان الكاتب أطلق عليه لقب (شيخ القصاصين الكويتيين) ووضعه على غلاف الكتاب .

نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين من الكندى حتى ابن رشد .

الكاتبه : د . الفت كمال الروبي

الناشر : دار التنوير ـ بيروت

سنة النشر : ١٩٨٣ .

مصطلح (نظرية) كما تقول الكاتبة مصطلح حديث يقصد به جملة التصورات أو المفاهيم المؤلفة تأليفا عقليا يهدف الى ربط النتائج بالمقدمات .

وهذا المصطلح لم يعرفه الفلاسفة المسلمون ، وانما ركزوا جهودهم في تحديد مفاهيمهم وتصوراتهم النظرية للشعر وغاياته وأشكاله . وتوجهت طموحاتهم الى محاولة استخلاص القوانين الكلية للشعر « مطلقا » التي يشترك فيها جميع الأمم على اختلافها .

هذا وقد تناولت الكاتبة بعض أقوال وتصورات الفلاسفة المسلمين الاقدمين عن الشعر ، بغرض الكشف عن جانب من جوانب التراث النقدي العربي الذي لم يزل مغمورا ، ومن بينهم : الكندى ، والفارابي وابن سينا وابن باجه وابن طفيل وابن رشد وغيرهم .

المسابقة الثقافية

رقم ٣١٠

سبتمبر ١٩٨٤

حرصنا على تبسيط أسئلة هذه المسابقة لتتمشى مع مقتضيات فصل الصيف .. نتمنى لكم التوفيق فى الاجابة الصحيحة على ١٠ أسئلة منها .. وفى التقيد بشروط المسابقات الثقافية المعروفة .. لتظفروا باحدى الجوائز القيمة .

١ ـ ما هو الليزر ؟

* أشعة كهرومغناطيسية
* أشعة ضوء مقواه
* أشعة تحت الحمراء

٢ ـ فى العالم جزيرتان صغيرتان احداهما تعرف باسم جزيرة عيد الميلاد والأخرى تسمى جزيرة عيد الفصح .. أين تقع هاتان الجزيرتان ؟

٣ ـ قد تطلى المعادن بالكروم وقد تطلى بالنيكل .. أى الطريقتين هى الاحدث .. ؟

٤ ـ هناك فولاذ لا يصدأ .. ترى لم لا يصدأ .. ؟

* بسبب المعالجة التكنولوجية التى تجرى له
* بسبب خاصة طبيعية توجد فى بعض أنواع الفولاذ ولا توجد فى غيرها .

٥ ـ الفيل ليس الحيوان الوحيد الذى يعطينا عاجا .. فثمة حيوان آخر يعطينا مثل هذا العاج .. فأى حيوان هذا ، علما بأنه من الحيوانات البحرية ..

٦ ـ العم سام هو اللقب الذى يلقب به الأمريكى .. ترى هل هذا اللقب شائع خارج أمريكا فقط أم انه شائع داخل أمريكا أيضا ؟

٧ ـ لماذا قسموا الشهر أربعة أسابيع لا خمسة أو ستة ، والاسبوع سبعة أيام لا ثمانية أو تسعة .. ؟

٨ ـ سنة ١٩١٢ غرقت سفينة التيتانيك الانجليزية فى رحلتها البكر التى قامت بها الى أمريكا .. ومات أكثر ركابها البالغ عددهم ٢٣٤٠ راكبا .. ترى لم غرقت ؟

جوائز العربي لقرائها أكثر من

ألفي دينار سنويًا

جوائز المسابقة

الجائزة الأولى	٥٠ دينارًا
الجائزة الثانية	٣٠ دينارًا
الجائزة الثالثة	٢٠ دينارًا

و٨ جوائز تشجيعية قيمة كل منها ١٠ دنانير

- بسبب خلل ميكانيكى
- بسبب اصطدامها بالجبال الجليدية
- بسبب اصطدامها بسفينة اخرى

٩ ـ كتب أبو العلاء المعرى كتبا عديدة منها كتاب حمله غلام بين يديه وعبر به النهر ، نهر قرطبه .. فخانت الغلام رجله فسقط فى النهر هو وكتاب الشاعر الفيلسوف .. ما اسم هذا الكتاب .. !

١٠ ـ لو فتحت فمك فتحة كاملة لرأيت لحمة تتدلى فى حلقك .. ما اسم هذه اللحمة .. ؟

١١ ـ البوذية والطاوية والشنتويه .. مذاهب دينية واسعة الانتشار فى الشرق الاقصى .. فأى هذه المذاهب ظهر فى الصين وأيها ظهر فى اليابان وأيها كان ظهوره فى جنوب شرق آسيا .. !

١٢ ـ الاسنان الاصطناعية التى اخترعها الانسان لنفسه نعمة عظيمة ولا ريب .. ترى متى كان اختراعها ..

- قبل ١٠٠٠ سنة
- قبل ٥٠٠ سنة
- قبل ٢٥٠ سنة

كوبون مسابقة العدد ٣١٠

حل مسابقة العدد

(٣٠٧)

المنشورة في عدد يونية ١٩٨٤

١ ـ سميت الألعاب الأولمبية بهذا الاسم ، نسبة الى بلدة اولمبيا فى اليونان ، وكانت قديما مقر عرافة شهيرة ، ومقرا للألعاب الاولمبية الأصلية .

٢ ـ المسافة التى يقطعها المتبارون فى سباق ركض المراثون هى ٢٦ ميلا و ٣٨٥ ياردة .

٣ ـ التنس وكرة السلة وكرة القدم .. أصل الاولى فرنسى ، والثانية أمريكى (الولايات المتحدة) والثالثة انكليزى .

٤ ـ نعم ! كانت الملاكمة تمارس بقبضات عارية ، وتستمر المباريات على بطولتها ، ساعات وساعات حتى يطرح أحد المتبارين خصمه أرضا ، ويحرز النصر الحاسم عليه .

٥ ـ ترمز الدوائر الخمس فى شعار الالعاب الاولمبية ، الى القارات الخمس ... ويرمز التشابك بينها الى الاتحاد أو الاخاء المنشود بين شعوب الأرض .

٦ ـ كان صاحب الفضل فى احياء الالعاب الاولمبية ، فرنسيا اسمه البارون بيير دى كوبرتين ، وكان ذلك سنة ١٨٩٤ وقد اقيمت الدورة الاولى من هذه الالعاب المجددة فى اثينا عاصمة اليونان ، اعترافا بفضل الاغريق عليها .

٧ ـ الأمريكان يسمون اللعبة العنيفة ، التى تشبه المصارعة الجماعية ... يسمونها كرة القدم ، أما اللعبة التى نسميها نحن كرة القدم فيطلقون عليها اسم (سوكر) . وتجدر الاشارة الى أن الولايات المتحدة هى البلد الوحيد فى العالم الذى لا تروق له هذه اللعبة .

٨ ـ الخليفة العباسى المتوكل هو الذى أفرج عن الامام أحمد بن حنبل .. وقد تم ذلك بفضل يحيى بن أكثم الذى عهد اليه المتوكل بقضاء القضاة .

٩ ـ هناك عدة مباريات دولية لكرة القدم غير المباريات الأولمبية ، ولا ريب أن مباريات الكأس ، كأس اتحاد كرة القدم .. هى أشهر تلك المباريات جميعا .. وقد اقيمت لاول مرة سنة ١٨٧٢ .

١٠ ـ قائل البيت هو الشاعر المعروف زهير ابن سلمى ..

١١ ـ حيص بيص هو اللقب الذى اشتهر به شهاب الدين الشاعر التميمى .. وسبب ذلك ما يروى عنه ، أنه وصف زحمة الناس مرة باللفظين : حيصه بيصه .. توفى فى بغداد سنة ١١٧٩ م .

١٢ ـ العالم المقصود هو ابو الريحان البيرونى (٩٧٣ ـ ١٠٤٨ م) درس الرياضيات والفلك والطب والتاريخ ونبغ فى الكثير منها .. من كتبه (الاثار الباقية من القرون الخاليه) .

الفائزون بالجوائز الثلاث الأولى

الجائزة الاولى : هدى زهير صادق - ص . ب (٥٨٢٣٢) مدرسة ام حبيبة المتوسطة الكويت .
الجائزة الثانية : بشار عبد الله قباني - ص . ب (٢٠٢١) سوريا .
الجائزة الثالثة : منصف القلال - القباضة البلدية بصفاقس - صفاقس - تونس .

الفائزون بالجوائز الثماني التشجيعية

١ - سعيد عبد الله نصيب الغامدي - المملكة العربية السعودية - الباحة - مدرسة تحفيظ القرآن الكريم بالظفير .
٢ - يوسف عبد الله الشبعان - المحرق - ص . ب (٢٢١١٤) دولة البحرين .
٣ - محمود مفيد بصيلة - ص . ب (١٩٠٨٩) عمان - الاردن .
٤ - الصغيري ميمونة - طريق م رقم ١٨٢ - ظهر المحلة / وجدة - المغرب .
٥ - مروان احمد بشار بركات - ابو ظبي - ص . ب (٨٤) دولة الامارات العربية المتحدة .
٦ - محمد بن محمد لقمان - المدرسة الوطنية للادارة - ص . ب (٢٥٢) نواكشوط - موريتانيا .
٧ - مصطفي السيد سالم مطاوع - جمهورية مصر العربية - محافظة القليوبية - بنها - بطا - مكتب بريد رقم (١٣٧٧٦) .
٨ - صلاح الدين بن محي الدين - كدنمن - منكادا - ملبرم - كيرالا - الهند ص . ب (٦٧٩٣٢٤) .

A.Salahuddeen ,
Kadannamanna P .O . (679324)
Malappuram DT .
Kerala , INDIA

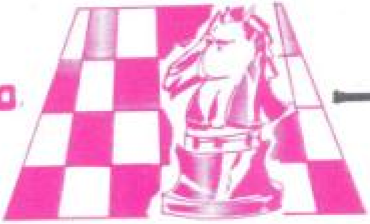

معركة بلا سلاح

مرشح التحدّي لبطولة العالم

اخترنا لكم هذا الدور من مباريات التصفية النهائية لاختيار المرشح الذي سيتحدّى بطل العالم الحالي أناتولي كاربوف على بطولة العالم للشطرنج . والمباراة التالية هي بين فاسيلي سميسلوف الروسي (بطل العالم ما بين ١٩٥٧ - ١٩٥٨) ومواطنه الشاب (٢١ عاما) جاري كاسباروف مرشح التحدي والذي سيقابل بطل العالم الحالي في الأسبوع الثاني من شهر سبتمبر ١٩٨٤ . وقد علقت مجلة الشطرنج البريطانية على مجموعة المباريات التي جرت بين هذين البطلين الكبيرين وعددها ثلاث عشرة مباراة بقولها : « الأحفاد يهزمون الأجداد » اذ أن سميسلوف (٦٣ عاما) كان بطلا للعالم قبل ولادة منافسه بعدة سنوات ، وهذا الدور هو الدور الثاني عشر بين الأدوار الثلاثة عشر التي لعبها البطلان ابتداء من اليوم العاشر من شهر مارس ١٩٨٤ في لتوانيا . والنقلات الاثنتا عشرة الاولى هي من افتتاح يعرف بـ « جامبيت الوزير المرفوض » وقد تكررت هذه النقلات في جميع الأدوار بين البطلين بتغيير طفيف وأحيانا بدون أي تغيير كما كان عليه الحال في الدور الثاني والثامن والعاشر ولذلك فهي تعتبر أفضل ممثل لمثل هذا النوع من الافتتاح .

أبيض (سميسلوف)	أسود (كاسباروف)
١ - د ٤	د ٥
٢ - ح - و ٣	جـ ٥
٣ - جـ ٤	هـ ٦
٤ - جـ × د ٥	هـ × د ٥
٥ - ز ٣	ح - و ٦
٦ - ف - ز ٢	ف - هـ ٧
٧ - ت	ت
٨ - ح - جـ ٣	ح - جـ ٦
٩ - ف - ز ٥	جـ × د ٤
١٠ - ح × د ٤	حـ ٦
١١ - ف - هـ ٣	ر - هـ ٨
١٢ - أ ٣	ف - هـ ٦

وهنا يقرر سميسلوف مبادلة الحصان بالفيل ليحتفظ لنفسه بفيلين مقابل فيل وحصان وفي ذلك شيء من التفوق في نظر البعض .

١٣ - ح × هـ ٦	و × هـ ٦
١٤ - و - أ ٤	م - حـ ٨

فكر كاسباروف لمدة ٣٧ دقيقة قبل أن يقوم بهذه النقلة وأخيرا قرر أن يبعد ملكه عن الوتر الابيض بعد أن خسر فيله الذي يحمي هذا الوتر .

١٥ - ر (أ) - د ١	ر - جـ ٨
١٦ - م - حـ ١	أ ٦
١٧ - و ٤	ح - أ ٥
١٨ - و ٥	

استغرق سميسلوف ٤٤ دقيقة

في هذه النقلة العادية مما سيعرّضه للمتاعب فيما بعد فعقارب الساعة لا ترحم .

١٨ -	ب ٥
١٩ - و(٢) - حـ ٤	ح - ز ٨
٢٠ - و - حـ ٣	ح - جـ ٤
٢١ - ف - جـ ١	ف - ز ٥
٢٢ - و × هـ ٦	ف × جـ ١
٢٣ - ر × جـ ١	ح - هـ ٣
٢٤ - ح × د ٥ ؟	(رديئة)

يرى المراقبون أن من الأفضل لو حافظ الأبيض على حالة التوتر بأن يلعب ٢٤ . ر - ز ١ ح - و ٦

٢٤ -	ح × و ١
٢٥ - ر × و ١	ر - و ٨
٢٦ - ح - و ٤	ح - هـ ٧
٢٧ - و - ز ٤ ؟ (من الأفضل لو لعب ٢٤ . هـ ٤)	
٢٧ -	ز ٥

(بهدف تبادل الأرخاخ والقضاء على القوة المهاجمة

للأبيض)

٢٨ ـ و ـ حـ ٣	ر ـ و ٦
٢٩ ـ ح ـ د ٣	ر × و ١ +
٣٠ ـ ف × و ١	م ـ ز ٧
٣١ ـ و ـ ز ٤	و ـ د ٥ +
٣٢ ـ هـ ٤	

(لو لعب ٣٢ . ف ـ ز ٢ لوقع في كش مات في ٣ نقلات)

٣٢ ـ	و ـ د ٤
٣٣ ـ حـ ٤	ر ـ و ٨
٣٤ ـ ف ـ هـ ٢	و ـ هـ ٣
٣٥ ـ م ـ ز ٢	

(لو ٣٥ . حـ × ز ٥ حـ ٥ ! قوية جدا)

٣٥ ـ	ح ـ ز ٦
٣٦ ـ حـ ٥	ح ـ هـ ٧
٣٧ ـ ب ٤	م ـ حـ ٨
٣٨ ـ م ـ حـ ٢	ر ـ د ٨
٣٩ ـ هـ ٥	ر × د ٣
٤٠ ـ ف × د ٣	و × د ٣

٤١ ـ يستسلم

وبذلك يصبح رصيد كاسباروف ٨ نقاط مقابل ٤ نقاط لسميلوف ويصبح المرشح الوحيد لتحدي بطل العالم أناتولي كاربوف وسيكون موعد اللقاء بينهما الأسبوع الثاني من شهر سبتمبر الحالي .

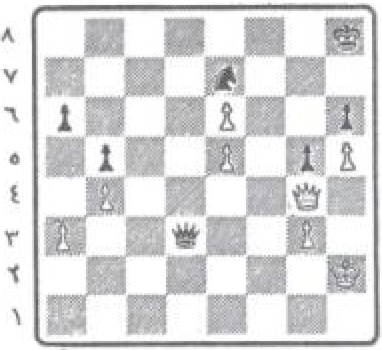

الوضع بعد النقلة ٤٠

ميزنا بين عمود رخ الملك باستخدام الحرف المتصل (حـ) وبين الرمز المستخدم للحصان بالحرف المنفصل (ح) .

(٢) من الواضح أننا نعني الوزير هنا لأن البيدق الذي يحتل العمود «و» لا يمكن أن يقفز مثل هذه القفزة العملاقة .

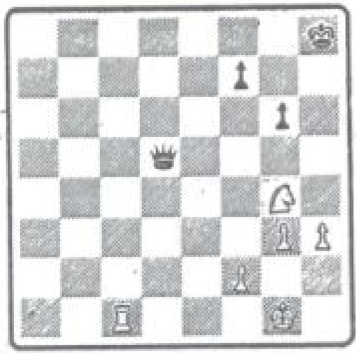

مسابقة العدد

الأبيض يلعب ويقتنص الوزير (بالاجبار)
(٣ نقلات)

حل مسابقة شهر يوليو

ب ـ ر ٧ أو أ ٧ تكسب الدور لأن الخيار أمام الأسود اما أن يأخذ البيدق فيخسر حصانه ويحقق الأبيض تفوقا ماديا ملحوظا واما أن يقوم بأية حركة أخرى معرضا ملكه للكش حرف ٧ أو ر ـ جـ ٧ (بالجبرية) . فاذا تحرك الى الصف الثالث تعرّض للكش بالرّخ ثانية ومن ثم ينتقل الرّخ الأبيض الى ز ٦ بحماية الفيل ممهدا الطريق لترقية البيدق .

الفائزون بحل مسابقة رقم (١٨)

الفائزون باشتراك سنة كاملة :

١ ـ فتحى حماد ـ الجهراء ـ الكويت
٢ نبيل عبد الله ـ القاهرة ـ جمهورية مصر العربية
٣ ـ محمد الشعه ـ عمان ـ الأردن
٤ ـ بابا عمر جلعام ـ غردايه ـ الجزائر
٥ ـ سعيد الرعى ـ الدوحه ـ قطر

الفائزون باشتراك ستة اشهر :

١ ـ فؤادي جبر ـ دمشق ـ سوريا
٢ ـ عدنان سعيد ـ الخالدية ـ الكويت
٣ ـ محرير محمد ـ الرباط ـ المغرب
٤ ـ صلاح خليفه ـ ـ المحرق ـ البحرين
٥ ـ زكريا سيد ـ السويس ـ جمهورية مصر العربية

حوار القراء

العامية والفصحى

يختلف الناس في آرائهم حول اللهجة العامية واللغة الفصحى ، واستعمال كل منها في الكتابة والتخاطب بين انسان وآخر . والغاية من دراسة العامية هي خدمة الاستعمار والصهيونية والماركسية ، وان هذه أوهام لم تحقق أي شيء ، وهي سلاح ضد الفصحى ، وهي لغة القرآن ، بالاضافة الى الاهتمام في مجال المسرح والاذاعة والكاريكاتير .

وان اللغة العامية تستعمل في أغراض المعيشة ، وفي علاقات الناس بعضهم ببعض ، وان اللهجات العامية لا يمكن أن تكون لغات علم وثقافة ، وأن اللهجة العامية يقتضي تدريسها معرفة مشكلات الفصحى سواء مشكلات النحو والصرف والاعراب ، واللهجة العامية لن تمس جوهر الفصحى وسلامتها ، وستظل صعبة في نظر البعض من الناس ، للبحث عن الآراء التي تذهب الى جعل التبسيط تشويها للفصحى ، وقضية الفصحى والعامية لا تحل دراسة اللهجات العامية . .

سهير عبد العزيز

مصر العربية

الانفتاح على العالم

مما لا شك فيه أن الانفتاح على العالم والاستزادة مما لديه سيلان ضروريان للتقدم ، ولكن لا بد من ضابط لهذا الانفتاح ولهذه الاستزادة ، فالقضية بل جوهر القضية هو موقفنا من ذلك الوافد الينا ، وبالتالي هيمنته علينا كما وكيفا .

ان التلفاز نافذة واسعة مفتوحة في البيت العربي على العالم ، وعن طريقه تطل علينا أفكار وثقافات وتقاليد وعادات في معادلة غير عادلة ، اذ أننا نحن العرب نتطلع الى اشباع الحاجات الأساسية ، أما أهل الغرب فقد وصلوا الى مرحلة الرفاهية .

ويوم تهبط علينا من الفضاء برامج الاذاعة والتلفزة من الأقمار الصناعية سيتفاقم الأمر ، وتزداد المشكلة تعقيدا ، ولن يكون باستطاعتنا ردها عن السماء العربية ، بل سنكون فريسة للغزو الثقافي الأجنبي ، الذي سيحمل الينا قيما مخالفة ومغايرة لقيمنا العربية .

الحجاب . . . وتحرير العقل العربي

في العدد (٣٠٤) كتب الدكتور كمال أبو المجد مقالا تحت عنوان (أدب الحوار الديني) وفيه يشير الى الذين لا يحسنون أدب الحوار ويهاجمون ، بالحق أو الباطل ، كل من يعلن رأيه في مسألة دينية أو شبه دينية ، وكيف يلجأ هؤلاء الى اللفظ الجارح لكل مفكر صاحب رأي أو اجتهاد ، حتى غاب المذهب النقدي عن كثير من القضايا الهامة ، وخاف من العلماء من خاف أن يجهر بالرأي ، حتى لا يرمي زورا بالالحاد والزندقة .

والدكتور أبو المجد يشير كما يبدو الى ما جرى في مصر مؤخرا ،

وازاء هذا كله لا بد من تقوية الوعي لدى المواطن العربي ، حتى يتسنى له الحفاظ على ذاتيته الثقافية الأصيلة . . . وهذا يتطلب تربية الانسان العربي وتغذيته من النبع العربي الاسلامي ، فاذا قويت لديه النزعة الدينية حفظت عليه السلامة من شرور ما يتعرض اليه .

لذلك لا بد من اعادة النظر في مناهجنا التعليمية والتربوية . . . وتوحيدها على مستوى الوطن العربي الذي تربط شعوبه عرى لا تنفصم ، لغة وتاريخا وحضارة ومصلحة ومصيرا مشتركا . كما وينبغي ايجاد سياسة اتصال موحدة لعالمنا العربي تكفل له أفضل اتصال فيما بين أجزائه ، وبالتالي تحقيق أكبر قدر ممكن من الاستقلال الاعلامي ، والاعتماد على النفس في هذا المجال ، فالاستقلال الاعلامي ظهير للاستقلال الاقتصادي ونصيرٌ للاستقلال السياسي . ولا بد لنا من الخروج من دائرة المستهلك الاعلامي ، الى دائرة المنتج الاعلامي حتى تحفظ لانساننا العربي هويته وحس انتمائه . .

زكي محمود خصاونة ـ أربد ـ الأردن

حينما نشر الدكتور زكي نجيب محمود مقالا دسما في الاهرام تحت عنوان (ردة في عالم المرأة) ذكر فيه أن المرأة المصرية في الثلاثينيات ممثلة في السيدة هدى شعراوي ، تحررت من حجابها وألقت ببرقعها في مياه البحر الأبيض ، عند عودتها من أوروبا الى ميناء الاسكندرية ، معلنة أن ما سعى اليه قاسم أمين من تحرير المرأة المصرية قد تحقق ، وأبدى الدكتور زكي نجيب أسفه لما اعتبره ردة ، اذ وجد بنات مصر أو بعضهن يخترن لباسا غريبا يغطين به وجوههن ، ويدخلن به قاعات المحاضرات في الجامعات .

وفي نظري أن العرب لن يتحرروا قبل تحرير عقولهم من رواسب الماضي ، التي تعيق تطور هذه الأمة ورقيها بين سائر أمم العالم . .

جمال الكتاني ـ لندن

صرخة الأطفال

قرأت في العدد (٣٠٦) مقال (صرخة ١٥٠ مليون طفل عامل) فشعرت بالألم والحسرة ، واعتصرني الحزن ، مما جعلني أتساءل عن حقيقة هذا العالم الذي نعيش فيه ، والذي تجرد من أبسط قواعد الانسانية . وقد تساءلت عن دور منظمة اليونسيف في مثل هذه القضايا التي تهم هذه الملايين من الأطفال في العديد من دول العالم ، هل يقتصر دورها على أطفال الطبقة العليا الموجودة في العالم ؟ أم للبشرية المغلوبة على أمرها والتي تعاني البؤس والشقاء والحرمان في حياتها ؟ !

ثم أين دور الجمعيات ذات العلاقة في هذه القضايا ؟ أسئلة عديدة تراود الذهن تبحث عن اجابة تضع الحلول لمعاناة أطفال العالم البؤساء .

مسعد عبد الحميد
جمهورية مصر العربية

العربي

الذي يعانيه الاطفال في الدول الفقيرة خاصة الدول الافريقية، من مرض وفقر وجهل وكلها من رواسب الماضي التي تركها الاستعمار ـ ومسؤولية رعاية هؤلاء تقع على المنظمات الدولية ذات العلاقة بكل تأكيد .

التلفزيون .. يوجه سلوك العالم

ثقف الانسان نفسه منذ القدم بالتوغل في شتى العلوم، نتيجة حبه للمعرفة لكشف الغامض، وقد كانت القراءة ولا تزال من أهم الطرق لتزويد كل شعوب العالم بالثقافة العلمية والأدبية، رغم أن البعض يرى أن التلفزيون هو أهم من القراءة في هذا الخصوص، لكن هذا القول لا يمكن اعتباره مطلقا وقاطعا، لأن هذا الجهاز لا يوفر كل سبل العلوم والآداب، اضافة على أنه لا يتوفر في كل بيت، ثم أن التلفزيون أصبح سلاح الشعوب الغربية لتوجيه سلوك العالم الثالث، وما يقال عن هذا الجهاز يقال عن الراديو أيضا، ولذا فان القراءة تبقى هي دون غيرها السبيل الأكثر والأهم في تنمية مدارك الانسان وبناء ثقافته ..

طارق حلاوة ـ القيروان ـ تونس

العربي

لاجدال في أن القراءة تلعب دورا كبيرا في تثقيف الانسان، وبشكل أكثر من التلفزيون والاذاعة، ولايختلف اثنان على أن أجهزة الاعلام المرئية والمسموعة اكثر جذبا للانسان من القراءة ـ ولذا فقد كان موقف القراءة ولايزال في الصفوف الخلفية وراء الاذاعة والتلفزيون، وهذه مشكلة الانسان العربي ..

جامعات الشريعة

بعد أحداث وطني لبنان، اضطررت الى السفر مع الأهل لنعيش في النرويج، وهذا أدى الى عدم متابعتي لدراستي التي لا أزال حريصا عليها، ولأنني أريد دراسة الشريعة الاسلامية فانني أود منكم أن تخبروني عن الدول التي يمكنني الدراسة فيها، حتى أستطيع مراسلة الجامعات فيها والالتحاق باحدى كليات الشريعة ..

حسين زبيب ـ النرويج

العربي: دراسة الشريعة الاسلامية تتوفر كلياتها في الكويت، وفي جامعة أم القرى في مكة المكرمة بالمملكة العربية السعودية، وفي الأزهر الشريف بالقاهرة .. وفي امكان القارىء أن يراسل احدى هذه الجامعات لمعرفة كافة تفاصيل الالتحاق فيها .

دور الكويت القومي

يتابع أبناء العروبة دور الكويت القومي على الصعيد الداخلي والعربي والدولي، وهو دور ينبع من ايمانها العميق بقضايا هذه الأمة، وضرورة دعم الدول التي تحتاج الى وقفة الكويت معها في بناء مشاريعها وقضاياها السياسية في المحافل الدولية، وهذا الدور ليس بغريب على الكويت، فقد عرفناها صاحبة نخوة عربية واسلامية وانسانية أيضا ... فشكرا للكويت البلد العربي الأصيل .

.. وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ..

عبدالله صالح الخرشة
الكرك ـ الأردن

هناك مجموعة مصرفية واحدة فقط في العالم تساهم فيها الدول العربية جميعًا

كانت المراسلات المتبادلة بين الخليفة العباسي الكبير هارون الرشيد وشرلمان مبادرة عربية رائدة في اقامة الصلات بين الشرق والغرب

دينار هارون الرشيد . ٧٨٩ ميلادية

ان مجموعة بنوك اليوباف Al Ubaf Banking Group هي المجموعة الوحيدة التي أحرزت نجاحا في اقامة الصلات بين الشرق والغرب عن طريق انشاء بنوك مشتركة في جميع المراكز المالية الدولية .

والدول العربية بأسرها البالغ عددها اثنتان وعشرون ممثلة كلها في المجموعة من خلال ٢٦ مؤسسة عربية .

وبالاضافة الى ذلك فان ٢٢ مؤسسة مصرفية من كبريات المؤسسات الدولية تساهم في بنوك المجموعة الى جانب المؤسسات العربية بغية تحقيق أهدافنا المشتركة .

وفضلا عن هذا فان تنوع عمليات البنوك المساهمة في المجموعة وانتشارها الجغرافي على الصعيدين المحلي والدولي ، يجعلنا في وضع متميز يتيح لنا النفاذ بيسر الى كافة أرجاء المعمورة .

وتقدم المجموعة للعملاء الخدمات المالية والمصرفية على نطاق بالغ الاتساع بفضل ما لديها من خبرات مهنية رفيعة المستوى تدعمها أحدث مبتكرات التكنولوجيا ، ومن دراية لا تضارع بالأوضاع المحلية .

اليوباف
AL UBAF
BANKING GROUP

البحرين	بنك اليوباف العربي الدولي
هونج كونج	يوباف انترناشونال ليمتد
لندن	يوباف بنك ليمتد - شركة اليوباف المالية المحدودة
لوكسمبورج	يوباي البنك العربي الالماني وفرع في فرانكفورت
نيويورك	البنك العربي الامريكي - يوباف وفرع في جزر كايمان
باريس	اتحاد المصارف العربية والفرنسية (يوباف)
	فروع في البحرين - سيول - سنغافورة - طوكيو
روما	يوباي البنك العربي الايطالي ومكتب تمثيل في ميلانو

بيروت	مكتب تمثيل
القاهرة	مكتب تمثيل

Why Not Master English?

Be specialist trained in written and spoken English — and increase your earning power!

A good command of English can ensure YOUR SUCCESS! It can improve your chances of PROMOTION — increase your EARNING POWER — get you a BETTER JOB and enhance your SOCIAL LIFE. You can acquire it quickly and easily.

When you can talk **fluently and effectively** – write **clearly and concisely**, you impress your boss – your colleagues and your friends.
You gain **respect — prestige,** and leave your business rivals behind you. It can mean **a prosperous new life for you and your family!**

To help **you be successful,** we offer you a unique, easy-to-understand, home-study training for a **Diploma in Business English.** It has been specially written by leading teachers and businessmen for people whose mother tongue is not English.

Your training teaches you both **written and spoken English** – and how to use it in your job. English grammar is made easy. You learn how to increase your vocabulary. You are shown how to construct sentences and paragraphs, and how to develop a good writing style. You are taught how to write business letters, office memoranda, minutes of meetings, reports, and lots more – including telex, telegrams, agendas, etc. **It is so effective that many successful people started this way.**

The spoken part of your training comes on 3 full cassette tapes. There is 155 minutes of recording time and you are given lots of practical work to do. Thus you learn how to speak English **clearly and distinctly.**

You need to work hard at your training, but you don't need any special **education or qualifications.** If you can understand this advertisement, your English is **good enough to understand** fully the training itself.

So, if you are dissatisfied with your present work, pay or prospects — or are ambitious and want the good things in life — why not send for free details NOW of how we can help you **to acquire a good command of English.** It's an opportunity you can't afford to miss. No obligation. Proof of big success by ordinary men and women. Write immediately to: Business Training Ltd, Dept: B/AAB 24, Sevendale House, 7 Dale Street, Manchester, M1 1JB, England.

Accredited by the Council for the Accreditation of Correspondence Colleges

MAIL NOW

BUSINESS TRAINING LIMITED

Dept. B/AAB 24,
Sevendale House,
7 Dale Street,
Manchester,
M1 1JB,
England.

Please tell me about your home-study training and how I can obtain my specialist Diploma.

BLOCK CAPITALS PLEASE

Surname ....

Other name ....

Address ....

....

....

....

فندق
عدن فرانتيل
يقع في وسط عدن
من المعالم الجميلة في اليمن
خمس دقائق من المطار ، ١٥ دقيقة من الشواطىء الجميلة
- ١٩٦ غرفة - ٢ حانات - قاعة اجتماعات - ملهى ليلي
- مسبح - ملاعب تنس - محلات تجارية - تلفزيون - نظام
فيديو
الحجز المركزي
٠٠ ٨٨ ٦٤٢ (١)
تلكس ٢٠٠٧٢٦ F
ج. ى. د. ش.
frantel
فرانتيل
خورمكسر ، عدن ص. ب ٦١١١
اليمن الديمقراطية
ت ٤٢٩١١ - ٤٢٩٣٧
تلكس ٢٣١٩
شعار المؤسسة
العامة للسياحة

عالم المعرفة

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب - دولة الكويت

سبتمبر ١٩٨٤ م

الأدبُ اليوغسلافي المعاصر

تأليف

د . جمال الدين سيد محمد

الكتاب الحادي والثمانون

٥٠٠ فلس

المراسلات :

توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

مِنَ المسرح العالمي

سلسلة ثقافية

تصدرها في مطلع كل شهر

وزارة الإعلام في الكويت

أول سبتمبر ١٩٨٤

١٨٠

يوريبيديس - ٥

عابدات باخوس

ترجمة وتقديم : د. عبد المعطي شعراوي

مراجعة : د. أحمد عتمان

تصدرها
جامعة
الكويت

مجلة العلوم الاجتماعية

مجلة فصلية أكاديمية تعنى بنشر الابحاث والدراسات
في مختلف حقول العلوم الاجتماعية .

رئيس التحرير : د . خلدون حسن النقيب
مدير التحرير : عبد الرحمن فايز المصري

منبر بارز للأكاديميين العرب .
توزيع أكثر من (٨٠٠٠) نسخة .

الاشتراكات

للمؤسسات : ١٢ ديناراً في الكويت ،
٤٥ دولاراً أمريكياً في الخارج
للأفراد : ٢ دينار في الكويت ، ٦ دينار للطلاب
٢,٥ دينار أو ما يعادلها في الوطن
العربي .

١٥ دولاراً أمريكياً في الخارج .

الموزع في الكويت والخارج : مجلة العلوم الاجتماعية

توجه جميع المراسلات الى : رئيس التحرير
مجلة العلوم الاجتماعية - جامعة الكويت ص . ب ٥٤٨٦ صفاة . الكويت
هاتف : ٢٥٤٩٤٢١ « مباشر » ٢٥١٠١٨٨ / ٢٥٠/٣٧٣ تلكس ٢٦١٦ كويت

المجلة العربية للعلوم الانسانية

تصدر عن جامعة الكويت ، فصلية محكمة ، تقدم البحوث الأصيلة والدراسات الميدانية والتطبيقية في شتى فروع العلوم الانسانية والاجتماعية باللغتين العربية والانجليزية .

رئيس التحرير

د. عبد الله العتيبي

مديرة التحرير

آمال بدر الغربللي

جميع المراسلات توجه الى رئيس التحرير : ص . ب : ٢٦٥٨٥ الصفاة ـ الكويت

هاتف : ٨٢١٦٣٩ ـ ٨١٥٤٥٣ (الشويخ) ـ تلكس ٢٢٦١٦ KUNIVER

مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية

تصدر عن جامعة الكويت

رئيس التحرير
الدكتور عبد الله الغنيم

صدر العدد الأول في كانون ثاني (يناير) ١٩٧٥

تصل أعدادها الى أيدي نحو ١٢٥٫٠٠٠ قارئ

يحتوي كل عدد على حوالي ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير تشتمل على : -

- مجموعة من الأبحاث تعالج الشئون المختلفة للمنطقة بأقلام عدد من كبار الكتاب المتخصصين في هذه الشئون .
- عدد من المراجعات لطائفة من أهم الكتب التي تبحث في النواحي المختلفة للمنطقة .
- أبواب ثابتة : تقارير – ونائق – يوميات – ببليوجرافيا .
- ملخصات للأبحاث باللغة الانجليزية .

ثمن العدد : ٠٠ فلس كويتي أو ما يعادلها في الخارج .

الاشتراكات : للأفراد سنويا ديناران كويتيان في الكويت ، ١٥ دولارا أمريكيا في الخارج (بالبريد الجوي) .

للشركات والمؤسسات والدوائر الرسمية : ١٢ دينارا كويتيا في الكويت ، ٤٠ دولارا أمريكيا في الخارج (بالبريد الجوي) .

منشورات المجلة :

تصدر المجلة أيضا دراسات مستقلة متعلقة بشئون للمنطقة صدر منها

١- كتاب التكامل الاقتصادي في الخليج العربي (د . محمد هشام خواجكية) . ١٩٧٩ .
٢- كتاب آفاق التنمية الصناعية في دول الخليج العربي (د . عبد الاله أبو عياش) . ١٩٧٩ .
٣- كتاب حقوق الطفل في دولة الكويت (د . بدرية العوضي) . ١٩٧٩ .
٤- كتاب الاحصاءات الاقتصادية في المملكة العربية السعودية (بدوي خليل) ١٩٨٠ .
٥- دور جريدة فتاة الجزيرة في أحداث عام ١٩٤٨ بصنعاء (سلطان ناجي) ١٩٨٠ .

سلسلة وثائق الخليج والجزيرة العربية لعام صدر منها :

الكتاب الأول وثائق الخليج والجزيرة العربية لعام ١٩٧٧ . ١٩٧٩ .

العنوان : جامعة الكويت – كلية الآداب والتربية – الشويخ – دولة الكويت .
ص . ب : ١٧٠٧٣ – الخالدية
الهاتف : ٨١٦٨٠٧ – ٨١٦٧٩٩ – ٨١٦٨٤

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير .

تدبير منزلي بطريقة
مميّزة
صنع باليابان توشيبا
ثلاجة/ فريزر
DIRECT COOL
TROPICAL
GR-453EG
GR-473EIG
غسالات كهربائية
VH-3300BW
VH-1300BW
GR-473EIG ثلاجة ببابين ذات سعة إضافية كبيرة.
GR-453EG ثلاجة ببابين ذات سعة كبيرة.
VH-3300BW غسالة سعة كبيرة ونظام فلتر فعّال للنسالة.
VH-1300BW غسالة مع نظام فلتر فعال للنسالة.
TOSHIBA

نهدف .. لخدمتكم
الخطوط الجوية الكويتية
KUWAIT AIRWAYS
ملتقى الشرق والغرب

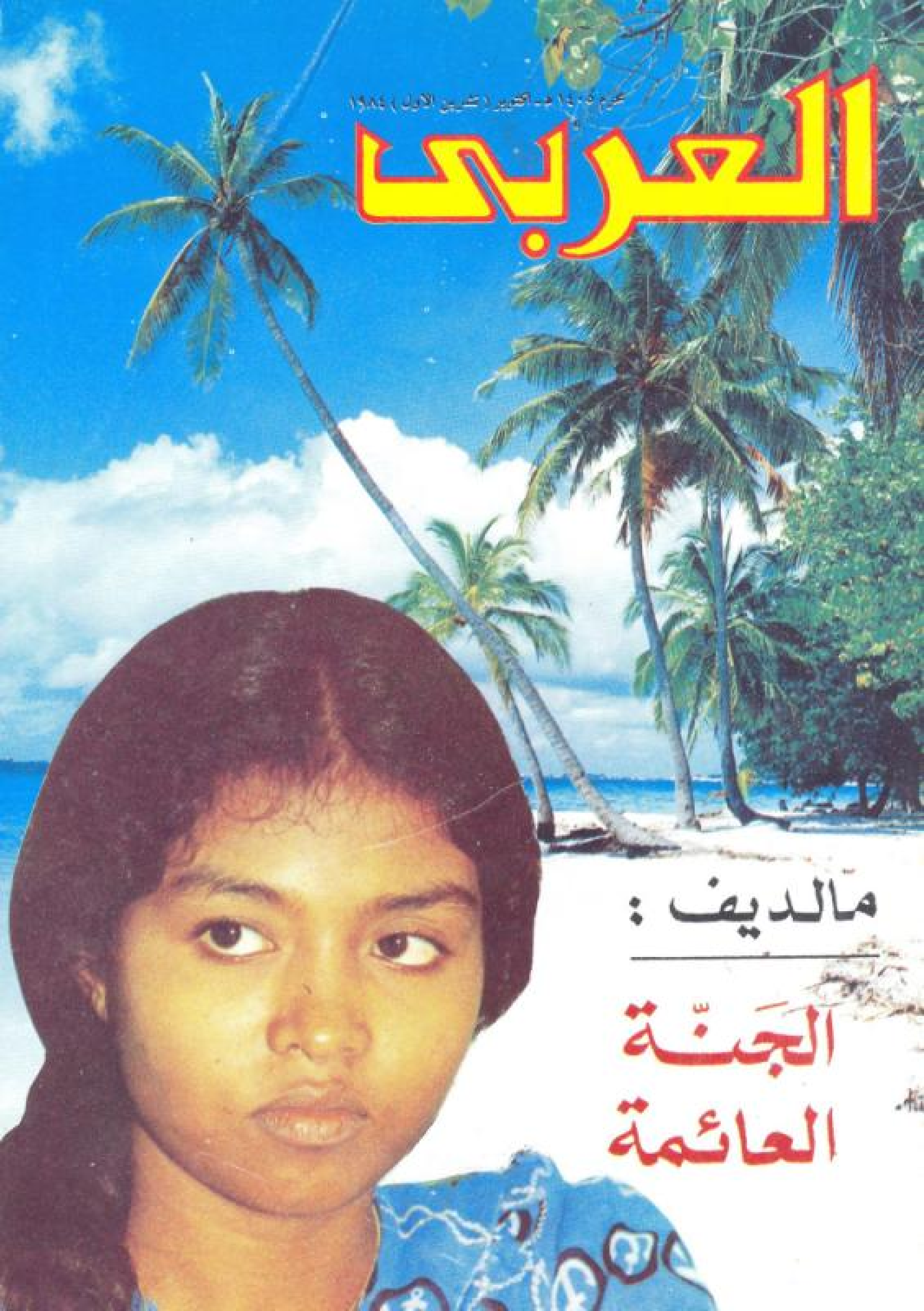
محرم ١٤٠٥ هـ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٤
العربي
مالديف :
الجَنّة
العائمة

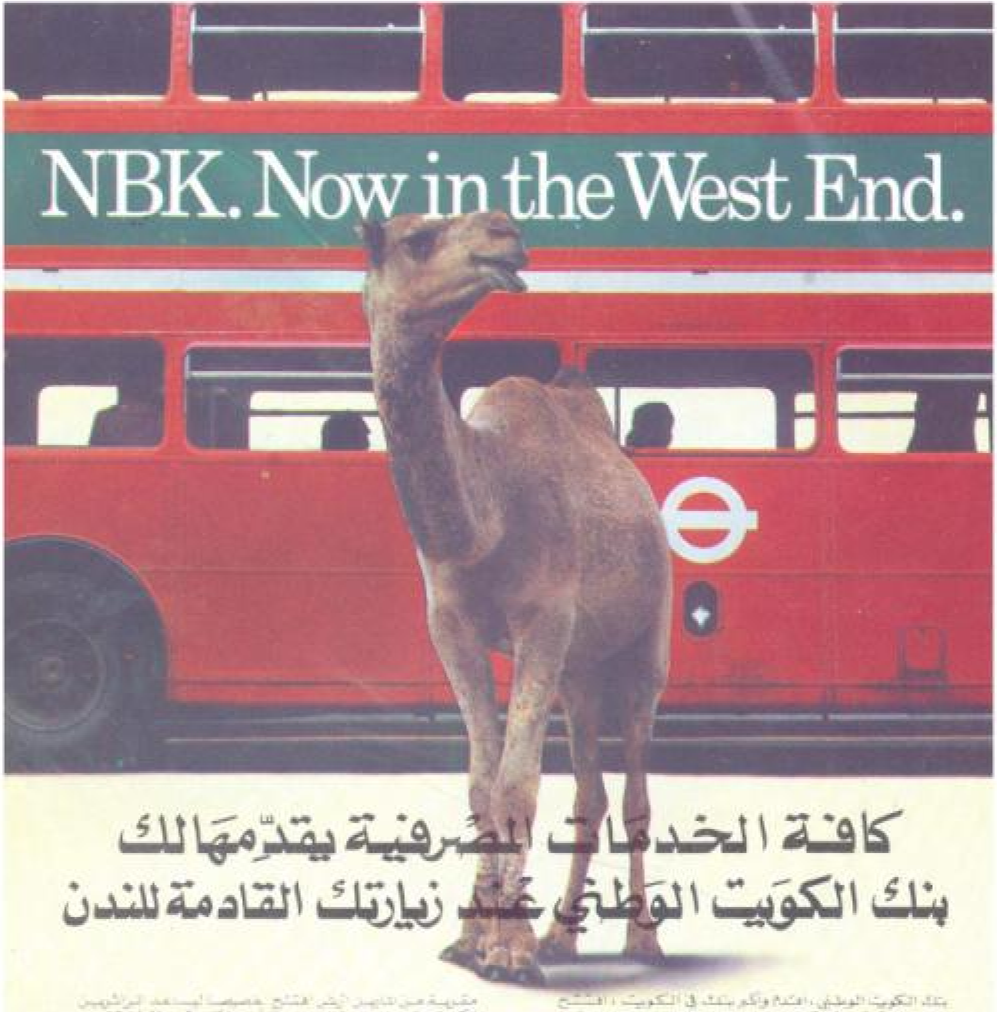

كافة الخدمات المصرفية يقدمها لك
بنك الكويت الوطني عند زيارتك القادمة للندن

بنك الكويت الوطني، اقدم وأكبر بنك في الكويت، افتتح فرعه الثاني في قلب الويست اند من لندن. هذا الفرع الجديد الذي يقع بمحاذاة شارع بيكر

بنك الكويت الوطني ش.م.ك
The National Bank of Kuwait SAK
بنك تعرفه وتثق به .

العربي

مجلة ثقافية عربية مصورة

رئيس التحرير

د. محمد الرميحي

تصدر شهرياً عن وزارة الإعلام
بدولة الكويت للوطن العربي
ولكل قارئ للعربية في العالم
المجلة غير ملتزمة بإعادة أي مادة تتلقاها
للنشر والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

المراسلات

باسم رئيس التحرير

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة
قسم الإعلانات

الاشتراكات

ترسل الطلبات إلى : قسم الاشتراكات
للمكتب الفني - وزارة الإعلام
ص.ب ١٩٣ الكويت

على طالب الاشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة
مصرفية، أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الإعلام
طبقاً لما يلي :
الوطن العربي ٤ د.ك - باقي دول العالم ٦ د.ك

ثمن العدد

الكويت	٢٥٠ فلساً	السعودية	٥ ريالات
العراق	٢٥٠ فلساً	اليمن الشمالي	٣ ريالات
الأردن	٣٠٠ فلس	قطر	٥ ريالات
البحرين	٣٠٠ فلس	لبنان	٣ ليرات
اليمن الجنوبي	٢٥٠ فلساً	سوريا	٣ ليرات
مصر	٢٥٠ مليماً	الامارات	٥ دراهم
السودان	٢٠ قرشاً	المغرب	٣ دراهم
تونس	٤٠٠ مليم	ليبيا	٣٥٠ درهماً
الجزائر	٤ دنانير	سلطنة عمان	ربع ريال
بريطانيا	جنيه استرليني	أوربا	دولاران أو جنيه استرليني
فرنسا	١٥ فرنكاً	أمريكا	دولاران

العدد ٣١١
أكتوبر ١٩٨٤

عنوان المجلة بالكويت
ص.ب ٧٤٨ صفاة
ت ٤٣٩٧٢٨-٢٤٦٨٤٤-٢٤٢٧١٤١
برقياً "العربي" الكويت
تلكس : MITR-44041 KT

AL-ARABI
Issue No. 311 oct. 1984.
P.O Box 748 KUWAIT

A Cultural Monthly Arabic Magazine in Colour
Published by: MINISTRY OF INFORMATION STATE OF KUWAIT.

عزيزي القارىء

المستقبل في طي الغيب . . ولكننا ندري أننا سنعلمه يوما ما ـ ولو بشكل محدود ـ حين يقع بالفعل . ويقول المثل النرويجي « كما تصنع سريرك يكن رقادك » مشيرا الى ما يتمتع به الفرد من قدرة على خلق المستقبل . . أو على الأقل توقع ما يأتي به والاستعداد لمواجهته . . بحيث يسهم الفرد بنفسه في اختيار شكل تصرفه التالي ضمن نطاق الامكانات المتاحة . .

وتوقع أحداث المستقبل والاستعداد لمواجهتها ، يفترض متابعة الخطط وفهم الاستراتيجيات التي ترسم خطوط الأحداث المستقبلية . . كما يفترض في الوقت نفسه القدرة على رسم الخطط المضادة التي تحول دون المخاطر القادمة . . أو على الأقل تخفف من آثارها . .

وفي هذا النطاق يفترض في الفرد أن يجد الجواب على أسئلة محددة . وفي مثل هذه الأسئلة تكمن المحاولة لفهم الحاضر وعوامل تكوينه ، كما يكمن استشفاف المستقبل وسير العوامل المكونة له ، ومن هنا تكون المساهمة في خلقه . . لأن المفروض أن يكون البحث عن المعرفة حول المستقبل طريقا الى خلقه وتكوينه . .

من هنا تهتم « العربي » بطرح القضايا المستقبلية التي تهم القارىء العربي . وهي تضع الأسئلة وتستشف الاجابات من خلال أحداث الحاضر التي ترسم خطوط المستقبل .

وفي هذا العدد يبدأ رئيس التحرير بطرح قضية حيوية هي قضية المياه . . خاصة في السهول الفيضية العربية الداخلية . . وما يحدق بها من أخطار في المستقبل .

وتكتسب قضية المياه أهمية خاصة لا سيما فيما يتعلق بمستقبل الزراعة والتنمية في الوطن العربي ، وضرورة وضع الخطط المضادة لايقاف المؤامرات التي يجري الاعداد لها في الوقت الحاضر . . وهو أمر بالغ الأهمية لمستقبل شعوبنا العربية . .

وفي عددنا القادم يطرح الأمير حسن بن طلال ولي عهد المملكة الأردنية الهاشمية ـ بطلب من العربي بصفته أحد المتخصصين العرب ـ قضية حيوية أخرى تتصل بالمستقبل . تلك هي قضية المستوطنات الاسرائيلية في الأراضي العربية . . وهو حين يحدد الأسئلة من واقع (الحاضر) فانما يريد ليستشف الاجابات حول ما هو متوقع الحدوث في (المستقبل) . وهذا الطرح لقضية مستقبلية ـ مدعومة بالوثائق ـ يفتح عيون العرب على حقيقة الحاضر . . وكيفية مواجهة المستقبل . .

ان العربي تعدك ـ عزيزي القارىء ـ أن تضع القضايا المستقبلية دائما بين يديك . . وأن تفتح العيون على الواقع لتتيح لك ولشعوبنا العربية القدرة على خلق المستقبل . . من أجل غد جديد . .

المحرر

في هذا العدد

جزر المالديف .. والجنة العائمة

ما هي الحكاية الاسطورية لهذا التشكيل الغريب لمجموعات جزر المالديف ؟ الحقيقة الجغرافية ، كما شهدتها العربي تقول إن هذه الجزر المرجانية تشكل أرخبيلا يشتمل على ١٩ مجموعة جزرية تضم نحو ١٢٠٤ جزيرة ، لا يزيد عدد الجزر المأهولة منها على ٢٠٢ جزيرة ، ولا تتجاوز مساحة اليابسة وسط المياه المحيطة بها ، أكثر من ٢٩٨ كيلومتر مربع . يبلغ تعداد سكانها ١٥٧ ألف نسمه .. ولكن أية اسطورة تلك التي جعلت من هذا الأرخبيل جنة عائمة ؟

(اقرأ الاستطلاع ص ٦٨)

عيناك جسر الى نور الحياة

عندما يقول العلم أن الانسان لايرى بعينيه ، وانما يرى بمخه ، فلا بد أن الأمر يستوقفنا من أجل مزيد من الايضاح لهذه الصورة الجديدة . ترى كيف يحدث ذلك .. كيف تكون العين مجرد معبر أو جسر للضوء .. كيف تتم الرؤية الحقيقية داخل المخ .. هذه النظرية لا تعدو أن تكون مجرد نظرة في محيط حقائق شديدة الغرابة ، نكتشفها كلما غصنا داخل أجسامنا وصدق الخالق الأعظم عندما قال في كتابه الكريم : « وفي أنفسكم أفلا تبصرون » .

(اقرأ المقال ص ٩٦)

الانسان الأول وجد منذ ٣٠ مليون سنه

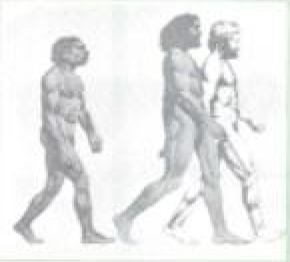

وقائع مثيرة يكشف عنها عالم كبير في مؤتمر علمي دولي عقد في باريس تحت شعار : « من أجل فهم جديد لنشوء وتطور الجنس البشري » ، متى بدأ الانسان يمشي على قدميه ؟ متى بدأ يأكل النباتات واللحوم ، وينطق ويفكر ؟ كم كان عدد سكان العالم من البشر منذ مائتي ألف عام ؟ ثم ما هو الجديد بعد ذلك في المرحلة الأخيرة من تطور الانسان ؟

(اقرأ ص ١٥١)

تيتو .. القصة من الداخل

« ليس كل ما نقرأه من الكتب تاريخا ، وخاصة اذا كان الكتاب يحكي سيرة عظيم ترك بصماته على الأرض التي نبت فيها وعاش فوق ترابها .. » هكذا قال ايمرسون يوما وهو يقرأ كتابا عن لنكولن محرر العبيد . وربما يكون هذا الكتاب عن جوزيف بروز تيتو السياسي العسكري العملاق ، واحدا من هذه الكتب ، ففي صفحاته نجد استهلالا يغلب عليه طابع التأملات الفلسفية التي صاغها المؤلف بأسلوب أدبي رفيع ، حول كون الانسان مزيجا من العنصرين « الملائكي » و « الشيطاني » .. والمؤلف هنا غريم وصديق في آن واحد . من أجل هذا استحق الكتاب منا وقفه مع الاثنين .

(اقرأ ص ١٦٧)

محتويات العدد

قضايا عامة

■ حديث الشهر : المياه العربية .. وحديث عن الخطر المستتر !
ـ د. محمد الرميحي ١٠

■ التحديث .. وكيف يتحقق في منطقة الخليج العربي ؟
ـ د. عبدالله حسن العبادي ٢٣

اقتصاد

■ ارقام : عندما يهرب الناس من النقود
ـ محمود المراغي ٣٤

■ الجوع وأسطورة نقص الغذاء في العالم
ـ محمود عصام الميداني ١٠٤

عروبة واسلام .

■ عائد العمل في النظام الاسلامي
ـ د. عبدالرحمن زكي ابراهيم ... ١٢٤

منتدى العربي

■ ابقراط ليس « أبا الطب »
ـ د. نبيل سليم ٦٠

■ تقييد الصحافة مشكلة ، وتوجيهها مشكلة أكبر .
ـ ياسر الفهد ٦٥

طب وعلوم

■ رحلة طبية : هل يكون الطب بالاكراه ؟
ـ د. غسان حتاحت ٤٢

■ البايولوجيا الاشعاعية ومخاطر الاشعاع
ـ د. عدنان الظاهر ٤٧

■ عيناك .. جسر العبور الى ضوء الحياة ..
ـ د. سامي محمود علي ٩٦

■ الجديد في الطب والعلم
ـ اعداد يوسف زعبلاوي ١١١

■ طبيب الاسرة ١١٨
■ سلامة البشرية في سلامة البيئة ... ١٢٧

آداب وفنون

■ الحب قرار (قصيدة)
ـ فاروق شوشه ٢٧

■ التكوين الفني للموسيقا العربية
ـ كمال النجمي ٣٠

■ قصيدة وشاعر : « جوته » وقصيدة من الديوان الشرقي .
ـ د. عبدالغفار مكاوي ٣٦

■ باريس وظاهرة العواصم الادبية .
ـ د. حسام الخطيب ١١٤

■ صفحة لغة : تصحيحات لغوية .
ـ محمد خليفة التونسي ١٣٠

■ معرض الفنانة هولي سيف ولغة « الوعي البارد » .
ـ أحمد غانم ١٤٤

■ الاجهاض (قصة) .
ـ صلاح عبدالسيد ١٥٩

■ صدقي اسماعيل الاديب المبدع الساخر وصاحب « الكلب » .
ـ عدنان الداعوق ١٦٣

■ عودة الغريب (قصيدة) .
ـ عبدالهادي كامل ١٧٤

تاريخ واشخاص

■ الانسان الأول وجد منذ ٣٠ مليون سنة !
ـ د. عصام محمد عزو ١٥١

■ كتاب الشهر : تيتو القصة من الداخل
ـ نوح حزين ١٦٧

اجتماع

■ الشباب وقيمة العمل المنتج .
ـ د. سمير نعيم أحمد ٥٦

■ الاسرة والمرأة : ... وانهارت قصور الاحلام .
ـ منير نصيف ١٢٠

استطلاعات مصورة

■ جزر المالديف ... جنة عائمة حورها الفقراء والصيادون !
ـ سليمان مظهر ٦٨

■ حوار مع رئيس : مبدؤه الفرد قبل الدولة ٩٢

■ اعادة كتابة التاريخ الاسلامي في مركز الابحاث باستانبول .
ـ سليمان الشيخ ١٣٢

أبواب ثابتة

■ عزيزي القارىء ٤
■ في العدد القادم من « العربي » ... ٨
■ حكايات من الشرق والغرب ٥٢
■ العربي من ربع قرن ١٤٢
■ من مكتبة العربي ١٧٦

■ حوار القراء ١٧٩
■ المسابقة الثقافية ١٨٢

■ حل مسابقة العدد « ٣٠٨ » ١٨٤
■ معركة بلا سلاح « الشطرنج » ... ١٨٦

في العدد القادم من

العربي

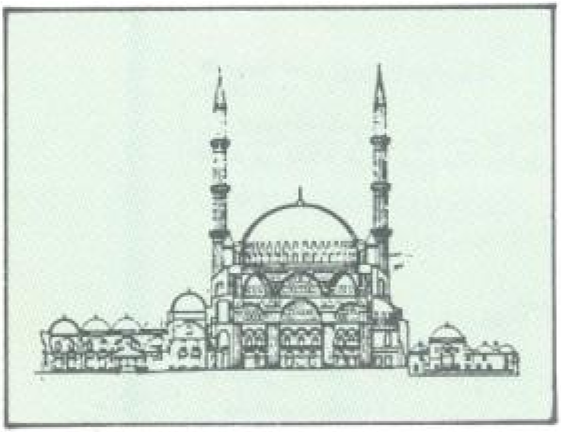

٢ .

١ - ولي عهد الاردن يكشف أسرار سياسة الاستيطان الاسرائيلي للاراضي العربية

٢ - انسان جديد .. يقف خلف الالة ويديرها في دول مجلس التعاون الخليجي .

٣ - المؤامرات في قصور المغول بالهند .. وحقائق مجهولة عن حياة سيدة .. تاج محل .

٣

٤

٤ ـ لقاء مع الفن الاسلامي في تركيا . . وحديث مع الهلال في سماء استانبول .

٥ ـ هكذا تجري الحياة . . في أعماق البحار والمحيطات . . صور ومشاهدات .

٥

١٥ اكتوبر
موعدك مع :

مراجعات حول :
العروبة . .
والإسلام . .
وأوروبا !
د. محمود السمرة

كتاب العربي
الرابع

المياة العربية ..

الحديث عن الحرب والسلام ، والتنمية والتقنية ، والصناعة والتعليم في وطننا العربي ، كلها أحاديث عن قضايا حيوية لها صلة مباشرة بحياتنا الحالية وبمستقبل الأجيال العربية القادمة .

كل هذه الموضوعات طرقت وتطرق في صحافتنا ، ويشير اليها اقتصاديونا وسياسيونا ، الا أن بعض القضايا التي لا نعتني بها كل العناية رغم أهميتها ـ وقد تأخذ من اهتماماتنا درجة ثانوية ـ ربما تكون أكثر حيوية من أي شيء آخر ، ليس لحياتنا الحاضرة فقط .. بل لمستقبلنا ، وطموحات تطورنا الى الأفضل .

من هذه القضايا الحيوية التي نشير اليها قضية المياه . نعم قضية المياه .. والمياه العربية بالذات ، فالماء كما هو معروف ليس مهما للحياة فحسب .. بل إنه الحياة نفسها .

بدون الماء لاثمر ولا حياة ، ولا صناعة ولا تقنية .. بل لا تنمية ذات معنى دون هذه المادة التي تبدو لبعضنا أنها باقية مستمرة .. وأن لا خوف من نقصانها ، فهل هذا صحيح ؟

عند النظر الى مصادر حياتنا العربية في واقعنا اليوم .. نجد أن ملايين من البشر في وطننا العربي يعيشون على مصدرين طبيعيين أساسيين ـ بشكل مباشر أو غير مباشر ـ هذان المصدران هما : النفط والماء .

النفط عنصر مؤقت وناضب .. ومع ذلك نفرد له الاهتمام الأكبر ـ ربما لأن دخلنا منه يفوق كل مصادر الدخل الأخرى ـ ولكن الماء أيضا ليس دخلنا منه بقليل ، والماء ـ مصدر الازدهار الدائم ، وعماد الحياة والاستقرار والحضارة ـ لم يزل في أدنى قائمة أولوياتنا العربية .

استراتيجيا ـ أكاد أقول ـ أن الماء أهم لنا من أي شيء آخر ، ومع ذلك فما زال في أدنى قائمة أولوياتنا القومية .. ولا نذكره في خططنا الاقتصادية إلا لماما .

في مدننا وريفنا العربي .. يعتبره البعض أزليا .. لا لشيء الا لأنه من مصدر متجدد .

الا أن الحقائق العلمية تقول لنا غير ذلك ...

وحديث عن الخطر المستتر!

بقلم : الدكتور محمد الرميحي

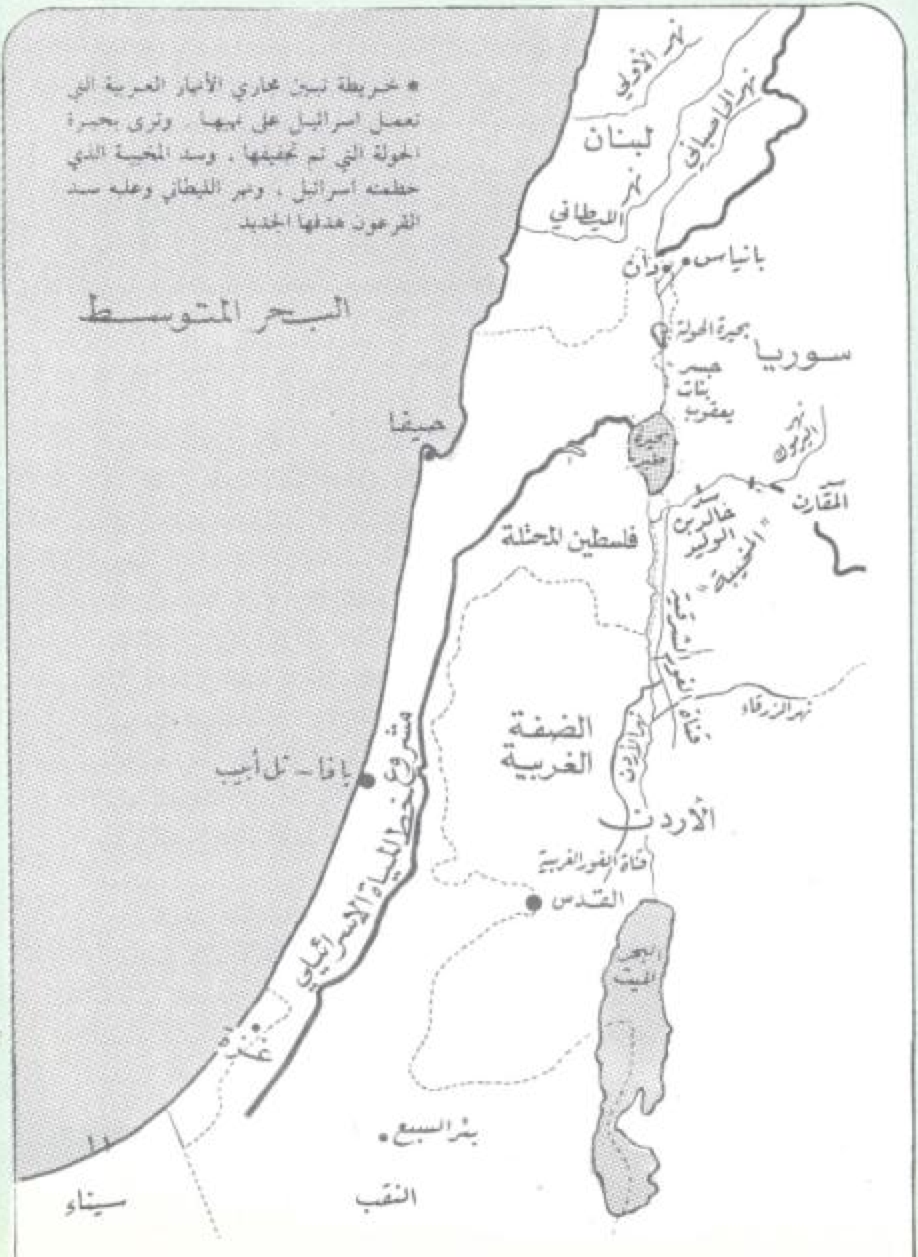

● خريطة تبين مجاري الأنهار العربية التي تعمل اسرائيل على نهبها . وترى بحيرة الحولة التي تم تجفيفها ، وسد المخيبة الذي حطمته اسرائيل ، ونهر الليطاني وعليه سد القرعون هدفها الجديد

فنحن في الوطن العربي مهددون بنقص المياه .. ونقص المياه الحاد .. مثلنا مثل غيرنا في هذا العالم .

نقص المياه ـ كمصدر للنشاط الانساني في بلدان العالم ـ أصبح صيحة الاستراتيجيين والمخططين من الولايات المتحدة الى الصين الشعبية مرورا بالهند والمكسيك . في معظم أقطار العالم أصبحت قضية المياه مشكلة تدخل في نطاق الندرة لا الوفرة .. وبعضها في أقصى هامش الندرة : الندرة الخطرة .

علماء المياه الدوليون يدقون ناقوس الخطر : ان حاجة العالم من المياه ، تفوق ما تمده به الطبيعة ، لقد حدد العلماء لكل منطقة من مناطق العالم ما اصطلح على تسميته ب : (امدادات المياه الثابتة) وهو اصطلاح يعني كمية المياه (السطحية أو الجوفية أو كليهما معا) التي يمكن الاعتماد عليها لاستمرار البقاء الانساني النشط .

وتزداد حدة نقص المياه في أي اقليم كلما اقترب المقدار المحسوب من نصف الاحتياجات (في نظام مائي معين) ..

يقول العلماء ـ بناء على هذا التحديد ـ أن افريقيا وآسيا وأوربا سوف تتجاوز ذلك الحد في وقت مبكر من القرن القادم !

حقائق صادمة

فموضوع المياه لم يعد من الأمور التي يمكن تأخيرها .

لقد ربطت الأمم المتحدة (الجمعية العامة) قرارها الصادر في سنة ١٩٨٠ باعتبار عقد الثمانينيات رسميا ، العقد الدولي لتوفر مياه الشرب والمرافق الصحية .

وربطت بين قرارها ذلك وبين حقيقة ارتباط التقدم وتحقيق التنمية بتوفر المياه النقية للشرب والمرافق الصحية بجانب استخداماته في الانتاج .

الحقائق أيضا تصدم بعضنا ، فإن أكثر من نصف سكان العالم الثالث ليس لديهم مياه شرب نقية ، وثلاثة أرباع سكان هذا العالم المسمى بالثالث ليس لديهم وسائل صرف حديثة ، وحقيقة أخرى صادمة أيضا تقولها لنا احصائيات المنظمة العالمية للصحة : ان خمسة وعشرين مليونا من البشر يموتون كل عام نتيجة أمراض سببها نقص المياه الصالحة للاستخدام الانساني ، أو فقدان وسائل الصرف الصحي .

للتدليل على علاقة توفر المياه الصالحة للشرب وشبكات الصرف الصحي ، وارتباطها بالتنمية والتقدم ، ينحو بعض المؤرخين الاجتماعيين الى القول بأن تطور الصرف الصحي وتوفر المياه النقية للاستخدام الانساني في مدن أوروبا القرن التاسع عشر ، كان من أهم أسباب النمو و التطور اللاحق الذي بلغته أوروبا الحديثة .

ومثال آخر ـ من اليابان هذه المره ـ فبعد انتشار أوبئة مثل الكوليرا والتيفوس والدستاريا في الربع الأخير من القرن الماضي في بعض مدن اليابان الكبرى خاصة في (أرو) . . وجدت طوكيو العلاج في تغيير نظام نقل المياه ، وبدء مشروعات تطوير الصرف التي استمرت لمدة ثلاثين سنة متعاقبة حتى السنوات الأولى من القرن العشرين .

حاجة العالم الى الماء مطردة بازدياد ، فكلما نشدت الشعوب تحسن مستوى حياتها ، زاد الطلب على الماء للاستهلاك الأدمي أو الزراعة أو الصناعة . ان تعزيز التقدم في المدينة الحديثة يعني تلقائيا زيادة الطلب على الماء .

تقول لنا احدى الدراسات أن كل لتر من الماء نحتاجه لسد حاجات الاستهلاك الأدمي ، سوف نحتاج بجانبه ـ في المتوسط ـ الى اثني عشر لترا من الماء لأغراض الزراعة ، ويحتاج انتاج كل لتر من النفط الى اثني عشر لترا من الماء ، كما أن انتاج طن واحد من الحديد يحتاج الى عشرين ألف لتر من الماء .

وهكذاكلما ازداد نشاط الانسان الاقتصادي ، تعاظمت احتياجاته من الماء بالضرورة .

فالماء حيوي . . ليس للاستهلاك والزراعة فحسب . . ولكنه أيضا حيوي للصناعة . إنه العامل الأساسي في التنمية .

الخيارات الأربعة

العالم يواجه مشكلة نقص المياه مواجهة التحدي الاستراتيجي القومي . فالولايات المتحدة ، والاتحاد السوفيتي ، والهند والصين ، والمكسيك ـ وهي من البلدان الرئيسية المنتجة للغذاء في نفس الوقت ـ تواجه صعوبات جمة لتوفير المياه . . إما للاستهلاك العام أو للزراعة والصناعة .

هذه البلاد ـ مثل غيرها من بقية أقطار العالم المحتاجة الى الماء ـ اتجهت الى خيارات مختلفة لتوفير المياه . . وهي خيارات أربعة تتبناها بدرجة أو بأخرى معظم الأقطار التي تحتاج الى مصدر دائم من المياه . . وأولية الاختيارات من هذه الطرق الأربعة تعتمد على الظروف المحلية لكل اقليم .

*أحد هذه الخيارات الأربعة ـ وربما أعظمها من حيث التمويل وحجم العمل ـ هي مشاريع نقل المياه أو تحويلها من منطقة الى أخرى . هذه المشاريع في الغالب تثير أزمات أقليمية (في داخل الدولة الواحدة) ، أو دولية (بين دولتين أو أكثر) ، أو تثير أزمات بيئية . هذه الأزمات طويلة ومعقدة ينتهي بعضها بحروب .

بجانب ذلك فإن هذا الخيار (تحويل مصادر المياه أو نقلها) يواجه صعوبات تقنية ، بالاضافة الى التكلفة العالية التي قد تصل في بعض الأوقات الى أرقام فلكية . . ومع ذلك فهم يفعلونها . . ربما كما سنفعل فيما بعد .

* الخيار الثاني وهو ما يسميه الاختصاصيون « التحول من ادارة الامدادات الى ادارة الطلب » ويعني ذلك التحكم في تدفق المياه وصيانة مجاريها وترشيد استهلاكها لشؤون الحياة العامة ، ويدخل في هذا الاطار بناء السدود والخزانات وبحيرات الاحتياطي المائي .

* أما الخياران الثالث والرابع فيتم اللجوء اليهما عندما لا تتوفر مياه سطحية (أنهار جارية أو بحيرات) وأول هذين الخيارين وأقلهما صعوبة تقنية . . هو تحويل الماء الأجاج الى ماء عذب ، وتنتشر هذه الطريقة في المناطق القريبة من البحار والمحرومة من المياه السطحية أو المياه الجوفية (الآبار) . هذه الطريقة مكلفة نسبيا . . . لذلك نجدها في البلدان التي تتوفر لديها مصادر طاقة أخرى رخيصة نسبيا ، كما هو الحال في بعض أقطار الخليج العربي ، التي تعتمد كليا أو جزئيا على هذه العملية لتوفير المياه . . لجميع الأغراض .

من المهم أن نذكر أن طريقة تحويل الماء الأجاج الى عذب ـ وهي طريقة مكلفة اقتصاديا ـ لايمكن الاعتماد عليها في الحصول على مياه وفيرة للزراعة والصناعة بشكل اقتصادي معقول .

* أما الخيار الأخير ، فيتم اللجوء اليه لتوفير المياه في بعض الأوقات في بعض مناطق العالم ، وهو ما اصطلح على تسميته « بزراعة الغيوم » .

هذه الطريقة ما زالت في بدايتها العملية ، كما أن تكلفتها الاقتصادية وعدم امكانية استمرارها عبر الفصول (اذ يمكن استخدامها في وقت الشتاء فقط)جعلها من الخيارات النادرة لتوفير المياه .

التحويل والنقل

الخيار الأول (التحويل والنقل) هو الخيار الأوفر نسبيا حتى الآن في البلدان الشاسعة المساحة التي تتوفر فيها مياه بعيدة نسبيا عن أماكن استخدامها بشكل أفضل .

مشروع تحويل المياه في الصين الشعبية من المشروعات بالغة الضخامة وبموجبه تزمع السلطات الصينية تحويل المياه من الجنوب الأوسط من مقاطعة شانغ الغنية بالمياه الى السهل الشمالي القابل للتوسع الزراعي ، ومدنه ـ بما فيها العاصمة بكين ـ لارواء السكان .

* (الى اليمين) خريطة تبين مشاريع الري الاسرائيلية . . مشروع قناة البحرين بين البحرين الابيض والميت . . ومشروع (قناة الري الوطنية) التي تتجه جنوبا لري صحراء النقب بعد جر مياه أعالي نهر الأردن .

* (الى أعلى) رسم توضيحي لمشاريع اسرائيل لسرقة مياه الأنهار العربية وتغذية الأراضي المحتلة وتوصيل المياه الى صحراء النقب .

هذا المشروع الذي يقابل باهتمام زائد لدى متخذي القرار السياسي في الصين ، سيؤدي بجانب ايجابيته الى ردود فعل بيئية في مناطق الجنوب الأوسط ، الا أن المشروع قيد التنفيذ رغم تكلفته المادية وسلبياته البيئية .

الولايات المتحدة ـ التي هي في ذهن بعضنا « بلاد الوفرة » ـ بما فيها الوفرة المائية ـ تعاني من نقص نسبي في المياه .

يقول الخبراء في هذا الاطار أن الولايات المتحدة تستهلك من المياه الجوفية ما يفوق تعويض الطبيعة من هذه المياه بمقدار الربع .

ومشاريع نقل المياه الى مسافات طويلة في تلك البلاد ـ خاصة الى الساحل الغربي (كليفورنيا) ـ هي مشاريع ليست جديدة .

فمن كلورادو في وسط الولايات المتحدة تقريبا تتغذى بالماء مناطق في الغرب الأمريكي ، كما أن النقاش الذي استمر أكثر من عشرين عاما ـ وما زال ـ حول المشروع المقترح ، الذي سمي (بقناة المحيط) والذي بموجبه يزمع جر المياه الى كلفورنيا في قناة بطول سبعين كيلومترا تقدر تكاليفه بحوالي عشرين بليون دولار ، يعطينا مؤشرا على عمق مشكلة نقص المياه في بعض الولايات الغربية والغربية الجنوبية .

وقد أصبح موضوع المياه ونقلها في الولايات المتحدة قضية تناقش بين الولايات المختلفة ، وتتحول الى ضغوط وضغوط مضادة على السياسيين .

والاتحاد السوفيتي أيضا ـ وهو يواجه نقصا في الانتاج الزراعي يضطره في بعض الأوقات لشراء الغذاء من الخارج لتلبية طلبات سكانه ـ يولي قضية المياه ومصادرها اهتماما كبيرا . ويقوم بمشروعات كبرى لنقل المياه من الشمال الى سهول آسيا الوسطى لتنشيط الزراعة .

ويمكن الاشارة في هذا المجال الى مشروعين ضخمين يجري العمل فيهما في الاتحاد السوفيتي . . المشروع الأول لنقل المياه الى مسافة ألف وخمسمائة كيلومتر الى الجنوب . . والمشروع الثاني لتحويل مجرى نهر « بيكورا » عن طريق اقامة سد فوقه شمالي شرق موسكو العاصمة ، وتحويل مياهه جنوبا كي يصب في أحد روافد نهر الفولجا .

البيئيون في الاتحاد السوفيتي ، كلهم مثل زملائهم في الولايات المتحدة والصين ، قلقون من نتائج هذه المشروعات على البيئة الطبيعية . كما أن تكلفتها تصل الى أرقام ضخمة ، ولكن الحاجة البالغة للمياه تذلل في النهاية صعوبات التكلفتين المالية والبيئية .

والهند ، رغم أخبار الجفاف والمجاعات الدورية التي تتناقلها عنها وسائل الإعلام السيارة بين فترة وأخرى ، تعد أيضا من البلدان الرئيسية المنتجة

للحبوب . ومع الزيادة الكبرى في عدد سكانها ، يشكل نقص المياه أو عدم وجودها في الأماكن الأكثر حاجة اليها ، مشكلة كبرى ، في داخل الهند ومع جيرانها أيضا .

ولعلنا نذكر أن أحد أهم أسباب دخول الهند الحرب مع باكستان الموحدة (باكستان وبنغلادش الآن) في بداية السبعينيات . . كانت قضية المياه ، لأن نهري الهندوس وبراهما تشارك الهند فيهما باكستان وبنغلادش والنزاع على استخدام مياه النهرين نزاع له طابع اقتصادي وسياسي .

وفي داخل الحدود السياسية الهندية هناك اقتراح قديم من الحكومة الهندية لاقامة « شبكة مياه وطنية » لاعادة توزيع المياه على المناطق التي تحتاجها من أجل تلافي دورات الجفاف . ويقدر الخبراء تكلفة هذا المشروع ـ وذلك قبل سنوات ـ بأربعة بلايين من الدولارات ، وتضاعف هذا التقدير في السنوات الأولى من الثمانينيات .

العرب والماء

يقودنا العرض السابق الى أن السنوات الأخيرة من القرن العشرين ستشهد بروز قضية المياه واستخدامها كقضية من أهم القضايا العالمية والانسانية . فالماء لم يعد سلعة بلا ثمن ، سواء من جهة وجوده ، أو من جهة التنافس عليه إن توفر .

هذا الطابع يأخذ طابع الصراع في بعض الأوقات ، إما بين المدينة والريف ، أو بين الريفيين أنفسهم ، أو بين الدول التي تجري من خلال حدودها السياسية الأنهار المختلفة بين المنابع والمصبات .

لذلك فان العرب والماء والتقدم ، ثلاثية متلازمة بالضرورة ، وعلاقة الثقافة العربية بالماء علاقة تقارب الرومانسية . فهي عندما تتحدث عن الماء والينابيع فانها تتحدث عن الجنات اليانعة والينابيع الرقراقة . والمطر يعني في الثقافة العربية الغيث والعافية والنماء .

كل هذه المعاني ناتجة من طبيعة المناخ الطبيعي السائد ، فالاختلاف الكبير في درجة الحرارة الفصلية وقلة سقوط الأمطار المنتظمة ، وندرة المياه بشكل عام . . كل ذلك يعني الاشتياق الى الماء ـ مصدر الحياة ـ والاحتفاء به .

وجود الماء بكمية كافية يعني الزراعة والاستقرار ، أي يعني الحد الفاصل بين البداوة والحضارة .

الماء يعني الحضارة والمدنية والتقدم . . ونقصه يعني البداوة والترحال والتشتت ، والمياه غير الكافية تجعل البشر مبثوثين خلال الأراضي متفرقين لاتنمو

بينهم الفنون ولا يطمحون الى التقدم .

والماء العربي قضية القضايا .

فعلى الرغم من الصيحات التي يطلقها الكثيرون في الوطن العربي حول ضرورة الاهتمام بالزراعة وتطويرها ، وعلى الرغم من أن الزراعة كما هي اليوم في الوطن العربي تمثل أقل من نصف الدخل القومي بقليل في بلدان عربية هامة ، مثل مصر وسوريا والأردن ولبنان ، وأن ثلثي شعب المملكة المغربية ـ على سبيل المثال ـ يعيش بشكل مباشر أو غير مباشر على العمل في الزراعة ، وأن أقطارا أخرى مثل تونس والعراق والسودان تلعب الزراعة في اقتصادها الوطني دورا هاما (اذ يقدر الاقتصاديون أن الرقعة الزراعية في الوطن العربي تبلغ واحدا وخمسين مليون هكتار ، تعتمد زراعة ٧٨ ٪ منها على الأمطار ، بينما ٢٢ ٪ من الزراعة العربية تعتمد على المياه السطحية أي الأنهار) . .

على الرغم من تلك الحقائق : نجد الجهود المبذولة في الاهتمام بمصادر المياه وتطويرها ـ لاستخدامها بنجاح في انماء صناعة غذاء عربية متكاملة للاستهلاك والتصدير ـ مازالت تلاقي اهتماما أدنى في خطط التطور الاقتصادي القومي .

من أكثر الافكار رسوخا في ذهن العربي . . المقولة المعروفة « أن مصر هبة النيل » . نهر النيل العظيم الجريان . . الذى رسخت الأساطير فيضانه وعطاءه . . هذا النهر ـ وفي ضوء خطط مصر المعروفة لاستصلاح أراض تعدها لمواجهة الطلب المتزايد على الغذاء ـ سوف يعجز عن تلبية حاجة مصر المائية ـ كما يؤكد بعض خبراء مصر المائيون ـ ولعل ذلك هو أحد أسباب الصيحة الوطنية المصرية في وجه أطماع « اسرائيل » في مياه النيل خاصة في الفترة الأخيرة لرئاسة مناحيم بيجن .

وأيضا وادي نهر الفرات وأراضيه المحيطة الشاسعة القابلة للاستصلاح والزراعة . . ما زالت في انتظار اتفاق نهائي وعادل بين الأطراف التي يمر في أراضيها العربية (السورية العراقية) والتركية .

ولا يجب أن يغيب عنا أيضا أن مياه شط العرب في جنوب العراق مصدر توتر دائم .

لقد أصبح الماء في وطننا العربي يباع في الأسواق معبئا في زجاجات . ويمكن قبول ذلك في أقطار الندرة . . ولكنه ظاهرة يجب الوقوف عندها في بلدان الوفرة المائية .

الا أن القضية الأكثر حدة في موضوع المياه العربية ، أو ما يمكن أن نسميها « القضية المأساة » ـ رغم عدم موافقتي على التضخيم في غير مكانه ـ هذه القضية التي نحن بصددها هي استيلاء « اسرائيل » على المياه العربية . . والتي مازالت تعالج ـ مع الأسف ـ كقضية ثانوية بجانب القضية السياسية .

أطماع « اسرائيل » وخطواتها التنفيذية في هذا الاتجاه تدل دلالة لا تقبل

الشك أو التأويل على أن العدو الاسرائيلي له أطماع أكثر من إستيلائه على أرض فلسطين ، فأطماعه تصل الى التحكم في منابع الانهار العربية ومصادر المياه العربية .. الحد الفاصل بين الحضارة والتقدم وبين الشتات .

المياه العربية : الوجه الآخر للصراع

عندما تنحدر من عمّان تجاه منخفض البحر الميت غربا وتقف على شاطىء الأخير وهو يجزر ويتقلص .. أو عندما تتبع نهر اليرموك ـ أكبر مصدر للمياه يغذي نهر الأردن ـ وتشاهد المنشئات نصف الكاملة على سد « خالد بن الوليد » .. وعندما تتعرج مع نهر الليطاني من منبعه في البقاع تحت أقدام بعلبك حتى مصبه في الجنوب اللبناني ، وتشاهد قرى النهر الموزعة بين الجرود العالية والسفوح العطشى .. عندما تفعل ذلك تعرف القصة التي ما زالت فصولها قيد التكامل في الصراع العربي الاسرائيلي على المياه . كما ستشاهد بعينيك نموذجا حادا وصارخا للتأثير السلبي للاجواء السياسية العامة على مشروعات اقتصادية قومية حيوية ، سواء كان ذلك في تطوير المشاريع المائية أو الانتفاع بالمياه بوجه أمثل .

وستعرف أيضا أهمية فصل المشروعات الاقتصادية ذات المصلحة القومية الدائمة عن التحالفات السياسية المؤقته .

انها قصة قصور تجاه تصلب وعدوان يحاول إنشاء مدن مزدهرة ومستقرة ، مقابل تشريد الآخرين وتحويلهم الى رحل . إنه الوجه الآخر لقصة الصراع العربي الاسرائيلي .. الوجه المستتر والدائم .

واقع النهب المائي

تقع بعض وسائل اعلامنا العربية في خطأ واضح ومبدئي تجاه معالجة النهب الاسرائيلي للمياه العربية ويتمثل ذلك في النقل عن المصادر الاسرائيلية . لذلك من الرائج أن تلتقي عين القارىء بعبارات مثل « نقص المياه في اسرائيل » أو حاجة « اسرائيل » للمياه .. وفي بعض الأوقات تعزز ذلك الادعاء بالارقام .

أحد الخبراء الاقتصاديين الدوليين ـ وهو توم ستوفر ـ يقول في دراسة حديثة حول الموضوع :

(قيمة المياه العربية التي تستولى عليها « اسرائيل » ذات طابع ايديولوجي .. لأن ثلثي استهلاك الماء في « اسرائيل » يتجه نحو الزراعة المسقيه ، واقتصاديو الزراعة في « اسرائيل » يعرفون جيدا أن أقل من نصف القطاع الزراعي

« لاسرائيل » منتج اقتصاديا والباقي غير اقتصادي .. مع أن هذا القطاع يتمتع بمساعدات تتضمن أرضا رخيصة أو مجانية واعفاء من الضرائب وتسهيلات مصرفية في التصدير) .

ونضيف أيضا فوق ذلك : وأيد عاملة زراعية عربية رخيصة .. !

اذا كان قسم فقط من الانتاج الزراعي الاسرائيلي اقتصادي الطابع ، فإن المنطقي هو تقليص الانتاج الزراعي بدلا من الاستيلاء بالقهر على مياه الآخرين .

الا أن سياسة استنزاف المياه العربية ترتدي طابعا أيديولوجيا له علاقة بأفكار الصهيونية وارتباطها بالارض .

فنصف المياه التي تستهلكها « اسرائيل » اليوم تم الاستيلاء عليها أو تحويلها من مصادر مياه عربية موجودة خارج حدود « اسرائيل » ١٩٦٧ .

كما أن « اسرائيل » تستهلك من المياه خمسة أضعاف ما تستهلكه الأقطار العربية المحيطة بها ، وأن أحد دوافع اسرائيل الكبرى في الحروب منذ ١٩٤٨ مرورا بحرب ١٩٦٧ وحتى حرب ١٩٨٢ هو الحصول على مصادر مياه جديدة ، بصرف النظر عن الدافع المعلن للحرب .

نهر الأردن الذي يجري من الشمال الى الجنوب ويصب في البحر الميت كان الهدف الأول . وقد كان مشروع « اسرائيل » الاول للاستيلاء على مياه ماسمته « بقناة الري الوطنية » بجر المياه من أعالي نهر الأردن ـ بعيدا عن الضفة الغربية ـ وصبه في القناة التي تسير بمحاذاة الساحل ، وتتجه هذه القناة جنوبا لري صحراء النقب .

لتنفيذ هذا المشروع لجأت « اسرائيل » في البداية الى تجفيف بحيرة الحولة ، ورغم الاحتجاجات العربية لدى المنظمات العالمية ، فقد نفذت « اسرائيل » المشروع .

بعد حرب ١٩٦٧ استطاعت « اسرائيل » بعد استيلائها على مرتفعات الجولان والضفة الغربية أن تتحكم في نهر الأردن ، وأن تحتل نهر بانياس ، آخر منابع نهر الأردن المهمة ، وقامت في الوقت نفسه بتحطيم منشئات سد المخيبة (سد خالد بن الوليد) على نهر اليرموك .. الذي كان جزءا من الرد العربي على تحويل « اسرائيل » لمياه نهر الأردن ، وكانت بعض المصادر العربية تعتبره ـ في حالة اتمامه ـ سد أسوان آخر .

سد خالد بن الوليد (المخيبه) حتى قبل تحطيم معظم منشئاته من قبل « اسرائيل » كان يتعثر في التنفيذ نتيجة نقص الامدادات المالية العربية التي أقرت لبنائه .

الليطاني . . والنهب

نهر الليطاني أيضا من المصادر المائية العربية التي كانت « اسرائيل » تطمع دائما للحصول على مائه ، ولكي تحصل على مياه هذا النهر كان لابد من احتلال الجنوب اللبناني .

تحسبا لهذا الأمر المعروف لدى العرب ، وضعت خطة عربية مضادة للاستفادة من مياه الليطاني ، وكان سد القرعون عند قرية القرعون اللبنانية جزءا من هذا المشروع الذي يهدف الى التحكم في مياه الليطاني ، لتوفير مياه الشرب والري والطاقة الكهرومائية لأهل البقاع والجنوب اللبناني . سد القرعون الآن لايحتفظ بأكثر من عشرة في المائة من مياه النهر . . . وبقية المشروع أيضا تعثر لفترة طويلة في مماحكات التمويل والتوزيع .

مطامع « اسرائيل » في نهر الليطاني معروفة منذ زمن طويل ، وأحد مظاهرها ما تعبر عنه لوحة تزين جدار فندق شيراتون في تل أبيب . . وتبين هذه اللوحة قبائل اسرائيلية قديمة على ضفاف الليطاني !

في ابريل ١٩٧٩ نشرت مجلة العربي - في احدى تحقيقاتها المصورة وكان عن الليطاني - وجهة نظر رئيس وزراء لبنان وقتها ، تقي الدين الصلح ، وقد قال ما نصه :

(مطامع « اسرائيل » في نهر الليطاني لاتحتاج الى دليل ، فالجنوب اللبناني ضمن الحلم الصهيوني الذي يحقق « لاسرائيل » الحدود الطبيعية والجبلية المنيعة في المنطقة الممتدة جغرافيا للمرتفعات السورية ، ومن ناحية أخرى تستطيع « اسرائيل » أن تستوعب ضعف عدد سكانها عن طريق سيطرتها على الليطاني) .

لم يكن رئيس وزراء لبنان الأسبق يرجم بالغيب عندما قال ماقال ، ولم تكن كل الأصوات العربية التي ارتفعت محذرة من أطماع « اسرائيل » في نهر الليطاني تنظر الى كرة بلورية ، وقد تم ما حذرت منه كل الأصوات في صيف ١٩٨٢ عندما اجتاحت « اسرائيل » معظم لبنان ، وقد ركزت في تلك الحرب قواتها في أماكن تمهد فيها لوضع اليد على مياه الليطاني ، وكي تستطيع « اسرائيل » جر مياه النهر من الوسط الى حدودها الشمالية لا بد أيضا أن تحطم سد القرعون وأن تفرغ الجنوب من سكانه . والمشروع ليس من ضروب الخيال فالمناقشات قائمة بين المختصين الاسرائيليين اليوم لأمكانية اقامة بحيرة صناعية كبيرة في شمال فلسطين - تغذيها مياه الليطاني - تجر مياهها الى الأرض المحتلة والى صحراء النقب أيضا . وقد بدأت بالفعل شق نفق قرب بحيرة القرعون ما بين دير مماس وكفر كلا الحدودية تهدف الى جر مياه الليطاني . .

زراعة صحراء النقب هو قميص عثمان الذي قدمه الاسرائيليون للأوساط الغربية ، تحت شعار أنهم يحيون الأرض ويزرعون الصحراء ، ولكن الدراسات الجادة تقول أنه لو جلبت مياه الأرض جميعا فأنها لن تستطيع أن تروي النقب .. لأنه ببساطة صحراء غير قابلة للزراعة !

في البحث عن حلول لمشكلاتها الاقتصادية لا تكتفي « اسرائيل » بالاستيلاء على المياه العربية ، فهي تعمد الى مشروعات تحمل في طياتها مشكلات رئيسية للاقتصاد العربي . كما في مشروع ربط البحر الأبيض بالبحر الميت بقناة مائية ، ويسمى المشروع « مشروع قناة البحرين » هذا المشروع نظريا يستفيد من فرق مستوى البحرين الأبيض والميت ، ويبلغ انحداره حوالي ١٣٠٠ قدم ، لاستخدام هذا الانحدار في توليد الطاقة الكهرومائية ، هذا المشروع - ان نفذ - سوف يأتي بنتائج مدمرة للاقتصاد الاردني ، منها الغمر التدريجي لمنشآت البوتاس والاراضي الزراعية المحيطة .

التنمية الحقيقية

حتى وقت متأخر نجد أن موضوع المياه بشكل خاص ، والموضوع الاقتصادي بشكل عام احتل المكان الثاني في مناقشاتنا الدائرة في الوطن العربي تجاه التوسع الاسرائيلي ، فقد كان التركيز دائما على المشكلة السياسية التي تأخذ الأولوية القصوى .

الا أن القضية الاقتصادية في الصراع العربي الاسرائيلي - كما وضحنا جزءا منها فيما سبق - لا تقل أهمية في التأثير على مستوى الصراع وعمقه ، فاحتلال الأرض يدر على « اسرائيل » أكثر من بليون دولار سنويا ، كما أن الأطماع الاقتصادية تشكل حوافز جديدة للتوسع الاسرائيلي لاستخدام بعض الأسواق العربية . لقد أقامت « اسرائيل » حتى الآن حوالي ١٨٠ مستوطنة اسرائيلية في الضفة الغربية ، وصادرت ما يقارب نصف الأرض وأصبحت المطامع الاقتصادية الاسرائيلية تعضد الأفكار الأيديولوجية القديمة .

المياه العربية المستباحة هي ما أردنا أن نشير اليه هنا .. وستظهر مشكلة نقص المياه في المستقبل في الوطن العربي على نحو أكثر حدة مما هي عليه اليوم ، وبدون وفرة المياه لايمكن أن نحلم بتنمية حقيقية .

محمد الرميحي

التحديث ..

وكيف يتحقق في منطقة الخليج العربي ؟

بقلم : الدكتور عبدالله حسن العبَّادي

□ ظاهرة التحديث أصبحت ظاهرة عالمية الى حد كبير . ولكل منطقة نصيبها وخصوصياتها في هذا الأمر ، فما هو نصيب منطقة الخليج العربي من ذلك ، وما هي خصوصيات التجربة في هذا المجال ؟

إن ظاهرة التحديث ، أو الحداثة أو العصرية والتي أخذت بها كثير من دول العالم الثالث ولا سيا في العشرين سنة الأخيرة من القرن الهجري المنصرم ، تفترض الايمان بايجابيات هذه الظاهرة والعمليات التي تعكسها على المجتمع من قبل صناع القرار السياسي ، ولا شك أن المنطقة الخليجية العربية وعلى وجه التحديد بعد عام ١٩٧٣ م أخذت تتجه اتجاها سريعا ومتلاحقا نحو عملية التغير الاجتماعي والتحديث ، فقد اتخذ هذا الاتجاه التحديثي شكلا في اطار طموحات ورغبات القيادات السياسية في دول المنطقة ، والذي غالبا ما يصاغ في شكل خطط حكومية مبرمجة لاحداث بعض التغيرات الاجتماعية والاقتصادية في هياكل بعض البنى الاجتماعية الخاصة بهذه المجتمعات ، ومثال ذلك الخطط التنموية ذات الزمن المحدود والتي تهدف ين ما تهدف إلى احداث عملية التحديث في هذه المجتمعات .

وقد تكون عملية التحديث متخذة خطاً مستمراً ونتيجة للتطور الحتمي للمجتمعات الانسانية من ناحية ، ونتيجة لاتصال واحتكاك المجتمعات في المنطقة الخليجية العربية بالمجتمعات الأخرى من ناحية ثانية .

المادي والثقافي

وربما تكون السمة الغالبة لعمليات التحديث في المنطقة الخليجية في رأيي - ولا سيا بعد ارتفاع الدخل القومي فيها نتيجة لزيادة عائداتها من صادرات النفط - تكاد تكون مركزة في الشكل المادي ، دون أن يكون هناك اتساق أو تقدم مماثل في بعض الجوانب الثقافية والاجتماعية ، والذي غالبا ما يأتي الاهتمام بها في نهاية قائمة التطور الحضاري المادي المنشود والذي تشهده المنطقة . وهذا من غير شك قد يؤدي - بتأكيد بعض المختصين في العلوم الاجتماعية - الى حدوث هوة أو فجوة حضارية ثقافية في المجتمعات ، قد ينتج عنها هزات أو صدمات غير متوقعة أحيانا ، ولم يحسب لها حساب في برامج المخططين الاقتصاديين والماليين . نحن لا ننكر أن هناك نوعا من

الاهتمام أيضا بالجوانب الاجتماعية والثقافية المصاحبة لعمليات التغيير والتحديث والتنمية ، ولكننا لا نعتبرها في حجم وكميات التطورات الحضارية المادية .

وتعد ظاهرة التحديث من الظواهر الاجتماعية الجديدة في ميادين العلوم الاجتماعية بصفة عامة ، وعلم الاجتماع بصفة خاصة ، وقد لقي التحديث كظاهرة اجتماعية ـ ولا سيما في الدول النامية وفي السنوات الأخيرة بالذات ـ اهتماما واسعا من قبل الدارسين والمتخصصين ومن وجهات نظر مختلفة ، وضمن اطارات فكرية متعددة ومن منظورات منهجية متنوعة ، وذلك حسب ميول الباحث واتجاهاته وحسب أيديولوجية المجتمع الذي يبحث ظاهرة التحديث . فالتحديث اذن ظاهرة اجتماعية تاريخية معاصرة تناولها العلماء والدارسون والمختصون من منطلقات مختلفة باستخدام مفاهيم منهجية ودراسية مختلفة . فهناك التحديث السياسي والتحديث الاقتصادي والتحديث التعليمي ، وكلها عمليات لظاهرة التحديث بمفهومه الشامل ، ويمكن لأي باحث تناولها من زوايا متعددة . وهناك أيضا التحديث التكنولوجي ، والتحديث الزراعي ، والتحديث الاداري . وهلم جرا .

ويعود السبب في استخدام مفهوم وظاهرة التحديث بطرق مختلفة ومناهج متعددة ، الى تداخل وترابط التحديث بالظواهر المختلفة الأخرى والتي تبحث في ربط عمليات التحديث بأنواع التغير الاجتماعي ، أو ارتباط ظاهرة التحديث باكتساب الطابع الغربي Westeni Ze-tion واعتبار ذلك هو المحور الأساسي اللازم لعملية التحديث في المجتمعات النامية . وهناك أخيرا بعض الخلط الواضح بين مفهوم التحديث كعملية للتغير والتي عن طريقها تحصل بعض المجتمعات النامية على الصفات الخاصة ، والتي تتميز بها المجتمعات الصناعية المتقدمة ، وبين عملية الوصول الى التحديث نفسه ، أي الانتماء الى الدول الحديثة والمتقدمة .

التنمية والتحديث

لقد دار نقاش طويل ، وحوار مستمر حول مفاهيم التحديث والتنمية والاتجاه نحو تطبيق النموذج الغربي في الحياة خلال السنوات الماضية . ومن الواضح جدا أن هناك ارتباطا بين التنمية والتحديث ، فالتنمية هدفها إحداث التغير الاجتماعي عن طريق تحديث بعض الهياكل والأنظمة الاجتماعية والثقافية القائمة في المجتمع . الا أن ارتباط التنمية والتحديث باتباع الأسلوب الغربي أو الشرقي ، بالنسبة للدول النامية ـ ولا سيما في حالة الدول العربية الخليجية ـ ليس له ما يبرره . وقد دلت كثير من الدراسات الحديثة على عكس ذلك . إن التحديث يعني التقدم والتطور ويرتبط بالتنمية .

كما أن التحديث ، أو الحداثة أو العصرية كظاهرة اجتماعية ، تتوافر فيها ثلاثة جوانب :

١ ـ الابداع والتغير والسيطرة على الظواهر واخضاعها لصالح الانسان .

٢ ـ التنوع والمرونة في البنى الاجتماعية .

٣ ـ توفير المعارف والمهارات الفردية المعاصرة ليتمكن الانسان من كسب عيشه في عالم تكنولوجي متطور باستمرار .

إن القضية التي تشغل بال كثير من أخواني الأدباء والكتاب المفكرين حول مفاهيم الحداثة والمعاصرة والتراث في الموضوعات الأدبية ، هي قضية تشغل بال الدارسين للعلوم الاجتماعية أيضا وان اختلفت الأدوات العلمية والمنهجية المستخدمة ، لطرح هذه القضية الهامة جدا والحساسة جدا ـ ولا سيما في الدول التي تملك رصيدا ضخما من التجارب والمساهمة الانسانية ـ

على بساط البحث والمناقشة .

إن معظم الكتاب الغربيين والمتخصصين في العلوم الاجتماعية ـ بمفهومها الشامل وليس المفهوم المتداول في كثير من الدول النامية ـ ومنها الدول العربية ـ والذين عالجوا ظاهرة التحديث ، عالجوها من منظورهم الخاص . بمعنى أن كثيرا منهم ، في معظم الحالات اعتبروا النموذج الغربي هو الذي يجب أن يحتذى ويقلد من قبل الدول السائرة في طريق النمو .

اتجاهــات

ولا يسمح المجال هنا باستعراض آراء هؤلاء الكتاب بصورة مفصلة ، غير أنني سأكتفي هنا بالاشارة الى بعض الأمثلة فقط للتدليل على هذه الاتجاهات .

أولا : أصحاب الاتجاه التطوري الحديث والذين حاولوا تحديد المراحل المختلفة للتنمية والتحديث والتي يمكن أن تمر بها الدول النامية . وهي مراحل مصاغة في قوالب مستمدة من مراحل النمو الاقتصادي التي مرت بها الدول الصناعية والمتقدمة . واذا أرادت الدول النامية أن تصل الى مراتب الدول المتقدمة فما عليها الا أن تسلك نفس الطريق الذي سلكته الدول الصناعية المتقدمة من قبل . ولعل أكثر الداعين الى هذا الاتجاه والمتحمسين له هو الاقتصادي الأمريكي المعروف « والت روستو » الذي يقدم لدول العالم الثالث نظرية في التنمية الاقتصادية يصفها بالشمول والواقعية على حد زعمه . وتمر نظريته بمراحل خمس أساسية :

المرحلة الاولى : هي مرحلة المجتمع التقليدي .

المرحلة الثانية : هي مرحلة رحلة التهيؤ للانطلاق والتي يتجه فيها المجتمع الى دخول مرحلة انتقالية يتجاوز بها المرحلة التقليدية .

أما في المرحلة الثالثة : فيكون المجتمع قد تهيأ لدخول مرحلة الانطلاق بعد أن يكون قد تغلب على كثير من العقبات التي تواجهه في مسيرة تنميته .

ثم تبدأ المرحلة الرابعة : بدخول المجتمع مرحلة جديدة سماها روستو مرحلة الاتجاه نحو النضج ، وذلك بعد استكمال المجتمع لمقومات هذه المرحلة ولا سيما في الخروج من دائرة نطاق الصناعات الأصلية التي دفعته الى الانطلاق .

وتعد المراحل الأربع التي سبق ذكرها تمهيدا للمرحلة الخامسة ، والتي أطلق عليها مرحلة الاستهلاك الوفير ، ومن ضمن الأمور التي تحدث في هذه المرحلة ، التوسع في مستويات الاستهلاك .

إن نظرية روستو فيها الكثير من التعسف عند تصورها لمسار التنمية بالنسبة لدول العالم الثالث ، ولو أردنا تطبيقها على الدول العربية الخليجية النفطية ، والتي وصل فيها الاستهلاك الى درجة كبيرة جدا لوجدنا أنها لا يمكن تصنيفها ضمن الدول الصناعية المتقدمة .

ثانيا : أصحاب الاتجاه الانتشاري ، والذين يقولون بأن التنمية والتحديث يمكن تحقيقها ، من خلال انتقال العناصر المادية والثقافية السائدة في الدول المتقدمة الى الدول النامية . ويفترض أصحاب هذا الاتجاه أن العناصر الثقافية تنتقل أولا من عواصم الدول المتقدمة الى العواصم في الدول النامية ، ثم تنتشر هذه العناصر والأفكار

المستحدثة في بقية أقاليم ومناطق ومدن وقرى هذه الدول . وهم يميلون الى تصوير عملية التنمية والتحديث على أنها مجرد اكتساب خصائص الغرب أو (التفرنج) أو (التأمرك) وهي وجهة نظر مضللة كثيرا ، وتحتاج الى الأبحاث والدراسات التجريبية التي يجب اجراؤها في هذا الصدد . وشأن هذا الاتجاه مثل كثير من الاتجاهات الغربية والشرقية ، أنه يصور للدول النامية أن الدول الصناعية المتقدمة تمثل بالنسبة لها الشكل المثالي أو النموذج الأفضل الذي يجب أن يحتذى ويقلد .

ثالثا : أصحاب الاتجاه السلوكي ، وهم يعنون بصفة خاصة بدراسة التنمية الاقتصادية والتغير الثقافي في ضوء الخصائص السيكولوجية للأفراد ، والقضية الأساسية التي ينطلق منها هذا الاتجاه هي أن درجة الدوافع الفردية ، أو الحاجة الى الانجاز هي الأساس الذي تقوم عليه أية تنمية اقتصادية . وأصحاب هذا الاتجاه السلوكي في تفسير قضية التحديث والتنمية من الكتاب الغربيين ، كثيرون جدا وأفكارهم في هذا الصدد لا تخلو من الجدة والطرافة والتشويق أحيانا ، غير أن المجال هنا لا يسمح لنا باستعراض آراء هؤلاء المفكرين . وسوف أكتفي هنا بالاشارة الى دراسة « دانييل ليرنر » لأنها أجريت على بعض بلدان الشرق الأوسط ، فليرنر يقدم لنا صورة للنمط الغربي في التنمية والتحديث . ويطرح على دول العالم الثالث أن تتشبه بهذا النمط اذا أرادت الوصول الى مصاف الدول الصناعية المتقدمة ، واكتساب خصائص سلوكية وسيكولوجية معينة .

النموذج الأمثل

إن المتغيرات الأساسية التي استخدمها ليرنر للتحديث كمرادف لمفهوم اكتساب خصائص الغرب أو (التفرنج) أو (التأمرك) هي : التحضر ، والتعليم ، والمشاركة في وسائل الاتصال ، والمشاركة السياسية . ولقد ذهب ليرنر الى أن المجتمع « الحديث » هو المجتمع الذي يحقق درجة عالية على سلم هذه الخصائص ، أما المجتمع « التقليدي » أو النامي فهو الذي لا يحقق سوى درجة ضعيفة على هذا السلم . ولقد حاول ليرنر تطبيق مفاهيمه وتصوراته في الدراسة الميدانية التي أجراها على بعض المجتمعات الانتقالية والتقليدية في الشرق الاوسط ، وقد حدد ليرنر نوعين جديدين من الأفراد في هذه المجتمعات . النوع الأول يضم الحديثين ، أو الذين يساهمون فعليا في عمليات التحديث (ومن هؤلاء : المتعلمون والذين يشاركون بفعالية في وسائل الاتصال الجماهيري من صحافة واذاعة وتلفزيون وبعض سكان المناطق الحضرية) . والنوع الثاني من الأفراد ويضم الانتقاليين (وهم - في نظر ليرنر الأميون الذين لديهم بعض أو كل خصائص النوع الأول . ويصف ليرنر الأفراد الانتقاليين بأنهم لا توجد عندهم القدرة على التكيف مع الآخرين أو التعاطف معهم .

والانتقادات التي وجهت الى الأفكار السابقة حول وضع إطار غربي لقضية التحديث والتنمية في دول العالم الثالث ، يمكن أيضا أن توجه الى أفكار ليرنر بهذا الخصوص ، فالنموذج الأمثل أو الصورة الكربونية والتي يجب على الدول النامية أن تنسخها لتلحق بركب الدول الصناعية المتقدمة ، تتجاهل التطورات التاريخية والثقافية والتي مرت بها دول العالم الثالث ، كما أن هذا المنظور يتجاهل حقيقة واضحة وهي أن بعض البلدان النامية يملك رصيدا ضخما من التجارب الانسانية ، تختلف تماما عن تلك التي مرت بها الدول المتقدمة . ومن عيوب اتجاه النموذج المثالي الاعتماد على افتراضات تطورية مثل ما ذهب اليه ليرنر من ايجاد حكومات ديمقراطية على النمط الغربي كمطلب من مطالب التحديث والتنمية في الدول النامية . □□

الحب .. قرار

شعر : فاروق شوشة

اجتاز وجوه الناس ، زحام الناس ، اليك ، واصطدمُ
اخطو ،
اتحسسُ دَرْباً
يمتدُّ ، يُباعدني ، ويُقرِّبني
أتلمس فيه مكانا وزمانا
مأوى ،
نتلاصق فيه ، ونقتسمُ
اقربَ ما كُنتِ ،
وأبعدَ ما جازفْتِ ،
يظلُّ العبء أنوء به وحدي
وينوء به جَلَدي
وندائي محضُ صدى
لا يُمسك شيئًا منكِ ، ويُفْلتني
فلمن أتَّجهُ ؟
مداراتي تجفوها الشمس
ينطفيء على أبواب مشارفها النجم
يتراكمُ فيها الليلُ الجدْب
وخُطايَ تسوخ ،
ولكني
اجتازُ وجوهَ الناس ، زحام الناس ، اليك ، وأصطدم
وشعاعٌ منك ،
الاحقُه واطاردُهُ ،
أنسى اني شارفْتُ تخومَ الرعب ،
واقتحـــمُ ،
فيضيء القلب
يملؤني زهوٌ

يملؤني أنّى بهوانا مُتهم !
معا ، أنتِ ، يُطل عليّ ، على أُفقي ...
الوجهُ المانوس
تتفتت غيماتُ الحزنِ وترحلُ ، لا ترحل ،
تحتجبُ وتنأى ،
تتساقط شجوا وتجوس
استجمعُ ما ابقتْهُ بكفّي الأيامْ
وما غرستْهُ بعينيّ الأحلامْ
وأنثرهُ في مقدمِ موكبِكِ المجلوّ
يرفُّ قطوفاً وفراديسْ
من ينزعُ من ذاكرة الليل زمانا مثل الأسطورة
وشعاعين التقيا من بعد شتات الغربة والتطواف
وكما يعتنقُ النجمُ اعتنقا
وكما يحترق الجمرُ احترقا
وكما يختنق الوردُ اختنقا
غرقا في ذوْبِ السّحرِ المرصود
ذابا في مسْرى الوجدِ ،
وفي جَلَواتِ العشْقِ ،
وفي وهج الأنفاس
غابا في نشوات الحلْم ،
وفي فلك الأقمار المنسيّة
غابا عن كلّ الدنيا ، عن كلّ عيون الناس
فالليلُ ضفافٌ مشهودة
والعمرُ خيوطٌ معدودة
تفلت من أيدي الحرّاس !

* * *

يتشققُ منا الجلدُ ،
ويصبحُ وجهُ الجِلْدِ اخاديدْ
عطشاً يتشققُ
يزدحمُ ركامُ العمر ، العمرِ الموحشِ منكِ ، تجاعيدُ

وغضوناً ترجفُ ، لا تُشفق
حتى ينفجرَ بنا الوعدُ المأمولُ
وترتج الصبوات ،
ويدفعُنا طوفانُ اللحظة .... للمجهولْ
يتبدلُ وجهُ العالم ،
وجهُ العالمِ ما أقساه !
نتعاهدُ ثانيةً ..
ألا نُخلف حلماً
أو نقتل وعداً
أو نُسقط زمناً
من غير أمانٍ عشناه ..
نتعاهدُ : لا يخذل واحدُنا صاحبه
فالكون ملء بالخذلانْ
سيمرُّ كثيرا هذا الوقتُ الفارغُ منك ،
وهذا الزمنُ المولعُ بالانكارْ
وستعبُرنا هذي اللحظاتُ المخنوقُه في التكرار
والظمأ القاتلُ في الصحراء
لكنّا ندرك أنّ زماناً بعدُ ، زماناً بعدُ ، لنا
نتوقف فيه ، نُريح لهاث العمر
ونحدُق فيه ، فيبهرنا أنّا أحياء
نمتلك الحُلم ، وأن نحلُم
نملك أن نبني أو نهدم
زمنــا ..
لا يجرفنا فيه التيار
نتدافعُ من فوق الموج ،
ونقفزُ من فوقِ الأسوارْ ،
ونناديِ :
يا أحبابَ الأرض ويا أبناء التيه
الحب دثارْ
الحب شعارْ
الحب قرارْ

التكوين الفني للموسيقا العربية

بقلم : كمال النجمي

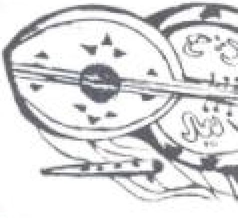

☐ كتب الدكتور فؤاد زكريا في العدد رقم ٣٠٨ يوليو ١٩٨٤ مقالا تحدث فيه عن التجربة الموسيقية بين الحضارات .. وهذا دفاع عن موسيقانا الشرقية وتراثنا الموسيقي .

العارفون حق المعرفة ، بالفروق الدقيقة بين الموسيقا العربية والموسيقا الأوروبية ، يبدأون كلامهم عن هذه الفروق ، بما يلاحظونه من توافق ، بل تطابق ، بين مكونات مقام (الراست) العربي ، ومكونات سلم (دو الكبير الأوروبي .. فان الخلاف بين الموسيقا العربية والموسيقا الأوروبية ، قد يبدأ من هنا ، لا من (جو القداسة) في كنائس عصر النهضة الاوروبية ! ...

ومن البديهي عند البحث في خلاف فني أو علمي ، أن نتجه اليه مباشرة لا الى الأجواء القدسية من حوله . ومن حسن الحظ أن البحث الذي نحتاج اليه هنا بسيط لايداخله أي تعقيد .. فعند نقطة التلاقي بين (الراست) و (دو الكبير) وهما مقامان توأمان ـ ان صح التعبير ـ يبتعد (الراست) العربي بعنف مفاجيء عن صديقه (دو الكبير) الاوروبي ، كأنه يقول له : لاتلاقي بيننا بعد اليوم ! ..

والسبب أن المقامين التوأمين المتلازمين قد بلغا مفترقا خطيرا يسمونه (النغمة الثالثة) الشهيرة عندنا بنغمة (السيكا) .. ثم اتسعت الفروق والخروق بينهما عند (النغمة السابعة) فقام بينهما سد عال يسميه الموسيقيون (ثلاثة أرباع الصوت) .. وهو بعينه ما اعتدنا أن نسميه (ربع الصوت) .. أو (ربع التون) ..

(وبسبب هذا الربع ، أو هذه الأرباع الثلاثة ، ذهب بعض مواطنينا ممن درسوا الموسيقا الاوروبية ـ وفاتهم أن يدرسوا أو يتذوقوا الموسيقا العربية ـ الى استحالة اللقاء بين موسيقا العرب وموسيقا الاوروبيين ، لان ربع الصوت جعل الموسيقا العربية في رأيهم ألحانا أفقية يتعذر أن تتداخل فيها أو تنضم اليها الألحان الرأسية ، أو (الهارموني) .. وهكذا أصبحت الموسيقا الأوروبية (بوليفونيك) .. أي ذات تراكيب .. وباتت موسيقانا (هوموفرنيك) .. أي ذات بعد واحد بسيط .

ولكن الذي لايمكن انكاره أن للموسيقا هنا

وهناك ، أصلا واحدا ، يقوم على السلم الفيثاغوري المشهور الذي استنبطه فيثاغورس من دراسته وتذوقه لموسيقا الاغريق وقدماء المصريين ، والشعوب التي سبقت الاغريق في الحضارة وفن الغناء ، ومن أهمها الشعب العربي القديم ، حتى ليؤكد المستشرق البريطاني هنري فارمر أن جذور الغناء العربي يمكن أن يتتبعها الباحث الى ثلاثة آلاف سنة ، فكأنها عاصرت موسيقا قدماء المصريين والشعوب الشرقية القديمة . .

جاء سلم فيثاغورس شاملا للغناء والألحان المعروفة الأصول في زمانه ، وعاش سحمه من بعده أمدا طويلا ، لم تمسسه الفتوق الفنية والخلافات العلمية ، برغم تفاقم الخلافات الدينية والسياسية والعرقية في العالم كله على امتداد العصور . . حتى أخذت هوات الامم تفترق في الغناء ، وأيديها في آلات العزف ، ووقع الخلاف بيننا وبين أوروبا عند النقطتين الثالثة والسابعة ، بين الراست ودو الكبير على النحو الذي أوجزنا بيانه . .

ومعنى ذلك بكل وضوح أن الخلاف بين موسيقانا وموسيقاهم كان ومازال خلافا فنيا محضا ، يمكن حسابه بالارقام ، ويمكن بيانه بالشوكة الرنانة والآلة الموسيقية ، ومعرفة ما يشمله من نقاط فنية وعلمية محددة ، لاخفاء فيها على أحد من الدارسين أو الهواة ، فلا شأن لها بمهابة الكنائس الاوروبية في عصر النهضة ، ولا بمهانة مجالس الانس والطرب في قصور العرب القدماء ، في القرن العاشر الميلادي أو الرابع الهجري ، الذي كان فيه للعرب أرقى غناء وعزفا بالآلات ، ولم يكن للاوروبيين منها الا ما يلتقطونه من العرب ! . .

من الكنائس الى القصور

ومن عجب أن الثورة الفرنسية ، وغيرها من الانتفاضات الاوروبية ، في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، قد أخرجت الموسيقا من الكنائس وأدخلتها قصور الأباطرة والأمراء والكبراء والاثرياء ، يتلهون بها على موائد طعامهم وشرابهم وسمرهم ، ويرقصون عليها مع صديقاتهم ، ومع ذلك حافظت الموسيقا الاوروبية ـ التي ابتذلوها في الرقص ومجالس الشراب ـ على خلافها الشديد مع الموسيقا العربية في السيكاه والعفتكاه ، وهما النغمتان الثالثة والسابعة اللتان افترقت عندهما موسيقانا وموسيقاهم ! . . .

ولكن لاعجب ، فان الاختلاف بينهما (فني) و (علمي) و (حسابي) أو (رياضي) يتعلق بالارقام وكسور النغمات ، ولم يكن قط خلافا بين مهابة الكنيسة الاوروبية في عصر النهضة ، ومجون القصور الشرقية في العصور الوسطى ! . . ولاكان خلافا بين كنيسة روما وكنائس الشرق العربي التي تتلو تراتيمها طبقا لاصول الغناء العربي ، الذي يقال عنه انه (فن حسي) . . يقابله (فن قدسي) هو فن الموسيقا الأوروبية ! . . .

دعنا من المفارقة التي جعلت من أوروبا مهدا لفنون (الروح) و (القداسة) . . وهلم نتجول قليلا في ماضي الموسيقا العربية وحاضرها وما نرجوا لها في مستقبلها . .

الموسيقا العربية ـ أكثرها حتى اليوم غناء . . والمغنون هم أهل الموسيقا العربية ، وبدونهم لايبقي الا القطع الموسيقية التي ألفها الموسيقيون والملحنون والعازفون . .

الا أن شغف الذوق العربي بالغناء ، لم يكن في الماضي ولا في الحاضر عيبا في طبيعة الشعب العربي ووجدانه ، لان لكل شعب طبيعة خاصة ، ووجدانا خاصا ، لايمكن الغاؤهما بمرسوم ، ولاتجاوزهما بطفرة ولاتزييفهما بمخططات مزوقة على الورق ! . .

وتطوير الموسيقا العربية والغناء العربي عمل

فني متشعب لاينهض به الا أولو العزم من الفنانين الأذكياء الموهوبين المخلصين لفنهم وبلادهم . .

التطوير والالغاء

بعض من يتعاطون الدعوة الى تطوير الموسيقا العربية والغناء العربي ، لايريدون تطويرا ولاتحويرا ، بل يريدون الالغاء التام لموسيقانا وغنائنا تحت شعار التطوير ، ولايجدون غضاضة في المنادة الصريحة بقذف الغناء العربي وملحقاته في قمامة التاريخ . .

وقد يكون للاجانب (الخواجات) عذر في عجزهم عن تقدير غنائنا وموسيقانا ، ولكن ما هو عذر البعض من العرب الذين يقلدونهم تقليدا أعمى في عدائهم للغناء العربي الذي هو غناء بلادهم ومواطنيهم ؟! . . وقد بلغ الأمر بواحد منهم أن انكر فضل العرب على الموسيقا الاوروبية ، فقال أن الموسيقا الاوروبية تشبه وحيا عجيبا هبط على الاوروبيين من عل ، بلا مثال سابق وبلا أي تمهيد ! . .

بل انه ليقول أيضا أنه (ليس لدينا في الشرق موسيقى بالمعنى الصحيح) !! . .

الذين يقولون ذلك لاشك أنهم سمعوا عن العلامة الموسيقي البغدادي صفي الدين عبد المؤمن الذي قال : ان البعد المتوافق في الموسيقا هو الذي ترتاح اليه الاسماع ، والذي لاترتاح اليه يسمى التنافر . .

وهم يعرفون أيضا الفارابي الذي كتب عن (التأليف الموسيقي) قبل ان تعرف اوروبا هذا المصطلح بعدة قرون ، وشرح معناه وعناصره وما يحتويه من تركيب وتضعيف في الانغام والايقاعات وغيرها . .

وهم يعرفون كذلك عباقرتنا الذين كتبوا أضخم الكتب في الموسيقا ، أمثال ابن سينا والرازي والخوارزمي والكندي والمسعودي واسحاق الموصلي والاصفهاني ! . .

ولعلهم يعرفون أن هؤلاء الاعلام تحدثوا في بعض كتبهم عما نسميه الان (الهارموني) (الكونتربونيت) وحددوا السلالم الموسيقية والايقاعات الدقيقة ، وعلموا الاوروبيين الموسيقا قبل أن ترفع نغمات الارغن في الكنائس الاوروبية . .

ان تطوير الغناء العربي والموسيقا العربية يشمل مجموعة من القضايا المعقدة التي درسها أول مؤتمر للموسيقا العربية في القاهرة سنة ١٩٣٢ ثم درسها المؤتمر الثاني في بغداد سنة ١٩٦٤ ، وتوالى درسها بعد ذلك في اجتماعات رسمية وغير رسمية في البلاد العربية وخارجها ، وصدر عن أحد هذه الاجتماعات ما يؤيد ما ذهبنا اليه منذ بدأنا نكتب في الغناء قبل ربع قرن ، من أن غلبة الغناء عند العرب العزف بالآلات الموسيقية ، لايصح استهجانه ، لان لكل أمة منهجها وذوقها في الموسيقا والفنون . . .

ان مشكلة المقلدين عندنا هي غرامهم بتقليد الشكل الضخم للموسقا الاوروبية ، بدون أن يسهموا بشيء يضاف الى عمل الاوروبيين ويتمثل فيه الطابع القومي لهؤلاء (المقلدين) . . وهذا هو أصل فشلهم وعجزهم عن الوصول الى الجماهير العربية . . .

أم كلثوم

وقبل بضعة عشر عاما كان يقال في محافل هؤلاء المقلدين ان وجود مطربة عظيمة هي أم كلثوم ، قد حال دون تطوير الموسيقا البحتة . وقد فندنا هذا القول في حينه ، فان ام كلثوم على أهميتها التاريخية الكبرى في الغناء العربي ، لم تكن تمثل سيطرتها الفنية الشخصية ، بل كانت تمثل سيطرة فن الغناء العربي على وجدان الانسان العربي ، بغض النظر عن الدور الفني التاريخي الخاص الذي تؤديه أم كلثوم .

وما قيل عن أم كلثوم ، قيل بعضه عن محمد عبد الوهاب والاصوات الاخرى التي اكتسبت سيطرة خاصة على الاسماع العربية ، مثل فيروز ووديع الصافي في لبنان ، وصباح فخري في سوريا . . فهذه الاصوات تثبت ببسطتها على الاسماع أن الغناء العربي (المتقن) ـ كما سماه الاصفهاني في كتاب الاغاني ـ لايمكن مغالبته بالموسيقا البحتة مهما كان شأنها ، لان له مجالا غير مجالها ، ومكانا في وجدان المستمع العربي غير مكانها . .

ولا يصح في الرأي أن يحارب الغناء بالموسيقا ولا الموسيقا بالغناء ، فان هذا خطل عجيب .

ولامفر في كل حال ، من سلوكنا ـ في تطوير غنائنا وموسيقانا ـ طريقا مستقلا يتعلق بأصول موسيقانا بلا انفصال ولا انفصام ، فهذا الطريق وحده هو الذي يتيح لنا أن نحل مسائل ومشاكل التطوير الغنائي والموسيقي وما يتعلق بالتوزيع الاوركسترالي في موسيقانا ، وعلاقة ذلك بالآلات الموسيقية المشدودة على المقامات العربية ، وتطبيق ما يصلح لموسيقانا من قواعد الهارموني والكونتربونيت وأصول التأليف البوليفوني بوجه عام ، وبناء شخصية مستقلة للمسرح الغنائي العربي فلا يكون امتدادا ساذجا للمسرح الغنائي الاوروبي ، وبخاصة غناء الاوبرا الذي أدخله الخديوي اسماعيل الى مصر منذ مائة وعشرين عاما ، ناطقا باللغة الايطالية ، ومازال مطربو الاوبرا المصريون لاينطقون الا بالايطالية واللغات الاوروبية ، وليس لهم في مصر جمهور ، ولايمكن أن يكون لهم ! . .

الغناء المركب

ان فشل تجربة الغناء الاوبرالي الاجنبي التي امتدت قرنا وربع قرن بعيدا عن الشعب المصري ، أضيف اليها في الزمن الاخير فشل تجارب الغناء المركبة المكتوبه على أسس الموسيقا الاوروبية نصا وفصا ، تقليدا أعمى للاعمال المشابهة لها في اوروبا . . ومن أبرز هذه الامثلة تجربة المرحوم الدكتور أبو بكر خيرت في لحن (ايه العبارة) لسيد درويش ، فقد أخذه الدكتور أبو بكر فبنى عليه تركيبا غنائيا موسيقيا ليس فيه نقطة دم عربية واحدة ، مع أن اللحن من أشهر الالحان الشعبية المصرية . . فكان من الطبيعي أن يسقط هذا العمل ويؤذي مشاعر الناس ! . . وهناك أعمال أخرى مماثلة يضيق عنها المقام . .

هكذا تتراكم مشكلات الغناء العربي والموسيقا العربية ، ولكن ذلك لايبرر الحملة عليهما والانتقاص من قدرهما ، . . .

وقد يأذن لنا المثقفون الذين بهرتهم روعة الموسيقا الاوروبية الكنائسية ، ان نطالبهم بالاطلاع على شيء من غناء المتصوفة المسلمين ، فليس هذا اللون من الغناء نظير عند الاوروبيين ، وليقرأ من شاء (آداب السماع والوجد) لابي حامد الغزالي ، وهو جزء من كتابه الكبير (احياء علوم الدين) . . وسيجد من يقرؤه أن غناءنا لم يكن يفتقر الى دخول الكنيسة الاوروبية ـ في عصر النهضة ـ لكي يتطور ويعجب أهل النظر والمعرفة في عصرنا ! . .

والغناء العربي المتقن ، انما أقامة فحول المغنين والملحنين في المدينة ومكة وبغداد والكوفة والمدن العربية الاخرى ، ولم تكن القيان والراقصات الا هامشا صغيرا لايتشبث به الا المتحاملون والباحثون عن الغميزة في هذا الفن العربي العظيم . . .

و (الحضارة) التي يكثر بعض الناس الكلام عنها ، ليست مجرد صمت في قاعات الموسيقا . فقد كان آخر عمل للدولة النازية الهتلرية (المتحضرة) اقامة حفل للموسيقا صمت فيه النازيون المستمعون صمتا بليغا ، ثم انصرفوا هاربين قبل سقوط برلين في أيدي السوفيت ! □

عندما يهرب الناس من النقود !

□ هل يأتي حين من الدهر يهرب فيه الناس من النقود ، أو يعتبرونها مأزقا لا مفر منه ؟
يبدو أن ذلك سوف يحدث .

أما السبب فهو ذلك الانخفاض الدائم في قيمة النقود ـ وبصرف النظر عن جنسيتها ـ حيث تتعرض كل العملات لنفس الشيء مع اختلاف النسب والدرجات والأوقات .

الاقتصاديون يقولون ذلك .. والبنك الدولي يؤيد ظاهرة التدهور بأرقام تغطي (٢٢) عاما من تاريخ العالم .

تقول أرقام البنك الدولي أن الغلاء في السنوات الأخيرة غيره في أي وقت مضى ، وأن ترجمة ما اصطلح الاقتصاديون على تسميته بالتضخم هو ارتفاع في أسعار السلع والخدمات .. يقابله انخفاض في قيمة النقود ، فكلا الأمرين : الارتفاع والانخفاض ، وجهان لعملة واحدة .

وفي التفاصيل تأتي المقارنة بين فترتين : حقبة الستينات وحقبة السبعينيات امتدادا لعام ٨١ ـ ١٩٨٢ .

بين الحقبتين أو الفترتين تضاعفت نسب الغلاء والتضخم وتبادل الفقراء والأغنياء المقاعد في وطأة الغلاء . اعتدل حال الدول الصناعية والغنية والقادرة وتدهور حال الدول النامية والفقيرة والأشد فقرا . التهم غلاء مجنون نصف الكرة الجنوبي وخلق أوضاعا سياسية واقتصادية واجتماعية جديدة .

بتحديد أكثر ..

في الستينات ، وباستثناء الدول الاشتراكية ، كان التضخم يتزايد بنسبة ٣٪ سنويا في المتوسط .. وكان الاستثناء الوحيد هو مجموعة الدول الصناعية التي تضم ١٩ دولة متقدمة ، والتي سجل التزايد فيها نسبة (٣ر٤٪ سنويا .

في الفترة التالية وحتى بداية الثمانينيات تضاعفت المعدلات بشكل ملفت .. وبينما بلغ المعدل (٥ر١١٪) لـ ٣٤ دولة فقيرة .. قفز المعدل الى (١٦٪) للدول النفطية والدول النامية ذات الدخل المرتفع نسبيا .

في نفس الوقت لم تتجاوز نسبة التضخم في الدول الصناعية ـ رغم كل الصيحات التي صاحبت ارتفاع أسعار النفط ـ نسبة الـ (١٠٪) في المتوسط .

ومما يلفت النظر في هذه الأرقام العديد من الأمور ، فرغم عدم توافر معلومات كافية عن دول شرق أوروبا الاشتراكية ، فان مؤشرا واحدا بالنسبة للمجر يعطي الدلالة على امكانية ضبط الأسعار في ظل التخطيط الاقتصادي .. وقد سجلت أرقام البنك الدولي نسبة تضخم في المجر خلال أعوام (٧٠ ـ ١٩٨٢) : ٢ر٣٪ وربما يقل عن كل المجموعات الدولية .

في نفس الوقت سجلت مجموعة من الدول النامية ـ أبرزها في أمريكا اللاتينية ـ أعلى المعدلات على

بقلم : محمود المراغي

الاطلاق .. فكانت النسبة خلال الاثني عشر عاما المشار اليها ١٤٤٪ سنويا في تشيلي و ١٣٣٪ في الأرجنتين و ٤٢٪ في البرازيل .. و .. لم يساير هذا الارتفاع الفاحش الا بعض الدول الافريقية والأسيوية حيث بلغت النسبة في اسرائيل ٥٢٪ تقريبا كما بلغت في يوغندا (٤٧ر٤٪) سنويا .. وكانت أعلى الدول العربية : المملكة السعودية (٢٢ر٥٪) ثم ليبيا والكويت (حوالي ١٦٪) كل عام .

ماذا تقول هذه الخريطة التي شهدت تحولا أساسيا في السبعينات وبداية الثمانينات ؟

انها تقول باختصار أنه بينما استطاعت دول أوروبا الشرقية (اذا كانت المجر مقياسا) أن تتحكم تماما في الأسعار ، فان الدول الصناعية الرأسمالية قد مارست نوعا محدودا من الضبط ، ووقعت الدول النامية ـ في معظمها ـ في هوة التزايد المستمر وغير المحكوم للأسعار .

أيضا وبينما استطاع الغرب التحكم ـ بعض الشيء ـ في نسب التضخم لديه باستثناءات محدودة مثل اسبانيا أو ايطاليا ، فان الدول النامية قد استوردت الكثير من أسباب الغلاء من نفس هذه المجموعة الدولية .

لقد استوردت هذه الدول سلعا صناعية بأسعار متزايدة ، واستوردت قروضا بحجم هائل وبأسعار فائدة لم يشهدها العالم من قبل ، واستوردت التكنولوجيا والنصيحة الغربية بأسواق مفتوحة .. و .. في مقابل كل ذلك قامت بتصدير المواد الأولية التي هبطت أسعارها عام ١٩٨٢ .. ووفقا لأرقام البنك الدولي أيضا ـ الى مستوى لم يشهده العالم منذ الحرب العالمية الثانية . انخفض سعر المواد الزراعية وفي مقدمتها الغذاء ، وانخفض سعر المعادن وسجل عام ١٩٨٢ مقارنا بعام ١٩٨٠ انخفاضا في هذه المواد تراوح بين ١٧ و ٣٠٪ وسجل أقصاه في مادة السكر التي انخفض سعرها بنسبة ٧١٪ .

باع الفقراء بسعر أقل واشتروا من الدول الصناعية بسعر أعلى وكانت الحجة وفرة انتاج الزراعة والمعادن وركود الانتاج في الدول الأكثر تقدما والتي تترك بصماتها على العالم كله .

كان قانون التبادل الدولي الظالم أحد أسباب المأزق الذي تعرضت له الدول النامية ، لكنه لم يكن السبب الوحيد في اشتعال الأسعار . كانت هناك أسباب داخلية بالضرورة ، فالدول النامية تريد أن تبني قاعدتها الانتاجية والعسكرية ، وكلا الأمرين : التنمية والجيش لا يأتي بانتاج سلعي سريع ، أو لا يأتي بانتاج سلعي على الاطلاق . والنتيجة : وفرة من النقود وندرة من السلع ، ووفقا لقاعدة العرض والطلب التي حكمت معظم الدول فان الأسعار لا بد أن ترتفع بحيث يصبح حجم النقود مساويا لحجم السلع . ساعد على ذلك عجز في معظم ميزانيات الدول النامية وهو عجز واجهته بالمزيد من طبع البنكنوت وتشغيل آلة النقود .

في نفس الوقت لم يتم تشغيل عجلة الانتاج بنفس السرعة،وعلى العكس فقد أصبح الفساد وقلة الكفاءة عنصرين مؤثرين في الانتاج والأسعار،ولأن الأمر كما قلنا وجهان لعملة واحدة ، ولأن قيمة السلع والخدمات والنقود توضع كلها في سلة واحدة فان اهتزاز القيم قد ترك بصماته الاقتصادية والسياسية والاجتماعية .

عند الغلاء ، يهرب الناس من النقود فهي ليست آمنة ، ويلجأون ، اذا رغبوا في ادخار الى عالم الأشياء الأكثر أمنا في المستقبل ، وبينما يلجأ الناس في الأحوال العادية للادخار ثم الاستثمار المنتج ، يتجهون في وقت التضخم للاستهلاك أو لاكتناز أموالهم في الذهب والأراضي والعقارات والأشياء التي تتزايد قيمتها مع الزمن .

الاستثمار يخسر .. والاستهلاك يتزايد ، لكن الأخطر هو ذلك الخلل الاجتماعي الناتج عن الغلاء .

ماذا يفعل الناس عندما يداهمهم الغلاء ؟

أمام الغلاء لا يستوي الناس ، فالفقراء يقاومون الغلاء بالتنازل عن جزء من حاجياتهم .. أما ذوو الدخل المرتفع ـ وهم من الملاك عادة ـ فهم يستطيعون برفع أسعار ما يقدمون من سلع وخدمات أن يعيدوا تحميل العبء على الآخرين . وبينما تضطر الفئة الأولى الى تخفيض مستوى معيشتها ، تتعاظم أرباح الفئة الثانية لأنها دخلت في دوامة الأسعار المتزايدة .. و .. هكذا تتسع الهوة ولا تضيق ويعاد توزيع الدخل بين أفراد وطبقات المجتمع ، بل ويعاد توزيع الثروة أيضا لأن قيمة الأشياء ـ حتى الراكد منها كالأرض ـ تقفز وقيمة عمل الانسان تتراجع .

والأكثر اثارة ما يقوله الاقتصاديون : اذا جاء التضخم وارتفاع الأسعار فانه يحسن أن تستدين .. ذلك أنك سوف تدفع في المستقبل بنقود أقل قيمة . وربما كانت المقولة على سبيل الدعابة ، لكن الأكيد أنه في ذلك الزمن الذي نحكي عنه يكسب المدين ويخسر الدائن انها لعبة النقود . □□

قصيدة وشاعر

"جوته"

وقصيدة من الديوان الشرقي

ترجمة وتعقيب :

الدكتور عبدالغفار مكاوي

☐ بلغ يوهان فولفجانج فون جوته (١٧٤٠ - ١٨٣٢) من الرفعة وسمو المكانة في الأدب الألماني حدا جعل اسمه يطلق على عصر أدبي بأكمله .

وقد كان لفكره العميق ، وثقافته العالمية الشاملة ، وشعره الرقيق أثر عبر ألمانيا الى جيرانها من الاقطار الاوروبية . وقد شاعت أعماله الخالدة : شيوعا عظيما بين الناس .

أما « الديوان الشرقي » فهو ثمرة لقاء الشاعر بعالم الشرق والاسلام .

ومن هذا الديوان اختار الناقد قصيدة « حنين مبارك » يخصها بنظرة فاحصة وتحليل نقدي .

لا تقل هذا لغير الحكماء
ربما يسخر منك الجهلاء
وأنا أثني على الحي الذي
حن للموت بأحضان اللهيب

***

في ليالي الحب والشوق الرطيب
يصبح الوالد والمولود أنت
يحتوي قلبك إحساس غريب
ومن الشمعة إطراق وصمت

***

تترك السجن الذي عشت به
غارقا في عتمة الليل الكئيب
بنشر الشوق جناحيه الى
وحدة أعلى وإنجاب عجيب

سوف تعروك من السحر ارتعاشة
ثم لا تحفل من بُعد الطريق
وستأتي مثلما رفت فراشة
تعشق النور فتهوي في الحريق

***

وإذا لم تصغ للصوت القديم
داعيا إياك : مت كيما تكون
فستبقى دائماً ضيفا يهيم
في ظلام الأرض كالطيف الحزين

***

هذه القصيدة هي إحدى قصائد « الديوان الشرقي » لشاعر الألمان الأكبر « يوهان فولفجانج جوته ».

من هو جوته ؟

فلنقل باختصار شديد أن « جوته هو أعظم شعراء الألمان ، وأن اسمه يطلق على عصر أدبي بأكمله هو عصر جوته ، وأنه أثر بأدبه وفكره وبحوثه العلمية وثقافته العالمية الشاملة على نهضة الأدب الحديث في بلاده ، وعلى العقل الاوروبي بوجه عام ، حتى لقد أصبح ظاهرة إنسانية فريدة ، ونموذجا لكل حياة جادة ومتجددة بالحكمة والحب والتطلع ، وتحقيق الخلود في كل لحظة من لحظاتها الممتلئة بالعمل والبهجة .

تطور شعره المتميز بالتعبير عن تجربته الحميمة المباشرة ، من القصائد الذكية الأنيقة والمسرحيات الرعوية القصيرة ، التي كتبها في مدينة « ليبزيج » الى التعبير العاطفي الذي يتسم بتأكيد العبقرية الفردية المتطرفة فيما يسمى بمرحلة « العصف والدفع » التي أبدع فيها شعرا عميق الحساسية ، حر الايقاع ، وكتب فيها مسرحياته وروايته المشهورة « آلام فيرتر » ، وانتقل الى المرحلة الكلاسيكية التي تزعم حركتها الداعية الى محاكاة النماذج الاغريقية الراسخة محاكاة خلاقة ، والتمسك بالشكل المتزن والتعبير الذي يتجاوز الوجدان الشخصي أو الفردي ، وفي لغة دقيقة ، متوازنة ، نقية وصحية ، إن جاز هذا الوصف للروح الكلاسيكية في مقابل الروح الرومانتيكية التي وصفها بالمرض . وأبدع في هذه المرحلة عددا من المسرحيات « النفسية » والملاحم الشعبية التي تدور كلها حول العلاقة بين الفرد والمجتمع ، وتقدم صورا مثالية تخلد شخصيات إنسانية رفيعة مثل مسرحيته عن « تاسو » و « أفيجينيه » وملحمته الشعرية « هيرمان ودوروثيا » وروايته « فيلهلم مايستر في سنوات التعلم » .

ثم انتقل الشاعر الى مرحلة الكهولة والشيخوخة ، فتغلغلت عناصر رومانتيكيه الى مؤلفاته المتأخرة ، التي غلبت عليها الحكمة والفكر واللغة البطيئة الساكنة ، وتحولت عن تمجيد التربية الذاتية الى الدعوة للعمل والتأثير النافع في حياة الجماعة ، كما فعل في الجزء الثاني من روايته « فيلهلم مايستر ـ في سنوات التجوال » والقسم الثاني من قصيدته الدرامية « فاوست » الذي أتمه قبل موته بعام واحد ، وروايته « الانساب الممتازة » ، بجانب كتاباته المستفيضة التي سجل فيها ذكريات حياته ، مثل « شعر وحقيقة » وأشعاره التي وصفها بأنها « شذرات من اعتراف كبير » ، ودراساته العلمية المتنوعة في النبات والحيوان والتشريح والمعادن والألوان والبصريات ، وقد حاول فيها جميعا أن يصل بطريقته الشاعرية المتأملة الى القوانين العضوية التي تحكم التطور والتشكل الأبدي الحي . هذا فضلا عن عدد لا يحصى من الأحاديث والرسائل والمقالات والمراجعات والحكم والتأملات والقصص والمسرحيات التي لا يتسع المجال لذكرها .

الديوان الشرقي

أما الديوان الشرقي فقد كان ثمرة لقاء الشاعر بعالم الشرق والاسلام .

ومن هذه القصائد اخترت قصيدة « حنين مبارك » من كتاب « المغني » أول كتب الديوان.تبدأ الأبيات الأولى من القصيدة بما يشبه التحذير للقارىء أو المستمع الذي ينصت لغناء الشاعر :

لا تقل هذا لغير الحكماء
ربما يسخر منك الجهلاء

فالشاعر يوشك أن يكشف لك عن سر لا يريد أن ينكشف وينوي أن يفضي إليك بتجربة حميمة يضن بها على الجهلاء والدهماء ، وليست هذه هي أول مرة يحاول فيها الشاعر أن يبوح بلواعج قلبه وأن يكتمها في وقت واحد . فكذلك كان شأنه في معظم شعره النابع من تجربة باطنة ، يعبر عنها تعبيرا يسترها ويخفيها .

لنستمع الى هذه الأبيات التي وردت في القسم الأول من :

ـ حنين مبارك ـ

من « فاوست » ، حيث يقول فاوست في حواره مع تلميذه « فاجنر » الذي يؤكد أن كل الناس تود أن تعرف العالم وتعرف قلب الانسان وروحه :

فاوست : نعم ما يسميه الناس معرفة ومن ذا الذي يحق له أن يسمي الطفل بأسمه ؟

إن القلة التي عرفت عنه وبلغ بها الحمق ألاّ تصون قلوبها التي امتلأت به ، فراحت تكشف للعامة عن عواطفها ورؤاها ، قد جوزيت من قديم الزمان بالصلب والاحراق .

أرجوك ياصديقي ، لقد توغل الليل ولابد أن نقطع الحديث . .

غير أن « المغني » في قصيدتنا السابقة لا يقطع الحديث ، بل يواصل الكشف لغير الحكماء . ومهما عذبه هذا السر وأوشك أن يخرس لسانه ، فهو المغني الذي لابد أن ينشد ، وهو الشاعر الذي لا يملك إلا أن يعبر عن سره المكنون .

لكن ما هو هذا السر ؟

وإذا كان هو الحب ـ الذي يسري عبيره في كل قصائد الديوان ـ فأي نوع من الحب هو ؟ أهو الحب الالهي الذي يرتفع بالانسان الى اعتاب الألوهية ؟ أم هو العشق البشري الذي يشده الى مباهج الحس ولذات الجسد ؟ أم هو في النهاية حب يتشابك فيه الحنين الورع المبارك الى الألوهية والشوق الملتهب الجارف للمحبوب البشري ؟

يصعب الجواب على هذه الاسئلة . فالقصيدة من أصعب قصائد « جوته » ، بل لعلها أن تكون في رأي بعض نقاده (مثل بورداخ) أصعب قصائده على الاطلاق . إن أبياتها الاولى تدل كما سبق القول على أن الشاعر يريد أن يطلعنا على سر يضن به على الجهلاء ، ولا نكاد نمضي في قراءة الأبيات التالية حتى نحس أنه سر صوفي فيه روح التصوف الشرقي :

وأنا أثني على الحي الذي
حنّ للموت بأحضان اللهب

هذا الحي الذي يحن للموت في أحضان اللهيب ، من عساه يكون غير الفراشة التي تجذبها النار فتحترق فيها ؟ ومن عساها تكون هذه الفراشة إن لم تكن هي النفس التي تحترق بالحب ، ولابد أن تحترق إذا كان حبها عميقا وصادقا ؟ .

جوته والتصوف الشرقي

أخذ « جوته » اذن هذه الصورة المعروفة عن التصوف الشرقي . فالحب من ناحية هو اللهب الذي يحرق شمعة وجودنا الارضي والجسدي ويصهرها ويطهرها ، والنفس أو الروح من ناحية أخرى هي التي تندفع الى هذا الحريق وتفنى فيه . والقصيدة تعبر عن جانبي الصورة ، وإن كان تعبيرها عن الجانب الأخير أقوى وأوضح . وليس يكفي أن نقول إنه استوحاها من التصوف الشرقي ، إذ أثبت الباحثون أنه استقاها من إحدى قصائد ديوان حافظ الشيرازي التي قرأها في ترجمة المستشرق النمساوي « فون هامره ـ بورجشتال » .

يؤكد المستشرق هذا أن « جوته » نفسه قد دون بخط يده هذه الكلمات فوق أبيات قصيدته « كتاب الصاد ، الغزلية الاولى » مشيرا بذلك الى إحدى قصائد الشاعر الفارسي التي وردت في ديوانه في كتاب الصاد . كما يؤكد أيضا أنه كتب لها بخط يده هذا العنوان الذي لا يخلو من دلالة دينية عميقة : « تضحية الذات ، إكتمال » وذلك على أثر إنتهائه من تدوينها في اليوم الأخير من شهر يوليو سنة ١٨١٤ ، وكأنما كان يريد معارضة قصيدة حافظ توأم روحه الشرقي ، أو يثبت على الأقل تأثره البالغ بها . .

بيد أن الفكرة التي تعبر عنها صورة الفراشة التي تحن للاحتراق في اللهب ، ليست صورة شرقية ، ولا ترجع للشاعر الفارسي وحده ، فهي صورة غربية أيضا ، تعبر بالقدر نفسه عن شاعر غربي يؤكد ارتباطه العميق بتوأم روحه الشرقي . والأهم من هذا كله أنها تعبر عن جوهر الحب الحقيقي ، الذي يعلو بالانسان فوق ذاته . فنحن لا نحب إلا من يرتفع فوقنا ويسمو وجوده على وجودنا ، ولهذا نضحي بأنفسنا في الحب ونسعى الى الفناء في المحبوب ، وسواء أكان هذا الحب تعبيرا عن شوقنا للاتحاد بمن نحب ، أو بالأحرى للعودة للاتحاد بالنصف الآخر من نفسنا الذي انفصل عنا بعد أن كان في الاصل وقبل المولد متحدا بنا ، كما قال أفلاطون قديما ، أو كان الحب ـ وكما يقول فيلسوف حديث مثل اسبينوزا في كتابه الأخلاق ـ هو الفرح الذي ينفعل به المحب نحو علة خارجية هي المحبوب ، بحيث يزيد هذا الفرح من فاعليته ونشاطه وقوة استمراره في الوجود ، وهو في كل الأحوال ارتفاع فوق الذات ، وفناء في ذات المحبوب ، وتضحية بالنفس وتخل عنها ، من أجل الاتحاد بمن نحب . والعجيب في أمر الحب أننا نقوم بهذه التضحية عن رضا وطيب خاطر ، بل نشعر معها بالفرح واللذة التي يصعب التعبير عنها . وربما كان السبب في هذا أن الحب الصادق مثالي بطبيعته ، وأنه أبعد ما يكون عن الرغبة في الاستمرار في الوجود ، وغريزة المحافظة على الحياة التي تميز كل الكائنات ، ولهذا كان الحب الحقيقي ارتفاعا فوق النفس ونحو المحبوب الذي يسمو علينا ، وكانت أسمى صوره هي الارتفاع نحو أسمى الموجودات ومحاولة الاتحاد به .

ومن هنا نشعر بأن « الموت بأحضان اللهيب » الذي

يذكره البيت الرابع من المقطوعة الأولى للقصيدة هو في الحقيقة موت روحي ، وهو اتحاد باطني بالموجود الأسمى الذي تشتاق الى الاتحاد به ، ونحس معه أو تجاهه أن وجودنا الأرضي والجسدي وجود زائل ، ولهذا كان الاحتراق في هذا اللهيب مختلفا كل الاختلاف عن نوع آخر من الاحتراق يدمر عشاق الجسد الذين يتلظون بنيران الشهوات والأهواء ، ويسقطون في أتون الحس ليفنوا فيه . ففراشة الروح تحن الى اللهيب أو النور الأعلى وتفني فيه ، ولكنه فناء آخر ينطوي على ميلادها ويؤدي الى بعثها من جديد . ومن هنا نفهم الأبيات الأخيرة كما نفهم العنوان الذي وضعه « جوته » للقصيدة كلها .

إنه « الحنين المبارك » . والمعنى الديني العميق في هذه الكلمة الأخيرة غير خاف .

الحب البشري والحب الالهي

ونمضي في قراءة القصيدة فنحس إحساسا غامضا بان الشاعر لا يستهين بمستوى الحب البشري الذي ذكرناه الآن ، ولا يقلل أبدا من شأنه ، بل لعله يريد أن يمثل به للحب الالهي الأسمى ، ويجعله طريقا اليه ومعبرا ضروريا للوصول الى قمته واستكناه سره .

في ليالي الحب والشوق الرطيب
يصبح الوالد والمولود أنت
يحتوي قلبك احساس غريب
ومن الشمعة إطراق وصمت

***

تترك السجن الذي عشت به
غارقا في عتمة الليل الكئيب
ينشر الشوق جناحيه الى
وحدة أعلى وانجاب عجيب

ونحن لا نكاد نسمع هذه الأبيات حتى نحس شيئا من الارتباك . ونشعر كأن القصيدة قد تخلت عن الفكرة الاصلية البسيطة التي أشرنا اليها ، بل ربما شعرنا بأنها قد تخلت عنا وخيبت آمالنا .

ماذا يريد الشاعر بهاتين المقطوعتين الاخيرتين ؟ وكيف نفهم صفة « الرطيب - أو الترطيب في ترجمتها الدقيقة - في ليالي الحب والشوق ؟ ألا يُتوقع أن نسمع منه كلمة أخرى أنسب لليالي الحب والشوق والعشق مثل كلمة التوهج أو الاشتعال ؟ ولكننا نخطىء معنى القصيدة وهدفها لو اتجه تفكيرنا في هذا الاتجاه .

فالشاعر والقصيدة قد تركا التوهج الجسدي والاشتعال الحسي وراءهما ، وثبتا بصرهما على الترطيب » أو البرودة والانطفاء الذي لابد أن يعقب كل حب متوهج مشتعل . والمعنى العميق الذي توحي به القصيدة العميقة هو أن الحب لا يقف عند التوهج الحسي ، وأن التوهج الحسي لا يبلغ أعماق الحب الحقيقي .. وكلما سما الحب وارتفع ، ازدادت خيبة أمل المحب في كل ما يمت بسبب للأرض ، وازداد كذلك إحساسه باليأس من تطرف الجسد واشتعاله بالشهوات والنزوات .

فكأن الشاعر يقصد بالترطيب شيئا قريبا من البرودة والجمود ، والخجل ، شيئا يشبه الاحساس بالغربة أو الاغتراب عند المقارنة بين الحب الجسدي والحب الالهي ، بين الحب الأرضي والحب السماوي . ومع ذلك فان الشاعر الذي أحس بعجز الحب البشري ، قد اعترف بالحدود البشرية التي لا مفر من المرور بها قبل تجاوزها الى مستوى أعلى ، وصورة أسمى من صور الحب والوجود . لقد سبق له في قصيدة مشهورة من قصائده التي كتبها في سنوات شبابه ورجولته «وهي قصيدة « حدود البشرية » ، أن نصح الانسان بالتزام هذه الحدود حتى لا يتأرجح في الفراغ ، وينجذب الى الموجات التي تشد أجيال البشر وتبتلعهم :

لانه لا يحق لانسان
أن يعيش نفسه بالاله
انه اذا ارتفع بنفسه
ولمس النجوم بهامته
لا يَثْبُت كعباه المرتعشان
في أي مكان
بل تعبث به
السحب والرياح

***

حكمة السنين

ولكن الشاعر الان شيخ حكيم قد جاوز الستين من عمره ، ومهما عبثت به سحب الحب ورياحه ، وحاولت أن تجدد شجرة عمره التي أوشكت على الذبول ، فهو لا

ينصح الانسان بالاستقرار فوق الأرض الصلبة، وإنما يغريه بالعلو عليها والصعود الى أعتاب الألوهية. وهاهو الاحساس الغريب يستولي على الانسان بعد أن تخمد بركان الحب وتبرد حمى الشهوة، ويلتفت الى شمعة جسده فيجدها مطرقة صامتة.. ويتملكه احساس آخر بضرورة التحليق الى درجة أرقى من درجات الحب والحياة، والخروج من سجن الظلام الارضي الذي لفه في عتمة الليل الكئيب ـ وترفرف فراشة الروح لتغادر سجن الأرض والجسد والمادة.. ولكن الى أين؟:

ينشر الشوق جناحيه الى
وحدة أعلى وانجاب عجيب

الى حب من نوع آخر، الى «انجاب» يختلف عن ذلك الذي استغرق كيانه الجسدي في حياته على الأرض، الى اتحاد أسمى بالمحبوب الاسمى وهو الله. في هذا الاتحاد الذي طالما وصف لنا متصوفو الشرق وشعراؤه تختلف درجاته ومقاماته وأحواله، تحترق فراشة الروح في اللهب الاكرم والأصفى، تتعذب وتتطهر وتغني، وفي هذا الفناء تلمس حقيقتها وتجد ذاتها وتولد ولادة جديدة.. هذا الحنين المبارك ـ بالمعنى الديني المألوف في لغة «جوته» ولغة عصره ليس مجرد حنين فطرت عليه نفس الانسان، وإنما هو في الحقيقة واجب يُطالب به اذا شاء أن يكون انسانا بحق.

واذا أهمل تحقيق هذا الواجب أو تقاعس عن الوفاء بهذا المطلب فلن يعدو أن يكون ضيفا نكدا يحيا حياة الأطياف العابرة على الأرض الملتفة في الظلام، واذا لم يشعر بهذا الحنين المبارك الى «الموت في اللهب» فلن يستطيع الارتفاع فوق الأرض وأحزانها العكرة الى دائرة الأبدية: ولهذا يدعوه الشاعر في المقطع الأخير هذه الدعوة القديمة المخيفة في آن واحد: «مت وكن» فهل يريد منه أن يميت جسده بالزهد والتقشف كما أراد له سقراط وكل المتصوفة في الشرق والغرب؟ هل يكون الموت الجسدي هو الشرط الذي لا غنى عنه لكي تتحرر فراشة الروح وتنطلق للاحتراق في لهب الحب الحقيقي، لهب الحب الالهي؟ إن القصيدة لا تصرح بهذا، بل تتركه للقارىء أو السامع ليستوحي ما يشاء من سحر معانيه وأسراره المتعددة:

واذا لم تصغ للصوت القديم
داعيا إياك: مت كيما تكون
فستبقى دائما ضيفا يهيم
في ظلام الأرض كالطيف الحزين

الموت والكينونة

ومن الصعب أن نفهم معنى واحدا من هذا الأمر الرهيب: مت وكن: فالموت هنا لا يمكن أن يكون هو موت الجسد أو إماتته بالزهد والتقشف والحرمان، لأن شاعرنا ليس واعظا ولا ناسكا متصوفا، مهما كان من تغلغل الروح الصوفية أو الدينية في شعره المتأخر. لقد ظل حتى النهاية عاشق الحياة الذي يؤكدها ويحترمها حتى وهو يأمر الانسان بأن يموت ليحياها..

إنه يبارك الحياة التي تقوى على السمو فوق حدودها الأرضية، وتملك شجاعة الموت المتجدد، أو التحول المستمر في كل لحظة من لحظاتها لكي ترتفع الى حياة أبدية أعلى. والدعوة الى الموت هي نفسها الدعوة الى «الموت في اللهب»، أي الى الاحتراق بنار الحب الأبدي والتطهر بنوره، ولهذا فإن «مت وكن» تعني: تحول أيها الانسان وجدد حياتك وشبابك في أشكال لا تنتهي ـ وقد فعل جوته ذلك بنفسه عندما جدد شيخوخته بالحب وانتقل الى عالم الشرق والاسلام، وتقمص روحه وتنسم عبيره ـ وأهم منها أن يجدد الانسان حياته الأرضية والجسدية المحدودة، بالايمان بحياة الهية يسمو اليها، ويحن حنين الفراشة الى الفناء في نورها، وعلى الانسان أن يحاول هذه المحاولة الدائبة في حياته الأرضية، وأن يحقق الأبدية في كل لحظة يعيشها على الأرض الحزينة المظلمة.

عندئذ يتحقق ما تقوله الأبيات الأخيرة في قصيدة «العالي والأعلى» من كتاب الخلد أو كتاب الفردوس وهو آخر كتب الديوان الشرقي:

حتى نسبح ونرف ونمحى
في رؤيا الحب الأبدي الأسمى

وعندئذ يطمع الانسان للخلود، ويهيم ويأمل الشاعر كما تأمل كلماته، أن تطرق بأناملها الرقيقة أبواب الفردوس وتحظى مثله بنعيم الخالدين المخلدين:

إن كلمات الشاعر (المسكين)
ترف حول أبواب الفردوس
وتطرقها دائما بصوت مهموس
وهي تتوسل حياة الخالدين □□

رحلة طبية

هل يكون الطب بالإكراه ؟

وقفة .. عند الأربعين .

بقلم : الدكتور غسان حتاحت

ما أكثر المواقف الانسانية التي يتعرض لها الأطباء . . وفي جعبة كل طبيب يوجد الكثير من الحكايات والمشاهدات التي تحتاج الى وقفات . . وتلك مواقف ثلاثة . . من جعبة طبيب . . .

خلال العصور الماضية وحتى الآن ، منذ أن كان هناك طب وأطباء، والأطباء يقدمون الطب والعلاج لمن أراده وطلبه . وفي حين كان بعض المرضى يسعون وراء العلاج ، باذلين الجهد والمال ، قاطعين المسافات الشاسعة قاصدين الأطباء النطاسيين . كان بعضهم الآخر يأبى العلاج كليا أو جزئيا ، لسبب أو لآخر . في جميع الحالات لم يكن الأطباء يلجأون الى القوة في تقديم علاجهم ، أو اجبار المريض على تعاطيه ، فلا يمكن أن نتصور طبيبا يجمع بين الدواء والاكراه . خاصة وأن الطب يتطور بسرعة هائلة ، وباستمرار ، وما هو من مسلماته اليوم قد يصبح أمرا لاغيا غدا .

وخاصة أن نظريات العلاج متعددة ، ومدارس الطب مختلفة ، واتجاهاته متباينة . لذلك كان من غير المعقول أن يجبر المريض على اتباع خطة علاجية ، لا يرغب فيها ، ولايثق بالطبيب الذي وصفها ، ولا يقبل بها عن طيب خاطر ، ولكن مهلا فهنالك حالات تطالعنا بها المجلات الطبية والقانونية ، وحتى المجلات الثقافية العامة بين آونة وأخرى ، ومن ذلك مثلا حالات علاج الأطفال من أمراض يائسة أو من السرطان . واضرب على ذلك مثلا ، حادثة اثارت الرأي العام في أمريكا منذ سنوات . عن طفل مصاب بسرطان وخيم ، قاسى وأمه من كثرة زيارات المستشفى ، ومن تناوله أدوية السرطان ذات السمية والعوارض الجانبية المزعجة ، والتي كثيرا ما تتسبب في تساقط الشعر ، وحصول الغثيان والقيء والصداع ، وانتفاخ الوجه « كالبالون » . اضافة الى أن طرق اعطاء العلاج بحد ذاتها مؤلمة مزعجة ، من تعريض الطفل للأشعة وحقنه ببعض المواد داخل سيساء العمود الفقري ، والاستحصال على خزعات من مناطق مختلفة من الجسم ، ومن نقل الدم ومكوناته بصورة متكررة مؤلمة .

فكان أن امتنعت الأم عن الاستمرار بالعلاج ، وهربت بابنها خارج الولايات المتحدة شفقة عليه ورحمة به ، حيث أخذت تعالجه

بأدوية بسيطة لم تقرها ادارة الأغذية والأدوية في أميركا ولم يتقبلها الوسط الطبي بقبول حسن ، وان كان بعضهم يزعم أنها ذات فائدة في علاج بعض حالات السرطان .

وكان أن أثار رفض الأم للعلاج التقليدي احتجاج ادارة المستشفى والأطباء المعالجين ، واعتبروا ايقاف هذا العلاج اساءة عظيمة للطفل ، ولجأوا الى القضاء يطالبون باعادة الطفل لتلقي برنامج العلاج السابق ، بل ورفع يد الأم عن الوصاية على ابنها ، علماً بأنه لا أمل في شفاء الطفل شفاء تاماً ، وغاية العلاج - في أحسن الظروف - هي تخفيف الأعراض واطالة أمد الحياة

وانقسم الرأي العام قسمين : قسم يؤيد الأطباء والمستشفى . وآخر يقف مع الأم المسكينة ، وهي تسعى الى ما تعتقد أن فيه مصلحة ابنها ، أصابت غايتها أم أخطأتها .

ورغم أنه يتوقع مني كطبيب أن أقف جانب الأطباء الا أنني لم أملك في هذه الحالة الا أن أتصور نفسي مكان هذه الأم ، وأشعر بقسوة المستشفى وأطبائها ، وضرورة ضمان حرية هذه الأم في اختيار علاج ابنها ، فهو بضعة منها ، وهي - بعواطفها الصادقة المخلصة - أقدر على الوصول الى قرار حكيم من أولئك الذين يصدرون قراراتهم دونما عاطفة . واستناداً الى قواعد جامدة تسيء الى العلاقة بين البيت والمريض . ولعل أشد ما أثارني هو لجوء المستشفى وأطبائها الى القضاء ، وهم في بلد يضج أطباؤه من كثرة دعاوي سوء الممارسة الطبية ، التي يثيرها عليهم كل من هب ودب بوجه حق حيناً وبدون وجه حق غالباً . مما أدى الى حصول سوء ممارسة فعلية ، بحيث أصبح الأطباء يترددون في استعمال بعض العلاجات ، أووصف بعض الأدوية ، ويمتنعون عن اجراء عمليات جراحية ضرورية ، ويفرطون في اجراء الفحوص الشعاعية والمخبرية ، مع ما في ذلك من ضرر بالمريض ،

وذلك كي لايتركوا ثغرة تثار عليهم من خلالها دعاوي قضائية ، يتهمون فيها بالاهمال وسوء الممارسة الطبية .

ان الطب بالاكراه ، والخوف من الاتهام بسوء الممارسة الطبية . واللجوء الى القضاء من قبل المريض أو الطبيب . يخلان بالثقة الواجب توفرها في الطبيب . ويسيئان الى العلاقة بين المريض وطبيبه ، ويخلقان بالتالي جوا غير صحي في الميدان الطبي . فتصبح العلاقة بين المريض والطبيب أشبه بمعركة يحاول فيها كل من « الخصمين » تفادي الآخر . وتغدو الممارسة الطبية مشوهة بشعة .

انه لاينبغي البتة أن يكون هنالك طب بالاكراه . فالمريض حر ـ له مطلق الحرية ـ في أن يتناول علاجه أو يمتنع عنه ويبقى المريض وأهله أولى بأنفسهم من سواهم . خاصة في الحالات التي تحتاج الى علاجات غير مضمونة ، أو ذات حدين ، أو حديثة غير مجربة جيدا ، بحيث قد يصبح ما نقبله اليوم منها أمرا مرفوضا غدا .

ما أدرانا بعذاب الأم في الحالة الآنفة ، وهي ترى ابنها يقاسي هول مرضه ، ويكابد ألمه وشقاءه ، ويعيش يوما بيوم في دوامة من العذاب والقلق ، وما أدرانا بقسوة الألم عندما يمتزج مع اليأس ، فكيف ننصب أنفسنا حكاما وقضاة ومنفذين ونحن نجهل أهم ظروف القضية ؟ .

ان الطب لا يستقيم الا بالاختيار والاقتناع والثقة . ومهمة الطبيب هي وصف الدواء لا ضمان الشفاء . وبذل عناية لا تحقيق غاية . أما اجبار المريض أو اكراهه بأي شكل من الأشكال أو صورة من الصور فما هو الا تشويه ـ وأي تشويه ـ لرسالة الطبيب الانسانية السامية المقدسة . فالطب ـ كالحب ـ لا يكون بالاكراه أبدا .

حتى يقف الطفل المعوق ويمشي

ان أنس لا أنسى امرأة زنجية مطلقة ، في حوالي الخمسين من العمر ، كان لديها طفلة تجاوزت التاسعة ، مصابة بمرض يجعلها شديدة التخلف ، في جميع نواحي النمو الجسمي والعقلي .

والأطفال المصابون بهذا المرض يموتون عادة حوالي السنة الرابعة أو ما قبلها . ومع ذلك فقد عاشت تلك الطفلة حتى بلغت هذه السن ، بفضل عناية والدتها التي تجاوزت كل حد ، رغم فقرها وبؤسها الشديدين ، وبفضل ما قدمه المجتمع من رعاية صحية واجتماعية .

وأذكر مرة أن أحد طلاب الطب اقترح على هذه الأم شفقة منه عليها ورغبة في مساعدتها ـ أن تضع طفلتها في مأوى للمتخلفين ، فما كان من الأم الا أن ثارت ثورة عارمة ، وكادت تبطش بطالب الطب المسكين . ولعله كان مستحقا لذلك ، فلقد جهل كما يجهل الكثيرون ـ أشخاصا عاديين وأطباء ـ أن تعلق الأهل بطفلهم المعوق قد يكون ـ بل هو ـ أشد قوة من تعلقهم بالطفل السليم .

ولقد لمست خلال ممارستي الطبية لسنوات وسنوات ـ مدى تعلق الأهل بطفلهم المتخلف أو المعوق ، حتى أن بعضهم باعوا أثمن ممتلكاتهم ليصرفوه على علاج أطفالهم ، رغم ضعف الأمل بالشفاء أو انعدامه البتة ، ورغم معرفتهم بذلك .

واذكر آباء وامهات لأطفال معوقين غيروا أعمالهم ومهنهم . وانتقلوا من مدينة لأخرى ، وما ذلك الا لأن المكان الجديد يوفر مجالا أوسع للعناية بالطفل المعوق .

مثل هذه العواطف الجياشة ، يقف الطب والمجتمع ـ مهما جهدا ـ قاصرين تجاهها ، فهذه الحالات والعناية بالمصابين بها ، عبء ثقيل لايقع على كاهل الأهل وحدهم ، بل يجب أن يشاركهم المجتمع فيه .

ان النظرة الخاطئة نحو المعوقين والمتخلفين يجب أن تتغير ، والاعتقاد بأن الموت خير لهم من الحياة أمر مرفوض ، ولا يقبله أهل المصابين

وهذه الحالات يمكن أن تصيب أطفال أي فرد في المجتمع ، فلا توجد ثمة مناعة تحول دون حدوثها ، ولا يوجد فوق رأس أي انسان خيمة تحميه منها . لكن معرفة المرء أنه اذا ابتلي بمثل هذه الحالات ، فسوف يجد قلوبا رحيمة تتفهم مشكلته ، وأيادي قوية تهتم به وتساعده ، والتزاما مخلصا بعناية صادقة ، ان هذه المعرفة تخفف الى حد كبير من وقع المصيبة اذا وقعت .

وعندما يقوم الطفل المعوق أو المتخلف ، يحاول الوقوف وقفة متعثرة ، ويبدأ بالسير سيرا غير متزن ، ويجد أنه لا يقف وحده ولا يسير وحده ، بل الأيدي الكثيرة تمتد لتساعده ، والقلوب الرحيمة تتفتح لتفهمه ، فان خطواته تصبح أكثر قوة ، وسيرة يغدو أشد ثباتا .

ان كل مجتمع يعتني بالمعوقين ويبذل جهده في سبيلهم هو مجتمع عظيم ، ذلك أنه يكون متحابا متعاونا . فكل طفل في المجتمع هو جزء منه ، وقيمة المجتمع بقيمة أجزائه ، ان غلت غلا ، وان رخصت رخص .

وفي بلادنا ، وفي الوقت الحاضر ، نجد أننا أحوج ما نكون الى مثل هذه الأمور . وما هي بالجديدة علينا ، فقد كانت البيمارستانات المتخصصة تملأ بلاد حضارتنا العريقة ، يوم كانت حضارتنا تملأ أقطار الدنيا . وفي الوقت الذي كان فيه المجذومون في أوروبا منبوذين ، يضعون الأجراس في رقابهم ، ويتيهون في المناطق البعيدة عن السكان ، وكأن الشياطين قد ركبتهم ، كان أمثال هؤلاء المرضى في بلادنا يعالجون كمرضى ، في أهم مراكز حضارتنا العظيمة في دمشق وبغداد والقاهرة . . . وفي أقصى المغرب وأقصى المشرق . وان تذكر هذه الأمور ليملأنا فخرا وأسى في آن واحد .

واني أسأل نفسي وأسأل القراء ، ماذا ينقصنا نحن هنا في بلادنا العربية كي نعتني بالمعوقين والمتخلفين وتنشيء المعاهد والجمعيات ؟ هل تنقصنا القوة البشرية أم الاخلاص في العمل ، أم الهمة والالتزام ، أم الاخلاق والمشاركة الوجدانية ، أم المال ؟ . ان ذلك كله متوفر وبكثرة . وفي شتى مناطق وطننا العربي الواسع . خاصة وأننا ورثة حضارة عريقة عظيمة .

وقفه عند الاربعين

الحياة مراحل متتابعة ، تتواصل ، حتى لنحسبها واحدة ، وتتمايز ، حتى لتبدو وكأن أسوارا هائلة تفصل بينها . ولقد درس المؤلفون منذ القديم مراحل الطفولة ، وقسموها الى فترات متتالية ، لكل منها صفاتها وخصائصها . ثم أخذوا يتوسعون في تمييز المراحل التالية من الحياة . ورغم ظهور بعض الاختلافات في هذا التقسيم من حيث العدد والحدود . فثمة اجماع على وجود ثلاث نقاط أساسية في هذه الحياة ، النقطة الأولى هي ساعة الولادة . والنقطة الأخيرة هي لحظة الوفاة ، وبينهما مرحلة فاصلة حساسة هي سن الأربعين .

ويكفي أن القرآن الكريم قد خص هذه السن بالذكر وحدها من كل السنين . وما ذلك إلا لأهميتها وكونها من أهم مراحل الحياة . فورد قوله تعالى : « حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة » .

ففي هذه السن يكتمل نضج المرء جسما وعقلا . وفي هذه السن يقف المرء وقفة حاسمة ، ينظر فيها الى الماضي نظرة حنين ، والى الحاضر نظرة تقييم ودراسة ، والى المستقبل نظرة رجاء وحيرة . وفي هذه السن بالذات ـ وبالخاصة ـ يصطدم الأمل بالواقع . فترتطم آمال الطفولة الخيالية وأحلام الشباب الطموحة بصخرة الواقع القاسية . فيفكر المرء بأسى فيما أنجز مما ظن أنه سينجزه ، وفيما وصل اليه مما أمل أن يصل اليه . تغلف ذلك كله حسرة على ما مضى من عمر . فالعمر ثروة لا تعوض ، والوقت من ذهب ، وهو كالسيف يقطعنا شئنا أم أبينا ، قطعناه أم لم نقطعه ، وينظر المرء الى وجهه وقد بدأت بوادر التجاعيد تأخذ طريقها اليه ،

والى شعره وقد خطه الشيب ، ويفكر في أمور كثيرة كانت في الماضي قضايا مسلما بها ، وأصبحت الآن عبئا ثقيلا . فلا القوة هي القوة ولا الهمة هي الهمة ، ولا البصر هو البصر ، وعلى هذا فقس . ففي الماضي لم يكن الجهد البسيط يسبب تعباً ، ولا الطعام الثقيل يسبب تخمة ، ان مرت الأمراض مرت عابرة سريعة ، وان حصل فشل غلبه أمل ، أمل الشباب الواقعي البعيد عن خيالات الطفولة غير المقبولة ، وعن آمال الشيخوخة المستحيلة ، وكذا المرء يبدأ بآمال خيالية ، وينتهي بآمال خيالية ، كلما كبر كبرت معه خصلتان : الحرص وطول الأمل .

وتأتي الأربعون ، فيقف المرء ، يواجه نفسه : ما ضيه وحاضره ومستقبله ، مواجهة لا يصارح بها أحدا - حتى أقرب المقربين اليه - ويصدر حكمه القطعي . .

قد لا يرضى عن انجازاته أو مهنته ، فيحاول اصلاح مافات ولات ساعة اصلاح . فمن الناس من يفكر في هذه السن في تغيير مسار حياته كلها ، في تغيير عمله أو سكنه ، أو حتى زوجته . منهم من يهاجر من بلده ومنهم من يهجر بيته ، فكم من حياة كانت مستقرة قبل هذه السن تضعضعت اثرها ، وكم من شخص غير اتجاه حياته كلها ، ليس بالضرورة نحو الأفضل . وكم من انسان كان مستقرا عاطفيا وماليا انحرف في هذه السن .

ولئن كان ابن العشرين مشارك المجانين كما يقولون . فان لطيش الأربعين نزوة ، وان لسن الأربعين رهبه . ولو كان لي أن أشبه شعور المرء في هذه الفترة الحرجة من العمر ، لشبهته بشعور بخيل صرف الجزء الأكبر من ثروته ، وبقي لديه النزر اليسير المحدود الذي لا يمكن أن يزيد . فلا تسل عن حرصه عليه ، وشحه به ، وحيرته ازاء المستقبل .

في مواجهة ذلك كله تهيمن النظرة الواقعية العاقلة ، فما حققه المرء من انجاز في الماضي لا ينبغي أن يقاس بمقياس واحد ، بل ثمة معايير كثيرة . فليس فاشلا من لم يحقق كل خيالات الطفولة وطموحات الشباب ، من جاه أو مال أو تغيير في العالم المحيط به ، أو اصلاح ما يظن أنه خطأ أو انحراف ، فالدنيا هكذا كانت من قبل وهكذا ستكون من بعد . وان كل من يعمل بأمانة واخلاص في مجاله المحدود وفي عالمه الصغير هو انسان أنجز عظيما من الأمور . وان المريض المشلول عندما يمشي خطوات الى الأمام ، يكون قد أنجز نجاحا يفوق في مجاله فوز عداء في سباق مسافات طويلة ، فالانجاز هو بالنوع لا بالكم . وما يقرر أهمية هذا الانجاز ، هو شعور المرء الذاتي به . خاصة وأن مشاعر الناس تجاه هذه الأمور مختلفة متباينة . ففوز عازف موسيقا مثلا بجائزة دولية ، قد يراه كثيرون أمرا عظيما ، ويراه آخرون على جانب كبير من التفاهة . وكذلك الأمر في رياضي حاز جائزة القفز العالي أو بطولة الملاكمة . فكل واحد من هؤلاء قضى القسم الأكبر من حياته في التدريب والتمرين ، بحيث يعتبر هو أن انجازه يمثل قمة القمم ، بينما قد لا يراه سواه الا اضاعة وقت وجهد . وليست هذه الأمثلة انتقاصا من هذه الأمور ، ولكنها أمثلة تذكر ، وسواها كثير ، في كل مجال من مجالات الحياة المتعددة . من ذلك نستنتج أن لكل امرىء انجازه ، كما أن كل فتاة بأبيها معجبة .

ان على المرء وقد تجاوز الأربعين ان يستفيد من دروس الماضي . وأن يستمر بهدوء وحزم . فقد بلغ مرحلة من النضج العقلي والمادي والنفسي . وابتعدت عنه الشهوات - ولو جزئيا - وغدت طاقاته أكبر منها في الماضي . ويجب أن يستغلها بصورة واقعية بناءة .

ولن أطيل هذه الوقفة عند الأربعين . فالزمن لا يتوقف ، والعمر يمضي سريعا ، وكما قال طرفة بن العبد .

أرى العيش كنزا ناقصا كل ليلة
وما تنقص الأيام والدهر ينفد □□

البيولوجيا الاشعاعية وخطر الاشعاع

بقلم : الدكتور عدنان الظاهر

☐ لم يعد خطر الاشعاعات النووية وسواها على صحة الانسان خافيا على أحد . ولكن قلة من الناس من يعرف على وجه الدقة لماذا يتضرر الانسان ويموت نتيجة لتعرضه لهذا النوع أو ذاك من الاشعاع . . .

لم تعرف التأثيرات البايولوجية للاشعة المؤينة الا بعد اكتشاف الاشعة السينية فلقد حصلت عدة حوادث خطيرة كنتيجة لاستخدام هذه الاشعة قبل الفهم الصحيح لمخاطرها على صحة الانسان وحياته . الامر الذي أدى الى وضع لوائح وقواعد لضبط صورة التعامل مع الاشعاعات المؤينة من قبل كل من يهمه الامر من علماء ومهندسين وطلاب أبحاث وعمال . فحتى عام ١٩٢٢ توفي حوالي مائة شخص من بين هؤلاء العاملين في هذا الحقل من غير مرض أساسا ، بل نتيجة لضرر الاشعاع البايولوجي . ولعل أشهر حادث في هذا الصدد هو ما جرى لعمال صناعة الساعات ذوات العقارب والارقام المضيئة . فلقد دأبوا على جعل أطراف فرشاة الطلاء دقيقة بترطيبها بأفواههم . ولما كان هذا الطلاء حاويا في تركيبة على عنصر الراديوم المشع ، فلقد أخذ هذا العنصر بالتراكم في أجسادهم مع مر الزمن مما أدى الى زيادة الاصابة بمرض السرطان .

يمثل الاشعاع بصورة دائمة خطرا أكيدا على

الأنظمة البايولوجية . وهذا الخطر يتناسب اطرادا مع مقدار جهل العامل في حقول الاشعاع بطبيعة هذه الاشعاعات وكيفية تداولها واتقاء المخاطر الناجمة عنها . فيمكن اختزال الخطر الى حدوده الدنيا المقبولة بالتحفظات المناسبة ومراعاة قواعد وأساليب السلامة كما هو الامر - وبشكل ما - بالنسبة لاستخدام أغلب المواد الكيماوية في أي مختبر كيمياوي . فطالما أن الكشف عن النشاط الاشعاعي ، مهما صغر ، أصبح الآن ميسورا ، فان الخطر المتوقع من الاشعاعات لم يعد بالمشكلة المستعصية في الوقت الحاضر ، خاصة بالنسبة للمختبرات التي تتعامل مع مواد كيمياوية مشعة ، جرى تصحيحها بشكل ملائم وروعيت فيها مقاييس السلامة والأمان .

التأثيرات الجزئية البايولوجية

بصرف النظر عن نوع الاشعاع . وجد أن طاقة هذا الاشعاع اللازمة لاحداث تغيرات بايولوجية هي في الواقع قليلة . فعلى سبيل المثال ان كمية الاشعاع الكافية لقتل الثدييات لا تسبب الا ارتفاعا طفيفا في درجة حرارة أجسامها لا يتجاوز ١ ٠ ر ٠ درجة مئوية (واحد في المائة فقط) . ومن الجدير بالذكر أن هذا الارتفاع في درجة الحرارة ناتج عن تحول طاقة الاشعاع الى طاقة حرارية وأنه أحد أعراض المرض المسمى بالمرض الاشعاعي وليس سببا له . كما أن طاقة الاشعاع هذه تنتشر خلال مرورها بالاعضاء الحية بنفس الطريقة التي تنتشر بها في أية مادة أخرى : أي بتأيينها وتهييجها للذرات أو جزئيات المادة المارة بها . . في نظام حي يتسبب عن عملية التأين هذه تخريب مباشر من جراء تكسر الروابط الكيميائية التي تربط ذرات الجزئيات ببعضها ، في نسيج الخلية الحية . أما التأثير المتبادل للاشعاع مع الماء سواء داخل أو خارج الخلايا الحية فانه يكون سببا في تكوين الجذور الحرة القادرة على القيام بتفاعلات كيميائية عديدة ، مما يؤدي الى تخريب الخلايا عن طريق تفاعلات الاكسدة والاختزال بشكل خاص .

يعتمد مقدار الضرر البايولوجي على عوامل عدة ، منها نوع الاشعاع (كأشعة ألفا أو بيتا السالبة والموجبة والاشعاعات الكهرو - مغناطيسية ، كالاشعة السينية وأشعة كاما ، والالكترونات النيوترونات مثلا) ومقدار طاقة هذا الاشعاع ، وسرعة دخوله الجسم الحي ، ونوع العضو المعرض لهذا الاشعاع (عين أو كبد أو عظم أو رئة . . . . . الخ) وأخيرا عمر النموذج المعرض للاشعاع ، ثم حالته الصحية ان كان بشرا ، وتكتسب أهمية خاصة مسألة ما اذا كان التشعيع خارجي المصدر أو داخلي المصدر . فبالنسبة للتشعيع خارجي المصدر تعتبر الاشعة السينية (أشعة اكس أو أشعة رونتجن المستخدمة في التصوير الشعاعي) وأشعة كاما (ولها نفس طبيعة أشعة اكس) من أكثر أنواع الأشعة خطرا على الانسان بسبب قدرتها الفائقة على الاختراق والنفوذ . وعلى الضد من هذا النوع من الاشعاع الكهرو - مغناطيسي(لا كتلة ولا شحنة كهربائية له) ، حيث لا خطرا خارجيا لاشعة ألفا (وهي نوى ذرات غاز الهيليوم النادر ، أي أنها ذرات منزوعة الالكترونات الخارجية) ما دامت لاتستطيع النفاذ الا الى طبقات الجلد السطحية غير الحساسة لكنها مع ذلك تعتبر الاشعة الاشد خطرا فيما لو شكلت مصدرا داخليا ثابتا للاشعاع ، أي اذا دخلت جسم الانسان واستقرت في أحد أعضائه بشكل عنصر مشع أو مركب فيه عنصر مشع لهذه الدقائق .

ان تعدد هذه العوامل وتشابكها يجعل الامر صعبا في تقرير أن كمية معينة من النشاط الاشعاعي تتسبب في أحداث حجم محدد من التأثيرات البايولوجية الضارة. أي باختصار، ليس ثمة علاقة خطية مباشرة ما بين الاثنين ، وعليه يصعب الاستنتاج العلمي الدقيق .

فلاجل الاخذ بعين الاعتبار مقدار التفاوت فيما يسمى بالتأثير البايولوجي النسبي (ومختصره RBE Relative Biologicol Effectiveness والجرعة المكافئة ومختصرها الحروف الثلاثة rem وعلاقات هذه بأنواع الاشعاعات المختلفة .

ان حزمة كثيفة من أشعة ألفا تؤدي الى تحطم جزئية الحامض النووي المعروف باسم DNA Deoxyribonucleic Acid وهو أحد مكونات نوى الخلايا الحية . ومعلوم أن النواة هي مركز فعالية أية خلية . هذا ومن الجهة الاخرى لو أخذنا حالة نوع آخر من الاشعاع وهو فوتونات أشعة كاما فانها وان مرت خلال كروموزوم كامل (والكروموزوم هو حامل العوامل الوراثية التي تتحدد بموجبها خصائص وصفات وملامح المولود الجديد ، وكل كروموزوم يتكون من حوالي ١٠^٩ جزئية من جزئيات الحامض النووي DNA فانها لا تسبب أي تكسر أو تشوه في هذا الكروموزوم ، ولكن أيا من اشعاعات ألفا أو بيتا (وهي الكترونات نووية المنشأ قد تكون سالبة أو موجبة الشحنة الكهربائية التي تحملها) أو كاما تؤدي الى تفكك الماء بتأثير الأشعة Radiolysis . والمقصود هنا بالماء أي ماء الخلية الحية ونواتج هذا التفكك هي الايونات والجذور الحرة والجزئيات الآتية :

H2HO2.OH+H.H

والتي قد تتفاعل مع الحامضين النوويين DNA سالفي الذكر و RNA Ribonucleic Acid الى الحد الذي يفضي الى وفاة الخلية بعد أن تعجز عن أداء وظائفها المعتادة بسبب التغير الطارىء على تركيبها الكيمياوي .

فالتركيب الكيمياوي المحدد يؤدي وظيفة محددة بعينها . وطبيعي أنه كلما ازداد الوزن الجزئي لمركب معرض للاشعاع ازدادت كمية الاجزاء المدمرة من هذا المركب . ولما كان الكروموزوم البشري فيه حوالي ٣×١٠^٩ جزئية من جزئيات DNA ، فان جرعة اشعاعية كبيرة ستقتل أية خلية تعرضت لها .

الحساسية للاشعاع

يتضح تأثير الاشعاع التخريبي على الخلايا الحية بأشكال شتى . منها النقص في معدل الانقسام الخلوي ، لذا فان الخلية لا تؤدي الا الى عدد محدود من الانقسامات خلال فترة حياتها . ومنها التشوه الخلوي الذي يؤدي الى اضطراب مسلسل التطور البايولوجي الطبيعي ، مما يؤدي بدوره الى نشوء نمط في سياق تطور جديد مغاير لنوعه الاصلي ، كما في حالة تكون خلايا سرطانية . هذا وان الخلايا الاكثر حساسية للاشعاع هي تلك التي في طور الانقسام فعلا . وعلى هذا الأساس فان الخطر الذي يصيب جنينا عمره يتراوح بين ٣ ـ ٧ أسابيع هو أكبر بمائة مرة من الخطر الذي تتعرض له أم هذا الجنين الحامل . كذلك الاجهزة والاعضاء والانسجة التي تكون منها معدلات تعويض الخلايا التالفة بطيئة ، تعتبر ذات حساسية عالية للاشعاع ، كالجلد والاعضاء التناسلية ، وكافة أعضاء التجويف البطني ، والعيون ، والاجزاء المسؤولة عن تكوين الدم في الطحال ، ونخاع العظام ، وأنسجة الجهاز العصبي ، وبشكل عام كلما كانت الخلايا عالية التخصص ونوعية الاداء ، كان العضو الذي تنتمي اليه عاليا في سلم التطور ، وبالتالي يصبح هذا العضو وخلاياه شديدي الحساسية تجاه الاشعاع .

أنواع الخلايا

يمكن التمييز بين نوعين من الخلايا : نوع يساهم بشكل مباشر في وظائف الاعضاء كخلايا العظام والكبد أو خلايا الجهاز العصبي . ونوع آخر يتعلق بعوامل الوراثة ، أما النوع الاول من الخلايا فان خطر التخريب الاشعاعي يكون

محصورا فيه فقط ، ويسمي هذا النوع من التأثير Somatic Effect بينما ينتقل التخريب الناجم عن تعرض النوع الثاني من الخلايا للاشعاع الى الاجيال القادمة ، ويسمى هذا الصنف من التأثير Enetic Effect . ولم يظهر حتى اليوم أي دليل على أن للخلايا أو الكائنات الحية الاعلى مقاومة اشعاعية ما . ولكن بعض أنواع البكتريا أظهرت قابلية على مقاومة الاشعاع (نفي أو تحجيم خطره) اثر تعرضها لجرعات اشعاعية صغيرة لفترات زمنية طويلة . وأمكن تفسير هذه الظاهرة بتكوين أجهزة حية شاذة عن سياق التطور العام لهذا النوع من البكتريا لها ردود فعل مغايرة تجاه الاشعاع للاحياء الاصلية قبل تشعيعها . كما لوحظ أن المقاومة للاشعاع هذه يمكن زيادة فاعليتها فيما لو عولج الكائن ببعض المركبات الكيمياوية قبل تعريضه للاشعة ، اذ تلعب هذه المركبات دور عوامل الصيانة المضادة للاشعاع . وأكثر هذه المركبات الامينية aminthiols كمادة السستين (حامض أميني طبيعي) Cysteine .

كما يفسر الفعل الرادع لهذه المركبات باحتمال كونها تلعب دور العامل اللاقط للجذور الحرة الناتجة عن تفكك الماء تحت تأثير الاشعاع ، وبشكل خاص جذر الهايدروكسايل HYdroxyl Redical (OH) وبالنظر للخصائص السمية لهذه المركبات فانه لسوء الحظ لايمكن استخدامها الا بكميات صغيرة كمواد مضادة للاشعاع .

الجرعات الكبيرة وجسد الانسان

الجرعات الفورية التي تصيب جسد الانسان كله والمعطاة خلال يوم واحد فقط والتي هي أكبر من ألف ريم rem (بوحدات الجرعة المكافئة) تؤدي الى الموت خلال أربع وعشرين ساعة بسبب دمار الجهاز العصبي . والتعرض لجرعة اشعاعية مقدارها ٧٥٠ ريما يؤدي الى الموت في غضون بضعة أيام الى شهر بسبب نزف الجهاز الهضمي الدموي ، علما أن العناية الطبية المركزة يمكن أن تلعب دورا في تأخير أجل الموت لا أكثر . أما الجرعات الاشعاعية التي تقل عن ١٥٠ ريما فنادرا ما تكون قاتلة . ولكن عند حدودها العليا يحدث الموت عادة خلال فترة تتراوح بين ٤ - ٨ أسابيع بعد التعرض للاشعاع بسبب دمار الكريات الدموية البيض . ومن لم يمت في هذه الفترة الحرجة يكون نصيبه الشفاء التام والناجز . وهذا لا ريب يدل على أن لجسم الانسان القدرة على اصلاح العطب الناجم عن التعرض للاشعاع ، الامر الذي أثبتته تجارب عدة على الحيوانات . علاوة على هذا كله فان الجرعات الاشعاعية التي تقل عن الخمسين ريما لا يتسبب عنها الا نقصان في عدد الكريات البيضاء ، والتعبير الطبي لهذه الظاهرة يسمى : Leukopenia

ان جرعة اشعاعية مقدارها ٢٥ ريما تكفي لبيان الاعراض الاولى للضرر الجسدي (غير الوراثي) فيما لو تعرض الانسان للاشعاع لفترة وجيزة . هذا السلم المتفاوت في مقادير الجرع الاشعاعية يمكن أن يحصل آنيا نتيجة لانفجارات الاسلحة النووية (قنبلة هيروشيما وقنبلة ناجازاكي مثلا) ، أو الحوادث المؤسفة التي تقع بين الحين والحين في بعض المفاعلات النووية ، كتبخر الوقود النووي الثقيل المفاجيء لخلل ما في اجهزة السيطرة والتحكم والتبريد . وكذلك بسبب نقص الانتباه لان بعض العاملين في مجالات المعجلات العملاقة أو أجهزة أشعة اكس (الاشعة السينية أو أشعة رونتجن وهو اسم مكتشفها) أو وحدات التشعيع المركز بعنصر الكوبالت ٦٠ المستخدمة في العلاج الطبي أو الابحاث العلمية أو في الصناعة .

ولعل من المفيد الاشارة الى أن مثل هذه الجرعات فائقة الخطورة لا يمكن التعرض لمثيلاتها

خطورة كنتيجة للعمل في مختبرات فيها نشاط اشعاعي يساوي كيوري واحد أو حوالي هذا المقدار (الكيوري الواحد نشاط اشعاعي يساوي ٣٫٧ × ١٠^٩ تفككا في الثانية الواحدة) . ان أكثر حالات التعرض الحاد للاشعاع شيوعا انما تلك التي تصيب الايدي بالتعرض الفوري الكثيف للاشعاع . ولكن لحسن الحظ وجد عمليا أن الايدي يمكنها مقاومة الفعل المدمر للاشعاع بالرغم من أن الجلد يعتبر من أكثر أنسجة جسم الانسان رقة وحساسية .

أما اذا تعرضت الايدي لجرعات اشعاعية مفرطة في القوة ، فعندئذ يتلف الجلد ويتعين نزعه وزرع جلد جديد بدلا عن ذلك التالف ، علما بأن عملية زرع الجلد هذه تعتبر بالدرجة الاولى وسيلة سريعة للتخلص من الآلام المبرحة لا غير ولاحداث مثل هذا العطب يلزم تعرض الايدي لجرعة أكبر من ألف ريم من أشعة بيتا أو كاما .

ان ضرر الجرعات الاشعاعية يعتمد أساسا على زمن التعرض لها . فالجرعات القاتلة التي يتعرض لها الانسان في فترة زمنية وجيزة قد لا تتسبب في ظهور أية أعراض لما يسمي بالمرض الشعاعي ، فيما لو تعرض الانسان لنفس الجرعة قوة ، ولكن على أجزاء صغيرة تستغرق عمره كله .

وكما لاحظنا قبل قليل ، ان للجسم القابلية على الشفاء من تأثيرات الاشعاع . ولكن هناك من الآثار الباقية المؤجلة التي لم تكشف عن نفسها لفترة طويلة . هذا النوع من التأثير الاشعاعي يؤكد التأثير الجسدي الآجل .

فضحايا القنابل الذرية التي أسقطت على اليابان عام ١٩٤٥ والذين تماثلوا للشفاء بعد اصابتهم بالمرض الشعاعي الحاد ، كانت نسبة الاصابة بمرض السرطان فيهم تساوي ٢٪ (اثنان في كل مائة منهم) . ان دراسة حالات هؤلاء الضحايا الناجين من الموت الذري بينت ما يلي :ـ

- ظهور حالات اضطراب الرؤية بعد فترة تتراوح بين ٥ـ١٠ سنوات .
- سرطان الكريات البيض بعد فترة ٨ـ١٠ سنوات .
- سرطان الغدة الدرقية بعد فترة ١٥ـ ٣٠ سنة .

أما في حالة ما يسمى بالتشميع الداخلي (كون المصدر المشع داخل جسم الانسان) فقد لوحظ أن الزمن اللازم لظهور أعراض مرض سرطان الرئة في عمال تعدين اليورانيوم في مناجم تفتقر الى وسائل التهوية الفعالة ، ومرض سرطان العظام بالنسبة للعاملين في حقل طلاء عقارب الساعات وأرقامها بالراديوم المشع ، لوحظ أن الزمن اللازم لظهور أعراض هذين النوعين من السرطان تتراوح بين ١٠ـ ٢٠ سنة . □□

أوهام وأحلام

يقول أوليفر وندل هولمز « ان التطلع الى الاستقرار والامان هو رغبة كامنة في رأس كل انسان ، ولكن الحياة علمتنا أن الاستقرار وهم ، والامان والراحة مجرد أحلام لا وجود لها في حياة الناس . »

حكايات : شرق و وغرب

□ هذه جولة سريعة يصحبك فيها العربي كل شهر بين صفحات الجرائد والمجلات العالمية . . فقد تجد من خلالها شيئاً يستوقفك أو يثير اهتمامك !

المرأة في معركة الرئاسة الأمريكية !

الحديث في الغرب والشرق اليوم ، يدور حول انتخابات الرئاسة المقبلة في أمريكا . . فشخصية الرئيس الأمريكي الجديد تهم العالم كله . ومنذ أكثر من ربع قرن من الزمان كتب والتر ليبمان ، أكبر معلق سياسي أمريكي يقول : (معركة انتخابات الرئاسة في أمريكا هي مسرح للمفاجآت المثيرة . . فأي شيء يمكن أن يحدث . . وليس هناك شيء مستحيل !) .

ولعل المفاجأة التي كانت حديث الصحف في المعركة الدائرة لانتخاب رئيس أمريكا الجديد ، هي اختيار المرشح الديمقراطي والتر مونديل ، منافس الرئيس ريجان ، لسيدة أمريكية لتكون نائباً له اذا فاز بالرئاسة !

لماذا سيدة ؟ وهل كان اختياره لجيرالدين فيرارو ـ وهذا اسمها ـ مفاجأة حقاً ؟ المراقبون السياسيون يقولون ان المرشح الديمقراطي يريد أن يقدم شيئاً جديداً . . فهو حدث بلا سابقة ، وكل جديد في أمريكا يشد الناس ، ويقولون أيضاً ان اختياره لامرأة سوف يضمن له كسب أصوات النساء ، أما المفاجأة فهي ليست واردة كما يقول مونديل نفسه ، الذي يقف اليوم منافساً قوياً لريجان العجوز الذي سيكمل العام الرابع والسبعين من عمره بعد شهور قليلة . لماذا ؟ لأن المرشح الديمقراطي عندما بدأ يتحدث عن شخصية نائب الرئيس الذي سيختاره ويضع اسمه في تذكرته الانتخابية قال : (سوف أبحث

عن الأفضل) ولم يقل أبداً انه لا بد أن يكون رجلاً !) .

هي أيضاً ـ جيرالدين ـ أكدت في حديث لها ما ذهب اليه موندبل ، فقد قالت هذا صحيح .. لقد وقع الاختيار لأني امرأة ، ولو أن اسمي كان (جيرالد) لما فزت بهذا الترشيح !

من هي جيرالدين ؟ انها تمثل ولاية نيويورك في مجلس النواب الأمريكي ، منذ أن بدأت تشتغل بالسياسة قبل ست سنوات . وهي كاثوليكية من أصل ايطالي ، في الثامنة والأربعين من عمرها ، ولدت في نيويورك لأبوين مهاجرين جاءا من إيطاليا ، ومات والدها وهي طفلة في الثامنة ، وأثرت الصدمة عليها فأصيبت بمرض اضطرها الى ملازمة فراشها لمدة عام كامل . وعملت أمها في أحد مصانع حياكة الملابس حتى تستطيع أن توفر حياة كريمة لأسرتها الصغيرة .

وتعلمت الطفلة وعملت مدرسة ، ولكنها ما لبثت أن التحقت بالجامعة لتدرس القانون ، وعندما أكملت دراستها تزوجت جون زاكارو ، وأصبحت أماً لثلاثة أطفال دونا وجون ولورا ، أكبرهم الآن في الثانية والعشرين وأصغرهم في الثامنة عشر . ولكنها صممت على أن تمارس المحاماة ، فمضت تعمل في الدفاع عن المقهورين في هذا المجتمع المعقد ، وعرفت بمواقفها الليبرالية ، ثم أختيرت لشغل منصب المدعي العام ، واهتمت بقضايا العنف والاغتصاب والجرائم التي ترتكب ضد المسنين والأطفال ، الى أن انتخبت أخيراً عضواً بمجلس النواب الأمريكي .

من أهم مواقفها المعلنة تأييدها للسود ، والمساواة في الحقوق مع البيض .. ويقول أصدقاؤها وأعداؤها على السواء ، إنها امرأة تتمتع بقدر كبير من الذكاء والصراحة . أما في الكونجرس فقد اشتهرت بأنها النائبة التي يلجأون اليها كلما صادفتهم مشكلة معقدة تحتاج الى صبر وتصميم ومقدرة على المساومة .

زوجـــة في قفص !

ومن مدينة البوكيرك في نيو مكسيكو ، وقف القضاء في حيرة .. بماذا يحكم في أمر زوج شاء أن يعبر عن « حبه » لزوجته بطريقة أثارت ثائرة النساء في كل مكان في الولاية .. والزوج هو فردريك ميساي (٥٠ سنة) وقد صمم على أن يضع زوجته (٤٣ سنة) في المكان الذي يجب أن تكون فيه ! أين ؟ لقد شيد لها قفصاً داخل غرفة

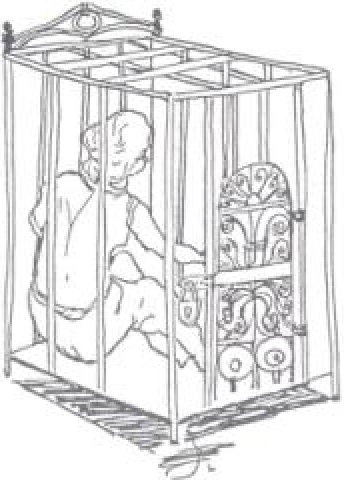

النوم ووضعها فيه ، وبقيت الزوجة في القفص لمدة عامين كاملين لا تبرحه الا عندما يفتح لها هو بابه الصغير لكي تعد طعام الغداء ، أو لتشاركه الألعاب الرياضية في الفناء الخلفي للبيت !

واكتشف رجال الشرطة أخيراً سر الزوجة التي حبسها زوجها في القفص ، عندما تقدم الجيران ببلاغ يقولون فيه أن جارتهم (بوني) اختفت منذ فترة . والقوا القبض على فردريك توطئة لتقديمه للمحاكمة ، وهنا كانت المفاجأة عندما أعلن المدعي العام بعد دراسة ظروف الحادث : (نحن لا ندري ماذا يمكن أن نفعل مع فردريك ، فليس هناك قانوناً يقضي بمنع الزوج من وضع زوجته في قفص اذا رغب في ذلك !) .

الزوجة الآن في المستشفى من الصدمة النفسية التي تعاني منها ، وأغلب الظن أنها ستعود الى بيتها ، وربما أيضاً الى القفص الذي كانت تعيش فيه بعد شفائها ، اذا لم يصدر قانون جديد يقضي بتحريم وضع الزوجات في الأقفاص !

حرب نووية أغرقت اتلانتس !

وفي لندن يتساءلون : (هل يمكن أن يكون هذا صحيحاً . . حرب نووية تعرضت لها الأرض منذ أكثر من ١١ ألف عام ؟ ! هل حقيقة أن قوماً متحضرين قد سبقونا الى اختراع أسلحة الدمار وافنوا بعضهم بعضاً في حرب نووية ، وأن هذه الحرب هي السبب في اختفاء القارة المفقودة اتلانتس تحت أمواج المحيط الأطلسي ؟ هذه الأسئلة المذهلة وغيرها ، يجيب عليها الكاتب الانجليزي تشارلز مؤلف كتاب (مثلث برمودا) ، في كتابه المثير الذي صدر أخيراً بعنوان (اتلانتس) .

والبحوث التي قام بها برليتز ، أسفرت كما يؤكد صاحبها ، عن ظهور أدلة كافية تقلب الأسطورة القائلة بقيام حضارة ذهبية قديمة في قلب المحيط الأطلسي ، وتحولها الى حقيقة . . وهو يقول إن هذه الحضارة نجحت في استعمار أمريكا وأوروبا الغربية وشمال أفريقيا ، ولكنها ما لبثت أن زالت من الوجود في أعقاب كارثة الحرائق والفيضانات منذ أكثر من ١١ الف عام . وهو يؤكد بعد هذا أن الكارثة التي حلت بالأرض جاءت نتيجة لنشوب حرب نووية ! !

نباتات قبل مجيء الانسان !

هل يمكن أن تعيش النباتات وسط الثلوج لعشرات الملايين من السنين ؟ العلماء في فينا عاصمة النمسا يؤكدون انهم عثروا على نباتات متحجرة في منطقة كارينثيا بجنوب النمسا ، يرجع تاريخها الى ما يزيد عن ٢٥٠ مليون سنة !

وما زالت البحوث تجري لمعرفة فصيلة هذه النباتات ، ولو أن البروفسور أدولف فريتز الأستاذ بجامعة كلاجيفورت ، يعتقد أنها من نفس فصيلة السرخسيات التي يصل ارتفاعها الى عشرين قدماً ، ويبلغ طول فروعها حوالي تسعة أقدام . وهذا النوع من النبات ما زال ينمو في الغابات الاستوائية ، في أفريقيا وأمريكا الجنوبية .

البطالـــــة تتفاقم !

الاعلان الصغير الذي ظهر في صحف روما العاصمة الايطالية ، يقول أن هناك عشر وظائف شاغرة في ادارة السكك الحديدية ، وأن طبيعة العمل المطلوب من شاغلي هذه الوظائف ، هي الكنس وغسيل البلاط وكل ما يطلب اليهم القيام به من أعمال أخرى بسيطة . وأن عدد ساعات العمل في الأسبوع ٤٤ ساعة ، والأجر يوازي ستين جنيهاً استرلينياً في الأسبوع !

وفي إيطاليا ، كما في بقية الدول المتقدمة في أوربا أزمة بطالة مستحكمة ، ومن أجل هذا توقع المسؤولون أن تنهال عليهم الطلبات .. ولكن أحداً منهم لم يتصور أن يصل عدد الطلبات التي تقدم بها أصحابها الى أكثر من ٤٥ ألف طلب .. قال مسئول إيطالي كبير : (انني أتوقع أن يتحول نصف عدد العاملين في إيطاليا الى عاطلين خلال الأعوام القليلة المقبلة .. إننا مقبلون على كارثة اقتصادية) .

أرانب حية في المطار !

وفي مطار هيثرو بلندن فوجيء رجال الأمن بمسافر يحمل في جيوب معطفه زوجاً من الأرانب ، وكان الأرنبان يطلان برأسيهما ، وقد حمل كل منهما عوداً من البرسيم في فمه !

وسألوا صاحبهما وهو مواطن نيجيري ، توقف في المطار في طريقه الى بلاده : ماذا ستصنع بهما ؟ قال : (انها أرانب صغيرة كما

ترون ، ولن تؤذي أحداً .. لقد اشتريتها من يوغوسلافيا حيث كنت أقضي إجازة قصيرة ، وأنا أحملها معي الى بلدي لأقدمها طعاماً لأطفالي .. انهم يحبون الأرانب ! !) .

رحلـــة العمـــر !

وعندما وقفت أدوينا ثروت تطفيء مائة شمعة في شهر يوليو الماضي ، كانت هي وأصدقاؤها الذين جاؤا يحتفلون معها بعيد ميلادها المئوي ، على موعد مع التاريخ ! ففي عام ١٩١٢ ، أي منذ أكثر من سبعين عاما مضت كانت هناك فتاة جميلة في السادسة والعشرين من عمرها بين ركاب السفينة الضخمة التي كانت تعبر الأطلنطي من انجلترا الى الولايات المتحدة لتكون بجوار شقيقتها التي رزقت بمولود جديد . وكانت (رحلة العمر) بالنسبة للفتاة الصغيرة التي تعبر حدود قريتها لأول مرة !

أما السفينة التي كانت إدوينا بين ركابها فهي المدينة العائمة (تيتانيك) التي غاصت بركابها في أعماق المحيط بعد أن اصطدمت بجبل جليدي . ولكن أدوينا كانت بين الركاب القلائل الذين نجوا من الغرق ، وقد استطاعت أن تحمل معها طفلا صغيراً في الشهر الثالث من عمره وتنقذه هو الآخر من الموت غرقا ..

ولكن أحداً لا يعرف ماذا حدث للطفل الصغير بعد ذلك ، ولا أين هو الآن ، حتى أدوينا نفسها التي تزوجت ثلاث مرات ، ومات أزواجها الثلاثة ولم ترزق بأطفال ..

قالت بعد أن أهداها حاكم ولاية كاليفورنيا مفتاح مدينة هيرموسا التي تعيش فيها الآن : (أرجو أن تتحقق أمنيتي في عيد ميلادي المئوي وأعثر على الزوج الذي أستطيع أن أبدأ معه حياة جديدة ! !) . □□

الشباب وقيم العمل المنتج

بقلم : الدكتور سمير نعيم أحمد

□ في العمل يجد الانسان ذاته ، ويحقق متعته ، ويشعر بقيمته ، ويدعم علاقاته بالآخرين ويشعر بالفخر والانتماء للجماعة ، وكل شعوب العالم تفخر بانجازاتها السابقة وتمجدها ، وتعمل على الاضافة اليها ببذل المزيد من الجهد والعمل البناء .

تميز الانسان عن كافة الكائنات الحية الأخرى ـ بفضل ما يتمتع به من عقل ـ بالقدرة على تغيير بيئته ، وخلق ظروف أكثر ملاءمة لمعيشته ، عن طريق العمل المنتج الخلاق . . . وقصة الحضارة الانسانية هي قصة تطوير الانسان لذاته ولطاقاته الانتاجية ، فالانسان الأول بدأ حياته باستخدام يديه في جمع والتقاط الثمار من الأشجار ، ثم ما لبث أن ابتدع أدوات بسيطة للعمل ، ساعدته على الانتقال الى مرحلة الصيد والقنص ، ومن خلال تجارب طويلة وشاقة أخذ يبتكر أدوات أكثر تعقيدا ورقيا ، مكنته من استزراع الأرض واستئناس الحيوان ، وتلبية احتياجاته من مسكن وملبس وانتقال واتصال وترقية وترويح ودفاع ، وكلما تطورت أساليب انتاجه تطور أسلوب حياته ، حتى وصل الى المرحلة الصناعية ، ثم ما بعد الصناعية ، وهي مراحل تختلف كيفا عن المراحل السابقة من حيث درجة اخضاع الطبيعة لسيطرة الانسان ، وتحقيق أكبر قدر من الرفاهية له .

ان سر ارتقاء الانسان اذن العمل والانتاج . فالانسان لا يطور بالعمل بيئته فحسب ، ولكنه يطور أيضا ذاته وقدراته الذهنية والجسمية والروحية والاجتماعية .

ويحقق العمل المبدأ الصحي الأول في العلاقات بين البشر : مبدأ الأخذ والعطاء ، فالجيل الحالي يأخذ ثمار عمل الأجيال السابقة ، ليضيف اليها ناتج عمله ، ويعطيها للأجيال اللاحقة ، وكل فرد في المجتمع يأخذ ويعطي من خلال عمله وعمل الآخرين .

قضية التنمية والرقي

وجميع الشعوب المتقدمة في العالم اليوم يقدس مواطنوها العمل المنتج بكافة أنواعه : اليدوي والعقلي ، وكلما ازداد المجتمع رقيا مارس كل فرد فيه كافة أنواع العمل ، وازداد تقدير العمل اليدوي والاستمتاع به حتى ارتقى الى مستوى الهواية . ولقد شهدت الحضارة العربية في أوج ازدهارها تمجيدا وتقديسا للعمل المنتج في كافة المجالات ، ما زالت آثاره تقف شامخة أمام العالم ، تثبت له قدرة العرب على الخلق والابداع ، تلك القدرة التي كانت دائما على مر العصور هدفا للمستعمر ، يبغي القضاء عليها ، حتى تتحقق له السيطرة الاقتصادية والسياسية والثقافية والعسكرية على الشعوب العربية . وكان هدف الاستعمار دائما تحويل الشعوب من أقوام منتجة عاملة صانعة للحضارة ، الى أقوام مستهلكة لمنتجاته التي يصنعها بنفسه وفي بلاده من خيرات هذه الشعوب ، وقصة الاستعمار العالمي - القديم والحديث - هي قصة تنمية القدرات الانتاجية للبلدان المستعمِرة ، على حساب وأد القدرات الانتاجية للشعوب المُستعمَرة .

لقد أدرك العلماء الاجتماعيون منذ زمن ، أن قضية التنمية والرقي والاستقلال لشعوبنا ، هي في المقام الأول قضية انتاج . وأن الأمر في حاجة الى عمل دؤوب يؤدي بنا الى أن نصبح منتجين لاحتياجاتنا ومستثمرين لثرواتنا ، من أجل تنمية قدراتنا وتحقيق الرفاهية لشعوبنا . ويقع عبء ذلك بالدرجة الأولى على عاتق أكبر وأعظم قوة انتاجية في المجتمع : الشباب !

ولكن الشباب يتهمون من جانب الكبار بأنهم يعزفون هذه الأيام عن العمل المنتج بكافة أنواعه ، سواء كان يدويا أو حرفيا أو فنيا ، وأنهم يتجهون الى مجالات الكسب السريع والسهل والمريح ، ويهوون المناصب والمراكز . ولهذا يعاني المجتمع من نقص الكوادر الفنية والحرفية اللازمة للتنمية .

ان العلوم الاجتماعية الحديثة قد أثبتت خطأ القاء اللوم على الأفراد ، فيما يختص بالظواهر الاجتماعية مثل عزوف الشباب عن العمل المنتج ، وأثبتت أن الأفراد هم نتاج بيئتهم الاجتماعية ، وأن الشخصية الانسانية بما تحويه من سمات وخصائص وقيم تتشكل من خلال معطيات البيئة الاجتماعية العامة بالمجتمع .

مسئولية من ؟

وعلى هذا فإننا بدلا من أن نتساءل : ماذا حدث للشباب ؟ علينا أن نتساءل : ماذا حدث في المجتمع بحيث أصبحت قيمة العمل لا تحتل مكانتها على قمة سلم القيم الاجتماعية عند الشباب ؟

ان الشباب يكتسب قيمه الاجتماعية ، الموجهة لسلوكه - ومن بينها قيمة العمل منذ طفولته ، من خلال الأسرة أولا ، ثم المدرسة ،

ثم المعاهد العليا ، وكذلك من خلال وسائل الاعلام المختلفة : التلفزيون والراديو والصحافة والسينما ، ومن خلال النماذج السلوكية التي يقدمها له كل المحيطين به في كافة المجالات . فالى أي حد تبث هذه المصادر قيم العمل المنتج في نفوس المواطنين منذ طفولتهم وتدعمها ؟

لنبدأ بالأسرة : هل يشاهد الأطفال آباءهم وأمهاتهم يعتمدون على أنفسهم ، ويمارسون أعمالا انتاجية في المنزل ، أم يشاهدونهم يعتمدون على الغير في أداء معظم ما يحتاجونه ؟ ان الأطفال في البلدان المتقدمة يفتحون عيونهم على آبائهم ، وهم يمارسون أنشطة عملية في محيط المنزل ، ويندر أن نجد منزلا يخلو من أدوات النجارة والميكانيكا والبناء ورعاية البساتين . ان الأطفال هناك يشاركون الآباء في صنع واصلاح الأثاث والأدوات المنزلية ، وزراعة الحدائق ، وطلاء الجدران ، وترميم المنزل ، بل وحتى بناء مسكن جديد للأسرة ، أو اضافة حجرات اليه ، ويتدرب الأطفال منذ البداية على حب العمل والاستمتاع به ، وعلى التعاون فيه ، والفخر بانجازاتهم والتباهي بما صنعته أيديهم وعقولهم ، وهذا العمل المشترك يقوي الروابط الأسرية ، وينمي ملكات الأفراد ، ويزيد قدرتهم على الخلق والابداع ، والاعتماد على النفس وتحدي الصعاب . ومهما كانت درجة ثراء الأسرة فانها تشجع أبناءها على العمل منذ الطفولة ، وتجعل من العمل نشاطا ممتعا مفيدا . والآباء يقدمون المثل والنموذج .

عندنا . . . وعندهم

ترى هل يقدر الآباء عندنا العمل اليدوي والحرفي والفني والمهني ؟ وهل يقدرون المشتغلين بهذا العمل أم يحطون من شأنهم ؟ كيف يقدر الآباء الانسان في المجتمع ، هل يقدرونه حسب عمله وانتاجه أم حسب أصله وماله ؟ هل يقدرونه على أساس ما يأخذ أم على أساس ما يعطي ؟

ولنأت الى المدرسة . كم مرة ترد قيمة العمل المنتج وتقدير العامل واحترامه ضمن مضمون المقررات الدراسية طوال سني الدراسة ؟ كم نصا من نصوص القراءة مثلا يدور حول العمل والانتاج ؟ كم مسألة حسابية ـ مما يعطى للتلميذ ـ يطلب فيها حساب الانتاج وليس حساب المكسب والخسارة فقط ؟ والأنشطة المدرسية هل تشمل برامج لزيارة المصانع ومواقع العمل ؟ هل تشجع التلاميذ على العمل الخلاق والمبدع ؟

ان البرامج الدراسية في البلدان المتقدمة تربط التلميذ منذ مراحل الدراسة الأولى بالنشاط الانتاجي في المجتمع ، بل وتخصص بعضها ساعات للتدريب العملي في المؤسسات الانتاجية ، علاوة على اشراك التلاميذ في أنشطة انتاجية داخل المدرسة ذاتها . ليس هذا فحسب ولكن أسلوب التعليم ذاته يشجع الأطفال والشباب على انتاج المعرفة ، واكتسابها من خلال نشاط ايجابي ، وليس على استهلاك المعرفة التي يلقنها لهم المدرسون كما يحدث في بلادنا .

ولننتقل الى برامج التلفزيون والاذاعة . إن معظم هذه البرامج وبخاصة المسلسلات والأفلام التلفزيونية ، التي تعرض في بلادنا العربية حول موضوعات تتعلق بالانتاج والعمل الخلاق المثمر ، ولكنها تحصر نفسها داخل القصة الأبدية لحب بين رجل وامرأة ، فاذا تجاوزتها دارت حول الجريمة أو الثأر أو المشاحنات الأسرية ، كما لو كانت الحياة قد خلت تماما من غير ذلك . أما الأفلام السينمائية فنادرا ما تظهر العامل المنتج كشخص يحظى بالتقدير في المجتمع ، ناهيك عن الغزو الثقافي الأجنبي بأفلامه ومسلسلاته التي تشغل اهتمام المتفرج بموضوعات لا صلة لها بواقعه ، وتبث فيه قيما تطلعية واستهلاكية ، علاوة على القيم الفاسدة التي لا تتفق والتقاليد الأصيلة العربية . ان

دراسة سريعة لأبطال الأفلام السينمائية التي تعرض في دور الخيالة ، أو على الشاشة الصغيرة ، تبين لنا أن خصائص هؤلاء الأبطال ، الذين يتقمصهم المتفرج عادة ، أبعد ما تكون عن التفاني في العمل والانتاج والعطاء من أجل المجتمع .

واذا انتقلنا الى الصحافة ، وقمنا بتحليل مضمون الصحف والمجلات ، لاتضح لنا أنها نادرا جدا ما تتضمن تحقيقات عن مواقع العمل والانتاج ، أو تظهر انجازات العاملين في القطاعات المختلفة ، أو تقدم نماذج للعاملين المثاليين ، ولكنها بدلا من ذلك تفضي بأنباء وصور الممثلين والممثلات والحفلات .

أنستغرب بعد ذلك أن يعزف الشباب عن العمل المنتج ؟ إن أزمة بلادنا العربية ، وكذلك الكثير من بلدان العالم الثالث تتمثل في محاولة اللحاق بالبلدان المتقدمة ، وتضييق الفجوة التي تزداد اتساعا بيننا وبينهم ، ولا سبيل لذلك الا بالتنمية في كافة المجالات ، والتنمية لكي تتحقق تتطلب بذل الجهد والعمل الدؤوب والمثابر ، وخاصة من جانب الشباب . ولكي يحدث ذلك لا بد من نشر قيم العمل المنتج بكافة الأساليب بين الشباب ، وبثها في نفوس النشء من خلال كل مؤسسات المجتمع .

خطط وليس وعظا

لا بد أن نقدم للشباب في جميع مراحل نموه نماذج مقنعة بأن العطاء للمجتمع من خلال العمل المنتج يحقق للانسان ذاته ويهيء له السعادة ، وينمي قدراته وملكاته ومهاراته ، ويجعله موضع احترام وتقدير الآخرين ، ويرضي طموحاته . ولا بد من أن تتاح للشباب دائما فرص العمل الذي يتناسب مع قدراتهم وميولهم ، بحيث يكون العمل هدفا ممتعا في حد ذاته لا مجرد وسيلة لكسب العيش .

ولا بد أن تعي كل مؤسسات المجتمع حقيقة أهمية بث قيم العمل المنتج في نفوس الأطفال والشباب . فالعمل المنتج بكافة أنواعه ليس مفيدا لتنمية المجتمع ككل وحسب ، ولكنه ضروري لتنمية قدرات الانسان الفرد ، الجسمية والعقلية والروحية ، وليست هناك متعة تعادل انجاز الأعمال المفيدة ، ومن خلال العمل يكتسب الانسان مهارات وخبرات جديدة ، ويُواجَه بتحديات ومشكلات يبتكر لها حلولا ، ويقيم علاقات انسانية وتعاونية مع شركائه في العمل تشعره بالانتماء والمحبة . بل أن العمل يحمي الانسان من الكثير من الأمراض الجسيمة والنفسية والاجتماعية . ومن أنجح الوسائل التي تستخدم الآن في علاج هذه الأمراض وسيلة « العلاج بالعمل » .

ولا بد أن ترتبط برامج التعليم في جميع مراحله بالعمل والانتاج ، ولا بد من القضاء على هذا الانفصام بين التعليم واحتياجات المجتمع من الكفاءات الحرفية والمهنية ، عن طريق التوسع في التعليم الفني ، وتقدير خريجيه ماديا ومعنويا .

ان تشجيع الشباب على تبني قيم العمل المنتج ، وعلى البذل والعطاء للمجتمع ، لا يمكن أن يتم عن طريق الوعظ والارشاد ، ولكن عن طريق رسم السياسات ، ووضع الخطط الاقتصادية والتربوية والاعلامية ، وعن طريق تقديم القدوة والنماذج السلوكية التي تعلي من شأن العمل وتقدره بل وتقدسه .

ترى هل يمكن أن تخصص الدولة يوما كل عام مثلا للاحتفال بالعمل (عيد العمل) وهل يمكن أن تجري مسابقات تلفزيونية تدور حول الانتاج ؟ وهل يمكن أن تتكاتف وسائل الاعلام في جعل صورة الانسان المنتج المعطاء هي الصورة المثالية في أذهان الشباب ؟ هل يمكن أن يأتي ذلك اليوم الذي نرى فيه الشباب في بلادنا يتباهون بما يعملون وبما ينتجون ، بدلا من تباهيم بما يستهلكون ويستحوذون ؟ . □□

أبقراط ليس "أبا الطب"

بقلم د نبيل سليم

□ هل كان ابو قراط ، « ابو الطب » حقيقة ؟
في هذا المقال يتحدث الكاتب عن حقائق علمية ثابتة عن أول جراحة وأول جراح . إنه يؤكد أن « أبا قراط » لم يكن أبا الطب . إنه يدعو إلى البحث عن قسم طبي جديد يحمل الوفاء لرواد الطب في العصور القديمة .

في العدد ٣٠٨ من مجلة « العربي » القراء ، وفي باب منتدى العربي ، قرأت مقالاً للدكتور ضياء نوري حسن حول « القسم الطبي ، كيف بدأ . . والى أين انتهى ؟ » .

وبداية أود أن أضم صوتي لصوت الزميل العزيز ، بأن يتم الاتفاق على نص قسم طبي من خلال « منتدى العربي » يُعرض فيها بعد على الهيئة العامة لاتحاد الأطباء العرب ، من خلال أحد مؤتمراته القادمة لاقراره وتعميمه في الوطن العربي ، فهو مطلب طالما اشتقنا اليه وتمنيناه ، ولكن وقبل أن نتفق على هذا القسم أرجو أن يتسع صدر المجلة ، وصدر الزميل العزيز لما أقول ، عن حقيقة ابقراط .

علينا أن نعلم أولا الحقائق العلمية التاريخية الكاملة ، لكي نستطيع أن نبني أساسا متينا في صرح تقدمنا العلمي الذي ننشده لامتنا العربية ، فلقد تعرض الحديث لمهنة الطب التي كانت محاطة بهالة من الغموض والقدسية ، وقد فصلت الكهانة عن مهنة الطب في اليونان ، واستقلت عنها تماما في زمن أبقراط الذي يعتبر بحق « أبا الطب » ، كما يعتقد الدكتور ضياء وكثيرون غيره ، والحقيقة أن مصر القديمة لا اليونان هي التي كان لها السبق في هذا المجال . . كيف ؟ .

لقد أردت من كتابة هذا المقال أن أدحض فكرة متفشية ، هي أن الطب عند قدماء المصريين كان يعتمد على السحر ، وأن أبقراط هو أول من حرر الطب من ربقة رجال الدين والسحرة . وهذا غير صحيح ، بل إن كل ما نُسب الى ابقراط كان خطأ وزوراً

الطب المصري . . المفترى عليه

فالحقيقة أن الطب في مصر القديمة بلغ شأنا بعيداً واتساعاً في المعرفة مما فرض التخصص فيه فرضا ، ففي مصر القديمة كان هناك ثلاثة أنواع من الأطباء .

١ ـ الباطنيون : وكان يُطلق عليهم « سونو » وهم الذين كانوا يداوون الناس بالعقاقير .

٢ ـ الجراحون : وكانوا يسمون كهنة « سخمت » وسخمت هذه احدى الهتهم ، وكان يُرمز لها برأس اللبؤة وقد اعتبرت أما لأخنتب بعد رفعه الى مصاف الآلهة .

٣ ـ السحرة : « سو » الذين يداوون المرضى بالتعاويذ .

ولا أحب أن يظن أحد أن العلاج بالتعاويذ ، كان عن جهل بأسباب المرض وطرق معالجته ، فبصرف النظر عن

طريقة خلع الفك التي تنسب إلى ابقراط كما نشرها « ابولو نيوس » في القرن الأول

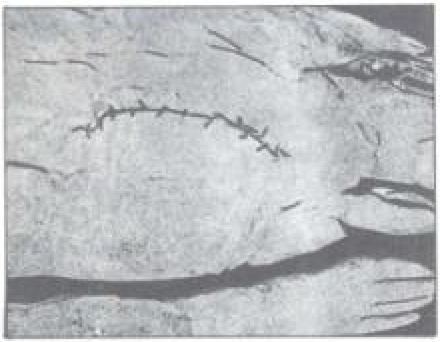

صورة تبين الطريقة التي كانوا يستعملونها في خياطة الجروح

المشعوذين الذين نجدهم الى اليوم في جميع الميادين ، فان الباحث المدقق المنصف يجد الحقائق الآتية :

أولا : إن الجراحين كعادتهم (ومرجعهم بردية ادوين سميث) لم يعرفوا التعاويذ ، ولم تذكر في هذا المرجع إلا حالة واحدة تدل كل الدلالة على أنها دخيلة على الموقف الأصلي .

ثانيا : أما الباطنيون (ومرجعهم بردية ايبرز) ، فلم يستعملوا التعاويذ الا في حالتين ان دلتا على شيء فعلى الانسانية الرفيعة والحذق في تفهم أسرار النفس . ففي مقدمة بردية ايبرز توجد تعاويذ ثلاث تقال عند أخذ الدواء ووضع الدهانات ورفع الأضمدة ، ولم يقصد بها اطلاقا أن تقوم مقام العلاج ، بل للتأثير على المريض وتقوية عقيدته في العلاج الذي أعطي له (كما نقول نحن الآن كلمة « بالشفاء » عند أخذ المريض للدواء) .

أما الحالة الأخرى التي تلقى فيها هذه التعاويذ ، فهي الحالات الميئوس من شفائها ، أو يكون الطب فيها عاجزا عن فعل شيء ، فكلنا نذكر النتائج السيئة التي كنا نحصل عليها الى وقت قريب في حالات الحروق الكبيرة ، ففي مثل هذه الحالة يذكر الطبيب قصة عن الآلهة ايزيس وكيف أنقذت ولدها حوريس عندما أحرق نفسه ، ومما لا شك فيه أن الطبيب لم يعتقد أبدا أن الحريق سببه السحر ، أو أن الرقيا تشفي المحروق ، فلابد أنه رأى كثيرين قد ماتوا برغم هذه التعاويذ ، ولكنه كطبيب يحذق مهنته الانسانية ، لابد قد قدر التأثير النفسي العميق ، الذي تتركه هذه القصة في قلب المريض المؤمن كل الايمان بايزيس ، وهو يعاني الألم وسكرات الموت .

وربما لا أكون قد أخطأت كثيرا اذا قلت إن هذا يعتبر من أول الأمثلة على استعمال العلاج أو الطب النفسي .

وأكرر أنني أقول هذا لأدحض الفكرة المتفشية ، بأن الطب عند قدماء المصريين كان يعتمد على السحر ، وأن ابقراط هو أول من حرر الطب من ربقة رجال الدين والسحرة .

ولم يقتصر التخصص على هذه الأنواع الثلاثة ، بل إن هناك من الأدلة على أنه قد سار شوطا أبعد من ذلك . ويقول هيرودوت في هذا الصدد .

« كان فن الشفاء في مصر مقسماً الى أقسام ، كل طبيب يختص نفسه بقسم منها ، فكان هناك طبيب العيون ، وطبيب الرأس ، وطبيب الأسنان ، وطبيب الأمعاء ، وطبيب الاضطرابات الداخلية » .

مصادر فن الشفاء

ولقد أخذنا معلوماتنا عن الطب والجراحة من مصادر عدة :

النقوش على جدران المعابد ، والمقابر والتماثيل والآلات الجراحية والجثث التي اكتشفت ، والبرديات . وهذه البرديات كانت جزءاً من مكتبة عظيمة من اثنين وثلاثين بردية منها ستة تختص بالطب ، وكانت هذه المجموعة تسمى « الكتب المقدسة للاله ثوث » - آله القمر ورب الكتابة ، وكانت تحفظ في المعابد وتعرض أثناء الاحتفالات الدينية . وقد فقدت هذه الكتب جميعا ،

ويغلب عليّ الظن أن البرديات الطبية التي وصلت الينا ، ما هي الا مقتطفات وملاحظات من المجموعة الأصلية .

ولا يتسع لي الوقت ولا المساحة لأتكلم بإسهاب عن هذه البرديات كلها ، ولكني سأختار واحدة منها ، وربما تكون أعظمها جميعا وهي بردية أدوين سميث **(Edwin Smith)** وقد كتبت في القرن السابع عشر قبل الميلاد ، أي في عهد الهكسوس ، ولكن هناك من الدلائل ما يشير إلى أنها نسخة من مؤلف أصلي ، يرجع تاريخه الى ٣٠٠٠ - ٣٥٠٠ قبل الميلاد ، أي في عصر الأهرام .

وهذه البردية مكونة من ١٧ عمودا أو ٣٣٧ سطرا ، وتشتمل على ٤٨ حالة ، كلها جراحة ما عدا ثلاثا منها عن جراحة الاصابات كالجروح والكسور والخلوع مبوبة تبويبا تشريحيا ، تبدأ بالرأس ثم الأنف ثم الوجه ثم الاذن ثم الرقبة ثم الترقوة ثم العضد ثم الصدر ثم العمود الفقري ، وهناك تنتهي البردية في وسط الجملة ، كأن حادثا فجائيا قد حدث لكاتبها ، أو أنه كما يقول برستد **Breasted** قد أدركه الملل وهو ينسخ ما لا يهمه معرفته ، تاركا الأجيال القادمة في لهفة على ما كان سيقوله لنا هذا الجراح المعجز ، عن اصابات بقية الجسم والأحشاء الداخلية التي لابد أنها كانت ستتلوها .

واصابات كل عضو مرتبة ترتيبا منطقيا ، مبتدئا بالاصابات البسيطة ، ومنتهيا بالاصابات الشديدة ○ وتناقش كل حالة على حدة بطريقة لا تختلف عن أرقى الكتب الحديثة ، اذ تبدأ بالعنوان ثم الكشف ، ومما يلاحظ أنه يضع أي علاج يقوم به في التو مع الكشف ، ثم يأتي التشخيص وهو يشمل أيضا ما يقابل الاستدلال على النتائج **Prognosis** كأن يقول : هذا المرض سأعالجه ، أو يقول هذا مرض سأكافحه ، أو يقول هذا مرض لن أعالجه . وبعد ذلك يأتي العلاج ثم الملاحظات **Glosses** وهي في العادة تفسير لبعض المصطلحات التي قد تغمض على القارىء ، وسببها أن النسخة التي وجدت ، كتبت بعد السفر الأصلي بثلاثة عشر قرنا ، مما لابد قد جعل بعض المصطلحات تختلف اختلافا كبيرا .

ويحكمني الوقت والمساحة مرة أخرى ولا أستطيع التحدث بإسهاب عن المادة الجراحية الموجودة بهذه البردية ولكن أهميتها لا تقتصر على ما فيها من مادة ، للملاحظات الآتية :

أولا : فهي تمثل التخصص بأجل معانيه ، فهي كتاب في فرع من فروع الجراحة (جراحة الاصابات) لم ينل هذا الشرف في علومنا الحديثة الا قريبا .

ثانيا : انها تختلف عن البرديات الأخرى في أنها مكونة من حالات لا من وصفات أو أدوية ، فاذا قارنا البرديات الاخرى بالفارماكوبيا ، وجب أن نصف هذه البرديات بأنها كتاب اكلينيكي .

ثالثا : انها مبنية على أحدث وأصح الأسس للبحث العلمي ، وهي الملاحظة والتبويب .

رابعا : انها تمثل أول محاولة للعقل البشري ، ليضع علما في وقت لم توجد فيه حتى المصطلحات التي يستطيع بها أن يعبر عما يراه ، والطريقة التي استطاع بها أن يتغلب على هذه الصعوبة هي أنه حاول أن يشبهها بما حوله من ظواهر وأشياء ، فهو يشبه تلافيف المخ الذي يظهر لأول مرة في مؤلف ، بالنحاس المذاب أو المضروب بعد جفافه . وربما تذكرنا أن مثل هذا التعبير أو ما يقرب منه **Silver Beaten Appearance** لا يزال يطلق على التغييرات التي تحدث في الجمجمة من هذه التلافيف ، عند زيادة الضغط داخلها . وهو يشبه الرأس المكسور بشرخ في إناء فخاري ولا زال التعبير يستعمل في وصف احدى علامات كسر الجمجمة **Mc Ewen's Cracked** نسبة الى الجراح الاسكتلندي ماكيون .

أول كتاب علمي عن فن الجراحة

إن أول كتاب علمي في التاريخ ، هو كتاب مصري عن فن الجراحة . وأترك المجال للاستاذ برستد أستاذ المصريات المشهور ليقول :

« ففي هذه الوثيقة نرى العقل البشري يحاول لأول مرة أن يستشف أسرار الجسم ، مُرجعا ما يقابله من عوارض وأمراض الى أسباب طبيعية معقولة ، فهو يسجل الحقائق ويرتبها ويستعرضها في خياله ، ثم يصل الى نتائج منطقية مبنية على حقائق مستخلصة ، فبذلك يكون (أي المؤلف) أول عالم عرفناه وتكون هذه البردية أول وثيقة علمية » .

وربما كان أجمل ما في هذه البردية هو الوصف الاكلينيكي ، الذي يمكن أن يضارع أرقى الكتب

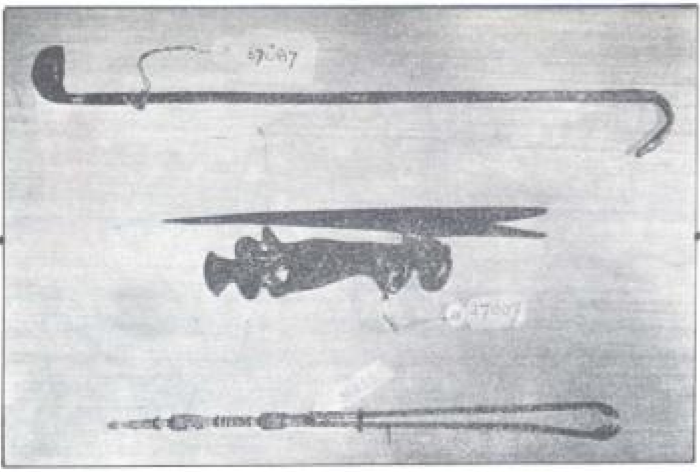

بعض الآلات الجراحية الموجودة بالمتحف المصري .

الحديثة . فلنستمع الى وصفه للمخ لأول مرة في الحالة السادسة . واستميحكم عذرا لركاكة الاسلوب لأني احاول بقدر الامكان جعل الترجمة حرفية مع اختلاف الطريقة في اللغتين :

« اذا قمت بالكشف على رجل عنده جرح في رأسه ، مخترقا الى عظامه ، مهشما جمجمته فاتحا مخه ، فأدخل اصبعك في الجرح ، فاذا تحسست هذه التلافيف التي تشبه النحاس المضروب وشعرت بالانتفاضات تحت اصبعك تشبه الانتفاضات التي تجدها في قمة رأس الوليد قبل أن يتم نموها ، ولن تجد هذه الانتفاضات اذا لم يكن المخ قد فتح ، وستجد الدم يخرج من فتحتي أنفه وعنقه متيبسا ، كانت هذه حالة جرح في رأس هشمت جمجمته وفتح مخه » . أو وصف سرطان الثدي في الحالة رقم ٤٥ « اذا قمت بالكشف على رجل عنده ورم في ثديه ، فإذا وجدته كبيرا ممتدا صلبا كالفاكهة الفجة فقل هذا ورم سأكافحه ولكن ليس له علاج ، وقال الحق .. فلم نعرف علاجا ناجعا لهذا المرض حتى وصف وليام هالستد سنة ١٨٩٤ ـ أي بعد ذلك بحوالي خمسة آلاف عام ـ عمليته المشهورة .

أما الأقدمون سلس (١٠٠ ق.م) ، وجالن (١٣٠ - ٢٠) وابن سينا (٩٣٦ - ١٠١٣) ، وغيرهم كثيرون فقد وصفوا جراحات لهذا المرض نعرف اليوم انها كانت تضر أكثر مما تنفع ، ولم يوافقه الا « ابقراط » الذي كان يتفق معه في كثير من الآراء إتفاقا يبعث على الشك في أن الأمر أكثر من توارد خواطر .

وربما استثرت اعجابكم بهذا الجراح المصري المعجز ، وقد يعن لكم أن تسألوني من يكون ؟ فهو لازال مجهولا حتى الآن وهو وناسخ البردية التي وصلت الينا ، ولا زالت شخصيته موضع التساؤل والتخمينات . ويقترح برستد اقتراحا لا يصر عليه وهو أنه ربما كان « امحتب » **Imhotep** نفسه . أما استاذنا الدكتور كامل حسين فيعترض على ذلك ، ورأيه أن ذلك المؤلف لا يمكن أن يقوم به امحتب القديس ذو الثقافة الكهنوتية ، فهو كتاب لا يعترف بالكهانة ولا بالسحر ولا بالقوة الخارقة ولا بمعجزات الآلهة ، وأن مؤلفه لابد أن يكون انسانا مصريا عاصر بناة الاهرام لأنه يصف كثيرا من الاصابات التي يمكن أن تنتج عن السقوط من اعلى وانه لابد أن يكون فلاحا ، لأنه يصف احدى الحالات بأنها تشبه انطباع القدم في الأرض المبتلة بعد جفافها ، وقد كان استاذنا محقا كل الحق في تقديره ، مصيبا في خياله فهو لابد أن يكون أنسانا لا إلها ، ولابد أن يكون طبيبا وان يكون طبيبا شهيرا ، اكتسب شهرة عظيمة على الأقل بعد كتابة هذا الكتاب ، جعلت مؤلفه الذي قام به في عهد الدولة القديمة ، يحتفظ بأهميته حتى يأتي آخر في عهد الهكسوس ، بعد ذلك بثلاثة عشر قرنا ليعلق عليه وينسخ النسخة التي وصلت الينا عبر التاريخ .

امحتب ابا الطب

ولكني لا أجد من ينطبق عليه هذا الوصف أكثر من امحتب نفسه ، فلابد أنه كان انسانا الى « عموده الفقري » كما قال د . كامل حسين ذلك الذي « اتى في سلام » ، وآثاره تدل عليه ولا يقلل من انسانيته أن قبره لم يكتشف بعد .

أما أنه عاصر بناة الاهرام فذلك لا شك فيه ، فقد اقترن اسمه بأكثر من هرم لا سيما أشهرها هرم سقارة المدرج .

ولابد أنه كان فلاحا يعرف الأرض الطيبة .. من كانت ألقابه « المحافظ على ما ترزق السماء وتنبت الأرض ويهب النيل » ويقال أنه أنقذ الكنانة من سبع سنوات عجاف .

أما أنه كان طبيبا شهيرا فما ذلك في حاجة الى اثبات .

ولست أحب أن اختتم هذه العجالة قبل أن ارفع ظلما وقع عليه منذ آلاف السنين ، فنحن الى اليوم نعتبر اليونان مهد الطب الحديث ، وان ابقراط أبو الطب .

وأنا هنا من على منبر « العربي » القراء أطالب لهذا

المؤلف المجهول بهذا اللقب . ولست أبني ذلك على ما ينحي اليه البعض من أن ابقراط نفسه مشكوك في وجوده . ولو أن الرأي الأصح ان طبيبا يدعى ابقراط كان موجودا حوالي سنة ٤٠٠ قبل الميلاد ولو أنه لم يثبت أنه قام بأي عمل مما يسمى « المجموعة الابقراطية » بل على العكس فقد ثبت أن كثيرا من المؤلفات التي تنسب اليه قد كتبت في عصور مختلفة بمؤلفين مختلفين .

ولكنني أعتقد على الأقل أن ابقراط ، إن وجد ، بل ومن أتى بعده ، كانوا متأثرين كل التأثير بالبرديات التي كانت لابد معروفة في ذلك الوقت .

ولست في حاجة أن أسرد الحالة ٣٥ من بردية أدوين سميث عن خلع الفك ، لنتذكر الطريقة التي لازالت تستعمل الى يومنا هذا لرد ذلك الخلع ، والتي تنسب ظلما وعدوانا الى ابقراط ، ومن يراجع الصورة التي تبين هذه الطريقة في أعمال أبقراط التي نشرها ابولونيوس في القرن الأول قبل الميلاد يجدها مطابقة كل الانطباق لقول جراحنا العظيم :

« اذا فحصنا رجلا فقد القدرة على غلق فمه لخلع في فكه فأدخل أبهامك فوق ناحيتي فكه وضع أصابعك تحت ذقنه وارجعه الى مكانه الأصلي » .

ومن الذي يقرأ علاجه في الحالة السابعة « كسر مضاعف في الجمجمة » ولتجعل رأسه مرفوعا الى أن تصل إلى النقطة الحاسمة » دون أن يتذكر حالة ابقراط الحرجة ؟ ولم يقتصر أمر جراحنا أو غيره من المؤلفين المصريين على ابقراط . فمما لا شك فيه أن بردية ايبرز كان لها الأثر الأكبر في عقاقير ديوكريدس ، ووصف الشرايين والأوعية الدموية ، وارتباطها بالقلب » مثل ما لقول جراحنا منذ ٥٠٠٠ عام في وصف الحالة الأولى من بردية أدوين سميث .

« لتعرف عمل القلب فهناك أوعية فيه لكل عضو ـ فاذا وضع كاهن سخمت أو أي طبيب يديه أو أصابعه على مؤخر الرأس ، على اليدين ، على النبض أو على القدمين ، فإنه يقيس القلب لأن أوعيته في مؤخر الرأس وعلى موضع النبض والى كل عضو من اعضاء الجسم » ، وأقول إنه لابد كان لهذا الوصف أكبر الأثر في هيروفيلوس بالاسكندرية ، والذي كان أول من قام بعد النبض بساعة رملية مصرية ، ثم جالن وغيره حتى اكتشاف وليم هارفي للدورة الدموية في سنة ١٦٢٨ . ولابد أن الفصل المكتوب عن الأورام في بردية ايبرز كان له أثر في كتاب جالن عن نفس الموضوع .

ولست في حاجة الى أن أبحث عن قرائن وأدلة ، فليس من المصادفات أن كثيرا من علماء الاغريق ، درسوا في جامعة الاسكندرية وجامعة عين شمس من قبلها .

وليس من المصادفات أن اللغات المصرية القديمة كانت معروفة في ذلك الوقت فقد وجدت على حجر رشيد الذي كتب في عصر البطالسة .

Ebbel :

« وعلى ذلك نرى أن طب الأغريق لم يكن مستحدثا بل اقتبس كثيرا من الطب المصري حتى أنه يمكن اعتباره امتداداً له ، فلو أن أقدم بردية طبية كتبت حوالي ١٩٠٠ قبل الميلاد ، فان الدرجة التي بلغتها تدل على تطور طويل المدى يرجع على الأقل الى ٣٠٠٠ ق.م ، مما يجعلنا نجزم أن الطب قد نبع من وادي النيل ، ومن ثم يجب أن نعتبر أن مصر لا اليونان هي منبت الطب ، وان أمحتب لا اسكليبوس هو عبقري الطب وسيده » .

ويقول HURRY :

« بلا أي أثر من اثار الطفولة انبعث الطب فجأة من مصر ، على درجة من التقدم لا يمكن مقارنتها بأي بلد آخر » .

ويقول فوكار FOUCART :

« ان علم الشفاء في مصر كان يمثل منذ بدأ ظهوره تطورا يسبق غيره في المجتمع الانساني ببضعة آلاف من السنين » .

وما لي أذهب بعيدا ، فلنستمع الى مواطن لابقراط ، هو هوميروس يقول في الأوديسة قبل ابقراط بخمسة قرون :

« ايه هيلين يا ابنة زيوس القذفي الى نبيذهم دواء يذهب الألم والغضب وينسى الأحزان ، دواء ما أعطته بوليد امنا زوجة « ثون » امرأة من مصر ، حيث تنبت الأرض أعشابا بعضها شاف وبعضها خادع ، بلاد حيث كل رجل فيها طبيب ذو قدرة تفوق قدرة البشر » .

وشهد شاهد من أهلها

فهل مازلنا نصر على أن ابقراط هو أبو الطب ؟ .. انني أدعو من خلال « العربي » الغراء أن تتفق على قَسَمْ طبي عربي .. نابع من أخلاقنا وطبيعتنا ومبادئنا الأصيلة التي تحثنا على أن نعترف بالفضل لأهله .

تقييد الصحافة مشكلة وتوجيهها مشكلة أكبر !

بقلم : ياسر الفهد

قرأت باهتمام كبير ومتعة حقيقية مقال (الصحافة ، حريتها مشكلة ، وتقييدها مشكلة أكبر) الذى نشره الاستاذ عبد الحميد الكاتب فى العدد (٣٠٣)من مجلة العربي ، والصادر فى مطلع شهر فبراير لعام ١٩٨٤ .

وهناك ثلاثة أسباب لاهتمامى الخاص بهذا المقال :

١ ـ ان مشكلة حرية الصحافة ، بالنسبة لنا ، وفى هذه الفترة العصيبة بالذات ، هى اكثر من مجرد موضوع هام ، انها تمثل موضوعا حيويا وخطيرا جدا . واذا كان الكتاب والمفكرون العرب حائرين اليوم فى تحليل العوامل المسؤولة عن تردى الأوضاع الحالية ، وفى كشف أسرار التراجع العربي وأستاره ، واذا كانوا لا يزالون عاجزين عن وضع الأصبع على الجرح الحقيقى ، وبيان ما اذا كان هذا العامل أو ذاك ، هو الأكثر مسؤولية عما يحدث ويجرى ، فاننا نستطيع أن نقرر بكل تأكيد أن تكبيل الصحافة هو من بين أهم عوامل المعاناة العربية ، لأن غياب النقد يسمح بتراكم الأخطاء واستمرار الانحراف ، ويؤدى الى اغلاق جميع منافذ التشخيص السليم ، وايصاد الأبواب أمام رسم الحلول الواقعية للمشكلات القائمة ، مما يمكن أن يقودنا فى النهاية الى الكارثة الكبرى ، اذا لم تكن مثل هذه الكارثة قد وقعت فعلا . لذلك ليس غريبا أن يكون موضوع حرية الصحافة ، اليوم هاجس الكتاب والشغل الشاغل للمثقفين العرب .

٢ ـ لأن كاتب المقال ـ وهو الذى عاصر الصحافة العربية لأكثر من نصف قرن ـ كان بارعا فى التعبير عن وجهة نظره ، وفى إظهار مخاطر الحرية غير المقيدة وما تجره من مشكلات كبيرة ، ثم بعد ذلك فى بيان الآثار والانعكاسات الخطيرة المترتبة على تصفيد الصحافة ، سواء على المستوى القطرى ، أو المستوى العالمى . ومن الطبيعى أن يخلص الكاتب الى أن اغتيال حرية الصحافة ، هو أكثر ضررا وأبعد أثرا من إطلاق العنان لها . ومن الواضح أن الهدف الأساسى للمقال التنبيه الى أخطار تقييد الصحافة ، بالذات . أما كشف عواقب الحرية المفرطة ، فقد استُعمل ، على ما يبدو ، كمدخل للوصول الى صلب الموضوع . وهذا امر طبيعى ، فمشكلتنا اليوم تكمن فى كبت الأقلام ولجمها ، لافى افلات زمامها وانطلاقها بلا حدود !

٣ ـ والسبب الثالث الذى جذبنى الى المقال ، هو أننى أهتم ، عادة ، بكل ما يكتب عن قضايا الصحافة ومشكلات العمل الصحفى وهموم الصحفيين ، نظرا لايمانى بالدور الكبير الذى يمكن أن تؤديه الصحافة فى حياتنا المعاصرة ، وبضرورة رفع الحيف عن الصحافة والصحفيين . ولن أناقش هنا ، فى هذا المقال الصغير ، كل ما تناوله الكاتب فى مقاله ، كالنظرة القديمة المجحفة الى الذين يشتغلون بالصحافة ، أو حديثه عن الجهود الدولية لاقامة نظام اعلامى جديد ، وغير ذلك ، ولكنى سأركز على أمر واحد هو حدود اطلاق أو تقييد حرية الصحافة ، ذلك لأن الكاتب الفاضل لم يوضح هذه الحدود بصورة جلية وبشكل مفصل . وفى بعض الأحيان استعمل عبارة (حرية الصحافة) أو (الصحافة المتحررة) كرديف للحرية المطلقة ، مع ان المقصود عادة

بحرية الصحافة الحرية المعقولة التي تفيد أكثر مما تضر وفي مؤتمرات الكتاب والصحفيين ، وفي التوصيات التي تصدر عنها ، تُستعمل هذه العبارة للدلالة على الحرية الموضوعية المعتدلة لا الحرية الهوجاء المفرطة التي تؤدي الى اقامة الدنيا واقعادها ، والتي يشار اليها بعبارات أخرى (كحرية الصحافة المطلقة) أو (حرية الصحافة المفرطة) . وعلى كل حال فان الحدود الفاصلة بين درجات منح أو حجب حرية الصحافة معقدة ومتشابكة وليس من السهل تعيينها بدقة .

وقد استعمل الكاتب ، أحيانا ـ ولكن ليس دائما ـ في مقاله ، عبارة (حرية الصحافة بلا قيود أو ضغوط) للدلالة على الحرية المفرطة أو المطلقة ـ وهذا استعمال سليم ـ ولكن من المناسب ان نفرق ، دائما ، ـ وليس فقط أحيانا ـ بين حرية الصحافة المعقولة ، وحريتها المتطرفة باستعمال العبارات المناسبة لكل منهما ، وذلك حتى لا يختلط المعنيان . ومن جهة ثانية ، فان الكاتب استخدم عبارة (الصحافة المقيدة بقيود الحكم) للدلالة على (الصحافة المقيدة) وعلى (الصحافة الموجهة) في آن واحد ، دون التمييز بينهما . (وقد يكون في نقدنا هذا مبالغة في الدقة أو اغراق في التفصيل . ولكننا على كل حال واثقون بأن مثل هذه الأمور لا يمكن أن تخفى على الكاتب الفاضل ، ولكنه ربما توخى الاختصار للوصول الى زبدة الموضوع بدلا من الخوض في تفاصيل لا يؤثر سردها في فحوى المقال .) لذلك رأينا أن نتوسع بعض الشيء في هذه النقطة بالذات ، استكمالا للمقال ، مقترحين أن يتم تقسيم حدود أو درجات منح أو تقييد حرية الصحافة الى خمس درجات :

١ ـ الاباحية (أو الحرية المطلقة) في الصحافة : ونعني ترك الحبل على الغارب للصحفيين كي يكتبوا ما يشاؤون ، ويتهجموا على كل من يحلو لهم التهجم عليه ، دون أي ضابط أو رادع ، بحق أو بغير حق ، سواء في المجال السياسي ، أو الاجتماعي أو الديني أو الثقافي . ومثل هذه الاباحية يمكن أن تؤدي الى حدوث منازعات ومشاحنات لا حدود لها ، والى اشاعة الكثير من البلبلة والاضطراب .

٢ ـ حرية الصحافة : والمقصود بها الحرية بشكلها المعقول المعتدل الذي لا افراط فيه ولا تفريط . انها الحرية التي تسمح بالنقد الذاتي الموضوعي ، وبالخوض في أي موضوع ، كنقد الممارسات السياسية ، ومناقشة التقاليد الاجتماعية والمعتقدات الدينية ، وهي التي تبيح للمواطن أن يناقش سياسة الدولة ، ويحاور كبار المسؤولين فيها ، طالما أن الغاية هي الوصول الى الحقيقة وتحري الواقع واقتراح الحلول . وعلى الرغم من أن حرية الصحافة تتضمن حرية نشر أي موضوع ، فان المقصود بها في أغلب الحالات ، حرية النشر في مجال النقد السياسي ، لأن هذا هو الحقل الأكثر حساسية . وحرية الصحافة تشكل المفهوم الضيق للحرية ، بمعناها الواسع المتمثل بحرية التعبير بشكل عام ، والذي يشمل التعبير بواسطة الصحافة أو الاذاعة او التلفاز أو النطق الكلامي .

٣ ـ الحرية النسبية : أي منح درجة من الحرية لا يجوز تجاوزها ، وهي التي تمكن الكاتب من التعبير عن رأيه ضمن حدود ضيقة ، وفي مجالات محددة . فبعض الدول تسمح بنقد ممارسات الدولة على مستوى من المسؤولين ، ولا تسمح بذلك على مستوى أعلى منهم ، كرئيس الدولة ، مثلا . وربما تكون هذه الدرجة من الحرية هي الدرجة التي تستطيع الصحافة العربية ـ في أحسن الأحوال ـ الوصول اليها ، في الوقت الحاضر على الأقل ، اذا لقيت النداءات الداعية الى اطلاق حرية الصحافة استجابات ايجابية من المسؤولين العرب .

٤ ـ قمع حرية الصحافة : وهذا لا يعني منع الكاتب أو الصحفي من التعبير عما يعتمل في ذهنه ويجول في خاطره ، فحسب ، بل وايضا عدم السماح له بتسجيل ما يجري من وقائع وأحداث بالطريقة التي تجرى بها فعلا ، اذا كانت دلالات هذه الوقائع لا تتفق مع وجهة نظر السلطة . اما الجهات التي يمكن أن تقوم بتقييد حرية الصحافة فهي الدولة بواسطة رقابتها الاعلامية ، أو

المجتمع الذى لا يبيح نشر آراء صريحة فى الدين أو الجنس، مثلا، أو الصحيفة نفسها اذا تعارضت آراء الكاتب مع خطتها الصحفية، أو أهدافها أو ايديولوجيتها الخاصة، أو انتمائها السياسى.

٥ ـ توجيه الصحافة: وهذا يمثل، فى معناه السلبي، وضعا أكثر تطرفا من مجرد نسف حرية الصحافة. فالتوجيه لا يكتفى بتجميد قلم الكاتب، والحيلولة بينه وبين الجماهير بالحق والحقيقة، بل يتجاوز ذلك الى حد رسم الخطوط وتحديد المسارات التى يجب أن تلتزم بها الصحافة المحلية، بحيث تصبح جميع أخبار الصحيفة وتحليلاتها وآرائها دائرة فى فلك تمجيد النظام القائم، وتأكيد شعاراته والاحتفاء بانتصاراته.. حتى لو كانت انتصارات وهمية لا وجود لها على أرض الواقع. ومثل هذا الاملاء، يمثل تقزيما للصحافة، واحتقارا للقلم، واستهانة بجماهير القراء. وتكتسب الصحافة الموجهة معنى ايجابيا سلبياً، عندما يكون التوجيه فى صالح الأمة ومن أجل الخير والسداد، والابتعاد عن الشطط والزلل. ولكن ما يحدث فى كثير من الدول النامية، اليوم، هو أن التوجيه يتم، للأسف، لصالح السلطات الحاكمة والزعامات التى لا تناقش.

بعد هذا الاستعراض السريع لحدود حرية أو تقييد الصحافة، نود أن نحدد المشكلتين الرئيسيتين المرتبطتين بهذا الموضوع:

١ ـ مشكلة تقرير مقدار أو درجة الحرية الواجب منحها، وتعيين ما هو مسموح به، وما هو ممنوع.

وهذه بالطبع مشكلة عويصة للغاية، لأن الأمور فيها نسبية، والفواصل متشابكة. ومن جهة ثانية، فان من غير الممكن ايجاد وصف أو تعريف واضح للحالة المثالية لحرية الصحافة، أو تحديد مقاييس دقيقة لها. ويبدو أن مثل هذه الحرية المثالية لا وجود لها فى أي مكان من العالم. وحتى فى الولايات المتحدة التى تفخر بديموقراطيتها، فان هناك خطوطا حمراء امام كثير من القضايا الحساسة. فهل يستطيع كاتب أميركي، أن يناقش، مثلا، أخطار هيمنة الصهيونية على السياسة الأمريكية؟ أو أن يخوض فى موضوع خضوع رؤساء الولايات المتحدة لضغوط أصوات الناخبين اليهود؟

٢ ـ مشكلة تطبيق هذه الحرية ـ وللأسف ـ فان تقييد الصحافة مرتبط على الأغلب، بالعقلية الدكتاتورية المتطرفة، التى ترى فى اطلاق حرية الصحافة خطرا على هيمنتها وجبروتها. ولكن الحقيقة أن تكبيل الأقلام قد يخدم الحاكم فى المدى القريب، ولكنه ضد مصلحته فى المدى البعيد. وقد استشهد الأستاذ عبد الحميد الكاتب فى معرض حديثه عن أخطار هذا التكبيل، بالتاريخ وعبره: فما حدث للنازية، وما يحدث الآن فى الدول الصغيرة والنامية، يثبت أن شل أقلام الكتاب وتكميم أفواه المثقفين ومنع المفكرين من تحليل مشكلات البلاد وانارة دروب المستقبل، هو فى غير صالح الحكام والشعوب على حد سواء. ويجب أن يكون هذا كافيا لاقناع أولى الشأن وأصحاب القرار، بتغيير نظراتهم التقليدية المتعصبة المعادية لحرية الصحافة، ولافهامهم بأن خطر حجب الحرية هو أشد هولا فى المدى البعيد من خطر منحها.

وبالنسبة للأقطار العربية، فان الكتاب يتمتعون بمقدار ضئيل جدا من الحرية، ولكنه يزيد قليلا على المقدار الذى حدده أحد الأدباء العرب المتشائمين، عندما قال بأن الحرية الممنوحة لجميع الكتاب العرب فى الوطن العربي لا تكفى لكاتب واحد! فالكاتب العربي يستطيع اليوم أن يتحدث عن السلبيات السياسية العربية، وما آلت اليه أوضاع العرب، طالما أنه يقتصر على العموميات دون التحديد والتخصيص. وهذا طبعا غير كاف، فهناك حاجة الى منح قسط أكبر من الحرية للكتاب العرب كي يناقشوا القضايا المصيرية للأمة العربية بحرية وصراحة، كما أن الحاجة تدعو الى تحويل توجيه الصحافة عن المعنى السلبي الى المعنى الايجابي، فالتوجيه يجب أن ينصب نحو حث الصحافة الى معالجة مشكلات الوطن بحرية بناءة بعيدا عن جميع الأهواء والاغراءات، لا نحو تلقين الكاتب واملاء الكتابة عليه، وربما ارغامه على تمجيد الخطأ والتصفيق للباطل. □□

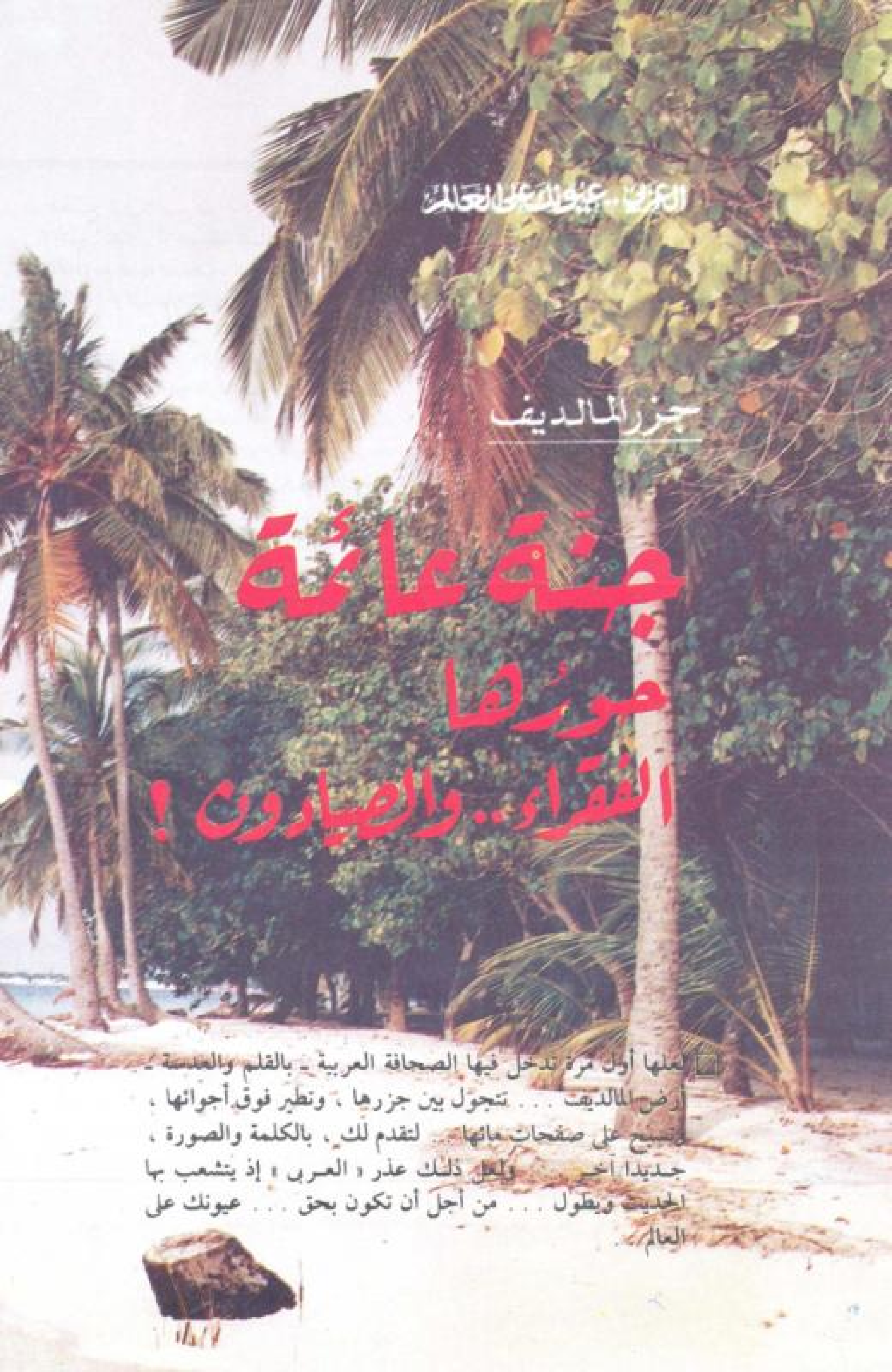
العربي .. عيونك على العالم
جزر المالديف
جنة عائمة
حورها
الفقراء .. والصيادون !
لعلها أول مرة تدخل فيها الصحافة العربية ـ بالقلم والعدسة ـ
أرض المالديف . . . تتجول بين جزرها ، وتطير فوق أجوائها ،
وتسبح على صفحات مائها . . لتقدم لك ، بالكلمة والصورة ،
جديدا آخر . . . ولعل ذلك عذر « العربي » إذ يتشعب بها
الحديث ويطول . . . من أجل أن تكون بحق . . . عيونك على
العالم

حورية صغيرة من جنة الفقراء .. على شفتيها ابتسامة .. وعلى وجهها قناعة ورضا وأمان .

بين أصابعه باقتان من حصيلة صيده .. وعيناه راضيتان رغم ثقل الأعباء والمعاناة .

استطلاع : سليمان مظهر

تصوير : سليمان حيدر

تحت ظلال نخيل جوز الهند ، على الشاطىء اللازوردي الرائع لجزيرة « فيلنجلي » ، ورذاذ المطر يضرب وجوهنا .. كان زميلي المصور يصوب عدسته ليلتقط ذلك المشهد الرائع لقوس قزح .. الجسر الالهي الذي ينحدر من السماء الى حيث مياه المحيط الهندي الواسع اللانهائي . وكمثل لمحة البرق التي التقطت بها العدسة ألوان قوس قزح .. برق في خاطري ذلك المشهد من أسطورة شرقية قديمة ... تحكي أنه في زمن قبل مئات الآلاف من السنين ـ حين لم يكن ثمة شيء سوى السماء ، والمحيط اللانهائي ـ وقف الاله الشاب إيزاناجي وفوق رأسه إكليل من النور ، يطل في حيرة إلى رفيقته ذات الجمال الرائع والشعر المسترسل على الكتفين كأسلاك الذهب ... وكانت الحيرة تملأ رأس الالهين الشابين ، فقد كانا يدركان خطورة المهمة التي عهد بها إليهما مجتمع الآلهة ، حين أصدروا اليهما أوامرهم بالهبوط من السماء ليخلقا أرضا يقيمان عليها الحياة . ووقف الالهان الشابان فوق جسر قوس قزح ، يحدقان في المياه الصاخبة التي تهدر عند أسفل الجسر . أيمكن أن يكون هناك شيء صلب وسط هذه الأمواج المتلاطمة يتخذان منه مقرا للعالم الذي كلفا أن يخلقا فوقه الحياة ؟ وبدا لايزاناجي أن يتحسس برمحه الطويل المرصع بالجواهر صفحة الماء علّه يجد أرضا . غير أن شيئا صلبا لم يحتك بالرمح قط . ويئس الاله فرفع رمحه ، ولم يكد يفعل حتى سالت من الرمح خيوط طويلة من الماء ، راحت تتجمع وتتكثف وتتصلب وتمتد فوق صفحة المحيط لتصبح يابسة صلبة واسعة الأرجاء . وفي استغراب راح ينقل بصره بين هذه الأرض الصلبة وبين الرمح الذي كانت خيوط الماء المنسابة منه قد بدأت تتقطع الى نقاط تتلاحق ببطء واحدة إثر أخرى . وحين أحس أن نقاط الماء بدأت تقل بالتدريج . نفض الرمح عدة مرات في أكثر من اتجاه . وتساقطت قطرات الماء حسب اتجاه الرمح لتتكثف وتتصلب وينتج عنها آلاف من الجزر الصغيرة المتناثرة . تشكل كل مجموعة منها أرخبيلا من الجزر ... في أكثر من مكان على صفحة المحيط .. !

ومن بين هذه الآلاف من الجزر الصغيرة المتناثرة ... كانت الجزر الألف ومائتين ، والتي تمتد الآن على صفحة المحيط الهندي ... مشكلة مجموعة جزر المالديف .. !

جزر المرجان

تلك هي الحكاية الأسطورية التي يستخلص من خلالها ذلك التشكيل الغريب لمجموعات جزر المالديف الممتدة على خطين يكادان يكونان متوازيين من الشمال الى الجنوب غربي شبه جزيرة الهند ... وشرقي شبه جزيرة العرب .. !

على أن الحقيقة الجغرافية ـ وكما شهدناها ـ تقول غير ذلك ، فهذه الجزر الحلقية المرجانية تشكل أرخبيلا يشتمل على ١٩ مجموعة جزرية ، تضم نحو ١٢٠٤ جزيرة منخفضة السطح ... لا يزيد عدد الجزر المأهولة منها عن ٢٠٢ جزيرة ... ولا تتجاوز مساحة اليابسة أكثر من ٢٩٨ كيلو متر مربع يقيم عليها ١٥٧ ألف نسمة . هذه المساحة الصغيرة من اليابسة ، مع كثرة عدد الجزر ، تعطي فكرة واضحة عن أن بعض هذه الجزر هي في الحقيقة مجرد جسور أو مساحات صغيرة جدا تكاد تغمرها المياه ... وبعض هذه الجزر ما يزال في مرحلة التكوين ... ومنها ما تغمره المياه بالتدريج . وتحتوي كثير منها على بحيرات ساحلية وفيها عيون عذبة المياه ... ولأن هذه الجزر تقوم على الصخور المرجانية ... فانها مسطحة ، وأعلى نقطة فيها لا يزيد ارتفاعها عن سطح البحر بأكثر من ستة أقدام ... ومع هذا فهي محمية من العوامل الجوية بواسطة صخور الشاطىء ، ونادرا ما تتعرض للعواصف .. وأغلب هذه الجزر التي تتكون من مدرجات مرجانية تبرز على السطح .. يؤكد أصلها المشترك أنها قامت على رؤوس بركانية خامدة ... تنفصل كل منها عن الأخرى بما يشبه القنوات العميقة ... بعضها صالح للملاحة ... والبعض الآخر سريع المجرى تتناثر صخوره المرجانية بغير انتظام ...

من هنا لم يكن غريبا أن يجهل الكثيرون كل شيء عن جمهورية المالديف ... فهي لا تكاد تبين على أغلب خرائط العالم ، الا من بعض نقاط ـ غير معني بتسميتها ـ تتناثر على خريطة المحيط الى الجنوب الغربي من جزيرة سيلان (جمهورية سيرلانكا الآن) ولعلها لم تكن تعرف للكثيرين من المسلمين الا بعد أن أذيع اسمها ضمن الدول التي تشكل منظمة المؤتمر الاسلامي ... بل ويجهل الكثيرون انها تكاد تكون الدولة الاسلامية الوحيدة في هذه المنطقة التي يسكنها ١٠٠٪ من المسلمين ليس بينهم أجنبي واحد ـ عدا السياح ـ وليس فيهم من يتبع عقيدة أو دينا غير دين الاسلام .

وكما تعودت « العربي » ـ عزيزي القارىء ـ أن تكون عيونك على العالم ... فقد كان لا بد لبعثتها أن تنقل اليك كل شيء عن هذه الجمهورية الاسلامية التي تتجاهلها خرائط العالم .

والطريق الى المالديف لا بد أن يمر جوا بمطار كولمبو عاصمة سيرلانكا . واذا تخلفت عن طائرة يوم السبت فلن تجد سوى طائرة واحدة أخرى تنقلك اليها يوم الثلاثاء من

كل أسبوع .. فكل الطائرات عدا ذلك هي طائرات سياحية « شارتر » تنقل السياح من بعض دول أوروبا رأسا ... أما غير ذلك فلن تجد أمامك الا الوصول اليها عن طريق البحر . على ظهر سفينة لشحن السمك ، تخترق خمسمائة كيلو متر وهي في طريق العودة الى جزيرة « ماليه » العاصمة ... بعد أن تكون قد أفرغت حمولتها من السمك المملح والمجفف على سواحل سيرلانكا ..

الجنة العائمة

على أن الرحلة البحرية لن تتيح لك أبدا مثل هذا المشهد الرائع لمجموعات الجزر المتناثرة التي يمكن أن تشهدها وأنت تطل على المحيط الهندي من على متن الطائرة .. وخاصة اذا أتيحت لك فرصة ركوب الطائرة على الخطوط الداخلية بين مطار الدولة في جزيرة هالول القريبة من ماليه العاصمة ... وبين أكبر الجزر في الجنوب حيث جزيرة جان - ذات الأربعة كيلو مترات المربعة - فستشهد عيناك طوال الرحلة الجوية التي تستغرق ساعتين أجمل مشهد للأرخبيل الجزيري الذي تتناثر جزره في شكل جميل رائع تتجلى فيه مظاهر الاعجاز الالهي ... ويمتد على هيئة صفين متوازيين بطول ٥١٢ ميلا من الشمال الى الجنوب مع اتساع بين أقصى الجزر في الجانبين يصل الى حوالي ٨٠ ميلا .

انها لوحة رائعة حية ... للجنة العائمة .. !

وهي لوحة لن تستطيع ، وأنت تطل عليها من أعلى ، أن تنساها قط ..... فهنا مساحة كبيرة زرقاء صافية تمتد من حيث خط الأفق السماوي ، ليلتقي معها اللون الزمردي المحيط بدوائر خضراء زاهية ، تتمثل في مئات الجزر الخضراء المغطاة بعشرات الآلاف من أشجار جوز الهند وأشجار زيت النخيل والتين الهندي والمانجو والموز .

جنة عائمة حقا .... ولكنها أيضا ... جنة الفقراء .... !

ولأنك لن تستطيع أن تطل باستمرار الى هذه الجنة العائمة من أعلى ... فلا بد لك من النزول الى الأرض ... لتشهد ما الذي يجري على أرض الواقع ... حيث يعيش سكان هذه الجنة ... !

تعال معنا اذن ونحن نضع أقدامنا على أرض أول جزيرة نهبط اليها من الطائرة التي أقلتنا من كولمبو الى جزر المالديف ..

نحن الآن في جزيرة هالول ... جزيرة طولية لا تتسع لأكثر من المطار الدولي ... طولا يكفي تقريبا للممر

هنا تتناثر ١٢٠٠ جزيرة على اتساع المحيط الهندي تشكل ١٩ مجموعة جزيرية كل منها تسمى (أتول)

الطويل الذي تسير عليه الطائرة النفاثة خلال الاقلاع أو الهبوط ، بعد أن أزيلت من أرضه - وهي أرض الجزيرة كلها - جميع الأشجار الاستوائية ، حتى يمكن اعداد المطار لتأدية مهمته ...

ونلاحظ أن المطار حديث البناء ... ونعرف أنه أنشىء عام ١٩٨١ بمساهمة كويتية سعودية ظبيانية لتفتح المالديف أبوابها على العالم الخارجي . وتستقبلنا مندوبة وزارة الاعلام الأخت نسمة ومعها زميلة لها لانهاء معاملاتنا ... وتتقدمنا بضع خطوات الى حيث نجد أنفسنا على متن قارب بخاري سريع ينطلق بنا من جزيرة هالول الى جزيرة ماليه ... عاصمة المالديف ..

المسافة بين الجزيرتين على القارب البخاري السريع لا تزيد عن عشر دقائق ... يضرب خلالها رذاذ الماء وجوهنا فينعشنا ويفتح عيوننا أكثر على البانوراما الواسعة التي تشغل مياه المحيط الزرقاء أغلبها .. بينما يتوسطها مشهد جزيرة العاصمة ... المدينة ... الميناء ... في مساحة لا تتجاوز كيلو متر ونصفا ..

مطار هالول . . وطائرة السيت . . وانفتاح على العالم الخارجي

صالة المطار . . تستقبل السياح من كل مكان .

الماء . . والمرجان . . والوجه الحسن .

مجمع الوزارات . . والطوابق الأربعة . . ودراجات على الواجهة تنتظر الموظفين والموظفات .

ولكن . .   أين العرب ؟

رصيف الميناء . . وسفن الصيد . . ونزهة على الشاطىء بعد أن توقفت الأمطار .

ونقترب أكثر . . . وتلوح لنا مدينة هادئة وادعة . . . لا ترتفع فوقها بنايات لأكثر من طابقين . . . عدا مبنى واحد يرتفع أربعة طوابق تخبرنا الأخت تسمة انه مجمع الوزارات . . . وتشير الى قبة مذهبة تلمع في وسط الجزيرة وقد انعكست عليها أشعة الشمس وتقول بفخر . . . هي قبة مسجد الدولة والمركز الاسلامي الذي يجري بناؤه تمهيدا لافتتاحه هذا العام . .

ويزداد اقتراب الزورق من الشاطىء المتد في مواجهتنا . . وتتابع كشريط سينمائي مئات من سفن وقوارب الصيد تستلقي على طول الشاطىء كله . .

وننتبه على الفور الى أننا قد بدأنا زيارتنا الاستطلاعية لبلاد السمك . . . وأن تنقلاتنا ستكون ابتداء من تلك اللحظة كما في البندقية . . . فوق قارب . . . كالجندول . . . على صفحة مياه المحيط . . !

شعب البساطة . . . والمعاناة . . !

انه مجتمع الصيادين . .

ومنذ اللحظة الأولى التي وضعنا فيها أقدامنا على أرض العاصمة « ماليه » شعرنا على الفور أننا وسط قوم بسطاء . . . بعيدين تماما عن التعقيد . . . مسالمين الى أقصى الحدود . . . تطل علينا وجوههم في طيبة وهدوء . . . وتشع منها قناعة ورضا بكل شيء . . ولكننا حين تشدنا الحركة المتثاقلة التي تنوء بها الأكتاف والخطوات . . . نحس انه شعب مجهد . . . يشقى ويكافح من أجل لقمة عيش تأتيه من مغالبة الأمواج . . . بوسائل صيد تقليدية عتيقة . . . تعتمد في انتاجها على التعب والمعاناة . . . وعلى خبرة طويلة في اقتناص الأسماك بالقصبة والسنارة والشباك . . . ولا شيء بعد . . !

شيء واحد يجعلنا نحس أن هناك ما يخفف عن الصيادين التقليديين بعض العناء . . حين نطل الى قوارب الصيد فنجدها كلها مزودة بمحركات حديثة . . تسهل عليهم مغالبة البحر . . وتحول جهد التجديف الى جهد للصيد . . والى زيادة في عدد الأفراد العاملين في المهنة . . . وبالتالي عدد الملاك للقوارب المشتغلين بأيديهم وعرقهم للحصول على ناتج صيد يبيعونه بأنفسهم . . . رزقا حلالا طيبا . .

ونعرف أن عملية ميكنة القوارب قد بدأت حوالي عام ١٩٧٠ بقروض وكفالات حكومية لصالح الصيادين . . . وأن عدد القوارب التي تم ميكنتها قد بلغ حتى نهاية عام ١٩٨٣ حوالي ١٤٠٠ قارب صيد . .

السمك . . . ثروة . . . ومشكلة . . !

وندرك أن صيد السمك . . . هو عماد الثروة الوطنية للبلاد . . . فاقتصاد المالديف - كما يقول لنا السيد وحيد مدير ادارة الاستعلامات بوزارة الاعلام - يقوم على صيد السمك الرعاش « البونيتو » والى جانب أنه الغذاء الرئيسي للسكان فإنه يسهم بنحو ٩٠ في المائة من قيمة الصادرات .

ويعد سمك المالديف - وخاصة سمك التونة - من الأطباق الشهيرة في الهند واليابان وسيرلانكا التي يصدر اليها معظم الانتاج بعد تجفيفه . .

ومع ذلك فثمة مشكلة رئيسية تواجه صناعة تجفيف الأسماك . . . وقد لاحظنا آثار هذه المشكلة بشكل واضح خلال زيارتنا لجزيرة « تولسدو » حيث كل السكان - مثل بقية الجزر المأهولة - من الصيادين . عدد الصيادين في هذه الجزيرة ٩٠ رجلا وأفراد أسرهم يصل الى حوالي ٤٠٠ من النساء والأطفال بينهم ١٥٠ من الطلاب يتعلمون في مدرسة الجزيرة القائمة غير بعيد من مخازن حفظ السمك المجفف ، حيث يجمع ناتج جهد الصيادين في الجزيرة . وفوجئنا بالمخازن شبه خالية . . وقال لنا خطيب المسجد - الذي يعتبر في الجزر أقرب الى العمدة أو رئيس مجلس الجزيرة وقاضيها - أن الصيد لم يعد بالكثرة التي كان عليها في السابق . . . فالتوجيهات الحكومية للصيادين هي عدم المبالغة في حصيلة الصيد حاليا لأن تصريف السمك المجفف قد تضاءل كثيرا . . ذلك لأن المستورد الرئيسي للسمك المجفف هو سيرلانكا التي ضيقت من استيرادها لسمك المالديف . فمنذ عام ١٩٧٢ بدأت سيرلانكا تخفيض حصة استيرادها بالتدريج حتى توقفت تماما في عام ١٩٧٨ . وقد أدى ذلك بالصيادين الى تغيير صناعة تجفيف السمك الى محاولة بيع السمك طازجا ، أو مملحا . . . كما دعت الحكومة شركات أجنبية متخصصة لشراء حصيلة الصيد طازجا وتصديره مجمدا . على أن سيرلانكا قد تراجعت عن هذه المقاطعة لأسماك المالديف في عام ١٩٧٩ ولكن مع تخفيض كبير في الكمية المستوردة .

لم يكن ذلك هو كل شيء ، فقد عانت صناعة صيد السمك - وصناعة بناء السفن أيضا - في السنوات الأخيرة من الركود الاقتصادي العالمي وهبوط الأسعار . وانهارت أسعار « التونة » المصدرة في عام ١٩٨٢ . وكان على الحكومة أن تتقدم لتتولى عمليات احدى الشركات التي انسحبت من البلاد . ولكن الأسعار استعادت عافيتها

العاملون في صيد السمك يشكلون ٤٠٪ من القوى العاملة في المالديف .. والصيد هو العماد الرئيسي لحياة السكان .

قليلا في عام ١٩٨٣ .. وهو نفس ما حدث لصناعة بناء السفن فيما بين السبعينات وعام ١٩٨٣ .

يقول لنا مرافقنا ونحن نتنقل في القارب البخاري لزيارة بعض جزر المالديف ، ونقترب أو نبتعد عن سفن الصيد التي لا يزيد عدد العاملين على كل سفينة منها عن ثمانية أفراد :

ـ هكذا تتحرك سفن الصيد في مياه كل مجموعة من مجموعات الجزر منذ الصباح الباكر كل يوم ... وان كانت عملية صيد سمك التونة في المياه العميقة تتم بكميات كبيرة في موسمين رئيسيين يمتدان بين شهرين وستة شهور خلال السنة . وهناك أنواع أخرى من الأسماك يتم صيدها بينها سمك القرش وجراد البحر وأم الربيان وكل أنواع المحار ... فلا تنس أن أغلب الجزر تقوم على صخور مرجانية وتعمر شواطئها بالشعاب المرجانية التي تعتبر موئلا للحيوانات المحارية وأسماك الزينة الملونة الزاهية بأكثر من ألوان قوس قزح ..

وفي جزيرة « هورا » نشهد عملية تصنيع السمك المملح وتجميعه تمهيدا لشحنه وتصديره .. ونعرف من المشرف على المصنع أن عملية تمليح السمك تمر بأربع مراحل هي الغليان والتمليح والتدخين والتجفيف . أما صناعة تعليب السمك فقد أسست عام ١٩٧٧ حيث أقيم مصنع التعليب في جزيرة « فيليفارو »

واذا كانت الحكومة قد ساعدت على عملية ميكنة قوارب الصيد وعلى تجميع السمك المملح والمجفف والمعلب وتصديره ، فقد قامت أيضا في السنوات الأخيرة بعدة مشروعات للنهوض بهذه الصناعة ... من بينها تسهيلات التخزين والتجميع والتسويق بالاضافة الى عمليات الصيانة الميكانيكية للقوارب والسفن .

وترتبط صناعة السفن بتقدم صناعة الصيد ... وصناعة السفن فن قائم بذاته في المالديف ، يشتغل فيها فنيون مهرة ، ويستخدمون سيقان أشجار جوز الهند وأليافه في صناعتهم التي تتم عن خبرة متوارثة ..

ولكن ..

كيف تجري الحياة في مجتمعات الصيادين في جزر المالديف .. ؟

ما شهدناه خلال زيارتنا لجزيرة « تولندو » وجزيرة « هورا » وغيرهما من الجزر ... يعطي فكرة أن مجتمع الجزيرة عادة يصل في المتوسط الى خمسمائة نسمة ... وإن كان في بعضها أقل من ذلك بكثير .

يتولى الأمر في كل مجموعة من مجموعات الجزر التسعة عشرة ... محافظ يعينه رئيس الجمهورية ، وهو مسؤول عن الأمن والاستقرار وكل ما يتصل بحياة الناس في المجموعة الجزرية التي تتبعه . أما في كل جزيرة فالخطيب « وهو الامام في المسجد أيضا » هو الذي يرأس المجلس المحلي ويصدر بتعيينه قرار حكومي . والخطيب مسؤول أمام المحافظ عن تنفيذ القانون والمحافظة على الأمن واستتباب أمور السكان وجمع الاحصائيات وتنفيذ سياسة الحكومة .

ومجتمع الجزيرة عبارة عن مجموعة الأسر التي تسكنها ، حيث يقوم الرجل بكل شيء ... ولا تحرم المرأة من المشاركة بحرية في كل الأنشطة عدا الصيد . وهي غير محتجبة ، وتشارك البنات الصبيان في المدرسة المشتركة

. . . وتستلقي مراكب الصيد . . ويهدأ الصيادون مع القيلولة . . بعد رحلة صيد الصباح (الصورة العليا) ولكن الوجوه تشع بالطيبه والمسالمة . . رغم الجهد والمعاناة (الى اليسار) والصبيان لهم من حصيلة الصيد نفس نصيب الكبار . . الرزق يقتسمه الجميع . . لافرق بين كبير وصغير (في الوسط) .

الاعداد لوجبة شهية من السمك الرعاش (البونيتو) . ولابأس
عند الابناء من الانتظار .. على شاطىء جزيرة تولسدو .

(الجندول السياحي) هو وسيلة الاتصال بين الجزر وانتقال السياح الى العاصمة والمطار .

الابتدائية بلا قيود ... والصغار يبالغون في احترام الكبار ، وتكون الأسر في الجزيرة مجموعات متقاربة متعاونة اذ أن الرجال يخرجون مع فجر كل يوم للصيد ويعودون مع الظهيرة ، ثم لا يغادرون جزيرتهم الى أي جزيرة أخرى إلا فيا ندر .... من هنا فان الحياة تكاد تكون مغلقة عليهم مما يوثق الروابط بينهم . ويتدرب الصبيان على الصيد ابتداء من سن العاشرة ، وكلما كثر عدد الأبناء المشاركين للأب على السفينة ، ازداد نصيبه من حصيلة الصيد ، لأن الانتاج يوزع بالتساوي على كل طاقم السفينة رجالا وصبيانا . أما النساء والبنات فمهمتهن داخل البيوت يؤدين الأعمال المنزلية ويقمن ببعض الصناعات اليدوية ..

المجتمع المحلي وحكاياته وأخباره هي كل شيء في حياة الناس في الجزيرة ... كبارا ، أو صغارا .. ثم لا شيء بعد ..

الجزر السياحية

ومع ذلك ... فاذا كانت هذه هي الحياة في جزر الصيادين ... فثمة جزر أخرى على مدى اتساع المالديف لم تكن مأهولة من قبل ... ولم يحاول الصيادون النزول اليها أبدا بعد أن اكتفوا بالجزر المائتين المأهولة بالسكان ... أما الجزر الألف الباقية فيا تزال على استعداد لاستقبال أي « روبنسن كروزو » جديد ... يستطيع أن ينفرد بالحياة في ظل الطبيعة البكر .

ولكن « كروزو » الذي لا ينتظر أن يجيء في هذه الأيام ... احتل مكانه عدد من المستثمرين استطاعوا أن يحولوا ٤٨ جزيرة من الجزر الألف الخالية الى جزر سياحية ..

الجزر تتمثل فيها كل إبداعات الخالق ... لوحات حية من الجمال الطبيعي الرائع والخضرة الدائمة والثمار التي لا تجد من يقطفها .. وصفها الرحالة ابن بطوطة بأنها « آية في الجمال الساحر ، وعجيبة من عجائب الدنيا » ، وسماها الدكتور حسين فوزي في رحلات سندباد بحري بأنها « جنة الله في الأرض » .

واذا كان هذا هو وصف السابقين ... فماذا تقول نحن عن هذه الجزر بعد أن تحولت الى متنجعات سياحية ... تفتح أحضانها للذين يحملون زادهم وعتادهم وأموالهم للسياحة في بلاد هؤلاء الذين يتركون بلادهم ليتمتعوا في عطلاتهم بروعة الجمال في بلادنا .. ؟ !

على أي الحالات .. هذا دأبنا ... أموالنا دائما للغرباء . !

ولكن ... لنحاول أن ننسى ذلك الآن ، وننطلق الى واحدة من هذه الجزر التي يفضلها السياح على البلدان الأخرى ، لما تزخر به من آيات الجمال والنظافة والخضرة ... مع الهواء النقي والسواحل الساحرة والمياه الفيروزية الصافية .

تعال معنا ـ عزيزي القارىء ـ في رحلة سياحية الى جزيرة « فيلانجلي » .

ثمة احساس نفسي داخلي يدفعك الى التمتع بالرحلة البحرية وأنت تنطلق على صفحة الماء في « قاربك الجندولي » ليأخذك الى نوع جديد من الحياة في متنجع سياحي . رذاذ الماء الذي يضرب وجهك ... ونسمات الهواء التي تنعش نفسك ... ولمسات الأمل التي تملأ أعماقك ... كلها لون جديد غير هذا الذي تحسه وأنت في طريقك الى أي رحلة عمل ... شيء ما يستحثك على أن تملأ رئتيك بالهواء النقي ، وكأنه نوع آخر من الهواء غير الذي كنت تستنشقه من قبل ... واسترخاءة ناعمة يستسلم لها جسدك غير تلك الاسترخاءة المنهكة التي تعيشها في حياة كل يوم .

وعند الساحل الفيروزي الذي تتابعه من بعيد وأنت تقترب من الجزيرة .... تحس أنك في طريقك الى

نظرة من فوق الممر . . . الى أشجار جوز الهند والخضرة الدائمة في المنتجع السياحي .

فردوس طالما تمنيته وحلمت به . وتخطو الى رصيف الميناء الصغير حيث أرض الجنة . .

الممر الذي تسير عليه لتصل الى مكتب الاستعلامات يحيط به من الجانبين حوض بحري واسع تسبح في مائه مجموعات من مختلف أنواع الأحياء المائية التي يزخر بها المحيط الهندي . . . أسماك استوائية زاهية الألوان متباينة الأشكال . . . وسلاحف بحرية ذات أصداف رائعة مختلفة الأحجام . . . . وثعابين مائية تتلوى وهي تنساب بين الأسماك الملونة . . . وجراجير لاهي بالكبيرة ولا بالصغيرة تحس أنها لا يمكن أن تنتسب لفصيلة القرش المفترس وهي تتحرك في هذا الصفاء الرائع . . . وأنواع متباينة الروعة من الأحياء البحرية المحارية بأصدافها ذات البريق الأخاذ . .

انه « اكواريوم » كامل من أحياء المحيط الهندي . . . وبداية رائعة لفترة استجمام هادئة ناعمة رخية . .

الا ما أروع ما يتمتع به السياح الأجانب . . . . وتتجاهله . . !

الجزيرة عندما تتجول فيها . . . منتجع سياحي متكامل . شاليهات وغرف أنيقة مزودة بكل احتياجات المقيم . . . تستلقي بين أشجار جوز الهند والنخيل والأشجار القصيرة دائمة الخضرة التي تغطي كل المسطح الدائري للجزيرة التي لا تتجاوز مساحتها نصف كيلو متر مربع - وديكور الجدران يقوم على استغلال كل أنواع الأصداف والمحار وقشور جوز الهند . والأسقف المنحدرة مغطاة بسعف النخيل في أناقة مبهجة . . . انه مجتمع يقوم على الاكتفاء الذاتي في كل شيء . . . مع وقاية كاملة ضد أي تقلبات جوية استوائية . . . بالاضافة الى جميع التسهيلات التي تضمن الراحة والاستمتاع ، بما في ذلك ملاعب التنس وساحات ومعدات الرياضة المختلفة وأدوات الغطس والسباحة وقوارب النزهة الشراعية . . . وهناك المطعم والكازينو المقام على أعمدة من سيقان شجر جوز الهند وجريد النخيل ، بأثاثه المصنع محليا من الخوص والبامبو مع فنون الديكور الغابي الاستوائي . . . والأضواء الخافتة التي تطل من بين الأغصان مرسلة شعاعاتها المسترخية على مياه الساحل الممتد أمام الشاطيء الرملي . . الناعم الحرير . بينما الأجزاء الأخرى من الساحل تغطيها أنواع من الشعب المرجانية بما يتخللها من أصداف ومحارات ، وما ينساب بينها من أسماك زاهية الألوان والأحجام .

وتدور بعينيك فلا تجد غير سياح أجانب . ألمان وإيطاليين وفرنسيين وسويديين وانجليز . ويابانيين وكوريين . . كلهم يأتون في مجموعات سياحية عن طريق مكاتب السياحة المتعاقدة على احضار السياح بتخفيض في أسعار السفر والاقامة ، وعلى طائرات شارتر من عواصم بلادهم الى مطار هالول . .

من خلال هذه الجزر السياحية استطاعت المالديف أن تحصل على مصدر جديد للدخل القومي والنمو الاقتصادي . . وقد بدأ استغلال هذه الجزر في أوائل السبعينيات . وفيما بين عامي ١٩٧٨ و ١٩٨٣ زاد استيعاب غرف الاقامة عشرة أضعاف . . كما تزايد عدد الجزر المستغلة للسياحة من خمس جزر الى حوالي خمسين جزيرة . .

فهل ما يزال هناك إمكان لمزيد من التوسع في النشاط السياحي وخاصة اذا فتح الباب أمام مستثمرين وسياح ورؤوس أموال من العالم العربي والاسلامي ؟

انه مجرد سؤال . . يحتاج الى جواب . . !

ماذا في العاصمة ؟

ونعود مرة اخرى الى العاصمة . . ماليه . . مدينة الكيلومتر ونصف . . . التي يسكنها اربعون الف نسمة . . هم حوالي ثلث عدد سكان البلاد الذين بلغ عددهم حسب آخر احصاء عام ١٩٨١ حوالي ١٥٦ ألف نسمة . وبرغم هذه الكثرة في عدد سكان العاصمة الا أننا لا نشعر بالزحام فيما عدا منطقة السوق ، حيث ملتقى الصيادين والبضائع الاستهلاكية والغذائية المحلية

أروع أنواع الشعب المرجانية ..
واللاحف البحرية .. والأصداف
والمحارات الزاهية الألوان .. تستطيع أن
تشاهدها على الشواطىء الفيروزية للجزر
المتناثرة في قلب المحيط الهندي .

والمستوردة .. ساحة بيع السمك لا تخلو ابدا من البائعين والمشترين ... والجميع يمسكون في أيديهم أي كمية من الاسماك في باقات تلتف حولها أصابعهم من ناحية الذيل .. البطيخ وجوز الهند يعرض في أكوام متناثرة في ساحة السوق .. ولا تحس أن المساومة تلعب أي دور اثناء البيع والشراء ... فالكل ببساطة .. يحسون بمعاناة بعضهم البعض ، فلا يثقل أحد على الآخر في الثمن .. وبكل الهدوء والمسالمة ينظرون اليك وأنت تلتقط الصور ... فلا يتعمدون بل يسهلون لك مهمتك في بساطة وحب ....

تعال بنا نتحرك في طرقات العاصمة .. قدماك هما وسيلة التنقل الوحيدة الى جانب الدراجات التي يجيد ركوبها الجميع .. حتى النساء والبنات والاطفال . ستشعر وأنت تسير في الشوارع الضيقة أنك تعيش جوا مشبعا بالبساطة في كل شيء .. الطرق ترابية غير مبلطة وبلا أرصفة .. لا يستثنى من ذلك حتى الطرق الرئيسية المطلة على البحر ، حيث مقر رئاسة الجمهورية ، ولا شارع أحدباجو حيث يقع مجمع الوزارات وأمامه مبنى رئاسة الأمن والدفاع .. حتى الطريق الرئيسي الذي يطل عليه مقر الرئيس والمتحف الوطني والمركز الاسلامي ومسجد الدولة ... ولا تستغرب اذا وجدت مواقف للدراجات بدلا من مواقف السيارات ، وخاصة على واجهة مجمع الوزارات ... وعندما ينهمر المطر ستجد الجميع - سواء على أقدامهم أو دراجاتهم - يسيرون مخترقين الطرقات المليئة بالبرك والمستنقعات والطين دون اهتمام او بحث عن مظلات تقيهم المطر على جانبي الطريق .. فالطرق لا تتسع لوجود مظلات . ولكنك ما دمت غريبا قد تفكر في ركوب سيارة أجرة - الا انك ستكون الوحيد الذي يستخدمها .. لأن الاجر لا يقل عن ٣٠ روبية .. أي ما يعادل ستة دولارات في الساعة ... وهو ما لا يتحمله المواطنون .

بساطة في كل شيء

كل شيء هنا - كما قلنا - يتسم بالبساطة .. مجمع الوزارات لا يزيد كثيرا عن عمارة سكنية عادية من أربعة طوابق - بدون مصعد بالطبع ، فلا وجود له في المالديف - وكل طابق يضم ثلاث وزارات على الأقل .. وكل وزارة عبارة عن قاعة متوسطة تضم جميع موظفي الوزارة - وعددهم عادة لا يتجاوز العشرين .. ثم غرفة مكتب الوزير وهي عادية الأثاث رغم أناقتها .. ولا بأس من غرفة أو اثنتين هي مكاتب كبار المسئولين في الوزارة .. ثم لا شيء بعد ...

مقر رئيس الجمهورية .. من طابق واحد من الحجر والخشب مع مشربيات شرقية ومسقف بالجمالون .. ولا يقف ببابه غير جندي واحد فقط .. والى يسار مقر الرئيس تجد ضريح ابو البركات البربري الداعية المغربي ، والذي يتبرك به المسلمون في المالديف باعتباره اول من حمل دعوة الاسلام الى البلاد .. والضريح بكل جدرانه أبيض اللون .. حتى الاعلام التي تحيط بجوانبه من قماش أبيض .. واسم صاحب الضريح مكتوب بالعربية ، والى جواره اسم الملك الذي اسلم على يديه فأسلم معه كل اهل البلاد ..

المسجد الجامع يواجه مقر الرئيس .. بني قبل ثمانية قرون على الطراز الاسلامي المغولي ، إذ كان البناؤون من الفنيين الهنود المسلمين . والمئذنة تشبه الملوية ولكنها أقصر كثيرا ، حيث لا يتجاوز ارتفاعها خمسة عشر مترا ..

ولأن المالديفين يعتمدون في الغالب على مياه الآبار ، فإن طريقة الوضوء ملفتة للنظر .. ففي ساحة المسجد جانب للوضوء حيث يستخدمون عصا طويلة في نهايتها علبة من الصفيح .. وتدلى العصا لتمتلىء العلبة من ماء البئر ثم ترفع ليتم الوضوء . ويقف المصلون صفوفا والعصي وعلب الصفيح ترتفع وتنخفض مع حركة الوضوء المستمرة قبل كل صلاة ...

على أحد جدران المسجد توجد لوحة قديمة كتب عليها :

« أمر ببناء هذا المسجد المبارك الجامع لله تعالى السلطان درمس محمد بن عبدالله وأخوه بسري كلو رحمة الله عليهم . ووصل الى هذا البلد ابو البركات يوسف التبريزي (يلاحظ أن الاسم هنا هو التبريزي وليس البربري كما ذكر ابن بطوطه) وأسلم السلطان على يديه في شهر ربيع الآخر سنة ٥٤٨ هـ . ولما قدم أمر بعمارة المسجد الجامع لله مولانا السلطان ابن السلطان شهاب الدين احمد جلال الدين بن صلاح الدين ، فبنى وعمر وقام فيه محمد بن عبدالله وسد وفرغ من عمارته في شهر ذي الحجة سنة ٧٣٨ من الهجرة النبوية على صاحبها السلام » . وواضح من النص الذي يلي ذلك أن المسجد تجدد مرة ثالثة إذ يقول « بعد ما بلى المسجد الجامع الأصغر الذي بناه في هذا المقام لله تعالى السلطان درمس ، شيد وفرغ من بناء هذا المسجد الأبر في يوم الخميس الذي جد من شهر صفر سنة العاشر من تلقب السلطان اسكندر سنة ١٠٦٧ من هجرة صاحب الحرم الابدر » .

ويلفت النظر أيضا في الساحة الخارجية للمسجد أضرحة وشواهد متجاورة للملوك والسلاطين وأقربائهم

من كبار رجال الدولة خلال القرون الستة الماضية . . . ومنها عرف التسلسل التاريخي لحكام البلاد وسنوات حكمهم .

كيف دخل الاسلام ؟

على بعد غير قليل من المسجد الجامع القديم يقام الآن مسجد الدولة ومقر المركز الاسلامي ، حيث ترتفع مئذنة هي الاعلى في جزر المالديف ،

ما تزال قمتها المذهبة في الساحة في انتظار رفعها بعد انتهاء البناء ، كما يتوسط البناء في أعلاه قبة المسجد المذهبة التي تتلألأ من بعيد ومن أي مكان تكون متجها فيه الى جزيرة ماليه . .

انه علامة بارزة جديدة للجنة العائمة التي يقيم عليها شعب كله من المسلمين . ولدخول الاسلام قصة يعرفها ويتحدث بها كل سكان المالديف . كان الحاكم الذي وصل الاسلام في عهده هو (درمس كويمالا كالو) كما تذكر شواهد المقابر ، وقد اعيدت تسميته بالسلطان محمد ابن عبدالله بعد أن آمن بالاسلام وتبعه كل أهل المالديف . وقد امتد حكمه ٢٥ سنة منها ثلاث عشرة بعد إسلامه عام ٥٤٨ هـ من الهجرة (١١٥٣ ميلاديه) . ويحكي سجل التاريخ حكاية محددة لدخول الاسلام . تقول الوثيقة التاريخية التي اطلعنا عليها في مركز البحوث التاريخية : (حين أراد الله العظيم أن يحرر المواطنين من الظلام والجهل والوثنية ، وأن يهديهم الى الصراط المستقيم . . . جاء اليهم الشيخ يوسف شمس الدين التبريزي أشهر الدعاة في منطقة المحيط الهندي . . ودعا الشيخ أهالي البلاد الى الاسلام . ولكنه فشل بعض الوقت حتى استطاع ان يستثيرهم عن طريق بعض المعجزات التي شهدوها منه بعيونهم ، مثل رفع الجني الجبار الذي كان رأسه يكاد يصل الى السماء وطرده من البلاد . .)

وهناك حكاية أخرى يرويها هذه المرة الرحالة المغربي ابن بطوطه الذي جاء الى المالديف واقام فيها سنة ١٣٤٥ ميلادية وسماها في كتابه جزر (ديب محل) أو (ذيبة المحل) أو (محل ديب) وقد عمل قاضيا لمدة أربعة عشر شهرا وتزوج من بنات المالديف وحجب امرأته عن عيون الناس اذ لم يعجبه في نساء المالديف أنهن يمشين عاريات الصدور . ينسب ابن بطوطه دخول الاسلام الى أبي البركات يوسف البربري (وليس التبريزي) وهو داعية اسلامي كان يطارد روحا شريره كانت تطلب كل شهر ضحية تقدم لها على مذبح معبد ماليه .

وحين أراد أن يؤكد للناس فضل دين الاسلام الذي يدعوهم اليه ، أخذ مكان الضحية على المذبح وظل يقرأ القرآن طول الليل والناس يحيطون به في خوف ورهبة . . . وبدأ الخوف يزول عن الناس حين لم تظهر الروح الشريرة في ذلك اليوم ولا فيما تلاه من أيام . . . . وهكذا تحول الملك والأهالي الى الاسلام . . . !

معابد . . وبوذيون

ولكن ماذا يقول التاريخ عن عقيدة أهل المالديف قبل أن يصل اليهم الاسلام ؟ يحدد لنا ذلك العلامة محمد صالح مدير مركز البحوث التاريخية عندما زرناه . . قال : كانت البوذية هي العقيدة السائدة بين سكان الجزر . . . تؤكد ذلك نتائج الحفريات التي أجريت في بعض الجزر حيث اكتشفت خرائب لمعابد بوذية في اماكن متناثرة . وأن كان هناك شكوك حول ما اذا كانت هذه المعابد بوذية أم أن بعضها هندوسي أو انها معابد لعقيدة وثنية غير محددة .

وتتناقل الاساطير الشعبية ما يقال حول العروس التي كانت تقدم لتنين البحر أو الجني حتى يرضى عن السكان ويبعد عنهم شروره . وهناك شكوك اخرى تثيرها الحفريات حول أن المالديفيين الاصليين ـ الذي كان يحيط بهم ذلك المحيط الواسع من كل جانب ـ كانوا يعيشون تحت رحمة تصورات وأساطير تتصل بعبادة معينة لقوى الطبيعة التي تثير فزعهم في الليالي الداكنة السواد . وكان البحر يتمثل لهم في إله يتلقى منهم أعظم الاضحيات والقرابين . وكان اسم هذا الاله (راياماري) ولا تزال هناك بقايا من اسماء الآلهة والقوى الطبيعية الاخرى في اللغة المالديفية . .

وماذا عن التاريخ المبكر لجزر المالديف ؟

ان هذا التاريخ فيه الكثير من الاسرار التي لم تكشف الآثار أكثرها . وتروي الحكايات القديمة أنه منذ القدم . . جاء أمير هندي آري حيث نزل في احدى الجزر ورحب به أبناء الجزيرة البدائيون . . وعندما وجدوا انه من دم ملكي نصبوه ملكا على المالديف . .

وأيا كان اسم هذا الامير فان من المؤكد أن الجزر قد سكنها مهاجرون من الآريين الأوائل القادمين من الهند وسيلان . . وتدل آخر الحفريات والآثار التاريخية على أن الجزر كانت مأهولة قبل عام ١٥٠٠ قبل الميلاد .

على أي الحالات فالعلاقات التجارية مع العرب والفرس وشرق افريقيا ومدغشقر والملايو وأندونيسيا كانت قائمة ، وقد تركت طابعها على الشعب المالديفي ، وخاصة تلك العلاقات المتزايدة المستمرة مع العالم العربي ومع الهند لقرون كثيرة .

(الى اليمين) .. رحلة العودة من المنتجع السياحي في الطريق الى مطار هالول .. وقوارب كأنها الجندول تنقل السياح بين الجزر .. ونظرة وداع على رصيف الميناء .. الى حيث القبة الذهبية لمسجد الدولة والمركز الاسلامي وسط العاصمة .. وغير بعيد موقف للدراجات .. الوسيلة الوحيدة للانتقال في ماليه .

(الى اليسار) مقر رئيس الجمهورية .. ذو الطابق الواحد .. والحارس الواحد .. (وفي الصورة الى اسفل) .. أبسط وسيلة للوضوء .. عصا طويلة في نهايتها علبة من الصفيح .. لجلب الماء من البئر ..

(الى اقصى اليسار) .. أكوام البطيخ وجوز الهند المتناثرة في ساحة السوق .. حيث لاتلعب المساومة أي دور في البيع والشراء .

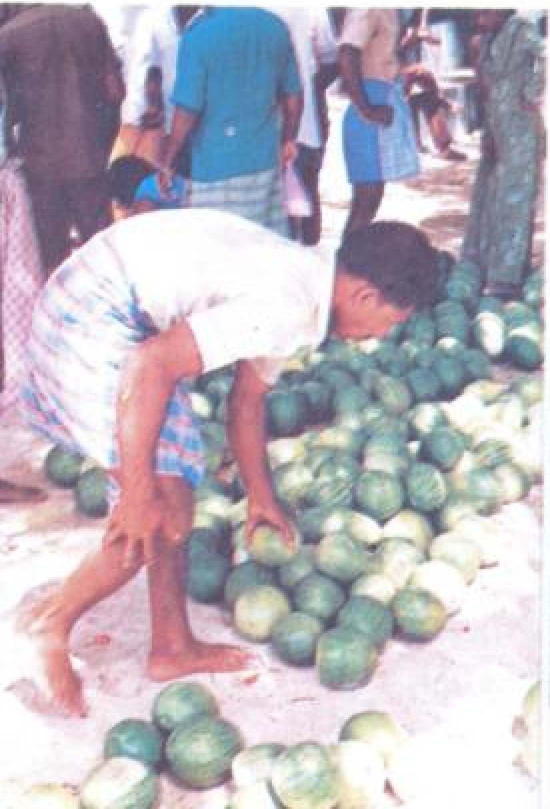

لغة المالديفيين

قد أحدث ذلك تغيرات كثيرة هامة في لغة وكتابة المالديفيين . واللغة المالديفية الحالية تسمى (ديفيهية) وان كانت ترتكز على الحروف السنسكريتية الا أن هناك تداخلات من اللغة العربية والهندوسية .. اللغة التي كانت سائدة في أغلب الجزر .

واقدم الاشكال للغة (الديفيهية) يمكن رؤيتها وهي مسجلة على لوحات بعض المساجد القديمة والصفائح النحاسية التي يسمونها (اللوما فاتو) وقد سجل عليها الكثير من تاريخ السلاطين ، وأغلبها يتناول التاريخ المبكر في القرن الثاني عشر (١١٩٥) وآخرها في منتصف القرن الرابع عشر (١٣٥٦) .

وهي مكتوبة باللغة المالديفية القديمة المسماه (الايلو) والتي تطورت لتصبح حروفها اكثر سهولة وشكلا ، وهي تكتب مفردة كما تكتب الحروف الابجدية العربية وتدعى (تانا) . وكانت النقوش والكتابات القديمة تكتب من اليسار الى اليمين اما الآن فهي تكتب من اليمين الى اليسار لتساير حروف الكلمات العربية . والملفت للنظر أن المالديفيين حين يكتبون بهذه الحروف المتفرقة .. لا يكادون يصلون الى ذكر الاسماء العربية حتى يكتبوها كما هي .. بنفس الشكل الذي تكتب به الاسماء في اللغة العربية .

الى جانب التجار كانت المالديف موضع زيارات كثير من الكتاب والرحالة المشهورين بين القرنين الثاني والسادس الميلادي . ولكن هناك فجوة منذ هذه الفترة حتى القرن التاسع حين بدأ الرحالة والمسافرون العرب يتركون ادلة أثرية على وجودهم . وعلى أي الحالات فليس قبل القرن الرابع عشر ما يتحدث بالتفصيل عن تاريخ المالديف ، الى أن وصلها الرحالة ابن بطوطه الذي ترك أول تقارير مكتوبة تكشف أن المالديفيين كانوا يرتبطون بتجارة منتظمة مع الجزيرة العربية والهند والصين وخاصة في تجارة الأسماك المجففة وجوز الهند وحبال الليف والعنبر الى جانب المحار والودع والقواقع وصدف السلاحف ، وهي كلها انواع ما تزال مصدر التجارة الرئيسي في جزر المالديف .. الى جانب صناعة الأثاث والتحف وصناعة الحصائر من أشجار الصنوبر المسمارية .

ملوك وسلاطين

الحق .. ان العلاقات الوثيقة - وبالذات مع العرب - توجها بغير شك وصول الاسلام ، ومنذ ذلك الوقت بدأت سلسلة السلاطين المسلمين الذين حكموا الجزر طوال القرون الثمانية الماضية .. وتولى السلطة خلالها ٩٣ سلطانا وسلطانة أولهم السلطان محمد بن عبدالله وهو مؤسس الاسرة الثيموجية التي حكمت البلاد من قاعدتها في ماليه . وطوال ٢٣٥ سنة هي عهد هذه الاسرة توالى على الحكم ٢٦ سلطانا ، ولم يكن تولي العرش بالوراثة بل كان الاختيار يتم من بين أرشد رجال الاسرة . ووضع السلاطين نظاما للجمارك والدفاع الوطني بالاضافة الى تنظيم شئون القضاء على هدي الشرع الاسلامي . وكان العرف غير المكتوب هو الاساس الذي يسير عليه نظام الحكم بدقة وحزم وقبول شعبي . وقد أسس الاسرة الهلالية - التي جاءت بعد الاسرة الثيموجية - أحد ابناء العامة من جزيرة هالول حيث توالى على الحكم ٢٩ سلطانا على مدى ١٧٠ سنة . وتميزت فترة حكمهم بالتغيرات المفاجئة في تولي السلطة . وكان آخر سلاطين هذه الاسرة هو السلطان علي السادس الذي استشهد بعد شهرين ونصف من توليته ليبدأ بعده عهد الاسرة الاوتيمية الذي استمر ١٢٧ سنة حكم البلاد خلالها ١٢ سلطانا . وتعتبر فترة حكم هذه الاسرة العصر الذهبي للبلاد على ضوء ما تم من اصلاحات وتنظيم لشئون الحكم والدفاع ووضع أول اسس نظام التعليم ، كما أصبح الحكم جماعيا لا فرديا حيث وضعت أسس الديمقراطية والشورى . ويعتبر الكثيرون ان حكم هذه الاسرة هو فترة التحول نحو دولة راسخة الاركان ثابتة الدعائم مستيقظة باستمرار لمواجهة أي محاولات لغزوها من الخارج ، حيث كان الشعب الذي يتمتع بالديمقراطية والنظام تحت ظل الايمان الكامل بالمواطنة والحرية ، يلعب دورا كبيرا في اقرار دعائم الدولة .

لوحة حديثة لابن بطوطة في صدر المتحف الوطني .. تحية له كصاحب أول وثيقة تاريخية عربية عن الجنة العائمة .

لوحة .. وعهد ... وقسم .. يعلنه المواطنون من أجل الحرية .. والحياة .

ولعل كل ذلك كان هو الغرس الطيب لشعب المالديف الذي نراه اليوم .

الحق أنك حين تتطلع الى الوجوه الهادئة المسالمة لشعب المالديف .. لا تستطيع أن تتصور ان وراء هذه الملامح الطيبة شعبا محاربا قادرا على مجابهة العدوان والطغيان ..

لهذا كان استغرابنا حين قرأنا ـ باللغة العربية ـ على لوحة تتوسط الميدان الصغير المواجه للمتحف الوطني ذلك الشعار الذي يقول :

(نحن مواطنو مالديف نقرر :

● سنقاتل حتى آخر قطرة من دمائنا دفاعا عن أرضنا وحريتنا ضد كل معتد غاشم .

● سنثبت أن تضحيات الأجداد للحفاظ على حرية وطننا المقدس لن تضيع سدى .

● ولذلك فليعلم كل من يحاول أن يستعبدنا انه ليس له الا الموت)

نقرأ هذا الشعار الوطني .. ونعرف أن هذا الشعب الطيب المسالم استطاع أن يواجه ويقاوم بكل صلابة على مدى التاريخ أكثر من معتد ، وأكثر من مستعمر ، وأكثر من طاغية ..

وخلال حوارنا مع مدير المتحف الوطني وهو يتنقل بنا بين معروضات المتحف وآثاره ولوحاته .. ندرك أسرار كل ذلك ....

هنا .. أمام لوحة تمثل المعركة التي خاضها السلطان علي السادس (١٥٥٧ ـ ١٥٥٨) نشهد كيف واجه البطل الملقب (بالشهيد) قوات الغزو البرتغالي التي تفوقه عددا وعدة . لقد جاء الغزاة استجابة لبعض الطامعين في السلطة الذين خانوا وطنهم وسهلوا بالغدر والخديعة مهمة الغزاة . وقد حاول السلطان عبثا الدفاع عن بلاده وأظهر بطولة خارقة يتحدث عنها المالديفيون الذين وقفوا بكل حماس وقوة في مواجهة البرتغاليين . بل أن هذه البطولة التي جمعت بين الشعب والسلطان ـ الذي لم يطل حكمه لاكثر من شهرين ونصف شهر واستشهد خلال المعركة ـ جعلت الشعب يواصل مقاومة الغزاة الذين وجدوا صعوبة بالغة في السيطرة على ابناء هذا العدد الكبير من الجزر المتناثرة في مياه المحيط البالغة الخطورة للملاحة .. كما وجدوا صعوبة اكبر في مواجهة هجمات المقاومة المتواصلة من المالديفيين ضدهم .

وأمام وثيقة هامة يشرحها لنا مدير المتحف ، نقف أمام صورة أخرى من صور البطولة ، عندما قامت ثورة مناهضة للبرتغاليين يقودها ثلاثة اخوة من جزيرة (اثيم) . فقد اسر الغزاة اكبر الاخوة وقطعوا رأسه ، ولكن الاخوين الاخرين قادا هجوم المقاومة في حرب تحرير ضد البرتغاليين في ماليه .

وكانت نتيجة الهجوم ذبح الحاكم البرتغالي وجلد كل رجال حاميته . وقد أدى ذلك الى انتصار المقاومة ، حتى أن البرتغاليين لم يجرؤوا على العودة ثانية الى المالديف .. وتولى السلطنة اكبر الاخوين تحت اسم (محمد ثاكوروفان الكبير) في عام ١٥٧٣ مؤسسا عهد الاسرة الاوثيمية . والوثيقة التاريخية المعروضة في المتحف تشيد به كأعظم الابطال المالديفيين الوطنيين وبتغنى بسيرة بطولته شعب المالديف في كل زمان ومكان .

المليار بعد البرتغاليين

حين تقف امام مجموعة من الاسلحة والسهام والدروع في احدى قاعات المتحف .. تعرف انها بعض ما استخدمه بطل آخر من السلاطين هو السلطان ابراهيم اسكندر الاول (١٦٤٨ ـ ١٦٨٧) فخلال فترة حكمه واجه وهزم الكثير من غارات القراصنة القادمين من الجنوب الهندي محافظا على استقلال بلاده وحريتها .

وفي ركن آخر تشهد أنواعا أخرى من المسدسات والاسلحة القديمة التي كانت مستخدمة في منتصف القرن

AS

(الى أقصى اليمين) : تلميذتان في الطريق الى المدرسة الثانوية الوحيدة للبنات في قلب العاصمة .

(الى اليمين) : المئذنة « الملوية » للمسجد الجامع .. عمرها خمسمائة سنه .. وارتفاعها خمسة عشر مترا .. وأمامها بئر الوضوء .. وفيّ يستخرج الماء من البئر بعلبته وعصاه .

(الى أسفل) .. داخل فصل دراسي بالمدرسة الأمينيه .. حيث الطابع الحديث في نظام التعليم .. وحيث تدرس البنات اللغة العربية .. والدين الاسلامي .

ثلاث صور من المتحف الوطني .. مدافع من بقايا الحرب العالمية الثانية .. وصناعات فنية خشبية من آثار العهد السلطاني .. وحذاء السلطان الغازي عز الدين .

الثامن عشر . ونتعرف أنها بعض آثار معركة أخرى من معارك البطولة حين هاجمت البلاد عام ١٧٥٢ فرقة من محاربي المليبار الهنود ارسلها الراجا على حاكم كابور . ونزلت الفرقة على ساحل جزيرة ماليه . واقتحم المهاجمون المدينة ودمروا قصر السلطان وأرسلوه منفيا الى حيث لم يعد بعدها أبدا . ومع ذلك فلم يتوقف الشعب عن مواصلة المقاومة ، ولم تمر أسابيع حتى كان المالديفيون قد تجمعوا تحت قيادة الغازي حسن عز الدين وتمكنوا من طرد المليبار . ويثبت البطل الغازي حسن عز الدين مدى ما يتمتع به من اخلاقيات الاسلام حين يرفض ان يحكم البلاد باسمه ، بل يتولى إدارة الحكم باسم ابنة السلطان المنفي . ولم يجلس على عرش السلطنة بالفعل الا عام ١٧٥٩ أي بعد مرور سبع سنوات . ولا يعيب عز الدين طلبه المساعدة من الفرنسيين لمقاومة المليبار وسماحه لهم بابقاء قوة لهم في ماليه . فان ذلك لم يستمر لاكثر من عدة أيام .

ومما يؤكد بطولات المقاومة التي خاضها الشعب ، أنه في الفترة ما بين تحرير بلادهم من البرتغاليين وطردهم للمليبار ، خاضوا ثلاثة عشر حربا خلال حكم ١٥ سلطانا في مواجهة محاولات العدوان الخارجي .

ونستكمل جولتنا في المتحف الوطني . . على أحد الجدران نجد لوحة حديثة لابن بطوطة . اللوحة زيتية رسمت عام ١٩٨٢ . إحياء لذكرى الرحالة العربي الذي كان أول من كتب عن المالديف واشاد بذكرها في الكتب العربية . .

ونجد في قاعات المتحف انواعا مختلفة من ملابس السلاطين وأغطية رؤسهم المختلفة الاشكال والالوان ، وكراسي السلطنة التي كانوا يجلسون عليها عند استقبالهم للوفود الرسمية واثناء الاحتفالات . كما نجد الخيمة ذات الاعمدة الاربعة التي كان يسير تحتها نساء السلطان دون أن يراهن أحد . . وعلى بعض الجدران نجد مجموعة من الصور تحكي تاريخ أبرز رجال المالديف الحديثة محمد امين ديدي أبي الوطنية حتى اليوم . . وهو أول رئيس للجمهورية الاولى في المالديف .

من السلطنة الى الجمهورية

هنا . . لابد من متابعة أسس النهضة الحديثة وكيف تسير الحياة في المالديف اليوم . كانت المالديف قد اصبحت منذ سنة ١٨٨٧ محمية بريطانية بموجب الاتفاقية المبرمة بين السلطان محمد معين الدين والحاكم البريطاني في سيلان . ولم تكن هناك قوات أو وجود بريطاني في الجزر . ولكن المالديف كانت تدفع بمقتضى الاتفاقية أتاوة سنوية للحاكم البريطاني في سيلان ، ثم توقفت منذ سنة ١٩٤٨ عن الدفع حيث منحت شكلا من أشكال الحكم الذاتي .

والمالديف الحديثة بمعالم التطور والنهضة الجديدة يمكن العودة بها الى عام ١٩٣٢ عندما أعلن السلطان محمد شمس الدين الثالث أول دستور مكتوب للبلاد محددا سلطاته وموزعا مسئولياته على كبار رجال الدولة والمحافظين في الجزر . وفي عام ١٩٣٤ أصبح السلطان حسن نور الدين أول سلطان منتخب حسب أحكام الدستور . واستمر حكمه حتى عام ١٩٤٢ حين استقال وترك الحكم لمجلس وصاية استمر في المهمة لمدة عامين ، حتى تم انتخاب عبدالمجيد ديدي ليتولى السلطنة الا انه مات قبل تتويجه .

وتحولت الدولة الى النظام الجمهوري عام ١٩٥٣ بتولي محمد امين ديدي . الا أن الجمهورية الاولى لم تستمر لاكثر من سبعة شهور كان الرئيس امين قد بذل خلالها محاولاته للتطوير والتحديث . ثم اضطرته حركة داخلية معارضة للاستقالة . . ، لتعود البلاد الى الملكية في عهد السلطان محمد فريد ديدي .

واعلنت المالديف دولة مستقلة ذات سيادة في يوليو ١٩٦٥ بعد التوقيع على اتفاقية الاستقلال بين المالديف وبريطانيا . وكانت بريطانيا قد استأجرت قاعدة عسكرية في جزيرة « جان » لمدة ثلاثين سنة ١٩٥٦ ولكنها أنهت وجودها فيها بعد ٢٠ سنة عام ١٩٧٦ .

وكانت الجمهورية الثانية قد قامت عام ١٩٦٨ وتولى رئاستها ابراهيم ناصر الذي حكم حكما اوتوقراطيا ، ولم تشهد البلاد خلال حكمه نهضة الا في الناحية التجارية فقط . وقد أرغمته قوى المعارضة على عدم تجديد رئاسته بسبب استبداده ودكتاتوريته وتعذيبه لابناء البلاد الاكفاء وحبه الشديد للمال حتى صار الدخل القومي والمعونات الخارجية والقروض الاجنبية تودع في بنوك سويسرا وامريكا والمانيا واليابان لحسابه الخاص .

مظاهر النهضة الحديثة

في عام ١٩٧٨ انتخب الرئيس الحالي مأمون عبدالقيوم بترشيح برلماني تأيد في استفتاء شعبي . ثم تجددت رئاسته للمرة الثانية عام ١٩٨٣ لاربع سنوات جديدة ، وقد اقام عبدالقيوم حكما متفتحا اساسه الديمقراطية والشورى . وطبقا لنصوص الدستور الجديد فان رئيس الجمهورية هو رئيس الحكومة والقائد الاعلى للقوات المسلحة والمسؤول الاول عن حماية الدين الاسلامي في البلاد . وهو يعين الوزراء الذين يخضعون لمساءلة المجلس الوطني .

والمجلس الوطني هو الهيئة التشريعية للدولة ويتكون من ٤٨ عضوا . اثنان منتخبان من كل من مجموعات الجزر التسع عشرة ، واثنان يمثلان العاصمة ، وثمانية اعضاء يختارهم الرئيس . وتجري الانتخابات البرلمانية كل خمس سنوات ، وينص الدستور على أن كل مصادر سلطة الدولة مستمدة من الشعب .

اما النظام القضائي فيسير على الشريعة الاسلامية . والقضاة يعينهم رئيس الجمهورية . والى جانب المحاكم الثمانية في العاصمة توجد محكمة ابتدائية في كل جزيرة مأهولة . ومجلس القضاء الاعلى يرأسه وزير العدل وهو المحكمة الاستئنافية .

التعليم

وفي لقائنا مع مدير معهد الدراسات الاسلامية رشيد المرصفي قال لنا أن قاضي المحكمة الابتدائية والخطيب في الجزيرة هو عادة من خريجي المعهد . كما أن هناك دورات تدريبية لمن يتولون هذه الاعمال ممن لم يحصلوا على دراساتهم في المعهد . وهؤلاء عادة يكونون ممن تلقوا علومهم في مدارس تحفيظ القرآن .

وعن معهد الدراسات يقول :

افتتح المعهد في المحرم (١٤٠١ هـ) ليكون نواة للدراسات الاسلامية والعربية في مناسبة بدء القرن ١٥ الهجري . وهو يعد من المنجزات ذات الاهمية الكبرى بالنسبة للشعب المالديفي المسلم وللحكومة الحالية . ومن أهداف المعهد تعليم اللغة العربية ونشرها بين المواطنين الصغار والكبار واعداد الطلبة الذين يوفدون للدراسة في الدول العربية . . بالاضافة الى تخريج مدرسين للتربية الاسلامية واللغة العربية واقامة دورات تدريبية لأئمة المساجد وقضاة المحاكم الاقليمية . على أن من اهم اهداف المعهد تعليم القرآن الكريم تلاوة وحفظا .

ويقوم بالتدريس في المعهد عدد من المدرسين من الاقطار العربية والاسلامية يبلغ عددهم ٣٠ مدرسا بالاضافة الى مدرسات من زوجات المدرسين يؤدين نفس المهمة . وتضم هيئة التدريس مدرسين كويتيين و ٤ عراقيين و ٤ مصريين و ٨ ليبيين و ٤ سعوديين و ٢ من باكستان ومدرس واحد من بورما الى جانب مدرسين محليين بينهم ٣ منتدبون من قبل منظمة المؤتمر الاسلامي .

اما عن نظام التعليم في البلاد فقد كان من قبل يقوم على طريقة التلقين المباشر ، وكانت هذه الجهود ذات طابع ديني كما كانت مجهودات فردية .

وعند زيارتنا للمدرسة الأمينية للبنات في ماليه حدثتنا مديرة المدرسة عن التطور في التعليم فقالت :

في سنة ١٩٥٠ افتتحت بعض المدارس النظامية . وكان الهدف من هذه المدارس اعداد القوى البشرية اللازمة لتولي وظائف الحكومة . وفي عام ١٩٦٠ طرأ على نظام التعليم في العاصمة تغييرات جذرية فأصبحت اللغة الانجليزية لغة التعليم في مدارس العاصمة ، بهدف تخريج بعض المالديفيين الحاصلين على الشهادة الثانوية البريطانية . وفي نفس الوقت أهمل التعليم اهمالا تاما في الاقاليم .

ولا يوجد نظام تعليمي موحد في البلاد حتى الآن برغم جهود التطوير . بل ان نظام التعليم في العاصمة ذو طابع حديث بينما التعليم في الاقاليم والجزر تقليدي . وتحاول الحكومة الان عن طريق التخطيط التربوي التغلب على المشاكل التعليمية التي تواجهها البلاد من نقص المدرسين الاكفاء وقلة المدرسين كما تحاول التوسيع الكمي والنوعي لعملية التعليم .

على أن تحسين وتوسيع التعليم الابتدائي هو ذروة الاهتمام لدى الحكومة حاليا . وقد قبل في مراحل التعليم الابتدائي هذا العام ٣٥ الف تلميذ وتلميذة وهي نسبة ضخمة تبلغ ٢٥٪ من مجموع سكان البلاد .

اما التعليم الثانوي فانه مقصور على العاصمة فقط . . وهناك مدرستان ثانويتان فقط في العاصمة . اما في الجزر وكما شاهدنا في مدرستي جزيرة هورو وجزيرة تايدو فقد بدأ تنفيذ مشاريع المدارس النموذجية بغية تحسين التعليم الابتدائي في الجزر وزيادة عددها حتى يكون هذا التعليم في متناول كل من يستوفي شروط الالتحاق بهذه المرحلة . وتتجه الخطة التعليمية العامة الى فتح مدارس مهنية ذات سنتين لاعداد مهنيين فنيين لسد حاجة البلاد من الايدي العاملة . وإذا كانت المدارس الاقليمية ستحتاج الى ٥٦٠ مدرسا ممن يتخرجون عن طريق مركز التنمية التعليمية وهو الهيئة الوحيدة التي تقوم باعداد المدرسين فالواضح أن هناك عجزا كبيرا في عدد المدرسين المؤهلين اذ يصل عددهم عام ١٩٨٥ الى مائتي مدرس مما يوضح أن العجز يصل الى ٣٦٠ مدرسا .

ثم ماذا . . ؟

ان ما خرجت به بعثة العربي من انطباعات واستفسارات وتساؤلات حول الحياة في المالديف تجعلها تؤكد أن هذه الجنة العائمة تحتاج الى كثير من دعم كل من يملك امكانية العمل من أجل مزيد من التنمية ومزيد من الرخاء لشعب المائة في المائة مسلم من الفقراء والصيادين □

حوار مع رئيس

مبدؤه : الفرد قبل الدولة

□ الحوار .. مع رئيس دولة .. يحمل العالمية من الأزهر .. مع دراسة عليا في القانون .. وماجستير في الفلسفة .. وأستاذ جامعي في القانون الاسلامي. واهتمامه الاول بقيمة الفرد كانسان .. ومبدؤه أن تنمية الفرد قبل تنمية الدولة ..

انه مأمون عبد القيوم .. رئيس جمهورية المالديف

في الطريق الى مقر رئاسة الجمهورية المطل في هدوء وبساطة على شاطىء الصيادين في المالديف .. كانت سفن الصيد والقوارب تستلقي بعد رحلة الصباح .. بينما مكاتب السياحة والسفر تحيط بالمدخل البسيط لمقر الرئاسة .. وجندي حراسة واحد - بلا أشرطة - يقف عند الباب . ويستقبلنا أحد رجال الرئيس ، ونصعد معه درجات السلم داخل مقر الرئاسة ذي الطابق الواحد .. ونجد أنفسنا بكل بساطة وبلا قيود في مكتب رئيس جمهورية المالديف ..

وفي وسط القاعة الأنيقة رغم بساطتها وبعدها عن البذخ والترف .. يستقبلنا الرئيس مرحبا ببعثة « العربي » ، وفي الجو المشبع بالألفة والبساطة التي يحيط بها الرئيس محدثيه ، لا أجد ما يمنعني من أن أنقل اليه كل انطباعاتنا عما شهدناه خلال زياراتنا وجولاتنا ، وما استشعرناه من جو المسالمة والهدوء والقناعة لدى الشعب الطيب البسيط ، ويستجيب الرئيس لأسئلة الحوار في صراحة محببة الى النفس .. ويتلقى طرف الخيط فيقول :

كانت بلادنا ترسل بعثات الى الأزهر لتلقي الدراسات الاسلامية والعربية . وقد كنت في عام ١٩٥٠ ضمن بعثة تضم خمسة من أهالي البلاد ، بينهم الأخ موسى رئيس المحكمة العليا الآن . وكانت علاقاتنا باستمرار مع مصر والبلاد العربية قوية . وسياستنا معروفة تناصر القضايا العربية والاسلامية في جميع المنظمات والمجالس الاقليمية وكذلك في منظمة المؤتمر الاسلامي ومنظمة دول عدم الانحياز .. أننا نساند دائما وبكل قوة الحق العربي ، وخاصة قضية فلسطين ، وموقفنا واضح ومعروف للجميع .. نحن نؤيد المطالب الشرعية للفلسطينيين في العودة واسترداد كل حقوقهم المسلوبة مما زاد في قربنا الى البلاد العربية .

وقد ازداد هذا التقارب منذ توليت رئاسة الجمهورية عام ١٩٧٨ .

صحيح أنه في الاعوام التي سبقت توليتي كانت هناك بعض الفترات التي لم تكن العلاقات فيها قوية ، ولكن ذلك كان يحدث لعدم تفهم الحكومة لحقائق الاوضاع

والقضايا العربية . ولعل بقائي في مصر حوالى تسعة عشر عاما جعلني أقرب الى هذه القضايا ، حيث عاصرت كل الاحداث التي مرت بالوطن العربي وبمصر منذ قيام ثورة يوليو ، وشهدت المواجهات بينها وبين القوى الاستعمارية ، بما في ذلك حرب السويس وحرب اليمن وأحداث يونيو ٦٧ . . وقد جعلني ذلك على إلمام تام بأسرار الاوضاع كلها ، وخفاياها السياسية والمطامع الاستعمارية والاسرائيلية . . ولأنني على بينة من هذه الامور فقد أصبح موقفنا واضحا من جميع القضايا العربية .

والحقيقة أن علاقتي قوية مع أغلب الملوك والرؤساء العرب وقد قمت بعدة زيارات لأمير الكويت ولرؤساء وملوك الوطن العربي ، وأنا على صلة شخصية وقوية معهم ، وسياستنا واضحة ، وتقاربنا تام مع الدول العربية وكذلك مع الدول الاسلامية في منطقتنا ، وقد زارنا رئيس وزراء ماليزيا كما تبادلت معه الزيارة ، وكذلك زرت الرئيس أرشاد في بنجلاديش زيارة رسمية في أوائل هذا العام . وكان قد قام بزيارة بلادنا في العام الماضي . . وهكذا ترى أن العلاقات بيننا وبين مختلف دول الوطن العربي والاسلامي وطيدة وقوية .

الباب مفتوح للمستثمرين العرب

ـ قلت للرئيس : لعلي أتصور أن هذه العلاقات الوطيدة مع الحكومات العربية تستدعي مثل هذه الصلات المباشرة بين الشعب المالديفي والشعوب العربية . . ولا شك أن السياحة ميدان كبير يمكن استغلاله في هذا المجال : فالحقيقة أن بلادكم تتمتع بامكانات سياحية طبيعية رائعة . ولكن الواضح أيضا أن السياح كلهم من الأجانب بينما لا وجود لسياح من الدول العربية والاسلامية . فلماذا لا تعقد اتفاقات سياحية مع هذه الدول لفتح المجال للاستثمارات السياحية وتنشيط الحركة السياحية ، وبالتالي تتعرف الشعوب العربية على بلادكم وشعبكم ؟

● أجاب الرئيس : بالنسبة للسياحة فقد كانت بالنسبة لنا في البداية تجربة مشكوك في نتائجها . فعندما بدأنا السياحة لم تكن الفكرة تلقى اقتناعا . لكننا . قررنا خوض التجربة عن طريق اتفاق مع الشركات الاوروبية لاستثمار جزيرتين لهذا الهدف . . وكانت هذه الشركات

تقوم باحضار السياح من أوروبا . . وعندما ثبت نجاح التجربة اتسعت عملية السياحة وتطورت ليصبح لدينا الآن خمسون جزيرة سياحية . ومن خلال العلاقة بين المستثمرين المحليين وبين بعض الشركات الاوروبية ، بدأت مجموعات السياح تأتي الى هذه الجزر ، كل مجموعة تتراوح بين خمسين ومائة سائح . . ونحن لا نتكلف عبئا في هذا الميدان ، فالشركات تتولى بنفسها مهمة الدعاية في بلادها ، وخاصة في المانيا وفرنسا وايطاليا . ولعل هذا هو السبب في أننا لا نقوم بالدعاية في البلاد العربية ولا نلجأ الى الحملات الاعلامية . . فالسياحة عندنا تتطور شيئا فشيئا ، وليس من المستحسن أن نقوم بمثل هذه الدعاية الكبيرة لأن امكاناتنا ما تزال ضعيفة من ناحية الفنادق والشاليهات التي يمكن أن تستوعب المزيد من السياح . وحين تزداد امكاناتنا لا شك أن الباب سيكون مفتوحا للمستثمرين العرب . وبهذه المناسبة فقد اشتركنا في منظمة السياحة الدولية وشاركنا في المؤتمر الذي اقاموه هذا العام وعرضنا بعض منتجاتنا فيه . وقد بدأنا دراسة تمهيدية لافتتاح خط طيران مباشر مع كل من السعودية والكويت وذلك كبداية للقيام بحملة إعلامية في البلاد العربية ومنطقة الشرق الاوسط . . كما أن هناك الآن حملات اعلامية في بعض دول الشرق واستراليا وهي أسواق سياحية ممتازة .

في الواقع أن المطار الدولي أقيم بمعونة من الدول العربية وبالذات من السعودية والكويت ودولة الامارات . وقد قدم الصندوق السعودي وكذلك الصندوق الكويتي للتنمية قروضا سهلة لتنفيذ بناء المطار ، كما أن هناك عددا من المشروعات الاخرى التي نتعاون معهم في تنفيذها . اذن الاستثمار العربي موجود ، ونتمنى أن تكون مساحة هذا الاستثمار كبيرة في أقرب وقت . . وهو أمر في صالح شعوبنا جميعا وعلاقاتها ببعضها البعض .

احترام قيمة الانسان

- ولم أجد حرجا في أن اسأل : الحقيقة اننا خرجنا بانطباع بأن الحياة تسير ببساطة في بلادكم بعيدا عن التعقيد . . والشعب يتميز بالهدوء والمسالمة والقناعة . ولكننا نشعر أن هذا الشعب في حاجة الى الكثير من إمكانات التنمية والتطور الى الافضل ، وهو ماتعملون من أجله منذ توليتكم . . فهل يمكن أن نعرف شيئا عن تصوراتكم وافكاركم ليكون المستقبل أكثر اشراقا ؟

● أجاب الرئيس : الواقع اننا نعمل المستحيل بالنسبة للتنمية . فالبلاد ليس فيها ثروات طبيعية غير السمك وجوز الهند ، بالاضافة الى السياحة . ونحن نحاول استغلال هذه المصادر بقدر الطاقة من أجل التنمية ولنأخذ مثلا ميدان التعليم . لقد تقدم التعليم خلال السنوات الاخيرة بشكل كبير . . وعندما توليت الحكومة لم يكن في البلاد غير أربع مدارس منها ثلاث في « مالي » العاصمة ، ومدرسة في الشمال على بعد حوالي مائة وعشرين ميلا . وقد ركزت على نشر التعليم ، وخلال خمس سنوات تم إنشاء ٤٦ مدرسة . . تدرس مراحل التعليم الاولى والابتدائي والمتوسط والثانوي . . ونأمل في التوسع أكثر في السنوات القادمة . فأنا أؤمن بأن صنع الانسان يقوم على التعليم . . وهدفي الاول هو احترام قيمة الفرد . . قيمة الانسان .

أما بالنسبة لصيد السمك وهو المصدر الاول للثروة القومية فقد نفذنا العديد من المشروعات لتطويره ، وزودنا حوالى ١٤٠٠ مركب صيد بالمحركات على مدى السنوات الست الماضية . .

وبالنسبة للسياحة فقد أصبحت الجزر السياحية تستوعب ٥٠٠٠ سرير .

لقد بذلنا مجهودات كبيرة في برامج التنمية في جميع النواحي بما في ذلك المجال الصناعي المتاح . وقد بدأنا في صنع الملابس الجاهزة « والبنطلونات الجينز » والقمصان والملابس الصوفية للسيدات . وهناك مصنع لتعليب السمك في احدى الجزر في الشمال والعمل من أجل التنمية مستمر ، ولعل الصورة تتضح حين نجد ان دخل الفرد قد زاد من ١٦٠ دولارا سنة ١٩٧٨ الى ٣٧٠ دولارا الآن . . أي خلال خمس سنوات أو ست سنوات . .

الفرد قبل الدولة

- وتساءلت : لعلكم قد فكرتم في امكانية تطوير وسائل صيد الاسماك في المستقبل وذلك باستخدام السفن المتطورة التي تقوم بالصيد في أعالي البحار مما يتيح إمكانات أوسع للتصدير والتجميد والتعليب ؟

● قال الرئيس : الواقع أن هذا الموضوع فيه نقطة حساسة بالنسبة للصيادين . . فكما ترى كل الناس أو أكثريتهم هنا صيادون . الرجال يقومون بالصيد طول النهار ويعودون في نهايته . وتكون السيدات في انتظارهم عند العودة ومعهم الرزق . . وناتج الصيد بالنسبة لهم هو مصدر الدخل للافراد . . فاذا عملنا شركات وجلبنا سفن صيد كبيرة . . فلن يمكن تشغيل أكثر من ١٠ أو ٢٠ في المائة من هؤلاء الافراد . . فماذا يكون حال الباقين ؟ معنى ذلك أن دخل الفرد مهم جدا ، ولا بد أن يوضع

موضع الاعتبار . صحيح أن ذلك التطوير سيتيح زيادة في الدخل القومي . . ولكن سيكون له تأثيره السلبي على الدخل الفردي بما لا يجعل الناس يتقبلون الامر بسهولة . لهذا نحن نسير في هذا الأمر على ضوء إيماننا بأن الفرد قبل الدولة . . وتنمية الفرد تسبق تنمية الدولة . وان كان ذلك لا يمنع من أن هناك مشروعات معدة للتنفيذ من أجل مزيد من التطوير . ومع هذا فلا يمكن انكار أن جهد الافراد في هذا الميدان كبير برغم انهم يقومون بالصيد بالوسائل التقليدية كالسنارة ولكنهم مع هذا يتمتعون بالمهارة الفائقة في عملهم . .

المساكن والمدارس للجميع

ـ وسألت الرئيس : بعيدا عن الصيد . . هل ثمة مشروعات أخرى للتوسع في الزراعة واستصلاح الاراضي من أجل مزيد من الانتاج الزراعي . . حيث تعتمد البلاد على استيراد كميات كبيرة من المواد الغذائية الاستهلاكية اللازمة ؟

● أجاب الرئيس : الواقع ان ظروفنا لا تشجع على الزراعة على نطاق واسع . فرقعة الجزر صغيرة . ومياه البحر مالحة ، وهي تتسلل الى التربة فتزيد فيها نسبة الملوحة الى حد كبير . ولكننا مع ذلك نزرع خضروات وفاكهة ، كما أن عندنا شجر جوز الهند بكثرة ، ولدينا مشروعات لزيادة المحصول . بالاضافة الى هذا فان لدينا بعض أنواع الخضروات كما أننا نزرع البطاطا وبعض أصناف أخرى . . ولكننا لا نستطيع أن نزرع القمح أو الارز ، فأرضنا ومناخنا لا يساعدان على ذلك . . كما أن الشاي مثلا يحتاج الى سفوح الجبال وليس لدينا هذه السفوح . .

ولكننا مع ذلك اشتركنا في منظمة الاغذية العالمية ، وأرسلوا لنا خبراء قدموا لنا توصيات بمساعدة المنظمة من أجل مزيد من الزراعة . وفي جزيرة هالول التي بها المطار الدولي استصلحنا مساحة جيدة من الاراضي . . كما استصلحنا بعض الاراضي في جزيرة ماليه العاصمة ، وعملنا على استصلاح جزء كبير من شاطىء البحر لزيادة رقعة الجزيرة ، وحتى يمكن اقامة المزيد من المساكن الشعبية والمدارس والمرافق العامة ، وخاصة أن الجزيرة تستوعب حوالي ٤٠ ألف نسمة وهو ثلث سكان البلاد .

مشكلة مياه الشرب

ـ وكان لدى سؤال أخير : لاشك أن ذلك يزيد من الاعباء بالنسبة لمشكلة مياه الشرب ، حيث لا توجد مصادر واضحة للمياه النقية ، أو تقطير ماء البحر أو تخزين مياه الشرب . فماهي خططكم المستقبلية لعلاج هذه المشكلة ؟

● يجيب الرئيس : مشكلة مياه الشرب في العاصمة فقط ، إذ أن رقعة الارض فيها قليلة ، وعدد سكانها يتزايد باستمرار ، وخاصة من خلال الهجرة من الجزر الأخرى الى العاصمة ، حيث المدارس والتجارة والحكومة وكل شيء . . لقد كان العدد قبل ثلاثين سنة مثلا حوالي عشرة آلاف ، ولكن العدد تضاعف أربع مرات . . وقد كنا نعتمد على الآبار العذبة ، والآن نستخدم امكانات تخزين مياه الامطار التي تصل في السنة ما بين ٧٠ بوصة الى ١٠٠ بوصة . ولدينا مشروع هذا العام لاقامة خزانات كبيرة ، ومد مواسير بالنسبة للمياه الاخرى ، وتشترك في هذا المشروع كل من المانيا والسعودية والسوق الاوروبية المشتركة ، وهو يكلف حوالي ٢٠ مليون دولار من بينها ١٠ ملايين للمرحلة الاولى فقط . .

أما بالنسبة لبقية الجزر فالاعتماد في الحقيقة على مياه الآبار . . وظروف تناثر الجزر وقلة مساحتها لا تسمح بأكثر من ذلك في الوقت الحاضر . .

تحية للعربي

ـ وباسم « العربي » تشكر الرئيس عبد القيوم لاتاحته الفرصة لنا لهذا الحوار . . الصريح . ويبتسم رئيس الجمهورية وهو يودعنا بنفس البساطة والسماحة وطيبة القلب . .

● يقول الرئيس عبد القيوم : تذكروا دائما أن « للعربي » ركنا خاصا في قلبي ونفسي . . كما أن لها في الوقت نفسه ركنا يتزايد باستمرار مع كل عدد ينضم الى مكتبتي . . فأنا أقرأ « العربي » وأحتفظ بأعدادها منذ صدورها . . لم يفتني عدد منها قط . . وأجدها الآن مناسبة لأحيي مجلة العربي والقائمين على اصدارها وتحريرها ، وأقدر المجهود الكبير الذي تقوم به المجلة في نشر الثقافة العربية والاسلامية أيضا . . ليس في الوطن العربي فقط بل والاسلامي وأقطار أخرى كثيرة . . فهي مجلة تسد فراغا كبيرا في المكتبة العربية الثقافية .

ويسعدني وأنا أحيي العربي والعروبة معا . . أن أقول اننا مع شعوب الوطن العربي شعب واحد . . وان كنا جغرافيا بعيدين عنه . . انما نحن مسلمون وجزء نابض من الامة الاسلامية . . أفكارنا ومشاعرنا مع العرب والمسلمين . . ونتطلع الى الشعوب العربية والاسلامية لتتعاون معها في كل ما يحقق للمديف والشعوب الاخرى ما نصبو اليه من آمال ومستقبل نابض بالحياة . □□

عيناك

"جسر العبور إلى ضوء الحياة"

متى وكيف يتعرض للإنهيار؟

بقلم : الدكتور سامي محمود علي

☐ العين هي النافذة التي يطل منها الانسان على العالم من حوله ، فيرى صخب الألوان وزخرف الحياة تشهد بعظمة الخالق ودقيق صنعه .. فالبحر بزرقته الصافية والسماء تسبح فيها السحب المتناثرة وكأنها تمضي على غير هدى ، والبشر على اختلاف الوانهم يغدون ويروحون ، انه عالم متحرك من الأشربة والألوان .. كل هذا يرصده الانسان من خلال عينيه .. بل ان المرء ليكاد يقرأ في اعين الناس ما يُسرونه خلف معسول الكلام وحلوْ البيان ..

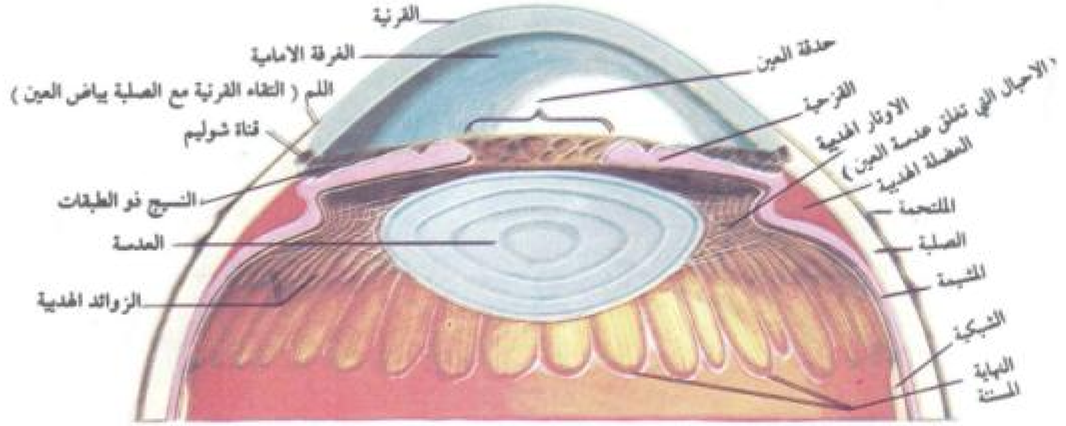

مقطع امامي للعين

إن العين مرآة صادقة لما يجول في خلجات النفس وأعماقها ، فاذا هو الحق والصدق لا يغشاه ظل .. وللعين عند المحبين حديث آخر .. فقتلى الهوى وجرحى الغرام أصابتهم جميعا سهام النظرات الساحرة .

إن العيون التي في طرفها حور
قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

بيد أن الطب لا يقف عند هذه النظرة المعنوية المجردة ، بل يتغلغل في اعماق العين ، قاطعا رحلة بين ركام الدم واللحم والأعصاب ليشهد اعجازا واي اعجاز .. فلنتوقف قليلا عند العين ، وبسرعة نسرد بعضا من حقائق هي اروع من اي خيال عن هذه الجوهرة الصغيرة المسماة بالعين ..

إن ما يقرب من ٨٠٪ من المعارف التي يختزنها المخ تمر عبر العين .. وعندما نتوغل داخل العين نفسها فأننا نلمح ما يسمى بالشبكية **Retina** .. والخلايا التي تكون الشبكية ذات كثافة عالية جدا لا توجد بنفس القدر الا بالمخ ، وتتكون من نوعين من الخلايا العصبية الحساسة ، أحداهما تسمى بالخلايا القضيبية ، وعددها ١٣٠ مليون خلية ، تستطيع الاحساس برؤية اللونين الأبيض والأسود ، وهناك حوالي ٧ ملايين خلية مخروطية اخرى ، يمكنها رؤية الألوان الطبيعية المختلفة .. وعند إحساس هذه الخلايا بالضوء ، فأنها تبعث برسالة عصبية الى المخ بسرعة تصل الى ٥٠٠ كيلو متر في الساعة ، لكي يبادر المخ بتحليل هذه الرسالة وترجمتها على الفور .. وهذه العملية ككل تتم في زمن لا يزيد عن جزئين من الف جزء من الثانية .. والخلايا المخروطية القادرة على تمييز الألوان والموجودة على سطح الشبكية ، تتجمع ككل في مقعر صغير جدا لا يتسع الا لرأس دبوس ، ويسمى هذا المقعر بالنقرة أو « الحفرة المركزية » ، وأقل عطب لهذه الخلايا يؤدي الى الاصابة بمرض عمى الألوان الذي يصيب واحدا من كل ثمانية اشخاص تقريبا .. ونلاحظ جميعا أنه عندما يخف النور فان عمل الخلايا المخروطية التي تميز الألوان ، يتناقص وعندئذ يبدأ عمل الخلايا القضيبية . ومن ثم فان الرؤية اللونية تختفي

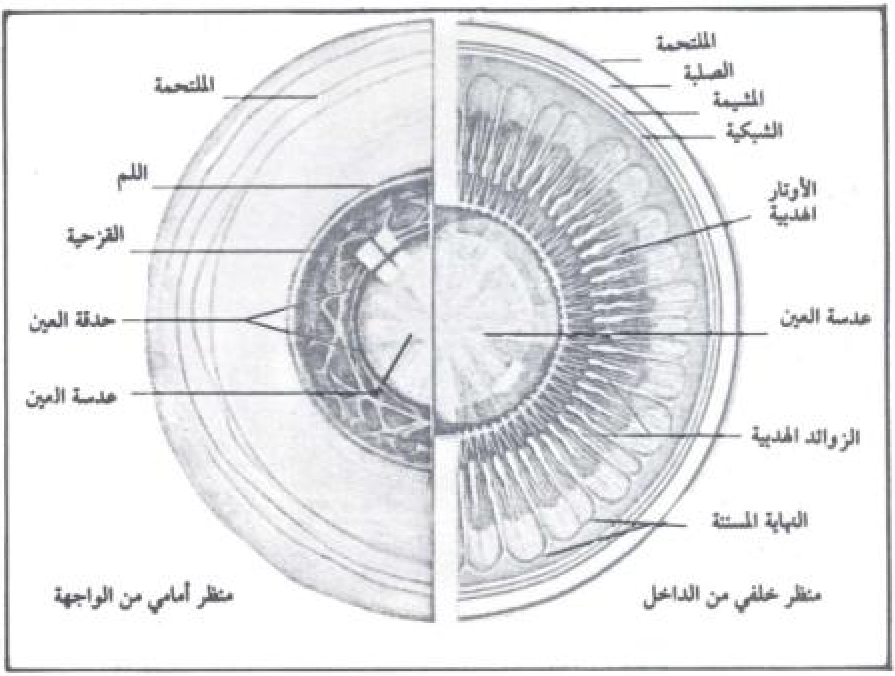

لترى الأشياء جميعا رمادية اللون .

والواقع ان الانسان لا يرى بعينيه بل انه يرى بمخه ، فالعين ليست اكثر من معبر او ممر للضوء . . اما الرؤية الحقيقية فانها تتم داخل المخ . . ولا غرو اذن ان نقول « اننا نرى بامخاخنا وليس بعيوننا . . .

كل هذه الحقائق قطرة من محيط حقائق شديدة الغرابة ، نكتشفها كلما غصنا داخل اجسامنا اكثر فأكثر . . وصدق الخالق الاعظم عندما قال في كتابه الكريم « وفي انفسكم افلا تبصرون . . » والان عودة الى مرض المياه البيضاء او ما يسمى في الطب باسم الكتاراكت **Cataract** . . ما هي قصته ؟ . وكيف يحدث . . ؟ . . ماذا عن العلاج . . ؟

المياه البيضاء . . مرض لابد منه

ما هو مرض « الكتاركت »؟ ان عين كل انسان تحتوي على عدسة **Lens** تتسع مباشرة وراء البؤبؤ والجزء الملون من قزحية العين ، وتعمل هذه العدسة على تركيز اشعة الضوء على الشبكية **Retina** وعندما تأخذ خواص هذه العدسة البلوريه في التغير لتبدو اكثر عتامة ، فاننا نسمي الحالة عندئذ « اصابة بمرض المياه البيضاء » . . اذن فان عتامة عدسة العين ليست نموا او شيئا جديدا بالنسبة للعين ، بل هي مجرد تغير في نقاء العدسة وخواصها الطبيعية ، فاذا لم تكن هذه العتامة في وسط العدسة ، فانها لا تؤثر على النظر اطلاقا . وهنا قد لا يحتاج المريض لأي علاج . . والواقع ان مرض المياه البيضاء يصاب به كل شخص تقريبا مع تقدمه في السن ، فكما ان شعر الرأس يأخذ في الابيضاض ويتجعد الجلد وتسقط الاسنان ، فان نقاء عدسة العين هو الآخر يأخذ في التغير . .

وعدسة العين مثلها مثل القرنية **Cornea** نسيج لا يحتوي على اي اوعية دموية وتعتمد الشافية لكل من القرنية وعدسة العين على التنظيم الدقيق لالياف كل منهما بالاضافة الى

التوازن الكيميائي لمكوناتها . . اذن فالعدسة جسم بلوري شفاف مزدوج التحدب يبلغ قطره نصف السنتيمتر تقريبا . . ولكن ماذا عن تطور عدسة العين . . ؟

الحقيقة ان هذا التطور يبدأ والانسان مازال جنينا لم ير النور بعد ، حيث تبدأ العدسة على شكل نتوء عدسي (**Lens Pit**) يحدث نتيجة التواء في طبقة المضغة الخارجية (**Ectoderm**) ويتحول هذا النتوء في مرحلة تالية الى حويصلة عدسية (**Lens Vesicle**) مغطاه بغشاء ، كما تحاط هذ الحويصلة بمحفظة او كبسولة (**Cap-sule**) ويؤدي نمو الغشاء الى تكوين الالياف العدسية الأولى والتي تكوّن فيها بعد نواة العدسة (**Lens Nuclous**) وتتحول الالياف حول هذه النواة الى ما يعرف باسم قشرة العدسة (**Cortex**) . . ويمكننا القول : ان العدسة في الشخص الناضج هي عبارة عن نواة تحيط بها قشرة خارجية .

تقدم السن وتأثيره

وتحتوي عدسة العين بصورة طبيعية على نسبة من الماء تبلغ حوالي ٦٥٪ كما تبلغ نسبة البروتين بها نحو ٣٥٪ ويكون هذا البروتين في حالة ذائبة ، ومع تقدم الانسان في العمر ، تنخفض نسبة الماء كما يتحول البروتين الذائب الى بروتين غير ذائب وهو ما يؤدي الى تصلب العدسة ، وتبدأ هذه الظواهر في الحدوث بعد سن الاربعين . . وهذه العتامة التي تحدث في عدسة العين في هذا العمر مثلها مثل بقية التغيرات التي يصادفها الشخص مع تقدم عمره . . وهنا يمكننا القول ان حوالي ٩٥٪ من الاشخاص الذين تعدوا سن ٦٥ سنة مصابون بعتامة في عدسة العين لدرجة ما . . وعند الفحص المباشر لهؤلاء الاشخاص نجد ان البؤبؤ او انسان العين يكون مصفرا او رماديا وهذا اللون هو انعكاس لمدى التصلب الذي اصاب العدسة .

كتاركتا نطاقية

مياه بيضاء نطاقية

كاتركتا بعد الاكتمال (بعد النضج)

أسباب الاصابة

عتامة عدسة العين - كما قلنا - هي تطور طبيعي يحدث مع تقدم العمر . . الا ان هناك اسبابا اخرى كثيرة تساعد على الاصابة بالمياه البيضاء ، خلال مراحل العمر المختلفة . . وفي الحقيقة ان عتامة عدسة العين نفسها قد تكون كاملة او غير كاملة ، وقد تصيب العتامة مركز العدسة او نواتها ، او قد تكون الاصابة في قشرة العدسة فقط . .

وتعود العتامة في عدد من الحالات لاسباب خلقية . . وهنا تكون الأم هي المسئولة عن اصابة طفلها بالمياه البيضاء ، فاصابة الأم بالحصبة الألمانية او الزهري اثناء الحمل قد تؤدي الى اصابة الطفل بالمرض . . وفي بعض الاطفال المصابين بالسكر ، تكون الاصابة بالمياه البيضاء تطورا طبيعيا ولا يخفي ايضا ان انخفاض نسبة الكالسيوم في الجسم او وجود اورام داخل العين او التعرض للاشعاع . . كل هذه اسباب يمكنها ان تسبب الاصابة بالمياه البيضاء في الاطفال الصغار . . وفي معظم حالات الاصابة بالمياه البيضاء عند الاطفال والتي ترجع لاسباب خلقية ، لا يكون هناك اي اضطراب في الرؤية لدى الاطفال كما ان الاصابة لا تصيب كلا العينين في اغلب الاحيان . وينذر في حالة كهذه ان نلجأ لعلاج مثل هذه العتامة ، حيث انها لا تسبب ادنى ضرر .

أما الاصابة بالمياه البيضاء في كبار السن فانها تبلغ حوالي ٩٠٪ من كل اصابات المرض . . ولم يستطع الطب ان يحدد اسبابا دقيقة لحدوث هذه الظاهرة ، الا انها تعزى الى الشيخوخة مثلها مثل بقية ظواهر التقدم في السن . . وقد يحدث التصلب في نواة العدسة فتتحول الى اللون الاصفر . واذا اصيب مركز النواة داخل عدسة العين فان المريض يعاني من ازدواج الرؤية (Di-plopia) وفي حالة النواة فان العدسة تعاني من الجفاف بينما اذا اصيبت قشرة العدسة فان العدسة تنتفخ نتيجة لامتصاصها كميات كبيرة من الماء بين اليافها . . وتتعدد انواع الاصابة

التي تمر بها قشرة عدسة العين فهناك اصابة الجزء الخلفي من القشرة ويؤثر هذا النوع في الرؤية ، ويبدأ على شكل حبيبات صغيرة تتراكم تحت الجزء الخلفي من حافظة العدسة .. كما ان هناك نوعا اخر يعرف « بالعتامة الكاملة » وفيه تنتفخ العدسة نتيجة لتجمع الماء وهنا قد يكون المريض معرضا للاصابة بمرض الجلوكوما او المياه الزرقاء (Glaucoma) نتيجة لارتفاع الضغط داخل العين ..

وهناك نوع آخر من العتامة تذوب فيه العدسة وتتحلل (Morgagnion Catar-act) وتبدو وكانها كيس صغير مملوء بمادة بيضاء كاللبن .. وفي بعض انواع الاصابة تنكمش عدسة العين وتأخذ في التناقص وهذا النوع

صورة لشخص مصاب بعتامة في مركز العدسة ويلاحظ التغير في ادراك اللون

صورة طبيعية

يعرف باسم « ما بعد العتامة الكاملة » (Hyp-ermature cataract) . اخيرا فان اصابة مباشرة للعين قد تؤدي للاصابة بالمياه البيضاء ، هذا بجانب ما قد يحدث من خلع العدسة من مكانها ، او انفصالها بالكامل .. وعندما تحدث الاصابة بالمياه البيضاء نتيجة حادث ما ، فان حلقة من العتامة تُظلّل الجزء الامامي لمحفظة العدسة .. كما يؤدي حدوث ثقب في العين الى اصابة العدسة بعتامة موضعية وانسكاب بروتين العدسة الذي يؤدي بدوره الى اصابة المريض بمرض المياه الزرقاء « الجلوكوما » .

اعراض الاصابة

قد لا تسبب « الكتاركت » اية اعراض عند الاصابة وخصوصا اذا كان مكان العتامة يبعد عن مركز العدسة الذي تمر منه الاشعة الضوئية .. ويمكننا ان نحدد اعراض الاصابة بالمياه البيضاء في النقط التالية :

يشكو المريض من تناقص تدريجي وغير مؤلم لرؤيته للاشياء ..

يلاحظ المريض وجود نقط سوداء غير متحركة في مجال الرؤية .

وقد يعاني المريض من عمى الالوان او يغلب اللون الأصفر على مجال الرؤية لديه .

ومن الاعراض ايضا قصر النظر او طوله .

وقد تظهر هذه الاعراض في بداية الاصابة بالمياه البيضاء .

ويمكن للمريض ان يشكو من الرؤية الازدواجية للاشياء (Diplopia) فيرى صورتين لشيء مرئي واحد ..

ولو انه ليس بالضرورة ان يشكو المريض من كل هذه الاعراض مجتمعة .

علاج المياه البيضاء

عادة ما يكون العلاج بازالة عدسة العين

تخدير العين قبل اجراء عملية الكتاركتا

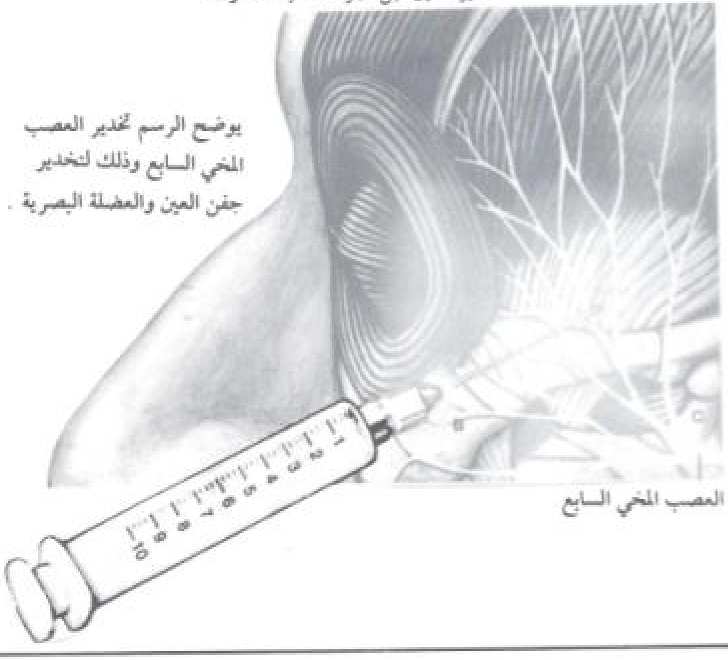

وارتداء النظارات الطبية او العدسات اللاصقة ، ذلك ما دامت العتامة في عدسة العين تؤثر في الرؤية . . وقبل اللجوء للجراحة فعلى الطبيب ان يفكر في فحص العينين جيدا واختبار الشبكية وملاحظة قدرة عضلات العين ، كما يجب اكتشاف اي مرض او قصور في عمل العين او احد مكوناتها . . وللسن التي بلغها المريض اعتبار هام عند اجراء الجراحة ، فان الاطفال تحت سن خمس سنوات لا تجري لهم جراحة ازالة عدسة العين ، كذلك للاطفال في حال اصابتهم بالحصبة . . وفي الواقع ان كل هذه الامور ، يضعها الطبيب في اعتباره قبل اجراء العملية ، خوفا من حدوث مضاعفات ضارة . . لكن كيف تجري جراحة ازالة عدسة العين وما هي مضاعفات هذه العملية ؟ . .

يبدأ الجراح بتخدير العين المصابة بالمياه البيضاء وذلك بحقنها بحقنتين ، احداهما الى جانب العين في المنطقة الواقعة بينها وبين الاذن لتخدير العصب الممتد الى الجفن ، والحقنة الثانية تحقن عبر الجفن الاسفل الى الخلف من العين لتخدير بقية الاعصاب . . وبعد ذلك يفتح الجراح في جفن العين والغشاء الشفاف حول العين ويثني القرنية الى الاسفل ، ثم يزيل العتامة والعدسة ككل بعد ذلك . . ومن الغريب ان نعرف ان هذه العملية بدأت منذ فترة طويلة جدا تصل الى ما قبل الميلاد ، فقد بادر باجرائها قدماء الهندوس واليونان والرومان الا ان العملية التي تجرى اليوم لم تكن معروفة بهذا الشكل الا في بداية سنة ١٩٤٠ ثم حدثت تطورات حديثة لاجراء مثل هذه العملية ، منها طريقة **(Phacoemulsification)** « الفاشيومولينكشن » والتي تعتمد على احداث اهتزاز مقداره ٤٠ الف هزة في الثانية الواحدة مما يؤدي الى زعزعة العدسة من مكانها ومن ثم ازالتها بسهولة . .

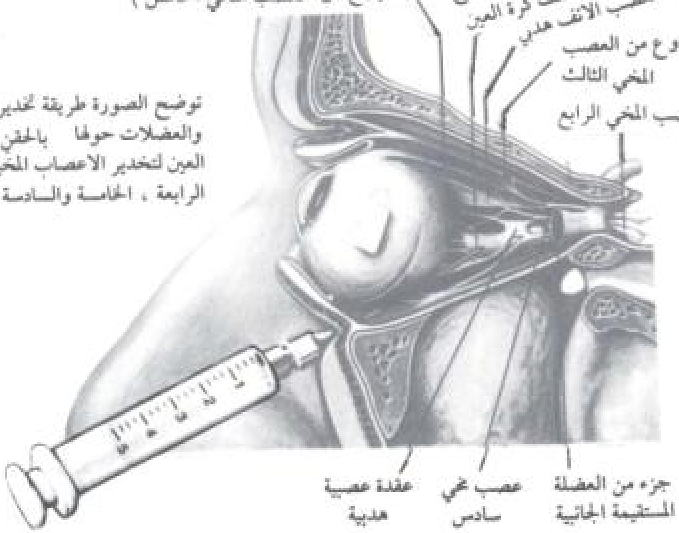

توضح الصورة طريقة تخدير كرة العين والعضلات حولها بالحقن خلف كرة العين لتخدير الاعصاب المخية الثالثة ، الرابعة ، الخامسة والسادسة .

مضاعفات ؟

لا تخلو بالطبع عملية ازالة عدسة العين من حدوث مضاعفات ، الا ان هذه المضاعفات نادرة جدا لا تزيد عن نحو ٥٪ ممن تجري لهم العملية ، كما انه من الممكن معالجة هذه المضاعفات عند حدوثها . . ولعل اكثر المضاعفات حدوثا المضاعفات الاتية : -

- انسكاب السائل الزجاجي (Vitreous Loss) وقد يحدث ذلك اثناء اجراء العملية ويتكون هذا السائل من ٩٨٪ ماء ، كما انه يحتوي على مادة البولي سكرايد والكولاجين (Colagen) بالاضافة الى حامض « الهيلورينك » ويكون ذلك كله مادة جيلاتينية ، فاذا ما انسكبت هذه المادة الى الجزء الامامي من العين ، فان ذلك قد يؤدي الى انفصال شبكي (Retinal detachment) كما قد يؤدي الى ارتشاح القرنية وانتفاخها . . ويحدث هذا العَرَض في حوالي ٢ - ٤٪ من المرضى الذين تجري لهم الجراحة ويمكن علاجه ببساطة وذلك بازالة السائل المنسكب .

- قد يحدث نزيف داخل العين ويمكن علاجه بامتصاص هذا النزيف .

- من الممكن الا تتم ازالة عتامة العدسة بصورة كاملة ويتخلف بعض بقايا العدسة وهذا العرض يعرف باسم « بعد العتامة » (After cataract) .

- قد يحدث التهاب في انسجة العين بعد العملية ، ويحدث هذا في حالة او حالتين من كل خمسة آلاف عملية ويظهر الالتهاب على شكل ألم واحمرار في العين وورم في جفن العين .

ولكنها بعد هذا كله جراحة ناجحة ، وليس هناك بديلاً عنها .

□□

الجوع
واسطورة نقص الغذاء في العالم

بقلم : محمود عصام الميداني

□ كان رئيس تحرير « العربي » قد كتب في حديث الشهر (عدد يونيو ١٩٨٤) مقالا بعنوان « من المسؤول عن الجوع في العالم ؟ » تناول فيه بالتحليل واحدة من أخطر المشكلات التي تواجه الانسان في العالم المعاصر ، وهي : مشكلة الجوع التي تعاني منها أعداد متزايدة من دول العالم الثالث ، ويذهب ضحيتها الملايين من الأبرياء في كل عام .

وقد فتح مقال رئيس التحرير الباب لكل كاتب يريد الاسهام في الجدل الدائر لتشخيص الداء ووصف الدواء . . .

في القرن العشرين - قرن اعلان حقوق الانسان والدعوة الى السلام ، والحوار بين الشمال والجنوب ومؤتمرات نزع السلاح - في هذا القرن الذي شهد النصف الأول من حربين عالميتين دفعتا البشرية الى تأسيس عصبة الأمم ومنظمة الأمم المتحدة ، لابعاد شبح الحرب وويلاتها عن الشعوب ، وفي ظل وجود منظمات دولية ما قامت إلا لرعاية الانسان والانسانية ، في ظل هذه المؤسسات جميعا ما تزال تزداد مآسي العالم باستمرار ، فمع كل اشراقة شمس يظهر خطر جديد يتهدد الانسان في أمنه وحياته وغذائه ومستقبل أطفاله . ولعل من أبرز هذه المآسي انتشار المجاعات في كثير من أقطار العالم الثالث ، وأمام هذه المجاعات التي أودت بحياة الكثيرين ، فان واجب البشرية أن تسلط الأضواء على هذه المآسي ، التي يأتي في مقدمتها نقص الغذاء لدى عدد كبير من سكان العالم .

ففي منطقة الساحل الافريقي - ويقصد بها

الدول السبع الممتدة الى الجنوب من الصحراء الكبرى - تكررت حوادث الجوع بسبب الجفاف خلال عامي ١٩٧٤ و ١٩٧٥ وفي بنغلاديش عام ١٩٧٤ وفي كامبوديا خلال الأعوام ١٩٧٦ - ١٩٧٩ كنتيجة للحرب الأهلية فيها .

مظاهر الجوع في العالم

من المعروف أن الغذاء ضروري للمحافظة على حرارة الجسم وتزويده بالطاقة اللازمة للجهد المبذول وترميم خلاياه ، ولنمو الأجسام عند الأطفال . هذا ويحتاج الانسان في اليوم الواحد الى نحو ٢٤٠٠ - ٢٥٠٠ حرة (وقد تزداد هذه الكمية أو تنقص تبعا لتغير المناخ وطبيعة العمل) ويحصل الانسان على السعرات الحرارية اللازمة له من تناول الأغذية المختلفة ، وكل نقص في كمية الغذاء عن هذه الحدود يؤدي الى المجاعة .

وفي السنوات العشر الأخيرة (١٩٧٠ - ١٩٧٩) بلغ عدد ضحايا المجاعات نحوا من ٤٥٠ مليون انسان ، وتدل الاحصائيات على أن هذا العدد من السكان لا يحصلون الا على ١٦٠٠ سعر حراري يوميا ، ومعنى هذا أنهم يعانون من المجاعة . وليست الدول التي عددناها سابقا هي التي تعاني فقط من نقص

التغذية ، اذ أن البنك الدولي يعطينا رقما أكبر يصل الى نحو مليار ومائة مليون انسان من أصل أربعة مليارات ونصف المليار ، هم عدد سكان العالم اليوم .

وهذا النقص في الغذاء يؤدي بالطبع الى ضعف الأمل في الحياة عند هؤلاء منذ الولادة ، ويسهم في قصر أعمارهم كما هو مبين في الجدول الآتي :

أمل الحياة عند الولادة

في البلاد الفقيرة	في البلاد الغنية	الحدود الدنيا والعليا
أفريقيا ٤٥ سنة	الاتحاد السوفيتي ٧٠ سنة	بنغلاديش ٣٩ سنة
آســـيا ٥٤ سنة	الولايات المتحدة ٧١ سنة	الدانمارك ٧٤ سنة
أمريكا الجنوبية ٦١ سنة	أوروبـــا ٧١ سنة	

بؤر الجوع في العالم

في كل مكان من العالم نجد أن أناسا يتأثرون بالجوع ونقص التغذية أكثر من غيرهم . فالأطفال وسكان الأرياف والقاطنون في مدن الصفيح (العشش) هم أول وأكبر ضحايا الجوع . وقد يؤثر الجوع على الأطفال حتى قبل ولادتهم ، فمن نحو ١٢٢ مليون طفل من المواليد الجدد في العالم الثالث وجد أن ٢٢ مليونا منهم (أي السدس تقريبا) يعانون من نقص في أوزانهم عند الولادة ، وهؤلاء هم أول من يصاب بأمراض الحميرة والسعال الديكي والاسهالات والالتهابات قبل بلوغهم السنة الأولى من عمرهم ، وتصل وفيات الأطفال في دول العالم الثالث الى أكثر من خمسة عشر ضعفا مما هي عليه في الدول المتطورة . وفي أفريقية يموت ٧٪ من المواليد قبل أن يصلوا الى نهاية السنة الأولى من عمرهم ، وترتفع هذه النسبة الى ١٠٪ من المواليد في بعض الأقطار الفقيرة في آسيا كبنغلاديش ، ونصف هؤلاء الأطفال يفارقون الحياة قبل بلوغهم السنة الخامسة من عمرهم .

واذا اطلعنا على الأرقام لوفيات الأطفال هالنا العدد الكبير للأطفال الذين يموتون بسبب نقص الغذاء ، ففي عام ١٩٧٨ ولد في العالم الثالث حوالي ١٢٥ مليون طفل ، مات منهم في العام نفسه ١٢ مليون طفل متأثرين بالجوع ، وفي عام ١٩٨٠ ارتفع هذا العدد الى خمسة عشر مليونا . وتشير التقديرات الى أنه في كل ١٥ ثانية يموت طفل متأثرا بالجوع .

وفي احصاء عام ١٩٨٢ نجد أن :

من كل ألف طفل يولد في أفريقية الجنوبية يموت منهم من البيض ١٨,٤ في الألف .

ومن كل ألف طفل يولد في أفريقية الجنوبية يموت من سكان البلاد ر١١٥ في الألف .

ومن كل ألف طفل يولد في مصر يموت منهم ٨٩,٢ في الألف .

ومن كل ألف طفل يولد في نيجيريا يموت منهم ٧٠,٣ في الألف .

ومن كل ألف طفل يولد في المكسيك يموت منهم ٦٠,٢ في الألف .

ومن كل ألف طفل يولد في رومانيا يموت منهم ٣١,٢ في الألف .

ومن كل ألف طفل يولد في السويد يموت منهم

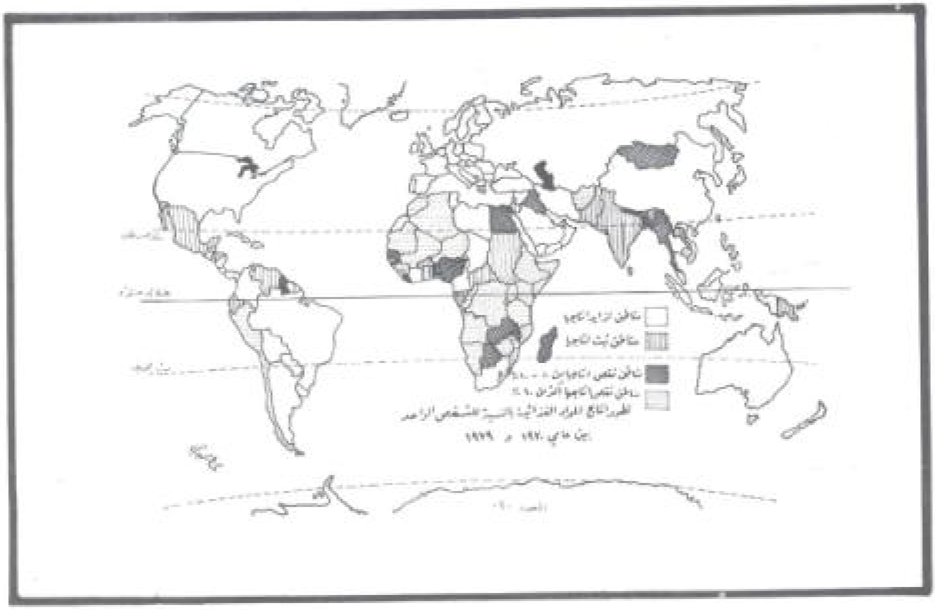

٧,٧ في الألف .

وقد أعلن تقرير صدر عن ندوة للتغذية عقدت في روما أن حوالي ١٠٠,٠٠٠ طفل في الشرق الأقصى يشكون العمى لنقص فيتامين (أ) من غذائهم ، ويوجد في الهند حوالي ١٥ مليون أعمى . ومن المصادفات الغريبة أن هؤلاء يعملون في الأرض ويعجزون عن العيش منها :

سوء التغذية في العالم

أمام هذه الأرقام المفجعة والمؤسفة لابد لنا من أن نستعرض الغذاء وكميته زيادة أو نقصا ، لنتعرف على أسباب سوء التغذية في العالم .

ان أول ما يتبادر الى الذهن أن سوء التغذية ناجم عن نقص الانتاج في المواد الغذائية في العالم ، وأن انتاج الغذاء لا يواكب تزايد السكان ، ولكن الاحصائيات تثبت لنا خطأ هذه النظرية - وقد تثبت العكس أحيانا - وذلك بالنسبة لمجموع انتاج الغذاء في العالم .

فقد كان عدد سكان العالم عام ١٩٧٠ نحو ٣,٦١٠ مليار نسمة ، وارتفع هذا العدد عام ١٩٧٩ الى ٤,٣٣٦ مليار نسمة ، أي أن الزيادة كانت حوالي (٧٢٦) سبعمائة وستة وعشرين مليونا ، وهي تعادل ٢٠,١٪ من عددهم عام ١٩٧٠ .

واذا ما استعرضنا انتاج بعض المواد الغذائية الأساسية خلال السنوات العشر الأخيرة وجدنا أن :

القمح : ارتفع انتاجه من ٣١٨,٤٣٧ مليون طن عام ١٩٧٠ الى حوالي ٤٢٠,٢ مليون طن عام ١٩٧٩ ، أي أن الزيادة كانت بنسبة ٣١,٩٪ وهي أكبر من النسبة المئوية لزيادة السكان في الفترة نفسها ، وأن هذا الانتاج يزداد باستمرار - فقد بلغ في عام ١٩٨١ (٤٥٨,٠٥) مليون طن ، وارتفع في عام ١٩٨٢ الى (٤٧٧,٨١٩) مليون طن .

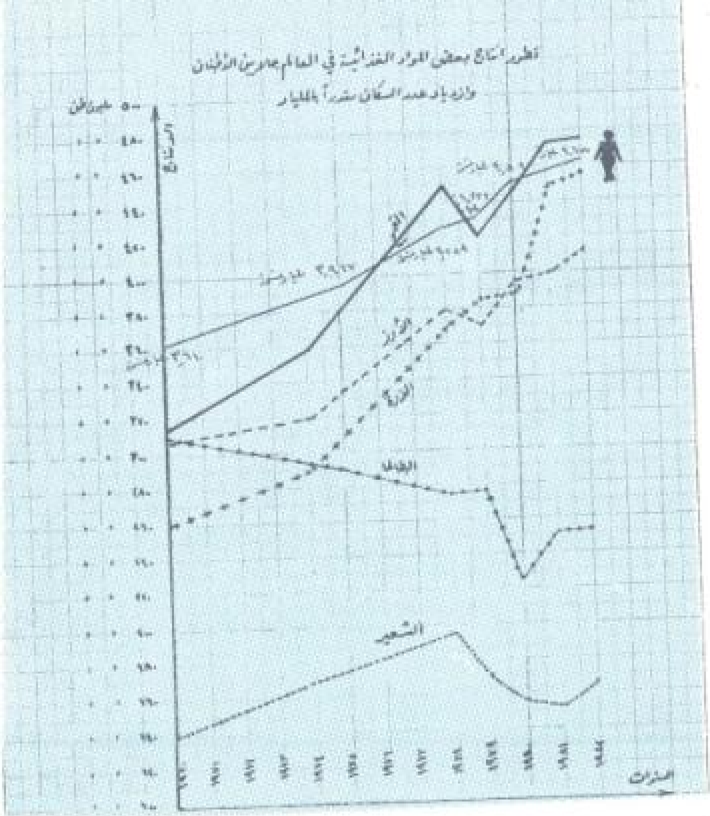

وكذلك الأرز : فقد ازداد انتاجه بنسبة ٤٧,٢٪ بالنسبة لانتاج عام ١٩٧٠ . والفول السوداني بنسبة ١٠٠٪ ، والشعير بنسبة ٢٣,٥٪ ، أما الذرة الصفراء فقد ازداد انتاجها بنسبة ٤٧,٢٪ ، والحمضيات بنسبة ٤٧,٢٪ ، والبن بنسبة ٢٠,٥٪ ، والشاي بنسبة ٣٨,٤٪ ، والسكر بنسبة ١٩,٧٪ .

ومما يلفت النظر نقص انتاج مادة البطاطا بنسبة ١٠,٩٪ عما أنتج العالم في عام ١٩٧٠ ، وقد ازدادت النسبة انخفاضا في عام ١٩٨٠ ، وأهم الدول التي تناقص انتاجها هي : الصين الشعبية ، والمانيا الاتحادية والديمقراطية ، وفرنسة ، وايطالية ، وبولونية ، وتشيكوسلوفاكية ، والاتحاد السوفيتي .

أي أن نقص الانتاج كان في دول يعتمد سكانها اعتمادا كبيرا على البطاطا كغذاء أساسي ، مما يجعلنا نتكهن أن بعض الشعوب بدأت تتخلى عن نظامها الغذائي السابق وتبحث عن نظام جديد ، وأنها اتجهت الى مزروعات تدر ربحا أكبر كالمزروعات الصناعية . فقد تضاعف - بالفعل - انتاج القطن في الصين الشعبية خلال السنوات الأخيرة ، وفي المانية الاتحادية انخفض انتاج البطاطا الى النصف ، بينما تضاعف انتاج القمح والشعير ، وفي الاتحاد السوفيتي تضاعف انتاج الارز ، وازداد انتاج القطن مقابل انخفاض انتاج البطاطا .

ومما تقدم يظهر بأن هناك تحولا في النظام الغذائي ، وأن معظم دول العالم تجري وراء ربح المزروعات الصناعية ، مهملة حاجة الشعوب الى الغذاء ، ومتناسية أن هذه الحاجة في مقدمة احتياجات الانسان .

نقص انتاج الغذاء

ومن الملاحظ أن بعض أقطار العالم الثالث لا

يتناسب انتاج المواد الغذائية فيها مع ازدياد السكان ، وهذه الحالة نجدها في أكثر من ٦٠ بلدا من البلدان النامية ، ومنها ١٥ قطرا أنتج عام ١٩٧٩ أقل مما أنتجه عام ١٩٧٠ .

ويتركز القلق في أفريقية بشكل خاص ، حيث انخفض انتاج المواد الغذائية في العديد من أقطارها أكثر من ١٠٪ عما كان عليه عام ١٩٧٠ .

هذا وتكثر المجاعات في دول القارة الافريقية الممتدة على أطراف المدارين (مدار السرطان شمالا ومدار الجدي جنوبا) اما بسبب الجفاف في بلاد تعتمد زراعتها على الأمطار ، أو بسبب الفيضانات التي تؤدي الى جرف التربة الزراعية وتفريق المزروعات ، وبخاصة في مناطق الدلتا الأسيوية .

ومن أسباب نقص الغذاء في بعض الأقطار ضعف استعمال السماد في الزراعة ، فقد قدر أن الاستهلاك الكلي للسماد الزراعي في أفريقية هو ٢٥٪ فقط من الاستهلاك العالمي للسماد الزراعي ، وفي عام ١٩٧٥ بلغ استهلاك السماد في مجموع الدول المتطورة حوالي ٦٤,٣ مليون طن ، مقابل ١٩,٣ مليون طن ، استخدمتها الدول النامية في زراعتها .

ومن الأسباب المباشرة لنقص الغذاء هو : تقلص المساحات المخصصة للزراعات الغذائية ، فان أهم ما يميز اقتصاد الدول النامية من كولومبية الى غانة والى ماليزية أن هذه الدول تأتي في مقدمة الدول المصدرة للمواد الغذائية والانتاج الزراعي . فالبن مثلا يمثل ٩٥٪ من صادرات بوروندي و ٦٢٪ من صادرات رواندا ، وأكثر من نصف صادرات السلفادور ، ويمثل الفول السوداني **(ARCHIDES)** ٧٠٪ من مجموع صادرات غينية بيساو ، ونحو ٤٥٪ من صادرات السنغال ، ويأتي أكثر من نصف دخل السودان من تصديره للقطن ، وتستورد هذه الدول مقابل ذلك المواد الغذائية بكميات متزايدة ، أي أنها تحول الأراضي التي كانت مخصصة لزراعة المواد الغذائية الى زراعة المواد التصديرية ، اما لسعرها المرتفع أو بسبب تشجيع الشركات الاستثمارية التي تعمل على انتاج الزراعات الصناعية ، وربما أن الزراعات الغذائية هي المورد الوحيد للبلدان التي لا توجد فيها ثروات معدنية أو نفطية ، فان عليها أن تصدر المواد الغذائية لتغذية مالية الدولة ، ولتوفير النقد الأجنبي اللازم لشراء الأدوات والتجهيزات من أجل التحويل الصناعي فيها ، مما يجعلها تمتص معظم الأموال المخصصة للتنمية الزراعية في هذه البلدان .

النمط الغذائي في دول الشمال

يعلل أحيانا نقص الغذاء في دول الجنوب أو الدول النامية بازدهار العالم المصنع الذي يفضل سكانه (البروتينات) الحيوانية عن (البروتينات) النباتية والذي يزداد لديه الميل الى تغذية المواشي بالحبوب . يدلنا على ذلك انفاق البلدان الصناعية الغربية بين عامي ١٩٦١ و ١٩٦٣ ، حيث أنفقت نحو ١٩٧ مليون طن من الحبوب لاطعام الماشية ، وأنفقت كتلة الدول الشرقية نحو ٦٠ مليون طن ليصبح المجموع ٢٥٧ مليون طن ، بينما لم يكن يملك العالم النامي آنذاك الا ٣٥٨ مليون طن منها . وبعد عشرة أعوام ١٩٧٢ ـ ١٩٧٤ انفقت البلدان الصناعية حوالي ٤١٦ مليون طن من الحبوب لاطعام الماشية ، بينما لم تكن تملك مجموعة البلدان النامية الا ٤٩٨ مليونا منها .

هجرة الريفيين الى المدن

وأمر آخر لابد من ذكر أثره على نقص الغذاء في العالم الثالث ، وهو الهجرة الريفية الى المدن ، وازدياد عدد سكان المدن بشكل كبير . ومن الطبيعي أن هذه الهجرة تؤدي الى نقص في

الأيدي العاملة الزراعية . واذا كان تعويض هذا النقص في الدول المتطورة ممكنا ، حيث تحتل الآلة الزراعية مكان الأيدي العاملة الريفية المهاجرة الى المدن في البلاد المتطورة ، فان هذه الهجرة في دول العالم الثالث تؤثر على انتاجها الزراعي الذي يتناقص ، ويؤدي الى تزايد احتياجها من استيراد المواد الغذائية .

وما من شك أن هذه الهجرة في العالم النامي مرتبطة بالجفاف ونقص الموارد وبسبب البطالة المقنعة في الأرياف ، والناجمة عن ازدياد عدد السكان بنسب أكبر من التوسع في مساحة الأرض الزراعية ، مما يؤدي الى وجود أيد عاملة فائضة ، تبحث لنفسها عن فرص العمل في المدن .

وما من حل لهذه المشكلات الا بالتوسع في مشاريع الري واستصلاح الأرض .

امكانات العالم الزراعية

وأمام هذه الأرقام والمعطيات يحق لنا أن نتساءل ، هل يمكن للأرض المزروعة أن تعيل هذا العدد الذي يتزايد باستمرار ؟

باطلاعنا على وضع الأرض الحالي نجد أن الأراضي المزروعة حاليا لا تشغل أكثر من ١٠٪ من مساحة اليابسة البالغة ١٣٧ مليار هكتار ، ولا تزيد المساحة المزروعة : في أوروبا باستثناء الاتحاد السوفيتي عن ٣١٪ من المساحة العامة ، وفي آسية باستثناء الاتحاد السوفيتي أيضا عن ١٥٪ ، وفي أفريقية عن ٨٪ ، وفي الولايات المتحدة الأمريكية وكندا عن ١٢٪ ، وفي أوقيانوسية عن ٣٪ ، وفي الاتحاد السوفيتي عن ١٠,٧٪ ، أي أنه ما تزال هناك مجالات واسعة لمد رقعة الأرض الزراعية باستصلاح البور منها ، ولابد من ذكر جهد الانسان في زراعة الأماكن التي يصعب استثمارها في الاصقاع الشمالية الباردة ، حيث انتقى الانسان انواعا من النباتات تستطيع تحمل البرد ، وأقام الاقفاص الزجاجية والبيوت البلاستيكية هذا في الاصقاع الشمالية الباردة ، أما في الصحاري والمناطق الحارة فقد استصلحت أراضيها ونجحت زراعات كان وجودها مستحيلا ، كالبطيخ والعنب في نجد ، وزراعات أخرى مختلفة في مديرية التحرير في مصر ، وزراعة الواحات في ليبيا ، وكأنها شواهد على أنه ما من قوة تستطيع أن تحد من الطاقات الانسانية ، وأن الحدود النهائية للقدرة البشرية ماتزال سرابا أمام التصميم والارادة التي يتمتع بها الانسان .

واذا كانت هناك من مظاهر للجوع في بعض الأقطار فمردها الى سوء التوزيع لهذا الانتاج الزراعي ، الذي يتزايد باستمرار ، والذي تزداد أسعاره بين أيدي المضاربين والمحتكرين لقوت الانسان ، ومن واجب العالم وضع قوانين لئلا يتخذ القمح والمواد الغذائية الأخرى سلاحا ووسيلة للضغط السياسي على الشعوب والحكومات .

ويبدو وكأن المبادىء الخلقية والتعاليم الدينية والواجبات الانسانية قد فقدت تأثيرها على أصحاب الاحتكارات ، وهذا يذكرنا بدعوة رسول الانسانية الذي حدد بكلمات قليلة دور الانسان في نجدة أخيه الانسان حين قال : (والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، قيل من يارسول الله ؟ قال : من بات شبعان وجاره جائع وهو يعلم) .

واذا أضفنا الى ذلك ما ينفق على التسلح واختراع أسلحة الدمار ، وما تصرفه الدول النامية في سبيل مواكبة تسابق التسلح بين الدول العظمى ، وما تدفعه من أموال يمكن أن تسهم في تخفيف ويلات البشرية ، أدركنا أن نقص الغذاء في العالم أسطورة يمكن دحضها لو صمم العالم على ايجاد الحلول للمشكلات المعقدة التي تعاني منها بعض الدول اليوم ، وفي مقدمتها الجوع في العالم . □□

اعداد : يوسف زعبلاوي

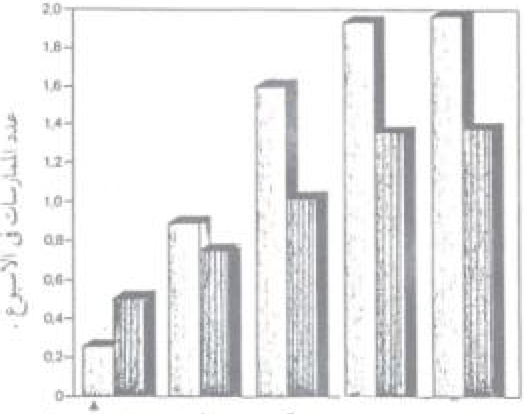

قبل تناول الأندريول .

الأسابيع التي تم فيها تناول الأندريول .

الجديد في علاج العقم

ما أكثر المستحضرات المعدة لمعالجة العقم الجنسي في الرجال .. وما أقل فاعلية هذه المستحضرات جميعا .. الحقن منها والحبوب على حد سواء .. لاحظ أننا لا ننفي فاعليتها ، ولكننا نؤكد أنها فاعلية محدودة ، اذا وجدت ..

على أن مشكلة هذه المستحضرات لا تقف عند فاعليتها .. فهي تتعدى ذلك الى العبث بافرازات الغدد الصماء .. بل الغدة النخامية (pituitary) بالذات ..

من هنا كانت المخاطر التي يمكن أن تترتب على المستحضرات المتواجدة في الأسواق منذ سنوات وكان حذر الأطباء الشديد بصددها ..

والظاهر أن احدى الشركات المعروفة في صناعة الأدوية (شركة أورجانون الهولندية) قد أصابت نجاحا كبيرا في تطوير المستحضر الآمن الفعال ، الذي يبشر بالقضاء على العقم أو العنة في الرجال .. على أن سر هذا المستحضر ليس في محتوياته الأساسية .. فقوامه هو هرمون الذكورة تستوسترون (testosterone) . فهو اذن لا يختلف عن المستحضرات القديمة التي تتخذ من هذا الهرمون نفسه أساسا لها .

ولعل السر في الأندريول (andriol) ، وهو الاسم التجاري الذي أطلقته شركة أورجانون على مستحضرها الجديد ، انما يكمن في المواد الثانوية المساعدة التي تدخل في تركيبه ، وكذلك في الطريقة التي ابتدعوها لاستحضاره . فقد ضمنت هذه الطريقة وتلك المواد على ما يبدو وصول محتويات الأندريول من التستيرون (٤٠ ملغرام للكبسولة الواحدة) الى مجرى الدم ، سليمة كاملة ، فضمنت له الفاعلية التي افتقرت اليها المستحضرات القديمة ، وقد فشلت هذه كثيرا أو قليلا في ايصال ما تحتويه من الهرمون المذكور الى مجرى الدم ..

وتجدر الاشارة الى أن فاعلية الاندريول لا تقف عند معالجة العقم .. وتوطيد الكفاءة الجنسية في الرجل .. فهي تذهب الى أبعد من ذلك .. الى اثارة شهوة الرجال في حالة فقدانها ، والى تقويتها في حال وجودها .

هذا الى جانب الفوائد المختلفة التي يمكن أن يجنيها الرجال من تناول الاندريول . فهو يساعد على الحد من بعض الآفات التي قد يعانون منها كتضخم البروستاته .

سفينة شراعية بدون أشرعة

جاك كوستو عالم فرنسي شهير .. اختصاصه الأحياء البحرية ، ولكن مجالات اهتماماته العلمية تكاد لا تقف عند حد .. وهو يتقن الغوص والتصوير تحت الماء ، كما تجلى لنا ذلك في أفلامه العلمية التلفازية الكثيرة .. ويعجب المرء لنشاط كوستو هذا ولروح المغامرة التي يتميز بها .. فهو من مواليد سنة ١٩١٠ ولا يقل عمره عن ٧٤ عاما ..

على أن جاك كوستو ليس عالما فحسب ، ولكنه مخترع أيضا .. فهو الذي اخترع الرئة المائية acqualung التي باتت الجهاز الضروري الذي لا غنى عنه لأكثر الغواصين في شتى أرجاء العالم .

وقد اخترع تلك الرئة سنة ١٩٤٢ ابان الحرب العالمية الثانية ، حين كان ملازما في الاسطول الفرنسي .. وذلك بالتعاون مع المهندس الفرنسي اميل جانجان .

وفاجأ كوستو العالم في اكتوبر الماضي (١٩٨٣) باختراع له ثان جديد ... وهو سفينة شراعية بدون أشرعة ...

وسر هذه السفينة اسطوانة

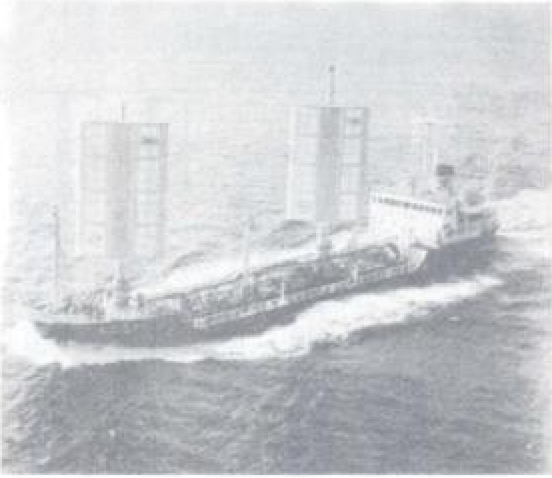

سفينة يابانية حديثة الطراز ، وهي شراعية الا أن شراعها يشبه اسطوانة كوستو الجديدة .

هذه هي الرئة المائية التي ابتكرها كوستو عام ١٩٤٢ .

تقوم مقام الأشرعة ، تبلغ من الارتفاع ٤٤ قدما ، (انظر الصورة) .. والاسطوانة مجوفة وذات فتحتين متقابلتين في اسفلها ، وهما قابلتان للاغلاق بالواح مثقوبة يدخل الهواء عبر ثقوبها فيحدث هبوطا وتيارا متحرفا .. ومن شأن هذا التيار أن يسير السفينة بسرعة ١١ عقدة .. وهي نفس سرعة السفينة الشراعية ، التي هي في حجم سفينة كوستو الجديدة ..

وقد بنى كوستو سفينته الاولى التجريبية بطول ٦٥ قدما وبوزن ٤٢ طنا وبلغ ارتفاع اسطوانتها ٤٤ قدما ، كما سبقت الاشارة .. وانطلق بسفينته هذه من طنجة الى الساحل الامريكي ، وبرفقته خمسة أشخاص ، طبيب وغواص وميكانيكي ومذيع ومصور تلفزيون .. ولم يكد يوغل في المحيط الاطلسي حتى تعرض لعواصف عاتية بلغت سرعة رياحها ٥٠ عقدة .. وترتب على ذلك خلع الاسطوانة ، أو انفكاكها عن جسم السفينة .. وفشلت بذلك هذه الرحلة البكر .. وقد أثبت التحقيق أن المسؤول عن هذا الفشل هو عامل لحام الاكسجين الذي ارتكب خطأ فنيا في تثبيت الاسطوانة ولحمها بسطح السفينة ..

شرطة القرن الواحد والعشرين

أقدمت دائرة الشرطة في نيويورك مؤخرا ، على توظيف شرطي جديد من نوع جديد .. ويتمتع بمؤهلات فريدة .. من هذه المؤهلات أن روبي هذا لا يتغيب ولا يتأخر عن عمله مطلقا .. لاسباب مرضية أو غير مرضية .. وهو زاهد ولا يطمح الى ترقية أو يطالب بعلاوة .. ثم إنه جريء الى أبعد الحدود ، ولا يهاب المجازفة أبدا .. بل يهاجم ويقتحم حيث يحجم رجال الشرطة العاديون ...

وتجلت مزايا روبي هذا في عملية سطو قام بها بعض اللصوص في المدة الأخيرة ، في حي الميرا الواقع في المنطقة الشمالية من نيويورك .. فقد تولى أمر تلك العملية في باديء الامر الشرطة العاديون ، فحاصروا اللصوص وتبادلوا اطلاق النار معهم .. وما أسرع ما اصيب ثلاثة من رجال الشرطة في تلك المعركة الحامية .. كانت اصابة أحدهم قاتلة .

عندئذ توقف اطلاق الرصاص .. وخيم السكون وطال أمد التربص لان أحدا من رجال الشرطة لم يرغب في اللحاق بزميله المغتال ، ولم يجرؤ على اقتحام المكان .

وتذكر رجال الشرطة زميلهم الجديد الذي لا يهاب الموت .. فاستدعوا روبي الذي ما لبث أن داهم مخبأ اللصوص دون خوف أو وجل ..

حقا لقد كان روبي مدججا بشتى أنواع الأسلحة ، ومزودا بقوة كبيرة .. الا انه لم يستعمل أيا من هذه الأسلحة ، وقد اكتشف أن المجرمين كانوا جثثا هامدة .. اكتشف ذلك فور اقتحامه مخبأ اللصوص وذلك بواسطة كاميرة الفيديو الكاشفة الحساسة التي كانت مثبته فوق رأسه .

بقي أن نذكر أن الشرطي الجديد هذا لم يكن سوى رجل آلي (روبوط) وقد صنعته احدى الشركات المتخصصة في كندا ، واشترته دوائر البوليس في نيويورك على سبيل التجربة ..

والظاهر أن هذه الدوائر تنوي شراء عدد كبير من أمثال روبي .. بحيث يصبح لديها فرقة كاملة من رجال الشرطة الآليين ، بحلول القرن الواحد والعشرين .

وتجدر الاشارة الى أن ثمن روبي لا يزيد على ٢٥,٠٠٠ دولار ... أي ما يقبضه الشرطي الأدمي في عام أو نصف عام ....

رسالة باريس :

باريس.. وظاهرة العواصم الأدبية

بقلم : الدكتور حسام الخطيب

□ على امتداد خمسة أيام من أيار ـ مايو ـ ١٩٨٤ وبمشاركة حوالي مئتين وخمسين باحثا من مختلف انحاء العالم ، عقد في السوربون بباريس « المؤتمر الدولي للأدب المقارن » ، وقرىء فيه حوالي ١٧٥ بحثا كلها تتناول من قريب أو بعيد ، الموضوع المركزي للمؤتمر وهو : « باريس وظاهرة العواصم الأدبية : مفترق طرق أم حوار بين ثقافات »

نظم هذا المؤتمر « مركز البحث في الأدب المقارن في السوربون » بالاشتراك مع « مركز البحث والدراسات حول باريس وجزيرة فرنسا ، و « جمعية دراسة وتنمية العلاقات الدولية لباريس العاصمة الأدبية وكان على رأس المنظمين ، الاستاذ جان باسق مدير مركز البحث حول باريس ، والاستاذ بيير برنيل مدير مركز السوربون للأدب المقارن .

وكان موضوع المؤتمر جيلا ومثيرا ، وكذلك معقدا ومتشابكا ، فمن بين عواصم الدنيا كلها تتمتع باريس بعلاقات متميزة مع مختلف مناطق العالم ، وهذه العلاقات ذات مستويات متباينة ، فهناك العلاقات التي تعود الى عهد الكولونيالية ، ولا سيما مع مجموعة البلدان الناطقة بالفرنسية في أفريقيا وآسيا وغيرها ، وهناك العلاقات المتصلة بالتبادلات الثقافية بين العواصم العالمية ، وهناك الاشعاع الخاص بباريس ، والمتعلق بانتشار المذاهب والبدع والأزياء الادبية والفنية ، وهناك التعلق العام الحضاري والذوقي بهذه المدينة العريقة الفتانة .

بحوث ومناقشات

وقد عملت ادارة المؤتمر على تنظيم القاء البحوث والمناقشات من خلال مستويين :

الأول : مستوى الجلسات الكاملة التى كانت تعقد فى الصباح فى مدرج ديكارت العريق[1] .

الثاني : مستوى الجلسات الاختصاصية ، التى كانت تعقد بعد الظهر فى اثنى عشرة قاعة تمثل تشعب اختصاصات المؤتمر ، وهى :

- باريس فى الادب .
- كتاب أجانب فى باريس .
- المغرب والبلدان العربية .
- العالم الجرمانى .
- العالم الايبيرى الأمريكي اللاتينى .
- افريقية .
- أوربا الوسطى .
- البلدان الناطقة بالفرنسية (باستثناء البلدان الافريقية) .
- ايطاليا .
- البلدان الانكلوسكسونية .
- العواصم القديمة وعواصم العصر الكلاسى .
- المحاور الثقافية الكبرى .

وقد تعمدت تسمية هذه التشعبات ، لأعطى فكرة عن التقسيمات الثقافية اللغوية المعتمدة بشكل أو بآخر فى مؤتمرات الأدب المقارن من جهة ، ولأبين من جهة اخرى كيف يمكن القاء حوالى مئة وخمسة وسبعين بحثا فى مؤتمر واحد خلال خمسة أيام[2] .

وكان الطابع العام للمؤتمر بسيطا وخاليا من الشكليات ، وكانت الأبواب - أبواب السوربون - مفتوحة للجميع ، وجرى النقاش بهدوء وروية ، وكانت هناك فائدة جلى لمن أراد أن يستفيد .

وقد عقدت الجلسة الختامية فى مدينة فرساى العريقة ، وفى جو العظمة الفرنسية الكلاسية .

وفى مثل هذا المؤتمر ، تصعب - بالطبع - الاحاطة بالافكار التى طرحت بسبب تشعبها الشديد من جهة ، وغلبة ناحية المعلومات عليها من جهة اخرى . ولم يتوصل المؤتمر الى توصيات محددة أو نتائج أو قرارات . وسوف اكتفى هنا بعرض عناوين بعض البحوث التى أثارت اهتماما فى المؤتمر :

- ما هى العاصمة الادبية ؟ للاستاذ بيير بيرنيل (باريس)
- أية عاصمة للادب الافريقى باللغة الفرنسية ؟ محمد كانه (داكار)
- باريس ، مسقط رأس الزنجية - ادريانو مور (تورين)
- باريس الحقيقية عند مارسيل بروست - آن هنرى (مونبلييه)
- باريس - موسكو - باريس : ولادة واعادة اكتشاف التبديل الثقافى
- انجى سولا (باريس الثالثة)
- باريس فى رواية الثورة . .
- باريس (اللامكان) لدى الجيل الضائع

وكانت هناك موضوعات متنوعة حول صورة باريس عند الادباء الكبار فى العالم ، وكذلك حول الحركات الأدبية والفنية غير الفرنسية التى ولدت فى باريس ، أو انتقلت اليها من مواطنها الأصلية . ويلفت النظر بالفعل ، الحضور الحى لباريس فى الانتاج الأدبي فى مختلف قارات العالم من الصين حتى أمريكا اللاتينية . وتحتل افريقية الفرنسية المرتبة الاولى فى هذا الحضور .

---

(١) لم تحم هذا المدرج عراقته من الاهمال ، فمقاعده مهترئة ونوافذه متسخة بالسواد ، وهناك قاعات كثيرة من حوله تشكو من ضعف الصيانة فى باريس الرابعة . ومن بين كل ما شاهدته فى باريس من منشآت عامة تبدو قاعات السوربون الأقل حظا من العناية والاكثر اهتراء .

(٢) هل يجوز لى أن ألاحظ أن تجربتى فى المؤتمرات العربية العلمية والسياسية تفيد أن المشاركين يرفضون غالبا التوزع على قاعات هادئة ويفضلون الجلسات العامة ذات النزعة الشمولية واللهجة الخطابية غالبا .

ويستنتج من كل هذه البحوث أن صورة باريس كانت دائما مشرقة فى الآداب العالمية ، ولكن هناك كتّابا كثيرين رأوا وجهها الآخر المظلم ، وفى أكثر الحالات كان هناك اعجاب كبير ولكن هناك نقدا شديد وتمحيصا . وقد قدمت احدى الباحثات الفرنسيات صورة نقدية لباريس مثلا فى الأدب الصينى ، ويبدو من المطالعات المختلفة أن أكثر الناس حماسة لباريس هم الافريقيون الذين يتحدثون عنها بعاطفية مسرفة ، وحنان وتمجيد ، أو يرون صورة ثقافتهم وابداعهم فيها .

فقد قدم نسوغان أغلمانيون [٣] بحثا عنوانه :

« باريس العاصمة وظاهرة الأدب الافريقى المتعلق بالزنجية فى المجتمع الثقافى الافريقى » .

وفى هذا البحث تذكر الكاتب أيامه القديمة فى السوربون ووصف سعادته الغامرة بالعودة حاضرا الى المدرج الذى كان فيه طالبا ، وذكر زملاءه : ديوب وايميه سيزار وسنغور ، واستشهد بمقاطع فى تعلقهم بباريس ووقف واستوقف وبكى واستبكى ، وشكر باريس باسم جميع المثقفين الافريقيين ، ولم يذكر أى شيء عن الوجه الآخر لباريس القاسية المتعصبة المعتدة بنفسها .

واذا كانت صورة باريس مغموسة بالنوستالجيا والانتشاء لدى المثقفين الأفارقة ، فانها لدى المثقفين العرب محوطة بهالة من الاعجاب والتمجيد والتبجيل والافتتان . وربما يشترك المثقفون العرب والافارقة فى أنهم رأوا فى باريس وجهها المشرق فقط ، وكانوا دائما مبهورين بأضوائها الساطعة وتألقها المثير .

العرب وباريس

ومن جملة الابحاث المتعلقة بالموقف العربى من باريس وبالعلاقات الثقافية الفرنسية العربية :

ـ القاهرة : عاصمة أدبية ، لناديا توميش (باريس الثالثة)

ـ باريس والكتاب المغاربة ، لمحمد علوى عبد اللاوى (الرباط)

ـ باريس المغاربة : اعادة تجمع وافتتاح : لجاكلين أرنو (باريس الثالثة)

ـ باريس ـ تونس فى الادب التونسى ، لطاهر بكر (باريس الثالثة)

ـ الجزائر ، عاصمة أدبية من ١٩٤٠ ـ ١٩٤٥ لجان ديجو (باريس الثالثة)

ـ دمشق ، عاصمة أدبية ، نهى الحكيم (باريس الرابعة)

ـ باريس عاصمة الثقافة لدى بعض الكتاب العرب فى بداءة القرن العشرين وفقا لكتاب « باريس » لأحمد الصاوى . عبد المجيد حنون (جامعة عنابة) .

ـ روحى الخالدى ، تأثير فرنسى مبكر فى نشأة الأدب العربى المقارن . د . حسام الخطيب (جامعة دمشق)

وقد آثار البحثان الأخيران اهتماما خاصا ، لأن الاول لفت النظر الى كتاب منسى يتعلق بموضوع باريس هو كتاب (باريس) لاحمد الصاوى محمد ، وتعود أهمية هذا الكتاب الذى ظهر فى القاهرة عام ١٩٣٣ الى أنه جمع آراء عدد كبير من مثقفى عصره من عرب وغير عرب فى موضوع باريس ، ويكاد يمثل تماما رأى الانتلجنسيا المصرية فى العشرينيات فى موضوع باريس ومنهم طه حسين ومحمد لطفى جمعه ومحمد حسين هيكل وعبدالله حسين وولى الدين

---

(٣) أفريقى يعمل فى اليونسكو .

يكن وفكري أباظة وادجار جلال ، ود . أحمد ضيف وخليل مطران ، ود . محجوب ثابت والنحات مختار ، د . زكي مبارك ومحمود عزمي وغيرهم وغيرهم .

وقد ذكر المؤلف انه حتى زمن تأليف كتابه كان يقدر عدد النعوت التي اطلقت على باريس بمئتي ألف نعت . . وأطرف ما ورد من وصف لباريس - في رأي - هو وصف الاستاذ مصطفى عبد الرزاق (صاحب كتاب أصول الحكم في الاسلام) لباريس ومنه هذا المقطع :

« باريس جنة فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الاعين ، فيها للارواح غذاء وللابدان غذاء ، وفيها لكل داء في الحياة دواء ، فيها كل ما ينزع اليه ابن آدم من جد ولهو ، ونشوة وصحو ، ولذة وطرب ، وعلم وأدب ، وحرية في دائرة النظام لا تحدها حدود ، ولا تقيدها قيود . باريس عاصمة الدنيا ، ولو أن للاخرة عاصمة لكانت باريس » .

أما البحث الثاني فقد أظهر التأثير الفرنسي ، والباريسي بوجه خاص ، في نشأة الادب العربي المقارن من خلال الكاتب المبدع روحي الخالدي الذي كان أول عربي في العصر الحديث يلقي محاضرة علمية في باريس (عام ١٨٩٧ في دار الجمعيات العلمية الفرنسية) والذي نشر كتابه :

« تاريخ علم الادب عند الافرنج والعرب وفيكتور هوجو » بين عامي ١٩٠٢ - ١٩٠٣ منجما في مجلة الهلال (القاهرية) ، ثم ظهرت مقالاته في شكل كتاب صدر عن دار الهلال عام ١٩٠٤ دون أن يحمل اسم مؤلفه بل استعيض عن الاسم بالاشارة الى نسبته (المقدسي) وأعيد طبع الكتاب عام ١٩١٢ وحملت الطبعة الثانية اسم المؤلف وكان هذا الكتاب أول كتاب عربي من نوعه في الادب المقارن التطبيقي . وقد أورد الباحث أدلة منهجية تثبت أن منحى كتاب الخالدي كان مقارنيا وأن موضوعه أيضا كان متجاوبا ليس فقط مع نظرية المدرسة الفرنسية التقليدية في الادب المقارن التي اعتمدت التأثر والتأثير (بالدنسبرغر ، بتز ، كاريه . .) . ولكن أيضا مع النظريات الحديثة (الاميركية وغيرها) التي لا تشترط التأثر والتأثير ، وانما تضع المقارنة في جوها الانساني الأوسع (ايتامبل ، ألرخ فايشتاين ، رينيه ولك ، هـ .هـ . هـ . رماك وغيرهم) [٤]

وعلى أي حال لم تكن القاعة المخصصة للادب العربي غنية ولامتألقة ، وقد سيطر عليها باحثون فرنسيون أو مغاربة ممن يعملون في الجامعات الفرنسية ، وقد أتى من الجزائر باحث واحد وآخر من المغرب ، ومن جامعات المشرق قدم بحث واحد من جامعة دمشق .

وتعكس هذه الصورة الحالة المتردية للبحث المقارن في منطقة من العالم عرفت دائما بانفتاحها الفكري وتجاوبها مع التيارات العالمية ، وخدمت الانسانية في الماضي ثقافيا ، واقتصاديا كذلك ، بما قدمته من قناة خصبة أمنت سبل الاتصال بين مشرق العالم ومغربه من جهة وقدمت من جهة اخرى نتاجات مبدعة وضعت في خدمة المنطقة وفي خدمة الانسانية جمعاء .

وان الدرس المستفاد من حضور مثل هذه المؤتمرات هو بالدرجة الاولى تأكيد تواصل الثقافة الانسانية وتشابكها وتفاعلها ، وبالدرجة الثانية تأكيد اهمية الدراسات المقارنية ، والدعوة الى تنشيطها في جامعاتنا العربية ، وفي أوساطنا الثقافية . □□

---

(٤) يعيد اتحاد الكتاب الفلسطينيين طباعة هذا الكتاب . وستظهر معه مقدمة وافية لكاتب هذه السطور تهدف الى اثبات ريادة الخالدي في حقل الأدب العربي المقارن من خلال تطبيق دقيق للمناهج المقارنة على كتاب الخالدي المثير : (تاريخ علم الافرنج والعرب وفيكتور هوجو) .

طبيب الأسرة

الفرق بين كرات الدم وخلاياه

RED BLOOD CORPUSCLES & WHITE BLOOD CELLS
R.B.C & W.B.C

● كثيرا ما أقرأ فيما أقرأ عن الدم اسم كرات الدم واحيانا اسم خلايا الدم فهل لي ان أتبين الحقيقة وما هو الفرق بين هذا وذاك .

خ . ي
دمشق - الجمهورية العربية السورية

- الدم على ما يبدو للناظر عند عامة الناس هو سائل احمر ، ولو تركنا انبوبة فيها بعض من الدم فترة من الوقت ، فاننا سنلحظ ان هذا السائل الاحمر قد توزع في طبقتين اساسيتين : الطبقة العليا = سائل شفاف يميل الى الصفرة يدعونها بالبلازما ، تشكل حوالي ٥٥٪ من حجم الدم . الطبقة السفلى = هلامية كثيفة حمراء اللون هي الجزء الخلوي من الدم الذي يكون ما تبقى من حجم الدم أو ٤٥٪ منه .

ان خلايا الدم تسبح في وسطه السائل اي البلازما ، واللون الاحمر يعود الى ما يسمى بكرات الدم الحمر والواقع انها سميت بكرة الدم لأنها خلية فقدت نواتها والأصل انها تخلقت في نخاع العظام على هيئة خلايا دموية ، ولكنها مع تسلسل تطورها الى ان وصلت الى تيار الدم فقدت نواتها ، فأطلقوا عليها اسم الكرة لا الخلية ، لأنها تبدو للناظر عبر المجهر العادي وكأنها كرة حمراء ، لقد عد العلماء هذه الكرات في قطرة من الدم ، حجمها ١ ملمتر مكعب فوجدوا انها في المتوسط حوالي (٥) خمسة ملايين تزيد عند الرجل قليلا ، وتقل عند المرأة في حدود نصف مليون على ان اختراع المجهر الاليكتروني اظهر مؤخرا ان ما ندعوه بكرات الدم الحمر ، ليست كرات وانما هي اطباق مقعرة من الجانبين (او هي عجلة غير مجوفة) .

أما خلايا الدم فهو وصف ينطبق على ما يعرف بخلايا الدم البيض التي تعد عند الانسان العادي بما يتراوح بين (٤) أربعة الى (١٠) عشرة الاف في كل ملمتر مكعب من الدم . والواقع ان هذه الخلايا هي خلايا حقيقية لأنها تحتوي على نويات ولكنها أشكال وانواع شتى ، ولكن المغالطة ان لونها ليس ابيضا وانما

هي شفافة وقد سميت بهذا تمييزا لها عن كرات الدم الحمراء .

وتميز انواع خلايا الدم البيض بعضها عن بعض باستعمال صبغات ملونة ، منها ما هو حمضي ومنها ما هو قلوي ، وقد سميت انواع الخلايا بنوع الصبغة التي يمكن ان تتقبلها ، فمنها الخلايا متعددة النواة المتعادلة ، ومنها الخلايا الحامضة او الخلايا القلوية ، وهناك الخلايا اللمفاوية ذات النواة الواحدة ، وهذه الخلايا في مجموعها مهمتها هي الدفاع عن الجسم ضد غزو ما يضره من مواد او ميكروبات ، بينما كرات الدم الحمر مهمتها هي مهمة تنفسية اذ تنقل الاكسجين من الرئتين الى انسجة الجسم ، وتعود بثاني اكسيد الكربون بفضل مادة الهيموجلوبين التي اعطتها اللون الأحمر .

الكورتيزون ما له وما عليه

CORTISONE

● أصبت بمرض جلدي لم اجد له علاجا ناجحا وقد نصحني البعض باستعمال مراهم الكوريتزون ، ولكن البعض حذرني من خطورتها فأيها هو على صواب ؟

ص . خ

جدة ـ المملكة العربية السعودية

ـ فوق الكلية ترقد غدة يدعونها غدة الكظر او الغدة فوق الكلوية ، وهي غدة صماء بمعنى انها تصب افرازها في الدم مباشرة دون حاجة الى قناة ، وافراز الغدة الصماء يدعونه بالهرمون .

ان حقيقة غدة الكظر انها تتكون من طبقتين او هما غدتان : في الداخل تكون طبقة اللب او النخاع هذه تفرز هرمون الأدرنالين او ما يسمى بهرمون الغضب الذي ينطلق في احوال الاثارة والدفاع عن النفس ، او في احوال ردود الفعل السريعة للمثيرات الخارجية .

وفي الخارج طبقة تسمى بالقشرة ، ومهمتها افراز الهرمون الذي يمد الانسان للاستجابة للمؤثرات التي تحتاج الى ردود فعل طويلة المدى .

وقشرة الكظر في الواقع تفرز اكثر من هرمون ، ولكل من هذه الهرمونات فعله المخصص ، ويدعونها (ستيرويد) ويمكن لنا ان نحدد هرمونات القشرة في ثلاثة مجاميع رئيسية :

أولا : الهرمونات القشرية السكرية GLUCOCORTICO STEROIDS HORMONES

ثانيا : الهرمونات القشرية المعدنية MINERALO CORTICO STEROIDS HORMONES

ثالثا : الهرمونات القشرية الجنسية SEX CORTICO STEROIDS HORMONES

ان الكورتيزون CORTISONE مع هرمون آخر يدعى هيدروكورتيزون HYDROCORTISONE هما أساس افراز قشرة الكظر من الهرمونات السكرية ، ويستعملان في اكثر من موضع منها اضطرابات الغدد الصم ، وفي الامراض الروماتيزمية ، وفي امراض الحساسية ، وفي كثير من الامراض الجلدية .

الا أن كل هذا لابد ان يجري تحت اشراف طبي دقيق ، لأن مضاعفات سوء استعماله اكثر من ان تحصى ، أذكر منها اضطراب السوائل والأملاح في الجسم ، اذ يحتبس الماء والصوديوم ويفرز البوتاسيوم بأكثر مما يحتمل الجسم ، فيصاب الجسم بالتورم وارتفاع ضغط الدم ، ووهن العضلات ، أضف الى هذا اضطرابات عصبية تؤدي الى الدوار وارتفاع الضغط داخل الجمجمة ، كما يجب ان لا ننسى ان الكورتيزون احد العقاقير التي تؤدي الى ظهور اعراض مرض السكر الكامن ، والى تفجر القرحة الهضمية الخ .

لهذا لا ينصح باستعمال اي من مركبات الكورتيزون دون اذن طبي معتمد .

.. وانهارت قصور الأحلام

بقلم : منير نصيف

☐ كثيرون هم هؤلاء الذين يمضون في رحلة الحياة دون أن يجدوا أية متعة في الحياة !

(ايمرسون)

طوى الصفحة التي كان يقرأ فيها منذ بضع دقائق ووضع الكتاب جانباً ولم يعد اليه !

وخطر له أن ينزل الى الشارع ويمشي وسط الناس لعله يجد بينهم من يعرفه ، فقد كان يشعر بوحدة قاتلة في تلك الليلة .. كان يريد أن يتكلم .. كان يبحث عن أذن تصغي اليه وتتعاطف معه وتسمع شكواه .. كان يبدو حزيناً مكتئباً في وحدته !

وراح يتطلع في وجوه الناس .. كان الشارع الكبير يسبح في الأضواء المنبعثة من المصابيح الكهربائية ومن المحال التجارية التي تسهر عادة مع عطلة نهاية كل أسبوع ..

ومضى يمشي حتى بدأ يشعر بالتعب ، فاستند بظهره الى أقرب عمود نور ومضت عيناه في وجوه القادمين والرائحين تتفرس فيها وتبحث بينها عن وجه يعرف صاحبه !

ولكن على غير جدوى .. لقد بدا الشارع الذي طالما التقى فيه بعشرات من أصدقائه وكأنه قد خلا من كل رجل تربطه به علاقة من قريب أو من بعيد !

وطالت وقفته .. وبدأ يحس بالتعب .. فقرر أن يعود من حيث أتى .. أحس في تلك اللحظة برغبة شديدة في أن يلقى بجسده وبرأسه المتعب على فراشه وينام .. معنى هذا أنه سيعود الى البيت الذي تركه منذ ساعات قليلة مضت ، هرباً من الوحدة والهواجس التي احتوته وأحس معها بأنه يغوص في بحر ليس له قرار !

●●●

ووجد نفسه فجأة يرفض فكرة العودة الى البيت .. « لا ليس الآن .. لن أعود الى هذا

الذي يعيشه هذه اللحظة بأية صلة !

ومضى في رحلته القصيرة الى حيث ترك سيارته ، والقى بنفسه على مقعدها ، ولكنه لم يتحرك . . لقد بقي جالسا وراء عجلة القيادة وقد استند برأسه على ظهر المقعد ، ثم أغمض عينيه وذهب في رحلة طويلة هذه المرة مع نفسه . . لقد كان يعلم أن الذي بينه وبينها قد انتهى ، ولا سبيل الى إعادة عقارب الساعة مرة أخرى الى الوراء . . لم يكن الذي يشغله في تلك اللحظة ، البحث عن وسيلة لاعادة بناء ما تهدم بعد أن تحول كل شيء في البيت ، الذي كان يمكن أن يكون سعيداً ، الى ركام وانقاض . . ولكنها الحياة الجديدة التي سوف يعيشها وحده وسط هذا الحطام . . هل يستطيع أن يبدأ من جديد . . ؟ هل يمكن أن يعثر على امرأة أخرى ويتزوجها وينسى معها تلك السنوات الطويلة التي أمضاها مع زوجته التي تركت له كل شيء وذهبت . . ؟ هل يمكن أن يطوي تلك الصفحة من حياته ، تماماً كما طوى الصفحة التي كان يقرأ فيها ، ثم طوى معها الكتاب وصمم على الا يعود اليه مرة أخرى ؟ !

كانت هذه الأسئلة تلح عليه وتستبد به وهو مستغرق في تفكيره على المقعد الصغير داخل سيارته . . ولكنه لم يشعر أبداً أنه استطاع أن يصل الى إجابة على أي من هذه الخواطر التي مرت برأسه .

●●●

وأخيراً أحس بأنه لا بد أن يترك مكانه ويذهب . .

إن بقاءه في هذا المكان لا يمكن أن يدوم طويلاً . . وانطلق الى بيت صديقه ودق جرس الباب . وسمع صوت خطوات تقترب ، ثم ظهر الصديق أخيراً ، وكانت المفاجأة التي لم يتوقعها . لقد استقبله بفتور شديد ، وهو يرد

الخواء وذلك السكون . . لم أعد أطيق الحياة في البيت الذي تحول الى مجرد أشياء جامدة لا روح فيها . . هذا المكان الجميل الذي أمضيت فيه أجمل لحظات حياتي ، وأنا سائر في الطريق الى قمة جبل النجاح مع ابنائي وزوجتي قد تحول اليوم الى صحراء جدباء . . فقد تركوه جميعاً وذهبوا ! » .

وقرر أن يقصد بيت أحد أصدقائه الذين عرفوه عندما كان تائهاً في بحر الحياة بصخبه وضجيجه ويرجوه أن يبيت معه ليلته . . وفي خطى متثاقلة راح يشق طريقه وسط الزحام في اتجاه المكان الذي ترك فيه سيارته . . ومن بعيد طرقت أذنه أصوات ضحكات تعلو فوق صوت محركات السيارات وهي منطلقة وسط الشارع . . والتفت الى مصدر الصوت فرأى رجلاً وزوجته مع أطفالهم الثلاثة ، يسيرون وكأنهم يحلقون في عالم آخر لا يمت الى عالمه

تحيته ويسأله دون أن يدعوه الى الدخول عن السبب الذي جاء من أجله يطرق بابه في هذه الساعة المتأخرة من الليل .. « لا شيء .. لا شيء .. فقط فكرت في زيارتك .. اليوم تبدأ عطلة نهاية الأسبوع وقد شئت أن أقضي جانباً من الليل أتحدث اليك ، فأنا أعلم أن زوجتك وأطفالك يمضون عطلتهم خارج البلاد ! » .

ـ كنت أتمنى أن أجلس معك واتحدث اليك ، ولكنني كما ترى بملابس النوم وسوف استيقظ غداً في ساعة مبكرة لأستقل الطائرة والحق بزوجتي وأطفالي في المصيف الذي يقضون فيه عطلتهم .. ترى هل سافرت زوجتك أنت أيضاً مع أطفالكما ؟ .. هذه أول مرة أراك فيها وحدك !

ولم يجب ، لقد ادار ظهره ، وراح يهبط الدرج بسرعة .. وأحس بكلمات صديقه تنفذ الى صدره كما لو كانت لدغة عقرب !

وفي الفندق الكبير القريب من البيت ، وقف موظف الاستقبال يرحب به ويسلمه مفتاح الغرفة التي استأجرها ليبيت فيها ليلته .. فقد استبعد فكرة العودة الى بيته وفراشه من رأسه تماماً ، ولم يشأ أن يحاول لأنه كان يعرف ماذا ينتظره في البيت الذي احتضنه هو وأسرته الصغيرة سنوات طويلة ..

لقد غربت شمس الحياة عن البيت الذي كان كل شيء فيه يشيع الدفء وينبض بالحياة !

وفي الغرفة الصغيرة بالفندق أغمض عينيه ونام .. ولكن صور أطفاله لم تبرح مخيلته لحظة واحدة حتى في نومه المضطرب .. نام هذه الليلة وهو الذي أمضى ليالي كثيرة يحاول أن يغلب الأرق فيغلبه .. نام لأنه تعود أن ينام وحده حتى في بيته وبين أسرته ، وقبل أن تسوء العلاقة بينه وبين زوجته بسنوات وسنوات .. فقد كان كثير الأسفار وحده بلا رفيق يؤنس وحدته .. وكان يهتم بعمله ، فقد حدد لنفسه هدفاً في الحياة ضحى من أجل بلوغه بكل شيء .. بأسرته وبيته وصحته .. كان هدفه الذي ضحى بهذا كله من أجل بلوغه هو جمع المال ومزيد من المال .. فقد عاش حياته محروماً ضائعاً لا يعرف من أين يبدأ ولا في أي طريق يسير .. فلما وجد نفسه يقف عند بداية الطريق التي ستوصله الى هدفه ، نسي نفسه ونسي الدنيا كلها .. وعندما امتلأ جيبه بالمال ، وأحس بأن الأمنية التي عاش حياته من أجلها قد أصبحت حقيقة تدعمها الأرقام الخيالية التي فاقت كل توقعاته ، وقف ينظر حوله ، فلم يجد شيئاً .. لقد فقد كل شيء في غمرة حماسه وجريه وراء المال .. فقد نسي زوجته التي وقفت بجانبه أيام فقره وضياعه ، وراحت تفكر معه وتخطط له حتى استطاعت أن تضعه على بداية الطريق الذي أوصله الى ما هو عليه .. وفقد الأطفال الذين لم يشعروا يوماً أن لهم أباً يحبهم ويرعاهم ويشاركهم حياتهم في البيت الذي كان يأتي اليه متعباً منهكاً لمجرد أن يملأ معدته بالطعام ويلقي بجسمه ورأسه المتعب فوق الفراش لينام .. نسي أنه أب وزوج ، ولم يعد هناك شيء يمكن أن يشغل تفكيره غير عمله وغير المال الذي سيعود عليه من هذا العمل .. وتصور أنه يمكن أن يعيش ويمكن أن يستمر في هذه الحياة التي أصبحت فيها بدلة العمل والحديث عن العمل بكل ما يحويه من هزائم وانتصارات هي الشيء الوحيد الذي يلازمه ليل نهار .. عندما يصحو من نومه وعندما يذهب الى فراشه ، وحتى في لقاءاته الخاصة التي كان يجتمع فيها بالناس .. لم يكن يجد حديثاً أمتع وألذ من الحديث عن نفسه وعن عمله وانجازاته !

●●●

مرت كل هذه الخواطر برأسه ، وهو مستلق على فراشه عندما صحا من نومه في اليوم التالي وبدا وكأنه تذكر شيئاً ، فقام من رقدته مسرعاً

وارتدى ملابسه ونزل الى الشارع .. كانت الساعة قد جاوزت الواحدة بعد الظهر ، وقصد فوراً الى مكتبه وغرق في عمله !

●●●

ولم يشعر بالوقت وهو يمضي ، فقد كان مشغولاً بعمل عاجل لا بد له أن ينجزه .. وعندما انتهى منه ، كان الليل قد انتصف أو كاد .. وقرر أن يعود الى بيته المهجور في تلك الليلة .. انه لا يستطيع أن يذهب الى الفندق مرة أخرى ، فهو لا يريد أن يشعر أحد بالأزمة التي يعيشها .. ان أي شيء يحدث أو يقال في هذه المرحلة الحرجة قد يؤثر على سمعته وعلى مستقبله وهو حريص على الاثنين معاً .. وذهب .. ودخل البيت المهجور ، وقصد الى غرفة نومه ، ووجد نفسه دون أن يشعر ، يبحث عن الكتاب الذي طوى صفحاته والقى به جانباً .. ووجده ملقى على الأرض بجوار فراشه .. وفتحه وراح يقرأ وهو جالس على مقعده ينفث دخان سيجارته التي لم تفارق شفتيه منذ أن بدأ يعيش في الوحدة التي أختارها لنفسه .. وعند الصفحة المطوية عاد الى حيث كان قد توقف : « لماذا يتزوج الرجل ؟ لأنه يريد أن يبدأ حياة جديدة .. يريد أن يبني بيتاً وأسرة .. يريد أن يشعر بأن هناك إنساناً يشاركه هذه الحياة بكل ما تحمل اليه من نجاح وفشل .. إنساناً يطمئن اليه ويحن الى عشرته ويألف صحبته . فهو الماء الذي يروي النبتة الظمأى ، وهو الغذاء الذي يملأ قلبه وصدره ومعدته .. ! » .

وسرح قليلاً وهو يقرأ هذه الكلمات .. ولم يستطع أن يمنع نفسه عن التفكير في المرأة التي أمضت معه أجمل سني عمرها : « ألم تكن كل هذا وأكثر من هذا عندما عرفها فتاة صغيرة جميلة وقضى الشهور الطويلة وهو يحاول أن يعبر لها عما يحمله لها قلبه من حب ؟ ألم تكن في خلال حياتهما معاً الزوجة الوفية المخلصة التي تبحث عن السعادة في هذا العش الصغير الذي كانا يبنيان فيه قصوراً من الأحلام ؟ !

ألم تقف بجانبه وتشاركه حلو الحياة ومرها ، وهي تشجعه وتدفعه عندما كان تائهاً لا يعرف من أين يبدأ ولا الى أين يمضي في خطواته المتعثرة ! لقد رضيت بالعيش معه في فقره وحرمانه ، فلما شبع طغى وبغى وتصور أنه يستطيع أن يدوس على كل شيء بماله وثروته !

أليس غريباً أن يتحول قصر أحلامهما الى حطام مهجور ، بعد أن جاء الأطفال الذين كانا ـ زوجته وهو ـ ينتظران وصولهم لكي تكتمل بهم سعادتهما ؟

وعاد الى الكتاب بعد وقفة قصيرة مع نفسه .. وكان حتى هذه **اللحظة لا يدرك** بالضبط ما الذي حدث بينه وبين زوجته .. أين الخطأ ومن المسئول عنه ! ؟

وعاد الى الكتاب يقرأ : « أما هي .. أما المرأة فهي تتزوج وفي قلبها ورأسها ووجدانها أمل واحد تبحث عنه في الزواج .. أن تجد في الرجل الذي تزوجته أباً وأخاً وابناً وزوجاً يحبها ويدافع عنها ، رجل مستعد أن يقول للعالم كله اذا جد الجد: « أنا وأسرتي ومن بعدنا الطوفان ! » .. رجل يعوضها الحب والحنان اللذين تركتهما وراءها في بيت والديها من أجل أن تعيش له ومعه !

هل فعل شيئاً من هذا .. ؟ هل كان يوماً هذا الزوج والأب ؟

ووجد نفسه يهمس لنفسه : « هنا كان الخطأ الذي حدث ! لقد أعماني المال .. وضللت الطريق ! » .

ومن جديد عاد يطوي الكتاب ويلقي به جانباً ويحاول أن ينزع من حياته تلك السنين الطويلة التي عاشها مع زوجته وأم أطفاله ! □□

عائد العمل في النظام الإسلامي

بقلم : الدكتور عبد الرحمن زكي ابراهيم

□ ماهو موقف الاسلام من العمل والانتاج وأدوات الانتاج ؟

وكيف يتقاضى العامل عائد عمله ، وهل من حقه أن يشارك صاحب المال في الناتج والارباح ؟

ذلك مايجيبنا عليه هذا المقال الذي يكتبه استاذ الاقتصاد بجامعة الزقازيق .

العمل عنصر من عناصر الانتاج . وهو يشمل جميع الجهود الانسانية المشروعة التي تبذل من أجل توليد المنافع أو زيادتها ، سواء أكانت هذه الجهود عقلية أو عضلية . ولايقتصر مفهوم العمل في الفكر الاسلامي على جهد العامل الأجير لرب عمل لقاء أجر ، وانما يشمل كذلك النشاط الاقتصادي للانسان حين يمتزج بملكية أدوات الانتاج ، أي أنه يمتد الى عنصر التنظيم . وهذا المفهوم الاسلامي للعمل يؤكد الذاتية المتميزة للاقتصاد الاسلامي ، حيث تفصل الرأسمالية فصلا واضحا بين العمال وأصحاب رؤوس الأموال .

وفي النظام الاسلامي يمكن أن يتقاضى العامل عائدا باحدى ثلاث طرق هي : الاجارة ، والمشاركة في الربح أو الناتج ، والجعالة . وقد نظم الاسلام الأجر بتشريع أحكام الاجارة . والاجارة عقد على المنافع بعوض ، وهي مشروعة بالكتاب والسنة . يقول الله سبحانه وتعالى « قالت احدهما يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوي الأمين . قال اني أريد أن انكحك احدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج ، فان أتممت عشرا فمن عندك ، وما أريد أن أشق عليك ، ستجدني ان شاء الله من الصالحين » (القصص ٢٦ ، ٢٧) . ويقول عز

وجل « فان أرضعن لكم فآتوهن أجورهن (الطلاق ، ٦) . وجاء في السنة عن ابن ماجه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « اعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه » . وتمتاز هذه الطريقة من الطرق بمكافأة الانسان العامل بعنصر الضمان ، حيث المكافأة مقدار محدود من المال ، بغض النظر عن نتائج العمل ومايسفر عنه الانتاج من مكاسب أو خسائر .

أما في ظل الطريقة الثانية فان العامل يشارك صاحب المال في الناتج والأرباح بنسبة مئوية . ولكن في هذه الحالة يفقد العامل الضمان ، حيث من المحتمل الايحصل على شيء في حالة انعدام الربح . ومع ذلك فانه قد يفوز بمكافأة غير معلومة المقدار . فالربح أو الناتج كمية قد تزداد وقد تنقص . وقد نظم الاسلام طريقة المشاركة في الربح أو الناتج بتشريع أحكام المزارعة والمساقاة والمضاربة . ففي عقد المزارعة يتم اعطاء الأرض لمن يزرعها على أن يكون له نصيب مما يخرج منها كالنصف أو الثلث أو الاكثر من ذلك أو الأدنى حسب مايتفقان عليه . وفي عقد المساقاة يقوم العامل بسقي الأشجار ، ويتعهدها حتى تبلغ تمام نضجها ، نظير جزء معلوم من ثمرها . فهو شركة زراعية على استثمار الشجر ، يكون الشجر من جانب والعمل في الشجر من جانب آخر ، والثمار الحاصلة مشتركة بينهما بنسبة يتفق عليها المتعاقدان .

المضاربة

والمضاربة (القراض) عقد بين طرفين يدفع أحدهما مالا الى اخر ليتجر فيه وتتناول المضاربة شروطا ثلاثة هي : -

- المضارب (العامل) لايضمن ماضاع منه من مال المضاربة فتكون يده يد أمانة

- الربح على ما اصطلحا عليه ، فاذا لم يربح لم يستحق المضارب شيئا وهو مذهب مالك .

ويقول الشافعي ان له أجره مثله بالغة مابلغت الخسارة على المال على أن ينفرد رب المال بجميع رأسماله ولايشاركه المضارب فيه .

ويمكن أن تتم مكافأة العامل بطريقة ثالثة هي الجعالة ، والجعالة عقد على منفعة مظنون حصولها ، كمن يلتزم(بجعل معين) لمن يرد عليه متاعة أو دابته الشاردة ، أو يبني له هذا الحائط ، أو يحفر له هذا البئر حتى يصل الى الماء ، أو يعالج المريض حتى يبرأ ، والأصل في الجعالة قول الله تعالى « ولمن جاء به حمل بعير ، وأنا به زعيم » (سورة يوسف ٧٢) .

ويرى الفقة الاسلامي أن العوض المقابل للعمل لايسقط بفساد العقد . فللعامل في حالة الأجارة أجر المثل بالغا ما بلغ ، وله في حالة المضاربة أجر المثل أو ربح المثل على خلاف في الرأي . وهذا يعني أن الاسلام لايضيع عمل العامل أو يسقط مكافأته لفساد العقد ، سواء أكان هذا العقد اجارة أو شركة من الشركات بمختلف أنواعها . ذلك أن العمل حرمة - كما يقول الله تعالى - «والحرمات قصاص» ومن حق العامل أن يقتص بمثل عمله . وسواء تحددت المكافأة بطريقة الأجر أو المشاركة في الأرباح والناتج أو الجعالة ، فان العامل لايتحمل شيئا من الخسارة ، بل يتحملها صاحب المال . وحسب العامل من الخسارة اذا ارتبط معه على اساس المضاربة أن تضيع جهوده هباء .

وهنا نصل الى نقطة هامة وهي أن الاسلام سمح للانسان العامل بثلاث طرق من الكسب ، بينما تنحصر مكافأة أدوات الانتاج في اسلوب واحد الأجر وقد يتساءل القارىء اليقظ على أن صاحب الأرض في عقد المزارعة يشترك في الأرباح بنسبة مئوية . ولكن يرد على ذلك بأن صاحب الأرض في عقد المزارعة يقدم الأرض والبذور معا . وعليه فان مشاركته في الناتج ليست على اساس الأرض وانما على اساس ملكية المادة وهي البذور . وفي هذا يقول ابن قدامة أن المزارعة تكون صحيحة اذا كانت البذور من

صاحب الأرض والعمل من العامل ، لأنه عقد يشترك العامل ورب المال في نمائه ، فوجب ان يكون رأس المال كله من احدهما كالمساقاة والمضاربة (المغني ج ٥ س ٤٢٣) أما الآلات التي تستخدم في الانتاج فليس لصاحبها أن يطالب بمكافأة عن طريق اشراكه في الارباح . فالآلة لاتشترك في الأرباح وانما تتقاضى الأجر فقط . ذلك أن الكسب الناتج عن ملكية الادارة أضيق حدودا من الكسب الناتج عن العمل ، لأنه ذو لون واحد .

وعلى العكس من أدوات الانتاج ، لايسمح لرأس المال النقدي بالكسب على أساس الأجور . ذلك أن صاحب النقود لايجوز له أن يقرض النقود بفائدة ، لأن هذا هو الربا المحرم شرعا . وانما يجوز له أن يدفع ماله الى العامل ليتجر فيه ، حيث أن المشاركة في الربح مع تحمل أعباء الخسارة هي الأسلوب الوحيد الذي سمح لرأس المال النقدي باتخاذه . وعلى ذلك فالنقود ليست عنصر انتاج بعكس عناصر الانتاج المعروفة ، وهي الأرض والعمل ورأس المال العيني . ولذا فان الفائدة ليست عائدا لرأس المال العيني ، بل ان العائد الحقيقي عليه هو أجر الآلة أي سعر استخدام السلعة الانتاجية، وما دامت النقود ليست عنصر انتاج ، فهي لاتستحق الفائدة .

وقد يتساءل البعض لماذا يحرم الاسلام الفائدة على رأس المال النقدي ويسمح بالكسب الناتج عن ايجار العقارات وأدوات الانتاج ؟ وللاجابة على ذلك نقول أن القاعدة العامة في الاسلام هي أن الكسب لايقوم الا على أساس بذل عمل خلال المشروع . والعمل المبذول الذي اعتبره الاسلام مصدرا للكسب ينقسم الى نوعين : عمل مباشر وعمل مختزن . وعلى أساس هذا التحديد للعمل المنفق نعرف الفرق بين رأس المال النقدي وبين الأجر على أدوات الانتاج في التشريع الاسلامي . ذلك أن أداة الانتاج تختزن لعمل سابق سوف يكون للمستأجر الحق في استهلاك قسط منه خلال استخدام الآله في عملية الانتاج التي يمارسها . أما الفائدة على رأس المال النقدي فليس لها مايبررها نظريا ، لأن التاجر الذي يقترض مبلغا معينا لمشروع تجاري بفائدة محدودة سوف يدفع المبلغ في أجل معلوم الى الدائن ، دون أن يستهلك منه شيئا . وفي هذه الحالة تصبح الفائدة كسبا غير مشروع لايقوم على أساس عمل مبذول .

وأخيرا نواجه سؤالا هاما وهو لماذا سمح الاسلام للعمل بالكسب على أساس المشاركة في الربح أو الناتج ، ولم يسمح بذلك لأدوات الأنتاج ؟ للاجابة على هذا السؤال لابد أن نعرف الفرق بين العمل المباشر والعمل المختزن . فالعمل المباشر ممارسة من العامل تبرر تملكه لشيء من السلعة المنتجة ، حيث أن العمل هو السبب العام للحقوق الخاصة في ثروات الطبيعة الخام . أما العمل المختزن في أداة الانتاج فهو ليس ممارسة من صاحب الأداة في العملية الانتاجية ، وبالتالي لايكون له حق الملكية في المادة المنتجة ، سواء تنازل الممارس للعمل عن حقه أم لا . وعليه فان لصاحب الأداة الأجر كمكافأة وتعويض عما تبدد من عمله المختزن خلال عملية الانتاج . وعلى ضوء ماسبق نستطيع أن ندرك كذلك الفرق بين أصحاب أدوات الانتاج الذين لم يسمح لهم بالمشاركة في الناتج ، وبين صاحب الأرض في عقد المزارعة وصاحب المال في عقد المضاربة . ذلك أن صاحب الأرض يملك البذور التي يزرعها العامل ، وصاحب المال التجاري يملك السلعة التي يتجر بها العامل . وعليه فمن الطبيعي أن يصبح لصاحب البذور أو المال حقه في الناتج أو الربح طالما أنه يملك المادة التي يستخدمها العامل .

هذا ماتيسر لي فهمه في هذه الجوانب ، في ضوء نصوص الشريعة ومقاصدها ، والله سبحانه أعلم . □□

سلامة البشرية

في سلامة البيئة

مكافحة بقع الزيت

كيماويا وبيولوجيا

يعلق الكثيرون أملا كبيرا على المواد الكيماوية والبيولوجية .. في مكافحة التلوث البترولي في البحار .. فهذه المواد كفيلة بالقضاء على بقع الزيت ، ان عاجلا أو آجلا ، قضاء نهائيا وسريعا .. بخلاف الجرافات والكانسات التي لا تطمح الى أكثر من انتشال تلك البقع وسحبها من البحر بطريقة أو بأخرى .. الأمر الذي يستغرق وقتا طويلا مهما قصر ...

الاسفنج الاصطناعي

لعل آخر ما ابتكر من مواد كيماوية تستهدف مكافحة تلوث البحار بالبترول المادة الاسفنجية التي اخترعوها في سويسرا في أواخر الصيف الماضي ... وقد جربوها على نطاق واسع ، كما يقولون ، واقبلت دول كثيرة على شرائها ، كما يقولون أيضا ...

وتتميز هذه المادة بأنها تنفر من الماء وتطرده .. وتمتص الزيت ، وغيره من المواد الكيماوية ، وتتغبه غبا ... فهي اذن تفعل في الزيت ما يفعله الاسفنج الطبيعي بالماء . طوروها من الخشب وهي حياديه بيولوجيا .

وترش المادة الاسفنجية هذه على بقع الزيت فتتشبع ذراتها بالزيت وتنتفخ حتى تصبح بحجم حبات القمح .. وعندها يسهل جرفها كما يسهل اعتصار الزيت منها بعد ذلك .

مواد التفتيت

طريقة مكافحة بقع الزيت ببعثرتها وتفتيتها طريقة قديمة يعود تطويرها .. وتطوير سفنها الى ما قبل عشرين عاما .. قوامها مواد التفتيت الكيماوية التي يرشونها على بقع الزيت .. وقوام هذه المواد ذرات ينجذب طرفها الواحد الى الماء وطرفها الآخر الزيت ..

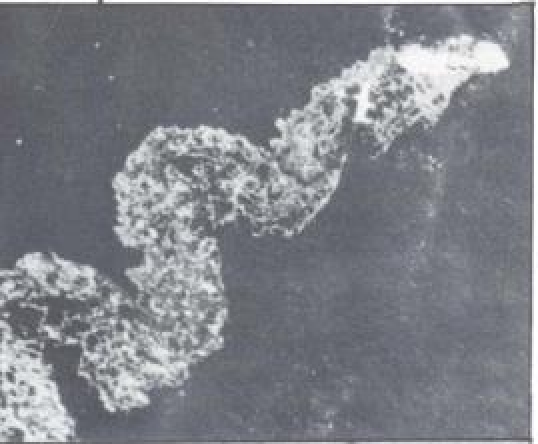

فهي اذن تفصل بين بقعة الزيت وبين ماء البحر .. وتقضي بالتالي على التوتر السطحي **Surface tension** القائم بينهما .. ولما كان هذا التوتر هو القوة التي تشد اجزاء بقعة الزيت بعضها الى بعض بالاضافة الى كونه القوة التي تشد تلك الأجزاء الى ماء البحر ... كان القضاء عليه كفيلا بتفتيت بقعة الزيت ...

ولا تخفى حسنة هذا التفتيت .. فهو يجزىء بقعة الزيت قطعا أصغر فأصغر ، ويعرضها للمزيد من ضوء الشمس والهواء والميكروبات ... ويعرضها بالتالي لمزيد من التلف ... الذي تلحقه بها عوامل الطبيعة أصلا .

على أن لهذا التفتيت سيئاته .. فمواده سامة أو ضارة على أقل تقدير .. وهو يؤدي الى غوص فتات بقعة الزيت الى قاع البحر ... أي أنه لا يقضي على التلوث وانما يحجبه عن الأبصار .

البكتريا

المقصود هنا ليس البكتريا الطبيعية وانما تلك المصنعة التي ابتكروها وصنعوها بأساليب الهندسة البيولوجية ... فقد تمكن بعض العلماء الأمريكيين - علماء شركة جنرال الكتريك بالتحديد - من اعادة هندسة الجينات في صنوف من البكتريا الطبيعية بحيث نجحوا في تطوير بكتريا جديدة قادرة على التهام البترول ... فلو رشت هذه البكتريا على بقعة الزيت لاقبلت على أكلها بنهم شديد لتصبح البقعة اثرا بعد عين ... ولا تلبث البكتريا أن تموت وتترك وشأنها .. أو تجرف ، فالأمر سيان .. لان هذه البكتريا ليست عامل تلوث ولا ضرر منها ..

وتعتبر هذه البكتريا انجازا كبيرا من انجازات شركة جنرال الكتريك ، بل الشركات المتفرعة عنها والمتخصصة بالهندسة البيولوجية .. ولعلها الانجاز الهام الأول الذي حققته الهندسة البيولوجية في العالم كله .

وتجدر الاشارة الى ان شركة جنرال الكتريك نجحت آخر الأمر في تسجيل البكتريا الجديدة في دائرة البراءات باعتبارها اختراعا أو ابتكارا .. ولم يكن ذلك ممكنا الا بعد النظر في المشكلة من قبل المحاكم المختصة واقرار هذه المحاكم بحق الشركة في تسجيل البكتريا الجديدة المخلقة في تلك الدائرة ..

من هنا كان العجب الشديد لصمت شركة جنرال الكتريك وعدم تقدمها بعرض البكتريا التي خلقت للقضاء على بقع الزيت التي ظهرت هنا وهناك في هذه الأثناء .

صحارى اليوم كانت مروجا خضراء في الماضي

هذه هي صور أنهار مصر القديمة ، التقطها رواد مكوك الفضاء(كولبيا) في شهر نوفمبر ١٩٨١ . وهي بلا ريب تبعث على العجب لأكثر من سبب .. من ذلك أن آثار الأنهار القديمة التي ترى في الصورة موجودة ، لا على سطح الأرض ، وأنما على عمق خمسة أمتار تحت السطح ... فكيف أمكن لأجهزة الرادار هذه المرة النفاذ الى هذا العمق ... ؟ وهي التي عرف عنها عدم القدرة على النفاذ لأكثر من بضعة سنتيمترات في باطن الأرض .. ؟ !

من هنا كان الأمل المعقود على تطوير أجهزة التصوير بالرادار بحيث يمكن الاعتماد عليها في أعمال البحث عن المياه والمعادن الجوفية ، بما في ذلك البترول ، في مشارق الأرض ومغاربها ... ترى هل في استطاعة الأجهزة المتطورة المرتقبة أن تنجح في تصوير باطن الأرض في بلدان أخرى كما نجحت في مصر .. والطقس في تلك البلدان يفتقر الى الجفاف الذي يتصف به طقس مصر .... !

وتجدر الاشارة الى أن ما التقطوه بواسطة رادار المكوك لم يكن في البدء الا رموزا .. وما كانت تلك الرموز لتصبح صورا تشبه صور أشعة أكس ، كالتي ترى ، لولا أجهزة الكمبيوتر المكبرة للصور ... وما كانت هذه الصور الشبيهه بالصور لتروي لنا قصة انهار مصر القديمة لولا الدراسة الواسعة الدقيقة التي تعاون في اجرائها علماء واخصائيون مصريون وأمريكيون ...

أما قصة الأنهار القديمة فتقول ان الصحراء الغربية في مصر لم تكن صحراء قبل أكثر من مليوني سنة .. بل كانت سهولا وأودية وأحواض أنهار بلغ بعضها مثل حوض النيل عرضا ... وكانت شبكة الأمس البعيدة كثيرة التفرعات كشبكة النيل اليوم ... الا أن اتجاهها كان يعكس اتجاه شبكة النيل الحالية ... ومعنى هذا أن الشبكتين لا يمكن أن تكونا قد اتصلت احداهما بالأخري في الماضي البعيد ... ومن يدري فقد تكونان قد اتصلتا بشبكة أخري ثالثة عملاقة .. صبت أنهارها في بحر داخلي كبير كما هي الحال في بحر قزوين على سبيل المثال ...

ولكن تلك السهول والوديان ما لبثت أن جفت وتحولت الي صحراء قاحلة .. وقد حدث ذلك قبل حوالي مليوني سنة ... وبقيت الصحراء صحراء جرداء حتى الآن ..

ولا يخفي أن قصة الأنهار القديمة هذه ليست جديدة .. فهي معروفة ، كثيرا أو قليلا ، وقد تناقلها الخلف عن السلف ... الا انها لم تتعد حدود التكهن ، حتى كانت هذه الصور ، فتحولت الرواية الي نظرية علمية ، بل حقيقة تاريخية ..

صورة رادارية التقطها مكوك الفضاء كولمبيا .. وهي تكشف عن واد عميق يختفي تحت الأرض على عمق بضعة أمتار .. ويعجب المرء لهذه الصورة التى التقطت لما هو باطن لارض ، ويعجب كذلك لأمر هذا الوادي الذى كان قبل زمن غير قصير حوضا لنهر النيل .. فهو اذن دليل على أن هذه الصحراء كانت مروجا خضراء فى الماضى البعيد .

تصحيحات لغوية

بقلم : محمد خليفة التونسي

☐ تفضل قاريء من « أبو ظبي » هو الأخ (ع. ي. ع) فأرسل مشكوراً الى المجلة أكثر من رسالة يعقب فيها على عبارات وردت في بعض مقالات المجلة ، وعبارات في اعلاناتها ، يظنها خطأ ، (وكررها ، مع تكرار الرسالة) ويعقب عليها بما يراه صواباً . ومن ذلك :

١ ـ بعض عناوين المقالات :

أ ـ عملية زرع القلب ، متى بدأت ، وكيف تطورت ؟

ب ـ موقفنا من الحضارات ، الى أين ؟

جـ ـ المستقبل ، لماذا نخشاه ؟

ويعقب هنا فيقول ما نصه : « والصواب تقديم أداة الاستفهام في كل هذه الجمل ، لا تأخيرها ، يقول علماء العربية : ان أدوات الاستفهام لها صدر الكلام ، ولها الأقدمية (كذا ، والصواب : التقدم) ، والبصريون من النحاة والكوفيون متفقون على ذلك » .

ثم يؤيد هذه القاعدة بأقوال بعض النحاة ، ويذكر بعض الأمثلة لها ، ومنها قوله تعالى : « القارعة ، ما القارعة ؟ » .

ونحن نوافق على صواب هذه القاعدة ، ونشير الى أنه ـ مع معرفته بها ـ لم يطبقها على العناوين كما كان ينبغي له ، فكل عنوان هنا قسمان : اولها مسند اليه ، وثانيها جملة استفهامية ، وهذه الجملة الاستفهامية تتصدرها أداة الاستفهام كما تقتضي القاعدة ، وقد تقدم المسند اليه في العنوان لأهميته ، فالأهم في العنوان هنا هو المسند اليه وهو الموضوع الأساسي ، والواجب لفت نظر القاريء اليه أولاً ، ثم الى متعلقاته في السؤال الذي يليه ، ونحن نعرف من دراسة علم المعاني أن من دواعي التقديم في الكلام بيان أهمية المقدم .

وكان ينبغي للزميل أن يعرف أين يقف وهو يتلو عبارات الأسئلة ، فان معرفة المواقف في الكلام أمر لازم لفهمه ، وبغير ذلك قد تختلط معانيه ، ولو تأمل الزميل كل عنوان لعرف انه لا بد من الوقوف في نهاية المسند اليه ، واذن لبرزت أمامه الجملة الاستفهاميه مبدوءة بأداة الاستفهام كما تقتضي القاعدة .

ومن العجيب أن يستشهد الزميل لرأيه بقوله تعالى : « القارعة ما القارعة » ولو رجع الى المصحف لعرف أن هذا النص آيتان لا آية واحدة : فالمسند اليه آية ، وجملة الاستفهام آية ومثل ذلك قوله تعالى : « الحاقة ، ما الحاقة » .

٢ ـ واستدرك السيد على عبارة « وتوجه جميع المراسلات الى رئيس التحرير » فقال : « والصواب : لاسم رئيس التحرير ، تقول معاجم اللغة : وجّهه ـ

بالتشديد ـ الى فلان : أرسله اليه . قال تعالى في سورة الأنعام : « اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض » .

وواضح هنا أن السيد يعترض على اسقاط كلمة « اسم » ، ويلاحظ أن الناس في كل لغة يجيزون حذف ما يعلم . وإن ما يوجه من الرسائل الى أي أحد انما يوجه الى اسمه . ثم العجب للسيد أنه يريد أن تكون العبارة « توجه جميع المراسلات باسم رئيس التحرير » فيستلزم أن يتعدى الفعل « توجه » باللام كما في الآية « اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض » مع أنه يذكر أن معاجم اللغة تذكر أن الفعل يتعدى بالحرف « الى » فالعبارة التي يعترض عليها صحيحة ، وهو هنا يظهر أنه يبدأ بالاعتراض والتخطئة ، ثم يرد على نفسه بنفسه فيبين أنه أخطأ في التخطئة .

٣ ـ وذكر السيد أن المجلة تذكر في الشهور العربية « ربيع الثاني » ، ثم يعقب بما نصه « والصواب شهر ربيع الأخر » ، واستبدال الثاني بالأخر (كذا) ، تقول معاجم اللغة المعتمدة : لا يقال ثاني (كذا) الا لما له ثالث ، ولا أول الا لما له ثاني (كذا) والربيع ربيعان ربيع الشهور وربيع الأزمنة . . فربيع الشهور شهران بعد صفر ، ولايقال الا شهر ربيع الاول وشهرربيع الأخر وأما ربيع الأزمنة . فربيعان : الربيع الأول الذي يأتي فيه النور والكمأة ، والربيع الثاني الذي تدرك فيه الثمار . وبمثل هذا قال الفيروز آبادي » .

ونزيد نحن ما قد يؤيد كلام السيد في وجوب ذكر كلمة « شهر » حين ذكر ربيع الأول . . فان بعض علمائنا يوجبون ذكر كلمة « شهر » عند ذكر أي شهر من شهور السنة العربية يبدأ بحرف « راء » مثل رجب ورمضان ، ويتعللون لذلك بتعليلات تافهة ، ولكن فات السيد ومن يقولون مثل قوله أنه يجوز اليوم أن يقال : ربيع الأول وربيع الثاني لأنه لا لبس في المعنى ، واذا كان صحيحاً أنه لا يقال : « أول » الا لما له ثان ، فليس صحيحاً أنه لا يقال « ثان » الا لما له ثالث ، فهناك المثنيات التي لا ثالث لأحدها ، كالأبوين ، واليدين والرجلين وسائر الأعضاء المزدوجة ، والقرآن الكريم يذكر قصة النبي في الغار ومعه صديقه أبو بكر فيقول في وصفه « ثاني اثنين اذ هما في الغار » ولا ثالث لهما .

وقد اختلفت دلالة الربيعين في أيامنا عما كانت عليه في أيام أسلافنا ، فكان عندهم فصلان في السنة يسميان « الربيعين [1] » وهما الربيع الأول الذي يعقب الشتاء ، والربيع الثاني الذي يعقب الصيف ، وهذا هو فصل الخريف ، وشهران في السنة يسميان الربيعين أيضاً هما ربيع الأول وربيع الثاني ، ونحن اليوم اذ قلنا ربيع الأول أو ربيع الثاني لم ينصرف الذهن الا الى الشهرين ، لا الفصلين ، فلا لبس هنا ، ولا خلط بين الربيعين الفصلين والربيعين الشهرين ، ونحن منذ قرون نطلق كلمة « الربيع » على الفصل الذي يلي الشتاء ، واذا سمعنا كلمة الربيع لم نفهم غير ذلك ، كما في قول البحترى :

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكاً
من الحسن حتى كاد أن يتكلما

وأما الفصل الذي يلي الصيف فلا نسميه « الربيع الثاني » بل نسميه « الخريف » ولا نطلق كلمة الربيع في تعيين الشهر ، الا مع وصفه بأنه « الأول » أو « الثاني » أو الآخر .

٤ ـ واعترض السيد على عبارة « كافة الخدمات المصرفية » وعقب قائلا : « الصواب الخدمات المصرفية كافة » بالنصب والتنوين » . واستشهد لذلك بالآية « ادخلوا في السلم كافة » والآية : « قاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة » . ونزيد نحن في تأييده عبارة الفيروز ابادي في مادة « كفف » في القاموس « جاء الناس كافة أي كلهم ، ولا يقال جاءت الكافة لأنه لا يدخلها أل . ووهم الجوهري ، ولا تضاف » .

وقد فند بعض اللغويين رأي الفيروز ابادي هذا (انظر هامش المادة « كفف ») وصححوا استعمال كلمة « كافة » بأل أو بالاضافة وهكذا يستعملها الجمهور لاسيما الفقهاء . ولهذا يجوز أن تقول « كافة الخدمات المصرفية » كما تقول « الخدمات المصرفية كافة » . □□

(١) اخواننا أهل مدينة الموصل العامرة في العراق يعتزون بمدينتهم فيكنونها « أم الربيعين » لأن مناخها في الصيف يشبه مناخها في الربيع ، فهنيئاً لهم بها .

إعادة كتابة التاريخ الإسلامي
في مركز الأبحاث باستانبول

استطلاع : سليمان الشيخ

تصوير : اوسكار مترى

لافتة المركز الخارجية

□ مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الاسلامية في استنبول ، هو أحد مؤسسات منظمة المؤتمر الاسلامي التي تضم ٤٥ دولة في عضويتها ، فما هو دور هذا المركز . . وما هي نشاطاته ؟

جوانب من القصر تحت الترميم .

على ربوة تبلغ مساحتها حوالى ستة هيكتارات من الربى التي تطل على البوسفور والمواجهة للجسر المعلق الذي يربط بين قارتي آسيا وأوروبا ، بنيت قصور من أفخم قصور السلطنة العثمانية تحيط بها مساحات واسعة من أشجار الصنوبر والشربين والأرز والسرو ، أو غيرها من الأشجار المثمرة (التين ، العنب ، المشمش .. الخ) عمرها ربما يتجاوز مئات السنين .

قصور .. وبحيرات وحدائق .. وطيور تغرد وبط متطامن يسبح بين أرجاء البحيرات ..

والبوسفور أمامك تخطر بين جنباته السفن الصغيرة والكبيرة .. والمدينة الآسيوية ثم الاوروبية تلوح مبانيها تحت ناظريك على جهتي البوسفور المتقابلتين .

انها ربوة يلدز .. وقصورها ، بعض نتاج خيرات الشعوب التي خضعت للسلطنة ، تم

استثمارها في هذا الركن الفائق الجمال ، انها الحديقة .. الغابة ، كأنك رحلت بعيدا .. بعيدا عن استانبول .. مدينة مباني الاسمنت والازدحام البشري ، مع انها لا زالت أمام ناظريك وعلى حواف الربوة .. لكنها عالم آخر .

جمال المكان ـ عزيزي القارىء ـ فرض علينا كتابة المقدمة السابقة . والمكان الذي نريد ان نعرفك عليه ، ليس هو المباني أو الحدائق ، بل هو جزء من أحد القصور ، جزء بسيط تم تحويله اعتبارا من سنة ١٩٨٠ الى مركز الابحاث للتاريخ والفنون والثقافة الاسلامية باستنبول التابع لمنظمة المؤتمر الاسلامي .

* فما هي قصة انشاء هذا المركز ؟

دخلناه فوجدناه كخلية النحل ، من حيث النشاط والهدوء وانجاز الأعمال .. ، فهل هو حضور المكان وفخامته وعراقته وتأثيره التاريخي ... أم هي طبيعة المهمة ـ البحث ـ هي التي فرضت ذلك ؟

صحيح أن القصور كانت من قبل مركز حكم نصف الدنيا تقريبا لكن ذلك كان زمنا وانتهى .

اذن هي طبيعة البحث والدراسة والتمعن والمقارنة . لكن في أي شيء .. وعن أي شيء ؟

* قبل أن نتحاور مع الدكتور أكمل الدين احسان أوغلى المدير العام للمركز (خريج كيمياء من احدى جامعات مصر) حول المركز ونشاطاته ومشاريعه ، فانه آثر أن يطلعنا على أقسامه وبعض انجازاته الداخلية . المكتبة التي تحتوى على حوالى عشرة آلاف كتاب .. أقسام الكمبيوتر ، والأرشيف ، قاعة المؤتمرات ، وقاعة البحث والمطالعة ، ورشة الهندسة التي أشرفت على اعادة ترميم القصر ، واضفاء اللمسات الفنية الجديدة التي لا تختلف كثيرا عن أصل الديكورات أو التجديد فيها ، ثم قسم المالية والشئون الادارية .. الخ .

بلغ عدد الموظفين في المركز حوالى ٥٠ موظفا من حوالى ١٠ من البلدان الاسلامية) وغرف أخرى لا تسمع فيها الا دقات آلات الطباعة أو الكمبيوتر ، أو الهمس الذي يشي بأننا في حضرة محراب للعلم والمعرفة والبحث .

* بعد أن انتهينا من جولتنا .. قال الدكتور احسان .. الآن هاتوا ما عندكم .. لكن قبل ذلك أود أن أرحب بكم وبمجلة العربي ، لأن « للعربي » مركزا أثيرا لدينا ، فأنا تابعتها منذ صدور اعدادها الاولى ، ولا زلت أتابعها ، ولها كما شاهدتم مكانها البارز بين الدوريات .

دور المركز

قلت :

---

* دعنا يا دكتور أكمل نتعرف على دور المركز وأهدافه ؟

ـ يمكن ايجاز الاهداف التي أنشأ من أجلها المركز بالتالي :

١ ـ ايجاد المكان المناسب كي يستطيع العلماء والمؤرخون والكتاب ورجال الفن المسلمون القيام ببحوثهم حول التراث المشترك .

واستنبول هي المكان المناسب لهذا الأمر بما تحويه من مكتبات ومتاحف ووثائق ، ففي تركيا حوالى مليون مخطوطة ومائة مليون وثيقة .

وبما أن استنبول هي العاصمة الاسلامية التي لم يتم غزوها وبالتالي لم يتم سرقة مخطوطاتها ووثائقها وآثارها من قبل المستعمرين ، لذلك فاننا نعتبرها متحفنا الاسلامي الذي يحتوى على الكثير مما يحتاج الى جهد البحث والتقصي والدراسة .

انها المتحف الخام الذي يحتاج الى من يمتلك المال والجهد ، وجلد البحث والمثابرة .

٢ ـ توفير الأجواء الملائمة والضرورية للتعاون الوثيق بين المؤرخين والكتاب في البلدان الاسلامية ، لأجل وضع حد للاحكام المتحيزة التي يروجها بعض المؤلفين الأجانب حول تاريخ الشعوب الاسلامية وفنها وثقافتها .

٣ ـ نشر البحوث على شكل كتب وكراسات .

٤ ـ تصحيح المعلومات المغلوطة المدسوسة في كتب التاريخ والكتب المدرسية حول تاريخنا الاسلامي المشترك ، في محاولة للقضاء على بذور الشقاق والاختلاف .

٥ ـ تشجيع التعاون وتبادل الكتب في ميادين التاريخ والفن والثقافة ، بين الجامعات وغيرها من مؤسسات البحث في البلدان الاسلامية .

٦ ـ تنظيم حلقات دراسية وندوات دورية سواء في المركز أو في احدى الدول الاعضاء في المؤتمر تتناول هذه الحلقات التاريخ والفن والثقافة .

٧ ـ اصدار النشرات والدوريات التي تتابع نشاطات المركز ، وكذلك نشر المبادىء الرئيسية للحضارة الاسلامية ، وكذلك انتاج الشرائط السينمائية والتلفزيونية .

وقد أكد معالي الاستاذ الحبيب الشطي ـ الأمين العام لمنظمة المؤتمر الاسلامي ـ في كلمته الافتتاحية في العدد الاول من النشرة الاخبارية التي تصدر في السنة ثلاث مرات ، ووصلت الاعداد الصادرة منها الى ستة ، والتي تصدر بالعربية والانكليزية والفرنسية ـ ما يلي حول دور المركز :

ـ أنه يقوم بدراسات في المجالات المختلفة للحضارة الاسلامية بتراثها الذي امتد أربعة عشر قرنا من الزمان ، والكشف عن جوانبها البراقة .

ـ المساهمة في التنسيق بين مختلف المؤسسات التي تعمل في هذا المجال ، داخل العالم الاسلامي وخارجه ، حتى نتفادى تكرار الجهد والمال وضياعها . .

الانجازات

* لا شك أن الأهداف السابقة هي خطوط عريضة لبرنامج عمل المركز في سنواته القادمة ، فهل تم تحقيق بعض تلك الأهداف ، خاصة وأن المركز قد بلغ السنة الرابعة من عمره ؟

ـ لقد تم انجاز بعض تلك الأهداف فعلا ومنها :

* اصدار دليل عناوين المؤسسات الثقافية في الدول الأعضاء بمنظمة المؤتمر الاسلامي ، ويشتمل على عناوين ١٢٤٢ مؤسسة .

* اصدار كتاب « أوقاف وأملاك المسلمين في فلسطين » ونعتبر هذا الكتاب من أهم كتب المركز ، نظرا لتوكيد الحق التاريخي للمسلمين في العيش واعمار تلك البلاد ، وصدر سنة ١٩٨٢ م .

والكتاب عبارة عن عملية تحقيق ونشر لأحد

بعض منشورات المركز

مشهد لبعض النشاطات داخل المركز (الى اليسار) ◀

في المكتبة ◀

.. وأصبح الكمبيوتر من الأدوات المهمه للعمل .

برمجة الكمبيوتر .

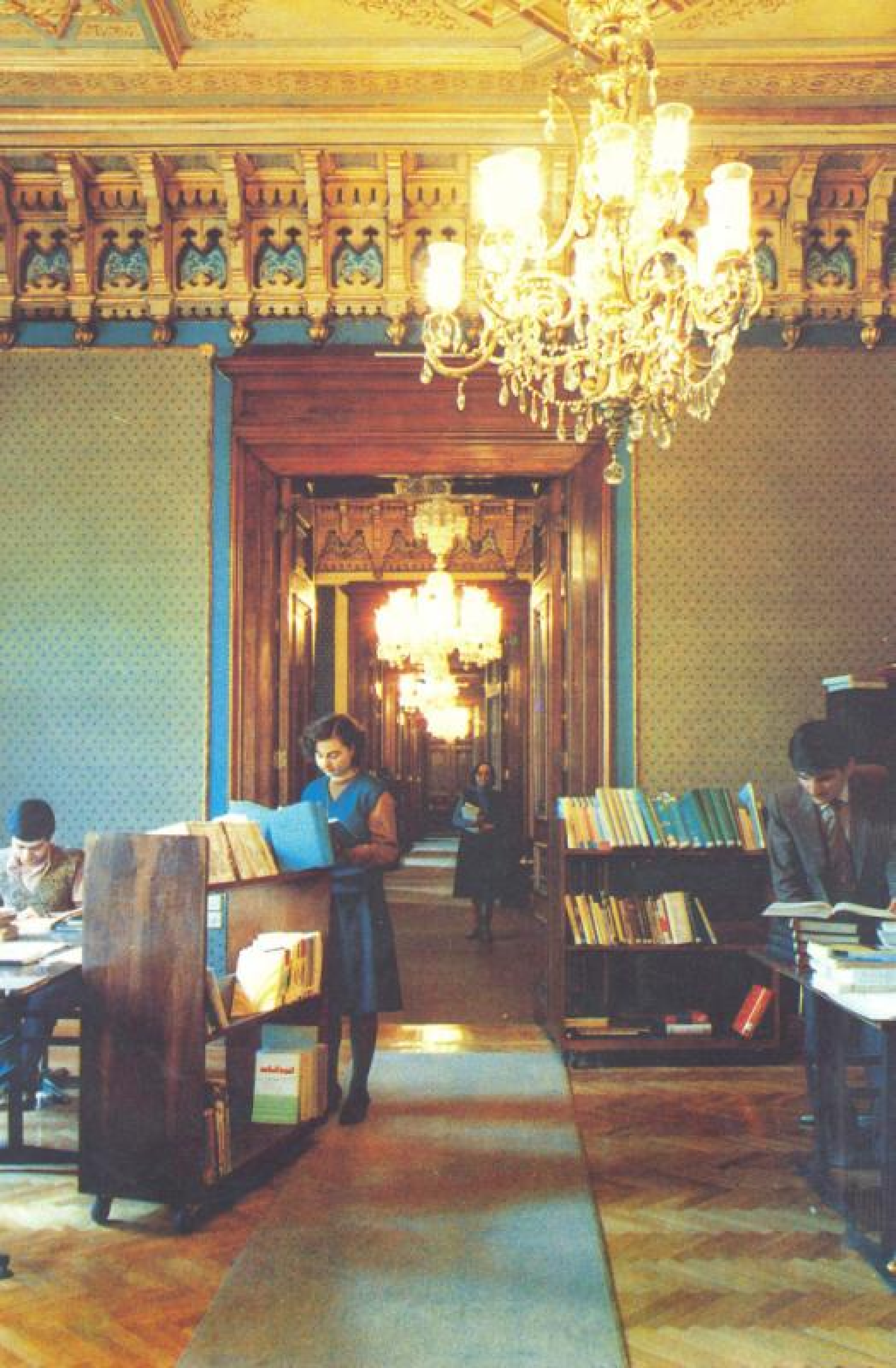

دفاتر تحرير الدولة العثمانية ، التي ترجع الى القرن السادس عشر الميلادي ، ويحتوى على سجلات وأوقاف وأملاك المسلمين في ألوية فلسطين الخمسة في ذلك الوقت ، وهي : القدس الشريف ، غزة ، صفد ، عجلون ، نابلس .

* اصدار الفهرس الموحد للحوليات العثمانية ، وصدر سنة ١٩٨٢ م . واحتوى على التقاويم السنوية للدولة ، أو الصادرة عن الولايات التابعة لها منذ سنة ١٨٤٧ وحتى سنة ١٩١٨ ، وهي مراجع في غاية الأهمية .

* اصدار سلسلة عن التاريخ الاسلامي ، وقد صدر الجزء الأول منها ، وهو عن « تاريخ الأتراك » اعتبارا من دخولهم في الاسلام حتى عصر السلاجقة ، وستتوالى هذه السلسلة بالصدور ، وسيتناول بعضها تاريخ الاسلام في القارة الهندية . وتاريخ الاسلام في ماليزيا وأندونيسيا ، أو ما يمكن تسميته بالحلقة الملاوية .

* تحقيق ونشر الوثائق الخاصة بالحرمين الشريفين في الفترة من القرن السادس عشر الى القرن التاسع عشر .

* اصدار بيلوغرافيا لترجمات معاني القرآن الكريم ، ويحتوى هذا الكتاب على معلومات حول اكثر من ألفي ترجمة في أكثر من ٦٠ لغة منتشرة في شتى أنحاء العالم .

* اصدار « كاتالوج » خاص بمفاتيح الكعبة الشريفة .

* اصدار بيلوغرافيا حول المنشورات المتعلقة بالمخطوطات الموجودة في المكتبات التركية باللغات العربية والتركية والفارسية .

* اقامة حلقات بحث ودراسة وندوات علمية منها :

- الندوة العلمية العالمية حول « المبادىء والأشكال والموضوعات المشتركة للفنون الاسلامية » التي أقيمت في استانبول اعتبارا من ١٨ الى ٢٢ نيسان - ابريل من سنة ١٩٨٣ اشترك فيها حوالى ١٥٠ من رجال العلم والفن في العالم ، والقى اربعة واربعون باحثا نتاج بحثهم ودراساتهم فيها .

- اقامة حلقة بحث حول « الاسلام والحضارة الاسلامية في جنوب آسيا» بالتعاون مع الجامعة الاسلامية في مدينة اسلام اباد في باكستان ، كما أننا نستعد لعقد مؤتمر عن الطب الاسلامي سيعقد في شهر سبتمبر - ايلول من هذا العام - تمت المقابلة في شهر ابريل - نيسان - .

وقد انجزنا شريطين سينمائيين :

الاول : تناول سيرة حياة ونشاط الخطاط حامد الأموى ومدته نصف ساعة .

الثاني : يتناول فن التذهيب والزخرفة الاسلامية .

وعدا ذلك من انجازات .

كما أن هناك عشرات المشروعات موضوعة قيد التنفيذ ، وقد بدأنا فعلا بتنفيذ بعضها ، . . وبعضها الآخر تقف الامكانيات المادية دون اتمامه .

نقص الميزانية

* ألا توجد ميزانية محددة للمركز من قبل المنظمة ؟

- توجد فعلا ميزانية محددة ، لكن بعض الدول لا تلتزم بالايفاء بالتزاماتها لمزيد الاسف ، مما يدفعنا الى الاعلان عن فتح الاكتتاب للدول والهيئات والمؤسسات والأفراد لتمويل بعض المشروعات .

ولايفوتني في هذا المجال أن أشكر :

- الامانة العامة لمنظمة المؤتمر الاسلامي ، والمشرفين على صندوق التضامن الاسلامي ، والدولة التي تستضيفنا - تركيا - فقد منحتنا قصر (سير) في البداية ، وعندما توسعت أعمالنا اضافت اليه قصر (جيت) الذي شاهدتم الترميمات فيه ، وقدمت للمركز تسهيلات

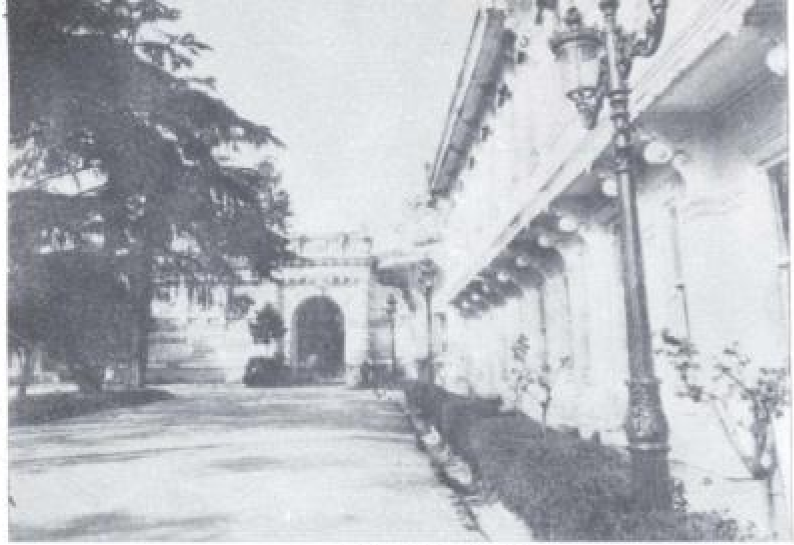

منظر عام لأجزاء من القصور

كثيرة ، ومنها الاعفاءات الضريبية والجمركية ، ومنحتنا الصفة الدبلوماسية ، هذا عدا توفير الدراسات وتسهيلات متعلقة بالمكتبة والكتب والأرشيف وغير ذلك .

ولا يفوتني أن أشيد أيضا بمساعدات المملكة العربية السعودية كحكومة ، ومؤسسة الملك فيصل ، وجمعية الدعوة الاسلامية في ليبيا ، وغيرها من مؤسسات وأفراد .

اعادة كتابة التاريخ

* لقد ذكرت أنكم بصدد كتابة التاريخ الاسلامي من جديد ، لكن وكما تعرف أن هذا التاريخ فيه قسمات متعددة ، وربما يكون فيها أكثر من قول أو اجتهاد حسب توجه المؤرخ أو الباحث . فهل هناك ضوابط معينة .. في هذا المجال ؟

- ما تقوله صحيح ، لكن توجهنا ينصب على ارساء نظرة اسلامية شمولية تتجاوز التحيز الوطني ، لكنها لا تغفل الاسهامات المختلفة من قبل كل شعب من الشعوب الاسلامية .

صحيح انها محاولة أولية ، وأن هناك أخطاء يمكن أن تبرز في هذا المجال أو ذاك ، لكن علينا أن نمضي قدما في التجربة ، مهما كانت الأخطاء التي ستبرز .

لأننا يجب أن نضع جانبا الكثير مما دسه المستشرقون ، وما أقوله ليس انتقاصا مما أدوه من خدمات ، اذ أدى بعضهم خدمات جلى لا تنسى لكن بعضهم دس الكثير من الدسائس والتحريفات فيما أنجزه .

* هل يعني ذلك تغييب بعض القسمات التي يوجد حولها خلاف ، أو التي فيها ادانة أو تقصير أو ظلم من قبل مجموعة أو شعب من الشعوب الاسلامية على غيره ؟

- ان دورنا هو البحث عما يوحّد وليس ايقاد نار الخلافات ، أو نبشها ، والمساعدة في تنقية الأجواء العلمية المختلف عليها ، واجلاء الغموض حول بعض الأسهامات الاسلامية المهمة في الحضارة الانسانية .

قصة المركز

* قبل أن ننهي حديثنا هذا فاننا نود منك معرفة قصة انشاء المركز ... والمراحل التي مر بها ؟

- انني أحيلك على العدد الاول من النشرة

أعلام دول منظمة المؤتمر الاسلامي

د. أكمل الدين احسان أوغلى المدير العام للمركز .

الاخبارية التي أصبحت تصدر ثلاث مرات في العام عن المركز ، وفي هذا العدد سجلنا قصة انشاء المركز والمراحل التي مر بها .

وأنقل بدوري عن النشرة المعلومات التالية :

« بدأت فكرة انشاء مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الاسلامية باستانبول بالاقتراح الذي تقدم به الوفد التركي الى المؤتمر الاسلامي السابع لوزراء الخارجية ، الذي انعقد في استانبول سنة ١٩٧٦ م .

وقد قبل الاقتراح وطلب من الحكومة التركية أن تقدم تقريرا مفصلا في هذا الخصوص ، كما تم الاتفاق أيضا على أن تكون استانبول مقرا للمركز المذكور ، نظرا لما تحتويه هذه المدينة من تراث اسلامي ثقافي وحضاري ، وتم درس التقرير الذي أعدته الحكومة التركية من قبل المؤتمر الاسلامي الثامن لوزراء الخارجية الذي انعقد في طرابلس (ليبيا) سنة ١٩٧٧ . كما تقرر أثناء هذا المؤتمر أيضا الشروع في اتصالات

مراجعة ومقارنات .

المنظر الخارجي
لقصر جيت

احصاء
المجلدات
ومراجعتها .

مع صندوق التضامن الاسلامي من أجل الحصول على دعمه المالي لانشاء المركز . وتمت مصادقة المؤتمر التاسع لوزراء خارجية الدول الاسلامية ، الذي انعقد في دكار سنة ١٩٧٨ ، على الهيكل القانوني والنظام الأساسي للمركز .

وفي شهر مايو ـ آيار ١٩٨٠ أثناء انعقاد المؤتمر الاسلامي الحادي عشر لوزراء الخارجية باسلام اباد تمت المصادقة الرسمية على أول برنامج عملي وعلى أول ميزانية للمركز .

وقد انعقد الاجتماع السنوي الاول لمجلس ادارة المركز (مكونا من عشرة ممثلين من الأقطار الاسلامية) في استانبول من ١٠ الى ١٢ نوفمبر ـ تشرين الثاني سنة ١٩٨١ ، واستعرض النشاط الذي قام به المركز ، وأقر برنامج عمل المركز لعام ١٩٨٢ ـ ١٩٨٣ . »

ثم تتالت أعمال المركز .. التي ذكرنا بعضها من قبل . □□

هل اكتشف العرب أمريكا قبل كولمبوس ؟!

■ منذ وطئت قدما كريستوفر كولمبس ارض القارة الأمريكية ، في اواخر القرن الخامس عشر ، ظل الناس يعتقدون اعتقادا راسخا بأن هذا الحدث التاريخي العظيم ، هو وحده بداية الصلة بين العالمين القديم والحديث .

الا ان ذلك الاعتقاد ، لم يلبث ان اصبح موضعا للشك ، ومدارا للمناقشة ، عندما نشرت الجمعية الملكية للدراسات التاريخية بكوبنهاجن سنة ١٨٣٧ تقريرها الضافي ، الذي حاولت ان تثبت فيه سبق الملاحين الاسكندناويين اكتشاف تلك الأرض الجديدة ، قبل كريستوفر كولمبس بأربعة قرون . واستندت في ذلك الى بعض المخطوطات القديمة ، التي يفهم منها ان ملاحا ايسلنديا يدعى « بيارن هريولفزن » أدركت سفينته شواطيء امريكا سنة ٩٨٦م . ثم حذا حذوه مواطنه « ليف اريكزن » سنة ١٠٠٠م . ولم تلبث ان تتابعت الى تلك الارض رحلات الملاحين الدانمركيين والايرلنديين الذين نشطوا لاكتشاف بقاع اخرى من تلك الأرض الجديدة . وكان اكثرهم توفيقا في ذلك الاخوان « اودالبراند وثورالد هيلجازن » من رجال الارساليات التبشيرية اللذان جابا خلال تلك الديار سنة ١٢٨٥م .

وبينما تنازعت كل من ايطاليا واسبانيا والبرتغال انتماء كريستوفر كولمبس اليها ، لينالها شيء من المجد الذي حققه ، نسب الفرنسيون الى ملاح فرنسي يدعى « جان كوزن » اكتشاف الشاطيء البرازيلي سنة ١٤٨٩م اي قبل كريستوفر كولمبس بثلاث سنوات .

الا ان الدراسات التي قام بها العلماء الامريكيون انفسهم ، حول مبدأ الصلة بين العالمين القديم والجديد ، قد تنزهت من جمحة الحماس الوطني ، الذي تردى فيه بعض الباحثين الاوروبيين ، كما امتازت بالاستناد الى وقائع علمية خالصة ، تناولت بالبحث والمقارنة لغات الامريكيين الأصليين ، ومظاهر حضارتهم الغابرة ، وعاداتهم المتوارثة .

وكان من اهم ما اسفرت عنه تلك الدراسات ما جاء في كتاب « ليووينر » الاستاذ بجامعة هارفرد « افريقيا واكتشاف امريكا » الذي يقع في ثلاثة مجلدات من وجود كلمات عربية في لغة الهنود الحمر . وقد رجع ذلك العلامة تأثر تلك اللغة بلغة العرب الى اواخر القرن الثالث عشر الميلادي .

وقد نشر عالم الاجناس الامريكي « جيفريز » سنة ١٩٥٥ جانبا من ابحاثه عن اصل الشعوب الامريكية القديمة ، وصلاتها بشعوب العالم القديم ، فأكد ان العرب كانوا على صلة بالشواطيء الامريكية قبل مجيء كريستوفر كولمبس بأربعة قرون . وكان مما استدل به على صحة رأيه ، ان الذرة وهو نبات امريكي ، قد انتشر في العالم

العدد الحادي عشر
اكتوبر ١٩٥٩

القديم ، منذ ذلك الزمن على ايدي العرب .

وعلى ضوء مثل هذه الدراسات ، نشط بعض علماء العرب للنبش في مؤلفات الآباء عما عساه يشير الى تلك الصلات - وكان ابرزهم في ذلك المضمار احمد زكي شيخ العروبة - فلم يسفهم البحث الى غير محاولتين عابرتين للكشف عن ارض جديدة ، عبر امواج المحيط الأطلسي . وقد ورد ذكر المحاولة الأولى في كتاب « نزهة المشتاق » للشريف الادريسي ، كما ورد ذكر المحاولة الثانية في كتابي « مسالك الابصار » لابن فضل الله العمري ، و « صبح الاعشى » للقلقشندي .

وتتلخص المحاولة الأولى في ان ثمانية من الشبان العرب ، الذين كانوا يعيشون في ثغر « لشبونة » في القرن الثالث الهجري المقابل للقرن التاسع الميلادي . اي قبل مغامرة كرستوفر كولمبس بنحو خمسة قرون ، دفعت بهم مطامحهم ، الى اعداد سفينة حملوها بالزاد والماء ، واقتحموا بها البحر . واخذوا يطاردون بها آفاق المحيط ، نحو خمسة وثلاثين يوما ، حتى رسوا على شاطيء مسكون ، فاعتقلهم بعض الناس ، بضعة ايام ، ثم اخلوا سبيلهم ، واعادوهم الى سفينتهم مكرمين ، فعادوا الى وطنهم ، حيث قصوا مشاهداتهم المثيرة التي انفرد الشريف الادريسي بتسجيلها ، والتي اصبح ما ورد بها من وصف الحيوان والنبات ، موضعا للدراسات استدل منها المحققون الجغرافيون ان هؤلاء « الفتية المغرورين » كما سماهم الشريف الادريسي ، قد ادركوا احدى جزائر « برمودة » او « الانتيل » او احدى موانيء المكسيك .

أما المحاولة الثانية فقد اقدم عليها مسلمو غرب افريقيا في نحو القرن السادس الهجري ، المقابل للقرن الثالث عشر الميلادي ، عندما زود السلطان « محمد قاو » سلطان غانة ، بضع مئات من سفنه بالزاد والماء ، وكلف رجاله بأن يضربوا في عرض المحيط غربا حتى يدركوا نهايته . فغابت السفن زمنا طويلا ثم عادت احداها اخيرا ، فقص ربانها ما لقي في رحلته الشاقة من اهوال البحر . الا ان السلطان ابى ان تبوء فكرته هذه بالفشل فأعد سفنا اخرى ابحر على رأسها بنفسه ، ولم تلبث ان انقطعت اخبار تلك الرحلة الجريئة ، ولم يعرف شيء عن مصيرها .

وقد ابى الأب « انستاس ماري الكرملي » الا ان يدرس هذا الموضوع الظل من جانبه الآخر ، فقام بمقارنة بعض مفردات لغات المكسيكيين القدامى ، وخاصة اسماء الحيوانات والنباتات ، بما يقابلها في اللغة العربية ، واثبت الصلة بينهما . وخلص من تلك الدراسة بما اكده في محاضرته القيمة التي القاها في قاعة فيصل الثاني ببغداد في ديسمبر سنة ١٩٤٤ ، من ان هم العرب قد قذفت ببعض ملاحيهم المغامرين الى تلك البقاع ، منذ ازمان قديمة ، وانهم كانوا يبحرون اليها من بعض جزر بحر المانش ، التي كانوا يتعاملون معها ، مستعينين في ابحارهم بتيار الخليج ، الذي يشاع انه لم يكتشف قبل اوائل القرن السادس عشر . وقد تركوا اثرا ظاهرا في حضارة تلك البلاد .

وجاء في عدد فبراير سنة ١٩٣٦ من مجلة « العالم اليوم » الامريكية ، ان حضارة شعبي « الأزد » و « المادية » وهما من الشعوب الأمريكية القديمة ، انما هي حضارة ذات طابع عربي خالص . وانه من الراجح ان هذين الشعبين كانا يعيشان في مستعمرتين عربيتين اسستا على الشواطيء الأمريكية في النصف الأخير من القرن الثاني عشر .

والواقع اننا اذا تركنا مثل هذه الدراسات التي تترجى اكتشاف الملاحين العرب انفسهم ، للشواطيء الامريكية ، منذ زمن بعيد ، واكتفينا بتلمس فضل علمائنا الاقدمين ، في تهيئة اذهان الاوروبيين لقبول فكرة وجود ارض جديدة عبر آفاق المحيط ، واطلاق مطامعهم من عنانها للبحث عنها ، لوجدنا ان آباءنا قد سبقوا العالم حقا بالاشارة الى هذه الحقيقة . □□

ابراهيم محمد الفحام

الفنانة هولي سيف

ولغة الوعي البارد

لون من الفن يتوجه الينا بلغه هي أقصى ما في الفن حيادا وموضوعية . والفنانة حين تتعاطف معنا لا تنافق وعندما تصور السطح فهي تشي بما هو تحته .

بقلم : أحمد غانم

لوحة « العربي المستهدف »

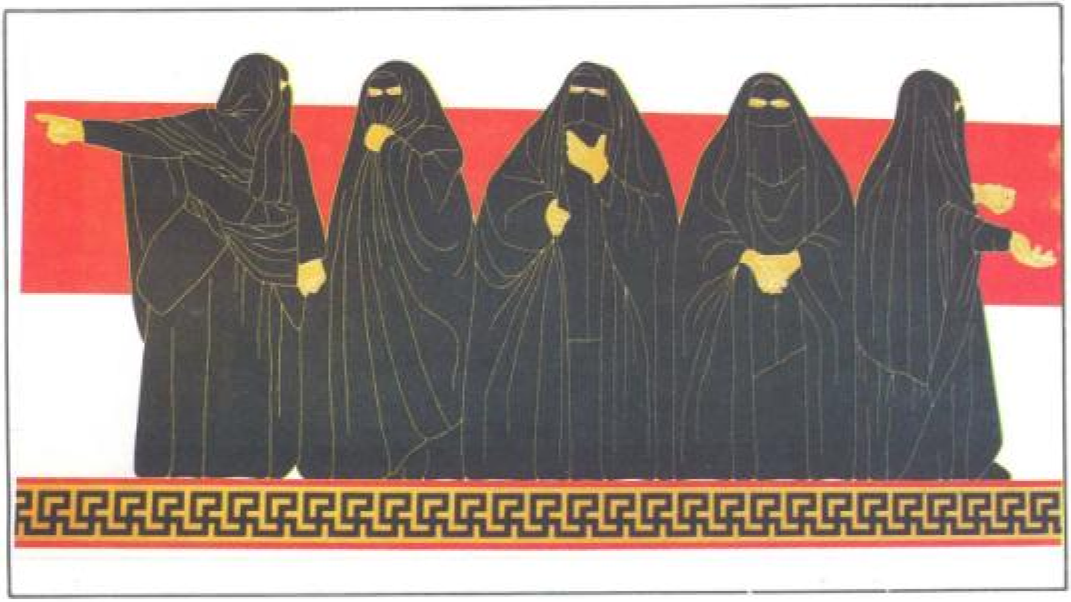

تشغل لوحة « بدويات » مساحة جدارية قدرها ١٥٢ × ٣١٤ سم . وهي صورة قد تدفع بالمشاهد العربي الى حيرة أو تساؤلات أساسية . . أية صورة للنساء تلك في مدننا ، والتي ارتبط فيها التحضر والحرية بالسفور ؟! وهل ما تزال « المتقبات » قادرات على رسم صورة مثالية للمرأة العربية ؟ ! كما أن الصورة تتسم بالمثالية من جوانب عدة . والحجم الكبير هنا عنصر مهم في دعم القيم الفنية الجمالية والاحساس بالحضور وأيضاً تلك المغالاة في الروح المعماري . وتتجسد لك الحالة الشعورية والعقلية لتلك النسوة من خلال أيديهن وحركاتهن والتي تبدو كرموز لحالات شعورية مكثفة ، تنتقل بك من التساؤل الى الاشارة . ان وقفتهن تردد اصداء تراجيدية وملحمية .

لاحظ . . . خطوط الازياء التي تنتمي عضويا الى الاثر الاغريقي . . . . الخ . . وتبدو الوحدة الزخرفية الهندسية العربية مستمرة كقاعدة معمارية لتمثال . . لاحظ المساحات البيضاء القليلة الصغيرة ، المستمرة والمتقطعة ، أسفل الشخوص الخمسة ، وما تعطيه من احساس بالثقل والمتانة ، احساس بالكتلة وشموخها .

تعودت عيوننا ، أن ترى في معارضنا ، تلك الصور المكررة التسجيلية الباهتة والمتعجلة ، والتي يصورها الفنانون الغربيون المحدثون ، السائحون في شرقنا ، بهدف اكيد هو استدرار عواطفنا ، والتي يحاولون بها عبثا احياء تلك الأمجاد الفنية للمصورين المستشرقين الاكاديميين الاوائل ، هؤلاء الذين جابوا شرقنا ، وتأملوا عالم القرنين الثامن والتاسع عشر الميلادي في بلادنا ، في أعمال بديعة صادقة متفهمة كأعمال دينون وكاسبري ودافيد روبرتس وتشارلز فرير وفان دير أوديرا . . وغيرهم . هذا الفريق الذي عشق الشرق وحاول تفهمه بصدق (وهو غير فريق آخر - من الغربيين - كال السم في العسل ، ولم ير في الشرق سوى الرعاع الغلاظ ، والمتبرجات ، وذلك لمرض في نفسه ، أو لمآرب استعماري في عمله) .

... بعيدا كلية عن هذه الاتجاهات نجد شيئا آخر في المعرض « القيم » للفنانة هولي سيف المولودة في ١٩٥٠ بمدينة منيابوليس الامريكية (خريجة جامعة مينيسوتا ، والتي تزوجت عربيا ، وأقامت في الكويت منذ أكثر من عامين ونصف) وقد بدا هذا المعرض صادما لأعيننا العربية من جانبين :

انه ينتمي مذهبيا الى « التجريدية الجديدة - الحد الصلب » وهو المذهب الذي ينقل الينا واحدة من الماعات العقل الامريكي في ترصده للوجود (الطبيعي أو الهندسي ، الانساني أو التجريدي) .

وثانيهما : اننا نرى انفسنا في رؤية جديدة ، غريبة على أعيننا ومدالنا ، لكنها كاشفة لنا ، ومتعاطفة معنا ، وهي رؤية تحليلية ، هادفة اجتماعيا وسياسيا وبما يغاير الصورة التسجيلية المكررة ، للمشاهد الشرقية .

* * *

بعد الحرب العالمية الثانية نشأت تيارات « التجريد العاطفي » في الفن الامريكي ، والتي سميت « باللاشكلي » كالتجريد التحركي » و « البقعية » (التاشية) وغيرها ، وهي تيارات ناصرت « اللاوعي » في الفن ، فعبرت عنه في قوى الخامة المجردة واللون ، بغية الكشف عن « احساسات تصويرية بصرية ملموسة » تبحث عن رموز .. ليس غير ..

وينتمي المذهب التصويري الذي تعمل وفقه هولي سيف الى تيارات « الشكلية » و « الموضوعية » في الفن الامريكي المعاصر ، والذي بدا هجوما على « اللاشكلي » وبدأ هذا التيار في نهايات الخمسينيات يشيع في القارة الامريكية ، فظهرت فنون « البوب آرت - الفن الشعبي » و « الواقعية الجديدة » و « الواقعية السحرية » و « فن الارض » و « الفن المفاهيمي » و « الفن البصري - أوب آرت » ، واعمال هولي سيف تنتمي الى المذهب الذي شاع منذ عام ١٩٦٥ والذي سمي « بالتجريدية الجديدة - الحد الصلب » وهو يستند - مع تيارات الشكلية - الى لغة « الوثيقة : الواقعية - التمثيلية » أو الى الروح الموضوعي ، متناقضا جذريا مع « اللاشكلية في الفن » .

ويصفه النقاد الامريكيون بأنه « الفن البارد » والذي يحمل طابع السذاجة التي يتحلى بها الرواد الاوائل ، وهو الفن المحايد الاعتدالي .. وهو فن منظم شكليا » . ويستطيع الفنان الامريكي ان ينتج ذلك الفن الموضوعي والذي هو محصلة « وعي بارد » على أسطح ساطعة تبرز الحقائق الموضوعية التي يتناولها . وهي طريقة في التناول تبدو بالنسبة الى الفنون الذاتيه في القرن التاسع عشر ، وبالنسبة الى الثقافة التشكيلية الشائعة في بلادنا العربية فنوناً تتصف بالجفاف ، وهذه الصراحة الساذجة الصادمة بل تلك الصرامة « الآلية المبهج » .. هذا البرود ، بل هذا « الوعي البارد » يتزيا على سطح اللوحة بأشد الألوان جذبا وتأثيرا .. وكأنه ينافس الاعلان والاعلام التحريضي .. ويتميز مذهب « الحد الصلب » باعتماده على الخطوط الحادة في رسم الشكل والتي تأخذ طريقها الى التمومة والاحساس بالفراغ المعماري في اللوحة ، واتخاذ مجموعة ألوان مقتصدة ، واذ يتولى الخط مهمة تحديد الشخوص وتحديد الاطر ، ورسم الابعاد المنظورية .. فان اللون مسطح واحدي ، كمسطح مصمت لايخترق .

وتتبدى كل هذه الصفات في عمل الفنانة هولي سيف على أوضح مايكون .

* * *

ان فن هولي سيف « البارد - الساطع » يتوجه الينا بلغة هي أقصى مافي آلة الفن الامريكي حيادا وموضوعية .. وهي اذ تتعاطف معنا ، فهي لاتنافق ولاتدغدغ العواطف ، وهي اذ تصور السطح فانها تشي بما هو تحته .. تعال نتأمل ، واحدة من الماعاتها .. ونكتفي بلوحتها

« العربي المستهدف » . . Target Arab
(١٣٤ × ١٦٤ سم) :

انها تنقلنا ببساطة شديدة الى بسيطة الجزيرة العربية ، وحيث النار (بترولا وضوءا وخطرا وسطوعا) ليطول العربي القابع في كعبة نفسه وهو يتغنى في سريرته ، كالعقيق الأسود ، بذرات سبحته المرجانية . . .

وهو - هذا العربي - هدف أي مستهدف ، ولكنه ليس مطمحا سهلا . . انه يحمل في باطنه قوى هادرة ، انه تل متعملق ، ودوما استعلاء او استبيان . . وتشعر مع وضوح الخطر المقيم على جسده وردائه « دائرة النار » - بأن قوى بركانية ، يكتنزها ، وامكانية اختماروعية وحركته تتزايد مع الخطر وهو قابع بين الحركة والسكون يطيل الصبر والتأمل . . لكنه كائن احترازي حزنه حزن جاف وصلب ، وفي طبعه الصلابة ، لكنه لايأمن الى غريب . . كماله في نفسه ، وعباءته مظهر وديع وفضفاض لكبريائه نفسه . . وهو لم يقطع في كمونه أو جلوسه شيئا مع عالمه البصري من حوله . . انه جالس في الوضوح يكاد يتوضأ به ، وهو ناظر الى الوضوح . . ومنتظر له .

ولعل هذه الصورة ، والتي تصلح ملصقا شاملا عن أخطار المرحلة ، كما أن لوحات الفنانة تعرض مفرداتها بتركيز لـ (الصحراء - التراث - الدين والتقاليد - البترول : النار ، والخطر . . . المطمع ، والقوة . . الكمون والتأمل) .

حينئذ تستطيع أن تتأمل مغزى هذه اللغة السطوحية الصلبة ، والتي لاتكاد تخترق . والملاحظ أن عمل هولي سيف يبدو فاقعا في ألوانه ، مبهرا للاعين العربية . . لكنه عند المشاهدة الثانية ثم الثالثة ، تعود اليه لتجد فيه ألفة شديدة وتجانسا

كيف بالفن الحديث عبر تاريخه ، كلما اشتد ايجازا وتلخيصا ، وتحليلا بدا أقصد وأدل وربما أبعد مدى ولا أقول أعمق ! ان التفاصيل الكثيرة التي تمتلىء بها التصاوير الكلاسيكية تصير في الفنون المحدثة هي بعض « أحرف » صعبة مركبة ، بسيطة مختزلة . .

. . . . ونلاحظ هنا كيف استطاعت الفنانة ان توائم وتختزل علاقات اربع :

أ - رموز من الفن الاسلامي (الطراز الاسلامي)

ب - صور تمثيلية حية من الواقع (من الكويت)

ج - ألوان اساسية في النسجيات البدوية .

د - الوان الاعلان المحدث ، الزاعقة .

ولاشك أنها مواءمة ناجحة في منطقها ، ولم تصنع اعتباطا ، او تتركب على سطوح لوحاتها في خفة ، ولاشك أن اعمالها لاتخاطب من العواطف شيئا . . كل العواطف صارت مطمورة . . ان العصر لايتكلم بلغة الفن والغناء ، لكنه يتكلم بلغة العلم والتصميم . . كل العصر يهدف الى « المفهوم » و « التحريض » . .

وهاتان العمليتان (المفهومية والتحريضية) تهدفان تشكيليا الى اعادة تنميط الصور . والى محاولة السيطرة على قوى المخيلة الانسانية ! .

ليست المشكلة في الفن الأمريكي أن تعيش - أنت - في اللوحة ، وأن تعود اليها مستكشفا أعماقها وجوانبها وخوافيها . . بل أن تعيش - هي - فيك يكفي أن تراها للحظة واحدة . . ثم تستيقظ - هي - في دواخلك ، وتنبشك منطقها . . . (!)

. . . والملاحظ أن الفنان الامريكي - بلغة الفنون الشكلية المحدثة - قد صور عالمه الامريكي الاستهلاكي بصورة تكشف عن كثير من الخواء الروحي . . لكننا نرى في أعمال هولي المستعربة صورة عربية تشي بالطابع الايجابي وروح من الجلال أو القوة . (وكأنها وجدت هنا الهاما أو قضية) . ←

لوحة « كرسي بحالي » ١٠٩ × ١٢٦ سم . ↓

↑ أعلى لوحة « الديوانية » ١٤٨ × ٢٤٩ سم ، لاحظ الاحساس بالسعة والفراغ الذي تجسمه اللوحة بنقله العربي من البيئة الطبيعية (الصحراء) الى البيئة المصنوعة (البيت ـ الديوانية) . لاحظ أيضا كيف تستطيع الرسامة بمهارة ودربة وفي خطوط بسيطة جدا ، وموحية أن تجسم الحالات النفسية لشخوصها . . وبروح موضوعية . لاحظ روح الاختزال اللوني وما يبرز من الاحساس بالايقاع اللوني كقيمة بصرية معاشة . لاحظ أيضا « الفورم Form » والخطوط الخارجية out line والخطوط الداخلية in-line وما تشي به من احساس بامتدادات الصحراء .

(الصورة اعلى الصفحة المقابلة) الفنانة ترسم كروكي للوحتها الديوانية . لاحظ اهتمامها الاساسي بالحصول على التكوين : الكتل والايقاع اللوني . . انها « وثيقة » تدل على أن السهولة والبساطة والاختزال الذي تظهر به أعمالها عند تمام صنعها ، هي بساطة خادعة جدا . . بل هي نتيجة إحكام في الانشاء والتوفيق والمهارة .

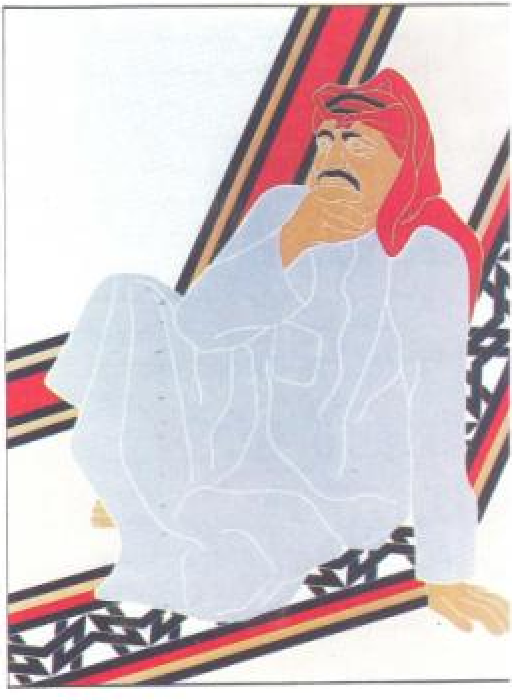

هذه تفاصيل من أياد مختلفة التعابير والحركات والزوايا . . تشيع في تصاوير الفنانة . . والحق انها أياد بالغة الاحكام من الناحيتين التشريحية والتعبيرية . ويعرف الفنانون ودارسو الفنون التشكيلية أن « اليد » واحدة من أصعب الاجزاء التشريحية في الانسان . وهذه التفاصيل تبدو أشبه « بأحرف » صعبة ومختزلة ، بسيطة ومركبة .

ترى ، هل هولي سيف بداية لموجة اخرى من الفنانين المستشرقين (بل المستعربين) والذين سيجيئون الى وطننا العربي يحملون روحا من المودة ، وحرصا نادرا على الموضوعية ، وفهما عميقا لطبيعة المنطقة وضعيتها التاريخية مابين « الأزمة والتحدي » . ربما انهم يملكون أن يودعوا في ضميرنا شيئا من لغة العصر : يرسمون شكلا نفهمه ، ويتركون لنا حق « الصدمة ـ والتلقي » ومجال البحث في لغة عصرية . ■

"الحد الصُلب" في التصوير العربي

من أعمال المثال العظيم محمود مختار (١٨٩١ - ١٩٣٤) .. من شخوص الحفر الغائر على قاعدة تمثال سعد زغلول بالقاهرة .

لا شك أن مذهب « الحد الصلب » هو استخلاص أو ترجمة أمريكية للتقاليد الخطية المتوارثة من عصور الحضارات القديمة كما تمثل حالة نفسية توحي بتوائم وانسجام مع العالم البصري والبيئة الموضوعية (المحيط) ، كما أنه من مساهمات « الفنانين المصممين » .

وثمة صفحة في تاريخ الفنون التصويرية العربية المحدثة تكاد أن تكون مجهولة ، وهي تلك المساهمة التي قام بها المصمم العربي الأول ، الأستاذ الفنان عبد السلام الشريف (١٩١١ -) فقد اكتشف مذهب « الحد الصلب » سابقا الأمريكان بأكثر من عقد كامل من الزمان ! وقد قام زميله الفنان حسين بيكار استاذ التصوير بكلية الفنون الجميلة بالقاهرة ، في الخمسينيات بتدريسه علميا كمنهج ، وقد سماه « التصوير الزخرفي » . غير أن الوسط الفني العربي لم يول إلتفاتة صادقة الى هذا الاثر والذي يجمع الى جانب كل « الصفات الاختزالية » في مذهب « الحد الصلب » مقدرة واضحة على التنغيم الخطي والى إثارة العواطف الشعبية في روح رومانسي شام .

لوحة « النعمة » وأسفل لوحة « فرقة موسيقية شعبية » للفنان المصمم عبد السلام الشريف .

ولا شك أن هذا التيار وجد إلهامه المباشر في جداريات محمود مختار من النحت البارز والغائر ، والذي هو امتداد واع (بالنسبة اليه) وملهم (بالنسبة الينا) للتصاوير المصرية القديمة ، وكيف يمكنها أن تعطينا لتونا لها القدرة على المواءمة العصرية .

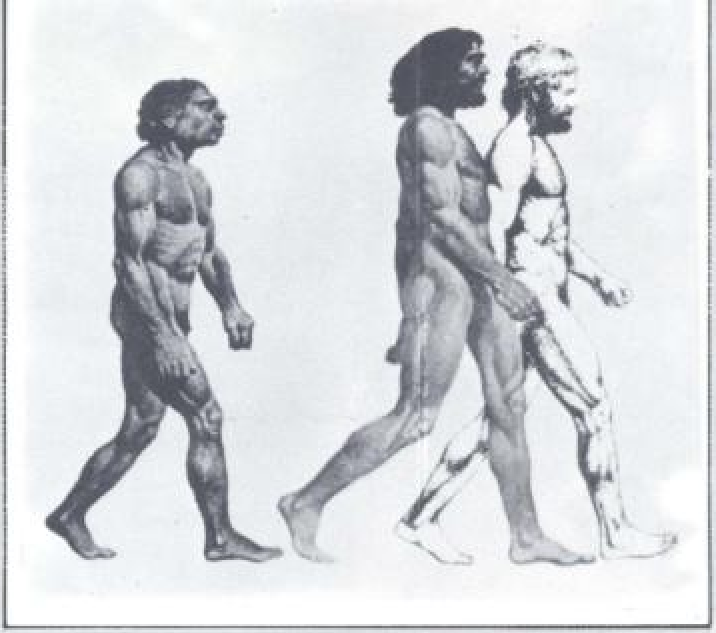

فهم جديد لتطور الجنس البشري

الانسان الأول

وجد منذ ٣٠ مليون سنة

بقلم الدكتور : عصام محمد عزو

□ في الفيوم ، جنوبي القاهرة ، عاش النموذج البشري الأول منذ ثلاثين مليون سنة . وقد مرت البشرية بعد ذلك في سلسلة تطورات مرحلية ، فمنذ أربعة ملايين عام بدأ الانسان يمشي على قدميه . ومنذ مليونين ونصف المليون عام بدأ يأكل النباتات واللحوم وينطق ويفكر . ومنذ مائتي ألف عام لم يكن عدد سكان العالم يتجاوز المائتي ألف نسمة .

. . . هذه الوقائع المثيرة وغيرها ، يكشفها البروفسور ايف كوبنز الذي تحدث في ختام مؤتمر علمي دولي في باريس ، للبحث عن « فهم جديد لنشوء وتطور النوع البشري » .

تحت شعار « من أجل فهم جديد لنشوء وتطور النوع البشري » ، انعقد في باريس مؤخرا ، مؤتمر علمي دولي ضم نخبة من علماء الفيزياء الطبيعية والبشرية ، والبيولوجيا والسيكولوجيا والسوسيولوجيا والانتربولوجيا من مختلف أنحاء العالم .

وفي ختام المؤتمر الذي دام خمسين يوما ، تقرر تشكيل لجان خاصة لصياغة الأبحاث والنظريات التي توصل اليها المؤتمرون ، وجمعها في مجلد ضخم من المنتظر أن تصدر طبعته الأولى في مطلع العام القادم ١٩٨٥ . . . وبانتظار ظهور هذا المجلد عقد البروفسور ايف كوبنز ، بصفته ناطقا رسميا باسم المؤتمر ، ندوة صحافية شرح خلالها مجمل ما توصل اليه علماء القرن العشرين ، حول نشأة وتطور الانسان الأول ، الذي يرقى وجوده على هذه الأرض الى ملايين السنين .

وقبل البدء بنقل شروحات كوبنز ، من خلال الحوار الذي أجري معه ، لا بد من الاشارة الى المكانة الخاصة التي يتمتع بها كوبنز في هذا المجال ، فهو من جهة يشغل منصب المدير العام في « متحف التاريخ الطبيعي » الفرنسي الشهير ، ومن جهة أخرى فانه كان قد اكتشف أقدم وأكمل هيكل عظمي بشري في العالم يرقى عمره الى أربعة ملايين سنة .

المهد الأول للبشرية

وهذا هو الحوار :

الانسان الحديث ، الذي غزا الأرض والبحار وحتى الفضاء ، أليس مستغربا أن يظل عاجزا عن اكتناه أقرب الأشياء اليه : نشأته الأولى وتطور نوعه ؟ ما الذي توصل اليه المؤتمر في هذا الصدد ؟

* بالاستناد الى التحاليل التي أجريت على بقايا الهياكل العظمية البشرية ، التي اكتشفها علماء الآثار والتنقيب ، يبدو أن مسار تطور

قبل ٣٠ الف سنة كان الانسان قد برع في مهارات الصيد وكان وحيد القرن من ضحاياه .

النوع البشري مر بأربع مراحل كبيرة ، ارتبطت كل منها بنوع حيواني معين .

المرحلة الأولى كانت منذ ثلاثين مليون سنة ، وتمثلت بظهور نوع من الثدييات القردية والبشرية ، التي لم يكن طول قامتها يتجاوز النصف متر ، ولم يكن في فمها سوى نصف فك فقط ، وقد عثر على بقايا هياكل عظمية لهذه النماذج الأولى في منطقة الفيوم جنوبي القاهرة . . . مما يعني أن أرض مصر القديمة قد تكون المهد الأول للبشرية . وقد عرفت هذه النماذج باسم : « بروبليوباتاك » .

المرحلة الثانية ، ترجع الى خمسة عشر مليون سنة ، وتشمل مناطق أفريقيا وآسيا وأوروبا ، حيث عاشت النماذج المعروفة باسم « راماباتاك » . وقد تميزت بحجم الجمجمة الأكبر بكثير من حجم جمجمة النموذج الفيومي المصري الأول . لكن مساحة الوجه أضيق وعدد الأسنان أقل . . . وقد عاشت هذه السلالة في الغابات اجمالا ، وكانت تعتمد في غذائها على العشب والنبات بشكل رئيسي . ويبدو أيضا أنها كانت تستعمل الحجارة لتحطيم عظام الحيوانات لكي تتغذى بالنخاع العظمي .

. . . ومشى الانسان على قدميه

المرحلة الثالثة ، مرحلة ما يسمى بالنموذج الاسترالي وقد ظهر في أفريقيا منذ ستة ملايين عام . وقد كان هذا النموذج ما اصطلح العلماء على تسميته بسلالة « ما قبل الانسان » . وقد احتفظ بمعظم الملامح العامة للراماباتاك ، وان كان تميز عنه بارتفاع حجم الجمجمة الى ستمئه سنتمترا مكعبا بدل اربعمئة لكن مساحة الوجه ظلت ضيقة . ويبدو أن الانسان الاسترالي قد

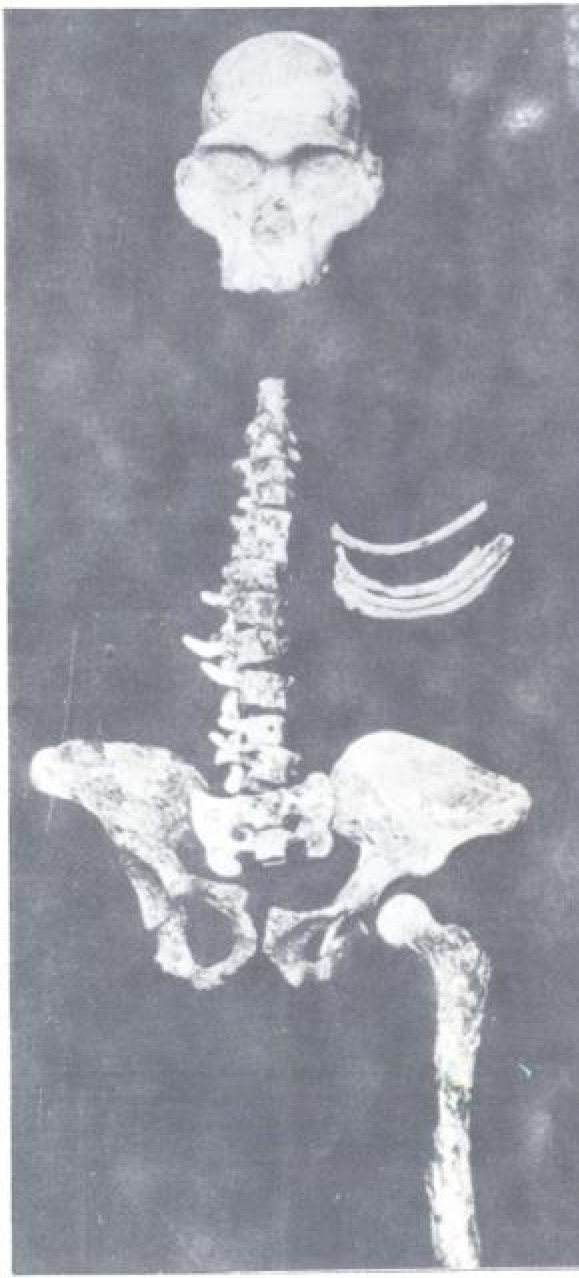

• بقايا هيكل عظمي لامرأة أفريقية تعود الى ستة ملايين سنة .

حقق تطورا خطيرا جدا بالنسبة لمسار النوع البشري ، ذلك أنه ، وبعد أن كانت نماذج المرحلتين السابقتين تدب على أطرافها الأربعة ، مشى الانسان الاسترالي على قدميه فقط .

والدليل القاطع في هذا المجال ، هو الاكتشاف الذي توصلت اليه عالمة الآثار البريطانية الشهيرة ماري لوكاي التي عثرت في العام ١٩٥٩ في منطقة أولدوفاي في تانزانيا ، على بقايا هياكل عظمية للانسان الاسترالي . . . وقد وجدت في المنطقة نفسها آثار خطوات محفورة في رماد بركاني متحجر يعود عمره الى أربعة ملايين عام ، وهي خطوات مزدوجة فقط (وليست رباعية) لأقدام بشرية .

وبالطبع فان استعمال القدمين فقط للمشي ، يعني بقاء اليدين حرتين لاستعمالات أخرى . وقد تبين فعلا أن النموذج الاسترالي بدأ منذ ثلاثة ملايين عام باستعمال حجارة الكوارتز لتوليد الشرارة النارية . وقد استدل على ذلك من خلال اكتشافات أثرية ، توصل اليها منقبون أميركيون عملوا في « وادي أومو » الواقع في المنطقة الحدودية بين أثيوبيا وكينيا .

وهذه المرحلة الاسترالية هي التي يصطلح العلماء على تسميتها بمرحلة « ما قبل التاريخ » ، أو « فجر التاريخ » .

. . . وجاء « الانسان الحاذق »

المرحلة الرابعة والأخيرة تمثلت في ظهور « الانسان الحاذق » (هومو هابيلوس) ، وكان ذلك منذ مليونين ونصف المليون عام ، وهو نسخة متطورة لنموذج الانسان الاسترالي ، يتميز عنه بأنه أطول قامة ، وحجم الدماغ صار هنا أكبر بكثير (ثمانمئة سنتيمترا مكعبا بدل ستمئة) ، كما أن قوامه استقام عموديا بعد ما كان قوام الاسترالي مائلا الى الانحناء ، كما تميز

● انسان « هومو اريكتوس » .. الانسان البناء .. عمره مليونان و ٥٠٠ ألف سنة .

الانسان الحاذق ، بقدرته على قرض أي شيء سواء كان لحميا أو نباتيا ، وذلك بفضل أسنانه الأقوى والأكثر عددا ، والأكثر تنوعا ، مما يجعله قادرا على التأقلم مع أي نوع من البيئة .

ويبدو أن هذا « الحاذق » بدأ يتعرف على أكل جيف الحيوانات الميتة ، مما جعله يستطيب طعم اللحم فصار يسعى الى الصيد ... ويستدل من الاكتشافات الأثرية ، التي عثر عليها المنقبون ، أن طرائد انسان هذه المرحلة تراوحت بين الفأرة و ... الفيل .

ومع هذه السلالة دخلت البشرية عهدا جديدا . اذ أن الانسان « الحاذق » بدأ بتصنيع الأدوات اللازمة لمختلف استعمالاته اليومية ، أسلحة صيد حجرية ، قادحات شرر لاحداث النار وغيرها ، والأهم أنه بدأ باعتماد نوع من المبادىء الأولية في تقسيم العمل . ومن ذلك بدأ يتقن بناء الأكواخ التي يفزع اليها من تقلبات المناخ ومخاطر الطبيعة ، أكواخ يتراوح قطرها بين أربعة وخمسة أمتار . كما أن بناء البيوت جعله يبتكر عملية التكنيس وأدواتها المناسبة .

وفي هذه المرحلة بدأ « الانسان الحاذق » يتحول نحو المجتمع الأسري ، حيث يقيم في الكوخ الواحد حوالي عشرين شخصا . وهذا يعني أن معدل الكثافة السكانية ، كان بمعدل ٠,١ الى ٠,٣ شخص في الكيلو متر المربع الواحد . مما يعني أن مجموع سكان العالم آنذاك ، أي منذ مليوني عام كان في حدود المئتي ألف نسمة . وبالطبع فقد استمر عدد سكان العالم القديم في التصاعد وخاصة بعد الانتقال من العصر الحجري الى عصر حضارة الزراعة ، والعيش في تجمعات سكنية قروية .

مرحلة الانسان الحاذق كانت آخر وأهم مراحل تطور السلالات البشرية . وقد انبثق منها « الانسان البناء » (هومو أريكتوس) الذي انطلق من أفريقيا لينتشر في مختلف بقاع العالم ، وخاصة في الصين وفلسطين القديمة . وكان ذلك

منذ مليونين وخمسمئة ألف عام . وقد تميز انسان هذه المرحلة ، بتحقيق تقدم هام في تطوير أدوات الصيد ، كما أحرز تقدما هاما في مجال احكام سيطرته التامة على النار ، واخضاعها للاستخدام في معظم أوجه حياته ، ويبدو أنه بدأ أيضا ومنذ ثمانمئة ألف عام بادخال النار في طقوس الموت ، بدليل أن معظم الجماجم البشرية المكتشفة في المناطق الواقعة ما بين الصين وتانزانيا كانت محطمة ومحروقة ، وكأنما الانسان القديم « البناء » كان يشوي دماغ موتاه ويأكله من باب التعظيم والتكريم .

وبعد ذلك ظهر انسان « الهومو سابينس » وهو الجد الأقرب للانسان الحديث ، كان ذلك منذ مئتي ألف عام . وقد تميز السابينس بقامته الأطول ، وبجمجمته الأضخم وبمساحة وجهه الأوسع . .

الأب الحقيقي للانسان

لكن ، هل بالامكان اعتبار عملية تأريخ وسلسلة نشوء وتطور النوع البشري هذه ثابتة ونهائية ؟

لا ثوابت في هذا المجال ، بل ان كل شيء نسبي . المسألة ليست مسألة تنظير محسوس ، بل ان ذلك متعلق بمستجدات الاكتشافات الاثرية . إن كل الخلاصات التي توصل اليها المؤتمرون في باريس ، تستند الى تحاليل ما هو متوافر من معطيات متأتية من الاكتشافات الأثرية الحاصلة حتى الآن . ومن هنا فان كل الاحتمالات تبقى واردة . فلا شيء يمنع أن يظهر غدا اكتشاف أثري جديد ، يجعل الجميع مضطرين الى اعادة النظر في كل شيء .

ـ لكن ، كيف يمكن حتى الآن على الأقل ، تحديد الأب الحقيقي لانسان الأزمنة الحديثة ، من بين كل تلك السلالات والنماذج البشرية القديمة ؟

* هذه المسائل باتت محسومة تماما ، فذلك يعود الى المفهوم الذي تعنيه كلمة انسان ، وهو : الكائن الذي يمشي على قدمين ، والقادر على استعمال يديه وأسنانه (للنبات واللحم) والذي تحتوي جمجمته على دماغ متنام يسمح له بالتفكير وبالنطق وممارسة الحس الاجتماعي والابداعي .

من هذا المنطلق ، يمكن اعتبار « هومو هابيلوس » الحاذق ، الأب الحقيقي لانسان الأزمنة الحديثة ، مما يعني أن عمر البشرية الحالية ، يرقى الى مليونين ونصف المليون سنة . ذلك أن المراحل السابقة للهابيلوس لم تكن سوى مقدمة للنموذج البشري . وبالفعل فان هذه المقولة تتلاءم تماما مع أعمار الحضارات البشرية المعروفة حتى الآن في معظم أنحاء العالم .

ففي الصين مثلا ، ثبت أن عمر الصيني الأول يرقى الى مليوني سنة ، والأندونيسي

* انسان حديث يستكشف عظام أجداده .

نزح الانسان من آسيا الى أوروبا خلال القسم الباكر من العصر الحجري القديم الأعلى .. وأدت الظروف التي ارتفعت فيها الحرارة الى انحسار طبقات الجليد .

الأول الى مليون وتسعمئة ألف سنة . والفرنسي الأول الى مليون وثمانمئة ألف سنة . والشرق أوسطي الأول الى مليون وثمانمئة ألف سنة أيضا .

المناخ هو الأساس

ـ لكن ما هو التفسير العلمي لعمليات التطور التي خضعت لها السلالات البشرية . بحسب ما توصل اليه المؤتمرون ؟

● يقول البروفسور كوبنز :

« لا شك أن العوامل المناخية والجيولوجية هي الأساس الأول في جميع عمليات التطور السلالي ، لجميع الكائنات الحية من انسان وحيوان ونبات . فقد حدث منذ حوالي عشرين مليون سنة ، أن تحول مناخ الأرض فجأة وبصورة جذرية ، الى منحى جديد بحيث أصبحت المناطق الجبلية والصخرية أقاليم دغلية ، وفي الوقت نفسه تحولت الأدغال والصحاري الاستوائية ، الى سهول منبسطة يغشاها النبات والماء .

وكان من شأن تلك الانقلابات الطبيعية ، أن دفعت بأنواع من الكائنات الى الانقراض . منها مثلا الثدييات التي لم تستطع العيش خارج الأدغال والصحاري . ومن جهة أخرى ، فان السلالات البشرية القديمة القريبة من السلالة القردية والتي كانت معتادة على العيش متسلقة أعالي الأشجار ، اضطرت الى الهبوط أرضا ، للعيش في المساحات المنبسطة السهلية الجديدة ، مما اضطرها بالتالي مع الوقت الى اعتياد استعمال القدمين فقط للمشي بدل الأطراف الأربعة . وصارت لليدين استعمالات جديدة للصيد والقتال دفاعا عن النفس ، ولبناء المساكن

الأرضية . وكان من الطبيعي أن ينجم عن ذلك تطوير هام في التركيبة الدماغية والعصبية للانسان .

وقد حدثت فيما بعد تحولات مناخية جذرية أخرى ، منذ حوالي مليونين ونصف المليون سنة ، حيث اجتاحت الأرض موجة عارمة من الجفاف جعلت السهول تتحول الى قفار جرداء تصعب فيها استمرارية الحياة بالبداهة والعفوية التي كانت اعتادتها السلالات البشرية الغابرة ، مما اضطرها الى ابتكار أدوات وأساليب جديدة هي في النهاية نوع من الاحتيال على الطبيعة للتمكن من العيش . . . وكان هذا أهم الانجازات التي حققها نموذج هومو هابيلوس الحاذق .

ان هذه الخلاصات التي توصل اليها مؤتمر باريس لا تضع نظريات داروين موضع شك فحسب ، بل انها تحولها الى نوع من الأدب الخرافي أو القصص الشعبي .

تبقى مسألة التقنيات التي يستخدمها الآن المختصون بهذه الأبحاث ، هل تخضع بدورها لمنطق التنظير والاجتهاد الشخصي ، أم أنها ترتكز الى أسس علمية ثابتة ؟ أي : هل يمكن الركون تماما الى تحاليلها واستنتاجاتها ؟

يقول البروفسور كوبنز :

لقد تم حسم هذه المسألة بشكل نهائي منذ حوالي نصف قرن . سيما بعد اعتماد علم السلالات والأحياء بشكل رئيسي ، على التطور الهائل الذي أحرزته مجالات الكمبيوتر والدماغ الآلي .

بالطبع أن المسألة معقدة جدا جدا ، من الناحية التقنية ، ولا يمكن التبسيط في شرحها للقارىء العادي ، لكن يمكن القول انها تقنيات موثوقة مئة بالمئة وبشكل يفوق أي تصور .

انسان « لوسي »

ـ ماذا أخيرا عن « الفتاة لوسي » التي اشتهر البروفسور ايف كوبنز باكتشافها ؟

* ان مسألة لوسي هي تأكيد قاطع على مدى التطور الهائل الذي بلغته العلوم السلالية والاحيائية في عصرنا هذا . لقد عثرت على بقايا الهيكل العظمي لهذه الفتاة في منطقة أفار في أثيوبيا في العام ١٩٧٤ . وقد أطلقت عليها اسم لوسي تيمنا بأغنية البيتلز الشهيرة « لوسي في السماء محاطة بالشياطين » . وتكمن أهمية لوسي هذه ، في أن عمرها يرقى الى أربعة ملايين سنة . وقد بلغ ما وجدته من بقايا هيكلها العظمي ، الأربعين بالمئة بالنسبة للهيكل الأساسي ، وهذه أكبر نسبة في العالم ، حتى الآن في مجال الاكتشافات الأثرية . ومن هنا فان عظام لوسي هذه تعتبر كنزا بكل معنى الكلمة بالنسبة للمختصين في هذه المجالات .

ولوسي هي من سلالة الانسان الاسترالي . كان طول قامتها يتراوح بين المتر والمتر وعشرة سنتيمترات . وزنها حوالي ثلاثين كيلو غراما . ذراعاها طويلتان تمشي على الأطراف الأربعة ، حيث كانت تعيش في عصر تسلق الأشجار .

وتدل أحجام أضراس لوسي على أنها كانت تقتصر في غذائها على النباتات فقط . ويستدل من التحليل المخبري لبقايا أسنانها (بواسطة مجهر الكتروني يكبر مئة ألف مرة) على وجود خدوش في جوانب الأضراس ، مما يعني علميا أنها ناتجة عن عملية مضغ الأعشاب والنباتات .

وقد استطاعت التقنيات الحديثة ، تحديد العمر الذي كانت فيه لوسي عندما ماتت ، فقد كانت في العشرين من عمرها . كما يؤكد وجود هيكل لوسي محاطا ببقايا عشرين هيكل عظمي آخر ، على نمط الحياة الاجتماعية التي كانت السلالة البشرية القديمة تعيشها . □□

قصة :

الإجهاض

بقلم : صلاح عبد السيد

اهتز الباب . .

واندفع في الصالة خمسة أزواج من الأحذية . . فهبوا واقفين . . ـ الزوج والزوجة والأم التي لاتسمع ـ دبدبت الأحذية . . فانتشر الرعب وذرات الغبار و . . واصفر النور . .

ـ ـ ما الذي حدث . . ؟

حطت على كتفه كف غليظة

وطرقت على قفاه كف . . وانزلقت العيون تحت الأسرة وفتق الرفوف . . وامتدت الأظافر تنبش تحت العيون وارتفع النقيق . .

ـ ـ قم معنا .

تناولت زوجته زنده

ـ ـ ما الذي حدث . . ؟

تناولت أمه زنده . . لكنها ظلت تصرخ طالبة تفسيرا من أي منهم لذلك المشهد الصامت الذي يحدث ـ يا اولاد ـ أمام عينيها . . .

انحنى ـ قبل أن يخرج ـ يمسح بعينيه جسد ابنته الصغيرة النائمة . . عريانة الفخذين . . الذي حدث . . أن كلبه الصغير . . لم ينبح على الغرباء . . وانما ظل في الركن يرقب ما يحدث في صمت غريب . .

الذي حدث . . أنه ابتلع ريقه وخرج معهم . . رأسه بين قدميه ويداه مهدلتان . . الذي حدث . . أن صوت الأحذية كان عاليا . . ولم يكن للكلمات صوت . .

صوت الأحذية كان عاليا . .

ـ ـ اعترف .

ـ ـ أنا لم أفعل شيئا . .

صوت الكلمات كان فحيحا . .

ـ ـ فتش في ذاكرتك فلديك ـ حتما ـ ما يدينك . . ؟

ـ ـ أنا لم أفعل شيئا . .

ـ ـ سنساعدك أذن على التذكر

و . . واندفع ثلاثة أزواج من الأحذية . . فانتشر الرعب وذرات الغبار و . . واصفر النور . . و . . وارتفعت كف . . وسقطت كف . . وسقط الجسد على الأرض . .

آآاه . . . .

ـ ـ هل تذكرت الآن . . !!؟

ارتفعت عينا الزوجة تتحسس جدران السجن . . السجن الصخر . . وامتدت يدها المرتعشة تتحسس بابه . . الباب البارد . . العالي البارد . . وملست بيدها عليه . . والباب البارد بارد . . وارتجفت . . دمعت . . كادت ترجو الباب . . الباب العالي . . العالي البارد . . أن يرفق برفيق عمرها . . أن يفتح حتى تراه . . تتحسس وجهه . . تتحسس صوته . . تتحسس . . وانفتحت في الباب كوة . . وأطلت عينان . . العينان بلا رموش . . العينان بلا جفون . . العينان ذبابتان . .

حطت الذبابتان على وجهها .. تراجعت .. حطت الذبابتان على صدرها .. تراجعت .. سقطت كلمتان من الكوة .

-- ماذا تريدين ؟

مدت يدها المرتعشة بورقة .. الورقة فيها اسم الزوج ..

-- لو تسمح .... ابحث لي عن هذا الاسم ..

الذبابتان فوق الصدر .. لو تسمح .. الذبابتان لزجتان .. لو تسمح .. الذبابتان .. ورفعت كيس اللحم الذي في يدها وغطت به صدرها .. خرجت من الكوة يد .. فتناولت الورقة .. و .. أغلقت الكوة ..

-- لو تسمح .. !! .

أغلقت الكوة .. أنزلت كيس اللحم الى جوارها .. تنهدت ..

(ترى هل يجده بالداخل .. ؟ لقد تعبت من طول الانتظار .. مر للآن شهر دون أن أعرف له مقرا .. شهر طويل ومرير .. قالوا لي في الأول - يومان وسيعود .. لاتحملي هما .. انه مجرد سؤال فقط .. وبعدها يفرجون عنه - وظللت انتظر نقرته على الباب كل مساء بلا فائدة .. كل مساء وعينا ابنتنا الصغيرة تتلجلجان في وجهها .. سائلة وجهي عن ذلك الحنون .. الحنون الحنون .. و .. سؤال أمي الذي يهتز كبندول الساعة فوق رأسي .. يزعق - هل من أحد يخبرني .. !! ماذا حدث يا أولاد ؟ لماذا أخذوه يا أولاد .. ؟ - وأنا حزن مقعد .. لا أعرف ماذا أفعل .. ؟)

هبت رائحة اللحم المتبل على أنفها .. فتنهدت وأغمضت عينيها ..

انفتحت الكوة .. فأسرعت تضم كيس اللحم الى صدرها .. تمتمت

-- هل وجدته ؟

انتشرت من الكوة - لا - .

-- كيف ؟

-- ابحثي عنه في سجن آخر .

-- أي سجن .. ؟

-- السجون كثيرة ..

و .. أزت الذبابتان حول كيس اللحم .. استدارت عائدة .. فحطت الذبابتان على مؤخرتها حتى غابت ..

صوت الأحذية كان عاليا .. وصوت الكلمات فحيحا ..

-- يبدو أنك عنيد

وارتفعت السياط .

-- ما الذي تنوون فعله ؟

نزلت السياط .. ما الذي .؟ ارتفعت السياط .. ما الذي ... ؟ ... نزلت السياط

-- اعترف ..

(لن تستطيعوا قهري .. اعترف .. لن تستطيعوا .. اعترف .. يجب أن أكون قويا .. اعترف .. يجب ألا أسقط .. اعترف .. تساقط الجلد من رجلي على وجهي .. اعترف .. طرطش الدم .. تطايرت الأظافر .. سرى الخدر في جلد رجلي ورأسي .. اعترف ..

استطعت أن أرى السياط وهي ترتفع .. ثم تهوى .. ثم ترتفع .. واستطعت أن أسمع لهاثهم .. واستطعت أن أرى أيديهم الخائرة .. الخائرة .. اعترف ...

واستطعت أن .. استطعت أن .. و ... لم أعد أستطيع ..

الطريق الترابي الى بيت قريبها الذي يسكن قرب المقابر .. طويل .. طويل ونحيف .. والليل بلا نجوم .. والأرض نقر .. والريح تهز الشجر .. والشجر يتمايل .. يتمايل أشكالا وظلالا .. ظلالا وشخوصا .. شخوصا و .. وتوقفت مرتجفة وهي تتلفت وراءها .. تتسمع .. فلم تسمع غير اللهاث .. اللهاث .. كأن الأرض تلهث معها .. و .. ويندفع كلب ناحيتها يعفر في التراب .. فتصرخ .. فيتوقف أمامها وهو

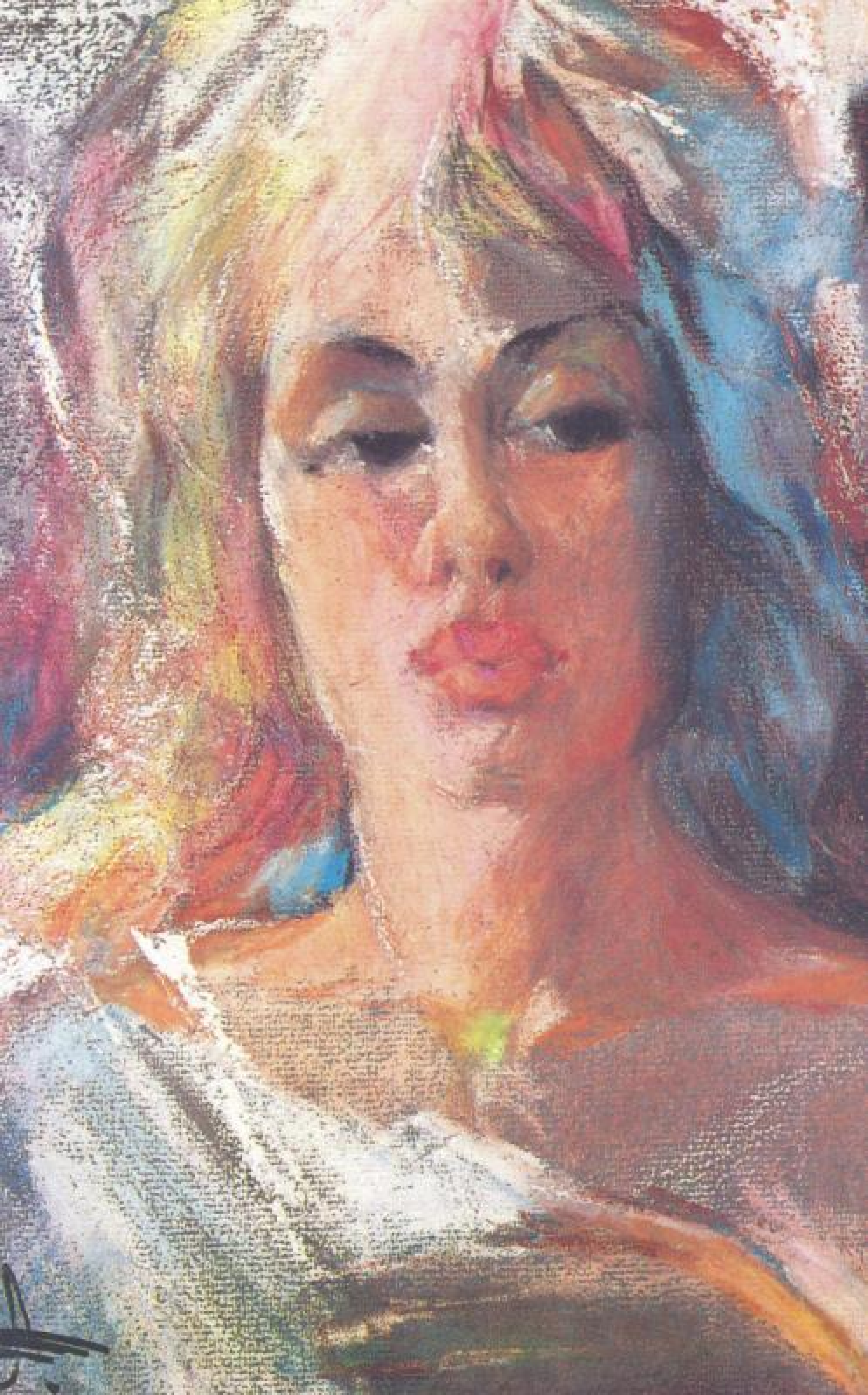

يزوم متحفزا .. منفوش الشعر .. مقوس الظهر .. يتشمم رائحة اللحم في يدها ..

ضمت كيس اللحم الى صدرها ، وأسرعت تجري وعواء الكلاب وراءها .. والليل بلا نجوم .. وعواء الكلب وراءها .. والطريق تفر .. وعواء الكلب وراءها .. و .. وانكفأت على وجهها ..

عندما رفعت رأسها كانت الكلاب تحيط بها .. عشرات الكلاب .. وكانت هي في المنتصف .. وكانت عيونهم تلمع .. وكانت هي في المنتصف .. وكان الشرر .. وكانت أسنانهم المدببة .. وعواؤهم المكتوم .. ولطمها أحدهم بمخالبه .. وانتزع كيس اللحم منها .. و .. وانقضوا على كيس اللحم يفتكون به ويتشاجرون .. وارتفع عواؤهم المكتوم .. وارتفعت أعمدة التراب تغطي المكان ..

وانتفض الجسد كأن صاعقة مسته .. ووجدت نفسها بفعل الذعر الذي اشتعل في جسدها تجري .. تجري .. تجري .. لكنها ارتطمت بـ .. وتحسسته - انسان .. !! رفعت عينيها الى آخر الجسد .. انسان .. !!

انسان ضخم .. ضخم كصخرة .. طويل كنخلة .. يتدلى من النخلة ذراعان .. و .. أطبقت الذراعان عليها .. حاولت أن تصرخ .. لكنها لم تستطع .. كان لهاثها لهاثها .. وكان جسدها .. جسدها ..

ومد الرجل الصخرة يده وشق ثوبها .. حاولت أن تقاومه .. أن تناطحه .. أن ترتطم به .. أن تغرس أظافرها في رقبته .. أن تعضه بأسنانها .. أن تفلت منه أن تبصق عليه أن .. لكنه لواها .. مزق قميصها ولواها .. أطبق عليها بأسنانه وجسده .. انحط الجبل عليها .. ولم تعد بقادرة حتى أن تلهث .. فحاولت أن تدق على جسده .. أن تهزه .. أن ترتجف تحته .. أن تبحث عن مسامه .. لكنها لم تجد .. كان مصمتا وباردا وصخريا .. وتهاوت ..

كانت ابنتها الصغيرة قد بالت على نفسها .. وظلت تصرخ طوال الليل .. لكن جدتها التي لا تسمع .. لم تسمع .. فظلت البنت عريانة الفخذين .. غارقة في بولها حتى الصباح ..

صوت الأحذية كان عاليا .. وصوت الكلمات كان قبيحا ..

- لقد اعترفت بكل ما طلبتموه .. لم يعد عندي شيء ..

- ما زال عندك ..

- لم يعد ..

- ما زال ..

و .. أطبق عليه جسم ضخم .. ضخم كصخرة .. طويل كنخلة .. يتدلى من النخلة ذراعان .. و .. أطبقت الذراعان عليه .. حاول أن يصرخ .. لم يستطع .. كان لهاثه لهاثه .. وكان جسده .. جسده ..

ومد الرجل الصخرة يده ومزق ثوبه .. حاول أن يقاومه .. أن يناطحه .. أن يرتطم به .. أن يغرس أظافره في رقبته .. أن يعضه بأسنانه .. أن يفلت منه .. أن يبصق عليه .. أن .. لكنه لواه .. مزق ثوبه ولواه .. كتم أنفاسه ولواه .. أطبق عليه بأسنانه وجسده .. انحط الجبل عليه .. و .. لم يعد بقادر حتى أن يلهث .. فحاول أن يدق على جسده .. أن يهزه .. أن يرتجف تحته .. أن يبحث عن مسامه .. لكنه لم يجد ..

كان مصمتا .. وباردا .. وصخريا .. و .. تهاوى ..

أخذت تجري وسط المقابر شبه عارية .. الدم على صدرها وعلى فخذيها .. تعوي كأن الجنون قد مسها .. عيناها تقدحان بالشرر .. وفمها يطفح بالرغوة والتراب .. وجسدها المصعوق يصطك مفزوعا ، ويتلاطم بين جدران القبور .. وكانت تمزق شعرها وتصرخ .. وتصرخ .. وتدق بيديها الواهنتين فوق أبواب القبور .. □□

صدقي اسماعيل

الأديب المبدع السّاخر .. وصاحب الكلب"

بقلم : عدنان الداعوق

□ هل تعرفت إلى « الكلب » . . ؟ اذا لم تكن تعرف . . فانها الجريدة الوحيدة التي كانت تصدر بخط يد صاحبها . . وتتناول كل قضايا الوطن وهموم المواطن . . تنتقد وتعلم وتثقف . . وشعارها : « تعالج الأمور باتزان . . وتخدم الجميع بالمجان » . .

انتشر الخبر بيننا ، نحن طلبة الصف الثاني الثانوي بثانوية المعري في حلب ، عندما عرفنا أن مدرس الفلسفة وعلم النفس الاستاذ (زكي الارسوزي) سيغادرنا ويتركنا منتقلا الى دمشق وأن مدرسا آخر سيحل محله .

كان وقع هذا الخبر علينا مفاجأة قاسية ، وعليّ بالذات ، لأنه كانت تربطني به صداقة متينة وود عميق ، بالاضافة الى أحسن علاقة بين أستاذ وتلميذ . وللارسوزي المفكر والاستاذ والفيلسوف والانسان فضل عليّ لا يمكن أن أنساه . . فقد حبب الى الفلسفة وعلم النفس ، بعد أن كنت أمقت هذه المادة الجافة اليابسة ، فاستطاع بأسلوبه المبسط الفريد أن يجعل من الفلسفة طريقا الى القلب والعقل معا .

وتوطدت الصداقة بيني وبين أستاذي منذ أول يوم تقابلنا فيه ، شجعني وأخذ بيدي وطلب مني أن أرافقه في (مشوار) بعد انتهاء الدوام المدرسي ، وتلك كانت أول مرة أمشي فيها مع أستاذ ، بعيدا عن جو المدرسة وقيودها الصارمة التي تفصل بين الاستاذ وتلميذه ، إلا من خلال الحصص المدرسية ، وبقيود تفرضها العلاقة الأزلية بين الاثنين .

كان لا يفتأ في الطريق يحدثني عن العلاقة بين البشر ، وأنها في الأصل تقوم على النفس ونوازعها ، ومن هنا جاء التعامل بينهم بعلم اتخذ أسلوبا وطريقة ، ونشأت الفلسفة وانتظم علم النفس .

كان يسير بين الناس مبتسما ، ابتسامته تفتح له وأمامه كل طريق . . أناقة مفرطة ، ودماثة طيبة ، ومنطق سليم ، وحيوية دفاقة ، كل ذلك بالاضافة الى تجربة في الحياة مريرة ، وعشق للقضية الوطنية ومقارعة الاستعمار الفرنسي ، ألبسه ثوبا من الوقار ، فاذا رجل الخمسين شابا يتدفق إشعاعا ويتضوع ألقا . وبالاختصار كان (زكي الارسوزي) مثلا فريدا .

واذ يطول بنا المشوار وتمتد الطريق يدعوني أستاذي لفنجان من القهوة في مقهى (الديكسي) بشارع (بارون) . . نرتشف القهوة ويجرنا الحديث في كل اتجاه . .

لهذا كله ، ولغيره أيضا وقع علي خبر انتقال (زكي الارسوزي) من حلب الى دمشق وقعا قاسيا .

التقيته في صباح ذلك اليوم الذي سمعت فيه الخبر ، وسألته عن صحته فلم ينفه . . وأضاف :

- ولكن المدرس الجديد سيكون أفضل مني ، فلا تتعجل بالحكم عليه قبل أن تراه . قلت لأستاذي وصديقي :

- انني لا أطلق الأحكام ، ولكنني متضايق من سفرك . . من الذكريات التي سوف تنقطع ، حلم يومي يتحقق ، من أحاديث النفس المشوقة ، والدروس والعبر التي يشهدها الطريق .

قال بابتسامته المعهودة :

- لو لم أكن واثقا من المدرس الجديد لما تركتكم ، أنه تلميذ نجيب . درسته وعلمته كيف يحب الحياة والناس ويتعامل معهم بثقة وعنفوان ، انه شاب وطني متحمس ، ومثقف نادر الوجود كالمعدن الأصيل ، وفنان شاعر وأديب .

صدقي اسماعيل . . المدرس

ودخل علينا (الارسوزي) الصف الثاني بثانوية المعري في حلب ووراءه شاب في حوالي الثلاثين من عمره ، رقيق كنسمة ندية ، خجول لكنه مبتسم ، يضع على عينيه نظارة تظهر وراءها نظرة دقيقة ثاقبة ونفاذة . وقال لنا معلمنا :

- هذا مدرسكم الجديد . . الاستاذ صدقي اسماعيل ، سيكون خلفا لي ويعينكم في دروب العلم والحياة .

وضحك وهو يكمل :

- وسوف يذكركم بي دائما . !

وخرج (الارسوزي) تاركا وراءه الشاب

الخجول المبتسم كالنسمة الندية (صدقي اسماعيل) .

وصدق (الارسوزي) فقد كان الاستاذ الجديد خلفا طيبا للاستاذ القديم ، كان التشابه بينها شديدا للغاية ، فكأنها تخرجا من معهد واحد وتربيا على أصول واحدة ، أو كأن بيتا واحدا أخرجها للدنيا . .

فقد توضحت عندي معالم (صدقي اسماعيل) النفسية والعلمية والحياتية دون كثير عناء ، ونشأت بيني وبينه صداقة قوية وتعلمت منه الكثير : الانكباب على القراءة الخاصة في الآداب والعلوم الاجنبية ، والتشجع على الكتابة والتأليف ، والنشر في الصحف والمجلات ، على الرغم من صغرسني يومذاك وعدم تحصيلي من العلم إلا القليل ، لكن الثقافة الواسعة التي فتح نوافذها أمامي جعلتني أبصر ما لا أبصره بين دفتي الكتاب المدرسي وحده .

وباقترابي من (صدقي اسماعيل) الاستاذ والصديق ، تعرفت على (اسبينوزا ، وشوبنهاور ، وكانت ، وديكارت ، وديهامل) وغيرهم . . وتعرفت على آثارهم الفكرية واتجاهاتهم العلمية والفلسفية ، وجعلتهم يعيشون معي كأصدقاء لا كأصحاب مبادىء وأفكار واتجاهات . .

وبانتهاء المرحلة الثانوية تفرق شمل الأصدقاء والزملاء ، وانطلق كل واحد منهم يبحث في دنياه الجديدة ، وانقطعت الصلة بيني وبين (صدقي اسماعيل) ولكنني كنت أسمع صوته بين الحين والحين من خلال جريدته التي أسماها (الكلب) .

جريدة الكلب

وجريدة (الكلب) هي الجريدة الوحيدة التي كانت تصدر في سوريا بخط يد صاحبها (صدقي اسماعيل) .

انها جريدة شعرية تتناول كل قضايا الوطن وهموم المواطن ، تنتقد وتعلم وتثقف من خلال خط واضح وتحت شعار :

(جريدة نكتبها بالشعر
تصدر في الاسبوع أو في الشهر
تعالج الأمور باتزان
وتخدم الجميع بالمجان
نخطها في البيت أو في المقهى
في نسخة وحيدة فاقرأها
واحرص على اعدادها المخطوطة
فالشام لا تسوى بدون الغوطة)

وقد بدأت جريدة (الكلب) في الظهور منذ أوائل الخمسينيات وفي فترات غير منتظمة ، وكانت عبارة عن نسخة واحدة كان يكتبها (صدقي اسماعيل) بخط يده ويرسم عنوانها وينظم كل ما فيها شعرا ساخرا عميقا لاذعا ، يستعرض فيها كل ما يخطر على باله من شؤون وطنية وسياسية وشخصية وفنية .

ويتداول أصدقاء الشاعر النسخة المخطوطة في دمشق وحلب واللاذقية وباقي المدن السورية ، وتخرج أيضا الى بعض الدول العربية المجاورة .

ولم يكن لهذه الجريدة موعد للصدور ، فقد كان (صدقي اسماعيل) يبدأ في تحرير (الكلب) مع بداية كل أسبوع تقريبا ، يجلس في مقهى (الروضة) أو مقهى (الكمال) أو (الهافانا) الى نرجيلته ويشرع في تناول الأحداث والأوضاع العامة بسخريته الفريدة وتعليقاته المعروفة ، ترفده في كل ذلك ثقافة عميقة واسعة في شتى أنواع المعرفة .

وما أن ينتهي تحرير العدد حتى يبدأ في توزيعه ، يتناوله أول قارىء ثم يطبعه أو يصوره ، ويصير العدد أعدادا تنتشر وتتلقفها الأيدي بحماس منقطع النظير .

موضوعات الكلب

كانت موضوعات جريدة (الكلب) غير

محددة ، لكنها غالبا ما كانت تحمل قصيدة هي الافتتاحية ، وهذه الافتتاحية هي الحدث الأهم والراهن ، وغالبا ما تكون في السياسة العربية أو الدولية ، ثم هناك يوميات رئيس التحرير وهي عبارة عن تأملات فكرية وفلسفية للأحداث . ثم قصيدة الشؤون الداخلية ، ثم باب الاعلانات .

ففي المقال الافتتاحي للعدد (١٨) من السنة الأولى والمؤرخ في ٧/٣/١٩٥٧ يقول :

غموض الموقف السياسي

(الموقف الحالي من شهرين مرتبك مريض
لجج من الابهام مظلمة وليس بها وميض
قذفوا بها الجمهور والجمهور يؤذيه الغموض
طورا يقال له بأن الديك بعد غد يبيض
ويحقق الأقطاب وحدته ويبتدىء النهوض
ويقال طورا : ان أزمته ستنقذها القروض . . .)

وغالبا ما كان صدقي اسماعيل ينشر زواياه الغزلية بين الفينة والفينة ، وها هو ذا في أحد الأعداد يكتب تحت عنوان (قصيدة رمزية) :

يقول الرصيف : ألا يرتوي
من الذكريات ضوء القمر
وفي الليل نرجسة غضة
تتوجها همسات السحر
وطاف الخيال بأنفاسها
فسلمها قبلة ثم مر
فقالت له : هل تريد الجواب
فأعجبه قولها وانتظر

ربما كان (صدقي اسماعيل) يتلقى بين الحين والآخر سؤالا عن تسمية جريدته بالكلب وليس باسم سواه ، وكان يؤكد للسائلين بين عدد وعدد ، هدف جريدته فيقول :

(جريدة تصلح للصدور
بالشعر في مختلف الشهور
شعارها السامي وفاء الكلب
لا للعظام ، انما للصحب
للشعر . . بالقافية العريقة
رغم انقراض هذه الطريقة
شعر بلا وزن ولا قوافي
كمن يسير عاريا أو حافي

ويجيء الشاعر (سليمان العيسى) صديق صاحب (الكلب) في فترة من الفترات ويصدر في حلب جريدة يسميها (ابن الكلب) ، ولكن للأسف الشديد ضاعت معظم أعدادها ، كان شعارها :

خدمة للقارىء العربي
صدر « ابن الكلب » في حلب
ستراه في سياسته
كأبيه . . عالي الأدب

المبدع الساخر

كتب (صدقي اسماعيل) الشعر بنوعيه الساخر والجاد ، كما كتب المقالة الأدبية والدراسة والنقد والقصة القصيرة والرواية والمسرحية ، وليس مجال الحديث هنا عن ابداعه وتعدد مواهبه ، وتكفي الاشارة الى أن مؤلفاته الكاملة صدرت حديثا في عدة مجلدات .

واليوم ، وبعد أن ارتحل (صدقي اسماعيل) عن عالمنا منذ سنوات ، مخلفا وراءه أعمالا مشهودة ، ينادي الشاعر العربي (سليمان العيسى) صديق طفولته وزميل همه وصباه ، ينادي الأصدقاء بأن ينبشوا عن أعداد جريدة (الكلب) ليجمعها ويحققها ، وينشر أعدادها منقحة في كتاب ضخم في ستمائة صفحة ، تتيح للقارىء العربي التعرف على جريدة فريدة ، كانت تكتب بخط اليد شعرا في كل غرض وهدف ، تشير وتشهد لصاحبها بالعبقرية والنبوغ والفطنة والوطنية ، بالاضافة الى الوعي الهادف ولو عن طريق (الكلب) الجريدة النادرة في الوطن العربي شكلا وموضوعا . □□

تيتو
القصة من الداخل

عرض وتحليل :

نوح حزين

□ قصة الصداقة والزمالة التي تنقلب الى صراع مرير لايعرف الحدود .. حكاية تتكرر في كل زمان ومكان .. وحين يكتب الغريم كتابا عن الصديق الذي انقلب عليه .. فلا بد أن يخرج القارىء بجديد .. مهما كان هذا الجديد ..

يشكل ميلفان دجيلاس وجوزيب بروز تيتو ثنائيا شهيرا في عالم السياسة والأيديولوجيا ، وخاصة في الغرب ، وهما ثنائي يذكرنا بترسكي ولينن في مرحلة ،وترتسكي وستالين في مرحلة تالية . وقد يذكرنا - مع الفارق - بكاسترو وجيفارا وثنائيات سياسية أخرى ربط بينها أنها ترافقت زمنا غطى مرحلة تاريخية ، احتدم فيها النضال ضد عدو داخلي أو خارجي ، ثم افترقت وتناقضت ، فوصل الخلاف بينها حد السجن والاعتقال ، كما في حالة دجيلاس وتيتو ، وحد المطاردة حتى اللحظة الأخيرة كما في حالة تروتسكي وستالين .

وان شئنا الامساك بخيط يربط هذه الأمثلة فهو كون أحد الاثنين رجل سياسة وقوة يملك وضوح الهدف ، بينما الآخر مثقف آمن بالثورة وسار في طريقها ، لكن رؤيته الذاتية بقيت متقدة عصية على الانطواء تحت راية التنظيم ، والحزب ، والجيش الخ . هكذا كان تروتسكي ، خطيب الثورة البلشفية الروسية وأحد أبرز منظريها ، وهكذا هو ميلوفان دجيلاس ، الذي وضع هذا الكتاب عن رفيقه السابق ، حيث كان أحد اثنين هما أبرز منظري الحزب والدولة في يوغسلافيا ، وواحدا من أبرز المثقفين اليوغسلاف . كما كان المساعد الأيمن لتيتو ، حتى نشب الخلاف بين الاثنين في بداية عام ١٩٥٤ ، بعد سلسلة مقالات كتبها دجيلاس في صحيفة الحزب ، اعتبر تيتو أنها تتضمن أفكارا (ليبرافوضوية) . وأعقبها بعد ذلك كتاب (الطبقة الجديدة)الذي وضع فيه خلاصة ملاحظاته على مسيرة التجربة اليوغسلافية ، بعد الحرب العالمية الثانية بقيادة رفيقه القديم تيتو . وقد كان هذا الكتاب في تلك الفترة أحد الأسلحة الهامة التي استخدمت في الصراع الفكري ، الذي رافق الحرب الباردة بين الشرق والغرب في الخمسينيات . ومنذ ذلك التاريخ ودجيلاس يقوم بدور ممثل الغرب الليبرالي في يوغوسلافيا .

الغريم

ولايزال دجيلاس حتى الآن يعيش في يوغسلافيا التي لم يغادرها ، رغم الخلاف مع زعيمها الكبير طوال فترة ناهزت ربع القرن ، ورغم تعرضه مرات عديدة للاعتقال ثم السجن مدة تقارب تسع سنوات ، مما جعل وضعه وموقعه مختلفين عن غيره من المنشقين في يوغسلافيا أو البلدان الاشتراكية الأخرى .

وثمة أمر آخر يحسب لدجيلاس في هذا المجال ، فقد اختلف مع رأس النظام في يوغسلافيا ، وكان عندها في قمة السلطة ، اذ كان الساعد الأيمن لتيتو ، وأحد أهم الشخصيات القيادية في الحزب والدولة ، وواحدا من اثنين هما أهم منظري الحزب الحاكم هناك .

ومع ذلك يبقى كتاب دجلاس عن تيتو كتابا وضعه مؤلف عن غريمه ، وهو كتاب يرصد ثغرات ونواقص كثيرة في حياة تيتو ، أكثر من كتاب تقييم موضوعي ،لمسيرة واحد من أكثر زعماء العالم اثارة للجدل ، لكن أحدا لايجادل بأنه كان أحد أبرز زعماء العالم الذين ظهروا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية .

وربما كان أحد نقاط ضعف الكتاب كونه جاء سجلا لهذه الثغرات والأخطاء والنواقص ، بدل أن يكون سجلا لحياة عرفت النجاح كما عرفت الفشل ، وعرفت الهزيمة كما عرفت الانتصار ، أصابت في كثير من المواقف وأخطأت في مواقف غيرها .

تيتو والسياسة

بعد مدخل يغلب عليه طابع التأملات الفلسفية المصاغة بأسلوب أدبي رفيع ، حول كون الانسان مزيجا من العنصرين (الملائكي) و (الشيطاني) يطرح دجيلاس جوهر شخصية

تيتو ويصفه بأنه (شخصية سياسية) أساسا . وانها كانت « مثيرة لأنها كانت رمزا لتحرر وطني شيوعي ، وأكذوبة وطنية شيوعية » في الوقت نفسه ! فقد كانت لتيتو كما يقول موهبة واحدة هي السياسة . وهي خاصية شخصية لا تتحقق الا من خلال المجموعات الوطنية والاجتماعية العريضة . ومن خلال هـذا الفهم ينطلق المؤلف الى تفاصيل حياة تيتو والى أخطائه وانجازاته التي لاينسى أن يجرده من بعضها ، مما يوقعه في بعض التناقضات حينا ، واصدار الأحكام المتسرعة حينا آخر ، عندما يضطر الى ذكر بعض الانجازات التي تحققت على يديه والى بعض مظاهر العظمة في شخصيته وسلوكه .

يبدأ دجيلاس بذكر عيوب ونواقص و (عقد) تيتو الصغيرة ، فتيتو كان كما يقول ، ضحل الثقافة قليل التعليم ، وخطيبا غير موفق ، كما أنه لم يكن قارئا نهما ، وكانت معرفته بالماركسية لاتتعدى معرفة بعض الأعمال الرئيسية لماركس وانجلز ولينين وستالين .

ويتناول بعض عقد تيتو الخاصة ويرصدها بشيء من التفصيل ، فقد كان تيتو يعاني من عقدة بسبب قطع اصبعه الخنصر أثناء عمله كحداد في صغره ، لأن في هذا دليلا على مستواه العملي المتواضع ، ثم يتحدث باسهاب عن ضعف تيتو وولعه بمظاهر العظمة ، من حب للقصور والفخامة وولع بالتميز وعشق للتبجيل وللسيارات والنياشين والخيول والتحف وغير ذلك من مظاهر الأبهة والترف .

ويواصل دجيلاس ذكر بعض التفاصيل على هذا المستوى فيذكر أن دبوس حزام تيتو كان من الذهب ، وقلمه كان من الذهب ، وكرسيه على الدوام في منتصف الغرفة ، وكان يبدل ملابسه أربع مرات يوميا حسب المناسبة والأثر الذي يود أن يحدثه . وكان يصبغ شعره ، بل ان طريقة مصافحته تغيرت بعد عام ١٩٤٤ اذ كان يرخي يده على جانبه ليضطر من يصافحه للانحناء قليلا . ويشير الى ضعفه في الصياغة اللغوية ـ رغم مهارته في تعلم اللغات ـ ويذكر أنه كان أحد اثنين يصيغان لتيتو خطاباته . وتغطي أحداث تيتو الخاصة منذ مولده ، وحتى وفاته بالاضافة الى عيوبه ونواقصه والثغرات في شخصيته ، الفصول الأربعة الأولى من الكتاب .

القائد المتجدد

ثم يستعرض دجيلاس دور تيتو في معارك التحرير التي قاد فيها شعبه ضد الاحتلال النازي لبلاده ، وحتى هنا لا ينسى أن يجرده من فضل الانتصار في بعض معاركه الشهيرة ، ويخرج باستنتاجه الخاص بأن تيتو كان « سياسيا » وانه لم يكن قائدا عسكريا ، بل كانت له شخصية القائد السياسي في زمن الحرب ، ويذكر أنه كان يتجاوز أخطاءه سريعا ، وكأن فيه قوة متجددة لا تقهر . فقد كان نشاط تيتو السياسي يحكم كل

تصرفاته ، وكانت له روحه القيادية وقوته الجسدية التي يؤثر بها على معنويات جيشه ، كما كان جادا ومسؤولا وواثقا من نفسه .

ولا تأتي أهمية الفصول الخمسة الأولى من هذا الحشد الكبير من العيوب والنواقص ، بل من خلال رصد المؤلف لبعض المزايا الصغيرة التي ستلعب دورا كبيرا في مسيرته اللاحقة ، فنجد أن اعتداده بنفسه وثقته بها أعانته على مواجهة ستالين بصلابة فيما بعد ، حين نشب الخلاف بينهما . فرغم كل ملابسات تلك المواجهة كان تيتو قد « وجد نفسه في الشيوعية ووجدت الشيوعية فيه بطلا ناجحا ومتميزا »ولذا فانه رغم مرارة المواجهة لم يلتجيء الى الغرب لطلب المساعدة كما كان متوقعا ، وكما كان دجيلاس يأمل ، ويذكر دجيلاس هنا أن « تيتو كان يبدو مهزوزا بفعل المواجهة مع موسكو » الا أنه يعود ليقول انه « أظهر الكثير من الشجاعة والصبر حيث وضع مصيره الشخصي ورسالته التاريخية في عملية الصراع » .

ومن جهة أخرى نلاحظ أن (احساس تيتو العميق بالخطر) قد وصل فيما بعد مرحلة الثقة المطلقة بالنفس وبالقدرة على الصمود . وتعزز هذا الشعور بعد تحسن علاقات يوغسلافيا بالاتحاد السوفيتي ، عقب وفاة ستالين وقدوم خرتشوف . فأصبح زعيما بلا منازع « ودمج الأيديولوجيا بشخصيته دون أن يتواضع مثل ستالين أو ماو . وأصبحت روعة السلطة تعوضه عن النقص الأيديولوجي والضعف الثقافي » ومن هذه النقطة ينطلق دجيلاس لتفسير ولع تيتو بالفخامة والمظاهر ، فيجد فيها نفس مصدر الرغبة في القوة المطلقة ، ويعود ليفرد لحبه للمظاهر - وولعه بالفخامة وامتلاك التحف والقصور ، الذي أخذ شكلا مبالغا فيه فيما بعد - فصلا كاملا شبهه فيه بملك يوغسلافيا . لكنه يستدرك قائلا : ان الملك ليحسد تيتو على ما هو فيه من سلطة مطلقة ! .

الخلافات

ويفرد المؤلف فصلا كاملا عن زوجات تيتو الأربع وعلاقاته النسائية الأخرى . ويذكر أن واحدة من هذه الزوجات لم تمارس تأثيرا يذكر عليه . ويسرد قصص زواجه بالتفصيل قبل الانتقال الى فصول الكتاب الأخيرة ، التي يفردها لمناقشة ظروف المواجهة بين تيتو وستالين ، ثم خلافه مع تيتو ، في قمة السلطة ، وهذا أهم ما جاء في الكتاب . ورغم أن دجيلاس لايذكر السبب الجوهري للمواجهة بين الزعيمين الشيوعيين ، ولا للخلاف بينه وبين تيتو ، الا أننا ندرك أنهما - على الأقل بالنسبة للدجيلاس - قضيتان مترابطتان تصب احداهما في الأخرى . ولا يفوت دجيلاس في هذا المقام أن يعود الى أيام الخلاف ، ليدخل في سجال فكري حينا ،وفي نوع من تصفية الحسابات حينا آخر مع رفيقه القديم . فبالرغم من انقضاء ما يزيد على الثلاثين عاما على خروج دجيلاس على تيتو والتيتوية ، يبدو أنه لايزال يعيش أجواء تلك الفترة بتفاصيلها التي تبدو طازجة في ذهنه حتى الآن وربما كان أحد الأسباب التي جعلت هذا الكتاب يأتي خلوا من المصادر والمراجع ، عدا ثبت باسماء الاعلام الذين ورد ذكرهم في الكتاب . كما جاء الكتاب خلوا من أي وثائق تثبت أي حدث . وبدلا من ذلك اعتمد المؤلف على النقاشات الخاصة ، والمجادلات النظرية التي تشكل وجهة نظر شخصية تقبل المزيد من التمحيص والنقاش ، بدل أن تكون ثابتة دامغة .

يقول دجيلاس : ان الوحدة الفكرية للحزب كانت هاجسا لدى تيتو منذ نهاية العشرينات : ولكن دخوله السجن عام ١٩٢٩ حال دون تنفيذ هذه الفكرة . وحين بدأها في منتصف الثلاثينات كان هناك جيل جديد من الشيوعيين من بينهم ميلوفان دجيلاس نفسه قد

بدأ يتشكل . وبالنسبة لهذا الجيل يقول دجيلاس (كانت اللينينية والستالينية والكومنترن حقائق مفروغا منها) وبالنسبة لتيتو (ظل فكر وأيديولوجيا ماركس ولينن أمرا ثابتا ومقدسا) و (هو لم يعتنق هذه الحقائق فقط بل استوعبها بوعي ، باعتبارها شرطا وأداة يرتبط بها صعوده الشخصي) .

(ولم تكن كلمات مثل الطبقة العاملة والشعب والعمال بالنسبة له كيانات مفردة بل كانت غير قابلة للتقسيم . وبسبب هذا كله (جاء الخلاف مع ستالين ضربة نفسية وفكرية لتيتو) كما يقول دجيلاس . وهذا ما يفسر مقابلة تيتو للمساعدات الغربية وخاصة الأمريكية التي تدفقت على يوغسلافيا في تلك الفترة بشعور من عدم الارتياح ، ثم ما لبث بعد وفاة ستالين أن سارع الى رفض هذه المساعدات من جانبه قائلا أن ذلك لم يكن عمليا . ويخلص دجيلاس الى القول بأن ماركسية يوغسلافيا لا تختلف عن ماركسية أي دولة شيوعية أخرى ، وأن يوغسلافيا من أكثر البلدان الاشتراكية شبها بالاتحاد السوفيتي ، بل يحاول ايجاد شبه بين تيتو وستالين بقوله : ان كليهما كانت له موهبة واحدة فقط هي السياسة . ويضيف دجيلاس ان تيتو (ظل طوال فترة الخلاف مع ستالين يعتبر أي تشكيك في اشتراكية الاتحاد السوفيتي اساءة شخصية له . كان يبدو لي أحيانا أشبه براهب برتبة عالية شعر بمرارة الهرطقة) .

ويفصح دجيلاس عن شعور ليبرالي وانساني حقيقي حين يفرد صفحات طويلة يصف فيها عنف المواجهة مع أنصار الاتحاد السوفيتي في الحزب الشيوعي اليوغسلافي . ويتحدث عن عمليات تصفية وقمع وغسل دماغ مورست ضدهم في معتقل وضعوا فيه يدعى معسكر غوربي أتوك . ورغم أنه لم يكن متورطا مباشرة في تنظيم وادارة المعسكر - كما يقول - الا انه يسجل نوعا من النقد الذاتي بقوله (أعتقد أن نشاطي الأيديولوجي وعنف هجومي على الستالينية والنظام السوفيتي قد أسهم في عذاب نزلاء المعسكر) . ويخلص الى القول : ان بناء المعسكر المذكور (كان شرا لا مثيل له وعارا بلا حدود)

التعلم

ويربط دجيلاس بين خلاف تيتو مع ستالين وخلافه هو مع تيتو في جملة بالغة الدلالة : (لقد تعلم تيتو من خلافه معي أكثر مما تعلم من خلافه مع الاتحاد السوفيتي أن الخطر يكمن في القمة . فعندما يبدأ الخلاف هناك فانه ينتقل بسهولة الى الصفوف المتوسطة والقاعدة) لذا قوى تيتو من علاقاته بالصفوف الوسطى في الحزب حيث رأى فيهم الحلقة الأكثر ثباتا في سلسلة السلطة) .

ورغم أن دجيلاس لايذكر هنا أيضا سببا مباشرا للخلاف بينه وبين تيتو ، الا أن القارىء يعرف أن ذلك كان بسبب مقالاته التي دأب على نشرها في صحيفة الحزب (بوربا) . ويدرك القارىء أن ما كان يكتب فيها كان يعكس آراء دجيلاس الشخصية التي اتخذت منحى آخر منذ نشب الخلاف بين تيتو وستالين عام ١٩٤٨ ،

أكثر مما يعكس وجهة نظر حزبه . فقد كان دجيلاس وادفارد كارديلي - وهما منظرا الحزب الرئيسيان في تلك الفترة يريان اعطاء الخلاف بعدا نظريا وأيديولوجيا . لكن تيتو كان يحاول باستمرار حصر أسباب الخلاف ومظاهره قدر الامكان . وكانت النتيجة غريبة حقا . فقد تحسنت علاقات تيتو بقادة الاتحاد السوفييتي الجدد بعد وفاة ستالين (وعاد النظام اليوغسلافي الى نظريته الماركسية التي تختلف عن ماركسية أي بلد شيوعي آخر . لكنها جاءت هنا خليطا من لينينية تيتو البراغماتية وخلطة كارديلي الاشتراكية الديمقراطية ، وفكرة احتكار الحزب اللينيني للسلطة) كما يقول دجيلاس . وعاد كارديلي منظرا للحزب والرجل الثاني بعد تيتو حتى وفاته عام ١٩٧٩ أما ميلوفان دجيلاس فقد تحول مع مرور الزمن ، الى عدو لدود للنظام ولزعيمه السابق ورفيقه القديم ، معتنقا الفكر الليبرالي الغربي مهاجما مجمل التجربة اليوغسلافية والمسيرة التيتوية برمتها . ويخرج دجيلاس من الحزب والسلطة ليؤرخ للمسيرة التي ساهم في صنعها ثم تحول الى أهم وأخطر منتقديها .

التسيير الذاتي

ولا ينسى دجيلاس من خلال تقييمه لتيتو في تلك المرحلة ، أن يجرده من بعض أهم انجازاته . فينسب الى نفسه فكرة (التسيير الذاتي) وهو الاسم الذي اشتهرت به التجربة اليوغسلافية في التطبيق الاشتراكي . ويقول ان تيتو عارض هذا الاسم في البداية . كما ينسب لنفسه اقتراح تغيير اسم الحزب الشيوعي اليوغسلافي الى رابطة الشيوعيين اليوغسلاف ، ثم يجرده من فكرة عدم الانحياز التي ارتبط بها اسمه أكثر من أي شيء ويردها الى (جذور أجنبية)ويبقي له على تعبير وحيد ويقول إن تيتو ابتكره ، هو شعار الاخاء والوحدة الذي يعود الى أيام الكفاح ضد الاحتلال النازي فمعركة دجيلاس مع تيتو - رغم وفاة الأخير - لا تزال محتدمة .

ولكن وربما دون أن يدري، يلقى دجيلاس من خلال تجربته مع تيتو ضوءا على العلاقة التي لم تستقر أبدا بين المثقف والقائد السياسي . فبالرغم من كل شيء كان دجيلاس ولا يزال واحدا من أهم المثقفين اليوغسلاف .

يذكر دجيلاس أن الأمور (بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية بسنتين أو ثلاث بدت خاوية بلا مجد ، ورأيت نفسي بفعل النصر أتحول من كاتب وثوري الى اداة دعاية لملك مطلق أكثر مما كان الملك الكسندر . وناطق باسم نظام اجتماعي فاشل وغير عادل) . ويضيف دجيلاس بأنه صارح تيتو برغبته في العودة الى الأدب والكتابة وانهما اتفقا على ذلك ، ولكن جاءت المواجهة مع ستالين لتغير كل شيء وتضع نهاية أخرى لعلاقتهما .

تلك هي الحقيقة اذن، لم يستطع المثقف مجاراة القائد السياسي والاستمرار معه الى نهاية الطريق ، فقد فاجأته السنوات المضطربة التي أعقبت الانتصار حيث بدأت معارك المواجهة الدموية بين الشيوعيين وبين الانصار الموالين للغرب ، وبينهم وبين الفئات المعارضة للنظام الجديد . ثم بينهم وبين أنصار الاتحاد السوفييتي الذين (عاملناهم كما كنا نعامل أعداء ستالين) في السابق . فتسببت كل هذه الامور - التي بدت لدجيلاس غير مبررة - في نوع من أزمة الضمير لمثقف الثورة ومنظرها . وكانت تلك هي البداية .

المثقف والسياسي والرجل المختلف

أما الفصل الأخير في العلاقات بين المثقف والقائد ، فقد كتب في بداية عام ١٩٥٤ ولا شك أن الفصل الذي خصصه المؤلف لشرح أوجه الخلاف بينه وبين تيتو هو أقوى فصول

الكتاب ، ليس من حيث الأفكار والتأملات الثاقبة التي يطرحها فحسب ، فهذه موجودة في معظم أجزاء الكتاب الأخرى . بل في اسلوب الكتاب الذي كان يرتفع أحيانا الى مستوى الأدب الخالص . والى جانب ذلك جاء هذا الفصل مزيجا من المرارة والألم ومحاولات لاتكل لاثبات أنه كان على حق في موقفه في الخلاف مع تيتو ، مع بعض الاعترافات وجوانب من النقد الذاتي وصفها المؤلف كما قال له تيتو : (انك رجل مختلف) ، فبقيت هذه الجملة تتردد في داخله طوال الأعوام الثلاثين الماضية لكنه لم يحاول نقضها . بل دون أن يدري ، يبدأ في سرد حيثيات الخلاف وكأنه يريد اثبات ما قاله تيتو له في ذلك اليوم من يناير عام ١٩٥٤ . فكل ما ذكره دجيلاس من أسباب الخلاف يدل على أنه كان رجلا مختلفا حقا . ورغم تأكيده على أنه (ليس مدينا لتيتو بشيء) الا أنه يعود ليقول (لقد ارتبطت حياتي دائما بتيتو وكانت شخصية تيتو هي العنصر الأقوى دائما . ان علاقتي بتيتو لم تنته) وما هذا الكتاب سوى استمرار من نوع اخر هذه العلاقة .

يناقش المؤلف نظرة تيتو للمثقفين ، فيصفها بأنها كانت مقبولة لديه (طالما ظلوا مستسلمين للطبقة الوسطى ، لكنه ، مثل الطبقة الوسطى يظل بشك بهؤلاء المثقفين وخاصة من يفكرون ويتفحصون ويفلسفون الأمور) وفي ضوء هذه الأفكار يعود دجيلاس لتلخيص (مسألته) بالقول (لقد كنت مسكونا بأفكار محددة وحقائق محددة ، وحتى لو أردت لما استطعت تجنبها دون دمار داخلي) و (كان ينقصني الحس السياسي) و (لم تكن أفكاري أصيلة حتى بالنسبة ليوغسلافيا) وأخيرا (لم أستطع اللجوء الى التكتيكات السرية أو استغلال سلطتي مع أنني تعرضت لاغراء كل منها) فيرسم صورة صادقة لعلاقة المثقف بالقائد والسلطة ودور كل منهما .

ولا شك أن تأملات دجيلاس هذه تعبير عن رؤية مثقف مأزوم في خضم عملية تحول خطيرة . وهي تختلف عن رؤية قائد كان (كائنا سياسيا) مثل تيتو كما يقول دجيلاس نفسه .

أكل الأبناء

ويختم دجيلاس كتابه برؤية عدمية مريرة (فالثورة التي لاتأكل أبناءها ليست ثورة حقيقية) . يقول دجيلاس ذلك وكأنما يعلن أنه الابن اليتيم للثورة التي شارك في صنعها ببسالة وشجاعة .

ان موضوع كتاب دجيلاس ليس جديدا على القارىء ، فهو يذكرنا بالكثير من الكتب التي ألفها ثوريون انفصلوا عن أصدقاء لهم ، وربما نذكر كتبا مثل (حياتي) لتروتسكي الذي روى فيه تجربته الخاصة وصراعه مع ستالين ، وكتاب (ستالين) الذي ألفه الكاتب التروتسكي الشهير اسحق دويتشر عن خصمه اللدود . بل ربما نذكر كتاب (خريف الغضب) الذي ألفه محمد حسنين هيكل عن الرئيس المصري الراحل أنور السادات . وان كان على كتاب دجيلاس من مأخذ فتركيزه على أحداث وأمور بدت في كثير من الأحيان ، هامشية في حياة تيتو ، مقارنة بمسيرته وعدم ربطها بالانجازات الرئيسية له كما فعل الكتاب الآخرون . وان كان لكتابه من ميزة فهي تلك اللغة الأدبية الراقية التي لم تخفت طوال صفحات الكتاب . □□

عودة الغريب

شعر : عبد الهادي كامل

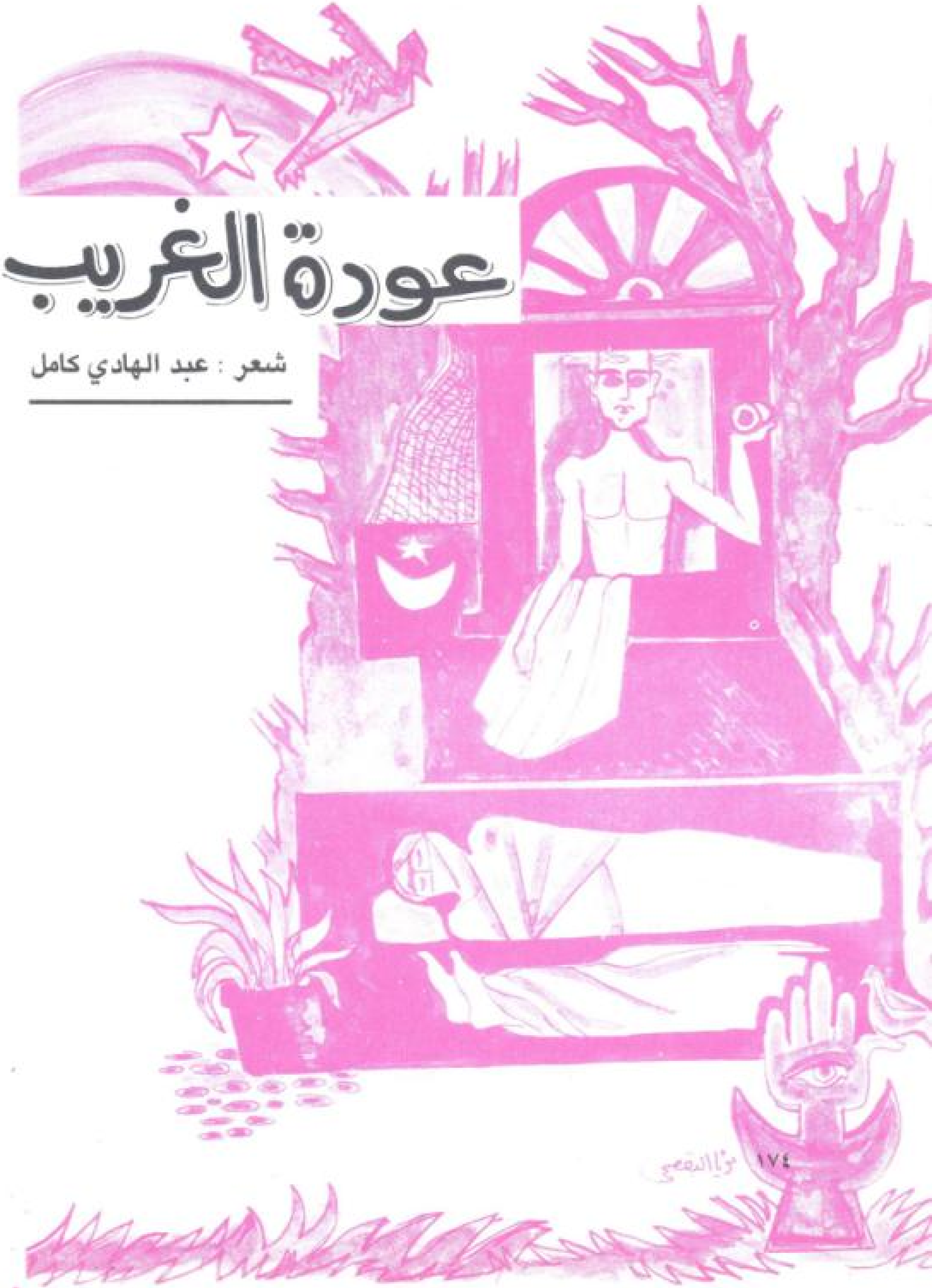

بلادي اي جرح لا يغني   بروحي والهوى يدنيك مني ؟؟
لقيتك بعد أن عز التلاقي   وكاد يخيب في لقياك ظني
رجعت اليك من كهف الليالي   ألست اليوم بالرجل المسنّ
كأني كنت في الأجداث ميتاً   فعاد لهذه الدنيا - كأني
كأهل الكهف قد ماتوا وعادوا   الى الدنيا ، فشأن القوم شأني

●●●

اتيتك والاماني في ركابي   تغني فرحتي وأنا أغني
يواكبني اليك خيال فكري   ويسبقني اليك حديث اذني
لالقى فيك ماضي ذكريات   يعيش بمهجتي أبداً وذهني
ترف طيوفها أبداً بدربي   واسمع همسها في كل ركن
ولم يبرح صداها ملء سمعي   وصورتها الجميلة ملء جفني
وابحث في شعابك عن شباب   هنا ، قد كنت منه وكان مني
لقد خلفته بالأمس غصناً   طريّ العود كالروض الأغن
فلصّته يد الأيام مني   وحالت بينه الدنيا وبيني

●●●

فيا يوم اللقاء جزاك ربي   بأكرم ما يجازى الخير ، عني
أعدت الى الحياة شباب روحي   وقد اربت على السبعين سني
وما احلى شباب الروح يجري   بروح الكهل والرجل المسن

●●●

اراني أسعد الأحياء طرا   لأني اليوم في وطني - لأني
فاني ابصر الدنيا بعيني   ظلال الخلد أو جنات عدن

●●●

يقول الناس « ليتك لم تفارق »   و « ليتك لم تفارق » ليس يغني
وقد تم الفراق فأي نفع   من العتب المبرح والتجني
فليست أعين العذال عيني   ولا آذانهم في اللوم أذني

●●●

فيا قلباً يرف وراء صدري   لقد ضيعت عمرك بالتمني
لكم رددت « ليت » و « ليت أني »   فما اغنتك « ليت وليت أني »
فدعك من التمني والتظني   فقد تشقيك أحلام التظني
فعش في نعمة اللقيا سعيداً   هنا في عشك الماضي وغن

من مكتبة العربي

مصر والصراع العربي - الاسرائيلي
من الصراع المحتوم .. الى التسوية المستحيلة

الكاتب : د . حسن نافعة .
الناشر : مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت .
سنة النشر : ١٩٨٤ .

ان هذا البحث يوصل للدوافع المصرية وراء المشاركة في الصراع العربي الاسرائيلي ، ويتتبع القضايا التي شملها هذا الصراع منذ منتصف الثلاثينيات حتى الآن ، ويوضح كيف أن هذه المشاركة المصرية لم تكن مدفوعة بمشاعر التضامن العربي الاسلامي فقط ، ولكنها كانت مدفوعة أساسا بمخاوف مصرية على أمن مصر القومي ، ولاسباب تتعلق بالحرص على الاستقلال والتنمية المستقلة ، كما يتتبع عملية التسوية ، ويوضح لماذا رفضت مصر في الماضي تسوية منفردة مع (اسرائيل) وحرصت على ابراز قومية الصراع سلما أو حربا ، ثم ما هي الأسباب التي دفعت مصر في الحقبة الساداتية الى البحث عن تسوية منفردة ، كما ويناقش شروط هذه التسوية المنفردة وتأثيرها على قضايا العمل الوطني ، وارتباطات مصر الاقليمية والعالمية .

ويتتبع تطور مواقف القوى الوطنية من التسوية والاسباب والدوافع التي حدت بهذه القوى الى رفض هذه التسوية .

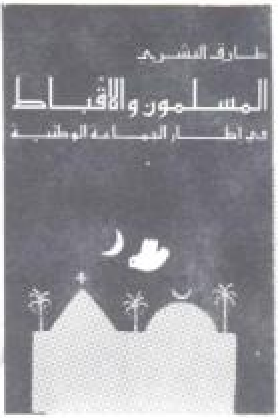

المسلمون والأقباط في اطار الجماعة الوطنية

الكاتب : طارق البشري
الناشر : دار الوحدة - بيروت
سنة النشر : ١٩٨٢

هذا سفر تاريخي كبير يتناول وضع المسلمين والأقباط في اطار الجماعة الوطنية عبر حقبة زمنية ، تمتد منذ قيام دولة محمد علي سنة ١٨٠٥م الى أيامنا الحاضرة .

يتابع فيه الكاتب التفصيلات المتعلقة بنمو المفهوم السياسي للجامعة السياسية منذ القرن التاسع عشر ، متمثلا في حركة الاستقلال السياسي عن السلطنة العثمانية ، وفي حركة التميز القومي عنها .

يقول الكاتب :

(ان ثمة تلازما تاريخيا بين بداية تكوين الجامعة الوطنية المصرية في العصر الحديث ، وبين بناء الدولة الحديثة في عهد محمد علي) .

وذكر الكاتب أيضا :

(شغلني موضوع هذه الدراسة في أعقاب عدوان ١٩٦٧ . وبدا مع الوقت أن الهزيمة يمكن أن تترك ظلالها على قوة التماسك في المجتمع المصري وأن تفت من صلابته) لذلك فانه لجأ الى استعراض بعض أحداث التاريخ وامتحن المواقف من خلالها .

أدب البحر

الكاتب : أحمد محمد عطية
الناشر : دار المعارف - القاهرة
سنة النشر : ١٩٨١

أدب البحر كما عرّفه الكاتب ، هو الذي يستهدف التعبير عن عالم البحر . والذي يكون البحر موضوعه الرئيسي المؤثر في الأحداث والشخصيات ، وفي الرؤية الكلية للعمل الأدبي ، وهو أدب هام يشكل جزءاً أساسياً من تراث البشرية وحضارتها . فيضم أدب البحر الاسطورة والملحمة والشعر والحكاية الشعبية وأدب الرحلات البحرية والقصة والرواية ، ويجمع في نماذجه بين الشخصيات الاسطورية والشخصيات الواقعية ، وبين الرؤية الرومانسية للطبيعة كمجال للهروب والاستسلام ، وبين الشخصيات البطولية التي هي جماع لكل عناصر القوة والذكاء والمغامرة في صراعها مع قوى البحر .

وأدب البحر موضوع خصب يتصل بالحضارة الانسانية بوجه عام ، وبالحضارة العربية على وجه الخصوص ، فللعرب اسهامات هامة في عالم البحر وفي أدب البحر لا تنفصل عن دور الحضارة العربية المؤثر في الحضارة الانسانية .

وحول هذا النوع من الأدب فان فصول الكتاب تتلاحق لتربط بين أدب البحر في الشعر الجاهلي وصولا الى الرواية العربية والبحر .

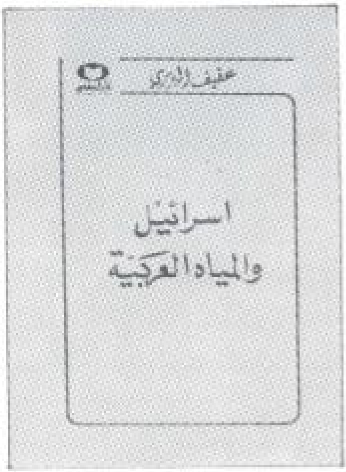

(اسرائيل) والمياه العربية

الكاتب : عفيف البزري
الناشر : دار الحقائق - بيروت
سنة النشر : ١٩٨٤

ألقى بن غوريون رئيس الوزراء الاسرائيلي الأسبق خطاباً سنة ١٩٥٥ ، جاء فيه (أن اليهود يخوضون اليوم مع العرب معركة المياه ، وعلى مصير هذه المعركة يتوقف مصير (اسرائيل) ، واذا لم تنجح في هذه المعركة فاننا لن نكون في فلسطين) .

لذلك علينا أن نضع في تفكيرنا بأن مجمل الحروب التي أشعلها الكيان الصهيوني في المنطقة كان من ضمن أهدافها السيطرة على مصادر المياه العربية .

وقد تتبع المؤلف تاريخ الأطماع الصهيونية ، والخطط التي وضعتها منذ بداية هذا القرن لتحقيق ذلك .

وتتبع التفصيلات الخاصة بمشروع جونستون الذي طرح سنة ١٩٥٤ والمواجهات التي حصلت أثره ، ثم تتبع ما طرح أثر ذلك من مشاريع وصراعات حول نهر الاردن واليرموك والليطاني .

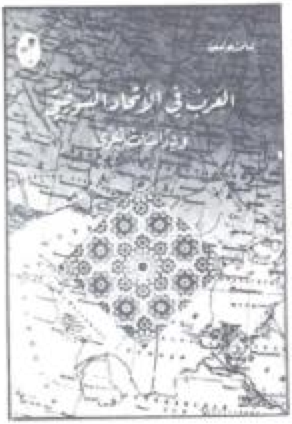

العــرب في الاتحــاد الســوفيتي ودراسات أخرى

الكاتب : نجدة فتحي صفوة
الناشر : مكتبة آفاق عربية ـ بغداد
سنة النشر : ١٩٨٤

هل يوجد عرب ضمن الأقليات القومية العديدة الموجودة في الاتحاد السوفيتي ؟

يجيب المؤلف بأنه توجد فعلا أقلية قومية عربية (قوامها بضعة آلاف شخص ، تعيش منذ عدة قرون في جمهورياته الجنوبية ، وأنها ما تزال محتفظة بلغتها ومعظم تقاليدها العربية ، وتتكلم بلهجات عربية تختلف فيما بينها ، ولكنها بصورة عامة أقرب الى اللهجة العراقية) .

هذا وقد تضمن الكتاب فصولاً أخرى عن دولة الخزر ، ورحلة ابن فضلان ، ورحلة البطريرك العربي مكاريوس الانطاكي ، وهو البطريرك العربي الذي رحل الى موسكو في القرن السابع عشر مرتين .

كما تحدث الكتاب أيضا عن الأدب العربي الحديث في الاستشراق الروسي ، والحرب الروسية اليابانية وصداها في الأدب العربي وغيرها من فصول .

حي بن يقظان وروبنسون كروزو

الكاتب : حسن محمود عباس
الناشر : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت
سنة النشر : ١٩٨٣

هل هناك صلة بين قصة (حي بن يقظان لابن طفيل) ورواية (روبنسون كروزو) لدانيال ديفو ؟

لا يمكن أن نصل الى جواب واضح الا اذا اتبعنا الدراسة المقارنة .

وهذا فعلا ما اتبعه المؤلف .

فما الذي توصل اليه ؟

بعد أن درس القصة والرواية كلا على حدة ، وبعد أن عقد مقارنة بينهما فانه توصل الى التالي :

(ذهبت هذه الدراسة الى القول بتأثر دانيال ديفو بقصة (حي بن يقظان) التي ترجمت الى اللغة اللاتينية مرة ، والى اللغة الانجليزية ثلاث مرات ، ولم تكن سوق الكتب لتخلو منها ، وذلك كله كان خلال حياة ديفو) .

حوار القراء

إعداد : يوسف شهاب

البربر .. عرب قحطانيون

اشارة الى ما نشرتموه في العدد ٣٠٨ يوليو (تموز) ١٩٨٤ من مجلتكم القراءبتوقيع موسى بو طالبي - جمافره - الجزائر : فانني أسأل السيد بوطالبي هل أن الهدف من كلمته الحرص على الاسلام أم الدفاع عن (البربر) ؟ فاذا كان الهدف الدفاع عن الاسلام فان الاسلام لايتعارض مع القومية العربية كما يظن ، بل العكس هو الصحيح فان العرب هم مادة الاسلام ، وهم حماته منذ عصر النبوة وهم عماده والذين رفعوا رايته . فهل نفهم من كلمته هذه أنه يجب أن لايكون للعرب قومية تشملهم ولا دولة موحدة تجمعهم ؟ وهل يجب أن يتمزقوا باسم الاسلام دون سائر القوميات ؟ أم انها دعوة الى أممية اسلامية فلا قوميات ولا أقطار ولا دول ذات حدود ؟

أما اذا كان الهدف هو الدفاع عن البربر فهو تناقض يقع فيه الأخ أبو طالبي لان قوله هذا هو دعوة (قومية) ولكنها دعوة انفصالية وليست موحدة ، وهدفها التخاذل وبث روح الانقسام والتفرقة بين صفوف الأمة الواحدة ، وهي لا تخلو من التهديم والتحرك الاستعماري .

وأود بهذه المناسبة أن أطمئن الأخ بو طالبي الى حقيقتين اثنتين ، أولهما : أن من يدعو الى القومية العربية لايفرق بين عربي مشرقي وعربي مغربي ، ولا يخطر بباله كلمة (بربر) بل يعتبر الشعبين شعبا واحدا ، يمتد من المحيط الى الخليج ويعتز بكل فرد من هذا الشعب . والبربر منهم بالذات الذين أنجبوا أحد أبطال العروبة الخالدين وهو طارق بن زياد الذي نضعه في مصاف أبطالنا الاسطوريين مثل سعد بن أبي وقاص وخالد بن الوليد ، وانجبوا غيره من الأبطال الذين دافعوا عن العروبة دفاع المستميت عبر التاريخ ، في الاندلس وغيرها . والحقيقة الثانية : بحث قام به أحد المستشرقين المنصفين يقول فيه أن أصل البربر من العرب القحطانيين اليمنيين ، الذين هاجروا من اليمن عن طريق الحبشة الى شمال أفريقية واستقروا فيها . ودليله على ذلك السحنة ، ولون البشرة الترابي ، وشكل الرأس ، وكذلك بقايا كلمات عربية في اللهجة البربرية مثل (ماؤن) بمعنى ماء . و (أنفه) بمعنى قمة أو ربوة عالية .

وأختم كلمتي هذه بأن القومية العربية لاتخيف أحدا من المخلصين لبلادهم ، لأنها دعوة أخوة ومحبة وتعاون بين شعب واحد يجمعه الماضي العريق واللغة الواحدة والامجاد الأثيلة ، والآمال والآلام المشتركة ، ولكنها تخيف الذين في قلوبهم مرض ، الذين يريدون أن يهدموا كيانا عريقا ليقيموا بدله كيانات هزيلة متناحرة .

ان القومية العربية هي شعور وايمان بالانتساب الى هذه الأمة الكريمة ، التي انجبت محمدا والعباقرة من القادة والعلماء الذين دوخوا العالم بحضارتهم . فاذا آمنت بانتسابك الى هذه الأمة وتكلمت بلغتها فانت عربي حتى لو كنت عبدا حبشيا .

عادل محمد الصديقي
بغداد - الجمهورية العراقية .

حوار القراء

البدو .. عادات وتقاليد

تحية من أحد قراء مجلتكم الموقرة ، المنتشرة في أنحاء العالم العربي ، ولا ننكر أنه يوجد هناك أشخاص مخلصة بالمجلة الموقرة ، كل الاخلاص ، ويعملون خير عمل لنجاح هذه المجلة ، وهي بالطبع ناجحة والحمد لله ، وجميع البدو في مصرنا الغالية ، وفي قلعة الصناعة من هنا في حلوان ، جميع البدو يقرأون كل المواضيع والمقالات ، وكل كلمة في مجلتكم الموقرة والمحبوبة لدينا .

ولهذا كله أحب أن أوضح لسيادتكم ، وأن أقول وبكل صدق أن في العدد رقم ٣٠٦ كان هناك موضوع هز مشاعر البدو جميعا عندنا ، وهو موضوع بعنوان « من سجلات المحاكم » للكاتب المحترم (علي منصور المحامي) ويدور هذا الموضوع ، حول بنت بدوية أحبت أحد الفلاحين ، وأن شيخ القبيلة خاف من أحد الفلاحين ، وأراد زواج هذه البنت من أحد أبناء البدو ، وفي يوم من الأيام وجدوه مقتولا وخافوا أكثر ، وأرادوا أن يقتلوا البنت ، فاتفقت أم البنت هي وخالتها على تنفيذ حكم الاعدام في البنت ، ولكن خالتها كانت متفقة مع الفلاح على خطف البدوية والهروب بها . وهذا (غير ممكن) لأن الخالة تعرف جيدا بأن الفلاح محرم عليها شرعا ، وعندنا في البدو والاحرار مثل يقول : « يأكلها التمساح ولا يأخذها الفلاح » ، وأنا أسأل الأخ الكاتب أن يقول لنا اذا كان هذا الموضوع من سجلات المحاكم ، فيعرفني في أي بلد من الدول العربية حصل هذا الموضوع ، وفي أي زمن وفي أي محكمة وفي أي قبيلة ؟ هل هي من قبيلة أم من الغجر ؟ والأخ الكاتب هل يعرف البدو وعاداتهم ، وهل يعرف أيضا أن كل قبيلة لها عادات وتقاليد ؟ وكل قبيلة لها دستور مثل دستور أي دولة في العالم ؟ ويعلم الأخ الكاتب أنه في أي قبيلة (لا يمكن ان) تزوج ابنتها في قبيلة أخرى .

أرجو من الأخ الكاتب أن يجلس مع البدو في الدول العربية ، وكل جلسة ليعرف منهم العادات والتقاليد ، وهل يعلم الأخ الكاتب أن في الموضوع اهانة في حق البدو ، بل وأخطر من ضرب النار ؟ وعلى (العموم) كل المطلوب من كاتبنا المحترم أن يحول مقالته من سجلات المحاكم الى نسيج الخيال ، أو يعرفنا في أي دولة حصل هذا الموضوع وله خالص الشكر والتحية .

رشيد حمد خضر المعازي ـ حلوان
جمهورية مصر العربية

أتاتورك

قرأت في مجلتكم القراء في العدد ٣٠٨ تموز ١٩٨٤ في الصفحة ١٨٨ تحت باب حوار القراء بعنوان « أتاتورك .. زعيم تركيا » ما فيه اشادة بدور هذا الزعيم واخلاصه ، متوخيا كاتب هذه السطور تعميم الفائدة لكل من يجهل حياة هذا الزعيم . ومن نفس هذا المنطق أعلق على الدور الذي قام به هذا الزعيم التركي حيث أنه ليس من الانصاف أن يشاد بدوره في الاجهاز على الدولة العثمانية ، وانهاء الخلافة وتأسيس الجمهورية التركية . وهذه للحقيقة ، سيئات وليست حسنات حيث لايخفى عليكم توابع هذه العملية ، وهي تحريم استعمال اللغة العربية بين الشعب التركي المسلم ، وتحويل الكتابة باللغة

التركية من الحروف العربية الى الحروف اللاتينية ، ثم البدء بتطوير اللغة التركية باستبعاد الكلمات العربية الاصل بالتدريج واستبدالها بكلمات لاتينية ، ثم اغلاق عدد كبير من المساجد ، وعدم استعمال العربية في النداء للآذان للصلاة ، وتحويل تركيا الى دولة علمانية ، أي لادينية بالمعنى الواضح ، أي بمعنى أن أبناء الأمة التركية المسلمة لايتلقون أي دراسة اسلامية عن دينهم الاسلامي في المدارس الحكومية .

ترى هل هذه الأعمال التي قام بها أتاتورك مفخرة له ويحق للشعب التركي المسلم أن يكرمه بها ، أم أنه كان يخطط لضرب الاسلام بابعاد الشعب التركي المسلم عن جذوره الدينية الاسلامية ، وايجاد جيل لايتقن قراءة القرآن الكريم حيث لايستطيع أن يقرأ الحروف العربية التي يكتب بها القرآن الكريم ؟!

عز الدين أحمد
جبل الحسين ـ عمان
المملكة الأردنية الهاشمية

مشاكل الحياة
الضحك خير دواء

ماذا يفعل أي منا حين يواجه مشكلة أو حين تثقله الحياة بهمومها ومصاعبها ؟ انه ينعزل عن الناس وحيدا مع أحزانه ويتصور أنه قد كتب عليه أن يسير في طريق الشوك ، وأن حياته ما هي إلا رحلة من التعاسة والشقاء ، وينسى أن للحياة وجها آخر مشرقا مضيئا يسعد القلب ويبعث في النفس المسرة . . يقول البروفيسير هارقي شندس ـ وهو باحث أمريكي في علم النفس ـ في مؤتمر المرح العالمي :

اذا درس الانسان أي مأساة يمر بها دراسة صحيحة ، فسوف يجد فيها مثيرا للضحك مهما كانت محزنة ومؤلمة ، فاذا سألنا أحد الذين ينظرون الى الحياة نظرة جادة صارمة ، متى ضحك آخر مرة فانه لن يذكر ، ثم يحكي هارقي عن متاعبه مع الحياة فيقول : ذات يوم وأنا في الطريق عائدا الى البيت سقطت ساعتي من يدي ولما انحنيت لالتقاطها تعثرت وانكفأت على وجهي ، فأسرعت بالقيام وسط ضحك المارة وسخريتهم مني فلم أهتم وتوجهت الى أخصائي لتصليح الساعات الذي أخبرني بعد أن فحصها أنه لافائدة من اصلاحها ، ونصحني بشراء ساعة بدل منها ولم أحزن رغم أن هذه الساعة معي منذ أكثر من ثلاثين سنة ، ولها في نفسي ذكريات طيبة ، فقد أهدتها لي والدتي وأنا تلميذ حين بلغها نبأ نجاحي في المدرسة . وعدت الى البيت لأجد في انتظاري اخطارا بضريبة الدخل المطلوبة مني ، وكان مبالغا فيها فظللت أضحك حتى سقطت نظارتي على الأرض ، ودون أن أشعر وضعت قدمي عليها فتحطمت ، حاولت أن أتصل بطبيب العيون فلم أجد حرارة في التلفون ، فتحت التلفزيون ولكن وجدت الصورة غير واضحة بسبب سوء الارسال فلم أجد أمامي الا أن أتوجه الى فراشي وأنا في غاية السرور ونمت ملأ جفني . . وفي النهاية يختتم البروفيسير هارقي حديثه بقوله : أعزائي استقبلوا مصاعب الحياة وآلامها بابتسامة صافية ، وصدر رحب ونفس راضية ، فالحياة رائعة . كم كنت أتمنى لو كان بوسعي أن أحياها أكثر من مرة ، ولو علمتم ما يخبئه لكم القدر لاخترتم نفس حياتكم بكل ما فيها من حزن وشجن وبكل ما فيها من آلام ودموع ، فاضحكوا كثيرا تضحك لكم الدنيا وتضيء نجومها وشموسها وأقمارها .

محمد أمين عيسوي
هيئة قناة السويس ـ الاسماعيلية
جمهورية مصر العربية

المسابقة الثقافية ٣١١

اكتوبر ١٩٨٤

نرجو التأكد من ذكر عنوان المتسابق بوضوح على صفحة الردود نفسها - لا على المغلف فحسب . . . . وتبقى شروط المسابقة كشروط المسابقات الثقافية الماضية . . . أما الجوائز فهي كالتالي :

١ - شهدت هذه السنة (١٩٨٤) في أوائلها مولد دولة جديدة في آسيا ، وشهدت في أواسطها التحاق هذه الدولة بالمنظمة الدولية ، بحيث أصبح مجموع أعضاء هذه المنظمة ١٥٩ عضوا . . . ترى أي دولة تلك . . . !

٢ - كم بيضة يبيض الطاووس في السنة ؟

* ١٠٠ بيضة .
* ١٢ بيضة .
* الطاووس لا يبيض أبدا . .

٣ - ما الذي يثير الثيران في مصارعة الثيران . . ؟

* اللون الأحمر في قطعة القماش التي يحملها المصارع .
* الحركة التي يحدثها المصارع وهو يلوح للثور بقطعة القماش .
* مصارعو الثيران يرددون دائما وبصوت مسموع ، وهم في حلبة المصارعة ، لفظ (تورو) . . . . وهذا هو الذي يثير الثيران .

٤ - الفضاء الخارجي يقع خارج غلاف الأرض الجوي . . . فما هو الفضاء الداخلي . . ؟

٥ - جائزة نوبل توزع على المتفوقين من العلماء . . . وجائزة أوسكار على البارزين من الفنانين السينمائيين . . . . . فما هي الجائزة الخاصة التي توزع على الفائزين من الأدباء . . . . . ؟

٦ - هل القمر نجم أم كوكب . . . . ؟

٧ - الأمبير والفولت والأوم وحدات قياس كهربائية . . . فأيها وحدة ضغط الكهرباء وأيها وحدة التيار الكهربائي وأيها وحدة المقاومة الكهربائية . . ؟

٨ - دولتان بتروليتان تنتج احداهما البترول بمعدل ٨ ملايين طن سنويا ، وتنتجه

جوائز العربي لقرائها أكثر من

ألفي دينار سنويا

جوائز المسابقة

الجائزة الأولى ٥٠ دينارا
الجائزة الثانية ٣٠ دينارا
الجائزة الثالثة ٢٠ دينارا

و ٨ جوائز تشجيعية قيمة كل منها ١٠ دنانير

الأخرى بمعدل ٨ ملايين برميل يوميا . . . فأيهما تفوق الأخرى انتاجا للبترول . . . ؟

٩ - الوقود الذي تستعمله الطائرات النفاثة ، أكثرها ان لم تقل كلها ، هو الكيروسين أو الكاز الذي طالما استعملوه لاضاءة المصابيح قبل انتشار الكهرباء . . . خطأ أم صواب . . ؟

١٠ - الأشعري مؤسس علم الكلام . . . والأشعري صاحب الدور المعروف في التحكيم بين معاوية وعلي كرم الله وجهه . . . هل هما شخص واحد أم شخصان مختلفان . . ؟

١١ - احتفل العربي بيوبيله الفضي بمناسبة مضي ٢٥ سنة على انشائه . . فمتى يحتفل بيوبيله الذهبي . . . . ويوبيله الماسي . . . !

١٢ - ما هي السرعة التي ينطلق بها الصاروخ ليتمكن من التحرر من جاذبية الأرض . . . !

* ١٠,٠٠٠ ميل في الساعة .
* ٢٥,٠٠٠ ميل في الساعة .
* ٤٠,٠٠٠ ميل في الساعة .

كوبون مسابقة العدد ٣١١

حل مسابقة العدد (٣٠٨)

المنشور في عدد تموز / يوليو ١٩٨٤

نرجو تنبيه المتسابقين الى ضرورة موافاتنا بردودهم مكتوبة بخط واضح مقروء ، على ورقة بيضاء كأوراق الرسائل .. لا على صفحة المسابقة الثقافية نفسها .. وقد درج بعضهم على اقتطاع هذه الصفحة من المجلة ، وكتابة أجوبتهم مقابل أسئلتها ، بحيث جاءت بخط تتعذر قراءته ...

١ ـ ما وراءك يا عصام ... مثل عربي يضرب للاستخبار ... .وتروى بصدده قصص مختلفة أهمها : أن عصاما بن شهبر كان لديه خبر جديد يهم الملك في كل مرة التقى به فيها ... فقد كان حاجب الملك النعمان بن المنذر ، ونجح في بلوغ القمة في علاقته به ، ذلك تبعا لذكائه وكفاءته لا استنادا لحسبه ونسبه ..

٢ ـ صقلية هي البلد التي ترعرعت فيها الصلات بين العرب المسلمين وبين الفايكنج ، بل أحفادهم النورمان ، الذين غزو الجزيرة العربية وانتزعوها من أيدي المسلمين بقوة السلاح .. الا أن نصرهم العسكري لم يحل بينهم وبين التعاطف مع سكان البلاد المسلمين .. ولم يعمهم عن تفوقهم الحضاري عليهم ... فأقبلوا على العلوم والحضارة العربية بينهم ، لاسيما في عهد الملك روجر الثاني وحفيده القيصر فردريك الثاني .. ويذكر عن الأول أنه استقطب الى بلاطه الكثيرين من العلماء والفلاسفة المسلمين وعلى رأسهم الادريسي ... ويذكر عن الثاني أن البابا حرمه من الكنيسة ، بسبب علاقته الوثيقة بالمسلمين والاسلام ، حتى شاع بين الكثيرين أنه اعتنق الدين الحنيف . وتجدر الاشارة الى أن صقلية خضعت للحكم العربي الاسلامي طيلة قرنين أو يزيد ، وذلك اعتبارا من أواخر القرن التاسع .

٣ ـ الكتاب المقصود هو كتاب تقويم البلدان .. واسم مؤلفه المتوفى سنة ١٣٣١ م هو أبو الفداء .

٤ ـ الأصح لغة قولك (ذهبا معا) .. بل ان قولك (ذهبا سوية) خطأ لغوي ، ذلك أن لفظ سوية يعني الاستواء والاعتدال وما الى ذلك .. والسوي هو المستوي أو المعتدل الذي لا افراط فيه ولا تفريط ، انه العادي الذي لاشذوذ فيه ...

٥ ـ الضرير الثاني الشهير الذي نبغ في العلوم اللغوية هو ابن منظور صاحب المعجم الشهير لسان العرب ...

٦ ـ الصفر المطلق هو أدنى درجة حرارة ممكنة ، وتبلغ ٢٧٣,١٥ درجة مئوية تحت الصفر ...

٧ ـ فصيلة الدم الأكثر شيوعا في العالم هي فصيلة (O) ويقدر انتشارها بنسبة ٤٧ ٪ على صعيد عالمي . . .

٨ ـ شعب التبت هو الذي كثر فيه الرهبان ورجال الدين حتى بلغ عددهم ٥/١ (خمس) تعداد شعب التبت بكامله . . وأهل التبت يتبعون مذهبا محرفا في البوذية .

٩ ـ الفولاذ الذي لايصدأ يكتسب هذه الخاصة نتيجة لاضافة بعض المعادن اليه . . فمن شأن هذه المعادن ، أن تحمي الحديد الموجود في الفولاذ ، فتحول دون تفاعله الكيماوي مع الهواء والماء ، وظهور الصدأ عليه تبعا لهذا التفاعل . .

١٠ ـ ما يتصاعد من رأس الحيتان حينما تطفو على سطح البحر ليس ماء وانما هواء الزفير الدافىء ، الذي لا يلبث أن يتكثف ويتحول الى ماء ، لدى تعرضه لهواء الجو البارد . وتجدر الاشارة الى أن الحوت يتنفس كالانسان .

١١ ـ مؤلف كتاب(تهافت التهافت) هو الفيلسوف ابن رشد . . . وقد سماه بهذا الاسم نظرا لأنه قصد به الى الرد على كتاب (تهافت الفلاسفة) للامام الغزالي .

١٢ ـ الفوسفات هو الثروة المعدنية (غير البترولية) الثانية في العالم العربي . . . والمملكة المغربية هي الدولة العربية الأول انتاجا للفوسفات . .

الفائزون في المسابقة الثقافية ٣٠٨

الجائزة الأولى : سميحة محمد حسن خليل الزعول عمان ـ المملكة الأردنية الهاشمية .

الجائزة الثانية : ست البنات رحمة عمارة / شندي /سوق الشجرة / جمهورية السودان الديمقراطية .

الجائزة الثالثة : جاسم محمد جبر / دائرة تقاعد وضمان المثنى / السماوة / محافظة المثنى / العراق .

الجوائز التشجيعية الثمان

محمود مفيد محمود بصلة / ص . ب ١٩٠٨٩ /عمان /الأردن

زين العابدين أكريم / سوق السباط /الرباط /المغرب

عبد القادر علي النعيم /الخرطوم /السودان

محمد قاسم سومرو / البريد كمالديرو /كنديارو /نواب شاه /سند /باكستان

صالحة أحمد سالم / قسم سي كريتر /اليمن الديمقراطية

محمد أحمد محمد نصر / كفر الزيات /ج . م . ع .

قاسم قاسم /تونس العاصمة /تونس

مها ابراهيم حافظ / الرميثية / الكويت

معركة بلا سلاح

اللّعب بالاستدبار (العميان)

عُرِف اللّعب بالاستدبار (blindfold) منذ القديم وتحوي المراجع الشطرنجية أدواراً قديمة قدم اللعبة ذاتها ، وممن برع من العرب في العصور الوسطى في هذا الضَّرْب من لعب الشطرنج ابن جُبَيْر وابن دُرَيقة والنظام العجمي الذين كانوا يلعبون بالاستدبار دوراً واحداً أو عدّة أدوار في آن واحد . . . وتُروى عن النظام العجميّ هذه اللّطيفة : دُعِيَ النظام العجمي الى اللعب مُسْتَدْبِراً مع اللاعب الضَّرير علاء الدين القيرواني وكان كلاهما يحمل لقب (عالية) والتي تقابل لقب استاذ كبير في أيامنا هذه (Grand Master) ولكن النّظام رَفَضَ العَرْض وهو يقول ضاحكا :

« هو أعمى وأنا بَصير فان غلبته لم يَحمدني أحد وان غلبني لم أعرف كيف أداري وَجْهي » .

ومن أشهر اللاعبين بالاستدبار في العصور الحديثة « أليخين » الذي لعب اثنين وثلاثين دوراً في آن واحد وكسبها جميعاً ، ولكن اللاعب الهنغاري « جانوس فلش » تمكن عام ١٩٦٠ من تحطيم الرقم ، فقد لعب مستدبراً مع اثنين وخمسين لاعبا كبيراً فربح ٣١ دوراً وخسر ثلاثة أدوار وتعادل في الباقي ، ولم يتمكن أحد حتى هذا التاريخ من تحطيم هذا الرقم . والدور التالي هو واحد من أجمل الأدوار التي ربحها « جانوس فلش » مُسْتَدْبِراً وهو يُباري عشرين لاعباً من أمهر لاعبي لوكسمبرج في آن واحد .

فلش (مستدبراً)	رونر
١ . د ٤	ز ٦
٢ . ح ـ جـ ٣	ف ـ ز ٧
٣ . ف ـ و ٤	د ٦
٤ . ح ـ و ٣	ح ـ و ٦
٥ . و ـ د ٢	ف ـ و ٥
٦ . ث ث	ح ب ـ د ٧
٧ . ف ـ حـ ٦	ف × حـ ٦
٨ . و × حـ ٦	ح ـ ز ٤ !
٩ . و ـ ز ٧ !	

يعلق « فلش » على هذه النقلة بقوله :

« كانت هذه أفضل نقلة في الدور وسيكون لها دور حاسم في الفوز .

٩	ر ـ و ٨
١٠ . هـ ٤	ح د ـ و ٦

الأسود يهدد باقتناص الوزير

١١ . ح ـ ز ٥	ف ـ هـ ٦

النقلة الأمثل ولكن « فلش » كان قد هيّأ نفسه لها منذ نقلته التاسعة .

١٢ . هـ ٥	ر ـ ز ٨
١٣ . هـ × و ٦	ر × ز ٧
١٤ . و × ز ٧	م ـ د ٧
١٥ . د ٥	ف ـ و ٥

نقله ممتازة لم يكن « فلش » قد هيّأ نفسه لها ولكنه سرعان ما يجد الرّد

١٦ . ف ـ ب ٥ +	جـ ٦
١٧ . د × جـ ٦	ب × جـ ٦
١٨ . ف ٣	

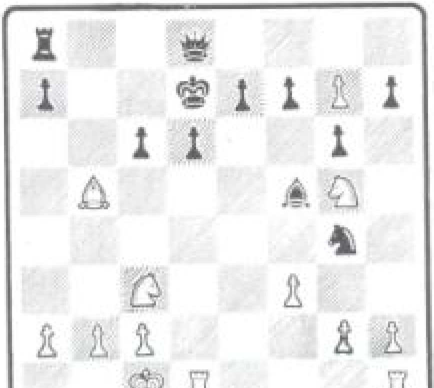

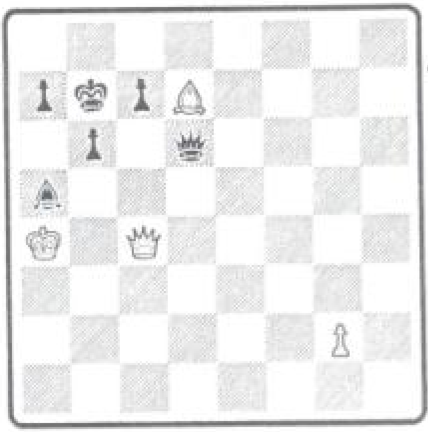

مسابقة العــدد

الأبيض يلعب ويكش مات في نقلتين
مسألة رقم (٢٢)

١٨ . . . .   جـ × ب ٥
١٩ . و × ز ٤   ف ـ هـ ٦
٢٠ . ح جـ ـ هـ ٤   و ـ ب ٦
٢١ . ح × ح ٧   و ـ هـ ٣ +
٢٢ . م ـ ب ١   و ـ حـ ٦

لو أخذ الحصان لتمكن الأبيض من ترقية بيدقه الى وزير

٢٣ . ح ـ و ٨ +   ر × و ٨
٢٤ . ز × و ٨   و × و ٨
٢٥ . ح ـ جـ ٥ + !!   م ـ جـ ٦ ؟
٢٦ . ح × هـ ٦   و* × هـ ٦
٢٧ . حـ ٤   و ـ و ٤
٢٨ . جـ ٥   ز ٥
٢٩ . حـ ٦   و ـ و ٨
٣٠ . حـ ٧   و ـ حـ ٨
٣١ . ر* د* ـ و ١   م ـ د ٧
٣٢ . ر ـ و ٨   يَسْتَسْلم

* البيدق الذي يحتل العمود « و »
** الرخ الذي يحتل العمود « د »

حل مسألة شهر أغسطس ١٩٨٤

١ . ر ـ د ٦ (مهدداً ٢ . ر ـ د ٢ ثم ٣ . ر ـ أ ٢ =)
١ . . . .   هـ × د ٦
٢ . و ـ حـ ٨   (مهدداً و ـ أ ١ =)
٢ . . . .   ب ٧
٣ . و × ب ٧ =

بريد الباب

القارىء حسين مسعود علي من حلب يسأل ان كانت اللاعبة تاتيانا ليماشكو هي حقاً بطلة العالم للسيدات .

العربي : بطلة العالم الحالية للشطرنج للسيدات هي اللاعبة شيوردانتدز **Chiburdanidze** (الروسية) غير أن ترتيبها في آخر تصنيف للاتحاد الدولي للشطرنج الثانيه اذ سبقتها اللاعبه كراملنج **Cramling** السويدية بعشرين نقطة برصيد قدره ٢٤٠٥ نقاط ، وجاءت اللاعبة الكسندريا **Alexandriya** وهي روسية أيضا في المركز الثالث برصيد قدره ٢٣٧٠ نقطة .

أما اللاعبة التي ذكرها القارىء فهي لاعبة سويسرية ممتازة وقد حققت انتصارات مذهلة في مباراة لوجانو **Lugano** الدولية المفتوحة المنعقدة في سويسرا في منتصف شهر مارس ١٩٨٤ وفازت ببطولة سويسرا للشطرنج بعد هزيمتها للبطل البريطاني جون نَنّ (٢٦٠٠ نقطة) وتفوقها بنصف نقطة على مواطنها كودشنوي (٢٦٣٥ نقطة) والذي يحتل المركز الثالث بين أبطال العالم للشطرنج بعد كاسباروف وكاربوف .

هناك مجموعة مصرفية واحدة فقط في العالم تساهم فيها الدول العربية جميعاً

كانت المراسلات المتبادلة بين الخليفة العباسي الكبير هارون الرشيد وشرلمان مبادرة عربية رائدة في اقامة الصلات بين الشرق والغرب

دينار هارون الرشيد ، [illegible] ميلادية

ان مجموعة بنوك اليوباف Al Ubaf Banking Group هي المجموعة الوحيدة التي أحرزت نجاحا في اقامة الصلات بين الشرق والغرب عن طريق انشاء بنوك مشتركة في جميع المراكز المالية الدولية .

والدول العربية بأسرها البالغ عددها اثنان وعشرون مساهمة كلها في المجموعة من خلال ٢٦ مؤسسة عربية .

وبالاضافة الى ذلك فان ٢٢ مؤسسة مصرفية من كبريات المؤسسات الدولية تساهم في بنوك المجموعة الى جانب المؤسسات العربية بغية تحقيق أهدافنا المشتركة .

وفضلاً عن هذا فان تنوع عمليات البنوك المساهمة في المجموعة وانتشارها الجغرافي على الصعيدين المحلي والدولي ، يجعلنا في وضع متميز يتيح لنا النفاذ بيسر الى كافة أرجاء المعمورة .

وتقدم المجموعة للعملاء الخدمات المالية والمصرفية على نطاق بالغ الاتساع بفضل ما لديها من خبرات مهنية رفيعة المستوى تدعمها أحدث مبتكرات التكنولوجيا ، ومن دراية لا تضارع بالأوضاع المحلية .

اليوباف

ALUBAF

BANKING GROUP

البحرين	بنك اليوباف العربي الدولي
هونغ كونغ	يوباف انترناشونال ليمتد
لندن	يوباف بنك ليمتد ـ شركة اليوباف المالية المحدودة
لوكسمبورغ	يوباي البنك العربي الألماني وفرع في فرانكفورت
نيويورك	البنك العربي الأمريكي ـ يوباف وفرع في جزر كايمان
باريس	اتحاد المصارف العربية والفرنسية (يوباف) فروع في البحرين ـ سيول ـ سنغافورة ـ طوكيو
روما	يوباي البنك العربي الإيطالي ومكتب تمثيل في ميلانو

بيروت	مكتب تمثيل
القاهرة	مكتب تمثيل

أيّ رحّالة دوليّ حقّ يجد في ساعته رولكس ما لا يقدّر بثمن

في عام ١٩٢٧، رَاح يُراود مخيّلة "ثور هيردال" حلم حول ما إذا كانت الحضارات القديمة لكل من المكسيك والبيرو وجزر الباسفيك ومصر ووادي ما بين النهرين تنبع من مصدر واحد، حلم أراد أن يثبت معه أن عبور المحيطات الثلاثة كان ممكنًا قبل إقدام الأوروبيين على تحقيق ذلك بأمد بعيد.

وبعد عشر سنوات، عام ١٩٤٧، أقلع هيردال من ساحل البيرو بطوف من خشب "البلزا" أطلق عليه إسم "كون - تيكي". مرتينة يوم ويوم رسا الطوف "كون - تيكي" بعدها على جزر الباسفيك.

وفي عام ١٩٧٠، غادرت أفريقيا "رع ٢"، سفينة "ثور هيردال" المصنوعة من قصب البردي. وبعد سبعة وخمسين يومًا، وصلت "رع ٢" الى "باربادوس" في الجانب الآخر من الأطلنطي.

وفي العراق، خلال ١٩٧٧ - ٧٨، قام "هيردال" ببناء السفينة "تايغرس"، أي دجلة، من القصب، وأبحر فيها مارًا بمحاذاة باكستان وسلطنة عمان حتى مدخل البحر الأحمر حيث حالت الحرب المحلية دون مواصلة الابحار. ورغم ذلك، أثبتت "تايغرس" انه كان من الممكن أن تتفاعل الحضارات القديمة لكل من سومر ووادي الأندوس ومصر بطريق البحر.

ويقول هيردال، "المحيطات لم تفصل بين الحضارات القديمة، بل انها ربطت فيما بينها."

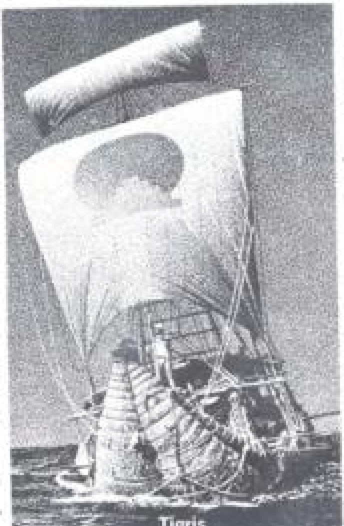
Tigris

ويستند نجاح حملات "هيردال" الى التخطيط الواضح والدقة التامة في كل شاردة وواردة.

ويضيف هيردال، "لقد أنزلنا الى البحر نماذج مطابقة تمامًا للسفن الأولى التي بناها البحارة القدماء. واستخدمنا طرقهم في شد الحبال والأشرعة والصواري وفي التوجيه، واقتتنا بما كانوا يقتاتون، واختبرنا أجهزة الملاحة البدائية التي استعملوها. ولكن، من أجل تحديد المسار بطريقة علمية دقيقة وبالاتصال اللاسلكي الاضطراري لدى دخولنا الموانئ الحديثة والطرق الملاحية، كنا بحاجة الى ما كان باستطاعة الانسان القديم الاستغناء عنه، ساعة حديثة بالغة الدقة جديرة بالاعتماد."

إنه الاطراء في توجيه مجاملة كهذه الينا، خاصة وقد جاءت على لسان أشهر رحالة دولي في العالم.

الساعات التي كان يلبسها "ثور هيردال" وبحارته هي من صنع رولكس.

ROLEX
رولكس

رولكس "جي. إم. تي. - ماستر" متوفرة بالذهب عيار ١٨ قيراطًا، أو فولاذ لا يصدأ، مع سوار ملائم.

عالم المعرفة

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب - دولة الكويت

اكتوبر ١٩٨٤ م

تشكيل العقل الحديث

تأليف : كرين برينتون
ترجمة : شوقي جلال
مراجعة : صدقي خطاب

الكتاب الثاني والثمانون

٥٠٠ فلس

المراسلات :
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

مِنَ المسرح العالمى

سلسلة ثقافية
تصدرها فى مطلع كل شهر

وزارة الإعلام فى الكويت

أول اكتوبر ١٩٨٤

١٨١

يوربيديس - ٦

إيون

ترجمة وتقديم : د. عبدالمعطي شعراوي

مراجعة : د. أحمد عتمان

مجلة العلوم الاجتماعية

تصدرها
جامعة
الكويت

مجلة فصلية أكاديمية تعنى بنشر الأبحاث والدراسات
في مختلف حقول العلوم الاجتماعية.
رئيس التحرير: د. خلدون حسن النقيب
مدير التحرير: عبد الرحمن فايز المصري

منبر بارز للأكاديميين العرب.
توزع أكثر من (٨٠٠٠) نسخة.

الاشتراكات

للمؤسسات: ١٢ ديناراً في الكويت.
٤٥ دولاراً أمريكياً في الخارج
للأفراد: ٢ دينار في الكويت، ١ دينار للطلاب
٢,٥ دينار أو ما يعادلها في الوطن العربي.

١٥ دولاراً أمريكياً في الخارج.

الموزع في الكويت والخارج: مجلة العلوم الاجتماعية

توجه جميع المراسلات الى: رئيس التحرير
مجلة العلوم الاجتماعية - جامعة الكويت ص.ب ٥٤٨٦ صفاة - الكويت
هاتف: ٢٥٤٩٤٢١ «مباشر» ٢٥١٠١٨٨ / ٣٧٣ / ٢٥٠ تلكس ٢٦١٦ كويت

المجلة العربية للعلوم الانسانية

تصدر عن جامعة الكويت ، فصلية محكمة ، تقدم البحوث الأصيلة والدراسات الميدانية والتطبيقية في شتى فروع العلوم الانسانية والاجتماعية باللغتين العربية والانجليزية .

رئيس التحرير

د. عبدالله العتيبي

مديرة التحرير

آمال بدر الغربللي

جميع المراسلات توجه الى رئيس التحرير : ص . ب : ٢٦٥٨٥ الصفاة - الكويت

هاتف : ٨٢١٦٣٩ - ٨١٥٤٥٣ (الشويخ) - تلكس ٢٢٦١٦ KUNIVER

مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية

تصدر عن جامعة الكويت

رئيس التحرير
الدكتور عبد الله الغنيم

صدر العدد الأول في كانون ثاني (يناير) ١٩٧٥

تصل أعدادها الى أيدي نحو ١٢٥٠٠٠ قارئ

يحتوي كل عدد على حوالي ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير تشتمل على : -

- مجموعة من الأبحاث تعالج الشئون المختلفة للمنطقة بأقلام عدد من كبار الكتاب المتخصصين في هذه الشئون .
- عدد من المراجعات لطائفة من أهم الكتب التي تبحث في النواحي المختلفة للمنطقة .
- أبواب ثابتة : تقارير – وثائق – يوميات – ببليوجرافيا .
- ملخصات للأبحاث باللغة الانجليزية .

ثمن العدد : ٠٠ فلس كويتي أو ما يعادلها في الخارج .

الاشتراكات : للأفراد سنويا دينارين كويتيان في الكويت ، ١٥ دولارا أمريكيا في الخارج (بالبريد الجوي)

للشركات والمؤسسات والدوائر الرسمية : ١٢ دينارا كويتيا في الكويت ، ٤٠ دولارا أمريكيا في الخارج (بالبريد الجوي) .

منشورات المجلة :

تصدر المجلة أيضا دراسات مستقلة متعلقة بشئون المنطقة صدر منها

١- كتاب التكامل الاقتصادي في الخليج العربي (د . محمد هشام خواجكية) . ١٩٧٩ .
٢- كتاب آفاق التنمية الصناعية في دول الخليج العربي (د . عبد الاله أبو عياش) . ١٩٧٩ .
٣- كتاب حقوق الطفل في دولة الكويت (د . بدرية العوضي) . ١٩٧٩ .
٤- كتاب الاحصاءات الاقتصادية في المملكة العربية السعودية (بدوي خليل) ١٩٨٠ .
٥- دور جريدة فتاة الجزيرة في أحداث عام ١٩٤٨ بصنعاء (سلطان ناجي) ١٩٨٠ .

سلسلة وثائق الخليج والجزيرة العربية لعام صدر منها :

الكتاب الأول وثائق الخليج والجزيرة العربية لعام ١٩٧٧ . ١٩٧٩ .

العنوان : جامعة الكويت – كلية الآداب والتربية – الشويخ – دولة الكويت .
ص . ب : ١٧٠٧٣ – الخالدية
الهاتف : ٨١٦٨٠٧ – ٨١٦٧٩٩ – ٨١٦٨٢

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير .

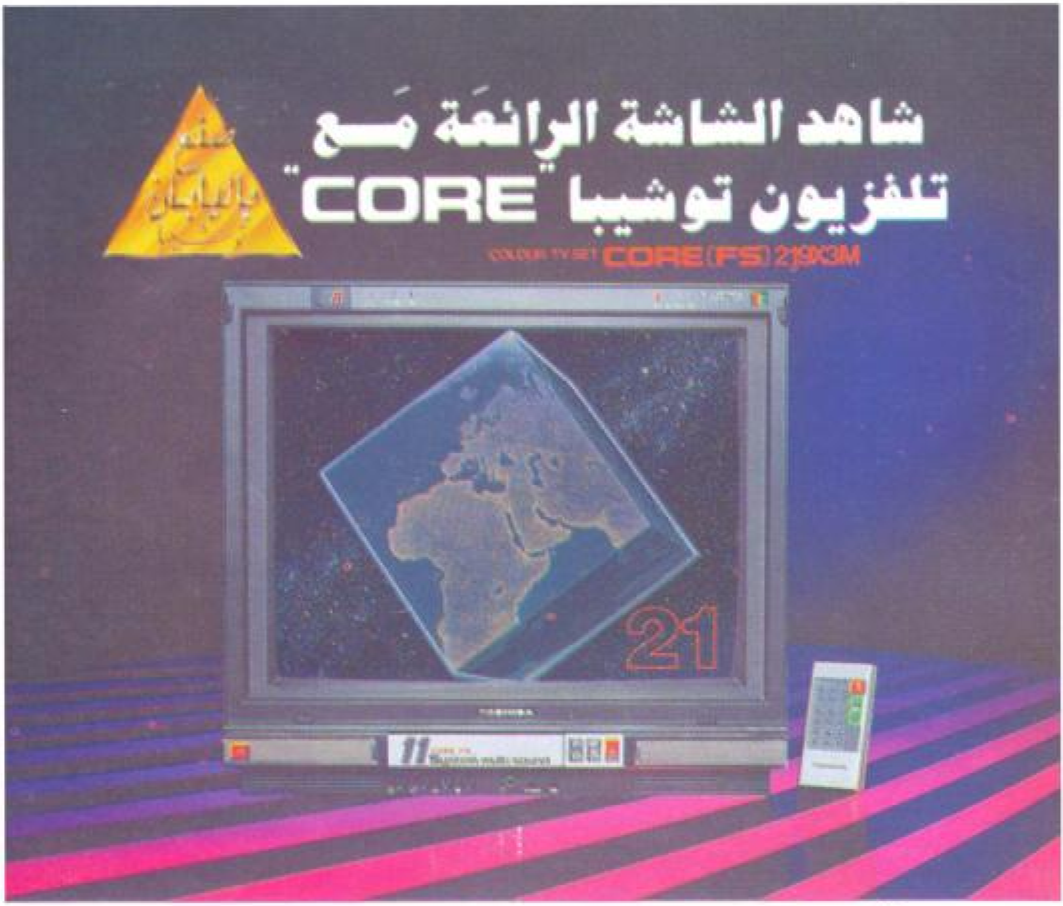

إن الصورة الأنبوبية السّباقة FLAT SQUARE التي ينفرد بها تلفزيون TOSHIBA CORE (FS) تتخلص من الزوايا المستديرة التي تواكب شاشة جهاز التلفزيون العادي مما يؤمن صورة بدون تشويش بحجم ٢١ إنشاً بالكامل. أما التحكم لاسلكياً عن بعد بـ ٢١ وظيفة فيوفر لك تحكماً كاملاً ومتلائماً بأداء التلفزيون CORE (FS) الذي يتميز بنظام صوت فريد يعتمد مكبرين للصوت باتجاهين، كما بالإمكان وصل الجهاز بمكبرات صوت مستقلة أو بسماعات الرأس.

ويتوافق الجهاز مع ١١ نظاماً تلفزيونياً بما يجعل CORE (FS) جهازاً أساسياً ضمن أي نظام سمعي مرئي. ولا فرق إذا كان إختيارك هو جهاز CORE (FS) أو أي من أجهزة (CORE) الأخرى بقياس ١٤ أو ١٨ أو ٢٠ إنشاً فستكون أكيداً من الجودة كونه إنتاج TOSHIBA في اليابان.
• FS "21 صورة (مربع مسطح) أنبوبية • تحكم عن بعد بـ ٢١ وظيفة • MSSS (نظام صوتي خاص) مع نظام مكبرين للصوت باتجاهين • فتحات توصيل للسماعات المستقلة وسماعة الرأس • يتوافق مع ١١ نظاماً تلفزيونياً.

COLOUR TV SET
CORE 147X3M

COLOUR TV SET
CORE 187X3M

COLOUR TV SET
CORE 207X3M

Toshiba TOSHIBA

نهدف.. لخدمتكم
الخطوط الجوية الكويتية
KUWAIT AIRWAYS
ملتقى الشرق والغرب

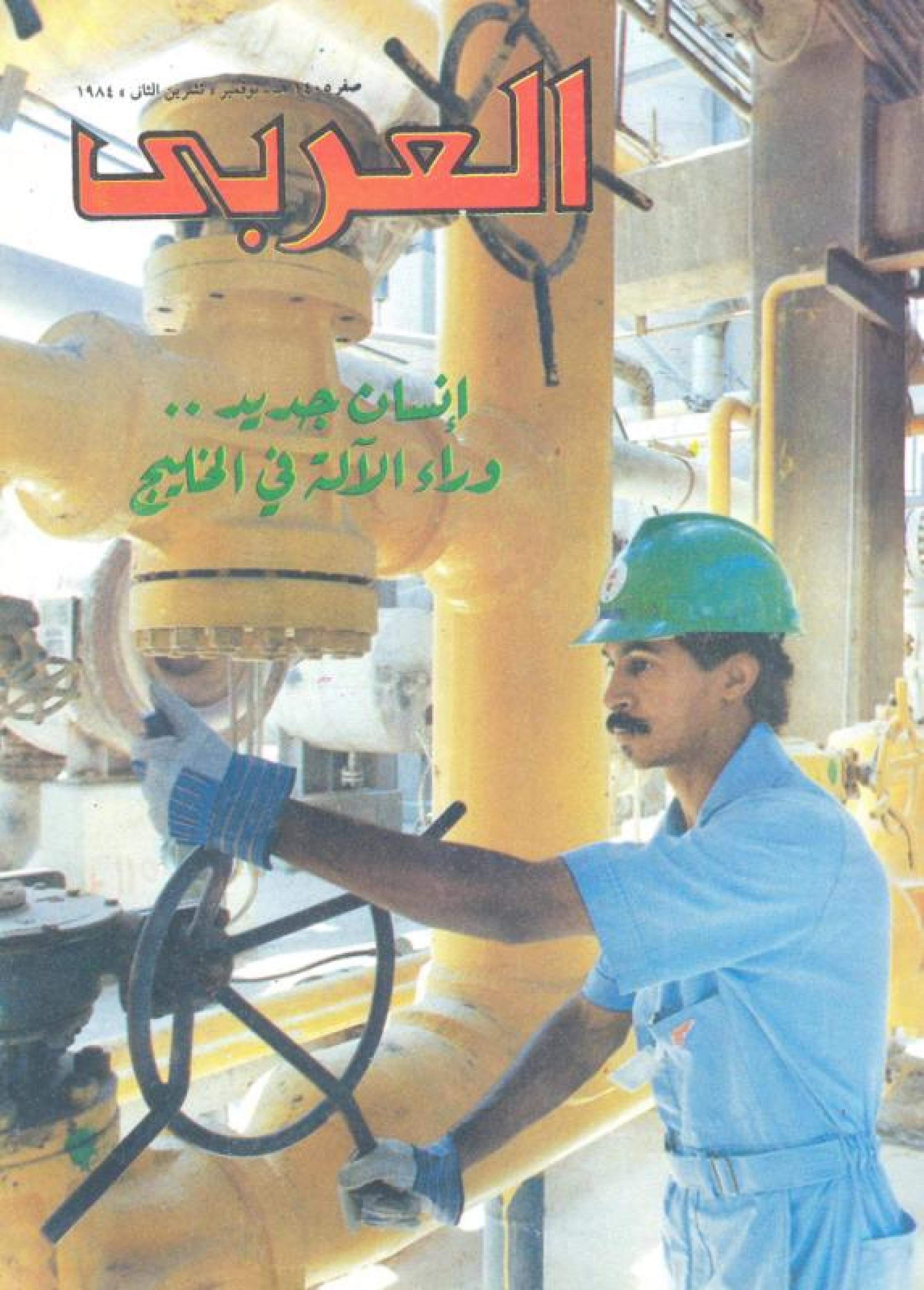
صفر ١٤٠٥هـ - نوفمبر ، تشرين الثاني ، ١٩٨٤
العربي
إنسان جديد..
وراء الآلة في الخليج

رحلة المكوك الفضائي كولومبيا الفضائية الأولى ١٢ إبريل ١٩٨١

الأفكار العظيمة من أمريكا تتواصل مع فيشر.

لقد واصلت أمريكا خلال تاريخها تقديم العديد من الإختراعات التكنولوجية إلى العالم.
في العام ١٩٣٧ إخترع الأمريكي أفيري فيشر أول نظام صوتي هاي فاي ، واليوم مازال إسم فيشر في الطليعة في هذا الحقل حيث تتبوأ أجهزة فيشر الأنظمة السمعية المركبة المبيعات في الولايات المتحدة بنسبة ٤٠٪ . إن أنظمة فيشر السمعية المرئية تدمج جهاز مسجل فيديو هاي فاي وتلفزيون مع وصلة RGB ومضخم صوت قوة أكثر من ١٠٠ واط ونظام مكبرات صوت رقمي وجهاز اسطوانات مدمجة رقمي لتعطي نتيجه مثالية تواكب "عصر السمعيات المرئيات". ان خبرة ومعرفة فيشر في حقل الإلكترونيات والتحكم الرفيع بجودة الأجهزة السمعية المرئية المنتجة تضمن لك أداء لايضاهى من أي جهاز فيشر تختاره . فيشر فكرة أمريكية عظيمة اخرى.

فيشر
FISHER
The first name in high fidelity

العربي

مجلة ثقافية عربية مصورة

رئيس التحرير

د. محمد الرميحي

تصدر شهرياً عن وزارة الإعلام
بدولة الكويت للوطن العربي
ولكل قارئ للعربية في العالم
المجلة غير ملتزمة بإعادة أي مادة تتلقاها
للنشر والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

المراسلات

باسم رئيس التحرير

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة
قسم الإعلانات

الاشتراكات

ترسل الطلبات إلى : قسم الإشتراكات
المكتب الفني - وزارة الإعلام
ص.ب ١٩٣ الكويت

على طالب الإشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية، أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الإعلام طبقاً لما يلي :
الوطن العربي ٤ د.ك - باقي دول العالم ٦ د.ك

ثمن العدد

الكويت	٢٥٠	فلساً	السعودية	٥	ريالات
العراق	٢٥٠	فلساً	اليمن الشمالي	٣	ريالات
الأردن	٢٠٠	فلس	قطر	٥	ريالات
البحرين	٣٠٠	فلس	لبنان	٣	ليرات
اليمن الجنوبي	٢٥٠	فلساً	سوريا	٣	ليرات
مصر	٢٥٠	مليماً	الامارات	٥	دراهم
السودان	٢٠	قرشاً	المغرب	٣	دراهم
تونس	٤٠٠	مليم	ليبيا	٣٥٠	درهماً
الجزائر	٤	دنانير	سلطنة عمان		ربع ريال
بريطانيا		جنيه استرليني	أوروبا		دولاران أو جنيه استرليني
فرنسا	١٥	فرنكاً	أمريكا		دولاران

العدد ٣١٢
نوفمبر ١٩٨٤

عنوان المجلة بالكويت
ص.ب ٧٤٨ صفاة
ت ٤٣٩٧٢٨ - ٢٤٦٨٤٢٤ - ٤٢٧١٤١
برقياً "العربي" الكويت
تلكس : MITR-44041 KT

AL-ARABI

ISSUE No. 312. Nov. 1984

P.O Box 748 KUWAIT

A Cultural Monthly
Arabic Magazine
in Colour
Published by:
MINISTRY OF
INFORMATION
STATE OF KUWAIT.

في هذا العدد

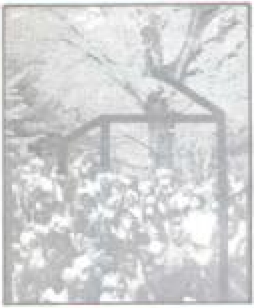

الأقطار العربية والمسألة السكانية

المسألة السكانية لا تقف وحدها بوصفها مشكلة تواجه الوطن العربي . إنها ترتبط بأسباب أخرى كثيرة ، سياسية واقتصادية وتربوية ونفسية ، والأسباب هي التي أدت الى النتائج ، والنتيجة الأولى هي الزيادة ، والزيادة المستمرة في تعداد السكان فوق أرضنا العربية . ماذا نفعل ؟ وكيف يكون السبيل الى العلاج ؟ ومن أين نبدأ ؟ على كل هذه الأسئلة وغيرها ، وعلى ظاهرة هذه الزيادة المخيفة يجيب هذا المقال .

(اقرأ ص ١٨)

ولي عهد المملكة الأردنية الهاشمية يكتب للعربي

الأمير حسن بن طلال ولي عهد المملكة الأردنية الهاشمية يكتب للعربي عن سياسة الاستيطان الاسرائيلي . انه يحدد لنا الهدف من موقع المسؤولية التاريخية . إنه يقول ان الدافع الحقيقي وراء حركة الاستيطان الاسرائيلي هو تثبيت الأمر الواقع .

ان استمرار اغتصاب الأرض العربية في ظل الاحتلال الاسرائيلي هو العقبة الأساسية التي تقف في وجه أية محاولة لاقرار السلام الحقيقي . ان الأمير حسن يقدم لنا بالأرقام والاحصائيات حجم المؤامرة الاسرائيلية ضد العرب وأرضهم ومستقبلهم .

(اقرأ ص ٢٨)

إنسان جديد يقف وراء الآلة في الخليج

على امتداد الربع قرن الأخير ، كان تعاظم ايراد النفط حافزاً على الرغبة الجادة لدى دول الخليج في مواكبة التطور والتقدم ، وحققت الدول النفطية طفرة هائلة خلال فترة زمنية قياسية ، ولكن الصورة لم تكتمل كما أراد لها القائمون على هذا التطور السريع أن تكون ، فقد بقيت العمالة دائماً تعتمد على الوافدين .. ثم حدث التحول ، وبدأ ابن الخليج يبحث عن نفسه وعن مكانه في دولاب العمل الذي لا يتوقف ، ولأول مرة منذ سنوات بدأت دول الخليج تستثمر أبناءها في شتى مجالات العمل البناء .

(اقرأ احصائيات وأرقام وتحليل ص ٤٠)

سيدة التـــاج

انه إحدى عجائب الدنيا السبع .. والحديث هنا عن « تاج محل » الذي تقول الاحصائيات الرسمية أن أكثر من ثمانين مليون زائر جاءوا خصيصاً الى الهند لمشاهدة « معبد الحب » بمدينة « اجرا » التي تبعد عن العاصمة دلهي حوالي ثلاثمائة كيلو متر ، منذ أن أكتمل بناؤه قبل أربعمائة عام . لقد قام « تاج محل » ليصبح رمزاً لأروع قصة حب عرفها العالم منذ أن بدأ المؤرخون يكتبون التاريخ ، ولكن من هي هذه المرأة التي يرقد رفاتها في قلب هذا الصرح المعجزة .. أي نوع من النساء كانت . وأي قصة غرام تلك التي عاشت وما زالت تعيش معها في الكتب .

(اقرأ كل شيء من أجل الحب ص ١٠٠)

محتويات العدد

قضايا عامة

■ حديث الشهر : الوحدة العربية
ذلك الموضوع الغائب الحاضر .
ـ د. محمد الرميحي ١٠

■ الأقطار العربية والمسألة السكانية ،
الغذاء .. قنبلة هذا الزمان ! .
ـ د. عبد الله عبد الدايم ٢٠

■ استراتيجية التكامل الثقافي
في منطقة الخليج العربي .
ـ د. عبد الله حسن العبادي ٢٤

■ نظام النقد العالمي وتقلباته
بين الماضي والحاضر والمستقبل .
ـ د. أحمد حافظ الجعويني ٧٠

■ أرقام : العرب ..
ـ محمود المراغي ٧٦

عروبة واسلام

■ سياسة الاستيطان الاسرائيلي
لفلسطين والوطن العربي .
ـ الأمير حسن بن طلال
ولي عهد الأردن ٢٨

طب وعلوم

■ ماذا بعد هذا الرعب النووي ؟
ـ د. شذى الدركزلي ٧٨

■ عالم جديد في أعماق البحار .
ـ حسن محمود عباس ١١٦

■ الصدفية مرض مجهول الأسباب .
ـ د. محمد عبد الله المشاري ١٣٦

■ الجديد في الطب والعلم .
ـ اعداد يوسف زعبلاوي ١٥٦

■ لماذا تزداد ولادات التوائم ؟ .
ـ د. صلاح بركات ١٥٩

■ طبيب الأسرة ١٦٣

آداب وفنون

■ العمياء (قصيدة) .
ـ مصطفى كمال ٣٩

■ حتمية العناية باللغة العربية .
ـ د. حسين نصار ٨٩

■ في غرفة الانعاش (قصة) .
ـ د. أحمد زياد محبك ١١٢

■ صفحة لغوية :
بين الأسماء والصفات .
ـ محمد خليفة التونسي ١٤٣

■ جمال الدين الأفغاني
(قصيدة).
- فاضل خلف ١٤٦

■ كيف نحافظ على
تراثنا الموسيقي ؟.
- ممدوح الجابري ١٦٦

منتدى العربي

■ سبب تخلفنا العلمي.
- عبد الرزاق البصير ٩٤

■ ليست محنة ثقافة ومثقفين ..
وانما محنة مجتمع كامل.
- ليلى الجبالي ٩٧

تاريخ واشخاص

■ الأسرة والمرأة :
جير الدين: حكاية امرأة
تبحث عن ذاتها.
- منير نصيف ٨٥

■ صفحات مطوية :
سيدة التاج .. كل شيء
من أجل الحب.
- سليمان مظهر ١٠٠

■ الحقد والكراهية في فلسفة نيتشه.
- د. عيسى الناعوري ١٤٨

كتاب الشهر

■ آل كنيدي والحلم الضائع.
- ابراهيم العريبي ١٦٩

استطلاعات مصورة

■ انسان جديد يقف
وراء الآلة في الخليج.
- محمود عبد الوهاب ٤٠

■ رحلة في عالم الطيران
- كريمة شاهين ١٢٤

أبواب ثابتة

■ عزيزي القارىء ٤
■ في العدد القادم من العربي ٨
■ العربي من ربع قرن ١٣٤
■ سلامة البشرية في سلامة البيئة ... ١٣٩
■ حكايات من الشرق والغرب ١٥٢
■ من مكتبة العربي ١٧٧
■ المسابقة الثقافية ١٨٠
■ حل مسابقة العدد (٣٠٩) ١٨٢
■ الشطرنج
(معركة بلا سلاح) ١٨٤
■ حوار القراء ١٨٦

في العدد القادم من

العربي

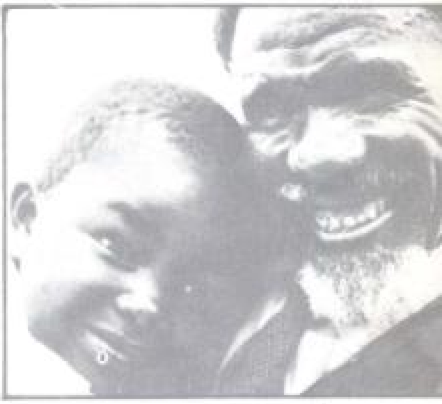

١

٢

١ ـ ما هي طبيعة القوة السوداء في الولايات المتحدة ؟ وماذا تمثل في تركيبة المجتمع الأمريكي وهل هناك علاقات معينة تجمعنا نحن العرب مع هذه القوة الصاعدة ؟ تساؤلات يجيب عليها باحث ودبلوماسي عربي في واشنطن .

٢ ـ تحقيق في هوية الأبراج والمشاهد يؤكد أصالة الجامع الأموي الكبير ، ونظرة الى الأبعاد الجمالية للنموذج الاسلامي الرائع الذي انتقل به فنانوه المبدعون الى حواضر أخرى في أطراف الدولة الاسلامية .

٣ ـ كوالالمبور . . قرية العشيش التي أصبحت زهرة العواصم ، كيف تبدو صورتها الحديثة كنقطة التقاء بين المتناقضات ، وكما شهدتها بعثة العربي ؟

٣

عدد خاص
بمناسبة إنعقاد
مؤتمر قمة
مجلس
التعاون الخليجي

العربي ومسيرة
ربع قرن مع :

الحياة والناس
والوحدة
في دول
الخليج العربي

كتاب العربي

الخامس

١٥ نوفمبر ١٩٨٤

٤

٤ ـ عرف الشباب الخليجي طريقه الى الآلة والانتاج ، وتغيرت نظرته الى الحياة وهو يرى دخان المصانع يملأ سماء بلاده ، لتنويع مصادر الدخل الوطني ، فكيف تغيرت الصورة في السعودية والبحرين ؟

٥ ـ وأخيرا .. اكتشفت حقيقة الثقب الأسود في السماء ، فما هي قصة الثقوب السوداء ؟ وكيف تولد ؟ وكيف أمكن اكتشاف الثقب الأسود وهو محتجب عن الانظار ؟

٥

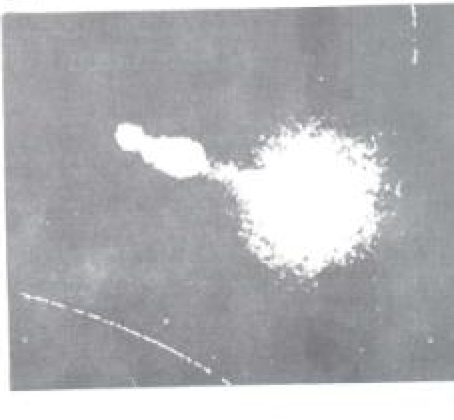

الوحدة العربية

■ المطالبة بالوحدة .. أحد عناوين النضال لشعب المغرب

■ كيف نتغلب على ازدواجية الولاءين : القومي والقطري؟

■ التعاون الإنمائي في الخليج العربي تجربة من شأنها أن تخلق نسيجا من المصالح يؤدي إلى تعزيز مفاهيم الوحدة.

حالة الترهل العام وضعف صور التعاون العربي في الخمس عشرة سنة الماضية على وجه التقريب ، جعلت المواطن العربي يقف في حيرة أمام أي حديث عن الوحدة العربية ، سواء أكان ذاك حديثا مذاعا أو مقالة مكتوبة ، ولا اعتقد أن ذلك الشعور لا يمتزج بالحسرة والألم من جراء ما عاناه المواطن في مشرق الأرض العربية ومغربها من إحباط دائم ، جعله يتأرجح بين الأمل الكبير في الخلاص من هذا الترهل ، عن طريق التعاون الأوثق بين أقطار العروبة ، وبين خيبة الأمل الكبيرة أيضا ، والتي قادت حتى بعض المفكرين العرب الى الشك والتشاؤم ، دفعهم الى التساؤل عما اذا كانت فكرة « الأمة العربية الواحدة » قد باتت فكرة لها علاقة بالماضي أكثر من علاقتها بالحاضر والمستقبل .

ولكن الحديث عن الوحدة العربية ـ في نظري وبعيدا عن رؤية المتشائمين ـ هو حديث عن النفس ، حديث عن الأمل ، وحديث عن المستقبل والمصير .

ولكن طرق الموضوع من جديد ـ في جو يبدو وقد ازدهرت فيه النظرة القطرية الضيقة مع هجوم منسق من أطراف عديدة على هذا الأمل والحلم ـ قد يثير تساؤلا يبدو علميا ومنطقيا : هل الحديث عن الوحدة العربية يعني شيئا من الجدية أم هو اثارة للعواطف ليس الا ؟ وهو سؤال ـ في نظرنا ـ منطقي .

ذلك الموضوع الحاضر.. الغائب!

بقلم: الدكتور محمد الرميحي

بعد أن كانت الوحدة العربية ملء السمع والبصر ، وقاب قوسين أو أدنى من التحقق في أكثر من منطقة عربية لسنوات قليلة مضت ، انطفأ الحديث عن حولها ، وأصبح ذكرها يقع في هامش التاريخ القريب ، أكثر مما يقع في فعل الحاضر أو المستقبل .

الا أن الأسئلة تتتابع .. لماذا وصل الانسان العربي الى هذه النتيجة ؟ النتيجة التي تفقده الأمل في الوحدة ، وتدفعه الى القبول والرضا حتى بعدم طرح الموضوع ؟

أعتقد أن من أهم الأسباب الرئيسية لتلك النتيجة .. هو الطرح العاطفي غير العقلاني لقضية الوحدة والتضامن العربي ، فالتناول الفكري - وبعض التجارب العملية لتحقيق الوحدة والحث عليها - كانت بشكل غير طبيعي ، غير مرضية وغير علمية .

وعلى الرغم من فيض الكتابات حول هذه القضية (الوحدة العربية) ، الا أن قليلا من الجهود صرفت لتحديد مفهوم عقلاني واقعي لها وهي من أخطر قضايا الفكر والسياسة للعرب في القرن العشرين . . قضية القومية العربية وترجمتها الى وحدة عربية .

القومية العربية ، وبالتالي الوحدة العربية ، مازالت عند بعضهم قضية غامضة ، ظاهرة من ظواهر الوطن العربي السهلة الممتنعة . . سهلة في ترديدها ممتنعة في شرحها شرحا عقلانيا وتحويلها الى واقع ملموس .

ولانشك أن الكتابة في الموضوع في السنوات الأخيرة قد تحولت من تظاهرة كلامية عامة ، الى شرح وتفصيل منطقي وعقلاني ، يطالب بالتدرج وابتكار مداخل جديدة للوحدة ، إلا أن هذا الابتكار في المداخل والتدرج في التطبيق لازال قيد الصيرورة من جهة ، وغير مهضوم من طرفي المعادلة : الداعين للوحدة من منظور عاطفي ، والمتشبثين بالقطرية الضيقة . وكلاهما من فئة المتشائمين بالواقع العربي ، والذي هو في حقيقته واقع متغير .

أزمة الفريقين : الداعين للوحدة العربية الفورية من منطق عاطفي ، الذين يحاولون ان يقفزوا على كل العقبات الكأداء للواقع ، والفريق الآخر المتشبث بالقطرية الضيقة المغلقة ، هذه الازمة ليست جديدة في الفكر العربي الحديث .

ففي عشرينيات هذا القرن ، نجد أن الكاتب العربي اللبناني الكبير أمين الريحاني يرسم أزمة الفريقين بقوله : (فينا اليوم فريقان او حزبان : حزب رسم دائرة صغيرة حول نفسه وقال : هذه هي بلادنا ، هذه هي دائرتنا ، وكل من كان على غير مذهبنا هو خارج الدائرة ، وحزب رسم دائرة كبيرة حول الدائرة الصغيرة وقال : هذه هي بلادنا . . فأي المبدأين أصح ؟ . . المبدأ الأول مبني على الفكرة التي لا ترى الحق في غير الاعتزال . . والمبدأ الثاني مبني على الفكرة الاجتماعية السديدة . . أن لا حياة للشعوب المستضعفة الا بالاتحاد) .

واذا كان الريحاني يؤيد فكرة الوحدة والتوحد كما يؤيدها كل العقلاء العرب ، فان الممارسة ـ منذ ذلك الوقت حتى يومنا هذا ـ تقول أن الأفكار الايجابية والنيرة تحتاج الى محاربين واقعيين ، من أجل تحويلها من آمال الى واقع .

قضية الوحدة واللاعقلانية

وبعد الممارسة الطويلة في تجارب الوحدة العربية القصيرة والطويلة ، تكاثرت كتابات المفكرين العرب الوحدويين في نقد ما تم .

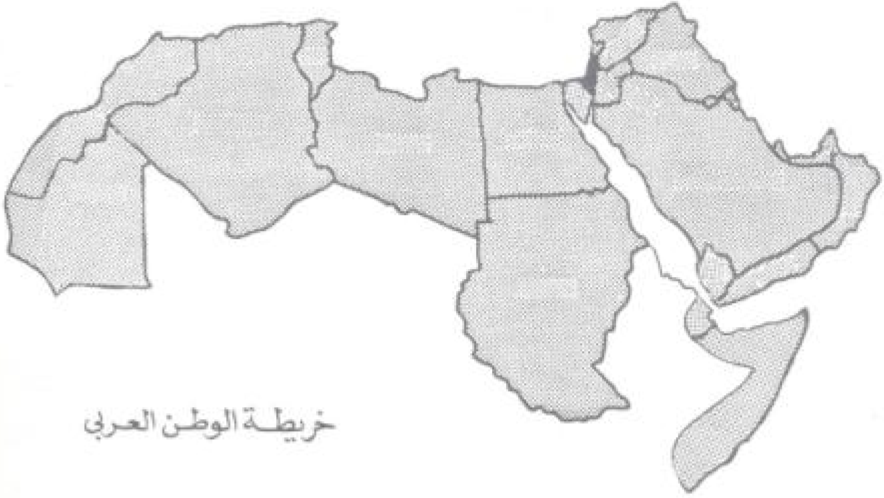
خريطـة الوطـن العـربي

على رأس ذلك النقد الخطوات المتعجلة لاقامة الـوحدة ، والتي تتفكـك بسرعة تجعلنا أبعد من تحقيق الأمل . يقول مفكر عربي ووحدوي معاصر هو نديم البيطار في بداية الثمانينيات حول هذا الموضوع : (لقد توافرت الأوضاع الملائمة للوحدة « العربية » وتحقيقها بكثرة ، ولكن النتائج لم توصل الى الوحدة « لأن » منطلقات الفكـر الوحـدوي فيما يتعلق بـالطريق الى الـوحـدة كـانت حتى الآن مغلوطة . . فخطأ الفكر الوحدوي الأول هو ارتجاله الطريق الى الوحدة بشكل اعتباطي ، لا يتوخى وعيا وحدويا ناضجا ، يستطيع بالاعتماد عليه ضبط الأحداث وتوجيهها نحو الوحدة . .)

اللاعقلانية (في تناول موضوع الوحدة وتطبيقاتها) أدت الى نتائج سلبية مستمرة ، كانت دائما تغذي روح الخيبة والانهزامية .
(قصة الوحدة) تحتاج الى وحدويين يدركون بوضوح أن الشجاعة والأمانة والاصالة في المشاعر الوحدوية لا تكفي وحدها في تحقيق دولة الوحدة .

كثير من كتاب الوحدة العربية ودعاتها اليوم يطالبون بإلحاح ـ بعد تحول الفكرة الوحدوية الى عدة تجارب مخيبة للآمال ـ يطالبون بنبذ الطبيعة التبشيرية العاطفية للفكر الوحدوي السابق ، ليحل محله نمط فكري وحدوي جديد ، يعتمد على الممارسة والتدرج ، متسلحين في ذلك بدراسات علمية عقلانية .

وتجمع الدراسات في هذا الاتجاه على أن من أهم الأسباب التي تحول بين العرب والوحدة ، ذلك الأسلوب الذي عولجت به هذه القضية الحيوية . . . وهو الأسلوب الذي لم يكن على أساس من الواقع ، أو محسوب بجدول زمني ، ينتقل من وحدة اقتصادية متدرجة الى وحدة سياسية لاحقة .

ليس المقام أن نعيد اليوم تأكيد العناصر التاريخية واللغوية والثقافية التي تجمعنا كعرب ، فهي مشهورة ومعروفة ومشهودة .

ولكن من المهم الاشارة الى ما يحدث في بعض الساحة العربية اليوم ، اذ أن التفكك العربي لا يقف عند حد تأكيد الحدود السياسية القطرية بين العرب ، بل تجاوز ذلك الى ظهور محاولات انفصالية في القطر الواحد .

مما شجع بعض المنظرين ـ خاصة المعادين ـ على الاسراف في التشديد على اظهار التنوع والاختلاف بين أقطار الوطن العربي ، اعتقادهم أن هذا يوصلهم الى ما يشتهون بأنه ليس هناك « قومية عربية » . . . وأن حلم الوحدة العربية محض خيال !

والعجيب أن القائلين بهذا الأمر يصرون على أن الاقطار العربية قائمة في ذاتها ولذاتها ، ومضادة بعضها لبعض . . . ويشيرون في ذلك الى الخلافات التي تصل حد الاحتكام الى السلاح ، إلا أنه من الملاحظ أنه عند حديثهم عن السلبيات ينسون تبريراتهم السابقة ، ويشددون على « العقل العربي » أو « التخلف العربي » وهي اشارة الى تماثل وتوحد ، حتى لو كان المقصود بها النقد السلبي !

الاحساس بالقومية العربية والتضامن العربي استمر في النمو والتزايد شعبيا منذ الحرب العالمية الأولى حتى اليوم ، عززه تطور في الاتصالات والمواصلات الحديثة ، وظهور المؤسسات المشتركة بين الأقطار العربية . ومن يقرأ بشكل محايد العمل العربي تجاه هذا الهدف (الوحدة) يشعر في النهاية بالتفاؤل لا التشاؤم ، رغم كل ما يبدو على السطح .

الحركة العربية الواحدة

ان المجتمع العربي يتغير ، وفي ظني أنه تغير الى الأفضل ، هذا التغيير ليس بسبب المقتبسات المادية من الخارج ، وليس بسبب عوامل التناقض والصراع في

الداخل . . ولكنه يتغير بسبب تغير عوامله المادية والبشرية ، هذا التغير ليس تغير تقليد ، بل هو تعلم من ممارسته الكفاحية الذاتية ، وبخاصة في مجال نبذ الصراع باتجاه التوافق ثم التعاون .

ولو نظرنا نظرة تاريخية سريعة الى مجرى أحداث الوحدة في المغرب وفي المشرق . . لوجدنا أن الحركة تسير عموما في اتجاه الوحدة ، صحيح أنها حركة ضعيفة ومتقطعة ، ولكنها حركة الى الامام . وعندما نقرأ تاريخ العرب فقط في عشرينيات هذا القرن حتى اليوم ، نعرف الى أي مدى وصلت جهود الجيل الحالي في طرح فكر وتطبيقات الوحدة العربية .

فالمطالع لأدبيات النضال السياسي في الفترة المبكرة من هذا القرن ، يدرك مدى الألم الذي صاحب الانتقال من أساس فكري يعتمد على « الجامعة الاسلامية » ، الى أساس فكري يعتمد على « الروابط القومية » . . ذاك الانتقال لم يكن سهلا كما قد يتصوره البعض من الجيل العربي الحالي ، رغم أن التمهيد كان قائما منذ بداية القرن للفكر القومي ، فقد جاءت ولادته عسيرة في عشرينياته .

ولكننا اليوم نجد القليل منا يناقش أساسيات هذا الفكر القومي ، وان كانت الاجتهادات الى تحقيقه مازال تختلف .

كما أننا لو استعرضنا سريعا خطوات التعاون والتوحد في المغرب وفي المشرق العربي ، لوجدنا أن الفكرة تحولت الى بناء أساسي ، لم يكتمل بعد . . ولكن بعض أساسياته ثابتة .

الحركة الوحدوية في المغرب العربي

الحرص على تحقيق الوحدة العربية بين أقطار المغرب العربي ، هو واحد من أبرز عناوين النضال لشعب المغرب العربي في كافة أقطاره منذ الحركة الحديثة المضادة للاستعمار .

لقد مزج رجال التحرر الوطني في المغرب في نهاية القرن الماضي ومطلع هذا القرن ، بين مطالبتهم برحيل الاستعمار الفرنسي (المغرب ، الجزائر ، تونس) والايطالي (ليبيا) وبين الاقتناع العميق بوحدة الشمال العربي الافريقي . والأدلة التاريخية كثيرة . . نذكر منها حركة (نجم شمال افريقيا) التي تأسست سنة ١٩٢٣ في باريس ، وأصدرت جريدة لها بالفرنسية سمتها (الأمة) ، هذه التجربة النضالية أعطت بعدا سياسيا واجتماعيا للعمل الوطني في أقطار المغرب ، ومثلها كذلك بقية المنظمات الطلابية والعقائدية التي انبثقت في الثلث الأول من هذا

القرن ، كانت تنظر الى وحدة أقطار المغرب وتحررها من الاستعمار وكأنها وجهين لعملة واحدة .

وما انفكت المطالبات الشعبية والرسمية بالوحدة بين أقطار المغرب العربي تظهر على السطح بين فترة وأخرى ، فهي متأصلة وراسخة الجذور . وقبيل استقلال أقطار المغرب بسنوات قليلة . . نجد أن فصائل الحركة الوطنية المغربية تنسق عملها الى درجة عقد مؤتمر مشترك في يناير ١٩٤٧ في القاهرة . . . وهو المؤتمر الذي أعتبر الوحدة بين أقطار المغرب صيغة لاحياء كيان واحد ، فته الاستعمار والتأثير الاجنبي .

ولعل القاريء العربي يذكر أن اختطاف فرنسا لطائرة المناضلين الجزائريين الخمسة الذي حدث وهم في طريقهم الى أول لقاء تنسيقي ، بين تونس والمغرب اللتين تم استقلالهما في ذاك الوقت ، وبين الجزائر وهي تناضل للتحرر من الاستعمار الفرنسي .

بالاتجاه الشعبي وبالاتجاه الرسمي تواصلت خطوات التنسيق والتعاون بين أقطار المغرب العربي طلبا للوحدة ، فمن الشواهد التاريخية بهذا الخصوص قمة طنجة في ابريل ١٩٥٦ ، بين أحزاب المغرب العربي الكبير ، والتي أكدت حق الشعب الجزائري في تقرير مصيره من جهة ، وتبنيها مبدأ انجاز وحدة فيدرالية مغربية يكرسها مجلس استشاري من جهة أخرى .

وفي الستينيات نجد أن التعاون بين أقطار المغرب العربي قد اتخذ سبيلا آخر هو التنسيق الاقتصادي . فانبثقت اللجنة الاستشارية الدائمة للمغرب العربي ، أثناء اجتماع وزراء الاقتصاد لأقطار المغرب العربي . أما في السبعينيات فنجد أن المحاولات استمرت بأشكال أخرى . . بعضها أصابه الفشل ، والآخر لازال ساري المفعول .

منذ اتفاق (جربة) بين ليبيا وتونس ، مرورا بمعاهدة الاخاء والوفاق بين تونس والجزائر وموريتانيا ، وانتهاء بالمعاهدة الليبية المغربية في اغسطس الماضي ، كل هذه المحاولات والاصرار عليها يدل على شيء هام هو الاصرار على ايجاد صيغة تعاونية عربية ، لما لهذا التعاون من ايجابيات وطنية وقومية .

الحركة الوحدوية في المشرق العربي

الحركة الوحدوية في المشرق العربي كان لها أيضا نهوضها وضمورها في التاريخ العربي المعاصر ، ولقد عوق مسار الوحدة العربية في المشرق عاملين أساسيين ـ بجانب العوامل الفرعية الأخرى ـ الأول هو القوى الاستعمارية الغربية

النشطة التي وجدت فرصتها بعد تحطيم الدولة العثمانية ، وتفكيكها تحت ضربات مدافع التحالف الغربي لتقسيم الاقاليم العربية . . والعامل الثاني هو زرع ورعاية الكيان الصهيوني في أرض فلسطين .

ومع وجود هذه العقبات ـ أو ربما بسببها ـ نجد أن الدعوة الى الوحدة العربية قد نشطت في المشرق أيضا في اتجاهين يكمل أحدهما الآخر . . الأول هو وحدة الأقطار العربية لمن يستطيع أن يقوم بهذه المهمة ، والاتجاه الثاني وحدة فروع الأصل الواحد . . وكمثال بارز على ذلك . . . الوحدة اليمنية (شمالا وجنوبا) .

ولكن المراقب يرى أن الفشل قد لازم تجارب الوحدة العربية وعلى رأسها انفصال الجمهورية العربية المتحدة سنة ١٩٦١ ، والتي كانت تضم القطرين المصري والسوري .

لاشك أن بعض العوامل الخارجية لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة لتعطيل قوى الأمة العربية ، بايجاد كيان أكثر تماسكا وأقرب الى الصمود أمام المخاطر الاقليمية كالتوسع والهيمنة الاسرائيلية أو الخارجية ، إلا أنه من جهة أخرى لابد أن نقول أن الصيغ التي طرحت كانت بعيدة عن دراسة الواقع ، والاستفادة من الظروف الاقليمية والعالمية سلبا وايجابا .

صحيح أن الهتافات العالية مفيدة أحيانا في اثارة حماس الجماهير ، الا أنها من جهة أخرى لا تصلح لاقامة كيان دولي . . كما أن الحماس دون نتائج ـ ان تكرر ـ يفقد الناس اهتمامهم ومصداقية العمل أيضا .

لذلك نجد أن الكثير من الممارسين السياسيين والمفكرين العرب يتجهون اليوم الى التشديد على أن الصيغ والمصطلحات (كوحدة أو اتحاد أو تعاون) ليست هي بيت القصيد ، وأن الوطن العربي يحمل من التنوع من جهة والتشابه من جهة أخرى ، ما يستطيع معه كل من يريد أن يدلل على وجهة نظره سلبا أو ايجابا تجاه الوحدة أو عدمها أن يجد من الشواهد الكثير ، كما أنه من جهة ثانية ـ مهما كان رأينا من عمق واستمرارية الشعور العربي الواحد ـ لا نستطيع الا أن نلحظ وجود ازدواجية (قومية) (ووطنية) تتمثل في صراع حقيقي بين الولاء للمجتمع العربي ككل أو الولاء (القطري) وهي أزدواجية تشتد أو تضعف . . ولكنها بالتأكيد موجودة ومشاهدة ، ولها مظاهر عدة في حياتنا .

هذا مما حدا ببعض المفكرين العرب الوحدويين الى طرح فكرة المدخل الاقتصادي ، كما يقول على سبيل المثال الدكتور لبيب شقير في نهاية السبعينيات (أننا بعد دراسة متأنية وموضوعية ، وصلنا الى نتيجة مفادها أن الفكر العربي الوحدوي نفسه يحمل قدرا من المسئولية في فشل الأمة العربية في الوصول حتى الان الى القدر الأدنى من التكامل الاقتصادي) والسبب (أننا لم نجد أمامنا صورة فكرية للكيفية التي يمكن أن نسير عليها في عملية التعاون والاندماج في الميزان الاقتصادي) .

من السرد السابق نجد أنه من المنطقي أن أية نقلة في جزء من الوطن العربي ـ مشرقه أو مغربه ـ تنقلنا من (الوطن القطري الصغير) الى المواطنة الواسعة في اطار مجموعة من الأقطار العربية ، هي نقلة ايجابية يسر بها دعاة الوحدة العربية في أي مكان يكونون ، ولاسيما اذا تعززت هذه النقلة بخطوات ثابتة وقادرة على التواصل ورأب الصدع وتقديم شيء ملموس للمواطن .

حصيلة السنوات الأربع في الخليج

صيغة التعاون في الخليج التي تقوم بها الأقطار العربية الستة (المملكة العربية السعودية ، عُمان ، دولة الامارات ، قطر ، البحرين والكويت) هي في رأينا مقدمة لتعاون بين أقطار عربية تعي بعدها الاقليمي ، بنفس الدرجة التي تعي بها بعدها القومي ، كما تأخذ في الحسبان الشكل التدرجي الذي يقرب جزءا من الوطن العربي دعما ومساندة للجسم العربي الآخر ، كما تعي الاساس والهيكل لاي عمل وحدوي ، وهو الأساس الاقتصادي والذي يشدد عليه ويطالب به معظم مفكري الوحدة العربية اليوم . ومن حيث المنظور العام فان عدم الاستهانة أو التقليل من عامل المصالح المشتركة في تحقيق الوحدة العربية يقربنا اليها ، كما أن الخطوات التوحيدية لا تتم فجأة وتلقائيا مهما كانت الارادة السياسية راغبة وعازمة .
صيغة الوحدة بين أقطار الخليج الستة تأخذ طابع (التعاون الانمائي) وتشكل الاتفاقية الاقتصادية قاعدة هذا التعاون ، ويتبعها ويعضدها الاتفاقات الثقافية والصحية ثم الأمن الاقليمي .

لقد عقدت أقطار الخليج بين بعضها البعض ، أو في اطار مجلس التعاون اتفاقات اقتصادية وثقافية واعلامية في أثناء العقد الماضي (السبعينيات) وبعد ذلك منذ انشاء مجلس التعاون (فبراير ـ مايو ١٩٨١) شهدت مسيرة العمل المشترك في الجزء الشرقي من الوطن العربي تجربة تعد بحق مدخلا جديدا يستحق الدراسة لتحقيق التقارب والتعاون .

لقد تم حتى الان تشكيل لجان قطاعات متخصصة أو على مستوى القيادات الادارية المتقدمة في مجالات الصناعة والزراعة والمالية ، وفي قطاعات المواصلات والاشغال والموانيء ، وفي شؤون العمل والعمال ، وفي قطاع النفط ، وفي مجال التعليم والثقافة والاعلام ، وكذلك في مجال الدفاع .
كل هذه اللجان بالتعاون مع مؤسسة المجلس المتمثلة في الأمانة العامة وخبرائها وموظفيها ، أخذت على عاتقها تطوير وتدعيم العمل الانمائي والمشترك .
لقد تحققت بالفعل خطوات تكاملية ، فمنظمة الخليج للاستشارات

الصناعية ومكتب التربية العربي لدول الخليج* على سبيل المثال لا الحصر قد قامت حتى اليوم بدراسة وتبني مشروعات مشتركة اقتصادية وتعليمية متعددة مثل المشروعات الصناعية في قطاع البتروكيماويات ودرفلة الالمنيوم وكذلك في قطاع التعليم كانشاء جامعة الخليج في البحرين .

وفي القطاع المالي نجد أن أهم مشروع تم انجازه حتى اليوم هو هيئة الاستثمار الخليجي التي تهدف الى ممارسة الأنشطة الاستثمارية المشتركة في الخارج . لقد تحقق النجاح حتى الان في اقامة مشروعات انمائية مشتركة ذات أثر هيكلي مباشر على تنويع مصادر الثروة في قاعدة التنمية في الدول الاعضاء كما في مجالات الصناعة والزراعة والثروة الحيوانية . . . وهذا النجاح وحده لا يكفي لدفع عجلة التعاون الى الاتحاد المطلوب ، الا أن هذا النجاح قد عززه السعي المشترك لتطور الانسان العربي في الخليج ، عن طريق معاهد التدريب والمعاهد العلمية المشتركة . بجانب تحقيق تحرير أكبر لبعض عناصر الانتاج في الانتقال .

وقد اتسمت التجربة العربية في الخليج بميزتين : الأولى هي الاهتمام بالانسان للمساهمة في خلق جيل لا ينحصر دوره في الاستهلاك واستيراد التقنية ، بل يتعداه الى الانتاج وابداع التقنية المناسبة ، اما الميزة الثانية فهي الفهم الواقعي للدائرة العربية الكبرى الشاملة . . لذلك امتدت دائرة التعاون في بعض جوانبها كي تشمل الاقليم العربي المجاور .

واذا كانت التجربة مازالت في بدايتها ـ والكتابة عنها بالتفصيل والتحليل تحتاج الى مكان أوسع من هذه العجالة ـ الا أنه من المهم تأكيده أن خطوات التقارب والتوحيد في المجالات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية التي تحققت بين أقطار مجلس التعاون من شأنها التعجيل بترابط اقليمي يقلل من حدة التشرذم العربي المشاهد ، كما ان الخطوات التي تمت وارتبطت بمصالح الناس من شأنها أن تقف عقبة لأي تيار معاكس غير وحدوي .

لقد اتخذت خطوات التعاون في الخليج حتى الان مسارا اتسم بالجدية المطلوبة من الناحية التنظيمية وبناء المؤسسات ، وأصبح العمل الواقعي في حقيقته أكثر من « التعاون » العام بل انتقل الى التكامل الاقتصادي .

بقي أن توطين مقدمات هذه التجربة الوحدوية على التراب الوطني واحداث التشابك المطلوب بين أبناء الوطن الواحد في الجناح الشرقي من الأمة العربية من شأنه أن يدخلنا مدخلا علميا وواقعيا للأمل والحلم . . الوحدة العربية .

محمد الرميحي

---

* هاتان المؤسستان تشترك فيهما العراق بجانب أقطار مجلس التعاون .

الاقطار العربية والمسألة السكانية

الغذاء.. قنبلة هذا الزمان !

بقلم : الدكتور / عبد الله عبد الدايم

☐ تكاثر الحديث عن المسألة السكانية في العالم ، بل غدا الى حد بعيد مكرورا معادا . ومع ذلك يظل هذا الحديث جديدا أبدا قديما أبدا . ذلك أن الوعاء السكاني هو في نهاية الأمر الهيكل العظمي للبنية العالمية الشاملة ، في جوانبها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتربوية والسياسية وسواها .

لاشك أن البلاد العربية معنية كسواها ، بل أكثر من سواها بهذه المسألة ، سواء من زاوية أبعادها الشاملة أو أبعادها العربية الخاصة .

ومن هنا كان لزاما علينا أن نقدم بين يدي البحث عن ملامح المسألة السكانية في البلاد العربية ، نظرة خاطفة عن ملامح هذه المسألة على الصعيد العالمي الأرحب .

يشير تقرير حديث نشره في الثالث عشر من حزيران / يونيه المدير العام لصندوق الامم المتحدة للنشاطات السكانية (FNUAP) الى حقائق ومعطيات هامة تدفعه الى أن يدق ناقوس الخطر ، نجتزيء منها أبرزها :

١ ـ معدل النمو الاقتصادي في البلاد النامية بين عام ١٩٨٠ وعام ١٩٨٢ لم يجاوز ١,٩٪ بينما بلغ متوسط معدل الزيادة السكانية في هذه الدول ٢,٢ .

٢ ـ في الوقت نفسه تزايدت الهوة بين البلدان النامية ، وبين البلدان المتقدمة ، فغدا متوسط دخل الفرد حاليا في البلدان المتقدمة الغنية يفوق مائتين وعشرين مرة متوسط هذا الدخل في البلدان الفقيرة .

٣ ـ بينما يسير التزايد السكاني في البلدان المتقدمة نحو التناقص (من المقدر أن يتناقص من ٦٩ ٪ في العام حاليا الى ٤ , ٠ عام ٢٠٠٠) ما يزال هذا التزايد السكاني كبيرا في البلدان النامية (٢ , ٢٪ اليوم و ١٧ , ١٪ في نهاية القرن) ولنذكر عابرين أنه يجاوز ٣٪ في كثير من البلدان العربية .

٤ ـ يتناقص معدل الوفيات في البلدان النامية ، بسبب تقدم الشروط الصحية ، وقد يقارب في نهاية القرن معدل الوفيات لدى البلدان المتقدمة (١٠ في الالف تقريبا) مع ذلك ما يزال هذا المعدل مرتفعا في أفريقيا (٢٥ في الالف) ولم يتغير تغيرا يذكر عما كان عليه عام ١٩٥٠ . ومثل هذا يقال عن الأجل المرتقب اذ لا يجاوز في هذه القارة ٤٩,٧ سنة فيما يطوف في البلدان المتقدمة حوالي ٧١ سنة .

٥ ـ ويزيد ضغثا على ابالة ، ضعف الموارد الاقتصادية عامة والانتاج الغذائي خاصة في البلاد النامية . فبعد أن كانت هذه الموارد في الماضي تكافيء في نموها نمو السكان ، غدت اليوم مقصرة عنه ، بعد أن بلغ اتساع الرقعة الزراعية أقصاه وبعد أن كادت تنفد موارد الطاقة .

الحل السكاني وحده لا يجدي

وصحيح أن الحل السكاني ، بمعنى العمل على الحد من التزايد السكاني السريع ترب ورديف لأي حل آخر ، اقتصادي أو سواه ، غير أن المسألة في نظرنا تظل أولا وقبل كل شيء مسألة اقتصادية ، نعني توفير نمو اقتصادي أكبر في البلدان النامية بحيث تستطيع مواردها الكثيرة التي ما تزال غير مستقلة بعد ، فضلا عن مكاسب تطورها العلمي والتكنولوجي المنشود ، أن تسد حاجات سكانها المتزايدة .

وهنا أيضا نحتاج الى أسفار كبيرة ان نحن أردنا أن نمعن في تفصيلات الحديث عن الواقع والمستقبل السكاني في البلاد العربية . وماقصدنا اليه في الواقع هو أن ننبه الى كبريات المعضلات التي تواجه البلدان العربية ، والتي ستواجهها في المستقبل القريب ، نتيجة لطبيعة المسألة السكانية عندنا .

وقد يبدو أن على رأس تلك المشكلات مشكلة الأمن الغذائي . وهذا صحيح بعض الشيء ، فسكان الوطن العربي الذين يقدرون عددهم بحوالي ٢٨٠ مليون عام الفين ، سيواجهون مشكلات غذائية ضخمة .

الأمن الغذائي

ولا يتسع المقام للحديث عن الحلول اللازمة لمواجهة هذه المعضلة ، وقد أفاض في ذلك علماء الاقتصاد وسواهم . وحسبنا أن نذكر ، تأكيدا لأهمية الحلول الاقتصادية في مواجهة المشكلة السكانية ، أن المنطقة العربية تملك حاليا ٥٠ مليون هكتار من الاراضي القابلة للزراعة ، لا يزرع منها سنويا الا ثلثها ، وأن المساحة الاضافية القصوى التي يمكن أن تستصلح من أجل الزراعة قد تبلغ ٨٠ مليون هكتار ،

ولنذكر عابرين أن مسألة الأمن الغذائي ليست مسألة اقتصادية فحسب ، وليست مسألة معدة جائعة وأفواه نهمة فقط ، بل هي فوق هذا ، وقبل هذا مسألة سياسية خطيرة . فسلاح الغذاء غدا اليوم في العالم كله سلاحا أقوى وأمضى من السلاح الذري ، تستخدمه الدول انقاذا لسياستها . وحسبنا أن ننظر بامعان الى السياسة التي يمارسها بلد كالولايات المتحدة (حتى على الاتحاد السوفيتي) في ميدان تصدير القمح .

على أن قصدنا الأصلي في هذه الكلمة ، لم يكن التريث عند الجوانب الاقتصادية للمسألة السكانية في البلاد العربية ، فلقد طرقها الكتاب ولم يبقوا فيها بقية لمستزيد . ويعنينا أكثر من هذا أن نشير الى نتائج أخرى هامة للمسألة السكانية في بلادنا ، كثيرا ما تخفى على الانظار .

فتوة السكان

أولها وأهمها في نظرنا النتائج التربوية ، فمما لا يحتاج الى بيان أن الشعب في البلدان العربية ، شأنه في معظم البلدان النامية ، شعب فتي ، بمعنى أن عدد الأطفال والشبان فيه يفوق بكثير عدد الكهول والشيوخ . ومن أخطر الارقام السكانية ، ذلك الرقم الذي يشير الى أن نسبة السكان الذين هم دون العشرين في البلاد العربية الى مجموع السكان تجاوز ٥٧٪ (بينما لا تجاوز هذه النسبة في البلدان المتقدمة ٣٨٪) وآثار هذا الرقم (الايجابية والسلبية) عديدة . على رأسها أن أعباء التعليم التي تقع على الدول العربية أعباء ضخمة تكاد تنوء بحملها . ولا غرابة بعد ذلك أن نجد البلدان العربية تنفق على التربية حوالي ٦٪ من الناتج القومي الخام وحوالي ٢٠٪ من ميزانيتها ، رغم أن هذه التربية فيها ما تزال مقصرة عن مداها كما وكيفا . فما السبيل اذن الى تعميم التعليم الابتدائي بل والمتوسط، والى التوسع الكبير في التعليم الثانوي؟

والجواب على هذا التساؤل يستغرق الصفحات الطوال أيضا ، وهو جواب غير سكاني محض كذلك . ان قلبه وجوهره العمل على استخدام تقنيات تربوية جديدة (ولاسيما بعد انتشار الوسائل السمعية البصرية والحاسبات الالكترونية) من شأنها أن تعلم عددا أكبر تعليما أفضل بنفس الامكانات المتاحة . ومن هنا كان الحل الاساسي لهذه المسألة الكمية حلا كيفيا نوعيا في المقام الأول ، رائده تجويد التعليم وتجديده بنية وطرائق ومحتوى وتقنيات .

والمسألة السكانية الثانية الهامة التي نستخرجها من تحري الواقع السكاني والمستقبل السكاني في البلاد العربية ، مسألة تصدر أيضا الى حد بعيد ، عن هذا الرقم السحري الهام الذي أشرنا اليه ، الرقم الخاص بفتوة السكان . فمن أخطر نتائج هذا الرقم أن نسبة السكان الذين هم في سن العمل في البلاد العربية نسبة ضعيفة جدا ، ويزيد في ضعفها أن نسبة العمالة لدى النساء ما تزال متدنية ، الامر الذي يجعل نسبة العاملين فعلا في البلاد العربية لا تجاوز ٢٦٪ من مجموع السكان ، في حين تبلغ هذه النسبة حوالي ٥٠٪ في بلد كالاتحاد السوفياتي ! وبدهي أن أول درس نستخلصه من هذه الحقيقة ، هو ضرورة العمل على رفع نسبة مشاركة المرأة في العمالة في البلدان العربية ، وهي نسبة من أدنى النسب في العالم . لا سيما أن نسبة العمالة المتدنية هذه تجعل نسبة الاعالة عالية جدا ، بحيث تبلغ ١ الى ٣ أي أن كل فرد عامل في البلاد العربية يعيل ثلاثة أفراد غير عاملين !

القلق الاجتماعي

وثالثة المسائل التي نستخرجها من الوضع السكاني في البلاد العربية ، مسألة تكاد تكون خبيئة قلما تلفت الانظار رغم أهميتها وخطرها . ونعني بها المشكلات الاجتماعية والسياسية التي تولدها ظاهرة التزايد السكاني عامة ، وظاهرة فتوة السكان خاصة . ومن الموضوعات الجديرة بأن توجه اليها أنظار الباحثين ، النتائج الاجتماعية والسياسية لهذه الظاهرة في البلاد العربية . وحسبنا أن نشير الى بعض ملامحها اشارة عابرة :

من أوليات الحقائق الاجتماعية في سائر البلدان ، أن أفضل تربة لتوليد القلق الاجتماعي بل الثورة الاجتماعية والسياسية في أي بلد ، تخريج عدد كبير من المتعلمين الذين لا يجدون عملا . الامر الذي يملي على البلاد العربية تحقيق الربط الوثيق بين حاجات التربية وحاجات القوى العاملة والتخطيط المحكم للربط بين نظام التربية أعدادا ومحتوى وبين حاجات السوق الاقتصادية والاجتماعية .

كذلك من نتائج فتوة السكان وتكاثر أعداد الشبان ، النزعة التي تدفع الشبان ، بعد أن غدوا كثرة ، الى أن يتعجلوا الارث ، أي الى أن يحاولوا قبل الاوان أن يشغلوا أماكن الجيل الذي يكبرهم ، دونما اكتراث بدور الخبرة والتجربة . وقد يصل بهم الامر ، في عصر ثورة الشباب والطلاب ، الى رفض الارث جملة وتفصيلا . ولا شك أن كون جيل الشبان قوة عددية ضخمة أمر يستلزم من جيل الكبار جهودا ضخمة من أجل توعيتهم وتدريبهم واعدادهم اعدادا سريعا ، يمكنهم من تسلم المسؤوليات التي تنتظرهم . بل هو أمر يحتاج في نظرنا الى استمرار التفاعل بين جيل الشباب وجيل الكهول والشيوخ والى تنظيم هذا التفاعل تنظيما واعيا دقيقا ، بحيث يفيد كل منهما من عطاء الاخر ، وبحيث تجتنب الانقطاع بين تجربة الاجيال ، وهو انقطاع خطير حضاريا واجتماعيا وسياسيا ، وبحيث نجتنب صراع الاجيال وهو صراع أدهى وأمر .

المشكلات النفسية للشبان

وثمة مسألة رابعة تكاد تخفى عن الأعين أيضا ، تنجم عن المسألة السكانية ويزداد خطرها وتحتاج الى دراسة علمية جادة . ونعني بها المشكلات النفسية لدى الشبان ، وهي مشكلات متزايدة في عصرنا . وخطرها أوسع وأدهى دون شك عندما تكون الكثرة الكاثرة من السكان في البلد من جيل الشبان . ولئن كانت مشكلات الشبان النفسية في بلادنا مكتمة مكنونة ، فهذا لا يعني أنها نادرة أو قليلة ، بل هي كثيرة . وكثيرا ما ينسى الناس عندنا أو يتناسون ما يتعرض له الشبان في سن الدراسة ، (ولا سيما الجامعية ومن قبلها الثانوية) من أعراض نفسية مرضية ، هي المسؤولة الاولى عن تخلفهم أو فشلهم الدراسي . وقد لفت نظرنا في الاونة الاخيرة ، ظهور كتاب حديث هام في فرنسة عنوانه « الدراسة والاخفاق » ، وهو من وضع «هنري دانون ـ بوالو» ومن نشر دار «بايو» . وقد فصل الحديث فيه عن العوامل النفسية المرضية للاخفاق النفسي ، مستندا في ذلك خاصة الى منهج لجأ فيه الى أساليب « التحليل النفسي » ، والكتاب جدير بالدراسة والتأمل ، يمثل منحى جديدا هاما في دراسة ظاهرة التخلف المدرسي وعلاجها .

هذا غيض من فيض عن جوانب المسألة السكانية في البلاد العربية ، وقد تريثنا خاصة عند بعض الجوانب المنسية غالبا ، مدركين أن معالجة أي واحد من هذه الجوانب معالجة وافية يحتاج الى سفر برأسه . وقد يكون أهم ما نخلص اليه من هذه العجالة أن المسألة السكانية في البلاد العربية ، وهي الوعاء الذي يحتوي سواها ، مسألة تتآخذ وتترابط مع سائر المسائل الاقتصادية والاجتماعية والتربوية والثقافية والسياسية وغير ذلك . وعلينا بالتالي عند معالجة هذه المسألة ، أن ننظر اليها في صلتها بأترابها وأقرانها ، وأن نعالجها جنبا الى جنب مع معالجتنا للمسائل الاخرى ، فالكل يرتبط بالكل . والأمر أمر تحليل « لنظام » ينتسب بدوره الى « نظم » أخرى ولا يفهم الا من خلالها .

على أنه مهما تتداخل معالجة مسألة السكان بمعالجة سواها من المسائل ، فان قلبها وجوهرها المعالجة التربوية الثقافية . انها شرط لازب اذا أردنا العمل على الحد من التزايد السكاني السريع ، وانها سبيل مواجهة هذا التزايد السكاني السريع واجتناب مخاطره ، وعلى رأس مهمات هذه المعالجة التربوية الثقافية ، توعية الكبار والشبان بالمسألة السكانية ، وآثارها ومخاطرها وسبل علاجها ، كيما يسهموا اسهاما فعالا في تقديم الحلول . وتقوم اليوم في البلدان العربية جهود عديدة في ميدان « التربية السكانية »يتم معظمها عن طريق عون مالي يقدمه « صندوق الامم المتحدة للنشاطات السكانية » ، وتنفذه منظمة اليونسكو . □□

استراتيجية التكامل الثقافي
في منطقة الخليج العربي

بقلم : الدكتور عبدالله حسن العبّادي

الرياض ـ جامعة الملك سعود

□ تعتبر منطقة الخليج العربي من المناطق ذات الاستراتيجية العالمية قديما وحديثا .. اي قبل اكتشاف النفط في معظم دول هذه المنطقة . فماذا عن الايجابيات .. والسلبيات .. وماذا عن استراتيجية التكامل الثقافي ؟

كان موقع الخليج الممتاز من الناحية الجغرافية ،عاملاهاما في نشاطه التجاري ، ولا سيما مع دول العالم الخارجية . ففي الخليج كانت البضائع الهندية تنقل الى أوروبا بواسطة الوكلاء العرب والبرتغاليين والهولنديين والفرنسيين والانجليز . ويعد الخليج ممرا دوليا من الناحية التجارية على مر العصور . وعلى الرغم من أهمية الخليج تاريخيا ـ من الناحية التجارية ، الا أن ذلك لم يعكس اهتماماته في العلاقات الاجتماعية والثقافية . وقبل اكتشاف النفط كان هناك ثلاثة أنماط من الحياة المعيشية لسكان منطقة الخليج العربية .

النمط الأول : التزام أصحابه حياة الصحراء ، والتنقل والترحال سعيا وراء الكلأ والعشب للماشية وبحثا عن مصادر المياه .

النمط الثاني : الاستقرار على الشواطىء وممارسة أهله التجارة والصيد البحري للاكتفاء الذاتي وصيد اللؤلؤ للتجارة والمقايضة .

النمط الثالث : الاستقرار حول الوديان ومنابع المياه ، ومزاولة مهنة الزراعة ، وخصوصا عندما تكون المياه متوفرة والتربة صالحة لذلك .

ومع ظهور النفط بكميات تجارية ، اكتسبت منطقة الخليج العربي أهمية كبرى على المستوى العربي ، والعالمي . ولقد أدى اكتشاف النفط في المنطقة بكميات هائلة ، وارتفاع أسعاره نتيجة زيادة الطلب عليه ، الى دخول دول الخليج العربية الى مجال السوق العالمية . ومع زيادات الدخل القومي نتيجة لعائدات النفط الهائلة ، توسعت مجالات الانفاق ، وكثرت المشاريع

السلبيات

وعلى الرغم من المظاهر الايجابية التي نتجت عن وجود النفط في المنطقة الخليجية ، والأهمية المتزايدة التي تحظى بها المنطقة يوما بعد يوم ، مثل زيادة الانفاق على مشاريع التنمية في مجالات التربية والتعليم ، والطرق والخدمات الصحية والاجتماعية وغيرها ، الا أن هناك بعض مظاهر السلبية التي صاحبت ظهور النفط ووجوده بكميات هائلة في المنطقة ، مثل زيادة الاعتماد الكبير والمستمر على العمالة الأجنبية ، وتهالك أعداد كبيرة من المواطنين في هذه المنطقة على الاسراف في استهلاك الكثير من الكماليات ، ومحاولة الكثير أيضا اللجوء الى بعض الوان من الأعمال السهلة التي تدر ربحا وفيرا ، دون أن تتطلب جهداً كبيراً . كما أن شركات النفط التي تعمل في المنطقة لم تحاول تدريب عمال وطنيين لكي يتولوا العمل في هذا المرفق الهام ، ويقول الدكتور محمد الرميحي في هذا الصدد في كتاب البترول والتغير الاجتماعي في الخليج العربي : « أن شركات النفط العالمية لم تحاول أن تساعد المجتمعات المضيفة في الحصول على بعض الفوائد التكنولوجية الحديثة ، كي يستخدمها أبناء هذه المجتمعات ، سواء في داخل الشركات أو خارجها ، وقد احتكرت شركات النفط التكنولوجيا لعمال أستقدمتهم من الخارج من أوروبا وأمريكا الشمالية ، والبعض من آسيا ، وذلك لتحول - ولوقت أطول - بين أبناء هذه المجتمعات وبين حصولهم وتعرفهم على أسرار العمليات النفطية ، وبالتالي تحول دون سيطرتهم على هذه الثروة الهامة في منطقتهم » .

ان المجتمع النفطي عادة لا يعرف انفتاحا سريعا للتحدث والمعاصرة ، وتقتحم هياكله التقليدية عناصر جديدة ، وأفكار مستحدثة ، تتمثل أساسا في أنماط الاستهلاك المستوردة من المجتمعات الحديثة ، ولا سيما المجتمعات الغربية ، أو ان اردنا الدقة في التعبير - من المجتمعات الصناعية المتقدمة - ولا شك أن مثل هذا الاسراف في استهلاك المظاهر والمستوردات الكمالية من شأنه الاصطدام بحضارة وثقافة مغايرة تماما . وفي كثير من الأحيان ، يصعب على المجتمع النفطي الغني جدا والتقليدي في نفس الوقت ، السيطرة على القوى الاجتماعية الجديدة والمتفجرة فيه ، نتيجة للانفتاح العنيف على ثقافات ، وأنماط من السلوك والمعيشة غريبة عنه لم ينتجها ، أو يحس فعليا أنه ساهم في انتاجها ، بل وفي كثير من الأحيان تتناقض مع ثقافته الخاصة . ان هيكل المجتمع النفطي يتميز بازدواجية البنية ، فمن ناحية نجد هياكل ومؤسسات اجتماعية تقليدية ، مع تأكيد على الذاتية الثقافية والخاصة منها ، ومن ناحية أخرى نرى هياكل ومؤسسات اقتصادية وتكنولوجية عصرية وامكانيات مالية ضخمة . ومن هذه التناقضات الحادة بين التحديث والتقليدية في هذه المجتمعات النفطية ما نراه ماثلا في استيراد الكثير جدا من السيارات من مختلف دول العالم التي تنتج مثل هذه السيارات ، وفي مقابل ذلك لا نجد اهتماما يقابل ذلك في عمليات تنظيم السير والتقيد بقواعد المرور والسلامة المتبعة في البلدان المصدرة للسيارات ، مما ينتج عنه تصادم بين مستحدثات الدول الصناعية المتقدمة ، وبين الهياكل التقليدية التي لا تزال مهيمنة في المجتمع النفطي . ومن التناقضات بين التحديث والتقليدية ما نراه في الاهتمام المتزايد الذي توليه أجهزة الاعلام المقروءة والمسموعة والمرئية في هذه الدول للشعر الشعبي وعدم تقبلها للتحديث في الآداب والفنون بشكل عام .

الازدواجية

ومما لا شك فيه أن ازدواجية البنى الاجتماعية والاقتصادية تعتبر عاملا مولدا لتوترات ثقافية

تتمثل في بعض الظواهر الأنومية[١] (اللامعيارية) كالطلاق ، والادمان على الشرب ، وظاهرة القلق التي تحير بعض الشباب من الجنسين . وظاهرة الجنس الثالث والرابع التي انتشرت في بعض دول المنطقة .

وهناك بعض الأهداف المتضاربة والتي تركز عليها خطط التنمية والتحديث في دول المنطقة الخليجية ، فمثلا هناك هدف مواصلة مسيرة التنمية في الدول العربية الخليجية ، من خلال تطوير مواردها ، وزيادة دخولها من النفط ، مع المحافظة على الموارد القابلة للنضوب ، ويقابل هذا الهدف هدف آخر ، يتمثل في المطالبة بتخفيف الاعتماد على انتاج النفط كمصدر رئيسي للدخل القومي في هذه الدول ، مع محاولة تنويع مصادر الدخل القومي ، فكيف اذن يمكن لنا التوفيق بين الهدفين السابقين ؟ ان هذه المشكلة تعاني منها اغلبية الدول المصدرة للبترول ، غير أنها ظاهرة موجودة أيضا في الدول العربية الخليجية ، والمتماثلة في كثير من ظروف ومشكلات التحديث والتنمية ، والتي تواجهها هذه الدول سويا .

ان وجود المال بشكل وافر في دول منطقة الخليج العربية لا يشكل بحد ذاته قوة منفصلة تساهم في حل مشكلة رسم وتنفيذ سياسة متلاحمة ومترابطة للتنمية في هذه المنطقة .

وعلى الرغم من أن الأهداف الرئيسية المعلنة في سياسة الدول العربية الخليجية المنتجة للنفط تكمن في عملية تنويع مصادر الدخل القومي ـ بعيدا عن مخاطر الاعتماد الفعلي على مصدر واحد للدخل هو النفط ـ إلا أن الاتجاهات الفعلية للقطاعات غير البترولية أصبحت تتضاءل وتتناقص في واقع الأمر ، فالقطاع الزراعي ـ على سبيل المثال ـ أصبح بشكل مستمر غير قادر على تلبية حاجات السكان المتزايدة من الغذاء الأساسي . ان عملية توفير الأمن الغذائي في ظل الازدهار الاقتصادي الذي تشهده المنطقة يظل من الأولويات الهامة في سلم برامج التنمية والتحديث .

ان ما يتم في هذه الدول الخليجية النفطية بالنسبة لقطاعي الزراعة والصناعة يظل في عداد الآمال والأحلام التي كلنا ـ كمواطنين في هذه الدول ـ نأمل أن نصل الى تحقيقها في يوم من الأيام . ان العبرة في هذين القطاعين الهامين ـ الزراعي والصناعي ـ لا تتمثل في أرقام المشاريع الزراعية ، أو في عدد المصانع والمنشآت الصناعية التي يعلن عن انشائها في كل حين وانما يجب أن تكون في الاسهامات الفعلية لهذين القطاعين بالنسبة للدخل القومي والاقتصاد الوطني ، وما توفره من قدر معقول لتلبية حاجات المجتمعات الأساسية ، ولا سيما اذا قارنا الأموال والتسهيلات التي تقدمها الحكومات في هذه الدول الخليجية ، لانشاء مثل هذه المشاريع .

استراتيجية التحديث

ان عوامل التكامل الثقافي بين دول المنطقة تبرز بصورة واضحة للغاية ، ففي مجال التراث الثقافي نجد أن الاسلام يشكل دعامة ثقافية وفكرية هامة . ولقد ظلت منطقة الخليج العربية من الوجهتين الجغرافية والبشرية منطقة واحدة ، وقد كانت القبائل والعشائر العربية التي تسكن المنطقة تتحرك من طرف الى طرف ، ومن مكان الى آخر بحرية تامة ، دونما قيود أو حدود . الأمر الذي تسبب في تداخل هذه القبائل والعشائر بعضها مع بعض عن طريق

(١) الانومية هنا كلمة فرنسية الاصل ، تشير الى حالة انهيار البناء الثقافي وهي تظهر بشكل خاص عندما تنحل الروابط بين المعايير والاهداف الثقافية ، وبين قدرات الافراد الاجتماعية للقيام بسلوك يتسق معها ، فعملية التحديث عملية تتسبب في ايجاد مجتمع مختل ، بمعنى أن الهياكل الاجتماعية فيه لا تسيطر على الهياكل التكنولوجية .

المصاهرة والجوار ، ولهذا فلا غرو أن نجد عوامل كثيرة للتلاحم بين أبناء المنطقة العربية الخليجية . كما أن عوامل التكامل الاقتصادي والسياسي والاجتماعي الأخرى من شأنها أن تساهم في تدعيم وتقوية الروابط الأخوية . وحتى تنجح عمليات التحديث والتنمية في الدول الخليجية العربية ، لابد وأن تكون ضمن اطار فكري واضح يأخذ بعين الاعتبار الأوضاع التاريخية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية لدول المنطقة ، وأن تكون استراتيجية التحديث في دول الخليج العربية ذات بعد شمولي ومفهوم تكاملي ، وليس من الضروري أن تكون صيغ التحديث صورا لما يجري في بعض بلدان العالم الثالث ، أو صورا لمراحل التحديث في الدول الصناعية المتقدمة . وذلك لأن الظروف والأحوال الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتي تميز دول المنطقة تجعلها في حالة فريدة تسمح لها بأن تصوغ اطارات تلائم أوضاعها الخاصة . ومما تجدر الاشارة اليه في هذا الصدد ، وجوب التركيز في استراتيجية التحديث لدول الخليج العربية على أهمية استخدام القوة الذاتية البشرية من أبناء الخليج أنفسهم ، بشكل علمي ومرسوم ليساهم في تعزيز التكامل الشامل والقائم فعلا بين دول المنطقة ، وهناك بعض الأسس العامة التي يمكن تضمينها أية استراتيجية مقبلة للتحديث في المنطقة ، سنذكر بعضها على سبيل المثال فقط :

١ ـ التخطيط والتنفيذ الفعلي فورا لبرنامج عام وشامل في القضاء على الأمية في الدول العربية الخليجية .

٢ ـ الربط بين العملية التربوية، وبين التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، بما يؤدي الى تحديث البرامج التعليمية المحلية ، فيجعلها قادرة على تطوير التكنولوجيا الداخلية ، وفي نفس الوقت الاستفادة من الحصول على خبرات ومعلومات التكنولوجيا الخارجية .

٣ ـ القضاء على البطالة بكافة أنواعها ظاهرة ومستترة ، وتعبئة طاقات المواطنين والجماعات تعبئة وطنية واعية ، للمشاركة الايجابية والفعلية في برامج التحديث والتطوير .

٤ ـ محاربة القيم الاجتماعية المعوقة لطاقات الابداع والانتاج والابتكار ، والتي لا تمت لروح الاسلام بصلة ، وليس لها جذور حضارية مشتركة ، وبذل جهود صادقة مشتركة في اشاعة حب العمل ، وتقدير قيمة الانتاج بين المواطنين .

٥ ـ تغيير بعض المفاهيم عن العمل عند الانسان الخليجي المعاصر ، فعندما اكتشف النفط تغيرت مفاهيم الرعي والغوص والصيد والزراعة عند كثير من سكان المنطقة ، واتجه كثير من أبناء الخليج العربي للالتحاق بوظائف متنوعة في شركات النفط ، واتجه آخرون بشكل مركز نحو الوظائف الحكومية . وقد نتج عن ذلك أن هجر كثير من السكان الأصليين أعمال الرعي والغوص والصيد والزراعة .

٦ ـ القضاء على ظاهرة الاستهلاك التي تفاقمت في هذه المجتمعات ، نتيجة للاقبال المستمر على الانفاق بدرجة غير معقولة في شراء المظاهر الاستهلاكية ، والبذخ المفرط في اقتناء كثير من المواد المظهرية والكمالية ، لا للحاجة الى اقتنائها ، وانما للتباهي والتفاخر الكاذب ، مثل ظاهرة الخدم المتفشية في المنطقة .

٧ ـ اعادة حالة التوازن الى الاقتصاد الوطني في دول الخليج العربية ، بدلا من التركيز على مصدر واحد للدخل القومي ، وهو النفط ، فلابد من الاهتمام مجددا بالزراعة والرعي والصناعة ، وجعلها دعامات أساسية ذات اسهامات حقيقية في الاقتصاد القومي .

٨ ـ معالجة مشكلة العمالة والهجرة الخارجية من دول غير عربية وغير اسلامية ، لانها تمثل ظاهرة غير سليمة ، ولها آثارها الاجتماعية البعيدة المدى ، على مجتمعات الخليج العربية المعاصرة ، من حيث اختلاف طبيعة السكان والتجانس والتنشئة الاجتماعية . □□

العربي - العدد ٣١٢ - نوفمبر ١٩٨٤

الأمير حسن بن طلال يكتب عن :

سياسة الإستيطان الإسرائيلي لفلسطين والوطن العربي

□ الهدف بناء مزيد من المستوطنات وزيادة المستوطنين الاسرائيليين من أجل ترسيخ الأمر الواقع وخلق حقائق جديدة على الارض العربية ، يصعب تغييرها مستقبلا !! ترى هل تنجح اسرائيل في تحقيق هدفها ؟ ! هذا هو ما يجيب عليه الامير حسن بن طلال ولي عهد الاردن في هذا المقال .

مجندون اسرائليون يمهدون الأرض الزراعية لمعاونة المستوطنين .

الحفريات الصهيونية حول المسجد الأقصى ومن بعيد تقام مستوطنات جديدة

جاء طلب مجلة العربي اليّ لكتابة هذا المقال عن الاستيطان الاسرائيلي ، بعد احدى تلك المحاضرات المعهودة في احدى الندوات في عمان ، حينها قال لي السيد رئيس تحرير « العربي » اني اذا كتبت للمجلة ما كنت اشرحه على الخارطة فان ذلك يكفي وهو المطلوب لايقاظ الوعي . وانا اذ اشكر له هذه الثقة أتمنى ان يكون ذلك فعلا . ذلك ان القراءة ليست كسماع المحاضرة ورؤية الشروح ، كما ان المحاضرات والافلام ليست كمعايشة الواقع الذي يعيشه اخواننا واهلنا في الارض العربية المحتلة ويعانون منه صباح مساء . يعيشون وهم يحسون بالارض تسحب من تحت ارجلهم منذ اكثر من سبعة عشر عاما ، بينما كان من الصعب جدا علينا الحصول على المعلومات بسبب التكتم والسرية اللذين اتبعتهما السلطات الاسرائيلية مع تقليلها من اهمية وحجم الاستيطان .

الآن وقد بلغ الاستيطان ما بلغه فاننا نلاحظ توافر المعلومات بسهولة عن حركة الاستيطان الاسرائيلي من خلال تصريحات المسؤولين الاسرائيليين الرسمية وغير الرسمية لغايات في نفوسهم . ويبدو ان الدافع الحقيقي وراء هذا هو تثبيت حجم الاستيطان لخلق قناعات حول صعوبة ايقاف حركة بناء المستوطنات في حالة بدء أية عملية للسلام والمفاوضات ، واستحالة اخلاء تلك المستوطنات لاحقا .

ان استمرار الاستيطان الاسرائيلي للارض العربية في ظل الاحتلال يشكل عقبة اساسية في طريق السلام . فقد بلغ اجمالي المساحات التي صادرتها السلطات الاسرائيلية في الضفة الغربية المحتلة خلال الفترة من ١٩٦٧ حتى ٣١/٣/١٩٨٤ حوالي ٣٠٩,٧٥٠ دونما ، أي ما نسبته ٤٢٪ من اجمالي مساحات الضفة .

وتشير بعض التقارير الاخرى الى ان السلطات الاسرائيلية قد استولت حتى الآن على اكثر من هذه النسبة ، وان النسبة تبلغ فى الواقع ما بين ٥٥٪ الى ٦٠٪ من اجمالي المساحة .

كما تشير المعلومات المتوافرة الى ان عدد المستوطنات المقامة فى المناطق العربية المحتلة خلال الفترة التى ذكرناها آنفا هو ٢٠٤ مستوطنة موزعة على النحو التالي :

المنطقة		عدد المستوطنات
● منطقة القدس		٣٧
● الضفة الغربية :		١١٤
- منطقة نابلس	٣٩	
- منطقة الخليل	٢٥	
- منطقة بيت لحم وبيت جالا	٥	
- منطقة اريحا والاغوار	٢٦	
- منطقة رام الله	١٩	
● قطاع غزة		١٧
● هضبة الجولان		٣٦
المجموع		٢٠٤

(تقرير وزارة العمل الاردنية نيسان ١٩٨٤)

وتقوم السلطات العسكرية الاسرائيلية بنشاط محموم لتكثيف عملية الاستيطان فى الاراضى العربية المحتلة - تحت مختلف الاشكال - للاستيلاء على ما تبقى من اراض للعرب ، عن طريق المصادرة ووضع اليد ، او بواسطة تزوير عمليات شراء وبيع الاراضى . ومما يؤكد نية سلطات الاحتلال فى مواصلة عمليات مصادرة الارض بالقوة وعدم الرضوخ للقرارات التى تصدرها محاكم الضفة الغربية لصالح الملاكين العرب ذلك الامر الذى أصدره قائد المنطقة الوسطى الاسرائيلي الكولونيل اورى اور ، وجرد بموجبه محاكم الضفة الغربية من صلاحياتها القانونية فى النظر فى قضايا الاراضي ، الامر الذى يترتب عليه تجريد الملاكين العرب من حقوقهم فى ظل القرارات التى اصدرتها او تصدرها هذه المحاكم لصالحهم ، كما ان ذلك يعنى ان المحاكم المدنية فى الضفة الغربية لن تتمكن من بحث الطلبات الخاصة بتسجيل الاراضي التى لم تكن مسجلة فى سجلات « الطابو » حتى هذا التاريخ .

وتشير التقارير المتوفرة الى ان الحكومة الاسرائيلية قد انفقت حوالي ٦٠٠ مليون دولار على الاستيطان الصهيوني فى الاراضى المحتلة ، خلال فترة ١٩٧٧ - ١٩٨١ . كما قدرت ميزانية الاستيطان لعام ١٩٨٢ بحوالي ٢٠٠ مليون دولار . ولا تتجاوز ميزانية الحكم العسكري والبلديات للضفة الغربية فى عام ١٩٨٢ نسبة ١٣٪ من ميزانية الاستيطان . اي ان السلطات الاسرائيلية تنفق على الاستيطان سبعة امثال ما تنفقه على الادارة المحلية فى الاراضي المحتلة .

خلق حقائق جديدة

من الضرورى متابعة ما تقوم به اسرائيل من اجراءات على ارض الواقع لخلق حقائق جديدة وقياسه على مضمون رسائلها ووسائلها الاعلامية التمويهية والمضللة الموجهة الى العرب والعالم الخارجي . فتبرير سياسة الاستيطان كما تدعي اسرائيل يعود الى الدوافع الامنية حينا ، بينما هي تدعى « الحقوق » التاريخية والدينية حينا اخر . وتتراوح درجة التركيز الاعلامي على هذه الاطروحات حسب حاجاتها . فقد اعلن حزب العمل الاسرائيلي فى عام ١٩٧٧ ان المستوطنات تمثل ركيزة قوية لاسرائيل ، وبهذه الحجة وجه الدعوة الى حزب الليكود آنذاك الى اقامة المستوطنات فى جميع « ارض اسرائيل » اى جميع الأراضي المحتلة .

هذا الحزب الذى صرح زعيمه شمعون بيريز فى تشرين الاول ١٩٨٢ بان من الممكن ان تبقى المستوطنات الاسرائيلية فى الضفة الغربية جزءا من الاردن حسب خطة السلام التى يدعمها تحالف العمل « المابام » . واضاف انه اذا كان من الممكن تواجد « مستوطنات » عربية ـ مشيرا بذلك الى العرب فى « اسرائيل » ـ تحت ادارة غير عربية ، فكذلك يمكن تواجد مستوطنات يهودية تحت سيادة غير يهودية .

وقد يبدو ان هذا يمثل تراجعا فى سياسة بعض الاحزاب الاسرائيلية المهمة ، لولا ان جميع الاحزاب والهيئات والحركات الصهيونية تشارك فى عمليات الاستيطان فى الاراضى المحتلة ، والتى بدأت ونمت وترعرعت فى ظل حكم حزب العمل الذى اعطاها زخمها واتجاهها واسلوبها وعين اهدافها .

لا تراجع فى الاستيطان

فالصورة على ارض الواقع لا تشير الى تراجع عن فكرة الاستيطان بل على العكس من ذلك . فقد اعلن « نائب وزير الزراعة الاسرائيلي لاغراض الاستيطان » ان اسرائيل ستنفق على الاستيطان حوالي ٦٠٠ مليون دولار خلال العام او العامين القادمين . وسيتم انفاق جزء من هذا المبلغ على اقامة مساكن تقليدية فى المستوطنات ، بعد ان كان المستوطنون يقيمون فى مساكن جاهزة التصنيع سابقا . وتقوم الحكومة الاسرائيلية الآن ببناء حوالي ٦٠٠٠ وحدة سكنية جديدة فى المستوطنات ، لمضاعفة عدد المستوطنين وبيعها لهم باسعار تشجيعية ، تقل عن تكلفة المبانى المماثلة لها فى اسرائيل بنحو ٧٠٪ . فيباع المنزل فى احدى المستوطنات بـ(٩٠,٠٠٠) دولار فقط مقابل (٢٥٠,٠٠٠) دولار للمنزل فى اسرائيل . كما يتم تقديم تسهيلات وقروض للمستوطنين

المتطرفون في مستعمرة « عمانوئيل » : الحياة الدينية هي التي توجه الاستيطان .

حتى الحاخامات يعيشون حالة الرعب ويتدربون على استعمال الأسلحة في المستوطنات .

مستوطنات قيد الانشاء

لتشجيعهم على شراء المنازل . وتقدر نفقات الاستيطان بحوالي (١٥٠,٠٠٠) دولار للعائلة الواحدة .

وقد اعتبر اريل شارون في تصريح له في كانون الاول ١٩٨٢ المستوطنات الاسرائيلية في الاراضي المحتلة خط الدفاع الاول عن اسرائيل في الشرق وبالتالي لا بد من توسيعها ، كما ان هذه المستوطنات مسلحة بصورة جيدة .

الصورة على ارض الواقع تظهر ان حركة الاستيطان الصهيوني قد تزايدت بشكل ملحوظ منذ عام ١٩٨٢ ، كما ان هناك دلائل قوية تشير الى ان الهدف الاساسي للغزو الاسرائيلي للبنان في صيف ١٩٨٢ كان لتكريس الاحتلال الاسرائيلي للضفة الغربية وقطاع غزة ، من خلال صرف الانظار عما يجري في الضفة والقطاع من جهة ، واضعاف مقاومة المواطنين العرب للاحتلال من جهة اخرى . كما استغلت السلطات العسكرية الاسرائيلية تلك الفترة لاقامة المزيد من المستوطنات وزيادة عدد المستوطنين وذلك لترسيخ الامر الواقع وخلق حقائق جديدة على الارض يصعب تغييرها في المستقبل .

ايديولوجية المشروع الصهيوني

الاحصاءات الاسرائيلية المتوفرة تشير الى انه كان هناك حوالي ٣٠,٠٠٠ مستوطن اسرائيلي في الضفة الغربية باستثناء القدس في نهاية عام

١٩٨٢ . وتستثنى الاحصاءات الاسرائيلية القدس دائما باعتبار انها اصبحت جزءا من اسرائيل « شرعيا » وان هذه الحقيقة بعض من الحقائق التى تم تكوينها ولا حاجة الى مناقشتها .
ويقدر عدد المستوطنين اليهود فى القدس بحوالي ١١٠,٠٠٠ مستوطن مما جعل عدد المستوطنين اليهود فى كامل الضفة الغربية فى نهاية عام ١٩٨٢ حوالي ١٤٠ الف مستوطن بالقياس الى عدد السكان العرب فى الضفة ـ بما فى ذلك القدس ـ والذى يبلغ حوالي ٨٠٠,٠٠٠ نسمة . اى ان نسبة المستوطنين الى السكان العرب الاصليين كانت حوالي ١٨٪ . غير انه من المتوقع ايضا ان يزداد عدد المستوطنين اليهود خارج القدس الى اكثر من ضعف عددهم الحالي قبل حلول منتصف ١٩٨٤ ليصل الى ٦٠ر٠٠٠ مستوطن وبذلك يصبح عددهم فى الضفة الغربية حوالي ١٧٠,٠٠٠ مستوطن او ما نسبته ٢١٪ الى السكان العرب .

وهناك خطط اسرائيلية لزيادة عدد المستوطنين اليهود خارج القدس ، ليصبحوا ١٠٠,٠٠٠ مستوطن خلال فترة اقصاها عام١٩٨٧ . وهناك خطط ابعد مدى لاسكان ١,٤ مليون مستوطن يهودى فى الضفة الغربية (عدا القدس) الى جانب ١,٦ مليون مواطن عربي فى عام ٢٠١٠ .

المزاوجة فى هذه السياسة بين الارض والسكان ، تستند بالطبع الى ايديولوجية المشروع الصهيوني بالاستيلاء على الارض وتفريغها من سكانها العرب الاصليين ، حيث كتب ثيودور هيرتزل عام ١٩٠٢ فى كتابه « الارض القديمة الجديدة » مايلي :

« ... يجب رفع شعار ضد الغرباء . يجب عدم تواجد اى شخص سوى اليهود فى هذا التجمع اليهودى » .

وقد اعلنت غولدا مئير فى عام ١٩٦٧ ان :

وتبدأ مستوطنات من الصفر لتتحول الى قاعدة صهيونية زاحفة .

« اليهود قد احتلوا الضفة الغربية ليستوطنوها الى الأبد ويجب ان يكون فى هذه المنطقة اقل عدد ممكن من العرب » .

سياسة تعطيش الارض

وبينما يحظى الاستيطان اليهودى فى الاراضي العربية دائما بدعم القادة الصهيونيين لاستمرار تدفق الهجرة اليهودية تقوم السلطات العسكرية الاسرائيلية بنشاط محموم لتكثيف عملية الاستيطان على ما تبقى من الارض والسيطرة الكاملة على مصادر المياه فى الأراضي المحتلة وتكريسها لخدمة حركة الاستيطان . فقد حددت هذه السلطات استعمالات المياه لاغراض الرى فى الضفة ، وسمحت للمستوطنين باستخدام مياه الضفة للرى فى المستوطنات . وضمن سياسة التعطيش هذه يستهلك المستوطن اليهودى ثمانية اضعاف ما يستهلكه المواطن العربي من الماء . ومن المعروف ان اسرائيل قد سيطرت على مياه نهر الاردن واستولت على حصص الدول المجاورة مثل الاردن ولبنان فى عام ١٩٦٤ ، تلك الحصص التى حددتها (اتفاقية جونستون) مع لجنة الجامعة العربية بـ (١٠٠) مليون متر مكعب للاردن و (٤٢) مليون متر مكعب لسوريا و (٣٥) مليون متر مكعب للبنان .

ان احتلال اسرائيل للاراضى العربية عام ١٩٦٧ قد مكنها من السيطرة على مياه الضفة الغربية وقطاع غزة وهضبة الجولان ، فاستطاعت التحكم بجزء من مياه نهر الاردن ، كما سيطرت على المياه التى تغذى قناة الغور الشرقية التى تستعمل مياها لرى الاراضى العربية فى منطقة غور الاردن فى الضفة الشرقية . كما ابدت اسرائيل معارضتها لاقامة (سد المقارن) على نهر اليرموك فى الاردن ، واشترطت الحصول على (١٨٠) مليون متر

مخطط اسرائيلي جديد لبناء ٣٥ مستوطنة في الضفة الغربية

مكعب من مياه نهر اليرموك ، مدعية ان هذه المياه ضرورية لسد حاجات الضفة الغربية المحتلة .

والواقع ان الضفة الغربية المحتلة تتمتع بفائض مائى كبير بعد تقييد اسرائيل لاستعمالات المياه من قبل المواطنين العرب . ومن الواضح انه اذا ترجمت اسرائيل رغباتها الى واقع فانها ستكرس السيطرة على مياه نهر الاردن بكاملها مضافا اليها مواضع تغذية المياه التى تحول الى قناة الغور الشرقية ومياه الضفة الغربية . ولا تقتصر مطامع اسرائيل على مياه الضفة الغربية المحتلة والمطالبة بجزء كبير من مياه نهر اليرموك الاردنية ، بل ان من المعروف ايضا ان اسرائيل انهت مؤخرا الدراسات الهندسية الضرورية لتحويل مياه نهر الليطانى من لبنان الى اسرائيل .

اقتصاد اسير

هذا عن الاستيطان الصهيوني ودور سياسة التعطيش فى استلاب الارض وتفريغها من السكان العرب اصحاب الحقوق . ولكن هذه

السياسات تتخذ بالطبع اشكالا اخرى كثيرة في التجويع واستلاب الثقافه مما يجعل اقتصاد الاراضي العربية المحتلة اقتصادا اسيرا شأنه شأن السكان الذين يتعرضون لاستلاب الهوية العربية والتعبير السياسي الذاتي .

فقد ارغم سكان الاراضي العربية المحتلة - نتيجة لفقدان اراضيهم المنتجة ومياههم - على العمل في المصانع والخدمات الاسرائيلية في اسرائيل او الضفة الغربية كأيدي عاملة رخيصة بأجر لا يتجاوز ثلث اليد العاملة الاسرائيلية ، بينما يدفع العرب الضرائب دون الحصول على عائداتها من تعويضات البطالة والتقاعد ودون اعتراف السلطات الاسرائيلية بالنقابات التي تمثلهم . وتعتبر اية احتجاجات يقوم بها العمال العرب لرفع اجورهم او تحسين الخدمات العامة جنايات وجرائم امنية .

وبينما تجلب الضفة الغربية مئات الملايين من الدولارات كعائدات سياحية سنويا ، تبقى هذه الضفة سوقا اسيرة ومربحة للمنتجات الاسرائيلية حيث ان الضرائب والقيود المفروضة من قبل السلطات قد منعت تطوير الاقتصاد التصديري ، وجعلت من الضفة ثالثة سوق للمنتجات الاسرائيلية بعد السوق الاميركية والبريطانية .

وبينما يأتي ٩٠٪ من واردات الضفة من اسرائيل فلا يسمح باستيراد اكثر من ٢٪ من احتياجاتها من الضفة الشرقية التي تغطي العجز وتظل تسعى جاهدة لتأكيد استمرارية الخدمات الاساسية والحفاظ على الهوية العربية في الارض المحتلة .

الدعم الامريكي

نحن في الاردن نظل نشرح دائما للامريكيين بان الدعم الامريكي المالي والاقتصادي والعسكري والسياسي لاسرائيل ، انما يشكل دعما لهذه السياسات التي تتجاهل ابسط مبادىء حقوق الانسان وحق تقرير المصير . فقد بلغ حجم المساعدات الامريكية لاسرائيل في عام ١٩٨٢ مثلا (٢,٢) بليون دولار ولعام ١٩٨٣ (٢,٤) بليون دولار ، وتقدر المساعدات لعام ١٩٨٤ بـ (٢,٦١) بليون دولار يصرف معظمها على شكل منح اقتصادية وعسكرية . وتشكل المنح اكثر من نصف المساعدات الاميركية « لاسرائيل » .

صحيح ان الاقتصاد الاسرائيلي هو في موضع متزايد السوء لا يحسد عليه ، حيث يبلغ التضخم اعلى نسبة تضخم في العالم تتزايد باستمرار عن ١٣٠٪ . وقد وصلت ديون اسرائيل الخارجية اكثر من (٢٦) بليون دولار معظمها للولايات المتحدة الامريكية ، مما يجعل كثيرا من المراقبين يعتقدون ان اسرائيل هي رهينة ديونها للولايات المتحدة ، وتستطيع هذه الاخيرة ان تمارس حدا ادنى من الضغط الذي لا تمارسه على اسرائيل ، بينما يرى اخرون ان العكس صحيح . وان ارتفاع حجم الديون الى هذا الحد يورط الدائن اكثر فاكثر للسير وراء سياسات المدين .

وبينما تتقدم الولايات المتحدة بين الحين والاخر ببعض المبادرات غير المقنعة نحو السلام والتي ترفضها « اسرائيل » قبل غيرها ، فاننا لا نكف عن التعبير عن رأينا بان استمرار الاستيطان واستمرار الدعم له في ظل استمرار الاحتلال ، انما يشكل عقبة رئيسية في وجه أية مقترحات للسلام .

ولن يساعد استمرار « اسرائيل » في احتلال الاراضي العربية ، متذرعة باعتباراتها الامنية ، على انهاء الصراع العربي - الاسرائيلي المتمحور حول القضية الفلسطينية . والادارة المحلية التي دعا اليها رئيس وزراء اسرائيل الاسبق مناحيم بيغن لن تحل مشكلة الفلسطينيين الذين يعيشون تحت الاحتلال . كما ان سياسات اسرائيل واستمرار استعمالها لقوتها العسكرية لن يحل

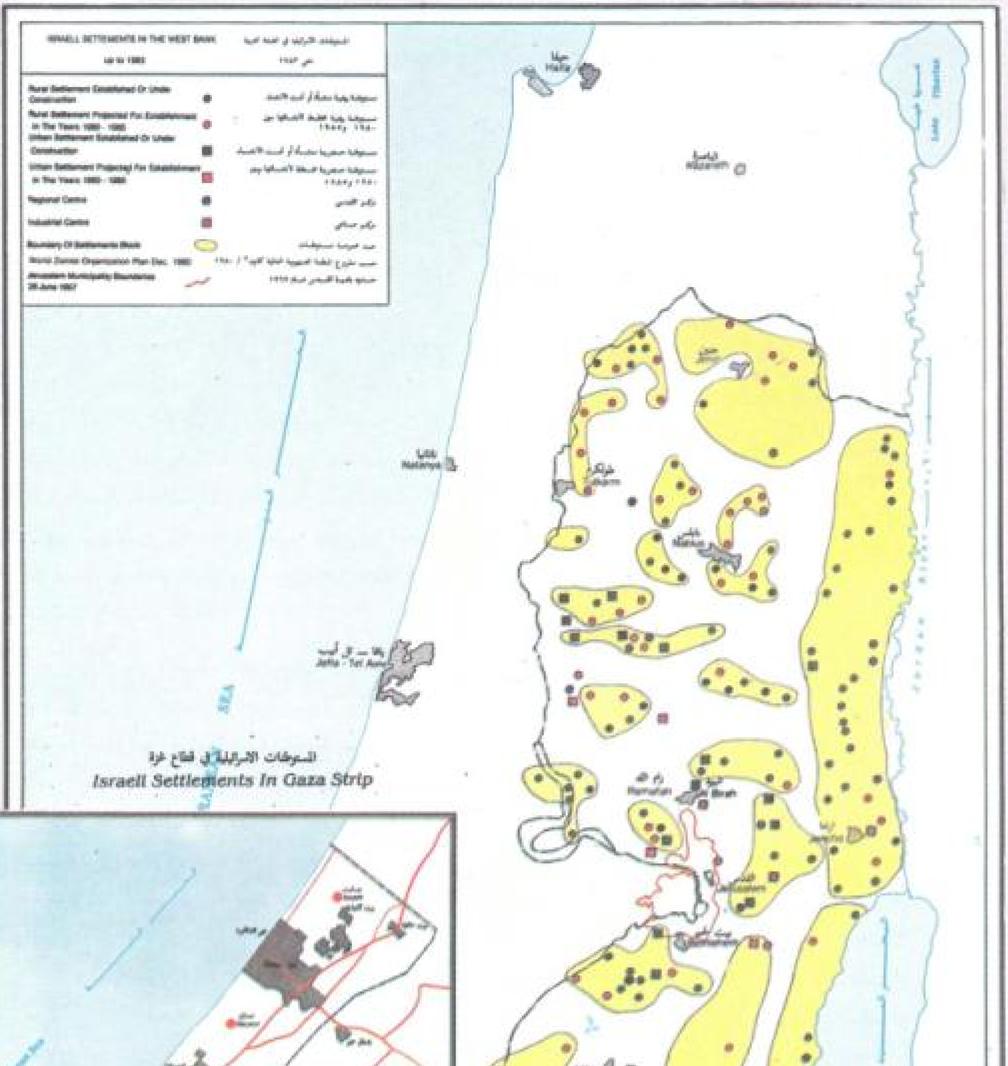

المستوطنات الاسرائيلية في قطاع غزة
Israeli Settlements In Gaza Strip

المستـوطنـات الاسـرائيليـة فـي
الضفـة الغـربيـة وقـطاع غـزة

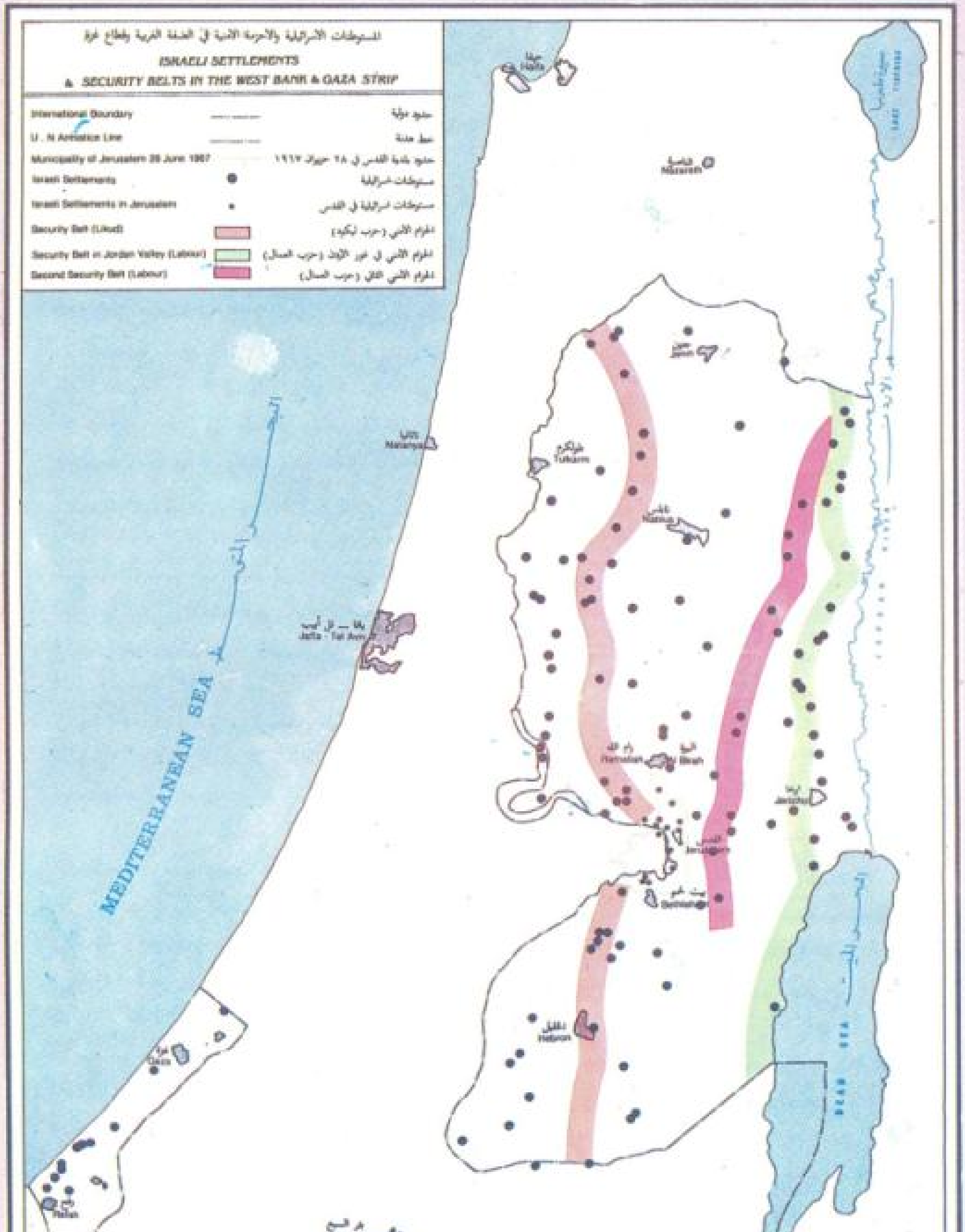

المستوطنات الاسرائيلية والأحزمة الأمنية
في الضفة الغربية وقطاع غزة

مشكلة الفلسطينيين المتواجدين خارج الاراضى المحتلة .

ضرورة الانسحاب

والاصح هو انسحاب اسرائيل من الاراضى العربية المحتلة لكى يمارس الشعب الفلسطيني حقه فى تقرير مصيره وممارسة حقوقه الاساسية . والفقرة الاولى من ميثاق الامم المتحدة لحقوق الانسان تؤكد هذه الحقوق ، حيث تنص على ان لجميع الشعوب حق تقرير مصيرها بنفسها . وكان هذا الحق ذاته رسالة الثورة العربية الكبرى الملهمة ، وقد طالبت بهذا الحق المشروع للامة العربية منذ بداية هذا القرن كما اكد الشريف حسين بن علي الاول حق الشعب العربي الفلسطيني عندما اشار الى « ترك اختيار مصيرها لاهلها . . . . » واعاد المغفور له الملك فيصل الاول التأكيد على هذه المطالب وهذه الحقوق فى مؤتمر فرساي بعد الحرب العالمية الاولى . وتبقى هذه الرسالة بالنسبة لنا رسالة نحملها من الاجداد .

لقد حرم الشعب العربي الفلسطيني فى الضفة الغربية وقطاع غزة تحت الاحتلال الاسرائيلي من مجموعة الحقوق السياسية والمدنية . وتطور الاستعمار الاسرائيلي للضفة والقطاع منذ حزيران عام ١٩٦٧ ليصبح البعد الاكثر اثارة للانفعال فى الصراع العربي - الاسرائيلي . فالبلاد التى ينص قرار مجلس الامن رقم (٢٤٢) و (٣٣٨) على الانسحاب الاسرائيلي منها تكسوها المستعمرات الصغيرة والكبيرة والتى تمثل جميع المجموعات السياسية والدينية الاسرائيلية والتى تهدف الى ترسيخ سيادة اسرائيلية على تلك المناطق بانشاء المستعمرات وتكثيفها وتسمينها لضمان السيطرة وتحويلها مع التقادم الى سيادة دائمة .

ان المفهوم الاسرائيلي للسيادة هو انها تنجم عن مدة معينة من السيطرة الفعلية اى ان تتحول السيطرة العملية نتيجة تغيير الحقائق على الارض الى سيادة من خلال تقويض كل عناصر الصمود الفكري والثقافي والنفسي والاقتصادى وسحق او استلاب القدرة على المقاومة والتحرير .

ان هذا الوضع لا يخلو بطبيعة الحال من مضاعفاته ومغازيه بالنسبة لنا فى الاردن وللامة العربية . فالمشروع الاسرائيلي لانشاء (قناة البحرين) عبر الاراضى المحتلة لا يمثل انتهاكا للاتفاقات الدولية ومبادىء الامم المتحدة فحسب وانما هو استمرار للعدوان والاعتداء يحمل فى طياته ما يحمله من مغازى للاردن والبلاد العربية . وان قول بعض زعماء « اسرائيل » بأن الاردن يعتبر وطنا بديلا للفلسطينيين انما هو دعاية ليس لحرمانهم من وطنهم الاصيل فحسب وانما يشير الى مخططات اسرائيلية لزعزعة الاردن والاعداد للعدوان عليه . ويمكن ان يقال الشىء ذاته عن البلدان العربية الاخرى ، ورؤية سياسة التوسع والاستعمار الاسرائيلي بالنسبة لكل بلد والتى تنبع من الايديولوجية الصهيونية .

وليس من الصعب رؤية الاساليب الاسرائيلية المتشابهة بالرغم من اختلافها مع كل بلد تبعا لخصوصيته وظروفه كما يتضح ذلك فى لبنان . ولكن المتابع لما جرى فى لبنان يستطيع ان يرى ما اصبح يدعى « بالضفة الشمالية » فى جنوب لبنان . والعدوان الاسرائيلي على المفاعل الذرى العراقى لا يترك مجالا لاخواننا فى الخليج او فى اى مكان من الوطن العربي لان يظنوا انهم بعيدون عن المشكلة او بعيدون عن الاطماع الاسرائيلية والخطر الصهيوني .

ان رؤية الواقع واستشفاف معانيه يفرض علينا جميعا ان نرى ان قضية الشعب الفلسطيني ليست معزولة وان دعم صموده انما هو فى الواقع دعم للتحصينات الدفاعية الامامية عن الوطن العربي وان ايقاف الانحدار انما هو نقطة ضرورية لا لاستعادة الحقوق فحسب وانما لمنع الكارثة من ان تتكرر .

في ذكرى قيام الثورة الجزائرية

العصماء

شعر : مصطفى كمال

حيّ الأغرّ الفاتحَ المظفارا | والثورة العصماء والثوارا
واذكر جهاداً لم تزل أصداؤه | تستقطبُ الأقلام والأفكارا
وتحثُّ كلّ الثائرين : أن اصمدوا | دكّوا قلاع الشرّ والأشرارا
وتوحدوا تحت لواءٍ واحدٍ | كي تظفروا وتحققوا الأوطارا
ان التوحّد في الشدائدِ بلسمٌ | في ظلّه أدواؤكم تتوارى
فهو المصيرُ الحقُّ والأملُ الذي | من دونه لن تقطفوا أثمارا
ثوراتُ شعبٍ ثائرٍ مُستبسلٍ | وقف الورى لجلالها اكبارا
كان ابن محي الدين أول مُشعلٍ | لفتيلها والفارسُ الكرّارا
كم من معاركَ خاضها ببسالةٍ | ولّى الطغاةُ أمامها الأدبارا
ثوراتُ شعبٍ صاغهنّ (نُفمبرُ) | ناراً ، ونوراً بدّد الديجُورا
(نُوفمبرُ) الأوراسِ إني مغرمٌ | بكَ . قد عشقتُ النورَ والتنويرا
أحببتُ فكرَك في المحافلِ ثاقباً | ومُحاضِراً ومُصحّحاً أفكارا
ما زلتُ أبحثُ سائلاً مستفسراً | عنكَ الرواةَ لأكملَ التصويرا
مُسترجعاً صُورَ البطولةِ والفدى | ومُفسّراً أحداثَها تفسيرا
جمعٌ غفيرٌ من بنيكَ استشهدوا | ضحّوا لنحيا بعدَهم أحرارا
طوبى لهم في جنةٍ أزليةٍ | فازوا بها . فليقطفُوا الأثمارا
آهِ رفاقي لو تعون قضيةً | قد صُغت منها ألحياةِ شعارا
غذّوا الشبابَ الغضَّ بالهدفِ الذي | من أجلهِ ضحّى الجميعُ وثارا
غذّوه بالعلمِ الصحيحِ وفجّروا | فيهِ المواهبَ والرؤى تفجيرا
فهو المُعوّل عنهُ في نهضاتنا | وهو الذي سيواصلُ المشوارا
سرُّ ارتقاءِ المرتقينَ شبابُهم | فإذا استقامَ النشءُ فاضَ ثمارا
في أمتي ورمٌ خبيثٌ مزمنٌ | كم صالَ فيها كم أغارَ وجارا
من ذا يكونُ خالداً أو عقبةً | من ذا يكونُ سيفكَ البتارا ؟
ليردّ للقدسِ السليبةِ أصلَها | تاريخَها العربيَّ والآثارا
الله أكبر يا فلسطينُ اصمدي | لا تأبهي لمن استكانَ وخارا

إنسان جديد.. يقف وراء الآلة في الخليج

استطلاع : محمود عبد الوهاب   تصوير : طالب الحسيني

العمالة الفنية الخليجية .. ملف يجب أن يفتح

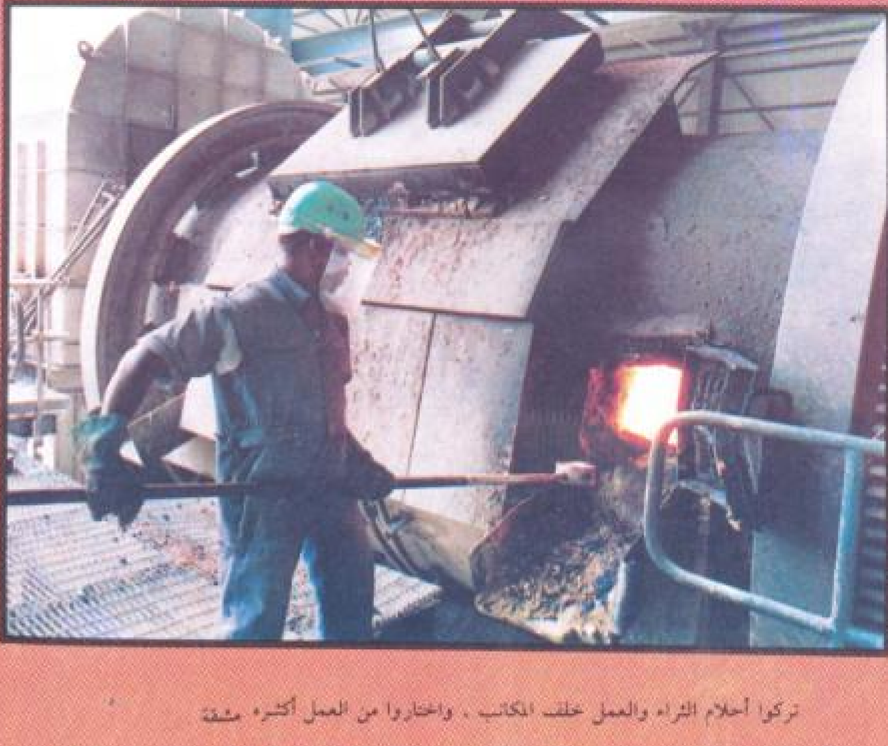

تركوا أحلام الثراء والعمل خلف المكاتب ، واختاروا من العمل أكثره مشقة

□ تطور مفهوم الحماية تطورا بالغا ، فلم يعد قاصرا على المعنى العسكري والأمني ، بل تجاوز ذلك الى معنى أبناء الوطن ، أصحاب المصلحة في الدفاع عن منشآتهم ومصانعهم ، بالعمل فيها ورفع انتاجيتها .. وبحثا عن هؤلاء الحماة في الخليج .. كانت رحلتنا بحثا عن العامل الخليجي ، الذي يخرج من رحم ظروف تاريخية واجتماعية ليست مواتية .

منتصف ليلة صيف

مقعد صغير في طائرة تتنقل بين عواصم خليجية ، وبضعة كتب ودوريات وأوراق وأبحار في زمن مضى . . قبل أن نهبط الى أرض أول عاصمة . .

على امتداد خريطة الأحداث العالمية ، ولا يكاد يوم يمر دون خبر أو تحليل أو رأي عن دول الخليج ، فقد قفز الخليج العربي ودوله الى سطح الأحداث العالمية ، وأصبح واحدا من معطيات أي محلل للأمور الاستراتيجية والاقتصادية في العالم .

ولم يكن هذا صدفة . . ولم يكن أيضا اهتماما مفاجئا بالمنطقة . . بل يعود الأمر الى زمن مضى ، وجذور قديمة . .

التاريخ والجغرافيا

أصبح أمرا مستقرا لدى دارسي العلوم السياسية ، أن عنصري التاريخ والجغرافيا أمران بالغا الأهمية ، لفهم وتحليل أي ظاهرة سياسية كانت أو اجتماعية ، بل حتى بعض الظواهر الاقتصادية ، لا يمكن اغفال هذين العنصرين عند تحليلها .

ولقد مر الخليج العربي في النصف قرن الأخير ، بعديد من الأحداث والظواهر التي تراكمت لتصنع واقعا حاليا ، لا يمكن النظر اليه وتحليله دون الرجوع الى الوراء قليلا .

فقد كانت الأهمية الاستراتيجية ، وأهمية الموقع الجغرافي لدول الخليج في عصر ما قبل النفط ، عاملا هاما في رسم خريطة المنطقة ، والتي تحولت الى نقطة تتصارع حولها قوى وكيانات ذلك العصر ، وكما يقول دارسو التاريخ فإن وجود الاستعمار البريطاني في منطقة الخليج ، كان في بدايته لتأمين تجارته مع الهند ، وتأمين الطرق البحرية المؤدية الى مستعمراته ، بالاضافة الى وجوده في مصر . ويدلل أصحاب هذه الفكرة على صحة فكرتهم بأن الخليج سقط تحت سيطرة القوة البريطانية ، في الربع الأول من القرن التاسع عشر عقب معاهدة يناير ١٨٢٠ مع أمراء وشيوخ القبائل بالخليج ، ومنذ ذلك الحين ـ ولأهمية الموقع جغرافيا وعسكريا بالنسبة لبريطانيا ـ فقد بدأت تفرض سياسات التفكك على مجتمعات شرق الجزيرة وعمان نتيجة لمعاهدات مكتوبة ، أو نتيجة التلويح بالتدخل بالقوة ، وصاحب ذلك أيضا نوع من التقوقع الاقتصادي والذي فرضته الهيمنة البريطانية ، فانقطعت حركة التجارة بين الجماعات الخليجية وأقطار الهند والساحل الافريقي ، نتيجة للمنافسة الشديدة بين وسائل نقل شبه بدائية ، ووسائل نقل حديثة تعتمد على البخار وهو اكتشاف أوروبا والغرب في ذلك الوقت .

واستمر الوضع قرابة المائة عام . . هيمنة بريطانية تمارس نوعا من التدخل المخطط ، في اذكاء الصراعات بين القبائل ، تحت ما أسموه بتحديد مساحات من الأرض اذ تعترف السلطة البريطانية بسيادة تلك القبيلة أو هذه عليها ، ثم اتفاقيات ١٨٢٣ وما أدت اليه من فرض بريطانيا لخط وهمي في منتصف الخليج ، يمنع ارتحال وتحول القبائل العربية من جانب الى آخر .

وسط هذا بدأت الطفرة الكبرى للخليج ، باكتشاف النفط في الفترة ما بين الحربين العظميين ، فزاد من أهمية الخليج . وبتعاظم المصالح البترولية تحول الخليج الى بؤرة اهتمام العالم ، وأصبح منطقة بالغة الحساسية والخطر ، وبدأت منذ ذلك الحين مرحلة أخرى من مراحل الهيمنة البريطانية ، في رسم الخطوط والحدود السياسية لمجموعة دول تتقاسم فيما بينها هذا الشريط الساحلي المحتضن للخليج ، والذي يجري في باطنه سائل أسود كفيل بتغيير خريطة العالم اذا امتلكته وحدها قوة ما .

وشهدت المنطقة منذ ذلك الوقت غزوا تكنولوجيا هائلا لها ، وظل هذا التواجد محصورا في نطاق عمليات صناعة النفط (بحث وتنقيب

واستخراج) ، وظل انسان الخليج بعيدا عن التعامل مع هذا التطور العلمي المعقد ، والذي كان كفيلا بأن يسهم في تغيير الثقافة المجتمعية له بادخاله عصرا جديدا . . وهو عصر الآلة . .

وشهدت دول المنطقة عقب الحرب العظمى الثانية ، صراعات سياسية حادة بين أبنائها وشركات النفط والمستعمر البريطاني ، انتهت بها في النهاية الى تحقيق الاستقلال السياسي لدول المنطقة ، ثم امتلاك مصادر ثروتها الوطنية ، وكان امتلاك عائد النفط والقفزات التي حدثت في مستوى أسعاره ، وبالتالي في عائدات هذه الدول والتي اندفعت في تنفيذ عديد من المشروعات واحداث حركة نمو هائلة .

وعلى مدى العشرين عاما الأخيرة ، كان تعاظم ايراد النفط ، والرغبة الجادة لدى دول الخليج في مواكبة التطور والتقدم ، وارتفاع مستوى دخل الفرد ونصيبه من الثروة الوطنية ، سببا كافيا لاحداث العديد من التغيرات في بنية المجتمع وتركيبه ، وبالتالي تبرز ظواهر أخرى جديدة لم تألفها هذه المجتمعات من قبل ولم تعرفها . . فماذا حدث ؟؟

رجاء ربط الأحزمة

فور الخروج من بوابة مطار أبو ظبي ، لا تملك الا أن تقف قليلا تلتقط أنفاسك من الدهشة ، فمساحات الخضرة والزهور والأشجار تزين الطرق الممتلئة ، بخليط من جنسيات آسيوية ، يبعث الشك في أنك في دولة الامارات العربية ، ولكن يبدو أن خصوصية الحالة هي السبب وراء هذا . فالامارات العربية تقع في قلب الخليج العربي بين خطي عرض ٢٢ ، ٢٦،٥ وتبلغ مساحتها حوالي ٧٧٧٠٠ كيلو متر مربع ، تمثل الصحاري فيها ما يزيد عن ٧٠٪ . ومن هنا تأتي الدهشة ، فرغم قسوة الطبيعة في التربة والمناخ ، الا أن الخضرة على امتداد الامارات كلها في الطرقات والميادين والحدائق على امتداد ساحل الخليج ، تمثل نوعا من التحدي الانساني للطبيعة وقسوتها .

الخصوصية الثانية هي نسبة عدد السكان . . . فعدد سكان دولة الامارات يبلغ ١،٠٤٢،٠٩٩ نسمة ، وهو عدد شديد التواضع قياسا الى مساحة الدولة واحتياجاتها من السكان ، خاصة اذا علمنا أن هذا العدد بينه ٣٢٢،٣٨٧ نسمة من الاناث ، بينما ٢٩٧،٩٣٣ نسمة تتراوح أعمارهم بين سنة و ١٤ عاما .

ولعله مما يزيد في فهم خصوصية الحالة قراءتنا للتوزيع النسبي للسكان في دولة الامارات ، فسوف نجد أن ٣٣،٧ بالمائة من السكان في سن العمل (١٥ سنة فأكثر) يعملون في قطاع الخدمات و ٢٧،٨ بالمائة يعملون في قطاع البناء ، أي أن ٦١،٥ بالمائة من جملة السكان في سن العمل لا يمارسون عملا انتاجيا حقيقيا ، ولذلك فاننا نجد أن ايرادات الدولة لها مصدران رئيسيان فقط أولهما صادرات النفط وثانيهما الصادرات غير النفطية . وبرغم هذا فانه في عام واحد كعام ١٩٨٣ كانت قيمة الصادرات غير النفطية ١،٧ مليار درهم ، منها مليار درهم للمنتجات النفطية (نفتا ، وقود طائرات . . . .) أي أن التميز قائم بين نفط خام ومنتجات نفط ، أي أن الصادرات غير النفطية ليست مواد منتجة ومصنعة بقدر كونها ذات صلة بالمخزون النفطي هبة الله .

والمشاهد أن هناك في الامارات السبع كلها مظاهر عمران ونمو ضخمة ، ما بين طرق تعبد ومباني تشيد ، وحركة رواج ظاهرية نسبيا رغم اجراءات التقشف وسياسات ترشيد الانفاق المتبعة في دول الخليج حاليا .

وهنا يثور التساؤل : أين انسان الخليج ؟

الأمر المفزع والذي يصيب بالدهشة ، هو غياب انسان الخليج في دولة الامارات أو انعدام التوازن النسبي نهائيا ، وهذا أمر لا نجزم به وفق

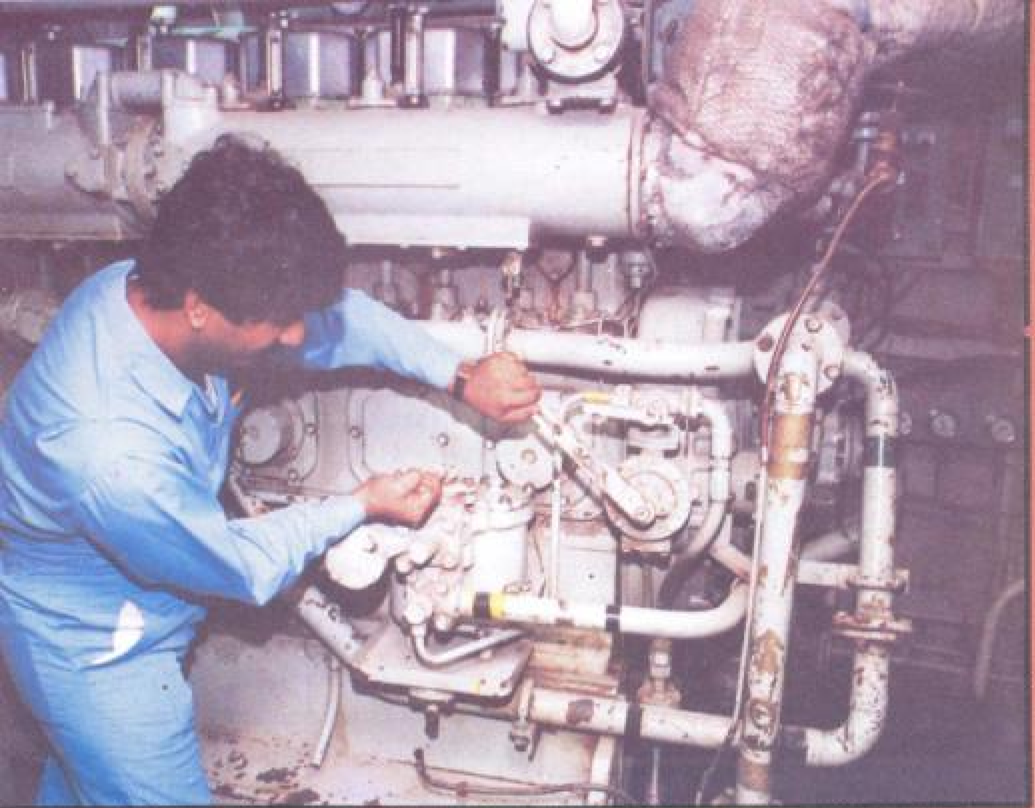

▲ الى أعلى في مصنع للبتروكيماويات أحدث صناعات العصر .. يطمئن على سير العمل بفهم وكفاءة قال عنها الخبراء الفرنسيون هذه الكوادر بعد سنتين فقط قادرة على أن تعمل بمستوى الأداء العالمي في أي مصنع مشابه

الى أقصى اليمين مواطن خليجي في محطة ضخ المياه. يعمل في ظروف مناخية قاسية من أجل أن يمنح وطنه الماء ، لم يتوان لحظة عن تحمل كل الصعاب من أجل حلم بأن يبدد الظمأ أبنائها

في منجم لاستخراج النحاس .. الوجوه السمراء .. تعمل على مسافة ٤٠٠ قدم تحت الأرض حيث السخونة والحرارة .. في كل الاعمال بدءا من الحفر وانتهاء بقيادة المركبات حاملة الخام الى خارج المنجم

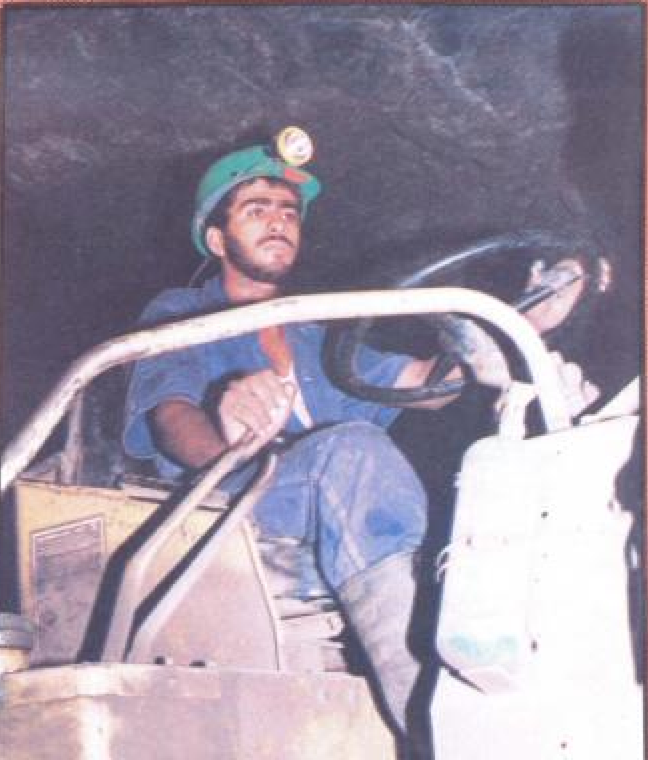

المشاهدة فقط ، بل هو واقع من قراءة أرقام لا تكذب .

فمثلا كما تقول أرقام احصاء التوظف والأجور وساعات العمل الصادر عن وزارة التخطيط بدولة الامارات ، فان اجمالي عدد العاملين في القطاع الخاص من الوطنيين (مواطني دولة الامارات) هو ٢٦٤٧ مواطنا فقط يقابلهم مثلا ٥٣١٠١ باكستاني ، ٩٦٥٧٧ هنديا ، ٦٥٩٢ من بنجلادیش ، ٣٣٣٣ اسيويين متفرقين ، هذا بخلاف عدد من الجنسيات العربية والأجنبية الأخرى ، لا تمثل أرقامها في النهاية فجوة هائلة مثل تلك الأرقام .

وعلى صعيد القطاعات فمن خلال زيارة الى قطاع شركات التأمين في الامارات - وبرغم أنها واحدة من النشاطات الاقتصادية الخدمية - فاننا نجد مثلا أن اجمالي عدد المواطنين العاملين في هذا القطاع يبلغ ٨٠ مواطنا منهم ٧٥ يعملون كأعضاء مجالس ادارات في هذه الشركات !! واثنان مديران وثلاثة كتبة ، ومن العرب ٤٥١ منهم ٣٢ أعضاء مجالس ادارة و ٩٤ مديرا و ٤٨ محاسبا و ٦٢ فني تأمين و ٢٠٩ كاتب و ٦ عمال خدمات ، وتأتي النسبة الأعظم من الجنسيات الاخرى والتي تمثل ١٩ عضوا من مجالس الادارة و ٨٠ مديرا و ٦٨ محاسبا و ٥٣ فني تأمين و ٤٥٩ كتبة وأعمال ادارية و ١٧١ عمال خدمات ، لتبلغ جملتهم في النهاية ٨٥٠ أي أكثر مرة ونصف من اجمالي عدد الوطنيين والعرب .

شهادة الشهود

على مدى جولة طويلة داخل الامارات وبين قطاعاتها المختلفة ، تأتي شهادة الشهود لتدلل على خطورة وخصوصية الموقف في البلاد .

في مجمع (دوبال) بدبي وهو أكبر مجمع لصناعة الألمونيوم بالشرق الأوسط ، ومزود بوحدة تحلية مياه تبلغ طاقتها ٢٠ مليون جالون يوميا . نجد نفس الظاهرة ، وهي تناقص عدد الوطنيين ، فمن اجمالي عمالة تبلغ ١٣٤١ يوجد ٥٤ وطنيا فقط و ٥ عرب و ٥١٢ هنديا و ٢٧٧ فلبينيا و ٣١٠ باكستانيا بالاضافة الى عدد من العاملين البريطانيين والذين يقتصر عددهم على ١٣٤ منهم عدد يتولى السكرتارية وأعمال التمريض .

وبرغم أن المجمع قد افتتح في شهر أكتوبر عام ١٩٨٢ مركزا للتدريب والاعداد المهني للشبان الوطنيين الذي لم يستكملوا دراساتهم الثانوية ، فان عدد المتقدمين الى أول دورة اعداد للمعهد لم يتجاوز ١١ وطنيا رغما عن الامتيازات المادية ، وحملة دعاية مكثفة في أجهزة التلفزيون .

د . رفيعة غباشي ، أخصائية أمراض نفسية بمستشفى الراشد بدبي ، وعضو الجمعية النسائية تقول : ندرة العمالة الوطنية تعود أساسا الى الطفرة المالية المسيطرة على العقلية الاجتماعية ، والتي أفرزت في النهاية انسانا خليجيا غير قادر على العمل ، وأتصور أن المسئولية عن هذا الوضع مسئولية مشتركة بين جميع أطراف المجتمع ، لأن ثقافة المجتمع وقيمه لا تصنعها مؤسسة واحدة ، فنحن لا نستطيع أن نحدد من المسئول عن ترتيب الاحساس بدونية العمل اليدوي ، ونحن لا نستطيع أن نحدد من الذي يستطيع اتخاذ قرار اعادة النظر في كم المقبولين والدارسين ، وخريجي الكليات والدراسات النظرية ، وعدم توازنهم مع دارسي الأقسام العلمية ؟! ، قضية الأجور والرواتب ، وهل من المنطق أن يتساوى راتب طبيب مع راتب خريج كلية نظرية ، حتى الحافز لا يوجد ، القضية أكثر شمولية واتساعا من محاولة تفسيرها من خلال منظور واحد ، انها أخطر قضايا مجتمع الخليج .

حصة عبد الله أول مخرجة في تلفزيون دبي تقول : (يبقى لسياج المجتمع وتقاليده دور بالغ الأهمية ، وللأسف لم يواكب حركة النمو

عزيزي القارئ

منذ فترة طويلة تبحث أقطار العالم الثالث عن حلول توصلها الى أشكال من التعاون الاقتصادي والسياسي تتناسب مع ظروفها ، ويشير مفكروها دائما الى النجاحات في التعاون،والتي قامت بين دول أوروبا،سواء التي تأخذ بالنظام الرأسمالي أو الاشتراكي،مع مقارنتها بالفشل المصاحب لتجارب العالم الثالث في الوحدة والتعاون .

وفي الوطن العربي اليوم تجربة ناجحة وجادة لشكل من أشكال التعاون الاقليمي،الذي يأخذ بعين الاعتبار متطلبات النظام المحلي والنظام الاقليمي العربي .

هذا التعاون يهدف الى تحسين وتطوير نوع الحياة لأبناء الخليج ، التي هي بالتأكيد دعم وذخيرة للوطن العربي الاكبر .

ان تجربة التعاون في منطقة الخليج تؤكد مجموعة من المعاني الايجابية، على رأسها أن هذه الاقطار قد أختارت التعاون بعضها مع بعض دليلا على حريتها في الحركة وعدم ارتباطها مع أية قوة خارجية ، فبعزم أبنائها واخلاص قادتها تتجه الى التعاون المثمر الذي يؤكد رفضها الشامل لأى تدخل من الخارج .

ولقد اتخذت هذه الاقطار منهاج التنمية التكاملية الشاملة طريقا لتعزيز الوحدة بين أعضائها،دون النظر الى مكاسب سياسية تكتيكية مؤقتة، مؤمنة في الوقت نفسه بأن الحوار المنطلق من قاعدة الثقة هو الذى يذلل فى النهاية الصعوبات التي تواجه الشعوب والامم ، ومؤمنة أيضا أن النزاعات القطرية العربية دائما هي مدخل الاجنبي السهل لخلخلة الأمن الوطنى والقومى العربى .

وفي نهاية هذا الشهر يعقد على أرض الكويت اللقاء الخامس لقمة مجلس التعاون،بعد أن شهدت السنوات السابقة خطوات تعاونية ايجابية في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية والاعلامية ، وأعتبر الالتزام السياسي القوي الذي تابعه المخلصون من أبناء هذه الاقطار قاعدة صلبة لانجاح التعاون وتذليل العقبات .

ان تجمع طاقات هذه الاقطار العربية الخليجية لتحقيق مصالحها السياسية والامنية والاجتماعية ، كما أن نجاح دور هذه الاقطار في المنظمات الاقليمية الاخرى ضمن الدائرتين العربية والدولية ، يعني التأكيد على اصرار المخلصين من أبناء هذه الارض الطيبة على تحدي العقبات مهما كثرت وتنوعت عن طريق حمل الرسالة وتحقيق الأهداف .

المحرر

ومظاهر التحضر نمو مقابل في الثقافة المجتمعية ، وظلت مظاهر النمو أقرب ما تكون الى بثور فوق الجلد لا تتعداه الى الداخل ، فما زال دور المرأة غائبا ، والنسبة الأعظم من الخريجات والمتعلمات يرضون بالزواج والبقاء في المنزل ، وحتى الذين يمارسون العمل يختارون قطاع التربية والتعليم لاغراءات كثيرة به ، ولأنه يتيح لهم الانتقال الى وظيفة ادارية بعد عام واحد من العمل الفني الى الحد الذي أصبح فيه عدد الاداريين العاملين في وزارة التربية ، يفوق عدد المدرسين والمدرسات .)

المهندس الكيمائي عبد المجيد الانصاري (بعد ما حصلت على بكالوريوس العلوم في الكيمياء كان أمامي أكثر من خيار للعمل .. ولكنني بوضوح شديد اخترت العمل في قطاع من أكثر القطاعات حيوية ، وأكثرها ملاءمة لتخصصي ، ورفضت عروض الأهل والأصدقاء بالعمل معهم في استشاراتهم ، لأنني أدرك ان مكاني الطبيعي هو هنا .

.. وطوال الطريق الى المطار ، كانت عيوننا تصطدم بالوجوه الأسيوية تمتلىء بها الطرقات وادارات المطار ، حتى رفاق الطريق في الطائرة كانوا خليطا عجيبا من الجنسيات .

عصر ما بعد النفط

وصلنا الدوحة ظهر يوم جمعة ، ولولا أننا في رائعة النهار وشمس الظهيرة تصلى الأرض بنارها ، لظننا أننا وصلنا المدينة ليلا وهي نائمة من هدوء وصمت ..

ومفردات الصورة لأول وهلة لا تتغير كثيرا فالسائق هندي .. وموظفو الاستقبال في الفندق ، هندي وباكستاني حتى الادارة اثنان من المدراء ، أحدهما يوناني والآخر تونسي .

في التلفت بحثا عن وجه قطري ، التقيته . كان زميلا قديما أيام الجامعة في القاهرة ، ولطول السنين التي مضت لم تسعفني الذاكرة باسمه ، اعترضت طريقه هو والطفلين اللذين يصحبانه ، تذاكرنا أياما مضت . سألته عما يعمل وأين ؟ أخبرني أنه يعمل وكيلا لأعمال أحد الشخصيات التجارية ، وهو يستمتع بعمله وبصحبة الطفلين ليلعبا بحمام سباحة الفندق .. وقبل أن أنطق بادرني أنه مستريح وقانع وسعيد . وتبادلنا تحية فاترة ومضى كل في طريق ، وقلبي يتذكر أيام الحماس ويأسي على ليسانس الاجتماع ..

تقع دولة قطر في منتصف الساحل الغربي من الخليج العربي ، وتبلغ مساحتها الكلية حوالي ١١٤٢٧ كم مربع ، ويبلغ عدد السكان وفق آخر احصاء تم في ١٩٨١ حوالي ٢٤٤٥٣٤ نسمة ، منهم ٨٨٩٥٦ اناثا و ١٥٥٥٧٨ ذكورا ، ويبلغ عدد السكان في سن العمل (١٥ ـ ٦٠ عاما) ـ من الذكور فقط ـ ١١١٢١٣ نسمة .

أين هؤلاء من خريطة العمل ؟ هذا ما تجيب عنه الأرقام ، يبلغ عدد العاملين في القطاع الحكومي من القطريين ١٥٢٧٠ مواطنا منهم ٢٣٠٣ من الاناث ، بينما يبلغ اجمالي العمالة في القطاع الحكومي (٤٥,٤٢٢) أي أن نسبة الوطنيين تقترب من ٣٧ بالمائة . وبرغم أن النسبة معقولة نوعا ما ، الا أن رقما آخر يوضح أنها تمثل تراكما رقميا أكثر منها تراكما كيفيا ، فمن اجمالي عدد العمالة القطرية هناك ٧٠٩٣ أي أكثر من النصف بدون مؤهل على الاطلاق !!!

في نفس الوقت الذي يعمل فيه في القطاع الحكومي ١١,٠٩١ عربيا و ١٩,٠٦١ أجنبيا .

وفي قطاع الصناعة والذي تتركز منشآته في أم سعيد ، وعقب جولة طويلة كانت الأرقام أيضا توضح عمق المشكلة ، ففي المؤسسة العامة القطرية للبترول يبلغ عدد الوطنيين ٢١٦ فقط بينما يبلغ اجمالي العمالة ١٤١٠ منهم ٤٥٥ عربيا و ٨٩٨ غير عرب ، وفي شركة قطر للحديد والصلب يوجد ٧٦ قطريا و ١٧٥ عربيا و ٩١٦

ليس صحيحا أن العمل كله يتم بالضغط على الازرار وفق تكنولوجيا العصر . نموذجان لعمل يدوي مازالت الصناعة رغم كل تقدمها لاتستغني عنه (أعلى) مواطن خليجي يمارس اللحام بنفسه (أسفل) مواطن آخر يقف أمام « مخرطة » . (الى اليسار) في مصنع النحاس حيث يتم صهر وتحويل الخام الى سبائك . يتميز انتاجها بأنها أعلى نسبة نقاء« للكاثوديات » في العالم .

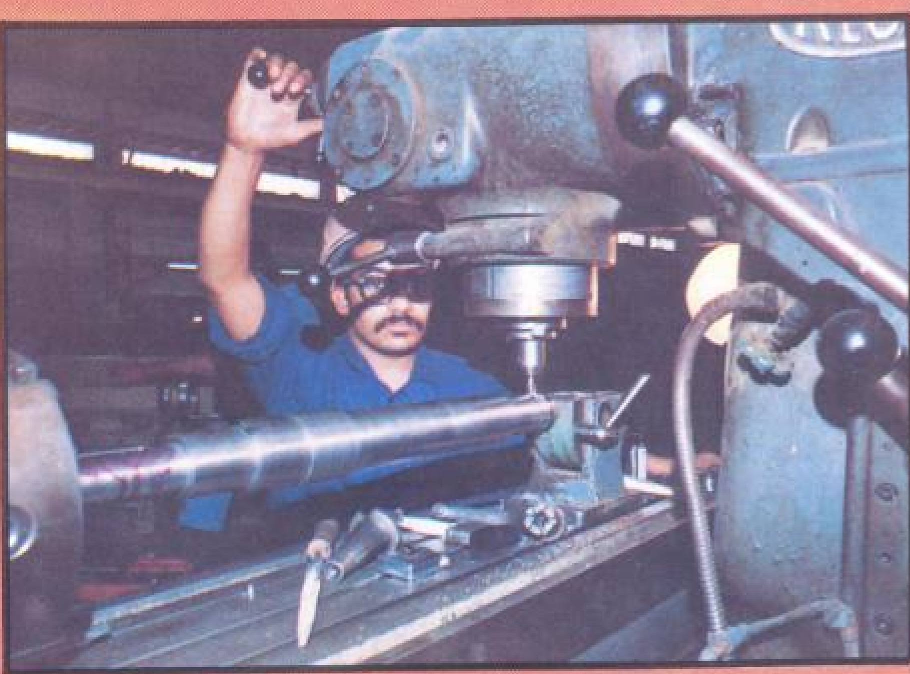

غير عربي ، وفي شركة قطر لصناعة الاسمنت يقتصر عدد الوطنيين على ٢٧ مقابل ٣٥ عربيا و ٤٦٧ غير عربي حتى في مرفق الهاتف فان عدد القطريين ١٩ قطريا فقط من اجمالي عدد عاملين يبلغ ٦٣٧ عاملا .

ولكي تكتمل عناصر الصورة ، فان أرقام العمالة في القطاع الخاص تؤكد ذات المعنى ، الأمر الذي يثير أكثر من تساؤل عن هذا التسرب البشري ، ففي القطاع الخاص يبلغ اجمالي العمالة ٦٧,٧٥٨ منهم ١٨١٦ قطريا و ١٠,٣٤٩ و ٥٥,٧٣٠ أجنبيا .

وبرغم فداحة ما تقوله الأرقام ، الا أن الصورة لها جوانبها المشرقة ، ولعل أبرز هذه الجوانب هو الاتجاه الواضح لدى قطر ، والذي ترجم في خطوات تبذل جديا لعصر ما بعد النفط .

ففي مدينة (أم سعيد) ـ المدينة الصناعية ـ في قطر ، يبرز هذا الاتجاه بوضوح . وهناك كانت لنا لقاءات طويلة ، مع نماذج قطرية تبذل العطاء بحب وايمان .

اعترافات

راشد الكواري رئيس قسم الصب بمصنع الحديد والصلب يقول : (حصلت على شهادة اتمام الدراسة الثانوية وتقدمت بناء على اعلان من (قاسكو) للتدريب والتأهيل وأرسلت ضمن مجموعة الى اليابان أثناء تشييد المشروع . وكان الهدف من البعثة اعداد كوادر محلية تدرس وتتدرب بحيث تتولى مسئولية العمل ، وللأسف بعد العودة لم يستمر الكثيرون معنا ، استمريت بالعمل لايماني بأن صناعة الحديد والصلب صناعة جديدة في الخليج ، ومن خلالها أستطيع أن أحقق جزءا من طموحي ، كما ان الدول المتقدمة لم تتقدم الا بالصناعة ، واعترف بصدق أن سلوكي وطباعي قد تغيرت بعد فترة من التعامل مع الآلة والاحساس بروح الجماعة .

عبد الله محمود رئيس قسم المشتريات : (بعد حصولي على مؤهلي الجامعي لم أتردد لحظة في تقديم أوراقي للعمل هنا ، ليس سعيا وراء امتياز مادي ، فالواقع ان العمل في السوق التجاري مربح مهما كانت ظاهرة الركود ، وكان دافعي أن هذا مجال جديد وقطاع غير مسبوق من قطاعات الحياة الاقتصادية في قطر ، ثم أنا واحد من الذين يؤمنون بصحة تفكير المسؤولين في الدولة ، عن ماذا بعد النفط ؟ سواء نضب أو استحدث العالم بدائل للطاقة أو انخفض سعره ، الحل هو تنويع مصادر الدخل القومي ، وليس هناك تنويع أفضل من الصناعة ، وهنا في المصنع نحن ننتج الحديد والصلب في مرحلة وسيطة ، على شكل حديد تسليح أو كتل صلب أو الحديد الاسفنجي ، وكلها ليست منتجات نهائية بل لها استخدامات وتطويع جديد ، ومن هنا فان المصنع له أهميته ، وليس أكثر دلالة على سلامة تفكير الادارة من تنويع مصادر استيراد المادة الخام ، والحرص على تعدد الاسواق لتسويق المنتج ، كي لا يصبح المصنع رهنا بارادة مورد واحد أو مستورد واحد . في هذا الاطار أعتقد أنني كقطري مؤمن ببلده ومخلص لها لا يمكنني أن أتخلى عن موقعي أو أستدله بغيره ، فمن يحمي مصالح وطني مثلي ؟ أعتقد لا أحد) .

ابراهيم عبد العزيز غريب فني آلات في مصنع البتروكيماويات يقول : (لم أوفق في انهاء مرحلة التعليم الثانوي ، نصحني بعض الأصدقاء بأن أعمل سائقا على سيارة تاكسي أو أمارس أي عمل آخر ، الا أن ولعي بالأشياء الميكانيكية دفعني دفعا الى التقدم للعمل في المصنع ، واكتسبت خبرة وعرفت أشياء كنت أجهلها .

عبدالرحمن السويدي رئيس أقسام التشغيل بمصنع البتروكيماويات يقول :

(أنا ضد وجود أي أجنبي داخل الأراضي العربية ، وأنا أتشكك كثيرا في مدى اخلاصهم لتعليمنا ، أو نقل الخبرة الينا ، وأرى أن الواجب يقضي بألا ألجأ للأجنبي الا في الحالات النادرة ، وأعتمد على العرب والقطريين ، ثم لابد من حث أبناء الوطن على العمل والاقبال على الانخراط في العمالة ، فليس معقولا هذا العدد الضئيل من القطريين وليس معقولا أن يكون في دورة مركز التدريب الاخيرة ٧ قطريين فقط تقدموا ، أين الشباب القطري وأين حبهم للعمل وخوفهم على بلدهم ؟) .

على أبواب مسقط

حتى الساعات الاخيرة في الدوحة ، لم نكن متأكدين من أنه سيسمح لنا بدخول مسقط ؟ وحزمنا حقائبنا وجمع زميلي عدساته ، وأغلقت دفاتري وجلسنا ننتظر الى أين الرحيل .

وبقدر طول الانتظار والقلق ، وعذاب طويل بدأ قبل بداية الرحلة بأسبوعين ، واستمر أثناءها بين مكالمات تليفونية ومسؤولين من المجلة واتصال بسفارات و . . و . .

بقدر كل هذا القلق والعذاب بقدر ما كانت المفاجأة تستقبلنا في مطار السيب الدولي .

وصلنا والوقت ليل ، ولأول مرة في مطار عربي يبادرك ضابط الجوازات بالتهنئة على سلامة الوصول ، وخلف ثلاثة مكاتب بيضاء أنيقة . . جلس شابان وفتاة ، وعندما أخبرناهم أن لدينا تأشيرة دخول في احدى الادارات في المطارات ، صحبنا بلطف شديد الى ثلاث مقاعد ، وطلب منا أن نستريح عشر دقائق ، وقبل أن تنتهي الدقائق العشر . . كان قد عاد حاملا الاوراق وجوازات السفر وابتسامة تضيء الوجه .

كانت هذه المفاجأة الاولى ولكنها لم تكن الاخيرة أبدا ، فقد ظلت عمان في كل يوم تمنحنا احساسا بالدفء والالفة والجمال ، وفوق هذا بزحام الوطنيين العمانيين ، ولكن لماذا لا تبدأ من البدية ؟

تقع سلطنة عمان في الزاوية الجنوبية الشرقية من شبه الجزيرة ، وتبلغ مساحتها ٣٠٠ ألف كيلو متر مربع . وبرغم أنه لم تجر عملية احصاء لسكان البلاد حتى الان ، الا أن المصادر الرسمية اعتبرت أنه قرابة مليون ونصف نسمة في عام ١٩٧٤ ومن هنا فان المصادر ترى أنه يبلغ الأن قرابة المليونين .

ولطبيعة الموقع وقوة الطبيعة البالغة ، فقد كان الانجاز البشري في عمان يفوق حدود تصور الخيال ، الطرق منحوتة في الجبل ، المنشآت سواء أكانت بيوتا أو ادارات أو مصانع في حضن الجبل . . عمل انساني رائع . . لا تملك والسيارة تسير بك صاعدة هابطة . . في طريق يلتوي ويرتفع وينحدر ، الا أن تدهش لهذه المقدرة الانسانية الرائعة التي جاوزت حدود كل تصور .

فليعمل أبناء الوطن

وفق نص القانون فانه يمنع نهائيا استخدام أجانب في أعمال السكرتارية والطباعة والكتبة والسعاة والسائقين ، ويحظر استقدام أجانب الا اذا كانوا ذوي خبرة خاصة يصعب وجودها بين الوطنيين .

وحول نظم العمالة وتحليل الظاهرة كان لقاء مع وكيل وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل في مكتبة بمسقط ، يقول الشيخ عامر :

(نحن في عمان أكثر خصوصية من بلدان الخليج ، فنحن أقلهم في انتاج النفط ونحن أكثر عددا في السكان . ومن هنا فانه يهمنا بالدرجة الاولى أن يعمل أبناء عمان . ونظرتنا للعمل جزء من نظرة كلية للاسهام في احداث التغير الاجتماعي المطلوب .

فبداية هناك عقدة عربية من العمل . ولابد من تبخير هذه العقدة وارساء مفهوم احترام قيم العمل مهما كان نوعه وأهميته وفي اطار التخطيط

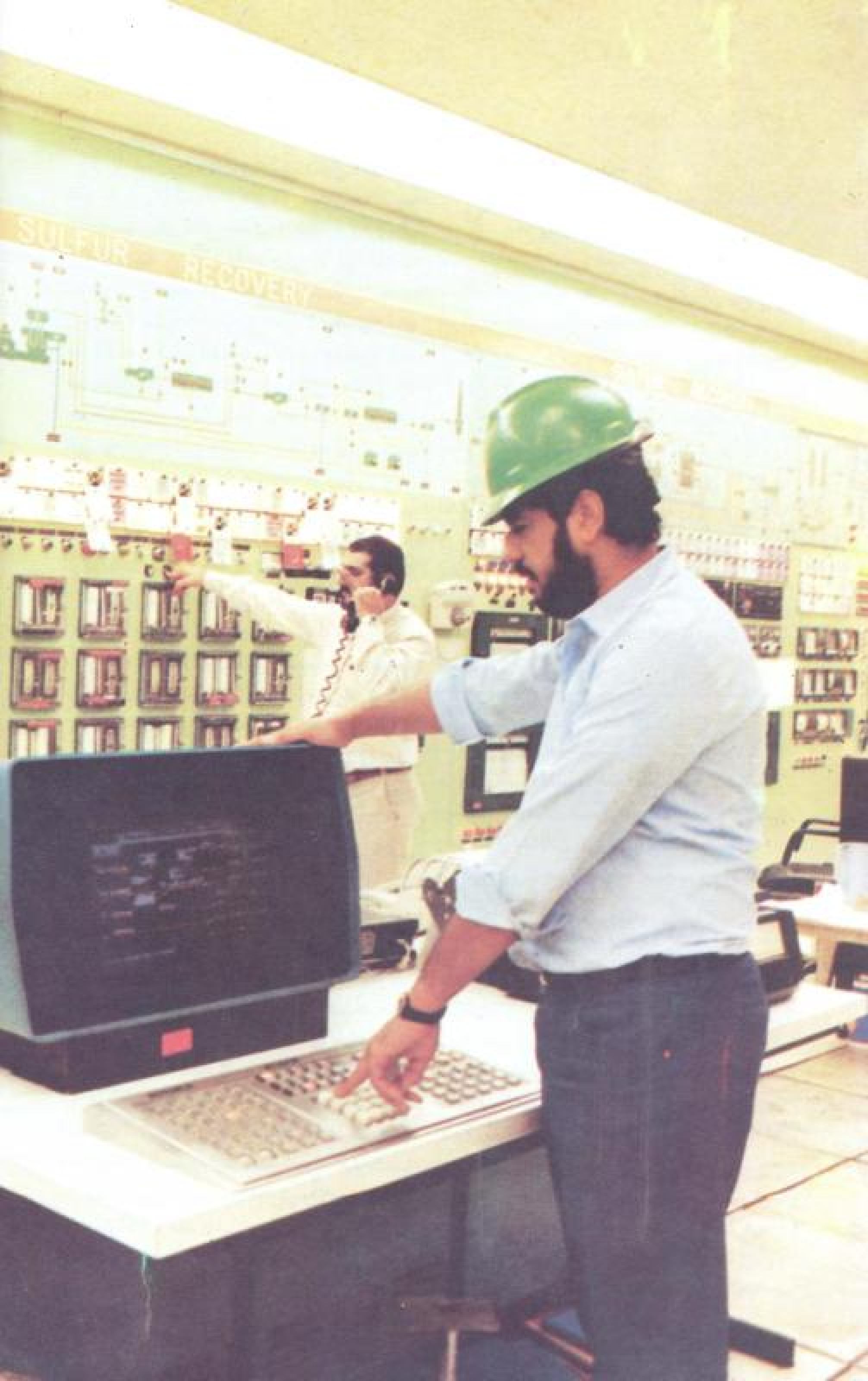
SULFUR RECOVERY

القديم والجديد معا ، ولايمكن أن نصل الى مرحلة التطور فجأة أو قفزا ، والانسان القادر على التعامل مع الآلة وأجهزة العصر هو نفسه ابن ذلك الانسان الذي مارس الصناعة اليدوية واحترام قيم العمل

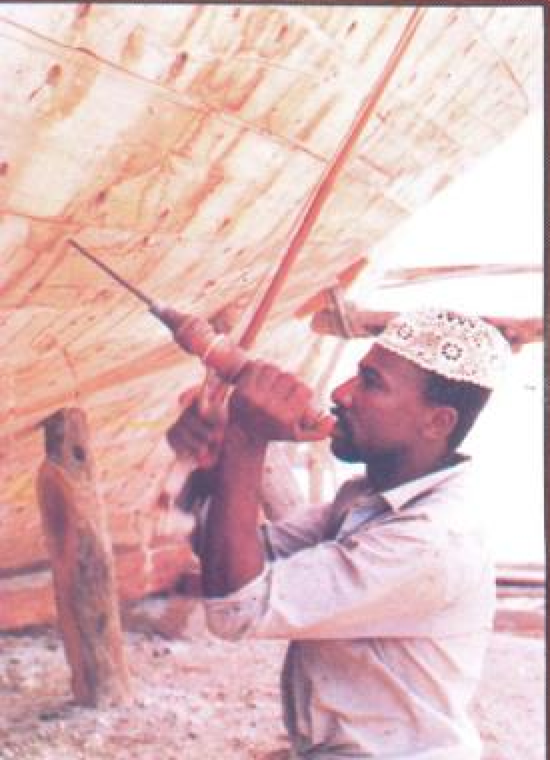

الاجتماعي نحن نرفض تدليل مواطنينا ، فالشؤون الاجتماعية لا تمنح اعانات بقدر ما تيسر سبل رزق جديدة للمواطنين الذين يشكون عوزا ، مثل مساعدته في فتح دكان أو أي محل للتجارة البسيطة التي يستطيع أن يتعيش منها ولا يمثل عبئا على الحكومة وعلى نفسه ، في بعض المناطق في عمان بدأنا تجربة المشاركة الشعبية بانشاء وتحويل مشروعات بالجهود الذاتية . وهناك عديد من المشروعات التي تمت ساهم فيها المواطنون بالتحويل والعمل نساء ورجالا وصبية .

في اطار الخطة الاجتماعية للتغيير تأتي قضية العمالة . فهناك سقف أعلى لا يسمح لعدد العمال الاجانب بتجاوزه . وحاليا لا يتجاوز عدد العمال الاجانب في كل السلطنة ٢٢٠ ألف عامل وموظف . وأعتقد أن هذه نسبة معقولة تتوازن مع عدد العمالة الوطنية ونسبة السكان .

وفوق هذا فلدينا في حقول النفط في (فهر) حقول يتم تشغيلها بالكامل بأيدي وطنية ، بالاضافة الى الحقول التي ما زال بها أجانب وذلك لضمان سير العمل أثناء العطلات والاعياد .

وفي جولة في عديد من المدن العمانية ، كانت العيون تندهش والمفجآت تزداد . ففي (رستاق) مصنع لتصنيع التمور فان جميع العاملين فيه بالكامل وطنيون عدا ثلاثة أشخاص ، والثلاثة أحدهم فني تشغيل والاثنان مهندسان ، وكم كان رائعا مشهد المرأة العمانية وهي تعمل في المصنع ، وتسأل فيجيب الكل أنهن اما أرامل أو مطلقات أو بدون عائل . وبدلا من انتظار اعانات الحكومة فانهن يعملن ويكسبن . . وفي « صور » كانت صناعة مراكب الصيد هي الحرفة الاساسية لاهلها ، وما زالت عائلات البلدة تمارس نفس العمل . . يصنعون المراكب ويبيعونها للصيادين وشركات الاسماك .

وفي نزوى تصافحك وجوه أبناء الوطن ، وهي تعرق وتكد وتعمل . وتملأ الاسواق وعلى امتداد الخريطة المتسعة لعمان يتعانق ابن الوطن وهو يعمل ، وتذوب الوجوه الأجنبية وتتوارى ، وخلف كل هذا مشاهد هائلة من التاريخ والحضارة ، تصنع أبعاد صورة لملحمة انسانية رائعة ، لشعب يتحدى الطبيعة ويصارع من أجل موقع أفضل تحت الشمس .

وفي هذا المضمون كان المخطط العماني واعيا . فعند تنفيذ مشروع جامعة السلطان قابوس والتي سيبدأ العمل بها في العام القادم ، كان الحرص على أن تبدأ بالكلية الصناعية ، حيث يتم الاعداد وتعليم كوادر فنية ، ثم تأتي بعد ذلك التخصصات النظرية ، وفق الاحتياج والحاجة ، وقبل انشاء الجامعة ، كانت خطة وزارة العمل انشاء مراكز تدريب مهني مدة الدراسة بها أربع سنوات عقب اتمام الدراسة الاعدادية ، على أن يتم تسكين الطالب في عمله بعد التخرج بقطاع الشركات والمصانع .

ولان الصورة مكتملة ومخطط لها ، فقد كان واضع اللوائح والنظم المالية حريصا على أن يمنح خريج المعاهد الفنية الدرجة الخامسة ، بينما يعين الاكاديمي على الدرجة السادسة ، أي أن العامل الفني يتقاضى راتبا أفضل من الاكاديمي ، ووفق نص القانون اذا رغب الخريج الفني في تغير طبيعة عمله الى عمل اداري فان راتبه يقل ودرجته تنخفض .

ومن هنا فان المعنى واضح وصريح وهو ان عمان تشهد خطة واضحة متناسقة ، وأن التغير لا يتم وفق حملة اعلامية فقط ، بل تتواكب معه السياسات والقوانين حتى لا يصدم الناس بأن هناك أقوال ولا فعل . فالقوانين المالية وتخطيط التوسع في التعليم وخطط المساعدات الاجتماعية ، ونظم استقدام العمالة ، كلها تخدم هدفا واحدا بسيطا وعميقا ، فليعمل أبناء الوطن من أجل تنميته .

الكويت وعي واعلام أكثر

وفق آخر احصاء تم في الكويت فان نسبة الكويتيين في اجمالي العمالة المشتغلة بالكويت يبلغ ٢١,٩ بالمائة في حين يمثل غير الكويتيين ٧٨,١ بالمائة ، وبرغم ضعف النسبة المئوية الا انها تظل أفضل حالات دول الخليج اذا أخذنا في الاعتبار أن هناك حذفا حقيقيا في عدد السكان الكويتيين ، نتيجة كبر عدد الافراد الكويتيين دون سن الخامسة عشر ، اذ تبلغ نسبتهم ٤٩,٢ بالمائة من اجمالي عدد السكان ، وهذا بالقطع حذف حقيقي من جملة السكان في سن العمل .

ولم تشهد دولة خليجية حملة وطنية ـ رغم عدم تنسيقها ـ وعدد من الكتابات وبرامج الاذاعة والتلفزيون عن مخاطر العمالة الاجنبية ، وضرورة تشغيل الوطنيين مثل ما شهدت الكويت وساهم كتابها ـ الاكثر عددا وتنوعا ـ في اعداد الدراسات والمقالات لخلق وعي عام بخطورة المشكلة . ولعل ما زاد من احساس عديد من المثقفين الكويتيين ، ذلك الاحصاء الخطير والذي نشرته الادارة المركزية للاحصاء في فبراير ١٩٨٣ عن خصائص القوى العاملة بالكويت ، اذ يوضح جدول (رقم ٥ ص ٢١) أن نسبة الكويتيين الذين يعملون في قطاع الخدمات المجتمعية والشخصية ، تبلغ ٧٢,٩ بالمائة وهذا يقيناً رقم غير عادي ، وله خطورته . لان معناه ببساطة أن نسبة الكويتيين التي تعمل في القطاعات الانتاجية ضئيلة ، ومما يزيد الأمر خطورة أن عدد الكويتيين المتجهين الى قطاع الخدمات في ازدياد مستمر ، وبالتالي فان عدد الكويتيين المتجهين الى القطاعات الانتاجية في تناقص ، فقد كان عدد الكويتيين العاملين في قطاع الخدمات في عام ١٩٧٥ يبلغ ٥٣,٧ بالمائة ، وزاد في خمس سنوات ٢٠ بالمائة وهذا معدل زيادة يفوق معدل نمو السكان ذاته ، بل ومعدل انتقال الافراد الذين دون سن العمل الى شريحة سن العمل أيضا .

وفي منطقة الشعيبة الصناعية ، حيث يتجمع ما يزيد على ٣٤ مصنعا وشركة انتاجية ، كان اجمالي العمالة بها عام ١٩٨٣ يبلغ ١٠,١٥٤ عاملا ، منهم ١,٢٠٢ عامل كويتي و ٨,٩٥٢ غير كويتي ، وهي نسبة ضئيلة بطبيعة الحال ، وأن هناك أسباب أخرى لتضاؤل نسب العمالة وهي :

* معدلات النشاط الاقتصادي المنخفضة للاناث مما يقلل عدد السكان .
* ارتفاع متوسط الدخل للمشتغل ، الامر الذي يجعل الفرد يترك العمل في سن مبكر .
* اعتماد صغار الذكور الكويتيين على أرباب أسرهم لفترة أطول ، مما يخفض معدلات النشاط .

ولعل هناك أسبابا أخرى يمكن اضافتها لتفسير حالة الكويت ، من بينها حالة ازدهار سوق الاوراق المالية خلال الفترة من ١٩٧٨ الى ١٩٨٢ ، الامر الذي شجع الكثيرين وقتذاك على التوجه الى ممارسة نشاطاتهم الاقتصادية داخل السوق . الا أن الامر ليس شرا خالصا ، فما زال هناك عديد من النماذج التي تعطي بحب وايمان بما تفعل .

مهندس ابراهيم المانع مدير محطات ضخ المياه بالشعيبة يقول : (أعمل في الحكومة منذ ١٢ عاما ، بعد حصولي على بكالوريس الهندسة ، وفي موقعي هذا كمدير لمحطة الضخ ، ألمس أوضاع العمالة الكويتية عن قرب ، فبرغم أن هناك عناصر غير مقدرة للمسئولية وغير منضبطة ، فهناك عناصر يعتمد عليها تماما وتعد نماذج مشرفة للعمل ، وقيم أداء الواجب على أي مستوى انساني ، منهم من يغادر الموقع في السابعة مساء بعد انتهاء موعد العمل ، ودون أن يحسب له هذا كعمل اضافي . ولكنهم يفعلون ذلك بايمان واحترام وتقدير للمسئولية ، ونماذج أخرى : كان يعمل معنا مراقب يأتي بسيارة رولزرويس برتقالية ويوما آخر بأخرى بيضاء ،

في المختبر يقف
يمارس تحليل
العينات ، بكفاءة
يعتمد على نتيجتها
مصنع بأكمله

انه ينفذ انتاج
قطعة غيار جديدة
ولأول مرة ومهندس
القسم يقف معه
يتتابع خطوة
بخطوة

بحرص بالغ
تعمل يداه وعيناه في
وقت واحد ليتابع
العمل . والى اليسار
وجوه خليجية في
مواقع مختلفة وقد
تلاشت الغربة بينها
وبين الآلة .

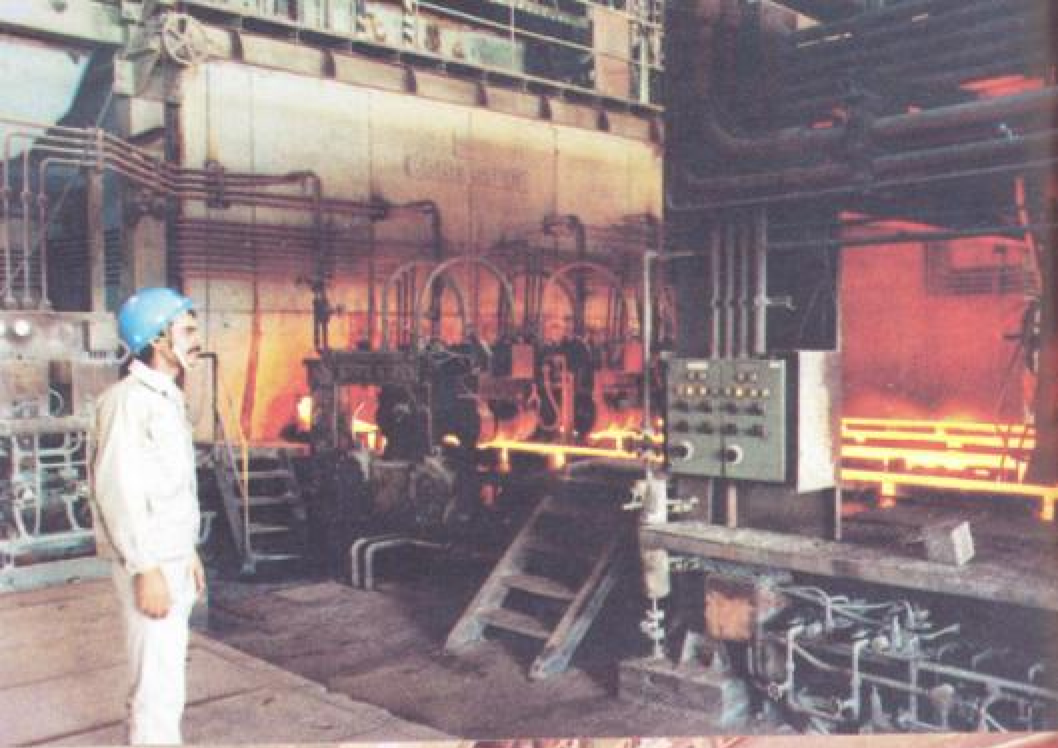

ولا يقدم انتاجا حقيقيا ، اثنان من المراقبين رغم أن تخصصهم كان في (اللحام) وهي مهارة فنية نادرة ، الا أنهم رفضوا الانتقال الى الورش لانهم ببساطة يستريحون في محطات الضخ حيث لا عمل يناسب تخصصهم ، الى أن أصدرت قرارا اداريا باجبارهم على النقل ، وخطتنا هنا فيما يتعلق بالعمالة هي التعريب ثم الوطنية ، وأتصور أن المشكلة لا يمكن علاجها في يوم وليلة ، فهي تحتاج الى خطة اعداد وتأهيل ، ونظم تعليمية تناسب هذا ، ثم اذكاء الحس الوطني،وأي خطة تغفل هذه العناصر فان نجاحها سيظل نسبيا) .

حمود الراشد رئيس أقسام التشغيل بمحطة الضخ يقول : (أعمل هنا في الشعيبة رغم سؤالك (لماذا أنا هنا) . . نعم كنت أستطيع أن أعمل مع أهلي في أي قطاع من نشاطات التجارة ولكن ما فائدتي لبلدي ، من السهل أن تجد تجارا كثيرين ولكن من الصعب أن تعد كادرا فنيا متدربا قادرا على أن يمد أهله بالماء أو يؤمّن لهم صناعة النفط أو يضيف الى اقتصاد بلده دينارا وليس الى جيبه دنانير) .

ناصر العجيل مدير ادارة التدريب بالادارة العامة للشعيبة يقول : (لدينا في الادارة خطة واضحة لتدريب العاملين بها ، وخطتنا مقصورة على العاملين بالداخل لان أعداد العناصر الجديدة وتأهيلها يدخل ضمن اختصاصات ونطاق عمل هيئة التعليم التطبيقي ، وتدريب العاملين يشمل برامج اعداد وتطوير مستوى اداء وبرامج الاعداد متعددة المستويات وتمتد حتى تصل الى مستوى البعثات للخارج ، وان كانت في الاعوام الاخيرة قد أصبحت مقصورة على الكويتيين ، وذلك في اطار سياسات ترشيد الانفاق . ومن جهة أخرى فاننا نتبع في الادارة سياسة اعداد الكوادر الكويتية الوطنية على مهل ، فمثلا لا مفر من الاستفادة بالخبرات الاجنبية المتقدمة ، ولكن بجوار كل خبير فاننا نضع له مساعدا من الكوادر الكويتية ، ثم بعد فترة يتولى الكويتي المسئولية ويبقى الخبير كمستشار له ثم نشكر الخبرة الاجنبية على ما قدمت ويتولى الادارة الكويتيون . وبجانب ذلك فاننا نعد لهذا المستوى الفني والاداري برامج تدريبية مكثفة ، وذات مستوى عال لضمان استمرارية مستوى ادائه على ذات المستوى العالمي من الاداء والكفاية .

ولكن على صعيد المشكلة ككل فأنا أتصور أنه لابد من حوافز وتشجيع أو تكليف الكويتيين على العمل ، وفق خطة متكاملة تشمل مرافق الدولة كلها من مدرسة وجامعة ولوائح ادارية وقوانين تنظيمية ، بحيث يصبح التنسيق شاملا نحو دفع الكويتيين الى الاقبال أكثر على العمل والعطاء لوطنهم مثلما أعطاهم بلا حدود) .

عودة الى الاصول

السؤال بسيط ومعاد . . أين تكمن المشكلة في قضية العمالة الوطنية في دول الخليج ؟ هل هي قضية نقص في العمالة الفنية المدربة فقط ؟ أم هي نسق تقاليد اجتماعية يحكم النظرة الى قيم العمل ونوعيته ؟ أم هي قضية سكانية بحتة ؟ أم أن الظروف الاقتصادية والتاريخية التي حفلت بالتناقض وشهدت عديدا من الطفرات هي التي أفرزت هذا الوضع ؟

في الحقيقة ان القضية ترتبط بكل هذه الجوانب مجتمعة . فهي ذات جانب سكاني يؤثر على توافر العمالة الفنية في سوق الطلب ، وهي محكومة بالنسق الاجتماعي للتقاليد التي هي ميراث ظروف اقتصادية وتاريخية طويلة ، ولكي يتضح معنى هذا فان الايضاح يحتوي في ذاته على أوليات وبدهيات لطريق الحل .

كان بداية ظهور خطورة المشكلة السكانية وأهميتها في الفكر الاقتصادي في كتابات توماس روبرت مالتس (١٧٦٦ - ١٨٣٤) ذلك القسيس الذي اهتم كثيرا بدراسات الاقتصاد السياسي ، وقدم في مقالته الشهيرة (مباديء

زيادة السكان واثارها في تحسين المجتمع المقبل .. مقولته ذائعة الصيت : أن عدد السكان في العالم يزيد بمعدل أكثر من معدل زيادة المواد الغذائية ، فالسكان يزيدون وفق متوالية هندسية والغذاء وفق متوالية عددية) . الا أن مالتس في ذات المقالة وفي اطار التمهيد للوصول الى النتيجة التي توصل اليها قال : (ان الانسان هو الموجه الرئيسي لمصيره وأن من أوجب واجباته موازنة اعداده مع موارد الثروة المستغلة التي تحيط به) ومن هذه الحيثية ودراسات أخرى قدم (كانان) للفكر الاقتصادي والاجتماعي نظرية جديدة في أوائل القرن العشرين ، ما زالت سائدة حتى اليوم وهي نظرية الحجم الأمثل للسكان ويقول فيها أن هناك خطورة اقتصادية في كل من الزيادة والنقصان في عدد السكان ، وأن الحالة الوسط وهي الحجم الامثل الذى لا يتصل بالعدد فقط وانما يتصل بالعلاقة بين العدد من جهة ومواد الثروة المستغلة من جهة أخرى .

وهذا هو محور القضية السكانية وبالتالي تأثيراتها على العمالة في دول الخليج.ما هو الحجم الأمثل للسكان ؟ أوليس مطلوبا تشجيع الخليجيين على زيادة النسل وفق خطة محددة تجيب عن تساؤل يقول : كم مواطن يلزم لادارة الحياة بشكل كلي ومتناغم ، وتضع في حساباتها معدل المواليد والوفيات .. حتى يظل دائما عدد السكان في سن العمل متناسبا مع المتاح من فرص عمل واحتياجات وفق خطة استثمار وتنمية !! العالم كله شرقه وغربه يعرف هذه الطرق لضبط حركة السكان داخل المجتمع ، فأحيانايمنحون حوافز لزيادة النسل أو يناشدون السكان بتقليل النسل ، والسكان في كلا الحالين يستجيبون لانهم يعرفون أن استمرار الحجم الامثل يعني وصول دخل الفرد الى أعلى مستوى له .. لان من عائد العمل وموارده سيقتسمها أبناء الوطن الواحد .

ولكن المشكلة في الخليج ليست قضية سكانية مجردة ، بقدر ما ترتبط بنسق التقاليد الذي يحرم المجتمع من مشاركة المرأة وهي طرح من قوة العمل ، وما زال يتعامل مع العمل اليدوي والحرفي بشيء من الدونية . وهنا لابد من خطة إعلام واضحة تقترن بالقدوة مع سن القوانين المشجعة على العمل الفني مثل أفضلية الراتب للعامل الفني ، امتيازات اجتماعية أخرى تقرها الجماعة في المجتمع ، اعادة النظر في اعداد الدارسين في الكليات النظرية ،وتضييق نطاق التسرب الهائل الى قطاع الخدمات والاستهلاك باجراءات ادارية ، مثل ايقاف التراخيص الجديدة لفترة محدودة (قصرها على سن معين ، ووضع ضوابط لها حتى لا تصبح منافذ لتسرب قوة عاملة حقيقية ، تستبدل مواقع الانتاج الى مواقع التجارة .

ولان القضية أكثر تشعبا فان هذا ـ وحتى يؤتي ثماره ـ لابد أن يكون في اطار خطة تنمية اقتصادية واجتماعية ، تحدد اهدافها القريبة والبعيدة ، وبالتالي تجيب على تساؤلات : كم نحتاج من العمالة ، وكيف نعدها وفي أي زمن ؟

ذلك لان دروس التاريخ والاقتصاد تقول بوضوح أن الاستثمار البشري هو أفضل أنواع الاستثمار ، وأفضل من تحول الثروة الى طوابق اسمنتية ومنشآت لا يديرها أصحابها لانه في النهاية ما أرخص الحديد وما أغلى الرجال . □□

■ القضايا السياسية تظهر لي أقل أهمية من القضايا الاقتصادية ، والقضايا الاقتصادية أقل أهمية من القضايا الأخلاقية ، يجب أن ننظر الى الانسان أكثر مما ننظر الى المؤسسات ويجب اصلاحه هو قبل كل شيء .

(أندرية جيد)

وابتسم الهلال فى سماء استانبول

لقاء مع

الفن الإسلامي في تركيا

بقلم الدكتور : عبد العزيز كامل

نموذج من خط حامد الآمدى وهو تلميذ الخطاط الحاج محمد نظيف بك (رحمهما الله) ويبدو منها فن الزخرفة مع فن الخط .

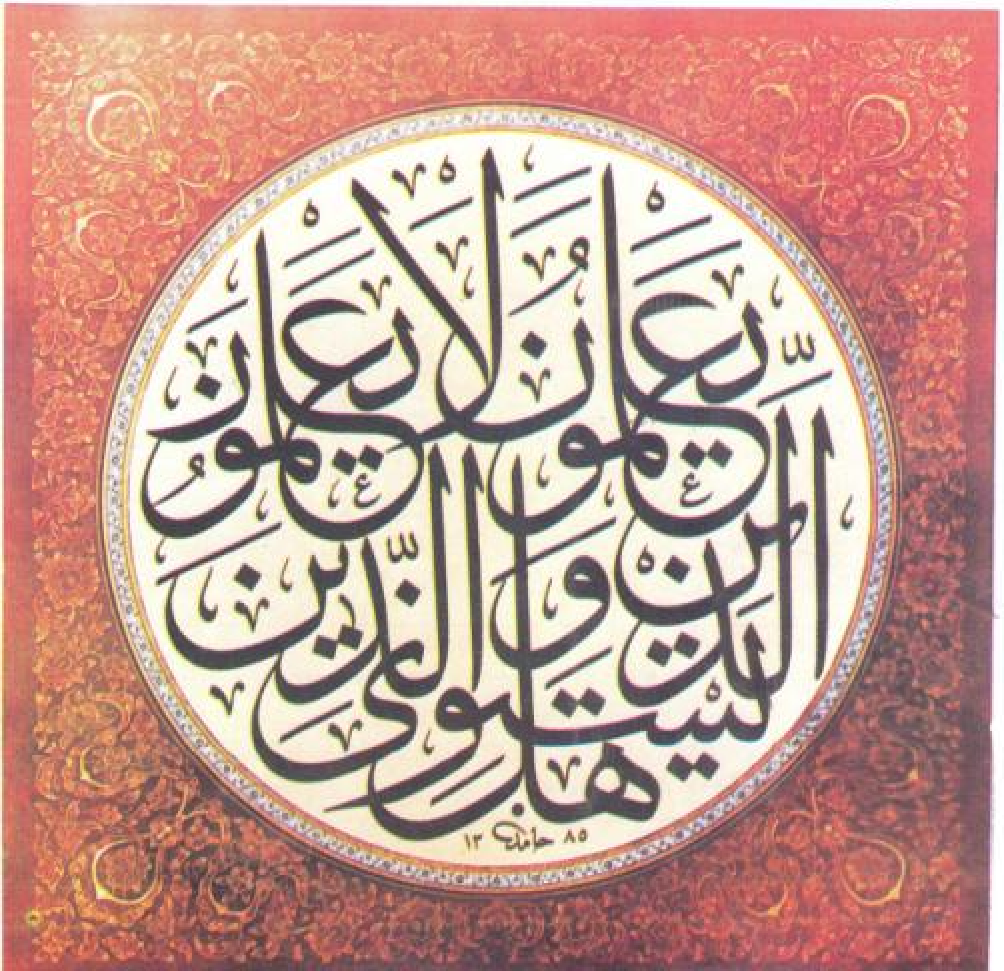

جامع سليمانية الذى بناه عبقرى العمارة الاسلامية ، خوجه سنان للسلطان سليمان القانونى ، استغرق البناء سبع سنوات وافتتح عام ١٥٥٧ م ـ ويبدو وراءه خط السماء متدرجا مع المبنى فى صورته الهرمية الشاملة ، وقد خففت الزخارف الخارجية والتنوع والتكامل الوظيفى من ضخامة الكتلة فبدا المبنى جامعا بين الجمال والجلال معا . .

منضدة صغيرة لقراءة القرآن الكريم من القرن التاسع عشر .

□ كان هلال رجب ١٤٠٣ هـ (ابريل ١٩٨٣م) والمشهد في سماء استانبول . . والمناسبة : الندوة العلمية « حول » المبادىء والأشكال والموضوعات المشتركة في الفنون الاسلامية . . والجهة الداعية مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الاسلامية « باستانبول » وهي منبثقة من منظمة المؤتمر الاسلامي .

هذه بطاقة تعريف نعيش بعدها مع الهلال وخطر السماء والفن الاسلامي .

مع الهلال

والهلال صديق حيث يكون له في القرآن كرامته« يسألونك عن الأهلة . قل : هي مواقيت للناس والحج » (البقرة : ١٨٩) والآية تذكر رباطين من الدين والدنيا : والتوقيت العام ، وأداء مناسك الحج . من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم اذا رأى الهلال « اللهم أهله علينا باليمن والايمان والسلامة والاسلام ، ربي وربك الله . . (أخرجه الترمذي عن طلحة بن عبد الله) .

ولهلال رمضان في حياة المسلمين حضور يستعدون له قبل ولادته ، ويسعدون باستقباله ، ويحيون رمضان صوما وقياما وتراحما وقرآنا ، ويودعونه بفيض من الزكاة والاحسان والموده .

من أجل ذلك رفع المسلمون الهلال على رؤوس القباب ومآذن المساجد ، واتخذوه رمزا اسلاميا في أعلام دولهم ، وعلى صورته صنعوا الحلي لأهليهم ، والخناجر والسيوف للدفاع عن أنفسهم . . هو انشودة على لسان الأمراء وصاحب للساهر والساري .

مرت هذه الخطرات في نفسي وأنا أنظر الى الهلال في سماء استانبول .

أحسست أنه يبتسم . .

تصورته فيا رقيقا فيه ترحيب ومودة .

ونحن نعكس على ظاهرات الكون وآيات الله بعض ما نشعر به . وتتعاقب الصور الذهنية ، والمشهد أمامك ثابت . .

وانتقلت عيني من « الهلال = الأب » في سمائه الى الأهلة « الأبناء » على رؤس المآذن والقباب . . على خط السماء . وهو من أجل ما ترى في استانبول .

وبنى حاجيا صوفيا بقبته البيزنطية ومآذنه الاسلامية ، وقد تقلبت به الأيام بين كنيسة ومسجد ومتحف . مسجد السلطان أحمد بمآذنه الست . مساجد نور عثمانية وبايزيد . مسجد سليمانية بمآذنه الأربع الذي بناه عبقري العمارة الاسلامية « خوجه سنان » في منتصف القرن السادس عشر . مباني « طوب قابي سراي » أضخم مجموعة من القصور العثمانية . .

وتهبط العين لتشهد مياه البسفور والقرن الذهبي ، وعليها نثار فضي من ضوء القمر والنجوم .

وتصعد العين مرة أخرى لترى لقاء الأرض والسماء . أحس قباب المسجد أمامي ، هوادج الحجيج تحملها الابل ، والمآذن أعلام وبيارق ، يجذ بها الشوق الى البيت العتيق .

أحس السماء قبة مسجد كبير ، مصابيحه النجوم وعمده المآذن ، وقباب المساجد صفوف الساجدين .

صور من الزمن التاريخي يوقظها الحنين الى مجد للاسلام كان . وأمل مرجو في مستقبله ، ونبضات خير في حاضره ، وصحوة تلتقي عندها الجهود والافكار .

مع الأذان بلسان عربي مبين

وأودى صلاة العشاء وتمضي ساعات ليرتفع في سكون الليل صوت مؤذن الفجر . والأخوة الأتراك يرفعون الأذان بصوت عريض يغطي الأفق ، يحمل نبض القلب وسعة الأمل وعمق الايمان . . نداء يرفعه المؤذن كأنما يريد أن يصل الى آخر المدى ، وينتهي بطبقة صوتية حنون ، كأنها حفيف جنة بربوة . .

ولقد عاد الأذان بتركيا باللغة التي نزل بها القرآن الكريم ، وباللسان الذي تكلم به خاتم المرسلين : « انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون » (يوسف : ٢)

ويا أخوتنا في الاسلام : ان نزول القرآن بهذا اللسان اصطفاء رباني « والله أعلم حيث يجعل رسالته » انه ليس اجتهادا من العرب . ولكنه أمانة ومسئولية ربطت هذا اللسان بهذا القرآن ، وربطت هذا اللسان بالاسلام والله تعالى يقول مخاطبا رسوله صلى الله عليه وسلم في أمر القرآن ، « انه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون » (الزخرف : ٤٤) .

ومن هنا كان هذا الرباط الأبدي الوثيق بين اللسان العربي والقرآن الكريم . والقرآن مفتوح الأبواب ، واللغة العربية مفتوحة الأبواب ، والرسول عليه الصلاة والسلام يعلمنا فيقول « الا انما العربية اللسان » .

وقفت عند هذه النقطة لأؤكد أمورا :

أولا : ان العناية باللسان العربي ليست تعصبا للغة معينة ، ولكنها استجابة لحب القرآن واقتراب من روح الاسلام .

ثانيا : ان اختلاف الالسنة والالوان لايعدو أن يكون مظهرا لقدرة الله آياته في الخلق : « ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ، ان في ذلك لآيات للعالمين . . » (الروم : ٢٢) .

ثالثا : ان هذا التشعب والتنوع ينبغي أن يعود الى التعاون والتآلف والتكامل ، في ظل تقوى الله والتواضع له . يقول تعالى :

(يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير)

وفي ضوء من هذه النقاط الثلاث ، تنظر الى موجة الاقتراب في تركيا من العالم العربي واللسان العربي واللغة العربية ، ومزيد من العناية بالتراث الاسلامي والتربية الدينية في المدارس واقبال الشباب على بيوت الله وكلها أمور لا تخطئها عين زائر تركيا : يستوي في هذا من جاء سائحا ، أو مشاركا في مؤتمر علمي ، أو يعقد روابط اقتصادية . . .

تركيا والعالم العربي

ولا زلت أذكر تحليلا وتصويرا لاستاذنا المؤرخ محمد شفيق غربال عن العلاقات التركية العربية . .

كان شفيق غربال مختصا في التاريخ الحديث، موسوعي النظرة كأستاذه المؤرخ العالمي « ارنولد توينبي » صاحب « دراسة في التاريخ » ونظرية « التحدي الحضاري في تفسير التاريخ » وكان يفرق بين الصراعات التي تنشأ فيما بين العرب والمسلمين ، والصراعات التي تنشأ بينهم

بوصلة لتحديد اتجاه القبلة من صناعة القرن الثامن عشر .

سجادة كودس من القرن الثامن عشر وهي على هيئة محراب المسجد بأعمدته والثريا المتدلية ـ وزخارف بنائية وهندسية .

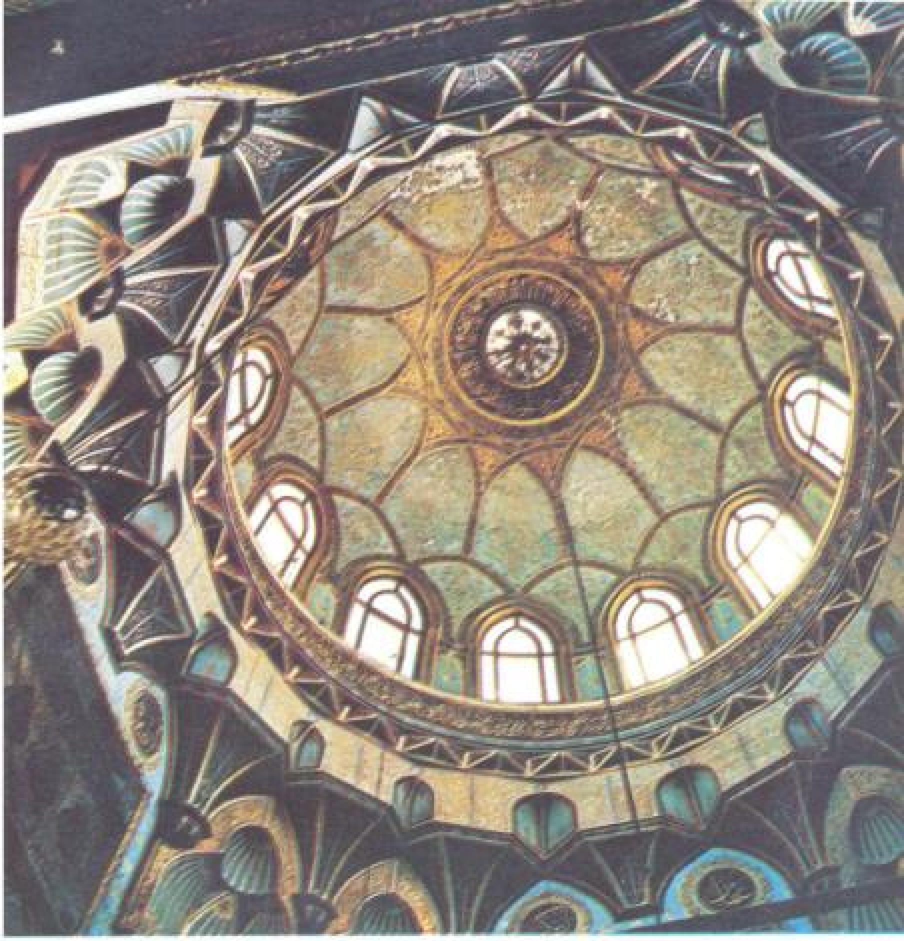

قبة جناح البردة الشريفة .

خزف من صناعة مدينة أذنيك : النصف الثاني من القرن السادس عشر .

وبين قوى استعمارية أو أجنبية غازية . ويضرب الأمثال بالمقاومة العنيدة والمستمرة ، التي أبداها الشعب المصري ضد الحملة الفرنسية على مصر ١٧٩٨ - ١٨٠١ ، وانتقال المعارك في صعيد مصر من بلد الى بلد ، وما سبق هذا في الحروب الصليبية وحروب التتار . . هذه هي الحروب الكبيرة كما كان يراها . . ثم يقول عن حملات الأتراك على العالم العربي : تصوروا قوما سمعوا عن كنز كبير في أرض مجاورة ، فخاضوا حربا للوصول الى الكنز ، وأدركوه ، ولما فتحوه وجدوا فيه مع بعض ما أخذوا - ديونا واجبة السداد .

وجدوا عليهم أن يحموا البحر الأحمر ومداخله الجنوبية الموصلة الى المقدسات الاسلامية (في مكة والمدينة وما يليها شمالا الى المسجد الأقصى) ذلك لأن من خطط الاستعمار الأوربي وقتئذ محاولات الوصول الى المقدسات عن طريق الجنوب . . فحارب الأتراك في المحيط الهندي والبحار المتصلة به : بحر العرب ، البحر الأحمر الخليج . . هذا الى حروبهم البرية دفاعا عن الجنوب والشرق والغرب والشمال وحروبهم البحرية في البحر المتوسط . .

ولضرورة توفير المواد البشرية والمادية ، لهذه المسئوليات الحربية والمدنية والادارية ، وما تحملته الولايات العثمانية من أعباء ، نستطيع أن نتصور أمرين :

الأول : استمرار وحدة سياسية كبيرة تضم معظم أجزاء العالم الاسلامي وتستمر الى مطلع القرن العشرين .

الثاني : انسلاخ الأجزاء الأوروبية ، ونشاط الفكر القومي والنزعات الاستقلالية ،والصراعات بين دار الخلافة والقوميات العربية . هذه خلاصة لما أذكره من تصوير استاذنا شفيق غربال .

انطواء ثم اتصال

وانطوت تركيا بعد الحرب العالمية عن العالم العربي ، واللسان العربي ، والمسئولية الاسلامية . . لاخلافة ولا حرفا عربيا . . وارتفعت أعلام التتريك . . ألم يفعل كل من حولهم ذلك ؟ كل القوميات من حولهم تبحث عن ذاتها في أعماقها ، وتنظر الى التقدم الكبير الذي حققته الحياة الأوروبية . . وسار القوم أكثر من نصف قرن .

وأخذت النفوس تهدأ ، وتستوعب الدرس ، وتتطلع في المستقبل الى خط يضم الأصالة والتفتح معا ، ولا يتنكر للعروبة والصلات مع العالم العربي ، ولا للاسلام - فهو من قبل ومن بعد - هديه الله وهدايته للناس - ولا للصلات العلمية العالمية من أي مصدر .

مع الفن الاسلامي في تركيا

وفي هذا الاطار الكبير ، نستطيع أن نتصور الحديث عن « الفن الاسلامي » في تركيا ، أو عن « الفن التركي » كقطاع عضوي له جذوره القديمة ، وفي الأرض التي نشأ فيها ، والهام العقيدة الاسلامية التي اعتنقها ، والتأثر بالمدارس الفنية التي اتصل بها ، وتبادل معها العطاء ، والذاتية التي استطاع كبار الفنانين الاتراك أن يعبروا عن ذواتهم تعبيرا أقرب ما يكون الى سيمفونية تجمع في نغم متناسق بين روافد فنية ، تشترك في عزفها مجموعة من الآلات الموسيقية . .

في مركز الأبحاث للتاريخ والفنون

والآن سنأخذ طريقنا في استانبول الى مجموعة قصر يلدز . . أولا : هنا على يمين طريقك الصاعد « جامع يلدز » صغير الحجم

الرباعي الكوفي لاسم الرسول عليه الصلاة والسلام « محمد »

متواضع نسبيا في زخارفه والمواد المستخدمة فيه ، ذلك لأنه من أنشيء وشمس الدولة تميل الى الغروب .

نستمر في الصعود ، هنا على يسارك ستقرأ لوحة بالعربية « مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الاسلامية باستانبول . » ويشمل المركز جناحاً أثريا صغيرا يعرف باسم « قصر سير » ستقابل مدير المركز « الدكتور أكمل الدين احسان أدغلو » وان شئت أن تقرأ اسمه بالعربية فهو « أكمل الدين بن احسان » سيحدثك بالعربية بلهجة قاهرية ـ حيث أمضى الطفولة وبعض الشباب ، ويحدث العاملين معه بالتركية أو الفرنسية أو الانجليزية حسب اللغة الأم أو الثانية .

وستعرف أن الافتتاح الرسمي للمركز كان في ٢٣ مايو (آيار) ١٩٨٢ ، بحضور معالي الاستاذ الحبيب الشطي ، الأمين العام لمنظمة المؤتمر الاسلامي ، ومعالي السيد طورغور أوزال نائب رئيس الوزراء ووزير الدولة في الحكومة التركية ، والعديد من الشخصيات الاسلامية البارزة . .

ثم خصصت الحكومة التركية « قصر جيت » من مجموعة يلدز التاريخية ليكون مقرا للمركز ، وهو مبنى فخم متسع ، وكان قصرا رسميا للاستقبالات وللمكتبة في عهد السلطان عبد العزيز والسلطان عبد الحميد الثاني ، وهناك مشروع هندسي لترميم القصر واعادة توظيفه ، بعد أن دمرت جانبا منه الاضطرابات السياسية التي صحبت غروب الخلافة العثمانية .

ومن المكان والزمان ننتقل الى الفن ذاته . . وكثيرة آفاقه في الحياة التركية ، ولا نملك من حدود الوقت والمكان الا اىماءات سريعة ، كأنك

تشرف على مدينة ضخمة ترى أبرز معالمها . . والهدف ليس مجرد المتعة الذهنية ، وان كانت في ذاتها من أبرز أهداف الفن ، ولكن أن نحاول توسيع وتعبيد المعابر الفنية بين الدائرة العربية وما حولها من دوائر ، وأقربها الينا الدوائر غير العربية في العالم الاسلامي ، حيث العقيدة رباط . . ثم لنا أن نوسع آفاقنا الى ما وراء ذلك في العالم النامي والمتقدم . .

وبهذه المعابر نستطيع أن نقيم من جديد علاقات ثقافية أقوى بين أجزاء العالم الاسلامي . والثقافة من أوثق العلاقات وعلى محاورها تستطيع أن تتقدم وتنمو علاقات أخرى اقتصادية وسياسية واجتماعية . . أقول علاقات جديدة تستطيع أن تتجنب الرواسب القديمة ، وتعيد كتابة التاريخ بروح منصفة تعلو على العصبيات الضيقة ،وتستشرق أفقا جديدا من العرض الموضوعي الهادف ، الى تكوين عقليات جديدة في جيل جديد ، وتصحيح أخطاء قائمة في أذهان الكثيرين .

في ندوة الفن الاسلامي

كانت الندوة عن « المبادىء والاشكال والموضوعات المشتركة للفنون الاسلامية ، وأربعة وأربعون باحثا من العالم الاسلامي والعالم على اتساعه ، لكل منهم محاضراته وعلى المحاضرات حوار . . وتصدر عن الندوة توصيات ، وبيان استانبول عن الفنون الاسلامية ، ونقف في هذا البيان عند الفقرات التالية :

أولا : يهتم الباحثون بمجالات الفنون الاسلامية الآن بربط هذه الفنون بمصادرها الاصيلة من منابع الاسلام ، مع العناية في نفس الوقت ببيان آثار الفنون المحلية والعالمية فيه . ورغم تعدد وجهات النظر في تفسير الفن الاسلامي ، الا أن استمرار الحوار سيؤدي الى مزيد من الفهم والتفاهم .

ثانيا : ومما يعين على ذلك أن يمتد التعاون ليشمل المختصين في التشريع الاسلامي وفي الفنون في لقاءات مشتركة ، تدل عليها مستويات البحث الرئيسية :

أ ـ أصول التشريع من كتاب الله والسنة النبوية .
ب ـ آراء رجال التشريع وشروحهم .
جـ المماراسة الفنية .

واذا كانت الاصول هي المصدر ، فإن آراء المختصين تتعدد ، والممارسات الفنية تتنوع ، وهي ليست مصدر تشريع ، ولا حجة عليه .

وأشار البيان الى الاتجاهات الفنية المعاصرة في العالم الاسلامي كتجارب في الربط بين الاصول والممارسات الاسلامية السابقة من جهة ، والمدارس الفنية المعاصرة من جهة أخرى ، والى العناية بجماليات الحياة اليومية عند الشعوب الاسلامية ، « فالفن الاسلامي ليس مجرد قصور كبيرة ولا مساجد ضخمة ، فهذه المنشآت جزء من تاريخ الفن الاسلامي ، ولكن كان التساؤل عن نصيب العامل والزارع والشاب من جماليات الفن الاسلامي » كذلك عنى البيان بدور الفن وقيمه الجمالية في التربية وتكوين الشخصية والمحافظة على الاستمرار التاريخي للشعوب والحضارات .

واذا كانت الآثار الاسلامية تعاني من المد الحضاري في المدن الاسلامية فلا بد من معادلة تتضح بها العلاقة بين الحفاظ على التراث وحق الاجيال الجديدة في المكان والحياة .

وأكد البيان مكانة الخط الذي كتب به الخطاطون العظام كتاب الله ، وزينوا المساجد بآياته . وهو فن لايحتاج مكانا واسعا ولا رأسمال كبير ، ثم هو « الرابطة الكبرى بين المسلمين جميعا » .

وتطلع المجتمعون الى أمل كبير : « أن يكون هذا اللقاء مطلع فجر جديد تتجه اليه الأجيال الجديدة نحو ابداع مرحلة جديدة من الحضارة الاسلامية لا تكون تكرارا نمطيا لما سبق ، ولا انقطاعا عنه ، ولا انعزالا عن التيارات العالمية ،

إنما تكون مرحلة وثيقة الصلة بمنابعها ، مصافحة بيديها الحضارات الانسانية ، مستجيبة لحاجات المجتمعات الاسلامية وظيفيا وجماليا وعضويا ، ثابتة الخطى على طريق المستقبل » .

مع حامد الأموي

وكان في الندوة غائبون لهم حضور .. أبرزهم الخطاط الكبير حامد الأموي رحمه الله .. كانت ولادته عام ١٨٩١ بديار بكر (آمد) واسمه الميلادي موسى عزمي ، وبرزت موهبته من حداثة سنه وجذبه الخط عن التخصص في القانون ولفت اليه الأنظار وعمل في مطبعة الأركان الحربية وأوفد في بعثة الى المانيا للتخصص في رسم الخرائط ، وبعد عودته تتلمذ على كبار الخطاطين وافتتح لنفسه مكتبا خاصا باسم « حامد » الذي عرف به . وأهم أعماله كتابة مصحفين شريفين ، وكتابة الآيات القرآنية على قباب ومداخل وأروقة كبيرة ، من أبرزها مسجد الصحابي الجليل أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه . وقد توفي حامد في استانبول يوم ١٨ مايو (آيار) ١٩٨٢ ، بعد أن ذاعت مكانته وقصده الطلاب من أنحاء تركيا ومن العراق واليابان . ومن توفيق الله أن استطاع مركز الأبحاث اعداد شريط وثائقي له .. وشريط آخر عن فن لم ينفصل عن كتابة المصاحف وهو فن الزخرفة والتذهيب أبرز حياة الفنانة الاستاذة رقت قونت في أثناء عملها الفني .

معارض الفن الاسلامي

ندع الآن الندوة وجوانبها الفكرية والفنية الى المعارض الفنية التي افتتحتها معها الدولة في احتفالاتها بمقدم القرن الخامس عشر الهجري وهي :

ـ معرض الأمانات المقدسة التي ترجع الى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام والخلفاء الراشدين .

ـ ثم معارض الفنون المتعلقة بالعبادات الاسلامية والسيراميك الخزفي ، السيراميك المعاصر ، السجاد والبسط .

وزيارة مكتبة السليمانية احدى كبريات المكتبات الثرية بالمخطوطات في العالم ، وأقيم فيها معرض آخر لبعض ما فيها من نفائس نماذج الخط والمخطوطات وبعض فرمانات السلاطين . وأخيرا معرض الفنون المعدنية والخشبية الاسلامية . ان كل لوحة وكل صحيفة وكل حلية استغرقت مع الفنان أياما ولعلها شهورا وسنين .. هؤلاء العظام من كتاب المصاحف الشريفة والذين تولوا زخرفتها بكل الحب والايمان ، والذين زينوا كل ما يتعلق بالعبادة من اناء ماء للوضوء الى سجادة صلاة الى ساتر يحول بين المصلي ومن يقطع الطريق أمامه ، الى مسبحة الى كرسي يضع عليه كتاب الله ، إلى تغليف كتاب الله .. كل ما يتعلق بالصلاة كان حبيبا قريبا ..

معرض كبير للفن الاسلامي

ولكن المتحف والمعرض الكبير هو استانبول نفسها ، بمساجدها التي تجمع بين الجلال والجمال : بواجهاتها وبجوانبها المتدرجة المزخرفة ، بمآذنها الرشيقة بقبابها الراسخة .. كأنما تدعوك الى الصلاة في مودة .. فاذا دخلت وجدت كونا صغيرا بسمائه في قبة المسجد ، وأرضه في البسط الممدودة ، بنجومه في المصابيح ، بالنور يأتيك مزخرفا من النوافذ الزجاجية .. تراه تارة آية كريمة وتارة نباتا ، وتارة شكلا هندسيا والحوائط من حولك قرآن تتلوه ، ودعاء ترفعه الى الله ..

وتعود من زيارتك على أمل عودة . وحاضرك لقاء يصافح الماضي بيد ويمد الأخرى الى المستقبل ..

وأعود فأنظر الى الهلال في سماء استانبول فأراه يبتسم مودعا مرحبا على أمل لقاء .. واللقاء في الاسلام : خير وسلام . □□

نظام النقد العالمي

وتقلباته بين الماضي والحاضر والمستقبل

بقلم: الدكتور أحمد حافظ الجعويني

□ شهد العالم قبل نحو قرن ثلاثة نظم عالمية نقدية هي : نظام الذهب الذي ساد خلال الفترة من النصف الثاني للقرن الماضي حتى بداية القرن الحالي ، ونظام مناطق العملات الخمس الذي ساد بعد الحرب العالمية الاولى ، ثم نظام الصرف الثابت للعملات تحت راية صندوق النقد الدولي ... فكيف تم هذا الانتقال ؟

نظام الذهب

تشير معظم المراجع العلمية الى أن نظام الذهب لصرف العملات قد حقق استقراراً في الاسواق المالية والنقدية العالمية ، ونجح في تثبيت العملات ، وقلل من التقلبات المفاجئة في أسعار الصرف . ولكن الواقع هو أن هذا الاستقرار المالي والنقدي كان نتيجة لاستقرار الأوضاع السياسية والاقتصادية العالمية ، التي كانت بدورها نتيجة لتحكم الدول العظمى في الاقتصاد العالمي . . فلم يكن نظام الذهب السبب المباشر لاستقرار أسعار صرف العملات ، بل كانت قوة بريطانيا العظمى بصناعاتها المتقدمة وتجارتها الواسعة وامبراطوريتها التي لا تغرب عنها الشمس هي السبب الحقيقي لذلك الاستقرار ، فقد كانت الدول الأخرى ترى أن من صالحها المحافظة على سعر صرف لعملتها ثابت مستقر ، عن طريق ربطه بالجنيه الاسترليني . وكانت أسعار الحاصلات الزراعية والمواد الأولية في بورصات لندن أو ليفربول هي التي تحدد أسعار التسويق في العالم أجمع ، وبالتالي أصبح الاسترليني هو المحدد لأسعار تبادل العملات في تعامل الأسواق العالمية والتجارة الدولية .

وظل الأمر على هذه الحال طوال الفترة التي استطاعت بريطانيا العظمى خلالها أن تتحكم في أسعار المنتجات العالمية وتوجيه الاستثمارات البريطانية نحو المستعمرات لمد أسواقها واسواق العالم بالمحاصيل الزراعية والمواد الأولية والمنتجات الصناعية . وقد أمكنها ذلك بقوتها العسكرية التي دعمت قوتها السياسية والاقتصادية . فقد كان دور بريطانيا العظمى في الاقتصاد العالمي أكبر بكثير من احتياطيات الذهب في بنك انجلترا . فتراكم الذهب في بنك انجلترا كان نتيجة للاستقرار السياسي والاقتصادى الذي تمتعت به الامبراطورية البريطانية ، وليس سببا لهذا الاستقرار ، وكان استقرار صرف العملات نتيجة للاستقرار الاقتصادى والمالي في بريطانيا العظمى وتحكمها في اسواق المال باعتبار انّ لندن كانت مركزا للسوق المالي العالمي .

في القرن العشرين

وما ان بدأ القرنُ العشرون حتى دخلت دول أوروبية أخرى حلبة الصراع على المسرح العالمي ، ونافست بريطانيا العظمى في قوتها العسكرية واحتكاراتها الاقتصادية العالمية ، مثل ألمانيا وفرنسا . وبدأت بريطانيا العظمى تفقد سيطرتها الكاملة على الأسواق العالمية التجارية ، وبالتالي تزعزعت قدرتها في السيطرة على الأسواق المالية أيضا نتيجة لبدء تراكم الذهب في المانيا وفرنسا ، بل أيضا في العالم الجديد أى الولايات المتحدة الامريكية . بدأت هذه الدول الدخول في سوق التجارة العالمية وتصدير رؤوس الاموال ، بل وبدأت في استقبال ايداعات الحكومات الأجنبية في بنوكها وهذا الأمر كان حكرا خاصا ببريطانيا وحدها .
وبدا في الأفق أن بريطانيا لن تستطيع الاستمرار في الجلوس على عرش التجارة والمال العالمين ، وقد أدى هذا الصراع التجاري والمالي - مع غيره من أسباب - الى نشوب الحرب العالمية الأولى التي خلفت آثارا اقتصادية ومالية عالمية لا يستهان بها . فرغم انتصار انجلترا في تلك الحرب الا انها خرجت منها جريحة ، مثلها في ذلك مثل الدول الأوربية الأخرى التي شاركت فيها . وقد ظهرت على المسرح العالمي بعدها عملة جديدة هي الدولار الأمريكي ، وهذه العملة قويت في الخفاء خلال فترة الصراع الأوربي دون أن تحاول دخول حلبة الصراع ذاته . ففي خلال هذه الفترة أمكن الولايات المتحدة الأمريكية أن تستحوذ على نسبة كبيرة من الذهب في العالم ، بلغت قبل الحرب مباشرة وعلى وجه التحديد في عام ١٩١٠ ثلث الذهب النقدى لدى السلطات النقدية العالمية ، فكان ذلك مثل السيف النائم في غمده يستله المقاتل عندما يجد الفرصة سانحة له للسيطرة على ساحة القتال . كذلك كان انشاء البنك المركزي ومجلس الاحتياط الفيدرالى - بالولايات المتحدة عام ١٩١٣ عملا تنظيميا دعم مركز الدولار كمنافس قوى للاسترليني في أسواق المال والنقد العالمية .

وهنا حاولت الدول الغربية - بعد الحرب العالمية الأولى - العودة الى نظام الذهب واسعار الصرف الثابتة ، ولكن التنافس الشديد بين العملات الغربية وخاصة بين الاسترليني والدولار أدى الى تفكك السوق العالمية المعتمدة على الاسترليني ، وظهر - نتيجة ذلك - العديد من مناطق العملات التي عرفت بمناطق العملات الخمس .

نظام مناطق العملات

نتيجة للصراع بين العملات الغربية للدول ذات القوة الاقتصادية (والسياسية والعسكرية) وتفكك السوق العالمية التي كانت تسيطر عليها وتحتكرها بريطانيا العظمى ، ظهرت خمس مناطق رئيسية للعملات هي :
(١) منطقة الاسترليني : وتضم بريطانيا

ومستعمراتها (فيما خلا كندا) وبعض الدول ذات العلاقات التجارية والاقتصادية ببريطانيا .

(٢) منطقة الدولار الأمريكي : وتضم الولايات المتحدة ودول امريكا الشمالية وامريكا الجنوبية .

(٣) منطقة الذهب : تضم فرنسا وسويسرا وبلجيكا وهولندا وايطاليا وبولندا .

(٤) منطقة المارك الالماني : التي نشأت بالاتفاق بين المانيا النازية ودول اوروبا الوسطى والشرقية .

(٥) منطقة الين الياباني : وتضم اليابان ومستعمراتها والاراضي التي احتلتها في الشرق الأقصى .

والظاهرة الواضحة في هذه التجمعات هي تجمع الدول حول احدى عملات دولة رئيسية قوية اقتصاديا وعسكريا . هذا التجمع هو في الواقع نتيجة لتفكك السوق العالمية ولهذا لم ينجح هذا الاتجاه في حل المشاكل الاقتصادية والمالية العالمية وظل الكساد الكبير في مرحلة الثلاثينيات جاثما على الاقتصاد العالمي الى أن بدأت الحرب العالمية الثانية .

نظام اسعار الصرف الثابتة

اجتمع مندوبو الدول الكبرى عندما انتهت الحرب العالمية الثانية في بريتون وودز عام ١٩٤٤ لمناقشة مشاكل العالم المالية والنقدية ، وتقرر تفضيل انشاء صندوق للنقد الدولي ، بدلا من انشاء بنك مركزي عالمي . وكان هذا التفضيل مبنياً أساسا على أن دور التمويل الخاص والبنوك التجارية لا يزال محدوداً ، وقرر المجتمعون التعامل مع ثلاث مشاكل رئيسية هي :

أ ـ مشكلة التجارة الدولية : فقرروا تحريرها من قيود الجمارك والتعريفات والحصص عن طريق انشاء المنظمة الدولية المعروفة باسم الاتفاقية العامة للتجارة والتعريفات gatt .

ب ـ مشكلة التنمية والتعمير : فقرروا انشاء البنك الدولي للانشاء والتعمير والمعروف الآن اختصاراً باسم البنك الدولي .

جـ ـ تثبيت أسعار الصرف : فقرروا انشاء صندوق النقد الدولي .

ومن الطبيعي أن تتحكم الولايات المتحدة ، ـ التي خرجت من الحرب منتصرة وباقتصاد قوى لم يدمر ـ ، وتسيطر في المنظمات الدولية الثلاث . وانعكس ذلك التحكم في تقدير قيمة الذهب بالعملة الدولارية على أساس سعر اوقية الذهب ٣٥ دولاراً أمريكياً . وهذا يعني في الواقع أن جميع العملات ـ رغم علاقتها بالذهب ـ مرتبطة بالدولار لأن الذهب مقوم بالدولار . وبذلك أصبح الدولار العملة العالمية .

دور الدولار كعملة عالمية

منذ اتفاقية بريتون وودز وانشاء صندوق النقد الدولي أصبح الدولار العملة العالمية الرئيسية . وتعاظم دور الدولار بسبب ضعف الاقتصاد الاوروبي وقوة الاقتصاد الأمريكي وحاجة الأول للأخير في برامج الانشاء والتعمير التي بدأت بعد الحرب العالمية الثانية ودعمت بمشروع مارشال الأمريكي . وأدى نمو الاقتصاد الأمريكي وتزايد قوته الى تراكم الذهب في فورت نوكس بأمريكا حتى بلغ نحو ٧٠٪ من الاحتياطيات النقدية العالمية ، وكان الدرس الذي تلقاه العالم في ثلاثينيات هذا القرن كافيا لقبول الاوضاع الجديدة على الأقل خلال الخمسينات والستينيات . ولكن ما ان بدأت الدول الغربية الاوروبية الشعور بقوتها الاقتصادية وتراكم قدر لا بأس به من الذهب في خزائنها حتى أقدمت على منافسة الدولار الأمريكي في مكانته ، وقد ساعدها على ذلك ما أحدثته الحرب الكورية ثم الحرب الفيتنامية من ضعف نسبي للاقتصاد الأمريكي ، وبدأ تسرب

العجز الى ميزان المدفوعات الأمريكي بسبب تدفق الدولار على العالم لسداد قيمة متطلبات تلك الحروب من المواد الأولية والانفاق العسكري بالخارج . مما أدى الى تبدل الموقف ، فبعد أن كان الدولار بعد الحرب ولمدة تبلغ نحو عشرين سنة عملة قوية كالذهب ، بل يمكن تحويلها الى ذهب بالسعر الرسمي المتفق عليه في بريتون وودز ، تحول الى عملة تنافسها كثير من العملات الأخرى القوية واضطرت ادارة نكسون الى : وقف تحويل الدولار الى ذهب ثم تخفيض العملة الامريكية مرتين ، وانتهى الأمر الى الغاء العلاقة بين الدولار وسعر الذهب القائم على تحديد ٣٥ دولاراً أمريكيا للأوقية الواحدة ، وبدأت مرحلة جديدة هي مرحلة ما بعد اكتوبر ١٩٧٣ وقد تميزت ـ إلى جانب انهاء الارتباط بين الدولار وسعر الذهب ـ بتراكم فوائض البترول المدفوعة بالدولار في البنوك التجارية الغربية التي تعاظم نشاطها في السيولة الدولية عن طريق اقتراض الدول النامية ، دون ضوابط محددة ، مما أدى الى تراكم الديون على هذه الدول بالبلايين ، وعدم استطاعتها ثم العجز عن الوفاء بهذه الديون أو بفوائدها المستحقة دون اقتراض جديد ودون إعادة جدولة مواعيد سداد هذه الديون .

المرونة في أسعار الصرف اليوم

وبجانب تراجع دور الذهب ، وتراكم فوائض البترول ، وتعاظم أرقام الديون الخارجية ، وظهور دور البنوك التجارية في التمويل العالمي بشكل واضح وخطير فقد تكاثر عدد الدول التي خفضت أسعار عملاتها ، وعدد مرات تخفيض الدولة الواحدة لعملتها الوطنية في فترات متقاربة . ولجأت الدول الى ربط عملتها لا بالذهب ولا بالدولار ، ولكن اما بحقوق السحب الخاصة التي يصدرها صندوق النقد الدولي ، أو بسلة من العملات الأجنبية وليس بعملة واحدة .

وأصبح نظام النقد العالمي ضعيفا لكثرة التغيرات في أسعار الصرف ، بسبب التضخم والتقلبات الاقتصادية العالمية ، والقرارات الادارية ، وضغوط صندوق النقد الدولي على الدول ذات العجز في ميزان المدفوعات ، وبذلك أصبحت ظاهرة التغير في أسعار الصرف اكثر وضوحا من ثبات اسعار الصرف خلال الخمسينات والستينات . هذه المرونة الالزامية او الطوعية في اسعار الصرف هي التي تميز الاقتصاد النقدى العالمي في السبعينات.

التغير في أسعار الصرف

توجد الآن اسعار صرف مرنة ولكن في حدود تضعها السلطات النقدية المعنية مع التشاور في بعض الأحيان مع المنظمات النقدية العالمية المنشأة وفقا لاتفاقية بريتون وودز لعام ١٩٤٤ . وفي ظل هذا النظام فان التقلبات غير المتوقعة والتذبذبات القصيرة الأجل حول سعر الصرف المعلن من قبل السلطات النقدية أمر لا مفر منه ، وهي ـ ان كانت تعيد للأذهان فترة ما بعد الحرب العالمية الاولى حتى ما قبل الانهيار المالي لعام ٢٩ والكساد العالمي الكبير في الثلاثينيات فإن هناك تعاوناً وثيقاً بين المراكز المالية العالمية وخاصة بين لندن ونيويورك هو الآن أشد واقوى من فترة ما بعد الحرب العالمية الاولى ، فضلا عن وجود صندوق النقد الدولى الذي تلعب فيه الدول الأخرى بما في ذلك الدول النامية دورا محدودا . ولكن لا يزال التحكم في الاسواق المالية والنقدية العالمية في يد الدول العظمى وخاصة انجلترا والولايات المتحدة الأمريكية . فالدول الأخرى لا تزال تدير نظامها النقدي عن طريق أسعار متعددة للصرف : فهناك الأسعار الرسمية والاسعار التشجيعية وأسعار السوق الفعلية أو

السوق السوداء . حتى الاسعار الرسمية فلها اكثر من سعر وفقا لنوع الواردات أو الصادرات أو التعامل الرأسمالي . . الخ .

هذه الحيرة في الدول النامية وغيرها من الدول الاخرى ترجع الى عدم تمكنها من التحكم في اسعار صرف عملاتها ، نتيجة لعدم تحكمها في الاسواق المالية والنقدية العالمية التي كانت ولا تزال تهيمن عليها الدول العظمى ، والتي توجهها وفقا لمصالحها القومية ، وأصبحت التيارات المالية التي تهب من المراكز المالية العالمية الغربية هي التي تملى أسعار صرف العملات في معظم انحاء العالم . ولهذا فان التقلبات في هذه الاسعار القصيرة الأجل ، والمتوسطة الأجل ، كانت ولا تزال تفوق كل التوقعات المحلية ، بل العالمية ، ذلك لأن هذه التوقعات هي نتيجة لقرارات القلة المسيطرة وهي تخدم مصلحتها ، وكلما كانت المعلومات عن الاتجاهات المستقبلية غير متوفرة في الاسواق نظراً لاختصاص القلة بتحريكها ـ كانت قرارات الغالبية العظمى أبعد ما تكون عما يخبئه المستقبل . والملاحظ أنه ـ على الرغم من تلك التقلبات ـ فان تدفق رؤوس الأموال الغربية للاستثمار في الدول النامية لم يتأثر سلبيا بهذه الاوضاع ، ذلك لأن الاتجاه العام المستمر هو انخفاض أسعار صرف عملات الدول النامية في مقابل العملات الرئيسية العالمية ، وهو عامل مشجع للدول الرأسمالية ، وشركاتها المتعددة الجنسيات على الاستثمار في الخارج طالما توافرت الشروط اللازمة للاستثمار الأجنبي ، وهي الربح والاستقرار وتحويل العملة للمستثمر .

التخفيضات المتعاقبة

سواء كانت تخفيضات أسعار صرف العملات نتيجة لتعويم العملة الوطنية ، أو بناء على قرار اداري ، استجابة لمقترحات صندوق النقد الدولي ، فان النتائج المترتبة على ذلك خطيرة . فالهدف المرجو من تخفيض سعر صرف العملة الوطنية هو عادة زيادة الصادرات وخفض الواردات ، وهو هدف قلما تحقق لأية دولة نامية اتبعت نصائح صندوق النقد الدولي ، ذلك لأن كلا من عرض الانتاج القابل للتصدير والطلب على الواردات الضرورية للحياة واستمرار النشاط الاقتصادي كلاهما غالبا غير مرن في الدول النامية ، ولن يستجيب بالدرجة الكافية لتحقيق هدف تخفيض سعر صرف العملة الوطنية . فالانتاج الزراعي بطبيعته إنتاج غير مرن في الأجل القصير ، وفي معظم الدول النامية وهو إنتاج غير كاف لمواجهة الاستهلاك المحلي ، وبالتالي لن يلعب دورا كبيرا أو صغيرا في زيادة الصادرات ، واعادة التوازن لميزان المدفوعات . اذا انتقلنا للانتاج الصناعي رأيناه في الدول النامية ـ ان وجد ـ ذا نسبة متواضعة لمجموع الناتج القومي الاجمالي ، بل أنه ما كان لينمو في كثير من الحالات دون حماية جمركية ، ولو أمكن التغلب على ذلك ، وكان التصدير ممكنا ، فإن زيادة الصادرات الصناعية للدول النامية تحتاج في كثير من الأحيان الى زيادة في الواردات من مواد خام ومعدات وقطع غيار ومعرفة تكنولوجية ، وكلها تصبح بعد تخفيض العملة الوطنية أكثر تكلفة وأكثر ندرة في الحصول عليها نتيجة لنقص موارد النقد الأجنبي ، هذا فضلا عن أن ارتفاع تكلفة الاستيراد يجعل الانتاج الصناعي للدول النامية والقابل للتصدير اكثر كلفة وأقل قدرة على المنافسة في الاسواق العالمية . هذا فضلا عن المشاكل الاجتماعية والسياسية بما فيها الانقلابات العسكرية كما حدث في نيجيريا مؤخرا .

الدولار والاسترليني

ان أسعار صرف العملتين الرئيستين وهما الدولار والاسترليني ـ وكلاهما لشدة الطلب

العالمي عليها كوسيلة لتسوية المعاملات الدولية ـ وعلى الأخص الدولار . لها قيمة فعلية في أسواق الصرف العالمي أعلى من قيمتها الحقيقية .

فعلى الرغم من العجز الكبير في ميزان المدفوعات الأمريكي الذي يقدر بعشرات البلايين من الدولارات كل عام ، ورغم العجز المتفجر في موازنة الحكومة الفيدرالية الأمريكية الذي بلغ مؤخرا أكثر من مائتي بليون دولار ، وعلى الرغم من تضخم الانفاق العسكري الذي بلغ ما يزيد عن ٢٥٠ بليون دولار هذا العام ـ نجد أن الدولار ذو قيمة في التعامل الدولي تفوق قيمته الحقيقية التي كان من المفروض أن تعكس أوضاع الاقتصاد الأمريكي الداخلية والخارجية . ويرجع البعض سبب ذلك الى أسعار الفائدة المرتفعة والمضاربة وغيرها ، ولكن ألم تنخفض أسعار الفائدة عما كانت عليه منذ سنتين عندما بلغت ما يناهز ٢٠٪ سنويا ؟ ثم أليست المضاربة بطبيعتها ذات آثار وقتية وليست دائمة ؟ ان هذه المبررات غير مقنعة تماما بل كان من المتوقع بعد انخفاض أسعار الذهب واسعار البترول وعجز معظم الدول المدينة عن سداد ديونها المتراكمة بالبلايين أن يتأثر سعر صرف الدولار ويميل الى الانخفاض .

ان فوائض البترول الدولارية قد انكمشت وتضاءلت ، بل تحولت بعض دول الأوبك من دول ذات فائض الى دول ذات عجز في ميزان المدفوعات مما قوى من مركز الدولار الحالي . بعد أن كانت الفوائض المتراكمة لدى البنوك الغربية هي مصدر تمويل السيولة الدولية ، أصبحت هذه الفوائض معدومة ، وبالتالي ظهر نقص في حجم الدولارات الأمريكية المتاحة للتمويل العالمي ، على الرغم من تزايد حجم استعمال الدولار لتمويل عجز الموازنة العامة الفيدرالية الأمريكية . وقد تفاقمت المشكلة مؤخرا بانخفاض أسعار البترول ، واضطرار دول الأوبك الى السحب من أرصدتها القديمة لتمويل احتياجاتها للدفع بالدولار (فمثلا سحبت السعودية في النصف الأول من عام ١٩٨٢ ما يزيد عن عشرة بلايين من الدولارات من البنوك الدولية ، وهذا يمثل ربع المتراكم من أرصدتها البترولية في هذه البنوك) .

ان مثل هذا الوضع جعل البنوك التجارية تلهث خلف البلاد المدينة لسداد ديونها وجعلها في أشد الحاجة للبحث عن الدولارات لمواجهة دفع الديون المستحقة وفوائدها . هذا مما تسبب في هذه الندرة الحالية للدولار في الاسواق العالمية .

الجنيه الاسترليني

بالرغم من انخفاض سعر صرف الاسترليني بالنسبة للدولار شأنه في ذلك شأن باقي العملات الرئيسية الأخرى ، ؟ الا أن الاسترليني مقابل هذه العملات يعتبر في مركز قوى بل مقوم ـ كما يعتبره المسئولون ـ في بنك انجلترا بأكثر مما ينبغي . ويرجع ذلك الى عدة عوامل في مقدمتها بترول بحر الشمال ، وانخفاض معدلات التضخم في انجلترا عما هي عليه فى الدول الاوروبية ، وخاصة المشتركة في نظام النقد الاوروبي **EMS** وارتفاع الفائدة في البنوك الانجليزية . واذا لم يحدث تغير في سوق البترول العالمي فان الجنيه الانجليزي سوف يفقد بعض قيمته في المستقبل القريب ، ذلك لأن حكومة بريطانيا الحالية ترغب في الانضمام الى نظام النقد الاوربي ، ولكن بعد أن يصل سعر الاسترليني الى مستوى يجعل الانتاج البريطاني في وضع تنافسي أفضل ، إذا قورن بالانتاج في دول السوق الاوروبية المشتركة الأخرى . .

وهكذا فإن توقعاتنا تشير الى استمرار قوة الدولار لفترة مقبلة وانخفاض قيمة الاسترليني في الفترة نفسها . □□

أرقام!

العرب

بقلم : محمود المراغي

من هم العرب ؟

قد يبدو السؤال ساذجا لكثرة مانعرف عن أنفسنا ، وقد يبدو السؤال صعبا لتشعبه وكثرة ماصدر عنه من كتب ومؤلفات ودراسات .

ولكن .. وفي محاولة لرصد حال العرب بالأرقام نستطيع القول أنه بالرغم من موقع الوطن العربي المتميز ، وبالرغم من استيلائه على أبرز ممرات العالم وجزء وافر من أخطر ثرواته ، بالرغم من ذلك فهو ليس الأكثر ثراء .

أيضا وبالرغم مما توفره الثروة ويوفره الاقتراب من الطبيعة ، والبعد عن تلوث العالم الصناعي ، بالرغم من ذلك فالعرب ليسوا الأوفر صحة أو الأطول عمرا ، بل وأنهم على الجانب الآخر ، وبالنظر لما يملكون ليسوا الأكثر تعليما أو ثقافة .

وهكذا تقول الأرقام ، التفاوت واسع مع العالم المتقدم ، التفاوت قائم مع العالم الأقل تقدما ، ونحن ـ باستثناءات محدودة ـ في نقطة وسط وان مالت في بعض الأحيان هنا أو هناك .

من نحن ؟

سؤال تجيب عليه الخرائط والأرقام والوقائع ، فعلى هذه المساحة الممتدة من الخليج شرقا الى المحيط غربا ، من حدود تركيا والبحر الأبيض شمالا الى حدود أوغندا وتشاد وبلاد أفريقيا السوداء جنوبا ، على هذه المساحة يعيش الآن ووفقا للاحصاءات : (١٨١) مليون نسمة ، ولكن وفي عام (٢٠٠٠) وكما يتوقع آخر تقرير اقتصادي عربي موحد ، فان الرقم سوف يرتفع الى (٣٠٠) مليون نسمة .

نسبة العرب في هذا العالم أقل من ٤ ٪ من سكانه ، وهم في جملتهم أقل عددا من بعض البلدان في الشرق أو في الغرب ، انهم أقل من تعداد الصين أو الهند أو الولايات المتحدة الأمريكية أو الاتحاد السوفيتي ، بل ويقتربون في عددهم من بلد آسيوي هو : أندونيسيا .

واذا تأملنا هذه الكتلة السكانية فاننا نصطدم بحقيقة أولى تقول : ان صغار السن لدينا أكثر وفرة بالمقارنة بآخرين ، وان الهرم السكاني يتضح في ارتفاع نسبة الصغار وانخفاض نسبة السكان الذين هم في سن العمل ، أي الذين تتراوح أعمارهم بين الخامس عشر والرابعة والستين . وبينما تختفي هذه الظاهرة في بلدان يتغير تركيبها السكاني عن طريق استيراد العمالة ، فان البلاد العربية الأخرى الأوفر عددا يسود فيها هذا النمط الذي يشكل فيه من هم في سن العمل نحو (٥٠ ـ ٥٥ ٪) من عدد السكان فقط .

ترجمة ذلك أن نصف المجتمع ـ ولو افترضنا حجم تشغيل كامل ـ يعول النصف الآخر ، فاذا أدخلنا العوامل الأخرى وهي انصراف نسبة كبيرة من الذكور الى التعليم ، وانصراف نسبة كبيرة من الاناث الى المنازل ، اذا حدث ذلك فان الخلل يبدو أكبر ، ومشكلة اعالة الأغلبية للأقلية تبدو أكثر وضوحا ، كما تبدو المشكلة الثانية المترتبة عليها ، وهي ضعف متوسط انتاجية المواطن العربي وضعف مساهمته في الناتج القومي .

ولكن .. هل التركيبة السكانية وحدها هي التي تؤثر في الانتاج الاقتصادي ؟ وهل يمثل خروج الكثيرين من قوة العمل العنصر الأول المؤثر في هذا المجال ؟

الأكيد أن هناك عناصر كثيرة ، والأكيد أن هناك عنصرا آخر مؤثرا هو حالة التعليم وحالة الأمية . الأكثر ثقافة أكثر انتاجية ، والأكثر اقترابا من دائرة المعرفة أكثر اقترابا من دائرة الانتاج العصري .

لذا ، واذا أخذنا رقما أساسيا واحدا وهو رقم الأمية ، فانه يستطيع أن يقول الكثير : يقول الخبراء المشتغلون في مجال محو الأمية في الوطن العربي أن نسبة الأمية تصل الى ٧٢ ٪ تقريبا من مجموع السكان ، وانه يمكن القول أن نصف الكبار أميون وثلث الأطفال محرومون من فرص التعليم ، وفقا لتقارير منظمة التربية والثقافة العربية .

ورغم الخطط الطموحة والأجهزة والميزانيات المخصصة لهذا المجال ـ فان نسبة الاستيعاب لجزء كبير من رصيد الأمية سنويا ما زال حلما يراود الجميع ، بل ان هذه النسبة تنخفض حسب تقديرات البعض الى ٢ ٪ سنويا .

في التفاصيل تأتي مفارقات أكثر ، فالبلاد الأقل نموا ترتفع فيها النسبة لتصل ـ على سبيل المثال ـ الى ٨٣ ٪ في موريتانيا و ٧٩ ٪ في الجمهورية العربية اليمنية ، لكن النسبة تنخفض الى (٣٠ ٪) في الأردن والى (٣٨ ٪) في تونس و(٤٠ ٪) في كل من الصومال والكويت و ٥٦ ٪ في مصر .. أما المغرب وهي أفضل حالا من الناحية الاقتصادية من الصومال ، فان الأمية فيها ـ ووفقا لاحصاءات وردت في التقرير الاقتصادي الموحد الأخير تصل الى ٧٢ ٪ . و .. كل ذلك بالنسبة لمن أسماهم التقرير « البالغين » ووفقا للأوضاع عام ١٩٨٠ .

ورغم وجود عنصري الخلل السابقين ، واللذين يطردان جزءا كبيرا من السكان من دائرة العمل المنتج ، أو العمل ذي الانتاجية العالية ، رغم ذلك فان العرب ـ في مجموعهم ـ يحرزون نسبة نمو اقتصادي ، كما يحرزون ناتجا قوميا ومتوسطا لدخل الفرد يفوق مناطق أخرى من العالم .

ووفقا لتقريرات ١٩٨٢ فقد بلغ الناتج القومي للوطن العربي (٤٢٢) مليار دولار ، وبما يعني أن متوسط دخل الفرد يزيد (٢٤٠٠) دولار في السنة ، ولكن تأتي هنا أربع ملاحظات .

الملاحظة الأولى هي أن جزءا كبيرا من ذلك الدخل قد أتى عن طريق مصدر واحد ، وهو مصدر طبيعي في الأساس .. أعني النفط . لذا فان الصناعات الاستخراجية ـ ومنها النفط ـ قد شكلت في ذلك العام ١٩٨٢ ـ (٤٢ ٪) من الناتج المحلي العربي .

والملاحظة الثانية أنه لنفس السبب ـ وهو الاعتماد على النفط بالدرجة الأولى ـ فان التذبذب في الدخل وتركيبه أمران واضحان ، ففي العام التالي (٨٣) وعندما اهتزت أسواق واسعار النفط ، انخفض نصيب الصناعات الاستخراجية في الناتج المحلي الى ٣٣ ٪ فقط .

أما الملاحظة الثالثة ، وبالرغم من هذه الثروة الكبيرة على أي حال فان متوسط دخل الفرد العربي ليس الأكبر .
واذا أخذنا خمس سنوات من الازدهار ، (١٩٧٣ ـ ١٩٧٨) فاننا نجد الموقف في نهايتها ـ وطبقا لأرقام البنك الدولي ـ قد لخصه رقمان يقولان أن متوسط دخل الفرد في دول الفائض قد بلغ عام ٧٨ : (٣٣٤٠) دولارا بينما يبلغ هذا المتوسط في الدول الصناعية (٨٠٧٠) دولارا .

وتبقى الملاحظة الرابعة ، وهي أن الأرقام الاجمالية لاتعبر عن حال العرب تماما ، فمتوسط دخل الفرد (١٩٨٢) قد تراوح من بلد الى آخر ، وبينما هبط ذلك المتوسط الى (٢٩٠) دولار في الصومال ارتفع الى (٢٣٨٠٠) دولارا في الامارات و(٢٠) ألف دولار ـ تقريبا ـ في الكويت و (١٦) ألفا في السعودية و (٢٣٥٠) ألفا في الجزائر و ٦٩٠ دولارا في مصر .

هل ينعكس ذلك ـ حالة الدخل ـ على المستوى الصحي ومتوسط أعمار البشر في هذه الرقعة الشاسعة ؟

الأكيد أن هناك علاقة بين الصحة والعناية بها والحالة الاقتصادية والمستوى المعيشي . ووفقا لاحصاءات البنك الدولي أيضا فان هناك توقعات لمتوسطات الأعمار أو السن المتوقع عند الولادة ، ومن بين هذه التوقعات أنه لم يتخط حاجز السبعين عاما للفرد ـ وهو المستوى الذي وصلته الدول المتقدمة ـ سوى دولتين عربيتين من دول الخليج وهما : الكويت والامارات حيث بلغ متوسط الأعمار : (٧١) عاما . وفي نفس الوقت انخفض ذلك المتوسط ـ رغم ارتفاع الدخل في السعودية ـ الى ٥٦ عاما وفي ليبيا الى ٥٧ عاما ، والأخير هو نفسه متوسط مايعيشه الانسان في مصر ويقل عما يعيشه الانسان في سوريا ولبنان والأردن والتي تتراوح فيها توقعات الأعمار بين ٦٤ و ٦٦ عاما .

المأساة في البلاد الاقل حالا في الصومال ـ ووفقا لنفس التقرير الدولي ـ يموتون في التاسعة والثلاثين من عمرهم ، وفي الجمهورية العربية اليمنية واليمن الديمقراطية وموريتانيا والسودان يموتون في المتوسط ما بين (٤٤ و٤٧) سنة .

و .. هكذا تتفاوت توقعات الحياة ، ولكن .. اذا أخذنا في الاعتبار الدول ذات الاعداد السكانية الكبيرة لوجدنا أنها الأقل حظا وبما يجعل المتوسط العام للاعمار عن المواطن العربي متوسطا منخفضا .
هل لذلك دلالته ؟
الأكيد أن هناك هذه الدلالة ، واذا كانت مصر على سبيل المثال قد كسرت حاجز الاقتصاد ، وعممت خدمات صحية بتوجه اجتماعي ترك أثره على نسبة الوفيات ، فان الطفل في أجزاء أخرى من الوطن العربي ـ وتحت تأثير العنصر الاقتصادي يضرب أرقاما قياسية في الوفاة المبكرة ، بل وفي العام الأول من حياته .

القضية ليست اقتصادية أو ثقافية أو اجتماعية فقط ، لكن الاقتصاد والثقافة والمجتمع تلعب كلها دورا في مستقبل الانسان ، وأبرز ملامح هذا المستقبل : كم يتوقع له أن يعيش . □□

العربي ـ العدد ٣١٢ ـ نوفمبر ١٩٨٤

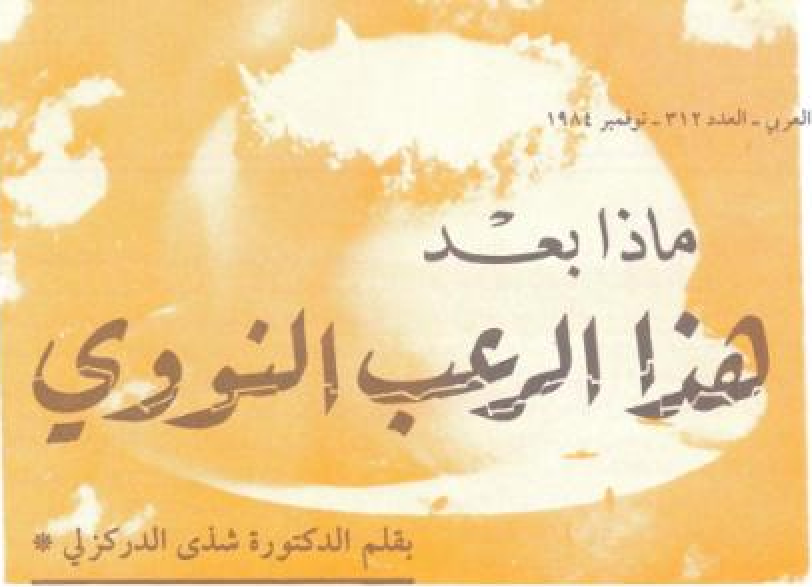

ماذا بعد هذا الرعب النووي

بقلم الدكتورة شذى الدركزلي *

□ « لا توجد للذي يكرس حياته في سبيل العلم سعادة أكبر من تلك التي يجنيها من اكتشافه جديدا في العلم ، ولكن سعادته تكتمل عندما يرى أن اكتشافه قد وجد تطبيقا عمليا »

لويس باستور

إن مقوله باستور تنطبق أشد الانطباق على اكتشاف الأشعة السينية ، من قبل العالم رونتكن في (١٨٩٥) واستخدامها المباشر في التطبقات الطبية العملية . وقد كان لحماس العلماء والأطباء في استخدام الأشعة السينية في التشخيص الطبي ، السبب الرئيسي في اكتشاف الوجه الثاني للأشعة السينية ، الا وهو أثرها الضار على الجسم البشري .

لقد عانى جميع الذين عملوا في التصوير الشعاعي خلال السنوات العشرة الاولى لاستخدامه ، من مختلف الأمراض السرطانية ، وأنهوا حياتهم التي كرسوها لخدمة الانسانية في عذاب هائل ، كذلك أشارت احصائيات معدل عمر الأطباء لمختلف فروع الطب الى أن أقصرهم عمراً هم أطباء الأشعة ، ويعزى ذلك الى تعرضهم المستمر للأشعة ، وعدم اتخاذ الاحتياطات اللازمة للوقاية منها .

لقد تغيرت هذه الاحصائيات في العشرين سنة الأخيرة ، وأصبح معدل عمر أطباء الاشعة هو أكبر الارقام ، بسبب تطبيق تعليمات الوقاية من الاشعاع من قبل المنظمات العالمية . وهكذا أصبحت الأشعة السينية سلاحا ذا حدين ، لفائدتها في التشخيص الطبي ، ولما تسببه من تلف النسيج البشري المعرض لها .

لقد أثبت الانسان قابليته لاستغلال كافة الوسائل لتحسين معيشته وحياته ، فلم يكتف باستغلال الجانب البناء من الأشعة السينية في التشخيص الطبي ، وانما استغل أيضا الجانب

* قسم الفيزياء / كلية العلوم / جامعة بغداد

التدميري في العلاج الطبي ، حيث أن أثر الأشعة السينية على الخلية لا يميز بين الخلية السليمة والخلية المريضة ، فأصبحت الأشعة وسيلة جديدة لعلاج الخلايا المريضة أو الخبيثة ، وذلك بقتل الخلايا الخبيثة أو السرطانية .

التعرض لمصادر الأشعة المختلفة

يتعرض الانسان خلال حياته لمختلف أنواع الأشعة النووية بصورة مستمرة لما يتوفر في الطبيعة من أشعة نووية ، وتكون المصادر الطبيعية للاشعاع أرضية أو كونية ، فالمصادر الأرضية تتمثل بالنظائر المشعة المتوفرة في معظم العناصر المكونة للهواء والماء والطعام وكافة المواد الاخرى ، أما المصادر الكونية فهي ما يصل الأرض من الأشعة ، من الفضاء الخارجي ، بنوعيها الابتدائية أو التي تنتج من تفاعل الأشعة الابتدائية مع هواء الغلاف الجوي مؤديا ذلك الى أشعة ثانوية .

إن كمية تعرض الانسان للأشعة الطبيعية هي الأعلى من مجموع ما يتعرض له الانسان من المصادر المختلفة ، فهي حوالي ٧٠٪ كما يظهر في الجدول رقم (١) . وان هذه الكمية لا يمكن تفاديها ، ويمكن تقليلها بواسطة استغلال مواد تقل فيها نسبة تواجد العناصر المشعة ، كمواد البناء وغيرها . إن بعض النظريات المتفائلة تعزو تحسن نوعية الجنس البشري ، والتطور العلمي ، الى تلك الجرعات التي يسببها التعرض للاشعة الطبيعية ، وان أرقام معدلات التعرض ازدادت في السنوات العشرين الأخيرة بسبب ما أضيف الى الجو والتربة من اشعاع بسبب التجارب النووية . كذلك يتعرض الانسان للأشعة من مصادر مصنعة من قبل الانسان نفسه لأغراض مختلفة ، فالاغراض الطبية بنوعيها التشخيصي والعلاجي ، تمثل حوالي ٢٤٪ من المجموع الكلي للتعرض ، وان هذا المصدر للتعرض لا يحتاج الى تبرير لفائدته الكبرى ، كذلك فان وسائل السيطرة والعناية بتطبيق تعليمات الوقاية من الاشعاع تقلل كثيرا من النسبة المذكورة .

كما وأن اتساع مدى استغلال الاشعاع في الصناعة والزراعة والبحوث العلمية أدى الى تواجد عدد من العاملين في مجال الاشعاع ، مما يعرضهم الى جرع اضافية بسبب مهنهم ، لكن توفر كافة أمور السيطرة والحماية ، اضافة الى الفائدة الكبرى من عملهم لخير البشرية ، لمبرر مقبول لهذا التعرض الذي لا تزيد نسبته عن ٢١ , ٠٪ .

كذلك فان كثيرا من الأجهزة المستخدمة في المنازل أو أماكن العمل تنتج الأشعة ، مثل أجهزة التلفزيون ، وبعض أنواع الساعات ، وغيرها مما تؤدي الى تعرض نسبته حوالي ١٪ من

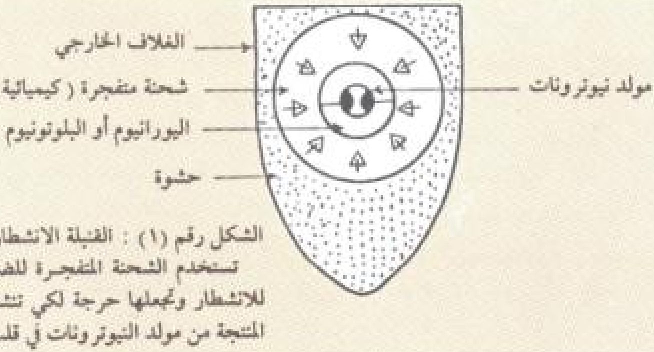

الشكل رقم (١) : القنبلة الانشطارية :
تستخدم الشحنة المتفجرة للضغط على المادة القابلة للانشطار وتجعلها حرجة لكي تنشطر بتأثير النيوترونات المنتجة من مولد النيوترونات في قلب القنبلة .

المجموع الكلي ، ويمكن تقليله مثلا بالابتعاد مسافة كافية عن شاشة التلفزيون .

أما الاشعاع الذي لا يمكن تبرير تعرض الانسان له فهو الذي يسببه المتساقط النووي ، فبالرغم من أن النسبة لا تزيد على ٥٪ من المجموع الكلي للتعرض ، الا أن نوعية الاشعاع واماكن تواجده ، كما سيتوضح قريبا ، تجعله من أسوأ أنواع التعرض بالنسبة للانسان .

الجدول رقم (١)

النسبة المئوية للتعرض للاشعاع من المصادر المختلفة

المصدر	النسبة المئوية من المجموع
١ - الاشعة الطبيعية	٦٩,٣
٢ - الاستخدام الطبي :	
التشخيص	٢٠,٨
العلاج	٣,٥
٣ - الاستخدام المهني	٠,٢١
٤ - مصادر مختلفة	١,٤
٥ - المتساقط النووي	٤,٩

التفجيرات النووية

إن العمليات الفيزيائية الأساسية التي تنتج الأشعة أثناء وبعد التفجير النووي غير معروفة بصورة دقيقة ، حيث أن البحوث التي تجرى على هذه التفجيرات تكون عادة بواسطة تجارب مخبرية مصغرة جدا ، وفي مختبرات مسيطر عليها من جميع النواحي . أما التفجيرات الفعلية فانها تجري في ظروف لا يمكن التحكم بها رغم توفر كافة المعلومات عنها ، حيث تتدخل العوامل المناخية (درجة الحرارة ، نسبة الرطوبة ، سرعة الريح .. الخ) والعوامل الجيولوجية للمنطقة

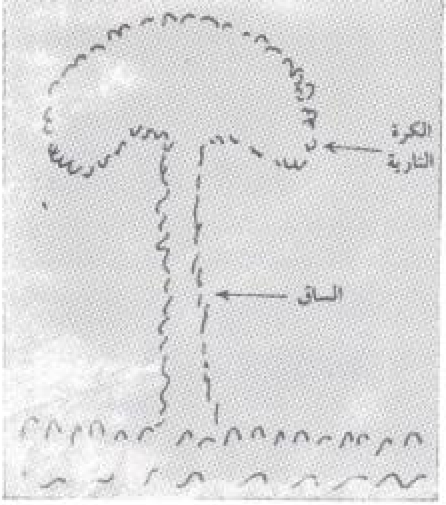

الشكل رقم (٢) : شكل نبات الفطر : الذي يكونه التفجير النووي ، ويتألف من الكرة النارية التي ترتفع نحو الأعلى بسبب حرارتها العالية ، ساحبة وراءها التربة والانقاض من الأرض مكونة ساق نبات الفطر .

بشكل يؤثر ويغير كثيرا من النتائج المتوقعة والمحسوبة من التجارب المخبرية الصغيرة ، لذلك فان نتائج التفجيرات النووية ، لا يمكن التنبؤ بها بدقة ولا يمكن السيطرة عليها .

أماكن التفجيرات النووية

تصنف التفجيرات النووية الى أربعة أنواع حسب موقع التفجير :

١ - تفجيرات قرب سطح الأرض .

٢ - التفجيرات الجوية : وهي التي لا تتجاوز منطقة التروبوسفير (التي تمتد الى بعد عشرة كيلومترات عن سطح الارض) .

٣ - التفجيرات تحت الأرض أو تحت الماء .

٤ - التفجيرات الفضائية : وهي التي تكون خارج منطقة التروبوسفير .

إن النوعين الأولين هما ، موضع اهتمام الفيزيائي الصحي ، بسبب نتائجها السيئة على البشر ، من تعرض مباشر للاشعاع ، ومن المتساقط النووي الذي يعقب التفجير ، والذي

يستمر من أسابيع الى سنوات عديدة حسب ارتفاع التفجير وقوته ، والظروف المناخية والجيولوجية .

لقد كان لازدياد المعرفة بالنتائج الرهيبة للتفجيرات النووية القريبة من سطح الارض والجوية - أثره الكبير في التحول الى اجراء التجارب تحت سطح الأرض أو تحت البحار ، حيث بدأت الدول التي تجري هذه التجارب على أراضيها - صحراء نيفادا في الولايات المتحدة مثلا - تعاني من آثارها . ويبين الجدول رقم (٢) عدد التفجيرات المعلنة من قبل الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي فوق الأرض وتحت الأرض أو تحت البحار . يظهر من الجدول التالي أن التفجيرات النووية فوق سطح الارض توقفت تماما بعد عام ١٩٦٢ وتحولت الى تفجيرات تحت سطح الارض أو البحار .

لأن توقيع معاهدة حظر التجارب فوق سطح الأرض من قبل الدول الكبرى ، أخذ مفعوله بتاريخ ٥ آب ١٩٦٣ ، والتزمت به كل من الولايات المتحدة الأمريكية ، الاتحاد السوفيتي والمملكة المتحدة . أما فرنسا والصين فلم تتوقفا عن اجراء مثل هذه التجارب .

التفجيرات الانشطارية والاندماجية

إن استغلال الطاقة المتحررة من التفاعل النووي في التفجيرات ، يعتمد اما على عملية الانشطار النووي ، أو على عملية الاندماج النووي . وأشهر ما هو معروف عن النوع الاول ، هو إنشطار نواة اليورانيوم - ٢٣٥ بعد قصفها بنيوترونات حرارية ، مؤديا ذلك الى إنتاج نواتج انشطار (وهي نوى أصغر من نواة اليورانيوم) وعددا من النيوترونات يتراوح معدلها بين نيوترونين أو ثلاثة ، كذلك تتحرر طاقة بسبب فرق الكتلة مقدارها ٢٠٠ مليون الكترون فولت لكل انشطار ، وتتوزع كطاقة حركية لنواتج الانشطار وللنواتج الثانوية الاخرى .

أما النوع الثاني أي التفجير النووي الاندماجي ، أو ما يسمى بالقنبلة الهيدروجينية ، فيعتمد على عملية دمج نوى الهيدروجين لانتاج الهيليوم ، مع تحرر الطاقة بسبب فرق الكتل . وتحتوي القنبلة الهيدروجينية على قنبلة إنشطارية محاطة بالمادة

الجدول رقم (٢)

	فوق سطح الارض		تحت سطح البحار	
الفترة الزمنية	الولايات المتحدة	الاتحاد السوفيتي	الولايات المتحدة	الاتحاد السوفيتي
١٩٤٥ - ١٩٤٩	٧	صفر	١	صفر
١٩٥٠ - ١٩٥٤	٤٢	٧	١	صفر
١٩٥٥ - ١٩٥٩	١٢٤	٥٠	١٧	صفر
١٩٦٠ - ١٩٦٤	٣٨	٧١	١١٢	٩
١٩٦٥ - ١٩٦٩	صفر	صفر	١٦١	٦٤
١٩٧٠ - ١٩٧٣	صفر	صفر	٥٧	٦٦

الهيدروجينية ، حيث ينتج انفجار القنبلة الانشطارية الحرارة اللازمة لبدء التفاعل الاندماجي في القنبلة الاندماجية ، وان قوة القنبلة الاندماجية تكون عادة حوالي الف مرة أكبر من قوة القنبلة الانشطارية . كما وان أول قنبلة انشطارية فجرت ، احتوت على بضع كيلوغرامات من مادة اليورانيوم ٢٣٥ وكانت قوتها مساوية لتفجير ٢٠ كيلوطن من مادة تي . ان . تي (الشكل رقم (١)).

وأول ما يتلقى الطاقة المتحررة من التفجير النووي هو الغلاف المعدني للقنبلة ، فالأشعة المنبعثة من نواتج الانشطار ذات المدى القصير تفقد طاقتها في الغلاف وخلال بضع مايكروثانية (المايكروثانية يساوي جزء من مليون من الثانية) لكن هذا الفقدان للطاقة داخل الغلاف يؤدي الى ارتفاع هائل بدرجة الحرارة داخل الغلاف ـ بعد عملية الانشطار النووي وقبل تفجر الغلاف الى شظايا ـ حيث تقدر بحوالي عشرة ملايين درجة مئوية . هذا الارتفاع الهائل بدرجة الحرارة يؤدي الى تكون ما يسمى بالكرة النارية ، التي تسخن الهواء المحيط بها الذي يرتفع نحو الأعلى ـ حيث تقل درجة حرارة الهواء كلما ابتعدنا عن سطح الارض ـ ساحبا معه من سطح الأرض الاتربة والأبخرة ومكونا شكل ساق نبات الفطر الذي يميز التفجيرات النووية .

التأثيرات الآنية للتفجير النووي

يقسم التأثير الآني للتفجير النووي الى ثلاثة أنواع :

١ ـ التأثير الاشعاعي : وهو بسبب ما ينتج من اشعاع .

٢ ـ تأثير الانفجار : وهو بسبب موجة الصدمة .

٣ ـ التأثير الحراري : وهو بسبب الحرارة الناتجة من الانفجار والأشعة تحت الحمراء المسببة للحرائق .

لقد قدرت الخسائر الناتجة من التفجيرات النووية في اليابان ، خلال الحرب العالمية الثانية ، بحوالي ٥٥٪ من الضحايا لاقوا حتفهم بسبب تأثير الانفجار . و ٣٠٪ بسبب التأثير الحراري . و ١٥٪ بسبب الاشعاع .

يمثل الشكل رقم (٣) مواقع التأثيرات الثلاثة وأبعادها عن « أرض الصفر » ـ (وهي النقطة التي تقع تحت التفجير مباشرة) ـ تقسم المناطق الخطرة المحيطة بأرض الصفر الى ثلاثة أقسام حسب نوع التأثير أو التأثيرات التي تتعرض لها وهي :

المنطقة الأولى : وهي التي تتعرض للتأثيرات الثلاثة المذكورة وتحيط منطقة الصفر بدائرة نصف قطرها ١,٢٢ كم في حالة قنبلة انشطارية بقوة ٢٠ كيلو طن وكما هو موضح في الشكل رقم (٣) . تكون نسبة الوفيات بين الضحايا في هذه المنطقة حوالي ٨٥٪ .

المنطقة الثانية : وهي التي تتعرض لتأثير الانفجار والتأثير الحراري وتحيط أرض الصفر بدائرة نصف قطرها ٢,٦ كم وتكون نسبة الوفيات فيها ١٪ .

أما في حالة تفجير إندماجي بقوة ١٠ ميكا طن (عشرة ملايين طن) فان المنطقة الاولى سيكون نصف قطرها ٥,٢ كم والثانية ١٦ كم والثالثة ٣٢ كم . ويصل قطر كرة النار الى ٦,٥ كم .

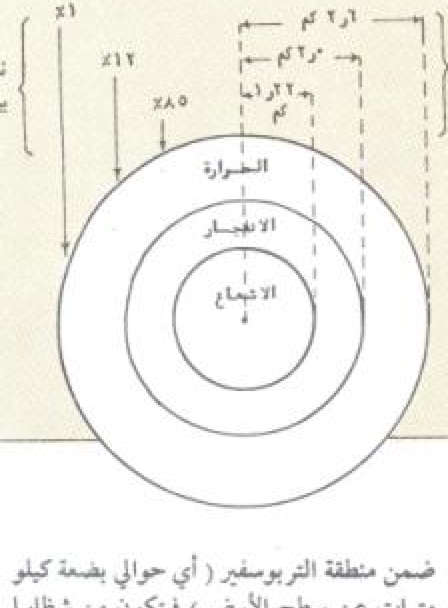

الشكل رقم (٣) : يمثل المناطق الخطرة الثلاثة لتفجير انشطاري قوته ٢٠ كيلو طن تي . إن . تي .
أنصاف أقطار المناطق مقدرة بالكيلو مترات ونسبة الوفيات بين الضحايا في المناطق ، مؤشرة في الجهة اليسرى من الشكل .

التأثيرات طويلة المدى

المتساقط النووي هو الحطام المشع ، الذي يتولد في الجو بسبب التفجير النووي ، ثم يستقر بعد فترة معينة على الأرض وتكمن أهمية المتساقط النووي في كونه حاملا للاشعاع ، وكذلك في بعد مداه الزمني والمكاني .

ان النيوترونات المنبعثة من الانشطار النووي تنشط مادة غلاف القنبلة (أي تجعلها ذات نشاط اشعاعي) ، وكذلك فان التراب المسحوب نحو الأعلى ، مكونا ساق نبات الفطر ، ينشط هو أيضا . وهكذا فان شظايا القنبلة والتراب ستنشط وتعود الى الأرض كمواد مشعة .

ان أهم نواتج الانشطار هما السيزيوم ـ ١٣٧ والسترونتيوم ـ ٩٠ وتكمن أهميتهما في طول عمر النصف لكل منهما وهو حوالي ثلاثون عاما ـ (عمر النصف هو الفترة الزمنية اللازمة لتقليل النشاط الاشعاعي للمادة المشعة الى النصف) .

ان التوزيع الطوبوغرافي للمتساقط النووي يصنف الى ثلاثة أنواع هي المحلي ، التروبو سفيري والستراتو سفيري . ويتكون المتساقط النووي المحلي من شظايا بقطر يقرب من عشرين مايكرومتر (جزء من المليون من المتر) ويستقر على مسافات قد تبعد حوالي ١٦٠ كيلو متر من أرض الصفر . أما التربو سفيري وهو المتولد ضمن منطقة التربوسفير (أي حوالي بضعة كيلو مترات عن سطح الأرض) فيتكون من شظايا أصغر ، حيث يتراوح قطرها بضع مايكرومترات . يختلط هذا النوع مع الهواء المحيط بسطح الأرض ويعود الى الأرض مع المطر والثلج المتساقط ، وقد يبقى هذا المتساقط في جو الأرض لمدة شهر أو أكثر ، حيث يدور حول الكرة الأرضية عدة مرات . أما الستراتوسفيري ، وهو المتولد ضمن منطقة الستراتوسفير (١٠ ـ ٥٠ كم عن سطح الأرض) فقد يبقى لعدة شهور وقد تصل المدة الى سنوات قبل أن يستقر نهائيا على الأرض .

يبدأ المتساقط النووي ، بعد وصوله الأرض ، دورة جديدة تتضمن سقوطه على التربة والنباتات ، ثم يأخذ طريقه الى الماشية (أو الانسان مباشرة) ومن الماشية الى منتجاتها ومن ثم الى الانسان . بسبب طول عمر النصف لبعض أنواع السقط النووي ، فان ذلك يشكل خطورة طويلة المدى على الانسان . فالسترونتيوم ـ ٩٠ يصل الى الانسان عن طريق الألبان والأغذية ذات الأصل النباتي ويستقر في العظام . أما السيزيوم ـ ١٣٧ فانه يتركز في الأنسجة والعضلات ولكنه يفرز من الجسم بعد بضعة شهور فتقل بذلك خطورة مقارنته مع تلك

التي يسببها السترونتيوم ـ ٩٠ شكل رقم (٤)

إن الانخفاض الهائل في عدد التجارب النووية فوق سطح الأرض بعد عام ١٩٦٢ لم يكن فقط بسبب ضغط الرأي العام العالمي وانما بسبب ازدياد المعرفة بآثار هذه التجارب الرهيبة ، وان التجارب النووية تحت سطح الأرض أو البحار هي أقل خطرا ، رغم وجود احتمالات تولد الزلازل بسبب الأولى واحتمالات تلوث البحار في الثانية .

ان استمرار هذه التجارب ، التي تهدف أصلا الى تطوير الأسلحة النووية ، جعل من قنبلتي ، هيروشيما وناغازاكي قنابل بدائية مقارنة بما ينتج في الوقت الحاضر .

ان البحوث الجارية لدراسة تأثير الاشعاع على الجسم البشري قد أثبتت أن أثره لا يقتصر على المتعرض المباشر له وانما ينتقل الى الأجيال اللاحقة بسبب تأثير الاشعاع السيء على الكروموسومات (حاملة الصفات الوراثية في الخلية) التي تنتقل بدورها الى الأجيال اللاحقة .

ان القائد الميداني قد يستهين بالخسائر الآنية للأسلحة النووية عندما يقارنها بالخسائر التي تسببها الأسلحة الكلاسيكية ، فيرى أن المنطقة التي ستتعرض للاشعاع ، ستتعرض في نفس

شكل رقم (٤) : دورة مسار السترونتيوم ـ ٩٠ من المتساقط النووي وخلال سلسلة الغذاء وصولا الى الانسان .

الوقت الى التأثير الانفجاري والتأثير الحراري ـ شكل رقم (٣) ـ ، ناسيا (أو جاهلا) المدى البعيد مكانا ـ (المتساقط النووي) ، والبعيد زمانا ـ (تأثر الأجيال اللاحقة) ، باستمرار الاشعاع . كذلك قد تستغل فكرة أن تأثير الاشعاع قد لا يظهر على بعض المتعرضين له مباشرة ، فيبقى عددا منهم قادرا على أداء عمله لمدة ساعة أو ساعتين قبل أن ينهار بسبب التعرض ، مما يعطي القطعات العسكرية قابلية الحركة والتصرف في أوقات حرجة مقارنة بالمتعرضين للآثار الحرارية والانفجارية ، حيث يعاني المتعرض لها من كسور أو حروق تعيقه عن مواصلة العمل .

لقد عبر نوبل عن شعوره بالذنب تجاه اختراعه الديناميت بأن كرس الجوائز المسماة باسمه للعلماء في خدمة السلام . ترى هل فكر رونتكن حين استلم جائزة نوبل عام ١٩٠١ فيما سيؤول اليه اكتشافه للأشعة السينية وأثر ذلك على مستقبل البشرية ؟

إن أوائل العلماء الذين ساهموا في التجارب النووية الأولى ، لا بد توقعوا أنها ستأخذ طريقها الطبيعي في التطور والزيادة ، ومسؤوليتهم في ذلك ليست أقل من مسؤولية العلماء العاملين في هذا المجال في الوقت الحاضر .

إن الرعب النووي الذي يعم العالم الآن ليس فقط بسبب الأسلحة النووية ، بل في استخدام الطاقة النووية وما ينتج عنها من نفايات لها آثار جانبية في تلوث البيئة .

ان عمر الحضارة الانسانية يقدر بعدة آلاف من السنين وهو زمن قصير بالنسبة الى عمر الوجود المقدر بعدة آلاف من ملايين السنين ، والانسان الذي استطاع ، بقابلياته المتعددة ، انشاء حضارة راقية في هذا الزمن القياسي ، لن يعجز عن ايجاد حل أفضل من حل قابيل لمشكلته مع أخيه هابيل ، كما لن يعجز عن ايجاد بديل أنظف للطاقة ، محافظا بذلك على انسانيته وحضارته وعلى الطبيعة . □□

جيرالدين ..
حكاية إمرأة تبحث عن ذاتها !

بقلم : منير نصيف

☐ في حياة الناس الكثير من قصص الكفاح من أجل حياة أفضل ، ولكن تفاصيلها تبقى حبيسة مع أصحابها حتى تجيء اللحظة التي يخرج فيها أبطالها الى الضوء ، فتخرج معهم .. وهذه قصة فتاة لا يهمنا منها في هذا المكان سوى تلك التجربة المريرة التي عاشتها وانتقلت معها من القاع الى القمة ترى كيف كانت البداية ؟ !

كان أبوها يدللها ويشتري لها اللعبات الصغيرة التي تحبها ويقدم لها الهدايا ، أما أمها فكانت تخاف عليها من الهواء الذي لم يكن دائما خاليا من التلوث في تلك المدينة المزدحمة بالناس والسيارات ، وكانت الأم تفقد صوابها عندما ترى طفلتها الصغيرة تحبو ، « لأن الأرض مليئة بالجراثيم والميكروبات ! » .

جاءت الأسرة الصغيرة الى أمريكا مع الذين هاجروا الى العالم الجديد قادمين من أوروبا في أسوأ ظروف اقتصادية مرت بالعالم .. فقد بدأت الرحلة وسط الكساد والبطالة والجوع في الثلاثينيات ... وفي مدينة نيويورك بصخبها وضجيجها بدأ البحث عن المأوى الذي سيحتوي الأسرة الايطالية المهاجرة ، الأب فيرارو وزوجته وطفلين صغيرين كارل وجيرارد ، فلم تكن الطفلة الصغيرة المدللة بطلة هذه القصة قد وصلت بعد !

وأخيرا استقر الرأي على اختيار مكان صغير يقع في احدى ضواحي نيويوزك ليصبح سكنا للأبوين وطفليهما .. وفي مدينة نائمة قريبة من نهر هدسون اسمها نيوبرج ، افتتح الأب متجرا صغيرا ومطعما ، راح يقدم فيه للزبائن «الساندويتشات» الرخيصة والأطباق الخفيفة ، فقد كان الطعام هو الشيء الوحيد الذي يباع ويشتري وسط حالة الركود والكساد ، « لأن الناس لا بد أن تأكل » .. ونجح صاحب

المطعم الايطالي . . وقنعت الأم بالبقاء في البيت والسهر على تربية ولديها الصغيرين واعداد أطباق الطعام الغنية للأب الذي يعود متعبا من عمله بعد أن تغيب شمس النهار الثقيل البطيء وكانت تختلف بطبيعة الحال عن الاطباق الخفيفة الرخيصة التي يقدمها فيرارو لزبائنه في المطعم !

قسوة القدر

ولكن ما لبث القدر أن قسا على الأسرة الايطالية المهاجرة بعد ثلاث سنوات من مجيئها الى هذه الدنيا الجديدة بحثا عن الرزق . . فقد وقع حادث للسيارة التي كان يقودها الأب مع أفراد أسرته ، ومات الابن الأصغر جيرالد ، في الحادث . ونقلت الأم الى المستشفى للعلاج من الصدمة النفسية التي أصابتها عندما علمت أنها فقدت أحد ولديها . . وقالت وهي تصرخ : « لا تنسو لعباته الصغيرة . . هي أيضا يجب أن تذهب معه . . ادفنوها تحت التراب الذي سيحتضن جثمانه الصغير » .

وعندما عادت الى البيت ظلت ترفض أن تصدق أن جيرالد الصغير قد ذهب ولن يعود . . كانت تصحو في الصباح وتجمع ملابسه وتغسلها مع ملابس شقيقته كارل . . تماما كما كانت تفعل عندما يعود من الخارج . . فقط كانت الملابس دائما نظيفة لأن أحدا لم يلبسها . . ولأنها غسلتها في صباح اليوم السابق ، واليوم الذي قبله وكل يوم !!

وعلى مدى عامين كاملين كانت الأم الثكلى تقف في تحد كل يوم أحد ، وتقول لزوجها : « لا . . لن أذهب الى الكنيسة لأصلي . . لقد نسيت الصلاة ! » .

الى هذا الحد كانت الأم ، وهي كاثوليكية متدينة تعيش مأساتها . ! لقد تركت المحنة جرحا في قلبها ، كانت الأيام تزيده عمقا وايلاما مع الذكريات التي تعيش في قلبها الحزين .

وهمس طبيب الأسرة في أذن الأب : « لن يخرجها من حزنها سوى مجيء طفل جديد ! » . . وحملت الأم ، ومرت فترة الحمل ثقيلة متباطئة . . وفي اليوم السادس والعشرين من شهر أغسطس عام ١٩٣٥ ، وصل المولود الجديد ، وكان بنتا أسمتها أمها جيرالدين تيمنا باسم « جيرالد » شقيقها الصغير الذي رحل وبقي اسمه وبقيت صورته في رأسها دائما أبدا . .

ورحل الأب

ومضت ثمان سنوات على مجيء جيرالدين ، ثم شاء القدر أن يقسو على الأسرة الصغيرة مرة ثانية عندما مات الأب ، وقالت الطفلة التي لم تكن قد بلغت العام الثامن من عمرها بعد ، قالت وهي راقدة على فراش المرض الذي لازمها لمدة عام كامل من أثر الصدمة التي ألمت بها : « لقد رحل أبي . . لم تعد الحياة تعني شيئا بالنسبة لي . . لقد كان أبي يحبني ، لأنه كان يشعر أن جيرالد قد عاد الى الحياة مرة أخرى يوم مولدي ! »

وانتقلت الأسرة لتعيش في شقة صغيرة بحي برونكس ، وخرجت الأم لتعمل وتكسب رزقها وتربي طفليها .

كانت تجيد زخرفة فساتين النساء بالزهور التي تصنعها بالخيوط الرقيقة ، وكانت تعتمد على نفسها حتى تستطيع أن توفر نفقات تعليم جيرالدين في احدى المدارس الكاثوليكية التي لا يقدر عليها الا الاثرياء . . كانت الأم توفر ثمن اللحم وتمضي الشهور وهي تمر على المكان المخصص لبيع اللحوم في المتجر الكبير دون أن تفكر في شراء قطعة من اللحوم تقدمها لصغارها على مائدة الغداء وتشاركهم فيها !

تدرس القانون

وأكملت الفتاة تعليمها الثانوي . . كانت

تريد أن تصبح صحفية ، ولكنها اشتغلت بالتدريس ، ولم تكمل تعليمها الجامعي . . ومضت بضعة أعوام قبل أن تشعر جيرالدين بالملل وهي تقف بين الأطفال الصغار تقدم لهم ما اختزنه عقلها من معلومات خلال سني دراستها القصيرة . وقررت أن تترك التدريس وتلتحق بالجامعة وتدرس القانون . .

قال لها أحد زملائها يوما : « هل تعلمين أنك تحتلين مكانا كان يجب أن يجلس فيه أحد الرجال ! »

قالت : « أعلم ذلك وأنا سعيدة بما أصنع » .

وتخرجت جيرالدين وتزوجت جون زاكارو وهو مهاجر ايطالي مثلها يعمل سمسارا لبيع العقارات . . وكان الشيء الوحيد الذي طلبت اليه أن يحققه لها بعد الزواج هو أن تحتفظ بالاسم الذي تحمله قبل الزواج « فيرارو » . . ولسنوات عديدة أثناء ممارستها لمهنتها الجديدة كانت تقدم لأمها « هدية » مالية في أول كل شهر . . وكانت أحيانا تندفع من قاعة المحكمة الى بيت أمها لتضع بين يديها المبلغ الذي دفعه لها موكلوها مقابل الجهد الذي بذلته للدفاع عن حقوقهم ، لتأخذ منه ما تشاء أو تأخذه اذا شاءت . . وكانت الأم تبكي وهي ترى الشجرة الصغيرة التي رعتها وقد أثمرت . . ثم تمد أصابعها لتلتقط بضعة دولارات وتقول وهي تطبع على جبين ابنتها قبلة حارة : « لا تنسي أنك قد أصبحت زوجة وسوف تصبحين أما ، وسيكون أبناؤك في حاجة اليك والى مالك أكثر مني ! »

لا مكان للنساء

ولكن جيرالدين ما لبثت أن اصطدمت بعد فترة قصيرة من نجاحها في ممارسة المحاماة بموقف غريب أعاد الى ذهنها الحديث الذي دار بينها وبين زميلها في الجامعة عندما قال لها أنها تحتل مكانا كان يجب أن يجلس فيه أحد زملائه الشبان . . فقد أحست بأن أصحاب القضايا قد انفضوا عنها لمجرد أنها امرأة ! وكانت بداية هذه « الأزمة » في عام ١٩٦٠ ، ولم تكن جيرالدين قد أصبحت أما بعد . .

وقررت أن تنسحب في هدوء ، وتركت عملها وتفرغت لوظيفتها كزوجة وربة بيت ، ومضت بضع سنوات أنجبت خلالها أطفالها الثلاثة لورا ودونا وجون . . وبقيت بجوارهم تعني بتربيتهم ، وفي رأسها صورة كفاح أمها من أجلها ، « ولكنهم كانوا أكثر حظا مني . فقد كنت طفلة فقيرة وخاصة بعد أن رحل أبي . أما هم « أطفالي » ، فلا يعوزهم المال ! » هكذا كانت تقول لصديقاتها في نهاية النهار الطويل الذي قضته مع أولادها في شراء الملابس الجديدة من المحال التجارية الأنيقة في الشارع الخامس بمدينة نيويورك !

وكانت تشرف بنفسها على تدريبهم ، ولكن عندما طلبت اليها ابنتها الكبرى أن تتعلم السباحة ، رفضت أن تكون هي وحدها التلميذة في هذه المدرسة ، فقد دعت كل أبناء الحي الصغار في عطلة الصيف الى بيتها الذي يقع على شاطىء البحر مباشرة في « فاير ايلاند » ، وراحت تشرف بنفسها على تعليمهم السباحة مع أبنائها .

الوجه القبيح للحياة

ولكن جيرالدين لم تلبث أن وجدت نفسها تعود مرة أخرى الى ساحة القضاء التي تركتها « للرجل » . . وفي هذه المرة لم تكن تقف مدافعة عن موكليها ولكنها كانت تجمع الأدلة على ادانة المذنبين في جرائم العنف . . فقد أسند اليها منصب المدعي العام في مدينة « كوينز » . .

وفي أحد الأيام وجدت نفسها تقف في قاعة المحكمة وجها لوجه مع أبشع جريمة يمكن أن

يرتكبها انسان : « رجل يغتصب طفلة في الخامسة ! » ، وحملتها بين ذراعيها وهي تبكي دون أن تعلم ما الذي حل بها . . كان جسمها الصغير يرتعد ، وعيناها البريئتان تتساءلان في رعب مخيف ! !

ولم تنم جيرالدين في تلك الليلة . . فقد عجزت تماما عن أن تطرد تلك الصورة البشعة من مخيلتها . . وكانت الجريمة هي بداية الحرب التي أعلنها « المدعي العام » على جرائم العنف وبصفة خاصة ضد الأطفال والمسنين . .

وأهم من ذلك فقد كانت هذه الجريمة الوحشية وما تلاها من جرائم أخرى مماثلة هي الدافع القوي الذي أخرجها من دائرة المحافظين التقليديين الى التحرر والى التعاطف أكثر وأكثر مع قضايا الكادحين والفقراء المعوزين .

« أصدقائي هم هؤلاء الذين يعيشون في قاع المجتمع وفي مقدمتهم السود الذين يعانون من شرور التفرقة العنصرية ! »

وقد كانت جيرالدين في مقدمة الألوف من السود الذين زحفوا الى واشنطون خلال أيام كنيدي القصيرة في البيت الأبيض ليعبروا عن أحزانهم !

مقعد في الكونجرس

الى هنا ولم تكن السيدة التي وصفها أحد زعماء الزنوج في أمريكا بقوله : « انها رجل بالرغم من هذا الرأس الجميل والوجه الذي يعلن عن أنوثتها ! » . . الى هنا ولم تكن قد اقتحمت العمل السياسي . . ثم جاء عام ١٩٧٨ عندما أعلن نائب « كوينز » في الكونجرس أنه قرر التقاعد . وقررت جيرالدين أن تمضي في منافسة « الرجل » الى آخر شوط في السباق ورشحت نفسها لشغل مقعده في مجلس النواب ، وهي تظن أن زعماء الحزب الديموقراطي المحليين يؤيدونها . . ولكنها ما لبثت أن أصيبت بخيبة أمل عندما اكتشفت أنهم خذلوها ، وأنهم لا يؤيدون ترشيح امرأة !

وخرجت جيرالدين الى الشارع ، ووقفت تحت أشعة الشمس المحرقة تجمع توقيعات الناخبين من الرجال والنساء على الالتماس الذي سوف تتقدم به الى الحزب . . وكانوا يستجيبون أحيانا ، ويرفضون في أغلب الأحيان ، ولكنها كانت تمضي وراءهم تتوسل حتى تنتزع توقيعاتهم على التماسها . . !

وفازت جيرالدين في الانتخابات ودخلت مجلس النواب الأمريكي ، وهي تحمل معها ثورة على الكثير من المواقف والسياسات التقليدية داخل الولايات المتحدة الأمريكية . .

ولم تنس المرشحة لمنصب نائب الرئيس الأمريكي وسط هذا النجاح الذي انتزعته في هذا المجتمع الذي يسيطر عليه الرجل . . لم تنس دورها كزوجة وأم . . فقد اضطرت الى الاقامة في واشنطون في شقة صغيرة تتألف من حجرة واحدة لتكون قريبة من الكونجرس الذي حملها اليه الناخبون ، ولكنها كانت تعود دائما الى نيويورك لتقضي أطول وقت ممكن مع أبنائها وزوجها . . وهكذا لم ينسها النجاح أسرتها . .

ترى أين الزوج في هذه القصة كلها ؟ انه هناك دائما معها . . دائما وراءها وبجوارها . . يقول جون زاكارو : « الناس يدعونني « مستر فيرارو » ، نسبة الى زوجتي . وأنا فخور بهذا الاسم الجديد . . ان لقب « زوج السيدة » لا يغضبني ، فأنا فخور بها . . فهي فتاة مكافحة تشق طريقها من القاع الى القمة . وقد كنت دائما قريبا منها في كل المعارك التي خرجت منها منتصرة ! »

ترى هل تنتصر في هذه المعركة القريبة ؟ لا أحد يدري . أصدقاؤها المطحونون الذين تقف مدافعة عنهم يؤكدون أن ترشيح جيرالدين لهذا المنصب زاد من فرص نجاح والتر مونديل ، ومن يدري فربما أصبحت جيرالدين أول امرأة تجلس في البيت الأبيض كرئيس للولايات المتحدة الأمريكية . ! □□

حتمية العناية باللغة العربية

بقلم : الدكتور حسين نصار

☐ اللغة من أعظم الاكتشافات التي أهتدى اليها الانسان ، ان لم تكن أعظمها على الاطلاق .

فاللغة كانت - منذ عرفت - وعاء للفكر ، وارتبطا معا ارتباطاً وثيقاً جعل المفكرين يتساءلون : هل يمكن أن يوجد الفكر دون أن توجد اللغة ؟ .

اختلفت الأجوبة على هذا السؤال . فذهب دي بونالد - من مفكري فرنسا في القرن الثامن عشر - الى أن العلاقة التي تربط الفكر باللغة علاقة حتمية ، فالفكر واللغة عنده جسم واحد ، لا يحصل فكر دون أن تحدث لغة ، ولا تحدث لغة لا تكون هي ذاتها فكراً .

وذهب من نقل كمال يوسف الحاج أقوالهم ، إلى أن الفكر واللغة ليسا شيئاً واحداً ، وانما اللغة أولاً قبل كل شيء عملية مصاحبة للفكر ، ولكنها غير خالقة له على وجه اليقين . فاللغة للفكر كالأرقام للحساب ، لا يمكن تصور عملية حسابية بدون أرقام ، مع أن الحساب - من حيث هو عملية عقلية - شيء والأرقام شيء آخر .

وأكثر من ذلك دلالة التزام الفكر الاشتراكي بمثل هذه الآراء . يقول كارل ماركس : اللغة هي الواقع المباشر للفكر ، يعني بذلك أن جوهر الفكرة يعلن عن نفسه بواسطة الألفاظ . ويقول مرة أخرى : « لا وجود للأفكار خارج نطاق اللغة » ، يريد أن الاتصال الدائم بين الفكر واللغة جعل الفكر يعتمد اعتماداً كلياً على اللغة ، بحيث صار الانسان غير قادر على جمع شتات فكره إلا داخل أسوار اللغة . ويعبر علماء

اللغة من الاشتراكيين عن ذلك كله بقولهم « اللغة هي المادة الطبيعية للفكر » ، يقصدون بذلك أن الفكر يتبلور في قوالب من الألفاظ .

وواضح أن جميع الفرق - على اختلافها - ترى أنه لا يمكن تصور فكرة بدون الفاظ .

ومهما يكن من شيء فما أحد يماري في أن الانسان استطاع بفضل اللغة المنطوقة ، أن يحتفظ بالتجارب التي مارسها ، والنتائج التي بلغته اياها هذه التجارب ، وأن ينقل كل ذلك الى غيره ، فيعرفه التجارب دون أن يمارسها ، والنتائج دون أن يعاني من أجلها . فيوفر له وقته ، ويجنبه العناء ، ويتيح له فرصة ممارسة تجارب أخرى ، ليصل الى نتائج جديدة ، يضيفها الى النتائج القديمة . فينشيء حصيلة من المعارف المتزايدة - وربما المتنامية - التي يتقدم كل جديد منها بسابقه .

اللغة صورة للمجتمع

ولا يماري أحد في أن الانسان استطاع - بفضل اللغة المدونة بعد أن اهتدى الى الكتابة - أن ينقل خبراته ومعارفه الى من سكن موطناً بعيداً عنه ، ومن عاش في زمن متأخر عليه ، شريطة معرفة رموزه الكتابية . ومن ثم نقول أن اللغة وعاء للفكر البشري في جميع أوطانه ، وكل عصوره ، ولولاها لبقي هذا الفكر في مستوياته الدنيا لا يزداد كماً ، ولا يرقى كيفاً ، ويضطر كل فرد أن يعاني ليصل الى شيء من المعرفة المقصورة عليه .

ومن أجل ذلك تكون اللغة صورة صادقة للمجتمع الذي تنشأ فيه ، ويكون المعجم اللغوي عند أمة من الأمم - صورة ملخصة لما تعرفه هذه الأمة في حياتها اليومية ، وكيانها الاقتصادي والسياسي ، وسلوكها الديني والأخلاقي ، وتقدمها العلمي والفني . وينعكس كل تقدم أو تأخر أو جمود عند الأمة في لغتها .

وعندما تتقدم الأمة حضارياً ، وترسخ تقاليدها ، وتكون لنفسها ذوقاً جمالياً ، يوجد لديها أحساس جمالي باللغة ، فلا يكتفي الفرد من أبنائها بمجرد الفهم والافهام ، بل يتلذذ بما تعرضه اللغة من جرس حسن ، وصيغ جميلة ، وتعبير محكم ، وصور بيانية . ويقيم الأسواق للاستماع الى ما وجد فيه شعره وأمثاله ، وللتباري فيه ، وأدى ذلك الى اعطاء القادرين على الاستخدام الجميل للغة الحقة في قيادة المجتمع ، وحيازة المجد والثروة . وتحولت اللغة في تلك المرحلة - إضافة الى كونها خزانة معرفة - تحولت الى تراث ، وعنوان قومية ، ومظهر ترف فكري .

وفي بعض اللغات ، توج ذلك كله نزول كتاب مقدس ، أو ظهور نصوص دينية لها في قلوب المؤمنين بها جلال وهيبة .

فأدت كل تلك الأمور الى أن يقدس أصحاب تلك اللغة لغتهم ، ويرفعونها الى مكان عليّ لا تصل اليه لغة أخرى ، بل قد يؤمنون أنها لغة أوحت بها السماء ، أو أنها لغة الله . ويصابون بما يسميه العلماء : مرض عبادة اللغة ، أو تأليه اللغة .

وكل ذلك قد توفر للغة العربية . توفر لها الكتاب المقدس : قرآناً معجزاً آمن العرب قديماً وحديثاً أنه بلغ مستوى لغوياً لم يبلغه نص عربي آخر . وتوفر لها التراث : أدباً موغلاً في القدم ، وباقياً الى اليوم ، وتدل كل الدلائل على أنه سيبقى في المستقبل - في لغته نفسها - ما بقي العرب ، أدباً واسعاً انتشر في أرجاء متباعدة من العالم القديم ، بل عرفه العالم الجديد في القرنين الأخيرين ، أدباً غنياً متنوع الأجناس والأنواع ، أدباً راقياً أقر له بذلك أبناؤه وغير

أبنائه ، ورفعوه الى مستوى الأدب الاغريقي أو المستوى الذي يليه متقدماً جميع ما عرفته اللغات الأخرى من آداب . وتوفر لها ـ الى جانب ذلك الأدب ـ تراث حضاري رائع ، أثر في مجرى الحضارة العالمية ، وتغنى به الانسان العارف في كل مكان .

الاعتبـــار الديني

واذا تجنبنا النظرة التاريخية الى اللغة العربية واكتفينا بالنظر الى الواقع الراهن وجدنا اعتبارات متعددة تدعو الى العناية بها .

وأود أن أبدأ بالاعتبار الديني . فالعربية لغة القرآن والحديث والفكر الديني الاسلامي ، وهي مصادر الشريعة الاسلامية . فلا بد أذن أن نعرف العربية ، بل أن نتقن مسالكها الأدبية في التعبير ، لنحسن فهم مصدر تشريعنا ، ونحسن التعرف على نصوصه ودلالاته وروحه فنحسن الأخذ منه .

ويفرض الاسلام الصلاة ـ وهي من أهم أركانه الخمسة ـ بالعربية . فلا يبيح معظم الفقهاء قراءة الفاتحة في الصلاة ، مترجمة الى لغة أخرى ، بل يوجبون قراءتها حتى لو أداها المصلي الأجنبي دون أن يفهم معانيها . ولا شك أن كل حريص على دينه من المسلمين ـ وخاصة العرب ـ جدير بالسعي وراء الاحاطة بالعربية ليعمق معرفته بدينه . وقد أعلن علماء الدين أن الجهل بالعربية واحد من أسباب الالحاد .

ويفرض الاعتبار القومي العناية بالعربية . فهي اللغة المشتركة بين الأقطار العربية كلها ، مما دعا الأقطار التي فرض عليها الاحتلال لغة أخرى زاحمت العربية وأبعدتها عن ألسنة أبنائها مثل الجزائر ، دعا تلك الدول أن تبذل كل جهد من أجل التعريب ، ودعا الأقطار التي أفسد بعدها عن بقية الأقطار العربية واختلاطها الشديد بأجناس غير عربية مثل الصومال الى أن تعنى بالعربية عناية زائدة ، والعربية هي اللغة المشتركة بين الشعوب العربية على اختلاف دياناتها ، مما دفع مسيحيي لبنان الى أن يكونوا أول المعتنين بهذه اللغة ، وأول المؤلفين لمعاجم حديثة ـ وأكثرهم متابعة للتطور ، في العصور الحديثة . ولا تصلح أية لغة عامية ـ حتى العامية المصرية على شيوعها ـ لتكون الرباط الوثيق بين هذه الأقطار ، فتحل محل العربية الفصحى .

الوحدة واللغة المشتركة

وكلما اشتدت الحاجة الى توحيد الأقطار العربية في دولة واحدة أو التنسيق بينها تحت مظلة الجامعة العربية أو خارج مظلتها ، تبينت الحاجة الى تلك اللغة المشتركة منذ زمن بعيد . والوحدة أو التنسيق الشامل أو الجزئي واحد من أهم الأهداف التي تسعى اليها الدول في القرن العشرين ، بعد أن بلغ التقدم درجة تجعل جهد الدولة الواحدة عبثاً لا يحقق شيئاً ، ويوجب التنسيق والتضافر .

أضيف الى الاعتبار القومي الاعتبار الفكري . فالعربية الفصحى من أغنى اللغات بالمفردات ، ومن أقدرها على الوضع والاشتقاق ، وعلى الاقتراض من اللغات الأخرى : ما تهذبه فتعطيه مسحة عربية ، وما تتركه على صورته الأجنبية . واستطاعت العربية ـ التي كانت لغة بدوية ـ أن تتمدن ، فتحمل ما أرادت من الحضارات الاغريقية والفارسية والهندية وغيرها في عصورها القديمة . واستطاعت في العصور الحديثة أن تتحمل كثيراً من العلوم الراقية مع سرعة تطورها .

وكانت هذه اللغة ـ وما زالت ـ وسيلة

التقارب الفكري والأدبي بين الشعوب العربية ، تتيح لمن يصل منها الى جديد في أي فن أو علم أن يعطيه لبقية الشعوب في سهولة وسرعة ، مما أعطى الزعامة لمصر التي سبقت الى الاتصال بأوروبا والأخذ من حضارتها ، ومما جعل الأقطار العربية شبكة من الاتصالات ينقل بعضها الى بعض ، ويؤثر بعضها في بعض ، وذلك أمر مطلوب ، بل واجب أن ندعمه ونذلل كل عقبة تقف دونه ، ليصل الى ما نبتغيه من وضع فكري سليم ، يؤدي الى وضع سياسي قوي .

كل ذلك - مضافاً الى كون العربية لغة المثقفين - يجعل من العربية واحداً من الرموز الوطنية يجب على المجتمع أن يرفعه مكاناً عالياً ، ويقدم له الاجلال المناسب ، شأنه شأن العلم والسلام الوطني وأمثالها .

ولكننا اذا التفتنا الى الواقع رأينا النقيض الأليم . رأينا أخطاء لغوية متفشية على كل لسان ، ورأينا عدم مبالاة من كثير ممن يشغلون مناصب عامة عالية ، يستوي عندهم الخطأ والصواب ، وأفدح من ذلك رأينا استهتارا ، أو ما يشتم منه احتقار العربية وتفضيل لغة أخرى عليها ، عند من يمكن أن ينقل ما يشعر به الى غيره ، ورأينا أحياناً تفكها بالعربية أو سخرية منها .

فلا نجد من خريجي التعليم العام والجامعي القادر على إقامة لسانه أو قلمه إقامة سليمة ، الا اذا أراد هو شخصياً ثم سعى . فالتعليم يتجه الى تخريج العارفين بالقواعد اللغوية الحافظين لنصوصها ، القادرين على استعمالها في لغة سوية . ولا يجد الطالب قدرة يحتذيها من مدرسيه لأنهم يتحدثون بالعامية ، بل يفعل ذلك كثير من مدرسي اللغة العربية نفسها .

إصـــلاح التعليـــم

إن علينا أن نسلك السبل لاصلاح التعليم - خاصة التعليم العام في كل مناحيه ، لأنه أس الداء في جميع مواد الدراسة ، وعلى رأسها اللغة العربية ، والسبل لهذا الاصلاح معروفة ، وأهمها قصر كل نوع من التعليم على القادرين عليه وحدهم ، وربط أعداد الطلاب بالحاجات الحقيقية وتحسين أحوال المعلمين .

ونجد كليات الحقوق تهمل المرافعة أو الاداء ، بعد أن كانت توليه اهتماماً زائداً . فصرنا نسمع من المحامين عجباً ، بعد أن كنا نسمع منهم في الأجيال الماضية المعجب الرائق . ولعل هذه الكليات تعود - بطريقة ما - الى ما اعتادت في الماضي القريب .

ونجد كليات علمية تتخذ من اللغة الانجليزية لغة دراسية ، معتمدة على علل شتى ، ترمي العربية بالتهم المتعددة ، وهي إن تدبرناها وجدناها غير صحيحة لا تأخذ بها دولة أخرى ، إضافة الى أنها تصيب اللغة في الصميم .

وكانت الصحف قديماً تعنى عناية شديدة بالصحة اللغوية ، بل كان كثير من الصحفيين أدباء أو من المتحدثين البلغاء . وصرنا نرى الخطأ ينتشر انتشاراً وبائياً على صفحات الصحف ، بل يتعدى الى العناوين ، والعناوين الكبيرة (المانشتات) . ولا يمكن أن تبرأ الصحف من هذا الداء الا بالتزام السلامة والاحتكام الى المصححين الأكفاء ، ومكافأة الممتازين منهم ، ومعاقبة المقصرين ، خاصة أنها في السنوات الأخيرة عادت الى العناية بالأدب والفكر ، وتخصيص الصفحات أو الملاحق لها .

وكان الاذاعيون القدامى آية في سلامة اللغة وحلاوة النطق . وكان بقية المذيعين المتحدثين في

الاذاعة حريصين على السلامة اللغوية . أما الآن فيدو المذيعون السليمو النطق كالشامة البيضاء في الحيوان الأسود ، ولا نكاد نجد من يحرص على سلامة لغته من المتحدثين سوى كتاب الأحاديث الدينية .

علم الأصوات

وأعتقد أنه من الزم الواجبات اللغوية علينا الاهتمام بعلم الأصوات ، والحرص على اخراج الأصوات اللغوية من مخارجها الصحيحة ، واعطائها ما تستحق من صفات،فمن أكبر العيوب شناعة ، ومن أعظمها صدماً للأذن العربية ، تلك الأصوات التي تستمع اليها من بعض المذيعات خاصة .

وأنصح بأستخدام المخترعات الحديثة من معامل لغوية وأشرطة واسطوانات وغيرها من أجل تعلم النطق السليم . وقد فعلت ذلك أقطار غير عربية ، فوصلت الى نتائج باهرة . وعيب كل العيب أن نجد من غير العرب من يتفوق على العربي في سلامة النطق بالعربية ، دون أن يكون فيه عيب لساني .

كما أنصح كل من يريد اتقان النطق بالعربية ـ مسلماً كان أو مسيحياً ـ بالاستماع الى قراء القرآن ، والمجيدين منهم خاصة ، ومحاكاتهم في النطق .

ثم اقترح الاستماع الى أجهزة الاعلام ومتابعة الصحف والمجلات ، والتقاط ما يقع فيها من أخطاء ، وخاصة ما يشيع منها ، وتصنيفه على أبواب النحو ، والعناية بتدريس تلك الأبواب ، وتمكين الدارسين من استخدامها استخداماً سليماً .

وأقترح أن تقوم مجامع اللغة العربية بدور نشط في الاعتراض على الأخطاء الموجودة في الاعلانات القائمة على جنبات الطرق العامة تحت بصر كل عابر يتأثر بها . وأقترح الا تسجل متاجر بأسماء غير عربية ، فقد صارت المتاجر أو أغلبها غير عربية ، بعد أن كانت عربية صرفة . بل وصل الأمر الى ما هو أفدح ، فحورت الأسماء العربية لتعطي مسحة غير عربية .

وأود أن أمنح اللغة المستخدمة في الاذاعة والتليفزيون وقفة خاصة نظراً لخطورتها ، لأنها يرددان تلك اللغة ، فيطبعانها في آذان النشيء وعقولهم ، فيعتقدون صحتها ، ويصعب عليهم التخلص مما يقع فيها من أخطاء .

يختلف الاذاعيون في النظر الى اللغة التي يجب أن تستعملها الاذاعة . فيراها بعضهم ما ينبغي أن يتفوه به الناس ، ولذلك يجب التمسك بالقواعد الموضوعة ، والحرص على السلامة . ويراها بعضهم ما يتفوه به الناس فعلاً في فترة من الفترات ، لأن اللغة في حركة وتغير دائمين .

ويقسم الاذاعيون اللغة الى مستويات ثلاثة :

١) الفصحى ، هي العربية السليمة التي تستخدم في الكتابة أصلاً ، مهما أدخل عليها من تبسيط .

٢) الدارجة ، وهي العربية القريبة من السابقة ، والمستخدمة في الحديث أصلاً .

٣) العامية ، وهي اللغات العربية المحلية .

ومهما يكن من أمر فإن الاذاعيون يقولون أن التجارب أثبتت أن الفصحى أطوع في التعبير من بقية المستويات ، وأدق في التصوير ، وأقدر على التفنن في الأساليب ، مما يتسق وطبيعة البرامج الجادة ، ذات المسحة الثقافية والاعلامية ، وأن هناك مجالاً للتوسع في استخدام الفصحى ، خاصة بعد إقبال المستمعين على البرامج الفصحية اللغة ، ورغبتهم المتزايدة في استخدام الفصحى لسهولة فهمها . □□

منتدى العربي

سبب تخلفنا العلمي

بقلم : عبد الرزاق البصير

☐ ان العلم هو تحدى العصر للجيل العربي الحالي والقادم ، وبدون فهم العلم الحديث وتطبيقاته ، وغرس التفكير العلمى فى اذهان المواطنين العرب لا يصبح لكل طموحاتنا الكبيرة أي مجال تحت شمس العصر والمستقبل ....

عقدت أكثر من ندوة فى الكويت وغير الكويت حول تخلفنا فى ميادين العلوم المختلفة ، وقد اشتركت فى هذه الندوات شخصيات جاءت من أمريكا وكندا وانجلترا وفرنسا وألمانيا وروسيا . . وغيرها من الدول المتقدمة ، ولقد ألقيت فى تلك الندوات بحوث ودراسات قيمة ميدانية وغير ميدانية ، وضح من خلالها أن الامة العربية تملك اعدادا هائلة تبلغ مئات الالوف من المتخصصين فى شتى ميادين العلوم من رجال ونساء ، كما وضح أن أولئك العلماء لا يقلون عن أمثالهم من علماء الروس والامريكان والفرنسيين والانجليز ان لم يكونوا متفوقين عليهم ، فهذه اعمالهم تشهد بذلك ، حيث انهم يعملون فى ميدان الفضاء والذرة والطب والكيمياء وغيرها من العلوم التطبيقية ، وقد أوكلت اليهم ادارة أقسام كثيرة من هذه العلوم فى مختلف الدول ، حتى أصبحت اسماؤهم معروفة كأمثال غيرهم من العلماء البارزين ، ومعنى ذلك أن علماءنا قادرون على أن يجعلوا هذه الامة تواكب غيرها من الامم المتقدمة حين تتهيأ لهم الظروف المناسبة . ولكن من المؤسف حقا أن هؤلاء العلماء لا يبرز انتاجهم العلمي فى وطننا العربي الكبير ، وانما يبرز انتاجهم العلمى فى الدول الاجنبية ، ويعود سبب ذلك الى ان المتنفذين فى وطننا العربي لا يولون علماءنا ما يستحقون من تقدير ورعاية ، مما يجعلهم ينفقون طاقاتهم فى أمور أقل ما يقال فيها أنها بسيطة لا تستحق أن ينفق العالم فيها وقته وطاقته ، فترى العالم لا يعطى مكتبا متكاملا يضم من يطبع له بحوثه ودراساته ، أو ينظم له شئون مكتبه ، كما أنه لا

يعطى مرتبا يجعله قادرا على استجار من يقضى حوائج منزله ، بل انه لا يعطى سكنا لائقا به مما يضطره الى أن يصرف اهتمامه فى تدبير تلك الامور ، أضف الى ذلك أن على العالم أن لا يبدي رأيه فى شئون بلده ، بل أنه قد يضطر الى التقرب من ذوى الجاه ، في حين أن الامم المتقدمة تقدر علماءها أعظم التقدير حيث تعطيهم كل ما يحتاجون اليه من نفقات لكي تكون كل اهتماماتهم مقصورة على الدراسات والبحوث العلمية ، بل ان تلك الامم تيسر لهم السبل للمشاركة فى المؤتمرات العلمية لما هو معروف من أن لقاء العلماء بأمثالهم يعود بكثير من الفوائد ، فمن المعروف أن أكثر المخترعات والمكتشفات يعود سببها الى فكرة تخطر على بال أحد الباحثين أثناء الحوار أو تجيىء فى دراساتهم ، وينبغى أن نعرف أن تقدير العلماء ليس مقصورا على الحكومات ، وانما يمتد الى الشركات لادراك أصحابها أن فوائد بحوث العلماء تعود بالخير والربح . لهذا نرى أن أصحاب معظم الشركات يطلبون من الجامعات تزويدهم بأسماء العلماء والطلاب المتفوقين من جميع البلاد ، فاذا ما ظفروا بقوائم تحتوى على أسماء العلماء والطلاب المتفوقين يبادرون الى أولئك الطلاب والعلماء بأن يعرضوا عليهم العمل فى شركاتهم بشروط تهيىء لهم كل الظروف المناسبة .

تهيئة الظروف المناسبة لعلمائنا

ومما يؤسف له حقا أن نجد كثيرا من أبنائنا وبناتنا يرفضون تلك العروض لتفضيلهم العمل فى أوطانهم ولكنهم لا يكادوا يعودون الى أوطانهم حتى يجدوا من المعوقات ما يحول بينهم وبين العمل فيما تخصصوا فيه ، الامر الذى يدفعهم الى قبول تلك العروض الاجنبية التى رفضوها ، أما رجال الحكومة فى البلاد المتقدمة فانهم لا يكادون يقومون بأي اجراء اقتصادى أو سياسى الا بعد أخذ آراء علماء جامعاتهم ومعاهدهم المتخصصين فى علم النفس والسياسة والاقتصاد الى ما هنالك من مختلف الفنون والعلوم ، وهذا يعنى أن البحوث والدراسات لا يكون مقرها النوم فى الادراج ، وانما يكون طريقها الى التنفيذ ، أما مآل ما يتوصل اليه علماؤنا فى بحوثهم ودراساتهم فانه النسيان والاهمال ، أقول هذا لا من باب التشاؤم ، وانما هو من واقع الحال مع الاسف الشديد حتى كأننا لا ندرك بأن العلم لم يعد للعلم وانما أصبح العلم للمجتمع ، أعنى أن البحوث العلمية لم يعد اعدادها ليعجب بها القراء وانما تعد لتطبق محتوياتها فى كل الميادين ، فقد مضى وانقضى ذلك الوقت الذي تتخذ فيه الخطوات والاجراءات حسب المزاج كما أنه من الظلم أن تهدر الاموال الطائلة التى تعد بالملايين على القصور الانيقة ، والخيول المشهورة ، الى غير ما هنالك من أمور التحف والبذخ التى تجعل من أمتنا العربية التى قدمت للانسانية أجل الخدمات مسخرة بين الامم .

بقي أن نشير الى أنه ليس كل العلماء مخلصين لأمتهم جادين فى أعمالهم ، فليس من شك أن هناك أناس أدعياء لا يهتمون الا بمصالحهم الذاتية ، ولكن هؤلاء كالزبد لا بد وأن يذهب جفاء ، كما فى الآية الكريمة (فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض ، كذلك يضرب الله الامثال) . الآية ١٧ سورة الرعد .

القرآن الكريم وتشويقه لطلب العلم

فلا يلام من يستغرب بحزن من هذا الموقف الذى تتخذه معشر العرب من العلم والعلماء ، ←

فى حين أن القرآن الكريم ، قد مدح العلماء مدحا لا نظير له وذلك حيث يقول الله تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء ان الله عزيز غفور) . سورة فاطر آية ٢٨ .

فليس من شك أن المؤمن بالله عن وعي وعلم بما فى هذا الكون من تنظيم دقيق ، وهو ذلك الذى يستطيع أن يطبق ما يعرفه تطبيقا ماديا لنفع المجتمع كالمهندس والصيدلي والطبيب وغير ذلك من العلماء الذين لا يكتفون بالاقوال وانما يشفعونها بالاعمال ، هؤلاء العلماء اذا انشرحت صدورهم للايمان أفضل بكثير من أولئك الذين يقصرون نشاطهم على العبادات فقد أنبأنا الرسول الاعظم بقوله (فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على النجوم) وقوله (نوم العالم خير من عبادة الجاهل) وقوله صلى الله عليه وسلم (العلماء ورثة الانبياء) .

ترى متى نستجيب لما جاء فى القرآن الكريم من تقدير للعلماء ، ومتى نستجيب أيضا لنداء المخلصين من علمائنا الذين لا يقصدون من وراء دعوتهم الا أن تأخذ أمتنا مكانتها اللائقة بين الامم المتحضرة .

الكتاب الثانى لمجلة العربي

ولقد احسنت هيئة تحرير كتاب « العربي » صنعا بتخصيصها الكتاب الثانى من سلسلتها الثقافية الجديدة كتابا للعلم جمعت فيه معظم ما كتبه الدكتور عبد الحليم منتصر من مقالات علمية وقد جاء فى مقدمة هذا الكتاب قول الدكتور محمد الرميحي (ان العلم هو تحدي العصر للجيل العربي الحالي والقادم ، وبدون فهم العلم الحديث وتطبيقاته ، وغرس التفكير العلمى فى اذهان المواطنين العرب لا يصبح لكل طموحاتنا الكبيرة أي مجال تحت شمس العصر والمستقبل . ان الكيفية التى نتعامل فيها مع العلم والعلماء ، ومدى اتاحتنا الفرص لانتشار العلم والتعليم بمعناهما الشامل والحديث وتوطينهما فى الاذهان وفى أرض الواقع كل ذلك سيقرر المكانة التى يمكن أن نتبوأها فى المستقبل) .

ومن يطلع على هذه المقالات يجد أن كاتبها قد رسم صورة مشرقة عما بذله اسلافنا الاقدمون من اشاعة العلم بين الناس ، فقد أسسوا المكتبات الضخمة فى بغداد والقاهرة ودمشق وقرطبة وغيرها من العواصم العربية والاسلامية كمكتبة خزانة الحكمة وبيت الحكمة ودار الحكمة وغيرها من المكتبات التى كانت تضم عشرات الآلاف من الكتب فى التاريخ والفلسفة والادب والفقه والتفسير والفلك والرياضيات والهندسة الى غير ذلك من فنون المعرفة . ولقد بلغ من شدة اشاعتهم للعلم أنهم كانوا يزنون الكتاب المترجم فيعطون مترجمه بمقدار وزنه ذهبا ، وكانت هذه الكتب مفتوحة لسائر الناس ، كما تحدث الدكتور منتصر عن جماعة اخوان الصفا وهم جماعة نشأت فى البصرة وقد كتبوا اثنين وخمسين رسالة مقسومة الى أربعة أقسام ، رياضية تعليمية ، وجسمانية طبيعية ونفسية عقلية ، وناموسية آلهية .

وقد انتشرت هذه الرسائل بين الناس لما لها من قيمة علمية ، ولان اصحابها كانوا يدعون الى الايمان بالعقل ، كذلك تحدث الدكتور عبد الحليم منتصر عما أضافه علماؤنا الاقدمون من اضافات قيمة فى مختلف العلوم والثقافة .

من مضار التجزئة

وللقارىء الحق فى أن يتساءل ، اذا كان القرآن الكريم قد عظم العلماء تعظيما ليس له

نظير ، ودعى الى طلب العلم والحث عليه ، وجاءت الاحاديث النبوية معززة لما جاء فى القرآن الكريم ، فما هو السبب فى ضعف موقفنا من العلم وتقدير العلماء ، حتى أصبحنا فى عداد الامم المتخلفة فى ميادين العلوم ؟ والجواب أن سبب ذلك يعود الى التجزئة العميقة التى وضعها الاستعمار ، فتعمقت فى كثير من النفوس مع الاسف الشديد ، ويتجلى ذلك فى انشاء مؤسسات علمية واقتصادية وثقافية لا حاجة اليها أو لا فائدة منها وانما للتفاخر والتظاهر ، فالغرض أن يقال بأن هذا القطر حي ناهض والدليل على ذلك ما يوجد فيه من مؤسسات ومصانع ، في حين أن المنطق يفرض علينا جميعا بأن نتسق جهودنا العلمية والتربوية فى الوطن العربي بحيث تكون مؤسساتنا وجامعاتنا ومعاهدنا ومصانعنا يكمل بعضها البعض الآخر وبذلك نعرف للعلم صفة يؤدى رسالته بها على الوجه الصحيح . □□

ليست محنة ثقافة ومثقفين .. وإنما محنة مجتمع كامل

بقلم : ليلى الجبالى

□ ستظل محنة الثقافة والمثقفين العرب مثارا لجدل يدور بلا توقف . وسوف تبقى المشكلة كما هي إن لم ينظر إليها بوصفها مشكلة بنية مجتمع كامل ، وقضية مصير أمه ومستقبلها .

أليست الثقافة هي الهيكل الأساسي للحضارة في مختلف مظاهرها ؟ اليست منهجاً ونمط حياة ؟ . . وهل بنية المجتمع بنية اقتصادية واجتماعية فقط مفرغة من البنية الانسانية ؟ .

وما هي الحضارة ، حضارة أى أمه ؟ هل هي ما تتمتع به من أكل ومتعة ، وطيارات ، وسيارات ، وثلاجات ، وأجهزه فيديو ، وتلفزيونات ملونة ؟ أم هى أولا قيم فكرية واجتماعية وأخلاقية وجمالية ؟ هل تقوم الحضارة على علم وقيم أم على كمية المتع والسلع المستهلكة ؟ .

تساؤلات قد تفتح أمامنا بصيص ضوء على حقيقة واقعنا العربي الذي يتسم بضحالة الثقافة ، وكثافة التخلف . نحن العرب كنا أمة ←

تقود ثورة العقل والمنهج ، عندما وقف « ابن خلدون » على قمة مسيرة الفكر العلمي المنهجي ، والتقط الغرب المتخلف - حينذاك - الكرة من أيدينا ، أخذوا من ابن خلدون الفكر المنهجي .. ومن « الحسن بن الهيثم » المنهج التجريبي ، ثم انتقلوا بالثورة المنهجية الى الثورة الصناعية حتى وصلوا اليوم إلى الثورة التكنولوجية .

أما نحن العرب ، فقد تركنا ثورة المنهج وطريق العقل الى ثورة الاستهلاك . وأصبحنا أمة تستهلك الحضارة التي ينتجها الغرب . أمة يلفها ستار كثيف من نزوات استهلاكية جنونية مفرطة .. غابت معها التنمية الحقيقيه . وسار نمط الاستهلاك مع رقم الكسب السريع وغابت عن الشباب قيمة التفكير والقراءة والابداع .. وأصبحت الجامعات جزءا لا يتجزأ من مجتمع مختل . لم تعد الجامعات كما كانت الجزر الوارفة بالعلم والاخلاق ، مما عمق عنصر الانحلال في الجسد العربي .

من ذا الذي يختلف على أن الثقافة هي الهيكل الاساسي للحضارة في مختلف مظاهرها .. وأنها نمط حياه يقوم على منهج .. وأن المثقفين هم القاطرة التي تقود قطار الحضارة وتمضي به إلى المستقبل ، فهم الصفوة من المفكرين والمبدعين الذين يقومون بعملية ترشيد المواطن وتكوينه عقليا ووجدانيا . لذا ، فان لب المشكلة التي يدور حولها الجدل هو غياب هذا كله .

واقعنا الثقافي

فإذا حاولنا تصوير واقعنا الثقافي العربي ، نجد أن الهوة قد اتسعت بين المثقفين ومجتمعاتهم . وأن الفكر العربي يعيش اليوم العقدين الاخيرين . فبعد أن عاشت الأمة العربية مستوى من النهضة والثورة في الخمسينيات والستينيات .. إذا بها في السبعينيات والثمانينيات تعيش تدهورا شمل معظم الميادين . انتكاسة هائلة عميقة تكاد تفقد الشباب أمله في المستقبل . الشباب الذي يعيش الحيرة والتخبط ، حيث انسدت أمامه القنوات التي يستمد منها قيمه ، بعد أن عاش مرحلة الكوارث التي أصابت الأمة العربية ، فانكمش داخل تشتته القيمي ، مفتقرا الى المثل العليا .

ليس هذا فحسب ، بل ان المفكرين المبدعين في كل قطر عربي على حدة ، لا يستطيعون أن يوصلوا أصواتهم الى الآذان العربيه ، إذ لا يعبر صوتهم الى مسامع أبناء العالم العربي .. ومن ثم أصبح الفكر العربي خاضعا للسيطرة الثقافية والاعلامية التي يفرضها العالم الصناعي المتقدم . وهكذا حدث اختلال واضح في بنيتنا الانسانية .

نحن نعيش سنوات الطحن العربي ، طحن القضية الفلسطينية ، طحن العقل العربي والمنهج العقلي .. سنوات معاداة الثقافة واتساع الفراغ الفكري ، فلم يظهر مبدعون جدد كما ظهر في الخمسينيات والستينيات ، لم تظهر نجوم لامعة في سماء الابداع العربي مثل « الدكتور يوسف أدريس » ، وصلاح عبد الصبور ، وعبد الوهاب البياتي ، وبدر شاكر السياب ، ونجيب سرور ، وكثيرون أخرين .

فقد خلقت الحروب والقهر معا القلق والاحباط اللذين يجهضان الابداع . وفرق بين قلق أو توتر يخصب ويشغل الابداع ، وقلق أو توتر هو نتيجة للقهر والشلل الفكري .

غابت العبقريات العربية التي تستمد من الخصائص العربية ومن معطيات الواقع ما يقوى

على مقاومة التحديات التي تلتف حول الأمة العربية ، وأخطرها التفرد الثقافي .

ورغم أننا أمة عربية تمثل مجموعة متميزة من الشعوب التي تربطها عرى لا تنفصم من وحدة اللغة والتاريخ والحضارة والمصير المشترك ، إلا أن مساحات واسعة باتت تفصل اليوم بين المثقفين في كل قطر عربي عن ثقافة الاقطار العربيه الاخرى . . وهي سلبية من سلبيات التبعية الثقافية عمقت السلبيات الأخرى العديدة .

وما زال المثقف العربي متمزق الكيان الحضاري بين مفاهيم غربية عنه أوروبية وأمريكية ، تفصله عنها مساحات هائله من التقدم العلمي المنهجي ، على الرغم من أنه يعيش الحضارة الغربية في نفس الزمن الطبيعي .

غير أن لكل ظاهرة أسبابها الموضوعيه .

فما لم يؤمن المثقفون الملتزمون بأن الوحدة بينهم ضرورة لمقاومة الحواجز التي تضعها الأنظمة العربية ، والعقبات التي تقيمها والحساسيات التي لم تكن موجودة من قبل، فلا سبيل الى الوصول الى عقل عربي ذي منهج له قدرة على اتخاذ القرار ، غير مستسلم لقرار وفكر الحكام ، وقادر على تحدى عوامل التبعية الخارجية .

عقل مستهلك !

لابد أن يدرك المثقفون العرب أن الفرق بين العقل العربي والعقل الاوروبي ، أن الأخير عقل ينتج لفكر وعلم ، يسير على منهج عقلي ، يصدر لنا ما ينتجه من فكر وثقافة مع ما ينتجه من سلع وتكنولوجيا . أما العقل العربي اليوم فهو مجرد عقل مستهلك لحضارة ينتجها الغرب . . هذا رغم ما نمتلكه من ثروة وتاريخ وتراث .

وطالما ظل العرب مجرد مستهلكين ذوى نزعات استهلاكية جنونية مفرطة يعمقها العقل الغربي المتقدم ذو المنهج العقلي ، ستظل قدرتنا على التنمية الاقتصادية والاجتماعية قاصرة .

لقد غابت الحرية السياسية ، فغابت معها الحيوية الثقافية . وتسبب عن غياب المناخ الديمقراطي في الوطن العربي عجز المثقف العربي عن أن يبدع أدبا وفنا . وكما قال أندريه مالرو « ان تاريخ الفن هو تاريخ الحريه . . » وهذا ماركز عليه المفكرون العرب الذين اجتمعوا في تونس في شهر أبريل من عام ١٩٨٣ عندما أعلنوا في بيانهم . . .

« أن حقوق الانسان العربي أولى الاساسيات المطلوبة للخروج من التدهور الذي نعيشه . . »

لابد إذن أن يقاوم المثقفون العرب الدور الذي تلعبه المؤسسات العالمية في مجال السيطرة الفكرية والثقافية لخدمة أهداف التوسع والسيطرة الاقتصادية . . إذ أنها نجحت ـ تحت شعار المساعدة على تطوير الكفاءة التكنولوجية في العالم الثالث ـ فى خلق وتطوير التجانس في أنماط الاستهلاك مع أنماط العالم المتقدم الاستهلاكية ، وذلك من أجل تسويق منتجاتها ومضاعفة أرباحها .

ومن البديهيات أن التنمية الاقتصادية لا تنفصل عن النهضة الثقافية التي تكرس في الموطنين فلسفة الاعتماد على النفس ، وتحث على تحمل المسؤولية الكاملة دون تردد أو محاكاة للغير. والتي تنظر الى التراث من منطلق إمكانية التصدى لمشكلات الحاضر وتحديات المستقبل ، لا كهروب الى أمجاد فاتت أو أوهام نصنعها بأنفسنا .

المحنة اذن ، ليست محنة ثقافة أو مثقفين ، ولكنها محنه مجتمع بأكمله .

□□

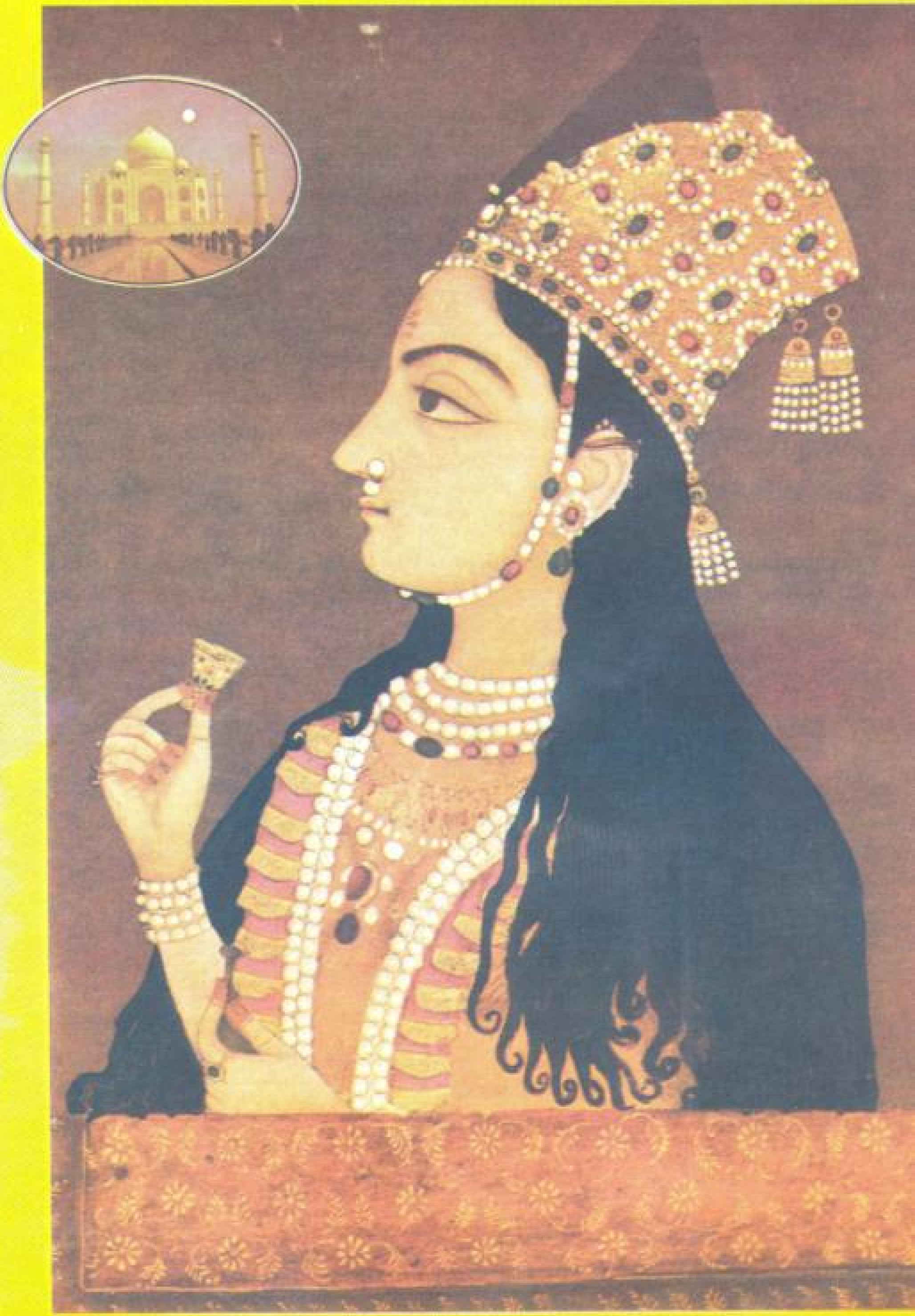

أرجمند .. ممتاز .. سيدة تاج محل .. الرمز الخالد للحب والوفاء .

صفحات مطوية

سيدة التاج

كل شيء من أجل الحب

بقلم : سليمان مظهر

□ ما اكثر الذين سمعوا وقرأوا عن تاج محل .. الضريح الذى اقامه شاهجهان رمزا للحب والوفاء لزوجته ممتاز محل . ولكن القليلين جدا من يعرفون حقيقة الحياة التى عاشتها .. وتفاصيل الخيانات والمؤامرات التى جعلت من حياة « سيدة التاج » مأساة .. لن ينساها التاريخ .

الأميرة وحولها وصيفاتها .. بعد أن أصبحت السلطانة ممتاز محل

كان كل ما فيها يبهر الفتيان الحالمين الباحثين عن الحب ، والمغامرة ، والجنون . وبرغم أنها لم تكن قد تجاوزت السابعة عشرة بعد ، كانت الطبيعة قد ملأتها سحرا ، ووهبت لها أفتن ما في المرأة من جمال . وفي خضم تلك الفتنة راح فتيان الاشراف الواهمين المعجبين العامرين بالأحلام يتقربون اليها ، وفي عيونهم حملاق ذاهل مجنون ، كل منهم يحاول الوصول الى قلبها . . حتى شهريار . . الابن الأصغر للسلطان « جيها نكير » لم يمنعه من محاولة التقرب منها أنه زوج لم تمض بعد شهور قليلة على زواجه من ابنة نور جيهان . . زوجة أبيه ، فقد كانت الفتاة تدير رؤوس الجميع بجمالها ورقتها وطلاوة حديثها الذي اكتسبته من أبيها « آصف خان » رئيس تشريفات القصر . . وشقيق السلطانة نور جيهان .

على أن قلب الفتاة لم يكن يتجه لغير « شاهجهان » أكبر أبناء جيهانكير سلطان المغول المسلمين في أكرا . . عاصمة الهند . كان الفتى يكبرها بأعوام ، ولكنه كان غارقا الى أذنيه في المسؤوليات التي حملها له أبوه ، حين ولاه قيادة القوات الزاحفة الى شمال الدكن ليضمه الى حظيرة الاسلام ، بينما كان السلطان يحاصر بنفسه حصن كنجارا الهندوكي الذي امتنع على كل الفاتحين المسلمين منذ « محمود الغزنوي » ، ولكنه تمكن من إسقاطه والاستيلاء على كل كنوز المعبد الهندوكي ونذرها كلها لخدمة الاسلام والمسلمين .

وظلت الفتاة « أرجمند » تنتظر في لهفة عودة فتاها ، وكانت أخبار انتصاراته في المعارك ضد الوثنيين قد سبقته الى القصر ، وزادها شغفا به واعجابا بشجاعته . ولم يكن ذلك الحب ليخفى على أبيها ، ولا على أحد آخر بالقصر ، وخاصة عمتها السلطانة نور جيهان . وكانت السلطانة تضيق بذلك الحب الذي يجمع بين الفتاة وأكبر أبناء زوجها . . فقد كانت تعلم أن السلطان قد قرر أن تكون ولاية العهد لأول من ينجب ولدا من أبنائه حتى يضمن استمرار السلطنة في ذريته . . وهي تخشى لو تزوج شاهجهان بأرجمند . أن ينجبا ولدا قبل أن تأتي ابنتها زوجة شهريار بولد يضمن لها أن تكون زوجة ولي العهد . . والسلطانة فيما بعد . .

لكل ذلك أبت نور جيهان الا أن تحول دون هذا الحب أن يستمر . . حتى لا تكون له ثماره التي يمكن أن تضيع أمنيتها ، ولعل ذلك كان وراء دفعها السلطان لارسال ولده الأكبر الى الحرب في الدكن ، على أمل أن يقضي عليه المناكدة الأشداء . . بل لقد استطاعت أن تغري أخاها رئيس التشريفات ليدفع ببعض المرتشين لقتل الفتى - اذا لم يقض عليه في المعركة - حتى تضمن ولاية العهد لزوج ابنتها شهريار .

لهذا كانت السلطانة أشد الناس ضيقا وغضبا بخروج الفتى حيا منتصرا من المعركة . . وتفتق ذهنها عن وسيلة جديدة لابعاده عن القصر . . فأقنعت زوجها بأن يرسل الى ولده وهو في الطريق ، يبلغه أن عليه العودة الى الدكن نائبا للسلطان .

ونزل الخبر كالصاعقة على رأس الفتاة المحبة ، أرجمند ، فما كانت تستطيع أن تتصور أن يستمر فتاها بعيدا دون أن تلتقي به وتحقق أمل الزواج الذي طالما حلمت به .

وما أقسى موت الأمل على قلوب المحبين . .

زواج وشروط

لم يكن الفتى بأقل لهفة على فتاته . . وبرغم أنه تلقى أمر والده ، صمم أن يواصل طريقه الى « أكرا » قبل أن يعود الى حيث عين نائبا للسلطان . ولم يكن في الأعماق منه ما يوحي اليه بأن ثمة من يتآمر عليه . وحين وصل الى القصر وجد أرجمند حزينة لهفانة ، وفي قلبها لهيب النار .

قال في تصميم : سأرفض إنعام السلطان .

واستنكرت ما سمعته : ترفض أن تكون نائب السلطان . وتتركها لشهريار ؟!

قال لها : خير من أن أتركك .

مسحت دموعها وهي تقول : وهل تتصورني أقبل هذه التضحية ؟ لا . . لست أنانية . . وعليك القبول .

أجابها في تصميم : لن أقبل إلا بشرط . .

قالت له في استغراب : أتشترط على المظفر بالله . . السلطان جيهانكير . . ؟ !

وسمعا صوتا خلفهما : وما شرطك ياشاهجهان ؟

وفوجيء الفتيان . . لقد سمعهما السلطان . واسترد الفتى أنفاسه وخاطب أباه : أريد أن أكمل ديني يا مولاي . .

وتبسط السلطان وهو يتساءل : وقعت في الحب إذن . . فمن اخترت من النساء ؟

وأجاب شاهجهان وبصره على الفتاة : ابنة آصف خان رئيس التشريفات . . فهي خير عون لي في مكاني البعيد .

وأطل السلطان في رضا وهو يقول : أرجمند . ؟ نعم الاختيار . . وقد قبلت الشرط .

غير أنه كان هناك من لا يقبل هذا الشرط . . إنها امرأة السلطان . . نور جيهان . . التي استدعت أخاها وصرخت فيه : أنا لا أقبل ؟

أجابها : ولكنها ابنتي . .

وصرخت فيه : وماذا عن ابنتي أنا ؟ تريدها أن تفقد

كل الأمل في النفوذ والسلطان ؟

وهز رأسه وهو يقول : أليست زوجة شهريار ؟

قالت وهي تضرب الأرض بقدميها : ولكن شهريار ليس ولي العهد .. وتعرف أن شيئا آخر لن يعوضها عن أبيها المقتول .

أجابها في عناد : وأنا لن أحرم ابنتي من رجل يحبها وتحبه .

وهتفت في غضب : أتتحداني يا آصف خان ؟ نسيت أنك لم تبلغ مكانتك .. لولا أن تزوجني السلطان لارضائي .. بعد أن قتل رجاله زوجي ؟

وحاول تهدئتها : أنت تنسين أنني أب .. أكثر مما تذكرين أنك أم .

قالت نور جيهان متوعدة : وعهدك لي ؟ أما تعاهدنا أن تعمل لتولية شهريار ولاية العهد .. ورسمت بنفسك خطة التخلص من شاهجهان .. وكلفت رجالك بالتنفيذ .. ؟

أجابها باستخفاف : كان ذلك قبل أن أعرف أنه يريد الزواج من ابنتي .

هتفت في صخب وثورة : فاسمع مني .. والله إن لم تمنع ابنتك من قبول هذا الزواج .. لأكشفن أمرك للسلطان .. ولنائب السلطان .. وكما حرمني السلطان من زوجي .. لأحرمنه من ولده .. ومن زوجة ولده !

كان آصف خان يدرك معنى تهديد نور جيهان .. فقد كان يعرف تفاصيل ذلك الحدث الذي ترملت بسببه قبل أن يتزوجها السلطان .

مهر النساء

الحق .. لقد كان الذي حدث شيئا رهيبا ..

فالسلطان جيهانكير - سلطان المغول في الهند - لم يكن قد عرف الحب قبل أن يرى « مهر النساء » زوجة صالح الأسد واليه على إمارة البنغال القريبة من العاصمة .

كان ذلك حين ذهب بنفسه الى البنغال ليستقصي حقيقة الرائحة التي زكمت الأنوف عن الرشوة والفساد الذي كان طابع حكم واليه . وحين بدأ السلطان يقسو عليه ، لجأت المرأة الى كل وسائل الأنثى التي تحاول بها أن تبعد عن زوجها نقمة السلطان . ولكن الأمر لم يكن من الممكن أن يستمر طويلا .. فقد استمرت ريح حكم الوالي الفاسد تنتشر في كل مكان .. ولم يكن أمام السلطان الا أن يرسل اليه قائده لاحضاره ولو بالقوة . غير أن الرجل أدرك ما يخبأ له . فغافل القائد بضربة من سيفه قضت عليه .. ولكنها أباحت في الوقت نفسه لرجال القائد أن يعاجلوا الوالي بالسيف .. ويحزوا رأسه ليرسلوه الى السلطان .

وتلقى السلطان النبأ في سكون .. ثم انطلق فجأة الى الأرملة التي رفضت يده الملطخة بالدماء .

وعرفت أقدام جيهانكير الطريق كثيرا الى بيت الأرملة . ومع استمرار تمنعها كان شغفه بها يتزايد ، وهيامه يستبد به . وعرفت هي كيف تضرم أوار الحب في قلب الرجل . كانت تدل عليه وتتمنع وتقول له كلما أحست بالنار في أعماقه ، أنها تتمنى أن تكون له .. لولا أنها لا تستطيع أن تقبل منه حبا يشاطرها فيه مخلوق ، ولا تتصور أن تكون واحدة من حريم السلطان ، وحسبها أن يكون الرجل الذي تحبه لها وحدها .. !

وبرغم أن السلطان أقسم لها أن يطرد كل حريم القصر ، الا أنها ظلت تتمنع عليه .

ولم يستطع شيء قط أن يوقف المرأة . واضطر السلطان ذات يوم الى اعلان طلاق السلطانة .. أم الأبناء .. !

ولم يطل تمنع المرأة بعد .. فاستسلمت له .. بشرط أن تكون صاحبة الأمر والنهي في قصر السلطنة . ولم يرفض السلطان رغبة المرأة التي أحبها ، فتزوجها وسماها نورجيهان ، أي نور الدنيا . ومنذ تلك اللحظة التي تزوجها فيها .. دخل البلاط عامل جديد كان له أكبر الأثر في توجيه سياسة دولة المغول المسلمين في الهند .. الحب الذي يحرك كل شيء .. حتى الفتنة الدائمة .. بين الآباء والأبناء .. !

فمن خلال ذلك الحب .. عرفت نورجيهان كيف تسيطر على كل شيء .. قلب السلطان .. وحكم السلطان .. وأبناء السلطان .. كما عرفت كيف تكون صاحبة اليد المطلقة في القصر ..

لا رهبة ولا خوف

كل ذلك عرفته الفتاة أرجمند من أبيها آصف خان وهو يحاول منعها عن قبول الزواج بشاهجيهان ، حتى لا تتعرض لانتقام المرأة التي تستطيع أن تفعل كل شيء .. حتى القتل ..

ولكن الفتاة قالت له في تصميم : لن أتخلى عن شاهجهان .. فأنا معه .. أينما كان ويكون .

مضى آصف خان في حيرة الى حيث تنتظره نورجيهان ليحمل لها نبأ تصميم ابنته على الزواج بشاهجهان . ولكنه لم يكن يدري ما يفعل ولا أي شيء يقول . وحين بلغ القاعة صكت أذنيه كلمات صاخبة تدور بين السلطانة .. وأخوي شاهجهان .. كان الحوار كله

التحريض واثارة الفتنة بين الأشقاء .

كانت نورجيهان تقول : لم ينصفكم السلطان . .

وأجابها شهريار في غيظ : كل شيء لشاهجهان ولا شيء لنا . .

وقال برويز الأخ الأوسط في حقد : حتى أرجمند سيزوجها له . . وكانت أمنية عمري أن تكون لي . .

قالت تحرضه : أنت أحق بها . . وأصلح لها .

وهتف برويز محنقا : إن لم أستردها . . فلن أدعه يهنأ بها .

واندفعت هي في حماس : فلم لا تفعلها الآن . . ويقويك عليها أخي آصف خان !

قال برويز : أخوك لم يعد يفضلني زوجا لها ، بعد أن ظهر ذلك الأحمق .

قالت في سخرية الواثق : بل سيقبل طلبك . . ويمنع ابنته من الزواج بشاهجهان . .

ووقع بصرها على آصف خان وهو يقف عند الباب . . وأطلت اليه ففهمت الكثير من وقفته المستكينة قبل أن يتكلم ويقول :

ـ قد عجزت معها يانورجيهان .

وفتحت المرأة عينيها في توثب . . وقالت في استنكار : عجزت معها . . وأنت أبوها ؟

قال وهو يتنهد : أرجمند لم تعد طفلة .

وصرخت نورجيهان في حقد ووحشية : أنت الطفل يا آصف خان . . فإن كنت عجزت عنها بحيلتك . . فحيلتي ولو طال الزمن أقوى وأقدر .

ممتاز محل

استقر الأمر في الدكن بتولي شاهجهان منصب نائب السلطنة . وكانت زوجته أرجمند التي سماها « ممتاز محل » هي السند الأكبر للرجل الذي وقفت خلفه ولم تتخل عنه قط . . وخلال أقل من خمسة أعوام كانا قد أصبحا أبوين لطفلين ، وكان لا بد للسلطان أن يعلن ولاية العهد لشاهجهان . .

وما كان أسعد ممتاز محل بذلك الحب الذي كان شاهجهان يحيطها به . . بل ان شعب الدكن كله كان يعتبرها ـ على ما اعتاد عليه من قبل ـ وكأنها قديسة . فقد كان نائب السلطان يربط بينها دائما وبين كل ما يقدم للشعب الطيب من أعمال تتسم بكل ما هو خير على ضوء ما جاء به الاسلام . . وكانت ممتاز تجتهد في إبراز محاسن حكم زوجها للشعب الذي اعتبره نعم الأمير وأعدل الحاكمين .

ولكن . . كان هناك من لا يزال يقف بالمرصاد لذلك الحب الكبير . . ومن لا يزال يصر على الانتقام . .

كانت هناك نورجيهان . .

وذات صباح . . جاء الى مقر نائب السلطان رسول من العاصمة ، يستأذن في لقاء الأميرة . . وحين أذن له شاهجهان بالدخول ، انحنى أمام ممتاز محل التي سألته عما وراءه فقال :

ـ أبوك يا مولاتي . . أصيب في القتال ويبغي أن يراك .

هتفت في انزعاج : وما جرى له ؟

قال الرسول في أسف : معه الله يا سيدتي .

وصرخت ممتاز : لا . . أبي بخير . . لن يموت . .

قال الرجل : ليس قبل أن يرى مولاتي .

وفي غضب قال شاهجهان : أنت لا تحسن نقل الرسالة يا رسول الشؤم . . قد بلغت رسالتك . . فامض .

وتراجع الرجل وهو يتساءل : وماذا أقول لسيدي ؟

أجاب شاهجهان وهو يصرفه : الأميرة ذاهبة اليه . .

وانسحب الرسول وهو يقول : سأنتظر لأصحبها على أقصر الطرق وأسرعها يا مولاي . .

وانطلقت الأميرة مع الرسول لا يصحبها غير حارسها . واذ كان الطريق الى العاصمة يستغرق أياما كثيرة ، فقد كانت ممتاز محل تستكين الى استراحات في القرى التي تمر بها لقضاء بعض الليل . . وتسمح لحارسها أن يستريح حتى يأتي الصباح . وفي ركن من مقهى شعبي جلس الحارس الجندي يشرب الشاي في متعة ويتبادل الحديث مع الرسول الذي جاء من العاصمة ، والذي أبى إلا أن يدفع حساب المقهى ، وأخرج كيسا مملوءا بقطع الذهب والفضة راح يحركه بين يديه وهو يعد ما به من أموال . . واستمر الحديث . .

وتساءل الجندي : يبدو أن العاصمة تتمكم بالكثير . .

قال الرسول : وتغرقنا في الذهب والأموال . .

هز الجندي رأسه في أسف : أما حالنا هنا فقاسية . . معارك الحدود لا تنتهي والحياة غير رضية .

وفي نفحة كرم مد الرسول يده بالكيس الى الجندي وهو يقول : لا تبتئس . . خذ . . خذ . . كل ما في الكيس لك .

وفوجيء الجندي . . وقال وهو يمد يده في جشع ليأخذ الكيس : انكم حقا تعيشون في بحبوحة .

قال الرسول : ستنعم بها أنت أيضا . . ما دمت مرافقا للأميرة .

قال الجندي في أسى وهو يخبيء كيس النقود في ثوبه : الرحلة لن تكون سعيدة . . والأميرة قلقة على أبيها . .

وغمز الرسول بعينه مهدئا : اطمئن أنت . . فآصف

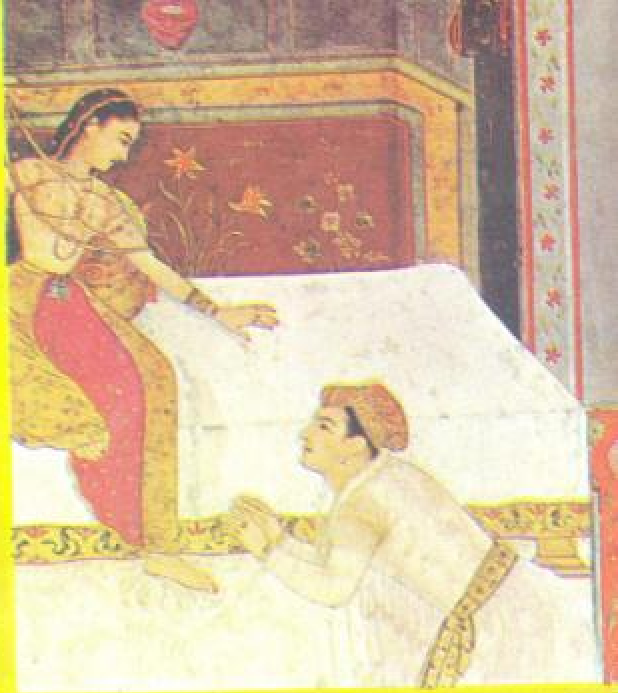

الأمير والأميرة في بدايات قصة الحب الخالد .. كما تصورها الرسام (الى اليمين) ولوحة للسلطان شاهجهان في ردائه الرسمي ثم السلطانه ممتاز محل تستقبلها الجماهير المحبة في شوارع آكرا .. عاصمة المغول . (الى أسفل)

خان بخير

واستغرب الجندي : أما قلت أنه مصاب يحتضر ؟

أجاب الرسول بخبث : المصاب سواء .. ولست رسوله

وفتح الجندي عينيه في تساؤل : ألست رسول آصف خان ؟

وكانت الاجابة : بل رسول برويز .

وقال الجندي في دهشة : برويز ؟ شقيق الأمير ؟

قال الرسول في استخفاف : وعشيق الأميرة .. ان سيدتك ممتاز تعشق برويز .. وهي الآن ذاهبة للقائه .

•••

في قصر السلطنة بأكرا كانت السلطانة نورجيهان ما تزال تواصل العمل لاثارة الفتنة بين أبناء السلطان ، لتضمن استمرار نفوذها في القصر وفي الحكم .. وتدبر بكل الجهد لتنزل سيف نقمتها بالمرأة التي رفضت الانصياع لرغباتها وأبعدت ولاية العهد عن شهريار زوج ابنتها ..

كانت المؤامرة تدبر بليل ..

وعرفت نورجيهان كيف تقنع زوجها السلطان بتكليف ولده شاهجيهان بالسير من الدكن الى قندهار لمطاردة الأعداء الذين يواصلون الهجمات على حدود امبراطورية المغول بالهند . وكانت أبعاد المؤامرة التي دبرتها باتقان تقوم على إبعاد شاهجيهان من الدكن ليسير على طريق مقتله في معركة قندهار ، حيث كان من المؤكد أن تنتهي حياته على يد بعض من معه من رجال أخيه شهريار ، الذي كان ضالعا في المؤامرة ليحل محل أخيه وليا للعهد ونائبا للسلطان ..

ولاتقان نسيج خيوط المؤامرة ، تمكنت نورجيهان من اجتذاب الأخ الأوسط برويز ليشترك معها .. وأوحت اليه بأن القضاء على شاهجيهان سيخلي له أمر ممتاز التي كان يتمناها من قبل . ودبرت نورجيهان مع برويز تلك الحيلة التي استدعت بها ممتاز محل الى العاصمة .

مؤامرة في القصر

عندما وصلت الأميرة ممتاز الى العاصمة وانطلقت الى القصر تسأل عن أبيها .. لم تجده ولم تسمع عن أخباره أي شيء . واذ هي تسير قلقة في حديقة القصر تبحث عمن يمكن أن يدلها على أبيها .. ظهر برويز وكأنه يلتقي بها فجأة . واندفعت اليه وهي تقول : يقولون أنك تعرف مكان أبي .

قال لها في هدوء : اطمئني .. هو بخير .

وتساءلت في جزع : فكيف أصابته ؟

أجابها في تلطف : الاصابة في قلبي أنا يا أرجمند .. ولا تدرين ..

وفوجئت ممتاز وتباعدت في غضب : أتجرؤ على قولها وأنت شقيق زوجي ؟ !

وأمسك برويز بيدها وحاول تقبيلها وهو يهمس : يقولها العقل والقلب والروح يا أرجمند .

وسحبت ممتاز كفيها من بين يديه والتفتت اليه في غضب تتوعد : والله ليعلمنها عنك شاهجيهان .

وأجابها في صفاقة : سيدري أننا متحابان .

ولم تكن ممتاز تدري أنه في تلك اللحظة بالذات كان الرسول الذي رافقها في رحلتها قد جاء بحارسها ، وراحا يتلصصان معا من وراء الأشجار .. وحين سمع الجندي بعض الحوار بين برويز وسيدته فتح عينيه في استنكار ، وتراجع من مخبئه في ذهول وهو يضرب رأسه بيديه ..

وانفجرت ممتاز غاضبة في وجه برويز : سيدري زوجي الحقيقة من أمر أخيه .

وبدأ برويز يكشف عن حقيقته .. فقال في سخرية : لن يدري شيئا .. وهو في طريقه الى حتفه .

وتوقفت في انزعاج وهي تنظر اليه .. واستمر في

نور جيهان .. مع جيهانكير .. سلطان المغول في الهند .

حديثه : بأمر السلطان .. وتدبير نورجيهان .. يسير شاهجيهان الى نهايته الآن في قندهار .

كانت السلطانة نورجيهان قد ظهرت في ذلك الوقت وهي تقترب منها . وتظاهرت المرأة بالدهشة والاستنكار إذ ترى ممتاز وبرويز معا في ركن الحديقة .

وهتفت في استغراب : غريب .. أميرة الدكن في أكرا .. ولا أدري ؟

تمالكت ممتاز نفسها وهي تجيب :

بلغني أن أبي مصاب .. فجئت لأراه ..

وتظاهرت نورجيهان بالاستغراب وهي تقول : آصف خان في مهمة ببلاد الأفغان .. بخير وصحة وأحسن حال ..

وذهلت ممتاز : والرسالة .. والرسول ؟

غمزت المرأة بعينيها وهي تنقل نظراتها بين الاثنين : بل احتلت على زوجك .. لتلتقي بعشيقك باخانته ، والله ليعلمها شاهجيهان .

كان شاهجيهان قد تلقى أمر ابيه بالزحف على قندهار للقضاء على حركة التمرد التي تجمع لها الراجات الوثنيون في محاولة لاختراق حدود الامبراطورية الاسلامية من الشمال ..

واذ هو يستعد للتحرك .. جاءه أن حارس الأميرة قد عاد وليس معه سوى الرسول الذي كان قد جاء ليأخذها الى العاصمة . واذن لهما شاهجيهان . ولكنهما رفضا أن يتكلما الا بعد أن تخلى القاعة من الناس .. فما يحملان سر لا يستطيعان البوح به الا لولي العهد وحده .

وانطلق الرسول يروي بالتفصيل قصة خيانة ممتاز محل لزوجها وولي نعمتها .. وكيف اتجهت فور وصولها الى العاصمة لتلتقي بعشيقها برويز في حديقة القصر ثم في أماكن أخرى كثيرة . وجن جنون شاهجيهان وهو يصرخ : انه حديث إفك ..

وقال الرسول : رأيت بعيني يا مولاي .. ويشهد حارسها .

وأطل شاهجيهان الى الجندي الذي كان يحني رأسه في أسف دون أن ينبس . فلما أمره بالكلام كانت اجابته الوحيدة :

ـ لعل عيني أخطأت يا مولاي .

وصرخ الأمير وهو يجرد سيفه ويطيح برأسي الرجلين :

ـ الأمر صحيح اذن .. ولكن والله لن يكون على الفضيحة شهود أحياء .. أما هي .. فالويل لها حين أعود .

مرحبا بالموت

انطلقت ممتاز محل عائدة الى الدكن بأسرع ما تستطيع .. وحين بلغت قصر الامارة اندفعت لترى شاهجيهان وحوله أولادهما في لباس السفر والحرب . وألقت المرأة بنفسها تحت أقدام زوجها الذي فوجيء بها . واضطرب للحظات . ثم جرد سيفه وقد ملأته الثورة وصرخ :

ـ أتجرؤين يا خائنة ..؟!

وتمسكت ممتاز محل بساقيه وهي ترفع عينيها الباكيتين إليه في استعطاف : هل صدقت ما يأفكون ؟ اقتلني بسيفك ان كنت صدقتهم .

وأغمد شاهجيهان سيفه في غمده ، وقال وهو يكظم الغيظ ويحيط أبناءه بذراعيه :

ـ سيفي أشرف من أن يلوثه دم الخيانة .. أيها الحراس .. امضوا بها الى السجن ..

ووقفت ممتاز محل على قدميها وقد استردت نفسها وخاطبته في اعتداد وثقة :

ـ افعل ما تريد يا شاهجيهان .. ولكن اسمعها مني .. لا تذهب الى قندهار .. فالموت يتربص بك هناك .. والخونة الذين أوقعوا بي .. هم الذين يغدرون بك ..

* * *

عندما عاد آصف خان من مهمته في بلاد الافغان .. بلغه ما كان من أمر ابنته وما اتهمتها به نورجيهان .. واندفع الرجل الى القصر ودخل على شقيقته وهو يحاول أن يكظم ثورته . وقال لها من بين أسنانه .. :

ـ أنت فعلتها يا نورجيهان .

وردت عليه باستخفاف : ابنتك لم تحفظ شرف زوجها .

وهتف صارخا : اتلوثين شرفها .. وتقضين على سمعتها ؟

قالت له في تحد : بما زرعت فاحصد .

وانفجر الرجل وهو يندفع خارجا : يا ذلية .. غدا تكون نقمتي .. أما اليوم .. فلأذهب لأحمي آية الطهر من سوء فعلتك .. وأفتح على حقيقة المؤامرة عين ضحيتك ...

وخرج آصف خان كالعاصفة ، وبينما هي تحاول أن تتبعه فوجئت بالسلطان جيهانكير يدخل وخلفه ولداه شهريار وبرويز . وتوقفت وهي تحاول السيطرة على نفسها ..

تساءل السلطان عن سر اندفاع أخيها وغضبه ..

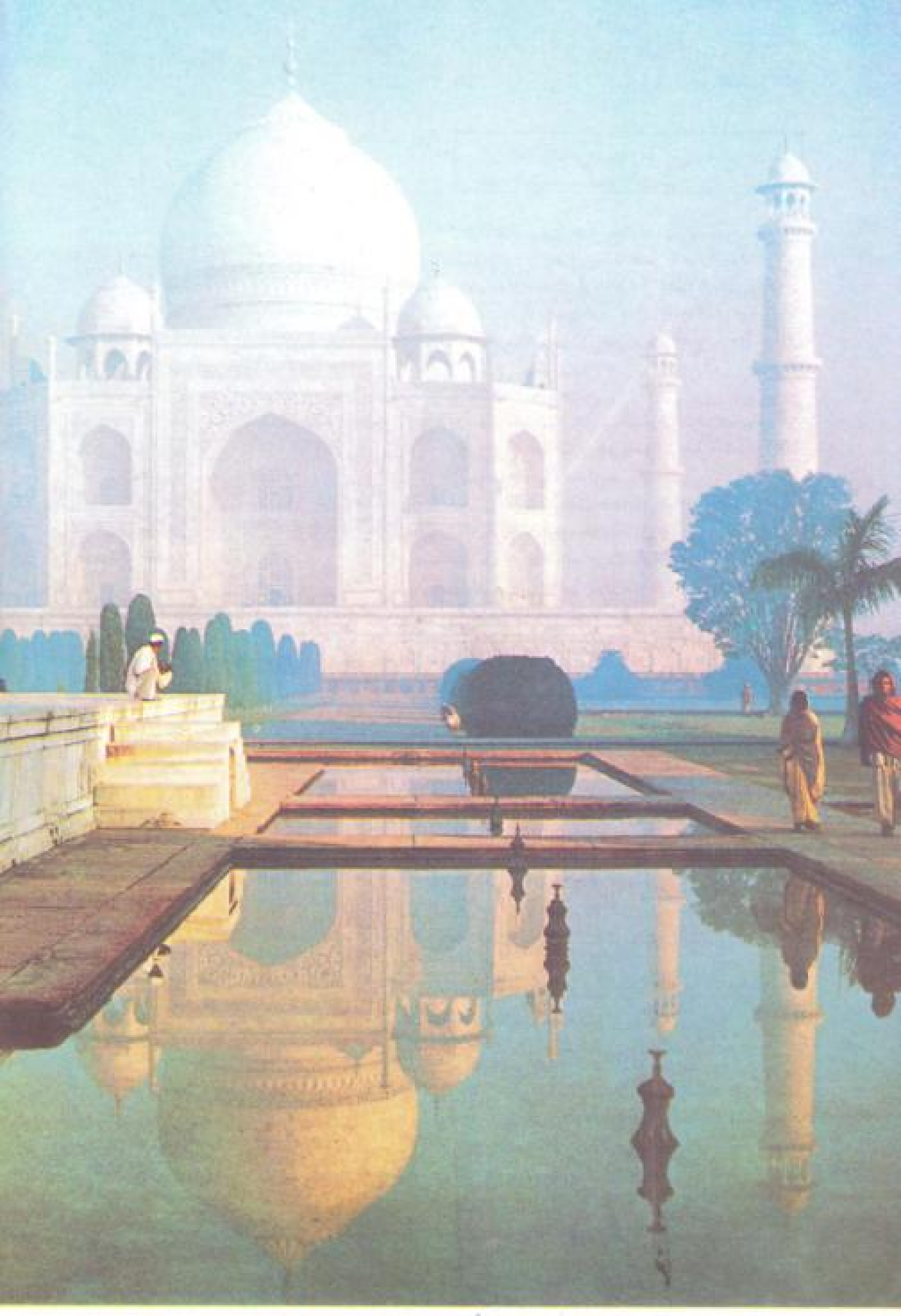

تاج محل . . اعجوبة الدنيا . . ومن أجله انطلقت النداءات العالمية لانقاذه بعد أن تأثر تألقه المرمري بفعل البيئة الصناعية المحيطة به وبعد أن ظهرتْ تشققات على بعض جدرانه .

وأجابته في صوت حرصت أن تسيطر عليه :

ـ أمر خطير أزعجه . . ولا أجرؤ أن أبوح به .

وهز السلطان رأسه وهو ينظر الى شهريار :

ـ صحيح اذن ما أنبأني به شهريار ؟

وتظاهرت بأن قد فوجئت بمعرفته لما تخفيه . . وقالت في استسلام :

ـ عرفت إذن ان شاهجهان تجرأ على عصيان أمر السلطان . . ورفض السير بقواته الى قندهار ؟ .

وواصل شهريار وهو يتظاهر بالاستنكار :

ـ والأدهى انه يمتنع عن ارسال امدادات من رجاله للعون والمساعدة . . وهذا قائدك مهابت خان يخبرك بما كان . .

ودخل القائد مهابت خان وهو يؤكد : هي الحقيقة يا مولاي .

وثارت ثائرة السلطان . . وهتف في غضب :

ـ والله لن اسكت عنك يا شاهجهان . . وانك لتعرف جزاء العصيان . .

واندفعت نورجيهان تزيد من اشتعال نار غضبه ، وهي تخفي نشوة انتصارها بنجاح مخططها :

ـ فأعقد لولدك شهريار لواء الحملة على قندهار . . واجعل ولايته للعهد جزاء ما يحقق من انتصار . .

واستغرق السلطان في التفكير للحظات . . ثم التفت الى زوجته : هو ما قلت يا نورجيهان . .

قالت وهي تنقل نظراتها بين أبناء زوجها : ولعل برويز هو خير من يقود الحملة للقضاء على مؤامرة شاهجهان . .

وأمن السلطان على كلامها : هو ذاك . . فامضوا على بركة الله . .

وغادر السلطان القاعة تتبعه نورجيهان وخلفها زوج ابنتها شهريار . . ووقف برويز وهو يتبادل النظرات مع صديقه القائد مهابت خان وهمس اليه : شهدت ما تدبر امرأة السلطان ؟

وقال القائد : والله لن ينالها شهريار . . وأنت الاحق بولاية العهد يا برويز . . وانها لتسعى لتسيطر بنفوذها من خلال زوج ابنتها على عرش السلطنة . . ألا بئس ما تفعل هذه المرأة . . وانها لترسلك لتضرب أخاك في الدكن وتقتله . .

وهز برويز رأسه وهو يقول في سره : تماما . . كما سيرتك بغرورها لتتخلص منك الى حرب البنغال . .

وقال القائد مهابت خان من بين اسنانه وقد لمع في رأسه شيء : طغيان هذه المرأة لن يوقفه غير العصيان . .

والتقت نظراتها . . وهز برويز رأسه في تأييد وتحريض واتفاق : هو ما قلت . . واني معك لو أعلنت العصيان وانشققت بقواتك على السلطان . . وامرأة السلطان . .

وانكشفت الحقيقة :

استطاع آصف خان ـ عندما التقى بشاهجهان ولحق به اذ هو في بداية الطريق الى قندهار ـ أن يوقفه عن مواصلة السير . واطلعه على تفاصيل المؤامرة . . سواء فيما ينتظره في معركة قندهار التي خططت لها نورجيهان . . أو فيما دبرت ضد زوجته ممتاز محل . وأدرك شاهجهان أبعاد المؤامرة ، فتوقف عن مواصلة السير بقواته ، وعاد الى مقره ، وأعلن رفضه لأوامر السلطان .

وانطلق ومعه آصف خان الى حيث كانت ممتاز محل في سجنها ، واخذها بين ذراعيه معتذرا عما كان .

واستمرت الايام تسير . . .

وفي الوقت الذي كان فيه شاهجهان ـ تسانده وترعاه زوجته ممتاز محل ـ . . يواصل حكم مقاطعة الدكن على هدي القرآن وكأعدل ما تكون أحكام الايمان . .

كانت أمور السلطنة كما تسيرها نورجيهان تزداد بالبلاد انهيارا . فحين حملت السلطان على تحويل ولاية العهد الى شهريار أصغر أبنائه ، اثارت ثائرة اكبر الابناء شاهجهان الذي كان يعتبر نفسه صاحب الحق الاول في ولاية العرش ، فجهر بالخروج على ابيه ، وتبعه في ذلك طائفة من كبار رجال الدولة الذين رأوا هذه المرأة تمهد بدافع من غرورها وكبريائها الى محاولة النيل من اقدارهم . .

ووجد السلطان نفسه بين شقي الرحى . . ولده الامير يقود جيش العصيان في ناحية . ومهابت خان كبير قواده يقود المتمردين في ناحية اخرى ، ومعه برويز ابنه الاوسط .

بينما لحقت الهزائم بقواته التي ارسلها بقيادة شهريار الى قندهار التي سقطت نهائيا في يد الراجات الهندوس . ولكن النفس الأمارة بالسوء في اعماق نورجيهان لم تكن لتهدأ أبدا . فمن جديد عادت تستغل الفرصة لاقناع السلطان بأن موقف شاهجهان هو الذي أدى الى ضياع قندهار ، وأنه يجب ان ينحى عن الولاية على مقاطعة الدكن . وساند نورجيهان في مطلبها عدد من الامراء الحاقدين على شاهجهان فوزه دونهم بممتاز التي كانوا يطمعون في زواجها .

واحست ممتاز محل بأن بذور الخيانة التي بذرتها نور ضد شاهجهان في كل مكان ستؤتي ثمارها . فراحت بكل طيبة قلبها وسماح نفسها تعمل على إقناع زوجها بأن يتقرب من ابيه ويطلب صفحه مستغفرا تائبا .

وتلقى السلطان سعيدا نبأ استغفار ولده شاهجهان ومحاولته الحصول على رضاه . . ولكن ذنب الافعى قالت له حين وجدته قد لان للاستجابة الى ولده : ليقبل

السلطان توبة شاهجهان . ولكن .. لكن هناك شرطان .. أن يقسم العهد لشهريار .. وان يرسل ولديه الى السلطان ليكونا رهائن لو انقلب وخان .. !

وحين أبلغ رد السلطان لولده شاهجهان .. استبد به الغضب .. فالشرطان هما بئس الثمن لقاء الصفح والغفران . واذا كانت ممتاز قد استشعرت في أعماقها قسوة ما أوعزت به نورجيهان للسلطان وخبث ما دبرت . الا انها طلبت من زوجها أن يقبل الشرطين . وحين استغرب كيف يمكن أن تطيق بقاء الصغيرين تحت رحمة نورجيهان .. أجابته في ثقة : من أجلك أقبل وأطيق .. لتزول من أمامك كل عقبات الطريق ..

واذ هما في ذلك الحوار .. اذ بالباب يفتح .. وآصف خان يندفع ناحية شاهجهان ويقول وهو ينحني في تبجيل :

ـ السلام على مولانا السلطان ..

وينظر اليه شاهجهان في تساؤل واستغراب .. ويجيبه آصف خان :

ـ الرحمة على السلطان المظفر بالله جيهانكير .. والمجد للسلطان شهاب الدين شاهجهان .. حامي حمى الاسلام ومطهر أرض الهند من الاصنام والاوثان ..

السلطان شاهجهان

عندما مات السلطان جيهانكير ، تدبر آصف خان الموقف على ضوء مصالحه الخاصة في روية ، فآثر أن يقف الى جانب زوج ابنته معرضا عن شقيقته . وهكذا أسرع ليبلغ شاهجهان الخبر ويدعوه للاسراع بالعودة من الدكن ليتولى العرش ..

ولكن نورجيهان لم ترض بما فعله أخوها . فأسرعت الى تحريض شهريار زوج ابنتها للمناداة بنفسه سلطانا على الهند . وخشي آصف خان أن يفلت الامر من بين يديه ، فأسرع بنفسه وألقى القبض على شهريار . ممهدا الطريق لشاهجهان لتولي السلطنة .. مما رفع مكانته عند السلطان الجديد فجعله وزيره الاول ولقبه بيمين الدولة ..

وجاء يوم ...

وشهدت قاعة عرش السلطنة في أكرا صباح ذلك اليوم مشهدا عجيبا . كان رجال البلاط يجلسون على جانبي القاعة بينما السلطان الجديد شاهجهان يجلس على العرش في ردائه الامبراطوري ، وعلى يمينه السلطانة ممتاز محل ، والى يساره يمين الدولة آصف خان . وأطل السلطان ناحية باب القاعة وهو يسأل عمن بقي هناك من أصحاب المظالم في ذلك الصباح . واذ أجابه آصف خان بأنه لم يبق بالباب أحد .. سمع الجميع صوت ممتاز محل وهي تقول : بل هناك .

وأطل الجميع ناحية الباب ، ولكن ممتاز محل نهضت من مكانها واتجهت لتقف أمام السلطان وهي تقول :

ـ أنا يا مولاي ..

وتعجب شاهجهان وقال : ممتاز ؟ أظلامة من السلطان ؟

وقالت ممتاز محل : صاحبة الظلامة تعجز الان عن الحضور .. فباسمها أعرض شكايتها اذا اذن السلطان ..

وقال شاهجهان : فما ظلامتها ؟

قالت ممتاز : كانت في دارها ذات قدرة ونفوذ .. من حولها مغريات الدنيا .. وطموحات الحياة .. فهل يعيبها يا مولاي ان تكون ذات أحلام وآمال ؟

أجاب السلطان : ما استحق أن يعيش من عاش خامدا بلا أمل .

قالت ممتاز : وهل يعيب الجواد أن يخطيء فتتعثر قدمه على عثرات الطريق ؟

أجاب شاهجهان : لكل جواد كبوة .

قالت السلطانة : فان كانت الكبوة بصاحبه .. فنال عليها العقاب .. ثم استغفر و تاب .. فهل يعفي عنه ويثاب ؟

قال السلطان : العفو عند المقدرة شيمة الاكرمين .

انحنت ممتاز محل أمام زوجها في تقدير كبير وقالت في رضا :

ـ والله قد عرفتك ، أندى الاكرمين وأقدرهم على العفو والثواب ..

انهضها السلطان وهو يقول : أحسنت العرض والدفاع .. فان كان الامر يتصل بي فقد عفوت وأثبت .. فمن تكون صاحبتك ؟

اتجهت ممتاز ببصرها ناحية الباب وهي تقول :

ـ الآن فليأذن لها السلطان بالدخول ..

ودخلت من الباب امرأة محجبة وقفت في ذلة أمام الجميع .. واقتربت منها ممتاز محل وأخذتها بين ذراعيها وهي تقول :

ـ ارفعي حجابك .. قد عفا عنك السلطان .. يا نورجيهان ..

وتتابعت السنين ..

وكان تولي شاهجهان حكم الامبراطورية الاسلامية في الهند عام ١٦٢٧ تساندة ممتاز محل في كل أعماله التي يعلو بها شأن الاسلام ..

الا ما كان أروعها من امرأة . .
وما كان أخلصها من زوجة . .
ان جدران القلعة الحمراء لتشهد بمدى حرارة الكلمات التي كانت تدور بين شاهجهان وممتاز وكيف كانت تخفف عنه كل ما يمر به من محن وأحقاد . .

وانها لتذكر ذلك الحوار الذي دار بينها حين توالت المتاعب وحلت المجاعة بالبلاد . . وأخذ الضيق كل مأخذ بالسلطان بينما هي تبذل كل الجهد لتهدئته والتخفيف عنه . .

قالت ممتاز : يشهد الله انك تفعل المستحيل من أجل شعبك . . انك تواصل الليل والنهار لتعيد الامن والرخاء . . وتقيم العدل بين الناس . . تنصف المظلوم من الظالم . . وتأخذ من القوي لتعين الضعيف . .

ونهض السلطان في ضيق وهو يطل الى شبح المجاعة من وراء نوافذ القصر : فهل يتصفني التاريخ حين يتحدث فيقول انني عجزت عن ضرب المجاعة التي أخذت بالعباد ؟

أجابته في ثقة : دعني لها يا شاهجهان . . سأقوم بمواجهتها . . وأكفل باذن الله رد غائلتها . . وكما تقدر المرأة على تدبير طعام أبنائها وادارة شئون بيتها . . سيعطيني الرحمن القدرة على ضرب المجاعة ومكافحتها .

ولعلها قدرة الله قد أرادت بالحق أن تساندها في مكافحة غائلة المجاعة . . فبذلت كل قدراتها لاستئصال شأفة القحط ومناهضة الوباء . . .

كانت تنزل بنفسها الى البيوت ترعى المرضى وتعين الفقراء . . وتقيم المطاعم للناس يأكلون بالمجان . وكانت تشتري الأطفال الذين يبيعهم الاباء عن إملاق فتردهم في السر بغير مقابل للامهات . .

وانتصرت ممتاز محل على المجاعة والداء . . ولكن . . انتصر عليها داء ليس له دواء . . . . !

فذات يوم . . خلال إحدى زيارات شاهجهان للمناطق الجنوبية في الهند ليتفقد أحوالها ويقضي على إحدى الفتن التي طالما تشبت بين الحين والحين . . أحست « الزوجة المحبوبة » بآلام الوضع . . وكان لابد أن يتم وضع المولود الجديد قبل موعده بطريقة لم تكن العناية الصحية الملائمة وقتها لتكفل لها النجاح . . وأحست الزوجة بدنو أجلها . . وأرسلت الى زوجها من يستعجله ليعود . .

وجاء السلطان بأسرع ما يكون . .

كانت ممتاز مستلقية على فراش طويل ممددة الجسم في إجهاد . . وأرسلت بصرها المستسلم الى السلطان الذي أخذ به انزعاج شديد . . ثم عادت تصرخ من الالم وتقول :

ـ في جوفي نار تحرقني . انها تأكل أعماقي . .

وحاول السلطان أن يخفف عنها : بعض الصبر يا حبيبة . . وما اسرع ما يخرج المولود الى الحياة . . فتستريحين .

أجابته من بين همسات الأعياء : ما اسرع ما يخرج الى الحياة ، من يأخذ منا الحياة . .

قال في استجداء : لا تفقدي الأمل . . يا كل الامل .

ورسمت ابتسامة منهكة على شفتيها وهي تقول : لم يعد أمل بعد . . نسمات الحياة تخفت في صدري . . وأحس دنو أجلي . .

وصرخ شاهجهان وهو يحس باقتراب النهاية : لا . . لا تتركيني وحدي . .

قالت وأنفاسها تخفت : ستعيش مع ذكراي . .

وهتف شاهجهان : كيف حياة من بعدك يا كل نبض الحياة ؟

أجابته في ضعف : الخلود حياة . . أنا حية ما خلدت ذكري .

قال وهو يشجعها : سيظل اسمك خالدا على مدى الدهر يا ممتاز . .

مدت اصابعها لتلمس اصابعه . . وحاولت أن تأخذ كفه بين كفيها . . وقالت والجهد قد أخذ منها مأخذه :

ـ عهد لي عليك يا شاهجهان . . ان تذكر حبي ما حييت . . فالذكرى الطيبة . . نسمات تهفو اليها الروح .

ومن بين العبرات وجد الرجل نفسه يقول : عهد علي يا ممتاز . . أن أجعل ذكرك خالدا لا تمحوه الايام . . . .

ولعله استطاع أن يسمع آخر كلماتها وهي تخرج مع نفثات صدرها المحتضر : ما أروع أن يموت الانسان . . وذكره خالد على مر الزمان . .

وما اسرع ما تنتهي نسمات الحياة . .

وأمام جثمان ممتاز محل وقف شاهجهان يشهد الله أن يحفظ رفاتها في صرح يخلد ذكراها . ويعبر عن قيمة الحب الذي نشأ بينها وربط قلبيها طوال تسعة عشر عاما . .

لقد عزم شاهجهان أن يخلد حبه لممتاز محل .

وهكذا كان . .

وشيد السلطان لمحبوبته أروع وأفخم أثر يخلد قصة الحب والوفاء على مدى التاريخ . . ولا يزال يعد أكمل وأجمل بناء قائم على وجه الأرض . .

إنه اعجوبة الدنيا . . تاج محل . .

□□

قصة قصيرة :

في غرفة الإنعاش

بقلم : د . أحمد زياد محبك

ببرود تلقى النبأ ، ومن غير أن يبدي انفعالا ما ، تناول من يدها المرتعشة فنجان القهوة ، ثم أشعل سيكارته ، وأخذ يرتشف قهوة الصباح بهدوء وصمت ، وأنظاره مرسلة نحو صفحات المجلة المبسوطة أمامه على المائدة .

وقعدت تنتظر الجواب ، ثم أخذت تجاريه في ارتشاف القهوة .

شمس الصباح دافئة ، والزهرات متفتحة ، وثمة عصفور يقطع الصمت ، وصفحات المجلة لم تقلب بعد ،

نظر الى ساعة يده ، وبصوت هادىء أخذ يتكلم :

« ندى ، لا تؤخريني ، فقد حان موعد خروجي ، وبالنسبة الى النبأ . . لدي ما هو أهم منه ، سأبدأ في الأسبوع القادم بالعمل في مشروع جديد ، بناء مجمع سكني ، من أربعين وحدة سكنية ، وأنا المدير العام ! »

رفعت وجهها اليه ، مبتسمة ، وقالت :

« أهنئك ، فأنت جدير بذلك ، ولكن . . »

قاطعها باشارة من يده ، وهو يطفىء بقية سيكارته ، ومن غير أن ينظر اليها ، ثم قال :

« أنت نسيت تناول حبة ، أو تعمدت ذلك ، ولا بد من الاجهاض ، أطلبي من المؤسسة اجازة مرضية ، وسأتصل اليوم بالمستشفى . »

نهضت والدموع في عينيها ، وقالت بهدوء :

« أنا في الشهر الرابع »

« تشجعي ، سأكون الى جانبك ، ولا تنسي طموحنا »

ضغط على يديها بقوة ، وهو ينظر اليها ، ثم خرج .

وفور وصوله الى مكتبه ، اتصل بالهاتف بصديقه الدكتور منير ، وطلب منه حجز غرفة ، وتحديد موعد لعملية إجهاض .

« ولكنها المرة الثانية ، يا أستاذ عمر ؟ ! »

« أعرف ذلك » .

« ولكن لا تنس أنه مضى على زواجك خمس سنوات ؟ ! »

« ليمض عشر . »

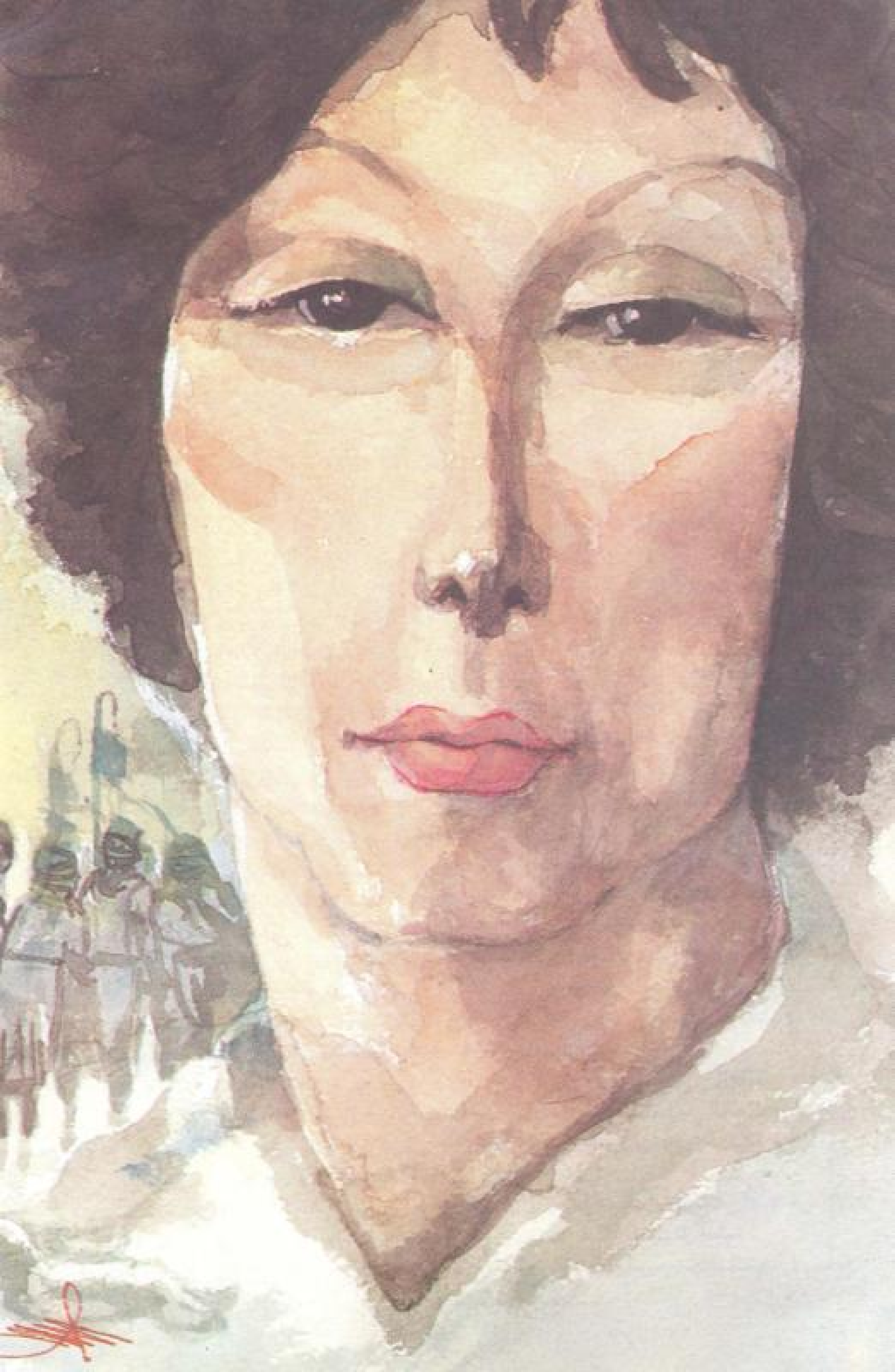

« والأولاد ؟ ألم تفكر بهم ؟ ! »

« سأفكر بعد أن أوفر لهم إمكانات المستقبل . »

« ولكن .. لا نهاية لهذا ؟ ! »

« ستتحدث في هذه الأمور فيما بعد ، ولكن لا تنس تحديد الموعد ، وحجز غرفة . »

وضع سماعة الهاتف ، وأشعل سيكارة ، ونظر الى ساعة يده .

بقي على الاجتماع ربع ساعة ، لا بد من مراجعة الأوراق ، ولكن كل شيء معد ، هكذا اعتدت دائما ، الحزم هو الحل ، تجاه نفسك أولا ، وتجاه الآخرين ثانيا ، من غير استثناء . الانفعال لا بد منه ، ولكن من الممكن ضبطه ، بل قمعه ، مطمحك نبيل ، لا تتراجع ، فالأولاد ضرورة ، ولكن لا بد من تأخيرهم حتى تتاح لهم ظروف جيدة ، اذكر المستخدم محمود ، طلب منك مرة الدخول عليك ، حسبت أن لديه مشكلة ، ولكنه جاء ليقدم لك قطعة حلوى ، مثلما قدم لجميع العاملين في المؤسسة بمناسبة المولود التاسع ، غضبت يومئذ ، وذكرت أن ليس عندك ولد ، ولكن لو انسقت مثله وراء إنجاب الأولاد لكان لك اليوم خمسة ، أو ثلاثة على الاقل ، السكرتيرة عندها ولدان ، ومساعدك عنده أربعة ، رئيس الديوان عنده خمسة ، وأنت ؟ ! لقد قاومت خمس سنوات ، وصبرت حتى وصلت الى هذا المنصب ، هل وصل الى مثله أحد من زملائك ؟ ! وزوجتك مقتنعة برأيك ، عاندت في البدء ، ورفضت ، ولكنها قبلت ، ولا سيما حين وفرت لها وظيفة جيدة في مديرية الاستيراد العامة ، امتصت الوظيفة كثيراً من وقتها واهتمامها ، وأصبح في البيت كل شيء متوفراً ، غسالة وبرادة وجلاية ومكيف هواء ، وأخيراً جاءت السيارة ، هل كان من الممكن تأمين ذلك لو جاء الأولاد في السنة الأولى أو الثانية من الزواج ؟ ! حين فاجأتها في المرة السابقة بجلاية الصحون ، إقتنعت بضرورة تأخير الانجاب ، وقبلت بالاجهاض وأقرت بحاجة الانسان في العصر الحديث الى وسائل الحضارة ، هذه المرة سوف تفجؤها بجهاز فيديو ، بقيت للاجتماع بضع دقائق ، يمكنك التأخير قليلا ، لتتصل بالهاتف ، وتطلب جهاز فيديو .

فرحت بجهاز الفيديو ، وقعدت تتابع عرض الأشرطة الثلاثة المرسلة مع الجهاز ، وفي أثناء العرض سلمت برأيه في الاجهاض .

عمر على صواب ، يمكنك تأخير الانجاب سنة أخرى ، أو سنتين ، حتى يتم دفع ما بقي من أقساط السيارة ، ويمكنك بعدئذ ترك الوظيفة ، والتفرغ للولد ، ويكون كل شيء في البيت قد توفر ، ويكفيكما ولد ، أو ولدان ، إذن لا بد من الانتظار والتريث ، أنت الوحيدة في المؤسسة التي لا تشكو من إرهاق البيت والحمل والأولاد ، ولم تتأخر مرة عن الوظيفة ، أما باقي الموظفات ففي شكوى دائمة ، وتأخر مستمر ، بل أنت الوحيدة التي استطاعت أن توفر لبيتها وسائل الحضارة .

ونهضت لتضع شريطا جديدا في جهاز العرض وإذا بشيء في أحشائها يتحرك ، فالتفتت الى زوجها ، وصاحت بفرح

« عمر ، المس هنا ، إنه يتحرك . »

وتلقاها عمر بصمت ، فأطرقت ، ثم بيطء الى جهاز العرض ، وبدلت الشريط .

اقترب الشريط الثاني من نهايته ، وعمر صامت ، أحست بضيق شديد ، سألته :

« ما رأيك في كأس من الشراب المبرد ؟ ! »

أشار بالايجاب ، فنهضت ، وقبل أن تمضي الى المطبخ قالت :

« رأيت اليوم إعلانا في الصحف عن براد جديد ، يعطي قطعا من الثلج ذات أشكال وحجوم مختلفة . ويقدم الماء المبرد من صنبور خاص . »

« سأشتريه بعد خروجك من المستشفى . »

لم تقل شيئا ومضت الى المطبخ .

إنقطع العرض وسادت العتمة ، سمع

صوت وقوع على الارض ، أسرع الى المطبخ ، أشعل عود ثقاب ، واذا ندى ملقاة على الأرض .

خارج غرفة الانعاش وقف ينتظر ، وهو لا يدري ما يفعل ، اتصل بصديقه الدكتور منير ، ورجاه الحضور على الفور ، عانى صعوبة كبيرة في ضبط ضيقه وتوتره ، لا لشيء ، الا لأنه لم يتوقع ما حدث ، ولا يجد ما يفعل .

رآه رجل في البهو ، لاحظ اضطرابه ، فقدم له سيكارة ، وسأله عن الحالة ، فأخبره أن زوجته صعقها التيار ، نتيجة ماس حدث بسبب خلل في البراد ، على ما يبدو .

وحين خرج الطبيب من غرفة الانعاش أسرع اليه يسأله ، وكان الجواب :

« اطمئن ، هي بخير ، ولكن الجنين مات » .

وطلب منه السماح له بالدخول لرؤيتها ، فاعتذر ، وأكد ضرورة الانتظار ، ثم دعاه الى غرفته ، وقدم له فنجان قهوة ، فأشعل سيكارة وأخذ ينتظر .

لا ، ندى لن تموت ، ستخرج من غرفة الانعاش ، شاحبة ، ستقول لها : « تشجعي » . وستضغط على يدها ، وتؤكد أن الجنين في المرة القادمة لن يموت ، وسوف تبتسم لك ، وتقول : « أتمنى ذلك » فهذه هي رغبتها بل هذه هي رغبتك .

ولما حضر الدكتور منير ، وعلم بالأمر ، التفت الى عمر ، وقال له :

« لم أكن مقتنعا بالاجهاض ، ولكنه أصبح مفروضا الآن علينا . »

ثم اقترح إجراء العملية فورا ، ولكن الطبيب أكد ضرورة التريث ساعتين على الأقل ، حتى تسترد ندى قواها ، وقبل أن يرد عليه الدكتور منير رن جرس الهاتف ، فرفع الطبيب السماعة ، وقبل أن يضعها ، نهض شاحبا ، وهو يقول : علينا أن نسرع . »

واتجه الثلاثة الى غرفة الانعاش ، ولما بلغوها رأوا الممرضة تخرج منها كاسفة ، فأسرع اليها عمر يسألها ، فلم تجب بشيء ، وتوجهت الى الطبيب لتقول له :

« ماتت . » □□

آخر حديث لفروست !

حاول بعض الصحفيين أن يحملوا الشاعر الامريكي روبرت فروست على الادلاء بحديث للتلفزيون قبل رحيله بفترة قصيرة ، وكانت اسئلتهم كلها تدور حول الظروف العصبية التي يعيشها انسان القرن العشرين . . ولكنهم لم يكتفوا بتوجيه اسئلتهم وانما كانت محاولاتهم كلها تتركز في انتزاع الكلمات التي يريدون هم أن يسجلوها على الشاعر الذي كان يشعر بدنو أجله ، غير أن فروست عرف في النهاية كيف يقول مايريد هو أن يقوله : « نعم . . انه وقت عصيب بالنسبة لأي انسان يسعى الى تطهير روحه . . ولكنني لا أجده يختلف عن أي وقت مضى ، منذ أن بدأت الحياة على الارض » وكانت هذه آخر كلمات فروست قبل أن يودع الحياة !

عالم جديد في أعماق البحار

إعداد : حسين محمود عباس

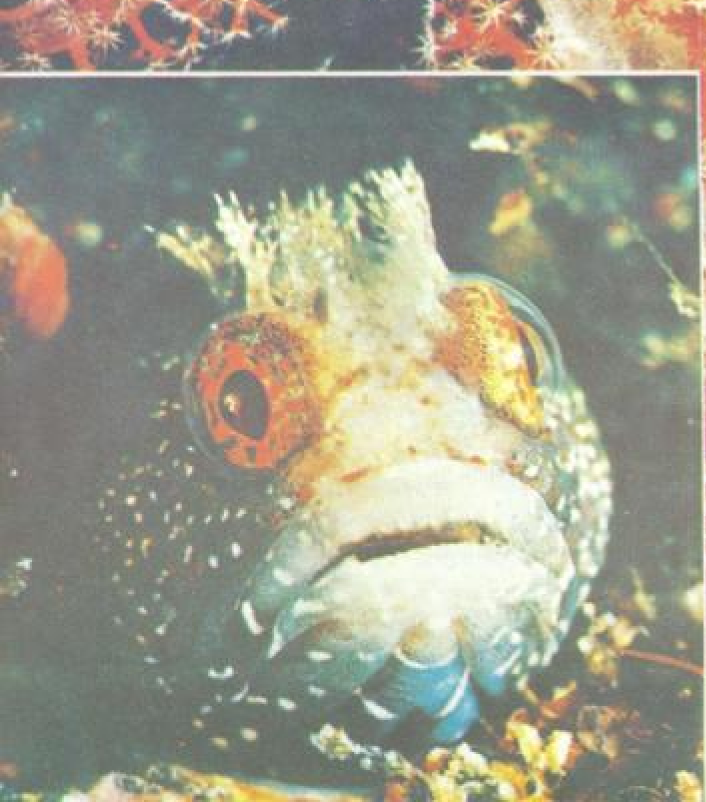

أهداب كالتيجان تزين رأس ذكر
(نيو كلينوس) وطوله ٢ إنش .

هذا المشهد لحديقة تراه في قاع البحر ، وهو يبين ثمانية أنواع من الشعب المرجانية . و سمكة من نوع موروونج
تقوم بعملية تنظيف لعين سمكة الراس . . ومثل هذه العلاقة القائمة على التكافل وتبادل المنافع شائعة في الحياة البحرية .

□ الأحياء التى تعيش فى البحار والمحيطات ، أكثر فى كمها ونوعها من تلك التى تعيش فوق اليابسة . ولقد سعى الانسان الى معرفة أوسع بها ، ولكن سعيه لم يأت بكل ما يرجوه بعد .

الاسماك التى تحتشد فى مياه البحار والمحيطات تعد بالملايين ، وهى تتناسل وتنمو وتعيش وتموت وفق ظروف وعادات لا نكاد نعرف عنها الا القليل . وقد يقال ان على اليابسة من الارض ملايين الأنواع من المخلوقات أيضا كالحشرات ، ولكن الحشرات ذاتها لا تبلغ ما بلغته الاسماك من تنوع فى الحجم والشكل ، فهى تتراوح بين الحيوانات الصغيرة الدقيقة ، وبين الوحوش التى يبلغ طول بعضها ٥٠ قدما .

والأسماك توجد حيثما يوجد ماء على نحو ثابت ودائم . ولما كانت الصلة بين هذه الكائنات الحية وبين الماء وثيقة على النحو الذى رأينا ، فقد فرضت عليها الحياة المائية أشكالها العامة ، وطريقة تنفسها ، وأساليب انتقالها وتحركها ، ونظام غذائها وتناسلها .

تعال معنا عزيزى القارىء فى رحلة الى منتزه (ايزو) البحرى ، الذى يبعد ٦٠ ميلا جنوب غربي طوكيو فى اليابان ، لترى من عجائب المخلوقات ما يضيف الى معلوماتك ، ويثير منك الخيال وفضول العلم .

فى مستهل جولتنا سنمر بحارس الأعماق العابس ، انه أفعى الوراي الذى يجوب الأعماق بين شعب مرجانية تبعد ١٤٠ قدما عن سطح البحر . وعلى الرغم من منظره الوحشى ، وطوله الذي يبلغ ثلاثة أقدام ، وصدره العاري ، الا أنه يندر أن يهاجم أحدا ما لم يبادر بالهجوم . فاذا اقترب منه احد الغواصين ولم يشرع فى ايذائه ، فانه يكتفى بالانسحاب من موقعه ، والبحث عن مكان أكثر أمنا .

شجرة على شكل ثريا

وفى أعماق المحيط تستطيع أن تشهد شعبا مرجانية تنمو على شكل شجرة ضخمة ، وتتخذ هيئة الثريا ، وترتفع الى ما يقرب من ستة أقدام فوق منبتها الصخرى . ومثل هذه الكائنات توجد على عمق ١٦٥ قدما تحت سطح الماء . ان أوراق وجذع الشجرة تكاد تكون موطنا للملايين من الحيوانات المرجانية .

ويصادف الغواصون فى خليج ايزو ، الاختلاف الكبير فى درجات الحرارة بين الطبقات المتباينة من الماء . ويختلف تأثير هذه التغيرات على حياة الأحياء المجهرية المعلقة باختلاف فصول السنة ، وهو ما يترك أثرا بينا على درجة نقاء الماء فى الاعماق المختلفة . فعلى عمق ١٦٥ قدما يمكن للماء أن يكون نقيا نقاء

قنديل البحر . . يسميه اليابانيون زهرة الكرز بسبب تألق ألوانه ، وهو يعرف بالميدوزا مقارنة له بالكائن الاسطوري الاغريقي . . .

البلور ، فاذا ما ارتفعنا ثلاثين قدما فوق ذلك تقل الرؤية حتى تكاد تنعدم .

ثم هناك الربيان الشفاف الذى يتخذ شكل الشبح ، ولا يزيد طوله عن بوصة واحدة ، وكذلك الربيان الملون الذى يحوم فوق السمك النجمى . وعلى الرغم من أن السمك النجمى يفترس الربيان فى أغلب الاحيان ، الا أن الربيان يبدو محصنا ضد الماصات القوية التى تعلو أقدام النجم الانبوبية الشكل . وهذا نوع من التكافل فى العيش ، فالربيان يقوم بعملية تنظيف للسمك النجمى يقابلها الأخير بتوفير الحماية له .

وفى اليابان مئة وستون منتزها بحريا ـ وهو أكبر عدد من المنتزهات البحرية يقيمه بلد فى العالم ـ تخضع لادارة مشتركة من هيئة خدمات المتنزهات ومن اتحادات الصيادين المحلية القوية ، التى تسيطر على مداخل الأعماق .

الميدوزا اليابانية

ولن ندهش اذا فاجأنا كشاف البحر ، فذلك موطنه . وهو نوع من أنواع قنديل البحر ذي الألوان القزحية ، يلجأ عادة الى مد مجساته ذوات الرؤوس المدببة الواخزة للبحث عن فريسته ـ وهي فى الغالب من صغار السمك والربيان . وقد كان تألق ألوانه سببا فى أن أطلق عليه اليابانيون لقب (زهرة الكرز) . وهو يعرف بالميدوزا مقارنة مع الكائن الاغريقى الاسطورى . والميدوزا الاغريقية لها شعر من الافاعى لا يلبث الناظر اليه أن يتحول الى حجر ! وتنشق من بطن هذا الكائن ، الذى لا يجاوز عرضه بوصتين ، مجسات كأنها نبات الفخس الذى يشبه بدوره أداة معقوفة صغيرة ينظف بها الغليون . وكل مجس مزود بمئات من الخلايا اللاسعة التى تعمل لسعتها على ارباك الضحية أو اصابتها بالشلل فان تم ذلك ـ وهو لا يستغرق عادة الا وقتا قصيرا ـ فلا تلبث

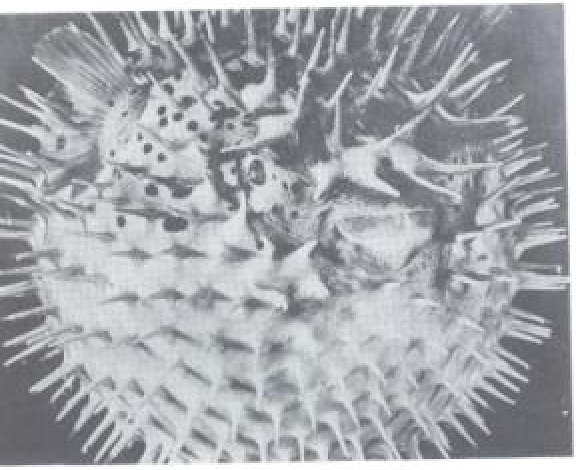

كابوس متخف يحيل حيوان الدلدل الشائك الى وحش بضعف حجمه الطبيعي ، وهو سمكة اذا تعرضت لخطر تنفخ بالماء وتبعث فى أعدائها من الرعب فى ما يثيره أحد أسماك القرش . . .

الضحية أن تجد نفسها وقد استقرت فى معدة قنديل البحر ، وهى التى تبدو فى الصورة وكأنها كيس مستقر تحت البطن . وتبدأ عملية الهضم ، وتقوم أنابيب برتقالية أربعة ـ متفرعة من المعدة ـ بارسال ما يهضم من الطعام الى البطن .

ويستوطن مياه منطقة ايزو أربعة عشر نوعا من قناديل البحر ، ولكن أحدا من كل تلك الانواع لا يضارع قنديل البحر المعروف بالكشاف ، ولهذا الحيوان كهوف صغيرة يأوى اليها .

ومما يلفت النظر فى أعماق البحار الاشكال المختلفة التى تبدو عليها الشعب المرجانية . . فقد تبدو على شكل شجرة يزينها زخرف كالذى يشاهد فى أعياد الميلاد وقد تتخذ شكل ثريا ، ولكنها ـ فى كل الاحوال ـ تمتص مياه البحر لكي تحافظ على صلابة الفروع ، ثم تقوم بتفريغ ما بها من ماء البحر بتأثير التيارات السفلى والأمواج العاتية الطاغية وتعاود الانتفاخ عند زوال الضغط وهكذا . . . . . .

واليك هذا الوجه المرعب ! انه شبيه بوجه قاتل . وهذا هو التجهم الدائم الذى يعلو وجه سمكة العقرب ، وهي تشبه شخصيات الأوغاد

١

الربيان الشفاف .. وقد اتخذ شكل الشبح والى جانبه ربيان آخر ملون يحوم فوق فم سمك نجمي ...

٢

نجم البحر .. واحد من بين أنواع تتجاوز السبعين نوعا، تعيش في مياه أيزو في اليابان. ان الأذرع الخمسة في بعض أنواع السمك النجمي تتفرع بحيث يغدو لها أكثر من مئة فرع، وعندما تسير تبدو وكأنها شجيرة متحركة.

٣

السلور .. نوع من السمك المخطط يحمل سما زعافا في زعانفه الواقعة على الظهر والصدر معا. ان سما من واحدة من هذه الأسماك قد يقتل غواصا غافلا.

٤

حارس الأعماق العابس، انه أفعى الموراي الذي يجوب الأعماق وسط الشعب المرجانية.

٥

القناع المخيف والأنياب تكسب أفعى الموراي المائي المرقش منظرا بشعا مشؤوما ..
ونلاحظ فتحتا الأنف تعلوان الفك الأعلى وكأنها قرنان ...

يمتاز سرطان البحر الياباني العملاق الذي يتخذ شكل عنكبوت على كل القشريات الأخرى بمسافة بين مقبضيه الممتدين الى أحد عشر قدما .

في مسرح الكابوكي الياباني ، واسمها العدائي يوحي بأن ليس لها أصدقاء .

الموراي المائي المرقش

ان الأنياب البارزة والقناع المخيف تكسب أفعى المواري المرقش منظرا بشعا مشؤوما . كما أن فتحات الأنف فوق العينين والتي تبدو وكأنها قرنان ترتبط بفتحتين أخريين تضخان في الخرطوم ، وكل ذلك يضيف اليه شراسة غير معهودة . وعلى الرغم من كل هذا فان المواري المرقش خجول لا يهاجم الا طلبا للطعام ، أو اذا بادره أحد بتهديد . ان الخطوط البرتقالية والبنية والبيضاء التي تغطي جسمه وتمتد الى داخل فمه جعلت اليابانيين يطلقون عليه اسم الأفعى ـ النمر ـ ومن غريب ما يتصف به هذا الحيوان أنه يكشر عن أنيابه كجزء من عملية التنفس الطبيعية .

وهناك نوع من التكافل الاجتماعي شائع بين الأحياء المائية ، فسمكة من نوع مورروونج لا يزيد طولها عن ٤ بوصات تقوم بعملية تنظيف لعين سمكة من نوع الراس . وتستطيع سمكة الراس التمتع بوجبة طعام من الفطريات أو البكتيريا في الوقت الذي تقوم فيه سمكة موروونج بالتنظيف . ومثل هذا التكافل وتبادل المنافع شائع في الحياة البحرية .

أكبر القشريات في العالم

يمتاز سرطان البحر الياباني العملاق الذي يتخذشكل العنكبوت على كل القشريات الأخرى بمسافة بين مقبضيه الممتدين تصل الى أحد عشر قدما . ان هذا النوع من سرطان البحر الكبير البالغ لا يرى الا نادرا . فهو يعيش على عمق ١٢٠٠ قدم تحت سطح الماء ، ويهاجر في الربيع من كل عام الى المياه الضحلة ليقوم بالتزاوج ووضع البيض . وتضع الاناث ما يقرب من مليون ونصف المليون من البيض في المرة الواحدة ، ولا يبقى من هذا العدد الكبير الا القليل .

وهناك في المياه اليابانية ألف نوع من هذه الأحياء المائية ، ويصل العنكبوت الى سن البلوغ ـ وهو السن الذي يتخذ فيه شكله الضخم ـ بعد عشر سنوات من عمره الذي يمتد الى نصف قرن أو أكثر ان لم يتعرض للخطر .

ويطلق على هذا الحيوان القشري العملاق لقب (شنن جاني) باليابانية ، وهو يعني سرطان الجثث الآدمية فلقد دأب على الأكل من جثث الغرقى من الناس كلما تسنى له ذلك ، أما طعامه المعتاد فمن الأسماك والأحياء اللزجة والرخويات .

والذكور أكبر حجما من الاناث . شأنها في ذلك شأن كل المخلوقات الحية ،ولكنها تمتاز عليها جميعا بأن لها عضوين من أعضاء التذكير يتخذان شكل المبرام أو اللولب ويمتدان تحت البطن !

ولقد أوحى هذا الكائن للفنانين برؤى وخيالات شتى ، فأنت ترى شيطان الأعماق (الصورة) يزين قشرة ظهر السرطان ـ

● عالم جديد في أعماق البحار !

رسم ظريف يمثل شيطان الأعماق وهو يزين ظهر السرطان ـ العنكبوت العملاق كما رسمه فنان في هيدا ميناء الصيد في شبه جزيرة ايزو

العنكبوت كما رسمه فنان في بلدة هيدا ، وهي ميناء للصيد في شبه جزيرة أيزور .

وعلى الرغم مما قد يصل اليه حجم السرطان ـ العنكبوت من ضخامة الا أن جسمه صغير نسبيا .

والرقم القياسي الذي سجل حتى الآن لعرض قشرة الظهر يقل عن قدمين .

وهذا النوع من السرطان يتصف بالقبح والجبن ، فلم يعثر له على أثر الا على الساحل الياباني من المحيط الهادي ، وفي الجزء من ذلك الساحل الذي يمتد من هونشو الى كيشو . وقد ظل العلماء الغربيون يجهلون هذا السرطان ـ على الرغم من وروده في الأدب الياباني ـ حتى عام ١٧٢٧ عندما صدر له وصف آثار عالم الأحياء الالماني انجلبرت كايمفر . ولقد اطلق اسم هذا العالم على السرطان العملاق فصار يعرف بسرطان كايمفر .

والذين يفكرون في اصطياد هذا السرطان الكبير يحدوهم حب استطلاع ، وليس لهم مآرب أخرى نظرا لقلة ما يكسوه من لحم ، فهو لا يسمن ولا يغني من جوع .

يقول الدكتور تسون ساكاي رئيس الهيئة اليابانية المعنية بهذا السرطان : (ان من المشكلات التي نواجهها ان السرطان البالغ الكبير يعيش في الأعماق ، والامساك به ليس سهلا ، ولا نعثر على بعض منه الا اذا جاءت به بجرفة اعماق البحر .

ولما كانت صغار السرطان لا تستطيع التزاوج الا بعد أن تبلغ العاشرة من عمرها فان اعدادا كبيرة منها تختفي وتزول قبل أن تصل الى هذا السن .

لكنه نافع في السياحة

ان أفراد السرطان الكبير البالغ تربى الآن لاغراء السياح واجتذابهم . ويقوم أحد مطاعم كيوتو في اليابان بوضعه في حوض كبير للسمك يتكون من طابق في مبنى . ويغطى هذا الحوض بسقف من زجاج ، وتوضع مناضد الطعام والكراسي فوق هذا السقف بحيث يكون في وسع رواد المطعم تناول وجبة من الأطعمة البحرية وهم يرقبون حركات السرطان ـ العنكبوت في الحوض الزجاجي الذي يجلسون فوقه !

وهناك العديد من هذه الكائنات الحية معروض في أحواض تحت أشعة الشمس في طوكيو . يقول غواص دخل أحد هذه الأحواض : (على الرغم من أن مقابض السرطان ليست من القوة بحيث تخترق اللباس المطاطي الذي ألبسه ، الا أنني وقفت خلفها فترة وجودي في الحوض الكبير . وكنت أستعيد في ذاكرتي حادثة تعرضت لها وأنا أغوص في مياه أيزو ذات يوم . فقد التفت أرجل أحد هذه الحيوانات حول رجلي ، وكنت كلما أفلحت في فك احداها أجد رجلا أخرى تلتف من حولي ببطء شديد لكنني لم أشعر بخطر جاد ! فقد كانت مصارعة سلمية مع كائن عملاق قبيح تحت الماء !) . □□

رحلة في عالم الطيران

تحقيق : كريمة شاهين

تصوير : طالب الحسيني

● بوينج ٧٤٧ وعربات خدمة الحركة والتموين تحيط بها تمهيدا للاقلاع .

● بالوجه البشوش والابتسامة تستقبلك المضيفات وتودعك .

● حظيرة الطائرات حيث تتم أعمال الصيانة والنظافة .

● مقدمة الطائرة من الداخل حيث يتولى أبناء الكويت القيادة ، بمعاونة الخبرة الأجنبية .

☐ كثيرة هي انجازات الانسان في مختلف مجالات الحياة .. لكن قهر الجو وامتلاك ناصيته خطا بالبشرية خطوات هائلة على طريق تقدمها وتطورها .. ولا شك أن مثل هذا الدور تقوم به شركة الطيران الكويتية،الرئة التي تتنفس منها الكويت من خلال الحركة الدائبة التي يقوم بها اسطولها الجوي الذي يربط الكويت بالعالم الخارجي .. فما هي قصتها ؟

قبل قرنين من الزمن لم يكن يخطر ببال أوسع الناس خيالا ، وأكثرهم تفاؤلا ، أنه سيكون للانسان في غده القريب - قدرة على امتطاء متن الريح ، ومسك لجامها ، والسير فوق عبابها بعيدا ، بعيدا .. وكانت الخطوة الاولى على هذا الطريق ، هي اختراع البالون الحر الذي يعتمد على الهواء الساخن في عام ١٧٨٣ . في ذلك العام حلّق الانسان - لأول مرة في تاريخه - فوق سطح الأرض ، فطاف ركاب البالون فوق باريس لمدة خمس وعشرين دقيقة ، قطعوا خلالها ستة أميال . وكان ذلك انجازا كبيرا في حساب الناس في ذلك الحين . ثم اعقب ذلك زمن كثرت فيه محاولات تطوير هذا البالون ، حتى تميز القرن التالي بكثرة تلك المحاولات وكثرة من تصدوا لها . وقد كانت محاولات الأخوين رايت رائدة في مجال الطيران الآلي ، ومن بعدهما تحول الطيران الى صناعة تتنافس فيها الامم ، وظل هذا التنافس شديدا ، حتى بلغت هذه الصناعة ما بلغته من تطور مذهل .

وهكذا قدر للطيران أن يدخل ميدان الاتصال ، فيحدث فيه ثورة تحول العالم الفسيح الواسع الى رقعة صغيرة ، لا ينأى على الانسان فيها مكان ، ولا يستعصى عليه قاص ، فالمسافات التي كان يقطعها في أيام بات اجتيازها لا يتطلب الا دقائق ، وما كان يستغرق في اجتيازه شهورا صار يطويه بساعات قلائل !

ولم يعد الطيران احتكارا لأمة دون أخرى ، أو ميزة لشعب على آخر ، فعندما دخل ميدان التجارة صار اقتناء الطائرات والانتفاع بمزاياها متاحا لكل قادر ، وصارت شركات الخطوط الجوية تتنافس في تقديم أفضل الخدمات للمسافرين على طائراتها .

لنأخذ مثلا على ذلك مؤسسة الخطوط الكويتية .. فهي احدى شركات الطيران التي لها دور مشرف في هذا التنافس ، ساهمت من خلاله في ربط الكويت بالبلدان المجاورة القريبة ، والبلدان القصية النائية .

وحين نأخذ الكويتية كمثال فلأنها احتفلت بمرور ثلاثين عاما على انشائها وبدء نشاطها .

ولم يقتصر الاحتفال بهذه المناسبة على الكويتية وحدها فلقد شاركها كل من تعنيه مسيرة التقدم في الكويت . وهنا وجدت « العربي » فرصة سانحة لتستطلع من خلالها المسيرة منذ بواكيرها الاولى وحتى يومنا هذا .

بداية الطريق

ولكي نتعرف على بدء الانطلاقة ، كان لا بد من لقاء الاقتصادي المعروف محمد عبد المحسن الخراف ، العضو المؤسس وأحد أعضاء مجلس الادارة الأوائل ، وسألناه :

- متى طرأت فكرة انشاء شركة الخطوط الجوية الكويتية ، ومن هم المؤسسون ؟

- في عام ١٩٥٢ راودت فكرة انشاء شركة الخطوط الجوية الكويتية مجموعة الرواد من رجال الاعمال في الكويت وقد لاقت الفكرة صدى واسعا وعرض المشروع على الحكومة لتأسيس الشركة برأس مال قدره مليون روبية موزعة على أسهم قيمة كل سهم ١٠٠ روبية . وبعد دراسة السلطات للمشروع تم التصديق على تأسيس شركة الخطوط الجوية الكويتية الوطنية في مارس من عام ١٩٥٤ .

وتم تشكيل أول مجلس ادارة لها ، ومنذ ذلك التاريخ بدأت الشركة مسيرتها بطائرات مستأجرة سيرت على خطوط البصرة وبيروت ودمشق والقدس وعبدان . ثم

• قاعة مشروع الحجز الآلي الجديدة ، والتي تحوي أحدث ما عرفه العالم من وسائل الاتصال .. فمن هنا تستطيع أن تحجز مكاناً لك على أي شركة طيران في أي بلد في العالم .

استأجرت الشركة طائرات هيرميس وافتتحت بها خط القاهرة . وفي عام ١٩٥٥ احتفلت الكويتية بشراء أول طائرة من طراز داكوتا (دي سي ٣) وسميت كاظمة . وبعد ذلك بدأت الكويتية بالتطور والتوسع في عدد طائراتها ، وأنواعها ، وزيادة شبكات خطوطها ، حتى أصبحت تمتلك أربع طائرات من طراز فايكاونت . ورغم أن النتائج المالية للشركة كانت خاسرة فقد كان المساهمون يشعرون انهم يؤدون خدمة وطنية تستحق التضحية ، لمواكبة مسيرة التقدم لبناء الدولة الحديثة .

وفي مايو من عام ١٩٦٢ قرر مجلس ادارة الشركة بأغلبية ساحقة ، بيع جميع الأسهم الشخصية للدولة ، لتبدأ الكويتية مرحلة جديدة في تاريخ النقل الجوي التجاري في الكويت ، بملكية الدولة لأسهم الشركة بالكامل ، وأصبحت تخضع لاشراف وزارة المالية والنفط آنذاك ، وسميت بمؤسسة الخطوط الجوية الكويتية ، وزيد رأس مالها الى ١٧ مليون دينار كويتي .

أول طائرة وأول مطار

لكن ضمن الخطوط العريضة التي تحدث عنها السيد الحراق توجد بعض التفصيلات .. فما هي؟ كانت انطلاقة الطيران التجاري الكويتي المنتظم في مارس ١٩٥٤ . وقبل ذلك كانت الكويت تعد محطة جوية لعدة شركات طيران .. وهبطت أول طائرة على أرض الكويت ، وكانت من طراز « هاندلي بيج » وهي احدى طائرات الخطوط الجوية البريطانية . ونظرا لعدم وجود مطار دولي في عام ١٩٣٢ فقد هبطت على مدرج رملي في حديقة الحزام الأخضر .

ثم اكتشف النفط ، وانشئت شركة نفط الكويت ، وهنا ظهر جليا مدى الحاجة الى وسيلة سريعة وفعالة ، لنقل العاملين في صناعة النفط الجديدة بين الكويت والهند .

وما لبثت أن اتسعت عمليات انتاج النفط ، وتزايد عدد السكان بمعدلات كبيرة متلاحقة ، وذلك لتلبية احتياجات البلاد من العمالة في حقول النفط . وفي تلك المرحلة استخدمت شركة نفط الكويت طائرات صغيرة من طراز « دي سي ٣ » لنقل موظفيها ومؤنها .. وظلت الطائرات تهبط في صحراء الكويت الى أن تم انشاء مدرج النزهة في عام ١٩٤٧ .

وتأسست شركة طيران كويتية باسم « الخطوط الجوية الكويتية الوطنية المحدودة » وتم التصديق على عقد تأسيس الشركة في مارس من عام ١٩٥٤ ، وتشكل أول مجلس ادارة واختير السيد خالد الزيد الخالد رئيسا لهذا المجلس .

وفي يوم ١٦ مارس ١٩٥٤ احتفلت الشركة بتدشين باكورة اسطولها المكون من طائرتي داكوتا و « دي سي ٣ » ودخلت الشركة في مباحثات مع شركة الخطوط الجوية البريطانية لما وراء البحار لتحصل منها على المساعدات الفنية ، وتقوم بأعمال الملاحة والتشغيل نيابة عنها من خلال شركة الخطوط الجوية البريطانية الدولية المحدودة . وطالت فترة المباحثات الى أن تم توقيع الاتفاقية بين

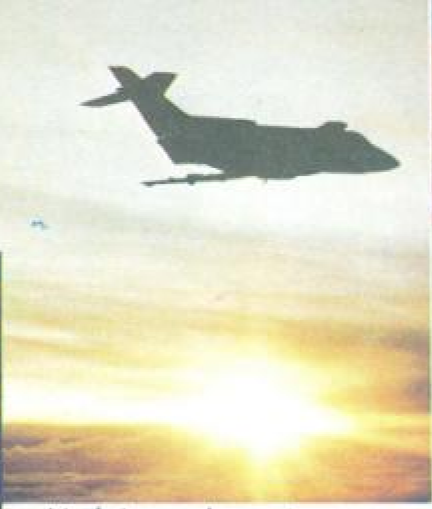

• التاكسي الجوي .. أحدث قطع أسطول الخطوط الكويتية .. صورة عامة من الخارج ومن الداخل

• أحمد المشاري رئيس مجلس ادارة الخطوط الجوية الكويتية .

• المؤتمر السنوي للخطوط الجوية الكويتية ، الصورة لجلسة الافتتاح .

• الحظائر الجديدة لصيانة الطائرات .. الصورة توضح عملية صيانة كاملة لمقدمة الطائرة .

● قطع مختلفة من الأسطول الجوي

● صيانة المحركات حيث تتم دورياً على الطائرات تأميناً للسلامة وضرورة لا غنى عنها

الشركتين في ٤ نوفمبر ١٩٥٤ وبمقتضى تلك الاتفاقية تتولى الشركة الكويتية شئون الادارة ، ولا يكون للشركة البريطانية فيها استثمارات أو تمثيل في مجلس الادارة .

افتتاح الخطوط المنتظمة

ومضت الشركة الكويتية قدما ، فعقدت اتفاقيات الطيران مع بعض الدول ، وشغلت طائرتيها لحساب الخطوط الجوية العراقية ، فقامت برحلات جاوزت المائة بين البصرة وبغداد عندما عم فيضان عام ١٩٥٤ خطوط السكك الحديدية ، ولم تعد هناك وسيلة لنقل الركاب سوى الطائرات .

وفي ١٧ مايو من عام ١٩٥٤ احتفلت الشركة بافتتاح أول خط منتظم بين الكويت والبصرة ، بواقع ثلاث رحلات اسبوعيا ، وخط ثان الى بيروت في نفس اليوم .

ولم ينته عام ١٩٥٤ الا وكانت الشركة قد افتتحت ثلاثة خطوط أخرى ، ففي يونيه افتتحت خطا الى القدس ، وفي يوليو الى دمشق ، وفي ديسمبر الى عبدان .

ومع تزايد أعداد الوافدين الى الكويت من العمال والفنيين ، اشتد الاقبال على السفر جوا ، وفي مواجهة هذا الضغط عززت الشركة اسطولها بطائرة ثالثة من نفس الطراز « دي سي ٣ » . وفي عام ١٩٥٥ اتضح للشركة المحدودة انها تحتاج الى دعم مالي يمكنها من الصمود ، وقدمت حكومة الكويت الدعم المطلوب فأقرضتها مائتي الف جنيه استرليني مقابل نصف اسهم الشركة ، وتعديل الاسم الى اسمها الحالي « مؤسسة الخطوط الجوية الكويتية » .

مولد المؤسسة

توسعت أعمال المؤسسة ، فاتخذت لها مقرا بمكتبين متجاورين في الشارع الجديد ، أحدث شوارع الكويت في ذلك الوقت ، ومركز المدينة التجاري الكبير . وبعد فترة من الزمن ، وعندما بدأ شارع فهد السالم يتألق ، ويخطف الأضواء من الشارع الجديد ، انتقل مقر المؤسسة الى احدى البنايات الكبيرة به ، لتحتل مكانا أوسع للحجز والمبيعات .

وانتقلت ملكية شركة الخطوط الجوية الكويتية الى الدولة في مايو ١٩٦٤ ، وأصبحت بذلك جزءا لا يتجزأ من القطاع العام ، وسميت « بالخطوط الجوية الكويتية » وأصبحت تحت اشراف وزارة المالية والنفط ، وزيد رأسمالها الى ١٧ مليون دينار ، وافتتح مجلس الادارة صفحة جديدة لمرحلة جديدة من تاريخ المؤسسة ، فأعد خطة بعيدة المدى للتقدم والتطور والتوسع والانتشار . وبدأ تنفيذ الخطة على الفور ، تساندها السلطات الحكومية ، وتبادلها التنسيق ، ومن حسن حظ المؤسسة في هذه المرحلة أن تم انشاء المرحلة الاولى من مطار الكويت الدولي القديم في أول فبراير ١٩٦٢ .

واستطاعت الكويت ، بعد افتتاح مطار الكويت الدولي بمنطقة المقوع في فبراير من عام ١٩٦٢ ، أن تنضم الى عضوية المنظمة الدولية للطيران المدني في يونيه من نفس العام ، وأخذت شركات الطيران ترسل طائرات أكبر الى الكويت ، وصار بوسع الخطوط الجوية الكويتية أن تطور اسطولها .

ومن أهم أحداث العام الأول من المرحلة الثانية في تاريخ المؤسسة ، أنها وقعت الاتفاقية الفنية الدولية ، التي تحصل بمقتضاها على التسهيلات الفنية ، وصيانة الطائرات في المحطات الخارجية . وانهت في نفس الوقت العمل بالاتفاقية الادارية المبرمة بينها وبين الخطوط الجوية لما وراء البحار ، فاستقلت تماما ، وانضمت الى عضوية الاتحاد الدولي للنقل الجوي في أول فبراير ١٩٦٣ . وكان المؤتمر السنوي التاسع عشر ، الذي انعقد في روما في أوائل اكتوبر ، هو أول اجتماع لمنظمة ايتا IATA تحضره المؤسسة .

كانت خطة المؤسسة في مرحلتها الجديدة ، تقضي بالانتقال من عصر الطائرات المروحية ، الى عصر الطائرات النفاثة كوسيلة لتحقيق ارادتها في التوسع والتطور . فبدأت اعتبارا من ديسمبر ١٩٦٢ بشراء هذا النوع من الطائرات التي كان أولها « كوميت سي ٤ » ، وما لبثت أن تابعت السير قدما في هذا المجال الواسع الرحب . وانتقلت الكويتية بالتدريج مما كانت عليه قبل عام ١٩٦٥ . الى ما اصبحت عليه في عام ١٩٨٤ من انشاء شبكة الخطوط ، واقتناء احدث الطائرات ، وامتلاك التكنولوجيا العصرية في الصيانة والتدريب والتموين والحجز الآلي .

مركز الحجز الآلي

تعود فكرة انشاء مركز الحجز الآلي الى عام ١٩٧٦ عندما تقدمت الكويتية باقتراح الى الاتحاد العربي للنقل الجوي تطلب فيه انشاء مركز حجز آلي عربي مشترك . وقد أبدت عدة شركات اهتماما بالمشروع ، ثم ما لبث هذا الاهتمام أن تلاشى . ولكن الكويتية تابعت دراسة

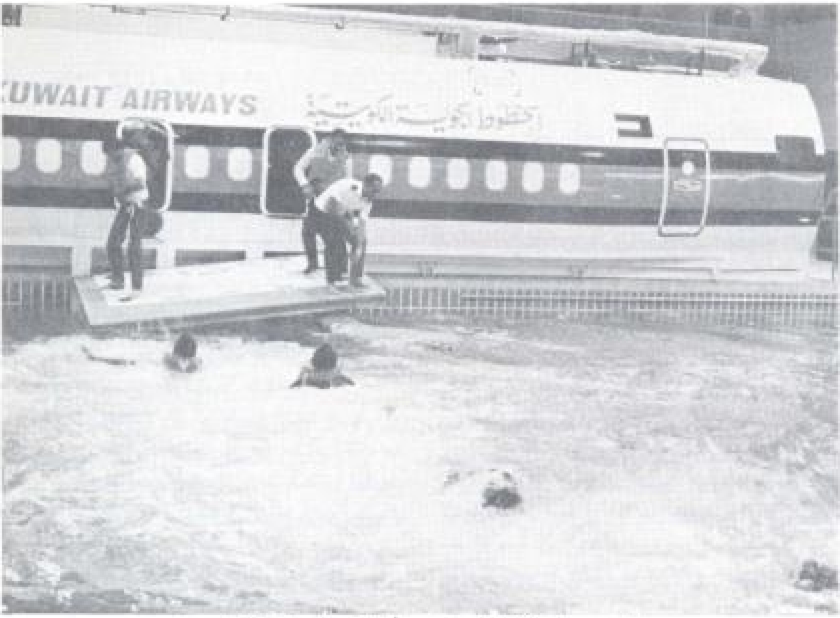

التدريب على الانقاذ البحري من أجل ضمان سلامة الركاب .

الفكرة حتى باشرت بتنفيذها بمفردها في أوائل عام ١٩٨٢ .

وبدأت عملية التشغيل في ٨ اكتوبر من عام ١٩٨٣ ، واحتفل بافتتاحه رسميا في ١٩ اكتوبر من نفس العام . وبذلك أصبحت الكويتية احدى شركات الطيران الخمسين التي تمتلك مركزا للحجز الآلي خاصا بها ، فضلا عن أن هذا المركز هو الوحيد من نوعه في منطقة الشرق الاوسط وأفريقيا وجنوب شرق آسيا ، وهو الأحدث تقنية خارج أوروبا وأمريكا والشرق الاقصى .

وقد حرصت المؤسسة ـ انطلاقا من مفهومها ورسالتها الأساسية في بناء الانسان ـ على توفير الأجهزة ، ! كما حرصت على تدريب أكفأ الفنيين . . . ولذا فقد تم تزويد مركز الحجز الآلي بثلاثة أجهزة كمبيوتر تجارية دولية ، يعتمد على جهازين منها في تشكيل موحد تفاديا لأي خلل أو قصور ، كما روعي أن تكون سائر المعدات كاملة الازدواج .

أما عن الخدمات التي يقدمها المركز للمؤسسة وللشركات التي تنضم اليه فهي تشمل مايلي : حجز المقاعد ـ التغيير الفوري للجداول ـ اصدار التذاكر ـ تعريف الأسعار ـ مراقبة الاقلاع ـ كشف حمولة الطائرة ـ حجز الفنادق ـ تأجير السيارات ـ خدمات أخرى تضاف مستقبلا حسب الحاجة .

ويقدم المركز برامج تدريب شاملة في مجال الحجز الآلي وكيفية تطبيق خدماته . ويتكون جهازه الفني من سبع فرق من المختصين ، تتولى كل فرقه وحدة من وحدات المركز السبعة ، والكل من ذوي الخبرة في مجال تخصصهم .

مع مدير ادارة العمليات

وكان للعربي لقاء بمدير ادارة العمليات الكابتن يوسف القملاس وتوجهنا اليه ببعض الأسئلة منها :

● وما هي أهم الشروط التي يجب أن تتوفر في قائد الطائرة ؟

ـ قائد الطائرة هو طيار اجتاز عدة اختبارات (علمية وعملية وصحية) تؤهله لتبوء هذا المركز ، الذي لم يصله الا بعد ممارسة وخبرة في مجال عمله ، وجدارة في التحكم والسيطرة وحسن الادارة في حل المشاكل التي تواجهه .

● يعتقد الناس أن لحظات الاقلاع والهبوط هي أكثر اللحظات حرجا ، وأكثرها اختبارا لقائد الطائرة ، فما رأيك في هذا القول ؟

ـ هذا الرأي له نصيب كبير من الصحة ، وذلك لأسباب عدة منها ، أن لحظات الاقلاع والهبوط هي اللحظات التي تحدث خلالها عدة تغيرات ، مثل تغير الارتفاع ، وتغير السرعة ، والتغيير الذهني السريع الواجب حدوثه لمتابعة التغيرات السابقة . وكذلك تغير الأحوال الجوية بتغير الارتفاع ، وهذا بالاضافة الى حدوث متغيرات كثيرة في أجهزة الطائرة ، حيث تكون نسبة من أجهزتها تعمل قريبة من حدودها القصوى (في حالة الأقلاع مثلا) مما يتطلب

من قائد الطائرة ومساعديه حذرا وانتباها وكفاءة في الأداء .

● هل يجب أن يظهر قائد الطائرة أمام الركاب ، أم يتحتم عليه البقاء في كابينة القيادة ؟

ـ من الأفضل بقاء قائد الطائرة في كابينة القيادة ، ولأطول فترة ممكنة . وتحتم ذلك قوانين معظم الشركات ، لأن كابينة القيادة هي المركز الذي يمكن فيه التحكم بجميع أجهزة الطائرة ، ومعرفة تطورات الرحلة ، وهي مركز الاتصالات مع وسائل الارشاد الارضية .

الا أن قائد الطائرة وطاقم كابينة القيادة يضطرون للخروج خلال الرحلة ، ولكن كل على حدة ، وذلك اما لقضاء حاجة أو لمجرد التحرك داخل الطائرة لتنشيط الدورة الدموية ، وخصوصا في الرحلات الطويلة والليلية ، وأيضا لتحية الركاب والترحيب بهم .

● عند تعرض الطائرة لخطر ما ، ما هو الدور الذي يجب أن يقوم به قائد الطائرة في تلك اللحظات ؟

ـ يجب أن يقوم بتنفيذ كل الاجراءات المطلوبة كما نصت عليها مراجع الطائرة بالسرعة المطلوبة ، وحسب جدولتها في تلك المراجع ، وكذلك اعطاء الاوامر لافراد الطاقم للقيام بكل ما يطلب منهم كل حسب تخصصه ، وطمأنة الركاب واطلاعهم على ما هو ممكن من المعلومات .

● ماهي الاختبارات والفحوص التي يخضع لها الطيارون في السنة ؟

ـ هناك عدة اختبارات يجب أن يقوم بها الطيار خلال السنة وهي تنقسم الى قسمين: فنية وطبية .

أولا الفنية : أ ـ اختبار يقوم به الطيار كل ستة أشهر ويكون اما على الطائرة ، أو على جهاز مشابه ويواجه الطيار خلاله أغلب حالات الخلل في أجهزة الطائرة ، كتوقف محرك عن العمل ، أو احتراق احدى المحركات ، وملاحظة رد فعل الطيار عند حدوث حالة من تلك الحالات ، والتأكد من أنه يتبع الاجراءات المطلوبة والمنصوص عليها في مراجع الطائرة .

ب اختبار الطيران الآلي ، وهو اختبار يقام كل سنة ، ويكون كذلك اما على الطائرة ، أو على جهاز مشابه . ويقوم الطيار خلاله برحلة تعتمد فقط على المعلومات التي تتوفر في أجهزة الطائرة ، من الاقلاع والى الوصول دون الاعتماد على النظر خارج الطائرة ، وهو ما يشبه رحلة داخل الغيوم أو أثناء الليل .

ثانيا : الفحوص الطبية :ـ

أ ـ فحص دوري يقام في فترة تتراوح بين ستة أشهر وسنة (حسب السن) ويتم فيه فحص النظر والسمع وضغط الدم وما الى ذلك .

ب ـ فحوص مركزة تقام في فترة تتراوح بين سنة وخمس سنوات (حسب السن) يفحص فيها القلب والصدر والسمع .

مركز تدريب الطاقم الطائر

تحرص مؤسسة الخطوط الجوية الكويتية على أن تولي اهتماما كبيرا لأمور التدريب ، ولكل ما من شأنه تطوير ورفع كفاءة ومقدرة العاملين لديها اداريا وفنيا .

وانطلاقا من هذا الاهتمام تم تطوير وتحديث مركز التدريب ، لكي يتمكن من أداء عمله على الوجه الاكمل . وقد جاء انشاء مركز تدريب طاقم الطائرة تتويجا لانجازات المؤسسة في مجالات التدريب . وقد اتخذ قرار انشائه بعد أن أصبح وجود مثل هذا المرفق الحيوي ضرورة تمليها ظروف ارتفاع تكاليف التدريب الفني في الخارج . ويضم هذا المركز أربعة أقسام رئيسية ، يستخدم اثنان منها لعمليات تدريب الطيارين والاقسام الاربعة هي :

١ ـ قسم أجهزة الملاحة التشبيهية ، وأجهزة التدريب على غرف القيادة التشبيهية .

٢ ـ قسم أجهزة التدريب السمعي والبصري وأنظمة ايضاح الخطوط .

٣ ـ قسم تدريب الطوارىء

٤ ـ قسم المدرسة الأرضية .

وقد تم تزويد هذا المركز بأجهزة متطورة منها جهاز ملاحة تمثيلي متحرك لطائرة ٧٤٧ ، وجهاز تدريب ملاحي لغرفة قيادة الطائرة ٧٠٧ . ووجود هذه يغني عن استخدام الطائرات في عمليات التدريب وبالتالي يوفر تكاليف الوقود والصيانة .

ويضم المركز كذلك أجهزة حديثة لتعريف الطيارين بالمطارات المختلفة في العالم ، وأجهزة للتدريب السمعي والبصري ، ومختبر للتصوير ، ومجسم للطائرة ٧٤٧ ، وآخر للطائرة ٧٢٧ وهما يستخدمان لتدريب أطقم القيادة والخدمة على أعمال اخلاء الركاب في الحالات الطارئة برا وبحرا . وقد استطاع هذا المركز أن يقدم خدماته لعشرات من طياري الكويتية ومهندسيها منذ افتتاحه في مارس ١٩٨٣ .

الصيانة قديما وحديثا

كانت الصيانة قديما تتم بوسائل بسيطة تتناسب وحجم الشركة وما لديها من طائرات عند بدء تشغيلها .

أما الآن فتتكون ادارة الهندسة من ١٥ قسما ما بين أقسام

فنية وادارية ، يتولى ادارتها جميعا فنيون مؤهلون من الشباب الكويتي الذين تدرجوا في المناصب القيادية ، بعد أن اكتسب كل منهم الخبرة والتأهيل المطلوبين.

إن أعمال دائرة الهندسة ذات طبيعة فنية بحتة ، وتبعا لذلك فهي تتولى صيانة الطائرات وأجزائها ومختلف أجهزتها من ميكانيكية واليكترونية ، فضلا عن أجهزة الاتصال والمراقبة والملاحة الجوية ، وقبل كل ذلك صيانة محركاتها وتعميرها .

ولا يقتصر نشاط دائرة الهندسة على أعمالها في الكويت ، وانما يتعداه الى الخارج ، فعند التعاقد على شراء أية طائرة تبدأ مهمة دائرة الهندسة ، اذ تتولى بواسطة فريق فني مقيم مهمة مراقبة بناء تلك الطائرة في المصنع ، واختبار الأجهزة الازمة لها ، والاشراف على تركيبها في الطائرة ، حتى تستكمل وتسلم الى المؤسسة .

وتقوم الاداره ـ كذلك ـ بصيانة طائرات المؤسسة في المحطات الخارجية ، وبأعمال الصيانة الفورية لطائرات الشركات الاخرى التي تمر بمطار الكويت .

التاكس الجوي !

قد يبدو تعبير « التاكسي الجوي » غريبا عند من لا يتابعون أخبار الطيران بانتظام . والتاكسي الجوي هو طائرة صغيرة نسبيا من ذوات المحركين ، تتسع لعدد محدود من الركاب . وكانت الغاية من توفيرها هي تقديم خدمات ضرورية وسريعة لقطاع رجال الاعمال ، الذين لا يستطيعون انتظار مواعيد الطيران العادية .

وقد بدأ التاكسي الجوي خدماته في مطلع ديسمبر من عام ١٩٨٢ بطائرتين من طراز هوكر سيدلي ١٢٥ ـ ٧٠٠ ، وكل منها مجهزة بأثاث فاخر وتلفزيون وفيديو ووسائل اتصال تتيح لرجل الاعمال الاتصال بجميع أنحاء العالم . ويقوم التاكس الجوي بخدمات حيوية اخرى ، فهو قابل للتحويل الى طائرة اسعاف يمكن تجهيزها على الفور بكل المعدات والأدوات الطبية اللازمة لنقل المريض من مكان الى آخر .

وقد تم في عام ١٩٨٣ نقل ست كلى حية من الخارج لزرعها في أجساد مرضى تتوقف حياتهم عليها . كما قام التاكسي بثلاث رحلات اسعاف جوي .

وحدة تموين الطائرات بالوجبات

تأسست هذه الوحدة في أكتوبر من عام ١٩٨١ باعتبارها شركة مساهمة تمتلك الكويتية كامل أسهمها . وقد بدأت باكورة أعمالها بتشغيل وحدة التموين في يناير عام ١٩٨٣ ، وفي الاسابيع الاولى من تشغيل وحدة التموين اقتصرت أعمالها على تزويد المؤسسة باحتياجاتها ، ولم تلبث تدريجيا أن استقطبت معظم الشركات العاملة في الكويت لتزويدها بما تحتاج اليه ، لذلك فقد وصلت طاقتها الانتاجية الى ١٥٠٠٠ وجبة بدلا من الـ ١٠٠٠٠ وجبة التي بدأت بها .

ويعتبر مطبخ الوحدة من أحدث المطابخ المتوفرة لدى شركات الطيران ، وهو مجهز بمعدات متقدمة ، يتولى ادارتها والاشراف عليها فنيون مختصون من ذوي الخبرة ويستطيع انتاج مختلف الوجبات بطرق طهي متنوعة ، منها العربية والهندية واليابانية والفرنسية وغيرها .

وهناك مشروع انشاء مطبخ لتموين الطائرات بالوجبات مقره لندن يغطي احتياجات طائرات المؤسسة هناك ، وغيرها من طائرات شركات الطيران الراغبة في وجبات معدة وفقا للشريعة الاسلامية .

وقد قامت العربي برحلة استطلاع خارجية أردنا أن نستطلع من خلالها أوضاع محطات اقامتها مؤسسة الخطوط الجوية الكويتية في الخارج . فهناك مكتب في القاهرة وثان في لندن وثالث في باريس ومكاتب أخرى في مختلف عواصم العالم . . إنها أعلام الكويت خارج حدودها ، والواجهة التي تطل المؤسسة من خلالها على العالم وتنقل اليه ومنه حضارة وعلما وثقافة كانت إلى عهد قريب بمنأى عنا . □□

■ في فترة الخطبة يتكلم الشاب وتصغى الفتاة . . . وعند الزواج تتكلم العروس ويصغى العريس . . أما بعد ذلك فيتكلم الزوج والزوجة . . ويصغى الجيران . .

(مثل عصرى)

الجاحظ

أكبر ساخر في الأدب العربي

■ للاديب بين أهل الفن ، أكثر من وسيلة تجعله ضرورة في حياة الافراد والجماعات . فقد يمكنه ، كما أمكن راسين وشكسبير ، ان يدرك الكمال الفني في وجه من وجوه التوحيد الجليل بين موسيقية اللفظة والعبارة والنظرة الدراماتيكية الى الكائنات .

وقد ينحو نحو باسكال في أن يستشف مصير الانسان ، عاريا تام العرى ، إزاء قوة من قوى الوجود يريدها مطلقة آخذة في الزمان أزلا وأبدا .

أو يضرب العالم بفرشاة من صنع يديه ، كما فعل بلزاك ، فينفض عنه ما علق به من غبار ، ويحاول أن يعيد تكوينه من جديد ، فيُكيِّفه بقوة ويفصله ، ويبنيه على نحو يجده به جديرا وان كلف ذلك الفن واشكاله المقررة ما لا يطيق .

وهنالك صور أخرى ووسائل كثيرة تنطبع بمزايا أهل الفن واصالتهم في التفكير والنظر الى الامور وتنبع من معينهم .

أما ممثل السخرية الاكبر في الأدب العربي قديمه وحديثه فأبو عثمان عمر ابن بحر الملقب بالجاحظ لا جدال في ذلك .

السخرية في اسلوب الجاحظ هي المظهر الذي يحتشد فيه النصيب الاوفر من الجمال الفني . وهو يلازمه على صيغ واشكال تتفاوت بين ظهور واختفاء ، أو بين تصريح وتلميح ، وقبل أن نتبسط بعض التبسط في الكلام عن أشكال هذه السخرية لابد من الالمام بمذهب بينه وبين السخرية صلة قوية وان اختلفت فيهما الغاية احيانا ، واختلف عليهما الدافع ، وأعني : الضحك والأضحاك .

فالضحك والاضحاك في شخصية الجاحظ وفي أدبه شيء يرتبط بها ارتباطا وثيقا دائما . وهو لديه مظهر من مظاهر الخفة والظرف البريئين من الخيانة والتهكم . ولا غاية لهذا الشيء الا الايناس وادخال البهجة في القلوب

واشاعة روح المرح للتقوية والتنشيط . وصاحبنا مولع بالضحك والاضحاك الى حد بعيد . وهو بذلك من طبقة أولئك الذين لا ينظرون الى الحياة والناس الا من الناحية المشرقة الحسناء . وقد تيسرت له اسباب الضحك والاضحاك في طبعه وشكله جميعا . أما شكله ففيه من الشوهة ما يعينه على أن يضحك على نفسه ويضحك معه الناس . وأما طبعه فهازل مازح ظريف . وطالما استغل الجاحظ خلقته المشوهة فجعلها مصدرا لهزله السمح الخفيف . من ذلك ما يرويه من أمر تلك الصبية الحسناء التي طرقت بابه وأمسكت بيده تجره الى احد الصاغة فينقاد معها اليه حتى اذا كانا ببابه قالت الصبية للصائغ وهي تشير الى وجه الجاحظ : « مثل هذا » ثم افلتت وتوارت عن عينيه . فاستغرب الجاحظ امرها ولم يفهم منه شيئا .

فاستخبر الصائغ ، فقال له : لقد أوصتني هذه الصبية أن اصنع لها خاتما عليه صورة شيطان . فأنكرت ذلك لأني لم أر في حياتي شيطانا فأصوره على الخاتم فأسرعت اليك وأتت بك ودلتني على وجهك . ثم اليك ما يخبرنا به يوم دعاه المتوكل العباسي لتأديب بعض ولده ، يقول : « ذكرت للمتوكل لتأديب بعض ولده ، فلما رآني استبشع منظري فأمر لي بعشرة آلاف درهم وصرفني » .

وهو اذا ضحك على نفسه واضحك الناس ، فما كان ليفوته ان يداعب الآخرين ما امكنه ذلك ، وان يلهو بهم ، يساعده في ذلك ذكاؤه النادر وقوته في الفراسة وادراك الطبائع والميول . وكثيرا ما كانت النكتة تجلب له الاذى الشديد فلا يكف عنها بالرغم من ذلك . فهو بين العامة صاحب نكتة وظرف وان اغلظوا له في القول . وهو في مجالس الخاصة ودواوين الخلفاء صاحب نادرة كذلك ، لا يتخلى عنها ولا تتخلى عنه . ولا تفارقه هذه الروح المرحة الضاحكة حتى في ساعة احتضاره .

وقد بلغ به العبث الظريف انه كان يجالس البخلاء فيستمع الى أحاديثهم ويأخذ حججهم ، ثم يخترع ما لم يقولوه من النكتة النادرة والخبر المرح فينسبه لهم امعانا منه في التسلية والاضحاك .

هذه خلاصة لحقيقة الضحك ومعناه عند الجاحظ . أما السخرية ، فشروطها غير الشروط ، وان قرُبت الصلة . وطبيعة هذا الاختلاف في الشروط والغايات انما تجري من طبيعة الفرق بين الضحك والسخرية . فالضحك لهو وتسلية وميل عن جد الحياة وما فيها من قساوة ويبس وجفاف ، فهو بذلك بريء من القوارص واللواذع ، ولا يقصد الا لذاته . أما السخرية فأكثر تشعبا من حيث المصدر والغاية والمحتوى جميعا .

أما طريقها فمنه أن تقول قولا وانت تقصد ضده . وقد يكون ذلك واضحا كل الوضوح ، وقد يكون باطنا خفيا لا يدركه الا اهل المزاج الخاص .

أما من حيث المصدر فقد تكون السخرية اسلوبا تلبسه فكرة مرحة مسرورة . وقد يكون معطفا تتدفأ فيه بهجة روحية صافية . وقد يكون قالبا يفرغ فيه رأي جليل ، أو صورة طريفة أو حس عميق من أحاسيس النفس . وقد يكون مفرغ بأس او محط كراهية أو صيغة من صيغ الغضب والنفور وهو بذلك كله تعبير أصيل عن خواطر الفنان الساخر وما يثور في نفسه من عواطف وأفكار اذ يصطدم بالمجتمع واحواله والناس وأشيائهم .

جورج جرداق

الصدفية الشائعة قد أصابت الركبتين

الصّدَفيّة ..

مـرض مجـهـول الأسـبـاب

للدكتور : محمد عبدالله المشاري

□ الصدفية مرض مجهول الأسباب يصيب جلد الانسان . . . . . . يخفف منه انه من الأمراض غير المعدية ولا يهدد حياة المصاب . . . فماذا تعرف عنه . . وهل يمكن القضاء عليه ؟

يعتبر مرض الصدفية من أكثر الأمراض الجلدية انتشارا ، إذ يعتبر ٢٪ من سكان العالم معرضين للاصابة بهذا المرض ، ولكن هناك تفاوت في معدلات الاصابة حيث تعتبر امكانية الاصابة به أقل عند اليابانيين والهنود الحمر والزنوج الأمريكان . بينما تزداد نسبة الاصابة بهذا المرض في بعض دول شرق أفريقيا .

مرض الصدفية يصيب الرجال والنساء ، ونسبة الاصابة في الأطفال ما دون خمس سنوات قليلة .

ولكن بعض البحوث تفيد بأن العوامل الوراثية والاستعداد الشخصي يؤديان الى ظهور هذا المرض .

العوامل المساعدة في ظهور المرض

١ ـ الاحتكاك : وجد أن مرض الصدفية يزداد في الأماكن التي يكثر فيها الاحتكاك ، لذا تجد أن أكثر الأماكن تعرضا للاصابة بمرض الصدفية ، هي منطقة الركبة والكوع وأسفل الظهر ، ووجد أيضا أن المرض يمكن أن يظهر في الجروح القطعية والندبات وفي أماكن التطعيم .

٢ ـ الالتهابات : وجد أن هناك علاقة بين أحد أنواع مرض الصدفية ، وهو الصدفية المنقطة والالتهابات البكتيرية السبحيه ويكثر هذا النوع من الصدفية عند الأطفال ، حيث وجد أن المرض يسبق عادة بالتهابات الجهاز التنفسي ، وخصوصا التهاب اللوز . ووجد أن هذا النوع من مرض الصدفية يتحسن بمعالجة هذه الالتهابات باستعمال المضادات الحيوية .

٣ ـ الادوية : هناك بعض أنواع من الأدوية قد تؤدي عند تعاطيها الى ظهور مرض الصدفية ، منها الأدوية التي تستعمل لعلاج مرض الملاريا وخصوصا كلوروكوين ، وكذلك عند استعمال دواء ليثيم **Lithium** وهذا الدواء يستعمل في علاج بعض الأمراض النفسية .

صدفية محدودة في منطقة الركبة

٤ ـ إن العامل النفسي له دورهام وبارز في حالات الصدفية ، حيث وجد أن ٤٤٪ من المرضى المصابين بالصدفية تزداد عندهم حدة المرض عند التعرض لازمات نفسية حاده أما تفسير ذلك فغير معروف .

٥ ـ المناخ : وجد أن ٧٨٪ من حالات الصدفية تتحسن عند التعرض للشمس ، لذا نرى أن لأشعة الشمس ولا سيما الأشعة فوق البنفسجية دورا في علاج حالات مرض الصدفية .

٦ ـ العلاقة بين هذا المرض والهرمونات مجهولة ، ولكن وجد أن مرض الصدفية يتحسن أثناء فترة الحمل ، ولكن المرض يظهر ويزداد مقاومة للعلاج بعد فترة الحمل .

أعراض المرض

المرض يظهر على هيئة بقع محددة الأطراف ، حمراء اللون ، جافة ، مغطاة بقشور بيضاء فضية ، عند ازالة هذه القشور بشريحة زجاجية نجد أن الجلد رقيق وأحمر اللون وفيه نقط دموية صغيرة .

هناك أنواع عديدة من مرض الصدفية . وأهم هذه الأنواع ما يأتي :

١ ـ صدفية الثنايا حيث يصيب المرض منطقة ما تحت الابط والعانة وأعلى الفخذ ، وتحت الثدي ، وما بين الأليتين حيث يظهر المرض فقط في هذه الأماكن أو قد يصاحب بظهور الأعراض في مناطق اخرى من الجسم ، وهذا النوع من مرض الصدفية ، يصعب تمييزه من مرض التهاب الغدد الدهنية ، وتصاحب الحالة عادة تسلخات وتشققات في الجلد ، وذلك لكثرة احتكاك الجلد في هذه المنطقة ، لهذا يكون الجلد معرضا في هذه الحالات لالتهاب بكتيري ثانوي . ومن الملاحظ في هذا النوع من مرض الصدفية أنه يصاحب بحكة ولكن القشور البيضاء الفضية ـ وهي احدى مميزات مرض الصدفية ـ غير موجودة في هذه الحالة .

٢ ـ الصدفية المنقطة : يتميز هذا النوع من مرض الصدفية بالظهور عند الأطفال ، حيث يسبق ظهور المرض التهاب بكتيري سبحي وخصوصا التهاب اللوزتين ، ويختفي هذا المرض عادة بعد الشفاء من الالتهاب البكتيري . وأعراض المرض هنا هي نفس أعراض مرض الصدفية ، ولكن حجم الاصابة صغير بحجم حبات المطر ، حيث تغطي جزءا كبيراً من الجسم خصوصا منطقة الجذع .

٣ ـ الصدفية الشائعة : وهي أكثر أنواع مرض الصدفية انتشارا ، حيث تكون الاصابة دائرية أو بيضاوية وتأخذ أحجاماً مختلفة . أما الاصابة فقد تكون واحدة أو عديدة ، وهي تظهر عادة في الركبة والكوع والجذع والرأس .

٤ ـ الصدفية الصديدية : يتميز هذا النوع من مرض الصدفية بوجود تجمعات صديدية عقيمة تتركز في منطقة البشرة من الجلد ، وهذا النوع من الصدفية يتخذ شكلين :

١ ـ الصدفية الصديدية المحدودة .

٢ ـ الصدفية الصديدية المنتشرة .

يتميز النوع الأول بانه عادة يصيب باطن اليد والقدم ، بينما يعتبر النوع الثاني قليل الحدوث ، وقد يكون قاتلا كذلك ، حيث يظهر فجأة عند المرضى المصابين بالصدفية الشائعة أو صدفية المفاصل أو الصدفية المتقشرة ، وفي ٣٠٪ من حالات الصدفية الصديدية المنتشرة وجد أنه يظهر عند التوقف عن استعمال مادة الكورتيزون بينما وجد أن بعض الحالات تظهر عند تعرض المريض الى التهابات حادة أو عند الحمل .

٥ ـ صدفية الأظافر : وجد أن ٥٠٪ من مرضى الصدفية ، يصابون كذلك بصدفية الأظافر ، أو قد تصاب الأظافر فقط من دون الجسم . وتكون الاصابة بالغة عادة عندما يصاب المريض كذلك بصدفية المفاصل .

٦ ـ الصدفية الاحمرارية : هذا النوع من الصدفية يحصل عند المرضى المصابين بالصدفية الشائعة في العادة وذلك بعد استعمال الأدوية الموضعية المهيجة ، ويميز هذا النوع بانه مصحوب بحكة .

٧ ـ صدفية المفاصل : تكون الاصابة في المفصل الأخير من الأصابع ، ووجد أن ٣٢٪ من الحالات تكون مصحوبة بالصدفية الشائعة .

هذا ويمكن القول بأن هناك أنواعاً كثيرة من هذا المرض . لكننا تعرضنا في هذا المقال الى اهمها .

لقطة مكبرة للصدفية

مضاعفات مرض الصدفية

يعتبر مرض الصدفية من الأمراض غير المعدية . ولا يهدد حياة المريض . ومضاعفات هذا المرض نادرة الحدوث :

١ ـ تأثير هذا المرض على وظائف الكبد والكلى وهو من أكثرها أهمية ، وهذا يحدث في الصدفية الاحمرارية والصدفية الصديدية ، ولحسن الحظ فإن هذين النوعين من مرض الصدفية نادرا الحدوث .

٢ ـ حدوث التهابات جلدية حادة ، وخصوصا عند استعمال مشتقات الكورتيزون الموضعية ، حيث تزداد فرصة الاصابة بالتهابات بصيلات الشعر ، وتعتبر صدفية الثنايا ، أكثر أنواع مرض الصدفية استعدادا للاصابة بالالتهابات ، خصوصا عندما يصاب الجلد بتشققات وتسلخات .

٣ ـ حدوث حساسية ناتجة من استعمال الادوية الموضعية ، وهذا قد يحصل مع مرض الصدفية أو أي مرض آخر .

وهناك امكانية لحدوث مضاعفات اخرى ، ولكنها نادرة الحدوث ، لذلك ليس هناك داع لذكرها، ومن الصعب جدا أن نتنبأ بسير هذا المرض ، ففي معظم الحالات يحصل تحسن أو اختفاء للمرض حتى دون استعمال الادوية ، وقد تزداد الحالة سوءا مع عدم وجود سبب ظاهر .

أما الجديد في علاج مرض الصدفية .. وهو الدواء الذي تم اكتشافه حديثا ، من أحد مشتقات فيتامين « أ » الصناعية ، فهو يستعمل في علاج الحالات الشديدة المزمنة ، التي لا تستجيب للعلاج الدارج لمرض الصدفية ، ولكن لهذا الدواء أعراضا جانبية حادة ، منها اضطراب في وظائف الكبد وآلام في المفاصل وتساقط الشعر والتهاب الشفاه وحكة في الجلد ... □□

سلامة البشرية

في سلامة البيئة

«الأمطار الحمضية»
القضية البيئية الكبرى

هل تعرف حامض الكبريت وتدرك مخاطره . . ؟ انه السائل الزيتي الذي لالون له ، والذي تتخذ كافة الاحتياطات في خزنه ، وحين استعماله في المختبرات ومصانع البطاريات . . ولاعجب فهو يفحم او يحرق الكثير من المواد ، وبسبب التآكل الشديد للمواد التي لا يحرقها ، ويتفاعل بعنف مخيف مع الماء ، ويولد حرارة عالية في تفاعله مع سائر المواد ولا سيما الماء . . ولعلنا في غير حاجة للقول انه سام ، بل إنه السم بعينه بعد ذكر ما ذكرنا . . وما الأمطار الحمضية التي كثر الحديث عنها في السنوات الاخيرة ، الا خليطا من الماء وحامض الكبريت أو مشتقاته . يهطل على الأرض فيتلف الأشجار ، ويسمم البحيرات والانهار ، ويقضي على الثروة السمكية فيها . . وينزل أيضا على البحار والمحيطات ، فيقضي على البلانكتون وهي العوالق التي تعيش عليها أكثر أحياء البحار ، ويقضي أيضا على طائفة كبيرة من هذه الاحياء ، سموه « الكيمياء المجنحه » او الطائرة وكان الأجدر بهم أن يسموه السموم المتقفه . .

ولعل أول ما يذكر عن المطر الحمضي أن المصانع عامة ومولدات الكهرباء خاصة ، لا سيا تلك التي تستعمل الفحم الحجري وقودا ، هي المسؤولة عنه . . . فثمة أكاسيد عديدة تتصاعد من هذه وتلك . . ونخص بالذكر منها ثاني اكسيد الكبريت . . ولا تلبث هذه الغازات المتصاعدة أن تتفاعل مع الماء في الغيوم لتسبب الأمطار الحمضية . . هذا إن لم تعد تلك الغازات الى سطح الارض رواسب جافة . . ويتضح ذلك كله بالرسم المرفق ، الذي سبق أن نشرناه أكثر من مرة ، والذي نعيد نشره بغية الايضاح ، ولعدم ظهور ما هو خير منه حتى الآن .

ومن طريف ما يذكر أن ارباب الصناعة ، وأسياد التكنولوجيا ، عمدوا الى جعل مداخن المصانع عالية مرتفعة بقدر الامكان ، حتى بلغ طول بعضها ٨٠٠ قدم أو يزيد . فقد تحسوا مخاطر الغازات التي تتصاعد من مصانعهم ، وظنوا أنهم يضمنون القضاء على تلك المخاطر ، اذا تخلصوا من تلك الغازات في طبقات الجو

ـ تبين هذه الصورة كيف يموت الشجر بسبب الامطار الحمضية .

رسم يوضح الأمطار الحمضية .. آفة البيئة الاولى في القرن العشرين .

العليا ، بواسطة المداخن العاليه .. وقد ثبت مؤخرا أن العكس هو الصحيح .. فالمداخن المرتفعة هي التي تقذف الغازات عاليا ، على مقربة من الغيوم .. وهي التي تضمن تحولها الى أمطار حمضية ، لا القضاء على مخاطرها ..

ولا يخفي أننا وسائر الشعوب المتخلفه ، لم تتعرض بعد للامطار الحمضية .. فهي وقف على الدول الصناعية المتقدمه .. كالولايات المتحدة وألمانيا وبريطانيا وغيرها ... فالتنمية الصناعية اذن شر لا بد منه وثمنها باهظ ويشمل فيما يشمل الأمطار الحمضية ..

وقد تكون المانيا في طليعة الدول التي لحقت بها أضرار الأمطار الحمضية ، فأحراشها الخضراء الرائعة في الغابة السوداء وغيرها ماتت تماما أو كادت بسبب المطر الحمضي . وقل مثل ذلك في الولايات المتحدة ، وقد أدت

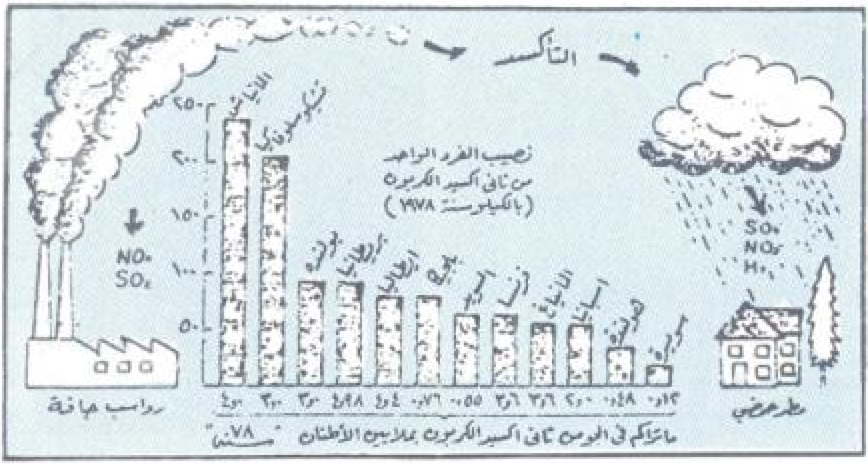

الأمطار الحمضية الى تسميم ماء البحيرات والانهار فيها ، والقضاء على ثروتها السمكيه .. ويصدق ذلك على بريطانيا أيضا ، حيث أتلفت الأمطار الحمضية التربة نفسها والمياه الجوفيه أيضا .. على أن أمطار بريطانيا الحمضية ، تسببت بالاضرار في البيئة ، لا في بريطانيا وحدها وانما في النرويج وسائر البلاد الاسكندنافيه أيضا ..

فالامطار الحمضية أذن سلعة تصدير .. تصنع في لندن لتهطل في أوسلو .. وتصنع في نيويورك لتهطل في كندا !

محكمة البيئة الدولية

يعيش الغرب ثورة بيئية عارمة .. ظهرت بوادرها قبل ثلاثين عاما ، أو تزيد . ومع ذلك فقد جادت بثمار طيبة فاقت كل التوقعات .. اذ أصبح للبيئة في شتى بلدان الغرب وزاراتها ودوائرها وقوانينها وتشريعاتها والمشاريع الضخمة العاملة على حمايتها .. وأصبح للبيئة أيضا أحزاب سياسية خاضت غمار الانتخابات وظفرت بمقاعد في ألمانيا الغربية وسواها .. وكانت محكمة البيئة الدولية آخر تلك الثمرات .. وقد عقدت جلستها الأولى في الثالث من شهر اكتوبر الماضي (١٩٨٣) وفي مدينة روتردام بالتحديد .

ولم تختلف تلك المحكمة عن سواها في الظاهر .. فقد ضمت المدعي والمدعى عليه ونظرت في التهم التي وجهها الأول الى الثاني .. إلا أن المدعي في محكمة البيئة الدولية كان من المواطنين (الاوروبيين) أو الهيئات التي تمثلهم .. والمدعى عليه كان من الحكومات .. أي أن الذي كان موضع الاتهام والمقاضاة فيها لم يكن من الجناة العاديين .. وانما من الحكومات ... ست حكومات بالتخصيص هي : حكومة المانيا الغربية وسويسره وهولنده وفرنسا ولوكسمبورغ .. فضلا عن حكومة ألمانيا الشرقية .. وضم قفص الاتهام بالاضافة الى هذه الحكومات عددا كبيرا من الشركات الدولية .. ٤٥ شركة بالتمام ..

أما التهم فكانت تلويث مياه نهر الراين تلويثا خطيرا ، والاخلال بالتوازن البيئي ، وتعريض حياة كثرة كبيرة من الانسان والحيوان للخطر .. وقد وجه تلك التهم جماعات أو هيئات بيئية مختلفة قوامها أفراد ومواطنون تطوعوا للعمل من أجل حماية البيئة ومكافحة التلوث بمحض اختيارهم ..

ولعلك تسأل عن هيئة المحكمة الدولية التي نظرت في قضيتها البيئية الأولى في مطلع شهر اكتوبر الماضي ... لقد ضمت تسعة أعضاء .. منهم الاساتذة الجامعيون المختصون في علم البيئة أو الايكولوجيا والعلماء المختصون في علم السموم ، فضلا عن رجال القانون .. وكان أحد أولئك الاعضاء العضو المنتدب من المجلس التنفيذي لمنظمة الصحة العالمية .. أما رئيس المحكمة فكان بريطانيا .. هو الايرل كرانبروك **Cranbrook** عضو مجلس اللوردات وكذلك أحد الاعضاء البارزين في الهيئة الملكية الخاصة بشؤون البيئة والتلوث في بريطانيا .

عشبة بحرية عجيبة

من أخبار العلم الطريفة نبأ عشبة بحرية يابانية الاصل ظهرت فجأة في مياه سواحل بريطانيا الجنوبية .. وذلك قبل عشر سنوات .. وطاب للعشبة اليابانية Sargassum Muticum المقام في القنال الانجليزي فراحت تنمو بسرعة كبيرة ، ان لم نقل خارقه .. بلغت حوالي قدم في اليوم الواحد . !

ولما كانت هذه العشبة سبب ازعاج ومضايقة للقوارب الصغيرة انطلق العلماء يبذلون الجهود بقصد احتوائها أو القضاء عليها ولكن محاولاتهم باءت بالفشل . وواصلت العشبة نموها وراحت تمتد وتتفرع في شتى الاتجاهات في تحد وعناد .

ويقول المستر بيتر جرانت ، وهو العالم الذي كلفته دائرة البيئة البريطانية باجراء ابحاث حول العشبة المذكورة ، يقول : لاأعتقد اننا نستطيع عمل شيء وذلك لعدم وجود شيء يمكن عمله فالعشبة ستواصل نموها حتى تلف سواحل بريطانيا ، سواء شئنا أو أبينا .. وعلينا ان نتعايش مع العشبة اليابانية ..

وتجدر الاشارة الى أن هذه العشبة لا تفيد ولا تصلح لأي شيء يذكر .. حقا قد تصلح سمادا للنبات ولكن ثمة اعشابا بحرية أخرى تمتاز عنها في هذا الصدد .

أثبتت آخر الدراسات ان ماء الشرب بات ملوثا أو مهددا بالتلوث في دول متقدمة مختلفة .. من بينها الولايات المتحدة الامريكية .. التي طالما فاخرت بنظافة ماء الشرب فيها .

تلوث الماء

مازالت المدن والقرى في العالم العربي ـ أكثرها ان لم نقل كلها ـ تلقي بقاذورات البلاليع وفضلات الانسان في شتى الأنهار والبحيرات ، فضلا عن البحار ، وتعاني بالتالي من تلوث ماء الشرب تلوثا خطيرا .

ذلك أن البكتيريا التي توجد في تلك القاذورات والفضلات ، من شأنها أن تمتص أكسجين الماء ـ ماء الانهار والبحيرات العذب ـ وبذلك تفقد تلك الأنهار والبحيرات الحياة ، وتتصاعد منها رائحة كريهة ، وتصبح هي ومياهها خطرا كبيرا على صحة الانسان .

ولئن كان صب تلك القاذورات والفضلات في البحار أقل خطرا ، الا أنه خطير وخطير جدا على كل حال ، وتزداد خطورته في البحار التي لا تتعرض لكثير من المد والجزر أو الرياح ، كما هي الحال في البحر المتوسط فالكثير من شواطئه (٢٠ ٪ منها) ملوث ويحظر الاستحمام فيه .. والكثير من أسماكه (٩٥ ٪ من بعض الأنواع) يمنع أكلها بسبب تلوثها والاضرار البالغة التي تلحقها بصحة الانسان .

على أن تلوث البحر المتوسط هذا لا يرقى الى مستوى تلوث ماء الشرب العذب من حيث الخطورة ، ولا سبيل الى حياة سوية الا بالقضاء على هذا التلوث ، ولا سبيل للقضاء عليه الا بمعالجة قاذورات البلاليع وفضلات الانسان وتحييدها على نحو حاسم وفعال .

وهذه المعالجة ليست جديدة ، وقد أصبحت من منجزات الأمس البعيد في كافة الدول المتقدمة ، أي أن شعوب هذه الدول نعمت بشرب ماء نظيف غير ملوث منذ سنوات عديدة . ولعل الواجب الأول والملح الذي يقع على عاتق الحكومات العربية هو اقامة المصانع الخاصة بمعالجة القاذورات والفضلات ، دون أي تأخير .

فالحديث عن سلامة الصحة وتنمية الموارد وحماية البيئة يبقى حديثا غير ذي موضوع ان لم نقل أجوف ، مالم يتم القضاء على تلوث ماء الشرب .

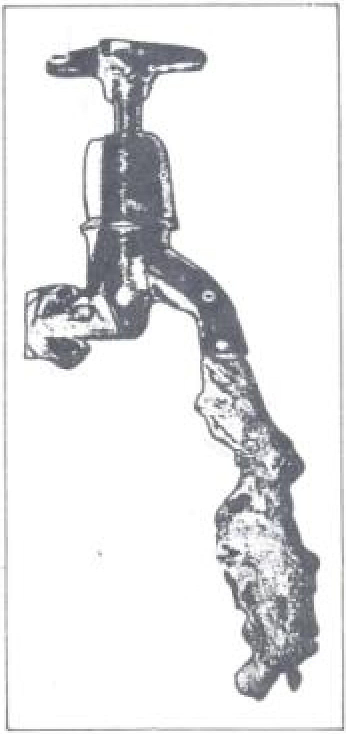

من مخاطر التدخين والادمان

تدل بعض الدراسات العلمية الدقيقة على أن التدخين يضاعف احتمالات الموت بسبب سرطان الرئة ثمانية أضعاف اذا بلغ عدد السجاير التي يدخنها المرء (١٠ ـ ١٢ سيجارة) يوميا .. أما اذا بلغ عددها ٤٠ سيجارة في اليوم فان تلك الاحتمالات تتضاعف ٢٠ ضعفا .. وذلك بالمقارنة مع الذين لايدخنون ..

أما الادمان على الخمرة .. فقد دلت دراسات علمية أخرى على أن شرب مايزيد على ٤ كؤوس من الويسكي الاسكتلندي ـ أو مايعادل ذلك ـ كفيل بالاصابة بسرطان الكبد ان عاجلا أو آجلا . □□

بين الأسماء والصفات

بقلم : محمد خليفة التونسي

أليست الصفات أسماء ؟ لو قلنا : « بل هي اسماء » أو قلنا : « نعم ، ليست باسماء » ـ لجاز أن نعد كلا الجوابين خطأ وكلاهما صحيحا . ولا لغز في الامر ، واليك البيان .

من الحكايات القديمة في بيان نشأة النحو ، حكاية رقعة كتبها الامام علي ـ كرم الله وجهه ـ ثم دفعها الى مريده التابعة أبي الأسود الدؤلي ، وكان فيها « الكلام كله اسم وفعل وحرف ، فالاسم ما أنبأ عن المسمى ، والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى ، والحرف ما أوجد معنى في غيره » ثم فيها « واعلم أن الأسماء ثلاثة : ظاهر ، ومضمر ، واسم لا ظاهر ولا مضمر ، وانما يتفاضل الناس ـ يا أبا الأسود ـ فيما ليس بظاهر ولا مضمر[1] » .

وكلنا نعلم أن النحاة ـ منذ نشأة النحو حتى عصرنا الحاضر ـ قد توقفوا عند هذا التقسيم الثلاثي للكلمات ، فلم يغيروا منه شيئا ، الا انهم استثنوا بعض تراكيب وبعض مفردات تحيروا في ضمها الى قسم الاسم ، أو قسم الفعل ، فلم يتفق لهم وضعها في هذا ولا هذا بحسب ما حددوا في مميزات كل من القسمين ، فسموها « اسماء أفعال » وهذه تسمية عجيبة تدل على الاضطراب والخلط ، وكان ينبغي لهم أن يختاروا لها مصطلحا خاصا بها فتكون الاقسام أربعة لا ثلاثة ، وهذا ما فعله العلامة الفراء ، اذ سماها « خالفة[2] » لكن النحاة لم يتابعوه ، فابقوا على التقسيم الثلاثي كما ابقوا على التسمية المضللة « اسماء الافعال[3] » .

لقد وضعوا في قسم الاسماء أنواعا كثيرة من الكلمات ، منها الصفات ، ومنها الضمائر وما اليها من المبنيات ، ومنها الظروف ، وكان ينبغي لهم أن يميزوا بين بعض هذه الانواع وبعض ، وبينها وبين أنواع غيرها ، وان يجعلوا لكل نوع منها اسما خاصا به ، على وفق ما

---

(١) في نزهة الألباء لكمال الدين الانباري (ص ٤ ـ ٥) اشارة الى أن الامام عليا أراد بما ليس بظاهر ولا مضمر ـ الاسم المبهم ، ويدخل فيه بعض ما يسميه النحاة اسماء مبنية ، كالضمائر والموصولات . . .

(٢) وقد اضطرب أئمة النحاة في تسمية هذا النوع من الالفاظ واشتد خلافهم في نوعها وفي اعرابها كما جاء في الأشموني ، في باب « اسماء الافعال والاصوات » واشار الى قول بعضهم فيها انها « قسم برأسه يسمى خالفة الفعل » أي تنوب عنه في الدلالة على معناها بين ماض ومضارع وأمر .

(٣) يذكرون في هذا الباب مفردات وجملا ، فالمفردات مثل « شتان » بمعنى افترق ، و « هيهات » بمعنى بعد « وأف » بمعنى أتضجر ، « ووى » و « واها » بمعنى أعجب ، كقوله تعالى « وى كأنه لا يفلح الكافرون » وقول ابي النجم العجلي (أموى) ،

واها لسلمى ، ثم واها واها
هي المنى لو أننا نلناها

والتراكيب أو الجمل مثل : « وراءك » بمعنى تأخر ، « وأمامك » بمعنى تقدم و « مكانك » بمعنى اثبت ، ويقسمونها ثلاثة اقسام على وفق ما فهموا من معانيها من أفعال ، فيعدون بعضها اسم فعل ماض ، مثل : « شتان وهيهات » وبعضها اسم فعل مضارع مثل : « أف » و « واها » وبعضها اسم فعل أمر مثل : « وراءك » و « أمامك » ويلاحظ أن كل جملة هنا تتكون من كلمتين ، مع أن البحث ينحصر في نوع المفردات لا الجمل أو التراكيب .

يتأدى بهم تحليل خواصه ، ولو صارت هذه الاقسام خمسة أو ستة أو أكثر .

ونحن نظلم اسلافنا من النحاة اذا نسينا أو جهلنا ما كان لهم من محاولات جيدة فى التمييز بين بعض أنواع الكلمات وبعض ، فهم - مثلا - يضعون المصادر فى قسم الاسماء ، ولا بأس بهذا ، وان كانوا يميزون بينها ، فيقولون مثلا فى الوَضوء - بفتح الواو - انه اسم لأنه يدل على الماء الذى يتوضأ به (اسم ذات) ويقولون فى الوُضوء بضم الواو - انه مصدر ، لأنه يدل على حدث هو عمل التوضوء (اسم معنى)[٤] .

ويضعون الصفات فى قسم الاسماء أيضا ، ولكنهم يميزون بينها فيقول مثلا : جبل اسم ، ومرتفع صفة ، مع أن الصفة تدل على موصوف .

ويضعون بعض الاسماء فى قسم الظروف ، مع انها ليست ظروفا ولو استعملت استعمالها ، كالمصدر « فوق » واسم الزمان أو المكان « مجلس » .

وهناك افعال استعملت كاستعمال الاسماء حين صارت اعلاما ، مثل احمد ، ويتبع ، والسياق هو الذى يحدد المقصود . . .

ولغتنا لا تتفرد بذلك ، ففى الانجليزية مثلا كلمة « ROAR» يمكن ان تستعمل فعلا بمعنى زأر ، أو اسما (مصدرا) بمعنى الزئير .

ومع كل ما اهتدى اليه اسلافنا من تمييزات كثيرة بين أنواع الكلمات - نجد انهم قد أبقوا على التقسيم الثلاثى الذى وضعه الرائد الاول لقواعد لغتنا ، وهذا الرائد عند بعضهم هو الامام على كرم الله وجهه .

ولقد كان هذا التقسيم خطوة سديدة جبارة ، ولكن ماذا كان يمنع من أن تعقبها خطوات أخريات بتقسيم آخر أوضح ، كشأن كل علم فى تطوره منذ نشأته مع طول التأمل والمراجعة ، فان عناصر أى شىء مادى أو معنوى تتشابك وتتشابه عند النظرة أو النظرات الاولى ، ولكنها تتمايز مع تكرار النظر ، أو تكرار التجربة ، كأنما يخرج الشيء من العتمة الى النور ، أو كما تتميز اعضاء الجنين مع تقدم أيام الحمل ، ثم تزداد تمايزا بعد الولادة .

ومن العجيب الابقاء على التقسيم الثلاثى بعد أن تمكن اسلافنا فى أوقات مبكرة من التمييز بين الأنواع ، لا سيما الانواع الكثيرة التى وضعت تحت قسم الاسم ، وهى ليست من الاسمية فى شىء ، ولو اتخذنا تعريفهم للاسم معيارا .

ولقد كان بعض الاصوليين (أصول الفقه) - وهم يشاركون النحاة البحث فى اللغة - أدق نظرا فى التمييز بين أنواع الكلمة ودلالاتها ، ولكنهم وقفوا كالنحاة عند التقسيم الثلاثى ، وكان يمكن - بناء على تحليلاتهم وتبويباتهم - أن يجعلوا الاقسام أربعة كما جعلها الدكتور مهدى المخزومى ، هي : الاسم والفعل والحرف والكناية ، وتدخل فى الكناية كل المبهمات ، أو ما يسميه النحاة الضمائر واسماء الاشارة والموصولات واسماء الشرط وأسماء الاستفهام ، وليس منها شيء يدل دلالة الاسم على مسماه[٥] . كذلك كان يمكن - بناء على تحليلاتهم أيضا وتبويبهم أن تكون الاقسام خمسة : الاسم ، والفعل ، والوصف ، والكناية ، والحرف[٦] وهكذا جعلها الدكتور مصطفى جمال الدين .

وأدق من ذلك تقسيم الكلمة سبعة أقسام : الاسم ، والصفة ، والفعل ، والخالفة ، والضمير ، والظرف ، والاداة ، وصاحب هذا التقسيم هو الدكتور تمام حسان ، وقد وضحه وحسم بين أقسامه بما يغنى .

جـ - الوصف . . وهو (ما أنبأ عن موصوف بالمسمى) وتدخل فيه صيغ الفاعلين والمفعولين وغيرها من الصفات المشتقة .

د - الكناية . . وهى (ما يكنى به عن اسم أو فعل أو وصف) وتدخل فيه الضمائر ، والاشارة ، والموصول ، والاستفهام ، والشرط ، واسماء الافعال .

هـ - الحرف . . . وهو (ما أوجد معنى فى غيره) وتدخل فيه حروف المعانى والأدوات كلها .

(٧) انظر كتابه (اللغة العربية معناها ومبناها) ، وبحثه النفيس « القرائن النحوية » فى مجلة « اللسان العربي » المجلد ١١ الجزء الاول صفحة ٢٤ -٦٣ .

(٨) انظر مجلة العربي / العدد ٢١٥ ص ١٠٢ بعنوان « معجم ومعجمات ومعاجم أيضا »

(٩) مجلة العربي/ العدد ٢٢٥ ص ١١٩ بعنوان : « متى يجمع مفعول على مفاعيل »

ومما يسّر الاهتداء الى هذا التقسيم ـ لاختلاف خواص الكلمات ومعانيها ـ ظهور علم اللغات الحديث وظهور قواعدها المقارنة ، وقد شملت انظمتها الصوتية والصرفية والنحوية .

فهل نعدل عن التقسيم الثلاثي (أو الرباعي) الشائع المألوف الى تقسيم أدق وأصح ؟ ان هذا أمل بعيد بعيد .

ولكننا نطمح أن يعرف دارسو لغتنا ما في هذا التقسيم الثلاثي من خلل واضطراب ، وأن هناك محاولات لاصلاحه ، هي أصح منه ، لانها أجمع وأمنع .

ويعنينا هنا النظر الى الصفات وعلاقتها بالاسماء ، فان عبقرية لغتنا تتجلى واضحة في الصفات من حيث درجاتها ومطابقتها لموصوفاتها جنسا وعددا (أو جمعا وافرادا) ومن ذلك أن بعض الصفات لا تستغنى عن موصوفها في توضيح معناها ، وهذه هي الصفة المحضة ، مثل « واسع » في قولنا « لنا بيت واسع » فلو حذفناها وقلنا « لنا واسع » لم يعرف المقصود ، وهذه الصفة تجرى على فعلها وتماثله في الدلالة على الحدث (السعة) ، وتعمل عمله إعرابا .

ولكن اذا قلنا « زارنا فارس » عرفنا أن الزائر رجل فارس ، مع اننا لم نذكر الموصوف (رجل) وهذا النوع من الصفات يسمى « الصفات الغالبة ، لان الصفة هنا كالاسم ، أو هي استعملت استعمال الاسماء ، فهي تعامل مثلها من حيث أنها تجمع جمع تكسير ، ولا تجمع جمع سلامة (مذكرا سالما) ، ومثلها راع ، قاض ، فاعل ، عامل ، راكب ، داع ، فنحن نقول في جمعها : « قُضاة ، رعاة ، (رُعيان ، رعاء) فَعَلة ، عُمال ، رُكبان ، دُعاة ، فجمع التكسير هنا يدل على العمل الدائم أو الصناعة الدائمة ، ولا نجمعها جمع سلامة (جمع مذكر سالما) فلا نقول « راعون » الا حين نريد الدلالة على الحدث ، كما في قوله تعالى « والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون » .

ومن الصفات الغالبة التي تدل على مفعول قولنا : مُطرف (رداء) مصحف ، مصعب (جمل) معجم ، متحف (وكلها على وزن مُفعل) ، نجمعها تكسيرا : مطارف ، مصاحف ، مصاعب ، متاحف .[8]

ومنها للدلالة على مفعول أيضا قولنا : مزمور ، مفعول ، موضوع ، منشور ، مشهور ، محصول ، (وكلها على وزن مفعول) فنحن نجمعها تكسيرا : مزامير ، مفاعيل ، مواضيع ، مناشير ، مشاهير ، محاصيل ، ولكن اذا كانت الكلمة على هذا الوزن دالة على صفة محضة مثل « معدود » كما في قولنا « هذا يوم معدود » ثم أردنا جمعها ، جمعناها جمع سلامة ، كما في قوله تعالى : « أياما معدودات » ولا نقول : أياما معاديد ، ومثل ذلك « مفتون » في قولنا « هذا شاعر مفتون » ، فنقول في الجمع « شعراء مفتونون » ولا نقول « شعراء مفاتين »[9] .

ومن الصفات الغالبة على وزن فعيله : حقيقة ، خليفة ، خليقة ، سفينة ، بديهة ، قرينة ، عقيلة ، نجمعها تكسيرا فنقول : حقائق ، خلائف (خلفاء) خلائق ، سفائن (سفن) بدائه ، قرائن ، عقائل .

ومن الصفات الغالبة على وزن (مُفْعل او مُفعِلة) ما أشرنا اليه في الصفحة اللغوية السابقة : مثل : مشكل ، مهم ، ومصيبة ، او مؤنثها : مهمة ، مشكلة ، مصيبة ، فاننا نجمعها تكسيرا ، فنقول : مهام ، مشاكل مصائب ، ولكن اذا حدث اللبس أو قصد الحدث كان الصواب جمع الكلمة جمع سلامة (مؤنثا سالما) مثل معجزة ومعجزات ، وملمة (او ملم) وملمات .

وهكذا تعامل الصفات المحضة والصفات الغالبة من أوزان كثيرة .

---

(٤) لا تنفرد لغتنا في قواعدها بوضع الكلمات الذى تدل على الذوات والاخرى التى تدل على المعانى في قسم واحد ، هو الاسم ، لان كل منها يدل على المسمى به .

(٥) انظر كتاب « البحث النحوى عند الاصوليين » للدكتور مصطفى جمال الدين ص ٧٦ (مع الاشارة الى كتاب « في النحو العربي : قواعد وتطبيق » ص ٤٦ للدكتور مهدى المخزومى)

(٦) اقترح هذا التقسيم ـ بناء على تحليلات الاصوليين المحدثين ـ الدكتور مصطفى جمال الدين في كتابه المذكور هنا ، ووضح هذه الاقسام الخمسة فقال :

أ ـ الاسم . . وهو ما أنبأ عن المسمى ، وتدخل فيه اسماء الاعلام ، والاجناس ، والمصادر (اسماء الاحداث) والاسماء الميمية .

ب ـ الفعل . . . . وهو (ما أنبأ عن حركة المسمى) وتدخل فيه صيغ الافعال كما ستأتى في محلها .

جمال الدين الأفغاني

للشاعر : فاضل خلف

(أيها الدرويش الفاني مم تخشى ؟ اذهب وشأنك . لا تخف من السلطان ، ولا تخشَ الشيطان . إنه سيانَ عندي طال العمر أو قصر ، فأن هدفي أن أبلغ الغاية ، وحينئذ أقول : فزت ورب الكعبة) .

جمال الدين الأفغاني

لم يَخشَ في الدنيا سوى ربِّه ... فسار كالإعصار في دربه
يزلزلُ البغيَ وأركانه ... في شرقِ مسراهُ وفي غربه
ثارَ على الطُّغيانِ في عزمةٍ ... كعَزْمةِ الضرغامِ في وثْبه
طريقه الشائكُ مُحْلَوْلِكٌ ... وفجْرُه الصادقُ في غيبه
السجنُ والتشريدُ ما بدَّلا ... إيمانَه العامرَ في قلبه
سبعونَ عاماً فاض منها الأسى ... على شبابِ العُمْرِ مَعْ شيبه
دسَّتْ له العلقمَ في زادِه ... وجرَّعَتْه الصابَ في شُربه
لم يعرفِ الراحةَ فيها ، ولم ... يهجعْ بها يوماً على جَنْبه
ولعنةُ العصرِ وسلطانُه ... تُطاردُ الذائدَ عن تُربه
وكلُّ من ثارَ على عصرِه ... فذاك برهانٌ على ذَنْبه
وكانَ في كل القُرى وافياً ... يشدُّ أزْرَ الغُرِّ من صَحْبه
ينشرُ في الأمصارِ أفكارَه ... وكل حرٍّ صارَ من حِزْبه
أما انغماس الأهل في جهلِهِمْ ... فزادَهُ خَطْباً على خَطْبه
ولم يكنْ في الحربِ الا فتىً ... آمن بالديَّان في كتْبه
فزادَهُ الله تعالى هدًى ... وزاده قُرْباً الى قُربه
والعروةُ الوُثْقى تبثُّ اللظى ... على دعاةِ الشرِّ من شُهبه
بوركَ منْ أشعلَ مصباحَها ... ومزَّق الديجورَ في شِعْبه
معركةً خاض ميادينَها ... فباركَ الرحمنُ في ركْبه
ثورتُه ثورةُ أهلِ التُّقى ... كقلبه الطاهر أو ثوبه
يجابهُ الإفكَ ، ولا يعتدي ... ولا يجارى الخَصْمَ في كِذْبه
وان تمادى الغِرُّ في جَهْله ... فإنهُ يعفُّ عن سَبِّه

غضبتُه لله في أوْجِها ... سارت مسير النجم في قُطْبِه
فصار في إقدامه خالداً ... فهْوَ مع الخُلْدِ بلا مُشْبِه
وكل باغٍ جاء منه الأذى ... ضاق به الأفق على رُحْبِه
لم يعرفِ الاسراف طُولَ المدى ... الا مع الباغينَ في حربه
وزلزل الأرضَ على كلِّ من ... يختالُ كالطاووسِ في عُجْبِه

...

من دَوْحةِ الأفغان آلاؤه ... تدفَّقت كالغيث من سُحْبِه
فاستيقظ الاسلامُ بعد الكَرَى ... وانتعشَ الشرقُ على طِبِّه
وبادلته الشوقَ أمُّ القرى ... وأجمع الغَرْبُ على حُبِّه
واستبشرَ الفكرُ به وارتوى ... من سلسلِ الوِرْدِ ومن عَذْبِه
منذُ قرونٍ وهو في هَجْعةٍ ... فحنَّتِ الدنيا الى نُجْبِه
حتى اذ مسَّ الثرى قَطْره ... وانهمرَ الغيثُ على جَدْبِه
تنفسَ الصبحِ وحيَّا الرُبى ... تحيةَ الصَّبِّ الى صَبِّه
وعمَّ مصراً ـ وهي دار العُلى ... سحائبُ الابداعِ من سَكْبِه
يعيشُ في وجدانها رائداً ... وان تمادى الغِرُّ في ثَلْبِه
وخالدُ الذكرِ بآفاقها ... مهما يلغْ الخصمُ في رَيْبِه
ونسلُه فيها نسورُ الحمى ... من رُوحِه الوثاب، لا صُلْبِه

...

فيا جمالَ الدينِ، هلْ لفتةٌ ... تعيدُ مسعاكَ إلى خِصْبِه
فاتنا ـ والشرُّ من حولنا ... في مهمهٍ قفرٍ وفي رُعْبِه
هذي فلسطينُ التي صُنتها ... في قلبِك الشادي وفي لُبِّه
وخُطتها بالعينِ خوفَ العدى ... بينَ رحابِ الجفنِ أو هُدْبِه
صارت لشُذَّاذِ الدُنى موطناً ... وأجهزَ الغازي على سَلْبِه
لم يَكتفِ الباغي بأسلابه ... وانما أسرف في نهبه
وما دهى لبنانَ من غَزْوِه ... تجاوزَ يكشفُ عن حُجْبِه
فلفتةٌ منك لأهل الحجى ... ليهتدُوا بالنجم في دربه

...

يا أيها الدرويش، نلتَ المُنى ... وفزت بالفردوسِ فاهنأ به
وفي جوار الله، عِشْ هانئاً ... بعد كفاحٍ ذقت من كَرْبِه
في جنةٍ يَعبَقُ فيها الشذا ... من يانعِ الغرسِ ومن رَطْبِه
مع النبيينَ ورُسْلِ الهُدى ... وكلهم يَرفُلُ في كَسْبِه
وهذه النُعْمَى جزاءٌ لِمن ... لم يخشَ في الدنيا سوى ربِّه

□□

الحقد والكراهية في فلسفة نيتشه

بقلم : الدكتور عيسى الناعوري

□ « كل ما اصطلح البشر على أنه مزايا انسانية ، هو عند نيتشه حماقة ، فوصف بكلامه المهين الجارح ، الحكومات والشعراء والحكماء والمرأة والكنيسة والكهنه . . فقد كان يريد أن يحطم كل شيء لتبقى القوة فقط . .

لم يحظ كتاب بالشهرة واختلاف الرأى حوله ، مثل كتاب « هكذا تكلم زرادشت » لفيلسوف القوة الألماني فريدريك نيتشه . ورغم أن قراءتي الاولى للكتاب أورثتني مشاعر النفور وعدم الارتياح ، الا أنني عدت لقراءة الكتاب مرة ثانية ، بعدما قرأت في كتاب « جبران » لميخائيل نعيمه ، أن جبران قد تأثر بكتاب « هكذا تكلم زرادشت » ، وانتهت قراءتي الثانية بنفس ما انتهت اليه قراءتي الاولى ، بل لقد تكشفت لي جوانب جديدة في كتاب نيتشه ، اذ تبينت أن فلسفته تقوم على الحقد والكراهية ، كأساس لبناء (السوبرمان) أو الانسان المتفوق الذى يدعو اليه نيتشه . فلكي نصل الى خلق الانسان المتفوق ، لا بد من أن نحطم كل شيء وندمره لكي نخلق الخلق الجديد الذى نريده . وكيف يمكن أن نحطم وندمر دون أن نكره ونحقد ؟ نكره ونحقد أولا ، ثم تدفعنا الكراهية والحقد الى التحطيم والتدمير .

هكذا بدا لي نيتشه انسانا يحمل المعول بقبضتين من فولاذ ، ويرفعه بكل قوة ليهوى به لتحطيم كل شيء أمامه وحوله . وماذا يحطم نيتشه ؟

انه يحطم كل شيء . . كل شيء . . دون

رحمة ولا هوادة ، لأنه يريد أن يصل الى غاية معينة لا يبقى معها شيء من الضعف والسكينه والسلام . السلام ؟ ان نيتشه يقول : « أحيوا السلام كوسيلة لتجديد الحروب ، وخير السلام ما قصرت مدته . انى لا اشير عليكم بالسلم ، بل بالظفر » .

هو يكره المحبة والرأفة والخير ، والتعاون على البر والتقوى . . . .

وما البر والتقوى ؟ وما المحبة والخير ؟ وما هى الرحمة والرأفة ؟

الانسان السوبرمان

نيتشه يرى فى كل ذلك غاية الضعف ، ولذلك يحارب كل ما فيه انسانية تشعر وتتأثر وتتألم ، لأن الانسان المتفوق (السوبرمان) يجب أن يكون فوق ذلك كله ، « أفليست الرحمة صليبا يسمر عليه من يحب البشر ؟ » ، كما يقول .

السوبرمان ، عند نيتشه ، هو غاية الوجود ، والوجود كله يجب أن يسرع نحو الفناء لأجل خلق السوبرمان : « انى آت اليكم بنبأ الانسان المتفوق ، فما الانسان العادى الا كائن يجب أن نفوقه : فماذا أعددتم للتفوق عليه ؟ » . هكذا يقول زرادشت فى مستهل تبشيره برسالته . ويقول كذلك : « لقد أتيتكم بنبأ الانسان المتفوق . انه من الارض كالمعنى من المبنى . فلتتجه ارادتكم الى جعل الانسان المتفوق معنى لهذه الارض وروحا لها » . ثم : « ما الصاعقة التى أبشر بها الا الانسان المتفوق » .

ويقول أيضا : « اقلعوا عن ذكر الآلهة جميعا ، فليس لكم الا ايجاد الانسان المتفوق » .

ان فلسفة نيتشه فى مجملها قائمة على الكراهية والحقد والانكار

حتى الكلام المهين الجارح يوجهه نيتشه الى كل شيء : الى الآلهة ، والحكومات ، والشعراء والحكماء ، والمرأة ، والكنيسة ، والكهنة ، وكل شيء .

انه يقول عن السيد المسيح فى حديثه عن الكهنة : « انهم فى نظرى سجناء . . وما كبلهم بالاصفاد الا من دعوه مُخلِّصاً لهم . . فليت لهؤلاء من يخلصهم من مخلصهم ! » وأما المسيح فهو يدعوه « ذلك العبرانى . » ، فيقول بلسان زارا : « الحق أن ذلك العبرانى الذى يمجده المبشرون بالموت البطيء ، قد مات قبل أوانه . . ولو أنه بلغ العمر الذى بلغت ، جحد تعاليمه » .

أما الحكومات فيحتقرها نيتشه كما يحتقر كل شيء . انه يدعوها (الاصنام) ، ويقول : « انما الدولة حيوان خبيث . . وهى تريد أن تكون أعظم حيوان على وجه الارض ، والعالم يراها على ما تريد » . ويقول أيضا بلسان زارا : « ليست الحكومة الا ابرد مسخ بين المسوخ الباردة ، فهى تكذب بكل رصانة . . انها تكذب فى جميع تعابيرها عن الخير والشر . . وما

أوجدت الحكومة الا لخدمة الفضوليين الدخلاء على الحياة » .

وكذلك يحتقر نيتشه الكهنة والكنيسة ، وهو يقول في ذلك : « ان الكنيسة شيء أشبه بالدولة ، بل هي من أكذب أنواع الدول » . ثم : « انظروا الى المساكن التي بناها هؤلاء الكهنة وأسموها كنائس ، وما هي الا كهوف تنبعث منها روائح التعفن » . ويقول عن الكهنة : « انهم لأعداء خطرون ، وما من حقد يوازي ما في اتضاعهم من ضغينة » .

المرأة والزواج والنسل

وهو أكثر ما يكون كراهية للمرأة ، وحقداً عليها ، وانكارا للزواج والنسل : انه يقول في المرأة : « لم تبلغ المرأة بعد ما يؤهلها للصداقة ، فما هي الا هرة ، وقد تكون عصفورا ، واذا هي ارتقت أصبحت بقرة . . » ثم : « المرأة أخطر الالعاب » . وأيضا : « ليحذر الرجل المرأة عندما يستولي عليها الحب . . وليحذر الرجل المرأة عندما تساورها البغضاء ، لأنه اذا كان قلب الرجل مكمنا للقسوة ، فقلب المرأة مكمن للشر » . وأخطر من ذلك قوله : « اذا ما ذهبت الى النساء فلا تنسى السوط » .

حتى الحكماء يحتقرهم نيتشه ويدعوهم « حميرا » ، فيقول : « كم من ذي سلطان أراد أن توافق عجلته ذوق الشعب ، فقطر لجرها حمارا صغيرا : حكيما مشهورا . . »

أما الزواج فيقول عنه : « ما يدعوه الأغبياء زواجا . . ما هو الا مسكنة روحية يتقاسمها اثنان ، ودنس يتمرغ فيه اثنان ، ولذة بائسة تتحكم في اثنين ، ولكن الدخلاء يرون في مثل هذا الزواج رباطا عقدته السماء . . » و « ان ما تدعونه عشقا انما هو جنون يتتالى نوبة بعد نوبة ، حتى يجيء زواجكم خاتمة هذه الحماقات ، بالحماقة المستقرة الكبرى » .

كل ما اصطلح البشر على أنه مزايا انسانية ، هو عند نيتشه حماقات ، لأن فلسفته قائمة ـ كما قدمنا ـ على أساس الانكار ، والكراهية والحقد . كل فضيلة انسانية تنقلب عنده الى ضدها ، فهو يقول ، مثلا :

« اذا ما رأيتم متداعيا الى السقوط ، فادفعوه بأيديكم ، وأجهزوا عليه » .

ويقول أيضا : « من يرفع عن ظهر الأحدب حدبته فقد نزع عنه ذكاءه . . واذا أعيد النور الى عيني الاعمى ، فانه ليرى على الارض كثيرا من قبيح الاشياء ، فيلعن من سبب شفاءه ، ومن يطلق رجل الاعرج من قيدها فانه يورثه أذية كبرى ، اذ لا يكاد يسير ركضا حتى تتحكم فيه رذائله فتدفعه الى غايتها » .

كيف تفنى البشرية

فماذا تفعل البشرية ؟ أتترك الاعمى في عماه ، والاعرج في عرجه ، والاحدب في حدبته ، ولا تحاول أن تفعل شيئا لتخفيف المأساة عنهم ؟ ولماذا يتعلم الناس الطب ؟ ولماذا تنشأ المستشفيات ؟ أكل هذا عبث في عبث ، لكي نؤمن مع نيتشه بأنه لا مكان في الدنيا لضعيف ، ولا لذي عاهة ، لأن السوبرمان وحده هو الذي يجب أن يعمر الارض ؟ وكيف يعمرها السوبرمان ؟ وكيف يمكن أن تسرع البشرية بنفسها الى الفناء لأجل خلق السوبرمان ؟ وهل السوبرمان خالد ، لا يمرض ، ولا يموت ؟

هذه حكاية لا أول لها ولا آخر : كيف تفنى البشرية وكيف يخلق الانسان المتفوق ؟ كيف تزول الفضائل من الارض كلها لكي تخلق القوة وحدها ؟ وكيف يمكن أن تعمر الارض ، وتبقى الخليقة خليقة ؟ أيولد السوبرمان من امرأة ؟ ولكن المرأة لا ثقة بها لدى نتشه وزرادشت ، فمن أين يولد السوبرمان ؟ واذا كان الزواج

حماقة الحماقات ، فبأي طريقة يولد السوبرمان ؟

أسئلة هذه لا نهاية لها ، ولا جواب عليها ، لأن نيتشه ، بلسان زرادشت ، يريد أن يفنى البشر لأجل خلق السوبرمان ، ولكنه لا يقول لنا كيف ، وبأى طريقة يفنى البشر ويولد السوبرمان .

واذا كان الناس لا يدينون بدين ، ولا يثقون بحكومة ، ولا يؤمنون بفضيلة ، ولا يعترفون بحكمة ، ولا يتزاوجون ، ولا يتناسلون ، فكيف تصبح الحياة ، وكيف ـ من خلال مثل هذه الفوضى العامة الشاملة ـ يمكن أن يولد السوبرمان ؟

ثم ، اذا لم يوجد على الارض غير السوبرمان ـ أو الاناس المتفوقين ـ فمع من يتعامل هؤلاء المتفوقون ؟ وكيف يحسون بتفوقهم ما داموا متماثلين ؟ ان قاعدة الحياة هى أن « الضد يظهر حسنه الضد » ، ومن دون وجود الضد وضده ، كيف يعرف الانسان أنه متفوق أو غير متفوق ؟

لا يؤمن بالشعراء

لعل نيتشه كان يتكلم شعرا لا فلسفة ، وهو نفسه لا يؤمن بالشعر ، ويقول فى الشعراء كلاما كثيرا ليس فى صالحهم . من ذلك قوله : « ليس الشعراء فى نظرى الا رغوة لا صريح تحتها » ، وقوله : « لم يبلغ الشعراء درجة النقاء ، فهم يعكرون جداولهم ليخدعوا الناس ، ويوهموهم أنها بعيدة الغور » . وكذلك قوله : « نحن الشعراء نكذب كثيرا ، ولا بد لنا من الكذب ما دام ما نجده من العلم قليلا » .

أفكانَ نيتشه من هؤلاء الشعراء الذين يكذبون كثيرا ، ولا بد لهم من الكذب ؟ »

ان نيتشه لم يؤمن بشيء فى حياته ؛ حتى كلامه فى الشعراء الذين دعاهم بالكذابين ، والحكماء الذين دعاهم حميرا ، كان كلاما فى كلام . حتى القوة التى آمن بها ودعا اليها ، والتى أراد من أجلها « تحطيم جميع الالواح القديمة » ـ كما يقول ـ لم تقم عنده على أساس واضح صريح ، وعلى دعائم حقيقية ثابتة .

ومع ذلك فمن الغريب أن فلسفته هذه شاعت وانتشرت خلال القرن التاسع عشر ، وتركت أثرها فى الفكر الغربي ، ولا سيما فى فرنسا وفى ألمانيا . حتى فى هذا القرن لا شك فى أن نيتشه كان المعلم والقدوة لهتلر ، وزعماء ألمانيا الهتلرية ، الذين آمنوا بالقوة وحدها ، وعملوا بموجبها حتى تحطموا وحطموا ألمانيا معهم .

وهذا أمر طبيعى : ان كل ما قام على القوة وحدها ، سيتحطم بالقوة . وقديما قال السيد المسيح : « من يأخذ بالسيف فبالسيف يؤخذ » .

لقد أراد نيتشه أن يحطم كل شيء ، لتظل القوة وحدها . والذين آمنوا بفلسفة القوة هذه ، تحطموا بها كذلك . □□

المتاعب والحب !

المتاعب جزء من حياة الانسان ، واذا لم يقتسم المرء المتاعب التي تصادفه مع من يحب ، فهو بذلك يريد أن يقول له أن ليس أمامه فرصة لكي يعطيه من حبه مايكفيه !

حكايات : شرق و غرب

مانيكا .. السمراء التي
تتحدى انديرا غاندي

حرب بين امرأتين !

عندما تنشب حرب بين امرأتين ، يقف الرجل متفرجا ، ولكن عندما تكون احدى هاتين الامرأتين تجلس فوق أقوى كرسي في الدولة تنقلب النظرية التي قال بها برنارد شو فيلسوف الانجليز الساخر منذ أكثر من سبعين عاما .

والحرب في الهند ، والمرأة القوية التي فرضت عليها الحرب فرضا هي رئيسة الوزراء وابنة نهرو باني الهند الحديثة . . . وعلى الجانب الآخر من الخط الساخن ، فتاة سمراء جميلة صغيرة اسمها مانيكا . . والمرأتان تحملان نفس الاسم وتنتميان الى نفس الحزب الحاكم . . حزب المؤتمر الهندي .

رئيسة الحكومة الهندية التي تستعد لاعلان موعد الانتخابات العامة لمجلس النواب طبقا للدستور ، تحمل اسما مطابقا لاسم غاندي العظيم ، فقد كان زوجها ووالد ابنيها اسمه غاندي ، ولو أنه لا يمت بصلة الى محرر الهند الذي أذل الامبراطورية البريطانية وانتزع الاستقلال لبلاده .

ومانيكا أيضا تحمل نفس الاسم .. فهي أرملة سانجاي ، الابن الأكبر لانديرا غاندي رئيسة الوزراء ، الذي قتل في حادث سقوط طائرته الصغيرة في شهر يونيو من عام ١٩٨١ . . ومن أجل هذا اختارت الأرملة الشابة الغاء الاسم الثاني الذي كان يأتي بعد إسمها ، حتى لا يختلط الأمر على الناس . . يومها بكت وهي تقول : « لا يهم الاسم الذي أحمله ، فهو يعيش معي ، وأنا أعيش على ذكراه » .

حتى بعد أن طردتها حماتها من البيت الذي كانت تعيش فيه مع زوجها الذي تركها ورحل . . بيت نهرو الذي تحول الى متحف الآن ، وقفت تعلن في تحد : « سوف أعود ، ولكنني لن أكون وحدي ، فسوف يكون معي صوت الناخبين الذين سيؤيدونني بوصفي الوريثة الشرعية لزوجي الحبيب سانجاي ! »

وهي تقف الآن على رأس حزب جديد يحمل اسم زوجها الراحل .

ماذا تنوي مانيكا أن تفعل ؟ « سوف أرشح نفسي في الدائرة الانتخابية التي يظن راجيف ، شقيق زوجي أنه يملك كل مافيها وما عليها من بشر » هكذا قالت للصحفيين الذين تجمعوا حولها عندما ظهرت في احدى الحفلات العامة .

والصراع المرتقب ، كما يراه المراقبون السياسيون ، سيكون صراعا مريرا ، فهو أولا يشكل تمزقا خطيرا في حزب المؤتمر الهندي

☐ هذه جولة سريعة يصحبك فيها العربي كل شهر بين صفحات الجرائد والمجلات العالمية .. فقد تجد من خلالها شيئاً يستوقفك أو يثير اهتمامك !

انديرا .. طردت زوجة ابنها من البيت بعد رحيله !

الحاكم ، وهو أيضا بين امرأة ورثت زوجها الذي كان بدوره الوريث الذي أعدته أمه لزعامة الحزب ، فلما مات انتقلت الوراثة الى الابن الثاني راجيف .

يقول أنصار أنديرا رئيسة الوزراء : « ولكن مانيكا ما زالت صغيرة .. انها لم تتجاوز عامها السابع والعشرين .. انها لن تقوى على الصمود أمام رئيسة الوزراء ومؤيديها » .

ويقول مؤيدو الأرملة الشابة : « لا تنسوا النجاح الذي حققته عندما تزعمت اضرابا عن الطعام في مصنع للأدوات الكهربائية بمدينة أميتي ، احتجاجا على اصرار المصنع على الامتناع عن صرف التعويضات المناسبة للمواطنين الذين انتزع الحزب أراضيهم بناء على تعليمات راجيف ، ونجح الاضراب وحصل أصحاب الأرض على التعويض الذي يطالبون به .. ليس هذا فحسب ، بل لقد أجبرت القائمين على المصنع على تعيين العمال الذين يحتاجون اليهم بغض النظر عن ميولهم السياسية .. »

هل تكون هزيمة « راجيف » مرة أخرى في الانتخابات المقبلة ، بداية النهاية لزعامة انديرا غاندي ؟ !

السمنة تهدد الانتاج

المواطنون في الاتحاد السوفيتي يزدادون سمنة .. لماذا ؟ لا أحد يدري . البعض يقول انهم يأكلون كثيرا ، والبعض يقول : بل انهم ينامون كثيرا . المهم أن صحيفة « ترود » السوفيتية الناطقة بلسان اتحاد العمال تقول أن ٢٥٪ من المواطنين السوفييت مصابون بالبدانة ، ولا شك أن هذه الظاهرة « الخطيرة » ستؤثر بالتالي على الانتاج فالعامل البدين قليل الحركة ، لا يقبل على العمل ويغلب عليه النعاس حتى وسط أكثر الآلات ضجيجا !

مذبحة الأبرياء

كانت الشمس قد أوشكت على الغروب ، وبدأ الظلام يلف الحقول في القرية الصغيرة القابعة في احدى ضواحي بكين ، عندما شوهد رجل يحتضن بيده القوية يد صغيرته الطفلة التي لم تتجاوز عامها الثالث ، وفي خطى ثابتة راح الاثنان يتجهان الى البئر التي تقع عند طرف الحقل الكبير . وفجأة حمل الرجل طفلته وقبلها ثم ألقى بها في قاع البئر .. ووقف برهة ، ولكنه ما لبث أن انتفض عائدا الى بيته عندما

سمعها وهي تطلق صرختها الأخيرة : « أبي .. أبي ، أنقذني .. انني أغرق .. انني أموت » .

جريمة تكررت على مدى السنوات القليلة الماضية منذ عام ١٩٧٩ عندما أعلنت حكومة الصين الشعبية عن سياستها الخاصة بتنظيم النسل ، والتي تقول بأنه لن يسمح لأي زوجين بانجاب أكثر من طفل واحد .

ومنذ ذلك التاريخ ، تؤكد الاحصائيات بأن أكثر من ربع مليون طفلة وئدن أحياء ، لمجرد أنهن إناثا ولسن ذكورا ، وفي عام ١٩٨٢ بدأ عدد المواليد من الاناث يقل تدريجيا حتى أصبح في بعض مناطق الصين واحدة بين كل خمسة ذكور ، طبقا للاحصائيات التي أجرتها حكومة بكين ، وخاصة في المناطق الريفية حيث يكون الولد أكثر نفعا لأسرته من البنت !

وقد اعترفت الصين بأن سياستها الجديدة للسيطرة على الزيادة الهائلة في تعداد السكان الذين يزيدون الآن على البليون نسمة ، كان لها نتائج مخيفة . أما الحزب الشيوعي الصيني ، فقد ألقى اللوم على الاقطاعيين بينما وقف رئيس الوزراء زخاو زنيانج يطالب المواطنين بالامتناع فورا عن قتل الأطفال الاناث .

ممنوع الانجاب لأكثر من طفل في الصين

ان الأزواج في الصين الذين يتعهدون بالالتزام بسياسة الطفل الواحد يجنون ثمرة هذه الطاعة بزيادة في الرواتب ، وسكن أفضل ورعاية طبية بالمجان بينما يواجه الذين لا يمتثلون لهذه الأوامر ، عقوبات اقتصادية شديدة .

ولكن هؤلاء وهؤلاء على استعداد لتنفيذ السياسة الجديدة اذا كانت ثمرة الزواج ولدا ... ولدا يرعى والديه في شيخوختهما وينفق عليهما ، لأن البنت عندهم أسرة أخرى . وبيت بعيد لا يربطها بوالديها أية صلة بعد الزواج .

أبو « الرفاق الطيبين ! »

كان يكتب بأصبعين على الآلة الكاتبة القديمة ، التي دفع خمسة شلنات ثمنا لها في مزاد علني منذ أكثر من سبعين عاما . وجمع ما كتب من صفحات مليئة بالأخطاء المطبعية في مؤلف أسماه « الرفقاء الطيبون » .. قصة روى فيها انطباعاته وذكرياته الحلوة مع بعض شخصيات ينتمون الى الطبقة المتوسطة ، ونجح الكتاب ، وباع منه صاحبه أكثر من مليون نسخة .. وظهرت القصة فيما بعد في فيلم سينمائي ، وطبع الكتاب مرة ثانية وثالثة ، بعد ترجمته الى عدة لغات .

ومضى الكاتب في رحلته مع الكتب ، فكتب عدة مسرحيات في الحياة والحرب والسلام والخيال العلمي . وفي الحرب الثانية العالمية كان صوته في الاذاعة التي عمل بها فترة . أكثر شهرة من صوت تشرشل رئيس وزراء بريطانيا ... فقد كان الأول متفائلا دائما حتى وهو يسمع دوي القنابل تدك لندن في الوقت الذي كان يتحدث فيه سير ونستون عن العرق والدم والدموع .

جون بونيتون الراديكالي الفوضوي

انه جون بونيتون بريستلي المؤلف البريطاني الذي رحل منذ ثلاثة أشهر ، في شهر أغسطس الماضي بعد أن عاش حياة حافلة بالعمل والفكر والانتاج . قال عن نفسه يوما : « أنا رجل راديكالي وفوضوي في الوقت نفسه ! »

ولكن أحدا من قرائه والمعجبين به لم ير فيه هذه الصفة الثانية التي حاول أن يلصقها بنفسه .. فعلى النقيض من ذلك تماما ، كانوا يرون فيه بطلا مدافعا عن حقوقهم الضائعة ، وخاصة بين أفراد الطبقة الكادحة .

في الركود العظيم الذي ساد العالم في فترة الثلاثينيات وقف بريستلي مدافعا عن الفقراء وعن العاطلين في كتابه « الرحلة الانجليزية » . . وقد أعيد طبع الكتاب هذا العام وسط أزمة البطالة التي تعاني منها الدول الصناعية المتقدمة وبريطانيا بصفة خاصة .

وانضم بريستلي الى لجنة المائة التي تزعمها « براتراند راسل » لنزع السلاح وكان يسير في مقدمة المتظاهرين ويهتف : « هذا السلاح اللعين لم يكن مطلبا قوميا في يوم من الأيام » .

كان يقول أيضا في وصف ميوله السياسية : « نعم ، أنا يساري .. أنا « وردي » ، ياله من لون جميل » . .

رفض لقب لورد ورفض أن يجلس في مجلس اللوردات ولكنه قبل وسام الاستحقاق الذي منحته له الملكة اليزابيث في عام ١٩٧٧ . وقال يومها : « بريطانيا سوف تعيش ، لأنها تستحق أن تعيش ، فنحن شعب طيب ، متحرر ، متساهل ، يحب النكتة ويضحك منها ، وهذا ما نحتاج اليه في عالم اليوم ، هذا العالم الذي لم يعد فيه مكان للتعصب والعنف والقسوة ، فقد ضاق بكل هذه الرذائل » .

قال ابنه الوحيد وبناته الأربع : « لقد فقدت البشرية« أبا » برحيل بريستلي .. انه رجل ينتمي الى العالم كله .. الى السواد الأعظم من الشعوب التي تبحث لنفسها عن مكان تحت الشمس » .

الصداقة بين الزوجين

الصديق هو الشخص الذي تستطيع أن تجلس اليه وتحدثه في أي مشكلة تصادفك في حياتك . فالمرء يجد نفسه مع صديقه .. والزواج بين المرأة والرجل صداقة أولا .. وقد يجد الاثنان هذه الصداقة في الساعات الأولى من زواجهما .. وقد يمضي الزوجان عشرات السنين يبحثان عنها فلا يجدانها !

« جون ماكدونالد »

الجديد في العلم والطب

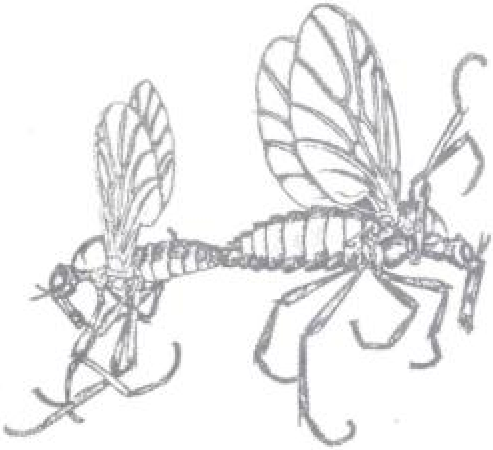

دون جوان في عالم الحيوان

هل سمعت بمخلوق يقضي الجانب الأعظم من حياته في ممارسة الغرام؟ انه حشرة الحب (Lovebug) ، واسمها العلمي هو Placia nearctica وموطنها الأصلي ولاية فلوريدا وبلاد المكسيك . ولعلنا لا نشك لحظة في أن هذه الحشرة تستحق التسمية لو ذكرنا أنها لا تعيش الا بضعة أيام لا تكاد تبلغ عدد أصابع اليد الواحدة ، ومع ذلك فان الحشرة تقضي ٥٦ ساعة من حياتها القصيرة تلك في التزاوج بصورة متواصلة ، على نحو ما ترى في الرسم .

ومن طريف ما يذكر أن ذكور هذه الحشرة تتنافس على اناثها ، حتى اذا عثر أحدها على الانثى المفضلة ، باشر مهمته معها من توه ولا يعيقه عن ذلك حداثة تلك الانثى ولا حتى عدم اكتمال نمو أعضائها . أما الانثى المفضلة فهي السمينة البدينة ، فالأنثى الناصحة هي التي يتهافت عليها ذكور حشرة الحب . وأما الانثى النحيفة فلا تعجب أحدا وغالبا ما تموت عانسا !

عملية جراحية بسيطة تقضي على الشخير

من المعروف أن الشخير آفة منتشرة بين الرجال ، وان زوجات الرجال غالبا ما يتكيفن وهذه الآفة حتى يألفنها ويتقبلن ازعاجها .

ومن طريف ما يذكر في هذا الصدد ما حدث لعروسين في الليلة الاولى من حياتهما الزوجية . فقد بلغ من شخير العريس أن استحال على عروسه النوم ، وهكذا قضت نصف تلك الليلة أو يزيد دون أن تغمض لها عين ، بالرغم من النعاس الشديد الذي شعرت به .

لاعجب اذن أن عمدت العروس الى استئجار غرفة أخرى محاذية لغرفة العريس في صبيحة تلك الليلة ، لعلها تعوض في الليلة الثانية ما افتقدته من نوم في الليلة الاولى .

ولكن العروس فعلت شيئا آخر في ذلك الصباح ، غير استئجار الغرفة ، فقد اتصلت بأحد الجراحين ، وضربت معه موعدا لاجراء العملية الجديدة التي شاعت في الغرب في المدة الاخيرة ، والتي تضع حدا للشخير الى حد كبير .

اعـداد : يـوسف زعبلاوي

وقـوام هـذه العمليـة هـو استئصال طبقة من اللحم اضافية تنمو حول الحلق وعلى جداره ، وكذلك استئصال اللهاة . وهي عملية بسيطة ولا تكلف الكثير ، ولعل الفوائد الكبيرة التي تعود بها هذه العملية على كلا الزوجين لاسيما في ليلة العرس ، كفيلة بـرواجهـا في مشـارق الأرض ومغاربها .

٨٠,٠٠٠ عجل ولـدت لثور واحـد فقط

انتشر التلقيح الصناعي في أوروبا وأمريكا وغيرها منذ منتصف القرن الحالي ، وبلغ من شيوعه في بريطانيا أن ٧٠٪ من مجموع العجول التي تلدها الابقار في انكلترا - أي ما يعادل ٣ ملايين عجل في السنة - انما يتم الحمل بها بالتلقيح الصناعي .

ومن فوائد هذا التلقيح أن في استطاعتك تلقيح بقرتك بأجود أنواع اللقاح ، الفريزيان (Friesian) على سبيل المثال دون الحاجة الى نقلها الى حيث يوجد الثور في مزرعة قريبة أو بعيدة ، ودون الاضطرار لاعادة الكرة ، مرتين أو اكثر حتى يتم التزاوج على النحو المرضي .

ومن فوائده أيضا مضاعفة فحولة الثيران وقدراتها على الانجاب . ومن طريف ما يذكر هنا أن أحد ثيران الفريزيان في انكلترا ، واسمه جروف سيكيولاتور ، أصبح أبا لما يبلغ مجموعة ٨٠,٠٠٠ عجل أو يزيد ، وهو ما زال في الحادية عشرة من عمره .. وتقدر قيمة هذا الجيش من الأبناء بأكثر من ٣٠ مليون جنيه . وتجدر الاشارة الى أنهم يعمدون الى فحص فحولة الثور لدى استكماله الشهر الخامس عشر من عمره ، فيجمعون منه ما يكفي لتلقيح ٣٠٠ بقرة ، ثم يحصون عدد ما تنجبه تلك الابقار من عجول ، ثم يعودون الى تلك العجول بعد خمس سنوات ، ويفحصونها من حيث القوة والهيأة والقدرة على الادرار .

مستعمرات للنمل ، يكثر فيها الأسرى العبيد

قام العالمان نيجل فرانكس **N. Franks** وادوارد سكوفل **Scovel** وهما من علماء الحشرات **Entomologists** المعروفين في أمريكا ، وفي أوساط جامعة هارفارد بالذات ، قاما بأبحاث ميدانية رائدة في حياة النمل وسلوكه ، وكانت ثمرة تلك الأبحاث الطيبة التقرير المستفيض الذي نشرته لها مجلة ناتشر Nature العلمية في أحد أعدادها الأخيرة .

وقد قوّض العالمان في تقريرهما هذا الاعتقاد السائد بأن التعاون والنظام يسودان مجتمعات النمل بقدر يبعث على الدهشة .

وأكدا أن فصيلة واحدة من النمل على أقل تقدير لا تعمل شيئا سوى الاعتداء على فصائل أخرى واستعباد أفرادها ، تماما كما يستعبد الانسان أخاه الانسان .

فالغرض واحد في كلتا الحالتين ، استغلال المستعبد ، وحمله على أعمال السخرة .

هذا على الأقل هو ما تسعى اليه فصيلة النمل العدوانية ، فهي تريد عبيدا ليقوموا على خدمتها ولتتفرغ هي لمحاربة بعضها بعضا ، من أجل السيادة والوجاهة .

وأورد العالمان في تقريرهما المذكور تفاصيل كثيرة نذكر بعضها ، على سبيل المثال ، لاعطاء القاريء صورة حية عن فصيلة النمل تلك .

الجديد في العلم والطب

• تبدأ بمهاجمة بيوت الفصائل الأخرى ونهبها ، ثم تسوق أفراد تلك الفصائل وقد أصبحوا عبيدا لها ، تسوقها الى حيث تشاء ، وتحملها على بناء بيوت لها ، وتوفير الطعام لشتى أفرادها ، ناهيك بالدفاع عنها اذا ما هوجمت .

• الشغالات في هذه الفصيلة هي بنات الملكة ، ولما كان العبيد مسخرين لخدمتهن ، كان تفرغهن للخصومة والنزاع فيما بينهن .

• وتدور أكثر هذه الخصومات حول الطعام الذي يحضره لهن العبيد ، والطعام السائل على وجه التحديد .

• وتضع هذه الشغالات البيض اذا ما ظفرت بالغذاء الجيد ، كما لو كانت ملكات ، فوضع البيض من اختصاص الملكات كما هو معروف ، ويظل الفارق كبيرا على كل حال ، فبيض الملكات ينجب ذكورا واناثا ، أما بيض الشغالات فلا ينجب الا ذكورا .

• والأسعد حظا من هذه الذكور يتزاوج مع ملكة يستقل معها عن المستعمرة القديمة ، ويؤسس مستعمرة جديدة .

• وغالبا ما تتدخل الملكة الحاكمة للحد من التنافس بين أبنائها وبناتها ، وذلك بالحد من قدرة البنات على وضع البيض ، فهي تلاحظ المتفوقات منهن فتطالبهن بتزويدها ـ أي الملكة ـ بالطعام .

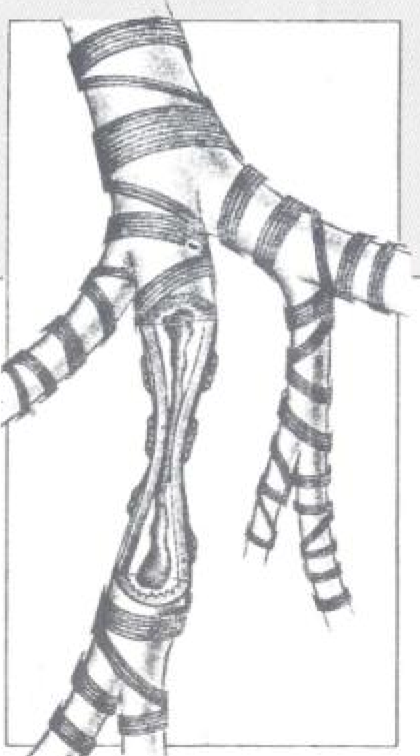

أنابيب الرئة المتفرعة تلف وتضغط عليها العضلات كالحبال .

ماهو الربو ؟
Asthma

الربو مرض مزعج جدا ويعاني منه الكثيرون ، وقد بلغ عددهم ١٠ ملايين في أمريكا وحدها ، وأكثر هؤلاء من الأطفال . ومن أعراضه الشعور بضيق شديد في الصدر ، وصعوبة في التنفس ، وكثيرا ما يصفر المصاب وهو يتنفس ، ويكثر سعاله لعله يتخلص من المادة المخاطية المستقرة في رئتيه .

أما أسبابه فغير معروفة على وجه اليقين ، علما بأن مرضى الربو غالبا ما يرثون عن أبويهم رئات ذات حساسية بالغة ، واستعداداً واضحاً للاستجابة لعوامل الحساسية في البيئة Allergies وعوامل الاثارة Irritants وكذلك لاسباب التوتر والارهاق . .

ولعل الرسم المرفق يوضح ما يجري للمصابين بالربو أثناء تعرضهم لأزمات هذا المرض ونوباته اذ تشتد العضلات التي تلف الشعب المتفرعة عن القصبة الهوائية ، اذا ما تعرضت هذه الشعب للاثارة ، فتتورم بطانه الشعب أو تفرز مادة مخاطية ، وهكذا يتعذر على الهواء المرور داخل تلك الشعب ، ويدخل المريض في معركة طلبا للهواء ، وتتعرض الشعب المضغوطة للذبذبات . . وهذه هي التي تحدث الصفير .

لماذا تزداد ولادات

بقلم : الدكتور صلاح بركات

☐ ان ولادة الأربعة توائم أو الخمسة ، لم تعد نادرة الحدوث ، كما في الزمن الماضي ، بل أصبحت شيئا عاديا خلال السنوات الأخيرة ، ولم يتوقف عدد التوائم عند هذا الحد بل تجاوزه في بعض البلدان كايطاليا ، وأفريقيا الجنوبية الى الستة توائم ، فما هي دلالة هذه الظاهرة . . ؟

ان ولادة النوع الانساني مخططة في الاصل من قبل الله جل وعلا ، على اعطاء طفل واحد من كل حمل ، فنحن لا نتوالد كالقطط أو الكلاب . . الموجودة معنا في رتبة الثدييات ، التي تعطي في كل حمل عدة صغار لها . . فماذا يعني وجود أكثر من طفل واحد في كل حمل عند الانسان ؟ هل بدأ النوع البشري يتعرض لنوع من التغير ؟ أم أن ولادة التوائم أتت كرد فعل ←

على تناقص الولادات في الدول المتقدمة اقتصاديا ؟ وحسب الاحصائيات فقد بلغ عدد الأحياء من التوائم بفرنسا وحدها ما يقارب المليون نسمة ، أي بمعدل ٨٠٣٤ ولادة سنوية .

ان أنثى النوع البشري لاتملك الا ثديين اثنين تعطيها لوليدها لاشباع جوعه ونهمه ، ومع وحيدها هذا فانها تلاقي صعوبات جمة ، وخاصة في بداية عملية الرضاعة ، ولا شك أن ارضاع التوائم - وخاصة اذا ازداد عددهم عن الاثنين - سيكون معقدا ، والاعتناء بهم سيكون صعبا للغاية ، فالمرأة في الأصل مهيئة للعناية بطفل واحد ، وما زاد عن ذلك فانه يعتبر شذوذا ، والولادات التوأمية تتردد عادة بنسبة معينة ، فلا تتجاوز المرة الواحدة في كل ثمانين ولادة عادية . هذه النسبة بدأت بالتغير كما يلاحظ ذلك بفرنسا وغيرها من الدول الغربية ، وأخذت بالازدياد ، فإلى أي سبب يعود هذا الازدياد ؟ هل سببه مرض فيروسي ؟ أم سببه التعرض لبعض أنواع من الاشعاعات ؟ أم يمكن أن ترد أسبابه الى بعض أنواع من الأدوية ؟ قبل تحديد أسباب هذه الظاهرة ، نحب ان نلفت النظر الى حبوب منع الحمل **Pilule** التي أضحى عمر استعمالها مايقرب من الثلاثين عاما ، ليس لها أي دخل في هذه المسألة ، فقد لوحظ أنه حين ايقاف المعالجة بموانع الحمل فان الخصوبية عند المرأة تعود كما كانت من قبل حتى لو كانت مأخوذة منذ عدة سنوات ، فحبوب منع الحمل غير قادرة على احداث مثل هذه الأمور ، كما لوحظ أيضا أن ولادات التوائم لاتعود أسبابها الى عملية التلقيح الصناعي .

اسباب ظاهرة التوائم

ان المسئولية في هذه الظاهرة ، تعود الى

فرانكو جيانين يلقي نظرة على ولادة التوائم وهم ٤ أولاد وبنتان .

يسجل بفرنسا سنويا ٧٧ حالة ولادة تحتوي كل منها على ثلاثة اطفال

سجلت أول ولادة في مدينة نانسي بفرنسا عام ١٩٧٨

التوائم الاربعة . كبار وصغار

طريقة معالجة العقم عند المرأة ، حيث يتم استعمال أدوية تعمل عمل المحثات لعملية التبيض لدى المبيضين ، بمعنى آخر خروج البويضات من تلك المبايض الى قناة فالوب . ان عمل هذه الحاثات يعاكس تماما عمل حبوب منع الحمل ، حيث تعمل هذه الأخيرة على منع التبييض ، وخروج البويضات من المبيضين .

ان اضطرابات العادة الشهرية وعدم انتظامها ، كغيابها مثلا لعدة سنوات أو حدوثها كل ٦٠ يوما أو ٩٠ يوما ، تحدث شللا في عمل المبيض ، وتمنعه من القيام بالوظيفة المنوطة به ، وأسباب هذه الاضطرابات كثيرة ومتنوعة ، ولكن يمكن اجمالها في شيئين اثنين ، اما اصابة المراكز المخية المسيطرة على عملية التبيض ، أو اصابة المبيضين بأمراض معينة ، وبشكل آخر وجود علة في المنطقة العليا من الجسم (الدماغ) . أو علة في الناحية السفلية من الجسم (المبيض) .

ويعتبر الهيبوتلاموس **Hupothalamus** والغدة النخامية **Hypohoe** أهم المراكز الدماغية المسيطرة على عمل المبيض .

ان تقدم العلوم الطبية والصيدلانية أدى الى ايجاد عقاقير جديدة ذات فعالية كبيرة في الشفاء من بعض أنواع العقم ، فعن طريق المركبات المحثة للتبييض والموجودة بشكلين ، حبوب (**Clo..®**) وحقن عضلية (**Neo..® Hum.. ®**) أمكن التحكم في أحداث التبييض وكانت النتائج مدهشة .

بين الحبوب والحقن

يتميز عمل الحبوب عن الحقن العضلية ، فالحبوب تعمل في الناحية العلوية من الجسم بصورة أدق في الغدة النخامية ، بينما الحقن العضلية تؤثر مباشرة على المبيضين .

ان هذه العقاقير المستعملة في معالجة العقم هي نفسها السبب في ايجاد التوائم ؟ ولكن كيف ؟ في بعض الأحيان تكون الجرعة المعطاة من الدواء أعلى من الحد اللازم لمعالجة العقم ، وهذه الزيادة تتسبب في تبييض كلا المبيضين ، وبالتالي خروج بيضتين على الأقل منهما ، هذه البيضات يمكن أن تلقح جميعها . ولهذا السبب فان ٢٠٪ من النساء المعالجات من العقم ـ عقم التبيض ـ أحمالهن تحتوي على أكثر من جنين واحد ، وغالبا ما تكون من الأحمال المضاعفة ، وقد تأخذ بعض الأزواج الفرحة بذلك النوع من الأحمال ، ولكن هذه لاتطول اذ أن أغلب الأحمال المتصفة بوجود ثلاثة أو اربعة أجنة تسقط بعد فترة من الحمل ، أو توضع هذه الأجنة بشكل غير كامل النمو ؟ هذه الأمور تسبب قلقا لدى الأم الحامل .

ان الدقة والنباهة في هذا النوع من المعالجة مطلوبة ، حتى يمكن تحديد الجرعة المناسبة وبالتالي تجنب حدوث التبييض لكلا المبيضين ، وبفضل جهاز التصوير بواسطة الموجات الفوق صوتية **Echognophe** أمكن الآن تحديد الوقت المناسب للتبييض ، وهذا يكون عند نضوج البيضة ، وتحديد النضوج هذا يتم عن طريق تحديد قطر البيضة ، فيحث المبيض على التبييض اذا زاد القطر عن ١٧ مليمتر ، وينتظر اذا كان القطر دون ذلك .

ان النساء العقيمات في هذا الوقت أصبحن أكثر حظا من نساء الأمس بسبب توصل العلم الى امكانية ايجاد الدواء المناسب لبعض أنواع العقم ، سواء عن طريق العقاقير أو عن طريق العمليات الجراحية . □□

طبيب الأسرة

السكري الكاذب

● أصيب أخي بمرض أدى الى فرط التبول مع عطش شديد وهزال وضعف،اعتقدنا معه أنه مرض البول السكري ولكن الاطباء أجمعوا على أنه سكري كاذب .

فهل هناك سكري كاذب وسكري صادق وما الفرق يا ترى وما هو العلاج ؟

ج٠م٠ع
دمشق

السكري الكاذب **Diabetes insipdus** وقد يُسمى باسم البيلة التفهة أو الزرب التافه ، وقد أطلق عليها صفة الكذب لتشابهها مع داء البول السكري الحقيقي حيث تتشابه الأعراض الأساسية ، وهي كثرة البوال مع مصاحبة عطش شديد .

ومرض البول السكري المعروف بالدبايبطس **Diabetes mellitus** سببه عجز في غدة البنكرياس **Pancreas** عن افراز هرمون الانسولين **Insulin** الذي يقوم بحرق سكر الجلوكوز **Gluesc** في الدم وتمثيله الغذائي ، أو خزن الفائض منه ، لهذا يتراكم السكر في الدم ، وقد يتسرب جزء منه الى سائل البول عبر الكلى ، ومن هنا يزيد افراز البول الغني بالسكر ، وبالتالي ينقص مستوى الماء في الجسم فيشعر المريض بالعطش لتعويض نقص الماء .

أما في حالة السكري الكاذب فالأمر يتعلق بخلل في غدة أخرى هي الغدة النخامية ، التي تقع أسفل الدماغ داخل الجمجمة .

وهذه الغدة النخامية تتكون من فصين ، الفص الخلفي منها يفرز هرمونا مضادا لادرار البول ، وهو الذي يتحكم في عمل الكلى فلا يتركها تفرز ماء الجسم على الغارب ، وهو ما يحدث في غياب هذا الهرمون ، اذا ما أصاب الخلل فص الغدة النخامية الخلفي . فيصاب المريض بفرط البوال مع شدة العطش ، ولكن البول في هذا الحال لا يحوي سكر الجلوكوز كما هو الحال في مرض البول السكري الحقيقي .

ولا يمكن تحديد السبب المباشر لهذا المرض ، فمنه ما هو وراثي أو قد يكون ورما ضاغطا دمر الفص الخلفي للغدة النخامية ، وهذا ما يكشفه التصوير والتحليل . وعلاجه باعطاء الهرمون المضاد لادرار البول اما حقنا أو استنشاقا . وهذا كفيل بالتحكم في عملية ادرار البول عبر الكلى ، ولكن العلاج الحاسم لابد أن يوجه الى الغدة النخامية ذاتها ، لتقصي أسباب عجزها وتلافي هذا العجز .

طبيب الأسرة

الزائدة الدودية بين الضرر والضرورة

Vermiform Appendix

● أصيب ابني بالتهاب الزائدة الدودية ، لم أملك معه الا الموافقة على اجراء عملية استئصالها ، وقد لامني بعض الاصدقاء مما شعرت معه بالندم .

فهل كنت أنا على حق أو كانوا هم على حق ؟

ج . س
صنعـــاء

الزائدة الدودية كما يوحي اسمها هي جزء من الامعاء ، تقع في تجويف البطن في الناحية السفلى من جهة اليمين ، وتخرج من ما يسمى بالأعور ، وهو موضع اتصال الامعاء الدقيقة بالامعاء الغليظة أو القولون ، حيث تخرج من خلفه على بعد ٢/١ ٢سم من فتحة الأعور المؤدية للقولون ، وبطول يتراوح مابين ٨ ـ ١٠ سنتمترات على هيئة الدودة .

ولما كان عملها مجهولاً ولازال ، فقد اعتبرت قطاعا زائدا لا وظيفة له عند الانسان ، لهذا أطلقوا عليها اسم الزائدة الدودية ، وان كان يظن أن لها دور في عمليات هضم النباتات ، حيث انها تطول كثيرا عند الحيوانات آكلة النبات بينما تقصر كثيرا عند الحيوانات آكلة اللحوم ، لهذا تصور البعض أنها تمثل مرحلة تطورية ، وقد انقرضت عند الانسان مع توقف مهمتها ، غير أن البعض الآخر قد يرى لها وظيفة مجهولة قد تنكشف مع الايام .

على أي حال فهناك اتفاق عام على خطر الزائدة الدودية اذا ما التهبت ، حيث تكون بمقام الخراج الدفين في البطن ، قد تنتهي بالانفجار وانتشار العدوى الى كافة الاحشاء ، مما قد ينتهي بصاحبها الى الوفاة . لهذا اعتبرت عبر العصور القديمة بمثابة المرض الخطير القاتل

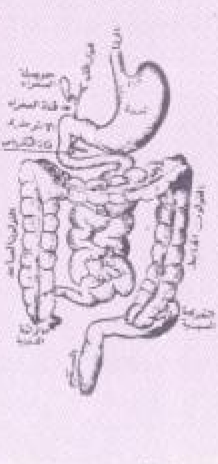

صبغة اليود وتطهير الجروح

Tinctlodine

● منذ فترة توجهت لاكثر من صيدلية ، لشراء زجاجة من صبغة اليود أضعها في صيدلية الاسعاف المنزلي ، ولكني فوجئت بعدم توفرها بحجة ايقاف السلطات الصحية لاستعمالها .

فما السر في هذا الاجراء وهل هناك من بديل ؟

س . ص
الكويت

اليود أحد العناصر الصلبة التي تتشكل على شكل بلورات ذات لون بني تشوبه لمسة بنفسجية ، ومصدره الأساسي هو المخلوقات البحرية ، لهذا فهو يستخرج من بعض أعشاب البحر ، ومن خصائصه أنه يتسامى ، بمعنى أنه يتحول من الحالة الصلبة الى الحالة الغازية دون أن يصبح سائلا مع ارتفاع درجة الحرارة ، كما أنه لا يذوب في الماء ، انما يذوب في الكحول ومحلوله هذا يسمى بصبغة اليود .

لقد عرف في صبغة اليود تأثيرها المطهر القاتل للميكروبات ، لهذا استعملت على نطاق واسع في تطهير الجروح ، وفي مراحل ما قبل العمليات الجراحية .

ولكن تأثيرها المطهر القاتل للميكروبات والجراثيم يحتاج الى فترة من الوقت قد تصل الى ١٥ دقيقة ، كما اكتشف مؤخرا أنه يؤثر على بروتين خلايا الجسم في موضع الجرح مما يعيق التئام الجرح ، هذا بجانب تأثير الكحول المهيج للانسجة . لهذا كله وحيث أن الفترة التي تستعمل فيها صبغة اليود لا تكفي لتأدية مهمة التطهير ، ولو تركت على الجرح طويلا فانها تؤدي الى تبريد الانسجة الحية وتعيق عملية الالتئام ، فقد قررت السلطات الصحية وقف تداول صبغة اليود لتطهير الجروح ، والاكتفاء بها لتطهير جلد المريض قبل العمليات الجراحية فقط .

أما البديل الأنسب لتطهير الجروح عوضا عن صبغة اليود فهو غسل الجرح بالماء الجاري النظيف مع الصابون ، ثم تجفيف الجرح بقماش مناسب نظيف ، وهذا ما ينصح به الأطباء على ضوء ما يتوفر لهم من معلومات حديثة .

حتى كان القرن الثامن عشر عندما تركز اهتمام الاطباء حول خطورة التهاب الزائدة الدودية . وقد اجتهدوا في اجراء عمليات استئصالها ويقال أن أول من مارس اجراء عملية استئصال الزائدة الدودية الملتهبة كان طبيبا فرنسيا من باريس يدعى ميستيفير **Mestivier** عندما فتح خراجاً بجوار السرة فوجد دبوساً كبيرا يسد الزائدة الدودية .

ومما يعرف عن التهاب الزائدة الدودية ، أنه يسبب انسداد فتحة الزائدة ، بينما فيما مضى كان يعزي الى توقف الامعاء ، وكان يختلط عند الاطباء مع التهاب الغشاء البريتوني (أو الصفان) وهو الغشاء المبطن للامعاء ، الا أن طبيبا ابداعيا من بوسطن يدعى ريجينالد فيتز **Reginald Fitz** كان أول من شخص المرض وحدد طبيعته على ما نعهد في الاسلوب الطبي الحديث بل كان أول من أعطاه اسمه المعروف بالتهاب الزائدة الدودية **appendicitis** عام ١٨٨٦ .

وعليه تعتبر عملية استئصال الزائدة الدودية اذا ما التهبت ضرورة ، واهمالها ضرر ما بعده ضرر .

العربي - العدد ٣١٢ - نوفمبر ١٩٨٤

رسالة حلب :

كيف نحافظ على تراثنا الموسيقي؟

بقلم : ممدوح الجابري

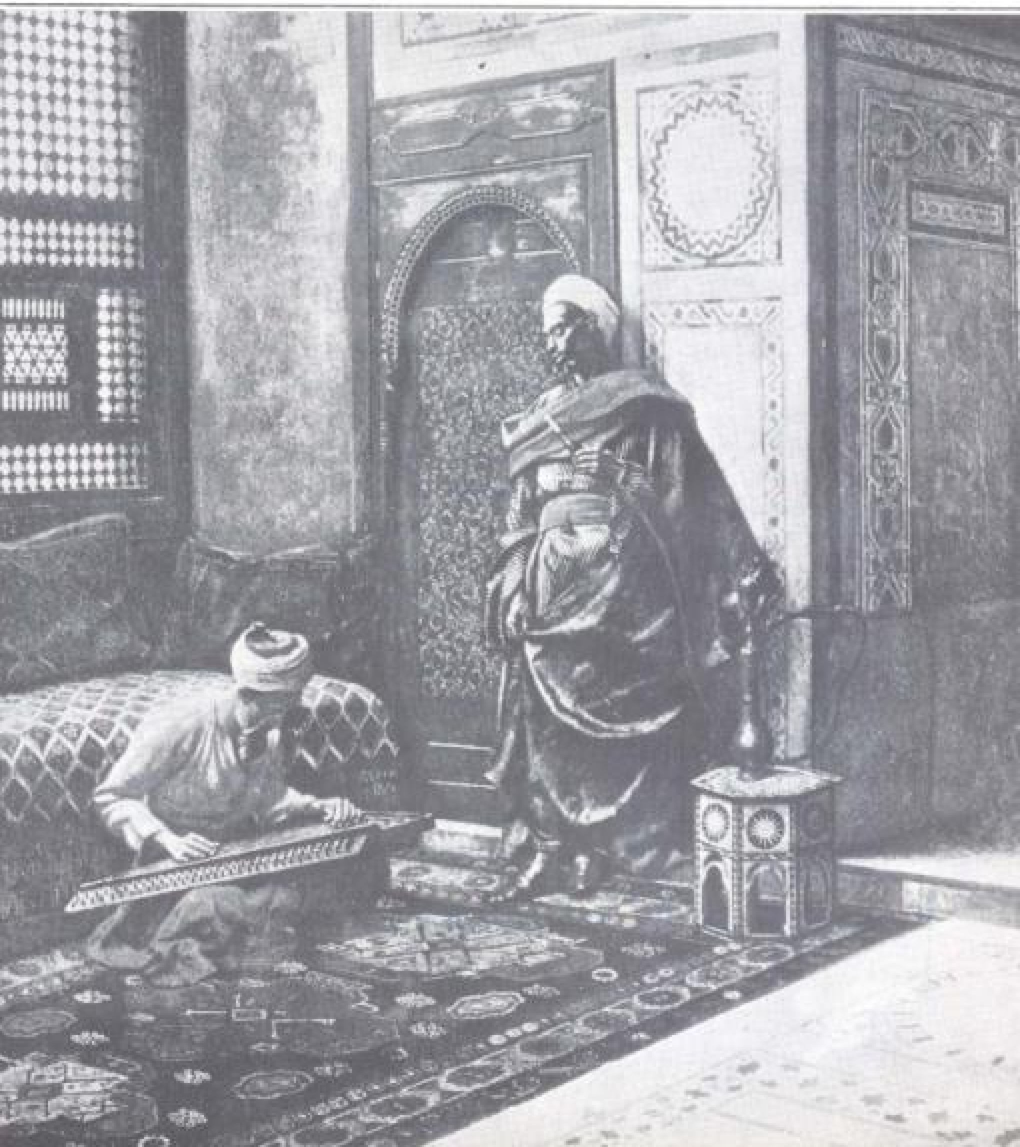

☐ تراثنا الموسيقي يصيبه التمزيق الذي يعرضه للضياع بدعوى التطوير .. والخوف من أن يأتي يوم لانترك فيه للاجيال القادمة الا صورا شوهاء محرفة لاتمت الى الاصل بصلة .

في الندوة التي نظمها(اتحاد اذاعات الدول العربية) بدمشق جرى البحث حول التراث الغنائي العربي وتحبيبه الى الناس عن طريق نشره في الاذاعة والشاشة الصغيرة .. صرح أحد أعضاء الندوة فقال :

إنه ينبغي اعادة صياغة تراثنا الغنائي ، وتقويمه بشكل حضاري ، لتجعله في المكان اللائق به .

وهذا لعمري تصريح خطير .. لان العبث بالتراث على أية صورة كانت ـ أمر يغير معالم تاريخنا الغنائي ويذهب به بددا ..

وفي علمنا أن الامم تحرص على ماخلفه لها الآباء والأجداد من (آثار) بقيت من بعدهم ، فيحيطونها بأسباب العناية والرعاية والحفظ ، فان كانت هذه الآثار أبنية وقلاعا وحصونا اوغير ذلك ، انشأت لها الدولة جهازا من المختصين للعناية بها ، وابراز معالمها ، ومافيها من فن وابداع ، ولم تنشيء الدول (دوائر) للآثار والمتاحف الا تحقيقا لهذا الغرض ، والتماسا لهذه الغاية ، ومن أهم أهداف هذه الدوائر الحفاظ على مثل هذه الآثار من كل عبث أو تخريب ، واصلاح ماتفعله بها الأيام على توالي السنين والعصور ....

أما الأدباء فقد حفظوا لنا (حفظهم الله) تراثنا الأدبي ، وعملوا على نشره ، ولايزالون يعملون للكشف عن كنوزنا المخبوءة ونشرها على الناس .

ولكن أخوتنا الموسيقيين ـ وقد أخذوا بفكرة التطوير ـ لم يكونوا حريصين حرص الأدباء على حفظ تراثنا الغنائي القديم ، وتركه كما هو من غير عبث ولاتشويه .. بل عمد بعضهم الى طرف من هذه الألحان فعبثوا ببداياتها أو أواسطها ، وأضافوا اليها ألحانا من تأليفهم .. ومثلهم في ذلك مثل شاعر من الشعراء المعاصرين يتناول قصيدة من قصائد المتنبي مثلا فينزع بيتا أو أبياتا من شعر لايعجبه ، ثم يضع في مكانها أبياتا من نظمه هو .. ثم يجيء آخر فلا يعجبه بيت آخر فيغير ويبدل .. وتضيع الطاسة ، ولايبقى لنا أدب موروث ، ولانعود نعرف أجديد هذا أم قديم ؟ أمن صنع الاقدمين أم من صنع المحدثين .. ؟

ولايختلف الحال كذلك ان قام نحات لم تعجبه قنطرة من آثار (تدمر) ،أو مدخل قلعة حلب الشهيرة ، فيهدمه ويعيده في فن من العمارة جديد ، بهندسة تروق له وتبدو في عينيه أجمل مما صنعوا ...

اختلط الحابل بالنابل

اكتب هذه السطور وأنا اسمع من أحدى الاذاعات لحنا لمحمد عبد الوهاب وقد جعلوه في قالب جديد بعد أن قلبوا عالية أسفله ... فعلوا ذلك والرجل حي يعيش بيننا ، ترى ماذا هم فاعلون بألحانه بعد عمره الطويل ؟

وليس هذا هو اللحن الوحيد الذي فعلوا به مافعلوا ، فهناك الحان كثيرة من تراثنا القديم مزقوا أوصالها ، ثم جمعوا أشلاءها في صيغ

جـديـدة راقت لهم ، وراح المغنـون يغنـونها بقوالبها الجديدة . . . حتى بدأت ترسخ في الأذهان بالاعادة والتكرار يوما بعد يوم ، واختلط الحابل بالنابل ، وضاع أصل هذه الألحان ، أوكاد ، ونحن نرى مايصنعون ، لايسألهم في ذلك سائل ، ولايقف في وجههم حائل ؟

سمعت مرة وصلة من الموشحات غنتها فرقة تونسية زارت حلب ، وأذكر انهم غنوا موشحا من التراث كان من مقام (المرصد) وكان مشهورا في بلدنا بصيغة أخرى تختلف عما غنوه ، فحز في نفسي أن يغني العرب في تونس الموشح الواحد بصيغة ، وفي سوريا بصيغة أخرى . . . ترى أيه صيغة أصح من هاتين الصيغتين ؟ وبأية صيغة يغنونه في المغرب والعراق ومصر والكويت والأردن وسائر أقطار العرب ؟ وتألمت أن يصيب تراثنا هذا التحريف . . . وكتبت كلمة عن هذا الموضوع نشرتها في صحيفة محلية تمنيت فيها أن يتنادي الفنانون العرب الى مؤتمر يجري فيه توحيد ماورثنا من الحان . . سواء أكانت موشحات أم أدوارا ام أغاني شعبية ، ثم تدوينها جميعا مع كلماتها بالكتابة الموسيقية والاتفاق عليها بين المؤتمرين ، ثم تتخذ بعد ذلك القرارات التي تلتزم بها الحكومات العربية بحماية تراث كل قطر من عبث العابثين وتطوير (المطورين) . . .

وان لم نفعل ذلك ضاع تراثنا ، ولانترك منه للاجيال القادمة حينئذ الا صورا شوهاء محرفة لاتمت الى الأصل بصلة . .

توصية المؤتمر

ولعل من المفيد أن نذكر بهذه المناسبة أن المؤتمر الخامس للمجمع العربي للموسيقا التابع لجامعة الدول العربية المنعقد في مدينة الرباط بتاريخ ٢٢ آب (اغسطس) عام ١٩٧٧م أوصى بنص يقول :

على الأجهزة الفنية وفرق الانتاج المعاصر التي تستلهم التراث ، ايقاف حملة استغلاله تحت ستار التطوير ، والمؤتمر يؤكد على ضرورة المحافظة على معالم التراث الأصيلة . •

بقي أن نقول أننا حين نسمع ألحان التراث نقف على ماكان عليه الاقدمون ، من أساليب صياغة الالحان ونعرف من أغانيهم لغتهم في أفراحهم وأتراحهم ، وماكانت عليه حياتهم الاجتماعية في مختلف صورها وألوانها . . .

ان ألحان (باخ) و (هاندل) و (موزارت) وغيرهم ممن تركوا لنا تراثا عالميا خالدا ، بقيت كما هي دون أن يجرؤ أحد على أن يغير منها حرفا واحدا ، ولايستبدل من أغانيهم كلمة أخرى ، لقد بقيت هذه الالحان كما تركوها هي نفسها ، وقد مرت عليها مئات السنين .

وبعد فانني لاأكتب هذه الكلمة للتعبير عن رأي عابر ، بل اكتبها راجيا أن يجعلها الكتاب والفنانون وأهل الرأي موضوع دراساتهم واهتمامهم ، اذا اردنا لتراثنا السلامة والخلود ، لأن الامة التي لاتراث لها لاتاريخ لها . . . □□

• جامعة الدول العربية ـ المجمع العربي للموسيقا ـ الأمانة العامة ـ بغداد المطبوع عام ١٩٧٨ ـ صفحة٧٧

■ اذا كان جمال الحياة . . . فنا وشعرا . . . وحبا . . . فان المرأة هى التى تبنى كل مافى الحياة من معانى الجمال .

عشية انتخابات الرئاسة فى أمريكا

آل كينيدى والحلم الضائع !

تأليف : جون هامون

عرض وتلخيص : ابراهيم العربي

جوزيف الاب مع ابنه جون كينيدى عام ١٩٣٩

□ إنها قصة حياة اسرة أمريكية كان مقدرا لابنائها ان يحكموا احدى اكبر دولتين في العالم .. ولكن « الحلم » الكبير ما لبث ان تبدد وسط سحب الفضائح التي اختلطت بالدماء والرصاص .. انها صفحات من كتاب يروي القصة من اولها .. ترى كيف كانت البداية ؟

« اعطوني فقراءكم والمكدودين فيكم ، وجموعهم المهضومة الحقوق ، المتحرقة لنسيم الحرية ..

اعطوني الفائض الملفوظ الذي يموج على شواطئكم ..

إبعثوا هؤلاء المشردين الضائعين ، ومن أطاحت بهم العاطفة ..

« ابعثوا بهم الى ...... » ..

كلمات منقوشة على قاعدة تمثال الحرية في ميناء نيويورك ..

في قرية « دونجانستون » في جنوب شرق ايرلندا ، كان باتريك كنيدي عام ١٨٤٨ قد قرر أن يهاجر الى العالم الجديد . . . ولم يكن فقيرا ، أو مكدودا ، أو قانطا أو ملفوظا ، كان أصغر أخوة لوالد يملك مزرعة صغيرة تزرع البطاطا ، المحصول الرئيسي لهذه البلاد ، وكان فعلا عام مجاعة وجوع ، فقد أصاب البطاطا مرض غريب أدى الى وفاة العديد من أبناء ايرلندا الفقراء الذين لم يجدوا ما يأكلونه ، وتمكن باتريك من جمع مصاريف السفر ، وودع أسرته ، وباركه القسيس ، وركب الباخرة الى بوسطن وأمضى رحلة عذاب قاسية ، لكنه على كل حال وصل الى العالم الجديد ، والتقى بأبناء بلده الايرلنديين الذين كانوا يتناولون أقل الأجور ، ويمضون فراغهم ، وربما ساعات عملهم ، وهم يحتسون الويسكي . .

ويبدأ باتريك عمله على الفور في صناعة براميل الويسكي ، ثم انتقل الى صناعة الويسكي المغشوش ، والخمور الرديئة ، وتزوج من ايرلندية مثله ، كان أبوها يمتلك بارا ، وأنجب ٣ بنات وطفلا أسماه على اسمه وبعد ٣٥ عاما من هجرته ، جاء مرض الكوليرا الى بوسطن ، وتمكن منه ، وتوفي باتريك الأول وبدأ ابنه باتريك الثاني كفاحه من أجل استمرار آل كنيدي على الأرض الجديدة .

البارات والملاهي

ودخل باتريك الثاني المدرسة ، وتعلم القراءة والكتابة ، وبدأ حياته العملية حمالا ، عندما شب ذكرته أمه بحكاية الويسكي والخمور التي بدأها الأب . وأعجب الايرلنديون بالخمر التي يقدمها لهم باتريك الثاني ، وكانوا قد أصبحوا قوة في بوسطن ، وأرادوا أن يمثلهم واحد منهم في برلمان الولاية ، فاختاروا كبيرهم جوزيف فيتزر جيرالد لهذا المنصب ، ساعده باتريك ، فكافأه جوزيف بتزويجه ابنته . . . وعن طريق السياسة ، والخمور ، والبارات ، أصبح باتريك شخصية كبيرة في بوسطن ، انتخب في برلمان ولاية ماساشوستس ، وأنجب ابنه جوزيف كنيدي ، والد جون ، وروبرت ، وادوارد .

نشأ جوزيف نشأة تختلف عن جده وأبيه ، لقد ولد والمال يجري بين يديه ، وحققت الخمور والبارات والملاهي الليلية الرخيصة السعادة للاسرة ، ودخل جوزيف جامعة « هارفارد » وتخصص في التاريخ والعلوم الاقتصادية ، وكان خلال دراسته يتاجر أيضا ، فكون فريقا (للبيسبول) يقدم مبارياته بأجر ، وراسل بعض الصحف الرياضية مقابل مكافأة ، وكان الشيء الوحيد الذي يثيره هو المال . . . وفي الاجازات الجامعية كان يشتري سيارة مثلا ، ويقوم بتوصيل الركاب الى المدن البعيدة ، كان يقف بجوارها ينادي على الزبائن .

وتزوج عام ١٩١٤ من روزفيتز جيرالد وهي ابنة لأحد السياسيين الأثرياء ، وأنجب منها ٩ أبناء وبنات .

الرجل الذئب

واشتهر جوزيف في أروقة « وول ستريت » - حي المال الأمريكي - باسم « الرجل الذئب » ! المنقض دائما على فريسته ، فكان يتاجر في كل شيء يحقق له الربح : المنازل ، والأراضي المرهونة . . . . وكان يشتريها مستغلا ضعف المدينين وحاجتهم . . وعندما وصل الى سن ٣٠ عاما ، كان قد جمع ثروة ، رغم العداء المتوطن في أمريكا للكاثوليكيين ، لكن جوزيف الكاثوليكي ، استطاع دائما معرفة وسائل اخماد هذه الأصوات . . . وانضم للحزب الديمقراطي حتى يساعده اتصاله بالحكام على زيادة أرباحه ، وتمكن فعلا من الاسهام في

الاخوة الثلاث روبرت وجون وادوارد كنيدي

شراء ترسانة بحرية قامت بانشاء ٣٦ مدمرة للقوات البحرية ، وكان يرأس الوزارة حينذاك فرانكلين روزفلت ، أيام الحرب العالمية الأولى !

وكانت السينما في ذلك الزمن في بداية عهدها ، ولكنها كانت تحقق أرباحا خيالية ، فانتشر سماسرته يبحثون له عن فرصة في الميدان السينمائي ، وعثروا على شركة انكليزية تعاني أزمة مالية ، فانقض عليها ، وسرعان ما شارك جلوريا سوانسون ، نجمة العشرينيات الفاتنة ، وأمضى عشر سنوات معها حقق منها الملايين وقيل انه اتخذها عشيقة له ، ولكنه كان حريصا دائما على ألا تأخذ منه سنتا واحدا الا بايصال ، كان يخصمه دائما من أرباح شركتها !!

واستطاع في الثلاثينيات أن يضع باسم كل من أطفاله التسعة مليون دولار .

وتوثقت العلاقة بينه وبين فرانكلين روزفلت ، المرشح لرئاسة الولايات المتحدة ووزير البحرية السابق ، وعندما عزم روزفلت على الترشيح ، قدم له جوزيف منحة مع كثير من أثرياء الحزب ، ونجح روزفلت في تولي الرئاسة ، وكان لا بد وأن يكافىء جوزيف على مساعداته .

واختار روزفلت صديقه كنيدي ، أكبر مضارب في بورصة نيويورك ، ليشرف على لجنة لمكافحة المضاربات في البورصة .. وعلى الفور ، توقف كنيدي عن المضاربة وترأس اللجنة ، لأنه يعرف أن الثمن الذي سيناله سيكون مجزيا ... وفعلا أصدر الرئيس روزفلت قرارا بتعيين جوزيف باتريك كنيدي سفيرا للولايات المتحدة في لندن .. في أخطر

فترات الحرب العالمية الثانية . . . ونجح جوزيف . . ولكنه كان يطمع في شيء أهم . . كان يريد أن يصبح رئيسا للولايات المتحدة الا أن القدر والمرض لم يحققا له هذه الأمنية ، ومن ثم عمل لأن يصل ابنه جون الى هذا المنصب ، وكانت دعايته الانتخابية « كان أبي يتمنى أن يكون رئيسا ولكن الظروف لم تساعده . . . لذلك فهو يقدمني لكم بدلا منه » . . وتقاعد جوزيف بعد أن أصيب بالشلل ، وترك ثروة قدرها ٤٠٠ مليون دولار ، لثلاثة أبناء لم يزد مصروف أي منهم حينما كان في الجامعة عن ٣٠ دولارا في الشهر . . واختير الثلاثة بعد ذلك أعضاء في مجلس الشيوخ الأمريكي !

العائلة المقدسة

عند تولي جون فيتز جيرالد كنيدي رئاسة الولايات المتحدة عام ١٩٦٠ ، أصبح بذلك أول رئيس كاثوليكي يحمل رقم ٣٥ من بين رؤساء الولايات المتحدة ،وكانت الأسرة قد قررت أن يتبع جون أسلوبا جديدا في حكم الولايات المتحدة يضمن للأخوة الثلاثة أن يحكموا أمريكا لمدة ٢٤ عاما متتالية، جون حتى ١٩٦٨ ، وروبرت حتى ١٩٧٦ ، وادوارد حتى ١٩٨٤ . . . وبدأ جون سياسة جديدة لأمريكا تعتمد على اللباقة الى حد كبير دون أن يضر ذلك بمصالح الولايات المتحدة في الداخل والخارج . . . وكانت سياسته الى حد ما ليبرالية . . فبدأ في تخفيف حدة التوتر مع الاتحاد السوفياتي ، والتقرب الى ديغول الذي كان قد اتبع أسلوبا يبعده عن التبعية الأمريكية ، وحاول انهاء مشاكل الزنوج الأمريكيين ،ولكنه كممثل للطبقة الفوقية الأمريكية اصطدم بالاتحاد السوفياتي في كوبا ، وزاد الغارات الأمريكية على فيتنام ، واستمر يقدم المساعدات لاسرائيل . . . واصطدم في الداخل مع الاحتكارات الأمريكية ، وخاصة احتكار الصلب الذي أراد أصحاب مصانعه رفع الأسعار مما دفعه الى التهديد بتدخل الدولة ، واصطدم مع أبناء طبقته التي يمثلها ، والتي بدأت تحس بخطورة سياسته وتأثيرها السيء على أرباحهم ، والتقى كنيدي ببندقية اوزوالد ، والتقى أوزوالد بمسدس روبنشتاين ، وأصيب روبنشتاين فجأة بالسرطان ومات فجأة . . . وتحول جون . . فيتز جيرالد كنيدي ، ابن طبقة التجار الأمريكيين ، الى جثة ، وضاعت آمال الأسرة وخطتها في حكم أقوى دولة في العالم مدة ربع قرن على الأقل ، ولم يصل التحقيق في مقتل كنيدي الى شيء حتى اليوم !!

وظهرت عشرات الكتب والمقالات : « موت رئيس » و « اغتيال رئيس » و « الاسراع في الحكم » و « قضية أوزوالد » أسئلة بدون أجوبة . . وقيل ان اوزوالد لم يكن القاتل ، وتردد أن شهود الاثبات قد قتلوا . . ورغم كل شيء ، ضاعت القضية وضاع صاحبها !

جاكلين وجريمة العصر

وبكى الرجال والنساء الرئيس الأمريكي المثالي ، الذي راح ضحية جريمة العصر ، قتل في نفس الفترة ـ قبلها أو بعدها ـ رجال آخرون : لومومبا ، وبن بركة ، وجيفارا ، ولم يبكهم الرجال والنساء بمثل ما فعلوا مع الرئيس جون ، الذي تحول بعد وفاته الى رمز وضحية للعنف الأمريكي . . وتحول الحديث بعدها الى الأرملة الثكلى الحزينة ، جاكلين كنيدي ، وراحت الصحف تتحدث عن أحزانها وملابسها وعن طفليها جون وكارولين !

وبعد سنوات من مقتل الرئيس جون كنيدي ، وزواج أرملته جاكلين من صديقه المخلص أرسطو أوناسيس المليونير اليوناني ، وملك شاحنات نقل البترول ، نشرت أشهر

مجلات شبه جزيرة « اسكندنافيا » واسمها « ساكسون » وهي توزع ستة ملايين نسخة في الأسبوع ، وتطبع في استكهولم عاصمة السويد تحقيقا صحفيا مصورا منقولا عن آخر عدد صدر من مجلة أمريكية ـ محدودة الانتشار ـ تسمى « ناشونال كلوز اب » أي « الصورة الوطنية من قريب » وكانت المجلة تصدر في بوسطن حتى يوليو ١٩٧٩ ، ولكنها اختفت فجأة !! .

التحقيق الذي نشرته المجلة السويدية صدر في الأسبوع من ١٢ الى ١٨ « يناير » عام ١٩٨٢ .

ونقلت عن المجلة الأمريكية رأس التحقيق وصورته ، وترجمت نصه الى اللغة السويدية ، كانت عناوين التحقيق الأمريكي ـ الذي صدر في « الناشونال كلوزاب » ـ تقول : عشيقة الرئيس تكشف

« جون فيتز جرالد كنيدي أب أطفالي » !

« لقد أعطيته الحب . . . الذي لم تستطع جاكلين أن تمنحه له ! »

والتحقيق بقلم الصحفية « مارتا جرانت دافيز » ، ونشر في تموز « يوليو » ١٩٧٩ ، وحرر من واشنطن ونشرت المجلة السويدية صورة كينيدي وجوان كاديغان التي طالبت بنصيبها ونصيب أولادها من تركة كنيدي ، كما نشرت صور أطفالها مارك « ٨ سنوات » ماري « ٩ سنوات » وباتريك « عشر سنوات » واختارت المجلة السويدية عنوانا لتحقيقها « صدمة في الولايات المتحدة » !

ماذا قالت جوان ؟

قالت المجلة : « السيدة جوان كارديغان « ٣٧ عاما » من ولاية بوسطن تتخذ اجراءات رفع دعوى امام المحكمة لاثبات أنها كانت عشيقة لجون كنيدي ، رئيس الجمهورية السابق ، الذي اغتيل عام ١٩٦٣ ، وانها انجبت منه ثلاثة اطفال ، كما ستطالب بنصيب أولادها من تركة والدهم واضافت انها عقب اغتيال الرئيس السابق اتصلت بشقيقه السناتور روبرت كنيدي ، وذكرت له الحقيقة كاملة ، وقدمت له المستندات التي تؤيد دعواها ، الا انه طردها ولم يعترف بما ذكرته وبعد فترة طلبها في مكتبه ، وخصص لها مرتبا شهريا ، وطلب منها الاحتفاظ بسرية علاقتها باخيه جون ، حرصا على سمعة الأسرة ، خاصة وانه كان يعتزم ترشيح نفسه لانتخابات الرئاسة عام ١٩٦٨ ، ووعدها بأنه سوف يقدم اليها مبلغا كبيرا تعويضا عن مطالبتها القانونية بنصيب أولادها في تركة شقيقه جون ! .

وتذكر السيدة جوان كارديغان أن جوزيف كنيدي ، والد عشيقها جون ، والمريض بالشلل ، وزوجته الام روز طلبا رؤية اطفال ابنهما منها ، وقدما لهم الهدايا ، وعندما اغتيل السناتور روبرت كنيدي في ٥ حزيران « يونيو » ١٩٦٨ ، توقف المعاش الشهرى الذي كانت تتقاضاه جوان فاتصلت بادوارد كنيدي ، الاخ الثالث لهما ، فانكر الواقعة تماما ، ورفض جوزيف كنيدي ، والام روز « والدا جون » مقابلتها ، فاتصلت بجاكلين كنيدي التي هالها الخبر ولم تصدقه ، وابلغت البوليس ضدها ، ولم يفرج عنها الا بعد ان قدمت مستنداتها فنصحها رجال الشرطة بالالتجاء للقضاء وعدم الاتصال باسرة كنيدي ! .

وتذكر جوان ان جاكلين اتصلت بها عدة مرات بعد ذلك للتأكد من علاقتها بزوجها ، وانهت حديثها قائلة بأنها ماضية في الاجراءات القانونية ! .

ما الذي حدث بعد ذلك ؟ . .

فجأة اختفت جوان كارديغان من الولايات المتحدة كلها ، هي وأولادها الثلاثة ، واقامت في السويد ، وقد ساهمت في عدة مشروعات مالية كبيرة جدا !!!

لا أرسطو ولا سقراط

أوناسيس كان رجلاً من ألمع رجال السبعينيات، فكان يملك امبراطورية واسعة من ناقلات بترول، وشركات، وطائرات خاصة، وتصل ثروته الى نصف مليار دولار، وقد جمعها بنفس الطريقة التي جمع بها جوزيف كينيدي ثروته «تاجرا في كل شيء».. بدأ ببيع الدخان، وتزوج ابنة مليونير يوناني آخر هو ستاور ليتفانوس، وجمع مئات الملايين، وعندما انتهت مهمة الزوجة في تدعيم مركزه المالي تركها الى ماريا كالاس، أشهر مغنية أوبرا، ثم تزوج جاكلين الزوجة السابقة لابن زعيم امبراطورية كنيدي!! وعندما تزوجت جاكلين أرستوطاليس اوناسيس قالت في حديث صحفي: «أنا لست إلهة، ولست قديسة، ولست رمزا.. انني بشر من لحم ودم سيدة في أجمل سنوات عمري جميلة، ثرية، وتواقة للمسرح والحياة.. ومن الطبيعي ان يقع اختياري على رجل يقف بجانبي..»!

ولكن، متى تعرفت جاكلين على اوناسيس؟؟ كان ذلك في الحفلات التي يدعوها اليها هي وزوجها جون كنيدي!! والذي صدر أخيرا كتاب خاص عن علاقته بمارلين مونرو التي اغتالتها المخابرات الأمريكية حتى لا تتكشف علاقتها بالرئيس!!

اغتيال روبرت كنيدي!

ولننتقل الى صفحة اخرى..

كأنما الجنون قد أصاب القاعة.. فجأة..

ما هذا الذي يحدث؟ هل يمكن تصديقه؟ لقد كانت قاعة فندق «امبسادور» منذ ثانيتين فقط، وقورة هادئة، تحفها الورود والاعلام والرجال والنساء من شخصيات المدينة الثرية في أبهى أناقتهم!!

ماذا حدث؟ ما الذي اصاب الحفل؟

رجال ونساء والهستيريا تكاد تملأهم، يجرون شمالا ويمينا لا يعرفون الى اين البعض يجري باقصى سرعته مخترقا أشلاء الأطباق والزجاجات الملقاة، حتى باب القاعة المغلق!.. فيعودون في نفس الحالة المحزنة الى بابها الآخر المغلق ايضا!! ويدقون عليه بعنف، ولكن بلا مجيب. ويشلهم الرعب والخوف عن الحركة، حتى تكاد عيونهم تجحظ وفجأة ايضا يعم الظلام ويزداد الصراخ والصياح، مختلطا بأصوات النساء والرجال. ورجل ملقى وحيدا في صدر القاعة، يئن، والدماء تقطر منه.. ويضاء النور، يتقدم عملاق ضخم من رجال البوليس ممسكا بعنف بشاب صغير اسمه سرحان.. يحمل في يده مسدسين. وتتركز العيون على الشاب الصغير ويتنبه احد الرجال الذين قتلهم الرعب، ويصيح فجأة: «أعطوني، حبلا.. يجب شنق هذا القاتل»!.

كان اليوم هو ٥ حزيران «يونيو» ١٩٦٨، الذكرى الاولى ليوم تعس من أيام العرب!! وقال الشاب الأسمر: «لقد فعلتها من أجل بلادي انني احب بلادي!».

اوناسيس صديق آل كينيدي
تزوج جاكلين بعد مصرع زوجها

وبلاد سرحان بشارة سرحان هي فلسطين العربية ، البلاد التي قال عنها روبرت كنيدي ـ عضو مجلس الشيوخ الامريكي عن دائرة نيويورك ، والمرشح لرئاسة الجمهورية حينذاك ، وجواد امبراطورية كنيدي الجديد في عالم السياسة : « ان على الولايات المتحدة الامريكية ان تساعد اسرائيل . . . كما لو كان العرب غير موجودين » !! وقال أيضا : « إن اسرائيل هي شعلة الحضارة الغربية في أرض الانبياء ، على الولايات المتحدة أن تدعمها ليزداد هذا التوهج الحضاري . . ! »

وقبل يومين فقط ، اي يوم ٣ حزيران « يونيو » ١٩٦٨ ، كان روبرت كنيدي مدعوا لحفل انتخابي وجاء متأخرا بعض الوقت ، ووقف امام الجماهير ليعتذر ويقول « اعذروني ايها السادة !! فلقد شربت قهوة عربية . . وكان علي أن أنظف فمي من آثارها »!!!!

روبرت يجب ان يموت !

وظهر كتاب روبرت كايزر « روبرت كنيدي يجب ان يموت » وفيه ذكر سرحان ان ما اثاره ضد روبرت هو أنه كان يصعقه بأحاديثه الصحفية والتليفزيونية التي ينافق فيها اليهود على حساب العرب وكرامتهم والسخرية منهم ، كل ذلك من اجل الوصول الى الرئاسة بأي وسيلة !!

« لقد كان سياسيا فاسدا ، يداهن اليهود بشكل مزري ، وانا اعتقد انه في قرارة نفسه كان يحتقرهم » !

واضاف سرحان : « لماذا تخشون اليهود ايها الامريكان !! انني احس ان نهاية امريكا ستكون على أيدي هؤلاء الصهاينة » !.

وسأل كايزر سرحان : « هل تعتقد انه لو لم يمت روبرت . . لكان اليوم رئيسا للولايات . . المتحدة ؟» .

واجاب سرحان : اعتقد انه كان يود ان يكون رئيسا ، أما إنه كان يستطيع ، فهذا ما لا اعرفه لقد كان عنده المال الكثير . . وهذا هو كل ما يتطلبه الامر ليكون رئيسا !

لقد كان روبرت كنيدي يملك مئات الملايين من الدولارات . . كان في استطاعته ان يحكم العالم كما يريد ، لان رئيس الولايات المتحدة يحكم العالم فعلا . . بوسائل متعددة !!

الجواد الجامح

وتبددت آمال آل كنيدي ، وسقط جوادها الثاني في حلبة الصراع من أجل السلطة . . وذلك حتى قبل أن يبدأ الشوط !!

واجتمعت امبراطورية آل كنيدي لتختار من يتابع نضالها ، وتركزت العيون على « تيد » أو ادوارد الابن الثالث،انه آخر جياد الأسرة . . ان ارواح الجد المؤسس باتريك كنيدي الأول ، وكل آل كنيدي الذين سقطوا على الطريق ، تطل اليوم لتبارك خطوات الابن الأخير من آل كنيدي وهو يتابع خطواته . . . الوجلة الى سدة الحكم . . وانتخب ادوارد فيتز جيرالد عضوا بمجلس الشيوخ ، انه في الطريق الممهد الى الحكم . . الى السلطة !!

جاكلين وجون كينيدي . . واسرار في حياتها

وذهب الى « اسرائيل » لتبارك هي الاخرى خطواته ، ليقدم لها فروض الطاعة والولاء ، وليضمن اصوات ستة ملايين ناخب يهودي امريكي ، لكن ادوارد كان جوادا جامحا . .

وفي يوم الجمعة ١٨ يوليو ١٩٦٩ ، دعا ادوارد كنيدي عددا من صديقاته واصدقائه لتمضية ليلة في « ادجار تاون » ، وهي مدينة صغيرة حالمة ، احتفالا بتكريم صديقه ديفيد هاكيت ، أحد مساعدي روبرت ، وحضر الحفل حوالي عشرين مدعوا ، كان من بينهم ست فتيات جيلات ، هن كما جاء في التحقيق : نانسي ليونز ، وشقيقتها ماريلين ، استر نيوبرج ، سوزان تاتيم ، روز ماري جوبيج ، ماري جو كويشن ، سكرتيرة شقيقه روبرت السابقة . . وقد قام احد المدعوين ـ جون جريمونز وهو احد مساعدي روبرت ايضا ، بحجز خمس حجرات مزدوجة للفتيات الخمس في موتيل فندق « كاتاما » واستأجر ادوارد قاعة فندق خاص يملكه محام يدعى سيدني لورنس ، بجوار الموتيل لاقامة الحفل وقبل انتهاء الحفل ، وقبل منتصف الليل ، نزل ادوارد مع صديقته ماري جو كويشن ، واستقلا سيارته وكانت الفتاة مخمورة وبجوار احد الجسور الصغيرة ، اوقف السيارة التي انزلقت الى الماء وبداخلها ماري ، وعاد الى منزله دون ان يفعل شيئا . . وفي الصباح تلقى مكالمة تلفونية من مدير بوليس . . « ادجار تاون » يستأذن فيها زيارة السيناتور في منزله لكي يلقي عليه بعض الاسئلة وقبل أن يصل مدير البوليس كان محامي ادوارد قد انتهى من كتابة تقريره عن الحادث !!

تفاصيل الجريمة . .

قال روبرت حرفيا كما جاء في « نيويورك تايمس » : « في الساعة ١١,١٥ مساء ليلة ١٨ سبتمبر » ١٩٦٩ ، كنت أقود سيارتي من « مارتا فينبراد ، وسرت في الطريق الرئيسي عائدا الى « ادجار تاون » وكنت في حقيقة الأمر لا أعرف هذا الطريق ، ثم انحرفت يمينا في شارع ديرك ، بدلا من ان اسير شمالا في نفس الطريق الرئيسي ، وبعد حوالي نصف ميل ، سرت على قنطرة صغيرة ووجدت سيارتي تنزلق فجأة من القنطرة الى المياه . . ففتحت الباب وخرجت ، وكانت معي في السيارة مسز ماري ـ لم يذكر بقية الاسم ـ السكرتيرة السابقة لاخي السيناتور روبرت كينيدي وحاولت النزول الى الماء لانقاذ ماري ، ولكن السيارة كانت تغرق بسرعة ، وحاولت فتح النوافذ والأبواب ، ولكنها كانت قد استقرت في القاع . . واضطربت ، وعدت الى الحفل حيث كان اصدقائي يمضون سهرتهم ، ورأيت سيارة في الطريق ، فركبت في مقعدها الخلفي حتى وصلت الى منزلي ، ولم ابلغ البوليس ، ورأيت الانتظار حتى الصباح » . .

وفي حديث للتليفزيون قال ادوارد كنيدي انه اتصل باصدقائه وطلب منهم المساعدة في انقاذ ماري وانتشال جثتها ، فذهبوا معه الى القنطرة ، وفشلوا في انتشال الجثة . . ولم يحاول أحد منهم ابلاغ البوليس . . خشية الفضيحة ! .

وسريعا ما قرر رجال البوليس ! والنيابة . والقضاء والصحف . والاذاعات . . . الخ . ان الحادث وقع قضاء وقدرا . . وذهبت ماري جوكويشن ،صديقة ادوارد كنيدي ، سكرتيرة شقيقه روبرت كنيدي ضحية وحملت معها في قبرها . . سر وفاتها . .

حـــرية

في قصيدة ليفجيني ايفشنكو ، الشاعر الروسي الشاب ، يقول :

« لون تمثال الحرية يكتسب شحوب الموت يوما بعد يوم » فانك يا أمريكا من فرط حبك لحرية الرصاصات .

« تطلقين النار على نفسك كل يوم . . □□

من مكتبة العربي

أمن الخليج
وتحديات الصراع الدولي

الكاتب : د . اسماعيل صبري مقلد .

الناشر: شركة الربيعان للنشر ـ الكويت

سنة النشر : ١٩٨٤م .

* من موقع هامشي في حركة الصراع الدولي ، الى نقطة القلب والمركز . هكذا كان لم اصبح وضع الخليج العربي ، على خريطة شواغل القوى الرئيسية في العالم . فما هي العوامل التي ساهمت في هذه النقلة ؟ يجيب المؤلف :

تعود هذه النقلة الى عاملين رئيسين :

ـ أولهما : احتواؤها على نسبة هائلة من المخزون النفطي العالمي ، وهذه الثروة النفطية الهائلة لم يعد بمقدور دول العالم الغربي الصناعي ، الاستغناء عنها .

ـ اما العامل الثاني : فيرجع الى ان قرب هذه المنطقة مكانيا ، بل والتحامها جغرافيا مع الاتحاد السوفيتي ، يجعل من التسهيلات الاستراتيجية الواسعة التي تضمها ، عاملا مؤثرا او فعالا في الصراعات الدائرة بين القطبين العملاقين .

هذا وقد أثارت الحرب العراقية ـ الايرانية الكثير من التكهنات في أوساط المراقبين الدوليين ، بشأن ما سيكون عليه مستقبل الأمن في الخليج ، بعد ان تضع الحرب أوزارها .

وقد اجتهد الكاتب في تصور الاحتمالات التي يمكن ان تتمخض عنها هذه الحرب .

تطور المجتمع
في فلسطين

الكاتب : د . محمد عرابي محمد نخلة

الناشر : ذات السلاسل ـ الكويت

سنة النشر : ١٩٨٣م .

بعد ان وضعت الحرب العالمية الثانية اوزارها ، وتم تقسيم تركة الامبراطورية العثمانية على القوى الاستعمارية ، وسقوط فلسطين ضحية بين أيدي الجلاد الانجليزي ، وتنالي المؤامرة التي اتفق عليها بين كل من وزير خارجيتي بريطانيا ـ سايكس ـ وفرنسا ـ بيكو فيما عرف باتفاقية سايكس ـ بيكو ، ثم صدور وعد بلفور اثناء الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٧ ، فان تغيرات واسعة شهدها المجتمع الفلسطيني .

عن هذه الفترة التي امتدت من سنة ١٩٢٠ الى سنة ١٩٤٨ اي طيلة الفترة التي سميت بعهد الانتداب البريطاني ، درس الباحث سمات وصفات الشعب

من مكتبة العربي

الفلسطيني ، وتكويناته الطبقية ، ونشاطاته الزراعية ، والصناعية والتجارية ، ثم عرج على مؤسسات التعليم والثقافة وغيرها من مؤسسات .

وأوضح مدى تأثير وعد بلفور وما تلاه من هجرات يهودية الى فلسطين ، مما ترك اثره الكبير على المجتمع الفلسطيني ، ورصد الباحث ردود الأفعال الفلسطينية والعربية الأخرى تجاه هذا الغزو المنظم ، الذي تحول الى استيطان واقتلاع للفلسطينيين من ارضهم ووطنهم .

دراسات في القصة
السعودية والخليج العربي

الكاتب : محمود رداوي

الناشر : الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون ـ الرياض

سنة النشر : ١٩٨٤م .

بما ان تاريخ بروز القصة الحديثة في منطقة الجزيرة والخليج العربي لا يتعدى عقدين من الزمان تقريبا ، لذلك فان الدراسات التي تناولتها قليلة نسبيا ، منها هذه الدراسة التي تناولت بعض المجموعات القصصية ، التي

صدرت في المملكة العربية السعودية من تأليف مجموعة من الكتاب والكاتبات .

وحتى يتسق عنوان الكتاب مع محتوياته ، فان الكاتب اضاف الى مراجعاته السابقة ، مراجعات اخرى لمجموعات قصصية قليلة من البحرين ، اتبعها مراجعة لمجموعة قصص « في الليل تأتي العيون » لليلى العثمان من الكويت .

مع ذلك فان المحتوى لم يتوافق تماما مع عنوان الكتاب ، وجاء خلوا من مراجعات تتعلق بالكتابات القصصية الأخرى في بقية اقطار الخليج العربي وقد برر الكاتب ذلك بقوله . :

« لقد ادرجت في هذا الكتاب دراسة عن مجموعات قصصية بحرانية ، واستبعدت اعمالا قصصية خليجية اخرى لعدم توفرها لي اولا ، او ربما لأنها تقترب من اختها البحرانية في كثير من السمات والملامح » .

حركة التأليف المسرحي
في سورية ١٩٤٥ ـ ١٩٦٧

الكاتب : احمد زياد محبك

الناشر : اتحاد الكتاب العرب ـ دمشق

سنة النشر : ١٩٨٢م

المسرح ابو الفنون كما يقال ، فيه يمكن ان نجد طبيعة

المرحلة وسماتها وتوجهاتها .

وقد رصد المؤلف حركة التأليف المسرحي في الفترة المنوه عنها اعلاه ، وربطها بما سبقها ولحقها ، وركز على توجهات الكتابة المسرحية ، وتوزعها على ما هو سياسي واجتماعي وتاريخي واسطوري . . الخ ودرس خصائص هذه الاتجاهات .

وقد برر اختياره للفترة الزمنية ١٩٤٥ حتى ١٩٦٧م . بالتالي :

« وهي المرحلة التي برزت فيها متغيرات واضحة في حركة التأليف المسرحي نفسها ، ففي حوالي ١٩٤٥ قوى الاتجاه نحو الاسطورة لاتخاذها مصدرا ، بعد ان غلب من قبل الاتجاه نحو التاريخ ، وهو العام الذي كان نهاية للانتداب الفرنسي على سورية ، ومع عام ١٩٦٧ قويت حركة التأليف المسرحي في سورية ، ونشطت واتخذت اتجاها جديدا ، وهو العام الذي عانى العرب فيه نكسة الخامس من حزيران .

احدى وعشرون طلقة

للنبي ـ قصص

المؤلف : الياس فركوح

الناشر : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت ودار المهد ـ عمان .

سنة النشر : ١٩٨٢م .

بالرغم من حداثة هذا الكاتب في عالم القصة القصيرة ، الا انه اصدر حتى الان ثلاث مجموعات اخرها هذه المجموعة التي ننوه عنها .

وبالرغم من انه في مجموعته الأولى « الصفعة » التي صدرت سنة ١٩٧٨ ، اتبع خطا تجريبيا واحتفى بالصور السيريالية .

الا انه في هذه المجموعة اخذ يستقر على اسلوب فيه الصورة الموحية التي تقترب من الاجواء السيريالية في بعض الاحيان . الا انها اصبحت اكثر وضوحا وربما واقعية . وجمله لا زالت مترعة بصورة الشعر وطلاوته ، ومع ذلك فان الهموم الاجتماعية والوطنية ، بقيت هي الهاجس الأساسي الذي يتجسد في كل القصص .

احتوت المجموعة على ١٦ قصة ، وبقدر ما احتفت بشفافية الجملة وايحائيتها ، فانها احتفت ايضا بتجسيد الاجواء الدرامية والسيطرة على الحبكة والتوزيع المدروس للوقفات والنقلات .

المسابقة الثقافية ٣١٢

نوفمبر ١٩٨٤

مازال الكثيرون من المشتركين في هذه المسابقات يكتفون بذكر أسمائهم وعناوينهم على ظهر المغلف فقط. ويغفلون عن ذكرها بوضوح على الورقه التي تحمل ردودهم .. ولا مفر لنا من اغفال هذه الردود ، وكأنها لم تكن ، لاننا نتلف المغلفات حال فتحها وتتلف معها اسم المتسابق وعنوانه .. فالمرجو التقيد بهذا الشرط وبسائر شروط المسابقه الثقافيه الاخرى ..

١ ـ جبران خليل جبران غني عن التعريف .. ألف كتبا عديده ، منها كتاب النبي .. وقد تأثر جبران في كتابة هذا الكتاب بأحد كتب الفيلسوف الالماني نيتشه . فما هو هذا الكتاب ؟

٢ ـ كارل ماركس هو رائد النظام الشيوعي السائد في الاتحاد السوفيتي وفي غيره .. ولكنه لم يولد في روسيا ولم يدفن فيها .. فأين ولد وأين دفن ومتى ؟

٣ ـ أي قناة في العالم يبلغ طولها ١٧٠٠ كيلو متر .. وعمرها ١٣٠٠ سنة ؟

٤ ـ نهر المسيسبي هو أعظم أنهار أمريكا الشماليه غير متنازع .. والاسم مركب من لفظين : ميسي ومعناه الماء ولفظ سيبي ومعناه الكبير ... ترى من سماه بهذا الاسم ؟

- الاسم بلفظيه برتغالي وقد أطلقه على النهر كريستوفر كولمبس .
- الاسم اسكندناڤي وقد أطلقه على النهر شعب الفايكنج .. وهم الذين سبقوا كولمبس الى اكتشاف امريكا .
- الهنود الحمر هم الذين اطلقوا الاسم على نهر المسيسبي .

٥ ـ أيها الصحيح لغة قولك (الرجل يُحْتَضر) أم (الرجل يَحتضر) اذا حضره الموت ..؟

٦ ـ ثمة معدن ثقيل ، لعله أثقل المعادن اطلاقا .. اذ يبلغ وزن قدم مكعب واحد منه ١٤١٤ رطلا انجليزيا أو ما يعادل وزن فيل بكامله .. ما اسم هذا المعدن .؟

٧ ـ يطلقون اسم (الولد الصغير) على قنبلة مدمرة ، القوها ابان الحرب العالمية الثانية .. فأي القنابل الثلاثة التالية هي تلك .؟

- القنبلة الاولى التي ألقاها سلاح الجو الياباني على قطع الاسطول الامريكي الراسية في ميناء بيرل هاربر .

جوائز المسابقة

الجائزة الأولى ٥٠ دينارًا
الجائزة الثانية ٣٠ دينارًا
الجائزة الثالثة ٢٠ دينارًا

و٨ جوائز تشجيعية قيمة كل منها ١٠ دنانير

جوائز العربي لقرائها أكثر من ألفي دينار سنويا

• القنبلة الذرية التي ألقوها على مدينة هيروشيما اليابانية .

• القنبلة النووية الاول التي صنعتها الولايات المتحدة وألقتها على سبيل التجربه في ٢٥/٧/١٩٤٦ .

٨ ـ كثيرا ما يعجب المرء لانتشار المسيحية في بلاد الحبشة ودخولها اليها منذ القدم . . ترى من أدخلها ومتى . . ؟

• الفينيقيون سنة ٣٤١ م .

• الرومان سنة ٤٥٠ م .

البرتغاليون في القرن الخامس عشر .

٩ ـ السير كريستوفر رن الرجل الانكليزي ، الذي عاش في لندن في أو اسط القرن السابع عشر ، اشتهر بانجازين عظيمين : أحدهما وضع تصاميم كتدرائيه القديس بولس الشهيره ، وهي ما زالت قائمة في لندن ، فما هو انجازه العظيم الثاني ؟

• كان من رواد عمليات نقل الدم .

• وضع تصاميم جسر لندن الشهير .

• وضع تصاميم قصر فرساي في باريس .

١٠ ـ نحن نعرف سكان الحضر . . فمن هم سكان المَدَر ؟

البدو ، سكان الخيام .

• ـ سكان البيوت المبنيه من طين

١١ ـ الصدريه الصوف المصنوعه بالصنارة تسمى جرزاية في معظم بلاد العالم ، لماذا ؟

• ـ نسبة الى جزيرة جرْزي ، أكبر جزر القنال البريطاني ، والموطن الاصلي لصناعة الجرزايات .

• التسميه أصلها عربي . . (غرزي) ولكنها حرفت بحيث أصبحت (جرزي) ويعني القماش المصنوع غرزا بالصناره .

• ـ التسمية أصلها فرنسي وتعني القماش المزخي المصنوع بالصناره .

١٢ ـ البيجاما هي الرداء الذي يستعمله الرجال للنوم في هذه الايام ، ترى أين استعملت البيجاما لهذا الغرض لاول مرة ؟

• في انكلترا حيث يسمونها بايجاما ، ومنها انتقلت الى أمريكا حيث يسمونها بيجاما . .

• في الهند ، بل في شمالها بالتحديد . . ومن هناك انتقلت البيجاما الى بريطانيا فسائر بلاد العالم . .

في بلاد فارس . . فالاسم فارسي كما هو معروف .

كوبون مسابقة العدد ٣١٢

حل مسابقة العدد (٣٠٩)

المنشورة في عدد أغسطس ١٩٨٤

نذكر فيما يلي الردود الصحيحة على أسئلة المسابقة (٣٠٩) علماً بأن المشتركين فيها كانوا قلة ، والذين أجابوا على أسئلتها اجابات صحيحة كانوا أقل .

١ ـ اشترى الرجل ١٠٠ أوقية ، ذلك أن الاقة = ٤٠٠ درهم والاوقية = ١٢ درهما . . ويذكر أيضا أن الاقة = ١٢٤٨ غرام ، وأن الأقه تعادل نصف رطل (٦ أواقي) او ٧٢ درهماً وذلك في عدد من الاقطار

٢ ـ الموضع الطري في رأس الطفل هو اليأفوخ أو اليافوخ لا النافوخ وهو تحريف العامة للأصل . (الوسيط ج١ / ص ٤٧) .

٣ ـ نعم الكلام صواب . . فالبريد أصلا هو الدابة التي تحمل الرسائل ، والبريد هو الرسول ، وهو أيضا المسافة بين كل منزلين من منازل الطريق ، وهي أميال اختلف في عددها . والبريد الرسائل وجمعه بُرُدْ .

٤ ـ تحتاج الشمس الى ٢٢٥ مليون سنة لتكمل دورتها حول مركز المجره التي هي جزء منها . . مجرة درب اللبّانه . ومرد ذلك الى أبعاد هذه المجره ـ وسائر أجرام السماء ـ وهي أبعاد هائلة يتعذر على العقل تصورها ، فقطر مجرتنا يبلغ ـ على سبيل المثال ـ ١٠٠,٠٠٠ سنة ضوئية ، وتبلغ السنة الضوئية ٦,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ ميل . وهذه السنة اصطلاح ابتدعه الفلكيون ليصبح في الامكان تقدير الأبعاد الفلكية الهائلة

٥ ـ ثاني أعلى جبل في العالم هو :

أكونكاجوا **ACONCAGUA**

والجبل المذكور هو أعلى قمم جبال الأنديز ، ويقع في غرب الأرجنتين بالقرب من حدودها مع الشيلي ، ويبلغ من الارتفاع ٢٢,٨٣٥ قدما .

٦ ـ لاباز ، عاصمة بوليفيا ، تبلغ من الارتفاع ١٢٠٠٠ قدم .

٧ ـ الصوف يمتص الماء بنسبة ١٦٪ والقطن يمتصه بنسبة ٩٪

٨ ـ ثاني أطول نهر في العالم هو الأمزون ويبلغ طوله ٤٠٠٠ ميل ، (٦٤٣٧ كم) أما النهر الأول طولاً فهو النيل ، ويبلغ طوله ٤١٨٧ ميلا (٦٧٣٨ كيلومترا)

٩ ـ الصورة المرفقة تقارن بين المساحتين المتقاربتين ، وتظهر فارقا صغيرا لصالح مساحة القمر .

١٠ ـ المخلوق الحي المقصود هو الشجرة الموجودة حاليا في كاليفورنيا ، وهي من نوع (سيكويا SEQUIA) ويسمونها الجنرال شرمان .

ومن طريف ما يذكر عن هذه الشجرة العملاقة والطاعنة في السن أنها زرعت قبل عهد توت عنخ آمون ، وكانت ما زالت في صباها عند ميلاد السيد المسيح . وكانت قائمة ابان الحروب الامريكية كلها ، فضلا عن الحربين العالميتين الاولى والثانية ، ناهيك باكتشاف أمريكا من قبل الفايكنج ، فكريستوفر كولمبس . ونرفق مع هذا الكلام صورة لهذه الشجرة توضح حجمها العملاق بالمقارنة مع برج بيزا المائل ، ومع قامة الانسان .

١ ـ المقصود هنا مياه نهر الأمزون العذبة ، فقد بلغ من غزارة مياه هذا النهر وقوة تدفقه في المحيط الأطلسي أن في الامكان تمييز مياهه العذبة وسط مياه المحيط المالحة ، من على بُعد ٢٠٠ ميل من مصبه . .

١٢ ـ الأمراض المعدية هي التي تنتقل من فرد الى آخر بالاتصال المباشر والملامسة ، وذلك بالمقارنة مع الامراض التي تصيب الانسان عبر الماء أو الهواء .

الفائزون بالجوائز الثلاثة الاولى

الجائزة الاولى : كمال أبو اليزيد شبارة / كفر الزيات / ج م ع

الجائزة الثانية : حموده عبد القادر / ولاية البليده / الجزائر .

الجائزة الثالثة : داود محمد / بروكسل / بلجيكا .

الفائزون بالجوائز الثمانية التشجيعية

١ ـ محمد رضا أحمد زاهر / القاهرة / ج م ع

٢ ـ الصيدلي صلاح الدين عبد القيوم أبو شامه / بورتسودان / السودان

٣ ـ محمد حسن عباس المهدي / الامارات العربية المتحدة

٤ ـ عبد الفتاح منيب / ولاية بسكرة / الجزائر

٥ ـ محمود حسن محمد الدباغ / القويسمه / عمان / الاردن

٦ ـ عبد الزهره عبد الجبار علي / بصرة ـ عشار / العراق

٧ ـ الفارض حسن / طنجة / المغرب

٨ ـ محمد قاسم سومرو / كنديارو / نواب شاه / سند / باكستان

معركة بلا سلاح

نوبة النقل (Zugzwang)

■ نوبة النقل أو « الحكم بالنقل » من الأمور التي يجدر باللاعب الحصيف أن يوليها ما تستحقه من اهتمام ، وخاصة في نهايات الأدوار . . . وكم من دور فقد بسببها لاضطرار اللاعب أن يلعب بدوره فيقوم بنقله اضطرارية ، تجلب الوبال عليه وتفقده الدور . . . وفي الموقف التالي بيان لما نعنيه بنوبة النقل أو **Zugzwang** الألمانية .

فنوبة النقل في هذا الموقف للأسود الذي يجد نفسه مضطرا للتقدم بالبيدق الى حـ ٢ أو ر ٧ بالطريقة الوصفية وهو يعلم أن الأبيض سيضربه كش مات في نقلته التالية ح ـ و ٢ ╪ أو ح ـ ف ٣ ╪ (بالطريقة الوصفية) ولكن ما باليد حيلة ونوبة النقل لا ترحم . وقد اقتطفنا هذا الموقف من نهاية أحد الأدوار ، غير أن هناك أمثلة بديعة لمواقف تظهر في أواسط الدور حيث يكون للاعب الخيار في القيام بواحدة من عدة نقلات ، ولكنها جميعا تؤدي الى خسارة محققة .

وللوصول الى مثل هذا الموقف كما يتضح من الشكل أعلاه يضحي الأسود بحصانه الثمين كما يلي :

٢٠	و × هـ ٤
٢١ . و × حـ ٥	ر × و ٢
٢٢ . و ـ ز ٥	ر أ ـ و ٨
٢٣ . م ـ حـ ١	ر و ـ و ٥
٢٤ . و ـ هـ ٣	ف ـ د ٣

مهدداً بأخذ الوزير بنقل الرخ الى هـ ٢

٢٥ . ر جـ ـ هـ ١	حـ ٦

نقلة انتظارية ليرى الأبيض أنه محكوم بنوبة النقل اذ ليس أمام الأبيض الآن سوى بضعة نقلات آمنة بالبيادق ، وهي « ب ٣ » أو « أ ٣ » أو « حـ ٤ » وليس على الأسود سوى تحريك ملكه جيئة وذهابا إلى أن تنفد هذه النقلات ويضطر الأبيض للقيام بنقلة خاسرة « م ـ حـ ٢ » أو « ز ٤ » مثلا عندها ينقل الأسود رخه الذي يحتل المربع « و ٥ » الى « و ٣ » ويفوز بالوزير . ولهذا لم يجد الأبيض أمامه سوى الاستسلام في النقلة التالية .

ونظراً لكون بعض قراء هذا الباب لم يتمرسوا بعد بالطريقة الجبرية التي أخذنا بها منذ مطلع هذا العام تمشيا مع مقررات الاتحاد الدولي للشطرنج والتي عرضنا اليها بالتفصيل في عدد يناير ١٩٨٤ فسنكتب الدور اعلاه بالطريقة الوصفية حتى لا يفوتهم الاستمتاع بطرافته :

٢٠	ب ف × ب
٢١ . و × ح	ر × ب
٢٢ . و ـ ٥ ح	ر (أ ر) ـ ١ فم
٢٣ . ك ـ ١ ر	ر (أ ف) ـ ٤ ف
٢٤ . و ـ ٣ م	ف ـ ٦ و
٢٥ . ر (أ ف) ـ ١ م	ب ـ ٣ ر م
٢٦ . يستسلم	(انظر الشرح اعلاه)

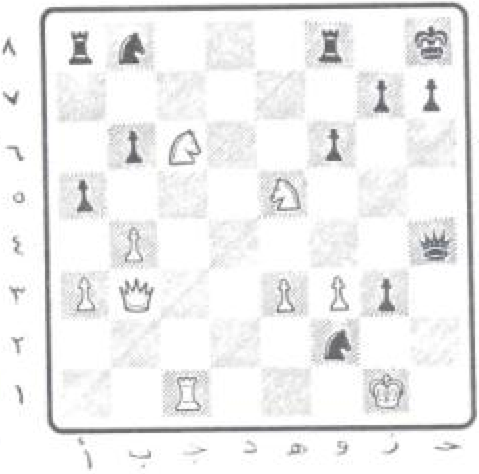

مسابقة العدد
المسألة رقم (٢٣)

الابيض يلعب ويكش مات في خمس نقلات

بريد الباب

القارىء حسين بالعيد من الجزائر يقول بأن خصمة في احدى المباريات المحلية ألزمه باللعب بالرخ لكونه بدأ نقلة التبييت بتحريكه أولا ويسأل إن كان صديقه على حق .

الجواب :

يبدو أن صديقك يتمسك بحرفية قانون التبييت والذي يقضي بأن يبدأ اللاعب بتحريك الملك أولا ، فالبدء بنقل الرخ يمكن أن يعتبر نقلة تامة ، في حين ان القفزة الطويلة التي يقوم بها الملك لا يمكن تفسيرها إلا بكونها تمهيدا للتبييت ، لذا يجدر باللاعب الحريص على تحسين مستوى لعبة مراعاة هذا القانون رغم قلة من يتمسكون بحرفيته من اللاعبين . وقد اوردنا في عدد اغسطس ١٩٨٤ دورا عالميا اضطر اللاعب المتقدم فيه للاستسلام لارتكابه مثل هذا الخطأ . .

الفائزون بحل المسابقة رقم (١٩)

الفائزون باشتراك سنة كاملة

---

١ ـ طلعت علي رضا ـ الواحات/ج م ع
٢ ـ رائد حطبي ـ حلب/سوريا
٣ ـ محمد المرزوقي ـ ابو ظبي/الامارات
٤ ـ نصر الطيراوى ـ السلط/الاردن
٥ ـ عصام سيد عمر ـ أسيوط/ج م ع

الفائزون باشتراك نصف سنة :

---

١ ـ مأمون اسماعيل ـ الفحاحيل/ الكويت
٢ ـ محمود عطية ـ السنبلاوين/ج م ع
٣ ـ مجدي عبد المنعم ـ الزقازيق/ ج م ع
٤ ـ محمد بلبركة ـ عرباوة/ المغرب
٥ ـ معتز نور الدين ـ الاسكندرية/ج م ع

حل مسابقة عدد شهر سبتمبر
المسألة (٢١)

١ . ر ـ جـ ٨ +　　م ـ ز ٧
٢ . ر ـ ز ٨ +　　م × ز ٨
٣ . ح ـ و ٦ (كشة مزدوجة)

حوار القراء

منازل الشمس والقمر

أود أن اتكلم عن مشكلة تحديد أول أيام رمضان وأول أيام العيد وأول أيام الحج - رغم أن كلامي تأخر قليلا.

هذه الاسطوانة التي اعتدنا على تكرارها كل عام ولذلك انقل لكم ما جاء في كتاب الفلك لصلاح الدين البيطار:

«يعتبر الفلكيون اول الشهر القمري في اللحظة التي يتم فيها اقتران الشمس والقمر، وهم يعينون هذه اللحظة بالحساب الفلكي. اما رجال الشرع الاسلامي فهم يعتمدون في تعيين غرة الشهر القمري على رؤية الهلال بالعين، ولما كان اقتران الشمس والقمر يقع في أية ساعة من ساعات اليوم كان من المتعذر في كثير من الأحيان رؤية الهلال عند غروب يوم ولادته وأدى ذلك لتأخير الغرة الشرعية يوما عن الغرة الفلكية، ومن هنا تنشأ «يوم الشك» قبل اول رمضان وعند نهايته، حيث يرتقب المسلمون رؤية الهلال لبدء صيامهم او لبدء عيد فطرهم، وفي الواقع لو تم اقتران الشمس والقمر عند غروب أحد الايام مثلا لكان اليوم الثاني أول شهر رمضان عند الفلكيين، غير أن تعذر رؤية الهلال في مساء ذلك اليوم، بسبب قربة العظيم من الشمس والحجابه، يجعل اليوم التالي آخر شهر شعبان لا أول شهر رمضان الشرعي. ولما كانت رؤية ذلك الهلال ممكنه في بلاد تختلف عن البلد الاول في طولها الجغرافي فقد حال ذلك دون توحيد اول يوم الصيام أو أول

نباتات .. بلا ساق

لقد لفت نظري في مجلتكم الغراء العدد ٣٠٩ باب «حوار القراء» كلمة السيد/ شكري أحمد الزغبي من دمشق - ثانوية الطيبه بعنوان «الأشنيات نباتات بلا ساق» تعقيبا منه على مقال في العدد ٣٥ بعنوان «غدا اللحوم من الطحالب» حيث أنه خلط كثيرا بين الطحالب والاشنيات ولذلك قمت بجمع هذه المعلومات عن الاشنات والطحالب والفرق بينها مستندا الى المراجع التي أذكرها في آخر المقال.

ينقسم العالم النباتي الى قسمين وهما:

١ - تحت مملكة النباتات الثالوثية «الدنيئة»

٢ - تحت مملكة النباتات الراقية «ذات الأجنة»

ويهمنا القسم الأول وهو الذي يشمل الطحالب - البكتريا - الفطريات - الاشنات **Lichens** والفيروسات.

وتقع الطحالب **Alge** والأشنات **Lichens** تحت القالب التقسيمي للنباتات الثالوثية المحتوية على كلوروفيل.

أولا: الطحالب **Alge**

وهي تضم عددا كبيرا من النباتات، وتتكون إما من خلية واحدة أو عدد كبير من الخلايا قد تصل أحيانا الى عشرات الأمتار، وهي غالبا نباتات مائية تنتشر في المياه العذبة والمالحة، والمناطق الرطبة، وتكون طافية على سطح الماء أو مثبتة على الصخور. وتختلف الطحالب فيما بينها من حيث اللون، أي نوع الصبغات الموجودة بها.

العيد أو اول يوم الحج عند المسلمين في مختلف اقطارهم .

وقد وصل الانسان اليوم بعقله وعمله الى تعيين منازل الشمس والقمر في أية لحظة ، وان في وسع رجال الشرع الاسلامي أن يطمئنوا الى نتائج الحسابات الفلكية كحقائق لايداخلها أدنى شك او شبهه ، وأن يعتمدوا عليها في تعيين غرة الشهور القمرية قبل وقوعها . وعندئذ تستقر مناسك الحج والصوم والاعياد .

عبد الله ابو الحسن الرفاعي

سوريا ـ دير الزور .

ولذلك قسمت على أساس ألوانها الظاهرية ، وعلى أساس نوع الغذاء المخزون بخلاياها ، ويتركب جدارها الخلوي من عدة طحالب .

وتتكاثر الطحالب بطرق عدة منها تكاثر بطريق انقسام الخلية انقساما مباشرا ، أما المستعمرات فهي تتكاثر عن طريق التجزئة الى مستعمرات جديدة داخل المستعمرة الام ، ثم إن هناك التكاثر اللاجنسي وهو أكثر أنواع التكاثر انتشارا بين الطحالب .

م / ربيع كامل أبو الخير
مصر العربية ـ البحيره .

خسارة المسلمين . بانحطاط العثمانيين

ردا على النبذة القصيرة عن حياة اتاتورك ـ المنشورة في العدد ٣٠٨ تموز / ١٩٨٤ تقول إن الدولة العثمانيه الاسلاميه التي بدأت بتاريخ عسكري وتنظيمي عظيم ، كانت امتدادا لعصر القوة الاسلاميه في العالم ، وزيادة هيبة الاسلام في أوروبا .

العثمانيون الفاتحون حافظوا على روح الاسلام ، وتوطيد ركائزه في الشرق بعد انهيار حكم المماليك ، وكانوا حجر عثرة أمام تقدم المغول ، وبعد أن استبد الطمع البرتغالي والاسباني بأطراف السواحل العربية رد العثمانيون ردا مباشراً وغير مباشر . . وبدأت دولتهم بالظهور كقوة عالمية يحسب لها ألف حساب عندما فتح السلطان محمد الفاتح القسطنطينية عاصمة المسيحية الاولى ، والامبراطورية التقليدية التي هيمنت على قسم من الشرق العربي مدة طويلة . وكان ذلك في عام ١٤٩٢ م .

ومع بداية العصور الحديثة وبانتهاء العصور الوسطى ، بدأ العثمانيون احتلال أوروبا بل كادوا أن يجعلوا منها اسلامية . فاقاموا المساجد ، وكثر عدد الأحياء الاسلاميه بالمدن والقرى ، ودوى أسم الاتراك العثمانيين المسلمين ، في العالم وزادت هيبتهم ، وحافظوا على هذا الكيان ، وحفظوا التراث الاسلامي على الأقل من الضياع والتشتت ، وثبتوا الوحدة السياسية والدينية ، ووقفوا مواقف ايجابية في التاريخ العربي المعاصر من قضية فلسطين عندما عرض اليهود على السلطان ان يشتروا قسماً من الأرض لصالحهم ، فما كان منه ـ وهو يعرف مكرهم وطمعهم ـ إلا أنه غضب وأعلن أن فلسطين اسلامية لا يمكن أن تؤخذ الا بالدم . انه موقف أشرف من المواقف التي وقفتها البلاد العربية وقت بدء الاحتلال الصهيوني لها في عام ١٩٤٨ . وما أن جاء اليهود ولعبوا دورهم في الاسهام بانهيار هذه الامبراطورية العظيمة حتى أسلمت أمرها الى الاستعمار الأوربي ، وبدأت المؤامرة بأنهاء الخلافة ، وتأسيس الجمهورية التركية . متمثلة بشخص أتاتورك . والنبذة المنشورة عن حياة أتاتورك مدحا يجب أن تكون ذما وتجريحا له ولفترة حكمه

زياد محمد ـ سوريا ـ حمص

حوار القراء

القهوة في الأجسام

القهوة مشروب عجيب حقا ، فهي لا تسمن ولا تغني من جوع ، وأثرها اللطيف المنبه ليس خيرا من أثر غيرها من المشروبات ، ومع ذلك فقد بلغ عدد الذين يتناولونها بمقادير تفوق ما يشربونه من غيرها من المشروبات نحو ١٥٠٠ مليون نسمه ، أى ثلث سكان العالم . وهذا بالرغم من أن البن لم يدخل الأسواق العالمية الا في القرن السابع عشر ، فما سر القهوة اذن وما حقيقة أثرها ؟

القهوة مشروب منبه،ويعزى أثرها لعناصر تركيبها الفعالة وتختلف نسبة الكافئين في القهوة تبعا لأنواعها المختلفة ، فهي تتراوح بين ٠,٨ ـ ١,٥ ٪ في أصناف الأرابيكا ، وتبلغ ما بين ١,٦ ـ ٢,٥ ٪ في أصناف الروبستا .

والكافئين مادة من أشباه القلويات ، تحدث هي وسائر القلويات الاخرى التي في القهوة آثارا فيسيولوجيه في جسم الانسان ، وفي جهازه العصبي ، ودورته الدمويه ، ومن شأنها أن تضيق الأوعية الدموية السطحية التي في الجلد ، وتنشط الدماغ فتزيد الضغط الدموى الشرياني .

ويوصف الكافئين ـ أو القهوة ـ للذين يعانون من بعض الأمراض ، إلا أن الاسراف في شرب القهوة غالبا ما يزيد حوضة المعدة ، ويحدث تأثرا في الاعصاب واثارة في القلب .

على أن للقهوة أثرا في النفوس غير أثرها في الأجسام ، لا سيا فينا نحن العرب ، فالقهوة مشروب عربي صميم انتشر في العالم العربي منذ أكثر من أربعة قرون ، وما أسرع ما أصبحت القهوة مشروب العرب الشعبي ، فضلا عن كونها مشروب الضيافة فظهرت دور القهوة (المقاهي) في مكة المكرمة والقاهرة ودمشق واستانبول وسائر المدن .

محمد نزار النزاوى ـ سوريا ـ دمشق

العربي :

القهوة والشاى كلاهما من المنبهات وضررها أكثر من نفعها ، لكن الانسان يقبل عليها رغم علمه بذلك ، ويشربها ممارسة لعادة .

زورونا في حضرموت

أكتب اليكم هذه الكلمات البسيطة لكي أذكركم بماض مر . . هل تذكرون استطلاع (العربي) في مدينة سيون-حضرموت والاستطلاع الذي صوره أوسكار وسليم زبال عن سيون في عام ١٩٦٥م شهر أغسطس (آب) العدد ٨١ من مجلة العربي ؟ لقد تناول الاستطلاع معاناة أهالي حضرموت من السلطنة الكثيرية والقعيطية والمجاعات التي حصلت آنذاك .

نحن نريد منكم أن تخرجوا الى مدينة سيون باليمن الديمقراطية وتقارنوا بين استطلاع عام ١٩٦٥ واستطلاع عام ١٩٨٤ م أو عام ١٩٨٥ م فستجدون الفرق شاسعا جدا لدرجة أن الحضارة تقدمت بشكل لابأس به في عهد حكومة جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية .

حسين أبو بكر العيدروسي
اليمن ـ سيون

● العربي :

نشكر لكم دعوتكم . . ونحن نتابع باستمرار مظاهر التطور والتقدم في الوطن العربي . . وقد فعلنا ذلك أيضا في استطلاعاتنا الجديدة في اليمن الديمقراطية . وقمنا قبل شهرين باستطلاع عن المهرة . . . رصدنا فيه مظاهر التطور والحياة الجديدة هناك . . . وذلك هو ماتضعه العربي في خططها باستمرار .

مِنَ المسرح العالمي
سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع كل شهر
وزارة الإعلام في الكويت

أول نوفمبر ١٩٨٤

١٨٢

يوريبيديس - ٧

هيبوليتوس

ترجمة وتقديم : د. عبد المعطي شعراوي

مراجعة : د. أحمد عثمان

عالم المعرفة

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

نوفمبر ١٩٨٤

البايولوجيا ومصير الإنسان

تأليف:

الدكتور سعيد محمد الحفار

٥٠٠ فلس

الكتاب الثالث والثمانون

المراسلات:

توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

لاصوت آخر يصف ساعة رولكس بمثل هذا الجمال

أحيت «كيري تي كاناوا» أولى حفلاتها الغنائية، وهي في الخامسة عشرة، أمام جمهور من السيدات ينتمين إلى جمعية نسائية محلية في أوكلاند، نيوزلندا.

ولربما لامس صوت "كيري" وتراً حساساً في نفوس هذا الجمع من السيدات، إلا أن أيا منهن لم يخطر لها ببال ان الفتاة سوف يلمع نجمها لتصبح من أشهر مغنيات سوبرانو الأوبرا في العالم.

وكان ما تقاضته مقابل ظهورها على خشبة المسرح آنذاك مبلغاً سخياً مقداره جنيهان استرلينيان.

واليوم، وبعد قيامها بدور «دونا الفيرا» من مسرحية "دون جيوفاني" في باريس، أو دور الكونتس في مسرحية «عرس فيغارو» في كوفنت غاردن، بلغ التأثر منتهاه بكثير من النقاد حتى وصفوا صوتها بأنه لا يقدر بثمن.

وحيثما غنت هذه النجمة العالمية، إن في نيويورك، لندن، باريس أو ميلانو، تلاقي تجاوباً رائعاً وحماساً منقطع النظير. يضاف إلى ذلك النجاح الخارق لفيلم "دون جيوفاني" - اخراج جوزيف لوسي - الذي تألقت فيه كيري بدور "الفيرا".

تقول كيري: "إني مدينة بالكثير للتدريب والتكنيك الفني الذي اعتمدته أساساً حيث أصبح صوتي مكيفاً للغناء متخطياً كل المصاعب". واختيار "كيري تي كاناوا" ساعة لمعصمها لأمر يغمرنا بالسرور، حيث تقول: "بكل بساطة، رولكس اويستر ليدي - ديت جست الذهبية هي ساعة رائعة. وطوال سنوات، وأنا أستعملها، لم يحدث أبداً أن زلت أو أخلت... وأنا أعلم كم من الصعب أن تبلغ الأمور مرحلة المئة بالمئة.

وكل يوم، وحيثما كنت، أمضي ساعة على الأقل في غناء دور مسرحي لأحافظ على صوتي نقياً رخيماً. لذا، أقدر الوقت حق تقدير، وكذلك المهارة والمجهود الذي يبذل لابداع شيء في منتهى الجمال والدقة، كهذه الساعة."

"كيري تي كاناوا" وساعتها رولكس ليدي-ديت جست.

لم يصدر عن أي صوت آخر تعبير بمثل هذا الجمال.

ROLEX
رولكس

ساعة رولكس ليدي - ديت جست المصوغة من الذهب عيار ١٨ قيراطاً أو من فولاذ لا يصدأ مع سوار ينسجم معها.

تصدرها
جامعة
الكويت

مجلة العلوم الاجتماعية

مجلة فصلية أكاديمية تعنى بنشر الأبحاث والدراسات في مختلف حقول العلوم الاجتماعية.

رئيس التحرير: **د. خلدون حسن النقيب**

مدير التحرير: **عبد الرحمن فايز المصري**

منبر بارز للأكاديميين العرب.

توزع أكثر من (٨٠٠٠) نسخة.

الاشتراكات

للمؤسسات: ١٢ ديناراً في الكويت.
٤٥ دولاراً أمريكياً في الخارج

للأفراد: ٢ دينار في الكويت ، ١ دينار للطلاب
٢,٥ دينار أو ما يعادلها في الوطن العربي.

١٥ دولاراً أمريكياً في الخارج.

الموزع في الكويت والخارج: مجلة العلوم الاجتماعية

توجه جميع المراسلات الى: **رئيس التحرير**
مجلة العلوم الاجتماعية - جامعة الكويت ص. ب ٥٤٨٦ صفاة - الكويت
هاتف: ٢٥٤٩٤٢١ «مباشر» ٢٥١٠١٨٨ / ٣٧٣ / ٢٥٠ تلكس ٢٦١٦ كويت

المجلة العربية للعلوم الانسانية

تصدر عن جامعة الكويت ، فصلية محكمة ، تقدم البحوث الأصيلة والدراسات الميدانية والتطبيقية في شتى فروع العلوم الانسانية والاجتماعية باللغتين العربية والانجليزية .

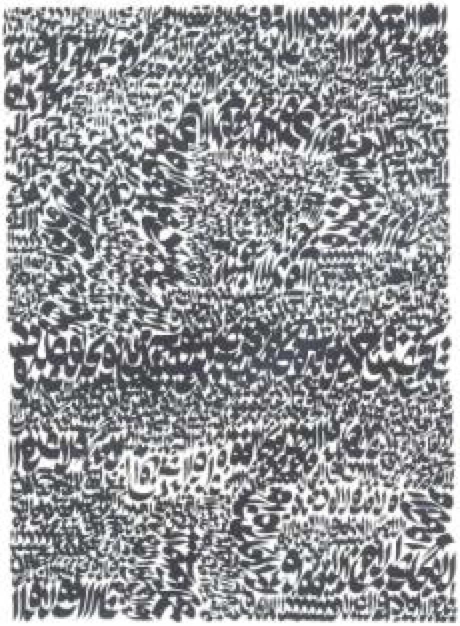

رئيس التحرير

د. عبدالله العتيبي

مديرة التحرير

آمال بدر الغربللي

جميع المراسلات توجه الى رئيس التحرير : ص . ب : ٢٦٥٨٥ الصفاة ـ الكويت

هاتف : ٨٢١٦٣٩ ـ ٨١٥٤٥٣ (الشويخ) ـ تلكس ٢٢٦١٦ KUNIVER

مجلة
دراسات الخليج والجزيرة العربية

تصدر عن جامعة الكويت

رئيس التحرير
الدكتور عبد الله الغنيم

صدر العدد الأول في كانون ثاني (يناير) ١٩٧٥

تصل أعدادها الى أيدي نحو ١٢٥,٠٠٠ قارئ

يحتوي كل عدد على حوالي ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير تشتمل على : -

- مجموعة من الأبحاث تعالج الشئون المختلفة للمنطقة بأقلام عدد من كبار الكتاب المتخصصين في هذه الشئون .
- عدد من المراجعات لطائفة من أهم الكتب التي تبحث في النواحي المختلفة للمنطقة .
- أبواب ثابتة : تقارير - وثائق - يوميات - ببليوجرافيا .
- ملخصات للأبحاث باللغة الانجليزية .

ثمن العدد : ٥٠٠ فلس كويتي أو ما يعادلها في الخارج .

الاشتراكات : للأفراد سنويا ديناران كويتيان في الكويت ، ١٥ دولارا أمريكيا في الخارج (بالبريد الجوي) .

للشركات والمؤسسات والدوائر الرسمية : ١٢ دينارا كويتيا في الكويت ، ٤٠ دولارا أمريكيا في الخارج (بالبريد الجوي) .

منشورات المجلة :

تصدر المجلة أيضا دراسات مستقلة متعلقة بشئون المنطقة صدر منها

١ - كتاب التكامل الاقتصادي في الخليج العربي (د . محمد هشام خواجكية) ١٩٧٩ .
٢ - كتاب آفاق التنمية الصناعية في دول الخليج العربي (د . عبد الاله أبو عياش) ١٩٧٩ .
٣ - كتاب حقوق الطفل في دولة الكويت (د . بدرية العوضي) ١٩٧٩ .
٤ - كتاب الاحصاءات الاقتصادية في المملكة العربية السعودية (بدوي خليل) ١٩٨٠ .
٥ - دور جريدة فتاة الجزيرة في أحداث عام ١٩٤٨ بصنعاء (سلطان ناجي) ١٩٨٠ .

سلسلة وثائق الخليج والجزيرة العربية لعام صدر منها :

الكتاب الأول وثائق الخليج والجزيرة العربية لعام ١٩٧٧ ، ١٩٧٩ .

العنوان : جامعة الكويت - كلية الآداب والتربية - الشويخ - دولة الكويت .
ص . ب : ١٧٠٧٣ - الخالدية
الهاتف : ٨١٦٨٠٧ - ٨١٦٧٩٩ - ٨١٦٨٢

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير .

صنع باليابان
توشيبا
توشيبا: الرّائد في أجهزة
الأوتو ريفيرس
BOMBEAT SX7
(RT-SX7)
AUTO REVERSE
ان الراديو ومسجل الكاسيت الستيريو RT-SX7
لا يقدم مجرد أفضل صوت في مجال الستيريو
ولكن أيضاً ميزة TOSHIBA الخاصة أوتوريفيرس
لتمكينك من الإستماع لوجهي الشريط من غير
حاجة إلى قلب الكاسيت. كما يمكنك الإستماع
إلى موسيقاك المفضلة التي يبثها الجهاز RT-SX7
من خلال راديو ٤ موجات (FM/MW/SW./SW.).
أما مكبرات الصوت بقوة بث ٦٠ واط (P.M.P.O)
فهي مثالية التوازن بفضل الغرافيك أكواليزر
٤ موجات مما يوفر لك نوعية الصوت والإستماع
التي ترضي ذوقك.
مهما كان السبب لإختيارك الجهاز RT-SX7،
ستكون واثقاً من اختيارك لأنه صنع في اليابان بواسطة
توشيبا، منتجة أكبر عدد من أجهزة مسجلات الراديو
كاسيت الأوتو ريفيرس في العالم، كلها مثيرة ومنتجها
TOSHIBA في اليابان.
BOMBEAT SF5
(RT-SF5)
AUTO REVERSE
• ٤ موجات (FM/MW/SW./SW.)
• قوة بث ٤٠ واط (P.M.P.O)
• محول كهربائي مثبت
BOMBEAT 170
(RT-170SG)
AUTO REVERSE
• ٤ موجات (FM/MW/SW./SW.)
• قوة بث ٢٠ واط (P.M.P.O)
BOMBEAT 150
(RT-150SG)
AUTO REVERSE
• ٤ موجات (FM/MW/SW./SW.)
• قوة بث ١٦ واط (P.M.P.O)
Toshiba
TOSHIBA
TOKYO, JAPAN

نهدف.. لخدمتكم
الخطوط الجوية الكويتية
KUWAIT AIRWAYS
ملتقى الشرق والغرب

ربيع الاول ١٤٠٥ هـ - ديسمبر ، كانون الاول ، ١٩٨٤

العربي

كوالالمبور
نقطة اللقاء بين المتناقضات

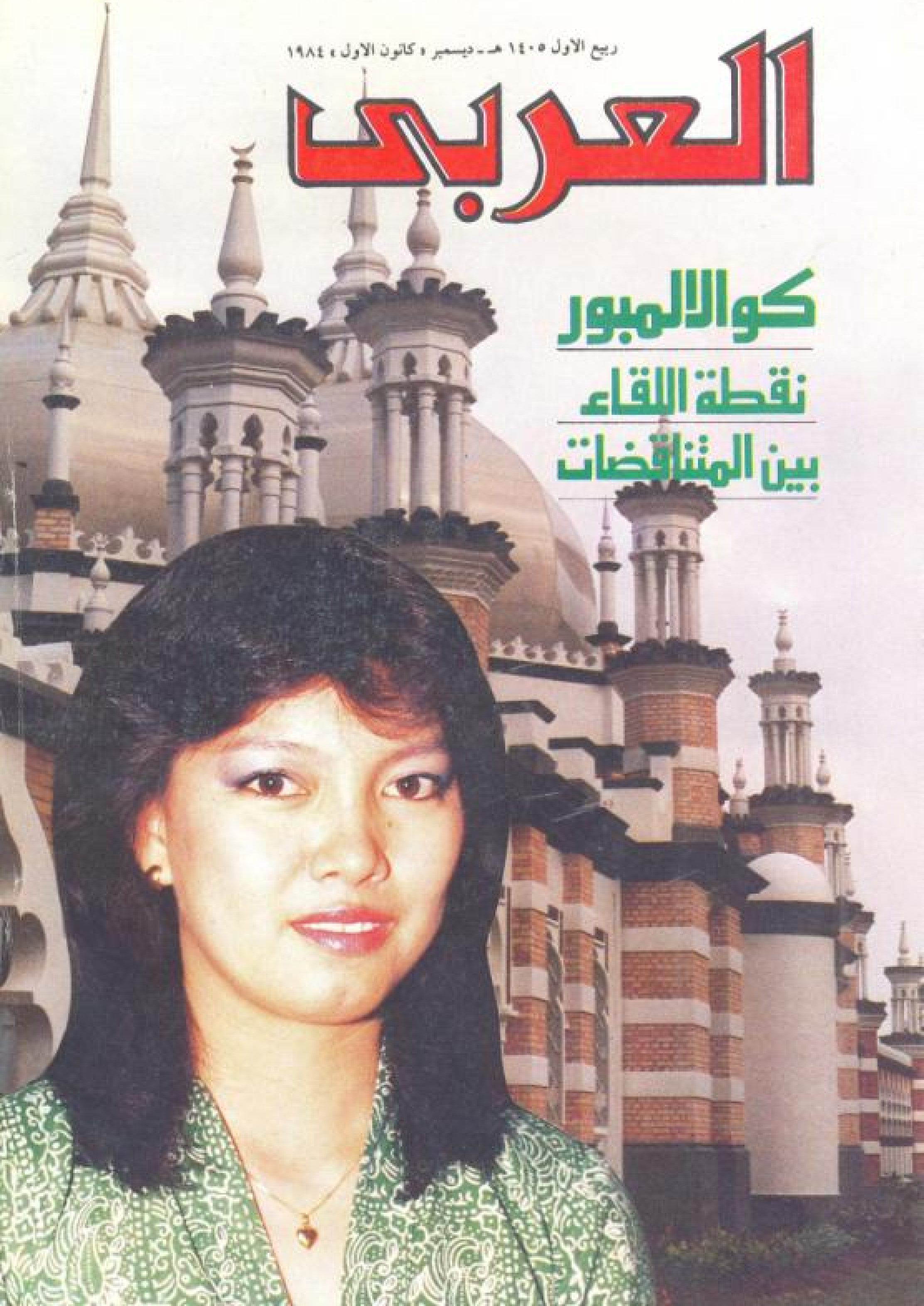

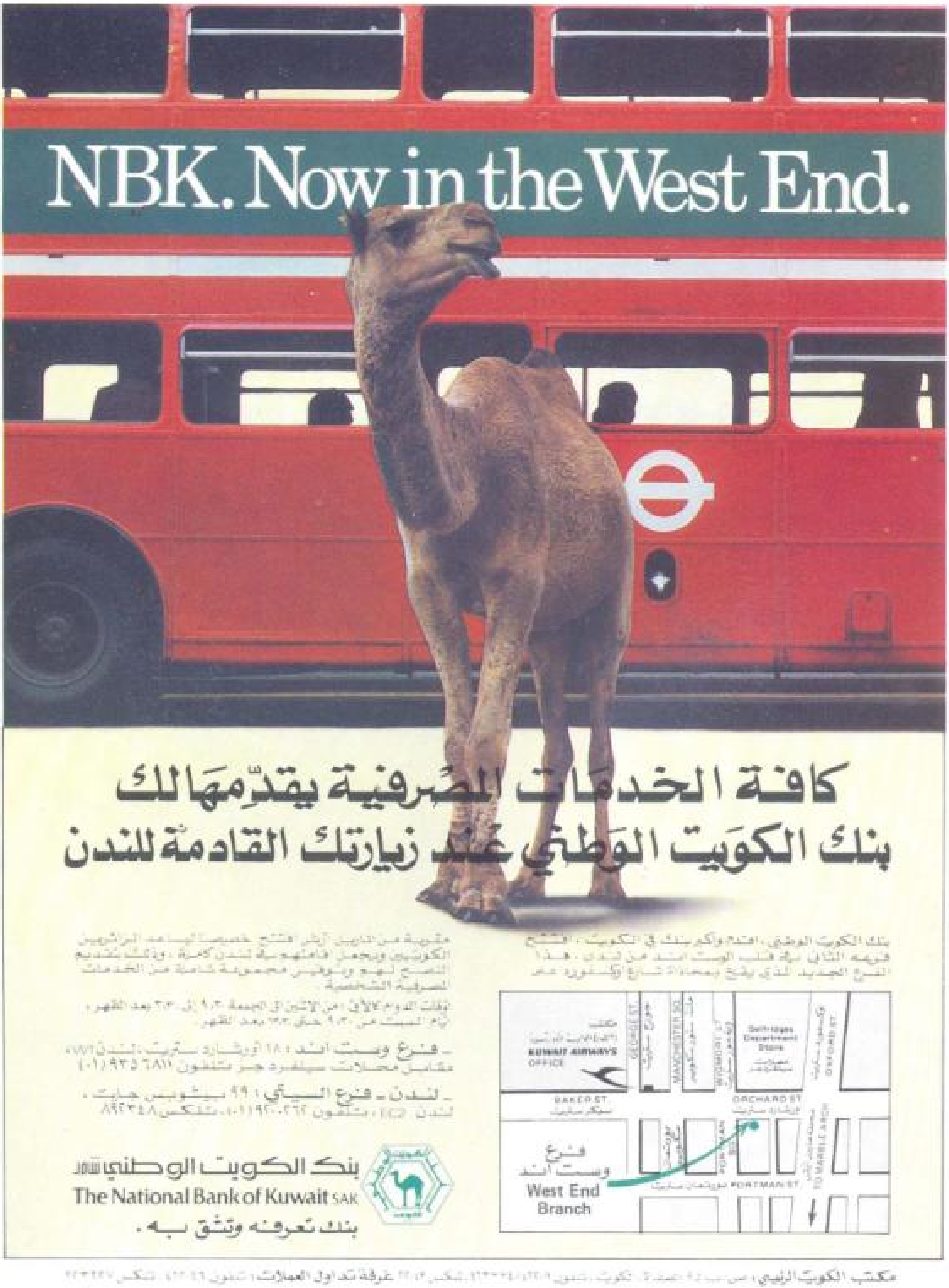

مكتب الكويت الرئيسي ... غرفة تداول العملات ...

العربي

مجلة ثقافية عربية مصورة

رئيس التحرير

د. محمد الرميحي

تصدر شهرياً عن وزارة الإعلام
بدولة الكويت للوطن العربي
ولكل قارئ للعربية في العالم

المجلة غير ملتزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

المراسلات

باسم رئيس التحرير

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة
قسم الإعلانات

الاشتراكات

ترسل الطلبات إلى : قسم الاشتراكات
للكتب الفني - وزارة الإعلام
ص.ب ١٩٣ الكويت

على طالب الاشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية، أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الإعلام طبقاً لما يلي :

الوطن العربي ٤ د.ك - باقي دول العالم ٦ د.ك

ثمن العدد

الكويت	٢٥٠	فلساً	السعودية	٥	ريالات
العراق	٢٥٠	فلساً	اليمن الشمالي	٣	ريالات
الأردن	٢٠٠	فلس	قطر	٥	ريالات
البحرين	٣٠٠	فلس	لبنان	٣	ليرات
اليمن الجنوبي	٢٥٠	فلساً	سوريا	٣	ليرات
مصر	٢٥٠	مليماً	الامارات	٥	دراهم
السودان	٢٠	قرشاً	المغرب	٣	دراهم
تونس	٤٠٠	مليم	ليبيا	٣٥٠	درهماً
الجزائر	٤	دنانير	سلطنة عمان		ربع ريال
بريطانيا		جنيه استرليني	أوروبا		دولاران أو جنيه استرليني
فرنسا	١٥	فرنكاً	أمريكا		دولاران

العدد ٣١٣
ديسمبر ١٩٨٤

عنوان المجلة بالكويت
ص.ب ٧٤٨ صفاة
ت ٤٣٩٧٣٨-٢٤٦٨٤٢-٤٢٧١٤١
برقياً "العربي" الكويت
تلكس: MITR-44041 KT

AL-ARABI
Issue No. 313, Dec. 1984
P.O.Box 748, KUWAIT

A Cultural Monthly
Arabic Magazine
in Colour
Published by:
MINISTRY OF
INFORMATION
STATE OF KUWAIT.

عزيزى القارئ

العدد القادم من العربى ليس هو العدد الممتاز فقط ، هو كذلك . . ولكن ليس فقط ، وليس هو العدد السنوى مع الهدية السنوية فحسب ، هو كذلك ولكن ليس فقط .

وليس هو العدد الحافل بالموضوعات الثقافية والاستطلاعية الشائقة فحسب . . إنما هو فوق هذا وذاك عدد تاريخى .

فالعربى بدءا من العدد القادم تبدأ مسيرة جديدة من حيث التحرير ومن حيث الاخراج .

لقد استضافت العربى بين سبتمبر واكتوبر الماضيين الفنان العربى القدير حلمى التونى . . وعاش مع جهاز العربى . .

وكان المطلوب أن تلبس العربى ثوبا جديدا بعد الفترة الطويلة التى انقضت من عمرها الماضى .

شروط هذا الثوب الجديد أن يكون بسيطا لافتا لنظر القارىء . . وأهم من ذلك أن يظل محافظا على شخصية العربى المعروفة .

هكذا كان مطلبنا فى العربى ، وهكذا كان رأى الفنان حلمى التونى .

وتحولت العربى الى ورشة عمل لمناقشة وتطوير الثوب الجديد .

هذا الثوب الذى ستلبسه العربى فى يناير القادم .

لن نتحدث طويلا عن خطط التطوير . . فأسرة العربى كلها متحمسة للعمل الجديد شكلا خارجيا وعناوين وأبوابا جديدة حتى نترك للقارىء الحكم .

ولم ننس ونحن فى غمرة التجديد والتطوير . . ان نهتم بهذا العدد الذى بين يديك ، فهو أيضا عدد مميز ، حاولنا فيه أن يكون الجسر الذى يربط سنة ماضية بسنة جديدة ، السنة الماضية التى احتفلنا فيها بمرور ربع قرن على مجلة العربى ، السنة التى أصدرنا فيها سلسلتنا الجديدة (كتاب العربى) ، السنة التى أصدرنا فيها فهرس العربى لفترة ربع قرن . . . لقد كانت بالفعل سنة هامة وحاسمة فى خدمتنا الثقافية ، ولكننا فوق ذلك نعد بالمزيد . فالى عددنا هذا . . والى اللقاء فى عددنا الممتاز فى الشهر القادم .

المحرر

في هذا العدد

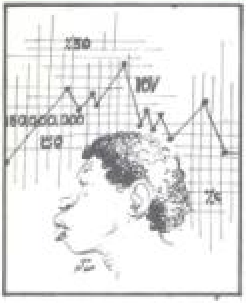

العرب والقوة السوداء فى امريكا

القوة السوداء فى امريكا تزداد قوة . . لابد لنا نحن العرب ان نقيم علاقات طيبة مع هذه القوة الصاعدة . ان كل الدلائل تشير الى تعاطف السود الامريكيين مع القضايا العربية . . وربما وجدنا أكثر من اشارة تؤكد هذه الحقيقة عن موقف جاكسون الذى اقتحم المعركة الانتخابية لكرسى الرئاسة بكل ثقله وراء قضية العرب ، ومن قبله اندرويانج . . اقرأ تحليل دبلوماسى عربى لمواقف السود فى امريكا (ص ١٨)

لاتطلقوا القمر الصناعي العربي

القمر الصناعى العربى يستعد للانطلاق ، وربما تحققت هذه الامنية التى كان ينتظرها الجميع ، وانت تقرأ هذا العدد من العربى ، ولكن هناك صيحة الان تطالب بوقف اطلاق القمر العربى . . لماذا . . لاننا لم نقرر بعد استخدام القمر الصناعى العربى قبل أن نقرر اطلاقه . .

فما هى القصة التى تهدد بتحطم الآمال التى عقدها العرب على الاتصال فيما بينهم عبر هذا الجسم الذى يسبح فى الفضاء . (اقرأ المقال ص٣٢)

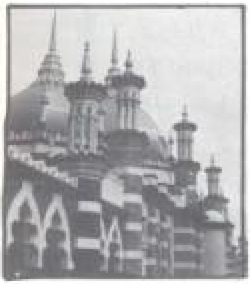

مدينة المتناقضات

تنقلك العربى هذا الشهر الى بلد فى الشرق البعيد . . بلد جميل تحتضنه الزهور والورود ويجمع فوق ارضه اعجب خليط من البشر من كل انحاء الدنيا . . كلهم يعيشون تحت الشمس التى ذابت فى دفئها هذه الاجناس المتباعده . . منذ مائة عام أو اكثر او اقل ، كانت مجرد قرية صغيرة من العشيش والصفيح . . ثم مضت السنون واصبحت القرية واحدة من اجمل مدن آسيا . . انها مدينة كوالالمبور التى تلتقى فيها اليوم حضارة الغرب بحضارة الشرق . . هذا المزيج العجيب من الناس الذين شاركوا فى بناء المجتمع النامى بمدينة المتناقضات ، كيف يعيش ويعمل ويفكر ؟ (اقرأ الاستطلاع ص ٣٦)

نحو تنويع مصادر الدخل القومى

تنويع مصادر الدخل القومى ، كان ومازال الهدف الذى تسعى اليه الدول المنتجة للنفط . . فليس من المعقول أن تعتمد الشعوب على مصدر واحد مهما كان غنيا ، لان مآله فى الدنيا الى النضوب . . ومن هنا كان اهتمام الكويت بالاتجاه الى التصنيع ، وقد بدأت الدولة منذ سنوات فى تشجيع الصناعات وتطويرها ومد يد العون لها حتى تستطيع ان تواكب موجة التغيير والتطور فى البناء الاقتصادى من اجل تحقيق مستقبل آمن مشرق . .
(اقرأ الاستطلاع ص ١٢٤)

محتويات العدد

قضايا عامة

■ حديث الشهر :
هم التوفيق بين الأصالة والمعاصرة : الفكر العربي المعاصر .. هل هو فكر الاخفاق أم فكر الانبعاث الحضاري ؟
ـ د . محمد الرميحي ٨
■ قراءة عربية في مستقبل القوة السوداء الامريكية
ـ يوسف الحسن ١٨
■ الطاقة في عالم متغير
ـ د . عارف دليلة ٢٤
■ أرقام : مطلوب وظيفة
ـ محمود المراغي ٣٠
■ لا تطلقوا القمر الصناعي العربي
ـ حمدي قنديل ٣٢

منتدى العربي

■ الحوار .. الحوار ما أحوجنا اليه
ـ د . أحمد صدقي الدجاني ٩٣
■ إشكالية الهوية في المنطقة العربية
ـ حسنين توفيق ابراهيم ٩٧

طب وعلوم

■ الأدوية سلاح ذو حدين : حبوب منع الحمل .. وخلع الأسنان
ـ د . عبدالقادر ستيتية ٨٢
■ واخيرا تم اكتشاف حقيقة الثقب الاسود في السماء
ـ م . سمير صلاح الدين شعبان ١١٢
■ القضاء على الانفلونزا بجرائيم الأمعاء
ـ د . نبيل سليم ١٢٠
■ طبيب الاسرة ١٣٣
■ الجديد في الطب والعلم
ـ اعداد : يوسف زعبلاوي ١٤٦
■ سلامة البشرية في سلامة البيئة ١٥٣

آداب وفنون

■ السؤال (قصيدة)
ـ محمود مفلح ١٦
■ ساعة نحس (قصة)
ـ شمس الدين موسى ٥٦
■ في سجن أبي العلاء الرابع
ـ عبدالله زكريا الأنصاري ٦٨
■ صفحة في اللغة : كلا الأخوين شاعر ، أو شاعران
ـ محمد خليفة التونسي ١٣٦
■ والأرض ! (قصيدة)
ـ د . أسامة عبدالرحمن ١٤٢

تربية وعلم نفس

■ المرأة والاسرة : أمي .. لماذا لا يعود الينا أبي ؟
ـ منير نصيف ١٣٨

■ دور أفلام الصور المتحركة في حياة الطفل
ـ د . عماد زكي ١٤٨

تاريخ واشخاص

■ نظرية التراث
ـ د . فهمي جدعان ٧٢
■ شخصيات عربية : البطل السوداني علي عبد اللطيف
ـ د . خالد محمد نعيم ٨٦
■ أصالة الجامع الأموي الكبير: تحقيق في هوية الابراج والمشاهد
ـ د . عفيف بهنسي ١٠٠

كتاب الشهر

■ التحالف غير الطبيعي تأليف : جيمس آدمز
ـ تقديم : نوح حزين ١٥٥

استطلاعات مصورة

■ مدينة الأركان الخمسة : كوالالمبور نقطة اللقاء بين المتناقضات
ـ سليمان مظهر ٣٦

■ الشباب والتقنية الحديثة في السعودية والبحرين .
ـ يوسف الشهاب ٦٠
■ نحو نهضة صناعية متطورة في الكويت
ـ ريم الكيلاني ١٢٤

الفهرس العام

■ الفهرس العام لسنة ١٩٨٤
ـ إعداد صلاح صادق ١٧٢

أبواب ثابتة

■ عزيزي القارىء ٤
■ حكايات من الشرق والغرب .. ٧٨
■ العربي من ربع قرن ١٤٤
■ من مكتبة العربي ١٦١
■ المسابقة الثقافية ١٦٤
■ حل مسابقة العدد (٣١٠) .. ١٦٦
■ معركة بلا سلاح «الشطرنج» ١٦٨
■ حوار القراء ١٧٠

همّ التوفيق بين الأصالة والمعاصرة

- التعايش السلمي بين الاتجاهات الفكرية العربية بدلاً من المواجهة
- الإستقطاب الحاد بين الأسود والأبيض يورثنا الإرهاب الفكري
- هل يدور فكرنا العربي المعاصر والحديث في حلقة مفرغة ؟

نعم .. هو همٌّ مازال على قلوب كثير من المثقفين العرب المعاصرين ، ثقيل وكبير .

وقد تحول هذا الهم في بعض النفوس الى قلق متزايد ، حتى أصبحت تعقد من أجله الندوات وتدور حوله الحوارات .

وهو أيضا لم يعد قلقا فكريا محضا ، بل أصبح خلافا معاشا على أرض الواقع بين الفئات الاجتماعية العربية ، هذه المعايشة وصلت في زماننا الى تعصب غير منطقي وغير مبرر ، بين من يطالب بمعاصرة تَجُبُّ ما نحمله من تراث وتمحوه ، وبين مطالبة بتمسك حرفي بنصوص التراث وممارسته .. قربت الى العقل أو بعدت .

وقد وصل هذا التعصب غير المنطقي بين الفئات الاجتماعية والسياسية في وطننا العربي الى حد السخونة والتأزم ، من أجل الدفاع عن وجهة نظر دون الالتفات الى وجهة النظر الأخرى ، حتى أصبح القائلون بالتوافق متهمين دون جريرة ، ومدانين دون محاكمة .. وأصبحت وجهات النظر القطعية هي السائدة .. وأصبح الحوار غير مجد .. وكأننا جماعة من الصم يتحدث بعضنا الى البعض الآخر دون أن يستمع أحد الى أحد .

فأين الحقيقة في كل ذلك ؟

هل هناك أزمة حقيقية بين « الأصالة » و « المعاصرة » تدفعنا الى الاختيار اليوم - في وطننا العربي - بين توجهين للنهضة المنشودة : توجه يدعو الى احتضان النموذج الغربي في السياسة والاجتماع والثقافة بوصفه النموذج الأمثل الذي يقود الى النهضة ، وتوجه يدعو الى إحياء التراث بوصفه قادرا على أن يقدم نموذجا بديلا

الفكر العربي المعاصر.. هل هو فكر الإخفاق، أم فكر الإنبعاث الحضاري؟

بقلم : الدكتور محمد الرميحي

وأصيلا يغطي ميادين الحياة المعاصرة ويستجيب لمتطلباتها ؟ .. أم أن أزمة النهضة قائمة في ذواتنا وفي واقع العمل التنموي العربي ؟

تلك بعض من أسئلة خطرت لي وأنا أحضر ندوة « التراث وتحديات العصر في الوطن العربي » ، التي عقدت في القاهرة في نهاية شهر أيلول ـ سبتمبر الماضي .

والندوة تلك ، لم تكن هي الندوة الفكرية الأولى ـ ولا أعتقد أنها ستكون الأخيرة ـ التي تطرح الموضوع المعقد والشائك « الأصالة والمعاصرة » أو « العصرية والسلفية » كما يحب أن يشير اليها البعض .

فثمة ندوة عربية أخرى عقدت على أرض الكويت ـ وبالتحديد في أبريل سنة ١٩٧٤ ـ طرحت نفس المواضيع تقريبا .. وأيضا احتدم حول أطروحاتها الفكرية النقاش .

وبعد العودة الى نصوص الدراسات والأسماء التي شاركت في كلتا الندوتين وجدت أن الموضوعات تكاد تكون متقاربة ، والأسئلة المعلقة التي طرحت في ندوة الكويت هي نفسها الأسئلة التي طرحت في ندوة القاهرة ، الفرق في الزمن عشر سنوات تقريبا . أما في الأسماء ، فالقلة القليلة من الأسماء التي حضرت ندوة الكويت تكررت في القاهرة ، ومع ذلك فجوهر الموضوع واحد .. وذلك يعني نتيجة واحدة ، وهي أن الفكر العربي المعاصر ما زالت تستهويه المناظرة النظرية للبحث عن طريق واحد .. إما عصري أو تراثي .. ولا ربط بينهما .

عَقْدُ التّعثر العربي :

لم أعد قادرا ـ بعد العودة والمقارنة بين الموضوعات ـ أن أهرب من سؤال ألح على خاطري ، هل عَقْدُ العشر سنوات بين ١٩٧٤ ـ ١٩٨٤ ، والسنوات التي سبقته وربما التي تلحقه ، هو عقد التّعثر العربي ، حتى أصبحنا نعود من جديد للبحث عن اجابات لأسئلة قديمة ؟ أم أن هناك أزمة حقيقية نحاول أن نبحثها ،

ولكننا ندور حولها دون قدرة على الولوج الى مكوناتها والوصول الى نتائج حاسمة فيها ؟

أما السؤال الأكبر الأخير والذي ألح على خاطري وأنا أعيد قراءة أعمال الندوتين فهو : هل عقد التعثر يمتد في حدود عشر سنوات أكثر أو أقل ، أم هو يعود الى نصف قرن من التعثر ؟ ذلك أن مضمون الأسئلة وروحها قد طرحه علينا أيضا كتاب ومفكرون ممن اصطلحنا على تسميتهم بكتاب ومفكري عصر النهضة العربية من أمثال محمد عبده ، وجمال الدين الأفغاني ، وكذلك الطهطاوي ، وخير الدين التونسي - كل بطريقته الخاصة - كما يطرحها علينا اليوم - ولو بصيغة مختلفة - كتاب ومفكرون من أمثال : زكي نجيب محمود وعبدالله العروي ، ومحمد عابد الجابري والطيب التزيني وآخرون ؟

اذا كانت الشكوى من لدن البعض بأن أحد مسببات تأخرنا هو انقطاع بين تاريخ نهضتنا العربية السابقة وبين حاضرنا .. فهل نشكو أيضا من انقطاع بين مفكرينا المحدثين والمعاصرين ؟ بين من تناول مثل هذه الموضوعات في الربع الأول من هذا القرن وبين من يتناولها في الربع الأخير منه ؟

اذا لم يكن كذلك فلماذا نعيد من جديد طرح الأسئلة التي طرحت قبل نصف قرن أو يزيد ؟

هل يدور فكرنا العربي المعاصر والحديث في حلقة مفرغة ؟ أم أننا نشغل بالنا بقضية ثانوية وبتمرين فكري قد يصلح للمناظرة والمناقشة ولكن يتجاوزه الواقع المعاش ؟

تلك بعض الأسئلة التي أود أن أجتهد في الاجابة عليها .

التراث والمعاصرة :

بالتحديد .. ما هي القضية المطروحة ؟

في حقيقة الأمر أن هناك تيارا واسعا من المفكرين العرب المعاصرين يعتقدون أن هناك مشكلة في اختيار العرب لنسق فكري يبنون عليه نهضة حديثة .

وعلى الرغم من أن المفاهيم غير محددة بشكل نهائي ، إلا أن هؤلاء المفكرين يصنفون تيارات الفكر العربي الحديث والمعاصر على أنه يتوجه الى ثلاثة خيارات :

خيار « عصري » . . .

وخيار « سلفي » . . .

وخيار « انتقائي » . . . .

التيار الأول ، يدعو الداعون له الى تبني النموذج الغربي بقضه وقضيضه ، على أساس أن عوامل النهضة والتقدم لا تأتي إلا بأخذ جوهر الحضارة الغربية - وكما

يصفها على سبيل المثال قسطنطين زريق ـ بأنها ايمان بالعالم الطبيعي ، وايمان بأن الانسان هو أهم كائن في هذا العالم ، ثم إيمان بالعقل باعتباره أهم مميزات الانسان .

وقد تختلف التسميات ، ولكن التوجه العام هو الأخذ بأسباب الحضارة الغربية كمنطلق لنهضة عربية حديثة .

أما التيار الثاني ، فهو تيار سلفي . . تتعدد فيه أيضا الاجتهادات ، ولكنه في مجمله يدعو الى نبذ ما جاءت به الحضارة الغربية ، والعودة الى ما جاءت به الحضارة الاسلامية الأولى . وقد يصفه البعض انه « عصر ما قبل الانحطاط » ، وهذا الفكر كما يعتقد هؤلاء يجب ان يكون قاعدة لنهضة حديثة بسلبياته وايجابياته ايضا . هذا التيار في بعض مدارسه يصطدم مع واقع الحياة الحديثة بالتنظيمات الادارية والسياسية العصرية .

أما التيار الثالث ، فهو يدعو ببساطة شديدة الى الأخذ بأحسن ما في هذين النموذجين .

هذه الثلاثية في التقسيم نجدها ـ بأسماء ومسميات مختلفة ـ لدى كثير من كتاب عصرنا . وقد طورها البعض كي تتفق مع تطبيقات محددة . ونجد من يقسمها ايضا الى دعوة سلفية توجه الى الأصول ، وتطبيق ليبرالي ، ودعوة وتطبيق قومي اشتراكي الى آخر التقسيمات الفرعية .

ومهما كانت الاختلافات في التقسيمات ـ سواء كانت في ندوة الكويت عندما حدد هذه التقسيمات مثلا ، حسن صعب أو أنور عبدالملك . . أو في ندوة القاهرة عندما فصلها مثلا محمد عابد الجابري أو الطيب التزيني ـ فان الكثيرين من الكتاب ، رغم اعتراضهم . . . كل لأسبابه المختلفة على التوجهين الفكريين « السلفي » و« العصري » بمعناهما العام ، نجدهم أولا لا يتبنون بديلا واضحا من هذا التقسيم الثلاثي أو من خارجه . كما نجدهم ثانيا في نفس الوقت يتقدون بالسلب ، التوجه « الانتقائي » كما يسميه البعض ، و « التوفيقي » أو « التلفيقي » كما يسميه البعض الآخر ، أو « الازدواجي » على أقل تقدير كما يسميه حزب ثالث ، أو الفكر « المهجن » كما يدعى طرف رابع .

المنحى الواقعي العقلاني :

هذا النقد السلبي للخيار الثالث في رأيي غير مبرر ، وربما ينم عن دافع لا شعوري لتأكيد صيغة متماثلة ، رغبة في التشابه من جهة ، ودرءا لتهم متخيلة في الانتقائية من جهة أخرى .

وهنا مربط الفرس وبيت القصيد ، فلا أحد من النقاد الكثر لهذا المنحى ـ

المنحى الواقعي العقلاني ـ الذي ظهر بوضوح مثلا لدى حامد عمار في الندوة الأولى ولدى صدقي الدجاني وأحمد أبو المجد وغيرهما في الندوة الثانية . . أقول لا أحد من منتقدي هذا التوجه ينقده نقدا موضوعيا يبين لنا الأسباب المنطقية لرفضه . ولكن كل ما نجده ونقرؤه من نقد ينصب على إعطاء هذا الاتجاه صفة سلبية تنفر منه ، كقولهم انه « تلفيقي » ، « توفيقي » أو « مهجن » . وأنا أعتقد بأن هذا الاتجاه هو الاتجاه الأسلم ، ليس في صفته السلبية ، ولكن آن لنا أن نعطيه صفة إيجابية فنسميه « بالاتجاه الواقعي » أو كما سماه الدكتور أحمد صدقي الدجاني في ندوة القاهرة « تيار الاستجابة » .

وهذا لا يعني أن الاتجاه السلفي أو الاتجاه الاستغرابي ، بعيدان عن الواقعية كل من منظوره ، أو أنهما ليسا استجابة لتحد فكري حقيقي ، ولكنني أعتقد أنه آن الأوان أن نعطي هذه المدرسة ـ وهي مدرسة التيار الواقعي المستجيب للتحديات ـ حقها كما هي في الواقع .

وهو في نظرنا اتجاه واقعي لأسباب ثلاثة :

السبب الأول : هو أنه لايغمط التراث حقه . .
فهو يبحث فيه عن العقلي والممكن التطبيق ، مع مسايرة شؤون وشجون العصر . وأنا أزعم أن هذا التوجه هو توجه الطهطاوي والأفغاني ومحمد عبده وعلي يوسف وزكي مبارك وبعدهم طه حسين والعقاد ، كل ذلك على سبيل المثال .

بعضنا يعتقد اليوم ـ لقصور في دراسة مستفيضة ، أو لعجالة في إصدار الأحكام ـ ان هؤلاء محافظون ، بينما هم ـ في حقيقة الأمر ، وأخذا بظرفهم التاريخي ـ « مجددون واقعيون » ، مثلهم مثل محمد النويهي وزكي نجيب محمود وشاكر مصطفى وكمال أبو المجد من المعاصرين . وأخذا أيضا بظرف المتأخرين التاريخي ـ فهؤلاء لا ينكرون التراث ولكن يناقشونه مناقشة العقل وإعمال البصيرة ، كما أنهم لا يرفضون مستجدات الحضارة ، ولكن يناقشونها أيضا مناقشة العقل وإعمال البصيرة . والأخذ من التراث وتطويعه عملية لازمة للنهضة ، حتى من وجهة نظر المنتقدين لهذا التيار . فيقول الجابري مثلا :

« أن جميع النهضات التي نعرف تفاصيل عديدة عنها قد عبرت ايديولوجيا عن بداية انطلاقها بالدعوة الى الانتظام في تراث ، وبالضبط للعودة الى « الأصول » ليس بوصفها أساس نهضة مضت يجب بعثها كما كانت ، بل من أجل الارتكاز عليها في نقد الحاضر ونقد الماضي القريب . والقفز الى المستقبل » .

وسؤالنا : أليس هذا ما يفعله بالضبط تيار الاتجاه الواقعي المستجيب ؟
أما السبب الثاني ـ فإن هذا التيار الواقعي لا يغمط التجربة الأوروبية حقها ، فهو يقدر العوامل الايجابية في هذه التجربة ، وينقد في نفس الوقت العوامل السلبية فيها .

وتنظر هذه المدرسة بوعي الى الجانب الآخر (الغرب) على أنه ليس شرا كله كما أنه ليس خيرا كله ، لقد عبر ـ من السلف ـ محمد عبده عن تلك المحصلة بقوله ما معناه : « لقد رأيت في أوروبا إسلاما ولم أر مسلمين » .

صحيح أن العلاقة معقدة فيما يمكن تسميته (العدو النموذج) ، ولكن هذا « الآخر » يفرض نفسه علينا في كل المجالات . ومن المهم أن نرى الايجابيات لديه في التقنية والفلاحة والتنظيم والادارة . . إيجابيات يمكن ان نستفيد منها بوعي وأن نقف موقف المتعلم والناقل ، لا موقف الزبون أو التابع .

السبب الثالث والأهم في نظري ، أن هذا التيار الواقعي هو السائد . صحيح أن صوته هو الأضعف بين فريقين لهما صوت عال ومدو : فريق ينعت مخالفيه (بالجاهلية) وفريق ينعت مخالفيه (بالتخلف) . .

أصوات الرفض القاطعة هي الأصوات الأعلى والأقوى . فهي ترفض هذا أو ترفض ذاك ، ولكنها لاتقدم بديلا منطقيا ، وهي أصوات عرفتها الحضارة الاسلامية وحضارات أخرى مرت بنفس الظروف وفي أزهى عصورها ، فهل أوقفت تلك الأصوات مسيرة التقدم ؟ أوسع شهادة لصالح التيار العقلاني المستجيب أو التيار الثالث هي ما يقدمها المفكر زكي نجيب محمود . فهو يقول :

> « لو استثنينا عددا قليلا من رجال الفكر في الوطن العربي منذ ما يزيد على مائة عام ـ وهم الذين لا يجدون بأسا في أن تنقل الثقافة الغربية الحديثة بحذافيرها وبغير تحفظ ـ لو استثنينا ذلك العدد من المتطرفين لوجدنا الكثرة الغالبة من رجال الفكر حريصة كل الحرص على تثبيت الهوية القومية بكل الوسائل الممكنة من إحياء التراث القديم ونشره والعودة بكل إخلاص الى الشريعة الاسلامية في أصفى عصورها » .

هذا التيار في النهاية يوالي التراث موالاة إبداعية ، وسيلته تأكيد قيمة الانسان وإيجابيته في شؤون الحياة . . تيار يقول إن ما قدمه السلف عظيم ورائع ، ولكن يمكن محاكاتهم روعة وابداعا عن طريق تحكيم العقل . ولنتأمل ـ على سبيل المثال ـ ما قاله محمد عبده في قضية التكفير لتدلل على العقلانية والفكر المتزن ، فقد قال :

« ما اشتهر به المسلمون وعرف من قواعد احكام دينهم هو أنه اذا صدر قول من قائل يحتمل الكفر في مائة وجه ، ويحتمل الايمان في وجه واحد ، حمل على الايمان ولا يجوز حمله على الكفر » ثم يضيف : « فهل رأيت تسامحا مع أقوال الفلاسفة والحكماء أوسع من هذا ؟ وهل يليق بالحكيم ان يكون من الحمق بحيث يقول قولا لا يحتمل الايمان من وجه واحد من مائة وجه ؟ »

رعب التغاير وسعادة التوافق :

يبدو أن أحدى العقد الشكلية في البحث عن « نموذج فكري متكامل » لدى بعض المثقفين العرب هي الرغبة الدفينة في طلب التماثل . فالبعض لا يريد ان يرى الا نموذجا فكريا واحدا ، ويرفض أكثر من اجتهاد . عنده أن بقاء « الأنا » هو في إلغاء (الآخر) إلغاء نهائيا لا رجعة فيه ، وهذا يوصله الى سعادة التوافق . وذلك لعمري خطأ منهجي آن لنا نقده وتفنيده ، فالمعاصرة بالنسبة إليه انقلاب كامل على الذات ونفيها ، والتراثية بالنسبة اليه انقطاع عن العصر .

وفي مواجهة ذلك يجب أن نعترف أولا أن الاتفاق على فكر واحد جامع شامل في كل أمور حياتنا ليس ضرورة ، وهو ضد منطق الأشياء ، بل على العكس من ذلك فقد يكون الاختلاف في الاجتهاد ظاهرة صحية ومطلوبة ، كما ان التباين في الرأي ليس بالضرورة تعبيرا عن الضعف ، ولكن قد يكون مظهرا من مظاهر القوة . كما يجب ان نعترف ثانيا أنه ليس من الضرورة تبني رأي معين في قضية معينة يحمل نفيا للرأي الآخر وعدم قبوله حتى في قضية أخرى .

ان الاستقطاب الحاد بين الأسود والأبيض ، بين الصالح ككل والطالح ككل ، يورثنا الارهاب الفكري لا محالة ، وهو ما ننقده بشدة . . عندنا في تراثنا وعندهم في تراث الغرب إن صح التعبير ! . .

هذا الاستقطاب سيوصلنا في النهاية الى ما فعله بعض الأقدمين من نبش قبر ابن الخطيب مرتين للتمثيل بجثته ، أو حرق مؤلفات مفكرين وفلاسفة كابن رشد أمام الناس ، أو كما حدث في الفكر الغربي عندما ووجه « تخدير المرأة عند الولادة حتى لا تحس بألم الطلق » بمقاومة عنيفة ، بدعوى أن ذلك يتعارض مع الاصحاح الثالث من سفر التكوين . او عندما قال دي روفيس : إن قوس قزح ليس قوسا حربيا بيد الله ، بل هو انعكاس أشعة الشمس على نقاط الماء ، فحبس حتى مات ثم حوكمت جثته وكتبه . . والأمثلة في التاريخ كثيرة لدينا ولديهم ولدى الحضارات الأخرى أيضا .

الاستقطاب الحاد في كل العصور وفي كل الحضارات يولد الارهاب الفكري

أولا ، ثم الجسدي ثانيا ، وينتهي الى وأد التقدم والنهضة . وأول خطوات البعد عنه هو السماح بالحوار العقلاني ، وليس طلب التطابق الفكري الكامل بأي ثمن وبأية وسيلة .

اذا تجاوزنا الحرص على أهمية التوافق والانسجام الكامل ، واعترفنا بالاختلاف الايجابي وأهميته لصياغة فكر نهضة حقيقية ، كما نتجاوز عن تعذيب الذات وجلدها باسم الحرص على اختيار نموذج وتبنينا النقد لتجاوز الأخطاء ـ اذا تجاوزنا كل ذلك وعلمنا أن المعرفة فضيلة ، ورأس الفضائل معرفة الذات ، استطعنا أن نقول ان الازمة التي نشعر بها جميعا ليست أزمة فكرية بحتة ، بل هي أزمة تنموية .

هل هي أزمة فكرية أم تنموية ؟

نعم هي أزمة تنموية ، فالايديولوجية ـ أية أيديولوجية ـ ليست لها طبيعة ثابتة . الأيديولوجية لها تاريخ .. بمعنى أن الاجابات التي يقدمها الفكر على المشكلات الحياتية التي تعترضه لها خصوصيتها ولها ظرفها التاريخي ، حتى إذا اختلف الظرف التاريخي اختلف معه الاجتهاد ، بل طلب الاختلاف طلبا .

ما نعاني منه هو فشل حقيقي في كثير من برامج التنمية السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي جربناها في ربع القرن الأخير على مستوى الوطن العربي ، هذا الفشل قادنا الى التراجع أمام أعدائنا الاقليميين وأمام أعدائنا الدوليين ، فانكفأنا نبحث في الفكر والأيديولوجيا عن مخرج موجود ومدون اكثر من مرة ، ولكن دون تطبيق ..

ونسينا أن العلة التي تلم بنا هي في فشل تلك البرامج التنموية والتي ربما زادتها ظروف الثروة والهزيمة تعقيدا على تعقيد ، وليس ضعفا أو وهنا في فكرنا .. كما أنه ليس ضعفا أو وهنا فينا كشعب مثله مثل بقية الشعوب على الأرض .

لقد فشلت برامج التنمية في الوصول بنا الى عدالة اجتماعية قائمة على الانتاج ، ولكن قضية العدالة الاجتماعية كقيمة إنسانية ما زالت مطلوبة من كل المدارس الفكرية ، كما فشلت برامج التنمية في الوصول بنا الى ديمقراطية تحترم حقوق الانسان ، وتعترف بأنه ليس هناك فريق يعرف الحقيقة كاملة .. وانما الحقيقة الكاملة نصل إليها بعد النقاش والحوار ... وكذلك فشلت برامج التنمية في صَدّ العدو الصهيوني الذي زحف وما زال يزحف على أجزاء من أرضنا .

نتيجة لفشل هذه البرامج .. نجد أن البعض حول أنظاره من مشكلات الحياة والناس .. وطفق يبحث عن حلول في الفكر .. ونسي ـ أو تناسى ـ أن الفكر إنما يبدأ من أرض الواقع .

محمد الرميحي

السؤال

شعر : محمود مفلح

وتسالني عن الشفق الحبيب وكيف لا ياتي ؟
عن الأحلام في دوامة الصمت
وعن شدوي وعن همسي ، وعن صحوي وعن موتي .. ؟
وتسالني وتسالني ..
وابصر في حطام الكاس بعض ملامح الصوت ..

رقيق انت
سنبلة بلا حزن ولاكدر
رهيف انت كالوتر
ووجه انت مسكون باعياد من الزنبق
فلم تعثر بنا يوما .. ولم تجزع .. ولم تقلق
ربيعي حديثك
كيف لا تحتل قامتك الفراشات العذاب وكيف لا تعشق ! ؟
رخيا فيك يجرى الماء والأحلام والزورق ..
وتسالني .. لماذا قلبي المعطوب لم يعشق ! ؟ .

ضفاف الحزن تعرفني
ويعرفني الدم القاني ..
ففيه تعمدت قلبي .. وفرت منه الحاني
انا والساحل المهجور والنسر الذى اضناه بعد الدار الفان ..

واعرفها خيول النار
اعرفها حقول الغار
اعرف سحنة الجاني ..
واعرف كل سوسنة ، واعرف كل عوسجة .. واعرف كل قُبَّرة
على اغصان بيسان ..
واعرف خطو احبابي .. واعرف كل قافية على شفتي خلاني ..
واعرف اول الشهداء .. اعرف آخر الشهداء في ساحات لبنان
واعرف شوطنا الماضي .. واعرف شوطنا الثاني ..
واحفظ وجه جزاري .. ومن قد خاط اكفاني ..
واعرف لعبة الحيتان في اعماق خلجاني
واعرف كل من رقصوا على ايقاع « ايتان »
واعرف لحظة التفجير في تاريخ بركاني ..

وتسالني لماذا انت لم تعشق .. ؟
كانك لم تشاهد غابة الأحزان في عيني .. آلاف الطيور تحط في كفي ..

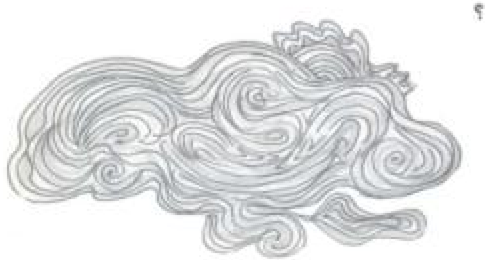

وتنقر حبها الصيفي .. في شوق وفي لهف ..
أُضيء لها دروب الماء .. أحضنها واشتعل ..
وتزهر عندنا القبل
ونمضي في دروب العشق .. نمضي .. ثم لا نصل ! ؟
متى نصل ؟
سؤال دار في خلدي .. سؤال غاص في كبدي ..
سؤال طعمه كالملح .. كالاعصار يا ولدي
يعذبني ويصهرني .. ويقصيني عن البلد
ويا ولدي ..
رقيق انت كالتفجير .. قاس انت كالورد ..
نظيف مثل حد السيف .. مر الطعم كالشهد
مضى مثل لفح النار .. مثل عقارب الوجد ..
فسجل كلمة بعدي ...
غدا تعرى
وتبقى فوق كف المد بين الجزر والمد
غدا ينفض عنك الناس عن قصد وعن عمد
وتصهل دونما صوت .. وتظما دونما ورد
وتطلق في سماء الله الف اشارة حمراء .. لا تجدى ..
غدا تخضل عينك
غدا تنهد رجلاك
غدا تمشي على أرض من الطين ..
تعربد بالسكاكين
وتسقط في شباك الموت بين الحين والحين ..
غدا تمتصك الاوجاع والطرق
غدا تاتيك احوال واحوال
ويصبح ماءك الآل ..
ويضرب كل ما شيدت اعصار وزلزال ..

فعندئذ يلوح البرق ثم يقهقه الرعد
ويطلق سيفه الغمد
وتشتعل الجياد ويورق الحجر
ويشهر سيفه عمر
فلا يبقى ولايذر
فعندئذ تلوح الشمس .. يجرى الماء والثمر
ويسطع سيدى القمر

حتى لا تضيع الفرصة
قراءة عربية في مستقبل
القوة السوداء الأمريكية

بقلم : يوسف الحسن*

ما هي طبيعة القوة السوداء في أميركا ؟ وماذا تمثل في تركيبة المجتمع الأميركي ؟ وهل هناك علاقات معينة تجمعنا نحن العرب مع هذه القوة الصاعدة ؟ وما هي امكانيات التعاون بيننا وبينها ؟
يجيب على كل هذه التساؤلات وغيرها باحث ودبلوماسي في سفارة الامارات العربية المتحدة بواشنطن . . . .

□ لا أذكر فرصة أفضل في تاريخنا العربي المعاصر من اللحظة الراهنة ، لبناء علاقة « مؤسساتية » عميقة مع الجماعة السوداء الأمريكية .

واذا مرت هذه الفرصة بدون عمل عربي فانها قد لا تتكرر أبدا . . . ونضيف كعادتنا اثباتا جديدا لمقولة اننا « شعب الفرص الضائعة » .

فالجماعة السوداء الأمريكية لا تأتي قوتها من مجرد كونها الأكثر عددا من بين القوى العرقية التي تشكل المجتمع الأمريكي (٣٥ مليون فرد) ، بل تنبع من كونها الجماعة الأكثر (تململا) وتصادما اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا ـ افقيا وعموديا ـ مع الجماعة اليهودية الأمريكية . وتأتي أيضا من كونها الأقرب « لونا » و « قرابة » و « طبقة » و « مصلحة » الى جماعة عرقية أخرى صاعدة تعادلها في العدد ، وتمتد جذورها الى أمريكا اللاتينية والتاريخ الاسباني بما يحمله هذا التاريخ من بصمات التراث العربي الاسلامي وتعرف بجماعة « الهسبانيك » . وكلتا الجماعتين تشكل الآن تحالف « قوس قزح » ، وهو الائتلاف المرشح لأن يتمخض عنه في القادم من

---

* باحث ودبلوماسي في سفارة الامارات العربية المتحدة بواشنطن .

السنين مشروع عمل سياسي منظم ، قد يرقى لمرتبة « الحزب الثالث » في الحياة الأمريكية .

ويقف السياسي والزعيم الأسود القس جيسي جاكسون رمزا لهذه القوة الصاعدة ، التي أعلنت عن قناعتها وايمانها بأن « زمانها قد جاء » لتولي ادارة شؤون الحكم في أمريكا ، بعد أن عاشت أجيالها السابقة « تزرع وتقطف للبيض مزارعهم وتكنس بيوتهم وترعى خيولهم وكلابهم وأطفالهم ، وتموت في حروبهم » .

عودة الى الجذور

ورغم ان القوة السوداء الأمريكية مازالت تعيش أحوالا وأشكالا مختلفة من « العبودية » الاقتصادية والتمييز العنصري ، ولم تحطم بعض بقايا قيود من الرق عمرها أكثر من ٣٠٠ عام ، حينما جيء بها من افريقيا قسرا على مراكب تجار العبيد المحمية ببنادق الرجل الأبيض الاستعماري ، فهي مازالت تعيش في مساكن غير ملائمة وغير صحية ، وتستشعر الظلم والاستغلال الاقتصادي ، وتُضطهد في حقوقها المدنية والانسانية ، فنسبة الأطباء السود من بين الأطباء الأمريكيين لا تزيد عن ٢ بالمائة وكذلك نسبة المحامين منهم ، بينما تتضاءل كثيرا نسبة ما يملكه السود من بنوك ، فمن بين الـ ١٥ ألف بنك أمريكي لا يوجد سوى ٥٠ بنكا يملكها السود (٠,٠٣ بالمائة) ، ولا يزيد ما يملكه السود من شركات تأمين عن ٢,٧ بالمائة . . . الخ .

وبرغم ذلك ، فان احصائيات العقد الأخير تشير الى حدوث تغير أساسي في تركيبة بنية الجماعة السوداء ، وانتظام قواها في أطر سياسية ودينية ومهنية متعددة ، وتصاعد تأثيرها الاقتصادي وتنامي حركتها الاجتماعية والسياسية ، وقد تجسد كل هذا التغير الأساسي في دخول جاكسون معركة الانتخابات لأعلى منصب في الولايات المتحدة ، ورغم انه لم يكن هناك أسود واحد يعتقد ـ حالما ـ بنجاح جاكسون ووصوله الى البيت الأبيض ، فان الحملة الشرسة التي قادتها الجماعة اليهودية ، وحركتها الصهيونية والتيار الأبيض العنصري ضد مبدأ ترشيح جاكسون الأسود وأطروحاته المختلفة وخاصة في السياسة الخارجية ، قد عمقت شلالات « الاحباط » لدى السود تجاه مجتمع البيض وسيطرة اليهود عليه ، وكرست القناعة لديهم بأن حقوقهم المدنية والسياسية لا تعطى بل تنتزع ، وأن وقتهم قد أزف .

ملامح القوة السوداء

وتبين الاحصائيات الرسمية المنشورة ، أنه بحلول عام ١٩٩٠ سيكون هناك واحد أسود من بين كل خمسة أمريكيين تحت سن العشرين ، بمعنى أن ٥٠ بالمائة من الجماعة السوداء هم في سن الشباب بينما تصل هذه النسبة الى ٣٥ بالمائة عند البيض ، وقد لمس المجتمع الأمريكي في السنوات الأخيرة تأثير الشباب الأسود الكبير في الثقافة والعادات الاجتماعية والملابس والفن والرياضة . . . الخ . فموسيقا وملابس ومقاييس جمال الجيل الحاضر ، هي بصمات وتصاميم « موضة السود » ، ومنها أيضا الحذاء الرياضي والشورت القصير والشعر الافريقي المرسل باهمال شديد . . . وقد تحولت خطوط مصانع الملابس وصناعة الفيديو والسينما وفنون أخرى وصناعة المشروبات وبيوت الأزياء الى هذا النوع

والشكل الذي فرضه تأثير جيل الشباب الأسود ، ولا عجب في ذلك ، فان القوة الشرائية السنوية للجماعة السوداء الأمريكية تقدر حسب الاحصائيات الرسمية المنشورة بحوالي ١٥٧ بليون دولار .

القوة السوداء

ومن ناحية أخرى فان أعداد السود تتضاعف ثلاث مرات سنويا أكثر من البيض كما أن نسبة التلاميذ السود الذين يلتحقون بالمدارس تتزايد سنويا بنسبة ٣ بالمائة ، بينما تتناقص نسبة الالتحاق عند التلاميذ البيض بمعدل ٧ بالمائة سنويا . ويعود ذلك الى عدة عوامل منها زيادة التناسل بين السود وتنامي الوعي بأهمية التحصيل العلمي والمعرفة من أجل اقتحام ميدان المنافسة في أسواق العمل .

وتبين احصائيات عام ١٩٨٠ بأن ٧٠ بالمائة من السود ممن هم في سن ما بين ١٨ ـ ٢٤ عاما قد أنهوا دراستهم الثانوية ، وهذا يمثل ٢٠ بالمائة زيادة عما كانوا عليه في عام ١٩٧٠ .

كما تبين احصائيات الثمانينات بأن نسبة السود الملتحقين بالجامعات قد ارتفعت بنسبة ٥ بالمائة بينما تقلصت نسبة التحاق البيض بالجامعات بنسبة ٣ بالمائة .

وفي الوقت الذي تتزايد فيه القوة السوداء ، فانها تزداد تركزا في المدن الرئيسية الكبرى ، بينما يتراجع عدد البيض فيها بالهجرة نحو الضواحي والريف وبتصاعد مستمر . فمدينة نيويورك تضم الآن أكثر من ٢,٥ مليون أسود وفي شيكاغو (١,٥ مليون) وفي لوس أنجلوس (مليون) ومثلها في ديترويت وفي فيلادلفيا وأيضا في العاصمة الأمريكية نفسها .

وتقدر الاحصائيات بأن أكثر من ٤٥ بالمائة من المدن الأمريكية يعيش فيها أكثر من مائة الف من السود ، وفي نفس الوقت فان السود يشكلون ثلث الجيش الأمريكي العامل ، كما أنهم يمثلون الآن في لجان هامة في مجلس النواب الأمريكي ، كما أن ٥٠ نائبا أبيض يمثلون دوائر انتخابية يشكل السود فيها أكثر من ثلث عدد الناخبين . . . مما يعني ان للسود وزنا وتأثيرا كبيرين على مستقبل ومواقف هؤلاء النواب .

ورغم أن ١٨ مليون أسود يملكون الآن حق الترشيح والانتخاب فان الذين يقدمون على ممارسة هذه الحقوق لم يتجاوزوا ثمانية ملايين ناخب ، لكن هذا العدد تزايد بشكل كبير في الثمانينيات ودفع بقيادات سوداء الى رئاسة عدد من البلديات في مدن شيكاغو ولوس أنجلوس ونيو اورلينز وأتلانتا وديترويت ونيويورك وجاري وفيلادلفيا والعاصمة . . . وأخيرا وليس آخرا دخول جاكسون معركة رئاسة الولايات المتحدة .

وفي هذا المجال تبرز أهمية وتأثير الكتل والقوى « الأثنية » انتخابيا حينما نعرف ان نجاح الرئيس كينيدي كان بفارق ٧٨ الف صوت فقط عن منافسه ، كما ان نجاح الرئيس نيكسون كان بفارق نصف مليون صوت . . . الخ . وفي الوقت نفسه سجلت أمريكا المعاصرة منذ الستينيات تراجعا ملموسا في نفوذ وهيمنة العنصر « الانجلو سكسوني » لصالح صعود القوى « الاثنية » والأقليات الأخرى .

فكر القيادات السوداء

من واقع التجربة والبحث والاهتمام الرسمي والشخصي بمجتمع السود الأمريكيين ، فان قراءاتي لخريطة تفاعلات عقل وفكر وممارسة السود تشير الى عدد من المحطات التالية :

المحطة الأولى : يقول السود « ان تجربة جاكسون كانت مريرة للغاية ، وقد أعادت للأذهان مدى عمق عنصرية الرجل الأبيض وخاصة اليهود الذين « استكثروا » علينا هذا الترشيح وناهضوا مطالبنا الاجتماعية رغم اننا في مركب واحد هو الحزب الديمقراطي الذي يرفع لواء الليبرالية ويزعم الدفاع عن مصالح الطبقة الوسطى » . . .

« ورغم اعتذارنا عن تصريحات سياسية صدرت عن قيادات سوداء زعم اليهود انها تسيء اليهم ، فاننا خرجنا من « مولد » الانتخابات حتى الآن بدون « حمص » ورفض اليهود اعتذارنا » .

وقال لي أحد الزعماء السود قبل أيام « لقد تعلمنا درسا قاسيا ، مفاده ان الاعتذار لليهود لن يزيدهم الا تمردا » ومن هنا فان السود يعتقدون « ان أيام

« لويس فراكان »

« برادلي » عمدة لوس انجلوس

مارتن لوثر كينج مع جاكسون في سنة ١٩٦٥

الرق ستطول اذا ما استمروا في الاعتماد على الغير لفك قيودهم » .

المحطة الثانية : يقول السود « لقد تعلمنا درسا من الصيني الأمريكي الذي لا يشتري الا من تاجر وبقال صيني ولا يأكل الا في المطعم الصيني ولا يلبس الا الملابس المصنوعة في الصين . . . الخ والدولار في يد الصيني الأمريكي يدور ـ كما يقول الرئيس ريغان ـ ١٣ مرة . بينما لا يدور في يد الأسود الأمريكي سوى مرة ونصف المرة » . ويتذكر السود « ان الـ ١٥٧ بليونا من الدولارات التي ينفقونها سنويا والتي هي أكبر من ميزانية عشر دول في العالم يجب أن تنفق على الطريقة الصينية الأمريكية وبما يعطي نتائج سياسية واقتصادية مؤثرة في حركة واتجاه المجتمع الأمريكي لصالح القوة السوداء » .

المحطة الثالثة : من بين الدروس التي تعلمتها القيادات والمؤسسات السوداء تجربتها الطويلة مع أجهزة البث والنشر والاعلام . فقبل أكثر من عقد من الزمان لم يكن عدد شبكات البث الاذاعية والتلفزيونية المملوكة من قبل السود تزيد عن ١٥ شبكة ، لكنهم في عام ١٩٨٢ صاروا يملكون أكثر من ١٣٠ شبكة ، ومع ذلك فان هذا العدد الأخير لا تتجاوز نسبته ٢ بالمائة من عدد شبكات البث الأمريكية ، وفي الوقت نفسه فان شبكات التدفق الاعلامي مازالت حكراً على « السادة » ومن هنا تبرز أهمية مد خطوطهم المباشرة مع العالم الخارجي وخاصة العالم الثالث لتبادل المعرفة والمعلومات والخبرات وتعميق الصلات والعلائق » .

المحطة الرابعة : تعتبر الكنيسة السوداء الحاضنة الأولى والأساسية التي فرخت « القيادات السياسية لحركة الجماعة السوداء خاصة في العقود الثلاثة الماضية ، وظلت الكنيسة ـ ومازالت ـ صامدة بأسوارها أمام اخطبوط الحركة الصهيونية ، واغراءاتها المالية ونفوذها السياسي . . ومن الكنيسة السوداء خرجت قيادات مثل مارتن لوثر كينج واندرويانج وجيسي جاكسون ، وأفرزت العديد من التنظيمات السياسية ذات المواقف المتقدمة والموضوعية تجاه القضايا العربية . وفي نفس الوقت فان احدى القيادات السياسية السوداء الحالية والمبشرة بالكثير في المستقبل هو الزعيم المسلم « فراكان » وهو قادم ايضا من قاعدة دينية مسيسة ومنظمة وتحظى الآن بتعاطف وتأييد غالبية الجماعة السوداء ، وبمناهضة شديدة للغاية من قبل الحركة الصهيونية والجماعة اليهودية .

ويقول السود « لن نسمح للمال اليهودي بالنفاذ الى كنائسنا وجامعاتنا وتنظيماتنا مثلما نجح في السيطرة على قطاع واسع من الكنائس البروتستانتية فحولها الى خط دفاع عن اسرائيل ومصالحها ، وصارت عندها « اسرائيل أولا » ، ومثلما نجح في السيطرة على معظم مراكز الدراسات الأسبانية في الجامعات الأمريكية ، بواسطة تأسيس بعضها وتمويل معظم أنشطتها بهدف اسقاط أو تشويه الجزء العربي الاسلامي من التاريخ الأسباني » .

المصالح الأمريكية

يقول السود « ان مصالح أمريكا في الشرق الأوسط مهددة بالخطر طالما تتبع سياسة غير عادلة تجاه العرب » . ويقولون « ان امريكا لا تشكل سوى ٤ بالمائة من عدد سكان العالم ، وطالما لم يعد لها قوة احتكار التكنولوجيا والمال والمعرفة والقوة النووية فانها بحاجة ماسة الى الاعتراف بحقائق أخرى أخلاقية واجتماعية واقتصادية وسياسية للتعامل مع العالم الخارجي بدون غطرسة القوة وغبائها » .

ويستشعر السود بأن « الحرب الباردة الاقتصادية » ستفقدهم وظائفهم لأنهم أول من يطرد من العمل ، وآخر من يستخدم ، كما انهم سيقفون في آخر « الصف » في مراكز بيع البنزين عند أول أزمة بترولية ، لذلك فان مصلحتهم تكمن في سياسة أمريكية تعمل من أجل اقامة سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط » .

ويعتقد السود « أنهم أول من سيدفع الثمن أيضا من دماء أبنائهم في أية حرب ساخنة ، فهم أول من يجند في خطوط النار وأول من يموت ، ولا ينسون ان ٥٠ بالمائة من الجنود الأمريكيين في حرب فيتنام كانوا من السود . لذلك فان مصلحتهم تكمن أيضا في سلام عادل وصامد مع ضرورة اسقاط صفة « شرطي العالم » عن أمريكا .

المحطة الأخيرة

ورغم الاهتمام الواسع بأمريكا ، فاننا مازلنا نفتقد التحليل والدراسة لاتجاه مسار وقوى وتشكيلات المجتمع الأمريكي . فقوة هذا المجتمع لا تأتي من قوة حكومته أو رئيسه أو جيشه ، بل تنبع أساسا من مؤسساته المدنية التي يمكن تسميتها بالمجتمع المدني المؤسسي ، وهو مجتمع المصالح والمؤسسات والكنيسة والمدرسة والجامعة والنقابة ومراكز البحث ودور النشر والمنظمات الاجتماعية والمهنية والاثنية .

وكل تحليل جاد للموقف الأمريكي تجاه القضايا العربية يجب أن لا يطرح ضمن اطار ما يقوم به الرئيس أو الكونجرس أو اللوبي الصهيوني بل ضمن الاطار الأهم والأكثر خطورة وهو المجتمع الأمريكي نفسه . . . ولم يعد خافيا ما تمثله الجماعة السوداء من قوة صاعدة ومتنامية وواعدة بالكثير الكثير . واذا ما عرفنا ان « القوة السوداء » هي الحليف الدائم لقضايانا والتي تبدأ بتحسين الصورة العربية في العقل الأمريكي مرورا بالمصالح المشتركة في العدل والحق والمنفعة والتقاء على « وحدة الضرر » وانتهاء بالتأثير في تحطيم أكبر عدد من جسور « الحياة والامداد الخارجي » « لاسرائيل » . . . اذا ما عرفنا ذلك ، واذا ما تفحصنا بعناية شديدة ابعاد « المحطات » السابق ذكرها ، فان « الكرة » السوداء تجري الآن في « ملاعبنا الرسمية والشعبية » .

لتبدأ في وضع وتنفيذ خطة متواضعة تكون لبنتها الأولى الاعتراف بأننا مازلنا نحمل في أعماق بعضنا شيئا من « العنصرية » تجاه اللون الأسود ، والا كيف نفسر للجماعة السوداء خلو بعثاتنا الدبلوماسية العربية ، ومنظماتنا الشعبية العربية ـ الأمريكية ومكاتب الجامعة العربية ، من موظفين محليين سود في الوقت الذي تستخدم فيه اعدادا هائلة من البيض وخاصة من الفلبينيين الأمريكيين ؟!

كيف نفسر غياب « السود » وخاصة رموزهم السياسية والدينية والاقتصادية عن حفلات ومؤتمرات العرب في أمريكا ، وبالمقابل غياب « العرب » عن مؤتمرات واجتماعات واحتفالات « السود » ؟!

كيف نفسر لرئيس بلدية شيكاغو ـ وهو أول اسود يتولى هذا المنصب ـ تقاعس عشرات الآلاف من العرب الأمريكيين عن المشاركة في الانتخابات البلدية والتصويت له ، في الوقت الذي كان يواجه حملة صهيونية قاسية ؟!!

كيف نفسر للزعيم المسلم « فراكان » وهو يعلن للملأ وأمام الملايين من المشاهدين وفي معقل الحركة الصهيونية العالمية عن « عدم شرعية وجود اسرائيل » في زمن عربي تراجع أو غيب فيه هذا الشعار ؟! كيف نفسر له عدم تسلمه لكلمة شكر أو تقدير عربية واحدة ـ رسمية أو شعبية ـ دعما لمواقفه وتأييدا له وسط حصاره المخيف ؟!

كيف نفسر الكثير الكثير من الدلالات . . . وقد يطول الحديث بنا ، لكن الوقت الآن ملائم جدا

لاستيعاب حركة المستقبل « السوداء » ولكيفية التعامل معها .

ان بناء شبكة من الدوائر والعلاقات مع الجماعة السوداء ومنظماتها ومؤسساتها المدنية والدينية ، في غاية من اليسر خاصة في مجتمع تسمح قوانينه وأنظمته وفلسفته بالحركة والتعاون . . . ومع « جماعة » ترى في انتصار قضاياها تناسبا طرديا مع انتصار قضايانا .

ان وضع برنامج مؤسسي للتعاون لا يصعب رسمه وتنفيذه من قبل العديد من الكفاءات والكوادر الدبلوماسية الجريئة والمثقفين العرب في امريكا ، لكن أي برنامج عربي معرض للسقوط اذا ما فقد افقه القومي ونهجه العلمي ، وكل المحاولات القطرية ـ بحساباتها الذاتية الصغيرة ـ لدعم برنامج أو جماعة سوداء ستظل مقطوعة الجذور طالما افتقدت هذا الافق وهذا النهج .

برنامج للتعامل

ولو أردنا ان نقدم خطوطا لمشروع برنامج عمل مع الجماعة السوداء لاقترحنا أن تشمل تبادلا في الأساتذة وطلبة الجامعات والمدارس ومراكز البحث والبعثات الدراسية بين المؤسسات التعليمية العربية ومثيلاتها « السوداء » ، واقامة شكل دائم من أشكال التعاون بين اتحاد جامعات الدول العربية ورابطة الجامعات السوداء . . . وعلى نفس المنوال تتحرك اتحادات ونقابات المعلمين والمحامين والأطباء والطلبة والمهندسين والبرلمانيين والغرف التجارية والصناعية والزراعية والاذاعات ووكالات الأنباء والصحفيين . . . الخ . . . وهكذا تنشأ شبكة واسعة عربية ـ سوداء . . . يكون عطاؤها الأول شق قناة انسانية متبادلة تجري فيها صورة وفهم أفضل لكلا الجانبين .

وفي نفس الوقت تتشكل في الساحة الأمريكية مجموعة عمل دائمة تدفع باتجاه تأسيس دوائر اتصال وشبكة علاقات عربية رسمية وشعبية مع الجماعات السوداء داخل الكونجرس والكنيسة والمنظمات السياسية السوداء خاصة « الرابطة الوطنية لتقدم الشعوب الملونة » ومنظمة « بوش » و « مؤتمر القيادات المسيحية الجنوبية » وغيرها .

وفي الجانب الاقتصادي ، فان بنوكا ودور مال ومؤسسات صناعة واستشارات سوداء تفتح بكل المعايير الاقتصادية الناجحة والآمنة ابوابها أمام الموارد المالية والاستثمارات العربية التي تتكاثر في امريكا بشكل ملفت للنظر ، كما ان مشاركة « بيوت الخبرة » السوداء الأمريكية كطرف ثالث في مشروعات التنمية العربية في افريقيا سوف يحقق مزايا وفوائد اقتصادية وسياسية عديدة أهمها تحقيق الرغبة الافريقية في ابعاد كل من له صلة بتاريخ النهب الاستعماري الأوروبي في المشروعات العربية الافريقية المشتركة . وغير ذلك من الموضوعات والبرامج .

وفي النهاية . . قد يكون من المفيد أن نتذكر ما جرى في لجنة الشؤون الخارجية بمجلس النواب الأمريكي قبل عامين حينما هزم مشروع قرار اقترحته الادارة الأمريكية ببيع دولة عربية أسلحة أمريكية متقدمة بفارق صوت واحد فقط . وقد تكررت هذه الهزيمة مرة ثانية قبل شهور قليلة أمام نفس اللجنة لطلب مماثل ولدولة عربية اخرى .

وفي كلتا الحالتين كانت لجنة الشؤون الخارجية تضم عضوين أو أكثر من الأعضاء السود الذين لا يذكرون أبدا أن عربيا واحدا قد جرب الاتصال بهم أو اقامة صلات معهم . .

. . . لا تدعوا هذه الفرصة تفلت !

العدد القادم من

العربي

عدد ممتاز

الطاقة

في عـالـم متغيـر..

بقلم : الدكتور عارف دليله

عندما بدأ تصحيح أسعار النفط عام ١٩٧٤ ، بعد ربع قرن من الثبات ، والانخفاض أحيانا ، انطلق الاعلام الغربي يغطي العالم بالتوقعات حول الكارثة الشاملة المحيقة بالبشرية . فهذا الاحتياطي النفطي للولايات المتحدة سينضب خلال ٨ سنوات ، وسعر برميل النفط سيرتفع الى ١٠٠ دولار في الثمانينيات ، والى ٢٠٠ دولار في التسعينيات !

☐ لعل السنوات المحددة لنضوب الاحتياطي الامريكي حسب التوقعات قد نفذت ، ولم تظهر بشائر (الكارثة) . أما سعر النفط فقد عاد الى الانخفاض ، وتكاد الدول المصدرة للنفط تفقد القدرة على وقف ومقاومة هذاالتدهور . فكيف حصل ذلك ، وما هي التغيرات التي ستطرأ على دور النفط مستقبلا بين مصادر الطاقة ، وما هي الخطط الجديدة لتطوير مصادر الطاقة في عالم الغد ، وأثر ذلك كله على العلاقات بين دول وشعوب العالم ؟

في الخمسينيات والستينيات استطاعت شعوب المستعمرات انجاز الاستقلال السياسي ، وبدأت عملية البناء الاقتصادي الوطني بنشاط وحماس ، ترافق مع بروز الأزمة الاقتصادية ـ الاجتماعية في الدول الرأسمالية المتقدمة ، ومع افتقاد هذه الدول القدرة على معالجة هذه الأزمة بوسائلها الاقتصادية الخاصة . فالسياسات الكينزية القائمة على تنشيط الطلب الداخلي اصطناعيا ، بواسطة الانفاق الحكومي لتحقيق التشغيل الكامل للجهاز الانتاجي المادي والبشري ، استنفذت كل طاقاتها وبدأت تراكماتها السلبية تتحول الى تفجرات اجتماعية واسعة داخل البلدان الرأسمالية . ولهذا فقد كان هدف التحرر الاقتصادي الذي رفضته حركات وثورات العالم الثالث الوطنية ، وبروز الأصوات المطالبة بادخال تغييرات جذرية على النظام الاقتصادي العالمي لتعويض البلدان المتحررة من الاستعمار عن النهب الطويل الذي تعرضت له ، ولدعم جهودها في تقليص الفجوة بينها وبين البلدان المتقدمة ، يعتبر كله نذير شؤم بالنسبة للدوائر الامبريالية الاحتكارية التي تبحث عن وسائل جديدة للنهب والاستغلال ، تمكنها من الامساك بخناق شعوب العالم الثالث من جديد ، باعتبارها تشكل ثلاثة أرباع سكان العالم .

انه لخطأ كبير تحويل التغيرات التي تحصل في العالم الى مجرد أرقام صماء . فالارقام لا تفسر نفسها

■ الطاقة . . . من قاع البحر ايضا .

■ الفحم هل يكون بديلا للبترول ؟

بنفسها ، وكثيرا ما تكون الحقائق الكامنة وراءها معاكسة لما تقوله من نظرة سطحية . ان الأرقام نفسها بحاجة الى تفسير ، ولا يمكن فهمها وادراك معناها الا من خلال جوهر التغيرات الجارية في الحياة الاجتماعية والدولية .

وعلى سبيل المثال ، فان ارتفاع أسعار النفط يتراوح بين أن يكون انجازاً على طريق التحرر الاقتصادي وتغيير طبيعة العلاقات الدولية الغير متكافئة ، وبين أن يكون عكس ذلك تماما .

ولا يمكن تحديد مضمون هذا الاجراء من خلال الأرقام ، وهو ما تغرق فيه التحليلات الاقتصادية التي تفسر الماء بالماء ، وانما فقط من خلال معرفة الدور الذي يلعبه هذا الاجراء في التغيرات الاجتماعية والعالمية ، في الجوهر والعمق ، وليس في المظاهر والشكليات . وبكلمة : من الذي يوجه هذا الاجراء أو ذاك ، ولاي مصلحة وضد أي مصلحة ، وما هي النتائج المستقبلية لذلك التوجيه ؟

لم يبق غير المال

الفعل ، في صورته الرقمية ، كان حدثا هائلا فقد وجدت دول عديدة في العالم الثالث نفسها تقوم على بحر من المال وبشكل مفاجيء دون أن تكون مهيأة اقتصاديا واجتماعيا للسيطرة عليه وحسن استغلاله .

وغمرت الاحلام الشعوب الفقيرة بالثروة والنعيم ، وأغرقت الموجة حتى تلك الشعوب التي لا تمتلك الذهب الاسود بالأوهام ، فاستجابت بالعدوى لحمى الانفاق والاستهلاك ، وانصرفت عن العمل المنتج الى البحث عن المال ، ثمنا لاي شيء ، وأحيانا ثمنا للاوطان ومستقبل الاجيال .

لقد طغت العمليات المالية على كل ما عداها ، وأصبحت هدفا بحد ذاتها . وبينما كانت الدول المتحررة في الستينيات تبني المصانع والسدود وشبكات الري وتدفع ملايين الناس الى تحسين استغلال الطبيعة ، انعكست الآية في السبعينيات . انفكت العلاقة بين المواطن وأمه الأرض فانصرف عنها الى المدينة ، وبالأخص العاصمة ، تجذبه أنشطة الدولة المتركزة هناك ، والدخل القومي المتصرف في مساحة لا تتعدى مئات الكيلومترات المربعة من أرض الوطن ، وعلى وظائف وخدمات وقوة عمل لا تنتج شيئا ، وانما هي في أقصى حالات الشراهة الى الاستهلاك . وفي المدينة اختزلت الانشطة الانسانية كلها الى التعامل بين المال والمال .

ومن المدن هاجرت الشعوب الى المال في الخارج حيث وجدت نفسها أسيرة وضعية شاذة هي وضعية الطلاق الكامل ، بل العلاقة المكسية بين الانتاج

وبين الحظ في اكتساب المال .

ولم يعد هناك غير المال وسيلة للتعبير عن العلاقات بين الشعوب والدول ، وبين الانسان والانسان .

ان طغيان الطابع المالي - النقدي على العلاقات الاجتماعية والدولية يعتبر من أخطر التغيرات في الحياة الانسانية عبر التاريخ . لقد نشأت النقود كوسيلة لتسهيل التعامل بين الناس فقدمت خدمات هائلة للتطور الاجتماعي . لكن دورها تطور كثيرا حتى أصبحت هدفا بحد ذاتها ، وأصبح الانسان والعلاقات الاجتماعية كلها وسيلة لها . وعلى نفس المنوال تغير دورها في العلاقات الدولية . وبالنتيجة ، فقد أصبحت الأنشطة العقيمة تستهلك القسم الاعظم من الجهد الانساني ، فتصرف قوى بشرية هائلة عن مجالات العمل المبدع والنشاط المثمر . ويزداد الانسان فقرا كلما ازداد ثراء .

لقد أصبح المال أداة لتهميش الانسان ، ولتهميش شعوب ودول ، ووضعها خارج دائرة الفعل التاريخي . ولم يكن ذلك أمرا عفويا ، وانما كان غاية محسوبة للدوائر الاحتكارية العالمية .

الفعل ورد الفعل

كان إمساك الدول النامية بطرف خيط التحرر الاقتصادي ، وهو فرض أسعار جديدة على مواردها الطبيعية التي تستنزفها الدول الامبريالية واحتكاراتها على مدى قرون بصورة شبه مجانية ، كان ثورة هائلة في حينه . فقد تضاعفت أسعار النفط الاسمية عشر مرات خلال أقل من عشر سنوات . وارتفعت بالنتيجة أثمان النفط المستورد في الولايات المتحدة من ٨,٧ مليار دولار عام ١٩٧٣ الى ٨٠,٩ مليار دولار عام ١٩٨٠ ، وفي اليابان من ٦,٧ الى ٥٨,١ مليار دولار ، وفي ألمانيا الغربية من ٥,٧ الى ٣٥,٢ مليار دولار ، وفي فرنسا من ٣,٩ الى ٣٠,٨ مليار دولار . وقد بلغت قيمة الفاتورة النفطية للدول الرأسمالية المتقدمة عام ١٩٨٠ - ٧٤٠ مليار دولار ، فتعدت بذلك نفقاتها العسكرية التي بلغت ٥٠٠ مليار دولار .

واذا علمنا بأن معظم النفط المستورد الى الدول الرأسمالية المتقدمة انما يأتي من دول العالم الثالث المصدرة للنفط ، فانه من السذاجة الاعتقاد بأن هذه الدول تدفع هذه المبالغ الضخمة ، لتساعد الدول المتخلفة على بناء نفسها والوقوف على قدميها ، لمنافستها والاستغناء عنها .

فكيف كان رد الفعل ؟

كان رد الفعل المباشر والأولي من قبل الدول الرأسمالية هو تخفيض استهلاك النفط ، وتقليل الاعتماد على النفط المستورد ، وانشاء احتياطات موحدة للدول الرأسمالية الكبرى ، للتكيف في الأسواق النفطية .

وقد اتخذت الدول الرأسمالية اجراءات كثيرة ، وأصدرت قوانين متلاحقة لتوفير الطاقة باجراءات لا تتطلب تكلفة رأسمالية كبيرة ، وذلك مثل الاجراءات المطلوبة لتحسين العازلية الحرارية ، وتنظيم الحرارة في الأبنية السكنية والعامة ، وتقنين الاضاءة والتدفئة والتبريد في المنازل والمؤسسات ، وتطوير الأجهزة المنزلية لتخفيض استهلاكها للطاقة الكهربائية ، وتحديد سرعة وسائط النقل المتحركة . . وغير ذلك . ففي ألمانيا الغربية مثلا ، أقرت خلال ٥ - ٧ سنوات ٨ برامج للطاقة ، وصدر ٣٨ مرسوما وقانونا (قانون بخصوص توفير الطاقة ١٩٧٦ قانون تحديث البيوت السكنية ١٩٧٦ ، لائحة المتطلبات الدنيا في العازلية الحرارية ١٩٧٧ ، قرار حول أجهزة التدفئة ١٩٧٨ ، قرار حول بناء شبكة حرارية ومراكز كهروحرارية تعمل على الفحم . . . الخ) . وفي فرنسا أقر في ٢٠ حزيران ١٩٧٩ برنامج الاقتصاد في الطاقة وأسست هيئة مختصة بذلك مرتبطة بوزارة الصناعة .

وخلال خمس سنوات (١٩٧٧ - ١٩٨١) انفقت الدول الرأسمالية السبع الكبرى على الأبحاث العلمية بشأن ايجاد تكنولوجيا ومعدات موفرة للطاقة حوالي ٥,٧ مليار دولار . وأصبح الاستثمار في توفير الطاقة من أكثر الاستثمارات ربحية .

واذا كانت التوقعات تشير الى النمو المستمر في استهلاك الطاقة في العالم ، حيث من المتوقع أن يتزايد استهلاك الطاقة في الفترة ١٩٨١ - ٢٠٠٠ بمعدل ٢,١ - ٢,٥ سنويا ، الا أن توزيع الطاقة بين مختلف أنواعها ، سيتغير تدريجيا باتجاه تقليل الاعتماد على النفط ، كما يظهر من الجدول التالي :

مساهمة مصادر الطاقة

« خارج الكتلة الاشتراكية »

مصادر الطاقة	١٩٨٠	١٩٩٠	٢٠٠٠	٢٠٠٥
النفط	٥٠,١	٤٠ ـ ٤٣	٣٦ ـ ٣٨	٣٠ ـ ٣٤
الغاز الطبيعي	١٨,١	١٨ ـ ١٩	١٩ ـ ٢٠	١٩ ـ ٢٠
الفحم الحجري	١٩,٢	١٩ ـ ٢٠	٢٢ ـ ٢٤	٢٥ ـ ٢٧
الوقود النووي	٣	٧ ـ ٨	٩ ـ ١٢	١٥ ـ ١٧

لقد أخذت الزيادة في الناتج المحلي الاجمالي تترافق مع انخفاض استهلاك الطاقة . ففي ٢٤ دولة رأسمالية صناعية ارتفع الناتج المحلي الاجمالي خلال الفترة ١٩٧٣ ـ ١٩٨٠ بنسبة ١٩٪ بينما انخفض استهلاك الطاقة من مختلف المصادر بنسبة ٤٪ ، منها انخفاض في استهلاك النفط ومشتقاته بنسبة ٣٪ ، مع انخفاض في حجم النفط المستورد بنسبة ١٣٪ .

وقد خططت الدول الرأسمالية الصناعية لتخفيض مساهمة النفط في ميزان الطاقة حتى ٤٠٪ عام ١٩٩٠ مقابل ما يزيد عن ٥٠٪ عام ١٩٨٠ ، والتوقف في استيراد النفط عند مستوى الاستيراد عام ١٩٧٩ .

ويجري التركيز حاليا على تخفيض الضياع في الطاقة في عملية انتاجها ونقلها من منابعها الأولية حتى الاستهلاك النهائي ، هذا الضياع الذي يبلغ ٨٥٪ من مجمل مصادر الطاقة المتوافرة . لذلك فان الصناعات التي تخص اقتصاد الطاقة تلقى اهتماما كبيرا وتتميز بمردود عال ، وذلك سعيا الى القضاء على ضياعات الحرارة والطاقة أو تخفيضها واستبدال المعدات القديمة ذات الاستهلاك الكثيف للطاقة ، بمعدات جديدة موفرة للطاقة .

واتجهت البلدان الرأسمالية المستوردة للنفط الى تطوير المصادر البديلة للنفط فقد انتجت الولايات المتحدة عام ١٩٨٢ كمية قياسية من الفحم الحجري بلغت ٧٥٦ مليون طن ، بزيادة ٢,١٪ عن انتاجها عام ١٩٨١ ، مع انخفاض في استهلاكه بنسبة ٣,٥٪ خلال نفس العام ليبلغ ٦٤١,٦ مليون طن . واستطاعت بذلك تصدير ٩٦,٤ مليون طن فحم بقيمة تزيد عن ٥ مليار دولار .

ويمكن تقدير الاستطاعة الكلية لمحطات الطاقة النووية في الدول الرأسمالية عام ١٩٩٠ بحوالي ٣٠٠ مليون ك.واط ، فيرتفع بذلك نصيبها من انتاج الطاقة الكهربائية من ١٠٪ عام ١٩٨٣ حتى ١٥ ـ ١٧٪ عام ١٩٩٠ ومن المقرر أن تبلغ استطاعة المحطات النووية عام ٢٠٠٠ حوالي ٧٢٠ ـ ٩٥٠ مليون ك.واط ، أو ٢٣٪ من الطاقة الكهربائية المنتجة . وستبلغ مساهمتها ومساهمة الفحم الحجري في اجمالي الطاقة الكهربائية في العالم (خارج الكتلة الاشتراكية) اكثر من ٧٠٪ . وستبقى الصناعة وانتاج الطاقة الكهربائية تستهلك القسم الاكبر من مصادر الطاقة (حوالي ٦٠٪) .

كانت النتيجة الأساسية لهذه التغيرات ، انخفاض استهلاك واستيراد وانتاج النفط والغاز في الدول الرأسمالية الصناعية والدول النامية . فقد انخفض انتاج النفط عام ١٩٨٢ بالمقارنة بعام ١٩٧٩ في هذه الدول بمقدار ٥٠٠ مليون طن (٢١,٤)، وانخفض انتاج الغاز الطبيعي بمقدار ٤٠ مليون متر مكعب (٤٪)، بينما ارتفع استخراج الفحم الحجري بحوالي ١٥٠ مليون طن (١١٪) وانتاج الوقود النووي ٥٠٠٠ طن (١٢٪). وهذا يعني التحول عن مصادر الطاقة التي تنتجها مناطق العالم الثالث بشكل أساسي (النفط والغاز) الى مصادر الطاقة الاكثر توفرا لدى الدول الصناعية (الفحم والوقود النووي) .

ففي عام ١٩٨٢ استوردت الدول الرأسمالية المستوردة للنفط ، والتي يبلغ نصيبها أربعة أخماس مستوردات النفط العالمية ، ما مجموعه ، ٥٠٤ مليون طن ، أي أقل مما استوردته عام ١٩٧٩ بنسبة ٣٣٪ . فاليابان خفضت وارداتها النفطية بمقدار ٥٦ مليون طن (٢٤٪) ، أما الدول الاوروبية الغربية فقد خفضت وارداتها بمقدار ١٨٨ مليون طن خلال نفس الفترة ، (أي بنسبة ٣٠٪) ، بينما قلصت الولايات المتحدة وارداتها بمقدار ١٤٧ مليون طن (٤٦٪) .

أزمة النفط المقلوبة

وهكذا فان الدول النامية المصدرة للنفط تتعرض هذه الأيام لحرب جديدة ، بعد أن جردت من أسلحتها ، أو بالأصح ، بعد أن تنكرت لاسلحتها

وأساءت استخدامها . ففي السبعينيات كان الغرب يتهم دول الأوبك بتدمير الاقتصاد العالمي لأنها لا توفر له أكبر كمية من النفط بأقل الأسعار . بينما اليوم تجد دول الأوبك أن الغرب يستخدم سلاح النفط ـ وهو سلاحها الذي تخلت عنه طواعية له ـ وذلك لاعادتها الى نفس القمقم الذي يريد الغرب أن تبقى شعوب العالم الثالث حبيسة فيه ، بعد أن توهمت دول الأوبك أنها خرجت منه بغير عودة لتصبح جزءا من العالم الرأسمالي الصناعي المتقدم . وكان خداع المال والاعلام الغربي قد لعب دوره في هذا الوهم على الوجه الأكمل .

في بداية عام ١٩٨٣ بلغ فائض عرض النفط عن الطلب عليه في الأسواق العالمية ٢٠٠ مليون طن . وكانت الدول المستوردة قد جمعت احتياطيا قياسيا من المخزون النفطي بلغ ٤٠٠ مليون طن . وهذا ما اضطر دول الأوبك التي كانت تستخرج عام ١٩٨٢ حوالي ٦٦٪ من النفط العالمي ، وتصدر حوالي ٧٢٪ من صادرات النفط العالمية ، الى تخفيض أسعار النفط في آذار ١٩٨٣ من ٣٤ ـ ٣٦ دولار الى مستوى السعر المعياري للنفط السعودي وهو ٢٩ دولار للبرميل ، مع تخفيض انتاج الأوبك الى ٨٧٥ مليون طن (نصف مستوى الانتاج عام ١٩٧٩ تقريبا) ، ووضع قيود شديدة على كل دولة للالتزام بحصتها المقررة لها .

وكان ذلك بمثابة اعلان بداية أزمة نفطية مقلوبة ، يتعرض فيها النفط ، بالأخص نفط دول العالم الثالث باعتباره يشكل صادراتها الأساسية ، والوحيدة أحيانا ، الى منافسة شديدة من بدائلها الأخرى ، والى أعراض عن شرائه من الأسواق . وتستمر الجهود من أجل الاقتصاد في الطاقة بدون توقف . ومع انخفاض استهلاك النفط والغاز ازداد العمر الافتراضي لها الى حوالي ٤٠ ـ ٥٠ سنة ، ومع وجود ما يكفي من الفحم الحجري لمدة ٢٥٠ سنة . الا أن البحث عن مصادر طاقة جديدة ومتجددة مستمر أيضا ، لكنه سيتعرض الى ضغط مؤقت اذا ما استمرت أسعار النفط في حالة جمود وانخفاض في قيمتها الحقيقية .

وتسقط الأوهام ، وتعود دول العالم الثالث الشاردة عن سربها لتكتشف أنه من غير المسموح لها تجاوز مجموعتها والانتقال الى مصاف الدول المتقدمة ، حتى ولو بلغ متوسط الدخل الفردي لديها ما هو عليه في الدول الصناعية ، الأكثر ثراء . فلا يزيد الأمر عن كونه رقما ، وخداع مال .

فلتشيد القصور التي تباهي قصورهم ، لأن بناءها وحشوها بوسائل الترف لايضيف الى البلاد التي تبنى على أرضها شيئا ، ولكنه يضيف الى اقتصاديات الدول الرأسمالية المتقدمة ، لأنه يشكل مجالا حيويا لتصريف سلعها ، وتنشيط الطلب على منتجاتها ، وتأكيد الحاجة اليها لضمان استمرار هذه (المنشآت) .

انه (ثمن) لايذكر مقابل النفط الذي تستورده . وتصبح مستورداتها بدون مقابل ، بل تعيد تصدير النفط الى مصدريه الأولين وغيرهم من شعوب العالم الثالث ، على شكل ارتفاع في أسعار كل صادراتها ، وعلى شكل منتجات نهائية من النفط الخام لا حدود لاستعمالاتها ، من البلاستيك والخيوط والأقمشة والأدوية والأدوات المنزلية وغيرها .

ويبقى الخاسر الوحيد هو شعوب العالم الثالث ، التي تدفع ولا تملك الوسائل للتعويض والمبادلة . فخلال عشر سنوات من عمر (الثورة النفطية) ارتفعت ديون العالم الثالث عشرة أضعاف ، وهو نفس معدل ارتفاع أسعار النفط . فقد بلغت ديون الدول النامية ٨٠٠ مليار دولار اليوم ولم تكن تزيد قبل عشر سنوات عن ٨٠ مليار دولار .

ومرة أخرى ، فالمشكلة ليست في رقم الديون . ذلك أن الولايات المتحدة ، أكبر دولة في العالم ، هي أكبر مدين تجاه جميع دول العالم . فقد زادت حقوق العالم عليها عن ٢٠٠٠ مليار دولار ، وهي قيمة مشترواتها من العالم التي لاتدفع مقابلها شيئا سوى ورق الدولار الأخضر . وليست الدول النامية بقادرة على شراء ما تحتاج من الخارج مقابل أوراق نقدها الوطنية كما تفعل الدول صاحبة النقد العالمي . ومع هذه المديونية الضخمة فان هذا المدين يبدو غير مطالب بشيء ، الا بمزيد من الاستدانة ! أما المدينون من العالم الثالث فيموتون جوعا لأنهم لايستطيعون سداد فوائد قروضهم الا من ثمرات عملهم الشحيحة .

في السبعينيات استطاعت الدول الامبريالية تحرير نفسها من تهمة نهب دول العالم الثالث لتلقي هذه

التهمة على بائعي النفط لهذه الدول ، وبالأخص على العرب ، حتى بلغت الاتهامات حد العنصرية . وفي الوقت الذي كانت أثمان المستوردات النفطية تلتهم نصيبا متزايدا من صادرات دول العالم الثالث الشحيحة ، حتى تكاد نسبتها الى الصادرات تبلغ في بعض الدول ٥٠ ـ ٩٠٪ ، كانت الدول الامبريالية واحتكاراتها تبدو في صورة (المحسن) الذي يقدم (المنح والمعونات) لتمكين هذه الدول من سد عجوزاتها وتأمين ضرورياتها من المستوردات ، مما مكن الدول الامبريالية من اعادة الشعوب المناضلة من أجل التحرر الاقتصادي الى ربقة العبودية من جديد تحت تهديد الموت جوعا .

وتكمن المأساة في أن الامكانيات المالية الهائلة التي تتصرف بها المؤسسات الامبريالية ، وهي تقوم بدور المحسن الذي لايزيد عن دور (التاجر اليهودي) في مسرحية شكسبير الشهيرة « تاجر البندقية » انما هي نفس الأموال الخارجة من العالم الثالث لتودع في تلك المؤسسات .

وهنا فقط يصبح المال قوة حقيقية ، وليس مجرد خداع نظر ، عندما يصبح في يد السيد المهيمن سلاحا لاستعباد الآخرين وتحويلهم الى عبيد تابعين .

أحلام الغد

ان نصيب الفقراء في عالم الاحلام ليس بأفضل من نصيبهم في عالم الواقع . فمن يمتلك الواقع يحتكر الحلم أيضا .

عالم الأمس كان (عالما أرضيا) ، يتسابق فيه الناس على انتاج الغذاء والكساء وتأمين الضروريات وتوفير الرفاه والكماليات الملموسة . وعالم اليوم هو عالم الفضاء والعقول الالكترونية ، وهو عالم يحتكر الحلم كما يحتكر العلم ، لا مكان فيه للوجدانيات والانسانيات الا بقدر ما تثبت مكانتها في العلم ، وقدرتها على خدمة الحلم الذي يتحول الى واقع ملموس .

وبينما تعود شعوب العالم الثالث الى استهلاك مصادر الطاقة التقليدية ، مثل الغابات النادرة ، فتزيد بذلك حجم الكارثة الطبيعية التي تنزل بها ، اضافة الى الكوارث الاجتماعية الكثيرة ، تذهب الأحلام بالعلماء في الدول المتقدمة الى الفضاء ، بحثا عن مصادر الطاقة الجديدة .

ويعتقد هؤلاء العلماء بأن طاقة القرن الواحد والعشرين ستعتمد على بناء محطات كهروشمسية في الفضاء لتزويد الأرض بالطاقة ، منقولة بواسطة الأشعة فائقة الذبذبة التي لاتفقد شيئا باختراقها للغلاف الجوي ، ويزيد مردود تحويلها الى كهرباء عن ٩٠٪ على مسافة ٣٦ ألف كم من الأرض اذ تركب محطة شمسية مدارية ، تتألف من نظام لتحويل طاقة الاشعاع الشمسي الى إشعاع فائق الذبذبة ينقل الى الأرض ، حيث تستخدم الخلايا الضوئية كمستقبل للاشعة الشمسية هذه ، فتحولها الى تيار كهربائي للاستهلاك العادي . وستبلغ مساحة البطاريات الشمسية لمحطة كهذه حسب تخيلات العلماء حوالي ١٠٠ كم ، وكتلتها حوالي ٥٠ ـ ١٠٠ ألف طن ، وستحتل خلايا الاستقبال مساحة من الأرض تقدر بعدة مئات من الكيلومترات المربعة . وستعطي محطة من هذا النوع طاقة كهربائية مقدارها ١٠ ميغاواط (١ ميغاواط = ١٠٠ ٩ واط = ١٠ ٦ كيلو واط) .

وما أكثر الخيالات التي كانت تعد جنونا أو أوهاما ثم تحولت الى وقائع .

ان هذه المحطة الخيالية لو بدء بتنفيذها عام ٢٠٠٠ ستحتاج الى نقل أوزان الى المدار الأرضي تقدر ب (٢ ـ ٥) ×١٠ طن من الأحمال اسبوعا على مدى ٢٠ عاما ، وذلك على صواريخ شاحنة هائلة الحجم ـ من حمولة ٥٠٠ طن ، وبمعدل صاروخ من هذا النوع كل ٢٠ دقيقة . ان تكلفة اقلاع هذه الصواريخ فقط ٦٠٠ مليار دولار سنويا . وسيكون بامكان مثل هذه المحطة لوحدها توفير ٢٠ ٪ من حاجة الكرة الأرضية للطاقة الكهربائية .

انه الآن لايعدو الخيال والحلم . فالمشكلات تبدو غير قابلة للحل . ولكن الفكر يتجه الآن الى مشاريع أقل طموحا ، مثل انارة الليل على مساحات واسعة تعد بمئات الاف الكيلومترات المربعة ، ومحاربة الصقيع ، وغير ذلك .

والسؤال هو : ماذا تعد الدول الفقيرة ، ودولنا العربية من بينها ، لعالم الغد ، القريب منه قبل البعيد ؟ وهل هناك من يفكر بالغد ، اللهم الا اذا ما استثنينا بعض الأوهام السائدة بامكانية شراء كل شيء من الخارج ، مادمنا نملك المال لذلك ؟ □□

أرقام!

مطلوب وظيفة

□ عندما اتجهت البلاد الصناعية المتقدمة الى مرحلة من الرفاهية خفضت فيها ساعات العمل وزادت أيام الراحة ، وعندما أصبحت عطلة نهاية الاسبوع يومين بدلا من يوم واحد . . عندما حدث ذلك صاح الكثيرون : وماذا يفعل هؤلاء الذين يتركون أعمالهم يوم الجمعة ويعودون صباح كل اثنين ؟ . . و . . . وجد المجتمع نشاطا جديدا يمتد من الكتاب الى فيلم السينما والفيديو . . الى الملاهى والنوادى والشواطىء . لقد انسعت صناعة جديدة هى صناعة الترويح ، أو بتحديد أكثر صناعة الترويح والتثقيف .

لقد تغيرت ساعات العمل وساعات الراحة ، ولابد أن يجد الانسان مايشغله، لكن الاكيد انه فى ذلك الوقت ، لم تراود الباحثين ورجال السياسة والاقتصاد فكرة « الفراغ كل الوقت » . . أو العطلة سبعة أيام كل أسبوع . لم تراودهم فكرة أن يأتى يوم تتعطل فيه شرائح واسعة من المجتمع لتشكل بذاتها مجتمعا فى اجازة ، ويتطلب الأمر حلا جديدا . صحيح أن العالم الصناعى قد شهد ذلك فى فترات التحول التكنولوجى عندما انتقل على سبيل المثال من العمل اليدوى الى العمل الآلى . . وصحيح أن فترات الكساد ـ وأبرزها كساد (١٩٢٩/ ١٩٣٠) ـ قد شهدت ذلك . . لكن الأمر باستمرار كان استثناء يزول بزوال الظرف أو التأقلم معه .

الجديد أن ظاهرة التعطل قد أصبحت مزمنة فى بقاع متقدمة من العالم ، وأنها قد أصبحت من الاتساع بحيث شملت واحدا من كل عشرة مشتغلين !

ورغم أن الظاهرة ـ على الأرجح ـ تشمل العالم المتقدم والنامى . العالم الأول والثالث وربما مابينهما . . رغم ذلك فان أرقام العالم الثالث لاتتوفر بنفس الدقة والشمول والسرعة ، وحتى لو توفرت فالاجابة جاهزة :

انها بلاد الاقتصاديات المتخلفة ، والموارد غير المستغلة .

ولكن . . فى الدول الصناعية المتقدمة يختلف الأمر ، ولأنهم يحصون كل شىء من المدافع الى الطرق والسيارات ومستهلكى الشيكولاتة ومدخنى السجائر بين الأطفال . . لأنهم يفعلون ذلك فالامر سهل ومثير فى نفس الوقت .

تقول أرقام ١٩٨٣ انه فى العالم الصناعى المتقدم (وباستثناء الدول الاشتراكية) فانه يوجد ثلاثون مليونا من المتعطلين ، وبالنسبة المئوية يوجد (١٠,٦٪) من القوى العاملة فى أوروبا الغربية و ٩,٥٪ من القوى العاملة فى الولايات المتحدة الأمريكية و٢,٦٪ من المشتغلين فى اليابان . . فى حالة تعطل .

والأرقام هنا تقول الكثير . .

وطبقا لاحصاءات أوردها آخر تقرير للاقتصاد العربى الموحد ، الذى تصدره الجامعة العربية ، فان الوضع فى الثمانينيات غيره فى السبعينيات . . خاصة بالنسبة لأوروبا الغربية . لقد كانت نسبة التعطل فى هذه الدول خلال سنوات السبعينيات العشر (٤٪) . . فاذا بها تقفز فى الثمانينيات لتصل الى مايقرب من ثلاثة أضعاف ذلك ولتصبح فى دائرة التوقع نسبة (١١٪) بطالة خلال عام ١٩٨٤ .

فى الولايات المتحدة الامريكية كانت الظاهرة أخف قليلا ، وبينما زادت المعدلات عامى ٨٢ ، ٨٣ . . فانها عادت فى العام التالى لتقترب ـ كما هو متوقع من المعدل القديم فى السبعينيات وبداية الثمانينيات (٧,٨٪ عام ٨٤ مقابل ٧,٦٪ عام ٨١ ، و٦,٢٪ فى السبعينيات) .

أما اليابان فهى الأفضل باستمرار ، حيث تراوحت فيها النسب بين ١,٨٪ خلال السبعينيات و ٢,٤٪ خلال الثمانينيات .

نحن اذن أمام معسكر غربى غير حسن فى معدلات بطالته . له قلب مكدود يتمثل فى أوروبا ، وجناحان أكثر صحة فى اليابان والولايات المتحدة . صحيح أن تحسن الموقف الاقتصادى فى الولايات المتحدة الامريكية قد لايستمر ، لكن الأكيد أن الموقف فى مجمله أفضل من الموقف فى أوروبا ، والخطير أن يكون التقدم هنا (فى أمريكا) على حساب المرض والعلة هناك (فى أوروبا) ،

بقلم : محمود المراغى

والأمر كذلك فى حالتنا تلك .

البطالة تنشأ عندما يعجز حجم النشاط الاقتصادى عن استيعاب كل الأيدى العاملة المتاحة والمطروحة فى الأسواق . . وفى الآونة الأخيرة قال الاقتصاديون والسياسيون : هاهو الكساد ينحسر وهاهى الصحوة تعود . مع ذلك ، ورغم تحسن معدلات النمو ، فقد بقيت أوروبا تعانى من بطالة تتزايد .

معنى ذلك ـ وان تزايدت الانتاجية أو الدخل القومى ـ فان دائرة الأعمال تضيق ولا تتسع ، وتسأل عن السبب فينظرون فى غضب عبر الأطلنطى ، الى حليفتهم : الولايات المتحدة الامريكية .

وعند هذه النقطة تبدأ سلسلة الأسباب والأعذار لبطالة أوروبا المتزايدة .

فأوروبا لاتستطيع أن تفعل الكثير لتقاوم سياسات أمريكا فى رفع سعر الدولار ورفع أسعار الفائدة ، مما يجلب الاستثمارات العالمية اليها ويسرقها من مجالها التقليدى فى أوروبا . وهى أيضا ـ أى دول الغرب الصناعية الاوروبية ـ لاتجد مناصا من تخفيض عملاتها أو زيادة أسعار فائدتها ، وبما يؤثر على مدخراتها واستثماراتها المحلية . . وليست الوافدة عبر الحدود فقط .

واذا كان التوسع فى الاستثمار أساس التوسع فى النشاط فقد خسرت ، ومازالت أوروبا تخسر ، نقطة أولى فى السباق .

النقطة الثانية ، ومن أجل التنافس فانها لابد أن تتجه للتحديث ، وعندما تعمل بأجهزة معقدة أكثر وبحاسبات الكترونية فانها تضحى بالضرورة بجزء من قدرتها على تشغيل العمال . . فالجديد لايحتاج اليه .

و . . نفس الشىء عندما تنظر أوروبا الى الجنوب وتقول : لكى يتسع السوق . ولكى تجعل لنا شريكا فى العالم الثالث يشترى ويبيع ويصنع لنا الرواج ، فانه لابد من تطوير هذا العالم ومده بقدر من الصناعات والأنشطة الأكثر تخلفا والأكثر تلويثا للبيئة . عندما يحدث ذلك ويعاد تقسيم العمل الدولى بشكل اختيارى تنتقل الصناعات المكثفة للعمالة جنوبا ـ وتتوطن الصناعات المكثفة لرأس المال شمالا . . و . . تخسر أوروبا نقطة أخرى بالضرورة .

الأسباب متعددة لايدخل بينها بشكل أساسى ارتفاع سعر النفط ، فقبل ١٩٧٣ بدأت نسب البطالة فى التزايد . . لكن الانفجار كان فى الثمانينات ، بعد أن استقر كل شىء ، وبعد أن انخفض سعر النفط .

الأزمة اذن ـ كما يقول رجال الاقتصاد ـ فى هيكل الاقتصاد الغربى بشكل عام ، وبدرجة أكبر الاقتصاد الاوروبى والمحصلة النهائية متعطل بين كل تسعة من المشتغلين فى أوروبا ، ومتعطل بين كل (١٢) مشتغلا فى أمريكا . . واليابان بصحة جيدة .

معنى ذلك ـ وفى أوروبا الغربية بدرجة أوضح ـ أن المجتمعات والحكومات الغربية تواجه مجموعة من الأخطار . فالبطالة تعنى انفاقا حكوميا أكثر ، وعائدا ماليا وانتاجيا أقل . انها تعطى اعانات البطالة وربما تكاليف العلاج والتعليم ولاتأخذ انتاجا أو ضرائب . فى نفس الوقت فانها تواجه أمراضا اجتماعية وقيما جديدة منحرفة .

فى مجتمع العاطلين قد تتراجع مع الوقت ، ومع طول فترة التعطل ، قيمة العمل . . . فالعاطل الاوروبى ـ وان عانى ـ لكنه لايجوع ، والاعانات توفر له حدا أدنى من مستوى المعيشة . قد ينحرف ، وقد يتجه الى الجريمة ، وقد يشارك فى اضطراب سياسى أو اجتماعى . . و . . كلها أمراض لامفر منها .

والأكثر أن القيم والاتجاهات الاجتماعية السائدة تتغير وتميل للتطرف . . . ومن ذلك : العودة على بدء فى قضية المرأة وخروجها للعمل ، ففى ظل البطالة من البديهى أن يفضلها البعض سيدة للمنزل . . بعيدا عن سوق العمل .

وهكذا تتفاقم المشكلة ويصبح الهم الأول فى عالمنا المتقدم : عاطلا يبحث عن عمل . . ودولة عاجزة عن أن توفر له هذا العمل .

فى أوروبا ، حيث التقدم والمستوى المعيشى المرتفع ـ سوف تستمر حسب التوقعات الاقتصادية هذه الظاهرة حتى نهاية العقد الحالى . . . و فالانتعاش الأخير يحمل بذور فنائه » .

و . . لأن العاطلين يشترون أقل ـ بما يساعد على الكساد ـ وينحرفون أكثر ـ بما يساعد على الجريمة ـ وينتجون صفرا بما يجعلهم عبئا على المجتمع ، لأن الأمر كذلك فالمشكلة كبيرة ومتفاقمة ، والسؤال : وماذا عن العالم الثالث ؟ . . ماذا . . عن بلاد الأرقام الضائعة « والمؤشرات النادرة » ؟ .

اننا نحس بالظاهرة ، لكن احصاءها لايكون باستمرار : شاملا ودقيقا وحديثا ، لكن الأرجح فى كثير من البلدان النامية أن الصورة أكثر قتامة والأمل أبعد منالاً . □□

لا تنطلقوا

القمر الصناعي العربي

بقلم : حمدي قنديل

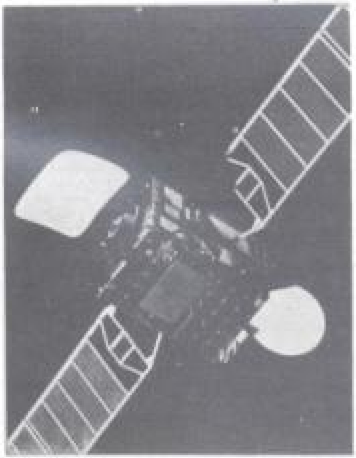

□ أصبح اطلاق القمر الصناعي العربي مصدر قلق ، بدل أن يكون على ترحيب ممن وقفوا وراء تحقيق الأمنية التي انتظرها الجميع .. ما هو سر هذا القلق .... ولماذا النداء الجديد بايقاف اطلاق القمر الصناعي العربي ؟

طبقا لآخر ما روجته الصحف ، فان القمر الصناعي العربي سوف يطلق الى مداره خلال بضعة شهور بعد أن كان مقررا اطلاقه مع نهاية هذا العام ، وربما كان سبب التأجيل هو تسويف « وكالة الفضاء الأوروبية » في استخدام صاروخها « ايريان » لاطلاق القمر في الموعد المحدد الذي أتفق عليه بين الطرفين . كان مقررا اطلاقه في منتصف السبعينيات ، ولكنه عندما جاء الموعد كان كل ماتم انجازه هو اقامة « المؤسسة العربية للاتصالات الفضائية » ، التي عرفت - كما عرف القمر - باسم « عربسات » ودرجت المؤسسة على اعلان مواعيد الاطلاق ، ولم يحترم واحد منها حتى الان . وكانت الأسباب لذلك تبدو وكأنها مالية ، فبسبب التأخير في التخطيط ، ارتفع سعر تصنيع القمر وأجر اطلاقه . ورفعت المؤسسة بسبب ذلك ميزانيتها من مائة مليون الى مائتي مليون دولار ، ولكنها لم تجد بسهولة مشترين للاسهم ،حتى ان الحديث دار في اجتماع للجمعية العامة للمؤسسة حول اشراك القطاع الخاص،بل حتى اشراك جهات أجنبية . وبسبب التأخر في سداد ثمن الأسهم الجديدة ارتفع سعر المعدات مرة أخرى وأخرى ، كما ارتفعت قيمة التأمين على عمليات الاطلاق نتيجة لفشل بعض محاولات صاروخ « ايريان » الاوروبي ومكوك الفضاء الأمريكي الذين سيقوم واحد منهما

باطلاق القمر العربي الرئيسي ، في حين يقوم الآخر باطلاق القمر الاحتياطي . وعندما ارتفعت الأسعار وقعت المؤسسة في ورطة أخرى . وهكذا دخل المشروع نتيجة لاضطراب التخطيط في حلقة مفرغة : ارتفاع الأسعار يؤدي الى تأخير الاطلاق ، وتأخير الاطلاق يؤدي الى ارتفعاع الاسعار .

وكانت المؤسسة تتعلل في كثير من الأحيان بأن التأخير ناشيء عن أن القمر تضاف اليه أحدث المعدات التي توصلت اليها تكنولوجيا الاتصالات . وهذا أمر فيه قدر كبير من الصحة ، ولكنه ليس صحيحا تماما . فالقمر العربي في واقع الأمر يعتبر من أقوى أقمار الاتصالات حاليا ، ولكن تصميمه على هذا النحو وضع منذ فترة طويلة ، وكان من الممكن تنفيذه قبل فوات كثير من مواعيد الاطلاق السابق اعلانها . والشركات التي تصنع القمر قامت بالفعل بتصنيع أقمار مشابهة لمنظمة « انتسات » ، وهي المنظمة العالمية الرئيسية للاتصالات الفضائية . ووجه التشابه بين أقمار « عربسات » و« وانتسات » انه نتيجة لقوتها فمن الممكن أن تغطي مناطق معينة باشارات قوية يمكن التقاطها بمحطات أرضية صغيرة . ولكن القمر العربي يتضمن بالاضافة الى ذلك قناة غزيرة الاشعاع ، أي أكثر قوة ، بحيث لاتزيد المحطات التي تتلقي بثها عن هوائي قد يصل قطره الى متر ونصف المتر فقط . وقد أطلق على هذه القناة في القاموس الاذاعي العربي « قناة الاستقبال الجماعي » ، وذلك لان أحلام الاذاعيين الذين بشروا بهذه القناة كانت تتوهم أنها سوف تستقبل ـ نتيجة لصغر محطتها ـ في كل الأرجاء المعزولة والنائية في الوطن العربي .

على مقاعد المتفرجين

وقد عارض الكثيرون في ادخال هذه القناة على مدى السنوات السابقة ، وكان معظم هؤلاء يرون أنه اذا كان من الضروري وجودها في القمر فيستحسن أن يتم ذلك في جيله الثاني ، أي بعد أن ينتهي عمر الأقمار الاولى ، والذي يقدر بفترة تتراوح بين سبع وعشر سنوات . ولكن آخرين عارضوا فكرة اطلاق قمر صناعي عربي من أساسها . وكان في مقدمة هؤلاء الاتحاد العربي للمواصلات السلكية واللاسلكية . وكان الاتحاد يركز نشاطه في السبعينيات على اقامة شبكة أرضية للاتصالات تكلف بليوني دولار ، مهمتها الربط بين الدول العربية وكذلك بينها وبين دول البحر الأبيض المتوسط ، وهي الشبكة المعروفة باسم « ميد عرب تل » التي يشرف على انشائها الاتحاد الدولي للاتصال .

وكان خبراء الاتحاد عندئذ معروفين بموقفهم التقليدي الذي يفضل الشبكات الأرضية على الأقمار الصناعية . وحتى الجهات العربية التي كانت ترى اللجوء الى استخدام الفضاء ، فقد كان بعضها يفضل البدء باستئجار أقمار من « انتسات » أولا بحيث يمكن اختبار مدى جدوى الفضاء في حل مشكلات الاتصالات العربية ، ويمكن التدريب على التعامل مع الأقمار بشكل كاف قبل أن يكون للمنطقة العربية قمر خاص بها . وكان في مقدمة من عارضوا المشروع في البداية السعودية وتونس ، ومن المفارقات أنهما اليوم الدولتان اللتان اقيمت بهما محطة التحكم الرئيسية ، ومحطة التحكم الفرعية للشبكة الفضائية العربية .

ولكن اتحاد اذاعات الأقطار العربية حاول دفع المشروع بنشاط كثيف ، وكان الاتحاد منذ انشائه في عام ١٩٦٩ ، قد تلقف فكرة المشروع من وزراء الاعلام العرب . وكان هؤلاء قد طرحوا لأول مرة فكرة استخدام الفضاء للأغراض الاعلامية في اجتماعهم الذي عقد في بنزرت عام ١٩٦٧ بعد نكسة العرب مع اسرائيل . وكانت توصيتهم تتصف بكثير من الغموض والتعميم ، إذ اقتصروا على القول « بضرورة الاستفادة من

التقدم التكنولوجي في وسائل الاتصال ، وخاصة بالأقمار الصناعية ، لمساندة العربي » على أن اتحاد الاذاعات فسر هذه التوصية بأنها دعوة لاقامة شبكة فضائية عربية » يتم من خلالها التقريب بين أبناء الوطن العربي .

ومضى الاتحاد في دعوته ودراساته واجتماعاته ، وشكل لجنة مشتركة مع الاتحاد العربي للمواصلات انتهت أعمالها بعد عناء ، الى التوصية باقامة الشبكة ، وقيام مؤسسة عربية لتنفيذها . وفي الوقت الذي كان فيه الاذاعيون يقومون بدراسة احتياجاتهم من القمر الصناعي المنتظر ، كان رجال المواصلات يتقدمون في خطواتهم لاقامة المؤسسة المقترحة . وكلما تقدمت هذه الخطوت ، كلما فقد الاذاعيون صدارتهم في الميدان . وعندما وافق المؤتمر الثالث لوزراء المواصلات العرب على اتفاقية اقامة المؤسسة خلال انعقاده في القاهرة عام ١٩٧٦ ، انتقل المشروع برمته الى أيدي رجال المواصلات . وبينما كان هؤلاء يقفون على خشبة المسرح ، لم يحظ اتحاد الاذاعات ولا المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الكسو) سوى بمقاعد المتفرجين .

البيض في سلة واحدة

ولاجدال في أن القمر الصناعي العربي سوف يزيد من طاقة الاتصالات (الهاتف ، البرق ، التلكس)٪ الى حد كبير . وكما هو مقرر ، فسوف تكون بالقمر - بالاضافة الى قناة التلفزيون الجماعيه - ٢٥ قناة للاتصالات يمكن استخدام كل منها حسب الحاجة ، لنقل برنامج تلفزيوني أو نقل ٥٥٠ مكالمة هاتفية ، أو غير ذلك من أنواع الاتصالات . وطبقا لتقديرات مؤسسة « عربسات » لمتطلبات الحركة في الاقطار العربية حتى عام ١٩٩٠ ، فان ١٣ من هذه القنوات سوف تستخدم للاتصالات الهاتفية الاقليمية بين الاقطار العربية ، و٦ للاتصالات المحلية في الاقطار الراغبة في ذلك ، وقناة واحدة للتلفزة الاقليمية ، أي نقل برامج التلفزيون بين الاقطار العربية ، و٤ قنوات للتلفزة المحلية في الدول التي تحتاج اليها ، في حين تخصص القناة الاخيرة لاتصال الاغاثة والطواريء وغيرها من الاتصالات العاجلة . ولكن الوثائق الاولى للمشروع تفيد أنه « لم يكن يراد به مجرد توفير دوائر اتصالات اضافيه ، وانما نظر اليه كمشروع يسهم في دعم الثقافة العربية المشتركة من خلال برامج التلفزيون المقرر بثها وتبادلها » ، وانه « ليس مشروعا لتوفير دوائر اتصال فحسب ، بحيث يتضاءل مفهومه الى مستوى مشروعات الاتصال العادية ، وتجري المقارنات بناء على هذا المفهوم ، ولكنه مشروع سياسي وحضاري وثقافي واغاثي وصناعي ، بل وعسكري ، في آن واحد معا » .

ومن المؤسف أننا أبعد ماتكون اليوم عن تحقيق هذه الاهداف . ولعل السبب الاول في ذلك هو الخلافات السياسية القائمة بين كثير من الاقطار العربية ، وقد أدت هذه الخلافات على سبيل المثال الى ايقاف عضوية مصر في مؤسسة « عربسات » بعد توقيع اتفاقيات كامب دافيد ، مما حدا بمصر الى الرد بأن امتنعت عن اقامة محطة أرضية للاتصال بالقمر . ويعني هذا حرمان « عربسات » من ٢٢٪ من الحركة المتوقعة طبقا لمصادر المؤسسة . كما أدت العوامل السياسية أيضا الى اثارة كثير من الشكوك ليس فقط بالنسبة لبث برنامج واحد من خلال قناة الاستقبال الجماعي ، وانما حتى لتبادل البرامج بين الاقطار العربية .

وعندما أوفدت اللجنة العربية المشتركة لاتصال الفضاء بعثة خبراء الى الاقطار العربية في عام ١٩٨٣ للتشاور مع كبار المسئولين فيها حول استخدام « عربسات » خرج تقرير البعثة - التي تشرف الكاتب بعضويتها - حاشدا بالمخاوف التي أعرب عنها هؤلاء المسئولون . وقيل في التقرير أن ترمومتر التبادل عادة مايتبع ترمومتر

السياسة . وضرب المثل بشبكة « المغربفزيون » التي تضم المغرب والجزائر وتونس ، والتي توقفت عن العمل سنوات عديدة بسبب ماطرأ من خلافات سياسية بين الاقطار المشاركة فيها . بل ان وزير الاعلام العماني حذر من أنه « ليس من المستبعد أن يقطع أحد قنوات القمر وأضاف أن الفنيين ربما يستبعدون حدوث ذلك تماما ، ولكن هذا الذي سيتخذ قرارا بشأن التحول من الاعتماد على شبكة راسخة مثل انتسات الى الاعتماد على شبكة ناشئة مثل عربسات يجب أن يحصل على الضمانات الكافية قبل أن يضع كله في سلة واحدة »

ومن ناحية أخرى نجد أنه حتى لو كانت الأوضاع السياسية مواتية تماما ، فان الاستعدادات الاخرى متخلفة الى حد كبير بالرغم من جهود المنظمات العربية ، وخاصة اتحاد الاذاعات والالكسو وجهاز تلفزيون الخليج . فحتى وقتنا الحالي ، وبعد تجارب متعددة قصيرة العمر والمدى لم يقم نظام دائم لتبادل الأخبار أو البرامج التلفزيونية بين الاقطار العربية باستخدام الشبكات الأرضية القائمة أو الشبكات الفضائية الدولية . كما أنه ليست هناك برامج تربوية جاهزة لتعبئة قنوات القمر ، بل ان التلفزيون التربوي لايوجد أصلا في الكثير من الاقطار العربية ، بالاضافة الى ان اختلاف المناهج يمثل عقبة أمام تبادل برامج بين تلك الاقطار التي يوجد بها تلفزيون تربوي . أضف الى ذلك أن مسألة بث البرامج الانمائية بواسطة الفضاء الى مراكز مشاهدة جماعية مسألة ليست واردة الان أصلا ، ذلك أن هذه المراكز لاتوجد الا في دولتين أو ثلاث ، وعلى نطاق محدود جدا . وقد أضافت مؤسسة « عربسات » الى هذه الصعوبات عقبة أخرى باعتراضها على منح الاذاعيين تعرفة مخفضة عن تلك التي تمنحها « انتسات » ، وزادت الطين بله بالتسويف في منحهم فترة تجريبية مجانية لاجراء اختبارات لنقل البرامج ، رغم أن مؤسسات مماثلة في مناطق أخرى ، كأوروبا ، أخذت بهذا المبدأ من قبل .

ولم يقف القصور في الاستعداد عند حد المجال الاذاعي وحده ، بل تعداه الى المجال الصناعي أيضا . فلقد كان من الأهداف التي أنشئت من أجلها المؤسسة العربية للاتصالات الفضائية « التشجيع على انشاء الصناعات اللازمة لتجهيزات القطاع الفضائي والمحطات الارضية في الدول العربية » (الاتفاقية ـ المادة الثالثة ، م ، ج) وهو هدف لم يخصص له أي نشاط ذي قيمة ، فلا نحن شاركنا في تصنيع القمر أو محطاته الأرضية ، ولا أقمنا أي نشاط صناعي متصل بذلك في الوطن العربي . بل ان الاقطار العربية لم تجمع كلمتها لشراء صفقة موحدة من المحطات الأرضية ، كان من الممكن أن تكفل لها شروطا أفضل . والمؤسف أنه لم يواكب المشروع تربية جيل من مهندسي الفضاء العرب . وكل ماحدث أن أوفد عدد من المهندسين للتدريب في الخارج خلال الاشهر القليلة الأخيرة فقط ، حتى ان البعض طرح مؤخرا اقتراحا بأن تقوم شركة أجنبية بتشغيل القمر .

سؤال فات أوانه

ومع ذلك ، فحتى نكون منصفين فلابد من الاعتراف لمؤسسة « عربسات » بأنها دفعت المشروع القومي الأول للاتصال في العالم العربي . ولكنه في الوقت الذي يتهيأ فيه الجميع ليتطلعوا الى السماء مترقبين ثبوت رؤية القمر ، يتبادر الى الذهن سؤال فات أوانه : هل نحن قررنا استخدام القمر قبل أن نقرر اطلاقه ؟ بل يكاد المشفق على المشروع أن يتمنى على أولئك الذين يستعدون لاطلاق القمر ألا يسارعوا الى ذلك ، حتى لاتتحطم آمال أخرى للامة العربية ، وحتى لايكشف القمر عري التعاون العربي ، وحتى لانكتشف كما اكتشف غيرنا من قبل أن التكنولوجيا سبقت البشر والمجتمع .

كوالالمبور

نقطة اللقاء بين المتناقضات

مدينة الأركان الخمسة

استطلاع : سليمان مظهر   تصوير : سليمان حيدر

☐ هل جربت مرة أن تعيش بين الأفاعي - الثعبانية لا البشرية - تمسحها بأناملك، وتدغدغها بأنفاسك .. فلا تلدغك أو تعتصرك أو تقذف السم في وجهك وعينيك ؟! اذا لم تكن قد فعلت .. فتعال معنا نجرب الأمر هناك .. في ماليزيا .. بعد أن نزور كوالالمبور .. مدينة الأركان الخمسة .. ونقطة اللقاء بين المتناقضات .

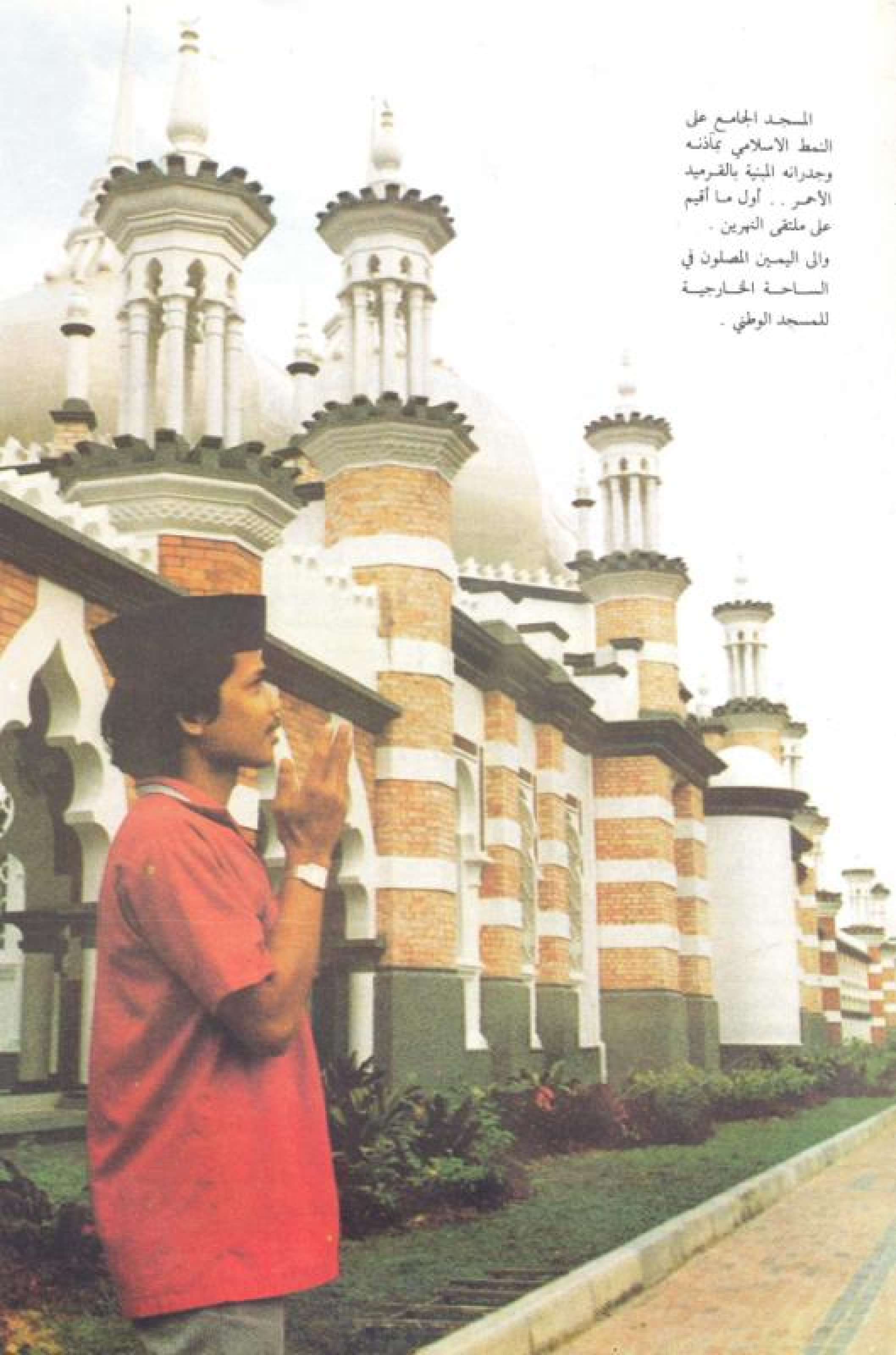

المسجد الجامع على النمط الاسلامي بمآذنه وجدرانه المبنية بالقرميد الأحمر . . أول ما أقيم على ملتقى النهرين .
والى اليمين المصلون في الساحة الخارجية للمسجد الوطني .

مدينة المتناقضات

الصورة المشرقة تبدو لنا فور وصولنا الى مطار كوالالمبور .. وعلى طول الطريق من المطار الدولي حتى تدخل العاصمة .

الخضرة والطبيعة الاخاذة تأخذ بأبصارنا مع انطلاق السيارة وهي تقطع بنا ثلاثين كيلومترا حتى تصل الى قلب المدينة . وتفتح عيوننا في انبهار ونحن نتبادل الحديث مؤكدين أننا نشهد مدينة من أنظف مدن العالم .. البيوت نظيفة أنيقة ، الشوارع ناعمة مغطاة بالمطاط ، لايقع البصر في الشارع على قشة أو ورقة ملوثة ، ولا نحس أن هناك شيئا اسمه الحفر والمطبات ، والارصفة تبعث الراحة في نفس من يطل على جانبي الطريق .. زهور وورود وحدائق وخضرة .. والمارة في ثياب نظيفة ، لايحاول احد منهم الاعتداء على حرمة الطريق .. والفتيات والنساء يسرن في حشمة ووقار وبلا ابتذال .. كل شيء يبعث على الرضا والارتياح ..

ونصل الى قلب المدينة الزاهرة الخضراء ...

هنا نشهد كيف تلتقي حضارة الشرق بحضارة الغرب .. حيث تقف المآذن شامخة جنبا الى جنب مع المباني الحديثة وناطحات السحاب .. وتتجاور بيوت فخمة بنيت على الطراز الغربي ، مع بيوت متواضعة بنيت على الطراز المحلي .. وتتلاقى الملامح الاسلامية الاصيلة بالفن المعماري الاسلامي ، مع فنون الهندسة الهندية والصينية والانجليزية كلها في آن واحد .. وعلى نفس جوانب الطريق .

انها مدينة المتناقضات ..

« كوكتيل » « خليط من كل شيء » .. انه « كوكتيل » .. كوالالمبور .. !

مجتمع فريد من نوعه ، أجناس فيهم الملايوي ، والصيني والهندي والبنجالي والايروسياني والداياقي والكادزاني والموروتي والجاوي والاندونيسي والياباني والعربي والزنجي .. وعقائد بينها الاسلام والمسيحية والبوذية والكونفوشية والهندوسية والداوية والشنتوية والوثنية وعبادة الطبيعة ... ولغات ولهجات تتحدث بالملايوية والانجليزية والصينية والكنتونية والهندية والتاملية والبنجابية والأوردية واليابانية والعربية .. وجماعات بينها المتحضرة والقبلية والمدنية والبدائية والريفية .. تختلط عاداتها وطبائعها وأفكارها وأنظمتها وأطعمتها وأعيادها .. لتشكل كل هذا المزيج الغريب للشعب الماليزي .. مزيج تدركه حتى من خلال اسم « ماليزيا » نفسه .. فالمقطع الأول « ملايو » يدلك على شعب الملايو المسلم بأصوله المغولية وتقاطيعه المنسجمة ووجوهه العامرة بالايمان والذي يشكل مع الأجناس الأخرى الأصيلة حوالي ٥٣ ٪ من السكان .. ولكن المقطع الثاني « ايزيا » ، وبمنطوق آخر « آسيا » فهو يضم البقية الباقية من الاصول والاعراق الآسيوية التي تركت بلادها قبل مئات السنين لتستقر في شبه جزيرة الملايو .. بينها حوالي ٣٤ ٪ من الصينيين و١٠ ٪ من الهنود و٣ ٪ من الأجناس الأخرى ...

يؤكد لنا ذلك الخليط - وخاصة في الليل - أضواء النيون المتشابكة التي تتألق بها اللافتات المتضاربة للمحلات حيث تختلط الأسماء والأضواء والاعلانات واللغات والخطوط في كل ركن وشارع .. وحيث لايمكن للقادم الجديد أن يميز بين أحاديث الألسنة والأغاني التي تتشابك مع بعضها البعض ، أو يقرأ كل ما هو مكتوب على الجدران واللافتات . ومهما طال بك المطاف في العالم فلن تستطيع أن تجد كل ذلك الا في كوالالمبور .. عاصمة ماليزيا .

قرية العشيش

هذه المدينة الرشيقة الزاهرة ذات الالف لون ولون .. لم تكن قبل مائة عام أكثر من قرية « صغيرة » من العشيش والصفيح .. يسكنها عمال مناجم القصدير الذين كانت طلائعهم تضم ٧٨ من المنقبين عن القصدير .. ساروا معا حتى ملتقى نهر كلانج ونهر جومباك ، واستقر بهم المقام هناك حيث مات منهم سبعون من أثر الحمى في الشهر الأول ، ولكن بعد أن كانوا قد اكتشفوا معدن القصدير . وتوافد بعد ذلك عمال التنقيب وفتحت المناجم . وتدفق المستوطنون والتجار . وبدأ بناء الأكواخ لاقامتهم . وأقيمت مراكز للتجارة . وسموا المستوطنة كوالالمبور أي « المصب الطيني » . لقد كانت قاعدة منعزلة تحيط بها الغابات الوحشية . ولكن ملامحها بدأت تتغير مع نمو المناجم وتطور الحياة .

كانت السنوات الباكرة لاتبعث على الاطمئنان ، مع ما رافقها من اشتباكات وصراعات حول مطالب العمال وحقوق الحياة . وقامت المعارك الدموية وانتشر القتل والصخب على جوانب ساحات لعب القمار وأوكار الأفيون . وكان التهديد بالقتل والحرق أسهل ما تنطق به الألسنة .

تغير كل ذلك عندما التقت أيدي ثلاثة رجال ، أولهم ملايوي والثاني صيني وثالثهم انجليزي ، فسيطروا على المكان وقرروا أن ينهضوا بقرية الصفيح والأفيون ويضعوها على الخريطة . وبرغم المصاعب والمعاناة لم تكد تمضي أربعون سنة على نزول أول رجال التعدين على

خريـطة لشبه جزيرة الملايـو (ماليزيا الغربية) وولاياتها الاحدى عشرة ، تتوسطها العاصمة كوالالمبور

شـواطئ، ملتقى النهرين ، حتى أصبحت كـوالالمبور عاصمة البلاد ، وكان تحركا يتسم بالشجاعة والجرأة . فالقرية كانت ما تزال محاطة بالادغال الوحشية مع انهيار صحي وازدحام سكاني . وكانت مباني القرية كلها عبارة عن أكواخ من الخشب والصفيح تتلاصق في صفوف ضيقة . ولكن الذين تولوا أمر تطوير القرية وضعوا أسس تنظيمها واعادة بنائها . وبدأوا يشجعون سكانها على بناء أفران لصناعة الطوب . ومن شـارع الى شارع بـدأت الاكواخ تتساقط لتقوم مكانها بنايات راحت تتطور وتتسع باستمرار وتأخذ أنماطا فنية تليق بالعاصمة .

العاصمة والمساجد

القصدير خلق مدينة كـوالالمبور ، وعندما ارتفعت اسعاره عام ١٨٨٠ ارتفعت معها ثروات رجال الاعمال وأبناء الطبقة الوسطى والتجار ورجال المناجم . ولم يعودوا في حاجة الى مواصلة الاقامة في وسط المدينة . وبدأوا يقيمون لأنفسهم بيوتا وقصورا أكثر فخامة وأناقة على طول الشارع الرئيسى على النهر . . جالان أمبانج .

وتطورت معالم البناء في المدينة وبدأت البنايات الحديثة تقوم لتحل محل أشجار الأدغال ، وبدأ المهندسون والبناءون والفنانون والنحاتون يفدون زرافات الى العاصمة .

ويبرز الفن المعماري مشتملا على الملامح الملايوية والهندية والصينية ، كما يتضح في المباني الحكومية الحديثة . وأخذ الماليزيون يختارون ما يناسبهم من الانماط المعمارية التي اشتهرت في العالم مثل الفن العربي والفن البالي والاندونيسي والفن التايلندي والفن السويدي أو الأمريكي أو الانجليزي ورغم ذلك فان العمارت على النمط القديم مثل المحلات الصينية أو شوارع السوق الهندية أو الاسواق الملايوية ما زالت منتشرة بين العمارات الحديثة العالية .

وما أجمل مشهد المسجد الجامع الذي شيد عند ملتقى النهرين في نفس المكان الذي نزل فيه رجال التعدين الأوائل . المسجد على النمط العربي التقليدي المزخرف بالفن المغربي . وجدرانه من القرميد الأحمر . . ونافورة من المرمر تتوسط ساحته ، ونطل من خلفه وحوله فنجد المباني الحديثة تناطح السحاب وان كانت لا تستطيع أن تطغى على مشهد القباب والمآذن الرائعة التي تشكل حتى مبنى محطة السكك الحديدية الذي يبدو في أول الأمر وكأنه مسجد رائع البناء . . كما لا تستطيع أن تبعدنا عن الاحساس بأننا نعيش في جو عربي يمتزج فيه الطراز المغربي بجمال وهدوء المسجد الجامع لكي يعطي المنطقة كلها شخصية خاصة يضفيها عليها مبنى السلطان عبد الصمد الذي بني في أواخر القرن الماضي خلال زمن الاستعمار . .

(أعلى) العمارة القديمة والحديثة .. يلتقيان في كل مكان بشوارع كوالالمبور
(وإلى أسفل) دارستان في ساحة مسجد الجامعة الاسلامية الدولية

قوس النصر على الطراز الاسلامي يفصل بين العاصمة وولاية سيلانجور

(الى اليمين) النصب التذكاري للأبطال الذين ضحوا بأرواحهم في سبيل استقلال الوطن .
والى أعلى مبنى السلطان عبد الصمد

ثم .. تعال بنا نذهب الى مسجد نيجارا ..

ونسأل الحاج « محمد باشو » مرافقنا من الجامعة الاسلامية العالمية - وهو من خريجي كلية اصول الدين بالازهر الشريف - عن المقصود بكلمة « نيجارا » فيقول : مسجد نيجارا هو المسجد الوطني ، ونداء روكن نيجارا الذي سمعتموه أثناء احتفالات حفظ القرآن باستاد مرديكا هو النداء الوطني ، وهو نداء تتلخص فلسفته في خمسة أركان هي : الايمان بالله ، والاخلاص للوطن والملك ، وتدعيم الدستور ، وسيادة القانون ، وحسن السلوك والأدب . فهو نداء للنهوض وبناء أقوى روابط الاتحاد بين صفوف الشعب .. روابط تعضدها ذكريات التراث القديم بما فيها من الانتصارات والمتاعب ، وبما يدعو الى الثقة بالنفس والاستعداد للسير الى الأمام ..

وعن المسجد يضيف الحاج محمد باشو :

عندما أنشأ الحاج تنكو عبد الرحمن محقق الاستقلال هذا المسجد كان في اعتباره أن مسجد نيجارا يرمز للاستقلال . وعبر مهندسه الماليزي« بحر الدين أبو القاسم » عن روح العمارة الاسلامية والبيئة الماليزية في اسلوب معماري حديث يتفق مع عصر الحضارة والتقدم . فهذه الأعمدة المرمرية المستقيمة العالية وسط النافورات والبحيرات الصناعية مستوحاة من الطبيعة الماليزية بغاباتها الكثيفة . وهذه القبة التي تتخذ شكل المظلة تعني أن مظلة الاسلام تحمي ماليزيا وتقيها من تقلبات الزمان ، وهي كما ترى مبنية على شكل ١٨ نجمة تشير الى الولايات الثلاث عشرة التي تتكون منها ماليزيا والى أركان الاسلام الخمسة . وهذه المنارة التي ترتفع في وسط البحيرة تقوم بارتفاع ٢٤٠ قدما موجهة كالصاروخ نحو السماء هي رمز الاسلام ، دين الحرية والانطلاق ، الصالح لكل زمان ومكان ، بما في ذلك عصر الفضاء والصواريخ . وقباب المسجد ذات طابع معماري اسلامي عددها ٤٨ تشبه القباب القائمة في المسجد الحرام بمكة .

ويقول الحاج باشو بفخر : لقد أقيم المسجد بتبرعات الشعب بكافة عناصره وطوائفه الدينية رمزا لوحدة الشعب الماليزي ، وهو يقوم مع حدائقه على مساحة ثلاثة عشر فدانا ويتسع لعشرة آلاف من المصلين في وقت واحد ، وللنساء مكان مخصص لهن ، ويضم عدة قاعات للاحتفالات والاجتماعات الدينية ، ومكتبة وقاعة لاستراحة كبار الزوار ، وغرفا أخرى لايواء الغرباء ، وقد استغرق بناؤه خمس سنوات ، وافتتح عام ١٩٦٥ وأصبح بفخامته وبساطته في آن معا موضع فخر الملايويين وأبرز معالم كوالالمبور العاصمة الحديثة .

تنظيم دقيق

والآن تعال بنا نستكمل جولتنا في معالم المدينة .. لم نعد نستغرب نظافة الشوارع والأرصفة وحرص الجميع على عدم الاعتداء على حرمة الطريق . فقد عرفنا أن قوانين المدينة تحرم القاء أي شيء وتفرض غرامة كبيرة على المخالفين .

لم تعد النظافة والاناقة بمستغربة بعد ..

وبينما تجاهد مدن كثيرة للمحافظة على الحزام الأخضر الذي يحيط بها .. فان كوالالمبور - وهي تزيح الغابات الخضراء الى الوراء - تحافظ في الوقت نفسه على حدائقها اليانعة الخضرة والزهور .

ومن خلال الاهتمام والرعاية أصبحت المدينة وكأنها حديقة جميلة واسعة ، بعد أن استطاعت بنجاح أن تحول الغابات الوحشية الى ثلاث وثلاثين منطقة خضراء تتباين في الاتساع ، وأبرزها حدائق البحيرة بجسورها ونافوراتها وخضرتها الدائمة وينابيع مياهها وكل معالم الزينة التي يمكن تصورها .

يطل على الحدائق مبنى البرلمان .. مثل حي للمفخرة الوطنية .. وهو يتكون من مبنيين رئيسين كل منها من ثلاثة طوابق وبرج ذي ١٨ طابقا . ويشغله مجلس النواب ومجلس الشيوخ الذي يحتوي على حجرات اللجان والقاعة الكبرى .. وفي البرج مكاتب الوزراء وأعضاء المجلسين .

والنصب التذكاري يقع على مرتفع يوجد في الجزء الآخر من بحيرة الحدائق . بناه الماليزيون ليكون تذكارا لهؤلاء الذين ضحوا بأرواحهم دفاعا عن الوطن ضد الارهابيين طوال ١٢ سنة ، وهو مقام على قواعد ارتفاعها حوالى ٥٠ قدما ، والتماثيل مصنوعة من البرونز ، وتمثل رجالا من قوات الأمن حجم كل منهم يماثل ٣٦ مرة للحجم الطبيعي للانسان ، ويمسك أكثرهم طولا علم ماليزيا الذي يرمز الى القيادة والقوه . ويحيط به جنديان حاملان لرمز اليقظة والشهامة ، ويتصدر النصب جندي يعالج رفيقه رمز التضحية ..

وعلى مدخل بحيرة الحدائق يقوم المتحف الوطني ..

المتحف يمثل نموذجا واضحا للفن المعماري الملايوي .. أن التاريخ الماليزي بدا لنا واضحا في معالم المتحف الوطني ، فهو مرآة للتصور الماليزي للتاريخ . وهو لايكتفي بعرض تاريخ ماليزيا ولكنه يعرض أيضا صورا ومشاهد وآثارا من تاريخ الاسلام في مختلف العصور يستعير بعضها من المتاحف الاسلامية في العالم العربي والاسلامي . وفي جانب آخر من العرض نجد

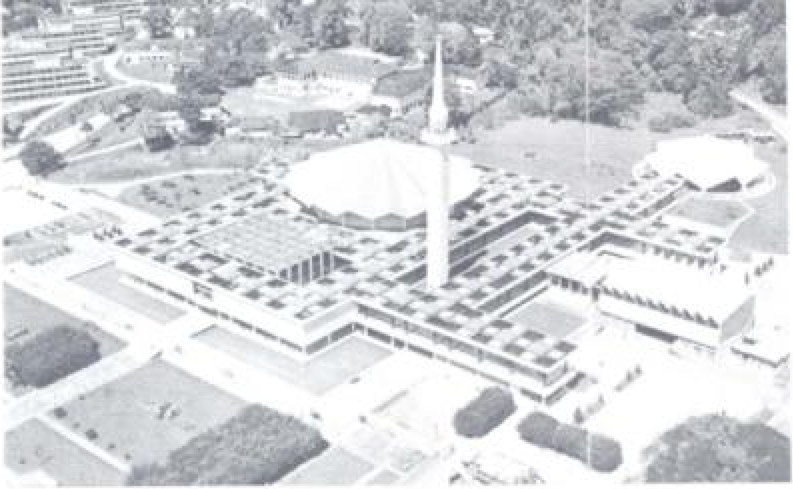

مسجد نيجارا الذي يرمز للايمان والاستقلال أقيم بتبرعات الشعب بكافة عناصره رمزا لوحدة الشعب الماليزي

أمثلة للحياة الاجتماعية . في إحدى القاعات شاهدنا ماكيت بيت صيني من ملاكا القديمة بكل أثاثه ومحتوياته بما فيها غرفة العروس . وفي قسم آخر امثلة للاقنعة التقليدية والملابس البدوية والمساكن الشعبية ، وفي ركن آخر مشاهد من معالم القصور السلطانية بما في ذلك المجوهرات واللآليء والمشغولات الذهبية والفضية والخناجر المطعمة بالأحجار الكريمة ، ومظاهر الرقص الشعبي والفنون واضحة بين معالم المتحف الذي يضم أمثلة متعددة من الفن الوطني المحلي .

استاد مرديكا واحتفالات القرآن

وانطلقنا الى قلب العاصمة . . . .

في هذا القلب نبض غريب .. نشعر به مع دخولنا استاد الحرية .. « ستاديوم مرديكا » .. هنا شاهدنا ذات ليلة الاحتفال بمرور ربع قرن على اقامة المسابقة الدولية لتلاوة القرآن الكريم بماليزيا .

المشهد الذي نراه أمامنا لم يكن من الممكن تصوره لولا أننا شهدناه بالفعل . الطرق الى استاد مرديكا أغلقها الزحام الشديد .. عشرات الآلاف من المسلمين الملاويين - الرجال والنساء والأطفال - كلهم يتجهون الى أبواب الاستاد وطرقه الداخلية المتشعبة بحثا عن مكان يتابعون منه مشاهد الاحتفال . الله أكبر نداء تسمعه طوال الطريق وحيثما اتجهت بين مدرجات الاستاد الذي يتسع عادة لحوالي أربعين ألف متفرج يغص الليلة بأكثر من مائة ألف .. المنصة الرئيسية يتصدرها ملك ماليزيا للسنوات الخمس الحالية السلطان محمود اسكندر الملقب « دولي يغمها يغد فرتوان أكوغ » والى جواره مجلس السلطانة وحوله الوزراء ورئيس الوزراء الدكتور محاضر محمد وكبار المدعوين من الدول العربية والاسلامية . الأضواء والأنوار الكاشفة كلها مسلطة على المنصة التي تتوسط قلب الملعب الرئيسي والتي تتطابق طريقة تصميمها مع موضوع مسابقة هذا العام وهو « العلم والعمل حسب تعاليم القرآن » . شكل المنصة على صورة يد تتجه بالدعاء وترمز الى معنيين : ابتهالات الانسان في التضرع الى الله للحصول على العلم والمعرفة ، واستخدام العلم والمعرفة بعد الحصول عليها لرفع مستوى الأمة والوطن . وواجهة المنصة عليها خطوط قائمة وخطوط عارضة ترمز الى الطبقات السبع للسموات والأرضين كما تشير الخطوط المنتظمة المتراصة الى الجهود التي تبذل في سبيل الحصول على العلم والمعرفة بطريقة سليمة ، مرحلة اثر مرحلة ، كما تشير الاسقف الى علوم المعرفة وفروعها .

قالت لنا السيدة « نورمة جاسني » المهندسة المعمارية بقسم الاشغال الصحية والعلاجية بوزارة الاشغال العامة والتي قامت بعمل تصميم المنصة :

« وضعت في ذهني وأنا أضع التصميم أن القرآن يطالب الانسان بدراسة شتى علوم المعرفة حسب مقدرته في هذا العالم كما قال الله تعالى (قل انظروا ماذا في السموات والارض) . وقمت مع عدد من الزملاء بدراسات مستفيضة عن مكانة العلم في نظر الانسان . فالعلم عبارة عن نور وضاء يضيء الحياة ، ولايمكن الحصول عليه الا بعد بذل الجهود والمشاق .. وادراكا لذلك يندفع الانسان لتحقيق أهدافه الى طلب فرع من فروع المعرفة التي يمكن ان توصله الى قمة الحياة .

وقد قصدت بالاضافة الى ذلك أن أبرز أنه ليس من السهل أن يخدع المتعلم بالحياة اليومية عن الحياة الأخرة كما أن العلم أكثر أهمية من الثروات المادية التي تقل بالتدريج عند انفاقها بعكس الثروات العلمية التي تزداد كلما زاد استخدامها » .

مشهد عام للمدينة العصرية بساحاتها الرياضية وعماراتها الشاهقة والجبال التي تشرف عليها .. كما يبدو السوق الشعبي المركزي ...
والى اليمين جبل جينتنج والفندق الدولي المقام عليه أروع ما يشاهد فوق القمة .. والى أقصى اليمين عروس في ردائها التقليدي .. والى اليسار وجه معبر لفتاة ملايوية .

ويرتفع صوت الترتيل بتلاوة من الشيخ محمد أحمد بركات ايذانا بالافتتاح . ثم يتقدم الفائز الأول توان حاجي محمد أمين من ولاية (قيدا) بتلاوة آيات من القرآن ، ثم تتلو من بعده الفائزة الاولى الحاجة فريدة بنت مات سامان من « كيتان » ، وينزل المتسابقون بعد ذلك للجلوس امام المنصة التي يتقدم اليها السلطان محمود اسكندر ليقدم الجوائز للفائزين .

فما هو رأي رئيس الوزراء الدكتور محاضر محمد في المسابقة والاحتفال ؟ يقول الدكتور محاضر :

(ان موضوع مسابقة هذا العام وهو « العلم والعمل من تعاليم القرآن » بمثابة دافع يدعو الامة الاسلامية لبذل الجهود وتهيئة النفس والقيام بالاستعدادات لأجل العمل لاستعادة العصر الزاهر الذي حققته الامة الاسلامية في الماضي . وحقيقة لايمكن نفيها أنه بدون العلم والعمل الجاد فان المستقبل لايمكن الاطمئنان اليه . ولذلك فموضوع مسابقة هذا العام مناسب للغاية مع الوضع الذي تعيشه الامة الاسلامية الآن ، والتي تواجه مختلف التحديات وشتى الاختبارات نفسيا ومعنويا . ان المسلمين مدعوون ليملئوا صدورهم بالعلم والمعرفة مع بذل الجهود والعمل في جميع المجالات سواء المتعلقة بأمور الدنيا أو الآخرة ، فالاسلام لا يطلب من المسلمين دراسة الامور الدينية فحسب بل بالعكس فانه يشجعهم على دراسة جميع المجالات العلمية أينما وجدت طالما أنها مفيدة لحياة الدنيا والآخرة ، والاسلام أيضا لايمنع أمته من تقليد أي لون من ألوان التقدم الذي حققته الامم الاخرى بشرط اجراء التغييرات المناسبة لتتمشى مع القيم الاسلامية النبيلة) .

الحقيقة ان الاحتفال بقراءة القرآن هو ليلة من ليالي العمر . . في كوالالمبور .

مغارات جعيتا في باتو

مع صباح جديد . . نتحرك قليلا بعيدا عن حدود المدينة . . ثمة مشهد رائع يجذبك ويثير عجبك في المناطق المحيطة بكوالالمبور . . إنها كهوف باتو أو الكهوف الحجرية على بعد أحد عشر كيلو مترا شمالا على طريق ايبو . هل شاهدت أو سمعت عن مغارة جعيتا في لبنان ؟

ان صورة مشابهة لها تماما تراها هنا في الكهوف الكبيرة التي ابدعها الخالق في باطن جبل باتو . وتتمثل روعة مشاهد الكهوف في جمالها الواضح وضخامتها واتساعها . . وتلك الرواسب من الصخور التي يختلط فيها الكلس بالجبر . أطول هذه الكهوف هو الكهف المظلم ويبلغ طوله حوالي كيلو متر ونصف ويصل ارتفاع سقفه الى حوالي نصف كيلو متر ويحتوي على الاحجار

د . محاضر محمد رئيس الوزراء

الجيرية التي تبرز منها أشكال وتكوينات رائعة . . . بالاضافة الى الاحجار الكلسية التي تتدلى من سقف الكهف والاخرى الكلسية المتحجرة التي تعلو من الارض في تكوينات مخروطية مذهلة .

الكهف المظلم يضاء من الداخل بأضواء ملونة تثير شعورا عجيبا بروعة المكان ، خاصة عندما تطل الى أعلى فتشهد السماء من خلال فتحات طبيعية تخترق قمة الجبل .

وصلنا الى كهوف باتو وصعدنا ٢٧٢ درجة أدت بنا الى الكهف الرئيسي ، حيث وجدنا قرب النهاية محطة عربات معلقة تصعد الى أعلى الجبل لتصل الى كهفين آخرين .

هناك توجد مغارة تسمى بالكتدرائية بها متحف يضم تماثيل لشخصيات الاساطير الهندية القديمة تم تلوينها بألوان جذابة حية ، وشدتنا الرسوم الملونة على جدران الكهف التي تمثل عقيدة الهندوس . . وهي نفس التماثيل التي واجهتنا عند كل درجة واسعة من درجات السلم المؤدي الى مجموعة الكهوف .

ونستغرب ماهي علاقة مغارات باتو بالهندوس . . فنعرف أنهم اتخذوا من هذه المغارات معابد لهم يقدسون فيها أحد آلهة عقيدتهم وهو « سوبر امايتام » . وفي كل عام اثناء الاحتفالات بعيد « تايبوسام » يحتشد الالاف من الناس متجهين لمشاهدة حوالي مائة ألف من المتعبدين الهندوس وهم يحجون اليه حاملين القرابين التي تقدم للآلهة،ويغرسون الاسياخ الحادة داخل أجسامهم . وهو مشهد تستطيع أن تتصوره حين تلقي بناظريك الى جوانب الكهف المظلم فتجد مغارات صغيرة يتصدرها تماثيل لراما وكريشنا وشيفا وقد أوقدت الشموع حول كل منها . .

وتجد رهبانا يقومون بالطقوس والدعوات،عندما يتقدم اليهم المتعبدون مقربين الورود والقرابين والماء المقدس وخاصة أمام الاله فشنو في هيئته الكرشنيه .

الى مرتفعات جينتنج

الطريق الى كهوف باتو يقودنا الى طريق آخر نتطلق فيه لنصعد الى مرتفعات جينتنج على بعد خمسين كيلو مترا شمال شرقي مدينة كوالالمبور .

جينتنج واحد من قمم الجبال الباردة التي تشكل مجموعة من المرتفعات التي تكسوها الاشجار الاستوائية، ويمكن مشاهدتها من أي مكان في المدينة . . بينما مرتفعات جينتنج ومرتفعات فريزر ومرتفعات الكاميرون وجبال بينانج .

ومادامت مرتفعات جينتنج هي الاقرب الى باتو فلننطلق اليها . .

الطريق يتلوى كالثعبان على سفح الجبل بطريقة مثيرة تخترق في جزء منه نفقا طوله حوالى كيلومتر في بطن الجبل . على الجانبين مساقط مائية تنحدر من القمة الى السفوح التي تغطيها الخضرة الاستوائية الرائعة الزاخرة بكل أنواع الاشجار والنباتات ، تتخللها مساحات من الاراضي المستصلحة،حيث حلت الزراعة محل الغابات،كما انتشرت مزارع أشجار المطاط وزيت النخيل .

المشهد رائع يستحق رحلة الساعتين ، والتي يمكن أن تستغرق ربع ساعة فقط لمن يركب الطائرة الهليوكبتر من مطار سوبانج الدولي . . ولكن الذي يعوض عن الطيران فوق المرتفعات هو استخدام « التلفريك » حيث أطول نظام للعربات المعلقة في الهواء بماليزيا ويبلغ طوله ميلين يبدأ من المحطة الرئيسية ويصل الى الكازينو الموجود فوق القمة .

نحن الان في مواجهة الكازينو نطل الى سفوح الجبل تحتنا . . ولكن الغيوم والامطار تحول بيننا وبين مشاهدة أجمل مشهد يمكن أن تراه العين . ومع ذلك فلا بأس من جولة حول الفندق العالمي،حيث تقوم خمسة فنادق بتنقل روادها طول فترة الاستجمام بين المتنزه وبين مدينة الملاهي المقامة فوق أعلى قمة في مرتفعات جينتنج،ذات الالفي متر فوق سطح البحر،حيث لايتجاوز مرتفع فريزر ١٥٢٤ مترا ومرتفعات الكاميرون ١٨٢٩ مترا . هنا أيضا بخلاف الملاهي بحيرة صناعية يمكن الاستمتاع فيها بالتجديف ورياضة القوارب الشراعية ، كما يوجد في النادي صالة واسعة مزودة بكل احتياجات الرواد، بالاضافة الى صالة للبولينج وملاعب للجولف .

في طريق العودة يشدنا ذلك البناء الكبير والمدخل الذي تعلوه تماثيل الدراجون الصينية . . انه معبد « سين سو » البوذي .

المعبد مفتوح للزيارة . . فلماذا لاندخل ؟

هبطنا درجات السلم الداخلية المنحوتة في بطن الجبل حيث توقفنا بين كل مدرج وآخر عند قاعات يملؤها عبق البخور الصيني وتتلاعب فيها أضواء الشموع .

مجموعات من تماثيل بوذا على أكثر من وضع بعضها ذهبي والبعض زمردي . الرهبان البوذيون يؤدون الطقوس ويساعدون الزوار من الصينيين على ممارسة عباداتهم،ويشعلون لهم أعواد البخور والشموع الحمراء التي يصل بعضها الى أكثر من ثلاثة أمتار،ويدقون الطبول والاجراس مع تنوع الطقوس .

وفي الساحة الكبرى في عمق المعبد داخل الجبل تقام الاحتفالات الدينية التي يحضرها الآلاف من البوذيين يركعون أمام بوذا ويلقون عند قدميه بالزهور والورود وحبات الارز ، بينما الاضواء بمختلف ألوانها تنعكس على التمثال الذهبي الضخم وماحوله من تماثيل وصور ورسوم تمثل الاساطير الصينية لحياة بوذا المستنير منذ بدأ رحلة البحث عن الحقيقة .

متنزهات في الغابات

ونحن في طريق العودة نمر على ميمالاند . أنها أحد المعالم السياحية على بعد أحد عشر ميلا من كوالالمبور تبلغ مساحتها ثلاثمائة فدان،وترتفع الى ١٥٠٠ قدم عن سطح البحر وتحيط بها غابة خضراء . هنا يمكن الاستمتاع بممارسة الرياضة والتجديف والسباحة وصيد السمك والتريض في الغابات،أو يستهويك منظر حمام السباحة الذي تنحدر اليه المياه مباشرة عن طريق الجداول الجبلية . . كما تشدك مراكز السمر والتسلية ومزارع الأوركيد وحديقة الزهور وملاعب الاطفال ومزرعة التماسيح ومركز الحرفيين وأعمال المطاط .

فاذا انتقلنا الى تمبلر بارك فسنجد أنفسنا في بداية غابة استوائية ممطرة،تم تنسيقها لاتاحة الفرصة لسكان المدينة للذهاب اليها والتمتع بالجمال الهادىء في رحاب الطبيعة حيث شبكة من الطرق والممرات الصغيرة والجسور المقامة عبر جداول المياه .

والآن . . لماذا لانذهب معا لنشهد معبد الافاعي في بينانج ؟

انظر الان حولك ـ ولكن لابأس من الحذر ـ فتلك الافاعي التي تسرح في هدوء داخل مغارة المعبد الذي أنشىء عام ١٨٥٠ ، تتدلى باسترخاء من المنحوتات ، أو تلتف حول المذبح الاحمر ، أو تتلوى على أرض الساحة ،

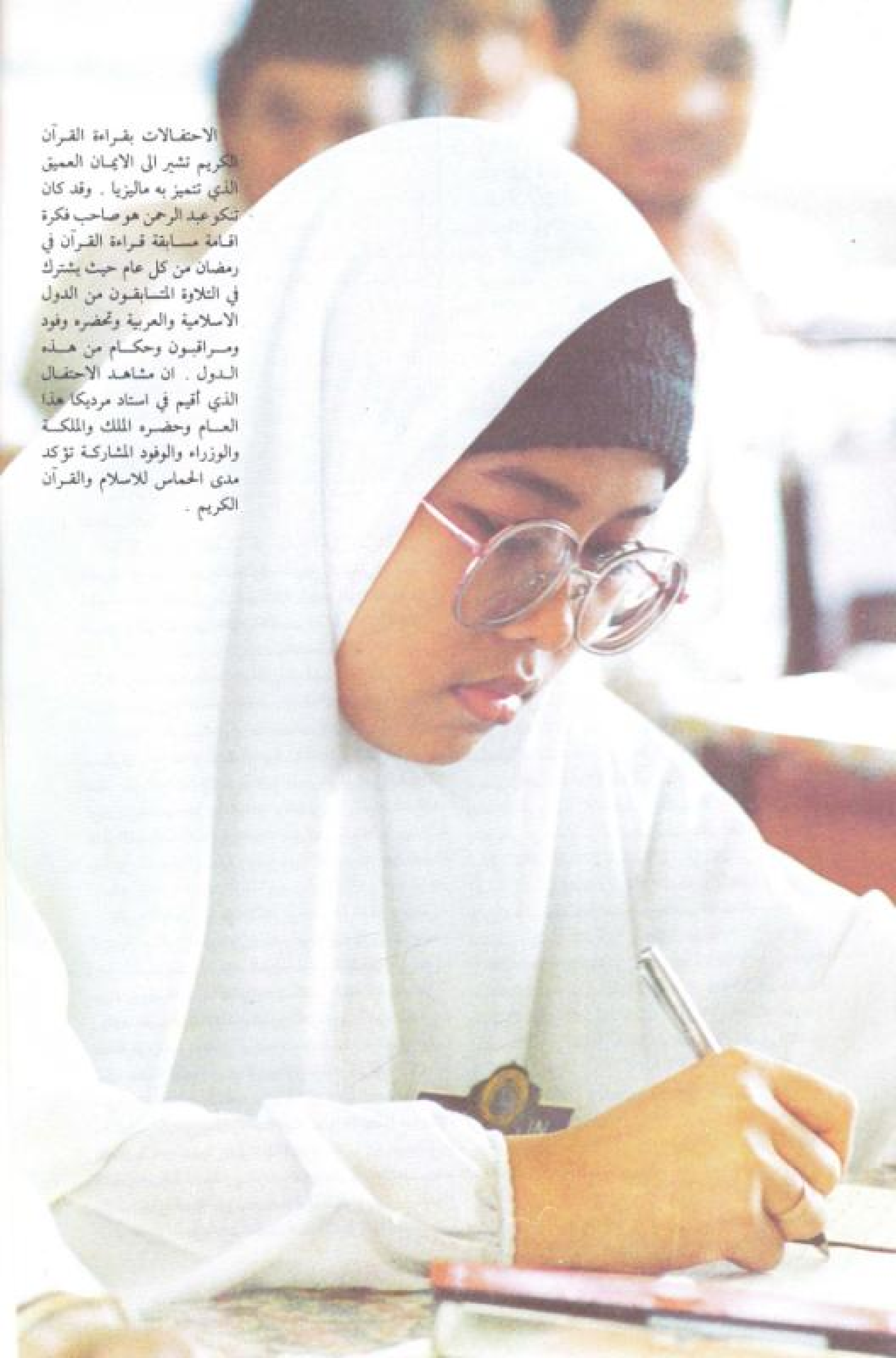

الاحتفالات بقراءة القرآن الكريم تشير الى الايمان العميق الذي تتميز به ماليزيا . وقد كان تنكو عبد الرحمن هو صاحب فكرة اقامة مسابقة قراءة القرآن في رمضان من كل عام حيث يشترك في التلاوة المتسابقون من الدول الاسلامية والعربية وتحضره وفود ومراقبون وحكام من هذه الدول . ان مشاهد الاحتفال الذي أقيم في استاد مرديكا هذا العام وحضره الملك والملكة والوزراء والوفود المشاركة تؤكد مدى الحماس للاسلام والقرآن الكريم .

أو تستغرق في غفوة على الموائد وفوق الخزائن . . هي كلها أفاعي سامة خطرة ، يبلغ عددها المائة ، وان كان ذلك العدد أقل بكثير مما كان يزخر به المعبد في الاربعينيات ، حين كان يتجاوز المائتين . . فقد كانت الأدغال والتلال وحقول الارز تحيط بالمعبد . . ولم تكن الافاعي تجد مايمنعها من التنقل بحرية . . لولا أن المزيد من التمدن حال دونها وذلك التجوال الحر ، بعد أن اختفت الادغال والحقول لتقوم محلها البيوت وتشق الطرقات وتشيد المصانع . . على تلك المساحة الممتدة لعشرة كيلومترات بين المطار الدولي والمعبد . فمنذ ذلك الحين لم تعد الافاعي تسرح وتمرح كما يحلو لها ، وبدأت تتقوقع على نفسها داخل المعبد الى أن تموت فيه ، مما استدعى ضرورة شن حملة لانقاذ الافاعي والابقاء عليها عن طريق تناسلها ، بعد أن هرم بعضها ولم يعد لديه قدرة على التناسل والبقاء .

تعال بنا نقترب من رهبان معبد الافاعي ـ واسمه كيك لون سي ومعناها معبد الفردوس ـ الرهبان ثلاثة ومساعدوهم سبعة يشرف عليهم « ليم تشينج » المسؤل الصيني الذي يقترب من الثمانين . وحين نسأله عن الطريقة التي يتبعونها لزيادة تناسل الافاعي ، يشير الى الرجال وقد جمعوا الافاعي وراحوا يغسلونها بالماء ويقول : الغسل بالماء البارد يطيل اعمار الافاعي ويقوي بنيتها ويحملها على التزاوج . . وهي تنطلق بعد ذلك لتنجب صغارها على أغصان أشجار المانجو المحيطة بالمعبد أو في داخله . ولاشك أن غذاءها له أثره في نموها . . وهو طعام يتألف من الحشرات التي تصادفها في الحديقة بالاضافه الى مانشتريه لها من الطعام . . ومن كميات البيض التي يتركها لها الزوار .

ويهز الرجل رأسه في أسف ويقول : بعض الزوار يتصفون بالوحشية،فقد كان بعضهم يحضر معه دجاجا ويلقي به الى الثعابين التي كانت تهجم عليها وتلتهمها . فكان ذلك يزيد الأفاعي وحشية وطولا ونموا حتى بلغ طول الواحد منها أكثر من مترين . . مما اضطرنا الى اطلاقها بعيدا عن المعبد . .

ويقودنا « ليم تشينج » لنقترب أكثر من الثعابين ، ويروح يداعب بعضها بأنامله بينما نتراجع خوفا . . ويضحك العجوز وهو يقول :

هذه الافاعي رغم خطورة سمها لاتلدغ أحدا هنا ، فهي تصاب داخل المعبد بغيبوبة وكسل بسبب الدخان المنبعث من عيدان البخور المشتعلة . ومع ذلك فنحن نضع لافتات صغيرة تحذر الزوار من لمسها والامساك بها . فقد حدث مرة أن أحد الزوار الامريكيين ظن أن الافاعي مصنوعة من الشمع ، فمد يده الى احداها وأمسك بها ولواها بشدة . فكان لابد أن تلدغه دفاعا عن نفسها .

ونسأل : ألم يحدث أبدا أن لدغتك أفعى ؟

ويرد العجوز الصيني : حتى لو حدث . . فان لدغات الأفعى يمكن علاجها بالترياق . . ولكنها أرحم من لدغات الكثير من البشر . . فسمهم داء ليس له دواء . . . !

وتلك حكمة يؤمن بها الماليزيون . . وخاصة في العاصمة كوالالمبور .

الجامعة الاسلامية العالمية

ولكن . . لابد من العودة الى كوالالمبور ولو طال المدى . .

واذا كانت مشاهد ما رأينا من المعابد البوذية والهندوسية ما تزال تدور في مخيلتنا . . . فيمكننا أن نسدل دونها أستارا قدسية من نور الاسلام .

تعال بنا نذهب الى الجامعة الاسلامية العالمية في سلانجور . . والتي انشئت في شهر مايو من العام الماضي ١٩٨٣ باحدى ضواحي العاصمة للتيسير على الطلاب القادمين من شتى الاقطار الاسلامية والراغبين في دراسة العلوم والتكنولوجيا على المستوى الجامعي في اطار من القيم الاسلامية .

الحديث مع مدير الجامعة الدكتور محمد عبدالرؤوف ـ وهو مصري يتحدث اللغات الشرقية بما فيها الماليزية بطلاقة ـ له أهميته خاصة لما يثيره من قضايا وما يكشفه من معاناة المسلمين الملايويين ومواجهتهم للكثير من المتاعب الخارجية والداخلية التي لا تظهر عادة فوق السطح . . .

لنستمع الى الدكتور محمد عبدالرؤوف يقول :

نبتت فكرة هذه الجامعة في ذهن الدكتور محاضير محمد رئيس الوزراء الحالي . فقد راعه ما ينتاب شباب المسلمين الذين يوفدون لدراسة المواد العلمية والتقنية في الجامعات الأوروبية والأمريكية من صدمات نتيجة للعيش في بيئات تختلف عما عهدوه في بلادهم . وماتشئوا عليه من مبادىء وقيم وتقاليد .

ومن خلال قناعاته آمن بان بامكاننا نحن معشر المسلمين انشاء مثل هذه المعاهد العليا للدراسات الفنية والتقنية في بلادنا . فلدى المسلمين اذا تضافروا دوليا وضموا شتات خبراتهم ما يكفي لانشاء مثل هذه الجامعات والمؤسسات العلمية . وازداد إيمانه بذلك حين قام بزيارة لاسبانيا وشاهد هناك آثار المسلمين الرائعة التي تنطق بما وصلوا اليه في القرون الأولى من مجد علمي وتقدم سبقوا به جميع الامم ومهدوا بابتكاراتهم وكشوفهم لقيام الحضارة الغربية وتقدمها . ثم رأى أن لنا في هذا سند من كتاب الله

د . محمد عبد الرءوف مدير الجامعة الاسلامية

الكريم الذي يحض على السعي في طلب العلم والبحوث . وطلع الدكتور محاضر على العالم بفكرة انشاء الجامعة الاسلامية العالمية حين قام برحلة الى دول الشرق الأوسط، التقى فيها برؤساء هذه الدول وقادة الرأي فيها معلنا عن فكرته مؤكدا الحاجة الى التضافر لتحقيق هذا المشروع على ان يكون مقر الجامعة بدولة ماليزيا .

ونسأل الدكتور عبدالرؤوف :

ـ ولماذا ماليزيا بالذات ؟ أما كان من الممكن أن يوفد طلاب الدراسات العليا الراغبون في الدراسات الاسلامية الى احدى الجامعات الاسلامية من خلال منح تقدمها هذه الدول ؟

يقول مدير الجامعة :

ـ قد لا تعلم أن منطقة جنوب شرقي آسيا حيث تقع ماليزيا تتعرض لضغوط شديدة من التيارات الفكرية التي تكتسح هذه المنطقة ، وقيام هذه الجامعة في ماليزيا وفتح أبوابها لطلاب من دول جنوب شرقي آسيا يفتح الباب أمامهم للدراسات الاسلامية واللغة العربية . وهذا المشروع في أمس الحاجة لتعاون الاخوة في الدول العربية للنهوض به ودعم دولة ماليزيا نظرا لأسباب تاريخية وأوضاع فرضها الاستعمار الغاشم .

ولكن ماذا عن اللغة التي يتم التدريس بها في الجامعة بينما الدستور يمنع التدريس بغير اللغة الملاوية ؟ لعل في ذلك بعض السر في أن تكون هوية الجامعة الاسلامية « دولية » . فبصفتها دولية يمكن استثناؤها من القانون بقرار برلماني وهو ما حدث بالفعل ، بحيث يمكن أن يكون التدريس بلغتين عالميتين هما العربية والانجليزية . لكن استخدام اللغة العربية حاليا يواجه صعوبات لأن المتقدمين للجامعة في الغالب اما انهم لا يعرفون العربية مطلقا أو أن لغتهم ضحلة للغاية . ولكن اللغة الانجليزية قد تكون أسهل في البداية للتدريس لأنها أوسع انتشارا في المنطقة وهي مادة مفروضة في الشهادات الثانوية ، لهذا فسوف تستخدم الانجليزية في التدريس للمواد الشرعية مؤقتا الى أن يحصل الطلاب على معرفة كافية باللغة العربية في السنتين الأولى والثانية . ونظرا لظروف خاصة أصر رئيس الوزراء على البدء فورا بانشاء الجامعة في العام الماضي . وبدأت الدراسة بالفعل في شهر يوليو ١٩٨٣ أول شوال ١٤٠٣ ، وكانت البداية بكلية للاقتصاد وادارة الاعمال وكلية للحقوق والشريعة . ووضع مشروع كبير متطور يمتد لعشر سنوات يتم خلالها قيام بقية الكليات الجامعية وآخرها كلية الطب . وسيجري ذلك بعد الانتهاء من تشييد الحرم الجامعي الدائم في « باهانج » حيث تبرع ملك ماليزيا السابق احمد شاه بقطعة أرض في موقع مرتفع طيب المناخ تبلغ مساحتها ستة آلاف من الأفدنة ليقام عليها حرم الجامعة .

ان هذه الجامعة الاسلامية الدولية هي احدى الجامعات العالمية التي تدرس فيها العلوم الانسانية وعلوم التكنولوجيا من أساسها ، اضافة الى القيم الاسلامية المستمدة من الدستور الاسلامي وهو القرآن والحديث . . ان الهدف منها هو تخريج افراد مسلمين خبيرين في جميع نواحي المعرفة لغرس المبادىء الاسلامية في حياة المجتمع .

البرامج والتحديات

التفاصيل حول الجامعة الاسلامية الدولية يشارك في تعريفنا بها الدكتور عارف الدين سحيمي نائب مدير الجامعة والدكتور اسماعيل ابراهيم مدير مركز اللغات والبروفيسور محمد كمال حسن عميد كلية أصول الدين والبروفيسور احمد ابراهيم عميد كلية الحقوق والشريعة .

يقول الدكتور عارف الدين : « ان الجامعة عندما فتحت باب القبول تلقت أكثر من خمسة آلاف طلب للالتحاق من ماليزيا وحدها . ولم يكن ممكنا قبول أكثر من العدد المحدد للعام الأول وهو مائة وثمانون طالبا وطالبة وفدوا من بلاد شتى . وبالاضافة الى ماليزيا يوجد طلاب من استراليا ونيوزيلندا وسنغافوره وسيريلانكا والفلبين وبنجلاديش والهند وكوريا الجنوبية . كما يوجد من غير المسلمين أربعة طلاب وطالبتان

وتصر الجامعة على اقامة هؤلاء جميعا في المساكن الداخلية حيث توجد مساكن خاصة للطلاب وأخرى للطالبات . كما توجد مساكن خاصة للمتزوجين .

(في أعلى الصفحة) : غابة أشجار المطاط وتبدو الآنية التي يتجمع فيها بعد أن يسيل من الساق - (والى أقصى اليسار) مدخل المغارات الطبيعية في قلب جبل باتو - (والصورة العليا واليسرى) مشاهد من الفن الماليزي والرقص والموسيقا الوطنية .

الهندوس وأسياخ الحديد تخترق وجناتهم في احتفالات كهوف باتو . الى اليسار

وتفرض الجامعة على طلابها وطالباتها المواظبة على اداء الشعائر الدينية واحترام التقاليد الاسلامية ، وترتب لهم من حين لآخر معسكرات يشترك فيها عدد من الاساتذة لعدد من الايام يتم خلالها قيام الليل ودراسة القرآن وتلاوته وسماع الاحاديث والمشاركة فيها ومناقشة موضوعات هامة وممارسة بعض أنواع الرياضة المشروعة » .

ونتساءل : ولكن ما هو المقابل الذي يدفعه الطلاب لكل ذلك ؟

يجيب مدير الجامعة : المصروفات الجامعية للطالب بما في ذلك الاقامة الكاملة من مسكن ومشرب ومطعم حوالي ٤٠٠٠ دولار محلي أي حوالي ١٣٠٠ دولار أمريكي . ونحن نحاول أن نساعد الطلاب وخاصة الاجانب لأن اكثرهم قادمون من بيئات فقيرة للغاية أو من أقليات مغلوبة على أمرها مثل الفلبين وتايلند . فالحكومة الماليزية تعطي الكثير من المساعدات وان كانت تواجهها بعض المشاكل القانونية لأن بعض البلاد الاجنبية لا تقبل لمواطنيها ان يأخذوا منحة دراسية الا عن طريق حكوماتهم . . . وحكوماتهم هذه لا تعطي منحا . وبالمناسبة فان بعض الحكومات الاسلامية الأخرى التي قررت المشاركة في الجامعة ومسئولياتها تتقدم بمساعدات في هذا المجال .

ونسأل : هل نستطيع أن نعرف مقدار ميزانية الجامعة هذا العام مثلا ؟

يبتسم مدير الجامعة في أسف وهو يقول : انني أستحي أن أقول أن ميزانية هذا العام كان مقدرا لها ١٨ مليون دولار ولكن فجأة انخفضت بقرار الى ستة ملايين بسبب الظروف الاقتصادية . وقد تلقينا شيكا من المملكة العربية السعودية بمليون دولار كما تلقينا من الكويت شيكا بنصف مليون دولار . . . غير هذا لاشيء على الاطلاق . وربما نقوم برحلة الى الكويت والسعودية وبعض البلاد الاخرى لابراز أهداف قيام الجامعة . وهناك اتصالات ومكاتبات رسمية بين الحكومات حول هذا الموضوع . ولهذا يسعدنا اهتمام مجلة العربي بالجامعة وتعريف الناس بها ، لأنه من الصعب أن تدخل في عقول الناس خارج ماليزيا مقدار الصعوبات التي تواجهها والعوامل التي أدت الى ضرورة انشاء هذه الجامعة مع الاصرار على القيم الاسلامية . . . فالهدف الأول والأخير للجامعة . . هو الاسلام .

صعوبات تواجه ماليزيا

حول هذه الصعوبات عرفنا الشيء الكثير ـ بالتلميح دون التصريح ـ خلال لقاء آخر تم على مأدبة دعانا اليها مدير الجامعة وشاركنا فيها عدد من رجال الثقافة والفكر الملايويين بينهم العلامة محمد علي هرون خريج الأزهر ومدير مركز الدراسات الاسلامية السابق . دار الحديث حول ما يعانيه المسلمون من آثار التيارات المناوئة التي غذاها الاستعمار في ماليزيا .

ان ماليزيا تتمتع بخيرات طبيعية كثيرة ويعتمد اقتصادها اساسا على تجارة زراعية حرة مع اتجاه ثابت نحو التصنيع . وتكون الزراعة ٢٥٪ من اجمالي الانتاج المحلي ويكون التصنيع ١٩٪ كما يوفر قطاع الزراعة نسبة ٤٤٪ من العمل للطبقة العاملة و٥٢٪ من مجموع صادرات البلاد . وقد وصل اجمالي الانتاج القومي الى ٢٥ ألف مليون دولار أمريكي . وحسب المقياس الدولي حققت ماليزيا أعلى مجموع انتاج قومي ١٦٪ بسعر ثابت ووصلت المدخرات من الانتاج القومي الى ٣٠٪ من الدخل القومي .

وتعتبر ماليزيا أكبر بلد في العالم منتج للمطاط الطبيعي حيث تمد العالم بنسبة ٤٤٪ من احتياجاته . وأكثر من ثلث انتاج العالم من القصدير وارد من ماليزيا ، كما أنها أكبر منتج لزيت النخيل ويغطي انتاجها ٥٧٪ من الاحتياجات العالمية . وصناعة البترول ذات أهمية لاقتصاد الدولة ويصل انتاجه اليوم الى حوالي نصف مليون برميل . ويصل دخل الفرد في ماليزيا الى أكثر من ٢٠٠٠ دولار سنويا . من هنا فان ماليزيا من الناحية الاقتصادية دولة مزدهرة . وبموجب السياسة الاقتصادية للحكومة ومن خلال خطة التنمية التي تنتهي في عام ١٩٩٠ فسوف يحصل الماليزيون والسكان المحليون الذين لم يكونوا يملكون في عام ١٩٧١ الا ٤٪ من المشاريع الاقتصادية ، على ثلاثين في المائة في نهاية الخطة . ومن المتوقع أن تحصل الجاليات الصينية الهندية العديدة على ٤٠٪ بعد أن كانت تحصل على ٣٤٪ كما أن من المتوقع أن تهبط المصالح الاجنبية في البلاد من نسبة ٦٢٪ الى ٣٠٪ . ولكن الملاحظ أن معدل دخل الفرد من الصينيين والهنود الذين يستغلون الميدان التجاري والصناعي بشكل نشط يفوق مرتين ونصف دخل المواطن الملايوي ، وهو أمر يثير الكثير من الضيق . . والرفض أيضا . . كما أن ذلك يزيد من التوترات التي تختفي تحت السطح الذي يبدو هادئا . .

ان لماليزيا وضعا خاصا عجيبا . لقد عاشت تحت ربقة الاستعمار الاجنبي منذ حوالي عام ١٥١١ واستمر المستعمرون يتداولونها . . . البرتغاليون والهولنديون والانجليز بالاضافة الى الاعتداءات التي تعرضت لها البلاد من عدد من الجيران . وفي عام ١٨٢٤ عقد صلح بين الهولنديين والانجليز ، ترك للانجليز بموجبه حرية التصرف فيما يسمى بماليزيا . . بينما ترك للهولنديين حرية التصرف فيما يسمى بأندونيسيا .

وجه معبـر لفتاة ماليـزية

المهم أن الانجليز من أجل أن يستفيدوا تمام الفائدة من خيرات هـذه البـلاد جلبوا العمـال من الخـارج . . . جلبوهم لا بـالعشرات أو المئات أو الآلاف أو مئـات الآلاف . . بل بالملايين . عاشوا هنا وتزاوجوا وأنجبوا وأعطيت لهم حقوق الاستيطان . فأصبح سكان الأرض الاصليون ـ وهم الملايوين وكلهم مسلمون ـ يمثلون أغلبية ضئيلة بعد أن كانوا أغلبية كبيرة . ولما كـان الصينيون يتكاثرون بسرعة فقد تزايد عددهم بشكل أكثر مما كان متوقعا . أما الهنود فهم من الهندوس ومتعصبون جدا . كما يجب ألا ننسى أن الصينيين (٣٥٪ من السكـان) والهنود (١٠٪) قد منحوا الجنسية الماليزية خلال محاولات التوفيق السياسي وتسهيلات النظام الديمقراطي حتى أنهما يتمتعان الآن بنفس الامتيازات التي يتمتع بهـا أبنـاء الأرض من المسلمين .

الخلاصة أن تكوين العنصر السكاني في البلاد تكوين صعب يتسم بالخطورة . وكان هناك دائما ـ وهذا شيء طبيعي ـ شعور بالتعصب . . كل جنس تجاه الجنس الآخر . هذا التعصب والشعور العميق الدفين كان يثار احيانا مما يؤدي الى أحداث خطيرة . واذا كانت مثل هذه الأمور قد قلت كثيرا الآن الا انه يجب ألا تنكر أنه لا زال هناك شيء من الحساسية بسبب تعدد الأجناس وان كان ذلك اقل بكثير مما كان يحدث في الماضي . وتعمل الحكومة في ماليزيا بكل قدراتها للقضاء على أشكال التعصب الجنسي والعقائدي ، ولعلها استطاعت أن تحقق نجاحا لا بأس به من خلال سن بعض القوانين والعمل على غرس التسامح الديني في النفوس ونشر روح المودة بالاقناع والاقتناع . والذي لاشك فيه أن التسامح الديني والوفاق العنصري لم يتحققا في يوم وليلة . . وان كان الدستور قد حرص على دعمهما بعدم المساس بالعادات التليدة والتقاليد العـريقـة والعـمـل على اجتذاب كل طائفة في هذا المجتمع نحو الطوائف الأخرى مما يجعلها تعيش جنبا الى جنب مع كفالة حريات الأفراد والجماعات .

حركات التبشير

ولكن هذا لا يمنع من ضرورة الاستعداد لمواجهة نوع آخر من الاخطار . . . ولنأخذ مثلا على هـذه الاخطار جهود المبشرين وإرساليات التبشير ، بعض ذلك سمعناه أيضا من الدكتور عبدالقادر محمد نائب رئيس المركز الاسلامي ـ والذي كان مديرا للمعهد المحمدي من قبل ـ عندما التقينا به بعد أداء صلاة الجمعة في المسجد الوطني « نيجارا » . قال ونحن نتبادل الحديث في مكتبه بمقر المركز :

ـ استطيع أن أقول أنه لا تحدث صدامات بسبب التعصب الديني هنا في بلادنا بين أي طرف وآخر . فاذا كان الدستور يكفل حرية العبادات الا انه ايضا لا يسمح لاصحاب أي دين بالدعوة لعقيدتهم بين المسلمين . لا يمكن لاي بوذي أو هندوسي أو مجوسي أو نصراني أن يقوم بالدعوة لدينه في مجتمع مسلم . المسلمون فقط لهم الحق في الدعوة للاسلام بين أصحاب أي دين أو عقيدة أو طائفة . . والجميع هنا لا يعترضون على ذلك ، فقد راعوا اننا نحن الملاوين المسلمين نؤثر فيهم اجتماعيا ونعاشرهم معاشرة طيبة ونتساهل ونتلاطف معهم ونحترمهم ولا نوجه إساءة لأحد بما جبلنا عليه من تسامح يدعونا اليه ديننا الحنيف .

الجهد الديني الوحيد والعمليات المضادة لا يقوم بها الا طرف واحد هم المبشرون المسيحيون . فهؤلاء لهم قدم راسخة منذ أيام الاستعمار البرتغالي فالهولندي فالانجليزي . وينافسوننا في نشر الدعوة ، لكنهم لا يمكن أن يحققوا نجاحا مع الملاوين المسلمين بالذات . فهؤلاء لا يمكن أن يتحول واحد منهم الى الدين المسيحي مرتدا عن الاسلام . انما الجهود التبشيرية تبذل مع غير الملاوين من الهنود والصينيين والاجناس الأخرى والقبائل البدائية الوثنية . ومع هذا فبرغم جهود المبشرين فان نجاحنا مستمر في الدعوة واجتذاب هؤلاء الى الاسلام حيث دخل عدد كبير من الهنود والصينيين والوثنيين في الدين الاسلامي . بل وتحقق ذلك مع بعض المسيحيين أيضا .

نحن لا نستطيع أن نقول اننا نجحنا تماما في هذا المجال ولكننا ايضا لسنا فاشلين . وان كنت اقولها بصراحة . . أن ما حققناه حتى الان لا يكفي . وقد تجدون شاهدا على ذلك عند زيارتكم لصباح وسرواك . . حيث يعيش مليونان من رجال القبائل في أرض الطبيعة البكر . . وأجمل غابات الدنيا . □□

قصـة :

ساعة نحس

بقلم : شمس الدين موسى

□ من الأشياء ما يثير الضحك ، ومنها مايثير الغضب أو الرثاء ، أو الدهشة .. لكن ماحدث في ذلك اليوم ، وفي تلك الساعة بالذات ، كان يثير مزيجا من كل هذا !!! ولعله شيء صغير أو عادي وكثيرا مايحدث . لكن الذي أثار كل هذه الدهشة ، هو حالة ما .. حالة لايمكن تصويرها أو تجسيدها ، ولو قدر أن تعاد لفقدت الكثير من ملابساتها الصغيرة وتفصيلاتها الخاصة ، ولما حدثت بنفس الطريقة .

اليوم يوم العطلة الأسبوعية ـ الجمعة ـ ويقال ان بهذا اليوم ساعة شؤم ، أو ساعة نحس ، وربما تحط تلك الساعة فوق شخص ما . وقد يكون هذا نوعا من الأساطير ، أو المأثورات التي يحلو للبعض ترديدها . لكن على أي الأحوال لقد أظهرت تلك الساعة آثارها في هذه اللحظات من ذلك اليوم ....

ولم تكن ساعة ، ربما الأمر لم يستغرق وقتا طويلا ، لم يتجاوز دقيقتين منذ بدء حدوثه حتى نهايته ، بأحد الباصات العامة التي يبدأ مسارها من ميدان التحرير بوسط القاهرة ، وينتهي في موقف خاص بحي

شبرا . . وأثناء مرور الباص بخط سيره المعتاد يكون حاملا ركابه العديدين ، الذين يمثلون نوعيات مختلفة . لكنهم جميعا ، وأثناء تلك المساحة الزمنية التي يستغرقها راكب الباص يشعرون تجاه بعضهم بدرجات من التماثل ، وربما ذلك لأنهم يركبون تلك الباصات بالذات ، أو لأنهم يركبون جميعا من الباب الخلفي ويهبطون من الباب الأمامي ، أو ربما لالغاء التقسيم القديم للباصات درجة أولى ودرجة ثانية . . . أو ربما لأشياء أخرى . . . منها أن الركاب يتجهون الى جهة واحدة ، وربما منطقة واحدة ، أو شارع واحد . . . فكل هذه الظروف تمثل نوعا من التماثل الذي يوحد هدف هؤلاء . . .

كان من بين الركاب شيخ معمم يجلس بجوار صبية صغيرة السن ، لعلها ابنته ، فهو يخاطبها طوال سير الباص .

كما كان يجلس في المقعد الأمامي ضابط جيش في ثيابه الرسمية ، ويستقر فوق كتفه ثلاث نجوم .

وقفت امرأة ترتدي الملاءة السوداء ، كانت تكشف عن ذراعيها وجانب من شعرها المسترسل على كتفيها .

وقف على يمين المرأة رجل متوسط العمر ، ربما في الثلاثين أو الخامسة والثلاثين ، كان يرتدي جلبابا

ليس له لون محدد ، وتطل من فتحة عنق الجلباب ياقة فانلة حمراء من النوع المستور الذي تشتهر به مدينة بورسعيد ، كما كان يرتدي بنطلونا يبرز أسفل الجلباب .

كان شاب يقف بجوار فتاة ، لعلها خطيبته ، فلقد مالت بجسدها فوق ذراعه كي تتكيء عليه أثناء اهتزاز الباص .

جلس في مواجهة الشاب والفتاة رجل تعدى الأربعين يرتدي جلبابا حائل اللون ، فوقه الكثير من البقع متعددة الألوان ، وتنبعث منه رائحة بنوع مهنته كعامل طلاء .

هؤلاء هم الذين استطاعت الذاكرة استرجاع صورهم ، التي التقطها العقل بسرعة . وربما لاشتراكهم أو لاشتراك بعضهم أو غيرهم في اصدار تعبيرات من نوع معين ، كرد فعل لما حدث أثناء تلك اللحظات . تلك الصور والمشاهد التي استعادها العقل ، الى جانب صور أخرى بهتت ملامحها ، ولم تحفر لنفسها مكانا في الذاكرة ، فالباص لم يكن مزدحما بطريقة تجعل تلك الصور تبهت وتتلاشى وسط الزحام .

وفجأة أثناء اهتزاز الباص ، وقبل أن يأخذ سرعته بعد أن تحرك من احدى المحطات .. انتبهت كل الوجوه أو معظمها ، أو بعضها في البداية الى أصوات قذف قبيحة تصل الى الآذان ..

ـ يا ابن الـ ...... تعال هنا !!

تحركت العيون الى نقطة معينة تركزت بداخلها . كان شاب فارع الطول يرتدي قميصا وبنطلونا ليس شعره بالطويل أو القصير ، يمسك بصاحب الجلباب من ياقته ويجذبه بشدة ، مما يبرز طرق البنطلون أسفل الجلباب .

ـ تعال يا ابن ...... انت بتشتغل ايه ؟

التقت عيون الجميع المحلقة ، بما يحدث داخل تلك الدائرة الصغيرة . كان صاحب الجلباب الذي تظهر منه الفانلة ومن أسفله البنطلون يحاول أن يتلقى لكمات الآخر وضرباته فوق يديه التي رفعها كي يحمي بها رأسه . ولم يبد أية مقاومة سوى قوله :

ـ فيه ايه ؟ ... معلهش .. معلهش !!

ـ تعال يابن الـ ...... انت بتشتغل ايه ؟؟

ثم رفع يده وصفعه فوق وجهه بينما الآخر يقول له في توسل وضعف ...

ـ معلهش ... معلهش ... باشتغل مدرس !!!

ـ مدرس يا ابن الـ ...... معك بطاقة ؟ ـ تعال ـ

في تلك اللحظات كان الباص على وشك التوقف في المحطة التالية ، بينما عيون الجميع تتركز بداخل الدائرة التي وقف وسطها المتشاجران ، ويحيط بهما الشاب وخطيبته ، والمرأة التي ترتدي الملاءة . كانت الدائرة قد تعرجت خطوطها بين شد وجذب . في وقت علت فيه الدهشة وجوه جميع من بالباص . كانت الدهشة ممزوجة بالاستنكار ، والتوجس . كان هناك شعور بأن شيئا مايحدث ، أو لعله قد حدث ، واستوجب ذلك العراك الذي بدا فيه طرف قوي والآخر ضعيف وخائر ، يواجه القوي صاغرا ومستسلما ذلك الاستسلام الذي يبعث الرفض ، والامتعاض ، أو الشفقة المترددة الممزوجة بالدهشة . كان استسلامه غير مشروط أمام اللكمات والقذف المستمر ، دون أن يبدي أية مقاومة سوى قوله ...

ـ معلهش .... والله أنا جاي من سفر !!!

ـ انزل يابن الـ ...... تعال ... بتشتغل ايه يا ولد ؟؟

توقع الجميع أن يكون المعتدي من الشرطة السرية ، وأن الآخر مشتبه به ، أو هارب ... ربما يكون من تجار المخدرات ووقع بين أيدي العدالة ... ملابسه لاتدل على أنه لص ـ ان عين اللص بها مايشي به ، كما أن اللصوص بالباصات اختفوا منذ مدة طويلة .... ربما قام بعمل فاضح لأي من السيدة أو الفتاة !! أو أنه من الشواذ المتسكعين ....

تناثرت أصوات متسائلة ... لابد أنه فعل مايستحق عليه العقاب .... وجاء صوت من آخر الباص يؤكد ....

ـ انه يستحق .. يستحق ... انه يستحق !!

لم يصدر أي شخص من الواقفين حول الدائرة أية اتهامات .. وسرعان ما التقت نظرات الفتاة بعيون السيدة في منطقة متوسطة من دائرة الأحداث ... كادت كل منهما تسأل الأخرى عن السبب . ضغطت الفتاة بذراعها أكثر على ذراع خطيبها حتى تحتمي به مما يحدث حولها ...

نظر الشيخ المعمم الى مايحدث ، بينما ذراعه تمتد فوق مسند المقعد خلف فتاته فيزداد بها التصاقا ... وجه شرطي المرور الذي يقف بجوار السائق رأسه الى خارج الباص ... تشاغل ضابط الجيش بالنظر الى دائرة الأحداث تارة ، والى خارج الباص تارة أخرى ...

عندما بدا أن الباص على وشك التوقف أمام المحطة التالية ، سرت هزة مفاجئة في جميع الركاب .

كان العراك مستمرا ومن طرف واحد . فجأة توقف الباص بينما الشاب الذي يرتدي الجلباب والمعتدى عليه لايزال يصدر توسلاته . . .

ـ معلهش . . . معلهش . . . الله يخليك .

كان الآخر يوجه له صفعاته ولكماته للمرة الرابعة أو الخامسة أو السادسة . . .

ـ انزل يا ابن الـ . . . . . . انزل

كانت أصابعه تتشبث بمسند أحد المقاعد

توقع البعض أن يكون هناك آخرون سيجذبونه خارج الباص ، وأنه لن يترك بسهولة . . . لكن فجأة وعلى غير توقع من الجميع . وفي ذروة التوسلات والشجار ، وفي لحظة شاهدها الجميع . انفرجت الأصابع ـ أصابع الأول ـ عن ياقة الآخر وفانلته الحمراء التي تبرز من فتحة الجلباب . . تراخت اليد الأخرى التي كانت تكيل الصفعات واللكمات . . . وبين اندهاش العيون المحملقة ، وجه وجهة ناحية باب النزول الذي كان بينه وبينه ثلاث خطوات أو خطوتان ، ثم تحرك جسده الفارع هابطا من الباص تحت سمع وبصر الجميع الذين بهتوا للحظات فقدوا خلالها ارادة التفكير . . . كانت لحظة كأنها ساعة ، أو يوم ، لكنها لحظة عابرة ومشحونة بالآف الانفعالات المتناقضة ، تحرك بعدها الباص في طريقه بين النظرات الصامتة ، والاصوات التي ارتفعت من كل ناحية . . .

ـ لماذا تركه ؟؟

وكان هناك آخر يقول مواريا تعاطفه مع المعتدى عليه .

ـ لعله غلبان !!

ـ لو لم يفعل شيئا لما صمت أمام ضرباته . . .

ورابع يقول :

ـ هل هذا مدرس فعلا ؟

وعلى غير توقع من معظم المتابعين ، وسط ذلك اللغط المتصاعد ، ارتفع صوت الآخر مذبوحا جريحا . . . .

ـ نعم أنا مدرس . . . نعم . . . نعم أنا مدرس .

وسرعان ما مد يده بداخل أحد جيوبه ، وأخرج بطاقة شخصية تناولتها الأيدي وتناقلتها بين دهشة ، وندم ، ورثاء . . .

ـ نعم انه مدرس . . . انه مدرس !!!

تضاعفت الدهشة في العيون المحملة فوق الدائرة ، بينما تقدم منه أحد الركاب وهو يقول له آمرا . . .

ـ اخلع هذا الجلباب . . . اخلع .

وامتدت يداه الى الطرف السفلى للجلباب ، وجذبه الى أعلى فأخلعه أياه ، واذا هو شخص آخر . . أفندي . . يرتدي فانلة حمراء مستوردة ، وبنطلونا . . بينما كان يقول بصوت مبحوح . .

ـ نعم أنا مدرس .

تناثر العديد من الكلمات بداخل الباص . . . لعله فعل شيئا ما للسيدة ، أو ربما يكون الآخر بينه وبينه شيء ما ، أو ، أو . . . أو . . . وجاء صوت السيدة ذات الملاءة واضحا لتسأله . . .

ـ لم لم تدافع عن نفسك ؟؟

كان يحاول اخفاء الكثير من أمارات البؤس التى ظهرت فوق وجهه . . . لم تفلح طيات الجلباب بين يديه في امتصاص دموعه الخجلى وسط التعليقات المتنامية . . . .

ـ لو كان قد قاومه أو فعل شيئا لاستطعنا أن ننصره .

وآخر يقول . .

ـ « الراجل ده باين عليه غلبان » !

وأخرى . . .

ـ « الثاني كان وحشا ، وليس في قلبه رحمة » .

تداخلت الأصوات بأذني المعتدى عليه الذي كان يخفي وجهه المعذب . . كان يصدر أصواتا كأنها النشيج المكتوم ، بينما يخفي وجهه بين طيات الجلباب . . استمرت التعليقات والنشيج لفترة غير قصيرة . كأن كل واحد يشعر بغصة بداخله ، كانت تزول متلاشية كلما اقترب الباص من نهاية دورته . ولم يكن أي واحد يستطيع أن ينظر الى الآخر ، بعيدا عن الأثار التي تركها ماحدث وراه الجميع .

ذلك الفعل السريع والمفاجيء هو الذي أثار الكثير من الدهشة وعلامات الاستفهام ، وكان مصدر الدهشة ذلك الموقف المتخاذل والصامت ، وعلامات الاستفهام كانت تريد استيضاح تلك الشخصية الغامضة التي تلاشى وجودها ، لكن ما أثير حولها استمر بعد ذلك ، وبين تلك الدهشة كانت هناك عيون ترقب في صمت ، ولم يعنها شيء مما يحدث . تشاغلت بأشياء أخرى ضاعفت من الشعور بالدهشة . . فلم تصدر أية تعليقات عن العجوز أو ضابط الجيش ، أو شرطي المرور ، أو الفتاة وخطيبها ، أو عامل الطلاء الذي كانت أصابعه تتحسس ساقيه أثناء جلوسه . كذلك لم يعن الأمر المحصل أو السائق ، فلم يصدر أي منهما تعليقا يدين المعتدي أو المعتدي عليه . . . . وبعد لحظات قليلة ذهب كل واحد من هؤلاء متجها في طريقه يفكر في أشياء أخرى ربما يرى أنها أجدى مما حدث □□

الشباب والتقنية الحديثة

فى السعودية والبحرين

استطلاع : يوسف الشهاب

تصوير : فهد الكوح

الأيدى الخليجية تعلمت ثم جاءت لتساهم فى بناء نهضة بلدانها فى كل موقع صناعى . الصورة الى أسفل أحد المهندسين السعوديين يتابع قراءة حركة أحد المصانع والى اليسار مهندس سعودى آخر يقوم باغلاق أحد الأنابيب .

☐ لم يعد الشاب الخليجي يبحث عن الوظيفة الحكومية فقط ، لقد تغيرت نظرته الى الحياة كثيرا وهو يرى دخان المصانع يملأ سماء بلاده خلال فترة ما بعد النفط . . لقد رأى ما يمكن ان تصنعه الآلة في أيدي اخوانه العرب وغيرهم ممن جاءوا يشاركون في النهضة الصناعية التي كان لابد منها تمشيا مع سياسة تنويع مصادر الدخل الوطني . . وبدأ يدرك الهدف وراء هذه السياسة . . ان الاعتماد على النفط وحده كمصدر لهذا الدخل ، لايمكن أن يستمر الى مالانهاية . . والاعتماد على الايدي العاملة الوافدة أيضا ، لابد وأن ينتهي يوم تكتمل الاعداد التي تحتاج اليها الصناعات الجديدة من العمال الفنيين من أبناء الخليج .

هكذا بدأ جيل جديد من الشباب الخليجي يسير في طريق آخر . . في الطريق الجديد الى المستقبل . . ولأول مرة وجد نفسه قد تخلص من تلك الرغبة الملحة التي كانت تستبد به عند تخرجه من الجامعة . . الرغبة في الحصول على وظيفة حكومية والجلوس الى مكتب واحاطة نفسه بالزائرين والمراجعين . .

ولاول مرة أيضا سجلت الاحصائيات الرسمية ارتفاعا ملحوظا في عدد الشبان الذين يلتحقون بالمعاهد الفنية والمهنية . . وتخرج الكثيرون منهم بعد اتمام فترة دراستهم العلمية التي تؤهلهم للعمل في هذه المصانع التي بدأ انتاجها يغطي جزءاً من حاجة البلاد من بعض الصناعات .

لقد قامت في بعض الاقطار الخليجية صناعات اساسية كالاسمدة الكيماوية وغيرها ويصدر معظم انتاجها الى دول الشرق والغرب . .

في هذه المصانع وأمثالها كان الشاب الخليجي الجديد يقف هناك وراء الآلة في بدلة العمل « الاوفرول » معلنا عن بداية عصر جديد . . عصر الآلة ودورها في بناء مجتمع لايقتصر الاعتماد فيه على الثروة الاساسية . . على النفط الذي كان ومازال مصدر الرزق الوفير . .

وفي هذه المصانع أيضا بدأت الصورة تتغير ،فقد عرف ابن الخليج طريقة الى المستقبل ، وبدأ يسير فيه .

الذين يتحركون مع خيوط الفجر الاولى الى المصانع على اختلاف أنواعها ، والذين يتصببون عرقا قرب الآلة ، هم طبقة العمال الذين يحققون تقدم الأمم الصناعي ويصنعون تطورها بين سائر دول العالم المتطور ، بعلومه واختراعاته وصناعاته التي تتجدد مع اشراقة شمس كل صباح .

وحينما قامت الثورة الصناعية في انجلترا في القرن التاسع عشر ،أعطت تلك الثورة الكثير من الحقوق للعمال الذين كانوا يرزحون تحت سياط صاحب العمل وعبوديته . . أعطتهم الحقوق وحددت المسؤوليات فسارت هذه الحركة في طريقها ، وامتدت جذورها في شتى أصقاع العالم المعمور ، سارت وهي تسعى لبناء صناعة تأخذ على كاهلها حضارة الامم وبناء اقتصادها ، والتوسع في البناء البشري لطبقة العمال من أبناء البلاد التي أقيمت فيها المصانع .

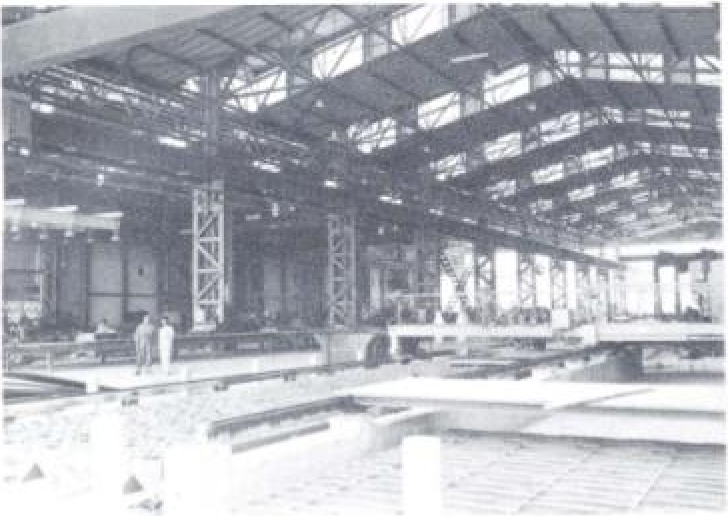

جانب من الحوض الجاف في البحرين حيث الأيدي العاملة الوطنية

العمالة الخليجية

بعثة العربي تنقلت بين المملكة العربية السعودية ودولة البحرين، لتعود بهذا الاستطلاع، حول جوانب من القوى العاملة في البلدين الشقيقين.

في المملكة العربية السعودية، وقفنا على عصر صناعي جديد بدأت المملكة بدخوله، وهو عصر يبني قواعده ابناء المملكة ذاتهم من الذين تخصصوا في مختلف فروع الصناعة، وعادوا وهم يرتدون «قبعة» المصنع ليكونوا الى جانب الآلة الصناعية، ويبنوا عصر الصناعة لبلادهم.

زرنا مدينة الجبيل «الحقل الصناعي» للصناعات الأساسية السعودية، وهي المدينة التي يربو عدد المصانع الشاهقة فيها على ثمانية مصانع، استقطبت الأيدي العاملة المتعلمة والمدربة من أبناء المملكة، لتكون هيكل البناء فيها من القاعدة الى القمة، ولتأخذ على عاتقها مسؤولية ادارة عجلة الصناعة في القطر السعودي الشقيق، ولتؤكد للعالم الصناعي أن العمالة الخليجية هي جزء من عمالة هذا العالم بكل صنوفه، وبأن عصر الاعتماد على الأيدي غير الوطنية، والايهام بأن هذه الأيدي غير قادرة على ادارة الآلة قد ولى.. كل هذا انقشعت سحابته بعد أن جاء ابن الارض يدفعه الايمان والعزم على البناء، وتحدى آلة الصناعة بالعلم والعرق.

تنمية الموارد

ولايمكن بأي حال من الأحوال أن تتوفر لاي بلد من البلدان أيدي عاملة وطنية، مالم تتوفر العناصر الرئيسية لقيامها، وهذه العناصر توفرت في كل من المملكة العربية السعودية ودولة البحرين على السواء فالمعروف أن التعليم بكل مراحله وأنواعه، من أهم الركائز الاساسية لتنمية موارد القوى العاملة، ومن هذا المفهوم انطلقت كلتا الدولتين في رسم سياسة تعليمية شاملة، وتكفل ايجاد المهندس والمصانع كل حسب مستواه العلمي، وحسب الامكانات التي توفرت لكل منها، وبذلك استطاعت المملكة العربية السعودية ودولة البحرين توفير

خمس صور من المملكة السعودية والبحرين تمثل جوانب من دور العمالة الخليجية .. الاولى الى اليمين لأربعة من العمال في الحوض الجاف في البحرين ، والثانية لأحد المتدربين السعوديين في مركز التدريب ، والثالثة لأحد العمال السعوديين يراقب الانابيب ، والرابعة الى اليسار متدرب سعودي في حالة تدريب عمل ، أما الخامسة فهي لمجموعة انتاج الحديد ، والسادسة تمثل وحدة صهر الحديد في مصنع الجبيل ، وقد بدأت حرارة الصهر واضحة في لون النيران الملتهبة .

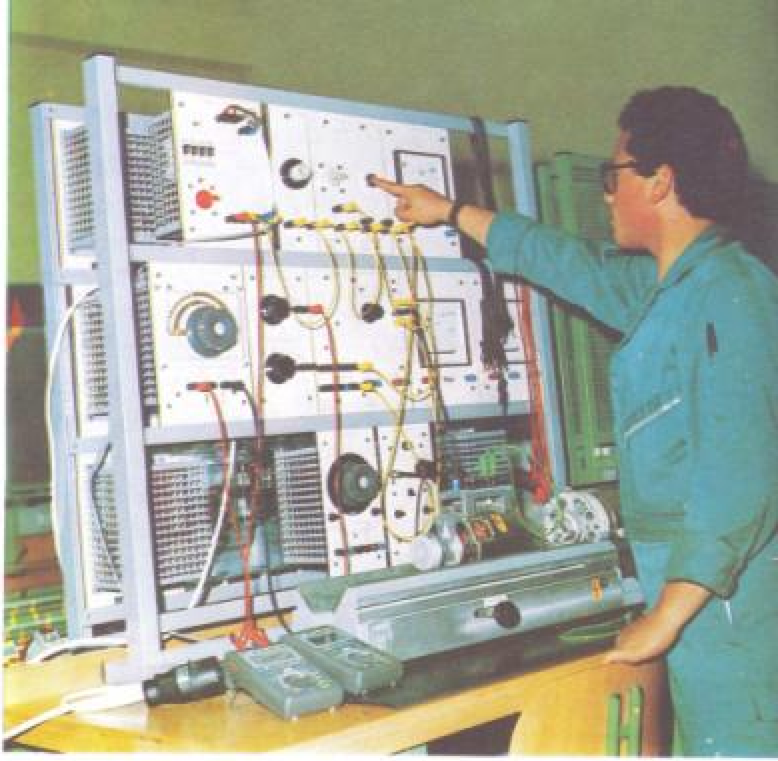

القوى العاملة الوطنية من أبنائها ، فبلغت في بعض المصانع أكثر من ٥٥٪ من اجمالي عدد المهندسين والعمال ، وحينما طرحنا سؤالنا على السيد حمد عبد الله الاحمد نائب الرئيس التنفيذي في مصنع الجبيل للأسمدة ، حول القوى العاملة لديهم قال لنا : ان المصنع يضم ٤٦٠ موظفا وفنيا ، وأن الأيدي العاملة السعودية تمثل ٥٥٪ من هذه الايدي ، وأضاف أن معهد الجبيل للقوى البشرية ، هو مصدر هام وكبير لتدريب الشباب السعودي من مختلف المراحل التعليمية المتوسطة والثانوية . ولاشك أن ايجاد مثل هذا المعهد المتخصص ، له أهميته في بناء جيل من العمالة الوطنية المدربة ، لكي تقوم بدورها المطلوب تجاه الصناعة الوطنية .

اما الركيزة الثانية لتنمية الموارد البشرية وتوفير القوى العاملة ، فانها تكمن في تنمية الموارد الادارية التي تلعب دورا في قيادة مجموعة القوى العاملة داخل المصانع . وفي جولتنا بين البحرين والمملكة السعودية ، خرجنا بقناعة تؤكد ضرورة ايجاد موارد ادارية من أبناء البلدين ، وهذا ما شاهدناه في مصانع الجبيل بالمملكة حيث تقف العناصر الوطنية على قمة الهرم الاداري ، كما تقف الأيدي العاملة الوطنية الى جانب آلة الصناعة . ومايقال عن المصانع السعودية يقال عن المصانع في البحرين التي أعطت ابناءها فرصة العمل بالتدريب والعلم ، وسعت الى توفير الأيدي العاملة الوطنية ، لتقوم بدورها في قيادة حركة الصناعة في البحرين ، وهذا ما أكدته لنا التركية الهرمية لمصنع الالمنيوم في بلاد دلمون حيث يقف الشباب البحريني على قمة الهرم الاداري ، كما يقف آخرون من أخوانهم داخل المصنع الى جانب أصوات الآلة وحرارتها .

مؤشر آخر

واذا كانت المصانع قد استقطبت أبناء المملكة وابناء البحرين ، واذا كانت قد قضت على الصناعات التقليدية ، التي كانت سائدة قبل وجود الآلة ، فان الايدي العاملة من الجيل الماضي لاتزال تتمسك بصناعاتها اليدوية ، وهي صناعات تأخذ اتجاها آخر في حركة الصناعة للبلدين . وفي البحرين لايزال الكثير من رواد الماضي يمارسون صناعاتهم اليدوية ، سواء في صناعة وسائل الصيد البحرية أو في الخزف ، وكلها صناعات لها مكانها في السوق المحلي ، ولها اساسياتها ولها أيضا أيدي متخصصة فيها ، وان كانت لاتجيد ادارة الآلة الحديثة . ولاتبخل الجهات المسؤولة في المملكة السعودية ودولة البحرين في تشجيع هذه الصناعات اليدوية والعاملين فيها ، بل تقدم لهم العون والمشورة والتشجيع في سبيل استمرار هذه الصناعات التقليدية ، التي تمثل مرحلة من تاريخ الصناعة في المنطقة . .

رعاية مستمرة

ولكي تمارس هذه القوى العاملة دورها ، وتطمئن الى يومها وغدها فانها تحتاج الى رعاية من صاحب العمل . . تكفل لها استمرار الحياة وكسب القوت في حالات العجز أو الاصابة في حقل العمل . وهذا ماتأخذ به الجهات ذات العلاقة بالعمالة والقوى العاملة ، فقد وضعت هذه الجهات تشريعات وأنظمة وقوانين تحدد فيها ساعات العمل اليومية ، وكميات الانتاج حتى لاتحمل الأيدي العاملة مالا تستطيع حمله ، وحتى لايؤثر صوت الآلة ودخان المصنع على حياتها ، بل وحددت أسس العلاقة بين العامل ورب العمل بما يكفل حقوق الطرفين ، ويضمن سلامة الاستمرار الصناعي لهذه القوى . وفوق هذا كله أولت المصانع اهتمامها للجانب الصحي للقوى العاملة لديها ، سواء في الجبيل بالمملكة السعودية أو في مصانع البحرين التي زرتها .

وتشريعات القوى العاملة والعمالة في المنطقة جاءت جميعها لتعطى ابن المنطقة « مظلة » واقية خلال وجوده في العمل أو خارجه ، ومادامت هذه « المظلة » متوفرة لديه فان حوافز العطاء تكون كبيرة لديه

اتجاه القوى العاملة

ومما لاحظناه خلال تجوالنا بين القوى العاملة في البحرين والمملكة السعودية ، أن مؤشر الاتجاه لدى العمالة الوطنية يسير في صالح الصناعة المحلية على اختلاف أنواعها . ففي البحرين تغطى قوة العمل الوطنية نحو ٦٤٪ من حجم الطلب ، والآمال تراود أرباب العمل هناك في أن تتحسن هذه النسبة من خلال اغراءات العمل التي تعرض أمام الأيدي الوطنية لاستقطابها . أما في المملكة السعودية فان قوة العمل الوطنية تبدو كبيرة لعدة أسباب منها : أن فرص العمل متوفرة عبر المصانع العديدة المنتشرة في الجبيل وينبع وغيرها من المدن السعودية ، ومنها أيضا أن الاغراءات المادية الكبيرة تغري الشباب السعودي على الاقبال على العمل ،وكذلك الفرص المتاحة أمامه لتبوء مناصب قيادية نظرا لحداثة الحركة الصناعية ، ومحاولة هذه المصانع الوصول الى مصاف المصانع العالمية ذات التخصص المشابه ...

تخطيط للقوى العاملة

وفي اطار الحديث عن القوى العاملة في كل من المملكة السعودية ودولة البحرين ، لابد لنا من القاء الضوء على طبيعة العلاقة التي تربط بين هذه القوى وبين التخطيط للتنمية الاقتصادية والاجتماعية ، وهي علاقة لاغنى لاى جانب فيها عن الجانب الاخر . يقول الدكتور ابراهيم سعد الدين عبد الله ، في بحثه الذي شارك فيه بندوة « تنمية الموارد البشرية في الخليج العربي » والتي عقدت في البحرين عام ١٩٧٥ م ، يقول تحت عنوان « الاطار التنظيمي لتخطيط القوى العاملة في دول الخليج » :

« ان تخطيط القوى العاملة جزء من النشاط التخطيطي العام في أي دولة من الدول ، وأن هناك أرتباطا وثيقا بين خطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية من ناحية ، وبين خطط تنمية الموارد البشرية من الناحية الاخرى » ، ويضيف في نفس البحث أيضا بأن طبيعة أسلوب التخطيط للتنمية المستخدم في بلد من البلاد يؤثر أيضا على طبيعة أساليب التخطيط المتبعة بالنسبة لتنمية وتوجيه الموارد البشرية .

المستقبل للأيدي المحلية

ومادمنا قد تناولنا في هذا الاستطلاع دور العمالة والقوى العاملة في كل من دولة البحرين والمملكة العربية السعودية ، وهما دولتان من الدول الست لمجلس التعاون ، فانه ينبغي الوقوف على مستقبل العمالة في كلا الدولتين من خلال ماشاهدناه فيهما ، فالقوى العاملة اذا كانت هي عامل الانتاج الأكبر في الدولتين كما هو في الدول الخليجية الأخرى ،فان الامر يتطلب مزيداً من التخطيط والدراسة قدر المستطاع لكي تأخذ القوى العاملة الوطنية دورها بصورة أكبر مما هي عليه ، واذا كانت ظروف الماضي المادية والتعليمية والبشرية قد حالت دون أن تأخذ الايدي المحلية دورها في ادارة المهن المختلفة في بلادها ، واذا كانت الأيدي غير المحلية قد سيطرت فترة من الوقت على المهن في دول المنطقة ، فان الحاضر الذي قدم شبابا من أبناء المنطقة ، هو القاعدة لبناء المستقبل الصناعي والزراعي والحرفي لدول المنطقة . ولايختلف اثنان على دور الأيدي المحلية في ادارة المهن في بلادها .. وها قد بدأت ملامحها بالافق في كل من البحرين والمملكة العربية السعودية . □□

في سجن أبي العلاء الرابع

بقلم : عبد الله زكريا الأنصاري

□ ما أشبه حاضرنا اليوم . . ببارحة أبي العلاء التي عاش فيها وعبر عنها في لزومياته . لقد حبس نفسه في سجنه الرابع . . وصهر في قيده الجديد كل معاناته - فكان الاعجاز في شعر أبي العلاء .

يقول أبو العلاء المعري في احدى لزومياته : -

يا أمة من سفاه لا حلوم لها
ما أنت الا كضأن غاب راعيها
تُدعى لخير فلا تُصغي له أذنا
فما ينادي لغير الشر داعيها

ولزوميات أبي العلاء كثيرة ، وقد قلنا ونقول انها سجن من سجونه المتعددة التي حبس نفسه فيها ، الا أنه استساغ هذا الحبس ، واطمأنت اليه نفسه ، وأبدع فيه أي ابداع ، وراح يفكر ويقدر ويكتب ، وكلما قست عليه السجون ، اشتدت معاناته ، ودقت مشاعره ، ورقت أحاسيسه ، وجال فكره في سمواته الواسعة ، وصور معاناته هذه كلها لزوميات يلتزم بها رويا مشبعا ، ونغما مدويا ، وموسيقا شعرية تنتظم المعاني وتبثها في حنايا النفس .

يقول بعض القائلين لو أن أبا العلاء لم يحبس نفسه في اللزوميات التي لا لزوم لها ، لأبدع أكثر مما أبدع ، ولأتى بالمعجز من القول والبيان .

ونقول : أي ابداع أكثر من هذا الابداع ؟ وأي اعجاز أكثر من هذا الاعجاز الشعري ؟ وأي بيان أجمل من هذا البيان ؟

ونقول أيضا ان شدة المعاناة هي التي تثير من النفس الكوامن ،وتبعث ما خفي فيها ، وتبثه في أنحاء القول والكلم .

ونقول لو أن أبا العلاء لم يلتزم بما التزم به من لزوميات لما أبدع مثل هذا الابداع الملتزم بدقة المعاني وروعة الأسلوب وحلاوة الكلم ، ورنين الروي ، وهذه كلها مؤثرات تطبع المعاني في نفس السامع .

نعم ان أبا العلاء قسا على نفسه فى هذا السجن الذى أدخل فيه نفسه ، وقيدها بهذا القيد الثقيل الذي صهر فيه كل معاناته من الحياة ومن أبناء الحياة ، وراح يتغنى بمعاناته ويغنيها

هم ، يبصر ويسمع ما يجد من أحداث وتصرفات فيرسمها بريشته ، ويلونها باللون الذي يختاره ، وفوق هذا يغوص بفكره ، ويحلق ببصيرته ويتصيد بها المعاني التي يخلطها بالأحداث والتصرفات .

السجن الرابع

ان اللزوميات سجن رابع أدخل أبو العلاء فيه نفسه ، بجانب سجونه الثلاثة المطبقة عليه . وظل يرسف بهذه القيود . وفي سجنه الرابع جاء بالكثير من المعاني ، وبالجميل من القول ، وبالرائع من الشعر والقصيد . بل انه في سجنه الرابع تفلسف وأمعن في فلسفته في الحياة وفي الناس ، حتى لولم يتفق معنى الفلسفة لدى أكاديميي فلسفة العصر مع فلسفته هذه، ذلك أن أكاديميي الفلسفة في العصر الحديث يضعون شروطا ومواصفات لمعنى الفلسفة ، وقد لاتنطبق هذه المواصفات والشروط على فلسفة أبي العلاء هذه . هم يقولون انه شاعر ، نعم هو شاعر ، لكنه مع ذلك فهو أكثر من شاعر ، انه يجوب الشعر بلا حدود ، ويتعدى حدود الشعر بلا قيود ، ودعك من أولئك الذين يهزون أصول الشعر ليتساقط عليهم بعض من ثماره ليأكلوا منها ويعرضوا بعضها على الناس ، وهي ثمار أكثرها فج ، ومنها نيء ومنها يباب .

نعم لقد قلنا ـ وما زلنا نقول ـ ان اللزوميات ـ لزوميات أبي العلاء طبعا ـ سجن رابع دخله بكامل حريته واختياره ، أو أدخل نفسه فيه ، وقبع في ظلماته التي أضاءها بنور فكره وبصيرته .

اذا كان بعض الشعراء يتعبهم الروي البسيط ، أو القافية الخفيفة ، فان أبا العلاء يحمل الروي الثقيل على عاتقه ويمضي ، فطاقة الفكر لديه طاقه قوية ، ووسائل البيان عنده سهلة طيعة ، والمعاناة تجوب كل جارحة من جوارحه ، ولهذا أتانا بهذا الكيف والكم من اللزوميات .

طاقة بلا حدود

هم يقولون ان اللزوميات ، لزوم لالزوم له ، ونقول ان لزوميات أبي العلاء بالذات ، لزوم لها لزوم ، أعني أنها لزوميات لازمة ، لأنها مشحونة بطاقات من طاقات أبي العلاء التي لاحدود لها ، وقد يعترض معترض فيقول ان لكل طاقة حدا محدودا ، نقول نعم ، لكن طاقة أبي العلاء التي لاحدود لها هي الطاقة التي خاض بها شتى مجالات الفكر ، لغة وتاريخا ، وعلوما وأدبا ، وجغرافية وفلسفة . نعم وفلسفة حتى لولم تنطبق عليه بمواصفاتها التي أتى بها المتفلسفون ، ومع هذه وتلك ، سياسة ، وعلوم دين واختلاف مذاهب وغيرها من معاني الحياة ،

أي أن طاقته لم تحد بحد من هذه الحدود .

ان هذين البيتين اللذين أتينا بهما في صدر هذا الكلام بيتان من لزومية من لزومياته ، رأيناهما ينطبقان على أوضاع نشاهدها في وقتنا الحاضر ، بل انهما ينطبقان على حال أمتنا اليوم ، ورويّاهما يلتزمان بحروف أكثر عددا من عدد سجونه ، فسجونه أربعة ، وحروف رويهما خمسة من الألف الى الألف هكذا (أعيها) ان صح أن الألفين حرفان ، وهما كذلك على ما نرى .

أما حال أمتنا وأوضاعها فلا تختلف عما قال أبو العلاء وصور ، اذا نظرنا الى الأمور بمنظار عام . فالأمة العربيةتكاد تكون في حالها الحاضر ، أمة لايرعاها راع ، لأنها مقطعة الأوصال ضائعة . . . هي أمة بلا جدال ، تنطبق عليها كل مواصفات الأمة ، لكنها أمة مقسمة ، لهذا أصبحت كالضأن التي غاب عنها راعيها ، أو توزعها رعاة ، وهؤلاء الرعاة لابد لهم من راع قوي يرعاهم ، والا أصبحوا مشتتين كالضأن التي يعبث بها الذئاب . اذن فأمتنا تعدد رعاتها ، ورعاتها اختلفت أهواؤهم ، وتعددت مذاهبهم ، وتباينت أفكارهم ، وتضاربت مصالحهم ، فتاهوا كأمة ، وعاث بهم المفسدون في الأرض ، فظلوا يتوزعونهم ، ويستقطبونهم واحدا واحدا ليجذروا فيهم الخلافات ، ويوصلوا فيهم الأهواء ، ويزينوا لهم المذاهب ، أي يزينون لكل منهم مذهبه الذي يختلف عن مذهب الآخرين ، وليرسوا في نفسهم عقدة الحفاظ على المصالح ، وفي هذه الحالة تسهل السيطرة عليهم ، وتوجيههم الوجهة التي يخططون لها ويرسمون ، لهذا فقول أبي العلاء قبل أكثر من ألف عام ينطبق عليهم ، فهل الحال هو الحال في هذين العهدين على بعد المسافة الزمنية بينهما ؟ لا شك أن الشبه قائم بينهما ، فالأمة التي لاحلوم لها في ذلك العهد هي الأمة التي لا حلوم لها في هذا العهد الذي يشبه ذاك الذي قال فيه أبو العلاء قوله هذه : ـ

يا أمة من سفاه لا حلوم لها
ما أنت الا كضأن غاب راعيها

فهل نحن أمة من سفاه ؟ لماذا ؟ يقول أبو العلاء : ان الأمة التي لاحلوم لها هي الأمة التي من سفاه ، لأنها تدعي الى الخير فلا تسمع له ، والأمة التي لاتصغي أذنا للخير لاينادي مناديها الا للشر ، ان الذي لايصغي للخير لا بد أن يقع في الشر ، معادلة لا لبس فيها ، فاذا أنت لم تكن في الخير فأنت في الشر ، واذا طردت عنك الشر جاءك الخير ، فهل في هذا لبس أو غموض ؟ نقول أبدا فأهل الخير لايدعون الا للخير ، وأهل الشر لايدعون الا للشر .

ما أشبه الليلة بالبارحة

ألم تسمع في عصرنا الحاضر أن الذين وقعوا في الخطأ ، والخطأ هو الشر يدعون غيرهم للوقوع في نفس الخطأ الذي وقعوا فيه ؟ انهم يدعون للشر الذي وقعوا فيه ولم يجدوا منه مناصا ولا خلاصا . ولو لم يكونوا من أمة من سفاه لما دعوا غيرهم الى ما هم فيه من خطأ وضلال وشر ، أي لو كانوا من أمة ذات حلوم لدعوا غيرهم الى تجنب ما وقعوا هم فيه . انهم يظنون أن وقوع غيرهم فيما هم واقعون فيه يزيل عنهم شبهة السفاه ، وهم على خطأ بلا جدال ، ولو كانوا عقلاء لدعوا غيرهم الى الخير والى تجنب الشر ليكونوا لهم عونا وسندا ، لكن الذين لاحلوم لهم لايستطيعون ادراك الصواب . ولا تصل فهومهم ـ ان كانت لهم فهوم ـ الى الطريق الذي يؤدي الى الخير ويجنبهم الوقوع في مزيد من الأخطاء ، لاسيما وأنهم جزء من الأمة التي لا يريد لها الشيطان الا الشر ، وهذا قال أبو العلاء في البيت الثاني موضحا ما يعنيه في البيت الأول : ـ

تدعى لخير فلا تصغي له أذنا
فما ينادي لغير الشر ناديها

انها أمة من سفاه ليست لها حلوم ، كالضأن التي ليس لها راع يرعاها ويقودها الى مراعي الخير ، تسمع المنادي الذي يناديها للخير فتسد أسماعها عنه ، وتروح تنادي للشر .

فأي سفاه لأمة أكثر شرا تراها تردد ما قاله بعض الشعراء في موضع يختلف عن موضعها ، وفي حال لايشبه حالها ؟ وهل تنهض أمة تنام على الشر ، وتترك أمورها للقضاء والقدر ، يعبث بها الشيطان

ويمزق أوصالها ويعيث فيها فسادا ؟

فماذا قال بعض الشعراء ؟ انه قال : ـ

اذا أراد الله أمـرا لامـرىء
وكـان ذا عقل وسمـع وبصـر
وحيلة يفعلهـا في دفـع مـا
يـأتي به محتوم أسباب القـدر
أصـم أذنيـه وأعـمى قـلبـه
وسـل منه عقله سل الشعـر
فلا تقل فيما جرى كيف جرى
فكـل شيء بـقضـاء وقـدر

انه شاعر عابث ، والله سبحانه وتعالى قادر على كل شيء ، لكن علينا أن لانعزو ذلك للقضاء والقدر ، أي ان لانعزو ذلك هكذا بدون أسباب ، والله تعالى عليم بكل شيء ، ولابد من حكمة أرادها الله تعالى لهذا العاقل الذي أعمى قلبه وأصم أذنه وسل منه عقله ، وجعله يقع في الشر ، ويتمرغ في أوحاله ، لكن علينا أن نقول لما جرى كيف جرى ؟ بل علينا أن نبحث ونحلل لندرك سبب العقاب الذي أنزله الله تعالى على هذا الانسان ، أو تلك الأمة ، أما اذا قلنا إن كل شيء بقضاء وقدر ونمنا على الشر فقد كفرنا بالقضاء والقدر ، وكفرنا بالله تعالى . بل كفرنا بأنفسنا كأمة أرادها الله للخير لا للشر .

لماذا غابت العقول

لابد أن نتساءل لماذا نحن أمة لانستعمل عقولنا ، ولماذا نقع في الشر ولا نحاول التخلص منه الى الخير ؟ ولماذا نحن أمة مجزأة مقطعة الأوصال ، متعددة المذاهب والأهواء ، متعددة القادة ، لانوحد أنفسنا أمام الأعداء ولا نصغي لداعي الخير ؟ فهل غابت عقولنا ، وهل أسلمنا أمرنا للقضاء والقدر ؟

ان القضاء والقدر انما هو نتيجة الفعل ، ان خيرا فخير وان شرا فشر ، لأنه من الله تعالى ، والله تعالى خلق فينا العقل لاستعماله استعمالا سليما ، وفرض علينا أن نفكر به ، وخلق كل عضو من أعضائنا لاستعماله في الطريق الصحيح ، والا كان قضاؤنا وقدرنا الشر .

ان القضاء والقدر خير وشر ، فالذين قضاؤهم وقدرهم خير ، هم الذين فعلوا خيرا . والذين فعلوا شرا لا بد أن يكون قضاؤهم وقدرهم شرا .

ومع ذلك فالذين يوصلهم قضاؤهم وقدرهم الى الشر باستطاعتهم أن يتخلصوا من الشر ، بنفس القضاء والقدر ، اذا ما استعملوا عقولهم وأفهامهم وحلومهم استعمالا سليما .

كذلك الذين يوصلهم قضاؤهم وقدرهم الى الخير ، قد تنقلب بهم الآية فيؤدي بهم قضاؤهم وقدرهم الى الشر ان هم أهملوا عقولهم وأفهامهم وحلومهم .

اذن فلا بد أن نترك القضاء والقدر الى النتائج ، نتائج أعمالنا وأفعالنا . ان خيرا فخير وان شرا فشر .

ولا بد أيضا من أن نقول كما قال شاعرنا أبو العلاء :ـ

يـا أمـة من سفـاه لاحلوم لهـا
ما أنت الا كضأن غاب راعيها
تدعى لخير فلا تصغي له أذنـا
فما ينادي لغير الشر ناديهـا

ولابد أن نقول أيضا فيما جرى لماذا جرى ؟ وان كان كل شيء بقضاء وقدر !! □□

نظرية التراث

بقلم: الدكتور فهمي جدعان

□ انه لمن المسلم به على كل مستوى من مستويات المعرفة، أن تحديد المفهوم وبيان الاطار ووضع التعريف ضرورة يقتضيها الخوض في أي مسألة من مسائل الفكر عامة. ولما كان موضوع التراث من الموضوعات التي تؤرق مفكرينا وتشغل بالهم، فان هذا المقال يشكل مدخلا لكل من يريد الخوض في هذا الجدل الدائر حول التراث بعلاقاته الدينية والعربية والانسانية، وما تفرضه كل تلك العلاقات من التزامات بالحقيقة حينا، وبالأمة حينا آخر وبالانسان في كل الاحيان.

تشير جميع القرائن الى أن قضية التراث ستظل أحد هواجسنا الرئيسية في السنوات القابلة من هذا القرن، والى أنها إن لم توضع بعد ذلك وضعا صحيحا، قد تصبح مصدر قلق مقيم وحيرة دائمة للأجيال التي ستنحدر من أصلابنا.

ومرد هذا الوضع الى أمرين: أولها أن جزءا من التراث مشرع الأبواب على ماض مقدس، وثانيهما أن التراث ملتحم بحاضر متخلف. ونحن قبل كل هذا وبعد كل هذا، قد شكلنا التراث تاريخيا، وصاغ كياناتنا على هذا النحو أو ذاك، فأصبحنا به أحرارا أو له عبيدا. وما من خطو كبير تريد أن نخطوه، أو سياسية رئيسية نريد أن نخطها، الا ويفرضان علينا بقدر يسير أو غير يسير، موقفا من التراث، أو في التراث، صريحا أو ضمنيا.

وللتراث، عند العربي المعاصر، علائق كبرى لا تضفي عليه الثراء فحسب، وانما السلطة والقسر والقداسة أيضا.

العلاقة الاولى دينية، والاسلام لحمتها. فما من تحديد للتراث بقادر على أن يغفل الحضور الديني فيه، وقد يذهب كثير منا الى الزعم بحق او بغير حق الى أن الوجه الحقيقي للتراث هو الاسلام نفسه، الاسلام ومنجزاته، والى أن اخراج هذا الدين من حظيرة التراث يعري التراث من كل قيمة حقيقية له. وبَيِّنٌ أن هذه

هل التراث موطن للحقيقة أو للحقائق الثابتة ؟

العلاقة الدينية تضفي على التراث ثوبا من القداسة بسيطا معقدا في الآن نفسه .

العلاقة الثانية قومية ، العرب لحمتها ، هم الذين أنجزوا التراث وصاغوه وَوَرَثوه . به كان لهم مكان تحت الشمس . وبه تحددت فرادتهم في التاريخ . وعليه معتمدهم حين يرتدون الى كنه ذواتهم الصانعة . هو الذي يمنحهم « الوعي » ، وهو الذي يخصهم بوضع ليس هو وضع « الثوابت » على مسرح الملحمة البشرية . و بين أن هذه العلاقة تضفي هي أيضا على التراث ثوبا من القداسة بسيطا معقدا في الآن نفسه .

العلاقة الثالثة انسانية ، لحمتها المخلوق البشري أو الصانع الانساني . فالتراث العربي ، أو الاسلامي ، لا يتحدد بدلالته القومية أو الدينية الخالصة فحسب ، وانما أيضا بتأثيره في الانسان إطلاقا . ذلك أن الوضع الحديث ، بل والراهن أيضا ، للانسانية ، مدين بشكل أو بآخر للتدخل التاريخي العربي . وهذا التدخل لم يكن عسكريا فقط ، وانما كان أيضا وقبل كل شيء ، تمدينيا أو تحضيريا . وبهذا المعنى ليس التراث العربي تراثا عربيا فقط وانما هو أيضا تراث انساني . والعلاقة به هي علاقة بتاريخ الانسان في ذاته . والكرامة الخاصة التي للانسان تضفي هي أيضا بدورها طابع القداسة على التراث . والمسألة بسيطة معقدة في الان نفسه .

تلك امتدادات ثلاثة للتراث : امتداد ديني في

الأزل ، وامتداد قومي في التاريخ ، وامتداد انساني في الكوني المباشر . وكل واحد من هذه الامتدادات يمثل في ذاته التزاما محددا : التزاما بالحقيقة ، والتزاما بالأمة ، والتزاما بالانسان . وقضية التراث مدعوة الى أن تتحدد في ضوء الامتدادات وما يلزم عنها .

مشكلة أيديولوجية

لكن للمسألة وجها آخر عيانيا . فقضية التراث لا تتحرك في المطلق ، باطلاق ، ولكنها تتحرك في الآني المشخص قبل كل شيء . والآني المشخص هنا هو « السياسي » وحين نقول « السياسي » فاننا نعني بالضرورة « الاجتماعي » . وحين نطلق هذه وتلك لا بد أن نضيف اليها ثالثة هي « الايديولوجي » . وهذا المفهوم الأخير يكاد يستجمع كل شيء ، بحيث يصح القول أن المشكلة المباشرة للتراث هي مشكلة ايديولوجية مشرعة الأبواب على الجهود التي تبذل من أجل تجاوز حاضر التخلف في جميع القطاعات وعلى جميع المستويات ، بغية ادراك وطن عربي مطلق من اسار الوهم والقهر والعقم .

غير أن الدخول في دائرة « الايديولوجي » معادل للخروج من دائرة « العلم » ومن دائرة « المطلق » ، ومن دائرة « الوفاق » و « الاتفاق » . ومن ثم تغدو قضية التراث عصية على الحل يمتنع تماما الخروج من معادلتها بما يمكن أن يكون ذا جدوى . فنحن اما سلفيون تقليديون ، واما راديكاليون ثوريون ، واما تركيبيون انتقائيون . وكل هذه مواقف قبلية موضوعة وضعا يمكن أن يطول الجدل عندها جميعا ، ويتشعب دون أن تنتهي الى مقام أو مستقر .

وليس ينبغي علينا في الحقيقة أن نأمل صيغة مطلقة للقضية ، صيغة لا يختلف في أمرها اثنان . ولكن الذي ينبغي علينا هو أن نستجيب في كل الأحوال الى أمرين اثنين لا ثالث لهما : أولهما أن نضع الأمور في مكانها الطبيعي ، وثانيهما أن نلتزم بواقعية عملية ممكنة . ووضع الامور في مكانها الطبيعي يسمح لنا بأن نعيد تقييم العلائق الثلاث . أما الالتزام بالواقعية العملية فيفرض علينا صيغة ما يمكن الابقاء عليه من عناصر تلك العلائق ، أو هو الذي يفرز ما يمكن أن يصمد في الزمان ، أو هو الذي يحدد الدلالة الوظيفية النهائية للتراث .

ومهمتنا الحقيقية في الواقع ليست هي « احياء » التراث وبعثه بكامل سحنته وهيئته طلبا لان يكون محركنا المركزي أو المحوري - فهذا تنكر لفرادتنا الذاتية الراهنة ولقدرتنا الثابتة على انجاز أعمال أو أفعال تحضيرية جديدة - ، كما انها ليست في انتقاء عناصر منه هناوهناك ، من أجل تقمصها من جديد - فهذا أمر مصطنع - ولا في استلهام وجوه منه تروق لنا وتحلو في أعيننا في هذا الزمن أو ذاك ، وانما مهمتنا الرئيسية هي أن « نضع التراث في موضعه الطبيعي » لاأكثر ولاأقل . ونحن لو فعلنا ذلك لتهاوت من أمامنا جدران الوهم الكثيفة ، ولتحررت عقولنا من هواجس وأغاليط لا يكاد يحصر عددها ، ولبانت أمامنا بوضوح أكبر طبيعة العلائق المقدسة التي للتراث ، فضلا عن حقيقة التراث نفسه .

ماهية التراث

وأول مهمة تلقانا في هذه الطريق ، هي من غير شك مهمة تحديد التراث وبيان حدوده وعناصره . ذلك أن مفهوم التراث يبدو في فكرنا العربي المعاصر من أكثر المفاهيم تجريدا واثارة للبس والابهام . فنحن لانستخدم التراث استخداما واحدا ، وبالمعنى نفسه دوما ، وانما نستخدمه على انحاء متعددة متفاوتة في الدقة والوضوح . فهو تارة « الماضي » بكل بساطة وتارة العقيدة الدينية نفسها . وتارة الاسلام برمته ، عقيدته وحضارته . وتارة « التاريخ »

بكل أبعاده ووجوهه ، ومنا من يتكلم اليوم عن « موقف تراثي » ، أو عن « موقف لاتراثي » ، وعمن يؤمن بالتراث ، وعمن لا يؤمن بالتراث ، ويرتب على هذا الموقف أو ذاك جملة من الأحكام القيمية التي قد تتولد عنها مواقف اجتماعية أو سياسية غير حيادية .

وتحديد التراث وبيان معناه ومضمونه لا يعني فقط تقديم تعريف عام أو خاص له ولعناصره ، وانما يعني أيضا تحديد العلاقة بين التراث وبين « الحقيقة » ، وبين التراث وبين « الواقع » : هل التراث موطن للحقيقة أو للحقائق الثابتة ؟ أم أنه ليس لنا أن ننشد شيئا من هذا في التراث لأن حقائق الأمس ليست بالضرورة حقائق اليوم أو الغد ! وهل عناصر التراث تتسم بالدخول في دائرة المطلق أم انها ليست الا تجليات سوسيو - تاريخية ؟ وما الذي تعنيه في الحقيقة فكرة التركيب بين الأصالة والمعاصرة التي ترددها كل شفة ويدور بها كل لسان ؟ وهل التركيب هذا حالة طبيعية أم أنه ليس الا عرضا « فصاميا » ، هو ممكن نظريا لكنه ممتنع عمليا ؟

تلك أسئلة كثيرة بعضها رئيس وبعضها فرع ، لكنها جميعا تمثل الوجوه المشكلة في قضية التراث . وهي مما يتطلب النظر والحسم .

الاجابة المرضية

والحقيقة أن الاجابة المرضية ليست هي التي ترضي جمود السلفيين ، ولاهي تلك التي تستجيب لصراخ الثوريين أو العصريين ، ولاهي التي ترى في التأليف أو التلفيق المصطنع خروجا من المأزق وتحقيقا للمصالحة المفقودة ، وانما هي تلك التي تتجسد منها كينونة انسانية « طبيعية » ، فاعلة لا تعمل فيها ولا تحكم ، ولا قسر فيها ولا فصام ، والاجابة المرضية ليست هي التي تريد أن تلوي عنق التراث وتلفه بمصنوعات الفكر والعمل المعاصرين لتخرج به هذا المخرج « المختار » أو ذاك . كما أنها ليست تلك التي تحيط هذا العنق بطوق يثبته مرة واحدة والى الأبد . وانما هي تلك التي تتعامل مع التراث باعتباره ظاهرة « طبيعية » ممتدة في التاريخ ، ذات عناصر تاريخية تتشكل وتشكل ، تسكن وتتحرك ، تسقط منها في طريق التاريخ أشياء « وتبقى » أشياء .

ما هو التراث ؟ ما هي حدوده ؟ ما هو مضمونه ؟ من البداهة الساذجة أن نردد مع الآخرين : التراث هو كل ما ورثناه تاريخيا . والمورث هو ، بطبيعة الحال ، الآباء والأجداد والاصول ، وبكلمة مجردة الامة التي نحن امتداد طبيعي لها . بيد أن هذا التحديد عام لا يكفي للابانة عن موضوعه . وقد تكون درجة التجريد أكبر ان نحن اخترنا استخدام لغة « الفينومينولوجيا » وقلنا مثلا انه وعي التاريخ وحضوره الشعوري في الكيان الفردي أو الجمعي . لكن تحديدا من هذا النمط ليس الا نتيجة من نتائج ادراك التراث وتقمصه ، وهو يقصر عن تعريفنا بطبيعة التراث ، وللخروج من هذا المأزق ذي الحدين - حد البساطة وحد التجريد - لا بد من اللجوء الى تعريف بالرسم ، كما يقول المناطقة ، لا الى تعريف بالماهية . وهذا يعني أن علينا أن نجري عملية « إحصاء » شامل لمادة التراث وعناصره ، أي لكل ما ينضوي تحت مفهوم التراث . بيد أن عملية كهذه لا بد أن يسبقها اتفاق ثابت حول قضية أساسية تتصل بطبيعة « المورث » أو « صانع التراث » ، بحيث يمثل هذا الاتفاق « مواضعة » مبدئية . وهذه المواضعة تتمثل في ضرورة تأكيد القول أن التراث هو في كل الاحوال « عمل أو انجاز انساني خالص » . فنحن لا نستطيع أن نتكلم على « التراث » ، الا حين نكون بصدد مبدعات انسانية ، الانسان فيها هو الصانع وهو السيد وهو المتمثل وهو المورث للآتي من بعده . بتعبير آخر : لا تراث الا ما هو عرضي ، انساني ، زماني ، ولا مورِّث الا ويكون عرضيا انسانيا ، زمانيا .

انسانية التراث

فالتراث اذن هو بطبيعته عمل انساني خالص ، أو هو حالة هي للانسان بطبعه ـ كما يحلو لابن خلدون أن يعبر ـ أو انها حالة للانسان من حيث هو انسان عالم ، صانع ، فاعل : عالم بما يكشف عنه من معرفة وعلم وحقائق ونظم معرفية ، صانع لما هو أداة مؤثرة في الأشياء والطبيعة ، أي لما هو مفيد ذو جدوى ، فاعل لافاعيل ومسالك توصف بالخير أو بالشر ، بالحسن أو بالقبح ، أو لمصنوعات ممتعة أو جميلة استطيقيا . بعبارة أخرى : العلم والتقنية والقيم الخلقية والجمالية هي الوجوه الانسانية للتراث ، وهي العناصر العامة الرئيسية التي يورثها الانسان للانسان ، في المكان وفي الزمان .

فاذا كان التراث هو هذا فانه يصبح أمرا غير مثير للجدل ، القول أن التراث الذي نتكلم عنه نحن ـ في دائرة العربية أو الاسلام أو الاثنين كليهما ـ يشتمل في نهاية التحليل على العناصر التالية : العلوم والمصنوعات والقيم .

ولسنا في حاجة ههنا الى تفصيل كبير في هذه العناصر . والامر فضلا عن ذلك ـ غير عسير لاننا نعرف معرفة جيدة ، أولا ، ماهي العلوم التي يشتمل عليها تراثنا ، وماهي مضامينها ، وماهي ظروف نشأتها وتطورها . ونحن نعلم ، ثانيا ، ماهي الصناعات والمصنوعات والحرف التي ظهرت في الاسلام ، وما درجة التطور الذي أصابها تاريخيا ، وما درجة اسهام هذا الشعب أو ذاك أو هذه الطبقة أو تلك في قيامها أو انعاشها أو تقدمها أو تقهقرها . ونعلم ، ثالثا ، القيم العامة والعادات الخاصة ونظم المعيشة التي سادت الحياة في المجتمعات العربية والاسلامية في هذا العصر أو ذاك من عصور الازدهار أو الافول . ونحن نستطيع أن نميز بين العلوم الأصيلة وبين العلوم الدخيلة ، كما نستطيع أن نتابع شروط ظهورها وتطورها ومآلها التاريخي .

وسواء أكانت هذه العلوم علوما ترجع في وجودها الى الظاهرة الاسلامية نفسها ـ أي علوما دينية ـ أم علوما طبيعية هي من مبتدعات الانسان بطبعه ، فاننا ، في كل الاحوال ، واثقون من القول أنها جميعا علوم عارضة ، حادثة ، زمنية . يستوي في ذلك الشعر والنثر ، وعلوم اللغة جميعا ، وعلوم القرآن والحديث ، والتفسير ، والفقه وأصوله ، وعلم الكلام والتصوف ، والفلسفة ، وعلوم الطبيعة والطب والفلك والحساب والهندسة ، وعلوم التنجيم والسحر والطلسمات والتاريخيات . . وكل تلك العلوم « الطبيعية » أو « الطبعية » التي حصرها ابن خلدون أو التهانوي أو طاش كبرى زاده ، والتي نجد لها تاريخا كاملا أو شبه كامل ، موثقا أو شبه موثق ، في أعمال المتخصصين « الاكاديميين » . وتستوي في ذلك أيضا الفنون التي تسمى اصطلاحا بالفنون الاسلامية كالتصوير والعمارة والزخرفة والنقش والموسيقا وغير ذلك .

وتستوي في ذلك ، كذلك ، أنماط المعيشة وأساليبها والقيم الاخلاقية والجمالية . فكل هذه وتلك ليست الا حالات أو منجزات « تاريخية » ، بكل ما تحمل هذه الكلمة من مدلول : لها أصول ، وشروط ، وظروف وملابسات ، سياسية أو اجتماعية أو قانونية أو اقتصادية أو غير ذلك . ونحن نستطيع أن نتابع هذه الشروط ونتبينها قرنا قرنا ، ونستطيع أن نكشف عن الاعتبارات « الايستيمولوجية » ، أو الثقافية التي تتحكم في تلابيبها وتأخذ بنواصيها . وهذا ، اليوم ، أمر بين تماما .

العلاقة بين التراث والقداسة

ما معنى هذا كله ؟ معناه أن تحديد التراث على هذا النحو يفضي الى القول أن العلاقة بين « التراث » وبين « المقدس » علاقة مصطنعة تماما . لكن لا بد أن ثمة سببا أو علة لدخول « المقدس » في التراث . بكل تأكيد . وهذه

العلة آتية ، لا شك ، من توهم دخول القرآن نفسه والسنة النبوية نفسها في التراث باعتبار أنهما ، بحسب هذا التوهم ، عنصران مكونان من عناصر التراث . وهذا الدخول المتوهم هو الذي أضفى على التراث طابع « المقدس » . ومن المؤكد أيضا أن « علوم القرآن » وعلوم الحديث وعلم « أصول الدين » والفقه وأصوله ـ أي العلوم الدينية ـ قد عززت هذه الشبهة أو هذا الوهم . لكن الحقيقة هي أن التوهم هو مجرد وهم ، لأن القرآن ليس هو علوم القرآن ، ولأن الحديث أو السنة ليسا هما علوم الحديث أو السنة ، ولأن علم أصول الدين أو الفقه أو أصول الفقه ليست هي الدين نفسه . فهذه العلوم جميعا ـ لا استثناء لواحد منها ـ هي « كلام » تاريخي عن الدين ، وعن الوحي . وهي بهذا الاعتبار تاريخية انسانية ، أما الوحي نفسه فهو الالهي وهو المجاوز للتاريخ . تلك العلوم تراث ، أما الوحي فليس بتراث . وبهذا يندفع الوهم والايهام .

غير أن من الحق أيضا القول أن دخول « اللغة العربية » نفسها ـ وهي لغة القرآن في دائرة التراث قد أضفى بدوره طابعا مقدسا على التراث . وقد عزز هذا الطابع ارتباط اللغة بمسألة الهوية القومية ، واعادة تحديد الوجود التاريخي للامة العربية وبيان فرادتها وكينونتها المتميزة ، غير أنه لم يكن من الضروري ، لهذا الغرض ، إضفاء أي طابع غير عادي على اللغة العربية ومحمولاتها الثقافية ، والنظر اليها باعتبارها امتدادا للملأ الأعلى أو للتجربة الرحمانية مثلا . ذلك أن اللغة الوحيدة التي لها هذا الامتداد هي « لغة الوحي » ، أو « كلام الله » نفسه . أما الكلام « الآخر » فيجري عليه ما يجري على أية ظاهرة طبيعية خاضعة للتبدل والتغير والتطوير . ولا ينبغي لمنطق كهذا أن يقلل من شأن اللغة نفسها أو من شأن محمولاتها الثقافية . ان النتيجة الوحيدة التي تترتب على نظر كهذا هي اعتبار التراث انجازا تاريخيا لا يلزم عنه أي اخلال بالمستوى القيمي الطبيعي للغة نفسها ولدلالتها ، كما لا يلزم عنه أي اخلال بالدور المنوط باللغة في عملية الأحياء القومي ، لأن دور اللغة في هذه العملية ليس غاية في ذاته ، وانما اللغة أداة من بين أدوات أخرى ، تقيم البنيان وتحدد الملامح .

وظيفة التراث

هذان الأصلان ، الدين وعلومه من جهة أولى ، واللغة من جهة ثانية ، هما اللذان يترتب على دمجهما بالتراث من غير تمييز ، اثارة شبهة القداسة في التراث . لكن اخراج الدين ـ أي القرآن والسنة نفسيهما ـ من دائرة التراث ، والتمييز بين الدين وعلومه ، وبين لغة الوحي واللغة الاخرى ، من شأنهما أن يردا الامور الى نصابها . ذلك أن العلوم الاخرى والتقنيات والقيم لا تثير أي اشكال خاصة . اذ لا مفر من الاعتراف بأنها مبدعات انسانية مرتبطة بشروط زمنية يستطيع البحث الأكاديمي الرصين تحديدها وبيان طبيعتها ، والكشف عن قوانين ظهورها وتطورها ، وعن علل ومسوغات نجومها وأفولها في التاريخ ، وبكلمة يستطيع أن يكشف عن الحدود الزمنية لها .

فاذا كان التراث ، على هذا النحو ، ليس الا انجازا انسانيا له شروطه الايستيمولوجية والاجتماعية ـ الثقافية ـ التاريخية ، واذا كان التراث بالمعنى الذي مر ، عاريا في ذاته ولذاته ، عن أية سمة تدخله في دائرة المطلق غير الطبيعي أو المفارق للطبيعة ، فهل يلزم عن ذلك أن يكون موقفنا الطبيعي منه هو الهجر الجميل أو الغير الجميل ، أو أن نقف عند حدود الشكر لصانعية وموريثه ؟ أم أن ثمة بدائل أخرى للقضية يمكن أن يقع الاختيار عليها أو على بعضها ؟ ان المسألة جليلة ، وهي تثير قضية رئيسية كبرى هي قضية « وظيفة التراث » . □

حكايات : شرق وغرب

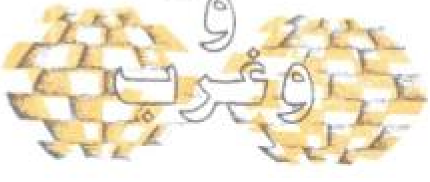

حب .. وغيرة .. ورصاص !

كان قد مضى على زواجه ثلاثة أسابيع ، عندما بدأ ستافروس باتسيريونيس ، يشعر بالغيرة والزهو كلما خرج الى الحقل فى الصباح وراح يحرث الأرض ويزرعها ، فهو فلاح بسيط يعيش فى احدى قرى اليونان التى ينام أهلها مع الغروب .. وكان سر شعوره هذا هو ما يراه فى عيون أصدقائه الذين كانوا يغمطونه على السعادة التى يعيش فيها مع « هيلين » أجمل فتاة أنجبتها قريتهم الصغيرة ، وعلى نجاحه فى الفوز بها دون سائر شباب القرية الذين كانوا يخطبون ودها !

ثم جاء يوم عاد فيه ستافروس الى البيت مبكرا بعض الشيء بعد أن انتهى من عمله فى الحقل ، وكانت المفاجأة ، فهو لم يجد عروسه الجميلة فى انتظاره ، كما تعودت أن تفعل ، ونظر حوله ، فاذا به يجد قدحين صغيرين فارغين من القهوة التى تعودت أن تقدمها له عند عودته ، وعلى مقربة منها أعقاب سجائر امتلأت بها منفضة رماد السجائر . وامتقع وجهه ، وتسارعت دقات قلبه .. إن عروسه لا تدخن واذن فلابد أنها كانت بصحبة رجل !

وأعمته الغيرة ، فأسرع الى بندقيته يحملها ، ويخرج من البيت الصغير ، بحثا عن الزوجة الخائنة ، وعلى بعد أمتار قليلة من فناء البيت الذى ترعى فيه الحيوانات ، أحس بقدميه تتسمران فى الأرض .. لقد سمع صوت عروسه ، وكانت تضحك ، وكانت ضحكاتها تختلط بصوت رجل من وراء باب مصنع صغير مهجور كان يستخدمه صاحبه فى الحفر على الخشب ..

وأحس بالدماء تغلى فى عروقه .. ومد قدمه يدفع بها الباب الخارجى فى قوة ، ثم رفع بندقيته وأطلق رصاصتين ، استقرتا فى جسدي عروسه والرجل الذى كان برفقتها .. وسقطا على الأرض جثتين هامدتين .. ولكن ستافروس مالبث أن ارتد الى الخلف مذعورا وهو يضرب رأسه بيديه ! ماذا حدث ؟

لقد اكتشف أن الرجل الذى كان مع زوجته الجميلة ، لم يكن سوى والدها الذى جاء يحمل له هدية عيد ميلاده الثالث والعشرين .. وفى يد الأب ، وعلى مقربة منه ، راح ستافروس يجمع قطع « الهدية » التى صنعها والد عروسه بيده ليقدمها له .. كرسى من الخشب المحفور والمطعم بالعاج ، وصورة ابنته على ظهر الكرسي ومن حولها اسم ستافروس وسهم كيوبيد !

الصديقان

كان صوت بكاء الطفل ونباح الكلب سبباً فى شعور الجيران بالقلق فى العمارة الكبيرة التى تقع فى أحد الأحياء الأنيقة بمدينة ستراسبورج بشرق فرنسا . كانوا يعلمون أن سكان هذه الشقة التى يصدر منها صوت البكاء الذى يختلط دائما بنباح الكلب ، يسكنها زوجان وطفل صغير فى الثالثة من عمره ، ولكنهم لايذكرون أنهم رأوا الطفل مرة واحدة منذ أن انتقل والداه الى السكن فى عمارتهم . . كل ما يذكرونه عنه أنهم شاهدوه يوم عادت به أمه من المستشفى بعد ولادته بأسبوع واحد . .

ولم يجد الجيران ، ازاء الشعور بالقلق الذى كان يتزايد كلما ارتفع صوت الطفل بالصراخ ، الا أن ينقلوا قلقهم الى رجال الشرطة . . وجاءوا ووقفوا أمام باب البيت الخارجى ينصتون ، وطرقوا الباب وارتفع نباح الكلب ، ولما لم يفتح لهم أحد ، اضطروا الى اقتحام الشقة . . وكانت المفاجأة . . عندما رأوا الطفل مايكل البريخت وهو من أصل ألمانى ، وقد أصيب أنفه بكسر ، وامتلأ جسمه الصغير النحيل بالحروق من أثر السجائر التى كانوا يطفئونها فى جميع أجزاء جسمه لمنعه من الصراخ .

وعلى مقربة منه كان يرقد كلبه الصغير « سوتان » ، وكان مايكل يحتضنه ويضمه الى صدره . . وكان الكلب ينبح كلما ارتفع صوت صديقه بالصراخ . .

وألقت الشرطة القبض على الوالدين ، ونقل الطفل الى المستشفى للعلاج ، ونقل صديقه « سوتان » الى جمعية الرفق بالحيوان . . وعلى مدى الفترة التى أمضاها مايكل تحت العلاج ، كان زائره اليومى الوحيد هو كلبه الوفى الصغير ، الذى لم يكن يكف عن النباح طول اليوم ، حتى يحين موعد الزيارة ، وعندما يتم اللقاء ، يبدأ الحديث بين الصديقين . . حديث صامت لا يفهمه أحد غيرهما . . ربما كان الشىء الوحيد الذى يعبر عن حرارة هذا اللقاء هو ما كانوا يرونه فى عيون مايكل الصغير وهى غارقة فى الدموع !

انهم يبحثون الآن عن أسرة جديدة وبيت جديد يعيش فيه مايكل مع صديقه ، بعد أن صدر الحكم بحرمان الوالدين من طفلهما الذى ثبت أنهما كانا يعذبانه ، وهى جريمة يعاقب عليها القانون بالسجن فى كل الحالات !

حياتها في ٧٠ كتابا !

اسمها نويل ستريتفيلد وعمرها ٨٨ سنة ، لم تتزوج ولم يكن لديها بطبيعة الحال أية أطفال ، لقد عاشت سنوات حياتها كلها مع نفسها ومع الوحدة ، ومع ذلك فقد استطاعت أن تقدم أكثر من سبعين كتابا للأطفال على مدى الأعوام التي بدأت تكتب فيها منذ عام ١٩٣٠ حتى سنوات قريبة مضت . ومن بين أشهر مؤلفاتها (حذاء الباليه) ، (وطفل يوم الخميس) . . لماذا الخميس ؟ لأنها ولدت في هذا اليوم من الأسبوع .

وفي معظم مؤلفاتها كانت تتحدث عن الأطفال الذين يصارعون الحياة من أجل تحقيق

أمنياتهم الصغيرة ، ومن أجل البحث عن الطريق الذي يريدون أن يسيروا فيه عندما يكبرون قليلا . . وكان القراء يجدون في الحكايات التي ترويها في كتبها متعة حتى الكبار منهم .

كيف استطاعت (نويل) أن تنفذ الى أعماق الطفل الذي لم تقترب منه ؟ تقول : (أنجيلا بول) الكاتبة الانجليزية في كتابها الجديد الذي يحمل اسم (نويل) ، والذي أمضت سنوات طويلة تعد له قبل اصداره ، ان هذه السيدة التي كانت تكتب للأطفال وعنهم ، كانت تنقل تجربتها في طفولتها التعسة . . فقد كانت (نويل) الطفلة رقم (٢) بين ثلاث شقيقات بعمل والدهن قسيسا . وكانت أقلهن جمالا ، هكذا كانت تقول لها مرآتها الصغيرة كلما تطلعت اليها ، واحتواها الشعور بالنقص الذي ظل يلازمها ، ولكنها لم تستسلم له ، فقد راحت تقاومه ، ومن خلال محاولاتها للتخلص من هذا الشعور تحولت الى (ثائرة صغيرة) وانتهت معركتها مع نفسها بفصلها من المدرسة التي كانت تتلقى فيها علومها . .

وكان هذا الحدث الأخير هو بداية مولد الكاتبة الصغيرة التي كرهت نفسها وأحبت كل الأطفال !

عروس في الزنزانة !

لم يعد يحتمل الوحدة التي وجد نفسه يعيش فيها باحدى ضواحي مدينة تورنتو في كندا ، فقد رحلت زوجته الجميلة بعد زواج قصير قبل أن تحتفل بعيد ميلادها الخامس والعشرين . وقرر الزوج هنري جونيسون أن يبحث عن زوجة تشاركه حياته وسط الأرض الشاسعة التي يمتلكها والتي تزيد مساحتها على تسعمائة فدان .

ولكن أين هي الزوجة التي تقبل الحياة في هذه المنطقة النائية القريبة من مدينة توماهوك بمقاطعة البرتا ؟ وقال له أصدقاؤه : « لماذا لا تنشر اعلانا صغيرا في الصحف ؟ » وفعل ! وكان أمينا فقد ذكر كل شيء عن نفسه وحياته وثروته . . « رجل في الخمسين ، واسع الثراء ، فقد زوجته الشابة ، ويبحث عن زوجة ! »

وتلقى هنري رسالة واحدة من أرملة في التاسعة والثلاثين اسمها إداوتنماير تعيش في مدينة ناشفيل بولاية تنسي الأمريكية على بعد ألفي ميل ، ومع الرسالة كانت هناك صورة فوتوغرافية لصاحبتها . . سيدة جميلة تتمتع بقدر كبير من الجاذبية والذكاء . . ولكن رسالتها كانت أجمل منها . . لقد كانت قطعة أدبية رائعة صيغت بأسلوب ينبض بما يحمله قلبها الرقيق من عواطف .

وجلس هنري يرد على الرسالة التي أخرجته من وحدته لأول مرة ، محاولا أن يضع فيها كل ما تعلمه وقرأ عنه في الكتب من عبارات الحب والوله .

ونمت الصداقة بينهما وتطورت عبر أكثر من أربعين رسالة تبادلها الصديقان على مدى أكثر من اثني عشر شهرا . . وعندما انقضى العام ، وجد هنري أنه لم يعد يحتمل الحياة مع ادا عبر الرسائل وحدها ، وانه لا بد أن يدعوها الى المجيء ليحتفلا بزواجهما .

وفي رسالته التالية ، أفضى اليها بحبه ، وعرض عليها الزواج ، وأرفق مع الرسالة شيكا بمبلغ ألف دولار وقال : « ما عليك الآن الا أن تحددي الموعد الذي تختارينه لمجيئك حتى نستطيع أن نحتفل بزواجنا » .

وانقضت بضعة أيام ثم دق جرس التليفون في بيته ورفع السماعة .. واذا بصوت على الجانب الآخر يقول له : « مكالمة تليفونية لك من مدينة ناشفيل » وتسارعت دقات قلبه .. انها هي .. انها « إدا » تريد أن تحدثه وتشكره بعد أن تسلمت المبلغ .. لا بد انها تستعد الآن للمجيء اليه .

ولكن شيئا من هذا لم يحدث .. فلم تكن إدا هي صاحبة الصوت .. فقد كان المتحدث هو جاك لاروك المدعي العام في مدينة ناشفيل حيث تقيم حبيبته ادا . وقال الرجل في صوت هادىء : « عندي أخبار سيئة لك يا سيدي » .

- ماذا حدث ؟ هل ماتت ادا ؟ !

- لا أنها بخير .. ولكن كل ما في الأمر أن إدا لن تستطيع أن تقبل دعوتك فهي الآن نزيلة سجن ناشفيل الكبير حيث تقضي مدة العقوبة التي حكم عليها بها بالسجن مدى الحياة لأنها قتلت أحد أزواجها الأربعة ، و ٢٥ سنة أخرى لقتلها زوجها الثاني ، وما زالت تنتظر صدور الحكم في قضية مقتل زوجها الثالث الذي اتهمت بقتله منذ فترة قصيرة عقب اكتشاف جرائمها الثلاث دفعة واحدة قبل أن تشرع في قتل زوجها الرابع الذي هرب من الموت في اللحظة المناسبة .

ووضع هنري سماعة التليفون .. وعاد الى آخر رسالة تلقاها من « حبيبته » وكان معها الشيك الذي لم تستطع أن تصرفه بطبيعة الحال ، وراح يقرأ الرسالة وبكى عندما وجدها تخاطبه في احدى فقراتها : « كم كنت أتمنى أن أعيش معك بقية أيام حياتي .. هناك تحت سماء الأرض التي سنزرع فيها شجرة هذا الحب الكبير الذي ربط بين قلبينا عبر البحار والجبال التي تفصل بينهما » .

وفي اطار صغير ، وضع هنري « الشيك » الذي لم يكمل رحلته .. ووضعه هناك في غرفة نومه مع صورة ادا .. ذكرى حبه لامرأة قتلت أزواجها الثلاثة ! »

الضحية رقم ٤

هل يمكن أن يموت أربعة أفراد من أسرة واحدة نتيجة لنفس السبب ؟
في بلغراد قالت صحيفة (بوليتيكا) اليوغسلافية أن هذا ما حدث بالفعل ، فقد نزلت صاعقة على شاب يوغسلافي في الرابعة والثلاثين من عمره يدعى فيبي ليماني ، ومات فيبي على الفور ، وقالت (بوليتيكا) انه الضحية رقم ٤ الذي يموت بنفس الطريقة التي مات بها والده وشقيقه وعمه خلال الأعوام الستة الماضية . لقد قتلتهم جميعا الصواعق بالقرب من جبل سارا بجنوب يوغسلافيا .

أدويــــة .. ســلاحـها ذو حـديـن

حبوب منع الحمل و خلع الأسنان

بقلم : الدكتور عبدالقادر استيتية

□ هل خطر لك وأنت تتناول جرعة من دواء طلبا لشفاء ، وخلاصا من ألم،أن ينقلب الدواء الى داء عضال،قد يستعصي علاجه على الطب والأطباء ؟

قد يعترض البعض على هذا الكلام فيقول : ان إطلاقه جزافا على هذا النحو ظلم لهذه الأدوية ، وتجن عليها واجحاف بحقها . فهم لا يرونها دائما الا معطاءة ، سخية ، أداة انقاذ ، ووسيلة نجاة ، وسبيل حياة . وان حدث ما يظن أنه عملية أخذ أو سلب ، انما هو في الحقيقة عملية عطاء ، لكنه عطاء سلبي جانبي ، غير مقصود ولا متعمد .

فلسفة مقبولة من هؤلاء ، وهي فلسفة مستمدة فعلا من حقائق الاشياء . فحتى غذاؤنا الذي نتناوله كل يوم بل كل وقت لاستمرار الحياة ، لا يكون دائما خيرا كله ، بل يخالطه أحيانا بعض الشر ، ويجلب على من يتناوله بعض السوء ، وبعض الضر .

وهذا الأخذ أو السلب على رأي الفريق الأول ، والعطاء السلبي كما يقول الفريق الثاني ، يكون من الدواء على أشكال مختلفة ، وصور شتى . فهو اما تأثيرات سامة ، أو آثار جانبية،أو حساسية مفرطة ، أو رد فعل بسيط .

وهذه التأثيرات والآثار والحساسية . يكون بعضها سريع الفعل ، قويا ، قاتلا يودي بالحياة ، ومنها ما يكون خفيف التأثير ، رفيقا ، يمر بسلام ، الا اذا طال استعماله ، أو زادت جرعاته ، فانه لا يكون حينئذ رفيقا ، ولا تمر الامور فيه بسلام .

مثال مألوف ومعروف من الأدوية التي قد تقتل أو تسبب الوفاة ، البنسلين ، صاحب الفضل الأكبر على البشرية جمعاء ، فهو لبعض الناس كالسم الزعاف ، ان لم يسعفوا في الحال ، وتنقذهم العناية الالهية بالسرعة المتناهية . وهو كما أنقذ الملايين من بني البشر ، حصد منهم في تاريخ حياته الآلاف .

ومثل آخر .. الثاليدومايد ، فانه تسبب قبل أن ينتبه الناس الى مضاره ، وقبل أن يسحب من الصيدليات ، ومن الأسواق ، في تشوه حوالي عشرين ألفا من المواليد في العالم ، كانت أمهاتهم قد تناولته أثناء حملهن بهم كدواء ضد الصداع .

ولا نستطيع أن نتجاهل هنا مفعول

الاسبرين ، أو الأدوية التي يدخل في تركيبها الاسبرين ، على معد بعض الناس ، فهو الآخر ان كان قد سكن الآلام لسكان الكرة الأرضية تقريبا ، على مدى مائة عام ، وخفض درجة حرارة من ارتفعت درجة حرارته منهم ، أو أصيب ببعض الحميات ، يوم لم تكن الأدوية منتشرة بعد على هذا الشكل من الانتشار ، فانه في نفس الوقت ، قد أوقع الأذى بعدد الآلاف من الناس ، أذى تراوح بين ألم في هذه المعدة ، أو نزيف منها ، أو فيها .

ولقد وافتنا الانباء منذ بعض الوقت عما سببه الكونيوفورم من عمى كلي ، وشلل للاعصاب ، لاحد عشر ألفا من اليابانيين ، تناولوا هذا الدواء كعقار ضد الاسهال ، وضد اضطرابات معوية .

حبوب منع الحمل والاسنان

وحبوب منع الحمل كسائر الأدوية لها أضراره وان كانت المنافع لا تزال تغلب الاضرار ، وهذا ليس بجديد ، وكلما مرت الأيام على استعمال هذا الدواء ، تكشف للعلماء المزيد من هذه الاضرار ، شأنه في ذلك شأن أي دواء .

ويهمنا في هذه المقالة الكتابة عن ضرر واحد من هذه الأضرار ، له علاقة بطب الاسنان . وهذا الضرر هو ما ثبت مؤخرا لبعض العلماء ، من وجود علاقة بين هذه الحبوب ، وبين مضاعفات من المحتمل أن تتعرض لها المرأة التي تتناول هذه الحبوب ، حين تخلع ضرسا أو سنا ، وخاصة حين تخلع أحد أضراس العقل السفلية .

هذه المضاعفات تأتي على شكل حالة غير مألوفة الاسم في اللغة العربية ، وتعرف بأسماء عديدة ، كلها ترجمات لاسمائها الأجنبية الكثيرة ، وأشهرها يعرف بـ (التهاب السنخ الجاف) عند بعضهم ، أو (التهاب الدردر) عند البعض الآخر ، أو (ألم في عظم الفك) أو (التهاب العظم الدردري الموضعي) عند قوم آخرين . وسأستعمل « المغرز الجاف Dry Socket » .

المغرز الجاف

وحالتنا هذه (المغرز الجاف) هي التئام غير طبيعي للجرح بعد الخلع .

الالتئام الطبيعي للجرح بعد الخلع ، يكون بأن يفيض الدم في مكان الخلع ، فيملأ الجرح أو المغرز ، ثم يرقأ ويجف ، أو يتخثر ، ويتحول الى نسيج حبيبي ، يتحول جزء منه الى عظم يملأ الفجوات التي كان يتغرز فيها السن ، ويتحول جزؤه الآخر الى لحم يكسو ذلك العظم .

والالتئام غير الطبيعي للجرح ، أو الالتئام الكاذب ، أو الناقص هو غياب كلي أو جزئي للدم المتخثر الطبيعي في المغرز بعد الخلع ، فلا تتم عملية البناء السالفة الذكر على الوجه الأكمل ، مما يؤدي الى حالة (المغرز الجاف) ، فينكشف عظم الدردر ويتعرى ، وينتج عنه ألم يتراوح بين الخفيف المحتمل ، أو الشديد الممض ، ويكون اما موضعيا في المغرز ، أو عظم الفك ، أو مكان الخلع ، أو مشعشعا يشمل الاذن أو العين أو صفحة الوجه . ويبدأ الألم عادة بعد الخلع بيومين أو ثلاثة ، ويعالج باعطاء بعض العقاقير المسكنة والمخدرة ، أو بحشو المغرز بضمادة ملطفة للالام ، أو بكليهما معا الى أن يحدث الشفاء التام خلال أسبوع أو اسبوعين ، أو يتأخر في بعض الأحيان ليتم خلال أربعين يوما .

لقد ظهر أخيرا أن احتمال أو خطر حدوث (المغرز الجاف) يزيد عند السيدات اللواتي يتناولن حبوب منع الحمل ، وأن هذه الزيادة تصل في حالة خلع ضرس العقل السفلي الى أكثر من الضعفين من حصولها عند اللواتي لا يتناولن هذه الحبوب (٤٥٪ مقابل ١٧٪) .

يسود الاعتقاد أن (الاستروجين) الموجود في حبوب منع الحمل هو السبب في هذه الزيادة ، وعمل الاستروجين في هذه الحالة هو تميع أو اسالة الدم المتخثر الذي كان يملأ المغرز .

وعملية التميع أو الاسالة هذه تجري بانحلال (الليفين) (Fibrin) الذي هو المادة الأساسية في الدم المتخثر .

درس (Ygge) نشاط الانحلال الليفي في بلازما دم بعض النسوة ، قبل تناول الحبوب وخلاله ، ووجد أنه خلال تناول الحبوب ، كانت النساء أكثر عرضة لهذا النشاط منهن حينما كن متوقفات عن تناول الحبوب . وهذا النشاط البلازمي يحول (مولد الانزيم البلازمي) : (بلازمنيوجين) الى (بلازمين) ، وهذا بدوره يهضم الليفين المتخثر فينتج عنه المغرز الجاف .

لقد وجد أن نشاط بلازما الدم المتسبب في هذه الظاهرة ينخفض ويعود الى حالته الطبيعية بعد يومين أو ثلاثة من بدء التوقف عن تناول الاستروجين أو حبوب منع الحمل .

وبما أن النسوة اللواتي يتناولن حبوب منع الحمل ، يأخذنها يوميا لمدة واحد وعشرين يوما ، ثم ينقطعن عنها مدة سبعة أيام بعد ذلك ، فقد ظهر أن احتمال حدوث (المغرز الجاف) عندهن ، يمكن تفاديه أو على الأقل تخفيض امكانية حدوثه اذا تم خلع أسنانهن خلال أسبوع الراحة من دورة هذه الحبوب .

لقد جرت الدراسة على بعض النسوة اللواتي كن يتناولن حبوب منع الحمل ، ولديهن « أسنان عقل » تحتاج الى خلع .

كان يجري اخبار هؤلاء النسوة أولا بهذه الدراسة ثم يطلب منهن الاشتراك فيها ويترك لهن كامل الحرية في اختيار يوم الخلع . جرى الخلع في ثلاث من عيادات كلية الاسنان بجامعة واشنطن في أمريكا ، في المدة بين يناير وسبتمبر ١٩٧٩ .

عند القيام بالدراسة ، كان يؤخذ اسم المريضة ، وعمرها ، ونوع حبوب منع الحمل التي تتناولها ، كذلك مقدار الجرعة ، وفي أي يوم من أيام دورة تناول الحبوب جرى الخلع . كما كان يتم تسجيل كل التفاصيل المتعلقة بعملية

الخلع : هل كانت سهلة أم صعبة ؟ واذا كانت صعبة ، فما هي الصعوبات التي وجدت ؟ وهل كان هناك عائق في أنسجة الفم أو العظم ؟ ثم كان يطلب من المريضة أن تراجع في المدة بين ثلاثة الى سبعة أيام بعد الخلع ، لمراقبة حدوث (المغرز الجاف) .

كان تشخيص المغرز الجاف يتأكد في حالات ثلاث ، الأولى : عدم وجود دم متخثر ، والثانية : في حالة وجود دردر معرّى ، والثالثة : وجود ألم يستدعي وضع ضمادة مسكنة .

النتائج :

خلع ما مجموعه ٧١ ضرس عقل من ٤٧ مريضة ، كلهن كن يتناولن حبوب منع الحمل .

عدد اللواتي عانين من المغرز الجاف بعد خلع أسنانهن الذي تم في المدة بين اليوم الأول ، واليوم الثاني والعشرين من دورة تناول الحبوب ، كان ١٨ مريضة مقابل ٤٠ مريضة لم يعانين شيئا .

عدد اللواتي خلعت أسنانهن في المدة بين اليوم الثالث والعشرين ، واليوم الثامن والعشرين ، كان ١٣ مريضة لم يحدث لهن ألم يذكر .

يرينا هذا أن المغرز الجاف حصل في ١٨ حالة من ٥٨ حالة (١٨ + ٤٠) أي بنسبة ٣٩٪ من الحالات التي جرى فيها الخلع بين اليوم الأول ، واليوم الثاني والعشرين ، من دورة تناول الحبوب ، ولم يحصل في ١٣ حالة جرى فيها الخلع بين اليوم الثالث والعشرين ، واليوم الثامن والعشرين ، وهي المدة التي تتوقف فيها هؤلاء النسوة عن تناول الحبوب .

تأثير كمية الاستروجين المتناولة على احتمال حصول المغرز الجاف خلال الأيام من ١ ـ ٢٢ من دورة الحبوب كان كالتالي

المريضات اللواتي يتناولن بين ٢٠ ـ ٣٠ (ملغم) استروجين (حالتا مغرز جاف + ١٠ بدون ذلك) .

اللواتي كن يتناولن (٥٠) ملغم استروجين (٩ حالات مغرز جاف + ٢٨ بدون) .

اللواتي كن يتناولن ٨٠ ـ ١٠٠ ملغم استروجين (٦ حالات مغرز جاف + ٧ بدون ذلك) .

وهذا يرينا أن احتمال حصول المغرز الجاف ازداد بازدياد الجرعة التي تتناولها المريضة من هذه الحبوب .

المغرز الجاف وحبوب منع الحمل

قبل عام ١٩٦٠ حينما كان عدد النسوة اللاتي يتناولن حبوب منع الحمل قليلا ، كان معدل احتمال حصول المغرز الجاف متساويا بين الرجال والنساء .

وفي أواخر الستينيات ، حين أصبح ٣٥٪ من النساء اللواتي تتراوح أعمارهن بين ٢٠ و ٤٤ سنة في أمريكا ، يتناولن حبوب منع الحمل ، توفرت تقارير تثبت ان نسبة حصول المغرز الجاف عند النساء قد ارتفعت الى مرة ونصف من حصولها عند الرجال .

أما في أواخر السبعينيات ، حين ازداد عدد اللواتي يتناولن حبوب منع الحمل ازديادا كبيرا ، فقد ارتفعت نسبة حصول المغرز الجاف الى ٤٥٪ بين من يتناولن حبوب منع الحمل ، مقابل ١٧٪ عند من لا يتناولون هذه الحبوب (ذكورا واناثاً) .

وبسبب البطء الأيضي في التخلص من الاستروجين ، والحقائق المتعلقة بنشاط انحلال الليفين في الدم المتخثر ، فانه ينصح ـ من قبيل الاحتياط ـ أن تتجنب الخلع أيضا يومي ٢٢ و ٢٣ من دورة تناول الحبوب ، تماما ، كما تتجنبها أيام تناول الحبوب ، بما فيها اليوم الأول والثاني ، وأن يقتصر الخلع فقط على الايام التي بين ٢٣ و ٢٨ ، وبذلك نكون على شاطىء الأمان والسلامة . □□

البطل السوداني علي عبد اللطيف في عيون رفيقة كفاحه

بقلم : الدكتور خالد محمد نعيم

□ علي عبد اللطيف شخصية وطنية يعتز بها كل سوداني وكل عربي . .

لعب دوراً بارزاً في الحركة الوطنية السودانية وهو قائد أول ثورة وطنية ضد الاحتلال البريطاني ، ومؤسس حركة اللواء الأبيض في السودان . . فماذا تقول عنه رفيقته في الكفاح والنضال ضد الاستعمار ؟

لما كنت قد ذهبت الى السودان في مهمة عملية ، خطر ببالي أحد زعماء الحركة الوطنية المعاصرة ، ألا وهو الملازم « علي عبد اللطيف أحد » ، فقررت أن أبحث عن كل الكتابات التي تناولت تاريخ نضاله ، فذهبت الى دار الوثائق المركزية بالخرطوم ، وجمعت عن الرجل كماً هائلاً من الوثائق ، متمثلة في التقارير التي كتبها عنه الانجليز ، وعن حركته ، ووثائق أخرى كتبها غير الانجليز ، وساقت الصدفة صديقاً لي ، من أبناء الخرطوم الذين يتميزون بالشهامة والصدق هو الاستاذ حسن شريف مدير السياحة بالخرطوم . وعرفت منه أن السيدة زوجة البطل علي عبد اللطيف لا زالت حية ترزق ، وتمنيت أن أقابلها وأتحدث معها عن زوجها . . وبعد أن حدد لي صديقي الموعد ، ذهبت الى دار الحاجة العازة محمد عبد الله ، زوجة البطل ، بضاحية « بانت » ، التي تبعد عن حي الموردة ، التابع لمدينة أم درمان ، بحوالي ٢ كم .

وأمام الدار كانت تجلس الحاجة العازة على كرسيها ، وبيدها عصاها ، التي تتوكأ عليها ، بكل كبرياء . كانت تجلس شامخة الرأس كأنها السودان يتحدى الزمن . استقبلتنا الحاجة بكل ترحاب وحفاوة ، عندما عرفت أنني وافد من صعيد مصر ، أبحث عن تاريخ المناضل علي عبد اللطيف ، زوجها . . دخلنا الدار ، جلسنا ، قدم لنا أحفادها المرطبات ، وسألتها : كم عمرك الآن يا حاجة ؟ قالت : . . لا يقل

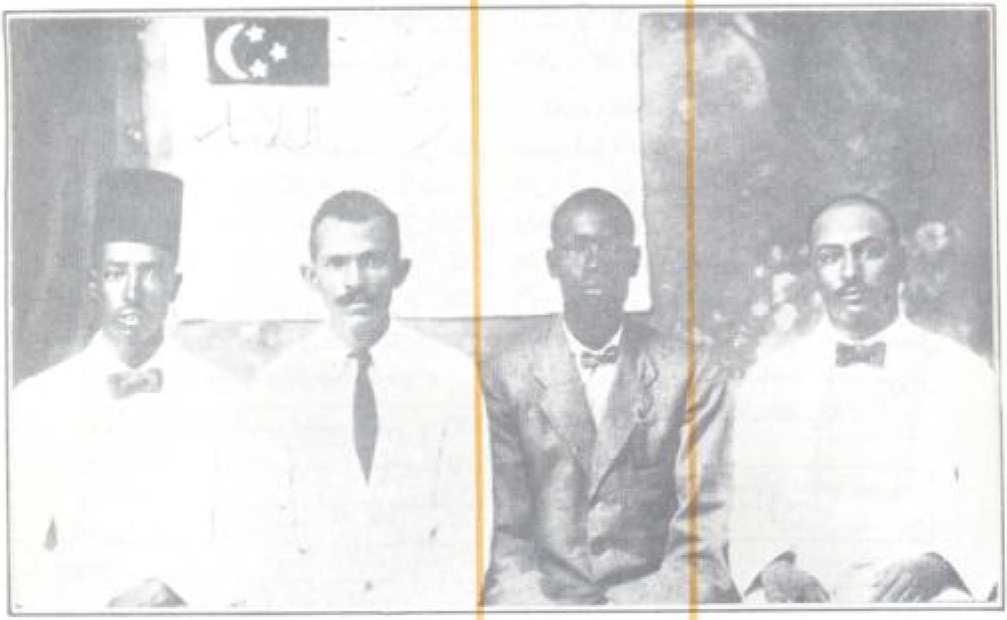

علي عبد اللطيف بين عدد من رفاقه في النضال

عن ٨٥ أو ٨٦ سنة .. أنا ولدت سنة ١٨٩٨ ! ! وشعرت أنني أجلس أمام تاريخ السودان ، تاريخ علي عبد اللطيف ، وانتابتني حالة من الصمت ، والارتباك ، قطعته الحاجة بعبارة « ... كسرنا القلم ورفعنا العلم » .. وهذه العبارة كانت ترددها عن زوجها ، عندما تحول نضاله ضد الانجليز من الكلمة الى الجمعية السرية « اللواء الأبيض » ! . ثم أخذت تتدفق في الحديث عن زوجها : « تخرّج ضابطاً من المدرسة الحربية بالخرطوم سنة ١٩١٤ ، وتزوجني سنة ١٩١٦ » .. وكان سعد زغلول في عام ١٩٢٤ قد شكل أول وزارة دستورية في مصر ، عندما فاز « حزب الوفد » بالأغلبية في الانتخابات البرلمانية . وفي نفس السنة كوّن علي عبد اللطيف « جمعية اللواء الأبيض » في الخرطوم . جمعية سرية لمناهضة الانجليز . واتخذ النشاط السياسي للجمعية أسلوب ارسال المنشورات والمحررات المعادية للادارة البريطانية ولزعماء الطوائف .

قالت الحاجة العازة : « ... اللواء الأبيض .. الرمز .. نعم العلم الأبيض وفيه الهلال والنجوم ، أنا التي عملته بيدي على ماكينة الخياطة ، وأنا التي رسمت له النجوم .. حسب ما طلب مني المرحوم علي ... » .. قلت لها ما هو الاسم الكامل لعلي عبد اللطيف ؟

قالت : « علي عبد اللطيف أحمد »

وثيقة للتاريخ

وبدأت أنتبه ، أنني أمام وثيقة هامة ، يجب تسجيلها .

قالت الحاجة : « علي عبد اللطيف أحمد ، ولد في وادي حلفا ، وكان أبوه مقيداً بسجل

الجهادية - قوات الخليفة السود - وقد هجرها للالتحاق بالجيش المصري ، وكان برتبة جاويش ، وكان يملك قطعة أرض يقوم بزراعتها »

ولم يشتهر علي عبد اللطيف الا في عام ١٩٢٢ ، وكانت أمه دنيكاوية ، حيث ولد في عام ١٨٩١ بأسوان خلال خدمة والده في الجيش المصري ، وحضر مع والده الى الخرطوم . وكان طفلاً شقياً « كأي طفل سوداني ، يلعب بالطائرات الورق ، ويتمنى أن يكبر ويصبح ضابطاً ويركب الطائرة ويحارب الانجليز » .

« وأدخله والده كُتّاب الجامع الكبير ، وكان يحفظ القرآن ويؤدي الصلوات في مواعيدها ، وكان لا يدخن ولا يشرب الخمر » وبعد تخرجه من المدرسة الثانوية ، التحق بالمدرسة الحربية وتخرج منها ضابطاً ، والتحق بالخدمة في (واد مدني) . وأضحى رفيقاً صميماً لمحمد فتوح أحد ضباط الجيش المصري ، ثم طرد علي عبد اللطيف من الخدمة لخلاف نشب بينه وبين نائب مدير المديرية الانجليزي « بينما كان علي عبد اللطيف ضابطاً بالاورطة السودانية ، بالجيش المصري ، بواد مدني ، وكانت ثكنات الأورطة شرق الحي البريطاني ، وفي أحد الأيام كان عائداً من احدى جولاته على صهوة جواده الى المدينة ، وقابله في الطريق نائب مدير المديرية الانجليزي ، ولما لم ينزل من فوق جواده للضابط الانجليزي . حدث جدال بينه وبين الضابط الانجليزي ، الأمر الذي جعل الانجليزي يشكو للادارة من سوء تصرف علي عبد اللطيف » .

وكانت السياسة الانجليزية العامة المرسومة لاستعمار السودان ، قد فرضت على أبناء السودان أن ينزلوا من على ظهر دوابهم الى الأرض اذا صادفهم في الطريق أحد البريطانيين ، وأن يقفوا إجلالاً للبريطاني اذا مر بالطريق ، واذا دخلوا على مفتش المركز خلعوا النعال ودخلوا حُفاة ، وغير ذلك كثير من ضروب الذلة والمهانة . ولما كانت هذه المسائل الشاذة لا تتفق والكرامة القومية ، فان علي عبد اللطيف كان أول من ثار ثورة عارمة عليها .

قالت الحاجة العازة : « نقلوه الى الأورطة السودانية الحادية عشرة ، « بتولدى بجبال النوبة » ، ثم طلب اجازة وجاء الى الخرطوم ليقضي اجازته ، وفكر في هذه الأثناء . . في أن يترك الخدمة ويلتحق بالمصلحة الملكية في (روميك) ، وقد أحالوه الى المعاش وهو في الاجازة » . وبقي في الخرطوم وتفرغ للعمل السياسي ، وأخذ يدعو لانشاء حزب سياسي من المتعلمين على غرار الأحزاب المصرية .

لا . . لسياسة الانجليز

مع بداية عام ١٩٢٢ رأى الانجليز أن يصدروا تصريحاً من جانب واحد يعطي لمصر مظاهر الاستقلال مع احتفاظهم لأنفسهم بالمسائل الهامة ، وبالفعل صدر تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ ، وفي مقدمته منح الاستقلال لمصر مع تحفظات أربعة من ضمنها مسألة السودان ، حيث يبقى على ما هو عليه تحت الحكم الثنائي .

وكانت جريدة « الحضارة السودانية » لسان حال الانجليز تدعو الى حل الحكم الثنائي ، وتطالب بانفراد الانجليز بحكم السودان ، ووجد علي عبد اللطيف أن المناخ السياسي أصبح مكفهراً ، فكتب مقاله الشهير « لا لسياسة الحكومة » وبعث به الى جريدة الحضارة طالباً نشره . وقد دعا فيه علي عبد اللطيف الى الحكم الذاتي ، وذكر أن الشعب السوداني ان كان في حاجة الى من يرشده قبل نيل الاستقلال ، فمن حقه اختيار المرشد الذي كان يراه علي عبد اللطيف وهو (مصر) ، وطالب بمزيد من التعليم،والقضاء على احتكار الحكومة لتجارة السكر ، والحاق الموظفين السودانيين بوظائف

الحاجة العازة زوجته ورفيقته في الكفاح

أكبر من سلك الخدمة ، ورغم أن الجريدة رفضت نشر المقال ، الا أنه تم القبض على رئيس تحريرها ومعه علي عبد اللطيف ، وحكم عليه بالسجن لمدة سنة .

والواقع أن علي عبد اللطيف لم يحاكم لأنه كتب كلمة واحدة عن مصر ، بل لأنه طالب بأن تكون حكومة السودان للسودانيين فحسب ، وانهاء الحكم الأجنبي ، في لهجة ثورية عنيفة ، كما ذكر مدير المخابرات الانجليزي ، مستر ايوارت ، في ٢٦ مايو ١٩٢٢ بتقريره الى السكرتير الاداري الانجليزي . هكذا عبر علي عبد اللطيف عن مشاعر الشعب السوداني أصدق تعبير ، لم يجرؤ غيره على مثلها في ذلك الوقت ، ممن كانوا يدعون بأنهم سدنة القضية السودانية . وهكذا أصبحت دعوة علي عبد اللطيف ذات أطر دستورية ، وحظيت بتأييد واصرار أفضل العناصر الوطنية المصرية ، ثم السودانية .

وبعد أن قضى علي عبد اللطيف في (سجن كوبر) سنة كاملة ، خرج في عام ١٩٢٣ ، ونودي به بطلاً وطنياً ، وليس كما يدعى الدكتور جعفر محمد علي بخيت في كتابه « الادارة البريطانية والحركة الوطنية في السودان » أن « الدعاية المصرية أضفت عليه هالة من التمجيد جعلته يبدو في مركز البطل الوطني بين زملائه » .

لقد قال علي عبد اللطيف ما كان مكبوتاً في صدور السودانيين الوطنيين في وقت عجز فيه الجميع عن قول كلمة حق ، ولذلك كان من المحتم أن يصبح الزعيم الأوحد المعترف به لمعارضة حكومة السودان البريطانية . لقد أزعج علي عبد اللطيف الأمبراطورية التي لا تغرب عنها الشمس ، فكيف لا يصبح بطلاً ؟

جمعية اللواء الأبيض

بدأ علي عبد اللطيف تاريخه النضالي يوم ٢٠ ابريل ١٩٢٣ عندما اتصل بلفيف من المواطنين المدنيين والضباط العاملين في السودان « وكان على رأس هؤلاء الضباط محمد فتوح والضابط محمد نجيب » وكون بالاشتراك معهم جمعية اللواء الأبيض حيث احتفل رسمياً بتشكيلها في ٢٠ مايو ١٩٢٣ .

وكان علم الجمعية من القماش الأبيض رمزاً للسلام ، وعليه خريطة وادي النيل ، وفي الجانب الأعلى الى اليسار منه رسم هلال صغير . وقبل الاحتفال باعلان قيام (اللواء الأبيض) بأربعة أيام ارسلت الجمعية التأسيسية ـ المؤلفة من علي عبد اللطيف ، وحسن شريف مدير مكتب بريد،وصالح عبد القادر وحسن صالح وهما من مصلحة البريد ، وعبيد حاج الأمين وهو موظف سابق بالمصلحة ذاتها ـ برقية الى الحاكم العام الانجليزي احتجوا فيها على عدم دعوة الشعب السوداني الذي تتكلم باسمه اللجنة ، الى المفاوضات الانجليزية المصرية المقبلة ، التي ستبحث في أثنائها قضية السودان والتي كان قد أعلن في عام ١٩٢٢ انها موضوع خاص .

ولقد حظى علي عبد اللطيف باحترام ضباط الجيش السودانيين والمصريين على السواء ،

ولـذلـك انضم الى « اللواء الأبيض » لفيف منهم . . وعلى الرغم من أن تكوين الجمعية كان يقضي بأن تكون العضوية قاصرة على السودانيين فقط ، الا أن بعض الضباط المصريين انضموا اليها كذلك .

ولكن من الخطأ أن يفترض البعض أن « اللواء الأبيض » كانت واجهة سياسية لمصر في ذلك الوقت ، أو انها قامت بتشجيع من عناصر مصرية . مع الأخذ في الاعتبار أن أهداف الوطنيين في مصر كانت متوافقة مع أهداف العناصر الوطنية في السودان .

وعلى كل حال فقد أصبح لجمعية اللواء الأبيض عناصر نشطة في المدن الكبرى والمراكز ، وبدأت الجمعية جهادها العلني ضد الانجليز بارسال برقيات الى حاكم عام السودان الانجليزي في مصيفه بأركويت ، تستنكر ما تقوم به (جريدة الحضارة) السودانية التي كانت بمثابة بوق يدعو للاستعمار البريطاني للسودان .

في منتصف عام ١٩٢٤ أخذت جماهيرية اللواء الأبيض تتزايد ، وخاصة عندما اجتمع لفيف من المثقفين والمتعلمين السودانيين في دار المفتي بأم درمان ، وهم الذين كانوا يمثلون (الصفوة) وقرروا كتابة عريضة للحكومة يطالبونها « بالغاء احتكار السكر ، وتخفيض الضرائب ، وادخال بعض السودانيين في مجلس الحاكم العام ، واصلاح المجلس البلدي ، وتعديل مشروع الجزيرة » .

انضمام المهدي

هذه المطالب هي نفسها التي طالب بها علي عبد اللطيف ، في مقالته الشهيرة لجريدة الحضارة . لقد كان علي عبد اللطيف سباقاً في ثورته على بريطانيا قبل ثورة (الصفوة) الصامتة ، وفي اجتماع مغلق . كان كفيلاً بأن يقنع السيد (محمد المهدي) نجل الخليفة عبد الله ، بأهمية الدور النضالي الذي يقوم به علي عبد اللطيف واللواء الأبيض ضد الانجليز . فانضم السيد (محمد المهدي) الى اللواء الأبيض عضواً ، وراح يجمع العرائض التي يعلن موقعوها رفض ما تدعو اليه جريدة الحضارة ، وتعلن الولاء لمصر . ولكن هذه العرائض لم تصل الى القاهرة . حيث كان محمد المهدي واللواء الأبيض ينوون السفر بها الى زعماء الحركة الوطنية المصرية ليقدموها اليهم . غير أن السلطات البريطانية القت القبض على السيد (محمد المهدي) والضابط السوداني علي زين العابدين في حلفا . وأعيدوا الى الخرطوم بالقطار في ١٧ يونية ١٩٢٤ .

وقد كان رد فعل جمعية اللواء الأبيض يتمثل في اتجاهين ، الأول ارسال برقية الى رئاسة مجلس النواب المصري في نفس اليوم ، تحتج فيها على منع الرجلين من السفر ، وطالبت الجمعية بالحاح«ضرورة تدخل الحكومة المصرية في الأمر بكل ما أوتيت من قوة لايقاف ضروب التنكيل « لأن الأمة المصرية قاطبة مسئولة أمام التاريخ ، وأن سفينة يدير سعد زغلول دفتها يستحيل أن تصطدم بصخر مهما كانت الزوابع والظلام » .

وأما الاتجاه الثاني فتمثل في تنظيم أول مظاهره سياسية في تاريخ السودان لاستقبال محمد المهدى التعايشي والملازم علي زين العابدين ، غير أن هذه المظاهرة تم ضربها وتفريقها بخراطيم المياه الساخنة . وبعد يومين ساقت السماء مناسبة استثمرها علي عبد اللطيف بذكاء ، وهي جنازة اليوزباشي عبد الخالق حسن مأمور أم درمان . وكان شخصية مصرية محبوبة من الشعب . ففي ١٩ يونيه ١٩٢٤ خرجت الألوف من أبناء الشعب السوداني ، لتحمل نعش الرجل وهي تهتف هتافات مدوية (تحيا مصر) (يسقط الانجليز) . وكانت تلك أول مظاهرة سياسية في تاريخ أم درمان .

الثورة ضد الانجليز

وانتشرت روح الثورة من أم درمان خلال الأسابيع التالية الى سكان المدن الأخرى في الخرطوم ، والخرطوم بحرى . وتحول النصف الثاني من عام ١٩٢٤ الى ثورة عارمة قادها علي عبد اللطيف ونظمها اللواء الأبيض لتمتد الى عطبرة ومدني والأبيض وبور سودان . وشعرت بريطانيا العظمى أن المارد الأسود (السودان) استيقظ من سباته العميق ، وأن الكارثة قادمة لا محالة على الادارة البريطانية في البلاد .

فاتخذت السلطات البريطانية من أعمال القمع والاعتقال ما يندى له الجبين وألقت القبض على حاج الشيخ عمر ، التاجر الجعلي ، وقدم للمحاكمة العسكرية السريعة ، فحكم عليه بالسجن والغرامة لأنه قال (تحيا مصر) .

واعتقل علي عبد اللطيف في ٤ يوليه ١٩٢٤ ، ليس لأنه ألقى خطاباً سياسياً مثيراً على الجماهير الغفيرة التي تجمعت خارج مركز أم درمان يوم محاكمة حاج الشيخ عمر ، ولكن لأن نشاطه الوطني كان قد أزعج حكومة لندن . فعوقب بالسجن لمدة ثلاث سنوات . ولقد أشعل اعتقال علي عبد اللطيف نار الثورة الوطنية السودانية في شهري يوليو وأغسطس ١٩٢٤ . تلك الثورة الوطنية التي كانت حوافزها سياسية تستهدف سياسةمنطقية وضرورية وحتمية .

كما اعتقلت السلطات البريطانية بعض الموظفين والضباط المصريين في السودان بحجة التحريض على المظاهرات ، واعتقل كثير من السودانيين ، وحكم على كثير منهم بالسجن .

وأودع البطل علي عبد اللطيف سجن كوبر ، ولقي ألواناً من العذاب . ثم رأى الانجليز إمعاناً في تعذيبه وتعريضه لخطر يقضي عليه ، أن ينفوه عام ١٩٢٥ الى سجن (واو) في بحر الغزال . حيث كانت السجون في شمال السودان في حالة سيئة للغاية ، وكان هدف الانجليز من ذلك أن تفتك به الأمراض المنتشرة هناك ، مع الأخذ في الاعتبار أن وسائل الوقاية هناك كانت منعدمة تماماً .

وقد حدث فعلاً أن مات في سجن (واو) أحد رفقاء علي عبد اللطيف المخلصين ، (عبيد حاج أمين) ، بالحمى السوداء في عام ١٩٣٢ . وعند هذا الأمر أدرك الانجليز أن عملهم هذا غير انساني ولا يتمشى مع سلوكيات وأخلاقيات بريطانيا ، فأطلقت سراح جميع المسجونين ما عدا علي عبد اللطيف الذي كان ـ حتى وهو في سجنه ـ يقلق حكومة لندن ، فنقلته الى سجن كوبر مرة أخرى ، متذرعة بأنه قد أصيب بمرض عقلي ، وادعت المحافظة عليه وكأنها وصية على حياته ، وما كانت حكومة لندن تحمل له الا البغض والكراهية ، وتخشى من تأثيره الجماهيري البالغ ، حتى وهو في السجن .

وعقدت بريطانيا مع مصر معاهدة ١٩٣٦ ، وكان من بين بنودها العفو الشامل عن جميع المسجونين السياسيين ، الا أن الانجليز رفضوا الافراج عن علي عبد اللطيف ، وأبقوه في سجن كوبر حتى عام ١٩٣٨ . وعندها طلبت الحكومة المصرية من بريطانيا رسمياً أن ينقل اليها البطل علي عبد اللطيف لتتولى هي رعايته والاشراف على صحته التي ساءت للغاية من جراء التعذيب والحبس .

ترحيله الى مصر

ووافقت حكومة لندن على نقل البطل ، وقد ذكر حسن نجيله في كتابه (ملامح من المجتمع السوداني) الجزء الثاني ، « . . اني رأيت علي عبد اللطيف يبرز من نافذة القطار عند محطة شندي ، أثناء ترحيله الى مصر ، ولولا الحراسة لدنونا منه لنحييه بكل مشاعر المحبة والتقدير

والاحترام » . هذه هي مشاعر أبناء وطنه المخلصين الوطنيين التي تتنافى تماماً مع كل ما أورده الأستاذ محمد عمر بشير في كتابه « تاريخ الحركة الوطنية في السودان ١٩٠٠ ـ ١٩٦٩ » وان كان للأستاذ العذر ، فانه استقى مادة كتابه من تقارير المخابرات البريطانية وعلى رأسها مستر أبورات .

ويذكر نجليه كذلك : « . . والتفت الينا علي عبد اللطيف وسألنا بصوت جهوري : هل هذه شندى ؟ فأجبنا بنعم ، فقال أين فلان ، وذكر لنا اسماً لم يعرفه أي منا ، مع أننا نعرف سكان شندى معرفة جيدة ، وظل هو برهة يتطلع من نافذة القطار الى الناس ثم عاد الى مقره داخل القطار . . » .

وواصل القطار رحلته صوب القاهرة ، واتضح فيما بعد أن الرجل الذي سأل عنه علي عبد اللطيف ، كان جندياً يعمل معه عندما كان ضابطاً بالجيش في مدينة شندى ، وان هذا الرجل كان هو الجندي (فضل مصطفى) الذي كان قد ترك الجندية وفتح محلاً لتنظيف الملابس ، ثم توفاه الله قبل سنوات من سؤال البطل علي عبد اللطيف عنه .

انه لوفاء نادر من رجل ذاق مرارة السجن والعذاب ، فان علي عبد اللطيف لم ينسَ بعد كل هذه السنوات الجندي الذي كان يخدم معه في أثناء الخدمة العسكرية ، فهل ننسى نحن أبناء وادي النيل علي عبد اللطيف ؟

وأخذ القطار الذي يحمل البطل يواصل سيره عبر الأراضي السودانية في هدوء تام ، ولكن في القاهرة كان ينتظره في محطة السكة الحديد الآلاف من المصريين والسودانيين ، لاستقباله بقلوب ملؤها الحب والتقدير والاعزاز ، غير أن السلطات المسئولة في مصر أدركت ما يمكن أن يسببه له هذا الاستقبال الفياض من ازعاج واضطراب فأنزلوه في محطة الجيزة ، قبل أن يصل القطار الى محطة القاهرة . ونقلوه بسيارة الى المستشفى الذي خصص من أجل علاجه ، وقد كان يتردد عليه لفيف من أبناء وطنه السوادن .

وقالت زوجته : « . . ذهبنا لزيارته في القاهرة ، وكان ذلك في عام ١٩٣٨ » ، ولا انسى كلمة قالها لي : « اسمعي يا عازة . . قناة السويس سوف تبقى بعدين ميدان حرب » . . هكذا تنبأ علي عبد اللطيف بحرب السويس عام ١٩٥٦ وقبل أن تحدث بثمانية عشر عاماً ، انه من متصوفة الوطنية الذين تتجلى فيهم قداستها . وليس كما وصفه الانجليز أعدائه (بالجنون) .

الرحيـــــل

ظل علي عبد اللطيف في مستشفاه يعالج باشراف لفيف من أكبر أساتذة الطب النفسي في مصر ، حتى لقي ربه في ليلة ٢٨ أكتوبر ١٩٤٨ . وقالت زوجته الحاجة العازة « . . والله مصر ما قصرت معه . . » وراحت تبكي وهي تبتسم . . لكنه كان بطلاً . ولم يتم دفن جثمانه الا بعد أن وصل الى القاهرة أفراد اسرته : زوجته العازة محمد عبد الله ، وكبرى بناته « نعمات » ، ولفيف من أهله وعشيرته . حيث دفن في احدى المقابر العادية بالقاهرة في صباح ٣٠ أكتوبر ١٩٤٨ .

وعندما قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وكان على رأسها اللواء محمد نجيب الذي كان رفيق البطل علي عبد اللطيف في نضاله ، قررت حكومة الثورة نقل رفاته من المقبرة العادية الى مقابر الشهداء . وتم ذلك الأمر في ٢٨ أكتوبر ١٩٥٢ ، وفي احتفال رسمي وشعبي ، تقدمه أعضاء مجلس قيادة الثورة المصرية وعلى رأسهم اللواء محمد نجيب ، وجماهير الشعب المصري ، وبعض السودانيين الذين كانوا بمصر . هكذا وجد البطل علي عبد اللطيف الهدوء والسكينة الأبدية في وطنه الثاني مصر . □□

الحوار .. الحوار ما أحوجنا إليه !

بقلم : الدكتور أحمد صدقي الدجاني

□ ما أمتع (الحوار) ، وما أعظم جدواه ، وما أشد حاجتنا اليه ، والى اتقانه . متعته بين متع الحياة التي أنعم الله بها على الانسان متميزة . وهي تأتي عند البعض في المقدمة . وكم أستشعر وأنا في أواخر العقد الخامس من العمر المكتوب روعته وقيمته كسبيل للمعرفة .

كنت أعيش أياما مليئة في المؤتمر الثالث لمجمع بحوث الحضارة الاسلامية ، الذي انعقد بعمان بين يومي ٢٥ و ٣٠ نيسان « ابريل » الماضي ، فتأملت مرة أخرى (عملية) الحوار ، وألحت على فكرة الكتابة عنها . والحق أنني ما شاركت في مؤتمر أو ندوة أو اجتماع الا وانشدت الى تأمل هذه العملية) الانسانية العظيمة ، وكلي رغبة أن أحيط بها وأدرك كنهها وأسبر أعماقها فافهم آليتها ودورها وآثارها .

لقد شاع استخدام كلمة (الحوار) في لغتنا هذه الأيام ، على مختلف الأصعدة ، بالحديث يدور حول (حوار الحضارات) وحوار التيارات (الثقافية) المختلفة ، (وحوار الشمال والجنوب) ، (والحوار العربي الاوروبي) ، و (الحوار الاسلامي المسيحي) .

فالحوار اليوم هو من (روح) العصر ، واحدى ظواهره الهامة . وقد تميز عصرنا بثورة الاتصال التي هي احدى ثمار ثورة العلم التي تفجرت فيه . ومع ثورة الاتصال هذه بأجهزتها السلكية واللاسلكية ، المسموعة والمرئية ، وبوسائلها البرية والبحرية والجوية ،قوى التواصل بين بني الانسان ، واتسعت دائرة الحوار وتنوعت موضوعاته ، بصورة لم تعرفها الانسانية من قبل . وشاهد على ذلك هذا العدد الضخم من المؤتمرات والندوات والاجتماعات ، التي تعقد كل يوم في عالمنا وتنوع الموضوعات التي تبحثها .

الحوار في المعاجم

تنظر في كلمة (حوار) ونستعين بالمعاجم في تحديد معناها ، فنجد أنها من (الحور) وهو (الرجوع عن الشيء ، والى الشيء) . و (حار حورا) الى الشيء (رجع عنه واليه) . وما رجع الى المرء حين يكلم آخر هو (حوار) (بفتح الحاء وكسرها) ومحاورة وحوير ومحورة) أي (جواب) . وأحار عليه جوابه أي رده . ويقال (سمعت حويرهما وحوارهما) ، والمحاورة هي المجاوبة . والتحاور هو التجاوب . وهم يتحاورون أي يتراجعون في الكلام . والمحاورة هي مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة .

(الحوار) اذن (عملية) تتم بين اثنين أو أكثر . وهي تتضمن حين تجري بين اثنين (طرحا) من أحدهما يتمثله

الأخر و (يجيب عليه ، فيحدث (تجاوب) يولد عند كل منهما (مراجعة) لما طرحه من كلام ومنطق حكم هذا الكلام . وقد تثمر هذه المراجعة طرحا ثانيا يتبعه تجاوب ومراجعة فتكون (مرادة في الكلام) . فهذه المرادة هي المحاورة والحوار عند الأصبهاني صاحب (المفردات في غريب القرآن) . وقد ورد في القرآن الكريم الفعل المضارع (يحاوره) مرتين في سورة أهل الكهف في قصة (الرجلين والجنتين) ، و (تحاوركما) في سورة المجادلة .

تتعدد أطراف (عملية) الحوار حين يجري بين أكثر من اثنين فيتلقى (الطرح) أكثر من (جواب) وتتسع دائرة (التجاوب) و (المراجعة) و (المرادة) وتثمر طروحا أخرى تصل بهذه الأطراف الى أجوبة أخرى . وقد تنتهي بهم الى الاتفاق أو الى اطمئنان كل منهم لما توصل اليه .

بقي أن نقول في معرض تحديدنا لمعنى كلمة (حوار) أو الحوار هو (حديث) يتضمن (طرح) أفكار . والطرح لغة الالقاء بعيدا . وطرح عليه مسألة يعني القاها . ومنها اشتقت (الاطروحة) وهي المسألة التي تطرح ، و (المطارحة) . وعملية الحوار تشهد مطارحة أفكار . وهي تتضمن (محادثة) ، لان الحديث هو كل كلام يبلغ الانسان من جهة السمع أو الوحي في اليقظة أو المنام . ونشير أخيرا الى ماتتميز به كلمة (حوار) من جرس موسيقي يوحي بوجود مراجعة وتفاعل ايجابي .

ونتأمل عملية (الحوار) على الطبيعة كما تجري في المحافل ، فنجد أنها تبدأ (عسيرة) ثم (تتيسر) (تدريجيا حتى تصل الى مرحلة (التناغم) وتبلغ (الذروة) فتثمر (نتائج) محددة .

مثلا على ذلك ما جرى في المؤتمر الثالث لمجمع بحوث الحضارة الاسلامية ، ونحن نشارك في ندوة نظمها المجمع حول (الأحوال الاجتماعية والاقتصادية المعاصرة ، وصور التغير في العالم الاسلامي) .

كنا مائة وثلاثين ينتمون لاثنين وثلاثين بلداً عربياً وأجنبيا ، لكل منا ذاتيته وتجربته . ويبدأ الحوار في اليوم الأول ، فتظهر بجلاء صعوبة العملية الجارية وتبدو عسيرة مع بداية حدوث التفاعل بين المشاركين فهناك اختلاف في الافكار ، وتباين في أساليب التعبير ، وتعدد في زوايا النظر الى الموضوع المطروح . ويستمر الحوار في اليوم الثاني فيبدو أسهل وأيسر بعد أن (راجع) كل واحد نفسه على ضوء ما سمع . ويتجه (التناغم) . ويحدث مع استمراره بناء صرح فكري ما أسرع أن يكتمل ، فاذا بالمتحاورين أقرب الى بعضهم بعضا ، واذا بالنظرة الشاملة تحكمهم وتهديهم ، واذا بكل منهم قد بلور قناعاته وبلغ (الذروة) في التفاعل ، واذا بالمجموع يصبح كلا واحدا ، ويتوصل الى نتائج محددة شارك الجميع في صياغتها .

أمر آخر نجده في عملية (الحوار) ونحن نتأملها ، ذلك هو مايفجره (التفاعل) الذي تشهده في عقل كل مشارك فيها ، فتتدفق الافكار فيه تدفقا ، وتلمع البوارق ، وتتور الخواطر . وكأن عقل الانسان الفرد بحاجة الى أن (يقدح) بعقل انسان آخر كي تتقد الأفكار فيه .

الحوار وقدح الزناد

أضرب مثلاً على ذلك تجربة مميزة عشتها في ندوة نظمتها (أكاديمية المملكة المغربية) موضوعها (الامكانات الاقتصادية والسيادة الدبلوماسية) في ربيع عام ١٩٨٣ . وقد اخترت بعد أن قبلت الموضوع أن أكون مستمعا أتعلم من الزملاء العلماء المشاركين ، وكل منهم يدلي بدلوه ويغني الموضوع ، ثم محاورا يحاورهم . ويبدأ الحوار في رحاب الاكاديمية فاذا به يفعل فعله ، ويفجر أفكارا . واذا بي أجد نفسي عاكفا على كتابة بحث لم أكن قادرا على كتابته قبل هذا الحوار . وقد وصفت هذه الظاهرة حين قدمت البحث وطرحت تفسيرا لها هو أن الحوار يثير ماهو كامن في العقل ويقدح زناده .

لم أكن حين عشت هذه التجربة قد قرأت كتاب (المقابسات لابي حيان التوحيدي) . وحين قرأته مؤخرا أعجبت به وباسمه الذي يبرز تلك الخاصية من خواص (الحوار) . فمعنى المقابسات كما يقول الدكتور ابراهيم الكيلاني الذي قدم للكتاب هو (أن يشترك اثنان أو أكثر في محاورة علمية أو فلسفية ، فيقبس أحدهما العلم والمعرفة من الاخر ، ويعطي ما عنده منها) . والكلمة مشتقة من (قبس) منه نارا فأقبسه أي أعطاه منها . وفي المجاز أقبس منه علما أي استفاد . وفي الحوار دوما مقابسه تأتي من خلال المحادثة ومطارحة الافكار ومن خواصه أنه يقدح زناد العقول فتشع أفكارا .

نصل من خلال تأملنا في عملية (الحوار) الى ادراك عظيم جدواها وفوائدها ، والى استشعار مدى حاجة الانسان اليه .

فالحوار مطلوب بداية لمتعة . وقد خلق الله الانسان

توافقا للتواصل مع من حوله ، وعلمه الأسماء كلها ، فاذا هو (حيوان ناطق) يعتمد اللغة وسيلة لهذا التواصل . وهو يستمتع حين يحققه . ومن هنا كان حديث التواصل من أقوى المتع في الحياة وهو ذو شجون . وقد قال أبو حيان وهو يسامر الوزير أبا عبد الله الحسين (وسمعت أبا سعيد السيرافي يقول : سمعت ابن السراج يقول : دخلنا على ابن الرومي في مرضه الذي قضى فيه فانشدنا قوله

ولقد سئمت مآربي   فكأن أطيبها خبيث
الا الحديث فانه   مثل اسمه أبدا حديث

وكان أبو حيان في الليلة الاولى من ليالي الامتاع والمؤانسة ، يتحدث عن فوائد الحديث ، ويشير الى رسالة صنفها أبو زيد ذلك (لطيفة الحجم في المنظر ، شريفة الفوائد في المخبر ، تجمع أصناف ما يقتبس من العلم والحكمة والتجربة في الاخبار والاحاديث ، وقد أحصاها واستقصاها وأفاد بها) .

وافتقاد الحوار يسبب عند الانسان نوعا خطيرا من الحرمان لايعالجه الا الحوار . وأذكر في هذا المجال سيدة فاضلة كانت تتفنن في الحوار ، فتجلس له وتنظم مساره ، وتغضب اذا أخل أحد بهذا المسار ، وتقبل عليه بمتعة ما بعدها متعة . وقد سألتها عن سر ذلك فقالت (الحديث مع الناس نعمة لايعرف قيمتها الا من حرم منها . وقد بلوت هذا الحرمان حين عشت وحدي بعد وفاة الزوج ، وزواج الاولاد وانتقالهم بعيدا عني . كنت أحدث الجدران واستذكر متعة الحوار مع الانسان . أفلا ينبغي أن نحرص على هذه النعمة ونوفيها حقها ؟) .

والحوار ضروري لاكتساب العلم والمعرفة . وهو السبيل الرئيسي لذلك في رحلة عمر الانسان بين المهد واللحد . وكم تشتد حاجة الطفل الى تبادل الحديث مع من حوله . وهو من خلال هذا الحديث يتعلم ، ويفتح عينيه على ما يحيط به . ولقد تابعت دور الحوار في تربية الاطفال وأنا أعيش الابوة بكل أبعادها . وتذكرت كيف مررت بتجربة البنوة وطرح السؤال اثر السؤال .

لايمكن للطفل الذي كانه الواحد منا أن ينسى اولئك الذين حاوروه وصبروا على أسئلته ، وحكوا له الحكايات ورووا له الاخبار . وهذا ما يجعل للجدين والوالدين والاخوة الكبار منزلة خاصة في تربية الطفل في سنيه الاولى ، ويكسب العائلة الكبيرة مزية خاصة . ومن هنا كان الحرص على اعطاء الحوار مع الأطفال حقه حين عشت تجربة الابوة . ولقد لفت انتباهي أن الطفل يبدأ بالسؤال عن الماهية ، ثم ما أسرع أن ينتقل الى السؤال عن العلة ، فيكثر من طرح سؤال لماذا ؟ . وكم كان يطيب لي بعد أن أجيب أن أسأل بدوري سؤالا عن شيء ما ثم أتبعه بسؤال لماذا . وكنت ألاحظ أن الصغير يقول (لان . . .) ويقف لانه لايعرف أن يعلل ، ثم لايلبث حين ينمو أن يملك القدرة على التعليل .

وهو في جميع هذه المراحل تواق الى الصحبة . ومن هنا كانت الصحبة المناسبة هي أفضل وسيلة للتربية . وكم هو مطلوب أن ينشأ الانسان على اتقان الحوار ومعرفة آدابه .

لقد اشتهرت في التراث الانساني فلسفة الاغريق التي دانت بوجودها الى حد بعيد للحوار . فسقراط قضى حياته متكلما . وقد حكم أفلاطون ـ كما يقول الدكتور فؤاد زكريا في دراسته لجمهورية أفلاطون ـ « شعور قوي بأن الوسيلة الوحيدة الصحيحة لتوصيل المعرفة هي وضع ذهنين في اتصال أحدهما بالاخر » . ومن هنا تحدث في (فيدرس) عن مدى تضاؤل قيمة الحقيقة المكتوبة الى قيمة الحقيقة المنطوقة ، كما أن حوار سقراط يهدف الى ايقاظ الفكر ، ولذا نراه لم يحاول أبدا أن يلقن معرفة . وكان ينادي ما يوجد في عقل الانسان ، ويثق في أن هذا العقل سيلبي النداء .

ان الحوار ضروري أيضا للقيام بالعمل الجماعي ، وتحقيق عمل الفريق . فمن خلاله تتم عملية تحديد الاختلافات والفوارق ، وايجاد نقاط اللقاء ومن ثم الالتقاء عليها . وواضح أن الاختلاف بين الناس حول أمر واقع . وقد حاول العلماء تفسيره . ومن هؤلاء أبو حيان التوحيدي الذي يقول في « الامتاع المؤانسة » (وبعد ، فما دام الناس على فطر كثيرة ، وعادات حسنة وقبيحة ، ومناشيء محمودة ومذمومة ، وملاحظات قريبة وبعيدة ، فلابد من الاختلاف في كل مايختار ويجتنب) .

ومادام الاختلاف بين الناس حول الأمور واقعا ، ولما كان تفاهم على أمور محددة مطلوبا ، فلابد من الحوار لايجاد مايتم الالتقاء عليه . وللقيام من ثم بالعمل الجماعي .

بقي أن نقول في هذا المجال أن الحوار مطلوب لقدح زناد العقل . فاتصال ذهنين يفعل الكثير في كل منهما . وتواصلهما يثمر أفكاراً جديدة . واذا أراد امرؤ أن يختبر فكرة لديه فما عليه الا أن يطرحها في حوار ، وسيجد كم تتضح في ذهنه .

نستطيع من خلال احاطتنا بعملية (الحوار) أن تدرك

دور (العقل) فيه ، فهو عماده . ويكون شرط حدوث (الحوار) من ثم ، وجود عقلين أو عقول وقد نقل أبو حيان في الامتاع والمؤانسة قول احد الفلاسفة (العاقل يضل عقله عند محاورة الأحمق . قال أبو سليمان هذا صحيح ، ومثاله أن العاقل اذا خاطب العاقل فهم ، وان إختلفت مرتباتهما في العقل ، فانهما يرجعان الى سنخ العقل (أي أصله) ، وليس كذلك العاقل اذا خاطب الأحمق ، فانهما ضدان ، الضد يهرب من الضد) .

وشرط آخر لحدوث الحوار أن يمارس العقل فيه عملية المراجعة ، ويكون متفتحا لايتمسك بحكم مسبق ولايصدر عن هوى . فان لم يتوافر هذا الشرط توقف مسار الحوار ، وصدق على الحديث الجاري تعبير (حوار الطرشان) وهو ليس بحوار .

اذا توافر الشرطان تنتظم عملية الحوار ، وان اختلفت مراتب العقول المتحاورة . وتبلغ العملية ذروتها في حوار الأكفاء ، ومثل لها الحوار الجاري في المجامع العلمية . فهو يدور بين انداد نذروا أنفسهم للعلم ونالوا منه حظا أوفى . وبالروعة مطارحات الافكار في مثل هذا الحوار . وللحوار الذي يجري بين فردين أو أفراد من جيلين روعته ايضا . فهو التعبير عن تواصل الأجيال . وتحكمه علاقة خاصة يكون الجيل الأصغر فيها متعطشا الى المعرفة بينما يكون محاوره تواقا الى العطاء تشده روعة الفتوة والبكارة .

حوار العقل والقلب

وقد طاب لي ان اتأمل هذه العلاقة في خاطرة تواصل الاجيال التي تضمنها كتابي (رحلات ولحظات ممتدة) . وحين يدخل القلب في عملية الحوار مع العقل نجد انفسنا امام (حوار العقل والقلب) وهو (مناجاة) لها روعتها ورونقها ، تتم بين محبين يمكن ان يوصفا بالنجوى ، فلكل منهما نجوى ، وهما نجوى . ويكون الواحد منهما نجيًا . ويأخذ الحوار هنا صورة المُسارة .

تتفاوت لغة الحوار بحسب أنواعه . فهي في حوار الأكفاء غيرها في حوار الاجيال وغيرها في حوار العقل والقلب . وكلما اتقن المرء الحوار طوع لنفسه اللغة المناسبة له ، وأحسن التعبير لفظا ومعنى . وقد ميّز أجدادنا بين متطلبات اللفظ ومتطلبات المعنى ورددوا قول بعض الحكماء (الألفاظ تقع في السمع فكلما اختلفت كانت أحلى . والمعاني تقع في النفس فكلما اتفقت كانت احلى . فالالفاظ يستمليها السمع ، والسمع حس ، ومن شأن الحس التبدد في نفسه والتبديد بنفسه . والمعاني تستفيدها النفس ، ومن شأنها التوحد بها ، والتوحيد لها ، ولهذا تبقى الصورة عند النفس قنّية وملكة ، وتبطل عند الحس بطلانا ، وتمحي امحاء . والحس تابع للطبيعة ، والنفس متقبلة للعقل) . وقد نقل هذا الحديث ابو حيان عن ابي بكر القومسي في (المقابسات) .

يجب ان تعبر لغة الحوار عن روحه وادبه ، فتحفظ للمحاور حقه في الاحترام وفي طرح وجهة نظره . وتنأى عما يجرّ الحوار الى الوقوع في حبال الجدال والمناظرة . وكم حذر اجدادنا في كتاباتهم من آفات المناظرة والجدل ، وقد افرد لها الامام الغزالي بابا في كتاب العلم من رائعته (احياء علوم الدين) .

يتميز الحوار بانه ينبض بالحياة من خلال تواصل عقلين او عقول ، يعبر عنها أو عنهم لسانان أو ألسنة . وهناك فارق بين الحوار الحي والحوار المكتوب . ولكن الحوار الحي يطيب ويحلو اذا دار حول كتاب فيه حديث مكتوب . فيكون هذا الحديث موضوع الحوار الذي يستعرضه ويناقشه ويعلق عليه .

الحوار والقمع

لابد كي يأخذ الحوار مداه في مجتمع ما ، ويؤدي دوره في تحقيق التواصل بين بني الانسان ، ان يتوافر له مناخ من حرية القول . فالقمع عدو الحوار اللدود ، وفي مناخ القمع لا ينمو ولا يتفتح ولا يثمر . وحرية التعبير بدون حذف ضرورة لازمة لحياته . وليس عيبا ان يقال احيانا (لا أدري) فان (لا أدري) من العلم كما قال اجدادنا . وهذه الحرية مطلوبة للشاب في تفتحه وهو يتجاوز مجتمعه . وحق له ان يعبر عن ذاته ويطرح ما يعن له على بال ، اعتقادا منه بأنه قادر على أن يأتي (بما لم تستطعه الاوائل) فتلك طبيعة جيل الشباب . . وواجب على من حوله ان يصبروا على محاورته ليتبادلوا التأثير معه ، وهو بحاجة الى تجربتهم مثل حاجتهم الى تفتحه وحماسه . وهذه الحرية مطلوبة للانسان عموما ليعبر في ظلها عما يفكر به .

إشكالية الهوية في المنطقة العربية

بقلم : حسنين توفيق ابراهيم

□ قضية الهوية هى التى تحدد انتماء الفرد للجماعة وولاءه لها .. وزيادة شعور الفرد بالانتماء لجماعة أكبر تؤدى الى التقليل من حجم الضغوط التى تنتابه ، عندما يشعر بفقدان الهوية أو اهتزاز أصولها .. فما علاقة ذلك باشكالية الهوية في المنطقة العربية ؟

تثار اشكالية الهوية بصفة أساسية في المجتمعات التى تمر بمرحلة انتقالية - أى تلك التى لم تستقر بعد - حيث لا يوجد اتفاق عام حول الأسس التي يقوم عليها التنظيم السياسي والاقتصادي والاجتماعي ، وتشهد هذه المجتمعات عملية تغيير اقتصادي واجتماعي سريع بما يترتب عليه من تغيرات في أنماط السلوك والقيم ، بالاضافة الى ما تعانيه هذه المجتمعات من انقسامات سلالية ولغوية ودينية ، وما يترتب على ذلك من تعميق لاشكالية الهوية فعندما يكون الولاء الأسمى للفرد متجها نحو كيان أقل من الدولة (العائلة - القبيلة - الطائفة) فان هذا يعنى ضعف أو عدم ولاء هذا الفرد للدولة ، لذلك فان تحقيق التكامل القومى - بمعنى صهر الأقليات السلالية والدينية في بوتقة المجتمع ، وتحويل ولاءاتها الضيقة الى الولاء للدولة - يعتبر من المهام الاساسية الملقاة على عاتق النظم السياسية في تلك المجتمعات .

واشكالية الهوية في المنطقة العربية لم تنشأ من فراغ ، بل كانت محصلة لتطورات تاريخية واجتماعية شهدتها المنطقة ، فمنذ وقوع المنطقة في قبضة الاستعمار الغربي الذى عمل على تقطيع أوصالها وتحطيم أطرها التقليدية ، وبروز حركة القومية العربية ، وانهيار الدولة العثمانية ، واشكالية الهوية مثارة ولم تحسم بعد ، ويبدو أن التطورات الراهنة التى تشهدها الساحة العربية تعمق اشكالية الهوية وتزيد من تعقيداتها .

مظاهر متعددة

ومظاهر اشكالية الهوية في المنطقة العربية عديدة نذكر منها :

١ - تعدد الهويات وتصارعها في معظم الأحيان فهناك الهويات الاثنية والطائفية ، وهناك الهوية القطرية ، وهناك العروبة ، وهناك الاسلام . وهذا التعدد يعني أن هناك كيانات أخرى خلاف الدولة يتجه اليها ولاء الفرد ، هذه الكيانات قد تكون دون الدولة (الطائفة - القبيلة - الخ ..) أو فوق الدولة ، مثل فكرة الأمة العربية

(العروبة) والأمة الاسلامية (الاسلام) . وأية محاولة لتكريس احدى الهويات السابقة دون أخذ الهويات الأخرى في الاعتبار معناه العبور فوق ولاءات وانتماءات قوى اجتماعية لها وجودها في العالم العربي ، بما يحمله ذلك من صراعات وتوترات . وليست القضية في وجود هوية تسود على الهويات الأخرى ، بل في كيفية توجيه الولاء الأسمى العربي نحو كيان محدد (الامة العربية) وهذا لا يمنع من وجود كيانات أخرى يتجه اليها ولاء الفرد داخل هذا الاطار (الدولة القطرية) وخارجه (الأمة الاسلامية) ، فالولاء درجات ودوائر متعددة ، والأمر يقتضي خلق وتعميق قنوات للربط والاتصال بين دوائر الولاء (القطرية - والعروبة - والاسلام) بحيث يسود الطابع التكامل لا التنافرى فالقطريات يمكن أن توجد داخل اطار عربي - اسلامي ، والعروبة لا تتعارض مع الاسلام ، بل هي وعاء الاسلام الذى يمثل مصدرا هاما من مصادرها .

٢ - اغتراب الجماهير العربية وتقوقعها في أطر محلية ضيقة :

والدليل على ذلك أن الأحداث التى يعيشها العالم العربي والاسلامى لم يعد لها صدى على الجماهير العربية ، فازاء أحداث افغانستان ولبنان لم يكن هناك رد فعل جماهيرى عربي ذو شأن ، فلم نسمع عن مظاهرات احتجاج وتعاطف مع الأخوة في الوطن والعقيدة ، كما كان يحدث في الماضي وهذا يعكس اهتزاز وتشويش الوعى بالانتماء لدى الجماهير العربية .

٣ - المظهر الثالث من مظاهر أزمة الهوية في المنطقة العربية هو التناقضات الفكرية والايديولوجية التى تشهدها الساحة العربية فهناك ثلاثة اتجاهات ايديولوجية تعرفها الساحة العربية (اتجاه اسلامى - واتجاه قومى - واتجاه ماركسى) وفي بعض الحالات يصبح هذا الاتجاه أو ذاك هو الايديولوجية الرسمية للدولة ، وهناك دول في المنطقة تعرف التيارات الثلاثة بدرجات متفاوتة .

والمظاهر السابقة لاشكالية الهوية تعتبر محصلة لتفاعل مجموعة من المتغيرات الخارجية والداخلية ، لا يمكن تحليلها الا في اطار تاريخها الاجتماعي ، وفي ضوء نظرة كلية للواقع العربي وموقعه من النظام الدولى .

العوامل الخارجية

تدور هذه العوامل حول الآثار التى خلفها الاستعمار التقليدي في المنطقة والاساليب التى يمارسها الاستعمار الجديد ، فلقد عمل الاستعمار الغربي على تفتيت المنطقة وتجزئتها ، ووقفت القوى الاستعمارية بكل قواها في وجه أية تطورات نحو الوحدة العربية ، فهي تخشى العروبة كما تخشى الاسلام ، لذلك عملت وتعمل باستمرار لعرقلة اي جهود نحو الوحدة العربية ، خشية أن تكون نواة لوحدة اسلامية اكبر ، وأكثر من هذا تعمل هذه القوى باستمرار على الايقاع بين العروبة والاسلام ، وتزرع بذور الخلاف بين الدول العربية ، وتساند الأقليات في داخل بعض الدول العربية بقصد خلق الفرقة والتفتيت القومي في الداخل .

ويأتي الغزو الفكري والثقافي الذي تتعرض له المنطقة العربية من الخارج ، ليكمل هذه السلسلة من الاساليب والاجراءات التي تستهدف تحطيم الهوية العربية وأسسها الاسلامية . وأبواق الدعاية لاتهدأ في المنطقة ،

فهذه الدعاية الأمريكية تدق على نغمة الليبرالية ، وتتغنى بالنموذج الغربي للتنمية ، وهذه الدعاية السوفييتية تركز على مقولات السلام والتقدم والنموذج الاشتراكي ، وتأتي الدعاية الاسرائيلية ، لتجعل أهدافها تتمركز حول تحطيم القوى المعنوية للمواطن العربي ، وتحطيم ثقته في نفسه وفي قدرات أمته وتقاليدها الحضارية .

وهكذا أصبحت الهوية العربية الاسلامية في موضع هجو مستمر وتشكيك متواصل ، وأصبحت قيم المواطن العربي تخضع لعملية اعادة ترتيب منظمة ، هدفها ضرب وتحطيم القيم الأصلية التي تمثل محور الهوية بالنسبة للمواطن ، واستبدال قيم استهلاكية غربية بها ، دخيلة على التقاليد الحضارية العربية الاسلامية ، قيم من شأنها تمييع الهوية ، وضمان استمرار التبعية للغرب .

امكانيات المواجهة

وبعد أن عرضنا لمظاهر وأسباب اشكالية الهوية ، ننتقل الى تحديد امكانيات مواجهة هذه الاشكالية .

ونؤكد بداية على أن اشكالية الهوية معقدة ، متعددة الجوانب . ومن ثم فان مواجهتها ليست بالسهولة المتصورة لدى البعض . فالقيادة السياسية والمثقفون العرب والمؤسسات السياسية والاعلامية ومؤسسات التنشئة في العالم العربي كلها يجب أن تتحمل قدرا من المسؤولية ، في حسم وبلورة مسألة الهوية . وهناك ثلاثة متغيرات أساسية يمكن أن يتبلور حولها حل اشكالية الهوية هي :

١ ـ عدم التناقض بين (القطرية والعروبة والاسلام) فأي محاولة لحسم مسألة الهوية لابد وأن تنطلق من هذه المقولة .

٢ ـ اشكالية الهوية لاتنفصل عن اشكاليات التنمية الأخرى ، وخاصة تلك التي تتعلق بالتكامل على المستويين القطري والاقليمي . وزيادة حجم التفاعلات والتبادلات بين الدول العربية ، ووجود أطر عامة للتنسيق والتعاون يمكن أن يحول دون صراع الهويات .

٣ ـ تحديد رسالة الاعلام العربي بحيث يجري تكتيل الارادة القومية العربية والأمر يقتضي رسم الأهداف ورصد الامكانيات المادية والبشرية ، وايجاد المؤسسات اللازمة للقيام بهذه الوظائف .

وخلاصة القول :ـ

أن اشكالية الهوية التي تعرفها المنطقة العربية تعتبر محصلة لتفاعل مجموعة من العوامل ، بعضها داخلي وبعضها خارجي ، والتغلب على هذه المشكلة لايكون الا بالنظر اليها في اطار المشكلات التنموية الأخرى ، التي تواجه المنطقة وفي اطار التحدي الصهيوني الذي يواجه العالم العربي ، فالصهيونية وربيبتها اسرائيل تمثلان تحديا لكل من القطرية والعروبة والاسلام .

ومن ثم فالتغلب على اشكالية الهوية يتطلب خلق وتعميق الروابط بين القطرية والعروبة والاسلام على مستوى الفكر والممارسة . هنا تبرز وظيفة القيادة السياسية وقد آمنت بمسئولياتها ، والمثقفين العرب وقد تخلوا عن سلبيتهم ، والاعلام العربي وقد حمل على عاتقه رسالة تعميق المفاهيم والمدركات المشتركة لدى أبناء الامة العربية ومؤسسات التنشئة في الاقطار العربية . وقد هدفت الى غرس مجموعة من القيم المشتركة التي تؤكد على عروبة الفرد واسلاميته ، وان القطر العربي الذي ينتمي اليه ويعيش فوق أرضه ، ما هو الا جزء من كيان عربي ـ اسلامي ـ عربي . . □□

من التراث

أصالة

الجامع الأموي الكبير

□ إن اصالة الجامع الأموى تعود الى انه كان بداية سياسة الانشاء والتعمير التى بدأها الوليد بن عبد الملك .. كما كان نموذجا لفنانيه المبدعين الذين انتقلوا به الى حواضر اخرى فى اطراف الدولة الاسلامية .. وتلك نظرة الى الابعاد الجمالية لهذا الجامع الكبير.

تحقيق في هويّة الأبراج والمشاهد

بقلم : الدكتور

عفيف بهنسي

مئذنة العروس

واجهة الحرم في المسجد الأموي مع قبة النسر

اذا كان الخليفة عبد الملك بن مروان قد وضع أسس الدولة العربية المتكاملة وجعلها تتفوق على مستوى الدول الأخرى العريقة المعاصرة ، فان الوليد بن عبد الملك ، حدد بدوره شخصية هذه الدولة حضاريا ، بما أنجزه من منشآت عامة ، جمع فيها عبقريات الفنانين من أبناء البلاد ، فوضع بذلك أسس فن العمارة العربية الاسلامية ، وأسس الفن التشكيلي التشبيهي والمجرد . ولقد أكمل أخوه هشام ما بدأه ، فكانا معا ذروة البداية الفنية التي أصبحت مقياسا ونموذجا للفن العربي الاسلامي في مختلف العصور اللاحقة .

المئذنة الشرقية (البرج ـ عهد الوليد) ويرى بناؤه مختلفا عن بناء الجدار القبلي (العهد القديم)

ولا بد من القول ، أن الوليد بن عبد الملك لم يرع فنا مستوردا ، كما يحلو لبعض المؤرخين قوله ، وانما شجع الفنون المحلية ، وضمن لها حرية الابداع .

يعتبر الوليد بن عبد الملك من أكثر الخلفاء الامويين حبا للعمران والفن ، وفي عهده تم إنشاء قبة الصخرة في القدس ، والى جانبها أنشأ المسجد الأقصى ، وهو الذي أمر عمر بن عبد العزيز أن يعيد بناء مسجد الرسول في المدينة على غرار جامع دمشق ، كما أنه هو الذي أنشأ مسجد حلب فكانت مساجد متشابهة ، وعلى مثال واحد ، ولو لم يبق أمامنا الا الجامع الأموي الكبير في دمشق بحلبته الأصلية ، فانه قمين ـ وهو أول آبدة اسلامية ـ أن يعرفنا على البداية الأولى لتكون الفن المعماري ، والتصويري في الاسلام ، وهي بداية كاملة رائعة .

تحدث المؤرخون العرب الأوائل كالبلاذري والمقدسي والقزويني وياقوت وغيرهم ، عن الجامع الكبير ، فوصفوا روعة الفن فيه ، وكان ابن جبير محمد الكناني الرحالة الاندلسي ، قد زار دمشق في نهاية القرن الثاني عشر وتوسع في (رحلته) بالحديث عما شاهده من حسن هذا المسجد وروعة عمارته . ولكن الدراسات الاخيرة التي قام بها علماء الآثار والاختصاصيون من أمثال كريزويل وسوفاجيه وفان برشيم قد اوضحت بلغة معاصرة ، الابعاد الجمالية لهذا الجامع الكبير ، الا أن هذه الدراسات تركت كثيرا من الأسئلة معلقة دون جواب ، وتتلخص هذه المسائل في تحديد ما هو جديد مبتكر في عمارة وفنون هذا الجامع .

سياسة الانشاء والتعمير

لشد ما استقر وهم خاطىء عند من كتب عن الجامع الكبير من أنه أقيم ضمن حدود جدار المعبد الوثني بابراجه الأربعة ، وان الفن فيه صنعه فنانون غرباء من الروم وغيرهم .

لقد كان عهد الوليد بن عبد الملك حافلا بالانشاء والابداع ، ولم يكن ما يشجع للتوسع في عمران المدن وفي زخرفة المنشآت بروائع فن الفسيفساء والرخام المشقف لو لم يكن صناع هذا الفن وفرة في هذا المجتمع الذي كان محاطا بخصوم تقليديين ، يتحفزون للانقضاض على بلاد العرب الناشئة ، أكثر بكثير من أن يندفعوا لتقديم المواد ، ولايفاد العمال والفنانين لبناء دولة هزمتهم في الامس القريب ، وازالت ملكهم الذي كان راسخا طامحا . ولم تكن الحروب والأوبئة وصعوبة سياسة امبراطورية ضخمة لتمنع الوليد مع ذلك ، من اقامة اضخم المنشآت التي ما زال بعضها قائما في القدس ودمشق والأردن ، وبعضها الآخر . أزيل أو تغير مع الايام ، وما زالت صورته واضحة ، كتب عنها المؤرخون واحسنوا الوصف والتصوير .

لقد أقيم الجامع الأموي فى أرض مقدسة شغلت بالمعابد على مر العصور . وعليها أقيم معبد « حدد الآرامي » الذى لم تكشف الحفريات عن معالمه بعد ، ومعبد جوبيتر الدمشقى الوثنى ، وكنيسة القديس يوحنا . ولا بد أن نتحدث أولا عن هذه المعابد المتتالية ، وما تبقى منها ، لكي نتمكن من تحديد أبعاد المسجد الجامع الأموي واصالته .

ما زالت آثار المعبد واضحة حتى يومنا هذا ، ولقد كان من أضخم المعابد الرومانية ولا شك ، وقد أنشىء على طراز رومانى ، ولكنه حمل طابعا دمشقيا . فهو مؤلف من ثلاثة أقسام . الهيكل Noos أو Cella وتقدر أبعاده ٣٠×٤٠ م تقريبا ، وهو متجه من الشرق الى الغرب . ولم يبق لهذا الهيكل أثر . وحوله صحن مستطيل ٩٧×١١٩ م بجدران عالية وأروقة ، هو التيمينوس وتنفتح فى جدران الصحن أربعة أبواب ، تقع فى نهاية تقاطع نصفى اضلاع الصحن . (وسوف نوضح تحقيق ذلك فيما يلى) .

ويحيط بالتيمينوس رواق مستطيل يسمى Peribol أبعاده هى ٣٠٥×٣٥٨ م ، وله مداخل أربعة على امتداد مداخل التيمينوس . وما زالت آثار هذا الرواق المحيطى واضحة فى أنحاء مختلفة ، غربي وشرقى الجامع الأموي .

كنيسة القديس يوحنا

لم يوضح المؤرخون شكل هذه الكنيسة التى أقيمت فى عهد تيودوس الأول ٣٧٩ ـ ٣٩٥ م ، واختلفوا فى تحديد مكانها من المعبد ، ولقد درس كريزويل الآراء التى قدمها لامنس وفاتزنغر وغيرهما ، ووصل الى استنتاج قاطع أن الكنيسة كانت فى الصحن والى الغرب منه ، أي فى الموقع الذى كان الناووس فيه ، وهو وان لم يقل أن

المئذنة الغربية وتحتها البرج ويرى بناؤه منسجما مع بناء الجدار الغربي ، فلقد أنشئا فى عهد واحد (عهد الوليد)

الكنيسة شغلت الناووس الرومانى نفسه مع بعض التعديل ، فاننا نحن نعتقد ذلك ، لأن المسيحية فى بدايتها قد شغلت كثيرا من المعابد الرومانية ، وما تسمية البازيليك أي الكنيسة الا نفس تسمية البناء الروماني التقليدي الذى كان مجمعا ، واستعمل بعد عهد قسطنطين كنيسة .

وفى سورية فان الناووس فى معبد بل فى تدمر وفى معبد جوبيتر فى بعلبك وفى معبد يبرود قد استعمل كنيسة أيضا . ولا يعيب فى ذلك اتجاه الناووس نحو الغرب فان هذا ينسجم مع وضع أكبر الكنائس القديمة [1] .

بعد الفتح العربي الاسلامي

ان أسبابا كثيرة قد أدت الى تهدم الرواق المحيطى Peribol قبل عام ٣٨٠ م ، وبعد انتصار المسيحية على الوثنية ، كذلك تهدمت

(١) يعدد كريزويل الكنائس الكبرى التى تتجه نحو الغرب في كتابه ص ١٩٢ .

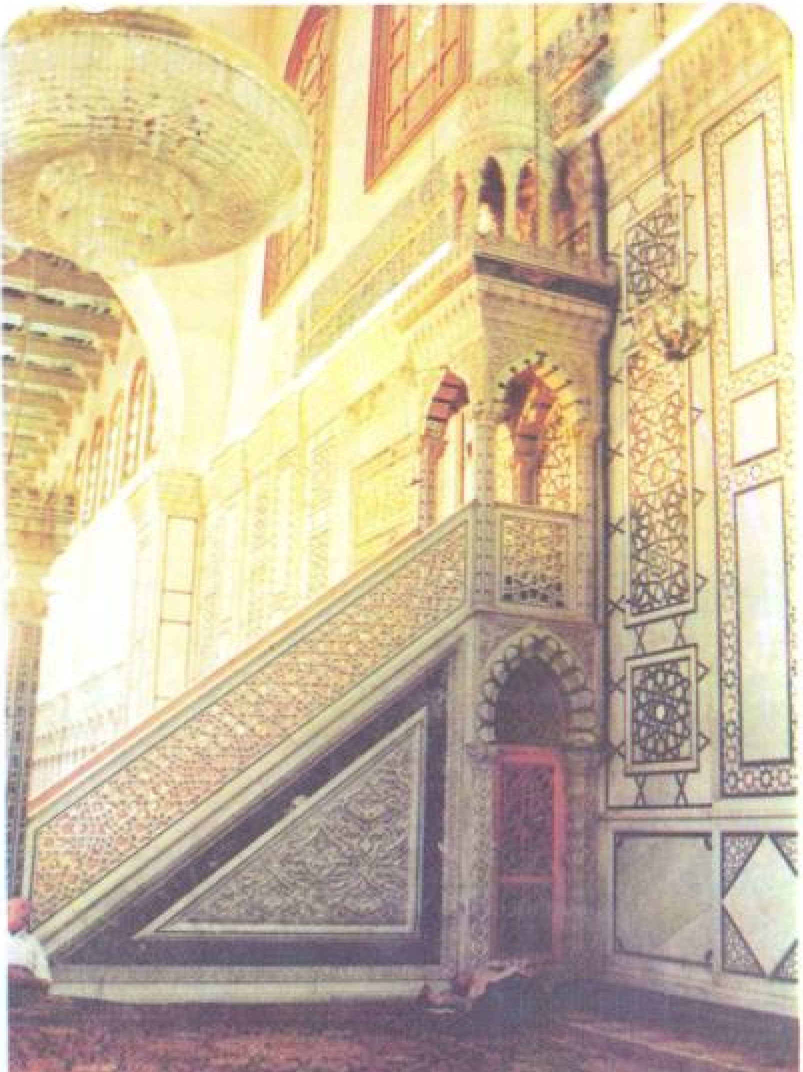

أروقة التيمينوس بسبب ما ، ولعل المسيحيين قد رمموا الناووس فقط واستغلوا أنقاض ما تبقى من المعبد الوثني في أعمال الانشاء التي أقاموها لأغراض السلطة ، أو لأغراض الكنيسة .

ولم يذكر المؤرخون الذين تحدثوا عن الفتح الاسلامى شيئا هاما عن المعبد الرومانى ، ويفسر ذلك أنه كان شديد التهدم ، وان اطلاله لم تكن هامة بنظر الفاتحين ، كما لم تكن هامة بالنسبة للسكان الأصليين .

لقد دخل خالد بن الوليد دمشق فاتحا ، ولم يكن صعبا عليه اختراق حدود اطلال المعبد ، واقامة الصلاة فى الزاوية الجنوبية الشرقية للتيمينوس الذي لم يكن بعيدا عن الكنيسة . ولعل هذا القسم الذى مازالت آثاره قائمة حتى

▶ منبر الجامع الكبير

▼ حرم الجامع الكبير

اليوم ، كان صالحا الى حد ما ، فصلى فيه الصحابة باتجاه القبلة ، فكان هذا أول مسجد فى الشام ، وفيه أقيم أول محراب ما زال يحمل اسم الصحابة أو محراب الحنابلة . ومما لا شك فيه أن معاوية وقد أصبح واليا ، كان أول من أضاف الى هذه الزاوية بعض المنشآت التى جعلت منها جامعا مؤقتا ، وفيها انشأ مقصورة خاصة به ، كما انشأ خارج الجدار بيتا له هو قصر الخضراء ، وكان يدخل الى المسجد قادما من بيته ، مرورا من باب المعبد الذى ما زال قائما حتى اليوم .

واستمر المسلمون يصلون فى هذا المسجد المؤقت الى جانب المسيحيين الذين يصلون فى كنيستهم ، حتى جاء الوليد بن عبد الملك عام ٧٠٥ م ، وقرر بناء مسجد كبير ، مستفيدا من

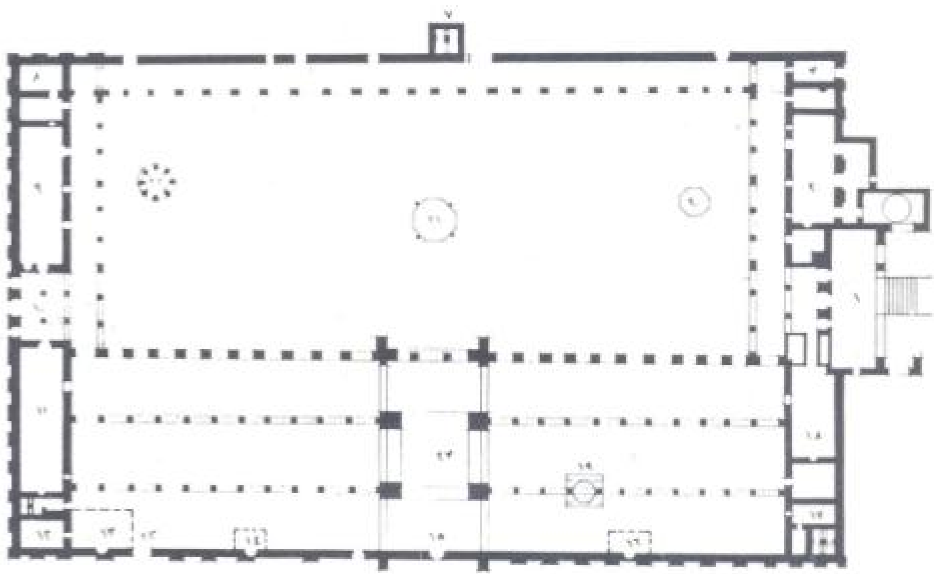

حجارة المعبد وأعمدته ، واتفق مع المسيحين على ازالة الكنيسة من فناء المعبد

المسجد الأموى

يذكر المسعودى أنه كانت كتابة فسيفسائية فى الجامع الأموى الكبير تذكر أن الخليفة الوليد أمر ببناء هذا المسجد وبهدم الكنيسة التى كانت فيه ، فى ذى الحجة عام ٨٧ هـ ، أي ما يوافق شهر تشرين الثانى وكانون الأول من عام ٧٠٦ م .

وكانت هذه الكتابة من أحجار الذهب واللازورد ، وقد أزالها المأمون كما فعل فى الكتابة التأسيسية فى قبة الصخرة .

لقد وجد البناءون الذين كلفهم الوليد بعمارة المسجد الكبير أرضا مليئة بالانقاض والأعمدة والتيجان ، وكان عليهم الاستفادة من هذه الانقاض الجاهزة فى بناء أعظم آبدة اسلامية ، وكان عليهم أولا وضع حدود الجامع وأقسامه .

لقد استفاد البناءون ـ وكانوا من أبناء البلاد المتمرسين فى انشاء الأوابد الضخمة ـ من بقايا جدران التيمينوس وأساساته ، ويبدو الجدار القبلى فى مداميكه السفلى ، وبابه الثلاثي من أبرز ما تبقى من الجدران القيمة .

ونحن نعتقد أن أبعاد التيمينوس كانت ذاتها أبعاد الجامع ، فيما عدا الجهة الغربية التى تمت فيها زيادة على ما نعتقد ، ونؤكد ذلك بما يلي :

١ ـ ان البابين فى الشرق والغرب يقعان فى منتصف الجدارين ، أما البابان فى الشمال والجنوب فانهما ينحرفان الى الشرق .

٢ ـ ان الزيادة الغربية ينصفها فى الجدار القبلى باب الزيادة الذى يعود حتما الى العهد الاسلامى .

٣ ـ ان عضادة ضخمة ما زالت قائمة على الجدار القبلي ، تحدد النهاية القديمة للجدار الجنوبي الرومانى .

٤ ـ ان موقع التيمينوس من الرواق المحيطى يبدو أكثر انسجاما وتناسبا عندما تكون أبعاد التيمينوس هى ٩٧×١١٩ م .

٥ ـ ان عرض الجدار الشرقى الداخلى

مخطط الجامع الاموي الكبير في دمشق :

(١) باب جيرون ـ والدهليز .
(٢) مشهد الحسين أو زين العابدين .
(٣) قاعدة المئذنة الشمالية الشرقية .
(٤) قبر الملك الكامل .
(٥)مقر بيت عمر بن عبد العزيز ـ الشميصاتية .
(٦)باب الكلاسة أو العمارة .
(٧) مئذنة العروس .
(٨)قاعدة المئذنة الشمالية الغربية (زاوية الغزالي) .
(٩)مشهد عثمان ـ قاعة الاستقبال اليوم .
(١٠) باب البريد .
(١١) مشهد عمر ، أو مشهد عروة وبيت الوضوء اليوم .
(١٢) قاعدة المئذنة الجنوبية الغربية ، وفوقها المئذنة الغربية (قاتباي)
(١٣) محراب الحنابلة .
(١٤) محراب الحنفية .
(١٥) محراب الخطيب وغربيه المنبر .
(١٦) محراب الصحابة أو محراب المالكية .
(١٧) قاعدة المئذنة الجنوبية الشرقية ، وفوقها المئذنة البيضاء (مئذنة عيسى)
(١٨) مشهد أبي بكر .
(١٩) مقام النبي يحيى .
(١٠) قبة الساعات
(٢١) قبة البركة « ولقد أزيلت »
(٢٢) قبة المال أو الخزنة
(٢٣) باب الزيادة .
حرم الجامع الأموي ـ من الداخل .

للتيمنوس مختلف عن عرض الجدار الغربي . ومع ذلك فان تخطيط حرم الجامع قام على مبدأ احاطته بأروقة ، وهذا التخطيط مستمد من تخطيط التيمنوس الذى نرى نظيرا له فى معبد بل فى تدمر ، ولا شك أنه مستمد أصلا من شكل التيمنوس القديم فى معبد دمشق والذى بقيت بعض من آثاره وأعمدته باقية عند الفتح الاسلامي .

ولقد أقيمت مئذنة فى منتصف الجدار الشمالي هى مئذنة العروس ، وأنشىء بمقابلها قبة النسر فى وسط حرم عرضاني على امتداد الجدار القبلي . كان هذا المخطط الأولي للجامع الأموي وكان النموذج الذى اعتمدته المساجد بعده .

وعندما أراد الوليد أن يبنى حرم المسجد بشكل اسطوانات . . دخل بعض البنائين فقال : لا ينبغي أن يبنى كذا ، ولكن ينبغى أن يبنى فيها قناطر وتعقد أركانها بعضها الى بعض ، ثم تجعل أساطين ويجعل عمد ، ويجعل فوق العمد قناطر تحمل السقف وتخف عن العمد البناء ، ويجعل بين كل عمودين ركن فبنى كذلك .

ويذكر العلوي « ثم هدمه الوليد سوى حيطانه الأربعة ،وأنشأ قبة النسر والقناطر ،وحلاه بالذهب والجواهر والستور ، واستمر العمل به تسع سنوات ، ومات الوليد ولم يتممه فأكمله سليمان أخوه . » .

وصف الجامع الأموي

ونستطيع أن نجمل هنا وصفا للجامع ، فهو يقع على بقعة أرض مساحتها ٩٧× ١٥٧ مترا وهو مؤلف من الحرم المحمول على أعمدة تحمل قناطر على صفين ، ويقسم الحرم الى ثلاثة معازب عرضانية وجناح تعلوه قبة النسر .

أما الصحن وتبلغ مساحته ١٢٢,٥×١٤٩و١٥٠م أى ٦١٢٥م مترا مربعا تحيطه أروقة من جميع جهاته وتنهض في منتصف الجدار الشمالي مئذنة العروس وينفتح في جدرانه ثلاثة أبواب من الشرق والغرب والشمال وتبدو الى الجانبين الشرقي والغربي وعلى امتداد عرض الجامع كتلتان معماريتان ،

واجهة الحرم المطلة على الصحن

المدخل الغربي للجامع الكبير

تحوي كل كتلة منها برجين وصالتين وبابا في المنتصف .

والبرجان الشماليان مهدمان ، أما الجنوبيان فما زالت معالمها بارزة ، ولقد أضيف الى البرج الشرقي مئذنة في عهد الملك الصالح عام ١٢٤٧ كما أضيف الى البرج الغربي مئذنة مملوكية أنشأها قايتباي عام ١٤٨٨ . ويتفتح في الحرم باب الزيادة في الجنوب .

ويزين الجامع الأموي بروائع الفسيفساء الذي ما زال شاهدا على روعة الفن في صدر الاسلام ، كما زين بالخشب الملون والرخام المجزع ، ويعتبر الجامع الأموي أكمل آبدة اسلامية كما يقول سوفاجيه .

لقد أنشىء الجامع على أنقاض المعبد ، ولقد استفاد من بقايا عمارة التيمينوس ، ولكننا في هذه الدراسة التي تعتمد على بحث أثري قمنا به في المديرية العامةللآثار والمتاحف ، تبين حقائق جديدة عن أصالة الزيادتين في جانبي الجامع ، مما يشمل الصوامع الأربعة والصالات التي كانت دارا للامارة .

دار الامارة والمآذن الأربعة

ثمة زيادة في شرقي وغربي الجامع قد تمت فيما بعد ، وتتألف هذه الزيادة من أربعة أركان خصصت لمآذن أربعة ، وأربع صالات ضخمة تسمى اليوم المشاهد ، وبين كل صالتين مدخل في الشرق وآخر في الغرب ، ولقد استعملت هذه الصالات كجزء من دار الامارة الذي امتد خارج الحدود الحالية ، وتشهد على ذلك الأعمدة الباقية والمكتشفة مؤخرا حول الجامع . وكان قصر الخضراء في الجنوب ، وقصر عمر بن عبد العزيز في الشمال ، جزءا من دار الامارة على ما نعتقد .

ثمة اعتقاد خاطىء عن أن المآذن الركنية الأربعة هي جزء من التيمينوس . ولكن هذا الرأي غير صحيح للأسباب التالية :

١ ـ ان هذه الأبراج خارج حدود التيمينوس ، مما لا نظير له في بناء المعابد الرومانية ، ولو كان هناك ثمة ركن مدرج كما هو الأمر في تيمينوس معبد بل فان هذا الركن يقع في زاوية التيمينوس وليس خارجه .

٢ ـ ان الحدود المعمارية والانشائية بين الأبراج الأربعة في الشرق والغرب وبين الجدارين القبلي والشمالي واضحة تماما ، بينما لا نرى أية حدود فاصلة بين الأبراج والجدارين الشرقي والغربي ، مما يؤكد أن الأبراج والصالات كتلة واحدة ملحقة بجدار الحرم ، فهي مختلفة المداميك والحجارة وشكل البناء ، كما تبين لنا نتيجة البحث الأثري مما نوضحه بالنقاط التالية :

١ ـ الجدار القبلي الخارجي مؤلف من مداميك ضخمة وحجارة كبيرة ، تعلوها من الأعلى نوافذ ذات فتحات عريضة ٢,٤٣ سم ، يعلوها قوس نصف دائري . وفي منتصف هذا الجدار ينهض جدار الجناح المعترض ، وهو محاط باطار مرتفع في مستواه عن مستوى الجدار ، وفيه ثلاث نوافذ مقوسة وواسعة !وفوق اطار الواجهة ينهض جدار آخر مشكلا طابقا ثالثا وفيه خمس نوافذ عالية بنفس قياس نوافذ الجدار الجانبية ، فوق هذه الواجهة العلوية جهة مثلثية يعلوها جملون ، وفي أسفل جدار هذا الجناح المعترض ينفتح الباب الروماني الكبير المؤلف من ثلاث فتحات ، الفتحة الوسطى كبيرة وتقع شرقي الجدار، وفي غربها الفتحة الصغرى التي أصبحت محراب الخطيب . والفتحة الصغرى الثانية تقع في أسفل الجدار من الجهة الشرقية .

ان عدم وجود الباب الكبير على محور الجناح المعترض يؤكد أن بناء هذا الجناح جاء متأخرا ، وأنه تم في العهد الاسلامي ، بدليل أنه أنشىء على محور الباب الصغير الذي أصبح محرابا ، والذي يعتبر بدقة منتصفا للجدار الجامع.

٢ ـ أضيف الى هذا الجدار من الشرق والغرب برجان ، ويبدو من جدارهما المشرف

منظر من حرم الجامع وتبدو فيه قبة الخزنة ووراءها حرم الجامع تعلوه قبة النسر

على الجنوب أن بناءه مختلف بمداميكه وحجارته وارتفاعاته عن الجدار الجنوبي القديم ، ثم انه خال من النوافذ والفتحات .

٣ ـ الجدار الغربي ويبدو واضحا أن بناءه مطابق تماما لبناء جدار البرج من جهته الجنوبية والغربية ، مما يؤكد أن بناء الكتلة المعمارية المؤلفة من المشاهد الغربيةوالبرجين ومدخل باب البريد هو بناء مختلف أيضا . ويصدق هذا الوصف على الجدار الغربي والكتلة المعمارية التي تضم البرجين والصالتين ومدخل باب البريد وهذا الجدار بدون فتحات وقائم على ١٨ عضادة مندمجة بجسم الجدار .

أما الجدار الشمالي فهو مغلق بدون فتحات ومداميكه مشابهة لمداميك الجدار الجنوبي ، وهو مختلف أيضا عن مداميك البرجين الشماليين اللذين لم يكتملا ارتفاعا عن مستوى الجدار ، وهذا يؤكد مرة أخرى ان الواجهتين الشرقية والغربية مع الأبراج الأربعة أضيفت في عهد لاحق . ان الجدارين والأروقة الشرقية والغربية الداخلية تختلف عن الجدران الخارجية ، فاذا كان الجدار الجنوبي هو من جدران المعبد الروماني فان الجدران الخارجية انما أنشئت في عهد بناء الأبراج وهذا ما يؤكده فاتزنغر والنتيجة

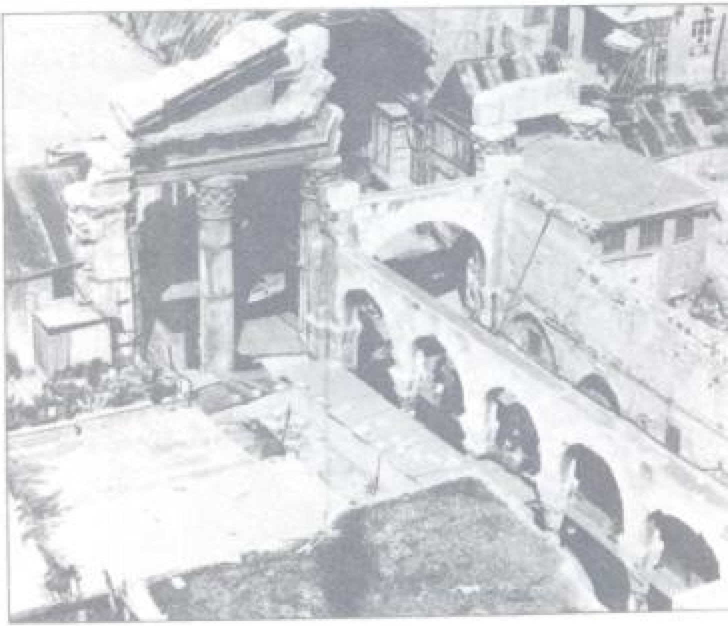

▶
ما تبقى من آثار ، وتشاهد آثار دار الامارة الأموية متعامدة على جبهة الباب الغربي للأروقة المحيطة Peribole

◀
واجهة الجامع الجنوبية من الخارج وأسفلها مداميك من العهد القديم .

أن ثمة اضافة تمت بعد العصر الروماني على المعبد من الشرق والغرب وهو صف كامل يشبه الأبراج أو المآذن اضافة الى المشاهد والمدخلين والدهليزين .

ولقد حافظ جزء من الجدار الجنوبي على هويته الرومانية وبخاصة الباب الكبير المحاط باطار روماني الزخرفة والى جانبه بابان صغيران من نفس الطراز .

ولأن الجدارين الشرقي والغربي مختلفان عن الجدارين الموازيين لهما والمطلين على الصحن ، فاننا نعتقد أن الجدران الأخيرة هي القديمة . وقد اعيد بناؤها وأن الجدران الخارجية انشئت في العهد الاسلامي لكي تحدد القاعات الكبرى المسماة اليوم (مشاهد) وعددها أربعة . وكانت بمثابة المقر الاداري للخليفة . ان هذا الواقع الذي لفت نظر العلماء يوضح أن الأبراج التي كانت قائمة في أطراف الجامع كانت المآذن الأولى التي بناها الوليد ، وكانت نموذجية نرى أشباهها فيما بعد في شمالي أفريقية ، فهي تنتهي بشراريف وغرفة مضلعة ذات باب تعلوها قبة لم يعد لها وجود ويؤكد ذلك أن الوليد أمر بانشاء مآذن أربعة في زوايا مسجد الرسول في المدينة الذي لم يقم على انقاض معبد سابق أو كنيسة ما .

والمئذنة الأموية سواء أكانت واحدة من مجموعة المآذن الركنية الأربعة ، أو كانت مئذنة العروس هي أول المآذن التي أضيفت للمسجد ، وعنها أخذت المساجد الجديدة في مصر والمغرب العربي وفي الأندلس شكلها ، وبقيت محتفظة حتى اليوم باسم المئذنة السورية . وعدا عن مآذن مسجد الرسول في المدينة التي أمر بانشائها الوليد ذاته كان لمسجد عمرو في الفسطاط أربع مآذن منتصبة في الزوايا الأربعة ومئذنة جامع القيروان وجامع قرطبة ثم مآذن جوامع المرابطين والموحدين في الجزائر وتلمسان وفي الرباط ومراكش وأشبيلية ومئذنة جامع القرويين ، وهي جميعها مربعة مستمدة من المئذنة السورية ومشابهة لها ولكن أضيفت لها

بعض الزخارف النافرة ، وأنشأ الوليد أيضا تلك القاعات الأربعة القائمة على طرفي الجامع من الشرق والغرب ،والتي يطلق عليها اسم المشاهد . في الشرق مشهد الحسين أو مشهد على زين العابدين المطل على الصحن ، ومشهد أبي بكر أو المالكية . وفي الغرب مشهد عثمان الذي أصبح اليوم قاعة للاستقبال ، ومشهد عروة الذي كان يحمل اسم مشهد عمر . هذه المشاهد كانت مقرا لسياسة الدولة الاسلامية في دمشق عاصمة أكبر امبراطورية في ذلك الوقت وكانت أول دار للامارة لها منشآت ملحقة بقيت بعض آثارها حتى اليوم .

لقد كان بيت الخليفة الأموي ملاصقا للمسجد ، فالخضراء بيت أنشأه معاوية منذ أن كان واليا على دمشق أنشأه من الطين أولا ، ثم نقضه وأقامه بالحجر . وفي هذا البيت سكن معاوية خليفة ، وسكنه ابنه يزيد وباعه خالد ابن يزيد الى عبد الملك بن مروان ، فأقام فيه وأولاده الوليد وسليمان وهشام ، وثمة قصور أخرى منها قصر عمر بن عبد العزيز الذي كان ملاصقا للجدار الشمالي .

وكان الخليفة يمارس سياسة الحكم في الجامع مستقرا في هذه المشاهد ، ويحدثنا المؤرخون عن صورة رائعة من انتصارات العرب يوم جلس سليمان بن عبد الملك في مشهد من هذه المشاهد مستقبلا طارق بن زياد وموسى بن نصير فاتحي الأندلس ، ووراءهما أحمال مكاسب الحرب ، وأرتال الأسرى ومنهم الأمراء القوطيون والوندال .

وهكذا فان الجامع الكبير لم يكن مسجدا للصلاة وحسب ، ولم يكن مركزا علمياً فيه مجموعة من المدارس والزوايا التي تعلم القرآن والفقه وعلم الكلام والصوفية أحيانا وحسب ، بل كان أيضا مقر الحكم والقضاء وادارة الأمور اليومية .

الخلاصة :

ان الوليد بن عبد الملك أنشا الجامع الأموي كاملا مستفيدا من أطلال المعبد الوثني ، كما استفاد المسيحيون قبله من هذه الأطلال ، ولم تكن أكثر من الجدار الجنوبي الواضح المعالم وجزء من الجدران الداخلية المطلة على الصحن ، والتي قام الوليد باكسائها كلها بالرخام المجزع والفسيفساء . أما الأبراج الأربعة القائمة في الزوايا الأربعة فلقد أضيفت مع امتداداتها من القاعات في عهد الوليد . ويبدو البرجان الجنوبيان واضحين ، أما البرجان الشماليان فلم يبق منهما الا القاعدة ، فلقد تهدمتا لسبب ما واستعملت حجارة الشرقية منها لتبليط الصحن أو لاعمار الجدار الشمالي ، وأنشأ الوليد مئذنة العروس في وسط الجدار الشمالي ، ولعل سبب ذلك عدم تمكنه من استعمال البرجين المتهدمين .

ولقد استعملت القاعات لمقر الحكم ، وكانت نواة دار الامارة التي توسعت بمنشآت اضافية خارج حدود الجامع الحالية ، مما نرى آثاره واضحة اليوم . □□

وأخيرًا .. تم اكتشاف حقيقة الثقب الأسود في السماء

بقلم : المهندس
سمير صلاح الدين شعبان

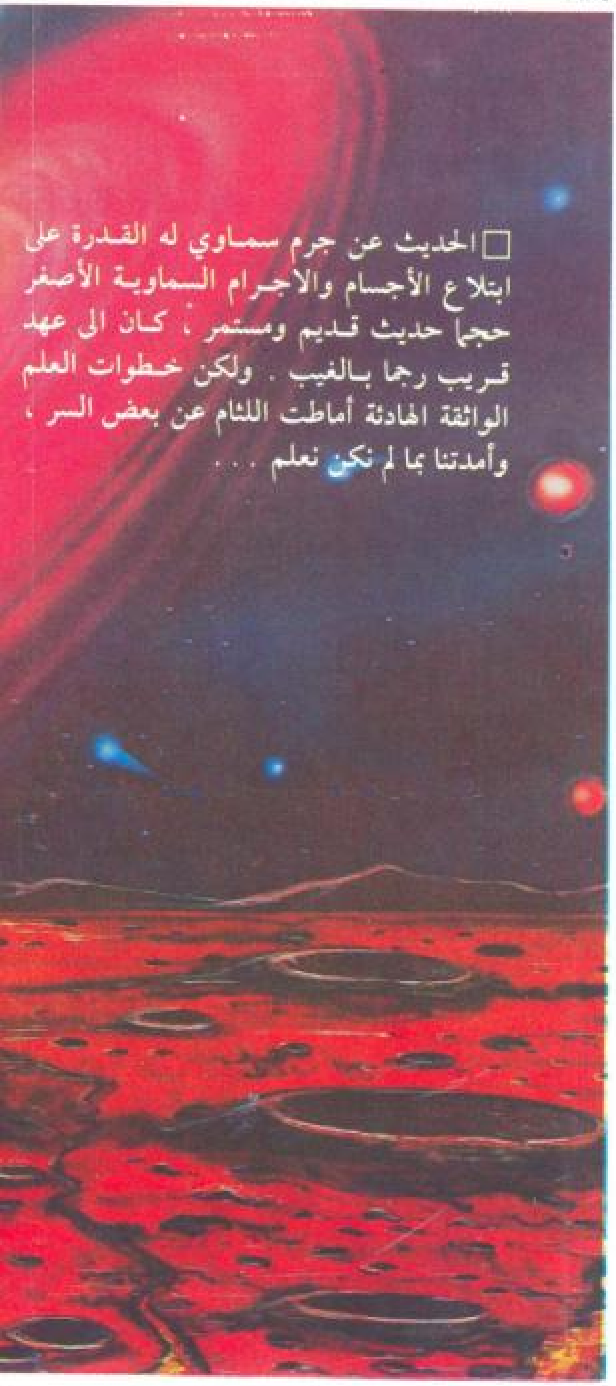

□ الحديث عن جرم سماوي له القدرة على ابتلاع الأجسام والأجرام السماوية الأصغر حجما حديث قديم ومستمر ، كان الى عهد قريب رجما بالغيب . ولكن خطوات العلم الواثقة الهادئة أماطت اللثام عن بعض السر ، وأمدتنا بما لم نكن نعلم ...

الثقوب السوداء تلتهم الكون انها نقاط في « العدم » وغير مرئية على الاطلاق . ورغم ذلك فلا شيء يهرب من قبضتها . المادة تدافع « سكرات الموت » . تشفط الغازات الى « طاحون » جاذبية الثقب الاسود ، وتقسر على الحركة في مدار حلزوني . يؤدي الاحتكاك والاضطراب المتزايد الى تسخين الغازات الدوارة بسرعة هائلة حتى درجة التأجج بلون ابيض . تمثل الاشعاعات هذه « صرخات الاستغاثة » الاخيرة ، قبل تواري الغازات عن عالمنا المنظور - الى الابد .

نشرت مجلة (نيو سايتست New Scien-tist) الانكليزية ـ مؤخرا ـ نبأ مثيرا ، أحدث ضجة كبرى في الاوساط العلمية في سائر انحاء العالم ، : فللمرة الاولى في تاريخ البشرية يقدم دليل « تجريبي » على أول « ثقب أسود Black Hole » سماوي .

يمثل هذا الاكتشاف صفحة مشرقة في سجل كفاح علماء القرن العشرين ، وجهادهم الدؤوب لحل أكثر ألغاز السماء غموضا : لغز الثقب الاسود ، الذي تخيله العلماء وهو يجوب السماء متواريا عن الانظار ، وشبهوه بمغيض (بالوعة) سماوي ، يبتلع نجوما ومجرات كاملة بأسرها .

فما هو الثقب الاسود ؟ وكيف يولد ؟ وكيف يمكن كشفه وهو محتجب عن الانظار ؟

هذا ما سنحاول الاجابة عنه في الفقرات اللاحقة .

٣٠ حزيران ١٩٠٨ م

في الساعة السابعة والدقيقة الرابعة عشرةمن صبيحة هذا اليوم ، وقعت واحدة من أندر الحوادث المثيرة ، لم يحدث مثلها في تاريخ البشر : انفجار جوى عملاق ، وقع في سماء سيبيريا ، وقد قادت صعوبة تفسير هذا الانفجار الجوي الكبير الى تفسيرات مغرقة في الغرابة ، مثل : انفجار ذري من فعل الطبيعة ، سقوط « صخر مضاد » من السماء ، أو وقوع تلك المنطقة تحت تأثير ثقب أسود صغير

كان الثقب الاسود ـ في رأي هؤلاء العلماء ـ عبارة عن جسم كثافته مرتفعة ارتفاعا خارقا ، يفوق حدود التصور البشري ، الى حد يجعل قوة جذب الثقب الاسود طاغية على كل شيء ، ولا يفلت من قبضتها أي شيء يقترب منها . وحتى الضوء المرئي نفسه يقع في مصيدة جاذبية هذا الجسم ، فيتعذر عليه الانطلاق في الفضاء ، وهذا يكسب الجسم مظهره الداكن « الاسود »

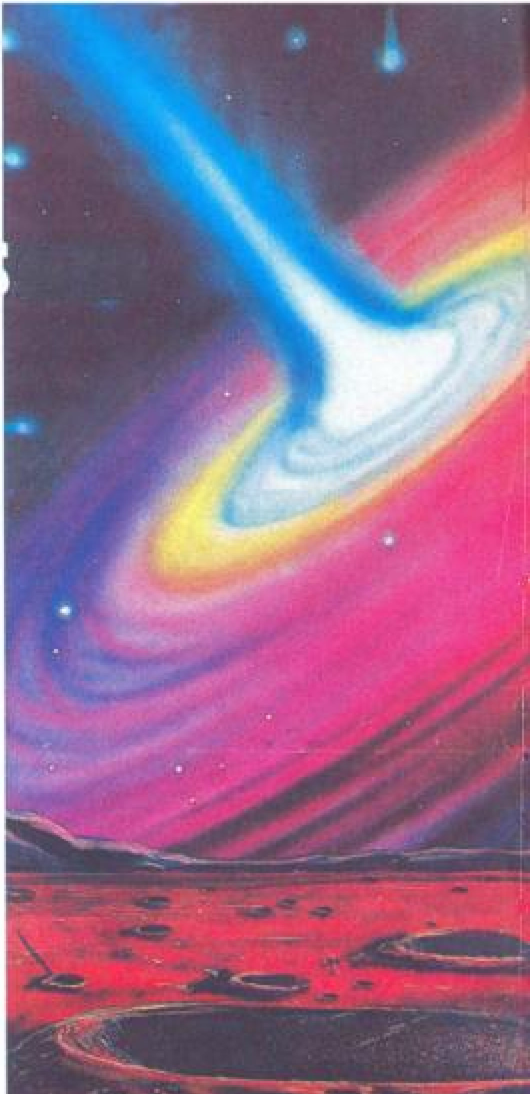

لأن الالوان ، التي تراها العين البشرية ، ما هي الا الضوء والمنعكس ، على الاجسام بأنواعها المختلفة .

ربما لان هذا الجسم يبتلع كل شيء يقترب منه ، ولا يسمح للضوء بالخروج منه ، لذا أطلق عليه « الثقب الاسود » . وهذه المرة الاولى التي بدأ فيها العلماء يفكرون بالثقب الاسود . وهكذا بدأت القصة ، التي شغلت العلماء والفلكيين قرابة نصف قرن .

فما هي الطبيعة الحقيقية للثقب الاسود ؟ لم يتمكن العلماء من تقديم جواب شاف على هذا التساؤل ، الا بعد اكتشاف دورة حياة النجوم ، التي تشبه مراحل حياة الكائنات الحية على كوكبنا الأرضي : فهي تولد ، ثم تمر بمرحلة الفتوة والشباب ،ثم تهرم ، لتستقر بعدها في مثواها الاخير ، في مقابر النجوم .

في نواة المجرة الحلزونية M87 كان الفلكيون يتوقعون وجود ثقب اسود عملاق تزيد كتلته عن الف مليون كتلة شمسية . بمقدور هذا الثقب توليد هذه « النفثة » من المواد المتألقة بلون أزرق ، في المجرة التي تفصلها عن ارضنا ٤٢,٤ مليون سنة ضوئية .

تحولات النجوم

من المعروف أن الشمس هي كرة ملتهبة من الغازات الساخنة ، تطلق الى الفضاء المحيط بها كميات هائلة من الطاقة ، وأنها « ولدت » قبل حوالي ٥٠٠٠ مليون سنة . ومن المتفق عليه أنها ستظل تصدر كميات كبيرة من الطاقة مدة لا تقل عن ٥٠٠٠ مليون سنة أخرى .

ومن المعروف أيضا أن حياة النجوم تشبه دورة حياة الكائنات الحية . فالنجم « يولد » عندما تتعرض « أمه » - وهي عبارة عن سحابة ضخمة مؤلفة من الغازات والغبار الكوني - لموجة ضغط كونية . عندها يبدأ المخاض ، وتبدأ السحابة الام بالانكماش والتقلص تحت تأثير قوة « جاذبيتها » الذاتية . وكلما تقدمت عملية التقلص ، ازدادت كثافة « الجنين » في مركز السحابة ، وارتفعت درجة حرارته في الوقت نفسه . وتستمر عملية ارتفاع كل من كثافة « الجنين » ودرجة حرارته ، الى أن تصبح الظروف مواتية « لبث الروح » في « الجنين » ويشتعل « الفرن النووي » في مركز السحابة .

وبينما يستمد الكائن الحي « الطاقة » اللازمة لاستمرار حياته من حرق الطعام ، فان النجم الوليد يستمد هذه الطاقة من حرق غاز الهيدروجين . تتحد في مركز النجم أربع من نوى ذرات الهيدروجين لتشكل نواة ذرات هليوم وحيدة . لكن وزن نواة ذرة الهليوم أخف من مجموع وزن نوى ذرات الهيدروجين الاربع . فما هو مصير هذا الفارق « الضائع » في الوزن ؟ لقد تحول الى طاقة ، تمثل الصورة الاخرى للمادة ، حسب مبدأ النسبية ، الذي يفيد بأن المادة والطاقة « ماوجهان » لعملة « واحدة .

وعلى سبيل المثال فان شمسنا تحول - في الثانية الواحدة - ٦٥٧ مليون طن من الهيدروجين الى ٦٥٢,٥ مليون طن من الهليوم . وهذا يعني أن الفرن الذري في مركز شمسنا يحول في كل ثانية ٤,٥ مليون طن من المادة الى طاقة ، تطلقها

الشمس الى الفضاء المحيط بها . يصل نزر يسير من هذه الطاقةالى الأرض ، ولكنه كبير الى حد يكفي لتزويد الارض بالدفء اللازم لاستمرار الحياة فيها .

وفي مرحلة « الفتوة » التي تنعم بها شمسنا حاليا ، يحدث توازن غريب من نوعه : فقوى الجذب القابعةفي مركز النجم تحاول « شفط » الغازات البعيدة السابحة على الحواف الخارجية للنجم ، بغية تصغير الحجم الاجمالي الفعلي له . لكن الفرن النووي يعارض هذه المحاولات ، ويقوم من جهته بتسخين غازات النجم ، فيتمدد حجمها ويزداد ، وتكبر سرعتها مبتعدة عن مركز النجم ، الذي كان يحاول ابتلاعها .

من البديهي أن ترتبط عملية « الانقاذ من الاسر » لغازات النجم باستمرار « الفرن الذري » بتقديم العون الكافي من الحرارة ، عن طريق حرق مدخراته من الوقود النووي : الهيدروجين .

وبمرور الزمن يحدث ماليس منه بد : يتضاءل مخزون النجم من الوقود النووي ، ويضعف اصداره للطاقة ، تاركا غازات النجم تحت رحمة قوة الجاذبية وحدها ، ليبتلعها مركز النجم بدون هوادة .

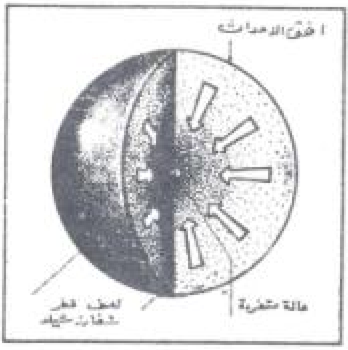

تقوم قوة الجذب العملاقة بضغط المادة الى كرة لا متناهية الصغر ، ويرافق ذلك تنامي قوة الجاذبية الى قيم لا متناهية الكبر .

وهنا تدب « الشيخوخة » في أوصال النجم ، وتتغلغل فيه برودة « أرذل العمر » ويستعد للانتقال الى مثواه الاخير . . في مقابر النجوم .

مقابر النجوم

ما هو مصير النجوم الهرمة ؟ يأبى النجم الهرم أن يغادر هذا الوجود بسلام . فيستجمع كل ما تبقى لديه من قوة ، ليفجر غلافه الغازي ، مخلفا وراءه نجما ميتا . يسجل الفلكيون مراسم هذه الجنازة المأساوية بشكل انفجار عملاق ، يطلق عليه اسم « سوبرنوفا » وفجأة يستسلم النجم الميت لقوى جاذبيته وحدها ، ويترك ذاته لرحمتها ، تفعل فيه ما تشاء .

الا أن مراسم الجنازة الخاصة هذه ، لا تجري عند وفاة النجوم « الصغيرة » ، مثل شمسنا . اذ أن نواتها الميتة تتحول الى « قزم أبيض » يشع ما تبقى لديه من طاقة واشعاع ضعيفين ، ليصل في النهاية الى شاطيء الاستقرار الابدي بشكل « قزم أسود » ، خامل لاحياة فيه ، وكأنه صخرة في السماء .

في القزم الابيض تتقلص « جثة » نواة النجم تحت تأثير جاذبيته ، حتى « تتجاور ذراته وتتلامس » ، ويقف الانكماش عند هذا الحد لا يتعداه . فلماذا لا يستمر القزم الابيض في الانقباض أكثر من ذلك ؟ لماذا لا « تنهرس » الذرات الى مكونات الذرة الاساسية : البروتونات والالكترونات والنترونات ؟

سبب هذا التحدي الجديد موجة من الجدل ، لم تتوقف حتى ستينيات القرن الحالي باكتشاف نوع جديد من الاجرام السماوية : نجوم النترونات .

نجوم النترونات

لماذا يقف انكماش جثث النجوم الصغيرة ـ كشمسنا ـ عند حدود تلامس الذرات ولا يتعداه ؟

تصدى للاجابة عن هذا السؤال شاب هندي لم يتجاوز التاسعة عشرة من عمره هو (سوبر امانيان تشاندرا سيخار) المعروف حاليا في الاوساط الفلكية العالمية كلها بلقب (تشاندرا).

وفي سنة ١٩٣٠ م أعلن (تشاندرا) أن قوة الجاذبية في القزم الابيض تواجه معارضة قوية من قبل « الالكترونات » التي تدور حول نوى الذرات المشكلة لجسم القزم الابيض . هذه الالكترونات تتحرك بسرعة عظيمة تقارب سرعة الضوء ، مولدة قوة تسمى « ضغط الالكترونات » ، تعاكس قوة الجاذبية وتتوازن معها . . وهذا ما يمنع الجاذبية من تقليص حجم القزم الابيض . وأضاف (تشاندرا) أن ضغط الالكترونات هذا سيعجز عن مقاومة قوة الجاذبية المتعاظم ، اذا زادت كتلة النجم الميت عن ١,٤ أمثال كتلة شمسنا : في هذه الحالة لا بد أن « تنهار » جثة النجم و « تنهرس ذراته » لانجاب جسم كثافته كبيرة جدا ، تفوق حدود التصور .

جوبهت فكرة (تشاندرا) بالرفض القاطع . وكان من أشهر معارضيها السير (آرثر ادينغتون A. Eddington .) ورغم أن هذه الحملة أخرت قبولها بضعة عقود الا أنها فرضت نفسها في النهاية ، فاذا ارتقينا سلم كتل النجوم ، وتجاوزنا حد ١,٤ كتلة شمسية (ويطلق على هذا الرقم اسم حد تشاندرا تكريما لصموده) ، نلاحظ ارتفاعا مفاجئا في قوة جذب مركز النجم . فبعد انفجار الغلاف الغازي الخارجي للنجم الهرم الكبير بشكل سوبرنوفا ، ينجح مركز النجم القوى الجاذبية في امتصاص انقاض النجم بسرعة كبيرة .

وبلمح البصر ، وخلال فترة زمنية ، يقدرها بعض العلماء بأنها تقل عن جزء من ألف من الثانية ، يكون الانهيار قد بلغ سرعة خيالية جدا ، فتتصادم ذرات الغازات بعنف ، وتؤدي قوى التصادم الكبيرة ودرجات الحرارة الهائلة الى تفكيك الذرات الى مكوناتها الاساسية : « الالكترونات » سالبة التكهرب ، و « البروتونات » الموجبة . تتطاير هذه الجسيمات الذرية ـ بدورها ـ بسرعات خيالية ، وتتصادم لتعطي « النترونات » المعتدلة ، عديمة الشحنة الكهربائية .

وعلى هذه الشاكلة ينشأ نوع جديد وغريب من المادة . فالنترونات لا تمتلك أية شحنة كهربائية ، لذا يمكن ضغطها وتكثيفها الى درجة أقوى من أي مادة مكونة من جسيمات مشحونة

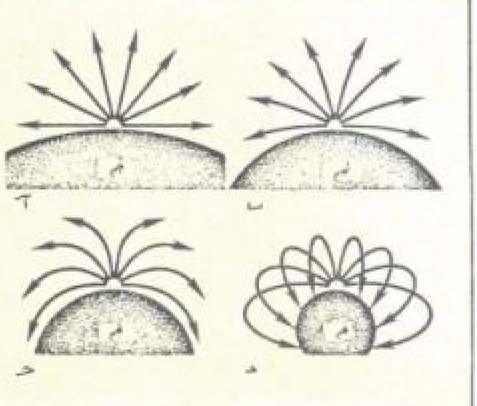

كلما ازدادت قوة جذب النجم « الميت » ازداد « تحدب » مسار اشعاعات الضوء الصادرة عنه تبعا لذلك . (أ) النجم قبل الانهيار : اشعاعات الضوء تنطلق بخط مستقيم . (ب) و(جـ) قوة جذب النجم تكبر ، فيزداد انحراف المسار عن الخط المستقيم المألوف ، حتى يصل الامر الى ارتداد الاشعاعات الى النجم نفسه (د) . وفي هذه الحالة يتوارى النجم وراء ستار افق احداثه : (قد تشكل الثقب الاسود) .

نموذج تخيلي للثقب الاسود ، الذي يشفط غازات نجم احمر قريب ، ويصدر « الوانا » شتى من الاشعاعات

بالكهرباء .

وهكذا يولد ما يسمى « بنجم النترونات العظيم الكتلة ، الضئيل الحجم فى الوقت نفسه . ولو كتب لشمسنا أن تتحول الى نجم نترونات ، لتقلص قطرها الى ٢٠ كيلو مترا فقط .

ويعتقد العلماء اليوم أن النجوم التي تتراوح كتلتها بين ١,٤ و ٣,٢ أمثال كتلة الشمس تتحول الى نجوم نترونات ، وقد تم اكتشاف المئات من نجوم النترونات فعليا ـ في أواخر الستينيات .

ألا يدعو ذلك الى التساؤل : ما هو مصير النجوم التي تزيد كتلتها عن ٣,٢ كتلة شمسية ؟ جثث هذه النجوم العملاقة تتميز بقوة جاذبية خارقة ، لاتكتفي بالتغلب على قوة ضغط الالكترونات ، و « هرس » الذرات فحسب ، بل تهشم النترونات أيضا . وهنا يستمر انكماش جثة النجم العملاق ، بعد انفجار السوبرنوفا ، حتى يصبح حجمه صغيرا جدا جدا ، يشبه نقطة في الفراغ ، لكن قوة جاذبيته تصبح قوية جدا ، خارقة لجميع حدود التصور البشري : لقد تحول النجم الى « ثقب أسود » .

الثقب الاسود

ماهو الثقب الاسود ؟ وماهي خصائصه ؟ أهم خصائص الثقب الاسود قوة جاذبيته الخارقة . فأي مخلوق يقترب من هذه « الجثة » ، متجاوزا حدود الامان ، يتم ابتلاعه ، والى الابد . حتى الضوء نفسه ، لا يمكنه الافلات من قبضة جاذبيته . لذا ليس بمقدور أحد رؤية هذه الجثة ، أو مشاهدة ما يجري بداخلها ، بصورة مباشرة . وهذا ما دفع الفيزيائي الامريكي (ويلر) إلى أن يطلق على هذه « الاشباح » اسم « الثقوب السود Black Holes » .

ويعتقد كثير من العلماء المعاصرين أن مراكز

معظم المجرات - ومنها مركز مجرتنا درب التبانة - انما هي ثقوب سوداء تبتلع بضعة نجوم « بلقمة واحدة » . كما يعتقد هؤلاء العلماء بأن حوالي ٩٠ بالمائة من الكتلة الاجمالية للكون ، ربما تكون متوارية عن الأنظار على هيئة ثقوب سود . وقد بلغ الامر بالفيزيائي الامريكي (هربرت غورسكي حد التنبؤ بتحول الكون بأسره - في المستقبل البعيد - الى ثقب أسود وحيد فحسب ، « يشفط » جميع مادة الكون بدون استثناء .

لم يقف الامر عند حدود التصورات العامة . فقد حسب بعض العلماء الوزن النوعي (الكثافة) للثقب الاسود ، ووجدوا انه قد يصل الى ١٧٨٠٠ طن للسنتيمتر المكعب الواحد ، وأن قوة الجاذبية على سطح الثقب الاسود أكبر من مثيلتها على سطح الارض بـ ١,٥ مليون مليون مرة ، وأن وزن الانسان (قوة جذبه) الواقف على سطح الثقب الاسود سيصل عندها الى ١١٣ مليار طن !!

وهنا نادت بعض الاصوات ، بأن وضع « التخيلات » و « الحسابات النظرية » لا يغني عن الحق شيئا . وهنا جوبه العلماء بالتحدي التالي : إذن ما السبيل الى كشف جرم سماوي ، يبتلع « كل شيء » حتى الضوء نفسه ؟

الطريق الى الثقب الاسود

كيف نكتشف مثل هذا الجرم السماوي الغريب ، المستعصي على المشاهدة ، وكل ما يخلفه وراءه يقتصر على قوة الجاذبية العملاقة وحدها ؟

كانت حيرة العلماء ازاء هذا اللغز الغامض كاملة . لذا اقتصرت جهودهم الاولى على وضع « التصورات النظرية » عن الثقوب السوداء .

تصور العلماء سفينة فضائية تقترب من ثقب أسود ، كتلته تعادل ١٠ كتل شمسية . أول ما يلاحظه رواد السفينة تعاظم قوة جذبهم ، كلما صغرت المسافة التي تفصلهم عن الثقب الاسود . ينظر الرواد من نافذة مركبتهم ، فيرون « قرصا حلزونيا » من الغازات تدور حول الثقب الاسود ، قام الثقب الأسود « بشفطها » من نجم « فتى » قريب . وتنطلق أثناء ذلك دفعات غزيرة من الطاقة ، معظمها بشكل أشعة سينية قوية (تلك الاشعة قوية الاختراق ، التي تمر عبر عضلات الانسان ولحمه وكأنها تخترق الهواء ، لا يوقفها الا العظم) .

ينظر الرواد عبر مرصدهم الفلكي المحمول على متن السفينة ، فيشاهدون ضوء النجوم البعيدة يحيط بمنطقة داكنة لا تسمح بمرور أي شعاع ضوئي ، هي ستار « مسرح الاحداث » المحيط بالثقب الاسود ، والذي يقارب قطره ٣٧ ميلا . ان ما يقع ضمن مسرح الاحداث لا يمكن رؤيته أو سماعه من قبل أي شخص ينظر اليه من الخارج . . اما اذا دخل المشاهد الى « مسرح الاحداث » ، عندها يكون قد فات الاوان .

فاذا اقترب رواد الفضاء من الثقب الاسود وتجاوزوا حد الامان ، فقد ضاعت فرصة انقاذهم الى الابد . لكن هؤلاء سيستمتعون بمشاهد ولحظات فريدة في عمرهم . سيجدون أنفسهم فجأة في « مصيدة الجاذبية » عندها تبدأ سفينتهم بالدوران حول الثقب الاسود على مسار حلزوني . فالمسافة التي تفصلهم عن الثقب الاسود تصغر شيئا فشيئا ، وتتزايد سرعة دورانهم في الوقت نفسه . وقبل حوالي ٣٠٠٠ ميل من بلوغ مسرح الأحداث ، تتمزق السفينة بمن فيها - اربا اربا .

انطلاقا من هذه « التصورات » ، وجد العلماء أن قوة الجاذبية الخارقة للثقب الاسود هي خاصته « الوحيدة » ، وانها ذات « آثار » يمكن كشفها .

فهي قادرة على أسر نجم قريب ، ووضعه في مدار حول الثقب الاسود . يطلق النجم المأسور أثناء ذلك اشعاعات قوية . وما على العلماء في هذه الحالة الا كشف « صرخات الاستغاثة » التي يطلقها النجم المأسور بشكل

اشعاعات (سينية وفوق بنفسجية ومرئية وراديوية) ، كي يستدلوا على وجود الثقب الاسود المتوارى عن الانظار .

الثقب الاسود رقم ١

كيف يكشف العلماء الاشعة السينية وفوق البنفسجية على الارض ؟ من رأفة الله بنا ، احاطة كوكبنا الأرضي بغلاف جوي من الهواء يمنع وصول هذه الاشعاعات المميتة الى سطح كوكبنا وقتل احيائه .

تركزت الآمال على الاشعة السينية لكشف الثقب الاسود . لذا اطلقت البشرية العديد من مراصد الاشعة السينية المحمولة على اقمار صناعية تدور حول الارض ، ومراقبة السماء من « وراء حجاب » غلاف الأرض الجوي .

اطلق على اول منبع سماوي للاشعة السينية اسم « البجعة س ـ ١ » وهو نجم موجود في كوكبة « الدجاجة » او « صليب الشمال » التي تظهر في سماء العالم العربي في الصيف بالقرب من نجم القطب ، وهذه التسمية ترجع الى اجدادنا العرب المسلمين .

كان هذا المنبع المرشح الأول للتربع على عرش « الثقب الاسود رقم ١ » . بعدها تم اكتشاف العديد من المنابع السينية ، دون التأكد من أن أيا منها يصدر عن ثقب اسود حقيقي .

وهنا لعبت الصدفة دورها . فبعد ان علق العلماء جل آمالهم على الاشعة السينية لكشف الثقب الاسود الأول مدة تزيد عن عشرين سنة ، كان « للاشعة فوق البنفسجية » قصب السبق في هذا المضمار .

في ٢٦ كانون الثاني (يناير) ١٩٧٨م تم اطلاق القمر الصناعي المسمى .I.U.E وهي الاحرف الأولى من الكلمات الانجليزية . International Ultraviolet Explorer أي « المستكشف العالمي للاشعة فوق البنفسجية » . وقدتعاونت في هذا المشروع وكالات الفضاء لكل من الولايات المتحدة ، وأوروبا وانكلترا .

قام هذا المرصد بمسح السماء بحثا عن منابع الاشعة فوق البنفسجية . ونجح هذا المرصد في تحقيق العديد من الاكتشافات « الرائدة » ، التي تتحقق للمرة الأولى في تاريخ البشرية :

١ ـ تسجيل اول خطوط طيفية عالية التفاصيل لنجم موجود خارج مجرتنا درب التبانة .

٢ ـ تسجيل اول سوبرنوفا في مجال الاشعة فوق البنفسجية .

٣ ـ تسجيل اول طيف لمنبع خافت (باهت) للاشعة فوق البنفسجية .

لكن اعظم انجازات هذا المرصد السماوي على الاطلاق ، هو تقديم الدليل . على الثقب الاسود رقم ١ .

اعتمد مايكل بنستون العامل في مرصد (غرينتش Greenwich) على هذا المرصد السماوي في دراسة المجرة النشيطة ذات الرقم NGC 4151 (في التصنيف العام الجديد NGC) التي تطلق من الاشعاعات ما يعادل قرابة مليون مجرة عادية (غير نشيطة) . وقد بينت دراسة الاشعاعات المنطلقة عن هذه « المجرة النشيطة » وجود ٣ سحب غازية تدور حول « نواة » المجرة بسرعات متباينة ، مطلقة ـ اثناء دورانها ـ اشعاعات قوية في المجال فوق البنفسجي .

تتوافق هذه المشاهدات « التجريبية » المعتمدة على القياسات مع « التصورات النظرية » التي وصفها العلماء عن الثقب الاسود و « القرص » الذي يدور حوله وبعد حوالي ٦٠ سنة من الجهود المضنية التي بذلها العلماء من سائر الاختصاصات تمكنوا اخيرا من حل عقدة الثقب الاسود ، اشد الالغاز الكونية غموضا ، وسمح لهم « بالاحتفال » بتتويج المجرة النشيطة NGC 4151 وتنصيبها على عرش « الثقب الاسود رقم ١ » ، مصدقين بذلك ـ مرة اخرى ـ من قال « احلام اليوم ، حقائق الغد » . □□

القضاء على الإنفلونزا بجراثيم الأمعاء

بقلم : الدكتور نبيل سليم

□ إن علم هندسة الوراثة يعمل بجد ، ويحرز انتصارات مبهرة في كل يوم بل فى كل ساعة ، وقد تم الحصول على لقاح شامل من جراثيم عضوية تكمن في الأمعاء قادر على مقاومة فيروس الانفلونزا بجميع تغيراته وتحوراته .

البكتيريا المطورة من فيروس الانفلونزا في جراثيم عضوية مكبرة تحت الميكرو سكوب الالكتروني

طوال العام الماضي لم يكد يمر شهر دون أن نسمع عن تقدم جديد تحقق بفضل الأساليب المستخدمة في مجال التحكم في جينات الوراثة ، واخيرا أعلنت مؤسسة دوائية أمريكية كبيرة (G.D. Searle- and Co.) أن باحثيها نجحوا في إعادة زراعة جزء من « الرسالة الوراثية لفيروس الانفلونزا في بكتيريا غير ضارة » . .

ولهذا الاكتشاف أهمية بالغة ، إذ أن هذا الأسلوب سيتيح في المستقبل إمكانية صنع « لقاح » شامل ضد « الانفلونزا » قادر على القضاء على جميع سلالات فيروسات الانفلونزا ، وذلك بفضل الجزء الخاص من الرسالة الوراثية للفيروس المنقول الى البكتيريا والذي يمكن الجسم البشري من التعرف على هذا الفيروس كجسم غريب ، ويقوم بالقضاء

علماء امريكا يجرون ابحاثهم لصنع لقاح شامل ضد الانفلونزا

عليه .

ان النتائج التي أجريت أدت بالدكتور آرثر ج. هيل Dr. Arthor J. Hale موجه انشطة البحوث والتنمية بمؤسسة سيرل 'G.D. Searle' في أوروبا ، إلى أن يتطلع الى زراعة جميع « الجينات » أي العناصر الوراثية في فيروسات الانفلونزا المعروفة في بعض أنواع البكتيريا ،وهذه البكتيريا المركبة قادرة على إيجاد جميع عناصر اللقاحات ، وكذلك المادة المضادة لتلك الفيروسات ، ومن ثم الحصول على لقاح فعال ضد الفيروسات الخاضعة « للتغيرات الوراثية » من سنة الى أخرى ، كما قد يكون هذا اللقاح فعالا أيضا بالنسبة للفيروسات التي تعتريها - كل تسع سنوات أو عشر - تغيرات عميقة تستدعي صنع لقاحات جديدة .

لقد استنبطت في الوقت الحاضر لقاحات ضد الانفلونزا من فيروسات كاملة ، تمت زراعتها في المعمل ثم أبطل مفعولها بعد ذلك ، حتى لا تتمكن من نقل المرض ، مع الابقاء على هيكلها محتفظا بالجزئيات البروتينية أي (المادة المضادة) وهي المادة التي يتعرف عليها الجسم المعرض لهجوم هذه الفيروسات ويتعامل معها كجسم غريب ، فإذا تم الحقن باللقاح فإن الجسم لا يصاب بالعدوى ما دام قد أبطل مفعول « قلب » الفيروس وان ظل « هيكله » يحث الجسم الملقح على تكوين أجسام مضادة لمقاومة فيروس الانفلونزا الموجود على سطحه ، وفي حالة أي غزو جديد من نفس الفيروس ، فإن الاجسام المضادة المختصة ، والتي تكونت نتيجة التطعيم سوف تتعامل معه وتقضي عليه .

و « التحورات » أو « التغيرات » الفيروسية تمثل مشاكل معقدة لصانعي اللقاحات ، فإذا

العلماء السوفييت وطعم جديد يؤخذ بالرش في الانف للوقاية من الانفلونزا

كان « تحور أو تغير » الفيروس من سنة إلى أخرى ليس كبيرا ، فإن لقاح السنة السابقة قد يعطي وقاية جزئية على الأقل . أما إذا كان التحور أو « التغير » كبيرا فأنه في هذه الحالة يجب عزل السلالة الجديدة وزراعتها قبل التمكن من استنباط لقاح جديد ، وهذا يستغرق وقتا طويلا ، ولا يتسنى خلاله تلافي انتشار الوباء إذ لا توجد وقاية جديدة .

ومنذ عدة أعوام تمكن باحثو معهد باستير 'Pasteur' بباريس من التنبؤ ببعض « التغيرات » أو التحورات » التي تحدث في الفيروسات ومن ثم أعدوا ـ مسبقا ـ اللقاح للسنة التالية ، ولكن هذه الطريقة لا تمكن من التنبؤ ببعض التغيرات أو التحورات الكبيرة التي تحدث في الفيروسات ، ومن هنا جاءت أبحاث معامل سيرل 'Searle' التي تسعى الى إيجاد لقاح شامل ضد الانفلونزا وقد تمكن باحثو هذه المعامل من تحديد فيروس مسبب للانفلونزا على جزيء من حامض الأدنوزين الذي يحتوي على (الكود) الوراثي والمتسبب في تكوين البروتينات التي تكون المادة المضادة للفيروس وبأسلوب قد يشبه « جراحة الخلية » مستعملين أنزيمات محددة ، كما تمكنوا بعد ذلك من تحويله الى بكتيريا غير ضارة هي 'Escherichia Coli' والتي توجد طبيعيا في أمعاء الانسان .

والبكتريا المطورة بهذا الشكل بدأت فعلا في إفراز « المادة المضادة للفيروس » وعلى حد قول الدكتور هيل hale فإنها المرة الأولى التي يتم فيها التوصل إلى لقاح لصالح الانسان عن طريق « التناول الصناعي لعوامل الوراثة » إذن فقد تكفي زراعة هذه البكتيريا للحصول على كميات كبيرة من اللقاح النقي . وهذا بلا شك هو ما سوف يكون في المرحلة المقبلة لهذا العمل .

وبطبيعة الحال سوف يكون تأثير هذا اللقاح في الحالات المشتقة من هذا الفيروس ، ولن يكون له تأثير في تلك السلالات التي حدث فيها تحور أو تغير كبير .

فصل « الكود »

ولكن الدكتور هيل يعتقد أن من الممكن التغلب على هذه العقبة ، وكما يقول : « نأمل أن نتمكن مستقبلا من فصل (الكود) الوراثي الذي يسير التركيب الوقائي لجميع فيروسات الأنفلونزا المعروفة وجمعها في بكتيريا واحدة ، وبالاضافة الى ذلك سوف يكون من الممكن معرفة التحورات أو التغيرات التي تطرأ على فيروسات الأنفلونزا واستنباط لقاح شامل قادر على حماية الانسان ضد جميع الفيروسات الموجودة ، وكذلك ضد تلك التي من المحتمل ظهورها مستقبلا .

ومن المحتمل أيضا أن تكون إمكانيات تحور أو تغير فيروسات الانفلونزا لها حدود ، فالفيروسات تتحور أو تتغير لكي تتأقلم مع الأوضاع الجديدة ، وبالذات بالنسبة للأشخاص المحصنين ، سواء بالتطعيم أو بالمناعة المكتسبة .

كما أن الفيروسات لا تجد أرضا خصبة لكي

تكاثر ، وتكون سلالات أخرى تحل محلها ، إذ من الملاحظ على مدى عشرات من السنين الماضية أن هذه الفيروسات تبدو وكأنها تحاول الاحتفاظ بالشكل الذي كانت عليه منذ أن وجدت ، كذلك لوحظ أن الأشخاص الذين كانوا قد أصيبوا بالانفلونزا « الاسبانية » في العشرينيات من هذا القرن ، اكتسبوا بعض المناعة ضد فيروس انفلونزا « هونج كونج » التي ظهرت في منتصف هذا القرن ، وفيروس « هونج كونج » هذا شبيه أو مماثل لفيروس الانفلونزا « الاسبانية » ولا يجد له أرضا خصبة بالنسبة للأشخاص الذين تتجاوز أعمارهم الخمسين عاما ، إذا كانوا قد تعرضوا من قبل للانفلونزا « الاسبانية » ، الأمر الذي يدل على أنهم اكتسبوا مناعة ضد « حفيدتها » إنفلونزا « هونج كونج » ، وثمة مثال آخر يوضح لنا أكثر هو : أن فيروس الانفلونزا المسماة بالسوفيتية المنتشرة حاليا لم تأخذ شكلا وبائيا لأن كثيرا من الناس ممن هم في سن الخامسة والعشرين فأقل اكتسبوا مناعة بسبب تعرضهم للفيروس المماثل « الآسيوي » ، ومن جهة أخرى يبدو أن تغير الفيروس الآسيوي لم يتعرض بعد « لتحورات أو تغيرات وراثية » ، وبما أن هذا الفيروس مستقر حاليا ، فإن صانعي اللقاحات في معامل باستير لم يلجأوا بعد لأسلوب التنبؤ السالف الاشارة اليه .

ومن المحتمل على مدى النصف قرن القادم ، أن تحكم الدائرة على فيروس الانفلونزا بكل التحورات أو التغيرات التي يمكن أن تحدث له ، محاولة التلاؤم مع البيئة الانسانية التي تتغير أولا بأول ، ومع اكتساب الانسان للمناعة اللازمة ضد شكل أو آخر من أشكال هذه الفيروسات .

واذا كانت هذه هي الحال ، فإن عدد أشكال هذا الفيروس يمكن أن تنحصر في ستة أنواع ولن يكون من الصعب حينئذ تضمين الرموز « الكودات » الوراثية المطابقة لجميع العناصر الوقائية (أو المضادة) لجميع الفيروسات الانفلونزية بأنواعها الستة ، ؛ وتضمينها في لقاح واحد يعطي بالتالي مناعة ضد جميع الأنواع الأخرى من الفيروسات .

ونظرا لأن الانفلونزا هي أكثر الأمراض في هذا العالم عدوى وانتشارا ، وانها هي المرض الوحيد الذي يحدث أوبئة على النطاق العالمي فإن العالم يترقب بلهفة أن يتحقق (حلمه الكبير) في أن يتخلص إلى الأبد من هذا الكابوس المفزع .

الانفلونزا والتدخين

ومن ناحية أخرى أسفرت أبحاث واختبارات أجريت مؤخرا عن أن خطر إصابة المدخنين بالانفلونزا يزيد بنسبة ٢٥٪ على خطر إصابة غير المدخنين بهذا المرض وأسوأ من ذلك أن المدخنين إذا ما أصيبوا فعلا بالانفلونزا فإن إصابتهم تكون عادة أشد حدة من إصابة غير المدخنين .

وقد وجدنا كأطباء أن خطر الاصابة بالمرض وحدته يتزايدان طرديا كلما إزداد عدد السجائر التي تدخن ، بل أن الخطر يشتد بالنسبة لأولئك الذين يدخنون اكثر من ٢٠ سيجارة يوميا . وهذا الخطر بالمقارنة مع الأشخاص غير المدخنين بل يشمل حتى غير المدخنين الذين يعيشون أو يعملون في غرف يدخن فيها اشخاص آخرون . فهؤلاء يواجهون خطرا اكبر قليلا فيما يتعلق بالاصابة بالانفلونزا .

وفي معرض شرح الدراسات الخاصة بالصلة بين التدخين والانفلونزا تأخذ في الحسبان النظرية القائلة باحتمال وجود عامل متعلق بالبيئة قد يؤدي ببعض الناس الى إدمان التدخين والى التعرض للاصابة بالانفلونزا . ولكننا نستبعد وجود مثل هذا العامل ، ونقول أن التفسير الاكثر إحتمالا هو أن التدخين نفسه الذي ثبت أنه رئيسي في الاصابة بامراض عديدة هو السبب في إزدياد التعرض للاصابة بالانفلونزا أيضا ، وليس هناك عامل بيئي يسببهما معا □□

عملية تصنيع النحاس وتشكيله ليتناسب

نحو نهضة صناعية متطورة في الكويت

اعداد: ريم الكيلاني

تصوير: سليمان حيدر

وحجم وحدة التكييف .

أحد العمال يقوم بتخريم الغلاف الخارجى تمهيدا لعمل التوصيلات الكهربائية .

جهاز تقطيع أنابيب النحاس .

مكائن التكييف فى مرحلتها الأخيرة حيث يجرى عليها الفحص النهائى لتبدأ بعد ذلك عملية التشغيل .

□ تتطور الحياة .. تتقدم الأمم .. تختلف متطلبات العصر .. تتفاوت كماليات الزمان والمكان .. ولتحقيق النجاح .. لابد من قدرة هائلة .. وطموح قوي وعزم واصرار راسخين لدى المرء .. لدى المجتمع الصغير .. لدى الدولة المتطورة .. من أجل تحقيق مستقبل زاهر ، يحيطه الرخاء من كل جانب .

والكويت تتجه بحكمة ، تتقدم بخطوات ثابتة من أجل انعاش الصناعة ، وتطوير ثوبها الاقتصادي ، فتصنع منه حلة جديدة ، تتناسب وارتفاع مستوى المعيشة ، وقد ترجمت الدولة بعض آمالها وطموحاتها في اقامة بعض المشاريع الاقتصادية والاجتماعية .. التي يمكن أن تؤمن لها مصادر دخل ومجالات عمل في الحاضر والمستقبل .

لقد دخلت الصناعة أرض الكويت ، فساهمت في رفع اقتصادها وترشيد استهلاك مواطنيها .

شركة الصناعات الوطنية ، خير مثل ، وأعظم برهان على تطور الصناعة ، ومحاولات الكويت العديدة للاعتماد على نفسها ، واقامة اقتصاد قوي تكتفي به ذاتيا .. وتمد به العون والمساعدة للدول العربية المجاورة كخطوة أولى لتحقيق تكامل اقتصادي شامل .

بدأت فكرة قيام هذه الشركة مع بداية نهضة الكويت منذ عدة سنوات مضت بالانشاء والعمران ، فقامت فيها لذلك أول صناعة حديثة مرتبطة بالحركة العمرانية وماتحتاجه من مواد البناء .

ففي الخمسينيات ملكت وزارة الاشغال مصنعين للطابوق والاسمنت ،وظهرت بعد ذلك في السبعينيات فكرة تأسيس شركة الصناعات الوطنية ، واتجهت لشراء هذين المصنعين من الدولة ، بعدها توسعت الشركة وطورت كل الأجهزة والمكابس الموجودة لديها ، كما أضافت في عام ١٩٦٧ وفي عام ١٩٧٠ مكابس اوتوماتيكية واضافت وحدة لانتاج الطابوق في الشويخ ، ووسعت الشركة بعد ذلك مصانعها ، فأنشأت مصنع ميناء عبد الله بطاقة انتاجية تصل الى مليون طابوقة وذلك لتغطية الطلبات المحلية .

الوحدات الانتاجية والمصانع

استمر انتاج الطابوق الجيري والجير الحي والمسحوق الجيري .. كما استمر انتاج وتسويق المنتجات الجيرية والاسمنتية المختلفة كالخلط الجاهز والطابوق الاسمنتي والانابيب الخرسانية ، اضافة الى استحداث خط انتاجي لتصنيع عدة منتجات ، بناء على طلب الجمهور ، كأحواض الزهور ومقاعد الحدائق والأسوار والحواجز الخرسانية وأعمدة المرور وأحواض النفايات .

هذه المنتجات المتعددة الأشكال والمزايا ، تضاهي أفضل المستويات العالمية المعروفة ، علاوة على سمعتها المحلية في مجال الخلط الجاهز - بالرغم من تعرضها للتنافس الهائل مع المنتجات المستوردة - خاصة بعد اكتمال الكوادر الفنية والادارية في هذه المصانع ، والنشاط الهائل في مجالات التسويق والمتابعة والجودة .

والى جانب الصناعات الجيرية فهناك صناعات الاسبست والبلاستيك ، حيث تنتج أنابيب الاسبست ذات القياسات الصغيرة ، وقد كانت

باكورة انتاجها وتسويقها في عام ١٩٨٣ ، وهناك تفاؤل كبير لمستقبل زاهر لهذه الصناعة ، لاسيما وأنه تم تدعيمها بخطوط انتاج مساعدة ، لانتاج توصيلات وملحقات الانابيب البلاستيكية ، ليكون الانتاج متكاملا في مطلع العام القادم .

أما مصانع المنتجات الاستهلاكية ، فتضم مصنعي المنظفات الكيماوية والبطاريات . وقد نشطت مبيعات المصنع بالرغم من جو التنافس الشديد وسهولة دخول مساحيق المنظفات من الأسواق المجاورة . وهناك عدة مشاريع لاتزال قيد الدراسة ، من أهمها وأكثرها تأثيرا في اقتصاد البلاد صناعة الطابوق الخفيف العازل للحرارة . وقد بدأ تركيب معدات المشروع اعتبارا من ابريل ١٩٨٣ كما بدأ العمل رسميا فيه اعتبارا من مايو من العام نفسه ، وقد قطع التنفيذ شوطا كبيرا يعادل مايزيد على ٧٠٪ من حجم العمل ، وقد انتهت التركيبات في منتصف هذا العام ١٩٨٤ وبدأ الانتاج التجريبي في نفس الوقت ، أما الانتاج التجاري فيتوقع أن يتم في أواخر ١٩٨٤ بطاقة يومية تصل الى ١٠٠ م٣ من الطابوق الخفيف العازل للحرارة.ويقام المصنع على أرض مصنع المنتجات الجيرية في ميناء عبد الله ، كما تقوم الشركةباعداد وتدريب الكوادر الفنيةاللازمة لادارة المصنع عند اكتماله .

هذه الصناعة تمتاز عموما بالضبط الآلي لعمليات الانتاج من تزويد المواد الى المعايرة والخلط ، وذلك بربط أجهزة التزويد والنقل والوزن والخلط معا كهربائيا ، بحيث تعمل هذه الأجهزة بالتسلسل حسب تنظيم الانتاج .

كذلك فالخزانات الموزعة بين هذه الأجهزة ، عليها ضوابط مرتبطة بكمية المواد المخزونة لتشغيل النواقل مع اعطاء اشارة الانذار في حالة العجزعن التزويد.

هذه الصناعة . . التي دخلت الكويت حديثا اكثر متانة من الطابوق الاسمنتي ، الذي لاتتجاوز قوته نصف قوة الطابوق الجيري للاحجام المماثلة ،فالطابوق الجديد عازل للحرارة وخفيف الوزن نسبيا نظرا لتفريغه بخروق عديدة ، واقتصادي يوفر من أجور الايدي العاملة ، والمونة في البناء نظرا لكبر حجمه اذا ما قورن بالحجم العادي القديم وينتج بالوان مختلفة ، ويمكن استعماله في الجدران الداخلية والخارجية على السواء ، كما يمكن استعماله كطابوق حامل في بناء البيوت ذات الطابق الواحد أو الطابقين بدون الحاجة الى أعمدة الخرسانة المسلحة مما يوفر كثيرا في نفقات البناء .

الطابوق الخفيف العازل

يستحضر رمل الطابوق من التلال المجاورة للمصنع ، وينقل الى الداخل بالسيارات ثم يحفظ في خزانات خاصة بعد الغربلة من الشوائب .

وعند بدء الانتاج يؤخذ الرمل من هذه الخزانات بواسطة نواقل ميكانيكية ، الى قسم التجهيز حيث يتقابل مع الجير الكويتي الذي ينقل بصورة مماثلة من خزانات الجير في المصنع الأصلي ، وتجري معايرة المادتين بنسبة محدودة بالوزن على موازين آليه ، تنقل منها الى الخلاطة الأولية حيث يضاف الماء الحار بنسبة معينة أيضا ، ويلزم ذلك لعملية طفي الجير التي تتم داخل خزانات الخليط العالية بعد أن يرفع اليها الخليط بواسطة ناقل خاص ، ويبقى محفوظا فيها حوالي ثماني ساعات يخرج بعدها الخليط من أحد الخزانات الى ناقل يحمله الى الخلاطة النهائية ، حيث يضاف اليه الماء اللازم لعملية الكبس ، وتجري معايرة كمية الماء المضاف آليا بواسطة جهاز خاص للتأكد من الاحتفاظ بنسبة ثابتة من الرطوبة باستمرار .

وبعد الخلط النهائي ينقل الخليط الى محطة تغذية مكبس الطابوق الآلي . وهذا المكبس الميكانيكي من النوع المعد بطاولة رحوية تحتوي على القوالب التي تشكل الطابوق حسب المقاسات المحددة له ، وتبلغ قوة الكبس

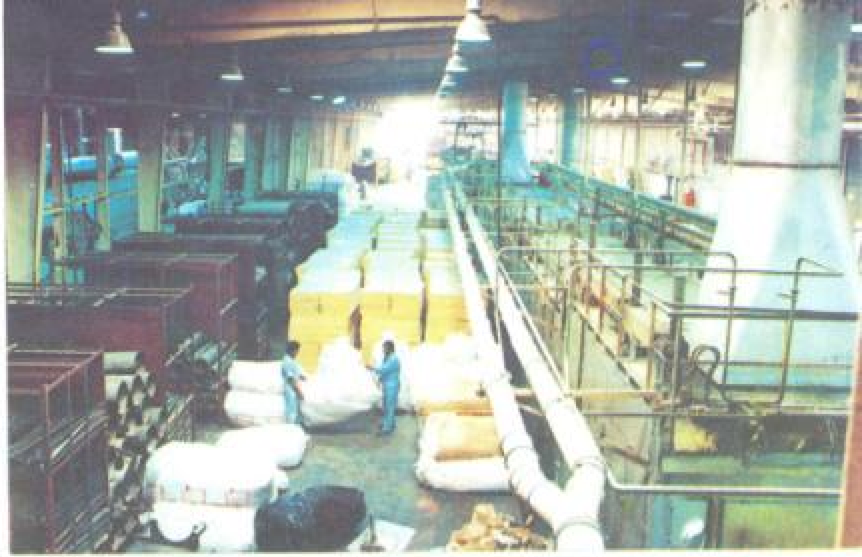

مصنع الصوف الزجاجي .

غرفة السيطرة التي تم من خلالها مراقبة سير التصنيع والتحكم بالآلات .

مختبر العازل الحراري الذي يفحص المواد قبل وبعد تصنيعها للتأكد من صلاحيتها .

فرن الطبخ حيث يوضع فيه الطابوق تحت ضغط جوي ١٦ ليقص ويطوى .

صورة عامة لافران الطبخ وهي مُقفلة .

القصوى ٦٠٠طن ، ومعدل انتاجه من الطابوق العالي حوالي خمسة آلاف طابوقة في الساعة . ويجري ترتيب الطابوق المكبوس آليا على عربات خاصة تحمله داخل الافران البخارية للتجفيف ، وتكون عملية التجفيف تحت ضغط البخار الثابت لمدة أربع ساعات يكسب الطابوق بعدها القوة المطلوبة للبناء .

واخيرا تجري الفحوص المختلفة على الطابوق الناتج ومطابقته للمقاييس المحددة له ، وضبط نوعيته قبل بيعه للمستهلكين .

وهناك نية مستقبلية لانتاج قوالب للجدران الخارجية الحاملة والقواطع ، بحيث تستعمل كقوالب تحميل وكجدران للحشو ، جدران فاصلة ومجوفه . هذه القوالب على درجة عالية من دقة القياس ، تلصق ببعضها البعض بواسطة غراء خاص يوفر وصلات رفيعة جدا ، بينما تلصق القوالب ذات التكوين المتعرج بواسطة ملاط رفيع .

وتتجه النية لانتاج ألواح مسلحة للجدران يمكن استعمالها كجدران محملة داخلية وخارجية .

أما الواحدات المسلحة للسقف والأرضية فهي تستعمل على نطاق واسع حيث يتطلب البناء السريع ، العزل الحراري الجيد ضد الطقس البارد والدافيء ، وحيث تتطلب الحماية من الحرائق . . هذه الصناعة التي هي أحدث صناعة عرفتها الكويت ، لدورها الفعال والهام في خفض استهلاك الطاقة ، والحد من التبذير في استعمال الكهرباء ، بل والعمل على انعاش اقتصاد البلاد ورفع مستواه .

صناعة مكائن التكييف

صناعة جديدة دخلت الكويت ، لتثبت مقدرة البلاد الواسعة في الاعتماد على إنتاجها المحلي .

هذه الصناعة . . صناعة مكائن التكييف هي صناعة الغد المنتظرة . . هي الصناعة التي تبشر الكويت والدول المجاورة بمستقبل مشرق فيه تسهيل كبير لامكانية مواجهة اختلاف الاجواء .

ان مكائن التكييف ليست غريبة ، بل هي حاجة ماسة وأمر ضروري للدول التي تعيش مناخا صحراويا .

ولكن المهارة ليست في استيراد تلك المكائن وتشغيلها ، بل في القدرة الممكنة للسيطرة عليها ومعرفة أجزائها الكبيرة والصغيرة في محاولة لمواكبة العصر ، والسير جنبا الى جنب مع النمو الاقتصادي والنهضة الصناعية للدول الاخرى . .

إن أحد أعظم معالم التطور الصناعي المحلي، وأحد مظاهر مواكبة البلاد لركب التكنولوجيا الحديثة فيما يتعلق بصناعة أجهزة التكييف هو قيام صناعة مكائن التكييف .

وتنقسم هذه الصناعة الى ثلاث دوائر لكل دائرة منها وظيفة فى عملية التصنيع والانتاج .

١ - دائرة المخازن : وهي مقسمة الى ٢٠ مستودعا ذات درجات حرارة من (- ٢٥°م الى ٢٥°م) وتخزن بها مختلف المواد المستعملة في الصناعة .

٢ - دائرة التخطيط والمتابعة : وهي تقوم بالتخطيط والاتصال بالاستشاريين لعمل المباني والدراسات الاستشارية بالدوائر الاخرى ، وقد قامت بالفعل دائرة التخطيط والمتابعة عام ١٩٧٩ بطرح مشروع انشاء المستودعات الطبية ، وقد اعتمدت وزارة الصحة عام ١٩٨٠ هذا المشروع ، وتم انجازه في أغسطس ١٩٨٣ .

٣ - بدأت الدراسة في عام ١٩٧٨ لاقامة المصنع ، وتم انجاز هذا المشروع عام ١٩٨٠ بمساعدة بنك الكويت الصناعي .

يشغل المصنع مساحة ٩٠٠٠م٢ وتبلغ طاقته الانتاجية ١١٠٥٠٠ جهاز في السنة من أجهزة تكييف هواء مركزية ذات القطعة الواحدة ، وذات القطعتين وأجهزةمعاملة الهواء المركزية ذات الطاقة المختلفة

ويعمل المصنع في كل سنة على اضافة احجام مختلفة وذلك حسب حاجة السوق المحلي وسوق الدول العربية المجاورة ، كما يقوم أيضا بتطوير الأجهزة وادخال التحسينات عليها لتميزها بمواصفات فنية تجعلها على قدر عال من كفاءة الاداء في ظل الظروف المناخية للمنطقة ، مما يجعل فترة خدمتها أطول ويجعل أداءها أكثر جودة .

المهندس عزيز شكر الله رئيس المهندسين في الشركة يقول : نحن نستورد المواد الأولية من الخارج كالحديد والنحاس لانها لاتتوفر لدينا ، وان كنا نأمل في المستقبل قيام صناعات للمواد الأولية والكمالية تصل بنا الى مرحلة التكامل الاقتصادي . هذه الصناعات لن تكون لصناعة أجهزة التكييف فحسب بل ستدخل في صناعات أخرى كالمحركات ، والموصلات الكهربائية وما الى ذلك .

هذا المصنع يشكل مشروع انتقال من مرحلة الاستيراد الى مرحلة الانتاج المحلي ، كما يساهم المشروع مساهمة ملموسة في تطور الاقتصاد الوطني حيث أنه يؤدي الى التدوير المحلي لرؤوس الأموال اللازمة لاستيراد مثل هذه الأجهزة من الخارج .

وتجري عملية التصنيع على أربع مراحل كالتالي :

أولا : صناعة الغلاف الخارجي والقواطع الداخلية وصباغتها ، ثم تقطيع وتخريم الغلاف طبقا للمواصفات المطلوبة .

ثانيا : صناعة ملفات التبخير والتكثيف حسب أحجام الأجهزة .

ثالثا : مراقبة عملية التصنيع بواسطة أجهزة السيطرة الكهربائية بما فيها من المشغلات والتوصيلات الكهربائية بين الأجهزة الكهربائية المختلفة .

رابعا : خطوط التجميع ، حيث يتم تجميع الأغلفة الخارجية للاجهزة ووضع العازل الحراري وتركيب ملفات التبخير والتكثيف المختلفة وضغط الغاز والمحركات والمراوح المختلفة ، ثم القيام بتوصيل أجزاء مختلفة بأنابيب النحاس أو بين الأجهزة الكهربائية والمحركات بواسطة أسلاك مختلفة ، ثم بعد ذلك القيام بفحص وشحن الغاز وتشغيل الأجهزة للفحص النهائي ، ثم بعد ذلك التغليف .

ويقوم مهندسون مختصون بمراقبة الجودة في الانتاج في جميع مراحل التصنيع .

ان تلك الصناعة المحلية أثبتت جودتها ، وهذه الصناعة .. اذا كتب لها أن تستمر وتتسع ، فهي لا شك احدى صناعات المستقبل في الكويت .

صناعات لتوفير الطاقة

أما الصناعة الاخرى التي تساهم مساهمة فعالة في توفير الطاقة ، والتي باتت السمة الأخيرة لكل عمران حديث فهي صناعة الصوف الزجاجي .

هذه الصناعة ، تشكل عازلا حراريا يقلل من حرارة الجو الشديدة وبرودته القارسة .

ولصناعة الصوف الزجاجي أثر كبير في تخفيض الطاقة المستعملة في تبريد المباني ، هذا ماذكره المهندس عبد الرزاق النصار المدير العام والعضو المنتدب لشركة صناعة المواد العازلة .

ويضيف : نتيجة للارتفاع السريع في مستوى المعيشة بالكويت ولازدياد عدد السكان ، فقد ازداد انتاج واستهلاك الكهرباء بالكويت زيادة تصاعدية خصوصا بعد عام ١٩٨٣ اذ ارتفع انتاج الطاقة الكهربائية خلال هذه المدة من ٢١٣٨ مليون كيلو واط في عام ١٩٧٣ الى ٩٤١٧ مليون كيلو واط في عام ١٩٨٠ أي ما يعادل ١٢٨٪ خلال سبع سنوات .

ان السبب الرئيسي في زيادة الطلب على انتاج الكهرباء بالكويت ، وارتفاع استهلاك الفرد من الطاقة ، يعود الى استهلاكها بشكل مرتفع في تبريد البيوت والمباني خصوصا خلال أشهر

الصيف الحارة ، حيث يصل الانتاج الى أكثر من ضعف ما هو عليه خلال الاشهر المعتدلة الحرارة .

وقد دلت التجارب الكثيرة والدراسات المتنوعة ، والتي جرى تنفيذها في بلاد كثيرة من العالم بما فيها الكويت ، انه يمكن توفير جزء كبير من الطاقة الكهربائية المستهلكة في تبريد البيوت ، عن طريق عزل هذه البيوت بمواد العزل الحراري ، مع ضرورة إعتماد التصميم الجيد الذي يؤهلها لمقاومة توصيل وتخزين الحرارة عن طريق الجدران والأسقف ، ويقلل من نفاذ أشعة الشمس والهواء الساخن عبر النوافذ والشقوق والفتحات . .

ومن التجارب التي أجريت بمعهد الكويت للابحاث العلمية : تبين أنه يمكن توفير حوالي ٤٠٪ من الطاقة وذلك بعزل جدران واسقف المبنى بطبقة من مواد العزل الحراري بسماكه ٥ سم . كما وتشير دارسات أخرى الى امكانية توفير أكثر من ٥٠٪ من الطاقة المستهلكة في تبريد فيلا ذات طابقين وذلك بعزل الجدران والسقف عزلا جيدا ، واستعمال الزجاج العاكس المزدوج .

ويمكن زيادة هذا الوفر بخفض مساحة الشبابيك وتقليل تبدل الهواء الى نصف ما هو عليه أثناء التبريد .

ان مادة الصوف الزجاجي مادة عازلة تتحمل درجات الحرارة المرتفعة في المنطقة . وخاصة أنها لا تحتوي في تركيبها أي مادة كيميائية ضارة ، لانها تتكون من الرمل المتوفر بكثرة في المنطقة .

طرق التصنيع والانتاج

تتم طريقة التصنيع الأولى كالآتي : تحضر المادة الأولية (البايندر) في خزانات ثم تحول المادة بواسطة صمامات من الخزانات الرئيسية الى الخزانات الثانوية لتبدأ عملية خلط المواد غير العضوية مع « البايندر » ويوضع هذا الخليط في الفرن (فرن التحميص) والذي تصل درجة حرارته ١٤٠٠ درجة مئوية وبذلك يتم صهر تلك المواد وتحويلها الى سائل ذي لزوجه عالية ، لتبدأ بعد ذلك عملية التصنيع النهائية والتي يتم بواسطتها الحصول على الصوف الزجاجي .

هذه الصناعة . . التي أثرت على توفير الطاقة أصبحت غالية جدا ، حيث فرضت جميع الاقطار المتقدمة استعمالها في المباني الجديدة ، كما وأدخلت الكثير من التشريعات لتشجيع المواطنين على ادخالها بالبيوت القائمة .

ولا شك أن هذا سيقلل الطلب على بناء محطات اضافية ، وهذا الوفر بعدد المحطات التي يتوقع انشاؤها عام ١٩٩٠ يزيد عن جملة القدرة الانتاجية لجميع محطات القوى الموجودة حاليا بالكويت .

ولعله من الافضل للحكومة أن تتحمل جميع تكاليف العزل الحراري على أن تقوم بتوليد الكهرباء الاضافية المتطلبة لتبريد المباني الجديدة غير المعزولة التي ستقام حتى عام ١٩٩٠ خاصة وان استهلاك الكهرباء بالطريقة الحالية يعتبر هدرا للثروة الوطنية . ان دولا متقدمة كثيرة سبقت في هذا المجال واستطاعت أن تحد من استهلاك الطاقة الى حد كبير مثل السويد والمانيا .

من هذا المنطلق ، فاننا نطالب دائما بضرورة اعتماد الدول العربية في دخلها القومي على بناء قاعدة صناعية متينة ومنتجة ، فالكل يعي بالتأكيد ما ستؤول اليه الامور خاصة من ناحية زعزعة مكانة النفط في العالم باكتشاف بدائل للطاقة أو من ناحية نضوب النفط في المستقبل البعيد .

ان مثل تلك الامور تدعونا مرة أخرى الى التفكير في البدائل الاقتصادية ، التي تساهم في زيادة الدخل الوطني للبلاد وتساهم في نهضتها . والأمر الأكثر أهمية هو ضرورة تعليم الأطفال منذ نعومة اظافرهم أهمية الطاقة وكيفية تنظيم استهلاكها بوسائل التعليم والاعلام المختلفة □□

طبيب الأسرة

العسل ومريض السكر

● أنا مريض بالسكر ، وقد سمعت من بعض الاصدقاء أن عسل النحل النقي مفيد في علاج السكر ، وخاصة اذا استعمل لتحلية المشروبات عوضا عن السكر العادي ، فهل لهذه النصيحة نصيب من الصحة العلمية ؟

ق . ص

الكويت

شاعت في زمن ما صيحة بين الناس تنادي باستعمال عسل النحل علاجا لمرض السكر ، وذهبوا في تبرير هذه النصيحة مذاهب شتى حتى أنها لقيت أذنا صاغية من البعض ، بالرغم من خلوها من أي مضمون علمي صحيح .

واعتمادا على جداول تحليل الغذاء المعتمدة في الأوساط العالمية والمعاهد العلمية ، فان عسل النحل يحتوي على مايقارب من ٢١٪ من الماء أما الباقي فهو سكر صاف ينتمي الى مجموعة الكربوناتيات أحادية التركيب واهمها نوعان من السكريات هما : مايسمى بالجلوكوز والفركتوز ، أو سكر العنب وسكر الفواكه على التوالي بنسب متساوية تقريبا .

ان سكر الجلوكوز أو سكر العنب هو ذات السكر الموجود في الدم . والذي يتعامل معه الجسم ، حيث يحيل الجسم كل السكريات والنشويات الى هذا النوع من السكر ، وحيث يتراكم في الدم فيتولى البنكرياس افراز هرمون يدعى الانسولين يعمل على حرق جزء من هذا السكر ، واحالته الى طاقة حركية أو حرارية ، ومايتبقى يحيله الى دهن يختزنه الجسم بين طياته .

طبيب الأسرة

فاذا ماجاع الانسان أو صام أو قل رصيده من السكر فانه يستهلك جزءا من الدهن المخزون ، ويحيله الى سكر يجري في الدم ، ولكن دون معونة من هرمون الأنسولين .

ان سكر الفركتوز قد يشابه الجلوكوز ولكنه ليس بحاجة الى هرمون الأنسولين للتعامل معه ، ولعل هذا هو سر دعوة البعض الى استعمال العسل الذي فيه السكر على هيئة الفركتوز بنسبة ٤٠٪ تقريبا ، ومع هذا فلايصح أن ننسى الأربعين في المائة الباقية من سكر الجلوكوز الصافي الذي يضر بمريض السكر ، ويرفع نسبة سكر دمه في حال هو يفتقر فيه الى هرمون الانسولين الذي عجز البنكرياس عن افرازه .

ربما كانت السكريات الاحادية سهلة الهضم وهذا أحد أسرار فائدة العسل لمصابي الاضطراب الهضمي ، أو مرضى الحميات وخاصة المعوية منها ، ولكنه دون شك يتعارض مع طبيعة مرض السكر ، ولهذا لاينصح به أي طبيب .

انخلاع الورك الخلقى

Congenital dislocation of the hip

● كثيرا ما أسمع عن مرض اسمه « خلاع الولادة » مما يسبب عجزا للطفل ، فهل لي أن أظفر منكم ببعض التفصيل عن هذا المرض الذي يولد مع الانسان وما هي أسبابه ؟ .

ع . ع . ح

بداما ـ أدلب ـ سوريا

ـ يتميز مفصل الفخذ أو الورك بتركيبه الذي يعتمد في الحركة على كرة في رأس عظمة الفخذ ، وحق تربض فيه في عظمة الحوض ، وتقدر درجة انفتاح الحق بحوالي ٢٢ درجة ، ولكنها لسبب ما غالبا مايكون وراثيا قد يولد الطفل وفتحة الحق أكبر من المعتاد ، مما يسمح لكرة المفصل بالانزلاق خارجها وبالتالي الى خلع مفصل الفخذ أو الورك ، وهذا مايسمى بانخلاع الورك الخلقي الذي قد يلاحظ عند الولادة أو بعدها بقليل ، أو ربمايتأخر الى حين بدء الطفل في المشي .

ان الظاهرة المميزة هي عرج عند بدء المشي ، واختلاف في ثنيات الفخذ والإلية ، مع صوت طرقعة عند تحريك المفصل .

ان التصوير الشعاعي هو الأكثر حسما في تشخيص الاصابة التي تشيع بين الاناث عنها بين الذكور بأربعة أو خمسة أضعاف .

قد يكون علاج هذه الحال مؤملا وحاسما لو تم العلاج في وقت مبكر ، حيث يتم تثبيت المفصل في الجبيرة الى أن ينمو المفصل على شكل طبيعي ، يكفل ثبات المفصل في موضعه ، وهذا يتم في الشهور الستة الاولى من عمر الطفل ، أما لو تأخر العلاج الى حين مشي الطفل أو سن الستتين ، فقد تصبح العملية الجراحية ضرورية في مثل هذه الحال .

ربما صاحب انخلاع الورك بعض العيوب الخلقية الأخرى ، مثل غياب كرة المفصل ، أو تفلطح الحق ، ولكن تصبح القضية معقدة تحتاج الى سلسلة من العمليات التعويضية ، التي لايتقنها الا جراح متخصص لايعلم الا الله مدى نجاحها .

العين والذبابة الطائرة

Floating Spots

منذ فترة وأنا أشاهد أمام عيني سوادا يتراقص وكأنه حشرة طائرة فما هو السر وهل هناك من مرض خطير؟ أرجو الافادة .

ع . س

الدار البيضاء

ـ من المعروف أن كرة العين التي يبلغ قطرها حوالي انش واحد عند الانسان البالغ ، تمتلىء بماء لزج يحفظ لها انتفاخها دون انبعاج يسمى السائل الزجاجي، وهذه المادة ـ في أحوال الصحة عند الصغار ـ تكون هلامية القوام ، متماسكة بها شيء من الصلابة ، وكأنها كتلة من الجيلاتين، ولكنها مع التقدم في العمر تميل الى السيولة وتصبح أكثر تميّعا ، وخاصة فيما بعد الخامسة والثلاثين أو الأربعين من العمر .

لهذا فان الخلايا التي تتسلخ داخل العين ، أو الرواسب التي تفرزها العين بطبيعتها ، تسبح في هذا السائل الزجاجي المتميع ، وخاصة عند الحركة مما يحجب الضوء الداخل عبر فتحة العين ويمنعه من السقوط على الشبكية ، بل ان هذه الرواسب تخلق ظلالا تتشكل باشكال شتى هي ما اصطلح على تسميته بالذبابة الطائرة .

ولكن مع الأيام والراحة تتساقط هذه المواد العالقة ، وترسب بفعل الجاذبية الى أسفل مما لايخلف أثرا أو ضررا .

ومع هذا فعلينا أن نعترف أن بعض الأحوال المرضية قد تؤدي الى هذه الظاهرة ، مثل الانفصال الشبكي ، أو النزيف داخل العين ، أو بعض الارتشاحات مما يقتضي مراجعة طبيب العين المختص الذي يحسم الأمر بالفحص الدقيق بواسطة منظار العين ، واستطلاع قعر العين وحالة الشبكية .

كلا الأخوين شاعرٌ، أو شاعِران

بقلم : محمد خليفة التونسي

إذا أردنا توكيد كلمة أو عبارة كررنا لفظها مثل : ظهر ظهر الحق ، أو ظهر الحق الحق ، أو ظهر الحق ظهر الحق ، ويسمى هذا التكرار « التوكيد اللفظي » ، ويسمى اللفظ الأول مؤكَّداً ، والثاني تأكيداً أو توكيداً (وهذا أشهر نحوياً) ويتبعه في اعرابه رفعاً ، ونصباً ، وجراً .

ومن تأكيد الكلمات لفظاً قول البهاء زهير :

هي الدنيا تقول بملء فيها
حذار حذار من بطشي وفتكي

وقول جميل بثينة (وفيه دليل على بعض حماقته ، لأنه يصرح بحبها في قوله : لا أبوح به) :

لا ، لا أبوح بحب بثنة انها
أخذت على مواثقا وعهودا

وكذلك ما يسميه النحاة « الاغراء »

أخاك ، أخاك ، ان من لا أخا له
كساعٍ الى الهيجا بغير سلاح

وما يسمونه « التحذير » كقول الشاعر :

ألقاه في الماء مكتوفاً وقال له :
إياك إياك أن تبتل بالماء

ومن تكرار العبارة ، قد أفلح المؤمنون قد أفلح المؤمنون » وقد تكرر العبارة أكثر من مرتين لتغليظ معناها وتعظيم خطره ، كحديث النبي ﷺ ، وهو بين أصحابه ، اذ حذرهم من بعض المعاصي ، ثم ختم بقوله « ألا وقول الزور وشهادة الزور ، ألا وقول الزور وشهادة الزور . . . . » وعقب راوي الحديث بقوله : « فما زال يقولها ، حتى قلنا ليته يسكت » .

ولكن اذا كانت الكلمة المراد توكيدها اسماً (يدل على ذات أو معنى) ، أو استعملت استعمال الأسماء كالصفات : (الشاعر ، والمأمور ، والشهيد) جاز توكيدها لفظياً على النحو السابق أو معنوياً بكلمات أخرى .

وكلمات التوكيد المعنوي سبع [1] هي :

« نفس ، وعين للمفرد ، وكلا وكلتا للمثنى ، وكل ، وجميع ، وعامة للجمع » .

وهي تتبع المؤكد في اعرابها نحوياً ، اذا جاءت بعده ، وأضيفت الى ضمير يناسبه ويعود عليه ، وهذه هي الأمثلة :

المفرد : يؤكد بكلمة « نفس » أو « عين » لتحديد ذاته أو هويته ، مثل « حضر الرئيس نفسه حفل توزيع الشهادات والجوائز على الخريجين » ، ومثلها « حضر الرئيس عينه . . . . . . » .

والغرض من التوكيد بالنفس والعين هو النص على ذات الرئيس في حقيقتها وصميمها ، ودفع كل احتمال أوشك في أن يكون من حضر هو أحد من ينوب عنه في مثل هذه المهمة ، ولو حذفنا التوكيد هنا لاحتمل الكلام حضور أحد نوابه ، لأنه من الجائز لغوياً أن نقول : « حضر الرئيس الحفلة » عند حضور أحد نوابه عنه ،

(١) هذه الألفاظ السبعة للتوكيد هي ما تذكره كتب النحو ، وتزيد عليها بعض المعاجم « كافة » ، مثل : حضر أعضاء المجلس كافتهم جلسات الميزانية . وإن أشجار الحديقة كافتها مثمرة .

وهذا تعبير مجازي ، لا حقيقي [٢] .

ويجوز في المثالين السابقين أن تقول : حضر الرئيس بنفسه أو « حضر بعينه » ومنه قول الشاعر العباسي بكر بن النطاح (ت ١٩٣ هـ) في أبي دلف العجلي (من كبار القواد والولاة والأجواد ، وكان شاعراً) .

أبا دلف ، ان الفقير بعينه
لمَنْ يرتجي جدوى نداك ، ويأمله

وفي هذه الحالة تجر « نفس » أو « عين » بالباء ، ولا تسمى توكيداً تابعاً في الاصطلاح النحوي ، وان كانت تؤدي معنى التوكيد .

المثنى : ويؤكد بكلمة « كلا » اذا كان مذكراً ، « وكلتا » اذا كان مؤنثاً ، بعد ذكر المؤكد ، مثل : يُكرم الأبوان كلاهما . ومثل : تحنو الأم والأب كلاهما على الصغار . ومثل : أَعْظِمْ الأم والجدّة كلتيهما ومثل : أعجبت بالحديقتين كلتيهما (وسنعود الى هذه النقطة) .

الجمع : ويؤكد بكلمة « كل » أو « جميع » أو « عامة » .

مثل : قول النبي ﷺ في خطبة الوداع في السنة التاسعة للهجرة :

« الناس كلهم لآدم ، وآدم من تراب . . لا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى » .

ومثل : « رأيت المصلين جَميعَهُمْ يقفون للصلاة حين سمعوا الاقامة » .

ومثل : « أبي يقوم بأداء الصلوات عامَّتِها في المسجد ، لأن أداء الصلاة في الجماعة أفضل » .

وفائدة كل توكيد من هذه التوكيدات الثلاثة هو التعميم الحقيقي ، ودفع كل شك أو احتمال عن الشمول والاحاطة ، وأنه لا مبالغة هناك ولا مجاز . واذا حذف المؤكد قبل أي كلمة من هذه الكلمات السبع لم تعرب هذه الكلمة في الاصطلاح النحوي توكيداً ، وان أفادت التوكيد معنى ، بل تعرب على حسب موقعها في الجملة أو السياق .

ومن أمثلة ذلك كلمة « نفس » في قول بشار بن برد (ت ١٦٦ هـ) .

ومَا قَلَّ نَفْسُ الخير ، بل قَلَّ أهله
وأخطأتَهُ ، والشرُّ في الناس أكثر

وفي قولنا : أَسْكُنُ بنفس الشارع الذي تسكنه ، وفي مثل سابق « حضر الرئيس بنفسه » ومن أمثلتها كلمة « عين » في الآية « ثم لَتَرَوُنَّها عَيْنَ اليقين » .

من هنا نعرف أنه ليس من الخطأ أن يقال : حضر نفس الرئيس الحفلة ، وحفظت نفس القصيدة التي تحفظها ، ويرى بعضهم أن هذا الأسلوب خطأ لتقدم كلمة « نفس » وأن الواجب تأخيرها ، لأنها توكيد ، مع أن سائر ألفاظ التوكيد السبعة تأتي متقدمة وتفيد التوكيد ولكنها لا تعرب توكيداً بحسب اصطلاح النحويين ، لأنها لم تذكر تابعة عقب ما يراد توكيده .

ومثل هذا بقية الألفاظ السبعة الأخرى .

كقول الأخطل (وقد تزوج امرأة كانت متزوجة قبله ، وكان هو متزوجاً قبلها بأخرى ، فكان كلاهما يحن الى قرينه السابق) :

كلانا على همٍّ يَبِيتُ ، كأنَّما
بجنبيه من مَسِّ الفراش قروح
على زوجها الماضي تنوح ، وانني
على زوجتي الأخرى كذاك أنوح

وكقول شاعر قتل ابنه أخوه ، فلم يجد بدّاً من التعزي والتأسي :

أقول للنفس تأساء وتعزية
احدى يديَّ أصابتني ولم ترد
كِلاهُما خَلَفٌ مِنْ بعد صاحبه
هذا أخي ـ حين أدعوه ـ وذا ولدي

وكقول النبي ﷺ : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » ، وكالآية « ويوم يحشرهم جميعاً » وكقولنا « ان عامَّةَ الأشجار مزهرة » .

ونعود هنا الى توكيد المثنى وكلمتي « كلا وكلتا » في حالة اعراب كل منهما توكيداً ، وحالة اعرابه على وفق ما يطلبه السياق .

---

(٢) انظر : الايضاح في شرح المفصل ، لابن الحاجب ١ / ٤٣٧ تحقيق الدكتور موسى العليلي .

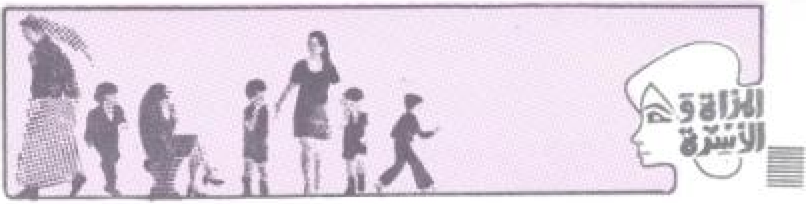

أمي .. لماذا لايعود إلينا أبى ؟

بقلم : منير نصيف

☐ كانت المشكلة تؤرقها .. انها لاتدري ماذا تفعل ، أو ماذا تقول ؟ كيف تجيب على هذا التساؤل الذى تراه فى عيني طفلها .. انها ليست دائما في حاجة لأن تسمعه يردد نفس السؤال الحائر الذي تقف أمامه دائما عاجزة عن أن تجد له جوابا .. (أين أبي يا أمي ؟ لماذا لايعود الى البيت . ان كل الآباء يعودون الى أبنائهم بعد انتهاء عملهم .. ولكن أبي لايأتي أبدا . ؟)

وهي لم تعتد الكذب .. وهو أيضا ، طفلها الذي استقبل عامه الثامن منذ بضعة أيام مضت .. لقد عودته على أن يكون صادقا دائما وأن يقول الحقيقة مهما كانت نتائجها .. وقد بدأ الصغير يدرك مايدور حوله .. بدأ يرى أشياء كثيرة ، لم تكن تستوقفه أو تثير اهتمامه من قبل .. ولكنها الآن أصبحت تشغل تفكيره .. منذ أيام اصطحبته أمه الى الحديقة العامة التي يحب ان يقضي عطلة نهاية الاسبوع بين اشجارها وطيورها التي يحلو له أن يرقبها وهي تطير فوق رأسه من غصن الى غصن ، ثم وهي تغدو فرحة سعيدة بالدفء الذي تبعثه الشمس في هذا اليوم البارد من أيام الشتاء .. كانا يسيران معا وهي تحتضن بيدها رأسه الصغير ، الى أن اقتربا من حوض الزهور الجميلة ، وتوقف ، وسألها : (هل أستطيع أن أقطف بعض هذه الزهور يا أمي .. انظري اليها ألا ترين كم هي جميلة ؟ !)

وتركته يفعل .. وفي هدوء راح الطفل يتجه الى الحوض الذي امتلأ بزهور الشتاء .. ومد يده الصغيرة وقطف بعضها ، ثم مالبث أن عاد اليها مسرعا وقد علت وجهه ابتسامة حلوة بريئة .! ونظرت الأم الى الزهرات التي اختارها .. وقالت وهي تداعب خصلات شعره : (سوف نضعها في اناء صغير مليء بالماء عندما نعود الى البيت ، لكي تبقى نضرة أطول فترة ممكنة .. مارأيك ؟)

(لا .. أنا لم أقطفها لأضعها في الماء ياأمي .. ولكنني فعلت ذلك ، لأهديك واحدة ، وآخذ لنفسي واحدة ، وأحتفظ بالثالثة لأبي ، فربما يفكر في العودة الينا ، من يدري ؟ وسنضعها في الماء لتعيش ، فاذا لم يأت اليوم ، فقد يأتي غدا ، وسوف يجدها هناك في انتظاره !)

وعادت الأم تنظر الى الزهور في يد طفلها ، فوجدتها ثلاثا .. قدم لها احداها ، واحتفظ بالزهرتين الباقيتين في يده .. وأخذتها منه ، ورفعت اليد الصغيرة التي قدمتها اليها ، ولثمتها بشفتيها في حنان ، ثم أدارت وجهها ، وأخرجت منديلها تمسح به دمعة حائرة تحمل ما كان يعتمل في صدرها ورأسها من انفعالات .. « ماذا أقول له .. كيف أصارحه بالحقيقة التي تعود أن يسمعها مني دائما ؟ ! كيف أروي له قصة الأب الذي تخل عن طفله ونسبه ، تماما كما ينسى الرجل النظارة التي طالما وضعها أمام عينيه ليرى بها طريقه ، فاذا به يوما ينسى أنه كان يستعين بعينين أخريين حتى يرى مكان خطواته ، فلا يلبث أن يجد نفسه وقد سار في طريق آخر لايعرفه ولم يألفه من قبل ! ؟ »

* * *

وانتهى النهار ، وعادا الى البيت .. وأسرع الصغير يضع الزهرة في الماء .. الزهرة التي سيقدمها لأبيه عندما يعود اليه .. ومر يوم ويومان .. وانقضى الاسبوع كله وماتت الزهرة ، ولم يأت الأب .. كانت أمه ترقبه في صباح كل يوم ، وهو يتجه الى زهرته ويقف أمامها يتأملها وهي تذبل في بطء ، ويناجيها وكأنه يرجوها أن تبقى وتصمد !

انها لن تنسى يوم أن فتحت المدارس ابوابها لتستقبل التلاميذ بعد عطلة الصيف الطويلة .. في اليوم الاول اصطحب الآباء أبناءهم .. لقد جاء معظم الأطفال في صحبة آبائهم .. والتقى بأصدقائه الذين عرفهم في العام الماضي وكانوا جميعا يقفون وسط والديهم .. وأسرع يبحث عن أمه وكانت تقف في ركن قصي تتحدث الى المدرسة الجديدة،وتعلق بذراعها وقال يهمس في أذنها : « هل يأتي أبي الينا اليوم ليقدم لي الهدية التي وعدني بها .. ؟ »

وفي العطلة الصيفية الطويلة التي كان يمضيها وحده مع أمه بعيدا عن الأب الذي كان دائما مشغولا بعمله .. وفي الرحلات القصيرة الى سوق المدينة التي كانت الأم تصطحب فيها صغيرها لشراء ما تحتاج اليه الأسرة في البيت .. وفي الزيارات التي كانت تقوم بها لصديقاتها مع طفلها وحدهما ، لأن الأب سوف يبقى في مكتبه حتى ساعة متأخرة من الليل ، وربما امتدت حتى صباح اليوم التالي .. في كل هذه المناسبات .. وحتى قبل أن تنفصل عن زوجهاووالد طفلها بالطلاق .. كانت ترى الحيرة في عيني صغيرها .. انه لايجد أباه . انه لايعرفه .. انه لايذكر عن حياته في البيت الذي يضم والديه قبل أن يتركه مع أمه الا المعارك والمشاحنات والمشاجرات التي كانت تنشب بينهما .. وكان الصغير يقف ويرقب هذا كله من بعيد في خوف وقلق ..

* * *

لقد عاش سني حياته الأولى بعد أن بدأ يفهم

ويعي ما يدور حوله ، محروما من الحب الذي يبحث عن الطفل ، فلم يكن هناك وقت للحب . . . كان شيء في البيت قد بدأ يتحول الى (جحيم) صغير لايرى فيه بعينيه البريئتين سوى وجوه ثائرة غاضبة ، وكلمات حادة وصيحات مرتفعة . . ولم يكن يملك ازاء كل هذا الذي يراه ويسمعه الا أن يصرخ معبرا عما يعتمل في صدره من القلق أو الأنزواء في أحد أركان البيت ، حيث يبقى في مكانه هناك بعيدا عن (الاعصار) حتى يعود الهدوء ، فيسرع بالارتماء في حضن أمه ، كما لو كان يريد أن يجفف لها دموعها !

ولم تكن الأم صاحبة هذه القصة التي وجدت نفسها تعيش فيها مع الحيرة ، هي وحدها التي تبحث عن حل لمشكلتها . . ان هناك آلاف الأمهات . . ولكن هل مازلن يعشن حيرتها . . هل مازلن يبحثن عن إجابة عن هذا التساؤل الذي تراه في عيني طفلها ؟

وكان من الممكن أن تحمل الأم مشكلتها الى أحد الأصدقاء الكبار الذين عرفوها وهي طفلة ، وعاشوا جانبا من مشكلتها مع الحياة . . وكانت تلجأ اليهم قبل هذا كلما كانت تشعر بالضيق يحتويها حتى قبل أن تنجب طفلها . . فقد كانت تجد عندهم ما تبحث عنه وتسعى اليه من راحة النفس . . ولكنها آثرت أن تبحث بنفسها هذه المرة عن مخرج للحيرة التي تستبد بها . لماذا لاتعود الى الكتب ؟

لقد كان الكتاب رفيقها في كثير من المشاكل التي صادفتها ، وكان مدرستها عندما أصبحت أما وهي تقرأ عن (العناية بالطفل) ، ثم (الدكتور سبوك يتحدث للأمهات) . .

وعثرت عليه أخيرا . . انه في أحد كتبه الأخيرة يتحدث(عن مشاكل الآباء) وراحت تقرأ وكأنها تقرأ وتقرأ قصتها هي أو مشكلتها هي . . الى أن وصلت الى هذا الجزء من الحديث الذي يصف فيه حاجة الطفل الذي هجره أبوه الى الشعور بأن والده يحبه .

لقد كانت الأم بطبيعة الحال تشعر باستياء ازاء موقف هذا الأب الذي لم يحاول الابقاء على الصلة التي تربطه بطفله طوال تلك الشهور التي انقضت،منذ أن حملت الأم طفلها لتبدأ معه حياة جديدة ، تعيش فيها له وحده ومن أجله ومن أجل رفاهيته وسعادته . .

ولكنها مع هذا الشعور كانت تدرك في قرارة نفسها أن هناك وسط كل الأحداث التي مرت بها وأدت الى هذا الوضع الجديد ، حقيقة واحدة ثابتة لايمكن أن تتغير ، ولايمكن لأحد أن يغيرها ، وهي أنها أم هذا الطفل البريء الذي تستمد من وجوده بجوارها القوة لمواجهة الحياة وحدها ، وأن الرجل الذي انفصلت عنه بالطلاق هو والد طفلها . . والطفل بدوره ، رغم كل ما مر به ، وما رآه من أحداث تقع بين والديه وتثير في نفسه الخوف والقلق . . رغم هذا كله ، قد بدأ ينسى ما كان يحدث أمامه وسط المناخ الجديد الذي يعيش فيه مع أمه التي تعطيه كل حبها ، ولكنه في الوقت نفسه لايريد أن يحرم من حب أبيه . . انه يريد أن يشعر بأن أباه أيضا يحبه . . هذا الشعور لابد أن ينمو في الطفل اذا كان الوالدان يريدان له أن ينشأ نشأة صحية . ومن أجل ذلك نرى الطفل يتعلق بهذا الاعتقاد حتى اذا استمر الأب في الابتعاد عنه !

أما اذا أحس الطفل بأن والده لم يعد راغبا في رؤيته وأنه قد قدم أكثر من دليل على انه لم يعد يهتم بابنه ، وأنه لم يحمل له في قلبه أي شعور بالحب في يوم من الأيام . . إذا أحس الطفل بهذا من خلال تصرفات والده نحوه أو نحو أمه أو من خلال محاولات الأم لابعاد الطفل عن أبيه ، فقد وقع الضرر الذي كان لابد أن يقع نتيجة لهذا الموقف !

* * *

ما الذي يمكن أن يحدث لهذا الطفل ؟ سوف يشعر بكراهية شديدة لمثل هذا الأب ، وفي الوقت نفسه يفقدثقته بالناس من حوله ،وأخطر

من هذا ، فسوف ينمو في داخله شعور بأنه أقل من غيره من الأطفال . . وهو شعور سيظل يلازمه طوال حياته ، فالطفل الذي يحس بأن أحد والديه لايحبه ، لايمكن أن يصدق أنه شخص يستحق حب الآخرين . . انه يشعر دائما بأن هناك شيئا أساسيا في داخله ينقصه ، وأنه ليس مثل الآخرين ، وكلما كبر هذا الطفل - ولدا كان أو بنتا - ازداد هذا الشعور لديه ، وساورته الشكوك حتى عندما يجد من يحبه حبا حقيقيا ، وتبقى العقدة تعيش معه في المدرسة والجامعة وفي عمله بعد التخرج ، وحتى عندما يتزوج ويصبح أبا لأطفال !

من أجل هذا يكون قلق الأم وتكون حيرتها وهي تسأل بماذا أجيب على تساؤلات طفلي عن أبيه ؟

ان الأم التي لم تعد تشعر تجاه هذا الأب الذي انفصلت عنه بالطلاق إلا بالاحتقار يقع على عاتقها عبء كبير . . فلا بد لها أن تضع حبها لطفلها في المقام الأول ، وقبل أي شيء آخر . . وهذا الحب يتطلب منها القيام بدور على جانب كبير من الأهمية . لابدلها أولا أن يكون حديثها عن والد طفلها ، أمامه على الأقل ، بكل الاحترام وأن تحاول أن تضعه دائما في أجمل اطار يمكن أن يرى صورته من خلاله .

لاشك أن التناقض بين ما تشعر به الأم بالفعل ، وبين ما تحاول أن تتظاهر به أمام طفلها يتطلب قدرا كبيرا من العطاء والشجاعة ، فهو مجهود ستظل تقوم به طوال حياتها . .

وقد تجد الأم صعوبة في بعض الاحيان في التفكير في شيء طيب تذكر به الرجل الذي دفعها دفعا الى أن تضع بيدها خاتمة لحياتها معه . . واذا حدث هذا ، فقد تجد الحل للمشكلة اذا عادت قليلا بذاكرتها الى الوراء . . عندما تقدم يطلب يدها من والديها . . وكيف استطاع أن يجعلها تحبه وتتعلق به وترضاه زوجا لها . . لابد أنها اكتشفت فيه مزايا معينة نجح من خلالها أن يصل الى قلبها ويسكن فيه ولو لبعض الوقت !

●●●

وعند هذا الحد كانت الأم قد وصلت الى نهاية رحلتها مع مشاكل الآباء ، ومشكلتها هي بصفة خاصة . . وكادت تطوي الكتاب وتنتهي من القراءة ، لولا أن شدتها اليه مرة أخرى عبارة أخيرة اختتم بها الرجل الذي ما زال الملايين يقرءون له ويلجئون الى كتبه لا كمؤلف ولكن كصديق أمضى حياته يغوص في اعماق النفس البشرية : ليس المطلوب من هذه الأم أن تقول ان زوجها السابق كان ملاكا . . لانها لو فعلت فسوف تزداد نظرات التساؤل في عيني طفلها وربما - إذا كان قد بلغ من الوعي قدرا يسمح له بالتوقف والتأمل - ربما قال لها بدوره متسائلا : (لماذا اذن إبتعدت عنه يا أمي ! ؟)

ليس المطلوب من الأم أن تذهب الى هذا الحد في اطراء محاسن والد طفلها أمامه ، ولكن كل ما يريد أن يسمعه الطفل من أمه ردا على تساؤلاته أن والده يحبه ، وسوف يحبه دائما وأنه لن يتخلى عنه أبدا . .) □□

■ لا تخطب المرأة لحسنها ، ولكن لحصنها .. فان اجتمع الحصن والحسن .. فذاك هو الكمال المطلق .

(الزمخشري)

والأرض..؟

شعر

الدكتور اسامة عبد الرحمن

ما للنجومِ عنِ السماءِ غيابُ
حتّى وإنْ ضَربَ الخمارَ سَحابُ
حتّى وان ضرب الدّجى اوتادَه
حتى وإن قرعَ الطبولَ ضبابُ
كَم طالَ صرحُ المجد .. في اعلى الذُّرى
وهَوى من الليلِ البهيمِ حجابُ
المجدُ .. عنترةُ يجرّد سيفَه
سَعياً إليهِ .. وتَسقطُ الانسابُ
والمجدُ .. يكْتبُهُ بلالُ بصفحةٍ
خَرّت خلالَ سطورِها الالقابُ
والمجدُ .. يبعثُه الأسيرُ عواصفاً
منها السياطُ الباغياتُ تهابُ
والمجدُ .. ينحتهُ السجينُ .. صحائفاً
ثوريةً .. ما ضَمّهنّ كتابُ
من الف عام .. نحنُ نُعتنقُ الدُّجى
ورسولهُ متآمرٌ .. كذّابُ
ونعانقُ الشيطانَ .. في أوكارِهِ
ونسيرُ حيثُ تُحدد الانصابُ
حتى الشواطيء .. سافرتْ اشواقُها
حتّى الرياض .. كانهنّ يَبابُ
حتّى الربيع .. تناثرتْ اوراقُهُ
ومَضَى الشّذى .. وتفرق الاحبابُ
والجدولُ الرّقراقُ .. ماتَ خريرُه
واحتلّ عذبُ الماءِ فيهِ سرابُ
والوردُ لم يَبعثْ الى اغصانه
كلماتِ شوقٍ ضَمُّهُنّ خطابُ
والجاهليةُ اقبلَتْ مبتورة ..
ما في يدَيها .. ثورةٌ وحرابُ
والارضُ .. يبتلع الدُّجى احلامَها
والشوقُ قد ماتتْ بهِ الاعشابُ
والارضُ .. يوغلُ في مرابعِ وَجدِها
ظُفُرٌ من القذرِ المريعِ .. ونابُ
والارضُ .. جاسَتْ في جميعِ ربوعِها
ومنَ المحيط الى الخليجِ .. ذئابُ
مضت الصّروحُ .. وجاء في اعقابها
وعلى سفوحِ العادياتِ .. خرابُ
والبحر .. ما رقَصَتْ على شطآنهِ
كلماتُ شوقٍ .. صاغَهنّ عتابُ
والروضُ .. ما ارتادتْ عليهِ بلابلٌ
غُصناً .. مُذ استولى عليهِ غُرابُ
ذهبتْ قبائلُنا .. الى نَزَواتِها
وتقاتَلَ الأعرابُ .. والاعرابُ
والفكر مصلوبٌ .. على صفحاتِهِ
وعلى السّطورِ .. دماؤه تنسابُ
والسيفُ لم يَخرجْ ليوم كريهةٍ
مُذ صارَ .. ديدنُ حدّه الإرهابُ
لا تسأليني .. ما الذي ذَبحَ السَّنا
من بعد ان سجدتْ له الاحقابُ
ومن الذي جعلَ القشُورَ قضيةً
فإذا القضايا ما لهُنّ لُبابُ

ومن الذي جَعلَ الحروفَ سجينةً ... قد اوصدَتْ من دونِها الابوابُ
ومن الذي جَعلَ المجازرَ مُتعةً ... يَلهو بها في ليلهِ .. القصّابُ
ومن الذي قتلَ الاغانِي .. فانتْهى ... عِطرُ الربابةِ .. وانتهى زِريابُ
ومن الذي سرَقَ القبائلَ همسَها ... ولكلِّ همسٍ .. في السجلِّ عقابُ
ومن الذي سرقَ الشعوبَ رِغابَها ... فرِغابُها من فوقهنَّ رِغابُ
ومن الذي جعل الشجون جريمة ... وجزاؤها .. مثل الجحيم عذابُ
فعلى الشفاهِ الموصداتِ .. حراسةٌ ... وعلى المسامعِ كلِّها .. بوّابُ
وعلى الحروفِ النازفات من الاسى ... تندسُّ ما بينَ السطورِ .. كلابُ
ومن المآسي كُلُّ كُوبٍ .. مترعٍ ... كم بالمآسي تُترعُ الاكوابُ
والبحر اضرب عن شواطيء حبهِ ... هل للبحارِ عن الهوى اضرابُ
والقافيات الرائعات .. توسدت ... ما بين كل حروفها .. الاوصاب
والسافرات من الكواكبِ في الدجى ... لم يبق بين جفونهن شهابُ
والمجد .. حتى في تليد سطورِهِ ... غالتهُ بين سطورِهِ الانيابُ
لم تبق من وجه الربيع ملامحٌ ... فلقد توارى المنظَرُ الخلابُ
والهاربون من الجحيم قوافل .. ... ضاقت بهن .. مسالك وشعابُ
والزاحفون .. وظلهم ماساتهم .. ... فوق القفار .. وجرحهم جوّابُ
ضاعت رحاب بني امية وانتهى .. ... عز المعز .. فما الرحاب رحابُ
والمجدُ سافرَ .. وانتهتْ صفحاتُهُ ... والصِيدُ .. في جوفِ الغياهبِ غابوا
انى وماساتي .. بفضائح جرحها ... وغدٌ .. عليه من الظلام نقابُ
والباقياتُ الصالحاتُ .. تمزقتْ ... والمؤمنون .. دهتموا الاحزاب
والقدسُ لم تغمضْ لها اجفانُها ... وعلى الترابِ .. مآذنٌ وقبابُ
قل للأُلى صُلبوا على اخشابِهم ... ما تقشعرُ لهولهِ .. الاخشابُ
لم تبقَ في الفكرِ الأبيّ بقيةٌ ... كلا ولم تُورِق به .. الآدابُ
يتقاتل الاعرابُ في مستنقعٍ ... ما فيه الا طحلبٌ .. وذُبابُ
ومصيرُهم في العادياتِ معلقٌ ... وكأنهم بين العدا .. اسلابُ
ان الحقيقةَ كالضحى مكشوفةٌ ... هل للضحى .. مثلَ الظلامِ ثيابُ
والنصر .. ليس قصيدة ابياتها ... مرفوعة .. او دعوةٌ فتجابُ
والنصرُ .. ليس قضيةً في ظلِّها ... يتفاوضُ .. الاذنابُ .. والانصابُ
يا ليتَ بعضَ الجرحِ .. يبعثُ عاصفاً ... فيهبَّ من بعدِ السباتِ .. ترابُ

العربي
من ربع قرن

الرحالة الدنمركى نيبور يؤكد
منــذ قرنين من الزمان ان :

الخـليج عربي ..

إن التشوق لمعرفة العرب ، ودراسة بيئتهم الأولى في جزيرتهم هي التي حدت بملك الدنمرك الى ان يعد بعثة من خمسة رجال ، وان يطلب اليهم السفر الى البلاد العربية لدراسة أحوال العرب وتقديم البيانات والمعلومات الكافية عن العربي البدوي والحضري ، وهكذا كان ، وخرجت تلك البعثة المؤلفة من رجال خمسة من الدنمرك برئاسة كارتسن نيبور "Cartsen Nibuhr" وكان هدفها السفر الى البلاد العربية ودراستها والتجوال فيها والكتابة تفصيلاً عنها لكي تُحل بعض الغامض في ذهن الغرب عن العرب .

أما هؤلاء الخمسة فقد ركبوا سفينة حربية دنمركية من كوبنهاجن ـ عاصمة الدنمرك ـ في الرابع من شهر يناير (كانون ثاني) عام ١٧٦١ ، وتوجهوا الى البحر الأبيض المتوسط ، واتجهوا شرقاً حتى رست سفينتهم بالاستانة عاصمة الدولة العثمانية والتي كان لها اليد الطولى في الوطن العربي آنذاك .

ومن الاستانة اتجهوا جنوباً الى الاسكندرية في طريقهم الى القاهرة حيث أزمعوا الاستراحة والاستعداد لتلك الجولة القادمة من رحلتهم .

وفي القاهرة أقام الدنمركيون الخمسة ، ومعهم خادمهم السويدي ، مدى عامين ترددوا في اثنائها على الجامع الأزهر وجامعته ودرسوا اللغة العربية حتى برعوا فيها . لم تكن اقامتهم بالقاهرة مقصورة على هدف تعلم اللغة العربية وقواعدها والتكلم بها ، بل تعدت ذلك الى رحلات في الوجه البحري والوجه القبلي أي الدلتا وصعيد مصر .

ولما تزود الرحالة الخمسة بزاد اللغة العربية ، وبعد ان زاروا معظم الأماكن الأثرية في مصر ودونوا ملاحظاتهم عنها ، توجهوا الى مينا السويس قاصدين ميناء جدة بالحجاز حيث جمعوا ودونوا ملاحظاتهم عن الحجاز من حيث الحكومة ونظامها وحياة العرب بمدن الحجاز ، ووصفوا تلك المدن المقدسة وصفاً حاولوا أن يجعلوه دقيقاً بقدر الاستطاعة ذلك ان المدن المقدسة لم يكن ليسمح بالنزول فيها لغير المسلمين .

زار نيبور وهو في الخليج العربي في طريق عودته الى أوروبا جزيرة « خرج » وتقع شمال الخليج وبالقرب من ميناء « أبو شهر » وكانت يومئذ تخضع لحكم الهولنديين ، اذ كانت فيها وكالتهم التجارية المسماة بشركات الهند الشرقية ، سواء ما كان منها انجليزياً أو هولندياً أو فرنسياً ، انما كانت تحتكر التجارة من الخليج العربي واليه منذ أوائل القرن السابع عشر الميلادي .

في جزيرة « خرج » السابقة الذكر ، استطاع نيبور ان يجمع معلومات تاريخية هامة عن الامارات العربية على شاطيء الخليج العربي . ولم ينس نيبور ان يقرر للحقيقة والتاريخ ان الخليج عربي بشاطئيه . قال نيبور في هذا المقام : ان جغرافيينا - أي الأوروبيين - مخطئون جداً في رسم خريطة الخليج وتبيانهم أن شاطيء الخليج الشرقي انما هو فارسي ايراني . اذ أن الواقع يخالف ذلك تماما ، فجميع البلدان الواقعة على الشاطيء الفارسي من الخليج هي عربية لحماً ودماً ، فالسكان جميعهم من العرب ولغتهم هي العربية وحكامهم جميعاً بلا استثناء عرب ، ونظام الحكم بينهم قبلي مثله مثل نظام جزيرة العرب وعرب الهولة يمثلون الأغلبية بين عرب الشاطيء الفارسي ، وهؤلاء الهولة هم حكام البحرين ومن أهم مشايخ العرب ، واوسعهم نفوذاً على الشاطيء الفارسي الشيخ ناصر آل مذكور شيخ مدينة « أبو شهر » وصاحب النفوذ في البحرين ، وكذلك هناك مشايخ بني كعب ، وهم يسيطرون على عربستان ما بين فارس وولاية بغداد .

هذا ما قرره نيبور عام ١٧٦٥م أي قبل قرنين من الزمن تقريباً .

وكانت الكويت عند مرور نيبور بالخليج مدينة زاهرة ، وعلى هذا لم يغفل نيبور ذكرها ، فقد قال إنها تسمى الكويت وأحياناً القرين والاسم الأول برتغالي من كلمة « كوت » بمعنى قلعة ، والثاني عربي وهو تصغير القرن أي التل المرتفع ، واورد نيبور كذلك أن شيخ الكويت هو الشيخ عبد الله الصباح وكان شاباً في مقتبل العمر . ولعل اشارة نيبور الى الكويت هي ثاني اشارة الى ذلك الميناء المزدهر يكتبها أوروبي . ذلك أن الدكتور آيفز "Ives" الانجليزي قد أورد ذكرها في رحلته عبر الخليج عام ١٧٥٨م يوم كان مسافراً من بمباي الى البصرة ويوم أن عرج كذلك على جزيرة « خرج » السابقة الذكر .

د . احمد مصطفى أبو حاكمة

الجديد في العلم والطب

اعداد : يوسف زعبلاوي

سيقان في أعلى الرأس

من المعروف أن الأحياء جميعا .. من الديدان، وأبسطها، الى الانسان، تبدأ رحلتها ببيضة ملقحة .. لا تلبث أن تنقسم خلايا متشابهة بل متطابقة تمام التطابق .. ولكن هذا التطابق يتوقف ويحل محله الاختلاف بين الخلايا وذلك بعد بضعة انقسامات .. فما هو السبب في ذلك ؟

كان هذا السؤال موضع أبحاث عالمين من علماء الحياة في جامعة كولورادو في الولايات المتحدة، هما ماثيو سكوت وألن لوهون (Laughon)، ويعتقد العالمان الآن أنهما اكتشفا سر اللغز .. فثمة مقطع من مادة (DNA) ـ وهي موجودة في كل جينة (gene) من جينات الخلية .. بل قل جينات الجسم كله، هو المسؤول عن ذلك الاختلاف .. فهو العنصر الوحيد القادر على احداث التنويع في الخلايا التي تظهر نتيجة انقسام البيضة الملقحة .. فالتغيير الذي يطرأ على الشفرة الوراثية لتلك الخلايا والذي يؤدي الى الاختلاف أو التنويع الذي يحل فيها ويجعلها خلايا متميزة بعضها عن بعض انما يطرأ تبعا لفعل ذلك المقطع . وقد توصل العالمان الى هذه الحقيقة لدى عبثهما بمادة DNA الموجودة في جينات ذبابة الفاكهة Fruit FlY، بل في المقطع الذي ذكرنا بالذات ..

الا أن العالمين اكتشفا شيئا آخر مثيرا للدهشة .. فقد أدى عبثهما القليل المحدود في المقطع الحاسم من جينات تلك الذبابة الى نمو ساقين لها، بدلا من قرني الاستشعار .. وذلك في رأسها بالذات، وحيث كان ينمو القرنان .. وأدى عبثهما أيضا وفي الوقت نفسه الى إنقاص عدد الحلقات التي يتكون منها جسم الذبابة .. الى النصف ..

والغريب أن علماء آخرين اكتشفوا مثل المقطع الذي ذكرنا في الجينات الانسانية نفسها .. ولا يخفى ما ينطوي عليه هذا الاكتشاف الثاني من خطورة .. فهو يعني أن العلماء باتوا قادرين على احداث تغييرات جذرية في بنية الجسم البشري .. كأن يجعلوا العينين تنموان خلف الرأس بدلا من مقدمته ! ويجعلوا السيقان تنمو مكان الاذرع والعكس بالعكس .

ويعلق ماثيو سكوت على هذا الاكتشاف الاخير بالقول أن من المستبعد أن يؤدي العبث في جينات الانسان الى مثل التغيرات التي حدثت في ذبابة الفاكهة .. ويؤكد آخرون أن العلماء ينفرون في الغالب من هذه الاحتمالات ويحجمون في الغالب أيضا عن العبث بجينات الانسان .

التصوير بأشعة إكس في الهواء الطلق حيث يكون المصاب

أجهزة التصوير بأشعة اكس أجهزة ضخمة وثابتة في مكانها .. فهي إذن لا تحل مشكلة الذين يتعرضون لحادث أو يصابون بمرض في أماكن نائية .. وتمس حاجتهم الى التصوير بأشعة اكس .. وقد درج الناس على نقل أمثال هؤلاء عبر مئات الاميال الى مراكز التصوير بالاشعة حيث توجد تلك الأجهزة الكبيرة .. ولطالما تعرض المصابون والمرضى للمضاعفات .. أو لاقوا حتفهم أثناء قطعهم تلك المسافات ..

من هنا كان جهاز التصوير الجديد الذي ابتكرته احدى الشركات الأمريكية ذا قيمة كبيرة .. فهو صغير ويسهل حمله ونقله من مكان الى آخر .. (أنظر الصورة) .

على أن فاعلية هذا الجهاز الصغير فاعلية محدودة .. فهو يصلح لتصوير الايدي والاقدام والأذرع وما الى ذلك من أعضاء الجسم الصغيرة .. ويستمد اشعاعه من كمية ضئيلة من مادة الايودين ١٢٥ ... التي تعرف بانخفاض طاقتها والتي توضع في أنبوب اسطواني خاص يوضع في أحد طرفي الجهاز .

وما أسرع ما تظهر صورة العضو المراد تصويره على شاشة الجهاز (قطرها بوصتان) لدى الضغط على الزر الخاص بذلك .

وفي الجهاز من المقويات (Intensifiers)والمصفيات (Screens) ما يكفل لصورة الأشعة ، وهي غير مرئية أصلا ، أن تظهر على شاشة الجهاز صورا مرئية واضحة . وفي الامكان التقاط تلك الصورة وطبعها على فلم وذلك بواسطة أي كاميرا عادية (٣٥ مم) .. أو بواسطة كاميرا بولارويد مصحوبة بكيف (adapter) .

والجدير بالذكر أن للجهاز الجديد حسنة أخرى كبيرة ، غير صغر حجمه وخفة وزنه .. فهو غير خطير ويمكن تشغيله طوال دقيقة أو أكثر ، دون أن يعرض المريض لأي ضرر .. ذلك أن طاقة الايزوتوب Isotop في الجهاز طاقة منخفضة جدا ، والمنطقة التي تتلقى إشعاعه منطقة صغيرة محدودة في الجسم ..

من هنا كان المريض في غير حاجة الى الرداء الواقي الذي يلبسونه اياه عند تصويره بأجهزة التصوير الكبيرة .. وقل مثل ذلك في الطبيب أو التقني الذي يشغل الجهاز .. فهو أيضا في غير حاجة الى ذلك الرداء الواقي ..

والجهاز الجديد يصنعونه في سبعة طرز مختلفة ... تتفاوت حجما وقوة وتتراوح أثمانها بين ٨٥٠٠ دولار و ١٠٫٠٠٠ دولار .

للنساء فقط ..

نشرت مجلة سيانس دايجست الامريكية خبرا مفاده أن بيكربونات الصودا تشفي النساء من بعض حالات العقم ... فقد ثبت للدكتور كنث جولد Kenneth Gould أن في صودا الخبز علاجا ناجعا للعقم الناشيء عن المادة المخاطية الكثيرة الثقوب التي كثيرا ما تظهر في عنق الرحم وتقف حجر عثرة فيه .. وتبدو هذه المادة كبيت العنكبوت اذا نظرت اليها بواسطة المجهر . وهي تتضخم أثناء العادة الشهرية .. وتبين للعالم الامريكي أن جزيئيات الصودا ـ وهي ذات شحنة كهربائية سالبة ومزدوجة كما هو معروف ـ كفيلة بفتح ثقوب تلك المادة المخاطية وتوسيعها ..

وقد أجرى جولد تجاربه على (٩٠) امرأة عاقرا رش الصودا في أعناق أرحامهن قبل الجماع ، فحملت منهن ثلاثون امرأة .. ولعل عدد الحوامل يزيد اذا تكرر الرش مرتين أو ثلاثا .. ولعله يزيد أيضا في حالة صنع مادة الصودا المذكورة بالمواصفات المناسبة تماما .

أفلام الصور المتحركة ودورها في حياة الطفل

بقلم : الدكتور عماد زكي

□ تلعب الرسوم المتحركة دورا مهماً في تكوين شخصية الطفل ، وهي تحتل مكانة مرموقة في أعماقه لانها تقدم له المعلومات في قالب قصة جذابة ، أو حكاية مثيرة تجري أحداثها في تلك العوالم التي طالما سأل عنها وتمنى رؤيتها . . .

نشعر ـ نحن الكبار ـ أحيانا بالسخرية من أنفسنا عندما نجدنا مشدودين الى فلم من أفلام الكرتون ، أو الى مسلسل شيق من مسلسلات الصورة المتحركة المصممة للاطفال .. فاذا ما حانت منا التفاتة طارئة لأطفالنا الاعزاء ، ألفيناهم محدقين بأعينهم في الشاشة الصغيرة ، يلتهمون كل ما يشاهدونه من صور وأحداث بمتعة وتركيز وانفعال .. هائمين في عوالم خاصة بهم ، لا يربطها بعالمنا الا تلك النافذة السحرية المضيئة التي ندعوها (التلفزيون) ..

فلافلام الرسوم المتحركة سحر خاص ، وجاذبية فائقة ، تشد الكبير والصغير ، لانها رسوم حية أنيقة ، مرسومة بريشة الخيال المبدع ، تستمد عناصرها الأساسية من واقع الانسان والحيوان والجماد ، لتحركها حركة جذابة رشيقة ساحرة ، فيها خروج عن المألوف ، وحرية واسعة في التعبير ، وتلاعب مدهش بالالوان ، وقدرة خارقة على تصوير الاشياء والاشخاص والمخلوقات والأحداث ، لا تستطيع السينما العادية امتلاكها ، مهما تطورت وتقدمت ، ومهما أوتي صانعوها من عبقرية التعبير والأداء ...

ان سينما الصور المتحركة تشكل فرعا مستقلا في فن (الفلم) ، وقد ولدت عام (١٩٠٧) على يد تقني مبتكر مجهول، يعمل في مشاغل (فيتاغراف) في نيويورك وأطلق على ذلك الابتكار آنذاك طريقة (دورة المقبض المحرك) ، التي بفضلها استطاعت المصورة أن تأخذ لقطاتها صورة فصورة ، ثم جاء السينمائي (ستيوارت بلاكتون) فاستخدم هذه الطريقة في (فلمه) (الفندق المسكون) الذي شوهدت فيه الاشياء تتحرك من تلقاء نفسها ، دون الاستعانة بأي خيط . ولكي تظهر سكين مثلا ، وهي تقطع شيئا أو تهدد شخصا ، أخضعت لتحويلات متلاحقة في حركتها ، وعرضت صورة فصورة ، بسرعة تفوق سرعة العين على تمييز الانتقالات المتدرجة في الحركة ...

وسرعان ما انتشرت هذه الطريقة التي أطلق عليها اسم (الحركة الامريكية) في أوروبا وأمريكا ، واستخدمت في انتاج الأفلام التعليمية والمنزلية والخيالية والترفيهية والاخبارية ، كما استخدمت في أفلام الدعاية التجارية . وما شخصية (باباي) البحار التي اشتهرت في أنحاء العالم ، الاشخصية ابتكرها (أ . س ز سيغر) لاستخدامها في الدعاية (للسبانخ) المعلبة ، التي أصبحت فيما بعد في أفلام (باباي) مصدر قوته الخارقة ، التي يواجه بها عدوه التقليدي اللدود (بلوتو) .. هذا ، ويعتبر (والت دزني) الامريكي الايرلندي الاصل ، أشهر محرك للصور في العالم ، حيث أطلق وطور العديد من الشخصيات الكرتونية الخالدة ، مثل شخصية(ميكي ماوس) الشهيرة ، و (دونالد)ذكر البط الأخرق السيء الطالع ، و (بلوتو) الكلب الاكول الجاحد الغيور الاحمق ، وغيرها من الشخصيات التي تنتمي الى عالم (والت ديزني) الذي أصبح مرجعا هاما في فن التحريك للاطفال . وقد صمم الكثير من شخصياته على شكل لعب مسلية للاطفال .

رسوم متحركة للكبار

لقد أدرك المنتج الغربي في أوروبا وأمريكا قيمة الأفلام المتحركة وشعبيتها ، فراح ينتج أفلاما طويلة من الرسوم المتحركة للكبار ، لتعرض في صالات العرض الفخمة ، فيقصدها المشاهدون من كل الانحاء . كما أدخلت الصور المتحركة بشكل واسع في البرامج الثقافية والرياضية والتعليمية ، فضلا عن برامج الأطفال التي استثمرت فن التحريك أروع استثمار . ويلاحظ الان أن التلفزيون العربي بدأ يهتم باستثمار هذا الفن في البرامج التعليمية والثقافية ، مثل برنامج الأطفال (افتح يا سمسم) وبرنامج التوعية الصحية (درهم وقاية) .. كما أن شركات الانتاج الفني العربية

تلجأ الآن الى دبلجة مسلسلات الصور المتحركة العالمية لتسد النقص الكبير في هذا الفن الشيق الجميل .

ومهما تكن شعبية أفلام الرسوم المتحركة بالنسبة للكبار ، ومهما استخدموها في برامجهم وفنونهم ، فانها تبقى الفن الرئيسي في تلفزيون الاطفال ، لانها المادة المفضلة التي تناسب سنهم وتفكيرهم وميولهم ونفسيتهم . .

فالطفل يحب بطبعه الصورة المعبرة ، ويجذبه اللون الجميل ، ويتفاعل مع قصص الخيال الشيقة ، وحكايات البطولة الخارقة ، وأحداث المغامرات المثيرة ، ولا نستطيع أن نصف متعة الطفل وسعادته ، وهو يرى تلك الأحداث والأشخاص التي كان يراها جامدة على صفحات مجلات الأطفال ، وقد دبت فيها الحياة على الشاشة الصغيرة ، وتحولت الى قصص وحكايات ومغامرات حية ناطقة متحركة ، تنقله الى عوالم لذيذة ساحرة ، تأخذ بلبه الغض الصغير . !

والطفل أيضا فضولي بطبعه ، يبحث عن معارف وخبرات جديدة . وتزدحم في خاطره أسئلة شتى عن الكون والحياة والاحياء والعوالم الغامضة التي قد يسمع بها ولا يراها ، كعالم الفضاء ، وعالم البحار ، وعالم الغابات ، وعالم الطيور ، وعالم الحيوانات ، وغير ذلك من العوالم والظواهر والمخلوقات . وعندما تأتي أفلام الرسوم المتحركة لتنقل له تلك العوالم والمعارف بصورة زاهية مبسطة مثيرة تناسب نفسيته وادراكه ، فانها تحتل في أعماق الطفل التواق للمعرفة مكانة مرموقة كمصدر للمعلومات المقدمة في قالب قصة جذابة أو حكاية مثيرة ، تجري أحداثها وسط تلك العوالم التي كان يسأل عنها ، أو يتمنى رؤيتها بالحاح .

وسيلة تربوية

أما من الناحية التربوية ، فان أفلام الرسوم المتحركة مرشحة لتقوم بدور فعال في صياغة الملامح التربوية لشخصية الطفل الذي يتفاعل مع هذه الافلام الى حد التقليد في كثير من الاحيان ، لذلك فهي تعتبر وسيلة رائعة لغرس المفاهيم التربوية والاخلاقية والاجتماعية في أعماق الطفل الذي يستسلم لهذه الافلام لتنقش في نفسه وذهنه ما تريد من قيم ومفاهيم . ولعل العلاقة الوطيدة بين فن (الرسوم المتحركة) وفن (الكاريكاتير) تساهم الى حد كبير في قدرة هذه الأفلام على تجسيد المعاني ، وابراز المطلوب منها ، وتعميقه في وعي المشاهد .

ولافلام الرسوم المتحركة ميزة خاصة ، تفتقر اليها الأعمال الفنية السينمائية والتلفزيونية ، فالشخصيات الكرتونية المتحركة شخصيات فريدة ثابتة لا تتكرر من مسلسل الى آخر ، (فالسندباد) في مسلسل (السندباد) مثلا شخصية متميزة لا نراها في المسلسلات الكرتونية الاخرى ، والفنان الذي رسمها ، صمّمها لتكون صورة (السندباد البحري) التي يراد للطفل أن يتفاعل معها ، بينما نجد في الأعمال السينمائية والتلفزيونية أن الممثل الواحد يتقمص أدوارا مختلفة متناقضة متباينة ، مما يقلل في كثير من الاحيان من تفاعلنا مع قصة (الفلم) أو المسلسل ، لاحساسنا المتزايد بأن هذا الذي نراه محض تمثيل ، فالممثل الذي رأيناه بالامس القريب في دور بطل نبيل ، نجده اليوم في دور نذل خسيس ، والممثلة التي رأيناها في المسلسل الماضي في دور أم طاهرة رؤوم نفاجأ بها في (فلم) أو مسلسل آخر وقد أخذت دور امرأة خاطئة أو راقصة مبتذلة تضحي بأمومتها في سبيل نزواتها وأهوائها وهكذا . . . فاذا أضفنا الى هذه الظاهرة ما درجت عليه المحطات التلفزيونية العربية من عرض المسلسلات يوميا أدركنا ما يعانيه المشاهد من شعوره بأن هذه الشخصيات التمثيلية شخصيات مكررة تتكلف الادوار ، وهو شعور تفرضه طبيعة التمثيل ولا ذنب للممثل فيه ، أما (أفلام الرسوم المتحركة) فانها تريح

الطفل من هذا الشعور ، بل على العكس من ذلك نجد أن هذه (الافلام) بالرغم من اغراقها في الخيال ، تستطيع أن تستحوذ على عقل الطفل ، وتقنعه بأحداثها ، وتضفي على شخصياتها المزيد من الصدق الفني الذي يضاعف من تفاعل الطفل مع قصة (الفلم) المتحرك ، لذلك نرى أن شخصية (السندباد) التي يتفاعل الاطفال معها بشدة ، مازالت شخصية خالدة في أذهانهم ، وصورة لا تزاحمها صورة أخرى ، ومازالت تحتفظ بمذاقها الخاص ! .

زيادة برامج الاطفال

بعد هذه الفكرة الموجزة البسيطة عن عالم الرسوم المتحركة ، أود أن أطرح قضية هامة تتناول واقع الطفل في الوطن العربي والعالم الاسلامي . فاذا كان الاهتمام بالطفل من أهم العلامات الحضارية في حياة الامم المتقدمة ، والامم التي تصبو الى التقدم ، وجب أن تشهد بلادنا اهتماما متزايدا ونهضة كبيرة في برامج الاطفال ، وما دمنا نطمح للخروج من واقع الانحطاط والتخلف الى دنيا الحضارة والتقدم .
واذا كان اعلام الاطفال من أهم دعائم نمو الطفل ، فمن الضروري جدا أن تكثف الجهود وتوجه بالحاح وتصميم لايجاد إعلام قوي متطور ناجح لاطفالنا الاعزاء . . اعلام مدروس يقوم على أنجح الاسس والاصول والتجارب النفسية والتربوية والفنية ، ويعمل على بنائهم البناء السوي القويم ، الذي يؤهلهم لمتابعة مسيرة النهوض والبناء في بلادنا ، وتحقيق الآمال الكبيرة التي عاش آباؤهم وأجدادهم من أجلها . .

ولما كان (التلفزيون) أعظم وأخطر وسيلة اعلامية على الاطلاق ، فقد بات (تلفزيون) الأطفال ضرورة لابد منها ، والرسوم المتحركة - بصفتها أكثر الألوان التلفزيونية جاذبية وتشويقا للاطفال - باتت فنا مطلوبا بالحاح ليقوم بدوره في توعية الطفل وتثقيفه وتوسيع آفاقه الفكرية والعلمية ، وبلورة شخصيته الثقافية والاجتماعية ، ولو أتيح لي إبداء الرأي لأشرت بزيادة رقعة برامج الاطفال ، وتشجيع أو احداث جهاز كامل لفن الرسوم المتحركة ، ورفده بكادر مبدع من الرسامين والفنانين والتقنيين والمتفذين ، حتى يقوم بدوره الخطير في نهضة أطفالنا الاعزاء .

رسوم عربية الهوية والغاية

ان نظرة متفحصة في الرسوم المتحركة المقدمة للاطفال في بلادنا ، تقودنا الى اكتشاف التقصير البالغ في استخدام هذا الفن الخطير . فمعظم أفلام الكرتون والصور المتحركة المقدمة لاطفالنا أفلام أمريكية أو غربية الصنع والهوية ، قد صممت لاطفال غير أطفالنا ، وبعقلية غير عقليتنا ، وتشجع عادات وأخلاق لا نقر الكثير منها ، ويكفي أن نتذكر الساعات الطوال التي يقضيها أبناؤنا وهم يتابعون مسلسل (باباي) البحار القائم على الصراع بين (باباي) و (بلوتو) الذي يسعى دائما الى اختطاف وامتلاك الحسناء الجميلة (أوليف أويل) زوجة (باباي) ، والذي مازال يلاحقها ويشاكسها حتى ساعة كتابة هذه السطور !!! . .

وبالرغم من الازدياد الكبير في عدد شركات الانتاج الفني العربية ، والتضخم الهائل في حجم انتاجها ، فاننا لا نكاد نجد شركة عربية متخصصة بفن الرسوم المتحركة تخطط لبرامج هادفة للاطفال ، بعقلية عربية ملتزمة بقضايا الأمة وتراثها وعقيدتها وتاريخها المجيد الغني بمواقف البطولة والنبل ، والمآثر الانسانية العلمية والحضارية ، والملء بالشخصيات الخالدة التي تركت بصمات لا تمحى في تاريخ البشرية . .

صحيح أن هناك نقصٌ كبير في الفنيين والتقنيين والرسامين في مجال الرسوم المتحركة ، لكن أطفالنا أهم بكثير من المرافق والمنشآت والمشاريع الضرورية أو الكمالية التي يستقدم لها خبراء متخصصون من الخارج ، فلماذا لا تستورد التقنيات الحديثة والخبرات الفنية الماهرة لصناعة سينما متخصصة في فن الرسوم المتحركة ؟ !! . . سينما حديثة متطورة تنفذ نصوصا عربية مدروسة ، باشراف عربي فني تربوي علمي رفيع ، لا تجاري رديء ليس له من همّ الا الربح والثراء !

مشكلة النص

وهنا تبرز مشكلة النص ، فكتّاب النصوص التلفزيونية والسينمائية للاطفال قليلون جدا ، وليس من المعقول أن تستورد نصوصا جاهزة والا لكان استيراد الافلام والمسلسلات الأجنبية أفضل وأوفر ! .

ولمعالجة هذه النقطة أحب أن أذكر حقيقة هامة وهي أن الغالبية العظمى من أفلام رعاة البقر الامريكية (أفلام الكابوى) التي غزت تلفزيونات العالم ودور السينما فيه ، واستحوذت على اعجاب الجماهير العريضة من المشاهدين ، ما هي الا أفلام استوحيت قصصها من فترة قصيرة جدا من التاريخ الامريكي لا تتجاوز العشرين عاما ، وهي فترة غاب فيها القانون وشاعت الفوضى ، وسادت القوة ، وانتشرت فيها عصابات المجرمين وقطاع الطرق لتقتل وتسلب وتنهب ، أفلا يوحي لنا تاريخ ألف عام من الفتوح المظفرة ، والمعارك العادلة ، والمنجزات العلمية والحضارية الخالدة ، والحياة الاجتماعية الغنية بالنوادر والحكايات والطرائف والمعاني . . أفلا يوحي تراثنا الأدبي العريق الذي يقتبس منه الغرب لادبه وفنه ويترجمه الى لغاته . . أفلا يوحي تاريخ كفاحنا الطويل ضد الاستعمار القديم والحديث . . أفلا توحي كل هذه المصادر الثرة الغنية لكتابنا ـ على قلتهم ـ بأعمال جديدة أصيلة تأخذ مكانها بدل الاعمال الغربية الوافدة ؟

يصعب على المرء أن يصدق أن أمة هذا تاريخها ، لا تجد ما تقوله أو تكتبه أو ترويه لاطفالها ! . .

ضرورة التشجيع

شيء واحد فقط يستطيع أن يقنعنا بهذا الزهد والعزوف والاعراض عن الكتابة للاطفال ، انه التشجيع . فالتشجيع والدعم مبذول لافلام ومسلسلات الكبار الذين أدمنوا على القصص التقليدية المكررة بشكل ممل لا جديد فيه الا فيما ندر ، وشركات الانتاج الخاصة تستقطب كتاب النص التلفزيوني بما تدفعه لهم من أجور مغرية ، والحقيقة المفجعة تبقى فاغرة فاها لتبتلع كل تفاؤل بولادة تلفزيون جاد ملتزم للاطفال ، الا اذا انبرت لهذا الأمل الكبير مجموعة من الكتاب والفنانين والمخرجين والمنتجين الذين يتطلعون الى فجر مشرق جديد يصنعه لنا أطفالنا الأعزاء عندما يكبرون . . .

ان فن الرسوم المتحركة مجال رحب وواسع جدا لتنفيذ خطة تربوية وتثقيفية رائعة مفيدة ، تساهم في نهضة الطفل العربي والمسلم ، وتصنع من أطفال اليوم رجال ونساء الغد الواعد الذي نحلم فيه .

□□

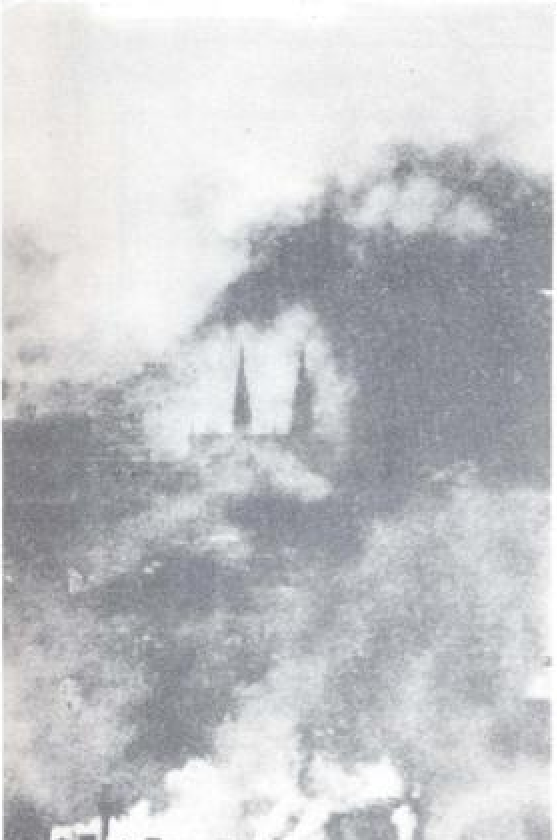

مدينة بتسبورغ في ولاية بنسلفانيا في الولايات المتحدة كما كانت في الخمسينيات قبل البدء بمكافحة التلوث .

سلامة البشرية

في سلامة البيئة

جهاز يقضي على الغازات الملوثة في السيارات .. شاع استعماله في أمريكا واليابان وغيرها .. فلم لا يشيع في بلادنا ..!؟

التلوث الجوي هو أخطر ضروب التلوث ، كما هو معروف .. والسيارات هي أخطر مصادر هذا التلوث بلا استثناء .. فقد اثبتت الدراسات أنها مسؤولة عن أكثر من ٥٠٪ من تلوث الهواء في الدول الصناعية المتقدمة .. وعن أكثر من ٧٥٪ منه في الدول النامية غير الصناعية .

ولا يخفى أن الغازات التي تتدفق من عادم السيارة هي التي تسبب التلوث الجوي .. وهي كثيرة .. الا أن أخطرها هو بلا ريب غاز أول أكسيد الكربون .. فهذا غاز خانق وسام .. يفتك بمن يتنفسه على الفور .. ذلك أنه يتحد مع هيموجلوبين الدم ، فيحوله الى مادة أخرى تعرف بالمصطلح العلمي **Carboxyhaemoglobin** ومعنى

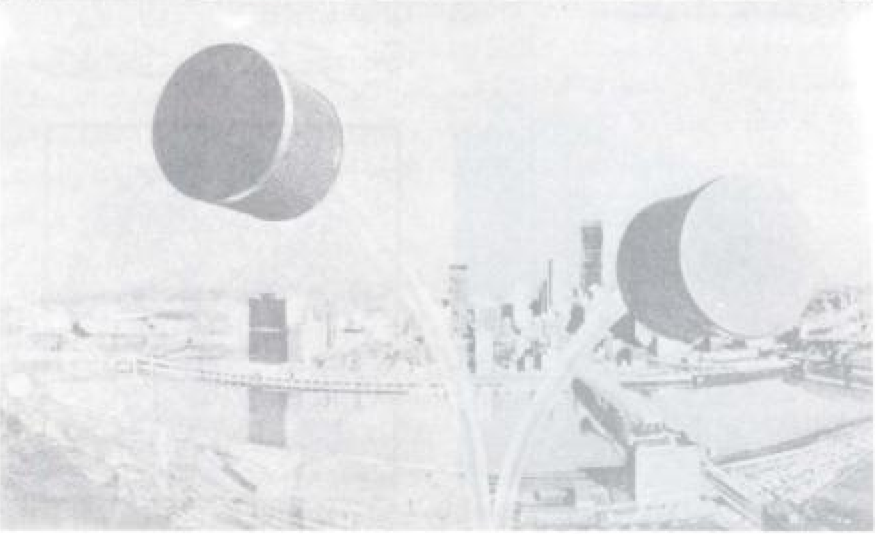

مدينة بتسبورغ نفسها .. كما هي الآن .. أما الأجهزة التي ترى في مقدمة الصورة فهي أجهزة تحليل ورصد .. تحلل وتحدد ما في الهواء من غازات تلويث غير مرئية وخاصة غاز أول اكسيد الكربون .

هذا أنه يقضي على الهيموجلوبين ، فيحرم الدم هذه المادة الحيوية التي تحمل الأكسجين الى شتى أنحاء الجسم ، ويودي بحياة الانسان والحيوان .. هذا اذا كانت الجرعة كبيرة نسبيا .. والجرعة التي تقذفها السيارات الى الجو أقل من أن تسبب الموت ، والحمدلله . ولكنها كافية للاصابة بشتى الآفات والأمراض على كل حال .

وغاز أول أكسيد الكربون لا لون له ، ويختلف اختلافا كبيرا عن غاز ثاني أكسيد الكربون . وهو يتصاعد نتيجة احتراق البنزين وسائر مشتقات البترول .. بل قُل عدم احتراقها بالكامل .. يتصاعد ويملأ الجو دون أن نراه أو نشعر به .. فهو اذن غير الدخان الأسود الذي قد يخرج من عادم السيارة ، بسبب خلل في عياراتها .. وغير الدخان الأبيض الذي يخرج من بعض السيارات القديمة المستهلكة .. فكلا الدخانين عنصر تلويث ولا ريب ..

ولكن تلويثهما ليس التلويث الوحيد ولا الأهم ، وهو أقل خطرا من تلويث غاز أول أكسيد الكربون ، على كل حال .

من هنا كان خطأ الاعتقاد الشائع بأن السيارات الجديدة لا تلوث الجو ، وأن السيارات القديمة هي فقط التي تلوثه ، بسبب الدخان الأسود أو الأبيض الذي تقذفه ، ويذهب أصحاب هذا الرأي الى أن حماية البيئة تستوجب ان تستبدل السيارات القديمة بأخرى جديدة كل ثلاث سنوات أو أربع .. وهذا رأي خاطىء لا يفيد البيئة في شيء ، ويضر الاقتصاد .

فالسيارات الجديدة لا تضمن القضاء على التلوث الجوي .. بل انها تلوثه بغاز أول أكسيد الكربون ، تماما كما تفعل السيارات القديمة .. ولو كان هذا الرأي صوابا لأخذت به الولايات المتحدة وغيرها من الدول المتقدمة ..

ما السبيل اذن للقضاء على تلوث الهواء الذي تسببه السيارات .. السبيل هو جهاز التلوث الخاص الذي يركبونه في المكان المناسب من محرك السيارة والذي يكفل القضاء ، الى حد كبير ، على ما يخرج من عادم السيارة من غازات ملوثة .. بما فيها غاز أول أكسيد الكربون الخانق ..

على أن الجهاز المذكور لا يؤدي مهمته على أكمل وجه الا اذا كان بنزين السيارة مكررا وخاليا من الرصاص .. فهذا موجود أصلا في البترول ومشتقاته وهو كفيل بالحد من فاعلية الجهاز .. ناهيك بأن الرصاص بحد ذاته ملوث خطير من ملوثات البيئة .

وتجدر الاشارة الى أن الولايات المتحدة واليابان بدأتا منذ السبعينات بفرض استعمال هذا الجهاز على كافة السيارات فيها .. وأن بريطانيا والمانيا وغيرهما من الدول المتقدمة لحقت بالدولتين الرائدتين في السنوات الأخيرة .

يبقى أن تذكر أن ثمن جهاز التلوث المذكور لا يكاد يبلغ ـ,٢٠٠ دينار .

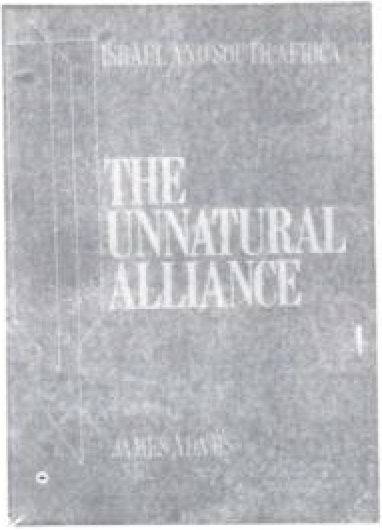

التحالف غير الطبيعي

تأليف : جيمس آدامز

عرض وتعليق : نوح حزين

□ هل هو تحالف طبيعي أم تحالف غير طبيعي بين الكيان الصهيوني في فلسطين والنظام القائم في جنوب أفريقيا ؟

الجواب المباشر الذي لايحتمل النقاش يقول : انه تحالف طبيعي . . ومع ذلك لنقرأ وجهة نظر الكاتب .

« خلال السنوات العشر الأخيرة شعرت كل من « اسرائيل » وجنوب أفريقيا بالعزلة أكثر من أي وقت مضى ، وأنهما محاطتان بالاعداء » ، ويوحد كلتا الدولتين عداؤهما للشيوعية وشعورهما بالخطر المباشر .

كما تهدد الدولتين مجموعات رجال العصابات حسب تعبير الكتاب على حدودهما ، ونتيجة لهذه العزلة ازداد اقترابهما من أجل الأمن المشترك ، وبالنتيجة استخدمت الدولتان كل وسيلة ممكنة للتزود بأسلحة حديثة من الأسواق المفتوحة ، ومن بعضهما البعض ، واشتركتا في بناء صناعة أسلحة مستقلة تجمع بين تكنولوجيا « اسرائيل » المتقدمة ، وامدادات المواد الخام من جنوب أفريقيا بخزائنها الممتلئة » .

بهذه الفقرة يبدأ جيمس آدامز كتابه عن « التحالف غير الطبيعي » بين « اسرائيل » وجنوب أفريقيا باعتبارهما كيانين يعيشان حياة غير طبيعية في وسط غريب ومعاد . وقد يختلف كثيرون مع جيمس آدامز منذ قراءتهم لعنوان الكتاب ، لأن صفحات الكتاب الأخرى التي تزيد على المائتين تبدو وكأنها جاءت لتثبت أن التحالف بين هذين الكيانين العنصريين هو تحالف طبيعي الى أبعد الحدود .

علاقات القادة

وبدقة وبتتبع دؤوب يعود آدامز الى أصول العلاقة بين قادة الكيانين ، حتى قبل ظهورهما الى الوجود كدولتين مستقلتين في النصف الأول من هذا القرن . فمنذ بدايات القرن جمعت الصداقة وعلاقات التعاطف والتعاون بين « يان سماتس » زعيم الحزب الوطني الذي حكم جنوب أفريقيا في الأربعينيات ، وبين الزعيم الصهيوني « حاييم وايزمن » ، أول رئيس وزراء للدولة الصهيونية ، وكأنما جمعت بينهما النظرة الى العرب باعتبارهم « أمة متخلفة ولا تستحق المساعدة مقابل اليهود الأذكياء المتحضرين ، الذين ساعد كثير منهم في بناء جنوب أفريقيا . وعندما مات سماتس بعد عامين من قيام « اسرائيل » نعاه جوزيف سبرنزاك رئيس الدولة الاسرائيلية بالوكالة بالقول : « ان اسم الجنرال سماتس مكتوب على خارطة « اسرائيل » وفي قلب أمتنا » وبعد عامين من ذلك التاريخ كانت غابة سماتس تقابل غابة وايزمن في تلال يهوذا في فلسطين المحتلة .

لكن المسألة لاتتعلق بنوع من العلاقات الشخصية التي ربطت بين زعيمين لهذين الكيانين فحسب ، بل يكشف الكتاب عن حقائق تبدو غريبة عن التعاون بينهما منذ أمد طويل ، مما يثبت أن التحالف بينهما لم يكن غريبا بأي حال . فقد كانت جنوب أفريقيا أول دولة في العالم تعترف رسميا « بإسرائيل » . وكان « دانييل مالان » أول رئيس حكومة أجنبية يزورها ، وان لم تكن زيارة رسمية ، بل كانت زيارة ودية . وقبل قيام « اسرائيل » قدمت جنوب أفريقيا مساعدات هامة لرجال العصابات الصهاينة وللهاغاناه بشكل خاص ، كما حارب عدد من يهود جنوب أفريقيا الى جانب هذه العصابات . . وكان أول طيار يقتل في الجيش الاسرائيلي هو « سيد كوهن » ـ من جنوب أفريقيا ـ الذي ساعد في انشاء القوات الجوية الاسرائيلية .

ويذكر الكاتب حقائق عن كون كثير من يهود جنوب أفريقيا من أصول لتيوانية متعصبة ، وانهم أكثر الصهاينة حماسا لفكرة « اسرائيل » الكبرى من بين كل الجاليات اليهودية في العالم . وأن أموال الدعم التي تتلقاها اسرائيل من الجالية اليهودية في جنوب أفريقيا تلي تلك التي تأتي من الولايات المتحدة من حيث الحجم . وتعتبر الجالية الاسرائيلية التي تسكن جنوب أفريقيا هي الاصغر في العالم ، اذ يبلغ عدد أفرادها حوالي ٢٥ ألفا ومعظمهم يقومون بأعمال تتعلق بتنفيذ عقود التعاون بين الدولتين وخاصة في مجال

الطاقة والسلاح ، وبالمقابل فقد هاجر الى « اسرائيل » نحو ٨٥٠٠ نسمة من اليهود وهو عدد قد لايبدو كبيرا كما يشير المؤلف ، الا أنه كبير بالنسبة الى عدد سكان جنوب أفريقيا من اليهود .

ان الأرقام والحقائق السابقة هي الترجمة العملية لمجموعة من علاقات التماثل والتشابه ، ثم التعاون الذي اتخذ اشكالا عديدة بين الدولتين ، وصل في بعض الأحيان حد التماثل التام حتى في الجمل التي يطلقها زعماء الدولتين ، وفي نهج التفكير والتكتيك العسكري والخطوات السياسية التي يتخذانها ، وكذلك في علاقاتهما الدولية ، وفي طبيعة القوى الرسمية وغير الرسمية التي تدعم النظامين ، وأكثر من ذلك فان الفكرة التي كانت وراء انشاء الكيانين واصولها الفكرية والدينية متشابهة أيضا .

تشابه الأصول

ففي عام ١٨٣٦ عبر البوير ، وهم سكان جنوب أفريقيا البيض الناطقين بالهولندية ، وادي فال وسيطروا على أرض اغتصبوها من أهلها ليقيموا عليها مقاطعة مستقلة . . وكانت هذه الرحلة في جانب منها من وحي اسرائيليات العهد القديم . اذ كان هؤلاء يعتبرون أنفسهم يلبون دعوة الهية للسعي لايجاد أرض تفيض عسلا ولبنا . وكان بينهم يهود مشبعون بالأفكار الصهيونية . وهؤلاء هم الذين كونوا فيا بعد الحزب الوطني بقيادة بان سماتس الذي ارتبط بعلاقة وثيقة مع حاييم وايزمن كما ذكرنا . والحزب الوطني هو الحزب الذي كون سياسة « الأبارتايد » والتفرقة العنصرية وأقام « البانتوستان » أو « الأوطان القبلية » ليعيش فيها السود في جماعات مستقلة ، لتبدأ بعد ذلك سياسة عنصرية بغيضة وجدت توأما لها بقيام الدولة الصهيونية ، التي قامت على نفس الأسس الأيديولوجية ، ولكن بأسلوب مختلف اعتمد النظام الديمقراطي على الطريقة الغربية هذه المرة .

والآن وبعد مرور زمن طويل على اقامة النظامين العنصريين ، فانهما « لايزالان » يعيشان في ظل شعور يظهر في سياستها الخارجية والداخلية والتجارية ، بأنهما تحاربان من أجل البقاء في ظل اقتناع راسخ في حق الهي مطلق بالبقاء ، وبأن الهجمات التي تتعرضان لها هي تنفيذ لمخططات شيوعية . ويستخلص الكاتب من هذا أن من الطبيعي أن يكون للدولتين جماعات تدعمها في الخارج ، مثل لوبي جنوب أفريقيا واللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة ، وهما اثنان من جماعات ضغط كثيرة تعمل هناك . كما يورد المؤلف أسماء جماعات وشخصيات عديدة ، تدعم وبحماس كبير وجود وسياسات الكيانين مثل جماعة « الأغلبية الاخلاقية » أو ما يسمى باليمين الجديد ، وهو تحالف من مجموعات مسيحية محافظة مختلفة تدعم وتتعاطف مع كل من « اسرائيل » وجنوب أفريقيا . وفي الداخل تنادي هذه الجماعات بتدعيم العلاقات العائلية والأفكار الدينية ، وتعادي الحركات التي تطالب باباحة الاجهاض والشذوذ الجنسي وتلتقي افكار هذه الجماعات مع أفكار الرئيس الأمريكي ريغان شخصيا ، وتستعمل نفوذها المالي الهائل في تمويل الحملات الانتخابية الأمريكية . وتصف هذه الجماعات جنوب أفريقيا بأنها « مجتمع يخاف الله » في عالم غير متحضر ، وهو وصف تطلقه على « اسرائيل أيضا » ، كما يقول المؤلف الذي لايتنبه الى هذا الخلط البشع بين التمييز العنصري والعدوان والتوسع .

مجالات التعاون

لكن هذا ليس الأمر الوحيد الذي يفوت المؤلف الذي لايزال يفرق بين جنوب أفريقيا

واسرائيل قائلا : ان الأخيرة رغم انعزالها دوليا ورغم ضغط الدول الاشتراكية ، وعداء العرب ونفور بعض الدول العربية منها ، فانها تبقى مجتمعا ديمقراطيا (عدا ما يتعلق بالفلسطينيين) بصحافة حرة الى درجة مدهشة . وينساق بعد ذلك الى استنتاجات غريبة عن روح الكتاب ، الذي يتميز بمتابعة دقيقة لتفاصيل كثيرة حول تعاون الدولتين في المجالات العسكرية والسياسية والاستراتيجية ، والتكتيك العسكري الذي تتبعه الدولتان ، وكذلك في مجال الطاقة والذرة وصناعة الأسلحة ، بما في ذلك الاسلحة النووية . ومع ذلك فانه ينزلق أحيانا ليقول : « ان الاسرائيليين معروفون بمناصرتهم لقضايا الحرية والديمقراطية ، لذا فانهم يتحرجون من ذكر علاقتهم مع جنوب أفريقيا » وان بعض اليهود في جنوب أفريقيا « يشكون في وجود علاقة بينهم وبين اسرائيل » !!! ويضيف « ان كثيرا من يهود جنوب أفريقيا معادون لسياسة الأبارتايد لذا فقد غادر معظمهم الى اسرائيل » !!

الأمن الغربي

يقول المؤلف « ان من حسن حظ جنوب أفريقيا ان كلا من أمريكا واسرائيل تنظر اليها باعتبارها مكونا أساسيا للأمن الغربي »وهو في هذه الجملة يلخص أساس العلاقة القائمة بين الدولتين وبين زعيمة الامبريالية في العالم ، فجنوب أفريقيا تمتلك احتياطي من اليورانيوم في العالم ، وقد وقعت عقودا لبيعه لكل من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا والمانيا الغربية وتايوان « واسرائيل » .

ومنذ عام ١٩٥٧ والتعاون قائم بين الولايات المتحدة وجنوب أفريقيا في المجال الذري . وفي الفترة ما بين ٢٧ ـ ٣٠ أغسطس ١٩٥٨ تعاونت الدولتان في اجراء تفجير نووي في المحيط الهندي . لكن هذا التعاون الخجول بين الولايات المتحدة وجنوب أفريقيا اتخذ أبعادا جديدة في الستينيات عندما بدأت دول أفريقيا السوداء في الاستقلال واحدة تلو الأخرى عن الدول الأوروبية المستعمرة ، الدائرة في الفلك الأمريكي . وازداد التعاون وثوقا في السبعينيات بعد نشوب ثورة البرتغال واستقلال كل من أنغولا وموزامبيق وبروز نظامين معادين لجنوب أفريقيا والتمييز العنصري قدر عدائهما للامبريالية الأمريكية . . وقد صادف ذلك انحسار النفوذ الاسرائيلي في أفريقيا السوداء حين قطعت الدول الأفريقية علاقاتها الدبلوماسية مع « اسرائيل » ومع انتصار الجناح اليساري في حركة التحرر الانغولية ، ووصول قوات كوبية اليها ، بدأت الدول الثلاث تنسق فيما بينها ضد أعدائها المشتركين ، ولعل من الطريف أن نذكر هنا أن هنري كيسنجر الذي هندس سياسة دخول أمريكا للمنطقة العربية مرة أخرى ، كان وراء الاستراتيجية الأمريكية في أفريقيا ، التي كان دور جنوب أفريقيا فيها شبيها الى حد كبير بدور « اسرائيل » في منطقة الشرق الأوسط .

مراحل العلاقات

وضمن هذه العلاقة بين كل من الدولتين العنصريتين اللتين تنفذان مخططات الزعيمة الامبريالية ، كانت العلاقة بينهما تتوثق بشكل متصاعد بدأ من قيام « اسرائيل » وحتى يومنا هذا . ولعل ما يلفت النظر أن علاقاتهما كانت تزداد وثوقا في ايام الحروب العربية الاسرائيلية منذ عام ١٩٤٨ ، كما رأينا وحتى حرب لبنان التي لم تنته بعد . وخلال هذه المدة لم تفتر العلاقات بين النظامين الا لفترة قصيرة في أوائل الستينيات عندما حاولت « اسرائيل » توطيد أقدامها في أفريقيا السوداء التي استقلت بلدانها حديثا ، مما جعل أفريقيا تنظر الى هذه المحاولات بحذر لأنها

تحمل روح المنافسة معها ، ولكن في أواسط الستينيات بدأت بوادر تعاون بين البلدين حين وجدت جنوب أفريقيا في « اسرائيل » دولة متقدمة من الناحية التكنولوجية ووجدت « اسرائيل » التي كانت على وشك الانتهاء من وضع قنبلتها الذرية الأولى في جنوب أفريقيا معينا لاينضب من اليورانيوم . لكن قفزة في العلاقات بين الدولتين حدثت بعد حرب عام ١٩٦٧ حين كونت رابطة الصداقة بين « اسرائيل » و « جنوب أفريقيا » والتقى بعد ذلك رجال الأعمال الاسرائيليين بآخرين من جنوب أفريقيا في مؤتمر المليونيرات في القدس عام ١٩٦٨ .

ومع بداية السبعينيات كانت اسرائيل تستورد من جنوب أفريقيا الفولاذ والاسمنت والأخشاب والسكر وتصدر لها المنسوجات والمصنوعات المطاطية والأدوية والآلات والمعدات الالكترونية .

ثم حدثت قفزة أخرى في العلاقات بعد حرب اكتوبر عام ١٩٧٣ حين كانت علاقات « اسرائيل » بأفريقيا السوداء تزداد سوءا وتأسست في تل أبيب غرفة التجارة « لاسرائيل » وجنوب أفريقيا وتأسست في جوهانبرغ الغرفة النظيرة ، وبذلك خرجت العلاقات الى حيز جديد وصل حد التحالف . وفي عام ١٩٧٤ تنبهت كل من الأمم المتحدة ومنظمة الوحدة الافريقية الى هذا التحالف غير المقدس فثبتا قرارين يربطان بين الصهيونية والتمييز العنصري ، وفي العام التالي أصدرت الأمم المتحدة قرارها الشهير بنصه التالي :

التمييز العنصري

« استناداً الى قرارها الصادر في ١٤ ديسمبر ١٩٧٤ الذي أدانت فيه التحالف غير المقدس بين عنصرية جنوب أفريقيا والصهيونية ، والى القرار ٧٧ الصادر عن منظمة الوحدة الافريقية ، الذي اعتبر أن الأنظمة العنصرية في فلسطين وزيمبابوي وجنوب أفريقيا تنبع من نفس الأصول الامبريالية ، فان الجمعية العمومية للامم المتحدة تقرر أن الصهيونية ، هي شكل من أشكال العنصرية والتمييز العرقي » .

وبعد عام من صدور هذا القرار الذي وقفت ضده الدول الأوروبية والولايات المتحدة بعنف ، أعلن الطرفان عن علاقاتهما السابقة بوضوح ووصل جون فورستر رئيس وزراء جنوب افريقيا في ذلك الوقت الى « اسرائيل » في ابريل عام ١٩٧٦ في أول زيارة رسمية بين البلدين ، وخلال هذه الزيارة شاهد فورستر المواقع العسكرية والمصانع والكيبوتزات والتقى بمعظم الشخصيات الهامة ، ونوقشت مشاريع مشتركة تسهم فيها جنوب أفريقيا بالمواد الخام و « اسرائيل » بالتكنولوجيا المتقدمة ، وتلا ذلك اعلان اقامة العلاقات الدبلوماسية الكاملة ، وبدأت حقبة من التعاون الاقتصادي والأمني والعسكري استمر حتى اليوم . وبتعاون وثيق مع الولايات المتحدة الأمريكية بشكل علني حينا ، من خلال أجهزة أمريكية مثل وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ، وحينا آخر حصلت جنوب أفريقيا على أسلحة حديثة ومتطورة بلغت ذروتها في الحصول على مدفعية الهويذر ١٥٥ ملم الأمريكية المتطورة ، التي يمكنها حمل رؤوس نووية ، والتي تعتبر أقوى مدفعية متنقلة في العالم » ـ كما يرى المؤلف ـ وذلك بعد هزيمتها في حربها مع أنغولا عام ١٩٧٥ . وفي عام ١٩٨١ دعا شارون في خطاب له لتعزيز علاقات بلاده مع كل من الولايات المتحدة وجنوب أفريقيا « لمحاصرة أيديولوجيا الأنظمة الراديكالية العربية ومنظمة التحرير الفلسطينية ، والتوسع السوفييتي وخاصة في أفريقيا » .

وقد أتت هذه الدعوة ثمارها من خلال « مذكرة التفاهم التي وقعها كل من شارون وابنبرغر » في العام نفسه .

نظام القوات المسلحة

ويمتلىء كتاب جيمس آدامز بحقائق عن هذا التحالف الذي أدركت طبيعتة الأمم المتحدة فأصدرت قرارها الذي أشرنا اليه ، ويدركه العالم كله اليوم بعد أن وصل الى درجة بالغة الخطورة . ولكن خلال هذه الحقائق الكبيرة تتناثر بعض الحقائق الصغيرة الأخرى التي لاتقل أهمية وايحاء . فالقوات المسلحة في هذين الكيانين العدوانيين تحمل أسماء متشابهة فالجيش في اسرائيل هو جيش (الدفاع) الاسرائيلي ، وفي أفريقيا يطلق عليه اسم « جيش الدفاع عن جنوب أفريقيا »

وتتبع الدولتان تكتيكا متماثلا في الحرب ضد أعدائها الذين يدخلون اليهما في البلدان المجاورة ، يقوم على عبور الحدود لمطاردة الأعداء ، وعلى فرض زمان ومكان المعركة على الخصوم بالمبادرة الى خوضها على أرض هؤلاء الخصوم . وتنمو في البلدين الاتجاهات الفاشية المتطرفة ، التي تزرع في الأذهان فكرة العيش في حالة شبيهة بحالة الحرب لسنوات عديدة ، لتبرير الاعتداءات المتكررة التي تقومان بها ضد جيرانها . وفي الوقت الذي تتضح فيه ظاهرة العسكرة في اسرائيل ، يعترف بوثا رئيس وزراء جنوب أفريقيا بالدور الهام الذي تلعبه القوات المسلحة في شؤون جنوب أفريقيا ، حيث يقف وزير الدفاع وكبار مستشاريه في القمة من مراكز صنع القرار السياسي . وحين تعاونت الدولتان في المجال الزراعي « قامت وزارة الزراعة الاسرائيلية بتدريب آلاف الشباب السود في سوازيلاند وبوتسوانا لاقامة مستوطنات لهم في مناطقهم الريفية لحماية الحدود من هجمات الثوار . وقد أخذت هذه الخطة مثالها من الناحال » أي « الشباب الرائد المقاتل » في اسرائيل الذين بدأوا حركة بناء المستوطنات بعد عام ١٩٤٨ حيث توزع التدريب لهؤلاء الشباب بين ستة أشهر يقضونها في الجيش يتدربون خلالها على الاساليب العسكرية الاساسية والمدة الباقية في الكيبوتسات ويذهبون بعد ذلك الى كيبوتساتهم الخاصة بهم على الحدود ، وقد وضعت هذه الخطة المأخوذة من المثال الاسرائيلي موضع التطبيق فأظهرت نجاحا كبيرا كما يقول المؤلف .

القنبلة الذرية

وأخيرا فقد امتلكت الدولتان القنبلة الذرية . امتلكتها اسرائيل في الستينيات وامتلكتها جنوب أفريقيا عام ١٩٧٩ بمساعدة اسرائيلية كبيرة ، ولم تنس الدولتان أن تنفيا حصولهما على السلاح الذري رسمياً ، لكن التماثل بين تفكير قادة الدولتين وصل حدا عجيبا حين خرج موشى دايان بتعبيره « قنبلة في الدور السفلي » تعبيرا عن وجود القنبلة الذرية ، والاستعداد لاستعمالها كسلاح أخير ، وبين ما قاله بوثا رئيس وزراء جنوب أفريقيا من أن خصومه سيفاجأون يوما بأن لديه أسلحة لايعرفون ما هي » . وبهذا تكتمل صورة هذا التحالف بين كيانين عنصريين ، لاتقتصر صور التعاون بينهما على الأصول الفكرية ، ولا على شعور العزلة في منطقة معادية ، بل يجمعهما بالأساس دور كل منهما كركيزة من ركائز الامبريالية في منطقتين من أهم مناطق العالم .

أما التشابه وبعض حالات التماثل في الأسلوب ونهج التفكير ، واللغة الواحدة التي يتكلم بها زعماء هذين النظامين ، فتفريعات عن هذه الحقيقة الأكيدة . □□

من مكتبة العربي

البحر الأحمر
والصراع العربي - الاسرائيلي

الكاتب : عبد الله عبد المحسن السلطان

الناشر : مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت

سنة النشر : ١٩٨٤م

توجهت الأنظار في الفترة الأخيرة نحو البحر الأحمر ، وأصبح هذا الشريان الحيوي لنقل أكبر كمية من البترول الى بلدان العالم - خاصة بلدان العالم الصناعي - معرضا لأخطار عدة بعد أن تفجرت فيه عدة ألغام عرضت السفن المارة فيه للخطر .

مما استدعى وجود أساطيل عدة دول للبحث وكسح ما يوجد فيه من ألغام .

والكتاب الذي نشير اليه سبق في كتابته الحالة الجديدة التي أصبح عليها هذا البحر .

وقد تناول مؤلفه الاستراتيجيات المتناقضة المرسومة من قبل العرب والكيان الصهيوني حيال هذا البحر ، وبين موضعه على خريطة القوى التي قامت على شاطئيه عبر التاريخ وصولا الى حالته الراهنة .

صحوة الرجل المريض

الكاتب : موفق بني المرجة

الناشر : مؤسسة صقر الخليج - الكويت

سنة النشر : ١٩٨٤م

لا يزال الخلاف دائرا حتى الآن حول دور السلطنة العثمانية بالنسبة للكثير من الامور ، ومنها دورها بالنسبة للاقطار العربية .

فريق يعتبرها حمت هذه الأرض من دنس الاستعمار ، وفريق آخر يعتبرها مارست الاستعمار نفسه على هذه الأقطار وغيرها .

من مكتبة العربي

والكاتب يتناول فترة من فترات هذه الامبراطورية أو السلطنة أو الخلافة ، وخاصة فترة السلطان عبد الحميد الثاني ، ودعوته التي لم تعمر طويلا لاقامة جامعة اسلامية ويبين ظروف طرحها وما واجهته من أعاصير .

وهو في هذا يفند بعض ما طرحه بعض المستشرقين حول هذا السلطان ، وحول دعوته وما تلاها بعد ذلك من دعوة للطورانية .

الطوائف في الدولة اللبنانية

الكاتب : بيير روندو

ترجمة : د . مفيد أبو مراد

الناشر : مؤسسة دار الكتاب الحديث ـ بيروت

سنة النشر : ١٩٨٤م

لاشك أن لبنان يجمع تحت سمائه مجموعة من الطوائف الدينية تفوق في عددها تركيبة الطوائف في أي قطر من أقطار الوطن العربي .

الا أن هذا (المجمع) للطوائف ، لم يتجمع بوحي من تراكم اعتباطي .

بل تجمع بفعل تراكمات من الظروف يعود بعضها الى حقب سحيقة من الزمان .

ويتناول الكتاب ظروف وجود كل طائفة وملامحها وخصوصياتها ، والأدوار التي لعبتها عبر التاريخ .

ويوثق الكاتب ما يذهب اليه باحصاءات رقمية حول كل طائفة ، وأماكن تواجدها وظروف حياتها وسبب هجرتها الى لبنان .

ويركز على أهمية التعايش وتحقيق التوازن بين هذه الطوائف اذا ما أرادت أن يبقي لبنان وطنا للجميع .

القضية الكردية في العشرينات

الكاتب : د . عزيز الحاج

الناشر : المؤسسة العربية للدراسات والنشر

سنة النشر : ١٩٨٤م

احتلت ومازالت تحتل القضية الكردية أهمية خاصة في منطقة الشرق الأوسط . خاصة وأن الاكراد موزعون على عدة دول فيها ، منها العراق ، ايران ، تركيا ، سوريا . وغيرها .

ويتناول الكاتب هذه القضية في العشرينات من هذا القرن والمناورات الاستعمارية التي اتبعتها بريطانيا للتلاعب بهذه القضية .

ويستند الكاتب في ما يذهب اليه الى البرقيات البريطانية السرية الرسمية التي ينشر ترجمتها لأول مرة . وتكشف هذه البرقيات كما يقول الكاتب عن ألاعيب

السياسة البريطانية ، ومناوراتها في استغلال واستثمار قضية الأكراد لتحقيق مصالحها .

ويضيف الكاتب : ولاتزال السياسات الاستعمارية والصهيونية تعمل جاهدة لاستغلال هذه القضية واللعب على وترها .

لو أنبأني العرَّاف

شعر : لميعة عباس عمارة

الناشر : دار كاظمة ـ الكويت

سنة النشر : ١٩٨٣م

قليلات هن الشاعرات اذا قيس عددهن بعدد الشعراء العرب في حياتنا المعاصرة والقليلات منهن اللواتي يتابعن هذا الطريق ، طريق المكابدة على الصعيد الفني ، والمكابدة أيضا على الصعيد الاجتماعي .

ها هي شاعرة من بينهن لازالت على الدرب ، جريئة ، مشتعلة حماسا للشعر وقضاياه قضايا الوطن والانسان .

وقد احتوى ديوانها الذي تشير اليه على ٣٥ قصيدة ، وهذا مقطع من قصيدتها (عيون المها)

لها الرصافة في الهوى سفر
لعيونها يتفجر الشعر
سهر الضياء على شواطئها
وصحا على لألائه النهر
وأثارت النيران رهشته
فتعلقته طيوفها الحمر
تكبو السموم فما تقاربها
وتزورها الأنسام والقطر

دولة الشرق الاستبدادية

الكاتب : بيري اندرسون

المترجم : بديع عمر نظمي

الناشر : دار الابحاث العربية ـ بيروت

سنة النشر : ١٩٨٣م .

يحتوي هذا الكتاب على بحثين هما :

١ ـ « دار الاسلام » او نظام الحكم والاقتصاد في الدولة العثمانية

٢ ـ حول النمط الاسيوي في الانتاج .

وهما في الأصل جزء من كتاب للمؤلف بعنوان « اصول دولة الحكم المطلق » .

وقد جاء في تقديم الناشر للكتاب .

البحثان يتكاملان من حيث طرحهما للمشكلة على المستويين النظري والتطبيقي . وهما يرتبطان بتاريخنا الحديث .

فدراسة نمط الانتاج خلال الحقبة العثمانية ، ما تزال نادرة في الأدبيات الفكرية العربية . والكاتب يقوم بدراسة المسألة تاريخيا ، اي عبر ردها الى اصولها على ارض الواقع ومن خلال فكر عصر التنوير الأوروبي ، وما تلاه من افكار خاصة المدارس الماركسية المختلفة .

المسابقة الثقافية

٣١٣

ديسمبر
١٩٨٤

١ - أول بئر بترول في التاريخ .. تم حفرها في ٢٧ اغسطس سنة ١٨٥٩ ، ويبلغ عمقها ٦٩,٥ قدما ..
ترى أين كانت هذه البئر ؟

- ☐ في اوكرانيا في الاتحاد السوفياتي
- ☐ في بنسلفانيا في الولايات المتحدة .

٢ - مجمل الاستهلاك العالمي من البترول ، كم يبلغ بالتقريب ؟

- ☐ ١٠٠٠ مليون طن سنويا
- ☐ ١٠٠ مليون طن سنويا
- ☐ مليون مليون طن سنويا

٣ - أي الزيوت استعمل للاضاءة قبل زيت البترول .. أي قبل سنة ١٨٤٠ وهي السنة التي اكتشف فيها أحد علماء جامعة ييل في أمريكا قابلية البترول للاضاءة ؟

- ☐ زيت جوز الهند
- ☐ زيت الحوت .

٤ - اللحمة والسداة .. الأولى هي ما نسج من الثوب عرضا ، والثانية هي ما مُدّ من خيوطه طولاً ..
صواب أم خطأ ؟

٥ - لفظ (استاد) من الألفاظ الشائعة على ألسنة الناس جميعا .. والمقصود به الملعب ، كما هو معروف ، ولكن اللفظ القديم (ستاديوم) ، وقد رمز أصلا الى وحدة قياس لمسافة ٦٠٠ قدم (١٩٤ ياردة) ، ثم الى الملعب الذي يتسع لهذه المسافة .... فما أصل هذا اللفظ ؟

- ☐ لاتيني روماني
- ☐ يوناني

٦ - ما الفرق بين الايريال والأنتينا (أو الأنتين) ؟

- ☐ كلاهما مستعمل في أجهزة الارسال والالتقاط لموجات الراديو ولكن الايريال هو الأقوى
- ☐ الانتينا أقوى من الايريال سواء في الالتقاط أو الارسال ..
- ☐ لا فرق بينهما من حيث القوة .. بل لا فرق بينهما الا في كون (الانتينا) هو المصطلح الشائع في الولايات المتحدة ، وكون الآخر هو المصطلح الشائع في أوروبا وغيرها ..

جوائز العربي لقرائها أكثر من

ألفي دينار سنويًا

جوائز المسابقة

الجائزة الأولى	٥٠ دينارًا
الجائزة الثانية	٣٠ دينارًا
الجائزة الثالثة	٢٠ دينارًا

و ٨ جوائز تشجيعية قيمة كل منها ١٠ دنانير

٧ ـ أي أديان العالم قام على تعاليم امرأة لا رجل ؟

٨ ـ هل المرجان أحمر كله أم أن منه ما هو أسود وما هو أبيض وغير ذلك ؟

٩ ـ الاكوادور هي مصدر الموز الأول تليها هندوراس ثم كوستاريكا ، ولكن موطنه الأصلي الهند . . . ترى لِمَ يُسميه أهل الغرب بنانا !

١٠ ـ لِمَ يحرص أصحاب المداجن على شحن فراخهم المبيعة في اليوم الأول الذي يعقب فقس بيضها ؟

١١ ـ أي المدينتين أصلح للذين يشكون من ارتفاع ضغط الدم . . القدس . . أم اريحا . . ؟

١٢ ـ أي المواد الثلاث التالية مستخرج من عشبة بحرية :

- ☐ صبغة اليود
- ☐ الأسبرين
- ☐ حبوب السلفا .

كوبون مسابقة العدد ٣١٣

حل مسابقة العدد (٣١٠)

المنشورة في عدد سبتمبر / ١٩٨٤

١ ـ الليزر هو أشعة ضوء مقواه .. فلفظ ليزر يعني ذلك بالتحديد في صيغته المطولة وهي في الانجليزية :
Light Amplification by Stimulated Emission Of Radiation .

٢ ـ تقع جزيرة الميلاد (كرسماس) في المحيط الهندي ، على بعد ٣٦٠ كيلومترا من جزيرة جاوا الى الجنوب .. وتقع جزيرة الفصح (ايسترا) في المحيط الهادي على بعد ٥٩٦٠ كيلومترا غربي تشيلي .

٣ ـ طلي المعادن بالكروم هو الأحدث من طليها بالنيكل .

٤ ـ الفولاذ لا يصدأ بسبب المعالجة التكنولوجية التي يجرونها له .. ويدخلون اليه فيها مقادير محدودة من معادن أخرى نذكر منها الكروم على سبيل المثال .

٥ ـ ذلك الحيوان البحري الذي يعطينا عاجا كعاج الفيل هو (ألولروس) .. وهو كبير الحجم ويبلغ طوله ٤ أمتار أحيانا ويعيش في المحيط المتجمد الشمالي .

٦ ـ العم سام وهو اللقب الذي تعرف به الولايات المتحدة الأمريكية ، لقب شائع خارج أمريكا وداخلها .. وقد بدأ استعماله في حرب سنة ١٨١٢ ، وأقر استعماله الكونجرس الأمريكي رسميا .

٧ ـ قسموا الشهر أسابيع أربعة وقسموا الأسبوع أياما سبعة .. لا على أساس علمي أو جغرافي أو فلكي وانما تمشيا مع عادات ومعتقدات قديمة .

٨ ـ غرقت السفينة تيتانك في ابريل سنة ١٩١٢ بسبب اصطدامها بجبل جليدي بالقرب من جزيرة نيوفوندلند الكندية .. وكانت السفينة متجهة الى أمريكا في رحلتها البكر ... وقد بلغ عدد ضحايا غرقها هذا ١٥١٣ غريقا .

٩ ـ الكتاب الذي كتبه أبو العلاء صاعد ، لأبو العلاء المعري ، وحمله غلامه وعبر به النهر ثم سقط الكتاب في النهر عندما خانت الغلام قدمه . . اسم الكتاب هو : (كتاب النصوص) (ارجع الى مجاني الأدب الجزء الثالث الصفحة ١٥٢)

١٠ ـ اللحمة المتدلية في حلقك تسمى اللهاة . .

١١ ـ البوذية : دين هندي الأصل ولكنه انتشر أول ما انتشر في جنوب شرق آسيا ، ويعود ظهوره الى حوالي القرن الخامس ق . م . والطاوية ظهرت في الصين في حوالي القرن الرابع قبل الميلاد ، ويعني اللفظ الصراط أو الطريق . والشنطوية هي دين اليابان وقد ظهر فيها في حوالي القرن السابع الميلادي . .

١٢ ـ كان اختراع الأسنان الاصطناعية قبل حوالي ١٠٠٠ عام . ويعزى هذا الاختراع الى الاترسكيين في ايطاليا . . وقد نجحوا سنة ٧٠٠ ق . م في صنع أطقم كادت أن تكون كاملة من الأسنان الاصطناعية .

الفائزون في المسابقة ٣١٠

الجائزة الأولى : كمال أبو اليزيد شبارة / كفر الزيات / ج . م . ع
الجائزة الثانية : سلمان محمد سلمان السادة / جامعة البترول والمعادن / الظهران / السعودية .
الجائزة الثالثة : عليلات علي / ولاية المدية / بني سليمان / الجزائر .

الجوائز التشجيعية

أحمد عبدالله محمد عبدالله / جامعة أم درمان الاسلامية / السودان
عزيز محمد / وجده / المغرب
توفيق بوسمه / طلبلية / تونس
زينب باسم محمد / بغداد / العراق
صلاح الدين عبد اللطيف تكريتي / الدوحة / قطر
نهاد كامل هنداوي / الكويت
مصطفى زيروني / الجزائر
محمد رضوان حسين / دولة الامارات العربية المتحدة / أبو ظبي

الخروج المبكّر بالوزير

الخروج المبكر بالوزير من الأخطاء الأساسية التي يجدر باللاعب الحريص على تحسين مستوى لعبه تجنبها ، إذ ينبغي نشر الأفيال والأفراس أولا وقبل كل شيء . إن الخروج المبكّر بالوزير يجعل منه عرضة لهجوم قطع الخصم الصغرى التي ستهاجمه دون هوادة وتنتشر على حسابه في آن واحد مما يؤدي الى ضياع وقت ثمين عند اضطرار الوزير الى التراجع والعودة من حيث أتى ، ولربما أدى ذلك إلى خسارة الوزير ومن ثمّ خسارة الدور كله عندما يغدو الوزير مطوقاً بقطع الخصم من جميع الجهات ، وفيما يلي أمثلة على الأخطاء التي تنجم عن الخروج المبكر للوزير والنقلات الأولى التالية هي من دفاع يعرف بدفاع الوسط المعاكس :

١ ـ هـ ٤	د ٤
٢ ـ هـ × د	و × د
٣ ـ ح ـ جـ ٣	

وهنا يضطر الوزير الى العودة بخفي حنين . وهذا الضّرب من الدفاع الأخرق غالباً ما يؤدي الى تأخر ملحوظ في نشر قطع الأسود . والدور التالي من أدوار المباريات الأولية بين اللاعبين فيتزر (ابيض) وشميدت (أسود) :

١ ـ هـ ٤	جـ ٥
٢ ـ ح ـ و٣	ح ـ جـ٦
٣ ـ جـ٣	د٥
٤ ـ د٤	جـ × د٤
٥ ـ جـ × د٤	ح ـ و٦
٦ ـ ح ـ جـ٣	هـ٦
٧ ـ ف ـ ز٥	ف ـ هـ٧
٨ ـ ف ـ د٣	و ـ ب٦

(كان من الأفضل للأسود ان يبيّت ملكه)

٩ ـ ح ـ أ٤	و ـ ب٤+

(أوليس من الأجدى هنا ان يعترف الأسود بخطئه ويعود من حيث أتى ؟)

١٠ ـ ف ـ د ٢ ، وهنا يضطر الأسود للاستسلام بسبب خسارة الوزير الأرعن .

الدور الذي اوردناه أعلاه كان بين لاعبين من المستوى المتوسط ولكن هذه الأخطاء ليست حكراً على امثالهما من اللاعبين فالدور التالي كان بين لاعبين من اقوى ابطال العالم وهما بوتفينيك (أبيض) وسبيلمان (أسود) وهو من أدوار بطولة العالم للشطرنج المقامة في موسكو عام ١٩٣٥ .

١ ـ جـ ٤	جـ ٦
٢ ـ هـ ٤	د ٥
٣ ـ هـ × د ٥	جـ × د ٥
٤ ـ د ٤	ح ـ و٦
٥ ـ ح ـ جـ ٣	ح ـ جـ ٦
٦ ـ ف ـ ز ٥	و ـ ب٦ ؟

(الرد الصحيح هو : هـ ٦)

٧ ـ جـ × د٥	و × ب٢
٨ ـ ر ـ جـ ١	ح جـ ـ ب٤
٩ ـ ح ـ أ٤	و × أ٢
١٠ ـ ف ـ جـ٤	ف ـ ز٤
١١ ـ ح ـ و٣	ف × و٣
١٢ ـ ز × و٣	

(وليس امام الاسود سوى التضحية بحصانه لانقاذ الوزير)

١٢ ـ	و ـ أ٣

مسألة العدد (٢٤)

الابيض يلعب ويميت الشاه في ثلاث نقلات

١٣ ـ ر ـ جـ٣	ح ـ جـ٢ ـ

وقد وجد الاسود من الأكرم له ان يستسلم بعد خسارة الحصان . وطالما ان الخروج المبكر بالوزير يعرض للمتاعب الأساتذة والمبتدئين على حد سواء فالأجدر بنا تحاشي هذه النقلة المحفوفة بالمخاطر والابتعاد عنها ما وسعنا ذلك .

ولفائدة قرائنا ممن لم يسيطروا بعد على الطريقة الخبرية التي اخذنا بكتابة الادوار بها منذ مطلع هذا العام نكتب هذا الدور بالطريقة الوصفية باختصار .

١ ـ ب ـ فو٤	ب ـ فو٣
٢ ـ ب ـ م٤	ب ـ و٤
٣ ـ ب م×ب	ب ف×ب
٤ ـ ب ـ و٤	ح ـ ف م٣
٥ ـ ح ـ ف و٣	ح ـ ف و٣
٦ ـ ف ـ حم ٥	ر ـ حو٣ ؟
٧ ـ ب × ب	و × ب ح
٨ ـ ر ـ فو١	ح ـ حو٥
٩ ـ ح ـ رو٤	و × ب ر
١٠ ـ ف ـ فو٤	ف ـ حم ٥
١١ ـ ح ـ فم ٣	ف × ح
١٢ ـ ب × ف	و ـ رو٦
١٣ ـ ر ـ فو٣	ح ـ فو٧+
١٤ ـ و×ح يستسلم	

حل المسألة ٢٢
عدد اكتوبر ٨٤

١ ـ و ـ أ٦ +	م × أ٦
٢ ـ ف ـ جـ٨ ‡	

الفائزون في مسابقة العدد ٣٠٩ (أغسطس ١٩٨٤) المسابقة رقم (٢٠)

الفائزون باشتراك سنة كاملة :

١ ـ خولة حمدان ـ عمان/ الأردن .
٢ ـ رأفت الطناوي ـ دمياط/ج.م.ع .
٣ ـ عبد الله بخيت ـ الدامر/ السودان .
٤ ـ خالد شهابي ـ دمشق/ سوريا .
٥ ـ عبد الأمير رضي ـ البحرين .

الفائزون باشتراك ستة أشهر :

١ ـ عبد الله سعيد ـ العمرية/ الكويت .
٢ ـ جهاد يوسف ـ قنا/ج.م.ع .
٣ ـ عبد الرزاق الحريشي ـ فاس/ المغرب .
٤ ـ أحمد سليمان ـ عمان/ الأردن .
٥ ـ رشدي طاهر ـ بنها/ ج.م.ع .

حوار القراء

دعوة للتأمل

ان العصر الذي نعيش فيه مليء بالصراع والمشاكل والصعوبات التي تزداد بازدياد عاملين : الأول زيادة السكان مع قلة الموارد ، والثاني ـ التطور التكنولوجي السريع مع الأضرار الناتجة عن هذا التطور ، وقد أصبحت الدول جميعها تخاف المستقبل ، وما يحدث فيه من احتمالات لايعلمها الا الله ، ومثل هذه المشاكل لاتحل الا بالترابط القوى بين أبناء العروبة الذين تربطهم رابطة الاسلام واللغة والدم والعادات والتقاليد وكلها روابط كفيلة بوجود اتحاد عربي يعطي للأمة قوتها بين دول العالم .

رجب حسان امام ـ مصر العربية ـ البحيرة

العربي :

لاجدال في أن قوة العرب تكمن في توحيد صفوفهم وكلمتهم وهذا ما تتطلع اليه جميعا لاعادة المجد العربي الذي يسعى الأعداء للنيل منه . .

أتاتورك . . مرة أخرى

قرأت ما كتب عن « أتاتورك » على صفحات « العربي » وقد استوقفتني بعض الردود التي دعتني الى الكتابة عنها . . ومنها حول قصة « أتاتورك » . فقد كان « بطلا » في معاونة اليهود والاستعمار على تنفيذ كثير من المخططات التي وقف العرب والمسلمون في وجهها دون أن ينالوا التوفيق .

ويكفي أن أشير الى أنه قد الغى الحروف العربية وفرض الحروف اللاتينية حتى في طباعة القرآن الكريم ، وهو الذي قال عنه رب العزة : « انا أنزلناه قرآنا عربيا » ثم ان « أتاتورك » ذاته هو الذي أباح للمرأة الرقص والسفور ودفعها الى الفساد كما قرر الغاء الأوقاف الاسلامية ومنع القوانين الاسلامية ووضع بدلا منها القوانين السويسرية ، وقام أيضا بمنع الاذان بالعربية ، كل هذه وغيرها من الأعمال التي قام بها « أتاتورك » الذي ينظر اليه البعض على أنه بطل ، وللاسف دون معرفة دوره ضد العروبة والاسلام . .

عبد الله عبد الرحمن ـ الجزائر

الحجاب . . . وجهة نظر أخرى

استوقفني ما قرأت في العدد (٣١٠) حول عودة الحجاب للقارىء جمال الكتاني الذي تضمنت كلمته تأييدا لما تناوله الدكتور زكي نجيب محمود حول مسألة الحجاب وعودته الى الظهور في قاعات الدرس والشارع العام . وفي نظري أن هذه العودة هي عودة رائدة وظاهرة صحية وهي عودة الى المعرفة الحقيقية للدين الاسلامي وتعاليمه ، والذين يضايقهم عودة الحجاب فيتناولون الكتابة عنه ويتهمون الفتاة التي ترتديه بالرجعية ، هؤلاء ينطلقون من واقع بعيد عن الاسلام الذي يأمر الفتاة بالستر وعدم اظهار مفاتنها .

علي موسى منصور ـ أبها
المملكة العربية السعودية

شكر واقتراح

مع أول رسالة أكتبها اليكم ، ولن تكون الأخيرة بعون الله . لايسعني الا أن أشيد بمجموعة الاساتذة الذين يقدمون لنا مع كل شهر مادة شهية مع الوجبات الشهيرة التي تفتح شهية كل قارىء لقراءتها ، واذا كانت العربي قد قدمت لنا دروسا مختلفة عن نواحي العلوم والآداب في عهد الدكتور أحمد زكي ، فانها لاتزال تواصل مسيرتها لتكون الى جانب القارىء العربي في كل أرض عربية ، وبعد هذا كله فانني أقترح عليكم ادخال « باب للرياضة » من أجل أن تكون الوجبة التي تقدمها العربي كاملة لكل أذواق القراء .

عطية أحمد الويشي ـ مصر ـ كفر الشيخ

العربي :

شكرا لقارئنا العزيز على شعوره تجاه المجلة وبخصوص اقتراحه بتخصيص باب للرياضة ، فان المجلة لاتستطيع تلبية ذلك فالصحافة اليومية والأسبوعية تسلط الأضواء على الأحداث الرياضية في كل بقاع الأرض .

الصناعات الكيماوية

كانت مجلتنا « العربي » ولا تزال واحة من العلم والأدب والثقافة التي يحتاجها كل من يتكلم العربية على امتداد الوطن العربي . . لكننا نرى أن تخصيص بعض الأبواب الثابتة للقضايا العلمية كالصناعات البتروكيماوية في الوطن العربي وغيرها من الصناعات مع تبيان امكانية تطويرها غير موجودة في المجلة .

ولقد كان المرحوم أحمد زكي يقدم لنا طبقا علميا كل شهر في باب « في سبيل موسوعة علمية » وقد اختفى هذا الباب بعد رحيل الدكتور زكي ، وأملنا أن تسلطوا الضوء أكثر على القضايا العلمية التي نحن بحاجة اليها . . .

موفق الملفوج ـ سوريا ـ حمص

العربي :

القضايا العلمية لم تغب عن صفحات المجلة منذ صدورها حتى الآن لأهميتها في نظر أسرة التحرير ، وفيما يتعلق بتخصيص باب ثابت للصناعات الكيميائية فان هذا أمر غير عملي لاعتبارين : أولهما أن المجلة تقدم الثقافة العامة للقارىء العربي غير المتخصص وتخصيص باب لكل فرع من فروع العلم أمر لايهم الكثير من القراء غير المعنيين بالموضوع ، وثاني الاعتبارين أن هناك فروعا لعلوم أخرى، فلو بدأنا ذلك فسوف نطالب بتخصيص باب للطبيعة وباب للكمبيوتر والاليكترونات وباب لعلم الأجنة الى آخر ذلك مما يخرج المجلة عن هدفها ورسالتها . ولكننا نحرص أن نقدم للقارىء كل شهر موضوعات متنوعة تتناول فيها شتى العلوم والمعارف في آن واحد .

العربي

فهرس سنة ١٩٨٤

من العدد ٣٠٢ إلى العدد ٣١٣

إعداد : صلاح صادق

حديث الشهر

بقلم : رئيس التحرير / د . محمد الرميحي

الموضوع	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
تحرير العقل العربي	١	٨٤	٣٠٢	٨
الشفاء من المرض .. كم فيه من دواء وكم فيه من إرادة ؟	٢	٨٤	٣٠٣	٨
التقنية العربية .. المستورد منها والمستنبت	٣	٨٤	٣٠٤	٨
قضية اليونسكو .. والحدود الفاصلة بين الثقافة والسياسة !	٤	٨٤	٣٠٥	٨
المثقفون العرب والمستقبل .	٥	٨٤	٣٠٦	٨
من المسؤول عن الجوع في العالم ؟	٦	٨٤	٣٠٧	٨
مصير اليهود	٧	٨٤	٣٠٨	٨
دروس التاريخ .. هل نستوعبها ؟	٨	٨٤	٣٠٩	٨
من القادم الى البيت الأبيض ؟ « دراسة في القوى الدينية والعرقية والقومية »	٩	٨٤	٣١٠	٨
المياه العربية .. وحديث عن الخطر المستتر !	١٠	٨٤	٣١١	١٠
الوحدة العربية ذلك الموضوع الغائب الحاضر	١١	٨٤	٣١٢	١٠
همُّ الفكر العربي المعاصر : التوفيق بين الأصالة والمعاصرة	١٢	٨٤	٣١٣	٨

ديـــن

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
خمس علامات على طريق الاسلام	د. أحمد كمال أبو المجد	١	٨٤	٣٠٢	٣٠
الأركان والبنيان	د. حسان حتحوت	١	٨٤	٣٠٢	٥٤
الدين والعلم والشباب	د. عبد العزيز كامل	٢	٨٤	٣٠٣	١٩
أدب الحوار الديني	د. أحمد كمال أبوالمجد	٣	٨٤	٣٠٤	١٨
الحقوق في الشريعة الاسلامية	محمد شمس الدين	٣	٨٤	٣٠٤	٢٩
مفتي المسلمين ... لا ينبغي أن يكون موظفا	د. أحمد عبدالرحمن عيسى	٣	٨٤	٣٠٤	١٣٢
حوار بين علماء الطب وعلماء الشريعة	د. حسان حتحوت	٤	٨٤	٣٠٥	٢٤
النص والاجتهاد والحكم في الاسلام	د. محمد أحمد خلف الله	٦	٨٤	٣٠٧	٤١
شهر رمضان في المدينة الاسلامية	د. سعيد عبد الفتاح عاشور	٦	٨٤	٣٠٧	٥٧
التراث .. والاجتهاد .. ونظرية الاسلام السياسية	د. أحمد كمال أبو المجد	٧	٨٤	٣٠٨	١٧
السلطة السياسية في الاسلام بين «الحكم الديني» و «العلمانية»	د. أحمد كمال أبو المجد	٨	٨٤	٣٠٩	٢٢
مشاهد عن الكعبة والحج: لبيك لا شريك لك	سليمان مظهر	٨	٨٤	٣٠٩	٣٥
روعة الخلق وتفرد الخالق	د. نعمات أحمد فؤاد	٩	٨٤	٣١٠	٩٦
عائد العمل في النظام الاسلامي	د. عبدالرحمن زكي ابراهيم	١٠	٨٤	٣١١	١٢٤
لقاء مع الفن الاسلامي في تركيا	د. عبد العزيز كامل	١١	٨٤	٣١٢	٦٠

سياسة واقتصاد

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
الغذاء صيحة العصر		١	٨٤	٣٠٢	٣٩
نحن ننفق ٢٣ بليون دولار سنويا ثمنا لغذائنا المستورد	عبدالعزيز الصقر	١	٨٤	٣٠٢	٤٠
صلاة من أجل الخبز	محمود المراغي	١	٨٤	٣٠٢	٤٢
الأمن الغذائي العربي .. هل أصبح أسطورة ؟	د. خالد محيي علي	١	٨٤	٣٠٢	٤٤
الثورة الزراعية المطلوبة	د. حازم الببلاوي	١	٨٤	٣٠٢	٥٠
مخاطر استثمار أموال البترول العربي	د. يوسف سليمان القاضل	٢	٨٤	٣٠٣	١٥
التكامل الاقتصادي الخليجي نواة للتكامل العربي الشامل	محمد أبا الخيل	٢	٨٤	٣٠٣	٣٦
الصحافة: حريتها مشكلة وتقييدها مشكلة أكبر	عبد الحميد الكاتب	٢	٨٤	٣٠٣	٥٦
الدول النامية ونظام النقد الدولي	د. أحمد حافظ الجعويني	٣	٨٤	٣٠٤	٦٨
من الصلب الى «الكونتشينة» كان القطاع العام	محمود المراغي	٣	٨٤	٣٠٤	١٣٠
العلاقات الأمريكية الاسرائيلية .. المراحل والنتائج	د. فضل مصطفى النقيب	٤	٨٤	٣٠٥	١٦

الموضوع	الكاتب	الرقم	السنة	العدد	الصفحة
غزو الصحاري واستغلالها	د. عز الدين فراج	٤	٨٤	٣٠٥	٨٠
الديمقراطية .. نظرة جديدة	د. أحمد كمال أبو المجد	٥	٨٤	٣٠٦	١٦
الرأي العام بين الاستفتاء .. والقرار	د. عبدالله حسن العبادي	٥	٨٤	٣٠٦	٢٣
نحو نظام عالمي بديل	د. أسامة أمين الخولي	٦	٨٤	٣٠٧	١٨
عاصفة على اليونسكو .. زمان الشعوب بين الضغوط والآمال	د. عبدالعزيز كامل	٦	٨٤	٣٠٧	٢٦
نملك الأدوات ويستخدمها الآخرون	محمود المراغي	٦	٨٤	٣٠٧	٨٠
الأخطار الناشئة عن توظيف الأموال العربية في البنوك الأجنبية	د. محمد طعمة	٧	٨٤	٣٠٨	٢٤
أزمة .. في مطبخ العالم الثالث !	محمود المراغي	٧	٨٤	٣٠٨	٣٤
الخبز والمدافع .. وأزمة الاقتصاد العالمي	مجدي نصيف	٧	٨٤	٣٠٨	١٧٢
عالم الأقوياء .. ودنيا الضعفاء	عبد الحميد الكاتب	٨	٨٤	٣٠٩	١٦
من حلم «أشعة الموت» .. الى كابوس «حرب الكواكب»	د. أسامة أمين الخولي	٩	٨٤	٣١٠	١٧
كارثة الديون الخارجية لدول العالم الثالث	د. رمزي زكي	٩	٨٤	٣١٠	٢٦
الادارة .. مقياس تقدم	محمود المراغي	٩	٨٤	٣١٠	٣٢
الجغرافيا الاقتصادية للطاقة	د. عبد الحليم منتصر	٩	٨٤	٣١٠	٥٢
حول المد الاعلامي الاستعماري «بضدها تعرف الأشياء»	ج. عبد المجيد	٩	٨٤	٣١٠	٦٤
عندما يهرب الناس من النقود ؟	محمود المراغي	١٠	٨٤	٣١١	٣٤
تقييد الصحافة مشكلة وتوجيهها مشكلة أكبر	ياسر الفهد	١٠	٨٤	٣١١	٦٥
الجوع وأسطورة نقص الغذاء في العالم	محمود عصام الميداني	١٠	٨٤	٣١١	١٠٤
الأقطار العربية والمسألة السكانية .. الغذاء، قنبلة هذا الزمان .	د. عبد الله عبد الدايم	١١	٨٤	٣١٢	٢٠
نظام النقد العالمي وتقلباته بين الماضي والحاضر والمستقبل .	د. احمد حافظ الجعويني	١١	٨٤	٣١٢	٧٠
العـــرب	محمود المراغي	١١	٨٤	٣١٢	٧٦
قراءة عربية في مستقبل القارة السوداء الأمريكية .	يوسف الحسن	١٢	٨٤	٣١٣	١٨
الطاقة في عالم متغير	د. عارف دليلة	١٢	٨٤	٣١٣	٢٤
مطلوب وظيفة	محمود المراغي	١٢	٨٤	٣١٣	٣٠

عــروبة

الموضوع	الكاتب	الرقم	السنة	العدد	الصفحة
ثقافتنا المعاصرة بين التعريب والتغريب	د. فؤاد زكريا	١	٨٤	٣٠٢	٣٥

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
المواجهة بين الثقافة العربية والثقافة الاسرائيلية	د . حسام الخطيب	١	٨٤	٣٠٢	١١٢
حول مقال ثقافتنا المعاصرة بين التعريب والتغريب،كيف نخرج من المأزق الثقافي ؟	عثمان سعدي	٢	٨٤	٣٠٣	١١٠
ملامح الهوية العربية	د. محمد عمارة	٦	٨٤	٣٠٧	٣٤
نحو سياسة عربية قومية للاتصال	د. أحمد حسين الصاوي	٦	٨٤	٣٠٧	٨٧
ازدهار الاقليميات العربية بين الحقيقة والمبالغة	توفيق أبو بكر	٩	٨٤	٣١٠	٦١
التحديث .. وكيف يتحقق في منطقة الخليج العربي	د. عبدالله حسن العبادي	١٠	٨٤	٣١١	٢٣
استراتيجية التكامل الثقافي في منطقة الخليج	د. عبد الله حسن العبادي	١١	٨٤	٣١٢	٢٤
سياسة الاستيطان الاسرائيلي بفلسطين والوطن العربي	الأمير حسن بن طلال	١١	٨٤	٣١٢	٢٨
اشكالية الهوية في المنطقة العربية	حسنين توفيق ابراهيم	١٢	٨٤	٣١٣	٩٧

استطلاعات الكويت المصورة

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
رحلة كنوز الخليج	د. جاسم محمد الحسن	١	٨٤	٣٠٢	٦٨
أطباء من الكويت لكل العرب	منير نصيف ـ ريم الكيلاني تصوير طالب الحسيني ـ أوسكار متري	٢	٨٤	٣٠٣	٦٨
حكاية رجل يرقص الموت : أول مواطن عربي يعيش بقلب مزروع	منير نصيف تصوير : طالب الحسيني	٣	٨٤	٣٠٤	٣٤
الحنين الى الماضي .. والصحراء	صادق يلي تصوير : صلاح أدم	٣	٨٤	٣٠٤	٥٢
عالم الغد .. طاقة من الشمس	وفاء طه ناجي تصوير : طالب الحسيني	٥	٨٤	٣٠٦	٥٤
مسرح الطفل وتجربته الجادة في الكويت	صادق يلي تصوير : طالب الحسيني	٦	٨٤	٣٠٧	١٦٨
المدينة الترفيهية في الكويت : مدينة تصنع السعادة وتختبىء فيها البسمات	محمود عبد الوهاب تصوير : طالب الحسيني	٧	٨٤	٣٠٨	١٣٦
الصيف والبحر .. مياه زرقاء .. ورمال ناعمة وجليد في الصحراء	وفاء طه ناجي تصوير : أوسكار متري	٨	٨٤	٣٠٩	٩١

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
افتح لنا أبواب مكتبتك : جولة داخل المكتبات الخاصة	ريم الكيلاني تصوير : طالب الحسيني	٨	٨٤	٣٠٩	١٥٦
الابحار داخل الزمن والخيال في متحف خاص للحضارة الاسلامية	ثريا البقصمي تصوير : سليمان حيدر	٩	٨٤	٣١٠	١٤٨
رحلة في عالم الطيران	كريمة شاهين تصوير : طالب الحسيني	١١	٨٤	٣١٢	١٢٤
نحو نهضة صناعية متطورة في الكويت	ريم الكيلاني تصوير : سليمان حيدر	١٢	٨٤	٣١٣	١٢٤

الاستطلاعات العربية والخارجية

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
أذربيجان .. أرض النار والنور	مصطفى نبيل تصوير : أوسكار متري	١	٨٤	٣٠٢	١٣٢
مهرجان قرطاج المسرحي الأول .. وعي متقدم في التنظير وخيبة وأزمة في العروض!	سليمان الشيخ تصوير : سليمان حيدر	٢	٨٤	٣٠٣	١٣٢
في أرض الرافدين : العرب وأرض السواد .. الأرض عراقية والمزارعون من مصر والمغرب والأردن وفلسطين	سليمان الشيخ تصوير : طالب الحسيني	٣	٨٤	٣٠٤	١٠٠
جامعة القاهرة ورحلة كفاح عمرها ٧٥ سنة	مصطفى نبيل تصوير : شوقي مصطفى	٤	٨٤	٣٠٥	١٤٢
ما زالت الأيدي تصنع التراث في تونس	سليمان الشيخ تصوير : سليمان حيدر	٥	٨٤	٣٠٦	٣٦
حوران ورحلة الى بلد الكهوف	صادق يلي تصوير : أوسكار متري	٥	٨٤	٣٠٦	١٠٠
شمس رمضان وراء مآذن القاهرة القديمة	منير نصيف تصوير : محمد يوسف	٦	٨٤	٣٠٧	١٠٠
عالم المسلمين السوفييت القابضين على الجمر .. في بلاد ما وراء النهر	مصطفى نبيل تصوير : أوسكار متري	٧	٨٤	٣٠٨	٦٨
عباسيون في تركيا	سليمان الشيخ تصوير : أوسكار متري	٨	٨٤	٣٠٩	٦٨
المهرة .. حياة جديدة	منير نصيف تصوير : طالب الحسيني	٩	٨٤	٣١٠	٦٨
جزر المالديف .. جنة عائمة حورها الفقراء والصيادون	سليمان مظهر تصوير : سليمان حيدر	١٠	٨٤	٣١١	٦٨
اعادة كتابة التاريخ الاسلامي في مركز الأبحاث باستانبول	سليمان الشيخ تصوير : أوسكار متري	١٠	٨٤	٣١١	١٣٢

الموضوع	الكاتب	الرقم	السنة	العدد	الصفحة
انسان جديد يقف وراء الآلة في الخليج	محمود عبد الوهاب تصوير : طالب الحسيني	١١	٨٤	٣١٢	٤٠
مدينة الأركان الخمسة كوالامبور	سليمان مظهر تصوير : سليمان حيدر	١٢	٨٤	٣١٣	٣٦
نقطة اللقاء بين المتناقضات الشباب والتقنية الحديثة في السعودية والبحرين	يوسف الشهاب تصوير : فهد الكوح	١٢	٨٤	٣١٣	٦٠

أدب ولغة

الموضوع	الكاتب	الرقم	السنة	العدد	الصفحة
أطباء .. ولكنهم أدباء	د. أنيس فهمي	١	٨٤	٣٠٢	١٠٢
موقفنا من الحضارة .. الى أين ؟	عبد الرزاق البصير	٣	٨٤	٣٠٤	٧٦
قبل أن تموت العامية	د. أحمد خطاب العمر	٣	٨٤	٣٠٤	١٣٧
ألف وتسعمائة وأربعة وثمانون .. رواية « جورج أورويل » الرهبة « الأخ » والنبوءة والكاتب	د. محمد خير عثمان	٤	٨٤	٣٠٥	٢٨
من أدب الحرب	جمال الدين الألوسي	٤	٨٤	٣٠٥	١١٠
لغة الصحافة بين المشرق والمغرب العربي	عبد الواحد المحروق	٥	٨٤	٣٠٦	٦٨
اتقان اللغات الأجنبية بين الاستعمار والاستغلال	ياسر الفهد	٥	٨٤	٣٠٦	٧٢
وجه في المرآة	أبو المعاطي أبو النجا	٥	٨٤	٣٠٦	١١٤
مكانة الأرض في الأدب الصهيوني	حلمي عبدالكريم الزعبي	٥	٨٤	٣٠٦	١٣٦
ضروب الأدباء	عبدالله زكريا الانصاري	٦	٨٤	٣٠٧	٤٦
الترجمة من العربية واليها	عبدالرزاق البصير	٦	٨٤	٣٠٧	٩١
سيمفونية البحر والبحار	أبوالمعاطي أبوالنجا	٦	٨٤	٣٠٧	١٤٤
بيني وبين السياسة الأسبوعية ذكريات نصف قرن ..	د. نقولا زيادة	٦	٨٤	٣٠٧	١٥١
شخصيات رمضانية	د. حسان حتحوت	٦	٨٤	٣٠٧	١٥٩
الجاحظ .. والكتابة للعامة	د. وديعة طه نجم	٧	٨٤	٣٠٨	٤٣
سيمفونية البحر والبحار : المرفأ البعيد	أبوالمعاطي أبوالنجا	٧	٨٤	٣٠٨	١٠٤
من ندوة العربي الثقافية : المجلات الثقافية وأثرها في النهضة الفكرية بتونس	د. محمد المواعدة	٧	٨٤	٣٠٨	١٢٠
الشهاب ودورها في نهضة الجزائر وأقطار المغرب العربي الحديث	د. تركي رابح	٨	٨٤	٣٠٩	٩٨
وجه في المرآة : ممثل وحيد	أبوالمعاطي أبوالنجا	٩	٨٤	٣١٠	٣٨
الترجمة وعلم الترجمة	مصطفى فوده	٩	٨٤	٣١٠	٦٦
العربية لغة ثانية في باكستان	محمود أحمد غازي	٩	٨٤	٣١٠	١١٠
باريس وظاهرة العواصم الأدبية	د. حسام الخطيب	١٠	٨٤	٣١١	١١٤

الموضـوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
صدقي اسماعيل الأديب الساخر وصاحب (الكلب)	عدنان الداعوق	١٠	٨٤	٣١١	١٦٣
حتمية العناية العربية	د. حسين نصار	١١	٨٤	٣١٢	٨٩
سبب تخلفنا العلمي	عبد الرزاق البصير	١١	٨٤	٣١٢	٩٤
ليست محنة ثقافة ومثقفين وإنما محنة مجتمع كامل	ليلى الجبالي	١١	٨٤	٣١٢	٩٧
في سجن أبي العلاء الرابع	عبد الله زكريا الأنصاري	١٢	٨٤	٣١٣	٦٨
الحوار الحوار .. ما أحوجنا اليه	د. احمد صدقي الدجاني	١٢	٨٤	٣١٣	٩٣

صفحة في اللغة بقلم : محمد خليفة التونسي

الموضـوع	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
نبدأ حفظ القرآن بأواخر جزئه الثلاثين	١	٨٤	٣٠٢	١٢٩
اذا اجتمع الشرط والقسم فلأيهما يكون الجواب ؟	٢	٨٤	٣٠٣	٤٦
أسطورة وأساطير	٣	٨٤	٣٠٤	١٤٠
التقى الرجل أحفاده	٤	٨٤	٣٠٥	٤٤
تصحيحات لغوية	٥	٨٤	٣٠٦	١١٧
رئيس ورئيسي	٦	٨٤	٣٠٧	١٣٤
ثمن الكتاب ثلاثة دنانير لا غير	٧	٨٤	٣٠٨	١٢٤
محبتك الغير فضيلة	٨	٨٤	٣٠٩	١٣٠
هام ومهم ، ومهام ومهمات	٩	٨٤	٣١٠	١١٤
تصحيحات لغوية	١٠	٨٤	٣١١	١٣٠
بين الأسماء والصفات	١١	٨٤	٣١٢	١٤٣
كلا الأخوين شاعر ، أو شاعران	١٢	٨٤	٣١٣	١٣٦

شعر وشعراء

الموضـوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
النزوية (قصيدة)	خالد سعود الزيد	١	٨٤	٣٠٢	٨٦
من أين لي ؟ (قصيدة)	د. أسامة عبدالرحمن	١	٨٤	٣٠٢	١١٦
المخبر العصري (قصيدة)	د. عبده بدوي	٢	٨٤	٣٠٣	٤٤
حديث الذكريات بين شاعر وقصاص	خالد سعود الزيد	٢	٨٤	٣٠٣	٦٢
الورقة البيضاء (قصيدة)	فاضل خلف	٢	٨٤	٣٠٣	١٢٢

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
فياكبدي (قصيدة)	سعيد قندقجي	٣	٨٤	٣٠٤	٣٣
الرحيل الأبدي (قصيدة)	غنيمة زيد الحرب	٣	٨٤	٣٠٤	١٤٦
الشعر العربي هل هو أصل الرمزية؟	د. حامد أبو أحمد	٤	٨٤	٣٠٥	٣٩
الداعي (قصيدة)	يعقوب السبيعي	٤	٨٤	٣٠٥	٧٨
ركوة القهوة (قصيدة)	وديع ديب	٤	٨٤	٣٠٥	١٨٨
الكأس الواحدة (قصيدة)	محمد الفايز	٥	٨٤	٣٠٦	٣٢
شهيد الزمن الأحدب (قصيدة)	محمود عبدالغفار دياب	٥	٨٤	٣٠٦	١٣٥
ليت مافي الغيب يأتي (قصيدة)	د. عيسى درويش	٥	٨٤	٣٠٦	١٥٢
الغد المجهول (قصيدة)	الياس قنصل	٦	٨٤	٣٠٧	١٧
باكثير .. رائد التجربة وبطل الانقلاب في الشعر المعاصر	د. عبدالعزيز المقالح	٦	٨٤	٣٠٧	١٣٨
ارفعي المشعل (قصيدة)	د. سعاد الصباح	٧	٨٤	٣٠٨	٥٢
الراية (قصيدة)	محمود مفلح	٧	٨٤	٣٠٨	١١٢
الجبل والحصاة (قصيدة)	فتحي سعيد	٨	٨٤	٣٠٩	٥٢
حول كتاب « من البيت الى القصيدة » ـ دراسة في شعر اليمن الجديد	عبدالرزاق البصير	٨	٨٤	٣٠٩	١١٣
اشتعال الجليد (قصيدة)	غنيمة زيد الحرب	٨	٨٤	٣٠٩	١٦٩
العصر والحب (قصيدة)	د. عبده بدوي	٩	٨٤	٣١٠	٢٤
شاعر العدسانيات	عبدالله زكريا الانصاري	٩	٨٤	٣١٠	٣٤
المتشابهون (قصيدة)	محمد الفايز	٩	٨٤	٣١٠	١١٢
الحب قرار (قصيدة)	فاروق شوشة	١٠	٨٤	٣١١	٢٧
قصيدة وشاعر « جوتة » وقصيدة من الديوان الشرقي	د. عبدالغفار مكاوي	١٠	٨٤	٣١١	٣٦
عودة الغريب (قصيدة)	عبدالهادي كامل	١٠	٨٤	٣١١	١٧٤
العصباء (قصيدة)	مصطفى كمال	١١	٨٤	٣١٢	٣٩
جمال الدين الأفغاني (قصيدة)	فاضل خلف	١١	٨٤	٣١٢	١٤٦
والأرض ؟ (قصيدة)	د. اسامة عبد الرحمن	١٢	٨٤	٣١٣	١٤٢

قصص

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
عندما كان الرجل غائبا	يوسف القعيد	١	٨٤	٣٠٢	١٨٢
العم اسماعيل	د. محمد حسن عبدالله	٢	٨٤	٣٠٣	٩٦
عند العودة	رستم الكيلاني	٣	٨٤	٣٠٤	٦٤
شدْوُ البلابل	مجيد طوبيا	٣	٨٤	٣٠٤	١٦١
الحرب الخاصة	ابراهيم زعرور	٤	٨٤	٣٠٥	٥٤
الشياطين الصغار	د. عبدالقادر ياسين	٤	٨٤	٣٠٥	٩٢

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
الدرس الأول	محمد حسن عبدالله	٥	٨٤	٣٠٩	١٦٦
غيبوبة حلوة	عباس خضر	٦	٨٤	٣٠٧	١٢٠
من قصص الخيال العلمي : الاكتشاف ـ للكاتب السوفيتي فارلين ستروتجن (مترجمة)	أشرف فتحي	٦	٨٤	٣٠٧	٢٠٠
الحلم ـ تأليف فرانك تيلسلي (مترجمة)	طارق يوسف أسعد	٧	٨٤	٣٠٨	١٥٢
من الأدب التركي : العقدة ـ تأليف عزيز نسين (مترجمة)	صفوان الشلبي	٨	٨٤	٣٠٩	٨٨
القطار يصفر ثلاث مرات	يوسف القعيد	٨	٨٤	٣٠٩	١٢٢
الصمت	خليل قنديل	٩	٨٤	٣١٠	٩٣
الجرذ قصة بول ايروم(مترجمة)	د. حسين جمعة	٩	٨٤	٣١٠	١٢٤
الاجهاض	صلاح عبد السيد	١٠	٨٤	٣١١	١٥٩
في غرفة الانعاش	د. احمد زياد محبك	١١	٨٤	٣١٢	١١٢
ساعة نحس	شمس الدين موسى	١٢	٨٤	٣١٣	٥٦

قضـــاء

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
وقضى الطبيب الشرعي	علي منصور المحامي	٢	٨٤	٣٠٣	٤٨
لوجه الله	علي منصور المحامي	٤	٨٤	٣٠٥	٦٣
شاهد من نغمه	علي منصور المحامي	٥	٨٤	٣٠٦	٨٧
وطعنت الأحجار في الحكم	علي منصور المحامي	٩	٨٤	٣١٠	٥٦

طب وعلوم

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
نحن معرضون للاصابة بالصمم لماذا ؟	د . نبيل سليم	١	٨٤	٣٠٢	٨٨
الدرجات العلمية في الطب هل أدت هدفها ؟	د . نبيل سليم	١	٨٤	٣٠٢	١٢٢
الطاقة لماذا أصبحت مأزقا ؟	د . سعود عياش	١	٨٤	٣٠٢	١١٦
الحياة في نهاية هذا القرن	د . صفاء خلوصي	٢	٨٤	٣٠٣	٣٠
طفلي .. لا يأكل !	د . عماد شمسي باشا	٢	٨٤	٣٠٣	٩٠
لماذا تسقط الأقمار الصناعية ؟	م . سعد شعبان	٢	٨٤	٣٠٣	١٠٣
تكنولوجيا الحشرات سبقت الانسان بملايين السنين .	د. عبد المحسن صالح	٢	٨٤	٣٠٣	١٦٩
عملية زرع القلب .. متى بدأت وكيف تطورت؟	د . هاني شحيبر	٣	٨٤	٣٠٤	٤٤
الحمل والاحساس بالامومة	د. أحمد السيد طوبا	٣	٨٤	٣٠٤	٤٦

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
أطفالنا أكبادنا	د. نبيل سليم	٣	٨٤	٣٠٤	١٤٨
الكمبيوتر يقرع أبواب المدارس	د. سعد الحاج بكري	٤	٨٤	٣٠٥	٦٨
مقارنات بين عين الانسان وعيون الحيوان	د. سري سبع العيش	٤	٨٤	٣٠٥	٨٨
وجبة علمية حقيقة : غداً .. اللحوم من الطحالب	فوزي عبد القادر الفيشاوي	٤	٨٤	٣٠٥	١١٧
من الخواص ما وزن .. فعدل فاستوى !	د. عبد المحسن صالح	٤	٨٤	٣٠٥	١٢٩
متى نتجه الى البحار بحثا عن غذاء أوفر ؟	د. عز الدين فراج	٥	٨٤	٣٠٦	٩٤
الانزلاق الغضروفي ـ معالجته بالانزيمات بدلاً من العمليات .	يوسف زعبلاوي	٥	٨٤	٣٠٦	١٢٨
الانسان يبني .. الانسان يهدم .. تلوث الهواء يهدد وجودنا .	د. محمد عزو صفر	٥	٨٤	٣٠٦	١٥٤
ماذا يعني تشخيص الامراض الوراثية ؟	د. غسان حتاحت	٥	٨٤	٣٠٦	١٦١
ماذا أعددنا لمواجهة البث التلفزيوني الاجنبي بالاقمار الصناعية ؟	حمدي قنديل	٦	٨٤	٣٠٧	٨٢
الصيام والصحة	د. نبيل سليم	٦	٨٤	٣٠٧	١٦٣
قاموس من مفردات لا مكتوبة ولا منطوقة	د. عبد المحسن صالح	٦	٨٤	٣٠٧	١٨٠
القسم الطبي كيف بدأ .. وإلى أين انتهى ؟	د. ضياء نوري حسن	٧	٨٤	٣٠٨	٦٥
مستعمرة فضائية لعشرين مليون انسان !	سليمان مظهر	٧	٨٤	٣٠٨	٩٢
مستقبل بلا قلب يصنعه «الروبوت» هذا الرجل الآلي !	د. عصام محمد عزو	٧	٨٤	٣٠٨	١١٤
ملح الطعام في قفص الاتهام	د. حسن فريد أبو غزالة	٨	٨٤	٣٠٩	٥٤
حتى لا يكون نقل التكنولوجيا سرابا	زهير جريجاني	٨	٨٤	٣٠٩	٦٥
عيون الاسماك والضفادع هل تختلف عن عين الانسان ؟	د. سري فايز سبع العيش	٨	٨٤	٣٠٩	١٣٢
الجبال المهاجرة	م. سعد شعبان	٨	٨٤	٣٠٩	١٤٠
الموسيقا علاج ضمي	د. نبيل سليم	٩	٨٤	٣١٠	٤٥
احذروا الغازات السامة	د. عصام محمد عزو	٩	٨٤	٣١٠	١٠٢
العين العجيبة .. مناظير تكشف أسرار جسدك من الداخل .	د. سامي عزيز	٩	٨٤	٣١٠	١٤٠
رحلة طبية : هل يكون الطب بالاكراه ؟	د. غسان حتاحت	١٠	٨٤	٣١١	٤٢
البايولوجيا الاشعاعية ومخاطر الاشعاع	د. عدنان الظاهر	١٠	٨٤	٣١١	٤٧
ابقراط ليس أبا الطب	د. نبيل سليم	١٠	٨٤	٣١١	٦٠
عيناك .. جسر العبور الى ضوء الحياة	د. سامي محمود علي	١٠	٨٤	٣١١	٩٦
ماذا بعد هذا الرعب النووي ؟	د. شذى الدركزلي	١١	٨٤	٣١٢	٧٨
عالم جديد في أعماق البحار	حسن محمود عباس	١١	٨٤	٣١٢	١١٦
الصدفية مرض مجهول الأسباب	د. محمد عبدالله المشاري	١١	٨٤	٣١٢	١٣٦
لماذا تزداد ولادات التوائم ؟	د. صلاح بركات	١١	٨٤	٣١٢	١٥٩
لا تطلقوا القمر الصناعي العربي	حمدي قنديل	١٢	٨٤	٣١٣	٣٢
الأدوية سلاح ذو حدين : حبوب منع الحمل وخلع الأسنان	د. عبد القادر ستيتيه	١٢	٨٤	٣١٣	٨٢

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
وأخيراً تم اكتشاف حقيقة الثقب الأسود في السماء	م. سمير صلاح الدين شعبان	١٢	٨٤	٣١٣	١١٢
القضاء على الانفلونزا بجراثيم الأمعاء	د. نبيل سليم	١٢	٨٤	٣١٣	١٢٠

الجديد في الطب والعلم — اعداد يوسف زعبلاوي

الموضوع	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
النطق والكلام .. ليس وقفا على بني الانسان - العلبة السوداء تجهز بها كل الطائرات بلا استثناء - الدم الاصطناعي البديل - الهواء عوضا عن الكهرباء - مروحة هواء جديدة .	١	٨٤	٣٠٢	١٢٦
هل حان الوقت لسحب حبوب منع الحمل من الأسواق ؟ - حمارة لا تلد حمارا .. وانما حمار وحشي - الكهرباء تسير السيارات بدلا من البنزين .	٢	٨٤	٣٠٣	١٠٠
آلام الظهر والرقبة وعلاقتها بالوسادة - بدائل جديدة أحلى من السكر وآمن من السكارين - الخمرة تصيب العظام بالوهن والمرض .	٣	٨٤	٣٠٤	١٤٣
عمليات سرطان الثدي - الكوليسترول ، والقول بالفصل في أضراره - اطارات السيارات من البلاستيك .	٤	٨٤	٣٠٥	١٦٧
مستحضر اليونيسف الجديد للقضاء على الاسهال - فصام الشخصية .. هل هو مرض معد ؟ - الفيتامينات لافائدة ترجى من تناولها - حشوة جديدة للاسنان المسوسة .	٥	٨٤	٣٠٦	١٤٢
الجديد في علاج مرض السكري ... مضخة الانسولين .	٦	٨٤	٣٠٧	٩٧
مرض السكري هو المرض الخبيث - عملية زرع البنكرياس	٧	٨٤	٣٠٨	١٥٧
معالجة الأطعمة بالاشعة - ابتكار جديد يهم البشر جميعا .. السيفون الجديد (في - كون) .	٨	٨٤	٣٠٩	١٦٦
الجديد في علاج الروماتيزم - دراجات نارية صغيرة لكنس الشوارع - الجديد في علاج الصلع .	٩	٨٤	٣١٠	١٢٩
الجديد في علاج العقم - سفينة شراعية بدون اشرعة - شرطة القرن الواحد والعشرين .	١٠	٨٤	٣١١	١١١
دون جوان في عالم الحيوان - عملية جراحية بسيطة تقضي على الشخير ٨٠٠٠٠ عجل ولدت لثور واحد فقط - مستعمرات للنمل ، يكثر فيها الاسرى العبيد - ما هو الربو ؟	١١	٨٤	٣١٢	١٥٦
سيقان في اعلى الرأس - التصوير بأشعة إكس في الهواء الطلق حيث يكون المصاب للشفاء فقط .	١٢	٨٤	٣١٣	١٤٦

سلامة البشرية في سلامة البيئة

الموضوع	الرقم	السنة	العدد	الصفحة
بقع الزيت وسبل مكافحتها ـ جزيرة كياوا ـ لم لاتقضي العطلة الصيفية على شواطئها ؟ ـ التلوث يهدد آية من آيات الفن الاسلامي .	٣	٨٤	٣٠٤	١١٨
المناخ العالمي هل مآله الى صقيع أم إلى جحيم ؟ ـ ماذا لوقامت الحرب النووية ؟ ـ عصر الطاقة بات قريبا جدا . . !	٤	٨٤	٣٠٥	١٣٨
أهرامات في البحر .. لمكافحة التلوث ـ الحضارة هل أصابت البشرية في بنائها أم أخطأت ؟ ـ مكافحة الحشرات بحشرات أخرى مفترسة ـ ساعة الهاوية .	٥	٨٤	٣٠٦	٦٤
السرطان من أخطر أمراض البيئة ـ هذا هو الغلاف الجوي ـ التلوث الجوي والأوزون .	٦	٨٤	٣٠٧	١٨٨
سنة الله في خلقه .. فاما آكل أو مأكول ـ المدخنون .. يتناقصون في بلادهم ويتزايدون في بلادنا ـ هل ترغب في زيارة العاصمة المكسيكية	٧	٨٤	٣٠٨	١٤٨
حتى جبال هملايا باتت مهددة ـ عشبة بحرية عجيبة .	٨	٨٤	٣٠٩	٨٥
سد جديد في امريكا الجنوبية ـ تلوث البحر الكاريبي المأساة .. والقدوة الطيبة .	٩	٨٤	٣١٠	٩٠
مكافحة بقع الزيت, كيماويا وبيولوجيا ـ صحاري اليوم كانت مروجا خضراء في الماضي	١٠	٨٤	٣١١	١٢٧
الأمطار الحمضية القضية البيئية الكبرى ـ محكمة البيئة الدولية	١١	٨٤	٣١٢	١٣٩
جهاز يقضي على الغازات الملوثة في السيارات شاع استعماله في امريكا واليابان وغيرها .. فلم لا يشيع في بلادنا .. ! ؟	١٢	٨٤	٣١٣	١٥٣

طبيب الأسرة

الموضوع	الرقم	السنة	العدد	الصفحة
عرق النسا أو آلام العصب الدركي الكبير ـ الصابون الطبي .	١	٨٤	٣٠٢	١٨٠
ضمور العضلات ـ الغدة السعترية ـ الفصام	٢	٨٤	٣٠٣	١٢٩
الشخير ـ الانفلونزا ليست زكاما ولا حساسية	٣	٨٤	٣٠٤	٨٦
النكاف والعقم ـ احتباس النفس أثناء النوم ـ مرض ماتير .	٤	٨٤	٣٠٥	١٢١
عضة الفأر ليست طاعونا ـ الدم في البول ـ كاسات الهواء	٥	٨٤	٣٠٦	٧٥
الصدفية ـ استئصال اللوزتين مالها وماعليها ـ التستوستيرون	٦	٨٤	٣٠٧	١٥٦
التهاب الكبد والتبرع بالدم ـ الرمد الربيعي ـ الأذن البارزة وجراحة التجميل .	٧	٨٤	٣٠٨	١٦٩
الثلاسيميا ـ عصاب الوسواس القهري ـ الغدة النخامية	٨	٨٤	٣٠٩	١١٠
فرشاة الأسنان ودواعي استعمالها ـ حجر جهنم .	٩	٨٤	٣١٠	١٠٨

الموضوع	الرقم	السنة	العدد	الصفحة
الفرق بين كرات الدم وخلاياه ـ الكورتيزون ماله وما عليه	١٠	٨٤	٣١١	١١٨
السكري الكاذب ـ الزائدة الدودية بين الضرر والضرورة ـ صبغة اليود وتطهير الجروح.	١٢	٨٤	٣١٣	١٦٣
العسل ومريض السكر ـ العين والذبابة الطائرة	١٢	٨٤	٣١٣	١٣٤

تاريخ وتراث

الموضوع	الكاتب	الرقم	السنة	العدد	الصفحة
رسالة الشيخ صباح الاحمد الى مجلة العربي في يوبيلها الفضي	الشيخ صباح الاحمد	١	٨٤	٣٠٢	١٤
مجلة العربي فكرة إصدارها .. وكيف ولدت ؟	بدر الخالد البدر	١	٨٤	٣٠٢	١٦
قصة العربي	أحمد السداد	١	٨٤	٣٠٢	٢٣
هردر منصف العرب في القرن الثامن عشر	د. عبد الرحمن بدوي	١	٨٤	٣٠٢	٥٨
المغرور ببقاء السور	د. محمد المنسي قنديل	١	٨٤	٣٠٢	٩٣
وسائل الانذار المبكر عند المسلمين	د. احسان صدقي العمد	١	٨٤	٣٠٢	١٧١
كتابة التاريخ	د. سيار الجميل	٢	٨٤	٣٠٣	١١٥
الظاهرة اليابانية ومعجزة الاسلام	د. احسان حقي	٢	٨٤	٣٠٣	١١٨
افارقة عرب: تيوتب .. الرصاص والرمح وجهالوجه	جمال محمد أحمد	٢	٨٤	٣٠٣	١٢٣
من أين ينبع نهر الزمن العربي؟ الخارية ولسع السياط	د. محمد المنسي قنديل	٢	٨٤	٣٠٣	١٦٠
الفراسة والكشف عن باطن الارض	د. محمد عيسى صالحية	٣	٨٤	٣٠٤	٨٨
يهوه .. إله اسرائيل الدموي	سيد محمود القمني	٣	٨٤	٣٠٤	١٥٥
لغز ايبلا ـ هل كانت مملكة عربية ؟	محمد الأسعد	٤	٨٤	٣٠٥	٩٧
المخاطر عند العرب وكيف كانوا يقدرونها	د. إحسان صدقي العمد	٥	٨٤	٣٠٦	٨٢
البحث عن الزمن : موسيقا الزمن .. والانسان	ريم الكيلاني	٦	٨٤	٣٠٧	٤٩
من تجارب الشعوب : الثورة الفيتنامية وشروط النهضة .	عثمان سعدي	٦	٨٤	٣٠٧	٦٧
بارباروسا سيد البحار وحامي العقيدة	سليمان مظهر	٦	٨٤	٣٠٧	١٢٤
ياتايم .. وحد الدايم .. المماليك يصومون رمضان	د. محمد المنسي قنديل	٦	٨٤	٣٠٧	١٩٢
أيام لا تنسى : المقاومة الوطنية الفلسطينية ١٩٣٦ ـ ١٩٤٨ .	د. أحمد عبد الرحيم مصطفى	٧	٨٤	٣٠٨	٣٦
اليهود وعالم الطيران	د. محمد عيسى صالحية	٧	٨٤	٣٠٨	٤٨
قصة القصر .	د. شاكر مصطفى	٧	٨٤	٣٠٨	١٣٢
أسبلة القاهرة	جمال الغيطاني	٧	٨٤	٣٠٨	١٦٠
السيخ .. معابد . ورهبان . وعنف أيضا	د. شاكر مصطفى	٨	٨٤	٣٠٨	٣٠
حقائق عن علم الفلك عند العرب .	د. سالم الانصاري	٨	٨٤	٣٠٩	١٥١
حكايات بشر الحافي	د. اديب نايف ذياب	٩	٨٤	٣١٠	٤٠

الموضــوع	الكاتب	الرقم	السنة	العدد	الصفحة
مصاحف مملوكية	جمال الغيطاني	٩	٨٤	٣١٠	١٣٢
الانسان الاول وجد منذ ٣٠ مليون سنة	د. عصام محمد عزو	١٠	٨٤	٣١١	١٥١
صفحات مطوية : سيدة التاج .. كل شيء من أجل الحب .	سليمان مظهر	١١	٨٤	٣١٢	١٠٠
نظرية التراث	د. فهمي الجدعان	١٢	٨٤	٣١٣	٧٢
أصالة الجامع الأموي الكبير .. تحقيق في هوية الأبراج والمشاهد .	د. عفيفي بهنسي	١٢	٨٤	٣١٣	١٠٠

تاريخ أشخاص

الموضــوع	الكاتب	الرقم	السنة	العدد	الصفحة
ريمون آرون .. المتفرج الملتزم	د. أحمد أبو زيد	١	٨٤	٣٠٢	١٠٦
سلطان العقل عند أحمد أمين	د. جلال أمين	١	٨٤	٣٠٢	١٦٥
كارل بوبر بين منهج العلم وفلسفة المجتمع المفتوح .	د. أحمد أبو زيد	٣	٨٤	٣٠٤	٨١
الافغاني المفترى عليه عملاق دخل التاريخ	د. شاكر مصطفى	٤	٨٤	٣٠٥	٣٥
حوار مع عالم الطب والفكر الامريكي : جوناس سولك : مكتشف مصل شلل الأطفال (مترجم)	يوسف ميخائيل أسعد	٤	٨٤	٣٠٥	٤٦
في ذكرى عبد الوهاب عزام بعد ربع قرن شخصية مبدعة ونسيج فريد .	د. نعمات أحمد فؤاد	٤	٨٤	٣٠٥	١٢٤
فرانز كافكا وعالم من الغموض	د. حامد رمضان	٥	٨٤	٣٠٦	١٤٦
حوار مع الدكتورة سلمى الجيوسي	سليمان الشيخ	٧	٨٤	٣٠٨	٥٤
حوار مع الكاتب التركي عزيز نسين	سليمان الشيخ	٩	٨٤	٣١٠	١٦١
حوار مع رئيس مبدؤه الفرد قبل الدولة	سليمان مظهر	١٠	٨٤	٣١١	٩٢
الحقد والكراهية في فلسفة نيتشه	د. عيسى الناعوري	١١	٨٤	٣١٢	١٤٨
البطل السوداني علي عبد اللطيف في عيون رفيقة كفاحه .	د. خالد محمد نعيم	١٢	٨٤	٣١٣	٨٦

تربية وعلم نفس

الموضــوع	الكاتب	الرقم	السنة	العدد	الصفحة
الاستعمار والتعليم	د. شوقي السكري	١	٨٤	٣٠٢	١١٨
حول استقلال الجامعات	د. عدنان الظاهر	١	٨٤	٣٠٢	١٢٥
سيكولوجية الاكتئاب	د. عبد الرحمن العيسوى	٢	٨٤	٣٠٣	١٥٢
حذار من تدليل طفلك	د. عبد العلي الجسماني	٤	٨٤	٣٠٥	٥٩

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
الشيخوخة .. ماذا يمكن أن نقدم لها ؟	د. دري حسن عزت	٤	٨٤	٣٠٥	١٠٦
الشاي الاخضر	د. عبد العزيز كامل	٤	٨٤	٣٠٥	١١٣
الانسان .. والارادة الشافية	فيصل الحسن	٧	٨٤	٣٠٨	٦٢
الاخبار .. وجمهور الاطفال	د. زكي الجابر	٨	٨٤	٣٠٩	١٤٦
دور أفلام الصور المتحركة في حياة الطفل	د. عماد زكي	١٢	٨٤	٣١٣	١٤٨

فلسفة

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
دراسات في الفلسفة السياسية عند هيجل (بومة منيرفا)	د. امام عبد الفتاح امام	٩	٨٤	٣١٠	١١٦

مجتمع واجتماع

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
حياة الانسان قيمة أم ثمن ؟	د. حسان حتحوت	٢	٨٤	٣٠٣	٢٦
تيارات من البشر تعبر الحدود	محمود المراغي	٢	٨٤	٣٠٣	٣٤
المستقبل لماذا نخشاه ؟	د. محمد علي الفرا	٣	٨٤	٣٠٤	٩٣
في عيد العمال : صرخة ١٥٠ مليون طفل عامل	د. عدنان رشيد	٥	٨٤	٣٠٦	٢٧
في الثمانينيات . . الاطفال اقل طولا . . والفقر هو المتهم	محمود المراغي	٥	٨٤	٣٠٦	٣٤
الترف النفطي والثقافة	د. اسامة عبد الرحمن	٦	٨٤	٣٠٧	٧٤
المرأة ومصير العالم	محمود المراغي	٨	٨٤	٣٠٩	٢٨
ثلاثية عصر الاستهلاك العربي	د. السيد عليوه	٨	٨٤	٣٠٩	٦٢
أوروبا وعصر الفراغ	جليل العطية	٨	٨٤	٣٠٩	١٠٧
الشباب وقيم العمل المنتج	د. سمير نعيم أحمد	١٠	٨٤	٣١١	٥٦

الأسرة والمرأة

بقلم : منير نصيف

الموضوع	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
. . وعادت إلى أحلامها . . من أجل غد بلا دموع !	١	٨٤	٣٠٢	٦٣
غريبان تحت سقف واحد	٥	٨٤	٣٠٦	٧٨
أيام ولت . . هل تعود ؟	٨	٨٤	٣٠٩	٢١٨
. . وانهارت قصور الاحلام	١٠	٨٤	٣١١	١٢٠
جبر الدين ـ حكاية امرأة تبحث عن ذاتها	١١	٨٤	٣١٢	٨٥
أمي . . لماذا لا يعود الينا أبي ؟	١٢	٨٤	٣١٣	١٣٨

كتاب الشهر

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
ديناميكية الأزمة العالمية	د. عبد الرحمن الخطيب	١	٨٤	٣٠٢	١٨٩
العلاقة بين الاسلام والمجتمع	ابراهيم محمد أبو ربيع	٢	٨٤	٣٠٣	١٧٨
شقوق في صورة العرب عند الامريكيين ـ تحقيق آرموند غريب .	د. أمين العيوطي	٣	٨٤	٣٠٤	١٦٦
الدراسات الشرقية في الجامعات الألمانية	عبد المقصود حبيب	٤	٨٤	٣٠٥	١٧٤
الرواية العربية الحديثة من خلال عين غربية	حسن محمود عباس	٥	٨٤	٣٠٦	١٧١
سيرة « محمد » والحقيقة بين عالمين	د. محمد الموافي	٦	٨٤	٣٠٧	٢٠٣
الخبز والمدافع .. وأزمة الاقتصاد العالمي	مجدي نصيف	٧	٨٤	٣٠٨	١٧٢
قراءة في كتاب الموت للكاتب الياباني يوكيو ميشيما	نوح حزين	٨	٨٤	٣٠٩	١٧٠
أصوات المسادا أو مهزلة الانتحار الجماعي	سليمان مظهر	٩	٨٤	٣١٠	١٦٧
تيتو .. القصة من الداخل	نوح حزين	١٠	٨٤	٣١١	١٦٧
آل كنيدي والحلم الضائع	ابراهيم العربي	١١	٨٤	٣١٢	١٦٩
التحالف غير الطبيعي	نوح حزين	١٢	٨٤	٣١٣	١٥٥

الفنون واللوحات الفنية

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
الألوان والناس	د. عمر الدقاق	١	٨٤	٣٠٢	١٥٧
تعال نسمع موسيقا وننسى آلامنا !	سناء محمود ديب	٢	٨٤	٣٠٣	١٥٥
في مسرحية صلاح عبد الصبور « ليلى والمجنون » جيل من الثوار مفقود بين الماضي والمستقبل	د. علي الراعي	٣	٨٤	٣٠٤	٢٤
الدور والرسالة مع رسام الجداريات ضياء العزاوي	عبد المعبود شحاته	٣	٨٤	٣٠٤	١٢٢
الفنان محمد الشيخ ولوحة من الكويت		٤	٨٤	٣٠٥	٦٢
صلاح طاهر .. صورة الفنان في شبابه الدائم	أحمد غانم	٥	٨٤	٣٠٦	١٢٠
لوحة فنان	ثريا البقصمي	٦	٨٤	٣٠٧	٤٠
التجربة الموسيقية بين الحضارات	د. فؤاد زكريا	٧	٨٤	٣٠٨	٢٩
لوحة وفنان	ثريا البقصمي	٧	٨٤	٣٠٨	١١١
من قضايا المسرح العربي المعاصر	د. حياة جاسم محمد	٧	٨٤	٣٠٨	١٢٦
عام الاهتمام بالفلوكلور	فاروق خورشيد	٨	٨٤	٣٠٩	١٠٢
لوحة وفنان : عبد الرسول سلمان	ثريا البقصمي	٨	٨٤	٣٠٩	١١٧
التكوين الفني للموسيقا العربية	كمال النجمي	٩	٨٤	٣١٠	٣٠
الفنانة هولي سيف ولغة الوعي البارد	أحمد غانم	٩	٨٤	٣١٠	١٤٤
كيف نحافظ على تراثنا الموسيقي ؟	ممدوح الجابري	١١	٨٤	٣١٢	١٦٦

Let Me Teach YOU English!

Be Specialist Trained in Written and Spoken English!

A good command of English can ensure your success! It can improve your chances of promotion – get you a better job – increase your earning power and enhance your social life. You can acquire it quickly and easily.

When you can talk fluently and effectively – write clearly and concisely, you impress your boss – your colleagues and your friends.

To help you be successful we offer you a **specialist**, home-study Diploma training in Business English. You learn how to write business letters, reports, minutes, memos, telex, telegrams, conduct meetings and lots more about business – plus full tuition in the English language and how to use it in your job. **Never again need you be ashamed of your English.**

Your training has been **specially written** for people whose mother tongue is not English. If you understand this announcement, you will also understand our Prospectus – sent FREE on request – giving fuller details of this unique opportunity. Don't miss your chance! If you are over 15 write NOW giving your name and address in BLOCK CAPITALS. No obligation. Dept. B/AAB 34, Business Training Ltd, 7 Dale Street, Manchester, M1 1JB, England.

BUSINESS TRAINING LIMITED

Dept. B/AAB 34,
Sevendale House,
7 Dale Street,
Manchester,
M1 1JB,
England.
C.A.C.C. Accredited

Please tell me about your home-study training and how I can obtain my specialist Diploma.

BLOCK CAPITALS PLEASE

Address

مِنَ المسرح العَالَمِيّ

سِلسلة ثقافية

تصدرها في مطلع كل شهر

وزارة الإعلام في الكويت

أول ديسمبر ١٩٨٤

١٨٣

طوباز

تأليف : ما . سيل بانيول

ترجمة وتقديم : محمود زمزم

مراجعة : د . علي درويش

عالم المعرفة
سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت
ديسمبر
١٩٨٤

المشكلة السكانية وخرافة المالتوسية الجديدة

تأليف

د. رمزي زكي

٥٠٠ فلس

الكتاب الرابع والثمانون

المراسلات:
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

تصدر الطبعة الثانية من كتاب التنبؤ العلمي ومستقبل الانسان في منتصف شهر ديسمبر ١٩٨٤ .

هناك مجموعة مصرفية واحدة فقط في العالم تساهم فيها الدول العربية جميعاً

كانت المراسلات المتبادلة بين الخليفة العباسي الكبير هارون الرشيد وشرلمان مبادرة عربية رائدة في اقامة الصلات بين الشرق والغرب

دينار هارون الرشيد ، ٧٨٩ ميلادية

ان مجموعة بنوك اليوباف Al Ubaf Banking Group هي المجموعة الوحيدة التي أحرزت نجاحا في اقامة الصلات بين الشرق والغرب عن طريق انشاء بنوك مشتركة في جميع المراكز المالية الدولية .

والدول العربية بأسرها البالغ عددها اثنتان وعشرون ممثلة كلها في المجموعة من خلال ٢٦ مؤسسة عربية .

وبالاضافة الى ذلك فان ٢٢ مؤسسة مصرفية من كبريات المؤسسات الدولية تساهم في بنوك المجموعة الى جانب المؤسسات العربية بغية تحقيق أهدافنا المشتركة .

وفضلا عن هذا فان تنوع عمليات البنوك المساهمة في المجموعة وانتشارها الجغرافي على الصعيدين المحلي والدولي ، يجعلنا في وضع متميز يتيح لنا النفاذ بيسر الى كافة أرجاء المعمورة .

وتقدم المجموعة للعملاء الخدمات المالية والمصرفية على نطاق بالغ الاتساع بفضل ما لديها من خبرات مهنية رفيعة المستوى تدعمها أحدث مبتكرات التكنولوجيا ، ومن دراية لا تضارع بالأوضاع المحلية .

اليوباف

AL UBAF
BANKING GROUP

البحرين	بنك اليوباف العربي الدولي
هونج كونج	يوباف انترناشونال ليمتد
لندن	يوباف بنك ليمتد ـ شركة اليوباف المالية المحدودة
لوكسمبورج	يوباي البنك العربي الالماني وفرع في فرانكفورت
نيويورك	البنك العربي الأمريكي ـ يوباف وفرع في جزر كايمان
باريس	اتحاد المصارف العربية والفرنسية (يوباف)
	فروع في البحرين ، سيول ، سنغافورة ، طوكيو
روما	يوباي البنك العربي الايطالي ومكتب تمثيل في ميلانو

بيروت	مكتب تمثيل
القاهرة	مكتب تمثيل

تغلّب «رد أدير» وسَاعته رولكس على كافة العَقبَات لدَى إخمَاده «ولاّعة الشيْطان»

يعمَل "رد أدير" في إخمَاد حَرائق البترول، وأشهرهَا الحَريق المعروف باسْم "ولاّعة الشيْطان" في الصحْراء الكبْرى.

كانتْ نيرَان هَذه البئر الرهيبَة تندلع صَاخبَة مدوّية في عنَان السّمَاء الى عُلوّ يبلغ ٢٠٠ متر، وتأتي على مَا يَزيد عَن ١٥ مليُون مِتر مكعّب مِن البترول كل يَوم.

وبَعد مجهُود دائب، تحتَ انهمَار أطنَان من المِيَاه لمكافحَة الحرارة، إستطاع "رد أدير" وفريقه وضع ٢٥٠ كيلو غرامًا من مادّة متفجرة خاصّة على بعد نصف متر من قاعدة النيرَان الملتهبَة، ثمّ قام بتفجير هَذه المَادّة، فتمّ إخمَاد الحريق في جزء من الثانيَة.

وداخل مصَانع رولكس في جنيف حيث تقلّ الحَرارة نسْبيًا، يقوم الحرفيّون باستحداث سَاعة مصمّمة لاحتمال أقسَى وأصعب الأحوال والأوضَاع.

فكل سَاعة رولكس كرُونومتر تخرج مِن مصَانعنَا، تخضع رسْميًا لاختبارات دقيقة لليل نهار وطوال أسبوعين، فضلاً عَن حَتميّة استمرار حَركتهَا مدّة خمسَة عشر يومًا تتعرّض خلالهَا سَاعة رولكس الى نهَايَات قصْوى من درجَات الحَرارة وهيَ مُدلاة في معزل عَن علبتهَا المتينَة أو يسَر.

ولكن، مَن بإمكانه معرفة الطريقة التي تعامَل بهَا رولكس وهيَ حَول معصَم رجُل مثل "رد أدير"؟

في عَام ١٩٧٧، عَاد "رد أدير" وفريقه مِن بَحر الشمَال رافعين رايَة النصر، وقد أفلحوا في إخمَاد ثوران بئر "برافو" يَوم راحتْ تقذف من فوهتهَا، كمَا الصَاعقة، نافورة من الغَاز والبترول في درجَة الغليَان، فمَا زنته مئات الكيلوهَات كل سَاعة.

وتعليقًا على هَذا الحَدث، كتب مرَاسل "الديلي ميل": "كانتْ سَاعَات رولكس الذهبيّة، مثبّتة حَول معَاصمهم وكأنّهَا رمز شركة". شركة مَا، هيَ. ورمز مَا، هو.

ROLEX

رولكس

في الصورة: ساعة رولكس كرونومتر "داي ديت" من الذهب عيار ١٨ قيراطا مع سوار جسيم معها.

المجلة العربية للعلوم الانسانية

تصدر عن جامعة الكويت ، فصلية محكمة ، تقدم البحوث الأصيلة والدراسات الميدانية والتطبيقية في شتى فروع العلوم الانسانية والاجتماعية باللغتين العربية والانجليزية .

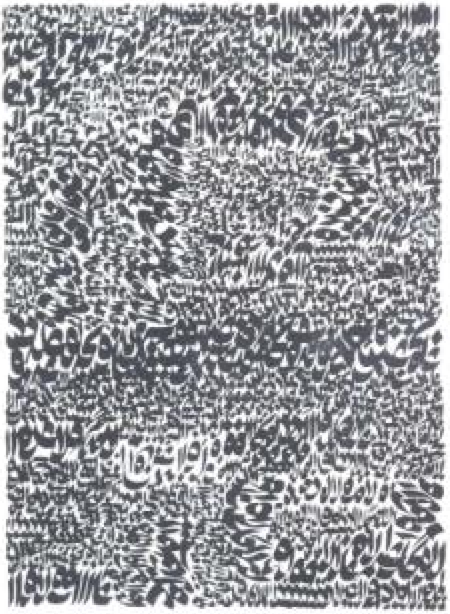

رئيس التحرير
د. عبدالله العتيبي

مديرة التحرير
آمال بدر الغربللي

جميع المراسلات توجه الى رئيس التحرير : ص . ب : ٢٦٥٨٥ الصفاة - الكويت
هاتف : ٨٢١٦٣٩ - ٨١٥٤٥٣ (الشويخ) - تلكس ٢٢٦١٦ KUNIVER

مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية

تصدر عن جامعة الكويت

رئيس التحرير
الدكتور عبد الله الغنيم

صدر العدد الاول في يناير ١٩٧٥

تصل اعدادها الى أيدي نحو ٢٠٠,٠٠٠ قارىء

يحتوي كل عدد على حوالي ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير تشتمل على : —

— مجموعة من البحوث تعالج الشئون المختلفة للمنطقة بأقلام عدد من كبار الكتاب المتخصصين في هذه الشئون .

— عدد من المراجعات لطائفة من اهم الكتب التي تبحث في المناحي المختلفة للمنطقة .

— أبواب ثابتة : تقارير — وثائق — يوميات — ببليوجرافيا .

— ملخصات للبحوث باللغة الانجليزية .

منشورات المجلة

اضطلعت المجلة باصدار عدد من سلاسل الكتب هي : —

اولا : سلسلة المنشورات ، وقد صدر منها حتى الان احد عشر منشورا من احدثها :

— منظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول ١٩٦٨ — ١٩٧٧ : دراسة مقارنة في التنظيم الدولي د. عادل خالكي .

— قواعد الملاحة عند بن ماجد والقطامي . حسن صالح شهاب .

ثانيا : سلسلة الاصدارات الخاصة ، وصدر منها حتى الان ثلاثة عشر كتابا ، من أحدثها :

— المفهوم الحديث للتسويق وتخطيط الخدمات المصرفية في البنوك التجارية الكويتية .
د. عبد الفتاح الشربيني ، د. السيد ناجي

— رسالة في تاريخ اليمن : مطالع النيران . د. محمد عيسى صالحية .

ثالثا : سلسلة كتب الوثائق ، وقد صدر منها كتب الوثائق للاعوام : ٧٥ — ٧٦ — ٧٧ — ٧٨ — ٧٩ — ٨٠ .

الاشتراكات

ثمن العدد : ٤٠٠ فلس كويتي أو ما يعادلها في الخارج .

الاشتراك للافراد : سنويا ديناران كويتيان أو ١٥ دولارا امريكيا في الخارج (بالبريد الجوي)

الاشتراك للمؤسسات والدوائر الرسمية : سنويا ١٢ دينارا كويتيا أو ٤٠ دولارا امريكيا في الخارج (بالبريد الجوي) .

العنوان : جامعة الكويت — كلية الآداب والتربية — الشويخ — دولة الكويت

ص.ب : ١٧٠٧٣ — الخالدية

الهاتف : ٨١٦٨٠٧ — ٨١٦٧٩٩ — ٨١٦٨٢٤

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير

تدبير منزلي بطريقة
مميّزة
صنع
باليابان
توشيبا
ثلاجة
فريزر
DIRECT COOL
TROPICAL
GR-453EG
GR-473EIG
غسالات كهربائية
VH-3300BW
VH-1300BW
GR-473EIG ثلاجة بابين
ذات سعة إضافية
كبيرة.
GR-453EG ثلاجة بابين
ذات سعة كبيرة.
VH-3300BW غسالة سعة
كبيرة ونظام فلتر فعّال
للنسالة.
VH-1300BW غسالة مع
نظام فلتر فعّال للنسالة.
TOSHIBA
TOKYO, JAPAN

نهدف.. لخدمتكم

الخطوط الجوية الكويتية
KUWAIT AIRWAYS
ملتقى الشرق والغرب